الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

●●●

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

نائب رئيس التحرير

سيد وفا أبو عجور

مدير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقي الدين

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

المحرم ١٤٢٦هـ - مارس ٢٠٠٥م - الجزء الأول - السنة الثامنة والسبعون

افتتاحية العدد

حوار عن الهجرة

ذهبت لحضور احتفال بمناسبة الهجرة النبوية الكريمة، فتعاقب الخطباء يتحدثون عن المعجزة الرائعة بما يعلمه الجميع وبما تكرر حتى حفظته العامة عن ظهر قلب، ورأى صاحبى على وجهى الضيق، فسألنى قائلا: يا أخى، المناسبة سارة بهيجة، والمتكلمون من أفاضل العلماء، والجو صحو بديع، فماذا يضايقك؟

قلت: لأنى لم أسمع جديدا، وكنت أنتظر أن أسمع ما لا أعرف!

قال: لو طلبت الجديد فى حادث الهجرة فلن تظفر بشىء، فالمؤرخون والكتاب والخطباء قد ألموا بما يمكن أن يُقال، كتبوا ذلك وأعادوه منذ قرون طوال!

قلت: إن الأفكار تتوالى، والخواطر تتولد، وكما أن لكل إنسان صوته الخاص، وملامحه الخاصة، ونظرته الخاصة، فلا بد أن يكون له كلامه الخاص فى مناسبة كهذه!

فابتسم صاحبى وقال: هب أنك أحد خطباء هذا المحفل، ورأى القوم أن تقوم بتكريم يوم الهجرة، فأجبت إذ لا تستطيع أن تتأخر عن تمجيد رسول الله ﷺ فماذا إذن ستقول؟

فاجأنى صاحبى، وكأنه يريد أن يُفحمنى بطريق عملى، فتذكرت أنى كنت الليلة الماضية أتقلب على فراشى، أستعطف النوم فلا يجىء، فأردت أن أشغل خاطرى بالتفكير فى شىء، وأقرب ما طرأ على ذهنى هو حادث الهجرة النبوية، لأن اليوم يومه، وشاء الله أن أسبح فى أفكار لم أعرفها من قبل، فاسترسلت فى مدّها استرسالا حتى أشرفت على غاية مطمئنة، تذكرت ذلك، فقلت لصاحبى، لقد فكرت فى عبرة من عبر الهجرة ليلة أمس! وكأن الله عز وجل قد ألهمنى التفكير إذ علم جل شأنه أن حواراً سيتردد بيننا الآن، فأراد أن يستر ضعفى، فوجهنى إلى استنباط ما يفيد.

قال صاحبى: لقد شوقتنى، فهل فتح الله عليك بشىء، غير حديث اجتماع الندوة، وصُحبة أبى بكر الصديق، والاستخفاء فى غار ثور، وخيبة سراقة، واستقبال أهل المدينة للزائر العظيم!

هذه خواطر عفوية عن الهجرة النبوية قد يكون بها بلاغ لمن ألقى السمع.

قلت: اسمع يا أخى، لقد كنت أفكر هادئا، وليس فى ذهنى أن أفكر، لأخاطب الناس كاتباً أو محاضرا بل كل ما أردته أن أفسر بعض ما يحتاج إلى تفسير! أو أحاول أن أفسر، والمحاولة بدء الشروع!

ثم أرسلت نظرى إلى صاحبى متفحصا. وقلت له: استمع ولا تقاطع، استمع الموضوع إلى نهايته، فإذا فرغت منه، فسأنصت إلى ما لديك من اعتراض!

فعجل صاحبى يقول، تحدث فكلى آذان..

قلت: يا أخى لقد فكرت كثيرا فى معجزة الهجرة، فرأيتها أمراً خارقاً لا يمكن أن يتحقق فى دنيا الناس إلا بعون الله وحده، لا يمكن أن يتحقق إلا على يد رسول!

قال: كيف؟

قلت: لو جاء اليوم إنسان يثق فيه أصحابه، وقال لهم اتركوا دياركم، وما تحوى من متاع، واحملوا معكم أولادكم الصغار، ومن يطيعكم من أبنائكم الكبار، وسيروا إلى بلد لا تعرفون فيه أحداً، ولا تتأكدون أنكم ستجدون المأوى المستريح، اتركوا كل ما يربطكم ببلدكم من تجارة وكسب وارتفاق، وكل من تألفون مودته من أصدقاء، وإذا حاربكم أعداؤكم هنا وحالوا دونكم ودون أموالكم فدعوها لهم عن طيب خاطر، وستلاقون فى الطريق من يقطعه عليكم فتشجعوا وثقوا بنصر الله، ولا تسألون كيف ستكونون، فكل ذلك مخبوء فى طى المقادير.

أقول: إذا قال اليوم هذا إنسان لأصحابه، أكانوا يستجيبون له مهما كان عزيز المكانة لديهم؟ أم تعز عليهم ديارهم وأموالهم فيتباطؤون؟

قال صاحبى: أنا شخصيا لو جاءنى اليوم أبى، وهو أكرم الناس علىّ، وطلب منى أن أترك البلد نازحًا إلى بلد لا أعرفه وألا أحمل معى ما أستعين به من المال، ولم تكن الرحلة مأمونة كمن يذهبون اليوم فى بعثات تقدر أجورها قبل أن يبرحوا مكانهم، وقد علموا ما يصنعون عن يقين، إذ كتبت لهم العقود، وحددت أماكن العمل، وأوقات الراحة، لو طلب أبى -وهو أبى- منّى أن أترك كل مالى من عقار وديار وأهل وأبرح إلى حيث لا أعرف كيف أقيم، فلا والله ما أجبت؟

قلت: ولكن محمدا -ﷺ- دعا أصحابه إلى الهجرة، ومنهم من كان عزيز المكانة بين قومه، وافر المال فى متجره، سعيداً بخلطائه ومجاوريه، فاستجابوا عن طيب خاطر، وسبقوه إلى المدينة مسرعين، وكأنهم يذهبون إلى رحلة سعيدة يقضون بها مصيفاً ناعما ينفحهم بالمسرة، ويعيد لهم هدوء النفس، وراحة الجسم من عمل طويل، رحلوا وهم فقراء وحيل بينهم وبين ما يملكون! أليس هذا حقا واقعاً!

قال أخى: نعم إنه حق واقع!

قلت: أيمكن أن يتم على هذا الوجه الغريب؟

ففكر قليلاً.. ثم هتف صائحاً: والله لن يتم إلا بمعجزة، والهجرة إحدى معجزات الرسول الكريم..

سكت ملياً ثم قلت لصاحبى : دع حديث المهاجرين جانبا ، وهلم إلى حديث آخر ، أفتريد أن تسمع ؟

قال : نعم ، لقد أدهشتنى فأكمل مالديك !

فنظرت إليه متفرسا ؛ ثم قلت : اسمع يا أخى ، لو كنت آمناً فى أسرتك ومعيشتك ومتجرك فى بلدك ، ثم فوجئت بمن ينزل عليك لا ليجلس يوما أو يومين أو شهرا ، بل ليظل إلى الأبد ، يُقاسمك منزلك ورزقك وعملك ، بل يقاسمك ملبسك ومأكلك ومشربك ! فهل ترحب بهذا الزائر عن سماح ، وتتنازل له عن نصف ما تملك ، وتدفعه إلى أن يزاحمك فى صميم رزقك ، فإذا كنت زارعاً قاسمك الأرض ، وإذا كنت تاجرا قاسمك المتجر ، وإذا كنت صانعاً كان شريكك فى الصنعة والمحل والكسب ، وربما تفوق عليك فزاد كسبه عن كسبك ! أقول لو كنت أنت صاحب المنزل والمتجر والكسب ، أتقبل من يأتى وأنت لا تعرفه من قبل ، ولا كان بينك وبينه أدنى مراسلة واتصال ، ثم لم تبل من أخلاقه وشمائله ما يجعلك تطمئن إلى زمالته ومساكنته ، أفكنت ترضى عن سماح أن تقاسمه كل ما لديك ، وأن يملك من منزلك مثل ما تملك ؟

قال صاحبى : هذا بعيد جدا عن طبائع الإنسانية ، ولا يمكن أن يتحقق فى دنيا الناس إلا بمعجزة !

قلت : وقد تمت المعجزة على يد رسول الله ، فآثر الأنصار المهاجرين على أنفسهم ، ولو كان بهم خصاصة ، واندفعوا إلى استقبالهم فرحين ، وفيهم من كانت له زوجتان فعرض على الصاحب الجديد أن يختار إحداهما ليطلقها فتصبح زوجته بعد العدة ، وقد تم ذلك فى بشر وسماح ، وعبر عنه كتاب الله - عز وجل - قال :

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر / ٩]

أفيعقل أن يتم ذلك لولا معجزة الهجرة ؟! لقد قال الله لنبيه :

﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنفال / ٦٣]

إننا نقرأ فى أحداث اليوم أن دولة تحتل أماكن من دولة أخرى ، فيهاجر سكان الأرض المحتلة إلى جيرانهم ، وهم بعد من دولة واحدة ، وتقوم الدولة بإسكانهم وتهيئة ظروف الإقامة لهم قدر الإمكان ، ومع ذلك لا يجدون من المواطنين ترحيباً ، وربما ناصبوهم العداء ، وعدوهم غرباء ، وهم لا يكلفونهم شيئا ، لأن طبائع البشر إن لم يعصمها الإيمان تنزلق إلى مهاوٍ سحيقة ، فتكون الغيرة ، والأنانية والأثرة ، وتشتعل البغضاء ، ويفضل المهاجرون رجوعهم إلى المكان المحتل ، إذ لا يشعرون فيه بمذلة الغريب ، أما حادث الإخاء بين المهاجرين والأنصار فى مثاليته الرائعة فقذ لا نظير له فى صحائف التاريخ ، وها هى ذى

صحائفه بين أيدينا !

ورأيت صاحبى يشرد به التفكير شأن من خطرت له مشكلة تتطلب الحل ، وأنا أعهد ذلك منه فى مواقف كثيرة ، فقلت له : ماذا يدور بذهنك ؟ أنا مستعد للإجابة عما يشغلك !

فابتسم ملاطفا ، وقال : أوافق على كل ما قلت ، ولكن لماذا بقى بعد الهجرة أناس من المسلمين ولم يشدوا الرحال مع رسول الله ، وهم به مقتدون !

قلت : وكيف عرفت ذلك ؟ فقال : عرفته من قول الله - عز وجل - : فى سورة الفتح :

﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح / ٢٥]

قلت : إن الله وصفهم بالإيمان فلا نشك فى إخلاصهم ، وجعل إصابتهم بالمكروه من لدن إخوانهم المسلمين معرة وذنبا ، إذ لهم حق الرعاية ، وحرمة الصون ، ومعنى ذلك أن ظروفا قاهرة حالت دون هجرتهم ، ففيهم من وثق بالحبال من ذوى قرباه ، ومن عاقه المرض عن المسير ، وقد قال بعض المفسرين إنهم سبعة رجال وامرأتان ، وذكرهم الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بأسمائهم فى تفسيره (التحرير والتنوير) وبقاء سبعة ، ورحيل الكثرة الكاثرة استجابة لأمر رسول الله ، مما يمثل روح التفانى فى تفدية الإسلام مهما قامت العقبات ، وتراكمت العواتير !

ارتاح صاحبى لما أجبت ، وانطلق يسأل سؤالا آخر ، هو : كان فيمن آووا رسول الله ونصروه من المدنيين ، من أظهر تباطؤا ، فتخلف عن الراكب ! كما تباطأ بعض القوم فى مكة !؟

قلت : إن الذين آمنوا بالله عن يقين قد ثبتت مواقفهم الرائعة فى الإيواء والنصرة ، الإيواء فى الموطن والنصرة فى الحرب وميادين القتال ، أما من أظهروا الإسلام فقط فهم المنافقون ، وقد كشفهم القرآن فنبذهم المؤمنون ، وهؤلاء لا يحسبون من المسلمين عن يقين ! ومن أدركه الضعف فى موقف ما ، فتخلف فى بعض الغزوات عن القتال ، وهو مؤمن صادق ، فقد ندم أشد الندم ، وتجاوز الله عن ذنبه بعد المتاب ، ونحن نعرف نبأ الذين تخلفوا يوم تبوك من الصادقين المخلصين :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ﴾ [التوبة / ١١٨]

قبل الله توبتهم ، فاستقاموا راشدين !

د . / محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤) إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

الآيات: ٤٢ : ٤٧

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

وقوله -تعالى-

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ ﴾

إلخ معطوف على قوله:

﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي ﴾

[آل عمران / ٣٥]

إلخ عطف القصة على القصة، فإن الله -تعالى- بعد أن ذكر ما قالته امرأة عمران عندما أحست بالحمل. وبعد ولادتها لمريم، وما كان من شأنها وتربيتها وكفالتها بعد أن ذكر ذلك، بين -سبحانه ما كان من أمر مريم بعد أن بلغت رشدها واكتمل تكوينها، وجاء بقصة زكريا بين قصة الأم وابنتها لما بينهما من مناسبة إذ أن دعاء زكريا ربه كان سببه ما رآه من إكرام الله -سبحانه- لمريم ولأن الكل لبيان إصطفاء آل عمران.

والمعنى، واذكر يا محمد للناس وقت أن قالت الملائكة لمريم -التي تقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا- يا مريم

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ ﴾

أى اختارك واجتباك لطاعته، وقبلك لخدمة بيته ﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾ من الأدناس والأقذار، ومن كل ما يتنافى مع الخلق الحميد، والطبع السليم

﴿ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾

بأن وهب لك عيسى من غير أب دون أن يمسك بشر. وجعلك أنت وهو آية للعالمين.

فأنت ترى أن الله -تعالى- قد مدح مريم مدحا عظيما بأن شهد لها بالاصطفاء والطهر والمحبة، وأكد هذا الخبر للاعتناء بشأنه، والتنويه بقدره.

قال الفخر الرازى ما ملخصه:

والاصطفاء الأول إشارة إلى ما اتفق لها من الأمور الحسنة فى أول عمرها بأن قبل الله -تعالى- تحريرها أى خدمتها لبيته، مع أنها أنثى ولم يحصل مثل هذا المعنى لغيرها من الإناث، وبأن فرغها لعبادته وخصها فى هذا المعنى بأنواع اللطف والهداية والعصمة، وبأن كفاها أمر معيشتها فكان يأتيها رزقها من عند الله.

وأما الاصطفاء الثانى فالمراد به أنه -تعالى- وهب لها عيسى -عليه السلام- من غير أب، وجعلها وابنها آية للعالمين»[1].

ولا شك أن ولادتها لعيسى من غير أب ودون أن يمسها بشر، هو أمر اختصت به مريم ولم تشاركها فيه امرأة قط فى أى زمان أو مكان، فهى أفضل النساء فى هذه الحيثية.

أما من حيث قوة الإيمان، وصلاح الأعمال فيجوز أن يحمل اصطفاؤها على نساء العالمين على معنى تفضيلها على عالمى زمانها من النساء وبعضهم يرى أفضليتها على جميع

(١) تفسير الفخر الرازى جـ ٨ ص٤٦.

النساء فى سائر الأعصار.

هذا وقد أورد ابن كثير عددا من الأحاديث التى وردت فى فضل مريم وفى فضل غيرها من النساء، ومن ذلك ما أخرجه الشيخان عن على ابن أبى طالب أنه قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد» وروى الترمذى عن أنس أن رسول الله -ﷺ- قال: «حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون» وأخرج البخارى عن أبى موسى الأشعرى قال: قال رسول الله -ﷺ-: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون. ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»(٢).

وقول الملائكة لمريم إن الله اصطفاك وطهرك.. إلخ الراجح أنهم قالوه لها مشافهة، لأن هذا ما يدل عليه ظاهر الآية، وإليه ذهب صاحب الكشاف فقد قال: روى أنهم كلموها شفاها معجزة لزكريا، أو إرهاصا لنبوة عيسى -عليه السلام-(٣).

وقال الجمل: قوله:

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ ﴾

أى مشافهة لها بالكلام، وهذا من باب التربية الروحية بالتكاليف الشرعية المتعلقة بحال كبرها بعد التربية الجسمانية اللائقة بحال صغرها»(٤).

وقيل كان خطابهم لها بالإلهام أو بالرؤيا الصادقة فى النوم.

والأول أولى لأنه هو الظاهر من الآية، ولأنه الموافق لأقوال جمهور المفسرين، ولأنه جاء صريحا فى آيات أخرى أن الملك قد تمثل لها بشرا سويا وكلمها، وذلك فى قوله -تعالى- فى سورة مريم:

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾

[مريم/١٦: ١٩]

قال الآلوسى: واستدل بهذه الآية من ذهب إلى نبوة مريم: لأن تكليم الملائكة يقتضيها ومنعها اللقانى وغيره من العلماء، لأن الملائكة قد كلموا من ليس بنبى إجماعا، فقد جاء فى الحديث الشريف أنهم كلموا رجلا خرج لزيارة أخ له فى الله، وأخبروه بأن الله يحبه كما أحب هو أخاه، ولم يقل أحد بنبوته- فكلام الملائكة لمريم لا يقتضى نبوتها وهو الصحيح»(٥).

ثم حكى القرآن أن الملائكة أمرت مريم بأن

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص٣٦٣.

(٣) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٣٦١.

(٤) حاشية الجمل على الجلالين جـ ١ ص٢٦٩.

(٥) تفسير الآلوسى بتصرف يسير - جـ٣ ص١٥٤.

تكثر من عبادة الله -تعالى- ومن المداومة على طاعته شكرا له فقال -تعالى-:

﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾

القنوت. لزوم الطاعة والاستمرار عليها، مع استشعار الخشوع والخضوع لله رب العالمين.

أى: قالت الملائكة أيضا لمريم: يا مريم أخلصى العبادة لله وحده وداومى عليها، وأكثرى من السجود لله ومن الركوع مع الراكعين، فإن ملازمة الطاعات والصلوات من شأنها أن تحفظ النعم وأن تزيد الإنسان قربا وحبا من خالقه -عز وجل-.

فالآية الكريمة دعوة قوية من الله -تعالى- لمريم ولعباده جميعا بالمحافظة على العبادات ولا سيما الصلاة فى جماعة.

قال صاحب الكشاف: أمرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئة الصلاة وأركانها ثم قيل لها:

﴿ وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾

بمعنى ولتكن صلاتك مع المصلين أى فى الجماعة، أو انظمى نفسك فى جملة المصلين وكونى معهم فى عدادهم ولا تكونى فى عداد غيرهم(٦).

فأنت ترى فى هاتين الآيتين أسمى ألوان المدح والتكريم والتهذيب لمريم البتول، فلقد أخبر -سبحانه- باصطفائها صغيرة وكبيرة، وبطهرها من كل سوء، والإشارة إلى الطهر هنا إشارة ذات مغزى، وذلك لما لابس مولد عيسى -عليه السلام- من خوارق، هذه الخوارق جعلت اليهود يفترون الكذب على مريم، ويتهمونها زورا وبهتانا بما هى بريئة منه، ثم بعد ذلك يأمرها -سبحانه- بمداومة الطاعة والعبادة والخضوع لله رب العالمين.

وبذلك يتبين لكل ذى عقل سليم أن الإسلام الذى جاء به محمد -ﷺ- هو الدين الحق، لأنه قد قال القول الحق فى شأن مريم وابنها عيسى -عليه السلام- أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فقد اختلفوا فى شأنهما اختلافا عظيما أدى بهم إلى الضلال والخسران.

ثم بين -سبحانه- أن ماجاء به القرآن فى شأن مريم- بل وفى كل شأن من الشئون- هو الحق الذى لا يحوم حوله باطل، وهو من أنباء الغيب التى لا يعلمها أحد سواه فقال -تعالى-:

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾

واسم الإشارة ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ يعود إلى ما تقدم الحديث عنه من قصة امرأة عمران وقصة زكريا وغير ذلك من الأخبار البديعة.

والأنباء: جمع نبأ، وهو الخبر العظيم الشأن.

(٦) تفسير الكشاف جـ ١ ص٣٦٢.

والغيب: مصدر غاب، وهو الأمر المغيب المستور الذى لا يعلم إلا من قبل الله -تعالى-.

ونوحيه: من الإيحاء وهو إلقاء المعنى إلى الغير على وجه خفى، ويكون بمعنى إرسال الملك إلى الأنبياء وبمعنى الإلهام.

أى: ذلك القصص الحكيم الذى قصصناه عليك يا محمد، فيما يتعلق بما قالته امرأة عمران وما قاله زكريا، وما قالته الملائكة لمريم وفيما يتعلق بغير ذلك من شئون ذلك القصص الحكيم هو من أنباء الغيب التى لا يعلمها أحد سوى الله -عز وجل- وقد أخبرناك بها لتكون دليلا على صدقك فيما تبلغه عن ربك ولتكون عبرة وذكرى لقوم يعقلون.

وقوله ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ مبتدأ وخبره قوله -تعالى-:

﴿ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ ﴾

والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

وقوله: ﴿ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ جملة مستقلة مبينة للأولى. والضمير فى ﴿ نُوحِيهِ ﴾ يعود إلى الغيب أى الأمر والشأن أنا نوحى إليك الغيب ونعلمك به، ونظهرك على قصص من تقدمك مع عدم مدارستك لأهل العلم والأخبار.

ولذا قال -تعالى-:

﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾

والأقلام جمع قلم وهى التى كانوا يكتبون بها التوراة، وقيل المراد بها السهام.

أى وما كنت -يا محمد- لديهم أى عندهم معاينا لفعلهم وما جرى من أمرهم فى شأن مريم،

﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ ﴾

التى جعلوا عليها علامات يعرف بها من يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون فيما بينهم بسببها تنافسا فى كفالتها.

وقد سبق أن ذكرنا ما قاله صاحب الكشاف من أن مريم بعد أن ولدتها أمها خرجت بها إلى بيت المقدس فوضعتها عند الأحبار وقالت لهم: دونكم هذه النذيرة!! فقالوا: هذه ابنة إمامنا عمران- وكان فى حياته يؤمهم فى الصلاة، فقال لهم زكريا: ادفعوها إلىَّ فأنا أحق بها منكم فإن خالتها عندى- فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم، فتولى كفالتها زكريا -عليه السلام[7]. فالضمير فى قوله ﴿ لَدَيْهِمْ ﴾ يعود على المتنازعين فى كفالة مريم لأن السياق قد دل عليهم.

والمقصود من هذه الجملة الكريمة

﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ ﴾ إلخ.

(7) تفسير الكشاف جـ ١ ص٣٥٧ بتصرف يسير.

تحقيق كون الإخبار بما ذكر إنما هو عن وحى من الله -تعالى- لنبيه -ﷺ- لأن الرسول -ﷺ- لم يكن معاصرا لهؤلاء الذين تحدث القرآن عنهم. ولم يقرأ أخبارهم فى كتاب من الكتب، ومع ذلك فقد أخبر النبى -ﷺ- أهل الكتاب وغيرهم بالحق الذى لا يستطيعون تكذيبه إلا على سبيل الحسد والجحود، فثبت أن القرآن من عند الله -تعالى-:

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾

[النساء/ ٨٢]

ثم حكى -سبحانه- ما قالته الملائكة لمريم على سبيل تبشيرها بعيسى -عليه السلام- فقال -تعالى-:

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾

وهذه الجملة الكريمة بدل اشتمال من جملة

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ ﴾

إلخ. قالوا: ولا يضر الفصل إذ الجملة الفاصلة بين البدل والمبدل منه اعتراض جيد جىء به تقريرا لما سبق؛ وتنبيها على استقلاله.

والظرف ﴿ إِذْ ﴾ معمول لمحذوف تقديره اذكر، أى اذكر وقت أن قالت الملائكة لمريم، يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه.

وقوله يبشرك ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ أى يبشرك بمولود يحصل بكلمة منه -سبحانه- وسمى هذا المولود كلمة لأنه وجد بكلمة «كن» فهو من باب إطلاق السبب على المسبب.

والمراد أنه وجد من غير واسطة أب، لأن غيره وإن وجد بتلك الكلمة لكنه بواسطة أب، أى أنه -سبحانه- إذا كان قد خلق الناس بطريق التناسل عن ذكر وأنثى وأخرج الأولاد من أصلاب الآباء فإن عيسى -عليه السلام- لم يكن كذلك، بل خلقه الله -تعالى- خلقا آخر، خلقه ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ وهى «كن» فكان كما أراده الله و«من» فى قوله ﴿ مِّنْهُ ﴾ لابتداء الغاية والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لكلمة: أى كلمة كائنة منه.

فالمراد بقوله ﴿ بِكَلِمَةٍ ﴾ أى يبشر بولد حى يسرى عليه حكم الأحياء اسمه المسيح عيسى ابن مريم وعلى هذا التأويل سار كثير من المفسرين.

ورجح ابن جرير أن معنى ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ ببشرى منه -سبحانه- فقد قال: وقوله ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ يعنى برسالة من الله وخبر من عنده وهو من قول القائل: ألقى إلىّ فلان كلمة سرنى بها بمعنى أخبرنى خبرا فرحت به.. فتأويل الكلام: وما كنت يا محمد عند

القوم إذ قالت الملائكة لمريم إن الله يبشرك ببشرى من عنده، هى ولدك اسمه المسيح عيسى ابن مريم»[8].

وعلى كلا التأويلين ففى التعبير عن عيسى -عليه السلام- بأنه كلمة من الله تكريم له وتشريف، وقوله ﴿ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة نعت. والضمير فى قوله ﴿ ٱسۡمُهُ ﴾ يعود إلى كلمة. وجاء مذكراً رعاية للمعنى لأننا سبق بينا أن المراد بها عند كثير من المفسرين الولد.

والمسيح: لقب من الألقاب المشرفة كالصديق والفاروق، وأصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك. وقد حكى الله -تعالى- أنه قال عن نفسه ﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴾

[مريم/ ٣٠، ٣١]

وقيل: المسيح فعيل بمعنى فاعل، للمبالغة فى مسحه الأرض بالسياحة للعبادة: أو مسحه ذا العاهة ليبرأ. أو بمعنى مفعول أى ممسوح لأن الله مسحه بالطهر من الذنوب.

وعيسى: اسم لهذا الاسم الكريم، وهو اسم ينبىء عن البياض والصفاء والنقاء.

قال الراغب: عيسى اسم علم، وإذا جعل عربيا أمكن أن يكون من قولهم بعيرا عيسى وناقة عيساء وجمعها عيس وهى إبل بيض يعترى بياضها بعض الظلمة»[9] أى فيها اغبرار قليل يعطى بياضها صفاء ونقاء وجمالا.

وابن مريم: هو كنيته، وهى للإشارة إلى أن نسبه ثابت لأمه لا لأحد سواها وليس ابنا لله -تعالى- كما قال الضالون.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: لم قيل عيسى ابن مريم والخطاب لمريم؟ قلت: لأن الأبناء ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات، فأعلمت بنسبه إليها أنه يولد من غير أب فلا ينسب إلا إلى أمه. وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين: فإن قلت لم ذكر ضمير الكلمة. قلت لأن المسمى بها مذكر. فإن قلت: لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلاثة أشياء: الاسم منها عيسى وأما المسيح والابن فلقب وصفة؟ قلت: الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره، فكأنه قيل: الذى يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة»[10].

والمعنى الإجمالى للجملة الكريمة: اذكر يا محمد وقت أن قالت الملائكة لمريم: يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه أى بمولود يحصل بكلمة منه بلا واسطة أب، هذا المولود العجيب اسمه الذى يميزه لقبا المسيح ويميزه علماً عيسى ويميزه كنية ابن مريم.

فأنت ترى أنه -سبحانه- قد عرف هذا المولود العظيم بتعريف واحد جمع ثلاثة أمور كل واحد منها يشير إلى معنى كريم قد تحقق

(٨) تفسير ابن جرير جـ ٣ ص٢٦٩.
(٩) مفردات القرآن للراغب الاصفهانى ص٣٥٢.
(١٠) تفسير الكشاف جـ ١ ص٣٦٢.

فى هذا النبى العظيم ومجموع هذه الأمور لا يشاركه فيها أحد من البشر، ثم بعد ذلك وصفه -سبحانه بأربعة أوصاف تدل على فضله وعلو منزلته فقال -تعالى-:

﴿ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٥ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

أما الصفة الأولى فهى قوله -تعالى-:

﴿ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾

أى ذا جاه وشرف ومنزلة عالية. يقال وجه الرجل يوجه -من باب ظرف- وجاهة فهو وجيه إذا صارت له منزلة رفيعة عند الناس. واشتقاقه من الوجه لأنه أشرف الأعضاء ولأنه هو الذى يواجه الإنسان به غيره.

وعيسى -عليه السلام- شهد الله تعالى له، -وكفى بالله شهيداً- شهد له بالوجاهة وسمو المنزلة فى الدنيا والآخرة لما له من آثار عظيمة فى هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ودعوتهم إلى وحدانية الله وإلى مكارم الأخلاق، وإقامة التوراة بعد أن اختلفوا فيها.

والصفة الثانية من صفاته أنه:

﴿ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴾ أى أنه من المقربين عند الله -تعالى- ويالها من صفة عظيمة هى منتهى ما تتطلع إليه النفوس وتهفو القلوب.

وأما الصفة الثالثة من صفات عيسى -عليه السلام- فهى قوله -تعالى-:

﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا ﴾

وهذه الجملة معطوفة على قوله ﴿ وَجِيهٗا ﴾ وعطف الفعل على الاسم لتأويله به جائز والتقدير وجيها ومكلما، والمهد اسم لمضجع الطفل أى المكان الذى يهيأ له وهو فى الرضاعة. والكهل: هو الشخص الذى اجتمعت قوته وكمل شبابه. وهو مأخوذ من قول العرب اكتهل النبات إذا قوى وتم.

والمراد أن عيسى -عليه السلام- يكلم الناس فى حال كونه صغيراً قبل أوان الكلام، كما يكلمهم فى حال كهولته واكتمال شبابه، فهو -عليه السلام- يكلمهم بكلام الأنبياء من غير تفاوت بين حالتى الطفولة والكهولة، وذلك إحدى معجزاته -عليه السلام- وقد حكى القرآن فى سورة مريم ما تكلم به عيسى -عليه السلام- وهو طفل صغير فقال -تعالى-:

﴿ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾

[مريم/ ٢٩: ٣٣]

أما الصفة الرابعة من صفاته -عليه السلام- فهى قوله -تعالى-: ﴿ وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

أى عباد الله الصالحين لحمل رسالته وتبليغها

للناس. أو من الذين يصلحون ولا يفسدون ويطيعون الله -تعالى- ولا يعصونه، قالوا: ولا رتبة أعظم من كون المرء صالحا لأنه لا يكون كذلك إلا إذا كان فى جميع الأفعال والتروك مواظبا على المنهج الأصلح، وذلك يتناول جميع المقامات فى الدين والدنيا، فى أفعال القلوب وفى أفعال الجوارح، ولذا قال سليمان -عليه السلام- بعد النبوة:

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا ﴾

فلما عدد -سبحانه- صفات عيسى أردفها بهذا الوصف الدال على أرفع الدرجات[11].

تلك هى البشارات التى بشرت بها الملائكة مريم، وتلك هى بعض صفات مولودها فماذا كان موقفها من ذلك؟

لقد حكى القرآن أن موقفها كان يدل على بالغ عجبها، وشدة تأثيرها فقال -تعالى-

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾

أى: قالت مريم على سبيل التعجب والاستغراب: يارب كيف يكون لى ولد والحال أنى لم يمسسنى بشر، أى لست بذات زوج، ولم يحصل منى قط ما يكون بين الرجل والمرأة مما يسبب عنه وجود الولد.

والجملة الكريمة مستأنفة استئنافا بيانيا كأنه قيل: فماذا كان منها بعد أن قالت لها الملائكة ذلك؟ فكان الجواب:

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ ﴾ .. إلخ.

وصدرت إجابتها بالنداء لله -تعالى- للإشعار بكمال تسليمها للقدرة الإلهية وأن استغرابها وتعجبها إنما هو من الكيفية لا إنكارا لقدرة الله -تعالى- وجملة

﴿ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾

حالية محققة لما مر ومقوية له.

والمسيس يحتمل أن يكون كناية عن المباشرة التى تقع بين الرجل والمرأة والتى يترتب عليها وجود النسل إذا شاء الله ذلك، ويحتمل أن يكون المراد به حقيقته وهو أنها لم يلمسها رجل، لأنها كانت معتكفة فى بيت الله ومنصرفة لعبادته، ولم يلمس جسمها رجل من غير محارمها قط. وبذلك ينتفى بالأولى ما هو أبلغ من مجرد اللمس، فموضع عجبها واستنكارها إنما هو وجود ولد منها مع أنها لم يمسها بشر.

وهنا يحكى القرآن أن الله -تعالى- قد أزال عجبها واستنكارها بقوله:

﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾

أى قال الله -تعالى- لها بلا واسطة أو بواسطة الملائكة: كهذا الخلق الذى تجدينه، بأن

(11) حاشية الجمل على الجلالين جـ ١ ص٢٧٢.

الأزهر

يكون لك ولد من غير أن يمسسك بشر وهو إبداع، يخلق الله -تعالى- ويبدع ما يشاء ويريد إبداعه لا راد لمشيئته ولا معقب لحكمه.

وبعضهم يجعل الوقوف على ﴿ كَذَٰلِكِ ﴾ فتكون خبرا لمبتدأ محذوف أى قال -سبحانه- فى إجابته على مريم: الأمر كذلك أى يأتى الولد منك على الحالة التى أنت عليها لأن الله -تعالى- يخلق ما يشاء أن يخلقه بدون احتياج إلى وجود الأسباب والمسببات لأنه هو خالقه وخالق كل شىء، ولا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء.

وصرح ههنا بقوله:

﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾

ولم يقل: «يفعل» كما فى قصة زكريا، لما أن ولادة العذراء من غير أن يمسها بشر أبدع وأغرب من ولادة عجوز عاقر من شيخ كبير، فكان الخلق المنبىء عن الاختراع أنسب بهذا المقام عن مطلق الفعل.

ثم أكد -سبحانه- عظيم قدرته ونفاذ إرادته بقوله:

﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾

وقضى هنا بمعنى أراد -سبحانه- شيئا، فإنما يقول لهذا الشىء كن فيكون من غير تأخر ومن غير وجود أسباب، فهو كقوله -تعالى-:

﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾

[القمر/ ٥٠]

أى إنما نأمره مرة واحدة لا تثنية فيها فيكون ذلك الشىء سريعا كلمح البصر.

قال الآلوسى: وقوله

﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾

هذا عند الأكثرين تمثيل لتأثير قدرته فى مراده بأمر المطاع للمطيع فى حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار إلى مزاولة عمل واستعمال آلة، فالممثل الشىء المكون بسرعة من غير عمل وآلة، والممثل به أمر الآمر المطاع -المأمور المطيع على الفور، وهذا اللفظ مستعار لذلك منه.

وأنت تعلم أنه يجوز فيه أن يكون حقيقة بأن يراد تعلق الكلام النفسى بالشىء الحادث على أن كيفية الخلق على هذا الوجه.

وعلى كلا التقديرين فالمراد من هذا الجواب بيان أن الله -تعالى- لا يعجزه أن يخلق ولدا من غير أب، لأنه أمر ممكن فى نفسه فيصح أن يكون متعلق الإرادة والقدرة[12].

وبذلك تكون الآيات الكريمة قد حكت لنا بعض البشارات التى بشرت بها الملائكة مريم وبعض الصفات التى وصف الله -تعالى- بها عيسى، وبينت جانبا من مظاهر قدرة الله -تعالى- ونفاذ إرادته، وفى ذلك ما فيه من العظات والعبر لأولى الألباب.

(12) تفسير الآلوسى جـ٣ ص ١٦٤.

السنة

كياسة المؤمن

لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ/ محمد طه الساكت

عن أبى هريرة -رضى الله عنه- عن النبى -ﷺ- أنه قال: «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين»[1] [رواه الشيخان]

المفردات

اللدغ: كاللسع وزنا ومعنى، ويستعملان فى ذوات السموم على سواء، بخلاف اللذع، فإنه الخفيف من إحراق النار. وقيل: اللسع لذوات الابر، كالعقارب؛ واللدغ لذوات الفم، كالحيات. والجُحر هو الثقب الذى تحتفره الهوام والسباع لأنفسها.

(1) روى بضم الغين وكسرها لالتقاء الساكنين، على النفى أو النهى. والنفى مرادا به النهى أبلغ وأحكم.

المعنى

هذا حديث من جوامع كلمه، وروائع حكمه، صلوات الله وسلامه عليه. ضربه مثلا للمؤمن وما ينبغى أن يتكمل به من كياسة وسياسة، ويقظة وحزم؛ فإن نقصا فى دين المرء وعقله أن يكون أبله مغفلا، خدعة للخادعين، وطعمة للطامعين.

ومورد هذا المثل أبو عزة الجُمَحى الشاعر، وكان يهجو النبى -ﷺ- وأصحابه، ويؤذى الله ورسوله. وذلك أنه أسر فى غزوة بدر فيمن أسر من المشركين، فضرع إلى النبى -ﷺ- أن يعتقه دون فداء، وقال يا محمد إنى فقير وذو حاجة قد عرفتها فامتن علىَّ لفقرى وبناتى، فرق الرسول وأطلقه بعد أن أخذ عليه الميثاق ألا يظاهر عليه. فلما عاد إلى مكة أبى لؤمه وسوء طويته إلا أن ينال من المسلمين بشعره، وأن يتبع المشركين فى الخروج إلى أحد، واستنفار الأعداء لمحاربة النبى -ﷺ- وأصحابه. ويشاء الله أن يقع أسيرا فى غزوة حمراء الأسد[2]، وهى التى استجاب المؤمنون فيها لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح، فعاد سيرته الأولى؛ يضرع ويشكو ويقول للنبى -ﷺ-: امنن علىَّ لفقرى وبناتى، وأعاهدك ألا أعود لمثل ما فعلت. فأجابه سيد الحكماء صلوات الله وسلامه عليه إجابته الخالدة: لا والله، لا تمسح عارضيك[3] بمكة، وتقول خدعت محمدا مرتين؛ لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين، اضرب عنقه يا زيد!

كان صلوات الله وسلامه عليه فى الأولى مضرب المثل حلما، ورفقا، ورحمة؛ كما كان فى الثانية مضرب المثل كذلك سياسة وكياسة وحكمة. وهذه هى الخطة المثلى للذين يقودون الأمم، ويسوسون الجماعات، ويحملون لواء الهدى. عفو فى غير ضعف، ورحمة من غير عنف، وإحسان لا تكدره مساءة، فإذا لم يصادف شىء من ذلك موضعه، ولم يصب موقعه، وكان كالبذر الطيب فى الأرض السبخة، فلا مناص من الشدة والحزم، واليقظة والعزم؛ ليعتبر ماكر، ويرتدع غادر، ثم لتنتصر الفضيلة، وتعلو كلمة الحق. وما أصدق أبا الطيب إذ يقول:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
فوضع الندى فى موضع السيف، بالعلا
مضر كوضع السيف فى موضع الندى

وإذا كان من الإيمان والحكمة، بل من هدى النبوة والرسالة، أن يوضع كل شىء فى موضعه، فلا غرابة أن يمتدح الله -جل ثناؤه- عباده المؤمنين بأنهم ينتقمون ولا يعتدون فيقول -سبحانه-:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى ٣٩]

على حين أنه يحضهم على العفو فى غير آية، ويقول لنبيه صلوات الله وسلامه عليه

(2) تقع على نحو ثمانية أميال من المدينة. وكانت هذه الغزوة فى اليوم التالى لغزوة أحد، ولذا تسامح بعض الشراح فألحقها بأحد، وقال إن أبا عزة أسر بها.

(3) العارضان والعارضتان صفحتا الخد. ولعل مسحهما كناية عن الزهو والاستخفاف.

﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾

[الجاثية ١٤]

وكان النخعى إذا قرأ الآية الأولى قال: كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترىء عليهم الفساق.. وسواء أكان النبى -ﷺ- يخبر عن حال من أحوال المؤمن، أم ينهى المؤمن ويحذره أن يقع فى شرك الغفلة؛ فإنه -وهو بالمؤمنين رءوف رحيم- يدعوهم إلى أن يتحلوا بالحزم والفطانة والتجريب للأمور، حتى إذا نكب أحدهم من وجه مرة، منعه تفطنه أن ينكب منه مرة أخرى. وما أجمل تقييده الجحر «بواحد» حتى لا يكون نقصا فى إيمان المؤمن، ولا ثلما فى فطنته وكياسته، أن يلدغ من جحر آخر ليس من نوع الأول ولا من قبيله، وإن يكن من تمام الفطنة الاعتبار بالحوادث، والاتعاظ بالكوارث، وقياس الأمور بأشباهها.

وإنما خص المؤمن بهذه الوصية الحكيمة، لما يغلب عليه من سلامة النية وحسن الظن فيقع فى الشرك من حيث لا يدرى.

ومن العجب العاجب أن يزعم كثير من الناس -ومنهم من قرأ هذا الحديث- أن البلاهة والغفلة من سمات الصلاح والتقوى، وأن الكياسة والفطنة من آيات الخبث! زعم باطل، ووهم خاطىء جر على المسلمين نكبات وبلايا، لا يزالون يرزحون تحت أثقالها! وكيف يكون الأمر كما زعموا، والأبله المخدوع لا يصلح لأمر من أمور الدين، ولا لشأن من شئون الدنيا، بل هو نكبة أينما حل، وبلية حيثما ارتحل؟ أم كيف يكون الأمر كما ظنوا، وقد جاء القرآن الكريم يخاطب العقول وينبه الألباب على ما احتوى عليه من عبر، وما اشتمل عليه من حكم؟ كما جاءت السنة حافلة بالثناء على ذوى البصائر والعقول، تنويها باسمهم، وحثا على الاقتداء بهم. ثم لم يصطف الله -تعالى- رسولا أو نبيا إلا وهو قدوة مثلى، فى اليقظة والحزم، وأخذ الأمور بالتى هى أقوم. ولم تأذن الشريعة الغراء للمسلمين أن يولوا أمرهم أميرا أو قاضيا، إلا إذا كان معروفا برجاحة العقل، وإصابة الرأى، وبعد النظر.

ولا يعارض هذا الحديث ما رواه الإمام أحمد فى مسنده عن أبى هريرة -رضى الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: «المؤمن غِر كريم والمنافق خب لئيم» فقد تكلم الحفاظ فى سنده حتى ذهب بعضهم إلى أنه موضوع. على أن وصف المؤمن فيه بالغرارة جاء مقابلا لوصف المنافق بالخب والخداع، وهذا جلي فى أن المراد من غرارة المؤمن غفلته عن الشر، وبعده عن الخبث والمكر، وهذه خلة كريمة لا تحول بينه وبين الاحتراس من المكايد واليقظة فى الأمور. وما يكن من أمر فلا جدال فى أن المؤمن الفطن الحذر، الكيِّس الرشيد، خير من المؤمن العاجز الضعيف، وأجدر أن يكون خليفة الله فى الأرض.. وإذا امتدح -ﷺ- فى المؤمن كياسته، فلا يريد أن تصل به إلى منزلة من الخبث والمكر وسوء الظن، فإن هذه من صفات المنافقين الذين يمقتهم الله ورسوله، وإنما يريد الكياسة التى نبهنا عليها، وهى التى تعرفه الشر لئلا يقع فيه، وتبصره عواقب الأمور ليكون منها على حذر: نعم، أجاز صلوات الله وسلامه عليه الخداع فى الحرب، بل الكذب فيها، وقال فيما رواه الشيخان عن جابر -رضى الله عنه-: «الحرب

خدعة[٤]»؛ لأن الغاية من الحرب كسر شوكة الأعداء، ويعلم كل من الخصمين أن صاحبه لا يألو جهدا فى الكيد له. وإذا كان للشجاعة، وكثرة الجند، وجودة السلاح أثر عظيم فى الفوز والغلبة، فقد تكون الخدعة فى الحرب أعظم أثرا وأبقى على النفوس والأموال. ويشهد لهذا ما فعل نعيم بن مسعود الأشجعى -رضى الله عنه- فى واقعة الأحزاب إذ سعى بين المشركين وبين بنى قريظة بما فرق بينهم حتى صرف الله كيدهم

﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ﴾

[الأحزاب / ٢٥]

وفى خدعة الحرب يقول المهلب لبنيه: «عليكم فى الحرب بالمكيدة فإنها أبلغ من النجدة». على أن الخدع فى الحرب أو الكذب فيها لا يجوز البتة فيما يؤدى إلى نقض عهد أو أمان.

على هذه اليقظة الحميدة والكياسة السديدة، سار النبى -ﷺ-، وخلفاؤه الراشدون ثم المسلمون الأولون فى تصريف شئونهم وتدبير دولتهم حتى كانوا بحق سادة الأمم وملوك الدنيا.

وإذا كان جديرا بالمؤمن أن يتفطن لمكايد عدوه الذى يبصره، فما أحراه أن يكون دائم اليقظة والفطنة لعدوه اللدود الذى لا يبصره؛ ذلك هو الشيطان الرجيم، وعدو الإنسان المبين.

حذر الله عباده إغراءه وإضلاله، وضرب لهم أمثالا من فتنه ومكايده وقال -جل شأنه-:

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾

[الأعراف / ٢٧]

كما بيَّن النبى -ﷺ- لأمته طريق النجاة من دسائسه ووساوسه، حتى أخبرهم أنه يجرى من ابن آدم مجرى الدم كما روى الشيخان من حديث أم المؤمنين صفية. ومع هذا فليس من أحد -ما خلا النبيين والصديقين- إلا أوقعه فى مكايده، وصاده بمصايده، ثم يأبى وقد أفلته الله منه إلا أن يغتر به، ويقع فى مخالبه!

وقد استبان مما قدمنا أن الحديث يتناول الحث على التفطن واليقظة فى شئون الدنيا والآخرة معا، فليس مقصورا على أمور الدين خاصة، كما زعم بعض الشارحين، وما من شك فى أن من خدع فى إحداهما أوشك أن يخدع فى أخراهما.

أما بعد، فإن لم يكن من مطمع فى يقظة المؤمنين جميعا، وكياستهم فى دينهم ودنياهم، وشئونهم كلها كافة، فلا أقل من أن يستيقظ أولو الأمر منهم وذوو الرأى فيهم، حتى يستعيدوا لأمتهم بعض عزتها، ويستردوا لها شطرا من مجدها وكرامتها. ولن يغيِّر الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

---

(٤) بضم الخاء مع فتح الدال، وأفصح لغاتها الفتح فالسكون.

أضواء على الهجرة

لفضيلة الدكتور/ محمود إمبابى
وكيل الأزهر الشريف

أرسل الله - تعالى - رسوله محمداً ﷺ إلى العالم كله يدعو الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له وإلى تزكية نفوس المؤمنين ووحدة الجماعة المؤمنة وإلى أن يرتفع المسلمون فوق الماديات، ذلك لأن الله - تعالى - خلقهم وكرمهم وجعل لهم رسالة فى هذه الحياة يؤدونها وينشرون بها العدالة ويعمرون بها الأرض.

وكان من المنتظر أن تلقى هذه الرسالة القبول - لكن الناس لا ينظرون إلى هذه المثالية، بل ينظرون إلى ما فى أيديهم من مال أو جاه أو سلطان وهم يخافون من هذه الدعوة أن تذهب بكل ما لهم من رصيد فى هذه الجوانب.

من هنا فإنهم لا يرغبون فيها ولا يحبون الانضواء تحت لوائها.. ومن ناحية أخرى فإنهم يقفون صادين عنها ويتهمون صاحبها بكل أنواع التهم، وهو الذى نشأ فيهم وعرفوا كل شىء عنه ووصفوه بالصادق الأمين.

ومن زاوية ثالثة فهم يعذبون كل من دخل فى هذا الدين الجديد ويتخذون كل الأساليب الممكنة حتى التى تتنافى مع تقاليد العرب فى جاهليتهم من كرم أو رجولة أو غير ذلك، ووصل الأمر إلى المؤامرة على قتل صاحب هذه الدعوة وكانت حجتهم التى ذكرها القرآن الكريم:

﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾

(آية ٥٧ سورة القصص)

التصفية الجسدية

لقد كان آخر المواقف التى اتخذتها قريش من الدعوة هو التآمر لقتل الرسول - ﷺ - حتى يقضوا على دعوته، فعندما رأت قريش أن رسول الله - ﷺ - أصبحت له شيعة وأصحاب من غير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم عرفوا أنهم قد نزلوا دارا وأصابوا منها «منعة» فحذروا خروج رسول الله - ﷺ - إليهم وعرفوا أنهم قد أجمعوا لحربهم فاجتمعوا له فى دار الندوة يتشاورون فيما يصنعون فى أمر رسول الله - ﷺ.

وكان من أشراف قريش الذين اجتمعوا رجال من بنى عبد شمس، ومن بنى نوفل بن عبد مناف، ومن بنى أسد، ومن بنى مخزوم، ومن بنى سهم، ومن بنى جمح وغيرهم.

وقد تداولوا الرأى فى أمر رسول الله - ﷺ - فرأى بعضهم حبسه ووضعه فى السجن حتى يموت، ولكن هذا الرأى لم يجد قبولا من المجتمعين فأشار بعضهم إلى رأى آخر وهو نفى رسول الله - ﷺ - فرفض هذا الرأى أيضا، فرأى أحدهم قتل النبى - ﷺ - بحيث يتفرق دمه فى القبائل جميعا حتى لا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فيرضوا بالعقل فى ذلك بأن يأخذوا من كل قبيلة شابا جليدا نسبا وسيطا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا إليه فيضربونه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه حتى يستريحوا..[1].

ولكن الله من ورائهم محيط، قال تعالى:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾

(آية ٣٠ من سورة الأنفال)

وبينما المتآمرون يقفون على باب بيت النبى - ﷺ - وسيوفهم فى أيديهم يرصدون اللحظة الحاسمة التى ينفذون

(١) السيرة لابن هشام ج١ ص ٤٨٠ - ٤٨٢، تاريخ الطبرى ج٢ ص ٣٧٠ - ٣٧٢.

فيها مؤامراتهم، أمر الرسول عليًا أن ينام فى فراشه ويتسجى ببرده وخرج الرسول من بينهم وفى يده حفنة من تراب ذراها على رؤسهم وهو يتلو قول الله عز وجل:

﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾

(آية ٩ من سورة يس)

وتوجه الرسول - ﷺ - إلى بيت أبى بكر حيث خرجا من خوخة فى ظهر بيته متجهين إلى الغار، ولقد أحس رسول الله - ﷺ - بالأسى وهو يفارق مكة ولذلك فإنه لم يكد يبتعد عن معالمها حتى ولى وجهه شطرها وهو يقول: «يا مكة لأنت أحب بلاد الله إلى الله، ولأنت أحب بلاد الله إلىَّ، ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت».

ونزل جبريل عليه بهذه الآية الكريمة:

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾

(آية ١٣ سورة محمد)

ثانى اثنين إذ هما فى الغار

سار الرسول - ﷺ - وصاحبه قاصدين غار ثور وفى أثناء الطريق كان أبوبكر يسير أمام النبى مرة وخلفه مرة أخرى فسأله الرسول الكريم عن ذلك فقال: إذا كنت خلفك خشيت أن تؤتى من أمامك وإذا كنت أمامك خشيت أن تؤتى من خلفك، حتى انتهيا إلى الغار فقال أبوبكر: كما أنت، حتى أدخل يدى فأحسه وأقصه فإن كانت فيه دابة أصابتنى قبلك (٢).

وهكذا يحرص أبوبكر على أن يفدى الرسول - ﷺ - بنفسه وعندما اطمأن إلى سلامة الغار مما يؤذى رسول الله طلب منه الدخول حيث ظلا فى الغار ثلاث ليال.

أما المتآمرون فقد ظلوا يرقبون بيت النبى - ﷺ - وهم مطمئنون لأنهم يرون عليا نائما وعليه برد النبى حتى أصبحوا فقام «على» عن الفراش فعرفوه وسألوا عليا عن النبى فقال: لا أدرى أمرتموه بالخروج فخرج فضربوه وأخرجوه إلى المسجد وحبسوه ساعة ثم تركوه (٣).

(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ١٨٠.

(٣) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٠٣.

وشعرت قريش بفشل تدبيرها وتآمرها فانطلقت كالذئاب المسعورة تبحث عن فريستها التى فاتتها فلم تترك مكانا ولا دربا ولا جبلا ولا كهفا إلا وانطلقت إليه تبحث عنه وتتبعوا آثار النبى وصاحبه حتى وصلوا قريبا من الغار وسمع صوت أقدامهم النبى وصاحبه، فشعر أبوبكر بالخوف على رسول الله - ﷺ - وهمس: يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فطمأنه الرسول وقال: «يا أبابكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟».

وإذا ببعض المستقلين إلى الغار ينظر إليه فيعود أدراجه ليخبر أصحابه بأن عليه العنكبوت من قبل أن يولد محمد فيعودون أدراجهم خائبين، وصدق الله فقد حقق نصره لرسوله فى الغار بجنود لم يروها وأحبط كيد الكافرين:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(الآية ٤٠ سورة التوبة)

ولما فشلت قريش فى تنفيذ مؤامرتها، بيد أبنائها، رأت أن تستعدى على رسول الله وصاحبه الجزيرة كلها لعلها تدرك بغيتها بالقبض عليهما أو بالفتك بهما، فأعلنت فى العرب أنها تعطى دية كل منهما لمن يأتى بهما أحياء أو أمواتا، وطلاب المال الذين لا هم لهم إلا الحصول عليه كثير، وقد فتح ذلك العرض الأمل لدى كثير من شجعان العرب كى يحظى بالجعل الثمين.

وذلك يجعل الرسول - ﷺ - ألا يحذر قريشا وحدها أثناء هجرته وصار عليه أن يتقى كل طامع فى المال من كل القبائل.

وخرج الركب المبارك قاصدا المدينة سالكا إليها أصعب الطرق مما لم يألف الناس السير فيه حتى يكون فى مأمن من الطلب.

وأعانهما على ذلك الدليل الماهر الذى سار بهما متجها إلى الجنوب من مكة ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل عسفان ثم مر بأمج الخرار والجداجة والعبابيد والعرج.. إلخ (٤).

(٤) السيرة لابن هشام ج١ ص ٤٩١ وهى أسماء أماكن مر بها، وسميت عسفان لتعسف السير فيها والجداجد مكان كثير الصخور والعرج مكان يتعرج فيه الطريق.

وقد أخذ الركب السير فى هذا الطريق الموحش تحفظه عناية الله وبينما هو فى طريق الهجرة إلى يثرب يتوجه الرسول - ﷺ - بهذا الدعاء:

«الحمد لله الذى خلقنى ولم أك شيئا، اللهم أعنى على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالى والأيام، اللهم اصحبنى فى سفرى واخلفنى فى أهلى وبارك فيما رزقتنى ولك فذللنى، وعن صالح خلقى فقومنى وإليك رب فحببنى وإلى الناس فلا تكلنى رب المستضعفين وأنت ربى، أعوذ بوجهك الكريم الذى أشرقت له السموات والأرض وكشفت به الظلمات وصلح عليه أمر الأولين والآخرين أن تحل على غضبك وتنزل بى سخطك، لك العتبى عندى خير ما استطعت ولا حول ولا قوة إلا بك»(٥).

معجزات فى طريق الهجرة

ويجدر بنا أن نلقى نظرة على معجزات حدثت للرسول - ﷺ - فى طريق هجرته حفظه ببعضها من الأعداء وأمده بما يحتاجه فى بعضها الآخر.. فإن الله الذى خلق البحر لموسى حفظ الرسول فى هجرته فى الغار وفى الصحراء، مع أخذ الرسول للحيطة والحذر.

فعند خروجه - عليه الصلاة والسلام - من منزله والأعداء يحيطون ببيته يلقى الله على أبصارهم غشاوة فيخرج من بين السيوف المصلتة دون أى أذى يلحقه ويجعل الله بينه وبينهم سدا فيخرج آمنا مطمئنا:

﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾

(آية ٩ سورة يس)

● كذلك فى الطريق حماه الله من «سراقة بن مالك بن جعشم» الذى عرف طريق الرسول وصاحبه فأخذ رمحه وركب فرسه وسار مسرعا يقصدهما لعله يتمكن من أسرهما أو قتلهما لكى يفوز بديتهما، فإذا بفرسه يعثر ثلاث مرات ويرميه من على ظهره وفى المرة الثالثة عندما انتزع الفرس قوائمه من الأرض تبعهما دخان كالإعصار فيوقن «سراقة» بأن الرسول ممنوع من أن يلحقه أذاه، ويعرض على الرسول وصاحبه الزاد والحملان فقالا: لا حاجة لنا به ولكن عم عنا الطلب، فقال: قد كفيتم

(٥) البداية والنهاية ج ٣ ص ١٨٧.

ورجع فوجد بعض الناس فى الطلب فجعل يقول: قد استبرأت لكم الخبر وقد كفيتم ما ها هنا فكان أول النهار جاهدا عليهما وآخره حارسا لهما(٦).

● وعندما مر الركب بخيمة أم معبد الخزاعية وسألوها القرى قالت: والله لو كان عندنا شىء ما أعوزكم القرى، فنظر رسول الله إلى شاة فى كسر الخيمة فقال: «ما هذه الشاة يا أم معبد» قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم، فقال: «هل بها من لبن؟» قالت هى أجهد من ذلك.. فقال: «أتأذنين لى أن أحلبها؟» قالت: نعم بأبى أنت وأمى إن رأيت بها محلبا، فمسح رسول الله - ﷺ - بيده ضرعها وسمى الله ودعا فتفاجت - أى فرجت بين رجليها - ودرت فدعا بإناء لها يشبع الرهط فحلب فيه حتى علته الرغوة فسقاها فشربت حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا ثم شرب وحلب فيه ثانيا حتى ملأ الإناء ثم غادره عندها فارتحلوا، فما لبث أن جاء زوجها أبومعبد ورأى اللبن عجب فقال: من أين لك هذا والشاة عازب ولا حلوبة فى البيت؟.

فقالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان حديثه كيت وكيت ومن حاله كذا وكذا، فقال: والله إنى لأراه صاحب قريش الذى تطلبه، صفيه لى، فوصفته، فقال أبومعبد: والله هذا صاحب قريش الذى ذكروا من أمره ما ذكروا ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا(٧).

وهكذا صحب الرسول الكريم عناية خاصة من رب العزة حتى وصل إلى المدينة المنورة سالما لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل التاريخ الإسلامى.

والله الموفق..

***

(٦) زاد المعاد ج ٢ ص ٥٣.
(٧) زاد المعاد بتصرف ج ٢ ص ٥٤.

مواقف إسلامية

الهجرة

من (حراء) جبل التجلى إلى (ثور) جبل التخلى

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

تمهيد ..

إذا أراد الله عز وجل أمراً.. يسَّر له أسبابه، وقد أراد سبحانه للمسلمين أن يهاجروا.. فيسر تعالى لهم أسباب الهجرة، ومن الأسباب: الهجرة إلى الحبشة.. والتى كانت:

١- إعلاماً بالإسلام.. خارج حدود مكة.

٢- وكانت تدريباً وتطويعاً للنفوس على الاغتراب.. عن وطن الأحباب.

٣- ثم كانت دليلاً.. اكتشفت به قريش أن هناك ما هو أغلى من الوطن والأهل، والمال والولد.. وهو المبادئ.

٤- وكما يقرر العلماء أن فى هجرة المسلمين كمبدأ.. ما قد يحمل

قريشاً على الزهو.. غروراً.. كلما تصوروا أن المسلمين ما هاجروا إلا لشعورهم بالضعف، وربما طامن ذلك من استعدادهم.. فتهيأت للدعوة فرصة الامتداد.. فى ظروف مواتية.. نام فيها العدو!.

٥- ثم كانت الهجرة إلى الحبشة بالذات.. لأسباب منها: أن الأحباش أهل دين.. وإذاً فهم يقفون مع أهل الدين الجديد فى خندق واحد.. ضد الوثنية التى هى عدو الأديان جميعاً، فى ظل ملك منصف لا يُظلَم عنده أحد.

٦- وكانت فى نفس الوقت فرصة تعرفت فيها المسيحية على الإسلام..

القوالب فى الحبشة والقلوب فى مكة

وإنذ.. فلم تكن الهجرة هروباً من الوطن.. كما وأنها لم تكن هجراناً للصحاب. ولئن كان المهاجرون بأجسادهم فى الحبشة.. فقد تركوا قلوبهم هناك فى مكة.

تركوها معلقة بالرسول وبالقرآن: فقد كانوا يتشوفون لكل وافد إليهم، ثم يسألونه.. لا عن الأهل والولد، ولا عن ما خلفوه من متاع وضياع، وإنما كانوا يسألون الوافد:

أ- عما معه من ميراث النبوَّة.

ب- وعما نزل فى غيابهم من آى القرآن.

ويعنى ذلك.. صيرورة الهجرة موعظة للجبارين فى الأرض، تؤكد لهم: أن المستقبل لهذا الدين.. وإن ظنوا به الظنون.

وإذ يُسَوِّل الشيطان لهؤلاء الطغاة.. أن أمر المسلمين إلى اضمحلال بهذا التفرق فى البلاد، فإن الواقع يلطمهم بما يملك هؤلاء المهاجرون من قيمة التضحية بأعز ما يملك الإنسان.. لتبقى العقيدة أبداً.

شريعة الأحباء

ويا لها من تضحية عُظْمى لو كان الطغاة يعلمون!. يا لها من امتحان صعب مُكَلِّف.. على الأقل.. على فراق الرسول ـ ﷺ ـ والذى قال فى ذلك قائلهم:

والله.. لو غاب عنى رسول الله ـ ﷺ ـ لحظة ما عَدَدْت نفسى من الأحياء.

وهكذا يكون الأحياء!!..

الهجرة الكبرى

وبعد أن تزودوا للهجرة الأكبر هكذا.. جاء الإذن بها بعد أن استعد المؤمنون لها، لقد كانت رافداً غنياً بالمآثر، وعلى ضوئه تواصل الأمة مسيرتها إلى المستقبل بزاد منه أصيل،

وهو حافل بذكريات عزاز ليست متجردة، ليست «محنطة» فى ذاكرة الأمة، ولكنها حيَّة مازالت قادرة على إثراء الحياة مادامت فينا حياة.

مغزى الهجرة

وحادث الهجرة واحد من أعز ذكرياتنا، هذا الحادث الذى صدع الله – تعالى – به جموع المبطلين فصاروا هباءً، وصاروا سُدى!. لأنه كان ترجمة حرفية عملية لقيم نظرية يراها الناس اليوم واقعاً ملموساً، إنها قيم التضحية، والكتمان، والتجرد.

الهجرة وسنة التغيير

وإذا كانت هناك أسباب تقف وراء تغير المجتمعات، فإن الهجرة طليعة هذه الأسباب، ونعنى بها: هجرة الأجسام.. هجرة الأفكار والعقائد.

واحتمال هذه القسوة شاهد بأن الهجرة لم تكن هروباً من الوطن استخذاء، فلقد كان الإسلام قد انتشر فعلاً خارج مكة، وأصبح قوة تهدد مكة تهديداً أكيداً، وكان عمر قد خرج من مكة.. وكان حمزة قد خرج من مكة.

وحتى داخل مكة.. كان أبوبكر – وهو رجل إذا صلى بكى – يُصر على أن يصلى أمام أهل مكة. خارج باب بيته، لا داخل الدار، وليس هذا شأن الضعفاء، ولكنه تصَلُّب المؤمنين الصادقين، فلم تكن الهجرة عملية لواذ من قوة غاشمة. ولكن كانت انتقالاً إلى أرض جديدة للدعوة. تمهيداً لقيام الدولة الإسلامية.

إن الهجرة هنا تغيير يصيب عنصر الناس فيخرج منه طاقات كامنة.

وهى عملية أقرب ما تكون إلى نقل نبات من «أصص» صغيرة، محدودة القدرة، إلى أرض جديدة واسعة يترعرع فيها النبات، الذى كان على وشك الذبول، لو ظل محصوراً فى تربته المحدودة.

وفى المهجر تنمو الطاقات، وتتكون الثروات. وتنطلق القدرات. وما من نبى ولا دين جديد إلا وهاجر النبى وهاجر رواد الدين. وانتشر الدين فى المهجر. لا فى البلد الأصلى.(١)

وإذن.. فلم تكن الهجرة فراراً أو هروباً من خطر محدق، بل كانت نقطة تحول انتقل بها الإسلام إلى مرحلة جديدة. نحن الآن فى حاجة إلى مثلها بعدما غشانا من الهوان ما غشى: بعدما استفحلت المشكلات.. وتشعبت القضايا..

(١) من مقال للدكتور: فهمي الشناوى

أجل نحن فى حاجة إلى هجرة اليوم من واقع متخلف إلى غدٍ أفضل، ولكن على ضوء ما تعطينا هجرته – ﷺ – من أسس يستقيم عليها البناء، ثم يطاول السماء.

جناحا الأمة

ولم يكن أجمل من المهاجرين فى تضحياتهم إلا الأنصار فى إيثارهم.

ولقد أثبت الله – تعالى – ذلك كله فى كتاب يُتْلى.. ويُتعبد بتلاوته ما بقى الزمان..

لقد فعل المهاجرون والأنصار أجمل ما يليق بهم..

وإن خير احتفال بالهجرة اليوم أن نعود إلى هذه القيم والتى تتقاضانا أن نرتفع بها من المُدارسة.. إلى الممارسة!.

إيثار الأنصار

أجل: لقد كان الأنصار هم المرشحين لنشر الدعوة: فلقد تجمع فى الأنصار ما تفرق فى العرب، الذين اختصوا بأن يكونوا أول من يُكلَّف بالإسلام.

ففيهم نجدة، وفيهم فروسية، وقوة، وكانوا من عشاق الحرية التى جعلت هاماتهم مشدودة.. ورءوسهم مرفوعة، ولم يقفوا موقف التابع الخاضع للغير أبداً.

أغلى من الوطن

وكانوا سائرين على سُنَّة نبيهم – ﷺ – فلقد عاش – ﷺ – فى مكة أكثر من نصف قرن من الزمان، ومع ذلك لَمَّا اصطدمت عقيدته بوطنه، لم يتردد فى النجاة بعقيدته سليمة، مضحياً بذكرياته، متجاهلاً نداء غريزة حب الوطن فى كيانه.

بل، إن حبه لمكة كان عميقاً، لأنه يحبها فهى وطنه.. وفوق هذا، لأن الله – تعالى – يحبها. ومع ذلك يؤكد أن فى إمكان الإنسان أن يرحل بعقيدته التى هى أغلى من كل ما فى الحياة، وفوق ما يحب الإنسان، مهما كانت جذور هذا الحب ضاربة فى أرض النفوس.

يقول الرافعى:

«كانت خطواته – ﷺ – فى هجرته تخط الأرض.

وكانت معانيها تخط فى التاريخ..

أما المسافة فكانت بين مكة والمدينة،

وأما المعنى فكان بين المشرق والمغرب».

لم تكن الهجرة سياحة ولا سباحة

ومعنى ذلك: أنها لم تكن مجرد انتقال من مكان إلى مكان، وإلا لم يكن لها هذا الشأو البعيد، لم تكن الهجرة سباحة، ولا سياحة، لم تكن «سباحة» فى زورق يتهادى فوق أثباج نهر صغير،

ولكنها كانت ذلك الحدث الأكبر، والذى شكل وجدان الأمة.. من حيث كانت مرآة تستجمع كل الأحداث السابقة عليها، واللاحقة بها، وعلى ضوئها نمضى مستبصرين.

لقد كانت صراعاً بين الحق والباطل، بين الدين الجديد والكفر العتيد، فلما استعد المؤمنون لدفع الثمن.. لما وصلوا بقيمة التضحية إلى عمقها، التضحية بالمال، بل بالوطن، بل بالنفس، لما وصلوا بها إلى هذا المستوى.. جاء نصر الله والفتح.

قيمة التضحية

وتبدو قيمة التضحية فوق كل اعتبار، فالمهاجر يغالب فى كيانه غريزة حب الوطن، ثم إن الوطن هنا: مكة المكرمة.. والبيت الحرام.. ومع ذلك غرائز:

الأبوة، والجنس، والتملك، أضف إلى ذلك.. ما استكن فى طبيعة العربى من عشق الديار.. والبكاء على الأطلال..

خير أمة

وفتحت الدنيا عينيها على جيل غير مسبوق: يقاوم كل هذه الضغوط التى لم تصمد أمام إرادته الماضية.

وكان هذا الجيل حُجَّة الله البالغة على كل من تذرع بشبهة زائغة!. كانوا حُجَّة على كل من يعتذر عن نفسه، راضياً بالخنوع لظلم الطغاة، مؤكدين لهم أن الخانعين إذا وجدوا غناهم بالمال.. فإن المهاجرين كان غناهم عن هذا بالمال، بل عن هذه الحياة!.

وإذا كان الحب كبيراً.. فإن التضحية فى سبيل المحبوب.. تجعل الحياة.. مهما كانت مرارتها: تجعلها حلوة المذاق، على ما يقول الشاعر:

وقف الهوى بى حيث أنت
فليس لى متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة فى هواك لذيذة
حباً لذكرك.. فليلمنى اللوم

دور الشباب فى إتمام الهجرة

من الأهمية بمكان أن يعرف القائد خصائص رجاله.. ثم استثمار مواهبهم فى خدمة الدعوة.. وإلا.. فإنه فى غياب الوعى بخصائص الرجال لا يتم عمل كبير:

ومن هؤلاء الذين استثمر - ﷺ - مواهبهم فى الهجرة:

أ - مصعب.. وصهيب - رضى الله عنهما - وكان ذلك قبل الهجرة..

ب- وعلىّ - رضى الله عنه - أثناءها..

جـ- وسُراقة.. من بعدها..

أ) كان «مصعب بن عمير» ممَّن مهد للهجرة.. فقد هاجر بعد بيعة العقبة الأولى سفيراً للإسلام.

يقول «هيكل فى (حياة محمد)»:

[دعت أخبار مصعب - رضى الله عنه - محمداً - ﷺ - أن يفكر فى الأمر طويلاً.. فها هم أولاء أتباعه بيثرب يزدادون كل يوم عدداً وسلطاناً. ولا يجدون من أذى اليهود ولا من أذى المشركين ما يجد زملاؤهم بمكة من أذى قريش..

وها هى ذى «يثرب» بها من الرخاء أكثر مما بمكة: بها زرع ونخيل وأعناب..

أو ليس من الخير أن يهاجر المسلمون المكِّيُون إلى إخوانهم هناك.. ليجدوا عندهم أمناً.. وليسلموا من فتنة قريش إياهم عن دينهم؟.]

الذكاء من أسلحة المعركة

[شرى علىّ نفسه.. ولبس ثوب النبى - ﷺ - ثم نام مكانه.. وكان المشركون يرمون رسول الله - ﷺ - «أى: بالحجارة» وقد كان رسول الله - ﷺ - ألبسه برده.. وكانت قريش تريد أن تقتل النبى - ﷺ - فجعلوا يرمون علياً، ويرونه النبى - ﷺ - «يظنونه».. وقد لبس برده.. وجعل علىّ - رضى الله عنه - يتضور.. «يتقلب» فإذا هو علىّ!! فقالوا: إنك للئيم: إنك لتتضور. وكان صاحبك لا يتضور.. ولقد استنكرناه منك!].

«أخرجه أحمد / ١ / ٣٣١
وصححه الحاكم فى المستدرك/ ٣ / ٤»



هيكل

جـ) أما سراقة بن مالك، فهو الذى كان - كما قيل بحق:

ذلك الشاب الذى قرر مطاردة الرسول الكريم، وصاحبه، حتى يظفر بهما، وهما فى الهجرة، وبالتالى يحصل على الجائزة التى رصدها المشركون لم يتمكن من ذلك، ولكن بعد أن رأى الآيات، حيث غاصت أقدام فرسه فى الرمال كلما حاول الاقتراب منهما ثلاث مرات، طلب الأمان من الرسول العظيم، فكتب له كتاب الأمان وظل سراقة محتفظاً بهذا الكتاب حتى كان فتح مكة، حضر سراقة إلى الرسول وقال له: «هذا كتابك يا رسول الله، وأنا سراقة.. فقال الرسول: هذا يوم وفاء وأعلن سراقة إسلامه».. مما يذكر أن الرسول - ﷺ - بعد أن سلم سراقة كتاب الأمان فى الهجرة قال له: «كيف يا سراقة إذا لبست سوارى كسرى؟. فقال: كسرى بن هرمز؟. قال: نعم..» وقد حدث بالفعل ما أخبر به الرسول، فقد تم للمسلمين فتح مدائن كسرى فى عهد العادل عمر بن الخطاب على يد سعد بن

أبى وقاص واغتنم المسلمون خزائن كسرى بما فيها من كنوز ونفائس ومن بينها سوارا كسرى، وعندما وضعت بين يدى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سأل عن سراقة، فلما حضر ألبسه سوارى كسرى تحقيقاً لنبوءة الرسول الكريم.

وهكذا كان للهجرة أثرها المباشر القوى فى نفس الشاب المشرك الذى تحول من مطارد للنبى وصاحبه، إلى متستر على خط سيرهما فى الهجرة، ثم مسلم صادق فيما بعد الهجرة.

ويبقى آل الصديق طليعة الركب

كان أبوبكر - رضى الله عنه - وآله أول من علم بنبأ الهجرة، وبالتالى كانوا أول من تحمل مسئوليتها مع النبى - صلى الله عليه وسلم، علمت بها عائشة وأسماء - رضى الله عنهما- ثم عبدالله بن أبى بكر - رضى الله عنه - ثم عامر بن فهيرة خادم الصدّيق - رضى الله عنه - إلى جانب «عبدالله بن أريقط» الدليل الذى كان مشركاً.

وفى الغار: قطع أبوبكر ثوبه مزقاً .. ثم سد بها جحور الغار حماية للرسول - ﷺ - من الحشرات .. وكان أبوبكر أشد خوفاً .. منطلقاً من قاعدة: أن قتل الرسول - ﷺ - قتل للأمة كلها .. أما هو: فواحد .. إنها قيمة الصداقة التى يجب استحياؤها فى قلوب أبنائنا اليوم .. بعدما صارت باهتة ضعيفة الأثر ..

الأرواح .. جنود مجندة

يقولون: [قل لى مَنْ تُصاحب: أقل لك: مَنْ أنت.]

إن كل إنسان يعمل على شاكلته، ويصاحب من يناسبه فى جبِلّته، فالأمين يستعين بالأمين، ثم:

إن العفيف إذا استعان بخائن، كان العفيف شريكه فى المأثم، والطيور على أشكالها تقع

وقد كان اصطفاء الرسول - ﷺ - لأبى بكر - رضى الله عنه - دليلاً يؤكد قدرته الفائقة على اختيار الرجال .. ثم كانت مواساته له .. على ما حكاها القرآن الكريم آية تؤكد صدقه فى رسالته:

قال عز وجل: ﴿ لَا تَحْزَنْ ﴾

(التوبة- ٤٠)

ولم يقل: لا تخف، لأن الخوف .. يكون على النفس، ثم إنه من الخوف يتولد الشك، ومن الشك يتولد الاتهام، ثم الصدام، أما الحزن: فعلى الغيْر ..

وفى ضوء ذلك يقول البصراء:

لمّا قدّم محمد - ﷺ - الله تعالى فى:

﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾

(التوبة- ٤٠)

عُصمَتْ أمته .. ولمّا قال موسى - عليه السلام - نفسه فى:

﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾

(الشعراء-٦٢)

امْتُحِنَتْ أمته!.

دور عبدالله

وكان عبدالله بن أبى بكر - رضى الله عنهما- عيناً على المشركين .. ينقل إليهما فى المساء ما أجمع عليه المشركون ..

وعامر بن فهيرة .. راعى غنم أبى بكر: يذهب بالغنم إليهما ليلاً ليحلبا ويذبحا .. وقبل ذلك يمحو آثار أقدام عبدالله .. والذى كان يتردد على الغار تضليلاً لمقتفى الآثار.

وأسماء - رضى الله عنها - ذات النطاقين .. ودورها معروف ..

شهادة حق

وقد شهد الفاروق ببلاء أبى بكر وآله فيما روى: أن عمر - رضى الله عنه - سمع ناساً يفضلونه على أبى بكر - رضى الله عنه - ..

فقام فيهم خطيباً .. وكان مما قاله عندئذ: ما فعله أبو بكر: من مشيه خلف الرسول - ﷺ - فى الهجرة .. إن هذا والله: أفضل من عمر وآل عمر!.

بل روى عنه أنه قال: لَليلَةٌ واحدة فى حياة أبى بكر، خير من آل الخطّاب جميعاً!.

ويعنى ذلك أنه - رضى الله عنه: ينسب الفضل لأهل الفضل .. وليس هو من الذين يحبون أن يُحْمَدُوا بما لم يفعلُوا ..

ومن مدرسته: ابن المبارك:

فقد دعا أحد العبيد الله - تعالى - يوماً فنزل المطر .. وكان قد دعا هو فلم ينزل ..

ولم تأخذه العزة بالإثم ..

وبناء على هذا المقياس يفترق الناس:

فَفِى النَاسِ أَقْمَارٌ .. وَفِى النَاسِ أَنْجُم

وَفِى النَاسِ أَلْفٌ لا يُعَدُّ بِوَاحِدِ!!

***

خطبة الجمعة :

الهجرة تضحية وفداء (١)

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى

إعداد الشيخ/ على حامد عبد الرحيم

الحمد لله عز وجل، علّم عباده أن النضال كرٌّ وفر، وإحجام وإقدام

﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (آل عمران - ١٤٠)

أشهد أن لا إله إلا الله، جعل الأسلاف قدوة للأخلاف،

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ (الواقعة- ١٠ ، ١١)

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، رائد المهاجرين الصابرين، وقائد الغر المحجلين يومَ الدين، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، وجنوده وحزبه

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (الزمر- ١٨)

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام...

نحن نقف الآن أمام عتبات عام جديد من أعوام الإسلام يذكرنا بالحادث الخالد الماجد

(١) ٣٠ من ذى الحجة سنة ١٣٨٧ هـ - ٢٦ من مارس سنة ١٩٦٨م.

الأزهر

والذكرى الدائمة المتجددة: ذكرى هجرة الرسول الأعظم محمد ـ ﷺ ـ من مكة إلى المدينة، وهى الهجرة التى كانت فاتحة الأمل وبارقة النصر وطريق العودة:

﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (القصص- ٨٥)

والهجرة حادث قرأناه وسمعناه، وتكرر على ألسنتنا وأسماعنا ذكره وخبره، ولكن ذكراه تعود كل عام، فيتجدد التدبر والنظر، ويتجدد الاعتبار والأثر، والذكرى على الدوام تنفع المؤمنين، والذكرى العاطرة الباهرة تعود هذا العام ونكبة الاحتلال الصهيونى الغادر تعصر قلوبنا وتمزق صدورنا، وأمتنا وعقيدتنا وحرماتنا ومقدساتنا تطالبنا بتضحية وفداء وبذل، والهجرة تعطينا فى هذا المجال قدوة وأسوة، ففيها تتجلى دروس ودروس من التضحية والفداء، فهذا رأس الدعوة وقائد الأمة رسول الله عليه الصلاة والسلام يتحمل العبء الثقيل فى سبيل عقيدته ودعوته، ويشتط المجرمون من أعدائه فى مقاومته والتطاول عليه بالسخرية والاستهزاء، ثم بالكذب والافتراء، ثم بتجربة الوعد والإغراء، ثم بتسليط الغوغاء والسفهاء، ثم بالتآمر الدنىء ينتهى إلى الإجماع على الاغتيال بلا إعواء

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (الأنفال- ٣٠)

والرسول ثابت كالطود ماض فى طريقه كالسهم يسدده القدر إلى غايته فلا يخطئ ولا يخيب، ويأتى وقت التنفيذ للمؤامرة الخسيسة على أساس أن يختاروا من كل قبيلة شاباً قوياً، وكل منهم يمسك بسيفه، ثم يعمدوا إلى ضرب الرسول ضربة واحدة مشتركة منهم حين خروجه من داره عند تباشير الصباح، فيتفرق دمه فى القبائل، فلا يستطيع أهله أن يأخذوا بثأره من كل القبائل، فيرضوا بالدية وهى سهلة وميسورة، ولكن الرسول يمضى بهدى ربه وتوفيقه فى خطته وطريقته، ولا ينال جمع الضلال منه شيئاً، ويواصل خطواته على طريق نضاله، وهو يردد:

﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (يس- ٩)

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف- ٢١)

ومن حول الرسول آخرون شاركوا فى

الهجرة وضحوا لها وافتدوا نجاحها بكل ما قدروا عليه، فهذا أبوبكر يشارك الرسول فيما يستطيع النهوض به من أعباء، فيظل معه فى صميم المعركة وفى مركز المقاومة حتى يضمن مع الرسول سلامة المهاجرين من الضعفاء والنساء والفقراء، ثم يحمل معه عند الصحبة فى الهجرة ماله كله، ويأتى والده المكفوف البصر أبوقحافة إلى بيته، فيجد الفتاة المؤمنة المناضلة الفدائية أسماء بنت أبى بكر، ويسأل الجد حفيدته: أظن أن أباك قد فجعكم فى ماله كما فجعكم فى نفسه؟. فتجيبه قائلة: كلا يا جدى، إنه ترك لنا مالاً كثيراً، وتسارع بخفة وحذر، وتجمع أحجاراً وتضعها فى كوة [طاقة] ثم تضع عليها ثوباً. ثم تأخذ بيد جدها وتقول له: ضع يدك يا جدى على هذا المال، فيحسبه الشيخ الضرير مالاً فيهدأ ويقول: لا بأس، إن كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن، وفى هذا بلاغ لكم، وتروى أسماء الواقعة فيما بعد فتقول: «والله ما ترك أبى لنا شيئاً، ولكنى أردت أن أسكن الشيخ بذلك»، وأسماء هذه الفتاة العربية المؤمنة الفدائية هى التى تشهد الإعداد الأخير لهجرة الرسول وأبيها، ومع ذلك تكتم السر وتصونه، وهى التى يسارع إليها أبوجهل عقب خروج الرسول وصديقه، فيسألها وقد طرق عليها باب الدار وهو كالثور الهائج: أين ذهب محمد وأين ذهب أبوك؟. فتقول له فى ثبات: لا أدرى أين ذهبا، فيلطمها الحيوان الشرس لطمة تمزق أذنها وتنزع قرطها، ولكنها تصبر وتحتمل؛ وهى تتعرض للمخاطر والمخاوف حين تحمل الطعام والشراب ليلاً إلى المهاجرين العظيمين وهما فى الغار، وهى لا تجد ما تربط به الطعام سوى نطاقها [حزامها] فتشقه وتربط به ليكون لها اللقب الخالد الباقى «ذات النطاقين»، وهى التى ظلت تضرب أروع الأمثلة فى التضحية وتعلمها لأهلها، حتى تقول لابنها عبدالله وهو يخشى أن يمثل به أعداؤه لو ظفروا به فى المعركة: «امض يا بنى إلى ما أراد الله لك ما دمت تؤمن بأنك على الحق، فإن الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها».

وإلى جانب الفدائية أسماء كان هناك فدائيون آخرون، يقاومون ويضحون، ويتعرضون للأهوال والأخطار. فهذا عبدالله بن أبى بكر يقوم بجمع المعلومات من داخل معسكر المشركين فى مكة، ثم يمضى بها ليلاً متخفياً إلى الغار، ليطلع عليها المهاجرين العظيمين حتى يحيطا علماً بكل ما حولهما من أحداث وتطورات، وهذا عامر بن فهيرة راعى الغنم عند أبى بكر يظل نهاره راعياً غنمه، ملاحظاً الطرق والناس، فإذا جاء المساء، ذهب بغنمه فى حذر إلى الغار، وسقى

المهاجرين العظيمين، وانتظر حتى يعود عبدالله جامع المعلومات، وأسماء حاملة الزاد، ثم يعود عامر بغنمه ليمحو بأقدامها آثار أقدام الشقيقين الفدائيين: عبدالله وأسماء. وهذا أبو سلمة الضعيف الفقير يسارع إلى الهجرة أول الناس ومعه زوجته وولده، فيهجم عليه الكافرون من أقارب زوجته وينتزعوها منه بالقوة، ثم ينتزع أقاربه الولد من أمه، ويمضى عام والزوج أبو سلمة فى المدينة، وأم سلمة معذبة فى مكة، وابنها بعيد عنها وعن أبيه عند أعمامه، وهذا صهيب الرومى الذى حرره الإسلام وأعزه، يحاول الهجرة، فيحيط به الطغاة ويقولون له: أتيتنا صعلوكاً حقيراً فكثر مالك عندنا، وبلغت الذى بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك؟. والله لا يكون ذلك. فيقول لهم: أرأيتم إن جعلت لكم مالى، أتخلون سبيلى؟. قالوا: نعم. قال: فإنى قد جعلت لكم مالى، وترك لهم كل ما يملك ومضى مهاجراً إلى الله ورسوله، ولما بلغ الخبر رسول الله قال: «ربح صهيب، ربح صهيب!».

وهناك فى حالات الهجرة من بطولات التضحية والفداء ما قد يؤخر ثم يذكر ليبقى ويؤثر، فهو من روعته يأتى أولاً وإن ذكر أخيراً، وهو موقف على بن أبى طالب الشاب المؤمن الفدائى المضحى، الذى لم يتردد فى أن ينام على فراش الرسول، ويتغطى ببردته فى الليلة التى اجتمع فيها شياطين الكفر والغدر ليفتكوا برسول الله - عليه الصلاة والسلام - ويالها من نومة تحيطها المخاوف والأهوال، ولكن علياً يمضى قدماً فى سبيل عقيدته، مؤمناً الإيمان كله بأن الله معه، وهو خير الناصرين.

يا أتباع محمد - عليه الصلاة والسلام -

هكذا تعطينا الهجرة اليوم ما يعظنا فى حاضرنا، وينفعنا فى نضالنا، وهناك اليوم من إخواننا مهاجرون أرغموا على ترك بلادهم فى فلسطين وما حولها من ديارنا، بعد أن استبد الصهاينة وأخرجوهم، وهؤلاء المهاجرون يلزمهم العون النبيل والصبر الجميل والرجاء العميق فى العودة الظافرة بعون الله - جل جلاله -.

﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾

(الأحزاب- ٤)

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾

(المائدة- ٨٨)

***

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾

اسْتِفْتَاءَاتُ القُرَّاءِ

(الحمدلله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المقيد برقم ٣١٠٠ لسنة ٢٠٠٤ المتضمن: - لعدد من الأسئلة وهى:

يوم الجمعة

● السؤال الأول : من السيد / م. م. ر

هناك فضل فى إتمام بعض الأمور فى يوم الجمعة كعقد الزواج وغيره من الدعاء والصلاة على رسول الله - فمتى يبدأ يوم الجمعة ومتى ينتهى..

●●الجواب : يوم الجمعة هو أفضل الأيام على الإطلاق بعد يوم عرفة، وهو العيد الأسبوعى للمسلمين، وكان يسمى فى الجاهلية بيوم «العروبة» أى البين العظيم، ولذلك قال بعضهم:

نفسى الفداء لقوم همو خلطوا

يوم العروبة أورادا بأوراد

وأول من سماه بهذا الاسم «الجمعة» كعب بن لؤى، وهو أول من جمع الناس بمكة وخطبهم وبشرهم بمبعث سيدنا محمد رسول الله ﷺ وأمرهم باتباعه، ويسمى أيضا يوم المزيد، لزيادة الخير فيه، وهو أفضل أيام الأسبوع، يعتق الله فيه ستمائة ألف عتيق من النار، من مات فيه كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر، وليلته أفضل ليالى الأسبوع، بل أفضل ليالى السنة بعد ليلة المولد النبوى الشريف وليلة القدر، وقيل يومها أفضل الأيام على الإطلاق حتى من يوم الأضحى ويوم الفطر، فقد ذكر البيهقى فى فضائل الأوقات حديث أبى لبابة بن عبد المنذر مرفوعاً «سيدُ الأيام يوم الجمعة وأعظمها عند الله وهو أعظم عند الله عز وجل من يوم الفطر ويوم الأضحى».

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

على جمعة

مفتى جمهورية مصر العربية

وقد جمع الإمام السيوطى خصائص يوم الجمعة وليلته حتى زادت على المائة فى كتاب سماه (اللمعة فى خصائص الجمعة) فمن أراد المزيد فليرجع إليه. ويبدأ يوم الجمعة من فجر الجمعة حتى غروب الشمس يومها، وتبدأ ليلة الجمعة بعد غروب شمس الخميس إلى طلوع الفجر، لأن الأحاديث التى جاءت فى هذا المعنى فرقت بين اليوم وليلته فقال ﷺ : «من مات يوم الجمعة أو ليلتها كتب الله له أجر شهيد»(١)، وقال ﷺ : «أكثروا من الصلاة علىَّ فى يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة» رواه البيهقى.. والله سبحانه وتعالى أعلم

الأغانى

● السؤال الثانى : من السيد / ع. ع. ل

ما حكم الأغانى بالدف للرجال ؟

●●الجواب : الغناء كلام حسنُه حسنٌ وقبيحُه قبيحٌ، فإذا كان الغناء بكلام حسن يدعو إلى مكارم الأخلاق فإنه يكون جائزا، لحديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان فى بيت النبى ﷺ يوم العيد وقوله لسيدنا أبى بكر : «يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا» رواه البخارى.. وضرب الدف مشروع إن كان لسبب، كإعلان النكاح، لقوله ﷺ : «أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدف»(٢) أما إذا كان الغناء بكلام يثير الفتن فإنه يكون حراماً سواء أكان من الرجال أم من النساء.. والله سبحانه وتعالى أعلم.

المذى والمنى

● السؤال الثالث : من السيد / م. ع. م

ما الفرق بين المذى والمنى لأن الشيطان يوسوس لى دائما بأنى قد أمذيت وكيف التعرف على ذلك وهل أتوضأ منهما ؟

(١) اتحاف السادة المتقين جـ٣ ص٢١٧ .

(٢) فتح البارى جـ٩ ص٢٢٦ .

●● الجـواب : المذى : هو مـاء رقيق يخرج عند الملاعبة أو التذكر ويضرب إلى البياض ، والمذى يوجب الاستنجاء والوضوء ولا يوجب الغسل ، وذلك لحديث سيدنا على ابن أبى طالب (رضى الله عنه) أنه قـال : كنت رجلا مذاء فأمرتُ رجلا أن يسأل النبى ﷺ لمكان ابنته فسأل فقال : «توضأ واغسل ذكرك» متفق عليه.

أما المنى فهو الماء الغليظ الدافق الذى يخرج عن اشتداد الشهوة سواء خرج بجماع أو احتلام أو غير ذلك وفيه الغسل.

والله سبحانه وتعالى أعلم

من أحكام الصلاة

● السؤال الرابع : ورد من الشيخ حبشى حسن حسين إمام مسجد طنسا :

ترك إمام نصف التشهد الأول فى صلاة المغرب فهل الصلاة صحيحة إذا سجد سجود السهو ؟، وهل صحيح أن نصف التشهد بين الركعتين سنة ؟ أم ركن من أركان الصلاة ؟

●● الجواب : هناك خطأ فى السؤال مشتهر على الألسنة يحسن بنا تصحيحه فى هذا المقام، فالتشهد يبدأ من (التحيات لله) وينتهى عند (عبده ورسوله) ، وهذا التشهد كامل، لا يسمى نصف التشهد وإنما الذي بعده ليس تشهداً، بل هو صلاة على النبى ﷺ وعلى آله ودعاء، وما يقال بعد الركعتين من الصلاة الثلاثية والرباعية يسمى بالتشهد الأول، وما يقال قبل السلام يسمي بالتشهد الأخير، ويعقبه الصلاة علي النبي والتشهد الأول الذى يكون بعد الركعة الثانية فى الصلاة الرباعية والثلاثية سنة من سنن الصلاة عند الجمهور وواجب عند الحنابلة يجبر بسجود السهو فلو تركه المصلى سهوا سواء كان إماماً أو منفرداً فليتم صلاته ولا يعود إليه ويسجد للسهو سجدتين قبل السلام من صلاته مباشرة، وصلاته صحيحة- إن شاء الله تعالى- أما التشهد الأخير من الصلاة الرباعية والثلاثية وتشهد الصلاة الثنائية والمنفردة «ركعة الوتر» فهو ركن من أركان الصلاة لا تقع الصلاة إلا به.

والله سبحانه وتعالى أعلم

المريض الميئوس من شفائه

● السؤال الخامس : ورد من السيدة / عفاف . ع

هل يجوز قتل المريض بداء ميئوس من شفائه ؟

●● الجـواب : الله جل جلاله هو أرحم الراحمين بعباده، بل هو أرحم بالإنسان من أمه وأبيه والناس أجمعين، قال فى قرآنه :

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾

(البقرة ١٦٣)

وقال فى قرآنه :

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

(الاعراف ١٥٦)

والآيات فى القرآن الكريم كثيرة متعددة حول هذا المعنى وأحاديث البشير النذير ﷺ ذكرت هذا المعنى واضحا جليا.

وهذا البدن الذى أعطاه الله -تعالى- للإنسان ليس ملكاً له يتصرف فيه كيف يشاء، ولكنه أمانة يسأل عنها أمام الخالق جل فى علاه يوم القيامة، قال عز من قائل فى قرآنه :

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(البقرة ١٩٥)

والمريض الذى يطلب من الطبيب إنهاء حياته بطريقة أو بأخرى فإنه يعد منتحرا والعياذ بالله -عز وجل- فقد أخرج الشيخان فى صحيحيهما عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ «من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى منه خالداً مُخلداً فيها أبداً، ومن تحسي سماً فقتل نفسه فسمهُ فى يده يتحساهُ فى نار جهنم خالداً مُخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدتهُ فى يده يجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالداً مُخلداً فيها أبداً» رواه البخارى.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «إن رجلا ممن كان قبلكم خرجت به قرحة فلما آذته انتزع سهماً من كنانته فنكأها فلم يرقئ الدمُ حتى مات، قال ربكم : قد حرمتُ عليه الجنة» رواه البخارى ومسلم، وغير ذلك من الأحاديث.

وأما إنهاء الطبيب حياة المريض لمصلحة يراها من تلقاء نفسه أو بطلب أهل المريض فإنه -والعياذ بالله تعالى -قتل للنفس بغير حق، قال ربنا تبارك وتعالى :

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾

(النساء٩٣)

وقال سيدنا رسول الله ﷺ : «لا يحل دم امرىء مُسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس والثيبُ الزانى والمارق من الدين التارك الجماعة».(٣)

وعليه وفى واقعة السؤال :

أما إيقاف العلاج عن المرضى الميئوس من حياتهم فلا يجوز ما دام العلاج يخفف عنهم الآلام، أما إذا كان استمرار العلاج مع عدم تحقيق مصلحة المريض من تخفيف الآلام وغيره فإنه يجوز إيقاف العلاج ورفع الأجهزة عند ذلك.

والله سبحانه وتعالى أعلم

(٣) مسند الإمام أحمد جـ١ ص ٣٨٢ ، ٤٢٨ .

السُّنَّة ومكانتها وموقف الإسلام ممن أنكرها

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى لاسيما نبيه المصطفى أما بعد: فقد كثر الكلام هذه الأيام عن السنة النبوية المطهرة، واجترأ البعض على القول بإنكارها والاكتفاء بالقرآن الكريم. فكان لزاما علينا أن نتحدث عن السنة النبوية المطهرة، وأن نبين مكانتها فى الدين، وأن نوضح موقف الإسلام ممن أنكرها، وأن نرد أسلحتهم إلى نحورهم فتاكة قتَّالة، قال تعالى:

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾

التوبة ٣٢ - ٣٣

ولنبدأ حديثنا بقول الله تعالى:

﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

النساء ١١٣

والكتاب هو القرآن الكريم والحكمة هى السنة النبوية. وهى منزلة. وواضح من ذلك أن السنة هى الأصل الثانى للدين بعد كتاب الله ـ عز وجل ـ وهى مبينة وشارحة له.

تفصل مجمله وتوضح مشكله، وتقيد مطلقه، وتخصص عامه، وتبسط ما فيه من إيجاز، وفى هذا المعنى جاء قول ربنا سبحانه:

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

النحل ٤٤

هذا وقد كان ﷺ يبين تارة بالقول كتفسيره الظلم بالشرك فى قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

الأنعام ٨٢

وتارة بالفعل كتبيينه للصلاة بقوله ﷺ: «صلوا كما رأيتمونى أصلى» البخارى، وكتبيينه لمناسك الحج بقوله ﷺ: «خذوا عنى مناسككم».

فما السنة؟

السنة فى اللغة: الطريقة محمودة كانت أو مذمومة - كقوله ﷺ: «مَن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة. ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» رواه مسلم عن جرير بن عبدالله ـ رضى الله عنه.

وهى عند المحدثين: ما أثر عن النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خُلقية أو سيرة سواء كان قبل البعثة أو بعدها.

وهى فى اصطلاح الأصوليين: ما نقل عن النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير فمثال القول: قوله ﷺ: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا» أخرجه البخارى ومسلم عن ابن عمر.

ومثال الفعل: ما نقله الصحابة من أفعال النبى ﷺ فى العبادة وغيرها كالصلاة والصيام والجهاد: ومثال التقرير: ما أقره الرسول ﷺ من أفعال صدرت عن بعض أصحابه. بسكوت منه مع دلالة الرضا أو بإظهار استحسان وتأييد.

فمن الإقرار: إقراره ﷺ اجتهاد الصحابة فى أمر صلاة العصر فى غزوة بنى قريظة. حين قال لهم: «لا يصلين أحدكم العصر إلا فى بنى قريظة» أخرجه البخارى ومسلم عن ابن عمر. فقد فهم بعضهم هذا النهى على حقيقته فأخرها إلى ما بعد المغرب. وفهم بعضهم أن المقصود حث الصحابة على الإسراع، وصلاها فى وقتها.

وبلغ النبى ﷺ ما فعل الفريقان، فأقرهما ولم ينكر عليهما.

ومن إظهار الاستحسان والتأييد ما ورد أن خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ أكل ضبا قُدم إلى النبى ﷺ دون أن يأكله فقال له بعض الصحابة: أو يحرم أكله يا رسول الله؟ قال: لا، «ولكنه ليس فى أرض قومى فأجدنى أعافه» أخرجه البخارى ومسلم عن ابن عباس وقد تُطلق السنة عندهم على ما دل عليه دليل شرعى سواء كان ذلك فى الكتاب العزيز أو عن النبى ﷺ أو اجتهد فيه الصحابة كجمع المصحف وحمل الناس على القراءة بحرف واحد. ويقابل ذلك البدعة ومنه قوله ﷺ «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى» أخرجه أبوداود والترمذى ـ عن العرباض بن سارية.

وعلى أية حال فقد أوجب الله ـ عز وجل ـ على المؤمنين طاعة الرسول ﷺ فى حياته قال تعالى :

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾

الحشر ٧

واعتبر طاعته طاعة لله، واتباعه حبا لله، قال ـ تعالى ـ :

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾

النساء ٨٠

وقال :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

آل عمران ٣١

وحذر من مخالفة أمره ـ قال ـ تعالى ـ :

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

النور ٦٤

بل أشار إلى أن مخالفته كفر ـ أعاذنا الله من الكفر ـ

﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

آل عمران ٣٢

ولم يبح للمؤمنين مطلقا أن يخالفوا حكمه أو أوامره قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾

الأحزاب ٣٦

واعتبر من علامات النفاق الإعراض عن تحكيم الرسول ﷺ فى مواطن الخلاف قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

النور ـ الآيات ٤٧ - ٥١

بل جعل من لوازم الإيمان ألا يذهبوا حين يكونون مع رسول الله ﷺ أن يستأذنوا منه

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

النور ٦٢

قال ابن القيم : «فإذا جعل الله من لوازم الإيمان أنهم لا يذهبون مذهبا إذا كانوا معه إلا باستئذانه، فأولى أن يكون من لوازمه ألا يذهبوا إلى قول ولا مذهب علمى إلا بعد استئذانه، وإذنه : يعرف بدلالة ما جاء به على أنه أذن فيه». إعلام الموقعين ١ / ٥٨ .

فكان لابد للصحابة ـ رضى الله عنهم ـ من الرجوع إلى رسول الله ﷺ يفسر لهم أحكام القرآن ويبين لهم مشكلاته ويحكم بينهم فى المنازعات ويحل بينهم الخصومات وكان الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ يلتزمون بأمره ونهيه ويتبعونه فى أعماله وعباداته ومعاملاته. إلا ما علموا أنه خاص به كالزواج بالهبة..

وكما أوجب الله ـ تعالى ـ : طاعة الرسول فى حياته أوجب على الأمة طاعته بعد وفاته، لأن النصوص التى أوجبت طاعته عامة لم تقيد ذلك بزمن حياته ولا بصحابته دون غيرهم. ولأن العلة جامعة بينهم وبين من جاء بعدهم. إذ كان قوله وحكمه وفعله ناشئا عن مشرع معصوم أمر الله بامتثال أمره واجتناب نهيه فلا يختلف الحال بين أن يكون حيا أو بعد وفاته.

هذا وقد ورد الحث على وجوب العمل بسنته ﷺ بعد وفاته فى أحاديث كثيرة جدا بلغت حد التواتر المعنوى منها ما رواه الحاكم وابن عبدالبر عن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتى».

وأخرج البخارى والحاكم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال : «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا : ومن يأبى؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى».. ومن أجل هذا عنى الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ بتبليغ السنة لأنها أمانة رسول الله ﷺ عندهم إلى الأجيال المتلاحقة بعدهم. وقد رغب النبى ﷺ فى ذلك بقوله : «رحم الله امرءا سمع مقالتى فأداها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع» أخرجه ابن حبان فى صحيحه وأبو داود والترمذى وحسنه.

وعن عقبة بن حارث أنه أخبرته امرأة أنها أرضعته هو وزوجه فركب من فوره ـ وكان بمكة ـ قاصدا المدينة حتى بلغ رسول الله ﷺ فسأله عن حكم الله فيمن تزوج امرأة لا يعلم أنها أخته من الرضاعة ثم أخبرته بذلك من أرضعتهما. فقال له النبى ﷺ «كيف وقد قيل؟» ففارق زوجته لوقته فتزوجت من غيره.

والعجب كل العجب لهؤلاء الذين ينكرون الاستدلال بالسنة ويكتفون بالقرآن الكريم ويخلطون الحق بالباطل والرشد بالغى وهم لا يبغون من وراء ذلك إلا هدم الإسلام وتقويض أركانه.

﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴾

[البروج/ ٢٠]

﴿ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ﴾

[النساء/ ٨١]

وراحوا يقولون: إن الله ـ تعالى ـ يقول:

﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ﴾

[الأنعام/ ٣٨]

فالقرآن حوى كل أمور الدين وبالتالى لا حاجة بنا إلى السنة. فإذا احتاج إلى غيره لزم الخلف فى خبر الله تعالى. وهو محال عليه سبحانه.

أفلا يعلم هؤلاء أن المراد بالكتاب فى الآية اللوح المحفوظ كما يدل عليه السياق؟! ولو سلمنا أن المراد به القرآن فحمله على ظاهره غير مراد، لأن كثيرا من الأحكام جاء بها مجملة وفصلته السنة كما تقدم وقد أحال القرآن بيانه عليها قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

النحل ٤٤

وهذه الآية دليل على وجوب الأخذ بالسنة ما لم يرد له ذكر فى القرآن، فقد ورد أن الإمام الشافعى كان جالسا فى المسجد الحرام يحدث الناس: فقال: لا تسألونى عن شىء إلا أجبتكم فيه من كتاب الله. فقال رجل: ما تقول فى المحرم إذا قتل الزنبور؟ فقال: لا شىء عليه. فقال الرجل: وأين هذا من كتاب الله؟ فقال:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾

[الحشر/ ٧]

ثم ذكر إسنادا إلى عمر بن الخطاب أنه قال: «للمحرم قتل الزنبور».

وكأنى برسول الله ﷺ وقد كشف الله له الغيب وأزال أمامه حجب الزمن فتحدث عن هذه الحالات التى آل إليها أمر الناس حتى اجترأوا على إنكار سنته ﷺ فقد أخرج أبوداود والترمذى عن المقدام بن معد يكرب ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: «ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه. ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، وإنما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلى ولا كل ذى ناب من السباع ولا لقطة معاهد إلا أن يستغنى عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه. وله أن يعقبهم بمثل قراه.

ثم إن السنة المطهرة قد ذكرت أحكاماً

مستقلة فكيف نتركها؟! وفى تركها هدم الدين من أساسه وذلك مثل قوله ﷺ: «لايجمع الرجل بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها»، ومعلوم عند الأصوليين. العقد على البنات يحرم الأمهات والدخول بالأمهات يحرم البنات. ومن أساليب هؤلاء المغرضين فى التشكيك فى السنة ادعاؤهم أن كثيراً من الأحاديث مكذوبة وموضوعة ونسى هؤلاء أو تناسوا أنه تم فى سنة أربعين من الهجرة تنقية السنة وتصفيتها من الكذب والوضع على يد علماء الإسلام الغيورين على دينهم، وبذلك سلمت. ووقف المسلمون على درجة كل حديث من الصحة. فلا عبرة بما يقوله المغرضون ويكفيهم عارا وخزيا وبعدا عن الصواب ـ أن رسول الله ﷺ برىء منهم. روى الإمام أحمد فى مسنده أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتدى بى فهو منى ومن رغب عن سنتى فليس منى» هذا ومن وصايا رسول الله ﷺ لأنس ـ رضى الله عنه ـ: «يا بنى إن قدرت على أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لأحد فافعل فإن ذلك من سنتى ومن أحيا سنتى فقد أحبنى. ومن أحبنى كان معى فى الجنة» ـ رزقنا الله الجنة بمنه وكرمه ـ وجنبنا النار بعفوه وصفحه. ووفقنا للعمل بكتابه، واتباع سنة نبيه، وجعلنا من أنصار شرعه ودينه، كما نسأله سبحانه لمن يشكك فى سنته هداية من الضلال وتوبة من الذنوب والآثام، وقد ورد فى الحديث الشريف «إذا تاب العبد عرجت الملائكة إلى السماء يقولون إلهنا وسيدنا عبدك فلان بن فلان استيقظ من سنة الغفلة واللعب، بين يديك يبكى وينتحب فيقول الرب عز وجل: ـ يا ملائكتى، زينوا السموات لقدوم أنفاس حسرته وافتحوا أبواب التوبة لقبول توبته، فإن نفس التائب عندى أعزب من الأرضين والسموات، وما لزم عبد التوبة وقام فى الخدمة، إلا بدلت سيئاته حسنات» قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾

[هود/ ١١٤]

***

نظرية الحضارة فى الإسلام

٢

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

ثانياً: بناء المجتمع المتوازن

بقدر ما أعطى الإسلام من أهمية عظمى لبناء الفرد وتنميته، باعتباره ركيزة البناء الحضارى بأكمله، أعطى ثقلاً كبيراً لبناء نظام اجتماعى متوازن، يحفظ لكل فرد حقه دون إخلال بحقوق الآخرين، ويلبى رغبات الجميع فى تناسق تام لا تطغى فيه احتياجات المجتمع على احتياجات الفرد، ولا تُلغَى فيه اجتهادات بنى الإنسان، أو تُكبَت طموحاتهم الذاتية، أو تُغفَل الفروق الشخصية بينهم. ففى النظام الإسلامى تلتقى الفردية والجماعية على نحو تتكافأ فيه الحقوق والواجبات، وتتوزع فيه الخيرات والتبعات بالقسطاس المستقيم. قال تعالى:

﴿ والسماء رفعها ووضع الميزان (٧) ألا تطغوا فى الميزان (٨) وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ﴾

(سورة الرحمن ٧-٩)

ومثل هذا النظام الاجتماعى المتوازن لا يقدر الإنسان على إنشائه بعقله المحدود، وعلمه القاصر، فضلاً عن تأثير ميوله ونزعاته الشخصية، وما جُبِل عليه من اتخاذ مواقف متحيزة من حيث يشعر أو لا يشعر. ولهذا فإن المناهج التى يضعها البشر لأنفسهم لا تخلو من إفراط أو تفريط، حيث تدلنا قراءة التاريخ على أنها غالباً ما تخضع لأيديولوجيات خاصة لمصلحة فرد أو جماعة، ويكفى دليلاً على ذلك ما نراه من صراع فى عالمنا المعاصر بين مذهب فردى خالص أو مذهب جماعى خالص، وكلاهما لم يحقق الاستقرار والأمان للإنسان على الأرض. ذلك هو شأن فلسفات البشر ومذاهبهم ودياناتهم المحرفة.

أما الإسلام ـ وهو دين الفطرة ـ فهو الذى يراعى جانبَى الفطرة الإنسانية ذات الطبيعة المزدوجة: الفردية والجماعية فى آن واحد، لا يجور على الفرد لحساب المجتمع، ولا يحيف على

المجتمع من أجل الفرد. لا يدلل الفرد بكثرة الحقوق التى تُمنَح له، ولا يرهقه بكثرة الواجبات التى تُلقَى عليه، وإنما يكلفه من الواجبات فى حدود وسعه، دون حرج أو إعنات، ويقرر له من الحقوق ما يكافئ واجباته، ويلبى حاجته، ويحفظ كرامته، ويصون إنسانيته(١).

(أ) الجانب المالى والاقتصادى:

ومن أسس بناء المجتمع المتوازن فى الإسلام معالجة الجانب المالى والاقتصادى على نحو يسمح بترك أبواب الكسب الحلال مفتوحة على مصراعيها، مع المطالبة بأداء حقوق الله فيها، وسد حاجات غير القادرين، وتأمينهم اجتماعياً من الفقر، وكفاية حاجاتهم الضرورية. قال تعالى:

﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ﴾

(سورة البقرة: ١٧٧)

وحذر القرآن الكريم من الاستئثار بالثروة الذى يستتبع الاستئثار بالنفوذ، فقال ـ تعالى ـ:

﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ﴾

(سورة الحشر: ٧)

وضرب مثلاً تحذيرياً بما حدث لبعض الأغنياء الذين منعوا حق الله والفقراء فقال:

﴿ إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين (١٧) ولا يستثنون (١٨) فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون (١٩) فأصبحت كالصريم (٢٠) فتنادوا مصبحين ﴾

(سورة القلم: ١٧-٢٠)

وقد لَمحَ أحد المستشرقين هذا المعنى فقال: وجدت فى القرآن حل المسألتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم طرا: الأولى فى قول القرآن:

﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾

(الحجرات - ١٠)

والثانية فى فرض الزكاة على كل ذى مال، وقال آخر عن الزكاة: «كانت هذه الضريبة فرضاً دينياً.. وهى نظام اجتماعى عام، ومصدر تدخر به الدولة ما تمد به الفقراء وتعينهم.. وهذا النظام البديع كان الإسلام أول من وضع

(١) أ.د./ يوسف القرضاوى، الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ.

أساسه فى تاريخ البشرية عامة.. وكان من نتيجة ذلك أن هُدِمَ السياج الذى كان يفصل بين جماعات الدولة الواحدة، وتوحيد الأمة فى دائرة اجتماعية عادلة، ووضع نظام لا يقوم على أسس الأثرة البغيضة»[٢].

ومن أخلاقيات الزكاة والصدقات فى الإسلام الحدّ من استعلاء الغنى ونهيه عن المَنّ على الفقير.. قال ـ تعالى ـ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾

(سورة البقرة: ٢٦٤)

لأن المال مال الله:

﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾

(سورة النور:٣٣)

وحق الغير فيه ثابت:

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾

(سورة الإسراء:٢٦)

ومن ضوابط تحقيق التوازن فى المجتمع الإسلامى تحريم الربا، وهو الزيادة على أصل المال من غير عقد تبايع، ولعل الحكمة فى هذا التحريم أن الربا يوقع فى العديد من المحظورات مثل أخذ مال الغير بغير عوض، وانقطاع المعروف بين الناس بعدم نجدة بعضهم بعضاً من خلال القرض الحسن، وتعارض الربا مع مبدأ العمل واقتحام مشاق الاكتساب من تجارة وصناعة وزراعة وعمارة وغيرها من وسائل الرزق الحلال، فضلاً عن أن غلق هذا الباب يفتح باب الإنفاق المشروع من خلال الزكاة المفروضة، والصدقة التطوعية، الأمر الذى يساعد على خلق روح من المودة والتعاطف بين أبناء الأمة، وينزع ما قد يتولد فى نفس الفقير من حقد أو غل تجاه أخيه الغنى.

كذلك تضمن الجانب المالى والاقتصادى فى الإسلام تشريعات منظمة لتوزيع التركة والمواريث على نحو يمنع تضخم الثروات، ويميز بين الأنصباء بحسب درجة القربى، ومقدار المسئولية، ويعطى حقاً لعدد من الفئات فى جزء من التركة:

﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾

(سورة النساء:٨)

ويدخل فى هذا الباب أيضاً التشريعات المنظمة لتقسيم الغنائم بجميع أشكالها، وفرض الكفارات المالية

(٢) أ.د/ أحمد مختار عمر، معجم الألفاظ الحضارية، قاموس القرآن الكريم، مؤسسة الكويت للتقدم العلمى، الكويت ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢م.

فى عدد من التجاوزات، وأنواع من الوقوع فى المحظور.

(ب) فروض الكفاية:

من سمات المجتمع المتوازن فى الإسلام ما عرف فى الشريعة باسم: «فروض الكفاية»، فكل علم أو صناعة أو حرفة أو نظام أو مؤسسة تحتاج إليها الجماعة المسلمة فى دينها ودنياها، يكون تحقيقها فرض كفاية على المسلمين، على معنى أنه إذا قام بها عدد كافٍ فقد ارتفع الحرج، وسقط الإثم عن باقى الجماعة، وإلا أثمت الجماعة كلها واستحقت عقوبة الله.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الكفاية فى بعض المجالات ـ كالعلم مثلاً ـ ليست أن يوجد فقط من يعرف هذه العلوم، بل من يحسن الأداء، بحيث يستمر تحقيق المصلحة على أسس ثابتة.

وعلى من يكلف بهذا الغرض من أهل الاختصاص أن يستفرغ الوسع لإتمامه، وإذا لم يتوفر من يقوم بهذا العمل على النحو الذى يحقق إعزاز الأمة، فإن التبعة عامة، والمسئولية شاملة للجميع.

وبصورة عامة يعتبر المسلمون مسئولين مسئولية تامة عن تنفيذ شريعة الإسلام، وإقامة حدوده.. ومن هنا كان خطاب التكليف فى القرآن الكريم إلى الجماعة، وتكرر قوله ـ تعالى ـ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾

(النور- ٢٧)

فى آيات كثيرة بهذه الصيغة الجماعية ليؤكد وجود التكافل بين الجماعة فى تنفيذ ما أمر الله، واجتناب ما نهى عنه.

(جـ) فى مجال الآداب الاجتماعية:

يطول الحديث فى هذا الباب عن التوجيهات المتضمنة آداب التعامل فى الإسلام بما يحفظ خصوصيات الإنسان، ويصون كرامته، ويقرر حق استقلاله الشخصى.. وربما كان أبرز ما اهتم الإسلام بتفصيله آداب الاجتماع واللقاء على جميع المستويات، وفى عموم الأوقات، مثال ذلك: إلقاء التحية بإفشاء السلام، والمصافحة عند اللقاء، وتشميت العاطس، والتزاور، والتهادى، وعيادة المريض، وتعزية المصاب، وصلة الأرحام، وإحسان الجوار، وإكرام الضيف، وحسن الصحبة فى السفر والحضر، والبر باليتامى والمساكين وابن السبيل، والتعاون على البر والتقوى، واحترام نظام الجماعة، والطاعة لأولى الأمر فى المعروف، وغير ذلك مما يجعل حياة الجماعة الإسلامية آمنة مطمئنة بعيدة عن كل صور الحقد والحسد والبغضاء والتنازع.

ويكفى أن ندلل على ذلك ببعض الآداب الاجتماعية التى وضعها القرآن

الكريم للتعامل داخل البيوت فى تسلسل زمنى يبدأ من لحظة القدوم، وينتهى بلحظة المغادرة، على النحو التالى:[٣].

١- الاستئذان.. أو الاستئناس من أجل الدخول، وقبل ولوج المكان.. قال - تعالى -:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ﴾

(سورة النور:٢٧)

ولا يقف الاستئذان عند قدوم الغريب، بل يمتد كذلك ليشمل المحارم البالغين داخل المسكن الواحد، حين يكون لكل منهم مأواه الخاص به، قال - تعالى -:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا ﴾

(سورة النور: ٥٨-٥٩)

٢- فإذا ولج المكان وسُمح له بالدخول فعليه أن يلقى السلام على الموجودين. قال - تعالى -:

﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

(سورة النور:٦١)

٣- فإذا أراد الجلوس وكان المكان ضيقاً، أو مزدحماً، وجب على الحاضرين أن يفسحوا له بجوارهم. قال - تعالى -:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾

(سورة المجادلة، الآية:١١)

٤- فإذا امتد حبل الكلام بين الحاضرين يجب أن يلتزم الجميع بأدب الحوار، ويتجادلوا بالحسنى. قال - تعالى:

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

(سورة النحل:١٢٥)

وحتى مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى يجب الالتزام بأدب الحوار: قال - تعالى -:

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

(سورة العنكبوت:٤٦)

وإذا وجد فى الجالسين من هو أكبر

(٣) المرجع السابق.

سناً، أو أرفع مكانة، فيجب ألا يعلو صوت على صوته. قال - تعالى -:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ ﴾

(سورة الحجرات:٢)

٥- وإذا دار حديث عن أشخاص حاضرين أو غائبين وجب الالتزام بآداب الإسلام، وترك الغيبة والنميمة والهمز واللمز. قال - تعالى -:

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾

(سورة الهمزة:١)

وقال - سبحانه -:

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾

(سورة الحجرات:١٢)

وقال - جل وعلا-:

﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾

(سورة الحجرات: ١١)

٦- فإذا كان المجلس على طعام وجب على المدعوين ألا يحضروا مبكرين، وينتظروا تجهيز الطعام، فإذا انتهوا من الأكل كان عليهم أن ينصرفوا ولا يطيلوا البقاء حتى لا يؤذوا صاحب الدعوة وأهله. قال - تعالى -:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾

(سورة الأحزاب:٥٣)

بهذا كله، نعرف كيف أقام الإسلام - بالتشريع والتربية- التوازن المعجز فى حياة الأفراد والمجتمعات وجعل كل الحقوق والحريات مقيدة برعاية أخلاق المجتمع وعقائده وقيمه ومثله العليا.

- يتبع -

***

كتاب الشهر

الإسلام شريكاً

دراسات عن الإسلام والمسلمين

تأليف: فريتس شتيبات

ترجمة: د/ عبدالغفار مكاوى

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

٢

على الرغم من وضوح الفارق بين الإسلام دين الله تعالى، الذى بعث به محمد - ﷺ -، وبين فهم البشر لمضامين هذا الدين، وتوزعهم - بسبب فهمهم - فرقاً وطوائف يحمل أكثرها شعار الإسلام، ويتكلم كل منها باسم الإسلام، بل قد يزعم أحدهم أنه وحده الممثل الصادق للإسلام.

على الرغم من وضوح الفارق بين هذا وذاك... نجد من دارسى الإسلام من يغفلون عن هذا الفارق، وقد يتغافلون عنه لحاجة فى أنفسهم، ومن يدفعهم الانخراط فى البحث إلى استعذاب التفسير والتأويل، فلا يشغلون أنفسهم بتقدير الفوارق بين الظروف التى لابست الأسلاف فى تشكيل رؤاهم، فيحاسبونهم بموازين العصر، ويقومون سلوكهم بمعايير المحدثين ومفاهيمهم... فيدفعهم هذا وذاك بعيداً عن الرؤية البصيرة، والتقدير الصائب، وهم يظنون أنهم يحسنون صنعاً.!

ونحن بالنظر المتفحص الناقد لكتاب «الإسلام شريكاً» نحاول أن نتعرف على الأستاذ «فريتس شتيبات» فى محاولته التعرف على الإسلام، والتعريف به..!

الإسلام والأصولية

ويصرح «شتيبات»: أنه إذا كان الفكر الأصولى - على ما ذكره الأستاذ مارتين ريزنبروت - ينشأ عن تجربة عميقة بالأزمة، ترى أن تلك الأزمة نتاج الانحراف عن المبادئ التى جاءت بها الكتب المقدسة، ولا خلاص من تلك الأزمة إلا بالرجوع إلى هذه المبادئ الإلهية... إذا كان الفكر الأصولى ينشأ عن ذلك، فإن ردود فعل المجتمعات الإسلامية فى العصر الحديث إزاء تفوق الغرب وأطماعه التسلطية لم تكن ذات طابع أصولى، فقد بذلت معظم المجتمعات الإسلامية جهوداً متصلة لمواجهة هذه التحديات ومازالت تبذل.

ولم تبدأ الجماعات الأصولية الإسلامية فى القيام بدور مؤثر إلا فى القرن العشرين، ولم تبرز بصورة واضحة إلا فى منتصف القرن العشرين... الأمر الذى ينبئ أن هناك أسباباً أخرى تدفع إلى ذلك.

وبالبحث يتبين: أن هذا التوجه الأصولى لتلك الجماعات قد نجم عن مجموعة من الإحباطات، تتمثل فى:

١- محاولات التنمية الاقتصادية والاجتماعية دون جدوى، بسبب الاندماج فى السوق العالمية الذى أضر بالسوق المحلية، وأصاب الاقتصاد القومى بالعجز، حتى أصبح الشباب لا يرى أى أمل فى حياة جديرة بكرامة الإنسان.

٢- السخط على الحكومات؛ لدورها فى تعثر مشاريع التنمية، وحرمان الشعب من المشاركة فى القرارات السياسية، وفى تبادل السلطة، مما جعل الشعوب تشعر بأن الخضوع لهذه الحكومات الفاشلة يمثل عبئاً ثقيلاً عليها.

٣- قيام النظام العالمى على الظلم والكذب؛ حيث يؤكد الواقع أن القيم والمثل العليا التى تتشدق بها القوى الغربية المهيمنة إنما هى شعارات كاذبة، وأن تلك القوى لا تسعى إلا لتحقيق مصالحها الأنانية، وأنها تعتمد على معايير مزدوجة تضر بمصالح الشعوب الإسلامية والعربية، فلا أثر لحقوق تقرير المصير، ولا وجود للشرعية التى يقوم عليها النظام العالمى. كما يوضح ذلك موقفها من مشكلة الصراع فى الشرق الأدنى، والصراع بين العرب وإسرائيل، وتلك المآسى التى عاناها مسلمو البوسنة.

فكان من الطبيعى أن يعبر المسلمون عن ضيقهم بتلك الإحباطات من خلال المفاهيم المفهومة لديهم، والمستمدة من دينهم.

ولا أدل على ذلك من أن هذا التوجه الأصولى لم يتسم بالتجانس والتوحد، بل إنه برز فى هيئات مختلفة، لعل أبرزها:

١- اتجاه التطرف المطلق، ويمثله هؤلاء الذين يطالبون بنظام إسلامى ينقذ العالم، وهم يرفعون شعار التكفير والهجرة، معلنين أن مخالفيهم ملحدون، وأن جميع الدول الراهنة كافرة، يجب مجاهدتها والقضاء عليها... وهذا الاتجاه ليس له أنصار كثيرون، بل إن آراءهم ووجهات نظرهم، يرفضها كثيرون من المسلمين ذوى التفكير الأصولى.

٢- اتجاه المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية؛ لأنها هى التى توفر للمؤمنين نظاماً ثابتاً ومحدداً، يهديهم إلى الحق فى مواجهة المشكلات الحاضرة. وهؤلاء لا يشغلون أنفسهم كثيراً بأن النصوص المقدسة تحتاج دائماً إلى التفسير، ويرفضون المناقشات

التى خلفها الفقهاء المتقدمون.

٣- اتجاه البحث عن الهوية، وهؤلاء لا يعادون مخالفيهم لمجرد أنهم تنكبوا طريق الله، بل لأنهم يطالبون بالتبعية العقلية والحضارية للغرب، فهم يشعرون بالحاجة الشديدة إلى نظام خاص بهم، يميزهم عن كل ما هو أجنبى، ويمدهم بالقدرة على تأكيد ذواتهم.

ويخلص «شتيبات» من هذا الاستعراض للأصولية.. بالتأكيد على أن الإسلام لا يمثل أى تهديد للعالم؛ إذ الأصولية فيه إنما هى رد فعل لموقف تاريخى محدد، صادر عن العالم الغربى؛ فيجب على العالم الغربى أن يغير سياسته مع المسلمين ليتلاشى السبب فى نشوء تلك الأصولية؛ لأننا إذا تأثرنا بالظواهر الأصولية الإسلامية فى رسم صورة الإسلام، واتخذناه عدواً لنا بناء على تلك الصورة، فسوف يترتب على ذلك عواقب وخيمة... أهمها:

١- العجز عن تدبر الوسائل التى تساعدنا على الأسباب المنشئة للأصولية الإسلامية.

٢- دفع المسلمين إلى الأصولية، لأننا بترويج معاداة الإسلام لنا سوف نؤكد شعور المسلمين بأنهم محاطون بقوى معادية، تتربص بالإسلام، وتسعى للقضاء عليه.

٣- الإصرار على إبراز الإسلام فى صورة العدو لنا يزيد من أسباب العداء للأجنبى الذى تقاسى منه مجتمعاتنا.

وهذا يعنى: أن أهم شىء يجب مراعاته فى تعاملنا مع الأصوليين الإسلاميين... هو تفهم الدوافع التى تحركهم تفهما عميقاً، ونؤكد لهم أننا نريد أن نفهمهم، لا أن نحاربهم.



د. محمد عمارة

التقاء الإسلاميين والعلمانيين

والأستاذ «شتيبات» ـ فى الفصل الرابع «العلمانيون والإسلاميون» ـ ينبه ابتداء إلى اعتماده فى هذا الفصل على ما كتبه الدكتور محمد عمارة، ومن هذا... ينبه إلى تعدد الجماعات العلمانية والإسلامية تعدداً يصعب معه التعرف على حقيقة كل جماعة؛ لأن مصطلح «الإسلاميين» قديم الاستخدام فى القديم ـ من جهة ـ ومتنوع الاستخدام فى المستحدثات من جهة أخرى. وكذلك مصطلح «العلمانيين» يضم فصائل مختلفة ومتنوعة، على الرغم من أنه فى نشأته الغربية عنى شيئاً واحداً، هو: كل من يرفض تدخل الكنيسة أو سيطرتها فى شئون الدولة، ويجعل العالم والواقع والدنيا المنطلق الوحيد، والمصدر الأوحد للفكر والممارسات الدنيوية.

والدكتور عمارة يتناول من فصائل العلمانيين ثلاث فصائل أبرزها:

أ) العلمانيون والثوريون... وهم الذين يتجاوزون المطالبة بالفصل بين الدين والدولة، إلى المطالبة باقتلاع الدين والتدين من المجتمع

بأسره... لهذا فهؤلاء غير مؤهلين لأن يكونوا طرفاً فى حوار مع الإسلاميين.

ب) العلمانيون الداعون بوعى لتبعيتنا للغرب.. وهؤلاء يعادون الدعوة إلى الاستقلال الحضارى، والاستقلال الذى يدعون إليه هو استقلال الوطن عن ماضيه، وتراثه، ومكوناته الإسلامية، حتى يمكن إلحاقه بالمركز الحضارى الغربى... وهؤلاء ـ كذلك ـ غير مؤهلين لأن يكونوا طرفاً فى حوار مع الإسلاميين.

جـ) العلمانيون الداعون إلى فصل الدين عن الدولة، مع تدينهم بعقائد الإسلام؛ منطلقين من الاعتقاد بأن نهضة الأمة لا تتم إلا على النحو العلمانى الذى تمت عليه حضارة الغرب... وهؤلاء وحدهم المؤهلون للحوار مع الإسلاميين.

والدكتور عمارة ـ كذلك ـ يقسم التيار الإسلامى أربع مجموعات هى:

١- النصوصيون ـ أو الأصوليون ـ وهم الذين لا يرون أبعد من ظواهر النصوص وحرفيتها... وهؤلاء يتعاملون مع التراث بالقدسية التى يتعاملون بها مع الوحى الإلهى المُنَزَّل، والسُّنَّة النبوية الثابتة؛ لهذا فهؤلاء غير مؤهلين للحوار مع العلمانيين.

٢- المغالون.. وهم الغاضبون على تيار التغريب، والعاجزون عن تقديم البديل، والذين علا صوتهم بحركة الصحوة الإسلامية، ورفعوا شعارات مثل «التكفير»، و«الجاهلية»... وهؤلاء ـ بسبب غُلُوهم، وعدم اعترافهم بالآخر ـ لا يصلحون للدخول فى الحوار.

٣- الحركات الإسلامية الكبرى... وهى ـ فى أغلبها ـ حركات اعتدال ووسطية، ويضم بعضها مفكرين لامعين ومتميزين.. وهؤلاء مؤهلون لتمثيل الطرف الإسلامى فى الحوار المرجو، ولا يعوقهم عن المشاركة فى الحوار ـ على الأقل فى مراحله الأولى ـ إلا ما يفرضه عليهم الالتزام التنظيمى ـ أو الحزبى ـ من سمات عدم توافر المرونة اللازمة، وما قد يكون من ثارات بينهم وبين كثير من العلمانيين، يمكن أن تسمم جو الحوار.

٤- فصيل الاجتهاد والتجديد الذى استطاع ـ من خلال نشر الكثير من الأعمال الجادة ـ أن يثبت إبداعه واجتهاده، وتجديده فى ميدان الفكر الإسلامى، وأن يقدم نموذجاً للحضارة الإسلامية، بديلاً من النموذج الغربى.

ويعلق الأستاذ «شتيبات» على مقترحات الدكتور عمارة: بأنها جادة غاية الجد، ترسم الحدود التى يجب أن يتم الحوار فى إطارها، ولكن هذه المقترحات تثير ـ برفض الحوار مع دعاة التبعية الغربية ـ إشكالية وضع هذه الجماعة فى صفوف غير المسلمين، وتسويتهم بأعداء الإسلام. والواقع يقرر: أن تبادل الخبرات مع غير المسلمين الذين يواجهون مشكلة العلمانية، يمكن أن يكون أمراً مفيداً.

ويرى: أن الدكتور عمارة يتحدث عن مشروع حضارى يحقق استقلال الأمة وازدهارها، ويضمن حماية هويتها، فهو

يصرح: بأن شروط هذه النهضة وعلومها وموادها ليست كلها ديناً خالصاً... ويترتب على هذا: أن قبول العلمانيين الوطنيين للمشاركة فى الحوار؛ لأنهم سيشاركون فى الحوار يساهمون فى العمل المشترك فى المشروع الحضارى للأمة، وليس فقط لأنهم لم يغادروا أرض الإسلام.

ومما أثار انتباه الأستاذ «شتيبات»: أن تصور الدكتور عمارة - الذى يصف نفسه بأنه إسلامى - للنزعة الإسلامية لا يضفى أهمية كبرى على فكرة تطبيق الشرع، بينما يلح عليها معظم الإسلاميين.

وهذا يعنى: أن وجهة النظر هذه توضح مدى اتساع مجال العمل أمام الحركات الإسلامية، وإن كانت لا تعبر عن موقف جميع الاتجاهات الإسلامية.

ويخلص «شتيبات» من هذا إلى أن المناقشات الدائرة فى الوقت الحاضر بين المسلمين عن الدور المنوط بدينهم فى العالم المعاصر تتم بصور أكثر دقة وعقلانية مما تتصور وسائل الإعلام وخبراؤها الذين يتعرضون للكلام عنها.

وهذا يعنى: أن المتأمل من الخارج لما يجرى فى البلاد الإسلامية يجب أن يتجنب التعميمات السطحية المتسرعة التى تصور الإسلام فى هيئة العدو. وأن يقدر الاختلافات فى وجهات النظر، وفى الدوافع، والمصالح التى تكمن وراء الحركات الإسلامية، والنظر إليها بعين الاعتبار.

الأمل بين الإيمان والعمل

وفى الفصل الخامس «الإيمان يعطى الأمل فى النجاة» يلح الأستاذ «شتيبات» فى إحدى القضايا التى أثارت جدل المسلمين وحوارهم فى القديم، وفى الحديث، وهى قضية «وعد الله تعالى بالجنة، وتقيده بهذا الوعد»؛ إذ أن القرآن الكريم يكرر على الدوام وعد الله بالجنة لأولئك الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

وينبه «شتيبات» إلى أن مناقشات حامية حول هذه القضية بدأت فى مرحلة مبكرة من التاريخ الإسلامى، ولَدتْ مذاهب ومدارس، وفرقاً كلامية وشرعية متعددة، لم تلبث أن تحولت إلى صيغ ومذاهب شديدة التعقيد؛ لقيامها - فى الغالب - على جدل لفظى مصطنع، يسعى إلى تحقيق الانتصار الشخصى، وليس للوصول إلى الحقيقة.

كما ينبه إلى أن كتابات الإسلاميين المحدثين تُشْعر - بل تصرح - بكراهية هذه الوجهة فى المناقشة والجدل، لدرجة التحذير من تكرارها. حتى لقد أعلن الشيخ محمد الغزالى سخطه الشديد على تلك الخصومات المفتعلة التى تدور على هامش المجتمع؛ لأسباب شخصية. أو لمؤامرات سياسية، بينما أعلن الشيخ محمود شلتوت: أن النقاط التى تثير مثل هذا الجدل ليست من مواد الإيمان التى فرضها الدين.

ويذكر «شتيبات»: أن هذه الرؤية الحديثة لمثيرات الجدل لم تؤثر بوضوح فى بعض

الكتابات المعاصرة عن تلك الموضوعات.

ويقدم «شتيبات» من بين تلك الموضوعات التى أثارت الجدل قديماً - ومازال بعض المعاصرين يثيرونها - موضوع «الإيمان والعمل»، حيث يرى بعضهم أن العمل جزء من الإيمان؛ فمرتكب الكبيرة لا يُعدّ مؤمناً. ويرى آخرون أن العمل ليس جزءاً من الإيمان، وأن ارتكاب الكبيرة لا يُخرج المؤمن عن إيمانه.

ويستعرض «شتيبات» بعض الكتابات الإسلامية الحديثة التى تميل إلى هؤلاء أو إلى أولئك، أو تنهج نهجاً وسطاً، ولا يكفر أحداً يدين بدين الإسلام بسبب إثم ارتكبه ما لم يعلن أنه أمر مسموح به، ولا ينفى مجازاة الآثم على ما ارتكب.

ويخلص من هذا الاستعراض المفصل إلى تقرير: أن وجود تلك الخلافات بين الاتجاهات العديدة فى الفكر الإسلامى يجب أن لا تصرفنا عن الانبهار بالقدر الكبير الذى اتفقت فيه، مثل: اليقين بأن المسلم يضمن نعمة الخلود فى الجنة بفضل إيمانه.

كما يجب أن لا يغيب عنا أن النتائج التى توصلت إليها هذه النخبة الكبيرة من المفكرين الإسلاميين لتتجاوب - بكل تأكيد - مع النزوع الدينى العميق، الكامن فى الإسلام.

ومن هنا... يقرر «شتيبات»: أن ما يقرره بعض المجادلين المسيحيين من أن الإسلام يؤمن بالتبرير عن طريق الأعمال، أو أن الأخلاق الإسلامية لا تمد جذورها فى قلب الإنسان...



محمد الغزالى



محمود شلتوت

إنما هى أحكام بعيدة كل البُعد عن الحقيقة.

الإنسان فى الإسلام

ويذكر «شتيبات»: أن منزلة الإنسان فى الإسلام بالنسبة إلى الله تختلف اختلافاً كبيراً عما هى عليه فى اليهودية والمسيحية؛ لأنهما تصدقان بما جاء فى الكتاب المقدس من أن الله قد خلق الإنسان على صورته [سفر التكوين: ١، ٢٦-٢٧] بينما يرفض الإسلام هذه الصيغة؛ لنفوره من أى نزعة تشبيهية. والحديث الشريف الذى يتفق ظاهره مع الصيغة اليهودية المسيحية - وهو قوله ﷺ -: «خلق الله آدم على صورته» - هذه الصيغة فسرها ابن حزم بأنها تعنى: خلق الله آدم على صورة آدم التى اختارها الله - تعالى - له من بين الصور الكثيرة التى فى علمه لكى يسويه طبقاً لها. وبذلك يتفق الحديث فى قوله تعالى:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾

(الشورى: ١١)

ويرى «شتيبات»: أن كلمة «خليفة» التى

وصف بها الإنسان فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

(البقرة: ٣٠)

يرى أن هذه الكلمة تُعدُ مفتاحاً مهماً لتحديد منزلة الإنسان فى الإسلام.

ويرى: أن القرآن لم يتضمن تحديداً لمن يخلفه هذا الإنسان، لكن المستعرب الألمانى «رودى باريت» رأى: أن الكلمة تعنى أن آدم وأبناءه سيخلفون ـ فى المستقبل ـ الملائكة، أو الكائنات الروحية بوجه عام، ويسكنون الأرض.

وباستعراضه آراء بعض المفسرين المسلمين لهذه الآية، وبتتبعه لبعض الآيات الكريمة التى وردت فيها كلمة «خليفة» أو مشتقاتها... يقدم عدة احتمالات لمعنى الكلمة هى:

١- اللاحق للجماعات والأجيال السابقة.

٢- من يخلف الحكام السابقين.

٣- نائب الله فى أرضه.

٤- المتصرفون فى أرض الله.

ومن هذا الاستعراض المقارن بين آراء المفسرين... ينبه «شتيبات» إلى شعوره بأن هناك عدداً محدوداً من المفكرين المحدثين لا يهتمون بموضوع النيابة عن الله إلا لكى يستمدوا منها أفكارهم الديمقراطية فى السياسة والمجتمع.

ويخلص «شتيبات» من استعراضه هذا إلى أن المسلمين ـ على مر العصور خصوصاً فى العصر الحديث ـ قد اتجهوا إلى تصور للإنسان يزيد فيه عن أن يكون ـ بالنسبة إلى الله ـ مجرد شىء أو موضوع، فهو مخلوق مكلف بأداء وظائف إلهية معينة، فهو شبيه بالله من بعض النواحى.

وينبه إلى أن هذا التصور يعنى إعادة تفسير مصطلح قرآنى بما يخالف معناه الأصلى؛ لشعور المسلمين بحاجة ملحة إلى بلوغ هذه المرتبة الرفيعة، خصوصاً مع سماح التصور العام للإنسان فى القرآن بهذا التغير والتطور فى الفهم والتفسير.

إلى المسلمين فى ألمانيا

وفى الفصل السابع «نحو تنظيم موحد للمسلمين فى ألمانيا» يجرد الأستاذ «شتيبات» نفسه لتوجيه نصحه إلى المسلمين فى ألمانيا؛ كى يكون لهم دور فعال ينتزع الاعتراف الكامل بهم من الدولة التى يعيشون فيها.

ونصحه هذا يتضمن حتمية إنشاء تنظيم يجمع شملهم، وأن يكون إنشاء هذا التنظيم الموحَّد للمسلمين من شأن المسلمين أنفسهم؛ يقيمونه على تأكيد مبدأين هما:

١- تجاوز الحدود القومية التى لا يعترف الإسلام بوجودها، خصوصاً حدود اللغة التى يمكن أن تصبح عائقاً ـ إذا لم تتجاوز ـ يمنع التفاهم بين تجميع مسلمين أتراك، ومسلمين أكراد، ومسلمين إيرانيين، ومسلمين عرب، على اختلاف مشاربهم... مع مسلمين ألمان.

ولا ريب فى أن الإسلام ـ بطبيعته العالمية ـ خير معوان على تجاوز هذا العائق، والخلوص لإيجاد أشكال عملية وعادلة لإطار دولى يضم جميع تلك الأطراف.

٢- والمبدأ الثانى الذى يجب التأكيد عليه... هو اعتماد هذا التنظيم على التسامح الذى ييسر له قبول التجاور والتعاون مع التصورات والاتجاهات والمذاهب الإسلامية المختلفة، ورفض التقوقع داخل تصور أو مذهب بعينه... بعد الاتفاق على الثوابت التى لا يجوز للمسلم أن يتعداها، والتذكر الدائم للتعبير الإسلامى السمح: «اختلافهم رحمة».

فبالتأكيد على هذين المبدأين يستطيع المسلمون ـ على اختلاف اتجاهاتهم ومذاهبهم ـ أن يتقبل بعضهم بعضاً، ويتحاوروا مع بعضهم، ويعبروا عن مصالحهم.

وأول ما خطر ببال «شتيبات» من هذه المهام والمصالح التى تناط بهذا التنظيم... التعليم الدينى الذى يستحب أن يرسخ وجوده ـ على المدى الطويل ـ فى المدارس العامة.

ويرى: أن دور المسلمين الألمان ـ داخل هذا التنظيم ـ دور رئيسى؛ إذ هم المؤهلون للقيام بدور الوسيط بين الدولة الألمانية والرأى العام الألمانى من جهة، وبين الجماعة الإسلامية من جهة أخرى؛ فإن لهم دوراً خاصاً فى تعليم الدين الإسلامى فى المدارس باللغة الألمانية، وتأهيل المعلمين الأكفاء للقيام بهذه المهمة الجليلة.

ويأمل «شتيبات» أن ينتفع المسلمون من معرفة التجارب التاريخية التى مر بها المسيحيون واليهود، ويفيدوا من متابعة المناقشات التى تدور فى هذه الأيام بين المسيحيين واليهود، واستخلاص الدروس منها.

تطور الجماعة الإسلامية

وفى الفصل الثامن

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا ﴾

الأنفال: ٧٢

حاول «شتيبات» أن يقدم صورة للجماعة الإسلامية ـ فى مبتدأ الأمر ـ بعد الهجرة إلى المدينة، معتمداً ـ فى ذلك ـ على ما قدمه الباحثون المستشرقون، وما تيسر له من آراء مفسرى القرآن الكريم القدامى والمحدثين؛ فرأى أن الجماعة الإسلامية بدأت تحالفاً بين عشائر، يضم المهاجرين والأنصار، ولم يكن تجمعاً بين أفراد؛ إذ كان المهاجرون من قريش يمثلون عشيرة دخلت فى حلف مع عشائر المدينة.

وتوقف «شتيبات» أمام مكان الذين آمنوا ولم يهاجروا من هذا الحلف، متسائلاً: هل هم جميع البدو ـ أو الأعراب ـ الذين آمنوا، أم هم بعض هؤلاء، الذين تبين أنهم لم يؤمنوا، ولكنهم قالوا أسلمنا، ولما يدخل الإيمان فى قلوبهم؟.

ولما لم يسعفه ـ فى التعرف على ذلك ـ ما وقف عليه من الروايات والنقول الدائرة حول

تفسير القرآن والأحاديث النبوية.. انتقل إلى المناقشات الفقهية التى ثار فيها الجدل حول وضع البدو المسلمين؛ فوجد أن تلك المناقشات لم تتطرق للتوجهات الخاصة بالجهاد، وإنما اهتمت بمناقشة الحق فى الحصول على نصيب من الموارد التى تأتى من البلاد التى فتحها المسلمون. وأول من نظم توزيع هذه الموارد... هو الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - الذى أمر بإثبات أسماء المستحقين فى قوائم سُمِّيَت الدواوين.

وخلص «شتيبات» من ذلك.. ليقرر أن تلك المناقشات الفقهية أبرزت معياراً آخر - غير معيار الهجرة - تتحقق به العضوية فى الأمة الإسلامية، هو معيار «إعلان الإسلام» حيث أصبح من السهل على من يريد أن يكون عضواً كاملاً فى الأمة أن يعلن إسلامه، اكتفاء بإحلال المشاركة فى الجهاد محل الهجرة، حيث حلت المشاركة فى الجهاد محل الهجرة، وأصبحت هى المعيار الذى يقاس عليه إيمان المسلم الصحيح.

وهكذا... تطورت مكونات الجماعة الإسلامية «الأمة» بتطور الأحداث والمواقف؛ فبعد أن كانت تلك المكونات مقصورة على المهاجرين والأنصار... اتسعت لتشمل كل من يعلن إسلامه ويشارك فى الجهاد.

حقيقة الصحوة الإسلامية

وفى الفصل التاسع «الدور السياسى للإسلام» ذكر «شتيبات»: أن الموجة التى يطلق عليها «الصحوة الإسلامية» تتكون - فى حقيقتها - من مجموعة متنوعة من الحركات الفردية التى تحددها الظروف المختلفة فى البلاد الإسلامية.

ومع هذا الاختلاف.. يرى المتفحص: أن بينها سمات مشتركة؛ من أبرزها سمتان، هما: الشعور المتجدد بالتضامن الإسلامى، والموقف التاريخى العام لكل الشعوب التى مازالت متخلفة بالنسبة للدول الصناعية الحديثة، فلا تملك إلا أن تظل معتمدة عليها، تابعة لها.

وهذه الشعوب جميعها على وعى تام بأن سبب تخلفها الذى فرض عليها تلك التبعية.. إنما هو السيطرة الأجنبية - اقتصادياً وسياسياً - التى أفرزت ما تعانيه اليوم من تخلف سياسى، واقتصادى، وحضارى.

والشعوب العربية أوضح مثال على ذلك؛ فقد تصورت أنها - بعد الحرب العالمية الثانية - قد حققت استقلالها، ولكن سرعان ما تبدد هذا التصور بعد زرع دولة إسرائيل فى وسط البلاد العربية، بطريقة تقطع الأمل فى التخلص منها، خصوصاً مع تلك الصراعات الفاشية بين جميع الدول العربية، والتى تُعَد من صنع المستعمر الأوروبى.. الأمر الذى دفع بها إلى فرض النظم العسكرية المرتكزة على الحزب الواحد، بما يتولد عن ذلك من قمع للحريات، وإجراءات بوليسية، كما تُقَرِّر الشواهد الماثلة فى واقع البلاد العربية.

وما أصاب البلاد العربية أصاب البلاد

الإسلامية، وإن بدا فى صور مختلفة بعض الشىء، كما هو الحال فى تركيا وإيران مثلاً... فلم يكن بُدٌّ أمام الشعوب الإسلامية إلا أن تشعر بخيبة أمل مريرة، سرعان ما تحولت إلى تمرد وثورة، بدلاً من أن تتحول إلى التحديث النافع، بل إلى نوع من التحديث الذى لا يجلب إلا الضرر الشديد.

فكان من الطبيعى - إزاء ذلك كله - أن يتوجه الناس - فى مجموعهم - إلى المألوف لديهم، ويستمدوا القوة من منابعهم.. وهو الدين الإسلامى.

ولا ريب فى أن هذا ليس شيئاً جديداً ولا غريباً؛ لأن الإسلام هو الأساس المميز لهوية الجماعة الإسلامية، بينما الانتماء للبيئات الدنيوية الأخرى - كالوطن أو الطبقة - أمر ثانوى يضاف للانتماء الإسلامى.

اتجاهات الصحوة الإسلامية

غير أن جماعة المثقفين لم تنطلق فى هذا التيار الجماعى؛ لميلها إلى التأمل فى إشكالية التطورات الحديث، فسرعان ما أدركوا ضرورة التعلم من الأجانب المتفوقين، والتكيف مع نظامهم العالمى الجديد، ولو فى حدود معينة، مع إحساسهم بالحاجة الشديدة للجوء إلى السند الخاص، وفق ما تمليه عليهم اتجاهاته، من كل ما أنشأ اتجاهات داخلية؛ من أبرزها:

١ - اتجاه أصحاب النزعة التراثية، الذين يشعرون أنهم زُحْزِحوا عن أماكنهم التقليدية، والذين يسعون للحفاظ على ما توصل إليه العصر الإسلامى الوسيط.. وهذا الاتجاه يحوج الدارس للنظر فى النظام القانونى، والقضائى، والتعليمى؛ إذ لا يعنى أصحابه إلا استعادة تأثيرهم القديم.

٢ - اتجاه أصحاب النزعة الأصولية الذين يَدْعُون للرجوع إلى الإسلام الأصلى الذى بلَّغَهُ لنا الرسول - ﷺ -، وهؤلاء يختلفون عن سابقيهم بنفورهم من علماء الدين التقليديين؛ لاعتقادهم أنهم مسئولون عن تردى المسلمين، وأن العصر الإسلامى الوسيط يمثل عملية تدهور مستمر للإسلام.

٣ - أصحاب الاتجاه الحداثى، ويتفقون مع الأصوليين فى رفض التاريخ الإسلامى الوسيط، ولكنه رفض للتحرر من عبئه التاريخى الضخم - وليس للرغبة فى إحياء الإسلامى الأصلى - وهم لذلك يكافحون لتفسير الإسلام تفسيراً نابعاً من المعارف العصرية المكتسبة.

٤ - أصحاب الاتجاه العلمانى الذين يؤمنون بأن على الإنسان أن يهتدى فى كثير من مجالات الحياة بالأُطُر الدُّنيوية والعلمانية... وكثير من هؤلاء لا يرون تناقضاً بين ذلك وبين إيمانهم الشخصى بالإسلام، على نحو ما يصنع المسيحيون، ولكن منهم من لا يعنيهم الدين فى شىء، ومن يرفضون الدين وينكرونه تماماً.

يتبع

مُحَرَّمُ

(للشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى)

من كبار شعراء العراق

يبشّر بالعام الجديد مُحرَّمُ ** وينعته كلٌ بما هو يزعمُ

فيوليه من إطرائه مُتفائلٌ ** ويكثر من ذمٍ له متشائِم

ولا يعلم الإنسان ماذا به له ** ومن فيه قد يشقى ومن فيه ينعم

ومن ذا الذى فيه المنايا تغوله ** ومن ذا الذى منهن ينجو ويسلم

جديدٌ، أجل، عام جديدٌ تجدّفى ** لياليه أحداثٌ بها لست أعلم

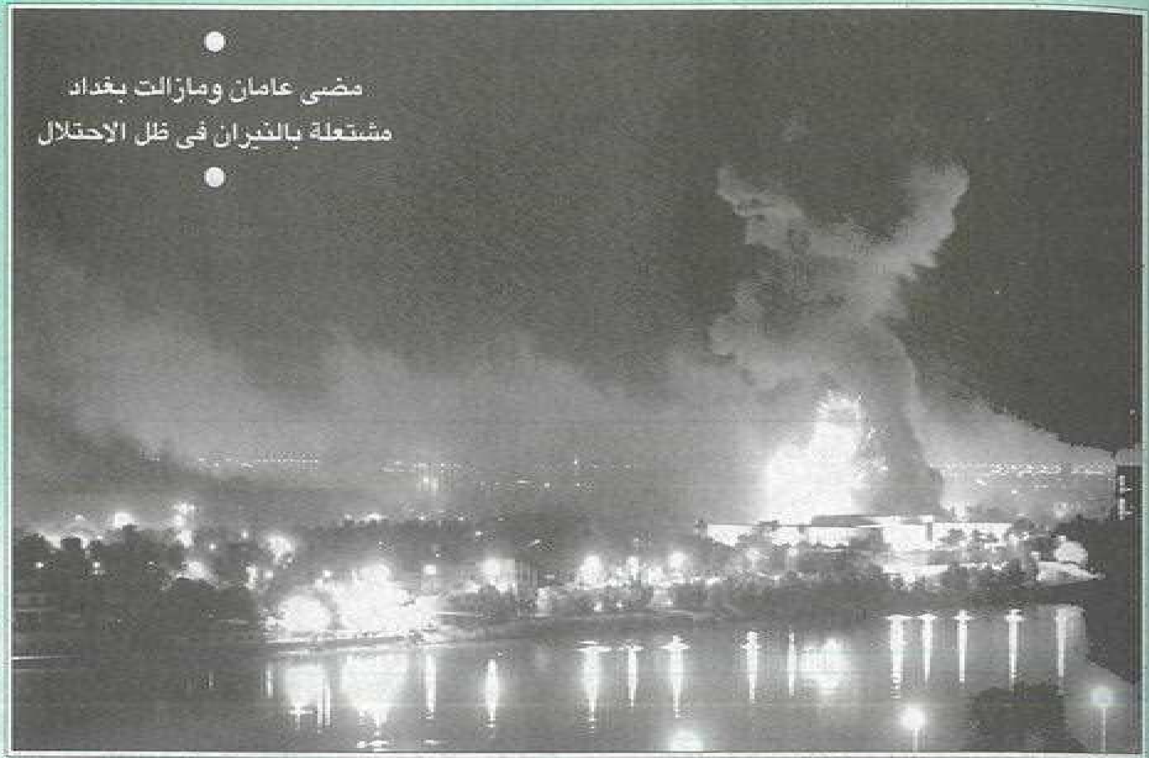
فيفرح قلبٌ بالكآبة مثقلٌ ** ويحزن قلب بالمسرّة مفعم

وربّ سعيدٍ بالشقاء مهدّدٌ ** وربّ شقيٍّ بالسعادة يحلم

ونفرح بالأعوام إمّا تصرّمت ** على أنّها من عمرنا تتصرّمُ

وددت لو أن العام قال منبّئاً ** وماذا يقول العام والعام أبكم؟

*** ** * * *



مضى عامان ومازالت بغداد مشتعلة بالنيران فى ظل الاحتلال

وللغرب أعوامٌ وللشرق مثلها ** ولكنما الأعوام فى الشرق تسئم

وفى الغرب أفراحٌ وفى الشرق غُمّةٌ ** وما الأرض إلا جنة وجهنم

شقيقان هذا ليل أبنائه بهم ** مضىء وهذا يوم أهليه مظلم

وتختلف الأخلاق إلا أقلّها ** ويختلف التفكير والعرق والدم

بلى اختلفا فالغرب منصرف القوى ** إلى فعله والشرق بالقول مغرم

ونحن تثبطنا، وهم قد تعجلوا ** ونحن تأخرنا، وهم قد تقدموا

وما كان مجدٌ كان يبنيه أهله ** كمجد بأيدى أهله يتهدّم

*** ** * * *

ومن لى بعـــام لا يشـابه غـيـره ** أرى فـيــه أظفـار البـغـاة تقـلّم

وأبخل أرض بالرجـولة بقـعـةً ** يضام الفتى فيـها ولا يتبـرم

إذا أنت لم تألم من الضغط غاضباً ** فـمن أى شىء فى حـياتك تألم؟

أدير عـيـونى فى الوجـوه فلا أرى ** سـوى الذل مـقـروءا ولا أتوسم

ليـحـزننى أن العنادل آثرت ** صـمـوتاً وأن الزهر لا يتبـسم

لقد صوّح الزهر الذى كان باسما ** ولم يبق للصـيـداح ذاك الترنم

يريدون ألا يشكو الحـزن ثاكل ** وألا يئن المثـخـن المتـألم

من الناس آلافٌ يعـضـهم الطوى ** وفى كل ألف واحـدٌ يتنعم

إذا عـجـز المكروب عن شـرح مـا به ** فـعلٌ دمـوع العين عنه تترجم

أمن قـام يشكو بثـه فـهـو مزعجٌ ** ومن قـال يبغى حقـه فهـو مجرم!

وإنـى لا أدرى وإن كـنـت داريـاً ** أقـومى تعامـوا أم عن الحق قد عموا

بنى وطنى لا تسكتوا عن حـقـوقكم ** ألـيس لكم منكم فمٌ يتكلم

لكم ثروة فى الأرض أتعابهـا لكم ** وأرباحـهـا للغرب نهبٌ مقسّم

ولا خـيـر فى بدء الفتى بجليلة ** إذا كـان عن عجـز له لا يتمم

ولا فـخـر إلا للذى هو مـاجـدٌ ** ولا مـجـد إلا للذى يتـقـحّم

ومـا الحـر إلا من إذا ضيم لم يَلن ** وإن قـال حـقـاً فـهـو لا يتلعثم



ويا رب فـرد قـد أتى فى جـهـاده ** بما لم يكن يأتى الخميس العرمرم

ومـا بال أبناء العروبة أصبحت ** على الذل أشـتـاتاً تشبّ وتهرم

ومـا بال أبناء العـروبة سلمت ** وقـد كـان عـهـدى أنها لا تسلّم

لآلام قـومى الصَّيد نفـسى تألمت ** لك الويل يا نفـسى التى تتألم

ومـا خـفـقـان القلب مـا أنت سامعٌ ** ولكنه آمـال قـوم تحطّم

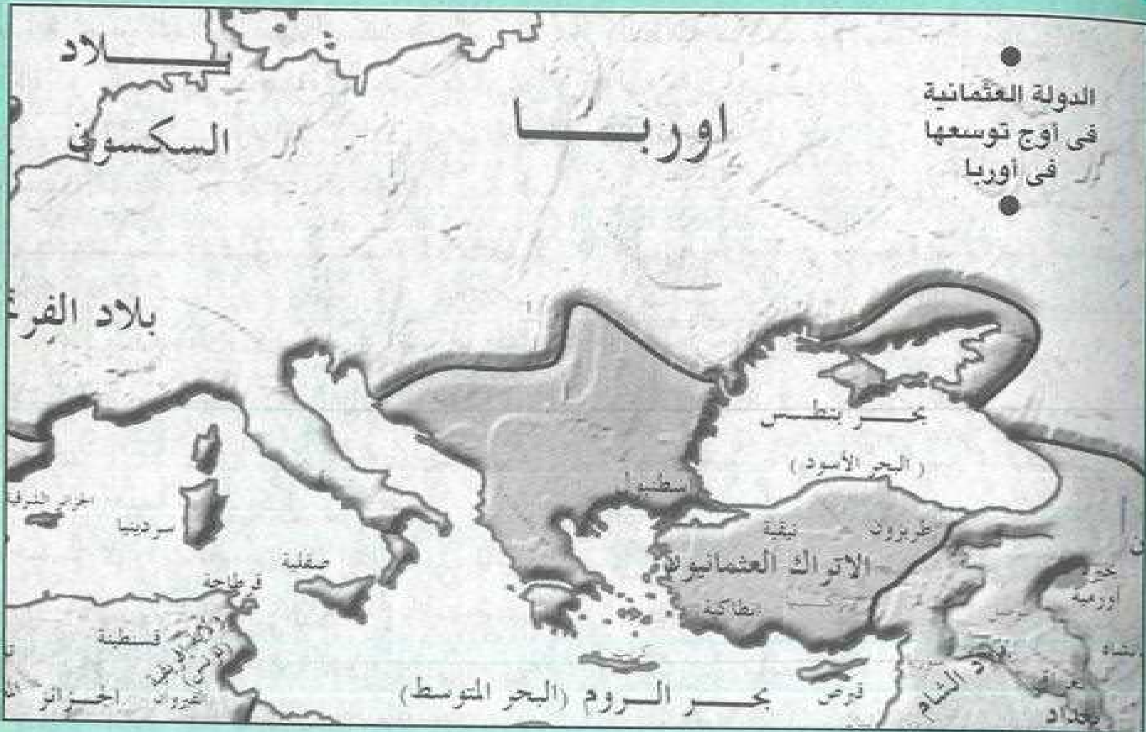
تركيا المسلمة.. والنادى المسيحى الأوروبى

للأستاذ الدكتور
محمد عمارة

لقد ارتبطت تركيا ـ وكذلك ربطت ـ بين الشرق الإسلامى وبين الغرب الأوروبى، بواسطة الجغرافيا وبواسطة التاريخ.. فعلى أرضها يتم الربط والجمع بين الفضاء الإسلامى ـ الشرق آسيوى ـ وبين الغرب الأوروبى.. وفى التاريخ العثمانى قرون طويلة كانت تركيا المسلمة الشغل الشاغل للقوى الحاكمة وللجماهير المحكومة فى أوروبا المسيحية، على حد سواء..

ورغم التاريخ الصراعى والعدائى الذى قوبل به الحكم العثمانى للولايات المسيحية العثمانية ـ فى البلقان ـ من قبل الكنيسة وأمراء الإقطاع الأوروبيين.. فإن التاريخ المنصف ـ الذى كتبه غربيون ـ لم يستطع أن يتجاهل حقيقة الدور التقدمى الذى مثله الإسلام العثمانى بالنسبة للجماهير المسيحية الأوروبية، التى غدت رعية للدولة العثمانية.. تلك الجماهير التى حررها العدل الإسلامى ـ وهى على مسيحيتها ـ من المظالم الاجتماعية التى كرسها الإقطاع الكنسى واستبداد الأمراء المتحالفين مع رجال الدين..

وعلى هذه الحقيقة يشهد المستشرق الفرنسى «اليهودى» ـ «مكسيم رودنسون» [١٩١٥ ـ ٢٠٠٤م] فيقول: «لقد عبرت كثير من الأقاليم الإيطالية لحكوماتها المستبدة عن أنها ترحب، من كل قلبها، بغزو تركى، مثلما فعل بعض البلقانيين المسيحيين.. ولقد لجأ أتباع مذهب «كالفن [١٥٠٩ ـ ١٥٦٤م] فى هنغاريا وترنسيلفانيا، وبروتستنت سيليزيا، وقدماء المؤمنين من قفقاس روسيا إلى تركيا، أو تطلعوا إلى الباب العالى فى هروبهم من الاضطهاد الكاثوليكى أو الأرثوذكسى، وذلك مثلما فعل اليهود الإسبانيون قبل ذلك بقرنين.. وهكذا أصبح الإسلام أقل غرابة وأقل مدعاة إلى النفور ـ فى الجو الأوروبى ـ رغم مرارة الحقد الدينى فى العالم المسيحى ضد الإسلام»(١).



لكن.. لأن التاريخ لا تكتبه الجماهير.. والذاكرة لا تصنعها الشعوب، وإنما القوى المتنفذة والمستبدة ـ الكنائس والحكومات ـ فلقد امتلأ التاريخ الأوروبى والثقافة الغربية وكتب التعليم وحكايات الآداب الشعبية بطوفان من ثقافة الكراهية السوداء إزاء الأتراك وضد الإسلام الذى مثله العثمانيون إبان ذلك التاريخ.

واليوم.. تسعى تركيا الحديثة إلى الدخول فى الاتحاد الأوروبى، لتكون ـ بالسلم والحوار وتوازن المصالح ـ وليس بالصراعات والجيوش وتوازنات القوى ـ لتكون مرة أخرى ـ حلقة الوصل بين الشرق الإسلامى والغرب الأوروبى..

وفى هذا المسعى التركى المعاصر فوائد آنية، وأخرى استراتيجية لكل من الغرب الأوروبى والعالم الإسلامى ولتركيا على حد سواء.

---

(١) مكسيم رودنسون: [تراث الإسلام] ـ بإشراف «شاخت» و«بوزورث» ـ القسم الأول ـ ص٥٦، ٥٧. ترجمة: د. محمد زهير السمهورى ـ طبعة الكويت ـ سلسلة عالم المعرفة ـ سنة ١٩٧٨م.

● فتركيا، والتى أثبتت تجربتها الأتاتوركية استحالة انسلاخها عن هويتها الإسلامية وطابعها الشرقى.. كما أثبتت هذه التجربة الأتاتوركية استحالة ذوبانها فى النموذج الحضارى الغربى.. يمكن أن تمثل ـ اليوم وغدا ـ حلقة وصل بين الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية، تجمع الطرفين على ما هو مشترك إنسانى عام بين الحضارتين ـ وهو كثير جدا ـ وتزكى توجهات الحوار الحضارى والتعايش الثقافى حول نقاط التمايز والاختلاف والتنوع، فتسهم بذلك فى الحيلولة دون السقوط فى هاوية الصدام والصراع بين الحضارتين ـ الإسلامية والغربية ـ وهو الصدام والصراع الذى شقيت به شعوب الشرق والغرب قرونا طويلة، دون أن تختفى أى من الحضارتين، أو تنتصر إحداهما على الأخرى طوال قرون ذلك الصراع والصدام..

وإذا كان التوجه الإسلامى في تركيا المعاصرة، يدفع الآن على هذا الطريق، فتسعى تركيا ـ بقيادة حزب العدالة والتنمية ـ إلى تجديد وتوثيق روابطها الحضارية والسياسية والاقتصادية مع الشرق العربى والإسلامى.

.. فى ذات الوقت الذى تسعى فيه بإلحاح إلى الدخول فى الاتحاد الأوروبى.. فإن فى ذلك المسعى شاهدا على أنها ـ بالفعل ـ حلقة وصل بين الحضارتين.. وعلى إمكانية أن تجمع بين العالمين، ولو فى الحدود الدنيا التى يمكن أن يجتمع عليها الشرقيون المسلمون والغربيون الأوروبيون.. ومن ثم، فلا خوف على تركيا من أن تدير ظهرها لعالمها الإسلامى وحضارتها الشرقية، بالذوبان فى النموذج الحضارى الغربى، فلقد استعصت على ذلك حتى عندما فرض عليها هذا النموذج بعنف لعقود طويلة من السنين.. ولا خوف على الهوية الحضارية الغربية لأوروبا من الإسلام التركى.. فالتجربة التاريخية لتركيا العثمانية لم تفرض الإسلام على أوروبا حتى عندما كان العثمانيون هم الحكام فى البلقان.. بل تركوا الناس وما يدينون، وتركوا اللغات والثقافات ـ ومن ثم القوميات ـ دونما قهر أو استئصال، فبقيت شعوب البلقان واليونان ـ عندما استقلت ـ على هويتها.. ولم يحدث لها.. تحت الحكم العثمانى، الاستئصال الذى حدث لأهل الأندلس، عندما أسقط الحكم الإسلامى سنة ١٤٩٢م..

وإذا كان ذلك قد حدث قديما ـ عندما كانت موازين القوى فى صالح الإسلام التركى ـ فإن التفاعل الحضارى ـ وليس الانغلاق والصدام.. ولا التبعية والذوبان ـ أمامه الآن فرصا أوسع وإمكانات أوفر

مما كان له فى التاريخ القديم..

تلك هى الحقائق المأمولة من وراء سعى تركيا إلى الدخول فى الاتحاد الأوروبى..

لكن.. هل سيمد الأوروبيون يد الترحيب إلى اليد التركية، فيفتحون للأتراك أبواب الاتحاد الأوروبى، ويفتحون للتاريخ المعاصر صفحات التفاعل الحضارى ـ الشرقى/ الغربى.. والإسلامى/ الأوروبى؟؟..

إننى ـ مع حماسى الشديد لحدوث ذلك ـ أشك كثيرا فى تحقيق هذه الآمال!!.. وأقصد فتح أبواب الاتحاد الأوروبى لتركيا لا مجرد فتح باب الحوار!!

ذلك أن التجارب التاريخية والحديثة والمعاصرة تعلمنا ضرورة التمييز ـ إبان حقب التماس والاحتكاك الحضارى ـ بين شعوب تلك الحضارات ـ وما أبدعت وتبدع من علوم ـ وبين المؤسسات والقوى المتنفذة، والتى تمثل المشاريع السياسية، وتحكم وتتحكم فى هذه الشعوب وتلك الحضارات..

والذى يقرر ـ فعليا ـ فتح أبواب الاتحاد الأوروبى أو إغلاقه ليس الإنسان الأوروبى ـ رغم الديمقراطية التى يتمتع بها ـ وإنما المؤسسات الاقتصادية والسياسية والإعلامية والدينية، التى تشكل ذهنية الإنسان الأوروبى وثقافته، والتى تتحكم ـ عمليا ـ بنتائج «اللعبة الديمقراطية» فى تلك البلاد..

وفى النموذج الأوروبى ـ والغربى عموما ـ فإن هذه المؤسسات القائدة والحاكمة للمشروع الغربى، قد تماهت مع فلسفات الصراع والصدام والقوة ضد الآخر، وضد الآخر الإسلامى على وجه الخصوص.. بل وتماهت مع نزعة التمركز حول الذات الأوروبية والغربية، حتى أنها لا تكاد ـ عمليا ـ تعترف بالوجود المشروع والحر والمتكافىء لهذا الآخر.. وإنما تريده ـ فقط ـ مفعولا به، وتابعا لها دائما وأبدا.

إن الرأسمالية المتوحشة، التى هى «الدين» الحقيقى للمؤسسات الغربية المتنفذة، والتى تسعى لعولمة هذا المتوحش الرأسمالى فى أرجاء المعمورة ـ بواسطة الشركات المتعددة الجنسيات.. والقواعد العسكرية.. والغزو الفكرى.. والاستلاب الحضارى ـ لا تريد أندادا ولا شركاء ولا أصدقاء.. وإنما تريد أتباعا وعملاء. ولذلك، فلقد ظلت هذه المؤسسات الأوروبية طوال تاريخ علاقاتها بالشرق والإسلام وأمته وحضارته، تسلط كل الأضواء على سلبيات هذا التاريخ ونفاياته، بل وتخترع الأغاليط والأكاذيب والمبالغات وتشحن بها الذهنية الغربية، لتظل الشعوب الأوروبية منخرطة وراء هذه المؤسسات فى مشروع

الهيمنة الحضارية الغربية على عالم الإسلام..

ولقد كشفت أجهزة الفكر والثقافة والإعلام الغربية، بعد «قارعة ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١م»، عن الدور الذى تلعبه فى إذكاء نيران ثقافة الكراهية السوداء ضد الإسلام وحضارته وأمته وعالمه.. وهو الدور الذى يمثل الامتداد المعاصر لدور التهييج الدينى الذى كان يقوم به «بطرس الناسك» [١٠٥٠ - ١١١٥م] وقساوسة الكنيسة الكاثوليكية إبان الحروب الصليبية القديمة ضد الشرق والإسلام!..

وفى موضوع السعى التركى لدخول الاتحاد الأوروبى، نجد هذه المؤسسات تقود حملة المعارضة الشرسة ضد هذا المسعى..

● فهى، دائما وأبدا، تنعش ذاكرة الإنسان الأوروبى والغربى بما تسميه ذكريات «الخطر الإسلامى والتركى» على أوروبا.. فتحيى ذكريات:

- الفتوحات الإسلامية الأولى، التى حررت الشرق من هيمنة الغرب - فى القرن السابع الميلادى - بعد عشرة قرون من القهر الحضارى - الإغريقى - والرومانى.. والبيزنطى - للشرق.

- وذكريات الوجود الإسلامى فى الأندلس - الذى استمر ثمانية قرون [٩٢ - ٨٩٧هـ ٧١١ - ١٤٩٢م] - وهو الوجود الذى كاد يدخل كل جنوب أوروبا ووسطها فى دائرة الإسلام، لولا الهزيمة الإسلامية فى معركة «بلاط الشهداء» [١١٤هـ ٧٣٢م]..

- وذكريات الهزيمة الصليبية أمام الفروسية الإسلامية، وفشل الحملات الصليبية فى إعادة اختطاف الشرق من الإسلام.

- وذكريات المطاردة العثمانية للتحدى الأوروبى على أرضه.. وفيها تم فتح القسطنطينية [٨٥٧هـ ١٤٥٣م].. ووصول هذه المطاردة إلى أسوار «فيينا» [٩٣٥هـ ١٥٢٩م] و[١٠٩٤هـ ١٦٨٣م].

- وذكريات السيطرة الإسلامية على البحار الكبرى للكرة الأرضية - الأبيض.. والأحمر.. والعرب.. والأسود - لأكثر من عشرة قرون، كان المسلمون فيها هم «العالم الأول» على ظهر هذا الكوكب.

نعم.. تعمل المؤسسات الأوروبية المتنفذة - دائما وأبدا - على إنعاش الذاكرة الأوروبية بذكريات هذا الجانب من التاريخ، لتشحن شعوبها بالخوف من «الخطر الإسلامى»!.. ولتوظف ذلك التاريخ كعقبة أمام دخول تركيا إلى الاتحاد الأوروبى!..

وهذه المؤسسات الأوروبية المتنفذة، التى تشكل العقل الأوروبى، والتى تتخذ

الجوانب الصراعية من تاريخ علاقات الغرب بالشرق «فزّاعة» تخيف بها شعوبها من «الإسلام التركى المعاصر» - كما أخافتها من «الإسلام العثمانى» - لا تشير من قريب أو من بعيد إلى قرون الغزو الاستعمارى للشرق، والقهر الحضارى والسياسى والثقافى والدينى والنهب الاقتصادى الذى مارسه الإغريق والرومان والبيزنطيون والصليبيون والأوروبيون والأمريكان والصهاينة للشرق.. وهى قرون امتدت من القرن الرابع الميلادى - من الاسكندر الأكبر [٣٥٦ - ٣٢٤ق.م] - وحتى هذه اللحظات!!.. وتبلغ هذه القرون فى التعداد سبعة عشر قرنا من هذا التاريخ البالغ أربعة وعشرين قرنا!..

وإذا كانت «قارعة ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١م» قد أطلقت العنان - فى الغرب - لطوفان ثقافة الكراهية السوداء ضد الإسلام.. فإن هذه النزعة الغربية ليست وليدة هذه الأحداث.. ويكفى أن نشير إلى أن المؤسسة الدينية الكاثوليكية - التى تتزعم الآن معارضة دخول تركيا للاتحاد الأوروبى - قد دأبت على تأجيج حملات التخويف من الإسلام على أوروبا، منذ سنوات طوال.

- فالمونسنيور «جوزيبى برناردينى» يصرح - بحضرة بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثانى - فى سنة ١٩٩٩م - فيقول: «إن العالم الإسلامى سبق أن بدأ يبسط سيطرته بفضل دولارات النفط.. وهو يبنى المساجد والمراكز الثقافية للمسلمين المهاجرين فى الدول المسيحية، بما فى ذلك روما عاصمة المسيحية، فكيف يمكننا ألا نرى فى هذا برنامجا واضحا للتوسع، وفتحا جديدا»![٢]..

- وفى نفس التاريخ، يتحدث الكاردينال «بول بوبار» - مساعد بابا الفاتيكان ومسئول المجلس الفاتيكانى للثقافة - إلى صحيفة «الفيجارو» الفرنسية - فيقول: «إن الإسلام يشكل تحديا بالنسبة لأوروبا وللغرب عموما، وإن المرء لا يحتاج إلى أن يكون خبيرا ضليعا لكى يلاحظ تفاوتا متزايدا بين معدلات النمو السكانى فى أنحاء معينة من العالم، ففى البلدان ذات الثقافة المسيحية يتراجع النمو السكانى بشكل تدريجى، بينما يحدث العكس فى البلدان الإسلامية النامية. وفى مهد المسيح يتساءل المسيحيون بقلق عما سيحمله لهم الغد، وعما إذا لم يكن موتهم مبرمجا بشكل ما؟!.. إن التحدى الذى يشكله الإسلام يكمن فى أنه دين وثقافة ومجتمع وأسلوب حياة وتفكير وتصرف، فى حين أن المسيحيين فى أوروبا

(٢) صحيفة «الشرق الأوسط» - لندن - فى ١٣/١٠/١٩٩٩م.


يوسف إسلام «بريطانيا»


مراد هوفمان «ألمانيا»


جارودى «فرنسا»


محمد أسد «النمسا»


يوهان مولان «هولندا»

نماذج لشخصيات أوروبية رفيعة أحدث إسلامها ضجة هائلة لما يحمله من تأكيد على تواصل انتشار الإسلام فى العالم الأوربى وضعف القدرة الأوربية على مواجهة هذا الانتشار.. ترى ماذا سيكون حال أوربا بعد دخول تركيا ذات التاريخ العثمانى والسبعين مليون مسلم إلى قلب النادى المسيحى: الاتحاد الأوروبى.. تلك هى المشكلة التى يعانى منها البعض.

يميلون إلى تهميش الكنيسة، أمام المجتمع، ويتناسون الصيام الذى يفرضه عليهم دينهم وفى الوقت نفسه ينبهرون بصيام المسلمين فى شهر رمضان» ![٣].

ـ وعلى ذات المنوال، مضى الكاردينال «جاكو موبيفى» ـ أسقف مدينة بولونيا» ـ بإيطاليا ـ فدعا ـ فى رسالته يوم ١٣/٩/٢٠٠٠م ـ إلى استئصال المسلمين من أوروبا!!.. فصورة أوروبا والغرب والعالم بنظرى لا يمكن أن تكون متعددة الديانات.. ووفق عبارته: «فإما أن تتحول أوروبا إلى المسيحية فورا، وإلا ستكون إسلامية مؤكدا» ![٤].

فهم لا يطيقون الجاليات الإسلامية فى أوروبا.. ولذلك كان إصرار مؤسستهم ـ الفاتيكان ـ على رفض دخول تركيا إلى الاتحاد الأوروبى، الذى أراده «ناديا مسيحيا»!..

وفى دراسة بالغة الأهمية كتبها العالمان البريطانيان «إدوارد مورتيمر» Edward Mortimer ـ عن الإسلام والمسيحية ـ وأخرى عن الإسلام والماركسية ـ كتبها «إرنست جيلنر» Ernest Gellner ونشرتها مجلة «شئون دولية» International Affairs الصادرة فى «كمبردج» مجلد ٦٧ ـ عدد يناير سنة ١٩٩١.. فى «الملف» الذى ضم هاتين الدراستين، نجد العديد من الحقائق التى يجب

(٣) صحيفة «الشرق الأوسط» ـ لندن ـ فى ٠١/١٠/١٩٩٩م.

(٤) صحيفة «العالم الإسلامى» ـ مكة ـ فى ٠٦/١٠/٢٠٠٠م.

استحضارها ونحن نتحدث عن الموقف الأوروبى من الإسلام، ومن دخول تركيا ـ ذات التاريخ العثمانى ـ وسبعين مليونا من المسلمين إلى قلب «النادى المسيحى» ـ الاتحاد الأوروبى ـ .

ـ لقد أبرزت هذه الدراسة الأكاديمية ـ البالغة العمق ـ دور المسيحية الكاثوليكية فى تأسيس الاتحاد الأوروبى ـ على النحو الذى يفسر وصفه الآن بـ «النادى المسيحى» ـ فقالت: «.. فالكنيسة الرومانية الكاثوليكية: هى منظمة غير قومية، وكثيرا ما يدلى رئيسها الروحى ببيانات متكررة تمس العلاقات الدولية يرتبط فى كثير منها تعبير «المسيحية» و«أوروبا» بصورة وثيقة..

ويصعب أن تكون مصادفة أن الديمقراطيين المسيحيين فى كل بلد أوروبى موجودون على الدوام بين أشد أنصار الوحدة الأوروبية حماسا، أو أن القادة القوميين الثلاثة الذين أرسوا أسس الاتحاد الأوروبى الحالى ـ كونراد أديناور [١٨٧٦ ـ ١٩٦١م] والسيد دى جاسبرى [١٨٨١ ـ ١٩٥٤م] وروبرت شومان [١٨٨٦ ـ ١٩٦٣م] كانوا جميعا من الديمقراطيين المسيحيين، ومن الكاثوليك المخلصين»!..

لقد أصبح الدين يقتحم الشئون الدولية بصورة متزايدة، أو بالأحرى يعيد إدخال نفسه فيها، لأنه فى القرون السابقة على القرن العشرين ـ قرن العلمانية ـ قد لعب دورا مركزيا فى العلاقات بين الدول، وفى حياتها الداخلية.. وهناك انطباع قوى بأن الإشارات إلى المسيحية ـ فى سياق دولى ـ قد تضاعفت فى وسائل الإعلام الغربية سنة ١٩٩٠م.. ولاشك فى أن السبب الرئيسى فى هذا هو التغيرات التى وقعت فى الاتحاد السوفيتى وأوروبا الشرقية.

ففى بعض بلدان أوروبا الشرقية لعبت الكنيسة دورا مهما فى إحداث التغيير السياسى: بولندا بصورة واضحة، وألمانيا الشرقية بصورة غير متوقعة، بدرجة أكبر، وكذلك تشيكوسلوفاكيا إلى حد ما.

وفى الاتحاد السوفيتى بدأ التغيير من أعلى، وعلى يد المثقفين العلمانيين، لكن دور المنشقين المسيحيين فى مقاومة النظام، وتقدمهم لإدانته لم يكن بحال من الأحوال أمرا تافها، والأمر الذى كان مدهشا حقا هو السرعة التى اتجه بها المجتمع والدولة على حد سواء إلى الكنيسة فى بحث يائس عن شيء يملأ الفراغ الأخلاقى المروع الذى كشف عنه انهيار الأيديولوجية الشيوعية..

وهنا، اكتشف الغربيون زملاء أوربيين يشاركونهم الميراث الحضارى والدينى.. فالتراث المسيحى عنصر مهم فى الثقافة الغربية، نشترك فيه مع الأوروبيين الشرقيين.. وعندئذ، أصبح الإصرار على

المسيحية باعتباره سمة لتعريف أوروبا نفسها، يعنى ـ ضمنا ـ البحث عن غير المسيحيين المجاورين الذين يمكن أن تتناقض معهم أوروبا الجديدة!.. وكان الإسلام وافيا بالمراد فى هذا المقام!».

ـ ثم خلصت هذه الدراسة إلى أن أوروبا، التى برز دور الدين فى سياستها الدولية، ولعب الدور البارز فى وحدتها الأيديولوجية، قد أصبحت تعرِّف نفسها ـ بعد سقوط الآخر الشيوعى ـ من خلال تحديد الآخر الدينى ـ الذى هو الإسلام ـ فزادت حساسيتها إزاء كل ما هو إسلامى ـ من الجاليات الإسلامية فى البلاد الأوروبية إلى سعى تركيا للدخول فى النادى المسيحى الأوروبى.

وإزاء هذه الحقيقة قالت هذه الدراسة: «إن أوروبا، التى اعتادت أن تعرِّف نفسها من خلال تحديد الآخر، كان لابد من أن تبحث عن آخر جديد يحل محل الاتحاد السوفيتى والمعسكر الشرقى بعدما انهارت أيديولوجيته، وكان هذا الآخر هو الإسلام.. ولقد اتفق أن تواكبت التغيرات فى أوروبا الشرقية مع حدوث زيادة مفاجئة فى القلق من جراء وجود جاليات إسلامية كبيرة داخل أوروبا الغربية، وارتبط ذلك بقضية سلمان رشدى فى بريطانيا، والخلاف حول الفتيات المسلمات اللاتى يضعن غطاء الرأس فى مدارس فرنسا.

ولقد أصبح انزعاج أوروبا الغربية من هجرة الأوروبيين الشرقيين أقل من انزعاجها من الجاليات الإسلامية والهجرات الآتية من عالم الإسلام، وذلك لأن الميراث المسيحى سيجعل الأوروبيين الشرقيين قابلين للاستيعاب فى أوروبا الغربية بطريقة لا تتوافر للمسلمين.. ولقد أصبح هذا العامل حاضرا فى الاعتراض على النظر فى قبول تركيا عضوا كاملا فى الاتحاد الأوروبى، أو على الأقل تأجيل ذلك..

وهكذا أصبحت أوروبا تميز نفسها، وتعرِّف ذاتها من زاوية التراث المسيحى، وتركز بصورة حادة، بقدر الإمكان، على التمايز والحدود بينها وبين الإسلام.. كما أصبحت الحساسيات الإسلامية ـ مقترنة بالقومية العربية.. الخطر السياسى الرئيسى الذى يواجه الدول الغربية التى تسعى للقيام بدور نشط فى الشرق الأوسط.. وزاد من هذه الحساسية صعود الأحزاب التى تصف نفسها بأنها إسلامية فى البلدان القريبة من أوروبا.

وهنا، بدأ البعث لسلسلة الذكريات الشعبية التاريخية أو شبه التاريخية عن المعارك بين المسلمين والمسيحيين، عبر أوروبا كلها، وفى هذه الذكريات يظهر المسلمون كغزاة: المغاربة البربر الذين غزوا إسبانيا، والعرب المسلمون الذين

أغاروا على فرنسا وايطاليا، والأتراك على أبواب فيينا، والتتار الذين أخضعوا موسكو..

وغالبا ما يتم تناسى حقيقة: أن الأوروبيين غزوا وفتحوا ـ عمليا ـ كل البلاد الإسلامية فى وقت أحدث، أو ترد ذكرى ذلك فقط بطريقة تصور المسلمين كأشرار، كما أن مقاومتهم للتسلل الاستعمارى، والتى تمت غالبا تحت قيادة دينية، أو تمت تعبئتها بشعارات دينية، تذكر باعتبارها تعصبا!، ومازالت هذه الحكايات مستمرة حتى الآن»(٥).

تلك هى حقيقة الجذور ـ التاريخية.. والحديثة.. والمعاصرة ـ للعامل الدينى، فى تعريف أوروبا لذاتها، ولحساسيتها المفرطة تجاه الإسلام.. وتجاه دخول تركيا إلى «النادى المسيحى» الأوروبى!..

وهكذا وجدنا ـ ونجد ـ أن دور المسيحية الكاثوليكية ـ كدين.. أو كتراث ـ فى إقامة الاتحاد الأوروبى.. وفى التغيرات التى أسقطت «الآخر الشيوعى».. وفى تعريف أوروبا لذاتها بالتميز عن «الآخر الإسلامى».. وفى زيادة حساسيتها إزاء الإسلام.. نجد ذلك كله حاضرا.. يكاد أن يصبح حاجزا مانعا من قبول النادى المسيحى الأوروبى لتركيا المسلمة.. وإذا لم يكن الإنسان الأوروبى هو الصانع لهذا الحاجز، فإن صانعيه هم القوى والمؤسسات المتنفذة والمهيمنة.. بدءاً من الفاتيكان.. وحتى العلمانية الفرنسية، التى تنسى ـ إزاء الإسلام ـ علمانيتها المتوحشة.. وتتذكر فقط الكاثوليكية، ذات التاريخ الشهير فى العداء للإسلام!..

ذلك هو ظنى.. الذى أرجو أن يخيب! فينفتح باب الاتحاد الأوروبى أمام تركيا، لتكون حلقة الوصل بين الشرق الإسلامى وبين الغرب الأوروبى.. ولتكون قناة الحوار البناء بين الإسلام والمسيحية.. حتى يكون عالمنا «منتدى حضارات وديانات»، لا «غابة لصدام الحضارات والديانات».

وتبقى الحقيقة الجوهرية فى كل هذا الموضوع.. وهى أن الإصلاحات الداخلية، التى تنجزها تركيا كى تتأهل لعضوية الاتحاد الأوروبى، هى التى ستسهم فى زيادة عافية الإنسان التركى والمجتمع التركى، على النحو الذى يؤهل تركيا للقيام بدورها الطبيعى والمتميز. واللائق بها فى الشرق الإسلامى.. وفى الغرب الأوروبى على حد سواء.. والله أعلم.

---

(٥) انظر نصوص هذه الدراسة ـ مترجمة إلى العربية ـ بكتابنا [الغارة الجديدة على الإسلام] ص١٥ ـ ٣١ ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٨م.

ما يقال عن الإسلام

نقد وثيقة «بكين» لعام ١٩٩٥م إحدى مشروعات الأمم المتحدة

للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى

وردت فى هذه الوثيقة بنود رتبت الوثيقة على أساسها سلبا وإيجابا أغراضا وأهدافا، - رأت الوثيقة أن تحققها يثمر تحولا مرغوبا فيه فى الحياة الواقعية للمرأة والطفل، فى المجتمعات البشرية كلها.

وكان الهدف الرئيس من وضع هذه الوثيقة هو صياغة مبادىء وقيم لإعادة تنظيم الحياة البشرية للعالم المعاصر وما يتلوه من أجيال.

واختير مصطلح الجندر (Gender Perspective) لما وضعته الوثيقة من مقترحات فى شئون النساء فى جميع الأعمار والأحوال، وشئون الطفل فى جميع مراحل حياته، حتى يبلغ مبلغ الرجال، أو تبلغ الأنثى من الأطفال مبلغ النساء.

وهذه التصورات من دعائم «العولمة» أو «النظام العالمى الجديد» الذى يهمل كل موروثات الحضارة الإنسانية فى جميع عصورها. وبكل أشكالها، ليحل محلها ماتسفر عنه المخصصات الجندرية، كأسس حتمية للحياة الإنسانية.

بيد أن الوثيقة وقعت فى تجاوزات (أخطاء) جعلتها بمثابة مقدمات للاستنتاج لصياغة رؤى جديدة (قيم ومبادىء) ولم تقم وزنا لفحص تلك المقدمات وتمحيصها، فترتب على هذا القصور (العجز) تفريغ الاقتراحات (النتائج) النهائية عن كل مضمون يضفى عليها طابع القبول والرضا ثم وضعها موضع التنفيذ.

وهذا يتجلى لنا من النظر الفحصى الآتى، الخاص بكل عنصر انتهت إليه الوثيقة:

تأنيث الفقر

قالت الوثيقة: إن الملاحظ فى الواقع المعيشى أن أكثر شرائح المجتمع البشرى كله

فقرا واحتياجا هن النساء فكثير منهن يعشن تحت (خط الفقر).

ثم عزت ظاهرة فقر النساء، التى أطلقت عليها الوثيقة مصطلح «تأنيث الفقر» إلى ثلاثة أسباب:

١ - عدم أخذ الدول فى الاعتبار مفهوم «الجندر» الذى يسعى إلى إلغاء جميع الفوارق التى تميز بين الرجال والنساء، حتى الفوارق البيولوجية أو التكوين الخلقى ووظائف الأعضاء الجسمية عند كل رجل وامرأة.

وتعتبر الوثيقة أن وضع هذه الفوارق فى الاعتبار يحتوى على ظلم عظيم للمرأة، لأن تقسيم البشر إلى ذكر وأنثى تقسيم تواطأ عليه الناس وليس له أساس فى الواقع.

٢ - السبب الثانى الذى عزت إليه الوثيقة فقر المرأة قالت فيه:

«تقوم الدولة بتوزيع العمل على أساس أن العمل داخل المنزل هو من اختصاص المرأة، وهو غير مدفوع الأجر بينما العمل خارج المنزل هو من اختصاص الرجل، وهو مدفوع الأجر، وهى - يعنى الدولة - بهذا لا تأخذ بمنظور الجندر فى الاعتبار (أى المساواة المطلقة بين الرجال والنساء) والذى يلغى كل الفوارق بين الرجل والمرأة، حتى البيولوجية منها، وأخذ منظور الجندر فى الاعتبار يؤدى إلى توحيد الأدوار بين الرجل والمرأة - وتقسيم العمل المنزلى عليهما بالتساوى، تماما مثل العمل المدفوع الأجر خرج البيت؟!

٣ - أما السبب الثالث لفقر النساء كماتراه وثيقة «بكين» فهو حرمان المرأة من الاقتراض من البنوك والتسهيلات التأمينية. وذلك حال بين النساء وبين الوصول إلى الاستقلال المادى عن الرجال؟

نقد هذا الكلام

أخطأت الوثيقة فى قراءة الواقع المعيشى، كما أخطأت فى فهمه، وهى ما رتبته عليه من نتائج.

● فبالنسبة للسبب الأول، وهو عدم أخذ الدولة بمنظور الجندر، والذى يقضى بإلغاء كل الفوارق بين الرجل والمرأة حتى التكوين الخلقى واختلاف وظائف الأعضاء عند كل من الرجل والمرأة هوت فيه الوثيقة إلى الحضيض، لأن الدولة لا تستطيع أن تلغى هذه الفوارق الخلقية بين طبيعة الرجل وطبيعة المرأة، لأنها فوارق فطرية، الرجل مفطور عليها والمرأة مفطورة عليها فمثلا ليس فى مقدور الدولة أن تجعل للرجل رحماً يحمل فيه جنينا ولا أن تجعل له أجهزة تفرز لبنا لإرضاع الجنين ولا ثديا يمتصه الجنين حين يولد ليحصل على غذائه حتى يستغنى بالطعام عنه.

ولا أن تجعل للرجل «ترائب» فى صدره يتخلق فيها ماء ينتج «البويضة» إحد عنصرى تخلق الجنين فى الرحم.

ولا أن تجعل للمرأة ما اختص الخالق به الرجل فى عملية الانجاب والتوالد ....الخ.

إذن فليست التفرقة بين النوعين (الذكور والإناث) من صنع البشر أو من صنع الدولة، بل هى أمر فطرى خلقى.

وعلى هذه الفوارق نشأت الحياة الإنسانية وغير الإنسانية حتى فى الحيوانات وعالم النباتات.

ومع هذه البدهيات المسلم بها فى جميع أطوار الحياة، منذ عصر آدم وحواء تتنكب وثيقة «بكين» الجندر سواء السراط، كخطوة أولى عملية فى طريق «العولمة» أو النظام العالمى الجديد؟

ومع هذا كله لا ترى «الوثيقة» حرجاً فى أن تزعم أن تقسيم البشر إلى رجل وامرأة عرف اجتماعى تواطأ عليه الناس، وليس له فى الواقع المحسوس أى أساس؟!

● وبالنسبة إلى وصم المرأة بالفقر جنحت الوثيقة جنوحا ملحوظا، وتجاهلت سنة من سنن الاجتماع التى يقر بها كل عاقل.

فالمرأة لها مرحلتان رئيسيتان فى الحياة، ومرحلة ثالثة ناتجة عن إحدى هاتين المرحلتين وفى كل هذه المراحل ما يدحض استنتاجات الوثيقة المشار إليها فى هذه النقطة.

المرحلة الأولى: للأنثى، وهى بنت فى بيت أسرتها قبل الزواج.

المرحلة الثانية: ربة بيت (زوجة) بعد الزواج.

هاتان هما المرحلتان الأوليان، أخذا من الواقع الذى لايختلف عليه اثنان.

ففى مرحلة الفتاة بنتا فى بيت أبيها - سواء كانت وحيدة أم مع أشقاء وشقيقات فحظها من الغنى والتوسط والفقر هو حظ الأسرة.

(الأب - الأم - الإخوة) ومحال أن تنفرد البنت فى هذه الحالة بوصف الفقر فى أسرة غنية أو الغنى فى أسرة فقيرة.

لأن الترابط الأسرى ينطبق عليه نظرية الأوانى المستطرقة. إذ صب فى أحدها سائل سرى فى جميع الأوانى المتصلة به حتى يصبح سطح السائل فى جميعها متساويا.

المرحلة الثالثة: إذا تزوجت البنت فصارت ربة بيت فإن حظها من الاستمتاع بطيبات الحياة الدنيا، هو حظ زوجها، ومحال أن تعيش فى حرمان وهو فى رغد من العيش إلا فيما ندر والنادر لايقاس عليه.

أن شعورها فى بيت زوجها بالإحساس بالنعمة التى يحس هو بها، شعور واحد تطعم مما يطعم هو، وتلبس كما يلبس وتسعد كما يسعد.

هذا هو شأن الأسر السوية فى الحياة فإذا حدث خلاف ذلك فلأمر آخر غير غنى الزوج وفقر الزوجة وكون المرأة امرأة، ليس

سببا فى فقر أو غنى. فما أكثر السيدات الثريات فى المجتمع الإنسانى. وما أكثر الرجال الفقراء. وتلك هى سنة الحياة، لاختلاف المواهب والاستعدادات والقدرات وعلى هذه السنة يقوم إعمار الكون ويعمل هذا عند ذاك وذاك عند هذا، ولو خلق الله الناس كلهم فى درجة واحدة ما استمرت الحياة إلى هذا العصر.

● كما تنكرت الوثيقة لواقع الحياة البشرية، والنظام الاجتماعى الذى ساد منذ نشأة الحياة البشرية على الأرض إلا فى حالات الخلل فى بعض الأزمنة وبعض الأمكنة، وهو اختلاف دور الرجال عن دور النساء فى النشاط الاقتصادى والتنموى والتربوى، وذلك طبقا للفطرة التى فطر الخالق النوعين عليها، وهما:

الذكور والإناث، مما يناسب استعداد كل منهما من حيث الخلق والتكوين، وما يستتبع ذلك من خصوصيات لا حيلة لأحد فى تبديلها أو وقفها أو تعديلها.

فالأعمال الشاقة تناسب الذكور والأعمال اليسيرة تناسب الأنوثة.

وعلى هذا الأساس أنيط بالرجل الأعمال خارج المنزل. وأنيط بالمرأة الأعمال فى المنزل أو المكان الواحد فلكل منهما نشاط مرهون بما هو أصلح له، وهو عليه أقدر.

والفطرة المفطور عليها كل من الرجال والنساء تسهم إلى حد بعيد فى نجاح الأهداف فى نشاط كل منهما.

هذا ما عرفته الحياة الإنسانية الراقية فى جميع أطوارها فالتنكر له أقل ما يقال فيه أنه مدابرة للطبيعة وتنكيس وتعكيس لسنن الفطرة، مما يترتب عليه إخلال مخوف فى سير الحياة نفسها، وفى انتظامها المعهود.

فشقاء الرجل خارج المنزل، سواء كان صانعا فى مصنع، أو تاجراً فى متجر، أو زارعا فى حقل، أو موظفا أو عاملا فى منجم، أو خبازا فى مخبز، أو جزاراً فى مجزر يقابله دور لشريكته فى الحياة، وهو النهوض بإعداد مايلزم لإسعاد الحياة ورفاهيتها فى مكان واحد هو «المنزل» الذى تتولى المرأة خطوط العرض والطول فى إدارته وإعداد وتدبير شئونه دون تعرضها لخطر يتهددها من جراء الأعمال الشاقة التى ينهض بها الرجل «النوع الخشن» فى أماكن متعددة. وقد تكون نائية وخطرة كالمناجم والصحارى والغابات والبحار والمحيطات أو الجو ذى الارتفاع الشاهق.

والرجل (الزوج) يعمل ويشقى فى أى مكان، أو زمان لا لحسابه وحده، ولا لإسعاد نفسه وحدها، ولكن المرأة (الزوجة) شريكته فى نتاج عمله.

والمرأة (الزوجة) تعمل وتشقى فى مكان واحد (المنزل) لا لحسابها وحدها ولا لإسعاد نفسها وحدها بل الرجل (الزوج) شريك لها فى نتاج عملها.

فالرجل (الزوج) عليه واجب نحو نفسه ونحو زوجته وله عليها حق.

والمرأة (الزوجة) عليها واجب نحو نفسها ونحو زوجها ويتبادل هذه الحقوق وتلك الواجبات تنظيم مسيرة الحياة اجتماعياً واقتصادياً وصحياً وتربوياً، وعاطفيا، وروحيا.

فليس أحد الزوجين أجيراً عند الآخر، ولا خصما عنوداً للآخر، إنما هما رئتان فى جسم واحد، باجتماع أدوارهما تستمر الحياة وتنمو.

أو هما عينان مبصرتان، لكل منهما دائرة إبصار خاصة بها، وبينهما دائرة مشتركة، فى «الوسط» وكل منهما يقوى دائرة الإبصار عند الأخرى.

هذه العلاقة بين الزوج والزوجة قوامها «الانفراد والاجتماع» فى آن واحد، غير منفصلين، وإن ظننا أنهما منفصلان.

علماء النفس يقولون فى شرح هذا التوحد المجتمع إننا إذا تصورنا (أ) و(ب) قوى كل واحد منهما وهما فردان = ٥ وحدات ثم تحولا من حالة الانفصال (التفرد) إلى حالة الاجتماع، أى عملا بقوتيهما مجتمعتين صار مجموع الناتج من اجتماعها هو: = ١٥ وحدة.

بينما كان فى حالة التوحد (التفرد) = ١٠ وحدات أى أن الفارق بين قوتيهما منفصلتين ومجتمعتين هو: = ٥ وحدات.

إذن فمن أين جاءت هذه الزيادة؟ وكيف صارت ال ١٠ وحدات ١٥ وحدة.

والجواب أن مصدر هذا الفارق الذى يعادل الثلث هو اجتماع القوتين بعضهما ببعض، فصار الاثنان ثلاثة هذا «المثال» هو الذى ينبغى أن يكون معياراً للعلاقة «السوية» بين الرجل والمرأة (الزوجين) وبهذا يتضح لنا إلى أى مدى ابتعدت وثيقة «بكين» لعام ١٩٩٥م عن التخطيط القويم لتعاون الزوجين، وإلى أى مدى افترضت خصومة وهمية بينهما، فتدخلت الوثيقة لإفساد علاقة الزوجية وهى تريد إصلاحها؟!

إن كلا من الزوجين فى النظام الفطرى القائم الآن فى الزيجات «السوية» يعطى الآخر، مالا يستطيع الآخر أن يعطيه لنفسه ويأخذ من الآخر مالا يستطيع الآخر أخذه من نفسه وقد أدرك أحد حكمائنا الشعراء هذه الحقيقة التى تربط بين الناس فى كل مجتمع رباطا عضويا متداخل التركيب والنسيج فصاغها فى بيت شعرى قال فيه، وما أصدق وأجمل وأحكم ما قال:

والناس بالناس من حضر وبادية
بعض لبعض - وإن لم يشعروا خدمُ

إن مخترع «الطائرة» كان فى أشد الحاجة إلى فلاح الأرض فى ما يأكله ويشربه، وإلى الخباز فى ما يخبزه ويطهيه ولم تجعله عبقريته فى الاختراع والإبداع فى غنى عما

يعمله بسطاء الحرفيين.

أما إتاحة فرص الاقتراض للنساء من البنوك والتسهيلات الائتمانية، فهذا أمر مباح الآن للرجال والنساء. وهذه الأعمال تقوم بها المصارف وفق أنظمة وشروط تطبق على الرجال كما تطبق على النساء بلا أدنى تمييز يذكر.

مع الأخذ فى الاعتبار أن القروض ليست هبات أو جوائز وإنما هى التزامات متكافئة فى الدفع والسداد لايصبح الحاصل عليها ثريا ولا المحروم منها فقيراً، لأن للثراء والفقر أسبابا وموارد أخرى بعيدة عن القروض، مادامت القروض التزاما وليست هبات أو منحا تعطى بدون مقابل أو التزام من الطرف الحاصل عليها، ذكراً كان أو أنثى.

وتقرر الوثيقة أن الهدف من تيسير هذه الشئون للمرأة وتحريرها من الفقر المشار إليه الهدف الأساس عند الوثيقة وواضيعها هو تحرير المرأة من الاحتياج إلى «الزواج» من الرجل، لأن المرأة عندهم مقهورة على قبول الزواج من الرجل، بسبب فقرها ولكن حين تحرر من الفقر تحرر فى الوقت نفسه من الوقوع فى «سجن الزواج» الذى يحرمها من حقوقها ويسلب حريتها وتعيش مقهورة فى سجن الحياة الزوجية؟

إلى هذا المدى من النفرة والجفوة تصور الوثيقة الحياة الزوجية بين الرجل والمرأة. وتعود إلى السير فى طريق مدابر للفطرة السليمة التى فطر الخالق عليها الرجال والنساء وتصوب سهاما مسمومة قاتلة لنظام «الأسرة» التى هى، الوحدة الأولى فى المجتمع الإنسانى الكبير. ومدابرة الفطرة هنا تنتج:

- إحلال التنافر محل الوئام والتجاذب.
- وإحلال الانفصال محل الاتصال.
- وإحلال البغض محل الود.
- وإحلال القسوة محل الرحمة.
- وإحلال الأنانية محل التعاون.

تقول «الوثيقة» بالحرف الواحد:

تقرر الوثيقة أن الرابط الأساسى للمرأة بالرجل هو حاجتها المادية إليه لذلك فإن التمكين الاقتصادى للمرأة يمكنها من فك الارتباط بالرجل مما يتيح لها فرصة وسهولة التخلى عن الحياة الأسرية، وعن الزواج؟!

لقد أخطأت الوثيقة خطأ فاحشاً حين حصرت أواصر الرابطة بين المرأة والرجل فى الإطار المادى البحت وتجاهلت كل المعانى والعواطف الجميلة التى هى مركوزة فى طباع الرجال والنساء فطرياً.

وفى هذا التصور الخطىء عودة إلى مقولة «التفسير المادى للتاريخ» التى قام عليها صرح الماركسية المنهار إلى غير رجعة.

ولو كانت الوثيقة أحسنت قراءة الواقع المعيشى ما انزلقت أقدامها فى الوحل إلى هذا الحد.

فما أكثر الثريات ثراء فاحشاً اللاتى تزوجن بالرجل قبل الآن، والآن وبعد الآن ولن نجد ثرية أغناها ثراؤها عن الركون إلى رجل فى اطار شرعى وغير شرعى وصور الارتباط الشرعى لاتحصر فى حياة الإنسان أما الارتباط غير الشرعى فإن جان بول سارتر، الفيلسوف الوجودى وسيمون دى بوفوار، من أمثلته الصارخة فى العصر الحديث.

لقد عاش الإثنان ربع قرن من الزمان تحت سقف واحد منجذب هو إليها، ومنجذبة هى إليه، وكان كل منهما ثريا حتى بعد انطفاء جذوة الميول الجنسية عندهما وذلك لا لأن سيمون دى بوفوار كانت فقيرة ولا لأن جان بول سارتر كان ثريا.

بل للإحساس الفطرى بأن الرجل أيا كان، لفى أشد الحاجة إلى كل ماعند المرأة، أيا كانت ويخلو منه هو.

ولأن المرأة، أيا كانت، لفى أشد الحاجة إلى ماعند الرجل، أيا كان وتخلو هى منه.

ولهذا الاحتياج الشديد المتبادل بين أى رجل وأى امرأة - إذا تم التبادل - يشعر الرجل بكماله وتشعر المرأة بكمالها.

تلك هى الفطرة التى فطر الخالق الخلق عليها. ولن تجد لخلق الخالق تبديلا ولا تبديل لفطرة الفاطر الحكيم.

فهذه البنود، التى وردت فى «وثيقة بكين» لعام ١٩٩٥م شاهد على عجز البشر عن تدبير شئون أنفسهم بدون مرجعية عليا معصومة من الخطأ والتخليط.

وفى الجانب المقابل، ما أكثر النساء الثريات فى الحياة اللاتى تزوجن من رجال فقراء، هن ماديا لسن فى حاجة إليهم من أجل المال، لأنهم أقل مالا منهن، لكنهن يردن ملء فراغ هائل يشعرن به:

اجتماعيا، وعاطفيا، وفطريا، لأن المرأة إنسان والإنسان مدنى بطبعه، أو بفطرته المفطور عليها من أمر الفاطر الحكيم.

مدنى بطبعه، أو بفطرته، يميل إلى الإلف والأنس وينفر عن الوحدة والوحشة. وهو - وحده - يعيش فى سجن نفسى وشعورى، ولو كان فى قصر متين هو مع غيره «فاعل» وهو بمفرده «عاطل».

إن أية طاقة كهربية، مهما صغرت أو كبرت لا تتولد من شريان (سلك) واحد بل لابد من اجتماع شريانين أحدهما سالب والثانى موجب فتتولد الشرارة المضيئة وهذا مثل أخر لاحتياج كل من الرجل والمرأة فطريا إلى الآخر، وشعوره الفياض بالحنين والركون إليه. فالبحث عن وسائل تفرق بين إنسانين مؤتلفين شعوريا فيه عدوان سافر على حقوق الإنسان المؤصلة فطريا وتصويرهما على أنهما عدوان يحذر أحدهما الآخر تدمير للمشاعر النبيلة، والمعانى الجميلة، التى إن خلت منها العلاقات الإنسانية فقد الإنسان مركزه فى الوجود.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾

أسرة تحرير مجلة الأزهر وقد آلمها النعى الفاجع للفقيدة العزيزة حرم فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ترفع إلى فضيلته جميل العزاء واثقة من قوة إيمانه وعظيم صبره فى مواجهة هذا الخطب الذى شمل أحبابه وأصدقاءه وتلاميذه، راجية للفقيدة العزيزة حسن الثواب، ولأسرتها الحبيبة جميل الصبر والعزاء.

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾

أسرة التحرير

التوازن بين الحريات المدنيـــة والأمن العام فى وجه الإرهاب

١

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف

رئيس اللجنة الدائمة للأزهر الشريف للحوار بين الأديان السماوية

مقدمـــة

إن الواقع المؤلم الذى نعيشه فى مجتمعنا الدولى المعاصر، ونعانى من ضرره وسلبياته، من حيث اختلاط المفاهيم، وتداخل الاصطلاحات، وعدم تحديد المعانى، وازدواجية المعايير فى تطبيق الأحكام والقرارات سواء على مستوى الأفراد أو المجتمعات أو الدول، والتفرقة فى المعاملات بين الأفراد على المستوى المحلى، وبين الشعوب والدول على المستوى العالمى والدعوة إلى التحرر المطلق دون قيد تحت دعوى حرية الإنسان.. يتطلب منا جميعاً وقفة نظر ومراجعة إذا كنا صادقين مع أنفسنا فى علاج هذا الخلل الواقع، وفى ضرورة الوصول إلى منهج سليم يحقق الخير للمجتمع الإنسانى.

ولو رجع الإنسان إلى نفسه، واستعمل عقله الذى كرمه الله به وميزه به على سائر المخلوقات بفكر سليم مجرد لوجد أن التوازن بين الأمور هو الحل الطبيعى لمشكلات الحياة، فالذى ينظر إلى الأمور من جميع نواحيها ثم يوازن بين كل ناحية وناحية ليقيم علاقة طيبة بين الوجوه المختلفة تكون محل قبول الجميع هو الإنسان المتزن الذى يقود السفينة فى الأمواج الزاخرة ليصل بها إلى الشاطىء بأمان وسلام.

العلاقة بين الحرية المدنية

والأحكام والشرائع الدينية فى الإسلام

الحرية المدنية فى الإسلام أصل من أصول التشريع الإسلامى، وقاعدة راسخة من أحكامه، وما كتب تحت عنوان الحرية الدينية فى كتب الفقه الإسلامى والعقيدة ينتمى انتماءً مباشراً إلى الحرية المدنية، لأن الإسلام دين ودنيا، وعمل وعبادة، وما جاء الإسلام للناس إلا لينظم حياة البشر، وعلاقتهم بعضهم ببعض فى جميع مجالات الحياة، وعلاقتهم مع ربهم خالقهم، ويسير بهم إلى الطريق المستقيم الذى يكفل تحقيق الخير والسعادة لهم فى الدنيا والآخرة، وذلك بأسلوب منظم دقيق، فيه توازن حكيم، ومراعاة لغرائز الإنسان الفطرية والقيم الروحية دون صراع أو صدام بينهما، بل فى انسجام وتناسق.

إذن فالحرية المدنية هى التى خصها الإسلام بتوجيهه ورعايته وعنايته كى تتضح الأمور للناس، وتحدد المفاهيم دون التباس أو تداخل، وتطبق الأحكام على الجميع دون تفرقة أو تمييز.

مظاهر الحرية المدنية فى الإسلام

مظاهر الحرية المدنية فى الإسلام كثيرة ومتعددة يطول الحديث عنها لو أردنا أن نعدها وأن نحصيها، وأن نتكلم عن كل مظهر منها بالتفصيل، ولكن سأختصر وأوجز الإشارة إلى المظاهر الأساسية التى تعتبر ركيزة وقاعدة لها، والتى تنبثق منها مظاهر أخرى فرعية كثيرة.

• حرية العقيدة الدينية:

أول مظهر من مظاهر الحرية المدنية فى الإسلام حرية العقيدة الدينية، وتحريم الإكراه على الدين، إذ يقول الله عز وجل:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾

آية ٢٥٦ سورة البقرة

ويقول سبحانه مخاطباً الرسول ﷺ:

﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾

آية ٩٩ سورة يونس

وبهذا التشريع الحاسم طبق الخلفاء الراشدون قوانين حرية العقيدة الدينية على غير المسلمين.. فقد أعطى عمر بن الخطاب أهل إيلياء أماناً لأنفسهم وكنائسهم وصلبانهم لا ينقص منها شىء، وكذلك فعل عمرو بن العاص بمصر حين جاء الفتح الإسلامى.

ولكن ليس معنى حرية العقيدة الدينية أن يفعل الإنسان ما يؤذى مشاعر الآخرين الذين يخالفونه فى العقيدة، أو أن يعتدى على مقدساتهم الدينية، أو أن يستهزىء بطقوسهم الدينية، فاستقلالية كل دين، واحترام خصوصيات عقائده، وعدم تجريح أتباعه، أو الطعن فى عقيدتهم، أو الخروج على الآداب العامة فى معاملاتهم والحديث معهم موضع اهتمام الدين الإسلامى.

• حرية الرأى والنقاش:

وثانى مظاهر الحرية المدنية فى الإسلام حرية الرأى والنقاش، فلا حجر على أحد فى إبداء الرأى المخالف، فقال تعالى جل شأنه:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

آل عمران/ ٦٤

وقد نصح الله عباده أن يكون النقاش والجدال بالرفق واللين قال الله تعالى:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾

آية ١٢٥ سورة النحل

وقال جل وعلا:

﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾

آية ١١١ سورة البقرة

ولكن يجب أن تراعى مبادىء أساسية هامة عند إبداء الرأى أو إجراء الحوار والنقاش أهمها: ألا يتجه الرأى إلى الانحطاط الأخلاقى أو تحقير المثل الرفيعة، أو الانحدار والسقوط والإسفاف فى الذات الإلهية، أو المقدسات الدينية، أو أصحاب المثل العليا من الرسل والأنبياء، والالتزام بنبذ التعصب للرأى، واحترام رأى الآخرين، وعدم التعالى عليهم، وتجنب الغرور والكبر عليهم، والحرص على استعمال الأسلوب الراقى المهذب، وأن يكون الهدف هو الوصول إلى الحق والصواب والتسليم به متى ثبت ذلك بالدليل والبرهان والحجة فالإمام الغزالى عند الحديث عن الآداب التى يجب أن يتحلى بها المتناظران والمتحاوران فى مسألة معينة يقول: أن يكون المتحاوران فى طلب الحق كناشد الضالة، لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً، ويشكره إذا عرفه الخطأ، وأظهر له الحق، وأن يلتزم الجميع بالحكمة التى تقول: رأيى صواب يحتمل الخطأ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب، ونتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا عليه.

والذين يخالفون منهج الدعوة بالتى هى أحسن، ويخالفون منهج حرية الرأى والنقاش، إنما يخالفون الإسلام فى صميم

منهاجه ومقرراته، إذ أن النقاش لا يجب أن يكون مدعاة للغضب والهياج، والتخاصم والصدام... بل على المتناقشين أن يكونوا متحابين رغم اختلاف وجهات النظر، قال الله تعالى:

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾

آية ١٤٨ سورة البقرة

• إباحة التفكير العلمى:

أما المظهر الثالث من مظاهر الحرية المدنية فى الإسلام فهو إباحة التفكير العلمى لكل مجتهد إذا بلغ درجة الحكم الصحيح بشروطه التى اتفق عليها العلماء...، لقد بنى الإسلام عقيدة التوحيد والإيمان بالله على دعوة الإنسان إلى استعمال العقل والنظر والتفكير والتأمل فى خلق الله والإبداع فيه ليعلم الإنسان أن خالق الكون أنشأه لمصالح العباد، وليكون لكل إنسان مسعاه الحميد فى اكتساب الرزق وتيسير أمور الحياة، يقول الله تعالى:

﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

آية ١٠١ سورة يونس

ولقد اهتم الدين الإسلامى بطلب العلم والحث على تعلمه وتحصيله، ورفع من شأن وقدر ومنزلة العلماء، ويكفى أن أول آية من القرآن الكريم نزلت على رسول الله ﷺ كانت الدعوة إلى القراءة، يقول الله تعالى:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

الآيات من ١:٥ سورة العلق

وفضل الله العلماء على غيرهم، يقول الله تعالى:

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

آية ٩ سورة الزمر

ورفع من شأنهم: لأن العلم طريق إلى معرفة حق الله وما يجب له جل شأنه يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾

فاطر - ٢٨

والإسلام لم يقيد التفكير العلمى بعلوم معينة ولا بنتيجة معينة، ولم يحاول فرض نظرية خاصة على الناس، بل دعاهم إلى التفكير العلمى دينياً كان أو دنيوياً، لأن كلاً منهما مكمل للآخر ما دامت هذه العلوم تخدم الإنسان الذى خلقه الله لعمارة الكون، وما دامت هذه العلوم لا تتعارض مع الأخلاق الفاضلة ولا مع المبادىء والعقائد الدينية، ولا تستخدم نتائجها لإلحاق الضرر بالبشرية.

«يتبع»

طرائف .. ومواقف

للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

«جود عبيد الله بن عباس»

كان عبيد الله بن عباس من أجواد الناس وأسخيائهم. قيل إنه جاءه رجل من الأنصار فقال: ياابن عم رسول الله إنه ولد لى فى هذه الليلة مولود، وإنى سميته باسمك تبركا منى بك، وإن أمه ماتت، فقال عبيدالله: بارك الله لك فى الهبة، وأجزل لك الأجر على المصيبة. ثم دعا بوكيله فقال: انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه، وادفع إليه مائتى دينار للنفقة على تربيته. ثم قال للأنصارى: عد إلينا بعد أيام، فإنك جئتنا وفى العيش يبس، وفى المال قلة. قال الأنصارى: لو سبقت حاتما بيوم واحد ما ذكرته العرب أبدا، ولكنه سبقك فصرت له تاليا، وأنا أشهد أن عفوك (أى قليلك) أكثر من مجهوده، وطل كرمك أكثر من وابله!

«لا جديد لمن لا قديم له»

عن عنترة الشيبانى قال: قال عمر لابنه: «يابنى اتق االله يقك، وأقرض الله يجزك، واشكره يزدك، واعلم أنه لا مال لمن لا رفق له(1) ولا جديد لمن لا خلق له(2) ولا عمل لمن لا نية له»

«النفس....»

النفس تجزع أن تكون فقيرة
والفقر خير من غنى يطغيها
وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت
فجميع ما فى الأرض لا يكفيها

(1) الرفق: لين الجانب، وبذل النفع واللطف للغير

(2) الخلق: البالى من الثياب

«قالوا ...»

- من أكرمك فأكرمه، ومن استخف بك فأكرم نفسك عنه
- لا يكن سمعك لأول مخبر، ولا تقتك لأول مجلس.
- يعرف جهل المرء بكثرة كلامه فيما لا ينفعه، وإخباره عما لا يسأل عنه.
- موطنان لا تشمت فيهما، موت الأعداء، وضلال المهتدين.
- موطنان لاتندم فيهما أبدا، فضل لك جحده قرباؤك، وعفو منك أنكره عتقاؤك.
- المؤمن من إذا غضب لم يخرجه غضبه من حق، وإذا ارتضى لم يدخله رضاه فى باطل، والذى إذا قدر لم يأخذ أكثر مما له.

«ما ينبغى للعاقل»

قال خالد بن صفوان: ينبغى للعاقل أن يمنع معروفه الجاهل واللئيم والسفيه، أما الجاهل فلأنه لايعرف المعروف ولا الشكر عليه، وأما اللئيم فأرض سبخة لا تنبت ولا تصلح للغرس، وأما السفيه فيقول: أعطانى خوفا من لسانى.

«وصف الأحنف للبنين»

دخل الأحنف على معاوية ويزيد بين يديه وهو ينظر إليه إعجابا، فقال: يأبا بحر ماتقول فى الولد؟ فعلم ما أراد، فقال: يا أمير المؤمنين! هم عماد ظهورنا، وثمرة قلوبنا، وقرة أعيننا، بهم نصول على أعدائنا، وهم الخلف منا بعدنا، فكن لهم أرضا ذليلة، وسماء ظليلة، إن سألوك فاعطهم، وإن استعتبوك فأعتبهم، ولا تمنعهم رفدك، فيملوا قربك، ويستثقلوا جنابك، ويتمنوا وفاتك. فقال: لله درك يا أبا بحر، هم كما قلت!

«كل المصائب»

كل المصائب قد تمر على الفتى
فتهون غير شماته الأعداء

«اختبار جارية»

عرض على المتوكل جارية، فقيل له: إنها فصيحة شاعرة، فأراد أن يختبرها، وكان أبوالعيناء الضرير جالساً عنده، فطلب منه اختبارها.

فقال لها: أجيزى أحمد الله كثيراً.

فقالت: حيث أنشاك ضريرا

فقال: اشترها يأمير فقد أحسنت فى إساءتها

«جواب مسكت»

أراد شعيب بن حرب أن يتزوج امرأة فقال لها: إنى سيىء الخلق فقالت: أسوأ منك خلقا، من أحوجك إلى أن تكون سيئا. قال: أنت إذن امرأتى.

بطانة الحاكم

كان عبيدالله بن مسعود الهزلى أحد فقهاء المدينة السبعة، وكان عمر بن عبدالعزيز يقول: لأن يكون لى مجلس من عبيد الله أحب إلىَّ من الدنيا وما فيها.

وقال: إنى لأشترى ليلة من ليالى عبيدالله بألف دينار من بيت المال.

فقالو له: يا أمير المؤمنين، تقول هذا مع تحريك وشدة حفظك؟

فقال: أين يذهب بكم؟ والله إنى لأعود برأيه وبنصيحته وبهدايته، على بيت مال المسلمين بألوف وألوف، إن فى المحادثة تلقيحاً للعقل، وترويحاً للقلب. وتسريحاً للهم، وتنقيحاً للأدب.

أسعد أصحابك

قيل لبعض الصالحين: من أسعد أصحابك بصحبتك؟

قال: أعظمهم لحرمات الله، وألهجهم بذكر الله، وأقومهم بحق الله، وأسرعهم مبادرة فى مرضاة الله، وأعرفهم بنقصانه، وأكثرهم تعظيما لما عظم الله من حرمة عباده.

المتظلم من خصمه

بينما عبدالله بن جعفر راكب إذ تعرض له رجل فى الطريق فأمسك بعنان فرسه، وقال: سألتك بالله أيها الأمير أن تضرب عنقى فبهت فيه عبدالله، وقال: أمعتوه أنت؟ قال: لا ورأس الأمير، قال: فما الخبر؟ قال: لى خصم ألدُّ قد لزمنى وألح وضيق على، وليس لى به طاقة، قال: ومن خصمك؟ قال: الفقر، فالتفت عبدالله لفتاه، وقال: ادفع له ألف دينار، ثم قال له: يا أخا العرب خذها ونحن سائرون، ولكن إذا عاد اليك خصمك متغشما فأتنا متظلما، فإنا منصفُوك منه إن شاء الله، فقال الأعرابى: إن معى من جودك ما أدحض به حجة خصمى بقية عمرى، ثم أخذ المال وانصرف.

«دعاء»

اللهم لا تجعلنا موضع شفقة، عبادك، بل اجعلنا موضع شفقتك أنت يارب، ولا تجعلنا محط الإحسان من خلقك، بل موضع الإحسان منك أنت يارب، واجعلنا دائماً وأبداً بك ومعك وإليك، فلا منجى ولا ملجأ منك إلا إليك يارب.

الأمن الاجتماعى فى الإسلام

للمستشار حسن حسن منصور
نائب رئيس محكمة النقض

الإنسان كما يعرفه علماء الاجتماع: هو كائن اجتماعى بطبعه، فالله - تعالى- خلقه ليعيش مع غيره فى جماعة، وجعل النفس الواحدة منه، تعدل كل الأنفس البشرية، مصداقا لقوله تعالى:

﴿ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾

(المائدة، ٣٢)

وقد كفل الله - تعالى- له الأمن الكامل فى هذه الحياة، بما وضع له من منهج قويم ينظم حركته فيها.

وإذا كانت الدول الحديثة قد عرفت بعض أنظمة الأمن الاجتماعى، بعد قيام الثورة الصناعية فى أوروبا، إلا أن الإسلام سبق ذلك بما يربو على الألف عام، عندما جاء بكل أنظمة هذا الأمن، والتى عبر عنها أحد علماء الاقتصاد المحدثين بقوله: إن الإسلام هو دين الضمان الاجتماعى، من حيث التزام الدولة، ودين التكافل الاجتماعى، من حيث التزام الأفراد، وقد ضمن لكل فرد وجد فى المجتمع الإسلامى، أيا كانت ديانته أو جنسيته، حد الكفاية لا الكفاف فى المعيشة، متى عجز أن يوفره لنفسه، لسبب خارج عن إرادته، كالمرض أو الشيخوخة أو العجز أو البطالة وغير ذلك.

ومن أوضح صور الأمن التى جاء بها الإسلام لجميع الناس، أيا كان دينهم أو جنسهم، الأمن الاجتماعى، المتمثل فى حق الإنسان: فى أن تكون لديه العناصر التى تكفى لتوفير المعيشة المستقرة له فى المجتمع، سواء كانت متعلقة بطعامه أو ملبسه أو سكناه أو صحته وغير ذلك، ولتحقيق هذا الأمن، حددت الشريعة الغراء العديد من الوسائل، من أهمها الثلاث الآتية:

أولا: الضمان الاجتماعى

وهو حق للمواطن والتزام على الدولة، فى تقديم المساعدة للمحتاجين من مواطنى هذه الدولة، بسبب المرض أو الفقر أو العجز أو الشيخوخة وغيرها، ومصدر هذا الحق وذلك الالتزام، هو التبعية لنظام الدولة.

والضمان الاجتماعى حق للجميع، فمما أوردته كتب سيرة الخلفاء الراشدين - رضى الله عنهم أجمعين - أن عجوزاً يهوديا ضريراً، كان يسير فى طرقات المدينة المنورة، يسأل الناس، فقابله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فقال له: ما حملك على هذا؟ قال: الحاجة والجزية، فأرسله إلى بيت مال المسلمين، وقرر له راتبا مستمرا منه، وطلب من عماله أن يضعوا عنه وعن أمثاله الجزية، وقال كلمته العادلة: «ما كنا لنأكل شبابه، ونضيعه فى شيخوخته» وهذا هو التطبيق العملى لمبدأ الضمان الاجتماعى الذى وضعه الإسلام، والذى نشر مظلته العادلة على كل رعايا الدولة الإسلامية، أيا كان دينهم أو جنسهم.

وعن طبيعة هذا الحق يقول الفقهاء: «إنه حق مقدس، يعلو فوق كل الحقوق» وعبر عنه الإمام الشافعى بقوله: «إن للفقراء أحقية استحقاق فى المال، حتى صار بمنزلة المال المشترك بين صاحبه وبين الفقير» أى أن الفقير المستحق، كمصرف للزكاة، يعتبر شريكا للغنى فى ماله بقدر سهم هذا المصرف. فلو كان على الغنى إخراج ربع العشر من ماله كزكاة، فإن الفقير يكون شريكاً له بهذا القدر، وبطبيعة الحال فإن الشريك يطالب بحقه ولا ينتظر تفضل صاحب المال.

ويترتب على ذلك، أن هذا الحق يلتزم به كل مجتمع إسلامى، حتى ولو كان فقيراً أو شحيح الموارد، فيجب ألا يحصل فيه الفرد على أكثر من حاجاته الضرورية، كما قال الخليفة العادل عمر بن الخطاب - رضى الله عنه: إنى حريص على ألا أدع حاجة إلا سددتها ما اتسع بعضنا لبعض، فإذا عجزنا، تأسينا (من المواساة) فى عيشنا، حتى نستوى فى الكفاف (وهو الحد الأدنى من المعيشة).

والضمان الاجتماعى واجب على الدولة والأفراد على السواء، طالما كان هناك محتاج فى المجتمع المسلم، وهناك صورة بشعة للمجتمع الذى يتقاعس عن القيام بهذا الحق، وهى التى أشار إليها الرسول الكريم ﷺ بقوله الذى رواه الحاكم فى المستدرك والإمام أحمد فى مسنده: «أيما أهل عرصة (محلة أو حى)، أصبح فيهم امرؤ جائعاً، فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله». وهذا الجزاء عظيم، لأن الجرم الذى وقع على هذا الإنسان أعظم، وهو جزاء لا ينجو منه الأفراد إذا كانوا متفرقين، أو كانوا فى جماعة لها نظام معين، كالعشيرة أو القبيلة أو الدولة، ومن ثم وجب على هؤلاء جميعا مضاعفة

الجهد فى القيام بهذا الحق، حتى لا يقعوا تحت طائلة ذلك الجزاء فى الدنيا والآخرة.

ثانياً- التكافل الاجتماعى

وهو قيام الأفراد بتقديم العون المادى أو المعنوى بعضهم لبعض، فى أى مكان أو زمان، أو لأى سبب، والأساس فى ذلك قول الحق تعالى:

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾

(المائدة/ ٢)

إن هذا التكافل الاجتماعى يعد مقياساً حقيقياً لمعرفة درجة نقاء معدن الإنسان، فما أسهل أن يأخذ المسلم حفنة من ماء، فيتوضأ بها، ثم يصلى ما شاء من أنواع الصلوات، فرائض أو سنن أو نوافل، ولكن المحك الحقيقى له، عندما يطلب منه أن يضع يده فى جيبه ليخرج ولو القدر اليسير من المال، ليقدمه لمن يستحق من خلق الله، ولذلك قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه: «لا تنظروا الرجل (لمعرفة معدنه) عند صلاته، ولكن انظروه عند درهمه وديناره».

إن بذل المال لمن يستحقه، هو من شعب الإيمان المتعددة، ومن تقاعس عن ذلك كان على شعبة من النفاق، بل هو يعد مكذباً برسالة الإسلام، لقول الحق تعالى:

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾

(سورة الماعون/ ١: ٣)

وقد أشار الرسول الكريم ﷺ إلى إحدى الصور التى لا يكتمل فيها إيمان الإنسان، بقوله الشريف الذى رواه البيهقى والطبرانى: «ليس بمؤمن، من بات شبعاناً، وجاره جائع إلى جنبه، وهو يعلم»، ومن رحمة الله ورسوله بنا أن جعلا عدم اكتمال الإيمان فى هذه الحالة، مرتبطاً بعلم الجار بجوعة جاره، أو عدم علمه، وإلا كانت العاقبة سيئة على الجميع.

وهناك نموذج رائع لقوم تحققوا بالتكافل الاجتماعى فى أفضل صوره، فكانوا أهلا للدرجات العليا من الإيمان، إنهم الأشعريون قبيلة الصحابى الجليل أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - الذين قال فيهم أشرف المرسلين ﷺ، فيما رواه البيهقى عن أبى موسى: «إن الأشعريين إذا أرملوا «نفد زادهم» فى الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جعلوا ما كان عندهم فى ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية، فهم منى وأنا منهم» فهؤلاء القوم الكرام كانوا يتكافلون فى أوقات الحرب والسلم، وكان كل واحد منهم يتفقد أحوال غيره من بنى قومه، فإذا تبين أن هناك من هو فى حالة عوز مادى، أخبر عنه الآخرين، فيقدم الجميع كل ما لديهم، ويتقاسمونه بالتساوى فيما بينهم،

حتى لا يتميز أى واحد منهم على الآخر، وبذلك يتحقق لكل منهم الأمن الاجتماعى فى حياته.

وما أروع أن يحتذى أبناء أمة الإسلام هذا النموذج الرائع، الذى يعد تجسيداً حيا للمثل الذى ضربه الرسول الكريم ﷺ لهذه الأمة بقوله الشريف: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[1] وبذلك يستحقون ما وصف به الرسول ﷺ الأشعريين: «فهم منى وأنا منهم».

ثالثا. التأمين الاجتماعى

وهو أن تقوم الدولة بوضع نظام معين لجمع اشتراكات من القادرين من أبناء المجتمع، وتدعيمها إذا لزم الأمر، من بيت المال، ومنحهم بعض المزايا، فى بعض الأوقات أو عند وقوع بعض الأحداث وغير ذلك، وهذا النظام مبعثه المصلحة التى تسعى الدولة لتحقيقها لأفرادها. وأفضل نظام جاء به الإسلام لتحقيق هذه الوسيلة من الأمن الاجتماعى، هو الزكاة، سواء كانت مفروضة كأحد أركان هذا الدين، أم كانت فى صورة صدقة التطوع.

وإذا كان الحديث عن الجانب الاجتماعى للزكاة، يطول كثيرا، فمن باب ما لا يدرك كله فلا يترك كله، نشير إلى مسألة هامة فى أداء الزكاة، وهى غفلة كثير من المسلمين عن تحرى الدقة فى التعامل مع الزكاة الركن الثالث، من الأركان الخمسة التى بنى عليها دينهم، ولاسيما فيما يتعلق بالشخص المستحق لها، وخاصة فى أيامنا المعاصرة.

ومن عجب أنهم يعطون جل عنايتهم للركن الثانى وهو الصلاة، رغم اقترانهما فى الأمر بتشريعهما، فى كثير من آيات الكتاب العزيز والأحاديث النبوية المطهرة، كما فى قوله تعالى:

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾

(البقرة/٤٣)

وبسبب هذه التفرقة شن الخليفة الأول أبوبكر الصديق -رضى الله عنه- الحرب على مانعى الزكاة، وقال لمن عارض هذه الحرب: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة».

فعلى صاحب المال الذى تجب فيه الزكاة، أن يتحرى بدقة صاحب المصرف الشرعى المستحق لها، حتى يضعها فى يده، بما يضمن له أداء هذا الركن الأصيل للإسلام، وهنا تجدر الإشارة إلى ما ذكره فقهاء الحنابلة، من أن الفقراء والمساكين المستحقين للزكاة، ينقسمون إلى ثلاثة أنواع هى:

(١) صحيح مسلم جـ٤ / ١٩٩٩.

١ - شخص يستطيع أن يعمل ويكسب ويغنى نفسه، كالصانع والتاجر والزارع وغيرهم، ولكن ليست لديه أدوات الصناعة، أو رأس مال التجارة، أو أرض الزراعة، فيأخذ من مال الزكاة ما يكفى لشراء هذه الأدوات، أو بداية رأس المال، أو قيمة إيجار الأرض الزراعية، ليتمكن من مزاولة النشاط الذى يكتسب منه ما يكفيه طوال حياته، دون حاجة إلى أخذ الزكاة مرة أخرى.

٢ - شخص يستطيع أن يعمل ويكفى نفسه، ولكنه متفرغ لتحصيل العلم، وتعليمه للغير، ولا يمكنه الجمع بين الكسب وطلب العلم، فإنه يأخذ من مال الزكاة ما يعينه على القيام بمهام العلم، لأن عمله هذا من قبيل فرض الكفاية، الذى يعم نفعه سائر المسلمين، ولكن على العكس المتفرغ للعبادة لا يأخذ من مال الزكاة، لأن نفع العبادة يعود عليه وحده.

٣ - شخص عاجز عن الكسب، كالمريض المقعد والشيخ الهرم والطفل اليتيم وغيرهم، فيأخذون من مال الزكاة ما يكفى حاجتهم الأصلية، حتى يزول عنهم سبب عدم القدرة على الكسب.

إن الإنسان - أيا كان دينه أو جنسه - يتمتع فى ظل الإسلام بالحياة الآمنة، فى معاشه فى يومه وغده، وفى كل أحواله من اليسر والعسر، والقوة والضعف، وما ذلك إلا لأن من أوجه العظمة فى هذا الدين أنه لم يجعل الفقير عالة على الغنى فيحاول إسقاطه من حسابه، والانزواء عنه، بل جعله سببا لتحقيق سعادته، إن لم يكن فى الدنيا، فيكون فى دار البقاء فى الآخرة، وهذا يدفع الغنى للبحث عن الفقير ليقدم له يد العون المادى والمعنوى، وإذا لقيه يبش فى جهه، ولسانه يردد ما كان يقوله بعض سلفنا الصالح: مرحبا بمن يحمل إلى زادى إلى الآخرة. وهذه غاية عظمى، تستحق أن يتنافس فيها المتنافسون.

والله تعالى ولى التوفيق...

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،،،

***

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ ﴾

أسس الأمن في الإسلام

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

الأمن نعمة إلهية من أجل النعم التى ينعم الله تعالى بها على من يستحقونها، ويؤدون واجباتها، وتتحقق فيهم أسسها.

مفهوم الأمن

ومفهوم الأمن واسع الدلالة، فهو يعنى: الشعور بالسلام والطمأنينة وعدم الخوف فى الحياة على النفس والمال والعرض، ويشمل الأمن النفسى والاجتماعى والاقتصادى والدولى، وأمن الفرد والأسرة والمجتمع والدولة والإنسانية جمعاء.

والأمن بهذا المفهوم هو مطلب الفرد والأسرة والمجتمع والدولة، والبشرية كلها.

والحياة بدون الأمن لا قيمة لها، ولا يشعر الإنسان فيها بأى معنى لأنه - عند فقد الأمن - يرى حياته مهددة، ويرى ظواهر الحياة لا قيمة لها، لأنها من الممكن أن تمحى بين عشية وضحاها.

والحياة مع الأمن تكون مستقرة متكاملة تنهض بأعمالها ومهامها، وتحقق رسالتها فى الحياة بصدر رحب، وقلب مطمئن.

والأمن نعمة فى الحياة الدنيا دعا بها الأنبياء والمرسلون فإبراهيم -عليه السلام- دعا ربه- سبحانه وتعالى - بالأمن للوطن حين قال:

﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾

سورة البقرة (١٢٦)

والأمن نعمة من نعم الله- تعالى -فى الآخرة، ينعم بها عباد الله المؤمنون المخلصون، قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾

سورة الدخان (٥١)

والأمن سمة المؤمن الصادق فى إيمانه، إنه يحقق الأمن فى نفسه وفى غيره، ويأمنه الناس على دمائهم وأموالهم، قال رسول الله ﷺ: «والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم» رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه.

وسمة المؤمن أنه يؤمن الشر من جانبه فلا يكون مصدر خوف ولا مصدر شر لأحد من الناس قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره» رواه الترمذى.

ومن عاش آمناً فى نفسه، كان سعيداً ولو لم يملك من الدنيا إلا قوت يومه فقط، فنعمة الأمان مع نعمة الصحة لا يعاد لها شيء فى الوجود.

قال عليه الصلاة والسلام: «من أصبح منكم آمناً فى سربه مُعافى فى جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا» رواه الترمذى.

والإنسان الذى لا يأمن جاره بوائقه أى شروره لا يكون كامل الإيمان، فقد قال رسول الله ﷺ: «والله لا يؤمن - ثلاثاً - قيل: مَنْ يا رسول الله؟ قال: الذى لا يأمن جاره بوائقه» رواه البخارى.

وإن الذى يظهر خيراً فى معاملته أمناه، ومن أظهر سوءاً لا نأمنه. قال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه: «إن أناساً كانوا يؤخذون بالوحى فى عهد رسول الله - ﷺ - وإن الوحى قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه وليس إلينا من سريرته شيء، والله يحاسبه فى سريرته، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة» رواه البخارى.

أسس الأمن

الأساس الأول: هو الإيمان، فإذا تحقق الإيمان وجد الأمن، وإذا انتفى الإيمان أو نقص لا يوجد الأمن والمراد بالإيمان هو التصديق القلبى والإقرار باللسان، والعمل والتطبيق، فإذا وجد التصديق أو النطق ولم يوجد عمل ولا تطبيق فهو إيمان ناقص، فالذى لا يأمن جاره بوائقه ليس كامل الإيمان، والذى لا يأمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم ليس كامل الإيمان والذى لا يؤمن شره لم يتحقق فيه الإيمان رئيساً كان أو مرءوساً وهكذا.

إذا الإيمان ضاع فلا أمان
ولا دنيا لمن لم يحْى دينا

الأساس الثانى: العمل الصالح فالذى يعمل الصالحات ويؤدى الطاعات، ويأمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، ولا يفوته عمل صالح إلا ويؤديه، ولا واجب إنسانى إلا تقدم فيه، ويهرع إلى صنائع المعروف بقلب صاف وضمير حى، وسريرة نقية يكون آمناً على

نفسه ويكون مَنْ حوله آمنين.

وبهذين الأساسين: الإيمان والعمل يكون الأمن وقد وعد الله -تعالى- الذين يحققون الإيمان والعمل الصالح أن يستخلفهم فى الأرض، وأن يمكن لهم دينهم، وأن يبدلهم من بعد خوفهم أمناً، قال الله تعالى:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

سورة النور (٥٥)

ولقد تحقق هذا الوعد من الله -تعالى- لرسوله عليه الصلاة والسلام فلم ينتقل الرسول ﷺ إلى جوار ربه حتى فتح الله عليه مكة وخيبر وسائر جزيرة العرب.

ولقد وعد الرسول صلوات الله وسلامه عليه الأمة بنعمة الأمان حين كانت على إيمانها وعملها الصالح، فقال لعدى بن حاتم حين وفد عليه: «أتعرف الحيرة»؟ قال: لم أعرفها ولكن سمعت بها، قال: فوالذى نفسى بيده ليتمّن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت فى غير جوار أحد، ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز، قلت: كسرى ابن هرمز؟ قال: «نعم وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد» قال عدى بن حاتم: فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت فى غير جوار أحد.

ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز، والذى نفسى بيده لتكونن الثالثة، لأن رسول الله ﷺ قد قالها.

الأساس الثالث: العدل وعدم الظلم، فلابد مع الإيمان وعمل الصالحات ألا يخلط الإيمان بظلم بل لابد من نشر العدالة فى سائر الوجوه؛ لأن الظلم يولد الغضب والعنف قال الله تعالى:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

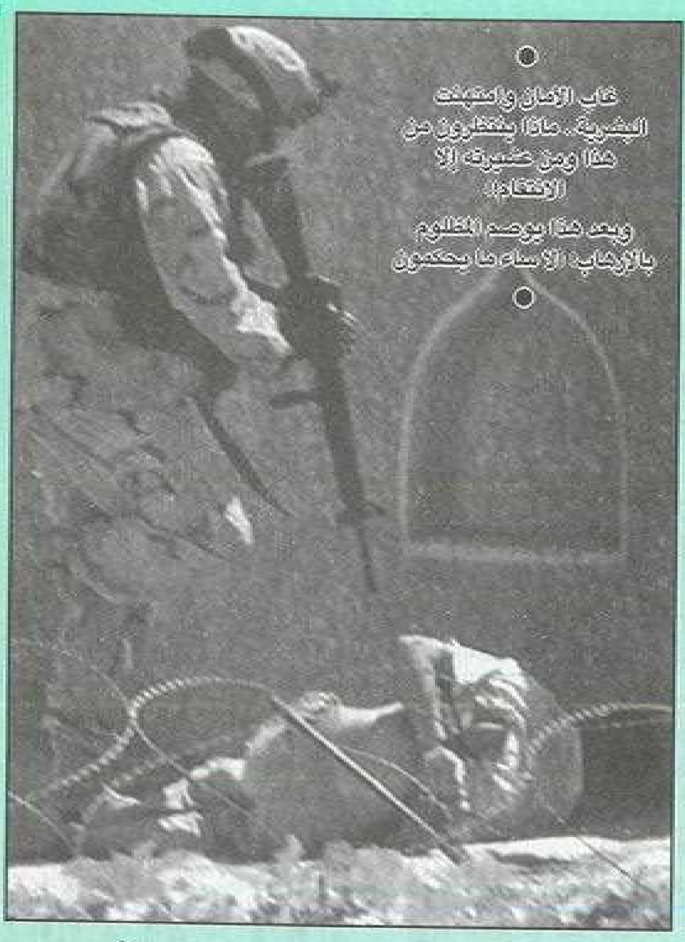
سورة الأنعام (٨٢)

وإذا تحقق العدل تحقق الأمن، فلا يخشى حاكم على نفسه لأنه عدل ولم يظلم أحداً فممَ يخاف؟ ومن ذا الذى يعادى العادل؟

ولا يخشى أى مسئول كبر منصبه وارتفع أم قل ونزل فإنه طالما سار بالعدالة فلا خوف عليه.

وأما الظلم فإنه يقضّ مضاجع المظلومين، ويعكر صفو حياتهم وحياة المحيطين بهم فيلجأ المظلوم إلى التعبير بما يليق بتكوينه، فإن كان من العامة أو من غير المتدينين فقد يلجأ إلى أسلوب الانتقام والرد على الظلم بظلم آخر فتفقد الحياة الأمن وتنتشر ظواهر الإرهاب والعدوان. وأما إن كان إنساناً عادياً فإنه يلجأ إلى ربه ويدعو على ظالمه كما دعا سيدنا سعد ابن أبى وقاص على

ظالمه فاستجاب الله له وكان الظالم إذا مشى فى الطرقات يأتى أعمالاً مخلة بالشرف ويؤنّبه الناس عليها فيُجيبهم قائلاً: «شيخ مفتون أصابتنى دعوة سعد»!!!



لا تظلمنَ إذا ما كنت مقتدراً
فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم مُنْتَبِهٌ
يدعو عليك وعين الله لم تنم

وأما الإنسان العادل، فلا يخشى من أحد، بل يكون فى أمن وسلام واستقرار وطمأنينة، ولايحتاج إلى من يحرسه، ولا يخشى أحداً يعتدى عليه لأنه لم يظلم أحداً، كما قال صاحب كسرى لعمر بن الخطاب -رضى الله عنه: «حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر».

وقال شاعر النيل حافظ إبراهيم - رحمه الله - فى هذا الموقف:

وراع صاحب كسرى أن رأى عمراً
بين الرعية عطلا وهو راعيها
وعهده بملوك الفرس أن لهم
سوراً من الجند والحراس يحميها
رآه مستغرقاً فى نومه فرأى
فيه الجلالة فى أسمى معانيها
فقال قولة حق أصبحت مثلاً
وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها
أمِنْتَ لما أقمتَ العدل بينهمو
فنِمْتَ نوم قرير العين هانيها

إن فى العدل أماناً للفرد والمجتمع والدولة، وإن فى الظلم إهداراً للأمن والاستقرار، وانتشاراً للاختلاف وصور الشحناء، وتمزيقاً للأواصر، وتعذيباً للضمائر، وضباباً للسرائر؛ لأن الظلم ظلمات. فلا أمن إلا بالإيمان، والعمل الصالح، والعدالة حتى تستقيم الحياة.

المجتمع الإسلامى والطفولة

للأستاذ الدكتور
محمد أحمد العزب

حين نتسرب من إطار الموقف المحمدى من الطفولة الخضراء لنواجه المجتمع الإسلامى العريض من بعده.. فنسائله فى قسوة وتشوف: كيف موقفك اليوم، وبالأمس وغداً من هذه الطفولة؟. سيروعنا من غير شك حقيقة الجواب.

إن المجتمع الإسلامى بوحى من مفاهيم إسلامه قد خطط للطفولة تخطيطاً واعياً فذاً، ولا نعدو طبيعة الواقع حين نقول: إنه لا يزال مصدر إلهام لكل الذين تصدوا... أو حاولوا التصدى لقيادة هذه الأجيال البريئة الطالعة.

وعبر هذه السطور ربما جلونا هذه الحقيقة التى ما أشك فى أن كثيرين سوف لا يصدقون أعينهم وهم يقرأون سطورها البيضاء لأنهم قد ورثوا عقيدة أن العالم العربى المسلم عالم متخلف تابع فى كل مجال من مجالات الفكر أو قطاع من قطاعات التخطيط الرشيد.

لن يصدق الكثيرون أن علماء الإسلام - بوحى من إسلامهم وحده - قد وضعوا للطفولة مناهج تربوية راشدة، تستطيع أن تضعها فى طليعة ما كتب فى العالم كله من بحوث فياضة فى هذا الصدد، وأنت مطمئن إلى أصالة ما تضع وتفرد ما تبرز من نقول.

وقد أستطيع أن أقفك عند عصور إسلامنا مرحلة بعد مرحلة ثم أمضى بك مصوباً عبر أجياله الممتدة، لأقفك هُهنا أمام رائعة، وألفتك هُهنا إلى خطة فاهمة، ولكنى أبداً لن أتلبث بك طويلاً عبر هذه الأجيال، بل سأتوثب بخيالك عبرها فى انسياب.

ولن أطيل بك فى الوقوف إلا مع أولئك الأعلام الذين حاولوا التقعيد للمنهج الإسلامى فى تربية الطفولة، فإن ذلك فيما يخيل إلىّ هو الذى يعوزنا فى هذا المجال.

ولا بأس أن تطالع معى هذه الحادثة لتستشف ما وراءها من إنسانية الإسلام فى قيادة المجموع.

كتب عمر بن الخطاب كتاباً لواحد من ولاة المسلمين وبعث إليه أن يوافيه حتى يأخذ كتابه... فأقبل الرجل فى عزة وخيلاء وجلس بين يدى خليفة رسول الله - ﷺ - وبينما هما كذلك إذ أقبل غلام لعمر فاحتضنه فى حنان أبوى وقبله... وكأنما أراد الرجل أن يبرز أمام الفاروق صورة من الصرامة الحازمة فقال: أتُقبل ابنك يا عمر؟. والله ما قَبَّلْتُ لى طفلاً قط!. هُنالك يثب ابن الخطاب فى حركة عفوية غاضبة وينتزع من يد الرجل الكتاب قائلاً له: والله لئن كنت هكذا قاسياً على طفلك، لأنت على المسلمين أقسى!. اذهب لا ولاية لك.

ويبلغ الحنان أوجه فى موقف الفاروق العظيم من طفل كان يلتقط البلح فى أصول النخل مع جمع من الصبيان، وحين يقبل الفاروق ويتفرق الغلمان ويثبت واحد منهم، فلما دنا منه أسرع قائلاً: يا أمير المؤمنين... إنما هذا مما ألقت الريح. قال: أرنى أنظر إليه فإنه لا يخفى علىّ. فنظر فى حجره ثم قال: صدقت.. إلا أن الصبى لم يقنع بهذا حتى يحرسه أمير المؤمنين إلى بيته فيقول: يا أمير المؤمنين: أترى هؤلاء الآن؟. وأشار إلى الصبية الهاربين ثم قال: والله لئن انطلقت لأغاروا علىّ فانتزعوا ما معى، فمشى معه عمر حتى بلغ بيته!.

هذان موقفان من مواقف الجبار الصارم الفاروق، قصدتهما عن عمد، لأقرر أن الإسلام ليس دين تصلُّف كاذب، وليس صخرة صماء لا تتفجر بالماء، وإنما هو دين الرحمة الفاهمة، والرعاية الخصبة، والتسامى النبيل.

وكما أسلفت فلن أتلبث هُهنا طويلاً وحسبى فى هذه المرحلة من مراحل العصور الإسلامية الأولى ما قدَّم محمد - ﷺ - وأتباع محمد للطفولة من ثروة حنان وخِصْب عاطفة، وتألق حب كبير!.

ولأنتقل بعد إلى موضوعية التخطيط فى مفاهيم علماء الإسلام لأتبين معك، وتتبين معى أن لنا آفاقاً أطلعت الشمس حين كان الغير يرتعشون على سفوح الجليد.

وقبل أن نصافح هذا الرعيل الرائد الجليل، دعونى أُبلْور لكم مَناحِ النظرة الإسلامية للطفولة وطرائق تربيتها فى نصوع الطفولة.

فالطفولة أولاً: هى البراعم التى ستتفتح عن جولة الغد، وبمقدار ما نزرع فى أعماقها اليوم بمقدار ما نحصد من جناها غدا.

والطفولة ثانياً: بحاجة إلى إطارات نظيفة وضمانات واقية، بحاجة إلى المثل الأعلى الذى تحتذيه حتى تنشأ واعية مستقيمة أبداً على طريق الحياة، والمثل الأعلى هنا يتمثل ابتداء فى الآباء والأمهات.

والطفولة ثالثاً: بحاجة إلى تربية متعادلة قويمة، فالكبت والحرمان مدمران، والتدليل والطراوة مفسدان، ولكن الأمر الوسط هو الذى يجدى شدة فى غير عنف، ولين فى غير ضعف، رحمة تُعَانق حَزْماً، فقد نما الطفل خالياً من ضراوة العقد التى تأكل نهار حياته فى جنون.

فإذا انتهينا إلى تقعيد هذه القاعدة، مضينا على ضوئها وهداها فى مفارق الظلمات لا نرهب

ظلمة ولا نخشى صخوراً على الطريق.

والتربية الإسلامية تعتمد أول ما تعتمد على منبعين من منابع الإلهام: القرآن والسُّنة... وأبداً تجد القرآن والسُّنة لا يفرقان كثيراً بين تربية النفس وتربية الحس، وتربية العقل ولا يرضيان أبداً أن يضحى بواحد منها لحساب الآخرين، وتبدأ التربية الإسلامية بالمحاكاة، لأن الطفل فى هذه المرحلة البادئة يرى أبويه يصليان، ويصومان، ويقرآن القرآن، ويمارسان ألواناً شتى من الظواهر الدينية فتنعكس كل هذه الأنماط على سلوكه ووجدانه، ثم تنطبع على صفحة نفسه فى تبلج ورسوخ.. «مُروا أولادكم بالصلاة إذا كانوا بنى سبع واضربوا عليها إذا كانوا بنى عشر»[1].

والبيت هو المثابة الأولى التى تشع على الطفولة روح التوجيه والتعديل والتكليف الاجتماعى... وبمقدار ما يتمتع به البيت الإسلامى من توازن واستقرار، بمقدار ما يخرج للمجتمع من شبولات طمّاحة متعادلة «كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه»[2].

ثم تنتقل التربية من دائرة البيت إلى دائرة المدرسة، والكُتّاب والمسجد[3]. وكما كان الوالدان فى البيت مثلاً يحتذيه الأبناء، فكذلك المؤدبون والمعلمون فى هذه المجالات... إنهم مطالبون بتحقيق معنى القدوة الصالحة فى نفوسهم أولاً، حتى يغرسوا فى أعماق الطفولة عملياً روح الفضيلة والاستقامة والصدق...

وللإسلام بصدد المناهج المدرسية فلسفة جريئة ورائدة، فإنه يرى فى استقامة المنهج استقامة للطبائع ضرورة أنها تشع مضامينها فى أعماق الصغار... فيتشربونها فى هذه السن الباكرة الغضيرة... إنه يحذر من الغوص العميق فى مسائل تشتجر حولها الآراء فى مطالع حياة الصبى... حتى لا يرتد ارتدادة عمياء عن منطلق العلم والتفكير، نتيجة ما يحسه من صلابة المادة، أو ضراوة المعطيات...

ولا ينسى علماء المسلمين أن يأخذوا لكل أنماط الطبائع ما يلائمها من أساليب التربية وطرائق التهذيب... فشرّعوا من الزواجر ما يُقوّم انحراف المنحرف بالنصح الهادئ أول الأمر، والتأنيب على انفراد بعد ذلك، والتقريع على رءوس الأشهاد من بعد... ثم الضرب كمرحلة أخيرة.

ويحذر ابن خلدون علماء التربية من مزالق العسف والجبروت فى أساليب التربية فيقول: «ومن كان مرباه بالعسف والقهر، وضيّق على النفس فى انبساطها، وذهب بنشاطها ودعا إلى الكسل، وحمل على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما فى ضميره خوفاً من انبساط الأيدى بالقهر عليه».

ويؤمن علماء الإسلام بالتخصص فى فرع من

(1) سنن أبى داود جـ١ ص٣٢٤ حديث ٤٩٥ كتاب الصلاة.

(2) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ١٢ ص٢٤٩.

(3) أحمد فؤاد الأهوانى، الإسلام اليوم وغداً، البحث الثانى.

فروع المعرفة، يقول ابن سينا فى رسالته فى السياسة: «إذا فرغ الصبى من تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة، نُظر عند ذلك إلى ما يُراد أن تكون صناعته، فوُجّه إلى طريقه، بعد أن يعلم مُدبّر الصبى أن ليس كل صناعة يرومها ممكنة له مواتية، لكن ما شاكل طبعه وناسبه».

والتربية الرسلامية كانت دائماً قائمة على أساس تعادلى سليم بين الدين والدنيا وحين امتدح شاعر المأمون بقوله:

تشاغل الناس بالدنيا وزخرفها

وأنت بالدين عن دنياك مشغول

قال له المأمون: ويحك ما زدت على أن جعلتنى عجوزاً فى محرابها ومعها سبحتها، هلا قلت كما قال جرير فى عمر بن عبدالعزيز:

فلا هو فى الدنيا مضيّع نصيبه

ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

ومن رسالة هارون الرشيد إلى معلم ولده الأمين نستطيع أن نقف على مفهوم التربية فى نظر المسلمين، ذلك المفهوم الراشد الذى يتسق اليوم، وبعد كل هذه القرون مع ما أبدعت عبقريات علماء التربية فى القرن الواحد العشرين.

كتب الرشيد إلى معلم ولده يقول: «إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصيّر يدك عليه مبسوطة، وكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروّه الأشعار، وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلا فى أوقاته، وخُذه بتعظيم بنى هاشم إذا دخلوا عليه، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجالسه، ولا تمرّن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه، وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة».

ومن خلال رسالة أخرى كتبها عمرو بن عتبة إلى معلم ولده نستطيع كذلك أن نقف على طرف آخر من أطراف القضية... قضية التربية فى نظر الإسلام الحنيف، كتب عمرو يقول: «ليكن أول إصلاحك لولدى إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة... بعينيك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح ما تركت، علمهم كتاب الله ولا تملّهم منه فيتركوه، ولا تتركهم فيه فيهجروه، روّهم من الحديث أشرفه، ومن الشعر أعفّه، ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام فى القلب مشغلة للفهم، وعلمهم سنن الحكماء، ولا تتكل على عذر منى لك، فقد اتكلت على كفاية منك».

ولابن خلدون فى مناهج التربية نظرات نافذة عميقة، لست أدرى إلى أى مدى ستظل مغمورة مطمورة، بينما نحن ماضون بكل ما فينا من إصرار نحو تمجيد مناهج الآخرين وطرائقهم فى التربية والتعليم، أنا لا أصادر أن نكرع من كل الثقافات، وأن نفتح كل النوافذ لشموس المعرفة، ولكنى أرفض أن نغلق منها نافذة واحدة، هى تلك التى نطل منها على ماضينا.

اتفاق الكويز بين الإيجابيات والسلبيات

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

بدأت فكرة إنشاء المناطق الصناعية المؤهلة والتى تعرف باسم الـ «كويز» «QIIZ» وهى الحروف الأولى من العبارة الإنجليزية -Quali fied Industrial Zones منذ نوفمبر ١٩٩٦ حين طرح الكونجرس الأمريكى «مبادرة إنشاء مناطق صناعية مؤهلة» تحت شعار دعم عملية السلام فى الشرق الأوسط، وصدور القانون الرئاسى الأمريكى رقم ٦٩٥٥ فى هذا الشأن، وقد تم عرضها على كل من مصر والأردن فى حينها، فقبلتها الأردن بينما آثرت مصر التمهل لدراستها، ثم قامت بالتوقيع على اتفاق الكويز مع الجانب الإسرائيلى برعاية أمريكية فى الرابع عشر من ديسمبر ٢٠٠٤، بسبب اقتراب انتهاء العمل بنظام الحصص، ودخول الـ «جات» حيز التطبيق فى يناير ٢٠٠٥، حماية للصناعة فى مصر، خاصة أن هذا الاتفاق لا يقتصر فقط على صناعة النسيج والملابس الجاهزة فى مرحلته الأولى، بل يشمل أيضا صناعة الأثاث والسلع الهندسية والغذائية والجلود والمنتجات الكيماوية بالمناطق الصناعية المؤهلة، سواء أكانت المصانع المنتجة لهذه السلع تابعة للقطاع العام أو الخاص، وسواء أكانت مصانع صغيرة أو متوسطة أو كبيرة وفى هذا السياق فإن المناطق الصناعية المؤهلة «الكويز» التى تدخل فى نطاق الاتفاق، تحددها مصر، وتوافق عليها الولايات المتحدة الأمريكية ومقابل ذلك تتمتع صادراتها من النسيج والملابس الجاهزة بحق الدخول الفورى إلى السوق الأمريكية بدون جمارك أو حصص بشرط احتواء هذه الصادرات على مكون اسرائيلى، بنسبة لا تقل عن ١١,٧٪ من مكونات المنتج النهائى المصرى.

وقد تم اختيار المناطق الصناعية المؤهلة فى

مصر على أساس ثلاثة معايير:

الأول حجم الصادرات الفعلية إلى السوق الأمريكية عام ٢٠٠٣.

والثانى: مدى توافر إمكانات التوسع فى التصدير مستقبلا.

والثالث: مدى توافر العمالة الماهرة فى كل منطقة، وبناء على ذلك تم تحديد سبع مناطق صناعية مؤهلة تقع فى ثلاث مناطق جغرافية:

الأولى: منطقة القاهرة الكبرى وتضم العاشر من رمضان وبها ٨٨ مصنعا قيمة صادراتها ٢٦٥ مليون دولار وشبرا الخيمة وبها ٢٠ مصنعا قيمة صادراتها ٥٧ مليون دولار ومدينة نصر وبها ١٩ مصنعا وقيمة صادراتها ١٤ مليون دولار ومدينة ١٥ مايو وبها ثلاثة مصانع قيمة صادراتها ٤٨ مليون دولارا ويبلغ عدد العاملين بهذه المنطقة نحو مائة ألف عامل.

والثانية منطقة الاسكندرية الكبرى وتضم الاسكندرية وبرج العرب والعامرية وبها ٥٩ مصنعا قيمة صادراتها ٢٠٨ ملايين دولار وعدد العاملين بها ٢٥ ألف عامل.

والثالثة منطقة قناة السويس وتبدأ فى مرحلتها الأولى ملايين بمدينة بورسعيد وبها ٢٢ مصنعا وقيمة صادراتها ٥٩ مليون دولار وعدد عمالها ٣٦ ألف عامل.

وفى هذا الصدد يمكن رصد عدد من الملامح الرئيسية التى تميز اتفاق الكويز بين مصر وإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية.

أولا: يتم تحديد المناطق الصناعية المؤهلة بمعرفة مصر بينما يتم الموافقة عليها من الجانب الأمريكى أى أن للجانب الأمريكى حق القبول أو الرفض لهذه المناطق وهذا يمثل قيدا على الاتفاق.

وثانيا: يكفل اتفاق الكويز حرية الدخول الفورى لصادرات مصر من المنسوجات والملابس الجاهزة للسوق الأمريكية بدون جمارك، أو حصص، أو غيرها من القيود، بشرط استخدام ما لا يقل عن ١١,٧٪ كمكون إسرائيلى من مكونات المنتج النهائى المصرى. ويعتبر عدم تحديد حد أقصى لهذه النسبة يخل بتوازن الاتفاق.

ثالثا: ينص الاتفاق على ألا تقل نسبة المكونات المحلية للمنتج المصرى النهائى عن ٣٥٪ تدخل فيها ثلث هذه النسبة وقدرها ١١,٧٪ كل ثلاثة شهور على إجمالى الصادرات المصرية إلى السوق الأمريكية خلال تلك الفترة وليس على كل رسالة مصدرة شهريا وهذه ميزة يحققها الاتفاق توفيرا للوقت والجهد، واختصارا للإجراءات المطولة وتتيح للمصنع أو الشركة المنتجة فرصة تجهيز مستلزمات الطلبيات للوفاء بها فى المواعيد المقررة.

خامسا: لا تلتزم مصر من جانبها بمنح مزايا تفضيلية للمنتجات الأمريكية - من جمارك أو ضرائب - التى تدخل السوق المصرية أى أن المعاملة التفضيلية هى من جانب واحد وتلك ميزة يستفيد منها الجانب المصرى لأن الإعفاء

الجمركى والضريبى قاصر فقط على الصادرات المصرية إلى السوق الأمريكية دون الواردات الأمريكية.

سادسا: لا يتحمل الجانب المصرى أى التزامات ولا يترتب على هذا الاتفاق أى مساس بأراضى الدولة أو أى انتهاك لحقوق السيادة الوطنية كما أن الخزانة المصرية لا تتحمل أى نفقات أو أعباء مادية.

سابعا: أن الاستفادة من هذا الاتفاق أمر اختيارى أمام المصانع الواقعة فى المناطق الصناعية المؤهلة أى أن لأى مصنع أو شركة حرية الاختيار بين التصدير فى إطار اتفاق الكويز، أو خارج هذا الإطار، وهذه ميزة أخرى تنفى شبهة الضغط على أصحاب المصانع للدخول كرها فى إطار اتفاق الكويز.

ثامنا: لا يشترط هذا الاتفاق مساهمة رؤوس أموال إسرائيلية فى المشروعات الصناعية المؤهلة كما لا يشترط فى جانب آخر استخدام عمالة إسرائيلية. والجدير بالذكر أن اتفاق الكويز لم ينطلق فجأة من فراغ بل إن مصر لها علاقات اقتصادية مع كل من إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية وهم جميعا أطراف فى الاتفاق فتشير البيانات إلى أن قيمة حجم التجارة بين مصر وإسرائيل بلغت عام ٢٠٠٣ «٤٨,٦ مليون دولار» منها ٢٦,٥ مليون دولار قيمة واردات مصرية من إسرائيل و ٢٢,١ مليون دولار قيمة صادرات مصرية إلى إسرائيل، كما تشير التقديرات إلى أنه من المتوقع بعد دخول اتفاق الكويز حيز التنفيذ أن تصل قيمة حجم التجارة بينهما «مصر وإسرائيل» إلى نحو ١٠٠ مليون دولار عام ٢٠٠٥، وإلى نحو ٢٥٠ مليون دولار عام ٢٠٠٧ ومن هنا يتخوف البعض من تعزيز العلاقات الاقتصادية بين مصر وإسرائيل خاصة أن إسرائيل لم تبد أية بادرة من جانبها تجاه الانسحاب من الأراضى العربية المحتلة ومازالت حتى الآن تراوغ وتتهرب من الاستحقاقات المفروضة عليها بموجب اتفاق أوسلو ٩٣، وأيضا خريطة الطريق المتعلقة بإقامة الدولة الفلسطينية وإصرارها على رفض التفاوض مع الأطراف العربية المعنية، ومواصلة قواتها عمليات القتل والاغتيال وتدمير المنازل فى الضفة وقطاع غزة وتشريد سكانها كما أن هناك قطاعا كبيرا من الرأى العام يعتبر أن توقيع اتفاق الكويز هو مكافأة لإسرائيل بدون مقابل، وجاء سابقا لأوانه وكان على الحكومة المصرية أن تتمهل قليلا حتى يبرهن الجانب الإسرائيلى على حسن نيته إزاء تحريك عملية السلام التى وضعها فى الثلاجة. واللافت للنظر أن اتفاق الكويز أو ما يسمى رسميا «بروتوكول» بين حكومة جمهورية مصر العربية ودولة إسرائيل بشأن المناطق الصناعية المؤهلة تضمن ست مواد:

المادة الأولى: تتناول الحدود الجغرافية للمناطق التابعة للدولتين وهما مصر وإسرائيل والتى يمكن للسلع أن تدخلها لأغراض التصدير دون سداد ضرائب أو

رسوم.

المادة الثانية: وتتعلق بإنشاء لجنة مشتركة للمناطق الصناعية المؤهلة برئاسة مشتركة لشخصين أحدهما مصرى والآخر إسرائيلى وتعقد هذه اللجنة اجتماعاتها كل ثلاثة شهور بالتبادل فى القدس والقاهرة ويمكن للولايات المتحدة أن ترسل ممثلا لها لحضور هذه الاجتماعات بصفة مراقب فقط ومن مهام هذه اللجنة الإشراف على تنفيذ بروتوكول المناطق الصناعية المؤهلة والتحقق من الالتزام الكامل بمتطلبات هذه المناطق وإصدار أو إلغاء الشهادات التى تسرى لمدة عام، والتى تقر بأن الشركة أو المصنع يقع ضمن المناطق الصناعية المؤهلة، وتحديد قوائم الشركات أو المصانع التى لها الحق فى الإعفاء الجمركى واعداد التقرير السنوى الذى يتم تقديمه للوزراء المعنيين من الجانبين المصرى والإسرائيلى عن أحوال الاتفاق وقد تم تحديد المناطق الصناعية المؤهلة الإسرائيلية بأنها المناطق الواقعة تحت رقابة الجمارك الإسرائيلية داخل حدود الأرض المتقاطعة عند حدود نقطة معبر نيتزانا.

المادة الثالثة: وتختص بقواعد المنشأ، حيث يتفق الجانبان المصرى والإسرائيلى على أن منشأ أى منتجات نسيجية أو ملابس جاهزة يتم تصنيعها فى المناطق الصناعية المؤهلة.

المادة الرابعة: تتعلق بالتحقق من مراجعة العمليات التصديرية التى تطالب بالإعفاء الجمركى للدخول للسوق الأمريكية والتحقق من التزام الشركات المصدرة بالشروط اللازم تطبيقها، ومنع أى سلعة غير مؤهلة من الدخول للسوق الأمريكية.

المادة الخامسة: تختص بتعديل ملاحق الاتفاق بواسطة اللجنة المشتركة بشرط موافقة الولايات المتحدة الأمريكية على أى تعديل يتم اجراؤه.

المادة السادسة: تتعلق ببدء سريان تنفيذ اتفاق الكويز فور إخطار كل من الجانبين المصرى والاسرائيلى باستكمال الإجراءات القانونية المطلوبة فى البلدين حتى يدخل هذا الاتفاق حيز التنفيذ وفى ضوء ذلك يمكن ذكر عدد من الملاحظات حول اتفاق الكويز.

أولا أن هذا الاتفاق يتضمن طرفين رئيسين هما مصر وإسرائيل أما الولايات المتحدة الأمريكية فيقتصر دورها على حضور ممثلها اجتماعات اللجنة المشتركة للمناطق الصناعية المؤهلة كل ثلاثة شهور بصفة مراقب كما أن هذا الحضور أمر جوازى وليس إلزاميا بالاضافة إلى ضرورة ممارسة الولايات المتحدة الأمريكية حقها فى الموافقة على أمرين:

الأول: الموافقة على المناطق الصناعية المؤهلة التى يقوم الجانب المصرى بتحديدها.

الثانى: الموافقة على أى تعديلات لاتفاق الكويز ولا شك أن انفراد الجانب الأمريكى بهذا الحق قد يضر بالجانب المصرى إذا ما طالب بأى تعديل تراه أمريكا فى غير صالح إسرائيل ففى هذه الحالة سيكون مصير هذا التعديل هو الرفض بالطبع نظرا للانحياز

الأمريكى المعهود لإسرائيل، وهذا يخل بتوازن الاتفاق.

وثانيا لم يحدد اتفاق الكويز بوضوح المناطق الصناعية المؤهلة لإسرائيل واكتفى بالقول أنها المناطق الواقعة تحت رقابة الجمارك الإسرائيلية بعكس المناطق الصناعية المؤهلة المصرية التى جاء تحديدها واضحا تماما فى الملحق رقم «١» من الاتفاق إذ أن الأصل فى تحديد المناطق الصناعية المؤهلة الإسرائيلية أن تكون فى إطار حدود الدولة اليهودية التى أقرها قرار التقسيم الصادر فى ٢٩/١١/١٩٤٧، وإلا انتفت عنها صفة التأهيل، إذا ما ثبت أنها خارج هذه الحدود.

ثالثا: إن نص الاتفاق على عقد اللجنة المشتركة اجتماعاتها الربع سنوية فى القدس والقاهرة بالتبادل يتعارض فى الأساس مع قرار التقسيم على افتراض ذلك حيث يعتبر القدس بشقيها الشرقى والغربى تحت الوصاية الدولية هذا من جهة وحتى فى ظل الوضع الراهن على اعتبار أن القدس بشقيها تحت الاحتلال الإسرائيلى فإنه لا يجوز من جهة أخرى عقد اجتماعات فيها بين الجانبين المصرى والإسرائيلى لأنها أرض محتلة وإلا كان ذلك اعترافا بشرعية الاحتلال الإسرائيلى لها ولعل ذلك هو ما يريده الجانب الإسرائيلى من هذا النص.. من هنا يمكن أن يكون التعديل المطلوب هو أن تكون اجتماعات اللجنة المشتركة الربع سنوية فى إسرائيل ومصر بالتبادل بدلا من فى القدس والقاهرة تلافيا لهذا المأزق الذى تريد إسرائيل فعلا أن يقع فيه الجانب المصرى.

ورابعا: أن نسبة المكون الإسرائيلى وقدرها ١١,٧٪ التى يفرضها اتفاق الكويز قد تستغلها اسرائيل كورقة ضغط فى يدها لرفع سعر هذا المكون خاصة أن هذا الاتفاق بوضعه الحالى يضفى على إسرائيل صفة المحتكر الوحيد لهذا المكون أو تقديم مكون ردئ مما يزيد من تكلفة المنتج المصرى ويضعف من ناحية أخرى قدرته التنافسية فى السوق الأمريكية أو تأخير أو الامتناع عن توريد هذا المكون وهو ما قد يؤدى إلى الإضرار بالصادرات المصرية وغلق أبواب السوق الأمريكية فى وجهها لذلك كان يمكن أن يتضمن الاتفاق نصا مثل: أن للجانب المصرى أن يستورد ما يعادل نسبة المكون الإسرائيلى من بلد آخر فى حالة إخلال الطرف الإسرائيلى بتوريد مكون ردئ لا يتفق مع مقاييس الجودة العالمية.

أو لا يساير سعر السوق المتداول أو تأخير أو الامتناع عن توريده حتى تتحقق المصلحة المتبادلة بين الأطراف الموقعة على هذا الاتفاق.

ومن جانب آخر فإن هذا الاتفاق يمتاز بأنه لن يشترط مساهمة رأس المال الإسرائيلى فى المشروعات الصناعية المؤهلة ولم يشترط أيضا استخدام عمال أو خبراء إسرائيليين مما يغلق الباب أمام التغلغل الاقتصادى

الصهيونى فى المنطقة كما يتميز بأنه غير محدد المدة فهو يحرر الجانبين من أية قيود زمنية قد تحول دون إعادة النظر للفكاك منه فى أى وقت إذا اقتضت الضرورة ذلك واللافت للانتباه فى هذا الصدد أنه يبدو أن هذا الاتفاق كان مطلبا أمريكيا من أجل استئناف التفاوض حول عقد اتفاق التجارة الحرة بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية مما يكشف عن أن الجانب المصرى واجه ضغوطا شديدة بهذا الشأن وهو ما أشار إليه وزير التجارة الخارجية والصناعة المصرى فى قوله: «لم يكن هناك أى خيار فى الأجل القصير سوى المناطق الصناعية المؤهلة وأن خيار اتفاق التجارة الحرة بين مصر وأمريكا مازال فى مرحلة التشاور وأن عدم التوقيع على اتفاق الكويز ستكون تكلفته مرتفعة على صادرات مصر من المنسوجات والملابس الجاهزة وعلى الصناعة وأخيرا على العمالة»، كما يذهب البعض إلى أن القانون الأمريكى رقم ٦٩٥٥ لعام ١٩٩٦ بشأن المناطق الصناعية المؤهلة صدر من الكونجرس الأمريكى بالدرجة الأولى لمصلحة إسرائيل لأنه يتيح لها اختراق النسيج الاقتصادى العربى ويمهد السبيل للهيمنة الصهيونية على المنطقة العربية ويقلص التجارة البينية العربية وقد يشجع دولا عربية أخرى إلى التطبيع الاقتصادى مع إسرائيل بدلا من التكامل الاقتصادى العربى، وتعزيز التعاون بين الدول العربية فى كافة المجالات وفى هذا السياق يتحدث «إيهود أولمرت» وزير التجارة والصناعة الإسرائيلى عقب التوقيع على اتفاق الكويز فيقول: «إن الاتفاقية الجديدة هى أول اتفاقية من نوعها بين إسرائيل ومصر منذ أكثر من ٢٠ عاما ونحن على قناعة بأن هذه الاتفاقية تمثل حجر الزاوية فى إجراءات بناء الثقة وأنها يجب أن تكون قاطرة الترويج لمفاهيم السلام والرفاهية» وإنى أتساءل عن كيفية تحقيق السلام وبناء الثقة بين إسرائيل والدول العربية فى ظل احتلال إسرائيل لأراضى ثلاث دول؟! إن السلام الذى يتحدث عنه إيهود أولمرت وهو فى نشوة التوقيع على اتفاق الكويز لن يتحقق بالكويز وحده أو بغيره من المشروعات الاقتصادية بل يتحقق برد الحقوق العربية المغتصبة إلى أصحابها الشرعيين فى الضفة الغربية وغزة والجولان ومزارع شبعا ولا يمكن أن تقوم علاقات اقتصادية كاملة بين إسرائيل والعرب إلا إذا أثبتت إسرائيل عمليا تخليها عن أطماعها السياسية والاقتصادية فى السيطرة على المنطقة.

وفى الختام يمكن القول أنه بات ضروريا خاصة بعد توقيع اتفاقية الكويز تشكيل لجنة من رجال الفكر الاقتصادى ورجال الأعمال برئاسة وزير التجارة الخارجية والصناعة المصرى لمناقشة كيفية تعظيم ايجابيات هذا الاتفاق ومعالجة سلبياته حتى يمكن تفادى آثاره الجانبية.

قصة العدد

خيانة وأمانة

للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحديدي

عقد المتوكل على الله مجلسه مع ندمائه، وهم يعلمون أنه يولع بسب أناس من كبار الرجال فإذا بدأ فى ذلك، أظهر أكثرهم السرور والاغتباط نفاقا وملقا، وقد دبر أحدهم مشهدا تمثيليا، فجاء برجل قصير بطين يلبس عمامة كبيرة وله لحية طويلة. فجعل يرقص ويتمايل، حين دخل على المتوكل فى مجلسه، فسأل المتوكل: من هذا؟

فقال من دبَّر هذا المشهد: إنه على بن أبى طالب، والمتوكل مشهور بعدائه لعلى -كرَّم الله وجهه- مولع بسبه وسب العلويين جميعا فأخذ يصفع الرجل على قفاه، ثم أمره بالركوع والسجود فإذا قام واصل صفعه والندماء يضحكون ويظهرون الاستحسان وكان من بينهم نديم يسمى عمر الإخبارى فلم يشارك فى اللهو العابث بل ظَهَر على وجهه الألم والانقباض، فسأله المتوكل: لِمَ لا تشارك القوم فى الابتهاج؟ فسالت دموعه على خده ولم ينطق، فكرَّر السؤال.. فقال عمر فى ألم: عليٌّ يا أمير المؤمنين ابن عمك وكرامتك من كرامته فلا تجعله ضحكة لهؤلاء المجانين.

فانقبض وجه المتوكل وصاح: أنت تقول إنه ابن عمى يا أحمق متى كان هذا البطين الأصلع ابن عمى؟

فقال عمر فى أدب: العباس -رضى الله عنه- جدَّك، وأبوطالب أخوه، وعلى هو ابن أبى طالب، أفلا يكون على ابن عمك؟ وهل يجوز أن يكون آل أمير المؤمنين هزأة للناس؟

فخاف المتوكل أن يظهر بين القوم فى مظهر المخطىء فرفس عمر بقدمه وقال له: ومن أنت حتى تتحدث عن العباس وأبى طالب! اخرج منبوذا يا أيها الأحمق والزم دارك حتى يأتيك أمرى.

خرج عمر حزينا آسفا وهو ينتظر أسوأ العواقب ورآه أبناؤه على هذا الحال من الجزع فقص عليهم ما كان!

فقال ولده الأكبر: لقد تسرعت يا أبى أنت تعلم حمق المتوكل وسفاهته وقد قتل العالم اللغوى يعقوب بن السكيت لأنه أثنى على «على» وولديه الحسن والحسين فى مجلس العلم ببغداد، فاستدعاه وظن أنه سينكر ما بلغه عنه، فقال له: أتعتقد أن عليا والحسن والحسين فى الجنة. فقال: إن لم يدخلها هؤلاء فلن يدخلها أحد! وهنا أمر بسوقه للسجن ثم بعث بمن قتله خنقا فإذا كان قد فعل ذلك بابن السكيت وهو أكبر علماء عصره فى اللغة والأدب أفسيسكت عنك؟

قال عمر: هذا ما أتوقعه من سوء معاملة المتوكل لأصدقائه وندمائه إذا غضب على أحدهم وما اهتم بنفسى فالأعمار بيد الله ولكنى أفكر فيكم.

فقال الولد: ماذا تعنى يا أبى؟

فرد عمر يقول: من عادة المتوكل أنه إذا غضب على أحد صادر أمواله وأرسل من أعوانه من يمسح البيت مسحا، فيأخذ ما به من الثروات والنفائس، وما أظنه إلا فاعلا ذلك عن قريب. وأرى أن نجمع الآن أكياس الذهب والفضة ونفائس المجوهرات والحلى ونرسلها وديعة عند الشيخ المبارك سعد بن هيثم فإذا جاء أعوان المتوكل لم يجدوا غير الأثاث وهو مقدور عليه.

فسكت الأولاد حائرين فقام عمر الإخبارى بنفسه وجمع كل ما يدخره من مال ووضعه فى عدة أكياس وأرسل إلى الشيخ سعد بن هيثم يطلب حضوره فى ظلام الليل فسارع بالمجىء فعرَّفه ما عزم عليه فرحب بالأمر وأعلمه أنه سيكون عند حسن ظنه إذا نزل مكروه وقام الأولاد فصحبوا المال إلى منزل الشيخ سعد ورجعوا بين الرجاء والخوف.

ثم تذكَّر عُمر أن صُرَّة ممتلئة بالذهب فى مكان من المنزل قد نسيها وأراد أن يبعث بها إلى الشيخ ولكنه خشى أن يكون بالطريق من يشاهد تردد أولاده على منزل سعد فيقف على السر إذا وقع الخطر ويبلغ أعوان المتوكل بما شاهده بالليل فلا ينجو الشيخ من الخطر فنادى عجوزا كانت تخدم بالمنزل وقال لها: أنا أعرف أن لك ولدا يصاحب الفتيان واللصوص ويفعل فعلهم. قالت: نعم.

فقال: فخذى هذه الصرة ودعيها عنده حتى أطلبها، فحملتها ليلا إلى ولدها وذهبت إلى منزله، فقال أولاده: أتأمن لصا على مالك؟ فقال عمر: إن الصرة مفقودة وإذا أخذها أعوان المتوكل فلن ترجع أما ابن العجوز فقد يذكر إحساننا إلى أمه فلا ينكرها عند الاحتياج.

ثم كان ما خاف عمر أن يكون، فقد حضر فى الصباح أعوان المتوكل فوضعوا القيد فى كف عمر وساقوه إلى السجن وقلبوا المنزل باحثين عن الأموال وهم يعلمون أن المتوكل كان قد أنعم عليه بالشىء الكثير فى السنوات

الماضية. فلم يجدوا شيئا. وحين سألوا الأولاد عن ثروة أبيهم قالوا: إنه كان يتصدق بكل ما يصل إليه ولا يعلمون أنه يترك بالمنزل قليلا أو كثيرا غير نفقات الطعام والكساء، وليس به إلا خمسة دنانير هى كل ما يملكون! وكان لعمر سمعة طيبة وشهرة بالبر والإحسان فوقع كلام أولاده موقع القبول!!

ومضت سنتان ومات المتوكل وخرج من الحبس كثيرون ممن سجن ظلما فى عهده ومن بينهم عمر الإخبارى واستقبل الأبناء أباهم شاكرين الله أن منّ عليه بإطلاق سراحه ثم تذكروا ما ادخروه من المال عند الشيخ سعد بن هيشم فقالوا: الآن قد حان للأمانة أن ترد فلسنا نخاف الآن مصادرة شىء من المال، ثم بعثوا إلى سعد فعرف ما يريدون ولكنه فاجأهم بالإنكار وأعلن أنهم كاذبون وسيبلغ أمير المؤمنين أنهم يتهمونه كذبا وبهتانا إذا أصروا على هذا الافتراء.

وحار الأولاد فيما يصنعون ورجعوا إلى والدهم يقولون: إن الشيخ الورع التقى قد خان الأمانة وادعى أننا لم نبعث إليه بشىء، وأنه سيبلغ أعوان أمير المؤمنين أننا نكذب عليه لتحميه الدولة من عاقبة هذا الافتراء.

فقال الوالد: أخشى أن يفعل ذلك فيشيع بين الناس أننا كنا ندخر المال ونكنز الذهب والفضة ثم لا ينفعنا ذلك إلا القيل والقال.

ومضت لحظات قال بعدها عمر: وإذا كان الشيخ سعد قد أنكر المال، أفسيعترف به ابن العجوز، لابد أنه قد أنفق ما بالصرة من الأموال، أو وزّعه على زملائه اللصوص جريا على طريقتهم فيما ينهبون من الناس!

فقال أحد أولاده: لن نخسر شيئا إذا سألناه، فقد ينكره وهذا ما لا حيلة لنا معه ونترك العوض على الله، وقد يكون عنده بعض الوفاء ونعطيه بعض الدنانير لأمانته، لن نخسر شيئا إذا سألناه واتبعوا القول بالعمل.

فذهب أحد أبناء عمر إلى ابن العجوز وقال له فى استحياء: أتذكر أن لدينا عندك أمانة؟

فقال بوجه باسم: نعم وهى لا تزال فى مكانها من يوم أخذتها فإذا أردتموها الآن فهى حقكم.

قال ابن عمر: جزاك الله خيرا.. نحن نريدها لضيقة نزلت بنا..

فنهض الابن سريعا إلى خزانة بمنزله وسلم الصرة مختومة بخاتمها لم تفتح ففتحها ابن عمر وأخذ كبشة من الدنانير وقدمها لابن العجوز، فبان الغضب فى وجهه وقال منفعلا: آآخذ أجر الأمانة؟ معاذ الله إنى إذن للئيم.

فهمس ابن عمر وقال له: شتان بين صنيعك وصنيع الشيخ سعد بن هيشم.

فقال الشاب: سعد بن هيشم هذا الذى يطرقنا بين اليوم واليوم ويقول لنا: توبوا إلى الله توبوا إلى الله.. أآخذ منكم شيئا! وهو الورع التقى والعابد الأمين.

فقال ابن عمر: إننا استودعناه ما يقرب من عشر صرر حين خفنا سطوة أعوان المتوكل ثم جئنا نطلبها فأنكر واستعاذ بالله منا ومن الشيطان الرجيم وهو نفسه الشيطان!

ففكر الشاب قليلا ثم قال: اكتموا الأمر ولا تخبروا أحدا وسيرجع إليكم مالكم بإذن الله والله مع الصابرين!

كان من عادة الشيخ سعد أن يترك منزله مفتوحا بالليل وبالنهار لأنه فى اعتقاد الناس رجل تقوى وبر وإحسان ومثله لا يفكر أحد فى مهاجمة منزله إذ لا يملك شيئا غير الدعوات الصالحات. وقد عرف الشاب ذلك وعلم أن مهاجمته ستكون من أيسر الأشياء على الصبية الصغار فكيف بجماعة من اللصوص!

وذهب من فوره إلى إخوانه الفتيان فحدثهم بما كان، وقد أجمعوا أمرهم على أن يدهموه بالليل ومعهم السكاكين والخناجر ثم يوثقوه بالحبال ويبصقوا فى وجهه ويسألوه أن يرد الأمانة فإذا تلكأ ذبحوه وخلصوا الناس من شره الأثيم وخداعه اللئيم، وما حل الظلام وسكنت حركة الأحياء والأشياء حتى تأهب خمسة من غلاظ الفتيان وخفوا إلى المنزل فوجدوه كالعادة مفتوح الباب فولجوه واقتحموا أول حجرة فوجدوا الشيخ نائما أو كالنائم فقام مذعورا وهو يقول: ماذا تصنعون يا أولادى؟ نحن رزقنا على الله ولا نملك أكثر من قوت اليوم.. ثم قال: إن أردتم ملابسى وما بالمنزل من متاع فكله لكم وأن مردنا إلى الله.

فصاحوا جميعا: لا تظهر البلاهة أيها المجرم وقد جئنا لنأخذ كل ما أعطاه لك عمر الإخبارى منذ عامين. أعطى لك وديعة تحفظها فأنكرتها وهددته بأن تخبر أعوان أمير المؤمنين بأنه هو وأولاده يفترون عليك وها هى السكين فوق رقبتك ولن نتركك حتى نصحبك إلى مكان الوديعة ونحن نعرف عدد الصرر وما فيها ولئن أخذت دينارا فرقبتك هى الجزاء ولن يضرنا شىء إذا أنكرت وذبحناك لأنك مجرم تستحق القتل ونحن لصوص يعرف الناس أننا أشرار ولا نهتم بما يعرفونه ولكنك ستفضح على رءوس الأشهاد، وتقدم شاب ومعه خنجره الحاد وقال له: قم سريعا أيها الشيخ الآثم.. أيها الضال الشرير وإلا فدمك الآن سيسيل.

قال سعد: خذوا بيدى.

قالوا: إنك أقوى من الجمل فلا تتصنع الاحتيال انهض سريعا أيها اللئيم ونحن من ورائك وأمامك وعن يمينك وشمالك فلا مهرب إن حاولت! وعلم سعد أن الموت حتم إذا أبطأ فمضى ذليلا إلى مكان فى أسفل جدار الحجرة ووضع يده عليه فنهض أحدهم وأزاحه عن موضعه وحفر الماكن فوجد الصرر العشر كما قال عنها عمر الإخبارى فحملوها وبصقوا فى وجهه منسحبين! ولم يكن عمر مصدقا نفسه حين رأى ابن العجوز يتقدم إليه بالصرر ويقول: هذه بضاعتك ردت إليك فقام يقبله ويعانقه ثم مد يده إلى صرة فيها وقال: إنها هدية منه قد خرجت عن طيب خاطر.

فقال الشاب: دع هذا اللغو يا رجل لقد كان المال تحت أيدينا ولم تسمح نفوسنا باغتياله أفنأخذ منك صرة واحدة ليضيع علينا ثواب المعروف؟!

فما أفدح المقارنة بين دعىّ كاذب، ولص أمين.

المرء يُسأل عن شبابه مرتين

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيوني

اصطلح علماء النفس من المحدثين والمعاصرين على أن الإنسان يمر فى نموه بمراحل يسمونها «مراحل النمو» [1] وهى تبدأ منذ أن يتخلق الجنين فى بطن أمه [2] ثم بعد الولادة، وهكذا إلى أن يقضى الله فى عبده أمراً كان مفعولاً.

والذى يهمنا هنا فى هذه المراحل جميعاً «مرحلة الشباب» التى اتفق على أنها تأتى بعد مرحلة المراهقة التى هى مرحلة ما بين ١٢، ١٨ عاماً تقريباً.

هذا مع تسليمنا بأن معظم ما وصل إليه العلماء من (اجتهادات علمية) فى مجال الإنسان هى فى الحقيقة مزاعم تتوقف دقتها أو عدم دقتها على مدى ما يتاح لعلماء الظواهر الإنسانية من آليات (أو تقنيات) أو ما يهيأ لهم من ظروف وإمكانات.

ففى نهاية الأربعينات كنا بالمرحلة الثانوية ندرس فى علم النفس أن القوى النفسية الموجهة للإنسان والدافعة لسلوكه تسمى (غرائز Instincts) كما أطلق

---

(١) المراحل المصطلح عليها هى: ما قبل الميلاد «الجنين» ثم مرحلة المهد ثم الطفولة المبكرة ثم الطفولة المتأخرة ثم المراهقة ثم النضج أو الشباب ثم الكهولة ثم الشيخوخة، ثم أدخلوا الكهولة والشيخوخة فى مراحل النمو على أساس أنه إذا كانت قد توقف فيهما النمو الجسمى مثلاً فإنهما قد امتازتا بنمو الخبرة والتجربة، وكل مرحلة من هذه المراحل تتداخل مع غيرها وفق عوامل الوراثة والبيئة وغيرها.

(٢) علماء النمو المسلمون مطالبون بإبراز مراحل النمو التى تسبق الولادة كما ذكرها القرآن الكريم تعويضاً عما أغفله العلماء غير المسلمين، وأبرز بيان لهذه المراحل الجنينية هو ما جاء فى سورة «المؤمنون» الآية ١٢ التى تبدأ بسلالة الطين ثم النطفة ثم العلقة ثم المضغة ثم العظام ثم اللحم «ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» (المؤمنون: ١٤).

عليها العلامة (مكدوجل) ثم عندما انتقلنا للدراسة بالجامعة إذا بها تسمى (دوافع Mobiles) ثم عندما تخرجنا وشرعنا فى تدريسها لطلابنا وجدناها قد سميت بالدوافع الأولية (الفطرية) والدوافع الثانوية (المكتسبة)، وهكذا نرى أن المجالات الإنسانية ولاسيما فى علم النفس سريعة التغير، دائمة التطور وفق ما يفتح خالق الإنسان سبحانه على علمائه من مفاهيم، ويتيح لهم من إمكانات تعينهم على معرفة الجديد دائماً وذلك اتساقاً مع قوله عز وجل:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

(فصلت: ٥٣)

ومن هنا كانت هذه الدراسات الإنسانية متغيرة المفاهيم، ومتعددة المعاني مما يجعلها تحوم حول (الموضوعية Objective) رغم ما ابتدع فيها من معامل وأنشئ لها من آلات، وأدوات، وصدق الله العظيم إذ يحث الإنسان علي البحث الدءوب في نفسه دون كلل أو ملل قائلا:

﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

(الذاريات: ٢١)

فإذا عدنا لنحاول تحديد معنى - أو مدى- مرحلة الشباب (Adolescence) التى تعنينا فى هذا المقال وجدنا أنفسنا بين دروب متشابكة، ودهاليز متداخلة لعلها تؤدى بنا إلى القول بأننا لو افترضنا لمراحل النمو خطاً بيانياً نرى أن هذا الخط يبدأ من أسفل حيث الضعف ثم يصعد شيئاً فشيئاً وفق ما يطرأ على (النامى) من قوة إلى أن يبلغ هذا الخط البيانى ذروته ثم يبدأ فى النزول مرة أخرى حيث العودة إلى الضعف إلى أن يصل إلى ما يسميه القرآن الكريم (بأرذل العمر) ألا تأملت قول الكتاب الحكيم:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ﴾

(غافر: ٦٧)

والعبارة الكريمة:

﴿ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴾

هى الإشارة المبينة إلى مرحلة الشباب لأنها تحمل معانى القوة والفتوة والرشد والنضج فى آن واحد.

ولعل هذا ما يؤكده وصف القرآن الكريم لأنبياء الله عز وجل عليهم السلام حين كُلفُوا بالدعوة إلى الحق، وحين حُمِّلوا - فحملوا- الرسالة إلى الخلق حيث يذكر كلاً منهم- عند تهيئته لحمل أعباء الرسالة بأنه «بلغ أشده، واستوى».

ألم يقل المولى جل وعلا عن يوسف

عليه السلام:

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

(يوسف: ٢٢)

ولك أن تصغى إلى قول الحق عن موسى عليه السلام

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

(القصص: ١٤)

وفى موقف الاختبار المتين والبلاء المبين يروى القرآن الحكيم ما جرى بين إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾

(الصافات: ١٠٢)

وهكذا نرى أن القرآن الكريم يؤكد أن فترة الشباب هى فترة تقدير المسئولية وتحمل الأعباء بما تتحلى به من رجاحة العقل، واتزان الوجدان، واستقامة التصرف الحازم فى الموقف الحاسم، وهى عناصر يسمونها اليوم فى «علم النفس التربوى» بخصائص «تكامل الشخصية» أى اتزانها وتوازنها وترابطها ترابطاً عضوياً لا نبوّ فيه ولا نفور، فالشباب وفق ما جاء فى القرآن الكريم الذى أوحاه وأنزله من خلق- هو الدور الذى يستوى فيه المرء، ويبلغ أشده فى الجسم والعقل.

ألا ترى أن الله عز وجل قد زكى طالوت على غيره ليكون ملكاً على قومه حين قالوا:

﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا ﴾

(البقرة: ٢٤٧)

فإذا بالمولى سبحانه يرد عليهم بأنه قد

﴿ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾

(البقرة: ٢٤٧)

ومن ثمة يقول علماء الاجتماع المهتمين بدراسة ظاهرة الزعامة والقيادة فى المجتمع إن من أبرز الخصائص المؤهلة للزعامة عند الفرد: قوة الجسم، وتميز مستوى الذكاء.

وتلك هى سن المسئولية، وتحمل الجزاء[٣] وتقدير المواقف والتمييز بين الأشياء خيرها وشرها وغثها وسمينها، وفهم المرء لذاته وكذلك فهمه للآخرين والقدرة على التعامل معهم.

ولما كانت مرحلة الشباب هى - كما ذكرنا- مرحلة المسئولية والقوة والفتوة

(٣) يربط عالم الاجتماع المسلم د. على عبدالوحد وافى بين المسئولية والجزاء فى كتابه «المسئولية والجزاء» ربط المقدمات بالنتائج.

والإرادة السوية وغيرها ذلك من معانى التميز فقد صدق عليها ما جاء عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن (شبابه) فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه «أو ماذا عمل به»[٤].

والمتأمل لهذا الحديث النبوى الشريف يتبين منه أن المرء سيسأل عند موته عن شبابه مرتين: مرة فى سياق سؤاله عن عمره باعتبار أن الشباب مرحلة (هامة) من مراحل العمر، ومرة أخرى عندما يسأل عن شبابه بوجه خاص وماذا فعل فيه بعقله الراجح، ووجدانه الجامح، وهل اصطنعهما- مع نعم الله الأخرى- فى سبيل العمران أم فى سبيل الخسران؟ وهل استثمر هذه المرحلة الفذة من مراحل العمر فى تحقيق خلافته فى الأرض على الوجه الذى أراده الله، وغير ذلك مما لا علم لغير الله به من سؤال حين ينفرد الملكان به بين أحضان القبر الحانية أو القاسية.

ومما يُلحظ فى هذا الحديث أن المرء يُسأل مرتين عن فترة الشباب، كما يسأل مرتين عن المال: عن منبعه، وعن مصبه، إذ المال والشباب هما الفتنة الكبرى فى هذه الدنيا، ولك أن تسرح بتأملاتك فى هذا المعنى ما شاء الله لك، وفى ضوء ما صنع الشباب والمال بك أو بغيرك من الناس.

ومن هنا نستشعر ثقل العبء الملقى على كاهل المربين والدعاة- فى كل موقع مسئول عن التربية والدعوة- فى مجال تنوير ناشئة المسلمين ومدى وعيهم بأن فترة الشباب هى فترة العمل المثمر، والفكر البناء، وليس الميل مع الهوى، والانفلات مع الشهوات والنزوات.

ولقد بشر الإسلام الشباب المستقيم الملتزم بجادة الحق والناشىء فى طاعة الله- ذكراً كان أم انثى- بظل الله يوم القيامه حيث يقول نبينا المعصوم صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشهير والجهير الذى تدوى به الحناجر والأقلام فى كل آن أملاً فى مستمع واع، وقارىء مستجيب وقلوب يهزها الحق «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله» ومن هؤلاء السبعة المنعمين المقربين «شاب نشأ فى عبادة الله»[٥].

ولا يحرّم الإسلام على الشاب المسلم إشباع دوافعه الطبيعية مثل (الجنس) الذى قرنه الله باللذة فى سبيل حفظ النوع البشرى على الأرض[٦] ولكن ذلك فى إطار من استقامة السلوك واتزان الشخصية وصحة البدن، وسلامة النفس

(٤) سنن الترمذى برقم ٢٤١٧.

(٥) أخرجه الشيخان عن أبى هريرة (البخارى ومسلم) كما جاء فى موطأ مالك.

(٦) من حديث الداعية الراحل الشيخ محمد متولى الشعراوى.

وحماية الجماعة من فوضى التوالد وضياع التوارث وحيوانية السلوك.

ولك أن تتأمل فى هذا قول النبى ﷺ وهو يخاطب الشباب (بالذات) فى كل زمان ومكان وهم المشغولون دائماً بقضية إشباع هذا الدافع (العارم): [يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة (أى إيجاد البيئة المناسبة) فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء (أى وقاية)].

فالنبى ﷺ ينصح الشباب بما يسميه علماء النفس اليوم «بإعلاء الدافع» وذلك بالزواج وهو توجيه طاقة الجنس إلى السبيل المشروع، أما إذ لم يتيسر هذا «الإعلاء» فليتجه الشاب إلى «إبدال الدافع» وهو توجيه الطاقة الناشئة عن هذا الدافع إلى اتجاه يختلف عن المسار الطبيعى له وهو الصوم.

وتلك هى التربية المحمدية للشباب، وهى التربية التى لم تغفل- وحاشاها- ما يعرف فى الاجتماع اليوم (بالرفقاء) حين ينبه ﷺ الشباب إلى أهمية اختيار الأصدقاء والرفقاء مشيراً إلى خطورة علاقة الصديق بصديقه (هذا إذا وجدت اليوم صداقة بمعنى الكلمة) فى تحديد المسار المستقبلى لكل منهما «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»[٧]

وإن لنا فى رسول الله أسوة حسنة طيلة حياته على الأرض، فانظر من كان يصادق عليه السلام.

وإذا كانت الصداقة بين محمد ﷺ وبين أبى بكر رضى الله عنه صعبة المنال، ونادرة المثال، فلا أقل من أن نحاول السير على الدرب متمثلين قول القائل «فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم» وذلك بدقة اختيار الصديق الصادق الصدوق الذى لا تقوم صداقته على غرض أو مرض ولا على انحراف أو انجراف.

ولا يظنن الشباب أن الإسلام يريد أن يغلق دونهم باب الحرية والانطلاق، ولكنه يريد لهم الحرية المسئولة، والانطلاق المحسوب الذى تتسم به الشخصية التى يحترمها الآخرون منذ الصبا فيذكرونها لمن يتمتع بها مدى الحياة.

ومن تجربتنا الشخصية وعلاقاتنا الاجتماعية منذ الصغر رأينا أن بعض الزملاء ممن كانوا يمتازون بالسلوك المستقيم، ويتمتعون بالخلق القويم ظلت أسماؤهم وسيرهم نقية طاهرة حتى اليوم بين أقران الصبا والشباب، بينما رأينا البعض الآخر ممن كانوا يلوثون أسماءهم وأسماء آبائهم وذويهم بسوء السيرة، وقبح المسيرة، لم يزالوا حتى اليوم

(٧) عن أبى هريرة رضى الله عنه (الجامع الصغير).

يشتهرون بين زملاء الأمس بالاسم الملوث والذكر القبيح. ذلك لأن أقران الصبا والشباب يمرون بمرحلة الطاقة الهائلة التى إما أن توجه أصحابها إلى الفلاح والنجاح والابتكار والإبداع أو تطيح بهم فى مهاوى الفشل والضياع.

ولا يعتقد الآباء والمربون أنهم بمنأى عن المسئولية فى مجال تغذية الشباب- لا بالطعام والشراب فحسب- بل بالتوجيه السديد، والرأى الرشيد، والقدوة الفعالة المؤثرة منذ نعومة الأظفار كما يقال لأن من شب على شىءشاب عليه، وقديماً قال الحكيم العربى القديم:

وينشأ ناشىءالفتيان منا
على ما كان عوّده أبوه

وتدخل أمانة تربية الأبناء والبنات ضمن ما يُسأل عنه الأب أو الأم أو المعلم أو الداعية أو الإعلامى وغيرهم «عن عمره فيما أفناه».. ألا تحتوى أعمارنا على أساليب تربية من طوّق الحق أعناقنا بمسئولية تربيتهم؟؟

وقد اقتضى العدل الإلهى أن يحصد الآباء والمربون ثمار تربيتهم لأبنائهم وبناتهم حتى بعد مماتهم فيقول النبى ﷺ «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[٨] وصلاح الابن لا يأتى- بجانب توفيق الله عز وجل- إلا بحسن التنشئة واستقامة التربية، وجدية القدوة والمثال.

وصلاةً وسلاماً على النبى الكريم الذى يقول فى هذا السياق «رحم الله والداً أعان ولده على بره»[٩].

ولا شك فى أن هذا الثواب الذى يجنيه المربى الرشيد الأمين يقابله العقاب الذى يعانيه المربى المستهتر السفيه الذى لا يبالى بالحكمة المحمدية الراشدة «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[١٠] فالمولى سبحانه الذى جعل على الولد حقاً للوالد جعل على الوالد واجباً للولد، وهكذا تتحقق معادلة الحرية قديماً وحديثاً أن «كل حق يقابله واجب»، وإذا لم تكن هذه المعادلة كائنة فى دين التعادل والوسطية، فإذن أين تكون؟

وكم نود أن تتضافر الجهود جميعاً- وفق ما قضى الله عز وجل- لتنمية الشباب المسلم ومده بالروافد الإيمانية الفعالة التى تضعه على الطريق الإسلامى الصحيح ليعى معنى العبادة الحقة التى تحقق عمارة الأرض وخلافة الإنسان وكرامة الحياة.

(٨) عن أبى هريرة (الجامع الصغير للسيوطى).

(٩) أبو الشيخ فى الثواب عن على «الجامع الصغير».

(١٠) عن ابن عمر رضى الله عنهما (الجامع الصغير).

من الأدب القرآنى الرفيع:

٣

العبرة فى قصة يوسف (عليه السلام)

لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عطية

لانزال مع العبر التى تستقى من التذييلات والتعقيبات فى هذه السورة المباركة: والآن مع قوله تعالى:

﴿ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴾

(يوسف: ٧٦)

وردت هذه العبارة الكريمة، تعقيبا مباشرا من الله - عز وجل - على حكمة التدبير الإلهى الذى كان نتيجته أن أخذ يوسف أخاه «بنيامين» فى دين الملك، وما يترتب على ذلك من أحداث كبيرة حققت ما يصبو إليه يوسف - عليه السلام - وهو تدبير ما كان ليوسف أو لغيره، أن يحققه أو يحقق بعضه، وما كان ليملك أطرافه، أو يوجه نتائجه إلا بمشيئة الله - تبارك وتعالى - ووحيه الذى أوحاه إليه:

﴿ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾

(يوسف: ٧٦)

وقد ورد هذا التعقيب على صورة الحكمة العامة، التى لا تقتصر مصداقيتها، على حادثة بعينها، وإنما تتمدد لتشمل كل ما من شأنه أن يدخل فى علم الغيب، ويرتب له ترتيبا يسبق زمن حدوثه حتى يأتى على نحو معين، هو المطلوب..

وكثيرا ما يمر بالإنسان أحداث غير مرضى عنها من جميع الأطراف أو من بعضهم، ثم يفاجأ الجميع، بأن حكمة الله.. وتدبير الله، وعلم الله، هى التى كانت تخطط، وتضع الأسس والأركان، وتوجه الأحداث، التى أدت إلى أن تكون النتيجة على هذا النحو أو ذاك. وإن فى حياة كل فرد منا.. وكل أسرة.. وكل أمة الكثير من هذا التدبير الإلهى، الذى لا تدخل فى توجيه أحداثه قدرة بشر أو تدبيره؛ ليفاجأ الفرد، أو تفاجأ الأسرة أو الأمة، بأن ما أراده الله، ودبر له، وجمع أطرافه من هنا وهناك، إنما هو السبيل الأمثل، الذى لو ترك المرء، أو تركت الأسرة أو الأمة وشأنها فى تحريك أحداثها، ما كان لها أن تصل إلى شىء منها، وإن طال ارتقابها، وتمنى الحصول عليها أو على شىء منها.

إن اخوة يوسف - عليه السلام - حينما حكموا فى حادث السرقة شريعتهم التى تقضى بأن يؤخذ السارق مكان المسروق؛ ليصبح رقيقا عند صاحبه - وتلك شريعة يعقوب - عليه السلام - لم يكن يوسف هو الذى اقترح عليهم ذلك، على ما يعلم من حقيقة هذه الشريعة، وإنما هم الذين اقترحوا، ولو لم يكن الأمر على هذا النحو لما تمكن يوسف من أخذ أخيه «فى دين الملك» ولما تطورت الأحداث، وبلغت مبلغها الذى بلغته، ولما تمكن يوسف من لم شمل أسرته التى طال تفرقها - يعقوب وأبناؤه وزوجه، بما فيهم يوسف وأخوهم بنيامين - ولقد كان إخوة يوسف - عليه السلام - واثقين كل الثقة فى براءتهم من تهمة السرقة، ولو أنهم كانوا يشكون - مجرد الشك - فى حدوث شىء من ذلك، ما كان هذا الاقتراح، الذى كانت نتيجته أن استرق أخوهم فى مصر، وفرق بينه وبينهم، وجعلهم يقفون أمام المصريين، وأمام أبيهم فى حرج شديد، بل كان الأجدر أن يحتكموا إلى قانون البلد الذى وقعت فيه حادثة السرقة، وهو المنطق المقبول فى هذه الحالة وما يشبهها فى كل عصر..!!

إن المتدبر فى تطورات هذا الحدث، يدرك أن هناك يدا وراء الأحداث تملك كل شىء، حتى الكلمة ذاتها التى تجرى على اللسان ما كان لها أن تكون على هذا النحو أو ذاك، إلا بمشيئة الله - تبارك وتعالى - الذى يصرفها كيف يشاء.

وليس معنى هذا أن يقعد الإنسان ولا يفكر فى أمر المستقبل ولا يدبر له وأن يعيش يوما بيوم، لحظة بلحظة. وألا يصل ماضى حياته بحاضره وقابله.. كلا.. ولكن معناه أن يحسب حساب الغيب وحساب المشيئة التى تدبره، وأن يعزم ما يعزم، ويستعين بمشيئة الله على مايعزم، ويستشعر أن يد الله فوق يده، فلا يستبعد أن يكون لله تدبير غير تدبيره، فإن وفقه الله إلى ما اعتزم فيها.. وإن جرت مشيئة الله بغير ما دبر لم يحزن ولم ييأس، لأن الأمر لله أولا وأخيرا.

فليفكر الإنسان وليدبر، ولكن ليشعر أنه إنما يفكر بتيسير الله، ويدبر بتوفيق الله، وأنه لا يملك إلا ما يمده الله به من تفكير وتدبير، ولن يدعو هذا إلى كسل أو تراخ، أو ضعف أو فتور، بل على العكس يمده بالثقة والقوة والاطمئنان والعزيمة، فإذا انكشف ستر الغيب عن تدبير لله غير تدبيره،

فليتقبل قضاء الله بالرضى والطمأنينة والاستسلام؛ لأنه الأصل الذى كان مجهولا له فكشف عنه الستار[1] وما عداه مما خطط له ودبر إنما هو محض زيف، وضرب فى مجاهل الغيب الذى لا نراه، ولا نعرف شيئا من ملامحه، ولنحمد الله على ما أصبناه من الأجر والمثوبة، تحقيقا لقول الرسول ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد، ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»[2].

قال:

﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

(يوسف: ٩٢)

تعقيب من يوسف - عليه السلام - على مشهد، لعله أعجب المشاهد كلها، على امتداد أحداث القصة، وأكثرها جذبا للانتباه، وهو بالتأكيد مفتاح انفراجة الصراع كله..!! مشهد اللقاء بإخوته، عندما كشف لهم عن حقيقة شخصيته، التى ظلوا يتعاملون معها بيعا وشراء فى أكثر من لقاء، دون أن يعرفوه، ودون أن يعرفوا أن جريمتهم الكبرى فى حق أخيهم لم تطو صفحتها بعد، وأنها لا تزال تحمل الكثير من المفاجآت المذهلة. لقد حفظ الله يوسف ضحيتهم من مكرهم وخداعهم ورعاه.

ومكن له فى الأرض وبوأه من المنازل مايفوق الخيال؛ حيث أصبح على عرش أرفع الممالك آنذاك - مملكة مصر - حفظه الله ورعاه، ليقفوا هم بين يديه ضارعين، ويصبحوا رهن إشارته، وليتعلق مصيرهم بما يخرج من بين شفتيه، حينما يأمر بالقصاص العادل، وعندئذ لن يكون هناك، لائم واحد، يوجه إليه كلمة عتاب، ولن يكون هناك مشفق واحد، يشفق عليهم فيما لو أخذهم يوسف بما يستحقون من عقاب؛ حيث إنهم ارتكبوا فى حق أخيهم هذه الجريمة النكراء حينما ألقوه فى البئر، دونما شفقة أو رحمة، ودون أن يستمعوا إلى ضراعته واستغاثته.. دون أن يرعوا لأبيهم الشيخ، الذى أمنهم على أخيهم حرمة، ودون أن يحفظوا له عهده.. وهم يعلمون كم ستكون الصدمة بالشيخ قاسية، وكم سيكون الخبر مرا شديد المرارة، حينما يفقد ابنه الحبيب..!!

والتقى الغريمان. قابيل وهابيل.. القاتل والمقتول..!! ولقاء اليوم من أعجب اللقاءات بل هو أعجبها قاطبة..!! ومتى حدث هذا اللقاء؟ لقد حدث بعد عقود من الزمان.. ربما نسيت الجريمة، وأصبحت فى ذمة التاريخ، ولم يعد هناك من يذكرها إلا ذلك الشيخ الفانى، الذى لايزال فؤاده ينكأ بالمرارة والحزن، لضياع حبيبه «يوسف»!!

(١) سيد قطب ـ فى ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٢٦٥.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه حـ٣/١٣٤٢ رقم ١٥/١٧١٦، كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ.

والآن، تتم المفاجأة المذهلة.. هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه.. إذا أنتم جاهلون؟! مفاجأة لايمكن لأحد من الكتاب والمحللين، مهما أوتى من البلاغة والفصاحة، أن يصورها فى كلمات ولايمكن لأحد أن يتصور حقيقة مشاعرهم وما أصابهم من الذهول وهم يسمعون هذه العبارة القصيرة.. الرقيقة.. العميقة.. التى تقطر عتابا مرا دون مرارته الصاب.. عتابا، لم يكونوا يتوقعونه طول حياتهم، مهما اشتطت بهم الأحلام، ومهما ذهبت بهم بعيدا الأوهام والخرافات

﴿ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾

(يوسف: ٨٩)

«ورن فى آذانهم صوت لعلهم يذكرون شيئا من نبراته، ولاحت لهم ملامح وجه لعلهم لم يلتفتوا إليها وهم يرونه فى سمت عزيز مصر وأبهته وشياته»[3] إنه يوسف..!! فماذا هو فاعل بهم الآن؟! وبأى وسيلة سيكون العقاب؟! وفى أى سجن سيكون مستقرهم؟! إنه على كل حال سيكون أقل وحشة من البئر الذى ألقوه فيه وسيكون على كل حال أكثر رحمة من ذلك الجب المظلم الضيق، الذى يمتلىء بالحيات والثعابين..!! فليعدوا أنفسهم للقصاص العادل.. ولكن

المفاجأة الكبرى الثانية، تأتى على غير ارتقاب، لقد انتهت جريمتهم كلها، ومحيت آثارها من ذلك القلب الكبير، الذى لم يعد يذكر الآن إلا ما أنعم الله به عليه

﴿ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(يوسف: ٩٠)

صفح جميل.. وعفو عن المسىء لم يشهد لهما التاريخ مثيلا.. إلا مثيلا واحدا.. حينما وقف مشركو مكة أمام رسول الله ﷺ فى ساحة الكعبة يوم الفتح الأكبر، وهم بين يديه ورهن إشارته، لتمتلىء هذه الساحة بدمائهم.. فإذا به يقول لهم: «ما تظنون أنى فاعل بكم؟ فيقولون أخ كريم وابن أخ كريم، فيقول: اذهبوا فأنتم الطلقاء..!!

إن هذا التعقيب..

﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

سيظل شامخا متلألئا فى أعلى قمة من قمم التاريخ: تاريخ الأخلاق الكريمة، والشيم النبيلة. تاريخ الإنسانية الرفيعة، التى لاتعرف التشفى والانتقام..!! وسيظل الإنسان طول حياته، يعفو عمن أساء إليه، وسيظل طول حياته يرفع رايات الحب

(٣) سيد قطب ـ فى ظلال القرآن ص ٢٠٢٧.

والسلام والإحسان إلى من أسلفوه الغدر والخيانة.. لكنه لن يبلغ من ذلك إلا القليل مما تحقق على يد يوسف - عليه السلام - !! وسيظل القرآن الكريم يتلى، وفيه مثل هذه الآية الكريمة المباركة

﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

وقد وردت فى سياقها من الأحداث، لتؤكد على حقيقة أن:

من يفعل الخير لايعدم جوازيه

لا يذهب العرف بين الله والناس

ويتأكد المؤمن من ذلك، حينما يرى إخوة يوسف - عليه السلام - يسجدون له وهو يعتلى سدة الحكم فى مصر أعظم ممالك الأرض آنذاك. اقرأ:

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

(يوسف: ٩١، ٩٢)

﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

(يوسف: ١٠٠)

هذا التعقيب ورد على لسان يوسف - عليه السلام - وهو يعيش لحظات انتصاره الساحق، بعد أن جمع الله عليه شمله، ورده إلى أبيه وإخوته وردهم إليه، وهو فى أرفع المناصب فى دنيا الناس مما لايتحقق إلا للشرفاء والعظماء.. وفى زمرة النبيين والمرسلين فى دنيا الرسالات السماوية، مما يضطلع به إلا الاطهار من عباد الله المصطفين الأخيار..!!

إن هذه المنزلة الكريمة، التى جمعت بين أرفع الدرجات فى الدنيا والآخرة، لم تنس يوسف - عليه السلام - ربه الذى أنعم بها عليه؛ فما أن رفع أبويه على العرش، وما أن خر الجميع له سجدا إلا وقد رجع بكل هذا إلى مصدره الأول وهو الله تبارك وتعالى؛ لم تلهه النعمة عن المنعم؛ لذا وجدناه يتوجه إلى أبيه يعقوب - عليه السلام- قائلا:

﴿ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾

(يوسف: ١٠٠)

«فكل ما تحقق له: من إزالة نقمة أو تحقيق نعمة.. إنما هو من الله رب العالمين. ثم يختم ذلك مؤكدا على حقيقة عقدية كبرى

﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

فهو الذى لا يعجزه شيء فى الأرض ولا فى السماء.

إن هذا الختام، يدعو المؤمن دائما إلى أن يرى الله فى كل خير يصيبه: سواء كان فى دفع ضر، أو جلب نفع. وأن يعزو

كل مكروه إلى الشيطان، الذى لا يألوا جهدا فى الإيقاع ببنى آدم فى مهاوى الضلال والفساد

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾

(يوسف: ٥)

وبعد. فلايزال فى السورة الكثير والكثير، من التعقيبات والتعليقات، التى يمكن أن نقف حيالها متأملين ومحللين، لنستنبط منها الحكم الغالية، والتوجيهات الرشيدة، التى تدعم عقيدة المؤمنين بما يقويها ويثبت أركانها فى نفوسهم ولكننا نرى أن نتوقف عند هذا الحد، بعد أن طفنا بكثير من لآلئها الوضاء، التى أضاءت نفوسنا وعقولنا. وقد صدرت من ينابيع متعددة، تنوعت أهدافها وتوجهاتها: فمنها ما صدر عن الله - عز وجل.. ومنها ما صدر عن يعقوب - عليه السلام - ومنها ما صدر عن ابنه الحبيب يوسف عليه السلام - ومنها ما صدر عن إخوه يوسف.. ومنها ما صدر عن امرأة العزيز..!!

وكما تعددت مصادر هذه التعقيبات والتعليقات، تعددت حالاتها وما يحيط بها من جو شعورى أو عقدى..: فمنها ما كان من حالة الخوف، وما كان فى حالة الرجاء.. ومنها ما كان فى حالة الشدة وما كان فى حالة الرخاء.. ومنها ما كان فى حالة الشعور بالإحباط واليأس، وما كان فى حالة الفوز والانتصار.. ومنها ما كان فى حالة الغضب وما كان فى حالة الرضا.. ولكن الذى لم يتعدد فى هذا كله، إنما هو مصب هذه التعقيبات والتعليقات، حيث إنها كانت تندفع جميعها بتياراتها المختلفة والمتعددة إلى مجرى واحد، هو التأكيد على العقيدة الصحيحة فى الله عز وجل، وأنه المتصرف فى كل شيء والحافظ لكل شيء والقائم على كل نفس بما كسبت.

وفى نهاية هذه الرحلة التى طفنا فيها أجواء السورة المباركة - سورة يوسف - وتنسمنا عبيرها الفواح - قدر الطاقة - مستنبطين العبر الغالية، والحكم البليغة مرتشفين ما شاء الله لنا واتسعت له جعبتنا من مائها العذب الصافى.. فى نهاية هذه الرحلة، أدعو الله سبحانه وتعالى أن يثيبنا على ما أصبنا، وأن يغفر لنا ما أخطأنا. فالخير أردنا والله الهادى إلى سواء السبيل

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

(البقرة ٢٨٦)

***

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبدالموجود أمين

الولاية الثانية

بمناسبة بدء الولاية الثانية للرئيس الأمريكى «جورج دبليو بوش» كتب الأستاذ بسيونى الحلوانى كلمة فى جريدة «عقيدتى» الأسبوعية الصادرة فى ٢٠٠٥/١/٢٥م، قال:

منذ أيام احتفل الرئيس الأمريكى بوش ببدء ولاية ثانية وأخذ كالعادة يوزع وعوده المعسولة على شعوب العالم ويبشر المقهورين والمضطهدين والمظلومين من جانب حكامهم بالوقوف إلى جانبهم حتى يحصلوا على حريتهم كاملة ويعيشوا أحراراً أعزاء فى أوطانهم.

هذه الوعود المعسولة لم يصدقها الأمريكان أنفسهم حيث أجرت إحدى وسائل الإعلام الأمريكية استطلاعا للرأى أكدت من خلاله أن ٤٩٪ من الأمريكيين لا يثقون فى كلام ووعود رئيسهم.

لقد وعد الرئيس الأمريكى الشعب العراقى بالحرية والديمقراطية والحياة الكريمة على أرضه بعد القضاء على نظام صدام حسين.. وقد مضى أكثر من عام ونصف العام على الإطاحة بصدام ونظامه عانى فيه العراقيون أكثر مما عانوه طوال حكم صدام حسين.. فلا أمن.. ولا حرية.. ولا ديمقراطية.. ولا حقوق إنسان.. ولا كرامة لشعب يعيش على أرضه.

لذلك لن يجد كلام بوش صدى لدى الشعوب المقهورة والمظلومة من حكامها لأن تجربة العراق ستظل عالقة بالأذهان.. وأكرم لهؤلاء المقهورين والمظلومين أن يعيشوا بلا حرية فوق أرضهم من أن تُمتهن كرامتهم وتهدر حقوقهم على أيدى الغُزاة كما حدث فى العراق.

لقد تسابق دُعاة المدنية والحضارة وحقوق الإنسان فى إهدار كرامة أبناء العراق.. فما حدث داخل سجن أبو غريب للعراقيين والعراقيات المشتبه فيهم على

أيدى القوات الأمريكية سيظل صفحة سوداء فى تاريخ أمريكا.. وما حدث فى الموصل وغيرها من تعذيب بشع للمدنيين العراقيين على أيدى القوات البريطانية، وما ارتكبته مؤخرا القوات الدانماركية من انتهاكات لحقوق الإنسان العراقى.. كل ذلك يؤكد أن الحرية والديمقراطية التى يتغنى بها هؤلاء حرية زائفة وأن واجب شعوب العالم أن تقف يداً واحدة فى وجه قوى العدوان التى ترفع شعارات خادعة ثم تستبيح لنفسها بعد ذلك أن ترتكب أبشع الجرائم باسم الحرية والديمقراطية.

وفى نفس المضمون كانت الكلمة المنشورة بجريدة الأهرام الصادرة فى ٢٠٠٥/١/٢٥م بزاوية «رأى الأهرام» جاء فيها:

لا يستطيع أحد أن يجادل فى تعهد الرئيس بوش فى خطاب تنصيبه لفترة رئاسية ثانية بالعمل على تعزيز الحرية والديمقراطية فى العالم، فهذا مطلب عزيز لكل الشعوب، لكن المهم هو كيف سيتم ذلك؟.

بالإقناع أم بالقوة العسكرية كما حدث فى العراق فتحول إلى ساحة للقتل والتدمير بدلا من الديمقراطية والتغيير.

تنبع المخاوف أيضاً من قول بوش إن الهدف النهائى للولايات المتحدة هو وضع حد للطغيان فى العالم واستخدامه كلمتى «الحرية والتحرير» ٣٦ مرة خلال ٢٠ دقيقة، فهو يعزز المخاوف من تصعيد التدخل الأمريكى فى شئون الدول الأخرى، وتحويلها إلى ساحة للقلاقل والمجازر تحت دعوى نشر الديمقراطية كما يثير القلق من أن يكون هذا هو الهدف الرئيسى الذى سينشغل به بوش طوال أربع سنوات عن بذل مساع جادة لحل مشكلات مزمنة مثل القضية الفلسطينية وانسحاب القوات الأمريكية والبريطانية من العراق.

لقد حاول بوش فيما يبدو أن يهدئ من تلك المخاوف عندما قال إن الولايات المتحدة لن تفرض أسلوبها فى الحكم على الدول الأخرى التى لا تريده، لكن الخوف ينبع من قوله إن واشنطن ستستخدم السلاح للدفاع عن نفسها وعن أصدقائها عند الضرورة لأن تقدير هذه الضرورة متروك له هو وإدارته وحدهم وما يمكن أن يروه ضرورياً لا يعنى بالضرورة أنه كذلك فى عيون قادة دول العالم الأخرى.

واللافت للنظر أيضاً أن الرئيس الأمريكى صاحب «رؤية» قيام دولة فلسطينية إلى جانب إسرائيل لم يذكر فى خطابه كلمة واحدة عما يعتزم فعله لتحويلها إلى واقع مرئى، ولم يشر إلى ما سيفعله لإنهاء الوضع المأساوى فى العراق، وهذا يستدعى لدينا المزيد من القلق.

الهوية القرآنية والفرقان الأمريكى الملفق

وكتب الدكتور محمد داود فى جريدة الوفد فى عددها الصادر فى ٢٤ من يناير سنة ٢٠٠٥م قال فيه:

التأثير والتأثر سُنَّة جارية فى العلاقات بين الأمم والثقافات المختلفة، فالحضارة أخذ وعطاء وخلق الله -سبحانه وتعالى- الناس شعوباً وقبائل لتتعارف وتتنافس.. وبهذا تتقدم البشرية، فالحضارة جهد بشرى متراكم يشترك فيه كل من يملك العطاء، غير أن هناك فرقاً بين التأثير والتأثر وتشابك المصالح، وبين المسخ والذوبان فى الآخر بتقمص كل ما عنده، وهو موقف المغلوب على أمره حين يقتدى بالغالب ويتشبه به فى كل أمره، وهنا

تتعرض ثوابت المغلوب للاهتزاز والاضطراب أمام اشتداد الفتن والموبقات.

وتحت تأثير الكلمات المُضَلِّلَة واللغة المُراوِغَة نَنبهِر بمُصطلحات: العصرية والتقدُمية والتمدين، وتحدث عملية مسخ كامل لثقافاتنا، وليس أدل على ذلك من أن أعداء أمتنا لم يستثنوا من هجماتهم الثقافية شيئاً، فأتوا على قمة المقدسات عندنا وهو القُرآن الكريم، فغيروا وبدلوا وصرَّفوا، وضعوا لما لفقوه عنواناً جديداً تحت اسم «الفُرقان الحق».. وهكذا جعلوا من الباطل الذى لفقته أيديهم حقاً!!.

ويحمل هذا «الفرقان» المُلَفَّق إساءات شنيعة لرسول الله ـ ﷺ ـ ويسند أعمال الضلال والفساد والقتل والفتنة إلى المسلمين، ويناديهم بعبارات: يا أهل الجهل!. يا أهل الظلم من عبادنا!. يا أيها الذين ضلوا من عبادنا!. يا أيها المفترون من عبادنا الضالين!. إلى آخر الإساءات التى تصل إلى حد السفه فى حق الإسلام والمسلمين.

إنه نوع من الاحتلال العجيب للعقول والقلوب، يحاول أن يغير كل شىء فيها: عقيدتها وثقافتها وفكرها وانتماءها.. فنحن اليوم أمام الإكراه على ثقافة الغير، وفكره.. ولم يعد الأمر مقصوراً، كما كان من قبل على فئة انبهرت بهذا الآخر فأخذت أسوأ ما عنده، ليتها أخذت علمه وطبه وفلكه، لكنها أخذت فسقه ومجونه.

إننا اليوم أمام هجمة تحاول إكراهنا على الذوبان فى الآخر، وتحاول اغتيال قيمنا وثوابتنا ومقدساتنا.

وكل هذا ينبغى أن يحرك هممنا إلى أن نلوذ بالقُرآن، وأن يزداد تمسكنا به.

إدمان الكراهية لأمريكا

فى الأهرام فى عددها الصادر فى ٢٠٠٥/١/٢٣ قال الأستاذ رجب البنَّا، موضحاً موقف العرب والمسلمين تجاه أمريكا وإسرائيل قال:

أصبح هذا السؤال يتردد يومياً على ألسنة كبار المسئولين، وفى كتابات كبار المحللين فى الولايات المتحدة: لماذا يكره العالم أمريكا؟. ولماذا يكره المسلمون والعرب أمريكا أكثر؟.

وتعددت إجابات الأمريكيين.. الرئيس بوش قال: لأنهم يكرهون تقدمنا وحريتنا.. ونائبه تشينى قال: لأنهم يكرهون ثروتنا والرخاء الذى نتمتع به.. ووزير الدفاع رامسفيلد قال: لأنهم يكرهون قوتنا، وكذلك فإن الدول المعتدية التى أصابتها الشيخوخة مثل دول أوروبا العجوز تكره الفتوة والحيوية والشباب فى أمريكا. وبعض المحللين قالوا: إن استخدام أمريكا القوة العسكرية ولهجة الرئيس بوش المليئة بالغطرسة هى سبب الكراهية والخوف معاً، وبعضهم قال: إن أمريكا ـ فى ظل الإدارة الحالية ـ لا تكف عن تهديد الدول، وإضافة دولة جديدة إلى القائمة التى تضعها وفقاً لما تراه وتعتبرها دولاً راعية للإرهاب وتفرض عليها الحصار.. والأوروبيون مجتمعون على أن أمريكا أصبحت دولة تمارس الأعمال التى تفرض العقوبات بسببها على الدول الأخرى، مثل عدم احترام الشرعية والقانون الدولى، وانتهاك حقوق الإنسان، والانسحاب من الاتفاقات والمعاهدات، والاستهانة بالحلفاء والأصدقاء، والسعى إلى الانفراد بالقرار وبالعمل فى الشئون الدولية، ومحاولة إنشاء إمبراطورية

يمتد نفوذها إلى أنحاء العالم، والتوسع فى إنشاء القواعد العسكرية فى قارات العالم الخمس وفى البحار والمحيطات، والسيطرة على الفضاء بأقمار التجسس، وبالإضافة إلى ذلك فهى المسئولة عن الأزمة الرأسمالية العالمية والانحراف بالعولمة.

أما فى مصر فقد عبر الرئيس مبارك عن رأى المصريين والعرب حين قال أخيراً: إن موقف الولايات المتحدة من القضية الفلسطينية هو السبب الرئيسى لكراهية العرب والمسلمين لأمريكا، وإذا تحركت بجدية وساعدت على إقامة السلام العادل بحق فسوف تنتهى نصف مشاعر الكراهية، وبالطبع فإن ما تفعله أمريكا فى العراق وتهديداتها لسوريا والسودان.. من الأسباب المهمة للكراهية.

وفى رأى مايكل براون ـ المدير التنفيذى لمنظمة شركاء السلام ـ أن الرئيس بوش لا يتلقى الرسالة التى يبعث بها العالم إليه لدعوته ليكون صانع السلام فى الشرق الأوسط، والرسالة تقول: إن القضية هى الاحتلال.. الاحتلال.. لكن الرئيس بوش ـ مع ذلك ـ يردد أن القضية هى الديمقراطية للفلسطينيين. وقد رفض الاستماع صراحة إلى رسالة العالم، وقال فى زيارته لكندا الشهر الماضى إن تحقيق السلام فى الأراضى المقدسة ليس مسألة ضغط على هذا الجانب أو ذاك بشأن الحدود أو المستوطنات، فقد حاولنا هذا التوجه ولم يحقق نجاحاً، وعلينا عند التفاوض على تفاصيل السلام أن نركز على قلب المسألة وهو الحاجة إلى الديمقراطية للفلسطينيين.

يقول مايكل براون: إن تحقيق السلام فى الشرق الأوسط يتطلب قيادة قوية من رئيس أمريكى مستعد لاتخاذ موقف عادل ومتوازن، فيطالب بإنهاء العنف الفلسطينى، وفى نفس الوقت يطالب إسرائيل بإنهاء الاحتلال، والانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان، وأن تكون لديه الشجاعة للتصدى لمشكلة مئات الآلاف من الفلسطينيين الذين طُردوا من أراضيهم وبيوتهم خلال ٥٦ عاماً. وينتهى مايكل براون إلى أن الرئيس بوش حتى اليوم يفتقد الشجاعة لمصارحة حلفائنا الإسرائيليين بالحقائق الصعبة، ويكتفى بالضغط على الشعب الفلسطينى فقط دون أن يطالب إسرائيل بتنفيذ التزاماتها، وليست هذه قيادة أخلاقية(!).

ومنذ أيام قال وزير الخارجية الأمريكية: «إن العالم الإسلامى بعد أن رأى «الكرم الأمريكى» والقيم الأمريكية على أرض الواقع بالمساعدات لضحايا «تسونامى» قد يصبح أقل عداء لأمريكا». وعلق على ذلك كاتب أمريكى بقوله: إن إدارة بوش مشغولة بمواصلة الإدارة السيئة للحرب التى شنتها فى العراق، وكان أداؤها محزناً، ومن الأفضل أن تتحرك الإدارة الأمريكية فى الاتجاه الصحيح قبل أن يتحول المسلمون والعرب إلى إدمان الكراهية لأمريكا ويصعب العلاج!.

الخطباء وحفلات التأبين

وتحت عنوان «بعيداً عن الخطباء فى حفلات التأبين» كتب الأستاذ «عبداللطيف عبدالكريم» فى جريدة «الأخبار» الصادرة فى ٢٠٠٥/١/٢١، قال:

يحدثنا واقع الصراع العربى ـ الإسرائيلى بأنه حتى هذه اللحظة لم أسمع عن واحد ممن بيدهم الحل والعقد فى إسرائيل يؤمن بالسلم أو يحرص عليه إيماناً وحرصاً مبعثه القلب والضمير.

لهذا فإنى أقسم بأغلظ الأيمان أن ما روجت له إسرائيل فى ١١/١٢/٢٠٠٤ وساعدت على نشره من وراء ستار، ثم ردده اللوبى الصهيونى فى أمريكا بنفس الكيفية مقتحماً به عقل الجالسين فى البيت الأبيض إلى حد أن تكرر ترديده فى ١٧/١٢/٢٠٠٤ كان كذباً كبيراً وهو حديث الإفك الذى استمرأوا ترديده من قبل بأن العرب يعادون أنفسهم ويهدرون دماء قضيتهم ويرفضون مصافحة اليد الإسرائيلية الوديعة المسالمة الممدودة إليهم بالسلام حتى بعد ذهاب ياسر عرفات الذى تصر أمريكا وإسرائيل وحدهما على أنه لم يكن زعيماً ولا رئيساً موهوباً ولا راغباً فى السلام.

ولست أدرى لماذا عادوا يرددون فى محافلهم هذه الأيام مقولة أنه فى آخر أسبوع من حكم رئيس الوزراء السابق «باراك» قام الوزير «أمينون شاحاك» والوزير «شلومو بن عامى» بممارسة ضغوط ثقيلة على باراك كى يكون أكثر ليونة ومرونة ويتساهل مع العرب فى قضية القدس وفى موضوع عودة اللاجئين من منافيهم وشتاتهم وإعلان ذلك على العالم الذى سوف يقتنع بعد أن يرى ويسمع ويقرأ بأن العرب هم الرافضون دوماً والمولعون بالعدوان اشتقاقاً من نزعتهم الإسلامية ومن تاريخهم الدينى العنيف الذى يشترك فى تأييد دينى مسيحى ـ عربى محلى، وتلك أراجيف وأكاذيب سبق أن تأكد كذبها من داخلهم، حيث إن «إعلان بيلين» وقت صدوره أكد على أحقية إسرائيل فى القدس الواحدة الموحدة التى كانت فى البدء عبرانية لحماً ودماً، ولهذا صفق غلاة الصهاينة طرباً وسعادة حين أسقط مؤتمر القمة العربى الذى كان قد سبق عقده فى عمَّان بالأردن موضوع القدس من جدول أعماله فى محاولة من المؤتمر لترتيب الأولويات!!

والكبيرة مرتكبة الكبائر أمريكا لم تخجل لحظة واحدة من انحيازها الفاضح إلى إسرائيل وهى تسحب فى تأييدها فى ذيل دويلة اسمها كوستاريكا وذلك حين اقترحت من قبل إدارة القدس الشرقية مع الفلسطينيين مقابل أن تضم إسرائيل جميع مستوطناتها فى الضفة الغربية بما فيها مستوطنة «معاليه أدوميم» الكبرى ومستوطنة «جبعات زنيف» الاستراتيجية، وأن تتحول عدة أحياء فلسطينية متاخمة للقدس منها حى «شعفاط» ومنها حى «بين حنينا» إلى سيطرة الإدارة المشتركة المقترحة مع سيطرة السيادة الإسرائيلية على القدس الواحدة المرفوض تقسيمها وزيادة الحكم الذاتى الفلسطينى الذى لا معنى له إلا بيع الوهم وذلك فى عدد محدود من الأحياء العربية التى تقع على مشارف القدس مع جواز وليس وجوب تعويض اللاجئين ماديا وهى مجموعة البنود التى جاء شارون ينهل منها ويطور فيها ويضيف إليها.

ومع أن محنة الاغتيال الخفى والبطىء والذى له ألف دليل للرئيس عرفات لم تخنق روح الجهاد الفلسطينى، فإن ذلك سوف يظل «البُعبُع» المخيف لإسرائيل خاصة بالنسبة لأهم موضوع يجذب الحماس ويدفع إلى الجهاد وهو موضوع القدس الذى هو موضوع دين ودُنيا معاً، والذى يعنى الفلسطينيين، ويعنى كل العرب، ويعنى كل المسلمين والمسيحيين، ولهذا فإن الذين يفكرون برءوسهم وليس بأقدامهم منا لا يهمهم أن يكون الرئيس أبومازن أو البرغوثى، إذ أن رئاسة فلسطين الحقيقية

تبقى غائبة إذا لم تترأس فوق كل ترابها، كما تظل وهماً إذا لم تسيطر على مقدساتها.. فالفئران المذعورة لا تنصب لنفسها رئيساً أو ملكاً، ولكن أسراب النحل التى تعرف عدد خلاياها وحدودها وتملك حرية الخروج منها والدخول إليها، هى وحدها التى تقيم مملكة وتختار ملكة، وهى وحدها التى لا تقيم حفلات التأبين لموتاها، حتى لو كان الميت هو الملك الذى قتلته الملكة!!.

السلام.. والقوة

وفى جريدة الأخبار الصادرة فى ٢٠٠٥/١/٢١ فى زاوية كلمة اليوم كانت هذه الكلمة والتى جاءت تحت عنوان «السلام.. هل يتحقق تحت التهديد بالقوة؟!»:

الأحلام الوردية بحدوث انفراج- توقعه الحالمون- فى عملية السلام فى الشرق الأوسط عقب وفاة الزعيم الفلسطينى الراحل والذى اتسعت مساحته باختيار الفلسطينيين لمحمود عباس «أبومازن» خليفة لعرفات على رأس القيادة الفلسطينية تبخرت جميعها وذهبت أدراج الرياح مع أول عملية فلسطينية ضد جنود الجيش الإسرائيلى رغم أنها «الأحلام» لم تتأثر بالمرة تقريبا باستمرار الاعتداءات الإسرائيلية المتواصلة على الفلسطينيين ليل نهار خلال الفترة القليلة الماضية وكأن الفلسطينيين لا ثمن لهم فى عداد البشر!.

ولقد زاد الطين بلة بإعلان رئيس الوزراء الإسرائيلى اريل شارون قطع جميع الاتصالات الإسرائيلية مع عباس والسلطة الفلسطينية إلى أن يوقف- بعصاه السحرية- العمليات الفلسطينية التى تستهدف إسرائيليين.. ثم وصل العبث ذروته بإعلان مسئول وصف بأنه كبير فى الحكومة الإسرائيلية أن إسرائيل تمنح عباس «مهلة محددة» لمكافحة ما أسماه بالإرهاب وإلا فإنها ستغير قواعد اللعبة كلها إلى درجة تجعل الفلسطينيين يدفعون ثمناً هائلا!!.

فبالله عليكم.. هل يعرف أحد قواعد ثابتة بالفعل للعبة الحالية بين إسرائيل والفلسطينيين.. إذا افترضنا جدلا أن عملية السلام لعبة؟.

فلقد قامت عملية السلام عقب مؤتمر مدريد عام ١٩٩١ على مبادىء أساسية ركيزتها قرارات الشرعية الدولية لاسيما القرارين ٢٤٢ و٣٣٨ ومبدأ الأرض مقابل السلام الذى وقعت على أساسه اتفاقات أوسلو الانتقالية وتأسست السلطة الفلسطينية بموجبها أوائل عام ١٩٩٤ لكن إسرائيل لم تتوان عن العمل على اعادة العملية السلمية إلى المربع رقم واحد بالمماطلات والمراوغات والمكر الخبيث..

ان السلام- أى سلام- لا يمكن أن يتحقق بالإملاءات والمماطلات والمراوغات والتهديد باستخدام القوة وتغيير قواعد اللعبة وتحميل الطرف الآخر خسائر وثمناً هائلا.. لكنه يتحقق فقط بالرضا والتسامح وإعادة الحقوق المسلوبة إلى أصحابها ثم القبول بالتعايش السلمى وحسن الجوار القائم على مبدأ الاحترام المتبادل والتقدير. وما عدا ذلك لن يعدو كونه محاولة إسرائيلية جديدة للالتفاف على العملية السلمية المجمدة على أمل أن يتسرب اليأس إلى نفوس الفلسطينيين يوما ما فيقبلوا بالفتات الذى تتكرم عليهم به إسرائيل أيا كان. وهذا ما نؤكد أنه لن يحدث على الإطلاق.

رأى فى الأضحية

للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومى

لقد تناول الإسلام - كوحى إلهى - حياة المسلم كلها دينية ودنيوية فتناول الحياة القانونية والسياسية والاجتماعية، وهو إذ يتناولها لا يتناولها دراسة للقوانين الاجتماعية والحياة السياسية، إنما يشملها من خلال إطار كلى يساعد على بناء حياة أفضل، من أجل تغيير وتصحيح المسيرة الاجتماعية التى هى - دائما - فى تحويل وتبدل.

لذلك كان الإسلام يهتم بالرؤية المستقبلية لدراسة «ما ينبغى أن يكون» انطلاقا من تقويم ما هو كائن، وكانت المشكلة السياسية التى واجهت المسلم هى: أن الدين يوصف بالثبات وعدم التغير.. بينما الحياة الاجتماعية توصف بالتغير والتبدل والتحول.. فكيف يترابط الثابت بالمتغير.. والمفروض ليس الترابط بينهما فقط بل المطلوب أن يقود الثابت «الدين» المتحرك «الحياة الاجتماعية والسياسية إلخ»؟.

من هنا نشأ علم أصول الفقه وتطبيقاته العلمية التى عرفت باسم الفقه الإسلامى - علم سلوك المسلم - تلبية دينية واجتماعية وثقافية، مسايرة لمبدأ التوازن بين الإسلام وتطور الحياة ومشكلاتها كى لا ينعزل المسلم بإسلامه، وكان هذا الجهد الفقهى تطويرا لمفهوم «الرأى» الذى أخذ به معاذ حين أرسله الرسول إلى اليمن وقد رضى عنه الرسول وعلى هذا الدرب تطور الرأى بجهود الفقهاء إلى ما يعرف بالاجتهاد فى التشريع مراعاة لقانون التغيير العام

وكان مبدأ الاجتهاد ضروريا ليحفظ على العقل دوره الحضارى فى الإسلام فى تطبيق كليات الشريعة وتحويلها إلى حركة اجتماعية، ومن خلال قواعد عقلية صنعها العقل لتحفظ عليه رشده من أن يقع تحت أهواء مضلة أو يقع تحت تأثير رؤية ذاتية ومن تلك القواعد: القياس - الإجماع - الاستحسان - المصالح المرسلة.. وهى قواعد صاغها العقل لغاية دينية، وذلك كله من جهود الفقهاء، مراعاة لقانون التغيير العام فى المجتمعات خلال انتقاله المستمر من زمن إلى زمن ومن حال إلى حال.

إن من أهم ما أورثه الإسلام للعالم المتحضر قانونه الدينى الذى يسمى بالشريعة والشريعة الإسلامية هى جملة الأوامر الإلهية التى تنظم حياة كل مسلم من جميع وجوهها، وهى تشتمل على أحكام خاصة بالعبادات والشعائر الدينية كما تشتمل على قواعد سياسية وقانونية وعلى تفاصيل آداب الطهارة، وآداب الأكل وعيادة المرضى.

والشريعة الإسلامية هى أبرز ما يميز أسلوب الحياة الإسلامية، وهى لب الإسلام ولبابه، ولم يتهيأ قط لعلم الكلام أن يصل إلى درجة من الأهمية تضاهى علم الشريعة.

وهذا الفقه - بهذا المعنى الشامل - هو فى الحقيقة الناحية التى تمثل لنا الطابع الحقيقى للتفكير الإسلامى فالذين يعنون بمعرفة الأصالة الإسلامية والتفكير الإسلامى الذى لم يتأثر بمؤثرات أجنبية

عليهم أن يدرسوا علم الفقه الإسلامى وأصوله والذى لم يدخله دخيل فى الفكر أو الطريقة فهو علم يقوم على القرآن والسنة ويدور حولهما.

ومن منطلق قواعد الشريعة الإسلامية ومقاصدها أحب أن أطرح اقتراحا حول الأضحية - بمناسبة عيد الأضحى - وحب الناس التأسى برسول الله فقد روى المحدثون أن الرسول - ﷺ - ضحى بكبشين أملحين وجرى الناس على ذلك، اقتداء بما فعله - ﷺ -.

والأضحية - كما يرى الفقهاء - نوعان:

النوع الأول: أضحية تدخل فى نسك الحج وما يلزم الحاج من واجبات تقع عليه، هذا النوع - وهو أساس الأضاحى - يؤديه الناس دون أن يقصروا فيه.

أما النوع الثانى: فهو الذى يدور اقتراحنا حوله تيسيرا لمن يريد أن يضحى ثم لا يجد فى يده ثمن الشاه كاملا بالنسبة للحالة الاقتصادية العامة حال شديدة الفقر مقترة الدخل، والأسواق كاسدة، وعرف البؤس طريق الناس، فقل عدد المضحين الذين كانوا يحملون إلى الفقير والمسكين وذوى الحاجة عطياتهم من أضحياتهم - تضامنا اجتماعيا وحقا - لا هبة للسائل والمحروم.

فهى حق معلوم للسائل والمحروم، لا هبة ولا منحة.. وبينها الرسول بقوله: «ثلث لمن تحب وثلث للفقراء» وهذا أهم مبدأ فى التكافل الاجتماعى.

فرأيت أن أراجع مدارس الفقهاء عسى أجد مدخلا يوسع على المضحين ويوسع على الفقير والمسكين وذوى الحاجة.

فتابعت البحث عند الفقهاء فتبين لى:

أن الأضحية - وهو ما يذبحه الناس فى بلادهم - تأخذ معنى الصدقة أى الأضحية تترادف مع الصدقة.. وتسميتها بالأضحية من قبيل المشاكلة، وبعضهم يفضل الصدقة على الضحية وبعض آخر يفضل الأضحية على الصدقة.

والأضحية ليست بواجبة ولكنها سنة ومعروف، ولذلك كان أبوبكر وعمر لا يضحيان لئلا يعتقد فى المواظبة عليها أنها واجبة وفرض.

والضحية - كما يرى الفقهاء أسوة برسول الله - بالغنم أفضل.

لكن ابن عباس كان يرى أن اللحم يجزىء عن الذبح، قال عكرمة: «كان ابن عباس يبعثنى يوم الأضحى بدرهمين أشترى له لحما ويقول: من لقيت فقل هذه أضحية ابن عباس» يقول الإمام القرطبى معلقا: «وكانوا أئمة يقتدى بهم من بعدهم ممن ينظر فى دينه إليهم، لأنهم الواسطة بين النبى - ﷺ - وبين أمته، فساغ لهم من الاجتهاد فى ذلك ما لا يسوغ اليوم لغيرهم».

بعد هذا نقول: فإذا كان الترجيح بابا من أبواب الاجتهاد فإنى أرجح اجتهاد ابن عباس تيسيرا على الذى لا يملك ثمن الخروف أو غيره فمن الاستحسان أن يجود على قدر استطاعته باللحم خيرا له من أن يمسك مطلقا، وهناك فقراء أحوج ما يكونون إلى هذا وهنا تتسع دائرة المضحين إما بالذبيحة وإما باللحم، ومادامت الأضحية تترادف مع الصدقة فالنحر يتساوى مع اللحم، مع الإقرار بأفضلية الذبح مادام لدى المضحى الاستطاعة وغير مرخص له ترك الذبح، أما قوله تعالى:

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ (الكوثر / ٢)

فليس خاصا بوقت الأضحية إنما له أوجه كثيرة فلا حجة فيه.. وأجاز بعض الفقهاء النحر قبل الصلاة.

أطرح اجتهاد ابن عباس للبحث والمناقشة تيسيرا على الناس وعونا للفقراء الذين أعوزتهم الحاجة وتوسيعا لسبل الخير حتى لا يغلق باب فتحه الأسلاف.

سطور مضيئة من الهجرة

للأستاذ/ عادل خفاجة

عبر مداها الطويل قدمت مجلة الأزهر الكثير من المقالات - احتفاء بالهجرة النبوية - بأقلام كبار الأساتذة نقدم منها هذه السطور ليقف قارىء المجلة هذه الأيام على ما كانت تفيض به قرائح السلف من علم نافع.

تمثل العادات والتقاليد فى كل بلد وفى كل زمان منهاج حياة.. يسترشد بها الناس.. ويسيرون على هديها، لأنها فى مجملها كنز الحكمة وميراث الأجداد والميزان الذى يضبط حركة حياتهم، غير أن الناس إذا لم يتمسكوا بهذه العادات والتقاليد على بصيرة، انحرفوا عن الصراط المستقيم، وتنكبوا الطريق، ومع مرور الزمن، تحل الخرافات محل الأصيل من العادات وتنتشر البدع.. وتنال من التقديس الشىء الكثير حتى تصبح لكثرة تداولها هى الأساس ويصبح لمعبد الخرافات سدنة يهددون كل من يفكر فى الخروج عنها!!.

●●●

كان هذا شأن الناس قبل بعثة النبى محمد - ﷺ -، وهذا محمد - ﷺ - قبل أن يوحى إليه يجد من قومه عكوفا على الأصنام - وهى أحجار لا تضر ولا تنفع، بل لا تملك دفع الضر عن نفسها - فينهض متلمساً وجه الحق والحقيقة، معتزلاً هؤلاء الناس الذين ضرب الظلام عقولهم.

●●●

لقد تناول الأستاذ الكبير محمد فريد وجدى هذا المعنى بمجلة الأزهر فى المجلد الثامن ص٥ فقال:

«أمضى محمد - ﷺ - من عمره أربعين سنة لا يحدث نفسه أن يقوم بدعوة، ولكنه لم ينشأ جامد القلب، ولا خامد العقل، على ما كان عليه الناس المحيطون به، فشعر بما

هو فيه من الحيرة بين أديان قائمة لا يسيغها عقله، وحقائق خفية لم يوصله إليها إدراكه، فكان يعتزل الناس ويأوى إلى غار فى الجبل، يتجرد فيه من جميع علائق الدنيا، لاجئا إلى مبدعه أن يهديه لما تتوق إليه نفسه، ويطمئن به قلبه.

●●●

«مهمة كان مجرد الفكر فيها يوقع فى اليأس، ويوجب الحيرة، عالم يغلى بالاضطرابات والفتن، ويفور بالسخائم، والإحن، وأمم تتناحر تناحر الضوارى، وطوائف تتزاحم تزاحيم الهيم على الأوشال، وانصراف عن التفكير والتعقل لا يدع لصاحب دعوة أملا فى أن يُصغَى له فضلا عن أن يجاب إلى ما يدعو إليه، وجمود على التقاليد والموروثات لا تترك لمجدد خيالا من توقع الفوز فيما هو بدهى، فما ظنك بما يحتاج لرؤية؟».

●●●

اعتزل النبى قومه وراح يتعبد بعيدا عنهم ويفكر فى أمرهم سائلا المولى أن يهديه سواء السبيل.. فأنعم الله عليه بالهداية، وجاءه وحى ربه ليدعو قومه إلى الدين الحق.. دين الله العزيز الحميد.

ولكن قومه الذين اعتادوا الظلام أبوا أن يثوبوا إلى رشدهم.. فالأيسر عليهم أن يرفضوا الجديد ويتعلقوا بالقديم من غير تبصر!!.

وبرغم ما لاقاه النبى من أذى كان إيمانه - ﷺ - إيماناً راسخاً وكذلك كان إيمان هذه الطائفة التى اعتنقت معه هذا الدين الجديد

يقول الأستاذ الكبير فريد وجدى فى ذلك:

«إيمان راسخ لم يعهد له شبيه فى جزيرة العرب، ونزوع مدهش من طائفة ممزقة الأوصال، تكاد لا تكفى وسائلها لحماية نفسها، تنتدب لأن تقف فى وجه العالم أجمع ذيادا عن دعوة لا ينتظر من ورائها مغنم، ولا يتوقع أن يجاوز صداها البقعة التى تقوم عليها فى وسط شعاب وهضاب لا يعرف العالم لها وجودا، ولا يسمع عن أهلها ذكراً.

كل شىء عجيب فى هذا الدين، ولا يقبل التعليل بالأمور العادية: رجل يقوم فى بيئة هى أبعد البيئات عن النظم الاجتماعية، والأصول العلمية والفلسفية، يدعى أنه أرسل خاتما للمرسلين، ليصلح ما فسد من الشرائع، ويعدل ما انعكس من الأوضاع، ويبعث بالروح فيما مات من النفوس، وبالنور إلى ما أظلم من القلوب، فلا يرفع قومه بدعوته رأساً، فيأوى إلى قوم آخرين هم أقل من قومه عدداً، وأضعف مدداً، فيلهمون أن يؤيدوه، وأن يعرضوا أنفسهم لمعاداة العالم كله، أو على القليل لمعاداة العرب أجمعين.

لا جرم أن هذا مجال بعيد الأرجاء لدراسة حالة نفسية خطيرة لم يسمح تاريخ الاجتماع بمثيل لها، وخاصة فى البلاد العربية».

●●●

لم تكن الهجرة إلا أمرا من الله، ولم تكن الهجرة مفاجأة للنبى - ﷺ - حين خرج

مهاجرا.

فمنذ بدء الوحى وعند ذهابه - ﷺ - إلى ورقة بن نوفل - ليقص عليه ما حدث له من أمر الملك علم - ﷺ - بأمر الهجرة فى ذلك الوقت المبكر حيث قال له ورقة:

«هذا الناموس الذى نزل على موسى ياليتنى فيها جذعاً، يا ليتنى أكون فيها حين يخرجك قومك، قال رسول الله - ﷺ -: أو مخرجى هم؟!، قال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودى»(١).

علم النبى أنه سيهاجر، ولكنه ظل ينتظر الأمر من الله.. وجاء الأمر بالهجرة التى كان لها أثر عظيم فى تكوين دولة الإسلام.

وعن ذلك كتب الأستاذ محمد محيى الدين عبدالحميد بمجلة الأزهر تحت عنوان «أسباب الهجرة وآثارها» بالمجلد الثامن ص٩٤ يقول:

«وكان من آثار هذه الهجرة أن هدأت الحال، وأصبح للمسلمين وجود اجتماعى؛ فاطرد نزول الوحى على الرسول يضع له ولأمته أسمى ما عرفته الإنسانية إلى يوم الناس هذا من قوانين العدل والمساواة والحرية؛ فألف بين قلوب أهل دعوته فأصبحوا بنعمة الله إخواناً، وهذب نفوسهم وراض ما صعب من أخلاقهم، وجنبهم حمية الجاهلية الأولى، وجعل رابطة الدين والعقيدة فوق كل رابطة، وسوى بينهم فى الحقوق والواجبات، فلا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى، وجعل الكبير صغيراً حتى يؤخذ الحق منه، والصغير كبيراً حتى يؤخذ الحق له؛ وضمن حماية العقل والنفس والمال، وحذر من الفحشاء والمنكر والبغى، ودعا إلى الإخلاص فى السر والعلن، ولم يترك مبدأ سامياً إلا أخذ الله لنبيه منه بأوفر حظ، وأرشده إلى المثل الأعلى فيه.

فإذا احتفى المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها بذكرى هذا الحادث فإنهم إنما يذكرون أثره العظيم فى بناء هذا الدين، ويذكرون مع ذلك عزيمة قائدهم الأعلى رسول الله ﷺ، وعزيمة أصحابه رضوان الله تعالى عليهم، تلك العزيمة الماضية التى أبت أن تخضع لغير الحق، واعتصمت بالله وحده، فأخذ الله يناصرها حتى بلغ بها أسمى مكان.

●●●

وفى المجلد الخامس ص٥٣ بعد أن سرد الأستاذ الكبير محمد فريد وجدى حديث الهجرة قال:

«هذا حديث عن الهجرة المحمدية، والهجرة على إطلاقها كانت فى كل أدوار التاريخ مظهرا من مظاهر الصراع بين الحق والباطل، فقد يطغى هذا الباطل، وتشتد صولته، ويتفاقم خطره، حتى يخيل لرائيه أنه قد تغلب على خصمه، فلا يلبث أن يكر

(١) سنن البيهقى الكبرى جـ٩/ ٥.

الحق عليه فيرديه قبل أن يفيق من سكرة وهمه».

ثم يستخلص من الهجرة ما يدفع به شبهات المشككين فيقول:

للمدافع عن الإسلام ضد سفسطات المستشرقين ومقلديهم مدد برهانى ناحيته الهجرة ليس فى وسع أدهى محاولة كلامية أن تقف فى سبيله، وذلك أن بعض هؤلاء المستشرقين لما هالهم نجاح النبى ﷺ فى المهمة التى ندبه الله لها فى بيئة من أعصى البيئات على مثلها، زعموا أن قريشا كانت قبيل رسالة النبى - ﷺ - فى دور نهضة اجتماعية ودينية، وأن دعوة النبى صادفت هذا العهد فنجحت نجاحا لا يحدثنا التاريخ عن مثله. فاحتاج المدافع عن الإسلام أمام هذه الشبهة إلى دليل محسوس يدل على فساد هذه السفسطة ويكون من القوة ووضوح الدلالة بحيث لا يدع للزخارف الكلامية سلطاناً على العقول.

فوجد فى الهجرة هذا الدليل المحسوس، فإن قوما يلبث فيهم مصلحهم الاجتماعى ثلاثة عشر سنة يدعوهم إلى تحكيم العقل فيما يعبدون وما يعتقدون، والقيام على سنة الحق فيما يعملون وما يقصدون، ضاربا لهم الأمثال، ومستشهدا التاريخ ومجريات الأحوال، قلنا: إن قوما على هذا النحو من الجمود على القديم الرث، والمقام على الباطل المحض، لجديرون بألا يعتبروا فى دور نهضة دينية أو اجتماعية، بل لخليقون بأن يكونوا مضرب الأمثال فى العض بالنواجذ على التقاليد البالية، والاستنامة المطلقة للأباطيل الموروثة.

فبطلت بذلك تلك الشبهة التى كان يثيرها أعداء الإسلام للغض من هذه المعجزة الخالدة لخاتم المرسلين، وكانت الهجرة النبوية وقاء لهذه المعجزة الكبرى من أن تتناولها أقلام المشككين، وتطفىء من نورها أفواه المارقين، والله غالب على أمره».

●●●

ونلتقط من حديثه فى المجلد السادس من مجلة الأزهر هذه الكلمات:

إن فاتحة كل عام من أعوام السنة القمرية تثير فى نفوسنا ذكرى الهجرة المحمدية من مكة إلى المدينة المنورة، وتثير معها ذكريات أخرى لآيات وعبر تزداد على مر الأحقاب عظمة، وتكسب على نسبة تقدم العلوم وتتابع الحوادث جلالاً وروعة.

وبعد حديث موجز عن أحداث الهجرة يقول:

هنا أربع آيات من أكبر ما استجلاه الناس من آيات الله فى خلقه:

«أولها» قبول قبيلتين من قبائل العرب اليمانية دعوة يقوم بها رجل من قبيلة عدنانية، على ما كان بين هاتين الفئتين من التنافس والتنافر فى تاريخهما كله، ومعنى قبولهما دعوته خضوعهما لسلطانه، وهذا ما كان ليحدث بين قبيلتين تمت إحداهما

للأخرى بصلة القرابة، فكيف به بين فريقين متنافسين؟.

«ثانيها» اضطلاع طائفة من الناس لا يزيد عدد آحادها على بضعة آلاف بعبء خطير يعرضها لمعاداة جميع قبائل العرب، بله شعوب الأرض كافة.

«ثالثها» اطمئنان هذه الطائفة إلى الإسلام إلى حد معاداة العالم كله فى سبيله، ولم تمض عليهم فيه حقبة من الدهر تكفى لأن تطبع نفسياتهم بطابعه، وتحبب إليهم بذل أرواحهم فى نصرته، هذه طفرة لم يشاهد لها مثيل فى تاريخ النفسية الإنسانية.

«رابعها» رضاء هذه الطائفة بالجنة جزاء على هذه التضحية، فلا الملك ولا سلطانه، ولا الدنيا ولا ملذاتها كانت لديهم شيئا يمكن أن يعوقهم من إجابتهم دعوة الرسول ﷺ.

لا مشاحة فى أن هذه آيات يجب أن يراها الناس ويتأملون فيها، فإنها من أدل الدلائل على التأييد الإلهى لرسوله، ومن أقوى الشواهد على أن النبوة أمر تخرق له سنن الكون، وتخضع له قواه ونواميسه.

●●●

أما العدد الأول لمجلة الأزهر والذى كان يحمل اسم «نور الإسلام» فقد كتب فيه فضيلة الشيخ إبراهيم الجبالى يقول:

«يذكرنا هلال المحرم ومفتتح العام الهجرى بحادث عظيم الشأن كان له فى تاريخ البشر أعظم أثر، ذلك هو هجرة سيدنا محمد رسول الله ﷺ من مكة المشرفة إلى المدينة المنورة، فبها استهل الدين الحنيف ظاهراً باهراً بعد ما مكث ردحاً من الزمان ببطن مكة مستكناً كامناً وبها بزغت شمسه ساطعة فملأت الكون ضياء ونوراً بعد ما ترقرق فجره في بطاحها يظهر حيناً وتغالبه القوة أحياناً، فأهاب بالناس أجمعين، وأضاء لجميع العالمين فمنهم من آمن فاهتدى وأحرز كل السعادة، ومنهم من نكص عنه ففوت على نفسه الخير الكامل ولكن لم يفته نفعه العام الذى شمل جميع العالم بما بث من مبادىء العدل بين الناس وبما نظم من علائق المجتمع فى المعاملة والمعاشرة حتى سرت مبادئه وتعاليمه فى الدول والأمم حتى التى لم ترتضه دينا وذلك بحكم المجاورة واختيار الأفضل الذى يرغب فيه كل فرد وهيئة.

يذكرنا هلال المحرم ومفتتح العام الهجرى بذلك الحادث الجليل الذى اعتز به الدين واهتز له العالم، فقد ظهر ضوء الدين عاليا، وسمع نداء الحق واضحا، وأخذت الدعوة مكانها الذى يجدر بها وينبغى لها، وأمكن من يريد الهدى أن يدخل فيه آمنا مطمئنا بعد أن كان عرضة للتعذيب فى حياته ومصالحه كلها.

يذكرنا هلال المحرم ومفتتح العام الهجرى بهذا الدرس العظيم والمبدأ السامى الذى يجب أن يستشعره كل من ينتهض لنصرة

حق يقين والقيام بإصلاح خطير وهو أنه لابد ملاق من أهله وعشيرته وجيرانه معارضة ومصادرة ومصادمة ومكابرة ولايزال الحق والباطل يتصارعان حتى يفوز الحق ويصرع الباطل متى ثبت صاحبه عليه ولم ينهزم أمام المصادمات القاهرة وإن الثبات على المعتقد الحق ودوام الاستمساك باليقين مهما كلف صاحبه من حمل الشدائد ولو أن ينخلع المرء من أخيه وبنيه وعشيرته التى تؤويه واصل بصاحبه لا محالة إلى الفوز فى النهاية فلن يعدم الحق أنصاراً».

●●●

وبعد..

فإن من يتأمل أحداث الهجرة يتساءل: لماذا كانت الهجرة بهذا الأسلوب الصعب؟!

تخطيط.. وتوزيع أدوار.. من يبقى فى مكة لإعادة الأمانات التى كانت عند النبى إلى أهلها؟! ومن ينام فى فراش الرسول للتمويه؟!، ومن يأتى بالطعام والشراب؟! ومن يمحو آثار الأقدام؟!، ومن يرافق النبى وصحبه كخبير بدروب الصحراء؟!، ألم يكن من الأيسر أن يؤيد الله رسوله بمعجزة تنقله إلى أرض المهجر؟! مثلما حدث فى معجزة الإسراء إلى المسجد الأقصى؟!.

ولعل الإجابة عن هذا التساؤل: أن الإسلام يدعونا للعمل والتخطيط.. لنبذل أقصى ما فى وسعنا من أجل تحسين أوضاعنا الاقتصادية والدفاعية.. حتى لا نكون عالة على غيرنا أو نكون لقمة سائغة للأقوياء، كما هو حالنا اليوم!!.

إننا فى حاجة إلى الهجرة.. نهجر حالة الاستسلام - التى نكتفى فيها بالضراعة والدعاء على الأعداء - إلى حالة الأخذ بالأسباب مع رفع الأكف بالضراعة حتى يثمر عملنا ويكلل بالنجاح!!.

فالهجرة درس للأمة الإسلامية نتعلم منه كيفية الأخذ بالأسباب.

وليكتمل الدرس.. وحتى لا نضل مع جملة الماديين، فنعتقد أن الأخذ بالأسباب وحده أساس النجاح.. نجد أن قريشا قد سبقت وأعدت العدة لقتل النبى، وها هم فتيان قريش يترصدون للنبى ليضربوه ضربة رجل واحد، فهل يفيد كل هذا التخطيط - الذى أعده النبى وصحبه للهجرة - لو نجح مخطط الكفار؟!.

هنا نعلم أن درس الهجرة لا يقف عند حد الأخذ بالأسباب بل يجب التوكل على الله - سبحانه - خالق الأسباب، ولأن الحيلة قد انقطعت وانقضى وقت التخطيط والتدبير، هنا يأتى العون من الله وتأتى المعجزة، ليخرج النبى - ﷺ - من بين الفتية وقد أغشاهم الله فهم لا يبصرون.

لقد جاءت المعجزة فى وقتها، ليعلمنا الله أن للشدة أحكام وللرخاء أحكام، وما علينا إلا أن نسعى واثقين من تأييد الله..

﴿ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴾

(البقرة/ ٢١٤)

فى ظل آية كريمة

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾

نماذج من التطفيف المعاصر

للدكتور/ حمدى فتوح والى

لاشىء أشق على النفس من الشعور بالظلم، إلا الشعور بالعجز عن دفعه واليأس من أن يجد سبيلا إلى رفعه، ويتحول الظلم إلى كابوس مخيف عندما يصيب الناس فى معايشهم وأرزاقهم ومجريات حياتهم، ويزداد الأمر بشاعة عندما يصير الظلم بين الناس سلوكا مألوفا وعرفا متداولاً حتى لا يجرؤ أحد على تغييره، أو التفكير فى التخلص منه.

استشعرت هذا المعنى عندما قرأت قول الحق سبحانه:

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) ﴾

[المطففين ١: ٦]

وشعرت كأنما أقرأ الآيات لأول مرة، فلقد شخصت الآيات الكريمات الداء الذى أصاب الأمة فقلب حالها، وأفسد أمرها، ونخر كيانها، حتى أرهقها وأوهن قواها، ثم قدمت العلاج ناجعاً حكيما.

إن الداء الذى أصاب الأمة اليوم هو داء «التطفيف»، والتطفيف نوع من الظلم والحيف ومجاوزة الحد يؤدى بصاحبه إلى التحامل والميل على الآخرين، وهو على الجانب الآخر، أنانية مفرطة، وزيادة فى حب النفس، وجحود وكنود، والمطففون كما يصورهم الخالق سبحانه:

﴿ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾

ولقد اعتاد الناس أن يضيقوا معانى بعض الأشياء، ويقصروها على الجانب الظاهر منها، وينسون ماوراء ذلك من المعانى، التى تكون فى الغالب هى الأهم والأولى بالتمعن والتأمل ودقة الإدراك، فكما قصروا مفهوم الأمانة علي الوديعة، وقصروا مفهوم الصدق على مجرد الحديث والكلام، كذلك قصروا مفهوم التطفيف على البيع والشراء، ومع تسليمنا بأن البيع والشراء هو الميدان الأوسع الذى تظهر فيه عملية التطفيف مجسمة محسوسة، فإنه ليس هو الميدان الوحيد، وإنما التطفيف معنى يتسع ليشمل كل ما يمارسه الناس من ظلم وجور، وإجحاف وعدم إنصاف فى مجالات الماديات والمعنويات، وفى كل ما يتعلق بالحقوق والواجبات.

فالأمير الذى أخذ من أمته حسن السمع والطاعة، ولم يعطها حسن القيادة وأمانة القوامة، وصدق التوجيه، يكون مطففا، كما يكون مطففا إذا أخذ من مالها ما ليس له، ونقص الرعية حقها فى المأكل والمسكن والمركب وقرب وأبعد، وأعطى ومنع، وأثاب وعاقب، من منطلق ميوله وأهوائه ومصالحه الذاتية، ونسى مصلحة الأمة وحقها عليه.

ويمارس كثير من رؤساء المصالح والمؤسسات صوراً بشعة من التطفيف والإجحاف عندما يقربون ويبعدون ويرفعون ويخفضون، ويعطون ويمنعون تبعا لما يجدونه فى مرءوسيهم من ألوان التملق والتزلف وإظهار الولاء، وليس على أساس الكفاءة والبراعة وحسن الإتقان.

كما يكون مدير المؤسسة، أو صاحب العمل مطففا، إذا بالغ فى تعظيم قدرات نفسه، فمنحها أكثر مما ينبغى لها، وأصيب بنوع من تضخم الذات وآلمه أن يرى فى مؤسسته من هو أعلى منه مكانة، أو أكثر منه علماً، أو أقدم خبرة أو أكبر منه سناً، فمارس على هؤلاء نوعاً من الإجحاف والظلم، بأن سعى فى تصغيرهم، أو سلبهم بعض مالهم من حق بأية صورة من الصور، ونسى فى غمرة ذلك كله قول الخالق الحكيم سبحانه:

﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾

(الرحمن: ٨، ٩)

ومن أبشع ما رأيت من ألوان التطفيف الذى فسدت به حياة الناس وتعقدت به معايشهم، ماتراه فى مدارسنا من حرص المعلم على تحصيل راتبه كاملا غير منقوص، وإذا شعر بنقص فى راتبه ولو كان صغيراً ضئيلا رأيته ملأ الدنيا بالشكوى، وجهر بالسوء من القول، لكنك إذا غافلته بالنظر إليه فى غرفة درسه، رأيت له ألواناً من العبث واللهو، وإهدار الوقت فى غير فائدة، مع غياب الجدية والإيجابية فى تناول الدرس بصورة صحيحة وإذا اضطر إلى تناوله، تعمد ترك بعض جوانب الدرس غامضة تحتاج إلى شرح جديد ما يضطر الطلاب اضطراراً للبحث عن المدرس فى بيته، لكى يفهم الدرس فهما دقيقا، وعندها سترى المعلم يخرج للطلاب كل ما

خفى عليهم من جوانب الدرس الذى استعصى عليهم فهمه فى المدرسة، وتراه يصنع ويبذل من أنواع الحيل والوسائل، ما يجعل الدرس سهلاً ميسورا، وإذا واجهت أحدهم بحقيقة حاله، احتج عليك بأن الطلاب غير جادين فى طلب العلم، وأنهم لايحتاجون إلى دروس المدرسة، لأنهم جميعاً يتلقون دروساً خصوصية فى المنزل، وهكذا يصنعون الداء، ثم يجعلونه حجة يتعللون بها لتضييع الحق وظلم الناس، وعند ذلك يجد الطالب نفسه مضطرا للذهاب إلى المدرس فى بيته ليأخذ منه حقه الذى لم يجده فى المدرسة، لكنه يأخذه بمقابل يفرضه المدرس، ويتحكم فى تقديره كما يريد، تبعا لأهمية المرحلة، وحاجة الطالب الملحة إلى فهم المقرر، نظرا للتنافس المحموم على المساحة المحدودة، التى تتيح للطالب الالتحاق بكلية مرموقة والتى تتطلب من التلميذ أن لا تقل درجاته عن الدرجة النهائية إلا بمقدار درجتين أو ثلاث، وهو ما يعنى أن على التلميذ أن يكون على مستوى المدرس بل على مستوى واضع المنهج نفسه، حتى يحقق مايريد، وعلى ولى الأمر وأهل البيت جميعاً أن ينتظروا بعد كابوس الدروس الخصوصية طوال العام كابوسا آخر يتمثل فى قبول الطالب أو رفضه فى كلية مرموقة وعند الرفض ستكون المأساة أكبر من كابوس العام كله لأنها ستكون إعلانا عن خيبة الأمل بعد خراب البيت، فعدم قبول الطالب فى الكلية المرموقة يعنى دخوله إحدى الكليات التى لا يجد خريجوها عملا، وإنما سيحكم عليه أن يكون «زبونا» دائما على مقهى ليكون عبئا على أبويه.

ومما يحزن ويؤلم أنك تجد المدرس وهو يمارس تطفيفه الأول يمارس تطفيفا جديدا، يتمثل فيما أسموه بالمقدم، والمقدم يصل عند بعض المدرسين إلى ما يساوى أجرة عام كامل، إضافة إلى أجرة الشهر، دون أن يحتسب من المقدم شىء، فهو أشبه بالخلو، ولا تسلنى خلو ماذا، فلا أنا، ولا ولى الأمر، ولا الطالب ولا حتى المدرس يملك لك جوابا، إلا أنها «إتاوة» يدفعها ولى الأمر كارها ناقما، داعيا على هذا الظالم المطفف المجحف بالويل والثبور وعظائم الأمور، لكن الإنصاف يقتضينا أن نقول ليس كل المدرسين يتقاضون هذا المقدم اللعين، وإنما يلجأ بعضهم إلى ممارسة التطفيف بطريقة أخرى أكثر ذكاء ودهاءً وهو أن يكلف الطالب ثمن «المذكرة» التى يضطره لشرائها بطريق أو بآخر، وهو ثمن يفوق كتاب أستاذ الجامعة فى غالب الأحيان.

وهكذا يمارس المدرس التطفيف بأبشع صوره عندما يأخذ راتبا بغير مقابل حقيقى من الجهد، مستريحا سعيدا بالمأساة التى أوجدها داخل كل بيت، وحالات الاكتئاب التى ضربت غالب أبناء المجتمع الذين يسحقون سحقا بين موجة الغلاء الفاحش وآفة الأنانية المفرطة التى تصنع جريمة التطفيف، تلك الجريمة التى تؤدى ببعض

الموظفين إلى مايشبه الانتحار المعنوى، عندما يرى نفسه مضطرا، لكى يكفى حاجة أهله وولده أن يحول وظيفته إلى وسيلة ابتزاز للناس، وكسب غير مشروع فيتفنن فى تعطيل المصالح، وتعقيد الميسور من الأمور لكى يلجىء المواطن إلى دفع إتاوة تفتح له الطريق إلى قضاء مصالحه فى سهولة ويسر، وهكذا تتحول الوظيفة لدى الموظف إلى وسيلة للتسول والرشوة والابتزاز.

وهكذا تتعطل أعمال الناس وتفسد أخلاقهم وتسوء أحوالهم، ويتحول المجتمع إلى مجموعة من المشوهين نفسيا وأخلاقيا، ويبيت الناس يتبادلون سوء الظن، ويلقى كل واحد منهم أخاه بحالة من التوجس والحذر وبقدر كبير من الكراهية والبغضاء، وهو ما يتنافى مع المجتمع الإسلامى الذى ينطلق فى كل أموره، من قول الحق سبحانه

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

(الحجرات: ١٠)

وقول الرسول ﷺ «المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يخذله ولا يسلمه»، إن مجرد ظن هؤلاء جميعا بأنهم مبعوثون ليوم عظيم، كاف لكى يحدث فى هذه القلوب هزة عنيفة تتحرر بها من سيطرة هوى النفس، وميلها إلى ظلم الآخرين، وهو ما لا تستطيعه المناهج الأرضية مهما ملكت من وسائل الترغيب والترهيب.

إن المطففين فئة تحب أن تعيش فى الجانب المظلم من المجتمع لأنها لا تستطيع أن تواجه الحقيقة، وهى أنهم لا يعرفون إلا أنفسهم، ولا يرون إلا مصالحهم، وإذا تركنا أمر المدرسين والموظفين وما ابتلوا به من هذه الحالة المجحفة والمعقدة، ونظرت إلى لافتات الأطباء التى تملأ الشوارع إعلانا عن سباق مادى محموم وتحت كل اسم من هذه الأسماء حشدا من المؤهلات والشهادات التى تفنن صاحبها فى صياغتها بصيغة دعائية فجة، وكلما أدخل فيها انتسابا لجامعة أجنبية رأى ذلك مكسبا وفخرا لايتاح لغيره، لثقته أن عقدة الخواجة مازالت تحتل عند مواطنيه المنزلة الأولى، بعد أن برهنت الأيام على فقدان الثقة فى كل ما هو محلى.

إذا نظرت إلى هذه اللافتات ستجد وراء كل لافتة منها جريمة تطفيف بشعة، فالأصل فى هذا الطبيب أنه موظف فى جامعة أو مستشفى، وأن الدولة قد أنفقت عليه من أموال الناس حتى تخرج وحصل على أعلى الشهادات، كما أن الدولة قد أنفقت على المستشفيات من أموال الناس وعرقهم، ما يكفى للقيام بحقهم فى تلقى العلاج المناسب.

لكن الطبيب الناجح والمشهور ضن بعبقريته على أمته ومواطنيه وقصر نجاحه على إثراء نفسه، وإشباع نهمه، وحرمان الأمة كلها من خيره، واختار أن يتاجر بذكائه وموهبته بالطريقة التى يراها مجتهدا فى اختراع الحيل والوسائل التى يبتز بها جيب

المريض بأكبر قدر ممكن، فهو لم يكتف بتضييع الأمانة وحنثه فى قسمه عندما حرم الأمة من خيره، وتاجر بعبقريته كما يشاء، فقصر فى مجال عمله نهارا، فلا يحضر إلى القسم إلا زائرا فى لحظات شكلية لا يقدم من خلالها شيئا من طبه، أو بعضا من جهده وإنما يوفر ذلك كله لعيادته الخاصة، التى لاسبيل إليها إلا بإتاوة يحددها، مستغلا بها حاجة المريض إلى الراحة وتعلقه بالحياة، مما يدفع المسكين إلى بيع أكل أولاده، وضرورات بيته، أملا فى لحظة راحة من ألم، أو شفاء من مرض، ولو أن كل طبيب أدى الواجب الذى هو عليه قبل أن يأخذ الحق الذى له، فأنفق وقته وأخلص جهده، فى مجال عمله لوجد كل مريض حظه من الطب، ولاستفاد كل مواطن من الضريبة التى يدفعها من قوته وراتبه لكى تضمن له حقه فى حياة آمنة، وعلاج مناسب فى المستشفيات التى بنيت بعرقه ودمه، على يد طبيب أنفقت الدولة عليه حتى صار مرموقاً.

إن التطفيف عملية إجحاف وانحراف فى الفطرة، تجعل النفس تميل إلى الأنانية وحب الذات، وتنسى ما وراء ذلك من حقوق الآخرين، ومقابل التطفيف خلق الإنصاف والاعتدال والتوازن فى أخذ الحق، وإعطاء الواجب، ولا يقوم بذلك وينهض به خير قيام، إلا المنهج الإلهى الذى لا يحابى ولا يجامل، ولا يميل تبعاً للأهواء والشهوات.

وأعظم حصانة تحفظ النفس من الوقوع فى هوة التطفيف السوداء، هو أن يتذكر المرء وقوفه بين يدى ربه للحساب، ويهيىء نفسه لجواب يخلصه من تبعة الموقف الرهيب، عندما ينادى منادى الحق سبحانه:

﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾

(الصافات ٢٤ : ٢٦)

إن التطفيف ليس مجرد سلوك ظاهر، يقع عارضاً ويختفى، وإنما هو انعكاس لخلل كامن فى عقيدة المطفف ووجدانه، ولن يرض بهذا التطفيف ويمارسه عن قناعة ورضا إلا قلب غافل عن مراقبة الله، محجوب عن نوره، ولو أن هذا المشغول بدنياه المعتز بمتاعها الفانى، تذكر ولو للحظة واحدة أن الله ناظر إليه ومطلع عليه، وسائله عن ميله وإجحافه وظلمه، لرجف قلبه واهتز كيانه ولآثر آخرته على دنياه.

إن قوانين الأرض مهما عظمت، ومراقبة الناس مهما قويت، لا تستطيع التسلل إلى خفايا النفس، وطوايا الضمير، لترد النفس إلى سويتها، وتغسلها من لوثتها وتهديها إلى سواء السبيل، لكن ذلك كله يتحقق إذا قرأنا قول الخالق سبحانه:

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾

فالحمد لله على نعمة الإيمان والقرآن.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقى الدين

البوسنة والإسلام وأمريكا

هل يذكر أحد تلك المذابح الدموية الوحشية التى تعرض لها شعب البوسنة المسلم لا لشىء إلا أنه شعب مسلم يرغب فى أن يحيا متمسكا بدينه؟ ويرغب فى أن يكون دينه هو منهج حياته.

مؤخرا قامت الولايات المتحدة الأمريكية بإدراج البوسنة على القائمة السوداء وأصدرت تحذيرات لرعاياها تحذرهم من خطورة السفر إلى هذا البلد بسبب ارتفاع معدلات الجريمة ووجود ما يقرب من نصف مليون لغم لم تنفجر.

هذا التصرف من جانب حكومة الولايات المتحدة الأمريكية هو الأول من نوعه الذى يصدر بحق دولة أوروبية.

مع ملاحظة أن البوسنة هى الدولة الأوروبية الوحيدة التى يشارك المسلمون فيها فى حكم البلاد وإدارة كافة شئونها بمقتضى اتفاق دولى تم تحت رعاية الولايات المتحدة الأمريكية (اتفاق دايتون) تمت المساواة فيه بين الجميع.. المعتدى والمعتدى عليه، ولكن آثر المسلمون الركون إلى السلام وكانت المقولة الرائعة للزعيم البوسنى المسلم «على عزت بيجوفيتش»: (هذا ليس عدلاً ولكنه أفضل من استمرار الحرب).

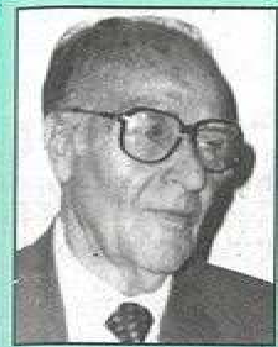
وبالتالى فقد أقر الجميع بحق المسلمين البوسنيين فى المشاركة فى الحكم وبفاعلية.

ترى هل ترمى الولايات المتحدة من وراء قرارها هذا

إلى القول بأن مشاركة المسلمين فى الحكم أدت إلى ارتفاع معدلات الجريمة؟ أم تراها أرادت أن توحى للعالم بأنه حيث وجد الإسلام ترتفع معدلات الجريمة ويغيب الأمن؟

أم أن الأمر يتعلق فى حقيقته بقلق إسرائيل من تزايد نسبة المسلمين فى أوروبا والتى صاحبها رفض شعبى أوروبى صريح للسياسات الإسرائيلية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة وفق ما أكدته بحوث ميدانية أجرتها مؤسسات بحثية رفيعة المستوى أكدت على أن الرأى العام فى أوروبا يرغب فى المزيد من التعرف على الإسلام وأن هذا الرأى العام نفسه بات يشعر بشىء من عدم الارتياح تجاه السياسات الإسرائيلية ويتهمها بالمسئولية عما يعانيه العالم من عدم استقرار.

كان من الطبيعى أن تثير تلك الأمور قلق الحكومة الإسرائيلية، بخاصة وأن أوروبا - وليست الولايات المتحدة - كانت هى الراعى الحقيقى الذى وقف ودعم بقوة انشاء دولة لليهود على أرض فلسطين.


على عزت بيجوفيتش

ولما كان ما يثير قلق إسرائيل يثير بالضرورة قلق الولايات المتحدة الأمريكية كان من الطبيعى أن يصدر ذلك الإعلان بإدراج البوسنة ضمن القائمة الأمريكية السوداء كدولة غير آمنة تمهيدا لإدراجها فيما بعد ضمن القائمة الأمريكية الخاصة بالدول الراعية للإرهاب ضمن مخطط إسرائيلى أمريكى مشترك يهدف إلى اتهام المجتمع الإسلامى كله بأنه مجتمع إرهابى لأنه المجتمع الوحيد الذى يصر على التمسك بدينه ليس كدين فقط ولكن كثقافة وأسلوب حياة وتفكير.

ولأنه مجتمع يرفض الذوبان فى أسلوب الحياة المادية ويصر على أن يحتفظ بنقائه وفطرته التى فطره الله عليها.

أحمد تقى الدين

وإلى رسائل القراء

حاجتنا إلى العقيدة

تحت هذا العنوان كانت الكلمة التى بعث بها القارىء «أشرف عبدالرحمن» - المهندسين - القاهرة قال فيها:

عالمنا العربى والإسلامى اليوم وهو يموج بالفتن ويصطدم بالمشاكل وتهتز الأرض من تحت أقدامه. وتتزلزل. وتكاد تهبط به السماء. أو تهوى به الريح فى مكان سحيق..

هذا العالم المضطرب فى حاجة قصوى إلى عقيدة روحية تعمر قلبه. وتجمع شمله. وتوحد صفه. وترجع به كما كان أمة واحدة. تقف أمام الأحداث صفا واحداً. تدافع عن نفسها. وشرفها. وكرامتها. وتعود كما كانت خير أمة أخرجت للناس وأقسط أمة. وأبر أمة. وأشجع أمة. وأرحم أمة. وأقوم أمة. والعقيدة هذه ليست غريبة عنها فهى منها وإليها ولقد كانت هذه الأمة العربية أول من سبق إلى اعتناق هذه العقيدة وأول من حملها إلى الناس. مجاهدا فى سبيلها. وعاملاً على نشرها. ومسترخصا كل غال ورخيص فى الدفاع عنها وحمايتها من كيد أعدائها.

وبهذه العقيدة الربانية الروحانية الإسلامية انطلقت الأمة انطلاقتها المعهودة. وبها بشرت وعنها أخذت ومنها اقتبست فما عليها إلا أن تعود إلى سالف عقيدتها. ليعود إليها سالف مجدها. وعزها وسؤددها.

والإنسان من حيث هو إنسان. فى حاجة منذ نشأته إلى عقيدة سليمة تنظم حياته. وتهدىء نفسه، وتطمئن فؤاده وتزيح أعصابه. عقيدة تنبثق منها تصوراته وتبتنى عليها حياته. فلا يصدر عنه شىء إلا بوحى منها. ولا يقدم على عمل شىء إلا إذا كان منسجما مع مبادئها. وقائما على أحكامها. وأسسها. وقواعدها.

عقيدة تقدم له التفسير الشامل الكامل لحياته الخاصة والعامة. كما تقدم له التفسير المنطقى. والحقيقى معا. للكون الفسيح من حوله ولعلاقته هو بالكون. وعلاقة هذا الكون العظيم به. وعلاقته هو بالخالق الأعظم. والرب الأكرم عقيدة ترسم له أهدافاً عليا. هى أكبر من ذاته وواقعه. وحاضره. وتربطه بذات علوية قدسية لها عليه رقابة مطلقة لكنها عادلة. وسيطرة شاملة. ولكنها كاملة. وموجهة. ورحيمة. يحبها ويخشاها. ويتقى غضبها ويطلب رضاها. ويستحى من مواجهتها بالشر والعصيان ويرجو جزاءها الشامل. ويرقب نعيمها الكامل. ويربط حياته كلها بها ويتلقى عنها. وعن وحيها ونبوتها. نظام حياته ومناهج فكره وسلوكه. كما يتلقى عنها شعائر عبادته ومبادىء دينه القويم. ونظام معاملاته. وآدابه وأخلاقه سواء بسواء. فتستقيم حياته. وتنتظم ويكون قد آوى إلى ركن شديد. وعيش رغيد سعيد. ورب قوى عزيز وحليم رشيد وحميد مجيد. وحمل نفسا مطمئنة. راضية. مرضية. يأتيها الخير فتشكر ولا تبطر. ويصيبها الشر فتصبر ولا تكفر.

من علماء العصر

عبدالرحمن رأفت الباشا

تحت هذا العنوان كانت كلمة الأديب «فرج مجاهد عبالوهاب» عضو اتحاد الكتاب، وقال فيها:

مات عام ١٩٨٦ عن عمر يناهز ٦٦ عاماً قضى الجزء الأكبر منها فى الحياة العلمية والعملية حيث كان - يرحمه الله - من مواليد عام ١٩٢٠ بأريحا السورية (بالقرب من حلب) ودرس فى (أدلب) وحصل على المرتبة الأولى فى الابتدائية، ثم حصل على الثانوية العامة من كلية الشريعة الخسروية فى حلب عام ١٩٤١ وابتعث إلى الأزهر، حيث واصل دراسته فى كلية أصول الدين وذلك فى عام ١٩٤٣، وفى نفس الوقت التحق بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول وحصل على الشهادة العالية لأصول الدين فى عام ١٩٤٥م كما حصل على إجازة للتدريس عام ١٩٤٧ وفى عام ١٩٤٨ حصل على الليسانس فى اللغة العربية من جامعة فؤاد الأول ونال جائزة الجامعة لحصوله على المرتبة الأولى ثم عاد إلى سورية وعمل مدرساً فى عام ١٩٤٩ ثم مفتشاً للغة العربية فى حلب ثم مفتشاً أول عام ١٩٥٥ بدمشق ثم مديراً للمكتبة الظاهرية فى عام ١٩٦٢ وفى الوقت نفسه عمل محاضراً فى جامعة دمشق حتى عام ١٩٦٤ حيث أعير للعمل مدرساً فى المعاهد العلمية بالسعودية.

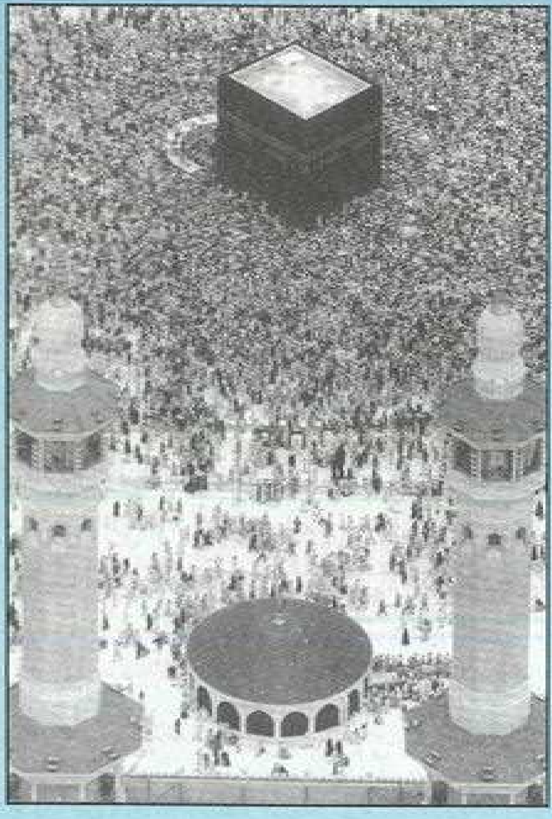
وكان قد حصل على درجة الماجستير فى عام ١٩٦٥ من كلية آداب جامعة القاهرة، والدكتوراه فى عام ١٩٦٧، وعمل أستاذاً بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ورئيساً لقسم البلاغة والنقد.

وقد أشرف على العديد من الرسائل العلمية وشارك فى عدة مؤتمرات ولجان علمية. وشارك فى تأسيس رابطة الأدب الإسلامى، وانتخب نائباً للرئيس، ورئيساً لمكتب البلاد العربية للرابطة، وعضواً بمجلس الأمناء.

كتب العديد من المؤلفات منها: أرض البطولات (قصة طويلة) والراية الثالثة (قصة طويلة) وعلى بن الجهم حياته وشعره - شعر الطرد حتى القرن الثالث الهجرى - الصيد عن العرب - صور من حياة الصحابة - صور من حياة التابعين - نحو مذهب إسلامى فى الأدب والنقد - وله بعض الكتيبات الصغيرة مثل: فن القراءة، فن الدراسة، فن الامتحانات.

الحج.. ذلك المؤتمر الحاشد

تحت هذا العنوان كانت كلمة القارئ المنشاوى الوردانى قال فيها:



دائماً ما أسأل نفسى سؤالاً هاماً..

(المسلمون يحجون كل عام بالملايين.. ولا يحدث تغيير.. فلماذا؟!)

إنهم يعايشون فى الأراضى المقدسة أطياف وذكريات أيام الوحى الأولى، وصنائع المعروف وتجليات الفداء فى قصص آل إبراهيم وآل محمد - عليهما أفضل الصلاة وأزكى السلام - ومع ذلك لا يحدث تغيير.. فلماذا؟!

إننى أضع مقارنة سريعة بين بيعة العقبة الأولى والثانية.. وبين موسم الحج كل عام.

- لقد كان المبايعون لرسول الله - ﷺ - من أهل المدينة فى بيعة العقبة الأولى اثنى عشر رجلاً.. فهل وقف الأمر عند هذا العدد؟

لا.. بل كان المسلمون فى البيعة الثانية بضعاً وسبعين بينهم امرأتان، ما معنى ذلك؟

عاد أولئك الاثنا عشر فى السنة الأولى لا لينطوى كل على نفسه وينعزل فى بيته، بل ليبشر بالإسلام كل من كان حوله من رجال ونساء.. يتلو عليهم قرآنه ويبين لهم أحكامه ونظامه. فمن أجل ذلك انتشر الإسلام تلك السنة فى المدينة انتشاراً عظيماً حتى لم يبق دار إلا دخلها الإسلام، وأصبح حديث أهلها فى عامة الأوقات عن الإسلام وخصائصه وأحكامه.

وتلك هى وظيفة المسلم فى كل عهد وفى كل مكان.. ومن ثم كانت البيعة الثانية نجاحاً وازدهاراً وإفصاحاً عن شخصية المسلم الحقيقية.. فكانت هجرة

رسول الله - ﷺ - مبنية على أساس قوى.. وهو وجود الشخصية المسلمة الفذة.. التى سيجدها ويتعامل معها حين انتقاله إلى المدينة.

أرأيتم.. كيف استفاد المسلمون الأوائل من مجرد بيعة أخذوا منها المواثيق والعهود على أنفسهم من الرسول الأعظم برغم أنها كانت دقائق أو ساعات وليست أياماً أو سنوات؟!

إنهما بيعتان تكونان مجتمعاً مسلماً فى المدينة من بعدهما انتشر الإسلام فى ربوع العالمين.

الحج كذلك.. مؤتمر حاشد يفد فيه الملايين وليس العشرات من جميع جنبات الأرض إلى أرض الرسالة يعايشون فيها أطياف أيام المجد الإسلامى.. وتعود هذه الملايين ولا تغيير!! لماذا؟!

إذن.. الشخصية غير الشخصية.. الشخصية الأولى فهمت أن الإسلام واجب ورسالة، والثانية.. عادت وانطحنت فى دوامة الحياة الدنيا ونسيت أن الحاج يجب أن يعود على الفطرة، ويجب أن يحيا بين الناس من جديد على الفطرة.

﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

«الروم/ ٣٠»

فهلا فهم الحجيج أن الإسلام واجب ورسالة.. ويجب أن يعملوا من أجله ولو بالخلق الحسن وحُسن المعاملة فالدين المعاملة.

***

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصًا من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق فى اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعًا بمشيئة الله تعالى.



أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى

الأطباء الإسرائيليون يستخدمون جثث الشهداء فى دروس التشريح

جمعت منظمة «كسر الصمت» الإسرائيلية شهادات جديدة من جنود فى الجيش الإسرائيلى حول الإجراءات العنيفة التى نفذتها القوات الإسرائيلية أثناء التعامل مع رجال المقاومة الفلسطينية كشف أحد الشهود النقاب عن أن طبيبا فى الجيش أعطى دروسا فى التشريح على جثث فلسطينيين قتلتهم القوات الإسرائيلية.

صرح أحد المجندين الذين خدموا فى منطقة «رام الله» - منذ نحو عامين - لصحيفة «ها آرتس» الإسرائيلية بأن درس التشريح تم بعد الاشتباك بين القوات الإسرائيلية ورجال المقاومة الفلسطينية موضحا أن جثة الشاب الفلسطينى كانت مليئة بطلقات الرصاص وتم نزع بعض من أعضاء جسده وأضاف المجند بأن الطبيب أعلن وفاة الشاب الفلسطينى ثم أخرج مشرطا وبدأ ينتزع أجزاء من جسده وبدأ يشرح للجنود مختلف أعضاء الجسم سواء طبقات الجلد أو الكبد وغيره من أعضاء الجسد الداخلية.

قسم لإعداد معلمى التربية الإسلامية بألمانيا

أعلنت جامعة «مونستر الألمانية» عن اعتزامها افتتاح قسم جديد لإعداد معلمين لتدريس التربية الإسلامية لأبناء الجالية الإسلامية بألمانيا.

يذكر أن الجالية الإسلامية بألمانيا يتجاوز عددها (٣,٥ مليون) مسلم ويبلغ عدد الأطفال المسلمين فى المدارس الألمانية (٧٥٠ ألف) طفل يضطرون لحضور دروس التربية الدينية الكاثوليكية أو البروتستانتية أو يغادرون الفصول أثناء حصة الدين بسبب عدم وجود حصص للتربية الإسلامية فى الوقت الذى ينص فيه الدستور الألمانى على حق أتباع كل دين فى تدريس أبنائهم تعاليم دينهم.

من المعروف أن من أكبر المصاعب التى تواجه المسلمين فى ألمانيا عدم الاعتراف بالإسلام بشكل رسمى حتى الآن.

جامعة للعلوم الإسلامية بجنوب أفريقيا

حصلت جمعية علماء الإسلام بجنوب أفريقيا على ترخيص إنشاء أول جامعة أكاديمية إسلامية فى منطقة الجنوب الأفريقى «جامعة العلوم الإسلامية» والتى تمنح للدارسين درجة البكالوريوس والماجستير فى دراسة العلوم الإسلامية والشرعية.

أكد المسئولون عن الجامعة أن الهدف من إنشائها هو خدمة دين الله الحنيف فى منطقة الجنوب الأفريقى وإحياء سنة رسول الله ﷺ بخلق بيئة علمية إسلامية تخدم المجتمع المسلم فى المنطقة وتخرج المتخصصين فى العلم الشرعى وتعمل فى الوقت ذاته على نشر الإسلام والدعوة له بين غير المسلمين.

مجلة جديدة للهيئة الإسلامية العالمية للإعلام

أعلنت الهيئة الإسلامية للإعلام التى تتخذ من السعودية مقرا لها عن اعتزامها إصدار مجلة خاصة بالإعلام الإسلامى وذلك مطلع العام الهجرى الجديد.

وأوضح السكرتير التنفيذى للهيئة أن المجلة ستكون معنية بشئون الإعلام الإسلامى وكيفية النهوض بالعمل الإسلامى للحفاظ على هوية الأمة وحماية ثوابتها العقدية والتاريخية ونصرة قضاياها السياسية وتوحيد كلمة المسلمين على العقيدة الصحيحة والمنهج الحق.

الجالية الإسلامية فى بريطانيا تتصدى لتزوير القرآن عبر الإنترنت

بدأت الجالية الإسلامية فى بريطانيا حملة واسعة النطاق من أجل التصدى لعملية قذرة لتزوير القرآن الكريم على شبكة الإنترنت وطالبت الجالية الإسلامية أحد المواقع البريطانية على الإنترنت بحجب كتاب «الفرقان الحق» الذى يسوقه الموقع ويحتوى على تحريف واضح لآيات القرآن الكريم.

وأكدت رابطة المسلمين البريطانيين - أن هذا الكتاب المشبوه يأتى فى إطار المحاولات المستمرة لتشويه الدين الإسلامى، وطالبت الجالية جميع أعضائها بإرسال آلاف الرسائل إلى الموقع لمطالبة المسئولين عنه بحجب الكتاب عن التداول.

وتجدر الإشارة إلى أن الموقع يعرض كتاب «الفرقان الحق» المشبوه (٣٦٦) صفحة ويضع آيات من القرآن الكريم إلى جانب آيات من الإنجيل والتوراة باللغتين العربية والإنجليزية بما يسبب خلطا فى الكثير من مجالات العقيدة بالنسبة للمسلمين.

جمعيات تركية تقود حملة لرفع الحظر عن الحجاب

قدم ممثلو جمعيات تركية تقود حملة للمطالبة برفع الحظر المفروض على ارتداء الحجاب عريضة تحمل (٣٠٠ ألف) توقيع إلى «بولنت ارنتش» رئيس البرلمان التركى تطلب فيها من البرلمان وحزب العدالة والتنمية الحاكم إيجاد حل لمشكلة منع ارتداء الحجاب فى الجامعات التركية والأماكن الرسمية وطالب ممثلو تلك الجمعيات بوضع حد لمعاناة الطالبات اللاتى يطردن من الجامعات بسبب ارتداء الحجاب.

وقال رئيس البرلمان التركى لممثلى الجمعيات التى تنظم الحملة إن الحكومة مازالت بحاجة إلى الوقت والصبر لحل تلك المشكلة وتتمنى أن تفتح صفحة جديدة فى المستقبل تضمن للجميع حرية الرأى والمعتقد.

وتمنع القوانين فى تركيا الطالبات المحجبات من دخول الجامعات وكذلك العمل فى المؤسسات الحكومية.

وكان الكثيرون قد علقوا آمالا كبيرة على حزب العدالة والتنمية ذى التوجه الإسلامى وخاصة رئيس البرلمان الحالى الذى وعد أثناء الانتخابات بحل مشكلة الحجاب، لكن الحزب المنشغل حاليا بقضايا أخرى لم يدرج بعد هذه المشكلة على سلم أولوياته لتبقى مشكلة الحجاب التى تفجرت فى عام ١٩٨٢ على حالها سواء كان فى السلطة حزب إسلامى أو حزب علمانى بل إنها أخذت طابعا مختلفا بعد وصول العدالة والتنمية إلى السلطة فالكثير من الاحتفالات الرسمية وخاصة التى تنظم فى القصر الجمهورى لا تدعى إليها زوجات المسئولين لأنهن محجبات فمجلس الوزراء يضم (٢٥) وزيرا (١٦) منهم زوجاتهم محجبات.

أكبر مؤتمر لمسلمى أوروبا

ينظم اتحاد المنظمات الإسلامية ومقره «فرنسا» أكبر مؤتمر لمسلمى أوروبا خلال الفترة من ٢٥ إلى ٢٨ مارس المقبل تحت شعار «القرب من الله» المؤتمر شارك فيه شخصيات أوروبية مسئولة وعلماء من أنحاء العالم.

أهم ورش العمل التى يتم تنظيمها على هامش المؤتمر تتعلق بالمحنة التى يمر بها مسلمو القارة فى أعقاب أحداث ١١ سبتمبر.

المؤتمر يناقش أيضا فى ورش العمل المشكلات العنصرية ومعاداة الإسلام أو «الإسلاموفوبيا».

الإعلام المتطرف بسويسرا يطارد المسلمين

شنت وسائل الإعلام السويسرية ذات التوجهات اليمينية طيلة عام ٢٠٠٤ حربا إعلامية ضد الأقليات المسلمة بجميع رموزها وشخصياتها.

وأخذ عدد من الصحف والقنوات التليفزيونية والإذاعات السويسرية اليمينية فى مهاجم المسلمين بشكل شبه يومى خلال العام الماضى وكان من أبرز ما جاء فى عناوينها: «الإرهاب الإسلامى قادم»، «بلادنا فى مواجهة مع الراديكالية»، «تحذير: الإسلاميون بيننا»، «أموال سويسرية لتمويل الإرهاب الإسلامى»، «الحجاب فى البرلمان»، «هل يمكن أن يكون الإسلامى مثقفا؟».

ولم تسلم بعض الشخصيات المسلمة البارزة فى سويسرا من التشويه الإعلامى المتعمدة لشخصها وآرائها.

أما موقف الحكومة السويسرية ذات التوجه اليمينى فكان متأرجحا بين التنديد الخفى بتلك الحملة التى تشنها وسائل الإعلام والصمت أمام الهجوم المستمر على المسلمين ويعود - كما تقرر بعض أوساط المسلمين فى سويسرا - صمت الوزراء إلى خوفهم من أن تقوم وسائل الإعلام باتهامهم بأنهم لا يؤيدون حرية الكلمة.

وقال «باسكال كوشبان» وزير الشئون الداخلية: «البلاد تضمن حرية العقيدة وممارسة الشعائر ولكل شخص حرية اعتناق ما يقتنع به».

أما الرئيس السويسرى «جوزيف دايس» فندد بالإرهاب ولكنه حث على التعايش السلمى والتفاهم بين فئات المجتمع.

مجلس علماء الدين الأندونيسى يحذر من محاولات التبشير

طالب مجلس علماء الدين الأندونيسى منظمة رئيسية مسيحية أمريكية نقلت (٣٠٠) طفل يتيم مسلم من إقليم «اتشيه» الأندونيسى المتضرر من زلزال «تسونامى» إلى العاصمة الأندونيسية «جاكرتا» بإعادتهم إلى المجلس.

وقال السيد «دين شمس الدين» الأمين العام للمجلس: إن المجلس سيقوم باتخاذ إجراءات ضد تلك المنظمة فيما إذا أبت إعادة الأطفال المذكورين.

وأضاف: إن المجلس أعرب عن أسفه لهذا التصرف وقدم احتجاجا شديدا عليه موضحا أن تلك المنظمة المسيحية وقفت وراء إحدى المنظمات غير الحكومية وهى منظمة «وورلد هيلب» فى عملية اختطاف الأطفال.

كما أكد أن أعضاء تلك المنظمة ينوون تنصير الأيتام المسلمين المذكورين.

كما طالب السيد «شمس الدين» كافة المنظمات الأجنبية للإغاثة التى وصلت إلى أندونيسيا وإقليم اتشيه على وجه الخصوص بعدم استغلالها لعمليات الإغاثة لتحقيق أهداف أخرى، مؤكدا بأن المسلمين فى هذه البلاد لن يبقوا مكتوفى الأيدى حيال هذه المخططات.

برلمانيون بريطانيون ينتقدون تقرير «بيل» عن المدارس الإسلامية

انتقد عدد من البرلمانيين البريطانيين التقرير الذى أعده «ديفيد بيل» رئيس لجنة مراقبة المدارس عن أن المدارس الإسلامية لا تعلم الأطفال التسامح والتعايش مع الثقافات الأخرى.

وكان «بيل» قد قال فى محاضرة عن التعليم والمواطنة: إن المدارس الإسلامية فشلت فى إعداد الأطفال وتعليمهم المواطنة لتأهيلهم للاندماج فى المجتمع البريطانى، وأضاف أن المدارس الدينية خارج نظام التعليم البريطانى تدرس منهجية ضيقة مما يجعلها تفشل فى إعداد الأطفال للانصهار فى المجتمع الديمقراطى، ومن جانبه وصف مسئول المدارس الإسلامية فى بريطانيا «بيل» بأنه مصاب بمرض «الإسلاموفوبيا» وأعلن تحديه له بأن يثبت فشل المدارس الإسلامية.

الجدير بالذكر أن فى بريطانيا نحو (١٢٠) مدرسة إسلامية، وقد أحرزت العديد منها نسب نجاح متقدمة متفوقة على كثير من المدارس الحكومية الأخرى.

متطرفون يدمرون (٥٠ مقبرة) إسلامية بالدانمارك

دمرت جماعة متطرفة دانماركية (٥٠ مقبرة) تابعة للجالية المسلمة بالعاصمة الدانماركية «كوبن هاجن».

وقد نددت الجالية المسلمة بهذه العملية المعادية التى تمثل لونا من ألوان الإرهاب الموجهة ضد الوجود الإسلامى فى البلاد.

وكشفت السلطات الدانماركية التى تتولى التحقيق حاليا أن المتطرفين انتهزوا فرصة العاصفة التى ضربت البلاد ونفذوا جريمتهم ضد مقابر المسلمين، وتعهدت سلطات الأمن بتعقب الجناة وتقديمهم للمحاكمة لمعاقبتهم على ارتكاب مثل هذه الجريمة.

هولندا تحرم المسلمين من أندية الطيران والرماية والغوص

اتخذ وزيرا الداخلية والعدل بهولندا بالتنسيق مع جهاز الاستخبارات إجراءات من شأنها حرمان المسلمين من الاشتراك فى الأندية التى تدرب على الغوص أو الطيران أو الرماية، وذلك ضمن الإجراءات الجديدة التى تتخذها الحكومة بحجة مكافحة الإرهاب ومحاصرة المتشددين الإسلاميين وسيتم تنفيذ القرار عبر وسيلتين الأولى: هى قيام سلطات الأمن بالمدن الهولندية بعمل مسح شامل للأندية ذات الأنشطة السالفة الذكر، والحصول على القوائم التى تضم أسماء المشتركين بها وتتبع الأسماء الإسلامية بها للتحرى عنها، وحال وجود أية شبهات فى انتماء هذه الأسماء لتنظيمات إسلامية متطرفة أو وجود شبهات حول نشاطها سيتم فصلها من النادى.

والنادى الذى يرفض فصل الأعضاء المسلمين أو المتدربين المسلمين ستوقع عليه عقوبات خاصة قد تصل إلى إصدار قرارات بإغلاقه أو تجميد نشاطه.

أما الوسيلة الثانية فتتمثل فى متابعة قسم التنصت بجهاز الاستخبارات للمكالمات الهاتفية للعناصر الاستخباراتية للتعرف من خلال ذلك على الأندية التى يلتحق بها أعضاء الرماية أو الطيران أو بدورات تدريب على الغوص خاصة مع وجود العديد من المؤسسات الأهلية التى تقوم بذلك.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يستقبل نائب وزير التعليم بمملكة تايلاند

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف السيد أرى ونجسيرايا نائب وزير التعليم بمملكة تايلاند يرافقه سفير تايلاند بالقاهرة ووفد من أساتذة الجامعات والصحفيين والتليفزيون حيث رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف مشيدا بعمق العلاقات بين مصر ودولة تايلاند، وقدم فضيلته خالص العزاء لمن أضيروا بالكوارث التى تعرضت لها دولة تايلاند ودول جنوب شرق آسيا، داعيا المولى - عزوجل - أن يجنب مملكة تايلاند والعالم أجمع ويلات الكوارث الطبيعية، وقد أوضح فضيلته أن أبناء تايلاند يفدون إلى مصر للدراسة بالأزهر الشريف على منح من الأزهر ويزيد عددهم عن ٢٢٤٢ طالبا وطالبة، وتم تخصيص ٨٠ منحة جديدة لهذا العام للدراسة بالأزهر وجامعته العريقة، وهؤلاء بعد تخرجهم فى الأزهر وحصولهم على الشهادات العليا يعتبرون سفراء للأزهر فى بلادهم يعلمون أبناء المسلمين ما تعلموه فى الأزهر الشريف من علوم عربية ودينية ومن سماحة ووسطية وأيضا يوجد علماء من الأزهر يقومون بالتدريس لأبناء تايلاند، وقد أشار فضيلته إلى أن الإسلام يعتبر الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة و هم إخوة فى الإنسانية، وعلى الرغم من اختلاف العقائد فهذا لايمنع من التعاون وتبادل المنافع التى أحلها الله - عزوجل - وقد أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات السادة الضيوف التى درات حول سبل وأوجه التعاون بين الأزهر الشريف ومملكة تايلاند.

..ويستقبل سفير بولندا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر سعادة السفير يان نتكانسكى سفير بولندا فى القاهرة، حيث رحب فضيلته بالضيف فى مصر وأزهرها الشريف داعيا له بدوام السداد والتوفيق فى عمله، مشيرا إلى أن الأزهر الشريف بابه مفتوح ويرحب بالزائرين لزيادة المعرفة والتعاون ومن جانبه

شكر الضيف فضيلته على حسن اللقاء، وإتاحة الفرصة لهذا الوقت الثمين فى حضرة فضيلة شيخ الأزهر وقدم تحياته وتهانيه لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وللعاملين بالأزهر بمناسبة حلول عام ٢٠٠٥م متمنيا أن يكون هذا العام عام أمن وسلام على العالم أجمع.

وقال إن الهدف من زيارته هذه تكليف الكنيسة الكاثوليكية له بتسليم رسالة لفضيلته تحمل فى طياتها عقد ملتقى متخصص فى الحوار لبعض الموضوعات الأخلاقية التى تهم البشرية جمعاء، ويحضره كبار رجال الدين، ورموزه البارزين، وسيعقد هذا الملتقى فى شهر نوفمبر ٢٠٠٥ وسيكون حول احترام حياة الإنسان واحترام موارد الطبيعة، وأنه سيكون شرف عظيم حضور فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف، كما بين سعادة السفير أن هذا الملتقى سيكون للعام السادس على التوالى، وذلك من منطلق البحث عن أفضل الطرق للتغلب على التحديات الجديدة التى نعيشها فى عالمنا المعاصر حيث انضمت دولة بولندا مؤخرا إلى الاتحاد الأوروبى منذ ثمانية أشهر وبذلك تصبح عضوا ضمن ٢٥ دولة، وقال إن عدد سكان بولندا يقارب ٤٠ مليون نسمه وعدد المسلمين يزيد على عشرة آلاف من جنسيات مختلفة ويتمتعون بكامل حقوقهم الدينية ويؤدون ما عليهم من واجبات.

وقد أشار فضيلة الإمام الأكبر إلى أن بولندا بلد معروف بالتسامح وحرية العقيدة مكفولة للجميع، وقال سندرس الدعوة وسنرد عليها قريبا إن شاء الله تعالى.

ويستقبل وفد مجلس الكنائس الأمريكى

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفد مجلس الكنائس الأمريكى برئاسة المطران طوماس هويت رئيس المجلس الوطنى لكنائس أمريكا، يرافقهم السيد جرجس أمين صالح الأمين العام لمجلس الكنائس فى الشرق الأوسط وقد رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف موضحا أن الأزهر دائما يرحب بالزائرين، وباب الحوار مفتوح، مؤكدا على أن الأديان السماوية والعقول الإنسانية السليمة تدعو إلى التعارف الذى من شأنه أن يولد الأخوة والمحبة والتعاون، وقال: إن الدراسة بالأزهر الشريف تمتاز بالاعتدال والتوسط والبعد عن التعصب وتدعو إلى الإخاء الإنسانى، لأن الإسلام يعتبر الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة وأن الله ـ عزوجل ـ خلق الناس جميعا للتعارف والتعاون لقول الله تعالى فى القرآن الكريم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾

الحجرات/ ١٣

وأن لكل إنسان عقيدته، والاختلاف فى العقائد لايمنع من التعاون ومن تبادل المنافع التى أحلها الله ـ عزوجل ـ ولا إكراه فى العقائد، والذى يحاسب على العقائد هو الله ـ عزوجل ـ وقال فضيلته: نحن نرفض ما يقال عن صراع الحضارات، ونؤيد تعاون الحضارات، وكل دولة تستفيد من حضارة الدولة الأخرى وبذلك يكون هناك التكامل، وفى الأزهر الشريف لجنة دائمة للحوار تسير على منهج معين وهو أنه لامناقشة فى العقائد وإنما الحوار والمناقشة، من أجل الاتفاق على الفضائل وتقديم العون

للمحتاج ونصرة المظلوم والوقوف إلى جانب الحق وضد الظلم ونشر السلام فى المجتمع الإنسانى كله، والإسلام كدين يدل على السلام وهو مشتق من أسماء الله وأيضا فلسنا مع من يخلط بين الإسلام والإرهاب، فالجهاد فى الإسلام شرع من أجل أمرين:

الأمر الأول: الدفاع عن النفس والمال والعرض والوطن والكرامة الإنسانية، وحرية الإنسان.

والأمر الثانى: من أجل نصرة المظلوم حتى يأخذ حقه.

أما الإرهاب فهو عدوان على النفس والمال والوطن والعرض والكرامة الإنسانية وعدوان على الآمنين من الرجال والنساء والأطفال، والإسلام يحارب الإرهاب بكل صوره وأشكاله فى كل مكان فى العالم سواء صدر هذا الإرهاب من مسلم أو من غير مسلم، كما أن الإسلام يدعو للمساواة بين الرجل والمرأة، فى أصل الخلقة، وفى طلب العلم والحقوق والواجبات وفى الكرامة الإنسانية، وكل هذه المعانى حينما ترسخ فى المجتمعات ينتشر الأمن والأمان والرخاء، وعموما فالسلام يأتى بالرخاء، والإرهاب يأتى بالخراب، وقد أجاب فضيلته عن أسئلة الحضور واستفساراتهم حول كيفية التعاون بين الإسلام والمسيحية لمواجهة التحديات التى يمكن أن تكون عقبة فى توصيل تلك الحقائق التى نشترك فيها والتى تدعو إلى نشر الفضائل ونبذ الرذائل بين بنى البشر.

الإمام الأكبر يستقبل سفير النرويج

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر سعادة السفير لاسيه سيم سفير النرويج فى القاهرة حيث قدم التهنئة لفضيلته بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك، وقدم دعوة رسمية لفضيلته من السيد كجل ماجنى بوند فيك رئيس وزراء النرويج والخاصة بمعهد السلام الدولى للبحوث فى (أوسلو) ليكون فضيلته المتحدث الرسمى للمؤتمر الذى يقيمه المعهد فى الفترة من ٧ـ٩ من فبراير ٢٠٠٥ وسيكون المؤتمر تحت عنوان (الدين فى الدبلوماسية وصنع السلام وهذا المؤتمر مخصص للحوارات والتقارب بين الأديان والتفاهم بينها لمواجهة التحديات التى يواجهها العالم ومحاربة الإرهاب أسبابه وجذوره، حيث إن رجال الدين والساسة حينما يلتقون، ويقومون بتوضيح التسامح للإنسانية فإن الناس تتبعهم لأنهم قدوة، وبالتعاون المشترك سيكون هناك تأثير كبير فى أن نتصدى للإرهاب بالأقوال والأفعال، قد شكر فضيلته سعادة السفير على هذه الدعوة المقدمة من السيد رئيس الوزراء بمملكة النرويج وسيعمل على تلبيتها وإذا تعذر الحضور سيرسل أحد العلماء لحضور هذا المؤتمر فى موعده المقرر.

الإمام الأكبر:

الحروب لاتحل المشاكل

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد يمثل الكنيسة الدنمركية الإنجيلية برئاسة القس لارز إيمانويل يرافقهم المهندس نبيل صموائيل مدير عام الهيئة الإنجيلية القبطية للخدمات الاجتماعية والسيد نبيل نجيب منسق العلاقات العامة بالقاهرة، حيث رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وفى

الأزهر الشريف موضحا أن الأزهر يرحب بالضيوف من أجل الحوار لتوضيح وتصحيح المفاهيم التى تسىء للإسلام، وقال لقد أوجدنا الله عزوجل فى هذه الحياة لنعبده حق العبادة ومن أجل أن نتعارف ونتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ومن أجل نشر التسامح والمحبة والسلام ليعم الأمن والأمان ربوع العالم.

وقال فضيلته أن اختلاف العقائد لايمنع من التعارف والتعاون لأن الذى يحاسب على العقائد هو الله ـ عزوجل ـ ونحن فى مصر مسلمين ومسيحيين نتعاون من أجل نشر المحبة ومن أجل خير بلدنا لأن الخير الذى يأتى للمسلم ينتفع به المسيحى والخير الذى يأتى للمسيحى ينتفع به المسلم ونحن نتزاور فى المناسبات ونشترك فى الزراعة وفى التجارة ونتجاور فى السكن الواحد وتقلنا أرض واحدة وتظلنا سماء واحدة ونشرب من ماء واحد، ولكل إنسان عقيدته ولا إكراه على العقائد، لأن الإكراه على العقائد لا يأتى بمؤمنين صادقين وإنما يأتى بمنافقين كذابين، وما تدعو إليه الأديان السماوية هو التعارف والتعاون وتبادل المنافع التى أحلها الله ـ عزوجل ـ ونحن نؤيد تعاون الحضارات ولا نؤمن بما يقال بتصارع الحضارات، فالحضارات عند العقلاء تتعاون ولا تتصارع، والحياة التى تبنى على المحبة أفضل من تلك التى تبنى على الحروب والصراعات والتخريب، ونحن فى عصر أصبحت الحروب لاتحل المشاكل وإنما تحل المشاكل بالحوار المتبادل عندما تصفو القلوب.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف والدكتور على السمان نائب رئيس لجنة الحوار.

الإمام الأكبر:

على الباحث عن الحقيقة أن يتحرى الصدق

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السناتور الأمريكى جون كيرى يرافقه الوزير مايكل كورين الوزير المفوض بالسفارة الأمريكية بالقاهرة والسيدة نانسى استاتسون مستشارة السيناتور الأمريكى حيث رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وفى الأزهر الشريف وقال السيد جون كيرى هذه فرصة طيبة أن التقى بفضيلتكم وقد حرصت على هذا اللقاء حيث إن فضيلتكم والأزهر الشريف معروف فى العالم كله.

وقال فضيلة الإمام الأكبر إن الأزهر الشريف عمره الآن أكثر من ألف عام والدراسة فيه تمتاز بالسماحة والاعتدال وتعبر عن الوجه الحقيقى للإسلام، الذى يعتبر الناس جميعا أسرة واحدة تربطهم رابطة الأخوة الإنسانية وقد يختلفون فى العقائد، ولكن هذا لايمنع من التعاون والتعارف، وشريعة الإسلام تحث على التعامل مع الناس جميعا ما دامت فى حدود العقل والعدل، والعقائد لا إكراه عليها ولكل إنسان عقيدته والذى يحاسب عليها هو الله ـ عزوجل ـ وأكدت شريعة الإسلام على أن هناك فضائل يجب اتباعها كالعدل والتعاون والوفاء بالعهد وأن هناك رذائل يجب اجتثاثها كالظلم والكذب والخيانة واغتصاب الحقوق، والعقول الإنسانية السليمة تتفق مع هذا، والأزهر

الشريف كان أول مؤسسة دينية فى العالم أدانت أحداث ١١ سبتمبر حيث اجتمع مجمع البحوث الإسلامية فى اليوم التالى لتلك الأحداث ورفض رفضا تاما العدوان الذى وقع على الآمنين من رجال ونساء وأطفال، وطالب بالبحث عن الجناة وتحويلهم للعدالة لمعاقبتهم، لأن الإسلام ضد الإرهاب بجميع أشكاله وألوانه.

وقال فضيلته: إن الفضائل لا تتجزأ وكذلك الرذائل، وعلى الباحث عن الحقيقة إن يتحرى الصدق من مصادره المتخصصة، فالإسلام يمد يده بالسلام لكل من يمد يده بالسلام، وأنا كشيخ للأزهر الشريف حينما تأتينى دعوة رسمية من الولايات المتحدة الأمريكية من أعلى المستويات سأذهب وأوضح الأمور الدينية بصورتها الصحيحة كرجل دين متخصص كما يجب أن نسمع أن الولايات المتحدة تقف إلى جانب الحق وإلى جانب المظلومين، وأن تمد يدها بالعون والمساعدة، وأن تأخذ الحقائق من مصادرها الصحيحة ولا تعتمد على أقوال غير المتخصصين.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود إمبابى وكيل الأزهر ولفيف من علماء الأزهر الشريف وقياداته.

دورة جديدة لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى

● شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل تخريج الدورة ٦٧ لائمة ووعاظ العالم الإسلامى البالغ عددهم ١٨ إماما وعالما من دول (الجزائر، السودان، باكستان، زنزبار، مدغشقر، بورما) وقد ألقى فضيلته كلمة أوضح فيها أهمية تلك اللقاءات والدورات وأنها ذات فائدة عظيمة لأنها تجمعنا على طاعة الله ـ عزوجل ـ نتدارس فيها العلم النافع ونتحاور ويستمع بعضنا لبعض، ونتناقش فى أمور الدين والدنيا، فرسالتنا كدعاة هى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، نبين للناس وجه الإسلام السمح الذى يأمر أتباعه بأن يبنوا ولايهدموا، يعمروا، ولا يخربوا. يصلحوا، ولا يفسدوا، وأن يعملوا من أجل خدمة دينهم وأمتهم، وينشروا محاسن الإسلام على الناس، وييسروا على الناس أمور دينهم ودنياهم، ويدافعوا عن الحق، وأن يقفوا فى وجه الباطل، فوظيفتنا أن نبين ما هو حق وندعو إليه وما هو باطل ونحذر الناس منه ونجتنبه، ونكون قدوة طيبة.

وأوضح أن الإسلام دين ينهى نهيا قاطعا عن الإرهاب الذى هو عدوان على الإنسان وكرامته، فعلينا أن نقف فى وجه الباطل ونتعاون لخدمة ديننا وأمتنا ونكون قدوة طيبة فى مكارم الأخلاق وإحقاق الحق وإبطال الباطل.

ودعا فضيلته للخريجين بالتوفيق والسداد فى مهمتهم التى هى مهمة الأنبياء، فالعلماء ورثة الأنبياء، وقام بتوزيع شهادات التخرج عليهم وسلم كل منهم مكتبة إسلامية بها كتب قيمة للاستفادة منها والاستعانة بها ولتكون مرجعا.

The *Hegira* of the Messenger is a Unique Turning Point in the History of Prophets[*]

By: Dr. Abdul-Halim Oweis

The *Hegira* of Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) is seen as a distinct point in the history of Islam. That *Hegira* ended with establishing a nation and civilization from which Islam - Creed, Law and Civilization - started advancing to the horizons of earth.

On the 27th night of the month of Safar in the 13th year of the Mission (12th September 622 A.D.), Allah's Messenger, accompanied by Abu Bakr, Amir Ibn Fuhayrah and their guide Abdullah Ibn Urayqit, left Mecca heading for Medina. They reached Medina on Monday 8th of the month of Rabie` Awal (i.e., it took about 11 days). The plan of *Hegira* was very dexterous, and that was necessary for achieving success for that new conquest. The reason behind this is that disregarding the laws made by Allah for the continuity of life is regarded as silly improvisation that does not befit the big calls. The most outstanding actions for the big calls are those which go in harmony with the laws set by Allah not those which disregard them. In addition to these material causes, including taking precautions, the Divine Providence guarded the Messenger and His Companion, Abu Bakr, against more than one terrible situation.

The Divine Providence appeared in many decisive situations. For example, it can be felt when the Messenger got out from his house while the disbelieving men of Quraysh were surrounding the house. Miraculously, Allah struck them with sleep and the Messenger got out from the house and put earth over their heads while reciting:

{And We have made before them a barrier and behind them a barrier, (and) then We enveloped them, so they do not behold (the Truth).} [Ya Sin: 9]

[*] An article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.

The Divine Providence could also be witnessed when the Messenger and Abu Bakr were in the cavern hiding from the disbelievers. If any of the disbelievers looked down, he would see them, but Allah diverted their sights. Moreover, Allah sent the spider which wove its web on the door of the cavern, and the pigeons which sat on their eggs, and made branches hang over the door of the cavern.

In addition, Allah's Care appeared when He protected the Messenger and his Companion from Suraqah Ibn Malik who wanted to catch them to win the prize allotted by Quraysh. Allah prevented him from reaching them though he was very near to them. Further, Suraqah, who wanted to catch them, turned into someone else who would protect them against Quraysh as he misled the disbelievers.

With the success of that ever-lasting journey, the elements of creating civilization, whose foundations were established by Allah's guidance, joined together. The Messenger built the first foundation of the growing Islamic Nation, namely, the mosque, with his own honorable hands. This is because the mosque is the heart of the Muslim society. Furthermore, he fraternized between the emigrants and the *Ansar* (i.e., the Supporters of Medina) and this was considered the second foundation established by him. Such fraternization represented a kind of moral and material solidarity, as well as a kind of elimination for tribalism. The third important foundation can be witnessed in the "Constitution" set by the Messenger as one of the first social pillars erected in the civilizational history of the Islamic Nation. That constitution would define the forms of relation among Muslims as well as between Muslims and non-Muslims, so as to achieve the principles of peaceful coexistence.

It has been the nation of civilization, creed, mercy for the worlds, and absolute justice between Muslims and non-Muslims. It has been the nation of immigration from idol-worshipping, racial discrimination, and injustice to the worship of Allah alone.

religion. His body would be combed with iron combs that would remove his flesh from the bones, yet that would not make him abandon his religion. By Allah, this religion (i.e. Islam) will prevail till a traveler from Sana (in Yemen) to Hadrarmaut will fear none but Allah, or a wolf as regards his sheep, but you (people) are hasty.' "

Therefore, the early Muslims had sacrificed everything dear to them for the sake of their Creed, so they were praised in the Glorious Qur'an, as Allah, Exalted be He, said:

{It is (also) for the poor emigrants who were driven out of their homes and riches, seeking Grace from Allah and Divine Satisfaction, and vindicating Allah and His Messenger. Those are the ones who are sincere.} [Al-Hashr (The Mustering): 8]

Indeed, they were the people whom violence and persecution drove them to leave their homes, riches and children for no sin they committed except that they said, "Our Lord is Allah and we shall worship none but Him." They did not leave their homes for worldly gains, as we do now, but they left their homes and everything they had seeking only Allah's Grace and Satisfaction. Though they were few in number, but they swore to vindicate Allah and His Messenger with their swords, tongues, hearts and sincere faith. Concerning them, Allah said, *{Those are the ones who are sincere.}* This is because they were sincere to Allah when they believed in Him alone; they were sincere to the Messenger when they followed and supported him; and they were sincere to the Truth when they adhered to it.

Allah wanted to turn the Islamic Call from Mecca, whose people harmed the Messenger and whoever followed him, to Medina. That happened when some people from Medina came to Mecca at the season of pilgrimage. Those people believed in the Messenger and pledged allegiance to protect him if he should come to them. When those people returned to Medina, they mentioned their story with the Messenger; hence, many

people of Medina believed in him and swore to sacrifice their souls defending him.

When the Divine Command of immigration to Medina reached the Messenger of Allah, he said, as came in the Qur'an:

{And say, "Lord! Cause me to enter a sincere entry and cause me to go out a sincere outgoing, and make for me, from every close to You, a ready vindicating authority."}

[Al-Isra' (The night Journey): 80]

Upon leaving Mecca, the Messenger bid farewell to it saying, *"Oh Mecca, you are the most beloved place to Allah, and the most beloved place to me. Had it not been for your people (i.e., the disbelievers of Quraysh) who drove me out, I would not have got out."* In his words, you can feel the meaning of ideal patriotism and loyalty.

The Messenger headed for Medina whose people awaited his arrival impatiently. They received him with great ovation. There, the Messenger fraternized the emigrants and the *Ansar* (i.e., the Supporters of Medina) and made them live like one family. That is why life in Medina went on in harmony. Therefore, justice and equality prevailed, and thus Muslims represented a powerful entity. So, *Hegira* was the way leading to success and victory for the Islamic Nation. In this regard, Allah, the Almighty, says:

{And remember as you were few (and) deemed weak in the earth, fearing that mankind would snatch you away, so He gave you an abode, and provided you with His victory, and provided you with the good things, that possible you would thank (Him).}

[Al-Anfal (The Spoils = War Gains): 26]

Allah also says:

{Surely whosoever is pious and (endures) patiently then surely Allah does not waste the reward of the fair-doers.}

[Yusuf (Joseph): 90]

remorse and bitter regret which exhort him/her to persist firmly on not to return to committing such misdeeds again. For more illustration, the man who abandons acts of disobedience because they have exhausted his body, weakened his strength and made him broke, is not considered a true repentant. This is because if it happened that such a man should enjoy the strength and possess the abundant wealth, he would shamelessly return to disobedience again.

The Types of the Repentant:

Despite the fact that some of the books tackling the issue of repentance report contradicting views of prominent scholars, we shall resort to none but the Qur'anic Text in knowing the categories of the repentant people. Allah, the Ever-High, says: *{Surely relenting from Allah is only towards the ones who do any odious deed in ignorance, thereafter they repent shortly so, Allah relents towards those and Allah has been Ever-Knowing, Ever-Wise. And relenting is not for the ones who do odious deeds until, when death is present to one of them he says, "Surely now I repent," neither to the ones who die (while) they are steadfast disbelievers; for those We have readied a painful torment.}* [An-Nisa' (Women): 17-18]

The above Text indicates that there are three categories of repentant people:

First: Those who do odious deeds then repent soon. Allah accepts the repentance of such people for they repent to Allah before falling ill awaiting death.

Second: Those who do odious deeds but do not repent until death comes to them. Allah does not accept repentance from those people.

Third: Those who die while they are steadfast disbelievers. For those people, Allah has prepared a painful torment.

After clarifying these differences, those who want to repent should make haste so as to feel the sweetness of faith before they die.

[*]*Hegira*[2] is the Dawn of Victory

By: The Honorable Sheikh Ibrahim `Ata Al-Fayumi

With the beginning of the month of Muharam of every year, the Muslims smell the breeze of the Feast of *Hegira* which represents the beginning of the Muslim history. *Hegira*, indeed, was a positive turning point in the spread of Islam, and it was the limit separating two distinct periods. The first period was that of hiding and concealing the Call, where Muslims could not declare their Islam in public or establish their rites. The second period represented the strong one when the Call reached everywhere, and Muslims were able to worship their Lord whenever and wherever they wished. That is because Allah has chosen for humanity this honorable Religion and tolerant Call guarded by His Support and Care. In support of this, Allah enabled the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) to undertake the *Hegira* and arranged for him the reasons of success and the elements of victory.

With *Hegira*, Islam turned from the phase of calling into the phase of establishing the New Nation:

{And in no way did you throw when you threw, but Allah threw}
[Al-Anfal (The Spoils = War Gains): 17]

Al-Bukhari narrated, on the authority of Khabbab Ibnul-Arat, saying, *"We complained to Allah's Messenger (of the persecution inflicted on us by the infidels) while he was sitting in the shade of the Ka`bah, leaning over his Burd (i.e. covering sheet). We said to him, 'Would you seek help for us? Would you pray to Allah for us?' He said, 'Among the nations before you a (believing) man would be put in a ditch that was dug for him, and a saw would be put over his head and he would be cut into two pieces, yet that (torture) would not make him give up his*

[*] An article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.

[2] *Hegira*: The Messenger's immigration to Medina.

Asking Forgiveness Is Confessing Sins to Allah Seeking His Forgiveness

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

Once, I attended a meeting with some of those doing comparative studies between religions. Our talk extended to the issue of 'confession' when the sinner would sit before the priest (in Christianity) and confess his/her sin and listen to the priest's advice, and after that the sinner would walk away spiritually unburdened from sins. One of the attendants viewed that this was one of the most elevated means of spiritual purification. He asked me why Islam did not apply that kind of confession. I thoughtfully turned to that man and said, "In Islam, there is something that is more superior than that kind of human confession; namely, confession to Allah alone through asking His forgiveness. That is, when the sinner feels the enormity of his/her sin, nothing avails him/her when confessing to a human just like him/her who can neither benefit nor harm. Contrarily, resorting to Allah alone is a kind of taking shelter with the One Able to forgive. Additionally, Allah has called His servants to repent and ask for His forgiveness, and He promised them to accept their repentance when sincere."

What would be the feeling of the Muslim when he/she reads the words of Allah in which He says:

{And surely I am indeed Sublime Forgiver towards him who repents and believes and does righteousness, and thereafter is (rightly) guided.} [Ta-Ha: 82]

Through seeking Allah's forgiveness, the sinner gets rid of his/her persistent suspicions believing that Allah will forgive his/her sin. Hereupon, the sinner goes back to his/her soul feeling that he/she is born anew, for the sincere, true repentance is considered a true new birth for the sinner transferring him/her from the narrowness of the sin into the wideness of purification.

Qur'anic Texts:

We have numerous great Qur'anic Texts declaring the favor of seeking Allah's forgiveness. The hasty reader may think that these texts have only apparent indications, but the one who

scrutinizingly reads these texts can reach the wonderful meanings and indications of asking for forgiveness. Let the readers read the following Qur'anic Text:

Allah, the Almighty, says:

{And vie swiftly with one another for forgiveness from your Lord, and for a Garden whose breadth is the heavens and the earth, prepared for the pious. Who expend in easiness and tribulation, and the repressors of (their) rage, and the clement towards (their) fellow-men; and Allah loves the fair-doers. And who, when they (commit) an obscenity or do an injustice to themselves, remember Allah, and so they ask forgiveness for their guilty (deeds); and who forgives guilty actions except Allah (only)? And who do not persist in the actions they performed, and[1] they know (that). Those shall have their recompense (as) forgiveness from their Lord and Gardens from beneath which rivers run, eternally (abiding) therein; and excellent is the reward of the (fair) doers!}

[Al-Imran (The Household of Imran): 133-136]

Allah, Glorified be He, has prepared His spacious Paradise for some categories of people on the top of whom come those who give in charity, whether at times of easiness or hardship, those who repress their rage for the sake of pleasing Allah, and those who forgive injustice done to them. Another category of people who shall enter Paradise are those who, when they commit an obscenity or do an injustice to themselves, remember Allah, and so they ask forgiveness for their guilty deeds.

Though the sin is grave, but the sincere action of asking for forgiveness removes it. Is there any purity more pleasing to the soul than this?!

The Regretful Asking for Forgiveness

What is the kind of asking for forgiveness that removes the sin? Is it the temporary asking for forgiveness through haste words of asking for forgiveness, which do not grant the sinner the deep happiness of purification and salvation? If so, asking for forgiveness will be of no use, for the true fruitage collected by the one asking for Allah's forgiveness lies in his/her feeling with the

[1] i.e., while

These wrong beliefs drove some of the Orientalists to name the religion of Islam with a name other than that chosen by Allah when He said:

{Today I have completed your religion for you, and I have perfected My favor on you, and I am satisfied with Islam as a religion for you.} [Al-Ma'idah (The Table): 3]

They would call it "*Mohammedanism*" after Muhammad. For example, H.A.R. Gibb, in his book on Islam, attributed Islam to Muhammad, so the title of the book came as "*Mohammedanism.*" The same was done by his disciple Bosworth Smith, for he called his book "*Muhammad and Mohammedanism.*"

From the above Qur'anic verses, it is clear that Muhammad was indeed the Messenger of Allah sent to the whole world and that he was the Seal of Prophets and Messengers. As the Glorious Qur'an states:

{In no way is Muhammad the father of any of your men, but the Messenger of Allah, and the Seal of the Prophets; and Allah has been Ever-Knowing of everything.}

[Al-Ahzab (The Allied Parties): 40]

Hence, there is no room for calling the religion sent by Allah as "*Mohammedanism*," or calling His messenger's *Hegira* as "Flight" out of his fear. That is, Allah's Messenger was the most courageous among people, for he was not the first to leave Mecca but he stayed there until all his Companions had left; moreover, he would walk alone in the streets of Mecca in front of all his enemies, such as Abu Jahl and Abu Lahab. In addition, the Messenger got out from his house unarmed heading for Medina though he knew that his house was surrounded by the disbelievers who wanted to kill him. That is because he had unlimited confidence in Allah. When Allah commanded him to immigrate to Medina, he was not accompanied by some professional armed 'bodyguards'; there was no secret tunnel in his house through which he might escape; and there was no helicopter hovering over his house to take him away from danger. Moreover, he did not immigrate to Medina before His Lord commanded him to do so, though his intimate Companion,

Abu Bakr, urged him frequently to hurry in undertaking *Hegira*. During their *Hegira*, the Messenger would assure his Companion, Abu Bakr, not to grieve, for Allah would protect them. Allah, Exalted be He, affirmed the Messenger's trust in Him, as He said:

{In case ever you do not vindicate him, yet Allah readily vindicated him, as the ones who disbelieved drove him out the second of two, as the two were in the cavern, as he said to his companion, "Grieve not; surely Allah is with us." Then Allah sent down His serenity on him, and aided him with hosts you did not see.}

[At-Tawbah (Repentance): 40]

The phrase *"the ones who disbelieved drove him out"* means that the disbelievers were those who constrained him to leave his home and he did not flee out of fear.

It is worth mentioning that *Hegira* was preceded with communications between the Messenger and some of the people of Medina. In year 11 after the mission and during the Pilgrimage season, six of the Medinians embraced Islam and promised the Messenger that they would deliver his Message to their people. Consequently, twelve men came to the Messenger in the following year as Muslims. Those men pledged allegiance (the First Pledge of Al-`Aqabah) to the Messenger that they would support Allah's true religion. Upon their return to Medina, the Messenger sent with them Mus`ab Ibn `Umayr, the first ambassador in Islam, to teach the new Muslims the instructions of Islam and to propagate the new religion. Then, large numbers of men and women from Medina came to the Messenger as Muslims and pledged allegiance to support him (the Second Pledge of Al-`Aqabah). After that, the Messenger immigrated to Medina and there, he started the first nation of Islam after he had fraternized the emigrants with the *Ansar* (i.e., the Supporters of Medina) to form a strong state that was able to overcome two powerful empires at that time, the Roman and Persian empires. He was able to establish an Islamic Nation where people could enjoy justice, equality, freedom, scientific progress and social peace.

AL-AZHAR MAGAZINE

Almuharram, 1426 A. H.

ENGLISH SECTION

March. 2005

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah,Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

Migration not Flight ...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The non-Muslims writers, and sometimes those claiming to be Muslims (but they, in fact, bear animosity against Islam and Muslims), keep calling the *Hegira* (i.e., Migration to Medina) of Prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) as 'Flight'. They do so in support of the early disbelievers, who falsely claimed that Allah did not sent Muhammad with a religion nor Qur'an, and also in support of the late disbelievers, who would follow the wrong beliefs of the early disbelievers. However, some of the late disbelievers would believe that Muhammad was a messenger sent to only the people of the desert not to all people. These lies are in contradiction to what is stated in the Qur'an, as Allah, Exalted and Glorified be He, states:

{And in no way have We sent you except as a mercy to the worlds.} [Al-Anbiya' (The Prophets): 107]

And:

{And in no way have We sent you, except as a bearer of good tidings and a warner to the whole of mankind; but most of mankind do not know.} [Saba' (Sheba): 28]

The Orientalists would go on in their denial and say, "Muhammad claimed prophethood only for the sake of realizing superiority and sovereignty. He came with a Qur'an written by his own hands due to the fact that nothing was revealed to him from Heavens." Some others would say, "He quoted the Qur'an from the stories and myths of the earliest people." A third group would say, "The Qur'an was dictated to him by someone else." The Glorious Qur'an repeats their claims saying:

{And they have said, "Myths of the earliest (people) that he has had written down; so that they are dictated to him before sunrise and at nightfall."} [Al-Furqan (The Criterion): 5]

To affirm the impossibility of their claims and denial, Allah, the Almighty, says:

{And in no way did you recite any Book before (this), nor did you pen it with your right (hand); lo, then the wrongdoers would indeed be suspicious.} [Al-Ankabout (The Spider): 48]

الفهرس

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومى

نائب رئيس التحرير
سيد وفا أبو عجور

مدير التحرير
عادل رفاعى خفاجة

سكرتيرا التحرير
أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

● داخل مصر ١٨ جنيها مصريا
● الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
● أوروبا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا
● اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩٠

صفر ١٤٢٦هـ - مارس / إبريل ٢٠٠٥م - الجزء الثانى - السنة الثامنة والسبعون

افتتاحية العدد

إذا عرف السبب

المرأة بين الجاهلية والإسلام



محمد إقبال



أحمد حسن الزيات

للمستشرق الإنجليزى الأستاذ رينولد نيكلسون جهد (كبير) فى تاريخ الأدب العربى، وهو من الذين تعمقوا الدراسات الإسلامية والآداب الشرقية من عربية وفارسية وتركية تعمقًا دلّ على صبر وجَلَد، وله دراسات عميقة عن فريد الدين العطار وعمر الخيام والشمس التبريزى والمسعودى ومحمد إقبال ومحيى الدين بن عربى وغيرهم من رجال الفكر الإسلامى، وقد قال الأستاذ أحمد حسن الزيات أن بحوثه فى تاريخ الأدب العربى ذات قيمة ممتازة يتجلى بها وضوح الأسلوب واستقامةُ المنهج وقوّة الإدراك لمختلف الآثار والعوامل التى طبعت أدب العرب فى كل عصر وفى كل بيئة، وقد كنتُ أتمنّى أن يكون ما قاله أستاذنا الزيات رحمه الله مطردا فى جميع فصول كتابه الكبير عن تاريخ الأدب العربى، إذْ قرأتُ هذا الكتاب الحافل فى ترجمته التى كتبها الأستاذ الدكتور حسن حبشى فوجدتُ ما يدلّ على قُوّة الصبر، وحُسن الاستقراء. وسعة الأفق، ولكنّ ذلك كله يتضحُ إذا لم يكن الحديث عن عصر الإسلام فى عهده الأوّل، فهنا نجدُ من وضوح الغرض، وميْل الهوى ما كنّا نربأ بدارسٍ متمرّس أن يبتعد عنه، ولكنّ ما بالذات لا يتغير.

لقد قرأتُ ما كتب المؤرخ الكبير عن المرأة العربيّة ومكانتها فى العصر الجاهلى فرأيتُه يرتفع



نيكلسون

بها إلى مكانة أعْلَى وأسْمى مما نَعْرف، فعجبتُ أن يتحدث المستشرقُ الإنجليزى عن المرأة الجاهلية بهذه الروحِ العاطفة المقدرة، وقُلْتُ إنّ الرجل الكبير برىء من التعصّب، وقد آثر العربَ بإنْصافه العادل حين لَمح هذه المحامد النبيلة، واصطفاها معتزا مباهيا، وللمرأة فى الجاهلية مكانتها التى لا تُنكر فى كثير من القبائل، ولدَى السّادات الرءوس من ذوى الحلّ والعقد، ولكنّ المؤرّخ الذكّى لم يكلّفْ نفسَه عناء الحديث عنْ منزلتها العالية فى الجاهلية إلا ليقول بعد ذلك فى صراحة عجيبة «وإذا نظرْنا إلى هذه الأبيات الجميلة «يقصدُ بعضَ ما ذكرهُ من شعر الجاهلية فى المرأة» نجد أنها كافيةٌ للرّد على من يزعمون أن الإسلام قد رفعَ منزلة المرأة الاجتماعية!! هنا عُرف السبَب الحقيقى فى هذا الإطراء، إذ أنّهُ ذو مغْزَى تبشيرى صريح، فالمؤرخ العَلامة يعزّ عليه أنْ يكون الإسلام قد أخذ بناصر المرأة، وشرّفها أتمّ التشريف، ولابد - فى نظره - من جهاد علمىٍ شاق لطمسِ هذه الحقيقة، بأن نَتتبع ما عُرف فى الشّعر الجاهلى من تقديرٍ للمرأة لنقول إنّ الإسْلام لم يَصْنع شيئا!! وهو المطلوب.

وقَبْل أنْ نُشير إلى بَعْض ما قدّمهُ الإسلام للمرأة من رُقىٍّ وإصْلاح، نُعْلِنُ أن رُبوعَ الجاهلية كانت مهدَ الإسلام، وقد اختارَها الله لحمل هذه الرسالة السّامية، لما تتضمن من عناصر الخيْر، فالله أعلم حيث يجعلُ رسالته، فنحنُ مع المؤرّخ حين يذهبُ إلى أنّ الجزيرة العربية «كانتْ ذات قيم إنسانية كريمة فى مجتمعها الأوّل» ولكنها لم تكُنْ خيرا كلهَا، بل مَزجت الخير بالشّر، والصالحَ بالطالح فجاء الإسلام ليُقوى عناصر الخير، ويستأصل نوازع الشرّ، فأبقى كل وازع خُلقى، وعفى على كلّ نزعة شريرة، وقد ذكرَ الأستاذ نيكلسون خلاصة ما قرأ عن سمو المرأة فى بعض نواحيها، وأغْفَلَ ما يعلمُه علم اليقين من نواحى هَوانها، ذَكَر عن المرأة الجاهلية أنّ السيدات كنّ يخترن أزواجهُنّ عن حُريّة، وهذا بالنسبة لبعض دُون بعْض، فليْس الحديثُ على إطْلاقه كما يوهم كَلامُ المستشرق الذى تابع ذكْر هذه المآثر، فقرّر أنهُنّ ما كُنّ جوارى أو متاعا بل كُنّ مساويات لأزواجهن يُلهمْنَ القصيد، ويُثرن نخوة المحارب فى القتال، ويبعثن الأبطالَ على الجلد وقُوّة الدفاع فى ميادين الحروب، كما قال نيكلسون: إن نُبل النساء لا يظهر أثره فى العهد الجاهلى من احترام الرّجال إياهن فحسْب، بل يظهرُ فيما تردّد عنهن من القصص، والأحاديث، من ذلك أنّ فاطمة بنت الخُرشب كانت إحدى ثلاث عُرفن بالمنجبات، وكانَ لها سبعة أبناء، ثلاثةٌ منهنّ يسمّون بـ(الكملة)، واستطرد فذكر قصة أسرها، وكيْف قاومتْ هذا الأسر حتّى ضحّتْ بنفسها، دونَ أنْ تقعَ أسيرة، ومضى الأستاذ يسْرد من القصص والشعر ما نؤيده ونُباركه إذْ كانَ حقيقةً واقعة، ومن أحسن ما استشهد به أبياتٌ رائعة للشنْفرى يقول فيها عن امرأته:

لَقَدْ أعجبتنى لا سقوطًا قناعها ... ولا هى إن سارتْ بذات تلَفت

يحلّ بمنجاةٍ من اللوْم بيتها ... إذا ما بيوتٌ بالملامة حلَّت

أميمةُ لا يُجزى نثاها حليلُها ... إذا ذُكر النسوانُ عفَّت وجلَّت

إذا هُو أمسى آبَ قُرة عينيه ... مآبَ سعيد لم يَسْل أين ظلَّت

فالأبيات تصور الشرف والكرامة والطهر حقا، ولكنها ليست الصورة العامة لكلّ نساء الجاهلية، يتضح ذلك من قول الشاعر (إذا ما بيوت بالملامة حلت) وما بنا -شهد الله- أن ننتقص المرأة الجاهلية مهما هانت طبقتها، ولكننا نستغرب أن يكون ذلك مقصودًا لشيء آخر، هو قول المؤرخ عقب هذه الأبيات مباشرة: (وإذا نظرنا إلى هذه الأبيات وما توحيه من المعانى نجد أنها كافية فى الرد على أولئك الذين يزعمون أن الإسلام قد رفع منزلة المرأة الاجتماعية!!).

لو كان الأستاذ نيكلسون لم يتخصص فى الثقافة الإسلامية، ولم يدرس تاريخ الإسلام دراسة واعية لقلنا إن الكاتب ذو عُذر فى اتجاهه، ولكنه ممن كتبوا عن صدر الإسلام كتابة تدل على قراءته الواعية للقرآن والحديث وتاريخ الصحابة، فكيف لا يعرف ما كان بالجاهلية من ضرور تحيق بالمرأة، وقد جاء الإسلام لإبطالها، أيكون مثله ممن يجهل أن العرب فى جاهليتهم الغابرة كانوا يئدون البنات، فحرم الإسلامُ هذا الجرم الهائل وندد به أكبر تنديد: يقول الله عز وجل:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى التُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ «النحل ٥٨، ٥٩»

يقول تعالى فى معرض التنديد بوأد البنات:

﴿ وَإِذَا الْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ «التكوير ٨، ٩»

أيجهل الأستاذ نيكلسون أن العرب فى جاهليتهم لم يكونوا يورثون النساء ولا الصبيان من أهل الميت، إذ الميراث منحصر فى الرجال الذين يستطيعون لقاء الأعداء فى ساحات القتال، ويكسبون الغنائم الظافرة بعد انتهاء المعارك، وبذلك يحق لهم أن يتوارثوا المال ليبلغوا به مكان السيادة فى القبيلة، يقول ابن عباس رضى الله عنه: «لما نزلت الفرائض فى آيات الميراث وبين الله أنصبة الزوجة والبنت والولد والأبوين كره ذلك الناس، وقالوا كيف تُعطى الزوجة الربع أو الثمن، وتُعطى البنت النصف، وكيف يُعطى الغلام الصغير، ولا أحدَ من هؤلاء يغشى الحرب ويسوق الأموال!

كيف يجهل الأستاذ نيكلسون أن الجاهليين كانوا يرثون النساء كرها، بأن يجيء الوارث،

ويلقى ثوبه على زوجة مورثه، ثم يقول: ورثتها كما ورثت ماله، فيكون أحق بها من نفسها، فإن شاء تزوجها بلا صداق، أو زوجها سواه واستوفى صداقها، أو حرم عليها الزواج إطلاقًا ليرثها إذا ماتت، فحرمت الشريعة الإسلامية كل ذلك ونزل قول الله -عز وجل-:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَآءَ كَرْهًا ﴾ «النساء/ ١٩»

كيف يجهل الأستاذ نيكلسون أن العرب كانوا يعضلون النساء فيمنعونهن من الزواج فى بعض القبائل، وقد يقسو العربى على أخيه وبنته حتى تتخلى له عن كل ما تحوز، وكان الزوج إذا كره زوجته لا يهم بتسريحها بل يسيء عشرتها حتى تموت كمدا أو تفتدى نفسها ببذل كل ما أخذت منه، فحرم الإسلام ذلك ونزل قول الله:

﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ ﴾

والعضل: منع المرأة من الزواج.

كيف يجهل الأستاذ نيكلسون أن النساء كانت كبعض السلع والعروض التجارية يتصرف فيهن ولى الأمر دون رجوع إليهن فى شيء وكأنهن عجماوات لا يعقلن بل كان للزوج أن يتنازل عن زوجته لغيره متى شاء بعوض أو غير عوض، رضيت أو لم ترض!

يقول الأستاذ محمد أحمد جاد المولى -رحمه الله- فى كتاب (محمد المثل الكامل) ﷺ: (لقد نظرت الشريعة الإسلامية بعين الرحمة والرأفة إلى ضعف المرأة الطبيعى، وتميز الرجل عنها بالقوة والقدرة على العمل، فقضت عليه بأشق الحقوق وأعظمها، وهو إيتاء النفقة والقيام، بحاجاتها الشخصية ولم تكلفها عمل شيء حتى إرضاع ولدها، وألزمت الزوج صداقًا يؤديه قبل البناء بها، إلا إذا اتفقا على تأخيره وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ: «أيما رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر أو كثر ليس فى نفسه أن يؤدى إليها حقها فمات ولم يؤد هذا الحق لقى الله يوم القيامة وهو زان»، والزوجة المسلمة لا تفقد شخصيتها باقترانها، بل تظل متمتعة بجميع الحقوق التى يتمتع بها كل حر مستقل الإرادة، فهى صاحبة السلطان على ثروتها، تتصرف فيها كما تشاء فى حدود القانون، فإن كانت تاجرة فربحها لنفسها من غير أن يكون للزوج نصيب فيه، وإذا مات الزوج أخذت نصيبها فى تركته).

أيجهل الأستاذ نيكلسون أن الإسلام سوى بين المرأة والرجل فى المعاملات المالية والعقوبات. وفى طلب العلم، والندب إليه. وفى كل ما فيه صلاح النفوس والعقول والأبدان! فهل يقول قائل بعد ذلك إن الإسلام لم يعمل شيئا فى سبيل المرأة وأنها فى جاهليتها كانت ذات حقوق لا تقبل المساس!

لقد وضح الحق ساطعا، وما بعد الحق إلا الضلال.

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

قال تعالى:

﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٤٨) وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾

الآيات: ٤٨ - ٥١

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

فأنت ترى في هذه الآيات الكريمة بيانا حكيما عن طبيعة رسالة عيسى ـ عليه السلام ـ وعن معجزاته التي أكرمه الله ـ تعالى ـ بها.

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾

معطوف على ﴿ يُبَشِّرُكِ ﴾

أي: يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه.. وإن الله يعلم ذلك المولود ـ المعبر عنه بالكلمة ـ الكتاب، وقرأ بعضهم ونعلمه الكتاب..

وعلى هذه القراءة تكون هذه الجملة معمولة لقول محذوف من كلام الملائكة أي ويقول الله ـ تعالى ـ ونعلمه.. وتكون في المعنى معطوفة على الحال وهي قوله: ﴿ وَجِيهًا ﴾ فكأنه قال: وجيها ومعلما.

وعلى كلتا القراءتين يجوز أن تكون الجملة مستأنفة سيقت تطييبا لقلب مريم، وإزاحة لما أهمها من خوف الملامة حين علمت أنها تلد من غير أن يمسها بشر.

ولقد حكى القرآن عنها في سورة مريم قولها بتحسر وألم عندما جاءها المخاض

﴿ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ﴾ مريم/ ٢٣

والمراد بالكتاب الكتابة والخط فإن عيسى ـ عليه السلام ـ قد بعثه الله ـ تعالى ـ في أمة ارتقت فيها ألوان العلم والمعرفة فأكرمه الله بأن جعله يفوق غيره في هذه النواحي. وقيل المراد بالكتاب جنس الكتب الإلهية.

قال الفخر الرازي: «والأقرب عندي أن يقال: المراد من الكتاب تعليم الخط والكتابة. ثم المراد بالحكمة تعليم العلوم وتهذيب الأخلاق، لأن كمال الإنسان في أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل به، ومجموعهما هو المسمى بالحكمة، ثم بعد أن صار عالما بالخط والكتابة ومحيطا بالعلوم العقلية والشرعية يعلمه التوراة. وإنما أخر تعليم التوراة عن تعليم الخط والحكمة، لأن التوراة كتاب إلهي فيه أسرار عظيمة والإنسان ما لم يتعلم العلوم الكثيرة لا يمكنه أن يخوض في البحث عن أسرار الكتب الإلهية. ثم قال في المرتبة الرابعة والإنجيل. وإنما أخر ذكر الإنجيل عن التوراة لأن من تعلم الخط، ثم تعلم علوم الحق، ثم أحاط بأسرار الكتاب الذي نزل على من قبله من الأنبياء فقد عظمت درجته في العلم فإذا أنزل الله عليه بعد ذلك كتابا آخر وأوقفه على أسراره فذلك هو الغاية القصوى والمرتبة العليا في العلم والفهم والإحاطة بالأسرار العقلية والشرعية، والاطلاع على الحكم العلوية والسفلية»[1].

(١) تفسير الفخر الرازي جـ٨ ص٥٧

وبعد أن أشار ـ سبحانه ـ إلى علم الرسالة التى هيأ لها عيسى ـ عليه السلام ـ عقب ذلك ببيان القوم الذين أرسل إليهم فقال ـ تعالى ـ

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾

أى أن الله ـ تعالى ـ سيجعل عيسى ـ عليه السلام ـ رسولا إلى بنى إسرائيل لكى يهديهم إلى الصراط المستقيم، ولكى يبشرهم برسول يأتى من بعده هو خاتم الأنبياء والمرسلين، ألا وهو محمد ﷺ.

وخص بنى إسرائيل بالذكر مع أن رسالة عيسى كانت إليهم وإلى من علمها من الرومان: لأن بنى إسرائيل خرج عيسى من بينهم فهو منهم، لأنهم هم الذين يدعون أنهم أولى الناس بعلم الرسائل الإلهية، وكانت دعوته بينهم وانبعثت منهم إلى غيرهم، فكان تخصيصهم بالذكر فيه إشارة إلى حقيقة واقعة وفيه توبيخ لهم، لأنهم أوتوا العلم برسالات الأنبياء ومع ذلك فقد كفر كثير منهم بعيسى وبغيره من رسل الله، بل لم يكتفوا بالكفر وإنما آذوا أولئك الرسل الكرام وقتلوا فريقا منهم.

وقوله: ﴿ وَرَسُولًا ﴾ منصوب بمضمر يقود إليه المعنى، معطوف على ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ﴾ أى يعلمه ويجعله رسولا إلى بنى إسرائيل.

وقوله:

﴿ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾

معمول لقوله: ﴿ وَرَسُولًا ﴾ لما فيه من معنى النطق. كأنه قيل: رسولا ناطقا بأنى قد جئتكم يا بنى إسرائيل بآية من ربكم.

والباء للملابسة وهى مع مدخولها فى محل الحال وقوله: ﴿ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ متعلق بمحذوف صفة لآية. والمراد بالآية هنا المعجزات التى أكرمه الله بها.

أى: أن الله ـ تعالى ـ قد علم عيسى ـ عليه السلام ـ الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وجعله رسولا إلى بنى إسرائيل مخبرا إياهم بأنى رسول الله إليكم حال كونى ملتبسا مجيئى بالمعجزات الدالة على صدقى، وهذه المعجزات ليست من عندى وإنما هى من عند ربكم. ثم ذكر ـ سبحانه ـ خمسة أنواع من معجزات عيسى ـ عليه السلام:

أما المعجزة الأولى فعبر عنها بقوله:

﴿ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ ﴾

قال الآلوسى:

وقوله:

﴿ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم ﴾

.. إلخ.. بدل من قوله:

﴿ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم ﴾

أو من «آية» أو منصوب على المفعولية لمحذوف أى أعنى أنى أخلق لكم.. أو مرفوع على أنه خبر لمقدر أى أنى قد جئتكم بآية من ربكم هى أنى أخلق لكم.. وقرأ نافع بكسر الهمزة على الاستئناف، والمراد بالخلق التصوير والإبراز على مقدار معين لا الإيجاد من العدم» (٢).

والمعنى أن عيسى ـ عليه السلام ـ قد حكى الله ـ عنه أنه قال لبنى إسرائيل: لقد أرسلنى الله إليكم لأبلغكم دعوته، ولآمركم بإخلاص العبادة له، وقد أعطانى ـ سبحانه ـ من المعجزات ما يقنعكم بصدقى فيما أبلغه عن ربى، ومن بين هذه المعجزات أنى أقدر على أن أصور لكم من الطين شيئا صورته مثل صورة الطير، فأنفخ فى ذلك الشىء المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا حقيقيا ذا حياة بإذن الله أى بأمره وإرادته.

فأنت ترى أن الجملة الكريمة قد اشتملت على ثلاثة أعمال: ثنتان منهما لعيسى وهما تصوير الطين كهيئة الطير ثم النفخ فيه. أما الثالث فهو من صنع الله تعالى ـ وحده ألا وهو خلق الحياة فى هذه الصورة التى صورها عيسى ونفخ فيها. وهذا يدل دلالة واضحة على أنه ليس فى عيسى ألوهية ولا أى معنى من معانيها. ولذا حكى الله ـ تعالى ـ عنه أنه قال: ﴿ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ ﴾

أى أنى ما فعلت الذى فعلته إلا بإذن الله وأمره وإرادته وتيسيره واللام فى قوله ﴿ لَكُم ﴾ للتعليل أى أصور لأجل هدايتكم وتصديقكم بى.

والكاف فى قوله ﴿ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ ﴾ بمعنى مثل وهى نعت لمفعول محذوف، أى أخلق شيئا مثل هيئة الطير، والهيئة هى الصورة والكيفية.

والضمير فى قوله ﴿ فَأَنفُخُ فِيهِ ﴾ يعود إلى هذا المفعول المحذوف.

وقوله ﴿ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ ﴾ متعلق بيكون، وجىء به لإظهار العبودية، ونفى توهم أن يكون عيسى أو غيره شريكا لله فى خلق الكائنات.

وأما النوع الثانى والثالث والرابع من المعجزات فقد حكاه القرآن فى قوله ـ تعالى ـ ﴿ وَأُبۡرِئُ ﴾ أى أشفى يقال: برأ المريض يبرأ أو يبرؤ برءا وبروءا إذا شفى من مرضه.

والأكمه: هو الذى يولد أعمى. يقال كمه إذا ولد أعمى، فهو أكمه وامرأة كمهاء.

والأبرص: هو الذى يكون فى جلده بياض مشوب بحمرة وهو مرض من الأمراض المنفرة

(٢) تفسير الآلوسى جـ٣ ص١٦٧

التى عجز الأطباء عن شفائها.

والمعنى: أن عيسى ـ عليه السلام ـ قال لقومه: والمعجزات التى تدل على صدقى أن أشفى وأعيد الإبصار إلى من ولد أعمى، وأعيد الشفاء إلى من أصيب بمرض البرص، وأعيد الحياة إلى من مات. ولا أفعل كل ذلك بقدرتى وعلمى وإنما أفعله بإذن الله وبإرادته وأمره.

وخص إبراء الأكمه والأبرص بالذكر لأنهما مرضان عضالان لم يصل الطب إلى الآن إلى طريق للشفاء منهما فإذا أجرى الله ـ تعالى ـ على يد عيسى الشفاء منهما كان ذلك دليلا على أن من وراء الأسباب والمسببات خالقا مختارا لا يعجزه شىء وعلى أن الأسباب ليست مؤثرة بذاتها فى الإيجاد أو الإعدام وإنما المؤثر هو الله ـ تعالى ـ.

وقوله:

﴿ وَأُحْيِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾

فيه تدرج من الصعب إلى الأصعب، لأن مما لاشك فيه أن إحياء الموتى خارق عظيم، يدل دلالة قاطعة على أن الأسباب العادية ليست هى المؤثرة وإنما الخالق المكون هو المؤثر وأن الأشياء لم تخلق بالعلية ـ كما يقولون الماديون ـ وإنما خلقت بالإرادة المختارة والقدرة المبدعة المنشئة المكونة، وهى إرادة خالق الكون وقدرته سبحانه.

وقيد ما يقوم به من إبراء وإحياء بأنه بإذن الله: للتنبيه على أن ما يفعله من خوارق إنما هو بأمر الله وتيسيره وإرادته.

وقد ذكر المفسرون أن إبراء عيسى للأكمه والأبرص وإحياءه للموتى كان عن طريق الدعاء، وكان دعاؤه، يا حى ياقيوم، وذكروا من بين من أحياهم سام بن نوح(٣).

قال ابن كثير: بعث الله كل نبى بمعجزة تناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى السحر وتعظيم السحرة، فبعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار وحيرت كل سحار، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام. وأما عيسى فبعث فى زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيدا من الذى شرع الشريعة فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمه والأبرص؟ وكذلك محمد ﷺ بعث فى زمن الفصحاء والبلغاء وتجاويد الشعراء فأتاهم بكتاب من الله لو اجتمعت الإنس والجن على أن

(٣) تفسير الآلوسى جـ٣ ص١٦٩

يأتوا بسورة من مثله ما استطاعوا أبدا، وماذاك إلا أن كلام الرب لا يشبه كلام الخلق(٤).

وأما المعجزة الخامسة فقد حكاها القرآن فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾

وقوله ـ تعالى ـ ﴿ وَأُنَبِّئُكُم ﴾ من الإنباء وهو الإخبار بالخبر العظيم الشأن.

وقوله ﴿ تَدَّخِرُونَ ﴾ من الادخار وهو إعداد الشىء لوقت الحاجة إليه. يقال: دخرته وادخرته، إذ أعددته للعقبى. وأصله ﴿ تَدَّخِرُونَ ﴾ بالذال المعجمة ـ من اذتخر الشىء ـ بوزن افتعل ـ فأبدلت التاء دالا ثم أبدلت الذال دالا وأدغمت.

والمعنى: أن عيسى ـ عليه السلام ـ قد قال لقومه بنى إسرائيل: وإن من معجزاتى التى تدل على صدقى فيما أبلغه عن ربى أنى أخبركم بالشىء الذى تأكلونه وبالشىء الذى تخبئونه فى بيوتكم لوقت حاجتكم إليه.

قال القرطبى: وذلك أنه لما أحيا لهم الموتى طلبوا منه آية أخرى وقالوا: أخبرنا بما نأكل فى بيوتنا وما ندخر للغد، فأخبرهم فقال: يا فلان أنت أكلت كذا وكذا، وأنت أكلت كذا وكذا وادخرت كذا وكذا فذلك قوله ﴿ وَأُنَبِّئُكُم ﴾(٥).

و«ما» فى الموضعين موصولة، أو نكرة موصوفة والعائد محذوف أى بما تأكلونه وتدخرونه. ولاشك أن إخبار عيسى ـ عليه السلام ـ لقومه بالشىء الذى يأكلونه وبالشىء الذى يدخرونه يدل على صدقه، لأن هذا الإخبار الغيبى بما لم يعاينه دليل على أن الله ـ تعالى ـ قد أعطاه علم ما أخبر به.

ثم ختم الله ـ تعالى ـ هذه الآية بقوله:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

أى إن فى ذلك المذكور من المعجزات التى أجراها الله ـ تعالى ـ على يد عيسى ـ عليه السلام ـ لدلالة واضحة وعلامة بينة تشهد بصدقه فيما يبلغه عن ربه، إن كنتم يا بنى إسرائيل ممن يصدق بآيات الله ويذعن لها.

فاسم الإشارة ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ يعود إلى ما سبق ذكره من معجزات عيسى ـ عليه السلام ـ وجواب الشرط محذوف والتقدير: إن كنتم مؤمنين انتفعتم بهذه الآيات وأذعنتم للحق الذى جئتكم به من عند الله.

وبعد أن حكى القرآن المعجزات الباهرة التى أيد الله بها عيسى ـ عليه السلام ـ عقب ذلك بالإشارة إلى طبيعة رسالته فقال ـ

(٤) تفسير ابن كثير جـ١ ص٣٦٥ بتلخيص يسير

(٥) تفسير القرطبى جـ٤ ص٩٥

تعالى -

﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾

وقوله - تعالى -

﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾

عطف على المضمر الذى تعلق به قوله تعالى ﴿ بِآيَةٍ ﴾ أى قد جئتكم محتجا أو ملتبسا بآية من ربكم، ومصدقا لما بين يدى.. وجوز أن يكون منصوبا بفعل دل عليه ﴿ وَجِئْتُكُم ﴾ .. أى وجئتكم مصدقا لما بين يدى من التوراة، ومعنى تصديقه - عليه السلام - للتوراة الإيمان بأن جميع ما فيها حكمة وصواب، وأن كتابه يدعو إلى الإيمان بها.

والمعنى: أن عيسى - عليه السلام - قال لبنى إسرائيل: إن الله - تعالى - قد أرسلنى إليكم لهدايتكم وقد جئتكم بالمعجزات التى تثبت صدقى. وجئتكم مصدقا لما بين يدى من التوراة أى مقررا لها ومؤمنا بها.

ومعنى ما بين يدى ما تقدم قبلى: لأن المتقدم السابق يمشى بين يدى الجائى فهو هنا تمثيل لحالة السبق، وإن كان بين عيسى - عليه السلام - وبين نزول التوراة أزمنة طويلة لأنها لما اتصل العمل بها إلى مجيئه فكأنها لم تسبقه بزمن طويل ويستعمل بين يدى كذا فى معنى الحاضر المشاهد كما فى قوله - تعالى -

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾

البقرة/ ٢٥٥

وقوله:

﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾

معمول لمقدر بعد الواو أى: وجئتكم لأحل لكم بعض الأشياء التى كانت محرمة عليكم فى شريعة موسى - عليه السلام - فهو من عطف الجملة على الجملة.

أى أن شريعة عيسى جاءت متممة لشريعة موسى وناسخة لبعض أحكامها، فلقد حرم الله - تعالى - على بنى إسرائيل بعض الطيبات بسبب ظلمهم وبغيهم كما جاء فى قوله - تعالى -

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾

النساء/ ١٦٠

فجاءت شريعة عيسى - عليه السلام - لتحل لهم بعض ما حرمه الله عليهم بسبب ظلمهم وفجورهم.

قال ابن كثير: فيه دلالة على أن عيسى - عليه السلام - نسخ بعض شريعة التوراة وهو الصحيح من القولين. ومن العلماء من قال: لم ينسخ منها شيئا،

وإنما أحل لهم بعض ما كانوا يتنازعون فيه فأخطأوا فكشف لهم عن خطئهم كما قال فى الآية(٦)

﴿ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾

الزخرف/ ٦٣

قالوا. ومن الأطعمة التى أحلها عيسى لبنى إسرائيل بعد أن كانت محرمة عليهم فى شريعة موسى: لحوم الإبل والشحوم وبعض الأسماك والطيور(٧).

وقوله:

﴿ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾

تحريض لهم على الاستجابة لما يدعوهم إليه.

قال الفخر الرازى «وإنما أعاد قوله - تعالى -

﴿ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾

لأن إخراج الإنسان عن المألوف المعتاد من قديم الزمان عسر، فأعاد ذكر المعجزات ليكون كلامه ناجعا فى قلوبهم ومؤثرا فى طباعهم. ثم خوفهم فقال:

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾

لأن طاعة الرسول من لوازم تقوى الله فبين أنه إذا لزمكم أن تتقوا الله لزمكم أن تطيعونى فيما آمركم عن ربى»(٨).

ثم حكى القرآن أن عيسى - عليه السلام - قد قرر أن هذه المعجزات الباهرة لن تخرجه عن أن يكون عبدا لله مخلوقا له، وأن من الواجب على الناس أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئا فقال:

﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾

أى قال عيسى - عليه السلام - داعيا قومه إلى عبادة الله - تعالى - هو الذى خلقنى وخلقكم وهو الذى ربانى ورباكم، وما دام الأمر كذلك فأخصلوا له العبادة فإن عبادته - سبحانه - وطاعته هى الطريق المستقيم الذى لا اعوجاج فيه ولا التباس.

وبذلك تكون الآيات الكريمة قد بينت لنا بعض المعجزات التى أكرم الله بها عيسى - عليه السلام - كما حكت لنا بعض التوجيهات القويمة، والإرشادات الحكيمة التى نصح بها قومه لكى يسعدوا فى دنياهم وآخرتهم.

---

(٦) تفسير ابن كثير جـ١ ص٣٦٥

(٧) تفسير الآلوسى جـ٣ ص١٧١

(٨) تفسير الفخر الرازى جـ٨ ص٦٢

من الإعجاز البياني في القرآن الكريم

﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾

صورة تجسد حالة المنافقين

لفضيلة الشيخ/
صديق بكر عيطة

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ «البقرة : ٨ - ٢٠».

جاءت هذه الآيات المباركات في سورة البقرة، بعد الحديث عن المؤمنين والكافرين، وكلا الفريقين كان صريحا على نهجه الذي ارتضاه لنفسه، فجاءت هذه الآيات، التي معنا لتتحدث عن صنف ثالث من الناس، أظهر من نفسه خلاف ما يبطن، ولذا أفاضت في الحديث عنهم، ووصف حالهم وتصويرهم بكل دقة للنبي ﷺ والمؤمنين.

وإن من يتأمل هذه الآيات، ويجمع بينها في صعيد واحد ويعيش جوها العام، يجدها تجتمع على تحقيق أهداف بعينها:

أولا: كشف حال المنافقين للنبي ﷺ والمؤمنين، حتى يأخذوا منهم حذرهم، ويقفوا على حقيقتهم، ويعزلوهم عن مجتمعهم الإسلامي الناشيء، لأنهم يصبحون كالسوس الذي ينخر في عظامه، إن هم أتيحت لهم فرصة الانخراط فيه، دون أن ينتبه إليهم أحد.

ثانيا: طمأنة المؤمنين، وبث روح الثقة في أن الله ناصرهم ومعزهم بخذلان أعدائهم: سواء من ظهرت طويتهم ومن استترت، فهو سبحانه «يجعل صفهم صفه، وأمرهم أمره، وشأنهم شأنه، يضمهم سبحانه إليه، ويأخذهم في كنفه، ويجعل عدوهم عدوه وما يوجه إليهم من مكر موجها إليه سبحانه»(1) استمع:

﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾

﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

فالقضية واحدة لا تتجزأ، ولا يمكن الفصل فيها بين المؤمنين وخالقهم، الذي هو معبودهم سبحانه وتعالى.

ثالثا: تصوير حال المنافقين في صورة ينفر منها الطبع العربي السليم وغير العربي، مادام قد استقامت له فطرته السليمة، التي تأبى المهانة والضعة، وتنفر من الضعف والتردد، والمنافق - حسبما يرى المستبطن لهذه الصورة التي سنتحدث عنها - ضعيف لا يجرؤ على الإعلان عن خبايا صدره، متردد بين خبث طويته وحقده الدفين، على الإسلام والمسلمين، وبين معسول كلامه، الذي لا يتفق وبواطن نفسه، اتقاء القتل والسبي، ومعاملة المسلمين لهم بما يعامل به الأعداء.

(1) سيد قطب «في ظلال القرآن» ص٤٣ ج١.

والآيات الكريمات ـ لتحقيق هذه الأهداف وغيرها ـ سلكت طريقين : طريق التصوير الوصفى المباشر ، الذى يقف النبى من خلاله على حالهم ، ويعلم ما خفى من أمرهم ، ثم طريق التصوير النفسى الذى فاق الغاية فى الدقة ، والإحاطة والعمق فى الوصف التحليلى ، الذى يطلع القارىء على مشاعرهم ، ونفوسهم ، بنفس القدر الذى يطلعهم به على ما ظهر من أمرهم المشاهد .

وكلا الطريقين يعتمد التصوير : غير أن الأول يقوم على جمع أطراف الصورة من خلال تتابع الآيات ، وما تؤدى إليه فى النهاية من التعرف على حالهم بكل دقة وإحكام ، وكأنك تراهم ، وكأنك تسمعهم من خلال فئة من الناس تنطبق عليهم هذه العلامات .

أما الثانى : فإنه يعتمد التصوير المعلن ابتداء عن طريق ما يسمى بالتشبيه التمثيلى ، أو التمثيل ، ولسنا نزعم أن الطريق الثانى مجرد تأكيد للطريق الأول ـ وإن كان البعض يراه كذلك ـ وإنما نرى أن الطريق الأول ، يقدمهم للناس بذواتهم وأعيانهم فى كل عصر وفى كل مكان ، أما الطريق الثانى فهو يقدمهم للناس من خلال صورة نفسية تنفر منها الطباع السليمة ، وتأباها النفوس القوية .

فعلى الطريق الأول : هم أولا : يعيشون فى تناقض ظاهر بين ما يبطنون وما يعلنون

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾

وهم ثانيا : لانعدام تبصرهم بعواقب الأمور ، ولغفلتهم عما يوقعون فيه أنفسهم من معركة غير متكافئة الأطراف :

﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾

والحق الذى لا يغفل عنه إلا من طمس الله على قلبه أنهم بذلك يخدعون أنفسهم فقط ، وحاشا لله أن يخدعوه سبحانه :

﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾

وهم ثالثا : وبناء على ما تقدم من حياتهم المفعمة بالتناقض ولغفلتهم عما هم فيه وما ينتظرهم من هول العاقبة ، يوصفون بأنهم مرضى القلوب ، وبدلا من أن يطلبوا العلاج لها بالإخلاص لله تعالى والوفاق بين ظاهرهم وباطنهم ، والقضاء على ما فى قلوبهم من

وساوس ، يقومون بعمل ما يستحقون به غضب الله عليهم ، حتى يزيدهم مرضا على مرض

﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾

وهم رابعا : لسوء أدبهم ، وسوء أخلاقهم ـ وقحون متبجحون ، يصمون غيرهم بما يغرقون هم فيه حتى آذانهم ، فهم حينما ينصحهم الناصحون بعدم الإفساد فى الأرض ، وحينما ينصحهم الناصحون بالإيمان بالله تعالى اقتداء بالمؤمنين الناجين من غضب الله ونقمته ، ينفون التهمة عن أنفسهم ، ويصمون بها المؤمنين المصلحين

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾

وهم خامسا : ضعاف لئام متآمرون فى الظلام على المؤمنين :

﴿ وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾

وبذلك تنتقل المعركة التى تدور بينهم وبين المؤمنين إلى معركة تدور بينهم وبين الله تبارك وتعالى !!

***

وبعد هذا الوصف التفصيلى ، الذى يربط بين أصراف الصورة برباط الواقع المشاهد فى حياة هذا الصنف من الناس فى كل آن وكل مكان ، من خلال الأسلوب التقريرى المباشر فى وصف منافقى المدينة فى عهد النبى ﷺ وبيان حالهم وما آل إليه أمرهم ، انتقلت الآيات إلى الطريق الثانى ، فى استبطان هذه الحال من خلال قراءة هذه الصورة الفنية التى فاقت الغاية فى الدقة والإحاطة والعمق فى الوصف التحليلى غير المباشر ، ومما يلاحظ على هذه الصورة أنها جمعت بين البساطة واليسر فى فهمها من جانب ، وبين الدقة والتركيب والعمق من جانب آخر بدرجة معجزة ، مما جعلها قابلة للقراءة والتصور فى كل عصر بما يناسبه ، ولدى كل قارىء بما يتمتع به من ثقافة ووعى واستيعاب .

* فالقارىء العادى ، يرى فى المنافق ، ذلك الرجل الذى أطبق عليه ظلام الليل الحالك ، ثم يطلب نارا تضىء له مسالك الطريق وحينما تضاء له النار ، ويرى ما أمامه ويتهيأ للانتفاع بها ، يسلب منه نور عينيه ، ليعيش فى ظلمة أشد حلكة من ذى قبل ، ويترك هكذا يتخبط فى دياجير ظلامه تنتابه الهواجس والمخاوف ، فهو أصم لا يسمع من يرشد

حتى إن وجد هذا المرشد، وهو أبكم لا يملك أداة النطق التى بها يستغيث، وهو أعمى لا عين له ترى.. وهذا كله تأكيد لاستمرار هذه الحالة إلى ما لا نهاية.

* وعندما يتصفح هذا القارىء صورة أخرى لهذا المنافق، يرى أمامه ذلك المطر الغزير الهاطل ليلا، وقد أفعم الجو بظلمات كثيفة متراكمة بعضها فوق بعض، وقد انطلقت فى كل أرجاء الأرض أصداء الرعد ودفعات البرق الخاطف، بما يوحى بأن السماء غاضبة ولا منجى ولا ملجأ من الله إلا إليه، ووسط هذا الخضم الهائل من المرعبات المتواليات المتراكمات يقف رجل يضع إصبعيه فى أذنيه، لا يدرى أين يذهب، ولا إلى أى جهة يتوجه، فإذا أبرقت السماء حاول المسير، غير أنه سرعان ما يفقد ذلك البرق ليقف مكانه حائرا مضطربا مسلوب العقل حائر اللب مشدوها مما هو فيه، وهو مع هذا وفوقه وتحته لا يأمن على نفسه، عقاب الله الذى يوشك أن ينقض عليه وهو محيط به، كما أنه لا يأمن على ما تبقى لديه من سمع وبصر، حيث إن الله تعالى قادر ـ لو شاء ـ على أن يذهب بهما:

﴿ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾

هذه صورة ـ مجملة ـ أو هما صورتان مجملتان ـ يتصورهما القارئ العادى للمنافق، وهى صورة مفزعة مرعبة.

● وهناك القارئ الذى تتسع مداركه، ليرى من خلال هذه الخطوط العامة التى ذكرناها لهاتين الصورتين خطوطاً رقيقة تتخللها هنا وهناك لترسم خيبة الأمل واليأس من الهداية وقد لفهما الخوف والرعب والفزع والوحشة، فى الصورة الأولى، وكذلك الحيرة والتردد، وتتابعُ ضربات الحرب النفسية، التى تنزل فوق رؤوسهم، مع دفعات المطر الهاطل، من السماء وطلقات الرعد، الذى لا يجدى معه عقل العاقل أو حلم الحليم فى الصورة الثانية ويغلف كل هذا خوف وفزع لا أمل معه فى المستقبل، الذى لا يحمل معه إلا ما كان على شاكلة ما هم فيه أو أشد.

● وهناك القارئ الذى تتسع مداركه أكثر، ويمكنه أن يجمع فى قراءة الصورة بين أطرافها القريبة والبعيدة، ليرى فوق ما تقدم أن ذلك كله كان جزاء وفاقا على ما قدموا من سئ التدبير وخبيث الطوايا الذى تحدثت عنه الآيات السابقات:

﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾

حيث يشاهد ذلك الذى يرى فى نفسه القدرة ـ عن جهل وغباء ـ على أن يخدع الله والمؤمنين، ويرى فى نفسه ـ عن غرور وكبرياء ـ أنه الوحيد الذى يصلح وأنه الوحيد الرشيد العاقل، وما عداه من المؤمنين مفسدون سفهاء.. يرى ذلك الرجل وهو فى صورة من لا يستطيع أن يصد عن نفسه عوادى الطبيعة الغاضبة من حوله. وهى شئ يسير جدا من جنود الله الذى يخادعه، ويستهزئ به

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾

فكيف به لو أعلن عليه الحرب بطريقة مباشرة.. شئ لا يتصوره عقل العاقلين.

● وهناك القارئ الذى تتسع مداركه أكثر وأكثر، ليخرج بهذه الصورة العامة من مناسبتها التاريخية، ويضعُها فى مكان الصدارة، ليرى من خلالها صورة النفاق والمنافقين، فى كل عصر وفى كل مكان، «فلقد كانت هذه صورة واقعة فى المدينة، ولكننا حين نتجاوز نطاق الزمان والمكان نجدها نموذجاً مكروراً فى أجيال البشر جميعا. نجد هذا النوع من المنافقين من علية الناس، الذين لا يجدون فى أنفسهم الشجاعة ليواجهوا الحق بالإيمان الصريح، أو يجدون فى نفوسهم الجرأة ليواجهوا الحق بالإنكار الصريح. وهم فى الوقت ذاته يتخذون لأنفسهم مكان المترفع على جماهير الناس وعلى تصورهم للأمور، ومن ثم نميل إلى مواجهة هذه النصوص كما لو كانت مطلقة من مناسبتها التاريخية وموجهة إلى هذا الفريق من المنافقين فى كل جيل. وإلى صميم النفس الإنسانية الثابت فى كل جيل» (٢).

● ومن هنا كانت هذه الصورة المروعة، أو كانت هاتان الصورتان المروعتان للمنافق فى كل جيل، وقد لفهما الفزع والخوف: ففى الصورة الأولى نرى مشهد هذا الواقف فى ظلمة الليل البارد، وقد أشعل النار ليستضئ بها، فإذا به فجأة يفقد بصره، ليبقى فى ظلمة البصر، وظلمة النفس وظلمة الحظ العاثر.

وفى الصورة الثانية تجتمع عليه كل أسباب الفزع والخوف حيث «إن الحركة التى تغمر المشهد كله: من الصيب الهاطل إلى الظلمات والرعد والبرق،

---

(٢) سيد قطب (فى ظلال القرآن) ج١ ص٤٢

إلى الحائرين المفزَعين فيه، إلى الخطوات المروَّعة الوجلة، التى تقف عندما يخيم الظلام.. إن هذه الحركة فى المشهد لترسم ـ عن طريق التأثر الإيمانى ـ حركة التيه والاضطراب والقلق والأرجحة التى يعيش فيها أولئك المنافقون.. بين لقائهم للمؤمنين وعودتهم للشياطين. بين ما يقولونه لحظة ثم ينكصون عنه فجأة، بين ما يطلبونه من هدى ونور، وما يفيئون إليه من ضلال وظلام.. فهو مشهد حسى يرمز لحالة نفسية، ويجسم صورة شعورية، وهو طرف من طريقة القرآن العجيبة فى تجسيم أحوال النفوس كأنها مشهد محسوس»[٣]

هكذا نرى صورة النفاق والمنافقين كما صورتها الآيات المباركات بخطوطها الظاهرة: حركة ـ صوت ـ لون وخيوطها الشعورية: خوف، فزع، تردد.

وقبل أن نترك هذا المكان، أحب أن أقول: إن قدامى المفسرين، وتبعهم كثير من المحدثين، درجوا على فهم الصورة البلاغية فى الآية

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾

على أن مثل المنافقين فى إيمانهم وانتفاعهم بالإسلام ثم نكوصهم على أعقابهم بإبطانهم الكفر، مثلهم فى ذلك مثل من طلب النار ليستدفئ ويهتدى بها فى ظلمات الليل، وعندما أوقدت وأخذوا فى الانتفاع

انطفأت تلك النار، وظلوا فى ظلامهم حائرين لا يهتدون

تلك خلاصة ما فهموه فى هذه الصورة البلاغية ولكنا لا نرى رأيهم فى أن النار التى أوقدت هى التى انطفأت (فى صورة المشبه به)، وإنما الذى انطفأ، هو نور أبصارهم هم، ويقابله فى صورة المشبه نور بصائرهم، وهناك من الباحثين من ذهب إلى هذا الرأى ولكى يتضح ما نذهب إليه نقول وبالله التوفيق:

أولا: لا خلاف بين البلاغيين فى أن مثل هذه الصورة، من التشبيه التمثيلى. ومعلوم أن هذا النوع قائم على تشبيه حالة بحالة، وكل من المشبه والمشبه به مكون من أجزاء، وبين كل جزء من أجزاء المشبه مضاهاة بجزء من المشبه به. نقول هذا حتى لا يظن ظان أن الأمر هنا يختلط مع التشبيه المتعدد.. وبناء

(٣) سيد قطب (فى ظلال القرآن) ج١ ص٤٦

على هذه المضاهاة أو المقابلة ـ سمها ما شئت ـ يتبين أن دين الإسلام يضاهى فى المشبه به النار فهل انطفأ الإسلام ـ معاذ الله ـ فى حالة المشبه؟ أم عميت بصائرهم هم، فلم ينتفعوا به مع أنه قائم أبلج واضح يهتدى به كل ذى بصيرة؟!!

ثانياً: نعود إلى النص الكريم ذاته، فهو يقول:

﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾

فالنور الذى ذهب الله تعالى به نورهم، وهذا أقرب إلى أن يكون نور أبصارهم فى صورة المشبه به من أن يكون النار نفسها التى أوقدت وأضاءت.

ثالثا: ألم نقرأ قوله تعالى بعد هذه الآية:

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾

أليس هذا نصا صريحا فى أن العمى قد أصابهم هم دون أن تنطفئ النار فى صورة المشبه به، وهو ما يقابل أو يضاهى عمى بصائرهم فى صورة المشبه؟!

ألم نقرأ فى آيات أخرى

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾

فهؤلاء ومن هم على شاكلتهم قد نسب إليهم العمى فى كثير من الآيات المباركات.

رابعاً: ما قولك أيهما أشد تعنيفا وزجرا وتقبيحا: من تضاء له شمعة فيبدو له الطريق واضحا، وفجأة تنطفئ الشمعة، أم من تضاء له الشمعة، وبعد برهة يرى فيها جمال الحياة وعظمة قدرة الله فى خلقه، ثم يسلب منه البصر؟ أيهما أشد إيلاما للنفس؟

أما الأول، فأنا أرى أن له عذره، حيث انطفأت الشمعة بما لا حيلة له فى رده، وهناك أمل فى أن يعتدل الجو، وتضاء الشمعة من جديد ليستأنف رحلته فى التعامل مع الحياة والناس.

أما الثانى، فلا يلومنَّ إلا نفسه فالنور واضح أبلج يهدى من يبصر، فإذا ما عاد إليه بصره كان الأمل وهو لب القضية فى الإسلام كله وروحه التى ما إن يراها القلب ويتأمل فلسفتها، حتى يسرع إليها وينضوى تحت لوائها.

لهذا نرى أن هذه الصورة القرآنية المباركة، لم تنل حقها من البحث والدرس، لدى علمائنا الأفاضل فى بيانها ولو درسوها على هذا النحو ما قال قائل: إن النار هى التى انطفأت.

من نبع القرآن الكريم

أصحاب الجنة

(للأستاذ أبو حسام)

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾

[القلم/ ١٧ : ٢٩]

أينع النَّخلُ باسقاً ميَّادا ... طامحاً للسماء يبغى مرادا

يا لقاماته الرشيقة تختا ... لُ فتحكى عرائساً تتهادى

أرسلتْ فوقها الغدائر تحوى ... مِن لذيذ الجنَى المحبَّب زادا

كلما رفرفتْ على هبَّة الر ... يح حسبت الجمالَ هزَّ فؤادا

دونَها الروْحُ طاولتْه ارتفاعا ... فتغاضى كيْلا يُثير العنادا

زاهرٌ تشرق النضارة فيه ... فتنعمَ الأوراق والأعوادا

يمنحُ العين قُرةَ حين ترنو ... فتخال السَّوادَ مدَّ السوادا

يبعث الروْح فى كيانى فُتاء ... فكأن الشَّباب للجسم عادا

كنت أعلوه فى الطفولة كالطير ... وأُصْفيه صَبْوتى والودادا

يا لَها جنةٌ ذكرتُ بها أمس ... وللذكر لَوْعة تتمادى

جنةٌ ذات بهجة من رآها ... راوحَ السحر فى الرياض وغادَى

الكرومُ الخضراء تلتفَّ سوراً ... طاف بالروح والنخيل امتدادا

تُصقل الشمسُ من عناقيدها البيض ... عُقوداً تُزين الأجيادا

أشتهى الكرمَ يجمع الناس فى الظل ... كأمٍّ تهدهد الأولادا

أتشهَّاه فى المذاق رحيقا ... يا لأكرومة تمجُّ الشّهادا

جنةٌ ذاتُ بهجة قدْ حواها ... أريحّىٌ قد ساجلَ الأجوادا

لو أتاهُ الجريح يبغى شفاء ... جَعَل البِشْرَ للنوال ضمادا

حَسْبُها أنْ كلّ عانٍ حريب ... قاطفٌ من ثمارها ما أرادا

قبلةُ القاصدين من كل صوب ... لا يخافون عن حِماها ارتدادا

ربما لاحَهُم هَجيرٌ فحطوا ... فى حِماها يَسْتطعمُون الرقادا

وهى تربُو على السَّخاء وتنمو ... كم كريمٍ مع السخاء ازدادا

يتقيها اللصوص ما إن يودّ ... ون وإن أملقُوا لديها ارتياداً

كبَّلتهم ضواغط تردَع الصخر ... وإنْ كان فى الفلاة جماداً

ربّما همَّ سافلٌ بانتهاز ... فأحسَّ القيود والأصفادا

علمُوا أنها مُرادُ المساكين ... فعافُوا أن يَجعلوها مُرادا

.. أُبذلِ المالَ للضعـاف فلنْ   تحذَرَ منه مع الضّعـاف نَفَادا

يمحقُ البذلِ آفـةً ويعوق الر   فدُ داء يحطّمِ الأجسـادا !

حكمـةٌ ضلّت العقـول سَناها   فاستحالتْ بعد اتقَاد رمادا

- ٢ -

وقضى السّيُد الكريُم فلا تسأ   لْ عن الحزن حين يغشى السّوادا

رُوّع المُعتفُون حيَن هُمُ الكثر   ة إذ كانْ غيُرهم آحادا

رُوّعوا بالغَمام يعتزل   الزرعَ وبالجدْب يَستضيم البلادا

ومضَى بالتفاؤل الحُلو قومٌ   فرأوا فى ندى بنيه عمادا

حَسبوُهم على طريق أبيهم   مثلماَ تْتبع المهارُ الجيادا

رَصدوا موسم الحصاد ولو يدْ   رون وجَه الغيوب عافْوا الحصادا

- ٣ -

وُوعت حُجرة المناكيد همسًا   مُستريب الأهداف يَنْحو الفسادا

قال ذوُ غيَّهم عهدنا أبانا   يَستطيب الثناء سَمْحا جوادا

عاش فينَا مُبذّرا كأبيه   مَا حَمدنا الآباءَ والأجدادا

ذاكَ عهد مضى، وأقبَل عَهْد   سوف يُفْنى أهل الندى استشهادا

زمجرَ الفقرُ واثبا يتحّدى   شأننا أنْ نَشحَّ كى نتفادى

كفلَ الله للعبادِ طعاما   وشراباً، ومَا كَفَلْنَا العبادا

فأجابوا مَاذا سنصنُع إمّا   قدم الجمعُ يبتغى ما اعتادا

عَرفوا موعد الحصَاد ويأتو   نَ تباعا إنّ شاَرفُوا الميعادا

قال مهلاً فذو الحصافة لا يَعد   م فى حالكِ الدُروب رشادا

دوننا ألفُ حيلة، تُوصد البا   ب على مَن يجيئنا إيصادا

نُظهر الأعينَ البغيضة للنا   س ونُلْقى الألفاظ بُترا حدادا

ونَقيم الحراس فى أوْجه الطر   ق فيُولَونَهمْ أذى واضطهادا

ونسوق الجنَى كما قَدْ قطفناه   فيرتدّ ثروةً وعتادا !

قال ذو رُشْدهم أترتّمُ من الـ   شّر فنوناً، تُوَرّثُ الأحقادا

قد تحاشاكُم الأنام فما يُؤذ   ون أثماركم تُقىً واعتقاداً

خيركم خَيْرهُمْ فإن شَح عَنْهُم   نبغ الشر فيهُمُ وتمادى

أمن المستحَب. أنْ نتصافى   مَع من بالجَوار أم نتعادى

فارقبُوا الله فى العباد لَسُخْفٌ   أن تقولوا، ماقَد كفلنا العبادا

- ٤ -

لم يطيعوه حين قامَ نصيحا   وازدرْوه تعصّبا واعتدادا

وتنادواْ أن يذهبوا فاستجابوا   فإذا الهولُ مُذْهل من تنادى

بحثوا عن ثمارهم ما رأواْ غير   يَبابٍ، فكلٌ شىء بادا

هلْ أضاعُوا الطريقَ، كلا، ولكنْ   ضيّعوا الحزم والنّهى والسدادا

رُجّتِ الأرضُ رجّة تركتْ كلّ   نضير علىَ ثراها رمادا

قاَل ذو رشدهم نَصحْتُ فأوسَعْتُم   أخاكم تغطرُساً وعنادا

لو رَعيتم أمانةَ الله فيكم   لتَحاشَيتُم السنين الشدادا

هَادئَ الجنب أستريحُ ولكنْ   ستُطيلونَ فى الفراش السهادا

عَثروا ساقطين سقطةَ كابٍ   ماتوخَى عندَ المسير اتئادا

ثم عادُوا بأوجه كالحات   قد تَدجّتْ جهامَةً واربدادا

يأكلُ الغيظ فيهمو مستحَرا   رُب غيظ يُفتّت الأكبادا

رَزحوا بالهموم شرطاً وناءوا   يَا لَهَمٍ يُزلزل الأطوادا

القياس القرآنى المحكم للشخصية المسلمة (*)

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى

فى سنى الدراسة الأولى بالمدرسة الابتدائية كنا نتلقى مادة تسمى «بالهندسة العملية» وهى غير «الهندسة النظرية» التى كانت تضم نظريات الهندسة وعكسها والنظريات المتولدة عنها وهكذا.

أما «الهندسة العملية» فلعلها كانت تطبيقات وتدريبات على النظريات الهندسية (المجردة) ومن ثمة كان المعلم القديم (طيب الله ثراه وأقرانه المخلصين) يطلب منا مثلاً رسم مثلث، ويحدد لنا أطوال أضلاعه بحيث نستنتج بعد تنفيذ هذا الرسم درجات زواياه، من قائمة، وحادة، ومنفرجة، إلى غير ذلك. وكنا نحاول أن نقوم بهذا (بقدر الإمكان) من خلال عقولنا الغضة وأصابعنا البضة التى تنوء بحمل المساطر والأقلام.

وعندما ننتهى من تنفيذ هذا (المطلوب) كان (المعلم) يمر علينا فى مقاعدنا الدراسية الصغيرة واحداً واحداً ليقوم عمل كل منا. وكنا فى أول الأمر نظن أنه - فى مروره ذاك - سيمسك بأدوات القياس (كالمسطرة - والمنقلة - وغيرها) ولكنه لم يفعل إذ كانت كل أدوات التقويم لديه هى قطعة من (ورق الشفاف) قد رسم عليها (النموذج المثالى ideal) للرسم المطلوب ثم يضع هو هذا النموذج الذى يشف عما تحته على محاولة كل تلميذ حتى يتبين مدى تطابق خطوط هذا النموذج وزواياه على الخطوط التى رسمها كل منا وزواياه.

ومن ثمة كان يكتشف مدى الدقة أو عدم الدقة بين عمل كل منا وبين هذا النموذج المثالى الذى صنعه الأستاذ بنفسه (كمعيار) و(ميزان) ليتعرف - ونتعرف نحن كذلك - على مدى ما أصبناه من التوفيق أو مدى ما أصابنا من الخطأ والانحراف عن هذا المثال.

(*) الشخصية personality هى كيان الشخص person - فكل شخص له شخصية، ومن أباطيل البعض أن يقولوا فلان له شخصية وفلان ليس له شخصية، ولكن يمكنك القول بأن شخصية فلان قوية (متكاملة) أو ضعيفة (غير متكاملة).

فَمَن تطابق عمله (الهندسى) مع (مثال الأستاذ) عرف أنه أحرز النجاح، وإلا فقد جانبه الفلاح.

وقد عنى علماء النفس بأبحاث الشخصية بمثل ذلك عندما وضعوا مقاييس أو معايير يقيسون بها شخصية الإنسان ليعرفوا إذا كان ذا شخصية منبسطة (إيجابية واجتماعية) مثلاً أو منطوية (سلبية انعزالية) أو إذا كانت شخصية المرء متكاملة (سوية Normal) أو غير متكاملة (غير سوية Abnormal) وهكذا، وقد اصطنعوا فى سبيل ذلك مناهج أو مقاييس للشخصية منها ما يسمى بالمنهج الاستبطانى وهو محاولة الشخص أن يتعرف على ما فى باطنه أو داخله وهو ما يسمى بالمنهج التأملى الباطنى أو التأمل الذاتى، ومنها ما يسمى بالمنهج التجريبى الذى يعتمد على ملاحظة الغير وسلوكه وتصرفاته ليكتشف كنه شخصيته وحقيقتها، وهكذا.

ولكن لماذا؟ لأن الكشف عن شخصية الإنسان تعين على وضعه فى مكانه اللائق أو تساعد على حسن التعامل معه أو تقويمه والأخذ بيده أو غير هذا وذاك من شئون الحياة.

ولكن أيضاً لماذا هذا الحديث؟.. لقد أثارت لدىَّ ذكريات (المثال والتطبيق) فى مادة الهندسة العملية فيما مضى وكذلك دراسة علم نفس الشخصية بعض الإيحاءات الإيمانية والتأملات القرآنية، وأنا أتأمل حديث الحق - سبحانه وتعالى - عن «النموذج والمثال» الذى برأه - عز وجل - للمؤمنين، والصفات التى رضيها - جل وعلا - لهم بحيث ينظر كل منا إلى نفسه فى خُلقه وسلوكه وعبادته وغير ذلك، وذلك فى ضوء المثال القرآنى للمؤمنين حتى يتبين المسلم إلى أى مدى ينطبق عليه مثال المؤمنين - ولله المثل الأعلى - وهكذا حث القرآن كلاً منا على أن يقوِّم نفسه بنفسه، ويعرف قدره بذاته من خلال هذا (المعيار) و(الميزان) ليدرك هل هو من زمرة المؤمنين حقاً أم أنه قد انحرف قليلاً أو كثيراً عن المعيار الربانى

المطلق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وكأن الحق - سبحانه وتعالى - يقول لكل منا وهو لم يزل على وجه الأرض :

﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾

(الإسراء : ١٤)

وهيا نتأمل هذا المعيار الإلهى للمؤمنين ليعرف كل منا موقعه من (خطوط) هذا المعيار وليستنبط بنفسه مكانته بين خصائص هذا (المثال) .

يقول الحق سبحانه فى أول سورة «المؤمنون» :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾

(المؤمنون : ١ - ٩)

ولاشك فى أن المسلم الذى يتحلى بعناصر هذا القياس القرآنى والمعيار الإيمانى يحيا دائماً فى تأمل ذاتى وملاحظة باطنية : ماذا كانت بدايته وإلى أين تؤول نهايته ؟ فيزيد الحق إيمانه تثبيتاً وتأملاته تمكيناً حين يقول سبحانه :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾

(المؤمنون : ١٢ - ١٤)

ومثل هذا نجد مثال المتقين الذين يصفهم الله بقوله سبحانه فى أوائل سورة البقرة :

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾

(البقرة : ٣ - ٤)

فهلا طابقت أمرك على هذا المثال إذا كنت ترجو أن تكون من المتقين ؟

ثم إذا انتقلنا إلى معيار قرآنى شفاف آخر - وكله معايير شفافة معجزة - وذلك لكى نطلع من خلاله على أنفسنا فنحسن وزنها ونتعمق مخبرها نجد المولى - عز وجل - يبصرنا بصفات (عباد الرحمن) رضى الله عنهم ورضوا عنه ، والعبودية كما نعلم هى أقرب ما يكون القرب إلى الله سبحانه ، وفى احتفال الإسراء والمعراج كل عام يؤكد الكاتبون والمتحدثون جميعا معنى العبودية فى قوله تعالى :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾

(الإسراء : ١)

وأذكر لأستاذنا الإمام الراحل الدكتور عبدالحليم محمود قوله فى هذا السياق «إنه كلما ازدادت عبودية العبد للحق كلما ازدادت سيادته على الخلق» .

يقول الحق فى سورة الفرقان . .

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾

(الفرقان : ٦٣ - ٦٧)

ثم يبين الحق سبحانه :

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾

(الفرقان : ٦٨)

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾

(الفرقان : ٧٢ - ٧٤)

ثم انظر إلى القرآن الكريم وهو يوضح محددات شخصية أولى الألباب فى (سورة الرعد) أولئك الذين يحسنون توجيه نعمة العقل التى أنعم الله بها عليهم فلا يسيرون فى الأرض كفراً وعتواً وإلا كانوا من الذين قال الحق فيهم :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾

(ابراهيم : ٢٨ - ٢٩)

أما ذوو الألباب الذين يقبلهم الحق سبحانه لأنهم يسيرون فى طريق الهداية ويسعون فى سبيل الإصلاح والفلاح فيحدد القرآن الحكيم لهم عيارا لقياس الشخصية السوية المؤمنة

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾

(الرعد : ١٩ - ٢٢)

وكما ساق القرآن الكريم نماذج من شخصيات «المؤمنين» و«المتقين» و«عباد الرحمن» وأولى الألباب حتى نقيس عليها أنفسنا فنعرف ما تجلى به ربنا علينا من حسنات وما أصبنا به أنفسنا

من سيئات فكذلك عرض فى آيات أخرى موازين معيارية لشخصيات الكفار و«المنافقين» وغيرهم من السفهاء والمارقين حتى ندرك إلى أى مدى قد اقتربنا منهم فنقلق أو ابتعدنا عنهم فنطمئن.

ألم يقل المولى - عز وجل - فى صفات «المنافقين» وسلوكهم أنهم:

﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾

(المنافقون : ٢ - ٥)

وبعد، فما هذا إلا تعبير عن جهد متواضع - أشد التواضع - فى تأمل هذه المحددات القرآنية لشخصية المسلم الحق الذى ينبىء مظهره الجلى عن مخبره الخفى.

تلك معايير أنزلها الحكيم العليم - عز وجل - على رسوله الكريم ﷺ ليضعها أمام الناس حتى يعى كل منهم مكانه، ويعرف مكانته، وإنها حقاً لمرآة صقيلة شفافة تنطق بالحق وأن العاقل والكيس الفطن لهو الذى يتأمل نفسه منها ببصيرته قبل بصره، ثم يستبطن أعماقه ليقف على سيئاته فيلقى بها قبل أن تلقى به، وعلى حسناته فينميها ويستزيد منها، ذلك أنه ليس أعرف للمرء من نفسه التى بين جنبيه وقد قيل فى التراث المعرفى القديم «اعرف نفسك بنفسك» أو «من عرف نفسه فقد عرف كل شىء».

ورضى الله عن خامس الراشدين[1] حيث يقول (رحم الله امرءا عرف قدر نفسه). فالحق سبحانه عندما يضع أمام المسلم معايير التقويم التى تضم عناصر شخصية «المؤمنين»، وعناصر شخصية «المتقين»، وعناصر شخصية «عباد الرحمن» وكذلك عندما يبصره بصفات «المنافقين»، والكفار، إنما يعينه بذلك على أن يستبين طريق الحق وطريق الباطل، وأن يميز بين مسالك الخير ومهالك الشر مصداقاً لقوله سبحانه

﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾

(البلد : ١٠)

حتى يحاسب نفسه قبل أن يحاسب.

وهذا لعمرك من رحمة الله - عز وجل - بعباده أن يبين لهم فى كتابه العزيز معارج الهدى، ومهاوى الردى

(١) عمر بن عبدالعزيز - رضى الله عنه.

﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾

(الكهف : ٢٩)

وليس شك فى أن معايير الإيمان أو التقوى أو العبودية كما حاولنا أن نتأملها فى القرآن الكريم إنما هى دوافع دافعة إلى عمارة الأرض وتطوير الحياة وتكريم الإنسان، ولا تحرّض على الانطواء عن العمل، أو الانزواء عن الضرب فى الأرض، أو الانكفاء بعيداً عن التعمير والإنتاج وإلا نكون قد أسأنا فهم خلافة الإنسان فى الأرض كما قضى الحق سبحانه:

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

(البقرة : ٣٠)

إذ أن تحقيق خلافة الإنسان فى الأرض هو محور عبادة الإنسان لله - عز وجل -

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

(الذاريات : ٥٦)

وقد وعى أسلافنا من صناع العلم والرواد المبدعون من المسلمين هذه الحقيقة فكانت عبادتهم لربهم فى (المساجد) استمداداً للشحنة الإيمانية الإلهية التى تمدهم بالإخلاص فى عبادتهم لله فى (المعامل) استجابة لقوله عز وجل:

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا ﴾

(العنكبوت : ٢٠)

و:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ ﴾

(فصلت : ٥٣)

ولهذا هداهم ربهم للاكتشاف والاختراع والبحث والإبداع، والدعوة إلى الحق بخدمة الخلق علماً نافعاً وإبداعاً رائعاً وسلوكاً يغرى على الاقتداء.

وكأننا بمساجدهم كادت أن تكون معامل، وكأننا بمعاملهم كادت أن تكون مساجد، وهذه صورة من الوسطية الإسلامية الفذة الرائدة التى تمزج المادة والروح مزجاً لا غناء عنه لكل منهما بحال.

وهكذا كانت أركان الإسلام الخمسة لديهم هى العُمُد التى يشيدون عليها الصرح الإنسانى العمرانى فى الكون وليست مجرد طقوس تقام ثم تنفض وحاشا للبديع العظيم أن يصرف عباده عن الاشتغال (عملياً) بدلائل إبداعه ومشاهد عظمته، ومآثر نعمته عز وجل فالبارىء الذى برأ هذا الكون المعجز يباهى ملائكته - الذين أشفقوا يوماً من خلق الإنسان - بأن هذا الإنسان يعمر الكون شكراً لله، ويقدر الحياة حمداً لله، ويعى «بالنفخة الربانية» فى أعماقه دوره الإيجابى البناء فى إصلاح الدنيا تمهيداً لصلاح الآخرة.

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

السنة

الحسد المحمود والمذموم

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

عن ابن مسعود - رضى الله - عنه عن النبى - ﷺ - قال: «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها»، متفق عليه.

التعريف بالراوى: كنى بأبى عبدالرحمن، اسمه: عبدالله بن مسعود بن غافل حالف فى الجاهلية عبدالحارث بن زهرة، أسلم قديما بمكة سادس ستة لما مرّ به - ﷺ - وهو يرعى غنما لعقبة بن أبى معيط فأراه معجزة فأسلم، ثم هاجر إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، وشهد بدرا وبيعة الرضوان، والمشاهد كلها، وصلى للقبلتين، وكان - ﷺ - يكرمه ويدنيه ولا يحجبه، وكان مشهورا بين الصحابة بأنه صاحب سر رسول الله - ﷺ - وسواكه ونعليه وطهوره فى السفر، وبشره - ﷺ - بالجنة وقال: «رضيت لأمتى ما رضى لها ابن أم عبد، وسخطت لها ما سخط لها ابن أم عبد»، وكان يشبه برسول الله - ﷺ - فى هديه وسمته، وولى قضاء

الكوفة وبيت مالها فى خلافة عمر وصدرا من خلافة عثمان، ثم رجع إلى المدينة ومات بها، وقيل بالكوفة سنة اثنتين وثلاثين عن بضع وستين سنة، وصلى عليه الزبير ليلا ودفنه بالبقيع بإيصائه له بذلك لكونه - ﷺ - كان قد آخى بينهما.

روى له ثمانمائة حديث وثمانية وأربعون حديثا، أخرجا منها أربعة وستين، وانفرد البخارى بواحد وعشرين ومسلم بخمسة وثلاثين.

اللغويات: لا حسد: أى لا حسد جائز شرعا فخبر لا محذوف تقديره، جائز إلا فى اثنتين: أى خصلتين، فسلطه على هلكته: أى على إنفاقه، فى الحق: أى فى القرب والطاعات، حكمة: أى علما وقال الحافظ المراد به القرآن كما ورد فى الرواية الثانية من حديث ابن عمر بلفظ «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له فقال: ياليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان، فعملت مثل ما يعمل رجل آتاه الله مالا فهو يهلكه فى الحق، فقال ورجل ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثل ما يعمل[1] ومعناه: ينبغى ألا يغبط أحد على حال هو فيه كائنا ما كان إلا على إحدى هاتين الخصلتين لعظم نفعهما وحسن وقعهما، وإذا كان يغبط على أحدهما فجملتهما بالأولى.

الشرح والبيان: إن المؤمن ليس بحسود، ولذلك يسود وينجح فى أعماله فهو وإن لم يستطع أن يدفع الحسد عن نفسه، لكنه لا يعمل بمقتضى حسده فلا يتحسس ولا يتجسس ولا يتحقق من الظن السيء، ولا يبغ لا بالقول ولا بالفعل، ولذلك كما قال رسول الله - ﷺ -: «ثلاثة لا يسلم منها أحد الطيرة والظن والحسد، قيل فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: إذا تطيرت فلا ترجع، وإذا ظننت فلا تحقق وإذا حسدت فلا تبغ»[2] أى لا تظلم بالقول أو الفعل.

هذا وإذا كان الحسد فى الفضائل الدنيوية فلا خير فيه، وصدق رب العالمين إذ يقول فى كتابه الكريم

﴿ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾

(القصص/آية ٧٩)

وإذا كان الحسد فى الفضائل الدينية وهو المذكور فى الحديث فهو حسن ويعرف بالغبطة إذ أنك لا تحب زوال النعمة عن المحسود ولا تكره وجودها ودوامها عنده، ولكن تشتهى مثلها وتنافس فى تحصيلها وقد ورد فى الأثر «إن المؤمن يغبط والمنافق يحسد» فأما الأول فهو حلال ويؤكده ما ورد فى الصحيحين عن النبى - ﷺ - قال: «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار»، وأما الثانى فهو حرام بالكتاب والسنة وإجماع الأمة،

(١) صحيح البخارى، كتاب فضائل القرآن، حديث رقم ٤٦٣٨.

(٢) راجع تحفة الأحوزى بشرح جامع الترمذى.

وقد أمرنا الحق سبحانه أن نستعيذ من شر كل حاسد قال تعالى:

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤ ﴾

(سورة الفلق)

وهى من السور المكية وآياتها خمس، وهى إحدى المعوذتين اللتين كان - ﷺ - يعوذ نفسه بهما، وفى السورة تعليم للعباد أن يلجأوا إلى حمى الرحمن وأن يستعيذوا بجلاله وسلطانه من شر مخلوقاته، ومن شر الليل إذ أظلم، لما يصيب النفوس فيه من الوحشة، ولخروج السباع والوحوش فيه، وكذلك ينتشر فيه الأشرار والفجار، ولذلك قالوا فى المثل: الليل أخفى للويل، ومن شر كل حاسد وساحر.

والحسد داء وبيل ومرض شنيع يلحق النفس البشرية فيقطعها عن الخير والفضيلة، ويصرفها إلى الشر والرذيلة، ولذلك نهانا الحق سبحانه عن الحسد وأمرنا أن نستعيذ منه، روى الإمام مسلم عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى - ﷺ - قال: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا- ويشير إلى صدره ثلاث مرات- بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه».

وقوله - ﷺ -: أى لا يحسد بعضكم بعضا، وأصله: لا تتحاسدوا بتاءين حذفت إحداهما تخفيفا، هذا والحسد طبيعة بشرية مجمع على حرمته وقبحه وهو: تمنى زوال نعمة المحسود، وهو يخالف الغبطة إذ الغبطة تمنى مثل تلك النعمة مع بقائها لصاحبها.. ولما كان الحسد طبيعة بشرية إذ الإنسان يكره أن يفوقه أحد من بنى جنسه فى شىء من الفضائل الدينية كالعلم والعبادة والتقوى والورع والصلاح وفعل الخيرات، أو الفضائل الدنيوية كالمال والوظيفة والزوجة والأولاد والسلطان.. إلخ كان الناس مع الحسد أنواع: فمنهم من يسعى بلسانه ويده فى نقل نعمة المحسود لنفسه أو لغيره، وهو أخبث أنواعه، ومنهم من لا يسعى فى ذلك فلا إثم عليه كما قال الحسن البصرى مادام قد جاهد نفسه فى ترك الحسد ما استطاع ومنهم من يسعى فى حصول مثل المحسود عليه فهذا حسن إن كان فى الأمور الدينية كما أسلفنا، ولأن النبى - ﷺ - تمنى الشهادة فى سبيل الله: «والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل»(٣)، أما الأمور الدنيوية فلا حسن فى الحسد فيها، بل هو الحسد الذى يهلك صاحبه، ويبعده عن الصواب والهدى والرشاد، وقد قيل فيه: لله درّ الحسد، ما أعدله، بدأ بصاحبه فقتله.

هذا وقد قيل: إن الحسد أول ذنب عصى

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه.

الله به فى السماء، وأول ذنب عُصىَ الله به فى الأرض فأما فى السماء فحسد إبليس - لعنه الله- لآدم -عليه السلام- لما رآه قد فاق الملائكة: بأن الله خلقه بيده، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شىء وأسكنه فى جواره، فمازال يسعى فى إخراجه من الجنة حتى أخرج منها.. وأما فى الأرض فحسد قابيل هابيل، حيث كانت أمنا حواء تلد فى كل بطن ذكرا وأنثى فكان آدم -عليه السلام- بتوجيه من -الله عز وجل- يزوج الذكر من هذا البطن، الأنثى من البطن الآخر، فلما أراد أن يزوج قابيل أخت هابيل، ويزوج هابيل أخت قابيل، رضى هابيل، وأبى قابيل، لأن توأمته كانت أجمل، وبتوجيه من -الله عز وجل- قال لهما آدم -عليه السلام: قربا قربانا فمن أيكما تُقبل تزوجها.

وكان قابيل صاحب زرع فقرَّب أرذل زرعه، وكان هابيل صاحب غنم فقرَّب أحسن كبش عنده، فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته، فازداد قابيل حسدا وسخطا، وتوعّد هابيل وهدّده بالقتل: ﴿ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾

المائدة/ ٢٧

قال هابيل: «وماذنبى؟..

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾

المائدة/ ٢٨

أى إنك أتيت من قبل نفسك بترك التقوى، لا من قبلى، ومع ذلك

﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾

المائدة/ ٢٨

وعلل ذلك قائلا:

﴿ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾

المائدة/ ٢٨.

امتنع هابيل عن معاملة قابيل بالمثل فى المقاتلة مع أنه الأقوى، ويوضح ذلك قوله: «إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين» أى إن قتلتنى فذلك أحب إلىّ من أن أقتلك، فلأن ألقى الله -عز وجل- مظلوما ينتصر الله لى أحب إلى من أن ألقاه ظالما عاصيا لأن الظالم العاصى من أهل النار، ومع أن هابيل خوف قابيل وذكره بالله، وهدّده بعذاب النار فلم ينته ولم ينزجر ولم يتعظ ولم يعدِّل من سلوكه، ولم يطرد الحسد من قلبه، ونفذ تهديده وقتل أخاه هابيل:

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

المائدة/ ٣٠

فكان هابيل أول قتيل، وكانت أول معصية على الأرض ولهذا قال الحسن: أصول الشر وفروعه ستة، فالأصول الثلاثة: الحسد والحرص وحب الدنيا والفروع: حب الرياسة وحب الفخر وحب الثناء.. ولما كان الحسد أصلا من أصول الشر كان معاوية -رضى الله- عنه يقول: كل

الناس أقدر على إرضائه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها، وفى هذا المعنى أنشد الشاعر:

العداوة قد ترجى إماتتها
إلا عداوة من عاداك من حسد

والحسد أهم طرق الغواية لإبليس لعنه الله لإهلاك بنى آدم، ويروى عن ابن عمر – رضى الله عنهما – أن إبليس لعنه الله قال لنوح –عليه السلام: اثنتان أهلك بهما بنى آدم: الحسد – وبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما – والحرص، أبيح لآدم الجنة كلها فأصبت منه حاجتى بالحرص.

ولما كان الحسد بهذه البشاعة وتلك الشناعة، حذّر رسول الله – ﷺ – أمته منه، ونهاهم عنه ووضح لهم أنه تسبب فى إهلاك وتدمير الأمم السابقة فعن الزبير بن العوام – رضى الله عنه – عن النبى – ﷺ – قال: «دبّ إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء، والبغضاء هى الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر، والذى نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أنبئكم بشىء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم».(٤)

فالحسد أعاذنا الله منه ووقانا شرّه غول فظيع يلتهم الحسنات التهاما كما تلتهم النار العشب قال – ﷺ –: «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»(٥) هذا ومن مأثور السنة وذخائر الهدى النبوى الشريف: «كاد الحسد يغلب القدر».

هذا وقد وصف الله أعداءنا اليهود بالحسد على المسلمين فى مواضع كثيرة فى القرآن الكريم منها قوله سبحانه:

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾

(آية ١٠٩ / البقرة)

أى من بعد ما ظهر لهم بالبراهين الساطعة والأدلة القاطعة أن دينكم هو الحق، وبهذا نتبين أن اليهود اقتفوا فى العصيان أول عاص لله فى الأرض، فطبيعة الشر فيهم مستقاة من ولد آدم الأول قابيل.

ومنها قوله سبحانه:

﴿ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾

(آية ٥٤ / النساء)

قال ابن عباس رضى الله عنهما: حسدوا النبى – ﷺ – على النبوة، فالنبوة فضل الله سبحانه محمدا، وشرف بها العرب، ونصرهم، وأعزهم، ومكّن لهم فى الأرض، ومن ثم توطّن الحسد فى قلب اليهود على المسلمين، فحاولوا القضاء عليهم بكل السبل، فإذا أخفقوا فى المواجهة العسكرية، وعلى الساحات السياسية قالوا: عمل كأس وغانية أعظم من عمل ألف مدفع، والواقع يشهد والتاريخ يؤكد، ومازلنا نعانى من

(٤) أخرجه الترمذى.

(٥) أخرجه أبو داود فى سننه.

شرورهم وعدوانهم وحقدهم وحسدهم، وقد تفننوا فى العصر الحديث فى فنون الإيذاء والكيد وصدّروا لنا فنونا شتى وألوانا متعددة لتخريب الذمم وإفساد الضمائر، وإضعاف العقيدة وقتل الرجولة من مواد مخدّرة وأفكار هدّامة وإشاعات مغرضة ومتع رخيصة وأخيرا تآمروا مع الدنيا بأسرها للقضاء على الإسلام والمسلمين بدعوى الإرهاب والبربرية والوحشية التى لصقوها بالإسلام والإسلام منها برىء:

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾

الكهف / ٥

فالإسلام هو الذى نشر العدالة والسماحة والمحبة واليسر فهل ينتبه المسلمون لما يراد بهم؟!.

هذا ولما كان الحسد والحقد متمكنا من قلب اليهود على المسلمين فلا راحة لهم إلا فى تدبير الكيد والتآمر على المسلمين ولذلك قال على – رضى الله عنه –: «لا راحة لحسود ولا إخاء لملول، ولا محب لسيء الخلق».. ويكفى الحاسد شرا وإثما أنه عدو نعمة الله، نعوذ بالله من شر كل حاسد قال – ﷺ –: «العين حق»(٦) ولذلك قيل الحاسد لا ينال فى المجالس إلا ندامة، ولا ينال عند الملائكة إلا لعنة وبغضاء، ولا ينال فى الخلوة إلا جزعا وغما، ولا ينال فى الآخرة إلا حزنا واحتراقا، ولا ينال من الله إلا بعداً ومقتا.

وقال أحد الحكماء: بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه: أحدها: أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره، ثانيها: أنه ساخط لقسمة ربه، ثالثها: أنه ضادّ فعل الله، لأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وهو يبخل بفضل الله، رابعها: أنه يريد خذلان أولياء الله وزوال النعمة عنهم، خامسها: أنه أعان عدوه إبليس لعنه الله.

وفى هذا المعنى أنشد الشاعر:

أيا حاسدا لى على نعمتى
أتدرى على من أسأت الأدب

أسأت على الله فى حكمه
لأنك لم ترض لى ما وهب

فأخزاك ربى بأن زادنى
وسدّ عليك وجوه الطلب

وأنشد الآخر:

اصبر على كيد الحسود
فإن صبرك قاتله

كالنار تأكل نفسها
إن لم تجد ما تأكله

وقال زكريا – عليه السلام –: قال الله تعالى: «الحاسد عدو لنعمى متسخط لقضائى غير راض بقسمتى التى قسمت بين عبادى».

وقد أورد القرطبى فى تفسيره أن النبى – ﷺ – قال: «ثلاثة لا يستجاب دعاؤهم: آكل الحرام، ومكثر الغيبة، ومن كان فى قلبه غلّ أو حسد للمسلمين»، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

(٦) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب السلام، حديث ٤٠٥٧.

مواقف إسلامية

الذين يبحرون.. عند هبوب العاصفة

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

من دروس الواقع أنه قد يكون المثير واحدا.. ولكن تتفاوت ردود الفعل،

فمن الناس من ينهار أمام هجمة الأحداث ليدخل بالغضب فى «جنون مؤقت» يأكل الأخضر واليابس، ومنهم الذين يعتصمون بالصبر، وبخاصة عندما لا تأتيهم المصائب فرادى - وإنما جماعات.

وعندما تكون الأحداث عواصف تحمل رملا يضرب وجوههم فإنهم لا يشكُون، وإنما يشكرون الحق سبحانه والذى قوّى ظهورهم، فلم تنحن للإعصار.

وبينما نسمى الأعمى بصيرا، والملدوغ سليما، تفاؤلا، فإنهم يسمون هجمة الأحداث بشير الفرج، والفرج القريب

يقول الشاعر العربى:

كل له غـرض يسـعى ليدركـه

والحر يجعل إدراك العلا قبلا

أجل، كل إنسان له آمال تلح عليه أن يحققها، ولكن هذه الآمال قد تكون أكبر من إمكاناتنا،

وفى محاولة تحقيقها قد تعترضنا صعاب، فنغضب ذاهبين بشحنة الغضب إلى من اعترض طريقنا إلى هنا والأمر عادى، ولكن، ماذا بعد؟!

قد ينطلق الغاضب من «عقدة» أنه الأفضل، هذه العقدة التى تزين له أن أمله هذا الذى لم يتحقق هو «حق» له بحكم أفضليته؟!

ومن ثم يرخى الحبال لأوهامه التى تشكل عندئذ أطلالا يقف عليها ليبدو فى نظر نفسه أنه كاد أن يبلغ الجبال طولا وقد تدغدغه تلك الأوهام، فيحس بالراحة بعد الهجوم على الخصوم.

ولكنها الفجر الكاذب، والذى يختبىء المرء معه فيما يشبه قشرة «السلحفاة» أو يكون منها فيما يشبه «الشرنقة» التى لا يرى فيها إلا نفسه، وعندئذ يبدأ الهجوم بما يشبه الرجوم، لإضعاف الخصوم، أو تدميرهم.

وعندئذ أيضا يقول له الحكماء: افتح مسام نفسك لا تزيف الواقع، استنشق الهواء الطلق، حاول أن تنقى الشوائب التى تثقل كاهلك ليخف وزنك، ثم تطير روحك، وإذا كان ولابد، فليكن غضبك كدخان العود بلا سواد!

وبين هذه البداية وتلك النهاية نحاول أن نأخذ بيد الغاضبين إلى التى هى أقوم بطرح هذه الأسئلة، ثم محاولة الإجابة عنها.

فما هو الغضب؟ وكيف نتفادى هجمته؟ ثم.. ما هى أعراضه وآثره وأخطاره؟ وما هى أسبابه؟ وهل إلى خروج من سبيل؟!

ونبدأ المقال ببيان من هم هؤلاء المصرين على الإبحار ساعة هجوم الأخطار؟ إنهم الغاضبون الذين يسرعون فى الاستجابة لداعية الغضب، فيؤثرون مواجهة الشر بالشر، النار بالنار، والتى لا تنطفىء إلا بالماء.

الماء الذى ينحت الصخور، إنهم يحاولون التكيف مع الظروف التى يتسارع إيقاعها، فلا يتسقون معها.. ولكنهم ينشقون عليها..

وقبل أن يشب فى القلب حريق.. ويضيع من أقدامهم الطريق.. فإننا نحاول هنا أن نقول كلمة لعلها أن تكون مجدية لأولئك الذين لا يفرقون بين دقات قلوبهم خلف ضلوعهم، وبين دقات الساعة فى أيديهم، وحتى لا يفقدوا أغلى ما يملكون، أعصابهم! ثم ليعلموا أنه من السهل أن تغضب، ولكن الصعب أنت تغضب بالقدر المناسب، وفى الوقت المناسب!

الغضب.. على الطبيعة

بينما الدار آمنة مطمئنة.. يأتيها رزقها رغدا من كل مكان، إذا بالدار

تتحول إلى ساحة حرب، تنتهى حتما بهزيمة رفاق السلاح! بالمهاترات التى تتحول إلى سحابة سوداء، تنعقد فوق رءوس الجميع،

يفور الدم، فتتحرك شهوة الانتقام راغبة فى الانطلاق إلى الخارج طلبا للإضرار بالغريم، أو الفتك به!

التصميم.. قبل الترميم!

ونقصد بذلك صلابة الإرادة، والتصميم على مواجهة الأحداث بالصبر، لنطفىء الغضب بالحلم، وليس بالشتم الذى يزداد به الخرق اتساعا، ثم نحاول ترميم البناء بإنقاذ ما يمكن إنقاذه فلا نستطيع

ولكن.. لماذا لا نستطيع؟

والجواب إجمالا: فالوقاية خير من العلاج، التصميم.. قبل الترميم.. وهو ما قاله عمر - رضى الله عنه- لما نزل قوله عز وجل:

﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾

(الجاثية/ ١٤)

قال: والله لن ترى الغضب فى وجهى أبدا.

أما الجواب تفصيلا: فإن الغاضب يعيش أضعف لحظات حياته، ومن أجل ذلك لا يكون قراره سليما، وكان الظن أن يصبر عند الصدمة الأول، أن يصبر صبر تجلد، لا صبر تبلد، حتى إذا تراكمت الأحداث، لأن الأحداث إذا توالت تولت!

ولكن الغاضب آثر الاستجابة لنداء الثأر، فضاع منه وجه الصواب، وضعف رأيه، وسقط قدره.

إضف إلى ذلك: ما يناله من نفسه وجسمه، حتى يصير ذلك أضر عليه مما غضب له ابتداء.

ومن أجل ذلك كان من وصاة سلفنا الصالح: لا تعاقب رجلا حين غضبك ولكن احبسه، فإن سكن غضبك، فعاقبه على قدر ذنبه، ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا.

وكانوا ينطلقون فى ذلك من مسلمات عقلية وواقعية، فالعبد الغاضب أقرب ما يكون إلى غضب -الله تعالى- ثم إن من رد غضبه.. هدَّ من أغضبه.

ورحم الله أبا العتاهية حين قال:

ولم أر فى الأعداء حين اختبرتهم
عدوًا لعقل المرء أعدى من الغضب

ومن أجل ذلك كان العقلاء يحملون مفاتيح القلوب، والتى تتخلص فى:

الابتسامة والتى لا تكلفهم إلا تحريك ثلاث عشرة عضلة فى الوجه.. بدل المعاناة بتحريك أربع وسبعين عضلة ساعة الغضب، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: «تبسمك فى وجه أخيك

صدقة» (١)

وقد رووا أن أبا الدرداء -رضى الله عنه- إذا حدث صديقا له.. تبسم

فقالت له زوجته: ألا تخاف أن يظنك الناس أحمق؟

وقد كان جوابه: أننى أفعل ذلك تأسيا برسول الله ﷺ!

من أعراض الغضب

تتسع حدقة العين، وترتجف زوايا الفم، وتنكمش الجبهة، وذلك كله عنوان فقط لما يجرى فى الأعماق، إنه مجرد نذير.

وبالأجهزة الطبية استطاع العلماء التقاط صورة هذه الأعماق، لقد اقتحموا الجسم عند الغضب، فماذا وجدوا؟

فى المعدة: يحمر جدارها، تزيد درجة الحموضة، تحدث قرحة صغيرة، ولكنها تلتئم عند زوال لحظة الغضب، تقل الإفرازات الحيوية فتؤثر على عملية الهضم.

والقلب يسرع نبضه عند الغضب، آلام عضلية فى ناحية الصدر اليسرى،

لو أهمل علاجها.. تتحول إلى ذبحة صدرية.

وإذا كان الإسراف فى الأطعمة الدهنية سببا هنا، فإن انفعال الغضب يلعب دورا رئيسا أيضا.

ذلك بأن الغاضب يحاول حشد كل قواه لمواجهة أسباب الغضب،

ولقد كان الإنسان فى المجتمع البدوى يفرغ شحنة الغضب عن طريق الفرار، أو الشجار مع مصدر الغضب.

أما اليوم، فإن التجمل قد يفرض على الغاضب ألا يهاجم، أو يرد اللطمة لطمتين، فقد يكون رئيسه فى العمل مثلا، وإذن.. فإن شحنة الغضب تتراكم داخل الشرايين التى قد تكون سببا فى الجلطة الدموية.

من هو المرشّح لأمراض القلب؟!

إنه الإنسان العصبى، الانفعالى.. لماذا؟

انفعال الغضب - أكثر من غيره من الانفعالات - تؤثر تأثيرا مباشرا على جميع الأجهزة الحساسة فى الجسم: القلب، المعدة، الدورة الدموية.

أسباب الغضب

المفروض علينا كمسلمين أن نفني ذواتنا فى الهدف العظيم وهو الوحدة، متخذين من العفو «مصيدة» للمودة التى نبددها بالغضب متخلصين فى نفس

(١) الاحياء/١٧٩،٤

الوقت من انتمائنا المحدود، ومن مصالحنا الشخصية والتى يسوق إليها الهوى، الغـرض، أو المرض، والذى يصطدم بالمنظومة الأخلاقية فإذا هى فى «خبر كان» وإذا الأمة بلا أخلاق، فلا وجود لها.

يقول الإمام الغزالى: من أسباب الغضب الزهد والعُجب والمُزاح والهزْل والتعيير والمماراة. والمضارة «العناد» والغدر، وشدة الحرص على فضول المال والجاه.

وتلك هى أسلحة الشيطان.. والذى يغبِّش الجو بها، فلا نرى الأشياء على حقيقتها... حين يزين لنا الغضب فى محاولة لإقناعنا بأنه شجاعة ورجولة وعزة. وكبر همّه.. إلى الحد الذى نستحسن فيه الغضب كمظهر من مظاهر الرجولة، وهو مسلك شيطانى يؤكد حقيقة أن الشيطان عندما يعجز عن تكفير المسلمين، فإنه لا ييأس من فتنة بعضهم ببعض، وذلك ما يشير إليه قوله ﷺ: «إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب، ولكنه لم ييأس من التحريش بينهم» رواه مسلم.

خطورة الغضب

روى البخارى: «.. ألا وإن فى الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله.. ألا وهى القلب».

ولهذا نقول:

إن خطورة الغضب تكمن فى أن الشيطان يتخذ من القلب مجالا له، فالمعركة تدور فيه إرادة إفساد الكيان كله بفساده.. إنها ليست معركة الجوارح التى يمكن الاستغناء بجُلها عن كلها.. وإنما هى المعركة التى تتوخى عقدة الكيان كله وهى: القلب ولاحظ من خطورة الغضب ما رواه البخارى ومسلم:

استب رجلان عند النبى ﷺ: فجعل أحدهما يغضب، ويحمر وجهه، وتنتفخ أوداجه..» ومعنى ذلك أنه عند الغضب يقع الغاضب تحت مؤثرين: داخلى وخارجى، أما الخارجى: فهو الشيطان الرجيم الذى ينفخ فيه مزينا له الغضب، الذى يحاول إقناعه بأنه عزة وأنفة.

وأما الداخلى: فهو غليان الدم الذى يخف بالغليان، فيندفع إلى الوجه عبر العروق، ليكون حمرة فى الوجه، ينتقل بها الدم إلى الوجه، ولا حاجة به إليه، منزوحا من القلب الذى لا حياة له إلا به؟!

يقول الغزالى: لو رأى الغضبان فى حالة غضبه قبح صورته، لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته، وقبح الباطن أعظم من قبح الظاهر، فإن الظاهر عنوان الباطن: وإنما قُبحت صورة

الباطن أولا، ثم انتشر قبحها إلى الظاهر ثانيا.

وأما فى اللسان: فأثره بالشتم.. والفحش الذى يستحيى منه قائله عند سكون الغضب.

فضلا عن تخبط النُظُم، واضطراب اللفظ.

وأما أثره على الأعضاء:

فالضرب، والتهجم، والتمزيق، والقتل للمغضوب عليه.

وإذا فَلَتَ منه بسبب عجز أو غيره.. فقد يرجع إلى صاحبه: فربما مزّق ثوب نفسه، أو لطم وجهه، وربما ضرب بيده على الأرض.

وأما أثره فى القلب على المغضوب عليه:

فالحقد والحسد، والشماتة بالمساءات.

خطورة الغضب فى فكر الصالحين.

قال مجاهد رحمه الله- تعالى: «قال إبليس لعنه الله:

ما أعجزنى بنو آدم.. فلن يُعجزونى فى ثلاث:

إذا سكر أحدهم أخذنا بخزامته، فقدناه حيث شئنا، وعمل لنا بما أحببنا، وإذا غضب.. قال بما لا يعلم، وعمل بما يندم.

ونبخِّله بما فى يديه، ونمنّيه بما لا يقدر عليه(٢)

وقال عروة بن الزبير رضى الله عنهما: مكتوب فى الحكم، يا داود إياك وشدة الغضب، فإن شدة الغضب مفسدة لفؤاد الحكيم. (٣)

وقال الإمام الغزالى: «حال القلب عند الغضب فى الاضطراب أشد من حال السفينة عند اضطراب الموج فى لجة البحر، إذ فى السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وسياستها، أما القلب، فهو صاحب السفينة، وقد سقطت حيلته، بعد أن أعماه الغضب، وأصمه، ويظهر ذلك على أعضائه وكلامه وفعاله» (٤)

بين الحزن والغضب

يقول الماوردى فى أدب الدنيا والدين(٥)

سبب الغضب: هجوم ما تكرهه النفس ممن هو دونها.

وسبب الحزن: هجوم ما تكرهه ممن هو فوقها.

والغضب: يتحرك من داخل الجسد إلى خارجه

(٢) إحياء علوم الدين/٣/١٧٧

(٣) مساوىء الأخلاق للخرائطى/١٣١

(٤) أدب الدنيا والدين/٢٥١.

(٥) ٢٥٠- ٢٥٢

ولكن الحزن: يتحرك من خارج الجسد إلى داخله.

فلذلك: قتل الحزن ولم يقتل الغضب، لكمون الحزن، وبروز الغضب وصار الحادث عن الغضب: السطوة والانتقام وذلك: لبروزه، والحادث عن الحزن: المرض والأسقام، وذلك: لكمونه

وكذلك: أفضى الحزن إلى الموت، ولم يُفض إليه الغضب

علاج الغضب

● ليس من عادة الكرام سرعة الانتقام، والذين يتسرعون، فينتقمون يعود عليهم من الضرر أكثر من سبب الغضب، فعواقبه أشد من أسبابه.

إنه جنون مؤقت، لأنه يحول بين المرء وعقله، فلا يكون مؤهلا لقرار سليم، وقد كان العقلاء يستقبلون الأحداث ببصيرتهم لا بأبصارهم.. ومن ثم فقد كانوا أقدر على حسن التعامل معها.

وقد أثبت الطب الحديث ازدهار صحة الذى يعفو، بل وطول عمره:

فالذى يكظم غيظه: تقوى لديه المناعة، يقل إفراز «هرمون» التوتر الذى يسبب الأزمات القلبية، ليس الشديد بالصرعة، ولكن الشديد من يملك نفسه عند الغضب

● التحول عن الحال التى كان عليها:

فإن كان قائما.. قعد.. وإن كان جالسا.. اضطجع.. أعنى: أن يغيِّر هيئته التى كان عليها.

● ثم الاستعاذة من الشيطان الرجيم.

● استشعار الخوف من الله تعالى.

● محاولة الفرار من كل ما يحملك على الندم.

● وفوق ذلك كله: ذكر الله عز وجل.. والذى بذكره تطمئن القلوب.

● روى الإمام أحمد -رحمه الله تعالى: قال رجل يا رسول الله: أوصنى. قال: لا تغضب. قال: ففكرت حين قال رسول الله ﷺ ما قال؛ فإذا الغضب يجمع الشر كله»

وعن جارية بن قدامة: أن رجلا قال: «يا رسول الله: قل لى قولا.. وأقلل.. لعلى أعيه، قال: لا تغضب. فأعاد عليه مرارا.. كل ذلك يقول: لا تغضب» «رواه أحمد، ورواته رواة الصحيح.

وللإسلام منهجه فى علاج الغضب قبل أن يحدث، وبعد حدوثه.

وحتى لا يحدث الغضب فنحن مأمورون بالبعد عن أسبابه ابتداء وذلك ما يشير إليه هذان الحديثان الشريفان، فليس النهى عنه نهيا عن نفس الغضب كانفعال بشرى غير مقدور على دفعه.. ولكن المطلوب ألا تتعرض لأسبابه ومثيراته، حتى لا تخوض غمراته.

فى مجال التطبيق

حفل تاريخنا الإسلامى بمواقف كان العفو فيها مسك الختام.. فعاد الوئام:

لما ظفر المأمون بعمه «إبراهيم المهدى أمر بإدخاله عليه، فجيء به يحجل فى قيوده. فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فقال المأمون: لا سلم الله عليك. ولا حفظك. ولا رعاك. ولا كلام يا إبراهيم!

فقال له عمه: على رسلك يا أمير المؤمنين: ولى الثأر محكم فى القصاص. والعفو أقرب للتقوى، ومن مد له الاغترار فى الأمل.. هجمت به الأناة على التلف، وقد أصبح ذنبى فوق كل ذنب، كما أن عفوك فوق كل عفو، فإن تعاقب.. فبحقك، وإن تعف.. فبفضلك.

ثم أنشد يقول:

ذنبى إليك عظيم
وأنت أعظم منه

فخذ بحقك أولا
فاصفح بفضلك عنه

إن لم أكن فى فعالى
من الكرام.. فكنه

ثم انتهى الموقف بتراجع انفعال الغضب.. ثم عفا عنه.

ولقد كان من الرجال الأجانب من يتحاشى الغضب فيقول:

« ساعدنى يارب على أن أطبق شفتى. قبل أن أفكر فيما سوف أقول»

بل إن «برناردشو» كان لحظة الغضب: يضع فى أذنيه قطنا، ثم يرسم على شفتيه ابتسامة.. ويظل كذلك حتى تفرغ زوجته شحنة الغضب من قلبها.

ولكن الإسلام لايكتفى بهذا «التجمل» أو «التكلف».. وإنما يعالج الغضب جذريا.. بإعلان الحرب على سببه الحقيقى وهو: الشيطان.

وذلك بعض ما يفهم من قوله ﷺ:

« إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ذا: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» متفق عليه.

***

﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمدلله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المقيد برقم ٦٥ لسنة ٢٠٠٥ المتضمن: - لعدد من الأسئلة وهى:

ميراث

● السؤال الأول: من السيد: س.ط. - القاهرة

توفى رجل وترك خال وخالة وعمة والجميع أشقاء، كما ترك ابن عم أبيه مع ملاحظة أن والد ابن العم هذا غير شقيق لجد المتوفى، فكيف توزع التركة؟.

●● الجواب: بوفاة الرجل المذكور عن المذكورين فقط فإن التركة كاملة توزع لابن عم أبيه تعصيباً؛ لعدم وجود صاحب فرض ولا عاصب أقرب منه، ولا شىء للخال والخالة والعمة؛ وذلك لأنهم جميعاً من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات.

هذا فى حالة ما إذا كان ابن عم الأب لأب، أما إذا كان ابن عم الأب لأم فإن التركة تقسم بين العمة والخال والخالة فقط على أن يكون للعمة ثلثى التركة، والثلث الباقى يكون للخال والخالة بينهما: للخال ضعف الخالة؛ لأنهم جميعاً من الطائفة الأولى من طوائف الصنف الرابع من ذوى الأرحام.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

صلاة الجنازة

● السؤال الثانى: من السيد: أ.ت

حضرت صلاة جنازة وصلى الإمام (وهو فى هذه الحالة ابن المتوفى) وكبر ثلاث تكبيرات فقط وسلم - فكبرت أنا ومن معى فى الصفوف المتأخرة التكبيرة الرابعة. فما حكم صلاة الإمام ومن معه؟. وما حكم من أكمل بدون الإمام؟.

●● الجواب: صلاة الجنازة أربع تكبيرات عند جمهور الفقهاء الأئمة الأربعة ومن تبعهم، وهذا هو الثابت الصحيح عن سيدنا رسول الله - ﷺ -؛ فمن صلى الجنازة بثلاث تكبيرات فصلاته غير صحيحة وعليه الإعادة إن شاء، وأما ما فعله السائل ومن معه من إتمام الصلاة بالتكبيرة الرابعة فهو الصحيح، وكان ينبغى على المأمومين الذين يعلمون أن جملة ما كبره الإمام ثلاث تكبيرات أن ينبهوه، وأما من سلم بسلام الإمام فصلاته غير صحيحة، وقد تأدى فرض الكفاية بصلاة من أتم الصلاة بعد سلام الإمام.

والله سبحانه وتعالى أعلم

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

على جمعة

مفتى جمهورية مصر العربية

ذهب الزوجة

● السؤال الثالث: ورد من السيد: م.ع

قمت ببيع الذهب الخاص بزوجتى لما ارتفع ثمن الذهب عن وقت شرائه، وبعد فترة خفت من إنفاق المبلغ فاشتريت به كمية أخرى من الذهب، وشجعنى على ذلك عودة السعر للانخفاض عن السعر الذى اشترينا به مؤخراً - فحدثنى أحد الأصدقاء بأن هذا التصرف أخرج الذهب من كونه للزينة إلى هدف التجارة، مع العلم أن الكمية الأولى بلغت النصاب - فما الحكم؟.

●● الجواب: ذهب جمهور الفقهاء إلى أن حُلىْ المرأة لا زكاة فيه وهو ما عليه الفتوى، وأما عروض التجارة فاشترط الفقهاء فيها أن يكون مال التجارة مملوكاً

لمن يتاجر فيه، والذهب الذى تمتلكه زوجتك ليس لك حق فيه، بل هو حق خالص لها، فبيعه وشراؤه لا يخرجه عن كونه حُليًا لها إلى كونه تجارة.

والله سبحانه وتعالى أعلم

التدخين محرم شرعاً

● السؤال الرابع: من السيد: ع.خ

أعلم أن التدخين ضار بالصحة، وأعلم أيضاً أنه أشد ضرراً للأطفال – ولأنى مدخن شره فإننى أضطر إلى الخروج لشرفة المنزل للتدخين حرصاً على سلامة الأبناء، وقد تضطرنى ظروف مرضية إلى التدخين داخل الغرفة التى بها الأبناء الصغار – فما الحكم؟.

●● الجواب: التدخين محرم شرعاً كما ذهب إلى ذلك جماهير العلماء؛ لأن ضرره محقق، وقد جاء فى الأثر أن النبى - ﷺ - قال: «لا ضَرَرَ ولا ضِرَار». أخرجه مالك فى الموطأ؛ فعلى السائل أن يقلع عن التدخين حفاظاً على نفسه وأولاده؛ لقوله - تعالى -:

﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾

(البقرة ١٩٥)

وقوله - عز وجل -:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾

(النساء ٢٩)

ويقى نفسه وأولاده والمجتمع شره، فقد قال - ﷺ -: «كُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكم مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِه» رواه البخارى.

والله سبحانه وتعالى أعلم

استوصوا بالنساء خيراً

● السؤال الخامس: ورد من الشيخ حبشى حسين إمام مسجد طنسا

سألتنى بناتى المتزوجات المصليات فى حزن وأسى عن أسباب كثرة أهل جهنم من النساء وأنهن ناقصات عقل ودين وأنهن خلقن من ضلع أعوج وعن حظهن السيىء فى الحياة وعن تعدد النساء تحت قوله تعالى:

﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ﴾

(النساء/ ٣٦)

●● الجواب: عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «أطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء» أخرجه الإمام أحمد والإمام مسلم والترمذى والبخارى فى تاريخه عن عمران بن حصين،

والسبب فى كون أكثر أهل النار من النساء كفران العشير كما جاء فى الحديث الآخر، لأنهن يكفرن العشير فلو قدمت لهن الخير الدهر كله ثم أسأت إليها مرة لقالت: ما رأيت منه خيراً قط، لأن كفران العطاء وترك الصبر عند البلاء وغلبة الهوى والميل على زخرف الدنيا، والإعراض عن مقاصد الآخرة فيهن أغلب، لضعف عقولهن وسرعة انخداعهن بزخارف الحياة الدنيا، وهذا فى الأعم الأغلب من النساء، وليس كل النساء كذلك، بل منهن المحسنات المؤمنات القانتات العالمات اللاتى يخشين الله ورسوله ﷺ.

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ: «استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء» متفق عليه.

فالحديث ليس انتقاصاً للمرأة، ولكن وصية النبى ﷺ الرجال بالنساء خيراً، لأنها سريعة الغضب عادة، ولأن الرجل إذا أراد تسوية اعوجاج المرأة وغضبها قد يؤدى هذا إلى طلاقها وهو أبغض الحلال عند الله - تعالى - فهو ضرب مثل للطلاق وإن لم يقمه الإنسان يظل معوجاً، فأوصى سيدنا رسول الله ﷺ بحسن معاملة النساء وعدم استعمال الشدة معهن حتى تستقيم الحياة وبأن يكون التقويم والإصلاح للمرأة برفق ولين فلا يشتد فى طريقة الإصلاح ولا يترك الاعوجاج قائماً، وخير الأمور أوسطها، ولذلك كرر ﷺ قوله «فاستوصوا بالنساء خيراً»، وأما نقصان عقل المرأة ودينها فقد بينه ﷺ بقوله: «أليست شهادة الرجل بشهادة امرأتين، وأنهن يتركن الصلاة أثناء الحيض». وأما تعدد النساء بملك اليمين فإنه تحرير للمرأة من الرق، لأنها إن حملت من سيدها فلا يجوز له أن يبيعها، وتصير أم ولد فيعتقها ولدها كما جاء فى هدى سيدنا محمد رسول الله ﷺ.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

***

الإمام الشافعى نشأته ورحلاته طلباً للعلم

٣

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى

مكانة مالك فى نفس الشافعى

أصبح لمالك فى نفس الشافعى مكانة رفيعة، تحدث بها لتلاميذه:

ـ روى ابن عبدالحكم أن الشافعى كان إذا حكى قولاً لمالك قال: هذا قول أستاذنا مالك بن أنس.

ـ وقال يونس بن عبدالأعلى: سمعتُ الشافعى يقول: ما فى الأرض كتاب فى الفقه والعلم أكثر صواباً من كتاب مالك.

إذن لقد تحدث الشافعى عن علم مالك وأستاذيته له. ونقل تلاميذ الشافعى هذا الثناء عنه، فلم يكن ثناء الشافعى على مالك سراً، ولم يكن به شىء من المداهنة أو الملق، إنما كان ثناؤه عليه لمهابته وعلمه خالصاً مخلصاً، ولا سيما أن الثناء عليه كان بعد موته.

وأن ثناء الشافعى على مالك وحديثه الفيَّاض عن أستاذية مالك إيَّاه لحقٌ يقرره الخُلُق وشرف الانتماء إلى العلم، ثم هو يعلى من شأن الطالب والقدوة معاً.

والاعتراف بحق الأستاذية لذويها من مقررات آداب طلب العلم، ما دام العلم لا يؤتى إلا من طريقين، مع تفاوت بينهما:

طريق الوحى: كان حقاً للرُسُل، ثم انتهى بانتهاء حياة الرسل.

طريق العلماء: كتابةً أو تلقياً، وهو الباقى بوسائله العلمية.

فالاعتراف بالأستاذية لذويها فيه رعاية للطريق الثانى للعلم بعد الوحى، والوحيد بعد انتهاء مرحلة الوحى، كذلك فى الاعتراف بالأستاذية تقدير لحق التقدم الزمنى للأستاذ. وما الطالب

فى النهاية بالنسبة للأستاذ إلا خطوة على طريق البحث والتقدم، وليس إلا رؤية جديدة تعالج آفاقاً جديدة، والأستاذ كان طالباً، والطالب قد يكون أستاذاً.. درجات تربطها الرعاية، ويقصمها المتوانى عنها. فأَعْطِ العلمَ كله يُعْطِك بعضه.

من أثر التأمل: تقويم بعض آراء مالك

إن أستاذية مالك للشافعى كانت محل احترام من غير تقديس فى نفس الشافعى، فكان لا يمنعه من الرأى فى آرائه.

فصفة التقديس التى أصبغها الإسلاميون على من سَلَفَ من أُولى الرأى الاجتهادى كانت مدخلاً إلى غلق باب الاجتهاد، وتجميد النظر فى الفقه الإسلامى، فصارت الآراء القابلة للخطأ والصواب محل تقدير وتعظيم كالوحى المقدس.

فاحترام الشافعى لأستاذية مالك لم تمنعه من تدبُّر آراء مالك، سواء كان بالنقد أو بالأخذ وهو إذ يفعل ذلك إنما ينطلق من قواعده التى أسهمت فيما بعد فى تأسيس مدرسته، مثل:

«رأينا صواب يحتمل الخطأ، ورأى مخالفنا خطأ يحتمل الصواب».

على هذا الأساس عرض لآراء من مذهب الإمام مالك بالنقد والتقويم، كما أسهمت نزعته العقلية التأملية فى تكوين مدرسته التى نقول عنها: إنها مدرسة نقلية عقلية.

وفى إبراز هذه الأخطاء، وهذا الموقف النقدى، من الشافعى لمالك لم يُصب حبل المودة بتلف أخلاقى أو علمى، وإنْ كان له أثره فى ازدهار الحياة الفكرية من جهة عامة، وفى خصوبة ونماء الفقه الإسلامى وتشريعاته من جهة خاصة.

وما كان من موقف الشافعى إزاء بعض آراء مالك ـ وهو ما يُعرف فى عصرنا بمشكلة القديم والحديث، أو الشيوخ والشباب ـ فإن هذا الموقف يتطابق مع قول الإمام أبى حنيفة: «علْمُنا هذا رأىٌ وهو آخر ما قدرنا عليه، فمن رأى غير ذلك فله ما رأى ولنا ما رأينا».

وبهذا ازدهرت الحياة الفكرية فى الإسلام، وتأسست علوم وقواعد وفق الروح المتحررة، فازدهر بها الإسلام، وسادت حضارته.

ذكر الرازى هذا الإشكال الذى قد يطرأ على أذهان بعض الناس حول الأستاذ والطالب. فقال: فإن قال قائل: لما كان حال مالك فى الدين والعلم ما ذكرته، وكان تعظيم الأستاذ واجباً على كل مسلم، فكيف أَقْدَمَ الشافعى على مخالفته؟ وكيف جوَّز من نفسه أن يضع الكتاب عليه؟.

دوافع الكتابة.. رفع مظاهر تقديس مالك

قال البيهقى: قرأتُ فى كتاب أبى يحيى زكريا بن يحيى الساجى أن الشافعى إنما وضع الكتاب على مالك لأنه بلَغَهُ: أن

بالأندلس قَلَنْسُوة(١) لمالك يُستشفى بها.

وكان يُقال لهم «قال رسول الله»، فيقولون: «قال مالك»، فقال الشافعي: «إن مالكاً آدميٌ قد يحفظ وقد يغلط.

فصار ذلك داعياً للشافعي إلى وضع الكتاب على مالك لبيان «بشرية» مالك وأخطائه، لئلاً يُنزله الناس منزلة النبوة أو التأليه، فصفة التقديس التى ألبسها الأندلسيون على مالك هى التى أثارت ثورة الشافعي.

ولو أخذ الإسلاميون بعمل الشافعي وكفاحه ضد العوائد المرذولة لما رأينا حال المجتمع الإسلامى تتردى بسبب مظاهر التقديس المنتشرة باسم الدين فى أرجائه.

منهجه فى نقد مالك

وبدأ الشافعي فى بيان أخطاء مالك لتحقيق بشريته فى نفوس الأندلسيين من جانب، وبيان أن الحقيقة وليدة الاجتهاد والبحث من جانب آخر.

(أ) قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: قدمت مصر ولا أعرف مالكاً يخالف من حديثه إلا ستة عشر حديثاً، فنظرت فإذا هو يقول بالأصل ويدع الفرع، ويقول بالفرع ويدع الأصل.

قال الرازى: إن الكتاب الذى وضعه الشافعي على مالك قال فى أوله: إذا حدَّث الثقة عن الثقة عن رسول الله فهو ثابت عن رسول الله، والثابت عن رسول الله لا يُترك إلا إذا وُجد حديث يخالفه، وإذا اختلفت الأحاديث فالاختلاف فيها وجهان:

أحدهما: أن يكون فيها ناسخ، فيعمل بالناسخ ويترك المنسوخ.

والآخر: ألاَّ يتميز الناسخ عن المنسوخ.

فها هنا نذهب إلى إثبات الروايتين ـ وإذا تساويا ـ نذهب إلى أسْنَد الحديثين لكتاب الله وأشبههما بحديث آخر.. وإذا ثبت الحديث عن رسول الله لا يخالفه حديث آخر، وكان يروى عن غير رسول الله حديث يوافقه، لم يزده قوة، وحديث رسول الله مستغن، وإن كان يروى عن غير رسول الله حديث يخالفه لم ألتفت إلى ما خالفه، وحديث رسول الله أَوْلَى أن يُؤخذ به.

ولما قرر الشافعي هذه القاعدة راسماً بها منهجه. ذكر: أن مالكاً عدَّ هذه القاعدة فى بعض المواضع دون بعض ـ ثم ذكر المسائل التى ترك الأخبار الصحيحة فيها بقول واحد من الصحابة، أو بقول واحد من التابعين، أو لرأى نفسه. ثم ذكر ما تَرَكَ فيه من أقاويل الصحابة لرأى بعض التابعين أو لرأى نفسه ـ وذلك أنه ربما يدعى الإجماع وهو مختلف فيه.

(ب) كذلك أخذ عليه: ادعاءه أن إجماع أهل المدينة حجة. قائلاً: ليت شعرى من

(١) القَلَنْسُوة: لباس للرأس.



امين الخولى

هؤلاء المجمعين الذين لا يسمعون؟ فإنَّا لا نعرفهم؟ ولا يكلف الله أحداً أن يأخذ دينه عمَّنْ لا يعرفه.

(جـ) كذلك أخذ عليه تضارُبَهُ فى منهجه. ومنه أخبرنا مالك عن أبى الزبير عن عطاء بن رباح عن ابن عباس أنه سئل عن رجل واقَعَ أهله وهو بمنى قبل أن يفيض، فأمره أن ينحر بدَنَة. قال الشافعي: بهذا نأخذ.

وقال مالك: عليه عُمرة وحجة تامة وبدنة.. رواه عن ربيعة عن ثور بن زيد عن عكرمة، يظنه عن ابن عباس.. يعلق الشافعي فيقول:

فإن كان قد ترك قول ابن عباس لرأى ربيعة فهو خطأ. وإن تركه لرأى عكرمة فهو يسيء القول فى عكرمة، لا يرى لأحد أن يقبل حديثه.

هو يروى عن سفيان عن عطاء عن ابن عباس خلافه، وعطاء ثقة عنده وعند الناس.

قال الشافعي: والعجب أنه يقول فى عكرمة ما يقول، ثم يحتاج إلى شيء من علمه يوافق قوله، فيسميه مرة ويسكت عنه أخرى.

فيروى عن ثور بن زيد عن ابن عباس فى الرضاع وذبائح نصارى العرب. ويسكت عن ذكر عكرمة ـ وهذا من الأمور التى ينبغى لأهل العلم أن يتحفظوا منها.

تعليق بعض الأصحاب على موقف الشافعي

علَّق الربيع على موقف الشافعي من مالك قائلاً:

(أ) وأقول أنا الربيع: إن أرسطاليس الحكيم تعلم الحكمة من أفلاطون ثم خالفه، فقيل له: كيف فعلت كذلك؟ فقال: أستاذى صديقى، والحق صديقى، فإذا تنازعنا فالحق أَوْلَى بالصداقة. فهذا المعنى بعينه هو الذى حمل الشافعي على إظهار مخالفة مالك، وهذه القدرة الفائقة فى النقد المنهجى ما قَلَّلَتْ من شأن مالك يوماً، أو جعلت الشافعي يستخفُّ به فى أحاديثه، وإنما كان دائماً يقول:

لولا مالك وسفيان لَذَهَبَ علْم الحجاز.

ويقول: إذا جاء الأثَر فمالك النجم.

ويقول: كان مالك إذا شك فى شيء من الحديث تركه كله.

تعليق من المحدثين

هل بعد ذلك يكون الشافعي قد تحامَلَ على مالك كما يقول الأستاذ أمين الخولى: «وتحامل عليه الشافعي حسداً لموضع إمامته...»؟ إننا لا نرى أستاذنا الشيخ أمين الخولى ـ برغم ما تميَّز به من إنصاف ـ منصفاً فى تلك العبارة. وما يخفف من وقع التعليق

وقسوته: أن الأستاذ الشيخ أمين الخولى تابَع فيه ابن عبد الله الأندلسى، وإقليم الأندلس هو الذى دفع الشافعى لينصف مالكاً بينهم عندما حاولوا تقديسه ـ فى كتابه «جامع بيان العلم وفضله، ومما ينبغى روايته وحمله».

فكل خشونة فى النقد، أو جفاء فى التعليق على موقف الشافعى، لا غرو أن تراه من الأندلس، ومن متأخرى المالكية.

يقول محمد بن عبدالحكم: «ما رأيت مثل الشافعى.. كان أصحاب الحديث يجيئون إليه يعرضون عليه غوامض علم الحديث، فكان يوقفهم على أسرار لم يقفوا عليها، فيسمعون وهم متعجبون منه».

ولَمّا سُئل محمد بن عبدالحكم عن معنى قوله: ليس أبوعبيدة بفقيه، قال: لأنه يجمع أقاويل الناس ويختار منها واحداً. فقيل له: فمن الفقيه؟ ـ قال: الذى يستنبط أصلاً من كتاب الله أو من سُنّة رسول الله ، لم يسبق إليه، ثم يشعب من ذلك الأصل مائة شعبة.

قيل: فمن الذى هو كذلك؟

قال: محمد بن إدريس الشافعى.

منهجه فى التوفيق بين العقل والنقل

وأمّا عن منهج الشافعى بالنسبة لمدارس عصره وللعلماء، فهو كما يقول الرازى: كان الناس قبل زمن الشافعى فريقين: أصحاب الحديث ـ وأصحاب الرأى.

أمّا أصحاب الحديث فكانوا حافظين لأخبار رسول الله، إلا أنهم كانوا عاجزين عن النظر والجدَل، فذلك ليس ميدانهم، وكلما أورد عليهم أحد من أصحاب الرأى سؤالاً أو إشكالاً وقع فى أيديهم عاجزين.

وأمّا أصحاب الرأى فكانوا أصحاب النظر والجدل، إلا أنهم عاجزون عن معرفة الآثار والسُنَن.

وأمّا الشافعى فكان عارفاً بسُنة رسول الله، محيطاً بقوانينها، وكان عارفاً بآداب النظر والجدل، قوياً فيه. وكان فصيحَ الكلام، قادراً على قهر الخصوم بالحجة الظاهرة، وآخذاً فى نصرة أحاديث رسول الله.. وكان مَن أورد عليه سؤالاً أو إشكالاً أجاب عنه بأجوبة شافية كافية، وانقطع بسببه استيلاء أهل الرأى على أصحاب الحديث، وسقط دفعهم، وتخلص بسببه أصحاب الحديث عن شُبهات أصحاب الرأى، فلهذا انطلقت الألسنة بمدحه والثناء عليه، ووَقّرهُ علماء الدين، وأكابرُ السلف. بقى علينا أن نعرف أو نفهم ما تعنيه عبارة الرازى عن المناهج التى كانت تحكم الجو الفكرى قبل الشافعى: إنها كانت منهجين:

- المنهج العقلى.
- والمنهج النقلى.

فما هو المنهج العقلى وعلاقته بالنص؟.

وما هو المنهج النقلى؟ وكيف توسعوا فيه؟ وما علاقته بالعقل؟.

العقل والتأويل

جرت العادة أن كل شىء مكتوب يجب أن يُفْهَمْ وأن يُفسَّر، وفهمه وتفسيره لا يخرج عن أربع دوائر.

الدائرة الأولى: التأويل الظاهرى: وهو الذى لا يذهب إلى أبعد من النص الحرفى كما يرد، وهو ما يُعرف بالمذهب الظاهرى، أو الاتجاه النصِّى.

الدائرة الثانية: التأويل المجازى: وهو الذى يرى أن الظاهر ليس مراداً سوى ما يرمز إليه من خفايا لا يستوعبها إلا أُولو النُّهَى(٢)، وهو ما يُعرف بالاتجاه الرمزى.

الدائرة الثالثة ـ التأويل الأخلاقى: وهو ما يجب مراعاته ـ خاصة مع النص الإلهى ـ إذ كل نص إلهى لا يخلو من قيمة أخلاقية، وعلى المتأوِّل أن يراعيها، سواء أخذ بالظاهر أو المجاز.

الدائرة الرابعة: التأويل الخفى: الذى لا يخضع للمعنى الظاهرى ولا المعنى الرمزى، إنما هو تفسير تحكمه الأهواء، مثل الباطنية.

هذه مواقف تبين بسهولة كيف يمكن تأويل أقوال الثقات فى تأييد أى رأى، بحيث يبقى العقل فى واقع الأمر فيما يدع وفيما يأخذ.. ولا شك أن العقل الذى يدور بالنص فى الدوائر الأربع يَلْقى اعتراضاً، على أساس أن العقل هو اتجاه شهوانى. إلى أن جاء الشافعى وقَوَّمَ هذا المنهج العقلى بما وَضَع له من شروط البحث والنظر فيما أسسه من علم أصول الفقه.

قال الإمام الشافعى فى الرسالة:

«ولا يقيس إلا من جمع الآلة التى له القياس بها»، وهى:

العلم بأحكام كتاب الله: فرضه، وآدابه، وناسخه، ومنسوخه، وعامه، وخاصه، وإرشاده.

ويستدل على ما احتمل التأويل منه بسُنن رسول الله، فإذا لم يجد سُنّة فبإجماع المسلمين، فإن لم يكن إجماع فبالقياس.. ولا يكون لأحد أن يقيس حتى يكون عالماً بما مَضى قبله من السُنَن، وأقاويل السلف، وإجماع الناس واختلافهم، ولسان العرب.. ولا يكون له أن يقيس حتى يكون صحيحَ النقل، وحتى يعرف المشتبه، ولا يعمل بالقول به دون التثبيت. ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه، لأنه قد يتنبه بالاستماع لترك الغفلة، ويزداد تثبيتاً فيما اعتقد من

(٢) أى أصحاب العقول.

الصواب، وعليه بعد ذلك بلوغ غاية جهده، والإنصاف من نفسه، حتى يعرف من أين قال ما يقول وترك ما يترك.

ولا يكون بما قال أعنى منه بما خالفه، حتى يعرف فضل ما يصير إليه على ما يترك إن شاء الله. فأمّا من تم عقله ولم يكن عالماً بما وصفنا فلا يحل له أن يقول بقياس، وذلك أنه لا يعرف ما يقيس عليه. كما لا يحل لفقيه عاقل أن يقول فى ثمن درهم ولا خبرة له بسوق.

ومن كان عالماً بما وصفنا بالحفظ لا بحقيقة المعرفة، فليس له أن يقول أيضاً بقياس، لأنه قد يذهب عليه عقل المعانى. وكذلك لو كان مقصر العقل، أو مقصراً عن علم لسان العرب، لم يكن له أن يقيس من قبل نقص عقله، عن الأدلة التى يحوز بها القياس».

ثم أخذ يتكلم عن الاختلاف والتأويل فقال: يقول الشافعى عن الاختلاف والتأويل: فإنى أجد أهل العلم قديماً وحديثاً مختلفين فى بعض أمورهم، فهل يسعهم ذلك؟» قال: فقلت له ـ أى لسائله: الاختلاف من وجهين:

أحدهما محرم، ولا أقول ذلك فى الآخر. قال: فما الاختلاف المحرم؟.

قلت: كل ما أقام الله به الحجة فى كتابه أو على لسان نبيه منصوصاً بيناً لم يحل الاختلاف فيه عن علمه، وما كان من ذلك يحتمل التأويل، ويدرك قياساً، فذهب المتأول أو القياس إلى معنى يحتمل الخبر أو القياس، وإن خالفه فيه غيره. لم أقل يضيق عليه ضيق الخلاف فى المنصوص.

قال: فهل فى هذا حجة تبين فرقك بين الاختلافين؟

قلت: قال الله فى ذم التفريق:

﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾

(البينة/ ٤)

وقال جل ثناؤه:

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾

(آل عمران/ ١٠٥)

فذم الاختلاف فيما جاءتهم به البينات.

فأما ما كلفوا فيه الاجتهاد فهو مما لله فيه نص حكم يحتمل التأويل.

فهل يوجد على الصواب فيه دلالة؟

قلت: قل ما اختلفوا فيه إلا ووجدنا فيه عندنا دلالة من كتاب الله أو سنة رسوله، أو قياسا عليهما، أو على واحد منهما.

ثم قال عن علاقة الظاهر بالباطن: والقرآن على ظاهره، حتى تأتى دلالة منه أو سنة أو إجماع بأنه على باطن دون ظاهر. أرأيت أقاويل أصحاب رسول الله إذا تفرقوا فيها؟

فقلت: نصير منها إلى ما وافق الكتاب أو السنة أو الإجماع، أو كان أصح فى القياس.

واضح مما سبق أن القياس الذى يذهب إليه الشافعى ليس منه الإلهام، وهو الإلقاء بطريق الفيض، والفراسة، وهى الأخذ بحدة الذكاء.

أما عن الاتجاه النقلى، فإن كان قد تشعب ليحارب العقل، فبينه ابن حزم فقال: من غير إعمال للفكر فى الحكم الشرعى.

قال قوم: لا يعلم شئ إلا بالإلهام: وقال آخرون: لا يعلم شئ إلا بقول الإمام، وهو عندهم رجل بعينه إلا أنه تعدى مائة عام وسبعين عاماً ـ منذ حياة ابن حزم ـ معدوم المكان، متلف العين، ضالة من الضوال.

وقال آخرون: لا يعلم شئ إلا بالخبر. وقال غيرهم لا يعلم شئ إلا بالتقليد. واجتمعوا فى إبطال حجة العقل بأن قالوا: قد يرى الإنسان أن يعتقد شيئا ويجادل عنه، ولايشك فى أنه حق، ثم يلوح له غير ذلك. فلو كانت حجج العقول صادقة لما تغيرت أدلتها.

ثم أخذ يرد على كل طائفة. يقال لمن قال بالإلهام: الفرق بينك وبين من ادعى أنه ألهم ببطلان قولك. فلا سبيل إلى الانفصال عنه. وقال: أيضا فإن الإلهام دعوى مجردة من الدليل.

وأما الذين يقولون بالإمام فإنهم مؤولون قوله تعالى:

﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(النساء/ ١١٥)

قال الشيعة: المراد من المؤمنين الأئمة المعصومون، أو من كان منهم الإمام المعصوم.

ويقال لمن قال بالإمام المعصوم: بأى شئ عرفت صحة قول الإمام؟ أببرهان أم بمعجزة أم بالإلهام أم بقوله مجردا؟

فلابد من حاكم يميز الحق منها بالباطل، وليس ذلك إلا العقل الذى لا تتعارض دلائله. وقال عن التقليد: المقلدون كالغرقى، فأى شئ وجدوه تعلقوا به.

ووفق هذا المنهج الذى وصف الرازى به حال الجو الفكرى إبان العصر الذى تبع فيه الشافعى، وقدمنا عرضه حتى رأينا كيف قومه وربط بين المنهجين بما وضعه من قواعد أصولية تحكم العقل، وتوضح النص، تقوم العقل من غير إغفال للنقل، وأكد حجة النقل من غير إغفال للعقل، وكنا نرى ذلك ظاهراً على آرائه الفقهية والأصولية حتى الكلامية على قلتها.

ولما كانت آراء الإمام الشافعى الكلامية، بل وموقفه من علم الكلام ليس من الشهرة التى تطابق فقهه وأصوله، رأينا أن نقدم موقفه من الكلام نموذجاً تطبيقياً لمنهجه الفكرى.

قصة العدد

قالت هلمَّ إلى الحديث فقلتُ لا (*)

فتح مكة

للأستاذ/ أحمد الشايب
الأستاذ بكلية الآداب

-١-

قال الراوى: كانت السنة الثامنة منذ هاجر الرسول عليه السلام من مكة إلى المدينة، وكان صُلح الحُديبية الذى يوقف الحرب بين المسلمين والمشركين سنوات عشرا يقطع عامه الثانى، ويتيح لقريش فى مكة فرصة التروِّى لعلهم ينجون بكرامتهم وحياتهم من هذه الدعوة المحمدية، والنصرة الإلهية، وكان المسلمون فى المدينة، مهاجرين وأنصارا، يستبعدون مدى هذه الهدنة، ويعدونها نيلاً من عزتهم الدينية، وقد علموا

﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧]

وما كان لهم أن ينقضوا عهداً فى أعناقهم أو يفكوا عقداً للرسول بإذن الله - تعالى - ولكن الله قدر وقضى - لتصدق الرؤيا تواً ويكون الفتح المبين - أن تغدر قريش، فقد ثار بنو بكر بن كنانة على خُزاعة، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له الوتير يطلبونهم بدماء قديمة، وكانت قريش ترفد بنى بكر بالسلاح، وتقاتل معهم خزاعة مستخفين بالليل حتى جاوزوا خزاعة إلى الحرم، فلما انتهوا إليه قال بنو بكر لزعيمهم: يا نوفل، إنا قد دخلنا الحرم، إلهك! إلهك! فقال: كلمة عظيمة: لا إله له اليوم يا بنى بكر أصيبوا ثأركم، فلعمرى إنكم لتسرفون فى الحرم، أفلا تصيبون ثأركم فيه؟!.

قال الراوى: فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين الرسول من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة، وكانوا فى عقده وعهده، خرج عمرو بن سالم الخزاعى، ثم أحدُ بنى كعب، حتى قدم على الرسول المدينة، فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى الناس فقال:

إن قريشاً أخلفوك الموعِدا
ونقضوا ميثاقك المؤكَّدا
فانصر هداك الله نصراً أعتدا
وادْعُ عبادَ الله يأتوا مَددا

فقال رسول الله: نُصرت يا عمرو بن سالم، ثم عرض لرسول الله عنان من السماء، فقال: إن هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب، ثم خرج بُديَل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على الرسول المدينة فأخبره بما أصيب منهم وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة، وقد قال رسول الله ﷺ للناس: كأنكم بأبى سفيان قد جاءكم ليشد العقد ويزيد فى المدة! ومضى بُديل بن ورقاء وأصحابه حتى لقوا أبا سفيان بن حرب بعسفان قد بعثته قريش إلى الرسول ليشد العقد ويزيد فى المدة، وقد رهبوا الذى صنعوا، فلما لقى أبوسفيان بُديل بن ورقاء قال: من أين أقبلت يا بديل؟ وظن أنه قد أتى الرسول، قال سيَّرت فى خزاعة فى هذا الساحل وفى بطن هذا الوادى، قال: أو ما جئت محمداً؟ قال: لا، فلما راح بُديل إلى مكة قال أبوسفيان: لئن كان جاء بُديل المدينة لقد علف بها النوى، فأتى مبرك راحلته فأخذ من بعرها ففتَّهُ فرأى فيه النوى، فقال: أحلف بالله لقد جاء بُديل محمداً.

ثم خرج أبوسيفان حتى قدم على رسول الله المدينة، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبى سفيان، فلما ذهب ليجلس على فراش الرسول طوته عنه، فقال: يا بُنية، ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى؟ قالت: بل هو فراش رسول الله وأنت رجل مشرك نجس، ولم أحب أن تجلس على فراش الرسول، قال: والله لقد أصابك يا بنية بعدى شر، ثم خرج حتى أتى الرسول فكلمه فلم يرد عليه شيئاً، ثم ذهب إلى أبى بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله، فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال: أأنا أشفع لكم إلى الرسول؟! فوالله لو لم أجد إلا

(*) العدد الممتاز الرسالة (٢٤٦) سنة ١٩٣٨م.

الذر لجاهدتكم به.. ثم دخل على علىّ بن أبى طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله وعندها الحسن بن على يدب بين يديها، فقال: يا على إنك أمس القوم بى رحماً وإنى قد جئت فى حاجة فاشفع لى إلى رسول الله، فقال: ويحك يا أبا سفيان! والله لقد عزم الرسول على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه، فالتفت إلى فاطمة فقال: يا ابنة محمد، هل لك أن تأمرى بُنيّك هذا فيُجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟ قالت: والله ما بلغ بنى ذاك أن يجير بين الناس، وما يجير أحد على رسول الله ﷺ قال: يا أبا الحسن إنى أرى الأمور قد اشتدت علىّ فانصحنى، قال: والله ما أعرف لك شيئا يغنى عنك شيئاً، ولكنك سيدُ بنى كنانة، فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك، قال: أو ترى ذلك مغنياً عنى شيئا؟ قال: لا والله ما أظنه، ولكنى لا أجد لك غير ذلك، فقام أبوسفيان فى المسجد فقال: أيها الناس إنى قد أجرت بين الناس، وركب بعيره وانطلق، فلما قدم على قريش، قالوا: ما وراءك؟ فقص عليهم ما جرى، فقالوا: ذلك لا يغنى شيئاً قال: ما وجدت غير ذلك.

- ٢ -

قال الراوى: وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه، فدخل أبوبكر على ابنته عائشة زوجة الرسول، وهى تحرك بعض جهازه عليه السلام، فقال: أى بنية، أأمركم رسول الله أن تجهزوه؟ قالت: نعم فتجهز، قال: فأين ترينه يريد؟ قالت: والله ما أدرى، ثم إن الرسول أعلم الناس أنه سائر إلى مكة وأمرهم بالجد والتهيؤ وقال: اللهم خُذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها، فلما أجمع السير إلى مكة كتب حاطبُ بن أبى بلتعة اللخمى كتاباً إلى قريش يخبرهم أن الرسول إليهم سائر، ثم أعطاه امرأة وجعل لها جُعلاً على أن تُبلغه قريشاً فجعلته فى رأسها ثم فتلت عليه قرونها وخرجت به، ولكن الخبر قد أتى الرسول من السماء بما صنع حاطب، فبعث علىّ بن أبى طالب والزبير بن العوّام فأدركا المرأة فالتمسا الكتاب فى رحلها فلم يجدا شيئا، فقال لها على: إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك، فلما رأت الجد منه قالت: أعرض، فأعرض فحلّت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منه فدفعته إليه، فلما أتى به الرسول دعا حاطبا، فقال: يا حاطبُ: ما حملك على هذا؟ فقال: يا رسول الله أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت، ولكنى صانعت القوم لأهل وولد لى بين أظهرهم، فقال عمر بن الخطاب: دعنى فلأضرب عنقه فإن الرجل قد نافق، فقال

الرسول: وما يدريك يا عمر، لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

ثم مضى رسول الله - ﷺ - لسفره واستخلف على المدينة كلثوم بن حصين الغفارى، خرج لعشر مضين من رمضان، فصام وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكديد بين عسفان وأمج أفطر، ثم مضى حتى نزل مرّ الظهران - فى عشرة آلاف من المسلمين - وهو واد قرب مكة، وقد عميت الأخبار عن قريش، فلا يأتيهم خبر عن رسول الله - ﷺ - ولا يدرون ما هو فاعل.

وخرج فى تلك الليالى أبوسفيان بن حرب، وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء، يتحسسون الأخبار، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به! وكان العباس بن عبدالمطلب قد لقى الرسول ببعض الطريق مهاجراً بعياله، وكان قبل ذلك مقيماً بمكة على سقايته والرسول عنه راض، قال العباس فقلت: واصباح قريش! والله لئن دخل رسول الله مكة عنوة دون أن يأتوه فيستأمنوه، فهو هلاك قريش إلى آخر الدهر، قال: فجلست على بغلة رسول الله البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الأراك لعلى أجد من يأتى مكة فيخبرهم بمكان الرسول ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة، قال: فوالله إنى لأسير عليها وألتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبى سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان، وأبوسفيان يقول له: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً، فيقول بديل: هذه والله خزاعة حمشتها الحرب، فيقول أبوسفيان: خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها، قال العباس: فعرفت صوته، فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتى فقال: أبا الفضل؟ قلت: نعم، قال: مالك فداك أبى وأمى؟! قال، قلت: ويحك يا أباسفيان! هذا رسول الله فى الناس، واصباح قريش والله! قال: فما الحيلة؟ قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله فأستأمنه لك. قال: فركب خلفى ورجع صاحباه، فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة الرسول وأنا عليها، قالوا: عم رسول الله على بغلته، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال: من هذا؟ وقام إلىّ، فلما رأى أباسفيان على عجز الدابة قال: أبوسفيان عدو الله! الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد، ثم خرج يشتد نحو الرسول فلاحقته إليه، فقال: يا رسول الله هذا أبوسفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعنى فلأضرب عنقه، فقال العباس: إنى قد أجرته يا رسول الله، فقال الرسول: يا عباس

اذهب به إلى رحلك فإذا أصبحت فائتنى به. قال: فلما أصبحت غدوت به إلى رسول الله فلما رآه قال: ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ قال: بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شيئاً بعد. قال: ويحك يا أباسفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله؟ قال: بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما هذه والله فإن فى النفس منها حتى الآن شيئا. فقال له العباس: ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تُضرب عنقك، قال: فشهد شهادة الحق فأسلم، قال العباس: قلت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئا. قال: نعم، مَن دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومَن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فلما ذهب لينصرف قال الرسول: يا عباس احبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل، حتى تمر به جنود الله فيراها، قال: فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادى حيث أمرنى رسول الله أن أحبسه، ومرت القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال: يا عباس من هذه؟ فأقول سُلَيم، فيقول مالى ولسُلَيم؟ ثم تمر القبيلة فيقول يا عباس مَن هؤلاء؟ فأقول مُزينة، فيقول: مالى ولمزينة، حتى مرَّ الرسول فى كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار لا يُرى منهم إلا الحدق من الحديد، فقال سبحان الله يا عباس من هؤلاء؟ قلت: هذا رسول الله فى المهاجرين والأنصار. قال: ما لأحد بهؤلاء قِبَل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك بن أخيك الغداة عظيما، قال العباس: قلت يا أباسفيان إنها النبوة، قال: فنعم إذن. قلت: النجاء إلى قومك. فلما جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به، وأذاع فيهم ما جعل له الرسول فخراً، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد آمنين.

- ٣ -

قال الراوى: إن أسماء ابنة أبى بكر قالت: لما وقف رسول الله - ﷺ - بذى طوى عند مكة قال أبوقحافة - والد أبى بكر وكان كفيف البصر - لابنة له من أصغر ولده: أى بُنيَّة اظهرى بى على أبى قُبيس، قالت: فأشرفت به عليه فقال: ماذا ترين يا بنية؟ قالت: أرى سواداً مجتمعاً. قال: تلك الخيل. قالت: وأرى رجلاً يسعى بين يديه ذلك السواد مقبلاً ومدبراً. قال: ذلك الوازع الذى يأمر الخيل ويتقدم إليها ثم قالت: قد والله انتشر السواد. فقال: قد، والله دفعت الخيل فأسرعى بى إلى بيتى. فانحطت به

الفتاة وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته. قالت: وفى عنق الجارية طوق من ورق فيلقاها رجل فيقتطعه من عنقها، فلما دخل الرسول مكة ودخل المسجد أتى أبوبكر بأبيه يقوده. فلما رآه الرسول قال: هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه فيه! قال أبوبكر: يا رسول الله هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى إليه أنت. قال: فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره، وقال له: أسلم فأسلم. ثم قام أبوبكر فأخذ بيد أخته وقال: أنشد الله والإسلام طوق أختى! فلم يجبه أحد فقال: أى أُخَيَّة احتسبى طوقك، ثم فرق الرسول جيشه من ذى طوى، فدخلت فرقُه مكة من نواحيها ونزل الرسول بأعلى مكة وضربت له هناك قبة.

وكان صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبى جهل، وسهيل بن عُمر، قد جمعوا أناساً بالخندمة - جبل بمكة - ليقاتلوا المسلمين. وكان حماس بن قيس من بنى بكر يُعدُّ سلاحا قَبل دخول الرسول. فقالت له امرأته: لماذا تُعد ما أرى؟ قال: لمحمد وأصحابه. قالت: والله ما أرى أنه يقوم لمحمد وأصحابه شىء. قال: والله إنى لأرجو أن أُخدمَك بعضهم. ثم شهد الخندمةَ مع صفوان وسهيل وعكرمة وأناس من المشركين فهزمتهم رجال خالد ابن الوليد، فخرج حماس منهزماً حتى دخل بيته، ثم قال لامرأته: أغلقى علىَّ بابى. قالت: فأين ما كنت تقول؟ فقال:

إنكِ لو شهدتِ يوم الخندمة
إذ فر صفوان وفر عكرمة
وأبويزيد قائم كالمؤتمة (١)
واستقبلتهم بالسيوف المسلمة
يَقطعن كلَّ ساعدٍ وجُمجمة
ضرباً فلا يسمعُ إلا غمغمة (٢)
لهم نهيت (٣) خلفنا وهمهمة
لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمة

لما نزل الرسول مكة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته يستلم الركن بمحجن فى يده. فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له، فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها. ثم وقف على باب الكعبة فقال: «لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يُدعى فهو تحت قدمى هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج إلا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الديه مغلظة، مائة من الإبل، أربعون منها فى

(١) المؤتمة: أسطوانة
(٢) الغمغمة: أصوات غير مفهومة من اختلاطها
(٣) النهيت: صوت الصدر

بطونها أولادها، يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء. الناس من آدم، وآدم من تراب

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

[الحجرات: ١٣]

ثم قال: يا معشر قريش؛ ما ترون أنى فاعل فيكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم. قال: «اذهبوا فأنتم الطُّلَقاء»، ثم جلس رسول الله فى المسجد فقام إليه على بن أبى طالب، ومفتاح الكعبة فى يده فقال: يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك. فقال الرسول: أين عثمان بن طلحة؟ فدُعى له، فقال: هات مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء.

قالوا: لما دخل عليه السلام البيت يوم الفتح رأى فيه صور الملائكة وغيرهم، فرأى إبراهيم ـ عليه السلام ـ مصوراً فى يده الأزلام يستقسم بها، فقال: قاتلهم الله! جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام! ما شأن إبراهيم والأزلام؟!

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

[آل عمران: ٦٧]

ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست، وكان يقول وهو يشير إليها

﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾

[الإسراء: ٨١]

قال الراوى: أراد فضالة بن عمير بن الملوّح الليثى ليقتل رسول الله - ﷺ - وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه قال الرسول: أفضالة؟ قال: نعم فضالة. يا رسول الله قال: ماذا كنت تحدث به نفسك؟ قال: لا شىء. كنت أذكر الله عز وجل فضحك النبى، ثم قال: استغفر الله! ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده من صدرى حتى ما من خلق الله شىء أحب إلىَّ منه. قال فضالة: فرجعت إلى أهلى فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها، فقالت: هلمّ إلى الحديث، فقلت: لا، وانبعث فضالة يقول:

قالت: هلم إلى الحديث فقلت: لا ... يأبى عليك الله والإسلام

لو ما رأيت محمداً وقبيلهُ ... بالفتح يوم تكسر الأصنام

لرأيت دين الله أضحى بيِّناً ... والشرك يغشى وجهه الإظلام

قلت: هذه صفحة من أمجد صحف الإسلام ديناً، وخلقاً، وسياسة، وأدباً، وحماسة، ليس لى فيها إلا تخليصها من أطواء السيرة، وعرضها بأسلوبها، لعل فى الذكرى نفعاً:

وإذا فاتك التفاتٌ إلى الما ... ضى فقد غاب عنك وجهُ التأسى

أنا شىءٌ فكيف أصبح لا شـ ... ىءَ إذا تم للحياة مَداها

(العقاد)

وَقفةُ الوَداعِ الأخيرِ

للشاعر أحمد مصطفى حافظ

«مهداة إلى أروع من رثى النفس فى شعرنا العربى بأسره: مالك بن الريب التميمى..»

بعد إمتاع بعيش نَضِرِ ... وانطلاقٍ، فى المدى المنتَشِرِ

بعد إيلافٍ، لكونٍ زاخرٍ ... وانتشاءٍ، بالجوى المُستَعِرِ

.. ننتهى؟ لا بأسَ، نمضى للثرى ... لنرى.. ماذا وراء الحُفَرِ

ونرى ما ظل سراً غامضاً ... فى ثنايا الغيب.. صلدَ الجُدُرِ

حاطَه الله بأضواء.. بدتْ ... للذى فاء.. حديدَ البصرِ

* * *

نخلع الجسمَ لنبقى، بالتُّقى ... دون «طينٍ».. حاجبٍ للنظرِ

لا نرى الشمس ولا البدرَ، ولا ... لوعةَ الأحباب.. بعد السَّفرِ

.. ثم نمضى فى سُباتٍ طاحنٍ ... نتلاشى.. كالصَّدى المندثرِ

فى مناحى بلدة مجهولة ... ليس فيها للمُنى.. من أثرِ!

والثكالى، واليتامى.. حُوَّمٌ ... فى حنينٍ.. ذائبٍ.. مُنحسرِ

آه من راحة قلبٍ مُثقلٍ ... لا تُرى إلا.. بفقد العُمُرِ!

خطبة الجمعة :

من ملامح الشخصية المسلمة (*)

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصى

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

الحمد لله - عز وجل -، خلق الإنسان فى أحسن تقويم، وكرمه بفضله أعظم تكريم:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

[الإسراء: ٧٠]

أشهد أن لا إله إلا الله، أنعم على الإنسان بما أنعم، فجعله خليفة فى أرضه، والمقدم بين خلقه، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، مُزكّى الإنسانية ومُطهِّر البشرية، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وذريته، وأنصاره وصحابته، ومن استقام على طريقته:

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

[آل عمران: ١٠١]

يا أتباع محمد - عليه الصلاة والسلام:

شخصية الإنسان مجموعة من الصفات تميزه عن غيره، وتحدد ملامح ذاته، وتعطيه الطابع الخاص به؛ وللمسلم شخصية مثالية يمكن أن نجتلى مكوناتها فى هدى القرآن الكريم، وأدب السنّة

(*) ألقيت يوم الجمعة ٢٠ من نوفمبر ١٩٦٤م.

المطهرة، وعمل الصالحين من سلف المؤمنين، ومن هذه المكونات ما يتصل بالبدن، ومنها ما يتصل بالعقل، ومنها ما يتصل بالروح.

فالمسلم الحق رجل صحيح البدن قوى العضل، صالح بقوته وفتوته للعمل والنضال، والاحتمال وهدوء البال، لأن الجسم الضعيف أو العليل قد ينال تفكير صاحبه بالخلل، وقد يدخل على نفسه بالسأم والملل، وجسم الإنسان بناية ربه الذى خلقه فسواه فعدله، فى أى صورة ما شاء ركبه، وبناية الرحمن يجب أن تُحفَظْ وتُصانْ، والمسلم الصادق رجل معرفة وفقه، يطلب العلم من المهد إلى اللحد، وكلما نال مزيداً من العلم أقنعه ذلك المزيد بأنه مازال بحاجة إلى ازدياد، لأن العلم لا نهاية له، والقرآن يقول:

﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

[الإسراء: ٨٥]

كُلّما أدّبني الدّهرُ
أراني نَقْصَ عَقْلي
وإذا ما ازْدَدْتُ عِلْماً
زِدْتُ إيماناً بجَهْلي

والمسلم الحق رجل أخلاق فاضلة كريمة، لأن مكارم الأخلاق هى دعامة الإسلام وأس بنائه، وهذا التكامل الجسمى العقلى النفسى قد نلحظه فى الهدف العام لقول الله - عزّ من قائل:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾

[التين: ٤]

أى فى أحسن تعديل من جهة الشكل والصورة، ومن جهة العقل والفهم، ومن جهة الاستعداد ليكون خليفة الله - تبارك وتعالى - فى هذا الكون العريض؛ وخير الناس من استغل هذا التقويم المثالى الكريم ليؤتى أكله وثمره ما فضل الوسائل وفى أنظف الميادين، وشر الناس من تنكر لهذا التقويم الحسن، فاستحق الانتكاس إلى حمأة الأرجاس، ولذلك قال الحق - جل جلاله -:

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾

[التين: ٦]

ومن مقومات شخصية المسلم أنه سيد نفسه بامتلاكه زمامها، وسيد العالم بصلاحه، وقوامته على الناس، وشهادته على العالمين، ولكنه أيضاً عبد الله وحده، وليس عبداً لسواه، لا تذل جبهته لغير الله، ولا تنخفض هامته إلا لبارئه ومولاه، إذ خضوع المخلوق للبارىء عزّ، ورضا المسلم بالمذلة أمام سوى الله كُفر:

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

[آل عمران: ١٣٩]

وسيادة المسلم فى العالم تقتضيه أن يكون أهلاً لهذه السيادة، بعلمه وفضله، وهدايته وعدله، وأن يكون قدوة عُلْيا للناس، يحملهم على حقه، ولا يحملونه على

باطلهم، والرسول الأعظم - ﷺ - يقول فى هذا: «لا يكن أحدكم إمعة، يقول إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم، إذا أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم»[1].

والمسلم الصادق موصول بيمين الحق - عز وجل -، وهذه الصلة ترفعه عن ترابية الأرض إلى نورانية السماء، ومن حضيض الضعف والاستكانة إلى معاقل الاعتزاز والصيانة، وتجعله موقناً بحقه، مستمسكاً برأيه، قوياً على بهتان الناس، نفوراً من أهوائهم الضالة:

﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

[البقرة: ٢٥٦]

وما دام المسلم قد وصل حبله بحبل الله، وقد أسلم وجهه لله، وقد استمسك بالعروة الوثقى فلن يكون للشيطان عليه سبيل، بل سيراه المسلم دائماً عدواً مبيناً له، فلا يقبل عليه، ولا يميل إليه، بل يقيم من نفسه على نفسه حسيباً رقيباً، لأنه يتذكر دائماً أن ساعة ستأتى يلقى إلى الإنسان فيها سجل أعماله، ويقال له:

﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾

[الإسراء: ١٤]

وسيجد هذا الكتاب دقيقاً فى التسجيل والتدوين، وسيجد الجزاء هناك إن خيراً فخير، وإن شراً فشر:

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ (٤١) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾

[النجم: ٣٩/ ٤٢]

ومن مقومات شخصية المسلم الصادق أنه رجل جماعى وليس بأنانى، يغرس فى نفسه معانى الإخوة والمحبة والتآلف والتعاون، لأن مولاه - جل جلاله - يقول له:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

[المائدة: ٢]

ورسوله - ﷺ - يقول له: «الله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه»[2].

والمسلم الصحيح الشخصية يقول كلمة «أنا» فى مواطن البذل والتضحية والإيثار، فحينما دعا الله نبيه إلى أن يتمسك بالحق، أمره أن يذكر نفسه أولاً، لأن المقام مقام تبعة وجهاد وتطبيق، فقال الحق - جل جلاله -

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

[يوسف: ١٠٨]

---

(١) الترمذي، حديث رقم ٢٠٠٧.

(٢) أخرجه مسلم برقم ٢٠٧٤.

ورسول الإسلام - عليه الصلاة والسلام - يصور فى الأنصار هذه الروح التى تجعل صاحبها ينسى نفسه فى مواطن الشهوة والرغبة، ويقدمها فى مواطن النضال والبذل، فيقول لهم: «إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع»[3]. وهذه صفة تجعل صاحبها فى أعلى مراتب السمو الأخلاقى، فهو يعطى ولا ينتظر الأخذ، وهو يبذل ولا يطالب بالأجر، بل يكافح كفاح الجندى المجهول الذى يريد وجه الله وحده، والرسول - ﷺ - يصور هذا بقوله فيما ينسب إليه: «أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها، أوصانى بالإخلاص فى السر والعلانية، والقصد فى الغنى والفقر، والعدل فى الرضا والغضب، وأن أعطى من حرمنى، وأصل من قطعنى، وأعفو عمن ظلمنى، وأن يكون نطقى ذكراً، وصمتى فكراً، ونظرى عبراً»[4].

ومن تمام شخصية المسلم الحق أن يتجلى فيه الاطمئنان والثبات، لأن النفس المطمئنة هى الراضية المرضية عند الله فى الدنيا والآخرة، وثبات المسلم على دينه وخلقه ومبادئه هو عنوان إيمانه ويقينه، وهو الذى يجعله لا يبغى عند النعمة، ولا يتزلزل لدى المحنة، والداء العياء الذى تشكو منه المجتمعات هو ذبذبة الأخلاق واضطراب النفوس، ولو آتى الله عبده ثباتاً على ما يرتئيه، وصبراً على ما يلاقيه، وثقة بالذى يرتجيه، لوجدت مكارم الأخلاق حراسها وحماتها ورجالها، ولصان الله المجتمعات من مآثم الثعالب الماكرة التى تتلون بطباعها وأخلاقها تلون الحرباء كل يوم، ولقد صور القرآن ثبات النفوس عند خيار المؤمنين فقال:

﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾

[الأحزاب: ٢٣]

يا أتباع محمد - عليه الصلاة والسلام - هذا جانب من ملامح الشخصية المسلمة، ولو تابعنا بقية الملامح لأسلمنا هذا الجانب إلى جوانب، فإن شأن المسلم الكامل أن يظل دائماً مترقياً فى مدارج الفضل والنبل، ومراتب السمو والعلو، حتى يكون فى الدنيا ربانياً، وحتى يكون نعم الخليقة لبارئه فى هذا الوجود، وسبحان من لو شاء لهدى الناس جميعاً إلى سواء السبيل،

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾

[المائدة: ٨٨]

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾

[النحل: ١٢٨]

---

(٣) كنز العمال/ ٣٧٩٥١.

(٤) عيون الأخبار ٢/ ٣٦١.

المرأة بين دعاة التحرر وإنسانية الإسلام

بقلم/ د. محمود إمبابى
وكيل الأزهر الشريف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد

فالحديث عن مكانة المرأة فى الإسلام من أهم ما ينبغى أن تصرف الاهتمامات إليه، ومن أعظم ما ينبغى التركيز عليه، وذلك أن المجتمع الإسلامى يقوم على الأسر، ويتكون منها، والأسر تقوم على المرأة، ويتخرج أفرادها على يديها، ويتلقون مبادئهم عنها، فهى محور ارتكازه، وعمود بنائه، وأساس أركانه، وبدونها لا يكون أبداً، بل لا يتصور فى ذهن أن يقوم مجتمع بدون المرأة، المرأة التى بنيت بناء صالحاً، وأعدت لتقوم بدور بناء المجتمع، وتخريج أفراده ليقوم كل منهم بما يجب عليه حتى يكون مجتمعا صالحاً.

والحديث فى بيان مكانة المرأة فى الإسلام ليس بدعاً من القول، بل هذا كتاب ربنا - سبحانه وتعالى - ليس فيه سورة، بل ولا آية، إلا وللمرأة فيها نصيب. إما بالاتعاظ وأخذ العبرة منها، أو بمشاطرة الرجل أحكامها وتوجيهاتها، بل قد تنفرد عنه فى كثير منها، حتى جعل الله عز وجل للنساء سورة فى كتابه، وفى سنة رسول الله - ﷺ - ما لا يمكن حصره من الأحاديث الخاصة بالمرأة، أمراً وتوجيهاً وإرشاداً وبياناً لمكانتها.

ومنذ مجىء الإسلام والمرأة والرجل يشكلان ركيزة المجتمع الإسلامى مع اختلاف دور كل واحد منهما عن الآخر، وباستقراء التاريخ الإسلامى منذ نزول الوحى نجد أن المساهمة فى البناء الحضارى لأمتنا كانت تتم بالتعاون بين كل مكونات المجتمع الإسلامى رجالا ونساء، ولم تطرح قضية المرأة بشكل منفرد عن الرجل أو بصورة نقيضة أبداً إلا عندما حدث الاختلال فى ثقافة الأمة، فبرزت إلى الوجود دعوات تحرير المرأة بمعناها الغربى العلمانى، ودخلنا فى دوامة الصراع مع أنفسنا من خلال النقاش الحاد حول حقوق المرأة ودورها فى المجتمع وما يمكن لها القيام به وما لا يمكن.

دعاة التحرير

يعتبر دعاة التحرر المرأة الغربية نموذجهم المحتذى، وهم عندما يفعلون ذلك يبرزون الجوانب الإيجابية فى قضية المرأة الغربية ويغفلون الجوانب السلبية - التى ربما تكون أكثر بكثير من الجوانب الإيجابية - من مثل: تحطيم الأسرة، وكثرة الطلاق، والعلاقات غير الشرعية خارج إطار الزواج، وكثرة الولادات غير الشرعية، واتخاذ بعض الأزواج خليلات لهم بمعرفة المجتمع وإقراره...... إلخ، ويغفلون كذلك عن تطورات الحضارة الغربية التى لم تقف عند العلمانية الجزئية التى تعنى فصل الدين عن الدولة، وهى صفة تقبل الحضارة الغربية أن تتعايش الدولة مع قيم إنسانية ودينية وأخلاقية مطلقة مادامت لا تتدخل فى عالم السياسة بالمعنى المباشر والمحدد، وقد ساد هذا الاتجاه لفترة من الزمن، لكن حدثت تحولات تاريخية حولت العلمانية الجزئية إلى علمانية شاملة أودت بالإنسان كمقولة مستقلة عن عالم الطبيعة وبدأت هذه العملية بانفصال المجال الاقتصادى عن القيم الأخلاقية والدينية والإنسانية، وأصبح يحكم على عالم الاقتصاد بمقدار مايحققه من الأهداف الاقتصادية بغض النظر عن أية قيمة دينية وأخلاقية وإنسانية، ثم شملت عملية الانفصال بقية المجالات الحياتية: السياسة والعلم والحب والجنس.... إلخ فيحكم على نجاح العلم أو فشله بمقدار مايحقق من أهداف علمية محضة مثل مراكمة المعلومات وإجراء التجارب الناجحة، بعيداً عن أية قيم أخلاقية وإنسانية ودينية، ويتحرر الجنس من سائر المعايير والقيم ليستمد معياريته من ذاته، ويحكم على مقدار نجاحه أو فشله بمقدار مايحققه من أهداف جنسية محضة، مثل اللذة خارج أى نطاق اجتماعى أو أخلاقى. إذن انتهت العلمانية الشاملة لا لتفصل الدين

عن الدولة فقط، وإنما لتفصل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية جميعها عن الدولة وعن جوانب الحياة العامة والخاصة كافة، أى أنها تفصل سائر القيم عن الطبيعة والإنسان وتنزع عنهما أية قداسة، فكلاهما مكتف بذاته، ومرجعية لذاته.

يطعن دعاة التحرر فى الفترة الأخيرة فى أدوات الاجتهاد التى تساعد على استنباط الأحكام من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، من مثل: علوم أصول الفقه، وعلوم القرآن الكريم، وعلوم اللغة العربية.... إلخ ونتساءل: لماذا يطعنون بها وهى العلوم التى تدل على عبقرية هذه الأمة؟ أيطعنون بها لأنها لم تساعدهم على إقرار التأويلات، والمعانى التى يريدون أن يفرضوها على الدين والمسلمين؟ نحن يمكن أن نقرهم فيما يذهبون إليه فى حالة واحدة عندما يثبتون بالدليل والبرهان عجز هذه الأدوات عن استنباط المعانى بالصورة الصحيحة والسليمة، وطالما أنهم لم يفعلوا ذلك مسبقا، فإن طعنهم فيها وتجاوزها يدخل فى إطار الهدم والتخريب.. ليس معنى ذلك أننا نرفض أى تطوير لها أو استفادة من علوم الغرب اللسانية فى تطويرها، فذلك ما نقره وندعو إليه، لأن التطور سنة الحياة، وهو ماحدث خلال القرون السابقة، فهى لم تكن مقننة أصلا ووجدت متتالية فى عهود وأزمان مختلفة، فبدأت بعلم النحو، وعلم الصرف، وعلوم البيان، والبديع والمعانى، مرورا بعلم فقه اللغة، وأصول الفقه، وانتهت بعلم مقاصد الشريعة، لكن الذى نرفضه هو التجاوز النهائى، والطعن فيها دون حجة علمية وبرهان علمى.

يدعو دعاة التحرر إلى أن نفهم النصوص القطعية الثبوت القطعية الدلالة التى جاءت فى مجال الزواج والشهادة والميراث والعورة واللباس... إلخ فهما جديدا على ضوء واقعنا الجديد، وأن لا نقف فى فهمها عند العصر الذى نزلت فيه وهو القرن السابع الميلادى، ويبررون ذلك بأن هذه النصوص هى نصوص لغوية نزلت فى حقبة تاريخية معينة وعندما يقف دعاة المحافظة فى فهم تلك النصوص عند مستوى معين، فليس ذلك رغبة فى الجمود وإنما نتيجة فهم لطبيعة النفس البشرية التى تحتوى على جوانب ثابتة من مثل: علاقة التجاذب بين الذكر والأنثى، وعبادة الله، وحب التملك.... إلخ فجاءت الشريعة بنصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة توازى الثبات فى النفس البشرية كالنصوص التى تتعلق بالزواج والطلاق والميراث....... إلخ وكالنصوص التى تبين صفات الله وتدعو إلى عبادته وتحدد صور العبادة، وكالنصوص التى تبيح التملك وتقره..... إلخ.

والسؤال الذى يرد فى هذا المجال هو: من أين جاءت كل هذه الضجة المفتعلة حول النصوص القطعية الثبوت القطعية الدلالة؟ جاءت من نسبية الحقيقة التى تقوم عليها

الحضارة الغربية، والتى تتصادم مباشرة مع النصوص القطعية الثبوت القطعية الدلالة، فيجب إذن تطويع هذه النصوص وتفسيرها تفسيرا يخرجها عن ثباتها لتصبح متفقة مع نسبية الحقيقة التى تقوم عليها الحضارة الغربية.

نتيجة شديدة الخطورة

وكان من نتائج ذلك أن بعض النساء المسلمات تتجهن اليوم إلى تقليد النساء الغربيات، أو بالأحرى تقليد النموذج الغربى فى نظرته للمرأة، والتى تبدو فى ظاهرها حرية ومساواة وتحضرا وانتصارا لها، إلى غيرها من الأوصاف الرنانة الأخرى التى تستغفل نساءنا، والمتأمل فى باطن هذه الدعوات أو هذه النماذج يرى السر الكامن وراءها، ووراء هذه الدعاوى، فإن المرأة الغربية هى المروج للجنس والشذوذ وهى المروج للسلع التجارية، وهى الوجه الباسم الذى يلقاه صاحب العمل كل صباح عند دخوله مقر عمله، وهى المرأة التى تتخطى بمشيتها بين زملائها فى العمل، ضاحكة، أو باسمه، فهى الوجه البشوش المرح الذى يزيح هم العمل وكدره. فلا «يطالبون إلا بخروج المرأة فى زينة فاتنة، إذ فى ذلك ما يوقظ غرائزهم، أو يرضى شهواتهم».

إين نحن من تحريم الإسلام للسفور، وتحريم استغلال جسد المرأة فى المهازل والمتارع؟

ودعاة التغريب كتبوا فى كل ما يتعلق بالمرأة وتحريرها، ولم يكتبوا عن شىء واحد تناسيا واستغفالا وهو الحديث عن فطرتها عن أمومتها، انتصارا منهم للرذيلة، ولإخراج المرأة من بيتها كارهة له غير راغبة فى العودة إلا للنوم، انتصارا منهم لإفساد المجتمع الإسلامى، بالدخول فى غوره وأساسه ألا وهو الأسرة، والتى يبدأ انهدامها بهدم اللبنة الأساس وهى الأم والزوجة!

فماذا أعقب هذا؟

أعقبه ازدياد عدد العوانس، والمطلقات وازدياد فاحش فى عدد اللقطاء، والمشردين.

فأين المسلمة من دعوات التغريب والانحلال؟

المرأة محط اهتمامهم

لقد فهم خصوم الإسلام المسألة بوضوح، وصاروا يتربصون بأمتنا، وكانت المرأة محط اهتمامهم، لا لشىء إلا لكونها لم تتحصن بما يكفى من الوعى الشرعى والواقعى وبما يلزم من العلم والخبرة كى تدافع عن نفسها، أو تتصدى لما يستهدف كيانها وشخصيتها من برامج الغزو الثقافى والفكرى والتربوى ذلك أن أغلب النساء فى مجتمعاتنا الإسلامية أميات أو نصف متعلمات أو شبه مثقفات وهو ماجعل المرأة عرضة للإغواء والتدمير، والتأثر السريع بالغير، وجعلها مدخلا للتغريب والانحلال.

هذه الأمية خاصة كانت ولا تزال المدخل للفهم المغلوط من أن التحضر والتقدم هو

التقليد الأعمى لما يعرضه الغرب فى السوق من سلع استهلاكية باسم شرعية العولمة، أو عبر وسائل الإعلام وشبكات المعلومات العالمية، من أفكار وأفلام وأغان وبرامج تعبق فى جلها برائحة الجنس والشذوذ وفساد الأخلاق والمروق من الدين، إلا أنها تتخذ لها عنوان الموضة والفن أو الثقافة غطاء من أجل إقناع المغفلين من الناس ببريقها وبراءتها المزيفين.

إن إفرازات الحضارة العربية المادية انتشرت فى العالم بفعل هيمنة الحضارة الغربية على مصائر الأمم وإلى الآن تسلك آلية العولمة إستراتيجية واضحة من أجل إحكام القبضة على مصائر الأمم وثقافتها وحضاراتها.

وما من شك أن المرأة المسلمة مثل أخيها الرجل - قد تأثرت بشىء من ذلك وانساقت كثير من النساء وراء أفكار غربية ما أنزل الله بها من سلطان، بل وتتعارض جهاراً مع الإسلام، من مثل تسوية المرأة بالرجل فى الميراث والشهادة والنكاح وسائر الحقوق.

إنسانية المرأة

جاء الإسلام وبعض الناس والأمم ينكرون إنسانية المرأة وآخرون يرتابون بها، وغيرهم يعترف بإنسانيتها، ولكنه يعتبرها مخلوقا خلق لخدمة الرجل.

وإذا استعرضنا تاريخ المرأة فى الأمم والمجتمعات الأخرى تبين لنا من خلالها علو شأن المرأة فى الإسلام ورفعة قدرها وأنها نالت فى ظله حقوقا لم تنلها فى مجتمعات أخرى.

أما المرأة فى الإسلام فكان من فضل الإسلام عليها أنه كرمها، وأكد إنسانيتها، وأهليتها للتكليف والمسئولية والجزاء ودخول الجنة، واعتبرها إنساناً كريماً، له كل ما للرجل من حقوق إنسانية، لأنهما فرعان من شجرة واحدة وأخوان ولدهما أب واحد هو آدم، وأم واحدة هى حواء، فهما متساويان فى أصل النشأة، ومتساويان فى الخصائص الإنسانية العامة، ومتساويان فى التكاليف والمسئولية، متساويان فى الجزاء والمصير، ولا قوام للإنسانية إلا بهما.

ويشهد على ذلك آيات عدة منها قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

الحجرات/ ١٣

- وقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾

النساء/ ١

- وقوله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾

الأعراف/ ١٨٩

- وقوله تعالى:

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾

النحل/ ٧٢

ويقول الرسول - ﷺ - : (إنما النساء شقائق الرجال)(١).

إن عبودية المرأة لله كعبودية الرجل له سواء بسواء، وهما مطالبان بالإيمان وإقامة الواجبات وهذا أمر مجمع عليه. يقول الله تعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

النحل/ ٩٧

ولهذا جمع الله تعالى بينهما فى الوصف المترتب على أعمالهما ووعد الجميع بالجزاء الواحد فى الآخرة يقول تعالى:

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾

الأحزاب/ ٣٥

إن المساواة التى جعلها الشرع بين المرأة والرجل، ليست على وجه العموم والإطلاق، بل اقتضت حكمة الشارع - سبحانه وتعالى - بأن يفضل الرجل عليها فى بعض المواقف والأحوال ويُميزه فى بعض الأمور والأحكام.

وهذا التمييز بين الرجل والمرأة اقتضته طبيعة الخلقة والفطرة لكل منهما كما فى الشهادة، والميراث، والدية. وقوامة المنزل، ورياسة الدولة، وحتى فى بعض الأحكام المتعلقة بالصلاة والصيام والجهاد وغيرها.

أما التفضيل الحقيقى فإنه يرجع إلى حقيقة التقوى والالتزام بها:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

الحجرات/ ١٣

«يتبع»

(١) الترمذى/ ١٩٣.

نظرية الحضارة في الإسلام

٣

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

(د) تنظيم الإدارة وسياسة الحكم:

رسّخ الإسلام عدة مبادىء رئيسية لإقامة العلاقة السليمة بين الحاكم والمحكوم، من شأنها أن تمثل أدوات الضبط الاجتماعى ومحركات السلوك، وتفرز آليات الاستقرار والتوازن، وتكون بمثابة صمام الأمان داخل المجتمعات البشرية. ويأتى فى مقدمة هذه الأسس والمبادىء احترام حرية الفرد فى اختيار عقيدته، فلم يكره الإسلام أحداً على الدخول فى الإسلام. قال تعالى:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾

(سورة البقرة: ٢٥٦)

وقال سبحانه:

﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾

(سورة الكهف: ٢٩)

وقال عز وجل للنبى ﷺ:

﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

(يونس: ٩٩)

﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾

(الغاشية: ٢٢)

﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾

(ق: ٤٥)

ويُروى أن امرأة جاءت إلى الخليفة عمر بن الخطاب فى حاجة لها، وكانت مشركة، فدعاها إلى الإسلام فأبت، فقضى لها حاجتها، ولكنه خشى أن يكون فى مسلكه هذا ما ينطوى على استغلال حاجتها لمحاولة إكراهها على الإسلام، فاستغفر الله مما فعل وقال: «اللهم إنى أرشدت ولم أكره».

وحافظ المسلمون على هذا المبدأ فى معاملاتهم مع أهل البلاد التى فتحوها، وسجلوه فى جميع ما عقدوه معهم من معاهدات، فيقول عمر بن الخطاب فى

معاهدته مع أهل بيت المقدس عقب فتحه له: «هذا ما أعطى عمر بن الخطاب أهل إيلياء (بيت المقدس) من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم وكنائسهم وصلبانهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم».. ويقول عمرو بن العاص فى معاهدته مع المصريين بعد فتحه لمصر: «هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وملّتهم وكنائسهم وصلبانهم وبرّهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينقص». وفى العصر العباسى أخذ الخليفة المتوكل يحاسب النصارى على تهاونهم فى أمر دينهم، فأمر بجلد طبيبه المسيحى الذى أهان صورة العذراء البتول، ثم حبسه، مبالغةً فى التنكيل به لقاء ما فرط من جنب الله باعتدائه الآثم على ما ينبغى لأم المسيح من تكريم وتبجيل، وكان الإمام محمد عبده يحرص على أن يستمع إليه المسلمون والمسيحيون وهو يقرأ دروسه فى الجامع الكبير ببيروت وفى الجامع الأزهر بالقاهرة. ولم تَحُل الدولة الإسلامية فى عصورها التاريخية دون العلم وتطوره ونقله ومدارسته على أيدى كل من كانت له صلاحية له وأياً كانت مصادره، فلم يكن كل المشتغلين بالعلم من أصل عربى ولا معتنقين الديانة الإسلامية، ولكنهم جميعاً عاشوا وعملوا وأنتجوا باللغة العربية فى إطار مجتمع إسلامى تكفل عقيدته حرية الاعتقاد الدينى وحرية الرأى والتعبير، حتى إنه سمح لفلسفات أن تقوم وتمتد إلى المناقشة فى أصول العقائد الإسلامية ذاتها، وهو ما لا يحدث حتى الآن فى كثير من الدول المتقدمة.

كذلك أرسى الإسلام مبدأ تكريم الإنسان بالأمر بالمساواة بين أفراد الرعية فى الأحكام والمعاملات، وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص والعدل بين الجميع. قال تعالى:

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾

(سورة النساء: ٥٨)

وأخذ الرعية باللين ومعاملتهم بالحسنى كقوله تعالى:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾

(سورة آل عمران: ١٥٩)

وقوله:

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾

(سورة النحل: ١٢٥)

وكذلك التيسير عليهم فيما يُطلب منهم

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾

(سورة البقرة: ١٨٥)

أيضا، أرسى الإسلام مبدأ الشورى، وعدم الاستبداد بالرأى، وفى القرآن الكريم سورة كاملة تحمل اسم «الشورى»، يصف الله ـ تعالى ـ فيها المؤمنين بجملة صفات منها تجنب كبائر الإثم والفواحش، والمغفرة عند الغضب، ويقول فى إحدى آياتها:

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾

(سورة الشورى: ٣٨)

ويخاطب الرسول ﷺ فى سورة أخرى بقوله:

﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

(آل عمران: ١٥٩)

وفى مقابل هذه الحقوق التى أعطاها الإسلام للرعية أوجب عليهم طاعة الحكام ما داموا يقيمون شرع الله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾

(سورة النساء: ٥٩)

على أن يتم هذا كله وفق مقتضيات العدل التى حددها القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

(سورة المائدة: ٨)

ثالثا: تعظيم مكانة العلم والعمل النافع

إن العلم الذى يدعو إليه الإسلام هو العلم الشامل بشقيه «الدينى» و«المادى». أما الشق «الدينى» فهى العلوم التى مصدرها الوحى، وتعنى بأمور العقيدة والقيم والتصور العام للوجود والنفس الإنسانية ونظام المجتمع. وأما الشق «المادى» فهى علوم البحث فى ظواهر الكون والحياة، ويهتدى الإنسان إليها بمداركه البشرية التى أنعم الله بها عليه ليبصر طريق المعرفة الصائبة ويفتح مغاليق الحضارة، على أن تظل هذه العلوم الكونية فى عالم الشهادة دنيوية بعلاقاتها مع الأشياء، وتعبدية فى الوقت نفسه لصلتها بالخالق الواحد سبحانه وتعالى.

والواقع أن العلوم الدينية المعنية بأمور العقيدة والأخلاق والتشريع، تأتى فى المرتبة الأولى، لأن الإيمان هو الأساس فى كل دعوة دينية منذ أن كان الدين. ومعرفة الإنسان بالله عن طريق رسله هى أسمى معرفة لأنها تحيى الضمائر وتغرس

الفضائل وتوفر الأمن والأمان على الدماء والأموال والأعراض، فضلا عن أنها تعصم الفكر من الانحراف وتحول دون استخدامه فى التدمير والعدوان. لكن القرآن الكريم يبين لنا أن الكون كله كتاب للعلم بالله سبحانه وتعالى، ويوضح لنا أن التفكر فى الظواهر الكونية، والتعرف على نواميسها الإلهية، يؤدى إلى تعميق الإيمان بالله وزيادة الخشية منه. قال تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

(سورة فصلت: ٥٣)

وقال سبحانه:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾

(سورة فاطر: ٢٧ ـ ٢٨)

على أن العلم الشامل الذى يحث الإسلام على تحصيله ويعلى من شأنه لابد أن يكون نافعا ولا يخلو من فائدة. وقد ورد تحديد العلم الشامل النافع فى دعائه ـ ﷺ ـ [اللهم إنى أعوذ بك من أربع: من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، ودعاء لا يسمع» (رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى).

ومقياس النفع هنا فى التصور الإسلامى ليس ذلك المعيار الفردى «الذرائعى» الذى تقول به الفلسفة «البراجماتية» السائدة لدى الغرب، وإنما هو صالح مجموع الأمة وإقامة أمر الدين، فلا خير فى علم عند الإسلام إلا إذا كان معه عمل نافع، ولا يُعقل أن تكون الهداية إلى الحقيقة مجرد هداية إلى الفكرة الصائبة وحدها، بل لابد أن تتعدى ذلك فتصبح هداية إلى العمل النافع والسلوك القويم أيضا. ويشير القرآن الكريم فى آيات كثيرة إلى أن الإنسان هو خليفة الله فى الأرض، وهو الذى حمل أمانة إعمار الحياة عليها بالإفادة من كل ما سخره الله له فى هذا الكون الفسيح.

وربما كانت أكثر الكلمات لفتا للنظر فى هذا السياق كلمات «العمل» و«الصنع» و«الاستعمار» (أى طلب العمران)، و«إثارة الأرض»، التى تتوقف كلية على فعل الإنسان واجتهاده، بالإضافة إلى كلمات مثل «الأرض»، و«البحر»، و«النهر» التى وإن توقف وجودها وتذليلها على القدرة الإلهية، فهى ـ فى الوقت نفسه ـ موضع التنافس

بينه وبين البشر لاستغلالها والاستفادة منها، ولا تتحقق الحكمة من خلقها وتذليلها إلا بذلك[1].

رابعاً: ترسيخ قيم التقدم الحضارى

إن من أهم أعمدة البناء الحضارى فى الإسلام إرساء منظومة القيم التى تؤثر فى حياة البشر وسلوكياتهم، وتحدد شكل العلاقات الاجتماعية وأنماط التفاعل الإنسانى المؤدية إلى التعاون الإيجابى والحوار الهادف البناء، وإن صياغة أى إطار لنظرية الحضارة ومعاييرها لا تكتمل إلا بوجود قيم الحق والخير والجمال، وفى هذه الحصيلة تكمن القوة الدافعة للفكر الإنسانى بأن يفعل شيئاً معيناً ويحجم عن فعل شىء آخر. وإذا تعرضت المنظومة القيمية العامة إلى هزات أو تحولات، أو انتابها نوع من الخلل، تدهورت أحوال البشر، وعم الفساد فى الأرض، وشعر الناس بفقدان التوازن وعدم الثقة وضياع الرؤى، وانتابت المجتمعات البشرية حالات من الإحباط والعجز والقلق والتوتر وعدم الرضى، وشاعت بين الناس حالات من التردى والوهن وافتقاد مقومات الدقة والإتقان والأمانة، وسادت الفوضى الأخلاقية والسلوكية، وفقد النظام الاجتماعى قدرته على الاستمرار، وظهرت حالة من «اللا معيارية» يضيع معها الشعور بالانتماء، ومن ثم تتعطل معها حركة التنمية والنماء، وتظهر أنماط معاكسة من القيم السلبية المختلفة[2].

وفى هذا السياق تبرز أهمية الدين فى حياة الإنسان، وتتفق الأديان جميعاً على استنادها إلى موقف معين من القيم، ولعلها هى نفسها ـ أى الأديان ـ موقف قيمى صريح، لأنها تحدد للإنسان ما ينبغى أن يقوم بعمله إزاء هذا الكون، حيث يكبر الحكم على قيم الأشياء والأعمال بشعور ما يترتب عليها من ثواب، فثمة ما هو أسمى وما هو أدنى، ومتى عُرف ذلك التدرج فى المنزلة، كان التزام المؤمن إزاءها بمواقف محددة. ومن شأن هذا التدرج القيمى أن يسلم إلى قيمة أعلى تكون منبع القيم جميعاً، ومصدر السلطة والالتزام، وعلى هذا يكون الخلاص أو الفوز فى الدنيا والآخرة مصحوباً بمدى الالتزام بالقيم الدينية، والامتثال لها، والأخذ بما تأمر به، واجتناب ما تنهى عنه.

(1) د. أحمد مختار عمر، مرجع سابق.

د. أحمد فؤاد باشا، فى فقه العلم والحضارة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(2) د. أحمد فؤاد باشا، فى التنوير العلمى، دار الفكر العربى، القاهرة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

وفى الإسلام، يعتبر الخطاب الإلهى والبيان النبوى هما الفيصل فى الحكم على الحسن والقبيح، وعلى المباح والمحرم، والحسن ما وافق الشرع واستوجب الثواب، والقبيح ما خالف الشرع ويترتب عليه العقاب فى الآخرة.. والله يغفر لمن يشاء. ولقد قدمت الحضارة الإسلامية نموذجاً رائعاً لما ينبغى أن تكون عليه العلاقة بين عناصر ثلاثية «القيم والدين والعلم»، فقد نقلت عن حضارات الأقدمين وتفاعلت معها ـ دون مانع من جنس أو لون أو عقيدة ـ وخلصتها وتمثلتها وطورتها، وقدمتها علماً عالمياً موحداً، وثيق الارتباط بمبادىء الدين والخلق القويم. والصورة الحقيقية للإنسان فى الإسلام هى ارتباطه بالكون الذى يعيش فيه، لا ليمثل فيه إلا جزءاً منه فقط، بل ليرتبط بتاريخه أيضاً، ويكون أهلاً للبحث عن الحقيقة وحمل أمانة الاستخلاف فى الأرض.

وعندما غاب هذا الهدف الأسمى للتصور الإسلامى فى العلاقة بين الإنسان والكون، أو بين العلم والدين، حدث الانفصام بين الفكرة والشىء، ولم تعد للمرء سيطرة فاعلة لا على الأفكار ولا على الأشياء، فهو يلمّ بالأفكار بعض إلمام دون أن يستوعبها، ويمر بظواهر الأشياء دون أن يتصل بكياناتها ليستنطقها. ومنذ حدث ذلك عند المسلمين أفلت زمام حضارتهم وظهرت شمسها عند أناس غيرهم عرفوا كيف يستنطقون التفاحة قبل أن يفكروا فى التهامها.. وعرفوا من خلال ذلك كيف يخلعو ـ على الأفكار وعلى الأشياء فى آن معاً قيمتها المعرفية وفاعليتها الحضارية.. لكنهم ـ بتخلّيهم عن الهدف الأسمى الحقيقى الذى قدمه المنهج الإسلامى الرشيد ـ إنما يحفرون قبراً لدفن حضارتهم المادية المهددة بالفناء بين لحظة وأخرى.

إن حقائق الواقع المعيش، وتجارب الخبرة الإنسانية، تدل على أن المجتمع القادر على تحقيق التوافق والانسجام بين حركة الحياة الواقعية وبين النسق الفكرى الموجّه لهذه الحركة، هو القادر فى الوقت ذاته على احتضان الفكرة الصائبة واستثمارها حضارياً بما يحققه الخير والتقدم، سواء كانت هذه الفكرة فى مجال العلم أو التقنية أو الاجتماع أو الاقتصاد أو غير ذلك من مجالات النشاط الإنسانى. وهذا هو جوهر النظرية الحضارية فى الإسلام.

***

شهادات غربية في الافتراء على الإسلام

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

فور وقوع (قارعة ١١ سبتمبر ٢٠٠١م) في أمريكا.. والتي قصف فيها مبنى وزارة الدفاع.. «البنتاجون» في واشنطن.. ودمر فيها برجا التجارة العالمية في نيويورك - وقبل أن يبدأ التحقيق في هذا الحادث المروع، أعلن الرئيس الأمريكي «بوش - الصغير» في ١٦ سبتمبر ٢٠٠١م - «حملة صليبية» استباقية!.. ضد الإسلام وأمته وعالمه.. واضعا إياهم تحت اسم «الأشرار.. والإرهاب»!.

وبرغم محاولات البعض تصوير عبارته عن «الحملة الصليبية» بأنها «زلة لسان»، سببتها قلة الثقافة، إلا أن سيل الكراهية السوداء، الذي انهال على الإسلام - والإسلام تحديدا - سواء من وسائل الإعلام الغربية - والأمريكية بالدرجة الأولى - أو من قطاعات كبيرة من كبار المسئولين وصناع القرار.. أو من المفكرين الاستراتيجيين المشيرين على صناع القرار.. وذلك فضلا عن الممارسات العدوانية التي مارستها كثير من الحكومات الغربية، بقيادة وضغوط أمريكية - ومنها الحروب الاستباقية ضد أفغانستان والعراق - كل ذلك لم يدع شكا في أن عبارة «الحملة الصليبية» قد أريد بها المعنى الذي سبق وعنته في التاريخ الوسيط للصراع التاريخي الذي مارسه الغرب الاستعماري ضد الشرق والشرقيين.. معنى النزعة الاستعمارية التي تغلف الأطماع الإمبريالية بغلالة من المسيحية، وليس معنى الحرب بين المسيحية والإسلام.

فإذاعة الفاتيكان - التي تذيع بتسع وثلاثين لغة - والناطقة باسم أكبر المراجع النصرانية في العالم، قد صادق مديرها «باسكوالي بورجومنيو» على أن لغة الإدارة الأمريكية ومواقفها إنما هي



«صليبية».. فصرح - في ٢٨/٢/٢٠٠٣م - إبان الهجمة الأمريكية - الغربية على العراق - فقال: «إنه في الوقت الذي يدعو الفاتيكان إلى التعقل، ويشجع العمل الدبلوماسي، ويدافع عن القانون الدولي، نرى في الجانب الآخر قوة عظمى تقودها إدارة خولت إلى نفسها مهمة إنقاذية «مقدسة».. واتخذت لهجة ومواقف صليبية»[1].

ولقد صدق على موقف الفاتيكان

(١) صحيفة «الحياة» - لندن - في ٢٩ - ٢ - ٢٠٠٣م.

هذا، وأكده الأنبا «يوحنا قلته» - نائب البطرك الكاثوليكى فى مصر - فقال: «إن بوش يستخدم المسيح درعا، والصليبية ثوبا للدفاع عن مصالح أمريكا المادية.. وإنه كان يقصد تماما معنى عبارة «الحملة الصليبية».. ولم تكن أبدا زلة لسان»[٢].

وإبان هذه «الحملة الصليبية» انهالت على الإسلام سيول من افتراءات ثقافة العنصرية والكراهية السوداء.

● فوزير العدل الأمريكى «جون أشكروفت» يسب إله المسلمين ورب العالمين، فيقول: «إن المسيحية دين أرسل الرب فيه ابنه ليموت من أجل الناس، أما الإسلام فهو دين يطلب الرب فيه من الشخص إرسال ابنه ليموت من أجل هذا الرب!»[٣].

● ومساعد وزير الدفاع الأمريكى «الجنرال ويليام ج. بوكين»، يذهب إلى حد القول: «إن إلهنا أكبر من إله المسلمين، إن إلهنا حقيقى، وإله المسلمين صنم، وإنهم يكرهوننا لأننا أمة مسيحية - يهودية، وعدونا هو الشيطان نفسه!»[٤].

● والسيناتور الديمقراطى - الأمريكى - «جوزيف ليبرمان» - مرشح الرئاسة الأمريكية - يعلن ما يؤكد «صليبية» هذه الحملة.. فهى - كما يقول - حملة لفرض «القيم»، وليس «السياسات» فقط، فيقول: «إنه لا حل مع الدول العربية والإسلامية إلا أن تفرض عليها أمريكا القيم والنظم والسياسات التى نراها ضرورية.. فالشعارات التى أعلنتها أمريكا عند استقلالها لا تنتهى عند الحدود الأمريكية، بل تتعداها إلى الدول الأخرى!»[٥].

● وتتحدث «مارجريت تاتشر» - رئيس وزراء إنجلترا الأسبق - عن أن المعركة هى حول «القيم».. و«المصالح»، فتقول - عن المسلمين -: «إنهم يرفضون القيم الغربية، وتتعارض مصالحهم مع مصالح الغرب.. وإنهم يمثلون أيديولوجية عدائية لأمريكا والغرب.. فهم كالبولشفية فى الماضى.. وكما كان الحال مع الشيوعية، فلابد من

(٢) صحيفة «العربى» - القاهرة - فى ١٦ - ٣ - ٢٠٠٣م.

(٣) صحيفة «الشرق الأوسط» - لندن - فى ٢١ - ٢ - ٢٠٠٢م.

(٤) صحيفة «الحياة» - لندن - فى ١٧ - ١٠ - ٢٠٠٣م.

(٥) صحيفة «الأهرام» - القاهرة - فى ١٦ - ١ - ٢٠٠٢م.

تبنى استراتيجية طويلة المدى ليتسنى لنا هزيمتهم»![٦].

● وهذه «القيم» التى تريد هذه «الحملة الصليبية» فرضها على الإسلام وأمته وعالمه، هى قيم الحداثة الغربية، التى تريد تغيير طبيعة الإسلام، وعزله عن شئون الدولة والاجتماع، وتحويله إلى صورة من المسيحية الغربية التى خضعت للعلمنة، ففصلت بين ما لقيصر وما لله، مكتفية بما لله، وخلاص الروح، ومملكة السماء -خارج هذا العالم - فهذه «الحملة الصليبية» ليست ضد «التشدد» الإسلامى، كما يحسب البعض ويعلن، وإنما هى ضد الإسلام الرافض لقيم الحداثة الغربية: الليبرالية.. والعلمانية.

وعن هذه الحقيقة يفصح المفكر الاستراتيجى الأمريكى «فوكوياما»، فيقول: «إن الحداثة، التى تمثلها الولايات المتحدة الأمريكية والديمقراطيات المتطورة، ستبقى القوة المسيطرة فى السياسة الدولية، وإن المؤسسات التى تجسد مبادىء الغرب الأساسية ستستمر فى الانتشار عبر العالم.. وإن الإسلام هو الحضارة الرئيسية الوحيدة فى العالم التى لديها مشاكل أساسية مع الحداثة.. فالحركات الأصولية الإسلامية ترفض، لا السياسات الغربية فحسب، وإنما المبدأ الأكثر أساسية للحداثة: العلمانية نفسها.. وإن المسألة ليست ببساطة حربا على الإرهاب.. وليست المسألة الحقيقية هى السياسات الخارجية الأمريكية فى فلسطين أو العراق.. ولكن الصراع الأساسى الذى نواجهه أوسع من ذلك بكثير.. إنه صراع ضد العقيدة الإسلامية الأصولية التى تقف ضد الحداثة الغربية، خاصة فيما يتعلق بالمبدأ الأساسى حول الدولة العلمانية.. وهذا هو التحدى الأيديولوجى الذى يمثل، فى بعض جوانبه، تحديا أكثر أساسية من الخطر الذى شكلته الشيوعية!»[٧].

● وإذا كان الرئيس الأمريكى «بوش - الصغير» قد استخرج مصطلح «الأشرار»، الذى أطلقه على الدول والتوجهات الإسلامية المعارضة لحملته الصليبية هذه.. قد استخرج هذا المصطلح من «سفر المزامير».. وقرر أن حربه على العراق - فى مارس سنة ٢٠٠٣م - هى «حرب عادلة، وفق المفهوم المسيحى، كما شرحه القديس «أوغسطين» [٣٥٤ - ٤٣٠م].. وكما فصله كل من «القديس» توما الأكوينى»

(٦) صحيفة «الشرق الأوسط» - لندن - فى ١٤ - ٢ - ٢٠٠٢م.

(٧) النيوزويك - الأمريكية - العدد السنوى ديسمبر سنة ٢٠٠١م - فبراير سنة ٢٠٠٢م.

[١٢٢٥ - ١٢٧٤م] و«مارتن لوثر» [١٤٨٣ - ١٥٤٦م] وآخرون»!.

وأنه - خلال هذه الحملة الصليبية الجديدة - قد تعود أن يبدأ يوم عمله - فى البيت الأبيض - بالقراءة فى كتاب عظات إنجيلية قصيرة، عنوانه «أعظم ما يمكننى لأعظم العظماء «My Utmost For His Hghest» للقسيس «أوزوالدتشيمبرز»، الذى توفى سنة ١٩١٧م وهو يحرض الجنود الاستراليين والنيوزيلنديين على غزو القدس، فى الحملة التى قادها الجنرال الإنجليزى «اللنبى» [١٨٦١ - ١٩٣٦م] سنة ١٩١٧م!.

إذا كان هذا هو «الورد»! الذى يبدأ «بوش - الصغير» بقراءته كل صباح.. وإذا كان قد أعلن عن البعد الدينى فى حملته هذه على «الأشرار - المسلمين»، عندما خطب فى «أبريلاند» بمدينة «ناشفيل»، متوجها إلى رجال الإعلام الدينى - فى الحزام الإنجيلى بالجنوب الأمريكى - حيث قال: «إنهم - المسلمون الأشرار - يكرهون حقيقة أن نعبد الرب بالطريق التى نراها مناسبة»!!.

حتى لقد قال أحد المشاركين فى ذلك اللقاء: «لا يسعنى أن أتصور المسيح يدعو حشدا يهتف له إلى الحرب كما سمعت الرئيس يفعل للتو»!.



هكذا صار حال العراقين فى ظل النظام الأمريكى الجديد

وحتى لقد وصف الكاتب الإنجليزى «جيلبرت كيه» الروح الدينية والنزعة الصليبية فى هذه الحملة الأمريكية، فقال: «إن أمريكا أمة بروح كنيسة!.. وإن الرئيس الحالى والرئاسة الحالية هما الأشد رسوخا فى هذا الإيمان خلال العصور الحديثة»!.

إذا كانت هذه هى وقائع وشهادات الأمريكيين والغربيين على روح هذه الحملة الصليبية، التى أعلنتها أمريكا على «المسلمين - الأشرار»، عقب أحداث ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١م.. فإن قساوسة اليمين الدينى، و«المسيحية - الصهيونية»، كان لهم الدور القيادى فى هذه الحملة الصليبية ضد الإسلام.

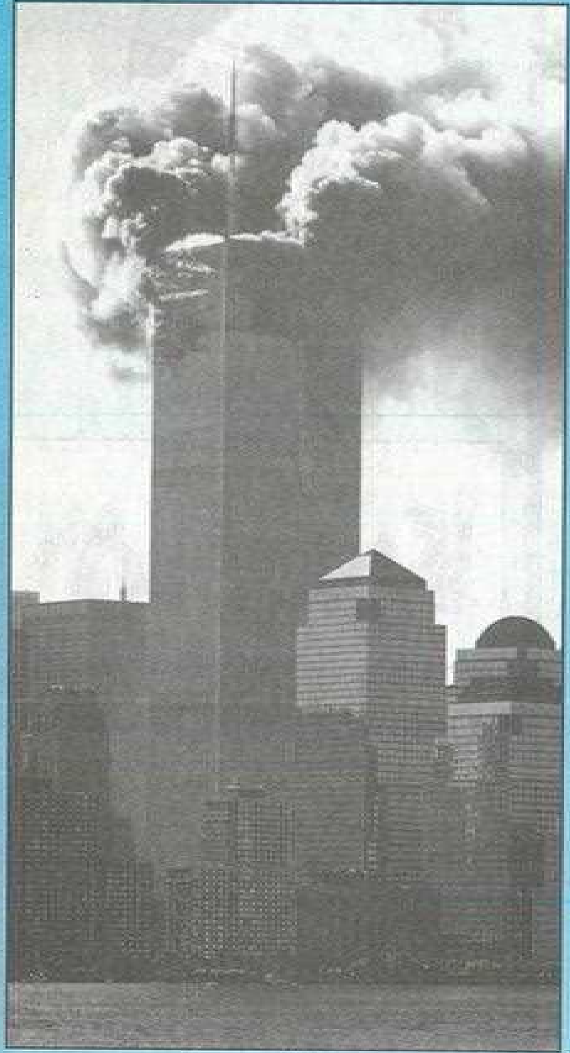
لقد ذهب قساوسة «التحالف المسيحى» و«المؤتمر المعمدانى الجنوبى» و«الجيب

السامرى»، مع الجيش الأمريكى الزاحف على العراق - فى مارس سنة ٢٠٠٣م - وهم «لا يخفون رغبتهم فى تحويل المسلمين إلى المسيحية، حتى - بل لاسيما - فى بغداد»! - كما تقول مجلة «النيوزويك» الأمريكية[٨].

فالقس «فرانكلين جراهام» - الذى ترأس حفل القسم الدستورى لبوش الصغير - والذى يعد الأب الروحى الذى قاد بوش من الشُكر إلى الرب، و«الولادة المسيحية الجديدة».. يقول عن الإسلام: «إنه دين شيطانى وشرير!»[٩].

والقس «بات روبرتسون» - وهو أوسع قساوسة اليمين الدينى نفوذا فى الإعلام الأمريكى.. ورئيس «التحالف المسيحى» الذى يتحكم فى انتخابات الرئاسة والكونجرس.. هو القائل عن الإسلام: «إن الدين الإسلامى دعا إلى العنف.. وإن أمريكا بحاجة إلى إنذار ضد خطر المسلمين الذين يكرهون أمريكا ويحاولون تدمير إسرائيل!»[١٠].

والقس «جيرى فاين» هو القائل عن نبى الإسلام - ﷺ - : «إن محمدا هو الشيطان نفسه»[١١].



●●●

تلك إشارات - مجرد إشارات - إلى قطرة من محيط مخزون ثقافة الكراهية السوداء، التى انهالت على الإسلام وأمته وعالمه، عقب قارعة ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١م.

---

(٨) النظر فى ذلك كله: النيوزويك ١١ - ٢ - ٢٠٠٢م.

(٩) صحيفة «واشنطن بوست» فى ١٨ - ١ - ٢٠٠١م.

(١٠) صحيفة «الحياة» - لندن - فى ٢٦ - ٢ - ٢٠٠٢م وصحيفة «الشرق الأوسط» - لندن - فى ٢ - ٣ - ٢٠٠٢م.

(١١) محمد السماك «الدين فى القرار الأمريكى» ص٦٠ طبعة بيروت سنة ٢٠٠٣م.

كتاب الشهر

الإسلام شريكاً

دراسات عن الإسلام والمسلمين

تأليف: فريتس شتيبات

ترجمة: د/ عبد الغفار مكاوى

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

٣

من خصائص الإسلام التى تميزه عن جميع الديانات السابقة ـ سماوية وغير سماوية ـ والتى تؤكد أنه الدين الذى هيأه منزله ـ جل وعلا ـ ليكون ديناً شاملاً جميع البشر، صالحاً لكل زمان ومكان... من خصائص الإسلام تلك: أنه يقوم على أصلين صادرين عن وحى السماء، هما القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية الصحيحة، وأن هذين الأصلين قدَّما ثوابت لا تتغير بتغيير البيئات ـ زمانية كانت أو مكانية ـ ولا تحوج أطوارُ الحياة إلى تغييرها.

كما قدَّما قيماً وتشريعات ينبثق عن هذه الثوابت، منها قيم وتشريعات ثوابت كذلك لا تحتاج أطوار الحياة إلى تغييرها، ومنها قيم وتشريعات نسبية تقبل التغيير استجابة لأطوار الحياة، واختلاف البيئات. !

وعلى الرغم من استقرار هذه الخصائص ووضوحها... نجد من بين المفكرين والدارسين ـ مسلمين وغير مسلمين ـ من يخلط بينها، فيصدر أحكاماً وصفات لشكل الدولة الإسلامية، ولكنها غريبة عن حقيقة الإسلام، تصدر إما من أناس منغلقى التفكير يقدمون الإسلام فى هيئة جامدة تفصله عن الحياة وأطوارها، وإما من أناس يجهلون حقيقته، فيقدمونه ـ كذلك ـ فى هيئة غريبة عن الحياة وأطوارها.

ومن هنا... أصيبت صورة الدولة الإسلامية بضبابيات حجبت حقيقتها عن الكثيرين، وجعلت من الحديث عنها مشكلة ـ أو قضية ـ متشابكة

الأبعاد، تحوج إلى البحث المتأنى والمتجرد عن الغرض، والمزود بالمعرفة الدقيقة والرؤية الخالصة للإسلام. !

شكل الدولة الإسلامية

ومن هنا... يرى «شتيبات»: أن اتخاذ مواقف مؤيدة لسياسة إسلامية أمر يتفق مع التصور التقليدى بأن الدين والسياسة فى الإسلام لا ينفصلان.

ولأن المصادر الأولى للإسلام لم تقدم شكلاً محدداً للدولة الإسلامية فى العصر الحاضر... يرى أن لا مفر من أن يرجع فى ذلك إلى المسلمين أنفسهم... الأمر الذى يفرض على من يتصدى للبحث عن شكل الدولة الإسلامية فى العصر الحاضر أن يواجه بعدة أشكال، تنبثق عن عدة حركات، لكنها جميعاً تلتقى فى نقطة واحدة هى تطبيق الشريعة.

ولكن «شتيبات» يلاحظ أن الدولة الحديثة فى العالم الإسلامى اعتمدت فى مجالات قانونية كثيرة على نماذج غربية، فيما عدا قوانين الأسرة والميراث، ويعين على ذلك مرونة الشريعة الإسلامية، وعدم جمودها؛ حيث يمكن التوصل إلى تشريعات خلاقة، وشديدة التنوع؛ فعدم ثبات الأسس القرآنية، وعلوها على الزمن... أثمر علم مقاصد الشريعة، وعلم المصالح العامة، حيث يقوم باستنباطها علماء الشريعة الذين كانوا يجندون علمهم للحد من سلطة الحكام، ولكنهم صاروا فى العهود المتأخرة تابعين للحكام الذين استغلوهم لتأييد مصالحهم.

يستثنى من ذلك الدولة الإسلامية فى إيران التى قامت على أساس إضفاء الهيبة والاحترام على علماء الشريعة، حيث يعهد بسلطة الحكم، وبقيادة الجماعة لواحد من علماء الشرع يتصف بالعدل، وتقوى الله، والشجاعة، والحكمة، والبصيرة، فإذا لم يوجد عالم بهذه المواصفات تولى مهمته زعيم، أو مجلس زعماء مكون من صفوة علماء الشرع.

و«شتيبات» يلاحظ أن هذه الجمهورية الإسلامية لا تسلم ـ مع كل ذلك ـ من المشكلات، مثل اختلاف آراء الأعضاء المنتخبين مع آراء علماء الشرع، ومثل تدخل الزعيم الدينى تدخلاً مباشراً فى المسئولية السياسية.

وبذلك... أمكن لتلك الجمهورية الإسلامية أن تجمع بين العناصر التقليدية، والأصولية، والعناصر الحداثية، حيث طورت الأفكار والتصورات الشيعية القديمة، وأضافت إليها فكرة السيادة الشعبية، والتمثيل النيابى، والمشاركة الشعبية.

ويتوقع «شتيبات» وجود النموذج الأمثل للدولة الإسلامية فى باكستان، انبثاقاً عن الصراع هناك بين الجماعات الإسلامية الأصولية، والجماعة التى تضم

الطبقة الوسطى المثقفة ثقافة غربية، تلك الصراعات التى تسببت حتى الآن فى تغيير ثلاثة دساتير.

ويعتمد «شتيبات» فى توقعه هذا على ما يلاحظه من التقاء بين تصورات «أبى الأعلى المودودى» فى باكستان، وبين تصورات الجمهورية الإسلامية فى إيران.

ويتتبع «شتيبات» بالوصف التوجه الإسلامى فى ليبيا، مقرراً: أن من الصعب معرفة مدى تجذر أفكار القذافى فى الدين الإسلامى، الذى يحرص على وصف أفكاره وتصوراته بأنها إسلامية.

ويذكر «شتيبات»: أن هذه الدول الثلاث - إيران، وباكستان، وليبيا - هى التى تطمح إلى أن تمد جذور أنظمة حكمها فى العقيدة الإسلامية - على طريقتها - بخلاف الدول الأخرى التى تتألف غالبية سكانها من المسلمين ذوى الرغبة الملحة فى التمسك بأشكال الحياة الإسلامية، وبرموز الهوية الإسلامية، حيث أصبح على تلك الدول أن تحسب حساب هذه الأغلبية، وتأخذها بعين الاعتبار، وأصبح على تلك الأغلبيات أن ينظموا أنفسهم؛ لكى يحولوا رغباتهم إلى واقع فعلى.

ويرى «شتيبات»: أن جماعة الإخوان المسلمين تعد أشهر تلك المنظمات الإسلامية الساعية إلى تحويل الرغبات


جمال عبدالناصر


القذافى

الإسلامية إلى واقع فعلى، وأن هذه الجماعة دخلت فى صراع مع جمال عبدالناصر الذى سارع إلى ضربها بقوة، فانتشرت فى بلاد أخرى - مع استمرار قيامها فى مصر - وانبثق عنها عدد كبير من الحركات الصغيرة التى اعتمدت على العنف فى سلوكها، والتطرف فى تفكيرها؛ مثل حركة المقاومة الدينية السورية التى دخلت فى صراع شديد مع الحكومة، حيث قوبلت تلك الحركات بالمقاومة العنيفة التى كانت - ومازالت - مصدر قلق لكل حكومة، على الرغم من لجوء بعض الحكومات إلى النص على أن الشريعة الإسلامية هى مصدر - أو أحد مصادر - التشريع الأساسية؛ سعياً لاحتواء تلك الجماعات.

ويخلص «شتيبات» من هذا الاستعراض، ليقرر: أنه قد حاول تقييم بعض التأملات فى الدور السياسى للإسلام فى عصرنا الحاضر، ومُركِّزاً على نقطتين هامتين، هما:

١- أن الإسلام - الذى هو أساس الشعور بالتضامن بين الشعوب الإسلامية كافة - ليس هو القوة الأصلية المحركة لموجة البعث الإسلامى التى نلاحظها اليوم فى العالم؛ فالعامل المشترك بين الحركات الإسلامية لا يأتى من الدين، وإنما يأتى من الموقف التاريخى الذى يفرض على الشعوب الإسلامية التبعية للدول الصناعية الغربية، والبحث اليائس عن توجه يعينها على التحرر من تلك التبعية.

٢- أن العقيدة الإسلامية - على إطلاقها - ليست نظاماً جامداً ولا متصلباً، يقسر المؤمنين به على سلوك محدد؛ فأمام المسلم مجال واسع لتقديم تفسيرات خاصة للعقيدة والشريعة.

ولقد تكونت لدى الجماعات المتباينة حركات واتجاهات شديدة التنوع، وكلها تجد فى الإسلام الثقة بالذات، والهداية، والشرعية، والقوة الدافعة لها على حل مشكلاتها، وتحقيق مصالحها.

وهذه الجماعات والحركات تستحق من الغرباء عنها أن ينظروا إليها بعين الاحترام، ويبذلوا الجهد الكافى لفهمها.

عُمَر... رائد التطوير التشريعى

وفى الفصل العاشر «عُمر الأول»، حاول «شتيبات» أن يقدم صورة لعمر بن الخطاب، تُبيِّن حقيقته، فاستعان بتحليل المأثور من الحكايات والروايات والأساطير التى نُسِجت حول شخصيته النادرة، وشرح الظروف التاريخية التى نشأ فيها وغيَّرته كما غيَّرها.

وفى سبيله إلى ذلك بدأ بعقد موازنة سريعة بين منشأ المسيحية والإسلام؛ فذكر أن المسيحية التى نشأت قبل الإسلام بستة قرون، نمت فى إطار النظام السياسى العلمانى للدولة الرومانية التى تفسح المجال لديانات مختلفة، ولا تشترط عليها إلا أن تعطى ما لقيصر لقيصر. أما فى البنية الاجتماعية لبلاد العرب، فقد بقيت العوامل الدينية والسياسية متداخلة، بحيث لا يمكن الفصل بينها، فجعل محمد ﷺ - من الإسلام نظاماً دينياً وسياسياً متكاملاً، حيث ارتفع بالإسلام والجماعة الإسلامية فوق الوحدات القائمة فى بيئته؛ فكانت الجماعة - وليست القبيلة - هى التجسيد الأرضى للدين؛ لذلك كان الفصل بين الدولة والدين أمراً مستحيلاً.

ومع هذه الدولة الإسلامية - بمميزاتها تلك - ظهرت خصائص عمر - رضى الله عنه - وأولياته.

١- فهو الذى أمر الجيوش الإسلامية بعد الانتهاء من الحرب أن تؤسس مدنا جديدة فى المناطق المفتوحة، وتقيم

فيها... وبهذه الطريقة نشأت مدن البصرة والكوفة. والموصل فى العراق، كما نشأت فى مصر مدينة الفسطاط.

٢- وهو الذى طور نظام توزيع الغنائم، وجعل منه نظاماً ضريبياً، شديد الإحكام؛ فقد أمر بإعداد قوائم تسجل فيها أسماء المستحقين لإعالة الدولة، وكانت هذه القوائم منظمة تنظيماً دقيقاً، حسب أسماء القبائل.

٣- وهو الذى أصدر قراراً يحظر على المسلمين الاستيلاء على أرض زراعية فى المناطق التى فتحت، بل يحظر عليهم الاشتغال بحرفة الزراعة... الذى كان نواة لإنشاء النظرية التى تقول: «إن كل الأراضى التى فتحت ملك للدولة»، وذلك لتعميم الفائدة على جميع المسلمين بما فيهم الأجيال التالية.

٤- وهو الذى تمسك بالطابع العالمى الشامل للإسلام، على ما قرره القرآن الكريم فى قوله - تعالى -:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء/ ١٠٧)

فلم يسمح بأن يوحد بين الإسلام والعروبة، بل حافظ على عالمية الرسالة المحمدية، على خلاف الديانة اليهودية التى اتسمت - بصفة دائمة - بالتوتر والصراع بين المبدأ العالمى لإله السماء والأرض، وبين المبدأ الخاص بالديانة الشعبية «إله إسرائيل».

ويرى «شتيبات»: أن تمسك عمر بذلك الطابع كان له أكبر الأثر فى تطور الإسلام، ولكنه - فى الوقت نفسه - يستبعد أن يكون هذا الخليفة العظيم قد فكر فيما ترتب على سياسته تلك.

ويعقب «شتيبات» على ما تميز به عمر من قرارات حاسمة، مؤكداً أنه فى قراراته تلك لم يكن يدرك ما وراءها؛ فهو فيها لم يكن مجرد فرد حُرْ، وإنما كان يشعر بأنه مجرد أداة لتنفيذ خطة إلهية، وقد وضح هذا الشعور فى عبارته التى دفع بها اتهامه بضعف الإيمان، حين رفض الذهاب إلى مكان انتشر فيه الطاعون، فقال: «أجل إنى أهرب من مشيئة الله إلى مشيئة الله»؛ فلخص ما بذل حوله علماء الكلام من الجدال والنقاش فى التوفيق بين ضرورة الفعل الإنسانى، وبين الإيمان بالقدرة الإلهية المطلقة.

فكان عمر - بمثل هذه القرارات والرؤى - القدوة والنموذج الصانع للمعايير، سواء صدقت نسبة تلك العبارة إليه، أو لم تصدُق؛ فإنها تتسق مع شخصيته التاريخية.

ويرى «شتيبات»: أن أوليات عمر تلك تعنى أنه خُص بالقدرة الفائقة على استلهام المواقف والقرارات الجديدة الحاسمة من التراث، على ضوء المصلحة

العامة للجماعة - أى على ضوء العقل وحده - فلم يكن تشبثه بالتراث بشكل عبودى، كذلك التشبث الذى يعد من أهم أسباب ضعف المسلمين فى العصور المتأخرة.

الإسلام دين ودولة

وفى الفصل العاشر «المسلم والسلطة»، يقرر «شتيبات»: أن ربط الإسلام بين الدين والدولة قد خلق موقفاً مختلفاً عما نجده فى المسيحية التى لم ترتبط بدولة إلا بعد تأسيسها بثلاثة قرون، حتى إن المسيحى يمكنه الفصل بين الدين والدولة، بخلاف المسلم الذى لا يمكن أن يقوم بهذا الفصل.

وأن الإسلام ليس فيه جهة عليا تختص بتقدير ما يتفق مع الدين وما يخرج عليه، فللإسلام شريعة ينبغى تحقيقها أو تطبيقها فى العالم، بحيث يكون تنظيم العالم وفق مبادئ الإسلام واجباً يلزم المؤمن بمهمة سياسية صعبة، تتخطى حدود طاقته، وإن كانت تلك المهمة تبدو سهلة لعدم وجود صيغة واضحة محددة لذلك؛ فالوحى الإلهى الذى أنزل على محمد - ﷺ - لا يحتوى على مشروع دستورى مفصل؛ لأن مطالب الدين من الدولة مطالب ذات طابع عام ومطلقة، تنشئ توتراً بين تشكيل الدولة، وفق التطور الطبيعى، وبين الواقع التاريخى للدولة الإسلامية التى أسسها محمد - ﷺ -؛ فالمُشرِّعُ هو الله، وقد أنزل الشريعة فى القرآن الكريم. وليس فى استطاعة البشر أن يغيروها، ولكنهم يستطيعون تفسيرها، دون قصر هذا التفسير على فئة خاصة، وإنما هو حق لكل مسلم يمتلك المعارف العلمية، والمواهب العقلية المطلوبة لذلك؛ فالدولة الإسلامية دولة دينية قائمة على المساواة؛ لأن الناس جميعاً - حتى الخليفة نفسه - متساوون أمام شرع الله وقدرته. ولا يجب على المسلم طاعة السلطة إلا إذا كانت أوامرها فى إطار الشرع.

وأعقب «شتيبات» ذلك... باستعراض موجز لما أصاب الدولة الإسلامية من انقسام ونزاع، منذ وصول عثمان بن عفان - رضى الله عنه - إلى الخلافة، وأسباب ذلك، وما نشأ فى مقابلة ذلك من جماعات معارضة، وفرق كلامية، واتجاهات تشريعية، تسعى للتوفيق بين المثل الأعلى للدولة الإسلامية، وبين الواقع الفعلى.

وبعد... فالكتاب - فى مجمله - يقدم الإسلام كما رآه «شتيبات» بنظرة المتفحص فى الإسلام، المتردد بين أصول الإسلام - من قرآن وسُنَّة - وواقع الإسلام فى تاريخه المجيد الممتد، الشامل لعصر محمد - ﷺ - وما تلاه من عصور.

ولكنه مزج هذه النظرات بنظرات

آخرين من المستشرقين مثل «أجناز جولدتسيهر»، و«هاميلتون جيب»، و«كلود كاهين»، و«توماس أرنولد»، وغيرهم ممن أفاد منهم وتأثر بآرائهم.

و«شتيبات» - بتقديم تلك الرؤية وما مازجها من رؤى الآخرين - قد حاول أن يقدم صورة للإسلام يستطيع الغربيون أن يروا فيها حقيقته التى قد تردهم عن فهمهم الخاطئ له؛ فيروا فيه شريكاً جديراً بالمشاركة فى الترقى بالبشرية المعاصرة، لا عدواً يستدعى المحاربة، ولا خطراً يوجب المقاومة؛ فما على الغربيين إلا أن يفتحوا صدورهم لمحاورته، والوقوف على ما ينطوى عليه من حرية، وسماحة، وحيوية.

وواضح من صياغة الكتاب ما بذله المترجم من جهد، استطاع به أن يقدم صيغة عربية محكمة، تيسر على القارئ الوقوف على المحتوى، دون اضطراب ولا إجهاد؛ فالمحتوى واضح المعالم، وإتقان اللغتين - المترجم منها والمترجم إليها - بيّن ظاهر.

ولكن دقة المنهج العلمى المحايد، التى أقام عليها الأستاذ «شتيبات» دراسته... هذه الدقة قد تخلت عنه فى مواطن عديدة - حيث وقع أسير الرؤى الاستشراقية المتجنية - من أبرزها:

١- فى ثنايا حديثه عن مكونات المجتمع الإسلامى، وما كان وراءه من محاولات... حيث مثل بما جاء به الوعد بالجنة للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، على ما جاء به قوله - تعالى -:

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

(التوبة: ١٠٠)

فى ثنايا هذا الحديث استطرد «شتيبات»، فذكر أنه قيل عن هذه الآية الكريمة: «إن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لم يكن يشعر بالارتياح لمدّ رحمة الله وفضله على «أولئك الذين اتبعوهم بإحسان» (ص١٢٢)

وفى الهامش نُسبَ هذا القول إلى تفسير الطبرى: ١٤/٤٣٧، وما بعدها.

ولما كان هذا الاتهام بعدم شعور عمر بالارتياح لمدُ رحمة الله وفضله على أولئك الذين اتبعوهم بإحسان، من أخطر ما يمكن أن يتهم به مسلم؛ لما فيه من شائبة عدم الارتياح لما قدر الله وقضى، وهذا ما لا يقع فيه مسلم، فضلاً عن أن يكون هذا المسلم هو عمر.

لذلك... رجعت إلى تفسير الطبرى، فتبين لى أنه لم يذكر شيئاً مما نسب إلى عمر - رضى الله عنه - من عدم الارتياح لما

جاءت به الآية الكريمة، ولم يشر إلى ذلك لا من قريب ولا من بعيد.. وكل ما أورده الطبرى فى ذلك الصدد روايات، جميعها تنص صراحة: أن عمر - رضى الله - تعالى - عنه - كان يخطئ فى قراءة الآية، فيقرأ: «والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان...» بدون (واو) العطف قبل «الذين اتبعوهم»، فلما سمع عمر من يقرأ بغير قراءته، أخذ بيده، فقال: مَنْ أقْرَأكَ هذا؟ قال: أبىُّ بن كعب. فقال عمر: لا تفارقنى حتى أذهب بك إليه، فلما جاءه قال عمر: أنت أقرأت هذه الآية هكذا؟. قال: نعم! قال: أنت سمعتها من رسول الله - ﷺ - ؟. قال: نعم! قال: لقد كنت أظن أنّا رُفعنا رفْعةً لا يبلغها أحد بعدنا. فقال أبىٌّ: بلى. تصديق هذه الآية فى أول سورة الجمعة:

﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

(الجمعة: ٣)

وأوسط الحشر:

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾

(الحشر: ١٠)

وآخر الأنفال:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ﴾

(الأنفال: ٧٥)

فقال عمر: إذا نتابع أبيًّا. [تفسير الطبرى: ١٤/٤٣٧ - ٤٣٩].

ولكن... يبدو أن الأستاذ «شتيبات» لم يرجع إلى تفسير الطبرى مباشرة، وإنما نقل عمن لا يدققون فى النقل، أو عمن يميلون إلى انتقاص الصحابة رضوان الله تعالى عليهم - خصوصاً عمر - فيفسرون النصوص وفق أهوائهم، أو نقل عمن لم يؤتوا المقدرة على فهم النصوص العربية فهماً صحيحاً، على افتراض أنّ نواياهم حسنة.

أما الحقيقة التى يجب أن لا تغيب عن دارسى الإسلام... فهى أن المسلم الحق لا يراود نفسه أىُّ تردد فى قبول ما جاء به النص القرآنى - وليس عدم استحسانه - وإلا فقد أول شروط الإسلام، وهى الإسلام الخالص لما جاء به النص... مع جواز وقوع أى فرد فى الخطأ، دون إصرار عليه، عند وقوفه على الصواب. مثل ذلك الذى صنعه عمر - رضى الله عنه - فيما رواه الطبرى.

٢- عند حديث «شتيبات» عن أسباب الفتوح الإسلامية... كرر ما ذكره كثير من المستشرقين المغرضين دون تمحيص، فقال: كانت تلك الفتوح بسبب الحاجة

الملحة لإيجاد عمل جديد يشغل المحاربين من رجال القبائل بعد اعتناقهم الإسلام، واضطرارهم إلى إنهاء الحروب التى كانت مشتعلة بين القبائل، حتى يتم إقامة سلام إسلامى [ص١٥٢ - ص١٥٣].

وكانت الدقة العلمية المحايدة والممحصة توجب عليه أن يرجع النظر فى تلك المقولة - كما صنع فى كثير من المواقف - ليرى الحقيقة فى ضوء الواقع التاريخى والعقلى اللذين يقرران أن تلك الحروب إنما نشبت لدفع عدوان المجاورين - من البيزنطيين أو الفرس أو غيرهما - على الأرض الإسلامية، أو الاستجابة لاستغاثة أصحاب البلاد الأصليين من ظلم المستعمرين البيزنطيين والفرس ومن قهرهم وقمعهم واضطهادهم، كما كان الحال فى بلاد الشام ومصر والعراق... على ما أقره «شتيبات» نفسه بعد ذلك.

ويدعم هذه الرؤية الواقعية والعقلية ما ورد من نصوص قرآنية تصرح بأن الإذن للمسلمين بالقتال جاء لدفع ما أوقع عليهم من ظلم مثل قوله - تعالى -:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾

(الحج ٣٩)

والتى تصرح بأن المبادأة بالقتال لا تكون إلا نتيجة نكث المعاهدين أيمانهم، وطعنهم فى الإسلام، مثل قوله - تعالى -:

﴿ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾

(التوبة: ١٢)

والتى تصرح بأمر المسلمين بقتال الذين يقاتلونهم دون عدوان، وأن هذا القتال إنما هو فى سبيل الله، وليس لفتح أبواب الارتزاق، مثل قوله - عز وجل -:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

(البقرة: ١٩٠)

أما إغفال المستشرقين المتعصبين هذا كله، وتشبثهم بما قد يعثرون عليه من مسلك فردى سعى صاحبه حديث العهد بالإسلام إلى المشاركة فى الحرب لتحقيق مغنم... فكان الواجب العلمى يفرض على الأستاذ «شتيبات» أن لا ينجرف إليه هكذا، ويجعله منطلقاً إسلامياً لشن الحروب، خصوصاً أن انجرافه إلى هذا قد أوقعه فى تناقض واضح، حيث صرح فى آخر ص١٥٣: بأن سكان الأقاليم والولايات التى بدأ المسلمون بالزحف عليها لم يكونوا يحسون بأى ولاء تجاه الحكومات المحلية للدولتين الكبيرتين، فالجماعات المسيحية فى سوريا ومصر كان ينظر إليها من جانب الكنيسة الرسمية فى بيزنطة على اعتبار أنها

جماعات ملحدة أو آبقة، كما كانت تتعرض للقمع والاضطهاد... كما أن سكان البلاد الأصليين نظروا - فى أكثر الأحيان - إلى المسلمين نظرتهم إلى المحررين لهم من قهر السلطة الكريهة التى كانت تحكمهم... إلخ.

٣- وقد أرجع «شتيبات» اندفاع الكثيرين من الفرس والسوريين والمصريين للدخول فى الإسلام... إلى المزايا الفردية التى تعود على المرء من الدخول فى الإسلام (ص١٥٩)، متابعاً فى ذلك المتأثرين بفلسفة المنفعة «البرجماتية» من المستشرقين... دون روية أو تحقق، فأغفل ما لمسه هؤلاء من الفرق بين ما يكفله الإسلام من حرية، وعدالة، وأمن، وغير ذلك من حقوق الإنسان التى كانوا يفتقدونها فى ظل الاستعمار الفارسى، والرومى البيزنطى.

وكان من المنطقى أن يتحمل الأستاذ الدكتور عبدالغفار مكاوى مترجم الكتاب... عبء التنبيه إلى مثل تلك الهنات فى الهامش إنصافاً للحقيقة، وحفاظاً على المنهج العلمى.!

ولكن الدكتور المترجم قد أعذر إلى الأمانة العلمية، فأعلن فى مقدمته: أنه قصر دوره على الترجمة الأمينة فحسب، دون تعليق أو تنبيه إلى ما تضمنه الكتاب من قضايا وآراء؛ لما فى ذلك من تجاوز لحدوده فى ميدان الدراسات الإسلامية والعربية - فما أوتيه من هذا وذاك لا يتيح له إمكانية التعليق - متيقناً أن غيره من الباحثين والمتخصصين أقدر منه على الخوض فى بحار ذلك الميدان الشاسع.!

فإذا كان لنا من عتب، فأرى توجيهه إلى العنصر الثالث المهم فى الكتاب - وهم القائمون على تحرير سلسلة «عالم المعرفة» - لتغاضيهم عن مثل تلك الملاحظات التى أعتقد أن أحداً منهم لا يقرها لو أنه وقف عليها.

ومع هذا وذاك... فإن تلك الملاحظات لا تقدح فى قيمة الكتاب على وجه الإجمال، فيكفينا من الأستاذ «شتيبات» نواياه الحسنة، وجهوده المشكورة التى استصحبها فى رحلته تلك، وكل ما نرجوه منه - إذا اقتنع بما لاحظناه - أن يحاول تصويب ما وقع فيه بالوسيلة التى يراها، ونرجو من القائمين على سلسلة «عالم المعرفة» أن ينتخبوا من المتخصصين من يقوم بمراجعة ما يقدم من خلال السلسلة، حتى تحتفظ بمصداقيتها؛ إذ لا يكفى - فى جميع الأحوال - أن يُحمّلوا كل باحث مسئوليات بحثه وآرائه فيه. والله من وراء القصد...

***

التوازن بين الحريات المدنيـــــة والأمن العام فى وجه الإرهاب

٢

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف
رئيس اللجنة الدائمة للحوار بين الأديان السماوية بالأزهر الشريف

بعد أن تحدثنا في المقال السابق عن الحرية المدنيـة والأحكام والشـرائع الدينيـة في الإسلام، وألقينا الضوء علي مظاهر الحرية في الإسلام، فذكرنا: حرية العقيدة وحرية الرأي والنقاش وضرورة إباحة التـفكير العلمي، بقي أن نتكلم عن:

• الشورى:

فالإسلام - دين و دولة - جاء بأعظم وسيلة، وأقوى دعامة، وأنجح أسلوب لنظام الحكم الديمقراطى للدولة، ألا وهو نظام الشورى فى الإسلام، فنظام الشورى مظهر من مظاهر الحرية المدنية فى الإسلام.

والشورى فى شكلها ومضمونها وصميمها هى: عدم استبداد أحد برأيه، والتشاور فى اتخاذ القرار المناسب للموضوع المطروح للبحث والمناقشة بناءً على رأى الإجماع أو الأغلبية، فللرعية حق الشورى وعلى الحاكم أن يأخذ بما تنتهى الشورى إليه، وأساس ذلك هو قول الله تعالى:

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾

آية ٣٨ سورة الشورى

والرسول عليه الصلاة والسلام - وهو المعصوم - أمره الله جل وعلا بالشورى، فقال جل شأنه:

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

آية ١٥٩ سورة آل عمران

وهذا ما كان يصنعه رسول الله ﷺ مع أصحابه إذ كان يأخذ الآراء قبل أن يقوم بأمر حاسم.. وكان ينزل على رأى بعض الصحابة ويأخذ به متى استبان أنه الأفضل [وكتب السيرة فيها الأمثلة الكثيرة على ذلك].

وإحساس الفرد فى المجتمع أنه مشارك فى صنع القرار الذى يشرع نظام الحكم فى الدولة يعمق انتماءه لوطنه، ويجعله حريصاً على تقدمه ورفع مستواه، وإعلاء قدره وشأنه، وتوفير أسباب الأمن والأمان والاستقرار له، وبذل كل رخيص وغال فى سبيل حمايته والدفاع عنه.

وليست للشورى صورة خاصة لا تتعداها، فكل عمل أو نظام يتيح أخذ الرأى بحرية كاملة فهو من صميم الشورى سواء أكان مجلساً نيابياً، أم مجلساً اجتماعياً لأهل الحل والعقد من حصفاء القوم المشهود لهم بالورع والتقوى والعلم والخبرة.

• اختيار الحاكم ومحاسبته:

من مظاهر الحرية المدنية فى الإسلام نظام اختيار الحاكم، واختيار الحاكم فى الإسلام يأتى عن طريق البيعة القائمة على الشورى، وللأمة الحق فى مراقبة الحاكم ومحاسبته على أعماله.

وها هو سيدنا أبو بكر - رضى الله عنه - الخليفة الأول لرسول الله ﷺ - يقول فى أول خطبة له فور انتخابه موجهاً خطابه إلى المسلمين: «أيها الناس انى وليت عليكم ولست بخيركم، فان رأيتمونى على حق فأعينونى، وإن رأيتمونى على باطل فسددونى، أطيعونى ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم»، وفى مقام آخر يقول: «إنما أنا متبع ولست بمبتدع، فان استقمت فتابعونى، وإن زغت فقومونى».

وها هو أيضاً سيدنا عمر بن الخطاب - الخليفة الثانى - يسير على نفس النهج، ويسلك نفس الدرب لأن شريعة الإسلام تطلب ذلك، فيقول فى خطبة له: «أيها الناس إن رأيتم فىَّ اعوجاجاً فقومونى» فينهض رجل من عامة المسلمين قائلا له: «والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناك بسيوفنا» فلا يغضب - وهو الخليفة الحاكم - بل يتقبل هذا القول الجاف سعيداً راضياً قرير العين قائلاً: «الحمد لله الذى جعل فى أمة محمد من يقوم أمير المؤمنين بسيفه».

هذه هى أهم مظاهر الحرية المدنية التى جاء بها الإسلام، وهى - كما أشرت سابقاً - كثيرة ومتعددة، غير أننى سأكتفى بهذه الأصول التى نستخلص منها:

أن الحرية المدنية لها ضوابط لابد وأن تراعي وأن يلتزم الجميع بها عند استعمالها ضماناً لأمن المجتمع واستقراره ورفعة شأنه، وأن هذه

الضوابط لا تتعارض مع الحرية ولا تصطدم بها، فالحرية هى أن تقول وتفعل ما تشاء بما لا يتعارض مع القيم الدينية والأخلاقية، وبما لا يمثل اعتداء على حقوق الآخرين.

التوازن المطلوب

بعد أن أشرنا إلى أهم مظاهر الحرية المدنية فى الإسلام فإن الحديث عن التوازن بين الحرية المدنية والأمن العام فى وجه الإرهاب يتطلب توضيح الآتى:

أولاً: أن الأمن العام ورجاله ليسوا أجانب فى المجتمع من غير المواطنين، ولكنهم مواطنون منا يحسون بأحاسيسنا، ويقومون بجهود فى محاربة المفسدين.

وقد تفهم العلاقة بين الأمة ورجال الأمن على غير وجهها الصحيح لدى من يرى أن التصدى للانحراف عن السير فى الطريق السليم عائقا دون الحرية... غير أن الذى يتأمل بنظر محايد يجد أن التصدى ضرورة لها أسباب جوهرية لحماية الأمة وضمان سلامة المجتمع والحفاظ على استقراره.

والقائم على استقرار الأمن العام ملزم بأن يتقيد بأوامر الله فى اتباع الحق، والالتزام بالقانون، فإذا حاد عن ذلك فقد خالف الصراط المستقيم...

ثانياً: إن الإرهاب إساءة لاستعمال الحرية المدنية، فالحرية المدنية لها ضوابط يجب أن تراعى عند استعمالها - كما تم ذكره فى مظاهرها سابقاً - والإرهاب خروج على القانون، لأنه ترويع للآمنين، واعتداء عليهم، ومن شروره ما رأيناه من سفك دماء الأبرياء دون حق، وتدمير وتخريب المبانى والمنشآت.

فمحاربة الإرهاب والتصدى له واجب دينى قبل أن يكون فريضة وطنية، والله - عز وجل - يقول:

﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

آية ٩ سورة الحجرات

فالطائفة التى تبغى تقف موقفاً عدائياً من الأمة، ولئن تركت دون منازلة استفحل خطرها وطغى شرها، لذلك وجب على الجماعة أن تبدأ بعملين متوازيين: الأول الدعوة إلى الصلح والرضا بالتى هى أحسن، فإذا لم تستجب هذه الطائفة الباغية كان قتالها محتوماً حتى تفىء إلى أمر الله ضماناً لسلامة المجتمع والحفاظ على أمنه واستقراره، وإلا عم الخطر وتعرض الجميع للهلاك.

وقد مثل لنا رسول الله ﷺ فى الحديث الشريف الذى يرويه لنا النعمان بن بشير - رضى الله عنهما - عن النبى ﷺ قال: «مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم،

فقالوا: لو أنا أخرقنا فى نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»[1].

فمقاومة المنحرف تدفع الخطر عن الأمة، لأن المنحرف يجر الأمة إلى الوبال والهلاك، كما أمر رسول الله ﷺ بمقاومة هذا الذى يريد أن يخرق السفينة ويقول: هذا مكانى أنا حر فيه أفعل ما أشاء، وفى مقاومته نجاته هو قبل أن ينجو بقية الراكبين.

ومقاومة الفساد فى المجتمع أمر مفروغ منه قررته الشريعة الإسلامية، ووضعت له عقاباً صارماً، يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

آية ٣٣ سورة المائدة

فائدة التوازن وأثر تطبيقه

نخلص من هذا إلى أن مبدأ الحرية المدنية قررته الشريعة الإسلامية للإنسان، وأن كل مظهر من مظاهرها له ضوابط وشروط فى استعماله، وأنه إذا طبق مبدأ الحرية المدنية على وجهه الصحيح، بأن عرف كل ذى حق حقه «حقوق وواجبات» فالتزمت الدولة بمراعاة الصالح العام واحترام حرية الفرد المقيدة باحترام حرية الآخرين وعدم الاعتداء عليهم أو إيذاء مشاعرهم، والتزم الفرد بما حدده له القانون من حقوق وواجبات.. إذا طبق هذا المبدأ مع هذه الاحتياطات الواجبة، فإنه يحقق التوازن الذى يمنع خلط الأوراق، ويحفظ الحدود فى مناطها الصحيح... وأن فهم بعض الأغرار أن الحرية المدنية تتيح فعل كل شىء دون قيد... وأن للفرد أن يقوم بمعارضة الأمن العام مستعملاً الإرهاب لتحقيق منافع ومطامع شخصية، وهو فى ذلك يتصور أنه يستعمل حقه فى الحرية... هذا الفهم فى الأولى والثانية يدل على تفسير وفهم خاطىء للحرية المدنية، ويصور طفولة عقلية لا ترقى ولا ترتفع إلى مستوى المسئولية.

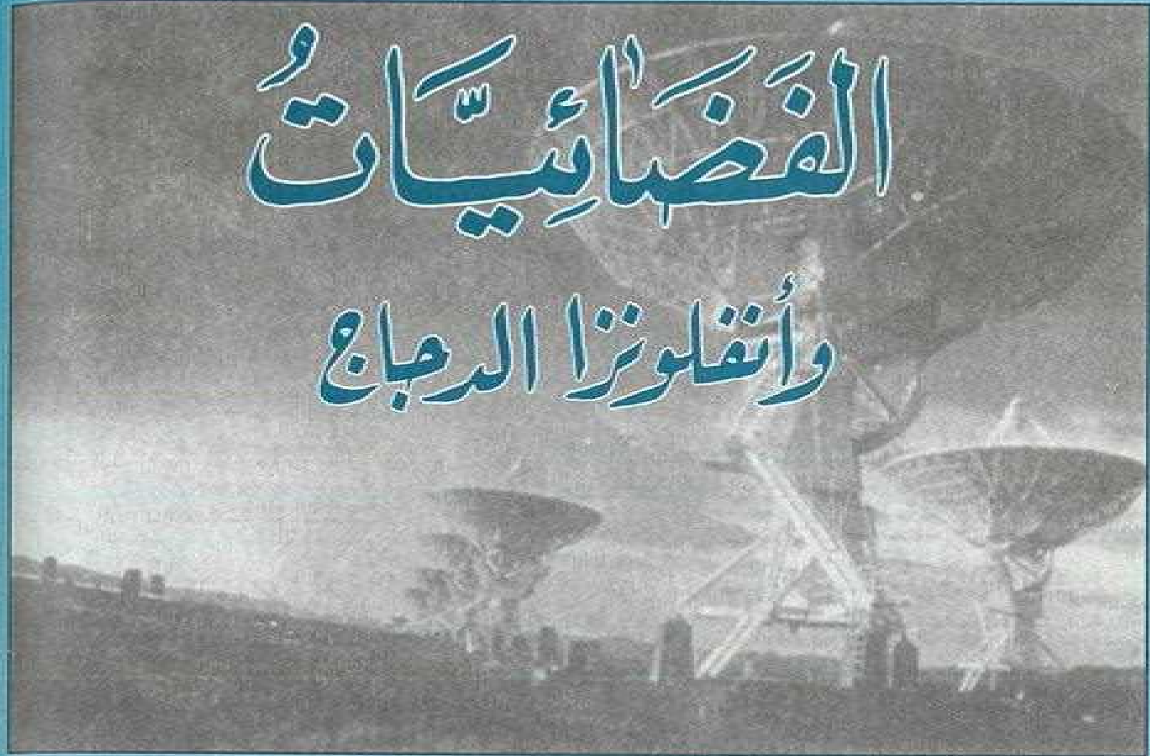
والتوازن فى هذه الحالة هو الأمل المنشود، لأنه يكفل محاربة الفهم الخاطىء، والآراء الشاذة والأعمال الإرهابية المنكرة دون أن يعطى ذوى الشرور مبرراً لما يدعون من بطولات زائفة، فهم فى هذه الحالة يمثلون الفئة الباغية التى يجب أن تفىء إلى أمر الله، ويمثلون ركاب السفينة الذين أصابوا أسفلها...

إن الأمن العام سياج الوطن، والحرية المدنية المتزنة العاقلة حق للإنسان، فعلى كل مفكر أن يبرز هذه الحقائق كى لا تختلط الأوراق...

والله ولى التوفيق،،،

---

(١) صحيح البخارى جـ٢ ص ٨٨٢.



الفضائيات وأنفلونزا الدجاج

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

يروى أن سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - توجه إلى الشام ليتفقد أحوال رعيته ويرى ما يفعله ولاته بهم.

وكان سيدنا معاوية بن أبى سفيان واليه - أو عامله - على الشام فكان بينهما لقاء عجيب. عمر أمير المؤمنين بشيابه التى يصفها التاريخ نستطيع أن نوجز الوصف بأنها ثياب بسيطة دون مستوى أفقر رجل من المسلمين.

ومعاوية واليه - أو عامله - على الشام فى ثياب فخمة وموكب ضخم وخدم وحشم تعرف فيه نضرة النعيم فلم يطق الخليفة عمر إلا أن يحثو التراب على عامله مستنكرا منه ذلك الذى يفعله. فقال معاويه إبن أبى سفيان مدافعاً عن نفسه مبرراً ما يتخذه من حرس حوله ومايلبسه من ناعم الثياب قائلا: يا أمير المؤمنين نحن هنا على حدود أعدائنا فلا آمن على نفسى فلابد من الحرس، وحتى أبدو فى نظر أعدائنا أننا لسنا جياعاً حفاة عراة اتخذت هذه الثياب - أو هكذا قال - أما أنت يا أمير المؤمنين ففى مدينة رسول الله - ﷺ - حولك صحابته ويعرفون قدرك تمشى فى أمان وفوق كل مقام. فما كان من عمر بن الخطاب إلا أن قال:

«إنه لرأى لبيب أو خدعة أريب».

وإنى إذ أسوق هذا القول لا أدافع عما تفعله التليفزيونات العربية ولا لأبرره أو أقبله.

ولكنى أقول: إن الفضائيات التى تلج كل بيت شئنا أم أبينا أصبحت مثل أنفلونزا الدجاج. أو الإيدز الذى لايقاوم بالسلبية.. إننا فى حاجة إلى تطعيم

وسواء صادف هذا الرأى التوفيق أم لا فإنه يبقى محصوراً فى نطاق قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: «إنه لرأى لبيب أو خدعة إريب».

ليست الفضائيات الخارجية لكنها الطامة التى عمت والكيل الذى طفح قنوات القطاع الخاص أو قل إنها آليات السوق تعمل بها ولها.

فجأة ظهر لى صاحبى كأنه خيال أو قل بدى خياله كأنه حقيقة قائلا: غبت عنى طوال هذه الفترة وجئت تبرر الهزيمة بل وتدافع عنها!!

وأراك كأنك من رجالها؟؟؟

قلت لصاحبى: سامحك الله لماذا تقول ذلك وأنت تعرفنى منذ صباى؟ مع الحق بقدر ما أستطيع وضد كل باطل بكل ما أملك. وإن كان مظهرى وحالى لا يخلوان من دعابة ومرح ليس فيه تجهم أو عنف.

قال: صدقت فأنا أعرف منك ذلك من صبانا لكنى لا أكتمك سراً فأنا أرى فيك انهزاماً وفوق ذلك تبريراً.

قلت: مرة أخرى سامحك الله.

ثم قلت فى جد واضح: دعنى أسألك ماذا تفعل فى مواجهة الامراض الوبائية التى تصيب العالم اليوم: الأنفلونزا ومرض جنون البقر. وشلل الأطفال والإيدز؟!

قال صاحبى فى بلاهة لم أعهدها فيه: نغلق دونها الأبواب والمنافذ. ثم استدرك قائلا: يعنى نحصن بلادنا فنغلق المنافذ مثل المطارات والموانىء عن طريق الحجر الصحى.

قلت: حسنا وماذا تفعل إذا كنت لاترى عدوك ويأتيك من غير طرقك القديمة المعروفة المألوفة؟

عاد صاحبى إلى جدل عقيم أو قل قدريه لا يعرفها الإسلام بل إنه استسلام غريب يرفضه الله ورسوله فقال: نسلم الأمر لله.

ثم أردف إن ما نتكلم عنه يشبه الجن.

قلت فى حدة مرددا قول (الإمام الشافعى العبقرى):

نعـيب زمـاننا والعـيب فـينا
ومـا لزمـاننا عـيب سـوانا

ثم أردفت صائحاً صارخاً فى وجه صاحبى: أليست هناك وسيلة أخرى معروفة فى عالم الطب الوقائى وهى التطعيم؟

رد صاحبى فى تجاهل بليد أو قل بلاهة غير معهودة وعناد أو قل فى كبرياء زائف، قال: التطعيم والأمراض والفضائيات!! ما علاقة هذه بتلك؟

قلت فى حزم: العلاقة الفهم لكتاب الله ولقوله - تعالى -

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم ﴾

الأنفال ٦٠

وأرجوك أن تعيش لحظة مع رحابة واتساع كلمة ﴿ مَّا اسْتَطَعْتُم ﴾ فإذا كان الطب الوقائى يأمرك بالتطعيم ضد الوبائيات فإن الفكر المستنير يأمرك بالتوعية الجيدة الواعدة ضد الوبائيات الفضائية أيا كان مصدرها، فلابد من التطعيم ضدها بالفكر الواعى المستنير، ثم أردفت، وهذا مايجب أن يفعله كل منا فى مجاله وتخصصه ولايتقدم إلى الشرح والحديث إلا أولو العلم وأهل التخصص.

قاطعنى صاحبى صائحا - كأنه أراد أن يمسك بفكرة عنت له قبل أن تهرب منه - قال: مهلا. لقد وفد علينا فى قريتنا فى مناسبة الهجرة رجل من أهل القنوات الخاصة فقال: إنه لا يصح أن نقول: «ﷺ» وكل ما قيل منذ عهد الإسلام حتى اليوم بهذا التعبير باطل لايجوز!! قال ذلك فى جرأة عصبية - لكن الواجب أن نقول «اللهم صل على سيدنا محمد».

قلت: لعله استشهد بأن الصحابه لما نزل قول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

الأحزاب ٥٦

فسألوا النبى ﷺ قائلين: نحن نعرف كيف نسلم عليك. لكن كيف نصلى عليك يارسول الله؟

فقال ﷺ قولوا: «اللهم صل على محمد.....» الخ الحديث [1]

قال صاحبى: نعم، هو ما تقول!

فالذين يقولون ﷺ قولهم باطل منذ عهد الرسالة حتى اليوم لأنهم خالفوا صريح قول النبى ﷺ.

قاطعت صاحبى فى غضب ظاهر قائلا: أهكذا قال فى جرأة شديدة وجهل فاضح؟! أن من يقول: ﷺ أخطأ؟ وأن

(١) موطا مالك ١/١٦٥.

هذه العبارة خاطئة منذ عهد الرسالة حتى اليوم!! أهكذا نسف التاريخ كله فى جملة واحدة؟!

ثم قلت فى هدوء شديد: هل تعلم أن صاحبك ليس جريئا على التاريخ وحده ولا على الأمة الإسلامية والسلف الصالح فقط لكنه معذرة ـ جاهل باللغة العربية بلاغة، ونحوا، وصرفا، كلما، وقرآنا وسنة؟!

قال وقد اطمأن إلى الحديث الذى ورد فيه قول: «ﷺ»: قل لى بربك كيف؟ أدركنى.. بل أسعفنى:

قلت: إن الأمر أهون مما تظن وسوف أوضحه لك بإذن الله ـ تعالى ـ الآن، لكنى أحب أن أقول أولا: إننى أطالب وبشدة الذين يروجون لأمثال هؤلاء أو يقدمونهم أن يكونوا على علم.

وإلا فلماذا يكون الذى يقدم الرقص والهزل عالما بتاريخ الرقص والهزل وتاريخ نسائه ورجاله والذى يقدم دين الناس ـ وإن شئت الحق، فهو دين الله تعالى - جاهل أو متجاهل؟! لايجهر بالحق أو قل ربما كان شيطاناً أخرس لأنه يسمع الكذب والبهتان من محدثه، ولا ينطق بكلمة يدفع بها الباطل ويرد بها الضلالة إن كان يعرف الصواب، أو يتنحى ويعتذر إن كان لايعرف ما يقدمه للناس.

ألم يقل النبى - ﷺ - «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» وأى سلطان أعظم من سلطان التليفزيون والإعلام؟!

استرقت النظر إلى صاحبى فرأيته قلقا ضجراً يتميز من الغيظ يريد أن يعرف وجه الصواب فيما سمع.

حتى يطمئن على ماضيه وكذلك ماضى الأمة كلها.

ثم واصل...... لقد سمعته يقول: لا يجوز أن تقول عن هجرة النبى - ﷺ - إلى المدينة أنها هجرة وإنما نقول كما سماها «الخروج» مستشهدا ببعض آيات من القرآن.

قلت لصاحبى: مهلا.. إن الأمر يحتاج إلى حديث آخر بإذن الله نغوص فيه معاً فى بحر اللغة نحواً وصرفاً وبلاغة، وأدباً - معذرة أقصد الأدب العربى.

«يتبـــع»

***

أنا مسلم

شعر: السيد الصديق حافظ

أنا مسلمٌ آمنتُ باللهِ خالقى ** وقدّستُ قُرآنى وعظّمتُ سُنّتى !

وعاهدتُ ربّى أن تكونَ إقامتى ** على الأرضِ نوراً هادياً للبريّة !

أسيرُ بأمرِ اللهِ بينَ جوانحى ** فؤادٌ طهورٌ عامرٌ بالمحبة !

سلامٌ على أهلِ السلامِ ورحمةٌ ** وحربٌ على أعداءِ دينى وأمّتى !

لقد جئتُ للدنيا فأينعت الرُّبا ** وأشرقتِ الآمالُ فى كلّ بقعة !

دخلتُ دخولَ البُرءِ فى جسدِ الدُّنا ** وكانَ عليلاً فانتفتْ كلُّ علّةِ !

وما أنا إلا نفحةُ النورِ والهُدَى ** لدنيا تدنّتْ فى ظلامٍ وحيرةِ !

***   **   ***

أنا مسلمٌ لى فى الحياةِ رسالةٌ ** أُعِدُّ لها نفسى وعزمى وقُوّتى !

ولى فى رسولِ اللهِ أكرمُ قدوةٍ ** يصحُّ بها دينى وتصْحُو عقيدتى !

وآمنت أن الدينَ نورٌ ورحمةٌ ** وميراثُ وحيٍ عن صحيحِ النُّبوّةِ !

وليس بإشراقٍ ولا فِكْرِ مُلْهَمٍ ** وإن لم يغبْ عن وعْيِ عقْلٍ وفِطْرةِ !

وأوقنُ أنّ اللهَ لا ربَّ مثلُه ** وليس لمخلوقٍ صفاتُ الألوهةِ !

وما الرسلُ إلا كالملائك خلقةُ ** وهم من عبادِ اللهِ رهنُ العبودةِ !

«وآدمُ أو عيسى» وما لهما أبٌ ** «وحَواء» آياتٌ لفعلِ المشيئةِ !

وغايةُ دينى أن أرى الناسَ أمةً ** على الحبِّ تحيا مثل أكرمِ أسْرةِ !

***   **   ***

أنا مسلمٌ بالله عزّى وقوّتى ** وكلُّ بنى الإسلامِ أهلى وإخْوتى !

ونرجو الهُدى للغافلين عن الهُدَى ** رجاءً فما الإكراهُ نهجُ الشّريعةِ !

ومن أعرضوا لم يُظْلموا قيدَ شعْرةٍ ** ولم ينقُصِ الإسلامُ مثقالَ ذرّةِ !

وإن أقبلوا فالله يهدى بنوره ** قلوبا إلى الحسنى لها فضلُ حكْمةِ !

***   **   ***

أنا مسلمٌ ما كنت يوماً بمعتدٍ ** وما كنتُ جبّارا أصولُ بقسْوةِ !

وما كنت بالباغِى وما البغْى شيمتى ** وما هو من دينى ولا من مروءتى !

ومن عرفُوا ذلَّ السجودِ لربهم ** فهمْ أهلُ إيمانٍ وعدْلٍ ورحمةِ !

سلامٌ على أهل السلامِ ورحمةٌ ** وحربٌ على أعداءِ دينى وأمتى !

***

طرائف .. ومواقف

للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

كحل عينيك

كان الشيخ الكرمانى شاعرا عليل العينين، وكان يصنع الأكحال ويبيعها، فاشترى أحدهم منه كحلاً بدرهم، ورأى المشترى أن عين الشيخ عليلة، فأعطاه درهمين وقال: هذا ثمن كحلك، وهذا الآخر لك اشتر به كحلاً أنت أيضاً وكحل عينيك.

صاحب مصر

كان الملك الكامل قد تغير على بعض إخوته، فكتب إليه الصلاح وزيره مستشفعاً: من شرط صاحب مصر أن يكون كما

قد كان يوسف فى الحسنى لإخوته

ساءوا فقابلهم بالعفو وافتقروا

فبرَّهم وتولاهم برحمته

خفت أن يسألنى الله عنه

أقبل المنصور يوما راكبا، والفرج بن فضالة جالسًا، فقام الناس ولم يقم الفرج، فاستشاط المنصور غضبا ودعى به، فقال: ما منعك من القيام حيث رأيتنى؟ قال: خفت أن يسألنى الله عنه لم فعلت؟ ويسألك عنه لم رضيت به وقد كرهه رسول الله - ﷺ - ؟ قال: فبكى المنصور ورق له وقضى حوائجه.

الأيام ثلاثة

أيام الدهر ثلاثة

يوم مضى، لا يعود إليك

ويوم أنت فيه، ولا يدوم عليك

ويوم مستقبل لا تدرى ما حاله، ولا تعرف من أهله.

وكان أبوهما صالحًا

أجلس سعيد بن المسيب ابنه أمامه، وقال له: إنى لأزيد فى صلاتى من أجلك، رجاء أن أحفظ فيك، ثم تلا قوله - تعالى -

﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾

الكهف - ٨٢

«ارحم بكائى»

قال الأصمعى: خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام، فبينما أطوف بالليل، إذا أنا بصوت حزين من شاب يتعلق بأستار الكعبة، يقول: إلهى! أغلقت الملوك أبوابها، وقامت عليها حُجابها، وبابك مفتوح للسائلين، وها أنا سائل ببابك، مذنب، فقير، مسكين.. جئت أنتظر رحمتك ثم قال:

يا من يجيب دعا المضطر فى الظلم

يا كاشف الضر والبلوى مع السقم

قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا

وأنت يا حىُّ يا قيوم لم تنم

أدعوك ربى حزينا راجيا فرجا

فارحم بكائى بحق البيت والحرم

أنت الغفور فهب لى منك مغفرة

واعطف علىَّ أيا ذا الجود والكرم

إن كان عفوك لا يرجوه ذو خطأ

فمن يجود على العاصين بالنعم

ثم رفع رأسه، فدنوت منه، فإذا هو: زين العابدين بن الحسين - رضى الله عنه - ثم قال: إلهى هب لى منك توبة أنال بها رضاك.

حقا

روى أن الربيع الجيزى صاحب الإمام الشافعى مر يوما فى أزقة مصر، وإذا إجانة مملوءة رمادا طرحت على رأسه، فنزل عن دابته وأخذ ينفض ثيابه، فقيل له: ألا تزجرهم، فقال: من استحق النار وصول بالرماد فليس له أن يغضب.

أقسام الناس

سُئل الحسن عن أقسام الناس، فقال: الناس أربعة: كريم وسخى وبخيل ولئيم.

فالكريم: هو الذى لا يأكل ويعطى.

والسخى: هو الذى يأكل ويعطى.

والبخيل: هو الذى يأكل ولا يعطى.

واللئيم: هو الذى لا يأكل ولا يعطى.

ما لم تكن تعرفه

وقع بين الأعمش وبين امرأته وحشة، فسأل بعض أصحابه أن يرضيها ويصلح بينهما فدخل إليها وقال: إن أبا محمد شيخ كبير، فلا

يزهدنك فيه عمش عينيه، ودقة ساقيه، وضعف ركبتيه، ونتن إبطيه، وبخر فيه، وجمود كفيه!! فقال الأعمش: قم قبحك الله! فقد أريتها من عيوبى ما لم تكن تعرفه.

ربٌ كريم.. وعبد لئيم

رأى أحد الصالحين رجلا لا ينقطع عن المعاصى، وقد غمره الله بنعيم ظاهر، وقد تعجب الناس من أمره، فقال لهم الرجل الصالح: «لا تعجبوا من أمره، ربٌ كريم وعبد لئيم!»

فسمع الرجل العاصى هذه الكلمة، فتأثر وبكى، وطلب من الرجل الصالح أن يدعو له بقبول توبته، وغفران ذنوبه.

فقال له: يا هذا أين أنت من فضل الله ـ تعالى ـ فى قوله:

﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾

هود ـ ٩٠

أثقب اللؤلؤ

دخل الشاعر بشار على المهدى، وعنده خاله يزيد بن منصور الحميرى، فأنشد قصيدة، فلما أتمها، قال له يزيد: ما صناعتك يا شيخ؟ قال: أثقب اللؤلؤ، فقال المهدى: أتهزأ بخالى؟! فقال: يا أمير المؤمنين فما يكون جوابى لمن يرى شيخا أعمى ينشد شعرا فيسأله عن صناعته فضحك المهدى وأجازه.

«نعم ما أدبك أهلك»

خرج عبدالله بن عامر من المسجد يريد منزله، وهو وحده، ولم يكن معه أحد، فقام إليه غلام من ثقيف، فمشى إلى جانبه، فقال له عبدالله: ألك حاجة يا بنى، قال: صلاحك، وفلاحك، لقد رأيتك تمشى وحدك وليس معك أحد، ففكرت فى أن أقيك بنفسى وأصحبك إلى منزلك.

فأخذ عبدالله بيده، ومشى معه إلى منزله، ثم أخذ ألف دينار، ودفعها إلى الغلام مكافأة له على حسن أدبه وتفكيره، وقال له: انتفع بهذا المال فى شئون حياتك، فنعم ما أدبك أهلك، ونعم تربية أهلك لك.

حقيقة

ما عز ذو كذب ولو أخذ القمر بيديه، ولاذل ذو صدق ولو اتفق العالم عليه.

دعاء

ارحم إلهى أمة الهادى وبلغـ ـهم بفضلك منتهى العزات

وانصرهم ربى على أعدائهم نصرًا مبينًا خارق العادات

ما يقال عن الإسلام

نقد وثيقة «بكين» لعام ١٩٩٥م إحدى مشروعات الأمم المتحدة

٢

للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى

التعليم

وفى مجال التعليم للمرأة والأطفال جمعت الوثيقة بين صواب قليل وأخطاء كثيرة والصواب القليل الذى ورد فيها وطالبت بتحقيقه، وهو فى الواقع تحصيل حاصل لأن جميع الدول تمارسه وهو المساواة التامة فى مجال التعليم وفى مختلف المراحل بلا أدنى تمييز فكل دولة فى العالم لها سياسات تعليمية وخطط موضوعة حسب احتياجاتها وينتظم فى السلم التعليمى ذكورها وإناثها على حد سواء وقد حققت المرأة فى ميادين التعليم وجودا لا يقل شأنا عما حققه الرجل.

فليس لدى أى دولة حظر نوع أو أنواع من التعلم بالنسبة للمرأة، ولها وجود ملموس فى جميع التخصصات. الطب، والهندسة، والاقتصاد، حتى علوم البحار والفضاء والزراعة والصناعة والأدب واللغة والتاريخ والفلسفة وعلم النفس والتربية والاجتماع.

ويعد تعليم النوعين الذكور والإناث من برامج النهوض والتنمية فى كل دولة وكل من صلح للتعليم له مكان فى المدارس والمعاهد والكليات والأكاديميات... إلخ أما الأخطاء الكثيرة التى وردت فى بنود الوثيقة فمن أبرزها ما أسمته:

ـ تعليم الجنس.

ـ الصحة الإنجابية.

وقد اندرج تحت هذين المفهومين مخاطر غير محتملة وفى عرضنا النقدى لهاتين النقطتين سندمجهما فى شوط واحد، لأن الحديث عنهما متشابك، لدرجة أن الفصل

بينهما مستحيل أو متعذر.

إن الوثيقة تعتبر حقوق المرأة من حقوق الإنسان، وهذا لا اعترض لنا عليه. وأن إدخال مادة حقوق الإنسان إلى مناهج التعليم يعد مدخلا لتدريس حقوق المرأة لطلبة المدارس وهذا أيضا لا اعترض لنا عليه.

ولكن الذى نعارضه من منطلق «حقوق الإنسان حقا - هو أن يكون المرجع فيها هو «منظور الجندر» الذى شرحناه من قبل بأنه يهدف إلى القضاء على جميع أشكال التميز بين الرجال والنساء.

وقد رأينا استحالة تحقيق هذا الهدف من قبل، لأن الفروق بين النوعين، وما يترتب عليها من توزيع المسئولية هذه الفروق ترجع إلى أسس فطرية وليست من صنع الإنسان كما ترى الوثيقة. وبالتالى فإن إزالة تلك الفروق والقضاء عليها ليست فى مقدرة الإنسان وهذه ضرورة حتمية، مجرد التفكير فيها لإزالتها يعتبر ضربا من الأوهام، أو إلى ما هو أدخل فى باب «الانعدام» من «الأوهام».

وتطالب الوثيقة بـ «إدماج برنامج تعليم الصحة الجنسية الإنجابية فى إطار برامج التعليم الرسمى لكل دولة بشأن الصحة النسائية:

وهذه مقدمة خطرة تجر وراءها وباء مستطيرا ينعكس أثره على الأخلاق الإنسانية الفاضلة، التى تعتز بها إنسانية الإنسان، ثم تمتد فيما بعد إلى انتشار الأمراض المستعصية على العلاج، وتسهم فى انقراض الجنس البشرى بمرور الأعوام.

وليس هذا تخمينا من عندنا، ولا هو خيال، ولكنه سيكون المحصلة النهائية التى تقضى على النوع البشرى من الوجود لو وجدت هذه البنود طريقا إلى العمل والتنفيذ وذلك لأن الوثيقة رتبت على هذا البند بعض الإجراءات التى تقول:

● ضرورة توفير الخدمات والمعلومات الصحية للنساء وبخاصة المراهقات (أى ممارسات الجنس قبل الزواج) تحجيما لمشاكل الممارسات الجنسية غير الآمنه.!

هنا تطلب الوثيقة إتاحة خدمات الصحة الجنسية والإنجابية لجميع الفتيات غير المتزوجات، وأن تتكفل الحكومة (أى حكومة) بالمراهقة الحامل من غير زواج.

● أن يتم تعليم الأطفال فى سن الثامنة والتاسعة كيفية ممارسة الجنس الآمن:

وهى الممارسة غير الشرعية (أى الزنا) واللواط؟

● أن يشمل تعليم الجنس للأطفال فى المدارس الرسمية الإلزامية القول بأن ممارسة الجنس عن طريق الزواج المألوف (الشرعى) ممارسة خطيرة وغير آمنة، وتسبب أمراض نقص المناعة (الإيدز)

وتتسبب فى الحمل وانتقال الأمراض؟ أما الممارسات الآمنة فهى (الممارسات الشاذة وتشمل ممارسة الجنس بين المثلين (ذكر وذكر) أو (أنثى وأنثى) نرى الوثيقة - هنا - تعكس الأمور، فتصف الممارسات الجنسية المألوفة عن طريق الزواج بممارسات جنسية غير آمنة؟

● أما ما عداها من الممارسات الشاذة، سواء تمت بين ذكر وأنثى، أو ذكر وذكر، أو أنثى وأنثى - هى الممارسات الآمنة، التى يجب أن تشملها مناهج التعليم الرسمية للدولة وتشرح عمليا للأطفال، ويؤذن لهم بممارستها قبل الزواج إن كان لهؤلاء الشواذ «رغبة فى الزواج».

● والغريب أن هذه الخطوات التى تتبعها بعض للدول فى الغرب للتعامل مع ظاهرة المراهقين والمراهقات وضعت وثائق دولية، يخطط لها الآن أن تفرض على جميع الشعوب مهما اختلفت أديانهم وعقيدتهم و ثقافتهم ومن يرفض العمل بها يتعرض لـ :

إما الحرمان من المعونات الدولية.

وإما فرض عقوبات قاسية عليه.

على أن تقوم هيئة الأمم بتنفيذ هذه الإجراءات - والإجراء الأخير الذى أقرته الوثيقة هو التخلص من الحمل غير المرغوب فيه عن طريق إباحة الإجهاض ولو على حساب الدولة مع توفير الرعاية الصحية والاجتماعية للواتى يتم إجهاضهن على نفقات الدول)؟

نقد هذا الكلام

هذا هو التعليم الذى تدعو إليه هذه الوثيقة ليكون غذاء للأطفال، يدربونهم على الجنس الذى تدعوه الوثيقة أنه تعاليم للجنس الآمن، قبل أن يكونوا صالحين له، إذن لابد من إجراء التجارب عليه أمامهم فى «المعامل البشرية» بمارسه من هو قادر عليه من الأكبر منهم سنا، والاطفال ينظرون الى هذه الهمجية التى تشمئز منها النفوس وتقشعر منها الأبدان.

إن الوثيقة تسرق هؤلاء الاطفال فى سن الثامنة والتاسعة من أعمارهم التى هم فيها، ليعيشوا فى أوهام الرذيلة التى تمارس أمامهم.

فإذا أحسوا من أنفسهم القدرة على هذه الممارسة الدنيئة القذرة ارتموا فى أحضانها وهم عمى لا يبصرون وإذا حدث حمل، وهو طبعا غير مرغوب فيه، كان الإجهاض هو طريق التخلص منه وعلى حساب الدولة رغم أنفها.

وحين ينشأ جيل أو أجيال تربوا على هذه الموائد المسمومة فلن يرغبوا فى الزواج الشرعى، الذى صورته لهم الوثيقة أنه غير آمن، فيعيشون فى الأرض فسادا، ولا تتعلق لهم رغبة فى الإنجاب فيتعرض الجنس البشرى للانقراض والسحق وإن

عاش منهم أحد عاش حاملا للأوبئة الفتاكة المدمرة، وفى مقدمتها «الإيدز» الذى يقرض الآباء والأمهات قبل انقراض الأبناء والبنات، هذا هو تصور الوثيقة لتجنب البشرية من الإصابة بالأمراض الناتجة عن الجنس غير الآمن عندها، فإذا بها تغرقهم فى طوفان تلك الأمراض.

ولن يسلم من ينجبه هذا الجيل الموبوء من وراثة أقذار آبائهم وأمهاتهم الذين أنجبوهم عن ممارسات هى «الوباء» الذى ليس بعده وباء.

وفى مقدمة شتاء هذا العام (٢٠٠٥م) أذاعت بعض الفضائيات العالمية أرقام إحصائية حديثة للمصابين بمرض نقص المناعة (الإيدز) فى العالم المعاصر فإذا بعدد المصابين به فى الدول الغربية يبلغ أربعين مليون مصاب؟ يا للهول؟

وتقول الإحصائية إن هذا الرقم هو لمن أجرى عليهم الفحص الطبى فقط غير شامل للمصابين الذين لم تفحص حالاتهم وأن معدل الزيادة آخذ فى الارتفاع سنويا.

أما المصابون بمرض «الإيدز» فى الشرق فبلغ عددهم ٣٥ ألف مصاب والسبب معروف هو فوضى العلاقات الجنسية فى الغرب حتى قبل صدور وثيقة بكين.

أما الشرق فما يزال متحصناً بآداب العفة والطهارة.

هذه الوثيقة الدولية، التى يراد أن تطبق بنودها جبرا على كل دول العالم أجمع، فضلا عن أنها أهدرت كل قيمة لموروثات الشعوب - واعتدت على عقائدهم الدينية، وهى مكون عضوى أساسى فى الحياة العامة، هذه الوثيقة تزعم أنها تهدف إلى النهوض بالمجتمعات فى مجال السكان والتنمية.

وقد صورنا بعضاً من رؤاها نحو السكان بالإضافة إلى ما سوف يأتى.

وإننا لنتساءل مع المتسائلين: هل هى فعلا فى خدمة التنمية، وهى تلزم الحكومات والدول بالإنفاق على عمليات الإجهاض ورعاية المراهقات الحوامل، اللواتى يحملن سفاحا فى سن صغير فى أى مرفق من مرافق الحياة، بعد أن فتحت لهم أبواب الجنس على مصاريعها.

كما تلزم الدول والحكومات بإنشاء المستشفيات والمراكز لرعاية نزيف الأرحام الصغيرة بعد أن دعت الوثيقة للإقبال الرهيب على ممارسة الجنس بين النشء الذى لا يدرك معنى المسئولية ولا يقيم وزنا للآثار السيئة من تفشى الأمراض والأوبئة؟

أهذه أعباء معقولة تلقى على كواهل الشعوب والدول والنظم والحكومات، فى زمن يعانى فيه ثلاثة أرباع البشر مخاطر المجاعات والأمراض والجهل والبطالة وإذا غضضنا الطرف عن هذا كله، وحصرنا المشكلة فى ملايين الفتيات اللواتى يحملن سفاحا حملا غير مرغوب فيه كما

تقول الوثيقة، ثم تجرى لهن عمليات إجهاض على نفقات الدول والحكومات.

إذا حصرنا المشكلة فى هذا النطاق (الضيق الواسع) بلا حدود فإننا سنكون - بلا محالة - هيأنا الفرص لهؤلاء الفتيات، لعمليات حمل وإجهاض تبلغ فى العام الواحد ست مرات إن لم تزد عند المراهقة الواحدة؟

فهل الفتيات من هذا النوع يكن فى حالات صحية ونفسية سوية؟ أم سوف يتعرضن لآلام ومتاعب وأزمات تصيبهن فى أجسامهن ومشاعرهن ومعنوياتهن؟

فهل هذا كله يخدم خطة التنمية العالمية أو المحلية ويزيد فى عدد الموارد البشرية والإنتاجية، التى تخفف من وطأه المشكلات الاقتصادية الخانقة التى تخيم على أكثر الشعوب؟

وهذه الحروب «الإبادية» التى يراد شنها على موارد الإنتاج وتحيل الحياة - إن بقيت حياة - إلى مستنقعات من الرذائل الخلقية، هل هى رعاية لحقوق الإنسان؟ أم سحق وإفناء للإنسان من الأساس؟

أما كان حريا بهيئة الأمم أن تضع خططاً وبرامج جادة لإعداد الأجيال وتأهيلهم لاستغلال الطاقات المطورة فى الأرض وفى الآفاق، وفى البحار والصحارى وفى المناجم والاختراع والابتكار فى ميادين الحياة الواسعة ليجدوا حلولا لمشكلات الإنسانية فى مجالات:

الطب، الهندسة، الزراعة، الصناعة، الثروات الطبيعية، وأن تبذل هيئة الأمم المتحدة قصارى جهدها فى تنمية البحث العلمى فى مختلف الميادين، وشتى التخصصات.

أما كان هذا أولى بالأمم المتحدة أن توليه عنايتها بجد وإخلاص بدلا من هذه المخططات المسفة الهابطة التى أدارت ظهرها لقيم وتقاليد الإنسانية الفاضلة ولغاياتها النبيلة، وطموحاتها المرجوة.

وهل النشء الذى يخطط له هذا التخطيط سيكون يوما ما عاشقاً للمثل العليا، وثابا إلى المكارم السلوكية، والأخلاقية.

ومن أين تهتدى الى هذه المقاصد السامية وقد وضعنا على أبصاره عصابة حتى لا يراها. وصبغنا مشاعره بحب الشهوات الطائشة قبل الأوان وقدمنا له ممارسة الجنس غير المهذبة لعبة مسلية من «ألعاب الطفولة»؟ مثل «لعب الأشراك الخادعة».

إن وثيقة بكين، وما سبقها من مؤتمرات فى هذا الشأن، وما سيلحق بها لتمثل أكبر خطر على حقوق الإنسان، فى نفس الوقت الذى تقدمها الأمم المتحدة تحت مسمى: رعاية حقوق الإنسان..!!! ياللعجب؟

جمهورية المالديف

نموذج فى الحفاظ على الهوية الإسلامية

أ.د. عبدالله نجيب محمد

تقع جمهورية المالديف فى المحيط الهندى، على بعد ٦٧٠ كم من الشاطىء الغربى لجمهورية سيريلانكا و٦٠٠ كم من الشاطئ الجنوبى للهند، وتتشكل من نحو ١٢٠٠ جزيرة تفصلها خلجان عميقة وتمتد هذه الجزر على شكل أرخبيل لتشكل مساحة فى المحيط الهندى بطول ٨٢٣ كم ما بين الشمال والجنوب، ويبلغ عدد سكانها نحوا من ٢٧٠ ألف نسمة، وهى تشكل جزءاً من عالمنا الإسلامى الكبير.

زار ابن بطوطة جزر المالديف، وقال عنها: إنها إحدى عجائب الدنيا، ولوحة عائمة لجمال الطبيعة الساحرة الخلابة.

يتكون سكان الجزر من مهاجرين عرب من حضرموت، ومن مهاجرين من جنوب الهند وسيريلانكا، وقد انصهرت هذه الشعوب وامتزجت بينها الدماء، واتخذت لغة واحدة هى اللغة «الديفيهية»، وتاريخياً يرتبط دخول اللغة العربية فى المالديف بالتجارة والدعاة العرب، الذين كانوا قد اتخذوا هذه الجزر محطات لهم أثناء سفرهم من وإلى الشرق، كما أسهم حديثاً الطلاب المالديفيون الذين تخرجوا فى الجامعات العربية والإسلامية فى نشر وتدعيم اللغة العربية.

تنقسم جمهورية المالديف إدارياً إلى ٢٠ إقليماً، وعاصمتها «مالية» هى المركز السياسى والاقتصادى والثقافى

للبلاد، وبها ٢٨ مسجداً أقدمها يعود تاريخه إلى عام ١٦٥٦م ويضم لوحات خشبية نقشت عليها قصة اعتناق المالديفيين للإسلام.

انتشر الإسلام بين سكان الجزر منذ منتصف القرن السادس الهجرى على يد الداعية المغربى الشيخ الحافظ أبى البركات يوسف، فى عهد السلطان «ماها كلامنجا» الذى دخل فى الإسلام فيما بعد وسمى نفسه «محمد بن عبدالله».

هاجم البرتغاليون البلاد عام ١٥٥٨م واستولوا على معظم الجزر ولكن الشعب المالديفى لم يستسلم للغزو، وقاد السلطان «محمد تكروفان» المقاومة، وأجبر البرتغاليين على الانسحاب من البلاد عام ١٥٧٤، وفى أعقاب ذلك جاء البريطانيون واستولوا على الجزر، واتخذوا منها مرفأ لأساطيلهم، ثم أخضعوها للتاج البريطانى، ولكن المقاومة استمرت حتى نالت البلاد استقلالها عام ١٩٦٥.

يتكلم السكان اللغة «الديفيهية» وهى اللغة الرسمية، أما الإنجليزية فهى لغة ثانية، أما اللغة العربية، فيقبل الشعب المالديفى على تعلمها وحفظ القرآن الكريم بها، لدرجة لا تستطيع معها الدولة أن تواكب هذه الرغبة الجماهيرية الواسعة، فهى تفوق قدرتها وإمكانياتها على حد تعبير «محمد رشيد إبراهيم» رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

ويسود جمهورية المالديف الآن مناخ مفعم بالسعى الجاد لنشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية، يقوده الرئيس «مأمون عبدالقيوم» الذى تولى رئاسة الدولة عام ١٩٧٨ (١) وقد أولت حكومته عناية بالغة ورشيدة بأمور الإسلام، وعملت جاهدة على غرس مبادئ الدين الإسلامى فى نفوس الناس، خاصة فى مراحل التعليم الأولى، والعمل على رفع الوعى الدينى الإسلامى لدى الشعب المالديفى كله.

فى هذا الإطار قامت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بتقديم دعم للمؤسسات المالديفية التى تعمل فى

(١) هو أيضاً أستاذ ومحاضر بمعهد الدراسات الإسلامية، كما يقوم بإمامة الناس فى الصلاة وإلقاء الدروس الدينية، ويشرف على إصدار صحيفة تهتم بالشئون الثقافية الإسلامية تصدر كل يوم جمعة وتوزع مجاناً.

مجال نشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية، وحماية الهوية الإسلامية لهذا الشعب المسلم.

تقوم هذه المؤسسات بالعمل المتواصل من أجل:

أولاً: ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة المالديفية، تحت إشراف هيئة تابعة لرئاسة الجمهورية.

وثانياً: المشاركة فى إقامة الاحتفالات بشهر رمضان واستغلالها فى مجال الدعوة والتثقيف.

وثالثاً: إعداد برامج خاصة تحتوى على محاضرات أسبوعية يتم إلقاؤها عبر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، وتوزيع مطبوعات وكتيبات ونشرات بالعربية والانجليزية على المكتبات العامة والمدارس، هذا علاوة على تسيير قوافل دعوية إلى الجزر النائية ينظمها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لتبصير أهالى الجزر بأمور الدين الإسلامى.

وفى مجال دعم الأنشطة التربوية، تقوم الحكومة بالمساهمة فى تقديم مساعدات مالية لوزارة التربية والتعليم لتدريب وتأهيل المعلمين الوطنيين فى إطار سياساتها للارتقاء بهم والاستغناء عن المعلمين الأجانب، وكذلك تساهم فى بناء المدارس العديدة، ومنها إعادة بناء مدرسة «جمال الدين» فى العاصمة، وهى من المدارس التى كانت وماتزال إحدى أهم المؤسسات التعليمية بالمالديف، والمدرسة العربية الإسلامية التى أنشئت عام ١٩٨٧م، وهى مدرسة تضم المرحلتين الابتدائية والإعدادية، وتعتمد المناهج المطقبة فى الدول العربية وعلى رأسها جمهورية مصرالعربية.

وتخصص مصر والجماهيرية الليبية والسعودية والكويت وقطر عدداً من المنح الدراسية سنوياً بمدارسها وجامعاتها لأبناء المالديف، وقد تخرج فى الأزهر الشريف عدد من الطلاب الذين يشغلون الآن مناصب مرموقة فى الدولة.

هذا وقد أنشأت الحكومة المالديفية معهداً للدراسات الإسلامية عام ١٩٨٠م لنشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية فى مستوى التعليم الإعدادى والثانوى النظامى الرسمى، بالإضافة إلى إعداد المتخصصين فى مجال التعليم العربى والإسلامى والتوعية والتثقيف وتدريس

التربية الإسلامية واللغة العربية والقرآن الكريم بالإضافة إلى إقامة الدورات التدريبية لأئمة المساجد والقضاة والمحامين وتحفيظ القرآن الكريم، كما يسهم فى إعداد البرامج الدينية واللغوية للإذاعتين المسموعة والمرئية.

يضم المعهد مختبراً للحاسوب ومعملاً للغات، ويساهم فى إقامة المسابقات السنوية لحفظ القرآن الكريم وترتيله، وتنظيم دورات للغة العربية وتعليم الخط العربى وفنونه، وتأليف الكتب المنهجية وطباعتها، بالإضافة إلى الأنشطة الطلابية المختلفة.

ومع بداية هذا العام تم فتح كلية الدراسات الإسلامية بهدف توفير فرص التعليم الجامعى فى التخصصات الإسلامية المختلفة، والعناية بالدراسات الإسلامية والعربية والتربية والدعوة، وإعداد المدرسين المؤهلين أكاديميا للقيام بالتدريس، والنهوض بمختلف النشاطات الثقافية والعلمية.

هذه النهضة العلمية المباركة تعمل على تعميق البحث والدراسة، وتحقيق الوحدة الفكرية، والهوية الإسلامية لجميع سكان البلاد، ولهذا الغرض أيضاً تقام الندوات الثقافية فى جمهورية المالديف بانتظام للعمل على القضاء على كل أنواع الخلاف والاختلاف، حيث أقيمت لهذا الغرض ندوة سنة ١٩٨٣ تحت عنوان «الدعوة الإسلامية وأثرها فى جنوب شرقى آسيا».

وندوة عام ١٩٨٧ تحت عنوان «دور اللغة العربية ونشر الدعوة الإسلامية فى المالديف» عقدت على هامش أعمال اجتماعات الدورة السادسة للمجلس العالمى للدعوة الإسلامية.

أما الندوة الثالثة فقد عقدت عام ٢٠٠١م، تحت عنوان «الدعوة الإسلامية فى جنوب آسيا، الواقع والتحديات» برعاية ومساهمة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وإشراف وتنظيم كل من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ووزارة الشئون البشرية والتنمية الأسرية والضمان الاجتماعى ومعهد الدراسات الإسلامية، وأقيمت ورشة عمل حول «دور المرأة فى المجتمع المالديفى، التاريخ والواقع والتحديات وآفاق المستقبل» فى الفترة من ٨ : ١٠ كانون ٢٠٠٣م.

ونظمت جمعيت الدعوة الإسلامية

العالمية بالاشتراك مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة خلال الفترة من ١٦-٢٠ من مايو الماضى حلقة دراسية لتدريب المعلمين فى مجال التعليم التقنى، حيث تلقى ١٩ معلماً ومعلمة و٨ متخصصين فى تطوير المناهج، محاضرات وتطبيقات عملية على استخدام التقنية الحديثة.

استطاع الشعب المالديفى الحفاظ على هويته الإسلامية برغم قسوة الظروف السياسية التى مر بها، ويعمل بكل صبر وثقة لتحقيق مطالب التنمية من خلال التعليم.

ويدل الواقع التعليمى فى المالديف على أن هناك تعليما وطنيا ينتشر فى مختلف أنحاء البلاد، حيث تدرس مختلف العلوم والمعارف، إلا أن التعليم فى هذه المدارس يتم باللغة الإنجليزية، من بداية المرحلة الابتدائية حتى الثانوية وتقدم مواد التربية الإسلامية باللغة المالديفية، كما تدرس اللغة المالديفية باعتبارها اللغة الوطنية.

إلى جانب ذلك يوجد نظام التعليم العربى الإسلامى فى المرحلتين الابتدائية والإعدادية تدرس فيه العلوم باللغة العربية بمناهج أزهرية، وهذه المدارس تتلقى دعما من الحكومة، كما يقوم الأزهر الشريف بتزويدها بالكتب المدرسية، وللمجلس الأعلى للشئون الإسلامية دورة الإشراف على التعليم بهذه المدارس إلى جانب وزارة التربية والتعليم والمالديفية.

ينتقل الطالب بعد ذلك للدراسة بمعهد الدراسات الإسلامية الذى يستخدم أيضاً اللغة العربية [٢] ويوجد بهذا المعهد بعثة تعليمية من الأزهر الشريف تقوم بواجبها فى التعليم والتربية.

والجدير بالذكر أيضاً أن الجمعيات الإسلامية الأهلية تقوم بدور محورى فى الوعظ والإرشاد والتعليم، خاصة فى مجال تحفيظ القرآن الكريم، إلا أن العبء الأكبر يقع على عاتق المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وله نشاط واسع كما سبق ذكره.

أما المساجد فهى تتبع المجلس أيضاً،

(٢) كانت اللغة العربية هى اللغة الرسمية ولغة الدواوين وهناك الكثير من المخطوطات والوثائق العربية التى تعود إلى نحو ٤٠٠ سنة مضت.

وهو الجهة التى تديرها وتشرف عليها.

ويقوم المجلس أيضاً بمواجهة نشاطات المنصرين الذين يقدمون من الغرب، وبرامج التنصير التى تأتى عبر إذاعة تسمى «فيبا» بدأت البث منذ ٤ سنوات من جزر سيشل وهى تبث برنامجين تنصيريين أسبوعياً إلى المجتمع المالديفى باللغة المالديفية.

فإذا علمنا أن النسبة المئوية للمسلمين فى المالديف تبلغ ١٠٠٪ أى أنه لا يوجد أى إنسان غير مسلم يحمل الجنسية المالديفية، فلمن توجه البرامج التنصيرية باللغة المالديفية.؟!

بالإضافة إلى هذا التحدى يواجه المسلمون بعض الصعوبات أهمها صعوبة تنقل الوعاظ والمرشدين بين الجزر المأهولة هذا بالإضافة إلى ندرة المطبوعات الإسلامية.

ويرى الأستاذ محمد رشيدى إبراهيم[٣] ضرورة الاهتمام بالمساجد، ويقول: «حقيقة نحن فى المالديف نعانى من نقص الأئمة والوعاظ المؤهلين، لأنه لا توجد كلية أو جامعة تهتم بتخريج الأئمة والوعاظ والدعاة، ولكننا نسعى لتطوير معهد الدراسات الإسلامية ليكون نواة لجامعة إسلامية».

من هذا كله يتبين لنا كيف أن هذا الشعب المسلم يقوم بكل ما يستطيع من أجل تدعيم هويته الإسلامية والمحافظة عليها.

***

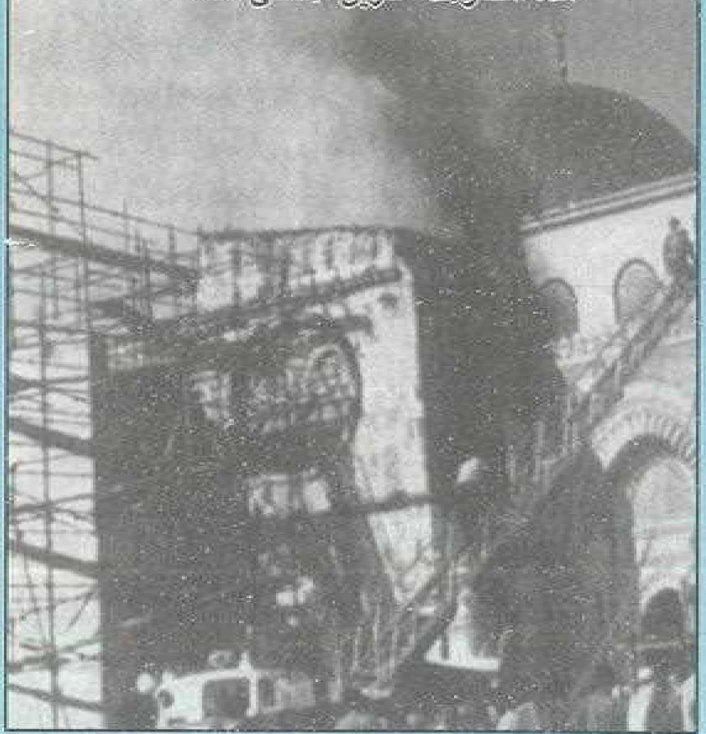
(٣) رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وعضو القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، ورئيس المحكمة العليا، ووزير سابق للعدل والشئون الإسلامية.

المخطط الصهيونى لبناء الهيكل اليهودى

للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد

تمثل فكرة إقامة الهيكل اليهودى فى الحرم القدسى الشريف حجر الزاوية فى الفكر اليهودى بمختلف تياراته الدينية والعلمانية.

وتحاول إسرائيل منذ قيامها فى فلسطين وحتى الآن ـ رعاية هذه الفكرة الدينية وتنميتها، بغرسها فى عقول الناشئة من اليهود منذ نعومة أظفارها، فحفرت فى وجدانهم مفهوم أنه لا معنى لإسرائيل بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون الهيكل. لذلك نشأت هذه البراعم اليهودية تنظر إلى الهيكل باعتباره الرمز الدينى والسياسى للوجود الحقيقى لليهود فى أرض الميعاد، وأنه بدون بناء الهيكل فى القدس فلا معنى لهذا الوجود اليهودى بها. وقد استغلت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة هذه الفكرة الدينية لكسب تأيد التيار الدينى خاصة التيار الأصولى اليهودى المتشدد، والذى يمثل فئة اليهود الحريديم ذوى اللحى الطويلة الممتدة على الصدور، وذوى الملابس والقبعات السوداء، الذين يسعون لإقامة دولة من اليهود فقط، وتفريغ فلسطين من أصحابها العرب حتى يتم تهويدها وحين نتصفح التاريخ القديم فى فلسطين العربية نجد أن الهيكل الذى يزعم يهود اليوم أنه بنى فى موضع المسجد الأقصى المبارك فى عهد سليمان -عليه السلام- ما هو إلا معبد صغير أقيم خارج الحرم القدسى، وقد دمره القائد البابلى «نبوخذ نصر» عام ٥٨٦ ق. م، ولم يبق له أى أثر يتشدق به اليهود. ولم يكتف القائد البابلى بذلك، بل سبى اليهود إلى بابل خمسين عاما، وصارت القدس اليبوسية العربية حينئذ خالية من أى يهودى، واقتصرت فقط على أصحابها، وبناتها اليبوسيين العرب يعمرونها. ولما انتصر «قورش» الفارسى على البابليين، عاد من اليهود من عاد إلى القدس اليبوسية، ولم يشكلوا إلا طائفة يهودية تحت السيادة الفارسية، ثم شرعوا فى بناء الهيكل الثانى «٥٢٠ ـ ٥١٥ ق.م.» واستمر حتى هدمه الملك المقدونى، «أنطيوخرس الرابع» بعد أن أخمد الفتنة التى قام بها اليهود عام ٢١٧ ق.م. ثم أعيد بناء الهيكل الثالث على يد «هيرودس» الذى عين حاكما على اليهود عام ٤٠ ق.م. تحت السيادة الرومانية، إلى أن هدمه «تيطوس» القائد الرومانى عام ٧٠ ميلادية، ولم يبق منه إلا الأنقاض التى قام اليهود بترميمها كرمز لهيكلهم، ولم يسعفهم الزمن، فجاء «إيليا هادريان» الرومانى فى حملة عسكرية فأزال القدس، وسوى هذه الأنقاض المرممة للهيكل بالأرض، فصارت أثراً بعد عين، وحرم على اليهود دخول القدس عام ١٣٥ ميلادية وسماها «إيليا كابيتولينا» أى إيليا العظمى إلى أن فتحها الخليفة عمر وهى بهذا الاسم وبذلك اندثر كل أثر لما يسمى «الهيكل اليهودى» فى القدس، بينما يتمسك به اليهود اليوم لاعتقادهم أن بناء الهيكل هو المقدمة التى تعجل بمجىء المسيح اليهودى المنتظر ليقيم لهم مملكة الله التى تحكم العالم فى القدس، على الرغم من أن الأثريين لم يعثروا على أى أثر للهيكل المزعوم. وتأسيسا على ذلك فإن إسرائيل تواصل بدأب سعيها المحموم فى استنهاض همم المنظمات الدينية واليمينية المتطرفة، وتستنفرها لإعادة إحياء فكرة بناء الهيكل الثالث من جديد حتى ترسخ أقدامها فى القدس الشرقية، وتفرض وجودها على الحرم القدسى الشريف، وسأركز حديثى فيما يلى على أهم هذه المنظمات مبينا سياستها لبلوغ هذا المرمى الخطير، الذى يستهدف، فى المقام الأول، هدم المسجد الأقصى، وانتهاك قداسة الحرم القدسى الشريف حتى يتنبه العالم العربى والإسلامى لهذا المخطط الصهيونى، ويعدوا العدة لمواجهته على مختلف الأصعدة، وكشفه للعالم، حتى يكونوا حراسا مخلصين فى الحفاظ على المقدسات الإسلامية والعربية فى هذه الأرض المباركة.



لم تتوقف المحاولات الإسرائيلية الراغبة فى إزالة المسجد الأقصى وإقامة الهيكل المزعوم مكانه، وفى الصورة واحدة من هذه المحاولات.. حريق الأقصى سنة ١٩٦٧

جماعة أمناء الهيكل:

وهى جماعة دينية أنشأت لنفسها عام ١٩٨٣ جمعية صندوق جبل الهيكل، يتم تمويله من النصارى الأمريكيين، ومركزها الرئيسى فى القدس، ولها فرع فى الولايات المتحدة الأمريكية. ومن أهداف هذه الجماعة تهويد المسجد الأقصى وما حوله من ساحات، وإعادة بناء الهيكل الثالث على «جبل البيت» وهو الحرم القدسى الشريف. وتؤدى هذه الجماعة – الآن – صلواتها فى الساحة المقابلة لحائط البراق الشريف «حائط المبكى المزعوم» المواجه لحارة المغاربة. ويقود هذه الجماعة «جيرشون سالمون»، ومن أبرز شخصياتها أيضا «ستانلى جولد فون» رجل المخابرات الإسرائيلى، والعضو السابق فى منظمة «شتين» اليهودية الإرهابية التى قامت باغتيال الكونت «برنادوت» وسيط الأمم المتحدة السابق عام ١٩٤٨ ولقد حاولت هذه الجماعة الدينية المتطرفة يوم الأحد ٢٩/٧/٢٠٠١ القيام بإجراء احتفال رمزى لوضع حجر أساس الهيكل الثالث المزعوم عند باب المغاربة خارج أسوار البلدة القديمة فى القدس الشرقية، فقام نحو عشرة أعضاء من هذه الجماعة بنقل حجر الأساس المصنوع من الرخام، ويزن ٤,٥ طن، على متن سيارة نقل إلى الموقع الذى حدده لإقامة احتفالهم الرمزى وذلك تحت حماية سيارتين من شرطة الاحتلال الإسرائيلى، وبعد دقائق معدودة حمل هؤلاء المتطرفون الحجر – بعد أن تصدى لهم عرب القدس – وغادروا المكان الذى يقع بالقرب من حى سلوان العربى فى القدس الشرقية، بينما كان «جيرشون سالمون» قائد هذه الجماعة يتحدث فى مكبر الصوت قائلا : «إن يوم بناء الهيكل يقترب».

حركة الاستيلاء على المسجد الأقصى:

وهى حركة دينية تدعو إلى القيام بهدم المسجد الأقصى، وطرد جميع السكان المسلمين من أرض إسرائيل «فلسطين العربية المحتلة» وقد بدأ ظهور هذه الحركة عام ١٩٦٨ برئاسة «موشى ليفنجر» الذى ترأس، بعد ذلك، جماعة «جوش إيمونيم» أى كتلة الإيمان. ويعتبر الحاخام يسرائيل أرئيل» أحد الرموز البارزة فى هذه الحركة التى تطالب بأن تشمل حدود إسرائيل جزءاً من لبنان حتى ميناء طرابلس، ومعظم سوريا، وجزءاً من العراق والأردن، وجزءاً من الكويت، وجزءاً من شبه الجزيرة العربية، وشبه جزيرة سيناء كلها، وهكذا تتضح نوايا هذه الحركة التوسعية فى التهام معظم هذه الأراضى العربية ويعد الحاخام «كورن» هو المرشد الروحى لهذه الحركة الإرهابية التى قام عدد من أعضائها باقتحام المسجد الأقصى فى مارس ١٩٦٨ – وشعار هذه الحركة هو : «لا معنى لإسرائيل بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون الهيكل، ومن أهدافها تهويد مدينة الخليل، وإعادة المسجد الإبراهيمى إلى اليهود «وقد تحقق لهم ذلك فقد تم تقسيم المسجد الإبراهيمى بينهم وبين المسلمين لأداء الصلوات»، وبناء الهيكل الثالث وفرض السيادة اليهودية على الحرم القدسى الشريف.



يرغبون فى طرد المصلين وهدم المسجد بحجة عن ادعاءات لم يثبت أبدا صحتها!!

مؤسسة الهيكل المقدس:

وهى منظمة أسسها «ستانلى جولد فوت» وضمت هيئتها الإدارية خمسة من النصارى الأمريكيين الإنجيليين أذكر منهم العالم الفيزيائى الأمريكى «لاجرت دولفين» الذى حاول أن يحلق بطائرته فوق المسجد الأقصى، ومسجد قبة الصخرة لتصويرها بأشعة «إكس» بواسطة جهاز الاستقطاب المغناطيسى الذى توصل إلى اختراعه لتصوير باطن الأرض ليبرهن على أن المسجد الأقصى بُنى فى مكان الهيكل المزعوم، ومن أهداف هذه المنظمة هدم المسجد الأقصى، وجمع الأموال اللازمة لبناء الهيكل الثالث. وتقوم هذه المنظمة الدينية – الآن – بتدريب الشباب اليهودى المتشدد دينيا على القيام بكيفية أداء الطقوس الدينية للهيكل المزمع بنائه لإعداد الكهنة الذين سيخدمون فى الهيكل الثالث بعد بنائه.

مجموعة إل هار هاشيم:

ومعنى هذا الاسم «إلى جبل الله» ويرأس هذه الجماعة الدينية المحامى اليهودى «جيرشون سالمون» ومن أهدافها الإعداد لبناء الهيكل الثالث فى الحرم القدسى. وقد حاول عدد من هذه الجماعة اقتحام المسجد الأقصى فى ١٤/٨/١٩٨٧ لإقامة الصلوات اليهودية فيه، كما قام قائد هذه الجماعة بالاشتراك مع عدد من جماعة أمناء الهيكل بمحاولة وضع حجر الأساس للهيكل الثالث يوم ٢٩/٧/٢٠٠١

فى الساحة المقابلة لحائط البراق الشريف، ومن أبرز قادة هذه الجماعة «يسرائيل ميلاد» الذى سبق أن اشترك فى عضوية إحدى المؤسسات الدينية الأخرى التى تسعى إلى بناء الهيكل الثالث على أنقاض المسجد الأقصى.

منظمة يشيفات إتريت كوهانيم:

ومعناها منظمة «التاج الكهنوتى» وتمتد جذورها إلى الحاخام اليهودى «إبراهام يتسحاق كول» أول حاخام للطائفة اليهودية فى فلسطين. ويؤمن أعضاء هذه المنظمة بدورها الطبيعى فى التخطيط لبناء الهيكل اليهودى الثالث. ولديهم - الآن - مخططات جاهزة لإقامة الهيكل المزعوم فى الحرم القدسى الشريف. وكان أتباع هذه المنظمة - حتى وقت قريب - منصرفين عن الذهاب إلى «جبل البيت» وهو الحرم القدسى الشريف حتى تصدر فتوى تسمح لليهود بالصلاة فيه، وقد صدرت هذه الفتوى عام ١٩٨٥. وتقوم هذه الحركة الدينية بندوات دورية تتمحور حول موضوع الهيكل، وكيفية أداء الطقوس اليهودية فيه، والتركيز فى هذه الندوات على مركزية القدس، وأهميتها فى حياة الشعب اليهودى لأنها - من منظورهم - ستكون عاصمة مملكة إسرائيل العظمى التى ستحكم العالم منها بعد تتويج ملك اليهود بها.

منظمة سيورى تسيون:

وهى منظمة تطوعية تعمل تحت إشراف المدارس الدينية، وتأخذ شكل الجمعية الخيرية، وتتلقى دعمها المالى من وزارة المعارف الإسرائيلية، ومن بلدية القدس، ومن الجيش الإسرائيلى. ومن أهدافها بناء الهيكل اليهودى الثالث. وتقوم هذه المنظمة بتنظيم الرحلات لزيارة المقدسات اليهودية فى القدس، وتتولى مدرسة «عطيرت كوهانيم» - وهى من المدارس الدينية بالحى الإسلامى فى القدس الشرقية - إعداد الكوادر البشرية، وتدريبهم على كيفية تدمير المسجد الأقصى، لإعادة بناء الهيكل الثالث على أنقاضه.

حركة إعادة التاج لما كان عليه:

وهى حركة دينية متطرفة يتزعمها «يسرائيل فويختونفر» ويقوم بتدريب أعضاء هذه الحركة من الشباب المتشدد دينيا، وتوجيههم للاستيلاء على بعض العقارات الإسلامية فى القدس الشرقية بدعوى أن مبانيها كانت يوما ملكا لليهود، وإذا ما تم الإستيلاء على هذه المبانى، يجرى فى الحال، طرد سكانها العرب، بينما يتولى زعيم هذه الحركة من جانبه اتخاذ الإجراءات القانونية لإثبات ملكية اليهود لهذه العقارات بطلانا وزورا ويجرى عملية الاستيلاء - من جانب هذه الحركة - بصفة خاصة على المبانى الكائنة بالحى الإسلامى فى القدس الشرقية القريب من الحرم القدسى الشريف تمهيدا لفرض الحصار اليهودى على المسجد الأقصى للانقضاض عليه لبناء الهيكل اليهودى المزعوم.

حركة الحشمونائيم:

تضم هذه الحركة جماعة دينية متطرفة تتبن شعارات حركة «كاخ» الإرهابية التى يقودها «مائير كاهانا» ويقود هذه الحركة الإرهابى «يوئيل لرنر». وقد عُرف أعضاؤها بتطرفهم الشديد، وميلهم للعنف، وقد اكتسبوا خبرة قتالية عالية بحكم خدمتهم فى الجيش الإسرائيلى، واتجهت أهدافهم للسيطرة على ساحة المسجد الأقصى، وطرد عرب القدس منها. ويعد الحاخام «إفيجدور نفتال» - رئيس رابطة التاج القديم - الأب الروحى لهذه الجماعة الدينية ومرشدها الدينى. وقد جرت محاولة لتفجير مسجد قبة الصخرة عام ١٩٨٢ بواسطة هذه الجماعة ولكنها فشلت بعد اكتشاف العبوات الناسفة قبل انفجارها.

حركة هتحيا «النهضة»:

وهى حركة يمينية ضالعة فى العنف والعنصرية، وقد ظهرت على مسرح الأحداث فى يوليو ١٩٧٩ بعد انشقاقها عن حركة «حيروت» ذات النزعة اليمينية المتطرفة احتجاجاً على اتفاقية «كامب ديفيد» الأولى. وتزعم هذه الحركة «يوفال نئمان» الذى تولى رئاسة وزارة العلوم والتطوير عقب غزو لبنان عام ١٩٨٢ ويكشف «نئمان» عن أهداف هذه الحركة حين صرح لجريدة «معاريف» الإسرائيلية بقوله: «سأعترف للجميع، دون خجل أننى أنظر إلى الأرض اللبنانية على أنها من أرض إسرائيل، أرض الميعاد» ومن أهدافها، أيضا، السيطرة على المنطقة المحيطة بساحة الحرم القدسى التى تحقق لإسرائيل السيادة على القدس، ومن أبرز زعماء هذه الحركة المتطرفة «جيئولا كوهين» و«حنان بورات» وتعقد هذه الحركة مؤتمرات دورية عديدة تنادى فيها بتفريغ فلسطين من سكانها العرب باستخدام مختلف أساليب العنف الشديد، وترويع المواطنين الفلسطينيين، حتى تظل فلسطين يهودية لا يشاركهم فيها أحد من العرب. لذلك أصدر الحاخام اليهودى «شلومو جورين» كبير حاخامات هذه الحركة فتوى تبيح لليهود قتل المدنيين من عرب فلسطين العزل بمن فيهم من النساء والشيوخ والأطفال.. وهكذا تنكشف النوايا الصهيونية التى تضمر السوء بمقدساتنا الإسلامية فى القدس الشريف، ويأتى على رأسها المسجد الأقصى، أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى رسول الله ﷺ، ومعراجه إلى السموات العلا. وما هذه المنظمات الدينية اليهودية المتطرفة التى عرضناها سلفاً إلا أدوات تنفيذية فى يد إسرائيل لنشر الذعر، والهلع، واستخدامها زريعة لتهويد المقدسات العربية والإسلامية، وانتهاك حرماتها، والتخطيط لبناء الهيكل اليهودى المزعوم، على أنقاض المسجد الأقصى المبارك، ولكن بفضل توحيد الصف العربى والإسلامى ستضرب كل يد آثمة تمتد بسوء إلى المسجد الأقصى، وغيره من المقدسات الإسلامية الآخرى، وسيظل هذا المسجد المبارك إسلامياً، وعربياً، تتردد فى جنباته تسابيح المسبحين، وتراتيل المرتلين، وأذكار الذاكرين إلى ساعة تحريره، وفك أسره من دنس الاحتلال الإسرائيلى، ولعل هذه الساعة تكون قريباً إن شاء الله - تعالى.

ربَّ مركوبةٍ خيرٌ من راكبها

للأستاذ/ عادل خفاجة

● عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله - ﷺ - قال: «بينا رجل يمشى فاشتد عليه العطش فنزل بئراً فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من شدة العطش فقال لقد بلغ هذا مثل الذى بلغ بى فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له، قالوا: يا رسول الله وإن لنا فى البهائم أجراً قال: فى كل كبد رطبة أجرٌ».(1)

اللهَث: هو ارتفاع النفس من الإعياء، ولهث الكلب أخرج لسانه من شدة العطش.

وقوله (يأكل الثرى) أى يعض بفمه الأرض الندية. وقوله فشكر الله له أى أظهر ما جازاه به عند الملائكة. وقوله «فى كل كبد رطبة» المراد رطوبة الحياة. وهو عام فى جميع الحيوان.

قال النووى: «إن عمومه مخصوص بالحيوان المحترم وهو ما لم يؤمر بقتله فيحصل الثواب بسقيه ويلتحق به إطعامه وغير ذلك من وجوه الإحسان إليه.

● وعن ابن عباس أن النبى - ﷺ - قال: «لاتتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً»(2) لأنه تعذيب للحيوان وإتلافٌ لنفسه. وتضييع لمنفعته.

● وأخبر أبوبشير الأنصارى - رضى الله عنه أنه كان مع رسول الله - ﷺ - فى بعض أسفاره «والناس فى مبيتهم» فأرسل رسول الله - ﷺ - رسولاً أن لا يبقين فى رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت».(3)

وذلك لئلا تضيق على أعناقها فتخنقها. ولنتأمل: النبى - صلى الله عليه وسلم - فى أسفاره، لا يهتم فقط بأمر المؤمنين من حوله، ولكنه يعطى اهتماماً للحيوانات ويأمر

(1) صحيح البخارى / كتاب المساقاة. فصل سقى الماء.

(2) صحيح مسلم - كتاب الصيد والذبائح باب النهى عن صبر البهائم حديث/ ٢٦١٧

(3) البخارى / كتاب الجهاد والسير / ما قيل فى الجرس ونحوه فى أعناق الإبل حديث/ ٢٧٨٣

بالرفق بها.

● وأخرج الطبرى عن علىّ قال: «إذا رأيتم ثلاثة على دابة فارجموهم حتى ينزل أحدهم».(4)

للحث على عدم تحميل الدواب فوق طاقتها.

وقد وردت أحاديث تدل على منع ركوب الثلاثة على الدابة الواحدة.

أما ما يفيد الجواز فإذا كانت الدابة مطيقة وعند الضرورة الملجئة.

● وعن ابن عباس قال: نهى رسول الله - ﷺ - عن التحريش بين البهائم.(5)

والتحريش بين البهائم: هو الإغراء وتهييج بعضها على بعض كما يُفعل بين الجمال والكباش والديوك وغيرها.

ووجه النهى أنه إيلام للحيوانات وإتعاب لها بدون فائدة، بل مجرد عبث.

● وعن عبدالرحمن بن عبدالله عن أبيه قال: «كنا مع رسول الله - ﷺ - فى سفر فانطلق لحاجته فرأينا حُمَرة معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحُمَرة فجعلت تعرش فجاء النبى - ﷺ - فقال: «من فجع هذه بولدها ردوا ولدها إليها، ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال من حرّق هذه؟ قلنا نحن. قال: إنه لا ينبغى أن يعذب بالنار إلا رب الناس».(6)

والتعريش: أن ترتفع وتظلل بجناحيها من تحتها.

● وأخرج الإمام أحمد فى مسنده أن النبى - ﷺ - مرَّ على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل فقال لهم: «اركبوها سالمة ودعوها سالمة، ولا تتخذوها كراسىَّ لأحاديثكم فى الطرق والأسواق فربَّ مركوبةٍ خير من راكبها وأكثر ذكراً لله تبارك وتعالى منه».(7)

● عن جابر بن عبدالله قال: رأى رسول الله - ﷺ - حماراً قد وُسِم فى وجهه فقال: لعن الله من فعل هذا».(8)

الوسم: أثر الكى.

هذا بعض ما قاله رسولنا الكريم فى شأن الحيوان والطيور (رفقاء حياتنا على هذه الأرض): اهتماماً ورفقاً وعناية وتقديراً.. فهل سألنا أنفسنا: هل نحن نطبق ما أمرنا به ديننا الحنيف؟!

وهل وعينا قول رسولنا الكريم: «ربَّ مركوبةٍ خير من راكبها»؟! وهل أدركنا معنى

(4) فتح البارى بشرح صحيح البخارى باب الثلاثة على الدابة.

(5) سنن الترمذى - كتاب الجهاد باب ما جاء فى كراهية التحريش بين البهائم.

(6) سنن أبى داود كتاب الجهاد/ باب كراهية حرق العدو بالنار حديث/ ٢٣٠٠

(7) مسند الإمام أحمد/ كتاب مسند المكيين حديث رقم/ ١٥٠٧٦

(8) مسند الإمام أحمد كتاب. باقى مسند المكثرين حديث/ ١٣٦٤٨

قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾

النحل / ٨

وقوله تعالى:

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ﴾

النحل / ٦٦

إن الأحاديث التى ذكرناها تنطق بأن الإسلام يهتم بأن يتصف أبناؤه بالرحمة الشاملة وأن يعلموا أن الحيوانات مخلوقات تحس وتتألم كما يحس الإنسان ويتألم وتذكر الله وأحيانا تكون أكثر ذكراً من بعض الإنسان.

إننا فى إطار الرحمة التى أمرنا بها ديننا الحنيف علينا أن نقدم لهذه الحيوانات الطعام ونعتنى بها إن كان ذلك فى الوسع أو نخلى سبيلها، وأن لا نعمد إلى حبسها وتجويعها، وأن نعلم أننا إن اقترفت أيدينا شيئاً ضد هذه الحيوانات فإننا محاسبون يوم القيامة عما فعلنا ضدها فى الحياة!!

وعلينا أن نعلم أنَّ ما يقدم للحيوانات والطيور من طعام أو ما تأكله من الحقول فإن للإنسان بها صدقة. وأنه لا يجب قصد الإضرار بالحيوان بمثل الوسم أو تحميله فوق طاقته. ولا يجب وضع الحيوانات أو الطيور غرضاً للتدريب على الرماية وكذلك لا يجب تعذيبها من باب أولى للتسلية واللهو!

وإذا كانت تعاليم الإسلام تهتم بالحيوانات والطيور وهو ما يتفق مع ما وصل إليه الإنسان المتحضر هذه الأيام ونادى به اعتباراً من عام ١٨٢٩م فى إنجلترا فإن ذلك دليل على أن الإسلام - حقاً - دين صالح لكل زمان ومكان وأن هذه الأفكار المتحضرة دعا إليها الإسلام منذ أربعة عشر قرناً من الزمان.

إن ما يتميز به الإسلام على سائر التشريعات أنه دين شامل، إذا نادى بالرحمة فإنما ينادى بها رحمة شاملة عامة لا يقصد بها أن تطبق فى قطاع من الحياة وتحجب عن بقية القطاعات فهذا نبى الرحمة يقول: «لا تنزع الرحمة إلا من شقى»(٩)

إن الرحمة التى يقصدها الإسلام هى تلك الرحمة التى تنغرس فى شعور المؤمن تجاه كل شيء وتظهر فى همساته وحركاته وسكناته لا مجرد الرحمة والرفق بالحيوان فقط.

أما الغرب الذى ينادى بالرفق بالحيوان - وأسس لذلك جمعيات تنادى بالرفق بالحيوان فى كل مكان - فهو الذى ابتدع رياضة مصارعة الثيران(١٠)

إن ملايين البشر - منذ عهد بعيد -

---

(٩) سنن الترمذى / كتاب البر والصلة ما جاء فى رحمة الناس حديث رقم ١٨٤٦

(١٠) ترجع مصارعة الثيران إلى عام ١٥٩١م ولم تشتهر عالميا إلا بعد أن تناولها بالوصف الروائى إرنست هيمنجواى فى رواية «والشمس أيضا تشرق»، ويعد مهرجان الثيران من المهرجانات السياحية الهامة التى تجتذب ما يقرب من نصف مليون سائح سنوياً.



يشاهدون الثيران وهى تلقى حتفها بسيف «الماتادور» ويصفقون بانبهار لهذا الفائز الذى سيحصل على جائزة الأندلس الذهبية ولم يدر بخلدهم ذلك الثور الصريع وبماذا يحس؟! مما يجعل الناظر إليه متمثلاً بقول القائل:

لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى!!

ولكان لو عرف الكلام مكلمى

هكذا غابت الرحمة، بعد أن لفَّت الحضارة المادية معتنقيها بدثار من حب الذات سقطت معه كثير من المفردات المعنوية مثل: الرفق، والرحمة والصبر، واللطف والأناة... الخ. فى سبيل سعى الإنسان اللاهث وراء المتعة والإثارة والتشويق ولم يتبق غير الشعارات الجوفاء التى منها الرفق بالحيوان!!

ونقول: إنها شعارات جوفاء، لأن الإنسان الذى عرف الرفق الطريق إلى قلبه، لا يستطيع أن يفرق بين الرفق بالحيوان والرفق بالإنسان.

بل يكون قد طبع على الرفق يسعى إليه سعياً.

إن الغرب الذى أسس جمعيات للرفق



الرفق بالأسير حتى النفس الأخير!!

بالحيوان لا يعنيه – إلا الرفق بالحيوان فقط !! ويصم آذانه ويغمض عينيه عن كل المجازر التى يراها هنا وهناك فهل الرفق بالحيوان الذى ينادى به الغرب أولى من الرفق بالإنسان ؟!

ألا يستحق الإنسان المسلم الذى يقتل فى فلسطين كل يوم بعضاً من الرفق الذى يتحدثون عنه .

ألا تستحق الآلاف التى تقتل فى العراق بعضاً من الرفق ؟!

لقد صرخ الشيخ الغزالى يوماً عندما سمع عن مقتل عشرة آلاف مسلم فى تشاد وطالب المسلمين أن يجعلوا للشهداء يوماً من أيام السنة للبكاء فيه على الدم المهدر والتوحيد المستباح .

وأردف قائلا : «إن دمنا أرخص دم فى دنيا الناس ولو أن الكلاب قتلت بهذه الأعداد الكبيرة لغضبت لها جماعات الرفق بالحيوان»(11)

لقد نجح الغرب فى عرض ما عنده باستخدام أساليب الدعاية المبهرة التى يجيدها مما يجعلنا فى حاجة إلى الكشف عن أصاله ما عندنا أمام الغرب .. إلا أننا نحتاج أكثر إلى تحديد موقعنا قرباً وبعداً من منهج الله القويم فقبل أن نباهى بأن لدينا هذا المنهج علينا أن نتساءل هل أعددنا آليات التنفيذ وماذا طبقنا منه ؟!

عندها فقط يمكننا أن نباهى بأننا ننتمى إلى الإسلام الذى حضّ على الرفق بالحيوان منذ أربعة عشر قرناً .

لم تقف رحمة النبى – ﷺ – عند حد توصية المؤمنين بالرفق بالحيوانات والطيور . بل رفع مكانتها حتى وصل بها إلى مرتبة أعلى من مرتبة – بعض البشر .

حين قال – ﷺ –:

«ربَّ مركوبةٍ خير من راكبها» .

أليس فى هذا القول ما يشهد للرسول

(11) راجع فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء للشيخ محمد الغزالى ص١٤٣.



الصعق بالكهرباء رحمة بالإنسان!!

بالرسالة .. وأن ما أتى به إنما هو وحى من السماء ؟!

إن أى مصلح أو قائد أو زعيم يهمه فى المقام الأول أن يرضى المؤمنين به وبأفكاره حتى يتهيأ له المناخ المناسب لنشر دعوته وإن أوائل من آمن بأفكاره يكونون دائما محل اهتمامه يرعاهم ويمدهم بها كلما لاحت له الفرصة أو تهيأت له الظروف وهو فى سبيل ذلك لا يسخطهم بحال !!

فهل يجرؤ مصلح أن يقول لأتباعه وتلاميذه أن الحيوان أفضل من بعض البشر ؟!

– ومن هؤلاء الأتباع من تعاظم أن يكون له فى البهائم أجر .

وهل يأمن بعد مقولته تلك أن يبقى أتباعه على حالهم من الرضا ، ولا ينقلب البعض عليه ؟! أو ينفضوا من حوله ؟ إن النبى محمد – ﷺ – قالها غير هياب ، لأنه – ﷺ – إنما يبلغ أمر السماء ، وما دام الله قد رضى عنه فإنه لا يبالى من سخط !!

لقد حملت لنا السنة النبوية هذه الكلمات لتشهد بنبوة محمد – ﷺ – فهل من معتبر ؟!

وكيف يسخط من عرف نور النبوة فى معلمه .. كيف يسخط ونور الحق يسطع من كلماته – ﷺ ؟!

فهذا أبو الدرداء قد وعى عن رسول الله – ﷺ – هذا الدرس وعرف حق البعير عليه ، وهو حق أرفع من حق الرحمة والرأفة لقد وقف أبو الدرداء يخاطب بعيراً له عند الموت كشريك حياة قائلاً : أيها البعير لا تخاصمنى عند ربك ، فإنى لم أحملك فوق طاقتك(12)

وبعد ..

إذا كان فيما تدعو إليه جمعيات الرفق بالحيوان خير عظيم فإن بين أيدينا ما هو أعظم ألا وهو قول رسولنا الكريم «إن فى كل كبد رطبة أجر» .

ألسنا فى حاجة إلى مثل هذا الأجر يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ؟! وقد علمنا أن الله قد غفر لمن أزال عطش كلب ؟!

اللهم اغفر لنا .. وجملنا بالرفق «إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه»(13)

(12) فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ الخضر حسين شيخ الأزهر/ الرفق بالحيوان/ مجلة الأزهر ص٦٠٥ / السنة الرابعة والعشرون/ ١٣٥٢هـ.

(13) صحيح مسلم البر والصلة/ ٤٦٩٨.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقي الدين

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (المائدة ٥١)

شر البلية ما يضحك

● منحت الولايات المتحدة الأمريكية مليون دولار لمركز ابن خلدون الذى يرأسة الدكتور سعد الدين إبراهيم، وهو مصرى حصل على الدكتوراة من الولايات المتحدة الأمريكية، ويحمل الجنسية الأمريكية، ومتزوج من أمريكية، ويحاضر فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وهو أحد الذين يرفضون الاعتراف بالسنة المشرفة كمصدر من مصادر الشريعة الإسلامية ويحرص فى ندواته التى يعقدها بمقر مركز ابن خلدون على توجيه الدعوة لشخصيات إسرائيلية وأمريكية، ويعتبر أن العراق صار نموذجا فى الديمقراطية ينبغى أن تحتذى به سائر دول المنطقة، ويتردد أنه ينوى ترشيح نفسه لرئاسة جمهورية مصر العربية!!

● ذكرت صحيفة الأسبوع أن شخصا يُدعى محمد فريد حسنين قد رشح نفسه لرئاسة الجمهورية أعلن فى مؤتمر صحفى : إن أمريكا محقة فيما تفعله بالعراق لأن وجود مدفع عند صدام حسين أو حسنى مبارك هو خطر شنيع.. في حين أن امتلاك الدول الديمقراطية كإسرائيل للسلاح النووى لا خطر منه.

وقال: إن الأمريكان يخافون على العالم ويريدون القضاء على الفقر ونشر الديمقراطية وحقوق الإنسان، وذكرت الصحيفة أن المذكور اختتم مؤتمره الصحفى بقوله: الله معنا وأمريكا معنا والشعب معنا.

● هددت واشنطن باتخاذ إجراءات فاعلة وقوية قد تصل إلى حد مراجعة المعونات المقدمة إلى الحكومة المصرية فى حال الإصرار على حبس أيمن نور رئيس حزب الغد والمسجون حاليا على ذمة اتهامات بالتزوير ووسائل الإعلام الأمريكية والغربية والإسرائيلية تقود حملة تحريض ضد مصر لهذا السبب.

● حملة أمريكية شرسة ضد مصر لإخراج الدواء من التسعيرة الجبرية وترك الحرية للشركات لتحديد الأسعار، والخضوع لمقتضيات السوق الحر فى العرض والطلب.

● وزارة الصحة المصرية تعلن أن شركات الأدوية الأجنبية ووكلاءها فى مصر من أجانب ومصريين على السواء قاموا بارتكاب جرائم فى حق الاقتصاد المصرى.

● وزير الصحة المصرى الدكتور محمد عوض تاج الدين يتخذ إجراءات لمواجهة محاولات الشركات الأمريكية السيطرة على تجارة الأدوية فى مصر.



الديمقراطية الأمريكية!
هكذا اعتقل جنود المارينز الأمريكيون المدنيين العراقيين والقوا بهم علي الأرض خلال حملة على مدينة «حديثة»

• لوبى شركات الأدوية الأمريكية يطلب تدخل وزيرة الخارجية الأمريكية لحماية مصالحها ضد الحكومة المصرية، وينشر تقريرا مشبوها يطعن فى صلاحية الأدوية المصرية لضرب صناعة الدواء فى مصر والتحريض ضد الحكومة المصرية.

• وثائق رسمية بريطانية تؤكد أن الولايات المتحدة الأمريكية دفعت أموالا لزعماء المعارضة العراقية تقدر قيمتها بملايين الدولارات وفى مقدمتهم أحمد الجلبى الذى كان يتلقى سنويا أربعة ملايين دولار، وذلك مقابل معلومات حول نظام صدام حسين ثبت فيما بعد كذبها.

• صحيفة «هاآرتس» الإسرائيلية تؤكد أن شخصيات من المعارضة اللبنانية طلبت من إسرائيل تشجيع الولايات المتحدة الأمريكية على الضغط على سوريا لسحب قواتها من لبنان، وان معارضين لبنانيين ذكروا لمسئولين إسرائيليين أنهم لايفهمون سببا لإصرار حزب الله على مواصلة الصراع ضد إسرائيل حول مزارع شبعا، وسيلفان شالوم وزير الخارجية الإسرائيلى يعلن فى تصريحات نشرتها نفس الصحيفة أنه ينبغى دعم المعارضة اللبنانية وارسال رسالة واضحة لسوريا بأن عليها سحب قواتها من لبنان.

• حثت أندونيسيا المنتقدين الأجانب على احترام حكم محكمة أندونيسية على رجل الدين (أبوبكر باعشير - ٦٦ عام) بالسجن ثلاثين شهرا لضلوعه فى تفجيرات (بالى) سنة ٢٠٠٢، وتبرئته من اتهامات أكثر خطورة تتعلق بالإرهاب.

أعربت الولايات المتحدة واستراليا عن استيائهما من الحكم الصادر ضد «باعشير» ووصفتاه بأنه مخفف بدرجة كبيرة، قال متحدث باسم وزارة الخارجية الأندونيسية: إن أندونيسيا دولة ديمقراطية تحترم أحكام القضاء.

• سام جونسون عضو الكونجرس الأمريكى اقترح على الرئيس الأمريكى جورج بوش ضرب سوريا بقنبلة نووية لأنها أخفت أسلحة الدمار الشامل العراقية.

• أعلن (بييرسكو لارى) زوج الصحفية الإيطالية (جوليانا سجرينا) التى كانت مختطفة فى العراق وتم اطلاق سراحها إن قوات المارينز حاولت قتل زوجته بإطلاق النار عليها عقب الافراج عنها لأنهم يعلمون أنها سوف تحكى ما شاهدته على أرض الواقع فى العراق.

أحمد تقى الدين

وإلى رسائل القراء

حقوق الطفل الضائعة فى فلسطين والعراق

تحت هذا العنوان كانت كلمة القارئ الدكتور محمد محمود العطار ـ كفر الشيخ ـ قال فيها:

الأطفال هبة عظيمة من الله للإنسان، يسعد الفؤاد بمشاهدتهم، وتقر العين برؤيتهم، وتستريح النفس بحديثهم، فهم زهرة الحياة الدنيا، وهم في ذات الوقت مستقبل الأمة وقواد سفينتها نحو الصراط المستقيم.

ولقد دعا الإسلام إلي حماية الطفولة حماية مطلقة، فحرم قتل الأطفال، حيث يقول سبحانه وتعالي:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾

(سورة الإسراء، الآية ٣١)

وكذلك وأد البنات، حيث يقول سبحانه:

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾

(سورة التكوير، الآيات ٨ - ٩)

وحثنا الإسلام علي تنشئة الطفل المسلم علي أخلاق الإسلام وعباداته، وأمرنا الرسول الكريم ﷺ بتعليم الأبناء الصلاة عند سبع سنين، وأمرنا بضربهم إذا تركوها عند عشر، وأمرنا أيضاً أن نفرق بينهم في المضاجع.

وحدد الإسلام واجبات الوالدين تجاه أولادهم بقوله ـ تعالي ـ:

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾

(سورة البقرة، الآية ٢٣٣)

إنَّ أطفال اليوم هم بلا شك شباب الغد ورجال المستقبل، وهم مرآة المجتمع وعليهم تعقد الأمم والمجتمعات آمالها، ومن ثم تقوم بإعدادهم إعداداً سليماً فقد يكون منهم القائد القادر علي حل مشاكل البشرية، ووضع الحلول المناسبة حتي يستطيع العالم بأجمعه أن يعيش في سلام بعيداً عن الحروب التي ينتج عنها تشرد العديد من الأطفال الأبرياء الذين لا ذنب لهم إلا أنهم أبناء هذا الوطن.

وهناك اهتمام عالمي بالطفولة، حيث يقاس التقدم في أي مجتمع بمدي ما يقدم للأطفال من رعاية واهتمام، وتقوم بعض المؤسسات في الدول المتقدمة بدفع تعويض مادي للطفل في حالة تعرضه للحوادث والإصابات، وإذا كان هذا هو الحال في الدول المتقدمة، فما هو التعويض الذي سيحصل عليه أطفالنا في فلسطين والعراق!!..

لابد أن يتعاون عالمنا الإسلامي والعربي من أجل حماية أطفالنا في فلسطين والعراق، حتي نكون بحق كما قال سبحانه وـ تعالي:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

(سورة آل عمران، الآية ١١٠)

كريم النفس

وأرسل لنا الصديق/ أحمد عبدالمحسن علي ـ مدرس أول بمدرسة الأورمان الثانوية النموذجية بالدقي ـ كلمة بعنوان: «كريم النفس خير من كريم المال» قال:

برغم أن النفس غالباً ما تكون أمارة بالسوء، إلا أن الإنسان يستطيع أن يقومها ويكرمها، فترفع من شأن صاحبها وتجعله خيراً من كريم المال.

* يُحكي أن حاتم الطائي سُئل: أي إنسان أعظم منك كرماً وأفضل نفساً وأحسن شيماً؟.

فقال: ذبحت يوماً أربعين حلوبة للأضياف، ثم سرت في الصحراء أريد أمراً، فبلغت أجمة فيها رجل يحتطب، فقلت له: أما سمعت بكرم حاتم طيء وسماحته؟. قال: بلي. قلت: هلا استضافك؟. قال: ثكلتني أمي لو أنه استضافني وقبلت ضيافته، ودعاني فأجبت دعوته، فإنني ما دمت أستطيع الكسب بعرق جبيني، وتعب يميني، فمن العار أن يكون لكريم يد أغضي لها حين يغضب.

فقلت للمحتطب: أنا حاتم، وأنت ورب الكعبة أعلي مني كعباً في الكرم، وأقرب إلي المروءة، وأسبق إلي مجالس الشيم.

* وكان بعض السقائين ينشد أثناء سيره في الطريق وهو حامل قربة قول الشاعر:

وأكرم نفسي إنني إن أهنتها
وحقك لم تكرم على أحد بعدي

فسمعه الأصمعي وأراد المزاح معه، فقال له: وعن أي شيء أكرمت نفسك وهذه حرفة دنيئة؟. فأجابه في الحال: إنني أكرمتها عن ذل السؤال، وعن الوقوف علي باب لئيم مثلك. فأسكته.

* ويحكي: أن الأمير عمارة بن حمزة كان في يوم جالساً في مجلس الخليفة المنصور أبي جعفر، وكان يوم نظره في المظالم. فنهض رجل علي قدميه وقال: يا أمير المؤمنين: أنا مظلوم. فقال: من ظلمك؟.

فقال: عمارة بن حمزة اغتصب ضياعي، وابتز ملكي وعقاري.

فأمر المنصور أن يقوم من موضعه ويساوي خصمه للمحاكمة.

فقال عمارة بن حمزة: يا أمير المؤمنين، إن كانت الضياع له فما أعارضه فيها، وإن كانت لي فقد وهبتها له، وما لي حاجة في محاكمته ولا أبيع مكاني الذي أكرمني به أمير المؤمنين بضياع.

فتعجب الأكابر الحاضرون من عُلو همته، وشرف نفسه ومروءته.

من علماء العصر:

الشيخ محمد عبدالخالق عضيمة



الشيخ محمد عضيمة

وكتب الأستاذ الأديب/ فرج مجاهد عبدالوهاب عضو اتحاد كُتَّاب مصر كلمة عن العالم الأزهري الشيخ «محمد عبدالخالق عضيمة» قال فيها:

ولد عام ١٩١٠م بمحافظة الغربية ـ طنطا وتلقي تعليمه الابتدائي والثانوى بمعهد طنطا الديني، كما حصل علي إجازة في علوم اللغة العربية من كلية اللغة العربية بالأزهر، وقد التحق بالدراسات العليا وتخرج عام ١٩٣٤م وكان موضوع رسالته «أبوالعباس المبرد وأثره في علوم اللغة العربية».

وبعد ذلك عُيِّن مدرساً في كلية اللغة العربية بالقاهرة، ثم ابْتُعثَ إلي مكة المكرمة في أول بعثة أزهرية للمملكة العربية السعودية عام ١٩٤٦م.

واستمراراً للحياة العملية فقد عمل أستاذاً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

والشيخ عضيمة ـ رحمه الله ـ كان أحد الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤٠٣هـ فكان الفائز الوحيد بجائزة «الدراسات الإسلامية» لذلك العام وذلك عن كتابه: «دراسات لأسلوب القرآن الكريم» الذي استغرق في تأليفه حوالي ٣٥ عاماً وهو عبارة عن معجم لغوي نحوي صرفي للقرآن الكريم ويتكون من ١١ مجلداً.

وكان قد حاز من قبل علي وسام العلوم والفنون من الدرجة الأولي.

وله عدة مؤلفات في مواضيع اللغة العربية منها:

* المغني في تصريف الأفعال.
* هادي الطريق إلي ذخائر التطبيق.
* تحقيق المقتضب والتعليق عليه «أربعة أجزاء».
* فهارس كتاب سيبويه ـ وتقع في ٩١٢ صفحة.
* تحقيق كتاب المذكر والمؤنث لأبي بكر بن الأنباري «جزءان».

إضافة إلي كتابه الذي نال به جائزة الملك فيصل العالمية السابق ذكره.

.. وتوفي عن ٧٤ عاماً في مارس ١٩٨٤م. رحمه الله.

قصة قصيرة

صابر

ويشارك فى هذا العدد القارىء محروس عبدالفتاح ياسين ـ إمام وخطيب بأوقاف الإسماعيلية ـ بقصة قصيرة بعنوان «صابر»:

استيقظت الأم على صوت ابنها وهو يتمتم بالدعاء المأثور: «اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما.. والحمد لله على كل حال، ونعوذ بالله من حال أهل النار».. وقبل أن تلقى بجسدها الواهن من على السرير ابتدرها بطبع قبله على يديها وطلب إليها أن تدعو له بدعائها الذى يؤثره.. فقالت بصوت خفيض «يارب.. ياصابر يابنى يفتح لك أبواب الخير» وبينما تستجمع قوتها لتكرره ـ ثلاثاً ـ كعادتها إذا بصوت المؤذن يأتى معلنا صلاة الفجر فتشغل بترديد الآذان.

ويحضر صابر «صرة الصعيد الطاهر» لتيمم استعداداً للصلاة ثم همَّ إلى المسجد بعد أن صلى النافلة فى المنزل.

دخل المسجد فى سكينة ووقار، وأخذ مكانه فى الصف الأول وشرع الإمام فى الصلاة، وقد كانت قراءته فى الركعة الأولى مما تيسر له من سورة الإسراء ثم واصل فى الركعة الثانية القراءة من نفس السورة حتى بلغ قول الحق:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

(الإسراء: ٢٣، ٢٤)

وإذا بصابر يرتجف كعصفور بلله القطر والدمع من عينيه يسيل كماء منهمر.. تُرى ما سبب ذلك؟ سؤال شغل جل تفكيره برغم إقباله على أداء امتحان الثانوية العامة.

مكث فى المسجد حتى الثامنة، صلى الضحى وانصرف إلى مقر لجنة الامتحانات، أمسك بورقة الأسئلة طالعه سؤال التعبير: اكتب فى أحد الموضوعين:

١ـ الأم عطاء بلا حدود.

٢ـ الإعلام ودوره المفقود.

بلا فكر ولا روية اختار الموضوع الأول وانطلق قلمه يسطر الكثير من مواقف عطاء أمه، ولولا أن الأسئلة لها فروع أخرى لما اكتفى بما كتب وأثناء عودته إلى البيت التقاه أحد جيرانه قائلاً: «اعظم الله أجرك ياصابر».

رحمة للعالمين

ومن القارىء الشيخ محمد محمود حمودة - وكيل معهد كرداسة كانت هذه الكلمة قال:

بعث رسول الله ﷺ نذيرا وبشيرا للناس كافة على اختلاف ألوانهم وأجناسهم برسالة هى خاتم الرسالات فكانت للناس بيانا هاديا مرشدا على مر العصور

وكانت الرحمة والحكمة والموعظة الحسنة هى منهج النبى ﷺ فى تبليغ الرسالة وفى أقسى مواقف الشدة لم يدع النبى الكريم على قومه بالهلاك لما آذوه وعذبوا أصحابه واضطروه للهجرة.

ومن هنا فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يخاطب النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه بقوله:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

الأنبياء: ١٠٧

هذا الإعلان فريد من نوعه، جاء فى كتاب خالد قدر الله ـ سبحانه وتعالى ـ له أن يُتلى فى كل زمان ومكان، بقدر عدد قرائه بمئات الملايين، يقرأونه جميعا بلغة واحدة

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾

(الشعراء/ ١٩٣، ١٩٤)

سعة هذا الإعلان وإطاره الكبير ومساحته بحساب الزمان والمكان تجعلان هذا الإعلان خارقا للعادة لا يمكن أن يمر به الإنسان الواعى مرا عابرا سريعا، فإن مساحته الزمنية تحوى جميع الأجيال، والأدوار التاريخية التى تتلو البعثة المحمدية، ومساحته المكانية تسع العالم كله، فإن الله - سبحانه وتعالى - لم يقل إننا أرسلناك رحمة لجزيرة العرب أو للشرق أو للغرب، بل قال:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصا من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق فى اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا بمشيئة الله تعالى.

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبدالموجود أمين

«نتائج انتخابية مصنعة»

هذا ما قاله د/ محسن خليل فى جريدة الأسبوع فى عددها الصادر فى ٢٠٠٥/٢/٢١ معلقاً على نتائج الانتخابات العراقية قال:

النتائج التى أعلنتها المفوضية العليا للانتخابات العراقية لم تحمل أية مفاجآت، فقد جاءت قريبة من توقعات الشارع العراقى بالنسبة للأحزاب الفائزة، ولحجم التلاعب الذى رافقها، ومع ذلك ثمة ملاحظة على البيانات التى أعلنتها المفوضية العليا، فقد انطوت على كثير من المغالطات والمبالغات والتناقضات، أولى الملاحظات: المبالغة فى أعداد المصوتين، فقد ذكرت المفوضية عدد المصوتين (٨,٤) مليون ناخب وبنسبة ٦٠٪ تقريباً من مجموع الذين يحق لهم الانتخاب والبالغ عددهم ١٤,٢ مليون ناخب، ولم تذكر عدد المسجلين، فإذا افترضنا أن نسبة المسجلين من الذين يحق لهم الانتخاب هى ٦٠٪ أيضاً فمعنى ذلك أن عدد المصوتين ينخفض إلى ٥ ملايين وليس ٨,٤ مليون ناخب، وإذا أخذنا بالاعتبار ما أوردته منظمة تموز للتنمية الاجتماعية وهى منظمة غير حكومية مؤيدة للوضع الراهن فى العراق وقامت عن طريق ١٨٧٥ متطوعاً بمراقبة الانتخابات سوف تنخفض أرقام المفوضية العليا كثيراً.. جاء فى التقرير النهائى للمنظمة المذكورة أن بعض المراكز فتحت فى وقت متأخر وأن مراكز فى مناطق أخرى لم تفتح مطلقاً وأن أنصار إحدى القوائم الرئيسية -ولم تسمها- أجبروا مواطنين فى ميسان على التصويت تحت التهديد، وأن بعض الصناديق عند فتحها للتأكد من خلوها من الأوراق الانتخابية وجد فيها أوراق انتخابية قبل إنها تعود لمسئولين.. إضافة إلى قيام مسئولى بعض المراكز الانتخابية بإعطاء أربع أوراق انتخابية لكل ناخب، وفى معظم المراكز التى زارتها المنظمة لم يكن هناك سجل بأسماء الناخبين للتحقق من سلامة موقف الناخب.. وكان الناخب يدخل دون أن يدقق أحد فى أوراقه أو فى سجلات الناخبين، ولم تفتح مراكز انتخابية فى عدد من المحافظات مثل الرمادى والفلوجة وصلاح الدين والموصل، وحيث إن التيار الصدرى وهو تيار واسع فى بغداد ومحافظات الجنوب أعلن مقاطعته للانتخابات التى ستفرز حكومة عميلة للمحتل، كما نقل عن مقتدى الصدر. إذا أخذت كل هذه الأمور بالاعتبار فإن رقم المفوضية حول عدد الناخبين سيكون مبالغاً فيه جداً، ناهيك إذا أخذت وجهة نظر المعارضة والمقاومة التى تؤكد مصادرهما أن الشوارع كانت مقفرة والمراكز فى معظم المناطق لم تفتح والإقبال كان ضعيفاً..

المسألة الثانية حول الانتخابات هى اعتمادها آلية المحاصصة الطائفية والعرقية ولو أجريت مقارنة بين التوزيع الذى استخدم عند تشكيل مجلس الحكم على الطوائف والأعراق، فإن النسب تقريباً هى التى ظهرت فى ثنايا النتائج التى أعلنتها المفوضية العليا للانتخابات.

المسألة الثالثة هى أن أربع قوائم من مجموع ١١١ قائمة انتخابية تمثل الأحزاب المرتبطة بالاحتلال، حصلت على ٩٠٪ من المقاعد والأصوات وهى لوائح: الحكيم ٤٨٪، والتحالف الكردى ٢٥,٧٪، وعلاوى ١٣,٨٪، والياور ١,٧٪ والنسبة المتبقية ستستخدم لتحسين التشكيلة بصيغتها النهائية، أى أن أحزاب مجلس الحكم التى انتقلت إلى الحكومة الانتقالية سوف تنتقل إلى الحكومة الجديدة المسماة مؤقتة.. وستكون أولى مهامها إعلان دعوتها لبقاء قوات الاحتلال.. وكان الله فى عون العراق.

«مصر وسوريا على الأجندة الأمريكية»

وفى الأهرام العربى فى عددها الصادر فى ٢٠٠٥/٢/١٩ تحت هذا العنوان كانت إشارة إلى ضرورة اليقظة، للكاتب عبدالوهاب فتال المقيم فى بريطانيا قال:

فى مصر أبداً لن يكونوا آمنين، ولا فى سوريا أيضاً، والتاريخ، لو تذكروه لأدركوا أنهم يزرعون فى البحر، ويحرثون السماء حالمين، وعلى كارثة تحل بهم سوف يستيقظون، وإلا فماذا يعنى أنهم نهضوا الآن يتهمون مصر بنشاطات نووية تمارسها، وأطلقوا عملاءهم ليظهروا «أم الدنيا» أمام العالم وكأنها تهدر حقوق الإنسان، فيوقدون للطائفية ناراً طالما أحرقتهم من قبل، وأملهم تكرار المخطط الذى نفذوه من قبل فى السودان، باختلاق التمردات العنصرية والطائفية.

وفى ذات الوقت الذى يسعون فيه لوصل الأرض ما بين أعالى النيل وتل أبيب فى فلسطين المنهوبة، معدين لمصر ما كانوا قد أعدوه للسودان من قبل، يعملون بكل ما أوتوا من جهد لإخضاع سوريا، فى ظن منهم أنها تقف وراء المقاومة العنيفة المشتعلة فى العراق، العراق الذى دخلوه، معتقدين أنهم بالأرز والزهر سوف يستقبلون، وأن السيطرة على نهر الفرات العظيم قد تمت لهم، وأن العقبة

التى تقف فى طريقهم هى سوريا، التى يزعمون أنها وراء إدخال المقاتلين إلى العراق مزودين بالمال والسلاح.

مصر دولة نووية إذن وضد حقوق الإنسان بمعارضات من تافهين قد لا يعون أنهم فى خدمة العدو، أو من عملاء يعرفون ماذا يصنعون. وسوريا خطر على الديمقراطية العالمية لأنها دولة مساندة للإرهاب، لأنها تؤوى بعض أهلها من إقليم فلسطين على أرضها، وتساند جهاد المجاهدين فى جنوب لبنان، الذين لولاهم لما تم تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥ القاضى بانسحاب خونة موسى من أرض لبنان، والهدف، ما الهدف من هذه الاتهامات؟ ولماذا يتحدثون عن فرض عقوبات على سوريا؟. يريدون سوريا ترضخ لتتصل الحلقات بين الفرات والنيل، وليحققوا كياناً زعموا أن الله وعدهم به أرضاً لهم.

الواقع المر الذى لم يدركوه أنهم فى الأحلام مغرقون، كما فى أدغال العراق هذه الأيام يغوصون، لا يريدون أن يصدقوا بأن عبر الحدود الجغرافية التى كانوا قد رسموها فى أوائل القرن العشرين بين سوريا والعراق، الجغرافية الإلهية الواحدة، لا ضرورة لتسلل متسلل أو عبور مقاتل، لأن نفس المقاتل الموجود على أرض سوريا موجود على أرض الواحة، فما ضرورة التسلل إذن؟ ولو كان المقاتل الذى يؤرقهم ويقلقهم فى العراق، جاءهم من سوريا أو حتى من إيران، فأين قدرتهم بجندهم الذين يقاربون المائتى ألف عدداً مع تقنياتهم الحديثة أين هم وهم الأقوى والأقدر؟ لماذا لا يوقفون هذا التسلل؟ ولماذا العقوبات الاقتصادية على سوريا؟ ولماذا هذه المزاعم ضد مصر؟ لماذا ليست هى عقوبات عسكرية حربية مقاتلة؟ كما كانت الحال عند غزوهم للعراق، ليروا أكثر كثيرا مما رأوا ويرون اليوم.

ولو كانوا على قدرة من المعرفة لاستعادوا حال هولاكو الذى دخل بغداد وانتهى فى فلسطين وحال الصليبيين الذين خرجوا مدحورين من سوريا ومصر وفلسطين على يدى صلاح الدين.

وقدأخضعوا العراق واستولوا على السودان كما ظنوا، وسيطروا على حوض وادى النيل كما يعتقدون، فلماذا لا يغزون مصر بجندهم وكذلك سوريا ليعلنوا إسرائيل الواحدة ما بين الفرات والنيل.

ليست مصادفة أبداً أن توجه هذه الاتهامات فى تلك الأيام إلى سوريا ومصر، وإن أرادوا فليدخلوا مصر الآن، ونؤكد لهم أنهم فيها لن يكونوا من الآمنين، وكذلك شأنهم سيكون فى سوريا.

«النازية الأمريكية»

وتحت عنوان «الولايات المتحدة الأمريكية.. دولة نازية» كانت كلمة للمفكر الأمريكى: «وارد تشرشل» نشرتها جريدة الأحرار فى عددها الصادر فى ١٤/٢/٢٠٠٥، قال فيها:

لا تزال السياسة المستفزة التى تتبعها الولايات المتحدة، تثير نقمة العديد من ذوى الضمائر من المفكرين الأمريكيين بدءاً من الدكتورة «سوزان سونتاج» حتى الدكتور «وارد

تشرشل» رئيس قسم الدراسات العربية «الإثنية» بجامعة كلورادو. فقد فجرت تصريحات تشرشل عن مشروعية هجمات سبتمبر هياج اللوبى الصهيونى وعصابات اليمين الحاكم، الأمر الذى يؤكد أن الولايات المتحدة لا تسمح بالحرية إلا إذا اتفقت مع تفكير القطيع!!..

فقد تداعت قضية التصريحات التى أطلقها أستاذ فى جامعة كلورادو الأمريكية، والتى أكد فيها أن الهجمات التى تعرضت لها الولايات المتحدة فى ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١ هى نتيجة طبيعية للسياسة الخارجية لواشنطن فى الشرق الأوسط، وحملة الإبادة الجماعية ضد العراق، حيث بدأ اللوبى الصهيونى واليمين المتشدد فى إطلاق حملة عدائية ضد الأستاذ الأمريكى وارد تشرشل مطالبة بعزله من السلك التعليمى ومقاضاته، وهو الأمر الذى رد عليه تشرشل بالقول: لن أتراجع قيد أنملة أنا لست مديناً لأحد بالاعتذار.

وصرح تشرشل الذى قوبل بتأييد من نحو ١٢٠٠ من الطلبة والأنصار الذين احتشدوا فى صالة بالجامعة بأن رسالته الرئيسية التى يريد توصيلها هى أن هجمات ١١ سبتمبر جاءت نتيجة السياسة الخارجية الأمريكية.

ومضى تشرشل يقول بالطبع وهو شىء مفروغ منه «أن ما تزرعه تحصده وهذا ما حدث».

وفى مقال بعنوان «بعض الناس يردون الضربة» الذى كتبه عقب هجمات ١١ سبتمبر ذكر تشرشل أن الخاطفين شنوا هجمات مضادة فى مواجهة السياسة الخارجية الأمريكية المعادية فى الشرق الأوسط وحملة الإبادة الجماعية فى العراق، التى نفذت من خلال العقوبات الاقتصادية التى فرضت عليه بعد أن غزا الكويت عام ١٩٩٠ وما تلا ذلك من حرب عام ١٩٩١ والتى أطلق عليها اسم حرب الخليج الأولى.

واجتذب تشرشل وهو من المدافعين عن حقوق السكان الأصليين لأمريكا اهتماما واسع النطاق فى بادئ الأمر الشهر الماضى، حين ألغت كلية هاملتون فى نيويورك مشاركة مقررة له متعللة بتهديدات بالقتل وجهت له ولآخرين كان مقرراً مشاركتهم، وبعد ذلك أجرت جامعة كلورادو تحقيقات فى خطوة أولى قبل إقالة محتملة لتشرشل.

واحتشد الأكاديميون للدفاع عن حرية التعبير الذى يرون أنه معرض للخطر، قائلين إن إقالة أستاذ جامعى معين بسبب تصريحات لم تلق قبولاً، تهدد الحريات الأكاديمية.

وطالب بيل أوينز حاكم كلورادو، وهو جمهورى.. بإقالة تشرشل، وأقر أعضاء المجلس التشريعى بالولاية قرارات تندد به.

وقال تشرشل لمجموعة من المحاضرين: «أنا لا أعمل لدى دافعى ضرائب كلورادو، ولاأعمل لدى بيل أوينز، أنا أعمل من أجلكم أنتم».

وتنحى تشرشل عن منصب رئيس قسم الدراسات العرقية بالجامعة، وهدد بمقاضاة الجامعة فى حال إقالته.

وصرح تشرشل بأنه يشعر بالأسى على رجال الإطفاء، وعمال الخدمات الغذائية، وعمال النظافة، والمارة.. الذين قتلوا فى هجمات ١١ سبتمبر، لكنه قال: إنه يشعر

بالأسى أيضاً لما يصل إلى ٥٠٠ ألف طفل عراقى لقوا حتفهم نتيجة العقوبات التى فُرضتْ على العراق.

وأعرب عن اعتقاده بأن المحافظين تعمدوا تشويه تصريحاته التى نشرت فى البداية، وقال لرويترز: لم أبرر فى تلك التصريحات، بأى حال قتل الأبرياء؟. هذه كلمات لا وجود لها.

وغير المسئولون الإداريون فى الجامعة من موقفهم، وسمحوا لتشرشل بإلقاء كلمته بعد أن ثبت أن الطلبة الذين نظموا الندوة لم يتلقوا تهديدات بالقتل، كمازعم أحدهم من قبل.

ورغم ذلك طلب دارولد كيلمر محامى تشرشل من القاضى بوب بلاكبيرن فى المحكمة الجزئية إصدار إنذار قضائى يمنع الجامعة من مزيد من القمع لحق تشرشل فى حرية التعبير، وأمهل القاضى الجامعة حتى ٢٤ فبراير للرد على هذه الدعوى.

«إسرائيل وبرنامجها النووى»

وفى جريدة الأهرام الصادرة فى ٢٠٠٥/٢/١٢ كتبت الدكتورة أميرة الشنوانى متسائلة: «هل تتخلى إسرائيل عن أسلحتها النووية؟» قالت:

■■ عقد المجلس المصرى للشئون الخارجية برئاسة السفير عبدالرءوف الريدى مؤتمراً حول إزالة أسلحة الدمار الشامل فى الفترة من ٢٩ – ٣٠ يناير الماضى، وقد شارك فى هذا المؤتمر «لجنة أسلحة الدمار الشامل» التى شكلتها الحكومة السويدية برئاسة هانز بليكس الرئيس السابق للوكالة الدولية للطاقة الذرية ومؤسسة «باجواش للعلوم والشئون الدولية»، ومؤسسة «فريدريش إيبرت» الألمانية، بالإضافة إلى وفد المجلس المصرى للشئون الخارجية والذى شرُفْت أن أكون ضمن هذا الوفد الذى شارك فى المحادثات والمداولات التى شهدها هذا المؤتمر.

أنهى المؤتمر أعماله بعد أن حقق نجاحاً كبيراً، حيث عرضت الوفود وجهات نظرها بكل صراحة ووضوح، وأجمعت كلها ـ على اختلاف جنسياتها ـ على ضرورة إخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل من أجل تحقيق الأمن الإقليمى، وإن كان الوفد الإسرائيلى قد بدا متحفظاً وتارة يدعو إلى تحقيق السلام أولاً وتارة أخرى إلى التطبيع أولاً. وفيما يتعلق بوجهة نظرى الخاصة فى هذا الموضوع الشائك، فإننى أرى أن تحقيق أمن منطقة الشرق الأوسط ـ وإن كان يتطلب جعل المنطقة خالية من جميع أنواع أسلحة الدمار الشامل ـ فإننى لا أتصور أن إسرائيل التى تملك أكثر من مائتى رأس نووى سوف توافق على التخلى عن سلاحها النووى اليوم أو غداً أو حتى فى المستقبل القريب، ربما توافق على التخلى عن أسلحتها البيولوجية والكيماوية مقابل أن تتخلى بعض دول المنطقة ـ التى تملك الأسلحة البيولوجية أو الكيماوية عن هذه الأسلحة لتظل إسرائيل وحدها فى المنطقة مالكة لأسلحة الدمار الشامل، ونقصد بذلك السلاح النووى، حتى يظل ميزان القوى العسكرى فى صالحها.

ولذلك أرى أن تخلى إسرائيل عن أسلحتها النووية فى القريب العاجل لن يتحقق، إلا إذا ضغطت عليها الإدارة الأمريكية ـ وهو أمر مستبعد ليس فقط فى ظل الإدارة الأمريكية الحالية، وإنما فى ظل جميع الإدارات الأمريكية اللاحقة، فالولايات المتحدة هى دولة مؤسسات يسيطر عليها اللوبى الصهيونى. وعلى ذلك.. فإن إخلاء المنطقة من أسلحة الدمار الشامل، برغم أهميته لتحقيق الأمن الإقليمى، فإن هذا الأمن الإقليمى لن يتحقق ـ مادامت إسرائيل لن تتخلى عن أسلحتها النووية ـ إلا إذا امتلكت دول منطقة الشرق الأوسط السلاح النووى، بحيث يصبح هناك نوع من الردع النووى المتبادل الذى يحافظ على أمن واستقرار المنطقة.

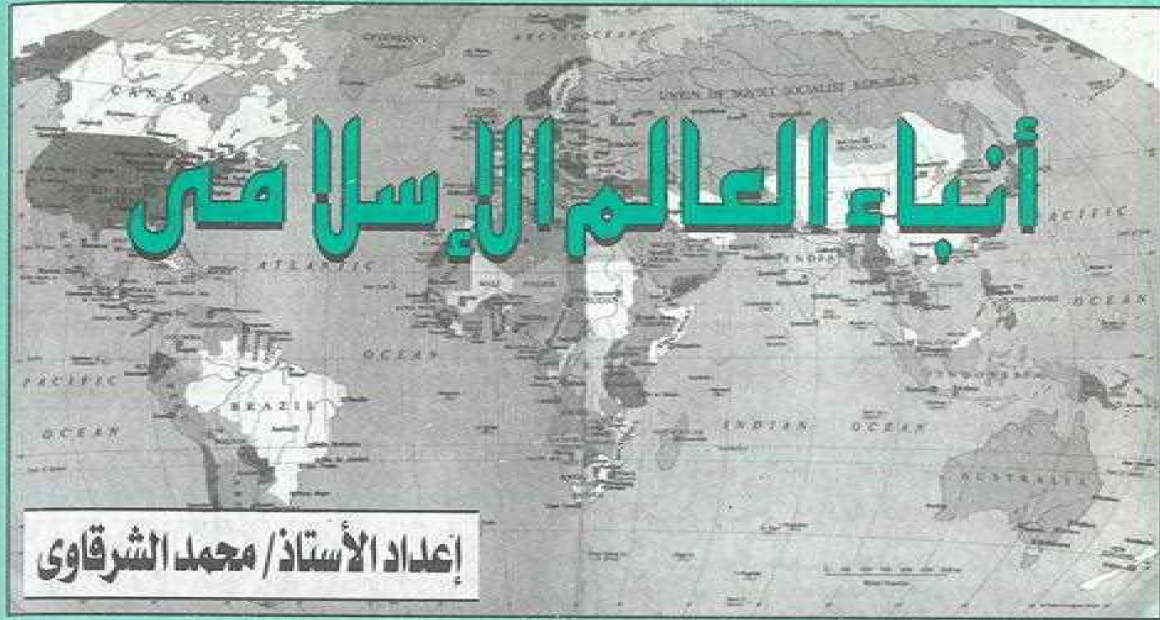
«السلام العادل هو الحل»

وفى جريدة الأخبار الصادرة فى ٢٠٠٥/٢/١٤ كتب الأستاذ جلال دويدار يقول:

كل الدلائل تؤكد أن عملية نزع فتيل العنف فى الأراضى الفلسطينية فى يد إسرائيل وحدها.. إنها قادرة على ذلك كما أنها تملك كل إمكانيات استمرار التهدئة إذا ما تحركت إيجابياً نحو السلام، عليها أن تدرك من خلال التجربة التى أتاحتها قيادة أبومازن للنضال الفلسطينى، أن إنهاء احتلالها للأراضى الفلسطينية هو أكبر ضمان للأمن الذى تبحث عنه للشعب الإسرائيلى. إحساس الفلسطينيين بالأمل الذى يخرجهم من حالة اليأس والإحباط، هو السبيل الوحيد لإنهاء العنف، والعودة إلى مائدة التفاوض السياسى، وقف قوات الاحتلال لعمليات التصفية والممارسات النازية ضد الشعب الفلسطينى هو الحافز لإقناع المقاومة بتجميد عملياتها ضد الأهداف الإسرائيلية.

من المؤكد أن الكلمات غير المستفزة التى تضمنها خطاب شارون فى قمة شرم الشيخ، قد ساهمت فى تهيئة المناخ لاستمرار التهدئة التى دعا إليها أبومازن، ليس مطلوبا فى هذه المرحلة سوى أن يثبت رئيس الوزراء الإسرائيلى حُسْن النيّة بالحفاظ على هذه الفرصة المتاحة حالياً، بما ينفى سعى إسرائيل إلى استمرار العنف الذى تشكو منه فى نفس الوقت!!.. كم نرجو أن يكون الاتجاه نحو التهدئة من جانب إسرائيل التزاماً أساسياً، وليس مناورة لاحتواء الترقب العالمى لموقفها الذى كان يستند إلى حجة اتهام عرفات بأنه كان عقبة أمام السلام. مطلوب من الفصائل الفلسطينية منح أبومازن الفرصة كاملة لاستثمار ما تلاقيه إسرائيل من إحراج على الساحة العالمية بعد رحيل عرفات لجرها إلى التفاوض السياسى وصولاً إلى الحقوق المشروعة التى تقضى بها قرارات الشرعية الدولية. اتفاق القوى الفلسطينية بالعمل وفق صيغة واحدة وتحت سلطة واحدة يعطى أبومازن هذه الفرصة بما يؤدى إلى فضح كل مزاعم وادعاءات إسرائيل التى توصم سعى المقاومة الفلسطينية إلى تحرير الأرض بالإرهاب.

***



أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى

توجهات فرنسية لتوسيع حظر الحجاب

مع بداية الاحتفالات بمرور مائة عام على قانون (١٩٠٥) أو ما يعرف بقانون العلمانية بفرنسا، ظهرت توجهات عديدة داخل فرنسا لتوسيع دائرة حظر الرموز الدينية وعلى رأسها «الحجاب» لتشمل المستشفيات والجامعات والإدارات الحكومية بدلاً من اقتصارها على المدارس الحكومية. فيما بدأ عدد من المؤسسات لاسيما وزارة الصحة فى تطبيق هذا التوجه دون الاستناد لأى قانون. وفى استطلاع للرأى شمل عينة ضمت «ألف مواطن» فرنسى من ذوى الأعمار فوق (١٨ سنة) وزع على وسائل الإعلام، طالب ٦٩٪ من الفرنسيين المستطلع آراؤهم بأن يشمل حظر الرموز الدينية المؤسسات العامة فى الدولة، فيما طالب ٦٦٪ بأن يشمل هذا الحظر المستشفيات!. وطالب ٥٣٪ أن يشمل الجامعات.

اتفاقية شراكة إسلامية لحضانة أيتام «تسونامى»

عقدت منظمة «المؤتمر الإسلامى»، و«البنك الإسلامى للتنمية» اتفاقية شراكة لإغاثة أكثر من (٣٥ ألف) طفل من الأيتام ضحايا كارثة «تسونامى» بهدف توفير أسر مسلمة حاضنة لهم فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى، جاء ذلك فى إطار الجهود الإسلامية لإغاثة عشرات الآلاف من أطفال ضحايا كارثة تسونامى التى ضربت عدة دول بجنوب شرق آسيا.

احتجاج فرنسى على إحراق مسجدين

أثار ما تردد من اشتراك بعض عناصر من الجيش الفرنسى فى اعتداءات عنصرية ضد المسلمين صدمة فى الأوساط العسكرية والسياسية الفرنسية؛ فبعد حوالى عام من الاعتداءات على مسجدين فى منطقة «هوت سافوا» فى جبال الألب الفرنسية تمكن رجال الشرطة القضائية من اعتقال (٨) من المشتبه فيهم، (٤) من عناصر الفوج السابع والعشرين التابع لخيالة جبال الألب فى الجيش الفرنسى بينهم ضباط صف. وكان مسجدا «سينو»، «أنس» قد تعرضا لحريق أتى على معظم محتويات المسجد الأول فيما تمكن رجال الإطفاء من تقليص حجم الأضرار فى المسجد الثانى. وحرص وزير الداخلية الفرنسى على زيارة المسجدين وأعطى أوامره للمخابرات العامة الفرنسية بتنظيم عملية اختراق للأوساط اليمينية المتطرفة وإلقاء القبض على المجرمين.

تزايد ظاهرة «الإسلام فوبيا» بهولندا

أكدت دراسة أجرتها المؤسسة الهولندية لاستطلاعات الرأى المعروفة باسم «لازارك جروب» أن «الإسلام فوبيا» أو الخوف غير المبرر من الإسلام يشكل مساحة كبيرة وخطيرة لدى الشعب الهولندى مقارنة بشعوب دول أوروبية أخرى. وقالت الدراسة إن الهولنديين لديهم مخاوف تمثل ضعف خوف الشعب الإيطالى والأسبانى من الإسلام والمسلمين. وأشارت الدراسة كذلك إلى أن نحو ٧٥٪ من الهولنديين يجدون فى المسلمين وانتشار الإسلام تهديداً حقيقياً لهم ويطالبون بسرعة تطبيق إجراءات «من شأنها حمايتهم من خطر المسلمين».

وأوضحت الدراسة أن الإيطاليين والأسبان الذين يشعرون بالخوف والتهديد من الإسلام لا يمثلون إلا نسبة ٣٥٪ فقط من إجمالى عدد السكان فى كلا البلدين. وأفاد «سجاد كريم» العضو البريطانى فى البرلمان الأوروبى ـ أن المسلمين فى أمريكا وبعض دول الاتحاد الأوروبى تعرضوا للظلم فى أعقاب أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١. وقال: إن الحياة اليومية للمسلمين فى أوروبا أصبحت صعبة للغاية؛ فمعظم الحكومات فى دول الاتحاد الأوروبى شرَّعَتْ قوانين جديدة تتصادم مع القيم المتعلقة بحقوق الإنسان والمعترف بها دولياً على الرغم من أن المسلمين هم أكبر الأقليات فى أوروبا. وأضاف أن المسلمين باتوا مستهدفين بشكل غير عادل. وشدد على أن المسلمين البريطانيين يجتهدون ليكونوا مواطنين صالحين فى الوقت الذى تفرض فيه الحكومات قوانين ظالمة فى حق المسلمين هناك.

أكاديمية لدراسة الشريعة بأمريكا

أنشأ مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا أكاديمية لدراسة الشريعة الإسلامية مقرها ولاية «فلوريدا». كان مجمع الفقهاء قد انتهى من بناء الأكاديمية التى أصبحت صالحة لمباشرة نشاطها الأكاديمى. وصرح صلاح الصاوى الأمين العام لمجمع فقهاء الشريعة بأن الأكاديمية مشروع تعليمى واعد يشرف عليه نخبة من الأساتذة المتخصصين فى علوم الشريعة بالمشافهة، والتلقى المباشر بين المعلم والطالب باعتبار أن هذه هى الطريقة المثلى لتلقى وفهم علوم الدين.

وعلى الصعيد التقنى تم إدخال «الفيديو كونفرنس» كنظام تعليمى بالأكاديمية، حيث تنقل المحاضرات صوتاً وصورة إلى الدارسين، ويستطيعون الحوار المباشر مع الحاضرين بمستوى متميز من وضوح الصوت والصورة على النحو الذى يحدث فى القنوات الغنائية وذلك للاستفادة من الخبرات الأكاديمية المتميزة للأساتذة فى مختلف بلدان العالم، وهو برنامج يوظف التقنية المتقدمة فى عالم الاتصالات لخدمة العلم الشرعى على أوسع مدى ممكن ويتجاوز به الحدود الجغرافية والسياسية والإقليمية مع المحافظة على التواصل الحى والمتجدد بين المحاضر والمستمعين أينما كانوا ويوفر الجهد والنفقات وييسر المحاضرات واللقاءات الدعوية، ويوثق العلاقة بين المراكز الإسلامية المختلفة.

كليات إسلامية لخدمة الدعوة فى تايلاند

أكد «سمان مالى» عميد المعهد الإسلامى فى تايلاند أن المؤسسات الإسلامية فى تايلاند تشهد تقدماً كبيراً مكنها من القيام بدور فعال فى نشر الدعوة الإسلامية، وذلك عن طريق عقد ندوات دينية مكثفة، وإلقاء دروس الوعظ وتفسير القرآن الكريم فى أكثر من (١٨٠٠) مسجد منتشرة فى تايلاند، هذا بالإضافة إلى الجهود التى تقوم بها قوافل الدعاة فى المناطق النائية ومناطق التجمعات السكانية. كما أشار «سمان» إلى القيام بترميم المساجد وتجديدها والاهتمام بالمساجد الأثرية، وإنشاء العديد من المعاهد الإسلامية لتخريج الأئمة، وأضاف أنه يجرى الآن العمل على إنشاء كليات إسلامية متخصصة فى الدعوة ببعض مدن تايلاند.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يستقبل وفد المجلس النمساوى للتربية والثقافة

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف وفد المجلس الإسلامى النمساوى للتربية والثقافة برئاسة الدكتور/ عبدالفتاح محمد بحرية، حيث رحب فضيلته بالوفد فى مصر وأزهرها الشريف موضحا بأن الأزهر الشريف يرحب بمساعدة أبناء المسلمين فى شتى بقاع الأرض، والأزهر لا يدخر وسعا من أجل نشر العلم النافع سواء عن طريق إرسال علمائه إلى البلاد الإسلامية لتعليم أبناء المسلمين، أو إرسال العلماء لغير المسلمين للرد على الشبهات المثارة ولتوضيح صحيح الإسلام، أو عن طريق استقدام الطلاب من الخارج على منح دراسية للتعلم بالأزهر الشريف وجامعته العريقة.

وقد أوضح الوفد أنهم حضروا إلى الأزهر الشريف للتشرف بلقاء فضيلة شيخ الأزهر ولإطلاع فضيلته على مجريات العملية التعليمية الأزهرية بدولة النمسا مؤكدين على أن الجالية الإسلامية فى النمسا يبلغ تعدادها حوالى (٨٠٠ ألف مسلم) وهم يشعرون بالاطمئنان على أبنائهم نظرا لوجود معهد أزهرى يضم المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية، ويقوم على تعليمهم بعثة من علماء الأزهر الشريف يدرسون منهج الأزهر وهى دراسة تمتاز بالوسطية والاعتدال ونحن فى أشد الحاجة إلى هذا التعليم الآن لتوضيح صورة الإسلام الصحيحة فى الوقت الراهن، مؤكدين على حاجتهم لمزيد من العلم على يد علماء الأزهر الشريف، وفى نهاية اللقاء شكر الوفد فضيلته على حسن اللقاء والحفاوة.

ويستقبل السفير الإيطالى

– استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير / أنطونيو باديتى سفير دولة إيطاليا بجمهورية مصر العربية حيث رحب فضيلته بالضيف قائلا : إننا نتعاون مع دولة إيطاليا بأقصى درجات التعاون من أجل التعايش السلمى ، لأننا نحب الشعب الإيطالى الذى يبنى ولا يهدم ، يعمر ولا يخرب ، وهى دولة متقدمة بالعلم والثقافة ، وعلينا أن نتعاون من أجل أن يعم السلام والأمن والرخاء ، لأن الله – عز وجل – خلقنا من أب واحد وأم واحدة فنحن أخوة فى الإنسانية .

ومن جانبه شكر الضيف فضيلته على حسن اللقاء والحفاوة قائلا : إنه ينقل تحيات وزير خارجية إيطاليا إلى فضيلته ، ووصف فضيلة الإمام الأكبر بالحكمة ، وأشاد بالتعاون بين جامعة الأزهر وجامعة إيطاليا فى تنظيم اللقاءات الفعالة والمثمرة ، وأبدى سعادة السفير تأثره للعنف الواقع فى العراق ، وأبدى اقتناع بلاده بإعادة السيادة الكاملة لشعب العراق ، وقال : إن استقبال فضيلتكم لى يثبت للعالم بأن لقاءنا وتعاوننا سيكون له آثار بناءة وإيجابية فى طريق إحلال السلام والمحبة بين شعوبنا والتقاء حضاراتنا .

وقد أبدى فضيلة الإمام الأكبر تأثره باختطاف الآمنين الذين يعملون فى العراق وليس لهم صلة بالقتال بل ذهبوا للمساعدة ، وقال فضيلته : نحن ضد اختطاف الآمنين ، ونأمل أن يفرج عنهم فى أقرب وقت ممكن لأننا كبشر يجب أن نتعاون وأن يحب بعضنا بعضا حتى ينتشر الإخاء والمحبة فى المجتمع الإنسانى كله .

ويستقبل مفوض الدولة الصينى لشئون القوميات

– استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد / يى شياوين مفوض الدولة الصينى لشئون الأديان والقوميات «بدرجة وزير» والوفد المرافق حيث رحب فضيلته بالوفد فى مصر وأزهرها الشريف مؤكدا على عمق العلاقات التاريخية بين مصر والصين منذ أمد بعيد ، وهى علاقات يسودها الود والأخوة الإنسانية الصادقة وأشار إلى أنه يوجد ٤٠٠ طالب وطالبة من الصين يدرسون فى الأزهر الشريف وجامعته على منح دراسية ، وهم يمتازون بالأخلاق الفاضلة وحسن السلوك ، وعندهم رغبة وحب للعلم ، وهم يتلقون العلوم الدينية والعربية التى تمتاز باليسر والوسطية والتى تحترم جميع العقائد الأخرى ، ونحن نرحب بكل الأصدقاء الذين يتعاونون لإرساء الأمن والأمان بين الناس ، مؤكدا بأننا كبشر ننتمى إلى أب واحد وأم واحدة ننشد التعارف والتعاون من أجل إسعاد البشرية ، ونرحب بكم فى الأزهر الشريف المنارة

العلمية للناس جميعا من شتى أنحاء العالم ، ونحن نتعاون بغض النظر عن العقائد ، ونحن نعمل جميعا من أجل تقدم الإنسانية ومن أجل السلام ، والصين لها مكانتها فى الحضارة الإنسانية عامة والإسلامية خاصة .

وقال فضيلته : نحن نؤمن بتعاون الحضارات وتبادل المنافع ، كما شرح فضيلته نظام التعليم بالأزهر الشريف وجامعته العريقة .

الإمام الأكبر:

الحضارات عند العقلاء تتعاون ولا تتصادم

– استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد رؤساء الجامعات الكاثوليكية فى أوروبا وأمريكا والقيادات الدينية الإسلامية والمسيحية فى جمهورية مصر العربية ، والوفد مكون من رئيس جامعة سانت جوزيه بلبنان ، ورئيس جامعة جورجينا بإيطاليا ، ورئيس جامعة جورج تاون بالولايات المتحدة الأمريكية ، ومدير المعهد الكاثوليكى بباريس ، ونائب رئيس جامعة راديودنيا جيمن بهولندا ، ورئيس جامعة فلورنسا ، ونائبه .

رافق الوفد الأستاذ الدكتور جعفر عبدالسلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية ، وأساتذة من جامعة الأزهر الشريف وتأتى تلك الزيارة من خلال جهود رابطة الجامعات الإسلامية فى توضيح صورة الإسلام لدى الآخر وتوطيد العلاقات بين الجامعات الإسلامية والجامعات الكاثوليكية فى مختلف أنحاء العالم ، وتكريسا لزيادة الفهم المتبادل للإسلام والمسيحية من مصادرها العلمية ، وسبل تطوير هذه العلاقات وتفعيلها فى مجالات التعاون بهدف إبراز دور الجامعات فى نشر القيم وذلك من أجل نبذ الأعمال المنافية للأخلاق ، وقد رحب فضيلته بالوفد موضحا بأن الأزهر الشريف يرحب بزائريه ، ويرحب بالحوار من أجل توضيح وتصحيح المفاهيم التى تسىء للإسلام ، والإسلام برىء من المفاهيم المغلوطة وعلينا أن نوضح ونصحح ، وهذه اللقاءات من شأنها أن تولد التعارف والتآلف وهو ما دعا إليه الإسلام .

فعلينا أن نتعاون على نشر المحبة والسلام ليعم الأمان ربوع العالم ، ودائما أقول إن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون لأن التعاون يفيدنا جميعا ، والذى يحاسب على العقائد هو الله – عز وجل – ولكل إنسان عقيدته ، ونحن فى الأزهر ندرس المناهج الدينية إلى جانب مناهج التربية والتعليم وهى المناهج الثقافية واللغات .

ثم شرح فضيلته للوفد نظام الدراسة بالأزهر الشريف فى مراحله المختلفة من الحضانة وحتى نهاية التعليم بالجامعة موضحا بأن الطالب أو الطالبة فى الأزهر يمتاز بحفظ القرآن الكريم مع

التوسع فى العلوم الشرعية والعربية، والدراسة تمتاز بالسماح واليسر والوسطية، ودراسة المذاهب دراسة علمية معتدلة بلا تعصب أو عنصرية، وإنما ننشر العلم للجميع ومن خلاله ندعو لنشر الإخاء الإنسانى بين الناس، ونحن فى الأزهر لا نؤيد الحوار فى العقائد، إنما الحوار يكون فى الأمور المتعلقة بخدمة الإنسان، ونصرة المظلوم، ونشر الأمان والرخاء بما يفيد الناس، ونقول دائما إن الحضارات عند العقلاء تتعاون ولا تتصادم، وللشرق حضارته وللغرب حضارته، وعلينا أن ننتفع من حضارات بعضنا البعض، ويتعلم كلانا من الآخر، ونحن كمسلمين نعتبر الناس جميعا أخوة فى الإنسانية وكلما تقاربت العقول وحدث التلاقى بيننا زادت المودة والمحبة، والحوارات واللقاءات تؤدى لزيادة المعرفة وقد اتفق العلماء والعقلاء بصرف النظر عن عقائدهم بأن هناك فضائل يجب اتباعها ورذائل يجب اجتنابها، والامتناع عنها وهى ما تدعو إليه الشرائع السماوية كلها، وأكد فضيلته على أن الحوار حينما يكون صادرا من قلب سليم بعيدا عن الغرور والتباهى والتطاول لابد أن يؤتى ثماره التى تؤدى إلى التسامح وإلى المحبة وإلى الأخوة وأوضح فضيلته بأن معاهد العلم فى العالم أجمع من شأنها أن تهيىء الشباب لخدمة العالم ولنشر العلم النافع ولنشر الإخاء ولتطهير القلوب وتفتح الأذهان وخاصة فى هذه الظروف التى تقدمت فيها الإنسانية علميا أكثر من ذى قبل.

الإمام الأكبر:

الجهاد شرع للدفاع عن النفس والوطن والمال والعرض

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد المجلس الأمريكى للشئون الدولية برئاسة السيدة/ ماريا زامت، نائب رئيس المجلس.

وقد رحب فضيلته بالوفد فى مصر وأزهرها الشريف موضحا بأن الأزهر الشريف يقوم بشرح وبيان أحكام الإسلام ويؤدى رسالته جنبا إلى جنب مع المؤسسات العلمية الأخرى، ومع اختلاف العصور فالأزهر ينمو ويزدهر، ويبصر الناس بأمور دينهم ودنياهم، وهى رسالة الأزهر التى نعلمها للأجيال، ويمتاز منهج التعليم بالأزهر وجامعته العريقة بالوسطية والاعتدال فى الآراء، ويهتم الأزهر الشريف برعاية النشء فى جميع مراحل التعليم بدءا من المرحلة التمهيدية التى تبدأ من العام الرابع للطفل أو الطفلة، شارحا مراحل التعليم المختلفة حتى نهاية المرحلة الثانوية التى تتماشى مع التعليم بوزارة التربية والتعليم ويضاف إلى ذلك أن الأزهر يتوسع فى دراسة العلوم الشرعية والعربية وحفظ القرآن الكريم، وقال إن عدد المعاهد الأزهرية بمختلف مراحلها تزيد على ٨٠٠٠ ثمانية آلاف معهد للبنين وللبنات وهى منتشرة بجميع محافظات

جمهورية مصر العربية وعدد الكليات بجامعة الأزهر الشريف تزيد على ٨٠ ثمانين كلية للبنين والبنات وهى منتشرة أيضا بمعظم محافظات الجمهورية وتشمل كافة التخصصات، ففيها الكليات الشرعية والعربية مثل كلية أصول الدين والشريعة والقانون، واللغة العربية وفيها الكليات العملية كالطب والهندسة والزراعة والعلوم واللغات والترجمة إلخ، كما يوجد مدن للبعوث يسكن فيها الطلاب والطالبات الذين يأتون للتعلم بالأزهر من أكثر من ١٠٤ مائة وأربعة دول من آسيا وأفريقيا، وأوروبا وأمريكا ويصل عددهم إلى أكثر من ثلاثة آلاف طالب من جنسيات مختلفة يأتون على منح من الأزهر وعلى نفقة مصر، وبعد انتهاء دراستهم يعودون لبلادهم للمشاركة فى النهضة التعليمية لبلادهم.

وحول ظاهرة الذين يلجأون للعنف قال إن الذين يلجأون للعنف فهم إما جهلاء أو مغرورين والجهل والغرور قد يجعل صاحبه يعتدى ويقتل فى ظل غياب الأحكام الرادعة موضحا بأن الأديان السماوية تعتبر أن العلم من شأنه أن يدعو إلى الخير وإلى تعميق الأخوة الإنسانية وإلى احترام النساء فيما بينهم ويجب أن نستغل العلم ونوجهه الوجهة الصحيحة ليكون نافعا غير ضار، فالدين والعلم صنوان كل منهما يعاون الآخر.

وحول مفهوم الإرهاب والجهاد والفرق بينهما أوضح فضيلته بأن الفرق بينهما كالفرق بين السماء والأرض، لأن الجهاد إنما شرع للدفاع عن النفس والوطن والمال والعرض، والدفاع عنهم هو حماية لكرامة الإنسان والنفس والحرية الإنسانية، والدفاع شرع أيضا لنصرة المظلوم حتى يأخذ حقه، أما الإرهاب، فهو عدوان وتخريب وغدر وخسة، لأنه اعتداء على الآمنين الذين لا صلة لهم بالحروب مثلما حدث بالمركز التجارى بالولايات المتحدة الأمريكية وقد أدان الأزهر هذا الحادث الذى راح ضحيته الآلاف من الآمنين الذين يقومون بأعمالهم وهم من بلاد مختلفة ومن جنسيات مختلفة، وقال الأزهر لابد من البحث عن المجرمين الحقيقيين ليقدموا للمحاكمة العادلة.

وفى نهاية اللقاء أعرب أعضاء الوفد عن بالغ سرورهم بهذا اللقاء مع فضيلة شيخ الأزهر الذى استفادوا منه وقالوا إنهم سينقلون ما سمعوه إلى إخوانهم فى بلادهم وأنهم سيعملون على توجيه دعوة رسمية لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر طبقا للبروتوكولات المتبعة فى ذلك حتى يستمعوا إليه فى بلادهم.

to the individual's selfishness and aspirations. Since the Islamic legislation is very concerned with the issue of patriotism, we would like to tackle it in some details.

First: Legislative Deep-Rootedness of Patriotic Responsibility:

The obligatory legislative ruling targets achieving equitable balance between man and home. Thus, the individual is obligated to do what is required from him/her. In this regard, scholars classify duties into individual duties and collective duties. Individual duties involve all the duties or ordinances whose obligation extends to every Muslim. An example of these duties is prayer that must be performed by every Muslim. The collective duties, on the other hand, involve all the commands imperative upon all Muslims, but if some individuals perform them, it will be sufficient. Examples of these duties involve learning medicine for treatment and architecture for building. We have to stress the fact that the human society is regarded as a structure of interlaced interests; that is, people cannot do without the cooperation and help of each other. The administrative, cultural, health, economic and military bodies and organizations of the country are like the nervous, digestive, respiratory systems in the human body. Hereupon, the individual and collective duties are completely interlaced, and thus the religious concern covers them all.

Second: The Means of Observing the Public Interests:

The Islamic legislation has not only established the principles on which the responsibility for the patriotic issues is based, but it has also the means to put these principles into effect. This is for the aim of achieving what is good for people and country. The Wise Legislator (i.e., Allah) has provided the Islamic Nation with a tool that is able to realize its desired target. In fact, I mean the rule that states "Commanding towards what is good and forbidding what is evil."

The Reality of the Command towards What is Good and Forbidding What is Evil

In Islam, commanding towards that which is good and prohibiting that which is evil are means targeting creating a fruitful interaction between the individual and society through correcting the way towards the useful and beneficial work and abandoning the evil one. The field allowing the fulfillment of this goal is society as well as the patriotic issues. This is indicated in the verse in which Allah, Exalted be He, says: *{Who, in case We establish them in the earth, keep up the prayer, and bring the Zakah[1] and command beneficence and forbid maleficence; and to Allah belongs the end of the Commands.[2]}* [Al-Hajj (The Pilgrimage): 24]

The Status of Country's Love in Islam

The country or "home" is given a special importance in Islam. That can be witnessed in the fact that Islam makes it above love for one's self, wealth and kin. Yes, Islam commands man to preserve his live as well as the lives of others, and it deems transgressing against the lives of others as among the cardinal sins. Nevertheless, if the preservation and protection of one's life, though it is among the sacred matters, contradicts the love for one's country and defending it, it becomes obligatory for one to sacrifice oneself wholeheartedly in the cause of Allah and defending one's country. This principle is very clear and stressed on in Islam; Allah, the Almighty, says:

(Surely Allah has purchased from the believers their selves and their riches for (the reward) that the Gardens will be theirs; they fight in the way of Allah; so they kill, and are killed. It is a promise, truly (binding) on Him in the Tawrah, and the Injil, and the Qur'an; and who fulfills his covenant (better) than Allah? So feel glad of the tidings of the selling you have made with Him; and that is the (bargain) (which is) the magnificent triumph.) **[At-Tawbah (Repentance): 111]**

---

[1] i.e., pay the poor-dues.

[2] Sometimes taken to mean: the issues of all affairs.

writing, for the books of heritage would differ as regards the style of writing. He wrote a book on this subject to state a methodology that might be followed by publishers. Sheikh Al-Huriny studied French and made good use of it. He taught at Al-Azhar and Al-Alsun Faculty. Moreover, he was appointed as the head of a scientific expedition heading for France during the rule of Mohammed Ali. That helped him to study its language well, so he was the most prominent among those who worked in correcting, verifying, interpreting and composing works written in French. Amongst his famous works was verifying books such as Ibn Khaldun's work "*Muqadimah*" and the names of *Hadith* narrators, as well as explaining Ibn Zaydun's thesis. Sheikh Al-Huriny died in 1291 A.H. (1874 A.D).

There is nothing left but to talk about Sheikh Ibrahim Al-Disouqi. He was one of the scholars of Al-Azhar where he used to lecture the lessons of religion and language. However, he had a tendency towards literature and poetry. Additionally, he read about eloquence and understood them well. Then, he joined the Medicine Faculty as a book verifier, and supervised the verification of the professors' compilations in the Faculty of Engineering where he, soon after, was appointed as a lecturer of Arabic language. He did not leave the field of correction and verification of books. Amongst his works were Avicenna's "*Canon of Medicine*," the second edition of Al-Zamakhshari's "*Al-Kashaf*," and At-Tirmidhi's "*Sahih Hadiths*." The strange thing is that though Sheikh Al-Disouqi was supervising and verifying the books of different subjects.

*The Issue of Belongingness in the Light of Islamic Legislation

By: Dr. Abdullah An-Najjar

It is important to affirm that the tendency towards stressing belongingness to Islam is the sound entry for achieving all the true meanings of patriotism. This is due to the fact that the relation between the two kinds of belongingness (to Islam and to home) is not that of contradiction and conflict. In other words, Allah's true religion is more superior, and it will not withhold good or stand as an obstacle against the progress of one's country. This is in addition to the fact that the Islamic legislation sets rules, regulations and principles so that the Muslim individual living in the Muslim country be a good example of a good nation commanding to what is good and prohibiting what is evil, and believing in Allah. In this respect, we would like to throw light on the methodology of the Islamic legislation applied to organizing the issue of patriotism according to the perfect manner.

Islam is concerned with the issue of patriotism:

Allah has made his religion involve all that which may organize and control the relations connecting the individual to the society and land. Among the relations tying the individual, society and land is patriotism, which expresses one's duty towards one's home. Hence, the Islamic legislation has come to achieve balance between the individual and society, taking into consideration that society consists of individuals, and that individuals live in society that takes care of them. Therefore, it is obligatory on them to fulfill their duty of loyalty towards it. Accordingly, the rights of the individual may not be wasted for the sake of the society, and the rights of the society may not be wasted due

* An article published (in Arabic) at Al-Azhar magazine.

The Azhari Pioneers Disseminate Heritage

By :Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

Today, we may see those who publish heritage books so as to boast their efforts in reviewing and verification, and set the price they please. Sometimes, they may publish some books that have already been published claiming that they have found some new material that contain some additions; however, these additions may be of no significance at all, as they add nothing new.

On the other hand, if we should go back in time when the Arabian Press came to existence, we would find a team of scholars who dedicated themselves and their time to verify and correct dozens of manuscripts, and they filled libraries with masterpieces and encyclopedic books in all the fields of knowledge, such as *Fiqh* (i.e., Islamic Jurisprudence), legislation, language, grammar, history, interpretation, literature, poetry, prose, etc. Those scholars would not insist on writing their names in the book's preface, but they would write a brief word, barely referring to their names, at the end of the book.

Since the era of Mohammed Ali, the scholars of Al-Azhar have been among those who verify and correct such kind of books (relating to heritage). We would not be exaggerating when we say that only them have shouldered the biggest burden in publishing these books. Out of their vast original knowledge, they have been able to publish the books of At-Tabari, Ibn Khaldoun, Al-Mas`audi, Al-Zamakhshari and Al-Asfahani, as well as the various books of the schools of *Fiqh*. The reader may refer to the indexes of only Al-Azhar Library to realize how much those scholars have contributed and flooded the Arabian libraries in all over the Islamic world with uncountable great books.

History has recorded a huge number of the names of those scholars. In this respect, it would be great that a literary historian may record the efforts of these scholars, for mentioning them in one chapter will not be attainable; rather, it will be impossible. Perhaps I may take the initiative by referring to three of those great scholars, who had massive production of publications as they were very active in this field. I will talk about Muhammad Quta Al-Adawi, Nasr Al-Huriny and Ibrahim Al-Disouqi.

Let us start with the Azhari scholar, Muhammad Quta Al-Adawi. He was born in one of the villages (Banu `Adiyy) in Assuit Governorate. Sheikh Muhammad Quta used to read the scientific books and verify the literary books, and he was well-known for teaching the Maliki school of jurisprudence and the interpretation of the Qur'an. His educational sessions used to be attended by crowds of students seeking to drink from his river of knowledge. Amongst the famous works of Muhammad Quta in the field of publication, verification and correction was the book entitled "*Kalilah and Dimnah*," which was first published with verification by him. Moreover, he verified the four-volume book *"The Thousand and One Nights."* He verified numerous books the last of which was Al-Zamakhshari's book entitled "*Al-Kashaf* (i.e., The Revealer)" which he did not live to complete, and it was completed by another scholar. Sheikh Muhammad Quta died in 1280 A.H. (1861 A.D).

We may move to shed light on another character, namely Sheikh Nasr Al-Huriny. He was very famous in the field of verification, for he supervised the publication and verification of *"Al-Muhit Dictionary."* This dictionary has become widely-known for every student and researcher. Another tremendous effort exerted by Sheikh Al-Huriny was his contribution in guiding the Arabic alphabetical

falsely claimed by those who attack and criticize Islam. This is due to the fact that the non-Muslims have full freedom to adhere to their own creeds under the protection of the Islamic country as we have just mentioned. Yet, if any of them converts to Islam then apostatizes, he/she is to be granted a three-day respite to repent and return to Islam. If he/she returns to Islam, then there will be nothing on him/her; but if he/she insists, then the legal punishment is to be executed. In this connection, the legal punishment is killing, for apostasy involves instigating other Muslims to follow the one who apostatizes, and this may result in dissension. In this regard, Allah, Exalted be He, says: *{"And temptation is more serious than killing."}* [Al-Baqarah (The Cow): 191] And it came in another verse as: *{"And temptation is greater than killing."}* [Al-Baqarah (The Cow): 217]

It is worth mentioning here that the Western Imperialism aimed at spreading dissension and disunity in the countries it afflicted. The traces of these evil plots can be witnessed in India and Pakistan regarding the region of Kashmir, as well as in Nigeria through creating a different culture in the south areas, and finally in the Sudan. That accursed policy caused civil wars in these countries. Unfortunately, Egypt did not feel secure from such evils. Though the imperialists failed to establish two languages in Egypt, they insisted on changing its name from "Misr" (the original name), as came in the Heavenly Books, into "Egypt." This is in order to distort the Coptic name disregarding the Muslim majority and the original name known through history. The malicious aim behind this is to create dissention and disunity in the future. This, accordingly, paved the way for a malicious rumor spread by the imperialists awaiting the opportunity to attack us. That rumor says that Egypt is the country of the Copts

and that Muslims are intruders. Indeed, history belies this baseless rumor and records the truth stating that the majority of the Copts of Egypt converted in multitudes to Allah's religion (i.e., Islam) and they, after converting to Islam, represented the greater portion of population in Egypt. In support of this, we can recall the past events of wars in which everyone, individuals, groups, leaders, men of religion, workers, and peasants, stood together side by side at times of tribulations and faced the imperialistic enemy. They stood like an impenetrable bulwark based on the strong relations between hearts before hands. Despite their numerous trials, the enemies could not find any breach in the united national structure, so they retreated bearing ignominy instead of glory, and shame instead of honor, over their heads. History has recorded all those incidents, whether those that took place in modern or ancient eras. An example of this can be witnessed when all the people, Muslims and Copts, stood together to defeat the Tripartite Aggression. None of them hesitated to offer any sacrifice, whether on the part of the soldiers or the volunteers who took up arms to fight the imperialists in the cities of the Canal. Those brave people were able to defeat the imperialists and make them retreat suffering ignominy.

In addition, the great triumph of the 6th of October 1973 was another example. One of the leaders of the Egyptian army, the General Fuad Ghaly, a Copt, was chosen to lead the first detachments that crossed the Suez Canal and penetrated the so-called "The Impenetrable Bulwark." He, along with his soldiers, was crying "*Allah Akbar* (i.e., Allah is the Greatest)" until they gained sweeping victory over their enemies.

Islam and the Muslims. Among such fake accusations is that Islam has spread through exercising force. Nevertheless, this accusation has been proved wrong through the progress of the psychological and social researches which provide proofs of the impossibility of spreading any religion or creed using force. Truthful are Allah's Words – revealed more than fourteen centuries ago – in which He says: *{There is no compulsion in the religion.}* [Al-Baqarah (The Cow): 256]

And:

{Would you then compel mankind until they are believers?}
[Yunus (Jonah): 99]

Hence, no religion may be embraced without the heart's conviction, and whoever follows a religion for a worldly purpose, while his/her heart is not fully convinced, will always be confused and will never be at peace.

There is no need to provide any proofs that Islam has not put any obstacles, restrictions or formalities before whoever wishes to be a Muslim. In other words, it is sufficient for him/her to just utter the Two Testifications of Faith.[1] In support of this, Imam Al-Bukhari, Imam Muslim and others related that when Usamah Ibn Zayd (may Allah be pleased with both of them) returned from one of the battles and told the Messenger about a story of a man he killed after he had pronounced the Testification of Faith, the Messenger said to him, "O Usamah! Did you kill him after he had said, 'None has the right to be worshipped but Allah?'" Usamah said, "O Allah's Messenger! He said so in order to save himself." The Messenger said, "Did you tear his heart in order to find out whether he meant it or not?" Then, the Messenger said to him, "O Usamah! You killed a Muslim." On this *hadith*, the *Faqihs* (i.e., scholars of Islamic Jurisprudence) based a

[1] The Two Testifications of Faith are declaring that there is no deity worthy of worship but Allah and that Muhammad is the Messenger of Allah.

legal rule stating "Whoever deceives us with religion we should be willingly deceived." That is, whoever declares the Two Testifications of Faith though not actually believing in the religion is regarded as a Muslim who has all the rights and upon him/her are the duties of every Muslim. That is why the Messenger (may the blessing and peace of Allah be upon him) did not harm the hypocrites and ordered his companions not to harm them. At the time of the Messenger, the hypocrites were a group that appeared in Medina and declared their Islam and concealed their disbelief. Allah's Messenger did not harm them even after Allah, Exalted and Glorified be He, had revealed to him their names, one by one, and he said his famous words, *"People should not say that Muhammad would kill his companions."* The utmost thing he could do regarding that matter was that he told one of his most secretive companions called Hudhayfah Ibnul-Yamman about them and told him not to reveal their names. It happened that Caliph Umar Ibnul-Khattab tried to make Hudhayfah tell him about them, but he refused. After that, Umar would not perform the Funeral Prayer over anyone except after he saw Hudhayfah's willingness to perform prayer over him/her, but if Hudhayfah abstained from performing the Funeral Prayer over anyone, Umar would not perform it over that person.

Through this simplicity and lack of complication before whoever declares his/her being a Muslim, Islam spread east and west. Islam stresses the freedom of non-Muslims to live and practice their religious rites under the protection of the Islamic country, and that they are treated equally the same as Muslims. However, Islam has full right towards those who follow it by not permitting them to apostatize. This is in order to preserve unity among Muslims. This does not limit the freedom of creed as

AL-AZHAR MAGAZINE
Safar, 1426 A. H.

ENGLISH SECTION
Mar. April. 2005

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah,Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

Islam Has Spread with Wisdom and Good Example Not through Sword and Force...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Under the title: "The Advent of Islam and the Establishment of Its Nation," the three Orientalists, Roy, Lebkicher and Max Steinke, wrote saying, "It is considered one of the strangest events ever witnessed through history. Namely, the emergence of a new religion that started with the belief of only one man who was then followed by some individuals who were not discouraged from adhering to it by any force wishing to keep them away. Soon after, that religion was embraced by those people living in the Arab Peninsula. Then, it spread throughout almost all places known at that time. The appearance of Islam resulted in the establishment of a nation with great civilization full of glory, culture and art. That civilization is considered one of the most important civilizations known by the world. That religion still lives until the present moment, and its followers are increasing day after day. Between 639 and 641 A.D., the Muslims conquested Egypt facing no resistance. In Islam, the people of Egypt have found salvation from the transgression and enslavement of the Roman Empire. Therefore, most of them hurried to embrace Islam, and, thus, that area became among the west borders of the new strong nation whose east borders extended to China."

This was the summary of what came in the book of the three Orientalists whose writings were characterized by impartiality and truthfulness. They preferred to make the title of their book as "The Arabia of Ibn Saud," that was published by Russel F. Moore Press in 1952. Those Orientalists did not follow the footsteps of the intolerant Orientalists who launched accusations and charges against

الفهـرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

نائب رئيس التحرير

سيد وفا أبو عجور

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراك السنوى

داخل مصر	١٨ جنيها مصريا
الدول العربية	٥٠ دولارا أمريكيا
أوربا وأمريكا	٨٥ دولارا أمريكيا
اليابان وشرق آسيا	١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

ربيع الأول ١٤٢٦هـ - إبريل / مايو ٢٠٠٥م - الجزء الثالث - السنة الثامنة والسبعون

افتتاحية العدد

فى ذكرى المولد النبوى الكريم

محمد فى كتاب الأبطال

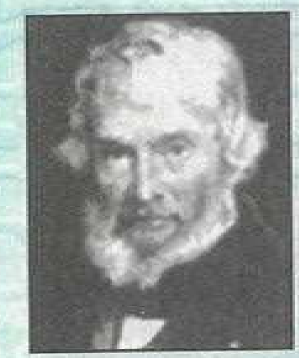
ألف الكاتب الإنجليزى الكبير توماس كارليل كتاب «الأبطال وعبادة البطولة» حيث اختار من أبطال العالم فى التاريخ الإنسانى من شرفوا الإنسانية بكفاحهم المناضل فى شتى ميادين الحياة، وكان المثال الأعلى للنبى فى صورة البطل هو محمد بن عبدالله حيث كشف الكاتب الكبير عن محاسن نادرة لرسول الله كان التعصب الأعمى فى أوروبا يطمسها طمسا كى تنصرف عنها عيون المنصفين، وأنا لا أعرف فيما قرأت من الكتب الأوروبية من خلع رداء التعصب فى حديثه عن نبى الإسلام قبل كارليل، إذ كان من سلفه من المفكرين وفيهم من نعت بالفيلسوف أو بالمؤرخ الحجة أو بالروائى الطائر الصيت كدانتى، وغيرهم يشايعون أقوال الموتورين والحقد، دون فحص وتنقيب، حتى ظهر كتاب الأبطال فمحا ظلمة الليل بنور الصباح! وأصاب بعض الناس بذهول فى أوروبا، فحاروا فيما يقولون عن كارليل، لأن الرجل مخلص صادق لا يبتغى فيما يقول زلفى من أحد، وما كتبه فى الأبطال عن أمثال شكسبير، وجيته، وكرومويل يدل على صدق أمين، يعترف به قارئه! ولابد أن يكون هذا الصدق الأمين رائده فيما كتب عن رسول الله، فكيف يؤمنون بما قال عن هؤلاء، وتعمى عيونهم عن نور الحقيقة فيما كتب عن محمد ﷺ!

لقد صدق شوقى أمير الشعراء حين قال:

إنَ الذى جعلَ الحقيقة علقما ... لم يخل من أهل الحقيقة جيلا!



أحمد شوقى



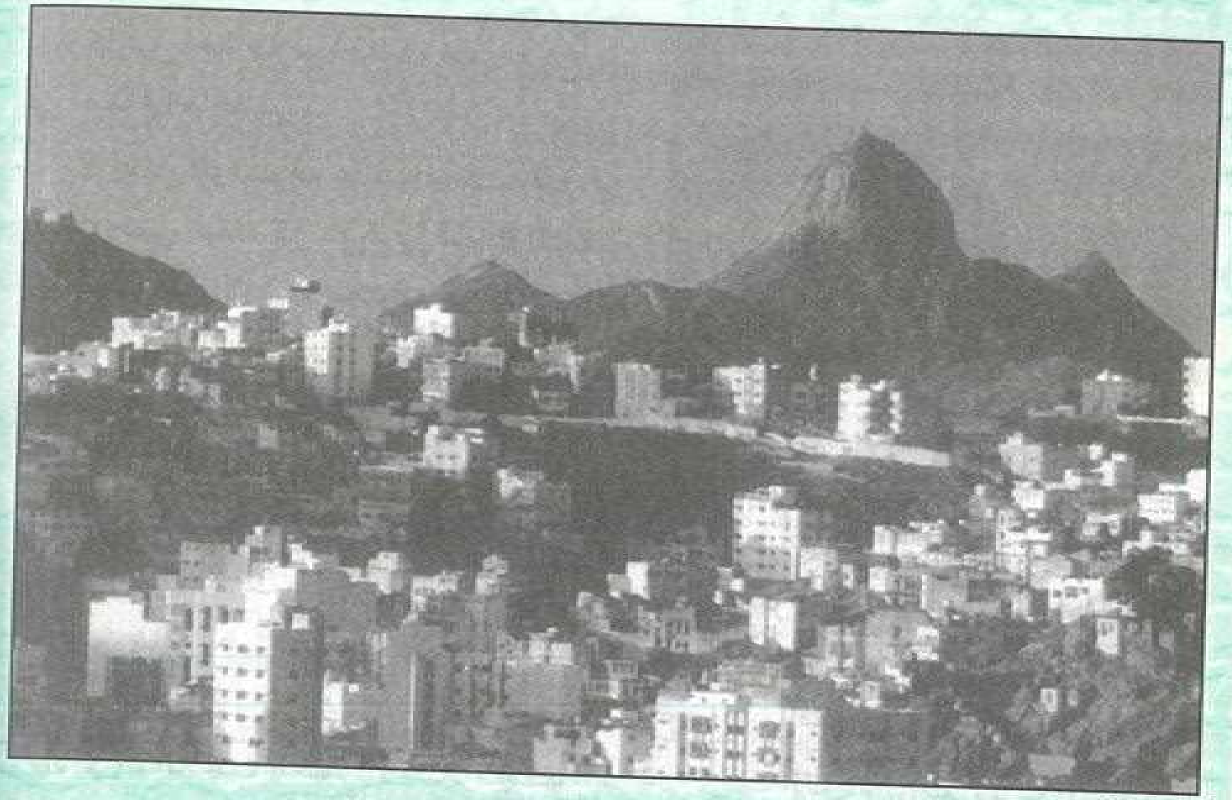
توماس كارليل

وكارليل أحد طلاب الحقيقة الذى صدع بها فى أسماع الجاحدين.

ولا أطيل الوقوف عند رأى كارليل فى البطل حين جعله كل شىء فى قيادة الشعب وتوجيهه إلى الارتقاء معارضا من يذهب إلى أن البيئة هى التى أوجدت البطل، فهى صاحبة الفضل الأول فى رسالته، لا أطيل الوقوف عند هذا النقاش المشتهر بين المفكرين، فلكل وجهته التى يؤيدها بما يصطنعه من براهين، ولكنى أحاول أن أنقل للقارىء العربى بعض هذه النفثات الحارة التى صدرت من قلب شجاع أمين فشفت صدور قوم مؤمنين، والرجل بما كتبه ليس أديبا مؤرخا فقط، ولكنه صاحب رسالة عُظمى فى دنيا الإبداع الفكرى تجعل الحقيقة وحدها هى الهدف الذى ينشده صاحب القلم، وإن تخرص حوله الشانئون بما يأفكون، فقد أصم أذنيه عن كل لغو سفيه!

أذكر أن الكاتب الكبير الأستاذ محمد السباعى رحمه الله قد ترجم كتاب الأبطال فى العقد الثانى من القرن العشرين، فدوى صداه وتعددت طبعاته، ولكن لغة السباعى البيانية، وجزالته الأسلوبية التى كانت بعض خصائصه الكتابية قد باعدت بينه وبين الأوساط من القراء. فلم يتابعوه فى أفقه العالى، وظل الكتاب وقفا على خاصة المتأدبين الذين نهلوا فرائد الأدب من الأئمة المشتهرين فى العصور الزاهرة، ثم جاء الأستاذ الفاضل عبدالموجود عبدالحافظ فنقل ما كتبه كارليل بأسلوب رائق شفاف يعجب به الخاصة والعامة معا، ونشر ما ترجمه فى فصول متتابعة بمجلة الرسالة صادفت ارتياح القراء، وقربت الكاتب إلى الكافة من هؤلاء، وقد قرأت ما كتبه الأستاذ مرارا، فرأيت أن اعتمد على ترجمته السهلة الوافية غير جاحد سبق الأستاذ السباعى، أو منتقص جلال أسلوبه وروعة مرتقاه!

بدأ الكاتب حديثه بوصف البيئة العربية ذات الصحراء الممتدة، والحر اللافح، والجدب الموحش، يعيش بها عرب خفاف الحركة، ثاقبو النظر أذكياء القلوب، ولهم أخلاق حازمة تمنعهم من الانحدار النفسى، وتصل بهم إلى ذروة الفضائل. وتدفعهم إلى الكرم الفطرى دون افتعال، فقد يجود العربى بكل ما يملك وفاءً لحق ضيفه، مع فصاحة لسانه ينثر



الحكمة البليغة فتتناقلها الأفواه، وقد نشأ محمد فى البيئة الأمية معتمدا على فطرته الصافية، وعقله المستنير، ولا ضير عليه إن لم يكن يعرف علوم الأرض، فقد كان فى غنى من نفسه عن كل معرفة، وقد كان دائم التفكير فيما حوله، يتجه ببصره نحو الكون العجيب، محاولا أن يستشف أسراره، وقد ألح عليه التفكير فألزمه العزلة عن الناس ليتأمل هذا المحيط الزاخر بالعوالم، ولتعليل ما يهتدى إليه من خواطر تتصل بنشأة الكون واختلاف الليل والنهار، مستمعاً إلى أصوات الكون الغامضة وما تضم من الأسرار، حتى انتهى إلى أن هذا الكون المنتظم بنجومه وشموسه وأنهاره وبحاره، وجباله وسهوله، وزروعه ورماله لابد أن يصدر عن إله أبدع نظمه وأكمل تدبيره، وكانت جلسة الغار سبيله الهادى إلى ربه، لأنها وحدة جياشة بالأحاسيس، وليست وحدة صماء لا تنبض بفكر ثاقب، أو تهدى إلى طريق مستقيم، ثم مضى كارليل يتحدث عن الوحى الذى هبط مبشرا بنور السماء، وعن حيرة محمد وموقف زوجته منه فى رهبته وخوفه بما هو معروف لدى القارىء. ولكن تصوير الكاتب له يخلع عليه ثوبا من الرواء يقول الكاتب: لقد عرف

محمد لخديجة صنيعها، فليس أروح لنفس المرء وأثلج لصدره من أن يجد شريكا ينضم إليه فى اعتقاده ويقف بجانبه وقت المحنة، ثم استشهد بقول القائل «ما رأيت شيئا قط أوثق لاعتقادى، وآكد ليقينى من أن ينضم إلىَّ إنسان آخر يوافقنى رأيى ويعتقد عقيدتى».

ومضى يتحدث عن حلقات الكفاح الأولى وما لاقاه الرسول من متاعب شاقة، كانت كفيلة بصده عن الدعوة لو لم يكن من ذوى العزم الصارم، والثقة البالغة، حتى انتهى إلى حادث الهجرة، وما قام به الرسول من كفاح حربى فقال فى قوة وحمية يرد على من يأخذون على الإسلام أنه قام برد الاعتداء فى غزوات حامية لا مفر منها إزاء ما يتهدده من أخطار:

«لقد كان أمامه سبيل وعر، وقوم يملأ العناد قلوبهم فإذا لم يجد من نفسه قوة على مجالدتهم كان مصير دعوته الزوال، لقد كان يريد أن ينشر دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة، ولكن ماذا يصنع أمام هذه الصعاب التى تعترض طريقه. لقد عزم ابن الصحراء على أن يدافع عن دينه دفاع رجل عربى حر كريم، وكأنى أسمعه يقول أما وقد أبت قريش إلا الحرب فلينظروا أى فتيان نحن؟ لقد استمر قومه فى ضلالهم يسلبون وينهبون ويقتلون النفس التى حرم الله، ويستبيحون الحرمات، ويفاخرون بالمنكر يأتونه دون حياء! فما عليه إلا أن يجعل الفاصل بينهم وبينه حد السيف حتى تلين قناتهم مستسلمين، وهكذا امتشق السيف ليقود قومه إلى النصر».

لقد تحدث الكثيرون عن انتشار الإسلام بالسيف، واتخذوا ذلك دليلا على الجبروت والطغيان، وقد رد عليهم كارليل قائلا: لقد فات هؤلاء أن قوة هذا الدين هى التى أوجدت السيف، هذا الدين الذى نشأ فى رأس واحد، وقد وجد العالم أجمعه يحول دون مبتغاه فإذا تناول السيف ليُسمع الدنيا صوته القوى وحجته الدامغة نعتناه بالكذب وانتقصنا منه دين دعوته!! إن هذا الدين ما انتصر إلا لأنه الحق لأن الحق ينشر نفسه بنفسه دون حجاب! إن النصرانية لم تكن تتوانى فى استخدام السيف. وحسب هؤلاء ما فعله شرلمان بقبائل السكسون، فلا ضير على الحق أن ينتشر سواء باللسان أم بالسنان، لأن الحقائق يجب أن تنتشر ويمتد سلطانها سواء تم ذلك باللسان أم بالسنان! إن الحرب بين الحق والباطل حرب لا حكم فيها إلا للطبيعة، ونعم الحكم ما أعدله وأقسطه، ولن نخشى على الحق الانهزام لأنه أعمق جذورا وأكثر امتدادا فى الطبيعة، والزبد يذهب جفاء ويبقى ما ينفع الناس!

وبعد حديث شائق عن الكعبة ومنزلتها فى نفوس المسلمين، اتجه الكاتب إلى صميم الرسالة الإسلامية فتحدث عن الإسلام معلناً أن أكثر الناس فى أوروبا لا يدركون جوهره الأصيل ولذلك يعلن لهم، أن مادة الكلمة تدل على أنه هو الإذعان لأمر الله ورسوله، والخضوع لحكمه، ومهما أصابنا من شيء فعلينا أن نتقبله بنفس راضية، ووجه باش، ونعلم أنه الخير ولولا ذلك ما اختاره الله، وقد قال شاعر ألمانيا، «جوته» عندما عرف حقيقة الإسلام، «إذا كان هذا هو الإسلام وهذه تعاليمه فكلنا إذن مسلمون» وذلك حق لأن من كان شريفا كريم الخلق قوى اليقين فهو مسلم.

إن الإسلام والنصرانية دينان سماويان، ويجب علينا أن نفهم أن الأديان السماوية تأمرنا بالتوكل على الله فى كل شيء، وتبعا لذلك يجب أن نزجر النفس عن الشهوات، وننهى القلب عن الهوى والزيغ.

لقد جاء الإسلام والنصارى فرق وشيع يقيمون أسواق الجدال ويخطّىء كل فريق منهم الآخر بالحجج الجائرة والبراهين الباطلة، فكانوا بهذا يطعنون دينهم بأنفسهم من حيث يعلمون أو لا يعلمون حباً فى شهرة: النصر كمن يخربون بيوتهم بأيديهم فجاء الإسلام على الملل الباطلة والنحل الكاذبة فدحضها وحق له أن يدحضها لأنها باطلة وهو حقيقة خارجة من قلب الطبيعة الصادقة، وما كاد يظهر حتى زالت وثنيات العرب واختفت من الوجود، وذهب كل ما لم يكن حقا، وصار حطبا التهمته نار الإسلام.

لقد اشتمل الإسلام على مبادىء عظيمة، وقواعد جليلة، والشيء الوحيد الذى يجب على الإنسان أن يلحظه هو اشتماله على روح الأديان جميعا، هذه الروح التى تلبس أثوابا مختلفة وتتشكل بأشكال متعددة، ولكنها فى الحقيقة شيء واحد.

أقول، لو كان كارليل قرأ قول الله عز وجل:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾

[الشورى/١٣]

وكان قرأ قول الله عز وجل:

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

[البقرة/١٣٦]

لو كان كارليل قرأ هذين النصين لاستشهد بهما فيكون استشهاده نورا ساطعا يضاف إلى ما ساق من آيات بينات.

وتابع الكاتب العظيم حديثه يقول: لا يكون الإنسان مصيبا إلا إذا سار على منهاج الاسلام فهو الدين القويم، وهو منهج الدنيا الذى يتم به الفلاح، وأن من فضائل الإسلام التضحية بالنفس والمال، وهذا لاشك أعظم وأشرف ما نزل من السماء على بنى البشر فى الأرض، فالإسلام نور الله قد ظهر فى محمد ذلك الرجل العظيم، فأنار الدنيا وبدد ظلماتها، تلك الظلمات التى كانت تنذر بالخسران المبين».

وأفاض الكاتب فى حديث القوة والعدل وتأكيد ما يربى الناس على الطاعة والنظام والنظافة، والأخذ بأسباب القوة والمنعة وإن دينا فيه الوضوء وإقامة الصلاة خمس مرات فى اليوم، والصوم شهراً كاملا فى العام وتحريم الخمر والميسر لا يكون إلا دينا يعمل لخير البشر جميعا، فدخول الناس فى الإسلام لم يكن لسهولته ويسره وقلة تكاليفه، ومن الخطأ أن يعتقد بعض الكاتبين ذلك، لأن اعتناق الإسلام لم يكن إلا لما يثير فى نفس المؤمن من عوامل الشرف والعظمة، ولما يبعث فى نفسه من دواعى الشرف والبطولة، فهو دين عزة وتربية وقوة ومنعة، وليس أدل على ذلك من سرعة انتشاره فى أكثر بقاع الأرض فى أقل من قرن من الزمان!

وهكذا نرى الكاتب لا يفتأ يرد على من افترى على الإسلام بأنه اشتهر بالسيف لا بمبادئه، فجاء فى ذلك بالفلق المبين.

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣) وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ (٥٦) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾

الآيات: ٥٢ - ٥٧

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قوله ـ تعالى ـ

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾

شروع فى بيان مآل أحواله ـ عليه السلام ـ وفى بيان موقف قومه منه بعد أن بين ـ قبل ذلك بعض صفاته ومعجزاته وخصائص رسالته.

وأحس: بمعنى علم ووجد وعرف.

والإحساس: الإدراك ببعض الحواس الخمس وهى الذوق والشم واللمس والسمع والبصر. يقال أحس الشىء، علمه بالحس. وأحس بالشىء شعر به بحاسته والمراد أن عيسى عليه السلام، علم من بنى إسرائيل الكفر علما لا شبهة فيه.

والأنصار: جمع نصير مثل شريف وأشراف.

والمعنى: أن عيسى ـ عليه السلام ـ قد جاء لقومه بالمعجزات الباهرات التى تشهد بصدقه فى دعوته ولكنه لم يجد منهم أذنا واعية، فلما رأى تصميمهم على باطلهم، وأحس منهم الكفر أى علمه يقينا وتحققه تحقق ما يدرك بالحواس، قال على سبيل التبليغ وطلب النصرة: من أنصارى إلى الله؟ أى من أعوانى فى الدعوة إلى الله والتبشير بدينه حتى أبلغ ما كلفنى بتبليغه.

قال ابن كثير: وذلك كما كان النبى ﷺ يقول فى مواسم الحج قبل أن يهاجر: «هل من رجل يؤوينى وينصرنى حتى أبلغ كلام ربى فإن قريشا قد منعونى أن أبلغ كلام ربى» فقيض الله له الأنصار فآووه ونصروه ومنعوه من الأسود والأحمر»(1).

والفاء فى قوله ﴿ فَلَمَّا ﴾ تؤذن بالتعقيب على الآيات الباهرة. أى أنهم بعد أن رأوا ما رأوا من معجزات عيسى لم يمتثلوا له ولم يتدبروا عاقبة أمرهم بل كذبوه على الفور، وحاولوا قتله تخلصا منه واستمروا على كفرهم.

والتعبير بأحس ـ كما أشرنا من قبل ـ يشعر بأنه علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس.

والمقول لهم

﴿ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾

هم الحواريون كما يشير إليه قوله ـ تعالى ـ فى سورة الصف:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾

(الصف/ ١٤)

وقيل المقول لهم: جميع أفراد قومه.

وقوله: ﴿ مِنْهُمُ ﴾ متعلق بأحس. ومن لابتداء الغاية أى ابتداء الإحساس من جهتهم. أو متعلق بمحذوف على أنه حال من الكفر أى أحس الكفر حال كونه صادرا منهم. وقوله ﴿ إِلَى اللَّهِ ﴾ متعلق بمحذوف على أنه حال

(1) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٦٥

من الياء فى أنصارى. أى من أنصارى حال كونى ذاهبا إلى الله أى ملتجئا إليه وشارعا فى نصرة دينه.

وفى قوله:

﴿ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾

حض لهم على المسارعة إلى نصرة الحق لأنهم لا ينصرونه من أجل متعة زائلة. وإنما هم ينصرونه لأنه يدافع عن دين الله ويبشر به، ومن نصر دين الله، نصره الله تعالى.

والآية الكريمة تشير إلى أن الكافرين كانوا هم الكثرة الكاثرة من بنى إسرائيل، بدليل أنه - سبحانه - نسب الكفر إليهم فى قوله:

﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ ﴾

وذلك لا يكون إلا إذا كان الكافرون هم الكثرة الظاهرة، والمؤمنون هم القلة غير الظاهرة حتى لكأن عيسى بقوله:

﴿ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾

يبحث عنهم من بين تلك الجموع الكثيرة من الكافرين. وهنا يحكى القرآن أن المؤمنين الصادقين - مع قلتهم - لم يتقاعسوا عن تلبية نداء عيسى - عليه السلام - فقال الله - تعالى -

﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

والحواريون جمع حوارى وهم أنصار: عيسى الذين آمنوا به وصدقوه، وأخلصوا له ولازموه وكانوا عونا له فى الدعوة إلى الحق.

يقال: فلان حوارى فلان أى خاصة من أصحابه ومنه قول النبى ﷺ فى الزبير بن العوام: «لكل نبى حوارى وحواريى الزبير»(٢).

وأصل مادة «حور» هى شدة البياض. أو الخالص من البياض، ولذلك قالوا فى خالص لباب الدقيق الحوارى. وقالوا فى النساء البيض: الحواريات والحوريات.

وقد سمى - تعالى - أصفياء عيسى وأنصاره بالحواريين لأنهم أخلصوا لله - تعالى نياتهم، وطهرت سرائرهم من النفاق والغش فصاروا فى نقائهم وصفائهم كالشىء الأبيض الخالص البياض.

والمعنى: أن عيسى عليه السلام - لما أحس الكفر من بنى إسرائيل قال لهم من أنصارى إلى الله؟ فأجابه الحواريون الذين آمنوا به وصدقوه وباعوا نفوسهم لله - تعالى -: نحن أنصار الله الذين تبحث عنهم، ونحن الذين سنقف إلى جانبك لنصرة الحق، فقد آمنا بالله إيمانا عميقا، ونريدك أن تشهد على إيماننا

---

(٢) البخارى ١١/٩.

هذا، وأن تشهد لنا يا عيسى بأنا مسلمون حين تشهد الرسل لأقوامهم وعليهم.

فأنت ترى أن الحواريين لقوة إيمانهم وصفاء نفوسهم قد لبوا دعوة عيسى - عليه السلام - فى طلب النصرة دون أن يخشوا أحدا إلا الله.

وقولهم - كما حكى القرآن عنهم:

﴿ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾

إشعار بأنهم ما وقفوا بجانب عيسى إلا نصرة لدين الله ودفاعا عن الحق الذى أنزله على رسوله عيسى.

وقولهم ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ جملة فى معنى العلة للنصرة أى نحن أنصار الله يا عيسى لأننا آمنا بأنه هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وأنه هو الخالق لكل شىء والقادر على كل شىء.

وقولهم:

﴿ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

معطوف على آمنا والشهادة هنا بمعنى العلم المنبعث من المعاينة والمشاهدة فهم يطلبون من عيسى - عليه السلام - أن يكون شاهدا لهم يوم القيامة بأنهم أسلموا وجوههم لله وأخلصوا له العبادة.

وأقوالهم هذه التى حكاها القرآن عنهم تدل على أنهم كانوا فى الدرجة العليا من قوة الإيمان وصدق اليقين، ونقاء السريرة.

ثم حكى القرآن عنهم أنهم قالوا - أيضا:

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ ﴾

على أنبيائك من كتب

﴿ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ ﴾

أى امتثلنا ما أتى به منك إلينا

﴿ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾

أى: اكتبنا بفضلك ورحمتك مع الشاهدين بوحدانيتك العاملين بشريعتك المستحقين لرضاك ورحمتك.

فهم قد صدروا ضراعتهم إلى الله - تعالى - بالاعتراف الكامل بربوبيته ثم أعلنوا إيمانهم به وبما أنزل على أنبيائه، ثم أقروا باتباعهم لرسوله والأخذ بسنته، ثم التمسوا منه - سبحانه - بعد ذلك أن يجعلهم من عباده الذين رضى عنهم وأرضاهم.

وهذا يدل على أنهم فى نهاية الأدب مع الله - تعالى - وعلى أنهم فى أسمى مراتب الإيمان قال بعض العلماء: وكان عدد هؤلاء الحواريين اثنى عشر رجلا آمنوا بعيسى وصدقوه ولازموه فى دعوته إلى الحق.

ثم حكى - سبحانه ما كان من بنى إسرائيل فقال:

﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾

والمكر: التدبير المحكم. أو صرف غيرك عما

يريده بحيلة. وهو مذموم إن تحرى به الفاعل الشر والقبيح كما فعل اليهود مع عيسى - عليه السلام - ومحمود إن تحرى به الفاعل الخير والجميل.

والمعنى: أن أولئك اليهود الذين أحس عيسى منهم الكفر دبروا له القتل غيلة واتخذوا كل الوسائل لتنفيذ مآربهم الذميمة. فأحبط الله - تعالى - مكرهم، وأبطل تدبيرهم بأن نجى نبيه عيسى - عليه السلام - من شرورهم

﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾

أي أقواهم مكرا وأنفذهم كيدا، وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب.

ثم حكى - سبحانه - بعض مظاهر قدرته، ورعايته لعبده عيسى - عليه السلام - وخذلانه لأعدائه فقال - تعالى -

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾

وللعلماء في تفسير هذه الآية الكريمة أقوال كثيرة أشهرها قولان:

أما القول الأول: وهو قول جمهور العلماء - فيرى أصحابه أن معنى

﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ ﴾

أي قابضك من الأرض ورافعك إلى السماء بجسدك وروحك لتستوفي حظك من الحياة هناك.

وأصحاب هذا الرأي لا يفسرون التوفي بالموت وإنما يقولون: إن التوفي في اللغة معناه أخذ الشيء تاما وافيا. فمعنى ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ آخذك وافيا بروحك وجسدك ومعنى ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ ورافعك إلى محل كرامتي في السماء فالعطف للتفسير. يقال: وفيت فلانا حقه أي أعطيته إياه وافيا فاستوفاه وتوفاه أي أخذه وافيا كاملا.

قال القرطبي: «قال الحسن وابن جريج: معنى متوفيك قابضك ورافعك إلى السماء من غير موت، مثل توفيت مالي من فلان أي قبضته»(٣).

أما القول الثاني: وهو قول قلة من العلماء - فيرى أصحابه أن معنى:

﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ ﴾

أي مميتك ورافع منزلتك وروحك إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي كما ترفع أرواح الأنبياء إليه - سبحانه -.

فأنت ترى أن أصحاب هذا الرأي يفسرون التوفي بالإماتة، ويقولون: إن هذا التفسير هو الظاهر من معنى التوفي ويفسرون ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ بمعنى رفع الروح إلى السماء.

أي أن الله - تعالى - قد توفى عيسى كما يتوفى الأنفس كلها، ورفع روحه إليه كما يرفع أرواح النبيين.

(٣) تفسير القرطبي جـ ٤ ص ١٠٠.

والذي تسكن إليه النفس هو القول الأول لأمور:

أولها: أن قوله - تعالى - في سورة النساء

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾

(النساء/ ١٥٧، ١٥٨)

يفيد أن الرفع كان بجسم عيسى وروحه لأن الإضراب مقابل للقتل والصلب الذي أرادوه وزعموا حصوله، ولا يصح مقابلا لهما رفعه بالروح لأن الرفع بالروح يجوز أن يجتمع معهما ومادام الرفع بالروح لا يصح مقابلا لهما إذن يكون المتعين أن المقابل لهما هو الرفع بالجسد والروح.

ثانيها: أن هناك أحاديث متعددة، بلغت في قوتها مبلغ التواتر المعنوي - كما يقول ابن كثير - قد وردت في شأن نزول عيسى إلى الأرض في آخر الزمان ليملأها عدلا كما ملئت جورا، وليكون حاكما بشريعة محمد ﷺ ومن هذه الأحاديث ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، يقتل الدجال ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، ويفيض المال، وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين»(٤).

وظاهر هذا الحديث وما يشابهه من الأحاديث الصحيحة في شأن نزول عيسى، يفيد أن نزوله يكون بروحه وجسده كما رفعه الله إليه بروحه وجسده.

ثالثاً: أن هذا القول هو قول جمهور العلماء، وهو القول الذي يتناسب مع ما أكرم الله - تعالى - به عيسى - عليه السلام - من كرامات ومعجزات.

قال بعض العلماء ما ملخصه: «وجمهور العلماء على أن عيسى رفع حيا من غير موت ولا غفوة بجسده وروحه إلى السماء. والخصوصية له - عليه السلام - هي في رفعه بجسده، وبقاؤه فيها إلى الأمد المقدر له ولا يصح أن يحمل التوفي على الإماتة لأن إماتة عيسى في وقت حصار أعدائه ليس فيها ما يسوغ الإمتنان بها ورفعه إلى السماء جثة هامدة سخف من القول. وقد نزه الله السماء أن تكون قبورا لجثث الموتى. وإن كان الرفع بالروح فقط فأي مزية لعيسى في ذلك على سائر الأنبياء، والسماء مستقر أرواحهم الطاهرة. فالحق أنه - عليه السلام - رفع إلى السماء حيا بجسده. وكما كان - عليه السلام - في مبدأ خلقه آية للناس ومعجزة ظاهرة، كان في نهاية أمره آية ومعجزة باهرة والمعجزات بأسرها فوق قدرة البشر ومدارك العقول، وهي من متعلقات القدرة الإلهية ومن الأدلة على صدق الرسل - عليهم الصلاة والسلام -»(٥).

(٤) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٥٧٨.

(٥) صفوة البيان لمعاني القرآن جـ ١٠٩ ص ٢١٢ لفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف.

هذا، وقد ذكر بعض المفسرين أقوالا أخرى للعلماء فى معنى هذه الآية الكريمة نرى من الخير عدم ذكرها لضعفها وخوف الإطالة(٦).

ومعنى الآية الكريمة: واذكر أيها المخاطب لتعتبر وتتعظ وقت أن قال الله - تعالى - لنبيه عيسى: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ أى آخذك وافيا بروحك وجسدك من الأرض ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ أى ورافعك إلى محل كرامتى فى السماء لتستوفى حظك من الحياة هناك إلى أن آذن لك بالنزول إلى الأرض.

﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

بإبعادك عنهم، وبإنجائك مما بيتوه لك من مكر سيء وبتبرئتك مما أشاعوه عنك وعن أمك من أكاذيب وأباطيل.

﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ ﴾

وهم المسلمون الذين آمنوا بك وصدقوك، وصدقوا بكل نبى بعثه الله - تعالى - بدون تفرقة بين أنبيائه ورسله.

﴿ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾

أى جاعل هؤلاء المؤمنين فوق الذين كفروا بك وبغيرك من الرسل إلى يوم القيامة.

أى فوقهم بحجتهم، وبسلامة اعتقادهم، وبقوتهم المادية والروحية إلى يوم القيامة.

فالمراد بأتباع عيسى هم الذين أخلصوا لله - تعالى - عبادتهم، وأقروا بوحدانيته - سبحانه - ونزهوا عيسى عن أن يكون ابن الله أو ثالث ثلاثة أو غير ذلك من الأقاويل الباطلة.

والمراد بالفوقية ما يتناول الناحيتين الروحية والمادية، أى هم فوقهم بقوة إيمانهم، وحسن إدراكهم، وسلامة عقولهم، وهم فوقهم كذلك بشجاعتهم وحسن أخذهم للأسباب التى شرعها الله - تعالى - كوسائل للنصر والفوز ولذا قال صاحب الكشاف قوله:

﴿ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾

أى يعلونهم بالحجة وفى أكثر الأحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لأنهم متبعوه فى أصل الإسلام وإن اختلفت الشرائع، دون الذين كذبوه والذين كذبوا عليه من اليهود والنصارى)(٧).

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

أى. ثم إلى الله مرجعكم ومصيركم أيها الناس فيتولى - سبحانه - الحكم العادل بينكم فيما كنتم تختلفون فيه فى دنياكم من شئون دينية أو دنيوية، ثم فصل سبحانه - هذا الحكم

(٦) راجع تفسير الألوسى جـ ٤ ص ١٧٩. وتفسير الفخر الرازى جـ ٨ ص ٧١.

(٧) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٣٦٧.

الذى سيحكم به على عباده يوم القيامة فقال:

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

بى وبما يجب الإيمان به

﴿ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾

أى فأعذبهم عذابا شديداً فى الدنيا بإيقاع العداوة والبغضاء والحروب بينهم، وبما يشبه ذلك من هزائم وأمراض وشقاء نفس لا يعلم مقدار ألمه إلا الله - تعالى - وأما فى الآخرة فيساقون إلى عذاب النار وبئس القرار.

وقد أكد - سبحانه - شدة هذا العذاب بعدة تأكيدات منها نسبة العذاب إليه - سبحانه - وهو القوى القهار الغالب على كل شيء، ومنها التأكيد بالمصدر، ومنها الوصف بالشدة، ومنها الإخبار بأنه لا ناصر لهم ينصرهم من هذا العذاب الشديد فى قوله - تعالى -

﴿ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾

أى ليس لهم من ناصر أيا كان هذا الناصر، وأيا كانت نصرته ولو كانت نصرة ضئيلة لا وزن لها ولا قيمة.

هذا هو جزاء الكافرين وأما جزاء المؤمنين فقد بينه - سبحانه - بقوله:

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾

أى فسيعطيهم - سبحانه - بفضله وإحسانه بسبب إيمانهم وعملهم الصالح، أجورهم كاملة غير منقوصة، من ثواب جزيل، وجنات تجرى من تحتها الأنهار وأزواج مطهرة، ورضوان من الله أكبر من كل ذلك.

ففى هذه الجملة الكريمة بشارة عظمى للمؤمنين الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على طريقه.

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾

أى أنه - سبحانه - عادل فى أحكامه. ويكره الظلم والظالمين الذين لا يضعون الأمور فى مواضعها.

ومن أفحش أنواع الظلم ما يقوله أهل الكتاب على عيسى - عليه السلام - فقد زعم بعضهم أنه ابن الله، وزعم فريق آخر أنه ثالث ثلاثة وافترى عليه اليهود وعلى أمه مريم البتول المفتريات التى برأهما الله - تعالى - منها.

أما الذين آمنوا فقد قالوا فى عيسى وأمه قولا كريما، ولذلك كافأهم الله - تعالى - بما يستحقون من ثواب.

وبذلك تكون الآيات الكريمة قد حكت لنا جانبا من فضائل عيسى - عليه السلام - وبينت للناس جزاء المؤمنين وجزاء الكافرين حتى يثوبوا إلى رشدهم ويسلكوا الطريق القويم.

السنة

اتباع سُنن السَّابقين

لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ
طـه محمـد السـاكت

عن أبى سعيـد - رضى الله عنه - أن النبى - ﷺ - قال: «لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جُحر ضب لسلكتموه، قلنا يا رسول الله، آليهود والنصارى[1]؟ قال النبى - ﷺ -: فمن؟»

رواه الشيخان

المفـــردات

السنن بفتح السين: السبيل والمنهاج، وقد يضم فيكون جمع سنة، وهى الطريقة والسيرة، والجحر بضم الجيم: كل شىء تحتفره الهوام والسباع لأنفسها، ونقل شارح القاموس عن فقهاء اللغة أنه كان خاصا بالضب ثم توسعوا فيه واستعملوه لغيره، والضب: دويبة تشبه الحرذَون، وهى أنواع، فمنها ما هو قدر الحرذون، ومنها أكبر منه، ومنه دون العنز، وهو أعظمها، ونقل الدميرى فى «حياة الحيوان» أن الضب، والورَل، والحرباء، وشحمة الأرض، والوزغ، كلها متناسبة فى الخلق.

المعنـــى

من دلائل نبوته - صلوات الله وسلامه عليه - أن يخبر ببعض ما كان، وما هو كائن إلى يوم القيامة، فإن ذلك من أنباء الغيب التى يوحيها الله - تعالى - إليه، ما كان يعلمها هو ولا قومه من قبل.

(١) بالرفع والنصب، أى: أهم اليهود والنصارى؟ أو تعنى اليهود والنصارى؟ وقوله فمن؟ استفهام إنكار يعنى ليس المراد غيرهم.

ومن هذا القبيل - وهو فى صحيح السنة غير قليل - أن أمته إلا من عصم الله ستركب رءوسها، وتتبع أهواءها، وتسير سيرة أهل الكتاب من قبلها، حذو القُذَة بالقذة[2]، والنعل بالنعل، لا تغادر شيئا من معاصيها وبدعها، وزيفها وانحرافها، إلا وقعت فيه، وآثرته على تعاليم دينها، وآداب شرعها، وهذا هو سر التمثيل بالشبر والذراع، وتخصيص الجحر بالضب، فهم لحرصهم على اقتفاء آثار القرون الخالية، والاقتداء بهم فى كل كبيرة وصغيرة، ليأخذن بأخذهم[3] وليدخلن فى مداخلهم وإن بلغت من الضيق والالتواء والرداءة مبلغ جحر الضب.

وإذا لم يكن بد من قضاء الله - تعالى - وصدق نبيه - ﷺ -، فلا عجب أن تبتلى هذه الأمة بما ابتليت به الأمم قبلها، من التفرق والتخاذل، والمجادلة والتحاسد، والغلو فى اتباع الآباء والكبراء، وحب الدنيا والرياسة، إلى غير ذلك مما يضعف الدين، ويذهب باليقين، ويمهد للشر الذى يستطير بين يدى الساعة، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق.

نبت هذا كله، وأخذ ينمو ويترعرع فى أعقاب القرون الثلاثة الأولى حينما اتسعت رقعة الفتح، ونمت الوشائج بالأمم المغلوبة، ثم فتن العامة بالدنيا وزخرفها، وفر الخاصة - إلا قليلا - بدينهم من الفتن، وعجزوا أن يقاوموا الدنيا وعبادها، والأهواء وأشياعها، ورضوا من الغنيمة بالسلامة وليس هنا مجال لمؤاخذة مقصر على تفريطه، أو متغال على إفراطه.

بل لقد كاد ينبت هذا، والنبى - ﷺ - بين أظهر صحابته، لولا أن اجتث البذرة، وسد الذريعة ببليغ حكمته. أخرج مالك والنسائى وغيرهما عن أبى واقد الليثى - رضى الله عنه - أنه قال: خرجنا مع رسول الله - ﷺ - إلى حنين ونحن حديثو عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله - ﷺ -: «الله أكبر! إنها السنن، قلتم والذى نفسى بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى:

﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾

(الأعراف/ ١٣٨)

«لتركبن سنن من كان قبلكم» الحديث.

ونرى محملا قريبا أن تكون هذه القصة السبب الأول فى سياقة هذا الحديث،

(٢) أى مثل ريشة السهم، تقدر على قدر صاحبتها وتقطع. والعبارتان تضربان مثلا للشيئين يستويان ولا يتفاوتان. وقد وردتا فى روايات هذا الحديث.

(٣) أخذ أخذه ويأخذه، فعل فعله واستار بسيرته. والهمزة مفتوحة. وقيل مثلثة.

فيكون من قبيل تحذيره - صلوات الله وسلامه عليه - لأمته فى أواخر حياته أن يقعوا فيما وقع فيه الأمم من قبل، كما حذرهم فى مرضه الذى توفى فيه أن يتخذوا كما اتخذ اليهود والنصارى، قبور الأنبياء مساجد.

وإذا كان ركوب الأمة المحمدية سنن من قبلها، أمرا لا مناص منه ولا معدى عنه، حتى عد ذلك بحق من المعجزات ودلائل النبوة، فما الحيلة فى قضاء نافذ، وأمر مقدور؟ ثم ما فائدة التحذير مما حدث - ﷺ - أنه كائن لا محالة؟ جدير بنا أن نقيس الإجابة عن هذا السؤال من صاحب «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» فإنه لم يدع فى هذا المقام لمستزيد زيادة.

قال: إن الكتاب والسنة قد دلا على أنه لايزال فى هذه الأمة طائفة متمسكين بالحق إلى قيام الساعة، وأن الله لا يزال يغرس فى هذا الدين غرسا يستعملهم فيه بطاعته، وأنهم لا يجتمعون على ضلالة، ففى التحذير من التقليد وركوب السنن تكثير لهذه الطائفة الظاهرة المنصورة وتثبيت لها وتقوية لإيمانها، ثم لو قدر أن أحدا لا يترك التشبه بهم والدخول فى أهوائهم لكان فى هذا التحذير إيمان بما جاء به الصادق المصدوق - صلوات الله وسلامه عليه -، ألا ترى إلى ما يرويه مسلم من قوله: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»، وفى لفظ: ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل، والإيمان بما كرهه الله خير وإن لم يقترن بالعمل. ومن هنا كان حقا على العالم بالمنكر أن ينكره ولو تورط فيه وابتلى به، على أن العالم بالذنب قد يستغفر الله ولو أصر على ما فعل، أو يأتى بحسنات تمحوه أو تخففه أو تضعف همته فى طلبه. وكم بين العالم والجاهل من درجات وفضل! والحمد لله إذ من على هذه الأمة بأنها مهما اختلفت وتخاذلت فلايزال طائفة منها ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله.. وفى هذا كما أشرنا أول الشرح إيماء إلى أنه صلوات الله وسلامه عليه لا يقصد كل الأمة وإنما يقصد سوادها الأعم الأغلب، اعتمادا على ما تواتر عنه من استثناء هذه الفئة النادرة، والنادر كما يقولون لا حكم له.

وفى الحديث إشارة إلى بلاء التقليد وسوء مغبته، وكم جر التقليد على الأمم لاسيما المسلمين من ويلات ونكبات، فى أنفسهم ودينهم وقوميتهم حتى كادوا ينماعون فى غيرهم كما ينماع الملح أو الحبر! ولحكمة بالغة نهينا عن التشبه بغيرنا ولو فى ظاهر الأمر والمباح منه، لأن المشاركة فى الهدى الظاهر تورث تناسبا وتشاكلا بين المتشابهين يقود إلى الموافقة فى الأخلاق والأعمال، وترى هذا مشاهدا جليا فيمن يتجمل بلباس أهل العلم، ومن

يتزيا بزى الجند مثلا، فإن كلا منهما ولا محالة واجد فى نفسه ميلا إلى من يقلده، لايزال ينمو ويقوى حتى يصير طبعا وعادة، ومن هنا ندرك بعض ما ينطوى عليه من أسرار وحكم قوله - ﷺ - «من تشبه بقوم فهو منهم» (٤)، وإذا كان هذا فى السمت المباح والأمر الظاهر فكيف بالتشبه فى الفسق والضلال وذرائع الكفر والعياذ بالله عز وجل؟!.

شهد بمضار التقليد وسوءاته فلاسفة الأخلاق والاجتماع، وعلماء النفس والتربية قديما وحديثا وحرصوا على ألا تتردى فى الهاوية أممهم حتى لتجد الأمة القوية العريقة مستمسكة بتقاليدها وعاداتها، عاضة عليها بالنواجز لا تفرط فيها قيد أنملة.

ومن سخف العقل، وكثافة الجهل، ما نرى من غلو هؤلاء المقلدين وحرصهم على بعض عادات وتقاليد، أطرحها ذووها، لما رأوا فيها من فساد لاصلاح معه، ولو لم يكن من مضار التقليد إلا شعور المقلد بضعفه وحقارته، ثم بكمال المقلد وعظمته، لكفى بذلك إثما وعارا، وما أحكم ما يقول ابن خلدون فى مقدمته: «إن النفس أبدا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه.. ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبدا بالغالب، فى ملبسه، ومركبه وسلاحه، فى اتخاذها وأشكالها، بل فى سائر أحواله. وانظر ذلك فى الأبناء مع آبائهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائما، وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم».

على أننا لا ننكر من التقليد ما كان بصيرا، يهدى إلى الرشد، ويعين على بناء الأمة وينهض بها إلى مدارج الرفعة والعزة، فإن لذلك آثاره الحميدة، وغاياته المجيدة، والإسلام لا يمنع من هذا ولا يقف فى طريقه. وكيف، وهو ينادى بالسبق إلى كل فضيلة والعمل على تحقيق كل خير ومصلحة؟.

ولئن دخل العدو على المسلمين من أبواب متفرقة، إن أشد المداخل عليهم ما رماهم به عدوهم من الجمود والتعصب، كى يسلبهم ما ورثوا من عزة وقوة، وينفذ إلى ما يرون من ذلة وضعف، على حين أن هؤلاء الذين غروهم أحرص الناس على تقاليدهم وعاداتهم، لا يعدلون عنها فتيلا. وإلا فما بالهم لا يقلدون المسلمين، ولو مجاملة فى الأمور التافهة؟ فإن كان ولابد من تقليد فليكن فى جد الحياة دون هزلها وعبثها، وفى شريف الأمور دون خسيسها ودنيئها، فإن الله تعالى يحب معالى الأمور وأشرافها ويكره رُذالها وسَفسافها.

***

---

(٤) رواه أبو داود وغيره بإسناد جيد عن ابن عمر.

في ذكرى المولد النبوي الشريف

نماذج من رحمة النبي صلى الله عليه وسلم

للأستاذ الدكتور/ عبد الحليم حفني

حينما يصف الله تبارك وتعالى رسوله الكريم بالرحمة فى مثل قوله تعالى عنه:

﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٢٨)

فإنه يشركه فى صفة من أخص صفاته سبحانه، غير أن رحمة النبى خاصة بالمؤمنين، أما رحمة الله فهى عامة ينالها كل مخلوق على الإطلاق، كقوله تعالى

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (الأعراف: ١٥٦)

وقد يقال: إن الرحمة صفة واسعة قد تقترن بكثير من الناس، فيوصف: الشخص بالرحمة، وتوصف الجماعة بالرحماء، كما وصف سبحانه أصحاب محمد ﷺ بالرحماء فى قوله تعالى:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح: ٢٩)

فما ميزة الرسول الكريم فى وصفه بالرحمة؟ والجواب أن الذى يوصف بالرحمة إنما يوصف بها عادة فى وقت أو موقف معين، أو مع بعض الناس كرحمة الوالدة أو الوالد بمولودهما، وهذه الرحمة المؤقتة أو الخاصة لا تكسب صاحبها صفة الرحمة، لأن أى وصف لا يكتسب درجة الصفة إلا إذا كان وصفا ثابتا ملازما لصاحبه فى كل أوقاته وأحواله، فيقال مثلا: فلان أبيض اللون، فالبياض صفة له، لأنه ملازم له فى كل أحواله وأوقاته، ولا يعرف شخص وصف بأنه رحيم بمعنى أن تكون الرحمة صفة ملازمة له، ولكن الله

سبحانه يجعل صفة الرحمة ملازمة للنبى بالقياس إلى كل المؤمنين، فهو

﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

ومن آثار الرحمة اللين الذى وصف الله به رسوله الكريم فى قوله تعالى:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ ﴾ (آل عمران: ١٥٩)

وحيث كانت الرحمة صفة ملازمة للنبى فمن غير المعقول إحصاؤها أو حتى حصر أنواعها، ولكنا نسوق الأمثلة التى تبدو فى ظاهرها غير متوقعة ومن هذه الأمثلة:

فى العبادات:

كان المتوقع فى ظاهر الأمر أن يكون المجتهد فى العبادة كلما بالغ فيها هو أحب الناس إلى النبى، ولكنه كان يشق على نفسه، ونهى أصحابه عن مثل هذه المشقة، فيواصل الصلاة بالليل حتى يشفق عليه أزواجه، والقرآن الكريم يسجل مدى الجهد الذى يبذله فى صلاة الليل

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ ﴾ (المزمل: ٢٠)

ولكنه لم يكن يرضى لأصحابه المبالغة فى العبادة، فمن المشهور أن ثلاثة من أصحاب النبى ﷺ ذهبوا إلى بيوت أزواج النبى يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالوها «أى رأوها قليلة» فقالوا: أين نحن من النبى وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصلى الليل أبدا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى»[1] وكان أحيانا يواصل فى الصوم بمعنى أن يصوم يومين متواصلين دون أن يفطر بينهما، فلما وجد بعض أصحابه يواصلون غضب قائلا لهم: «وأيكم مثلى إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى»[2] بمعنى أن الله يمنحه قدرة غير عادية على تحمل الجوع والعطش حتى كأنه يأكل ويشرب، وكان ﷺ حينما يصلى منفردا كقيام الليل يطيل فى الصلاة حتى يتلو فى الركعتين سورتى البقرة وآل عمران اللتين تحتاج تلاوتهما إلى نحو ساعتين، ولكنه كان يأمر من يؤم الناس أن يخفف رحمة بمن فيهم من الضعاف والمرضى وذوى الحاجة، وقد كان معاذ بن جبل - رضى الله عنه - يؤم الناس فى أحد أحياء المدينة فيطيل فشكا المصلون إلى النبى ﷺ إطالته، فأمره النبى بالتخفيف، ونهاه عن الإطالة محذرا إياه من أن يكون مصدر فتنة للناس فى دينهم[3].

(١) متفق عليه (٢) رواه البخارى (٣) مضمون رواية البخارى

فى العقوبات:

وكان ﷺ واضح الرحمة حتى فى توقيع العقوبة على من زلت أقدامهم فاقترفوا ذنبا أو معصية مهما عظمت، كالرفق فى توقيع عقوبة الزنا على المعترفين به، والأحاديث فى ذلك كثيرة، ورحمة النبى فى هذه المواقف تملأ النفس انبهارا، وكالذين تغلبهم شهواتهم فيفطرون فى نهار رمضان، ومن ذلك ما يرويه أبوهريرة - رضى الله عنه - يقول: بينما نحن جلوس عند النبى إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت، قال: مالك؟ قال: وقعت على امرأتى وأنا صائم، فقال رسول الله: هل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا، قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، قال: فهل تجد إطعام ستين مسكينا قال: لا، قال: فمكث النبى فبينما نحن على ذلك أتى النبى بعرق فيه تمر «والعرق المكتل»[٤] فقال النبى: أين السائل قال: أنا. قال: خذ هذا فتصدق به، فقال الرجل: أعلى أفقر منى يا رسول الله؟ «أى هل أتصدق على أحد أفقر منى» فوالله ما بين لابتيها «يريد الحرتين»[٥] أهل بيت أفقر من أهل بيتى، فضحك النبى حتى بدت أنيابه، ثم قال: أطعمه أهلك»[٦] فأى رحمة فوق هذا، حيث يأتى الشخص فزعا جزعا إلى النبى ظانا أنه هلك، فإذا هو يرى النبى فى نهاية الموقف ضاحكا، وإذا هو يعود إلى زوجه التى شاركته الزلل وقد حمل إليها حملا من التمر، وكذلك فى كل مواقف العقاب، ومن أشهرها موقف المرأة الغامدية التى حملت من الزنا ثم جاءت النبى مصرة إصرارا شديدا على أن يقام عليها حد الزنا وهوالرجم بالحجارة حتى الموت، فاستمهلها حتى تضع حملها، ثم جاءت أيضا مصرة إصرارا شديدا على تطهيرها بالعقوبة، فاستمهلها حتى تفطم رضيعها، ثم جاءت أيضا بإصرارها الشديد، فلما سبها خالد بن الوليد فى أثناء الرجم قال الرءوف الرحيم بالمؤمنين ﷺ: «مهلا يا خالد لقد تابت توبة لو وزعت على أهل المدينة لوسعتهم»[٧] وهذه الرحمة لا توحى من قريب أو بعيد بالتقليل من هذه الذنوب التى استحقت العقاب، ففى كل هذه المواقف كان واضحا أن مرتكبيها قلوبهم عامرة بالإيمان، ولكن نفوسهم ضعفت فى لحظة فزلت أقدامهم فاستحقوا رحمة النبى لأنه «بالمؤمنين رءوف رحيم»

فى العلاقات:

ومما قد يراه بعض الناس غريبا أن يشغل النبى ﷺ نفسه بعلاقة حب بين رجل وامرأة، خصوصا إذا لم يكونا من علية القوم، بل ولم يصل وضعهما الاجتماعى أن يكونا كسائر الأشخاص العاديين، وإنما كانا من طبقة العبيد، وتلك قصة مغيث وبريرة،

(٤) هو وعاء يشبه الزنبيل يسع خمسة عشر صاعا

(٥) الحرة بفتح الحاء أرض ذات حجارة سوداء، واللابتان تثنية لابة

(٦) رواه البخارى

(٧) رواه البخارى

اللذين كانا من العبيد وكانا زوجين، فأعتقت بريرة وأصبحت حرة، ومن ثم فقد أصبحت طالقا من زوجها العبد، لأن العبد لا تكون له ولاية على الحرة إلا إذا رضيت بالزوج بمحض إرادتها، وكان مغيث يحبها حبا شديدا يملك عليه كل مشاعره، بينما هى لا تبادله شيئا من هذا الحب، فكان الناس يرون مغيثا يمشى وراءها فى طرقات المدينة وهو يبكى ويستعطفها أن تعود إليه، وهى ترفضه وتصده، وقد رآهما النبى ﷺ ذات يوم وهما على هذه الحال، وكان بجواره عمه العباس، فقال للعباس: «ألا تعجب يا عباس من حب مغيث بريرة وبغض بريرة مغيثا؟ ثم قال لبريرة لو راجعته قالت: أتأمرنى يا رسول الله؟ قال: إنما أشفع، قالت: لا حاجة لى فيه»[٨] ورفضت أن تعود إليه رغم شفاعة النبى له.

وهكذا تكون رحمته ﷺ سابغة شاملة فى كل موقف، حتى إنه كان يخفف الصلاة وهو يؤم الناس حين يسمع بكاء طفل، رحمة بالطفل وأمه، وصدق الله حيث يقول:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾

(الأنبياء: ١٠٧)

والرحمة من صفات القيادة والزعامة الطبيعية غير المصطنعة! فإن الرحمة وما ينبع عنها من اللين من شأنها أن تؤلف القلوب وتجمع من حولها المحبين والأنصار، ولذلك يبرز القرآن هذا المعنى فى قوله تعالى:

﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾

ولذلك يتضح من كل نماذج التاريخ أن الذين يتبوءون مكان القيادة والزعامة فى الأمم بمواهبهم الفطرية التى تؤهلهم لها طبيعتهم يتميزون بامتلاك أقدار من الرحمة واللين تناسب درجة زعامتهم فى شعوبهم، وهؤلاء يحتفظون بحب شعوبهم وتقديرهم حتى بعد موتهم، ويصبحون جزءا أصيلا من تاريخ هذه الشعوب.. بينما الذين يكتسبون زعماتهم بالقسوة والبطش سرعان ما ينفض عنهم أتباعهم فور تراخى قبضة هؤلاء القادة عن المقود، ولكن الرسول الكريم الذى أرسله الله لتمتلىء قلوب أتباعه إلى يوم القيامة حبا له لابد أن يكون كما يقول العزيز الحكيم:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾

(الأنبياء: ١٠٧)

***

(٨) رواه البخارى

خطبة الجمعة :

بين محمدٍ ﷺ وأصحابه

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

حينما ندرس شخصية محمد - صلوات الله عليه - من جوانبها المختلفة، نعلم أنه المثل الأعلى الذى يتجلى لكل طامح إلى المفاخر، أو طامع فى معالى الأمور، وما نريد حين نجلى ملامح هذه العظمة المحمدية أن نضيف إلى صاحبها شرفاً جديداً، فليس بعد تكريم الله تكريم، ولكنها أنفسنا نحن التى نبحث لها عن الخير، ونطلب لها المزيد من التربية والتهذيب، وليس كالقدوة الحسنة فى الإغراء على التشبه والمضاء.. وما نريد أن نغلو فى شأن رسولنا كما غلا سوانا، فإننا لنعلم أولا أن الله أعلى وأكبر، وأن محمداً بشر، قيل له من قبل:

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر/ ٣٠]

وقيل عنه:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران/ ١٤٤]

ولو أن هذه العظمة اقتصرت على شخص صاحبها، فلم يستفض نورها هنا وهناك، ولم تلق ظلالها الطيبة على هذا وذاك، لما شغلت التاريخ بهذه الصورة، ولما بقيت لها

هذه الروعة الدائمة وذلك البهاء الموصول، ولقال القائل: وما نفع كنز عظيم لا ينال الناس منه خيراً؟! وما قيمة محيط واسع لا يجد الراغبون إليه سبيلا؟.. ولكن محمداً ﷺ هو الذى هتف: «ما استحق الحياة من عاش لنفسه فقط»، ولذلك كانت عظمته لغيره قبل أن تكون لنفسه، وكأنما خلق الله رسوله على عينه، وجمع له أطراف المحامد والمكارم، ليظهر فيه سر النبوة وسمو الرسالة، ثم أتاح لصفيه وحبيبه بعد ذلك أن يفيض من هذا النبع الذى لا يغيض، على من حوله ومن يأخذون عنه، والرسول حينئذ لا يستطيع أن يخلق من هؤلاء الأتباع صوراً مطابقة كل المطابقة لشخصه وذاته، وإلا لصار هؤلاء الأتباع رسلا مثله؛ فليس له إلا أن يهيئ لكل واحد منهم ما يناسبه ويلائمه، فيغترف من حوض الرسول ما استطاع، ومن هنا رأينا العظمة المتجمعة فى شخص محمد - صلوات الله عليه - تتفرق فى أشخاص أصحابه، وفى خلفائه الراشدين - رضوان الله عليهم أجمعين - بوجه خاص؛ فهذا أبوبكر مثلا يرث عن رسوله نور اليقين والإيمان، ويقوى عنده هذا النور حتى يسطع فيبهر، فيصفه بالصادق المصدوق قائلا: «لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان هذه الأمة لرجح إيمان أبى بكر على إيمان هذه الأمة»[١]!.

وهذا عمر يرث عن رسوله حسن التدبير وعمق التفكير وصواب النظر وأصالة الرأى، حتى ليقول فيه المصطفى: «إن الله قد جعل الحق على لسان عمر وقلبه»[٢]، وحتى يستطيع عمر إبان خلافته أن يسوس دولة ما ساسها قيصر من قبل أو شاه، وأن يجتهد فى أمور الدين والدنيا. فيهديه ربه إلى فض مشكلات وحل معضلات ما كان يقتدر عليها لولا أنه تخرج من مدرسة النبوة التى تفيض بالهدى والرشاد.

وهذا عثمان يرث عن رسوله رقة الطباع ودماثة الأخلاق وشدة الحياء، حتى يستحى من نفسه وهو منفرد متجرد لاغتساله، وحتى يقول فيه الرسول ﷺ: «أصدق أمتى حياء عثمان»[٣]، وإنه ليدخل على الرسول فيستحى الرسول منه، فتسأله عائشة عن سبب ذلك، فيقول:

---

(١) اتحاف السادة المتقين ٢٢٣/١، ٥٧٢/٧

(٢) السنن الكبرى للبيهقى ٩٦/٦

(٣) ابن أبى شيبة ٤٢/١٢

«ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»[٤]؟.

وهذا علىٌّ يرث عن رسوله زهده وتقشفه، حتى تهون فى نظره أعراض الحياة وأغراض العيش ولذائذ الدنيا فيصرخ فى وجه الدنيا قائلا: «يا دنيا غرى غيرى، إلىَّ تعرضت أم إلىَّ تشوقت؟ هيهات، قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيهن، آه من طول الطريق، وقلة الزاد ووحشة السفر».

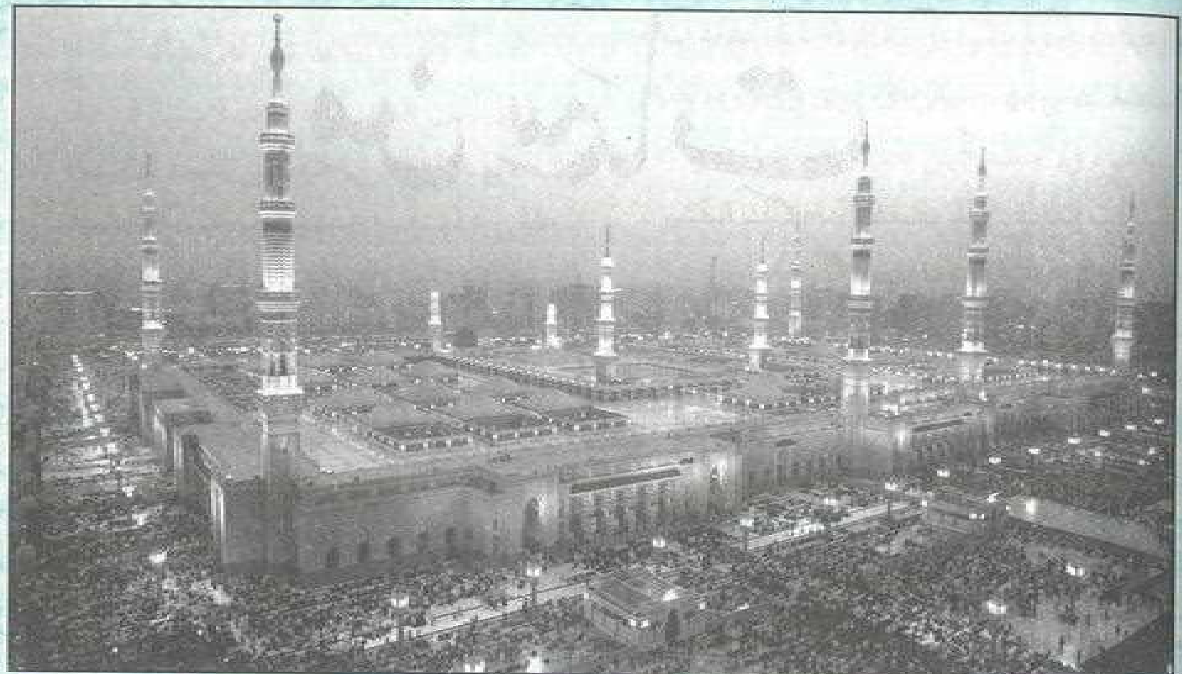
وهناك ناحية أخرى.. أن القائد يجب ألا ينفرد بالسلطان والمجد، وألا يستأثر بالرأى يستحوذ عليه، أو الثناء يستبد به، وكم من أناس هيأت لهم الأقدار أن يبلغوا مناصب القيادة والرياسة، فخيل إليهم أنهم قد صاروا فى الكون آلهة، وما من إله إلا إله واحد، فلا يقضى أمر إلا بكلمتهم، ولا يوجه مدح إلا إلى ذاتهم، ولا يسبح مسبح إلا بحمدهم وشكرانهم، وإن قلوبهم الحاقدة الحاسدة لتتميز من الغيظ وتتقطع من الغل إذا رأوا شخصا غيرهم فعل مكرمة أو استحق تمجيدا، أو بدأ نجمه فى الظهور والسطوع، وإنهم ليبذلون كل شىء لكى يقضوا على كل نابغ أو ناهض، ليضمنوا البقاء لأنفسهم، وليرضوا شهوة الأنانية المتعمقة فى جذور طباعهم، وأف لزمان تفنى الجماعة فيه ليعيش القائد، وتذل الأمة ليعز فرد على أنقاض أبنائها!.

وعلى العكس من ذلك كان رسول الإسلام - عليه الصلاة والسلام -.

لقد بعث محمد عظمته فى صحابته، وشاركهم فيما منحه الله من صفات وبركات، فحفظ للصغير حقه قبل الكبير، وشاور قومه فى الجليل والقليل، وأعطى كلا منهم نصيبه فى التحية والإكرام، وأظهر تقدير كل عامل، وأعلن شكران كل فاضل، وما من مكرمة جرت على يد صحابى إلا فرح لها الرسول، كأنها جرت على يديه، وهكذا يكون القائد الرحيب الأفق المتفتح القلب النقى الضمير الطاهر الشعور.

وها هو ذا يمجد أصحابه عامة فيقول: «الله الله فى أصحابى، لا تتخذوهم غرضا من بعدى، فمن أحبهم فبحبى أحبهم، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه»[٥]، ويقول أيضا: «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[٦].

(٤) مسند الإمام أحمد ١/٧١، ٦/١٠٤، ٣٨٨.
(٥) الترمذى ٣٨٦٢.
(٦) كشف الخفا ١/١٤٧.



ثم ها هو ذا يمجد أصحابه فرادى، فيصف كل واحد منهم بوصف له جماله وبهاؤه، فأبوبكر هو الصديق، وعمر هو الفاروق، وعثمان ذو النورين، وعلىّ باب مدينة العلم، وابن الزبير حمامة المسجد، وسعد بن أبى وقاص مجاب الدعوات، وطلحة بن عبيد الله الشهيد الذى يمشى على الأرض، وأبوعبيدة عامر بن الجراح أمين هذه الأمة، وخالد بن الوليد سيف الله المسلول، وحنظلة غسيل الملائكة، وجعفر بن أبى طالب هو الطيار فى الجنة ذو الجناحين، إلى غير ذلك من جميل الصفات وروائع النعوت.

نستفيد من هذا أن الأمة يجب أن تهتدى بهدى قائدها وراعيها، حتى تتجلى مواهبه فى أفرادها ونواحيها، فيصبح كل إنسان عظيما فى ناحية أو عدة نواح، فتكثر الأيدى القوية العاملة؛ وأن القائد يجب ألا يكون أنانيا يستحوذ على الفضل والخير كله، بل يقدر العاملين، ويهيئ فرص النبوغ للنابغين، حتى تتبارى الكفايات وتظهر العبقريات

﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾

[المطففين/ ٢٦]

وليس بعد أمة محمد أمة، لأنها

﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

[آل عمران/ ١١٠]

وليس مثل محمد قائد أو زعيم، لأنه رحمة الله للعالمين، فلم يبق إلا المسير، فمتى يكون؟.

من سمات العقيدة الإسلامية

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ محمود امبابي
وكيل الأزهر الشريف

تقوم العقيدة في الإسلام على تنظيم صلة الإنسان بالله وتعطيه قيما معينة وشريعة تنظيم الحياة الاجتماعية حسب هداية الله – سبحانه وتعالى – وترتكز هذه العقيدة على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وهي تعني الإفراد بالعبودية لله وحده دون سواه والاعتراف بالخلق والسلطان له – سبحانه وتعالى – وتنزيهه عن الشريك، ويتمثل ذلك في التصور والإدراك البشري من تلقي الإنسان لحقائق العقيدة من مصدرها الرباني الذي يتكيف به الإنسان في إدراكه حقيقة ربه وجلاله وحقيقة الكون الذي يعيش فيه، وحقيقة الحياة التي يعيشها، وحقيقة الإنسان نفسه، ومن ثم تصبح عقيدة «أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» قاعدة لمنهج كامل تقوم عليه حياة الأمة المسلمة بحذافيرها، فأركان الإسلام من مقتضياتها، صلاة، وزكاة، وصيام، وحج، وحدود، وتعازير، وحلال وحرام، وسلوك وأخلاق، والاعتراف بالعقيدة لله رب العالمين يقتضي الطاعة لله وحده والتسليم لحكمه دون سواه:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾

(الأنعام/ ١٦٢، ١٦٣)

هذه العقيدة القائمة على التوحيد لها معطيات كانت وراء ما حققته الحضارة الإسلامية من سمو وإعجاز أدهش العالم وأثار تساؤلات علمائه عن هذه المعطيات ومن هذه المعطيات:

السمو الإنساني

إذ أعطت هذه العقيدة لحامليها ومعتنقيها الطهارة في أسمى معانيها وأجمل صورها، الطهارة من الشهوات، فلا تستخذله شهوة، ولا

تطوعه غريزة شر، بل تعطيه عقيدته قوة يستعصي بها على أي هوى أو نزوة، فلا يضعف، ولا يستكين لعواصف الشهوات، وإغراءات العادة، وقد يضعف أمام ذلك الكثير، رغم ما أوتوا من علم وما بلغوا من حضارة:

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

(الجاثية/ ٢٣)

وتعطيه كذلك كرامة يجالد بها عبودية الإنسان للإنسان وتسلط الطواغيت على حياته ودنياه فلا يتخذ ربا إلا الله:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

(آل عمران/ ٦٤)

كما تعطيه سموا في التفكير فلا يكون أسيرا لرواسب ماضية ونحل متحرفة، وقد كان هذا دأب الجاهلين قبل:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾

(البقرة/ ١٧٠)

النمو الحقيقي للأشياء

أن تبعث العقيدة الإسلامية في نفوس أصحابها التصور الحقيقي لقيم الأشياء فلا ينطلي عليها غبش الدعايات وبهرج الشبهات، فمن يعرف ربه يعرف شيمة نفسه ويعرف قيمة إيمانه ويعلم تسخير العوالم له، ويعلم كذلك أن الناس كلهم عبيد لله وكلهم من خيره يرزقون، فلا تزلف لأحد إذا، لأن الكل مخلوق، والكل محتاج إلى عطف الله ورضاه، وإذا استعان صاحب العقيدة فإنما يستعين بالله، وإذا طلب فليطلب من الله.

ويعلم كذلك أن الضر والنفع من الله، وصدق رسول الله – ﷺ – في تعليم ذلك لابن عباس: «احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك...»[1].

الرجاء وطمأنينة القلب

أن تبعث هذه العقيدة في نفوس أصحابها الرجاء في الله وطمأنينة القلب، إذ يربي الإيمان القلب على نفسية قائمة على الثقة بالله والرجاء فيه، فهو في كل حال يتغلب على اليأس والقنوط والجلد والثقة حتى يأتيه نصر الله وهو مطلع عليه:

(١) سنن الترمذي ٤/ ٦٦٧.

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

(البقرة/ ١٨٦)

الجراءة والشجاعة فى مواجهة الشدائد

فهذه العقيدة تعطى صاحبها صفات نفسية عامرة كريمة بغير حدود من هذه الصفات الجراءة والشجاعة والبسالة النادرة، الشجاعة فى كل ميدان من ميادين الحياة، الشجاعة فى مواجهة النفس والتغلب على ثقل الحيوانية، ولهذا ترى كثيرين من أصحاب العقائد ضربوا أروع الأمثلة فى الاستقامة والقدوة بعد تاريخ طويل فى الجهالة وحب العرض واتباع الشهوات، واستطاعوا أن يفرضوا الاستقامة وأن يعلموا الشعوب الهداية والرجولة ونبذ الانحراف ومداواة النفوس:

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَالْبَٰقِيَٰتُ الصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾

(الكهف/ ٤٦)

الإحاطة والشمول

مما تتميز به العقيدة الإسلامية الإحاطة والشمول حيث تعترف بالكتب السماوية كلها، حيث يأمر الإسلام الإيمان بكل كتاب أنزله الله على أحد من رسله:

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥ ﴾

(البقرة/ ٤، ٥)

ومن مظاهر الإحاطة والشمول: الدعوة العامة لجميع البشر وعدم التمييز بين جنس وجنس، ولون ولون، وفقير وغنى، بل الكل أمام الله سواء، والدين لهؤلاء جميعا.

والرسول - ﷺ - لم يرسل لبعض الناس دون بعض، ولكنه ﷺ رسول إلى الناس جميعا:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(سبأ/ ٢٨)

ومن إحاطة الإسلام وشموله: بيانه لجوانب الحياة صغيرها وكبيرها، ما صلح منها وما فسد من طعام وشراب فأحل الطيب وحرم الخبيث:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَٰتُ ﴾

(المائدة/ ٤)

وقد بين الإسلام أن الأعمال هى قوام المسلم وهى ميزان بها يصعد وبها يهوى، وبها يسود فى الأرض، وبها يضيع من قدمه الطريق:

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾

(النساء/ ١٢٤)

في ذكرى المولد النبوي الشريف:

رَجعةُ الهادِى (*)

للشاعر الأستاذ عامر محمد بحيرى

[أمنية الخيال فى هذا القصيد أن يعود «محمد» نبى الإسلام عليه صلوات الله، ليحكم قومه، وليترك أثره البارز القوى فى شئون العالم السياسية والاجتماعية، فى هذا العصر الحاضر...]

لو رجع «الهادى» إلى قومه   لكان هذا العصر أزهى العصور
يطلقُ فيه الحقُّ من سجنه   فيملأ الكونَ جمالٌ ونور
ويخرج العلم تجاربه   مثبتة آياتِ رب قدير
فيقلع الغربىُّ عن غيِّه   بما لديه من ذكاء وفير
وينهض الشرقىّ مستهدياً   بما يغذى روحه من شعور
ويلتقى الكلُّ على مذهب   فيه من العدل نصيب كبير
لا يمنح «الفاشىُّ» طغيانه   ولا «الشيوعىُّ» لواء الأجير
لكنه يعطى على رتبة   بغيرها لا تستقيم الأمور..

***

لو رجع «الهادى» إلى قومه   لكان للهيئة [1] شأنه خطير

(*) مجلة الثقافة العدد (٤٢٣)

(١) هيئة الأمم المتحدة

ففكر الساسة في أمرهم ... وكان للمظلوم منهم نصير
ولم يروا في الشرق ذيلاً لهم ... وهو أخو البأس، وفيه النذير
وفي فلسطين لما ساوموا ... صاحب يومي «خيبر» و«النضير»

***

لو رجع «الهادي» إلى قومه ... لم تضرم الحرب بنار السعير
ولم يقم في شعبه «هتلر» ... ليعبدوه في الزمان الأخير
ولم يكن هذا الغلاء الذي ... يطبخ بالعشب طعام الفقير
لغير قصد، وبلا غاية ... يصطرع الموج، وتهوى الصخور
عاصفة يجتازها زورق ... وزورق لا يستطيع العبور
هذا مجد لم ينل حقه ... وذاك يرجو أن يكون الوزير!
أأزمة الأخلاق أم ظلمة ... قد استوى الأعشى بها والبصير؟

***

لو رجع «الهادي» إلى قومه ... جبينه الوضاح بدر منير!
لأقبل الشرق على نوره ... فوجاً لتحقيق الأماني يسير
وتمت الوحدة في ظله ... فاستبشر الناس، وعم السرور
ولم يروه مستبداً بهم ... منفرداً بالرأي دون المشير
وكان للخلق مثال التقى ... يهدي ويستهدي الإله الخبير
مفكراً في العلم مستيقناً ... بأنه آية عصر جدير..
قد أشرقت في صدره غبطة ... إذ يحمل «القرآن» موج الأثير!

***

لو رجع «الهادي» إلى قومه ... لم يبق فيها ملحد أو كفور
ولم يقم في داره خاملٌ ... بل حج بيت الله أهل الثغور
وأقبلوا ثم يزورونه ... في روضة نفاحة بالعطور
يسأل عنه خطأ سائل ... في سادة الحكم، بناة القصور
يحسبه الجاهل من عصبة ... أضلها المال، وحب الظهور

حتى يراه ناشداً ربه ... أو عاملاً، أو صالياً للهجير!

***

لو رجع «الهادي» إلى قومه ... لعاد المرأة حق كثير..
فاسترجعت بالدين من حقها ... ما سلبته في ظلال السفور
لا ينكر الدين عليها الحجى ... والعلم، والرأي النبيل الطهور
لكنه يحفظها دُرة ... مصونة في جوهرات الخدور
فضيعت زينتها والتقت ... بحامل الفأس، مقيم الجسور
العقلَ ياقوم! فهل تستوي ... خشونة الصوف، ولين الحرير؟

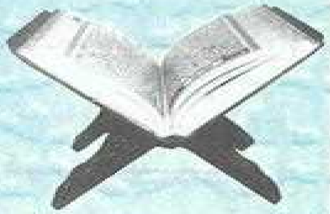
***

لو رجع «الهادي» إلى قومه ... لبيته بالشعر.. لا أستشير!
أحبُ ألحاني لقيثارتي ... لحن يغني للنبي البشير
لحن إذا وقعته مشرقاً ... سكرت روحيًا، ومامن خمور
علمنيه الحزن من «أحمد» ... والفكر.. ماأرهبه! في المصير..
لحن تساميت به، خالد ... بعث به في الفن لحناً يبور
مضيعاً بين خداع الهوى ... والحقد.. لا يرقب يوم النشور

***

يالك من حلم بعيد المدى ... طاف بفكري في الهزيع الأخير
كأنه من بهجة طائرٌ ... أقبل في فردوس روحي يطير
يالك من حلم! ولكنه ... كشعلة الحق، قويٌّ، جسور
العالم الحاضر في ظلمة ... كأنها أسداف يوم مطير
فلو بدا «الهادي» أضاء السنى ... ومزَّق الظلمة بدر البدور
تالله، لو عاد إلى قومه ... لكان هذا العصر أزهى العصور!

***



من القيم الحضارية فى القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور/ محمد فتحى فرج بيومى

من نافلة القول أن القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية المنزلة، فهو رسالة الله وكلمته النهائية إلى الإنسانية، اقتضت حكمته - سبحانه - أن تأتى فى الوقت الذى جاوزت فيه البشرية طفولتها، وبلغت عنده رشدها، وانتهت إلى مرحلة لا بأس بها فى تطورها المادى والعقلى والروحى، وعلى ذلك فقد تضمن القرآن الكريم من الأسس الحضارية والقيم والمبادئ والأحكام ما يتواءم وهذا النضج الفكرى والوجدانى الذى بلغته البشرية، حتى يجعلها على الصراط المستقيم الذى يساعدها على المسير، من أقصر طريق، فى سعيها الدائب الحثيث نحو الاكتمال والازدهار، وذلك ما حدث بالفعل فى القرون الستة الأولى، التى استلهم المسلمون فيها معانى القرآن وجوهره، دليلا ومنهاجا ونورا مبينا، فأفرز ذلك ثقافة ومدنية، وبالجملة حضارة ذات سمات محددة، عرفت فى التاريخ الإنسانى بالحضارة الإسلامية.

الثقافة والمدنية والحضارة

أصل كلمة ثقافة من «تثقيف الرمح» أى تهذيبه وتعديله وتسويته، ثم انتقلت إلى «تثقيف العقل» أى تهذيبه بالمعارف المختلفة والعلوم المتنوعة، فانتقلت الكلمة من الاستعمال الحسى إلى الاستخدام المعنوى، شأن كلمات كثيرة ومنها كلمة «عقل» أما كلمة مدنية، فقد اشتقت من «تمدين المدائن» أى من بنائها وتمصيرها، و«تمدّن» أى تخلق بأخلاق أهل المدن، وخرج من حالة البداوة، التى هى فى الرقى أدنى مرتبة، وإلى البدائية أقرب.

أما كلمة الحضارة فقد اشتقت من حياة أهل الحضر فى «الحاضرة»، تلك التى تتسم بالاستقرار والعمران، وإقامة حياة اجتماعية متشابكة، فيما بينها أصول دينية وأخلاقية وسياسية واجتماعية وعادات وتقاليد وعُرف وثقافة.. إلخ، ومن ثمّ فهى أشمل وأعم من كلمتى مدنية وثقافة. ومن التعريفات الموجزة الدالة للحضارة قول بعضهم: الحضارة تعنى الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة، فهى مجموع الحياة فى صورها المادية والروحية.

ولقد حفل القرآن الكريم بالأسس الحضارية التى كفلت وتكفل للمستنيرين بنوره والمتبعين لهديه، بنقلهم نقلة حضارية هائلة، فى مختلف مناحى الحياة، بحيث اختلف واقع الناس ونمط حياتهم ومعاملاتهم وطرائق معيشتهم، اختلافا جوهريا عما كان قبل نزوله. فمن حياة سادها الجهل ومعاملات بربرية جموح ومسيرة فى الحياة حائرة خائرة جائرة مظلمة، ومن ضلال وفساد وانحراف كل ذلك قد تغيّر وتبدل من النقيض إلى النقيض، إذ أن قيام الحضارات وازدهارها إنما يرجع إلى المعنى الذى يستقر فى أذهان أفراد الأمة عن القيم المختلفة فى الحياة.

العلم

أطلق الإسلام ملكات الإنسان، إذ لم تكن مصادفة أن أول آيات رسالته السامية التى نزلت من لدن عليم خبير على قلب النبى ﷺ قد بدأت بكلمة «اقرأ» فى قوله تعالى:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

[١ - ٥ من سورة العلق]

فكان ذلك إيذانا بأن الإيمان القوى الصحيح بهذا الدين يجب أن يكون مبنيا على العقل والعلم والتفكير، فكان هذا هو المفتاح السحرى الذى غيّر كل شىء. لقد سرى سر هذه الكلمة وسحرها، بشكل مباشر وغير مباشر، فى أوصال الأفراد والجماعات، فكانت القراءة فى كتاب الله المسطور، وفى كتاب كونه المنظور، فجعلت من القبائل المتشرذمة شعبا ثم من الشعوب المتفرقة أمة، وما هى إلا بضع سنوات حتى انصهرت فى بوتقته فارس والعراق والشام ومصر، تستظل بلوائه وتنعم تحت مظلة عدله ومساواته بين الجميع حكاما ومحكومين، سواء أكانوا على الإسلام أو ذميين. فكان ذلك هو المناخ الملائم لنشاط الذهن، وإعمال الفكر، وتقدم العلم، وازدهار الحرف والصناعات والزراعات، وحدثت نهضة علمية وأدبية وعمرانية فى جميع المجالات، على يد رجالات، حفظ التاريخ ذكرهم من الاندثار، فقد سجلوا فيه أسماءهم بأحرف من نور. فالعلم الذى أمر به القرآن الكريم، كما يقول الأستاذ العقاد، هو جملة المعارف التى يدركها الإنسان بالنظر فى ملكوت السموات والأرض وما خلق من شىء.. ويشمل الخلق هنا كل موجود فى هذا الكون ذى حياة أو غير ذى حياة[1].. يقول الله تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾

[الأعراف: ١٨٥]

ويقول أيضا:

(١) عباس محمود العقاد (ب.ت) التفكير فريضة إسلامية. دار الهلال. مصر. ص ٦٠.

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾

[الغاشية: ١٧ ـ ٢٠]

ويقول أيضا:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

[البقرة: ١٦٤]

فالعلم فى الإسلام يتناول كل موجود، وكل ما يوجد فمن الواجب أن يُعلم، فهو أعمّ من العلم الذى يراد لأداء الفرائض والشعائر لأنه عبادة أعمّ من عبادة الصلاة والصيام، إذ كان خير عبادة لله أن يهتدى الإنسان إلى سر الله فى خلقه، وأن يعرف حقائق الوجود فى نفسه ومن حوله.. ولهذا قال النبى عليه السلام فى فضل هذه العبادة: «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد»(٢).

ولنا هنا كلمة نشتقها من توضيح الشيخ الغزالى ـ رحمه الله ـ لكلمة فقه، فى معرض تعليقه على تفسير الآية الكريمة:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾

[الحشر: ١٣]

فعملية الفقه إنما استخدمت فى القرآن لمعنى أوسع بكثير من المعنى الإصطلاحى الفقهى.. إنه الفقه الحضارى بكل ما تشمل كلمة حضارة من أبعاد، فالمعنى اللغوى، معروف فى اصطلاح الفقهاء، هو هذا العلم المتصل بأحكام العبادات والمعاملات.. أما المعنى الشامل للفقه كما ورد فى القرآن، فكان الكلام فيه مستبعدا.. نسوا الفقه بالمعنى اللغوى الشامل وحصروها فقط فى الحكم التشريعى، حتى لتستغرب جملة «فقه اللغة».. المهم أن كلمة «فقه» من الناحية اللغوية لها أبعاد غير ما استقر فى الأذهان.. فنجد أن هناك فقها للفلك، وفقها للنفس، وفقها للأخلاق، وفقها للحضارة، وهذا ما نلمحه من قوله تعالى:

﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾

[الأنعام: ٩٦]

إلى أن يقول:

(٢) البيهقى فى السنن الكبرى.

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾

[الأنعام: ٩٨]

ما الفقه هنا إلا معرفة مستقر النفس الإنسانية قبل أن توجد، وهى فى الرحم، حيث تقول الآية الكريمة:

﴿ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ﴾

[الحج: ٥]

ما المستودع؟.. إنه القبر، وما يصل إليه البدن.. ثم ما بين المستقر والمستودع من حياة، هذا كله يحتاج إلى فقه. فهذا الفقه قد يكون فقها فى علم الأجنة، وقد يكون فقها فى أشياء كثيرة كما توحى الآية هنا، فالفقه الذى أشار إليه القرآن هنا واسع المرادات(٣).

المساواة والتعاون والعدل والتسامح

فدستور الإسلام (القرآن) يتفق مع التطور الإنسانى والتقدم البشرى، ومن ثم فهو يعمل على جمع شمل الإنسانية وتقاربها وتآلفها وتعاونها، وهو لا يتعارض مطلقا مع العقل أو المنطق أو مقتضيات الحياة، فهو يعمل على تحقيق مصالح الناس، حتى يتمتعوا بالمميزات الإنسانية التى تحقق سعادتهم وقوتهم، وهو يحتفل بحياة الإنسان الدنيوية، ويساعده على الحياة الكريمة. كل ذلك فى إطار من المساواة وعدم التفريق بين العربى والأعجمى، وبين الأبيض والأسود، ولذلك فقد غزا الإسلام القلوب بالحب، والعقول بالإقناع، فانفتحت له قلوب العباد قبل أن تنفتح له البلاد، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

[الحجرات: ١٣]

وقال رب العزة:

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

[المائدة: ٢]

كما كفلت شريعة الإسلام تحقيق العدالة بأوسع معانيها بالنسبة للأفراد والجماعات، حكاما ومحكومين مسلمين وذميين، والقرآن الكريم قد أعطى المساواة حقها، وأعطى التفاوت بين الآحاد والطبقات حقه، فلا يمتنع التفاوت ولا يكون مع هذا سببا للظلم والإجحاف بالحقوق، بل سببا لإعطاء كل ذى حق حقه، ولو كان من المستضعفين فى الجنس أو المستضعفين فى المنزلة الاجتماعية، كما يقول الأستاذ العقاد(٤)، فالتعددية فى الأمم وسيلة التعارف والتعاون، وليس بوسيلة للادعاء والتنابذ والتعصب للأجناس والتعالى

(٣) محمد الغزالى (١٩٨١) كيف نتعامل مع القرآن. المعهد العالمى للفكر الإسلامى. الوفاء للطباعة والنشر ص ٦٨.

(٤) عباس محمود العقاد (١٩٧٠) الفلسفة القرآنية. كتاب الهلال. مصر. العدد رقم ٢٢٩. ص ٤١.

بالعصبيات. أما النبى ـ ﷺ ـ فقد فسر ذلك بأحاديث فى هذا المعنى فقال:

«لا فضل لعربى على أعجمى ولا لقرشى على حبشى إلا بالتقوى»[5]، وقال: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى»[6]

وقد اعترف بهذه المساواة وهذا العدل والتسامح عدد غير قليل من المستشرقين والكتاب الغربيين، وهى شهادة فوق مستوى الشبهات حيث لا يمكن أن تكون صادرة عن حماسة دينية للإسلام، ولا عن مبالغة فى كشف مزاياه، ومن ذلك ما ذكره «توماس أرنولد» فى مؤلفه «الدعوة إلى الإسلام»: «إن محمدا قد عقد حلفا مع بعض القبائل المسيحية، وأخذ على عاتقه حمايتهم ومنحهم الحرية فى إقامة شعائرهم الدينية، كما أتاح لرجال الكنيسة أن ينعموا بحقوقهم ونفوذهم القديم فى أمن وطمأنينة، وقد وحّد حلف كهذا بين أتباع النبى ومواطنيهم، مما جعل هؤلاء المواطنين يظهرون ولاءهم للحكومة الجديدة). ويقول أيضا: أثبتت معاملة الرسول ـ ﷺ لأهل الذمة «غير المسلمين» أن الإسلام دين التسامح، الذى يحرص على حقوق الإنسان، وكانت رسالة محمد عليه الصلاة والسلام إلى رهبان دير سانت كاترين، فى جبل سيناء، دليلا ناصعا على تسامح الحكومة الإسلامية الوليدة فى معاملة رعاياها من غير المسلمين، مهما كان دينهم. وقد حرص الرسول أن يملى رسالته على مسمع من صحابته ليعلم الجميع ما يحض عليه الإسلام من تسامح»[7]. أما «ماسينيون» فيقول فى هذا الصدد أيضا: للإسلام ماض بديع من تعاون الشعوب وتفاهمها، وليس من مجتمع آخر له مثل ما للإسلام، ماض كله التوفيق فى جمع كلمة مثل هذه الشعوب الكثيرة المتباينة على بساط المساواة فى الحقوق والواجبات، ولقد برهنت الطوائف الإسلامية الكبرى فى إفريقية والهند الشرقية والجماعات الإسلامية فى الصين واليابان على أن الإسلام يستطيع أن يوفق بين العناصر التى لا سبيل إلى التوفيق بينها»[8].

الوسطية والاعتدال

من التعريفات التى تعلمناها من مبادئ فلسفة الأقدمين أن الفضيلة هى حد الوسط بين طرفين يمثل كلاهما رذيلة، والأمثلة على ذلك كثيرة، فالشجاعة فضيلة تتوسط فى موقعها بين التهور المذموم والجبن الممقوت، وعلى هذا المنوال تسير معظم الفضائل إذا ما عرضناها بهذا الشكل وحينما تعرض القرآن الكريم لوصف أمة الإسلام ينعتها بهذه الخاصة المميزة فيقول:

(٥) تخريج

(٦)

(٧) السيد أحمد المخزنجى (١٩٨٧) العدل والتسامح الإسلامى. سلسلة دعوة الحق، العدد ٦٧ إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامى ص ١٠١.

(٨) على حسنى الخربوطلى (١٩٦٩) الإسلام وأهل الذمة. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ص ٣٨.

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾

[البقرة: ١٤٣]

وحينما ينصح فى مجال الإنفاق يقول تعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾

[الإسراء: ٢٩]

ويقول فى معرض تزكية المعتدلين:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾

[الفرقان: ٦٧]

وبهذه الوسطية وهذا الاعتدال لا يترك الإنسان الدنيا لكى تستعبده ولا هو يطلقها طلاقا بائنا، فالله تعالى يقول:

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾

[القصص: ٧٧]

وهو ـ سبحانه ـ القائل:

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾

[الكهف: ٤٦]

هذا من جانب، أما بقية الآية فيشير إلى الجانب الآخر حيث يقول تعالى:

﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾

[الكهف: ٤٦]

والنبى ـ ﷺ ـ وقد كانت حياته وأقواله وأعماله ترجمة حرفية للقرآن الكريم، يقول فى معرض التوسط والاعتدال، حتى فى العبادة: (إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق. إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى)[9] وينسب للإمام على ـ كرم الله وجهه ـ قوله: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لأخراك كأنك تموت غدا»[10]

وقد أورث كل ذلك وسطية غير معهودة، فى غير الإسلام، وسطية محمودة بين الروحية والمادية على الإجمال، تتفق وفطرة الله التى فطر الناس عليها، بحيث يجد المرء نفسه مدفوعا لعمارة أرض الله، ثم هو أيضا يتجه بأشواقه العليا إلى موعودات الله له فى الآخرة، ولا غرو أنه مخلوق من عناصر هذه الأرض، إلا أن الله تعالى قد شرّفه بأن نفخ فيه من روحه، والسعيد السعيد من وعى ذلك ووءام بين مطالب المادة وأشواق الروح، على ما أوضحه القرآن الكريم، فى آياته المباركات، من قيم حضارية باقية بقاء الإنسان، ويهدف ذلك كله إلى سعادة البشرية فى ظل التقدم الصحيح تحقيقا لآية الله فى جمال الكون المطرد وجعل الإنسان بحق خليفته على الأرض.

(٩) تخريج

(١٠) يراجع فى ذلك ما حققه أ.د. محمد رجب البيومى فى كتابه «البيان النبوى» دار الوفاء. المنصورة ـ مصر.

مواقف إسلامية

اليهود وقيمة التضحية

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٠) يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ (٢١) قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾

المائدة – ٢٠ – ٢٦

تمهيد

كان اليهود – قبل البعثة

﴿ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾

(البقرة/ ٨٩)

كانوا يهددون المشركين بأن نبيا سيبعث وسوف يكونون معه عليهم: فلما جاءهم من عرفوه.. أنكروه! بل كفروا به: [اعتلالا بأنواع من العلل البينة الكذب]

وكان لهذا الموقف الجاحد رد فعل لدى الرسول – ﷺ – حزنا أن لم يكن اليهود معه على عبدة الأوثان؟!

فجاءت هذه الآيات الكريمة – لا انتصارا لجنس على جنس – وإنما تجيء مؤكدة ما يلي:

أ – أن ما جاء به هو من عند الله: آيات من جنس ما جاء به أنبياؤهم.

ب – فرفضهم الإيمان كان لعيب فيهم.. وليس فى الآيات.

وهذا العيب هو: داء الحسد – بدليل ما جاء بعدها من قصة «ابنى آدم» وكيف كانت من إفراز الحسد.

جـ – ثم لما لم يزدهم ذلك كله إلا كفراً وعناداً.. بيَّن الله تعالى فى هذه الآيات واقعة من وقائعهم. مع موسى عليه الصلاة والسلام.

الذى أخرجهم الله على يديه من الرق والعبودية.. إلى الحرية والاستقلال وملك أمرهم.

وكونهم على هذا كله.. كانوا يخالفونه ويعاندونه. حتى فيما يدعوهم إليه من العمل الذى تتم به النعمة عليهم فى دنياهم التى هى أكبر همهم.

ليعلم الرسول بهذا أن مكابرة الحق. ومعاندة الرسل خلق من أخلاقهم. الموروثة عن سلفهم.

فيكون ذلك تسلية له – ﷺ.

د – ومزيد عرفان بطبائع الأمم.

هـ – ومزيد عرفان بسنن الاجتماع البشرى.

و – والموقف فى النهاية تحذير لبنى إسرائيل اليوم – وللمسلمين بنفس القوة:

أجل: تحذير لبنى إسرائيل حتى لا يكرروا نفس الأعمال.. حتى لا يجازى الأحفاد بمثل ما جوزى به الأجداد!

وللمسلمين اليوم: حتى يعتبروا.. فلا تسرى إليهم تلك العلل بالعدوى.. فتحق عليهم سنة الله فى الأمم الغافلة.

التذكير بمصارع الأمم

والموقف تذكير للنبى – ﷺ – بواحد من مواقف القوم حتى لا يأسى على قوم مجرمين.. وليكون الموقف بكل ما فيه من دروس وعبر.. تربية للأمة بالأحداث.. ولم يكن أبدا تفضيلا لجنس على جنس.. كما أشرنا.

ذلك بأن الإسلام يرفض اعتبار قرابة الدم أساسا لوحدة الإنسانية.

ذلك بأن قرابة الدم أساسها: مادى مرتبط بالأرض وإنما الأساس هو: قرابة الإيمان. ولحمة الإسلام.. حتى يتحرر الإنسان من كل رابطة أرضية مادية. ليبقى الولاء فقط لواشجة الإيمان. ورابطة الإسلام.

ماذا قال موسى

إنه يتودد إلى قومه عن طريق لحمة الدم المشترك. فلعلهم أن يستجيبوا إذا سمعوا (ياقوم....) وماتشير إليه من وحدة جامعة.. داعية إلى الإذعان. ثم يذكرهم بنعمة الله عليهم:

﴿ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾

وماهى تلك النعم التى اختصهم الله بها على كل معاصريهم من الأمم:

أ – جعل فيكم أنبياء: وأرسل الله إليكم: رسلا. وكتبا.

وهى نعمة الهداية نعمة الحرية والاستقلال.

﴿ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ﴾

ثم جعلكم أحراراً مستقلين.. بعد أن كنتم عبيداً لفرعون.. دور واسعة.. وأموال سائلة.. ومياه جارية.. ثم.. خدم وحشم. ثم أهلك عدوكم بل وأورثكم أرضهم وديارهم. وأموالهم. أنزل عليكم المن والسلوى.. فرق بكم البحر.. انبجس الماء من الحجر. ظلل الله عليكم الغمام. باختصار جمع لكم النبوة.. والملك.. معا.

قيمة التضحية

وهذه النعم العظام.. تتقاضاكم تقييدها بشكر واهبها سبحانه بالامتثال لأمره: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ﴾ وليست مجرد أرض.. ولكن مما يعينكم على دخولها:

أ - أنها مقدسة.

ب - وأن الله كتبها لكم.. مضمونة لكم شريطة أن تضحوا في سبيلها.. فلن تكون غنيمة باردة.. وإنما على جسر من التضحية تبلغون ماتريدون.

﴿ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ ﴾

تصوروا أنفسكم منهزمين: تولون الأدبار - في موقف ذميم تأباه طبيعة الرجل الكريم - فإن فعلتم، ولم تقدموا، انقلبتم خاسرين، بخزي المعصية. وعار الجبن وخيبة المسعى.

الجبان.. يبذل فطرته

وبعد كل هذا الدعـ.. وهذا التحريض.. ماذا كان رد الفعل هناك كان ما حكاه القرآن الكريم عنهم:

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾

وهكذا شأن من ألف العبودية: إنه لايطيق تكاليف الحرية ومغارم الاستقلال: إنها: الهمم السافلة والأحوال النازلة.

همم: لم تعد تصلح للملك.. بل إن أهلها لا يحدثون أنفسهم بذلك!.

وهم يذكروننا بمجموعة من العبيد في دولة كبرى: فبعد أن تحرروا.. عادوا إلى الأسياد يطلبون القيد.. لأن تكاليف الحرية أكبر من إمكاناتهم ومن ثم فهم يطلبون العودة إلى العبودية!!

رفض قيمة التضحية

ويعني ذلك أنهم مع رغبتهم في الأرض المقدسة إلا أنهم رفضوا أن يدفعوا الثمن.. فلم يحصلوا على شرف الحياة فيها. إلا إن الدنيا لما كانت أكبر هممهم رفضوا كل ما يحرمهم منها.. وأنت عبد للدنيا.. لأنك راغب فيها.. بينما غيرك سيدها: لأنه راغب عنها!

سقوط الدعوى العريضة المريضة

لقد زعموا من قبل أنهم أبناء الله.. فهل تصرفهم هذا تصرف الولد؟؟ وزعموا أنهم: أحباؤه.. فهل كان موقفهم موقف الحبيب؟!

يقول صاحب الظلال: «ولكن إسرائيل هي إسرائيل: الجبن. والتمحل والنكوص على الأعقاب.. ونقض الميثاق.. إن الخطر ماثل قريب.. ومن ثم.. لا يعصمهم منه حتى وعد الله لهم بأنهم

أصحاب هذه الأرض.. وأن الله قد كتبها لهم: فهم يريدونه نصرا رخيصا. لا ثمن له. ولا جهد فيه. نصراً مريحا يتنزل عليهم تنزل المن والسلوى!!

ولكن تكاليف النصر ليست هكذا كما تريدها يهود. وهي فارغة القلوب من الإيمان.»[1].

الحجة البالغة

﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

(المائدة: ٢٣)

«وهنا تبرز قيمة الإيمان بالله. والخوف منه:

فهذان رجلان من الذين يخافون الله ينشىء لهما الخوف من الله استهانة بالجبارين. ويرزقهما شجاعة في وجه الخطر الموهوم.

ثم إنها.. قاعدة في علم القلوب. وعلم الحروب: اقدموا واقتحموا..

فمتى دخلتم على القوم في عقر دارهم. انكسرت قلوبهم بقدر ما قويت قلوبكم وشعروا بالهزيمة في أرواحهم. وكتب لكم الغلب عليهم.»[2].

إن مجرد ظهوركم بالباب سيرعبهم. ولن تجدوا منهم «نافخ نار ولا ساكن دار».

وأخ الحـزم لم يـزل
هو بالبـاب واقـف
يده تسبق الفـمـا
والردى منه خائف!!

وكأنما يقيم الله تعالى من هذين الرجلين حجة على بني جنسهم الذين رفضوا الملك.. والعزة.. بل رفضوا كل شيء في سبيل «حياة» أية حياة.. هم أحرص الناس عليها!

إنها الحياة التافهة.. والتي هي موت مبكر!

شجاعة المؤمن

إن الراحة الكبرى.. لمن تعب

ومنهم ذلك الجندي المجهول.. الشجاع.. الذي قد ننسى اسمه ولكن الله تعالى لا ينسى عمله!

بينما الجبان يائس.. خامد: لا وجود له.. وإنما هو فقط: رقم على نتيجة الحائط!!

والمؤمن الشجاع يستمد شجاعته من ثقته بربه عز وجل. ولأن نفسه كبيرة.. فإنه لا يقنع بدون النجوم في سمائها العالية وهو ذلك الفتى الذي يقول: أفضّل أن أكون «ترابا» على أن أكون «غباراً» لأن «التراب» رماد الحريق!

وهو كذلك يفضل أن يكون «شيئاً» على أن يرى شيئاً. أن يكون شيئاً «يُرى» لا أن يكون حديثا يروى!

وليس من طبع المؤمن أن يعلق خطأه على شماعة الآخرين كما فعلت الكثرة هنا:

الكثرة الانهزامية التي لم تجرؤ على الاعتراف بالجبن في مواجهة الأعداء.. وإنما عزت ضعفها إلى قوة «الجبارين» فلم تسم الأمور بأسمائها.

في الوقت الذي وقف فيه الرجلان. وكأنما

١- في ظلال القرآن

٢- في ظلال القرآن

يقولان: عليكم أن تعملوا ما يدخل فى طاقتكم من طاعة ربكم وتتقوا به فيما يصل إليه كسبكم.

ولكنهم لم يزعنوا للنصيحة.. بل ربما كان أثرها عكسياً ذكرتهم نصيحة رجلين من جنسهم بعيبهم.. وأن الأمر ليس كما يدعون.

فالعيب فيهم وليس فى شىء آخر بدليل أن ناسا من جبلتهم كانوا شجعانا.. وما يترتب على ذلك من إحساسهم بالهوان أن لم يكونوا مثلهم شجاعة حسدا من عند أنفسهم.

وأظلم أهل الأرض من بات حاسدا لمن بات فى نعمائه يتقلب!

وهكذا الرجل المؤمن: إنه يصنع الأحداث ولا تصنعه الأحداث: فعلى رغم أن «يوشع» و«كالب» رجلان: فقط نقطتان فى بحر زاخر بالبشر.. لكنهما خالفا القوم إلى مارفضوه من الجهاد وقررا ألا يكونا مجرد رد فعل.. وإنما اتخذا هذا الموقف الإيجابى شاهدين على قومهما بأن على الإنسان ألا يكون إمعة وإنما.. هو - وإن كان فردا يستطيع أن يتفرد بالقرار الذى رآه سليما.. فهو الذى يملى إرادته على الحياة.. وليس الأمر بالعكس؟!

والعكس هنا هو ما قالته الجماهير المهزومة.. فيما حكته الآيات عنهم:

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾

(المائدة: ٢٤)

وإنك لتحس بوقاحة الرد هذه المرة حين نادوه باسمه المجرد ثم بقولهم ﴿ وَرَبُّكَ ﴾ .

موضوعية الإسلام

ومن دلائل «الموضوعية».. أن الآيات الكريمة لم «تأخذ المجرم بجيرانه» فتسلك المجتمع كله فى حكم واحد منبثق من رؤية واحدة.

ففى الوقت الذى تنعى فيه على الكثرة تخاذلها فى مواجهة الخطر.. تستثنى رجلين منهم منوهة بموقفهما العظيم.. حتى يأخذ كل ذى حق حقه. وهو بعض مايشير إليه قوله عز وجل:

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾

(آل عمران/١١٣)

إلى الله المشتكى

وبعد هذا العناد.. يكون الملجأ إلى الله وحده

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾

(المائدة: ٢٥، ٢٦)

طبيعة الاستبداد

هكذا تقول التجربة: [إن الشعوب التى تنشأ فى مهد الاستبداد وتساس بالظلم والاضطهاد تفسد أخلاقها وتذل نفوسها ويذهب بأسها وتضرب عليها الذلة والمسكنة وتألف الخضوع. وتأنس بالمهانة والخنوع.

وإذا طال عليهم أمد الظلم.. تصير هذه

الأخلاق موروثة ومكتسبة. حتى تكون كالغرائز الفطرية. والطبائع الخلقية:

إذا أخرجت صاحبها من بيئتها.. ألفيته ينزع بطبعه إليها ويتفلت منك ليتقحم فيها.[3]

وإذا كان ذلك سنة من سنن الاجتماع البشرى.. فقد دل موقف الرجلين من بنى إسرائيل على إمكان التفلت من هذه العادة والتمرد على هذا المألوف.. بالإرادة المصممة.. التى تستمد وقودها من معدن الحق.

ويرحم الله العقاد حين يقول:

بأس الطغاة تقول؟
مهلا عداك الذهول
هيهات يطغى ابن أنثى
فى أمة أو يصول
مالم يعنه عليها
جهل. وحقد دخيل
هما الأصلان فاعلم
وكل طاغ وكيل
وما لطاغ سبيل - لولاهما أو دليل

أما بعد:

[فإن المزية.. لا تقتضى الأفضلية] ولقد تبجح واحد من المسئولين هناك فقال: بيننا وبينكم القرآن! لن نستفتى التوراة وإنما رضينا بالقرآن حكما حين قال:

﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

ونقول:

أولا: فضلكم حقا.. ولكن ليس بإطلاق وإنما على كل من عاصركم من الأمم.

وثانيا: وأن هذه الأفضلية.. وهذه الأرض التى كتب الله لكم مشروطة بالوفاء بالعهود والواقع شاهد بأن ذلك لم يكن.. بل لن يكون؟!

وثالثا: إن التفضيل الخاص ليس كالتفضيل العام: فالخصوصية لا تقتضى الأفضلية:

لقد قال ﷺ لواحد من الصحابة: «ارم.. فداك أبى وأمى».

وهو مالم يقله للصديق أبى بكر.. ومع هذه الخصوصية.. فالصديق أفضل منه.

ويظل الإيمان والعمل الصالح هما القياس.. إذا أردنا المفاضلة بين الناس وصدق الله العظيم:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾

(النساء/١٢٢ - ١٢٥)

٣- تفسير المنار

أعداؤنا.. فى الميزان

قد يبدو المبطلون منتصرين.. مخدوعين حين تحمر أكف الجماهير من التصفيق.. وتنشق حناجرهم بالهتاف.. وهكذا.. يكون المستبد ضالا.. وفى نفس الوقت يبدو ممسكا بالزمام!!

وقد يحس أصحاب الحق بالاغتراب فى أوطانهم.. بينما المستبد على أرضهم يتحدى.

وقد يصل به التحدى إلى التعدى.. التعدى بتلفيق المفاهيم: حين يضربون العباد ويخربون البلاد ثم كانوا على مايقول عز وجل

﴿ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾

(التوبة ١٠٧)

العسكرية الإسلامية

إن المنقذ من هذا الضلال هو: العسكرية الإسلامية:

فالسيف أصدق إنباء من الكتب
فى حده: الحد بين الجد واللعب

هذه العسكرية التى كان من خصائصها أنها فى جوهرها إنسانية.. تواجه قوات بربرية: وكانت بهذه الإنسانية هى الأقوى: جاء فى «صالون العقاد»(٤)

«والفارق بين قوات هتلر وقوات الرسول أن قوات هتلر لا تدافع عن دين، وقوات الرسول تدافع عن عقيدة.



العقاد

وإذا زعمت قوات هتلر أنها تدافع عن الدين: فهو دين الكراهية والمرارة. والرغبة فى الانتقام من الذين تآمروا على ألمانيا.

أما قوات الرسول - ﷺ: فهى تدافع عن دين الحب والرحمة: دين لا يحارب إلا مضطرا.. كانت حروبه دفاعية

ولم يستخدم الرسول السيف إلا عندما وجد نفسه مضطراً إلى ذلك: فهو لم يحارب الرأى بالسيف: فقريش لم يكن عندها رأى إنما لديها عادات وتقاليد.

ثم هو لم يحارب بالسيف.. إلا الدول: فالسلطة هى وحدها القادرة على مواجهة السلطة».(٥)

«لقد كان هو القائد العظيم، وإن القائد العظيم: «هو القادر على نفسه. قبل أن يكون قادرا على غيره» فليس من الصعب أن يجد القائد ألوف الجنود: تحبه وتحترمه.

ولكن العظمة الحقيقية هى: أن يكون هذا القائد قادرا على ضبط نفسه وحرمان نفسه من الراحة تماما كالجنود.. وحرمان نفسه من الطعام والشراب والنوم.. تماما كالجنود».(٦)

قوة المبادىء لا غشم المدافع

إن القوة هى الفضيلة، فإن كانت الحياة هى الصراع بين القوى والضعيف.. فإن الإنسان يفضل

٤- صالون العقاد: ١٤٢: ١٤٧ ٥- صالون العقاد: ١٤٢: ١٤٤ ٦- صالون العقاد

القوة. ويحبها ويحرص على المزيد منها والناس يكرهون الضعف ويحتقرون الضعيف أيضا:

فالصبر قوة، لأن الإنسان الصابر هو الذى يتغلب على الصعوبات التى ينحنى أمامها غيره من الناس.

والرحمة قوة، لأنها لاتجىء إلا من إنسان قوى، فالقوى، هو الذى يرحم غيره من الضعفاء.

والكرم قوة، لأن الإنسان الكريم. هو الذى يعطى ماعنده للآخرين دون أن يمن عليهم.

والقناعة قوة، لأنها تدل على أن الإنسان قادر على أن يمسك نفسه.. ويستغنى بما لديه عما لدى الناس.

والتواضع قوة، لأن الإنسان المتواضع: هو الذى يشعر أن مكانته قوية وأنه قوى بنفسه وأنه ليس فى حاجة إلى أن يظهر ذلك للناس.

والعفة قوة، لأن الإنسان العفيف قادر على أن يمسك نفسه عن الذى لدى الآخرين.

والحلم قوة، لأن الإنسان الحليم لا يغضبه أن يتطاول الناس عليه. ويرى أن الغضب ضعف.

والحياء قوة، لأن الحياء: يحمى الإنسان من أن يتبذل ويترخص ويكون مستهانا به من الآخرين.

والعفو قوة، لأنه دليل على قدرة الإنسان فى مواجهة إساءة الناس: كأنها لا شىء!

والعدل قوة، لأن العدل معناه: المساواة بين القوى الذى يخافه الناس والضعيف الذى يخاف الناس.

والصدق قوة، فالصادق لا يحتاج إلى أن يخفى الحقيقة. كالكاذب الذى يخشى الناس.

والزهد قوة، لأن الزاهد هو الذى يرفض مايجده. ولا يمد يده إلى ما فى استطاعته أن يأكله أو يشربه أو يتمتع به بل إن احترام ضعف الآخرين: قوة، لأن احترام الضعفاء مثل احترام الأقوياء.

فاحترام الضعفاء معناه: أننا لانحترمهم خوفا منهم ولكن نحترمهم: تقديرا لحالتهم التى لا دخل لهم فيها.

أما الرذيلة فهى: الضعف.. لماذا؟؟ لأن الرذيلة معناها: أن الإنسان يختصر الطريق إلى ما يريد وذلك عن طريق: الكذب أو السرقة أو الخداع. أ.هـ(٧)

واجب الدعاة

من حق الإنسان أن يلتزم بفكرة اقتنع بها.. لأن ذلك دليل أنه يفكر.. ويقارن.. ثم يختار.. كما وأن من حقه أن يحاول إقناع غيره بفكرته.. لأن ذلك يعنى مدى إيمانه بها. ولكن.. ليس من حقه أن يفرضها بقوة السلاح وإنما: بالحكمة والموعظة الحسنة.. وإذا كان ولابد من جدال فليكن بالتى هى أحسن ومن المفروض هنا. ألا تجادل بالعنف.. فضلا عن أن تجالد بالسيف ولقد قيل لأفضل الخلق ﷺ.

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾

(آل عمران / ١٥٩)

٧- نفس المرجع ١٤٥

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾

التكوين النفسى والتربوى للداعية

للدكتور / عبد الحليم عويس

فى القرآن الكريم، كما فى السيرة والسنة الصحيحة، منهج تربوى يجمع بين المثالية والواقعية، ويحقق للإنسان القيادة فى صناعة الحضارة من خلال الإنسان الفرد، والأسرة، والمجتمع الذين تتحقق فيهم شروط الارتقاء.

لقد قدم الرسول - عليه الصلاة والسلام - المنهج التربوى الملائم للإنسان لتحقيق عبوره من ظلمات الشرك والوثنية إلى الإسلام، وإن معالم هذا المنهج لتتجلى فى مزج الإيمان بالأخلاق والسلوك، وتربية الضمير فى النفس المؤمنة اللوامة، والتربية على الثبات أمام المطامع والشهوات، والربط بين الإيمان بالله والعزة بالنفس والثقة فى نصر الله، والاستهانة بالزخارف ومظاهر العظمة الجوفاء، والتربية على الشجاعة النادرة، والاستهانة بالحياة، والتدريب على اقتلاع جذور العصبية الجاهلية، والتربية على تحمل المسئولية: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)[1]، وعلى أنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، والتربية على الحب فى الله، والأخوة فى الله!!

ويرى الداعية الكبير الشيخ أبو الحسن الندوى أن على الداعية أن يحيا هذه المعانى المهجورة فى باب الدعوة، عن طريق البرامج العملية، والوسائل التربوية، والنماذج

(١) أخرجه البخارى.

السلوكية التى يجب أن يتصيَّدها من الماضى والحاضر، من سلوك الأفراد وسلوك الجماعات.

وهى وجهة نظر حيَّة، يذكرها داعية كبير هو الشيخ أبو الحسن الندوى، وتمثل عصارة تجاربه وأفكاره، وعلى الداعية والعاملين للإسلام أن يستوعبوا هذه التجارب التى يقدمها الدعاة الكبار مثل الشيخ محمد عبدالوهاب، أو الشيخ أبو الحسن الندوى، أو الشيخ محمد الغزالى، وغيرهم ممن واجهوا مشكلات معاصرة.

إن فنون التجميع وحسن التحدث والتحاور مع الناس من أهم عوامل نجاح الداعية، وهى فنون لا تنتهى الإضافة لها والتحوير فيها، ولكن خطوطها الأساسية وأمثلتها النموذجية تنحصر فى بعض القواعد ومنها:

أ- ضرورة تكميل الرصيد التربوى الواقعى الذى تركته طبائع المجتمع فى الفرد.

ب- مبادرة الداعية للتكلم بما يناسب حاجة المدعو.

جـ- تكثيف المبررات الواقعية لوجود العمل الجماعى.

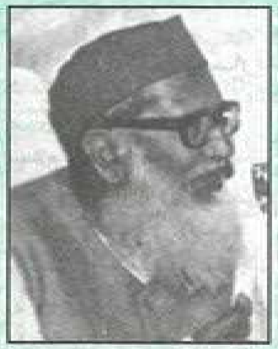
د- الأخذ من كل مدعو حسب طاقته والعطاء له حسب حاجته.

هـ- تحبيب أجواء المسجد ومناخه للمسلمين.

و- التأنى فى اختيار وسائل التأثير فى المدعوين واختيار الجرعة.



محمد الغزالى



أبو الحسن الندوى

ز- جاهد فى سبيل أن تكون أنت القدوة، وأن يرتبط عملك بقولك، فالطامَّة الكبرى فى عصور التخلف هى الانفصال بين القول والعمل، مع أنه قد ثبت فشل هذا الأسلوب، فالدعاة المخلصون العاملون هم - وحدهم - المقبولون.

حـ- البداية بالأقربين.

ومن واجبات الداعية أن يبتدىء دعوته بأهله وذوى قرباه، انطلاقاً من قول الله تعالى:

﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾

[التحريم/ ٦]

واقتداء بالنبى - ﷺ - الذى ابتدأ بعرض الدعوة على زوجته خديجة، وابن عمه على بن أبى طالب، ومولاه زيد بن حارثة، وصديقه أبى بكر، فآمنوا جميعاً - رضى الله عنهم - وهو فى ذلك يتمثل قول الله تعالى:

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾

[الشعراء/ ٢١٤]

وذلك لأن الاهتمام بشأنهم أولى، ولأنهم أحق الناس بالإحسان الدينى والدنيوى، كما أنه بذلك يقيم الحق عليهم، حتى لا يكونوا ذريعة للأبعدين فى الامتناع[٢] عن قبول الدعوة للإسلام.

وليس معنى ذلك أن يكف الداعية عن الدعوة إذا حاربه قومه، فليس عليه إلا البلاغ، وله - بعد أن يبذل جهده - أن يتعزّى بما وقع لأنبياء الله الكبار: نوح ولوط وخاتمهم محمد - عليهم الصلاة والسلام - فلا يقدح فيهم عدم استجابة بعض ذويهم.

ط - التعرف على المدعوّين.

ومما لا شك فيه أن معرفة المدعو وتقاليده، وموافقته فيما يميل إليه ويهواه (من المباحات) عامل مهم فى استمالة المدعو إلى دين الإسلام، كما أن تعرف الداعية على المدعو يتيح له الفرصة ليتعرف على خصائصه وطبائعه، وطرق التأثير فيه وكيفية الوصول إلى إقناعه وتطييب نفسه، وإزالة الوحشة عنه عن طريق الترحيب به، وملاطفته، فبالتعارف يحصل التواصل[٣]، الذى هو بداية الدعوة، ولذلك حث الله تعالى عليه بقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

[الحجرات/ ١٣]

كما أن المصطفى - ﷺ - يبدأ مدعويه بالتعرف عليهم، وخبره مع «عداس» فى رحلته إلى الطائف[٤] خير دليل على ذلك.

وفى عصرنا الذى تتعدد فيه الثقافات والخلفيات الفكرية يبدو التعرف على المدعوّ للإسلام شرطاً أساسياً من شروط الدعوة الناجحة للإسلام - وبدون هذا التعرف والتلطف فى حل ألغاز الخلفية الفكرية ومعالجة نقاط الضعف فيها بحكمة وعلم قد يخسر الداعية قضيته بالجملة.

ى - تقدير ذوى الشرف العالى، ومخاطبة الناس على قدر مستواهم الاجتماعى والثقافى والسياسى: أجل إن على الداعية أن يقدر ذوى المكانة العالية حق قدرهم، وينزلهم منازلهم اللائقة بهم لما فى ذلك من مصلحة للدعوة والدعاة معاً، فطالب الرياسة - ولو بالباطل -

(٢) إبراهيم بن عبدالله المطلق، التدرج فى دعوة النبى - ﷺ -، ص١٠١ وما بعدها بتصرف، طبع مركز البحوث والدراسات الإسلامية ط ١، ١٤١٧ هـ بالسعودية.

(٣) إبراهيم بن عبدالله المطلق: المرجع السابق، ص١٠٥ وما بعدها بتصرف.

(٤) إبراهيم بن عبدالله المطلق: المرجع السابق، ص١٠٦.

ترضيه الكلمة التى فيها تعظيمه وإن كانت باطلاً، وتغضبه الكلمة فيها ذمه وإن كانت حقاً[٥]، وذلك ما يفهم من أمر الله تعالى لموسى وهارون - عليهما السلام:

﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾

[طه/ ٤٣، ٤٤]

ومن حرص النبى - ﷺ - على العناية بالسادة والكبراء والأشراف من الناس: معللاً ذلك بقوله عن أحد المؤلفة قلوبهم: «إنه رأس قومه فأنا أتألفهم به»[٦].

وكم فشل الدعاة فى تبليغ دعوتهم عندما عجزوا عن تقدير ذوى المكانة ومخاطبتهم بما هم أهله، تأليفاً لقلوبهم وشرحاً لصدورهم، حتى تتسع لقبول كلمة الحق، وتتعاطف مع الدعوة ورسالتها ورجالها وأهدافها العليا.

وعلى الداعية أن يعنى بدعوة الناس جميعاً بلا تمييز أو تفرقة، منطلقاً من قوله تعالى:

﴿ الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾

[إبراهيم/ ١]

ومن قوله - ﷺ -: «وبعثت إلى الناس عامة»[٧]، فالدعوة تكون لجميع الناس: مسلمين بالحكمة والموعظة الحسنة، وغير مسلمين بعرض الإسلام عليهم بلا إكراه أو تفريط.

وفى أوساط المسلمين على الداعية أن يكون قادراً على مخاطبة المثقفين وأصحاب الكفايات العلمية بما هو مشترك بينهم، وبين قضايا الدعوة، ومما يمكن أن يُسهموا به فى الدعوة إلى الله فى ضوء تخصصاتهم.

وفى الوقت نفسه يكون قادراً على مخاطبة أنصاف المثقفين، بل وعامة الناس رجالاً أو نساءً.

ومن الضرورات الفكرية فقه الداعية بحقيقة فريضة الجهاد فى الإسلام، لأن بعض الدعاة يزعمون أن الإسلام قادم منذ بدايته لاستعمال عصا (الجهاد) الغليظة فى التعامل مع خصومه، وأنه إذا كان قد هادنهم يوماً، فلضرورات موقوتة، ثم شرع يجتاحهم بعد ذلك، دون هوادة، ويرفض الشيخ محمد الغزالى هذا الكذب قائلاً:

«لقد قرأت لنفر منهم كلاماً فى أن الإسلام دين هجومى يضع خططه للحرب لا للسلم،

(٥) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٥٩٩/١٠، نقلاً عن إبراهيم بن عبدالله المطلق، التدرج فى دعوة النبى ﷺ ص١١٥.

(٦) ابن حجر، فتح البارى ٤٤/١، وراجع: التدرج فى الدعوة ص١١٥.

(٧) رواه الإمام البخارى: كتاب التيمم، برقم: ٣٢٣.

وشعرت بالغيظ لتحريف الكلم عن مواضعه من ناحية، ولتناول الوقائع دون أدنى وعى بملابساتها من ناحية أخرى»(٨).

مع أن هؤلاء عجزوا عن معرفة أدب الحوار الطويل مع المخالفين للإسلام، وتجاوزوا الآيات القرآنية الكثيرة التى أربت على المائة، والتى تجادل غير المسلمين بالتى هى أحسن، وتدعوهم إلى كلمة سواء، وترفض سبّ عقائدهم أو ظلمهم.

وعلى الداعية أن يعى جيداً أن الحضارة الأوروبية فى كل أشكالها عاجزة عن حل مشكلة (السعادة الإنسانية) فلابد أن تكون فكرة الدين عن أصل الإنسان هى الفكرة الصحيحة، وفكرة العلم تحتاج إلى تعديل وبالتالى فليس بإعادة الأخلاق وحدها يسعد الإنسان، كما أن التقدم العلمى مهما كان واضحاً بارزاً لا يمكنه أن يجعل الأخلاق والدين غير ضروريين، ولا يمكنه أن يحقق السعادة، وعلى الرغم من أنه بالإمكان أن يوجد ملحدون على أخلاق، فإنه لا يمكن أن يوجد إلحاد أخلاقى، والسبب هو أن أخلاقيات اللادين ترجع فى مصدرها إلى دين.

وفى رأى البريطانية التى أسلمت «مارى ويلدز» أن أفضل طريقة لتقديم الإسلام إلى الإنسانية فى بلاد الغرب يكون عن طريق تقديمه على أنه التفسير المنطقى للكون، أى نحن والكون، أى أننا بحاجة إلى أن نقدم الإسلام للأوروبيين كما يبينه القرآن الكريم، وهذا يعنى أنه يجب أن يوضّح أن الله العلىّ القدير - سبحانه - لم يخلق الإنسان والكون من حوله عبثاً، بل خلق هذا الكون الجميل البهيج، ومنح الإنسان منحة العقل، وأرسل الأنبياء، وأنزل الكتب لهداية هذا الإنسان، وختمهم بالرسول الكريم محمد - ﷺ - وبالقرآن الكريم وذلك ليساعد هذا الإنسان على الحصول على معتقد منطقى حقيقى حول وجوده ووجود الكون.

وأما بالنسبة لفقه الداعية لأسلوب عرض الإسلام للنساء الأوروبيات، فيبدأ بالطريقة نفسها التى يعرض بها للرجال، لكن يضاف إلى ذلك الإلماع أو الإشارة المركزة إلى أن واقع المرأة فى الغرب محزن للغاية.. فالنظام القائم يستغل عرض أجسامهن لأغراض الإعلانات والدعاية، فضلاً عن دفع الآخرين للنهم الجنسى وتشجيعهم عليه، علاوة على ذلك الإسراف فى عرض الأزياء، وملاحظة الزينة وتغيير الأثاث، بما يسوقهن إلى البحث عن عمل، والحصول على فرص متساوية مع الرجل

(٨) جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج، دار الكتب، الجزائر، ص٧، ص٢٩.

الأزهر

فى مجال العمل والمهن، بحجة المساواة.. يا للفرق بين هذا الموقف وموقف القرآن الكريم.

الإسلام رحمة للمرأة، وذلك لأنه يعرف طبيعة المرأة التى جبلت عليها، ويعرف ما يناسبها من اللباس والحاجات، ويعرف القدرات التى تتمتع بها، فيحدد وظيفتها وفاقاً لها، ويمنعها من بعض الأعمال، رحمة بها:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

[الملك/ ١٤]

ويفرض لها - أو عليها - بعض الأعمال التى يعجز الرجل عن القيام بها، فهى أقدر على أن تكون المحضن الطبيعى، ولا سيما فى سنواته الأولى، تسهر حيث لا يستطيع الرجل أن يسهر، وتتحمل بكاء الولد ومخلفاته وأمراضه بما لا يستطيع الرجل أن يتحمل، وهى تجد فى ذلك لذتها ورسالتها، ولا يجد الرجل ذلك فى نفسه.

ومن الضرورى الإشارة إلى أن الداعية سيجد فى طريقه ناساً يعجزون، وقد ييأسون دون أن يبذلوا الكثير أو القليل فى مجال الدعوة، وهؤلاء مسلحون تسليحاً قوياً بما يلوكه الناس من تقاعس الحكام، وتفرق الدول الإسلامية، وذيوع الترف والانحلال بين المسلمين، وكثافة الغزو الإعلامى والثقافى وندرة المقاومة الإسلامية الفاعلة والمنظمة.. إلى غير ذلك مما يهدد الحاضر والمستقبل من صور العولمة الاقتصادية التى قد تأتى على الأخضر واليابس بالنسبة للصناعات المحلية والوطنية والإنتاج القومى.. وكل ما يقوله هؤلاء لا يستطيع أحد أن يجادل فيه بالنسبة لتلك الومضة التى نعيشها.. إلا أن الدعاة إلى الله عليهم أن يثقوا فى الله، ويحاربوا اليأس، داعين إلى التغيير الهادىء العاقل الحكيم فى ضوء الإيمان الراسخ بأن الأمور كلها بيد الله، وبأن (الله أكبر) من كل القوى المتربصة بالإسلام والمسلمين، وبأننا نحن المسلمين نملك ميثاقاً أكيداً وعقداً لا يتخلف بيننا وبين الله - سبحانه وتعالى -:

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾

[محمد/ ٧]

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

[الحج/ ٤٠]

***

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾

حقوق المريض فى الإسلام

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

بداية أستعير قول العز بن عبدالسلام عندما قال: إن الطب كالشرع، وضع لجلب مصالح السلامة والعافية، ولدرء مفاسد المعاطب والأسقام.. وسبحانه الله القائل:

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

(البقرة ٢٦٩)

وما من شك أن العلوم على اختلاف أنواعها تتفاوت قوة وضعفا فى اتصالها وفى احتياج كل علم إلى غيره.

إلا أن العلوم الطبية فى حاجة ماسة إلى العلوم الفقهية. كما أن الفقهاء فى حاجة إلى علم الأطباء عندما يقررون حكما من الأحكام التى لها صلة بالجوانب الصحية، لأن الفقهاء هم أهل الذكر فيما يتعلق بالأحكام الشرعية، والأطباء هم أهل الذكر فيما يتعلق بالشئون الطبية.

قال تعالى:

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(النحل/ ٤٣)

ومن هنا تأتي ضرورة تدخل فقهاء الشريعة، وعلماء الطب لرسم الحدود التي لا يجوز للطب تجاوزها.

إن رسالة الإسلام خطاب للإنسان المتكامل السليم النفس والروح والجسد، تهدف فى جملتها إلى بنائه بناء وجدانيا وعقلانيا وبدنيا على أحسن ما يكون البناء.

قال تعالى:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾

(التين/ ٤)

ومن أجل ذلك شرع الإسلام من النظم والتشريعات ما يكفل رعاية وحماية هذا الصرح الإلهى وصيانته عن العبث والضياع، فوضع الإسلام منظومة ثلاثية تكفل الحياة الكريمة للإنسان تشتمل على الوسائل الوقائية ثم الوسائل العلاجية، ثم الطرق العقابية.

وتتمثل الوسائل الوقائية فى الإسلام فى تحريم كل ما يضر بصحة الإنسان.

فنهى عن الإسراف فى المباحات حتى ولو كان فى الطعام والشراب لما فى ذلك من إضرار بالصحة العامة.

قال تعالى:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

(الأعراف/ ٣١)

وقال ﷺ: «ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه».

وقد ورد فى الحكم.. درهم وقاية خير من قنطار من علاج، وقال الحارث بن كلدة طبيب العرب.. الذى قتل البرية وأهلك السباع فى البرية: إدخال الطعام على الطعام.

وأنشد الإمام الشافعى:

ثلاث هن مهلكة الأنام
وداعية السليم إلى السقام
دوام مدامة ودوام وطء
وإدخال الطعام على الطعام

إن التوجيه الإسلامى يعمل على حفظ صحة الأبدان وقوة العافية حتى يظل الإنسان قويا وينطلق فى المجتمع بهمة لأداء الواجبات التى كلفه بها الإسلام.

والإسلام فى سبيل الحفاظ على صحة الإنسان حرم عليه كل ما يضر بصحته من الطعام ليبقى الإنسان على نضارته يتمتع بعافيته ووجاهته

قال تعالى:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾

(المائدة ٣)

وقال تعالى:

﴿ قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(الأنعام ١٤٥)

كذلك حرم الإسلام كل ما يضر بصحة الإنسان من المشروبات التى تكون سببا فى ضعف الصحة وحجب العقل وطمس القيم الأخلاقية العالية.

قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾

(المائدة ٩١)

وقد نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر..

ومن الوسائل الوقائية فى الإسلام أيضا أن رغب فى إشباع الغرائز فى إطار المودة والرحمة فقال تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(الروم ٢١)

وهو- فى سبيل الحفاظ على قيم النظافة والنقاء فى المجتمع- جرم كل أنواع الفواحش فقال تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾

(الأعراف ٣٣)

وقال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(النور ١٩)

وقد خطت السنة النبوية خطوة أخرى مبرهنة على خطورة وضرر هذه الانحرافات بقول رسول الله ﷺ : «يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيها الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت على أسلافهم الذين مضوا..».

تلك كانت مقدمة لابد منها للتوعية بأسباب المرض والعمل على تجنب الإصابة به.. فإذا ما أصيب الإنسان بالمرض رسم الإسلام الوسائل العلاجية فأمر ابتداء بالتداوى، فقال ﷺ : «.. نعم يا عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء أو قال دواء إلا داء واحدا قالوا : يا رسول الله وما هو قال : الهرم»[١].

فالتداوى إذن مطلوب بأمر الشريعة وإبراء الجسد من العلل والأسقام مقصود للشارع، حتى يكون الإنسان فى تناسق وتكامل مع الآخرين.

وأهاب الإسلام بالمسلم أن يقدر قيمة الصحة ويضعها فى الموضع الصحيح.. وهو ما يظهر من قوله ﷺ : «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ».

وقوله ﷺ : «سلوا الله المعفاة أو قال العافية فلم يؤت أحد قط بعد اليقين أفضل من العافية أو المعافاة..».

ومفاد ذلك أن الإسلام يريد المسلم القوى وفى الوقت نفسه لا يقف من المريض موقف السلبية أو اللامبالاة أو الإدانة بل يقف منه موقف الإيجابية والتوجيه السديد وإصلاحه وإعادة تكييفه وتقويمه فى المجتمع.. بل إنه يشرع الوسائل الموصلة لذلك الإصلاح، لأنه غاية من غاياته.

فوضع من الوسائل التى تحمى الإنسان من الأمراض المعدية، فأمر بعزل الناس عن مصدر المرض فقال ﷺ : «.. لا يورد ممرض على مصح..».

وقال عليه الصلاة والسلام : «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا».

ما أروع تعاليم الإسلام إذ يراعى مصلحة الكل فى مقابل الفرد.. وفى ذات الوقت يكافىء الفرد بالشهادة، قال ﷺ عندما سألته السيدة عائشة عن الطاعون فقال : «إنه عذاب يبعثه الله على من يشاء وأن الله جعله رحمة للمؤمنين ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث فى بلده صابرا محتسبا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد».

إن المستقرىء للإسلام والتراث الإسلامى يلحظ بوضوح أن الله شرف مهنة الطب.. ووصف هديه القرآنى بأنه شفاء لما فى الصدور، لأنه علاج للأرواح، ولما كان القائم على هذه المهنة هو الطبيب الذى يشخص الداء ويصف العلاج فقد استحق شرف انتسابه لها. حيث أوكل له الحفاظ على صحة الإنسان ورعايته بالوقاية والعلاج، مما زاد من عظم واجباته ومسئولياته.

ومن باب التعاون الصادق أقدم بعض القواعد الفقهية ذات الصلة بمهنة الطب وأحكام التداوى.

أولا: قواعد المصلحة

(١) الأصل فى المنافع الإباحة : وهذه القاعدة تجعل كل ما فيه نفع للناس مباحا ما لم يرد فيه نص بتحريمه، أو يكون قياسا على محرم. وينطبق ذلك على وسائل العلاج.

(٢) الأصل فى المضار التحريم : وهذه القاعدة تحرم أى إجراء علاجى يكون الضرر فيه خالصاً، أو هو الغالب الراجح، ولا عبرة بالنفع الضئيل المؤقت فى جانب الضرر الغالب الدائم.

ثانيا قواعد تجنب الضرر

(١) لا ضرر ولا ضرار، والضرر : هو حصول الأذى ابتداء، والضرار : حصوله على سبيل رد الفعل.

(٢) الضرر يدفع بقدر الإمكان : وهذا أساس كافة إجراءات الطب الوقائى.

(٣) الضرر يزال : وهذه القاعدة هى أساس العلاج والتأهيل فلا يجوز ترك المرض بلا علاج أو ترك العاهة بلا تأهيل.

(٤) الضرر لايزال بمثله : فإذا كانت مضاعفات الإجراء العلاجى تؤدى إلى حالة مساوية للحالة قبل العلاج فلا داعى للعلاج.

(٥) الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف : إذا كانت المضاعفات الناتجة عن العلاج أقل خطورة من حالة المريض قبل العلاج يكون العمل الطبى مباحا فلا يجوز أن تكون أضرار العلاج أكثر خطرا

(١) قال أبوعيسى: وفي الباب عن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي خزامة عن أبيه وابن عباس، وهذا حديث حسن صحيح.

من المرض نفسه وعندئذ فالعلاج لا مبرر له.

(٦) يتحمل الضرر الخاص لرفع الضرر العام: وهذه القاعدة تطبق فى حالة الأمراض الانتقالية، بحيث تبيح الحجر على حركة مريض إذا كان فيه خطر على الآخرين، ويمكن تطبيقها فى الجسد الواحد لاستئصال عضو إذا كان تركه سيضر بباقى أجزاء الجسم.

(٧) درء المفاسد مقدم على جلب المصالح: فما أمكن علاجه بالغذاء لا يعالج بالدواء.. وما يعالج بالدواء لا يعالج بالجراحة، وما يمكن فيه الجراحة لا يجوز فيه البتر. ومن هذه القاعدة يمكن التوسع فى الاستفادة بوسائل العلاج الطبيعى والنباتات الطبية إذا كانت أقل ضررا من المواد الكيماوية المصنعة.

(٨) عندما تكون المشقة يتدخل الشرع بالتيسير، قال تعالى:

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾

(البقرة ١٨٥)

وقال تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

(الحج ٧٨)

(٩) الضرورات تبيح المحظورات: وهذه القاعدة تبيح علاج الرجل للمرأة وبالعكس.

(١٠) الحاجة تنزل منزل الضرورة عامة أو خاصة فيباح نقل عضو من جسد الميت إذا كان ضروريا لحياة إنسان آخر بالشروط الشرعية.

(١١) الضرورات تقدر بقدرها: فلا يجوز التوسع فى رخصة إلا فى حدود حجم الضرورة. فإذا لم تكن العملية الجراحية ضرورية لتحقيق درجة كافية من المصلحة وخاصة عمليات التجميل فلا ضرورة لها فما يباح لفتاة صغيرة قد لا يباح لرجل مسن، كما أن الأعضاء الزائدة وما إليها إذا كانت تسبب لصاحبها ألما سواء كان بدنيا أو نفسيا جاز للطبيب أن يستأصلها.

(١٢) ما جاز لعذر بطل بزواله: فإذا توافرت الطبيبة فيفضل أن تعالج هى النساء.

(١٣) لا يجوز لأحد أن يتصرف فى ملك الغير بلا إذن: وجسم الإنسان ملك لله- تعالى- وبذلك لا يجوز التبرع بعضو من جسم الإنسان الحى إذا أدى ذلك إلى هلاكه أو إلحاق ضرر به لا يستطيع معه ممارسة حياته الطبيعية، كما لا يجوز إجراء التجارب على جسد الإنسان الحى إذا كان فى ذلك ضرر عليه حتى ولو وافق هو على ذلك.

(١٤) الجواز الشرعى ينافى الضمان: فإذا حدث للمريض ضرر بدون تقصير أو تعد من الطبيب المؤهل للعلاج فإن الطبيب لا يكون ضامنا. أى لا تقع عليه مسئولية جزائية.

(١٥) قتل المريض الميئوس من شفائه ليس قرارا متاحا من الناحية الشرعية للطبيب أو لأسرة المريض أو للمريض نفسه، ولا عبرة بقول القائلين بأن ذلك من قبيل الرحمة.

(١٦) لا يجوز قتل المريض الذى يخشى

انتقال مرضه إلى غيره بالعدوى، حتى ولو كان ميئوسا من شفائه (كمرض الإيدز مثلا) فلا يجوز قتله لمنع ضرره، بل يجب المحافظة عليه كآدمى يقدم له كل ما يطلب من الغذاء والدواء.

(١٧) يجوز إيقاف أجهزة الإنعاش الاصطناعى عن المريض الذى يعتبر فى نظر الطب (ميتا أو فى حكم الميت) إذا كانت هذه الأجهزة تبقى على هذه الحياة الظاهرية- المتمثلة فى التنفس والدورة الدموية، لأن بقاء المريض على هذه الحالة يتكلف نفقات كثيرة دون طائل ويحجز أجهزة قد يحتاج إليها غيره ممن يجدى معه العلاج.

(١٨) من تطبب ولم يكن بالطب معروفا، أو كان المرض خارج اختصاصه، أو أهمل فى عمله أو أخطأ عن قصد وسوء نية فأصاب نفسا فما دونها فهو متعد ومسئول مدنيا وجنائيا.

(١٩) لا يجوز إخبار المريض بخطورة مرضه لما يتركه من أثر نفسى سيىء لدى المريض، ولذلك لما عاد أحد الناس أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز وسأله عن علته فأخبره بها فقال: إن من هذا المرض مات فلان ومات فلان فقال له أمير المؤمنين: إذا عدت المرضى فلا تنع إليهم الموتى، وإذا خرجت عنا فلا تعد إلينا.

ويجوز إعلام أهله بذلك لما فيه من المصلحة وينبه عليهم بعدم إخبار المريض بذلك.

ومن حفاظ الإسلام على مشاعر المريض أن حث على عيادته، لأن عيادته قد تكون أجدى فى علاجه من دواء الطبيب لما يستشعره المريض من أهميته وحب الناس له وحرصهم على سلامته، وقد أورد البخارى فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس».

وختاما

أقدم بعض الأمنيات التى أتمنى على الله تحقيقا:

(١) الدعوة إلى وضع استراتيجية إسلامية تنطلق من النظرة الشمولية لصحة الإنسان وتقوم على نمط الحياة الإسلامية.

(٢) كما أتمنى على كليات الطب إعداد الطبيب إعدادا إنسانيا إسلاميا وعدم الاكتفاء بالمادة العلمية المجردة.

(٣) البحث عن الأسباب الكامنة وراء انتشار أوبئة العصر كالفشل الكلوى والكبدى والإيدز، وأهيب بكم من إنقاذ الشعب المصرى من هذا الوباء بتحديد أسبابه والعمل على علاجه.

***

﴿ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾

الطفولة فى الإسلام

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

من الطبيعى جدا أن يبدء الباحث فى هذا الصدد أول ما يبدهه حديث القرآن الكريم عن الطفولة.. وللقرآن فى حديثه عن الطفولة منهج رائع واتجاه جليل، فإنه لايحصر الحديث عنها فى دائرة الوصايا الحانية، أو التوجيه الحادب، أو التوعية الدينية الهادفة فحسب، ولكنه يدير الحديث عنها فى مجالات متعددة كثيرة.. تتفرع وتتناسح حتى لا تحسب أن بينها رابطا من سبب أو ضابطا من وحدة الإيقاع ثم تلتقى فجأة وتتشابك، حتى لنحسب أنها منذ البدء كانت تسعى إلى هذا التشابك، وهذا الالتقاء..

ففى مجال التدليل الوامض على قدرة الله، وعلى ابداعه الخلاق، يقول القرآن:

﴿ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا﴾

[الحج/ ٥]

وفى مجال التذكير بشمول العناية وإحاطة القدرة يقول:

﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم (٦) الذي خلقك فسواك فعدلك (٧) في أي صورة ما شاء ركبك﴾

[الانفطار/ ٦: ٨]

وفى مجال الاستنفار والحض على الجهاد يقول:

﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾

[النساء/ ٧٥]

وحين تتعرض الطفولة للون من ألوان العدوانية أو

شكل من شكول الافتيات يدمدم القرآن:

﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم﴾

[الأنعام/ ١٥١]

﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم﴾

[الإسراء/ ٣١]

﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم﴾

[الأنعام/ ١٤٠]

أسس عامة

وحين يريد القرآن أن يضع أسسا عامة لقبول الجماهير فى دين الله، يجعل من صيانة الطفولة أساسا من هذه الأسس.

﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم﴾

[الممتحنة/ ١٢]

وحين يقسم الله يقسم بالطفولة وياله من قسم

﴿لا أقسم بهذا البلد (١) وأنت حل بهذا البلد (٢) ووالد وما ولد (٣) لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾

[البلد ١: ٤]

وحين يمن الله على أنبيائه ورسله ويريد أن يذكره بنعمه السابغة عليهم يقول:

﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية﴾

[الرعد/ ٣٨]

وحين تتعالى أكف البشر فى ضراعة إلى الله يقولون:

﴿ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾

[الفرقان/ ٧٤]

حتى الأنبياء حين يضرعون مثل ذلك:

﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء﴾

[إبراهيم/ ٤٠]

﴿هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾

[آل عمران/ ٣٨]

وحين يقرر القرآن أن هول الآخرة سيفصم حتى عرى الحب بين الوالد وما ولد.. لايريد بذلك أن يقول: إن ذلك شىء طبيعى ولكنه يريد أن يقول: حتى العلاقات التى لاتتعرض للوهن وحتى حوافز الافتداء المتأهبة من كلا الجانبين.. الابن وابيه لن تقف على قدميها برغم أصالتها فى هذا الهجير إنه بذلك يعطى العلاقة الأبوية صلابة وأصالة وصمودا..

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾

[لقمان / ٣٣]

ولو أنه قال - مثلا - لا يجزى صديق عن صديقه أو أخ عن أخيه لكان ذلك شيئا فى مستوى العادة المألوف.. إلا أنه إراد أن يضخم الصورة، فاختار لها ما نستطيع أن نسميه اليوم «معادلاً موضوعيا» من انفصام العلاقة الواطدة بين الآباء والأبناء.. ولا ينسى القرآن أن يضمن للطفولة ما به تنهض فى طورها الأول:

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

[البقرة / ٢٣٣]

وحين يعمد القرآن إلى استدرار الرحمة فى القلوب المتحجرة يقول:

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾

[النساء / ٩]

وحين يذكر القرآن أتباعه بآلاء الله عليهم يقول:

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾

[النحل / ٧٢]

وحين يبشر الله نبيه زكريا يقول:

﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾

[مريم / ٧]

وصايا القرآن باليتيم

وهل ننسى وصايا القرآن المجلجلة باليتيم الضائع الذى لايجد صدرا دافئا يأوى إليه؟ إنه تذكر نبيه.. ويذكر فيه أجيال المسلمين بهذه الحقيقة:

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾

[الضحى / ٦ : ١١]

وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم فى تصويره الرائع الماتع العذب لأمومات الأنبياء الثلاثة إسماعيل.. وموسى.. والمسيح نستطيع كذلك هنا أن نعاود النظر إلى هذه الآيات.. لنستشف من ورائها سماوات الحنان التى أنقذت الطفل «إسماعيل» من مخالب الضياع.. وسواعد القدرة التى انتشلت الطفل «موسى» من براثن الموج المتضرب الهدار وأنامل الرحمة التى كفكفت «دموع الطفل المسيح» فى محنته الضارية العقيم! حتى إذا انتهينا إلى هذه الغاية آمنا معا بأن الحديث القرآنى عن الطفولة فى مجالاتها المتعددة لا يتشعب إلا ليلتقى، ولا يتفرع إلا لكى يتعانق فى صداقة وألاقة وانسجام.

وحين نودع القرآن - غير مودعين - نستقبل رحائب النبوة الغراء لكى نقف على مدى اهتمامات النبى بهذه الطفولة لكى نعانق الطفل اليتيم.. النبى محمد فنتحسس عن كثب خوالج نفسه الشاعرة وعواطف قلبه الكبير.

لون فريد

والنبى الذى نشأ مثل نشأة النبى محمد ﷺ لا يستطيع إلا أن يتحول بكل ذرات كيانه إلى الطفولة، لا يستطيع إلا أن يستحيل قلبه الكبير إلى غدير كبير تستحم فى بهائه وأضوائه القلوب الغضة الطرية، والنفوس الشاردة الضائعة الحزينة.

وطفولة محمد ﷺ كانت من لون فريد لم تسرق خطواته الدروب المعتمة ولم تختلب قلبه اللذاذات الصغيرة، وإنما ظل فى طفولته طفلاً ورجلا إلى أن بلغ مبلغ الرجال ألا تصدقون؟ فانظروا إذن إلى محمد ﷺ فى طفولته.. وهو يأتى من بعيد.. بعيد ليجلس على فراش جده عبدالمطلب بينما ينطلق حوله الرجال والأطفال جميعا لا يستطيعون منه اقترابا وينهره أحد أعمامه قائلا: هلم إلى هنا يامحمد فاجلس مجلس الأطفال ولكن الطفل لايزيد على أن يرمق عمه بنظرات عاتبة وصامتة ويتأبى فتحضنه نظرات رائعة من جده الشيخ ويقول: دعوا ابنى وما يريد فوالله إن له لشأنا..

وانظروا هناك.. هذا هو محمد ينحاز إلى زاوية من زوايا الطريق وهاهم صبية من أترابه يأتونه عدوا، وهاهم يقولون له:

هلم يا محمد، لنمرح الليلة فى عرس فلان، ألا ترونه يتبسم ابتسامة وامضة ويقول: «لا لم أخلق لهذا؟»

إن محمد ينبىء عن رجل المستقبل.. ورائد الغد لا مراء.

وكأنما كان محمد ﷺ فى كل أحاديثه وأفعاله يريد أن ينشىء جيلا من الطفولة الغضة على مثل هذا الخلق حتى تحمل فى غد رسالة الدين وألوية الإسلام العظيم.

إنه كان يغمر الأطفال فى بحر من حنانه وحبه، وكان لايدع مجالا من مجالات التوجيه إلا وحاول أن يلفت فيه إلى خطورة التبعة فى قيادة هذه الجموع.

وقف مرة يخطب الناس فى المسجد

وأقبل الحسن والحسين من بعيد يجريان ويعثران فقطع حديثه المتتابع، ونزل فاستقبل الطفلين وحملهما على ذراعيه، ثم صعد المنبر ثانية وقال: «أيها الناس.. صدق الله العظيم:

﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ ﴾

[التغابن/ ١٥]

والله لقد رأيت ابنى يجريان ويعثران، فما أطقت حتى نزلت فحملتهما»(١).. وكان يصلى ذات يوم، فأقبل الحسنان فارتحلا ظهره وهو ساجد، فأطال السجود ثم أطال وحين سلم سأله أصحابه: لقد اطلت السجود يارسول الله!! قال: لقد ارتحلنى ابناى فكرهت أن اعجلهما»(٢).

وحين كانت تقترب الصلاة ينادى بلالا فيقول: أرحنا بها يابلال.. ولكنه حين يسمع بكاء طفل يعجل فى صلاته.. ويقول إنى أكره أن أشق على أمه.

وحين يولد الحسن والحسين.. يدخل على أمهما فيقول: «ما سميتم ابنى؟ فتقول مرة سميناه صخرا.. فيقول: لا بل حسن.. وتقول مرة أخرى سميناه حربا، فيقول لا: بل حسين»(٣).

الوليد صفحة بيضاء

وكثيرا ما كان يجلجل بكلماته: «كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» ربما لأنه يريد أن يعمق فى الأخلاد أن الوليد صفحة بيضاء.. ومن واجبنا حياله أن نرعى طفولته.. وأن نؤكد براءته وأن نحسن توجيهه وتسديده، أليس يقول: «لأن يؤدب الرجل ولده، خير له من أن يتصدق كل يوم بصاع على المساكين»(٤).

وحين كانت تطوف بخياله صورة اليتيم فى ضياعه، وغربته كان يهتف: «أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين؟ ويشير بأصبعه السبابة والوسطى»(٥).

ولا ينسى الرسول ﷺ أن يلفت إلى هذا الكائن البشرى الضعيف.. فى قمة ضعفه إلى الأنثى فيقول: «من رزقه الله بثلاث بنات فأحسن تربيتهن أدخله الله الجنة. قالوا: واثنتين يارسول الله؟ قال: واثنتين. قالوا: وواحدة؟ قال: وواحدة»!

وحين دخل على عائشة وعندها امرأة قسمت تمرة أعطتها إياها عائشة بين ابنتيها قال «من ابتلى منكن من هؤلاء البنات بشىء فأحسن تربيتهن، كن له سترا من النار»(٦).

(١) مسند الإمام أحمد ٥/ ٣٥٤.
(٢) المطالب العالية ٤/ ٧٢.
(٣) الحاكم فى المستدرك ٣/ ١٦٨.
(٤) الترمذى (١٩٥١).
(٥) البخارى ٧/٦٨، ٨/١٠.
(٦) أخرجه احمد ٦/ ٨٨، ١٦٦، ٢٣٤.

الرحمة للزانية

ويتجلى حرصه الرائع على مبدأ الانجاب حين سأله رجل، إنى أحب المرأة ذات حسن وجمال وحسب ونسب، ومنصب ومال، إلا أنها لا تلد أفأتزوجها؟ قال له: لا.. ثلاث مرات.. ثم قال له فى الرابعة: تزوجوا الولود فإنى مكاثر بكم الأمم»(٧).

ويخطط النبى العلاقة بين الوالد وولده.. فيقول: «من حق الولد على أبيه ثلاثة أشياء أن يحسن اسمه إذا ولد، ويعلمه الكتاب إذا عقل، ويزوجه إذا أدرك»(٨).

وهل هناك رحمة أنبغ من رحمة الرسول ﷺ حين يرد تلك المرأة الزانية التى جاءت تستجدى أن يقيم عليها الحد لتتطهر.. وهى لما تزل تحمل فى بطنها ثمرة جريمتها فيقول لها: «اذهبى حتى تضعى»، وحين تجيئه والطفل على كتفها لما يزل طريا يقول لها: «اذهبى حتى تفطميه» ثم تجيئه والطفل فى يدها يأكل كسرة من خبز فيقول: «الآن وجب الحد»!(٩) أرأيتم كيف يرحم حتى الزانية من أجل هذا البرىء الطالع.. الذى من حقه ألا يعانق فى فجره ظلام الحياة؟؟!!

وحين يعقد النبى مقارنة بين أنماط النساء يقول: «نساء قريش خير نساء ركبن الإبل أحنا على طفل فى صغره، وأرعاه على زوج فى ذات يده»(١٠).

وحين يخطط للطفولة ضامنا لها الكسوة، والنفقة، والطعام والتهذيب يقول: «كفى المرء إثما أن يضيع من يقوت»(١١). وأفضل دينار ينفقه الرجل.. دينار ينفقه على عياله ودينار ينفقه على أصحابه فى سبيل الله.. قال أبوقلابة: بدأ بالعيال فأى رجل أعظم أجرا من رجل ينفق على صغار يعفهم الله به ويغنيهم».

هذا قليل من كثير، مما انبجست عنه عبقرية النبى ﷺ فى هذا الصدد، ولسنا هنا فى مقام الرصد المستقصى الذى لايخطىء حادثة أونصا، وإنما حسبنا ما أسلفنا من نصوص، لننفذ من حناياها إلى هذا العالم الإنسانى المحمدى الذى يخلع أزهار الوجود وزهراته رداء العبير.. فإذا الحياة بهم وبهن جنة خضراء.. وإذا أغاريدهم.. وأغاريدهن أناشيد عذاب.. تأكل أبعاد الظلام المطرق الصامت المخنوق!

***

(٧) البيهقى فى السنن الكبرى ٧/ ٨٠، ٨١.
(٨) القرطبى ١٨/ ١٩٥.
(٩) موطا مالك (٨٢١).
(١٠) البخارى ٤/ ٢١٠.
(١١) أبو داود (١٦٩٢).

نحو اقتصاد إسلامى صحيح

للأستاذ الدكتور
أحمد عمر هاشم

إن اقتصاد كل أمة هو عصب حياتها فمن خلاله تستطيع أن تنهض بالتنمية الصناعية والتجارية والعلمية وسائر مجالات التقدم الحضارى ومن خلال الاقتصاد القوى يمكن أن تكوّن الأمة لنفسها قوة ردع لأعدائها وتحفظ هيبتها وتصون كرامتها، وتحمى أرضها من الغزاة والمستعمرين ولا يكون بناء الاقتصاد القوى إلا من خلال ممارسات مخلصة وأمينة تقوم على أسس من أهمها :

الأول : الإيمان الذى يتيح عقيدة اقتصادية صحيحة.

الثانى : العمل ومضاعفة الإنتاج.

الثالث : المعاملات القائمة على أسس علمية وتعاليم الإسلام.

الأساس الأول
الإيمان.. والعقيدة الاقتصادية

إن الإيمان بالله ـ تعالى ـ هو التصديق بالقلب الذى يتفق معه النطق باللسان والعمل بالأركان، وفيه يتم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وفى مناخ الإيمان الصحيح تتولد عقيدة اقتصادية نابعة من العقيدة الأم التى يؤمن الناس بفرضها بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً.

فتشرق من روح الإيمان الذى لا يتحقق إلا بالأمانة كما وجهنا إلى هذا الرسول ﷺ حيث رتب الإيمان على الأمانة وجعلها أبرز خصائص الإيمان فقال عليه الصلاة والسلام : «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له» رواه أبو داود.

وقال الله ـ تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾

سورة النساء (٥٨)

وفى تأكيد الإسلام على عنصر الأمانة أساساً للمعاملات..

يوجه الرسول ﷺ المسلمين أن يحرصوا عليها، وأن يؤدوا الأمانة إلى من ائتمنهم، وألا يخونوا من خانهم. ومما لاشك فيه أن الإيمان الحق حين يوجد لا يكون غش فى المعاملة بل تكون الأمانة فى سائر المعاملات لأن الغش يتنافى مع الإيمان، ونفى الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن يكون الذى غش المسلمين منهم، بل إنه عندما غشهم خرج من حظيرة الإيمان فقال عليه الصلاة والسلام : «من غشنا فليس منا» رواه الترمذى.

ونلاحظ أن العقيدة الاقتصادية التى يؤمن فيها الإنسان بأن الله ـ تعالى ـ هو مالك الملك ويؤمن فيها بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، فيتأكد لديه أن المالك الحقيقى للمال وللعقار وللملك كله هو الله ـ تعالى ـ وأن الرزق بيده وحده سبحانه فلا يضل فى معاملاته ولا يبخس الناس أشياءهم، ولا يغش ولا يكذب ولا يتعامل بالربا، بل يكون صادقاً فى معاملته، واثقاً بأن الرزق من عند الله وأن المال مال الله، ولذا يقول سبحانه :

﴿ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾

(النور / ٣٣)

فأضاف المال إلى نفسه ـ سبحانه وتعالى ـ حتى يتعرف الخلق على حقيقة صلتهم بالمال وحتى لا يغتر أحد بما يملك وحتى يعلم أنه مستخلف عن الله فيه ليؤدى حق الله وما شرعه فوضح أن العباد مستخلفون فيه فقال سبحانه وتعالى :

﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾

(الحديد / ٧)

وفى ظل العقيدة الاقتصادية النابعة من العقيدة الأم التى يؤمن العباد فيها بالله ربا وبالإسلام دينا وبسيدنا محمد ﷺ نبيا ورسولا، فى ظل هذه العقيدة يتجه الإنسان فى كسبه للمال من الوجوه المشروعة، لأنه على يقين بأنه سيسأل عن هذا المال أمام رب العباد ـ سبحانه وتعالى ـ من أين اكتسبه وفيم أنفقه.

وفى ظل هذه العقيدة أيضا لا يتعامل فى المعاملات المحرمة ولا ما فيها شبهة بل يتجه نشاط الإنسان المسلم إلى كل ما هو حلال ومباح.

وكما نفى الرسول ﷺ الإيمان عمن لا أمانة له وعمن غش المسلمين، فقد نفى الإيمان أيضا عمن بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم، عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم» رواه البزار والطبرانى.

الأساس الثانى
العمل ومضاعفة الإنتاج

الأساس الثانى لبناء الاقتصاد الإسلامى هو العمل ومضاعفة الإنتاج، وإتقانه والإخلاص فيه، بحيث لا يركن أحد إلى ما عنده من مال، أو أنه ليس فى حاجة إلى العمل، بل عليه أن يقوم بالعمل وأن يضاعف الإنتاج لأن نظرية العمل فى الإسلام تختلف عنها فى أى فكر آخر، فالعمل فى الإسلام نوع من أنواع العبادة، وواجب كل قادر على العمل أن يعمل حتى وإن كان غنيا وغير محتاج إلى العمل، إن عليه أن يعمل لينفع مجتمعه وليكون عضوا نافعا فيه وليسهم فى عمارة الحياة وازدهار الاقتصاد الإسلامى حتى لا يتعطل.

الأساس الثالث
المعاملات القائمة على التعاليم الإسلامية

التجارة: شرع الإسلام التجارة لسد حاجات الناس، وتبادل المنافع فيما بينهم، عن طريق البيع والشراء، وجعل الإسلام ذلك من أطيب أنواع الكسب، عن رافع بن خديج أنه قيل: يارسول الله أى الكسب أطيب؟ قال: «عمل المرء بيده وكل بيع مبرور»(1).

وعلى من يزاول العمل التجارى أن يتعرف على أحكام المعاملة فى التجارة حتى لا يقع فى المحظور ويرتكب المحرم دون أن يدرى، وحتى يأمن على نفسه من الوقوع فى الحرام أو ما فيه شبهة، وقد روى أن سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - كان يطوف بالسوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول: «لا يبيع فى سوقنا إلا من يفقه، وإلا أكل الربا شاء أم أبى».

وقد شرع الله - تعالى - البيع والشراء، والعمل التجارى لسد حاجات الناس والتوسعة عليهم، وبين الله - تعالى - حلَّ البيع وتحريم الربا فى قوله سبحانه:

﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾

(البقرة/ ٢٧٥)

وصان الإسلام العمل التجارى من تعدى أحد الناس على آخر فجاء النهى عن البيع على بيع الغير، عن ابن عمر - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «لا يبيع أحدكم على بيع أخيه»(2).

واشترط الإسلام فى الأعمال التجارية التراضى ونهى عن الإكراه، قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾

(النساء/ ٢٩)

وقال ﷺ: «إنما البيع عن تراض» ووجه الإسلام فى البيع إيفاء الحق فى الكيل والميزان وفى غير ذلك من الأمور. قال تعالى:

﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ﴾

(الأنعام/ ١٥٢)

ووجه الإسلام إلى السماحة فى البيع والشراء وطلب الحق، عن جابر - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ. قال: «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى»(3).

ونهى الإسلام عن بيع الغرر وهو كل بيع فيه جهالة ومخاطرة.

ومن أكثر الأمور المنهى عنها شيوعاً فى الأعمال التجارية بين كثير من الناس ما يقومون به لترويج سلعهم أو محاولة بيعها بسعر مرتفع عن طريق تأكيد غلاء ثمنها بالحلف وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك فى قوله: «الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة»(4). وسمى رسول الله ﷺ الذين يحلفون ويكذبون بالفجار حيث قال: «إن التجار هم الفجار، فقيل: يارسول الله أليس قد أحل الله

(1) رواه أحمد والبزار والطبرانى.
(2) رواه أحمد والنسائى.
(3) رواه البخارى والترمذى.
(4) رواه البخارى.

البيع؟ قال: نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون»(5).

وهكذا يكون منزلق العمل التجارى حين يكذب صاحبه فى يمينه وحديثه وعن ابن مسعود - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «من حلف على مال امرئ بغير حقه لقى الله وهو عليه غضبان»(6) قال: ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله عز وجل:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(آل عمران/ ٧٧)

وهكذا يصون الإسلام العمل التجارى، ويدعو للمحافظة على حقوق الناس وأموالهم، وعدم التغرير بهم أو الكذب عليهم وإن كان هذا فى شىء يسير، عن أبى أمامة إياس بن ثعلبة الحارثى - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة، فقال له رجل: وإن كان شيئا يسيرا يارسول الله؟ قال: «وإن كان قضيباً من أراك»(7).

تحريم الاحتكار

حرم الإسلام احتكار الأشياء بحبسها حتى تقل فى الأسواق ويرتفع سعرها، عن معمر أن النبى ﷺ قال: «من احتكر فهو خاطئ»(8).

وحذر الإسلام من الاحتكار لما فيه من الإضرار بالمسلمين فى أقواتهم وأمورهم الضرورية ولما فيه من الجشع والطمع ولما يترتب عليه من التضييق على العباد. قال ﷺ: «من احتكر الطعام أربعين ليلة فقد برئ من الله وبرئ الله منه»(9).

التسعير

وقد دعا الإسلام إلى السماحة فى البيع والشراء وحرم الاحتكار والإضرار بالناس. وفى الوقت نفسه فكما راعى الشارع حاجة المشترى راعى أيضاً حاجة البائع ومنفعته فجاء النهى عن التسعير حتى لا يكون ظلما على البائع.

وهناك حكمة أخرى وهى أن التسعير قد يؤدى إلى اختفاء السلع وهذا يؤدى إلى ارتفاع الأسعار وفى هذا إضرار بالفقراء والمحتاجين فلا يستطيعون الشراء بسعر مرتفع، عن أنس - رضى الله عنه - قال: قال الناس: يارسول الله غلا السعر فسعِّر لنا. فقال رسول الله ﷺ: «إن الله هو المسعِّر القابض الباسط الرازق وإنى لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبنى بمظلمة فى دم ولا مال» رواه أبوداود والترمذى وغيرهما.

ومن هذا فقد رخص الشارع عند الحاجة إلى التسعير فإذا غالى التجار وزادوا فى الأسعار زيادة فاحشة تضر بالأسواق وجب على أولى الأمر أن يتدخلوا وأن يحددوا الأسعار للحفاظ على حقوق الناس ولمنع الظلم والاحتكار، فأجازه الإمام مالك وبعض الشافعية عند حدوث غلاء الأسعار.

(5) رواه أحمد.
(6) رواه البخارى ومسلم.
(7) رواه مسلم.
(8) رواه مسلم وابوداود والترمذى.
(9) رواه أحمد والحاكم.

الحسبة فى النظام القضائى الحديث

للمستشار/ حسن حسن منصور
نائب رئيس محكمة النقض

كثيراً ما تتردد على ألسنة العامة والخاصة، من حين لآخر، كلمات الحسبة، والنيابة الحسبية، والمحكمة الحسبية، أو المجلس الحسبى، وربما كانت معانيها غير واضحة الدلالة، فى أذهان البعض منهم، الأمر الذى استوجب علينا تجلية هذه المعانى، والوقوف على حقيقتها، وبيان موقف النظام القضائى الحديث، من استعمال الحق فى الحسبة، باعتبارها نظام إسلامى أصيل، معمول به منذ بداية التشريع الإسلامى وحتى الآن، وهذا يقتضى منا استعراض النقاط الآتية:

أولا: تعريف الحسبة والاحتساب

فى اللغة الحسبة (بكسر الحاء) هى: من الاحتساب، بمعنى ادخار الأجر، فيقال: فلان فعل الأمر حسبة، أى مدخراً أجره عند الله ـ تعالى ـ وبمعنى حسن التدبير والنظر فيه، يقال فلان حسن الحسبة فى الأمر، أى يحسن تدبيره والنظر فيه.

وفى الاصطلاح الحسبة هى: منصب كان يتولاه فى الدول الإسلامية رئيس يشرف على الشئون العامة، من مراقبة الأسعار ومراعاة الآداب، يسمى المحتسب، ثم تطور الأمر فأصبح يسمى صاحب الشرطة.

وعلم الاحتساب هو: العلم الذى يبحث فى الأمور الجارية بين أهل البلد من معاملاتهم التى لا يتم التمدن بدونها، من حيث إجرائها على قانون العدل، بما يحقق سياسة العباد بنهى عن منكر وأمر بالمعروف، بحيث لا يؤدى إلى مشاجرات وتفاخر بينهم، بحسب ما يراه ولى الأمر من الزجر والمنع. وفى العصر الحديث صارت الحسبة والاحتساب من مصطلحات القانون الإدارى[1].

(1) معالم القربة فى أحكام الحسبة ـ محمد أحمد القرشى ـ ص٢٢ وما بعدها.

ثانياً: طبيعة نظام الحسبة

يقرر الفقهاء أن الحسبة نظام إسلامى أصيل، من شأنه الإشراف على المرافق العامة، والذى يقوم به هو المحتسب، ومنصبه دينى يتصل بالقضاء، وإن لم يكن قضائياً بحتاً، وهو يقوم على فكرة دينية محضة، وهى فكرة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. ولهذا يرى الإمام ابن القيم أن الحسبة تدخل فى عموم الولايات العامة فى الإسلام وكولاية القضاء والمظالم وغيرهما، لأن مدار هذه الولايات كلها، على الصدق فى الإخبار، والعدل فى الإنشاء، وهما قرينان فى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ[2]، كما فى قوله تعالى:

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾

(الأنعام/ ١١٥)

والحسبة من فروض الكفاية، التى إذا قام بها البعض سقطت عن الكل، وإذا تركها كل المسلمين أثموا جميعاً، وتكون فرض عين على كل مسلم قادر عليها، لأن مناط الوجوب، كما يقرر الفقهاء هو القدرة، فيجب على القادر ما لا يجب على العاجز، لقوله تعالى:

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾

(التغابن/ ١٦)

وعلى مر العصور اتسع مدلول الحسبة ليشمل كافة مناحى الحياة العامة، كالمحاسبة والتموين والمواريث وتسجيل المواليد والوفيات ودفن الموتى والموازين والمكاييل، وغير ذلك من الشئون العامة فى الحياة. وفى أيامنا المعاصرة، وإن لم يعد هذا اسم المحتسب متداولاً فى حياة الناس، إلا أن منصبه تتولاه النيابة العامة والشرطة، والسجل المدنى ومكاتب الصحة، وغيرها بحسب الأحوال.

ثالثاً: الأدلة على شرعية الحسبة

دل على هذه الشرعية، كل من الكتاب والسنة والإجماع، وذلك على النحو التالى:

أـ الكتاب العزيز: فى قول الحق تعالى:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(آل عمران/ ١٠٤)

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾

(آل عمران/ ١١٠)

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

(النحل/ ٩٠)

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾

(المطففين/ ١: ٣)

(2) الطرق الحكمية ـ ابن القيم الجوزية ـ ص٢١٤ وما بعدها.

ب ـ السنة النبوية المطهرة: وقد وردت بها نصوص كثيرة، تتحدث عن الحسبة والاحتساب نختار منها أقوى درجات هذه السنة، هى السنة الفعلية ثم السنة القولية، فقد جمع رسول الله ﷺ بينهما فى تشريع الحسبة، وذلك فيما رواه الترمذى بسنده عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللا، فقال عليه الصلاة والسلام: «يا صاحب الطعام، ما هذا؟»، فقال: أصابته السماء يا رسول الله، قال ﷺ: «أفلا جعلته فوق الطعام، حتى يراه الناس، من غشنا فليس منا».

وروى البخارى بسنده عن نافع عن ابن عمر ـ رضى الله عنهم ـ أنهم كانوا يشترون الطعام من الركبان، على عهد رسول الله ﷺ، فبعث عليهم من يمنعهم أن يبيعوه، حتى يؤدوه إلى رحالهم.

وقال عمر بن عبدالبر: استعمل رسول الله ﷺ سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية (أى محتسباً) على سوق مكة.

وما رواه أبوداود والترمذى بسندهما عن أبى ثعلبة الخشنى ـ رضى الله عنه ـ قال: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾

(المائدة/ ١٠٥)

فقال: «بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحا مطاعا، وهوى متبعا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذى رأى برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العوام، وإن من ورائكم أيام الصبر، الصابر فيهن مثل قابض على الجمر، العامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله، قالوا: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: لا، بل أجر خمسين منكم».

ج ـ الإجماع: فقد أجمعت الأمة من لدن رسول الله ﷺ، حتى يومنا هذا على القيام برعاية الشئون العامة للناس، وكان الرسول ﷺ يدفع الحسبة إلى وال، يأمر الناس فى الأسواق بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وسار على هذا النهج صحابته الأجلاء، فكان ـ عمر رضى الله ـ عنه ـ يمارس الحسبة بنفسه، فكان يمر بالأسواق، ويراقب الموازين والمكاييل، وكان يستعمل الولاة على الحسبة.

رابعاً: أركان الحسبة

ذكر الفقهاء للحسبة أربعة أركان، هى بإيجاز كالتالى:

أ ـ المحتسب: وهو من يتولى السلطة العامة، المتصلة بالأحكام الشرعية، ويقوم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وينصب عمله على المحافظة على النظام العام والآداب فى المجتمع، وإلزام الناس باحترامها.

وفى العصر الحديث أصبحت وظيفة المحتسب، مزيجاً من سلطات رجال الدين والشرطة والنيابة العامة والتموين والصحة

والشئون البلدية ومصلحة الكفاية الإنتاجية والمقاييس والمكاييل والتوحيد القياسى، وغيرها[٣].

ب ـ ما تجرى عليه الحسبة: وهو كما ذكره الفقهاء، كل فعل أو ترك يكون منكراً موجوداً فى الحال، وظاهراً للمحتسب بغير تجسس، ومعلوم أنه منكر بغير اجتهاد. وهذه الأفعال كثيرة، تكاد لا تحصى ولا تعد، أورد جلها صاحب كتاب «معالم القربة فى أحكام الحسبة»، فى حوالى سبعين باباً، ابتداء بالخمر والآلة المحرمة، وانتهاء بالحسبة على النجارين والدهانين والمبيضين وغيرهم.

ج ـ المحتسب عليه: وهو الإنسان الذى يقع منه فعل المنكر، المستوجب مباشرة الحسبة، ولا يشترط فى هذا الإنسان أن يكون مكلفاً، بل تجوز الحسبة مع من وقع منه المنكر، ولو كان صغير السن، أو كان مصاباً بآفة عقلية كالجنون.

د ـ نفس الاحتساب: وهو الكيفية التى يتم على أساسها مباشرة الحسبة، وقد ذكر الفقهاء أن هناك درجات وآداب للقيام بالاحتساب، تبدأ بالنهى عن المنكر، ثم الوعظ والنصح، وأخيراً الردع والزجر، وعن هذه الدرجة يقرر العلماء، أن الردع إذا كان باستعمال اليد أو الرجل، ويحتاج المحتسب للقيام به إلى أعوان يشهرون السلاح، فلابد فى هذه الحالة من إذن الإمام، حتى لا تكون هناك مدعاة لفتح باب من الشر، قد يؤدى إلى الفوضى فى المجتمع، والإمام هو الأجدر بتقدير هذه الحاجة بقدرها.

خامساً: الحسبة والقضاء

اتفق الفقهاء على القول بأن كل من الحسبة والقضاء من الولايات الدينية والمناصب الشرعية، وكما يقول ابن القيم الجوزية: وجميع الولايات الإسلامية مقصودها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ولكن من المتولين من يكون بمنزلة الشاهد المؤتمن، والمطلوب منه الصدق، كصاحب الديوان، الذى وظيفته أن يكتب المستخرج والمصروف، ومنهم من يكون بمنزلة الآمر المطاع، والمطلوب منه العدل، كالأمير والحاكم أى القاضى والمحتسب، ولكن أصحاب الولايات جميعهم يدخل تحت قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾

(النساء/ ٥٨)

ولكن كان كل من القاضى والمحتسب يشتركان فى الأمر بين الناس، وتجب طاعته، إلا أنهما يختلفان فى القيام بوظيفة كل منهما، فالقاضى يتولى الفصل فى الخصومات وإثبات الحقائق بناء على دعوى، أما المحتسب يتولى الحكم بين الناس فى النوع الذى لا يتوقف على الدعوى، وفيما ليس من خصائص الولاة

(٣) معالم القربة ـ المرجع السابق ـ ص٢٥.

والقضاة وأهل الديوان ونحوهم[٤].

ولكن عمل المحتسب إذا كان يبدأ بالنهى عن المنكرات التى تظهر فى المجتمع، فقد ينتهى إلى الدعوى، وذلك إذا رأى أن هذه المنكرات لا يجدى فى إزالتها مجرد النهى، أيا كانت درجته، بل لابد من تدخل الحاكم بالأمر الحاسم، وهذا لا يكون إلا بالدعوى، التى ترفع إلى القاضى، الذى يصدر فيها الحكم الفصل الواجب النفاذ. وهذا ما انتهى إليه النظام القضائى فى العصر الحديث، فعلى سبيل المثال: بعض الأعمال التى كان يقوم بها المحتسب قديماً، كمراقبة المحال العامة، ومدى توافر شروط السلامة والصحة العامة فيها، أصبحت الآن تدخل فى اختصاص إدارات الأمن الصناعى وتراخيص المحال العامة بالإدارة المحلية، حيث يقوم رجال هذه الإدارات بمراقبة هذه المحال فى هذا الخصوص، ومحاولة إزالة المخالفات المتعلقة بها بالطرق الإدارية المخولة له، فإذا لم يتمكنوا من ذلك، قاموا بتحرير محاضر عن هذه المخالفات، وترسل للنيابة العامة، التى تحيلها كدعوى إلى المحكمة، التى تفصل فيها بحكم قضائى واجب النفاذ وملزم للجميع. وهذه الدعوى تسمى دعوى الحسبة، وهكذا فى كل الأمور التى كان يقوم بها المحتسب من قبل، وأصبحت فى أيامنا هذه تدخل فى اختصاص جهات متعددة، تباشر ذات المهمة، مع اختلاف التسمية حسبما تقتضى ظروف كل عصر وأوان.

سادساً: دعوى الحسبة

فى النظام القضائى الحديث لم يضع المشرع تنظيماً معيناً للحسبة والدعوى المتعلقة بها، بل تركها للقواعد العامة فى القوانين الإجرائية المعمول بها فى هذا النظام، ومن ثم فهى دعوى عادية، كغيرها من الدعاوى القضائية ولا تختلف عنها إلا فى أن رافعها ليست له مصلحة شخصية مباشرة فى رفعها، وإن كانت المصلحة فيها هى الاحتساب، وهو أمر لا يخص شخصاً بعينه، بل يتوافر فى جانب كل واحد من أفراد المجتمع، رأى منكراً شاع فى هذا المجتمع، ومعروفاً ضاع منه.

ولكن استعمال هذه الدعوى على هذا النحو فى التطبيق العملى، ينحصر فى مسائل الأحوال الشخصية، باعتبار أن القانون العام الواجب التطبيق عليها هو الشريعة الإسلامية، والتى تضمنت تنظيماً خاصاً لهذه الدعوى، وقد جرى العمل أمام قضاء الأحوال الشخصية، منذ صدور المرسوم بقانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ بلائحة ترتيب المحاكم الشرعية، على تطبيق أرجح الأقوال فى المذهب الحنفى على هذه الدعوى، عملاً بالمادة ٢٨٠ من هذه اللائحة، وفيما عدا ذلك من مختلف فروع القانون، فإن هذه الدعوى بمفهوم الحسبة، غير

(٤) الطرق الحكمية - ابن القيم الجوزية - ص١٥ وما بعدها.

معمول بها أمام جهات القضاء غير الأحوال الشخصية، ولكن هذا لا يمنع أن تكون بعض المسائل التى تعتبر فى حقيقتها داخلة فى الحسبة بالمعنى الشرعى البحت، منظمة بدعاوى قضائية خاصة بها تحت مسمى آخر، كالدعوى الجنائية التى تباشرها النيابة العامة على نحو ما سلف، فى إحدى الأمور المتعلقة بالحسبة.

سابعاً: تقنين دعوى الحسبة

إذا كانت دعوى الحسبة بالمعنى الشرعى البحت، لم يعد معمولاً بها، كما سبق القول، إلا فيما يتعلق بمسائل الأحوال الشخصية، فقد كانت مرتبطة بهذه المسائل من حيث التنظيم القانون، وإذ كانت هذه المسائل لم تدخل دائرة التقنين إلا حديثاً، عقب اتجاه المشرع منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى الأخذ بنظام التقنينات المستحدثة، نقلاً عن الدول الأوروبية فى عصر الخديوى إسماعيل، ولكن فى واقع الحال فإن جميع هذه المسائل لم يدخل هذه الدائرة، ولهذا احتاط المشرع وقرر فى القانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ بلائحة ترتيب المحاكم الشرعية، أنه إذا لم يوجد نص قانونى يطبق على إحدى هذه المسائل، فإنه يرجع إلى أرجح الأقوال فى المذهب الحنفى.

وكان هذا هو الشأن بالنسبة لدعوى الحسبة، التى لم يتدخل المشرع لتنظيمها إلا حديثاً، عندما أصدر القانون رقم ٣ لسنة ١٩٩٦ بتنظيم إجراءات مباشرة دعوى الحسبة فى مسائل الأحوال الشخصية، والذى يقرر بأن: تختص النيابة العامة وحدها دون غيرها برفع الدعوى فى مسائل الأحوال الشخصية على وجه الحسبة، وعلى من يطلب رفع الدعوى أن يتقدم ببلاغ إلى النيابة العامة المختصة يبين فيه موضوع طلبه والأسباب التى يستند إليها، مشفوعة بالمستندات التى تؤيده، وعلى النيابة العامة بعد سماع أقوال أطراف البلاغ وإجراء التحقيقات اللازمة، أن تصدر قرارا برفع الدعوى أمام المحكمة الابتدائية المختصة، أو بحفظ البلاغ. ويصدر قرار النيابة العامة المشار إليه مسبباً من محام عام، وعليها إعلان هذا القرار لذوى الشأن خلال ثلاثة أيام من تاريخ صدوره.

وأنه للنائب العام إلغاء القرار الصادر برفع الدعوى أو بالحفظ، خلال ثلاثين يوما من تاريخ صدوره، وله فى هذه الحالة أن يستكمل ما يراه من حقيقات، والتصرف فيها، إما برفع الدعوى أمام المحكمة الابتدائية المختصة، أو بحفظ البلاغ، ويكون قراره فى هذا الشأن نهائياً.

ويترتب على ذلك أنه إذا قررت النيابة العامة رفع الدعوى، فإنها تكون هى المدعية فيها، ويكون لها ما للمدعى من حقوق وواجبات. ولا يجوز لمقدم البلاغ التدخل فى الدعوى أو الطعن فى الحكم الصادر فيها.

والله تعالى ولى التوفيق...

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

الفهم المتبادل للإسلام والمسيحية وتفعيل هذا الفهم

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف
رئيس اللجنة الدائمة للحوار بين الأديان السماوية بالأزهر الشريف

مقدمة

إذا نظرنا إلى الأديان السماوية نجد أنها تنبع من مصدر واحد، وأنها جاءت من عند الله - تبارك وتعالى - وفق إرادته ومشيئته، ووفق الأزمنة والأمكنة التى أتت فيها لتؤدى رسالتها فى تصحيح الانحرافات العقائدية والاجتماعية والأخلاقية التى وقعت من بنى البشر.. ولتعالج فساد المعاملات الذى تفشى بين الناس فى مجالات حياتهم.. والتى كانت تختلف مظاهرها وأنواعها من مكان الى مكان، ومن بيئة إلى بيئة.

ولذلك وجدنا فى بعض الأحيان أن الزمن الواحد قد جمع بين أكثر من نبى أوحى الله إليه برسالة سماوية تتلاءم فى دعوتها مع من أرسل إليهم فى علاج الخلل والفساد الذى شاع وانتشر فيما بينهم.. ولتعيدهم إلى عبادة الله وتوحيده وطاعته، ونبذ الشرك وارتكاب الفواحش، والنهى عن فعل المعاصى والآثام، ولتهديهم إلى الصراط المستقيم.

وحدة أصول الأديان السماوية

إذا أمعنا النظر ودققناه فى الأديان السماوية نجد أن أصول الأديان السماوية كلها واحدة، لا يختلف فيها دين عن دين: كإثبات وجود الله، والدعوة إلى توحيده وعبادته، والدعوة إلى الإيمان برسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر.

أما فيما يتعلق بفروع الشرائع: كإباحة بعض الطيبات وحلها لقوم على سبيل التيسير لهم، وتحريمها على قوم على سبيل العقوبة لهم، فهذا لا يدخل فى الأصول الثابتة فى جميع الأديان السماوية.. وإنما يختلف باختلاف الظروف والأحوال، وباختلاف التيسير والعقوبة الذى يتناسب مع الفساد والخلل السائد فى المجتمع الذى أرسل الله رسوله فيه.

يقول الله تعالى:

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾

(آية ٤٨ سورة المائدة)

والمعنى قد أنزل الله التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، وأنزلنا إليك يا محمد الكتاب «القرآن الكريم» الجامع لكل ما اشتملت عليه الكتب السماوية السابقة من هدايات، وقد أنزلناه ملتبسا بالحق الذى لا يحوم حوله باطل، وجعلناه مصدقا ومؤيدا لما فى تلك الكتب السماوية التى تقدمته من دعوة إلى عبادة الله وتوحيده، وإلى التمسك بمكارم الأخلاق، لأنه - سبحانه وتعالى - قد جمع فيه محاسن ما فى قبله من الكتب السماوية، وزاد فيه ما ليس فى غيره من الكمالات التى تضمن للبشر سعادتهم، وتعينهم على العيش فى إخاء ومحبة وأمن وسلام إذا طبقوها وعملوا بتوجيهاتها والتزموا بتنفيذها.. فلهذا جعله الله شاهدا وأمينا وحاكما عليها كلها، وتكفل الله بحفظه من الضياع والتبديل والتحريف فقال جل شأنه:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾

(آية ٩ سورة الحجر)

وإذا كان شأن القرآن الكريم كما ذكرت لك يا محمد فاحكم بين أصحاب الديانات السابقة وبين غيرهم من الناس بما أنزله الله عليك من أحكام فى القرآن الكريم، فإن ما نزل فيه هو الحق الذى لا باطل معه، ولا تتبع - يا محمد - فى حكمك أهواء أصحاب الديانات الأخرى، لأن اتباعك لأهوائهم يجعلك منحرفا ومائلا عما جاءك من الحق - فى القرآن الكريم - الذى لا مرية فيه ولا ريب.

ويذكر الله - تعالى - فى الآية الكريمة - أنه وضع لكل أمة من الأمم الحاضرة والسابقة شرعة ومنهاجا خاصين بها.. فالأمة التى كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى - عليهما السلام - كانت شرعتها ما فى التوراة من أحكام، والأمة التى كانت من مبعث عيسى إلى مبعث محمد - عليهما الصلاة والسلام - كانت شرعتها ما في الإنجيل من أحكام، وأما هذه الأمة الإسلامية فشريعتها ما فى القرآن الكريم من أحكام، لأنه مشتمل على ما جاء فى الكتب السماوية السابقة عليه من أصول الدين وكلياته التى لا تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة: كالدعوة إلى عبادة الله وتوحيده،

كما قال الله - تعالى - :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾

(آية ٢٥ سورة الأنبياء)

وزاد عليها ما يناسب العصر الذى نزل فيه والعصور التى تليه إلى يوم القيامة..

ونحن - المسلمين - بنص هذه الآيات القرآنية نجد أن الإسلام يفرض على أهله وحدة أصول الأديان السماوية فرضا، مع الإيمان بجميع الرسل السابقين وكتبهم دون تفريق بين أحد منهم، وهذا قول الله الذى لا خلاف عليه:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

(آية ٢٨٥ سورة البقرة)

وقد قال الأستاذ الكبير محمد فريد وجدى: (وحدة الدين هى الأساس الذى يقوم عليه الإسلام، والإيمان بجميع الرسل والكتب السماوية شرط أولى فيه، مع ترك التعصبات الجاهلية التى تدعو إلى اضطهاد المخالفين.. أما اتحاد الأجناس فالإسلام قد سبق به العالم كافة، وأيده بالدلائل العلمية التى لا تقبل النقض والطعن، فقد قال الله - تعالى - :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(آية ١٣ سورة الحجرات)

هذا عن الإسلام ونحن نعلم أن المسيحية قامت على المحبة والمسالمة، والدعوة إلى عبادة الله بالتى هى أحسن، لأن الإنجيل كتاب منزل من عند الله، وأصول الأديان السماوية واحدة، إذ شرعها الله على لسان الأنبياء لتدعو إلى التوافق والتناصر، ولا نجد أبلغ فى الدعوة إلى الحب والتسامح من قول السيد المسيح: «سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك، وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السماوات، لأنه إن أحببتم الذى يحبونكم فأى أجر لكم؟ أليس العشارون يفعلون ذلك؟ وإن سلمتم على إخوانكم فقط فأى فضل تصنعون؟ أليس العشارون أيضا يفعلون هكذا؟!».

هذه النصوص المقدسة الإسلامية والمسيحية تدعو إلى الوفاق وتمنع التعصب، وما قامت الفتن والحروب فى أكثرها إلا بمخالفة التعاليم الإسلامية والمسيحية، وهى جميعا تدعو إلى عبادة الله وتوحيده، وإلى نشر السلام والمحبة.

علاقة الإسلام بالديانات السماوية السابقة(١)

يخطىء من يعتقد، أو يفكر، أو حتى يظن أن الدين الإسلامى جاء لينكر الديانات السماوية السابقة عليه، أو أنه جاء ليقطع الصلة بينه وبين هذه الديانات، أو أنه جاء ليحارب أتباعها ويقضى عليهم ويستأصل شأفتهم.. إن كل من يعتقد أو يفكر أو حتى يظن ذلك فقد وقع فى خطأ كبير.

فمن أسس عقيدة الدين الإسلامى أنه أمر المسلم بالإيمان بالرسل السابقين، وما نزل عليهم من كتب سماوية، وذلك لاعترافه بالديانات السماوية السابقة عليه، وبجميع الأنبياء والرسل السابقين الذين أرسلهم الله برسالات سماوية، والذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم على سبيل التحديد والحصر..

وإن كان القرآن الكريم قد أشار إلى رسل سابقين آخرين غير هؤلاء على وجه الإجمال لم يحدد أسماءهم، قال الله - تعالى - :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾

(آية ٧٨ سورة غافر)

وهذا يعنى أن الوحى الإلهى وحدة جامعة.. وأن أى مسلم لا يؤمن بأى رسول من الرسل - عليهم جميعا الصلاة والسلام - أو لا يؤمن بأى كتاب سماوى نزل من عند الله على أى رسول منهم لا يكون مسلما.. يقول الله تعالى:

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

(آية ١٣٦ سورة البقرة)

لقد أرشد الله - جل شأنه - المؤمنين فى هذه الآية الكريمة إلى نبذ التعصب الدينى، ودعاهم إلى اتباع الوحى الإلهى الذى أنزله الله على الرسل - السابقين - مبشرين ومنذرين، بدون تفرقة بين أحد منهم.. وطلب من المسلمين - بصيغة الأمر - أن يقولوا لأتباع الديانات السابقة: إننا نؤمن ونصدق بالله وبالقرآن الكريم الذى نزل على الرسول محمد - ﷺ - وبالتوراة التى أنزلها الله على موسى - عليه السلام - وبالإنجيل الذى أنزله الله على عيسى - عليه السلام - ونؤمن بكل ما آتاه الله لأنبيائه ورسله جميعا تصديقا لهم على نبوتهم ورسالتهم.. ونحن فى تصديقنا وإيماننا بالأنبياء والرسل السابقين لا نفرق بين أحد منهم، فلا نؤمن ببعضهم ونكفر بالبعض الآخر، بل نؤمن بهم جميعا، ونحن لربنا مسلمون خاضعون له بالطاعة، مذعنون له بالعبودية.

(١) من بحث: «العلاقات المشتركة بين الأديان السماوية وأهميتها فى بناء جسور التعاون بينها» المؤلف: فوزى فاضل الزفزاف

ويقول الله - عز وجل -:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾

(آية ١٣ سورة الشورى)

أى شرع الله لكم يا أمة محمد - ﷺ - من أصول الأديان التى لا يختلف فيها دين عن دين، أو شريعة عن شريعة: كإخلاص العبادة لله ـ تعالى ـ والإيمان بكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر، والتحلى بمكارم الأخلاق: كالصدق والعفاف والحب والتعاون واحترام الآخرين وعدم الاعتداء عليهم.. وما شرعه لنوح - عليه السلام - وما أوحى به إلى نبيه محمد ـ ﷺ ـ وما أوصى به أنبياءه: إبراهيم وموسى وعيسى ـ عليهم جميعا الصلاة والسلام ـ من وصايا تتعلق بوجوب طاعة الله ـ تعالى ـ وإخلاص العبادة له، والبعد عن كل ما يتنافى مع مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم.

وقد أمر الله - جل وعلا - المؤمنين بإقامة الدين، وذلك بالالتزام بتوحيد الله وطاعته، وبالإيمان برسله وكتبه وباليوم الآخر، وبالالتزام بتنفيذ أوامره ونواهيه فى الأصول والأحكام والآداب التى أجمعت عليها الشرائع الإلهية والتى لا تقبل الاختلاف أو التفرق.

وقد شق وعظم على المشركين دعوتكم إياهم إلى وحدانية الله ـ تعالى ـ وإلى ترك ما ألفوه من شرك ومن تقاليد باطلة ورثوها عن آبائهم.. ثم بين الله كمال قدرته ونفاذ مشيئته، فهو ـ سبحانه ـ يصطفى ويختار لرسالته من يشاء من عباده، ويهدى إلى الحق من ينيب ويرجع إليه ويقبل على عبادته وطاعته.

ويقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

(آية ٢٨٥ سورة البقرة)

لقد مدح الله - جل شأنه - فى هذه الآية الكريمة رسوله محمدا - ﷺ -، ومدح المؤمنين الذين آمنوا به بأن كلا منهما «الرسول والمؤمنون» صدق بما أنزله الله فى القرآن الكريم: من عقيدة وشريعة، وعبادات ومعاملات، وأخلاق وفضائل، وسمعيات وغيبيات.. تصديق إقرار وخضوع واطمئنان، وأن كلا منهما آمن إيمانا تاما صادقا بوجود الله ـ تعالى ـ ووحدانيته، وكمال صفاته، ووجوب الخضوع والعبادة له، وبوجود الملائكة وأنهم عباد مكرمون

﴿ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾

(سورة التحريم/ ٦)

كما آمنوا بكتب الله التى أنزلها، وبرسله الذين أرسلهم لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وأن من صفاتهم «الرسول

والمؤمنون» أنهم لا يفرقون بين رسل الله فى الإيمان بهم، وبالتصديق برسالة كل رسول أرسله الله، ولا يقولون كما قال غيرهم:

﴿ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ﴾

(سورة النساء/ ١٥٠)

وفى مدح الله هذا تشريف وتكريم للرسول وللمؤمنين، وإعلاء من شأنهم وأقدارهم ومنازلهم...

ولقد ضرب لنا رسول الله - ﷺ - مثلا يوضح ويبين فيه أن الدين الإسلامى أتى مكملا ومتمما للديانات السماوية السابقة عليه، ويؤكد - ﷺ فيه تأكيدا تاما على ما جاء به القرآن الكريم من سلامة أصول الديانات السماوية، واتفاق مصدرها، واتفاق أهدافها وغاياتها، فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال - ﷺ - فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين».

إن من يقرأ هذا الحديث النبوى الشريف قراءة متأنية يرى بكل تأكيد أن الديانات السماوية تنسجم فيما بينها انسجاما صحيحا كما تنسجم اللبنات الناهضة فى البناء الواحد، وأن كل دين سماوى يجىء إنما يأتى ليكمل ما سبقه من الديانات السماوية الأخرى دون تعارض أو تصادم، حتى إذا ما تهيأت البشرية واشتدت حاجتها إلى استقبال الدين المكمل والمتمم للأديان السماوية السابقة جاءت الديانة الإسلامية خاتمة لهذه الأديان السماوية غير محددة بزمان أو مكان، وغير خاصة بقوم معينين، بل هى رسالة عامة للناس جميعا فى كل زمان ومكان، يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾

(آية ٢٨ سورة سبأ)

وقد تم بالديانة الإسلامية البناء الربانى الذى أقامه الله ليجمع الناس كلهم على كلمة سواء، وليهديهم إلى طريق الحق والخير الذى يحقق لهم السعادة فى الدنيا والنعيم فى الآخرة، يقول الله - تعالى -:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(آية ١٠٧ سورة الأنبياء)

***

لم يعرف التاريخ البشرى كله كتاباً سماوياً أو كتاباً أرضياً تعرّض للدراسة والتحليل، من كل أجناس البشر مثل القرآن الكريم. لقد قرأت شعوب الأرض كلها هذا الكتاب الربانى الأسنى، يستوى فى ذلك الشعوب المسلمة وغير المسلمة: أعداؤه منهم وأصدقاؤه، من آمن به ومن كفر؛ فهو الكتاب الذى شغل الدنيا كلها منذ أن نزلت أولى آياته على هذا القلب الطاهر قلب محمد بن عبدالله - ﷺ - إلى يومنا هذا، وسيظل هكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وتلك إحدى معجزاته.

من القضايا المعاصرة

الغرب بين اتجاهين

١

لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطة

نعم، شغل القرآن الكريم كافة أجناس البشر..؛ ولكن، شاءت إرادة الله ألا يكون شغل الناس به على وتيرة واحدة، وبمنطق واحد، أو لهدف واحد: لقد شغل القرآن العرب! فمنهم من آمن به وصدق بكل ما أشار إليه، ففتح قلوبهم وعقولهم على آفاق من الحكمة والعلم سعدت بها البشرية قروناً طويلة، حتى زاغت عنها فكانت هى الخاسرة، وكان القرآن هو المنتصر..!! ومنهم من كفر به وصدّ عنه وادعى أنه من عند محمد - ﷺ - فأفسح لهم القرآن صدره داعياً إياهم أن يأتوا بمثله

﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾

[الطور/ ٣٣، ٣٤]

ثم ذكر لهم النتيجة فى هذه المباراة لا ليثبط من عزيمتهم ولكن ليحمّسهم فقال:

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾

[الإسراء/ ٨٨]

لكنهم خابوا وخسروا فأفسح لهم صدره مرة أخرى حيث قال:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

[هود/ ١٣]

والنتيجة واحدة عجزٌ تام عن معارضته، أو حتى معارضة سورة واحدة منه

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

[يونس/ ٣٨]

وذلك بالرغم من أنهم كانوا فى قمة مجدهم اللغوى والبيانى وحينما عجزوا عن كل ذلك زعموا أن هذا القرآن سحر يستأثر به محمد ليصرف الناس عن عبادة آلهتهم التى عكفوا عليها قائلين:

﴿ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾

[المدثر/ ٢٤، ٢٥]

وعندما تأكدوا من أنه من عند الله ولا قبل لهم بمعارضته، قالوا حاقدين ناقمين:

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾

[الزخرف/ ٣١]

ثم قالوا لغلمانهم وصبيانهم وسفهائهم:

﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾

[فصلت/ ٢٦]

أهل القرآن وأعدائه

وانتشر الإسلام، وغلب سلطان القرآن على النفوس والعقول والقلوب، ولا تزال المعركة دائرة، ولا يزال يشغل كافة البشر، فالمسلمون يُشغلون به لأنه كتابهم الأقدس الذى:

﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾

[فصلت: ٤٢]

فيه نبأ من قبلهم، وخبر ما بعدهم وحكم ما بينهم، وهو الفصل ليس بالهزل، وهو النور الهادى إلى صراط الله المستقيم، من ابتغى الهدى فى غيره أضله الله.. فهم يقرأونه آناء الليل وأطراف النهار؛ بغية العمل بما جاء فيه من أوامر وزواجر؛ فكان لهم نبعاً ثراً لكثير من العلوم الإنسانية التى أضاءت العالم كله..

وأما أعداؤه، فمنهم من يُشغلون به بغية التشكيك فيه، وإثبات أنه من عند محمد ابن عبدالله؛ لصرف الناس عنه، وصدهم عن العمل بما جاء فيه، ومنهم من هداه الله - عز وجل - للإيمان به، والوقوف إلى جانبه، يدعو الناس إلى بحث ما جاء فيه من سُبل الهداية والرشاد. ولا يزال القرآن

يفيض بعطاياه التى لا تنفد، ولا يغيض معينها ولا يزال أعداؤه وأحباؤه كل منهم يعمل على شاكلته، ولن تنتهى هذه المعركة إلى يوم القيامة

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾

[الإسراء/ ٨٤]

ولن نسترسل فى الحديث عما تعرض له القرآن فى العصر الحديث من قراءات ودراسات من كلا الفريقين، ولكن سنكتفى بالحديث عن مثالين فقط فى هذا المقال، وما سيتلوه إن شاء الله، ممن هداهم الله وممن أضلهم؛ لنرى عن كثب مصداق قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾

[الإسراء ٨٢]

جاك بيرك

ولنبدأ بالحديث عن ذلك الرجل الذى شغل نفسه بالقرآن وبالدراسات الشرقية كثيراً، حتى حظى بعضوية مجمع اللغة العربية تكريماً له، لنراه وقد سقط بعد ذلك فى بحوثه «العلمية» فى مستنقع الجهل والضلال؛ وذلك من خلال كتابه «إعادة قراءة القرآن» الذى كتبه، ليكون


محمد رجب البيومى


جاك بيرك

خاتمة مناسبة ـ من وجهة نظره ـ لترجمته معانى القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية.

وقد رد عليه الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى فى كتاب أطلق عليه: «إعادة قراءة القرآن. الدكتور محمد رجب البيومى يرد على جاك بيرك» أثبت فيه أن هذا الرجل الفرنسى، لا يعرف من العربية إلا شذرات، لا تصلح لأن تكون مرتكزا ينطلق منه لينقد كتاب الله ـ فى زعمه، معاذ الله ـ حتى يدعو الناس لإعادة قراءة هذا الكتاب الأسنى، بمعنى إعادة ترتيبه وتنقيته مما فيه من تناقضات وشواذ ـ معاذ الله.

ومما جاء من التعريف بهذا الرجل فى كتاب الدكتور البيومى، نقلاً عن مجلة «القاهرة» عدد أغسطس سنة ١٩٩٣:

«ولد بيرك فى الجزائر عام ١٩١٠، ودرس فى السوربون، ثم عمل بعد ذلك فى المغرب، وقد لاحظ الصلة الوثيقة التى تربط بين الفرنسيين والعرب فى منطقة

حوض البحر الأبيض المتوسط. وكان لأدائه الخدمة العسكرية الفضل فى الاطلاع على الجانب الآخر من الحياة فى المغرب؛ مما أفاده كثيراً فى دراسته علم الاجتماع..».

«وقد غادر بيرك المغرب متوجهاً إلى القاهرة فى أغسطس ١٩٥٢، ثم إلى لبنان، وفى عام ١٩٥٦ سافر إلى فرنسا؛ حيث قام بتدريس التاريخ الاجتماعى للإسلام المعاصر زهاء ربع قرن من الزمان.. فى نفس الوقت الذى كان يقوم بترجمة معانى القرآن الكريم..» ومما ذكره هذا التقرير «أن شغف «بيرك» بالقرآن الكريم ومثابرته فى البحث بالإضافة إلى علمه الخارق بظروف المجتمع العربى أدى به إلى القيام بدراسة متعمقة حول الدين الإسلامى»(١) ولسنا بصدد الإطالة فى سرد الظروف والملابسات التى أدت إلى أن يتولى الدكتور رجب البيومى الرد على هذا الرجل، لنتيح الفرصة لبيان بعض الجهود المشكورة التى قام بها الرجل المسلم، المؤمن بربه عز وجل، الغيور على كتابه الأسنى، والذى رأى فى كتاب «جاك بيرك» من الأراجيف ما لم يره غيره من علماء المسلمين ومثقفيهم، الذين أثنوا على هذا الرجل، لأنه ـ من وجهة نظرهم ـ خدم القرآن الكريم خدمة جليلة بترجمته معانيه إلى الفرنسية.


جاد الحق على جاد الحق

جاهل بالعربية

ولا يفوتنا هنا أن نذكر بعض ما نوه به الدكتور رجب البيومى من الجهود المشكورة التى قامت بها «لجنة من العلماء الأفاضل» كان المرحوم الشيخ جاد الحق على جاد الحق قد كونها، لإعطاء تقرير عن هذا الكتاب المشبوه، الذى وضعه «جاك بيرك» فى صورة ختام لترجمته معانى القرآن الكريم. ومما جاء من ملاحظات اللجنة حسبما ذكر الدكتور البيومى فى هذا الصدد: «أن المؤلف جاهل باللغة العربية، متعمد للإساءة إلى الإسلام، ويفتقد الأمانة العلمية والأدب الخُلُقىَ الذى يجب أن يتحلى به من يتناول النص القرآنى، وهو لا يملك القدرة على ما تصدى له من عمل جدّى شاقّ لأمور:

١ ـ جهله باللغة العربية.

(١) اقرأ ما جاء من هذا التقرير فى كتاب الدكتور محمد رجب البيومى المسمى: «إعادة قراءة القرآن» الدكتور محمد رجب البيومى يرد على «جاك بيرك» التقديم من ص ٥ إلى ص ٣٢، والكتاب إصدار دار الهلال العدد ٥٨٨ ديسمبر ١٩٩٩م.

٢- عدم فهمه للنص فى أسلوبه المطَّرد.

٣- عدم الأمانة العلمية بتشويه النقل عن القدامى للوصول إلى نتائج زائفة.

٤- ترجمة محرفة لا تستقيم.

٥- استخدام عدة عبارات للدلالة على القرآن تنطق بالاستخفاف.

٦- التَّجنى على الذات الإلهية بإظهارها فى صورة مخيفة.

٧- قوله إن جمع القرآن قد تم تحريفه عند نزوله وعند جمعه وفى القراءات وفى الترتيل.

٨- قوله إن القرآن ذو طابع بشرى يوحى بأنه من صنع الرسول، وقد تأثر بالشعر الجاهلى والفكر اليونانى.

٩- قوله إن القرآن شعر قديم، وهو لون من ألوان الشعر الحر الحديث.

١٠- قوله إن سور القرآن وتقسيمه مما يكتنفه الغموض.

١١- انتقاده للحديث والسنة.

١٢- اتهام علماء الإسلام بالقصور والتَّحيُّز.

١٣- نفيه وجود شريعة بالقرآن.

١٤- فصل الدين عن الدنيا.

١٥- غموض الإسلام وإبهامه، وهو بشكله الحالى غير قادر على التأقلم المطلوب منه»(٢).

وقد ذكر الدكتور البيومى - أعزه الله، وأمدَّ فى عمره - أن اللجنة التى وضعت هذا التقرير، قد ضمنته أمثلة لكل ما ذكرتُ.

حيوية القرآن الكريم

والآن سنكرِّس جهودنا فى بقية هذا المقال. لذكر بعض ما جاء فى رد الدكتور رجب البيومى على «جاك بيرك»، ومن خلال ذلك سيدرك القارىء ما عاناه الدكتور فى فهم وتحليل كلام هذا الرجل حيث كان يتسم بالغموض الشديد ومع ذلك لا يخفى أمره على مثل الدكتور البيومى، وما يتمتع به من حصافة فى الرأى وبُعد فى النظر، وتمرّس طويل على سبر أغوار الأساليب العربية مهما شطت بعيداً فى طريق الغموض والإبهام.

والكتاب الذى بين أيدينا الآن يشتمل على كتابين اثنين:

أولهما: «إعادة قراءة القرآن. دراسة ألحقها «جاك بيرك» بترجمته القرآن الكريم». وثانيهما: «د. محمد رجب البيومى يرد على «جاك بيرك»

(٢) المصدر السابق نفسه.

وستكون جهودنا منصبة على قراءة الثانى منهما؛ لأنه يشتمل على الأول مُقطَّعًا إلى مقاطع قام الدكتور البيومى بالرد عليها واحداً بعد الآخر حتى أتى عليها جميعها.

وبطبيعة الحال لا يمكن سرد كل ما جاء فى هذا الصدد، وإنما هى قُلٌّ من كُثر.

والحق أنى تحيرت كثيراً فى اختيار المقاطع التى تمثل رد الدكتور البيومى على ما جاء فى كتاب «جاك بيرك»؛ لأن الكتاب كله يجب أن يُقرأ ليكون نموذجًا يُحتذى فى الدفاع عن كتاب الله - عز وجل - ولكنى آثرت فى النهاية أن أتوقف عند موضعين اثنين يمثلان قضيتين مختلفتين، مما أثاره الباحث الفرنسى من شبهات حول القرآن:

القضية الأولى فى مجال ترتيب سور القرآن بين التنزيل والتدوين.

والأخرى هى ما زعمه «شواذ نحوية» فى القرآن الكريم، وإن كان ذلك لم يقلل مطلقًا من أهمية القضايا الأخرى التى أثار غبارها «جاك بيرك» ورد عليها الدكتور البيومى.

وقبل أن أدخل فى هذا الجانب الذى سيطول أودّ أن ألفت النظر إلى أنى قصدت من وراء ذلك أن أبين عدة اعتبارات:

أولاً: حيوية القرآن الكريم، وأنه لا يزال الشغل الشاغل لعقول الأعداء، الذين يرون فيه الضوء الكاشف، الذى يكشف عوراتهم، وما بهم من ضلال وانحراف عن الطريق المستقيم.

ثانياً: أن الكفر كله ملة واحدة منذ أيام الجاهلية الأولى وحتى الآن، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها مهما اختلفت سرابيله، وتعددت عناوينه، وأن ردود القرآن عليهم وكشفه لعوراتهم سابق لكل ما جاء فى افتراءات هؤلاء وأولئك. ولن تخرج هذه الافتراءات فى قابل الأيام والقرون، عما حكاه هذا القرآن عنهم.

ثالثًا: أن هذا الدين - وقد قامت أركانه تحت ظلال القرآن وحراسته - لن يعدم فى يوم من الأيام - إن شاء الله - نفرا من المنافحين عنه، الصادِّين لأعداء الله، مهما تسربلوا برداءات ومسميات زائفة تكشف من حقيقتهم أكثر مما تستر. ومهما تسلحوا بما أسمَوْه سلاح العلم، والمنطق، فماذا قال «جاك بيرك»؟ وبِمَ رد عليه الدكتور البيومى.

يتبع

***

ما يقال عن الإسلام

نقد وثيقة «بكين» لعام ١٩٩٥م إحدى مشروعات الأمم المتحدة

٣

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعنى

الزواج النمطى

تصنف الوثيقة الزواج صنفين:

● زواج نمطى، وتقصد به الزواج المعتاد المعروف عند الناس منذ نشأت الحياة البشرية على وجه الأرض وتطلق عليه - أحيانا - الزواج المشروع.

● الزواج غير النمطى، أو غير المشروع، وهو العلاقة الحرة بين طرفين مختلفى النوع (ذكر وأنثى) أو بين نوع واحد (ذكران - أنثيان) والأول منها شائع الآن، ومنذ مدة فى بعض دول الغرب، ومنها الدول الإسكندنافية، وبريطانيا وأمريكا.

ومن الزواج غير «النمطى المشروع» صنف يطلق عليه «الزواج المفتوح» ويعنون به العلاقات السريعة الخاطفة بين طرفين، بدون عقد شرعى أو مدنى أيا كان وليس له صفة الدوام، ولا تترتب عليه أى التزامات كما يزور صديق صديقه لمدة، وقد لا يمكث عنده إلا ساعة أو أقل.

والصنف الأول (الشرعى أو النمطى التقليدى) غير مرغوب فيه فى الوثيقة، لأنه يترتب عليه مشكلات لا حد لها فى نظر واضعى الوثيقة. ومن تلك المشكلات:

- تكوين الأسر، والوثيقة تسعى لتحطيم الأسرة ومحوها من الحياة.
- صيرورة الزوجة أما.
- قيامها بتربية الأولاد.
- مرض سيطرة الزوج على الزوجة (القوامة).
- تقييد حرية المرأة الجنسية وحرمانها من ممارسة الجنس خارج نطاق الأسرة مع من تريد من الرجال، وفى أى وقت شاءت؟.
- بيع المرأة جسدها لرجل واحد (الزوج الشرعى) عن طريق ما يسمى «المهر» مع أن جسد المرأة ملك خالص لها تتاجر به حيث تشاء.

من أجل هذه «المساوىء» عند واضعى الوثيقة وما سبق عليها من مؤتمرات واتفاقات دولية تُزهِّد الوثيقة فى هذا الصنف الطاهر العفيف من الزوج لكنها لم تخطط لمنعه بقوة القانون، بل اكتفت بتشويهه والتنفير منه ودعت عن طريق الدعاية المضادة إلى تحطيمه والقضاء عليه.

أما أصناف الزواج غير النمطى، والتى تقدمت الإشارة إليها فقد تفننت الوثيقة فى ترويج الدعوة إليه والإشادة به، وجعلته هو المخلص الوحيد لحرية المرأة من الكبت والقهر والسيطرة والاضطهاد.

ومن تعريفات الوثيقة للعلاقة الجنسية خارج إطار الزوج الشرعى، قولها: «يتفق الشريكان (يعنى الزانيان) على كيفية ونوعية الممارسة وذلك قبل الشروع فى الممارسة مع احترام كل منهما الآخر لما تم الاتفاق عليه»؟

وتواصل الوثيقة هذيانها فتضع شروطا للزواج النمطى (الشرعى) غير المرغوب عند واضعى الوثيقة فتقول فى (بند ٩٣):

«كل شخص يقدم على الزواج يجب أن يكون له خبرة جنسية سابقة (يعنى عملية) والذى يجهل هذه الخبرة يكون شخصاً غير متزن»؟

ويلاحظ أن هذا الشرط ليس خاصا بالرجل وليس خاصا بالمرأة بل هو شامل للاثنين معا؟

وتمهد الوثيقة لتطبيق هذه الممارسات قبل الإقدام على الزواج غير المرغوب فيه عندها، بتقرير حق الحرية الجنسية لكل طرف (ذكر وأنثى) أو (ذكران أو أنثيان) فتقول فى (البند ٩٥) مع التركيز على المرأة:

والحرية الجنسية حق من حقوق المرأة، التى هى من حقوق الإنسان.

والحجر على حرية ممارسة الجنس يعتبر انتهاكاً لحق من حقوق الإنسان يعاقب عليه القانون.

وعلى طريق التمهيد لممارسة الجنس قبل الزواج النمطى إذا بقيت إليه حاجة بعد كل هذه «الإباحيات» تدعو الوثيقة إلى آفتين مدمرتين هما:

- توفير حبوب منع الحمل فى الأسواق ورفع الحجر عن بيعها وبأرخص الأثمان.

- إباحة التخلص من الحمل غير المرغوب فيه، وتيسيره ووجوب عناية الدولة بالمراهقات اللواتي تُجرى لهن عمليات الإجهاض!

هذه مقتطفات من بنود الوثيقة، والوثائق المماثلة لها التي تحمل منظور «الجندر» الهادف إلى القضاء على جميع أشكال التمييز بين المرأة والرجل والتي تشرف عليها هيئة الأمم المتحدة باعتبارها واحدا من اتفاقاتها أو مشروعات لخدمة الحياة البشرية والنهوض بها؟!

نقد هذا الكلام

إن النظرة العابرة في ما عرضناه من نماذج تضمنتها وثيقة بكين لسنة ١٩٩٥م في شئون المرأة والطفل، وفي تقرير ومناصرة حقوق الإنسان.

إن مجرد النظر (وليس الفحص والتدقيق) في هذه الإجراءات يسفر عن مساوىء كثيرة، وآفات خطرة، وانتكاسات مريرة، سوف تصيب - وقد أصابت فعلا الحياة الإنسانية بنكبات وكبوات قاصمة، وانتكاسات مريعة تفقد معها الإنسانية كل المقومات المميزة لها، فتنحدر إلى أسفل سافلين وتصبح الحيوانات العجماوية وذوات الأربع والحشرات أعلى منها شأنا، وأرقى حياة - وأضبط منها سلوكا وأبقى منها وجودا. ذلك لأن القراءة الناقدة للبنود التي تقدم ذكرها سيسفر عنها ما يأتي:

١- أن الأمم المتحدة تجاوزت صلاحيتها، والدائرة المسموح لها التحرك فيها. وحاولت أن تغتصب مهمات هي من اختصاص رب العالمين، لم يأذن فيها لمخلوق مهما علا شأنه، تلك المهمات هي التشريع فأحلت ما حرم الله، وحرمت ما أحله الله، ثم وضعت نفسها موضع المرجعية الأولى في الوجود بل موضع المرجعية الأعلى، منها يبدأ الأمر، ثم إليها ينتهي.. وما هذا بالأمر الهين، فليست هي مصدر الإلزام في الأمور التي حاولت إخضاعها لأمرها ونهيها وما هي صاحبة أمر ولا نهي.

٢- مصادمة قراراتها لعقائد الشعوب المؤمنة سواء كان الإيمان يهودياً أو مسيحياً أو إسلامياً وهي الشعوب التي تتجاوز أعدادها ثلثي سكان العالم. هذه القاعدة الطويلة العريضة العميقة، ليس من الممكن مهما كشفت الأمم المتحدة من الدعاية للترغيب أو الضغوط للترهيب أن تتجاوب مع بنود هذه الوثيقة، حتى ولو قدر - لا سمح الله - أن توقع الحكومات والنظم الإدارية والسياسية عليها. فإن هذه الشعوب، على اختلاف عقائدها، لن تخضع لا قولا ولا عملا، لأية دعوات

هدامة، من شأنها أن تحول المجتمعات الإنسانية إلى قطعان من الماشية أو السوائم، لا يهمها إلا ملء بطونها من الكلأ المباح ثم «السرط» والنوم العميق. وما بهذه السياسة الهوجاء تساس الجماعات الإنسانية، أعلى وأرقى المخلوقات الأرضية على الإطلاق وزودها الخالق بملكات الفهم والإدراك وأحسن خلقها صورة وشكلا وعقلا.

٣- إن في بنود هذه الوثيقة حربا مستعرة لمكارم الأخلاق والفضائل النفسية، والسجايا النبيلة. وفي مقدمتها العفة والطهارة والسمو الروحي، والألفة والتعاون والتواد والتراحم والتعاطف - والأخلاق الفاضلة هي السمة العالية التي تميز بين المجتمعات البشرية، وبين أحراش الحيوانات والحشرات الضارة. وهي - أي الأخلاق الفاضلة - صمام الأمن في المجتمع الإنساني، والسدود والحواجز الواقية من التردي والهلاك، وسوء المنقلب. والمجتمع الذي تسوء أخلاقه في العلاقات الجنسية يتمرغ في أوحال القاذورات، وينسلخ عن حظيرة الإنسان الذي كرمه الخالق الحكيم وحمله أنبل رسالة في الوجود رسالة التكليف والمسئولية.

٤- الأنانية: تحاول الوثيقة أن تقطع أوصال المجتمع البشري، وتجعل الفرد لا يفكر إلا في نفسه، ويحذر الآخر، وكأنه لا يعرفه ولا يأنسه. وقد بدأت الوثيقة بهدم الأسرة، ووضعت بدائل للأسرة التي تجمع بين الزوج والزوجة، والبدائل كما تقدمت لنا تتمثل في تحرير المرأة من الفقر لكي تستغني عن الزواج. وكان هذا من أبرز أهداف هذه الوثيقة كما تقدم ثم خطت خطوة أخرى نحو هدم الأسرة بالزواج غير النمطي المتقدم ذكره، وهو أنواع ثلاثة:

- زواج يتم بين ذكرين.
- زواج يتم بين امرأتين.
- زواج يتم بين رجل وامرأة بشرط أن يكون هذا الزواج مفتوحا يعني: زواج وقتي يتمثل في علاقة قصيرة عابرة ولا يترتب عليه أية التزامات إلا الاتفاق على ممارسته قبل الممارسة. وبعد الممارسة كل منهما ينصرف إلى حال سبيله.

هذه البدائل للزواج الشرعي المألوف، تقلل في نظر الوثيقة من الحاجة إلى الزواج الشرعي الذي يترتب عليه قيام نظام الأسرة غير المرغوب فيه عند واضعي الوثيقة؟

ومعنى هذا أن الوثيقة تسعى جاهدة إلى محو نظام الأسرة في المجتمع، ولكن بالتدريج، بإحلال البدائل التي تحل محلها شيئاً فشيئاً حتى تنقرض تماما وفي هذا تمهيد واضح المعالم لتمزيق أوصال المجتمع

الإنسانى، الذى أول نواة فيه هى الأسرة من اثنين: زوج وزوجة. ثم من أكثر من اثنين بإضافة الأولاد قلوا أو كثروا ثم مع كثرة الأفراد بانضمام الأحفاد (وهم أولاد الأولاد) المنحدرين من أب واحد وأم واحدة. ثم العائلات الأوسع من نظام الأسرة، وهى النواة الثانية لتلاحم العلاقات فى المجتمع، وذلك بانضمام العصبات والأرحام، التى تنتمى إلى أصول نسبية كل هذه الوشائج الحميمة التى يتركب منها المجتمع البشرى أو الشعب مهددة بالتقطيع أو التدمير فى ظل الفردية أو «الأنانية» التى تلف وتدور حولها بنود الوثيقة الدولية المزمع فرضها على شعوب العالم المعاصر تحت مسميات:

العولمة – النظام العالمى الجديد. القضاء على جميع أشكال التمييز بين الرجل والمرأة فى المجتمع. والسعى لهدم الأسرة فى المجتمع لم يأت عرضا أو مقحما أو سهواً فى بنود الوثيقة والروافد التى مهدت لها من قبلها، بل هو هدف مرصود ومقصود.

لذلك ترى هذه الوثائق تستحدث أنماطا جديدة من الأسر، لم يعرفها تاريخ الإنسانية من قبل. وجاء طرح هذه الأنماط فى روافد الحركات الأنثوية باعتبارها بدائل فعلا لنظام أو نظم الأسرة المعروفة لدى الناس، منذ نشأة الحياة البشرية على الأرض فى وقت ساحق فى القدم لا يعلمه إلا فاطر السموات والأرض وإلى هذا الوقت الذى نعيش فيه.

تلك الأنماط الجديدة التى تطرحها وثائق حقوق المرأة والطفل هى:

(أ) أسرة الوالد الواحد (أى بدون أب) بحيث تعيش المرأة مع مجموعة من الأطفال أو طفل واحد سواء عرف آباؤهم أو لم يعرفوا. ويشكلون مع بعض أسرة واحدة. وهذا النمط هو المفضل عندهم، لأنها تمكن المرأة فى ظل غياب الأب، من إحكام السيطرة على الأسرة، مع غياب سلطة الزوج أو الأب (القوامة) ولا يعرف الأولاد آباءهم، ولا من ابن جاءت أمهم بهم واحداً بعد واحد. سواء كان الممارس عملية الإنجاب مع أمهم رجلا واحداً، أو أكثر من رجل؟!

(ب) الأسرة المثلية: أى المتكونة من نوع واحد، سواء من رجلين، أو من امرأتين وبعض هؤلاء يتخذون لأنفسهم أولادا، إما عن طريق التبنى، أو بالسفاح (الزنى) لغرض الإنجاب فقط يعنى لا عن علاقة زوجية غطية، أو باستئجار الأرحام؟!

(جـ) الأسرة المتقارنة: أو المتزاوجة، التى تتكون من الرجال والنساء، وتتم بينهم الممارسات الجنسية بطريقة التبادل المتكرر بين كل اثنين اثنين، وتتم هذه التعاملات (الحيوانية) دون أن يكون بين هؤلاء (الشواذ من النوعين) عقد أو

وثيقة، إلا مجرد الاتفاق (التلقائى) على تبادل الخدمة والمتعة الجنسية. ويفضلون هذا النمط (العبثى) لأنه – كما قالوا – يخلو من قوامة الرجل، وغياب سلطته، كما هو الحال فى الزواج النمطى الشرعى، أو التقليدى كما يطلقون عليه أحيانا. ولأن المرأة فيه تملك جسدها وإرادتها فتمارس الجنس مع من تريد من مجموعة الرجال الذين يعيشون مع النساء فى هذا (المعسكر الهمجى) وكذلك فى الوقت الذى تشاء هى لا غيرها. فلا تتعرض للإكراه على ممارسة الجنس مع من لا تحب، ولا فى الوقت الذى تزهد فيه فى معاشرة الرجال وتنال فيه المرأة كامل حريتها؟!

(د) أسرة المعاشرة الجماعية: وهى الأسرة التى تتكون من جماعة من الشباب ومن الشابات، ويمارسون الجنس المتبادل بين اثنين اثنين، دون أن يكون أحد الشباب مقصورا على إحدى الشابات، ولا إحدى الشابات مقصورة على أحد الشباب. مع الإباحة لهم بأن يمارسوا الجنس بأشكال مختلفة من الشذوذ الجنسى؟!

هذه الأنماط العابثة عرضها مؤتمر السكان الدولى بإشراف الأمم المتحدة، الذى عقد فى القاهرة من ٥ – ١٣ من شهر سبتمبر عام ١٩٩٤م. وكان الهدف من هذا العرض لهذه الأنماط الأربعة، وغيرها من البنود التى تكرر عرضها فى وثيقة بكين عام ١٩٩٥م أى بعد مؤتمر القاهرة الدولى بعام واحد. كان الهدف من هذه العروض، هو فرض هذه السلوكيات على جميع شعوب العالم. وقد سبق هذين المؤتمرين تحت إشراف الأمم المتحدة المباشر عدة مؤتمرات مماثلة منها: مؤتمر مكسيكوسيتى عام ١٩٧٥ ومؤتمر كوبنهاجن عام ١٩٨٠ ومن قبل مؤتمر بوخارست عام ١٩٧٤ وغيره كثير إذن فإن الأمر جاد لا هازل.

وفى مؤتمر القاهرة المشار إليه قدمت مصر أحد عشر تعديلا على بعض البنود، وقدمت الدول الإسلامية سبعين تعديلا.

لكن الأمر، ليس أمر تعديلات تقدم. بل كان المتعين هو الرفض الكامل لكل ما قدمت وثيقة المؤتمر من بنود فى شئون المرأة والطفل.

أما هذه الأنماط الأسرية الأربعة التى فرغنا من ذكرها فلا يصدق إنسان أنها تصدر من أى مؤسسات دولية، فضلا عن أن تكون التى أصدرتها هيئة الأمم المتحدة أرفع تنظيم دولى معترف به فى العصر الحديث وأقل ما يقال عما ورد فى هذه الأنماط التى هدفت الأمم المتحدة منها إلى تحرير المرأة من الظلم والقسوة، والطفل من الإهمال والضياع. أقل ما يقال فيها أنها امتهان لكرامة المرأة.

﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ ﴾

الإنسان بين حضارتين

للدكتور/ حمدى فتوح والى

أعجب لأمة تملك كل مقومات الحياة، وترضى لنفسها أن تموت وتملك جميع مقومات السيادة، وترضى أن تذل وأن تهان!!

لقد بات من الواضح الصريح، أن الأمة اليوم فى مشروعها الحضارى الجديد، ليست فى حاجة إلى منهج قويم، أو دستور سليم، فذلك أمر كفيناه بمنهج الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ (٤١) لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ [فصلت/ ٤١، ٤٢]

فهو منهج تنزه عن النقص وتبرأ من العيب، واستعلى فوق الأهواء والشهوات، واكتملت له جوانب الكمال والتمام؛ وهو المنهج الوحيد - على الأرض اليوم - الذى امتاز بالربانية، فلا دخل فيه للبشر، إلا فى القيام بتنفيذه، وامتاز بالواقعية، فلا مجال فيه للتهويمات الخيالية، أو النظريات المثالية، التى تستحيل على التطبيق، وإنما هو يتعامل مع النفس الإنسانية من حيث هى - معترفا بضعفها، مقراً بقصورها متفهما لحاجاتها الضرورية مرتقيا بها من ثقلة الجسد، وارتكاسة الوحل إلى خفة الروح وحكمة العقل، لأنه منهج الخالق لمخلوقه، وحكمة الصانع فى صنعته:

﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [الملك/ ١٤]

منهج الفطرة

ويمتاز منهج الإسلام إلى جانب ذلك بأنه منهج الفطرة، والفطرة من صنع الله، فلم يكن غريبا - والصانع واحد - سبحانه وتعالى - أن يقع هذا العناق الحميم بين المنهج الربانى والفطرة الربانية:

﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ ﴾ [البقرة/ ١٣٨]

وهو ما يفسر لنا هذا الإقبال العظيم على الإسلام من جميع الملل والنحل - برغم أن حال المسلمين اليوم قد لا تغرى أحداً بالدخول فيه أو الإقبال عليه لكن جوانب العظمة، والتفرد، ما تزال وستظل تجذب إلى الإسلام أصحاب العقول الحكيمة، والفطر السليمة.

وما تزال النظرة الإنسانية تضرب ضرباتها المتوالية، لتوقظ البشرية إلى حقيقة واحدة لا تقبل النقض، ولا يعتريها النقص، وهى أنه ليس هناك غير ناموس الله وقانونه، وسننه فى الكون، سبيلا لإسعاد البشرية وإخراجها من محنتها الراهنة. وأنه ليس هناك إلا القرآن المجيد، الذى ينفرد وحده على الأرض كلها بأنه كلام الله، وليس لأحد من الخلق فيه كلمة واحدة.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [الحج/ ٦٢]

إن الحضارة الغربية لا تعرف سبيلا لسيادة الأرض إلا بإخضاع الإنسان لإرادتها، وقهره لقوتها فالغربى لا يمكن أن يتصور العيش إلا قويا ظالماً، أو ضعيفا مظلوماً، لأن فلسفته الحضارية التي نشأ فى ظلها، ورضع لبانها قامت على أساس من هذا الفهم.. فهم تنازع البقاء، أو البقاء للأقوى.

الضمير الأمريكى

إن العالم اليوم - فى حاجة - إلى حضارة تنتج إنسانا يشعر إذا مشى بين الناس أنه آمن. ليس لأنه يحمل سلاحاً لا يحمل غيره مثله، بل لأن له مفهوما عن السلاح والإنسان مخالفا للمفهوم الذى كان للحضارة الغربية التى آذنت شمسها بالمغيب.

إن الضمير الأمريكى الذى لم يتحرج أو يتأثم وهو يذيع على الدنيا نبأ ارتكاب الرئيس الأمريكى لأبشع جريمة - وهى جريمة الزنا وهو محصن - بل يكافئه علي جريمته بانتخابه لفترة رئاسة جديدة، إن ضميراً كهذا - لا يقيم وزنا لقيم الفضيلة والشرف، ولا يجد حرجا فى انتهاك الأعراض والأنساب هو ضمير لا يستغرب منه ما يفعله من مذابح وحشية ومجازر جهنمية فى العراق وفى سجن أبى غريب وفى مساندة الجزارين المجرمين من اليهود فى فلسطين.

وإن حضارة لم تتورع أن توقع بالأرض حربين عالميتين فى أقل من أربعين سنة ضاع ضحيتها مئات الملايين من البشر، وما تزال حقول الألغام فى صحراء العلمين فى مصر شاهدة على وحشية تلك النفوس المتوحشة. إن حضارة

تحمل أصحابها على مثل هذه المجازر بلا رقابة من إله أو وازع من ضمير هي حضارة إجرام وإرهاب وقتل وتدمير.

إن الرجل الأوروبي يدرك أن قيم الحق والعدل والكرامة ليست من حقوق الإنسان لأنه إنسان، بل لأنه يحمل سلاحاً يعطيه هذا الحق. وإن لم يعطه ممن حوله، فإنه سيطلبه بقوته وقهره ولعل هذا يفسر لنا السر في حرص الإنسان الغربي على تملك السلاح النووي وتطويره بصورة جنونية لأنه يشعر بأنه سيفقد الكرامة والعدل والحق، إذا ملك غيره مثله أو أكثر، فإذا استحضر هذه الصورة وأدرك أن غيره سيسبقه، فقد السيطرة علي نفسه، وأصيب بما يشبه الجنون. وما نراه من أفعال أمريكا اليوم ـ وحرصها ـ على تملك أسباب القوة وحدها ـ مع إصرارها علي تجريد العالم كله من سلاحه، هو التطبيق العملي لمفهوم الحضارة الغربية: تلك الحضارة التي لا تعرف الإنسان إلا قويا ظالماً، أو ضعيفا مظلوماً، أما أن تعرفه أخا أو صديقا، أو شريكا في صناعة المستقبل فهذا ما لم يخطر لأبناء الحضارة الغربية على بال.

إن الفطرة التي انتكست وفسدت حتى استباحت زواج الرجل بالرجل هي فطرة ملعونة نجسة، لا تعرف معروفا ولا تنكر منكراً فهل هذه العقول المنتكسة، التي لم تنفع نفسها، ولم تصن أعراضها، ولم تنجح في معركة الانتصار على سلطان الشهوة والتحرر من أسر اللذات والأهواء. قادرة على إصلاح غيرها بدعوى الإصلاح والتحرير. والبشرية كلها تدرك أن «فاقد الشيء لا يعطيه».

«إن هذه البلاد الطاغية الكافرة، ليس فيها في الحقيقة أناس، إنما فيها مردة الشياطين، يسكنون هذه الأجواف الفارغة من أجواف الآدميين، فالصورة صورة إنسان، والجوف يقبع فيه شيطان يحركه بالشر وللشر في كل واد، فتراهم مخربين مدمرين، لا يبنون إلا ليهدموا، ولا يخترعون إلا ليهلكوا، ولا يعدون إلا ليبطشوا، ولا يستغنون إلا ليطغوا في الأرض ويكثروا فيها الفساد، وليس هذا من الحياة في شيء».[1]

إن الإنسان السوي الذي لم يؤت حظاً من العلم الديني أو الدنيوي، وإنما سلم له عقله فلم يختلط، وسلم له ذوقه فلم ينحرف، وسلم له حسه فلم يتبلد، وسلمت له فطرته فلم تنتكس لن يجد أدنى مشقة لكي يحكم على الحضارة الغربية بالإفلاس والانتكاس، وبأنها حضارة لا تعرف من الإنسان إلا جانبه الطيني الكدر. ولا من الحياة إلا وجهها المادي المحسوس.

«إن بريق الحضارة المادية لا يجوز أن يعشي أبصارنا عن حقيقة الشقاء الذي باتت تعانيه البشرية في ظل هذه الحضارة، وإن الصواريخ المطلقة، والأقمار الصاعدة لا يجوز أن تلهينا عن الدرك الذي ينحدر إليه الإنسان على يد هؤلاء.

إن الإنسان هو أكرم ما في الأرض، وإنسانيته هي المقوم الأعلى الذي يقاس به مدى صعوده أو هبوطه، وهي مقياس ما في الحضارة من ملاءمة لطبيعته أو مصادمة. فإذا رأينا الإنسان في هذه الحضارة ينحدر في صفاته الإنسانية، وفي تصوره للقيم الإنسانية وينحط في تصوره وذكائه وأخلاقه، ويهبط في علاقاته الجنسية إلى أدنأ من درك البهيمة...

(1) تذكرة الدعاة ـ البهي الخولي ص٧٧

إن الحضارة الغربية مهما كابرت. وأمعنت في ضلالها وغرورها وهروبها من الوقوف أمام نقائصها وعيوبها، فلابد أن تدرك يوما أنها جنت على نفسها، وعلى البشرية كلها، عندما يدفعون ثمن انحرافهم عن الفطرة، أمراضا في أجسادهم، وشذوذاً في سلوكهم، وقلقا في أعصابهم، واكتئاباً في نفوسهم. وأوبئة تحصد تلك النفوس التعسة والأجساد النخرة.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

[الأنعام/ ٤٤، ٤٥]

فليت القائمين على أمر الغرب من قادته وحكمائه يفيقون من سكرتهم ويتحررون من عصبيتهم، ويخففون من عنصريتهم، ويتجردون للحق وحده، ويعلنون في جسارة وجرأة أن نجاة أممهم لن تكون إلا بالعودة إلى الفطرة السليمة، والإسلام لله رب العالمين.

ليتهم يملكون الشجاعة الأدبية، والتوازن النفسي، والاعتدال المنصف، الذي ملكته «بلقيس» ملكة اليمن عندما ظهر لها الحق فلم تتردد في اعتناقه والندم على ما فات منها، قائلة في عزة وشموخ:

﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

[النمل/ ٤٤]

وأخيراً

وإذا كنت أتقدم بالإسلام إلى أهل الأرض جميعاً، أدعوهم إليه بقول ربي سبحانه:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾

[آل عمران/ ٦٤]

فإني أشعر بمرارة في قلبي، وغصة في حلقي. وألم يعتصر كياني، عندما أرى أمتي هي أحوج أهل الأرض إلى الالتزام بدينها، والثقة بكتابها، والاعتصام بحبل ربها. بعد أن صارت أمثولة وأضحوكة.. لأمم الأرض جميعاً.. عندما تركت كتاب ربها فضلت وابتعدت عن منهجه فزلت. وذهبت تقلد الغرب العاطل من كل مقومات الإنسانية. كظمآن يحسب السراب ماءً حتى إذا جاءه لم يجد شيئا.

إن كل ما ينقص أمتنا اليوم لكي تتقدم بالإنقاذ إلى أهل الأرض، هو أن تثق بنفسها، وتعتز بدينها، وتستقيم على نهج ربها، وسنة نبيها، وأن تعلن في جسارة وندم إنهاء حالة الفصام الفاضح بين عقيدتها التي تؤمن بها، وبين ممارسة تلك العقيدة منهج حكم، ونظام حياة.

فى المؤتمر الدولى بجامعة المنيا:

العلماء والباحثون يجمعون على تجديد العلوم الإسلامية والعربية



● **فضيلة الإمام الأكبر:**

فتح باب الاجتهاد ينبغى أن يكون فى إطار الضوابط والمنطلقات الثابتة فى الإسلام



● **الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى:**

المهمة الأساسية لرابطة الجامعات الإسلامية، هى التنسيق بين الجامعات، ونقل الخبرات من خلال آليات دائمة ومستمرة

● **١٧٥ باحثا وعالما من ثلاث وعشرين دولة شاركوا فى جلسات المؤتمر وتوصلوا إلى توصيات تحتاج إلى متابعة لتفعيلها والانتفاع بها**

متابعة الأستاذ

عاطف مصطفى

عقدت رابطة الجامعات الاسلامية بالتعاون مع جامعة المنيا - كلية دار العلوم - مؤتمرا دوليا عن «مناهج التجديد فى العلوم الإسلامية والعربية فى الفترة من ٥ إلى ٧ مارس الماضى، بهدف تلمس السبل التى يمكن للعالم العربى والإسلامى أن يجدد بها مجده وحضارته الماضيين، فيستلهم ماضيه، ويصوغ حضارته، ويستشرف مستقبله، ويتجه نحو تحقيق مشروعه الحضارى، مذللا ما يعترضه من عقبات ومعوقات، وعرض تجارب المدارس الفكرية الإسلامية فى مختلف العصور، وكيف يمكن الاستفادة منها فى تطوير تدريس العلوم الإسلامية.

وعقد المؤتمر تحت رعاية الدكتور عمرو عزت سلامة وزير التعليم العالى والدولة والبحث العلمى، والأستاذ الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى رئيس رابطة الجامعات الإسلامية والأمين العام لرابطة العالم الإسلامى، والدكتور عبدالمنعم البسيونى رئيس جامعة المنيا.

وكان فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر رئيس شرف المؤتمر.

ورأس المؤتمر الدكتور جعفر عبدالسلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية والدكتور محمد عبدالرحيم محمد عميد كلية دار العلوم بالمنيا.



عمرو عزت سلامة

وفى الجلسة الافتتاحية والتى عقدت بقاعة سوزان مبارك بجامعة المنيا ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة ضافية، أشار فيها إلى ضرورة التمييز بين الثوابت والمتغيرات فى الاسلام، فالثوابت هى المنطلقات التى لا تتغير بتغير الزمان ولا المكان، وتتمثل أساسا فى العقيدة الاسلامية، وأركان الإسلام الخمسة، وما هو قطعى الدلالة فى الشريعة الإسلامية. هذا فضلا عن القيم العليا ومكارم الأخلاق، التى جاء بها الإسلام الحنيف، هذه ثوابت لا تتغير، ولكن الأزمنة تتغير، والظروف الاجتماعية والحياتية للناس، فى تغير مستمر. وهذا يعنى وجود مستحدثات حضارية واقتصادية واجتماعية وعلمية كثيرة فى كل عصر، هذه المستحدثات تحتاج من الفقهاء إصدار أحكام الإسلام عليها، وهذا يعنى بيان موقف الإسلام منها، سواء من حيث التحليل أو التحرير أو

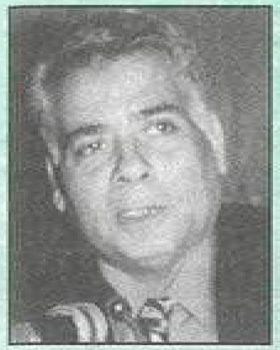
الندب أو الإباحة.. الخ

وقال فضيلته إن هذا يتطلب فتح باب الاجتهاد فى إطار الضوابط والمنطلقات الثابتة فى الإسلام، ضمانا لسلامة التوجه، وسلامة المقصد، وسلامة النتائج.

وفى كلمته أمام العلماء والباحثين وضيوف المؤتمر أشار الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى إلى أن المهمة الأساسية لرابطة الجامعات الإسلامية هى التنسيق بين هذه الجامعات، ونقل الخبرات بين بعضها البعض، من خلال آليات مستمرة ودائمة، هذا الى جانب تطوير مناهج العلوم الشرعية، ومناهج اللغة العربية، ومناهج الدراسات الاجتماعية والإنسانية، والتأصيل الإسلامى للعلوم بشكل عام، سواء أكانت علوما شرعية، أو اجتماعية، أو إنسانية، أو حتى العلوم الطبيعية.

وبيَّن الدكتور التركى المجهود العلمى المكثف الذى قامت به رابطة الجامعات الإسلامية، على مدى أربع سنوات، من خلال مجموعة متخصصة من العلماء، من الجامعات المصرية، والجامعات الإسلامية من خارج مصر، كل فى مجال تخصصه، لتطوير مقررات مختلف العلوم الشرعية والعربية.

وبالفعل فقد شكلت ثمان لجان فى مجال العلوم الإسلامية والعربية، مثل لجنة الفقه، ولجنة أصول الفقه، ولجنة الحديث وعلوم السنة، ولجنة التفسير وعلوم القرآن، ولجنة العقيدة والمذاهب المعاصرة، ولجنة الاقتصاد الإسلامى. وقد شكلت كل لجنة من مجموعة متميزة من العلماء، بحثوا ونقبوا حتى توصلوا إلى تفاصيل مفردات كل مادة من هذه المواد. وصدر هذا كله فى ما يسمى وثيقة نهضة الأمة، التى تم إعلانها فى المؤتمر العام لرابطة الجامعات الإسلامية فى بيروت فى أبريل عام ٢٠٠٤.



جعفر عبدالسلام

وقال د.عبدالله التركى: إن كل هذا يعنى أن محاولات التطوير والتجديد فى مناهج العلوم، يجب أن تستمر، لتواكب متغيرات كل عصر، وليطمئن المسلمون إلى حكم الله، أو حكم الشرع فى هذه المستحدثات الحضارية.

كما أشار إلى أهمية الحفاظ على اللغة العربية، بوصفها لغة القرآن الكريم، حيث يجب تفعيل تدريسها، وتيسيره للطلاب سواء فى مرحلة التعليم ما قبل الجامعى، أو فى مرحلة التعليم الجامعى، حتى يشب الطلاب على الوعى بلغتهم السليمة وممارسين للنطق بها بلسان عربى مبين.

وهذا يعنى ضرورة التجديد فى مناهج اللغة العربية، وأساليب تدريسها، ووسائل الإيضاح المستخدمة فيها، كل هذا بهدف الحفاظ على لغتنا العربية، التى تمثل الهوية الثقافية والحضارية للأمة بأسرها. فالإسلام واللغة العربية وجهان لعملة واحدة.

كذلك تناولت كلمة رئيس رابطة الجامعات الإسلامية، ضرورة الاهتمام بالتأصيل الإسلامى

للعلوم الاجتماعية والإنسانية مشيرا إلى عدد من العلماء المسلمين المتميزين من أمثال، عبدالرحمن ابن خلدون، وأبو الحسن الماوردى، وابن جبير، والبيرونى، وابن الأزرق، وابن تيميه.. وابن قيم الجوزية، والقابسى والإدريسى. وكل هؤلاء وغيرهم، كانت لهم إبداعاتهم المهمة فى مجال العلوم الاجتماعية. فقد اكتشف ابن خلدون علم العمران البشرى، وأبدع الماوردى وابن تيمية فيما يطلق عليه اليوم العلوم السياسية، وأبدع الإدريسى فى علم الجغرافيا، وأبدع القابسى فيما يطلق عليه اليوم علوم التربية.

وعلى أساتذة الجامعات الإسلامية أن تبرز هذه الثروات المكنونة فى تراثنا الإسلامى، وأن تخرجه إلى النور، وأن تجعله المنطلق السليم لدراسة العلوم الاجتماعية والإنسانية، للطلاب فى تلك الجامعات وغيرها، ذلك بدلا من الاعتماد على نظريات غربية أو شرقية، بعضها جيد، وبعضها دون المستوى ويتصادم بشكل واضح مع مبادىء ديننا الحنيف.

١٧٥ باحثا من ثلاث وعشرين دولة

كانت كلية دار العلوم بجامعة المنيا ومن خلال عميدها الدكتور محمد عبدالرحيم محمد قد وجهت الدعوة إلى ما يقرب من ١٧٥ باحثا فى ثلاثة وعشرين دولة عربية وإسلامية وأوروبية، وبالفعل قدموا أوراقهم العلمية، التى خضعت لفحوص وتحكيم، وأجيزت غالبيتها وتم طبعها فى ثلاثة مجلدات، وبلغت عدد صفحات تلك المجلدات ألفين وستمائة وثلاث وستين صفحة، تم عرضها ومناقشتها فى ثمان عشرة جلسة علمية. على مدار ثلاثة أيام متوالية.

وكانت محاور المؤتمر حول مفهوم التجديد والغاية منه، وضوابطه ومجالاته وأعلام المجددين، والتجديد المطلوب فى العلوم الإسلامية والتجديد فى مجال العلوم الإنسانية، والتجديد فى مجال علوم اللغة العربية.

بحوث فى المؤتمر

ومن خلال مشاركتنا فى جلسات المؤتمر نتوقف عند بحث بعنوان «التجديد فى العلوم الإسلامية، وضرورياته الملحة» للدكتور سعيد محمد عبدالسلام الأستاذ بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة تعز باليمن والذى يقول: نحن مطالبون بالتجديد فى هذا العصر، أكثر من أى وقت مضى، وأن نسعى بوعى لأن نعمر أرضنا ومجتمعنا الذى نصنعه نحن، ونعيشه، ونحدد وضعه ومستقبله، بأنشطتنا وعلاقاتنا وسلوكياتنا اليومية فى كل مجال من مجالات النشاط الإنسانى، وأن نرى واقعنا، ونفهم ما حولنا، وندرك كم أصابنا من خسائر من نتاج ما نمارسه من تصرفات سلبية فى خطابنا أو تعاملاتنا.

«وتتشابك المفاهيم حول ما يقصد منها، فمفهوم «التجديد» يتشابك مع «المعاصرة» و«التقدم» و«التحديث» و«التطور» و«التقنية» و«النهضة»، لتعبر عن رؤية غربية لعملية التجديد، نابعة من الخبرات التاريخية الغربية،

ومستهدفة لربط عملية التجديد فى كل الحضارات بالحضارة الغربية، باعتبارها قمة التقدم، وهدفا للدول الساعية نحو التقدم.

ويعود الباحث للقول بأن مفهوم «التجديد» يتشابك مع مفهومى «الأصالة والتراث» حيث يقصد بالأصالة تأكيد الهوية والوعى بالتراث دون تقليد جامد، وتلك المقاصد جزء من غايات التجديد كما يتشابك «التجديد» مع مفهوم «التعريب» الذى يعبر عن عملية النقل الفكرى من الغرب، وهو ما قد يحدث تحت دعوى التجديد.. لقد استخدمت كلمة جديد - وليس لفظ التجديد - فى القرآن الكريم، بمعنى البعث والإحياء والإعادة - غالبا للخلق - وكذلك أشارت السنة النبوية لمفهوم التجديد من خلال المعانى السابقة المتصلة - الخلق - الضعف أو الموت - الإعادة والإحياء.

ويعتبر الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» [رواه أبو داود بسند صحيح] من أهم الإشارات إلى مفهوم التجديد فى السنة النبوية والتجديد الحقيقى مشروع، بل ومطلوب فى كل شىء. فى الماديات والمعنويات، فى الدنيا والدين، حتى إن الايمان ليحتاج إلى تجديد، والدين يحتاج إلى تجديد، وفى الحديث الذى رواه عبدالله بن عمرو «إن الإيمان ليخلق فى جوف أحدكم، كما يخلق الثوب الخلق، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان فى قلوبكم» [رواه الحاكم فى المستدرك]



أمين الخولى

أمين الخولى وقضايا التجديد

وفى بحثه عن قضايا التجديد عند أمين الخولى يشير د. علاء متولى بكلية الآداب بسوهاج إلى أن أمين الخولى حاول أن يؤكد على مشروعية التجديد، واعتبره ضرورة ذاتية للمجتمعات بصفة عامة، وللأمة الإسلامية بصفة خاصة، ورأى أن تلك القضية لا تحتاج إلى أدلة أو براهين لكى نثبت شرعيتها «أما عن مفهوم التجديد عنده، فهو ليس اعادة قديم كان، وإنما هو اهتداء إلى جديد كان بعد أن لم يكن، سواء كان الاهتداء إلى هذا الجديد بطريق الأخذ من قديم كان موجودا، أم بطريق الاجتهاد فى استخراج هذا الجديد بعد أن لم يكن!

ومن هنا فقد فهم الخولى أن التجديد تطور، والتطور الدينى هو نهاية التجديد الحق، والتطور هو سمة الحياة، وهذا أمر لا مجال لإنكاره، فالحياة عنده كالنهر المتدفق بالمياه المتجددة، ولا يمكن أن تتوقف، ومهمة الفكر أن يواكب مسيرة تلك الحياة، فلا يجوز أن يكون معزولا عن قضايا الإنسان.

كما حرص أمين الخولى أن يؤكد على أن الإسلام هو دين ونظام اجتماعى عملى، يحمل أسسا للتطور، تهيئة لذلك، دون أن يصطدم

مع تطور الحياة نظريا وعمليا، وذلك لأن الإسلام متسق مع سنن الكون والحياة، ونواميس الفطرة الإنسانية التى أساسها الحركة والتطور. ولخص تلك الأسس فى: امتداد دعوة الإسلام امتدادا أفقيا ورأسيا، واقتصار دعوة الإسلام فى الغيبيات، وعدم تعرض الإسلام فى كتابه القرآن الكريم فى الحديث عن العلوم ونشأة الكون والتاريخ، والاهتمام بالمبادىء العامة فيما يختص بالعقيدة والعبادات، والتأكيد على أهمية الاجتهاد، وجعله أساسا للحياة الإسلامية.

... وجاءت وقفته النقدية والتحليلية لما قدمه المجددون القدماء للحياة الدينية والخلقية والعلمية، بمثابة رسم صورة توضح صفات المجدد كما يراه الخولى ومنها: التسامح الدينى، حرية الاعتقاد، فهم الدين على أنه إصلاح للحياة، لا طقوس وأشكال، الشعور بالوحدة الاجتماعية، سعة الأفق وإجلال العلم، والنفور من التقليد!

إعلان المنيا

وبعد مناقشة الأبحاث والدراسات توصل المشاركون فى المؤتمر إلى توصيات مهمة من بينها:

● أولا: يؤكد المؤتمر على أهمية التجديد فى الاجتهاد فى مجال العلوم الإسلامية، وتطوير مناهج تدريسها على أساس أن ا لتجديد سنة من سنن الكون، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها» ولتأكيد ذلك يوصى المؤتمر بما يلى:

١- فتح مجالات الاجتهاد لتناول المعاملات الجديدة، التى لم يتعرض لها الفقه الاسلامى من قبل، وردها إلى أحكام القرآن والسنة، والمبادىء العامة للإسلام، لكى يستنبط الحكم الشرعى لها مثل: قضايا البيئة، والتجارة الإلكترونية، ومعاملات البنوك، وقضايا بطاقات الائتمان المستحدثة، والوسائل الحديثة للاستثمار.

٢- الاهتمام بالفقه الطبى وقضاياه المستحدثة مثل: قضايا الاستنساخ، والتلقيح الصناعى، واستئجار الأرحام وزرع الأعضاء.

٣- الاهتمام بتطبيق مناهج الدراسات الحديثة فى العلوم الإسلامية، التى درست جيدا من قبل رابطة الجامعات الإسلامية، وأقرتها وثيقة نهضة الأمة، من خلال تطوير الدراسات الإسلامية.

٤- تطوير دراسات أصول الفقه، وتنقيتها من الحواشى والاستطرادات التى تجعل دراستها غير ميسورة للطلاب والباحثين المعاصرين، مع عرض الأمثلة والتطبيقات الحديثة، والاستعانة بدراسات أحكام القضاء وتفسيرات الفقهاء المعاصرين.

٥- نقل الفتاوى والدراسات التى تجيب على المشكلات الحديثة من قبل المعنيين، ومجامع وهيئات الفقه الإسلامى، إلى كتب الدراسة فى الكليات والجامعات الإسلامية، حتى يكون الطالب على صلة بما يجرى فى الواقع العملى، بشأن مختلف القضايا الفقهية.

٦- التركيز على القضايا الكلية والمبادىء الأساسية فى دراسات الفقه الإسلامى، والبعد عن المسائل الهامشية والتفصيلات التى أصبحت سمة مميزة - للأسف - للكتابات المعاصرة.

وفى مجال تجديد اللغة العربية

جاءت التوصيات لتؤكد على ضرورة التخلص من عوامل التغريب، ومظاهره، التى تأتى على حساب اللغة العربية فى مجال العلامات التجارية (اللافتات)، وأيضا تدريب من يقومون بتدريس اللغة العربية، على الوسائل الحديثة للتدريس، وتبنى الآليات التى تؤدى إلى تحسين الفهم والنطق بلغة عربية سليمة، ونظرا للتدهور الحاد الذى أصاب مجتمعاتنا العربية والإسلامية، فإن المؤتمر يؤكد على أهمية تصحيح التعامل مع اللغة العربية، قراءة وكتابة ونطقا وللعمل على هذه التوصيات يؤكد المؤتمر على:

١- الاهتمام باللغة العربية والارتقاء بالدراسات داخلها، عن طريق تشجيع العلماء والباحثين المتميزين فى دراسات اللغة العربية، وتبسيط نحوها، وإعطاء الأمثلة المشوقة لها، حتى تكون مادة محببة للطلاب.

٢- تشجيع التأليف الجماعى فى مناهج ومقررات اللغة العربية، واخراجها بشكل مشوق يحث الطلاب على قراءتها واستيعابها بشكل جيد.

٣- تدريس اللغة العربية فى المراحل الأولى دون غيرها من اللغات.

٤- تعريب العلوم المختلفة كالطب والهندسة والعلوم الأساسية والتطبيقية، مع الارتقاء بترجمة العلوم المختلفة.

ويناشد المؤتمر والمنظمات الإسلامية المعنية بالتعليم والدراسات الإسلامية، بتبنى هذه التوصيات وتفعيلها بكافة الوسائل الممكنة.

● أما فى مجال العلوم الإنسانية، فقد أوصى المؤتمر الدولى الأول لمناهج التجديد فى العلوم الإسلامية والعربية: بضرورة التوغل فى كتب التراث، واستخراج المسائل العلمية والنظريات التى وضعها علماء المسلمين من أمثال ابن خلدون، وابن القيم والفارابى وابن رشد وغيرهم، وتدريس هذه النظريات والأفكار، وإضافة إليها نظريات علماء الاجتماع المعاصرين أمثال: دوركايم وماكس فيفر.

● تنقية مناهج تدريس العلوم الاجتماعية والإنسانية، من النظريات التى تخالف العقيدة، ولا تمثل نظريات علمية محققة بشكل منهجى، مثل نظريات النشوء والارتقاء، والنظرية الماركسية، ومختلف النظريات المطروحة فى أصل نشأة الدين.

● التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية والإنسانية، بالتركيز على الحقائق الإيمانية، وما هو معلوم من الدين للضرورة، مع الاستفادة بما هو مطروح فى أدبيات الفكر



الاجتماعى المعاصر.

ويوصى المؤتمر بإنشاء مؤسسة للتجديد والاجتهاد فى الفكر وفى الفقه الإسلامى، يكون من مهامها تبنى المواهب والقدرات الفذة ورعايتها، وإعطاؤها الفرصة لقيادة الأمة.

ومناشدة رابطة الجامعات الإسلامية اتخاذ المبادرة، لإنشاء هذه المؤسسة، وكذلك الحث على تشجيع البحث والدراسة للمجددين فى الفكر الإسلامى فى مختلف العصور، مع نشر الأبحاث والدراسات الخاصة بذلك بكافة الوسائل، وتبادلها مع الجامعات الأعضاء.

***

وتبقى كلمة.. فالبحوث المقدمة والعلماء الذين قدموها فى أحسن صورة، كتابة وعرضا فى المناقشات، وهذه التوصيات الكثيرة والمهمة، مسئولية كبرى، يتحملها هذا الحشد الكبير من الباحثين والعلماء.. ومطلوب منهم أن يبدأوا بأنفسهم فى التطبيق، والعمل على تفعيل هذه التوصيات داخل جامعاتهم ومراكزهم البحثية، وحتى لا تكون مثل آلاف التوصيات التى تمخضت عن مئات مؤتمراتنا العربية والإسلامية، وبمرور السنوات ظلت حبيسة لا نعلم عنها شيئا!!

فهل نحن - بحق - جادون فى العمل على تجديد العلوم الإسلامية والعربية.. إنه سؤال خطير.. يحتاج منا إلى جهد متصل، وإلى أمانة علمية فى التطبيق، وإخلاص حقيقى من أجل أمتنا التى تحتاج منا إلى الكثير، الذى صنعه من قبل علماء كبار بحق من علمائنا المسلمين.

كتاب الشهر

الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية

تأليف

الدكتور رشاد عبدالله الشامى

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين

من بين المساوئ التى يبذل الغربيون المتعصبون جهودهم لإلصاقها بالإسلام... فرية «رفض الآخر»، وفرية «حض المسلمين على عدم محاورة الآخر»، ومما يؤسف له ما نراه اليوم من بعض المسلمين ذوى الأصوات العالية من الترفع عن محاورة غير المسلمين، ونبذهم، وإسدال السِّتْر عليهم؛ توهُماً منهم أنهم بهذا تخلصوا منهم، وأنهم أدوا رسالة الإسلام.!

ولو أن هؤلاء وأولئك رجعوا إلى الإسلام فى أصوله لعرفوا أن القرآن الكريم أمر رسول الله ﷺ وكل مسلم أن يهتم بكل من لم يسلم ليبين له حقيقة الإسلام، ويزيل عن عينيه وعقله ما ران عليه من ضباب، موضحاً للمسلمين آداب الحوار، وكيف يكون، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾

(آل عمران: ٦١)

وقال ـ جلَ شأنه ـ:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

(آل عمران: ٦٤)

وقال ـ عزَ وجلَ ـ:

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

(العنكبوت: ٤٦)

بل إن الأدب الإسلامى فى الحوار ليفرض على المسلم الحق أن لا يصادر على صاحب الرأى رأيه من أول الأمر، بل عليه أن يَهشَّ له وينبهه إلى أن الحقيقة ليست ملكاً له وحده، حتى يلج معه باب الحوار البصير، فيكشفان سوياً ما ران على الحقيقة من ظلام على ما نرى فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾

(سبأ: ٢٤)

فالهُدَى ليس مقصوراً على أحد المتحاورين لذاته قسراً، وإنما الحوار الجاد الهادف هو الذى يقرر: أين الهدى، وأين الضلال؟.

واحترام الإسلام للآخر ليس فى ميدان الحوار فحسب، ولكنه يمنحه هذا الاحترام فى شتى ميادين الحياة، مادام مراعياً حرمة الآخرين، محافظاً على حقوقهم فى الحياة الآمنة الكريمة، على ما قرره قوله ـ تعالى ـ:

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

(الممتحنة: ٨)

فنهى الإسلام عن بر غير المسلم والتعامل الرفيق معه، إنما هو فى حال عدوان الآخر على المسلمين وقتالهم بسبب الدين أو معاونة من يقاتلهم ويسعى لإخراجهم من ديارهم فحسب، كما أوضحه قوله جلَ شأنه ـ فى الآية التالية:

﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

(الممتحنة: ٩)

من هذا المنطلق الواضح المحدد... كان على كل مسلم أن يتعرف على حقيقة هذا الآخر الذى يعانده، حتى يعرف طبيعته، ويعرف النهج الحوارى الذى يمكن أن يجدى معه، لا أن يترفع عن التحاور معه، ولا أن يحاوره بغير التى هى أحسن.!

وإذا كان المسلمون الجادون قد توجهوا للتعرف على الآخر الغربى فى شتى مسالكه الفكرية والسلوكية، والشعورية، وبدأوا بالفعل فى محاورته... فإن على هؤلاء المسلمين الجادين ـ كذلك ـ أن يتعرفوا على الآخر الذى فرض علينا أن نجاوره، وهُيِّئَتْ له كل الفرص لينتشر بيننا؛ فليس تجاهله ـ ولا الجهل به ـ بالذى يخلصنا منه، ولا بالذى يخفف من وطأته، أو يقوده إلى الهداية، ولكن علينا أن نطيع أمر ربنا، ونسعى للتعرف عليه التعرف الصادق، ونتهيأ للتعامل معه بالحوار الجاد

الخالص، أو بغير الحوار من الوسائل التى قد يفرضها واقعه... سواء كان هذا التعامل بالتى هى أحسن، أو كان بغيرها؛ فالتعرف عليه ضرورى، أياً كانت وسائل التعامل ومظاهره.!

آخرُ.... ذو وُجوه

نعم... يجب هذا التعرف، إذا كان ذلك الآخر ذا وجوه مختلفة متباينة أو متوافقة يتخير منها لكل موقف ما يناسبه، كما هو حال الآخر الذى وَطَّنَهُ المستعمرون الأوروبيون أرض فلسطين، وأنشأ بهم دولة «إسرائيل»؛ فهم يهود تارة، وهم إسرائيليون تارة أخرى، وهم صهيونيون تارة ثالثة، وهم هؤلاء جميعاً تارة رابعة.!

فليس من شك فى أن الحاجة ماسة للتعرف على هذا الآخر الذى فرض علينا مجاورته؛ والتعامل معه؛ إذ لكل هوية من تلك الهويات سمات وخصائص، وتوجهات تقود المنتمى إليها فى شتى شئون حياته الخاصة والعامة !

ولقد تصدى الدكتور رشاد الشامى للتعريف بكل هوية من تلك الهويات فى كتابه «الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية» معتمداً على النهج العلمى الجاد، بالنظر العقلى الموضوعى، والاستقراء التاريخى المحايد، والتجرد عن الهوى والانفعال.

أما الكتاب، فمن إصدارات سلسلة «كتاب الهلال» بمصر فى ديسمبر سنة ٢٠٠٢، العدد (٦٢٤)، وقد صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٨٦، بهذا العنوان نفسه، والكتاب فى هذه الطبعة يشغل ست عشرة وأربعمائة صفحة من القطع الصغير، ويحتوى على مقدمة، وخمسة فصول.

وأما المؤلف، فهو الدكتور رشاد عبدالله الشامى، أستاذ ورئيس قسم اللغة العبرية وآدابها بكلية الآداب ـ جامعة عين شمس بالقاهرة، كما عُرِفَ به فى آخر كتابه «القوى الدينية فى إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة»، الصادر عن سلسلة «عالم المعرفة» الكويتية، والذى قدمناه فى هذا الباب من قبل.

وقد حرص المؤلف على أن يعرف باتجاهه فى دراسة الشخصية الإسرائيلية ـ التزاماً منه بالمنهج العلمى من أول الأمر ـ فنبه فى المقدمة إلى أن هناك اتجاهين فى دراسة الشخصية الإسرائيلية يشيعان فى الدراسات الإسرائيلية فى العالم العربى.

١ ـ الاتجاه الأول منهما... يرى أن الإسرائيليين المعاصرين هم امتداد للجنس اليهودى القديم الذى حدثتنا عنه الكتب السماوية... وأصحاب هذا الاتجاه يرجعون أى موقف يتخذه الإسرائيليون المعاصرون إلى واقعة وردت فى أسفار العهد القديم،

أو فى كتب التراث المسيحى أو الإسلامى.

٢ ـ والاتجاه الثانى منهما... يرى أصحابه أن الإسرائيليين الذين نواجههم اليوم ليسوا امتداداً للجنس اليهودى القديم، وليس ثمة وجود لتراث يهودى واحد، ولا لتاريخ يهودى واحد.

ونبه إلى أنه اختار الاتجاه الثانى؛ كى تسلم الدراسة مما يؤخذ على الاتجاه الأول من عيوب وأخطاء من أبرزها:

أ) أنه يلزم على الاتجاه الأول: أن يُسَلِّمَ أصحابه بوجود واقع تاريخى مادى متصل ـ منذ نشأة الديانة اليهودية حتى اليوم ـ يجمع بين اليهود السوفييت واليهود العرب، وبين يهود ألمانيا ويهود اليمن مثلاً. رغم عدم تشابه الظروف المحيطة بهؤلاء وأولئك اجتماعياً، واقتصادياً، وتاريخياً.

ب) ويلزم الخلط فى استخدام مصطلحات «إسرائيلى ـ يهودى ـ صهيونى»، دون تحديد دقيق، والتعامل معها على أنها ألفاظ مترادفة لجوهر واحد.

جـ) ويلزم الاستخدام غير الواقعى لمقولات الفكر الصهيونى التى تحاول أن تُثْبِتَ فى وجدان العالم: أن اليهود اليوم هم ورثة أسباط بنى إسرائيل القدامى، مثل مقولة «الاستمرارية التاريخية»، ومقولة «التاريخ المشترك للأقليات اليهودية»، ومقولة «الأمة العبرية».

الشخصية اليهودية فى عزلتها الأولى

وانطلاقاً من الدكتور الشامى مع هذا الاتجاه، عمل على استعراض الشخصية اليهودية فى أُطُر الانعزال المختلفة التى لازمتها فى مراحلها التاريخية، نقدم فى الفصل الأول سمات تلك الشخصية منذ اختار اليهود فى بدايتهم عزل أنفسهم عن مجاوريهم؛ حيث لفت نظره عدم ارتباط وجود تلك الشخصية بإطار جغرافى محدد، بسبب ما تمتاز به من روح عدوانية، تتكشف للباحث عند تقصى جذور الشخصية اليهودية؛ إذ تؤكد الشواهد التاريخية والدينية الكثير: أن اليهود قد رحلوا إلى الشاطئ الشمالى من البحر الأسود، وإلى «ترانسكافانيا»، و«طوران» فى القرن الأول الميلادى. بل إن المؤرخين ليؤكدون: أن كثيرين من يهود فلسطين قد وصلوا إلى شواطئ روسيا، وانتشروا عبر منطقة القوقاز، منذ ما قبل المسيح بقرون عديدة.

وكانت هجرتهم بعد ذلك من شرق أوروبا إلى «ألمانيا» فى غرب أوروبا... هى أكبر هجرة مؤثرة على تاريخ اليهود. ويرجع ذلك إلى مطلع القرن الثامن الميلادى، حيث وجدت جماعات يهودية فى بعض المدن، مثل «كولون»، و«مينس»، ولكن ما لاقاه اليهود على يد الحملات الصليبية ـ خصوصاً حين وقعت كارثة

الموت الأسود سنة ١٣٤٧ : سنة ١٣٤٨ ، التى راح ضحيتها ربع سكان أوروبا، واتهم اليهود بأنهم وراء تلك الكارثة، حيث سمموا الآبار، فأنزلوا بهم من المذابح ما ألجأ عشرات الآلاف من الأسر إلى الهجرة لشرق أوروبا وأغراهم على ذلك أن حكام بلاد شرق أوروبا قد رحبوا بهم، كى يستفيدوا من براعتهم وخبرتهم فى تنمية الأقاليم المختلفة... ورويداً رويداً اندمجت الجماعات اليهودية القديمة فى روسيا باليهود القادمين من الغرب؛ فقد سمحوا لهم أن يعيشوا هناك داخل إطار أطلق عليه: منطقة الاستيطان «تحوم هاموشاف»، وهذه المنطقة تشمل: بولندا، ولتوانيا، وبيلوروسيا، وأوكرانيا.

عزلة الجيتو

وكان على يهود شرق أوروبا هؤلاء أن يُخْضِعُوا حياتهم لعنصرين مهمين، هما: العزلةَ اليهودية، والدين.

١ ـ أما العزلة اليهودية، فقد بدأت عزلة اختيارية، حين فقدوا النفوذ العبرانى الذى منحه لهم فرعون مصر؛ تقديراً ليوسف ـ عليه السلام ـ، فبعد وفاة يوسف لم يقبلوا أن يعملوا مثل سائر المصريين فى مهنة الزراعة، وصناعة البناء ـ وهما العملان الرئيسيان فى مصر وقتذاك ـ وعدوا تكليف فرعون إياهم بذلك تعذيباً لهم وعبودية؛ ففكروا فى الخروج من مصر، وأضفوا على تلك الرغبة قدسية إلهية، تخفى ما أضمروه من تآمر على أبناء مصر، مُغْفِلين ما كانوا فيه من نعمة فى كنف المصريين على مدى خمسة قرون، نعموا فيها بخيرات مصر واستشعروا فيها الأمن والأمان؛ ولذلك... سرعان ما ندموا على تركها، عندما عانوا الأهوال، والجوع، والتشرد، وفقدوا الأمان... فى التيه فى سيناء.

وقد أخذت هذه العزلة ـ داخل المجتمعات القديمة وفى العصور الوسطى ـ أشكالاً متعددة؛ مثل: «حارة اليهود» فى مصر، و«قاعة اليهود» و«المسبتة»ـ نسبة إلى السبت ـ فى اليمن، و«المِلاح» فى المغرب.

أما فى شرق أوروبا فإن مناطق الانعزال اتخذت تسميات أخرى متعددة... مثل:

أ) الشتتل: وهى كلمة فى اللغة اليديشية تعنى: «المدينة الصغيرة»ـ واليديشية رطانة يهودية، خليط من الألمانية وبعض اللهجات السلافية والآرامية والعبرية ـ فالشتتل تجمع سكانى، يتراوح بين ألف، وعشرين ألفاً من اليهود، وتدور الحياة فيه بين المعبد والمنزل اليهودى، ثم السوق الذى يلتقون فيه بالآخرين.

ب) القاهال: وهى كلمة عبرية تعنى جماعة كبيرة من الناس فى مكان واحد. ويُعْنَى بها: الخلية الأساسية لتنظيم حياة اليهود فى منطقة إقامتهم، ومن حقها

تعيين القُضَاة، والربانيم «الحاخامات الأشكيناز»، وقد عرف بهذا الاسم «قاهال» بولندا، المعروف باسم مجلس البلاد الأربع، ويضم: بولندا الكبرى، وبولندا الصغرى، وفولينيا، ولتوانيا.

وفى النصف الثانى من القرن الثامن عشر تم شن هجوم نقدى على التنظيم القاهالى بأكمله؛ لما يقوم عليه من فساد واستغلال ونهب.

ولما تولى القيصر نيقولا الأول حكم روسيا سنة ١٨٢٥ أوضح منذ بداية حكمه أنه يَعُد اليهود شعباً غريباً، شعباً يجب أن يكيف نفسه بسرعة مع الأكثرية السلافية اليونانية الأرثوذكسية، أو يقاسى من النتائج الوخيمة، وسَنَّ قانوناً يفرض على اليهود التجنيد بالخدمة العسكرية، ويقضى بها إحدى وثلاثين عاماً.

وتقوم القاهال بتزويد السلطات بأسماء المجندين؛ ولقد فقد الأهالى الثقة فى الحكومة الذاتية اليهودية؛ لما كان شائعاً من تحصيل الرشوة من الأثرياء، حتى لا تزود السلطات القيصرية بأسماء أبنائهم، كما يوضح ذلك الفن الشعبى فى تلك الفترة الذى يصور الذكريات المفعمة بالأسى من الوكلاء النهابين للقاهال «الخابرز»، حتى أصدر القيصر نيقولا أمره بإلغاء «القاهالات» جميعها، فانتهت الحكومة الذاتية اليهودية، وأصبحت الطائفة اليهودية تحت سلطة الإدارة الروسية العامة.

جـ) الجيتو: وهو أشهر أشكال الانعزالية اليهودية فى العالم، حتى أصبح يطلق على جميع أشكال الحياة اليهودية الانعزالية، وسط الشعوب التى عاشوا بين ظهرانيها. والجيتو... عبارة عن حى، أو عدد من الشوارع المخصصة لإقامة اليهود. وإن كان أصل الكلمة محاطاً بكثير من الاحتمالات، غير أنه اصطلح على التعبير به عن الانعزال، إجبارياً كان أو اختيارياً؛ إذ ظلت العزلة الاختيارية من قبل اليهود قائمة إلى أن أصدر البابا بولس الرابع (١٥٥٠ : ١٥٥٩) نشرة بابوية فى سنة ١٥٥٩ توصى ـ لأول مرة ـ بعزل اليهود إجبارياً.

وهذا العزل الإجبارى لا يعنى أن اليهود كانوا لا يعيشون قبل ذلك بمعزل عن الشعوب التى يعيشون بينها، فالصحيح: أن العزلة اليهودية كانت قائمة على مر العصور لأسباب دينية وطقسية.

وكان مما ترتب على قرار البابا... تحول النظام الاجتماعى، الاقتصادى، الدينى للحياة اليهودية القائم على العزلة.. إلى نظام إجبارى. وقد نشأ عن هذه العزلة نتائج، منها:

١- تقليل اختلاطهم بالمسيحيين يوماً بعد يوم، مما زاد الشبهات تجاه اليهود.

٢- ازدياد الكثافة السكانية فى أحياء العزلة، لدرجة تدهور المستوى الاجتماعى،

وتفشى الأمراض بينهم، مما أثر على وجدانهم، وعمق انفصالهم عن العالم الخارجى.

٣- انعدام إحساس اليهود بالأمن خارج «الجيتو»، وتعمق إحساسهم بأن «الجيتو» هو درع الأمان للحفاظ عليهم وعلى شريعتهم.

٤- الحد من أنشطتهم فى مجال التجارة الدولية، مما مكن الفقر من السيطرة عليهم.

هذا هو العنصر الأول من العنصرين اللذين أخضع يهود شرق أوروبا حياتهم له وهو «الجيتو» فى منشئه، وأطواره، وآثاره.

عزلة الدين

٢ ـ وكان العنصر الثانى الذى أخضع يهودُ شرق أوروبا حياتهم له.. هو الدين اليهودى بقوانينه الشاملة شتى شئون الحياة، مثل طعام «الكاشير»، وتحريم الزواج المختلط، والختان، وضرورة وجود عشرة مصلين لتصح صلاة الجماعة، ونظام الدفن، وعدم نظافة المرأة الحائض والجسد العارى... إلى غير ذلك من التعاليم الدينية التى قوبلت بالاستهزاء من الآخرين؛ فعمقت من طابع العزلة اليهودية، خصوصاً أن اليهودية عبادة قبلية لجماعة خاصة متفردة، وأنها ظلت منذ القرن الثانى قبل الميلاد حتى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى هى العامل الرئيسى فى توجيه الحياة اليهودية، على الرغم من أن اليهودية لا تقصر على التعاليم السماوية وحدها، ولكنها تضم كثيراً من اجتهادات الحاخامات فى تفسير الدين، التى خَلَقَتْ عندهم استعداداً للانعزال عن الأغيار، والتى عمقت بعض العقائد لديهم مثل عقيدة «شعب الله المختار»، و«الشعب المقدس»، و«انتظار المسيح المخلص»... وغير ذلك من العقائد التى أكدت ـ مع مرور الأجيال ـ إحساسهم بالتميز والتفرد، وعمقت انفصالهم عن الآخرين.

فكانت وظيفة المعبد فى منطقة الاستيطان ـ إلى جانب دوره الكهنوتى ـ اجتماعية تعليمية، حيث يبدأ الصبى فى سن الرابعة حياته المدرسية فى «الحيدر»، وهو المدرسة الابتدائية الخاصة الصغيرة، التى يلقن فيها الأبجدية العبرية، وجزءاً من التلمود، يشبه الكُتّاب عند المسلمين.

وكانت حالة «الحيدر» ـ الذى وجد منه نحو ستة آلاف «حيدر» فى منطقة الاستيطان ـ يرثى لها، من شدة الرطوبة، ومن العفن المنتشر فى جوه، وقذارة أرضياته، وتلطيخها بالبصاق وأسراب الذباب، ومن حالة المعلم الذى لم يكن مستواه يعلو عن أى فرد، وكانت معاملته للطلبة تتسم بالقسوة، والجَلْد، والشتيمة.

وكان مفروضاً على الصبى أن يمكث فى «الحيدر» طوال النهار، فلا يرى أبويه إلا مرة لمدة نصف ساعة فى الصباح، وساعة قبل أن ينام، فكان المعلم بمثابة الإله، والسيد بالنسبة له؛ فلم يكن أمام الطفل إلا أن تنعكس عليه طبيعة «الحيدر» من بؤس، وخراب وقذارة، وعنف، وقسوة.

بين المشاعر المتناقضة

هذا النظام التعليمى الذى ساد جميع يهود القارة الأوروبية... كان يقوم على ثلاثة أسس، هى: تقليدية التعليم، وشعبيته، وافتراض أن شريعة إسرائيل هى ذروة أعمال اليهودى فى حياته، ومعيار مركزه الاجتماعى.

فى ظل هذا المناخ الانعزالى المتمحور حول الدين، وسلطة الحاخام، والإيقاع التنظيمى ذى الطابع الاقتصادى الهامشى، المنحصر فى التجارة المتجولة، وبيع الملابس المستعملة، وفتح الحانات، وعمليات الحياكة والصباغة، والإقراض بالربا، والصيرفة... تبلورت السمات النفسية الأساسية للشخصية اليهودية الجيتوية، التى عانت نوعاً من الانفصام فى الرؤية، جعل الصراع فى المشاعر، والتناقض الحاد فى السلوك.. محوراً رئيسياً، تحددت من خلاله السمة الرئيسية لتلك الشخصية، وهى: التناقض بين الشعور بالاستعلاء، والشعور بالدونية والاضطهاد؛ فاليهود لم يرثوا كتاب «العهد القديم» فقط، بل ورثوا معه تاريخاً طويلاً من اللاشعور الجمعى بكل محتوياته ومكنوناته، وعقده النفسية: من الشعور بالذنب، وعقدة أوديب، والشعور بالدونية، والشعور بالعظمة والتعالى... إلخ، وكتابات العهد القديم زاخرة بالأقوال التى تدلل على ذلك.

فعقدة الانعزال عند البشر، والشعور بالامتياز والاستعلاء على أمم العالم قد شقت طريقها إلى النفسية اليهودية، وأصبحت عاملاً أساسياً فى تكوين شخصية هذه الجماعة منذ القدم عن طريق الأنساب والأعراق، وعن طريق الذكريات الدينية والسياسية التى تضخمت وغلظت مع الزمن؛ من كل ما يوضح أهمية الخرافة والأسطورة فى خلق الإطار النفسى العنصرى اليهودى، لدرجة تتجاوز الحقيقة التاريخية، خصوصاً أن كلاً من الخرافة والأسطورة اصطبغت مع الزمن بقدسية الدين.

لقد رأى اليهود: أنهم فى مجتمعاتهم المتفرقة فى أنحاء العالم يصارعون عوامل الفناء، ويتغلبون بتضامنهم الاجتماعى والدينى على مشاريع الإبادة التى خُطِطَتْ من أجلهم؛ فكان من الطبيعى أن يأخذهم الزهو والغرور بهذا البقاء الدائم، حتى ظهرت فى تعبيراتهم اللغوية ألفاظ يطلقونها على أنفسهم، مثل «شعب الله المختار»، و«الشعب الأزلى» (عم عولام)، و«الشعب الأبدى» (عم نيتسح)، حيث يعتقدون أنهم مثل الله، لا أول لهم ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية، ومثل: «الشعب المقدس» (عم قادوش).

ويخلص الدكتور الشامى من هذا العرض

قائلاً: وهكذا نجد أن الفكر الدينى اليهودى قد صاغ العقلية اليهودية فى إطار من العنصرية التى تسبغ على اليهود صفات المديح والتعظيم، فى الوقت الذى تتعامل فيه مع الشعوب غير اليهودية، بسيل من الأوصاف العنصرية، والشتائم التى تؤكد أن الاستعلاء العنصرى هو أساس ثابت فى تكوينها.

وقد قوبل هذا الاستعلاء العنصرى اليهودى المشحون بالكراهية... باضطهاد لهم من قبل الشعوب التى يعيشون بينها، حتى فى المجتمعات التى اعتنقت الليبرالية والاشتراكية...

وهذا التناقض قد جرّ إلى المذابح والنكبات التى نزلت باليهود؛ فالاستعلاء العنصرى اليهودى يجذب الكراهية، والكراهية تُولّد الحقد، والحقد يغرى بالاضطهاد؛ ليدور اليهود والعالم على أثرهم فى حلقة جهنمية مفرغة من الاستعلاء والحقد، والاضطهاد... حولها اليهود إلى ذكريات تاريخية، تتبدى فى العقيدة أو المبدأ السياسى والاجتماعى، فيما سمى «معاداة السامية»؛ فاليهود يحتقرون الآخرين، والآخرون يتتبعونهم بالاضطهاد الذى يولد التفرق والشتات، والنفى والتشرد، منذ السبى الرومانى، حتى كان الاضطهاد النازى.

الشخصية اليهودية فى عزلتها الثانية

وفى الفصل الثانى «الشخصية اليهودية فى إطار الانعزالية الصهيونية» يقرر الدكتور الشامى: أن الروح العقلانية الأوروبية التى قادت حركة التنوير الأوروبية فى أواخر القرن السابع عشر الميلادى... هذه الروح حولت الدين إلى مجرد فكرة شخصية، ومسألة ضمير فردى، وحولت الكنيسة المسيحية والمعبد اليهودى إلى جمعيات حرة، تؤدى وظيفة محددة.

ومن هنا... عُدّ الفرق بين الدينين المسيحى واليهودى غير ذى بال، بيْد أن الانعزالية اليهودية داخل «الجيتو» ظلت حاجزاً يحول بينهم وبين الاندماج مع الآخرين؛ لأن الدين اليهودى داخل نطاق «الجيتو» كان هو المحور الرئيسى الذى تدور من حوله كل شئون الحياة اليهودية؛ فلم يكن من الممكن أن يدخل يهود أوروبا الغربية فى نطاق حركة التنوير أو النهضة؛ لأنهم لم يكونوا مهيئين لذلك ثقافياً ولا عاطفياً، وكانت الغالبية العظمى من اليهود الذين فروا إلى أوروبا مازالوا يعيشون فى عالم تُظلله المعابد وروح التلمود، ولم يكن لديهم أى علم تقريباً بالتيارات الإنسانية التى تجرى فى الحياة خارج أسوار «الجيتو».

ولكن الآراء الجديدة عن حرية الإنسان بدأت تدخل حارات اليهود الضيقة شيئاً فشيئاً؛ فأخذ اليهود يشعرون بما لم يكونوا يشعرون به من قبل فى جو مركز العبادة والدراسة «بيت همدارش» من ضيق خانق، ويدركون القسوة المتزمتة مع الحاخامات التلموديين «عالم الربانيم»، ولم يعد الكثيرون من اليهود يرون أى معنى لبعدهم عن الشعوب التى بشرت بحب الإنسان وبالحرية؛ فتفجرت فى كل ناحية هتافات تدعو إلى الخروج من «الجيتو»، والتقرب من الشعوب، وتعلم لغاتهم.

وهكذا... بدأت حركة تثقيف عصرية بين اليهودية انطلقت أولاً فى ألمانيا، أطلق عليها اسم حركة التنوير اليهودية «الهسكالاه»، التى كان دعاة التنوير اليهودية «المسكيليم» يرون أن حصول اليهود على حقوقهم المدنية الكاملة أمر ممكن إذا ما تمكن اليهود من اكتساب مقومات الحضارة الغربية العلمانية، وفصلوا الدين عما يسمى بالقومية اليهودية، وقصر الدراسات فى مدارس التلمود على الحاخامات، وإرسال أولادهم إلى مدارس الأغيار، حتى يتقنوا كل الفنون العلمانية ـ مثل: الهندسة والزراعة والعمل على ممارسة المهن اليدوية، والاندماج اللغوى، والقضاء على لغة «اليديشية»، والسعى إلى التخلص من التراث القومى الدينى المُغْرِق فى الغيبية التاريخية، مثل فكرة المسيح المخلص «الماشيح»، وأسطورة العودة، حتى أصبح الخلاص هو انتشار العقل والعدالة بين الشعوب غير اليهودية، وليس ـ بالضرورة ـ مرهوناً بالعودة إلى أرض الميعاد؛ فهاجموا التراث اليهودى الشفهى، مثل «التلمود»، ومحوا كلمات «صهيون»، و«أورشليم» من كتاب الصلوات، وحذفوا كل الصلوات التى تدعو للعودة إلى «صهيون»، أو «إحياء مملكة إسرائيل»، بل إن كثيرين منهم وصلوا إلى حد إنكار الدين اليهودى، ومنع استخدام اللغة العبرية، معتمدين على الصلاة بالألمانية والفرنسية.

يتبع

***

قمة شرم الشيخ .. حوارات ومناقشات

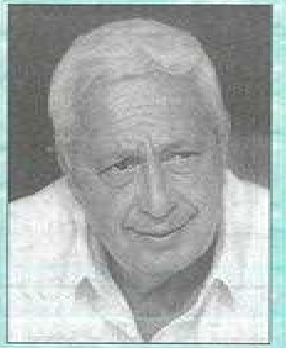
للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

جاء انعقاد قمة شرم الشيخ، التى شاركت فيها مصر والأردن، والسلطة الفلسطينية، وإسرائيل، فى الثامن من فبراير ٢٠٠٥، فى ظروف متباينة تماماً عن غيرها من القمم الماضية، فالرئيس عرفات رحل عن عالمنا، وكانت إسرائيل والإدارة الأمريكية تزعمان أنه شريك غير صالح فى عملية السلام، وهما الآن يرحبان بالقيادة السياسية الفلسطينية الجديدة التى يمثلها «محمود عباس» فى هذه القمة، بوصفه شخصية معتدلة، ترفع شعار «نبذ العنف»، ويسعى جاهدا لوقف «عسكرة الانتفاضة» بالتمسك بمبدأ الحوار بالكلمة بدلاً من الحوار بالطلقة، ويعمل على دمج فصائل المقاومة الفلسطينية فى العملية السياسية، بتحويلها فى القريب إلى أحزاب سياسية. كما تأتى هذه القمة، فى ظل غياب الولايات المتحدة الأمريكية عن المشاركة باعتبارها الراعية لعملية السلام، وصاحبة رؤية الدولتين الفلسطينية والإسرائيلية، وإن كان الأولى أن يكون لها حضور فعال فى المؤتمر لأهميته فى إقرار السلام من جهة، ولثقلها الدولى فى التأثير من جهة أخرى. واللافت للنظر أن هذه القمة انعقدت، والطرفان الإسرائيلى والفلسطينى، على اقتناع تام بأن الجلوس إلى مائدة المفاوضات هو خير وسيلة لحل الصراع القائم بينهما، وأن القوة العسكرية وحدها لا يمكن أن تحسم حل أية قضية، مثل القضية الفلسطينية.

ومن هنا تقدم الجانب العربى بمطالب أربعة، تولى الرئيس «مبارك» طرحها على «شارون» فى لقائهما الثنائى، وهى الوقف المتبادل لإطلاق النار، وفك الارتباط بالانسحاب من غزة، وأربع مستعمرات فى شمال الضفة الغربية كجزء من خريطة الطريق، وبدء المفاوضات مع الجانب السورى، وانسحاب إسرائيل لحدود ما قبل انتفاضة الأقصى فى الثامن والعشرين من سبتمبر ٢٠٠٠، غير أن رئيس الوزراء الإسرائيلى كان له رؤية أخرى فى هذه المطالب العربية، تنحصر أولاً فى عدم قبول عبارة «الوقف المتبادل» لإطلاق النار، واقترح بدلاً منها كلمة «وفى المقابل»،


مبارك


الملك عبدالله


شارون


أبو مازن

لتكون الصيغة هى أن يتوقف الفلسطينيون عن جميع أعمال العنف ضد الإسرائيليين، وفى المقابل تتوقف إسرائيل عن النشاط العسكرى ضد الفلسطينيين أينما كانوا.

وثانيا: ربط شارون فك الارتباط الأحادى الجانب بوقف العنف من الجانب الفلسطينى، وأطلق عليه اسم الإرهاب.

وثالثا: وافق شارون على بدء المفاوضات مع الجانب السورى بشرط أن تكون من نقطة الصفر، بعكس ما يطالب به السوريون بأن تكون المحادثات مرتبطة من حيث انتهت فى عهد الراحل «إسحاق رابين» رئيس الوزراء الإسرائيلى الأسبق.

ورابعا: ربط شارون انسحاب إسرائيل إلى حدود ما قبل ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠، بوقف العنف من الجانب الفلسطينى.

وفى الحقيقة فقد توصل المجتمعون فى هذه القمة الرباعية إلى مجموعة من «التفاهمات» تمثلت فى وقف إطلاق النار من الجانبين، والانسحاب من خمس مدن، وهى إريحا، وبيت لحم، وقلقيلية، وطولكرم، ورام الله، ووقف ملاحقة المطاردين الفلسطينيين، وتشكيل لجنة مشتركة لبحث تحديد معايير الإفراج عن المعتقلين، والأسرى الفلسطينيين فى السجون الإسرائيلية، وبحث مشكلة المبعدين من الضفة الغربية إلى غزة. وفى هذا الصدد تم بالفعل الإفراج عن ٥٠٠

معتقل فلسطيني وقد وعدت إسرائيل بالإفراج عن ٤٠٠ آخرين في القريب، بينما تم إعادة ١٦ مبعداً فلسطينياً إلى الضفة الغربية، ومازال يوجد ٣٦ مبعداً في غزة، يتم النظر في إعادتهم إلى الضفة. وإذا كانت إسرائيل قد وعدت بالانسحاب من خمس مدن في الضفة الغربية، وتسليمها للفلسطينيين، فإنها اشترطت من أجل ذلك عدة شروط، منها وقف أعمال العنف ضد الإسرائيليين، وتفكيك البنية التحتية لفصائل المقاومة الفلسطينية، وجمع الأسلحة غير القانونية، وتقديم المتورطين فيما يسمى «بالعنف ضد إسرائيل» للمحاكمة، وتنفيذ العقوبات الصادرة بشأنهم، وفي المقابل تتعهد إسرائيل بعدم القيام بأى أعمال عسكرية في المناطق الفلسطينية التي سيتولى الفلسطينيون فيها المسئولية الأمنية، كما يلتزم الجانب الإسرائيلي بعدم دخول قواته العسكرية المناطق الفلسطينية إلا بالتنسيق مع الجانب الفلسطيني بواسطة غرف عمليات مشتركة، يتم إنشاؤها لهذا الغرض. وفي هذا السياق لفت الجانب الفلسطيني نظر الجانب الإسرائيلي، أن الانسحاب الذي يجرى بحثه، ليس من مدن، وإنما من مناطق أعادت إسرائيل احتلالها بعد ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠، بما يشمل المدن ومحيطها، ورفع الحواجز من مداخل هذه المدن التي تعرقل تحركات الفلسطينيين. والجدير بالذكر حتى كتابة هذه السطور، أن إسرائيل لا تزال تتعنت في تسليم مدينة «إريحا» للفلسطينيين، وهي أول مدينة تم الاتفاق علي تسليمها إلى الجانب الفلسطيني، وتصر أيضا على الاحتفاظ بالحواجز الموجودة في مداخل هذه المدن، حتى ولو تم تسليمها للفلسطينيين بهدف التحكم في تحرك الفلسطينيين من وإلى هذه المدن. واللافت للانتباه أن «شارون» منذ أن وطئت قدماه أرض مصر، وهو يريد أن يبدأ بالملف الأمني أى بالاتفاق على وقف انتفاضة الأقصى، والتوصل إلى هدنة لوقف أعمال العنف ضد الإسرائيليين، قبل الانتقال إلى الملف السياسي للقضية الفلسطينية، وهو ما يعني تأجيل المفاوضات المتعلقة بقضايا الوضع النهائي مثل القدس، واللاجئين، والمستعمرات، والحدود، والمياه، وترحيلها إلى مرحلة متأخرة في علم الغيب. ويرى الرئيس الفلسطيني «محمود عباس» أن ما تم الاتفاق عليه من «تفاهمات» في قمة شرم الشيخ تتركز على خلق حالة من الهدوء بين الجانبين، لتمهيد السبيل لإحياء عملية السلام فيقول: «اتفقنا ورئيس الوزراء «آرئيل شارون» على وقف كافة أعمال العنف ضد الإسرائيليين والفلسطينيين أينما كانوا، وأن الهدوء الذي ستشهده أراضينا ابتداء من اليوم هو بداية لحقبة جديدة، بداية للسلام والأمل، وما أعلناه اليوم بجانب أنه يمثل تنفيذا لأول بنود خريطة الطريق التي أسستها اللجنة الرباعية، فهو خطوة أساسية مهمة توفر فرصة جديدة كي تستعيد عملية السلام مسارها وزخمها، وكي يستعيد الشعبان الفلسطيني والإسرائيلي الأمل والثقة في إمكانية السلام».

وفي كلمته أمام قمة السلام في شرم الشيخ حدد رئيس الوزراء الإسرائيلي «شارون» المطالب الأمنية الإسرائيلية، ووسائل بناء الثقة بين الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني، وخطة فك الارتباط الممهدة لتطبيق خريطة الطريق، وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة إلى جوار إسرائيل، فيقول: «فقد بدأت منذ عام ٢٠٠٥ كسنة الفرصة العظيمة لجميع شعوب المنطقة، وفي مقدمتها الإسرائيليون والفلسطينيون، وواجبنا جميعاً أن نعمل من أجل عدم ضياع هذه الفرصة. إن أمامنا فرصة لسلوك طريق جديد، وهذه هي المرة الأولى، منذ فترة طويلة، التي يظهر في منطقتنا الأمل في مستقبل أفضل لأبنائنا، وأحفادنا. علينا جميعاً أن نعلن هنا اليوم أن العنف لن ينتصر، ولن نسمح للعنف أن يغتال الأمل، علينا جميعا أن نتعهد بألا نكتفي بتهدئة مؤقتة، وألا نسمح للعنف أن يرفع رأسه، وعلينا أن نعمل معا وبحزم على تفكيك البنية التحتية للإرهاب، وعلى نزع سلاحه عنه، وإخضاعه إلى الأبد لأن تحطيم شوكة الإرهاب والعنف هو الذي يبني السلام».

وأضاف «شارون» متحدثا عن التفاهمات التي تم الاتفاق عليها فيقول: «لذلك تقدمنا بسرعة وبحزم من تفهم احتياجات الجانب الفلسطيني، وتوصلنا في الأيام القليلة الماضية إلى سلسلة من التفاهمات مع زملائنا الفلسطينيين، تتمكن من خلق الهدوء والأمن لكلا الشعبين في الفترة القريبة».

ويستمر «شارون» في حديثه عن المطالب الأمنية الإسرائيلية، وتعهداته، ووعوده للجانب الفلسطيني فيقول: «اليوم في لقائي مع الرئيس «محمود عباس» اتفقنا أن يكف الفلسطينيون عن جميع أعمال العنف ضد الإسرائيليين في كل مكان، وفي المقابل تكف إسرائيل عن نشاطها العسكري ضد الفلسطينيين في كل مكان. ونحن نأمل أن تبدأ فترة جديدة من الهدوء والأمل، بالإضافة إلى ذلك اتفقنا على نقل المسئولية الأمنية على مناطق فلسطينية وأبلغت الرئيس «عباس» أننا ننوى اتخاذ سلسلة من الوسائل لبناء الثقة، ففي الزمن القريب سنطلق سراح مئات السجناء الفلسطينيين، ونقيم لجنة مشتركة لبحث الإفراج عن سجناء في المستقبل».

وفيما يتعلق بخطة فك الارتباط يتحدث «شارون» فيقول: «أنا مُصرٌ على تنفيذ خطة فك الارتباط التي بادرت بها، والتي قررناها بصورة أحادية الجانب، وبإمكان خطة فك الارتباط أن تمهد الطريق للشروع

فى تطبيق خريطة الطريق، التى نلتزم بها ونريد تطبيقها».

ويؤكد رئيس الوزراء الإسرائيلى فى موضع آخر من كلمته أن العبرة هى بالأفعال فيقول: «إن الأفعال وحدها وليست الأقوال هى الطريق الوحيد المؤدى إلى دولتين تعيشان بهدوء وسلام جنبا إلى جنب».

ويؤكد أيضا «شارون» حق الفلسطينيين فى أن يعيشوا حياة مستقلة فيقول: «أريد أن أؤكد لجيراننا الفلسطينيين صدق نيتنا فى احترام حقكم فى حياة مستقلة محترمة، ونحن نجحنا فى أن نصحوا من أوهامنا بألم». وينكر «شارون» فى كلمته من طرف خفى حق عودة اللاجئين، وحق استرداد القدس الشرقية، وحق العودة إلى حدود ٦٧ فيقول: «برهنوا أنتم أيها الفلسطينيون أنكم تملكون القدرة والجراة، على التوصل إلى حل وسط، وعلى نبذ الأوهام غير الواقعية، وعلى إخضاع القوى الرافضة للسلام، وعلى العيش إلى جانبنا بسلام وكرامة متبادلة»

واختتم «شارون» كلمته موجها حديثه إلى مواطنى إسرائيل فيقول: «وإلى مواطنى إسرائيل أتوجه وأقول، لقد مرت علينا سنوات قاسية، واجتزنا البلاء المؤلم بصمود رائع، والآن فتح المستقبل بابه أمامنا وعلى مصراعيه، ونحن مطالبون باتخاذ خطوات ليست بسهلة، بل تثير الخلافات العميقة ولكن لا يسمح لنا أن نُضيِّع الفرصة، وعلينا أن نحاول تحقيق ما نصبو إليه، منذ سنوات طويلة، من أمن وهدوء وسلام». وفى ضوء هذا الخطاب الذى ألقاه رئيس الوزراء الإسرائيلى أمام القمة الرباعية فى مؤتمر السلام بشرم الشيخ، يمكن رصد عدد من الملاحظات والأفكار المهمة التالية:

– جاء الخطاب فى أكثر من موضع مفعما بالأمل بأن ينعم الشعبان الإسرائيلى والفلسطينى بحياة هادئة وآمنة ومسالمة، وناشد جميع شعوب المنطقة، وفى مقدمتها الإسرائيليون والفلسطينيون بعدم تضييع فرصة الهدوء، وعدم الاكتفاء بتهدئة مؤقتة، والإسهام معاً من أجل إيقاف العنف، وعدم السماح له باغتيال الأمل فى السلام، الذى ينبغى على الجميع تحقيقه للأبناء والأحفاد. والحقيقة أنه لأول مرة نرى لغة جديدة، فى الخطاب الإسرائيلى لم نعهدها فيه من قبل، تبشر بالتفاؤل، وسلوك طريق جديد.

– لأول مرة تعترف القيادة السياسية الإسرائيلية بأن العنف من الجانبين لا يمكن أن يكون الوسيلة الوحيدة لحل الصراع الفلسطينى الإسرائيلى، وهذه بادرة طيبة إلى نبذ استخدام القوة الغاشمة من الجانبين.

– وضع شارون الملف الأمنى فى محل

الاهتمام الأول من الأجندة السياسية الإسرائيلية وطالب بتفكيك البنية التحتية لفصائل المقاومة الفلسطينية، ووصمها بالإرهاب، متناسياً أنهم يناضلون من أجل استرداد حقوق مغتصبة، لا من أجل الاعتداء على حقوق الغير.

– يرى شارون أن تحطيم شوكة الإرهاب (يقصد هنا رجال المقاومة الفلسطينية) هو الذى يبنى السلام، والحقيقة التى يجب أن يدركها الجميع أن إعادة الأرض الفلسطينية المغتصبة لأصحابها الفلسطينيين هو الذى يبنى السلام القائم على العدل.

– يصف شارون المقاومة الفلسطينية بأنها تمارس أعمال العنف ضد الإسرائيليين متناسياً أن من حق الفلسطينيين، الذين جرى احتلال أرضهم، مقاومة المحتل الغاصب، وهو حق يكفله القانون الدولى العام ومبادىء الشرعية الدولية، والقوانين السماوية.

– يناشد شارون الفلسطينيين بالكف عن أعمال العنف أولاً قبل أن تكف القوات الإسرائيلية عن نشاطها العسكرى ضد الفلسطينيين، ويرفض «مبدأ الكف المتبادل» لإطلاق النار، ويصف ما تقوم به قواته العسكرية من قتل واغتيال، وتدمير، وحصار وإغلاق للمدن، وغيرها من الحواجز، والجدار الفاصل، بأنه نشاط عسكرى، وليس عدوانا على الأرض، والكرامة الفلسطينية.

– كانت لفتة طيبة من رئيس الوزراء الإسرائيلى حينما قال: «أنا مُصرٌ على تنفيذ خطة فك الارتباط» واعتبرها خطوة أولى تمهد السبيل للشروع فى تطبيق خريطة الطريق، وإن كان فى حديثه لمراسل الأهرام «محمد مصطفى» عقب انتهاء القمة الرباعية، ربط تطبيق خطة فك الارتباط بشرطين:

الأول: أن يسود الهدوء.

والثانى: توقف الإرهاب، فقال: «نحن الآن فى مرحلة ما قبل خريطة الطريق، ولكن إذا ساد الهدوء، وتوقف الإرهاب، اعتقد أنه يمكن أن ننتقل إلى «خريطة الطريق، والمفاوضات على التسوية النهائية، وأن الشرط الوحيد لدى أن يسود الهدوء التام، ووقف التحريض، وتفكيك منظمات الإرهاب، ومصادرة الأسلحة. وفى هذه الحالة يمكن أن ننتقل إلى خريطة الطريق».

– لأول مرة، وبصراحة وشفافية يعلن شارون التزامه بخريطة الطريق، ورغبته فى تطبيقها، وربطها بخطة فك الارتباط بالشروط التى عرضناها من قبل على لسان شارون.

– جاء ذكر عبارة «إقامة دولة فلسطينية مستقلة» بصراحة فى خطابه مرتين:

الأولى: حينما قال مهنئا «محمود عباس» برئاسته للسلطة الفلسطينية: «كما آمل أن تتمكنوا من قيادة شعبكم فى سبيل الديمقراطية، والمحافظة على القانون والنظام حتى إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة الديمقراطية».

الثانية: عندما قال: «إن الأفعال وليست الأقوال هى الطريق الوحيد المؤدى إلى دولتين تعيشان بهدوء وسلام جنبا إلى جنب».

وفى هذا السياق ربط شارون إقامة الدولة الفلسطينية بشروط معينة، حينما تحدث إلى مراسل الأهرام «محمد مصطفى» قائلاً: «لقد أعلنت عن رغبتى وتأييدى لإقامة الدولة الفلسطينية وأنه لتحقيق هذا الأمر يجب أن يسود الهدوء الكامل، ووقف التحريض، وتفكيك منظمات الإرهاب (وهو يقصد منظمات المقاومة الفلسطينية)، ومصادرة أسلحتها، وأن يقوموا بتنفيذ إصلاحات أمنية، وإصلاحات أخرى».

وأضاف قوله: «يجب أن يكون واضحاً أنه إذا كان هناك إرهاب فلن يكون بالإمكان تحقيق هذا الأمر. ونحن نأمل أن يكون هناك هدوء، وأن ينفذ الفلسطينيون تعهداتهم التى أخذوها على عاتقهم» وهكذا فإن الهاجس الأمنى هو الذى يقلق القيادة السياسية الإسرائيلية فى هذه المرحلة الدقيقة قبل الملف السياسى للأزمة.

- دعا شارون فى خطابه الفلسطينيين إلى التخلى عن حقوق ثلاثة:

الأول: حق عودة اللاجئين إلى ديارهم فى فلسطين ٤٨.

والثانى: الحق فى استعادة القدس الشرقية.

والثالث: حق العودة إلى حدود ٦٧،

ووصف شارون هذه الحقوق الفلسطينية بأنها «أوهام غير واقعية» حينما قال: «برهنوا أنتم أيها الفلسطينيون أنكم تملكون القدرة والجرأة على التوصل إلى حل وسط وعلى نبذ «الأوهام غير الواقعية».

ولقد أكد رئيس الوزراء الإسرائيلى هذا القول مرة أخرى فى حديثه لمراسل الأهرام «محمد مصطفى» حول مشكلة القدس واللاجئين فيقول بوضوح تام: «بالنسبة لموضوع اللاجئين هناك اتفاق بينى وبين الرئيس «بوش» على أن اللاجئين يمكنهم العودة إلى دولة فلسطينية. وهذا موقفنا، ولا أرى إمكانية لعودتهم لداخل إسرائيل، ولكن بالتأكيد يمكنهم العودة إلى دولة فلسطينية».

وأضاف شارون قوله: «بالنسبة للقدس، فالقدس عاصمة الشعب اليهودى، منذ ثلاثة آلاف سنة وسبع سنوات، منذ أن أعلن عنها «الملك داود» الذى كان ملكاً

للخليل سبع سنوات وستة أشهر، وهى العاصمة الموحدة لدولة إسرائيل».

وبهذا التصريح لمراسل الأهرام يؤكد شارون رغبته فى شطب قضيتى اللاجئين والقدس من جانب واحد من «مفاوضات قضايا الوضع النهائى» قبل أن تبدأ هذه المفاوضات، متذرعاً باستناده إلى وجود اتفاق بينه وبين الرئيس الأمريكى «بوش» الذى يتمثل فى «وعده» الشهير، المكتوب فى شكل «رسالة» إلى شارون، فى الرابع عشر من إبريل ٢٠٠٤، وكأن الجانب الأمريكى هو الوصى الشرعى على الشعب الفلسطينى، وهل من حق الرئيس «بوش» أن يعطى للإسرائيليين، ما لا يستحق لهم من حقوق الفلسطينيين؟

والحقيقة أن هذا الاتفاق الثنائى غير ملزم للشعب الفلسطينى لافتقاده الشرعية. أما بالنسبة لما ذهب إليه «شارون» بأن القدس هى عاصمة الشعب اليهودى، منذ ثلاثة آلاف سنة وسبع سنوات، فهو أمر مشكوك فى صحته. فمن يقرأ التاريخ بتجرد، يجد أن القدس فى عهدها الأول، كانت تسمى «يبوس» نسبة إلى الجد الأعلى لليبوسيين العرب، وهم بناة القدس العربية، وسكانها الأصليون، منذ ما يزيد على خمسة آلاف سنة. يؤكد ذلك ما جاء فى سفر (القضاة ١٩ : ١١-١٢) من التوراة فيما نصه: «وفيما هم عند يبوس، والنهار قد انحدر جداً قال الغلام لسيده، تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه، ونبيت فيها. فقال له سيده، لا نميل إلى مدينة غريبة حيث ليس أحد من بنى إسرائيل هنا». وهكذا تثبت التوراة فى نص واحد منها «عروبة القدس»، وأنها كانت خالية تماما من بنى إسرائيل، وأنها مدينة غريبة عنهم.

وفى الختام

يمكن القول أن كل ما جاء فى خطاب «شارون» أمام القمة الرباعية فى شرم الشيخ من مطالب، وأمانى، ووعود، وتعهدات، والتزامات، رهين بتنفيذ محتواه على أرض الواقع، وترجمة أقواله إلى أفعال كما جاء على لسان رئيس الوزراء الإسرائيلى، عندما قال: «إن الأفعال وحدها وليست الأقوال هى الطريق الوحيد المؤدى إلى دولتين تعيشان بهدوء وسلام جنباً إلى جنب». وينبغى أن يكون واضحاً للجميع أن قمة شرم الشيخ لا يمكن أن تضع نهاية حاسمة للصراع العربى الإسرائيلى بين عشية وضحاها، لكنها بداية لعمل شاق، وجهد مشترك، وهو ما أشار إليه الرئيس المصرى «مبارك» بقوله فى ختام كلمته أمام القمة: «إن التحدى كبير، ولكن إرادتنا أكبر، وإن الآلام عميقة، ولكن إيماننا أعمق، إن المهمة عظيمة، ولكن آمالنا أعظم، وإذا كان الطريق طويلاً وصعباً، فلقد خطونا اليوم الخطوة الأولى».

قصة العدد :

تخيروا لنطفكم

للأستاذ الدكتور عبداللطيف الحديدي

كان «عامر بن عدى» رئيسا فى بنى أسد، اليه الأمر والنهى، فلا يخالف أمره أحد لما عرف عنه من الحزم وقوة الإرادة، وكان له الحكم فيما يعن من المشكلات، لأنه يتبع الحق ولا يميل مع الهوى، ويرضى برأيه المتخاصمون، لما عرفوا من نزاهته وصدق نواياه. ولكن المسألة التى كانت تؤرقه وتضنيه، ويتمنى أن يجد لها حلا، هى أنه عقيم لا ينجب، وقد اختار زوجته من كرام العشيرة، وعاش معها وقتا طويلا، فلم تسعده بابن يقوم مقامه فى رئاسة القوم، أو بنت تضىء حياته ببسمتها المشرقة، لذلك تزوج بأخرى أملا فى النسل المبارك، ولكن الأمور سارت كما هى تماما، وأخذت الحياة تسود فى عينيه، ويحاول أن يتسلى برعاية أبناء أخيه، ولكن لا يقدر على أن يكتم شجونه التى تلتهب فى نفسه، ويقول فى صمته الحزين:

- «أين الولد من ابن الأخ مهما كان مخلصا أمينا؟».

وقد أغار بعض ذؤبان العرب على بعض خيام بنى أسد، وجاء الخبر الى «عامر» فنهض مع أتباعه لرد العدوان، وكانت معركة انتهت بهزيمة هؤلاء المعتدين، ووقعت من سباياهم فى حوزة «عامر بن عدى»، فتاة سمراء شغلت فكره، وحين قسم السبايا اختارها لنفسه، وجعل الأمر يراوده فى النسل المنتظر، ويقول: «لعل الله الذى ألهمه أن يصطفيها لنفسه قد قدر فى غيبه أن أرزق منها ولدا صالحا».

ثم يقول فى نفسه مرة ثانية: إنها من نسل ذؤبان العرب الذين لا كرامة لهم ولا مروءة ولا يحفظون لأحد عهدا بل يعيشون على السلب والنهب، فكيف تكون أما لولدى الذى أرشحه لرئاسة بنى أسد؟.

ويميل به التفكير ثانية إليها، حتى انتهى الى أن تكون أم ولده، وقد وقع الخبر موقعا أليما على الزوجتين، ولكنهما تقدران حاجته الى الولد، فسكتتا على مضض.

ولم تمض أيام حتى ظهرت علامات الحمل على الزوجة الجديدة، ففرح «عامر» فرحا شديدا، وأخذ يدعو أن يكون الوليد ولدا يقر عينه، ولم تكن الزوجة عاقلة مهذبة، بل اتخذت من ذلك مصدر قوة، فجعلت تسىء سلوكها مع الزوجتين، وجعلت تظهر الكبرياء حتى على زوجها شيخ القبيلة، والرجل صابر يتحمل كثيرا، وقد لاطفها فى ود، ورجاها أن تكون حسنة السلوك، فكانت تزداد عتوا واستكبارا، وفكر فى أمرها فعرف أنها من ذؤبان العرب، ولم تصادف أبا كريما أو أما مخلصة، يربيانها تربية صالحة، فكاد يندم على الاقتران بها، لولا أن الدافع كان قويا ملحا، وقد سهل الله له النسل عن طريقها، وما أراده الله يكون.

ومضت أشهر الحمل، فولدت ابنا ظهرت على وجهه بشائر النجابة، وفرح «عامر» فرحا شديدا، وذبح الذبائح، وفرق الهدايا، وأصبحت ساحته ملجأ المهنئين، وكل انسان يدعو الله له بالتوفيق، وللولد بالسعادة والإقبال.

لم تغير الأم سلوكها الشائن مع أهل البيت، بل زادت اعتزازا بولدها الصغير، وزادت بذلك حمقا ورعونة، والأب صابر محتمل يتململ فى غير جدوى، وما مضت ست سنوات حتى أصيبت بحمى قاتلة فأراحه الله منها، واهتم الأب برعاية ولده قدر ما يستطيع فوكل الى قريباته من الأخوات والعمات والخالات أن يكن جميعا فى رعايته وهو من ورائهم يلبى له كل رغبة وكان لا يتركه فى أوقات فراغه بل يجعله على صغره فى مجلسه العام، وكان يهيئه ليوم مشهود، ثم أخذ يدربه على شئون الفتوة ويحكى له مآثر القبيلة وما عرف عنها من مواقف البطولة حتى شب وترعرع فى هذا الجو الحاط بمظاهر الفخر والمباهاة وتأهل للقيادة فى حياة أبيه، وكأنه كان يريد أن يشهد قبل وفاته كيف يتصرف فى الأمور ويرعى شئون الأصدقاء، وينازل مناورات الخصوم.

ثم اتجهت «بنو أسد» برئاسة النجل الى منازلة بعض الأحياء المشاكسة فظفرت ظفرا تاما، ورجعت بالسبايا والأغنام والأموال ولاحظ «عامر» أن سبية من السبايا قد ملكت قلب ابنه ولم يبد على مظهرها ما يدل على أنها من أسرة كريمة وقد سأل وألحف فى السؤال عنها فعرف أنها مجهولة الأب وكان ذلك كارثة بالنسبة إليه فخلا بولده وقال له:

- «إن كنت تريد أن تخلفنى فى رياسة بنى أسد فاقطع صلتك بهذه الأسيرة».

فتجهم وجه الولد لأول مرة فى محضر

أبيه وقال له فى غضب:

- «لقد اتفقت معها على الزواج، وهو أمر يخصنى»

هنا تذكر الوالد ما عاناه من قبل مع أم ولده، وكيف بلغت بشراستها حدا يصعب تلافيه، فصاح به فى سورة غضب: «ارحل من قبيلتى، وتذكر أن العرق دساس».

وعز على الولد أن يبادر أبوه بطرده، فلم يناقشه، وأسلم وجهه للفضاء لا يدرى أين يقصد وتذكر الابن صديقين له، هما مستودعا سره، فذهب اليهما وقال: «إنى أريد أن أرحل من هذا المكان إلى حيث لا أعرف، وأريد أنيسا معى فمن منكما يصحبنى؟»

فقالا: «نحن معك الى أى مكان تتجه».

فساروا حتى آذنت الشمس بالمغيب وهم فى البادية لا يعرفون أين ينامون فوجدوا على مقربة من حى بنى مازن بيتا رحبا أمامه رجل وامرأة وهما صاحبا البيت فسلموا عليهما فردت المرأة السلام وحيت وأظهرت بشرا وسرورا ولكن الرجل أعرض وبقى وجهه مظلما كأنما وجه بشر مستطير.

قالت المرأة: «انزلوا هاهنا على الرحب والسعة»

فقال الرجل فى عبوس: «ما عندنا موضع لنزولهم»

فقالت المرأة فى صوت عال: «سبحان الله يا رجل؟ أتقول هذا لضيوف طرقوا منزلنا ووجب علينا حقهم؟

واتجهت إلينا قائلة: «إنزلوا بارك الله فيكم».

فظهر فى نفوسنا انقباض لما سمعنا من كلام الرجل، ولاحظت المرأة ذلك، فقالت: «لا تهتموا به، فأنا أدرى بحاله».

وأمرت أتباعها فأحضروا لنا الطعام والشراب وجعلوا يؤنسوننا بأطيب الحديث حتى جاء النوم، فلما أصبح الصباح أيقظتنا وأحضرت الطعام وما تركت المرأة مكرمة الا أكرمتنا بها، ثم أخذنا طريقنا فى البادية فتركنا حى بنى مازن ولا ندرى أين نذهب وظللنا نسير حتى آذنت الشمس بالمغيب فرأينا كالأمس تماما بيتا فسيحا أمامه رجل وامرأة وهما صاحبا المنزل فسلمنا فرد الرجل السلام ببشر وابتهاج وأعرضت المرأة وبدا على وجهها من النفور والتبرم ما أوقعنا فى الحرج، ولكن الرجل صاح: «لا تهتموا بها، فأنتم ضيوفى»

فصاحت المرأة: «وكيف ننزلهم وليس عندنا ما يصلحهم؟»

فقال الرجل: «سبحان الله! أتقولين هذا لضيوف هم ضيوف الله قبل أن يكونوا ضيوفنا، وقد وجب حقهم علينا؟

واتجه الينا يقول: «انزلوا بارك الله فيكم، فإن عندنا ما يصلحكم»

ودخلت المرأة المنزل غاضبة، وسمعنا نقاشا بينها وبين زوجها كاد يصل إلى درجة الشجار ولكن الرجل صفق بيده فجاء أتباعه وقال لهم:

- «عليكم إعداد الطعام والشراب، وتهيئة مكان النوم، وسؤالهم عما يريدون دون تقصير حتى نؤدى واجب المروءة»

فقدموا لنا كل ما فيه متعة وهناءة ولكننا بعد أن انتهينا من الطعام وأخذت جفوننا تستسلم للنوم رأينا الشجار قد بدأ ثانية بين الرجل والمرأة على النحو الذى بدا من قبل وهى تصيح: «ستخرب البيت، وتضيع معك».

هنا ذهب النوم من عيوننا، وصفق أحدنا فحضر الرجل مبتسما، وهو يقول: «لا يهمكم أمرها، فهذه عادتها، ولا حيلة لى فيها».

قال قائل منا: «لم نعجب لما سمعنا الليلة من زوجتك، ولكننا نعجب لشئ آخر هو أننا فى الليلة الماضية قابلنا هذا الموقف تماما ولكن بعكس الأشخاص فقد وقفنا أمام منزل فى حى بنى مازن وأمامه رجل وامرأة وعرضنا أن نبيت فرحبت المرأة وهللت وقالت ما قلت أنت تماما أما الزوج فقد غضب ونفر وفعل ما فعلت زوجتك الآن، هذا هو الذى نتعجب له وكيف اتفق الموقف فى الحادث واختلفت الأشخاص لابد من سر هنا وهناك».

فابتسم الرجل وقال: «هل كنتم فى حى بنى مازن وهل وقفتم أمام منزل كمنزلى تماما؟»

قالوا: «نعم».

قال: «سأخبركم بما تعجبون له كثيرا، أما المرأة التى قابلتكم بالأمس وقامت بواجب الضيافة على أحسن ما يكون فهى أختى من أبى وأمى وأما الرجل الذى قابلكم بالصدود والنفور فهو أخو زوجتى من أبيها وأمها وكل ينزع الى أصله ولو لم تخبرونى عن مكانكم بالأمس لعرفت ما كان كأنه رأى العيان، والنزاع يطول بيننا من أجل ما اعتدت عليه أنا وأختى من الكرم وما اعتادت عليه زوجتى وأخوها من الشح، وكل ميسر لما خلق له»

سمع الابن المخالف لأبيه هذه القصة، وكأن القدر قد أعدها إعدادا ليعتبر بها فقال لصاحبيه:

- «لقد اعترفت الآن بأن أبى على حق، وأنه يجب أن أختار ذات العنصر الطيب، فالبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكدا وسأرجع الى والدى لأسعده بموافقتى على اختياره فهو أدرى بمستقبلى منى أما التى حدثتها من قبل عن زواجى بها فسأرضيها بما تشاء من المال والدواب وسأبحث لها عن زوج صالح وإذن لا أكون قد فرطت فى حقها حينما استمعت الى رأى أبى ورأيت من العيان ما قام مقام البرهان.

الإمام الشافعى نشأته ورحلاته طلباً للعلم

٤

للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومى

الشافعى وعلم الكلام

يقول الإمام الشافعى عن الكلام: «الكلام يلعن أهل الكلام»..

وأثار قول الشافعى على علم الكلام عدة قضايا لدى المهتمين بشئون الفكر الإنسانى، وما أثاره قول الشافعى من قضايا ليذكرنا دائما بالمواقف الجادة التى شغلت العقل الإسلامى ـ إبان البحث عن حقيقته وأصالته، واستقلاله فى ابتكار اتجاهاته الفكرية.. كذلك يذكرنا بجدية الحركة الثقافية، فى المجتمع الإسلامى. وإن اهتماماتها الثقافية كانت بالدرجة الأولى مسايرة لحقيقة الدين الإسلامى، كما كانت بنفس الدرجة تلبية لرغبة عقلية تطلب المزيد من التفاعل بين قضايا العقل وقضايا النقل.

رأى الطاعنين فى قول الشافعى

أما عن رأى الشافعى فى علم الكلام من خلال خصومه والقضايا التى أثيرت وسوف تثار دائما من خلال رأيه فى علم الكلام فهى ـ كما تلاحظ ـ أن بعضها يطعن بها الشافعى، كما هو شأن كل قضية فكرية، ويصدر من الذين يخالط فكرهم انفعالهم ولايكاد يبدونه إلا ويحملون أوزار القول، فيرون أن موقف الشافعى من علم الكلام لينم عن جهله، ويطعن فى علمه، ويعوق اجتهاده، لأنهم يرون أن كل من كان منكرا لعلم الكلام ومبغضا له كان جاهلا بذات الله، وبصفاته، وبشرائط المعجزات، ونبوة الأنبياء، ومن كان كذلك لايكون مسلما، فضلا عن أن يكون مجتهدا فى الدين، فنحن إذ نناقش الموقف الرافض لرأى

الشافعى علينا أن نلاحظ أنه أثار قضيتين:

ـ القضية الأولى: علاقة الكلام بمعرفة الله.

ـ القضية الثانية: هل معرفة الله ضرورية أو استدلالية؟

ويرى الطاعنون فى موقف الشافعى أن معرفة الله ومعرفة النبوات ليست ضرورية، بل استدلالية، أى تحتاج إلى دليل، والدليل إما أن يكون مصدره السمع ـ أى القرآن أو السنة ـ ودليل السمع فى نظرهم لا يصح، لأن مصدره معرفة الله أولا، ثم بعد معرفته يحتج بكلامه عن طريق الوحى، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بالعقل، فإذا ثبت أن معرفة الله منوطة بالعقل توقفت معرفته على علم الكلام، فكيف يذمه الشافعى؟ فالذى ينكر علم الكلام ينكر العقل الباحث فى معرفة الله، والذى ينكر المعرفة جاهل.

ثانى أدلتهم: أن المسلمين قد اختلفوا فى صفات الله اختلافا شديدا، وكل واحد يدعى أنه على حق، أن مخالفه هو المبتدع ـ فلابد فى التمييز من طريق، وذلك الطريق هو النقل، إما عن تواتر أو آحاد، أما المتواتر فمفقود، وأما الآحاد فلا يفيد إلا الظن.

وهذه المسائل قطعية، فلا يبقى إلا قضايا العقل لعلم الكلام. فمن هنا كان الطاعن لعلم الكلام والمبغض له ـ فى نظرهم ـ جاهلا بالله ورسوله واليوم الآخر، ومن كان كذلك لم يكن من المسلمين، فضلا عن أن يكون من المجتهدين ـ هذا رأى الطاعنين فى موقف الشافعى.

تقييم رأى الطاعنين

لاحظنا أن نقد هؤلاء النقاد كان قاسيا، بل شديد القسوة إذ استهدف النيل من اجتهاد الشافعى ومن مرتبته وعلمه، واستهدف ـ بالنسبة لعلم الكلام ـ رفعه رفعة تتجاوز رفعة الله، وتتجاوز مع كمال قدسه، وهذا الاستهداف بالنسبة للشافعى وبالنسبة لعلم الكلام ـ وطأت له المغالاة فى التعصب، ومغالطة الجدل، فمن ناحية المغالاة فى التعصب ربطهم بين معرفة الله وعلم الكلام، على أساس أن العقل دليل معرفة الله الوحيد، مع أن معرفة الله ليست محصورة فى علم الكلام، فلها سبل شتى، مثل: العقل والحس والذوق.

أما علم الكلام فقد يغالى ويجعلها محصورة فيه، على أساس أنه قصر نفسه عليهم ـ أعنى علماء الكلام ـ وأن الطريق مسدود على غيرهم إلا طريقهم، وذلك نوع من المغالاة فى التعصب.

وأما من ناحية مغالطة الجدل فقولهم: «أما التواتر فمفقود» وهذا لون من المغالطات فى الجدل، لأن قولهم هذا منقوض بالقرآن، فالقرآن منقول إلينا بالتواتر، وهو مصدر علمنا بصفات الله.

وأما الاختلاف حول الصفات، فإنما هو

اختلاف حول تصورها وكيفيتها، وذلك من قضايا الفلسفة، بعد ما رأينا مغالاتهم ومغالطاتهم تثبت أن ما استهدفوه، من النيل من الشافعى لايثبت لدعواهم، لقيام دليلهم على مغالاة ومغالطات، وأن إيمانه بالله ومعرفته به قام على دليل من جانب آخر غير جانب الكلام، وأن قضية اجتهاده غير مطعون فيها أيضا، لأنه لايدعى اجتهادا فى علم الكلام، وإنما فى علم آخر -هو علم الفقه- وأن إسلامه لا ردة فيه، لأنه يرى إيمانه نابعا من القرآن والسنة دون نظر إلى أدلة علم الكلام.

وأما ما استهدفوه من رفعة علم الكلام فإننا لا نناقشها، لا عترافنا بقيمته وثمرة وظيفته، بيد أننا ننازع علم الكلام إسرافه فى فهم وظيفته حينما جعل الطريق إلى الله مقصورا عليه فقط، وفى نفس الوقت نرى أن له من الأهمية التى تكفل له مهمة بحثه فى معرفة الله.

ومع ذلك لا يستدعى إنكارنا لإسراف علم الكلام إنكارا لمعرفة الله، لأن إنكارنا لعلم من العلوم قد يكون إنكارا لقواعده أو منهجه، أو نتائجه أو أدلته، أو أى شيء آخر يتعلق بالعلم ولا يتعلق بمعرفة الله، فالربط بينهما من مغالطات الجدل.

فأنا قد أنكر علم الطبيعة دون أن أنكر الطبيعة.. وفى النهاية يشير هذا الموقف المعارض لموقف الشافعى -من غير شك- إلى حرية النقد التى وسعتها روح المجتمع الإسلامى نقدا من غير حدود لقواعد النقد، ومن غير مراعاة لأدب البيئة وأصول اللياقة، فمست -فى عنف- رجالا بصماتهم على التاريخ واضحة مشرقة. ولعل موقفهم العنيف من الشافعى وتكفيرهم إياه صحح ما رواه الربيع عن الشافعى أنه قال: رأيت أهل الكلام يكفر بعضهم بعضا؛ ورأيت أهل الحديث يخطىء بعضهم بعضا -والتخطئة أهون من الكفر- فنلاحظ أن أهم ما أخذه على علم الكلام مغالاتهم فى تكفير بعضهم بعضا.

موقف المنصفين لرأى الشافعى

هناك من يرى أن هذه الأقوال التى أثرت عن الشافعى صحيحة غير مطعون فى نسبتها إليه، وإنما لاتعنى من ورائها موقفا محددا بين الشافعى وعلم الكلام. وإنما تعنى توجها ما.

قالوا: لاشك أن الشافعى كان إماما من أئمة المسلمين، وكان عظيم القدر، عالى الدرجة، فلما أظهر الإنكار على هذا العلم، علمنا أنه مذموم.. وحاصل الكلام أن هذه الروايات دلت على حصول العداوة بينه وبين علماء الكلام، فمن اعتقد أن علم الكلام شريف، فقد استدل به على الطعن فى الشافعى. ثم قالوا: وأما نحن فنعتقد أن علم الكلام أشرف العلوم وأجلها، وأن الشافعى أفضل المجتهدين

وأعلمهم، لذلك لا بدلنا من التوفيق.

وطريق ذلك أن يحمل طعن الشافعى فى علم الكلام على تأويلات:

• التأويل الأول:

من وجهة النظر السياسية وحال العصر: إن فتنا عظيمة وقعت فى ذلك الزمان بسبب خوض الناس فى مسألة «خلق القرآن» وأهل البدع استعانوا بالسلطان وقهروا أهل الحق، فلما عرف الشافعى أن البحث عن هذا العلم فى ذلك الزمان ليس لطلب الحق، وليس لله وفى الله، بل لأجل الدنيا والسلطنة، تركه وأعرض عنه -أى علم الكلام- فذمهم ليس لذاته، وإنما ذم معرض به عن أهواء السياسة.

• التأويل الثانى:

صرف ذمه إلى مسائل من علم الكلام: أن يصرف ذلك الذم إلى الكلام الذى كان أهل البدعة ينصرونه ويقررونه، ومثاله: أن الفقهاء متفقون على أن القياس حجة فى الشرع، ثم ظهر النقل المتواتر من الصحابة والتابعين فى ذم القياس، فعند هذا قال الفقهاء: ذلك الذم منصرف إلى الأقيسة الفاسدة الواقعة فى معارضة النصوص فكذا هاهنا.

ثم يقولون: نحن نقول بأن الذم العظيم المنقول عن الشافعى للكلام يجب صرفه إلى الكلام الذى كان أهل البدع ينصرونه، فإن فى ذلك الزمان كان الكلام اسما للمتكلم فى الاعتزال والقدر.

• التأويل الثالث:

لعله كان من مذهبه أن الاكتفاء بالدلائل المذكورة فى كتاب الله واجب، وأن الزيادة عليها والتوغل فى المضايق التى لا سبيل للعقل فى الخوض فيها غير جائز، فلهذا السبب بالغ فى ذم من حاول الخوض فى تلك الدقائق.

تقييم موقف المنصفين

ماذا يهدف إليه المؤولون لموقف الشافعى من الكلام؟

إنهم يهدفون إلى عدة أمور متعلقة بالشافعى وبعلم الكلام:

أولا - بالنسبة للشافعى: نفى التقليد عنه وعن مذهبه -فلا يقال: كان مذهبه أن الدين فيه إنما يستفاد من متابعة الأسلاف، لأن هذا الطريق مذموم فى القرآن- نفى أنه كان يحارب النظر العقلى، نفى جهله بعلم الكلام- روى البيهقى عن الحكم بن عبيد الله الحافظ بإسناده عن المزنى قال: كنا على باب الشافعى نتناظر فى الكلام، فخرج الشافعى إلينا فسمع بعض ما كنا فيه، فرجع عنا وماخرج إلينا إلا بعد سبعة أيام ثم خرج فقال: ما منعنى عن الخروج إليكم إلا أننى سمعتكم تتناظرون فى الكلام.. أتظنون أنى لا أحسنه؟.

لقد دخلت فيه حتى بلغت فيه مبلغا

عظيمـا ، إلا أن الكلام لا غـاية له تناظروا فى شىء إن أخطأتم فـيـه يقـال : أخطأتم ولايقـال كفـرتم . ثم علق البيـهقى قائلا : وهذه الحكاية تدل على أن الشافعى كان عالما بهذ العلم ، إلا أنه مـا كـان يفـتح باب المناظرة للخـوف من المفاسد المتولدة منها .

ثانيا: بالنسبة لعلم الكلام: إن رفع قيمة علم الكلام وتأكيد أنه علم إسلامى ذو منهج عقلى يبين أنه طريق وسط ، فهو يحد من نطاق العقل ، فلا يدعه مع أهوائه وأخيلته ، حتى يرسم لها منهاجا غايته الإيمان .

إن علم الكلام طريق وسط يربط بين العقل بتوجيه مبادئه ـ فالعقل الكلامى عقل موجه بالوحى ـ وبين اللامعقول ، فيرفع بذلك مرتبة الإيمان التقليدى إلى رتبة الإيمان العقلى ، ويربط مسالك النظر بمسالك البصر .

تفريق الشافعى بين علم الكلام وعلم التوحيد

لكن هل الشافعى كان يرى فى علم الكلام فائدة تجيز شرعية تأويل المتأولين فيما ذهبوا إليه ، ليحفظوا على علم الكلام قيمته ؟ . وهل هذا التأويل وفق رغبتهم فقط ، أو يمكن أن تضاف إليهم رغبة الشافعى أيضا ؟

يرى المؤولون أن الشافعى كان على دراية تامة بعلم الكلام ، ثم راحوا يثبتون موقف مهاجمته لعلم الكلام ، إلى حد فتواه المشهورة ، وهى : أنه لو أوصى للعلماء لم يدخل فيه المتكلم ، وبرروا هذا الموقف بعدة أمور ، هى :

ـ الوضع السياسى فى عصره وما اشتهر فيه من زندقة .

ـ ظهور قضايا جديدة شائكة واحتواء علم الكلام لها ، كقضية خلق القرآن ، وهى قضية من وضع الزنادقة ، ويقال إنها أثر من آثار المسيحية فى قولهم : المسيح مخلوق وابن الله ؟ نتيجة ذلك ظهرت قضية خلق القرآن فى الإسلام تقول : القرآن صفة كلام أو مخلوق ؟ أيا كان الأمر فإن الشافعى تعرض للمساءلة فى تلك القضية .

روى البيهقى بسنده عن أبى محمد الزبيرى قال : قال رجل للشافعى : أخبرنى عن القرآن : خالق ؟ قال الشافعى : اللهم «لا» . قال : مخلوق ؟ قال الشافعى : اللهم «لا» . قال : فغير مخلوق ؟ قال الشافعى : نعم قال : فما الدليل على أنه غير مخلوق ؟

فرفع الشافعى رأسه وقال : نقر بأن القرآن كلام الله ، قال الله تعالى :

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾

(التوبة/ ٦)

وقال الله :

﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾

(النساء/ ١٦٤)

ثم قال الشافعى : أفتقر بأن الله كان وكان

كلامه أو كان الله ولم يكن كلامه ؟ فقال الرجل : بل كان الله وكان كلامه .

فتبسم الشافعى وقال : إنكم لتأتونى بعظيم إن كنتم تقرون بأن الله قبل القيل وكان كلامه ؟ فمن أين لكم الكلام : الله ـ أو سوى الله ـ أو عين الله ـ أو دون الله ؟ قال : فسكت الرجل وخرج .

كذلك من القضايا الداخلية «قضية الاسم والمسمى» و«الذات والصفات» وشيوع قضية القياس فى التوحيد ، مثل هذه القضايا كانت تؤرق الشافعى ، ولايرى قيمة للخوض فيها ، بل قد تضر بإيمان المؤمنين .. قال يونس بن عبدالأعلى : سمعت الشافعى يقول : إذا سمعت الرجل يقول : الاسم غير المسمى فاشهد له بالزندقة .

فلاختلاط مسائل الإيمان بمسائل الإلحاد فى علم الكلام شدد الشافعى نكيره لهذا العلم ، لاختلاطه بقضايا لاتساعد المؤمن على إيمانه ، فهو لايرفض العلم كعلم ، إنما يرفض منه انحرافه عن منهجه الإسلامى ، ثم يؤيد وجهة نظرنا ما يؤثر عن الشافعى نفسه أنه كان يطلق على هذه القضايا «مسألة الملحدين» ، لأنها تشكك فى الدين ولا تبعث على الإيمان .

وكان يطلق على هذا العلم الذى اشتمل على تلك المسائل الإلحادية «علم الكلام» ، يقول الرازى : «فإن فى ذلك الزمان كان الكلام فيه اسما للمتكلم فى الاعتزال والقدر» ، ومن هنا صح قول المؤولين بأنه كان يقصد من ذمه عدم التوغل فى المضايق التى لا سبيل للعقل إلى الخوض فيها .

فالشافعى كان يفرق بين نوعين من القضايا :

ـ قضايا وليدة الزندقة فى الإسلام ، ولا سبيل للعقل للخوض والتوغل فيها ويسميها «علم الكلام» .

ـ وقضايا تحمل دلائل التوحيد والنبوة ويسميها علم التوحيد .

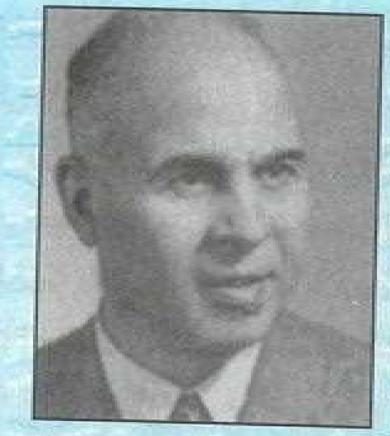
يقول الشافعى : فكل من نصر علم الأصول وقرر دلائل التوحيد على مذهب الخليل استوجب التعظيم المذكور فى قوله :

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ﴾

(الأنعام/ ٨٣)

وكل من أنكر علم الأصول وأصر على التقليد ومتابعة الأسلاف ـ كان على دين آزر والد إبراهيم ، ومتبعا طريقته فى الجهل والضلال .

فمن هنا كانت دعوة الشافعى تتطابق مع وجهة نظر المؤولين فى موقفه من علم الكلام ، وتتناسب كل التناسب مع نزعته العقلية ، وتتطابق مع منهجه ذى المنحى الفريد فى تأليفه لعلم أصول الفقه .



أحمد زكى الشخصيَّة والأسلوب

للأستاذ الدكتور/ متولى محمد البساطى

-١-

يعد الدكتور أحمد زكى من العلامات البارزة على طريق الفكر العربى المعاصر، وفى ظنى أن أخصب فترة جادت بها قريحته هى الفترة التى ولى فيها مجلة العربى التى تصدر شهريا بالكويت، حيث كان القراء يترقبون ما يكتبه فيها بشوق ولهفة، إلى جانب أن المجلة كانت تصدر وهى أشبه ما تكون بمائدة حافلة بأطايب الطعام بما تحتوى عليه من مواد علمية متنوعة فى العلوم والآداب، والأحداث، والمخترعات العلمية الحديثة، ولم تغفل جانب الفكاهة التى تروح عن القارىء.

وكانت المجلة بهذا تضم خلاصة ما جادت به قرائح كتاب العربية ومفكريها وأدبائها فى أسلوب ميسر واضح يقترب من القارىء العادى، ولا يخلو من فائدة للمتخصص.

وكانت مقالاته فى المجلة غير مقصورة على الجانب الذى تخصص فيه وهو الجانب العلمى، وإنما حلق بأفكاره فى مجالات أخرى كان له فيها باع طويل.

وفى هذه العجالة نلقى الضوء على جانب مما كتب وإن كان فى الواقع يستحق دراسة متسعة حتى يمكن إعطاؤه حقه: مفكرا، وأديبا، وعالما.

فلقد ولد عام ١٨٩٤ م بالسويس، وهى إحدى المدن المصرية المطلة على المدخل الجنوبى للقناة التى تعرف بها اليوم، وتخرج فى مدرسة المعلمين العليا - القسم العلمى - سنة ١٩١٤، وعمل بالتدريس، لكنه استقال فى أثناء ثورة ١٩١٩، ثم ذهب إلى انجلترا للدراسة حيث قضى فيها

عشر سنوات حصل فيها على أكثر من درجة علمية، وفلسفية، وحينما عاد إلى مصر عمل بكلية العلوم - جامعة القاهرة - أستاذا للكيمياء.

ولقد قلد أكثر من وظيفة: ففى المجال الجامعى انتخب وكيلا لكلية العلوم، ثم عميدا لها، فمديرا لجامعة القاهرة، فوق أنه عين مديرا لمصلحة الكيمياء، ومديرا لمؤسسة البحوث العلمية، ووكيلا مساعداً لوزارة التربية والتعليم، ووزيراً للشئون الاجتماعية، كما كان عضوا بمجمع اللغة العربية، ورئيسا لتحرير مجلة العربى.

ومن مؤلفاته: قصة المكروب، وجان دارك، وبواتق وأنابيب، وسلطة علمية، وبين المسموع والمقروء، ومع الله فى السماء[1]

توفى فى أكتوبر ١٩٧٥م.

-٢-

وعلى الرغم من أن أحمد زكى تخصص فى الدراسات العلمية لكن اهتمامه لم يقتصر على الدراسات والبحوث العلمية، وإنما امتد ليشمل القضايا الأدبية، والاجتماعية، والسياسية، والتاريخية والاقتصادية، والفلسفية، واللغوية، مع التمكن من عرض أشد المسائل غموضا فى أسلوب سلس، رشيق، قريب إلى الأذهان، يجعل القارىء يتتبعها فى شغف، وشوق، فلا ينتهى إلا وقد ألم بأطراف المسألة فى وضوح[2] وكانت مقالاته فى مجلة العربى تسير فى اتجاهات ثلاثة:

أولها: حديث الشهر وهو يدور حول موضوع من الموضوعات التى تشغل الأذهان أو حول قضية هامة: مثل حديثه عن مكانة المرأة فى سائر الأمم، وعبر القرون، وذلك بمناسبة العام العالمى للمرأة، وحديثه عن أهل اليمين وأهل اليسار، وحديثه عن تحديد النسل.... وهو يتخذ غالبا الأسلوب الأدبى الممتع وسيلة لعرض أحاديثه الشهرية.

ثانيها: أحاديث متتابعة بعنوان «مع الله فى الأرض: وحدة الله تتراءى فى وحدة خلقه، وقدرة الله تتراءى فى بديع صنعه».

ومن هذه الأحاديث حديثه عن الدورة الدموية فى سائر الحيوانات، وحديثه عن التنفس فى الإنسان، وسائر الحيوان، ودلالته على أنه مظهر رائع من مظاهر الوحدة.

(١) مجلة العربى العدد ١٤٣ أكتوبر ١٩٧٠م

(٢) أنظر مجلة العربى العدد ٢٠٥ ديسمبر ١٩٧٥ - عبدالرزاق البصير: تحية وعزاء.

ثالثها: سلسلة أحاديث منتظمة بعنوان «فى سبيل موسوعة علمية» يتناول فيها موضوعا من الموضوعات التى تتصل بالمخترعات مثل حديثه عن الصاروخ سلاح القرن العشرين، أو يتناول بعض مظاهر الوجود كحديثه عن المسك، أو الجواهر الثمينة، أو الجبال، وتناوله فى كل منهما - غالبا - يتم بأسلوب علمى ميسر، وحديثه الشهرى كانت تفتتح به المجلة بصفة دائمة، ومنتظمة، وكان له وقعه على قارىء المجلة، أما أحاديثه فى الجانبين الآخرين فقد جاءت بعض الأعداد وهى خلو منهما معا أو من أحدهما.

ومن أحاديثه الشهرية حديثه الذى امتاز فيه بالجرأة والصراحة، والذى عارض فيه معارضة شديدة فكرة «تحديد النسل» حيث أهاب بالعرب فى صدر هذا الحديث مناديا «أيها العرب: تناسلوا تكاثروا حتى تملأوا البر والبحر عربا» وكان رأيه أن الدعوة إلى تحديد النسل دعوة مريبة، لأنها لا تصيب أم الأرض إصابة واحدة، وأنه ليس كالثروة البشرية ثروة، وأن الوطن العربى يتسع للمزيد من السكان، متخذا من العراق والسودان، ومصر نماذج تطبيقية لكشف زيف هذه الدعوة.

فالدعوة إلى تحديد النسل - فى مصر - دعوة كاذبة غير صالحة، لأن مصر بها ثروة، ولكن بها فقر كثير، وليس هذا بسبب كثرة سكانها. وأن مصر بها علم، ولكن بها كذلك جهل كثير، وليس ذلك بسبب كثرة سكانها. وأن مصر بها قوة، ولكن بها كثير من الضعف، وليس ذلك بسبب كثرة سكانها. وأن مصر بها تعطل أوفر، وليس ذلك بسبب كثرة سكانها. بلية مصر لا كثرة السكان مع قلة الأرض. ولكن عجز الأدمغة عن أن تجعل الأرض تستوعب سكانها، تفيض بالتخطيط الحكيم.

ولقد عرفت إسرائيل الطريق إلى القوة، بزيادة السكان بوسيلتيه: الأنسال والهجرة. أما العرب ففى الأنسال أخذوا بنصيحة غير الأصدقاء فى كثير من أرجاء وطنهم وفى مصر خاصة[3].

وفى حديث له عما وصل إليه العالم من تقدم مذهل فى الميادين المختلفة يقول فى إيمان وثقة رداً على من يقفون فى سبيل التقدم باسم الدين: «إن الذى يحدث على سطح هذه الأرض هو بعض صنائع الأقدار، والمشيئة القائمة وراء ذلك هى مشيئة الله، وإن قوما يقفون أمام هذا التطور،

(٣) انظر مجلة العربى العدد ١٩٨ مايو ١٩٧٥م.

يسبون ويلعنون، وبه لا يؤمنون، قوم هم أعداء أنفسهم، وأعداء أممهم، وخصوم الله»[4].

وفى «رجل لايشار إليه بالبنان» تحدث عن السعادة وتصور الرجل السعيد فى الحياة. فالشهرة والمجد، والثراء، والتمتع بأطايب الحياة، والتفاف العصبية، كل ذلك ليس دليل السعادة فى الحياة.

«فأنت رجل إذا ظهرت فى الناس، لم يشر إليك أحد ببنان، ولا يهمس باسمك وأنت تمشى فى الطريق إنسان. وأنت رجل لا يظهر اسمك فى الصحف حيا، ومع هذا فأنت رجل أمين على نفسك، وعلى عملك، وعلى بيتك، وعلى أولادك وأصحابك، يمتلىء قلبك بالتسامح ووجهك يفيض بالبشر والأمل، وتمضى الأيام والسنون، فيصيبك الوهن ثم يأتيك قضاء الله وأنت لاتدرى.

فى حياتك لم يشر أحد إليك ببنان، وفى مماتك لم يتسع لاسمك فى صحيفة مكان. فإذا كانت هذه صفتك، وهذا مزاجك، فأنت لاشك رجل سعيد»[5].

وفى «عربيات سقط قيدها» تعرض لمشكلة من المشاكل اللغوية، وهى مشكلة الألفاظ العربية التى لم تتضمنها المعاجم اللغوية، والدارس للألفاظ العربية لا يلبث أن يصنفها على الفور صنفين، صنفا مسجلا فى القواميس، فعربيته ثابته، وصنفا ساقط القيد، لاعيب فيه إلا أن القواميس لم تسجله «ولكن ينطق به الناس وينطق به العرب».

وعنده أن السبب فى ذلك يرجع إلى أمرين:

الأول: أن القواميس العربية قديمة، وأنها من عمل فرد واحد، فلم يكن فيها استيعاب.

الثانى: أن هذه القواميس أخذ بعضها عن بعض، فالذى سقط من هذا سقط من ذاك وتواتر السقوط.

والرأى عنده أن نستعرض هذه الألفاظ ساقطة القيد، ونتلمس الطريق إلى إثبات عربيتها ولهذا شرطان يتحتم الوفاء بهما معا:

أ - أن يكون لهذه الألفاظ الجرس العربى الخالص، وأن لا تكون فيها عجمة تدل على أصل أجنبى، وأن تقبل الاشتقاق، وأنها لولا القواميس ما درى بها أحد إلا أنها عربية.

ب - أن ندور بها على مجموعة من رجال العرب، رجال من قطر عربى،

(٤) انظر مجلة العربى العدد ١٤٣ أكتوبر ١٩٧٠م.

(٥) مجلة العربى العدد ٧٣ ديسمبر ١٩٦٤م.

يبلغون العشرة أو يزيدون فإن قالت أكثرية فيهم إن اللفظ ينطق به الناس فى بلادهم كان هذا دليلا على عربية مسلوبة.

فإذا تحقق هذان الشرطان ردا إلى اللفظ العربى اعتباره وعد عربيا، يدخل لغة الكتابة والأدب، ويدخل القواميس الحديثة. (٦)

ـ ٣ ـ

وفى حديث له نشر بعد وفاته بعنوان «الافتتاحية الأخيرة» يتحدث الدكتور أحمد زكى عن فكرة «القوة» وأنها هى الحكم الأول فى أمور هذه الحياة.

«الذكر فى الحيوان له السلطة على الأنثى، وعليها له الطاعة لأنه الأقوى».

«أريد أن أؤكد أن الحضارات الإنسانية هشة أمام رواسب ظلت فى أنفس الناس تميل بهم إلى الاعتداء والغلبة ما تيسرت لهم وسائل ذلك، وأول وسيلة لذلك هى القوة، أو حتى مجرد الشعور بأنهم أقوياء، إن الجرائم الإنسانية تكاد ترد جميعا إلى الاعتداد بالقوة»(٧)

وفى نفس هذه الفكرة سبق له أن تناولها ضمن حديث آخر له عنوانه «عدل الأرض أم عدل السماء»(٨).

فالحضارة الحديثة حضارة مادية تبحث فى دأب عن إشباع حاجات الإنسان الجسدية، ولكنها من الناحية الروحية خواء، ولذا كان الجور والتسلط والاغتصاب، والعدوان من سماتها، وما ظنك بحضارة قامت فى أساسها على الاغتصاب، ونهب ثروات الغير، وقهر الأمم والشعوب، واستعبادها، فساد منطق القوة، وبرز السلوك العدوانى فى صورة وحشية، سواء على مستوى الجماعات أو الأفراد.

وكان هذا هو المنطلق لحديث الكاتب عن العدل فى هذا المقال الذى ربط فيه بين الجمال والكمال والعدل، وبين أن الجمال موجود، ولكن العدل مفقود، ويبدو أن الكاتب قد أهمه فقدان العدل بين الكائنات ـ خصوصا الإنسان ـ فيتحدث فى آخر مقالاته حول هذا المعنى فيطلب النصرة للمظلوم، والضعيف، والمستجير، ويرى أن الإيمان بحياة أخرى وراء هذه الحياة ينصب فيها للعدل ميزان لايزال هو الحافز الوحيد الباقى لكل أمن يرجى وكل أمان.

(٦) مجلة العربى العدد ٧٣ ديسمبر ١٩٦٤م.

(٧) مجلة العربى العدد ٢٠٥ ديسمبر ١٩٧٥م.

(٨) مجلة العربى العدد ١٤٣ اكتوبر ١٩٧٠م.

ـ ٤ ـ

لقد كان النثر فى بداية العصر الحديث ـ شأنه شأن الشعر ـ يخضع للصنعة اللفظية المتكلفة فكان الأسلوب يأتى مثقلا بالزخارف اللفظية دون مراعاة للفكرة ولكن انتشار التعليم، والمطابع، والصحافة، ونشاط حركة الترجمة وإحياء التراث، ثم انتشار الإذاعة المسموعة والمرئية كل ذلك ساعد على تعرض الكتاب لمشاكل الحياة اليومية وقضاياها، واستدعى ذلك التخلص من الزخارف اللفظية الفارغة، والحلى البديعية الزائفة، وإن جاءت العبارات فى البداية جزلة الألفاظ، متينة التراكيب، رصينة الأسلوب، وشيئا فشيئا ازداد الاهتمام بالفكرة وجوهر القضية المعروضة، وتناولها فى صورة واضحة، وأسلوب دقيق.

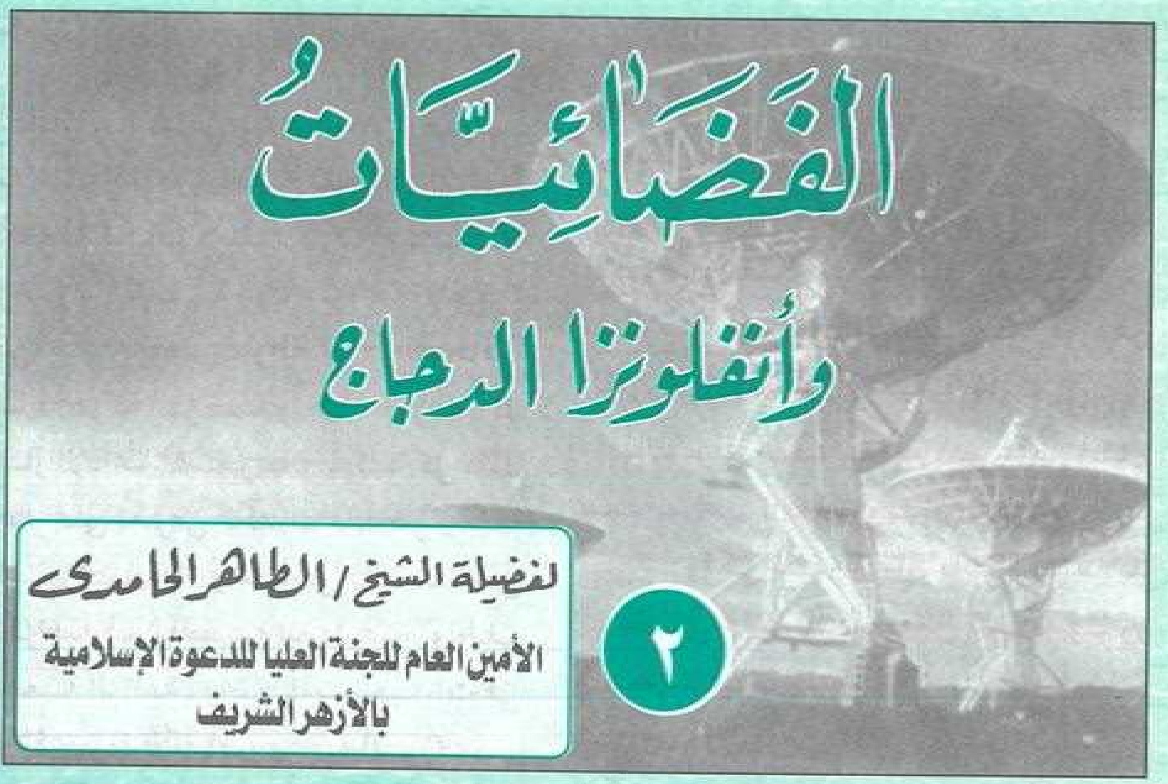
وكان المقال من أهم الأنواع النثرية التى يعالج فيها الكاتب موضوعا من الموضوعات المرتبطة بالحياة اليومية وبالعلوم والمعارف المتنوعة، وقد اتسع مجاله لارتباطه بالصحيفة اليومية، والمجلات الدورية، ولذا تعدد المقال بتعدد أغراضه، فكان منه: الأدبى، والنقدى، والعلمى، والفلسفى، والدينى، والاجتماعى، والسياسى.

والمقال لون من ألوان النثر الفنى يعرض فيه الكاتب لأحد الموضوعات عرضا متتابع الأفكار، مترابط الأجزاء فى أسلوب يعتمد على التشويق ويهدف إلى الإقناع. والمقال بهذا ليس حشدا من المعلومات يصبها الكاتب صبا فى ذهن القارىء أو ينقلها بأى كيفية كانت.

فالتشويق عنصر أساسى فى عرض المقال يبعد به عن الجفاف ويفيض عليه من رداء المتعة، ولكى يظفر المقال بالتشويق فلابد أن يضفى عليه الكاتب من ذاتيته وتبرز فيه شخصيته فى الأسلوب وطريقة التناول، والعرض، بجانب ما اكتسبه الكاتب من خبرته، وممارسته للحياة ويضاف إلى ما تقدم أن تكون الفكرة العامة قد اختمرت فى ذهن الكاتب واستوعبها فنمت وأخذت شكلها السوى(٩) وبالنظر الى المقال عند أحمد زكى نجده يستوفى هذه العناصر.

والتفصيل بعد الإجمال سمة أخرى من سمات التعبير عند الكاتب وتجىء العبارات عنده وهى تنساب فى لطف ورقة ورشاقة، فلا نجد فيها افتعالا أو جفافا ولكنها تحظى بقسط وافر من التشويق، والمتعة فيكون لها وقع تأنس به النفس، وترتاح إليه الأذن.

(٩) انظر الأدب وفنونه للدكتور عز الدين اسماعيل ص٢٢٦ ـ الطبعة الثالثة ـ دار الفكر العربى.



الفضائيات وأنفلونزا الدجاج

٢

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى
الأمين العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف

تقول السيدة عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ فى كلمة عبقرية فريدة فيما رواه البخارى: «كان يوم بُعاث [١] يوما قدّمه الله لرسوله ﷺ فقدم رسول الله ﷺ ـ المدينة ـ وقد افترق ملؤهم[٢] وقتلت سرواتهم وجُرحوا فقدمه الله لرسوله ﷺ فى دخولهم فى الإسلام» أخرجه البخارى.

«ورفقوا لله عز وجل ورسوله فى دخولهم فى الإسلام» [٣]

وانطلاقا من هذا القول العبقرى قال أهل الفكر الرشيد أصحاب القلوب المضيئة: «إذا أراد الله شيئا هيأ له الأسباب» قاطعنى صاحبى فى تواضع ـ مُصطنع بدا عليه كأنه بلاهة ـ قائلا: أحسب أن ما قلته كلاما جيدا. لكننى لا أكاد أفهمه حتى أتبين علاقته بموضوع حديثك السابق.

قلت: الأمر إذن يحتاج إلى شرح لما سبق. ثم إلى بيان للعلاقة بين ما يقال وما قد قيل!!!

(١) يوم بُعاث موقعة كانت قبل الهجرة إلى المدينة بين الأوس والخزرج اقتتلوا فيها قتالا شديدا. أملته عداوة متأصلة. حتى رأى المنتصر والمهزوم من الأوس والخزرج سوء ما صنعوا وتطلعوا إلى المنقذ المخلص.

(٢) تعنى الأوس والخزرج نتيجة حرب بُعاث.

(٣) زيادة وردت فى مسند الإمام أحمد حـ٦ «ورفقوا لله إلخ» يعنى لان جانبهم وهو خلاف العنف وانظر النهاية فى غريب الحديث والأثر جـ٢، صـ٢٤٦ مادة (رفق).

تهلل وجه صاحبى مغتبطا بما قلت ثم أنصت حتى يستوعب ما أقول واصلت حديثى كأنى لم ألحظ عليه شيئا.

يوم بُعاث. كانت حربا ضروسا بين سكان يثرب قبل هجرة المصطفى ﷺ وهما أكبر القوى عددا وعدة وعتادا فى يثرب واستمرت الحرب طاحنة قاسية حتى أبادت البشر والثروة فكانت أشبه بحرب إيران والعراق التى أنهكت البلدين ـ أو كما قالت أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق وما إن انتهت الحرب إلا ـ وقد افترق ملؤ القوم. وقتل صناديدهم وسادتهم وجرحوا جميعا وأصبح الجميع ينتظر المعاذ والملاذ والملجأ خصوصا وأن اليهود بين ظهرانيهم يهتبلون أى فرصة.

ويتوعدونهم بنَبىٍّ يظهر آخر الزمان قد أظل زمانه وحان وقت ظهوره سوف يتبعونه ويجهزون على البقية الباقية منهم، ويقتلونهم قتل عاد وإرم. وأصبح القوم ـ من الأوس والخزرج ـ يتطلعُون، أو إن شئت فقل بتعبير السياسة المعاصرة البليد ـ يهرولون إلى المنقذ المخلص من المستقبل المظلم أو الخناق المحدق ـ فكان الأمر كما قالت الصديقة بنت الصديق ـ رضى الله عنها ـ وعن أبيها وصحبه: «كان يوم بُعاث يوماً قدمه الله لرسوله» ـ أى مهد به وهيأ الأمر لحبيبه كى يجمع برسالة الإسلام هذا الشتات الممزق ويتجه به إلى سيادة روحية إنسانية سامية. وإيثار لم يُعرف من قبل ولا من بعد للخلق أجمعين» !!!

أيةُ عبقرية فذة تلك التى نسجت هذه الكلمات وأطلقت هذه المعانى العبقة عبرة تذكر الجميع من يومها إلى يوم الجمع أن الأمر كله لله وكأنها تحقيقا أو تفسيرا لقوله جل شأنه:

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾

(الإسراء / ١٦)

كما أن إقامة الخضر ـ عليه السلام ـ للجدار كانت تمهيدا من الله وتهيئة جليلة منه ـ عز وجل ـ فجاء قوله:

﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾

(الكهف / ٨٢)

فجاءت بيعتا العقبة الأولى والثانية طوق نجاة للقبيلتين. ينتظرانه ويتشوقان إليه ويتطلعان له. لكن قدوم الرحمة المهداة ﷺ. وعيشه بينهم فاق أكثر أحلامهم طموحا أو قل جنونا ولذلك لما قدم ﷺ انطلقت الترانيم بهذا النداء الخالد من ذوات الخدور يهتفن للحبيب المحبوب ﷺ:

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاع

معذرة أريد أن أقول: «جئت بالشوق المنتظر المطاع»

جئت شرفت المدينة
مرحبا يا خير داع

نعم.. خير داع وخير منقذ

كل هذا وأكثر حوته تلك الكلمات العبقرية المعبرة الفذة للصديقة بنت الصديق ـ وجاء على دربها أصحاب القلوب المضيئة النقية والأفئدة النيرة فقالوا: انطلاقا جيدا رشيدا منها وفهما مستبصرا فريدا، وصاغوا قولهم كأنه جمان يتحدر وإيمان يتلألأ، قالوا: «إذا أراد الله شيئا هيأ له الأسباب» أى أن الله - سبحانه وتعالى - له أسباب يبثها تُظْهِر مسببات أرادها لمشيئة قدرها.

قال صاحبى: وقد تهلل وجهه فرحا ـ كأنه وجه طفل ـ الآن عرفت بيان ما سبق وعلاقة ما قد قيل بما يقال، حيث قد أتاح لك خطأ وجهل القائلين بعدم صحة قولنا -ﷺ- وكذلك خطأ قولنا بأن النبى ﷺ «هاجر» من مكة إلى المدينة ولكن الصواب فى رأيهم أن نقول فى الصلاة على رسول الله ﷺ «اللهم صل على محمد» وألا نقول إنها هجرة ولكن نسميها خروجا أو إخراجا.

قاطعت صاحبى قائلا: كم أحب منك التريث وعدم الاندفاع والغضب الذى يحملك على تخطئة الآخرين ووصفهم بالجهل. ثم قلت: لعل الذى حمل القائلين بعدم صواب جملة: «ﷺ» أنهم لم يتعمقوا فى اللغة العربية وأساليبها أو لم يدرسوها البتة حيث إنهم فهموا أن المقصود من جملة: «ﷺ»: أنهما فعلان ماضيان فى اللفظ والمعنى فقط!!

وليس الأمر كما فهموا لأن هاتين الجملتين: «صلى - وسلم» جملتان خبريتان فى اللفظ ولكنهما إنشائيتان فى المعنى، وهما أبلغ فى الدلالة على المعنى المقصود، لأن جملة: «ﷺ» فيها إلْمَاح رشيد إلى أن الله - تعالى ـ سمع دعاءنا بالصلاة والسلام على رسوله فاستجاب لنا فصلى وسلم على رسوله محمد ﷺ ومن أجل هذا الفرق البلاغى الدقيق اختارت الأمة منذ صدر الإسلام- وهى مصيبة غير مخطئة خاصة علمائها ـ عبارة ﷺ بدلا من اللهم صل وسلم على سيدنا محمد لأنك فى عبارة: اللهم صل (الإنشائية) تطلب من الله أن يصلى. أما عبارة ﷺ فهى تفيد أن الله قد استجاب الدعاء فصلى فعلا وسلم فهى أبلغ فى التعبير وفى نفس الوقت إخبار صادق عن قوله تعالى: إن الله وملائكته يصلون على النبى.

فالإنشاء فى اللغة الإيجاد والاختراع وفى الاصطلاح يطلق بأحد إطلاقين:

١ - المعنى المصدرى وهو إلقاء الكلام الذى ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه.

٢ - المعنى الإسمى وهو نفس الكلام الملقى الذى له الصفة المتقدمة وينقسم بالاعتبار الأول إلى قسمين:

أ- طلبى: وهو أنواع: الأمر، النهى، التمنى، الاستفهام، النداء. ويعرف بأنه ما يستدعى مطلوبا غير حاصل فى اعتقاد المتكلم وقت الطلب (أى أنه يطلب شيئا ليس له

وجود ويتمنى وجوده أو يستفهم عنه أو يناديه أو ينهى عنه).

ب- غير طلبى: وهو ما يستدعى مطلوبا حاصلا وأنواعه كثيرة مثل عبارة ﷺ فإن الله -سبحانه وتعالى- قد صلى هو وملائكته على نبيه ﷺ بدليل قوله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾
(الأحزاب / ٥٦)

فنحن حين نقول ﷺ نستدعى ونستذكر ونلجأ إلى الله أن يحقق منا ولنا هذه الصلاة المباركة الطيبة وأنواع ذلك كثيرة منها صيغ المدح وصيغ الذم فأنت تقول مثلا: نعم الخليفة عمر. وبئس الظالم الحجاج، فقد تحقق لديك صلاح الخليفة عمر وعدله وظلم الحجاج لكنك فى عبارتك هذه تنشئ مدحا لعمر -رضى الله عنه- وتنشئ ذما للحجاج.

كذلك صيغ العقود مثل: بعت، واشتريت هى ماضوية عند المساومة فى البيع والشراء لأنها أدق وآكد من أبيعك أو اشتر منى كذا لأن هاتين العبارتين الإنشائيتين تحتملان مجرد العرض معنى وإن جاءت بصيغة الماضى مثل بعت واشتريت فإنها تفيد الإيجاب والقبول وليست مجرد العرض ولذلك فإن الفقيه العبقرى «الإمام الشافعى» مؤسس علم أصول الفقه يشترط فى عقد النكاح لأهميته أن تكون الجملة فى طلب الزواج من الزوج أو الزوجة بصيغة الماضى حتى يكون العقد صحيحا لأنها فى الماضوية تفيد التأكيد وكذلك أخذ برأيه كل الفقهاء، وهذا التعبير نفسه حافل به القرآن الكريم فما أكثر ما استعمل الجمل والتراكيب الماضية بدل التراكيب الإنشائية وذلك لنفس الملمح وهو لإفادة تحقق الوقوع فى الجملة الماضوية ومن ذلك قوله ـ تعالى:

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾
(المائدة / ٦٤)

فقوله ـ تعالى:

﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾

دعاء عليهم بغل أيديهم وإصابتها بالشلل وجاء التعبير بهذا الفعل الماضى للدلالة على أنه متحقق الوقوع.(٤)

حيث كان من المفترض أن يقول: تغل أيديهم فى المستقبل (أى عبارة إنشائية مستقبلية وليست ماضوية).

مثال آخر أكثر وضوحا قوله تعالى:

﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾
(النحل / ١)

والمسلمون يفهمون أن المقصود بأمر الله هو يوم القيامة، ومع هذا فقد جاء التعبير بـ«أتى» الماضوية ولم يأت بعبارة مستقبلية «يأتى أمر

(٤) راجع صيغ العقود فى الشريعة الإسلامية لكل من كتب فى البيوع وأصول الفقه وكتاب علوم البلاغة للأستاذ/ أحمد مصطفى المراغى أستاذ العلوم العربية بدار العلوم العليا.

الله»، وكذلك قوله تعالى:

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا ﴾

(الأعراف/ ٤٤)

فبالله عليك متى يكون هذا النداء وتراشق الحجج هل هو تم فعلا؟ أم أنه سوف يكون يوم القيامة عندما يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار؟ وما هو سر التعبير بالأسلوب الماضوى، أليس أكثر بلاغة وتأكيدا على أن ذلك كائن حتما لاشك فيه أم أنك ترى أن القرآن الكريم أخطأ حين عبر بالماضى عن ما سيجىء بعد؟!!

قال صاحبى: وقد بدى عليه بعض الاستيعاب والفهم. لكن بقيت فيه بعض لجاجة. ما سبب هذا العدول من الإنشاء إلى الماضى؟

قلت: التعبير فى هذا المقام ـ أبلغ كما قلت ـ لأنه يدل على تحقق الوقوع فى حوار أهل الجنة والنار.

واستجابة الدعاء فى الصلاة على رسول الله ﷺ وهو أسلوب من أساليب البيان الرفيع كثير الورود فى الكتاب العزيز الذى أحكمت آياته.

ـ وتأمل معى قوله ـ جلت قدرته:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴾

(المؤمنون / ٩٩)

تأمل فعل جاء وقال: فهل جاءك الموت فعلا أم أنه سيجىء حتما ومع ذلك جاء التعبير بالفعل الماضى الذى دخلت عليه إذا لتأكيد الوقوع ولا يصح دخول (إنْ) قبله لأنها تدل على الشك تماما مثل قوله ـ تعالى:

﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾

(النصر/ ١)

فهو إلماح رشيد إلى أن نصر الله قادم حتما برغم إغراء الفضائيات وبزخ العالمين فيها ولها ولهذا بكى سيدنا عبدالله بن عباس لما نزلت سورة النصر لأنه عرف أن الأمر اكتمل وأن أجل رسول الله ﷺ أوشك. وكذلك فعل سيدنا عمر بن الخطاب وبكى لما نزل قوله ـ تعالى ـ:

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾

(المائدة / ٣)

وقال: (الأمر إذا تم نقص) أى: أخذ فى النقصان وتلك سنة الله فى خلقه.

قال صاحبى ضجرا قلقا: لماذا طوحت بنا بعيدا؟

قلت: لا عليك فالأمر أعجل مما تأمل أو تتخيل، فالموت قادم حتما، وسوف يقول الخاسر:

﴿ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ ﴾

(المؤمنون / ٩٩، ١٠٠)

فبالله عليك لماذا عبر القرآن بـ «قال» برغم أن الموت لم يجىء وذلك للإشارة والإلحاح والتأكيد على أن هذا القول حاصل من الخاسرين حتما.

وكذلك فى البيان العربى شعره ونثره وتفصيل هذا يحتاج إلى مجلدات لكن اسمع إلى قول الحُطيئة [٥] وهو شاعر أحسبُ أنك تعرفه أو سمعت به يقول:

شهد الحُطيئة يوم يلقى ربه.. أن الوليد لجلج فى الهُتر ولعلك لا تعرف كلمة الهُتر فمعناها «الباطل»، والذى يعنينى وأرجو أن تفهمه وتعيه جيدا جملة «شهد الحطيئة يوم يلقى ربه» لماذا جاء الفعل «شهد» ماضيا مع أن الحطيئة لم يلق ربه بعد لأنه، عدل عن المضارع يشهد إلى «شهد» الماضية للدلالة على تحقق وقوع هذه الشهادة وكأنها وقعت فعلا لأنه مصر عليها!، ثم قلت لصاحبى: هذا مجال فسيح فى القرآن والحديث والشعر والأساليب العربية الجيدة. اسأل عنه أهله وتتلمذ عليهم قبل أن تنبس ببنت شفة.

قال صاحبى فى غضب بليد لم أعهده منه وذكاء شيطانى رهيب يرجو أن يغرس فى قلبى غيرة أو يبنى حجاب المعاصرة بينى وبين أصحابى العلماء. قال: لقد رد علماؤنا على هذه الضلالة بما قلت وبما هو أكثر وكانوا أكثر شجاعة وجرأة لأنهم واجهوها فى مهدها جزاهم الله خيرا وبارك فيهم وأبقاهم.

قلت اعترافا بفضلهم وتواضعا أسأل الله أن يكون حقيقيا وأكثر الله من أمثالهم وأيدهم.

ثم تذكرت قول الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ وصفاء قلبه حين يناقش مجادليه.

قال: أنا لا يعنينى أن يظهر الحق على لسانى أو لسان مناظرى لكنى أسأل الله أن يظهر الحق فكل منا على ثغر من ثغور الإسلام.

ثم تداركت سريعا قائلا لصاحبى: هل تعلم أن هذه الجمل التى أوردتها أنت وأنا دعائية، إنشائية فى المعنى وإن جاءت بصيغه الماضوية ـ وهى قولك جزاهم، وبارك، وقولى أكثر وأيدهم فهى تعنى اللهم جازهم واللهم بارك فيهم واللهم أيدهم واللهم أكثر من أمثالهم لذلك فهى أكثر وأعمق فى الدلالة على المعنى المراد وأبلغ.

وإلى لقاء آخر نبين فيه ـ إن شاء الله ـ أنها هجرة وليست خروجا، ونعتذر إلى رسول الله ﷺ عن عدم الحديث فى شهر مولده ونسأل الله أن يتقبل أعمالنا وأن يوفقنا للحديث فى عدد لاحق إن شاء الله.

---

(٥) الحطيئة شاعر مخضرم ـ أدرك الجاهلية والإسلام ـ كان هجاء، بذيئا عنيفا لم يسلم من لسانه أحد حتى ـ يقال ـ إنه هجا أمه وأباه ونفسه أيضا.

وأكثر من هجاء الزبرقان بن بدر فشكاه إلى سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فسجنه عمر ـ رضى الله عنه ـ فاستعطف سيدنا عمر بأبيات رقيقة مؤثرة قال:

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ ... زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة ... فاغفر عليك سلام الله يا عمر

فرق سيدنا عمر له فأخرجه من محبسه ونهاه عن هجاء الناس.

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المقيد برقم ٣٨٩ لسنة ٢٠٠٥م المتضمن لبعض الأسئلة وهى:

الوفاء بالنذر

● السؤال الأول: ورد من السيدة/ ف.ا.ب تقول:

نذرت أن أذبح شاة بعد شفاء أخى، ونذرت أختى أن تذبح هى الأخرى إذا شفاها الله من مرضها، ولما تقابلنا وتحدثنا معًا ظهر لنا أن نشترك فى ذبح عجل بدل أن تذبح كل واحدة منا شاة. فما الحكم؟

●● الجواب: أمر الله تبارك وتعالى بالوفاء بالنذر؛ فقال سبحانه:

﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾

(الحج - ٢٩)

وقال عز وجل فى بيان صفات الأبرار:

﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾

(الإنسان ٧)

وقال سيدنا محمد رسول الله ﷺ لعمر - رضى الله عنه - «أوفِ بنذرك»؛ فمن نذر أن يذبح شاة فإنه يلزمه ذبح الشاة، ويجوز له أن يشترك مع غيره فى عجل من البقر أو الجاموس بشرط أن لا يزيد عدد المشتركين على سبعة أفراد؛ لأن العجل يقوم مقام السبع من الشياة.

وعليه فإنه يجوز للسائلة أن تشترك مع أختها فى ذبح العجل وتكون كل منهما قد أدت ما عليها من نذر إن شاء الله - تعالى -، وعلى الله قصد السبيل.

والله سبحانه وتعالى أعلم

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
على جمعة
مفتى جمهورية مصر العربية

الاقتراض من البنك

● السؤال الثانى: ورد من السيدة/ عفاف.ع.ع من القاهرة تقول:

أ) هل زكاة المال ٢,٥ بالمائة على الأرباح أم ١٠ بالمائة على الأرباح؟

ب) هل يجوز لابنها أن يأخذ قرضاً من البنك بهدف عمل مشروع ليعيش منه لأنه لم يحصل على وظيفة حتى الآن، والقروض عليها فوائد ربوية. فهل يجوز له ذلك؟

●● الجواب: أ- زكاة المال تكون على رأس المال والربح إذا بلغ المال النصاب وحال عليه الحول، وقيمة الزكاة ربع العشر أى ٢,٥ بالمائة.

ب- يجوز أخذ القرض من البنك لعمل المشروع المبين فى السؤال إذا كان المقترض فى حاجة ماسة لهذا القرض، وذلك تنزيلاً للحاجة منزلة الضرورة.

والله سبحانه وتعالى أعلم

الاستمناء

● السؤال الثالث: ورد من السيد/ ا.ع.ح من الغربية يقول:

لقد أصبح الاستمناء باليد إدمانا عندى، وكل مرة أتوب إلى الله ثم أعود إلى هذا الفعل، لذا أرجو التفضل بإفادتى بحكم الشرع للاستمناء، وكيفية التغلب على هذه العادة السيئة.

●● الجواب: الاستمناء باليد أمر حرمه الله -تعالى- فى كتابه الكريم، قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾

(المؤمنون ٥ - ٦)

وقال سيدنا رسول الله ﷺ: «اضمنوا لى ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا

أيديكم» أخرجه أحمد وابن حيان والحاكم والبيهقى، أما كيفية التغلب على هذا الفعل المخالف للشرع الحنيف فإنه يكون بالتوبة النصوح وكثرة ذكر الله ـ تعالى ـ، وذكر الموت، وقراءة القرآن، ومدارسته، والمحافظة على الصلاة؛ لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، ومراقبة الله تعالى؛ قال تعالى:

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾

(النساء ١٠٨)

وقال ﷺ: «اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» رواه البخارى، ويبدو أن السائل يحتاج إلى توبة حقيقية بندم شديد وعزم أكيد وفعل رشيد، وعليك أيضًا بصلاة الحاجة؛ فإنها خير معين؛ قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

(البقرة ١٥٣)

وكان النبى ﷺ: «إذا حزبه أمر صلى» [رواه أبو داود]، ثم عليك أيضًا بالدواء النبوى لمثل هذا الداء، وهو الصيام، قال ﷺ: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء» رواه البخارى.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

الأضحية

● السؤال الرابع: ورد من السيد: محمد عبدالسميع (منوفية) يقول:

اشتريت شاة للأضحية، وقبل حلول عيد الأضحى بثلاثة أيام أكلت فوق طاقتها وأشرفت على الموت فقمت بذبحها خوفًا من نفوقها وقمت بتوزيعها على الفقراء. فهل تعتبر أضحية أم صدقة؟

●● الجواب: الأضحية سنة مؤكدة فى حق المسلمين المستطيعين، وتتعين الأضحية بالتعين، فإذا تلفت الأضحية المعينة قبل العيد بغير تفريط أو تقصير من صاحبها فليس عليه الإتيان بغيرها، وما فعله مقدم السؤال من قيامه بذبحها قبل العيد عندما أصابها المرض وأشرفت على الموت، وقيامه بتوزيع لحمها على الفقراء عمل مشروع، إلا أن لحمها هذا لا يعد أضحية، بل هو صدقة تصدق بها، والله ـ سبحانه وتعالى ـ يجزيه خيرًا؛ لأن الأضحية لا تكون إلا بالذبح بعد صلاة العيد كما هو مقرر شرعًا؛ لقوله سبحانه وتعالى:

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾

(الكوثر ٢)

ولقول سيدنا رسول الله ﷺ: «من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك ومن نسك قبل الصلاة فتلك شاة لحم» رواه أبو داود.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

الزكاة الأنفع للفقراء

● السؤال الخامس: ورد من السيد/ السعيد عبدالعظيم يوسف يقول:

أقوم بأخذ جزء من زكاة المال وأشترى به بعض السلع التموينية وأعطيها لبعض الجمعيات الخيرية التى تقوم بدورها بتوزيعها على الفقراء المعلومين لديها، ولكن أحد السادة القائمين على هذه الجمعيات أفاد بأنه لا يجوز إعطاء السلع كزكاة للمال، وأن الواجب هو دفع المال نقداً.

أرجو إفادتى هل يمكننى أن أستمر فى شراء هذه السلع للمحتاجين أم الواجب علىّ التوقف ودفع المبالغ فقط. ما حكم الدين فى ما فعلته؟

●● الجواب: الأصل فى الزكاة أن تخرج من نفس المال المزكى، وأجاز الأحناف إخراج القيمة إذا كان ذلك أنفع للفقراء، وما يفعله مقدم السؤال من أخذ جزء من مال الزكاة لشراء سلع غذائية تعطى للفقراء والمحتاجين من الأصناف الثمانية الذين يستحقون الزكاة عمل جائز شرعًا ولا حرج فيه، ولكن على المزكى أن ينظر إلى الأنفع للفقراء فيخرجه؛ فإن كان الأنفع إخراج المال كان عليه إخراج زكاته مالاً، وإن كان الأنفع إخراج القيمة من طعام وكساء وغيره فله ذلك.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

الإخوة فى الرضاعة

● السؤال السادس: ورد من الشيخ حبشى حسن حسين إمام مسجد طنسا

ما الحكمة فى منع الزواج للإخوة فى الرضاع؟

●● الجواب: الحكمة من منع الزواج بين الإخوة فى الرضاع هو اشتراك كل منهما فى الرضاع من لبن امرأة، واللبن ينشز به العظم وينبت به اللحم ما دام فى سن الرضاعة، وهو الحولان الأولان، فكأنهما خرجا من رحم واحد.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

***

التفكير العلمى حاجة عقلية وضرورة حضارية

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

إن مصطلح «التفكير العلمى» وعلاقته بتنمية المجتمعات يكتسب فى عصرنا أهمية متزايدة، وخاصة بعد التفجر المعرفى الهائل الذى غيَّر كثيراً من الأنماط الفكرية والسلوكية للإنسان، وبعد أن تدخل العلم بنظرياته وتطبيقاته فى مختلف مجالات النشاط الإنسانى.

والشائع المتواتر أن التفكير العلمى، كمنهاج يُتبع ووجهة تُولَّى، لم يستكمل عناصره الأساسية إلا فى عصر النهضة الأوروبية الحديثة التى أتاحت قيام الثورة الصناعية والتقنية التى نعلمها الآن. لكن استقرار حركة التاريخ الإنسانى يؤكد لنا أن بداية حركة العقل فى الأشياء، على نحو يمتُّ بصلة إلى العلم وإلى التفكير العلمى، إنما ترجع إلى العصر الذى انفرد فيه الإنسان – عن غيره من المخلوقات – بالمقدرة على التعبير عن الأشياء بعد تمييزها، ويكون ذلك بشىء من القياس الفطرى على أساس التدرج من إدراك الأخص إلى معرفة الأعم.

وكانت اللغة بطبيعة الحال هى بداية التدرج الفطرى المطبوع فى طريق التفكير العلمى، وهذا الاستقراء المنطقى لحركة التاريخ الإنسانى يوافق ما أخبر به القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾

(سورة البقرة: ٣١)

حيث شرَّف الله الإنسان بما اختصه من علم أسماء كل شىء، وكان هذا أول سلوك العقل فى طريق العلم بالأشياء. ولا يكون مستغرباً – فيما نرى – أن يبدأ الإنسان بعد ذلك فى الإفادة من ملكات إدراكية أخرى، وهبها الله – تعالى – إياه لاكتساب العلم والخبرة، يأتى فى مقدمتها ملكة العقل. قال تعالى:

﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾

(سورة النحل: ٧٨)

لهذا حمَّلنا الله – عز وجل – مسئولية استخدام أدوات التفكير ووسائل العلم التى أنعم بها علينا فى قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾

(سورة الإسراء: ٣٦)

وحثنا على إمعان النظر وإعمال الفكر بسؤاله عن الكيف فى مثل قوله تعالى:

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ۝١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ۝١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴾

(سورة الغاشية: ١٧ – ٢٠)

والسؤال بكيف يتطلب التفكير العلمى بطريقة منهجية لتحصيل المعرفة، سعياً إلى إدراك الحقيقة العلمية نقية صافية والإفادة منها والانتفاع بها لترقية الحياة على الأرض.

التفكير العلمى إذنْ مطبوع فى كينونة الإنسان منذ خلقه الله – سبحانه وتعالى – ليس فقط باعتباره حاجة فطرية تدفعه إلى البحث وراء ما يسدّ به حاجته ويكفى ضرورته، ولكن أيضاً باعتباره حاجة عقلية ينظم بها حياته ويرقيها ويحقق من خلالها فهْماً أفضل لطبيعة الأشياء والظواهر التى يتعامل معها. وهذا مما ساعده على أن يفيد من خبرته المكتسبة فى تسخير كل شىء حوله لأغراض معيشته، وازدادت المعلومات رويداً رويداً تبعاً لما قضت به الحاجة واضطرت إليه الظروف. فالزراعة أدت إلى أن يزن ويكيل ويحسب ويقدِّر، ودعته ظروف الحياة إلى السفر والترحال، وإلى الاهتداء فى انتقالاته بمعالم الأرض ومصابيح السماء... حتى إذا ما انتظمت الحياة فى مجتمعات، أخذ يُعنى بتعلُّم الحرف والصناعات واستنباط أصنافها، ويهتم بكل ما يستفاد به فى أغراض الحياة بقصْدٍ ورَوِيَّة.

وظل التفكير العلمى فى كل العصور جزءاً لا يتجزأ من الممارسات العملية والفكرية طوال مسيرة الحضارة الإنسانية، ولعل هذا كان من أهم أسباب التقدم العلمى ذاته وتطور المدنية على أساسه.

التفكير العلمى إذنْ ضرورة حضارية أيضاً، مرتبطة باحتياجات المجتمع وتنميته الشاملة، أو هكذا ينبغى أن يكون كلما أمكن.. والأدلة على ذلك كثيرة فى الحضارات المتعاقبة التى تفاعلت وشاركت فى رعاية شجرة العلم التى تجنى البشرية ثمارها اليوم. فيرى الذين يؤرخون للرياضيات القديمة – مثلاً – أن نظام الترقيم المصرى واستقرار نظرية العدد منذ نشأة الحضارة فى وادى النيل كانا نتيجة حتمية لضرورة اقتصادية خاصة بالوضع الاجتماعى فى مملكة مصر الفرعونية التى لم تمتلك على الإطلاق وحدة نقدية معيارية إلا فى مرحلة

متأخرة. ولذا كان لابد من محاسبة مادية واسعة حتى يمكن تصريف شئون كامل البلد على امتداد حوالى ١٠٠٠ كيلو متر من الشمال إلى الجنوب، ومن هنا ساعدت عملية العدّ على أن يقوم الحاسب المصرى القديم بإجراء العمليات الحسابية المختلفة، من جمع وطرح وضرب وقسمة، بطريقة منهجية آلية لا تلعب الذاكرة فيها دوراً كبيراً، إذ لم يتجاوز الضرب أو القسمة إلا باثنين، وما زاد عن ذلك كان يقوم به عن طريق سلسلة من عمليات التضعيف المنهجى (أى الضرب فى اثنين).

كذلك احتاج الإنسان للهندسة منذ بدأ يبنى البيوت ويُعد الأراضى للزراعة والرى، ويكفى أن نتأمل تلك الآثار العجيبة التى خلفتها الأمم فى مختلف أقطار العالم القديم فى مصر والعراق والهند والصين، لكن ندرك عظمة العبقرية التى تمتع بها المهندس القديم. وانشغل الإغريق قديماً بالفلك لعلاقته بالحظ وكشف الطالع، بينما اهتم المسلمون بالفلك والحساب لارتباطهما فى بادىء الأمر بتحديد سمت القبلة وأوائل الشهور ومواقع البلدان وحساب المعاملات والمواريث وغيرها من أمور الشريعة الإسلامية. وكرس «فارادى» حياته باحثاً فى الكهربية والمغناطيسية لأن مشكلة مجتمعه فى عصر النهضة الأوروبية كانت - مثل عصرنا الحاضر - البحث عن مصادر جديدة للقوى والطاقة.

وأهم ما ينبغى التأكيد عليه هنا أن تحقيق ارتباط العلم والتفكير العلمى بتنمية المجتمع حضارياً يتطلب الفهم الواعى لطبيعة العلاقة بين العلوم الأساسية (الرياضيات، الكيمياء، الفيزياء، .....) من جهة والعلوم التطبيقية والتقنية من جهة أخرى، والعمل على تحقيق التلاحم والانسجام بينهما حتى يؤتيا ثمارهما كاملاً فى تلبية احتياجات المجتمع. ذلك أن «المعرفة» Knowledge لا تفرق بين بحث نظرى وبحث عملى من حيث الأهمية، وهى لا تفرق بين كشف فى مجال الفيزياء النظرية أو الرياضية وبين ابتكار لمنتجات صناعية، أو اختراع لأجهزة وأدوات تقنية، ولا فرق أيضاً بين الفائدة الروحية للمعرفة العلمية الكاشفة لأسرار الكون والحياة، وبين منفعتها المادية فى إتاحة الرخاء والتغلب على الجوع والألم، ومقاومة أخطار المرض والتلوث. وحول هذا المعنى يقول «برنال» فى كتابه «الوظيفة الاجتماعية للعلم»: «إن العلم له صورتان: الأولى صورة «مثالية» يبدو فيها العلم معنياً بكشف الحقيقة وتأملها، ومهمته أن يبنى صورة عقلية للعالم تلائم واقع الخبرة، والصورة الثانية «واقعية» تسود فيها المنفعة وتتعين فيها الحقيقة وسيلة للعمل النافع، ولا تختبر صحتها إلا بمقتضى ذلك الفعل المثمر». ويؤيد «باستير» هذه النظرة مؤكداً على أن أهمية التفكير العلمى تكمن فى أن المعرفة التى

يتم التوصل إليها بحث وتطبيق فى آن معاً، فالعلم وتطبيقه نشاطان متصلان كصلة الشجرة بالثمرة. لقد أدت تجارب «فارادای» إلى صنع المولد الكهربى «الدينامو»، وأفضت دراسات «ماكسويل» فى الأمواج إلى ابتكار التلغراف اللاسلكى، وأدت بحوث ابن الهيثم ونيوتن فى الضوء إلى اكتشاف الأجهزة البصرية، بل إن شهرة الفيزيائى أنيشتين تعزى إلى نظريته فى النسبية وهى أبحاث نظرية تكشفت قيمتها بعد إثباتها التجريبى.

وها نحن فى عصرنا الحاضر نلمس القدرات الفائقة للتقنيات المتقدمة على إسداء الرفاهية للبشر، ونهتم فى الوقت نفسه بمتابعة الكشوف النظرية العظيمة فى علوم الرياضيات والفيزياء والفلك والكيمياء والبيولوجيا وغيرها من العلوم الأساسية وهذا يدعونا إلى القول بأن هناك نموذجاً إرشادياً جديداً New Paradigm قد وُلد بالفعل وبدأ ينمو ويترعرع مع بداية هذا القرن الفاصل من الألفية الثالثة الموسومة «بألفية المعرفة»، وأهم ما يميز هذا النموذج الجديد هى ثنائية متلازمة تجمع بين المعرفة والمهارة فى التطبيق كقاعدة أساسية لبناء الإنسان وتنمية المجتمع حضارياً، فقد أصبح من غير المقبول أن يتسم الأداء فى أى مجال من المجالات بالشكلُ على حساب المضمون المعرفى، أو العكس. ومن الخطورة بمكان أن تقوم البراعة الفنية كنوع من الاختصاص الساذج والكفاءة المغيِّبة دون سند من علم أو معرفة، وهو ما يرصده الآن أهل الاختصاص فى كثير من المجتمعات، ويعبرون عنه بالعبارة الإنجليزية:

The Know - how is becoming (how) without knowing

ويعتبرون أن التعليم هو الذى يوفر عنصر هذه الثنائية، ويكون بمثابة الترمومتر الذى يقيس فاعلية العلاقة بينهما أخذاً وعطاءً، وصولاً إلى المستوى المناسب من الجودة والقدرة على المنافسة. ذلك أن تحديات سوق العمل المحلية والعالمية إبان «ألفية المعرفة والمهارة» تتطلب قدرات معرفية وفنية كبيرة وكثيرة لتنفيذ الأساليب الجديدة التى أنتجتها مختلف التقنيات، وخاصة المتقدمة منها، ولم يعد بإمكان أى شخص أو مجتمع أن يتجاهل هذه التقنيات وتأثيراتها فى زيادة التدفق المعرفى الهائل على طريق المعلومات فائقة السرعة Information Super-highway وليس هناك من شك فى أن المؤسسات التربوية والإعلامية مطالبة بأن تؤدى دوراً تنويرياً أكبر للتعريف بهذه المفاهيم وأهميتها فى تحقيق الربط الحقيقى بين التفكير العلمى السليم وتنمية المجتمع حضارياً فى مختلف المجالات الحيوية.

***

﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾

إعجاز الميزان فى كيان الإنسان

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى

هل وقفت يوماً ـ شاخصاً متأملاً ـ أمام صرح شاهق، أو برج سامق قد انتظمت طبقاته. واتسقت جدرانه، وتناغمت ألوانه حتى بدا بناء كاملاً متكاملاً تكاملاً (عضوياً) بلغة نقاد الشعر، يتسم بالوحدة المترابطة التى لا نبوَ فيها ولا تنافر؟

وهل تساءلت وأنت حيال هذه الوحدة المعمارية المنتظمة عما إذا كان قد أبدع «تصميمها» مصمم designer واحد أو أكثر؟

وهل أجبت عن ذلك ـ فى حديثك مع النفس ـ ماذا يحدث لو أن «المصمم» واحد، وماذا يحدث لو أن المصمم أكثر من واحد.

سأترك لك التأمل، والإجابة معاً، ولكنى سأحدثك عما أجبتُ به نفسى بعد التأمل العميق، والتفكير الدقيق.

إن هذا البنيان المتكامل (الموحدَ) لا يمكن أن يضع تصميمه إلا (واحد) فقط، ومن ثمة تراه قد قام على نسق (واحد) من أوله إلى آخره... بينما لو كان قد صممه أكثر من واحد إذن لبدا فيه التنافر جلياً بين أجزائه ولظهر فيه التعارض واضحاً بين أنحائه.

كذلك البناء الإنسانى لو اطلعت عليه جسماً ونفساً لبهرتك آية من آيات التوحّد والاتساق. وإنه ليترتب على هذا التوحد والاتساق فى كل من الجسم والنفس ثم فيهما جميعاً ما نعرفه من صحة للبدن، وصحة للنفس، وكيف يرتبط ـ فى هذا السياق ـ كل منهما بالآخر ارتباط الكل الذى تفسده التجزئة، والتكامل الذى يهدمه الانقسام.

وكما يشير المبنى المتكامل الموحَّد إلى مصمم واحد ليس إلا، كذلك (تشير) وحدة الكيان الإنسانى جسماً ونفساً إلى مبدع واحد لا شريك له لأنه:

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾

(الأنبياء ـ ٢٢)

وهذه حقيقة تمليها الفطرة النقية، وتصدقها البداهة اليقينية التى لا ينكرها إلا من ينكر وجود نفسه، ويتطلع إلى إثبات ذاته باحثاً لذلك عن الدليل والبرهان بينما الحقيقة الساطعة تملك عليه جُمع كيانه فأنى لبصيرته أن تبصر، وأنى لحدسه أن يفيق!!

ولعلك لحظت هنا أننا قلنا إن وحدة الكيان الإنسانى (تشير) إلى مبدع واحد ولم نقل (تدل) لأننا نطمئن عقلاً ووجداناً إلى قول من يقول: «إن المخلوقات ليست دليلاً على وجود الله، بل إن وجود الله هو الدليل على وجود المخلوقات لأن الإيمان بالله ـ من خلال البصيرة النقية والفطرة النقية ـ هو الذى ينشر أمامنا الضوء المبهر على وجود المخلوقات» وذلك مصداقاً لقول الشاعر المؤمن وهو يناجى الحق ـ جل وعلا ـ قائلاً: «مَن يُستدل به وليس عليه».

ولقد رأينا كيف يجعل الكثيرون التوافق الجسمى مرادفاً للصحة الجسمية كما يجعلون التوافق النفسى مرادفاً للصحة النفسية، وينبغى ألا يطلق لفظ (الصحة) على عواهنه دون تحديد معناه بدقه ووضوح.

فالصحة هى حالة الجسم أو النفس بالسلب أو بالإيجاب، فأما الحالة الصحية السالبة للجسم فهى عدم قيام أعضائه وأجهزته كل بوظائفه التى خلق من أجلها، ومن هنا يكون جسماً معتلاً سقيماً لا يعين صاحبه على القيام بمهامه فى الحياة.

وأما الحالة الصحية الموجبة للجسم فهى أداء كل من أعضائه وأجهزته بوظائفه التى جُبل عليها بحيث تتكامل هذه الوظائف فى كلٍ متكامل يطبع الجسم بالحيوية والنشاط ومن هنا يكون جسماً إيجابياً يقوم صاحبه برسالته فى الحياة دون رهق أو إعياء أو فتور.

أما بالنسبة للنفس فإن حالتها الصحية السالبة تتمثل فى طغيان بعض دوافعها أو مكوناتها على الأخرى أو عدم إشباع بعض هذه المكونات مما يؤدى إلى الكبت أو الصراع أو الجُناح وغير ذلك من الصور غير السوية للسلوك.

وأما الحالة الصحية الموجبة للنفس فتظهر فى السلوك السوى للفرد مما يشير إلى توفيقه فى تحديد أهدافه وفى تخطيط الأسلوب الذى يحقق به هذه الأهداف.

وتتبادل النفس والجسم ـ إلى حد كبير ـ التأثير والتأثر فى حالة كل منها الصحية سلباً وإيجاباً، فقد ينعكس المرض الجسدى على النفس وقد ينعكس المرض النفسى على الجسم، ونقول (قد) لأن (كل قاعدة لها شواذ) كما يقال ولاسيما فى العلوم الإنسانية ومن ثمة لجأنا إلى المرجع الحق وهو القرآن الكريم والسنة الشريفة نستلهمهما الحديث فى هذا المجال.

ولك ـ بل عليك ـ أن تتأمل قول الحق ـ سبحانه وتعالى ـ عندما يقول جل شأنه

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾

(سورة التين ـ ٤)

فيبرز قمة التكامل، وقمة التوافق فى خلق الكيان البشرى، وكيف لا وهو ـ سبحانه ـ الذى وصف خلقه ـ وهو أعلم ـ بصفة الميزان عندما قرن سبحانه وضع ﴿ الميزان ﴾ برفع السماء

﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾

(الرحمن ـ ٧)

كما يقول عز وجل فى آية أخرى

﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾

(الحجر ـ ١٩)

وإذا وقفنا أمام كلمة ﴿ وَأَنبَتْنَا ﴾ نرى أنها تشير إلى الإنسان أيضاً حيث يقول الحق ـ سبحانه ـ:

﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾

(نوح ـ ١٧)

هذا ولعل أبسط شكل للوحدة العضوية فى الجسم هو ما كشفت عنه بعض البحوث الفسيولوجية الحديثة من وجود ميل طبيعى فى البدن إلى الاحتفاظ بحالة ثابتة من التوازن العضوى والكيميائى، فمثلاً إذا زادت حرارة البدن عن حد معين بدأ العرق يتصبب وحده تلقائياً حتى تنخفض درجة الحرارة فيعود البدن إلى حالته المعتدلة وحرارته المعتادة.

بل إن بعض البحوث المعاصرة قد كشفت عن أنه إذا اختل التوازن العضوى والكيميائى عند الإنسان ـ والكائن الحى بوجه عام ـ وذلك بسبب اضطراب أو نقص عضوى أو كيميائى فى البدن، ظهرت فى الحال بعض العمليات البدنية والتعويضية التى تحاول سد هذا النقص، وإزالة حالة الاضطراب وبالتالى إعادة حالة التوازن.

ومثال ذلك أنه إذا حدث تلف فى بعض أنسجة البدن قامت خلايا الدم البيضاء بتجديد هذه الأنسجة وهكذا، كما أن المرء حين يجابه موقفاً يهدده بالخطر فإنه يتعرض لدافع الخوف ومن ثم يطرأ على بدنه أثناء ذلك كثير من التغيرات الفسيولوجية إذ تشتد دقات قلبه مما يساعد على سرعة تدفق الدم فى الأوعية الدموية، وفى نفس الوقت تنقبض الأوعية الدموية الموجودة فى الأحشاء بينما تتسع الأوعية الدموية الموجودة فى الجلد والأطراف، ويساعد هذا كله على اندفاع الدم من الأحشاء إلى الأجزاء الخارجية من البدن والأطراف.

وهكذا نرى كيف يتجلى (الميزان) فى تحقيق التوافق بين عناصر الجسم، وما أعظم قول المصطفى ـ ﷺ ـ وهو يشير إلى هذا التوافق البدنى الذى أبدعه الحق حين يقول: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[1].

ولا يختلف مفهوم الوحدة النفسية عن مفهوم الوحدة الجسمية من حيث مبدأ الوحدة أو الصحة، فالصحة النفسية تقوم على التكامل التام

(١) رواه أبوهريرة ـ رضى الله عنه ـ الجامع الصغير للسيوطى.

أو التوافق التام بين الوظائف النفسية المختلفة والقدرة على مواجهة الصعوبات النفسية العادية التى تطرأ على الإنسان فى معاملاته اليومية.

ومن أساليب التوافق التام بين الوظائف النفسية المختلفة ألا نفكر فى أمر ما بطريقة معينة ثم نسلك نحوه طريقاً آخر ومثال ذلك أنه قد ينفطر قلبك للمساكين وأنت تقرأ عن قصصهم الحزينة وأحوالهم البائسة وأخبارهم الأليمة ولكنك مع هذا لاتعطف عليهم ولا تعطيهم حقوقهم ولا تزكى عن مالك لهم، كما أنه مما يُخل بالتوافق النفسى أن يقول المرء غير ما يفعل أو يفعل غير ما يقول وقد أنحى الحق ـ سبحانه وتعالى ـ باللائمة على من ينهجون هذا النهج بقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

(الصف ـ ٢، ٣)

ومن معنى التوافق النفسى أيضاً ألا نأمر الناس بفعل الخير وننسى أنفسنا.. وفى هذا يقول الله ـ عز وجل ـ لمن يفعل ذلك

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

(البقرة ـ ٤٤)

كما أن من معانيه كذلك ألا نكون كالمطففين

﴿ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾

(المطففين ـ ٢، ٣)

ومن صور التوافق النفسى أيضاً ألا نكون كالمفسدين الذين يظنون أنهم مصلحون

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾

(البقرة ـ ١١)

فالتوافق النفسى الداخلى معناه خلو المرء من تعدد الاتجاهات الداخلية المختلفة وتضاربها وتعارضها، كأن يتردد المرء بين تحقيق كرامته فى نظر نفسه وإشباع جوعه عن طريق السرقة، أو كما يحدث فى مواقف يتنازع الفرد فيها أمران: تضحيته بنفسه وأولاده لإنقاذ مبادئه، أو تضحيته بمبادئه لإنقاذ نفسه وأولاده وذلك مثل الجواسيس والخونة.

وهناك مواقف عابرة يحدث فيها تعارض من النوع البسيط كما نرى فى حالة الطالب الذى يريد أن يروح عن نفسه من خلال مشاهدة مباراة كرة القدم فى «التليفزيون» مثلاً ويرغب فى نفس الوقت أن يذاكر دروسه، فعندما تقع هاتان الرغبتان المتعارضتان فى نفس الوقت يتردد بينهما الطالب ثم يقرر أحد الأمرين أو يوفق بينهما، ومن هذه الحالات كذلك الرغبة فى الانفلات حين تتعارض مع الرغبة فى الانضباط أمام أمر من الأمور مثل تهاون البعض فى الصيام أو الصلاة أو طاعة الوالدين أو غير ذلك، وقد يقبل الإنسان عملاً مضطراً لا يتفق مع ميوله ورغباته فيمارسه بلا حماس وبغير إقبال ويكون جهده فاتراً لأن جهده فى هذه الحال موزع بين الرغبة فى كسب المال وعدم الرغبة فى هذا النوع من العمل الذى لايتفق

مع استعداداته استجابةً للحديث النبوى الحكيم [كل ميسر لما خلق له](٢).

فخلو النفس من التناقض ومن النزاع والصراع والانقسام وما يترتب على ذلك من تردد وتوتر نفسى، وعدم قدرة المرء على حسم النزاع عند وقوعه، نقول إن خلو النفس من هذه السلبيات هو أهم شرط من شروط الصحة النفسية، فأساس الصحة النفسية إذن كأساس الصحة البدنية وهو يتمثل فى تحقيق التوازن والتكامل أو «مبدأ الوحدة».

والمهم فى هذا كله أن يكون للإنسان هدف رئيسى يوحد بين اتجاهاته ونزعاته، وأن يكون له معيار يقيس به تصرفاته وأعماله، وواضح أن الهدف كلما سما وارتفع واتسع فى الزمان والمكان كلما كانت قدرة الإنسان على إحداث الوحدة وتحقيق التكامل النفسى أكبر وأشمل وأكثر دواماً.

والذى يهدف لإسعاد نفسه دون غيره هو فى الحقيقة أقل تكاملاً ممن يسعى لإسعاد أسرته ولو على حساب نفسه، والذى يسعى لإسعاد أسرته فحسب هو أقل تكاملاً ممن يسعى لإسعاد أمته، بل أن هناك من يسعى لإسعاد الناس جميعاً بغض النظر عن ذواتهم أو مكاناتهم أو أماكنهم، وغير ذلك من تباين، وهؤلاء هم الأنبياء والمصلحون وأصحاب الرسالات وعشاق المثل العليا والقيم المطلقة الذين هم على استعداد للتضحية والإيثار، ولنتأمل فى ذلك قول النبى ـ ﷺ ـ هنا عندما يدعو الأمة إلى الإيمان الحق القائم على التحاب والإيثار: [لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا](٣).

ولو أردنا أن نلخص هذا لقلنا .. إن التوافق النفسى وحدة كاملة أو هو تكامل تام بين رغبات النفس ونزعاتها ودوافعها وقدراتها وعواطفها وقيمها واتجاهاتها وأهدافها، وهو تكامل بين الإنسان وبين بيئته المادية والاجتماعية، وهو شعور بالسعادة والكفاية والرضا والطمأنينة والاتزان.

ووحدة النفس بعبارة أخرى هى أن تعمل كل قواها فى اتجاه واحد، وأن تتفاعل مع البيئة بجوانبها المادية والإنسانية تفاعلاً صالحاً منتجاً يحقق خلافة الإنسان فى الأرض، بحيث يصاحب كل هذا شعور بالرضا والسعادة استجابة لقول الله ـ عز وجل ـ فى وصف المؤمنين:

﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾

(البينة ـ ٨)

ولكى نعى الترابط بين صحة النفس وصحة البدن نرى أن وحدة الإنسان هى فى مزاج الوحدة الجسمية والوحدة النفسية جميعاً.

وقد وضعت لهذا مقاييس كثيرة منها: أن يعرف الإنسان نفسه استجابة للحقيقة التى اهتدى إليها خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبدالعزيز ـ رضى الله ـ: (رحم الله امرأ عرف قدر نفسه).

(٢) عن عمران بن حصين عن عمر عن أبى بكر (من الجامع الصغير للسيوطى).

(٣) عن أبى هريرة رضى الله عنه ـ (رواه مسلم).

ومن هذه المقاييس أيضاً أن يكون الإنسان متحرراً من الشك فى نفسه وفى غيره مُترسِّماً توجيه الدين الحكيم فى القرآن الكريم:

﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾

(الحجرات ـ ١٢)

ومتحرراً من الخرافة والبدع والأوهام وغيرها، أى أن يكون المرء على ثقة بالله فى نفسه وفى غيره، ويكون واقعياً علمياً منطقياً، حازماً حاسماً قادراً على البت فى المواقف التى تعرض له مستجيباً لقوله تعالى:

﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾

(آل عمران ـ ١٥٩)

ومثل هذه المعايير الإيمانية التى تحقق التوازن النفسى للإنسان ليست وقفاً على طائفة دون أخرى من الناس ولكنها معايير عامة يتفق فى انتهاجها الجميع بفطرتهم النفسية التى تميز بين الخبيث والطيب والغث والسمين.

ولعله من المفيد أن نركز هذه المعايير فى النقاط التالية:

● ألا يكون المرء مقصراً فى الحياة أو كارهاً لها أو متكالباً عليها .. وما أنصع نصيحة قوم قارون له تلك النصيحة التى أوردها القرآن الكريم والتى تنطق بالاتزان والتوازن

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾

(القصص ـ ٧٧)

● أن يستمتع بإشباع حاجاته البيولوجية اليومية العادية من مأكل ومشرب وغير ذلك فى حكمة وتوسط واعتدال:

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾

(الأعراف ـ ٣٢)

وكذلك:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

(الأعراف ـ ٣١)

● أن يواجه صعوباته اليومية العادية بانفعال هادىء ونفس راضية.

● أن يعمل ويتعلم وينتج ويتحمل المسئولية مقدراً قيمة نفسه كخليفة لله ـ سبحانه ـ فى الأرض.

● أن يكون له فى حياته هدف كبير تتضافر فيه القيم الاجتماعية والأخلاقية والعلمية فى إطار المثل الإسلامية الهادفة الهادية مؤمناً بأن الغاية النبيلة تُدرك بالسلوك النبيل

وعلى الله قصد السبيل،،

***

طرائف .. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

«حقا»

وأحسن منك لم تر قط عيني
وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرءا من كل عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء

«نعم أنت المشترى»

جاء سائل إلى سيدنا على بن أبى طالب – رضى الله عنه – يسأله عطاء، فكتب له:

لم يبق لى شىء يباع بدرهم
تغنيك حالة مظهرى عن مخبرى
إلا بقية ماء وجه صنته
من أن يباع ونعم أنت المشترى

فأعطاه الإمام على عطاء كاملاً، وكتب له:

عاجلتنا فأتاك عاجل بِرّنا
قُلاً ولو أمهلتنا لم نُقْتِرِ
فخذ القليل وكن كأنك لم تبع
ما صنته وكأننا لم نَشْتَرِ

«ما قيل فى العلم والعلماء»

قال الحسن البصرى رضي الله عنه:

قد يكون الرجل عالماً ولا يكون عابداً، ويكون عابدا ولا يكون عاقلاً.

وقد تحقق قول الحسن هذا فى مسلم بن يسار، فقد كان عالماً عابداً عاقلاً.

وقد قيل: ما قرن شىء إلى شىء أفضل من حلم إلى علم، ومن عفو إلى قدرة.

وقالوا: من تمام آلة العلم أن يكون شديد الهيبة، رزين المجلس، وقوراً صموتا، بطىء الالتفات، قليل الإشارات، ساكن الحركات، لا يصخب ولا يغضب، ولا يهم فى كلامه، ولا يمسح عشنونه عند كلامه فى كل حين، فإن هذه كلها من علامات العى.

ومدح العلامة عبدالله بن المبارك مالك بن

أنس – رضى الله عنه – فقال:

يأبى الجواب فما يراجع هيبة
فالسائلون نواكس الأذقان
هدى الوقار وعز سلطان التقى
فهو المهيب وليس ذا سلطان

وقال فيه أيضا:

صموت إذا ما الصمت زين أهله
وفتاق أبكار الكلام المختم
وعى ما وعى القرآن من كل حكمة
وسيطت له الآداب باللحم والدم

«لنأكل معك خبزا وملحا»

دعا رجل آخر إلى منزله وقال: لنأكل معك خبزاً وملحاً فظن الرجل أن ذلك كناية عن طعام لطيف لذيذ أعده صاحب المنزل، فمضى معه فلم يزد على الخبز والملح، فبينما هما يأكلان إذ وقف بالباب سائل، فنهره صاحب المنزل مراراً فلم ينزجر، فقال له: اذهب وإلا خرجت وكسرت رأسك، فقال المدعوُ: يا هذا انصرف فإنك لو عرفت من صدق وعيده ما عرفتُ من صدق وعده ما تعرضت له.

«لا أحب واحدة من ثلاث»

قال أبو الدرداء: ثلاث لا يحبهن غيرى: أحب الموت اشتياقاً إلى ربى، وأحب المرض تكفيراً لخطيئتى، وأحب الفقر تواضعا لربى، فذكر ذلك لابن شُبْرُمة فقال: ولكنى لا أحب واحدة من الثلاث، أما الفقر فوالله للغنى أحب إلىّ منه، لأن الغنى به توصل الرحم، ويحج البيت، وتعتق الرقاب، وتبسط اليد بالصدقة، وأما المرض فوالله لأن أعافى فأشكر أحب إلىّ من أن أبتلى فأصبر، وأما الموت فوالله ما يمنعنا من حبه إلا ما قدمناه وسلف من أعمالنا فنستغفر الله.

«وجهناك إلى القبلة»

لما احتضر سعيد بن المسيب، وُجّه إلى القبلة، فقال: ما هذا؟ قالوا: وجّهناك إلى القبلة، فقال: أولستُ علي القبلة؛ أليس وجهى إلى الله حيث كان.

«هكذا حال العامة»

دخل شقيق البلخى – رضى الله عنه – على إبراهيم بن أدهم، فقال له: كيف تركت أصحابك يا إبراهيم

قال: تركتهم إن أعطوا شكروا وإن مُنعوا صبروا، قال: هكذا حال العامة. لقد تركت أصحابى إن منعوا شكروا، وإن أعطوا آثروا غيرهم على أنفسهم.

«ما ظننت أن الملوك تسبُ»

يقال إن هشاماً كتب إلى ملك الروم: من هشام أمير المؤمنين إلى الملك الطاغية، فكتب إليه: ما ظننت أن الملوك تسبُ، وما الذى يؤمنك أن أجيبك: من ملك الروم إلى الملك المذموم.

«بى فضل»

دعا عبدالملك بن مروان رجلا إلى غدائه، فقال له: قد تغديت،

قال عبدالملك: ما أقبح بالرجل أن يأكل حتى لا تكون فيه بقية للطعام!

فقال: يا أمير المؤمنين بى فضل، ولكنى كرهت أن آكل فأصير إلى ما استقبح أمير المؤمنين.

«حقيقة»

إذا كنت فى نعمة فارعها
فإن المعاصى تزيل النعم

«موعظة بليغة»

قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب - رضى الله عنه -: رحم الله عبدا سمع فوعى، ودعى إلى الرشاد فدنا، وأخذ بحجزه هاد فنجا، وراقب ربه، وخاف ذنبه، وقدم خالصا وعمل صالحا، واكتسب مذخورا، واجتنب محذورا، ورمى غرضا، وأصاب عوضا، وكابر هواه، وكذب مناه، وحذر أجلا، وأدب عملا، وجعل الصبر رغبة حياته، والتقى عدة وفاته، يظهر دون ما يكتم، ويكتفى بأقل مما يعلم، لزم الطريقة الغراء، والمحجة البيضاء، واغتنم المهل، وبادر الأجل، وتزود من العمل!

«تحوط القضاة فى الإسلام»

قال الشعبى: كنت جالسا عند شريح إذ دخلت عليه امرأة تشتكى زوجها وهو غائب، وتبكى بكاء شديداً. فقلت: أصلحك الله ما أراها إلا مظلومة.

قال شريك: وما علمك؟

قال الشعبى: قلت لبكائها.

فقال شريك: لا تفعل فإن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون، وهم ظالمون!

«يارب»

يارب لا تبقنى إلى زمن
أكون فيه كلا على أحد
خذ بيدى قبل أن أقول لمن
ألقاه عند القيام خذ بيدى

«دعاء»

اللهم إن ذنوبى لن تضرك، ورحمتك إياى لن تنقصك، فلا تمنعنى ما لاينقصك، واغفر لى ما لايضرك.

فى ذكرى مولده ﷺ

للأستاذ/ عادل خفاجة

> عبر مدها الطويل قدمت مجلة الأزهر الكثير من المقالات - احتفاءً بمولد النبى محمد ﷺ بأقلام كبار الأساتذة نقدم منها هذه السطور، ليقف قارىء المجلة هذه الأيام على ما كانت تفيض به قرائح السلف من علم نافع.

بينما أفكر فيما تعرضه الأمم المتحدة وتحاول فرضه على العالم بأسره، من أشكال وأنماط حياتية لا تمت للإسلام بصلة مثل وثيقتى مؤتمر بكين لعام ١٩٩٥ وبكين + ٥عام ٢٠٠٠ وغيرهما.

تساءلت: بعد كم من السنين تصبح مصر دولة كبرى لا تسمح للآخرين بالتدخل فى شئونها؟!

بداية

إن الأمر يحتاج أن تنادى مصر بخطة طموح تأخذ فى الاعتبار مكافحة أمراض المجتمع مثل: الأمية.. والبطالة وتفشى حب الذات إذ كيف تتقدم دولة لتصطف فى مصاف الدول الكبرى وغالبية أبنائها بين أمى وعاطل؟! أو عامل يعمل لصالح نفسه لا لصالح وطنه؟!

ولابد أن يشمر أبناء هذا الوطن عن سواعد الجد للقضاء على أمراض المجتمع فى صبر وأناة وإيمان وثيق بالهدف المنشود متعاونين جيلاً بعد جيل يحملون أمانة التنفيذ فلا يرتدد جيل عن أداء دوره فينتكس الهدف أو يتلاشى، ولا تبدل أى حكومة هذا الهدف باعتباره هدفا أسمى يسعى الجميع إلى تحقيقه.

إن الأمر - حقا - يحتاج إلى أجيال متعاقبة مع إصرار الشعب على الوصول للهدف!!

هنا قفز إلى خاطرى سؤال: ماذا فعل محمد ﷺ فى ثلاث وعشرين سنة منذ نزل عليه الوحى حتى لقاء ربه؟! كيف لرجل واحد أن يغير خلال هذه الفترة الوجيزة وجه الأرض فتندثر أكبر قوتين - الفرس والروم - أمام دعوته وليس حوله غير مجموعة من البدو ليس لهم من فنون الحرب ما يتوفر للدولتين العظميين فى ذلك الوقت؟!

أليس فى ذلك تأييد من الله تعالى لرسوله الكريم، ثم أليس ذلك معجزة

تشهد بنبوة محمد ﷺ لمن أراد أن يتدبر؟!!

إن من يتأمل شخصية النبى ينبهر بما جمعته هذه الشخصية من صفات، دفعت المفكرين إلى تناولها كل حسب تخصصه فقصُر الجميع وبقيت شخصيته ﷺ أنموذجا تفيض معه قرائح المفكرين على مر العصور.

وكان لعلماء الأزهر مشاركاتهم وأفكارهم التى فاضت حبًا لرسول الله ﷺ وتعطرت بها مجلة الأزهر منذ إنشائها نقدم منها ما تيسر فى هذه الصفحات ونبدأ بفضيلة الشيخ المراغى شيخ الأزهر الأسبق إذ جاء فى كلمته: «لم يكن صاحب الذكرى قوالاً بل كان فعالاً وكان فعله أكثر من قوله. والكلام إذا لم يتبعه العمل ولم يحدث فى النفس أثره بحيث يحملها على المصابرة والمثابرة، كان الإيمان به ضعيفا أو كان كما يقول أهل النظر: تصورات لا تصديقات.

ولا يكفى المحبوب أن تقول له: إنى أحبك بل هو يقاضيك تبعات الحب وما يكلفه الحب من المتابعة واحتمال المصاعب وتجشم المشاق فى سبيل رضا المحبوب:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾

(آل عمران/ ٣١)

وما ابتليت أمة من الأمم بشر من كثرة القول وقلة العمل. ذلك هو الداء الدوى، والعقاب الذى ينزله الله تعالى على من غضب عليه من عباده، وحاد عن الجادة وعن السنن الإلهية وغفل عن سنن الكون وعن هدى الاجتماع.

الأمة الإسلامية مبتلاة منذ أزمان طويلة بهذا، ومبتلاة بالجدل العقيم: تجادل فى أصول العقائد وتجادل فى الفروع، وتجادل فيما هو أقل شأنا من الأصول والفروع، راضية بهذا الجدل لاهية عن سر الإسلام وسر عظمته وعن سر دعوة الرسول الأكرم وعن مقومات الأمم التى لا تستطيع أمة أن تحيا وترفع رأسها إلا بها ولا أن تسمع الناس كلمتها إلا بها ولا أن تجد مكانها فى العز والمجد إلا بها.

سحرت بالطعام وبالشراب، وتلهت بالأحاديث وبالمظاهر الكاذبة الخادعة، وانصرفت عن طريق المجد الصحيحة، وغفلت عن الكون وعما أودعه الله فيه من أسرار، ومن قوى خلقت للانتفاع بها، وابتعدت عن التحلى بالعزائم الصادقة والأخلاق القويمة التى كانت عماد الرسول الأكرم فى دعوته وإبلاغ رسالته.

ولم تكتف بهذا بل انقسم أبناؤها وتعادوا، وأقاموا الحروب بعضهم على بعض، كل له مذهب ينصره ورأى يدافع عنه، وكل ينظر إلى مصلحة خاصة فردية أو قومية أو جنسية أو مذهبية فصارت القوى من عوامل فناء الأمة لا من عوامل بقائها ومن أسباب شقائها لا من أسباب سعادتها»[1]

ومن قول الأستاذ الكبير محمد فريد وجدى رئيس تحرير مجلة الأزهر الأسبق نقتطف هذه الكلمات:

«كلما حال الحول، وأهل هلال ربيع الأول، دعانا من صميم القلب داع للقيام بما يجب

(١) الأستاذ الإمام محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر: مجلة الأزهر ـ السنة الثامنة ـ العدد الثالث ص ١.

الأزهر

علينا للروح المحمدية الشريفة، من الإشادة بذكرها، والتنويه بها، وفاء ببعض حقها علينا وعلى الإنسانية كلها. أما علينا فبما أفدناه من عقائد صحيحة، وآداب سامية، وأغراض كريمة، وزعامة فى الأرض لم تَنْبغ لأمة قبلنا. فإن كان قد أصابنا فى العهد الأخير قَرْح فقد أصاب جميع الأمم قرح مثله، وسيندمل إن شاء الله ونصبح أكثر مما كنا صحة وقوة، وأبقى ضلاعة وفتوة. وأما حقها على الناس فبما نشرته من العلم والحرية فى آفاق المعمور، رفعت به حجبا عن قلوب غُلف، وأعين عمى، وعقول غُفل، وما ألقته من النور على العقائد والتقاليد، وعلى الحق والباطل، وعلى الخير والشر، وعلى العدل والظلم، استنارت به نفوس كادت تصير أشباحا من كثرة ما أحيطت به من سُدف الأوهام، وكسف الأهواء، فاستطاعت أن تلقى عن عواتقها أنيارا، وعن كواهلها آصارا، وتخلع من أعناقها أغلالا، وعن أرجلها أصفادا، فخلصت بذلك الإنسانية من غياهب متراكبة طال عليها الأمد فيها حتى كادت ترتكس إلى البهيمية الباحتة.

ليس فى تاريخ الملل والنحل والمذاهب ما يدل على أن رجلا مهما سمت عبقريته، وارتقت ألمعيته، أتى بدستور عام للحياة البشرية فى جميع نواحيها الدينية والأدبية والاجتماعية، اعتبر صالحا لكل زمان ومكان، لا يعتريه تبدل، ولا يتحيفه تنقص، غير محمد خاتم المرسلين ﷺ». [2]

ومما قاله فضيلة الشيخ محمد عرفه:

«إننا نحب العظماء ونمجدهم، ونحيى ذكراهم، لأنهم ذوو نفع للإنسانية، عاشوا لأجلها وماتوا لأجلها.

ونحن نحب سيدنا محمداً ﷺ ونمجده، ونعد يوم مولده عيدا نحتفل به لأنه أخرج العالم من الظلمات إلى النور، ووضع بذور الخير والبركة فى الأرض، وسن من أصول التشريع فى الأخلاق والاجتماع ما على مثله تحيا الأمم، وترقى الشعوب.

وقد تحرى المسلمون فى العصر الأول التأسى به، والعمل بإرشاده، فسعدوا، وكانت لهم عمارة الأرض، ثم تنكب الخلف من بعدهم طريقه شيئا فشيئا، فبعدوا عن الخير والسعادة بمقدار بعدهم عن ذلك السبيل القويم.

وإن خير ما يسديه المحتفل بميلاده إلى أمته أن يعمد إلى سنة من سننه قد درست فيحييها، وإلى هدى من هديه قد ضل الناس عنه فيهديهم إليه.

وقد أخذت نفسى بهذا، وأردت أن أنشر من هديه ﷺ أبعده أثرا فى إصلاح المجتمع، وأعظمه بركة فى سعادته.

أردت أن أدرس هديه ﷺ، وأعرضه على علم الاجتماع، وتاريخ الأمم والشعوب. فأعثر على ذلك الأكسير الذى لما أخذ به الأولون من أهل الإسلام كانت لهم العزة فى الأرض، ولما تنكبوا عنه ضلوا عنها أو ضلت عنهم.

لقد اهتديت بعد لأى إلى ذلك الإكسير

(٢) محمد فريد وجدى ـ مجلة الأزهر ـ المجلد التاسع ١٩٣٨م.

الذى هو سر عظمة الأمم قديمها وحديثها، ورأيت محمدا لم يغفله ولم يهمله، بل رأيته قد علمه وحض عليه، وكانت سنته القولية داعية إليه، وسنته الفعلية مثالا حيا له، ليستفيده الناس بالعلم والعمل، ويتمكن فى نفوسهم فضل تمكن، فيمكن لهم بذلك فى الأرض.

لن أختزن ذلك الأكسير، ولن أضن به، بل سأبينه وأذيعه، فإن أمم الشرق أحوج ما تكون إليه الآن.

ذلك الهدى: هو الرفق بالناس، وترك الشدة عليهم، ومعاملة بعضهم بعضا باللين والعدل». [٣]

وأما الأستاذ فكرى ياسين فيقول:

«ليس يسيراً أن يتحدث المتحدث فى مثل هذا الفصل القصير عن مزاياه كلها ﷺ فى هذه الناحية الخصبة الوفيرة، وحسبنا من ذلك أن نقدم غيضاً من فيض، وأن نعرض زهرة من روض:

عُرف ﷺ بين قومه وعشيرته منذ نعومة أظفاره بحُسن الخلق، وكرم الطباع، وحلو الشمائل، والنفرة من عادات الجاهلية وتقاليدها المرذولة فى العقيدة والأعمال. ونشأ مشهوراً بينهم بالصدق والأمانة والعفاف، فسما به ذلك إلى مكانة ممتازة بينهم، جعلته محلاً لثقتهم، وأهلاً لتقديرهم. فكانوا يودعون عنده ودائعهم، ويأتمنونه على أماناتهم، ويحكمونه فيما شجر بينهم.

حدث سنة خمس وثلاثين من مولده ﷺ، أن هدمت قريش الكعبة، وأعادت بناءها، فلما بلغ البنيان موضع الركن، اختلفوا على وضع الحجر الأسود، وأرادت كل قبيلة رفعه إلى موضعه، طلبا للشرف والفخر، حتى تحالفوا وتواعدوا للقتال، ومكثوا على ذلك أربع ليال، ثم تشاوروا، فقال أبو أمية بن المغيرة، وكان أسن قريش: اجعلوا بينكم حكماً أول من يدخل من باب المسجد؛ فكان أول من دخل رسول الله ﷺ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، قد رضينا به، وأخبروه الخبر، فقال: هلموا إلى ثوبا، فأتى به، فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعاً، ففعلوا؛ فلما بلغوا به موضعه، وضعه بيده، ثم بنى عليه.

وعندما رجع رسول الله ﷺ من غار حراء إلى خديجة رضى الله عنها، بعد مجىء الملك إليه، وإخبارها بخبره، قال لها الرسول: لقد خشيت على نفسى؛ فقالت له خديجة: كلا، والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق!

ولما دعا هرقل ملك الروم أبا سفيان بن حرب فى ركب من قريش، ليسأله عن أمر رسول الله ﷺ، كان من جملة ما قاله هرقل لأبى سفيان:

وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا؛ فقد أعرف أنه

(٣) الشيخ محمد عرفة: أساس الرقى فى الإسلام ـ مجلة الأزهر ـ المجلد الثامن ـ ص٢٠٢.

لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت أن لا؛ وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك: بما يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقا، فسيملك موضع قدمى هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم؛ فلو أنى أعلم أنى أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه!

* * *

هذه ثلاث شهادات صادقات، تنطق له ﷺ بكمال سيرته الأدبية؛ ونبل صفاته الخلقية، قبل البعثة وبعدها، وتدل أوضح الدلالة على أن أخلاقه الكريمة؛ قد خلعت على دعوته ثوبا من حُسن الظن بها، والثقة فيها»[٤].

ويقول الأستاذ/ أمين الخولى:

«ألا إن هذا المولد ذكرى ميلاد دين، وأول حياة دولة، ومشرق حضارة، ومطلع حرية، وبشرى اتحاد كلمة، واجتماع شمل، وتكون أمة.

وما للشرق اليوم من ذلك كله قل ولا كثر، فهل يلتمس عقلاؤه مواسم لمولده الجديد، ومبعث عزه العتيد، أجل وأسمى، وأقرب إلى القلوب من موسم ذلك المولد!

فمتى ينتهى إحياء الكبار لهذا المولد وذكراه إلى عمل يوائم جلالته، ويلائم عظمته؟

ومتى نتناول الحياة تناولاً جدياً، وننظر إليها نظراً عملياً، ونعرف موقف الإسلام ورسالته فيها؟

متى نستشعر عظمة تلك البطولة، ونكبر تقاليدها، ونقتبس من نورها، وندرك أنها إنما كانت إحياء للحياة، وتسييرا للدنيا، فيكون إحياؤنا لعيدها مظهر إدراك سرها، وآية فهم لبابها؟

متى نوقن أن الإسلام خطة فى الحياة، وشرعة للمجد، وسبيل إلى العزة، فمواسمه جولات فى الحياة، وأعياده محافل للمجد، وذكرياته مظاهر للعزة؟

متى يكون إحياؤنا للمولد، إن قولا، فقول نافع، لا لغو ذاهب مع الريح، قول يزيد ثروة المعرفة، فهو - مثلا - قول فى تأليف ناضج يقدم يوم المولد عن دور من أدوار حياة الرسول عليه السلام، أو تاريخ عصر من عصور تلك الحياة، أو درس لجانب من جوانب عظمة تلك الشخصية.

ومتى يكون إحياؤنا للمولد، إن عملا، فعمل من الإحسان المنظم، لقد ولد عليه السلام يتيما، فما أجمل أن يكون مولده مفتتح منشأة تقى اليتامى وتستحييهم، وترد على الأمة ضائع نبوغهم واستعدادهم.

وعاش عليه السلام فقيرا يجاهد للفقراء، فما أجمل أن تكون ذكرياته عملا فى مطاردة الفقر، وتأسيس معاقل القضاء عليه، وصون ما يبدد من جهد، وعقل، وخلق؟ فكذلك تحيا الذكر، ويخلد الأثر!

ثم متى يكون إحياؤنا لمولد الأمة والدين والحضارة إحياء لجانب من وجودنا، وإعدادا لما

(٤) فكرى ياسين: على ذكرى الميلاد النبوى.. مجلة الأزهر المجلد الثامن ص ٢٠٩ : ٢١٠.

نستطيع من قوة، ومن رباط الخيل، نلقى به عوادى الدهر، وأحداث الزمن، وجور الظلم، فنبتهج فى تلك الذكرى بما هو خليق بها من خطا جديدة فى مسيرنا نحو الغاية النبيلة التى كان مولد الرسول عليه السلام الخطوة الأولى فى الاتجاه إليها؟»(٥).

ومن قول الأستاذ عبدالله المراغى نقدم هذه الكلمات:

من أمارات رقى الأمم ومساهمتها فى صرح الحضارة الصحيحة، المؤذن بارتفاع مدارك الإنسانية الحقة، عرفان الجميل وشكران النعم والوفاء بالعهود، لذلك ترى المهرجانات كل يوم فى الشرق والغرب يزداد نشاطها مشيدة بآثار العباقرة، معطرة أرجاء الفضاء بأريج زهورهم العبقة. والتاريخ سجل خالد أمين يحفظ فى ثناياه الصحائف التى يخطها بمداد الأعمال لأبنائه، وسطور تلك الصحائف تارة يحبوها الخير ويزينها النفع والفائدة للمجتمع، فتستحيل إلى نور يكسوه الجلال، وتخلع عليه العظمة جلباب الكبرياء والوقار، وتارة أخرى تنال تلك السطور مسحة من القار يظلها غيم الشقاء المتلبد من سوء الفعال، فتستحيل إلى حمة خالطها الغسق فأصبحت مفزعة ترتعد فرائص الإنسانية من رؤيتها وسماع أخبارها، مادة أكف الضراعة نحو بارئها ألا يبلوها بهؤلاء العتاة الذين تغيرت فيهم الطبائع فنزلوا عن مراتبهم من الإصلاح

إلى الإفساد، فحق عليهم المقت ولحقهم الدمار(٦)، وقال الله تعالى فيهم:

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾

الإسراء/ ١٦

ثم يقول:

من اليسير على الكاتب أن يصور المعانى المحدودة ويحدد الصفات المتناهية، ولكن من العسير المتعذر بل من المستحيل عليه أن يعطى الصور الكاملة والماهيات الحقيقية لمن بلغ الغاية ووصل الذروة فى جميع الصفات الإنسانية؛ ومن هذا حاله وتلك كيفيته فللكاتب وجيه العذر إذا ما قدم تصويرا لبعض أجزاء تلك العظمة وبعض نواحى هذا الجلال. وليس يراع الكاتب بعجزه عن بلوغ تلك المنزلة بأشد عيبا من عجز عدسة المصور فى التقاط الصورة غير المتناهية الأطراف أمامها. من أجل هذا يصح لمثلى من الضعفاء بإزاء ما يدركونه من خير محمد ﷺ على بنى الإنسان أن يصفوا آثاره ويعدوا بعض خصاله وفضائله مع اعتراف بالعجز(٧).

أما الشعراء ففاضت من قلوبهم مدائح تنبض بحب دافق منها قول الشاعر الكبير محمد الأسمر(٨):

فجر أطل على الوجود فأطلعا

شمسين: شمس سنا وشمس هدى معا

(٥) أمين الخولى: كيف نحيى المولد.. مجلة الأزهر المجلد الثامن ص١٩٩ : ٢٠٠.

(٦) عبدالله مصطفى المراغى.. مولد محمد صلى الله عليه وسلم ـ مجلة الأزهر المجلد التاسع للسنة ١٩٣٨م.

(٧) المرجع السابق ص ٢٦٨.

(٨) محمد الأسمر: ميلاد الرسول.. مجلد الأزهر المجلد التاسع ص٢١٢.

ظلت مطالع كل شمس لا ترى

من بعده شيئا كمكة مطلعا

قبس من الرحمن لاح فلم يدع

لألاؤه فوق البسيطة موضعا

ما كان ميلاد الرسول المصطفى

إلا الربيع نضارة وتضوعا

يوم أغر كفاك منه أنه

يوم كأن الدهر فيه تجمعا

***

ثم نذكر بعض ما قاله الأستاذ أحمد محرم(٩) ليوقظ النيام:

يا (مولد المختار) أنت بعثتها

ذكرى تساجل دمعى المسجوما

أبكى على الإسلام يذهب عزه

ويبيت مطوى الجناح مضيما!

نهضت شعوب الأرض ترفع مجدها

وأرى شعوب المسلمين جثوما!

لزموا تخوم بيوتهم، وغزاتهم

لا يرتضون سوى النجوم تخوما

قوم هم اتخذوا بكل محلة

كهفا يضم نيامهم ورقيما

أو كلما جذب القادة مصعب

فى الشرق غودر أنفه مخزوما؟!

لا هم جنبنا المجاهل واهدنا

هذا السبيل المعلم الموسوما

وتولنا فى الحادثات وكن بنا

فى النائبات إذا تنوب رحيما!

وبعد.. فلقد كان النبى محمد ﷺ من أشرف أشراف قريش.. ولم يرفعه هذا الشرف أن يعتدى على من هو دونه أو ينظر إليه نظرة استعلاء بل كان صلى الله عليه وسلم الرحمة المهداة فعن ابن مسعود قال «أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجلٌ فكلمه فجعل ترعد فرائصه فقال له: هون عليك فإنى لست بملك إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد»(١٠).

ونراه ﷺ يقول: «لا يؤمن عبدٌ حتى يحب لأخيه المسلم ما يحبه لنفسه من الخير»(١١).

ولعله ﷺ فى هذين الحديثين قد أبان للناس منهجه فى قيادة أمته، فالحب أساس العمل بين الجميع حتى إنه لا يعد المؤمن مؤمنا إيمانا تاما ما لم يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه.

أما أساس التعامل بين القائد وبين أفراد الأمة فتقوم على التواضع.

هذا هو المنهج الذى ساس به النبى محمد قومه (بالحب والتواضع) بنى النبى هذه الأمة فى ثلاث وعشرين سنة.

وها هو حالنا.. وما وصلنا إليه.. بحاجة إلى عدة أجيال من العمل الدءوب أو إلى بضع وعشرين سنة من الحُب والتواضع والرجوع إلى سنة الحبيب محمد صاحب الذكرى فماذا نحن فاعلون؟!

(٩) الشاعر الكبير أحمد محرم/ ذكرى الرسول الأعظم.. مجلة الأزهر المجلد التاسع سنة .

(١٠) سنن ابن ماجه/ كتاب الأطعمة باب القديد حديث رقم ٣٣٠٢.

(١١) مسند الإمام أحمد حديث رقم ١٣٦٣٨.

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾

بين المجلة و القارئ

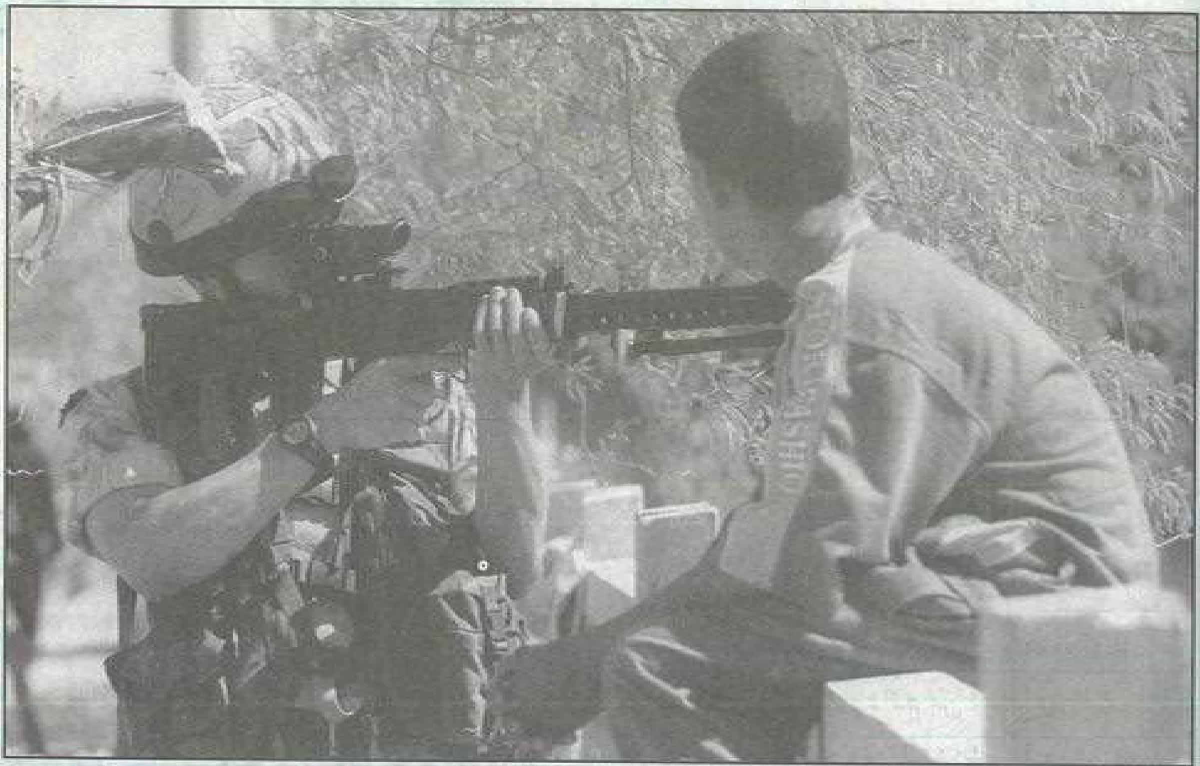
إعداد وتقديم
أحمد السيد تقى الدين

عبر الرئيس الأمريكى جورج دبليو بوش عن سعادته من أن الشعب العراقى قد نجح فيما فشل فيه الرئيس العراقى السابق صدام حسين، حيث صار العراق مثالا إيجابيا للشرق الأوسط كله وصارت الحرية والديمقراطية فى العراق مثالا يحتذى للتحول فى المنطقة بأسرها، وأشاد الرئيس الأمريكى كذلك بالمشاركة الطاغية للمرأة العراقية فى الانتخابات العراقية.

ومن الأدلة الواضحة التى تبرز شكل الديمقراطية التى تتبنى الولايات المتحدة الأمريكية تطبيقها فى الشرق الأوسط، وفى الدول العربية على وجه التحديد ما فعلته القوات الأمريكية يوم الأربعاء ٣٠ من مارس الماضى حيث قامت باقتحام مبنى كلية الزراعة والغابات فى جامعة الموصول وقامت باعتقال أربعة من طلابها.

تظاهر طلبة جامعة الموصل أمام مبنى الجامعة، وأضربوا عن المحاضرات احتجاجا على اعتقال زملائهم وأكدوا أنهم لن يتخلوا عن الإضراب قبل الإفراج عن كافة زملائهم المعتقلين والذى وصل عددهم الآن إلى مائة وثلاثة عشر طالبا بدون أسباب.. نموذج رائع فى تعليم الشعب العراقى أصول الديمقراطية على الطريقة الأمريكية فى جامعة أبوغريب بما تملكه من وسائل إيضاح فريدة مثل الكلاب البوليسية، ووسائل الضغط النفسى مثل الحرمان من النوم والطعام، وغيرها من الوسائل حتى يحدث انهيار عصبى يجعل تلاميذ جامعة أبوغريب يتعلمون أصول الديمقراطية بشكل أفضل من ذلك الذى يتعلمونه فى جامعة الموصل!!

ويبدو أن «الكسندرا اريجا» مديرة العلاقات العامة بمنظمة العفو الدولية لم تتعلم من الدرس الذى تلقاه مؤخراً السيد (كوفى عنان) الأمين العام للجمعية العامة للأمم المتحدة عندما



تعرض لاتهامات حادة من جانب الولايات المتحدة الأمريكية تتعلق بذمته المالية وذلك عندما كان معارضا لنشاط الولايات المتحدة الأمريكية فى العراق وأفغانستان وجوانتانامو وغيرها.. ثم عادت لتبرىء ساحته بعد أن تاب وأناب!!

حيث شنت «الكسندرا اريجا» هجوما حادا ضد الحكومة الأمريكية بسبب انتهاكها لحقوق المعتقلين العراقيين الذين اطلع العالم أجمع على الانتهاكات التى ترتكب فى حقهم من تعذيب للشباب والرجال، واغتصاب للنساء، بل واستخدامهم كدروع بشرية فى عمليات هجومية نفذها الجيش الأمريكى فى العديد من المدن العراقية وفى الفالوجة على وجه التحديد، حيث تم ربط الأطفال وتقييدهم بالسلاسل فوق المدرعات الأمريكية الأمر الذى ساهم فى نجاح مهمة الجيش الأمريكى فى الفالوجة.

بل إن ضابطا أمريكيا لم يحتمل هذا الهول وهذه المآسى المروعة التى يعيشها الشعب العراقى فقرر عصيان الأوامر ورفض صراحة الاستمرار فى القتال وأدان الغزو الأمريكى للعراق، فتم ترحيله إلى إحدى قواعد الجيش الأمريكى فى برلين حيث قضت محكمة عسكرية أمريكية يوم الثلاثاء ٢٩ من مارس الماضى بتجريده من رتبته والسجن لمدة سبعة أشهر لعصيانه الأوامر، ورفضه القتال فى العراق، وإدانته غزو العراق.



وعقب صدور الحكم صرح الضابط الأمريكى بأنه لا يشعر بالاستياء من القاضى، وقال: «إن الخدمة فى الجيش الأمريكى بالعراق فى هذا الوقت تتعارض مع دينى، والاستمرار فيها يجعل منى منافقا». وقال: «إن المدنيين العراقيين يعاملون بشكل أسوأ من معاملة الحيوانات».

ليس هذا فقط، بل إن اتحاد الحريات المدنية الأمريكى كشف عن تورط القائد السابق للقوات الأمريكية فى العراق الجنرال ريكاردو سانشيز فى فضيحة تعذيب السجناء فى العراق بعد أن سمح باستخدام وسائل تعذيب خلال التحقيقات مع السجناء.

وبدلا من تقديم المتورطين الأمريكيين فى هذه الأعمال الوحشية للمحاكمة أو حتى المطالبة بمحاكمتهم نجد أن مجلس الأمن الدولى يتبنى السلوك الأمريكى فى الحرب ضد العرب والحكومات العربية حيث وافق مجلس الأمن مؤخرا على مشروع قرار حول السودان يفرض حظر سفر وتجميد ودائع من أسماهم المشروع بـ «الأفراد المسئولين عن انتهاك وقف إطلاق النار وارتكاب جرائم ضد المدنيين فى دارفور» ونص مشروع القرار على بدء تنفيذ هذه العقوبات فى غضون شهر من تاريخه ويحدد الأشخاص الذين ستنفذ العقوبات ضدهم لجنة يشارك فيها ممثلون عن جميع الدول الأعضاء فى مجلس الأمن، واشترطت الولايات المتحدة التى امتنعت عن التصويت عدم ملاحقة رعاياها المتورطين فى أحداث دارفور كشرط لعدم استخدامها حق «الفيتو» ضد القرار الذى تقدمت به فرنسا.

هذا التواطؤ الدولى ضد الإسلام عامة والأمة العربية خاصة دفع إسرائيل الحليف الاستراتيجى للولايات المتحدة الأمريكية إلى المجاهرة علنا بتبنى الإرهاب والإرهابيين، حيث كشفت وسائل الإعلام الإسرائيلية عن أن

الرئيس الإسرائيلى «موشيه كتساف» ورئيس أركان حرب الجيش الإسرائيلى «موشيه يعالون» قاما بتقديم شهادات تقدير لثمانية إرهابيين إسرائيليين شكلوا خلية تخريبية فى مصر، وقاموا بتنفيذ تفجيرات فى الإسكندرية والقاهرة فى يوليو عام ١٩٥٤ برياسة الإرهابى «فيليب نتانزون» الذى تم اعتقاله واعترف على زملائه فى حينه، ولم يبق على قيد الحياة من هؤلاء الإرهابيين إلا اثنان فقط.. هؤلاء الأشخاص وصفوا على المستوى الدولى بأنهم إرهابيون وهم من المصريين اليهود، أما بطولاتهم التى استحقوا من أجلها التكريم فتمثلت فى تفجير دور السينما وعدد من المؤسسات الأمريكية والبريطانية فى مصر!!

وبعد كل هذا نجد فى القاهرة من يمجد الولايات المتحدة الأمريكية وربيبتها إسرائيل ويدعوها للتدخل فى الشئون الداخلية المصرية بدعوى أن الحكومة المصرية لا تحترم حقوق الإنسان.

بعد كل هذا نجد فى القاهرة من يحصل على مساعدات بملايين الدولارات من الولايات المتحدة الأمريكية تحت شعار «دعم الديمقراطية وتنمية المجتمع»

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾

[الأنفال/ ٣٦]

بعد كل هذا نجد فى القاهرة من يعلن عن



عزمه الترشيح لرياسة الجمهورية معتمدا على الدعم الأمريكى له، بل ويطالب هو وأذنابه من أعضاء الطابور الخامس بإشراف دولى على الانتخابات فى مصر.

وبعد كل هذا نجد فى القاهرة من يشيد بوزيرة الخارجية الأمريكية «كونداليزا رايس» التى أكدت فى أكثر من مناسبة على ضرورة حصول المرأة فى مصر على حقوقها وفق ما قررته وثيقة بكين التى تمنح المرأة حق ممارسة الحياة الجنسية مع أى شخص تريد على اعتبار

أن جسدها ملك خاص لها بعيداً عن أى سلطة أبوية أو زوجية، وحقها فى الإجهاض دون استئذان الزوج أو أى جهة وأن تحصل على دعم حكومى يوفر لها عملية الإجهاض!!

وعندما تنبهت الحكومة المصرية إلى خطورة النشاط الهدام الذى تمارسه الولايات المتحدة فى مصر من خلال طابور العملاء وبدأت فى اتخاذ إجراءات وتدابير لمواجهته تباكى طابور العملاء على الديمقراطية المهدرة فى مصر، وحقوق الإنسان المنتهكة.. بل منهم من يطالب بغزو أمريكى لمصر لتطبيق الديمقراطية وفق النموذج العراقى.. وهو ما تحلم به الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن ليس من خلال الجيوش، فهى تقاسى الأمرين مما يحدث لها فى العراق ولا ترغب فى تكراره، بل تحلم بتنصيب حكم موال لها يأتمر بأمرها فى القاهرة قلب الأمة الإسلامية والعربية النابض لينفذ الأذناب فى القاهرة ما عجزت عنه الجيوش فى بغداد، ألا وهو إخضاع إرادة الأمة للعدو.

إن من يتحدث عن صداقة مصرية أمريكية خالصة لوجه الله فهو إما غبى وإما عميل!!

هذا الموقف من جانب الحكومة المصرية ضد الطابور الخامس لم يكن هو العلامة الوحيدة على يقظتها تجاه المخططات الأمريكية فمنذ سنوات طويلة اعتمدت الحكومة المصرية برنامجا طموحا يحقق لها الاعتماد الكامل على النفس فى المنتجات الغذائية إيمانا منها بأن من لا يملك قوته لا يملك قراره، وبالفعل اتسعت الرقعة الزراعية بشكل كبير سعيا وراء تحقيق الاكتفاء الذاتى الكامل، وعندما أدركت الولايات المتحدة ذلك سعت نحو تحريض دول حوض نهر النيل ضد مصر، ودفعها للمطالبة بزيادة حصصها من المياه وتقليص حصة مصر وقامت بمشاركة إسرائيل بتمويل مشروعات إنشاء سدود فى عدد من دول حوض نهر النيل لتحطيم خطط التوسع الزراعى فى مصر لإبقائها فى وضع احتياج دائم للمعونات الغذائية الامريكية وبالتالى إخضاع القرار المصرى للقرار الأمريكى.

وقد يتصور أعضاء الطابور الخامس أن مصر ستكون لقمة سائغة فى مواجهة العملاق الأمريكى، وقد يتصور معهم ذلك الكثيرون، أقول لهؤلاء اقرأوا التاريخ جيدا.. فقديما كانت الجيوش الأوروبية التى وفدت إلى المنطقة تحت شعار الصليب قوة كاسحة لا ترد، فاندحرت ورُدت على أعقابها، ثم جاءت قوة أخرى عاتية هى «التتار» فاندحرت هى الأخرى وتهاوت تحت أقدام أسلافنا العظام الذين قدموا الغالى والنفيس انتصارا لله.. ولله وحده، لأنهم آمنوا بقوله تعالى:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾

(الحج/ ٣٩)

أحمد تقى الدين

وإلى رسائل القراء ←

أدعياء التحضر وحقوق الإنسان

يعلق الصديق مختار منصور من الإسماعيلية على خبر أوردته الصحف المصرية مؤخراً عن إحدى الصحف الإسرائيلية قال:

ذكرت صحيفة (يديعوت أحرونوت) أن مستشفى (هداسا هار هتسوفيم) الإسرائيلى فى مدينة القدس المحتلة رفضت تقديم العلاج لإسرائيلية أصيبت بجراح بالغة فى حادث مرورى، وذلك بعد وصولها للمستشفى بسيارة إسعاف فلسطينية تصادف وجودها قرب مستوطنة (معالية مخمش) قرب (رام الله).

رفض حراس المستشفى إدخال سيارة الإسعاف الفلسطينية لأن المصابة لم يكن بحوزتها ما يثبت أنها إسرائيلية.

واضطر سائق السيارة الفلسطينى للتنقل لمدة ساعة بين المستشفيات الإسرائيلية لانعدام وجود أدوات طبية فى المستشفيات الفلسطينية.

ولاحظت عناصر من الشرطة الإسرائيلية تنقل سيارة الإسعاف بصورة تثير الاشتباه فأوقفوها، وعندما علموا بالأمر صاحبوا سيارة الإسعاف لمستشفى (هداسا) حيث دخلوا فى نقاش طويل مع حرس المستشفى تم فى نهايته السماح للمصابة الإسرائيلية بالدخول.

يحدث هذا فى الوقت الذى تستهدف فيه المروحيات الإسرائيلية وعناصر القناصة سيارات الإسعاف الفلسطينية بحجة أنها تحمل إرهابيين!!

يحدث هذا فى الوقت الذى يترك فيه أبناء الشعب الفلسطينى ينزفون فى الشوارع حتى الموت وإذا اقتربت من أحدهم سيارة إسعاف يتم نسفها فى الحال.

يحدث هذا فى الوقت الذى حدثت فيه حالات إجهاض متعددة لنساء فلسطينيات بسبب فرض حظر تجول من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلية فى الأراضى الفلسطينية عجزت معه النساء الحوامل عن الولادة أو حتى تلقى العلاج فلاهن يستطعن التوجه للمستشفيات ولا الأطباء والمسعفين يستطيعون التوجه إليهن لإنقاذهن.

ترى مَن حقاً الذى يرغب فى السلام:

الفلسطينى الذى خاطر بنقل امرأة إسرائيلية لتلقى العلاج مع احتمال وفاتها وهى فى حوزته مما يعرضه يقيناً لأهوال وأى أهوال؟

أم الإسرائيلى الذى رفض علاج إسرائيلية فى حالة سيئة لأنها تركب سيارة إسعاف فلسطينية؟

وهل هذه هى واحة الديمقراطية وجنة حقوق الإنسان التى يتشدق بها أدعياء التحضر والمدينة والديمقراطية وحقوق الإنسان و.... و.... ؟!

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ

تحت هذه الآية الكريمة من سورة الشعراء كانت كلمة القارئة: هبة على - الإسكندرية - كرموز - قالت فيها:

إذا كانت الولايات المتحدة قد عمدت مؤخراً إلى الحديث عما أسمته العلاقات بين الولايات المتحدة والشعوب المتطلعة للحرية، فإن الشعب العربى من المحيط إلى الخليج لن ينسى أبداً أن جورج دبليو بوش قد أعلن عقب أحداث ١١ سبتمبر الحرب الصليبية ضد الإسلام، والإسلام هو أحد ثوابتنا بل هو الدعامة الأساسية التى تقوم عليها جميع أوجه الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية عندنا.

وإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد نجحت فى تجنيد عدد من العملاء أغدقت عليهم الأموال وأحاطتهم بكل صنوف الحماية والرعاية، فإن الشعوب العربية لن تقبل بأن يلى أمرها حفنة من الخونة والعملاء

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾

[الشعراء/ ٢٢٧]

السودان والميثاق الأمريكى

وكتب الصديق: ياسر السيد - بورسعيد - كلمة بعنوان: «السودان والميثاق الأمريكى» قال فيها:

أقامت الولايات المتحدة الأمريكية الدنيا، لأن الحكومة السودانية استخدمت حقها القانونى، ورفضت دخول شخصيات أمريكية إلى أراضيها معتبرة أن دخولهم يمثل خطراً على الأمن القومى السودانى.

الوفد الأمريكى ضم: «نيوت جنجريتش» الرئيس السابق لمجلس النواب الأمريكى، و«جورج ميتشيل» السناتور الأمريكى السابق، وكلاهما يتبنى سياسة معادية لجميع الدول العربية بوجه عام والدين الإسلامى بوجه خاص وصدرت عنهما تصريحات تملأ مجلدات فى هذا الصدد.

الوفد الأمريكى كانت مهمته إعداد تقرير حول مدى نجاح الولايات المتحدة الأمريكية فى تحقيق الأهداف الواردة فى ميثاقها!! لماذا ينبغى على الحكومة السودانية أن تعاون الولايات المتحدة الأمريكية فى تحقيق الأهداف الواردة فى ميثاقها المزعوم؟!!

بأى منطق ترسل الولايات المتحدة فريقاً من رجالها لبحث إيجاد وسائل وآليات جديدة تتيح لها تغلغلاً أكبر فى الأراضى السودانية وإنشاء

كيانات تتصارع وتتسابق فى إرضاء العم سام؟!

وبأى منطق تستنكر الموقف السودانى، مع أنه إجراء سيادى وقانونى استخدمته الولايات المتحدة ضد أعضاء البعثات الدبلوماسية بالهيئات الدولية الموجودة على أراضيها عقب أحداث المسرحية الهزلية المعروفة بـ«الحادى عشر من سبتمبر» بدعوى حماية الأمن القومى الأمريكى؟!!

ثم ألم تدرك الولايات المتحدة بعد أنها أصبحت دولة معادية للسودان حكومة وشعباً باستثناء من تغدق عليهم - بالطبع - بالعطايا والهبات؟!!

صيانة اللسان

ومن الصديق أحمد عبدالمحسن على - مدرس أول بمدرسة الأورمان الثانوية النموذجية بالدقى ـ جيزة، كانت هذه الكلمة التى جعل عنوانها «صيانة اللسان» قال فيها:

خلق الله الإنسان وميزه عن سائر المخلوقات بالعقل واللسان، واللسان عضو صغير مكانه الفم لتمييز الأغذية وترجمان للكلام، إذ به يعبّر الإنسان عما فى ضميره وعما يحيط به.

فالواجب على كل إنسان أن يضبط لسانه حتى لا ينطق إلا بما يريد ويرضاه العقل السليم، وليجعل لسانه لسان صدق فى القول، ولطف فى المعاملة، وليحفظه من سيىء الأحاديث وصيانته عن الكلام فيما لا يعنى والخوض فى الباطل والمراء (النفاق) والخصومة والمزاح الذى يتعدى الحشمة وإفشاء السر والكذب فى القول والغيبة والنميمة وخلف الوعد إلى غير ذلك من عثرات اللسان.

فكم من كلمة بدلت حالة الإنسان من هناء إلى شقاء.

- قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ الأحزاب (٧٠ - ٧١)
- وقال ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده». [مسند الإمام أحمد، ٢ / ٢١٢]
- وقال أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ: «لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه».
- وروى: أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ رأى أبا بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ وهو يمد لسانه بيده فقال له: ما تصنع يا خليفة رسول الله؟

قال: هذا أوردنى الموارد، إن رسول الله ﷺ قال: «ليس شىء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته».

- وقال على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ: «أحسنوا كلامكم من أعمالكم، وأقلوه إلا فى الخير».

من الأعلام

أبو الكلام آزاد

ويواصل الصديق الأديب فرج مجاهد عبدالوهاب - عضو اتحاد كتاب مصر حديثه عن أعلام الإسلام متناولاً فى هذا العدد العالم الهندى أبو الكلام آزاد، قال:



أبو الكلام آزاد

ولد فى ١١ من نوفمبر سنة ١٨٨٨ فى مكة المكرمة من سلالة الشيخ جمال الدين الذى كان يحظى بتقدير فى بلاط الإمبراطور أكبر ثم عاد والده إلى كلكتا حيث تلقى تعليمه، وحفظ القرآن وأجاد اللسانين العربى والأردى حتى صار من أكبر المتعمقين فى دراسة اللغات العربية والأردية والفارسية وزعيم لجمعية علماء الهند، وأشرف على دائرة المعارف التى عملت على إحياء التراث العربى النفيس. إنه أحد صانعى التاريخ فى الهند فى الثلاثين عاماً السابقة لاستقلال الهند وهو خامس خمسة فى تاريخ الهند بعد غاندى وباتل ونهرو وجناح. خاض جميع المعارك واشترك فى جميع المفاوضات التى انتهت باستقلال الهند.

ومنذ عام ١٩٢٠ عمل مع غاندى وظل معه طوال حياته وقد وصفه بقوله: «أبو الكلام آزاد أعظم العلماء معرفة بالإسلام وهو باحث متعمق فى اللغة العربية وإن وطنيته تبلغ قوة إيمانه بالإسلام».

عرف بأنه الخطيب الذى يهز المشاعر فى الاجتماعات وهو الزعيم المبرز فى حزب المؤتمر الهندى الذى كان رئيساً له عام ١٩٢٣ وأعيد انتخابه عام ١٩٣٩ ثم أصبح وزيراً للتعليم لعشرات السنين حتى وفاته فى ٢١ من فبراير سنة ١٩٥٨.

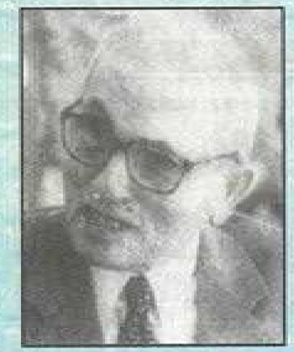
حضر إلى مصر واندمج فى الأزهر وبعد عامين عاد إلى كلكتا وأنشأ عام ١٩١٢ مجلة «الهلال» الأسبوعية باللغة الأردية ووقع بإمضاء «آزاد».

قام بتفسير القرآن الكريم ولقى تفسيره رواجاً كبيراً فى جميع أنحاء العالم الإسلامى.

بلغ أبو الكلام آزاد حداً عالياً من الثقافة والفكر حيث تعمق فى دراسة فلسفات الشرق والغرب وأثر بقوة قلمه فى الحركة الوطنية فى الهند وجميع المناطق المجاورة لها.

دمعة وفاء

يرثى القارئ محمد توفيق محمود عمر (أسيوط)، العالم الجليل الأستاذ الدكتور/ شوقى ضيف رئيس مجمع اللغة العربية الذى انتقل إلى رحاب الله، قال:



د. شوقى ضيف

تناقلت وسائل الإعلام وفاة العالم الجليل الأستاذ الدكتور شوقى ضيف رئيس مجمع اللغة العربية عن عمر يناهز ٩٥ عاماً، ويعد الراحل من النقاد المصريين والمهتمين بالدراسات اللغوية.

ولد أحمد شوقى ضيف فى ١٣ من يناير سنة ١٩١٠م بمحافظة دمياط ونال الدكتوراة سنة ١٩٤٢م من جامعة القاهرة حول موضوع: «الفن ومذاهبه فى الشعر».. وكانت الدراسة تحت إشراف الدكتور/ طه حسين.

وشغل شوقى ضيف عدداً من المناصب العلمية منها رئاسة قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة، واختير عام ١٩٦٨م عضواً بمجمع اللغة العربية المشهور بمجمع الخالدين، وأصبح عام ١٩٨٨م أميناً عاماً له، ثم أصبح منذ عام ١٩٩٦م رئيساً له ولاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، وله حوالى ٥٠ كتاباً فى تاريخ النقد العربى والبلاغة والنحو.

انطفأت شمعة من شموع المعرفة واختطفت يد المنون علماً من أعلام الأدب العربى وليس مجرد مؤلف فى الأدب أو تاريخ الأدب إنما هو نموذج نادر للدأب وقوة الإرادة والعمق، نموذج نادر لصلابة المصريين وقدرتهم.

وكان - رحمه الله - عزوفاً عن الأضواء مترفعاً عن الغشاءات التى تعج الأوساط، واختط لنفسه منهجاً رفيع المستوى فلم يداهن أو ينافق، فاحتفظ بمحبة واحترام الجميع.

ورحل أمين المعارف العربية بهدوء وصمت وكبرياء، وهو غنى عن ذلك ولكنه الجحود والنكران فى هذا الزمن، حتى إنه ظل يعمل ستين عاماً بعيداً عن الأضواء ولم ينتظر تكريماً من أحد!! ورغم أعماله العظيمة لم يسع إلى تكريم، وإنما التكريم هو الذى سعى إليه فجاءته الجوائز طائعة.

فقد حصل سنة ١٩٥٥م على جائزة الدولة التشجيعية، وفى سنة ١٩٧٩ حصل على جائزة الدولة التقديرية، وحصل على أعلى جائزة عربية فقد كرمته المملكة العربية السعودية فمنحته جائزة الملك فيصل العالمية فى الأدب العربى سنة ١٩٨٣، وجائزة مبارك فى الآداب سنة ٢٠٠٣ وكرمته الكويت فمنحته جائزة التقدم العلمى، وكرمته سورية.

أسأل الله - تبارك وتعالى - أن يسكنه فسيح جناته، وأن يبارك فى ثمرات أعماله وأن يظل مجمع اللغة العربية شجرة طيبة تؤتى أكلها بإذن ربها. ورحم الله الفقيد الذى غادر الدنيا وترك الأثر الطيب وعوض الله فى فقيدنا خيراً والمؤمن الحق لايملك إلا أن يقول متذكراً قول المصطفى (ﷺ) فى وفاة ابنه إبراهيم بأن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا:

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾

بين الصحف و المجلات

إعداد
أ/ محمود الفشنى
أ/ عبدالموجود أمين

رُبَّ قمة نافعة

رغم ما نحن فيه من وهن وتضارب وما يحمله الآخرون من عداوة وبغضاء للإسلام والمسلمين وما وقع فيه القدس من أسر فى يد التطرف اليهودى الملعون وما يقرره دعاة الحرية فى حق الشعوب الإسلامية.

إلا أن هناك بريقا من الأمل فى التوصيات الأخيرة التى خرجت بها القمة العربية فى الجزائر تمثل فى اجتماع الزعماء العرب على كلمة واحدة ورفض محاولة هيمنة أدعياء الحرية على هذه التوصيات مما أغضب هؤلاء المتسلطين على الإسلام والمسلمين من أهمها:

- الانسحاب الإسرائيلى الكامل وقيام دولة فلسطينية عاصمتها القدس الشرقية وحل قضية اللاجئين كشرط لتطبيع العلاقات مع إسرائيل.
- دعم مساعى مصر فى الحصول على مقعد فى مجلس الأمن.
- رفض قانون محاسبة سوريا.
- برلمان عربى دائم بدمشق.
- إدانة الإرهاب الدولى ورفض الخلط بينه وبين المقاومة الشرعية.
- الترحيب باتفاق السلام فى جنوب السودان.
- دعم حكومة الصومال الجديدة.
- التمسك بالتضامن العربى واحترام سلامة كل دولة عربية ومنع التدخل فى شئونها الداخلية.
- تعديل ميثاق الجامعة لأول مرة منذ ٦٠ عاماً.

كل هذه التوصيات رسائل واضحة ومحددة؟؟

المحـــرر

خطوط فاصلة

وقال الأستاذ سمير رجب فى عاموده الدائم «خطوط فاصلة» فى جريدة «الجمهورية» فى ٢٠٠٥/٣/٢٣:

لن تكف الولايات المتحدة الأمريكية عن ممارسة الضغوط ضد الدول العربية لأنها استنت لنفسها سياسة ـ خصوصا بعد أحداث ١١ سبتمبر ـ تقوم على أساس التدخل السافر فى شئون الدول والعمل بشتى السبل والوسائل على تسيير أمور الشعوب بما يتفق مع مصالحها وحدها.

بديهى.. لن يصمت العرب ولن يخضعوا ولن يستسلموا لأسباب عديدة.. إنهم لابد أن يحافظوا على هويتهم وأن يحموا إرادة شعوبهم وألا يجعلوا دينهم عرضة للأنواء والعواصف تحت وطأة أى ظرف من الظروف.

منابع الخيانة

فى جريدة «الوفد» فى عددها الصادر فى ٢٠٠٥/٤/١٤ قال الأستاذ مجدى سرحان:

لماذا يغدق الأمريكان من خزائن أموالهم على أفراد متسلطين لا وزن لهم ولا قيمة فى بلادهم.. تحت مسمى دعم انتشار الديمقراطية والإصلاح فى دول العالم الثالث.. التى نحن منها؟ ومن أين تأتى هذه الأموال التى تضخ إلى هؤلاء المغرورين عبر قنوات رسمية تحت سمع وبصر الحكومات النائمة فى العسل.. أو الغافلة بمزاجها.

لنتفق أولا على حقيقة ساطعة.. وهى أن هؤلاء الأمريكان ليسوا قوما سفهاء يلقون بأموالهم فى عرض الطريق ويتركونها نهبا لكل من هب ودب.. رغم ما يبدون عليه من تفاهة فى اختياراتهم لمن يتلقون الأموال والذين لا تخلو ملفاتهم من صفحات سوداء ملطخة بتاريخ قذر فى العمالة والخيانة والنصب والاحتيال وبيع الضمائر والذمم فى أسواق النخاسة لمن يدفع أكثر!!

والآن نعود إلى السؤال: لماذا ومن أين تأتى الأموال؟

فى بداية عهد الرئيس الأمريكى الأسبق رونالد ريجان عام ١٩٨١ تأسست هيئة تسمى «الهيئة الوطنية من أجل الديمقراطية ـ NED».. وكان الغرض المعلن لها هو «العمل على تقديم المساعدة لتدعيم المؤسسات الديمقراطية حول العالم».. بينما كان هدف ريجان وأعوانه الحقيقى فى ذلك الوقت هو تقوية النفوذ السياسى للولايات المتحدة فى العالم.. ذلك النفوذ الذى كان ريجان يعتقد أن الرئيس السابق له جيمى كارتر قد تسبب فى إضعافه عام ١٩٧٧ بإصداره قرارا يحظر نشاط منظمات ما يسمى بالجبهة الديمقراطية التى كانت تدعمها وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية.

ويقول الباحثان الأمريكيان «ليزا اشكناري كروك» و«بريان دومينيك» اللذان أجريا دراسة تم نشرها حول الانتخابات العراقية التى جرت مؤخرا ودور الولايات المتحدة فى صنع نتائج هذه الانتخابات: إن الهيئة الوطنية للديمقراطية (NED) التى تصف نفسها بأنها منظمة تعطى المنح.. وموالية للحزبين الجمهورية والديمقراطى.. وغير حكومية.. ولا تهدف للربح تضم أربع منظمات رئيسية.. أنشطها المعهد الوطنى الديمقراطى للشئون الدولية (NDI) والمعهد الجمهورى الدولى (IRI).. وكلتاهما بدورهما تزعمان أنهما غير منحازتين، بينما تمتلك الأولى علاقة لصيقة بالحزب الديمقراطى والثانية بالحزب الجمهورى.. وتنحازان للمصالح التى تتصوران أنها تخدم الولايات المتحدة.. حتى لو كانت الوسيلة فى ذلك هى التدخل المباشر والمادى فى سياسة الدول ذات السيادة فى العالم كله.. ويتم ذلك بالتنسيق مع وزارة الخارجية الأمريكية التى توجه عمل المنظمتين وتمدهما بالدعم المادى من خلال هيئة حكومية رسمية هى وكالة المعونة الأمريكية (USAID).. ولذلك فإن هناك من يعتبر المنظمتين بمثابة «زوائد» لوزارة الخارجية الأمريكية.

تصاعد المشاعر المعادية للمسلمين فى أوروبا

هذا ما قالته هناء طوبار فى «اللواء الإسلامى» معربة عن أسفها لما يحدث للمسلمين وتنامى العداء للإسلام فى أوروبا وأمريكا فى عددها الصادر فى ٢٠٠٥/٣/٢٤ قالت:

أعلن اتحاد هلسنكى الدولى لحقوق الإنسان فى تقرير نشر مؤخرا فى فيينا، أن حالات الكراهية العنصرية والتمييز حيال المسلمين ازدادت فى أوروبا الغربية منذ هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ على الولايات المتحدة.

وقال رئيس الاتحاد «أولريش فيشر» فى مؤتمر صحفى بمقر الاتحاد فى فيينا: «لا تستثنى - أية دولة من هذه الظاهرة».

وذكر مدير الاتحاد «أهارون رود»: أن الأوضاع بالنسبة للمسلمين فى تدهور مستمر وتتخللها أحيانا بعض الأحداث كما حصل لدى تبنى قانون حظر ارتداء الحجاب فى المدارس بفرنسا ٢٠٠٤م.

وأكد مدير الاتحاد زيادة حالات الإهانات والإضرار بالممتلكات والاعتداءات الجسدية التى يتعرض لها المسلمون فى ١١ دولة من دول غرب أوروبا (ألمانيا والنمسا وبلجيكا والدانمارك وأسبانيا وفرنسا واليونان وايطاليا وهولندا وبريطانيا والسويد).

وأشار التقرير إلى أن وسائل الإعلام والأحزاب السياسية تشعر بحرية فى

التعبير بوضوح عن عدائها للمسلمين «الذين غالبا ما باتوا يعتبرون غرباء، ويشكلون خطرا».

وأضاف التقرير أنه أصبح من الممكن استخدام لهجة ضد المسلمين لم يكن مسموحا بها من قبل.

وقال مدير الاتحاد: إن تعرض المسلمين بشكل متزايد للأعمال العدوانية والتمييز والعزلة قد يعزز ميلهم إلى تأييد المنظمات التى تروج للعنف.

وتضم أوروبا نحو ٢٠ مليون نسمة ينحدرون من دول مسلمة بينهم خمسة ملايين فى فرنسا، وثلاثة ملايين فى ألمانيا و١,٥ مليون فى بريطانيا.

وهذا ما تريده أمريكا!!

وفى جريدة «عقيدتى» الأسبوعية الصادرة فى ٢٠٠٥/٣/١٥ قال مجدى سالم:

التناقض فى السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط والعالم الإسلامى أصبح هو السمة السائدة خلال فترة حكم الإدارة الأمريكية الحالية للرئيس الأمريكى جورج بوش والتى يسيطر عليها حسب تعبيراتهم فى أمريكا المحافظون الجدد وحسب تعبيراتنا نحن فى العالم الإسلامى التيار الأصولى المسيحى الصهيونى.

وهو تناقض من وجهة نظرى مقصود يهدف إلى إرباك كل من يتأثر بالسياسة الأمريكية وخطواتها التى تبدو للبعض عشوائية حينا وهوجاء أحيانا أخرى وهى فى كل الحالات عندما تكون موضع مناقشة تصطدم بواقع خطير تضع معاييره فئة من الناس تستند إلى القوة والنفوذ بغض النظر عن القوانين والشرعية الدولية.

وبمعنى آخر لن نجد تبريرا لما يحدث إلا أن هذا هو ما تريده أمريكا.. وهذا هو ما تفرضه أمريكا.

والأمثلة كثيرة على ذلك: عندما أصبحت سوريا فى مقدمة اللائحة الأمريكية لم تجد الإدارة الأمريكية إلا الوجود السورى فى لبنان لتتخذه ذريعة للضغط على سوريا وإذلالها من أجل سحب القوات السورية من لبنان رغم موافقة اللبنانيين على وجودها شعبا وحكومة.. وعندما استجابت سوريا وأعلنت سحب هذه القوات لم ترض أمريكا وتمهد لفرض عقوبات دولية على سوريا واستصدار قرار من مجلس الأمن يبيح لأمريكا غزوها فى النهاية حتى لو أعلنت سوريا التسليم بكل ما ترتضيه القرارات الدولية لأنها لا تملك إلا ذلك.

وفى نفس الوقت لا مجال للحديث أبدا عن الاحتلال الإسرائيلى للجولان السورية ولا للأراضى اللبنانية فى مزارع شبعا جنوب لبنان رغم مطالبة الجميع فى العالم بهذا الانسحاب سواء حكومة وشعب

لبنان.. أو القرارات الدولية.

ولنضرب مثالا آخر بالدولة الثانية على اللائحة الامريكية وهى إيران التى تتعرض لضغوط رهيبة من أوروبا وأمريكا من أجل وقف سعى إيران لامتلاك التكنولوجيا النووية حتى لا تستطيع إنتاج سلاح نووى وتصم أمريكا الآذان عن تأكيدات إيران بسعيها بامتلاك هذه التكنولوجيا واستخدامها فى الأغراض السلمية لأن أمريكا لا تريد إلا الإذعان التام من إيران.

..وفى نفس الوقت لا يجرؤ أحد على طرح قضية ما تملكه إسرائيل من سلاح نووى بالفعل فضلا عما تملكه من أسلحة الدمار الشامل الأخرى.. لماذا؟! لأن هذا هو ما تريده أمريكا.

ولنضرب مثالا ثالثا : تتحدث أمريكا وأبواقها عن الحرية والديمقراطية وضرورة التزام دول الشرق الأوسط بها وعندما تخطو بعض الدول فى هذا الاتجاه التزاما بمسئولياتها تجاه شعوبها وليس استجابة للضغوط الأمريكية لا يعجب هذا أمريكا لانها تريد رجالها وأبواقها على رأس هذه الدول لأن الزعماء الحاليين يدركون جيدا الأهداف الأمريكية بعيدة المدى تجاه شعوبهم ويرفضون أن تتدخل أمريكا بأموالها من أجل وضع أتباعها فى موقع القيادة.

هذا يحدث بوضوح ولكن هل يحقق فعلا لأمريكا الأمن؟! أشك!!

من ينقذ الأقصى؟؟!

قال رئيس تحرير «الأسبوع» الأستاذ مصطفى بكرى فى افتتاحية عدد ٢٠٠٤/٢/٢٨ يستغيث:

هل نسكت؟ هل نقبل بالخنوع ونحن نرى هذه الحشود المجرمة تزحف من كل مكان لتحاصر الأقصى الأسير، وتدنس ساحته، وتقتحم أبوابه، وتبدأ عملية هدم جدرانه؟

إنه اتفاق جرى بين الحكومة الإسرائيلية والمنظمات الصهيونية والحاخامات وقادة المستوطنين.. وجرى الاتفاق على تحديد يوم العاشر من أبريل المقبل للزحف نحو الأقصى.

الحكومة الإسرائيلية راحت تصدر بيانات هزيلة تحذر فيها المستوطنين من اقتحام ساحة الأقصى، إلا أن الحقيقة تكشف أن هناك تنسيقا مشتركا مع كافة الأطراف الصهيونية المتطرفة.

ويبدو أن الإرهابى شارون رئيس الوزراء الصهيونى قد وجدها فرصة مناسبة لتحقيق أهدافه دفعة واحدة: تطبيع وإسكات لصوت المقاومة، مستوطنات تنطلق فى كل مكان، تهويد كامل للقدس، ثم تدمير للمسجد الأقصى لإقامة هيكل سليمان بديلا عنه.. شارون ليس بريئا، لقد دنس ساحة الأقصى، وأشعل نار الانتفاضة فى كل ربوع الوطن الفلسطينى،

إنه لن يجد ظروفا أفضل من تلك التى تعيشها أمتنا ليبدأ مخططه الشيطانى ويحقق حلمه الذى تحدث عنه كثيرا بهدم الأقصى.

لقد روجت الصحف الإسرائيلية أن تحركات المستوطنين والمتطرفين الصهاينة جاءت ردا على انسحاب قوات الجيش الإسرائيلى، وتفكيك المستوطنات من بعض مناطق غزة، إلا أن الحقيقة تشير إلى أن هذا التحرك يدخل ضمن إطار الخطة الصهيونية لتهويد القدس كاملة، وطرد العرب منها، وهدم المسجد الأقصى لتحقيق الحلم اليهودى بإقامة الهيكل.

لقد أطلقوا تحذيراتهم، توعدوا العرب والمسلمين، وقالوا إن يوم العاشر من أبريل سيكون حاسما فى التاريخ اليهودى، لأنهم سيقدمون على هذا الفعل متحدين بذلك مشاعر الجميع، ومهددين بأنه لن يثنيهم أحد عن قرارهم.

وهناك أيضا معلومات راحت تتردد عن وجود نوايا لضرب المسجد الأقصى بمتفجرات تحملها طائرات بدون طيار فى نفس اليوم، وهو الأمر الذى سبق أن أعلنته الحكومة الإسرائيلية وراحت تخدع الجميع بتحذيراتها الكاذبة.

وإمعانًا فى التحدى شهدت ساحة المسجد الأقصى حادثًا إجراميًا يوم الأربعاء الماضى، إذ تسلل إلى المسجد مجموعة من المتطرفين الصهاينة وقاموا بوضع الصليب على باب الصخرة المشرفة وأعقب ذلك قيامهم بسكب زجاجات الخمر عليه وراحوا يوجهون لعناتهم ضد المسلمين.

إن هذه الأفعال الإجرامية ليست الأولى ولن تكون الأخيرة، إنها اعتداء على قدس الأقداس لدى المسلمين، إنها تحد لمشاعر كل من يقول «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وهى علاوة على ذلك تمثل استهانة بالدين والعقيدة وبكل القوانين الدولية.

إن إسرائيل ما كان لها أن تجرؤ على مجرد التفكير فى ذلك لو أنها كانت تدرك عن يقين أن هناك أمة لن تسكت، وأن هناك مسلمين لن يرضوا أبداً بهذه المهانة والجريمة فى حق مسجدهم وفى حق عقيدتهم.

لقد وجدونا لقمة سائغة، يقتلوننا ويمارسون العدوان علينا، ونحن صامتون لا حراك ولا صوت ولا شجب ولا حتى مجرد إدانة.

احتلوا أرضنا ومزقوا الاتفاقات، قتلوا ياسر عرفات ودنسوا المقدسات، لم يتركوا شيخا قعيدا هو الشيخ أحمد ياسين الذى مر عام على استشهاده، لم يتركوا طفلا ولا شيخا ولا امرأة، قتلونا بلا رحمة، فقدمنا إليهم الورود واستقبلناهم بالرياحين وطالبنا بمنحهم المزيد من الفرص ليحققوا أهدافهم.

والآن جاءوا ليدمروا الأقصى، جاءوا ليتحدوا كل من ينطق بالشهادة، جاءوا

ليقولوا لنا: لو كنتم رجالا لدافعتم عن أقصاكم.. لو كنتم أحرارا لما سمحتم بهذا الهوان.

فى العاشر من أبريل يا عرب.. يا مسلمون سيذبحون ما تبقى من كرامة.. إن كان هناك شيء قد تبقى.. فى العاشر من ابريل سيدوسون على أقصانا ويهدمون جدرانه ويدنسونه على شاشات الفضائيات.. ترى كيف سنقبل بكل هذا الإذلال؟ أين حميتنا وغيرتنا على أقصانا وإسلامنا وعقيدتنا؟.. أين جهادنا؟ وأين دروس الإيمان التى تبث فينا الغيرة على ديننا؟

الشرق أوسط خال من الاحتلال والأسلحة النووية.. كيف؟؟

وقال على هاشم فى الجمهورية فى عددها الصادر فى ٢٠٠٥/٣/١٧:

فى يقينى.. لو تحقق ذلك.. سيختفى الإرهاب بكل أشكاله وألوانه ودرجاته والذى يتحدث عنه كل يوم.. وكل لحظة الرئيس الأمريكي جورج بوش وجعل منه ذريعة للانقضاض على الدول والشعوب والمنظمات والأفراد.. وكل من يخالفه الرأى أو يمتنع عن تأييد سياسته.. لم يفلت من عقابه وويله ووعيده أحد.. حتى الذين يقفون على الحياد.. يشملهم بعذابه وجحيمه!!

أما الديمقراطية التى يبشر بها بوش والقادمة للمنطقة على رأس دبابة كما حدث فى العراق وأفغانستان.. فقد ثبت فشلها تماما لأنها ببساطة شديدة وبدون لف ودوران «ابن غير شرعى» بينما الديمقراطية الحقيقية «الشرعية» هى التى تنطلق من إرادة الشعوب وطموحاتها وذلك هو النموذج الذى ينجح ويستمر لأننا نريده ونتمناه.. فالديمقراطية فى هذه الحالة «ابن شرعى مائة فى المائة» وليست «لقيطا».

أقول.. لا أحد ضد أى إصلاحات تحقق للشعوب الحرية والديمقراطية والرخاء.. بشرط أن تكون نابعة من تربتنا وتتفق مع طبيعتنا وتتواءم مع ظروفنا وتلبى احتياجاتنا.. وهذا لا يمنعنا من أن نقول إن الديمقراطية فى البلاد العربية والإسلامية والأفريقية تأخرت كثيرا ولو كانت سفينة الحرية وصلت شواطئنا منذ زمن.. لكان لنا شأن آخر.. ووضع أكثر قوة وتماسكاً وبأساً يحمينا من غطرسة أمريكا التى استغلت ضعفنا وتأخرنا ونفذت من ذلك الشرخ العميق لفرض سياساتها سابقة التجهيز والتى رسمتها فى البيت الأبيض وبرعاية خاصة من اللوبى الصهيونى لتغيير خريطة الشرق الأوسط وفرض إملاءات مريبة لخدمة مصالحها ومصالح إسرائيل!!

ونعود إلى السؤال الذى طرحته فى البداية.. هل يمكن أن نحيا فى شرق أوسط

نظيف.. نقى.. طاهر.. خال من التلوث النووى أو البيولوجى أو الكيماوى؟.. شرق أوسط ليس به رأس أو قنبلة نووية واحدة قادرة على تدمير دولة ومحو هوية أمة بأكملها.. شرق أوسط حر.. طليق.. بلا احتلال أجنبى.. أو تربص من قوى استعمارية.. أو ضغوط من أى نوع!!

وللأسف.. لا يملك الإجابة عن كل هذه الأسئلة سوى الولايات المتحدة. القطب الأعظم والأوحد فى هذا الزمان.. وهى وحدها تستطيع تحقيق ذلك إن أرادت.. وإن كنت أشك ـ والعالم كله يشك ـ فى نوايا أمريكا ورغبتها فى استقرار هذه المنطقة الاستراتيجية الحيوية فى العالم!!

كان من الممكن أن نصفق للرئيس جورج بوش ونؤيده فى ضغوطه الرهيبة على إيران لوقف أنشطتها النووية وبالذات فى مجال تخصيب اليورانيوم. إذا كان يفعل ذلك من أجل استقرار وأمان المنطقة.. ويطبق ذلك على الجميع.. لكن ما يثير الدهشة أنه فى مقابل ذلك الإصرار الأمريكى على إجهاض المشروع النووى الإيرانى.. وأى مشروع مماثل فى أية دولة عربية أو إسلامية.. نجده يغض الطرف تماما عن الدولة النووية الوحيدة فى الشرق الأوسط.. فإسرائيل تقتنى ـ والجميع يعرف ـ أكبر مخزون من الأسلحة النووية الخطورة.. ومع ذلك.. لا تواجه أى ضغوط أو اعتراضات.. ولا تلقى مقاومة تذكر.. أو حتى تلويحا أو تهديدا بفرض عقوبات سواء من بوش أو الوكالة الدولية للطاقة الذرية فى تطبيق فج ومخز لسياسة الكيل بمكيالين والتعامل مع قضايا العالم بمعيار مزدوج.. وهذه مسئولية الأمم المتحدة والمجتمع الدولى.. لابد أن يتحرك الجميع لجعل الشرق الأوسط منطقة خالية من كافة الأسلحة النووية بما فى ذلك إسرائيل.. وهو المطلب الذى نادى به الرئيس مبارك منذ سنوات طويلة. حلم كبير يستحق بذل الجهد والعرق وممارسة كل أشكال الضغط على تل أبيب إلى أن ترضخ لرغبة المجتمع الدولى وتحترم جيرانها العرب.

وفى نفس الوقت سرعة إنهاء الاحتلال الإسرائيلى لكل الأراضى العربية فى فلسطين ولبنان وسوريا.. وسحب القوات الامريكية فورا من العراق وأفغانستان.. وتوقف الولايات المتحدة عن دس أنفها فى شئون الآخرين والتلويح تارة بالجزرة.. وتارة بالعصا.

ويبقى السؤال.. هل تتحول منطقة الشرق الأوسط فعلا إلى منطقة خالية من الاحتلال والأسلحة النووية؟.. نتمنى ذلك.. ونحلم به.. وإن كان البعض يعتبره حلما مستحيلا.. لأن مصداقية أمريكا محل شك.. فقد تعودنا منها أن تفعل عكس ما تنادى به وهو ما رأيناه فى أفغانستان.. ونعيشه الآن فى العراق.. ولا أدرى.. على من تدور الدوائر غدا؟!!

أنباء العالم الإسلامى



إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى

استمرار التضييق على الدعاة المسلمين بألمانيا

أيدت «المحكمة الاتحادية الإدارية العليا» فى برلين حُكماً بإبعاد إمام أحد المساجد بالعاصمة الألمانية بدعوى قيامه بـ«الحض على العنف وإضراره بالسلام الاجتماعى» ويأتى ذلك فى إطار توجه عدد من الدول الأوروبية خلال الشهور الماضية لتبنى سياسة طرد الأئمة المسلمين الذين يصنفون من المنظور الغربى كمتشددين.

وكان قرار الإبعاد للتركى «يعقوب تاشى» إمام مسجد بضاحية «كرويتسبرج» فى برلين قد صدر بعد توصية من إدارة شئون الأجانب فى برلين التى وصفت الترحيل بأنه «واجب» واتهمت الإمام -الذى يقيم بألمانيا منذ ٣٤ عاماً- بأنه أثنى فى إحدى خطبه على الشهداء الذين يسقطون فداءً للقدس والعراق.. الأمر الذى اعتبرته إدارة شئون الأجانب بأنه يحمل فى طياته تحريضاً على العنف.. وأشارت صحيفة «دى فيلت» المعروفة بعدائها للعرب والمسلمين إلى أن جهات التحقيق الألمانية تعرفت على محتوى خطب الإمام عن طريق تسجيل عرضت أجزاء منه بإحدى شبكات التليفزيون الألمانى.

ومما يذكر أن الولايات الألمانية قد نشطت عقب العمل بقانون الهجرة الجديد فى ترحيل عشرات المسلمين، خاصة الأئمة بدعوى انتمائهم لمنظمات محظورة أو قيامهم بنشاطات تضر الأمن العام، وقامت بإعداد قوائم بأسماء المئات من المشتبه بهم تمهيداً لترحيلهم فيما أطلقت عليه الصحف الألمانية «عملية التطهير».

وكانت مجموعة «بيرجيت» (التقصى والإبعاد السريعان للخطرين من المتطرفين والإرهابيين الإسلاميين) والتى تتألف من عناصر الشرطة و«هيئة حماية الدستور»- قد ساهمت فى استصدار قرارات ترحيل ضد عشرات المسلمين بالولاية.

وفى سياق استغلال قانون الهجرة الجديد رَحَّلَتْ السلطات فى ولايتى «بريمين» و«بادن فيرتمبرج» اثنين من الأئمة وصفتهما بـ«خطباء كراهية» وكان «جونتر بيكشتاين» وزير خارجية «بافاريا» قد دعا لتطبيق نظام القيد الاليكترونى على المشتبه فيهم من المسلمين لمتابعة تحركاتهم فى إطار مساعيه للتضييق على المسلمين بألمانيا.

وفى ولاية «هامبورج» أعلن «أودو ناجيل» وزير الداخلية سعيه لترحيل عدد كبير من المسلمين المقيمين بالولاية بدعوى أنهم يشكلون خطراً على الأمن مستنداً إلى قانون الهجرة.

تأتى هذه الأحداث فى ألمانيا فى إطار توجه عام فى معظم البلدان الأوروبية بالتشدد تجاه الأئمة والخطباء بالتوازى مع إجراءات ساعية للتحكم فى خطاباتهم من خلال إنشاء هيئات ومعاهد لإعداد الأئمة.

تصاعد المشاعر المعادية للمسلمين فى أوروبا

أعلن اتحاد هلسنكى الدولى لحقوق الإنسان فى تقرير نشر مؤخراً فى فيينا، أن حالات الكراهية العنصرية والتمييز حيال المسلمين ازدادت فى أوروبا الغربية. وقال «أولريش فيشر» رئيس الاتحاد فى مؤتمر صحفى بمقر الاتحاد فى فيينا «لا نستثنى أية دولة من هذه الظاهرة».

وذكر مدير الاتحاد «أهارون رود» أن الأوضاع بالنسبة للمسلمين فى تدهور مستمر وتتخللها أحياناً بعض الأحداث كما حصل لدى تبنى قانون حظر ارتداء الحجاب بفرنسا. وأكد الاتحاد زيادة حالات الإهانات والإضرار بالممتلكات والاعتداءات الجسدية التى يتعرض لها المسلمون فى إحدى عشرة دولة من دول غرب أوروبا هى: (ألمانيا، النمسا، بلجيكا، الدانمارك، أسبانيا، فرنسا، اليونان، إيطاليا، هولندا، بريطانيا، السويد).

وأشار التقرير إلى أن وسائل الإعلام والأحزاب السياسية تشعر بحرية فى التعبير بوضوح عن عدائها للمسلمين -الذين غالباً ما باتوا يعتبرون غرباء- «يشكلون خطراً».. أضاف التقرير أنه أصبح من الممكن استخدام لهجة شديدة ضد المسلمين الأمر الذى لم يكن مسموحاً به من قبل.

وقال مسئول بالاتحاد: إن تعرض المسلمين بشكل متزايد للأعمال العدوانية والتمييز والعزلة قد يعزز ميلهم إلى تأييد المنظمات التى تروّج للعنف.

وتضم أوروبا نحو (٢٠ مليون) نسمة ينحدرون من دول مسلمة بينهم خمسة ملايين فى فرنسا وثلاثة ملايين فى ألمانيا و(١.٥) مليون فى بريطانيا .

انتقادات لحكومة تايلاند لاضطهادها المسلمين

انتقد عدد من زعماء تايلاند السياسيين سياسة الحكومة الحالية التى فرضت عقوبات اقتصادية وحرمانا من المساعدات على بعض المحافظات الإسلامية فى جنوب تايلاند التى تشهد أعمال عنف ضد المسلمين .

شملت هذه العقوبات (٣٥٨) قرية بما فى ذلك وقف المساعدات الحكومية والتمويل للمشاريع الصغيرة والمنح المخصصة للقرى .

وقال الزعماء السياسيون التايلانديون : إن مناطق المسلمين أصلا محرومة من التنمية ومهملة وإن هذه الإجراءات ستزيد من العنف .

تهديد المسلمات فى بلجيكا بالقتل

عبر رجال السياسة فى بلجيكا عن غضبهم الشديد بعد أن علموا أن امرأة مسلمة اضطرت للاستقالة من معمل المعلبات الذى تعمل فيه بسبب سلسلة من رسائل التهديد بالقتل وصلتها من مجموعة إرهابية متطرفة .

وكانت أولى الرسائل قد وصلت إلى السيدة (نعيمة أمزيل) فى نوفمبر الماضى لكنها رفضت بتأييد من صاحب عملها الاستجابة لمطالب المتطرفين البلجيك بالاستقالة .. وحظيت بتأييد غالبية الناس والسياسيين فى بلجيكا ، حتى إن الملك «ألبرت الثانى» استقبل السيدة المسلمة وصاحب العمل «ريك ريمرى» فى القصر الملكى لإظهار تأييده لهما . وقد انهارت السيدة المسلمة مؤخرا بعد أن وصلتها رسالة أخرى من مجموعة تسمى نفسها «نيو فرى فلاندرز» وتهدد الرسالة بأن «الإعدام يتم اعداده مرة أخرى» كما هددت الرسالة بدس السم فى منتجات المعمل الذى تعمل فيه .

وقد طلب صاحب المعمل من السيدة عدم الاستقالة والاستمرار فى عملها لكنها قالت : «إن الضغوط أصبحت أكبر من أن تحتملها» .

وأعرب رئيس الوزراء البلجيكى «جاى فيرهوفستادت» عن خيبة أمله بسبب عدم إلقاء القبض على الجناة لكنه قال مؤكدا : «إننا سوف نستمر حتى يتم العثور على جميع الذين ارتكبوا هذا العمل» .

وقد أعرب العديد من قادة الأحزاب فى بلجيكا عن غضبهم واستيائهم من هذه التهديدات واعتبروها أعمالاً مناقضة للديمقراطية .

وكان صاحب المعمل أيضاً قد تعرض للتهديد بالقتل والتخريب ورصدت إحدى الرسائل مبلغاً يتجاوز (٣٤٠) ألف دولار جائزة لمن يقتله لأنه يوظف امرأة مسلمة ترتدى الحجاب .

وقد رفض «ريمرى» طردها أو إجبارها على خلع الحجاب .

هجمات صهيونية جديدة لهدم الأقصى

استنكر وزير الأوقاف الفلسطينى «يوسف سلامة» التهديدات الإسرائيلية المتكررة بالاعتداء على المسجد الأقصى المبارك .

وقال سلامة : إن التهديدات الإسرائيلية بتدمير المسجد الأقصى المبارك تزايدت فى الآونة الأخيرة ، الأمر الذى يؤكد وجود خطة إسرائيلية لهدم المسجد .

ودعا الوزير الفلسطينى الدول العربية والإسلامية إلى التحرك الجدى والفاعل لمنع وقوع كارثة تدمر أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

وقال : إن لجنة من وزارة الأوقاف الفلسطينية ستزور عدة دول عربية وإسلامية بهدف اطلاعها على المخاطر التى يتعرض لها المسجد الأقصى .

وكانت عدة منظمات صهيونية متطرفة قد أعلنت مؤخرا عن عزمها تدمير المسجد الأقصى بواسطة طائرة حربية أو سيارة مفخخة كجزء من خطة إسرائيلية ترمى إلى هدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل المزعوم على أنقاضه .

«القرآن للجميع» حملة دعوية جديدة

بدأت حركة الشباب الإسلامى فى ماليزيا حملة جديدة لتوسيع نطاق الدعوة الإسلامية للمسلمين وغير المسلمين تحت عنوان «القرآن للجميع» وقامت الحركة بطبع تفسير القرآن الكريم باللغة الإنجليزية وتوزيعه بسعر زهيد لجذب الناس للقرآن الكريم الذى اشتدت الحاجة إليه فى هذا العصر .

ومن ناحيته أكد رئيس حركة الشباب أن الدعوة لغير المسلمين مهمة لتفادى المشاكل الأخلاقية . كما أنه يجب على المسلمين أن يحملوا الأمانة التى فرضها الله عليهم .

ويبلغوا تعاليم الإسلام مصداقاً لقوله ﷺ «بلغوا عنى ولو آية»[١] .

---

(١) البخارى، ٤/٢٠٧.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسي
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر:
شريعة الإسلام تعطى كل ذى حق حقه

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف ممثل منظمة العفو الدولية بفرعها بهولندا يرافقه الأستاذ/ محمد القوصى مندوب المنظمة بالقاهرة، ودار اللقاء حول توضيح العلاقة بين الدين الإسلامى وحقوق الإنسان، وأوضح فضيلته بأن شريعة الإسلام تعطى كل ذى حق حقه، فهى تعطى للرجل حقه وتعطى للمرأة حقها، وتحترم الإنسان وتجعله سيداً لهذا الكون الذى سخره الله ـ سبحانه وتعالى ـ له فالإنسان له حق التعلم والتملك، والعيش فى هذا الكون لا سلطان لأحد عليه سوى خالقه - عز وجل - مادام لا يتصرف إلا من خلال الحدود التى أحلها الله له.

كما أوضح فضيلته، بأن الأديان السماوية جميعها تدعو إلى نصرة المظلوم، وإعطاء كل ذى حق حقه، وأن شريعة الإسلام مع التسامح ليعيش بنى البشر بمحبة وأخوة صادقة، فالإسلام يأمرنا بأن نكون صادقين فى أقوالنا عادلين فى أحكامنا، مع الغنى والفقير، والحاكم والمحكوم ومع المسلم وغير المسلم، والإسلام يعتبر أن الاعتداء على نفس واحدة كأنه اعتداء على البشرية جمعاء، ونحن نبين للناس بأن الإسلام يحرم الإرهاب والعدوان والظلم وأكل أموال الناس بالباطل، والإسلام جاء برسالة مفادها إخلاص العبادة لله - عز وجل - والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، من أجل إسعاد البشرية جمعاء.

الإمام الأكبر يستقبل مدير عام المعهد الأزهرى بفيينا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى، الدكتور حسن إسماعيل موسى المدير العام للمعهد الأزهرى بفيينا والأمين العام للمجلس الإسلامى العالمى النمساوى يرافقه الأستاذ/ زكريا جمعة عضو المجلس، حيث رحب فضيلته بهما فى الأزهر الشريف، ودار الحديث حول أسلوب العمل بالمعهد والطريقة التربوية والمنهج العلمى المتبع فى امتحان الثانوية الأزهرية. وجدير بالذكر أنها المرة الأولى التى يقام فيها مرحلة ثانوية أزهرية فى أوروبا والمعهد يشتمل على المراحل: الابتدائية، والإعدادية والثانوية، ويبلغ عدد الدارسين بالمعهد ٢٠٠ (مائتى) طالب وطالبة فى مراحل التعليم المختلفة، ويؤدى امتحان الثانوية الأزهرية هذا العام ٢٢ طالباً وطالبة من أبناء المسلمين المقيمين فى فيينا من جنسيات مختلفة، وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على أهمية دعم الأزهر الشريف لتلك المعاهد لأداء مهامها فى توضيح صورة الإسلام الصحيحة ووسطيته من خلال تدريس مناهج الأزهر وعلومه فى اللغة العربية وفى الشريعة الإسلامية وعلى رأسها القرآن الكريم التى تدعو إلى السماحة وإلى التمسك بالقيم الأخلاقية الحميدة، ونبذ الكراهية والتعصب.

وقد أحاط الدكتور حسن إسماعيل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف علماً بأن حكومة النمسا تقف إلى جانب المسلمين حيث يتمتعون بممارسة حقوقهم الشرعية كاملة فى النمسا.

سفير أستراليا بالقاهرة:
تعلمنا من المسلمين قيم الإسلام الأخلاقية والتسامح الإنسانى

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتور روبرت بوكر سفير استراليا بجمهورية مصر العربية وتأتى تلك الزيارة بمناسبة توليه عمله كسفير لبلاده فى القاهرة، وقد رحب فضيلته بسعادة السفير مؤكداً على أواصر العلاقات الطيبة مع دولة استراليا التى يسودها الأمن والأمان والمحبة والتقدير، وتبادل المنافع التى أحلها الله فيما بيننا مشيراً بأن للأزهر عالم بمدرسة الأركان بسيدنى يقوم بشرح صحيح الإسلام للمسلمين هناك، وقد خصص الأزهر هذا العام منحتان للدراسة بالأزهر التى تمتاز الدراسة فيه بالوسطية والاعتدال والبعد عن المغالاة والتعصب، ونحن نوضح فى مناهج الأزهر الدراسية بأن الحضارات عند العقلاء تتلاقى وتتعاون ولا تتصادم، وأن لكل إنسان عقيدته التى يؤمن بها ولا إكراه على العقائد، لأن الإكراه عليها لا يأتى بمؤمنين صادقين وإنما يأتى بمنافقين كذابين، والذى يحاسب على العقائد هو الله - عز وجل - وبالتعاون تتقارب الأفكار، ونحن نحرص على التعاون والتفاهم من أجل سعادة البشرية.

ومن جانبه شكر سعادة السفير فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على هذا اللقاء الذى يسوده المحبة والتقدير مؤكدا على أن هذا هو ما عهده من الأزهر المشهود له بأنه صرح علمى كبير فى العالم أجمع وأن شيخه يمتاز بالحكمة والتقدير والسماحة، وأكد على أن مسلمى استراليا هم خير مثال للمواطنين الذين يساهمون فى المجالات الدينية والاجتماعية وقد تعلمنا من مسلمى استراليا قيم الإسلام الأخلاقية والتسامح الإنسانى الذى جعل العلاقات بين الأستراليين العرب والجاليات الإسلامية وبين المجتمع الاسترالى يسودها التعاون والتفاهم التام.

السودان يطلب علماء من الأزهر

• استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتور/ أحمد بابيك نهار وزير التربية والتعليم بالسودان والوفد المرافق برافقهم الأستاذ أحمد عبدالمعطى وكيل أول وزارة التربية والتعليم المصرى حيث رحب فضيلته بالوفد مشيراً إلى أن مصر والسودان تربطهما أواصر تاريخية منذ القدم ومصر والسودان قطعة واحدة والأزهر الشريف لا يدخر وسعاً فى تقديم العون والمساعدة لإخوانه فى السودان، ونحن نتعاون سوياً من أجل نشر الفضائل وتوضيح سماحة الإسلام مؤمنين بأن العقائد لا تُباع ولا تُشترى، وأن الذى يحمى العقيدة هو صاحبها، وأن التوسط والاعتدال فى تناول الأمور هو الذى يؤدى إلى الخير، ويغرس فى أبنائنا مكارم الأخلاق.

من جانبه شكر معالى الوزير فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على حُسن اللقاء والحفاوة مشيداً بدور الأزهر الشريف وعلمائه الأجلاء، وطلب إرسال علماء الأزهر الشريف للمشاركة فى الدعوة الإسلامية بالسودان، وقدم الشكر على استقبال الأزهر الشريف للعلماء السودانيين الذين يتلقون العلم النافع فى الدورات التدريبية التى يعقدها الأزهر كل ثلاثة أشهر.

دعوة الإمام الأكبر لزيارة باكستان

• استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير/ عارف أيوب سفير باكستان بجمهورية مصر العربية حيث رحب فضيلته بسعادة السفير فى مصر وأزهرها الشريف مشيداً بعمق العلاقات بين مصر والباكستان وأكد على أن الأزهر الشريف لا يدخر وسعاً فى تقديم كل عون ومساعدة فى النواحى العلمية والتعليمية والثقافية.

ومن جانبه شكر السفير فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة هذه الفرصة لهذا اللقاء، وأنه يقدر ويحترم دور الأزهر الشريف لما يقوم به فى باكستان، وقال: إنه جاء أيضا لتقديم الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لزيارة باكستان، وهى مقدمة من معالى رئيس وزراء باكستان، وذلك للاسترشاد بآراء فضيلته فى مجال المعاملات المالية فى الإسلام، وقد وعد فضيلته بدراسة الدعوة تمهيداً لتلبيتها.

الإمام الأكبر يستقبل وزير الاتصالات

• استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الأستاذ الدكتور طارق كامل وزير الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات والوفد المرافق لسيادته، وجاءت هذه الزيارة فى إطار توقيع بروتوكول التعاون بين الأزهر الشريف ووزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات بشأن تطوير مشروع مركز معلومات مشيخة الأزهر الشريف، وذلك للنهوض باستخدام التكنولوجيا الحديثة فى وسائل الاتصالات نظراً لأهمية ومكانة الأزهر الشريف، ويتضمن البروتوكول خطة التطوير التى تنفذ على ثلاث مراحل يتم فيها ربط جميع قطاعات الأزهر الشريف والمناطق الأزهرية مع مركز المعلومات والتوثيق ودعم اتخاذ القرار بمكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وذلك للتحول التدريجى إلى النظام المفتوح الذى يحقق استخدام أدوات البرمجة وقاعدة البيانات المتقدمة والتى تستخدم شبكات الحاسب الآلى الحديثة حتى يمكن التعامل مع نظم المعلومات بمركز المعلومات بمشيخة الأزهر ووحداته وقطاعاته ووحدات المعلومات بالمناطق الأزهرية (٢٧ منطقة). كما يمكن استخدام الشبكة فى وظائف البريد الالكترونى والأرشيف الآلى وأعمال السكرتارية من منطلق استخدام التقنيات الحديثة اللازمة لنظم دعم القرار بالتنسيق والتكامل مع وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات وباقى أجهزة الدولة فى البنية المعلوماتية، تنفيذاً لمشروع الحكومة الالكترونية لتطوير أجهزة الدولة المعلوماتية.

تم توقيع هذا البروتوكول مع الأزهر الشريف لمكانته العالمية ولمواكبة التطورات التى يشهدها العالم الآن، وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بأن العلم هو أساس التقدم لكل الأمم، فالأمم التى تريد أن تنهض لابد أن تأخذ من العلم ما يجعلها تتنافس فى التقدم والتطور، وقال فضيلته: إننا نؤمن بالتخصص الدقيق وبتعاون التخصصات مع بعضها البعض يتم النفع والفائدة المرجوة، وقدم الشكر لمعالى الوزير على هذا التعاون الطيب المثمر ومن جانبه أوضح معالى الوزير أهمية أن تدخل التكنولوجيا الحديثة الأزهر الشريف المؤسسة العالمية البارزة التى يعرفها العالم أجمع وذلك من أجل دعم البنية الأساسية بربط مشيخة الأزهر الشريف، بقطاعاته المختلفة وبالمناطق الأزهرية فى أنحاء الجمهورية وهى إحدى أسس التطوير الذى يفتح آفاق التعاون على المستوى الاقليمى والعالمى لتوضيح سماحة الدين الإسلامى والتعاليم الإسلامية التى تمتاز باليسر والعقلانية.

حضر توقيع البروتوكول فضيلة الدكتور وكيل الأزهر وقيادات الأزهر الشريف.

ويستقبل وزير التربية والتعليم

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الأستاذ الدكتور أحمد جمال الدين وزير التربية والتعليم والوفد المرافق لسيادته حيث أطلع سيادته فضيلة الإمام الأكبر وقيادات الأزهر الشريف والمسئولين عن العملية التعليمية على المشروع المقترح الذى أعدته وزارة التربية والتعليم لتطوير التعليم وتحديثه بما يواكب التطورات التى يشهدها العالم اليوم، فالمشروع يسعى لتطوير التعليم الثانوى بهدف الاهتمام بمستقبل الإنسان، مستعينين لتحقيق ذلك بتقارير المجالس القومية المتخصصة، ولجان التعليم بمجلسى الشعب والشورى بالحزب الوطنى الديمقراطى، بهدف تخريج مواطن قادر على الابتكار والإبداع متحلياً بالقيم الدينية والأخلاقية، منتمياً لوطنه ولديه القدرة على التواصل مع الآخرين والقدرة على تحليل المعلومات من خلال التعامل مع الكمبيوتر ومدركاً لممارسة القيادة من خلال امتلاك المهارات التى يكتسبها للتعامل مع تطورات العصر، وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على أن الأزهر الشريف يهتم بحفظ القرآن الكريم فى المقام الأول والتوسع فى دراسة العلوم الشرعية واللغوية، وبالنسبة لدراسة العلوم الثقافية فإننا نقوم بتدريسها مشاركة مع مناهج وزارة التربية والتعليم لإيماننا بأهمية التخصص الدقيق فى هذه المرحلة التى تتسم بالتطور العلمى والتكنولوجى.

سيراليون تطلب المعاونة من الأزهر لتعليم أبنائها اللغة العربية

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد/ ممادو كوروما وزير خارجية سيراليون، حيث رحب فضيلته بمعالى الوزير فى الأزهر الشريف مشيداً بالتعاون مع دولة سيراليون الصديقة فى مجال التعليم، وأن الأزهر يستقبل أبناء سيراليون للدراسة فى الأزهر الشريف على منح وقد خصص هذا العام ١٠ (عشر) منح دراسية لأبناء سيراليون ويوجد خمسة من علماء الأزهر الشريف يقومون بالتدريس لأبناء دولة سيراليون، كما أن الأزهر يستقبل الأئمة والوعاظ من دولة سيراليون لحضور الدورات التدريبية التى ينظمها الأزهر كل ثلاثة أشهر لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى، وهذه اللقاءات فى هذه الدورات ذات فائدة عظيمة تجمعنا على طاعة الله، نتدارس فيها العلم ونتحاور ويستمع كل منا إلى الآخر، نتناقش فى أمور الدين والدنيا، ودراستنا كدعاة هى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ونبين للناس وجه الإسلام السمح الذى يأمر أتباعه بأن يبنوا ولا يهدموا، ويعمروا ولا يخربوا، ويصلحوا ولا يفسدوا، يعملوا من أجل خدمة دينهم وأمتهم، وينشروا محاسن الإسلام على الناس، ويدافعوا عن الحق، ويقفوا فى وجه الباطل، فوظيفتنا

أن نبين ما هو حق وندعو إليه، ونحذر الناس من الباطل ونجتنبه.

كما دار الحوار حول إمكانية بدء تعلم اللغة العربية لمراحل الصف الأول الابتدائى فى سيراليون كنواة لتعليم اللغة العربية فى باقى المراحل التعليمية، لمساعدتهم فى قراءة وحفظ القرآن الكريم وفهم معانيه، وخاصة أن نسبة المسلمين فى سيراليون ٧٥٪ من عدد السكان البالغ عددهم ٥ ملايين نسمة.

وقد شكر معالى الوزير فضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء، وإتاحة هذه الفرصة الطيبة المباركة، وقدم تحيات رئيس جمهورية سيراليون لفضيلة الإمام الأكبر ولعلماء الأزهر على ما يقدم من خدمات لأبناء سيراليون الذين تعلموا وأنهوا دراساتهم، والذين يدرسون بالأزهر حالياً، وطلب استمرار الدعم الدينى من الأزهر الشريف، وتمثيل أبناء سيراليون فى دراسة الطب والهندسة والعلوم الأخرى اعتباراً من العام القادم، وقال: إنها خطوة إيجابية على طريق التحديث لبناء ودعم العلاقات الدينية فى كافة المجالات لإيجاد فرص للعمل فى مختلف التخصصات والعلوم كما رغب فى زيادة المنح الدراسية.

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة طلبات معالى وزير الخارجية تمهيداً لتلبيتها من خلال التنسيق مع وزارة الخارجية.

الدين ومقاصد الحوار

● تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة عقد المؤتمر الإسلامى - المسيحى الأول للحوار بين أتباع الديانتين الإسلامية والمسيحية بالقاهرة حول موضوع (الدين ومقاصد الحوار) فى المدة من ١٥ - ١٧ مارس وقد تحدث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف، فأكد على أن كل الأديان السماوية جاءت لتدعو الناس إلى الفضائل وتحميهم من الرذائل، وقال: إن أمتنا العربية ومنطقة الشرق الأوسط إذا أرادت أن تكون قوية فعليها أن تتمسك بالفضائل من صدق وعدل وعفاف وطهارة لسان وبدن ويد وإنصاف ومحاربة الظالم والظلم وإن اختارت أن تكون منطقة ضعيفة هينة على نفسها وعلى الآخرين ففى سيرها فى طريق الرذائل والخبائث من ظلم وفحش وعدوان واحتلال واغتصاب وانحلال وغيرها ما يكفى لأن تُدمَّر كمنطقة مؤثرة فى العالم، وقال: إن أول طريق لبناء القوة هو التعاون بين الأمم والثقافات والشعوب وهذا يتم من خلال الحوار واللقاءات ولذا فنحن نرحب بالحوار كأساس للتعاون والتآخى وحل المشكلات.

وقال: إن البابا شنودة من أخلص الأصدقاء وفى هذا الكثير من المعانى لمن يريد أن يفهم، مشيراً

إلى أن هدف الحوار الذى ترعاه مصر على أرضها هو ترسيخ مبدأ العمل المشترك من أجل خير البشرية كلها.

وتحدث البابا شنودة الثالث فوجه الشكر للمؤسسات السعودية التى رعت وأقامت هذا الحوار في مصر بالتعاون مع مجلس الكنائس فى الشرق الأوسط. وقال: إن مجرد اللقاء بين علماء وأعضاء المؤتمر الإسلامى والمنتدى السعودى الإسلامى العالمى للحوار مع قيادات وأعضاء مجلس كنائس الشرق الأوسط الذى يضم كل الدول العربية لهو خير وبركة للأمة كلها مسلمين ومسيحيين وقال: إن الثوابت بين الإسلام والمسيحية كثيرة جداً، ونحن فى مصر مثال خير على التعايش للعالم كله ونريد من هذا الحوار أن يرسخ هذا المثال فى الشرق الأوسط كله ليعود منطقة للإشعاع الدينى والإيمان بالله، لأن كل الرسالات ولدت وعاشت فى الشرق ومنه خرجت إلى العالم كله. وطالب با ستمرار الحوار حتى يتحقق الفهم المشترك ويتحقق التفاهم المتبادل، وقال: إن علينا أن نعمل معاً وفق ثوابتنا المشتركة حتى يجنى العالم من ورائنا كل الخير، ونساهم فى دحض الشر ووأد الفتن والآثام.

شارك فى المؤتمر المنتدى الإسلامى العالمى للحوار بالسعودية، والذى يرأسه الدكتور حامد الرفاعى ومؤتمر العالم الإسلامى بالسعودية برئاسة الدكتور عبدالله عمر نصيف وهما مؤسستان شعبيتان، ومجلس كنائس الشرق الأوسط الذى يضم مختلف الطوائف المسيحية بالدول العربية والشرق أوسطية برئاسة الأمين العام السيد جرجس إبراهيم صالح.

***

leading a better life. Hence, all humanity was in a bad need for a new Divine Call preserving the dignity of man and affording him a life of free thinking and civilization. Indeed, the birth of Muhammad was a glad tiding for such a new Divine Call.

Selecting the Prophet to Call for Allah's Cause

Though the reality of the inner feelings of souls cannot be realized except by the Creator, the Arabs, at the *Jahiliyyah* (i.e., Pre-Islamic Period of Ignorance) used to look at the Prophet respectfully and honorably. They, however, did not imagine that the future of life would relate to his future and that the wisdom and the Words of Revelation would come out of his pure mouth. At the age of forty, Muhammad was chosen by Allah to call the people to Islam, Allah's True Religion. Allah, the Almighty, says:

{Say, "O you mankind, surely I am the Messenger of Allah to you altogether, to Whom belongs the Kingdom of the heavens and the earth.} [Al-A`raf (The Battlements): 158]

And:

{Surely the religion in the Providence of Allah is Islam.}

[Al-Imran (The Household of Imran): 19]

We should stress here that the Islam called for by Muhammad is the manifest Truth that refuses to hide itself or keep silent. That religion will not be harmed despite the aggressive attempts at the hands of its enemies to eliminate it. In this regard, Allah, the Ever-High, says:

{They would (like) to extinguish the light of Allah with their mouths; and Allah refuses (anything) except to perfect His light, though the disbelievers hate (that).} [At-Tawbah (Repentance): 32]

restricted to only the acts of worship without giving any attention to the other issues of importance, such as transactions, politics and *Jihad*[1]. The Muslims should study their religion comprehensively, which may lead them to work hard, as work is among the acts of worship as well."

Here, the Kurdish member turned the attention of all the attendants to an important issue. He said, "The only science acknowledged in the Islamic countries is that relating to religion. On the other side, we can affirm that Europe has not reached the peak of civilization except when it has directed attention to the worldly sciences, such as mathematics, physics, medicine, chemistry and engineering. With the help of these tools, the Europeans have been able to exercise sovereignty over all the other nations, including the Muslims themselves. From this, we can realize that if the Muslims pay attention to the other sciences of life, they will reach the desired goals."

The Afghan member raised a question about the factors of scientific discovery and industrial progress. He stated, "Wealth is the only tool that can achieve progress and, unfortunately, the Islamic countries do not possess this tool. Therefore, if ignorance is considered a reason behind scientific backwardness, poverty is considered the main reason behind ignorance. Thus, we have to defeat poverty first then we may start the journey leading to progress." The attendants felt confused not knowing what to say. The English member, who had converted to Islam, said, "Poverty in the Islamic countries does not go back to lack of resources, for they are full of materials, metals, water and fertile land. If the Muslims observe the factors of true progress in the West, they will follow them and achieve the civilization towards which they aspire. This is due to the fact that the Islamic religion is the religion of progress and prosperity."

[1] *Jihad* means fighting in the cause of Allah.

*A Great Event in the History of Humanity

By: Counselor Muhammad Ezzat At-Tahtawy

There is no doubt that the birth of Allah's Messenger (may the blessing and peace of Allah be upon him) has been the greatest event ever witnessed in the history of humanity, and the most celebrated movement of social reform marking a new dawn removing the falsehoods of ignorance and the darkness of idolatry, and freeing the hearts and minds from the bonds of superstitions and illusions.

The World before the Coming of the Messenger

The fair among the American, Western and European scholars and Orientalists affirm that the world, before the birth of the Prophet, was full of conflicts and dissentions. In England, the Anglos were fighting the Saxons; in France, the sons of king Clovis were joined in disputes among themselves; in Italy, the name of the Romans was gone with the wind; and in Africa, the Greeks and the Romans, who were a mixture of soldiers, traders and rulers, were insisting on sucking the blood of Egypt, as well as the other countries in Africa.

In addition, those Orientalists admit that the systems left by Christianity were causing dissention and collapse instead of stressing upon unity and order. Civilization was like a big tree whose shadows extended to the entire world, but it was swayingly standing. That state continued until the coming of the man (i.e., Prophet Muhammad) who united all the world. Edward, an American Orientalist, describes that era saying, "The Heavenly religions with which Moses and Jesus, as well as the other prophets, came had lost their purity and originality due to the distortion made by the abusers who intentionally corrupted them with superstitions until people became unable to differentiate between vice and virtue and between right and wrong. Further, the Arabs were not

* An article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.

A Quiet Discussion for Restoring Muslims' Status

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

Umm Al-Qura (i.e., Mecca) Conference was held in a quiet atmosphere. Despite the different feelings, emotions and views of the attendants due to their psychological structure, a tie of faithful love related the intentions of the speakers. That is, when every speaker trusts the intention of his opponent, then, all views will meet.

The Meccan chairman of the conference gave mention of some matters he saw very important and necessary for the success of the conference. The first of those necessary matters were openness and hope. Through openness, every speaker can reveal what is in his mind without fear because he is speaking with his brothers and people. Moreover, trying to conceal what is in one's mind delays treatment and causes the disease to spread uncontrollably. This concealment may cause the listeners to be ignorant of some necessary facts. For example, the patient's openness with his treating doctor is the first step on the way of recovery. As for hope, we should feel it due to the fact that despair is a destroying enemy. While the present situation of the Islamic world calls for despair, in the sight of the pessimistic persons, the optimistic people, on the other hand, know that many nations – Romans, Greeks and Japanese – used to suffer deterioration but everything changed and they resumed their activity and were able to reach a praiseworthy degree of progress and prosperity. In support of this idea, the Arabs, before the advent of Islam, were suffering dissention and dispute, then Allah got them out of darkness into light. Hence, we should not give up hope as long as we adhere to Allah's Book (i.e., the Qur'an).

What may help the conference succeed, in the chairman's point of view, is that Muslims should forget about the man-made differences regarding the inherited schools (of Islamic jurisprudence), for all the Muslims are the adherents

of one book calling for eliminating differences. If each sect derives its proofs from Allah's Book, we may depend on the clear texts without any interpretation so that we may be able to follow the right path.

Afterwards, the chairman turned to shed light on the first factor behind the Muslims' backwardness; namely, total lassitude spread all over the Muslim countries. Whoever looks at the world map will observe that the Muslim countries occupy the bottom of the ladder. The Muslims have less order and more retardation. Though they still enjoy the qualities of loyalty, honesty, generosity and bravery, the industrial progress and scientific advancement are also needed for they represent the basis for civilizational superiority. Nevertheless, the chairman's statement was not taken for granted, for some of the members stated opposing ideas. For example, the Indian member declared that what had been said by the chairman could not be believed to be the general state. In support of his ideas, he said, "In India, for example, the Muslims are more civilized than the pagan groups living near them." Upon hearing this, the chairman smiled and regarded it as a source of optimism. Another member joined the discussion saying, "Belief in the Divine Predestination has been misinterpreted in the Islamic nation. Some of the ignorant believe that man does not have free will and that everything is predestined, and thus man cannot change anything whether he tried or not. This is in contradiction with the *Shari'ah* (i.e., Islamic Law) for it calls for work and it fights submission and despair. Thereupon, it is obligatory to refer to the sound sources in interpreting the religious matters and knowing the separating limits between asceticism and aspiration, and between obedience and subjugation."

At that point, the Persian member stood up declaring, "Religion is not applied correctly in the majority of the Islamic countries. This is because its commands have been

{And in no way have We sent you, except as a bearer of good tidings and a warner to the whole of mankind; but most of mankind do not know.} [Sab'a (Sheba): 28]
Moreover, He says:
{And We have sent you to mankind a Messenger; and Allah suffices as Ever-Witnessing.} [An-Nisa' (Women):79]

In order to deliver this light and mercy to every human, every Muslim has been commanded to exert effort to spread happiness among his/her fellow humans so that they may win guidance through the Truthful Religion. Allah, the Almighty, says:
{Call to the way of your Lord with wisdom and fair admonition.} [An-Nahl: (The Bees): 125]

This is the religion that lightened up the Muslims' hearts so they spread mercy, guidance, knowledge, freedom and equality among all humans. Under Islam, aggression, enslavement, dissention, injustice and persecution disappeared, and all Muslims lived loving each other. They took the Messenger as their ideal example in shouldering the Message's responsibility, working according to its principles, and devoting oneself to its sublime purposes.

For Muslims, the Messenger represents decisive determination, humane treatment, and kindness towards the weak, orphan, deprived, and ill. We remember all this at the anniversary of the Messenger's birth. We also remember the blessing of Islam which Allah favors Muslims with.

Islam was the religion that united the early Muslims after their dissention, and gave them dignity after humiliation, so they sought light from it and exerted their efforts to disseminate it among all the people. They kept adhering to the right path until they were succeeded by those who were deceived by the purposeful imperialists so they took their side and betrayed their nation. Now, we witness the likes of such people who have become a weapon used by the enemies of Islam to fight it. They represent a tool of spreading lies and fabricated rumors through the different media means. They still superficially attribute themselves to Islam claiming that they are Arabs. Shamelessly, they repeat the lies

of the Orientalists during the nineteenth century that Islam is just a desert religion that cannot provide its followers with the elements of civilization.

They confirm that it would be better for the Muslims to put it aside and hurry to the civilization offered by the superior West. In case renouncing Islam totally should be hard, then there would be no harm in keeping the matters restricted only to worship, such as Prayer, Fast, and *Zakah*, and forgetting all about *Jihad* (i.e., fighting in Allah's Cause) in order to avoid shedding the blood of others even though those "others" would shed the Muslims' blood, demolish their houses, imprison them and abuse their dignity. What an irony!

As for falsely accusing the Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him) of fabricating the Noble Qur'an, claiming Prophethood, and seeking nothing but sovereignty and dominance, the Noble Qur'an and the sincere scholars of this nation have taken the responsibility of refuting such baseless accusations. In his book entitled "*Wahi Al-Qalam* (i.e., The Revelation of the Pen), the great Islamic thinker, Mustafa Sadiq Ar-Rafi`y, wrote beautiful, fair words about Prophet Muhammad and his mission in this world. He said, "The Prophet comes to the world to spread light called 'religion,' the same as the sun rises to spread its light over the horizons. The daybreak is the wakefulness of life to achieve its works, and the religion is the wakefulness of the soul to achieve its virtues." He went on saying, "Among the most apparent noble, humane meanings in the life of Muhammad is his refusal of the offer of the disbelievers of Quraysh when they offered him a high rank among them and to give him whatever money he might ask in return for renouncing his religion.

He refused that tempting offer, though he was not rich and though he was living among a few of his weak followers suffering all kinds of torment. If he had been a man searching for power, he would have accepted such an offer."

AL-AZHAR MAGAZINE
Rabuil-Awwal, 1426 A. H.

ENGLISH SECTION
May. 2005

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

The Anniversary of the Messenger's Birth Is a Light That Lightens up the Dark Tunnel of Our Present Life

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The Islamic Religion is characterized by urging the Muslims to be optimistic even in the darkest moments of their lives, such as when they suffer severe tribulations or harm at the hands of their enemies. In His most precise Book, Allah, Exalted and Glorified be He, says:
{And do not despair of relief from Allah; surely none despairs of relief from Allah except the disbelieving people.}
[Yusuf (Joseph): 87]

In this connection, we find ourselves obliged to mention that the Muslim's ideal example in endurance and tolerance is their noble Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him). All through his life, the Prophet kept enduring shocks like a hard rock facing the waves of a restless sea. He commanded his companions to show patience while they were being tortured and humiliated. To the family of Yasir, he said, "O the family of Yasir, be patient and Paradise shall be your reward." He kept reminding them that Allah would reward them be admitting them into the Paradise for their patience and endurance for the sake of the Truth. What an indescribable, limitless reward they shall get! This is the reward that no eye has ever seen, the reward that no ear has ever heard, and the reward that has never crossed the mind of any human! What are a few short moments and hours of suffering compared to the eternal bliss of Paradise!

Whenever we remember the birth of the noble Prophet, we also remember how he shouldered the burdens and troubles of conveying the Message of His Lord to all humanity and how he was a perfect example of a guide leading people to the right path. He was a bearer of glad tidings of happiness in this world and eternal bliss in the Hereafter. About him, Allah, Ever-Majestic be He, says:
{And in no way have We sent you except as a mercy to the worlds.} [Al-Anbiyaa' (The Prophets): 107]
He also says:

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير
أ. د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير
عادل رفاعى خفاجة

نائب رئيس التحرير
سيد وفا أبو عجور

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى
داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت.. ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

ربيع الآخر ١٤٢٦هـ - مايو / يونيه ٢٠٠٥م - الجزء الرابع - السنة الثامنة والسبعون

افتتاحية العدد

فى ذكرى المولد النبوى الكريم

محمد فى كتاب الأبطال

٢

لئن أبدع الكاتب فى حديثه عن السر فى انتشار الإسلام، فإن إبداعه فى الحديث عن مزايا القرآن الكريم لا يقل روعة عما تحدث به من قبل.

يقول الكاتب بعد تمهيد سديد: لقد ادعَى كثير من الأوربيين أن القرآن خال من الجمال والروعة، وفاتهم أن الترجمة هى التى أفقدته روعته وذهبت بكثير من حُسن صياغته وجمال صنعته فإذا وجد غير العربى عناء ومشقة فى تفهم أسراره فذلك لأن الترجمة لا تصل إلى الأصل فى صفاة تعبيره، وروعة تصويره، أما العربىَ فيحس أعظم الإحساس بروعة الأسلوب وعظمة الأداء، ولذلك قدر العرب مكانته الأدبية وعظَّموه، وجعلوه كتابا معجزا لا يأتى بشر بمثله، ونال لديهم من التبجيل ما لم ينله الإنجيل عند أتقى النصارى، وقد عجزوا عن محاكاته حين تحداهم الله بقوله:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

[البقرة: ٢٣]

ومنذ نزل القرآن وهو قاعدة التشريع والعمل، والقانون المتبع فى شئون الحياة، وهو مصدرُ أحكام القضاة يُرشدون به ويهتدون بهديه وما أبعد الفرق بين القرآن والكتب الأخرى إن تلك الكتب أصبحت كلمات لا صلة لها بالله الذى أنزلها، بعد أن شوهها أهلُها بالتحريف والتزوير لقد أتهم بعد الحاقدين محمدا بأنه هو الذى وضع القرآن وأن القرآن ليس إلا بعض الحيل البلاغية، وهؤلاء قد أعماهم التعصب البغيض عن التمييز بين الحق والباطل وقد آن لنا أن نردَ لهؤلاء أقوالهم فى نحورهم، ليعرفوا أن الحق لابد أن ينتصر يوما، لأن من كان صادق الحس،



كارليل

ثاقب النظر، لن يرى فى القرآن ذلك الرأى الباطل الذى لا يصدر عن عاقل. إن القرآن لو تدبرتموه لوجدتموه جمرات ذاكية من الحق والصدق، إنها جمرات قذفت بها فى قلب محمد الكبير القوة القاهرة بعد أنْ أذكت هذه النفس فى الخلوات الصامتات، ولو عرفنا سيرة محمد لوجدنا أن تدفق الأحداث من حوله يحول دون التنميق المفتعل، ويالها من خطوب كانت تحدق به من كل مكان فقد قضى عمره قطبا لرحى حوادث ومصادمات قاسية فى عالم كله فتنٌ وأهوال، وإنِّى لأتصور هذا القلب الكبير وهو يتململُ ليلة ساهرا فإذا ظهرت له بارقة أمل استبشر وفرح بنزول الخير من عند الله، ومحالٌ أن يكون هذا القلب الكبير قلب محتال أو تكون نفسه نفس مشعوذ دجال كما يزعم الجهلة الأفاكون، لقدْ كان الكون فى نظره حقيقة كبرى تدل على مقدرة الخالق العظيم الذى أحْسن كل شىء خلقه.

أما إعجاز القرآن ففى فضائله التى يهتف بها، وأنا لا أهتم كثيرا بما جاء به من الصلوات والتحميد -هكذا يقول كارليل- ولا نوافقه عليه - ولكنى لا أملك نفسى حين أجده ينفذ إلى أسرار الكون وبواطن الأمور فيقولُ للناس:

﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

[يونس: ١٠١]

وما خلق الله من شىء، انظروا إلى السموات وكيف بناها ورصعها بالنجوم، وإلى الأرض التى بسطها لتسلكوا فى مناكبها وتأكلوا من رزقه، وقد جعلها قرارا، وجعل خلالها أنهارا.

﴿ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾

[الحج ٥]

﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴾

[ق: ١٠]

ثم هذا السحاب المسخر بين السماء والأرض والمطر الذى ينهمر فيحيى الأرض بعد موتها، والسفن التى تلوح كأنها الجبال، والأنعام التى

﴿ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴾

[النحل: ٦٦]

ومن جلودها بيوت :

﴿ تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ﴾

[النحل : ٨٠]

لقد أفاض الكاتب في هذا المعنى إفاضة تدل على أنه استقصى النعم التى سجلها القرآن الكريم استقصاء خبيراً بصيراً . أما خلق الإنسان من سلالة من طين وتحوله إلى نُطفة فعلقة فمُضغة فقد أشار إليه فى روعة ليختم حديثه الجامع قائلا : أليس كلّ هذه آيات ناصعات تدل على قدرة الله وعلى أن هذا الكتاب من لدن قوىّ كبير يُدبر الكون وفق نهج قويم ، ولا يُنكر هذا إلا جاهل متعصب .

ثم أفاض الكاتب فى حديث القرآن الكريم عن الجنة والنارفنقل من الآيات الكريمة ما يبدو جديداً لروعته الخالبة ترهيباً وترغيبا للقارئ المسلم وغير المسلم ، ليخلص من ذلك إلى حقيقة عظيمة هى أنّ الدار الدنيا دار عملٍ وكفاحٍ وأن الثواب الخالص للمحسنين جزاء بما كانوا يعملون والعقاب الصارم لذوى الآثام جزاء بما كانوا يقترفون ، وأن كل هذه الأشياء تُبين لنا قيمة الإنسان فى الحياة الدنيا وأنه لم يُخلق عبثا ، فقد ألقيتْ عليه واجبات لابد من أدائها وكل عمل إنسانى له قيمته مهما صغر

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

[الزلزلة ٧ ، ٨]

ومن دقيق ما أكده الكاتب قوله : يأخذ البعض على الصورة التى رسمها القرآن للجنة والنار تغلب الحسية والمادية عليها ، ولكن فات هؤلاء أن الصور التى رسمها القرآن ليست حسية مادية لأن القرآن روحانى سماوى وكلّ ما جاء فيه بصدد ذلك تلميح وإيحاء والعيب فى ذلك هو عيبُ المفسرين والشرّاح الذين أطالوا فى تصوير المتع الحسية إطالة تدل على أنها كل شىء فلم يدعو لشهوة حسية . . ولا لذة جنسية إلا ألحقوها بالجنة ظنًّا منهم أن هذا يجذب الناس للأعمال الصالحة كما لم يتركوا عذابا بدنيا ولا ألما حسيا إلا حاولوا إسناده إلى النار ظنًا منهم أن هذا هو أشد رادع عن المنكرات وكان الرجل موفقا كل التوفيق حين استشهد بمثل قول الله «عن أصحاب الجنة» :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾

[الزمر : ٧٣]

وقوله عز وجل :

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾

[الحجر : ٤٧]

فأى رذيلة أشد خبثا من الغلّ والحسد فإذا نزع ما فى الصدور من الغل والحسد صارت الحياة أهنأ وألذ كأنما هى الجنة التى أرادها الله وأن السلام والأمن والتصافى أشياء جليلة حفل بها الكتاب الكريم ، وأحب أن أضيف شيئا يسيراً حول هذا الاتجاه الخلقى الذى صوره الكاتب الكبير مأخوذا من كتابنا الكريم فأقول إن تصوير الماديات كما جاءت فى القرآن لا تعنى الانهماك فى اللذائذ والشهوات ، ولكنه يعنى أن للجسم حقه من هذه المتع وهو يتطلع إليها بتكوينه الطبيعى ، فلا يحرم من شىء هو من مقوماته جسميا ونفسيا ، لذلك عرض الله هذه الصور المادية لأنها حاجات من حاجات الجسم دون مراء ، والعيبُ كل العيب هو الإفراط فيها ، والمؤمن الذى يرى وجه ربه فى الجنة لا يأخذ من هذه الأشياء إلا بقدر الحاجة الضرورية ، ولا يحسب أنها باتتْ شغله الشاغل ، وهنا تتوازى الكفتان !

ومن أروع وأبدع ما خطه الكاتب الكبير حديثه عن إخلاص رسول الله وصدقه . فقد هاله أن يفترى أعداؤه الكذب عليه حقداً وحسداً فجعلوا ينتقصون فضائله اللائحة للعيان ، ولو عقلوا لأراحوا أنفسهم مما يأفكون ، والمتعصبون من أعداء نبى الإسلام يسوءهم أن تظهر حسناته على وجهها الصحيح ، وقد بهرهم نجاحه فحاولوا أن يلمسوا لألاءه بقولهم إنه كان يريد المصلحة الشخصية لذاته والوصول إلى قمة الجاه والسلطان وحب السيطرة على النفوس ، وقد غلوا فى ذلك غلواً لا يصدقه عقل ، وقد فاجأهم الكاتب بما عُرف عنه ﷺ من أن قريشاً عرضت عليه الملك فأبى ، وقدمت إليه ما تملك من خزائن المال رجاء أن يتنازل عن دعوته فرفض ، فبينما كان الآخرون يتكالبون على الرئاسة والجاه كان ينفرد بنفسه مفكرا فى حقائق الأشياء ومفاسد البشرية التى يجب القضاء عليها ، وكان سر الوجود يسطع لعينه ناظرا ما يتهدده من المخاوف ، ولكن ثقته فى الله تمده بروح من عنده ، لقد ظل قبل البعثة يتفكر فى الحياة وما قيمتها وفى الموت وما بعده ، وفى الأصنام الحجرية وما جدوى عبادتها ، فجاء الجواب الحاسم فى قول الله :

﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۝١٤ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ۝١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴾

[طه : ١٤ : ١٦]

لقد عاش محمد حياته الأولى غاديا رائحا ، ولكنه فى الحقيقة يعيش فى واد من التفكير المنظم ، والنظر الثاقب وقومه فى ضلالهم يعمهون ، أفبعد هذا يزعم الكاذبون الحاسدون أنه كان يطمع فى الجاه والسلطان ، أى فائدة لرجل مثل محمد ، فى جميع بلاد العرب من أقصاها إلى


العقاد

أقصاها وأى خير له فى تاج كسرى وقيصر وجميع ما فى الأرض من عروش وهو يعرف المصير المحتوم لكل إنسان إذ أن كل من عليها فان، لقد أصبح من أكبر عار البشرية أن تصغى لأراجيف المفترين، وأصبح من الواجب على أصحاب الحقيقة أن يكشفوا عن حسد من يلصقون التهم الكاذبة بنبى كريم، وهل يعقل أن رجلا كاذبا خادعا يستطيع أن ينشر دينا رائعا بين الناس، ويبدع أروع الأحكام، وأحسن القوانين، إن الرجل الكاذب لا يستطيع أن يقيم بيتا من الطوب وهو لا يعرف مواد البناء، إذ لا تلبث ريح عاصفة أن تمحقه محقا، وبناء الإسلام ثابت كالطود تهب عليه الأعاصير فلا يتزعزع، أيكون من بناه كاذباً خادعا؟ لقد كتب كارليل أبدع السطور فى تحليل رسالة الإسلام وتمجيد الرسول الأعظم بما يجب أن يطالعه كل قارئ لأن هذه الصفحات القليلة التى أسطرها تلخيص مبتسر بل أخشى أن يكون مشوها لحقائق ساطعة تجلت فى نفثات هذا الكاتب الفياض ذى الحمية الصادقة، ولعلى أكون قد أفلحت فى شئ واحد هو أن أجذب القارئ إلى مطالعة الأصل فى الإنجليزية إذا كان يحذقها، وفيما ترجمه الأساتذة العرب من صفحات الخالدات. وأكرر أنى اعتمدت على ترجمة الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ ولن أوفيه حقه من الثناء فهو جدير بكل تقدير، ومن المناسب أن أختم هذه السطور بقول الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد: «لقد كانت كتابة كارليل متسمة بسمة الإعجاب والإنصاف ولا ينتظر من فيلسوف غير مسلم أن يكتب خيرا منها عن نبى الإسلام، ويكفى للدلالة على موقف كارليل أنه أراد أن يختار مثلاً واحداً للبطولة فى صورة نبى، فلم يجد أحق بالاختيار فى هذا المجال من نبى الإسلام، وكان من همه أن يفند كل شبهة شائعة فى الإسلام فى مبدئها فقال: إن الذين يزعمون أن محمداً نشر دعوته بالسيف لا يتصورون ما يقولون، إذ كانت دعوة محمد دعوة رجل واحد أمام قوم مجمعين على تكذيبه، وليس أعجب من صور.. رجل واحد يحمل السيف ليقنع به كل منكريه!

أذكر أن بعض الناقدين قد أخذ على كارليل أنه فى حديثه عن الرسول ﷺ قد أخذ وجهة المحامى الذى يدافع عن إنسان ولم يأخذ وجهة القاضى الذى ينظر إلى جميع الزوايا المختلفة وهو مأخذ فى غير موضعه لأن كارليل قد شاهد ظلماً فادحاً من كتاب الغرب يحيق ببطل مرموق كان فى رأيه المثل الأعلى للنبوة فانبرى للحديث عنه ليكشف ما لحقه من افتراء، ولو وجد ما يؤاخذه عليه لذكره فى إخلاص كما فعل فى كتابه هذا مع غير رسول الله كما أن لغة الأدب التى اصطنعها فى حديثه ليست مما ينتقد، فالمؤرخ الأديب له من سعة أفقه ولطافة حسه. وروائع تصوره ماليس لمؤرخ لاهم له إلا ترتيب الوقائع ومراجعة الأسانيد ليخرج بنتيجة أشبه بالرقم الحسابى

الجاف دون أن يترك لدى قارئه صدىً قوياً ينقل إليه إحساس
به متى وجد لوائح الصدق النزيه، والصور البيانية فى الأسلـ
للحقائق الخالدة، ولم تكن بهرجا زائفاً ينكشف أمام التفـ
الشمس متى غمره نورها الأخاذ، وتتجلى ثقافة الكاتب
أسلوبه بحيث تؤلف نسيجاً محكماً فى ثوب متصل
والرصانة بحيث تزيد هذه الظلال الأدبية جمالاً ورونقا وليقرأ
سبحانه.

إن سلطان الله وعظمته لايزالان واضحين لعينى محمد، فكل مكان أمامه مملوء بقوة مجهولة، ورونق باهر أخاذ، لأن هذا الكون هو الحقيقة الصادقة، والجوهر القوى وهو مايسميه علماء العصر الحديث بالقوة والمادة، ولكنهم لايرونه شيئا مقدسا كما يراه محمد، بل إنهم لايرونه واحدا بل أشياء متعددة تباع وتشترى بالدرهم والدينار ولاينظرون إليه على أنه سر من أسرار الكون، والعلوم الحديثة من كيماويات وحسابيات قد أنست الناس ما يكمن فى الكائنات من سر إلهى يدل على عظمة الخالق، فما أشد هذه الغفلة لأننا إذا نسينا قوى الله فى العالم فأى الأمور تستحق الذكر فلولا سر الله لما كانت هذه الكائنات إلا خشباً يابساً ليست بالشجرة النامية التى لاتبرح تعطينا الثمر، وإذا ابتعد الإنسان عن فهم الأثر الإلهى فى الكون لوجد العلم شقشقة كاذبة وبلبلة ذابلة.

لذلك كان محمد يرى العالم آية منظورة ملموسة تنطق بوجود الله بل إن هذا العالم هو ظل الله الذى علق على صدر الفضاء وكان يقول: إن الجبال هى أوتاد الأرض، وهى رغم عظمتها وشموخها ستصير يوم القيامة كالعهن المنفوش كما يكون الناس كالفراش المبثوث وستتصدع الأرض وتذهب فى الفضاء هباء منثورا، لقد كان كارليل عالما فاحصا بمخبره قبل أن يكون كاتبا مبدعا بيراعه.

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

قال تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (٥٨) إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٢) فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾

الآيات: ٥٨ : ٦٣

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

وقوله - تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾

اسم الإشارة فيه وهو ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ مشار به إلى المذكور من قصة آل عمران وقصة مريم وأمها، وقصة زكريا وندائه لربه، وقصة عيسى وما أجراه الله - تعالى - على يديه من معجزات وما خصه به من كرامات.

أى ذلك القصص الحكيم الذى قصصناه عليك يا محمد ﴿ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ ﴾ أى نقصه عليك متتابعا بعضه تلو بعض من غير أن يكون لك اطلاع سابق عليه، فأنت لم تكن معاصرا لهؤلاء الذين ذكرنا لك قصصهم وأحوالهم وهذا من أكبر الأدلة على صدقك فيما تبلغه عن ربك.

وقوله ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ مبتدأ وقوله ﴿ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ ﴾ خبره.

وقوله ﴿ مِنَ الْآيَاتِ ﴾ حال من الضمير المنصوب فى ﴿ نَتْلُوهُ ﴾.

والمراد بالآيات الحجج الدالة على صدق النبى - ﷺ - وقوله ﴿ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ أى والقرآن المحكم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمشتمل على الحكم التى من شأنها أن تهدى الناس إلى ما يسعدهم متى اتبعوها وقيل المراد بالذكر الحكيم اللوح المحفوظ الذى نقلت منه جميع الكتب المنزلة على الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -.

ثم بين - سبحانه - أن خلق عيسى من غير أب ليس مستبعدا على الله - تعالى - فقد خلق آدم كذلك فقال:

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾

والمثل هنا: بمعنى الصفة والحال العجيبة الشأن، ومحل التمثيل كون كليهما قد خلق بدون أب، والشىء قد يشبه بالشىء متى اجتمعا ولو فى وصف واحد.

والمعنى: إن شأن عيسى وحاله الغريبة ﴿ عِندَ اللَّهِ ﴾ أى فى تقديره وحكمه ﴿ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾ أى كصفته وحاله العجيبة فى أن كليهما قد خلقه الله - تعالى - من غير أب، ويزيد آدم على عيسى أنه خلق بدون أم - أيضا -.

فالآية الكريمة ترد ردا منطقيا حكيما يهدم زعم كل من قال بألوهية المسيح أو اعتبره ابن الله، وكأن الآية الكريمة تقول لمن ادعى ألوهية عيسى لأنه خلق من غير أب: إنه إذا كان وجود عيسى بدون أب يسوغ لكم أن تجعلوه إلها أو ابن إله فأولى بذلك ثم أولى آدم لأنه خلق من غير أب ولا أم، ومادام لم يدع أحد من الناس ألوهية آدم لهذا السبب فبطل حينئذ القول بألوهية عيسى لانهيار الأساس الذى قام عليه وهو خلقه من غير أب.

ولأنه إذا كان الله - تعالى - قادرا على أن يخلق إنسانا بدون أب ولا أم، فأولى ثم أولى أن يكون قادرا على خلق إنسان من غير أب فقط. ومن أم هى مريم التى تولاها - سبحانه - برعايته وصيانته لها من كل سوء وجعلها وعاء لهذا النبى الكريم عيسى - عليه السلام -.

قال صاحب الكشاف: وقوله

﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾

جملة مفسرة لما له شبه عيسى بآدم - أى للأمر الذى لأجله كان ذلك التشبيه - أى خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا أم وكذلك حال عيسى. فإن قلت: كيف شبه به وقد وجد هو من غير أب ووجد آدم من غير أب وأم؟ قلت: هو مثيله فى أحد الطرفين، فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لأن المماثلة مشاركة فى بعض الأوصاف. ولأنه شبه به لأنه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما فى ذلك نظيران. ولأن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود بغير أب، فشبه الغريب بالأغرب، ليكون أقطع للخصم، وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيم هو أغرب مما استغربه» (١).

وقوله

﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾

تصوير لخلق الله - تعالى - آدم من تراب أى أراد - سبحانه - أن يوجد آدم فصوره من طين ثم قال له حين صوره كن بشرا فصار بشرا كاملا روحا وجسدا كما أمر - سبحانه -.

فالجملة الكريمة تصور نفاذ قدرة الله، تصويرا بديعا يدل على أنه - سبحانه - لا يعجزه شىء فى هذا الكون.

وعبر بصيغة المضارع المقترن بالفاء فى «يكون» دون المضى بأن يقول «فكان» لأن التعبير بالمضارع فيه تصوير وإحضار للصورة الواقعة كما وقعت، ومن وجهة أخرى فإن صيغة المضارع فى هذا المقام تنبىء عما كان، وتومىء إلى ما يكون بالنسبة لخلق الله - تعالى - المستمر فى المستقبل كما كان فى الماضى.

ثم بين - سبحانه - أن ما أخبر به عباده فى شأن عيسى وغيره هو الحق الذى لا يحوم حوله باطل فقال - تعالى -

﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾

والامتراء هو الشك الذى يدفع الإنسان إلى المجادلة المبنية على الأوهام لا على الحقائق، وهو - كما يقول الرازى - مأخوذ من قول العرب مريت الناقة والشاة إذا أردت حلبها فكأن الشاك يجتذب بشكه مراء كاللبن الذى يجتذب عند الحلب، يقال: قد مارى فلان

(١) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٣٦٧

فلانا إذا جادله كأنه يستخرج غضبه (٢).

والمعنى: هذا الذى أخبرناك عنه يا محمد من شأن عيسى ومن شأن غيره هو الحق الثابت اليقينى الذى لا مجال للشك فيه، ومادام الأمر كذلك فاثبت على ما أنت عليه من حق، ولا تكونن من الشاكين فى أى شىء مما أخبرناك به.

وقد أكد - سبحانه - أن ما أوحاه إلى نبيه - ﷺ - هو الحق بثلاثة تأكيدات:

أولها: بالتعريف فى كلمة ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ أى ما أخبرناك به هو الحق الثابت الذى لا يخالطه باطل.

ثانيها: بكونه من عنده - سبحانه - وكل شىء من عنده فهو صدق لا ريب فيه.

ثالثها: بالنهى عن الامتراء والشك فى ذلك الحق، لأن من شأن الأمور الثابتة أن يتقبلها العقلاء بإذعان وتسليم وبدون جدل أو امتراء.

قال الآلوسى: وقوله

﴿ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾

خطاب له - ﷺ - ولا يضر فيه استحالة وقوع الامتراء منه - ﷺ - بل ذكروا فى هذا الأسلوب فائدتين:

إحداهما: أنه - ﷺ - إذا سمع مثل هذا الخطاب تحركت منه الأريحية فيزداد فى الثبات على اليقين نورا على نور.

وثانيتهما: أن السامع يتنبه بهذا الخطاب على أمر عظيم فينزع وينزجر عما يورث الامتراء لأنه - ﷺ - مع جلالته التى لا تصل إليها الأمانى - إذا خوطب بمثله فما يظن بغيره؟ ففى ذلك ثبات له - ﷺ - ولطف بغيره» (٣).

لقد لقن الله - تعالى - نبيه - ﷺ - الجواب الذى يقطع لسان المجادلين بالباطل فى شأن عيسى - عليه السلام - فقال - تعالى -:

﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ .. إلخ.

قال الفخر الرازى: اعلم أنه «سبحانه» بين أول هذه السورة وجوها من الدلائل القاطعة على فساد قول النصارى بالزوجة والولد وأتبعهما بذكر الجواب على جميع شبههم على سبيل الاستقصاء التام وختم الكلام بهذه النكتة القاطعة لفساد كلامهم وهو أنه لما لم يلزم من عدم الأب والأم البشريين لآدم أن يكون ابنا لله فكذلك لا يلزم من عدم الأب البشرى لعيسى أن يكون ابنا لله، ولما لم يبعد خلق آدم من التراب لم يبعد أيضا خلق عيسى من الدم الذى كان يجتمع فى رحم أم عيسى، ومن أنصف وطلب الحق علم أن البيان قد بلغ إلى الغاية القصوى - فعند ذلك - قال - سبحانه - ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ ﴾ بعد هذه الدلائل

(٢) تفسير الفخر الرازى جـ ٨ ص ٨٠.

(٣) تفسير الآلوسى جـ ٣ ص ١٨٧.

الواضحة والجوابات اللائحة فاقطع الكلام معهم وعاملهم بما يعامل به المعاند، وهو أن تدعوهم إلى الملاعنة (٤).

والفاء فى قوله ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ ﴾ للتفريع على قوله - تعالى - ﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾.. وقوله ﴿ مِنْ ﴾ الراجح فيها أنها شرطية، وقوله ﴿ حَاجَّكَ ﴾ من المحاجة وهى تبادل الحجة والمجادلة بين شخص وآخر.

والمعنى: فمن جادلك وخاصمك «يا محمد» من أهل الكتاب «فيه» أى فى شأن عيسى - عليه السلام - بأن زعموا أنه إله أو ابن إله أو ثالث ثلاثة أو غير ذلك من الأقاويل الكاذبة فى شأنه.

وقوله

﴿ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾

أى فمن جادلك فى شأن عيسى من بعد الذى أنزلناه إليك وقصصناه عليك فى أمره، فلا تبادله المجادلة، فإنه معاند لا يقنعه الدليل مهما كان واضحا، ولكن قل له ولأمثاله من الضالين:

﴿ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾

وقوله ﴿ تَعَالَوْا ﴾ اسم فعل أمر لطلب القدوم، وهو فى الأصل أمر من - تعالى - يتعالى «كترامى يترامى» إذا قصد العلو، فكأنهم أرادوا به فى الأصل أمرا بالصعود إلى مكان عال تشريفا للمدعو، ثم شاع حتى صار لمطلق الأمر بالقدوم أو الحضور.

وقوله ﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ ﴾ أى نتباهل ونتلاعن، فالافتعال هنا بمعنى المفاعلة أى بأن نقول: بهلة الله على الكاذب منا ومنكم، والبهلة بفتح الباء وضمها: اللعنة، يقال بهله الله يبهله بهلا لعنه الله وأبعده من رحمته ثم شاعت فى كل دعاء مجتهد فيه وإن لم يكن التعانا.

والمعنى: فإن جادلك أهل الكتاب فى شأن عيسى من بعد أن أخبرك ربك بما هو الحق من أمره فقل لهم ﴿ تَعَالَوْا ﴾ أى أقبلوا أيها المجادلون إلى أمر يعرف فيه الحق من الباطل، وهو أن ندعو نحن وأنتم الأبناء والنساء ثم نجتمع جميعا فى مكان واحد، ثم نتضرع إلى الله ونبتهل إليه بأن يجعل لعنته على الكاذبين فى دعواهم المنحرفين عن الحق فى اعتقادهم.

فأنت ترى أن الآية الكريمة قد لقنت النبى - ﷺ - الجواب الحاسم الذى يخرس ألسنة المجادلين فى عيسى، ويتحداهم - إن كانوا صادقين - أن يقبلوا هذه المباهلة، ولكنهم نكصوا على أعقابهم فثبت كذبهم

(٤) تفسير الفخر الرازى جـ ٨ ص ٨٢.

وضلالهم.

وهذه الآية الكريمة تسمى بآية المباهلة، وقد ذكر العلماء أنها نزلت للرد على نصارى نجران الذين جادلوا النبى - ﷺ - فى شأن عيسى - عليه السلام -.

قال ابن كثير ما ملخصه، وكان نزول هذه المباهلة وما قبلها من أول السورة إلى هنا فى وفد نصارى نجران حين قدموا المدينة فجعلوا يحاجون فى عيسى ويزعمون فيه ما يزعمون من النبوة والألوهية فأنزل صدر هذه السورة ردا عليهم.. وكانوا ستين راكبا منهم ثلاثة إليهم يؤول أمرهم وهم: العاقب أميرهم واسمه عبدالمسيح، والسيد صاحب رحلهم واسمه الأيهم، وأبوحارث بن علقمة أسقفهم وحبرهم، وفى القصة أن النبى - ﷺ - لما أتاه الخبر من الله - تعالى -، والفصل من القضاء بينه وبينهم، وأمر بما أمر به من ملاعنتهم، دعاهم إلى المباهلة فقالوا: يا ابا القاسم دعنا ننظر فى أمرنا.. ثم خلوا بالعاقب فقالوا:

يا عبدالمسيح ماذا ترى؟ فقال: والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمدا لنبى مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم أنه ما لاعن قوم نبيا قط، فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم.. فأتوا النبى - ﷺ - فقالوا: يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك وأن نتركك على دينك، ونرجع على ديننا، فلم يلاعنهم - ﷺ - وأقرهم على خراج يؤدونه إليه.

وروى الحافظ ابن مردويه عن جابر قال: قدم على النبى - ﷺ - العاقب والطيب فدعاهما إلى الملاعنة فواعداه على أن يلاعناه الغداة، قال: فغدا رسول الله - ﷺ - فأخذ بيد على وفاطمة والحسن والحسين ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجيبا وأقرا له بالخراج.

قال: فقال رسول الله - ﷺ - «والذى بعثنى بالحق لو لاعنا لأمطر عليهم الوادى نارا».

ثم قال: وروى البخارى عن حذيفة قال: جاء العاقب والسيد صاحب نجران إلى رسول الله - ﷺ - يريدان أن يلاعناه قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبيا فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، ثم قالا للنبى - ﷺ -: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلا أمينا.. فقال: «لأبعثن معكم رجلا أمينا حق أمين»، فاستشرف لها أصحاب رسول الله - ﷺ - فقال - ﷺ -: «قم يا أبا عبيدة بن الجراح» فلما قام قال رسول الله - ﷺ -: «هذا أمين هذه الأمة» (٥).

وقال صاحب الكشاف: إن قلت ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه، وذلك أمر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الأبناء والنساء؟.

قلت: ذلك آكد فى الدلالة على ثقته

(٥) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٦٨.

بحاله، واستيقانه بصدقه، حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده وأحب الناس إليه لذلك، ولم يقتصر على تعريض نفسه له، وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك الاستئصال إن تمت المباهلة، وخص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب، وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل، ومن ثمة كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعائن فى الحروب لتمنعهم من الهرب.. وفى الآية دليل واضح على صحة نبوة النبى - ﷺ - لأنه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك»(٦).

ثم أكد - سبحانه - صدق ما أخبر به عن عيسى وغيره فقال:

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

أى إن الذى قصصناه عليك وأخبرناك به يا محمد من شأن عيسى ومن كل شأن من الشئون لهو القصص الثابت الذى لا مجال فيه لإنكار منكر، ولا لتشكيك متشكك.

وقد أكد - سبحانه - صدق هذا القصص بحرف إن وباللام فى قوله ﴿ لَهُوَ ﴾ وبضمير الفصل «هو» وبالقصر الذى تضمنه تعريف الطرفين وذلك ليكون الرد حاسما على كل منكر ما أخبر الله به فى شأن عيسى - عليه السلام - وفى كل ما قصه على نبيه - ﷺ -.

وقوله

﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾

نفى قاطع لأن يكون هناك إله سوى الله - تعالى - وإثبات بأن الألوهية الحقة إنما هى لله رب العالمين.

وقد أكد - سبحانه - نفى الألوهية عن غيره بكلمة ﴿ مِنْ ﴾ المفيدة لاستغراق النفى استغراقا مستمرا ثابتا مؤكدا.

وقوله

﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾

﴿ مَا ﴾ نافية، و﴿ إِلَٰهٍ ﴾ فى قوله ﴿ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ مبتدأ و﴿ مِنْ ﴾ مزيدة فيه، و﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ خبره والتقدير: وما إله إلا الله، وزيدت من للاستغراق والعموم.

وقوله

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

تذييل قصد به تأكيد قصر الألوهية على الله - تعالى - وحده، أى وإن الله - تعالى - لهو المنفرد بالألوهية وحده، لأنه هو الغالب الذى يقهر ولا يقهر، الحكيم فى كل ما

---

(٦) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٢٦٩.

يخلقه ويدبره.

وفى هذا التذليل أيضا رد على أولئك الضالين الذين يزعمون أن المسيح إله ويعتقدون مع ذلك أنه صلب ولم يستطع أن يدافع عن نفسه.

ثم ختم - سبحانه - تلك المحاجة بقوله:

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾

أى فإن أعرضوا عن اتباعك وتصديقك بعد هذه الآيات البينات والحجج الواضحات التى أخبرناك بها وقصصناها عليك، فأنذرهم بسوء العاقبة، وأخبرهم أن الله - تعالى - عليم بهم، وبما يقولونه ويفعلونه من فساد فى الأرض، وسيعاقبهم على ذلك العقاب الأليم.

فقوله

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾

قائم مقام جواب الشرط، أى فإن تولوا فأخبرهم بأنهم مفسدون وأن لهم سوء العقب لأن الله عليم بإفسادهم ولن يتركهم بدون عقوبة.

وهذه الجملة الكريمة تتضمن فى ذاتها تهديدا شديدا لهؤلاء المجادلين بالباطل فى شأن عيسى - عليه السلام - ولكل من أعرض عن الحق الذى جاء به النبى - ﷺ - لأن الله - تعالى - ليس غافلا عن إفساد المفسدين، وإنما يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

وإلى هنا تكون الآيات الكريمة قد بينت بأسلوب معجز حكيم جانبا من قصة آل عمران فحدثتنا عما كان من امرأته أم مريم، وما قالته عندما حملت بها، وما قالته بعد ولادتها، وما أكرم الله به مريم من رعايتها بالتربية الحسنة وبالرزق الحسن. ثم ما كان من شأن زكريا وتضرعه إلى الله أن يهبه الذرية الصالحة واستجابة الله له وتبشيره بولادة يحيى، ثم ما كان من شأن مريم وتبشيرها باصطفاء الله لها وأمرها بالمداومة على طاعته، ثم تبشيرها بعيسى وتعجبها لذلك والرد عليها بما يزيل هذا العجب، ثم ما كان من شأن عيسى - عليه السلام - وما وصفه به من صفات كريمة، وما منحه من معجزات باهرة تشهد بصدقه فى رسالته، مما جعل الحواريين يؤمنون به، أما الأكثرون من بنى إسرائيل فقد كفروا به ودبروا له المكايد فأنجاه الله من مكرهم ورفعه إليه وطهره منهم.

ثم بين القرآن أن عيسى عبدالله ورسوله، وأن هذا هو الحق، وقد تحدى الرسول - ﷺ - كل من نازعه فى ذلك بالمباهلة ولكن المجادلين نكصوا على أعقابهم، فثبت صدق النبى - ﷺ - فيما يبلغه عن ربه.

وبذلك يكون القرآن قد بين الحق فى شأن عيسى - عليه السلام - بيانا يهدى القلوب ويقنع العقول ويحمل النفوس على التدبر والاعتبار، وإخلاص العبادة لله رب العالمين.

السنة

أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذكرى مولده الشريف

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

روى البخارى عن جبير بن مطعم - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لى خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى، وأنا العاقب».(1)

التعريف بالراوى

جبير بن مطعم هو أبو محمد، ويقال: أبوعدى، جبير بن مطعم بن عدىّ بن نوفل بن عبد مناف بن قصىّ القرشى النوفلىّ - رضى الله عنه- أسلم عام خيبر، وقيل: يوم فتح مكة. روى له عن رسول الله - ﷺ - ستون حديثاً، اتفقا على ستة منها، وانفرد كل من البخارى ومسلم بحديث، وروى عنه سليمان بن صرد الصحابى، وابنه محمد، ونافع، وسعيد بن المسيب وآخرون. قال الزبير بن بكار: وكان من حكماء قريش وساداتهم، توفى - رضى الله عنه - بالمدينة سنة ٥٤هـ، وقال قتيبة سنة تسع وخمسين(2).

الشرح والبيان

المقرر فى علم المعانى أن تقديم الجار والمجرور فى قوله - ﷺ - : «لى خمسة

(1) صحيح البخارى رقم ٣٥٣٢.
(2) التهذيب للنووى عن دليل الفالحين له ٢/١٨٣، ١٨٤.

أسماء» يفيد الحصر، مع أنه قد وردت الروايات بأكثر من ذلك حتى قال ابن العربى إن له - ﷺ - ألف اسم، وقد أجيب على ذلك بأنه لم يرد الحصر فيه، فالظاهر أنه أراد خمسة أسماء اختصّ بها، أو خمسة أسماء مشهورة عند الأمم السابقة(3).

يقول القرطبى: «وقد تتبع القاضى أبوالفضل عياض فى كتاب المسمى بالشفاء ماجاء فى كتاب الله وفى سنة رسوله - ﷺ - ومما نقل فى الكتب المتقدمة، وإطلاق الأمة أسماء كثيرة، وصفات عديدة، قد صدقت عليه - ﷺ - مسمياتها، ووجدت فيه معانيها»(4)

وعن حذيفة -رضى الله عنه- قال: لقيت النبى - ﷺ - فى بعض طرق المدينة فقال: «أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا نبى الرحمة، ونبى التوبة، وأنا المقفّى، وأنا الحاشر، ونبى الملاحم»(5).

ومعنى المقفّى -بكسر الفاء وتشديدها-: الذى قفا آثار من سبقه من الأنبياء، قال تعالى:

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾

(الأنعام/ ٩٠)

أو بفتح الفاء وتشديدها، أى: الذى قُفى به على آثار الأنبياء، وختمت به الرسالة، قال تعالى:

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا﴾

(الحديد/ ٢٧)

والملاحم جمع ملْحَمة، وهى الحرب، سميت بذلك لاشتباك لحوم الناس فيها بعضهم ببعض.

أما محمَّد فهو اسم مفعول منقول من الصفة على سبيل التفاؤل أنه سيكثر حمده، إذ المحمَّد فى اللغة هو الذى يُحمد حمداً بعد حمد، ولا يكون (مُفعَّل) - مثل: مُمدَّح- إلا لمن تكرر منه الفعل مرة بعد أخرى.

وأما أحمد فمنقول من الصفة التى معناها التفضيل، ومعناه أحمد الحامدين لربه. وهى صيغة تنبىء عن الانتهاء إلى غاية ليس وراءها منتهى.

والاسمان اشتقا من أخلاقه المحمودة التى لأجلها استحق أن يسمى بهما أو هو

(3) ينظر فتح المبدى ٣/٥٥.
(4) الجامع لأحكام القرآن ١٤/١٢٩.
(5) رواه أحمد وابن حبان وصححه، وقال الشيخ الألبانى: إسناده حسن (مختصر الشمائل المحمدية ص١٩١).

من اسمه تعالى المحمود، كما أنشد مادحه :(٦).

وشقَّ له من اسمه ليجله

فذو العروش محمود، وهذا محمد

وهنا يرد سؤال: هل سمى بأحمد محمد أو بالعكس؟

«قال القاضى عياض: كان رسول الله - ﷺ - أحمد قبل أن يكون محمداً كما وقع فى الوجود، لأن تسميته أحمد وقعت فى الكتب السالفة، وتسميته محمدا وقعت فى القرآن العظيم، وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمد الناس، وكذلك فى الآخرة يحمد ربه فيشفعه فيحمده الناس»(٧).

وكأنى بجده عبدالمطلب، وقد حقق الله رجاءه حين قيل له: لِمَ سميت ابنك محمدا، وليس من أسماء آبائك ولا قومك؟ قال: أرجو أن يحمد فى السماء والأرض! وقد كان؛ حيث أثنت عليه الملائكة فى السماء، وأثنى عليه الناس فى الأرض، وأثنى عليه رب الأرض والسماء ثناء عاطراً، ثناء وعته الدنيا، وخلده القرآن الكريم، قال:

﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

النساء / ١١٣

وقال:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

القلم / ٤

وأما (الماحى الذى يمحو الله بى الكفر) فالمعنى أن الله محا به الكفر وأزاله؛ لأنه بعث والدنيا مظلمة بغياهب الكفر، فأتى ﷺ بالنور الساطع حتى محاه، فسمى ﷺ بذلك، لشبهه بالبحار الماحية للأدران.

وأما قوله - ﷺ -: «وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى».

فمعناه: على أثرى، والمقصود أنه يحشر قبل الناس، لأنه أول من تنشق عنه الأرض. ويرجح هذا المعنى ما وقع فى رواية نافع بن جبير «وأنا حاشر بعثت مع الساعة»(٨).

أما قوله «وأنا العاقب» فلأنه جاء عقب الأنبياء، فليس بعده - ﷺ - نبىٌّ.

وإنه كلما دار الفلك دورته، وجاء شهر ربيع الأول عاماً بعد عام احتفل

(٦) أبوطالب، وقيل: حسان بن ثابت.

(٧) فتح البارى ٦٤٢/٦.

(٨) فتح البارى ٦٤٤/٦.

الناس بذكرى مولده - ﷺ -. ويطيب لى أن أشارك فى هذه الذكرى:

سيدى يا رسول الله، ليس بعد تكريم الله لك تكريم، وليس بعد احتفائه بك احتفاء، وكفاك شرفاً وفخاراً، وعظمة ووقاراً أن الله (عز وجل) لم ينادك باسمك المجرد كما نادى سائر الأنبياء والمرسلين.

﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾

(البقرة / ٣٥)

﴿ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ ﴾

(هود / ٤٨)

﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴾

(الصافات / ١٠٤ / ١٠٥)

﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾

(الأعراف / ١٤٤)

﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾

(آل عمران / ٥٥)

وإنما ناداك بعنوان الرسالة والنبوة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾

(المائدة / ٦٧)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾

(الأحزاب / ٤٥)

وعلَّمنا - نحن المؤمنين - أن نناديه بصفته كما ناداه:

﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾

(النور / ٦٣)

كما أقسم الله (عز وجل) بحياتك، ولم يقسم بحياة أحد غيرك، قال تعالى:

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

(الحجر / ٧٢)

وأقسم بالبلد الذى تعيش فيه، قال تعالى:

﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾

(البلد / ١، ٢)

كما أقسم لك:

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾

(الضحى / ١:٣)

كذلك قدَّم لك العفو بين يدى العقاب:

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾

(التوبة / ٤٣)

وبهذا وغيره -وهو كثير- فضلك الله على أهل الأرض والسماء. وفى هذا المعنى يقول ابن عباس (رضى الله عنه): «إن الله -عز وجل- فضَّل محمداً على أهل

الأرض والسماء، قالوا: فما فضله على أهل السماء؟ قال: إن الله تعالى قال لهم:

﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾

(الأنبياء/ ٢٩)

وقال لمحمد - ﷺ - :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ① لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾

(الفتح/ ١، ٢)

قالوا: فما فضله على الأنبياء؟ قال: إن الله (تعالى) قال:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾

(إبراهيم/ ٤)

وقال لمحمد - ﷺ - :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾

(سبأ/ ٢٨)

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء/ ١٠٧)

وبذلك ميزه بعموم الرسالة، فرسالته - ﷺ - رسالة عامة تامة صالحة لكل زمان ومكان، تساير الدهر، وتستقر فى صفحة الخلود، ويستمد العالم منها غذاء حياته الروحيّة والاجتماعية والأخلاقية والسياسية الاقتصادية والعسكرية.

كذلك أنزل عليه كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وهو الكتاب الوحيد الذى تكفل الله بحفظه دون سائر الكتب السماوية، ففى حين قال الحق -سبحانه- عن التوراة:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾

(المائدة/ ٤٤)

قال عن القرآن الذى أنزله الله على رسوله محمد - ﷺ - :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

(الحجر/ ٩)

وقال:

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾

(الزمر/ ٢٣)

سيدى يا رسول الله، وكما كرمك الله فى نفسك وفى رسالتك، وفى الكتاب الذى نزل عليك، كرمك أيضاً فى أمتك، فكنت لها مصدر الخير، وينبوع الرحمة،

وكيف لا؟! وقد جعل الله من أسمائك «رءوف رحيم». قال -تعالى-:

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

(التوبة/ ١٢٨)

ألا وأنت القائل عن نفسك: «إنما أنا رحمة مهداة»(٩) وكيف لا؟! وقد رفع الله عن أمتك العذاب لوجودك بينهم لما سألوا الله العذاب:

﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

(الأنفال/ ٣٢)

فقال الله -عز وجل- رداً على سؤالهم:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

(الأنفال/ ٣٣)

كذلك جعل الله أمتك خير الأمم وأعدلها، قال تعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(آل عمران/ ١١٠)

كذلك أعطى الله -عز وجل- أمتك من جنس ما أعطى الأنبياء، ففى الحديث عن عبادة بن الصامت -رضى الله عنه- قال:(١٠) قال رسول الله ﷺ: «أعطيت أمتى ثلاثاً لم تعط إلا الأنبياء: كان الله إذا بعث نبياً قال له: ادعنى أستجب لك، وقال لهذه الأمة:

﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾

غافر/ ٦٠

وكان الله إذا بعث نبياً قال له: ما جعل عليك فى الدين من حرج، وقال لهذه الأمة:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

الحج/ ٧٨

وكان الله إذا بعث نبيًا جعله شهيداً على قومه، وجعل هذه الأمة شهداء على الناس».

وصدق الله -عز وجل- إذ يقول:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

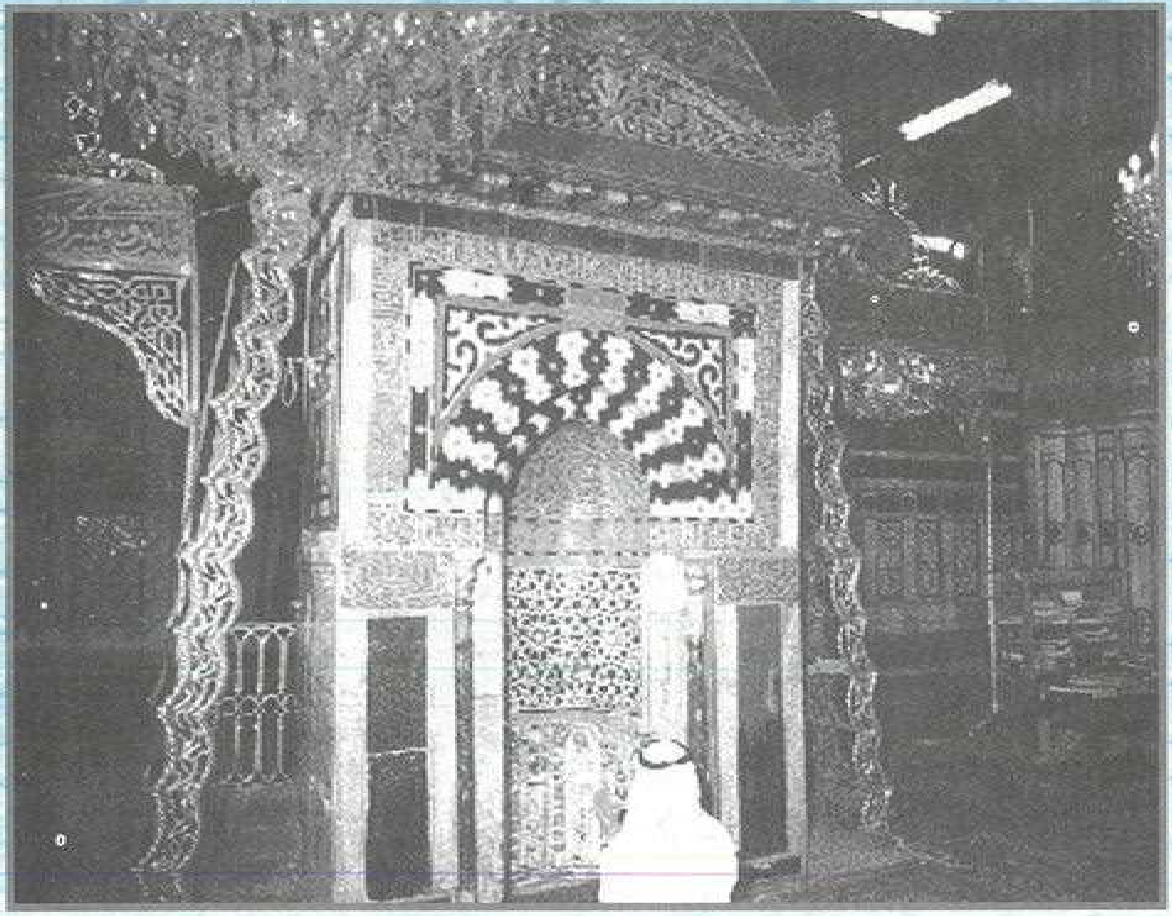
(البقرة/ ١٤٣)

كما أعطاها الله -عز وجل- من جنس

---

(٩) اتحاف السادة المتقين ١٦٢/٧.

(١٠) نوادر الأصول للحكيم الترمذى ص٣٩١.



ما أعطاك فإذا كان الله -تعالى- يقول :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

(الأحزاب / ٥٦)

فإنه يقول عن المؤمنين:

﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾

(الأحزاب / ٤٣)

وإذا كان الله -تعالى- قال لنبيه :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾

(الفتح / ١ : ٣)

فقد قال عن المؤمنين أصحاب الرسول الكريم، وأصحاب بيعة الرضوان:

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾

(الفتح / ١٨ ، ١٩)

ألا وأنت القائل : «أنا حظكم من الأنبياء وأنتم حظي من الأمم»[11]، ولنعم الحظ أنت لنا يا رسول الله، لأن ما نحن فيه من الخير، وما ننعم به من أنوار الهداية، يرجع الفضل فيه إلى الله ثم لك، فإذا قلنا: لهذا أحببناك، فما جازيناك، لأن الذي أرسلك وكلفك دعوة خلقه إلى توحيده فرض محبتك، فمحبتك فرض كالصلاة وكالصيام، وبالتالي لا يصدق إيمان المؤمن ولا يكتمل، ولا يجد بين جوانحه روعته، ولا يتذوق حلاوته حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وقد كان ﷺ يقول: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة، وأحبوني بحب الله»[12]، وفي الحديث عن أنس -رضي الله عنه- قال: ﷺ : «ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله كما يكره أن يقذف في النار»[13].

فسلام عليك يا صاحب الذكرى، يامن أنقذتنا من النار، وهديتنا من الضلال، وقدتنا إلى جنة وارفة الظلال، سلام عليك في الأولين، وسلام عليك في الآخرين، والسلام عليك يوم يقوم الناس لرب العالمين. والله نسأل أن يجعلنا من أنصار سنتك، وأن يحشرنا يوم القيامة تحت لوائك، وأن يريحنا من هول الموقف بشفاعتك، وأن يسقينا بيدك الشريفة من حوضك شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدا، وسلام على سائر المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

***

(١١) صحيح ابن حبان ٢٣٠٤
(١٢) سنن الترمذي ٣٨٧٩.
(١٣) البداية والنهاية لابن كثير ٣٣١/١٠.

مواقف إسلامية

علماءُ فوقَ مستوى النظرِ

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

عن طريق «الفهارس» و«المعاجم»... تكفل التلاميذ الأوفياء بتسجيل حياة أساتذتهم، حياتهم الخاصة وحياتهم العلمية.. ثم طرائقهم فى التدريس، حتى قيل: إن أكثر التلاميذ فى بعض المجالس العلمية كانوا يغشون هذه المجالس لا لتسجيل الحقائق العلمية.. فقد تكفل بها الأقلون منهم.. أما هم فقد ذهبوا إلى هناك ليسجلوا مواقف علمائهم أثناء الدرس وكيف كانوا يتصرفون منطلقين من قاعدة ذهبية تؤكد: أن العلم وحده لايكفى.. فقد يكون حظ الأستاذ من العلم وفيرا ولكنه يبدءه بسلوكه الذى قد يناقض هذا العلم.. حين يكون تلك «الفراشة» التى تلهث وراء الأضواء.. فتحترق ويحترق معها مخزونها من العلم على ساحة التنافس البغيض خارج دائرة العلم؟!

ذلك بأن علماءنا هم أطباء أدوائنا.. والدنيا هى تلك الأدواء.. فإذا كان العالم يجر الداء إلى نفسه.. فكيف يطب لغيره؟! إن العلم إذن.. لايكفى وحده!

ولئن كان هناك مظنة المبالغة: مبالغة التلاميذ فى إطراء أساتذتهم.. متجاوزين سلبياتهم أحيانا فإن جهد التلاميذ مشكور مأجور على أى حال.. ليسلم لنا الأخذ عن علمائنا.. والتلمذ عليهم عن طريق هذه المواقف التى نحاول التعليق عليها.

من مواقف العلماء

إن الحياة أسرار.. وكلما مكنك الله تعالى من كشف هذه الأسرار كلما كنت أقدر على تحدى مفاجآتها وتحمل آلامها والفرار بنفسك من «الإحباط» وما يخلفه من أمراض وأعراض لتعيش حياتك متوازنا مطمئنا فى زمان يضج بالشكوى والتوتر.. مستعدا أن تضحى بأغلى ما تملكه من أعراض هذه الحياة.. فى سبيل حياة.. هى الحيوان لو كان الغافلون يعلمون!

وكذلك كان «ابن سيرين» ـ رحمه الله ـ لقد دخل السجن فى دين عليه، وكان فى إمكانه أن يقضى هذا الدين.. وأن يعيش مترفا بثمن «برميل» الزيت الذى كان كل رأسماله! ولكنه فوجىء بما لم يكن له فى حساب، لقد سقط فى هذا الزيت «فأر» ولكنه لم يتردد فى إراقة الزيت.. وكان السجن أحب إليه من أن يغش الأمة فى أمنها الغذائى؟! ودخل السجن.. فإذا به يكتشف أن الرواية لم تتم فصولها وأن الامتحان يدخل به فى موقف عسير.. لقد ساومه «السجان» على «رشوة» يفر بها من السجن.. فامتنع فى إباء.. رافضا أن يخون الحاكم!! وقبل ذلك رفض أن يخون المبدأ الذى أقام حياته عليه!! إنه ليس من أهل هذه الدنيا.. وإنما هو فيها مسافر عابر سبيل إلى دار هى الحيوان، ومن أجل ذلك لا يأبه بما يلحقه من خسائر، وحتى إذا تحقق له مجد فى الدنيا.. فهو لم يقصده ولم يعمل له حسابا وإنما تأتيه الخلافة منقادة

أتته الخلافة منقادة
إليه تجر جر أذيالها

فلم تك تصلح إلا له
ولم يك يصلح إلا لها

الموقف.. بلغة العصر

ربما كان من قدر العالم أن يدخل السجن فى تهمة هو منها براء: فماذا يحدث؟ لقد وقعت «البقرة» فى البئر.. وإذن.. فما أكثر السكاكين؟!! ما أكثر اللائمين القائلين: هذا من سوء عمله! إنه «دين» لايحتمل التأخير! وقد تكون هناك رموز تسرق الأضواء، فى زمن جف فيه نبع الوفاء، ولكن القدر الأعلى قد يرخى لهؤلاء الخائنين من حبال الأمانى.. وفى ميقات يوم معلوم تنكشف الرغوة العائمة الهائمة وتسكت الحملة الظالمة.. وإذا بيد من خلال الموج.. تمتد إلى هذا الغريق الذى يخرج من بين الأمواج المتلاطمة سليما معافى مؤكدا للناس أن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ إذ لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا فإنه لن يجعل للمنافقين على المخلصين سبيلا.. وإذا كان هناك من يبنون ذواتهم على مقدار ما أسهموا فى مؤتمرات فإن رصيد العالم الحقيقى هو بمقدار ماتجاوز من عقبات.

إنزال العلماء منازلهم

ولقد سخر الله ـ تعالى ـ لابن سيرين من يحبط الحملة على الشيخ ويحتفظ له بقدره، لقد أوصى «زميل» له وهو يحتضر أنه إذا مات فلا يغسله إلا ابن سيرين، ولا يصلى عليه إلا «ابن سيرين» شاهدا بذلك وعلى الملأ شاهدا على فضله.. ولما استأذن الناس الحاكم فى هذا «الإفراج» المؤقت وافق.. وكان الظن أن ينتهز السجين هذه الفرصة السانحة لينطلق هاربا من ظلمة السجن.. ولكنه اشترط أن يوافق صاحب «الدين» فلا يكفى أن يأذن الحاكم؟! ولابد

من إذن من سجن بسبب دينه.. فلما وافق صاحب الدين خرج.. فلما صلى على «زميله» عاد إلى السجن كأن شيئا لم يكن.. ثم لم ير أهله.. مؤثرا أن يكون وفيا للحاكم ولصاحب الدين!! وهكذا.. وعندما نتذكر هذه القدى الحسنة فإننا نتذكرهم ليس فقط وفاء وإنما لننتفع بل لنستمع إنه الاستمتاع وليس الانتفاع؟!

غاية المسلم

لم تكن الدنيا فى حس المسلم سفرا قاصراً وإنما كانت طريقا محفوفا بالمخاطر وكان عليه أن يتجاوزها مغالبا بصيره شدتها.. على ما يقول الشاعر:

حافظ للفرج راض بالتقى
ليس ممن قلبه فيه مرض

ولقد كان «ابن سيرين» ذلك المسلم والذى كان رائدا لايكذب أهله.. متجها بأمته إلى الغاية الأسمى: وإذا كان الشاعر يقول:

كل له غرض يسعى ليدركه
والحر يجعل إدراك العلا قبلا

إذا كان أمر الناس كذلك.. فإن التلميذ فى مدرسة الرواد هذه له هدف أكبر من ذلك، إن خطته اليومية تتلخص فى أن يكون غده أفضل من يومه.. وأن يكون يومه أفضل من أمسه.. فإذا استوى يومه وغده، فهو المغبون الذى ظلم بالجمود نفسه.. بمعنى ان الشدائد التى تعترضه يتحداها أن تقف به «محلك سر».. وإنما هو الذى يتحداها.. حتى يتخطاها.. يتحداها ماشيا فلا تكفى «الهوينى».. وإنما يغالبها مسرعا.. إلى غايته العظمى على ما يقول عز وجل:

﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

[آل عمران/ ١٣٣]

بل إنه السباق

ولكنها المسارعة التى تستحيل فى ضمير المؤمن «سباقا» يشعره بأن ناسا آخرين معه على نفس الطريق إلى ذات الغاية التى عليه أن يستنفر لها كل قواه قبل أن يسبقوه إليها: وذلك قوله عز وجل:

﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾

[الحديد/ ٢١]

إنه إذا كانت غاية السباق رزق الدنيا فيكفى «المشى»

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾

[الملك/ ١٥]

ويكفى أيضا مجرد الانتشار فى فجاج الأرض لتحصل على لقمة العيش:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ﴾

[الجمعة/ ١٠]

إلا أن الرزق المادى مضمون لأنه بينك وبين خالقك ولا ثالث ومن أجل ذلك فلايجمل التدافع إليه بالمناكب، لنخسر فى الطريق إليه ما هو أعز علينا منه.. كرامتنا، أما الرزق المعنوى، أما المغفرة والجنة، فهما أجدر بمسارعتنا.

رجال على مستوى المسابقة

وقد حث العقلاء إليها المطايا فى مثل قول الشاعر:

هما طريقان فائز دخل الجنة حفت به حدائقها
وفرقة فى الجحيم مع فرق الشيطان تشقى بها مرافقها
تعرف هذا القلوب حقا إذا همت بخير فما عوائقها
وصدها للشقاء عن طلب الجنة.. دنيا: والله ما حقها
عبد دعا نفسه فعاتبها يعلم أن البصير رافعها
اقترب الوعد والقلوب إلى اللهو وحب الحياة سائقها
ما رغبة النفس فى البقاء وأن تحيا قليلا والموت لاحقها
أمامها قائد إليه ويحدوها حثيثا إليه سائقها
من لم يمت عبطة(١) يمت هرما.. للموت كأس والمرء شاربها

ثمن الجنة

وإنه ليروعك أن ترى الرجل الماجد لايقف به أمله عند مجرد الأمانى التى هى بضاعة الحمقى وإنما يتجاوز ذلك إلى أن يكون الثائر الحقيقى والذى ينطلق إلى هذه الغاية حاملا روحه على كفه رافضا أن تكون الدنيا بعض أمانيه.. ومنهم ذلك «البدوى» الذى كان مجهول الاسم مجهول العنوان ومع ذلك فقد كان مفخرة لكل إنسان.

قال شداد بن الهاد: جاء رجل من الأعراب إلى النبى -ﷺ- فآمن به وأتبعه فقال: أهاجر معك فأوصى به بعض أصحابه فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله -ﷺ- شيئا فقسمه، وقسم للأعرابى، فأعطى أصحابه ما قسمه له، وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه.

فقال: ما هذا؟

قالوا: قسم قسمه لك رسول الله -ﷺ- فأخذه، فجاء به إلى النبى -ﷺ-

فقال: ما هذا يارسول الله؟

قال: قسم قسمته لك

قال: ما على هذا اتبعتك ولكن اتبعتك على أن أرمى هاهنا ـ وأشار إلى حلقه ـ بسهم، فأموت فأدخل الجنة.

فقال: إن تصدق الله يصدقك.

(١) وهو شاب صحيح

ثم نهض إلى قتال العدو، فأتى به إلى النبى - ﷺ - وهو مقتول.

فقال: أهو هو؟

قالوا: نعم

قال: صدق الله فصدقه، فكفنه النبى - ﷺ - فى جبته ثم قدمه فصلى عليه وكان من دعائه له «اللهم هذا عبدك خرج مجاهدا فى سبيلك، فقتل شهيدا وأنا عليه شهيد»[2].

عود على بدء

ونعود إلى «ابن سيرين» لنجدد النظر إلى موقفه الصابر المحتسب فماذا نستوعب من دروس؟ قد تعترضنا فى الطريق عقبات.. مصائب توشك أن تعصف بنا وتشمت فينا أعداءنا.. ثم نتساءل: هل إلى خروج من سبيل؟! كيف نقتحم العقبة محتفظين بولائنا لمبادئنا.. وإن كلفتنا حياتنا؟

الطريق الأول

عدم مواجهة المصائب بالقلب الذى قد ينهار من وقع المفاجأة.. وإنما نواجهها بالعقل.. وبالحل العملى

أ- كان أحدهم يقول: فى مواجهة المصائب.. أعود إلى ذنوبى فإذا تذكرتها هان علىّ ما ألاقى.. إيمانا منى بأن ما يحدث لى أقل مما أستحقه! وذلك قوله تعالى:

﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾

(آل عمران - ١٦٥)

ب - وقد يتذكر سالف نعم الله - تعالى - عليه وذلك قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام:

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾

[القصص/١٧]

وتذكر النعم داع إلى شكرها ثم استصغار المصيبة مقارنة بها، وفى كل الحالات نعتصم بالصبر الذى يكون ثواب الله به أفضل من كل ما نتمناه من نعم الحياة، وفى هذا يقول الإمام الغزالى: «اعلم ان أجر الصابرين فيما يصابون به أكبر من النعمة عليهم فيما يعافون فيه».

الحضارة الولود

لقد كنت أقرأ قوله تعالى:

﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾

[يوسف/٣٣]

وكنت أشعر بالاعتزاز بهذا الأنموذج العالى الذى لايتكرر فى شخص سيدنا يوسف - عليه السلام - حتى وجدت فى

(٢) أخرجه النسائى (٤/٦٠)، والطحاوى فى شرح معانى الآثار (١/٢٩١)

«ابن سيرين» - رحمه الله - واحدا من مدرسته.. التى نسمع منها أصداء المجد.. وترى فيها أضواء شمس حضارة لاتغرب عنها.. هذه الحضارة التى مازالت تؤكد أحقيتها بالظهور حتى كتابة هذه السطور..

الشيخ صلاح شحادة

استهدفت غارة صهيونية نفذتها طائرات «إف-١٦» منزل الشيخ المجاهد صلاح شحادة قائد كتائب الشهيد عزالدين القسام الجناح العسكرى لحركة الجهاد الإسلامى «حماس» وقد ترك الشيخ شحادة وصية مؤثرة هذا نصها: «فهذه وصية شرعية أدعو من يقرؤها إلى تنفيذها بكل مايرد فيها»:

أولاً: أوصيكم بتقوى الله والجهاد فى سبيله وأن تجعلوا فلسطين أمانة فى أعناقكم وأعناق أبنائكم إلى أن يصدح الآذان فى شواطىء يافا وحيفا وعسقلان.

ثانياً: أوصى فى كل أموالى وديونى التى ستفصل فى ملحق خاص بتنفيذ حكم الله فيها، وذلك بعرض تفاصيل ما يتصل بأموالى وديونى على عالم شرعى مختص من أتقياء المسلمين.

ثالثاً: أؤكد بتنفيذ المواريث حسب شرعنا الحنيف.

رابعاً: أوصى أن يتولى غسلى إن غسلت الأخ نزار ريان فإن لم يكن فالأخ عبدالعزيز الكجك، على أن يسترا عورتى ويحفظا سرى حفظهما الله وأن يتولى لحدى فى قبرى أحد الأخوين المذكورين.

خامساً: تنتهى التعزية بى عند قبرى، وإنى برىء من كل عمل يخالف شرع الله من النياحة أو اللطم أو شق الجيوب أو نتف الشعور أو تكبير صورى ووضعها على الجدران.

سادساً: أوصى أهلى وزوجتى وذريتى بالدعاء لى بالمغفرة والستر وأن يسامحونى من أى عمل يجدونه فى خواطرهم علىّ أو أذى سببته لهم.

سابعاً: أن يكون قبرى بجوار قبور الصالحين ما أمكن، وألا يبنى قبرى أو يجصص، أو يكتب عليه الشهيد وإن استشهدت فالله أعلم بعباده».

***

خطبة الجمعة :

مكانة السُّنة

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

الحمد لله عز وجل، هدى إلى معالم الطريق، وبسر أسباب التوفيق

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

(البقرة: ١٤٣)

أشهد أن لا إله إلا الله، هو أعلم حيث يجعل رسالته

﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(هود: ٥٦)

وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، جعله ربه سبب النعمة ومفتاح الرحمة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾

(الأحزاب: ٤٥، ٤٦)

فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وشيعته، وأصحابه وكتيبته، والقائمين بأمر دعوته:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

(الأنعام: ٨٢)

يا أتباع محمد - عليه الصلاة والسلام!..

من الدسائس الخفية التى تسعى فى الظلام لهدم الإسلام أن فئة من الناس أخذت تهون من شأن السنة النبوية، ومن مكانة سيد البشرية محمد - عليه الصلاة والسلام -، فهم يقولون إنه بشر، وإنه يخطىء ويصيب، وإن أقواله من اجتهاده وعمل عقله فلا يعول عليها وهذا زعم باطل فلابد لها من مبين ومفسر، فكان هذا هو من اصطفاه الله لرسالته، وصنعه على عينه، وحمله تبعة أمانته، وهو الرسول - صلوات الله وسلامه عليه، ولذلك قال الله - تعالى -:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾

(المائدة ٦٧)

وقال:

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾

(النحل: ٤٤)

ومن هنا أصبح قول الرسول وعمله جزءا من الدين وتشريع، لأنه المبلغ من الله، والأمين على الوحى، والمطبق الأول للأحكام والتعاليم، وهو الذى فسر وأحال النصوص إلى أعمال وتطبيقات، وقد قال: «خذوا عنى مناسككم»[1]، وقال: «صلوا كما رأيتمونى أصلى»[2]، وصرح كتاب الله العلى الأعلى بأن الرسول معصوم وأمين ومتعلق عن الله كل ما يقوله فى الدين أو يعمله فقال:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾

(النجم: ٣، ٤)

وقال:

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾

(النساء: ٨٠)

وقال:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾

(الأنفال: ٢٠)

وقال:

-فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم-

(النساء: ٦٥)

وقال:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾

(الحشر: ٧)

السنة جزء من الوحى الإلهى

وترجم الرسول نفسه عن أن سنته جزء من الوحى الإلهى، فقال: «إنى أوتيت الكتاب ومثله معه»[3]، وقال: «والذى نفسى بيده ما خرج منه إلا الحق»[4].

والأمة المؤمنة كلها من عهد رسوله تدرك أن السنة النبوية إنما اعتمدت على الوحى واستمدت منه، وكان المؤمنون الأولون يجمعون على أن هذه حقيقة بديهية لا تقبل الجدل أو الارتياب، وهؤلاء مثلهم الخلفاء الراشدون - رضوان الله عليهم أجمعين -، وهم خيار الناس فى المجتمع المسلم، كانت لهم آراؤهم وشخصياتهم، ولكنهم أمام سنة الرسول يخضعون ويسلمون، لأنها هدى النبى الأمين المتلقى عن الله رب العالمين، ولقد حدث أن بعض الخلفاء رأى بعض المسلمين يقول قولا لم يسمعه الخليفة من قبل، فقام يعارضه ويناهضه، ولكنه حينما علم أن هذا من قول الرسول المعصوم المؤيد بالوحى رجع وخضع، ولو رجعنا إلى أئمة الفقهاء لوجدناهم يجمعون على أن سنة الرسول جزء من الوحى.

---

(١) السنن الكبرى للبيهقى ٥/١٢٥

(٢) البخارى ١/١٦٢، ٨/١١، ٩/١٠٧

(٣) صحيح بن حبان ٩٧

(٤) مسند الإمام أحمد ٢/١٦٢

السنة بين الأعلام والأقزام

وقد اتسع نطاق الفقه الإسلامى، ونشأت فيه من مذاهب ومدارس تقول بالقياس والرأى والاجتهاد، ومع هذا ظل أهلوها يخضعون لسلطان الحديث النبوى، فإذا قعدوا قاعدة، أو رأوا رأيا، أو استنبطوا حكما، ثم بلغهم حديث ثابت عن الرسول يخالف ما ذهبوا إليه رجعوا عن رأيهم، وخضعوا لما أتاهم من هدى الرسول، وهذا هو الإمام أبوحنيفة الذى يعتبر أكثر الأئمة أخذا بطريقة القياس والرأى كان يلغى رأيه أمام الحديث الثابت، وهذا هو الإمام الشافعى يقول: «إذا صح الحديث فهو مذهبى»، فإذا كان الأئمة الأعلام قد خضعوا وخشعوا أمام نور النبوة وجلال الرسالة، وحفظوا للسنة المحمدية جلالها ووقارها فكيف استباح الصغار الأقزام أن يتطاولوا فيحرضوا على تركها أو الاستخفاف بها؟، ألا ساء ما يصنعون!.

والواقع أن وظيفة السنة ترينا بوضوح أنها جزء من الوحى، وأنها المصدر الثانى الأساسى من مصادر التشريع الإسلامى بعد كتاب الله ـ تعالى ـ لأنها فسرت وأبانت، وشرحت وحددت وخصصت العام، وأوضحت المبهم، فالقرآن مثلا قد ذكر العبادات بأسمائها أو بملامح عامة لها، ولم يذكر صفاتها ولا كيفياتها، ولم يتعرض لما فيها من تفاصيل وأجزاء، فقال القرآن مثلا:

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾

(البقرة: ١١٠)

ولكن كيف نقيمها؟ جاءت السنة فذكرت لنا هيئة الصلاة وحددت مواقيتها، وبينت عددها، وما فيها من قيام وركوع وسجود وقعود وتشهد وسلام، وقال القرآن:

﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾

(البقرة: ١١٠)

وجاءت السنة فتكفلت ببيان مقاديرها وطريقة جمعها والأنواع التى تؤخذ فيها، وقال القرآن:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾

(البقرة: ١٨٣)

ولكن كيف نصوم؟ ومتى نفطر؟ وما أنواع المفطرات؟ وما آداب الصيام؟ بكل ذلك جاءت السنة شارحة موضحة، وقال القرآن:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾

(آل عمران: ٩٧)

ولكن الرسول جاء فأوضح لنا أحكام الحج وأعماله من إحرام وطواف وسعى ووقوف بعرفة وذبح ورمى للجمار، وقال لنا بعد بيان ذلك: «خذوا عنى مناسككم» أى حجوا كما رأيتمونى أحج، أفلا تكون سنة الرسول مع هذا جزءا من الوحى، وجانبا من جوانب الدين؟!.

والسنة توضح من القرآن ما يحتاج إلى توضيح، فقد قال القرآن مثلا:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾

(الأنعام/ ٨٢)

فقال رجل عندما سمع الآية: يا رسول الله، ما منا أحد إلا ويقع فى ظلم «يقصد ألوان الظلم الكثيرة اليسيرة» فقال له النبى: ليس ذاكم وإنما

هو الشرك(٥)، فهل فسر محمد هذا من عنده أو هو تعليم الله العليم الخبير؟، والقرآن يقول فى المحرمات:

﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾

(النساء: ٢٣)

فتأتى السنة النبوية وتضيف إلى ذلك أنه يحرم أن يجمع الإنسان فى الزواج بين المرأة وعمتها، أو بين المرأة وخالتها، أفيقول الرسول هذا برأيه أم يتلقاه عن الله رب العالمين؟، وهناك كثير من ألوان الطعام المحرمة التى يذكرها القرآن، وتكفلت السنة بذكرها، فصار حكمها واجب الالتزام لأنها أبانت جوانب من الحلال والحرام.

اجتهاد الرسول ﷺ

قد يقال إن الرسول له اجتهاد، وهذا صحيح، فالرسول كان يجتهد فيما لم ينزل فيه حكم، وفى حادثة تعرض لأول مرة، وقد وجهه الله ذلك ليدرب أمته على التماس وجوه الحق إذا لم يكن هناك نص، فتقوى العقول وتظهر الهمم، وقد حدث فى بعض الأحيان القليلة أن اجتهد الرسول ثم جاء القرآن بحكم آخر، وذلك ليبين للناس أن الله وحده هو صاحب الأمر الأول والأخير،

﴿ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

(القصص: ٨٨)

ولذلك جاء فى القرآن:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾

(الكهف: ١١٠)

فالرسول بشر، وليس بإله ولا معبود، ولكنه مع هذا مؤيد بالوحى، معصوم بقدرة الله وتوجيهه، أمين فى وحيه والتبليغ عن ربه، فإذا قال قولا، أو حكم حكما، أو منع شيئا، لم يكن ذلك اختراعا منه ولا ابتداعا من نفسه، بل هو جزء من وحى ربه يتمم به دعوة القرآن، ويوضح عن طريقه شريعة الإسلام، فوجب على كل مسلم أن يتلقى بالرضى والقبول والتسليم كل ما ثبت وصح من السنة النبوية وإلا كان غير خاضع للإسلام.

يا أتباع محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ!..

احذروا أن يغركم بسنة رسولكم الغرور، ولا تلقوا بالا إلى أولئك الآثمين الذين يهونون من جلال السنة وآثار النبوة، فهم فى الواقع يهونون من شأن الملة والشريعة، ومن واجب المجتمع أن يعجل بإنشاء دار الحديث التى تعنى بكل ما يتعلق به، وأن تتسع الدراسات المتعلقة بعلوم الحديث فى الجامع الأزهر الشريف، وأن تهتم كل المجلات الإسلامية بهذه الدراسات، ومن واجباتنا أن نقبل على سنة الرسول فنتعرف إليها ونتدارسها، ونغترف منها، ونربط بها ناشئتنا وأسرنا، حتى تكون لنا من وراء كتاب ربنا هديا ونبراسا.

﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾

(الأحزاب/ ٤)

وسبحان من لو شاء لهدى الناس جميعا إلى سواء السبيل،

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾

(المائدة/ ٨٨)

---

(٥) البخارى ٤/ ١٩٨

لقد كان للشريعة الإسلامية الغراء فضل السبق على كافة المواثيق والإعلانات والاتفاقيات الدولية فى تناولها لحقوق الإنسان وتأصيلها لتلك الحقوق منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، وأن ما جاء به الإعلان العالمى لحقوق الإنسان والاتفاقيات الدولية اللاحقة ومن قبلها ميثاق الأمم المتحدة ما هو إلا ترديد لبعض ما تضمنته الشريعة الإسلامية الغراء.

فحقوق الإنسان المهددة اليوم والتى ندعو إلى حمايتها واحترامها قد أقرها الإسلام وقدسها منذ أربعة عشر قرناً فسبق بها سبقاً بعيداً عما قال به القرن الثامن عشر الذى عد قرن حقوق الإنسان.

حقوق الإنسان فى الإسلام

للأستاذ الدكتور / محمود امبابى
وكيل الأزهر الشريف

وحقوق الإنسان كما جاء بها الإسلام حقوق أصيلة أبدية لا تقبل حذفاً ولا تعديلاً ولا نسخاً ولا تعطيلاً، إنها حقوق ملزمة شرعها الخالق سبحانه وتعالى، فليس من حق بشر كائناً من كان أن يعطلها أو يتعدى عليها، ولا تسقط حصانتها الذاتية لا بإرادة الفرد تنازلاً عنها ولا بإرادة المجتمع ممثلاً فيما يقيمه من مؤسسات أياً كانت طبيعتها وكيفما كانت السلطات التى تخولها.

إن هيكل الحقوق الإنسانية لن يتصدع طالما فُهِمَ معنى الحقوق الأساسية كما يفهمه الإسلام، أى أن الحقوق ليست من وضع الإنسان، إنما يجدها الإنسان فيتعرف عليها، وليس هو موجدها.

إن المعوَّل فى قيام حقوق الإنسان أو سقوطها إنما يتعلق أولاً وأخيراً بالإيمان بالله: فإذا أنكر إمرءٌ وجود الله، فإنه بهذا يضع كافة الحقوق تلقائياً تحت تصرف الإنسان أو رحمته، حتى لو استطاع بذلك خداع نفسه حيناً من الدهر، بإشارته إلى الحقوق الطبيعية المزعومة..

فضلاً عن ذلك، فإنه لم يتح لأى إنسان منذ بدء الخليقة أن يخرج علينا بنظام قانونى مقنع عام، استقاه أو استوحاه من مراقبته الدارسة للطبيعة.. والحق أن غاية ما توصل إليه الإنسان وحده فى مثل تلك الحالات مجرد إسقاط لتصورات مثالية من الإنسان على بيئته، بحيث لا يبحث عن أساس لصلاحية أو كفاءة القانون إلا فى العرف أو التقليد فى التطابق الاجتماعى.

أما التصدع الثانى، فقد نتج عن تطور المطالب التى وُجِّهت إلى الدولة بشأن حقوق الإنسان، فالمعروف أن الصياغة التى تناولت حقوق الإنسان التقليدية فى القرون المنصرمة، إنما كانت بالدرجة الأولى للحد من سلطة الدولة وتقييدها، أى أنها حريات من الاستقلال والتحرر إلى الحرية، فليس للدولة دون مبرر أن تفرض الضرائب. أو تعتقل إنساناً، أو أن تنزع ملكيتها، أو أن تحكم عليه بالإعدام. المدار فى ذلك لم يكن حول: ماذا ينبغى على الدولة فعله، وإنما ماذا لا يجوز للدولة فعله.

بيد أن العصر الحديث شهد صياغة أخرى لحقوق الإنسان تتمثل فيما ينبغى على الدولة عمله، أى واجبات الدولة التي يراها الإنسان من حقه عليها، أى على الدولة أن تضمن لكل فرد فيها عملاً وسكناً، ورعاية صحية طبية، بل والاستمتاع بالطبيعة، وبحظه من الحياة.. ولقد أدى هذا إلى الإفراط والتضخم فى حقوق الإنسان، وإلى توسيع رقعة اختصاص الدولة.

وكلا الأمرين يمكن أن يتهدد بنية حقوق الإنسان، تماماً مثل فقد المركزية الدينية. إن عدم إلقاء ضوء كافٍ على المعالجة النظرية لحقوق الإنسان، يرجع بشكل رئيسى إلى طريقة العرض التقليدية للقانون والحقوق فى الإسلام:

فالحقوق كلها سواء فى الإسلام، لا تفريق فيها بين أولوية أحدها على سواه فالحق حق، وذلك من حيث تناولُها بالتصنيف على أسس القرآن الكريم بشكل مبدئي، لهذا لا تنفرد حقوق الإنسان فى مراجع الفقه أو القانون الإسلامي بمعالجة مستقلة بهذا المعنى، وإنما يتم علاجها فى إطار مباحث أخرى، متعلقة بقانون الأحوال المدنية الشخصية، وقانون العقوبات، والقانون الاقتصادى.

وتوافق هذا الفهمَ الموضوعى المعرفةُ الإسلاميةُ المقتنعةُ بأن كل الحقوق، بما فيها حقوق الإنسان، لا يمكن ضمان تحقيقها فى واقع القضاء، إلا إذا سَلِمَ النظام القانونى كله، بمعني أن الهدف الأعلى للعدالة لا يتحقق إلا إذا كان نتاجَ نظامٍ اجتماعيٍ شاملٍ سليم.

على أن الأهم من التنظيم أو التصنيف العلمى لتصور القانون، تطبيق الجوهر ومعرفة موقف الإسلام من مضمون حقوق الإنسان.

ومن حسن حظه أنه لا تعارُض أو تناقُض بين وجهة النظر الإسلامية وبين جهة النظر الغربية، بطبيعة الحال، فيما يتعلق بالتصور المثالى للعلاقة بين الدولة والمواطنين. فعلى الأسس التى أرساها القرآن الكريم، تضمن الشريعة الإسلامية قوانين مختلفة تكفل توافر الحقوق، وبخاصة: - حق الحياة - سلامة الجسد - الحرية - المساواة فى المعاملة - الملكية الخاصة - حرية الضمير - الزواج (عقد القران) - سماع أقوال المدعى والمدعى عليه قانونياً - براءة المتهم حتى تثبت إدانته - لا عقاب بدون سابق إنذار - الحماية من التعذيب - حق اللجوء. ولابد أن ننبه إلى أن

هذه الحقوق التى كفلها الإسلام ترجع إلى ألف وأربعمائة عام.

ولقد يكون من الأهمية فى هذا الصدد الالتفات إلى الاختلافات بين مدونات القوانين الغربية وبين الحقوق التى ضمنها الإسلام منذ ألف وأربعمائة عام، ذلك أن هذه الاختلافات تقتصر على النقاط القليلة التالية:

١ - تنص مواثيق حقوق الإنسان، بما فى ذلك اتفاقيات حقوق الإنسان الأوروبية الصادرة فى ٤ / ١١ / ١٩٥٠ على صيغ بشأن المساواة بين الجنسين، خاصة أمام القضاء، وفى العلاقة الزوجية، والتى لا يمكن أن توافق أو تصادق عليها الدول الإسلامية إلا تحت شروط معينة.

فالإسلام، لا يضع من شأن المرأة أو يحتقرها فى قياسه لها بالرجل، لأن المعاملة فى القانون الإسلامى تقوم على أن الجزاء من جنس العمل، فالحسنة بالحسنة، والسيئة بالسيئة، وهنا لب المشكلة، فالنظرية الغربية تنكر الفروق القانونية المهمة بين الجنسين أصلاً وبشكل رئيسى، بينما لا ينساق الإسلام كلية وراء هذا الافتراض الخيالى.

٢ - بناءً على القانون الإسلامى، يمكن للإنسان أن يدين بدين غير دينه، دون أن يضار لاعتناقه الدين الجديد، لكن هذا الحق ليس مسموحاً به للمسلم.. فالمسلم المرتد يتحمل عواقب ارتداده، وأقلها منعه من ميراث أى مسلم، وقد تكون لارتداده عواقب أسرية وخيمة (بطلان زواجه من الزوجة المسلمة)، وهذا ثابت قطعاً فضلاً على إعدام المرتد المسلم.

٣ - المواطنون غير المسلمين فى البلاد الإسلامية، لا يتمتعون فى المجال السياسى بفرص متكافئة مع المسلمين لاحتلال المناصب السياسية الرئيسية، كما لا يسمح لهم بتولى منصب الخليفة أو الحاكم (على أنه يجب التنبيه إلى أن وضع غير المسلم فى هذا المجال ليس أسوأ من وضع المواطن الأمريكي المولود خارج أمريكا، إذا ارتأى ذلك الأمريكى مثلاً أن يرشح نفسه لمنصب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية).

٤ - عقوبة الإعدام: يطبق الإسلام هذه العقوبة، وترفض الدول الإسلامية إلغاء عقوبة الإعدام لأن القرآن حددها عقاباً لثلاث من الجرائم الكبرى وهي الخيانة العظمى، والقتل، وقطع الطريق بالسلب والنهب والسرقة كرهاً وعمداً. وهذا أيضاً ثابت فى الإسلام.

٥ - ثمة مشكلة مماثلة، لكنها لحسن الحظ مشكلة شكلية، وتتمثل في الرق الذي يدينه العالم اليوم ويستقبحه فى كل مكان، فقد كان الرقيق فى الإسلام، مسموحاً به في قانون الحرب، وذلك باعتبار أسرى الحرب من غير المسلمين رقيقاً، على أنهم كانوا يعتبرون ملكاً شخصياً لمن خرجوا في سهمه، لهم حقوق مكفولة، وعليهم واجبات محددة، ولم يكونوا يعاملون بأية حال معاملة مهينة لا إنسانية فيها، كالتى جسمتها القوانين الرومانية، حيث اعتبرتهم متاعاً أو أشياء أو تراثاً حقيراً.

ولا ينسين أحد أن الله حث على تحرير الرقبة في مواضع مختلفة من القرآن، وعظم أجر من

يمنح الإماء والذكور من الرقيق الحرية، وبهذا بدأ القرآن نفسه الحملة لتحرير الرقيق.

ولن تجد المسلم الجاد اليوم، الذى يرتضي عودة الرقيق، فقد شاءت إرادة الله أن يبرأ منه وأن يتجاوز ذلك المرفق الذى واراه التاريخ، أما إذا ذكر المسلم وجود الرقيق في الإسلام، فإنما يذكره كما ذكره القرآن، حفظاً على التكامل وعدم المساس بأي حرف من القرآن، لتبقى للقرآن موثوقيته، التى لا يُخَلُّ بها أبداً.

بعد كل هذا يتبقى أن نعيد أنه لا تعارض أو تناقض فى الجوهر بين الإسلام، وبين مبادىء حقوق الإنسان، بل العكس يجب أن يذكر، لبيان عظمة الإسلام بوصفه نظاماً شاملاً متكاملاً في احترامه لحقوق الإنسان وتأكيدها (د. مراد هوفمان حقوق الإنسان فى الإسلام).

أهم التطورات العالمية

تعد قضية حقوق الإنسان من أهم القضايا التى احتلت الصدارة والاهتمام العالمي والمحلي. وذلك مباشرة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، حيث ظهرت الحاجة للسلم العالمي، وضرورة خلق توازن دولي، إضافة إلى سعى عدد من الشعوب لتحقيق استقلالها، وشروعها في بناء الدولة الوطنية، هذه الدولة التى واجهتها عدة مشاكل وعقبات مهمة، كان على رأسها الاختيارات السياسية والاقتصادية والأيديولوجية التى تبين أن لها علاقة مباشرة بموضوع حقوق الإنسان.

هذه الاختيارات كان لها وقع مزدوج داخل العالم الإسلامى، فهى إلى جانب إسهامها في إحداث تغييرات جذرية فى جميع البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية التقليدية، أحدثت تطوراً ملموساً فى مجال الحقوق الإنسانية، إلا أنها، في المقابل، فجرت مجموعة من الإشكاليات التى عولجت، وتمت مناقشتها بشكل واسع وتحت عناوين مختلفة مثل: الأصالة والمعاصرة، الخصوصية والعالمية، الهوية والغزو الثقافى، وغيرها من العناوين التى تدل على فداحة التحديات التى تعرض لها العالم الإسلامى، بعد ما فقد السيطرة على حدوده السياسية والثقافية بالخصوص.

لقد وضع الإسلام فى قفص الاتهام، مباشرة بعد الهزائم الحضارية التى توالت على العالم الإسلامى، واعتبر المسئول الأول عن تخلف المسلمين. وطالبت فئات داخل العالم الإسلامى، منبهرة بالحضارة الغربية، بإبعاد الإسلام عن جميع مناحي الحياة، لأنه يشكل، من منظورها، عائقاً أمام التطور المطلوب. وقد وجدت هذه المطالبات من يدعمها على المستوى الفكري والأيديولوجي؛ إذ نجد أن مجموعة كبيرة من الكتابات التي أنجزت داخل مراكز البحث في الجامعات الغربية وخارجها، انصبت في إثارة الشبهات وتفجير القضايا الفكرية الحساسة، للتدليل على أن الإسلام يعد من أهم الأسباب في تخلف الأمة الإسلامية. وأن عدداً من تشريعاته ونظمه القانونية التقليدية المتوارثة، تسهم بشكل واضح فى تكريس هذا التخلف عن ركب الحضارة.

كانت ردود الفعل مختلفة ومتعددة، بعد تحقيق التحرر السياسي وانطلاق عملية تجديد شاملة لجميع البنى، مواكبة في أحد جوانبها المهمة، عملية الدفاع عن الإسلام ونظمه التشريعية في مجالات الاقتصاد والسياسة والاجتماع، وتبرئته من الخلل الذي أصاب العقل المسلم الذي توقف عن الفعل الحضارى.

ومع التطور الذى عرفه مجال حقوق الإنسان، على المستوى العالمي، خلال العقود الخمسة الماضية، أضيف إلى التحديات السابقة تحد جديد، جعل الفكر الإسلامي الذي انشغل طويلاً بالدفاع عن النظم الإسلامية، يتوجه بسرعة نحو الإسهام بمعالجة قضايا حقوق الإنسان، لإبراز إسهام الإسلام في هذا المجال كذلك. وصولاً إلى تأكيد تفوق التشريع الحقوقي الإسلامي، وموافقة هذا التشريع ورؤاه الفكرية لحقوق الإنسان الشاملة.

لذلك فقد عرفت السنوات العشرون الأخيرة حركة نشطة في مجال التأليف الإسلامي فى محاولة لتأصيل الحقوق الإنسانية. والكشف عن إسهام الإسلام في هذا المجال الذى حظي باهتمام كبير فى الآونة الأخيرة.

وجاءت سرعة الاستجابة، من طرف الفكر الإسلامى، رد فعل مباشراً للتحدي الذي طرحته المواثيق والإعلانات العالمية، من جهة، وتصاعد وتيرة الاهتمام بحقوق الإنسان في العالم من جهة أخرى.

إن التطور الذي عرفه مجال الحقوق الإنسانية، على المستوى النظري بالخصوص، يرجع بالأساس إلى التطور السياسي الذي عرفته أوروبا، ومحاولة عدد من المفكرين والفلاسفة، الوقوف في وجه الاستبداد السياسي للدولة والكنيسة، من دون إغفال الموروث اليوناني والروماني الذي شكل الخلفية الفكرية لهؤلاء المفكرين، وهم يضعون المباحث السياسية ويطورونها. لقد شهدت أوروبا آنذاك صراعات دامية وطويلة من أجل: «إسقاط بعض المفاهيم السياسية التي تؤسس للاستبداد السياسي والديني، وتنكر على الإنسان الفرد كيانه وحقوقه». كفكرة الحق الإلهي التي كانت الكنيسة تروج لها، أو فكرة العناية الإلهية التي قامت عليها الشرعية السياسية للملوك والأباطرة.

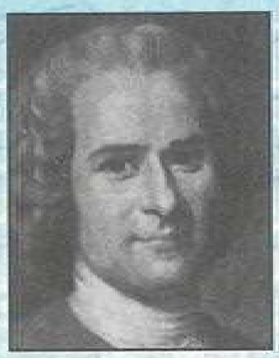
من هنا بدأ الفكر الأوروبي، بعد صراع سياسي واجتماعي طويل ومضن، يصل إلى بعض النتائج، وكان من أهمها فصل الدين عن السياسة، ومحاولة وجود بدائل وأفكار تؤسس لعلاقة جديدة بين الدولة والمجتمع، ليس على أساس ديني أو غيبي، ولكن على أسس واضحة وموضوعية، وليس ذلك لتحجيم الاستبداد السياسي فحسب، ولكن لتحرير الإنسان من قوة الدولة وسيطرتها المجحفة والمنتهكة لحقوقه الذاتية والواقعية. ويمكن الحديث هنا عن ثلاث نظريات طورت المجال السياسي الغربي ودفعت به إلى الأمام، مما كان له التأثير الكبير، ليس على مجال حقوق الإنسان بشكل عام فحسب. ولكن على الواقع السياسي الغربي المعاصر الذي

شكلت هذه النظريات خلفيته الفلسفية والفكرية.

النظرية الأولى: فكرة القانون الطبيعي التي عرفها اليونان، وكانت تعني عندهم «وجود قانون ثابت لا يتغير مستمد من الطبيعة، ويتمثل بكشف العقل عن روح المساواة والعدل الكامنة في النفس»، ثم انتقلت الفكرة إلى الرومان، لكنها ستعرف تطوراً علي مستوى المضمون؛ وذلك عبر إضفاء طابع اللائكية عليها، مع فقهاء القرن السابع عشر الميلادى.

النظرية الثانية: العقد الاجتماعي، وهي كما صاغها لوك (ت ١٧٠٤م) وروسو (ت ١٧٧٠م)، تقوم على مناهضة الحكم المطلق، في محاولة لترسيخ أسس الحكم الديمقراطي، وذلك باعتبارهما العقد الاجتماعي عقدا تبادليا، يرتب حقوقاً وواجبات إزاء المحكومين والحاكمين. وقد أسهمت هذه النظرية في تطور المذهب الفردي، بإقرار وجود حريات وحقوق طبيعية سابقة على المجتمع المنظم، يجب على السلطة عدم الاعتداء عليها. كما أسهمت في وضع الضمانات الدستورية والسياسية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وعموماً فقد جاءت الثورة الفرنسية معتمدة على مبادىء المذهب الفردي الحر. فأصدرت وثيقة إعلان حقوق الإنسان والمواطن سنة ١٧٨٩م، متضمنة النص على الحرية والمساواة والملكية وحق الأمن وحق مقاومة الظلم.

النظرية الثالثة: جاء منتسكيو، صاحب كتاب «روح القوانين»، ليعلن أن تحقيق العدل، داخل أي نظام سياسي، رهين بفصل السلطات الثلاث: التشريعية والتنفيذية والقضائية.



روسو

ومع هذه التجارب، وما واكبها من بحوث ودراسات فكرية، اهتمت بميدان الحريات العامة وحقوق الإنسان، تبلورت الرؤية الخاصة لدى الغرب (الرأسمالي) في مجال حقوق الإنسان.

استفاد المذهب الليبرالي (الرأسمالي) من الانتقادات التي وجهها له المذهب الاشتراكي الذي بدأ يتبلور تنظيراً وممارسة، مما دفع به نحو التطور والتوسع ليشمل ميادين جديدة، ظهرت أهميتها مع التطور الصناعي، كالحقوق الاقتصادية والاجتماعية المتعددة للطبقات العاملة، مما أضاف أبعاداً جديدة لمفاهيم حقوق الإنسان، وأعاد النظر في بعض الحقوق من حيث الأولوية والأهمية. وأدخل حقوقاً جديدة لم تكن معتبرة من قبل وبالتالي فالتطور الفكري والسياسي الذي عرفته أوروبا، بشطريها الرأسمالي والاشتراكي، إضافة إلى التجربة السياسية الأمريكية، قد نجم عنه تراكم هائل على مستوى التجربة والتنظير في مجال حقوق الإنسان. دفع به - أي هذا التراكم - ليفرض نفسه على المستوى العالمي، لتصبح المطالبة بحقوق الإنسان والدعوة إلى احترامها دعوة عالمية، تتبناها المؤسسات الدولية والوطنية وتسعى لاحترامها وفرضها.

خصوصية الاختلاف بين الأديان السماوية

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف
رئيس اللجنة الدائمة للحوار بين الأديان السماوية بالأزهر الشريف

شاءت إرادة الله وحكمته أن يختلف أفراد البشر فى وجوه كثيرة: فى اللون، فى الطول والقصر، فى الغنى والفقر، فى الصحة والمرض، فى القوة والضعف، فى النشاط والخمول، فى العادات والتقاليد، فى الذكاء والغباء، فى اللغة واللهجات فى الخير والشر، فى الهداية والضلال، فى الإيمان والكفر.. إلخ الاختلافات القائمة بين أفراد البشر، يقول الله – تعالى –:

﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

(آية ١٩ سورة يونس)

ويقول سبحانه:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾

(آية ٢٢ سورة الروم)

بل وجد الاختلاف فى سائر مخلوقات الله – جل وعلا – فى: الجماد والنبات، وفى الطير والدواب، والليل والنهار، يقول الله – تعالى –:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾

(آية ٢٧، ٢٨ سورة فاطر)

كما وجد الاختلاف فى الماء الذى هو أساس كل كائن حى على وجه الأرض، يقول الله – تعالى –:

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾

(آية ٥٣ سورة الفرقان)

غير أن الاختلاف[1] بين الأديان السماوية له خصوصية خاصة مغايرة للاختلافات الأخرى الكائنة فى خلق الله – تعالى – على وجه عام، سواء أكانت هذه الاختلافات الواقعة بين البشر «فى غير العقيدة الدينية»، أم بين النباتات، أم بين الجمادات، أم بين الحيوانات، أم بين الطيور، أم بين الليل والنهار، أم بين الكواكب والنجوم، أم بين الماء.. إلخ.

الأديان السماوية مصدرها واحد

فالأديان السماوية كلها مصدرها واحد، وأصولها واحدة، وأهدافها وغاياتها واحدة، لا يختلف فيها دين عن دين، فكلها متفقة فى إثبات وجود الله خالق الكون بمن فيه وما فيه، وعلى الدعوة إلى توحيد الله وعبادته، وعلى الإيمان بكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر، وعلى الإيمان بالحساب والجزاء فى الآخرة على أعمال الدنيا.

ويؤكد ذلك حديث الرسول – ﷺ –، فعن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن النبى – ﷺ – قال: «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم فى الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة علات «أولاد الرجل من أمهات متفرقة» أمهاتهم شتى ودينهم واحد».

أما الاختلاف الواقع فى شرائع الأديان السماوية فهو فيما يتعلق ببعض الأوامر والنواهى، وببعض وجوه الحلال والحرام، وبغير ذلك من فروع الشريعة...

فقد يحرم الله شيئا على قوم عقوبة لهم، ويحله لقوم آخرين تخفيفا عنهم، كما قال الله تعالى:

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾

(آية ١٤٦ سورة الأنعام)

وكتحريم صيد السمك فى يوم السبت على قوم وحله لغيرهم، كما قال الله – تعالى –

(١) من بحث: «العلاقات المشتركة بين الأديان السماوية وأهميتها فى بناء جسور التعاون بيننا» فوزى فاضل الزفزاف

﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾

(آية ١٦٣ سورة الأعراف)

وكما قال الله - تعالى - حكاية عن عيسى - عليه السلام - :

﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾

(آية ٥٠ سورة آل عمران)

الحاجة الملحة إلى التفاهم والتقارب والتعاون بين أتباع الديانات السماوية

إذا كانت الديانات السماوية متفقة المصدر والأصول، وبينها من التآخي والترابط والتماسك بحيث لا تشذ لبنة فيها عن سائر اللبنات، فإن الفطرة السليمة تدعو أتباع هذه الديانات إلى أن يكونوا مظهرا لهذا التآخي والترابط والتماسك، فلا يحدث بينهم من الخلاف والشقاق والفرقة ما تنكره طبيعة الدين بمعناه العام، لأن الدين السماوى بطبيعته جاء لصالح الإنسان، وإنقاذ البشرية من الظلمات إلى النور، وإلى هداية الناس إلى طريق رب العالمين...

فإذا كان المبدأ واحد وهو النزول من عند الله - تعالى - وإذا كانت النهاية واحدة وهى هداية الناس إلى الطريق القويم.. فكيف يحدث الخلاف والتنافر؟ وكيف تقع القطيعة والتباعد؟.

إننا عندما نشاهد الخلاف والتنافر، والقطيعة والتباعد الواقع بين بعض أتباع الديانات السماوية - والذى يصل إلى حد الصدام أحيانا - فإن ذلك لا يرجع إلى طبيعة الدين ذاته، ولكنه يرجع إلى أن الذين أحدثوا الخلاف وقاموا بالشقاق لا يعرفون رسالة الدين، ولا يفهمون جوهره وروحه، ولا يدركون أنهم بعملهم هذا قد خرجوا عن طبيعة الدين نفسه!!!.

إن الدين بالنسبة لصلاح النفس البشرية، وهدايتها إلى الحق والخير، والعمل لعمارة الأرض، وتحقيق السلام والأمن والاطمئنان للناس كالدواء الناجع للجسم المريض، ولن يؤدى الدواء دوره التام فى الشفاء والبرء من السقام إلا إذا أخذ على وجهه الصحيح، وبالقدر الذى يحدده الطبيب، وفى الزمان الذى يعينه، فإذا أهمل المريض قدر الدواء وزمانه ولم يأت الشفاء فليس العيب عيب الدواء، ولكنه عيب الذى لايفهم رسالة الدواء

وشروط استعطائه.. وهذه الأمور من البداهة التى يجب ألا يطول الحديث فيها.

مسئولية قادة الأديان

فى اعتقادى أنه لا يوجد دين سماوى - سلمت نصوصه السماوية من تحريف أتباعه - إلا ويدعو إلى الخير ويرفض الشر، ويدعو إلى التعارف والتآلف وينبذ الفرقة والتخاصم.. فالأديان كلها تتفق على الفضائل الإنسانية، وتحارب الرذائل السافلة والنزوات الهابطة.. وباتباع الأخلاق التى دعت إليها الأديان السماوية كلها نستطيع أن نقرب الشقة، ونغلق باب الخلاف فلا نجعله مثارا للجاج والشقاق.. وهنا أتساءل:

أيوجد دين سماوى يحبذ الرذيلة؟؟؟

أيوجد دين سماوى يحارب الفضيلة؟؟؟.

لقد آن الأوان أن يتحمل القادة الدينيون - فى الإسلام والمسيحية - مسئوليتهم، وأن يقوموا بأداء رسالتهم فى بث ونشر وتعميم التقارب والتفاهم والتعاون والمحبة بين أتباع الديانتين على مستوى العالم..

وأول ما يجب عليهم هو: نبذ التعصب المقيت الذى يفرض صاحبه أنه هو وحده الحق، وأن غيره يسير على ضلال.. والتعصب بهذا التفسير مخالف لشرع الله، وقد أوضح القرآن الكريم منهج الإسلام فى مناقشة المخالفين، فقال الله - عز وجل - مخاطبا رسوله الكريم:

﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾

(آية ١٥ سورة الشورى)

ويقول - جل شأنه - :

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

(آية ١٢٥ سورة النحل)

العقيدة شئ عزيز جدا

وما دامت هذه النصوص المقدسة صريحة فى وجوب الإخاء الإنسانى والدعوة إلى السلام فى جميع أنحاء الأرض بالحكمة والموعظة الحسنة فإن من الخطأ الفادح أن يتنازع رجال الدين - وهم القائمون على رسالات السماء - وأن يثيروا أوجه الخلاف بين الأديان بدل أن يدعوا إلى التقارب والتفاهم، وأن يجنبوا

ما قد يكون من خلاف فى العقيدة.. لأن العقيدة شىء عزيز جدا على كل متدين، ومحاولة جعلها مجالا للخلاف هى فتح لأبواب الشقاق والصراع.

وما اقتتلت الطوائف الدينية فى القرون الماضية إلا لأنها خالفت أمر الله فى الدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، مع المجادلة بالتى هى أحسن.. والله - عز وجل - خبير بنزوات النفوس وميلها إلى الشر فى بعض الأحايين، لذلك كرر القول داعيا إلى التسامح والرفق بالمخالفين.

وقد قال الله - عز وجل - لنبيه الكريم:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

(آية ٩٩ سورة يونس)

وقال - سبحانه -:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ ﴾

(آية ٢٥٦ سورة البقرة)

وقال - جل شأنه -:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

(آية ٦٤ سورة آل عمران)

وقال - سبحانه -:

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

(آية ٤٦ سورة العنكبوت)

ولعمرى إن منصفا يتبع الحق، ولا ينصرف إلى الهوى، يقرأ قول الله:

﴿ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

العنكبوت/ ٤٦

لا يسعه إلا المصافاه والإخاء والمسالمة والسير على الطريق المستقيم...

فضائل مشتركة

إن ما فى الإسلام والمسيحية من فضائل مشتركة - هى محل اتفاق تام بينهما - لو اتبعها أتباع الديانتين على وجهها الصحيح لساد السلام، وعاش الناس فى وفاق تام، وعم الخير على الجميع...

● فكلتا الديانتين «الإسلام والمسيحية» تأمران بالعدل واتباع الحق، والبعد عن الظلم والعدوان، وهذا محل اتفاق.

● وكلتا الديانتين «الإسلام والمسيحية» تأمران بنشر المبادىء الإنسانية التى ترقى بالإنسان إلى عالم الكمال ليؤدى رسالته

فى الحياة سعيدا باتباعه المنهج الدينى القويم.

● وكلتا الديانتين «الإسلام والمسيحية» تدعوان إلى التوافق والالتئام، وتحذران من الشقاق والانفصام.. إذ أن صلاح الكون لا يتم إلا بانسجام تام بين السلوك الإنسانى والخلق النبيل.

● وكلتا الديانتين «الإسلام والمسيحية» تدعوان إلى المساواة، فلا تسمحان لطبقة بالامتياز والعلو على طبقة أخرى، لأن الجميع لا يتفاضلون إلا بالتقوى والصلاح

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ ﴾

الحجرات/ ١٣

● وكلتا الديانتين «الإسلام والمسيحية» تبشران بمجتمع سعيد لا يعرف التناحر والخصام، ولا يتم ذلك إلا بمراعاة تنفيذ النصوص المقدسة فى القرآن الكريم والإنجيل.

● وكلتا الديانتين «الإسلام والمسيحية» تعترفان بحق الإنسان فى أن يكون حرا، يقول ما يعتقد، ويصغى ويحترم الرأى المخالف ليناقشه بأدب واحترام لا بلجاج وعناد.

هذه هى بعض المبادىء التى تجعل الدين مصدر سعادة للإنسان.. والمتدين بهذه المبادىء يكون قريبا من الله، قريبا من الناس.

***

شهادات غربية فى الافتراء على الإسلام

٢

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

وحتى لا نطيل فى تقليب صفحات كتاب العداء الغربى للإسلام.. والافتراء الكاذب على ديننا وأمتنا، نذكر بكلمات الجنرال - والمفكر - الانجليزى «جلوب باشا» اللفتنانت جنرال جون باجوت [١٨٩٧ - ١٩٨٦م]، صاحب كتاب [الفتوحات العربية].. والذى عمل قائداً للجيش الأردنى حتى العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦م.. نذكر بكلماته التى أصاب بها كبد الحقيقة فى تحديد التاريخ الحقيقى لميلاد العداء الغربى للإسلام - الذى سماه «مشكلة الشرق الأوسط».. فقال: «إن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط إنما يعود إلى القرن السابع للميلاد»!.. أى إلى ظهور الإسلام!!..

وحتى نقدم «الحيثيات».. وحيثيات الشهادات الغربية تحديداً - على صدق وعمق هذا الحكم الغربى - الذى شهد به ونطق شاهد من أهلها - نقدم شهادة المستشرق الفرنسى الشهير.. اليهودى الأصل، «مكسيم رودنسون» [١٩١٥ - ٢٠٠٤م]، والتى يعلن فيها عن صورة الإسلام - المشوهة - فى الثقافة الغربية، والتى رسمها الغرب، وأسس عليها وتراكم مخزون الكراهية الغربية للإسلام والمسلمين، منذ فجر الإسلام.. وكيف أن الغرب فى كثير من دوائر «النخبة»، وفى القاعدة العريضة للجماهيرية الشعبية.. قد صوّر:

● العرب والمسلمين باعتبارهم «الوباء الموجع، والشعب الهائج، الذى عُرف بالسلب والنهب والتخريب»!!.

● وصوّر الإسلام باعتباره: وثنية شرقية، وهرطقة مسيحية، يعبد أهلها الثالوث: محمداً.. وترفاجانت وأبوللو!!».

● وصوّر رسول الإسلام، ﷺ: ساحراً، مخادعاً، أباح الاتصالات الجنسية، وهو كبير آلهة العرب، الذى تُصنع تماثيله من مواد ثمينة، بأحجام هائلة!!..

● وكيف أن هذه الصورة، التى تبلورت وشاعت فى الثقافة الغربية القديمة.. قد جدّدتها الإمبريالية الحديثة، والتمركز الأوروبى حول الذات، فاتسمت الصورة الغربية الحديثة بالازدراء الواضح للمسلمين باعتبارهم شبكات من التنظيمات الخطرة، التى تغذيها أيديولوجية عدوانية وحقد بربرى على الحضارة!!..

● وعلى حين ربطت هذه الصورة المسيحية بالتقدم، فإنها قرنت الإسلام بالتخلف والركود..

● ثم أشاعت - هذه الإمبريالية الغربية.. هذه الصورة المفتراه على الإسلام والمسلمين بفضل الصحافة والأدب الشعبيين، وكتب الأطفال، فأصبحت هذه هى النظرة التى تتسرب إلى عقول الجماهير الغفيرة ولم تخل هذه النظرة الكاذبة من التأثير على العلماء الذين يشيرون على الحكومات الاستعمارية الغربية!

أى أن الافتراء على الإسلام، وتشويه صورة رسول الإسلام، ﷺ، والأمة الإسلامية، قد استخدم قديما لشحن العامة والدهماء فى الحروب الصليبية التى أرادت استعمار الشرق بعد أن حرره الإسلام من قهر الإغريق والرومان.. ثم أعادت الإمبريالية الغربية الحديثة استخدام ذات السلاح - ثقافة الافتراء والكراهية السوداء - لشحن جماهير الشعوب الغربية وراء المشروع الإمبريالى الساعى لاحتلال الشرق ونهب ثرواته فى العصر الحديث..



جلوب باشا

شهد المستشرق الفرنسى «مكسيم رودنسون» - اليهودى الأصل.. والخبير فى الثقافتين الغربية والإسلامية.. على ذلك كله، فقال: لقد صوّر الأوروبيون التحول الذى أحدثه ظهور الإسلام فى الشرق، باعتباره «تحولاً حدث فى القوى وفى الأقسام البعيدة من الشرق، عندما قام شعب هائج (هم العرب أو السراسنة) - [البدو] -، عُرف بالسلب والنهب. وهو علاوة على ذلك، شعب غير مسيحى، فاجتاح وخرب أراض واسعة، وانتزعها من قبضة المسيحية.

وعندما قام «آدم بيد المبجل» ، [٦٧٢ - ٧٣٥ م] بمراجعة التاريخ الكنسى للإنجليز قبيل وفاته سنة ٧٣٥ م لخص الأحداث الأخيرة بهذه الكلمات : «فى ذلك الوقت ، قام الوباء الموجع المتمثل بالسراسنة (المسلمين) بتخريب مملكة بلاد الغال بعد مجازر أليمة وبائسة ، لكنهم سرعان مالقوا عقابهم الذى يستحقونه على غدرهم» !!

● والإسلام ، الذى بلغ فى التوحيد قمة التنزيه والتجريد ، صوّروه - كما يقول «مكسيم رودنسون» - باعتباره وثنية تثليث !! .. «إسلام متحد فى عبادة محمد ، وترفاجانت (Tervagant) ، وأبوللو .. [ألوهية وثنية شرقية] !

افتراء الكتاب اللاتين

● أما رسول الإسلام ، ﷺ ، فإن «مكسيم رودنسون» يمضى ليكشف عن الافتراء الذى افتراه الكتاب اللاتين عليه ، فيقول : «لقد حدث أن الكتاب اللاتين ، الذين أخذوا بين سنة ١١٠٠ م وسنة ١١٤٠ م على عاتقهم إشباع هذه الحاجة لدى الإنسان العامى ، أخذوا يوجهون اهتمامهم نحو حياة محمد ، دون أى اعتبار للدقة ، فأطلقوا العنان «لجهل الخيال المنتصر» .. كما جاء فى كلمات «ر . و ساوثرن» - ، فكان محمد - فى (عُرفهم) - ساحراً ، هدم الكنيسة فى إفريقيا والشرق عن طريق السحر والخديعة ، وضمن نجاحه بأن أباح الاتصالات الجنسية .. وكان محمد - (فى عُرف تلك الملاحم) - هو صنمهم الرئيسى ، وكان معظم الشعراء الجوالة يعتبرونه كبير آلهة السراسنة .. [البدو] .. وكانت تماثيله (حسب أقوالهم) تُصنع من مواد غنية ، وذات أحجام هائلة ..

لقد اعتبر الإسلام فى العصور الوسطى نوعاً من الانشقاق الدينى ، أو هرطقة ضمن المسيحية . وهكذا رآه «دانتى» [١٢٩٥ - ١٣٢١ م] ..

ثم كانت الظاهرة التى لعبت الدور الأكبر فى تحديد طبيعة النظرة الأوروبية إلى الشرق ، وخصوصاً بعد منتصف القرن التاسع عشر ، هى الإمبريالية ..

وكان من المحتم أن يؤدى هذا كله إلى تشجيع التمركز حول الذات ، وهى صفة طبيعية فى الأوروبيين ، كانت موجودة دائماً ، ولكنها اتخذت الآن صبغة تتسم بالازدراء الواضح للآخرين ..

التبشير بالنصرانية

● ويشير «مكسيم رودنسون» إلى دور «التبشير بالنصرانية» فى العالم الإسلامى ، فى تكريس هذه الصورة الكاذبة عن الإسلام والمسلمين .. فيقول : «وقد شجع الوضع المهين الذى وجد العالم الإسلامى نفسه فيه ، المبشرين المسيحيين ، وفتح لهم طرقاً جديدة . ففى إطار الميول الإنسانية الطبيعية ، بل وحسب الأفكار العامة للعلم العصرى فى ذلك الحين ، عزا المبشرون نجاحات الأمم الأوروبية إلى الدين المسيحى ، مثلما عزوا إخفاق العالم الإسلامى إلى الإسلام ، فصوّرت المسيحية على أنها بطبيعتها ملائمة للتقدم ، وقُرن الإسلام بالركود الثقافى والتخلف .

وأصبح الهجوم على الإسلام على أشد ما يكون .. وبعثت حجج العصور الوسطى بعد أن أضيف إليها زخارف عصرية ، وصورت الجماعات الدينية الإسلامية بصورة خاصة على أنها شبكة من التنظيمات الخطرة ، يغذيها حقد بربرى على الحضارة .. فكانت حركة «الجامعة الإسلامية» هى الغول المرعب فى ذلك العصر ، على نفس الطريقة وفى نفس الزمن اللذين انتشر فيهما الرعب من «الخطر الأصفر» . فكانت كل ظاهرة مناهضة للإمبريالية ، حتى ولو كان مبعثها مشاعر محلية خالصة ، تعزى إلى تلك الحركة الإسلامية . وكانت الكلمة نفسها - «الجامعة الإسلامية» - توحى بالتطلع الإسلامى للسيطرة ، وبأيديولوجية عدوانية ، وبمؤامرة على نطاق عالمى .

وبفضل الصحافة ، والأدب الشعبيين وكتب الأطفال ، أخذت هذه النظرة تتسرب إلى عقول الجماهير الغفيرة من الأوروبيين ، ولم تخل من تأثير على العلماء أنفسهم ، وخصوصاً حين كانوا ينبرون لتقديم النصح إلى أولئك الذين كانوا يوجهون سياسات الحكومات الاستعمارية .

أما أولئك العلماء الذين اهتموا كثيراً بالدراسات المعاصرة ، من أمثال «سنوك هوركرونيه» [١٨٥٧ - ١٩٣٦ م] أو «سى . هو . بيكر» [١٨٧٦ - ١٩٣٣ م] والذين كانت فكرة «الجامعة الإسلامية» تشغل اهتمامهم ، فإنهم فى تحليلاتهم التى كانت تتصف بدرجات متفاوتة من الدقة ، كانوا يميلون لأن يروا فيها حركة رجعية . ومع أنهم لم يكونوا يؤمنون بجميع الأساطير الشائعة حول هذا الموضوع ، فإنهم كانوا يميلون إلى أن يضفوا على هذه الحركة ، التى كانت تتألف فى الواقع من عدة اتجاهات مهلهلة شديدة التشعب ، وحدة وتنظيما يفوقان ما كان موجودا فيها بالفعل ..» [1]

عداء منذ فجر الإسلام

تلك هى شهادة «مكسيم رودنسون» على جناية التراث الغربى على صورة الإسلام والمسلمين .. وعلى أن تاريخ هذا الافتراء إنما نبع من العداء - غير المبرر - للإسلام ، منذ فجر ظهور الإسلامُ ! ..

● وغير شهادة «مكسيم رودنسون» .. يشهد على هذه الحقيقة - حقيقة قدم وتجذر الافتراء الغربى على الإسلام والمسلمين - المستشرق الإيطالى الشهير «فرانشيسكو جابرييلى» .. فيقول : «لقد كانت العصور الوسطى الغربية تنظر إلى ظهور الإسلام وانتشاره باعتباره تمزقاً شيطانياً فى صدر الكنيسة المسيحية ، التى لم يكد يمر على انتصارها على الوثنية ثلاثة قرون ، وانشقاقاً مشئوماً قام به شعب بربرى» ! [2]

● وغير شهادة هذين العلمين من أعلام الاستشراق ، يشهد على هذه الحقيقة - أيضاً -

---

(١) مكسيم رودنسون «الصورة الغربية والدراسات العربية الإسلامية» - بحث منشور بكتاب (تراث الإسلام) - بإشراف «شاخت» و«بوزورث» - القسم الأول ص ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٧٥ ، ٨٣ - ٨٦ . ترجمة : د . محمد زهير السمهورى . مراجعة : د . شاكر مصطفى . طبعة الكويت - عالم المعرفة - أغسطس سنة ١٩٧٨م .

(٢) فرانشيسكو جابرييلى «الإسلام فى عالم البحر المتوسط» - المرجع السابق ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

المفكر الألمانى «هوبرت هيركومر»، فى دراسته عن [صورة الإسلام فى الأدب الوسيط].. والتى يقول فيها: «إن الأوروبيين ادعوا أن رسول الإسلام كان كاردينالاً كاثوليكياً، تجاهلته الكنيسة فى انتخابات البابا، فقام بتأسيس طائفة ملحدة فى الشرق، انتقاماً من الكنيسة، واعتبرت أوروبا المسيحية - فى القرون الوسطى - محمداً المرتد الأكبر عن المسيحية، الذى يتحمل وزر انقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية»!![3]

● وكيف تحدث أكبر فلاسفة اللاهوت الكاثوليكى القديس «توما الأكوينى» [١٢٢٥ - ١٢٧٤م] عن رسول الإسلام، ﷺ، فقال عنه: «إنه هو الذى أغوى الشعوب من خلال وعوده الشهوانية، وقام بتحريف جميع الأدلة الواردة فى التوراة والأناجيل من خلال الأساطير والخرافات التى كان يتلوها على أصحابه، ولم يؤمن برسالة محمد إلا المتوحشون من البشر، الذين كانوا يعيشون فى البادية»![4]

● أما رأس البروتستانتية «مارتن لوثر» [١٤٨٣ - ١٥٤٦م] فلقد وصف القرآن الكريم بأنه «كتاب بغيض وفظيع وملعون، ومليء بالأكاذيب والخرافات والفظائع».. معتبراً أن إزعاج محمد والإضرار بالمسلمين يجب أن تكون المقاصد من وراء ترجمة القرآن وتعرّف المسيحيين عليه.. وأن على القساوسة أن يخطبوا أمام الشعب عن فظائع محمد، حتى يزداد المسيحيون عداوة له، وأيضا ليقوى إيمانهم بالمسيحية، ولتتضاعف جسارتهم وبسالتهم فى الحرب ضد الأتراك المسلمين، وليضحوا بأموالهم وأنفسهم فى هذه الحروب»![5]

● فلما جاء «دانتى» [١٢٩٥ - ١٣٢١م] - صاحب «الكوميديا الإلهية» - رأيناه يضع رسول الإسلام، ﷺ، وعلى بن أبى طالب، كرم الله وجهه، «فى الحفرة التاسعة فى ثامن حلقة من حلقات جهنم وقد قطعت أجسامهم، وشوهت أجسادهم فى دار السعير، لأنهم كانوا فى الحياة الدنيا - [بكذبه وافترائه] - أهل شجار وشقاق»!![6]

شهادة منصفة

● ثم.. هناك شهادة العالمة الجليلة والمستشرقة الألمانية «سيجريد هونكة» - الخبيرة فى الدراسات المقارنة للديانات والحضارات.. شهادتها على قدم وتجذر الافتراء الغربى على الإسلام وأمته.. وفيها تقول:

● «لقد استقر فى أذهان السواد الأعظم من الأوروبيين الازدراء الأحمق الظالم للعرب، الذى يصمهم جهلاً وعدواناً بأنهم «رعاة الماعز والأغنام، الأجلاف، لابسوا الخرق المهلهلة.. وعبدة الشيطان، ومحضرى أرواح الموتى، والسحرة، وأصحاب التعاويذ وأعمال السحر

(٣) هوبرت هيركومر [صورة الإسلام فى التراث الغربى] ص ٢٣، ٢٤. ترجمة: ثابت عيد. تقديم د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٩م.

(٤) المرجع السابق ص ٢٢، ٢٣.

(٥) المرجع السابق ص ٢١.

(٦) المرجع السابق ص ٢٤.

الأسود، والذين حذقوا هذا الفن، واستحوذ عليهم الشيطان، تحرسهم فيالق من زبانيته من الشياطين.. وقد تربع على عرشهم الذهبى «ما هون».. «نحميد» وقد ركعت تحت أقدامه قرابين بشرية، يذبحها أتباعه قرباناً وزلفى إليه..»!

● «ولقد وصف «جى. توينبى» العرب.. فى كتابه [دراسة فى التاريخ العلمى] سنة ١٩٤٩م. بأنهم: «غير متحضرين.. وخلق غريب مستعبد من العالم الهللينى. أو المتطفلين على الحضارة اللهللينية الإغريقية.. أولئك المحمدون البدائيون.. وأقصى القول فيهم: أنهم تقليد بربرى جاهل زائف لديانة السريان الغربية عنهم.. وهم - بعدائيتهم وقصورهم - لا يسعون إلى اعتناق النصرانية..»

كما صورهم «وليام» - من سالسبرى - بأنهم «يعبدون الدرك الأسفل من الشياطين».. فهم «الكفرة الفجرة» الذين لا يدينون بالمسيح أو الله، لأنهم لم يعبدوه بعد، على أنه فى الإمكان تنصيرهم.. فهم ليسوا سوى ديدان حقيرة.. وسفلة أوغاد.. أعداء الله.. وأعداء المسيح.. مستبيحو قبر المسيح»!![7]

● «ولقد صورت الكنيسة الأوروبية رسول الإسلام ساحراً كبيراً.. وصورت «قرطبة» - فى الأندلس - وطن عُباد الشيطان، المتوسلين بالموتى، الذين قدموا لمحمد الصنم الذهبى الذى كانت تحرسه عصبة من الشياطين، تضحية بشرية»!!..

«فبلاد الإسلام هى عالم الخرافات والأساطير، عبدة الشيطان، والسحرة المتضرعين إلى الشيطان.. بلاد الأضاحى البشرية من أجل صنم ذهبى، تسهر على سلامته عصبة من الشياطين، اسمه محمد»!![8]

أوربان الثانى والحرب ضد المسلمين

● ولقد خطب البابا «أوربان الثانى» فى فرسان الإقطاع الأوروبيين، يحثهم على الحرب الصليبية المقدسة ضد المسلمين، فقال: «أى خزى يجللنا وأى عار، لو أن هذا الجنس من الكفار، الذى لا يليق به إلا كل احتقار، والذى سقط فى هاوية التعرى عن كرامة الإنسان، جاعلاً من نفسه عبداً للشيطان، قد قُدر له الانتصار، على شعب الله المختار»؟!..[9]

● «ونظم شاعر الكنيسة القسيس «كونراد» سنة ١٣٠٠م - فى ريجنزبورج - «ملحمة رولاند» التى وصف فيها المسلمين بأنهم: «الشعب الذى لا يُروى تعطشه لسفك الدماء، والذى لعنه رب السماء.. فهم كفرة وكلاب.. وخنازير فجرة.. وهم عبدة الأصنام التى لا حول لها ولا قوة.. الذين لا يستحقون إلا أن يُقتلوا وتطرح رممهم فى الخلاء، فهم إلى جهنم لامراء»!

وفى هذه «الملحمة - الشعبية» يخاطب القسيس «كونراد» الشعب المسلم، فيقول: «إن مخمت.. قد أرسلنى إليك لأطيح رأسك عن

(٧) سيجريد هونكة [الله ليس كذلك] ص ٨، ١١ - ١٤، ١٩، ٢٣. ترجمة: د. غريب محمد غريب. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٥م.

(٨) سجريد هونكة [العقيدة والمعرفة] ص ١٦١، ١٦٢، ٩٩. ترجمة: عمر لطفى العالم. طبعة دمشق سنة ١٩٨٧م.

(٩) [الله ليس كذلك] ص ٢٢.

كتفيك، وأطرح للجوارح جثتك، وأمتشق برمحي هامتك. ولتعلم أن القيصر قد أمر كل من يأبى أن تعمده الكنيسة «ليس له إلا الموت شنقاً، أو ضرباً، أو حرقاً»، إن أولئك جميعا دون استثناء حزب الشيطان اللؤماء، خسروا الدنيا والآخرة، وحل عليهم غضب الله، فبطش بهم روحاً وجسداً، وكُتب عليهم الخلود في جهنم أبداً» ! (١٠)

حقائق التاريخ

● ولقد تجاهل الأوروبيون حقائق التاريخ، وتلقفوا زعم أحد النصارى العرب - في القرن الثالث عشر الميلادي - بعد الحروب الصليبية - عندما افترى على عمرو بن العاص، فزعم أنه هو الذي حرق مكتبة الإسكندرية، تنفيذاً لوصية عمر بن الخطاب !!.. متجاهلين حقائق التاريخ التي تقول إن النصارى هم الذين أحرقوا هذه الكنوز!!.. وذلك «إن المجمع العلمي، الذي ضم أكاديمية الإسكندرية، التي شيدها الملك بطليموس الأول سوتر سنة ٣٠٠ ق.م كان مصدر إشعاع علوم الإغريق الهلينية، بمكتبته الضخمة التي حوت قرابة مليون مخطوطة.. على أن ألسنة النيران قد أتت على هذا المجمع ومكتبته سنة ٤٧ ق. م إبان حصار قيصر للإسكندرية.

ثم إن كليوباترا أعادت تشييد المكتبة وتزويدها بعدد لا يستهان به من المخطوطات من مكتبة برجمانون المصرية.

على أن القرن الثالث الميلادي كان بداية التدمير المخطط لهذا التراث العلمي:

- فنرى القيصر «كاراكلا» يلغي الأكاديمية ويحلها، ويسفك دماء علمائها في مذبحة وحشية فظيعة.

- كما أن البطريرك النصراني سنة ٢٧٢ م يغلق المجمع ويشرد علماءه، آمراً بحرق «مؤلفات الكفرة»، فيبيدها المشتعلون حماساً دينياً من النصارى.

- وفي سنة ٣٦٦ م يحول القيصر «فالنس» «السيزاريوم» إلى كنيسة، وينهب مكتبته، ويحرق كتبها، ويضطهد فلاسفته ويلاحقهم بتهمة ممارسة السحر والشعوذة.

- وفي سنة ٣٩١ م - مواصلة لاستئصال شأفة الكفرة - أي غير النصارى - يفلح البطريرك «ثيوفيلوس» في الحصول على إذن القيصر «ثيودوزيوس» لهدم السرابيوم، كبرى الأكاديميات وآخرها، وموئل حكمة العصور القديمة، والقبلة الذائعة الصيت التي يحج إليها طالبوا الحكمة من كل صوب، ويترك مكتبتها - بما حوته من ثلثمائة ألف مخطوطة - نهباً للنيران، قرير العين بتشييده ديراً وكنيسة على أنقاضها..

- أما ما نجا ومن نجا فقد أمسى غرضاً لعصابة نصرانية من الغلاة المراهقين انتشرت في الإسكندرية في القرن الخامس الميلادي تولت مواصلة، تدمير علوم الكفرة

(١٠) المرجع السابق. ص ٤٤.

وفلسفتهم وتحطيم مراكز ثقافتهم وآثارهم ومكتباتهم والهجوم على علمائهم، كما اعترف بذلك في قحة ودون خجل - «سيفروس الأنطاكي» ، الذي صار فيما بعد بطريرك القبط، وكذا صديق له.

وهكذا نرى أن المكتبات القديمة في مصر جميعها لم يكن لها وجود أيام دخول العرب الإسكندرية - سنة ٦٤٢م» (١١) ومع ذلك.. ورغم جميع هذه الحقائق التاريخية.. ذهب الأوروبيون ليفتروا على الإسلام.. والفتوحات الإسلامية.. متهمين عمرو بن العاص وعمر بن الخطاب بأنهم هم الذين دمروا تراث مكتبة الإسكندرية، وذلك استغناء عن هذا التراث بالقرآن الكريم !!..

الافتراء الغربي

● وفي الميزان العلمي.. يذهب الافتراء الغربي على الإسلام وأمته، إلى حيث يحكم على العرب بالعقم العلمي والفكري.. فيزعم أنهم لم يكونوا مبدعين، وإنما كانوا - فقط - وسطاء وسعاة بريد.. فيقول: «آرثور كوستلر».. في كتابه «قصة نشوء معرفتنا العالمية - السراة في نعاسهم» - المنشور سنة ١٩٥٩م -:

«لم يكن العرب سوى وسطاء، حفظة نقلة رواة للتراث، ولم يمتلكوا سوى قدر ضئيل من الأصالة العلمية، والقدرة الإبداعية. وعندما كانوا وحدهم حراس ذلك الكنز، لم يقوموا بجهد يذكر للإفادة منه وهم كذلك لم يشجعوا العلم النظري. وإنها لحقيقة جديرة بالملاحظة أن ذلك الاحتكار العربي - اليهودي الذي دام قرنين أو ثلاثة قرون، ظل عقيماً» !! (١٢)

* * *

تلك إشارات - مجرد إشارات - إلى قطرة من محيط ثقافة الافتراء والكراهية السوداء للإسلام والمسلمين، التي تبلورت وتراكمت واستقرت في تراث الثقافة الغربية، منذ فجر الإسلام.. والتي أصبحت المبرر للعدوان الاستعماري الغربي على الشرق الإسلامي.. في الحروب الصليبية القديمة.. وفي الغزوة الإمبريالية الحديثة والمعاصرة.. والتي استخدمت أداة لشحن العامة والدهماء بالعداء للإسلام والمسلمين، وذلك حتى يضحوا في سبيل هذا الاستعمار - كما يقول «مارتن لوثر» «بأموالهم وأنفسهم في الحرب ضد المسلمين» !..

فنحن - إذن - أمام وقائع وشهادات قد قامت وتقوم بدور «الحيثيات» على صدق مقولة الجنرال «جلوب باشا» ، التي قال فيها: «إن مشكلة الغرب مع الشرق إنما يعود تاريخها إلى القرن السابع للميلاد» !..

(١١) المرجع السابق. ص ٧٣ - ٧٥. وانظر للمؤلفة - كذلك -: [فضل العرب على أوروبا] ص ٢٦٦، ٢٦٧. ترجمة: د. فؤاد حسنين علي. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٤م.

(١٢) المرجع السابق ص ٧٩.

ما يقال عن الإسلام

نقد وثيقة «بكين» لعام ١٩٩٥م إحدى مشروعات الأمم المتحدة

٤

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعني

وجهة نظر وضعية

إننا نمارس نقدنا - هنا - لبنود الوثائق الدولية، التى تشرف عليها هيئة الأمم المتحدة إشرافا مباشرا، وتتفق عليها، وتخطط لها كوادر من باحثيها، نمارس هذا النقد الموضوعى الجاد من وجهة نظر وضعية واقعية بحتة، بعيدا عن قيم الأديان ومبادئها، لأن الأمم المتحدة اشترطت استبعاد الأديان والعقائد فى هذا المجال.

وها نحن أولا: نكشف فساد هذه البنود من وجهة النظر الوضعية البحتة إزاء رفض نظام الأسرة الذى يطلقون عليه:

- الزواج النمطى
- أو الزواج التقليدى
- أو الزواج الشرعى

ويقصدون به ارتباط المرأة برجل واحد تحت ظل علاقة زوجية تتم بالتراضى التام بين الزوجين وأسرتيهما مع إبرام عقد معلن ومشهور. ومن النظرة الوضعية البحتة نسأل أنفسنا، أو نسأل واضعى وثيقة شئون المرأة والطفل نسألهم:

ماذا تهدفون من التعامل بأشكال الزواج الأربعة التى تقدمت؟

وجوابهم معروف: لحماية المرأة من سطوة الرجل واحتياجها إليه ولحمايتها من ممارسة الجنس غير الآمن الذى يصيبها بالأمراض الخطيرة وفى مقدمتها مرض الإيدز ولحماية الطفل نفسه من الضياع وحرمانه من حقوقه.

هذا جوابهم - لا محالة - رددوه كثيرا من قبل، وفى التقديم لوثيقة «بكين» عام ١٩٩٥م وما تقدم عليها من مؤتمرات ووثائق واتفاقات.

شركات السفاح الجماعى

ونقول: لقد فشلتم فشلا قاتلا، لأنكم بهذا الطرح أضعتم المرأة وأضعتم الطفل ووضعتموهما فى مستنقعات بل فى بحار من الذل والهوان، وجعلتموهما فريسة للأوبئة والأمراض والاكتئابات النفسية أتدرون لماذا؟

لأن شركات الزواج الجماعية التى جعلتموها بديلا عن الزواج الشرعى لم تحرر المرأة من الاحتياج للرجل بل جعلتها فى أشد الحاجة إلى عدد من الرجال، يروحون ويجيئون عليها وهى دمية صماء يتلهى بها مجموعة من «اللئام» فبينما الزوجة فى أسرة الرباط الشرعى الذى استبعدتموه ترتبط برجل واحد يختارها من بين النساء، وتختاره هى من بين الرجال، إذا بها فى شركات «السفاح الجماعى» مثل الكرة تتقاذفها مجموعة من الأيدى والأقدام وبينما هى فى الأسرة النمطية حسب تعبيركم لا يطلع على أسرارها وخصوصياتها «الأنثوية» إلا زوج واحد شديد الحرص عليها، إذا بها فى شركات «الخنا» الجماعى تتبذل وتتكشف خصوصياتها «الأنثوية» أمام لفيف من فاقدى الحياء والمروءة حينا بعد حين؟ وأنتم تعلمون أن تقلب المرأة بين عدة رجال فى العملية الجنسية، يصيبها ويصيبهم بما ليس فى حسبان أحد من الأمراض الجلدية (الالتهاب - الهرش - التقيح) وفى مقدمة هذا كله مرض «الإيدز» الفتاك، الذى عجزت فى علاجه مهارات الطب والأطباء.

فهل أنتم حميتم المرأة فعلا من الاحتياج إلى الرجل ومن الأمراض، ومنها مرض «السيلان» المنفر الذى تنتجه العلاقات الجنسية الشاذة. وبينما المرأة فى ظل الزواج الشرعى العفيف النظيف الطاهر، محصنة من هذه الآفات، لأن أعضاء تلك الأسرة (الأزواج والزوجات) يعرفون متى تصلح المرأة للمعاشرة ومتى لا تصلح، أى فى أيام النزيف الدورى (العادة الشهرية) حتى يتوقف الضخ، وتتطهر المرأة بالاغتسال. وتصبح طاهرة باطنا وظاهرا. إذا بها فى شركات «الوقاع الجماعى» تؤتى فى جميع الأوقات وهى تفرز من رحمها الأذى (السموم) فتصاب هى وشريكها بمرض «الحكة» وانتشار القروح والجروح الدامية إذن، فلا أنتم من الاحتياج إلى الرجل حررتموها، بل زدتم فقرها إليه.

ولا أنتم من الأمراض حميتموها، بل جعلتموها منبعا سخيا للأمراض التى تصيبها هى، وتصيب معاشريها، إن مثلكم مثل المستجير من الرمضاء

الخفيفة الحرارة بالنار الشديدة اللهب.

وهل حررتموها - مرة أخرى - من عنف الرجل وجبروته بابتداع أشكال الزواج الجماعى أو الزواج المفتوح؟ كلا والدليل من الواقع المعيشى فى بعض دول الحضارة المادية المعاصرة.

المرأة فى أمريكا بين القتل والاغتصاب

فى أمريكا نشرت إحصائية تقول: إنه فى عام ١٩٨٤م وقعت حوادث عنف فى البيت بلغت ٢٩٢٨ حالة على أيدى أحد أفراد العائلة وأن ثلث عدد القتيلات وهو ٩٤٣ تم على يد الشريك (العشيق غير الزوج)؟ وتذكر كل من الباحثتين Aburdene&Naisbitt أن أكثر من مليونى امرأة سنويا تبلغ الشرطة أن حادث اعتداء بالضرب قد تعرضت له من زوجها أو شريكها (عشيق الزوجة) وأن الحوادث من هذا النوع التى لم تبلغ عنها الشرطة غير محصورة.

كما أن أربع نساء يوميا يُقتلن كل يوم بسبب الضرب الشديد من الزوج أو الشريك؟

كما ذكرنا أن ٥٩٪ من الزوجات فى النمسا لجأن إلى الطلاق من أزواجهن بسبب العنف والمعاملة القاسية وأن عددا يقدر بما بين مليونين وأربعة ملايين امرأة يتعرضن للاعتداء سنويا فى الولايات الأمريكية وحدها؟

وأن مليونا ونصف المليون من الزوجات يطلبن زيارة الطبيب لهن فى منازلهن لإيقاع الكشف الطبى والعلاج من الاعتداء بالضرب عليهن من الأزواج أو الشركاء؟

كما يقدر عدد اللاتى لا يطلبن الطبيب ويتحملن هذه القسوة بنسبة ٩٪ فى أمريكا، البالغ عدد شعبها ٢٤٠ مليون نسمة.

أما فى بريطانيا فإن أكثر من ٥٠٪ من جملة القتيلات كن ضحايا الزوج أو الشريك. كما وجد أن نسبة ٢٥٪ فى بريطانيا يتعرضن للضرب من أزواجهن أو من شركائهن؟

وبالنسبة لحوادث الاغتصاب تذكر الباحثتان المشار إليهما سابقا أن امرأة واحدة تغتصب فى أمريكا فى كل دقيقة وغالب الضحايا من سن الـ ١٧ عاما (كتاب الدكتورة شذى سلمان: المرأة المسلمة، ص٩٦، ٩٧ نقلا عن كتاب: حركات تحرير المرأة. للأستاذ مثنى أمين الكردستانى. نشر دار التعلم - القاهرة)

ومعنى هذه الإحصائية:

أن ستين امرأة يغتصبن فى الساعة الواحدة!

وأن ١٤٤٠ امرأة يغتصبن فى اليوم الواحد!

وأن ٤٣.٢٠٠ امرأة يغتصبن فى الشهر الواحد!

وأن ٥١٨.٤٠٠ امرأة يغتصبن فى العام الواحد!

هذه الأرقام الصارخة المفزعة تبين أن الحضارة المادية بكل نظمها وتدبيراتها، ومنها اتفاقيات الأمم المتحدة تجاه حماية المرأة، التى بدأت منذ عام ١٩٦٧ بعد إعلان حقوق الإنسان بقليل ثم تتابعت الدعوات إلى مؤتمر بكين عام ١٩٩٥م.

الإنقاذ يبدأ بالعناية بالأخلاق

كل هذه الأعمال لم تستطع أن توفر الحماية والكرامة والاستقرار للمرأة بل أخذت أوضاع المرأة تسوء عاما بعد عام حتى عام ٢٠٠٠م وما بعده.. لأن هذه الوثائق والاتفاقيات التى تصدر عن منظمة الأمم المتحدة أخطأت مناهج الإصلاح والحماية والرعاية الحقة فجاءت النتائج عكسية. وازدادت أوضاع النساء تدهوراً وامتهانا فى ظل كل هذه المقترحات.

وكان الأولى بمنظمة الأمم أخذ الحكمة من مصادرها السامية فتعمل ما وسعها العمل لبث الوعى بين الأفراد والشعوب بمنزلة المرأة فى الحياة، أما، وزوجة، وابنة.

وتنشر الوعى بقدسية الزواج والمقاصد الشريفة المرادة منه، لتنقذ العالم من النظرة المادية البحتة، التى لا تخرج المرأة عن كونها لعبة لإشباع النزوات الغريزية والاستلهاء العابر، مثل أكواب تستفرغ فيها إفرازات الشهوة البهيمية، ثم تطهر من محتوياتها غير المرغوب فيها لتصلح للملء مرات أخرى ومرات.

ويأتى فى مقدمة الإنقاذ العناية بالأخلاق الفاضلة لإعادة الأمن الفردى والجماعى بدلا مما تحاوله هذه الوثائق من القضاء على البقية الباقية من مكارم الأخلاق.

***

إلى منهج الإصلاح من أقرب طريق

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

فى فترة ما قبل الرسالة فشى الظلم والاستعلاء والبغى والتسلط وتواثبت ذئاب البشر فسطا القوى على الضعيف واستعلى الغنى على الفقير وانتشرت الفوضى الأخلاقية بصورة مزرية لا تطاق.. كانت موازين الحياة فى خلل فاستشرى الفساد من كل ناحية فى جانب العقيدة، وفى جانب السلوك والأخلاق، وفى الجانب الاجتماعى والاقتصادى.

لقد كانت الحياة آنئذ تطفح بمثالب لا حد لها وكانت المجتمعات تعج بكل جور وعسف وضياع.. فالبنت موؤدة واليتيم مهضوم الحق، والفقير منبوذ والضعيف مهيض الجناح والمظلوم لا حيلة له والربا منتشر والفحشاء سائدة، وهكذا فى كل مجال وفى كل قطاع من قطاعات الحياة فى الفرد وفى الأسرة وفى المجتمع وفى الأمة.

وما إن أشرقت شمس الإسلام على هذا الليل الجاثم، إلا ونفضت عنه كابوس الشرك الرهيب وجاءت الدعوة الإلهية على يد خاتم الأنبياء والمرسلين تحمل راية التوحيد لينضوى تحتها الناس جميعا مؤمنين بإله واحد لا شريك له. وبدأت أولى مراحل الإصلاح فى جانب العقيدة لتقيم حياة جديدة راسخة الأساس قوية الدعائم. وعلى هذا الأساس المتين وهو التوحيد حررت الدعوة الإسلامية العقل البشرى من إسار الشرك والوثنية والتقليد والتبعية، ودعت الناس إلى إله واحد قوى مقتدر بيده مقاليد السموات والأرض وهو على كل شىء قدير. وعلى هذا الأساس قامت دعوتها الإصلاحية تقيم ما كان معوجا وتصلح ما كان فاسدا وتخرج الناس من الظلمات إلى النور. وفى تلك الفترة المكية عنى القرآن بالعقيدة كأساس لبناء الدعوة، وأساس لعبادة الله، ولسائر وجوه الإصلاح، فدعا الرسول -ﷺ- الناس جميعاً إلى توحيد الله رب العالمين. ولم يشأ الحق -تبارك وتعالى- أن ينزل على رسوله -صلوات الله وسلامه عليه- من التشريعات والأحكام الكثيرة وغير ذلك من الأمور فى بادىء الأمر، وفى تلك الفترة إذ ليس للمسلمين حياة مستقلة قوية وهم فى حاجة إلى تثبيت العقيدة فى هذه الفترة، وهكذا كانت دعوة الرسول -ﷺ- بادىء ذى بدء لا تتصل بناحية اجتماعية ولا اقتصادية،

ولا غير ذلك من المجالات الأخرى، وإنما كانت أولاً وقبل كل شىء دعوة للتوحيد وتثبيت العقيدة. فإذا ما تمت الدعوة إلى العقيدة وآمن الناس تلقوا بعد ذلك وجوه الإصلاح وتلقوا أوامر ربهم وأحكامه فيما يتصل بسائر نواحى الحياة الاجتماعية والاقتصادية وغيرها.. ثم إن وازع العقيدة الثابتة فى قلب المؤمن يظهر واضحا فى فعل ما يأمر الله به والانتهاء عما نهى عنه دون توقف ودون محاولة للتهرب منه.

وازع العقيدة

ولوازع العقيدة أثره البالغ فى الإصلاح وفى التوجيه إلى كل ما فيه الخير وفى إقلاع الناس عن كل العادات السيئة والرذائل القبيحة. لقد استجابوا -بدافع العقيدة- لدعوة الإسلام وإصلاحه وتوجيه الرسول -ﷺ- ، حين نهاهم عن معاقرة الخمر فانتهوا عنها، وعن الميسر، فتركوه، وعن الأنصاب والأزلام والربا والفواحش، وغير ذلك من سائر وجوه الفساد الذى يستشرى فى الحياة.. وكاد أن يتفاقم خطره ولا يبقى ولا يذر فى الحياة شيئا. لقد استجابوا مسرعين لأن وازع العقيدة وهو الأساس كان متينا وثابتا وقد عرفوا وأيقنوا وآمنوا بالله الواحد القادر على كل شىء، فلا بد أن يكون ما يدعوهم إلى فعله هو الحق والخير، وأن ما ينهاهم عنه هو الباطل فكانوا أسرع استجابة لما يدعوهم إليه. لقد جاء الإسلام بدعوة الإصلاح الشاملة العامة الخالدة.

وبعد تثبيت العقيدة كأساس قويم لبناء الإصلاح تتابعت نداءات البناء الإسلامى ووصايا الحق والعدل والإحسان. يقول الله -تعالى-:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

[سورة النحل ٩٠ - ٩٢]

مسئولية إقامة العدل

لقد حمل التوجيه الإسلامى لهذه الدعوة نور الحق والعدل ليقوم المسلمون بالتبعة الكبيرة الملقاة على عاتقهم وأن يؤدوا الأمانة على أكمل وجه.

إن مسئوليتهم فى إقامة العدل مسئولية ضخمة، عليهم أن قدموا العدل ولا يخافوا فى الحق لومة لائم مهما كانت الأحوال ولو كان ذلك على أنفسهم، فعليهم أن يقروا بالحق وألا يكتموه ولو كان على الوالدين والأقربين وألا يميلوا فى إقامة العدل والشهادة وألا ينحرفوا عن وجه الحق لسبب من الأسباب، فلا ينحرف بالحق من أجل غنى إنسان ولا يشفق على آخر لفقره، فالحق هو الحق لا يتغير بحال من الأحوال، والله -تعالى- يعلم السر وأخفى، وأعلم بما يصلح الجميع. فقال - سبحانه-:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾

النساء/ ١٣٥، ١٣٦

وهدد القرآن أولئك الذين ينقضون عهد الله، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويحاولون الافساد فى الأرض فقال -تعالى-:

﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾

[سورة الرعد - ٢٥]

وحين يستشرى الفساد فى مجتمع من المجتمعات. ولا تكون هناك مناهضة إصلاحية له فإن القانون الإلهى واضح كل الوضوح، فيما يترتب عليه من نتائج، وأن من عدل الله فى حكمه، أنه لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب فساد أو ظهور معصية.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾

[سورة الرعد - ١١]

موالاة المؤمنين

ويؤكد الإسلام على حقيقة هامة من حقائق الإصلاح فى الأرض وهى موالاة المؤمنين بعضهم مع بعض، وحبهم لبعض وإخلاصهم وتعاونهم فى كل خير وإصلاح يعود بالنفع على الجماعة.. وبعدم موالاة أعداء الإسلام من أهل الشرك والفساد لأنهم أولياء بعض فإن لم يجتنب المسلمون أعداءهم تحل الفتنة والفساد الكبير

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾

[الأنفال - ٧٣]

ومنهج الإصلاح فى الإسلام استوفى جميع جوانب الحياة وكل ميادين العمل، والنشاط الإنسانى بحاجة لتلك النظريات المستحدثة أو النظم الوافدة التى يزعم أصحابها والمتعصبون لها بأننا فى حاجة إليها فى الجانب الاقتصادى مثلاً وغيره، ففى الكتاب والسنة كل ما تحتاجه الحياة من إصلاح فى كل المجالات. يقول الأستاذ محمود العقاد -رحمه الله-: «إنما أقام الإسلام قواعد الاقتصاد التى يقام عليها كل نظام صالح. فقرر أن يمنع الاحتكار وكنز الأموال، وقرر أن يمنع الاستغلال بغير عمل، وقرر أن يتداول المجتمع الثروة ولا تكون دولة بين الأغنياء، وقرر أن تكون للضعفاء والمحرومين حصة سنوية لا تقل عن جزء عن أربعين جزءاً من ثروة الأمة كلها، وقد تزيد عليها بأمر الإمام وإحسان المحسنين، ولا خوف على مجتمع قط يمتنع فيه الاحتكار والاستغلال وإهمال العاجزين». [ص١٩٦ ط، دار الهلال]

ومما سبق يتضح أن منهج الإصلاح فى الإسلام شمل جميع جوانب الحياة وسائر أنواع النشاط الإنسانى اقتصاديا كان أو اجتماعيا. وأنه لا حاجة لاستيراد أنظمة أخرى ولا لإقامة قوانين وضعية، هى من صنع العقل البشرى العاجز، غير المعصوم الذى يأخذ اليوم بأمر ويعرض عنه غدا، ويرى الخير فى أمر ثم يتبين له عكسه، وهكذا. وما ذلك إلا لأنه صنع بشرى قابل للخطأ والصواب وللجهل والنسيان.. أما القوانين الإلهية المحكمة فهى من لدن حكيم خبير يعلم السر وأخفى، وفيها سعادة البشرية وأمانها ونهوضها وعزتها.

السلف الصالح

فما أحوج الإنسانية اليوم وهى فى دورانها المضنى وشقائها المتضاعف أن تعود إلى الإسلام وأحكامه وقوانينه العاملة، وأولى لها ثم أولى أن تعود إلى الإصلاح من أقرب طريق وأن توفر على أنفسها وعلى الحياة عناء هذه الرحلة المضنية التى قطعت أشواطها منذ زمن مُمعن فى البعد. كلها فى طرق مسدودة. أولى لها أن تعود إلى الإصلاح من أقرب طريق وهو طريق الإسلام وأن تنأى بنفسها عن الضياع الذى مزق حياتها ودوخ أجيالها واستنفد أنفاسها اللاهثة فى غير جدوى ولتنظر إلى بلاد الإسلام التى حملت راية الله فى الأرض واتخذت الإسلام قاعدة للإصلاح كيف شاع فيها الأمن والرخاء والاستقرار والطمأنينة ولتنظر إلى خطى السلف الصالح وما حققوه من إصلاح للحياة فعاشوا حياة أمن ورخاء وليقرأوا قول الحق -تبارك وتعالى-:

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ۝ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾

الانبياء/ ١٠٥، ١٠٦

من القضايا المعاصرة

الغربُ بينَ اتجاهَينِ

٢

لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطة

تحت عنوان «تنافر ذو مغزى» كتب «جاك بيرك» فصلاً جاء فيه:

«إن ترتيب السُّور فى الطبعة الأولى والنهائية «يريد الصورة» لم تتبع التسلسل الزمنى للوحى، وهناك ما هو أكثر. فغالباً ما نجد داخل السور أنساقاً، أو حتى آيات تلقيَت فى فترات متفرقة الأمر الذى لا تستشعر عقيدة الإسلام ولا علومه أى بلبلة إزاءه».

ثم مضى «جاك بيرك» يضرب أمثلة ليدلل على أن ترتيب السور والآيات لم يدوَّن بحسب النزول، فقال: «إن السورة الثانية (البقرة) التى تأتى فى مقدمة الكتاب، (لم تكن) أوحيَت حتى الوصول إلى المدينة، ويقول آخرون: إن جزءاً منها نزل أثناء الرحلة بين المدينتين، وهى تضم واحدة من آخر الآيات نزولاً، وسورة (المائدة) هى آخر سورة أوحيَت تقريباً، فترتيب نزولها هو ١١٢ وفقاً للتراث، ١١٤ وفقاً «لنولدكه» وهى الخامسة فى ترتيب المصحف، ويتسع التنافر بين ترتيب النزول وترتيب الجمع أحياناً ليصل إلى درجة التناقض».

ويعلق الدكتور رجب البيومى عليه مُبيِّناً وجه القصور لدى «جاك بيرك» فى فهم القرآن الكريم وظروف نزوله، وما يستدعيه جو الدعوة الإسلامية، عندما كانت الآيات تترى واحدة بعد الأخرى، وسورة إثر سورة. يقول سيادته: «وهذا الكلام يكون له وجه من الاعتراض، لو أن المسلمين قالوا إن القرآن «سوراً وآيات» قد دُوِّن فى الكتاب بحسب نزوله، فيصح للمعترض أن يُفيض فى ذكر أمثلة تخالف ذلك، كما أفاض «جاك بيرك» فى هذا المجال، فذكر استشهادات من سور: (يس والنمل ولقمان) لينتهى إلى مثل قوله: «إن أوائل السور نزولاً تجمعت في النصف الثاني من الكتاب، بينما النصوص المنتمية إلى المرحلة الثالثة تجمعت فى النصف الأول كأنها تناظر سور المرحلة الأولى».

ويواصل الدكتور البيومى رده قائلاً: «ومن الثابت المقرر أن نزول القرآن لم يكن مرة واحدة بل كان بحسب الوقائع والحوادث التى تجدّ فى حياة الرسول ـ ﷺ ـ ويأتى من الوحى الكريم إرشاد بشأنهما، وكان ذلك ضرورة حتمية لنجاح الدعوة الإسلامية ليُثبِّت قلوب المؤمنين، ولو نزل جملة واحدة ما ترك من التأثير ما أحدثه نزوله مُنجماً، فكيف تأتى بلبلةٌ «ما» يتخيلها الكاتب، لأن السور الكريمة تضمنت آيات نزلت متفرقة، وجُمعَت فى نظام مُلتَئِم بوحىٍ من السماء على لسان جبريل؟!. لو أن مؤرخى كتاب الله قالوا إن تدوين الكتاب قد تم بحسب النزول، لكان لأمثال المؤلف أن يجمع من الآيات فى السور الكريمة ما يدل على وجهة نظره، مما يَعدُّه مأخذاً، لكنه يقرر ما يسمى بتحصيل الحاصل» ثم يلفت الدكتور البيومى نظر «جاك بيرك» إلى أنه «كان عليه أن يتأمل السياق المطرد بعد أن وضعت الآيات فى السور موضعها الربانى ليرى كيف استقام البيان العلوى على سنن قويم؟!. والذى يدفع أمثال الباحث إلى تخيل هذه الفجوات بين السور لعدم التزامها بالترتيب الزمنى للنزول، أنهم يقيسون القرآن بتسلسل المعانى فى السورة الواحدة،



جاك بيرك

وهذا موضع الخطأ، لأن المقاييس المعروفة للكتابة تتبدل بتبدل الزمان، فما قد كان مقبولاً فى الأسلوب فى عصر يصبح غير مقبول فى عصر آخر، وقد نص القائلون بالإعجاز القرآنى على أن من أسرار هذا الإعجاز، الروح العليا التى تسيطر على القارئ، فتكون بمثابة وحدة خاصة بالنسق المعجز، وبهذه الروح تطَّرد المعانى فى مستوى رفيع».

هذا بعض ما قاله الدكتور/ رجب البيومى فى رده على هذه الشُّبهة التى أثارها «جاك بيرك».

نولدكة

وتحت عنوان «شواذّ نحويَّة» ذهب «جاك بيرك» يُعدِّد ما اعتبره أخطاء نحويَّة في القرآن الكريم ـ معاذ الله ـ معتمداً تارة على سلفه المستشرق «نولدكه»، الذى أقام منه نموذجاً ضخماً للْمُسْتَعْرِب الحُجَة الذى تسلح بعلميَّة عصره؛ حيث قام «نولدكه» هذا «بتعرية» الأسلوب والنحو والمفردات فى

القرآن [على حد زعم «جاك بيرك»]، مُشْهِراً ببلادة هنا وتكرار وحَيْدَةً [يقصد خروج] عن المعنى هناك، ثم اختصار وحذف بل وحتى غلط فى موضع آخر..، وتارة أخرى على مخالفات نحوية اكتشفها هو [بعبقريته الفذَّة]، وذلك عندما قال: «وستضيف إليها قراءتنا الخاصة مخالفات أخرى، سبق أن كشف رجال التفسير بعضاً منها». وقد أجمل من ذلك كله عدة أخطاء ـ معاذ الله ـ: منها على سبيل المثال ـ حتى لا يطول بنا الكلام ـ فى سورة (القصص)، استخدام «إنَّ» بعد اسم الموصول «ما»، مما أثار خلافاً شديداً بين الكوفيين والبصريين فى الآية ٧٦ من السورة

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ﴾

[القصص: ٧٦]

ومنها ما اعتبره الأكثر إثارة للحيرة الآية ٣٦ من السورة الثالثة والأربعين، الزخارف ويقصد الزخرف، وقد جرى على عادته من تغيير أسماء السور، فقد انتهت كلمة «نُقَيِّضْ» بالجزم (وهو يعنى بالطبع قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾

[الزخرف: ٣٦]

جهل بحقائق القضية



نولدكه

وما كان ينبغى أقل من تدخل الفقيه المغربى ابن مرزوق الحافظ ليُغلِّب الرأى القائل: إن الأمر يتعلق بصورة شرطية [يقصد جملة شرطية] مرتبطة بـ «مَنْ» السابقة عليها، ومع ذلك فهو تفسير منتقد بشدة. ويمكن أن يضاف أنه النظام المباشر لـ«مَنْ» هذه بحذف آخر الفعل «يعشو».

وأيضاً الآية رقم ١٦٢ من سورة (النساء) حيث جاءت كلمة «المُقيمين» منصوبة بين مرفوعين، فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾

(النساء: ١٦٢)

وغير ذلك مما سرده فى كلامه. وقد جاء رد الدكتور رجب البيومى على ذلك كله مبيناً مدى جهل «جاك بيرك» بحقائق القضية، التى راح يشهر سلاحه فى ميدانها وهو لا يعرف أبسط الحقائق العلمية التى يعرفها تلاميذ المرحلة الابتدائية والإعدادية عندنا نحن المسلمين. ،كان مما ردّ به سيادته عليه:

«الذى يكتب فصلاً تحت هذا العنوان: «شواذ نحوية»، لابد أن يكون عالماً بأصول النحو، دارساً قواعده دراسة مكينة، فإذا نسب هذه الشواذ إلى كتاب الله، كان عليه مبدئياً أن يعرف تاريخ النحو، ويعلم أنه وُضِعَ بعد نزول كتاب الله بأمد بعيد، وأنه استمدَّ قواعده أولاً من كتاب الله، وكل ما جاء به من هذه القواعد مطابقاً لكتاب الله فهو صحيح. أما إذا عجز النحو عن إيجاد القواعد الكاملة التى تُسْتَنْتَج من الأسلوب القرآنى، فليس الخطأ خطأ القرآن، ولكنه قصور القاعدة عن أن تتسع لوضع شامل، وهذا شىء مسلم به، لا يُمارى فيه من يعرف أن قواعد النحو مقتبسة من الأسلوب الأدبى، وفى مقدمته أسلوب القرآن الكريم».

ما أدراهم بلغة القرآن؟!

«وقد بدأ بحثه هذا [شواذ نحوية] ـ ولا يزال الكلام للدكتور البيومى ـ بالإشادة بالمستعرب الكبير «نولدكه» فهو المسلح بعلميَّة عصره، وقد قام ـ فى رأى جاك ـ بتعرية الأسلوب والنحو والمفردات فى القرآن!. وهو بذلك من مصادره الملهمة وعلى هديه سار: وقد كتب مادة «قرآن» فى دائرة المعارف البريطانية، فَصَدَر عن جهل وغرض، حتى ردَّ عليه من زملائه من كشف عواره، وجاء «جاك بيرك» ليضعه فى الصف الأول من الباحثين، لأن الأهواء متفقة، ولا يقع الطير إلا على شكله. وقد اختار «نولدكه» ما عده مخالفات نحوية وقعت فى كتاب الله!. فقال عنها «جاك بيرك» إنه لا خلاف عليها.. ويطول بنا القول حين نتتبع ما فتح الله به على «نولدكه» وتلميذه من هذه «الفتوحات» وقد قال إن هذه المخالفات ترجع إلى العبارات الجامدة!. [يقول الدكتور رجب البيومى]: ولا أدرى ماذا يقصد بجمود العبارة[1] وما أدراه بلغة القرآن؟!. وقد قدَّمنا من أخطائه فى فهمها ما يدفعه إلى الانزواء!.».

ثم يبدأ الدكتور رجب البيومى فى الرد على أراجيف «جاك بيرك»، وأستاذه «نولدكه» مما جاء فى هذا الباب.. يقول الله ـ عز وجل ـ:

﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ﴾

(القصص: ٧٦)

«فيقول جاك: يثير استخدام «إنَّ» بعد اسم الموصول «ما»، خلافاً شديداً، فقد قبله نُحاةُ البصرة بينما رفضه نُحاةُ الكوفة الذين وجب عليهم الالتجاء إلى مهرب هو

(١) لعله كان يُحب أن تكون عبارة القرآن «الولبية» ملتوية غير واضحة الدلالة كما جرت عادته هو وأمثاله فى الكتابة.. وربما.

إنكار وجود اسم موصول». والخلاف هنا ليس على صحة التعبير القرآني ـ لا يزال الدكتور البيومي يتحدث ـ فهو صحيح لدى الكوفيين والبصريين معاً، ولكن الكوفيين لا يذهبون مذهب البصريين في عدِّ كلمة «ما» اسم موصول، وهو ما نعاه عليهم عليُّ بن سليمان فقال: ما أقبح ما يقول الكوفيون في الصِّلات: إنه لا يجوز أن تكون صلة الذي «إنَّ» وما عملت فيه، وفي القرآن

﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ ﴾

[القصص/ ٧٦]

فكان النص الشريف حُجّة لا تُدفع».

ثم ننتقل إلى ما قاله الدكتور رجب البيومي في رده على الشبهة الثانية التي اخترناها: «أما العجب ففي تخطئة النص القرآني في سورة الزخرف، وهو قول الله:

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾

(الزخرف: ٣٦)

حيث قال جاك: «نقيض» بالجزم خطأ!!.. وطالب القسم الابتدائي يعلم أن «مَنْ» اسم شرط جازم، و«نقيض» جواب الشرط المجزوم!. أفيجوز لمن يجهل هذه البديهة الواضحة أن يتحدث عن الخلاف النحوي بين الكوفيين والبصريين؟!.».

وفي ردِّه على الشبهة الثالثة الخاصة بـ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾

(النساء: ١٦٢)

وشبيهتها

﴿ إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾

طه/ ٦٣

حقيقة خلاف المفسرين والنحاة

يقول الدكتور رجب البيومي «إن كتب النحو تمتلىء بإعراب مثل قول الله- عز وجل: إن هذان لساحران» وقوله:

﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾

بالنصب، وكذلك كُتُب التفسير حتى أصبح الحديث عن إعرابهما منتهياً إلى حد. وخلاف النحويين في إعرابهما شيء، والقول بالخطأ شيء آخر. وهو ما وقع فيه «جاك بيرك»!. لأنه جهل أن خلاف المفسرين والنُحاة لا على صحة التعبير، بل على موقعه الإعرابي، وأذكر أن هاتين الآيتين مرتا علينا ونحن ندرس النحو بالقسم الابتدائي بالأزهر!. فلو كان بين تلاميذ «جاك بيرك» وهو يلقى محاضراته هذه عن القرآن في «معهد العالم العربي بباريس» طالب من صغار طلبة القسم الابتدائي بالأزهر، لقال له: أنت لم تقرأ شيئاً، وتحدثت فيما لا تعلم»!.

وينهي الدكتور رجب البيومي ردَّه على

هذا القضايا التي مرت وأشباهها قائلاً: «لقد قرأ «جاك» كُتُب التفسير، ففهم شيئاً وغابت عنه أشياء، ومما غاب عنه مباحث النحو، إذ كيف يكشف خوافيها ويتغلغل إلى أعماقها من لا يعرف أن جواب الشرط في قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا ﴾

[الزخرف/ ٣٦]

مجزوم بالسكون؟!. وقد رأى محاولة النُحاة في ابتكار شتى الأعاريب للنص الواحد، فظن ذلك محاولة للإنقاذ من خطأ، وأخذ يعرض أمثلة سبقه لبعضها ـ كما اعترف ـ المستشرق الهولندي «نولدكه» وها نحن أولاء نقضي عليها بما يوضح وجهها الصحيح وهي بالنسبة لأبناء العربية مما قيل: «لا ينتطح فيه عنزان»(٢).

هذا وقد كُنَّا نَوَدُّ أن نستعرض أكثر من ذلك، من جهود الدكتور رجب البيومي في ردِّه على «جاك بيرك» المستشرق الفرنسي، الذي قرأ كتاب الله ـ تعالى ـ، لا ليهتدي به إلى صراط الله المستقيم، ولكن ليلتمس فيه الشبهات، وليثير من حوله الأراجيف؛ حتى يصُدَّ الناس عن الإيمان به والانقياد لهداه. فكان مثالاً للصنف الثاني مما ورد في قول الله ـ تعالى ـ:



رجب البيومي

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾

(الإسراء: ٨٢)

ولكن فيما ذكرناه كفاية. ومَنْ أراد المزيد من التعرُّف على هذا الكتاب فليرجع إليه.

.. وإلى اللقاء في الحلقة التالية إن شاء الله لنتعرف على نموذج من الصنف الأول الذي هداه الله، وقاده القرآن الكريم إلى رضوانه، فكان له نعم الشفاء، وكان له نعم الهادي إلى الصراط المستقيم.

***

(٢) هذا المثل كناية عن وضوح هذه القضية وبساطتها.

يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ

للدكتور/ أبى حسام

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾

(يوسف/ ٣٠ : ٣٢)

سقطتْ من جُفونها دمعة الشو ... ق فَصاحتْ مذعورة ويلتاهُ

فزعتْ كالذى على جُرُفٍ ها ... رٍ فزلَّت من رعدةٍ قدماه

لم تظنَّ المأساة تُسقط دمع الـ ... ـعين هولاً، فحلَّ ما تخشاه

أهُيامٌ بيوسفٍ وهو فى القصر، ... فتىً بات زوجُها مولاه

صمَّمتْ أن تَحيد عنه وتندك ... كَ انهيارا إنْ أومضتْ عيناه

كم تنزتْ على الفراش تذُود السهد ... عنها فيستطل مداه

تُرتمى تارةً وتقعد أخرى ... أىّ جمرٍ فى صدْرها تصلاه

كم تناستْ فما استطاعتْ وتمثا ... لُ فتاها فى كلّ منحى تراه

مالىءٌ عينها، كما يُشرق البدر ... وأبهى منَ الزهور حلاه

تتناسى! وكيف؟ والظمأُ اللوَ ... اَحُ فى حلْقها يشبّ لظاهُ

إنها الذلة التَى تقهر النفس ... فترتادُ موقفًا تأباه!

ربَّةُ القصر، لم تعُدْ ربة القـ ... ـصر ومنْ رهطها فتى تهواه

قامَ عَز السلطان سدا وطمَّ السـ ... ـيلُ من خلفه فخارت قواه

فهوى السدَّ، لم تَعُد غير أنثى ... ذاتَ قلب يئزّ فيه شجاه

ليس يشفى أوارها غير طلّ ... كوثرىّ تندى به شفتاه

تتناسى، وكلُّ صبحٍ إذا غا ... بَ ظلامٌ، وإنَ تبدّى ضُحاه

حدثتْ نفسها تُنفسّ عن صدرٍ ... تداعى جوىً بما أخفاه

يوسفٌ يوسفٌ، أنادى فيأبى ... وبعْينى توسّلُ ما وعاهُ

ربَما قد وعى، فآثرَ صمتاً ... فلهُ حدْسه، وفيه حجاهُ

هُو فى سمته وضىءٌ تراءَى ... فى محيّاه كلُّ سّرٍ طواه

هو فى صمته رزين فما أعر ... فُ فيه تسرُّعًا كْسواه

هَو فى نُطقه نبيل حيىَ ... تتشهّاه إن سمعت لُغاهُ

ولسحر الجمال فى وجهه البا ... سمِ نورٌ يشوى القلوب زُهاه

القريبُ البعيُد، أدعُو فيدنو ... ثم لا شىء حين تدنُو خطاه

القريبُ البعيد، عَزَّ منالاً ... من يمينى ككوكبٍ فى علاه

هو فى جِده دءوب نشيط ... ذُو كفاح يؤُوده مرماه

لم أجدْ يافعًا سواه تسامى ... لجليلِ الأمور منذُ صباه

كم تطرفْتُ فى الدعابة أدعو ... هُ ولكنْ تزمّتت تقواه

كم تهورتُ في الكنايات أبلو — هُ فلم أستـــرح لمَا أبداه
يا لقلبي منه تقطّع أفلا — ذًا ولم يدرِ بعدُ ما عُقباه
قد تماسكتُ إذ يلوحُ، ولكن — آن أنْ يُعلن الشجيّ هواه

-٢-

وسرى في القُصور همسٌ مريب — عن غرامٍ في القصر شاعَ صداه
ألسُنُ الشائعات عند الغواني — قد تطلّبن ما يقُلْن فها هو
ربّةُ القصر أُغرمت بفتاها — كلّما راودته أبدى قلاه
حطّم الكبرياءَ في نفسها الو — لهي فناءت قهرا بما تلقاه
تشرب الذّل من يديه ذُعافا — ثم لا تستطيع أنْ تنهاه
قد تغاضى العزيزُ عنها وتزدا — د عنادًا له فما تخشاهُ
سمعتْ كيدهن ثم أرادتْ — عملًا حاسمًا يفل شباه
قد تكلّمنَ، فليرَيْن، وحتمٌ — لازمٌ أن يَهُولَهنّ سناه
ستُشقّ القلوب من فتنة الحسـ — ـن وتجثُو على التراب الجباه
مشهدٌ ما رأته أنثى فصارتْ — ذاتَ عقل يقضي عليها نُهاه
وتطلّعن فاضطربن كمَنْ في — زورق تعتلي به الأمواه
مشهدٌ للفتون لم يُرزقِ الريث — على سحره صبُورٌ رآه
كلّ عقل يشجوه مُستطار — كلّ قلبٍ بوجده أوّاهُ
فقطعْنَ الأيدي بأعنف سكّين — وعضتْ بالسّن ضيقًا شفاهُ
ربّة القصر لم تعد وحدها الأ — نَ فكلٌّ عراه ما قدْ عراه
لا تُلم غادة وتنسى سواها — هنّ في حومة الهوى أشباهُ.

-٣-

ووعى السجنُ تمتمات سؤال — عَنْ فتىً حلّ دون ذنب جناه
ملَكٌ رائعُ البهاء جميل — ليس في عالم الورى مأواه

شفّ طُهرا ورفّ نورا فما تبـ — ـصرُ إلا مَهابةً تغشاه
طاهرٌ أبيضُ الجنان شريفٌ — قدْ حماهُ من السّقوط اللهُ
أوَ يغشى السجون، يا عجب الأقد — ار تُصْمي الحِجا بما يدهاه
وجدَ السجن طاعةً فارتضاهُ — ورأى القصر مَأْثمًا فاجتواه
لا ائتمارٌ يسوقه للدنايا — لا احتيالٌ يروع منهُ تقاه
ها هنا يُشرق الفؤادُ بنور — للسموات - لا الثرى - منتماه
هبطَ الوحي بالنبّوة في السـ — ـجن وفي الوحْي عِزّهُ والجاهُ
أو شأوٌ بعد النبوة يرجو — ه وقدْ طار للسّها مرقاه!
صوّرت عزةُ الرسالة منْهُ — أسدًا في النزال يحمي حماه
الفتى الطاهر الرّقيق تجلّى — صارمًا تمحقُ الضلالَ ظباه
ذُو بيان يسطو بمنْطقه الجزْ — ل وللحقّ منطقٌ تيّاه
يا بني السّجن تُشركون بربّ — هُو فوق الأرباب فذٌّ إله
يا بني السجن ما ترون أأربا — بٌ كثيرُ؟ أم واحدٌ نخشاه
يفسدُ الكونُ إذ تسود به الأر — بابُ كل يأتي بما يهواه
فاستشيروا عقولكم واستفيقوا — ليس في منطقي الصريح اشتباهُ
يا ظلامَ السجون أشرقْت بالنور — ولله كم تهزّ رؤاه؟
شُعلة الوحي لا تني تبعث الضو — ءَ لمن قدْ تفتّحتْ عيناه
جمعت عُصْبةَ الهدى فتلاقوْا — وتهاوتْ على البُغاة فتاهُوا
وأتى الصّيتُ للمليك فلم يُمهله — إذ كانَ واثقًا بعلاه
كانَ أدْرَى بطهره غير أن الـ — ـحزمَ أفضى به لما يأباه
راعه حُلمُهُ فعجّل يدعوه — ولبّى إذْ ليس ندْبًا سواه
يا لرؤيا تكشّفت دُون لبس — كلُّ رمز بها له معناه
أطلعتْه إذْ حصحص الحقّ فا — نجابَ عن الخابط الشريد عماه
اتهام، براءةٌ! هكذا النا — سُ مع الدهر، غفْوة وانتباهُ.

المضمون الإسلامى للحرية الملتزمة

للأستاذ الدكتور/
محمد أحمد العزب

- ١ -

«الحرية الملتزمة» تعنى أنها ليست انطلاقا سائبا من جهة، وليست كذلك تكبيلا مقيدا من جهة أخرى، وإنما هى حرية مسئولة تنبع من إحساس إنسانها بأنه إنسان كونى، مسئول عن الأشياء والأحياء، ومسئول عن ذاته والآخرين، ومسئول عن حاضره وصيرورته، أى أنه مسئول عن الكون الذى وجد فيه على نحو من الأنحاء.. فالإنسان من بين كل مخلوقات الله هو الكائن الوحيد المسئول عن حريته، وأيضا عن حريات الآخرين، وإذن فالحرية الملتزمة فى الإسلام تنبع من نقطة بدء هى الإحساس بالمسئولية، لأننى مادمت مسئولا فأنا حر، ومادمت كذلك حرا فأنا مسئول، وهذه بعينها هى الوضعية المؤهلة لإنسانها أن يكون سيدا على الأرض، لأن الإنسان الحر الملتزم، هو الإنسان السيد القوى، أى الإنسان الذى يستطيع أن يشكل ذاته وعلاقاته، وأن يكون علاقة تحول فى جبهة التاريخ وليس مجرد ضبابة عابرة.. وهذا هو المدى الذى ينبغى أن تنتهى إليه الحرية الملتزمة.

ومن هنا قرن التكليف العقيدى بالحرية فى كثير من المجالات، لأنه لا تكليف لغير الحر المسئول الذى يستطيع تحقيق ما يريد من فعل بلا حواجز أو غابات من الأسوار، وذلك لأن الحرية الملتزمة مسئولة عن محاور الحركة فى مناطات متعددة، تبدأ من مسئوليتها عن فعل الجوارح والقلوب والعقول وتنتهى إلى مسئوليتهاعن كل الزمان الإنسانى، وكل المكان الإنسانى، وكل ما يموج به هذان الإطاران من جدل الفعل والتحقق وصراع الأضداد.. أى أنها مسئولة عن الحب فى الأرض، وأيضا عن الحضارة فى الأرض ولن يستطيع حمل أعباء هذه الحرية سوى إنسان متعال على قوانين الكبح والإجهاض.

والحرية الملتزمة تولد فينا إحساسا بالقدرة على التغيير والإبداع والحس بالآخرين، وإحساسا آخر بضرورة أن نستشرف نوعا من الفعل الفاضل قبل أن نفعله، لأن الفعل الحر صورة الفاعل الحر الذى لا يستطيع تزييفه أو إلحاقه بمصدر آخر سواه، وإحساسا آخر كذلك بمحاولات تقويم ما أنجزناه من فعل بعد أن يتحقق هذا الفعل، لنرى على ضوء هذا التقويم مسافة اقترابنا أو ابتعادنا من جوهر المثال الذى نتوق إلى معانقته أو حتى محاذاته.

وليست الحرية الملتزمة انكفاء على الذات، وإنما هى دعوة مفتوحة من خلال ما نمارس نحن من فعل لتشمل حتمية تحريض الآخرين على الخير، من خلال ما نمارس من مثال سلوكى مسئول أولا، ثم من خلال دفع الآخرين فى اتجاه ما نؤمن نحن بأنه يحقق فيهم إنسانية الإنسان وعقائدية المؤمن ثانيا، ثم من خلال طموحنا الذى لا يحد إلى أمل أن يصبح الوجود كله حرا ومسئولا، فلا يعتدى إنسان على حرية إنسان، ولا شعب على حرية شعب، ولا حضارة على حرية حضارة، إلا من خلال إرادة التمكين للخير والحق والجمال كما أرادها الله.

والإسلام فى تجسيده لعناصر الحرية الملتزمة يتردد بين محاور محددة، تضع هذه الحرية فى مناطها الطبيعى الذى يغطى عديدا من الأبعاد، فالعمل المسئولية والمسئول معا مدخل إلى الحرية الملتزمة.. والوعى بأن طاقاتنا ومواهبنا وإيقاع خطواتنا على الأرض مسئوليتنا مدخل إلى الحرية الملتزمة.. وتحديد حرياتنا فى إطار التمكين لحريات الآخرين أن تمارس وجودها الفاعل مدخل إلى الحرية الملتزمة.. وإعطاء الحرية مضمونها العملى من جهة، والشمولى من جهة أخرى مدخل إلى الحرية الملتزمة.. وتوزيع مناطق المسئولية توزيعا يفضى فى النهاية إلى تكامل منتج مدخل إلى الحرية الملتزمة.. ورفض أن نكون مسئولين فقط عن ذواتنا لأن ترشيد الآخرين مسئوليتنا كذلك مدخل إلى الحرية الملتزمة.. وإعلان المقاومة السلبية إذا لم نستطع غيرها مدخل إلى الحرية الملتزمة.

وهكذا تتواشج النظرة الإسلامية إلى طبيعة ما تهدف إليه من تحديد قضية «الحرية الملتزمة» من خلال هذا التنوع الشامل، الذى يسدد مفرداته فى اتجاهات متعددة حتى يكون فى النهاية قادرا على ترشيد كل الاندفاع الحياتى والبشرى، وضبطه فى قوانين الفهم عن هذه الحرية الملتزمة، التى لا تتخلى بالفوضى عن حكم مسيرة الاجتماع الإنسانى من جهة، ولا تتعسف بالجبر فى حكم مسيرة هذا الاجتماع الإنسانى من جهة أخرى، وإنما تعادل من خلال الفهم الراشد عن حكمة الله فى الأشياء بين الإطلاق والتحديد، حتى تعطى الحركة الحياتية قدرتها المنضبطة على الاندفاع العاقل فى شتى ضروب الاجتهاد والإبداع.

ويقع كثير من الخالطين فى خطأ الفهم عن

حكمة الله فى هذا القانون المسدد، فيحاولون تحكيم معنى واحد من هذه المعانى المتعددة والمتكاملة دون سائر المعانى، ومن هنا يجرون الواقع الإسلامى إما إلى البطش المستبد، أو الفوضى السائبة.. ولو أنهم حاولوا تحكيم كل القضية لعرفوا طريقهم إلى تناغم حياتى رشيد، يرفض الفوضى لأنها قانون ضد كل القوانين، وأيضا يرفض الاستبداد لأنه عدوان على طاقة الإبداع وتحضير الحياة.

-٢-

والغريب أن القرآن الكريم يجسد الحرية الإنسانية تجسيدا لا يحتمل مزيدا من الإضافة ومع ذلك ترتعش خطواتنا أمام فهم هذه الحرية، كأنما هى ضرب من الاحتراق الكامن فى طبائع النصوص.. وفوق تسديد النص القرآنى فى اتجاه تأكيد الحرية الإنسانية وترشيدها مباشرة، يتوجه هذا النص القرآنى إلى ترهيب الإنسان تارة، وإلى ترغيبه تارة أخرى مما يوحى بأن هذا الإنسان يملك حرية أن يقول نعم، وأيضا حرية أن يقول لا، ومن خلال امتلاكه لحرية القبول والرفض، يصبح فى نفس اللحظة مسئولا عن اختياره ومثابا أو معاقبا على نوعية هذا الاختيار.. وهذا هو العدل الإلهى، فى أنصع مظاهره، لأنه يرتب النتائج على مقدماتها، والجزاء على الفعل، ومحاكمة الإرادة على امتلاك حس الموقف والمسئولية والاختيار الطليق.

ويخطىء من يظن أن «الحرية الملتزمة» تعنى استقلال الإرادة البشرية عن إرادة الله، فالمسلم الحقيقى عبد ربّانى، يقول للشىء كن فيكون، أى أنه استحال إلى صدور طبيعى عن إرادة الله - عز وجل -، بلا تعارض وبلا تناقض.. هو حر فى أن يختار ما يريد، وأن يريد ما يختار، فإذا وفق للاختيار السديد، ووقف تحت مظلة الفهم عن حكمة الله فيه وفى الأحياء والأشياء، فكل إبداع يحققه على الأرض، فهو ثمرة من ثمار هذه الربانية الممنوحة عن جدارة والتى تقول فيه للشىء كن فيكون.

الحرية تصبح هنا التزاما، والالتزام يصبح هنا حرية، وتتلاشى المسافات المفتعلة بين طاقة الإبداع فى الإنسان، وطاقة التلقى عن حكمة الله فى الكون والحياة والإنسان، ومن هذه النقطة بالذات نستطيع أن نفهم لماذا كانت كل الحركة الإنسانية المسلمة، أى التى ارتضت أن يكون اختيارها فى جانب الحق والخير عبادة وعملا فى لحظة معا.. لأن العمل عبادة جليلة، ولأن العبادة عمل جميل ومن خلال تحقق الجميل والجليل فى الكون الإنسانى، يمكن أن تقبض الحياة على رشادها الدائم، ولن يتنفس الإنسان من خلالها هواء الحب والجدوى، وأن يعرف الحب طريقه إلى الواقع الجدلى، فلا تثور فى هذا الواقع تناقضات مفترسة، ولا تنشب فيه أدواء خاتلة، ولا تطمس وجه المستقبل فى عينيه سحابات حزن أو سحابات اقتتال.

وإذن فالحرية الملتزمة مسئولية حاملة لجدارتها، وقدرة قادرة على الإبداع والإمتاع، وفلسفة متكاملة وليست متناقضة، وقانون مسدد إلى ضبط الواقع فى المنتصف الإيجابى بين الفوضى والاستبداد، وصدور ذاتى نعم، ولكن من خلال الانتماء المجذر إلى إرادة الله الخالق.. وما أعمق ما تكون الحرية الملتزمة، إذا هى استقطبت كل هذه الأبعاد!!.

ومادام ذلك كذلك، فهل يسعفنا النص الإسلامى لتأكيد مضمون الحرية فى كل هذه الأبعاد؟.

-٣-

إذا حددنا محاور النظرة الإسلامية لمضمون «الحرية الملتزمة» فى العمل المسئول والعمل المسئولية معا، وفى الوعى بأن طاقاتنا ومواهبنا وإيقاع خطواتنا على الأرض مسئوليتنا نحن، وفى تحديد حرياتنا ضمن إطار التمكين لحريات الآخرين أن تمارس هى الأخرى وجودها الفاعل، وفى إعطاء الحرية مضمونها العلمى من جهة والشمولى من جهة أخرى، وفى توزيع مناطق المسئولية توزيعا يفضى فى النهاية إلى تكامل منتج، وفى رفض أن نكون مسئولين فقط عن ذواتنا لأن ترشيد الآخرين مسئوليتنا كذلك، وفى إعلان المقاومة السالبة إذا لم تستطع غيرها.. إذا حددنا محاور النظرة الإسلامية لمضمون «الحرية الملتزمة» فى هذه الأبعاد، فإن النص الإسلامى يمنحنا فى هذا الصدد تأكيدا من وراء تأكيد، ويمكن إذا أخلصنا نية الرحيل معه، أن يضيف إلى فهمنا فهما، وأن يعمق من منظورنا مستوى بعد مستوى.

إن العمل المسئولية والمسئول يحدده القرآن الكريم هذا التحديد القاطع:

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(التوبة/ ١٠٥)

لأن هذا العمل مسئولية إنسانية أمام الله، ومسئول كذلك عن توجهه مع إنسانية الإنسان أو ضد إنسانية الإنسان.

والوعى بأن طاقاتنا ومواهبنا وإيقاع خطواتنا على الأرض مسئوليتنا يجسده القرآن الكريم هذا التجسيد الحى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(الأنفال/ ٢٧)

لأن خيانة الله تتجسد فى هدر تعاليمه، وخيانة الرسول تتجسد فى رفض إمامته، وخيانة أماناتنا تتجسد فى تبديد طاقاتنا وإبداعاتنا فى مسارب العبث أو فى مسارب العناد.

وتحديد حرياتنا ضمن إطار التمكين لحريات الآخرين أن تمارس هى الأخرى وجودها الفاعل، نستشعه من حديث النبى - ﷺ - حين يقول: «على المرء المسلم السمع

والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[1] لأن تطويع الذات لإرادة الجمع الإسلامى تناغم عقيدى منشود، ولأن إعطاء الآخرين حرية الرفض لعشوائية الأمر، يعطينا نحن كذلك حرية الرفض إذا أريد لنا أن نكون مجرد سماعين للكذب.

وإعطاء الحرية مضمونها العملى والشمولى جميعا يعكسه الحديث النبوى الشريف: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن علمه ما عمل فيه، وعن ماله من أين اكتسب، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه؟»[2].. لأن الحرية الممنوحة لنا ليست مجرد هتافات فى مظاهرة، وليست كذلك وضعية مرحلية، وإنما هى مسئولة عن الحياة وعن مضمون هذه الحياة، أى عن كل جوانبها الفكرية والمادية، حتى وعن كياننا الجسدى المناط به كل أولئك التبعات.

وتوزيع مناطق المسئولية توزيعا يفضى إلى التكامل المنتج يضيئه قول النبى - ﷺ -: «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، والمرأة فى بيت زوجها راعية ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته»[3].. لأن المسئولية الحرة ليست تحميلا للإنسان ما يطيق وما لا يطيق، وإنما هى مسئولية جماعية ينهض فيها كل إنسان بما يجتازه من إمكان وقدرة على الفعل، حتى لا تتداخل أو تتعارض أو يرمى بعضها بأعبائه على بعض، فينتفى التكامل، ويتخلى كثير من القادرين عن حمل رسالته، وأداء دوره المنوط به.

- ٤ -

ورفض أن نكون مسئولين فقط عن ذواتنا لأن ترشيد الآخرين مسئوليتنا كذلك، يبرزه القرآن الكريم على هذا النحو الصادع

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾

(المائدة/ ٧٨، ٧٩)

لأن رؤيتنا الغيبية لانحدارات توشك أن تقع، وأن تقبض على عنق الحركة الوجودية المسلمة، دون أن نرفع فى وجهها كل رايات الرفض والمصادرة والتبشيع، مقدمة سيئة لتاريخ عن التخلى المفضى إلى حتمية الانهزام.

وإعلان المقاومة السلبية إذا لم نستطع غيرها يتحدد فى قوله تعالى:

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾

(النساء/ ١٤٠)

لأن مجرد الإصاخة إلى صوت الانفلات إما أن يكون موافقة صامتة أو تمريرا متعمدا، والقرآن الكريم لا يريد لأتباعه أن يكونوا طائفة من هاتين الطائفتين - فإذا لم يستطيعوا تحويل مجرى الانفلات ورده إلى صواب الضبط، فلا أقل من أن يرفضوا سماعه، والجلوس إلى سدنته حتى يخوضوا فى حديث غيره.

وهكذا تتكامل دوائر «الحرية الملتزمة»، وتعمل كل دائرة منها على جبهتين فى وقت معا: جبهة إنجازها الذاتى من جهة، وجبهة تكوينات الظاهرة الكلية من جهة أخرى، ومن هنا أكدنا منذ البدء، أن تبعيض النظر إلى قضايانا لفكر الإسلامى، تجنى فى كثير من المناطات على المعنى الكلى لحركة الفهم الراشد عن مضمونه النهائى، أو تخيله - على الأقل - إلى نثر ممزق من النظرات التى لا تربطها نظرية متكاملة والفكر الإسلامى بعيد عن هذه الركاكة العاجزة بما لا يقاس من المسافات!!.

وإذا كان اجتهاد العقل البشرى فى فهم ظواهر الفكر يخضع بالضرورة لمدى تراحب المد الحضارى ومدى انحساره على السواء، فإن اجتهاد العقل المسلم فى طور نهوضه التاريخى، كان يعطى للحرية الملتزمة مفهومها الشمولى، الذى كان يطمح من خلاله إلى تطويع كل الأرض لمضمون إسلامه المخلص، وقهر الموج واليابسة فى سبيل الوصول إلى جغرافية لم تطأها قدماه بعد، ليزرع على روابيها راية التوحيد، ويجلجل فى وعيها بأصداء الأذان.. وحين انحسر المد الحضارى المسلم، قبع اجتهاده العقلى فى مجرد الحفاظ والمقاومة.. وحين انحسر المد، تراجع للأسف وبعثر من يديه ملايين الكنوز!!.

ونحن الآن مطالبون بإعادة الصحوة، وباستشعار مسئوليتنا عن كل الكون وليس عن مجرد ذواتنا فحسب، على أن نؤهل أنفسنا لهذا الدور الحضارى وأن نخطو فيه على ضوء تخطيط ملىء باحتمالات العلم والوعى، وأن نعرف جيدا أن إسلامنا العظيم جوهر لم تطرأ عليه تحولات تصرف بعضه عن بعض وجهه الحقيقى، وأن كل التحولات الصارفة كانت طارئة علينا نحن.. فإذا أجدنا انتماءنا الإسلامى من جديد، فإن كل القضية يمكن أن تصبح طوع أيدينا.. فقط ينبغى أن نجيد هذا الانتماء!!.

***

(١) سنن النسائى ٦٢٨. (٢) الطبرانى فى الكبير ١١/ ١٠٢.
(٣) البخارى ٢/ ٣، ٦، ١٩٦.

كتاب الشهر

الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية

تأليف

الدكتور رشاد عبدالله الشامى

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين

٢

مع الدعوات المتوالية للحوار بين أطراف الصراع المحتدم فى هذه الآونة... جاء ترحيب الإسلاميين؛ استجابة لمقررات الإسلام التى تحض المسلم دائماً على احترام الآخر وتقديره، وعدم اجتنابه، مادام لم يبدأ المسلمين بعدوان.

ولم يكن حض الإسلام على احترام الآخر أمرا شكلياً، ولا موقفاً عارضاً، يقصد به التظاهر أو الخروج من مأزق، ولكنه مقرر ثابت راسخ، له آدابه، وأخلاقياته، ونظمه التى ترتب هذا الحوار، وتبين كيفيته ومحاذيره، التى يأتى فى قمتها نهى المسلم عن تحقير معتقد الآخر، أو سب ما يعبد؛ لما فى ذلك من توسيع دوائر الجفاء، وتعميق أسباب التقاطع والتدابر، على ما يقرره المولى سبحانه وتعالى فى نحو قوله:

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (١٠٧) وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(الأنعام: ١٠٧-١٠٨)

وهذا يعنى: الابتعاد ــ فى الحوار ــ عن كل ما يتصل بالمعتقد، تيسيراً للوصول إلى مواطن التلاقى ــ وهى كثيرة ــ وتجنبا لكل ما من شأنه إثارة النفوس، وإيقاد الفتن.

وهذا يعنى ــ بالضرورة ــ: تعرف كل طرف على طبيعة الآخر، والوقوف على مثيراته النفسية، وأحلامه التطلعية، حتى تأتى لغة الحوار مؤثرة، ومثمرة.

ونحن ــ مع الدكتور الشامى ــ نحاول أن نبرز أهم خصائص الشخصية الإسرائيلية، كى نستصحبها ــ على بصيرة ــ فى حوارنا وتعاملنا معهم، متجاوزين كل أسباب التدابر والتقاطع، استكمالاً لما بدأناه فى الحلقة الأولى.

الصهيونية.....: الجيتو الجديد

ويقرر الدكتور الشامى: أنه مع نجاح حركة التثقيف العصرية بين يهود غرب أوروبا... جُوبِهتْ هذه الحركة بمقاومة شديدة فى شرق أوروبا، لم تستطع معها حركة التنوير أن تحقق أهدافها فى شرق أوروبا.

وكان من أبرز آثار التنوير فى يهود غرب أوروبا تهيئتهم للفكر الصهيونى فى مجالات كثيرة، من أهمها:

١- إزالة الحاجز الوجدانى الذى كان يقف بين اليهود المتدينين والصهيونية؛ حيث هاجم دعاة التنوير فكرة انتظار المسيح ليخلصهم من معاناتهم، ودعوا إلى سعى اليهود ليخلصوا أنفسهم.

٢- خلق طبقة يهودية متوسطة، تعيش بين نقيضين، حيث شُبِّعتْ بالأفكار السياسية والاجتماعية الغربية، مع تشربها الثقافة اليهودية، والولاء الكامل لتراثها الدينى الغيبى؛ مما أفرز القيادات والزعامات الصهيونية القادرة على التحرك فى إطار معتقداتها الغيبية، مع إجادتها استخدام المصطلحات والوسائل العلمانية.

٣- السعى لتحويل اليهود إلى شخصية منتجة، لا ترفض العمل اليدوى، ولا العمل الزراعى.

٤- إبراز البطولات الأسطورية العبرية ــ أمثال شمشون، وشاؤول ــ كى تنفض الشخصية اليهودية الخنوع والضعف عن نفسها.

٥- اتفاق اليهود الخارجين من «الجيتو» مع الصهيونيين فى الخوف من نتائج الاستجابة لعوامل التطور التى إما أن تحول اليهودى إلى كائن جديد، وإما أن تقضى على ذاتيته اليهودية.

وبفشل حركة التنوير اليهودية فى تحقيق أهدافها فى شرق أوروبا... فشل الحل الاندماجى للمسألة اليهودية فى العالم. وساعد على طرح الحل الصهيونى ظهور القوميات فى أوروبا، ونمو الرأسمالية فى العالم، وازدياد موجة معاداة السامية، واتهام أحد اليهود باغتيال القيصر «الكسندر الثانى» فى مارس سنة ١٨٨١، ونشوب موجة الاضطهاد ضد اليهود فى روسيا.

ويمكن القول: إنه ــ مع نهاية الثمانينيات من القرن التاسع عشر، ومع فشل حركة الاندماج الشامل «الهسكالاه» ــ كانت هناك ردود فعل يهودية أربعة،

تمثلت فى الآتى :

١ - اعتناق اليهودى ديناً آخر، وقد يتخذ لنفسه اسماً آخر، مبالغة فى محو آثار أصله اليهودى.

٢ - المشاركة فى الحركات الليبرالية أو الاشتراكية لتغيير المجتمع؛ أملاً فى تحقيق الخلاص من معاداة السامية.

٣ - التمسك بالقومية الإقليمية، كسعى يهود الإمبراطورية الروسية لأن يكونوا هيئة خاصة، لها حق انتخاب جالية وممثلين لها.

٤ - التمسك بالقومية الشاملة، كالسعى لتجميع كل اليهود بهدف خلق قومية يهودية لها أرضها الخاصة ـ وهذا ما يسمى «الصهيونية» ـ وقد اتخذ هذا الاتجاه أشكالاً مختلفة، تبدأ من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين.

فالتوجه الصهيونى يتفق مع التوجه الاندماجى فى الرغبة فى علاج اليهود من ضعفهم، لكن لكل من التوجهين أسلوبه الخاص الذى يجعل المنافسة بينهما محتدمة.

فالاندماجيون يسعون إلى أن يصبح اليهودى فى هولندا مثلاً مجرد مواطن هولندى يهودى الدين، يذهب إلى معبده يوم السبت كما يذهب الهولندى المسيحى إلى الكنيسة يوم الأحد.

ولكن الصهيونيين يرون أن هذا لن يكون إلا فى البلاد المستنيرة التى تضم أقليات يهودية، كما أنه بهذا الاندماج الفردى سوف يصبح شخصية مشوهة. والأفضل من الاندماج الفردى... أن يسعى للاندماج القومى؛ بأن يكون هناك شعب يهودى، كما أن هناك شعباً انجليزياً مثلاً. وعلى ذلك... يجب العمل على إنشاء وطن قومى يغدو فيه اليهودى سيداً.

سمات اليهودى الصهيونى

ويرى الدكتور الشامى: أن «الصهيونية» كانت هى «الجيتو» الجديد الذى اجتذب للانعزال فيه جماعة كبيرة من اليهود، كانت لها سماتها التى تميزها، والتى كان من أبرزها:

أولاً: التمرد على اليهودية التقليدية، والانحراف نحو العلمانية؛ حيث زاد عدم الاكتراث بالمعرفة اليهودية، وعدم الاكتراث بالمثاليات اليهودية، وهجر النماذج اليهودية للمعيشة؛ فخبا تماماً نور التوراة، وفتر الحماس الدينى، مثلما نشأ عن التنوير، ولذلك نرى أدب اليهود التنويريين، وأدب الصهيونيين مليئين بالتعبيرات التى تعاملت مع الدين اليهودى ـ بما يقوم عليه من قيود صارمة ـ بتقديره حائلاً دون سعادة الإنسان اليهودى، حتى لقد أصبح الكفر بكل المقدسات القديمة متاحاً لدى التنويريين والصهيونيين جميعاً.

وبذلك... اتسمت الصهيونية بأنها الحركة التى تمكنت الرجعية اليهودية ـ عن طريقها ـ من احتواء التيارات الإصلاحية والتحررية التى انتشرت فى صفوف اليهود فى أواخر القرن التاسع عشر.

ثانياً: رفض الاندماج فى الشعوب؛ فالشخصية اليهودية تتسم بإحساس حاد بالعزلة عن البشر؛ لأنهم بعد أن يئسوا من أوروبا، وبعد فشل حركة التنوير اليهودية فى تحقيق الحل الاندماجى... أدانوا الإنسانية كلها، وقرروا أن العالم جميعه معاد لهم، دون استثناء، ودعموا هذا الإحساس حتى أصبح بالنسبة لهم حقيقة نفسية، أوصلتهم إلى تكريس هذه العزلة لدرجة الاغتراب عن الذات، وليس العزلة عن منشأهم فى أوروبا فحسب.

وهكذا... كانت الصهيونية ـ فى مضمونها ـ دعوة عنصرية إلى القومية اليهودية، على الرغم من أنها طرحت نفسها حلاً بديلاً لما يسمى المسألة اليهودية، حتى إن موجة الاندماج التى كانت مستمرة بين اليهود فى أوروبا الشرقية والغربية قد أفزعت المفكرين الصهيونيين وأدباؤهم؛ فانطلقوا يحذرون اليهود من مغبّة الاندماج بالأغيار؛ فقد رأوا أن الاندماج فى الشعوب هو السبب فيما أطلقوا عليه: التخريب النفسى والمادى الذى أصاب اليهود فى روسيا وغيرها.

ثالثاً: الرغبة الجامحة فى الانتقام من الأغيار، وتبنى العنف؛ فقد جردت الصهيونية اليهودى من إنسانيته، بعزله عن سائر البشر، ثم جردت سائر البشر من إنسانيتهم بجعلهم متفرجين موضوعيين على المأساة اليهودية، بل جعل اليهودى شريكاً فى العنف الذى يحيق به، وحوّل الاستشهاد اليهودى إلى مجرد مذبحة وقعت لشعب لا يرفض العنف الذى هو ضحيته.

رابعاً: رفض الشخصية اليهودية الجيتوية، وذلك بقصد التخلص من كل أمراض الشخصية اليهودية الجيتوية وعيوبها؛ بإضفاء صفات جديدة على هذا النمط الجديد. وقد تحقق هذا الرفض عن طريق الهرب من الواقع الذى ألمّ بها؛ فكان الفرار من «الجيتو»، والفرار من الاندماج فى الغير أمرين متناقضين مع نظام «الجيتو»، ومع ما كان سائداً آنذاك فى وسط أوروبا. وكانت المرحلة الانتقالية بين محاولة تخليص الشخصية اليهودية الجيتوية من أمراضها وعيوبها، وبين محاولة خلق النمط اليهودى الصهيونى... هى تلك المرحلة التى حظيت ـ فى الفكر الصهيونى عامة، وفى الأدب الصهيونى بصفة خاصة ـ بمعالجة تجلت فى المقارنة بين هذا الجيل وجيل الصحراء، جيل التيه فى سيناء، بعد خروج بنى إسرائيل من مصر.

وبناء على ذلك... فإن اليهود يخافون من الدخول إلى فلسطين... وكلمة الخوف هنا تعد مفتاحاً آخر من أجل فهم علاقة اليهود بفلسطين؛ فاليهود يخافون من أن لا يستطيعوا تنفيذ الشروط الصعبة التى حددها الرب «يهوه» من أجل وجودهم فى فلسطين؛ لذلك... كان واجباً أن يموت جيل كامل فى الصحراء، وأن يولد جيل جديد من أجل أن يكون مجهزاً لدخول فلسطين فى إطار سمات جديدة استعداداً للوفاء بالالتزامات.

ومن هنا... حرص الفكر الصهيونى على التخلص من جيل العبودية، وجيل يهودية «الجيتو»، ليس بالمعنى الجسدى، ولكن بمعنى الخصائص النفسية التى لصقت بهم.

خامساً: تعزيز أيديولوجية الشخصية الطليعية العبرية، حيث صيغت الخطوط الأساسية لهذه الشخصية فى تلك الفترة؛ فقد قُدمَت وأُعدَت صيغ مختلفة وغريبة لكل منها جانب تؤكد عليه، ولكن مع تجاوز الفروق يمكن تمييز خطوط متشابهة ومشتركة فى شخصية الطليعى «هيحالوتس» هى:

١- الأساس الأول فى شخصية الطليعى «هيحالوتس» هو الأساس الاجتماعى والشخصى، والتضحية بالذات، فهو شخص على استعداد لأن يكتفى بالقليل، وتنازله وتضحياته إنما هى من أجل تحقيق مهمة ضرورية للمجموع - خصوصاً المجموع الآتى فى المستقبل - وليس تنازلاً لمجرد التنازل.

٢- والأساس الثانى فى شخصيته يتمثل فى طبيعة الأعمال الهامة من أجل المجموع، وذلك بالتأكيد القوى على العمل الزراعى - أو العمل اليدوى - وعدم استغلال الغير؛ بقصد استنفار همة اليهود، وخلق بشر جديد.

٣- والأساس الثالث فى تلك الشخصية هو الإبداع الثقافى، وإحياء اللغة العبرية، والثقافة العبرية.

وهنا... يمكن القول: بأن أهمية الهجرة الثانية تكمن - بالإضافة إلى ما ذكر - فى اعتراف زعمائها بالعلاقة بين الحياة والأدب، ونعته بنعوت تتصف باستعادة الماضى بصور مختلفة.

خلق أكبر جيتو يهودى

وفى الفصل الثالث «الشخصية اليهودية فى إطار الجيتوية الإسرائيلية» قرر الدكتور الشامى: أن الصهيونية بدأت فى نهاية القرن التاسع عشر بسبب الإحساس بالخوف من الشتات، وليس بسبب شوق جديد إلى فلسطين، ولا بسبب كراهية مفاجئة للأماكن التى يقيمون فيها خارج فلسطين، وأن الإحساس بالخوف من الشتات تولَّد فى النفوس بتأثير ازدياد موجات الاندماج

اليهودى فى المجتمعات الأوروبية، بما يحمله ذلك من تهديد لزوال مقومات الذاتية اليهودية، وبتأثير موجة الاضطهاد الموجهة ضدهم.

وأن الصهيونية بدأت بقلة معروفة، وجوبهت بالرفض من معظم الفئات اليهودية، حتى إن الحصول على وعد «بلفور»، وفتح أبواب فلسطين، ومنح دولة عظمى - هى بريطانيا - حمايتها، لإمكانية إقامة دولة يهودية فى فلسطين... كل هذا لم يغر اليهود بالمجىء إلى فلسطين للأسباب ذاتها التى منعت اليهود عبر مئات السنين من المجىء إلى فلسطين.

وهذه الأسباب تدور بين التبريرات الأمنية، وصعوبات الخروج، والتبريرات الدينية.. مع الارتكاز على التبرير الأساسى، وهو التمسك بالشتات.

ويرى الدكتور الشامى: أن ظاهرتى الشتات اليهودى، والانعزال عن شعوب العالم يمثلان سر إصرار مفكرى وزعماء الصهيونية على ضرورة إنشاء دولة يهودية فى فلسطين لتكون بمثابة «جيتو» دولى، يحفظ لليهود ذاتيتهم المميزة، ويفيد من ظاهرة الشتات اليهودى التى تعكس قوتهم فى العالم من خلال السيطرة على التجارة والمال.

فالجيتو والصهيونية وجهان لعملة واحدة هى الانعزال اليهودى عن شعوب العالم والحياة داخل إطار وبناء عقائدى، وتاريخى، ونفسى، واجتماعى، واقتصادى منفرد عن سائر الشعوب.

وهكذا... تم خلق أكبر «جيتو» يهودى فى التاريخ، وتوجه إليه عدد من يهود العالم - بوعى أو بغير وعى - لخلق مجتمع يهودى منعزل عن بقية البشر؛ تلافياً للاختلاط بهم، ورغبة فى خلق مجتمع يهودى خالص على غرار «الجيتو الأشكينازى» التقليدى الذى هددته موجات الاندماج اليهودية.

غير أن تنوعات الخصائص الفكرية والديموجرافية فى هذه الهجرات الصهيونية تكشف عن التباين داخل إطار البنية العامة للمجتمع الصهيونى، الذى يصبح من العبث البحث فى داخله عن تناسق سلوكى، أو تجانس حضارى، حتى أصبحت المشكلة اليهودية تتمثل فى تحديد: من هى الشخصية اليهودية الإسرائيلية، حيث أصبح المجتمع الإسرائيلى يتكون من عدة جماعات على النحو التالى:

١- مجموعة اليهود «الأشكينازيم» الذين فروا: إما من معاداة اليهودية فى أوروبا، وإما اعتقاداً منهم فى الصهيونية كحركة قومية.

٢- مجموعة اليهود «السفارديم» الذين هاجروا إلى فلسطين إما تحت ضغط الحركة الصهيونية وإرهابها، وإما تصوراً

منهم بأن معجزة إلهية قد تحققت، على الرغم من أنهم لم يواجهوا المشكلة اليهودية أصلاً.

٣- مجموعة اليهود «الصباريم» الذين ولدوا على أرض فلسطين، ولم يعرفوا لهم وطناً آخر سوى إسرائيل بعد قيامها؛ فارتباطهم بإسرائيل لأنهم ولدوا بها، وليس نتيجة اعتقاد فكرى، أو إيمان بالصهيونية.

٤- مجموعة اليهود الروس، ويمثلهم حزب «يسرائيل بعليا» الذى شكل سنة ١٩٩٦، وهم محسوبون على اليهود «الأشكينازيم».

٥- مجموعة يهود الفلاشا «الأثيوبيين» الذين تم جلبهم فى عدة موجات سرية وعلنية، ابتداء من سنة ١٩٧٧.

الشخصية اليهودية الإسرائيلية

ومن تباين هذه المجموعات يصبح السؤال عمن يمثل الشخصية اليهودية الإسرائيلية من أعقد الأسئلة التى تواجه من يتصدى لدراسة الشخصية الإسرائيلية.

وبذلك... يمكن القول: بأن كلمة «إسرائيل» بوصفها دولة تميز طابع وجود يهودى شامل، يتسع لوجود العنصر الدينى، ويعدم وجوده، كما أن عنصر الصراع فيه يكون بين يهودى ويهودى داخل إطار تاريخى فى أرض محددة، وليس بين يهودى وغير يهودى من أجل الاندماج، أو الفرادة القومية، كما كان الحال بالنسبة ليهود «الجيتو» فى عصر التنوير اليهودى «الهسكالاه».

بيد أن القصور الصهيونى للجنسية الإسرائيلية يدمج بين الانتماء اليهودى والانتماء الإسرائيلى.

وهو تصور يختلف مع تصور مجموعة من الإسرائيليين يطلق عليهم «الكنعانيون»، أو «العبرانيون الشبان»، وهم الذين يرفضون كليةً أن يكون هناك انتماء يهودى، ويرون أن الأمة التى تتشكل فى إسرائيل ليست نتيجة لما يسمى «الشعب اليهودى»، ولا نتيجة لتحقيق أهداف الحركة القومية، وإنما هى أمة جديدة نشأت فى ظل واقع جديد مختلف تماماً عن الواقع اليهودى التاريخى التقليدى.

فالمجتمع الإسرائيلى ربما كان فى بداية تكوينه مجتمعاً متجانساً، ولكنه أصبح الآن مجتمعاً متعدد الأبعاد، ومتنوعاً، ومعقداً بصورة حية؛ لأنه لا يمكن التحدث عن شخصية يهودية إسرائيلية واحدة؛ إذ يمكن أن نتحدث عن شخصية يهودية تمثل اليهود العرب «سفاردية»، وأن نتحدث عن شخصية يهودية تمثل يهود غرب وشرق أوروبا «أشكنازية»، وهم منشئو الحركة الصهيونية، ومؤسسو دولة

إسرائيل، والقائمون على حكمها منذ إنشائها. ويمكن أن نتحدث عن شخصية «صبارية» تمثل الامتداد الطائفى والحضارى والعمرانى لطائفة «الأشكينازيم»، والتجسيد الحى للوطنية الإسرائيلية، والرصيد الحى لضمان الانتماء الإسرائيلى للحضارة الغربية.

فتحديد الشخصية اليهودية فى دولة إسرائيل غير مستطاع إلا مع تجاهل جميع عناصر المجتمع باستثناء العنصر صاحب اليد الطولى، والسيطرة الكاملة على أدوات التنشئة الاجتماعية، وأدوات الصياغة والتوجيه العقائدى والنفسى داخل المجتمع. وهذا العنصر يتمثل فى النمطين «الأشكينازيم» و«الصباريم»؛ فالأشكينازيم يحتلون قمة الهرم الاقتصادى والاجتماعى، ويسيطرون على كل مراكز القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية والأيديولوجية، والصباريم ـ ويقصر فى الاستعمال على أبناء الأشكينازيم المولودين فى فلسطين، على الرغم من أن «الصباريم» فى الاستعمال العام يعنى جميع الأبناء والمولودين فى فلسطين، سواء كانوا أبناء «السفارديم» أو أبناء «الأشكينازيم» ـ وبناء على هذا التخصيص... صار أبناء «الأشكينازيم» تجسيداً للإسرائيلى الجميل، بينما يُعَدُّ ابن الطوائف الشرقية تجسيداً لليهودى القبيح، حتى إن «الصبار» من أبناء «الأشكينازيم» يحتقر توءمه من أبناء «السفارديم»؛ إذ هو يمثل فتى «الجيتو» المرفوض، والذى يكاد يقترب ممن يعادون السامية.

من هنا... صار لهؤلاء «الصباريم» دور فعال فى الدولة مع «الأشكينازيم» جعلهما معاً يمثلان الشخصية اليهودية الإسرائيلية.

أبرز سمات الشخصية اليهودية الإسرائيلية

ومن تقرير: أن الشخصية اليهودية السائدة فى دولة إسرائيل تتمثل فى «الأشكينازيم»، و«الصباريم» من أبناء «الأشكينازيم»... من تقرير هذا الواقع الإسرائيلى... يدلف الدكتور الشامى إلى الفصل الرابع «بعض السمات الأساسية للشخصية اليهودية الإسرائيلية» ليقدم أبرز السمات الشخصية التى تميز القطاع الغالب والفعال فى دولة إسرائيل، والتى يمكن ـ من خلال الوقوف عليها ـ التعرف على كيفية التعامل معها. وقد أجمل هذه السمات فى عشرة هى:

١- الإحساس بالوطنية الإسرائيلية؛ فأفراد هذا القطاع ـ خصوصاً الصباريم ـ يشعرون أنهم مواطنون عاديون، فى دولة طبيعية؛ فارتباطهم بها ليس ناشئاً عن اعتقاد فكرى، أو إيمان بالصهيونية. حتى إن ارتباطات «الصبار» العاطفية باليهود خارج إسرائيل أقل من ارتباطات المهاجرين.

٢- رفض الحل الأرثوذكسي للعلاقة مع التراث اليهودى الذى يحافظ عليه «السفارديم» بما يحمله من تذكير بما كان عليه اليهود فى «الجيتو» حتى بداية القرن العشرين.. بينما يحرص «الأشكينازيم» على نسيان هذا الماضى والتخلص منه.

وقد أدى هذا الرفض إلى نبذ «السفارديم» والاستخفاف بهم ـ من جهة ـ وإلى التحول عن التقاليد الدينية المتوارثة، والثقافة اليهودية من جهة أخرى؛ لأنهم يخجلون من هذا الماضى، ويحاولون أن يقنعوا أنفسهم بأنهم أصبحوا من الجنس الأبيض الفاتح.

كما أدى إلى التحول للإلحاد؛ إذ لا يستطيعون أن يتحولوا للمسيحية ولا للإسلام، وإلا لتعرضوا للإبعاد من إسرائيل، حيث تمارس التفرقة الدينية على أشدها؛ ولذلك... فإن الصباريم يفضلون النسبة إلى إسرائيل على النسبة إلى اليهودية.

بل لقد أدى ذلك إلى هذا التقسيم الذى أصبح يشكل حاجزاً إسرائيلياً، يحول دون التقاء شعبها، حيث يفصل ما بين اليهودى والإسرائيلى؛ فاليهود هم هؤلاء الذين يريدون العيش ـ بشكل أو بآخر ـ وفقاً للتوراة. والإسرائيليون هم هؤلاء الذين يؤمنون بالتراث اليهودى اسماً، ولكنهم يريدون من أعماقهم أن يصبحوا شعباً جديداً مختلفاً تابعاً للحضارة الغربية، وتصبح «أرض الميعاد» بالنسبة للكثيرين منهم مجرد «صدفة تاريخية»، بمعنى أنهم يعيشون فيها عيشة طيبة، وإذا ما واتت أحدهم فرصة أفضل فى أى مكان فلن يتردد فى أن يذهب إليه.

٣- والسمة الثالثة من سمات الشخصية الإسرائيلية هى: تحول الأيديولوجية إلى مجرد جزء من العالم الثقافى الشامل؛ فقد أصبح الاتجاه لدى الشخصية اليهودية الإسرائيلية هو التحرر بقدر الإمكان من قيود «الأيديولوجية» الملزمة، والاتجاه إلى الاستقلال الذاتى، وإلى العلاقات المباشرة أكثر من الاتجاه إلى قيم الوجود الجماعى.

٤- والسمة الرابعة، هى: الانقسام الذاتى، حيث تتحرك هذه الشخصية بعاملين مختلفين؛ ينبثق أحدهما من الواقع الإسرائيلى، وينبثق الآخر من مخلفات الماضى الذى لم يعد له وجود، وهو «الجيتو».

٥- والسمة الخامسة، هى: التجمع حول السلطة فى حالة التهديد من الخارج، والإذعان للشرعية؛ إيماناً من الغالبية العظمى منهم برفض تخطئة ممثلى السلطة فى أى قرار، ورفض التسليم بأن يصدر منهم ما يجلب الضرر للدولة أو للشعب، كما حدث فى حرب سنة ١٩٧٣، وفى انتفاضة الأقصى سنة ٢٠٠٢.

٦- والسمة السادسة، هى: التأرجح

بين الإخلاص للجماعة، وعدم المبالاة بالآخرين.

٧- والسمة السابعة، هى: الإحساس بافتقاد الجذرية، وذلك بسبب البحث عن أدلة تثبت الاستمرارية التاريخية اليهودية فى فلسطين، حتى أصبح الولع بالآثار بينهم هواية شعبية، مما أدهش النقاد فى مختلف الدول؛ إذ لم يكن ذلك مما يهتم به الصهيونيون الأوائل.

٨- والسمة الثامنة، هى: البرود العاطفى، حتى إن لغة الإسرائيليين الشبان أصبحت قاسية إلى درجة المبالغة؛ فخلت من الزخرف والتنوع.

٩- والسمة التاسعة، هى: الحساسية تجاه النقد، وتجاه الشرعية، وذلك لأن ادعاء الصهيونيين بالحقوق التاريخية فى فلسطين، واستنادهم إلى الوعد الإلهى، وغير ذلك يخالف التاريخ، ولا يوافقه العقل، مما جعلهم يشعرون دائماً بضرورة الحصول على موافقة الآخرين.

١٠- والسمة العاشرة من سمات الشخصية الإسرائيلية، هى سيادة الروح العدوانية ـ أو التوحد فى المعتدى ـ وذلك باتخاذ عنف النازى وقسوته مثلاً أعلى يقتدى به، فعندما يصادفون فى الآخرين ضعفاً يمارسون معهم القسوة عينها التى مارسها معهم النازى فيما مضى، فإذا كانت أحداث النازى قد خلقت من شخصية اليهودى «الجيتو» السلبية المستسلمة.. فإنها قد خلقت ـ كذلك ـ شخصية نقيضة لها تماماً تمارس القسوة والعنف مع الآخرين.

ومن هنا... يرى الدكتور الشامى: أن مشاعر العداء للسامية بتجربة النازى فى حياة اليهود، جعلت الإسرائيليين يتخذون ما أسموه «الشعارات المعادية للسامية» فى الدعاية ضد العرب... ذريعة على أساس أحداث النازية، فرأوا أن العرب يمثلون الشر المجرد، وأن إسرائيل هى الحاجز الوحيد لمناهضة من يعادى السامية.. كما ولَّدت ميلاً لديهم للتوحد فى المعتدى بالرغبة فى القتل الجماعى.

وهكذا... نرى أن اليهودى المنتصر إنما يعنى فى الفكر الصهيونى: أن اليهودى لم يعد يهودياً، فالتكوين النفسى القديم لليهودى قد انهار، الأمر الذى يفرض على الفكر الصهيونى أن يقدم على عملية بالغة التعقيد والصعوبة، وهى تكوين نفسى جديد لليهودى الإسرائيلى، وهى العملية التى بدأت بوادرها بالفعل على ضوء الواقع الإسرائيلى الجديد.

ـ يتبع ـ

***

العلاقات التركية الإسرائيلية

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

تعتبر تركيا بوابة العالم الإسلامى إلى أوروبا، فهى الجسر الذى يربط دول الشرق الإسلامى بالدول الأوروبية، عبر مضيق الدردنيل، والبسفور «بحر مرمرة»، التى تصل البحر الأسود بالبحر الأبيض المتوسط، ويرى الجغرافيون أن تركيا تتمتع بموقع جغرافى حيوى، فهى تقع جنوب شرق أوروبا وجنوب غرب آسيا، وتحيط بها ثلاثة بحار، البحر الأسود، وبحر إيجة، والبحر الأبيض، وهى لذلك أقرب الدول الإسلامية إلى العالم الأوروبى، فطول حدودها مع الاتحاد السوفيتى وبلغاريا حوالى ٨٧٩كم، كما أنها ثانى دولة أوروبية من حيث المساحة، فتبلغ مساحتها نحو ٧٨١ ألف كم مربعا، وعدد سكانها يقترب من ٦٧ مليون نسمة، يمثل الأتراك منها ٨٠٪، والأكراد ٢٠٪، أما لغاتها التى يستخدمها السكان، فهى التركية، والكردية، والأرمنية، والتورانية.

ويشكل المسلمون السنة فيها حوالى ٩٩,٨٪ من عدد السكان، ومعظم الباقين هم من النصارى واليهود، والنظام السياسى للدولة جمهورى، وهى مقسمة إلى ٨٠ إقليما، وعدد أحزابها ٢٣ حزبا، والحزب الحاكم فيها هو «حزب العدالة والتنمية» ذو الأصول الإسلامية، وعملتها هى الليرة التركية، وهى وريثة الدولة العثمانية التى ظلت حوالى ستة قرون من الزمان، زعيمة للعالم الإسلامى، ولعبت دورا محوريا فى تاريخ الإنسانية، وهو ما أكده المؤرخ «بول روكس» حين قال: «إن تركيا تتمتع بمكانة محورية فى التاريخ الإنسانى، منذ آلاف السنين، فإن بإمكانها أن تكون من بين المجتمعات التى تحدد مستقبل هذا العالم، وتؤثر على توجهاته، إذا استثمرت موقعها الجغرافى السياسى، ومواردها البشرية، وميراثها الثقافى»، وتعتقد إسرائيل أن تركيا، هى نقطة الانطلاق إلى المنطقة الإسلامية الممتدة من البحر الأسود حتى الصين، ومن الخليج العربى حتى الجزر الأندونيسية، والقنطرة التى يمكن لإسرائيل الزحف منها لاختراق دول آسيا الوسطى، وهى المتحكمة فى منابع نهرى دجلة والفرات، ولذلك تحرص إسرائيل على تعزيز علاقاتها مع تركيا، بوصفها من الدول الإسلامية

البارزة، التى تحيط بالدول العربية، والتى تطمح دولة الكيان الصهيونى إلى تنمية هذه العلاقة لدعم وجودها فى المنطقة، ومن هنا فإن إسرائيل تعلق آمالا كبارا فى توظيف التعاون التركى معها لخدمة مصالحها الاستراتيجية فى صراعها مع العرب، واستغلال سياسة تركيا العلمانية فى التصدى للأصولية الإسلامية، والضغط على الدول العربية للقبول بالشروط الإسرائيلية فى أية تسوية سياسية، يمكن التوصل إليها فى المستقبل، كما يمكن لها القيام بدور الوسيط فى أى نزاع، قد ينشأ بين الإسرائيليين والفلسطينيين، وقد أشار رئيس الوزراء التركى الأسبق «سليمان ديميريل» إلى هذه المهمة فى قوله: «إن تركيا هى أفضل دولة، يمكنها أن تتحمل مسئولية إدارة شئون وقضايا منطقة الشرق الأوسط» والجدير بالذكر أن جذور العلاقات التركية - اليهودية ترجع إلى القرن الرابع عشر الميلادى حينما بزغ نجم الدولة العثمانية على الساحة الدولية، حيث حلت تركيا المسلمة محل الدولة البيزنطية فى الأناضول، وشرق أوروبا، ففى هذه الحقبة التاريخية، واجه اليهود من العنت والاضطهاد الكثير فى الدول الأوروبية التى كانوا يعيشون بين ظهرانيها، خاصة إسبانيا، زمن محاكم التفتيش، وكانت الدولة العثمانية، فى ذاك الوقت، طوق النجاة، والملجأ الآمن، والحضن الدافىء، والملاذ المنقذ لهؤلاء اليهود المضطهدين حيث فتحت هذه الدولة المسلمة أبوابها، مرحبة باللاجئين اليهود، الفارين من ظلم الأسبان، فعاشوا فى ديارها فى ظل التسامح الإسلامى الذى تطبقه الدولة العثمانية مع غير المسلمين من أهل الذمة، ومنذ هذه الفترة الضاربة فى عمق التاريخ وحتى الوقت الراهن، واليهود فى تركيا ينعمون بمكانة فريدة لا يمكن تجاهلها.

محطات تاريخية

واللافت للنظر أن العلاقات التركية - الإسرائيلية، مرت بالعديد من المحطات التاريخية، فلم تسر على وتيرة واحدة، ففى عام ١٩٤٩ كانت تركيا أول دولة إسلامية اعترفت بالكيان الصهيونى فى فلسطين التاريخية، حيث تم تبادل البعثات الدبلوماسية عام ١٩٥٢ وقد أقام الجانبان التركى والإسرائيلى نوعا من التعاون عام ١٩٥٨ عرف باسم «الاتفاق الإطارى»، عقب قيام الوحدة بين مصر وسوريا، كما وقعت فى نفس العام «اتفاقية للتعاون الأمنى» بين كل من تركيا وإسرائيل وإيران «فى عهد الشاه» تحت اسم «الرمح الثلاثى» وفى إطارها، أنشأ الموساد «مركزا استخباريا» فى تركيا.

وفى عام ١٩٦٧، أيدت تركيا قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذى يدعو

إسرائيل إلى الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة، كما أيدت أيضا قرار الأمم المتحدة الرافض لضم القدس الشرقية إلى إسرائيل، مما أثار قلق الإسرائيليين، من هذا السلوك التركي المؤيد للعرب، ومن هذا المنطلق الداعم للعرب، ساندت تركيا العرب في حربهم عام ١٩٧٣، ورفضت استخدام قواعد حلف الناتو داخل الأراضي التركية ضد العرب في حرب أكتوبر المجيدة، وفي عام ١٩٧٥ أيدت تركيا قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة، باعتبار الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية، وفي نفس العام اعترف الأتراك بمنظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني، وسمحت لها عام ١٩٧٩ بفتح مكتب للمنظمة في أنقرة، وسحبت سفيرها في تل أبيب، وفي عام ١٩٨٢، عقب غزو إسرائيل للبنان، قام تعاون إسرائيلي - تركي، حيث سلمت إسرائيل ٢٩٠ تركيا تم القبض عليهم أثناء «عملية سلام الجليل» إلى السلطات التركية، وقام قائد سلاح الجو الإسرائيلي «هرتزل برد ينفر» بزيارة أنقرة، وبحث مع نظيره التركي إمكانية التعاون المشترك في مجال محاربة الإرهاب، وفي عام ١٩٨٩ تنامت العلاقات بين البلدين، وازدهرت، فكان من ثمرته، تأسيس ما يعرف باسم «مركز الـ ٥٠٠ عام» لإحياء ذكرى لجوء يهود إسبانيا إلى تركيا، تعبيرا عن شكر اليهود للأتراك على استضافتهم، وحمايتهم من اضطهاد الأسبان لهم، وفي عام ١٩٩٢ أبرم الجانبان عددا من اتفاقيات التعاون السياحي، فزار تركيا، ١٥٠ ألف سائح إسرائيلي في العام التالي، وصل عددهم عام ١٩٩٤، إلى ٣٣٠ ألف سائح إسرائيلي، وفي عام ١٩٩٤ قامت رئيسة وزراء تركيا «تانسو تشيلر» بزيارة إسرائيل، تلتها زيارة الرئيس الإسرائيلي «عيزر وايزمن» لتركيا، أعقبها «شيمون بيريز» وزير خارجية إسرائيل الأسبق بزيارة لأنقرة، حيث تم إبرام عدد من الاتفاقيات، منها اتفاقية تطوير وتوسيع قاعدة المخابرات الإسرائيلية، واتفاقية البيئة، وفي عام ١٩٩٦ زار رئيس الوزراء التركي «سليمان ديميرل» إسرائيل، وتم خلال الزيارة توقيع عدد من الاتفاقات الخاصة بالتعاون الاقتصادي، والتجارة الحرة، وتنمية الاستثمارات.

الاتفاق العسكري

وفي الرابع والعشرين من فبراير ١٩٩٦ تم توقيع «الاتفاق العسكري» بين إسرائيل وتركيا، وتضمن هذا الاتفاق العديد من مجالات التعاون العسكري، ففي مجال القوات الجوية سُمح للقوات الجوية لكل من تركيا وإسرائيل بإجراء التدريبات في المجال الجوي للدولة الأخرى منفردة أو مشتركة، كما سمح للطائرات الإسرائيلية باستخدام القواعد الجوية

التركية خاصة في قونية وإنجرليك، وتبادل المعلومات في مجال التدريب العسكري، والاتفاق على قيام إسرائيل بتحديث ٥٤ طائرة من طراز «إف ٤» بتكلفة قدرها ٦٣٥ مليون دولار، وأيضا تحديث ٤٨ طائرة من طراز «إف ٥س» بقيمة ٧٥ مليون دولار، بالإضافة إلى إمداد تركيا بأحدث أنظمة الدفاع المضادة للصواريخ من طراز «آرو» الإسرائيلية الصنع، والمشاركة البينية في إنتاج الصاروخ «بوباي ١، وبوباي ٢» جو - جو الإسرائيلي بقيمة ٥٠٠ مليون دولار، والاتفاق على القيام بمشروع مستقبلي يشترك فيه الجانبان لتصنيع طائرة إنذار مبكر، بقيمة ٨٠٠ مليون دولار، وتزويد الجانب التركي بعدد ١٠ طائرات بدون طيار للاستطلاع، وفي مجال القوات البحرية جرى الاتفاق على القيام بالمناورات البحرية المشتركة، مع جواز اشتراك الولايات المتحدة الأمريكية بوحدات بحرية فيها، بالإضافة إلى تبادل الزيارات للقطع البحرية بينهما، وفي مجال القوات البرية تم الاتفاق على إجراء مناورات بين البلدين، والقيام بمشروع إنتاج دبابات قتالية حديثة بتكلفة قدرها ٢,٥ مليار دولار، وإمداد تركيا بأجهزة ومنظومات أمنية إلكترونية، ونشرها على طول الحدود التركية لمنع التسلل السوري والعراقي داخل الأراضي التركية، وقيام إسرائيل بتحديث دبابات من طراز «إم ٦٠» بقيمة ٥٠ مليون دولار، وفي مجال الاستخبارات تم الاتفاق على تبادل المعلومات، والوفود العسكرية، وتبادل الأفلام العسكرية الوثائقية لكل دولة، وبناء شبكة إلكترونية للتجسس، ورصد التحركات، والاستعدادات العسكرية على طول الحدود التركية مع سوريا والعراق وإيران، ووضع صور الأقمار الصناعية الإسرائيلية، تحت تصرف الجيش التركي في تصديه لحزب العمال الكردستاني.

ويرى الجانبان التركي والإسرائيلي أن هذا الاتفاق العسكري يحقق لهما العديد من المكاسب، فإسرائيل تتوقع منه:

أولا: الإطباق على سوريا من الشمال والجنوب، والضغط عليها للقبول بالشروط الإسرائيلية في أية مفاوضات قادمة معها.

وثانيا: محاولة تفكيك العراق إلى ثلاث دويلات «كردية، وشيعية، وسنية»، على أن تكون مرتبطة بالتحالف الإسرائيلي - التركي، المدعوم أمريكيا.

وثالثا: إتاحة فرصة لتوجيه ضربات جوية في عمق الأراضي الإيرانية، والعمل على تجريدها من السلاح النووي.

ورابعا: التخطيط التدريجي للهيمنة الإسرائيلية على الأمن الإقليمي في المنطقة برعاية أمريكية.

وخامسا: إتاحة الفرصة لإسرائيل

لاستخدام المجال الجوى التركى للطيران لتهديد كل من إيران وسوريا والعراق.

وسادسا: تأمين إسرائيل لمورد مائى حيث تسيطر تركيا على منابع نهرى دجلة والفرات.

وسابعا: محاولة التصدى للأصولية الإسلامية التى تتمثل فى إيران وسوريا، كما ترى تركيا أن هذا الاتفاق العسكرى يساعدها فى مواجهة اللوبى الأرمنى، واللوبى اليونانى فيما يتعلق بالأزمة القبرصية، والتصدى لألمانيا التى تسعى للاستحواذ على بترول أذربيجان، وقاذاقستان، عبر إيران، والاستفادة من التقدم التكنولوجى الإسرائيلى فى مجالات الزراعة والدفاع، وكسب تأييد واشنطن فى مسألة مد أنابيب البترول والغاز من أذربيجان، وتركمانستان، وقاذاقستان.

ومن جانب آخر، فإن الولايات المتحدة الأمريكية تبارك هذا الاتفاق، إذ يمثل، فى نظرها، حجر الأساس لبناء شرق أوسط جديد، فتركيا بالنسبة لأمريكا «دولة محورية» يمكن لها أن تقوم بدور إقليمى فى المنطقة، لموقعها الجغرافى المتميز، ومجاورتها لكل من سوريا وإيران والعراق، لذلك فإن الإدارة الأمريكية تنظر إلى تركيا المسلمة العلمانية باعتبارها «النموذج الأمثل للدولة الإسلامية» التى يمكن التعامل معها بنظامها العلمانى، فيقول الرئيس الأمريكى السابق «بيل كلينتون» فى نوفمبر ١٩٩٩: «إن مستقبل تركيا سيكون حاسما فى صياغة القرن الواحد والعشرين».

شراكة استراتيجية

ويقول المحلل السياسى الإسرائيلى «إفرايم أنبار» موضحا الهدف من الشراكة الاستراتيجية من تركيا وإسرائيل: «إن الشراكة الاستراتيجية بين تركيا وإسرائيل ضرورية للبلدين، إزاء محاولات كل من إيران، وسوريا، فإيران تحاول إنتاج كافة أنواع أسلحة الدمار الشامل، فى حين تركز سوريا على الرءوس الكيميائية، والبيولوجية، بينما إسرائيل تواجه تجمعا فلسطينيا، من المحتمل أن يكون له دعاوى تحررية وحدودية، وأن يصبح مأوى لتنظيمات إرهابية»، وفى هذا السياق أعلن السفير التركى لدى الولايات المتحدة الأمريكية، خلال الأزمة العراقية فى فبراير ١٩٩٨، قائلا: «إن تركيا ستنظر بعين الاعتبار فى السماح لإسرائيل باستخدام المجال الجوى التركى للانتقام فى حالة قيام العراق بهجمات صاروخية ضد إسرائيل» ويذهب بعض المحللين الإسرائيليين إلى أن وجود القوات الجوية الإسرائيلية على الأراضى التركية من شأنه زيادة قدرة تركيا على الردع ضد الهجمات الصاروخية من إيران أو سوريا.

كما يمكن أن تكون الموانىء، والمياه التركية ملاذا آمنا للغواصات الإسرائيلية مما يحقق لها قوة رادعة ضد أى هجوم نووى على إسرائيل، وأن التقارب الإسرائيلى التركى، سيزيد من التعاون فى مجال الاستخبارات بين البلدين، بما يساعد على تقليل الفرص أمام الأعداء للقيام بهجوم تقليدى أو صاروخى مفاجىء.

تقليص البعد الإسلامى

هذا بالإضافة إلى أن التقارب بين «دولة يهودية»، و«دولة مسلمة علمانية» قد يسهم فى تقليص البعد الإسلامى للصراع العربى - الإسرائيلى، كما يعتقد هؤلاء المحللون أيضا أن النموذج التركى، قد يجعل العلاقات مع إسرائيل أكثر قبولا لدى الدول الإسلامية فى الشرق الأوسط، وفى أى مكان آخر، ومن جهة أخرى يرى البعض الآخر أن سعى الإسرائيليين لتوثيق العلاقات مع تركيا - التى تقع على حافة منطقة الخليج العربى، ومناطق بحر قزوين، حيث تتركز ٧٠٪ من احتياطات البترول العالمية المؤكدة، وما يزيد على ٤٠٪ من احتياطات الغاز الطبيعى، خاصة أن هذه المناطق الغنية بالطاقة، توجد فى نطاق قاعدة أنجرليك التركية التى تستخدمها القوات الأمريكية - يحقق لإسرائيل موردا آمنا فى مجال الطاقة، ومن ناحية أخرى فإن تركيا تخطط لتكون بوابة رئيسية لمسارات الطاقة من وسط آسيا إلى دول الغرب، فإن إقامة خط أنابيب «باكو - سيحان» سيجلب بترول أذربيجان إلى ميناء سيحان التركى على البحر المتوسط، كما أن خط أنابيب الغاز الطبيعى عبر بحر قزوين، وسينقل غاز تركمانستان مباشرة إلى تركيا، ومن ثم فإن تركيا تنظر إلى خطوط الأنابيب، فى الأساس، من منظور «جيوبوليتيكى» أى جغرافى سياسى، يمكن أن يحقق لها «وضعا مهيمنا» فى المنطقة، وهذا ما يعتبره المحللون السياسيون أحد الأهداف من هرولة إسرائيل نحو تركيا لتعزيز علاقاتها معها، ومن هذا المنطلق اقتنعت إسرائيل، واللوبى اليهودى المؤيد لها فى الولايات المتحدة الأمريكية بالمنطق الاستراتيجى لخط أنابيب «باكو - سيحان»، ودعمهما للموقف التركى فى واشنطن لتأمين تدفق بترول هذه المناطق إلى إسرائيل والولايات المتحدة.

وفى هذا الإطار زار وزير الطاقة التركى إسرائيل فى أغسطس ٢٠٠٢ لبحث المشروعات المائية المشتركة بين البلدين بما فى ذلك موضوع نقل مياه تركية من «نهر منفجات»، وفى هذا الصدد تم فى مايو ٢٠٠٣ توقيع تركيا وإسرائيل اتفاقية لبيع ٥٠ مليون متر مكعب من مياه هذا النهر سنويا إلى إسرائيل تشكل

٦,٥٪ من الاستهلاك المنزلى فى إسرائيل لمدة ٢٠ عاما، مقابل مليار دولار.

انتقادات تركية

واللافت للنظر أن زيارة نائب رئيس الوزراء التركى ووزير الخارجية «عبدالله جول» لإسرائيل والأراضى الفلسطينية مؤخرا، جاءت وسط أحاديث فى أنقرة عن رغبة تركيا فى أداء دور نشط فى عملية السلام، وتأتى أهمية هذه الزيارة من كونه أكبر مسئول تركى يصل إلى إسرائيل، منذ تولى «حزب العدالة والتنمية» السلطة فى تركيا فى نوفمبر ٢٠٠٢، ولأنها جرت بعد فترة توتر ملحوظ فى العلاقات بين تركيا وإسرائيل، بسبب الانتقادات المتكررة التى وجهها «رجب طيب أردوغان» رئيس الوزراء التركى للسياسات التى تتبعها إسرائيل تجاه الفلسطينيين، ووصفه لسلوكها فى مرات عديدة بأن «إرهاب دولة»، ويرى البعض أن العلاقات التركية - الإسرائيلية لا يمكن حاليا، اختزالها أو تبسيطها فى كلمة أو عبارة مثل «صداقة» أو «تعاون استراتيجى» أو تحالف، أو حتى تباعد، ولفهم طبيعة هذه العلاقات بين البلدين فى المرحلة الراهنة، ينبغى رصد عدد من العوامل المهمة.

فأولا: إن التقارب الكبير بين تركيا وإسرائيل فى حقبة التسعينات من القرن العشرين، الذى وصل إلى حد توقيع



رجب طيب اردوغان



عبدالله جول

«اتفاق تعاون عسكرى» عام ١٩٩٦، كان يحركه دافع وجود «عدو مشترك»، وهو سوريا، فقد بلغ التوتر ذروته معها إلى درجة التلويح من جانب تركيا بشن حرب عليها عام ١٩٩٨ بدعوى إيواء متمردى حزب العمال الكردستانى، وزعيمهم «عبدالله أوجلان»، ومنذ ذلك الوقت جرى تقارب كبير بين أنقرة ودمشق، وتحول العداء إلى صداقة حميمة، وتعاون سياسى واقتصادى، توجته زيارة تاريخية قام بها الرئيس السورى «بشار الأسد» لأنقرة فى يناير ٢٠٠٤، واللافت للانتباه بهذا الصدد أن الزيارة التى قام بها رئيس الوزراء التركى «رجب طيب أردوغان» لدمشق فى ديسمبر ٢٠٠٤، كانت خطوة تمهيدية للزيارة التى أجراها وزير الخارجية التركى «عبدالله جول» لكل من إسرائيل والسلطة الفلسطينية بعد ذلك.

وثانيا: أن هناك شعورا بالإحباط، خاصة فى أوساط الجيش التركى إزاء مجمل التعاون العسكرى مع إسرائيل، فالطائرات الأمريكية الصنع «إف ٤» التى قامت

إسرائيل بتحديثها، ثبت وجود عيوب فى بعضها، فقد تكرر سقوطها لأسباب فنية، كما أن صفقة تحديث الدبابات التركية فى إسرائيل مرت بأزمة نتيجة مطالبتها بأموال إضافية، خلافا لما اتفق عليه من خلال العقود الموقعة بين البلدين.

وثالثا: قلق الأتراك بسبب ما اعتبرته الأوساط السياسية والعسكرية التركية نشاطا إسرائيليا مريبا فى شمال العراق، إذ أنه يشمل حملة لشراء الأراضى، ووجود للموساد فى إطار تعاون مع الفصائل الكردية العراقية، وأن من مصلحة إسرائيل قيام دولة كردية فى شمال العراق، فى حين أن ذلك يمثل تهديدا استراتيجيا لوحدة الأراضى التركية.

وفى هذا السياق فإن إقامة هذه الدولة الكردية فى شمال العراق، سيؤدى إلى تمزيق العراق وإخراجه نهائيا من معادلة الصراع العربى - الإسرائيلى، وتوجيه ضربة مزدوجة لكل من إيران وسوريا اللتين يوجد بهما أقليتان كرديتان أيضا، فى نفس الوقت يتخوف الأتراك من دعم الولايات المتحدة مستقبلا لإنشاء دولة كردية فى شمال العراق، خاصة إذا ضمت مدينة «كركوك» الغنية بالبترول.

رابعا: أن سياسة التصعيد الإسرائيلى فى الشرق الأوسط لا يخدم مصالح تركيا فى المنطقة، لأنها تشيع جوا من التوتر وعدم الاستقرار ينعكس عليها.



بشار الأسد

وخامسا: أن حزب العدالة والتنمية الحاكم فى تركيا ينتهج خطا سياسيا خارجيا يرتكز على «مبدأ تكامل الأدوار»، حيث تحرص تركيا إلى إقامة علاقات متوازنة مع كل من العرب وإسرائيل، كما أن مفهوم التحالف الاستراتيجى التركى - الإسرائيلى الذى كان معروفا فى التسعينات صار، حاليا، لا وجود له، وأصبحت العلاقات التركية - الإسرائيلية تنطلق من مفهوم «المصالح المتوازية» لذا فإن الحكومة التركية حرصا منها للحفاظ على العلاقات مع إسرائيل واللوبى اليهودى قوية، ومزدهرة بادرت بإنشاء مجمع للأديان، فى محافظة أنطاكية جنوب تركيا فى شهر نوفمبر ٢٠٠٤، ضم معبدا، وكنيسة ومسجدا، كما استضافت المكتبة الوطنية التركية فى أنقرة «مؤتمر إسرائيل حول مؤسس الصهيونية تيودور هرتزل»، فى الذكرى المائة لوفاته عام ١٩٠٤، على الرغم من اعتراض التيار الإسلامى داخل تركيا، وفى نفس الوقت تحرص على القيام بدور الوسيط بين العرب وإسرائيل، وعلى العموم يمكن القول إن العلاقات التركية - الإسرائيلية هى علاقات تحكمها حاليا مصالح الجانبين فى ضوء المتغيرات المحلية والإقليمية والدولية.

قصة العدد

حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

سيد الشهداء

للأستاذ الدكتور / طه حسين
رحمه الله

خلا الأمير إلى سمّاره حين تقدم الليل.. وسكنت حركة الأحياء والأشياء، وارتفعت فى السماء أضواء الدور فى المدينة وأضواء القصور من حولها، وانحدرت إلى الأرض أشعة النجوم رفيقة رقيقة مضطربة، وكان الأمير على غير عادته كئيباً كاسف البال، مؤثراً للصمت معرضاً عن أصحابه، لايكاد يسمع لما يدور حوله من الحديث، فلما سأله فى ذلك آثر أصحابه عنده قال الأمير: «ألم تر إلى الناس حين كنا نعشيهم كيف كان إقبالهم على طعامهم فاترا بطيئا، وكيف كان حديثهم فيما بينهم خافتاً خفياً، وكيف كان يستأثر بهم ويسيطر عليهم ذهول غريب يجعل حركاتهم آلية لاتصدر عن رأى ولا إرادة، وإنما تصدر عن عادة وغريزة! لقد خيل إلى أن قد فرق بينهم وبين أنفسهم، فكأنما كانت أنفسهم فى السماء وأجسامهم فى الأرض ولقد عرفت هؤلاء الناس وعرفونى، ولقد بلوتهم وبلونى، وما أذكر أنهم أخذونى بما لا أحب، وما أذكر أنى سرت فيهم بمالا يرضون من سيرة الأمراء».

قال صاحب الأمير: «فإن الأمير أعزه الله يعلم أن هؤلاء الناس قد شغلوا اليوم عن أنفسهم بآبائهم وأجدادهم، وشغلوا عن يومهم الحاضر وغدهم المقبل بأمسهم القريب»، قال الأمير: «وماذاك؟»، قال صاحبه: «فإن أصحابك قد رفعوا إليك من غير شك قصة هذه القبور التى نبشت، وقصة هذه الآية التى

ظهرت».

قال الأمير: «فإن أصحابى لم يرفعوا إلىّ من ذلك شيئاً، وإنما هو أمر جاء من دمشق، ومضينا فى إنفاذه اجتهاداً للناس ونصحاً لهم وإيثاراً لهم بالرى والخصب والعافية، وما أعرف أن أحداً منهم أنكر من هذا الأمر شيئاً، أو قال فيه بغير مانقول، أو أشار فيه بغير ما أمر أمير المؤمنين».

قال صاحب الأمير: «أما والله لولا أن الأمر قد سبق بذلك منذ العام الماضى حين لم تكن والياً على هذه المدينة وحين كان أمرها إلى من لانحب أن نتحدث إليه أو نشير عليه، لقد كان لنا فى ذلك رأى غير مارأى، ولقد كنا خليقين أن نشير على أمير المؤمنين بغير ماتقدم به فى أمر هذه القبور، إنها قبور الذين صرعوا فى الله يوم أحد، وإن كثرتهم لمن الأنصار. وقد أراد الله أن يدفنوا حيث صرعوا. وقد أنبئنا أن جماعة من الأنصار هموا بنقل موتاهم إلى المدينة ليدفنوا فيها، فكره رسول الله ﷺ ذلك ونهى عنه وأمر بهؤلاء الشهداء فردوا إلى مصارعهم ودفنوا حيث أراد الله أن يدفنوا ورسول الله قائم يصلى عليهم ويشهد دفنهم، وكأنما كان يستودعهم هذه الأرض التى طهرتها دماؤهم الزكية حتى يكون اليوم الذى ينشرون فيه من قبورهم ليلقوا جزاء الشهداء الصديقين. فلو قد سئلنا فى ذلك لأجبنا ولو قد استشرنا فى ذلك لرأينا لأمير المؤمنين غير مارأى له هؤلاء الشباب من فتيان قريش. فإن من الخير أن يجرى أمير المؤمنين لأهل المدينة هذه العين تحمل إليهم الرى والخصب، ولكن مما يؤذى أهل المدينة أن تنبش قبور آبائهم وأجدادهم من الشهداء، وأن يحولوا عن أرض قسمها لهم الله ورسوله».

قال الأمير: «فتراهم قد سخطوا على ذلك وضاقوا به وأنكروه؟»

قال صاحب الأمير: «ماأشك فى ذلك، ولكن الله عز وجل قد أراد بهم وبأمير المؤمنين خيراً، فأظهر لهم هذه الآية التى صرفتهم عن الدنيا إلى الدين، وعن التفكير فى اليوم والغد إلى التفكير فى أمس وفى يوم يرونه بعيداً ويراه الله عز وجل قريباً».

قال الأمير: «فإنى لاأفهم عنك ماتقول منذ الليلة!»، قال صاحبه: «فإن أصحابك إذا لم ينبؤك بالحال التى وجدوا عليها أجسام الشهداء». قال الأمير: «لم ينبئنى أحد بشئ»

قال صاحبه: «فإن أجسام الشهداء قد وجدت رطاباً كأنها يوم دفنت، ولقد كانت تحمل من مكان إلى مكان فتنثنى وتضطرب، رخصة كأنما هى مغرقة فى النوم لم يلم بها الموت. وأكثر من ذلك أن المسحاة أصابت رجل سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب فجرى منها دم زكى كما يجرى دم أحدنا حين يصيبه الجرح اليسير، وقد مضى على مصرع هؤلاء الشهداء أكثر من أربعين عاماً، وقد رأى الناس ذلك وأحسوه وتأثرت به نفوسهم، واضطربت له قلوبهم، وازداد له إيمانهم، فهم بين الحزن لما كان من تحويل هؤلاء الشهداء عن قبورهم، والإعجاب بما كان من هذه الآية، وقد صرفهم

هذا الإعجاب عن إظهار ماكان خليقاً أن يملأ قلوبهم من سخط وإنكار. فلا تضق بما رأيت من وجومهم وذهولهم، فإن بعض هذا كان خليقاً أن يضطرهم إلى الوجوم والذهول».

وكان فى القوم شيخ قد تقدمت به السن وظهرت عليه الكبرة والهرم، وقد جلس فى آخر المجلس مطرقاً ممعناً فى الصمت والسكون كأنه قطعة من صخر، فلما انتهى سمر الأمير من حديثه إلى هذا الموضوع، رفع هذا الشيخ رأسه وقال فى صوت هادئ رزين يكاد يضطرب شيئاً، وإن عينيه الغائرتين الضئيلتين لتبضان بوشل من الدمع شديد التأثير فى النفوس. وأى شئ أبلغ من بكاء الشيوخ!! - قال هذا الشيخ فى صوته الهادئ الرزين: «رحم الله حمزة! إن كان لسيد الشهداء حقاً، وإن كانت حياته لموضع العبرة الصادقة والموعظة البالغة. كان إسلامه عنيفاً، وكان بلاؤه فى الإسلام عنيفاً، وكان مصرعه فى الله عنيفاً، وكان ماترك من حزن عليه ووجد به وحب له عنيفاً أيضاً، وماذا تقولون فى أنه لم يبلغ حزن من قلب رسول الله ﷺ ما بلغه الحزن على حمزة حين رآه صريعاً قد مثل به المشركون تلك المثلة المنكرة! لقد حدثنا من رآه قائماً ينظر إلى هذا المشهد الفظيع، فيأخذ الحزن من قلبه الكريم الكبير كل مأخذ حتى يخرجه عن طوره ويدفعه إلى الثورة، وإن كان لأبعد الناس عن الثورة، وإن كان لألزم الناس للوقار. لقد ثارت لهذا المشهد البشع نفسه الهادئة الرضية، فإذا هو يوعد وينذر، وإذا هو يقسم لئن أظهره الله على قريش ليمثلن بقتلاهم كما مثلوا بعمه، وإذا غضب هذه النفس الهادئة الرضية يشيع فى نفوس أصحابه كما تشيع النار فى الحطب الجزل، فيقسمون لئن أظهرهم الله على قريش ليمثلن بقتلاهم مثلة لم تعرفها العرب قط. ولكن الله عز وجل كان يريد برسوله وبعباده غير ما أراد لهم الغضب، وإذا هو يؤدبهم بأدب غير هذا الأدب العتيق الذى يقوم على الحفيظة والحمية والثأر، وإذا هو ينزل على رسوله ﷺ هذه الآيات الكريمة:

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ۝١٢٦ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۝١٢٧ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨ ﴾

النحل ١٢٦:١٢٨

فيثوب إلى القلب الكريم مافارقه من العفو، ويعود إلى النفس الكبيرة ماند عنها من الصبر، ويكفر النبى عن يمينه، ويُردُّ المسلمون إلى العفو والصبر والحلم والأناة، ويظهر الله رسوله وعباده على الذين قتلوا حمزة وأصحابه الشهداء ومثلوا بهم، فلا يلقون منهم إلا العفو والبر، وإلا الرحمة والعطف، وإلا المودة والإحسان. وكذلك يقوم أمر هذه الأمة على الصبر والمغفرة والصفح الجميل.

ثم أطرق الشيخ إطراقة غير قصيرة، وأمعن فى صمت عميق، وأمعن السمار مثله فى صمت عميق أيضاً، كأنما حضر مجلسهم روح قوى أخذ عليهم أمرهم واضطرهم إلى هذه

التروية المتصلة التى قطعها الشيخ حيث رفع رأسه وقال فى صوته الهادئ الرزين: «نعم! رحم الله حمزة! لقد كانت حياته عنفاً كلها، ولكنها لم تعقب إلا مودة ورحمة. أترون إلى أخته صفية وقد بلغها مصرعه العنيف، فأقبلت تسعى لتراه وتحمل ثوبين لتلفه فيهما، ويشفق رسول الله عليها من هذا المشهد، فيأمر ابنها الزبير أن يردها، ولكنها تأبى، فقد بلغها أنه صرع، وبلغها أنه مثل به، وقد رضيت بذلك واطمأنت إليه، فذلك فى الله قليل، أخت عنيفة لأخ عنيف، عنيفة بنفسها قبل أن تعنف بالناس، ولكنها أخت رحيمة لأخ رحيم. أترون إليها وقد أقبلت فرأت أخاها، وتنظر فترى جهد المسلمين وفقرهم وعجزهم عن تكفين موتاهم، فترد عن أخيها أحد الثوبين ليكفن المسلمون به شهيداً من شهدائهم، وترضى لأخيها بعد أن صرع هذا المصرع ومثل به هذه المثلة أن يكفن فى ثوب واحد لايلف جسمه كله، إن ستر رأسه أظهر رجليه، وإن ستر رجليه أظهر رأسه. وإذا النبى يأمر بأن يستر الثوب رأسه وأن تغطى رجلاه بأوراق الشجر.

«لقد كان حمزة عم النبى وأخاه فى الرضاعة، وقد اجتمع مع النبى من جهتيه، من جهة أبيه ومن جهة أمه، فقد كانت أمه هالة بنت عم آمنة. ولقد كان النبى به رفيقاً وعليه شفيقاً وبولده براً. فأى عجب فى أن يبلغ مصرع حمزة بالنبى ﷺ طور الجزع الذى لم يألفه قلبه الكريم، فيغضب ويثور وينذر ويوعد، حتى إذا رده الله عن الغضب والثورة وعن الإيعاد والنذير عاد إلى المدينة وقد أقر الله فى قلبه حزناً قوياً مقيماً، قوامه الرحمة والحب. يمر ببنى عبدالأشهل، فيسمع بكاء النساء على شهداء الأنصار، فيقول هذه الكلمة البالغة التى لاأعرف أروع منها فى تصوير الرحمة والحزن معاً: «لكن حمزة لابواكى له» (١)!

وتبلغ هذه الكلمة آذان الأنصار وتنفذ إلى قلوبهم وتستقر فيها، وتملؤها حباً لحمزة وحزناً عليه، وإيثاراً للنبى ومشاركة له فيما يجد، وإذا هم يأمرون نساءهم أن يذهبن إلى بيت النبى فيبكين عمه وأسده وصفيه وأخاه. وقد فعلن، وتلقاهن نساء النبى فبكين، ورضيت نفس النبى لذلك، وامتلأت له حناناً وودّاً، ولكن الله يأبى على نبيه وعلى عباده حتى هذا الإغراق فى الحزن، وإذا النبى يصرف هؤلاء النساء رفيقاً بهن داعياً لهن، فإذا أصبح صعد المنبر فنهى عن إعلاء البكاء أشد مايكون النهى. ولكن كلمته قد استقرت فى نفوس الأنصار، وقد نفذت إلى قلوب الأنصاريات خاصة، وقد توارثنها وتوارثن التأثر بها، فما يموت من الأنصار أحد وما تبكى امرأة أنصارية على أحد إلا بدأت بحمزة فبكت عليه وذكرته بالخير، ثم تثنت بصاحبها فسفحت عليه دموع الحب والحزن، وما أرى إلا أن هذا سيظل دأب

(١) مسند الإمام أحمد ج٢ ص٤٠، ٨٤.

الأنصاريات إلى آخر الدهر. أترون إلى العنف كيف يعقب الرحمة، وإلى الشدة كيف تعقب اللين!!

«رحم الله حمزة! لقد كانت حياته كلها عنفاً، ولقد أصبحت آثاره كلها رحمة ولينا. أتعرفون كيف أسلم حمزة؟ لقد أسلم إسلام الفتيان أولى البأس والشدة وذوى الحزم والقوة أولئك الذين يأنفون الضيم، ويأبون الخسف، ويغضبون للولى ويكرهون أن يؤخذوا بما لايحبون، ولولا أن الله يكره مثل هذا التعبير لقلت إن إسلامه كان إسلام الحمية والحفيظة. غضب لابن أخيه غضبة عربية قرشية، وانتقم لابن أخيه انتقاماً عربياً قرشياً، وسلك الله به إلى الإسلام أقرب الطرق وأدناها إلى قلبه القوى الأبى العنيف كان فتى من فتيان قريش، فيه عنفها، وفيه شدتها، وفيه صلفها، وفيه أنفتها، وفيه حرصها، وفيه إيثارها لهذه اللذات التى يؤثرها أصحاب المروءة والرجولة الكاملة. كان صاحب صيد وقنص، يخرج للذته هذه من آخر الليل ويعود موفوراً مبتهجاً مع الضحى، فلا يلم بأهله حتى يذهب إلى المسجد، فيقف على أندية قريش مسلماً متحدثاً، ثم يطوف بالكعبة ثم ينصرف إلى داره وقد رضى عن نفسه وأرضى الناس عنها. وقد أقبل ذات يوم فانبأته امرأة بنبأ عظيم تغيرت له حياته كلها. كانت هذه المرأة مولاة لعبد الله بن جدعان وأكبر ظنى أنها كانت صاحبة دعابة وغزل، وأكبر ظنى أن أبا جهل حين وقف إليها إنما وقف مداعباً مغازلاً طامعاً منها فى شئ مريب.

ويمر النبى ﷺ فتمتلئ نفس أبى جهل غيظاً لمرآه على ماكان يضمر له من بغض وقلى. وإنه لفى موقفه هذا المريب الذى لايحسن بالأشراف من قريش إذ أخذ يؤذى النبى فى نفسه بأشنع القول وأبشعه. ولكن الله قد أدب رسوله فأحسن تأديبه، أمره بأن يأخذ العفو ويأمر بالعرف ويعرض عن الجاهلين، فيمر بأبى جهل ويسمع منه وينصرف عنه معرضاً كريماً لايجيبه ولا يلتفت إليه.

ويقع هذا كله من نفس المرأة أشد المواقع وأبلغها. وأكبر ظنى أنها صدفت بعد ذلك عن أبى جهل صدوفاً وصرفته عن نفسها صرفاً عنيفاً. ومضى أبوجهل خزيان خجلاً، حتى بلغ ناديا من أندية قريش فجلس مهموماً مخذولاً.

ويقبل حمزة من صيده متوشحاً قوسه مبتهجاً بما أصاب من لذة وما أنفق من نشاط، فيمر بهذه المرأة فى طريقه إلى المسجد، وإذا هى تقفه، وإذا هى تنبئه بما رأت وما سمعت، فيسمع منها ويمضى دون أن يجيبها ودون أن يلوى على شئ، قد أضرم الله فى قلبه نار الغضب هذه التى تطهر النفوس من الإثم وتزيل عنها الحوب وتردها إلى الحياة مرة ثانية نقية ناصعة كما برأها الله وقبل أن تعلق بها حبائل الشيطان.

ويمضى حمزة لايلوى على شئ، تتأجج فى

قلبه هذه النار المقدسة حتى يبلغ المسجد، ويرى أباجهل فى ناديه فيقصد قصده، حتى إذا انتهى إليه قام وراءه ثم ضرب رأسه بالقوس فشجه شجة بالغة، ثم أعلن إسلامه وتحدى قريشاً وطلب إليها أن ترده إن استطاعت عن هذا الإسلام. ويتواثب بنو مخزوم وقد غضبوا لأبى جهل، فهم يريدون أن يمنعوه وأن يبطشوا بحمزة. ولكن أبا جهل يخذلهم ويردهم إلى الدعة والهدوء، ويقول لهم: «دعوا أباعمارة! فوالله لقد سببت ابن أخيه سباً موجعاً. يكفهم عنه أبوجهل فرقاً وخزياً وإشفاقاً أن يتكشف الحق ويظهر ماخفى من موقفه المريب، وإن زعمت بنو مخزوم أنه إنما كفهم عنه إيثاراً للعافية وإنصافاً من نفسه.

قال الأمير وهو يبتسم: «امض فى حديثك أيها الشيخ فإنا نعرف بغضك لبنى مخزوم».

قال الشيخ: «فى أى حديث تريد أن أمضى أيها الأمير؟ لقد كان إسلام حمزة عزاً للنبى وأصحابه، كف عنه كثيراً من أذى قريش. ولقد كان حمزة من هؤلاء المسلمين الذين عاشوا فى مكة أعزة أقوياء يجهرون بإسلامهم ولايخافتون به والذين هاجروا من مكة فى غير تحفظ ولا استخفاء والله لم يعز به الإسلام فى مكة وحدها وإنما أعزه به فى المدينة فلحمزة عقد النبى أول لواء فى الإسلام، وأفعال حمزة فى بدر ماتعلم أيها الأمير، وصرعى حمزة يوم بدر من تعلم أيها الأمير. ولوقد استشارنا معاوية قبل أن يحول شهداءنا عن مقابرهم التى احتفرها لهم الله ورسوله لقلنا له إنا نؤثر الظمأ والجدب وسوء الحال على أن يحول هؤلاء الشهداء أو تنبش قبورهم، ولقلنا له: إن بين هؤلاء الشهداء سيدهم حمزة ابن عبدالمطلب قاتل شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة، الذى صرعه وحشى وبقرت بطنه ولا كت كبده هند!».

وكان الشيخ حين انتهى إلى هذا الموضع من حديثه قد استحال استحالة كاملة، فانحسر عنه ضعف الشيخوخة وارتفع صوته وثبت ولم يضطرب، وأصبح كأنه النمر قد جرى فيه غضب وهياج وأخذت عيناه تقدحان شرراً، وخيل إلى من حوله أنه قد عاد إلى شبابه حين كان من شجعان الأنصار وأبطالهم المقدمين يوم البأس.

قال الأمير وهو يبتسم ويملك نفسه: «حسبك أيها الشيخ! لقد بدأ أمر حمزة بالعنف وانتهى إلى الرحمة واللين، وابتدأت حديثك ليناً رفيقاً، وهاأنت ذا تنتهى إلى العنف وتحيى ماحط الله عنا من حمية الجاهلية وعصبيتها!

«رحم الله حمزة! فما ينبغى أن يثير ذكره شراً، وما ينبغى أن يثير ذكره إلا المودة والرحمة والنصح للمسلمين ولأمير المؤمنين. وما يدريك! لعل هؤلاء الشهداء أنفسهم لو استشيروا لأشاروا على أمين المؤمنين بأن يحملهم بعد موتهم هذه التضحية فى سبيل المسلمين! فهل كانت حياتهم إلا تضحية فى سبيل الله ورسوله والمسلمين!».

الإمام الشافعى نشأته ورحلاته طلباً للعلم

٥

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى

انتهينا فى المقال السابق إلى أن الشافعى كان يفرق بين نوعين من القضايا:

- قضايا وليدة الزندقة فى الإسلام، ولا سبيل للعقل للخوض والتوغل فيها ويسميها «علم الكلام».

- وقضايا تحمل دلائل التوحيد والنبوة ويسميها علم التوحيد.

يقول الشافعى: فكل من نصر علم الأصول وقرر دلائل التوحيد على مذهب الخليل استوجب التعظيم المذكور فى قوله:

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ﴾

(الأنعام/ ٨٣)

وكل من أنكر علم الأصول وأصر على التقليد ومتابعة الأسلاف - كان على دين آزر والد إبراهيم، ومتبعا طريقته فى الجهل والضلال.

فمن هنا كانت دعوة الشافعى تتطابق مع وجهة نظر المؤولين فى موقفه من علم الكلام، وتتناسب كل التناسب مع نزعته العقلية، وتتطابق مع منهجه ذى المنحى الفريد فى تأليفه لعلم أصول الفقه.

ومما يذكر أن أبا حنيفة قبله كان يرى مثل رأى الشافعى، فيقول: قلت: أى - أبوحنيفة - فإن نظرت فى الكلام ما يكون آخره؟ قالوا لايسلم من نظر فى الكلام من مشتقات الكلام فيرمى بالزندقة، فإما أن تسلم فتكون مذموما ملوما. وبالرغم من هذا الموقف لأبى حنيفة من علم الكلام فإنه خاض فيه وألف فيه، ويتشابه موقفه بموقف الشافعى من حيث إنكاره «لعلم الكلام» وأخذه بقضايا تحت اسم آخر نسب إليه، وهو «الفقه الأكبر».

وأبوحنيفة والشافعى يتفقان حول اسم «علم الكلام»، لتفشى مقالات الزندقة وانتشارها لمن ينتسب إلى هذا العلم والفلسفة، فلهذه الصلة بين الزندقة وعلم الكلام رفضا معا استخدام علم الكلام، مع احترام غايته وفائدته تغير اسمه.. فهو عند أبى حنيفة الفقه الأكبر وعند الشافعى: علم التوحيد.

ونسوق دليلا على الوحدانية ذكره الشافعى آية على إتقانه علم التوحيد، نموذج من فقه الشافعى فى «علم التوحيد».

نلاحظ عليه طابع التأمل الاستقرائى، فقد ذكر البيهقى فى حكاية طويلة أن بشرا المريسى قال للشافعى فى مجلس الرشيد: ما الدليل على الإله الواحد؟ فقال الشافعى:

١- اختلاف الأصوات من المصوت دليل على أنه واحد.

٢- وعدم الضد فى الكمال على الدوام دليل على أنه واحد.

٣- وأربع نيرانات مختلفة فى جسد واحد متفقات على ترتيبه فى استقامة الشكل دليل على أنه واحد.

٤- وأربع طبائع مختلفات فى الخافقين أضداد غير أشكال مؤلفات على إصلاح الأحوال دليل على أنه واحد لاشريك له.

﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

(البقرة/ ١٦٣، ١٦٤)

دليل على أنه واحد لا شريك له[1].

تعليق للرازى

شرح فخر الدين الرازى هذه الأدلة المجملة فقال:

النوع الأول: ما ذكره من اختلاف الأصوات من المصوت دليل على أنه واحد، فاعلم: أن الأعضاء التى هى الآلات فى تكوين الأصوات والحروف أعضاء مخصوصة وهى: الحلق، والحنجرة، واللسان، والأسنان، والشفتان.. ثم إنك ترى جميع الناس مع اشتراكهم فى هذه الآلات مختلفين فى الأصوات، حتى إنك لا ترى فى الدنيا

(١) مناقب الشافعى للرازى ٧-١٠ تحقيق الشيخ أحمد حجازى السقا. مكتبة الكليات الأزهرية.

إنسانين يتشابه صوتهما من جميع الوجوه، فلولا أن الصانع القادر الحكيم خصص كل إنسان وحنجرته لم يحصل ذلك الاختصاص وفاعلها مختار قال تعالى:

﴿ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ﴾

(الروم/ ٢٢)

نقدنا وتعليقنا على شرح الرازى

إننا نرى أن شرح الرازى لهذا الدليل يغلب على ظنى أنه ليس مرادا، لأنه حصره فى أن كل مصوت له صوت واحد لايتفق فيه ومعه مصوت آخر.

إذ الشافعى لو أراد ذلك لقال: اختلاف الإنسان من الإنسان، ثم يرتب عليه الأصوات وبقية الأعراض إن أراد ذلك، لكنه لم يرد ذلك، إنما أراد اختلاف الأصوات من المصوت، أى أن الأصوات من المصوت الواحد، يشرح هذا علم الأصوات الحديث بأن الصوت له طبقات مختلفة، هذا الاختلاف فى الصوت، لا يعنى اختلاف الإنسان المصوت، إنما يعنى أن الصوت واحد لأصواته المختلفة ـ كذلك فالاختلاف الذى نراه فى هذا العالم لايعنى تعدد الآلهة، إنما يعرب عن وحدة الإله، كما تعرب الأصوات المختلفة عن وحدة المصوت.

كذلك نلاحظ أن الرازى سلكها فى أدلة منطقية أرسطية، فى حين أن الإمام الشافعى لجأ إلى أدلة قائمة على المشاهدة والتأمل وفق منهجه فى علم الفقه لينبذ المنطق الصورى الذى كان لا يستسيغه.

النوع الثانى: قال الرازى: إن بدن كل إنسان ينتقل من حال إلى حال، مثل أن يكون صبيا، ثم شابا، ثم كهلا ثم شيخا.. وأيضا يكون سمينا ثم يصير هزيلا. وبالضد ـ يكون حارا ثم يصير باردا.

ثم إننا نرى الإنسان مع اختلاف هذه الأحوال باقيا على نهجه الأول فى الصوت والصورة، فبقاء هذه الأحوال بسبب الفاعل الحكيم يبعد الرازى كثيرا عن معنى دليل الشافعى وعن توجيهه، فنراه يربط بين اختلاف الأحوال فى الطباع وبين وحدة الصوت والصورة، وسبب هذا الربط هو اعتماده على المنطق الصورى الذى كان الشافعى يهرب منه.

والمشاهد يخالف هذا الربط، لأن صورة الإنسان فى الصغر تختلف عنه فى الكبر.. كذلك الصوت فيه اختلاف فى الكبر والشيخوخة.

لكنا نرى أن الشافعى يهدف من دليله أن الضد لايجتمع مع الكمال، بمعنى أن الإنسان ينتقل من حال إلى حال، فهو بين الأضداد بين الشباب والشيخوخة، بين الحياة والموت.. إلخ

هذا التنقل بين الأضداد يتنافى مع الكمال، فعدم الضد مع كمال الله يقضى بثبات الوحدة لله.

النوع الثالث: قوله: وأربع نيرانات مختلفات فى جسد واحد متفقات على ترتيبه فى استقامة الشكل دليل على أنه واحد.

قال الرازى: إن فى البدن نيرانا أربعة:

أحدها: نار الشهوة

ثانيها: نار الحرارة.

ثالثها: نار الحرارة القائمة بأعضاء المعدة.

رابعها: الحرارة القائمة التى يتم بها أمر الحياة.

فبهذه الأنواع الأربعة من الحرارة نيران مختلفة بالماهية، ثم اجتمعت فى بدن الإنسان، وبقيت كل واحدة على صنفها المخصوصة، وطبيعتها المخصوصة، وهى كامنة فى بدن الإنسان لاتظهر إلا عند وقت الحاجة إليها، ثم إنها ـ مع اختلافها وتباينها ـ مع موافقة متعاونة على تحصيل مصلحة الإنسان، وموجبة لاستقامة ذلك الجسد.

نزيد على قول الرازى: أن اختلاف النيران لم يؤد إلى اختلاف فى شكل الجسم، لذلك كان الاختلاف الظاهر لنا فى الكون لايعنى تعددا فى الألوهية وإنما الاختلاف وراءه وحده.

النوع الرابع: قوله وأربع طبائع مختلفات فى الخافقين أضداد غير أشكال مؤلفات على إصلاح الأحوال دليل على أنه واحد لاشريك له.

يقول الرازى: إن أبدان الحيوانات على قول الأطباء متوالدة من الأرض، والنار والماء، والهواء.. من الأخلاط الأربعة: وهى الصفراء، والسوداء، والبلغم، والدم.

ثم إنها أضداد متنافرة، متغايرة بطبيعاتها واجتماعها فى البدن الواحد لابد أن يكون بقدرة قادر، وتدبير مدبر قدير، وما ذلك إلا الصانع الحكيم، وإذا عرفت تفسير هذه الكلمات فنقول: إنها دالة على وجود الصانع القديم، وكمال قدرته وعلمه وحكمته، وهى أيضا دالة على كون الصانع واحدا، لأنه لو كان الصانع أكثر من واحد لما حصل هذا النظام فى المخلوقات، بل كان يحصل الفساد. كما قال الله تعالى:

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾

(الأنبياء/ ٢٢)

قال الرازى: ثبت أن كلام الشافعى فى هذا الباب على وفق دلائل القرآن من غير تفاوت أصلا[٢].

ثم قال بشر المريسى فى هذا المجلس: ما الدليل على أن محمداً رسول الله؟

فقال الشافعى: «الدليل على نبوة محمد: القرآن المنزل، وإجماع الناس، والآيات التى لا تليق بأحد غيره».. فعلم التوحيد الذى حاول الشافعى تمييزه عن علم الكلام تأثر بمنهجه فى علم أصول الفقه.

يقول الرازى: وهذا يدل على أنه كان متقنا فى علم الأصول.

فالمنهج العقلى النقلى الذى اتبعه الشافعى والتزم به ساعده على إبراز خصائص الثقافة الإسلامية وأصالة العقل الإسلامى.

(٢) مناقب الشافعى للرازى ص١١٢.

يذكر تاريخ العلم أن العرب والمسلمين قد أبدعوا شيئا كثيرا فى الطب، وأنشأوا علم الصيدلة الكيميائية، وعرفوا كثيرا من النباتات الطبية، التى أضيفت إلى ما كان يعرفه الإغريق، ولا يزال كثير منها مستعملا ومعروفا بأسمائه العربية حتى الآن. وقد أورد ابن أبى أصيبعة ما يربو على الثلاثمائة من أعلام الطب العربى، لم يتح لكثير منهم فرصة الشهرة والذيوع، أما بعضهم الآخر فقد افتئت على حقوقهم العلمية والتاريخية فنسبت جهودهم وانجازاتهم إلى غيرهم من أطباء الغرب، ومن هذا الصنف الأخير العالم والطبيب العربى أبو العلاء بن النفيس، الذى ظلم كثيرا حتى وقت قريب (١٩٢٤) إلى أن كشف عنه هذا الظلم الطويل باحث مصرى هو الدكتور محيى الدين التطاوى حينما عثر فى مكتبة برلين على نسخة من كتاب ابن النفيس «شرح تشريح القانون» الذى مكث قرابة سبعة قرون، على أرفف المكتبات، لم يلتفت إليه أحد. فقام هذا الباحث بدراسته فى الرسالة التى تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة فريبورج بألمانيا، ومن خلال ذلك كشف النقاب عن جهود ابن النفيس فى كشف الدورة الدموية الصغرى والتى سبق بها «وليم هارفى» وغيره بعدة قرون.

ابنُ النفيس عَالماً وطَبيباً

للأستاذ الدكتور/ محمد فتحى بيومى

ابن النفيس واسمه بالكامل علاء الدين أبو العلا على بن أبى الحزم القرشى الشافعى الدمشقى المصرى. أما لقب القرشى فليس نسبة إلى قريش كما ظن بعض المستشرقين والأعاجم[1] ولكنه نسبة إلى قرية تسمي القرش (بفتح القاف)، وقد كانت ضاحية من ضواحي دمشق أو قرية تابعة لها. أما لقب الشافعى فيرجع إلى اتباعه المذهب الشافعى الذى تخصص فى فقهه ودرسه فى إحدى مدارس الأزهر وهى «المدرسة المسرورية» بل إن له مكانة فى «طبقات الشافعية»[2]. أما لقبه الدمشقى فلنشأته وتعليمه فى مدينة دمشق. أما لقب المصرى فلكونه أقام بمصر وتوفى بها. وأما لقب ابن النفيس الذى اشتهر به فوق غيره من الألقاب فذلك لنفاسة علمه، ورجاحة عقله، ونفاذ بصيرته وسداد آرائه[3].

ويصفه الطبيب المؤرخ الدكتور بول غليونجى بقوله: كان علاء الدين أبو الحزم نحيفا طويل القامة، رقيق الجانب، دمث الخلق ممتازا فى آداب المعاملة، ولم يتزوج[4] كما كان من مناقبه ومزاياه أنه كان صاحب ذاكرة خازنة، مع قدرة على استنباط الأسس، ورائدا فى القدرة على وضع التصانيف، وقد نذر نفسه وعلمه وممتلكاته لخدمة العلم والطب حتى أسموه «خازن العلوم»[5].

أساتذته وتلامذته

قضى ابن النفيس فترة تعليمه فى دمشق، ويذكر تاريخ الطب أن أبرز أساتذته فى الطب هو الطبيب الدمشقى المعروف بمهذب الدين الدخوار الذى أسس مدرسة علمية. ونعنى بها اتجاها وتعاليم وأصولا علمية ومنهجية، مارس فيها الطب تعليما وتطبيبا على غرار ما يعرف اليوم بكلية الطب، أما المكان الذى مارس فيه التعليم والتطبيب فكان موقعه فى البيمارستان (المستشفى) المعروف وقتذاك بالبيمارستان النورى (نسبة إلى مؤسسة نور الدين بن محمود بن زنكى، عم صلاح الدين الأيوبى)، وقد وصفه ابن أبى أصيبعة، تلميذه وزميل ابن النفيس، فى كتابه «مسالك الأبصار فى أخبار ملوك الأمصار» بقوله: «كان فى الحكماء علما، وفى إثبات الحكم قلما، وكان لفروع الطب شجرة يكاد زيتها يضىء».

وكان أيضاً ممن زامل الدخوار بالبيمارستان النورى وتتلمذ عليهم ابن النفيس: عمران الإسرائيلى وراضى الدين الرحابى وغيرهم.

أما فى مصر فقد باشر الطب مع ابن النفيس، بخلاف ابن أبى أصيبعة، كثير من الأطباء منهم: عبداللطيف المهندس ويوسف السبتى، وابن قاضى بعلبك وشمس الدين الكلى والسويدى وغيرهم. وقد تدرج ابن النفيس فى مناصب الأطباء حتى صار بدر الدين حسن وأمين الدولة والسيد الدمياطى، وأبى الفضل بن كرشك السكندرى، وأبى الفرج ابن القف، وابن صغير، وابن البرهان، والصفى أبو الفتح النصرانى، غيرهم[6].

١- إميلي سافاج- سميث (١٩٩٧) الطب. فى: موسوعة تاريخ العلوم العربية الجز الثالث. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ص ١١٨٧.

٢- عبدالحليم الجندى (١٩٨٤) القرآن والمنهج العلمى المعاصر. دار لامعارف بمصر. ص١٥٤.

٣- سليمان فياض (٢٠٠١) عمالقة العلوم التطبيقية. الهيئة المصرية العامة للكتاب ص١٨٤.

٤- بول غليونجى (١٩٨٦): قطوف من تاريخ الطب. دار المعارف بمصر. ص٢٤٠.

٥- إبراهيم بدران (٢٠٠١): مقدمة كتاب: «الموجز فى الطب» لابن النفيس. الطبعة الثالثة. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ص «م».

٦- لمزيد من التفصيلات أنظر: المرجع رقم ٤، ص ٢٣٧-٢٣٩، وايضاً يوسف زيدان (١٩٩١) رسالة الأعضاء لابن النفيس. الدار المصرية اللبنانية ص ٢٤.

العالم والطبيب

الترتيب الذى توخيناه فى عنونة هذا الجزء، وإيثارنا تقديم صفة العالم على صفة الطبيب بالنسبة لابن النفيس مقصود، على الرغم من شهرته الطاغية كطبيب وذلك لعدة أسباب، منها:

أن ابن النفيس لم يكن طبيبا احترف مهنة الطب يمارس علاج المرضى ومواساة الجرحى وكفى، ولكنه كان طبيبا عالما مجتهدا فى علمه، ناقدا لمن سبقه من أساطين الطب الذين كان يجلهم ويضعهم موضعا رفيعا مثل «جالينوس» الذى كان كلما ذكره ينعته بـ «الفاضل» وابن سينا الذى كان يدعوه بـ «الشيخ الرئيس»، وغيرهما.

أما السبب الثانى فهو أن ابن النفيس كان طبيبا معلما، ومن كان هكذا فإنه إلى صفة العالم أقرب، كأساتذة الطب فى الجامعات الآن، ومنهم «الأكاديميون» الذين يمارسون الاشتغال بالعلم والتعليم فى قاعاته وساحاته، دون أية مساهمات خاصة بممارسة التطبيب والعلاج بشكل مباشر، كالمتخصصين فى علمى الفسيولوجيا والتشريح، وقد شغل نفسه بهما وترك من الآثار ما يدل على ضلوعه فيهما. أما السبب الأخير فيتمثل فى أن الإضافة الحقيقية لابن النفيس، والتى أدت بالفعل إلى انتشال اسمه من غياهب النسيان، تنتمى إلى علمى وظائف الأعضاء والتشريح، وهما علمان أساسيان فى المقام الأول، ثم يتم استثمار معطياتهما طبيا بعد ذلك.

وعلى ذلك فإن ما ضمن - حقيقة - كتابة اسم ابن النفيس بأحرف من نور، فى تاريخ العلم، إنما يتمثل فى إضافاته كعالم أولا، ثم يأتى دوره كطبيب بعد ذلك لكل هذا وغيره، قدمنا صفته كعالم على صفته كطبيب. ومع ذلك فالعلاقة وثيقة بين كل من الطب وعلوم الأحياء لاسيما علمى التشريح والفسيولوجيا.

إن ما أورده ابن أبى أصيبعة، تلميذ الدخوار، فى اعتماد أستاذه على المعلومات الواردة فى كتب علوم الأحياء ككتاب الدينورى «النبات» وغيره، فى مجالس علمه، يدل دلالة قاطعة على معرفة أطباء ذلك الزمان بالعلاقة الوثيقة بين العلوم الطبية والعلوم البيولوجية، وعلى هذا نشأ تلاميذه كابن أبى أصيبعة، الذى سجل ذلك فى كتابه الشهير «عيون الأنباء»، أو ابن النفيس وغيرهما.

ابن النفيس العالم

وعلى هذا الدرب سار التلميذ متبعا فى مسيرته العلمية تعليمات أستاذه، بل إن ابن النفيس قد فاق، فى هذا المجال، أستاذه، فهو أكثر فصاحة وإبانة عن أفكاره فى مؤلفاته الكثيرة بل وأكثر توضيحا للعلاقة بين العلوم الأساسية وعلم الطب (التطبيقى).

ففى كتابه المعنون: «الشامل» يقول: إن الطب ينقسم بالقسمة الأولى إلى جزء نظرى وجزء عملى، كلاهما علم ونظر لكن المخصوص منها باسم النظر فهو المتعلق بما هو موجود لا عن اختيارنا، والغرض من تعلمه استفادة الاعتقاد والرأى فقط مثل علمنا أن الأركان أربعة. والمخصوص منها باسم العمل هو المتعلق بما هو عن اختيارنا والغرض من تعلمه استفادة العلم بكيفية الأعمال الطبية مع الاعتقاد والرأى [7]. ويزيد الأمر توضيحا فى موضع آخر من كتابه «الشامل» فيقول: إن الجزء النظرى ينقسم إلى أربعة أجزاء، أولها: إزالة المرض ومعرفة أحوال البدن... وثانيها: العلامات الدالة عليها، وثالثها: الأسباب المحدثة والحافظة لها، ورابعها: الأمور الطبيعية وهى بدورها تشتمل على سبعة كتب وهى: الأركان، الأمزجة، الرطوبات، الأعضاء، الأرواح، القوى، الأفعال. أما الجزء العملى فينقسم إلى قسمين وهما: العلم المسمى علم حفظ الصحة والعلم المسمى بعلم العلاج[8].

وما يهمنا هنا هو ما ذكره ابن النفيس فى الجزء الرابع والخاص بالأمور الطبيعية والذى يشتمل على سبعة كتب (أى فصول مطولة) وهو يقصد الأساسيات الأكاديمية التى تعرف حديثا بعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء، وذلك واضح جدا من أسماء الكتب التى عددها فى هذا السياق.

لقد كان ابن النفيس يعلم (العلوم الطبية) ويعلم أنه يعلم، ثم إنه كان يعلم قيمة ما يعلمه جيدا، وتلك صفات هامة للعالم الحقيقى، ومما يدل على ذلك قوله حول بعض تصانيفه: «ولو لم أعلم أنها تبقى مدة عشرة آلاف سنة ما وضعتها»، وكما يشير ذلك إلى قيمة كشوفه وتصانيفه فإنه يوضح أيضاً كيف أنها ستؤثر على الفكر الإنسانى، ومن ثم فقد أكد على تحديه لنسيانه أو إغفالها لهذا الزمن المتطاول لعشرات القرون (عشرة آلاف سنة!).

يصف أبو الفتح اليمورى، أحد تلامذة ابن النفيس، أن لأستاذه معلومات غزيرة هائلة عن الطب النظرى، وكافة فروعه وأساسياته، ولكنه لم يهتم بنواحيه

٧- ابن النفيس: الشامل - ورقة ٨ ب، كما ورد فى: مناهج الأطباء.

٨- انظر أيضا: مناهج الأطباء العرب ص ١١٩.

العملية (السريرية) كاهتمامه بأصوله وأساسياته [٩]، مما يؤيد وجهة نظرنا حول اهتمام الرجل بالأساسيات والأصول العلمية، لكونه عالما طبيبا أكثر من كونه طبيبا يصرف جل اهتمامه بالصنعة وكفى. ويدو أن الشغف بالعلم وطلبه من مظانه المختلفة إرضاء للعقل وإشباعا للفكر، على حد قول «كامبل» فى تعريفه للعلم [١٠]، كان اتجاها عاما للعلماء الموهوبين فى تلك الحقبة الزاهرة، فلم تكن مزاولة الصناعة وحدها هى الغرض المقصود من هذه النهضة الواسعة وهذا التعليم المستفيض، لأن أشهر الأطباء كانوا يضيفون إلى علم الطب علما آخر كالفلسفة أو الهندسة أو الفلك أو الكيمياء، وكانوا يؤلفون الموسوعات ويطيلون البحث فى أمهات هذا العلم حيث كان، فى حين أن بعض الدراسة قد كان كافيا لمزاولة الصناعة الطبية فى تلك العصور، ولكنهم طلبوا العلم للعلم، ووضعوا الكتب فيما قرأوه وترجموه فإذا هي موسوعات، وإذا هى مباحث تهذيب واستقصاء وليست متاجر أرباح [١١].

ومجمل القول أن اهتمام ابن النفيس، فى مجال الطب، قد انصب أساسا على الظواهر والعوامل المؤثرة عليها في الجسم، أكثر من اهتمامه بموضوعات الطب العلاجية (التقنيات المهنية)، وبمعنى آخر فهو إلى علم الطب أقرب منه إلى فن الطب، وربما كان أول من كتب فى أصول هذا العلم وصنَّف فيها بحيث يمكن اعتباره رائد علم وظائف الأعضاء (الفسيولوجيا) [١٢].

بعض إنجازاته العلمية

يمكن تلخيص ما أسداه ابن النفيس لأصول العلوم الطبية أى لعلمى التشريح ووظائف الأعضاء فيما يلى:

- الكشف عن الدورة الدموية الرئوية (الدورة الدموية الصغرى).

- اكتشاف الشريان التاجى الذى يغذى عضلة القلب.

- تصحيحه لبعض المعلومات التشريحية الهامة التى أدت بدورها إلى أخطاء فى فهم الوظائف الطبيعية لبعض أعضاء الجسم، فقد أثر عن كل من جالينوس وابن سينا قولهما أن للقلب ثلاثة بطون (بطينات) بينما الواقع أن

٩- سمير يحيى الجمال (١٩٩٩): تاريخ الطب والصيدلة المصرية. الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ١٢٥.

١٠- N.Campbell (1953) : What is sciec ? Dover Incorporations, Inc, New York ..p.5

١١- عباس محمود العقاد (١٩٦٩) أثر العرب فى الحضارة الأوربية.. دار المعارف بمصر. الطبعة الثامنة. ص٢٨.

١٢- كارم غنيم (١٩٨): ملامح من حضارتنا العلمية وأعلامها المسلمين. الزهراء للإعلام العربى. القاهرة. ص١٥٧.

للقلب بطينين (2 ventricles) فقط كما قرر ذلك وأوضحه في أثناء شرحه للدورة الرئوية.

- بيانه للعلاقة بين تركيب العضو ووظيفته عند الحديث عن التشريح ووظائف أعضاء الجسم، وسبْقه فى ذلك «لامارك» وغيره.

- إشارته المتكررة لما يعرف حديثا بعلم الاعتلالات المرضية pathology.

- اشارته «منطقيا» إلى ما يربط بين الشرايين والأوردة، أى إلى الشعيرات الدموية، على الرغم من عدم رؤيته لها لدقة تراكيبها وصغر أحجامها وعدم وجود ما يساعد على هذه الرؤية المباشرة كالمجاهر وغيرها.

- إشارته المتكرره للدورة الدموية الكبرى، فى مؤلفاته المختلفة، قبل الطبيب الانجليزى وليم هارفى بعدة قرون.

- إشارته المتكررة، فى ذلك الوقت المبكر، لعنصر الأكسيجين تحت اسم «الروح»، وسنشير إلى ذلك بالتفصيل ضمن مبحث تال بإذن الله تعالى.

- وأخيرا، وربما كان أهمها، تأصيله للمنهج العلمى، وذلك بالاعتماد على التجربة كلما أمكن ذلك، واعتماده مبدأ النقد العلمى، وعدم التسليم بأية قضايا اعتمادا على الأسماء الضخمة دون عرضها على العقل والمنطق.

اسهاماته فى العلوم النقلية والعقلية

كان ابن النفيس عالما حجة فى الطب حتى أصبح شيخ أطباء عصره، ولكنه كان أيضا شخصية موسوعية، مثل الكثيرين من علماء المسلمين الأوائل. فكان يؤمن بالتكامل المعرفى ولذلك فإنه كان أيضاً على علم واسع بعلوم أخرى ساعدته في تخصصه الأساسى كطبيب وعالم ومؤلف. بل إن بعض المصادر تذكر أنه مارس العمل ببعض التخصصات وألف فيها المصنفات العديدة. فقد تبحر فى علوم المنطق والفلسفة وأصول الفقه والحديث وعلم البيان، وله فى هذا كله رسائل نفيسة ومؤلفات قيمة [١٣].

وربما يرجع ذلك إلى عقليته النقدية المنهجية، وعدم تسليمه لكل ما يصل إليه إلا بعد تمحيص وإعمال عقل، كما يفسر أيضاً السهولة التى كان يباشر بها تأليف تصانيفه الكثيرة بالسرعة المذهلة التى تذكرها المصادر المختلفة فامتلك ناصية البيان والتعبير فكونت لديه الخبرة والقدرة على صياغة أفكاره

١٣- قدرى حافظ طوقان (١٩٥٦): العلوم عند العرب ص٢٠٣.

ومعلوماته بوضوح وبمجهود قليل وسرعة فائقة، فقد روى أنه: «إذا أراد التصنيف توضع له الأقلام مبرية، ويدير وجهه إلى الحائط ويأخذ فى التأليف إملاء من خاطره، ويكتب مثل السيل إذا انحدر، فإذا كلَّ القلم وحفى رمى به وتناول غيره لئلا يضيع عليه الزمان فى برى القلم» (١٤).

وقد برع فى الفقه الشافعى حتى إنه تولى تدريسه فى إحدى مدارس الأزهر وهى: المدرسة «السرورية». وله مكانة فى «طبقات الشافعية» (١٥). كما درس اللغة، و«الإشارات» لابن سينا فى المنطق، كما ألف «المختار فى علم أصول الحديث» و«مختصر علم الحديث» و«الرسالة الكاملية فى السيرة النبوية».

وله من المؤلفات الفلسفية: «فاضل بن ناطق» وهو كتاب عارض فيه ابن طفيل وابن سينا فيما ألفه كل منهما منفردا بعنوان: «حى بن يقظان».

ومن مؤلفاته اللغوية: «طريق الفصاحة» أما مؤلفاته فى القانون وأصول الفقه فمنها: «شرح كتاب التنبيه إلى فروع الشافعية» (١٦).

ابن النفيس الطبيب

برع العرب فى الطب والصيدلة، فما هى إلا قرون قلائل بعد مطلع النور أو بعثة النبى - ﷺ - حتى امتلكوا ناصية الطب بعد أن اطلعوا على التراث الطبى للحضارات القديمة، ودرسوه فى مختلف المعاهد الطبية فى المراكز الثقافية التى كانت قائمة بالقرب من الجزيرة العربية مثل جنديسابور والحيرة ونصيبين وحران والإسكندرية والشام وغيرها. ثم قاموا بنقل هذا التراث ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا. ثم ما لبثوا أن أضافوا إليه الكثير والجديد والصحيح، على أساس من المنهج العلمى الذى ابتكروه وابتدعوه، فألفوا فى الطب الكتب المطولة والموسوعات المبوبة. وبرز منهم أعلام ترددت أسماؤهم فى كل بلاد الدنيا، وتسابقت الجامعات الأوربية والأمريكية لتكريمهم والاعتراف بفضلهم.

وقد ورث ابن النفيس كل هذا التراث وتعلم الطب، كما أسلفنا فى المدرسة الدخوارية، وحذق الصنعة ومارسها فى دمشق قبل أن يتركها للإقامة بمصر، وقد ذكر ابن النفيس فى موسوعته الكبرى «الشامل» الغاية والهدف من صناعة (فن)

١٤- د. بول غليونجى ب.ت: ابن النفيس. الدار المصرية للتأليف والترجمة. ص٩٤.

١٥- المرجع السابق رقم: ٢، ص ١٥٤.

١٦- المرجع السابق رقم: ١٢، ص ١٥٨.

الطب بقوله: «إن الطب صناعة تتحقق غايتها فى علاج أبدان الناس» (١٧).

وقد بزغ نجمه فى مصر، وأصبح شيخ الأطباء بالديار المصرية- كما ذكر ابن إياس فى وقائعه- فكان الطبيب المعالج للمرضى والمعلم لغيره من الأطباء والتلاميذ، والمصنف للكتب والموسوعات ووصل الذروة فى كل ذلك، ويرجع بعض الدارسين والمؤرخين ذلك إلى أنه كان يعتمد فى دراسة الطب وتدريسه على تجاربه فى أثناء الممارسة وعلى تشريح جسم الإنسان ومعرفة خواص أعضائه من واقع ما شاهده. ولم يكن يتقبل كلام العلماء السابقين من اليونانيين والمسلمين إلا بعد بحث وتجربة وتمحيص فى وقت كان لا يجرؤ فيه أحد من العلماء على نقد آراء الطبيب الشهير جالينوس أو الشيخ الرئيس ابن سينا. وقد قدم ابن النفيس خدمة جليلة للطب حين قام بتيسير مداواة المرضى وتطوير طرق العلاج، كما نادى بأن تنظيم غذاء المرضي أكثر فائدة له من الاعتماد على الأدوية وحدها (١٨).

كما أوصى ابن النفيس بالاغتسال قبل الدواء وبعده، وحذر من أن الأكل يقلل من مفعول الدواء لاشتغال الجسم بهضم الغذاء. كما نهى عن تعويد الإنسان الأمعاء على الكسل، وأوصى بتناول المسهلات بتدريج من الأضعف إلى الأقوى، وألا يداوم على دواء واحد حتى لا تألفه الطبيعة، وإذا أمكن الاستغناء بالأغذية عن الأدوية فذلك أفضل. ومعظم هذه التعاليم لها ما يؤيدها من قواعد الطب الحديث.

ومن قواعده الهامة فى العلاج وصف الدواء المفرد بقدر الإمكان بدلا من الأدوية المركبة، التى يمكن أن يتمخض عنها ما يعرف حديثا بالتفاعل الدوائى Drug Interaction، وربما ينجم عنها مخاطر لا يحمد عقباها، وقد تودى بحياة المريض، كما أوضح ابن النفيس أن من الدواء ما يكون خارجيا فقط كالضمادات ومنه ما يكون داخليا فقط مثل الشراب. كما أوضح أن تأثير الدواء إنما يتم على وجهين: أحدهما عن طريق التجربة والآخر عن طريق القياس، وأكد على أن التجربة أفضل، كما بين أن مما يدل على كيفية تأثير الدواء هو فى سرعة مفعوله أوبطئه. كما قام بتصنيف وتعريف حوالى خمسين دواء كالدواء الكثيف والهش واللطيف واللزج والجامد والسائل إلى غير ذلك من أصناف (١٩).

١٧- ابن النفيس: الشامل، ورقة ١٤.

١٨- المرجع السبق رقم: ٩ ص ١١٨.

١٩- المرجع السابق. ص.١٢٠.

هذا وقد اهتم ابن النفيس بالتثقيف الطبى العام، حتى إنه يورد فى بعض كتبه غير الطبية [٢٠] بعض المعلومات عن مكتشفاته ونظرياته، مع عرض دقيق ميسر لشرح وظائف أعضاء جسم الإنسان وكيفية أداء كل عضو منها لوظيفته وخاصة القلب والرئتين. كما عمل على تيسير الطب للناس حتى يعرف أكبر عدد منهم أعضاء الجسم ووظيفة كل عضو به[٢١].

أما ماخلفه من كتب طبية فقد اندثر بعضها وبقى البعض الآخر، ومما بقى منها ما يلى:

- كتاب «الموجز فى الطب»: وهو تلخيص لكتاب ابن سينا «القانون»، وقد حققه الأستاذ عبدالكريم العزباوى، ونشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة.

- كتاب «الشامل»، وهو موسوعة طبية كبيرة، وقد أزمع ابن النفيس أن يجعلها فى ٣٠٠ مجلد بيد أنه لم يستطع أن يبيض منها سوي ثمانين مجلدا قبل وفاته. وقد اندثر معظمها، ويوجد بعض أجزائها بدار الكتب المصرية.

- كتاب «المهذب فى الكحل المجرب»: وهو خاص بطب العيون الذى كان يعرف عند العرب بالكحالة، وقد حقق هذا الكتاب كل من: د. محمد ظافر الوفائى ود. محمد رواس قلعجى (منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافة «إيسيسكو» - الرياض ١٩٨٨).

- كتاب «شرح فصول أبقراط» وقد حققه . يوسف زيدان، ود. ماهر عبدالقادر محمد.

- كتاب «المختار من الأغذية».

- كتاب «شرح تشريح القانون» الذى أورد فيه نظريته فى الدورة الدموية الرئوية (الصغرى).

- كتاب «رسالة الأعضاء»: وقد قام بدراسته وتحقيقه د. يوسف زيدان.

- كتاب «فى الصناعة الطبية»: مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (٦٠٥٧/ل).

- كتاب «مفتاح الشفاء فى طب العين»: (مخطوط مجلس شوراى ملي، تحت رقم ٣٧٨٤).

- ومن مؤلفاته أيضا: «شرح تقدمات

٢٠- انظر كتابه: «الرسالة الكاملية فى السيرة المحمدية» الذى شرح فيه بطريقة مبسطة نظريته فى الدورة الدموية الصغرى «الرئوية».

٢١- المرجع السابق رقم: ٩، ص ١١٨.

المعارف» الذى نسبه إليه حاجى خليفة، وهو تعليق على تكهنات «أبقراط» كما ذكر الدكتور غليونجى (٤-١٤).

- شرح مسائل حنين بن اسحق»، الموجود بمكتبة لندن.

-«تفاسير العلل وأسباب الأمراض»، وقد ذكره بروكلمان فى مؤلفه.

-تعليق على «كتاب الأوبئة» لأبقراط، وهو موجود فى أياصوفيا فى استانبول.

وفاته

أما وفاته فقد اختلف فيها إلا أن معظم المصادر تؤكد ماذكره ابن إياس فى كتابه «بدائع الزهور فى وقائع الدهور» مرتين فى موقعين مختلفين من كتابه سالف الذكر فقال فى الأولى: «والشيخ علاء الدين بن نفيس، صاحب الموجز فى الطب، وكانت وفاة الريس علاء الدين بن نفيس فى ذى القعدة [٢٢] سنة سبع وثمانين وستمائة»، وهذا التاريخ الهجرى الذى ذكره ابن إياس يوافق سنة ١٢٨٨ ميلادية، ثم يعود ابن إياس ليذكر مايشبه ذلك فى موضع آخر من الكتاب؛ إلا أنه قد وصف ابن النفيس بأنه شيخ الأطباء، كما نسب إليه أيضا كتاب «شرح القانون» ثم أنهى عبارته بقوله وكان شيخ أطباء عصره [٢٣]. وقد رثاه تلميذه الصفى أبوالفتح النصرانى بقصيدة قال فى مطلعها:

ومسائل هل عالم أو فاضل
أو ذو محل فى العُلى بعد العَلا؟
فأجبت والنيران تضرم فى الحشا
أقصر فمذ مات العَلا مات العُلى

***

٢٢- ابن إياس الحنفى، محمد بن أحمد «١٩٩٧»: بائع الزهور فى وقائع الدهور. تحقيق محمد مصطفى. طبعة سلسلة الذخائر العدد ٣٦، وهي طبعة مصورة عن الطبعة الثانية للكتاب (١٩٨٢). الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر. ص٢٢. ص ٣٥٧.

٢٣- يحدد الدكتور بول غليونجي وفاة ابن النفيس باليوم الحادى والعشرين من ذى القعدة، بعد مرض دام ستة أيام بدأت بيوم أحد. وقد أشار عليه، فى علته التى تفى بها، بعض أصحابه من الأطباء بتناول شيء من الخمر - وكان صالحا لإبراء علته فيما زعموا- فأبى أن يتناول شيئا منه وقال: «لا ألقى الله تعالى وفى باطنى شيء ومن الخمر «انظر» ابن النفيس» للدكتور بول غليونجى ص٩٥. الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر.

﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
على جمعة
مفتى جمهورية مصر العربية

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المقيد برقم ٣٨٩ لسنة ٢٠٠٥م المتضمن لبعض الأسئلة وهى:

النذر

● السؤال الأول من السيد: ع. ر

نذر رجل أن يدفع مبلغاً من المال لصندوق النذور بمجلس الإمام الحسين - رضى الله عنه -، ولما أكرمه الله بشفاء ابنه وأراد الوفاء بالنذر قال له أحد الأصدقا إن النذر لا يكون إلا لله، وهو يتساءل هل إذا أعطى هذا المبلغ لبعض الفقراء من أقاربه أو فى بلدته يكون قد وفى بنذره؟

●● الجواب: أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ المسلم إذا ما نذر نذرا أن يوفى به، وجعل ذلك من صفات عباده الأبرار، فقال تعالى:

﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ ﴾ (الحج: ٢٩)

وقال:

﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ﴾ (الإنسان: ٧)

وعن عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ عن النبى ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه» رواه البخارى، وإن كان الأولى بالمسلم أن يتقرب إلى الله تعالى بالعمل الصالح والطاعة من غير نذر؛ فإن النذر المعلق على حصول شىء كرهه النبى ﷺ، فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ عن النذر وقال: «إنه لا يرد شيئا وإنما يستخرج به من البخيل» متفق عليه.

ونذر الطاعة على نوعين: نذر العبادات المقصودة، وهى ما كان لوجوبها أصل فى الشرع، كالصلاة والصوم والحج وغيرها، وهذا النوع يلزم الوفاء به بالإجماع، ونذر القرب غير المقصودة، وهى التى ليس لها أصل فى الفروض، لكنها أعمال وأخلاق مستحسنة رغب الشارع فيها، كبناء المساجد وتشييع الجنائز وتشميت العاطس ونحو ذلك، وهذا يلزم الوفاء به عند الجمهور خلافاً للحنفية الذين يرون أن هذه القرب لا يصح التزامها بالنذر لأنها ليست على أوضاع العبادات الواجبة، والمسلم الذى يجعل نذره للميت إنما يعنى أن ثواب ذلك له سواء صرح بذلك بقوله: هذا عن فلان، أو جعلت ثوابه له، أو يقول: نذرت لفلان، وهذا النذر لا يخرج بذلك عن كونه لله - تعالى -، وهذا كما يقول المتصدق: هذه صدقة لله - تعالى - وهى لفلان، فإن اللام الأولى داخلة من تُعُبِّد بالصدقة لوجهه الكريم وهو الله - تعالى -، واللام الثانية داخلة على من جُعِل ثوابها له من الأحياء أو الموتى، كما ورد عن سعد بن عُبادة أنه قال: «يا رسول الله، إن أم سعد ماتت، فأى الصدقة أفضل؟ قال: «الماء» فحفر بئرا وقال: هذه لأم سعد» رواه أبوداود والنسائى وأحمد، وعلى ذلك فالنذر للميت بهذا المعنى الذى يقصده الناس فى نذورهم للأولياء وسائر الموتى صحيح، وليس شركا كما يروج البعض ولا ينافى التوحيد وإخلاص العبادة لله - تعالى -؛ لأنه لا معنى له عند قائله إلا جعل ثوابه للمتوفى، فهو نذر لله - سبحانه وتعالى - متقرب به إليه، جعله صاحبه صدقة عن المتوفى ووهب ثوابه إليه، والأمر فى ذلك سهل قريب ليس فيه إلا كراهة النذر فى نفسه كما سبق.

أما قول الفقهاء إن النذر لا ينعقد للميت فمرادهم استحالة تسليم عينه إليه، وهذا ما لا يقصده الناذرون.

وعلى ذلك وفى واقعة السؤال: فإن هذا النذر صحيح ويجب الوفاء به عند جمهور

الفقهاء على الوجه الذى نذر عليه، لكن إن رأى الناذر المصلحة فى تغيير مصرفه وإعطائه للفقراء من أهل بلده فله تقليد من أجاز ذلك من الفقهاء على أن يهب ثواب ذلك لسيدنا الحسين - رضى الله عنه - عند إعطائه للفقير.

والله سبحانه وتعالى أعلم

من أحكام الأضحية

● السؤال الثانى: وردت الأسئلة الآتية من السيد: ص. م. م. ع

هل يمكن فى الأضحية استبدال الكبش بعجل جاموس صغير لأن اللحم الضانى كله عظم ودهن وغير شائع أكله بين أغلب الشعب علماً بأن لحم العجل يعطى كمية أكبر من اللحم ويوزع على عدد أكثر من الفقراء والأقارب وعلماً بأننى أضحى وحدى ولا أجد عدداً من الأشخاص ليشترك معى فى بقرة أو جمل؟

●● الجواب: الأضحية سنة مؤكدة عن سيدنا رسول الله - ﷺ - لما روى أنه - ﷺ - ضحى بكبشين أقرنين فذبحهما بيده الشريفة، ولقد حدد سيدنا محمد رسول الله - صلوات الله وتسليماته عليه وعلى آله - أسنان الأضحية: فى الضأن ألا يقل عن سنة، وأجاز بعض الفقهاء ذبحه لستة أشهر، لقول النبى - ﷺ -: «لا تذبحوا إلا مسنة إلا أن يعسر عليكم فتذبحوا جذعة من الضأن» أخرجه مسلم، وأما المعز فلا يجوز لأقل من سنة، وأما البقر والجاموس فلا يجوز الأضحية به إذا كان أقل من سنتين وهو المعبر عنه بالثنى من البقر، وهو ما له سنتان وطعن فى الثالثة، إلا إذا كانت البقرة أو الجاموسة تحمل لحماً كثيراً نتيجة العلف المكثف وتكون قد قاربت السنتين فإنه يجوز؛ مراعاة لمصلحة الفقير، ولا عبرة بكون الإنسان يذبح عن نفسه فقط أو يشترك معه آخرون فى الأضحية، أما عجل الجاموس الصغير فإنه لا يجزى فى الأضحية بحال من الأحوال.

والله سبحانه وتعالى أعلم

زكاة المال

● السؤال الثالث: ما هى زكاة المال على محل قطع غيار سيارات.. هل الزكاة تحسب على رأس المال كله أم على الأرباح، وما كيفية حسابها؟

●● الجواب: الزكاة هى الركن الثالث فى الإسلام بعد الشهادتين والصلاة، وقد ذكرها الله - تعالى - فى القرآن الكريم مقترنة بالصلاة فى أكثر من ثمانين آية من آيات القرآن الكريم، قال - تعالى -:

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّٰكِعِينَ ﴾

(البقرة: ٤٣)

وقال سيدنا رسول الله - ﷺ -: «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان» رواه البخارى،

والزكاة المسئول عنها هى المسماة بـ «زكاة عروض التجارة»، وهى تجب على رأس المال والربح معاً، وذلك بأن تقيم البضاعة الموجودة بالمحل مضافا إليها المال الموجود وقت تمام الحول، ويخرج عنه ربع العشر، أما المقتنيات فلا زكاة عليها، وذلك مثل المحل بحوائطه والأرفف والفاترينات وما شابه ذلك؛ فالزكاة على البضاعة والمال السائل «رأس المال والربح» معاً.

والله سبحانه وتعالى أعلم

اختبار الطاعة

● السؤال الرابع ورد من السيد: ج. م

قام الأعداء بتوجيه الضربات للإسلام، وذلك من خلال التشكيك فيه، وقد افترى الأعداء على الإسلام كثيراً، ومن هذه الادعاءات أن تحريم الإسلام للحم الخنزير غير مبرر؛ لأنه مثل سائر الحيوانات، إذاً فما الحكمة من تحريم أكل لحم الخنزير؟

●● الجواب: الأصل فى الشخص أن يقتنع بأصول الدين لاقتناعه بحقية صاحب الدين ورسوله وكتابه، فإذا اقتنع بذلك فعليه التسليم لفروع الدين صغيرها وكبيرها؛ لاطمئنانه لحكمة الله - تعالى - وعلمه المحيط، وأنه جل شأنه يحل لنا الطيبات ويحرم علينا الخبائث،

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾

(الأحزاب: ٣٦)

فإذا دخل للدين هذا المدخل فشأن العبد أنه لا يناقش سيده فى كل أمر ونهى يصدر عنه مادام قد سلم له بالسيادة ولنفسه بالعبودية، سواء عرف الحكمة أم لا، ولكننا قد نسأل عن الحكمة من باب

﴿ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾

(البقرة: ٢٦٠)

فتكون للائتناس بها فقط لا للتعويل عليها فى الانقياد والطاعة من عدمها، وهناك أمور كتبها الله - تعالى - على عباده وأخفى عليهم حكمتها إما إلى زمن وأجل وإما أبداً؛ لمجرد الابتلاء والانقياد

﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾

(الملك: ٢)

وتكون الحكمة هنا مجرد اختبار الطاعة والانقياد فى حق هؤلاء، وهناك من الحكم ما يدركها بعض العباد ولا يدركها بعضهم إما لضعف عقولهم أو لغير ذلك، والكل يجب عليه الانقياد لله - تعالى - والتسليم، وتكون الحكمة فى حق الفريق الأخير مجرد التعبد، فيقول الجميع: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد - ﷺ - نبيا.

***

الوقت فى الإسلام

للدكتور / متولى محمد البساطى

من الظواهر التى تسترعى الانتباه فى حياتنا - عدم الاهتمام بالوقت، فالوقت عندنا مهمل مهدر سواء على المستوى الفردى، أو المستوى الجماعى وأصبح إهدار الوقت هو القاعدة، والمحافظة عليه استثناء وهذا سبب من أسباب المعاناة والشقاء فى حياتنا. فإذا ضرب لك صاحبك موعداً فى الخامسة، فالخامسة ليست هى الخامسة وإنما هى السادسة أو السابعة أو الثامنة، ثم يقبل عليك مبتسماً بغير اكتراث، وكذلك أكثر العاملين والمسئولين فى المؤسسات، والهيئات حتى إذا ذهبت لقضاء مصلحة ما ضاع اليوم هباء، فإن تكلمت عن قيمة الوقت، نظر إليك فى استغراب وكأنك قادم من كوكب آخر وأشبعك صاحبك أو المسئول سخرية واستهزاء... وعلى الرغم من ذلك نكثر من الحديث عن التقدم وحل مشاكلنا، لأننا نظن أن التقدم والرقى إنما يكون بالكلام لا بالسلوك.

الوقت فى حياتنا يرتبط بمجموعة من المفاهيم الخاطئة والضارة التى كان لها تأثير سلبى على حياتنا وسلوكنا، وذلك بسبب بعدنا عن التوجيه الإسلامى لأهمية الوقت وتنظيمه وكيفية استغلاله،.. وهو يمثل عنصراً مهماً من عناصر التوجيه الإسلامى للإنسان فى حياته وعلاقته بربه وبالآخرين.

ومن ينظر إلى الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، وأقوال السلف الصالح يجد صدق هذه الحقيقة.

إن الوقت يمثل فى حياتنا الآن مشكلة من المشاكل التى نعانى منها سواء فى جدنا أو فى هزلنا، وجزء كبير مما تعانيه مجتمعاتنا

العربية والإسلامية يعود فى أساسه إلى إهدارنا لأوقاتنا، وإلى عدم تقديرنا لأهميتها، وبالتالى إهدارنا لطاقتنا فى الوقت الذى نبدو فيه أحوج ما نكون إلى استغلال كل جزء من أوقاتنا لتعويض الفارق بيننا وبين الأمم التى سبقتنا، وإلى الارتقاء بحياتنا. والمشكلة تبدو جد خطيرة.. فلحظة واحدة فى حياة الفرد قد تفرق بين الحياة والموت.

وكم من إنسان تعلقت حياته بلحظة زمنية فلم نقدر له وقته فانتهت حياته نهاية مأساوية، وبذلك نسهم فى الإجهاز عليه بدلاً من الإسراع فى انقاذه. وهذا فى حياة الأفراد فما بالنا بحياة الأمم!!

وكم من مواعيد تضرب من مسئول بين الأصدقاء، ثم يأتى الوقت المحدد.. وتمر بعده أوقات.. ويطول الانتظار بلا فائدة.. وشبابنا - اليوم - وهم ذخر المستقبل - كم من الوقت عندهم يضيع إما لأنهم لا يحسنون استغلاله والاستفادة منه، حيث لم يجدوا التوجيه السديد فتضيع عليهم وعلى أمتهم فرصة لتنمية مداركهم واستغلال طاقتهم استغلالاً يفيد أمتهم ويجعلهم أصح جسماً وأقوى عقلاً وأهدأ نفسا.

والإحساس بالوقت يجىء إما تبعا للترف الزائد حيث لا يجد الفرد ما يشغله، إذ إن وسائل الحياة أمامه ميسورة لا تحتاج إلى عناء وجهد، وساعد على ذلك التقدم.. الكبير فى أوجه الحياة المختلفة.. فيجد الفرد نفسه فى فراغ يحوطه الملل والسأم.

وقد يأتى الإحساس بالزمن وثقله نتيجة للبطالة وعدم العمل، وما يترتب على ذلك من بؤس وعوز. وفى كلا الحالين يكون الإحساس بالزمن ممضا ومؤلما، فيصاب الإنسان باليأس الذى يشل إرادته وطاقته. كما قد يأتى الإحساس بالزمن - أيضاً - نتيجة لعدم تنظيم الوقت، أو لعدم إدراك الفرد لمسئوليته نحو نفسه وربه ووطنه وأمته.

ومما يلاحظ أنه على الرغم من التقدم الكبير الذى أحرزه الإنسان فى جوانب الحياة المتعددة لكن العصر عصر هموم وقلق، وصار الوقت عبئا على الإنسان. ومن المفاهيم الخاطئة فى حياتنا أننا ننظر إلى الدين على أنه جد كله، وإلى عالم الدين على أنه شخص متجهم متزمت لا يحق له حتى أن يبتسم، وبدت هذه النظرة واضحة فى واقعنا فلا نألف من عالم الدين أن يمارس نشاطاً، ولا حق له فى الترويح عن نفسه بالرياضة أوغيرها من وسائل الترويح، وبدت هذه النظرة كذلك فيما نشاهد من تمثيليات إسلامية يظهر فيها المسلمون متجهمين عابسين.. وهذا يختلف عن واقع الرسول - ﷺ - وواقع صحابته والتابعين وعما كان عليه علماؤنا الأوائل.

إن عدم تقديرنا لأوقاتنا وإهدارنا لها وإضاعتها فيما لا يفيد يرجع فى أساسه إلى عدم فهمنا لتوجيهات الإسلام فى هذا الجانب.. ولو رجعنا إلى التوجيهات الإسلامية لوجدنا الحديث عن الوقت وكيفية استغلاله يحتل مكانة مهمة ويبرز بصورة واضحة، بحيث لو اتبع الفرد تلك التوجيهات لما شعر بعبء الوقت وثقله ولما أضاعه هباء.

أهمية الوقت فى حياة الإنسان

يعطى الإسلام للوقت أهمية وتقديراً: لأنه به تستقيم حياة الإنسان وتنتظم علاقته بربه وبالآخرين من حوله، وتتمثل هذه الأهمية فى مظاهر متعددة منها:-

أولاً: امتنان الله سبحانه على عباده – فى القرآن الكريم – بأن من عليهم بنعمة الوقت، حيث يقول:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾

إبراهيم ٣٣، ٣٤

ويقول أيضاً:

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾

الفرقان ٦٢

ثانياً: يبدو الوقت مظهرا من مظاهر قدرة الله فى الوجود، حيث يوجه الله الأنظار إليه، فلا ينبغى أن يفوتنا تذكر الله، فيه، وشكره على نعمه التى يعد الوقت واحداً منها.

ثالثاً: يقسم الله بالوقت فى مظاهره المختلفة: الليل والنهار، والفجر، والضحى، والعصر..

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾

الليل ١، ٢

﴿ وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ الفجر ١: ٤

﴿ وَالضُّحَى ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾

الضحى ١، ٢

﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

العصر ١، ٢

وسميت السور بأسماء الأوقات المختلفة.. وقسم الله بالوقت وتسمية السور بأسمائه فيه توجيه للأنظار لأهمية الوقت، ولما له من قيمة فى حياتنا ترتبط بعظيم نفعه.

رابعاً: ترتبط العبادات فى الإسلام بالوقت، وتنتظم عليه: من الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة. والسلف الصالح لإدراكهم لهذا الفهم وجدناهم يطلبون السلامة فى يومهم ثم فى أسبوعهم ثم فى عامهم ثم عمرهم، وذلك لأنهم أطلقوا على الصلوات الخمس «ميزان اليوم»، وعلى الجمعة «ميزان الأسبوع»، وعلى رمضان «ميزان العام»، وعلى الحج «ميزان العمر». ولا يتعلق ذلك بالعبادات المقررة فقط، وإنما يتعداه إلى غيرها من العبادات التى رغب فيها الإسلام، ولم يقرر لها حداً.. كالذكر والتسبيح، حيث يقول سبحانه:

﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾

الأعراف ٢٠٥

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾

هود: ١١٤

﴿ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾

طه: ١٣٠

﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾

مريم: ١١

﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾

الأحزاب: ٤٢

﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾

الفتح: ٩

وأهل الجنة:

﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾

مريم: ٦٢

والعذاب الذى نزل بقوم لوط عليه السلام نزل بهم صباحاً:

﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴾

القمر: ٣٨

ويخبر الرسول – ﷺ – أن الوقت الذى نعيشه سوف نسأل عنه أمام الله – عز وجل – يوم القيامة، حيث يقول: «لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به»(1).

فالوقت لأهميته مرادف لمعنى الحياة بما فيها مسئوليات وتكاليف، وما حياة الإنسان سوى وقت يمر من ساعة مولده حتى ساعة وفاته.

واجب المسلم نحو وقته

وإذا كان للوقت هذه الأهمية، فينبغى عدم التفريط فيه بإضاعته أولاً، وأن نحسن تنظيمه ثانيا. وهذا ما كان ينظر به سلفنا الصالح إلى أوقاتهم، يقول الحسن البصرى: «أدركت أقواما كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم»، ويقول ابن مسعود: «ما ندمت على شىء ندمى على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلى، ولم يزد فيه عملى»، ويقولون: «من علامة المقت إضاعة الوقت(2)». وعلى الإنسان أن يقسم وقته بين الواجبات والأعمال سواء كانت دينية أو دنيوية حتى لا يطغى جانب على الآخر، يقول الله سبحانه:

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ القصص: ٧٧

ولو نظر الإنسان إلى وقته لوجد أن ثلثه يقضيه فى النوم، والثلث الثانى فى العمل، وبقى ثلث أخير عليه أن يحسن استغلاله.

(١) مجمع الزوائد للهيثمى ١٠/ ٣٤٦.

(٢) انظر الوقت فى حياة المسلم. د يوسف القرضاوى ص١٢ – ١٣. مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثالثة ١٩٨٥م.

نظرات هادفة

كيف ندعو الناس؟

للدكتور / حمدى فتوح والى

ليس منا من أحد إلا يتمنى أن يرى دولة الإسلام قائمة، وخلافة المسلمين عائدة، ووحدة المسلمين تضمهم فى كيان واحد وراية واحدة وهى أمنية غالية وغاية محمودة، ومقصد نبيل، بل إن السعى إليها والعمل من أجلها يعد عبادة من أجل العبادات. لكن الأمنيات وحدها مع إهمال الوسائل، وعدم التحقق من صحة المقدمات لا يصل بنا أبداً إلى تحقيق ما نريد.

ومهما كان القصد حسنا، والرغبة عارمة فى استعجال الاستمتاع بالعزة والتمكين، فإن ذلك كله لا يبرر إغفال تلك الوسائل، ولا يعطينا حق القفز فوق الثوابت المشروعة، وتخطى الضرورى من الأمور.

ومن يتأمل فى كتاب الله ـ سبحانه وتعالى ـ يدرك حقيقة واضحة جلية تؤكد قانونا لا يتخلف. وهو أن الله أقام كونه على سنة النمو والتدرج والاكتمال. وأن هذه السنة مطردة فى حياة البشر كما هى مطردة فى حياة الأحياء والجمادات.

ففى حياة البشر يقول الخالق الحكيم سبحانه:

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

[النحل / ٧٨]

ويؤكد الحق ـ سبحانه ـ هذه المرحلية وهذا التدرج بقوله سبحانه:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾

[الروم / ٥٤]

وقد كان الحق سبحانه قادراً أن يخلق الإنسان بشراً سوياً منتجاً.

وفى مجال الكون أخبرنا ـ سبحانه وتعالى ـ بهذا التدرج والنمو فى قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾

[فصلت / ٩ : ١٢]

فأنت تلاحظ أن الخالق الحكيم ـ سبحانه ـ قد خلق الأرض فى يومين ثم جملها وأعدها للسكنى وقدر فيها أقواتها وأرسى فوقها جبالها فى مرحلة تالية، ثم خلق السموات السبع، وأوحى فى كل سماء أمرها. بعد أن

﴿ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) ﴾

[النازعات / ٢٨ : ٣٠]

وكل هذه مراحل متوالية لا يمكن لواحدة أن تسبق الأخرى

﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾

[النمل / ٨٨]

وما كان الحق ـ سبحانه ـ وهو القاهر فوق عباده- بحاجة إلى هذا التدرج. وهو القادر على أن يخلق السموات والأرض بكلمة «كن» لكنه الناموس الإلهى الذى أراده سبحانه ليقيم عليه أمور الحياة. وليعلمنا سبحانه أن كل شىء فى الكون ينمو وينتقل من حال إلى حال، حتى يتم له الكمال فإذا اكتمل آذن بالضعف وجنح إلى الزوال.

وما يقع فى عالم الأحياء والجمادات يقع مثله فى عالم المشاعر والمعنويات وكما يتمو إنسان الجسد بالطعام والشراب ينمو إنسان الروح بالمواجد والأذواق، فيشرق بالأمل، ويهفو إلى الأمن، ويطمئن بالإيمان

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

[الرعد / ٢٨]

وإذا كان الناس فى عصرنا هذا قد وقعوا صرعى الإدراك الحسى فلم يعدم لهم من رائد أو موجه، يرتاد لهم الغايات، ويحدد لهم المقاصد إلا أهواء الحس ورغباته الطائشة، فإن مهمة الدعاة إلى الله ينبغى ألا تتغافل عن هذا المرض. فتنزل المنكر والجاحد منزله التقى العابد. وإنما لابد أن يطمئن الدعاة إلى الله إلى أن نداءهم يصادف قلباً خاشعا وعقلاً واعياً ووجداناً مشبوباً بالحب معموراً بالإيمان، وإلا فإنهم يصرخون فى واد، وينفخون فى رماد.

إن الداعية مهما أوتى من ألوان النصاحة وروعة البيان لن يستطيع أن ينفذ إلى أعماق من يدعوه، إذا كان القلب مشغولاً. بأهوائه غارقاً فى أودية دنياه.

﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٨٠) وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[النمل / ٨٠، ٨١]

«إن التعبير القرآنى يرسم صورة حية متحركة لحالة نفسية غير محسوسة حالة جمود القلب، وخمود الروح، وبلادة الحس، وهمود الشعور. فيخرجهم مرة فى صورة الموتى يدعوهم الرسول ﷺ وهم لا يسمعون لأن الموتى لا يشعرون! ويخرجهم مرة فى

هيئة الصم مدبرين عن الداعى، لأنهم لا يسمعون! ويخرجهم مرة فى صورة العمى يمضون فى عماهم، لا يرون الهادى لأنهم لا يبصرون! وتتراءى هذه الصور المجسمة المتحركة، فتمثل المعنى وتعمقه فى الشعور!»(١).

يقول الحكماء: «إنك تستطيع أن تأخذ حصانك إلى النهر، لكنك لا تستطيع أن تكرهه على الشرب منه».

والداعية يستطيع أن يسمع الناس ما يريد، لكنه لا يملك القدرة على فتح قلوبهم لما يقول، إلا بأن يدير فى أقفالها مفاتيح الهداية، وهذه المفاتيح لا يملكها إلا الله - سبحانه وتعالى - وهى التى أودعها قرآنه الكريم.

وحتى يستطيع الداعية أن يخرج القلب من حالة الموات إلى الحياة ومن حالة الإدبار إلى الإقبال. فلابد له أن يبدأ بما بدأ به الله - سبحانه - على يد رسوله ﷺ. وقد بدأ رسولنا بالقرآن المكى ومن خصائص القرآن المكى أنه يعنى بأمر العقيدة، ويقف طويلاً أمام حقيقة الإيمان باليوم الآخر وما فيه من مشاهد البعث والحشر والصراط والميزان والحوض والكرسى والجنة والنار، معتمداً فى تقديم هذه الحقائق، على ما يشبه الطرقات العنيفة القوية، العالية المتوالية، فى إيقاع صاخب وجرس سريع، وعلى إيقاعات معينة يلمس بها أوتار القلوب، وعلى مشاهد كونية يهز بها أعماق النفوس.

إن الله - تبارك وتعالى - الذى خلق القلوب وأودعها الفطرة الإيمانية هو الذى ينزل عليها آياته فتهتز وتشرق وتمتلىء بالنور، وتحيا فيها مشاعر الإيمان واليقين.

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

[المائدة/ ١٦، ١٧]

ولهذا كان شأن المؤمنين المهتدين بالقرآن أن يوصفوا بالحياة وبالنورانية معا، لأنهم انتصروا على الموت وعلى الظلام جميعا. يقول تعالى:

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾

[الأنعام/ ١٢٢]

«إن الله عز شأنه لما أنزل من السماء ماء فجعل منه كل شىء حى فى عالم المادة، اقتضت حكمته أن ينزل للأحياء الروحية، ما به حياتها وغذاؤها، وكل إنسان يتألف من جسم ظاهر وسر باطن، فما كان من الحكمة، واطراد نظام الخليفة، أن ينزل الله للأجسام ما به تحيا وتتغذى، ثم يهمل شأن

(١) فى ظلال القرآن ص٢٦٦٦ ط٧

الروح الذى هو كل شىء فى هذا الكائن الحى، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.. وهذا الذى أنزله الله للقلوب والأرواح، مقابل الماء الذى أنزله للأبدان هو الوحى الذى أنزله على رسله من لدن آدم أبى البشر إلى خاتمهم وإمامهم محمد ﷺ، وهذا الوحى هو روح القلوب وسر حياتها، فإذا لبسها وتسرب فيها، حيت واستنارت وأشرقت، وأدى لها ما يؤدى الماء للأجسام»(٢). وهذا ما نفهمه من قول الخالق الكريم سبحانه

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾

[الشورى/ ٥٢]

غياب الفقه

إن من أخطر ما يقع فيه الدعاة اليوم هو غياب الفقه بواقع من يدعوهم، فيظل يرفع عقيدته بالتحذير من المذاهب الأرضية، والاتجاهات العلمانية. ويظل يحشد لقضيته ما استطاع من الأدلة، وكل ما يمكنه من الشواهد والبراهين. واثقا أنه بهذا الجهد المضنى، وهذا الاعداد الدقيق قد بلغ من نفوس من يدعوهم أبلغ مدى واحتل منها أعمق مكان. وما أشد حسرته، وأمرَّ لوعته عندما يرى أحوال هؤلاء الذين اجتهد لهم. ولم يترك شاردة ولا واردة مما يخص الموضوع إلا حشدها من أجلهم؛ يراهم عاكفين على ما هم فيه، مقيمين على ما هم عليه من قناعاتهم وهمومهم، دون تبديل أو تغيير. وعندها لا آمن على أخى الداعية الذى بذل آخر ما يملك من وسائل، وكل ما أتيح له من أساليب. لا آمن عليه أن يصاب بنوع من اليأس، ويتسرب إلى نفسه معنى الإحباط. والآفة التى حالت دون بلوغ الداعية إلى ما يريد هى أنه أخطأ الطريق إلى قلب من يدعوه. والقلب هو كل شىء فى رحلتنا إلى الله، وما الجسم إلا مطية لهذا القلب. وصدق رسولنا الكريم القائل: «ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب»(٣).

إن كثيرا من الدعاة المخلصين، تدفعهم أشواقهم- لتحقيق مرادهم- إلى استعجال النتائج، واستبطاء النصر، فيفضلون عن الأساسيات الضرورية ويقفزون فوق الثوابت الشرعية، فتأتى النتائج على غير ما يحبون لأنهم تعجلوا مراحل الدعوة، ولم يبدأوا بما بدأ به رسول الله ﷺ ولأنهم أنزلوا غير المؤمن منزله المؤمن، وأنزلوا الجاهل منزلة العالم، وحملوه مهام الدعاة الفاهمين المدركين. فلم تكن النتيجة إلا انكساراً فى لحظة الشدة،

(٢) تذكرة الدعاة- البهى الخولى ٧١

(٣) مسند الإمام أحمد ٤/ ٢٧٠.

وخوراً فى موطن القوة، وشكاً وريبة فى مواضع الإيمان واليقين. وعندما يقع ما لا نحب من الانهيار والانكسار نصاب بالحيرة ونشعر بالمرارة وننسى قول الخالق الحكيم ـ سبحانه :

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

[التوبة/ ١٠٩]

تعميق الإحساس بعظمة الله

إن الجميع يدرك من أحداث السيرة النبوية أن الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ يوم حنين هم أهل بدر، وأهل بيعة الرضوان وهم الذين عول عليهم رسول الله عندما أمر عمه العباس بأن يناديهم بهاتين الصفتين.

إن الدعاة يقعون فى خطأ جسيم عندما يشغلون الناس بقضايا عقلية وسياسية قبل أن يعمقوا لديهم الإحساس بعظمة الله وقدرته، وجبروته وهيبته، واستعلائه على العالمين.

إن الداعية لا يمكن أن يخاطب قلبا اختلت فيه المقاييس واضطربت المعايير فأدرك أن قوة المخلوق فوق قوة الخالق.

وأن قوة دولة من الدول تعجز قوة الله، وأنها تستطيع أن توقع فى الأرض شيئاً لا يريد الله أن يقع. أو ترد شيئاً يريد الله ألا يرد. لكن الأمر مع هذا الإنسان يكون سهلاً ميسوراً عندما تشعره بقوة الله وعظمته. وتعمق لديه يقينا بأنه لا يقع فى ملكه إلا ما يريده وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله. وأن تعمق لديه اليقين بأن الخلق جميعاً صنعته والأرض جميعاً قبضته والسموات مطويات بيمينه.

وأنه سبحانه وتعالى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء، فإذا عمقت فى يقين المؤمن هذه الحقائق، رأيته ينطلق منها ثابتا مكيناً مؤمناً بربه واثقا من نصره. وعندها سيجد فى قلبه حلاوة الإيمان وبرد اليقين.

إننا ننادى- أحبتنا- الدعاة بأن يبدأوا مع الناس بما بدأ الله به. فيدفقون فيها الخشية ويعمقون لديها اليقين، ويشعرونها بجلال الله، فيكثرون من مشاهد القيامة، والآيات الدالة على بديع صنع الله.

سبحانه:

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

[التوبة/ ١٠٩]

إن الدعاة إلى الله يقعون فى خطأ جسيم عندما يخاطبون فى الناس عقولهم فقط غافلين عن تحريك المشاعر وإثارة الوجدان. إنهم لن يستطيعوا الدخول إلى العقل آمنين إلا بعد أن يؤمن القلب وينشرح ويمتلىء بالإيمان واليقين، وأن يتعمق فى هذا القلب إيمان راسخ بعظمة الله وقدرته، وجبروته وهيبته، واستعلائه على العالمين.

العاطفة والوجدان

إن الداعية لا يمكن أن يصل بخطابه الدعوى والإيمانى، إلى قلب اختلت فيه المقاييس واضطربت المعايير، فأصبح يدرك عن جزم ويقين، أن قوة الدول الغربية متحالفة، لا يمكن أن تقف أمامها قوة فى الأرض مهما عظمت. وأن دولة مثل أمريكا تستطيع أن تفعل فى الأرض بقوتها ما تشاء ناسيا أو غافلاً عن قول ربه سبحانه:

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

[النور/ ٥٧]

ولا يحسبن أحد من الدعاة أننا عندما نلفت النظر إلى ضرورة تحريك العاطفة وإثارة الوجدان أننا نقلل من أهمية الأدلة العقلية. ومعالجة قضايا الأمة وربط الناس بواقعهم، ومواجهة كل اختلال يقع فى حياتهم بالثابت الصحيح من أحكام الدين وتشريعه. بل إننا نعد تلك القضايا هى شغلنا الشاغل، وهدفنا الأكيد. لكننا نذكر بأن السبيل إلى التغيير يبدأ بتغيير النفوس أولاً:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾

[الرعد/ ١١]

وأن تغيير النفوس لا يكون إلا بالوحى يهزها هزاً ويصيب فيها اليقين صبا. وهو ما أرشد الله إليه نبيه بقوله:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ ﴾

[الأنبياء/ ٤٥]

***

عن الهجرة والفضائيات وجنون البقر

لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى
الأمين العام للجنة العليا للدعوة

أقبل على صاحبى متهللا فرحا لا يكاد يتحكم فى خطاه من شدة غبطته، ذكرنى بقول البحترى:

أتاك الربيعُ الطلق يختال ضاحكاً..

من الحُسْن حتى كاد أن يتكلما

لكن صاحبى تكلم معاتباً منفعلاً انفعالاً حنوناً قائلا: ألم تقرأ قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾

(النازعات / ٣٠: ٣٣)

قلت: بلى.. ولم يمهلنى وواصل حديثه.. وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾

(عبس / ٢٤: ٣٢)

لم يمهلنى صاحبى كى أجيب بالإيجاب، بل سارع وتابع وتلا من سورة السجدة قوله ـ تعالى ـ:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾

(السجدة / ٢٧)

وكذلك تابع من سورة طه وسورة يونس، ما عرفت منه أن الآيات جميعا تدور حول معنى واحد أو قل تؤكد مدلولاً واحداً هو: أن ما يخرج من الأرض من طعام هو للإنسان وللحيوان، وتلك سُنة الله فيما خلق. ورغم ذلك تأملت وجه صاحبى لعلى أتبين منه أن يفصح عما يريد..

ثم قال فى حدة لا تخلو من عنف: لقد أعجبنى مقالك السابق، ثم واصل فى عتاب أخوى لا يخلو من شدَة: ألا ترى معى أن عنوان مقالاتك السابقة «الفضائيات وأنفلونزا الدجاج» ما كان ينبغى أن يكون كذلك فى ضوء ما سبق من آيات، ولكن كان ينبغى أن يكون «الفضائيات وجنون البقر»؟!..

قلت فى تماسك شديد لا يخلو من عتاب: كل هذا الغضب من أجل العنوان؟!..

ثم واصلت حديثى قائلاً: لقد سُقْت من الآيات ما يصلح أن يكون بحثاً مستقلاً عن استقامة الإنسان مع أوامر الله ـ تعالى ـ وأن فى ذلك صلاحاً له فى الدنيا والآخرة، وتوأمٌ حكيم مع قوله ـ تعالى ـ:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

(الملك / ١٤)

فهو ـ سبحانه وتعالى ـ العليم الخبير بخلقه، اللطيف الرحيم بما يُصلح ويُعلى شأنهم فى الدنيا والآخرة..

ثم واصلت: كأنك تريد أن تقول إن جموع الآثمين المعتدين على التراث والفهم المستقيم، تماماً يشبه عدوان المعتدين على الفطرة السوية، فأخذوا يخلطون الدم المسفوح ببقايا عظام الحيوانات، ويجعلون من ذلك طعاماً علفاً للماشية، فكان تبعة ذلك أن ظهر ما سمَّوه هم جنون البقر، ومازاك إلا أن جشعهم دفعهم إلى تنكُب فطرة الله السوية التى أوضحتها فيما تلوت من آيات، ورغم كل ذلك، فإننا نتعامل مع هؤلاء المرضى من منطلق ما يأمرنا به ديننا الحنيف الذى يرشدنا بقوله ـ تعالى ـ لرسوله ـ ﷺ ـ:

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾

(آل عمران / ١٥٩)

واقتداءً برسولنا الكريم ـ ﷺ ـ حيث إنه كما ورد فى وصف خلقه «لم يكن ـ ﷺ ـ شَتَّاماً ولا صَخَّاباً فى الأسواق».. ورغم جموح الآثمين وعدوانهم وجرأتهم على الفهم المُعْوَج لكلام الله المستقيم، وليته حتى يوافق أهواءهم، بل فى أن يقدموا للناس لا أقول كل جديد، بل كل شاذ مُعوَّج غير مستقيم، وإليك البيان، ولقد استشهد رجل الفضائيات والمشتركون معه فى الإثم فى أنهم أتاحوا له فرصة أن يقول أو أن يسمى هجرة النبى ـ ﷺ ـ خروجاً، وما ذاك إلا أنه استند فى جهل فاضح وفهم غير مستقيم إلى قوله ـ ﷺ ـ لما خرج من مكة: «والله إنك لأحبُ بلادَ الله إلىَّ، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت».. سمى الهجرة خروجاً من أجل هذا.

قاطعنى صاحبى قائلاً: أليس هذا حديثاً صحيحاً، فلماذا اعتراضك علىَّ؟!..

قلت: أنا لا أنازع فى صحة الحديث متناً وسنداً، لكنى أرفض بشدة هذا العبث غير المقبول، فرغم أنه فهمٌ غير مستقيم، إلا أنه فوق ذلك ترك نصوصاً واضحة صريحة فى

القرآن الكريم وإليك البيان: قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾

(الحشر / ٩)

ولم يقل يحبون من خرج أو أخرج إليهم.. وقال ـ سبحانه ـ مخاطباً نبيه ـ ﷺ ـ:

﴿ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ الَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾

(الأحزاب / ٥٠)

أى أنك هاجرت وهاجرن معك.. وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

(الأنفال / ٧٢)

وقوله ـ تعالى ـ أيضاً:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ ﴾

(الأنفال / ٧٥)

أى أنكم هاجرتم وهاجروا معكم.. وغير ذلك كثير فى التوبة والأنفال والممتحنة، على أن آية فى سورة آل عمران ليس لصاحبك فيها دليل وهى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾

(آل عمران / ١٩٥)

ليس لك فيها دليل، وذلك أن الإخراج عمل ردىء فبناه للمجهول، والمقصود هم مشركو مكة، وحتى تفهم المراد تأمل قوله ـ تعالى ـ:

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾

(الشعراء / ٧٨)

ولم يقل أمرضنى فهو يشفين، فنسب المرض لنفسه. وتأمل قوله ـ تعالى ـ فى سورة الكهف:

﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾

(الكهف / ٧٩)

فنسب العيب لنفسه، ولم ينسبه إلى الله ـ تعالى ـ تأمل هذا مع قوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ﴾

(الكهف / ٨٢)

فنسب الخير لله ـ سبحانه وتعالى ـ مع أن الفاعل فى كل شىء هو الله ـ سبحانه وتعالى.

فالهجرة عمل نبيل ودائماً هو فعل النفوس الطموحة الأبية ألا ترى قوله ـ تعالى ـ فى عتاب شديد لمن قبلوا الضيم واستكانوا وأخلدوا إلى الأرض راضين بالهوان، يأتون يوم القيامة يعاقبهم المولى ـ سبحانه ـ ويسميهم ظالمين لأنفسهم لأنهم رضوا بالإقامة فى الذل والهوان، ولم تطمح

نفوسهم إلى هجرة نبيلة إلى أرض يعيشون فيها أحراراً يمارسون فيها حياتهم وعقائدهم وشعائر دينهم.

يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى عتاب أليم لهم:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾

(النساء / ٩٧)

إذ لا عذر لهم فى قبول الضيم والهوان..

﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾

(النساء / ٩٨)

ورغم أنهم مستضعفون وليست لهم حيلة ولا وسيلة فهم فى خوف على رجاء عفو الله ـ سبحانه وتعالى[1] ـ:

﴿ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾

(النساء / ٩٩)

ولست أدرى من أعلم بسُنَّة رسول الله ـ ﷺ ـ وفهماً لكتابه.. سيدنا عمر بن الخطاب أم فتى الفضائيات المدلل؟!..

يقول الطبرى[2]: «حدثنى عبدالرحمن قال: حدثنا نعيم بن حماد قال: حدثنا الدراوردى عن عثمان بن عبدالله بن أبى رافع قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: جمع عمر بن الخطاب الناس فسألهم فقال: من أى يوم نكتب؟. فقال علىٌّ ـ رضى الله عنه ـ من يوم هاجر رسول الله ـ ﷺ ـ وترك أرض الشرك.. ففعله عمر رضى الله عنه: حدثت عن أمية بن خالد وأبى داود الطيالسى، عن قرة بن خالد السدوسى، عن محمد بن سيرين قال: قام رجل إلى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فقال: أرِّخوا، فقال عمر: ما «أرِّخوا»؟. قال: شىء تفعله الأعاجم، يكتبون فى شهر كذا من سنة كذا.. قال عمر بن الخطاب «حسنٌ» فأرِّخوا، فقالوا: من أى السنين نبدأ؟. قالوا: من مبعثه، وقالوا: من وفاته ـ ﷺ ـ ثم أجمعوا على الهجرة.

فبالله عليك هل نتبع إجماع عمر وصحبه، أم نتبع جنون البقر، وأنفلونزا الدجاج، وعبث الفضائيات؟!!..

وسبب هذا أنه كتب أبوموسى الأشعرى إلى عمر ـ رضى الله عنه ـ أنه تأتينا منك كتب ليس لها تاريخ.. قال: فجمع عمر ـ رضى الله عنه ـ الناس للمشورة فقال بعضهم: أرخ لمبعث رسول الله ـ ﷺ ـ وقال بعضهم: لمهاجر رسول الله ـ ﷺ ـ.. فقال عمر: لمهاجر رسول الله ـ ﷺ ـ؛ لأن مهاجره فرقٌ بين الحق والباطل.

فبالله عليك من نتبع وإلى من نستمع..

(١) راجع تفسير سيد قطب الجزء الخامس لمزيد بيان.

(٢) محمد بن جرير الطبرى المؤرخ فى كتابه «الرسل والملوك» ص٣٩١ الجزء الثانى.

ومن أعلم بسنّة رسول الله ـ ﷺ ـ.. سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ الذى قال عنه رسول الله ـ ﷺ ـ: «إذا سلك عمر شعبًا سلك الشيطانُ شعبًا آخر»(٣).. وقال له: «إنَّ الشيطان ليخاف منك يا عمر»(٤).. نتبع هذا أم نتبع رجال الفضائيات؟!!.. فكلهم مسئولون عن هذا العبث، كما ورد فى الحديث: «إن الله لا يحاسب الظالم وحده، بل يحاسب من برى له القلم وقدم له الدواة»(٤).

.. وتعال بنا إلى اللغة، فهناك باب فى الأدب عظيم كتب فيه أعلام عظام اسمه المشاكلة، وهى أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته.. كقوله ـ تعالى ـ:

﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾

(المائدة/ ١١٦)(٥)

والمراد: ولا أعلم ما عندك.

وعبر بالنفس للمشاكلة ومثله

﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾

(الحشر/ ١٩)

أى أهملهم فذكر الإهمال هنا بلفظ النسيان لوقوعه فى صحبته، أم ترى أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ ينسى «تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرا».. وكذلك قوله ـ تعالى ـ:

﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

(البقرة/ ١٥)

أى ينتقم منهم ويعاقبهم، فسمى العقوبة باسم الذنب على سبيل المشاكلة(٦)، مثل قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾

(آل عمران/ ٥٤)

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾

(الطارق/ ١٥، ١٦)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾

(البقرة/ ١٩٤)

هل ترى القصاص اعتداء وأخذ الحق سيئة؟!..

ومن هذا القبيل فى الحديث قوله ـ ﷺ ـ «عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرًا، فقال ـ ﷺ ـ: وجبت. ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا

(٣)، (٤)، (٥) راجع ابو هلال العسكرى وحولية كلية اللغة العربية بالمنوفية العدد السابع سنة ١٤٠٧هـ.

(٦) الإعراب الكامل للقرآن الكريم للأستاذ عبدالجواد الطيب.. طيب الله ثراه.

فقال: وجبت. فقال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ: «إن رسول الله قال: هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة. وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار»(٧).

فحذار أن تندفع فى تهورك القبيح. ولعلك بكل شاذ غريب.. فتقول إن كلمة أثنوا عليها ليست حديثا لأنها ليست من كلام رسول الله ـ ﷺ ـ، ولن أرد عليك ولكن أسأل الله أن تتطامن وترجع عن غرورك، وتطالع كُتُبا تسمى مصطلح الحديث لتعرف ما الحديث الذى ينسب إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، أكلامه فقط، أم تقريره ووصفه؟!.. وحكاية فعله على أن الشاهد فى حديثنا هذا المشاكلة بين قوله: أثنوا عليها خيرا، وأثنوا عليها شرا.. فإن الشر لا يكون ثناء.. إنما ورد وجاء من قبيل المشاكلة.. وأحاديث أخر فيها المشاكلة أكثر وضوحا لأنها غيرت من بنية الكلمة وجاءت على غير قياس للمشاكلة مثل قوله ـ ﷺ ـ لنسوة ينتظرن جنازة: «ارجعن مأجورات غير مأزورات» والقياس: موزورات من الوزر. وكقوله (ﷺ): «أعيذه من الهامة والسامة وكل عين لامة» والقياس مُلِمَّة.. فقول النبى ـ ﷺ ـ: «لولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت» هو من قبيل المشاكلة اللفظية.. يا فتى الفضائيات المدلل.. وذلك فى الأدب العربى كثير يروى.

حكى أبو الرقعمع أن أصحابا له أرسلوا إليه يدعونه إلى الصبوح فى يوم بارد يقولون له: ماذا تريد أن نطبخ لك من الطعام؟!.. وكان فقيرا ليس عليه كسوة تقيه البرد.. فكتب إليهم يقول:

أصحابنا قصدوا الصبوح بسحره
وأتى رسولهم إلى خصيصا
قالوا اقترح شيئا نجد لك طعمه
قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

وكقول آخر:

من مبلغ أبناء يعرب كلها
أنى بنيت الجار قبل المنزل

(فهل ترى أن الجار يبنى؟!..)

<< وبعد.. فنقول لأهل الفضائيات المهووسين بالعبث: لكُم ما أردتم أن تعبثوا به إلا كتاب الله وسنّة رسوله الكريم ـ ﷺ ـ.. وأستعير كلمة للعقاد يقول فيها:

«إيه يا خفافيش «الفضائيات»(٨) أعشيتم نفوسنا أعشى الله نفوسكم الضئيلة، لا هوادة بعد اليوم، السوط فى اليد، وجلودكم لمثل هذا السوط خُلقتْ، وسنفرغ لكم أيها الثقلان».

***

(٧) البخارى «كتاب الجنائز»

(٨) فى الأصل «السياسة»

بين الصحف والمجلات

إعداد

أ/ محمود الفشني

أ/ عبدالموجود أمين

من الأقصى إلى دارفور

تحت هذا العنوان جاءت كلمات الأستاذ محمود مراد بجريدة الأهرام الصادرة فى ٢٠٠٥/٤/١٩، قال:

ثمة أحداث خطيرة تجتاح المنطقة.. ولا يصبح أمامنا سوى التحليل والربط بينها وبين غيرها.. ومثل من يعيد تركيب أجزاء لوحة مكسورة.. علينا أن نفعل ذلك.. ونفتح أعيننا لكى نقرأ ونتعرف على تفاصيل هذه اللوحة بتركيب أربعة أجزاء رئيسية فيها، وهى متزامنة:

- **الجزء الأول:** نشاط جماعات صهيونية لهدم المسجد الأقصى.. وعدم تحرك الحكومة الإسرائيلية -التى تتشدق بالسلام- تحركا قويا لوقف هذه المهزلة.. وأيضا عدم تحرك مجلس الأمن.. والدول الكبرى وفى مقدمتها الولايات المتحدة- ضد هذا الفعل الذى يخالف ويخرق القوانين والمواثيق الدولية!.. ويوقف مساعى السلام وخطواته!

- **الجزء الثانى:** قرار الحكومة الإسرائيلية بإحياء فضيحة لافون التى تعود إلى سنة ١٩٥٤ وتنتسب الى وزير الدفاع الإسرائيلى وقتها اسحق لافون حيث جند الموساد عددا من الصهاينة لوضع قنابل وشحنات متفجرات فى عدد من دور السينما والمراكز الثقافية الأمريكية والبريطانية بكل من القاهرة والاسكندرية للإيقاع بين واشنطون ولندن من جهة وبين القاهرة من جهة أخرى.. إلى أن تم اكتشاف الإرهابيين ومحاكمتهم.. ومع مرور هذه السنوات- نصف قرن- وبدلا من أن تطوى إسرائيل هذه الصفحة الدموية الإرهابية.. إذا بحكومة شارون تعلن تكريم هؤلاء الإرهابيين وتعتبرهم أبطالا مما يكشف عن نوايا لا تخفى على أحد!.. وبينها أنها لا تنسى عملاءها... وستكرر فعلتهم!

- **الجزء الثالث:** وتمثله تلك الهجمة الشرسة ضد السودان بسبب أحداث دارفور.. ونسمع ونقرأ هذه الأيام عن المطالبة بمحاكمة المتورطين فيها خارج السودان. والتهديد بفرض عقوبات والتلويح بالباب السابع فى ميثاق مجلس الأمن.. والغريب أن واشنطون تقود

هذه العملية بينما ترفض تطبيق نفس القانون ونفس المعيار عليها، أو على مواطنيها وجنودها فى أى مكان من العالم! كما أنه يحدث هذا بينما إسرائيل تفعل ما تشاء بلا مساءلة أو محاسبة! كما أن ضباط وجنود الولايات المتحدة وبريطانيا فعلوا فى العراق ولا يزالون يفعلون ما يريدون دون رقيب! والقصد من وراء هذا هو ضرب السودان وتفتيته باعتباره العمق العربى فى أفريقيا، والعمق الأفريقى فى الأمة العربية، ولحصار مصر- قاعدة الأمة ومحورها- من الجنوب.. لإحكام الحلقة إذ توجد إسرائيل فى الشمال الشرقى!

- **الجزء الرابع:** ويمثله ما يحدث فى سوريا- ولا أقول لبنان- إذ انقلب العالم رأسا على عقب ولم يهدأ ويستقيم إلا بعد أن بدأ انسحاب القوات السورية من لبنان- رغم أنها كانت قد دخلت لحفظ الأمن والنظام- وبرغم هذا فلا تزال التهديدات لسوريا مستمرة ولا يزال اتهامها قائما.. فى حين أن أحدا لم يهتز لاستمرار الاحتلال الإسرائيلى للهضبة السورية، ولم يطالب حكومة إسرائيل بالانسحاب من مزارع شبعا اللبنانية والتى أقرت سوريا وأعلنت أن «شبعا» جزء من لبنان وليس سوريا. والمدهش أنه عندما وجه صحفى سؤالا إلى تيرى لارسن مبعوث الأمم المتحدة عن لماذا لم يطالب بانسحاب إسرائيل من شبعا اللبنانية كما طالب بانسحاب سوريا من لبنان- رغم الفرق بين هذا وذاك- فإن لارسن- وهذا وجه الغرابة- قال إن مجلس الأمن أصدر قرارا بانسحاب إسرائيل من الجنوب اللبنانى وقد حدث هذا أما شبعا فهى سورية! أى أنه لا يريد الاعتراف بأن شبعا لبنانية.. كما أن إجابته تعنى أن أراضى لبنان قد تحررت أما سوريا.. فالأمر لا يهم! وهذا يتفق تماما مع مخطط ضرب الدول العربية القوية أو... التى لها صوت والتى تدافع عن فكرة العروبة ومشروعها!

والمعنى أنه إذا وضعنا الأجزاء الأربعة إلى جوار بعضها وقرأنا الأحداث من الأقصى إلى حادث حى الأزهر مرورا بدارفور نجد أن الهدف هو الترويع وزعزعة الاستقرار، وإلهاء الدول العربية دفاعا عن نفسها ولبناء داخلها.. حتى لا تنتبه لتقسيم المنطقة.. وحتى تصبح إسرائيل متفرغة لأهدافها التوسعية.. والتى تستخدم فى تحقيقها كل الوسائل بما فى ذلك العمليات القذرة وهى وضع فخاخ الموت- بشحنات المتفجرات- كما حدث فى الأزهر.. وكما حدث منذ نصف قرن فى فضيحة لافون.. بل إن تكريم الإرهابيين- أعضاء عصابة لافون- يعنى إحياء الفكرة.. ويعنى العودة إلى تكرارها.. ويعنى أن من يقومون بهذه الأعمال لا يمكن أن تتساهم الحكومة- مهما حدث ومهما طال الزمن!

وبعد.. فهل يمكن القول فى ضوء هذا أن عملية شارع جوهر الصقلى- مؤسس القاهرة- بعيدة عن الموساد؟ وأليس المقصود من ورائها تخويف مصر وإلهائها حتى لا تنتبه إلى ما يجرى فى الأقصى، ولكى تغمض الطرف عما يدبر لسوريا، ولكى لا تلقى بثقلها إلى جوار السودان فى محنته فالمعروف أن القاهرة قد أعلنت تأييدها للموقف السودانى بكل الأساليب، بل إن وزير خارجية السودان عند توقفه فى القاهرة- فى طريقه إلى أوروبا الأسبوع الماضى- التقى بعدد من أساتذة القانون الدولى ليبحث معهم الوضع القانونى لمشكلة طلب محاكمة سودانيين خارج بلادهم وكلفهم بإعداد مذكرة حول هذا..

ولا أريد الاستطراد أكثر، ولكن فلنقرأ ما حولنا، وما حدث سابقا حتى نتعرف على ما يجرى الآن ونتوقع ما سيحدث مستقبلا.

أين التزامات شرم الشيخ؟!

تساؤل طرحته جريدة الأهرام الصادرة فى ٢٠٠٥/٤/٢٣، جاء فيه:

تهديد شارون بعدم الالتزام بتنفيذ خطة خريطة الطريق مالم يتوقف ما سماه «الإرهاب» الفلسطيني وسعى حكومته لبناء جسر جديد فى منطقة حائط البراق بالمسجد الأقصى واعتزامها هدم الآثار الإسلامية حوله. كلها تخالف ما قطعة على نفسه من التزامات فى قمة شرم الشيخ وتزيد التوتر الذى يؤدى إلى تعطيل استئناف عملية السلام.

من بين التزامات شرم الشيخ عدم ترك الفرصة لأى حادث عنف مهما كان لتعطيل تنفيذ ما تم الاتفاق عليه بخصوص الانسحاب من خمس مدن فى الضفة الغربية وتسليمها إلى السلطة الفلسطينية والإفراج عن نحو ٩٠٠ معتقل فلسطيني، والسماح بعودة المبعدين تمهيدا لاستئناف المباحثات لحل بقية القضايا. ولذلك فإن تنفيذ شارون تهديداته ينسف العملية السلمية من جذورها ويعيدها إلى نقطة الصفر الأمر الذى يزيد الشعور باليأس والسخط ويشعل الوضع من جديد. البعض يتهم شارون بمحاولة التملص من خطة خريطة الطريق التى تنص على قيام دولة فلسطينية بحدود غير نهائية قبل نهاية هذا العام، ولكى نفوت عليه الفرصة يجب على الفلسطينيين الالتزام بضبط النفس وتنفيذ ما التزم به قادتهم فى قمة شرم الشيخ وغيرها.

فالعمليات العشوائية والفردية لن تعود سوى بالضرر على المدنيين الفلسطينيين الذين طالت معاناتهم وعلى كوادر المقاومة الذين يسعى شارون لتصفية من بقى منهم ولم يردعه سوى التزامات شرم الشيخ.

أما بناء الجسر الجديد فى منطقة حائط البراق لاستيعاب أكبر عدد من اليهود والسياح عن طريق باب المغاربة فسوف يعتبره الفلسطينيون مساسا بمقدساتهم وسيشتعل الوضع. خاصة إذا تم هدم أية آثار إسلامية حوله وبذلك لن يتوافر الهدوء الذى يطالب به شارون.. والخاسر هو الطرفان معا سواء بالمزيد من إراقة الدماء أو تجميد عملية السلام.

الصهانية يشترون أرض العراق!

تحت هذا العنوان جاءت كلمات الأستاذ أبو الفضل الإسناوى بجريدة الأسبوع الصادرة فى ٢٠٠٥/٤/١٨.

تزايد فى الفترة الأخيرة نشاط العدو الصهيونى وعملائه فى الأراضى العراقية المحتلة، خاصة فى المناطق الشمالية بشكل سافر لدرجة أنهم يدعون امتلاكهم وثائق تزعم أحقيه اليهود فى أملاك بالعراق. فيقول المدعو «ناتان شارانسكى» وزير الدولة للعلاقات الخارجية الإسرائيلية: «إن إسرائيل يجب أن تحصل من بغداد على الوثائق التى تثبت أحقية اليهود فى الحصول على تعويضات على تركهم أراضيهم بالعراق أوائل الخمسينيات» وبدون الإشارة إلى كيفية الحصول على هذه المستندات يقول شارانسكى: إن هذه الوثائق تشمل ٨٠٠ صفحة تحتوى على أملاك اليهود ووثائق زواجهم ووفاتهم.

وعلى جانب آخر يدعى «أمنون شاحاك» الرئيس الأسبق للقيادة المشتركة للجيش الإسرائيلى بأن الأملاك اليهودية فى العراق تقدر بعشرات الملايين من

الدولارات وقد أجريت مباحثات فى هذا الأمر مع القوات الأمريكية.

واعتمادا على هذه الخرافات الصهيونية بدأوا يمارسون نشاطهم فى الخفاء من خلال شركات تحمل أسماء عربية أو غربية ويقومون بشراء الأراضى والمبانى فى مناطق استراتيجية معظمها قرب نهر دجلة وتقيم فيها الطبقة الارستقراطية.

ودعت بعض المنظمات الصهيونية المشبوهة إلى ضرورة التحرك من أجل شراء وتمليك الأراضى فى أى ركن بالعراق.

ويرى محللون سياسيون أن جهاز الموساد الصهيونى بدأ بعد وقت قليل من سقوط بغداد نشاطه فى الأراضى العراقية وبالتحديد فى المنطقة الخضراء فى ظل حماية أمريكية بحوالى ٧٥٠ موظفا من الاستخبارات والدبلوماسيين والتجار الإسرائيليين الذين يحمل معظمهم تأشيرة دخول أوروبية. وطبقاً لما أعلنته بعض التقارير يوجد الآن فى مختلف أنحاء العراق أكثر من ٩٠٠ إسرائيلى يحملون صفة رجل أعمال اشتروا مساحات شاسعة من الأراضى الزراعية فى كركوك وشمال العراق. وقد انتشرت عمليات شراء الأراضى بينهم لدرجة أن هذا الأمر أدى إلى زيادة سعر الأراضى فى هذه المناطق بمعدل الضعفين أو الثلاثة أضعاف.

ليس هذا فقط بل إن الوكالة اليهودية دعت إلى عودة ١٢٥ ألف يهودى قبل انتهاء فترة الاحتلال زاعمة أنهم ذوو أصول عراقية وكشف عن ذلك إعلان رئيس قسم الاستيعاب فى الوكالة اليهودية «أريه أزولاى» عن وجود خطة شاملة لاستيعاب اليهود أو دعم استقرارهم فى أماكنهم وذلك وفقا لمشروع تم الانتهاء من إعداده فور سقوط بغداد..

الإرهاب ولد أمريكيا

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ عباس الطرابيلى فى جريدة «الوفد» الصادرة فى ٢٠٠٥/٤/٢١ قال:

الذى يقول إن الإرهاب العالمى ولد عربيا، أو يربطه بالإسلام بل وبالشرق الإسلامى، هو الإرهابى الحقيقى.. فقد ولد الإرهاب أمريكياً ومنذ مئات السنين!!..

وأول أمس مرت ١٠ سنوات بالتمام والكمال على حدث هز أمريكا كلها من الأطلنطى إلى الباسيفيكى.. ولا نقصد عمليات ١١ سبتمبر.. ولكننا نعنى حادث أوكلاهوما..

ففى يوم ١٩ أبريل عام ١٩٩٥ استيقظت أمريكا على انفجار رهيب دمر مبنى الحكومة الفيدرالية فى عاصمة هذه الولاية.. وعلى الفور قتل ١٦٨ أمريكياً.. وجرح المئات.. وثبت أن سيارة نقل مفخخة انفجرت بالقرب من هذا المبنى ليقتل كل هذا العدد وبينهم ١٩ طفلاً.. وتم تدمير وإصابة ٢٢٠ مبنى بأضرار متنوعة..

وعلى الفور حاول الإعلام الأمريكى إلصاق هذه العملية بالعرب والمسلمين.. ولكن بعد ساعات تكشفت الحقيقة. وكان الفاعل هو أمريكى أبيض متعصب اسمه «تيموثى ماكفاى» وعاونه اثنان هما «تيرى نيوكلز ومايكل فورتيير».. وبعد محاكمات تم إعدام الأول والحكم بحبس الاثنين..

ولم يكن حادث أوكلاهوما هو الأول من نوعه.. ففى يونية بعد عام انفجرت قنبلة فى مدينة أتلانتا وأخرى فى مدينة أولسا.. فهل كان المتهم مسلماً أو هل كان عربياً أو حتى شرق أوسطياً؟!..

وليست ولاية أوكلاهوما ولاية فقيرة. بل هي غنية بالبترول والغاز الطبيعي ومعامل التكرير ومناجم النحاس والفضة والزنك والفحم.. ولكن القضية فيها أن نسبة من سكانها من الهنود الأمريكيين ومن الآسيويين.. ومن الشعوب اللاتينية وغيرهم.. وهذا ما يرفضه بعض المتعصبين من البيض الذين يحلمون بسيادة الجنس الأبيض.. وهنا مكمن الخطورة..

ففي تقرير سري أمريكي أعده مكتب التحقيقات الفيدرالي وتسرب أول أمس وأذاعته شبكة «آي.بي.سي» نيوز الأمريكية، تحدث التقرير عن وجود ٢٢ مجموعة إرهابية أمريكية. من الأمريكان وليسوا من أصول عربية أو شرق أوسطية. ومن هذه المجموعات من يروج لأفكار نازية خطيرة تتحدث عن سيادة الجنس الأبيض.. وتدعو إلى هيمنته. بل إن مكتب التحقيقات الفيدرالي أجرى بالفعل ٣٣٨ تحقيقا في هذا الشأن.. وثبت أن هذه المجموعات تدعو لاستخدام القنابل الحارقة والحض على الكراهية، ومنها مجموعة تطلق على نفسها اسم «مجموعة التحالف الوطني».. وهي مجموعة تعتبر «تيموثي ماكفاي» مجرم عملية أوكلاهوما شهيدا وطنيا..

ثم بعد ذلك يتهمون العرب.. بالإرهاب!!.

وإذا نظرنا إلى تركيبة سكان الولايات المتحدة - ٢٩٥ مليون نسمة - نجد تفسيرا لكل هذه الاتجاهات العدوانية الإرهابية.. فإذا كان البيض يشكلون الأغلبية وعددهم ٢١١.٤ مليون أي ٧٥.١٪ فإن المواطنين السود الذين يطلق عليهم «الأمريكيون الأفارقة» يصل عددهم إلى ٣٤.٦ مليون بنسبة ١٢.٣٪. ثم هناك نسبة كبيرة من أصول لاتينية، أي من إيطاليا وأسبانيا، وغيرهم ويصل عددهم إلى ٣٥ مليون نسمة أي بنسبة ١٢.٥٪ ويطلقون عليهم «الأمريكان لاتين». وهناك سكان من أصول آسيوية وبالذات يقيمون في الغرب الأمريكي، فإن عددهم يصل إلى ١٠.٢ مليون شخص أي بنسبة ٣.٦٪ من إجمالي السكان. وهناك من بقي من الهنود الحمر أي من سكان البلاد الأصليين ومن سكان ولاية ألاسكا التي اشترتها أمريكا من روسيا، فهؤلاء عددهم ٢.٥ مليون شخص أي بنسبة ٠.٩٪ من مجموع السكان. وبجانب هؤلاء هناك سكان جزر هاواي وبعض جزر المحيط الباسيفيكي ويصل عددهم إلى ٤٠٠ ألف شخص بنسبة ٠.١٪ من السكان.

ونظرة إلى المجتمع الأمريكي نجد عدة ملاحظات غريبة..

إذ رغم أن عدد السكان وفقا لتعداد عام ٢٠٠٠ ونقلا عن الكتاب السنوي «وورلد ألماناك» للعام الحالي ٢٩٥ مليون نسمة، إلا أننا نجد أن عدد الأسر هناك حوالي ٧١ مليونا و٧٨٧ عائلة فقط.. وأن متوسط عدد أفراد الأسرة هو ٣.١٤ فرد، وأن عدد المتزوجين هم ٥٦ مليونا و٤٩٧، بينما نجد أكثر من ٤٨ مليون شخص لم يتزوجوا بالمرة.. وكدليل على التفسخ الاجتماعي نجد ارتفاع معدل المطلقين يصل إلى ٢٠ مليون شخص، وعدد من لم يتزوجوا يصل إلى ١٣.٧ مليون شخص..

فهل تعني هذه الأرقام شيئاً لرجال علم الاجتماع.. وأيضاً لرجال الأمن ومكافحة الجريمة؟!.. نعتقد ذلك!!.

وقبل أن تتهم أمريكا العرب والإسلام بالإرهاب وأنهم إرهابيون نؤكد أن كل الدراسات

تؤكد أن أمريكا هي الدولة الإرهابية الأولى في العالم..

وإذا كان في أمريكا الآن باعتراف مكتب التحقيقات الفيدرالي ٢٢ مجموعة إرهابية - ليس بينها عربي أو مسلم واحد - وأن أفكارهم عنصرية تدعو إلى هيمنة العرق الأبيض، فإن هذا ليس جديداً، ومازال العواجيز منا - ومنهم - يتذكرون جماعة «كوكلوكس كلان» شديدة التعصب التي سادت الشارع الأمريكي من منتصف الخمسينيات إلى أواخر الستينيات من القرن الماضي وكانت أفكارها إرهابية تطارد الزنوج السود وتطردهم ولا تسمح لهم بالعمل أو بدخول دور السينما، أو بركوب المواصلات العامة المخصصة للبيض، وهم أصحاب تعبير «ممنوع دخول السود.. والكلاب».

وهذا ما دعا القس مارتن لوثر كينج - الزنجي - أن يقوم بحركة للدفاع عن الزنوج ورفض التفرقة العنصرية.. ولكن الإرهابيين البيض لم يسمحوا له بالحياة.. فكان أن اغتالوه رغم أنه كان رجل دين وحصل على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٦٤ تقديراً لسياسته هذه، فقد اغتالوه في مدينة ممفيس بولاية تينيسي يوم ٤ أبريل ١٩٦٨.

وهل ننسى عمليات تصفية سكان البلاد الأصليين، ونقصد بهم الهنود الحمر الذين طاردهم البيض - والمستوطنون الأوائل - بل والجيش الفيدرالي نفسه وقوات الحرس الوطني في الولايات.. ثم قامت الحكومة الفيدرالية، وحكومات الولايات بتجميع «من بقي من السكان الأصليين» وأرغمتهم على ترك أراضيهم الأصلية، وعلى الإقامة في مستوطنات محددة وحظرت عليهم مغادرتها إلا للزيارة، وبموافقة مسبقة.

أليس هذا كله إرهابا؟!..

نقول ذلك لأن كبرى عصابات المخدرات: زراعة وصناعة وتجارة وتمويلا وتسليحا، هم من رعايا أمريكا، وإذا كانت أمريكا تحارب الآن حمل السلاح خارج أمريكا.. فإن هناك - داخل أمريكا - جمعيات رسمية معترفا بها تحمي حق حمل السلاح، ويستطيع أي فرد بالغ أن يدخل أي محل أو سوبر ماركت ليشتري مدفعا رشاشا وليس أفضل المسدسات فقط!!.

ولن نتحدث عن حرية التجارة في الخمور. أو الشواذ وزواج الرجل بالرجل.. والمرأة بالمرأة. أي المثليين..

ولكننا نؤكد أن في أمريكا حضارة وصناعة متقدمة وزراعة وعلما وطبا واقتصادا قويا، وأنها أصبحت بفضل كل ذلك القوة الأعظم في العالم. وهي قوة لا تستطيع أن تقهرها - الا أي قوة أخرى.

ولكن هل هذا يعطيها الحق في أن تتسلط على العالم، وتضرب من يخالفها.. أو يرفع رأسه في أي مكان من العالم؟!..

وإذا كانت أمريكا هذه تملك كل مقومات القوة، إلا أن هذا لا يعطيها الحق في أن تتحول إلى قوة بطش، تعصف بكل من يعارضها..

وإذا كانت هناك دعوات - الآن - داخل أمريكا تسلك مسلك النازية والفكر النازي علنا.. فإن علينا أن نذكر أمريكا وقيادتها بأن العالم كله قد توحد ضد النازية الألمانية الهتلرية حتى تم قهرها..

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

حكم.. مأثورة

قال الشيخ على أحمد الجرجاوى فى كتابه: «حكمة التشريع وفلسفته» حكم مأثورة عن بعض ملوك الفرس:

قال: سرت فى نور الشمس والقمر والمصباح فلم أستضىء بشىء أذكى من قلبى.

وقد وقعت من أبعاد مختلفة، فلم يرهقنى مثل سقطات لسانى.

ومشيت على الجمر ووطأت الرمضاء فلم أر ناراً أحر علىّ من غضبى.

وشربت المر ولعقت الصبر فلم أر أمَرّ من الفقر.

ونقلت الصخور وحملت الأثقال، فلم أحمل أثقل من الدين.

وتحملت ذُل السجن، فلم أر أشد إيلاماً للنفس من ذُل السؤال.

وشددت فى القيود وجلدت بالسياط، فلم يهدمنى سوى الحزن، ولم يقهرنى سوى الغم.

وتصدقت بالذخائر وبذلت فى العطايا، فلم أر صدقة أنفع من ردّ ذى ضلالة إلى هدى.

زوجناك على ما فى كتاب الله

جاء رجل إلى عمر بن عبدالعزيز يخطب أخته، فتكلم بكلام جاز الحفظ.

فقال عمر: الحمد لله ذى الكبرياء ـ وصلى الله على خاتم الأنبياء.

أما بعد: فإن الرغبة منك دعت إلينا والرغبة فيك أجابت منا، وقد زوجناك على ما فى كتاب الله:

﴿ فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾

[البقرة/ ٢٢٩]

أعلى قميصك تبكى؟

يروى أن عبدالله بن العباس ـ رضى الله عنهما ـ وكان من الأجواد، أمر لسائل سأله بعشرة آلاف درهم، فصبت فى حجره، فتخرق ثوبه فبكى.

فقال له: أعلى قميصك تبكى؟.

فقال: لا.. ولكن على ما يأكل التراب منك!!.

فقال: شكرك أحسن من صنعنا، يا غلام، أعطه مثلهما.

تعاطى فعقر

كان جعفر بن سليمان بخيلاً على الطعام، رُفعت المائدة من بين يديه يوما وعليها دجاجة صحيحة، قد أخذ منها بعض بنيه جناحاً، فلما أعيدت عليه بالغداة قال: من هذا الذى تعاطى فعقر؟.

فقيل له: ابنك الصغير، فقطع أرزاق جميع بنيه من أجله، فلما طال ذلك منهم وأضر بهم الحال، جاءه أكبر الأبناء، وقال: يا أبانا أتهلكنا بما فعل السفهاء منا؟. فأعجبه ذلك وأمر برد أرزاقهم.

نحن فى زمن

إذا قلّ مـال المرء لانت قناته

وهان على الأدنى فكيف الأباعد

عليل

أبطأ عبيدالله بن يحيى عن الديوان، فأرسل إليه المتوكل يتعرف خبره، فكتب إليه:

عليلٌ من مكانين

من الإفلاس والدَّين

ففى هذين لى شغلٌ

وحسبى شغل هذين

فبعث إليه بألف دينار.

ليس تأسفى على الدنيا

لما احتضر سلمان الفارسى ـ رضى الله عنه ـ تحسَّر عند موته، فقيل له: علام تأسفك يا أبا عبدالله؟.

قال: ليس تأسفى على الدنيا، ولكن رسول الله ـ ﷺ ـ عهد إلينا، وقال: «ليكن بُلغةُ أحدكُم كزاد الراكب» وأخاف أن نكون جاوزنا أمره، وحولى هذه الأشياء، وأشار إلى ما يليه وإذا هو سيف ودستٌ وجفنة.

سيجعل الله بعد عسر يسرا

حدّث محمد بن يزيد، قال: كان ثابت قطنة قد وُلّى عملاً من أعمال خراسان، فلما صعد المنبر يوم الجمعة رام الكلام، فتعذر عليه وحصر، فقال: سيجعل الله بعد عسر يسرا،

وبعد عىّ بياناً، وأنتم إلى أمير فعّال أحوج منكم إلى أمير قوّال.

وإلا أكن فيكم خطيباً فإننى
بسيفى إذا جدّ الوغى لخطيب

فبلغت كلماته خالد بن صفوان، «ويقال الأحنف بن قيس» فقال: والله ما علا ذلك المنبر أخطب منه.

نصيحة

قال بكر بن عبدالله: إذا رأيت أكبر منك فقُلْ: سبقنى بالإسلام والعمل الصالح فهو خير منى، وإذا رأيت أصغر منك فقل: سبقته بالذنوب والمعاصى فهو خير منى، وإذا رأيت إخوانك يكرمونك فقل: نعمة أحدثوها، وإذا رأيت منهم تقصيراً فقل: بذنب أحدثته.

العشرة آلاف لك

أمر الحجاج ابن القرية أن يأتى هند بنت أسماء فيطلقها بكلمتين، ويمتعها بعشرة آلاف درهم؛ وأتاها فقال لها: إن الحجاج يقول لك: كُنت فبِنْت، وهذه عشرة آلاف مُتعة لك.

فقالت: قُلْ له: كُنّا فما حمدنا، وبِنّا فما ندمنا؛ وهذه العشرة الآلاف لك ببشارتك إياى بالطلاق.

أربع يسوّدن العبد

الأدب، والصدق، والعفة، والأمانة

وقال بعض الشعراء فى النبى ـ ﷺ ـ:

لو لم تكن فيه آيات مبينة
كانت بداهته تنبيك بالخبر

دعاء

اللهم إنى أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة، ومن عاجل يمنع خير الآجل، ومن حياة تمنع خير الممات، ومن أمل يمنع خير العمل، وأسألك الظفر والسلامة، ودخول دار المقامة.

***

عامر الشعبى[1]

هل له من نظير؟!

للأستاذ/ عادل خفاجة

من خلال قراءتى لهذه الأخبار المنثورة هنا وهناك فى كتب التراث عن الإمام الجليل عامر الشعبى، أشعر كأننى أمام ذلك الصديق، الشيخ السوهاجى، الذى تراه يغار على الدين أشد ما تكون الغيرة، وتراه متواضعاً كأحسن ما يكون التواضع يأتيه الصغير والكبير طلباً للمشورة؛ لحسن رأيه ودقة تدبيره، وتبصره بالأمور، وقد أهّله لذلك حفظه لكتاب الله والعديد من الأحاديث النبوية الشريفة، وما حباه الله من حافظة واعية نسأل الله أن يديمها عليه فما أن يُسأل عن شىء إلا كانت لديه إجابة وعنده شواهد فيقول: وقد حدث مثل هذا فى عهد الشيخ فلان.. إلخ وهو مع ذلك لا يخلو حديثه من الطرافة، فما أن يصل مع محدثه إلى مرحلة من الجد يضيق معها الموقف ويتبرم منها السامع حتى تراه يلقى على سمعك طرفة من طرائفه، تلطف الأجواء؛ ليعود بمحدثه إلى مواصلة الحديث الجاد، وهو فى ذلك غير متكلف إنما ينطق بما يأتى عفو الخاطر.

ومن طرائف ما حدث معه، أنه ركب مترو الأنفاق يوماً، فى عربة السيدات، ولم يكن يعلم بذلك التخصيص، غير أن خلو الكثير من المقاعد فى تلك العربة أغراه باختيارها، وما أن استقر على أحد المقاعد مستمتعاً بما حوله من فراغات لا تتوفر فى غيرها من العربات ـ حتى سمع همهمات مَنْ حوله، وعلم أنه سبب هذه الجلبة، وقالت إحدى الراكبات: إن هذه العربة قد خصصت للسيدات فقط فما كان من الشيخ إلا أن قال: «اعطونى خماراً بسرعة» فتحولت الهمهمات الرافضة إلى ابتسامات راضية.

لقد قدمت هذا الموقف الطريف كما رواه لى الشيخ السوهاجى الجليل لسببين:

أولهما: ما فيه من خلق إسلامى؛ فما يدعونا الإسلام إلا إلى حسن الخلق وعدم التزمُت والجد المشوب باللين.

وثانيهما: هذا التشابه بين الشيخ السوهاجى وهذا الإمام الفاضل الجليل «عامر الشعبى»؛ فقد دخل عليه رجل، وكان مع الشعبى السيدة زوجه فقال: أيكما الشعبى؟ فأشار إلى زوجه، وقال: هذه.

فانظر إلى بساطة كل منهما، ومزحة شيخ القرن الأول ومزحة شيخ القرن الحادى والعشرين!!

إنما جمعتهما بساطة الإسلام.

وما عمدت إلى هذه المقارنة إلا لتقريب صورة الإمام الجليل للقارىء الكريم.

كان الإمام الشعبى فذاً لا يبارى، أهَّلَه لذلك ذاكرة واعية لم تتوفر لغيره، وقد علم هو بذلك مما دعاه أن يقول: «ما كتبت سوداء فى بيضاء قط، وما سمعت من رجلٍ حديثاً فأردت أن يعيده علىَّ»[1].

إنه «أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد ابن ذى كبار، الشعبى، وهو من حمير وعداده من همدان، وهو كوفى تابعى جليل القدر وافر العلم»[2] والشعبى «بفتح الشين المعجمة هو عامر بن شراحيل» الذى نتحدث عنه وأما الشُعبى بضمها فهو معاوية بن حفص الشُعبى»[3].

«كانت ولادته لست سنين خلت من خلافة عثمان - رضى الله عنه - وقيل سنة عشرين للهجرة وقيل إحدى وثلاثين»[4].

غير أنا نُخرج القارىء الكريم من هذه الاختلافات ونذهب إلى ما كتبه الدكتور الجيوشى حيث ذهب إلى أن «ميلاده كان سنة ١٩ وأنه أنهى رحلة الحياة عام ١٠٣ من الهجرة»[5].

نشأ الإمام الشعبى فى الكوفة وقت أن كانت قبلة للعلماء فنهل من العلم، والتقى بعض صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ وسمع من ما يقرب من خمسمائة صحابى ووعى من الأحاديث الكثير وحفظ كل ما سمع من علوم الشرع والأدب واللغة فكان يقول: «ما أدرى شيئاً أقل من الشعر ولو شئت لأنشدتكم شهراً لا أعيد»[6]

وعن علم الشعبى بالشعر والأدب يقول الأستاذ محمود النواوى: «أستطيع أن أنبه القارىء الكريم إلى أنه كان فصيحاً قويم اللسان مع ما دخل يومئذ من اللحن على علية القوم وأفاضل أهل العلم وقد تنبه الأصمعى إلى ذلك فنبه عليه حين قال: أربعة لم يلحنوا فى جدٍ ولا هزل: الشعبى وعبدالملك والحجاج وابن القرية»[7].

(١) حلية الأولياء ج٤ ص٣٢١.

(٢)وفيات الأعيان وانباء أهل الزمان لابن خلكان.

(٣)نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى.

(٤)وفيات الأعيان «مرجع سابق».

(٥)مجلة الأزهر المجلد ٣٢ ص٧٧.

(٦) راجع: محمود النواوى.. رأس الناس فى زمانه.. مجلة الأزهر المجلد ٢٦ ص٩٠٦.

وإذا كان الإمام الشعبى قد سمع من كثير من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وحفظ عنهم أحاديث الرسول الكريم، فقد حضر الكثير منهم إلى درس العلم الذى عقده الشعبى يسمعون ويعجبون، وهم يعلمون أن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، أليسوا هم الذين حملوا قول النبى ـ ﷺ ـ: «نضر الله أمرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه»[8].

«ولقد كان الإمام ابن سيرين قدم الكوفة من قبل ورأى الشعبى فى حلقته الجامعة وأصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ بها يومئذ كثير. ورأى حب أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ وحدبهم عليه ومقدار ما أفاد من علم ودين، فنصح للناس باتباعه والأخذ عنه، وكذلك العالم الربانى، الصادق لا يحسد أخاه العالم، وإنما يراه خير عون له فى تحقيق مهمة العلم والإصلاح»[9].

الشعبى وملك الروم

أما ملك الروم فقد حسده لما رآه قد أجاب على كل ما سأل، وأفاض الملك فى أسئلته، ولم يتوقف الشعبى أمام سؤال، فقد حكى الشعبى قال: «أنفذنى عبدالملك ابن مروان إلى ملك الروم، فلما وصلت إليه جعل لا يسألنى عن شىء إلا أجبته، وكانت الرسل لا تطيل الإقامة عنده، فحبسنى أياماً كثيرة حتى استحثثت خروجى، فلما أردت الانصراف قال لى: من أهل بين المملكة أنت؟ فقلت: لا، ولكنى رجل من العرب فى الجملة، فهمس بشىء، فدفعت إلى رقعة وقال لى: إذا أديت الرسائل إلى صاحبك فأوصل إليه هذه الرقعة، فأديت الرسائل عند وصولى إلى عبدالملك وأُنسيت الرقعة، فلما صرت فى بعض الدار أريد الخروج تذكرتها، فرجعت فأوصلتها إليه، فلما قرأها قال لى: أقال لك شيئاً قبل أن يدفعها إليك؟ قلت: نعم، قال لى: من أهل بيت المملكة أنت؟ قلت: لا، ولكنى من العرب فى الجملة. ثم خرجت من عنده، [أى من

(٧) المرجع السابق نفس الصفحة

(٨) سنن الترمذى/ كتاب العلم/ باب ماجاء فى تبليغ السماع حديث رقم ٢٥٨٠.

(٩) محمود النواوى: رأس الناس فى زمانه الشعبى.. مجلة الأزهر المجلد ص٩٠٥.

عند عبدالملك] فلما بلغت الباب رُددت، فلما مثلت بين يديه قال لى: أتدرى ما فى الرقعة؟ قلت: لا، قال: اقرأها، فقرأتها فإذا فيها «عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا غيره»، فقلت: له والله لو علمت ما حملتها، وإنما قال هذا لأنه لم يرك، قال: أفتدرى لم كتبها؟ قلت: لا. قال: حسدنى عليك، وأراد أن يغرينى بقتلك، قال: فتأدى ذلك إلى ملك الروم فقال: ما أردت إلا ما قال(١٠).

الشعبى وعبدالملك بن مروان

«جمع الشعبى من العلم والمعرفة ما جعله أهلاً لأن يكون مستشاراً للخليفة».

«وقد دلت أخبار الشعبى أن عبدالملك الخليفة استأثر به حيناً من الدهر، يحظى بمجلسه وينتفع بمذاكرته، ويأخذ كل عن صاحبه. وإذا قلت ذلك فإنما أشهد لعبدالملك - رحمه الله - بشهادة يسجلها التاريخ له فقد ثبت أنه كان عالماً جليلاً وحافظاً أديباً وراوية وقد اعترف الإمام الشعبى وهو الأديب الفاضل فقال: ما حدثته بحديث إلا زادنى فيه.

وجاء فى أخبار الشعبى أيضاً أن عبدالملك استقضاه كما استقضاه الإمام العادل عمر ابن عبدالعزيز من بعد. وورد فى أخباره أن والى مصر أخا الخليفة عبدالملك طلبه من الخليفة، فقبل أن يذهب إليه على أن يكون عنده شهراً، ولم يرفض الإمام الشعبى ذلك، وقد كتب عبدالملك إلى أخيه عبدالعزيز كتابا يقول فيه: «إنى آثرتك به على نفسى فلا يلبث عندك إلا شهراً أو نحو شهر» وهو اعتراف يدل على مبلغ ما كان فى أولئك القوم من حب للعلماء مهما تبلغ منزلة الواحد منهم وتنافسهم على الانتفاع بهم وإن كانوا هم على جانب من العلم خطير. فكلما زادت المنزلة العلمية فى المرء حرص على أن يضاعفها، ولا سيما إذا كان العلم مما يحصن وضعه، ويصلح أمره، وما أحوج الأمراء إلى العلماء إذا أنصفوا»(١١).

لقاؤه بالأخطل عند عبدالملك بن مروان

«عن عبدالملك بن مسلم قال: كتب عبدالملك إلى الحجاج: إنه ليس شىء من لذة الدنيا إلا وقد أصبت منه، ولم يكن عندى شىء ألذه إلا مناقلة الإخوان للحديث. وقبلك عامر الشعبى، فابعث به إلىَّ يحدثنى. فدعا الحجاج الشعبى فجهزه وبعث به إليه وقرظه وأطراه فى كتابه. فخرج الشعبى حتى إذا كان بباب عبدالملك قال للحاجب: استأذن لى. قال: من أنت؟ قال: أنا عامر الشعبى. قال: حياك الله! ثم نهض فأجلسنى على

(١٠) راجع: وفيات الأعيان، وانظر أيضاً: الأذكياء لابن الجوزى.

(١١) النواوى.. مرجع سابق ص٩٠٥.

كرسيه. فلم يلبث أن خرج إلىَّ فقال: ادخل يرحمك الله. فدخلت، فإذا عبدالملك جالس على كرسى وبين يديه رجل أبيض الرأس واللحية على كرسى، فسلمت فرد علىَّ السلام، ثم أومأ إلىَّ بقضيبه فقعدت عن يساره، ثم أقبل على الذى بين يديه فقال: ويحك! من أشعر الناس؟ قال: أنا يا أمير المؤمنين، قال الشعبى: فأظلم على ما بينى وبين عبدالملك، فلم أصبر أن قلت: ومن هذا يا أمير المؤمنين الذى يزعم أنه أشعر الناس؟! قال: فعجب عبدالملك من عجلتى قبل أن يسألنى عن حالى قال: هذا الأخطل. فقلت: يا أخطل! أشعر والله منك الذى يقول:

هذا غلام حسن وجهه
مستقبل الخير سريع التمام
للحارث الأكبر والحارث الـ
أصغر والأعرج خير الأنام
ثم لهند ولهند فقد
أسرع فى الخيرات منهم إمام
خمسة آباء وهم ما هم
هم خير من يشرب صوب الغمام

فرددتها حتى حفظها عبدالملك. فقال الأخطل: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا الشعبى. قال فقال: صدق والله يا أمير المؤمنين، النابغة والله أشعر منى. فقال الشعبى: ثم أقبل علىَّ فقال: كيف أنت يا شعبى؟ قلت: بخير يا أمير المؤمنين. فلا زلت به ثم ذهبت أضع معاذيرى لما كان من خلافى على الحجاج مع عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث؛ فقال: مه إنا لا نحتاج إلى هذا المنطق ولا تراه منا فى قول ولا فعل حتى تفارقنا(١٢).

وكان الشعبى قد خرج على الحجاج، والحجاج هو من هو إلا أنه لما علم خطأه، عرف أيضاً كيف يكون الاعتذار.. وهو ما يدل على إيمان صادق وعقل راجح يعرف كيف يعود سريعاً إلى الحق وفى ذلك يقول فضيلة الدكتور محمد إبراهيم الجيوشى «وهذه العبقرية الفذة وهذا العقل الراجح والفكر اللماح والبيان الطلق استوقفت رجلا مثل الحجاج وأثارت دهشته. فقد أتى بالشعبى فى قوم خرجوا عليه فقال الحجاج: خرجت علينا يا شعبى؟

قال الشعبى: أجدب بنا الجناب، وأحزن بنا المنزل واستحلسنا الخوف، واكتحلنا السهر، وأصابتنا خزية لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء فلم يتمالك الحجاج إزاء هذا البيان المحكم والفكر المشع إلا أن يرسله، ضنا به على الموت وهو يقول: لله أبوك»(١٣).

(١٢) الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى.

(١٣) محمد إبراهيم الجيوشى: من رجالات الإسلام، مجلة الأزهر المجلد ٣٢ ص٧٧، ٧٨.

إن السطور الماضية إنما تشهد للشعبى بالكثير، منها:

ـ شجاعة الفارس حين خرج على الحجاج وهو يعلم ظلام المصير إذا وقع فى قبضة الحجاج!

ـ فضيلة الرجوع إلى الحق.

ـ حسن الاعتذار.

ـ براعة الأسلوب.

ـ رباطة الجأش.

وكان الشعبى من العلماء الذين لا يباهون بعلمهم بل كان يتوقف عن الكلام إذا لم يكن لديه قول قاطع فى المسألة التى طرحت عليه، وكان يحث أقرانه من العلماء على انتهاج نفس المنهج فلما قال له البعض إنا لنستحى من كثرة ما نُسأل فنقول: لا أدرى. هنا تأتى حجة الشعبى التى ينقطع معها الجدال حيث يقول:[١٤]

إن الملائكة المقربون لم يستحيوا حين سُئلوا عما لا يعلمون، أن قالوا:

﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾

البقرة/ ٣٢

لذلك نجد الصلت بن بهرام يقول: ما رأيت رجلاً بلغ مبلغ الشعبى يقول «لا أدرى أكثر منه»[١٥].

فقهه وحكمته وعلمه

لقد امتلأ الشعبى فقهاً وحكمة وعلماً نراها فى أقواله:

ـ «كانت درة عمر ـ رضى الله عنه ـ أهيب من سيف الحجاج»[١٦].

ـ «من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها»[١٧].

قوله لأهل القياس:

ـ «يا هؤلاء أرأيتم لو قتل الأحنف بن قيس وقتل معه صبى أكانت ديتهما سواء أم يفضل الأحنف لعقله وحلمه، قالوا: بل سواء. قال: فليس القياس بشىء»[١٨].

ـ «ليتنى لم أكن علمت من ذا العلم شيئاً»[١٩].

ويعلق مالك بن مغول على ذلك قائلاً: لأنه حجة على العالم فينبغى أن يعمل به وينبه الجاهل فيأمره وينهاه ولأنه مظنة ألا يخلص فيه وأن يفتخر به ويمارى به لينال رئاسة ودنيا فانية.

ـ وكان يتمثل بقول مسكين الدارمى:

ليست الأحلام فى حال الرضى
إنما الأحلام فى وقت الغضب[٢٠]

(١٤) راجع الإشراف فى منازل الأشراف لابن أبى الدنيا.
(١٥) الطبقات الكبرى ج٦ ص٢٥٠.
(١٦)، (١٧) وفيات الأعيان لابن خلكان.
(١٨) حلية الأولياء ج٤ ص٣٢٠.
(١٩) سير أعلام النبلاء ج٤ ص٣٠٥.
(٢٠) راجع وفيات الأعيان.

ولم يكن عالماً قوالاً بل كان يطبق ما يقول: فقد «جاء رجل إلى الشعبى فشتمه فى ملأ من الناس فقال الشعبى: إن كنت صادقاً فغفر الله لى وإن كنت كاذباً فغفر الله لك»[٢١].

وسئل الشعبى عن الرجل يعسر عن الأضحية ولا يجد ما يشترى فقال:

ـ لأن أتركها وأنا موسر أحب إلىَّ من أن أتكلفها وأنا معسر»[٢٢].

وفى هذا الرأى ما فيه الفقة.

روح الفكاهة عند الشعبى

ـ «كان الشعبى توءماً ضئيلاً فكان يقول: إنى زوحمت فى الرحم»[٢٣].

ـ وقيل له ماذا تقول فى لحم الشيطان؟

فقال: إن قدرت عليه فكله. فأبعدك الله، أليس فى كتاب الله العزيز:

﴿ وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾

الحجر/ ٢٧

فأى لحم له وهو نارى، والنار جوهر لطيف ليس يجرى مجرى الطين؟[٢٤].

ـ ومرَّ به حمَّال، فلما رآه أقبل عليه يسأله: ما كان اسم امرأة إبليس؟

فقال الشعبى: ذلك نكاح ما شهدناه.

ـ وكثيراً ما كانت تغلب عليه روح الفكاهة فيداعب من يلقاه، فقد مرَّ به خياط فقال له: عندنا حب مكسور تخيطه؟! فقال الخياط: إذا كان عندك خيوط من ريح.[٢٦]

ونختم هذا المقال بقول الشعبى:

«تعايش الناس زماناً بالدين والتقوى، ثم رفع ذلك فتعايشوا بالحياء والتذمم ثم رفع ذلك فما يتعايش الناس إلا بالرغبة والرهبة، وأظنه سيجىء ما هو أشد من هذا».

ولقد صدق الشعبى فى قوله الذى يدل على خبرته بطبائع الناس وعمق نظره وتبصره بحقائق الأمور ومجرياتها.

لقد أصبح أكثر العالم اليوم تحكمه أمريكا بالرهبة فقط وأظنه سيجىء ما هو أشد من هذا ما لم يعد المسلمون إلى كتاب ربهم وهدى نبيهم وما لم يتخذوا من السلف الصالح منارات لهم يهتدون بها من مثل الإمام الشعبى ذلك الرجل الذى جمعت نفسه الطيبة بين قوة العزيمة وصفاء الإيمان وعلم السياسى، وأدب الشاعر فكان مثالاً رائعاً للمسلم الذى نتمناه فى القرن الحادى والعشرين.

(٢١) الإشراف فى منازل الأشراف لابن أبى الدنيا.
(٢٢) راجع وفيات الأعيان.
(٢٣) سير أعلام النبلاء ج٤ ص٢٩٧.
(٢٤) رسالة الصاهل والساحج لأبى العلاء المعرى.
(٢٥)، (٢٦) أ.د محمد إبراهيم الجيوشى: مرجع سابق.

من آيات الجمال الكونى

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

الترتيب والنظام والكمال

أودع الله - سبحانه وتعالى - نوره الهادى فى آياته الكونية الباهرة، ونواميسه المنبثة فى جنبات الوجود، فهو الذى أوجد هذا العالم بإرادته المباشرة المطلقة، وخلقه على أعلى درجة من الترتيب والنظام والجمال، وأخضعه لقوانين معينة ثابتة لا يحيد عنها، وحفظ تناسقه وتوازنه فى ترابط محكم بين عوالم الكائنات، وتنسيق محكم بين آحادها ومجموعاتها، وجعل بناءه آية فى الروعة والكمال ليس فيه اختلاف ولاتنافر، ولا نقص ولا عيب ولا خلل قال تعالى:

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾

(سورة الملك / ١ : ٤)

وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى فى مواضع مختلفة، ونبه العباد إلى الحكمة السامية وراء التناسق والإبداع فى خلق هذا الكون، وذلك فى مثل قوله تعالى:

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾

(سورة السجدة: ٧)

وقوله:

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾

(سورة القمر: ٤٩)

ويكفى أن نتدبر إحدى صور هذا النظام الكونى المحكم من خلال ما توصل إليه العلم الحديث بالنسبة لكوكب الأرض الذى نعيش عليه وننعم بالحركة المستقرة على سطحه بالرغم من تعدد أنواع حركته فهناك دوران الأرض حول محورها لحدوث الليل والنهار، ودورانها حول الشمس لحدوث الفصول الأربعة: الربيع والصيف والخريف والشتاء. وقد كشف العلم الحديث عن حركات أخرى معقدة لا يشعر بها الإنسان لأنها تتم فى توازن معجز بصورة دورية على فترات زمنية طويلة فهناك حركة أرضية بطيئة تغيّر من مقدار ميل محور الدوران اليومى للأرض فيما بين ٢٢,١ و٢٤,٥ درجة على فترات زمنية دورية كل حوالى (٤١٠٠٠) سنة، وإذا علمنا أن بعد الأرض عن الشمس يبلغ فى المتوسط مائة وخمسين مليون كيلو متر، فإن أحدث الحسابات الفلكية أظهرت أن هناك حركة أرضية أخرى غير محسوسة تجعل مسار الأرض البيضاوى الشكل يدور ببطء شديد متعرضاً لتغيرات فى اختلافه المركزى (أى فى مقدار حيوده عن الشكل الدائرى) على فترات دورية تبلغ حوالى مائة ألف سنة وتؤدى هذه الحركات المخروطية مجتمعة إلى إزاحة مواضع الاعتدالين: الربيعى والخريفى (٢٠ مارس و٢٢ سبتمبر) والانقلابين: الصيفى والشتوى (٢١ يونيه و٢١ ديسمبر)، حيث تستغرق مبادرة الاعتدالين هذه حوالى (٢٤٠٠٠) سنة، ويطلق عليها اسم «السنة العظمى» ويعتقد العلماء أن هذه الحركات الدورية تأتى فى مقدمة أسباب تسلسل الأحداث المناخية المصاحبة للعصور الجليدية على مدى عدة مئات من آلاف السنين فى الزمن السحيق.

وحركة الأرض على هذا النحو جزء من الحركة الكونية العامة التى تدور فيها الأرض مع المجموعة الشمسية حول مركز مجرة «الطريق اللبنى»، وتدور هذه المجرة حول مركز مجموعة المجرات المحلية، وتدور كل مجموعة المجرات حول مركز الكون الذى يعلم الله وحده كل شيء عنه، ولا يدرى العلم البشرى عنه شيئا.

روعة التكوين والتلوين

يدعونا كتاب الإسلام الخالد إلى تأمل كتاب الكون الجميل الصفات العجيب التكوين والتلوين يقول الله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾

(فاطر / ٢٧، ٢٨)

وإن دعوة العلماء إلى التأمل فى الجمال الكونى هى فى حقيقتها دعوة إلى التفوق فى مجال البحث العلمى النافع بدراسة ظواهر الكون والحياة للإفادة منها فى تطوير حياة البشر وفهم أسرار الوجود.

ويكفى أن نتدبر آيات هذا الجمال من خلال ما نلاحظه فى الكثير من الظاهرات الكونية، فهناك على سبيل المثال قوس الألوان، أو قوس قزح، الذى يزين السماء الصافية بعد سطوع الشمس فى يوم مطير عند الشروق أو الغروب. والتفسير العلمى لهذه الظاهرة الجمالية هو أن قطرات المطر المعلقة فى الجو تعمل عمل المنشور الزجاجى، فيتحلل ضوء الشمس الأبيض الساقط عليها إلى ألوانه الأساسية، وهناك زرقة السماء وقت الظهيرة التى تعزى إلى أن الضوء الأزرق ذا الطول الموجى القصير يتشتت أكثر من غيره حتى يكاد يملأ السماء فتبدو للعين زرقاء اللون.

وهناك اللون الأحمر الجميل المميز للشفق عند

الشروق أو الغروب فيعزى علميا إلى أن الضوء القادم من الشمس فى هذه الأوقات من النهار يمر خلال طبقة سميكة جدا من جو الأرض قريبا من سطحها، فيسمح هذا بتشتت الموجات القصيرة وتبقى الموجات الحمراء الطويلة التى تصل إلى الأرض حاملة إلينا لون الشفق الجذاب الذى أقسم به الخالق الواحد فى قوله تعالى:

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴾

(الانشقاق: ١٦)

أما اللون الأخضر فقد ورد ذكره فى آيات القرآن الكريم ليدل على الحياة والنعيم وكثرة الخيرات فى الدنيا والآخرة فاللون الأخضر يتبع وجود الماء الذى جعل الله منه كل شىء حى وهو أساس فى تكوين الثمار النباتية مصداقا لقوله تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا ﴾

(الأنعام: ٩٩)

وفى آية أخرى يمن الله - سبحانه وتعالى - على عباده بقوله:

﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾

(الحج: ٦٣)

ففى اخضرار الأرض عموما حياة لأصحابها يأكلون ويتمتعون هم وأنعامهم، وذلك أدعى إلى شكر نعمة الله تعالى.

وفى قصة تعبير الرؤيا التى أولها «يوسف» عليه السلام بإلهام من ربه، ورد ذكر اللون الأخضر فى وصف السنبلات التى رآهن الملك فى رؤياه ليدل على السنوات السبع اللاتى سيزداد فيهن الخير فى مقابل السبع العجاف اللاتى يقل فيهن الخير ويرمز لهن بالسنبلات اليابسات واللون الأخضر - شأنه شأن اللون الأصفر - يحتل موقعا وسطا فى طيف الضوء المرئى، حيث إن موجاته ليست بالطويلة كاللون الأحمر ولا بالقصيرة كاللون والأزرق، كما أن النطاق البصرى لموجاته أصغر من النطاقات البصرية لموجات باقى الألوان، ولذا فإنه يريح البصر، ولا يسبب النظر إليه أى إجهاد لعدسة العين، أو أى شعور بالتعب أو الملل أو الصداع وقد توصل الباحثون فى خصائص الألوان وآثارها إلى أن اللون الأخضر يبعث السرور داخل النفس، ويثير فيها بواعث البهجة وحب الحياة، لذلك فإنه أصبح اللون المفضل فى غرف العمليات الجراحية لثياب الممرضات والجراحين ولقد أشارت بعض آيات القرآن الكريم إلى اللون الأخضر عند الحديث عما يتمتع به المؤمنون الفائزون فى الدار الآخرة، حيث الجنة بما فيها من أشجار عالية، والمؤمنون بما يلبسون من ثياب خضر:

﴿ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ ﴾

(الكهف: ٣١)

ويجلسون:

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴾

(الرحمن: ٧٦)

كشف العلم الحديث عن ظاهرة حيوية مهمة تجمع بين عناصرها الاساسية كلا من الضوء واللون الأخضر، وذلك عندما عثر العلماء على مادة «الكلوروفيل» التى تعنى «اليخضور» نسبة إلى لون النبات الأخضر، ويعزى إلى هذه المادة العجيبة تلون أى جزء من النبات باللون الأخضر ويعتبر ضوء الشمس عاملا أساسيا فى تكوينها، وبفضلها يقوم النبات الأخضر بعملية التمثيل الضوئى التى يعتمد عليها تركيب وبناء كل الأنسجة الحية فى النبات وما يتغذى عليه من طير وحيوان وإنسان بل يتم على أساسها تخزين طاقة الشمس فى جسم النبات الأخضر لحين الحاجة إليها عند استخدام الشجر كوقود فتبارك الله العلى القدير:

﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴾

(يس: ٨٠)

اطراد الظاهرات الكونية

شاءت إرادة الله - تعالى - أن تبين لنا من خلال نظام الكون ووحدته استمرارية المواد كأشياء، وتكرار الحوادث والظاهرات كعلاقات سببية لنراقبها وندركها وننتفع بها فى حياتنا الواقعية، بعد أن نقف على حقيقة سلوكها ونستدل بها على قدرته ووحدانيته

قال تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ ﴾

(فصلت: ٥٣)

وقال سبحانه:

﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾

(الفتح: ٢٣)

وفى إطار المفهوم الإيمانى لمسلمة النظام الكونى واطراد الظاهرات الطبيعية كعلاقات عليه يتمتع الباحث المسلم بالاطمئنان والثقة اللازمين لمواصلة البحث العلمى، إيمانا منه فى ضمان بلوغ تعميمات أو قوانين علمية من مجموعة محددة من الوقائع كما أن هذا التصور الإيمانى يجعل الطريق مفتوحا دائما أمام تجدد المنهج العلمى وتطوره بما يتناسب مع حالة العلم فى المرحلة التى يبلغها من تطوره وهنا أيضا تظل العلاقة بين إرادة الله واطراد القانون الطبيعى واضحة جلية، لما تفسحه من مكان لتفسير حدوث الخوارق والمعجزات التى يظهرها الله بين الحين والحين، تذكيرا للإنسان بأن الله - سبحانه وتعالى - هو مصدر الوجود، وأن كل ما فى الكون من قوانين مستمد من إرادته ومتوقف عليه وإذا اختل نظام السنن الكونية الثابتة، فإن هذا فى كتاب الإسلام يعنى اقتراب قيام الساعة، ويؤذن بانتهاء الحياة على الأرض.

- يتبع -

الموازين الثابتة والغايات الواضحة ضمانة التفوق الحضارى

للدكتور/ عبد الحليم عويس

كان المسلمون يعرفون أهدافهم.. وكانوا يدركون أنهم أمة مبتعثة فى التاريخ كله، لتحفظ موازين الحق والعدل والمعروف، ولاتسمح بانقلاب الموازين والعبث بالقيم وتحويل الحق باطلا والباطل حقا، والمعروف منكرا والمنكر معروفا.

وكانوا يدركون ضرورة الحفاظ على العلاقة بين السماء والأرض والوحى والعقل، وبأن عظمة الانسان تتألق وتتجلى فى اتباعه منهج الله وحرصه على رضا الله، وتحقيق العبودية الحقة لله، وبأن العلاقة بالله هى طريق الانسان لتحقيق أزكى مستويات الإنسانية وأعلى مستويات الحياة!!

وفى طريق تحقيق هذه الغايات الواضحة التى تُصبُّ كلها فى قوله تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

الذاريات/ ٥٦

فى هذا الطريق الواضح المعالم والغايات، استخدموا كل طاقة، وسخروا كل إمكاناتهم وأخضعوا الغرائز والأهواء، وأحدثوا بطريقة رائعة تكاملية الانسجام بين النقل والعقل، والفرد والمجتمع، والمرأة والرجل».. ولم يشعروا يوماً بالحاجة «للصدام مع الآخرين»، فدينهم قد علمهم أن الله خلق الحياة على سنة ثابتة هى «الصراع بين الحق والباطل» دون أن يعنى ذلك «الصراع مع أهل الباطل».. فالباطل مرض وانحراف، والداعية والطبيب يحاربان المرض والانحراف، لكنهما لايحاربان المريض، ولا المنحرف، بل يسعيان بكل الطرق الكريمة لعلاجه وتقويمه وتبصيره بحقيقة مرضه وانحرافه..

ومع ذلك- أيضا- علم الإسلام المسلمين أن وجود الانحراف والمرض والباطل والشر سنة من سنن الله لابد من وجودها مثل وجود الظلام والليل والسواد، لأنه لن تعرف قيمة النور وأهله، والحق وأهله، إلا بوجود أضدادها.

وكما قال الله فى كتابه الكريم الذى يحفظه المسلمون ويتعبدون بكل حرف فيه:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾

هود/ ١١٨، ١١٩

وقوله:

﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾

يوسف/ ١٠٣

وقوله:

﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾

الأنعام/ ١٠٨

وقوله:

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾

البقرة/ ٢٥١

فثمة اختلاف، وثمة تدافع، وثمة صراع مع المرض والشر والباطل، وثمة ناس يعملون لإقرار المعروف وإنكار المنكر مهما تطورت العصور والمفاهيم، ومهما كثر أهل المنكر والضلال.

● وهنا تتجلى عظمة قيم الإسلام وروعة الحضارة الإسلامية:

فمع أنه لم يزعم مفكر أو مؤرخ أن حضارتنا الإسلامية تخلو من بعض الأخطاء البشرية.. فإن تاريخنا وحضارتنا هما- بحق- تاريخ إسلامى وحضارة إسلامية، لأنهما- أبداً- لم تتغير هويتهما الإسلامية «هوية الأمة» على الرغم من وجود الانحرافات والأخطاء فى كثير من الفترات.

- فهذا مما لايمكن إنكاره، كما لم يتغير موقفهما من الإنسانية، مهما اختلفت العقائد.

● بيد أن هناك ضمانتين استحق بهما المجتمع الإسلامى- وهذا التاريخ الإسلامى- أن يكونا تاريخاً ومجتمعاً إسلامياً، وهاتان الضمانتان يرتفعان بهذا المجتمع عن مستوى أى مجتمع بشرى آخر.. ويضمنان للمسلمين أهدافاً واضحة:

الأولى: أن هذا المجتمع مرتبط بأصلين ثابتين لايمكن تحريفهما عن موضعهما بتأثر سلطة عقدية أو سلطة عسكرية أو

سياسية حاكمة.. فالقرآن والسنة فوق عبث العابثين وجبروت المتجبرين، ولم يستطع طاغية ملحد- عبر كل تاريخ المسلمين- أن ينال من النصوص شيئاً، وقد ارتد الوضاعون للحديث خاسرين، وهذه هى الضمانة الأولى التى انبثق عنها فى مجال التطبيق والفكر معاً- أن أصبح محمد ﷺ صاحب السنة القولية والفعلية هو الإمام النموذج لهذا التاريخ وحضارته الإسلامية، وعلى المسلمين- إن كانوا مسلمين حقاً- أن يعيدوا عبر كل مراحل التاريخ تقويم حياتهم الفكرية، والأخلاقية والإنسانية لتقترب من نموذج هذا النبى «القدوة العملية والقرآن المتحرك الحى».. وقد عاش محمد صلى الله عليه وسلم كل أطوار الواقع البشرى.. فسالم وحارب، وتزوج وأنجب وعاشر الأغنياء والفقراء والخدم والعبيد والنساء، ومرض وعوفى، وباع واشترى، وعامل الصغار والكبار ودخل الأسواق.. وكان عادلاً سمحاً مع الخصوم والأصدقاء، ومع المسلمين وغير المسلمين.

وبإيجاز.. قدم شخصية واضحة كل الوضوح، تجمع بين البشرية والنبوة، تهدى البشرية بالنبوة، ولكن تبقى النبوة فى دائرة العصمة التى لايطالب الناس بها، وتصبح البشرية المهتدية بالنبوة مجالاً للاقتداء والسباق بين الناس.

أما الضمانة الثانية لهذا المجتمع الإسلامى: فهى الإنكار الثابت للمنكر مهما كان السلوك مغلوطاً.. ومهما كان ضغط بعض الأوضاع وبعض دعاة الإفساد، فالمجتمع المسلم يبقى منكراً للزنى، والخمر، والربا، وللاستغلال، وللشذوذ الجنسى، ولم يسمح قط فى- عرفه أو إجماعه- بإباحة شئ مما أباحته بعض الحضارات، وآخرها الحضارة الغربية التى تبيح الزنى، والربا، والخمور، والتفرقة العنصرية، والكذب على أنبياء الله، واستئجار عقول بعض المزيفين من أبناء الحضارة المغلوبة، لتشويه حضارتهم والتجنى عليها..!!

***

وللأسف، فإن دروس التاريخ تعلمنا أن أكثر الأمم فى التاريخ إنما سقطت عندما تنازلت عن الموازين الثابتة، وسيطرت عليها النسبية، والنفعية، والمعايير المزدوجة.. وهذا المصير ينتظر الحضارة الغربية، مهما عاشت بتأثير عوامل التفوق العقلى والمادى.

ونسأل الله أن تأخذ أمتنا بأسباب القوة المادية والعقلية، مع احتفاظها بالموازين الثابتة والغايات الإسلامية والإنسانية الكريمة الواضحة.

***

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقى الدين

الطابور الخامس

يتندر العالم اليوم بما قضت به جهات التحقيق العسكرية الأمريكية فى قضية تعذيب أسرى معتقل «أبوغريب» فى العراق!.

وسر هذا التندر أن الجيش الأمريكى.. وهو كما يعلم القاصى والدانى هو وسيلة السيد جورج بوش لنشر الديمقراطية والدفاع عن حقوق الإنسان المظلوم فى الدول الإسلامية.

جهات التحقيق العسكرية الأمريكية قضت منذ فترة قصيرة بتبرئة جميع من وجهت ضدهم اتهامات تتعلق بانتهاك حقوق الإنسان، وتعذيب الأسرى العراقيين بمعتقل «أبوغريب» فى العراق، والذى شهد أسوأ وأبشع أعمال تعذيب يتعرض لها إنسان ربما منذ بدء الخليقة، منها على سبيل المثال لا الحصر إطلاق الكلاب المتوحشة بعد تجويعها لتنهش الأسرى الذين تم تقييدهم جيداً بحيث لا يستطيعون أن يتحركوا حتى مجرد حركة خوف وذعر.

ومنها على سبيل المثال إطلاق كلاب مدربة على أعمال الاغتصاب الجنسى لتنهش أعراض الأسيرات العراقيات اللاتى تمثلت جرائمهن فى أنهن أمهات أو زوجات أو شقيقات أو بنات لمجاهدين ومعارضين عراقيين أبو إلا أن يقولوا: «لا» لطغاة العصر!!..

المهم أن كل من وجهت إليه تهم تعذيب الأسرى قد تم تبرئة ساحته تماماً، باستثناء الجنرال «جانيت كاربنسكى» قائدة لواء الشرطة العسكرية المكلف بأمن معتقل أبوغريب، حيث عوقبت بالتوبيخ، والعزل من الوظيفة، والتى كانت ستتركها أصلاً للتقاعد، وكانت إدانة «كاربنسكى» ليس بسبب عمليات التعذيب، وإنما بسبب القصور الأمنى الذى سمح بتصوير مشاهد التعذيب وتسريبها، ومن ثم التسبب فى إحراج الولايات المتحدة الأمريكية.

قرار العزل والتوبيخ الذى لحق بـ «كاربنسكى» لم يمنعها على الإطلاق من الحصول على مكافأة نهاية الخدمة لقاء إنجازاتها أثناء عملها بصفوف الجيش الأمريكى وبصفة خاصة فى العراق!.

وبعد ذلك لايخجل الأمريكيون من المطالبة بمحاكمة مسئولين سودانيين بدعوى تورطهم فى جرائم إبادة جماعية فى دارفور.. وكأن ماحدث فى «أبو غريب» كان مجرد لهو أطفال!!

وفى أفغانستان خضع الأمين العام للأمم المتحدة لتعليمات الولايات المتحدة الأمريكية، حيث وافق على الاستغناء عن خدمات الدكتور «شريف بسيونى» الخبير الدولى المتخصص فى مجال حقوق الإنسان بسبب إصداره تقريراً حول عمليات تعذيب مارستها القوات الأمريكية فى معسكرات اعتقال فى أفغانستان.

تلقى الدكتور «بسيونى» وهو من أصل مصرى ويعمل أستاذاً للقانون بجامعة «دى بول» فى ولاية شيكاغو الأمريكية إخطاراً بالبريد الإلكترونى يوم الجمعة ٢٩ من أبريل الماضى من اللجنة الخاصة بحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة يخبره بأن تفويضه كخبير مستقل فى أفغانستان قد انتهى.

الدكتور بسيونى عقَّب على القرار بأنه كان يتوقع مد فترة عمله لمدة سنتين وفق ما هو متبع فى مثل هذه الحالات، إلا أن ضغوطاً أمريكية مكثفة مورست فى الفترة الأخيرة من أجل إيقاف عمله بسبب إصراره على تقصى الحقائق حول ممارسات لا أخلاقية وعمليات قمع وتعذيب نفذت بحق معتقلين فى مراكز اعتقال أقامها جيش الاحتلال الأمريكى فى أفغانستان، وخاصة فى مدن «باجرام» و«قندهار»، حيث استشاط الأمريكيون غضباً من نشاطه، وأبلغوه بأن ما يفعله يتجاوز حدود تكليفه.

أما فى الأمم المتحدة فقد أكد متحدث باسم الأمين العام بأنه تقرر أن الوضع قد تحسن، وأن الوقت قد حان لإنهاء هذا التكليف والتفويض الممنوح للدكتور بسيونى لتقصى الحقائق فى أفغانستان!!..

● وبعد كل هذا يصر الأمريكيون على التدخل فى شئون مصر بدعوى حماية حقوق الإنسان!!

● وبعد كل هذا يصر الأمريكيون على التدخل فى شئون السودان بدعوى حماية حقوق الإنسان!!

● وبعد كل هذا يصر الأمريكيون على التدخل فى شئون لبنان بدعوى حماية حقوق الإنسان!!

● وبعد كل هذا يصر الأمريكيون على التدخل فى شئون سوريا بدعوى حماية حقوق الإنسان!!

● وبعد كل هذا يصر الأمريكيون على التدخل فى شئون السعودية بدعوى حماية حقوق الإنسان!!

فى حين لا يوجد لديهم نفس هذا الإصرار تجاه كوبا أو فنزويلا أو كوريا الشمالية.

هل السبب هو المال والثروة التى تنعم بها الدول العربية؟!..

بالتأكيد لا.. لماذا؟!..

لأن فنزويلا تملك احتياطيات هائلة من البترول مثل العراق وغيرها من الدول العربية التى قررت الولايات المتحدة الأمريكية فرض الوصاية عليها،

فلماذا لم تتخذ إجراءات عسكرية مماثلة لتلك التى أقدمت عليها ضد العراق؟!.. علماً بأنها نجحت لفترة قصيرة فى عزل «هوجو شافيز» رئيس فنزويلا، إلا أنها تلقت لطمة قاسية بسبب نجاح شافيز فى انتخابات تمت تحت إشراف الأمم المتحدة وبمشاركة شخصيات أمريكية فى مقدمتها الرئيس الأمريكى الأسبق «جيمى كارتر» وعاد شافيز للرئاسة مرة ثانية.

السبب الوحيد هو أن فنزويلا وكوبا وكوريا لا تدخل فى نطاق قرار الحرب الذى أعلنه الرئيس الأمريكى «جورج دبليو بوش» الذى وصفه بنفسه بـ «الحرب الصليبية ضد العالم الإسلامى».

فلماذا لم يعلن السيد بوش الحرب ضد كوريا التى تحدت العالم وأعلنت أنها لن تتخلى عن برنامجها لامتلاك السلاح النووى وكل أنواع اسلحة الدمار الشامل؟! بل إنها أجرت بالفعل العديد من التجارب لصواريخ متوسطة وبعيدة المدى، ونظمت مؤتمرات صحفية للإعلان عن هذه التجارب، ولوحت بإمكانية استخدام صواريخها ضد أهداف أمريكية إن اقتضت الضرورة.

جورج بوش لا يقاتل ولن يقاتل إلا ضد الإسلام وضد المسلمين، وضد مصالح الأمة العربية والإسلامية.. لأنه قرر أن إسرائيل هى الأجدر بقيادة منطقة الشرق الأوسط وأن على الجميع لاخضوع لإرادتها، ولأن مصر قد رفضت هذا التوجه الأمريكى فقد قرر (بوش) أن مصر ستكون هى الهدف الجديد لسياساته العدوانية ضد الإسلام والعروبة. ولأن حربه ضد العراق فشلت فى إخضاع إرادة الشعب العراقى، فإنه قرر أن يلجأ هذه المرة إلى شراء ضعاف النفوس، والباحثين عن المال والشهرة، وبريق السلطة.. أغدق عليهم المال... ودعمهم بخبراء محترفين فى السياسة والإعلام لتشكيل طابور خامس، ليثيروا القلاقل والفتن والاضطرابات، مع وعد باعتلاء السلطة ليصبحوا دُمى تحركها الولايات المتحدة وإسرائيل وينتهى إلى الأبد ما يعرف بـ «الإسلام» و«أمة الإسلام» ولعل أصدق تعبير فى هذا الصدد هو ما صدر عن (آية الله على خامنئى) المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية الإيرانية عندما قال: «إليكم ما تقوله الولايات المتحدة.. إنها تقول إقبلوا شروطنا، وتدخلنا، ووجودنا، وسيطرتنا على مواردكم، وإلا فسوف نتهمكم بالإرهاب، ومعاداة حقوق الإنسان».

وقد يتصور البعض منا أن شمس الإسلام قد صارت إلى مغيب.. ولكن هيهات هيهات.. فسنبقى دائما - إن شاء الله - نتلمس أسباب العزة والقوة والمنعة من عقيدتنا وقرآننا وأبدا لن يهون علينا ديننا ونُذكر كل مقهور ومظلوم بقول المولى عز وجل:

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾

(آل عمران ١٣٩، ١٤٠)

أحمد تقى الدين

وإلى رسائل القراء ←

الرحمة والتكافل فى الإسلام

من الصديق الدكتور محمد محمود العطار - كفر الشيخ - كانت هذه الكلمة التى حملت عنوان «الرحمة والتكافل فى الإسلام» قال فيها:

الإسلام دين الرحمة والتكافل، والأمة الإسلامية تعتبر خير أمة أخرجت للناس إذا التزمت بتعاليم الإسلام، ومبادئه، وقيمه وطبقتها فى المجتمع، وقد بعث الله رسوله - ﷺ - إلى الناس جميعاً، ليكون رحمة لهم قال الله تعالى:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾

«سورة الأنبياء - الآية ١٠٧»

والمسلم رحيم ودود بأحق الناس عليه وهما والديه، قال تعالى:

﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾

«سورة الإسراء - الآية ٢٤»

كما تتسع الرحمة لكى تشمل الأقارب، والجيران وكل من يعيش فى المجتمع الإسلامى، سواء أكان إنساناً أم حيواناً، أم طيراً. وكان الرسول - ﷺ - فى حياته مثلاً أعلى فى الرحمة قال تعالى:

﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾

«سورة آل عمران - الآية ١٥٩»

ويحث أصحابه على الرحمة الشاملة، لكل من فى الأرض قال رسول الله - ﷺ - «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء» رواه أبو داود. والإسلام يدعو إلى التعاطف ويحث على تخفيف الآلام، وتفريج الكروب.

وقد أعلن الإسلام نظامه الكامل الشامل للتكافل الاجتماعى منذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً من الزمان لإيجاد مجتمع فاضل، مثالى، تتعاون فيه كل القوى.

والتكافل فى الإسلام يوجب على المجتمع توفير العمل لكل قادر عليه. وتوفير الحياة المريحة للعاجزين الذين لا يستطيعون العمل للعجز أو الشيخوخة، ويلتزم المجتمع الإسلامى بتربية الناشئين تربية كريمة تظهر القوى والمواهب وتسهم فى تخريج أبناء صالحين، يرفعون شأن المجتمع.

ولكى يحقق الإسلام مبدأ التكافل، ويرعى الفقراء والعاجزين، فرض الله -تعالى- الزكاة على الأغنياء للقادرين، واعتبرها ركناً من أركان الإسلام الخمسة قال تعالى:

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾

«سورة النور - الآية ٥٦»

كما بشر المؤمنين الصالحين الذين ينفقون أموالهم بمضاعفة الثواب والحسنات فى الآخرة قال الله تعالى:

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

«سورة البقرة - الآية ٢٦١»

كيف نبنى مجتمعاً؟!

يشارك فى هذا العدد القارئ «السيد حسين العزازى» وكيل وزارة سابق بالكهرباء والطاقة بكلمة جعل عنوانها: «كيف نبنى مجتمعاً» قال فيها:

المتابع لصفحات الحوادث وأخبار الجريمة يطالع عجباً فكلها تعكس القسوة وغياب الرحمة وبروز المادة كمؤثر ودافع للعنف من جراء الفقر وضيق ذات اليد إما بسبب البطالة أو ضآلة الدخل وعدم القدرة على مواجهة احتياجات المعيشة أو لخفوت الإنصاف واستشراء الجور والاعتساف وتدنى مستوى التكافل مما يقود للسرقة أو الرشوة أو الاعتداء السافر والاغتصاب وينشأ عن ذلك تداعى العلاقات الاجتماعية وتفشى أعراض عدم التوافق واللاسواء وتسرب الوهن وعوامل التفكك وغياب الحميمية والألفة والمروءة التى كانت من أجمل خصالنا وخصائصنا كمصريين عبر حقب ممتدة وبدرجة أثارت إعجاب الآخرين بنا ووجدت سندها وتوثيقها فى القرآن الكريم:

﴿ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾

٩٩ - يوسف

وبناء المجتمع ورسوخه رهن بالأمن والاطمئنان وهو ما يتأتى بشيوع المودة والتراحم وإسباغ العطف على من يحتاج صغيرا أو كهلا أو مسكينا وكذلك الإناث بنات أو أخوات أو زوجات أو أمهات وإيلائهن ما يستوجبن من شفقة وعاطفة ومراعاة ما حض عليه الدين والعرف من بر وإحسان.



المنفلوطى

والواضح أن الأنانية والأثرة وضيق الأفق والانغلاق الاجتماعى اقتحموا علينا الباب ويشهد بذلك مشاعر الغفلة وافتقاد الحس الراقى وغياب السند والمعين الذى يحتوى القريب والغريب ويلف الجميع بمظلة الوفاء والانتماء ويذكرنا ذلك بقتيلة الجوع التى كتب عنها أديبنا الراحل (مصطفى لطفى المنفلوطى) والتى أضناها الجوع حتى أهلكها وماتت بسببه رغم أنها تقطن عاصمة البلاد وتعيش وسط آلاف البشر ولكنهم يومئذ كثرة ولكن كغثاء السيل وزبد البحر لا تدفع ولا تنفع وفى ذلك يقول المنفلوطى (لو أنصف الناس ما كان بينهم ظالم ولا مظلوم ولا جائع ولا محروم) ويذيل المقال بالدعاء (ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء). وما أقسى الشعور بالغربة والانسلاخ عن الجماعة وكم هو مؤسف أن نصير شتاتاً متشرذمين وملايين مبعثرين لا يربطنا رابط ولا يجمعنا شعور أو مصلحة

مشتركة.

وللظاهرة أسبابها المعلنة والكامنة وفى مقدمتها البون الشاسع بين من يملكون ومن لا يملكون وأصحاب الرأى وبسطاء الناس ممن يجهلون أو لا يعرفون، وتذبذب قيمة الحنو على الصغير وتقدير الكبير وتقلص مردود الدعوة للتباين بين المظهر والمخبر بينما تطفو المادية وبذلك يتوارى العدل ويهجرنا الحب وتصير الساحة نهباً للصراع.

إن نزعات الثأر والاحتدام تترعرع فى غيبة العقل والضمير وتنشط كرد فعل للمعاناة وقسوة الحياة والاستهانة بكرامة الإنسان فيعم الشعور بالمهانة ليفرخ العنف وهو ليس دليل قوة بل ادعاء كاذب بممارستها بعد تجريدها من سلامة القصد والتوجه إذ القوة الحقيقية فى الحلم والتسامح واستخلاص الحلول الإنسانية من جعبة التكافل والمساندة والغفران وإحقاق التوفيق بغير إرجاء أو تعويق.

وما أحوجنا للتدارك وتفعيل العمل الاجتماعى على نحو إيجابى يحدث التلاحم ويعيد تنظيم الصفوف وتأكيد العلاقات وتعميق المشاركة والتضافر والارتقاء بمستوى الحوار والتشاور واستيعاب ما يعن للناس من هموم وشواغل، وبعث وبث القيم النبيلة المستوحاة من ديننا الحنيف وحضارتنا الشامخة ومخزوننا الأخلاقى الذى يضعنا فى مصاف الأخيار إن أحسنا التوظيف والاستثمار وأوقفنا أو عطلنا المد الشيطانى للأشرار ممن يعيثون فى الأرض فساداً ويعبثون بمقدرات الأمن والاستقرار. ونسأل الله

الاستقامة

وتحت عنوان «الاستقامة» جاءت كلمة الصديق الأستاذ أحمد عبدالمحسن على محمد - المدرس الأول بمدرسة الأورمان الثانوية النموذجية بالدقى - قال:

روى الترمذى عن سفيان بن عبدالله - رضى الله عنه - قال: قلت يا رسول الله: حدثنى بأمر اعتصم به. قال ﷺ: «قل ربى الله، ثم استقم، قلت: يا رسول الله: ما أخوف ماتخاف علىّ؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال: هذا».

* إن الاستقامة لابد أن تكون فى كل شىء فى العقيدة، وفى العبادة، فى المعاملة، وفى الأخلاق، فهى الفضيلة الكاملة، والهداية الشاملة، ولهذا قال الفقيه أبو الليث - رضى الله عنه -: علامة الاستقامة أن يراعى عشرة أشياء:

١- حفظ اللسان عن الغيبة لقوله تعالى:

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾

الحجرات: ١٢

٢- اجتناب الظن، لقوله تعالى:

﴿ اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾

الحجرات: ١٢

ولقوله ﷺ: «إياكم وسوء الظن فإنه أكذب الحديث».

٣- اجتناب السخرية، لقوله تعالى:

﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾

الحجرات: ١١

٤- غض البصر عن الحرام، لقوله تعالى:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾

النور: ٣٠

٥- صدق اللسان، لقوله تعالى:

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾

الأنعام: ١٥٢

٦- الإنفاق فى سبيل الله، لقوله تعالى:

﴿ أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾

البقرة: ٢٦٧

٧- عدم الإسراف، لقوله تعالى:

﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾

الإسراء: ٢٦

٨- ألا يطلب الإنسان العلو والكبر، لقوله تعالى:

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

القصص: ٨٣

٩- المحافظة على الصلوات الخمس، لقوله تعالى:

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾

البقرة: ٢٣٨

١٠- الاستقامة على السنة والجماعة، لقوله تعالى:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾

الأنعام: ١٥٣

* تلكم العلامات العشر للاستقامة فهى هدف كل عاقل، ومقصد كل موفق. ولقد أرشدنا المولى - جل وعلا - إلى طلبها فى كل ركعة من ركعات الصلاة قال تعالى:

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾

الفاتحة: ٦، ٧

* ولهذا رسم بعض الصالحين طريق الوصول إلى الاستقامة، فقال:

(أولا) استقامة اللسان بالمداومة على كلمتى الشهادة.

(ثانيا) استقامة الجنان بالمداومة على صدق الإرادة.

(ثالثا) استقامة بالنفس بالمداومة على العبادات والطاعات.

من أعلام القراء:

قيثارة السماء

وعن القارئ الشيخ/ محمد رفعت ـ رحمه الله ـ كانت تلك الكلمات التى سطرها الأستاذ «صفوت عكاشة» جريدة الجمهورية ـ فى الذكرى السنوية لميلاد الشيخ الجليل ورحيله [٩/٥/١٨٨٢ ـ ٩/٥/١٩٥٠] قال:

عندما نتكلم عن قراءة القرآن الكريم ومقرئى القرآن يتبادر إلى الذهن القارئ الفذ الشيخ محمد رفعت وهذه السطور القليلة محاولة للتعريف بشخصية وعبقرية هذا الرجل الورع.

ولد الشيخ محمد محمود رفعت بحى المغربلين فى يوم الاثنين الموافق ٩/٥/١٨٨٢ ـ وتوفى فى يوم الاثنين الموافق ٩/٥/١٩٥٠م، فى توافق بديع قضت به مشيئة المولى -عز وجل- تجاه رجل أحبه سامعوه الذين خلعوا عليه لقب «قيثارة السماء» لشدة تأثير تلاوته فى قلوب ونفوس سامعيه وهو تأثير امتد ليشمل أفئدة دخلت فى دين التوحيد لما حمله صوت الشيخ الجليل من قدرات فذة عبرت بصدق وأمانة كاملين عما حواه كتاب الله من آيات بينات.

تتلمذ الشيخ رفعت على يد الشيخ عبدالفتاح هندى «حفظاً وتجويداً» بمسجد مصطفى فاضل باشا (كتاب بشتك) بدرب الجماميز وبعد عامين من ولادته أصيب بمرض فى عينيه مما أفقده البصر.

كان الشيخ رفعت تقياً ورعاً يقرأ القرآن من القلب فيصل إلى القلب علاوة على امتلاكه لمقومات القارئ العبقرى.. وإليك عزيزى القارئ جانباً من هذه المقومات لنصل معاً إلى سر عبقرية الشيخ:.

١ـ أمانته على الترتيل: كان -رحمه الله- يبذل قصارى الجهد وغاية الطاقة فى الحفاظ على أحكام التلاوة ـ فما لعب بحرف من الحروف ولا خانة التوفيق فى مد من المدود سواء أكان مداً طبيعيًا أو متصلًا أو منفصلًا أو مداً لازماً وكلها اصطلاحات يعرفها القراء جيداً فنحن نلاحظ أن كثيراً من القراء إذا تعارض النغم الموسيقى مع أحكام الترتيل فإنه للأسف الشديد يضحى بالحكم فى سبيل حبكة النغمة الموسيقية ـ وبهذا يكون القرآن فى أفواه مثل هؤلاء القراء كأغنية، مع أن الله -سبحانه وتعالى- يقول:

﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾

المزمل/ ٤

وقال:

﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾

القيامة/ ١٨

أى اتبع طريقة تلاوته ـ فكان الشيخ رفعت- رحمه الله ـ أميناً أمانة منقطعة النظير لا نجدها إلا عند القلة من القراء الموفقين.

٢ـ تصوره لمعانى القرآن الكريم: فنجده عندما يقرأ آية إنذار وجدت تلاوته هادرة كالأمواج العاتية وإذا قرأ آية تبشير وجدت تلاوته كأنها النسمة الرقيقة والابتسامة العذبة ـ فهكذا كان فاهماً لما يقرأ معبراً عنه.

٣ـ وقفه وابتداؤه: المعروف أن القرآن الكريم يعبر عن معان ولابد أن يكون القارئ متأثراً بهذه المعانى حتى يتاح لقراءته أن تكون مؤثرة فى نفوس السامعين ـ ولا شيء يكشف عن علاقة القارئ بالمعنى كالوقف والابتداء، فكان الشيخ رفعت يقف حيث يجب أن يقف ويبدأ من حيث يحسن أن يبدأ فإذا كان المعنى متصلاً فإنه يستصحب الجملة الأخيرة فيما استوقفه عند نفسه فكان فاهماً لما يقرأ.

٤ـ حسن صوته: وأعتقد أن ملايين الآذان تغنينى عن الكلام فى هذا من متخصصين إلى عامة وقد أكد الدارسون المتخصصون أن صوت الشيخ محمد رفعت حوى مقومات فنية فذة ندر أن تجتمع فى صوت شخص واحد، وتفصيل ذلك أن صوت الشيخ محمد رفعت يتكون من ديوانين ونصف الديوان (أى ١٨ مقاما تقريباً) ديوان



الشيخ محمد رفعت

(بريتون) وديوان (تينور) ثقيل ونصف ديوان تينور خفيف ـ ويمتاز باستعارة تزيد على الديوانين ونصف الديوان تقريباً وهذه الاستعارة لا يستطيع أن يحاكيها إلا شخص يمتلك نفس المقومات الصوتية للشيخ محمد رفعت.

٥ـ موسيقية الأداء: فإن المقامات الموسيقية تعبر عن نغمات متصلة حتى ترسم معنى من المعانى فكان الشيخ رفعت مدرسة فذة فى تنقله بين المقامات الموسيقية حسب المعنى الذى يقرأه فإذا قرأ آيات العذاب صورها من مقام الصبا الحزين وإذا قرأ آيات التبشير صورها من مقام السيكا المبهج فكان عالماً بأصول الموسيقى وتطويعها فى خدمة معانى القرن الكريم.

٦ـ انتقاؤه الآيات المناسبة للمواقف المختلفة: فلا أبلغ من افتتاحه الإذاعة سنة ١٩٣٤ بسورة الفتح:

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾

الفتح/ ١

فكان يطبق المثل القائل: «لكل مقام مقال» وما أكثر كنوز القرآن التى تعبر عن المواقف المختلفة.

رحم الله الشيخ الجليل.. قيثارة السماء رحمة واسعة جزاء ما قدم وغفر لنا وله



أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى

إقرار نظام موحد للتعليم الإسلامى بروسيا

نظم مجلس المفتين لروسيا الاتحادية اجتماعا لرؤساء الإدارات الدينية للمسلمين فى مناطق روسيا ورؤساء المؤسسات التعليمية الإسلامية بالإضافة إلى العلماء وممثلين عن أجهزة السلطة.

وأقر المشاركون فى الاجتماع النمط المنهجى التعليمى الموحد فى اختصاص «التعليم الدينى الإسلامى» وكيفية تدريس المناهج الإسلامية فى مختلف المؤسسات التعليمية كما قرر رؤساء الإدارات الدينية للمسلمين فى مناطق روسيا تشكيل مجلس للتعليم الإسلامى لتنسيق نشاط المؤسسات التعليمية الدينية فى مجال إعداد الكوادر وإصدار المطبوعات الإسلامية وأشار رئيس مجلس المفتين لروسيا الاتحادية الشيخ «راوى عين الدين» فى كلمته التى ألقاها فى الاجتماع إلى تنامى أهمية التعليم الدينى فى روسيا ولهذا حان الوقت لتعزيز المراكز الدينية العلمية من أجل أن تتمكن من السيطرة على الوضع فى المجال التعليمى فى المناطق الروسية على حد قوله.

كما أكد المشاركون فى الملتقى على أهمية إدخال المناهج الدينية فى البرامج التعليمية المدرسية.

مسلمو الفلبين يطالبون الحكومة برفع الظلم عنهم

تقدم عدد من زعماء المسلمين بالفلبين بمذكرة إلى الحكومة الفلبينية مطالبين فيها برفع الظلم عنهم وتوخى العدالة فى تعامل الحكومة مع المسلمين ووقف اتهامها لهم بالإرهاب.

وقالت «سانتاتين رسول» العضوة السابقة فى مجلس الشيوخ الفلبينى والمستشارة الحالية للمجلس الفلبينى للإسلام والديمقراطية: إن ما يسمى بـ«حرب الحكومة على الإرهاب» يمنح المسلمين ديمقراطية مشوهة تعاقب الأبرياء وتطلق العنان للمذنبين بجرائمهم.

وذكرت أن السلطات تعتقل المشتبه بهم من المسلمين وتضعهم رهن الاعتقال إلى أجل غير مسمى فى حين تتيح الفرصة لمن يجاهرون بارتكاب أعمال إرهابية ببث مشاعرهم المريضة على أثير الإذاعة، وطالبت السلطات بمراجعة سياستها هذه تجاه المسلمين.

ويشكو المسلمون فى الفلبين من أن هناك من يتعمد وصمهم بأنهم «إرهابيون» ومجرمون.

ويرى المسلمون الفلبينيون أن حالة «إسلاموفوبيا» تنتشر الآن وتصيب العديد من الأماكن فى أنحاء العالم ومن بينها الفلبين التى يقدر عدد مواطنيها من المسلمين بنحو «١٠ ملايين» نسمة وهو ما يمثل نحو ١٦٪ من إجمالى سكان البلاد.

وكثف مسلمو الفلبين فى الفترة الأخيرة جهودهم لتصحيح التصورات الخاطئة عن الإسلام لتجنب وصمهم بالإرهاب.

مخاوف من اضطهاد المسلمين فى الدنمارك

يخشى المسلمون الدانماركيون من اتخاذ الحكومة إجراءات ضدهم فى أعقاب تصريحات حادة لملكة الدنمارك ضد المسلمين المتطرفين، حيث سبق أن اتخذت الحكومة الدانماركية عام ٢٠٠٤م إجراءات تقيد من حركة القادة الإسلاميين ووضعت شروطاً صارمة لإقامتهم كما منعتهم من التدخل فى السياسة وهى إجراءات وصفت فى حينها بأنها تستهدف على وجه الخصوص بعض أئمة المساجد فى الدانمارك.

وكان وزير الاندماج الدانماركى قد حذر المسلمين من أنهم سيواجهون مشكلات كبيرة فى البلاد وطالبهم فى حوار مع صحيفة «بولانسبوستن» الدانماركية بتطوير الإسلام ليصبح عصرياً وأكثر حداثة وإيجابية تجاه الغرب.

تجدد الهجمة العنصرية ضد المسلمين بهولندا

شهدت مدينة «فينرى» الهولندية اشتباكات بين مجموعات من الشباب المسلم وعناصر جماعة عنصرية هولندية يطلق عليها «بونجرين لوسندال» بعد أن قامت الجماعة العنصرية بالاعتداء على أحد المساجد أثناء وجود المصلين به بإلقاء الأحجار والزجاجات الفارغة على المسجد والمصلين وقام الشباب المسلم وأغلبهم من الأتراك والمغاربة بالتصدى للعنصريين ووقعت مواجهات بالأيدى والأحجار أسفرت عن إصابات طفيفة فى كل من الجانبين.

انتقلت الشرطة إلى مكان الحادث وألقت القبض على ثلاثة من قادة الجماعة العنصرية وحال رجال الأمن دون تصاعد المواجهات وتحولها إلى مصادمات دامية وتمت تهدئة المسلمين الذين اعتصموا بالمسجد والمنازل المجاورة.

وقد أعلن عمدة المدينة فرض حالة من الطوارىء الأمنية ومراقبة الجماعة العنصرية ومنع اقترابها من المسجد.

وكانت مدينة «فينروى» قد شهدت فى وقت سابق أحداثاً عنصرية ارتكبتها نفس الجماعة فى حين أكد تقرير صادر من مدينة «أوتريخت» على خطورة هذه الجماعة العنصرية وأغلبها بين الشباب الهولندى لتهديد الأمن والسلام والتعايش الاجتماعى.

منظمة العفو الدولية تدين اضطهاد المسلمين ببورما

انتقدت منظمة العفو الدولية فى تقرير لها اضطهاد المسلمين فى بورما على يد الحكومة العسكرية الديكتاتورية وذكرت منظمة العفو الدولية أن مسلمى بورما فى محافظة «أراكان» ـ على خليج البنغال ـ ليست لهم حق المواطنة وتحركاتهم محددة جداً وتفرض عليهم ضرائب ظالمة وتصادر أراضيهم ويطردون من مناطقهم بالقوة وتدمر ممتلكاتهم ويفرض عليهم العمل مجاناً بدون أجر وقد هرب آلاف منهم إلى بنجلاديش، فضلا عن نهب ما يقرب من أربعين مسجداً فى ولاية «ماندالاى» وكذلك فى منطقة العاصمة «رانجون» كما أجبر الكثيرون منهم خاصة الذين هربوا إلى منطقة الحدود على أكل لحم الخنزير لمجرد إذلالهم.

سويسرا ترفض منح الجنسية للمسلمين

رفضت بلدية مدينة «رايناك» التابعة لمقاطعة «سان جالن» شرق سويسرا منح الجنسية السويسرية لثلاث أسر مسلمة بحجة «قلة اندماجهم» رغم استيفائهم جميع الشروط الخاصة بذلك فيما اعتبر مخالفاً لما تنادى به السلطات علانية من ضرورة دعم الأجانب الراغبين فى الاندماج بالمجتمع.

وتتكون الأسر الثلاث من أربعة عشر فرداً ترجع أصولها إلى البوسنة والهرسك ويعيش بعضها فى سويسرا منذ قرابة عشرين عاماً، وثلاثة أرباعهم من العاملين كما يتلقى أطفالهم تعليمهم بالمدارس السويسرية.

ويشترط القانون السويسرى أن يقيم الأجنبى فترة لا تقل عن اثنى عشر عاماً فى البلاد وألا يكون سبق له التورط فى ارتكاب جرائم أو مخالفات مالية كما لا يتم منح الجنسية بشكل تلقائى للمولودين فى سويسرا مثلما هو الحال فى دول أوروبية أخرى.

تجدد المصادمات بين المسلمين والهندوس بالهند

أصيب أحد عشر شخصاً فى اشتباكات بين المسلمين والهندوس فى منطقة سوجات الهندية ذات الأغلبية المسلمة أثناء أحد الاحتفالات الهندوسية فى تصعيد جديد لأعمال العنف بين الطرفين.

فى غضون ذلك فرضت السلطات الهندية حظر التجول فى مدينتين هنديتين بمنطقة «سوجات» بولاية «راجيستان» غربى الهند بعد أن امتدت الصادمات إلى إحراق عدد من المحال التجارية.

وأفادت وكالة أنباء «برس ترست أوف رنديا» نقلاً عن مصادر فى الشرطة الهندية أن الاشتباكات بدأت أثناء مرور موكب هندوسى.

وعلى صعيد آخر فرضت الشرطة المحلية حظر التجول فى بلدة «وترولا» التابعة لولاية «أتوراديش» والواقعة على بعد «٥٦٠» كيلو متراً جنوبى غربى العاصمة نيودلهى.

ويذكر أن جموع الهندوس المتطرفين كانت قد هاجمت متاجر المسلمين فى بعض ولايات غرب الهند وحاولوا إحراقها العام الماضى أثناء أحد احتفالاتهم.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يستقبل وزير التعليم العالى الصومالى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف معالى الوزير/ حسين شيخ محمود وزير التعليم العالى بجمهورية الصومال يرافقه السيد/ حسن معلم حسين عضو البرلمان الصومالى، حيث رحب فضيلته بالضيفين الكريمين بمصر وأزهرها الشريف مشيداً بالصلة القديمة التى تربط البلدين، وأكد على أن أبناء الصومال الذين يدرسون بالأزهر الشريف وعددهم ١٥٠٠ طالب وطالبة يتمتعون بمعيشة طيبة وحياة كريمة مع إخوانهم الطلبة المصريين، وحينما يتمون دراستهم ويعودون إلى بلادهم يكونون سفراء للأزهر الشريف ينقلون ما تعلموه من علوم دينية وعربية ومن سماحة الإسلام ووسطيته إلى ذويهم وأهليهم. كما أن علماء الأزهر يدرسون لأبناء الصومال من خلال بعثة أزهرية تضم ٢٦ عالما يؤدون واجبهم نحو أبناء الصومال، وهم بذلك يشاركون فى نشر العلم النافع، كل ذلك من أجل فهم الإسلام فهماً سليماً، لأن الإسلام الحنيف يدعو إلى طلب العلم وإلى زيادة الإنتاج والأزهر الشريف لا يدخر وسعاً فى تلبية كل ما تحتاجه دولة الصومال الشقيقة وقد خصص هذا العام ١٠٥ منح دراسية لأبناء الصومال.

وقد شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة هذه الفرصة لهذا اللقاء، وعلى ما يقدمه الأزهر لأبناء الصومال مشيداً بالأزهر الشريف وعلمائه وشيخه، قائلاً: إن الكثير من أبناء الصومال قد تخرجوا فى الأزهر الشريف ويحتلون المراكز القيادية بالصومال.

وقال: إن تعداد الصومال ١٠ ملايين نسمة كلهم مسلمون، وطلب الوزير توفير بعض المدرسين لتحفيظ القرآن الكريم وعلومه وكذلك فى بعض التخصصات، وإنشاء معاهد أزهرية بالصومال من منطلق إعادة بناء الهيكل التنظيمى فى الصومال الذى أثرت عليه الحرب الأهلية، وقد وعد فضيلته بتلبية كل الطلبات.

الإمام الأكبر يتلقى دعوة لزيارة جمهورية اليمن

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى الوزير/ حمود محمد عياد وزير الأوقاف والإرشاد الدينى بجمهورية اليمن والوفد المرافق لسيادته، حيث رحب فضيلته بالضيف ومرافقيه موضحاً بأن العلاقة بين مصر واليمن علاقة قديمة وطيبة تقوم على الأخوة وعلى الاحترام المتبادل، والأزهر الشريف لا يدخر وسعاً فى تلبية كل ما تطلبه دولة اليمن الشقيقة فى النواحى العلمية والتعليمية، وقدم فضيلته شرحاً مبسطاً عن نظام الدراسة فى المعاهد الأزهرية وفى كليات جامعة الأزهر الشريف مؤكدا على أن الأزهر الشريف له خطة تعليمية تمتاز بحفظ القرآن الكريم وبالتوسع فى العلوم الشرعية والعربية بالإضافة إلى المواد الثقافية الأخرى التى تدرس بالمدارس والجامعات المصرية.

ومن جانبه أعرب الوزير عن سعادته لإتاحة فرصة هذا اللقاء مشيداً بدور الأزهر الشريف ومكانته العالية العالمية حيث إن الأزهر الشريف قبلة العلماء ومرجعيتهم الدينية والعلمية، وقال إنه جاء لزيارة شيخ الأزهر لمكانته الكبيرة وأنه يحمل معه تحيات السيد رئيس جمهورية اليمن وحكومة وشعب اليمن، وأعرب عن رغبة السيد الرئيس اليمنى فى توجيه الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة اليمن فى الوقت الذى يراه مناسبا وهى رغبة يرجو أن يقبلها فضيلته.

كما طلب معالى الوزير تمكين الطلاب اليمنيين من استكمال الدراسات العليا فى الأزهر وكذا الاستفادة من علماء الأزهر الشريف فى التعليم فى المدارس الدينية باليمن من منطلق حرص الدولة على تدريس مناهج الأزهر التى تمتاز بالوسطية والاعتدال ولتوضيح سماحة الإسلام وقد وعد فضيلته بدراسة الطلبات تمهيدا لتلبيتها.

الإمام الأكبر يستقبل وفد القضاة العسكريين

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد القضاة العسكريين من مصر والمملكة العربية السعودية والكويت يرافقهم المستشار/ مدحت بسيونى نائب رئيس محكمة النقض، وذلك فى إطار حضورهم الدورة التدريبية للقادة العسكريين التى ينظمها المركز القومى للدراسات القضائية بالقاهرة حيث رحب فضيلته بالسادة أعضاء الوفد فى مصر وفى الأزهر الشريف موضحاً بأن الإسلام دين يقوم على العدل والإنصاف وإعطاء كل ذى حق حقه بصرف النظر عن اللون أو الجنس أو العقيدة، والقرآن الكريم يبين أن القضاء هو الذى يقيم العدل بين الناس فى المعاملات وفى الحقوق، وبالعدل ينتشر الأمن والأمان، والقضاء على رأس المناصب التى من خلالها يعم العدل والقرآن الكريم يأمرنا بالعدل فى الأقوال وفى الشهادة وفى الإصلاح بين الناس، والعدل، مع العدو ومع الصديق، ومع المسلم وغير المسلم، لأن الفضائل لا تتجزأ.

وبالعدل تحيا الأمم وتقوى ويعم الرخاء، وعلى العكس فالظلم يؤدى إلى ضعف الأمم بل وفنائها، ويؤدى إلى الخراب، وإلى هدم الأمم والقيم، وقد أجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم ومن جانبهم شكر أعضاء الوفد فضيلته على حسن اللقاء مشيدين بالأزهر الشريف وبأنه الصرح الشامخ بعلمه وعلمائه، وهو المرجعية الدينية التى يستمد منها العالم التشريعات العادلة والفتاوى القيمة المبنية على الاعتدال والوسطية والمستمدة من الكتاب والسنة.

٧٣٠٠ طالب ماليزى يدرسون بالأزهر الشريف

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد معهد إعداد وتدريب المعلمين بوزارة التربية والتعليم بدولة ماليزيا برئاسة الشيخ عبدالله بن حاج عبدالقادر مدير المعهد يرافقه نائب المدير ومدير قسم المنح الدراسية، والمسئول الإدارى بالمعهد، حيث قدموا الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على ما يقوم به الأزهر الشريف من جهد مشكور وخدمات جليلة لتعليم أبناء ماليزيا فى الأزهر وعددهم ٧٣٠٠ طالب وطالبة يدرسون بمراحل التعليم المختلفة بالأزهر وجامعته العريقة، وقدم الشكر أيضاً على بعثة علماء الأزهر الذين يدرسون لأبناء ماليزيا مع إخوانهم علماء ماليزيا الذين تخرجوا فى الأزهر الشريف، فى نشر العلم والمعرفة لفهم الإسلام فهما صحيحاً، وتناول اللقاء سبل تدريب الخريجين الذين أتموا دراستهم بالأزهر الشريف حيث تعقد لهم دورات تدريبية لتأهيلهم للعمل كمدرسين لتدريس اللغة العربية بمعاهد ماليزيا للطلبة الغير ناطقين باللغة العربية، وقد أوضح لفضيلته بأن الأزهر فى خدمة أبناء ماليزيا، ويقدم لهم كل ألوان المعاونة والمساعدة، وعلى استعداد لتلبية كل طلباتهم.

باكستان تطلب زيادة المنح الدراسية لأبنائها

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفداً من دولة باكستان برئاسة الشيخ محمد أمين الحسنات شاه رئيس جامعة دار العلوم المحمدية القومية حيث رحب فضيلته بالضيف والوفد المرافق وقد أشاد الوفد بجهود الأزهر الشريف فى نشر العلوم الشرعية والعربية فى باكستان، وطلب الوفد زيادة المنح الدراسية، ومعادلة الشهادات الجامعية التى تمنحها جامعة دار العلوم بباكستان بشهادات بجامعة الأزهر وإلحاق الأئمة بالدورات التدريبية التى يقيمها الأزهر كل ثلاثة أشهر لأئمة العالم الإسلامى وإشراف الأزهر على ترجمة معانى القرآن الكريم باللغة الأوردية، وزيادة عدد المدارس التابعة للأزهر الشريف بباكستان وقد أشار فضيلته على الوفد بالاهتمام بتعليم اللغة العربية فى المداس الباكستانية ابتداءً من الصف الأول الابتدائى حتى تكون عونا لهم على قراءة القرآن وفهم معانيه فهما صحيحا، ووعد فضيلته بدراسة كل الطلبات تمهيداً لتلبيتها.

الإمام الأكبر يستقبل سفير كازاخستان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير / بغداد آمرييف سفير دولة كازاخستان بجمهورية مصر العربية يرافقه وفد صحفى ممثلين للصحف المختلفة والمؤسسات الثقافية وممثلى الإذاعة ووفد من الدارسين من دولة كازاخستان وذلك فى إطار الدورات التى ينظمها مركز اللغة العربية بجامعة القاهرة، بالتعاون مع الصندوق المصري للتعاون الفني مع دول الكومنولث بوزارة الخارجية المصرية، حيث رحب فضيلته بالحضور ملقياً الضوء علي الأزهر الشريف ومكانته العلمية، مستعرضا مراحل التعليم المختلفة بالأزهر وبالجامعة مؤكداً على اهتمام الأزهر بحفظ القرآن الكريم، وتدريس العلوم العربية والشرعية بتوسع حتى تتضح سماحة الإسلام بوسطيتة واعتداله وأوضح أن الأزهر يستقبل طلابا من ١٠٤ دول يتعلمون بالأزهر الشريف بجانبهم إخوانهم الطلاب المصريين، والأزهر يخصص سنويا المنح لأبناء المسلمين للدراسة بالتنسيق مع السفارات وقد خصص هذا العام ٢٠ منحة لطلبة وطالبات كازاخستان، والطلاب الذين يدرسون بالأزهر وجامعته العريقة من دولة كازاخستان حوالى ١٢٠ طالبا وطالبة.

وقام فضيلته بالاجابة عن أسئلتهم واستفساراتهم، وحول سؤال عن مؤتمر الحوار الذى أقيم بكازاخستان فى العام الماضى وحضره فضيلة الإمام الأكبر أوضح فضيلته بأن تلك المؤتمرات نافعة والحوارات فيها كانت بناءة وهذه المؤتمرات تجمع العقول للتحاور فيما يعود على الإنسانية بالنفع والخير، مؤكداً على أن الأديان السماوية كلها تدعو إلى إخلاص العبادة لله، والتحلى بمكارم الأخلاق كما تدعو إلى تبادل المنافع التى أحلها الله -عز وجل- مشيداً بفترة تواجده بالمؤتمر وما شعر به من محبة وتجانس بين الجميع.

وحول سؤال حول الغرض من إقامة هذه الحوارات قال فضيلته: إننا اتفقنا فى الرأى بأن الاختلاف فى العقائد لايمنع من التعاون، ولكل إنسان عقيدته، والذى يحاسب على العقائد هو الله -عز وجل- والإسلام دين يمد يده بالسلام إلى كل من يمد يده إليه بالسلام.

وحول إمكانية حضور فضيلة للمؤتمر الثانى الذى سيعقد عام ٢٠٠٦ بكازاخستان أبدى فضيلته استعداده للحضور إن شاء الله تعالى.

وفى نهاية اللقاء دعا فضيلته بأن يعم الأمن والأمان والرخاء والاطمئنان والسلام أنحاء العالم.

بنجلاديش تطلب زيادة المنح الدراسية المخصصة لأبنائها

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الازهر الشريف وفدا من دولة بنجلاديش برئاسة السيد دولار حسين عضو البرلمان ورئيس اللجنة الدينية الدائمة بالبرلمان يرافقه البروفيسير / غياث الدين تعلقدار رئيس قسم التفسير والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية، وقد رحب فضيلته بالضيفين الكريمين ودار الحديث حول زيادة المنح الدراسية لأبناء دولة بنجلاديش للدراسة

بالأزهر الشريف وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر بأن زيادة عدد المعاهد الدينية ببنجلاديش سيكون له الأثر الفعال فى استفادة أبناء بنجلاديش من التعليم بالأزهر وعلماء بنجلاديش الذين تخرجوا فى الأزهر يشاركون أقرانهم فى التدريس بتلك المعاهد.

وقال رئيس الوفد إننا ننظر للأزهر الشريف وعلمائه وشيخه نظره إكبار واعتزاز.

تشاد تطلب إلحاق أبنائها بجامعة الأزهر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير / عثمان جدة سفير جمهورية تشاد بجمهورية مصر العربية يرافقه الحاج/ فضل جمعة آدم الأزهرى المستشار التجارى بالسفارة، حيث رحب فضيلته بهما فى الأزهر الشريف مؤكداً على أن الأزهر لايألو جهداً فى تقديم العون والمساعدة لدولة تشاد الشقيقة حيث يدرس بالأزهر الشريف وجامعته ٢٠٣ طلاب من تشاد، وخصص هذا العام ١٨ منحة دراسية، فضلا عن وجود بعثة من علماء الأزهر قوامها ٨٤ عالماً يشاركون فى التدريس بالمعاهد الدينية بدولة تشاد.

والتقى الوفد بفضيلة الدكتور محمود امبابى وكيل الأزهر الشريف لبحث التحاق خريجى المعاهد الدينية التشادية الحاصلين على الثانوية بجامعة الأزهر الشريف حيث إن نسبة المسلمين ٨٥٪ من تعداد السكان، ووعد فضيلته بمراجعة البروتوكول ليتلاءم مع المنهج الذى تم تعديله طبقاً لسنوات الدراسة وقال إنه يمكن عقد اجتماع لمراجعة المنهج الذى يدرس بتلك المعاهد فإذا كان مثل منهج الأزهر أو قريباً منه يتم هذا الموضوع إن شاء الله.

الإمام الأكبر يستقبل وفد منظمة اليونيسيف

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الازهر الشريف وفد منظمة اليونيسيف برئاسة الدكتورة ريما صلاح نائب المدير العام التنفيذى لمنظمة اليونيسيف والدكتورة/ إرماماننكور ممثل المنظمة بالقاهرة ترافقهما الدكتورة سحر حجازى مدير برنامج الإعلام بالمنظمة بالقاهرة.

وتأتى تلك الزيادة فى إطار زيارة نائب المدير لمصر ولجامعة الدول العربية لمناقشة تقرير اليونيسيف حول وضع الأطفال فى العالم العربى، وتقديم الشكر لفضيلة الإمام الأكبر لرعايته لمشروع التحديث لـ دليل رعاية الطفل فى الإسلام، والذى أعده الأزهر الشريف عام ١٩٨٦ ويتم تحديثه بالتعاون مع المركز الإسلامى الدولى بجامعة الأزهر ليتلاءم ومستجدات العصر الحديث.

وقد أكد فضيلته على أن الأطفال هم أبناؤنا وهم مستقبل الأمة، والنساء هم أخواتنا وأمهاتنا وبناتنا، وشريعة الإسلام بسماحتها تعطى لكل إنسان حقه.

وحول سؤال عن الختان للإناث قال فضيلته: لقد أوضحنا بعدم ورود نصوص شرعية توجب الختان للأنثى، وكون الختان كان موجوداً فى بعض الأماكن، فمرجع ذلك أنه عادة قديمة، ولا علاقة لها بالدين، وأن المرأة فى مصر تتساوى فى التعليم مع الذكور، وكذلك فى هيئات التدريس وقد كان للأزهر المبادرة فى مخاطبة الذين رفضوا تطعيم الأطفال ضد مرض الشلل، وأوضحت فى كتابى إليهم بأن التطعيم حلال وهو أمر واجب، فالأزهر ومنظمة اليونيسيف يتعاونان معا لمصلحة البشرية.

ومن جانبها أعربت رئيسة الوفد عن سعادتها البالغة بهذا اللقاء، وعن شكر المنظمة للتعاون المثمر مع الأزهر الشريف، لدوره الفعال بما يساعد على إنماء حقوق الأطفال فى البلاد الإسلامية، وأن لتواجد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وحضوره المؤتمر الذى سيعقد فى القاهرة فى شهر يوليو ٢٠٠٥ الأثر العظيم فى إنجاح المؤتمر.

ومن جانبه أكد فضيلته على أن الأزهر الشريف دائماً فى خدمة مساعى الخير للمسلمين فى كل مكان، وأيضاً من أجل تصحيح المفاهيم.

الإمام الأكبر:
لا حوار فى العقائد

ـ استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفداً أمريكياً من رجال الدين المسيحى الذين انطلقت دعوتهم للسلام عقب أحداث ١١ سبتمبر كسفراء للسلام لتحريك الإعلام العالمى كأفضل وسيلة للفعل ورد الفعل من أجل حرية المناقشة، حيث رحب فضيلته بالسادة الضيوف موضحا بأن الأزهر الشريف دائماً يرحب بالزوار ويرحب بالحوار من أجل توضيح وتصحيح المفاهيم التى تسىء إلى العقائد، وقال: إننا جميعا من أب واحد وأم واحدة

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾

الحجرات/ ١٣

والله -عز وجل- أوجدنا من أجل نتعاون على نشر السلام ونشر المحبة، ليعم الأمان ربوع العالم لا فرق بين أبيض وأسود، وأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون، و الذى يحاسب على العقائد هو الله -عز وجل- ونحن فى الأزهر الشريف عندما تعرضت الولايات المتحدة لأحداث ١١ سبتمبر وقف الأزهر كأول مؤسسة دينية فى العالم ضد هذا العدوان وهذا الإرهاب الذى وقع على الآمنين، ودائماً نقول نرجو أن يزيد عدد العقلاء فى العالم ويقل عدد السفهاء، ليعم الخير وينتشر الأمن والأمان، والإسلام يرفض الاعتداء على الغير،

والإسلام دين يمد يده بالسلام لكل من يمد يده إليه بالسلام والإسلام ضد الإرهاب والعدوان، وضد قتل الآمنين الأبرياء، ودائماً أقول إن العقائد لا تباع ولا تشترى وأن الذى يحاسب على العقائد هو الله وأن لكل إنسان عقيدته، وصاحب كل عقيدة يحمى عقيدته، ولا يستطيع أحد أن يكره أحدا على ترك عقيدته، والإكراه على العقائد لا يأتى بمؤمنين صادقين، بل بمنافقين كذابين. كما أكد فضيلته أن لا حوار في العقائد ثم التقى الوفد بفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف رئيس لجنة الحوار بصفته ممثلا للأزهر فى الحوار، وقد أوضح فضيلته للوفد بأن لجنة الحوار تعقد اجتماعات دورية مع الفاتيكان ومع ممثلى الديانات الأخرى من أجل إظهار الفضائل التى تدعو إلى الخير والعدل.

الأزهر يشارك في تطوير المعاهد الدينية بدولة الكويت

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد التعليم الخاص والنوعى بدولة الكويت برئاسة السيد/ جاسم محمد العمر، الوكيل المساعد للتعليم الخاص والنوعى والسيد / حمود عبدالله بن ثانى مدير إدارة التعليم الدينى، والسيد أنور عبدالغفور مراقب الإرشاد الدينى، حيث رحب فضيلته بالسادة الضيوف وقدم شرحاً لنظام التعليم بالأزهر فى مراحله المختلفة والتى تمتاز بحفظ القرآن الكريم والتوسع فى العلوم الشرعية والعربية إلى جانب دراسة منهج التربية والتعليم فى كل مراحله المختلفة، وقال: إن الأزهر فى خدمة إخواننا وأبنائنا فى دولة الكويت الشقيقة التى تسعى لعمل الخير وتحبه للناس جميعا، والأزهر على استعداد للمشاركة فى تدريس مناهجه بدولة الكويت.

وشكر الوفد هذا اللقاء الطيب وقالوا إن لديهم سبعة معاهد دينية بالكويت وأنهم بصدد التوسع فى هذه المعاهدة بالتعاون مع الأزهر الشريف ليكون الطالب مؤهلاً للالتحاق بجامعة الأزهر العريقة.

وعد فضيلته بدراسة المناهج بواسطة المتخصصين بالأزهر لإمكانية مطابقة مناهجها لمناهج الأزهر ومعادلتها بالشهادات التى يمنحها الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر: مصر والسودان شعبان شقيقان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر سعادة السفير / محمد عبدالمنعم الشاذلى بمناسبة توليه العمل كسفير لجمهورية مصر العربية بالسودان وقد رحب فضيلته بالسفير متمنيا له السداد والتوفيق فى أداء عمله الجديد بالسودان، وقال: إن مصر والسودان شعبان شقيقان، وأبناء السودان يتعلمون فى الأزهر الشريف بأعداد كبيرة جداً فى مراحل التعليم المختلفة وفى الكليات الأزهرية، ويستقبل الأزهر أئمة ووعاظ السودان لتلقى الدورات التدريبية كل ثلاثة أشهر.

وقد أعرب سعادة السفير عن سعادته بهذا اللقاء وبدعم الأزهر لأبناء المسلمين فى مجال التعليم الدينى وغيره فى شتى بقاع الأرض.

الإمام الأكبر يستقبل مندوب السعودية الدائم بجامعة الدول العربية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر سعادة السفير / أحمد عبدالعزيز قطان مندوب السعودية الدائم بجامعة الدول العربية، وذلك بمناسبة حضوره اجتماع وزراء العدل الذى يقام بالقاهرة، وقال: إنها مناسبة طيبة أن ألتقى بفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف من منطلق المحبة والأخوة، وأضاف: إنه يدين لمصر بالعرفان والتقدير لأنه تعلم بها، مؤكداً أنه على استعداد لتقديم أى عون على الصعيد الإنسانى للأزهر الشريف نظرا لما يحتله الأزهر من مكانة عالية وعالمية.

ويستقبل وفدا من جامعات أوروبا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الأستاذ الدكتور/ أندرياس دن لينهير رئيس جامعة خنت البلجيكية والأستاذ الدكتور/ أريان فيرمولين أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية بجامعة لوفان، والأستاذ الدكتور/ جينو سخا ليتبرخ أستاذ اللغة العربية بجامعة خنت يرافقهم الدكتور/ جيرارد بورج مدير المعهد الهولندى الفلمنكى بالقاهرة.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف موضحاً بأننا جميعا نعمل فى حقل العلم، وشرح لهم شرحاً مبسطاً نظام التعليم فى الأزهر وجامعته حيث يدرس فى الأزهر طلاب من ١٠٤ دول ولدولة بلجيكا ٢٢ طالباً وطالبة يتعلمون فى الأزهر الشريف وخصص هذا العام ٦ منح دراسية لطلبة بلجيكا للدراسة بالأزهر الشريف، وجامعة الأزهر تدرس جميع العلوم الإنسانية إلى جانب دراسة العلوم الشرعية والعربية بتخصصاتها المختلفة، ولدينا أزهريون أكملوا دراستهم العليا بجامعات لندن وبلجيكا وألمانيا وإيطاليا وفرنسا وبعضهم تولى وزارات ومناصب عليا.

وقدم الضيوف الشكر على هذا اللقاء المثمر وأوضح رئيس الوفد بأن ما سمعوه من شرح واف لمراحل التعليم فى الأزهر هو مطابق لمراحل التعليم فى بلجيكا كما أعرب عن سعادته بوجود عشرات من الطلاب المصريين الذين يدرسون بجامعة خنت البلجيكية فى تخصصات مختلفة، وبعضهم بالماجستير والدكتوراة، وقال إن عدد السكان ١١ مليون نسمة ويبلغ عدد المسلمين حوالى ٨٠٠ ألف، وقال: إن بلجيكا تعقد مؤتمراً سنوياً حول تاريخ مصر القديم يحاضر فيه نخبة من المتخصصين فى دراسة الحضارة المصرية القديمة، وذلك تقديراً لتلك الحضارة، وأشاد الضيوف بالأزهر الشريف كأقدم صرح علمى فى العالم.

وقال فضيلة الإمام: نحن نؤمن بتعاون الحضارات ولا نقول بصراع الحضارات، وعندما نتعاون ينتفع كل منا بحضارة الآخر.

civilization? The answers to these questions, in my opinion, lie in the fact that 'civilization' is not only represented in its material aspects and specific values, but it is also measured according to how deeply-rooted it is in the hearts and minds of its founders through generations, even at the times of severe distress and weakness. Such aspects can be felt in how many benefits such a civilization offers to humanity, and how many harms it expels. Thus, any civilization void of spiritual and moral values, and lacking the factors of internal and external balance is a weak civilization liable to degradation and corruption, and hence it cannot stand for long. In fact the day a civilization depends on only power, the day it starts to collapse. On the other hand, the powerful and renewable civilization is that based on morals, high spiritual and humane values that cannot be affected by accidental matters.

Upon this, we can conclude that there is indeed an Islamic civilization. This is supported by the fact that Islam is there and still has a massive influence on the Muslims and even on the world policy. Moreover, the book of the Islamic civilization is still there having unmatched influence on every Muslim; namely, 'The Noble Qur'an.' The Muslims' life established by Islam in accordance with the Qur'an, the *Sunnah*, and the faculties of the Muslim mind is very clear in the social structure, culture, language, way of thinking, and way of living.

As for the material aspect of the Islamic civilization, though it depends on the West or the

Westernized East, still the Muslim mentality is able to compensate for such a deficiency which has so many reasons. In support of this, there were and still are Muslim minds contributing in making the civilization of the West. Additionally, the Muslims have offered the West a civilization representing the base on which its civilization has been founded; the West rediscovered itself through the Arabs and Muslims.

It is worth-mentioning that the Arab Muslim civilization has several features, such as extensiveness, encompassment, multiplicity, variety, ideality and reality. It is also a divine civilization as it has been based on the stable, consistent, universal Islamic values. In addition, it is a man-made civilization as it has been made by different races and people of religion who worked together on forming and enriching it, so that they can benefit from its fruitages. Hence, we notice that the values of Islam are not restricted to a certain place or time, and thus it is valid for all places and all times.

Allah, Exalted be He, says:

﴿And thus We have made you a middle nation.﴾

[Al-Baqarah (The Cow): 143]

*The Islamic Civilization: Nature and Features

By: Dr. Muhammad Abu Laylah

This article tackles the issue of the Islamic civilization regarding both its nature and characterizing features. In this article, we shall focus on the value of forbearance with which such a great civilization is characterized, and how this value does represent the secret behind the spread and supremacy of this civilization. As we shall see, forbearance, with which Islam has come, originates from Islam and derives its strength from its principles .

Forbearance: Meaning and Concept

Forbearance, according to the Prophetic *Sunnah*, means adopting a noble attitude towards someone or a group whether they are of a different religion, race or color, and whether they are fully or partially against a certain matters. Moreover, forbearance, in Islam, originates from the heart and is related to ethics and manners, and it is not something fake or pretended imposed by a certain situation regardless of the presence of hatred in hearts.

Forbearance, in Islam, is also a principle from which other sub-principles branch, such as freedom, equality, responsibility, and cooperation with others as well as caring for their rights. Indeed, the Muslims have built a great civilization based on the principles and teachings of the Qur'an and the *Sunnah*. This

* An article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.

civilization has been originated and branched from Islam, and it has extended everywhere spreading the values of right, good and beauty, and calling towards freeing humans of ignorance, fear, racism, pride and boastfulness. In addition, the Muslims' civilization is characterized with its divinity and being related to religion not to a specific nation. Hence, it derives universality, encompassment and forbearance from Islam.

In this regard, we have two points that should be stressed on. The first point is that the Islamic civilization has started both spiritually and cognitively while stressing on upbringing the man who will be able to carry its message spreading it all over the world so as to achieve the universality of the call. After the establishment of the Islamic nation in Medina and the spread of Islam in the Arab peninsula as well as the mingling between the Muslims with the non-Arab nations as a result of the Islamic conquests, interestedness in the material aspects began to appear in the Islamic civilization. For more illustration, the material interest began to grow with regard to the establishment of official departments, urban planning, building of schools, colleges, facilities, hospitals, libraries, drawing maps, discovering and exploring land and sea, etc.

The second point can be represented in questions such as: Is there indeed an Islamic civilization now? What is the nature of such a civilization? Can such a civilization stand in the face of the dominating Western

With these, in addition to many other verses, Islam calls its adherents to a life encompassing all humanity, and calls the rich to help and support the poor. Contrarily, we still hear that America throws thousands of tons of wheat in the sea, so that its price may not be affected. What a painful contrast!

A Dialogue between Two Writers

We have come to know the claimed humanity of Europe. Despite all incidents and occasions that negate such humanity, we found some of the famous writers boasting of that claimed humanity and call the other nations to pursue it. Moreover, we find among those writers who violently oppose those who accuse the Westerners of materialism and greed.

In this regard, Dr. Ahmed Amin, a well-known writer, wrote an objective opinion about the Western civilization and modernity. He truthfully said, "We see that the result of the Western civilization is people's worry and confusion as well as bad conditions of life. That is, its result can be seen in guns, sophisticated weapons and nuclear bombs. If we are to compare between the civilization of Islam, whose result is peace and tranquility, and the Western civilization, whose result is terror, we shall definitely choose the first. Logically, every civilization has advantages and disadvantages. The advantage of the Western civilization is that it builds life on science, and among its fatal disadvantages is that it is void of humanity."

The second writer, Dr. Zaki Naguib, opposing Dr. Amin, wrote, "Is it true that the Western civilization is void of humanity?! Is it not the civilization under whose umbrella no one dares to harm a cat or a dog?"

The opinion of Dr. Zaki Naguib can be answered by the painful reality. In other words, the Western civilization that guards the life of cats and dogs – according to him – is the same civilization that strikes cities and villages with atomic bombs and destroys millions of souls in one moment.

eight million people while the second destroyed nearly thirteen million people, not to mention the resulted mass destruction.

The Crystal Clear Reason

The most apparent reason regarding the degradation of the Western civilization is that it pays no attention to the spirit of human participation and sharing, and that it sees the world as a forest where survival is for the strongest. On the other side, the Muslim cannot say that his/her race is the most honorable among the other races because his/her religion enlightens his/her right so that he/she sees that other's rights are more inviolable than his/her own rights. Moreover, among the favors and blessings of the Qur'an is that it is recited day and night and that its ideal texts call the hearts of the Muslims to obey them. Among such unique, guiding texts of relevance is Allah's verse in which He says:

﴿O you mankind, surely We created you of a male and a female, and We have made you races and tribes that you may get mutually acquainted.﴾ [Al-Hujurat (The Apartments): 13]

"Get mutually acquainted" implies interconnection and kindness. Hence, the human ties must be strong so that they can relate people, whether Muslims or non-Muslims, toward each other. In another position, Allah, Glorified be He, says:

﴿Say to the ones who have believed, that they forgive the ones who do not hope for the Days of Allah, that He may recompense a people for what they used to earn.﴾ [Al-Jathiyah (Kneeling): 14]

Here, the Qur'an calls for forbearance and forgiveness for those who do not 'hope for the days of Allah' among the non-Muslims. In another Qur'anic verse, Allah, the Ever-Merciful, says:

﴿Allah does not forbid you, (as regards) the ones who have not fought you on account of the religion, and have not driven you out of your homes that you should be benign to them, and be equitable towards them; surely Allah loves the equitable ones.﴾

[Al-Mumtahanah (The Woman Tested): 8]

book so that it might represent the intentions and plans of Bush's administration over the four coming years.

Everyone who has had the chance to read the book feels choked to see the content of the book which is full of grudge and hatred against the Arab and Islamic nations which the author calls "Communities of Fear." These nations, according to the book, are represented in all the Arab countries in addition to Iran and Pakistan. The author in his book considers all the Arab and Islamic countries as enemies to the Unites States and the Western world. He says, "Practicing pressure on such countries through demanding them to protect human rights shall be the basic entry through which they can be weakened and thus destroyed." Indeed, the author bears a malicious grudge against the Arab Republic of Egypt, in particular, to the degree that he spreads doubts about the reality of the existing peace between Egypt and Israel. In this regard, he says, "Despite the elapse of twenty-five years on signing the peace treaty between Egypt and Israel, the possibility of going into war is still there." He also launched a torrent of accusations against the Egyptian government for adopting an anti-Semitism attitude in the Egyptian society. He also accused Kingdom of Saudi Arabia, Syria and Iran with the same accusations.

In another part of the book, Sharanaky says, "The democratic countries (including Israel, of course) have the right to possess nuclear weapons. But the non-democratic countries cannot be trusted with possessing such weapons." Despite the fact that Sharanaky tries to put on the mask of the defender of human rights, he states in his book that the motive behind his ideas and principles is his Zionistic faith and belief in the historical right for the Jewish nation regarding the land of Israel.

No doubt that the book of Natan Sharanaky has come to eliminate any doubt with regard to the White House's policy over the next four years.

The Savage Civilization...!

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

The industrial progress in Europe has been a source of admiration in the eyes of those who can be easily deceived by superficial matters. They believe that machines are the evident proof and sign of human sublimity in Europe. Unfortunately, a group of the Arab writers have hurried to praise the civilization and superiority of the West, and showed their sorrow for the deterioration and subordination of the East. In case any wise person might express his/her opinion regarding the cruelty of imperialism and its ruthlessness، such writers would stand and make up some false excuses to prove that the West possesses a civilizational and cultural message offered to the less advanced nations so that they may seek light from it.

I read an astonishing, strange piece of news which took me a very long time to think about its indication, but I could not find any but a shameful disgrace. That news read "Europe gets rid of one million ton of fruits and vegetables on the World Food Day to keep high prices." The manifest reason behind that strange behavior is that Europe wants to gain much more money as a result of less goods and high demand. That process of getting rid of such foods cost 250 million marks in that year. What should we say about a people who claim to be leading nations toward prosperous civilization and modernity while they get rid of an amount of foods worth 250 million marks regardless of the starvations from which countries in Asia and Africa suffer! They have not thought about offering help to these countries, but they even rejoice to hear about the spread of starvations, as this will result in high increasing demand for their goods. More strangely, that news, unfortunately, was issued in the German newspapers, and was read and approved of by a nation that claimed superiority over other nations and believed its race to be the most honorable of races. Ironically, that nation was driven by its arrogance to two world wars, the first of which destroyed about

﴿Surely only men of knowledge[1] are the ones of His bondmen who are apprehensive of Allah.﴾

[Fatir (The Originator): 28]

There are so many other verses that emphasize the search for knowledge.

It is historically stated that the Christian Westerners came to know the Muslim civilization and culture as a result of their mingling with the Muslims during the Crusades. That kind of mingling helped them to reach the Renaissance Age in Europe. However, the prevalent belief in the West denies the positive effects of the Muslims civilization and culture on the advancement of the West. They do so out of nothing but arrogance and ingratitude. Though some of them acknowledge the civilizations of other nations, especially the Islamic one, yet they spread the idea that the Western civilization is the most superior one. Huntington, one of the Western writers, expects that all civilization shall perish except that of the West. On the other side, Jamal Al-Ghitany, the famous Egyptian writer, predicts, in his book entitled "Horizons of Memory," that the Western civilization is proceeding towards its end, and this results from its isolation, fanaticism and disregard for the other deep-rooted civilizations existing in the world.

Speaking about the attitude of the Christian West towards Islam and its civilization, professor Muhammad Imarah says, "Imperialism (i.e., represented in the West) withdrew away from our countries many years ago. We do not see a single soldier walking on our lands, nor a gun aimed at us, nor a flag over our heads, but, unfortunately, we see among ourselves some individuals who wish to keep the West's imperialistic ideas in the heads of our children, its principles in our parties and its curricula in our schools. This is the actual imperialism that is more severe than the occupation of homes."

1 i.e., learned men, literally: knowledgeables.

In the book "Muhammad, the Founder of the religion of Islam, and of Empire of the sarcens[1]" George Bush[2] says, "He might be of a great culture among the nomadic tribes, but he would not be more than an ordinary man if he was to live in the civilized European atmosphere. All the history of Muhammad shows that fanaticism, ambition and fame were the motives driving him." As a way of disapproving such a baseless accusation, Dr. Abdel-Rahman Abdullah Al-Sheikh, the translator of Bush's book into Arabic, says, "When we introduce this book, we are thus introducing one of the most significant sources of American hatred towards Islam and Arabs. We have been grieved to read its aggressive groundless criticism against our noble Prophet as well as our Arab nation. By doing so, we are revealing one of the most important sources of the contradicting thought as well as the extremism in the Western thought, especially the American one. Some of those unjust individuals understand our religion and history according to what are written in the likes of that book; they call us now to forget all about our heritage. They should – only if they are fair – reconsider this religion from an objective perspective to see it involves forbearance and honouring of all the humane values."

Not long ago, president George Bush expressed his admiration of a book entitled *"The Case for Democracy,"* and said, "That book of Natan[3] Sharanaky reflects a part of my philosophy and summarizes my ideas that I have been doing my best to implement since the 11th of September attacks." The writers, men of thought, politicians, and journalists in the Arab and Islamic countries, especially Egypt, hurried to read that

1 Arabs or Muslims at the time of the crusades.

2 It is worth mentioning here that the author of the book is not George W. Bush, the US president, and that there is not any kind of relation between them at all.

3 A Fanatic Israeli Minister.

AL-AZHAR MAGAZINE
Rabiul-Akher, 1426 A. H.

ENGLISH SECTION
June. 2005

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

The Islamic Civilization and the Western Attitude...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The Islamic civilization is characterized by forbearance, and coexistence, and denounces fanaticism, isolation and dissention. These are the reasons why the Muslim as well as the non-Muslim finds shade under its tree and enjoys its fruits. In addition, the Islamic civilization is considered as resulting from Muslims' free thoughts without illusions, superstitions, and falsehoods as well as their eagerness in seeking knowledge in all its various forms. Indeed, Islam represents the Muslim's persistent determination to penetrate the unknown and practice abstract sciences with the aim of realizing their amazing findings.

Undoubtedly, the fields of research and deduction are the methods of scientific discovery. This can be perceived in Allah's Words:

﴿And He has subjected to you whatsoever is in the heavens and whatsoever is in the earth, altogether from Him. Surely in that are signs for a people who meditate.﴾

[Al-Jathiyah (Kneeling): 13]

And He says:

﴿Are the ones who know equal to the ones who do not know? Surely only the ones endowed with intellect would remind themselves.﴾ [Az-Zumar (The Hordes): 9]

Allah, Exalted be He, also says:

﴿The ones among them who investigate would indeed know it.﴾

[An-Nisa' (Women): 83]

Moreover. He says:

﴿"Lord! Increase me in knowledge."﴾ [Ta Ha: 114]

Furthermore, Allah says:

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
فى مطلع كل شهر عربى

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير
عادل رفاعى خفاجة

نائب رئيس التحرير
سيد وفا أبو عجور

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى
داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

جمادى الأولى ١٤٢٦هـ - يونيه / يوليه ٢٠٠٥م - الجزء الخامس - السنة الثامنة والسبعون

افتتاحية العدد

أبرياء ويتهمون!!

نرى المجرمَ قد ارتكبَ إثما صريحاً لا شك فيه، ثم يقدَّمُ إلى المحاكمة العادلة، فيأخذ جزاءه بما يستحق ويُساقُ إلى الإعدام أو السجن وفق ما ارتكب من جُرم، ومع أنَّه لاقىَ جزاءَه العادل بما لا شك فى عدله، فأنتَ بينك وبين نفسك تَحْزَن لمصابه، وتتمنى لو نه لم يطع نزعات الشيطان حين ارتكب هذا الإثم فسلمت حياته مما حاق بها من شرور، ثم تستغفر الله له، لأنه أخوك فى الإنسانية، وإذا كنت لم تقابله، ولم تعرف عنه إلا ما قرأت فى الصحف، ثم تكل أمره بَعد التفكير فيه إلى ربِّه، فهو الغفور الرحيم.

هذا عن المجرم الذى ارتكب الذنب دون شك، وهذا شعورك نحوه، فكيف يكون شعورك إزاء إنسان شريف، لم يرتكب أدنى جرم، ومعه ذلك لفقت عنه الأحاديث الكاذبة، وشهد الشاهدون زوراً بما ألصق به إلصاقاً دون جريرة. ثم جاء الحكم الصارم بإدانته، فلقى ما لا يستحق من عقاب، وقد ينجو من العقاب فى حالة ما، ولكن أراجيف السوء تتبعه، فتروى عنه الأكاذيب فى حياته، وينظر إليه القوم نظرتهم إلى المتهم وهو برىء ثم تسجل عنه صحائف التاريخ إن كان من ذوى المكانة فى قومه تهما لم يرتكبها، فتكون غيوماً داكنة تمنع إشراق وجهه، وتثير حوله الأوهام! فماذا عسى أن يكون شعورك نحو هذا البرىء الذى أخذ بجريرة لم يرتكبها، لئن كنت حزنت أسفاً على مجرم ارتكب الذنب مرة فإنك ستحزن عشرات المرات لهذا المظلوم الذى لُفقت له أسباب الاتهام، فلم يظفر بإنصاف عادل، وعزاؤك أن الله الذى يعلم السر

وأخفى سينصفه فى دار الجزاء، وسيبرز وجهه ساطعا مشرقا على رءوس الأشهاد، يوم يقوم الناس لرب العالمين، ولعل من رحمة الله بعباده أن يهيىء له فى الحياة الدنيا من يُطالِع صفحة سيرته بعين يقظة وفكر متدبر، فيزيل السحب المتراكمة على قسماته الوضيئة ويكتب عنه ما يعيد إليه كرامته سافرةً دون حجاب، وهذا ما حدث كثيرا، فكم من أبرياء أدينوا فى حياتهم، ثم أنصفهم الخالفون بما حققوه من نتائج عادلة وأزاحوا من أراجيف ذات بطلان.

الجناة يحاكمون الأبرياء

أذكر أني قرأت منذ زمن بعيد مقالا رائعا للأستاذ فخرى أبى السعود فى مجلة الثقافة تحت عنوان (الجناة يحاكمون الأبرياء) تحدث فيه عما لاقى أحرار الفكر من المصلحين والفلاسفة والعلماء من ضُروب المحن، وصُنوف الاضطهاد على أيدى أعداء دبَّروا المكايد، وأقاموا الأدلة المخترعة ليحيق بهم السوء، وقد تتبع الكاتب أدوار التاريخ، فذكر رزايا الأبرياء من عهد سُقراط حين حكم عليه بالإعدام ظلما، إذ كان من المسلم لدى الناس حينئذ أن المتهم مذنب بدءاً. وأن من الواجب أن تلتمس الأدلة على هذا الاتهام بكل الوسائل، وقد يوجه الاتهام إلى من يحاول الدفاع عنه بمعلومات تزيح الادعاء، فيعد شريكاً له. ويقدم للمحاكمة، وكان الخوف من هذه العاقبة مما يدفع بالناس إلى المسالمة، والنكوص عن الإدلاء بما يزيل الاتهام!

يقول الأستاذ فخرى أبوالسعود تحت تلك النظم القاسية، قدم أحرار الفكر للمحاكمة متهمين تارةً بالسحر، وتارة بالزندقة، وأمام المحاكم الكنسية حوكم برونو، وحوكم غاليلو وحوكمت جان دارك، وأُسلم الأول والأخيرة بعد المحاكمة إلى السلطات المدنية لتفرغ من شأنهما بدون سفك دم، وهو التعبير المصطلح عليه لإحراق المحكوم عليه علنا، فى الأسواق، ردعًا له، وزجرا لغيره، فإذا كان المحكوم عليه عليه مفكرا، ساقته إلى ذلك الموقف كتبه التى احتوت - فى نظرهم- زائغ الآراء كالقول بالدورة الدموية فى جسم الإنسان، أو الدورة

الأرضية فى الفضاء، أحرقت كتبه مع جسمه وحرم تناولها[١]، مع أن هذا القول أصبح من البدهيات الآن.

شرف الإنسان رهن بحسن سيرته

لقد قرأت هذا المقال منذ زمن بعيد، وجعلت أفكر فيه تفكيرا جديا، كلما قرأت عن فظائع الاضطهاد فى الشرق والغرب، بل كلما قرأت عن إنسان لم يضطهد جنائيا، ولكن أعداءه شوهوا تاريخه بإضافة ما لم يقل به من الآراء، لتسوء مكانته لدى الناس، وما أكثر ما قرأت فى هذا النطاق المجحف الظالم، وقد بدا لى أن أقوم قدر استطاعتى فى نطاق التاريخ المدون فى كتب التراث العربى بكتابة فصول هادفة تدفع الشبهات عن قوم حيكت حولهم الأراجيف بغيا دون حق، وفيهم من لاقى مصيره الأليم دون شفيع، ومن لحقته الأراجيف دون أن يتعرض للعقاب لأن الدفاع عنه ضرورة لا تقل عن ضرورة الدفاع عمن حوكم فعلا، فشرف الإنسان رهن بحسن سيرته، سواء كانت هذه السيرة موصومة بالإفك فى حياته، أو أنها تعرضت للظلم بعد وفاته، فقد ابتلى بعض الشرفاء بمن يحبون إضافة الجديد فيما يزعمونه من التأليف، وكأنهم يشفون مرضا خبيثا فى نفوسهم حين يحاولون إثبات تهم زائفة نسجت من أوهام لا حقيقة لها، ومثل هؤلاء محاسبون لدى الله عما يسلّون به من استنباط لم تقم البراهين العادلة على صحته! لأن العلم أمانة. وحامل القلم مسئول عن كل شطط يقع فيه، وأنا لا أمنع الاتهام العادل إذا ثبتت حيثياته على وجه أكيد، فالتاريخ العادل لا يحابى أحدا جل أو صغر، ولكن أمنع أن نحاول تصيد الأخطاء تصيدا مريبا ليقال إن الكاتب قد أتى بالجديد، ومن عدل الله أن يهيىء لهؤلاء من يكشف عن أخطائهم، فيعود الحق إلى نصابه كما يشرق الصبح بعد ليل بهيم

وقد أخذت على نفسى منذ عهد بعيد، أن أتتبع هؤلاء المظلومين فى شتى عهود التاريخ، لأجلو من صفحاتهم المضطهدة ما يعيد إليهم مكانتهم التى

(١) مجلة الثقافة -العدد ٩٩٠-/١٩/١١/١٩٤٠م

يجب أن يحتلوها فى صفوف الأبرياء، وإذا كنت لم أبلغ من التوفيق ما رحت أرجوه فحسبى أن ألفت الأنظار إلى باطل يجب دحضه، وحق يجب إثباته، ولا أقول إنى استوعبت من ظلموا فى هذا المضمار، فذلك ما ليس فى طاقة إنسان محدود الاطلاع، وسيجىء من سيستكمل النقص، فيضع لبنة تكون مشجعة للبنات أخرى تتوالى، لأن الحق لا يعدم أنصاره، ومن أغرب ما وقعت فيه أنى تركت علمين بارزين لهما صوتهما الجهير فى التراث الإسلامى، وتاريخهما سهل ميسور لمن يريد أن يلم بجهادهما الحافل، ثم تحدثت عمن دونهما فى الاشتهار والذيوع، هذان العلمان الخفاقان، هما ابن رشد الفيلسوف الفقيه، وابن تيمية المصلح المجتهد الفقيه، وسأشير فى هذه العجالة إلى بعض ما ينبىء عن بلائهما الصعب، وهما بما ثبتا عليه من الحق، وما صادفا من أنواع البلاء جديران بالاحتفاء كل الاحتفاء!

ابن رشد أنبغ فقهاء عصره

أما ابن رشد فقد كان أنبغ فقهاء عصره، لأنه درس كل ما يدرسونه، وفهم من مشكلات المذهب المالكى ما غاب عن الكثيرين من أعلامه المعاصرين، وقد ألف فيه كتاباً كان من أوثق المراجع فى بابه، ولم يتقيد بالمذهب كغيره بل اختار من المذاهب ما ثبت دليله لديه، وذلك ما أثار حفيظة المالكية، وعدوه مجانبا للصواب إذ رجح ما لم يرجحه أئمة المذهب، أما ما ذهب به إلى المدى البعيد من دوى الصيت، فقد جاءه من تعمقه فى دراسة الفلسفة، إذ ورث عن سابقيه فى قرطبة ما عرفوه من المسائل الفلسفية، وزاد عليهم بشرحه الفائق لما وقع عليه من كتب أرسطو، وهو شرح صار له فيما بعد، صداه فى أوروبا، لأنها لم تعرف أرسطو إلا عن طريقه، وظلت زمناً طويلا عيالا عليه حتى ظهرت أصول الكتب الأرسطية فساعدت ترجمة ابن رشد على اجتلائها، هذا النبوغ الفذ فى الفلسفة والفقه معاً كان مصدر فزع لمن يريدون أن يتقربوا لصاحب الأمر من الفقهاء، لأنه جعلهم فى الصف الثانى بالنسبة إليه ولم يُوسع لهم فى مجلسه العلمى قدر ما كان لابن رشد، وهم بعد لا يستطيعون مجاراته فى تفريع المسائل، ورجوعها إلى أصل فقهى تقوم عليه القاعدة المطردة، وكان

قضاؤه مضرب المثل لدى أهل قرطبة فأحكامُه هى الأحكام التى لا تنقض، وقد مات الملك أبويعقوب يوسف بن عبدالمؤمن وكان لا يعدل بابن رشد أحدا، فاستراح القوم، وظنوا أن ولده الذى تولى الحكم من بعده ولُقب بالملك المنصور لن يُعلى من قدر ابن رشد كأبيه، ولكن المنصور كانت له مشاركة حقيقية فى العلوم، فقهية وفلسفية، على قدر لم يتح لأبيه، فوجد فى ابن رشد جليسه المختار، حتى ارتفعت أسباب الكلفة بينهما فى المجالس العامة، فكان ابن رشد يقول له فى خطابه يا أخى!! دون تحرج، ومما أوجد الفرصة للوقيعة بين الصديقين، أن ابن رشد فى كتابه عن الحيوان ذكر (الزرافة) فقال فيما قاله عنها إنها توجد لدى ملك البربر، يريد الملك المنصور، فأخذ القوم عليه هذا التعبير، وعدّوه انتقاصاً من قدر الملك لأنه لم يكن ملك البربر فقط، بل ملك المسلمين من عرب وبربر! وكان عجيبا أن يفلحوا فى توهين العلائق بين الرجلين، بمثل هذه العبارة التى لا تنقص من قدره، ثم رأى القوم لدى المنصور ميلاً إلى الاستهانة بابن رشد على نحو لم يعرف من قبل، فأخذوا من بعض كلامه على كوكب الزهرة ما رأوا فيه إلحاداً صريحاً إذ وصفها بالألوهية، وهو حين ذكر ذلك لم يعبر عن رأيه، بل نقل قول جماعة من الإغريق ليرد عليهم، وقد فعل، ولكن إشاعة هذا القول لدى العامة، وهياجهم بتدبير الفقهاء، قد سَمح للمنصور أن يعقد مجلسا لمناقشته وأن يفسح طريق التهجم عليه، ورَميه باعتقاد آراء الوثنيين، والملحدين من ذوى الديانات السابقة، فأصدر المنصور قرارا بطرده من القضاء، ونفيه من قرطبة، وكانت محنة جرت عليه الوبال، حتى إنه ذهب مع ولده لصلاة العصر بالمسجد الجامع، فهاج عليه الرعاع وطردوه، وقالوا لن يدخل المسجد كافر!! فخرج باكيا.

وكأن المنصور بعد حين عرف حقيقة ما دُبر له، فأعاده إلى قرطبة، ولكن الأجل لم يطل به، فلقى ربه، والناس ما بين مضطغن عليه وهم الكثرة، وما بين مقتنع بسلامة دينه وهم الأقلية! وقد أراح الله بموته صدور الحاقدين من خصومه، فتنفسوا الصعداء مرتاحين.

ابن تيمية

أما ابن تيمية، فقد كان أجرأ قلباً، وأحد لساناً، وأفصح منطقاً من ابن رشد، لأنه فوق مكانته الفقهية خطيب رائع القول، جياش الموج فى تسلسله المطرد، وكان أبرز ما أخذ على الرجل الكبير أنه كسر حجاب التقليد، وأفتى فى أمور هامة بغير ما عليه أصحاب المذاهب الأربعة، فقامت ثورات متلاحقة فى وجهه، وسجن عدة مرات بالقاهرة ودمشق، ووضع فى جب مظلم ذات مرة، ولكن أنصاره وهم كثيرون كانوا يذهبون إليه فى سجنه، ويسمعون آراءه، ويقدرونها، بل كان يجيب على الرسائل المختلف فيها بإفاضة وإشباع ويرسلها إلى أصحاب الأسئلة دون حرج، وهذا مما يحمد لرجال الحكم فى ذلك العصر، حيث لم يشاءوا أن يمنعوه من إرسال آرائه إلى من يريد، مع أن خصومه قد ضجوا لذلك، وفيهم من كان ذا حظوة لدى السلطان فحاول التأثير عليه فى شأنه. فبادر بسجنه، وأعظم ما لاقاه من البلاء ما جرت إليه حملته على أدعياء التصوف، وأصحاب الشعوذة ممن يلبسون المرقعات، ويخوضون فى النار إيهاما للناس بأنهم أصحاب كرامات، وقد قال ابن تيمية لهؤلاء، لابد أن تغتسلوا جيدا ثم تخوضوا فى اللهيب، إذ كانوا يدهنون جسومهم بما يمنع تأثير النار، ونحن الآن نأخذ بكثير من آرائه الفقهية فى مسائل الأحوال الشخصية دون تحرّج، بل إن المفتى الأكبر الإمام عبدالمجيد سليم كان يعتمد آراءه فى أكثر ما يفتى به ويسميه شيخ الإسلام وهو اللقب الذى اشتهر به عند مناصريه، هذا الإمام الفذ قد سجن ست مرات على أبعاد، وقد دام سجنه ستة أشهر إثر الفتوى الخاصة بوقوع الطلاق الثلاثى فى طلقة واحدة، وهو ما نأخذ به الآن، وعقب حملته على التصوف الكاذب سُجن ثمانية عشر شهرا، دون رحمة بجسمه المريض! وهكذا صار الرجل متهما دون جريرة! وسجينا دون ذنب!

أقول بعد ذلك: أليس من حق هؤلاء الأبطال أن ندوّن خطوات كفاحهم فى كتاب شامل، وأن يكشف عما لحق ببعضهم من الافتراء وإن خلصوا من التعذيب! إذ أن خطر الأكاذيب قد يكون أجل من العذاب!

د. / محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

قال تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨) وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٦٩) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

الآيات: ٦٤ : ٧١

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

فأنت ترى أن القرآن الكريم قد وجه إلى أهل الكتاب أربع نداءات فى هذه الآية الكريمة، أما النداء الأول فقد طلب منهم فيه أن يثوبوا إلى رشدهم، وأن يخلصوا لله العبادة فقال:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾

والسواء: العدل والنصفة، أى قل يا محمد لأهل الكتاب: هلموا وأقبلوا إلى كلمة ذات عدل وإنصاف بيننا وبينكم.

أو السواء: مصدر مستوية أى هلموا إلى كلمة لا تختلف فيها الرسل والكتب المنزلة والعقول السليمة، لأنها كلمة عادلة مستقيمة ليس فيها ميل عن الحق.

ثم بين - سبحانه - هذه الكلمة العادلة المستقيمة التى هى محل اتفاق بين الأنبياء فقال: ﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ﴾

أى نترك نحن وأنتم عبادة غير الله، بأن نفرده وحده بالعبادة والطاعة والإذعان.

﴿ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ﴾

أى ولا نشرك معه أحدا فى العبادة والخضوع، بأن نقول: فلان إله، أو فلان ابن إله، أو أن الله ثالث ثلاثة.

﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾

أى ولا يطيع بعضنا بعضا فى معصية الله.

قال الآلوسى[1]: ويؤيده ما أخرجه الترمذى وحسنه من حديث عدى بن حاتم أنه لما نزلت هذه الآية قال: ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقال - ﷺ -: «أما كانوا يحلون منكم ويحرمون فتأخذون بقولهم؟ قال: نعم، فقال - ﷺ -: هو ذاك» قيل وإلى هذا أشار - سبحانه - بقوله:

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾

(التوبة/ ٣١)

فالآية الكريمة قد نهت الناس جميعا عن عبادة غير الله، وعن أن يشرك معه فى الألوهية أحد من بشر أو حجر أو غير ذلك، وعن أن يتخذ أحد من البشر فى مقام الرب - عز وجل - بأن يتبع فى تحليل شىء أو تحريمه إلا فيما حلله الله أو حرمه.

ولقد كانت رسالة الأنبياء جميعا متفقة فى دعوة الناس إلى عبادة الله وحده، وقد حكى القرآن فى كثير من الآيات هذا المعنى ومن ذلك قوله - تعالى -:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾

(النحل/ ٣٦)

(١) تفسير الآلوسى جـ٣ ص١٩٣.

وقوله - تعالى -:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ (الأنبياء/ ٢٥)

ثم أرشد الله - تعالى - المؤمنين إلى ما يجب عليهم أن يقولوه إذا مالج الجاحدون فى طغيانهم فقال:

﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾

أى فإن أعرض هؤلاء الكفار عن دعوة الحق، وانصرفوا عن موافقتكم بسبب ما هم عليه من عناد وجحود فلا تجادلوهم ولا تحاجوهم، بل قولوا لهم:

﴿ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾

مذعنون لكلمة الحق، بخلافكم أنتم فقد رضيتم بما أنتم فيه من باطل.

قال صاحب الكشاف وقوله

﴿ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾

أى لزمتكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا وتسلموا بأنا مسلمون دونكم، وذلك كما يقول الغالب للمغلوب فى جدال وصراع أو غيرهما: اعترف بأنى أنا الغالب وسلم لى بالغلبة، ويجوز أن يكون من باب التعريض ومعناه: اشهدوا واعترفوا بأنكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره [٢].

هذا وتعتبر هذه الآية الكريمة من أجمع الآيات التى تهدى الناس إلى طريق الحق بأسلوب منطقى رصين، ولذا كان النبى - ﷺ - يكتبها فى بعض رسائله التى أرسلها إلى الملوك والرؤساء ليدعوهم إلى الإسلام -.

فقد جاء فى كتاب النبى - ﷺ - إلى هرقل - ملك الروم [٣]- «من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى».

أما بعد: فإنى أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين:

﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾

إلخ الآية»

وأما النداء الثانى الذى اشتملت عليه هذه الآيات فقد تضمن نهى أهل الكتاب عن الجدال بالباطل فى شأن إبراهيم - عليه السلام - قال - تعالى:

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾

قال ابن جرير [٤]: عن ابن عباس قال:

---

(٢) تفسير الكشاف جـ١ ص٢٧١

(٣) تفسير القرطبى جـ٤ ص١٠٥ والأريسيون هم: العمال والفلاحون وعامة الشعب.

(٤) تفسير ابن جرير جـ٣ صـ٣٠٥ طبعة مصطفى الحلبى، سنة ١٩٥٤.

اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله فتنازعوا عنده، قالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديا وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانيا، فأنزل الله - تعالى - فيهم:

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾

وقوله: ﴿ تُحَآجُّونَ ﴾ من المحاجة ومعناها أن يتبادل المتخاصمان الحجة بأن يقدم كل واحد حجة ويطلب من الآخر أن يرد عليها.

والمعنى: لا يسوغ لكم يا معشر اليهود والنصارى أن تجادلوا فى دين إبراهيم وشريعته فيدعى بعضكم أنه كان على الديانة اليهودية، ويدعى البعض الآخر أنه كان على الديانة النصرانية، فإن التوراة والإنجيل ما نزلا إلا من بعده بأزمان طويلة، فكيف يكون يهوديا يدين بالتوراة مع أنها ما نزلت إلا من بعده، أو كيف يكون نصرانيا يدين بالإنجيل مع أنه ما نزل إلا من بعده، بآلاف السنين؟ إن هذه المحاجة منكم فى شأن إبراهيم ظاهرة البطلان واضحة الفساد.

وقوله: ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ أى أفلا تعقلون يا أهل الكتاب هذا الأمر البدهى وهو أن المتقدم على الشىء لا يمكن أن يكون تابعا للشىء المتأخر عنه؟.

فالاستفهام لتوبيخهم وتجهيلهم فى دعواهم أن إبراهيم - عليه السلام - كان يهوديا أو نصرانيا.

ثم بين - سبحانه - مظهرا آخر من مظاهر مخالفة أهل الكتاب لمقتضيات العقول السليمة وهو أنهم يجادلون فى أمر ليس عندهم أسباب العلم به فقال - تعالى:

﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ ﴾

والمعنى: أنتم يا معشر أهل الكتاب جادلتم وبادلتم الحجة - سواء أكانت صحيحة أم فاسدة فى أمر لكم به علم فى الجملة، كجدالكم فيما وجدتموه فى كتبكم من أمر موسى وعيسى - عليهما السلام - أو كجدالكم فيما جاء فى التوراة والإنجيل من أحكام، ولكن كيف أبحتم لأنفسكم أن تجادلوا فى أمر ليس لكم به علم أصلا، وهو جدالكم فى دين إبراهيم وشريعته؟ لأنه من البديهى أن إبراهيم ما كان يهوديا ولا نصرانيا إذ وجوده سابق على وجودهما بأزمان طويلة.

وإذن فجدالكم فى شأن إبراهيم هو لون من ألوان جهلكم ومخالفتكم لكل ما تقتضيه العقول السليمة، والنفوس المستقيمة.

وقوله - تعالى:

﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ ﴾

ها حرف تنبيه، وأنتم مبتدأ، وهؤلاء منادى بحرف نداء محذوف ﴿ حَٰجَجۡتُمۡ ﴾ خبر المبتدأ أنتم، والتقدير: أنتم يا هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم.

ويرى صاحب الكشاف أن قوله ﴿ أَنتُمۡ ﴾

مبتدأ و﴿ هؤلاء ﴾ خبره، و﴿ حاججتم ﴾ جملة مستأنفة مبينة للجملة الأولى، والمعنى: أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم أنكم جادلتم

﴿ فيما لكم به علم ﴾

مما نطق به التوراة والإنجيل

﴿ فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ﴾

ولا ذكر له، في كتابيكم من دين إبراهيم.. ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم (٥).

وتكرير هاء التنبيه في قوله ﴿ هاأنتم هؤلاء ﴾ شعر بغرابة ما هم عليه من جهل، ومجافاته لكل منطق سليم.

قال الرازي: وقوله:

﴿ هاأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم ﴾

يحتمل أنه لم يصفهم بالعلم حقيقة وإنما أراد أنكم تستجيزون محاجته فيما تدعون علمه، فكيف تحاجونه فيما لا علم لكم به البته (٦).

وقوله - تعالى:

﴿ والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾

تذييل قصد به تأكيد علم الله الشامل، ونفى العلم عن أهل الكتاب فى شأن إبراهيم.

أى والله - تعالى - يعلم حال إبراهيم ودينه، ويعلم كل شىء فى هذا الوجود، وأنتم لا تعلمون ذلك.

ثم صرح - سبحانه - ببراءة إبراهيم من كل دين يخالف دين الإسلام فقال - تعالى -:

﴿ ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ﴾

وقوله ﴿ حنيفا ﴾ من الحنف وهو ميل عن الضلال إلى الاستقامة، بعكس الجنف فهو ميل عن الاستقامة إلى الضلال ويقال: تحنف الرجل أى تحرى طريق الاستقامة.

أى: ما كان إبراهيم - عليه السلام - فى يوم من الأيام يهوديا كما قال اليهود، ولا نصرانيا كما قال النصارى ولكنه كان حنيفا أى مائلا عن العقائد الزائفة متحريا طريق الاستقامة وكان ﴿ مسلما ﴾ أى مستسلما لله - تعالى - منقادا له مخلصا له العبادة

﴿ وما كان من المشركين ﴾

الذين يشركون مع الله آلهة أخرى بأن يقولوا إن الله ثالث ثلاثة، أو يقولوا عزير ابن الله أو المسيح ابن الله أو غير ذلك من الأقوال الباطلة والأفعال الفاسدة.

ففى هذه الآية الكريمة تنويه بشأن إبراهيم، وتعريض بأولئك الكافرين من أهل الكتاب الذين ادعوا أن إبراهيم كان يهوديا أو نصرانيا بأنهم هم المشركون بخلاف إبراهيم

(٥) تفسير الكشاف جـ١ صـ ٣٧١.

(٦) تفسير الفخر الرازى جـ٨ ص٩٥.

فقد كان مبرأ من ذلك.

أخرج الإمام مسلم والترمذى وأبوداود عن أنس - رضى الله عنه - قال: جاء رجل إلى النبى - ﷺ - فقال: يا خير البرية، فقال رسول الله - ﷺ -: «ذاك إبراهيم عليه السلام».

ثم أصدر - سبحانه - حكمه الحاسم العادل فى هذه القضية التى كثر الجدل فيها فقال:

﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين ﴾

وقوله - تعالى - ﴿ أولى ﴾ أفعل تفضيل من الولى وهو القرب.

والمعنى: إن أقرب الناس من إبراهيم، وأخصهم به، وأحقهم بالانتساب إليه أصناف ثلاثة:

أولهم: بينه الله بقوله: ﴿ للذين اتبعوه ﴾ أى الذين أجابوا دعوته فى حياته واتبعوا دينه وشريعته بعد مماته.

وقد أكد الله - تعالى - حكمه هذا بحرف ﴿ إن ﴾ وبأفعل التفضيل ﴿ أولى ﴾ وباللام فى قوله ﴿ للذين اتبعوه ﴾ ليرد على أقاويل أهل الكتاب ومفترياتهم حيث زعموا أنه كان يهوديا أو نصرانيا.

وثانى هذه الأصناف: بينه - سبحانه - بقوله «وهذا النبى» والمراد به محمد - ﷺ - الداعى إلى التوحيد الذى دعا إليه إبراهيم.

والجملة الكريمة من عطف الخاص على العام للاهتمام به، وللإشعار بأنه - ﷺ - قد تلقى الهداية من السماء كما تلقاها إبراهيم - عليه السلام -.

وثالث هذه الأصناف: بينه الله - تعالى - بقوله ﴿ والذين آمنوا ﴾ أى: والذين آمنوا بمحمد - ﷺ - واتبعوه.

وفى هذا تنويه بشأن الأمة الإسلامية، وتقرير بأن أتباع محمد - ﷺ - أحق بالانتساب إلى إبراهيم من أهل الكتاب لأن المؤمنين طلبوا الحق وآمنوا به، أما أهل الكتاب فقد باعوا دينهم بدنياهم، وتركوا الحق جريا وراء شهواتهم.

وقوله: ﴿ والله ولى المؤمنين ﴾ تذييل مقصود به تبشير المؤمنين بأن الله - تعالى - هو ناصرهم ومتولى أمورهم.

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية (٧): يقول الله - تعالى - إن أحق الناس بمتابعة إبراهيم الخليل الذين اتبعوه على دينه، وهذا النبى يعنى محمدا - ﷺ - والذين آمنوا من أصحابه المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بعدهم، فعن ابن مسعود أن رسول الله - ﷺ - قال: «إن لكل نبى ولاية من النبيين، وإن وليى منهم أبى خليل ربى عز وجل إبراهيم -

(٧) تفسير ابن كثير جـ١ ص٣٧٢.

عليه السلام - ثم قرأ :

﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴾

ثم حكى - سبحانه - أن بعض أهل الكتاب لا يكتفون بما هم فيه من ضلال، بل يحاولون أن يضلوا غيرهم فقال - تعالى - :

﴿ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾

وقوله - تعالى - ﴿ وَدَّت ﴾ من الود وهو محبة الشيء وتمنى حصوله ووقوعه.

أى تمنت وأحبت جماعة من أهل الكتاب إضلالكم وإهلاككم عن الحق - أيها المؤمنون - وذلك بأن ترجعوا عن دين الإسلام الذى هداكم الله إليه، إلى دين الكفر الذى يعتنقه أولئك الكافرون من أهل الكتاب.

ولم يقف بغى بعض أهل الكتاب وحسدهم عند هذا التمنى، بل تجاوزوه إلى إلقاء الشبهات حول دين الإسلام، وإلى محاولة صرف بعض المسلمين عن دينهم.

قال القرطبى: نزلت هذه الآية - فى معاذ ابن جبل، وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر، حين دعاهم اليهود من بنى النضير وقريظة وبنى قينقاع إلى اليهودية (٨).

والمراد بالطائفة رؤساء أهل الكتاب وأحبارهم، ومن للتبعيض وهى مع مجرورها فى محل رفع نعت لطائفة.

و﴿ لَوْ ﴾ فى قوله ﴿ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾ مصدرية أى ودت طائفة من أهل الكتاب إضلالكم، وقوله:

﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾

جملة حالية.

أى: والحال أنهم ما يضلون أى ما يهلكون إلا أنفسهم بسبب غوايتهم واستيلاء الأهواء على قلوبهم، وإيثارهم العمى على الهدى ولكنهم لا يشعرون بذلك ولا يفطنون له، لأنهم قد زين لهم الشيطان سوء عملهم فرأوه حسنا.

وأما النداء الثالث الذى اشتملت عليه هذه الآيات فهو قوله:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾

أى: لماذا تكفرون بآيات الله - تعالى - التى يتلوها عليكم نبيه محمد - ﷺ - والحال أنكم تعلمون صدقها وصحتها علما يقينيا كعلم المشاهدة والعيان، وتعرفون أنه نبى حقا كما تعرفون أبناءكم.

والاستفهام فى قوله: ﴿ لِمَ تَكْفُرُونَ ﴾ لتوبيخهم والتعجب من شأنهم، وإنكار ما هم عليه من كفر بآيات الله مع علمهم بصدقها.

وفى هذا النداء إشارة إلى أن ما أعطوه من علم كان يقتضى منهم أن يسارعوا إلى الإيمان لا أن يكفروا بآيات الله الدالة على صدق نبيه - ﷺ - والتى تتناول القرآن الكريم، والحجج والمعجزات التى جاءهم بها - ﷺ -.

(٨) تفسير القرطبى جـ٤ ص١٠٠.

ثم وجه إليهم - سبحانه - نداء رابعا نهاهم فيه عن الخلط بين الحق والباطل وعن كتمان الحق بعد أن نهاهم قبل ذلك عن الكفر بالآيات فقال - تعالى - :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

وقوله: ﴿ تَلْبِسُونَ ﴾ أى تخلطون من اللبس - بفتح اللام - أى الخلط وفعله لبس من باب ضرب.

تقول لبست عليه الأمر ألبسه إذا مزجت بينه بمشكلة وحقه بباطله فى ستر وخفاء.

أى: يا أهل الكتب لماذا تخلطون الحق الواضح الذى نطقت به الكتب السماوية، وأيدته العقول السليمة، بالباطل الذى تخترعونه من عند أنفسكم إرضاء لأهوائكم؟ ولماذا تكتمون الحق الذى تعرفونه كما تعرفون أبناءكم بغية انصراف الناس عنه، لأن من جهل شيئا عاداه.

وفى تكرير النداء والاستفهام زيادة فى توبيخهم ولإنكار ما هم عليه، والتعجيب من شأنهم، ذلك لأنهم جمعوا أفحش أنواع الرذائل التى على رأسها كفرهم بآيات الله وخلطهم الحق بالباطل وكتمان الحق عمن يريده.

ولدعاة الضلالة طريقتان فى إغواء الناس.

إحداهما: طريقة خلط الحق بالباطل حتى لا يتميز أحدهما عن الآخر وهى المشار إليها بقوله - تعالى -: ﴿ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾

والثانية: طريقة جحد الحق وإخفائه حتى لا يظهر، وهى المشار إليها بقوله - تعالى - :

﴿ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ ﴾

وقد استعمل أهل الكتاب الطريقتين لصرف الناس عن الإسلام فقد كان بعضهم يؤول نصوص كتبهم الدالة على صدق النبى - ﷺ - تأويلا فاسدا يخلط فيه الحق بالباطل ليوهموا العامة أنه ليس هو النبى المنتظر، وكان بعضهم يلقى حول الحق شبها ليوقع ضعفاء الإيمان فى حيرة وتردد، وكان بعضهم يخفى أو يحذف النصوص الدالة على صدق النبى - ﷺ - أو التى لا توافق أهواءهم.

وقوله: ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ جملة حالية، أى وأنتم تعلمون أن ما أخفيتموه وما لبستموه هو الحق، أو وأنتم من ذوى العلم ولا يناسب من كان كذلك أن يكتم الحق ويخلطه بالباطل، وإذا كان هذا الفعل يعد من كبائر الذنوب حتى ولو وقع من شخص عادى فإن وقعه يكون أقبح وفساده أكبر وعاقبته أشأم متى صدر من عالم فاهم يميز بين الحق والباطل.

قال أبوحيان: وهذه الحال وإن كان ظاهرها أنها قيد فى النهى عن اللبس والكتم، إلا أنها لا تدل بمفهومها على جواز اللبس والكتم حالة الجهل إذ الجاهل بحال الشىء لا يدرى كونه حقا أو باطلا، وإنما فائدتها بيان أن الإقدام على الأشياء القبيحة مع العلم بها أفحش من الإقدام عليها مع الجهل (٩).

(٩) تفسير البحر المحيط لأبى حيان جـ١ ص١٨٠.

السنة

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبان

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

روى الإمام مسلم بسنده قال: «أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان. فقام إليه رجل فقال: الصلاة قبل الخطبة. فقال: قد ترك ما هنالك فقال أبوسعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه. سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: من رأى منكم منكرا فليغيره بيده. فإن لم يستطع فبلسانه. فإن لم يستطع فبقلبه. وذلك أضعف الإيمان»
صحيح مسلم ١/٢٢٤ - ٢٢٧ «كتاب الإيمان»

راوى الحديث هو أبوسعيد سعد بن مالك بن سنان الخدرى، نسبة إلى خدرة، وهو الأبجر «بطن من الخزرج»، وقيل: خدرة أم الأبجر، وسعد وأبوه صحابيان - رضى الله عنهما -، استشهد أبوه فى غزوة أحد، قالوا: لم يكن أحد من أحداث الصحابة أفقه من أبى سعيد الخدرى، وفى رواية: أعلم، ومناقبه كثيرة، توفى بالمدينة يوم الجمعة سنة أربع وستين، وقيل: سنة أربع وسبعين ودفن بالبقيع، رضى الله عنه.

اللغويات: «أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان»: قال القاضى عياض - رحمه الله - فى معناها: اختلف فى هذا فوقع هنا ما تراه، وقيل: أول من بدأ بالخطبة قبل الصلاة عثمان - رضى الله عنه - وقيل: عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لما رأى الناس يذهبون عند تمام الصلاة، ولا ينتظرون الخطبة، وقيل: بل ليدرك الصلاة من تأخر، وتعد منزلة، وقيل: أول من فعله معاوية، وقيل: فعله ابن الزبير - رضى الله عنه -، والذى ثبت عن النبى ﷺ وأبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلى - رضى الله عنهم - تقديم الصلاة، وعليه جماعة فقهاء الأمصار، وقد عدّه بعضهم إجماعا، يعنى - والله أعلم - بعد الخلاف، أو لم يلتفت إلى خلاف بنى أمية بعد إجماع الخلفاء والصدر الأول.

«أما هذا فقد قضى ما عليه»: يريد أدّى واجبه بمحضر من ذلك الجمع العظيم، وفى ذلك دليل على استقرار السنة عندهم على خلاف ما فعله مروان، وبيّنه أيضا احتجاجه بالحديث.

«فقال أبوسعيد»: أصل الفاء العاطفة أن تأتى للترتيب مع التعقيب، فمفهوم قوله «فقال أبوسعيد» أنه تأخر عن المنكر، وقد يقال: كيف تأخر أبوسعيد - رضى الله عنه - عن إنكار هذا المنكر حتى سبقه إليه هذا الرجل؟! وجوابه أنه يحتمل أن أبا سعيد لم يكن حاضرا أول ما شرع مروان فى أسباب تقديم الخطبة، فأنكر عليه الرجل، ثم دخل أبوسعيد، وهما فى الكلام، ويحتمل أن أبا سعيد كان حاضرا، ولكنه خاف على نفسه، أو غيره حصول فتنة بسبب إنكاره، فسقط عنه الإنكار ولم يخف ذلك الرجل شيئا، لاعتقاده بظهور عشيرته، أو غير ذلك، أو أنه خاف وخاطر بنفسه، وذلك جائز فى مثل هذا، بل مستحب، ويحتمل أن أبا سعيد هم بالإنكار، فبدره الرجل، فعضده أبوسعيد، والله أعلم، ثم إنه جاء فى الحديث الآخر الذى اتفق البخارى ومسلم - رضى الله عنهما - على إخراجه فى باب صلاة العيد أن أبا سعيد هو الذى جذب بيد مروان حين رآه يصعد المنبر، وكانا جاءا معا، فرد عليه مروان بمثل ما رد هنا على الرجل، فيحتمل أنهما قضيتان، إحداهما لأبى سعيد، والأخرى للرجل بحضرة أبى سعيد، والله أعلم.

الشرح والبيان

النفس أمارة بالسوء، تواقة للشر، تورد الإنسان موارد الهلكة، وتقوده إلى مواضع الضياع والخسران، وقد جرت العادة بأنها إذا اشتدّ ميلها إلى الشهوات تلهث عن اتباع أوامر الله، فهى دائما فى حاجة إلى من يحثها على طاعة الله، ويذكرها بما أوجب الله عليها، ويخوفها من المعصية، ويحذرها من عقاب الله، لذلك أوجب الله الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ليثوب العاصى إلى رشده، وليرجع عن غيه، فلا يراه ربه حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره، ولا يقصّر فى أداء ما أوجب الله عليه، ومن ثم تتحقق الخيرية لهذه الأمة، وصدق الله - عز وجل - حيث يقول:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(آل عمران: ١١٠)

وفى هذه الآية الكريمة مدح لهذه الأمة، ما

أقاموا ذلك واتصفوا به، فإذا تركوا التغيير، وتواطأوا على المنكر زال عنهم المدح، ولحقهم الذم، وكان ذلك سببا لهلاكهم، إذ من أهم خصائص هذه الأمة، وأبرز صفاتها الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، يتجلى ذلك بجلاء ووضوح فى قوله تعالى:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾

(التوبة: ٧١)

فإذا حققت الأمة هذا الواجب، فأمرت بالمعروف، ونهت عن المنكر، وأصلحت الفاسد وقوّمت المعوج، ونبهت الغافل، وأرشدت الجاهل - أصبحت أمة مهيبة الجانب، عظيمة السلطان، وعاشت فى سعادة وأمان، ورخاء واستقرار، وعم أبناءها الحب والعطف والود، واختفت البغضاء والشحناء، واستقر السلام على الأرض، قال تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾

(النساء: ٦٦ - ٦٨)

وقال:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾

(الأعراف: ٩٦)

وقد حققت الأمة فى صدر الإسلام ذلك، حكاما ومحكومين، وقادة رأى، وعلماء دين، حيث سيطرت عليهم التعاليم الإسلامية، فكان كل إنسان منهم مرآة لأخيه، فإذا رأى منه ما يخالف إجماع المسلمين رده إلى الصواب بالحكمة والموعظة الحسنة، وهذا ما حدث من الصحابى الجليل أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - حيث أنكر على مروان البدء بالخطبة يوم العيد، وقال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده.. الحديث».

وقوله «فليغيره بيده» أمر إيجاب بإجماع الأمة، وقد تطابق - على وجوب الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر - الكتاب والسنة، وإجماع الأمة، وهو أيضا من النصيحة التى هى الدين، وقد قال رسول الله - ﷺ -: «الدين النصيحة»، ولم يخالف فى ذلك إلا بعض الرافضة، ولا يعتد بخلافهم قال الإمام أبو المعالى إمام الحرمين: لا يكترث بخلافهم فى هذا، فقد أجمع المسلمون عليه قبل أن ينبغ هؤلاء ووجوبه بالشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة.

ثم إن الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر فرض كفاية، إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه، بلا عذر، ولا خوف، ثم إنه قد يتعين كما إذا كان فى موضع لا يعلم به إلا هو، أو لا يتمكن من إزالته إلا هو، وكمن يرى زوجته أو ولده على منكر أو تقصير فى المعروف، هذا وقد قال العلماء - رضى الله عنهم -: ولا يسقط عن

المكلف الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، لكونه لا يفيد فى ظنه، بل يجب عليه فعله، ولا يقول: ما فائدة دعوة الناس، وقد ضلوا الطريق، وفسد حالهم، لأن الذكرى تنفع المؤمنين، ومثل العلماء هذا بمن يرى إنسانا فى الحمام أو غيره مكشوف بعض العورة، ونحو ذلك، وقد قال العلماء: ولا يشترط فى الآمر والناهى أن يكون كامل الحال، ممتثلا ما يأمر به، مجتنبا ما ينهى عنه، بل عليه الأمر، وإن كان مخلا بما يأمر به، والنهى وإن كان متلبسا بما ينهى عنه، فإنه يجب عليه شيئان: أن يأمر نفسه وينهاها، ويأمر غيره وينهاه، فإذا أخل بأحدهما كيف يباح له الإخلال بالآخر؟ ثم إنه يأمر وينهى من كان عالما بما يأمر به، وينهى عنه، وذلك يختلف باختلاف الشىء، فإن كان من الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة، كالصلاة والصيام والزنا والخمر ونحوها - فكل المسلمين علماء بها، وإن كان من دقائق الأقوال والأفعال، ومما يتعلق بالاجتهاد - لم يكن للعوام مدخل فيه، ولا لهم إنكاره، بل ذلك للعلماء، ثم العلماء إنما ينكرون ما أجمع عليه، أما المختلف فيه فلا إنكار فيه، لأن على أحد المذهبين كل مجتهد مصيب، وهذا هو المختار عند كثير من المحققين أو أكثرهم، وعلى المذهب الآخر المصيب واحد والمخطىء غير متعين لنا، والإثم مرفوع عنه، لكن إن ندبه على جهة النصيحة إلى الخروج من الخلاف، فهو حسن محبوب مندوب إلى فعله برفق، فإن العلماء متفقون على الحث على الخروج من الخلاف إذا لم يلزم منه إخلال بسنة أو وقوع فى خلاف آخر.

قوة المسلمين فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

وقوة المسلمين ومنعتهم، وأمنهم وسيادتهم مرهونة بتطبيق الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، فإذا أهملوا ذلك أو تركوه ضعف الدين، وانتشر الضلال، وعم الفساد، وكثر الخبث، وظهرت الفاحشة، وتباهى الفاجر بفجوره، والفاسق بفسقه، عند ذلك ينزل القحط، وتجدب الأرض، ويضرب الله قلوب الناس بعضهم ببعض، فالقوى يظلم الضعيف، والغنى يستبد بالفقير، والرئيس يتسلط على المرءوس، ومن ثم جاء التحذير الإلهى، قال - تعالى -:

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(النور ٦٣)

والعذاب إذا نزل لا يصيب الظالم وحده، وإنما يشمل الظالم والساكت، والمقر والراضى، قال - تعالى -:

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾

(الأنفال: ٢٥)

ولا ينجو إلا من أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، قال - تعالى -:

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾

(الأعراف: ١٦٥)

ولذلك ورد فى الأثر «لا تزال لا إله إلا الله تنفع من قالها، وترد عنهم العذاب والنقمة ما لم يستخفوا بحقها، قالوا: يا رسول الله، وما الاستخفاف بحقها؟ قال: يظهر العمل بمعاصى الله، فلا ينكر ولا يغير» [1] وقد ورد أيضا: «ما أقرّ قوم المنكر بين أظهرهم إلا عمهم الله بعذاب محتضر» وذلك لأن المعصية إذا ارتكبت سرا كان ضررها مقصورا على صاحبها، فإذا أعلنت ولم تغير تعدى ضررها إلى العامة، وقد ذكر الله - عز وجل - للمؤمنين شأن قوم أهملوا هذه الفريضة، فغضب الله عليهم ولعنهم، ليكون ذلك عبرة لهم، فلا يكونوا أمثالهم، قال تعالى:

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

(المائدة: ٧٨، ٧٩)

وقد روى أبوداود والترمذى وابن ماجة وغيرهم من حديث ابن مسعود - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل، فيقول: يا هذا، اتق الله! ودع عنك ما تصنع، فإنك لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد، وهو على حاله، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله بعضهم ببعض، ثم قال تعالى: «لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل..»، ثم قال: «كلا والله لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر ثم لتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطرا - أى: تردنه إلى الحق -، ولتقصرنه على الحق قصرا - أى: تمنعونه من مجاوزته».

وكأنى برسول الله - ﷺ - وقد كشف الله له الغيب، وأزال أمامه حجب الزمن، فتحدث - منذ أربعة عشر قرنا من الزمان - عن هذا الحال الذى سار إليه أمر الناس، والأمراض التى انتشرت بينهم، فبدلت أوضاعهم، وغيرت القيم فى نفوسهم، وغفل عنها المصلحون، وسكت عن تغييرها المرشدون، فقال: كيف أنتم إذا طغى نساؤكم، وفسق شبابكم، قالوا: وإن ذلك لكائن يا رسول الله، قال - ﷺ - نعم، والذى نفسى بيده، وأشد منه سيكون، قالوا: وما أشدّ منه؟ قال - ﷺ -: كيف أنتم إذا لم تأمروا بالمعروف، ولم تنهوا عن المنكر، قالوا: وإن ذلك لكائن يا رسول الله؟ قال - ﷺ -: نعم، وأشدّ منه سيكون، قالوا: وما أشدّ منه؟ قال - ﷺ -: «كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكرا، والمنكر معروفا؟، قالوا: وإن ذلك الكائن يا رسول الله؟ قال: «نعم، وأشد منه سيكون، قالوا: «وما أشدّ منه يا رسول الله؟» قال: كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر، ونهيتم عن المعروف؟ [2] يقول الله فى

(١) إتحاف السادة المتقين ج ٩ ص ٢٣٤.

(٢) رواه ابو داود والترمذى وابن ماجه.

الحديث القدسى: «بى حلفت لأتيحن لهن فتنة يصير الحليم فيها حيران» [3] وقد تتابعت الفتن، وصار كل حليم فيها حيران وراح البعض يغيّر المنكر، فأحدث منكرا أشدّ، مما دفع بعض المخلصين إلى أن يتساءل: ما الذى يردّ الناس إلى الطاعة بعد أن انغمسوا فى حمأة الجهل والعصيان، وغرتهم الدنيا، وفتنهم الشيطان؟ والجواب: إنه التذكير بأدب رب العالمين، وهدى خير المرسلين، ومن ثمّ جاء الحديث الذى رواه أبو سعيد: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فمن لم يستطع فبلسانه، فمن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»، و«من» - فى الحديث - من ألفاظ العموم، وقد خاطب الرسول الكريم بها كافة المسلمين لم يستثن منهم أحدا، ابتداء من الصحابة فمن بعدهم من أجيال الأمة إلى يوم القيامة، وأمرهم أن يغيروا المنكر بأيديهم متى استطاعوا ذلك، شريطة أن يكون المنكر من المحرمات المجمع عليها شرعا، والتى طلب الشارع تركها طلبا جازما، بحيث يستحق فاعلها عقاب الله، وسواء أكان هذا الحرام فعل محظور أم ترك مأمور، وسواء أكان الحرام من الصغائر أم من الكبائر، وإن كانت الصغائر قد يتساهل فيها ما لا يتساهل فى الكبائر، ولا سيما إذا لم يواظب عليها، قال تعالى:

﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾

(النساء: ٣١)

شرط تغيير المنكر مشاهدته

فلا يدخل فى المنكر إذا المكروهات، أو ترك السنن والمستحبات، ولا يدخل فى دائرة المنكر ما اختلف فيه العلماء والمجتهدون قديما وحديثا، كذلك يشترط أن يكون المنكر علنا وظاهرا مرئيا، فإذا استخفى به صاحبه عن أعين الناس، فأغلق عليه بابه، فلا يجوز لأحد أن يتجسس عليه بوضع أجهزة التنصت أو كاميرات التصوير الخفية أو اقتحام داره عليه، لضبطه متلبسا بالمنكر، وهذا ما يرشد إليه الحديث من رأى منكم منكرا فليغيره»، فقد شرط - لتغيير المنكر - مشاهدته، لا السماع عن المنكر من الغير، لأن الإسلام يترك عقوبة من استتر بفعل المنكر، ولم يتبجح به إلى الله - تعالى -، يحاسبه فى الآخرة، ولم يجعل لأحد عليه سبيلا، حتى يبدى صفحته، ويكشف ستره، حتى إن العقاب الإلهى ليخفف كثيرا على من استتر بستر الله ولم يظهر المعصية، كما ورد فى الحديث «كل أمتى معافى إلا المجاهرين» [4].

وقوله - ﷺ -: «فبقلبه» معناه: فليكرهه بقلبه، وليس ذلك بإزالة وتغيير منه للمنكر، ولكنه هو الذى فى وسعه، وقوله - ﷺ -: «وذلك أضعف الإيمان» معناه: أقله ثمرة، والله أعلم.

(٣) إتحاف السادة المتقين ج ٧ ص ٩.

(٤) البخارى ج ٨ ص ٢٤.

مواقف إسلامية

المسلم من الشيء المريح.. إلى الشيء الحق

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ الٓمٓ ① أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ② وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ③ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ④ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ⑤ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ⑥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

العنكبوت الآيات / ١-٧

تمهيد

تساءل العقاد قائلا: هل الحياة جديرة بأن نحياها؟

وأجاب: نعم.. ولكن أى حياة؟

لقد عاب القرآن الكريم على بنى إسرائيل خوفهم من الموت.. فقال:

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾

(البقرة/ ٩٦)

ولم يقل على الحياة، لأن الحرص على الحياة واجب طبيعي وواجب إلهي.. لاعيب فيه.. فلا يلام الحي على أن يحرص على الحياة. وإنما يلام لأنه يحرص على كل حياة.. وأى حياة.. ولو قبل الهوان.. وهرب من الواجب وامتنعت عليه وسائل العمل النافع. ووسائل الرجاء في صلاح الأمور.

إن الحياة تستحق أن نصونها. إذا كانت لنا شروط نمليها عليها وتقبلها. ولكنها غير جديرة بالصون إذا كانت كلها شروطا تمليها هي علينا.. فنقبلها صاغرين. ولا نملك العدل فيها.

وهذا هو الفاصل الحاسم، الذى نفرق به بين الحياة الكريمة. والحياة المهينة.

الحياة الأولى: نعمة تصان..

والحياة الثانية: سخرة وسخرية.. في آن[1].

ثم يقول: جميل ذلك اليوم، الذى قضيت عشرات الأيام فى انتظاره، مترددا بين إغراء اللذة، وإيحاء الكرامة، حتى وصلت إليه، فحمدت لنفسى أنها عملت بما ينبغى أن تفعل، واستطاعت أن تفعله، ولاتندم عليه.

جميل ذلك اليوم، الذى ترددت فيه بين ثناء الناس، وبين عمل لايثنى عليه أحد، ولا يعلمه أحد، فألقيت بالثناء عن ظهر يدى. وارتضيت العمل الذى أذكره ماحييت. ولم يسمع به إنسان.

جميل ذلك اليوم، الذى كاد يحشو جيوبى بالمال، ويفرغ ضميرى من الكرامة، فآثرت فيه فراغ اليدين على فراغ الضمير.

جميل ذلك اليوم، الذى احتجت فيه، واحتاج فيه مسكين، فغلبتُ شح النفس، ووجدت بين جوانحى طاقة الصبر على الضيق ولم أجد فيها طاقة الصبر على منظر العين الذليلة. والقلب الكسير.

أجمل ما فى الحياة، يوم تملك فيه نفسك، فتعلم أنك ملكت الثروة التى لايقاس بها، ملك المال، ولا ملك اللذة، ولاملك الثناء..

إنها هى الجمال.. ثم هى عزاء لمن قنع بها من حياته. ليعلم أنها تبقى فى الذاكرة سنى العمر. ويحمده من ملكه، ولم يملك سواه[2]

تعقيب:

ولنا على ماقرره «العقاد» تعقيب، ففى سورة العنكبوت يقول عز وجل:

﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾

(العنكبوت/ ٦٤)

فالحياة فى الآية الكريمة - معرفة بالألف واللام - ومع ذلك فهى غير جديرة بالفناء فيها لأنها تجمع بين الخستين: اللهو.. واللعب.

(١) أنا للعقاد

(٢) نفس المرجع

ولكن الحياة الجديرة بحبنا واحترامنا هى الحيوان، أى الدار الآخرة،

فهى أجدر باهتمامنا، لأنها نعمة يجب أن تصان.. وبم تصان؟ بتسخير نعمة الدنيا لها، لحسابها.. لتكون جسرا إليها.

إنه لاتكفى «إرادة الحياة» والمطلوب هو إرادة الوجود بمعنى الإحساس الدائم بالآخرة.. ثم عمل دءوب يصل بنا إليها سالمين.

نعم.. إن الحياة الدنيا أجمل.. ولكن الدار الآخرة هى الأكمل.. والتى لانحياها الآن، ولكن نحيا لها، وعلى هذه الحياة لانملى شروطنا.. وإنما نتقبل شروطها طائعين، أن ندفع الثمن تضحية ـ ومُقدَّما ـ لأن ثمن العقيدة لايحتمل التسويف!

شواهد.. من القرآن

أ ـ فى سورة العنكبوت: يقول عز وجل:

﴿ الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴾

(العنكبوت/ ١، ٢)

بين يدى الآيات فى سورة العنكبوت.

يقول الرازى: من دروس الحياة

إن الحكيم إذا خاطب من يكون محل الغفلة.. أو من يكون مشغول البال بشغل من الأشغال.. يقدم على الكلام المقصود شيئا غيره.. ليلتفت المخاطب بسببه إليه. ويقبل بقلبه عليه، ثم يشرع فى المقصود.

ومنه: أن يصفق الإنسان بيديه. ليُقبل السامع عليه:

ثم إن موقع الغفلة كلما كان أتم.. والكلام المقصود أهم.. كان المقدم على المقصود أكثر.. ولهذا ينادى القريب.. بالهمزة وينادى البعيد بـ «يا».

وهذه الحروف إذا كانت بحيث لايفهم معناها.. تكون أتم فى إفادة المقصود الذى هو التنبيه، من الحروف التى لها معنى، لأن السامع الفاهم لها قد يظنها هى المقصود فيقف به انتباهه عندها لأنها فى نظره قد تكون هى المقصود، فلا يتطلع إلى ما بعدها، بخلاف ما إذا جهل معناها.. فإنه يظن عندئذ أنها توطئة للمقصود الآتى بعدها.. ولايمكن أن تكون هى المقصود.

ومن أجل ذلك: افتتح الله ـ عز وجل ـ سورة العنكبوت بهذه الحروف تنبيها لما يأتى بعدها.

الإرادة المؤمنة

لايكفى أن تكون العقيدة تصورا هائما، وإنما لابد من التقدم لتحقيقها بالكفاح.. أجل لا يكفى أن يكون عقلك مجرد مرآة تعكس العقيدة انعكاساً محايداً، إنها ليست تاريخا يُروى.. ولكنها اعتبار ننطلق به إلى المستقبل بإضافات جديدة.. وعلى هذا الأساس من التربية القرآنية، والتى لاترتب الأحداث

ترتيباً تاريخياً.. وإنما ترتبها تربويا.

إن المؤرخ يجمع الوقائع ثم يصنفها بعد أن يصفيها وبعد ذلك يستنبط العبرة منها.

ولكن المربى يهدف إلى صياغة النفس بالأحداث صياغة جديدة.

وخذ مثلا سورة الأنفال[٣] إنها ليست درساً فى التاريخ حتى تذكر أحداث غزوة بدرمرتبة، وإنما هى درس فى التربية، وآية ذلك بدأت بالخاتمة

﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ ﴾

(الأنفال/ ١)

وفى النهاية ذكرت الأسرى، وفى غضون ذلك عرضت لبعض التفصيلات..

حتى الأنفال لم يبين حكمها إلا فى وسط السورة.. حتى يربيهم أولا ليتقبلوا أحكامها بعد ذلك، وحتى لاتلهيهم الدنيا عن هدفهم الأكبر وهو دوام اللياقة العسكرية.. والنفسية.. بعدما أجمل أولا إجمالاً يهيئهم للإقبال على هذه الأحكام. بمثل قوله تعالى:

﴿ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ ﴾

(الأنفال/ ١)

وسورة البقرة شاهد على ذلك، إنها سورة مدنية، وقد نزل قبلها ست وثمانون سورة مكية، ومع ذلك قدمت سورة البقرة عليها، لتكون إعداداً للنفوس حتى تتقبل الأوامر بالقبول.

وكما يقول صاحب الظلال:

إن الإيمان ليس كلمة تقال، إنما هو حقيقة ذات تكاليف. وأمانة ذات أعباء. وجهاد يحتاج إلى صبر. وجهد يحتاج إلى احتمال. فلا يكفى أن يقول الناس: آمنا، وهم لايتركون لهذه الدعوى، حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها. ويخرجوا منها صافية عناصرهم. خالصة قلوبهم.

(كما تفتن النارُ الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به) أ.هـ

أجل.. لايكفى الإقرار.. آمنا.. ولكن لابد من تصديق ذلك بالتضحية، وتلك سنة الله فى خلقه:

﴿ الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾

(العنكبوت ١: ٣)

وبهذه الفتنة أو هذا الامتحان يكرم المرء أو يهان، وللخروج من هذه الفتنة، وللنجاح فى هذا الامتحان ضمان وهو هذا الشرط: التضحية، وهو المعنى الذى صُرِّفَ فيما روى:

(٣) الفكرة للمرحوم الدكتور/ محمد عبدالله دراز

يغوص البحـر من طلب اللآلى

ومن طلب العلا سهر الليالى

وما كان هناك من دين يحض على التضحية إلا الإسلام، وما كان هناك ملتزمون بها إلا المسلمون، إن تاريخهم تاريخ البطولة، وجندهم: جند الفتوح، فتوح القلوب، قبل فتوح البلاد.

والآية الكريمة: حث على الجهاد من غير فُترة ولاملال، ولكنها التضحية بالنفس والمال:

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد

لنفس حياة.. غير أن أتقدما!

ولاحظ من فقه الآية الكريمة وهى تشد عزائم المؤمنين:

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾

(العنكبوت/ ٢)

يعنى:

فلستم وحدكم على طريق التضحية، وإنما أنتم حلقة فى سلسلة تواكب الحياة، والفرق بينكم وبين أعدائكم: أن سلاحهم الدسّ والخيانة، بينما سلاحكم النزاهة والشجاعة، ولهذا الوضع المشرِّف زكاته: أن تدفعوا تكاليف الإيمان راضين.. كما دفعها إخوة لكم من قبل.. على الطريق.

ألا وإن تكاليف الإيمان لباهظة، فقد تستيقظ إرادة الجهاد فى نفس المؤمن، ولكن قد يكون له أولاد يستعطفونه.. فيثبطونه!

وفوق هذا قد يكون للضالين إعلام ماكر ضاغط له مال وسلطان.. ودول غنية قوية شقية، إلي جانب فتنة الشهوات والشبهات.. وإذن، فإن المعركة تصعد إلى مستوى الفتنة الخانقة.

زاد الأمـــل

ومع شراسة المعركة.. إلا أن الآيات الكريمة تدفع بالأمل فى القلوب:

أ- بتهوين شأن الأعداء.. وأنهم لن يعجزوا قدرتنا هرباً:

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

(العنكبوت/ ٤)

أجل: ساء ما يحكمون، لأن أحدا منهم لايرضى لعبيده أن يظلموا، فكيف بالله سبحانه وتعالى: يرضون لله سبحانه ما لايرضون لأنفسهم؟!!

ب- ألا وإن أصدق الفريقين

﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ ﴾

(العنكبوت/ ٥)

فلهم البشرى:

﴿ وَمَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ﴾

(العنكبوت/ ٦)

من جاهد: كأنما يسابق غيره (فإنما يجاهد لنفسه)

يتعبها، ليريحها، ويشقيها، ليسعدها، ويميتها ليحييها!!

ومن سورة الأنفال

إذا كان من أمارة الخزلان: مسامرة الأمانى، فإن من مظاهر التوفيق: التضحية.. سبيلا إلى تحقيق هذه الأمانى!

فى غزوة بدر يقول: عز وجل:

﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

«الأنفال/ ٥-١٠»

لكن لماذا هذا التردد كأنما يسوقهم إلى الموت سائق لاقدرة لهم على ممانعته؟

والجواب:

١- لأنها كانت أول غزوة.

٢- ولم يكونوا متأهبين للقتال غاية التأهب.

٣- وكانوا عدداً يسيراً وعدد المشركين كثير.

٤- فكان هذا التهيب من قتالهم.

ومن أجل ذلك تمنوا أن لو تجاوزوا النفير إلى العير.. غنيمة باردة!

ولكن الله ـ عز وجل ـ يلفت نظرهم إلى أن أهل الحق يبحثون عن الشيء الحق.. لا عن الشيء المريح!!

والحق هنا تلقين الوثنية درسا لاينسونه!

فلما فهم المؤمنون الدرس، واندفعوا للقاء العدو، ثم استغاثوا طالبين النصر ممن بيده النصر سبحانه، جاءهم المدد: كوكبة من الملائكة متتابعين، وما كان الملائكة إلا بشرى.. وأما النصر.. فمن عند الله العزيز الحكيم، الذى يعذب الكافرين بأيدى المؤمنين.

***

خطبة الجمعة :

في موسم الامتحان

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ/ على حامد عبد الرحيم

الحمد لله - عز وجل - حكم فعدل، وأعطى فأجزل :

﴿ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾

(الإسراء / ٢٠)

أشهد أن لا إله إلا الله، لا يضيع أجر من أحسن عملا

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾

(طه / ١١٢)

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، كان خير مستجيب وأفضل منيب، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه وأتباعه وحزبه، أولئك لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام..

لقد بدأ موسم الامتحانات فاهتم له الجميع، فالتلاميذ يعيشون الآن على خوف وقلق، وهم يبذلون جهودهم لينالوا فوزا يرتجونه، يغدون في الصباح على رجاء وأمل، ويعودون في الظهيرة على مراجعة وتقدير لما فعلوه، ويقضون ليلهم في استذكار واستعداد، والآباء يمسكون قلوبهم بأيديهم خوفاً على مصير أبنائهم، والمدرسون في إرهاق وضيق، يقضون صباحهم في المراقبة ومساءهم في التصحيح، والامتحان مأخوذ من المحنة، بمعنى الابتلاء والتمحيص والتهذيب، تقول : محنت الذهب إذا عرضته على النار لتصفيه من الأوشاب التي علقت به، ويقولون : عند الامتحان يكرم المرء أو يهان، وذلك لأن الامتحان يكشف حقائق الناس

﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾

(هود / ١٠٥)

فإما أن يفوز الإنسان فيستحق التقدير والتكريم، وإما أن يفشل فيبوء بالخيبة والخسران، والقرآن الكريم يقص علينا كثيراً من ألوان الامتحان المختلفة وإن لم يسمها باسم الامتحان، وقد جاء ذكر الامتحان بمادته الصريحة في موضعين من القرآن أولهما في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

(الحجرات / ٣)

أى إن الذين يتأدبون بأدب الإسلام ويحفظون الوقار مع رسول الله، فلا يرفعون أصواتهم عنده، بل يسارعون إلى الإنصات إذا تكلم، والاستجابة إذا أمر، ويتكلمون بصوت رفيق يدل على الطاعة والأدب والذوق، أولئك هم الذين أصلح الله قلوبهم وهيأها لتكون مواطن للفضيلة والتقوى، ودرب عزائمهم على أن تكون أهلا للفضل والإحسان، ولذلك من الله عليهم بالمغفرة لذنوبهم وبالأجر العظيم لهم يوم لقائه، والموضع الثانى فى قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ﴾

(الممتحنة / ١٠)

وذلك أن نساء متزوجات من مشركين كن يسلمن فى عهد الرسول، ويهاجرن من مكة إلى المدينة، فأمر الله المؤمنين أن يمتحنوا هؤلاء النساء حتى يتبين لهم أنهن أسلمن حقاً وصدقاً لا خداعاً ولا لعلة، وذلك بأن تحلف المرأة بالله الذى لا إله إلا هو أنها لم تهاجر كراهية لزوجها، ولا حباً لرجل من المسلمين، ولا التماساً لمتاع الدنيا، بل حباً لله ورسوله، فإذا تبين صدق المرأة أبقاها المسلمون بينهم، وردوا على زوجها المشرك ما أنفقه عليها من مال.

والواقع أننا فى امتحان طويل خلال هذه الحياة :

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾

(فصلت / ٤٦)

الامتحان الإلهى

يمتحن الله عباده بالصحة ليرى كيف يستخدمونها، وبالمال لينظر كيف ينفقونه، وبالجاه ليعلم كيف يستعملونه، والحساب على ذلك كله عند الله العلى الكبير، ولذلك يقول الحديث : «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن شبابه فيم أفناه، وعن عمره فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه»[1] ومن الناس من يركبه شيطان العجلة فيريد الثمرة عاجلة غير آجلة، فلا يعنيه إلا أن يرتع فى هذه الدنيا كما ترتع الحيوان، ويشبع منها كما تشبع البهائم، ولا يعنيه بعد ذلك أعمرت أخراه أم خربت :

﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾

(البقرة / ٢٠٠)

(١) مجمع الزوائد ١٠/ ٣٤٦.

ومن الناس أخيار عقلاء يرتقبون الآخرة مع الدنيا، ويتطلعون إلى الباقية من خلال الفانية:

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

(البقرة/ ٢٠١، ٢٠٢)

الامتحان الأكبر

والله ـ تبارك وتعالى ـ يمتحن عباده ويبتليهم ليمحصهم ويصفيهم، فإذا اعتصموا بحبله المتين، وتعلقت قلوبهم بالله رب العالمين، وتنزهت نفوسهم عما يخدش الدين والفضيلة، وتسامت هممهم إلى مراتب الصالحين المصلحين، فقد فازوا فى امتحانهم، وساروا على بصيرة من طريقهم، يأتون ما أمرهم به ربهم طائعين مختارين، ويحذرون ما حرمه عليهم خائفين خاشعين، وإذا عرضت لهم شبهة تباعدوا عنها خشية أن يصيبهم منها ما يخرج بهم عن دائرة الحلال، أو يدخلهم فى دائرة الحرام، والرسول يقول: «الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن واقع الشبهات وقع فى الحرام، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب»(٢).

وامتحانات الدراسة مهما بولغ فى ضبطها والتشديد فيها لا يمكن أن تكون مثالية كاملة، لأن عيوبها كثيرة عسيرة، ولذلك يقول المربون: إن الامتحان شر لابد منه، ومهما كان الامتحان فى هذه الحياة صعبا واسعا فإنه لن يبلغ مبلغ الامتحان الأكبر الذى يجريه الإله الأعظم حين يمحص النفوس ويحصل ما فى الصدور، ويكشف ما وراء الأستار، ويؤتى كل إنسان كتابه الذى لا يفرط فى قليل أو كثير:

﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾

(الكهف/ ٤٩)

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾

(الأنبياء/ ٤٧)

ولقد يرسب المرء فى امتحان هذه الحياة مرة ويفوز مرة أخرى، وقد يفشل فى محاولة فيعرضها بالنجاح فى محاولة تالية، ولكن الذى يفشل مع ربه، ويستوجب مرجع عقابه وغضبه يسجل على نفسه الخسران الدائم والعذاب المستمر:

﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾

(طه/ ١٢٧)

(٢) مجمع الزوائد ١٠/ ٢٤٦.

ويحاول كثيرون فى امتحانات هذه الحياة أن يختلسوا معلومات غيرهم، وأن ينقلوا عن سواهم، وفيهم من يفلت من عين الرقيب وينجو من وطأة العقاب، ولكن امتحان الله لا يستطاع فيه غش أو اختلاس، ولا يمكن فيه استعانة المرء بغيره:

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾

(النجم/ ٣٩، ٤٠)

ولو حاول إنسان أن يستنجد بغيره يومئذ فلن يجد السميع أو المستجيب، فالهول أكبر من ذلك بكثير:

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾

(عبس/ ٣٤: ٣٧)

وهكذا يعلمنا الله ـ جل جلاله ـ استقلال الشخصية وتميز الذاتية، فكل امرىء مسئول عن نفسه، وكل امرىء مطالب بتحقيق كيانه، والإسلام لا يريد الفرد ظلا لغيره، أو تابعا لسواه، والرسول يقول: «لا يكن أحدكم إمعة. يقول: إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم»(٣).

السلف الصالح

والسابقون الأولون من رجال هذه الأمة كانوا يعلمون خير العلم أنهم فى امتحان دائم، ولذلك كانوا يعيشون على خوف زاجر وجهد موصول وتقدير للتبعة فى كل حين، فعمر بن الخطاب يقول: «لو عثرت دابة بشط الفرات لخشيت أن يسألنى الله عنها يوم القيام: لماذا لم أمهد لها الطريق» وحفيده عمر بن عبدالعزيز يقول مثل هذا، ويقول أيضا: «لقد وليت أمر هذه الأمة: صغيرها وكبيرها، وأسودها وأحمرها، ثم ذكرت الغريب الضائع، والفقير المحتاج، والأسير المفقود، وأشباههم فى أقاصى الأرض وأطراف البلاد، فعلمت أن الله ـ تعالى ـ سائلى عنهم وأن محمداً ﷺ حجيجى فيهم، فخفت ألا يثبت لى عند الله ـ تعالى ـ عذر، ولا يقوم لى مع رسول الله حجة، فخفت على نفسى».

يا أتباع محمد ﷺ..

عند الامتحان يكرم المرء أو يهان، ونحن فى امتحان موصول، متعدد الجوانب متشعب الفروع، فلنحسن الاستعداد لهذا الامتحان، ولنقبل عليه، إقبال الواثقين المؤمنين، الذين لا يتصورون الفوز فى خيال أو خبال، بل يعملون ويجهدون، لينالوا ثمرة تعبهم، ويبلغوا غاية سيرهم، وسبحان من لو شاء لهدى الناس جميعا إلى سواء السبيل:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾

(المائدة/ ٨٨)

(٣) شرح السنة للبغوى ١٣/ ٣٢.

الأزهر

مميزات حقوق الإنسان فى الإسلام

للأستاذ الدكتور/ محمود إمبابى
وكيل الأزهر الشريف

ان حقوق الانسان فى الاسلام تنبع اصلا من العقيدة. وخاصة من عقيدة التوحيد. ومبدأ التوحيد القائم على شهادة ان لا اله الا الله هو منطلق كل الحقوق والحريات. لان الله - تعالى - الواحد الأحد الفرد الصمد خلق الناس أحرارا. ويريدهم ان يكونوا أحرارا. ويامرهم بالمحافظة على الحقوق التى شرعها والحرص على الالتزام بها. ثم كلفهم شرعا بالجهاد فى سبيلها والدفاع عنها. ومنع الاعتداء عليها وهذا ما تكرر فى القران الكريم فى آيات القتال والجهاد.

فحقوق الإنسان فى الإسلام تنبع من التكريم الإلهى للإنسان بالنصوص الصريحة، وهو جزء من التصور الإسلامى والعبودية لله ـ تعالى ـ وفطرة الإنسان التى فطره الله عليها.

كما أن حقوق الإنسان فى الإسلام منح إلهية منحها الله لخلقه فهى ليست منحة من مخلوق لمخلوق مثله، يمن بها عليه ويسلبها منه متى شاء، بل هى حقوق قررها الله للإنسان.

ومن خصائص ومميزات الحقوق فى الإنسان أنها حقوق شاملة لكل أنواع الحقوق، سواء الحقوق السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية.

كما أن هذه الحقوق عامة لكل الأفراد الخاضعين للنظام الإسلامى دون تمييز بينهم فى تلك الحقوق بسبب اللون أو الجنس أو اللغة.

ومن خصائص حقوق الإنسان فى الإسلام أنها كاملة وغير قابلة للإلغاء، لأنها جزء من الشريعة الإسلامية.

إن وثائق البشر قابلة للتعديل غير متأبية على الإلغاء مهما جرى تحصينها بالنصوص، والجمود الذى فرضوه على الدساتير لم يحمها من التعديل بالأغلبية الخاصة.

وقضى الله أن يكون دينه خاتم الأديان وأن يكون رسول الله ﷺ خاتم النبيين، ومن ثم فما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهو باق ما دامت السماوات والأرض.

ومن خصائص حقوق الإنسان فى الإسلام أنها ليست مطلقة، بل مقيدة بعدم التعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية، وبالتالى بعدم الإضرار بمصالح الجماعة التى يعتبر الإنسان فردا من أفرادها.

الحقوق التى كفلها الإسلام للإنسان

- حق الحياة.
- حق الكرامة.
- حق الحرية.
- حق التعليم.
- حق الإنسان في معرفة الحق.
- حق التملك والتصرف.

حق الحياة

وهو الحق الأول للإنسان، وبه تبدأ سائر الحقوق، وعند وجوده تطبق بقية الحدود وعند انتهائه تنعدم الحقوق.

ويعتبر حق الحياة مكفولا بالشريعة لكل إنسان، ويجب على سائر الأفراد أولا، والمجتمع ثانياً، والدولة ثالثاً، حماية هذا الحق من كل اعتداء، مع وجوب تأمين الوسائل اللازمة لتأمينه من الغذاء والدواء والأمن من الانحراف.

وينبنى على ذلك أحكام:

تحريم قتل الإنسان

قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾

[الأنعام: ١٥١]

قال ابن سعدى: «وهذا شامل لكل نفس حرم الله قتلها من صغير وكبير وذكر وأنثى وحر وعبد ومسلم وكافر له عهد» تيسير الكريم الرحمن (ص٤٥٧).

سد الذرائع المؤدية للقتل

وهذا له صور كثيرة فمنها:

تحريم حمل السلاح على المسلمين: قال ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا»[1].

قال ابن دقيق العيد: «فيه دلالة على تحريم قتال المسلمين والتشديد فيه»[2].

تحريم مقاتلة المسلمين: قال ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[3].

قال الحافظ ابن حجر: «لما كان القتال أشد من السباب لأنه مفض إلى إزهاق الروح عبر عنه بلفظ أشد من لفظ الفسق وهو الكفر، ولم يرد حقيقة الكفر التي هي الخروج عن الملة بل أطلق عليه الكفر مبالغة في التحذير» فتح البارى[4].

القصاص في القتل

قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ﴾

[البقرة: ١٧٨]

وقال عز وجل:

﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾

[البقرة: ١٧٩]

قال قتادة: «جعل الله هذا القصاص حياة ونكالا وعظة لأهل السفه والجهل من الناس، وكم من رجل قد هم بداهية لولا مخافة القصاص لوقع بها، ولكن الله حجز بالقصاص بعضهم عن بعض، وما أمر الله بأمر قط إلا وهو أمر صلاح في الدنيا والآخرة، ولا نهى الله عن أمر قط إلا وهو أمر فساد في الدنيا والدين والله أعلم بالذى يصلح خلقه»[5].

١) أخرجه البخارى في الفتن، باب من حمل علينا السلاح (٧٠٧٠) من حديث ابن عمر - رضى الله عنهما.
٢) انظر فتح البارى (٢٧/١٣).
٣) أخرجه البخارى في «الإيمان» باب، حقوق المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر (٤٨)، ومسلم في الإيمان (١١٦) من حديث ابن مسعود - رضى الله عنه -.
٤) فتح البارى (١٣٨/١).
٥) جامع البيان (١١٩/٢).

تحريم الانتحار

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جنهم خالدا مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها[6]. في بطنه في نار جهنم خالداً فيها أبدا»[7].

إباحة المحظورات للضرورة

قال - تعالى -:

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾

[البقرة: ١٧٣]

قال ابن جرير: «فمن حلت به ضرورة مجاعة إلى ما حرمتُ عليكم من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فلا إثم عليه في أكله إن أكله»[8].

تحريم قتل الجنين

قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ﴾

[الإسراء: ٣١]

إيجاب الضمان في قتل الجنين

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن امرأتين من هذيل رمت إحداهما الأخرى فطرحت جنينها فقضى رسول الله ﷺ فيها بغرة عبد أو أمة[9].

حق الكرامة

هناك حقوق تحفظ للإنسان كرامته التى وهبه الله إياها فمن تلك الحقوق:

النهى عن سب المسلم والتنابز بالألقاب:

قال - تعالى -:

﴿ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ ﴾

[الحجرات: ١١]

٦) قال ابن الأثير: «وجأته بالسكين وغيرها، وجأ إذا ضربته بها» النهاية في غريب الحديث (١٥٢/٥).
٧) أخرجه البخارى في الطب، باب شرب السم والدواء به (٥٧٧٨)، ومسلم في الإيمان (١٠٩).
٨) جامع البيان (٩١/٢).
٩) قال ابن الأثير: «الغرة» «العبد نفسه أو الأمة» النهاية في غريب الحديث (٣٥٣/٣) وأخرجه البخارى في الديات، باب جنين المرأة (٦٩٠٤)، ومسلم في القسامة (١٦٨١).

قال ابن جرير: «إن الله ـ تعالى ـ ذكر نهى المؤمنين أن يتنابزوا بالألقاب، والتنابز بالألقاب هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة، وعم الله بنهيه ذلك ولم يخصص به بعض الألقاب دون بعض، فغير جائز لأحد من المسلمين أن ينبز أخاه باسم يكرهه أو صفة يكرهها».

وعن عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر).

تحريم الغيبة

قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾

[الحجرات: ١٢]

قال ابن جرير: «ولا يقل بعضكم فى بعض بظهر الغيب ما يكره المقول فيه ذلك أن يقال له فى وجهه».

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره»، قيل: أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته»(١٠).

تحريم السخرية من الإنسان

قال ـ تعالى ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾

(الحجرات: ١١)

تحريم التجسس وكشف العورات

قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾

[الحجرات: ١٢]

قال ابن جرير: «أى: ولا يتبع بعضكم عورة بعض، ولا يبحث عن سرائره يبتغى بذلك الظهور على عيوبه، ولكن اقنعوا بما ظهر لكم من أمره، وبه فاحمدوا أو ذموا، لا على ما لا تعلمونه من سرائره».

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قال: (إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا

١٠) أخرجه مسلم فى البر والصلة والآداب (٢٥٨٩).

١١) أخرجة البخارى فى «الأدب» باب، ما يهى عن التحاسد والتدابر (٦٠٦٤)، ومسلم فى «البر والصلة» (٢٥٦٣).

تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا»(١١).

تحريم ظن السوء بالمسلم

قال ـ تعالى ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾

(الحجرات: ١٢)

قال ابن كثير: «يقول ـ تعالى ـ ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس فى غير محله، لأن بعض ذلك يكون إثما محضا، فليجتنب كثير منه احتياطا».

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث»(١٢).

قال القرطبى: «الظن هنا هو التهمة، ومحل التحذير والنهى إنما هو تهمة لا سبب لها يوجبها، كما يتهم بالفاحشة أو بشرب الخمر ولم يظهر عليه ما يقتضى ذلك.

حفظ كرامة المسلم حتى بعد موته

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال: (كسر عظم الميت ككسره حيا»(١٣).

قال الشوكانى: «فيه دليل على وجود الرفق بالميت فى غسله وتكفينه وحمله وغير ذلك».

المسارعة إلى تجهيز الميت

قال ابن قدامة: «ويستحب المسارعة إلى تجهيزه إذا تيقن موته، لأنه أصون له وأحفظ من أن يتغير وتصعب معاناته، قال أحمد: كرامة الميت تعجيله»(١٤).

***

١٢) أخرجة البخارى فى «الأدب» باب، ما يهى عن التحاسد والتدابر (٦٠٦٤)، ومسلم فى «البر والصلة» (٢٥٦٣).

١٣) أخرجه أبو داود فى «الجنائز» باب، فى الحفار يجد العظم (٣٢٠٧)، وابن ماجة فى «الجنائز» باب، النهى عن كسر عظم الميت (١٦١٦).

١٤) المغنى (٣/٣٦٦).

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

أدب الحوار فى أحاديث الرسول ﷺ

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف

رئيس اللجنة الدائمة للحوار بين الأديان السماوية بالأزهر الشريف

يقول أستاذنا الشيخ محمد الغزالى - رحمه الله وطيب ثراه-:(1) نعمة البيان من أجلّ النعم التى أسبغها الله على الإنسان وكرمه بها على سائر الخلق، يقول الله تعالى:

﴿ الرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

سورة الرحمن 1-4

وعلى قدر جلال النعمة يعظم حقها. ويستوجب شكرها، ويستنكر كنودها..

وقد بين الإسلام كيف يستفيد الناس من هذه النعمة المسداة، وكيف يجعلون كلامهم الذى يتردد سحابة النهار على ألسنتهم طريقا إلى الخير المنشود، فإن أكثر الناس لا ينقطع لهم كلام ولا تهدأ لألسنتهم حركة.. فإذا ذهبت تحصى ما قالوا، وجدت جله اللغو الضائع، أو الهذر الضار، وما لهذا ركب الله الألسنة فى الأفواه، ولا بهذا تقدر الموهبة المستفادة:

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

سورة النساء آية 114

(1) خلق المسلم ص 72.

الأدب من أفضل الصفات

وقد عنى الإسلام عناية كبيرة بموضوع الكلام، وأسلوب أدائه، لأن الكلام الصادر عن إنسان ما، يشير إلى حقيقة عقله وطبيعة خلقه، ولأن طرائق الحديث فى جماعة ما تحكم على مستواها العام، ومدى تغلغل الفضيلة فى بيئتها..

الأدب من أفضل الصفات التى يتحلى بها المرء فى حياته، ويتصف بها فى سلوكه، فإن حاز هذه الصفة الكريمة، وتلك الخصلة الحميدة فقد حاز الخير الكثير، والفضل العميم، والمنزلة العالية الرفيعة.

ولسمو مكانة الأدب وعلو منزلته ورفعة شأنه وعظيم أثره تولى الله - سبحانه وتعالى - أدب نبيه محمد ﷺ فأدبه بأحسن الآداب كلها، فكان محمد الإنسان، عفيف اللسان، بليغ البيان، عالى الهمة، متربع القمة، يقول ﷺ: (أدبنى ربى فأحسن تأديبى)(2).

ومحمد ﷺ كان مدده فى حديثه وكلامه القرآن الكريم، الذى أعجز الأولين والآخرين، وأداته البيان الناصع، والبلاغة الآسرة، فى مجتمع عرف بالفصاحة، وتزين بالشعر، وتجمل بالبيان، فكان محمد ﷺ سيد ذلك المجتمع أدبا وفضلا قبل المبعث، وفصاحة وبيانا وإلهاما بعد نزول الوحى والتكليف بأمانة الدعوة و حمل الرسالة.



الغزالى

كان محمد ﷺ أفصح الفصحاء، وأبين الأبيناء، وكان يعلن ذلك فى قوله الشريف: (أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش، وربيت فى بنى سعد)(3) وكان أبوبكر - رضى الله عنه - يقول له: يا رسول الله، ما رأينا الذى هو أفصح منك!!! فكان يجيبه بالقول الشريف: (أدبنى ربى فأحسن تأديبى).

لقد جمع الله - تبارك وتعالى - لنبيه محمد ﷺ جوامع الكلم فى كتابه المحكم، ونظم له مكارم الأخلاق كلها فى ثلاث كلمات، فقال جل شأنه:

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

سورة الأعراف آية 199

ففى أخذه العفو صلة من قطعه، والصفح عمن ظلمه، وفى الأمر بالمعروف تقوى الله، وغض الطرف عن المحارم، وصون اللسان عن الكذب، وفى الإعراض

(2) كشف الخفا جـ1 / 72.

(3) كشف الخفا جـ1 / 232.

عن الجاهلين تنزيه النفس عن ممارسة السفيه ومنازعة اللجوج.

ثم أمره - تبارك وتعالى - فيما أدبه: باللين فى عريكته، والرفق بأمته، فقال:

﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾

سورة الشعراء آية ٢١٥

وقال:

﴿ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾

سورة آل عمران آية ١٥٩

وقال:

﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴾

سورة فصلت آية ٣٤، ٣٥

يقول أستاذنا الدكتور مصطفى الشكعة -شفاه الله وأطال لنا فى عمره-: [4] كان رسول الله ﷺ أكثر الناس أدبا فى الحوار والسلوك، وأشدهم حياء، وأوفرهم مجاملة للآخرين، وكان هذا سلوكه مع الناس جميعا حتى مع مشركى قريش إذا حادثهم فى غير شئون الدعوة، كانت وفرة أدبه، ورقة مجاملته، من الأمور التى يعرفها عامة الناس وخاصتهم على وجه سواء..



مصطفى الشكعة

كان أنس بن مالك - رضى الله عنه - خادما لرسول الله ﷺ، ملازما له نحو عشر سنين فى دار الهجرة، ولأنس أخبار كثيرة رواها عن أدب رسول الله ﷺ وحلمه وتلطفه مع العام والخاص وسمته:

يقول أنس - رضى الله عنه - فى وصف آداب رسول الله (ما شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله ﷺ)، وقال: «ولا تناول أحد يده فيتركها حتى يكون هو الذى يتركها، وما أخرج ركبتيه بين يدى جليس قط، وما قعد إلى رسول الله ﷺ رجل قط فقام حتى يقوم).

وعن ابن أبى أوفى يقول: (كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر، ويقل اللعن، ويطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، وكان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشى مع الأرملة والمسكين فيقضى له حاجته)[5].

كانت تلك بعض صفات رسول الله، ولونا من ألوان سلوكه ﷺ، وكان هذا السلوك يتضح فى حواره مع غيره من

(٤) البيان المحمدى ص٧٣ وما بعدها بتصرف.

(٥) النسائى ٣/ ١٠٨

البشر: أفرادا كانوا أم جماعات، حضرا كانوا أم بدوا، مشركين كانوا أم مؤمنين، كتابيين كانوا أم مسلمين، أنصارا كانوا أم مهاجرين،،

وحواره ﷺ يأخذ لكل حالة مقتضاها، ولكل موقف لبوسه، فى نطاق من نصاعة البيان، وسلاسة القول، ورقة الحوار، وسعة الصدر، وجلال التسامح، وكظم الغيظ، ويسر الإقناع، ضاربا بذلك الأمثال للمسلمين -بل للناس جميعا- أن يتمثلوا حلمه، ويحفظوا قوله، ويلتزموا سبيله ويتبعوا سنته، ويقتفوا أثره..

نماذج من الحوار النبوى

إن نماذج الحوار الذى كان يجرى بين رسول الله ﷺ وبين أهله وعشيرته، وبين صحابته، وبين الوافدين عليه من الناس فى مكة والمدينة ملأت كتب السيرة، والمقام لا يسع ذكرها كلها، وإن كان يسمح بذكر بعضها لنحتذى بها ونأخذ منها القدوة..

إن من أنفس نماذج هذا الطراز من الحوار، ذلك الذى جرى بين شاب من جمهرة شباب المسلمين- وإن لم يكن من خيارهم- وبين رسول الله ﷺ، إن الشاب فى غيبة رشدة، والانصياع لغريزته، يطلب إلى رسول الله ما لم يطلبه أحد قبله، فهو يطلب أن يؤذن له بالزنا، فلما سمعه الناس صاحوا غضبا، ولكن رسول الله ﷺ معلم البشرية، ومبرىء سقامها، لا يغضب، وإنما يقرب الشاب إليه، ويعالج ما يطلبه من الإذن له بالفاحشة بالحوار الهادىء الذى يشتمل على الكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة والنصح الجميل.

إن مجمل الخبر كما رواه الإمام أحمد عن أبى أمامة باسناد جيد هو: أتى شاب النبى ﷺ فقال: يا نبى الله أتأذن لى فى الزنا؟ فصاح الناس به، فقال النبى ﷺ: (قربوه، أدن) فدنا حتى جلس بين يديه، فقال ﷺ: (أتحبه لأمك؟) قال: لا، جعلنى الله فداك. قال: (كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم. أتحبه لابنتك؟) قال: لا، جعلنى الله فداك. قال: (فكذلك الناس لا يحبونه لبناتهم) وزاد الراوى ابن عوف: حتى ذكر العمة والخالة. وهو يقول فى كل واحدة: لا، جعلنى الله فداك، والنبى ﷺ يقول: (كذلك الناس لا يحبونه)، ثم وضع الرسول ﷺ يده على صدره وقال: (اللهم طهر قلبه، واغفر ذنبه وحصن فرجه) فلم يكن شىء أبغض إليه من الزنا.

ومن نماذج الحوار بين رسول الله وبين أحد أفراد الصحابة، بل رأس الصحابة، ما كان بينه وبين أبى بكر حين صلى أبوبكر بالناس، وكان رسول الله بعيدا عن المسجد ليصلح بين قوم مختلفين فيما بينهم. وذلك خبر الحوار:

عن أبى العباس سهل بن سعد الساعدى

أن رسول الله ﷺ بلغه أن بنى عمرو بن عوض كان بينهم شر، فخرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم فى أناس معه، فحُبس رسول الله، وحانت الصلاة، فجاء بلال إلى أبى بكر - رضى الله عنه - فقال: يا أبا بكر إن رسول الله ﷺ قد حُبس(٦) وحانت الصلاة فهل لك أن تؤم الناس؟ قال: نعم إن شئت، فأقام بلال الصلاة وتقدم أبوبكر فكبر وكبر الناس، وجاء رسول الله ﷺ يمشى فى الصفوف حتى قام فى الصف، فأخذ الناس فى التصفيق، وكان أبوبكر - رضى الله عنه - لا يلتفت فى الصلاة، فلما أكثر الناس التصفيق التفت فإذا رسول الله ﷺ، فأشار إليه رسول الله ﷺ، فرفع أبوبكر - رضى الله عنه - يده فحمد الله ورجع القهقرى وراءه حتى قام فى الصف، فتقدم رسول الله ﷺ فصلى بالناس، فلما فرغ أقبل على الناس فقال: (أيها الناس مالكم حين نابكم شىء فى الصلاة أخذتم فى التصفيق، إنما التصفيق للنساء، من نابه شىء فى صلاته فليقل: سبحان الله، فإنه لا يسمعه أحد حين يقول: سبحان الله إلا التفت، يا أبا بكر. ما منعك أن تصلى بالناس حين أشرت إليك؟ فقال أبوبكر: ما كان ينبغى لابن أبى قحافة أن يصلى بالناس بين يدى رسول الله ﷺ (٧)

إن هذا الحوار القصير الموجز الذى جرى بين الرسول ﷺ وبين أبى بكر يشف عن جوهر الرسول الكريم الذى يرضى بأن يصلى مأموما بأبى بكر، وعن مقدار إعظام أبى بكر للرسول فى كل المواقف، وبخاصة فى موقف الصلاة، إذ يقول فى أدب لا يتقنه إلا قلة من الصحابة وفى مقدمتهم أبوبكر: ما كان ينبغى لابن أبى قحافة أن يصلى بالناس بين يدى رسول الله ﷺ، ناهيك عن الدرس القصير فى شأن الصلاة، حيث إذا أراد الرجال أن ينبهوا الإمام إلى شىء ما فالذى يجمل بهم هو التسبيح، وأما النساء فالتصفيق.

مع الروح الأمين

وهذا حوار فرد فى بابه، لأنه ليس حوارا بين الرسول والصحابة، ولا هو حوار بين الرسول وأحد من البشر، وإنما هو حوار طرفاه خاتم الرسل محمد ﷺ والروح الأمين جبريل عليه السلام.

عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال: (بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد. حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع

(٦) معنى (حُبس) أمسكوه ليضيفوه.

(٧) متفق عليه

كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرنى عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرنى عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال: فأخبرنى عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرنى عن الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرنى عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان، ثم انطلق، فلبث مليا، ثم قال: يا عمر أتدرى من السائل؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) .(٨)

وهكذا نقرأ: جبريل يتولى توجيه السؤال، والرسول ﷺ يجيب فى دقة وبلاغة ووضوح وإيجاز، جبريل يسأل عن الإسلام، ثم عن الإيمان، ثم عن الإحسان، ثم عن الساعة.. والرسول ﷺ يعرف بكل من الإسلام والإيمان والإحسان تعريفا محددا، وأما حين سئل عن الساعة فكانت الإجابة التى لم ترتفع بلاغة فرد إلى أدنى مستوى من بلاغتها، حتى صارت مثلا يجرى على ألسنة البلغاء أهل المسائل: (ما المسئول عنها بأعلم من السائل).

وكأنما كان القصد من سؤال جبريل للرسول ﷺ عن تعريف كل من الإسلام والإيمان على حدة هو وضع حد نهائى فاصل بينهما، حتى يقر فى قلوب المسلمين من كافة طبقاتهم أن الإيمان مرحلة أرفع من مجرد الإسلام، مصداقا لقول ربنا عز وجل:

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾

(الحجرات/ ١٤)

***

(٨) أخرجه مسلم

أو قل إن شئت هى تأملات لفهم مستقيم لأحاديث البشير النذير قلت ذلك كأنى أخاطب نفسى أو أفكر بصوت عال مسموع. وهذه العبارة الأخيرة - أقصد بها - أننى لا أفرض رأيا على أحد لكنى أقلب الأمر على وجوهه حتى يتبين لى وجه الصواب ويهدينى ربى إلى رشد مستقيم حتى لا أضل أو أضل.

كيف نفهم الحديث النبوى

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى
أمين عام اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر

قفز صاحبى فجأة كأنه كان مختبئًا يتسمع إلىّ قائلا فيما يشبه التهكم؟ هل جئت بفهم سبقت به الأوائل؟ أوْ وَصَلْت إلى ما لم يصلوا إليه أم ماذا تقصد؟ وماذا تريد أن تزعم؟

قلت مستعيذا بالله: أنا لا أقصد شيئا مما زعمت أو ظننت ولم أدّع شيئا مما قلت وَجَنَيْتَ به وتجنيت ولكنى كنت أقلب الرأى بينى وبين نفسى وكما وصفت لك فأنا أفكر بصوت عال حتى تكون فكرتى موضوع حوار بينى وبين الآخرين. والحكمة ضالة المؤمن ينشدها ويطلبها حيث كانت.

لكنك ظننت -وبعض الظن إثم- وبتسّرعكَ وقعت فى الإثم بظنك المتسرع. ولا داعى للتكلف والدوران والمراوغة وتعال -كما يقول علماء السلف- إلى تحرير محل النزاع. ولعل هذه العبارة «تحرير محل النزاع» لا يعرفها جيلك كله جيل التيك أواى TAKE AWAY وهذا ما أخشاه على التراث كله وإن شئت الحق فهو مراد التغريب والأَمْركَة أو ما يسمونه بالعولمة واسميه السيطرة والطغيان الأمريكى.

فهم يريدون محو الثقافة الإسلامية واجتثاثها من جذورها بأسماء وأفعال وإن اختلفت شدةً وعنفًا ولينا وخبثًا وضعفًا أو جمعت بين ذلك كله إلا أن هدفها واحد واضح عندهم مقصود ومعلوم مع سبق الإصرار والترصد منهم مره يسمونه تجديد الخطاب الدينى ومرة صراع الحضارات ومرة يغلفونه بحرير مغشوش يسمونه حقوق الإنسان أو الحريات الشخصية أو المجتمع المدنى أو الجمعيات الأهلية.

لكنى أثق تمامًا فى قدرة الإسلام أمةً ومنهجًا ومبادىء وأفرادًا فعلاً وقيما بأن السيادة له فى النهاية لأنه يوافق الفطرة الإنسانية فهو دين تتوافق فيه وتتناغم قيمه ومبادئه وسلوكياته وأوامره مع العقل والعاطفة والرغبات النفسية والجسدية لم يعرف التاريخ لها مثيلاً.

وأحسب أن الإنسانية كلها - فى جميع مللها

ونحلها - فى شوق وظمأ إلى الإسلام دنيا وسلوكًا وعقيدة وشريعة بعد أن سئمت شذوذ الإثم والعدوان، وتجرعت كأس الأنانية وسئمت الجسد والملذات المادية. ليس ما قلته خروجًا عن الموضوع أو هروبا من الحوار إنما هو توضيح لازم وبيان مقصود بذاته ولذاته ولنعد إلى «تحرير محل النزاع» أو تحديد نقاط الخلاف، والمقصود من عنوان المقال فأنا أولا اختلف مع كثيرين ممن يتصدون لبعض الأحاديث يشرحونها شرحا مغلوطا أو يلوونها لتوافق أهواءهم.

وعلى سبيل المثال لا الحصر:

أولا: قوله ﷺ «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو»(١).

ثانيا: لا تجعلوا قبرى عيداً.

وثمة أحاديث أخرى فهى مغلوطة أو قُل عَرَضُها الخطأ فيه مقصود تبعًا لهوى أو شهوة فى اتباع كل غريب وشاذ. يقدم للناس على أنه علم جديد اختص به قائلة وهو لا يعرف اللغة ولا الفقه ولا يعرف عن علم الرواية والدراية بل ولا يجيد أن يقرأ كتاب الله قراءة صحيحة سليمة من اللحن والخطأ وتعال بنا إلى الأحاديث الصحيحة والشرح المغلوط والهوى المتبع المقصود حتى نصحح فهمها ويستقيم معناها، وبادىء ذى بدء نتخلص من الهوى والتبعية لجماعة أو فكر وتعال إلى الحديث الأول فى هدوء خالص وتجرد نزيه ونص الحديث «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» ولست أدرى لماذا نحصر ونضيق فهما رحبا واسعا وتوجيها رشيدا من رسول الله ﷺ لأمته سوف أبيّنه لك بإذن الله- لماذا نحصر فهمنا لهذا الحديث فى أن ثواب قراءة القرآن لا يصل إلى الميت؟ مستشهدين بهذا الحديث مع أن فى الحديث إرشاد إلى توجيه عامٍ وحثٌ مقصود من نبى الرحمة ورسول الإنسانية إلى أن نتسابق إلى فعل الخير ونجعل جزءًا من أموالنا صدقةً جارية ينتفع بها المسلمون من بعدنا وأن نستبق إلى بذل ما عندنا من علم نوجه به أجيالا صاعدة شابة فتية تعمل به وتسترشد بهُداه.

أو نسطره فى كتب إذا لم يتح لنا الوقتُ أو العصر مستمعين نابهين ينقلون عنا ما وهبنا الله من علم وذلك -فى تصورى- هو سر ثراء بلاد العالم الإسلامى بالمكتبات الزاخرة بالتراث النادر الجيد وهو سر الرقى الإسلامى فكرا ورحابة واتساع أفق، فبالعلم تنمو الأمم وتزكوا النفوس وترقى الحياة، وهذا هو سر تطور ونماء الأمة الإسلامية برغم ما يوجه لها من سهام.

وأخيرا لماذا نرى فى الحديث توجيها رشيدا وأمرا مستحبا إلى تربية الأولاد والحرص عليهم وتنشئتهم نشأة دينية مستقيمة تعرف ربها وتقدر حق الأبوة فليس بالمال وحده تنمو وتزكو صلة الآباء بالأبناء، لماذا نهمل كل هذه المعانى السامية التى بها ترتقى الأمم وتتقوى صلة

(١) صحيح مسلم جـ ٣ / ١٢٥٥.

الأرحام وتزكوا الأجيال وتتقدم المعارف، لماذا نهمل كل هذا التوجيه السامي ونَسْقُطُ في وهاد التخرب وشهوة الظهور بكل جديد حتى وإن كان خطأ لا يواف الصواب؟ وفي هذا المقام أذكر قول رسول الله ﷺ موجها الآباء إلى إحسان تربية أبنائهم وعونهم على أن يبروهم فلا يكلفونهم ما يحملهم على التمرد والعصيان بل يطلبون منه ما يوافق طباعهم فتكون الطاعة محببةَ والبرّ سائغا لدى الأبناء، لأنهم يأتون ما يحبون أن يفعلوه وفي نفس الوقت هو طاعة للآباء يحبها الله ورسوله ويحض عليها الدين الحنيف.. يقول رسول الله ﷺ «رحم الله امرؤا أعان ولده على برّه» ألا نجد في حديث رسول الله ﷺ -السابق- «إذا مات ابن آدم.... إلخ» متسعا رحبا لكل مسلم ذي فطرة سوية غير مشوبة بأخلاق أو بأدران شهوات الظهور والتحزب الممقوت، بل وإن شئت الدقة في التعبير، ألا يجد كلّ صاحب فطرة سوية وقلب مفعم بحب الإنسانية الرشيدة متسعا رحبا في هذا الحديث فيترك صدقة جارية تعين عباد الله بعده وينشر علما يبثه للناس أو يقيده في كتاب فيثري أمته بل ويثري الإنسانية بتراث نافع سديد ويعمل في نفس الوقت على تربية ولده تربية دينية تعرف حق الأبوة وتنأى عن الخواء الديني وتتجه به إلى العلم النافع فلا يقع فريسة سهلة في أيدي جماعات تصيغها كما تريد وتوجهها إلى كل شر. فبالله عليك قل لي.. من الذي يدعو لك أيدعو لك ابن خَلّفته مدمنا عربيدا؟ أو عاقلا ذكيا ماهرا في الدنيا يجمعها ويكنزها ولا يعرف حق الله فيها لأنك لم ترشده ولم تعلمه أن:

﴿ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴾

أم من تربى كما يحب الله ورسوله.. لقد سقطت كل هذه المعاني النبيلة وهذا التوجيه الرشيد من عقل وقلب من أخذ الحديث «إذا مات الإنسان» وانحصر فهمه وضاق قلبه حتى لم يبق أمامه في الحديث إلا شاهدا على أن قراءة القرآن لا يصل ثوابها إلى الميت.. وتعال معي إلى اللغة حتى تعلم بعض سرها، فلقد قلت لك تعال إلى «تحرير محل النزاع» أولا!! وهي كلمة وجيزة عميقة!! إن الحديث ينص على أن النزاع ينحصر في الضمير في قوله ﷺ.. «انقطع عمله» فدعني أسألك عن من يرجع الضمير في «انقطع عمله» أليس يرجع إلى الإنسان الميت والاستثناء لهذه الثلاث «الصدقة الجارية والعلم الذي ينتفع به والولد الصالح» استثناء من مرجع الضمير فإنها من عمل الميت فهي لا تنقطع بموت الإنسان- لكنه بالله عليك هل أشار الحديث أو صرح بدلالة النص أو ألمح بدلالة الفحوى أو مفهوم المخالفة -وتلك كلمات من أصول الفقه يعرفها أهل التخصص- فهل أشار الحديث أن عمل الغير للإنسان الذي مات انقطع بأي من الدلالات السابقة التي أشرت إليها وهي من علم أصول الفقه أم أنه لم يتعرض لها أو قل إن شئت الدقة والصدق والأمانة في العلم والدين ترك الباب مفتوحا لكل مسلم يقدم خيرا لأسلافه الذين سبقوه بالإيمان دعاءً أو ثواب عمل أو سنة حسنة عمل بها وتعلمناها منه -أي من سلفنا الذي مات- فعملنا بها بعده ونشرناها فله أجره

ثوابا من عند الله من غير أن ينقص من أجورنا شيئا مع أن العمل هنا بعد موته.

ألم يقل النبي ﷺ حديثا تلوكونه بلا وعي أو ترددونه بخبث مقصود وتحزب رديء مرفوض، ألم يقل ﷺ «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة»(٢) فبالله عليك.. من سن لنا سنة حسنة ومات وعملنا بها بعده.. ألا يصله ثواب ما نعمله برغم رحيله وموته أم أنك ترفض ذلك وتأباه كأنك توزع صكوك الغفران وتعود بنا إلى عهود الظلام في أوروبا وصدق الله حيث يقول:

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾

الزخرف/ ٣٢

ويوزعونها كيف يشاءون وعلى من يريدون وعلى تابعيهم:

﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

وقول الله عز وجل في سورة الإسراء:

﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴾

الإسراء: ١٠٠

صدق الله العظيم. أليس في حديث رسول الله ﷺ «من سن حسنة.. إلخ» نقض لما تزعمه من أن ثواب قراءة القرآن لا تصل إلى الميت أم أنك ترى أن قراءة القرآن على الميت سنة سيئة فعلى من بدأها ومن اقتدى به عليه وزر.. فهل يصل الوزر إلى الميت والأجر لا يصل.. مرة أخرى أقول لك:

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾

ولعلك تقول إن الذي يصل هو دعاء الولد الصالح فقط؟! فماذا تقول في قوله ﷺ «إن من أبر البر أن يصل الولد أهل ود أبيه»(٣) فهل ترى أن هذه الصلة دعاء أم أنها عمل؟؟ ولماذا وافقت أو زعمت -إن كان لك رأي يؤخذ به- أنها تقبل.. ثم تعال معي إلى قوله ﷺ لمن جاء يسأله عن حجه عن أبيه فقال النبي ﷺ «اقض عنه وانحر عنه وامش عنه» ثم أكمل رسول الله ﷺ في هدى نبوي مستقيم قائلا «أرأيت إن كان على أبيك دين لرجل قضيت عنه من مالك أليس يرجع الرجل راضيا؟ فالله أحق أن يرضى»(٤) فبالله عليك هل هذا.. أقصد «النحر» و«المشي» في الحج يدخل في الدعاء كما تهوى ولما تهوى وتخرج قراءة القرآن وثوابها من حسبانك وتدخل في السنّة السيئة

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾

يونس/ ٥٩

وإلى لقاء آخر إن شاء الله مع قوله ﷺ «ولا تجعلوا قبري عيدا»(٥) وكيف يفهمه محب صادق.. أو كاره لئيم.

(٢) مسند الإمام أحمد، ٣٦١/٤، ٣٦٢.
(٣) صحيح مسلم ١٩٧٩.
(٤) السنن الكبرى للبيهقي ٣٢٩/٤.
(٥) سنن أبي داود، المناسك، ب ٩٩.

مع الأديب عباس محمود العقاد فى رائعته:

ذو النورين

عثمان بن عفان رضى الله عنه

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

على الرغم من أن كتاب العقاد «ذوالنورين- عثمان بن عفان» لا يحمل ما حملت عبقرياته من عناوين إذا استبنا ذلك حتى من مجرد قراءة الغلاف، إلا أن منهج هذا الكتاب لا يباين منهج العقاد فى عبقرياته الأخرى، من حيث هو ترجمة تحليلية، وأوشك أن أقول من حيث هو أوغل هذه العبقريات جميعاً فى منزع التحليل والتعميق.. حتى من جهة شكلية بحتة فنرى العقاد فى مفتتح هذا الكتاب يؤكد على حقيقة أن هذا اللون من ألوان الإبداع الفكرى «ترجمة» لا تعنى بسرد الحوادث ولا استقصاء البيان عن فترة من السنين، وإنما تعنى الحادثة والفترة جميعاً بكونهما وسيلة إلى مقصد واحد: «وهو التعريف بالنفس الإنسانية فى حالة من أحوال العظمة والعبقرية أو حالة من أحوال النبل والأريحية».. فإذا تجاوزت هذا المقصد إلى غيره فإنما تجاوزه لجلاء فكرة تحيط بأطوار التاريخ الإنسانى، وتخرجه من غمار التيه والظلمة، وتسلك به مسلكاً غير مسلك التخبط وهذا الاعتراف الأول من العقاد بأن هذا اللون الإبداعى ليس مجرد تقدير لعبقرية من العبقريات بقدر ما هو بالدرجة الأولى تراجم تحليلية غائصة فى دم ولحم هذه

الأزهر

الشخصية الإنسانية المتعينة يعنى بالنسبة لنا الكثير.. الكثير.. لأنه يجهر -ولا يكتفى بالإيماء- بأن الترجمة التحليلية هى ما يملى عليه ما يكتب، وأن منهجه الإبداعى فى هذا الصدد منهج مسبق ومدروس، وأن كل المقولات التى تنحنى عليها هذه العبقريات إنما ينبغى أن تحاسب على ضوء من المنهجية الصارمة التى ينبغى أن تتوفر بدورها للتراجم التحليلية هكذا بلا تفريط!!

وبلا فتون معصوب يقف العقاد أمام أبطاله هنا معجباً ومحتشداً بغير قليل من الإعجاب ولست أدرى ماذا يمكن أن يؤخذ على العقاد فى هذا الصدد.. إن كل الذين تصدوا للعبقريات دراسة ونقداً لم يرضهم أن يقف العقاد من أبطاله موقفاً معجباً لأن الإعجاب- كما يقولون- يضرب كل فهم راشد فى الصميم وبدءاً لا أريد أن ألامس الأشياء ملامسة ناعمة، فإن غلاظة الجهل فى هذا الاتهام أفحش من أن نلامس وجهها بأنامل الرفق.. إن العقاد لم يشكل أبطاله على هذا النسق، إن هويتهم الخاصة قد تشكلت على نحوها الخاص حتى من قبل أن يولد العقاد..

إن بطولتهم ليست ثمراً يطرح فى حديقة أى من الكتاب أو الدارسين أو المؤرخين، إن هذه البطولة إذا صحت



الموازين تلهم ولا تستلهم، تعطى ولا تأخذ، تشع ولا تقبل مزيداً من الإشعاع.. ومن هنا فإن إعجاب العقاد ببطله لا يأتى من تعاطف حى أو ميت مع هذا البطل، وإنما يأتى من تعاطف أشمل من الحياة والموت مع «البطولة» فى هذا الإنسان.

وإذا كان العقاد- من هذا المنظور- يطرح إعجابه على صفحات كتابه، فإنه لا يفعل ذلك من خلال عشوائية جاهلة أو سردية بلا قرار، وإنما يفعل ذلك كله من خلال منهجه التحليلى القائم على المقارنة والموازنة وتعقل الأشياء، وربط كل شىء فيها على الإطلاق!!

لابد أن نأخذ مثالاً مما كتب العقاد لتأكيد هذه النظرية.. فإن إطلاق الأحكام مما يناقض بطبيعته طبيعة المنهج التحليلى الذى تلهث فى غباره على مد هذه السطور.. يقول العقاد:

ربما كانت سيرة الخليفة الثالث- ذى النورين- أوفى السير بالشواهد على الخصائص التى تلازم تاريخ العقيدة فى

أطوارها الأولى، ولاسيما أطوار التحول فى طريق الاستقرار.. وأبرز هذه الخصائص فى تاريخ العقيدة أنه تاريخ قيم ومبادىء وليس بتاريخ وقائع وأحداث.. فالوقائع والأحداث تتشابه فى العصور المتطاولة.. ولو أننا تخيلناها معروضة فى الصور الصامتة لما وجدنا من فارق يذكر بين الوقائع والأحداث التى تفصلها من مسافة الزمن آلاف السنين، ومن مسافة المكان آلاف الفراسخ كلها صورة متكررة من حيث ظواهرها وأعراضها البادية للعيان.. ولكنها تختلف اختلافا بعيداً حين ننفذ من ظاهرها إلى باطنها أو حين ننفذ من حركاتها المكشوفة إلى القيم النفسية التى تكمن وراءها، وإلى الدعاوى التى تدور عليها ولو كانت من دعاوى المبطلين التى يصدق عليها فى بعض الأحيان أنها كلمات حق أريد بها أباطيل.. فالحوادث التى تدور على طلب السطوة غير الحوادث التى تدور على طلب الحرية، ولو كان طلب الحرية أكذوبة يتعلل بها المتعلل لغاية فى نفسه يسترها ويعلن ماعداها.. فإذا كان المتعلل بالحرية مبطلا فى دعواه فهناك فارق صحيح بين المعارك التى تذكر فيها الحرية حقاً أو باطلاً، والمعارك التى لا ترد فيها على لسان أحد ولا تخطر بباله، فلولا أنها أصبحت شيئاً يهتم به الناس ويتنازعونه لما ذكرها الصادقون ولا المبطلون ومتى أصبحت الحرية قيمة من القيم المحسوبة فى حياة الأمم فهناك دليل عليها ممن يتعلل بها صادقاً ويتعلل بها كاذبا ليخدع الناس بها عما يريده من ورائها)!!

المنحى التحليلى عند العقاد

هذا نموذج من المنحى التحليلى الذى يتناول به العقاد تراجمه وعبقرياته، كل شىء فيه خاضع لمقاييس المنطق والعقلانية وتحليل المبادىء والاتجاهات.. وربما كانت كلمات العقاد فى آخر كتابه عن عثمان ابن عفان توثيقاً أكيداً لمنحاه التحليلى فى تراجم الرجال فهو يقول مثلاً: (ومن الفصول فى سيرة تدور على «تحليل الشخصية» أن يظل فى سرد أحداث الفتنة التى انتهت بمقتله» ويخطر أكثر نحو تعميق مفهومه فى هذا المجال حين يقول: (وإن وجبت كتابة السير فأوجب ما يوجبها أن تكشف جانب الخير فى أغوار النفس الإنسانية، لا قصيدة مديح كما يقال، بل تحية صدق تمتحن بالنار والنور بين ظلمات الشرور).. وهذه بعض ملامح منهجه- على الأقل من خلال هذا الكتاب!!

ولكننا حتى الآن لا نعرف لماذا لم يطلق العقاد على كتابه عن عثمان بن عفان اسم

«عبقرية عثمان» واكتفى بأن يطلق عليه اسم: «ذو النورين» عثمان بن عفان؟!

والعقاد نفسه يسعفنا فى هذا الصدد فى جرأة واقتحام فيقول: (.. وهذه السيرة الرائعة من سير الخلفاء الراشدين لا نسميها بالعبقرية كما سمينا عبقرية عمر، وعبقرية الإمام، وعبقرية الصديق، لأننا لا نؤمن بالعبقرية لعثمان ـ رضى الله عنه ـ ونؤمن فى الحق أنه ذو النورين: نور اليقين ونور الأريحية والخلق الأمين، ومن أبى عليه ميزانه أن يحابى فى كلمة تستدعيها المجاراة لما سبقها من الكلمات لن ينظم قصائد المديح فى محراب التاريخ. فحسب النفس البشرية أملاً أنها غنية بالحق عن قصائد المديح فى هذا المحراب)!!

فالعقاد إذن يتحرك فى تراجمه من منطق تحليلى يخضع حتى الهاجس العابر لمقاييس ليست ضاغطة أجل. ولكنها صميمية على كل حال.. وهذا هو ما يعطى منهج العقاد قيمته الحقيقية وقدرته الهائلة على مواصلة السير فى الزمن، والتمدد فى أعراق الحركة الفكرية النابعة بلا حدود.

المنهج هو الأمل والمناط

أن يكون العقاد فى عبقرياته بادئاً من منطلق تحليلى ومنتهياً إلى مناط تحليلى، فذلك أهدى ما يمكن أن يصل إليه كاتب من طراز العقاد نشأة وثقافة واتجاه حياة.

وأن يكون هنا- كما هو فى عبقرياته- قائماً على حراسة المنهج التحليلى، رافداً كل جوانب المنهج بتطبيقات صميمة مضافة، فذلك أروع من أن يكون مجرد زاعق بأن لعثمان عبقرية من عبقريات الآخرين!!

المنهج هو الأمل والمناط.. فحركة الفكر العربى كلها بحاجة لازمة إلى «منهج» يحتوى شتاتها الممزق، وينحنى على كل أبعادها الشعثاء، والعقاد بلا مكابرة خطوة هائلة على طريق هذا الأمل العظيم!!

***

وظيفة إسلامية نسيها المسلمون:

الحسبة فريضة اجتماعية واقتصادية

للدكتور/ عبد الحليم عويس

بالحسبة «الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر» كان المجتمع الإسلامى يقوم بتنظيف جوانبه، ومعالجة الأمراض من باب «الوقاية» قبل أن تصبح خطرا داهما على الأمة.

والحسبة وظيفة إسلامية خالصة، والمحتسب هو القائم الذى تتوافر فيه شروطها من إيمان وصدق وعدل وغيرة وفهم لشئون الحياة.

ويدور الجذر اللغوى لهذين المصطلحين حول معنيين: «العدّ والتقدير، وسمو الشرف وسموقه»، ففى المعاجم: حسب المال ونحوه يحسبه حسابا وحسبانا، أى عدّه وأحصاه وقدّره، فهو حاسب والمفعول محسوب، وحسَب، وحسُب فلان يحسُب حَسَباً: كان له ولآبائه شرف ثابت متعدد النواحى، فهو حسيب، والجمع حسباء، وحاسب فلانا محاسبة وحساباً أى ناقشه الحساب، والحساب والحسبان: العدّ، وكذلك التدبير الدقيق، والحِسْبَة: الحساب، ويقال فلان حسن الحسبة فى الأمر، أى يحسن تدبيره، وفعله حِسْبَةً، أى فعله مدخراً أجره عند الله تعالى، «ابن منظور: لسان العرب».

ولا شك أن العدَّ والتقدير والتدبير، وسموّ الشرف وسموق النسب أمور ضرورية فى الحسبة والقائم بها، ذلك لأن الحسبة فى الأصل ولاية شرعية ومنصب دينى، مقصودها أن يكون الدين كله لله، عن طريق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، مما ليس من خصائص الولاة والقضاة وأهل الديوان ونحوهم، وهذا مجمل ما يفهم من كلام «ابن تيمية» فى كتابه «الحسبة فى الإسلام» عن مفهوم الحسبة ودلالتها الشرعية.

وقد عرفها «الماوردى» فى «الأحكام السلطانية» بأنها «أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله».

وقد أكَّد هذا المفهوم، وهذه المهام للحسبة القلقشندى (ت ٨٢١هـ) بقوله: «وهى وظيفة جليلة رفيعة الشأن، وموضوعها التحدث فى الأمر والنهى، والتحدث عن المعايش والصنائع، والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح فى معيشته وصناعته»[1].

وقد عرف المجمع اللغوى الحسبة بأنها: «منصب كان يتولاه فى الدول الإسلامية رئيس، يشرف على الشئون العامة من مراقبة الأسعار، ورعاية الآداب»، كما عرف المجمع المحتسب بأنه: «من كان يتولى منصب الحسبة»[2].

ولعل هذين المفهومين الذين أقرهما المجمع اللغوى هما أوضح التعاريف وأوجزها فى التعبير عن دلالتهما ووظائفهما عند الفقهاء والمؤرخين «أى تعريف الحسبة والمحتسب».

واجبات المحتسب

وقد حدّد شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) مهام المحتسب فيما يلى:

- الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مما ليس من خصائص الولاة والقضاة وأهل الديوان وغيرهم[3].

- متابعة الأئمة والمؤذنين، فمن فرط منهم فيما يجب من حقوق الإمامة، أو خرج عن الأذان المشروع ألزمه بذلك، واستعان بما يعجز عنه بوالى الحرب والحكم، وكل مطاع يعين على ذلك، وذلك لأن الصلاة هى أعرف المعروف من الأعمال، وهى عمود الإسلام وأعظم شرائعه[4].

- الأمر بالجمعة والجماعات، وبصدق الحديث وأداء الأمانات، وغير ذلك من الصالحات القولية والفعلية.

- النهى عن المنكرات من الكذب والخيانة، وما يدخل فى ذلك من تطفيف

(١) القلقشندى: صبح الأعشى مصر ١٣٣١ - ١٣٣٨هـ ٤/٢٧.

(٢) المعجم الوسيط ١/١٧٨، والمعجم العربى الأساسى ص٣٠٨.

(٣) ابن تيمية: الحسبة فى الإسلام ص٩ بتصرف.

(٤) السابق: ص٩-١٠ بتصرف.

الكيل والميزان والغش فى الصناعات والبياعات والديانات ونحو ذلك.

قيمة وظيفة المحتسب

ويقول القلقشندى مصورا حالة المحتسب ومهامه فى عصره: «وكان.. من وجوه العدول وأعيانهم، وكان من شأنه أنه إذا خلع عليه «أى كرمه السلطان بهدية» قرىء سجله بمصر والقاهرة على المنبر، ويده مطلقة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على قاعدة الحسبة، ولا يحال بينه وبين مصلحة أرادها، ويتقدم إلى الولاة.. ويقيم النواب عنه بالقاهرة ومصر وجميع الأعمال كنواب الحكم، ويجلس بجامعى القاهرة ومصر يوما بيوم..»(٥).

وهذا يدل على قيمة وظيفة المحتسب وخطورة دوره فى المجتمع.

ونظرا لخطورة مهام المحتسب اشترطت فيه شروط عديدة من أهمها:

- أن يكون المحتسب ملتزما فى قوله وفعله، وقدوة صالحة لغيره.

- أن تكون محبة المحتسب للمعروف وبغضه للمنكر، وإرادته لهذا وكراهته لهذا موافقة لحب الله وبغضه، وإرادته وكراهته الشرعيين، وذلك لأن اتباع الأهواء فى الديانة أعظم من اتباع الأهواء فى الشهوات.

- أن يؤدى المحتسب وظيفته معتمدا على علم وفقه، كما قال عمر بن عبدالعزيز: «مَنْ عَبَدَ الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح».

من صلاح المحتسب أن يأتى بالأمر والنهى بالصراط المستقيم، وهو أقرب الطرق إلى حصول المقصود، تطبيقا لفقه الدعوة فى الحكمة والموعظة الحسنة.

- ولابد أن يؤدى المحتسب مهامه بالرفق، كما قال النبى - ﷺ -: «ما كان الرفق فى شىء إلا زانه، ولا كان العنف فى شىء إلا شانه»، وقال: «إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله، ويعطى عليه ما لا يعطى على العنف»(٦).

- لابد فى المحتسب - أيضا - أن يكون حليما صبورا على الأذى، فإنه لابد أن يحصل له أذى، فإن لم يحلم ويصبر، كان ما يفسد أكثر مما يصلح، كما قال لقمان لابنه

﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (لقمان/١٧)

(٥) القلقشندى: صبح الأعشى، ٤٨٣/٣.

(٦) ابن تيمية: مرجع سابق، ص٧٦ وما بعدها.

ولهذا أمر الله الرسل وهم أئمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.. بالصبر قال - تعالى -:

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (الأحقاف/٣٥)

وقد ركز ابن تيمية على هذه الخصال الثلاث الأخيرة «العلم، والرفق، والصبر» وبين أهميتها بقوله: «فلابد من هذه الثلاثة: العلم، والرفق، والصبر.. العلم قبل الأمر والنهى، والرفق معه، والصبر بعده، وإن كان كل من الثلاثة مستصحبا فى هذه الأحوال»، وهذا كما جاء فى الأثر عن بعض السلف، ورووه مرفوعاً - ذكره القاضى أبويعلى فى المعتمد -: «لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيها فيما يأمر به، رفيقا فيما ينهى عنه، حكيماً فيما يأمر به، حليماً فيما ينهى عنه».

***

والمحتسب هو - والقاضى - الرجلان المشرفان على الأصناف «النقابات المهنية» والمتابعان لشئونهما من خلال شيوخ الأصناف، بنوع من التفاهم والتكامل، وغالبا ما يعجز المحتسب عن استيعاب كثير من الأمور الفنية فى الصنعة، فيلجأ إلى شيخ الصنف «النقيب» كما أنَّ الدولة نفسها - إما من خلال المحتسب، وإما بطرق مباشرة - قدْ تتعاون مع رجال الأصناف «النقابات» فى أمورها الخاصة والعامة.

وفى أمور كثيرة تعاونت «النقابات المهنية» الممثلة للشعب مع الدولة، واهتمت بها الدولة اهتماما مباشرا، حتى أصبح الرجال البارزون فى النقابات فى مكانة قريبة - أو متساوية - مع المحتسبين.

***

وكل هذا يدل على شمولية وظيفة المحتسب، المتخصص الدقيق فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، «وكل مسلم محتسب فى حدود علمه وطاقته».. كما يدلَ على أن وظيفة «الاحتساب» كانت صمام أمان للمجتمع الإسلامى، وكانت نِعْمَ المعين للدولة، وللشعب كذلك بشتى طوائفه المهنية، وفى شتَّى النشاطات التى يمارسها.

ونسأل الله أن تعود لهذه الوظيفة مكانتها، إنقاذاً للمجتمعات الإسلامية من صور التدمير المستوردة ومزالق الانحلال.

***

الأعمى

للشاعر الكبير الأستاذ على الجارم

من مجيرى من حالكات الليالى ؟ ... نوب الدهر مالكن ومالى (١)

قد طوانى الظلام حتى كأنى ... فى دياجى الوجود طيف خيال (٢)

كل ليل له زوال وليلى ... دق أطنابه لغير زوال ! (٣)

كل ليل له نجوم، ولكن ... أين أمثالهن من أمثالى

تثب الشمس فى السماء وشمسى ... عقلت دونها بألف عقال (٤)

لا أرى حينما أرى غير حظى ... حالك اللون عابس الآمال (٥)

***

هو جب أعيش فيه حزينا ... كاسف النفس دائم البلبال (٦)

ما رأت بسمة الشموس زوايا ... ه ، ولا داعبت شعاع الهلال (٧)

فإذا نمت فالظلام أمامى ... أو تيقظت فالسواد حيالى

أتقرى الطريق فيه بكفى ... بين شك وحيرة وضلال (٨)

(١) حالكات الليالى : الليالى الشديدة السواد والظلمة. نوب الدهر: نوازله وما يصيب به.

(٢) طواه، أى احتواه وجعله بين ثناياه. دياجى الوجود: غياهب ظلماته وحالك سواده. طيف خيال: ما يراه النائم فى نومه.

(٣) الأطناب: الأوتاد، الواحد: طنب (بضمتين). دق الأطناب: كناية عن الإقامة وعدم الرحيل، لأن بيوت العرب كانت خيامًا تطوى مع السفر، وتنشر وتدق أطنابها عند الإقامة.

(٤) تثب الشمس: تنتقل فى السماء. عقلت: حبست وقيدت. ودونها، أى دون السماء. العقال: حبل يعقل به البعير فى وسط ذراعه.

(٥) عابس الآمال: أى مظلمها.

(٦) الجب: البئر البعيدة الغور. كاسف النفس: أى حزين عابس. البلبال: الهم والهواجس المقضة المزعجة.

(٧) بسمة الشموس، أى ضوءها.

(٨) أتقرى الطريق... إلخ، أى أتتبع الطريق بكفى أتلمس بها مواضع الأمن.

وأحس الهواء فهو دليلى ... عن يمينى أسير أو عن شمالى

كلما رمت منه يوما خلاصا ... عجزت حيلتى ورثت حبالى

عبثا أرسل الأنين من الجـ ... ـب إلى ساكنى القصور العوالى

من لسار بليلة طولها العمـ ... ـر ، يجوب الأوجال للأوجال ؟ (٩)

متردٍّ فى هاويات وهاد ... لاهث فوق شامخات جبال (١٠)

عند صحراء للأعاصير فيها ... ضحك الجن أو نحيب السعالى (١١)

لم يزرها وشى الربيع ولكن ... لك ما شئت من نسيج الرمال (١٢)

ليس للطير فوقها من مطار ... أو بنى الإنس حولها من مجال (١٣)

خلق الله قفرها ثم سوى ... من ثراه أنامل البخال

رهبة تملأ الجوانح رعبا ... وأديم وعر كحد النصال (١٤)

وامتداد كأنه الأمل الطا ... ئش ما ضاق ذرعه بمحال (١٥)

سار فيها الأعمى وحيدا شريدا ... حائرا بين وقفة وارتحال

فى هجير ما خف حر لظاه ... بنسيم، ولا ببرد ظلال (١٦)

مل عكازه من الضرب فى الأر ... ض على خيبة ورقة حال

يرفع الصوت لا يرى من مجيب ... أقفر الكون من قلوب الرجال !

***

من لهاو فى لجة هى دنيا ... ه وأيام بؤسه المتوالى ؟ (١٧)

(٩) يجوب : يقطع الأرض سائرًا. الأوجال: المخاوف، الواحدة: وجل (بالتحريك).

(١٠) المتردى : الساقط. الوهاد : الأراضى المنخفضة. الهاويات: البعيدة الانخفاض. اللاهث : الذى يخرج لسانه تعبًا وإعياء وعطشًا. شامخات الجبال: العالية المرتفعة.

(١١) الأعاصير : عصف الرياح وشدة هبوبها وزوابعها. النحيب: البكاء. السعالى: جمع سعلاة، وهى أنثى الغول. يريد الغيلان عامة.

(١٢) وشى الربيع نباته ذو الألوان المختلفة. الوشى (فى الأصل) : تطريز الثوب وتجميله.

(١٣) من مطار، أى من طيران. من مجال، أى من أثر لجولان الناس وسيرهم.

(١٤) الجوانح : الأضلاع تحت الترائب مما يلى الصدر، الواحدة: جانحة. أديم الصحراء : وجهها. النصال : جمع نصل وهو حديدة السهم والرمح والسيف والسكين.

(١٥) الطائش : الذى يذهب على غير هدى وقصد. ضيق الذرع : كناية عن قلة الحيلة وضعف الطاقة.

(١٦) الهجير : شدة الحر. اللظى : اللهب والحرقة.

(١٧) الهاوى : الساقط. اللجة : معظم البحر حيث يكثر الماء ويصعب المخرج.

ظُلَمٌ بَعْضُهَا يُزَاحِمُ بَعْضاً ... كَلَيَالٍ كَرَرْنَ إِثْرَ لَيَالِى
يَفْتَحُ الْمَوْجُ مَا ضَغَيْه فَيَهْوِى ... ثُمَّ يَطْفُو مُحَطَّمَ الأَوْصَالِ(١٨)
لا تَرَى مِنْهُ غَيْرَ كَفٍّ تُنَادِى ... حِينَمَا عَقَّهُ لِسَانُ الْمَقَالِ(١٩)
وَالرِّيَاحُ الرِّيَاحُ تَعْصِفُ بِالْمِسْـ ... ـكِينِ عَصْفَ الأَيَّامِ بِالآجَالِ(٢٠)
يَسْمَعُ السُّفْنَ حَوْلَهُ مَاخِرَاتٍ ... مَنْ يُبَالِى بِمِثْلِهِ مَنْ يُبَالِى؟(٢١)
يَسْمَعُ الرَّقْصَ وَالأَهَازِيجَ تَشْدُو ... بَيْنَ وَصْلِ الْهَوَى وَهَجْرِ الدَّلَالِ(٢٢)
شُغِلَ الْقَوْمُ عَنْهُ بِالْقَصْفِ وَاللَّهْـ ... ـوِ وَهَامُوا بِحُبِّ بِنْتِ الدَّوَالِى(٢٣)
مَا لَهُمْ وَالصَّرِيعَ فِى غَمْرَةِ اللُّـ ... ـجِّ يَصُدُّ الأَهْوَالَ بِالأَهْوَالِ(٢٤)
لا يُرِيدُونَ أَنْ يُشَابَ لَهُمْ صَفْـ ... ـوٌ بِنَوْحٍ لِلْبُؤْسِ أَوْ إِعْوَالِ(٢٥)
هَكَذَا تُمْحِلُ الْقُلُوبُ، وَأَنْكَى ... أَنْ تُبَاهِى بِذَلِكَ الإِمْحَالِ!(٢٦)
هَكَذَا تُقْبَرُ الْمُرُوءَةُ فِى النَّا ... سِ، وَيُقْضَى عَلَى كَرِيمِ الْخِلَالِ!

* * *

مَنْ لِهَذَا الأَعْمَى يَمُدُّ عَصَاهُ ... عَاصِبَ الْبَطْنِ لَمْ يَبُحْ بِسُؤَالِ؟(٢٧)
مَنْ رَآهُ يَرَى خَلِيطاً مِنَ الْبُؤْ ... سِ هَزِيلاً يَسِيرُ فِى أَسْمَالِ
هُوَ فِى مَيْعَةِ الصِّبَا وَتَرَاهُ ... مُطْرِقَ الرَّأْسِ فِى خُشُوعِ الْكُهَالِ(٢٨)

---

(١٨) الماضغان : الحنكان لضغهما المأكول. واستعارهما للموج لأنه يهصر الأجسام ويمضغها. الأوصال : الأعضاء.. الواحد: وصل.

(١٩) عقه : خانه ولم يسعفه بالمقال.

(٢٠) الآجال : الأعمار

(٢١) السفن الماخرات : الجاريات التى تشق الماء مع صوت.

(٢٢) الأهازيج : جمع أهزوجة. وهى ما يهزج به من الأغانى، أى ما يترنم بها ويطرب.

(٢٣) القصف: الإقامة فى لهو وأكل وشرب. بنت الدوالى، أى الخمر. الدوالى: عنب بالطائف أسود إلى الحمرة، ومنه تعصر الخمر وجعلها بنته لأنه منها.

(٢٤) الصريع : المصروع. غمرة اللج، أى حيث يكثر ماء البحر ويشتد.

(٢٥) يشاب: يختلط به ما يعكره. الصفو : ما صفا لهم من شأنهم ولذ وطاب. النوح والإعوال : البكاء ورفع الصوت به.

(٢٦) إمحال القلوب : تجردها من العطف والرحمة، مأخوذ من إمحال الأرض، وهو إجدابها. أنكى: أى أكثر إيلاماً.

(٢٧) عاصب البطن : أى يشده برباط يدفع بذلك ألم الجوع.

سَاكِناً كَالظَّلَامِ، يَحْسَبُهُ الرَّا ... ءُونَ مَعْنًى لِلْيَأْسِ فِى تِمْثَالِ
فَقَدَ الضَّوْءَ وَالْحَيَاةَ، وَهَلْ بَعْـ ... ـدَ ضِيَاءِ الْعَيْنَيْنِ سَلْوَى لِسَالِ؟
مَطَلَتْهُ الأَيَّامُ وَالنَّاسُ حَقّاً ... فَقَضَى عَيْشَهُ شَهِيدَ الْمِطَالِ(٢٩)

* * *

مَا رَأَى الرَّوْضَ فِى مَآزِرِهِ الْخُضْـ ... ـرِ يُبَاهِى بِحُسْنِهَا وَيُغَالِى(٣٠)
مَا رَأَى صَفْحَةَ السَّمَاءِ وَمَا رُكِّـ ... ـبَ فِيهَا مِنْ بَاهِرَاتِ اللآلِى(٣١)
مَا رَأَى النِّيلَ فِى الْخَمَائِلِ يَخْتَا ... لُ بِأَذْيَالِهِ الْعِرَاضِ الطِّوَالِ
مَا رَأَى فِضَّةَ الضُّحَى فِى سَنَاهَا ... أَوْ تَمَلَّى بِعَسْجَدِ الآصَالِ(٣٢)
فَدَعُوهُ يُشَاهِدْ جَمَالاً مِنَ الإِحْـ ... ـسَانِ، إِنْ فَاتَهُ شُهُودُ الْجَمَالِ
وَدَعُوهُ يُبْصِرْ ذُبَالاً مِنَ الرَّحْـ ... ـمَةِ. إِنْ عَقَّهُ ضِيَاءُ الذُّبَالِ(٣٣)
قَدْ خَبَرْتُ الدُّنْيَا فَلَمْ أَرَ أَزْكَى ... مِنْ يَمِينٍ تَفَتَّحَتْ عَنْ نَوَالِ

* * *

أَيُّهَا الْوَادِعُونَ يَمْشُونَ زَهْواً ... بَيْنَ جَبْرِيَّةٍ وَبَيْنَ اخْتِيَالِ(٣٤)
يُنْفِقُونَ الْقِنْطَارَ فِى تَرَفِ الْعَيْـ ... ـشِ، وَلا يُحْسِنُونَ بِالْمِثْقَالِ(٣٥)
وَيَرَوْنَ الأَمْوَالَ تُنْثَرُ فِى اللَّـ ... ـهْوِ، فَلا يَجْزَعُونَ لِلأَمْوَالِ

---

(٢٨) ميعة الصبا : أوله وريعانه. الكهال : جمع كهل.

(٢٩) مطل الحق : تسويفه بوعد الوفاء مرة بعد أخرى.

(٣٠) المآزر : الثياب. الواحد : مئزر، يغالى : يفخر.

(٣١) صفحة الماء : رقعتها. باهر اللآلى: الكواكب والنجوم التى تبهر بضوئها.

(٣٢) تملى: استمتع. العسجد: الذهب. الأصال: جمع أصيل وهو ما بعد العصر إلى المغرب.

(٣٣) ذبالا من الرحمة: أى بصيصاً من نورها. الذبال فى الأصل: الفتيلة. عقّه: فاته وامتنع عليه. ضياء الذبال: أى نور المصابيح، ويريد النور عامة.

(٣٤) الوادعون: المترفون الذين ضمنوا بحبوحة العيش ورغده فباتوا فى هدوء ودعة. الزهو: التيه والتكبر. الجبرية: نسبة إلى الجبر بمعنى الجبروت والعظمة.

(٣٥) ترف العيش: ما زاد على الحاجة وكان للترفيه والتنعيم. المثقال: ما يوزن به.

إنَّ فِى بَلْدَةِ المُعِزِّ جُحُوراً ... مُتْرَعَاتٍ بِأدْمُعِ الأطْفَالِ[٣٦]

كُلُّ جُحْرٍ بِالبُؤْسِ وَالفَقْرِ مَمْلُو ... ءٌ، وَلَكِنَّهُ مِنَ الزَّادِ خَالِى

بَسَقَتْ فِيهِ لِلجَرَاثِيمِ أفْنَا ... نٌ تَدلَّتْ بِكُلِّ دَاءٍ عُضَالِ[٣٧]

لَوْ رَأيْتَ الأشْبَاحَ مِنْ سَاكِنِيهِ ... لَرَأيْتَ الأطْلَالَ فِى الأطْلَالِ!

يَرْهَبُ النُّورُ أنْ يَمُرَّ بِهِ مَـ ... ـرّاً، وَتَخْشَى أذَاهُ رِيحُ الشَّمَالِ

تَحْسَبُ الطِّفْلَ فِيهِ فِى كَفَنِ المَوْ ... تِ وَقَدْ ضَمَّهُ الرِّدَاءُ البَالِى

أيُّهَا الأغْنِيَاءُ أيْنَ نَدَاكُمْ؟ ... بَلَغَ السَّيْلُ عَالِيَاتِ القِلَالِ![٣٨]

هُمْ عِيَالُ الرَّحْمَنِ مَاذَا رَأيْتُمْ ... أوْ صَنَعْتُمْ لِهَؤُلَاءِ العِيَالِ؟[٣٩]

* * *

رُبَّ أعْمَى لَهُ بَصِيرَةُ كَشْفٍ ... نَفَذَتْ مِنْ غَيَاهِبِ الأسْدَالِ![٤٠]

أخَذَ اللهُ مِنْهُ شَيْئاً وَأعْطَى ... وَأعَاضَ المِكْيَالَ بِالمِكْيَالِ[٤١]

يَلْمَحُ الخَطْرَةَ الخَفِيَّةَ لِلنَّفْـ ... ـسِ لَهَا فِى الصُّدُورِ دَبُّ النِّمَالِ[٤٢]

وَيَرَى الحَقَّ فِى جَلَالَةِ مَعْنَا ... هُ فَيَحْيَا فِى ضَوْءِ هَذَا الجَلَالِ

كَانَ شَيْخُ المَعَرَّةِ الكَوْكَبَ السَّا ... طِعَ فِى ظُلْمَةِ القُرُونِ الخَوَالِى[٤٣]

(٣٦) بلدة المعز: القاهرة نسبة إلى المعز لدين الله الفاطمي، الذى انشئت القاهرة له على يد قائده جوهر الصقلى سنة ٣٦١هـ (٩٦٩م). وكان عهده فى مصر أزهى عصورها، زادت فيه ثروة البلاد زيادة كبيرة. وتوفى المعز سنة ٣٦٣هـ (٩٧١م). ويريد بالجحور تلك الخربات والأكواخ المظلمة التى يسكنها الفقراء، مترعات: مفعمة مملوءة.

(٣٧) بسقت: ارتفعت وطالت. الأفنان: الفروع والأغصان، الواحد: فنن (بالتحريك). الداء العضال: أى شديد أعيا الأطباء.

(٣٨) الندى: الكرم والجود. القلال: جمع قلة وهى من الجبل أعلاه.

(٣٩) العيال: من تلزمك نفقتهم والقيام بأمرهم.

(٤٠) البصيرة: الفطنة. الغياهب: الظلمات. الأسدال: الحجب وما يقوم بينه وبين الشيء بستره عنك.

(٤١) المكيال: أداة الكيل. أعاض: أبدل.

(٤٢) الخطرة: ما يخطر بالبال من الأفكار.

(٤٣) شيخ المعرة: هو أبوالعلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخى الشاعر، الفحل الفيلسوف. ولد بمعرة النعمان (وهى بلد بين حماه وحلب) سنة ٣٦١هـ وإليها ينسب. وقد كف بصره فى الثالثة من عمره وتوفى بالمعرة سنة ٤٤٩هـ.

فَأتَى وَهْوَ آخِرٌ (مِثْلَمَا قَا ... لَ) بِمَا نَدَّ عَنْ عُقُولِ الأوَالِى[٤٤]

* * *

أنْقِذُوا العَاجِزَ الفَقِيرَ وَصُونُوا ... وَجْهَهُ عَنْ مَذَلَّةٍ وَابْتِذَالِ

عَلِّمُوهُ، يَطْرُقُ مِنَ العَيْشِ بَاباً ... وَامْنَحُوهُ مَفَاتِحَ الأقْفَالِ

لَا تَضُمُّوا إلَى أسَاهُ عَمَى الجَهْـ ... ـلِ فَيَلْقَى النَّكَالَ بَعْدَ النَّكَالِ[٤٥]

كُلُّ شَىْءٍ يُطَاقُ مِنْ نُوَبِ الأيَّـ ... ـامِ إلَّا عَمَايَةَ الجُهَّالِ[٤٦]

عَلِّمُوهُ فَالعِلْمُ مِصْبَاحُ دُنْيَا ... هُ وَلَا تَكْتَفُوا بِصُنْعِ السِّلَالِ[٤٧]

إنْ جَفَاهُ الزَّمَانُ وَالآلُ وَالصَّحْـ ... ـبُ فَكُونُوا لِمِثْلِهِ خَيْرَ آلِ[٤٨]

نَزَلَ الوَحْىُ فِى التَّرَفُّقِ بِالأعْـ ... ـمَى وَبَسْطِ اليَدَيْنِ لِلسُّؤَّالِ[٤٩]

سَوْفَ تَتْلُو الأجْيَالُ تَارِيخَ مِصْرٍ ... فَأعِدُّوا التَّارِيخَ لِلأجْيَالِ

بِالأيَادِى الحِسَانِ يُمْحَى دُجَى البُؤْ ... سِ وَتَسْمُو الشُّعُوبُ نَحْوَ الكَمَالِ

يَذْهَبُ الفَقْرُ وَالثَّرَاءُ وَيَبْقَى ... مَا بَنَى الخَيِّرُونَ مِنْ أعْمَالِ!

* * *

(٤٤) ند: استعصى وامتنع. ويشير إلى قوله:

وإنى وإن كنت الأخير زمانه ... لآت بما لم تستطعه الأوائل

(٤٥) الأسى: الحزن. النكال: الشر والمكروه.

(٤٦) نوب الأيام: مصائبها وما تنتاب به. العماية: الغواية والضلال.

(٤٧) السلال: جمع سلة وهى معروفة.

(٤٨) الآل: الأهل والعشيرة.

(٤٩) السؤال: جمع سائل. يشير إلى ما نزل من القرآن على النبى -صلى الله عليه وسلم- فى الترفق بالأعمى فى (سورة عبس).

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

ذكر الله.. طاقة للعمل.. وتقويم للسلوك

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى

الكلمة لها مفهوم ولها ما صدق، أى لها معنى يدرك بالعقل، كما أن لها تطبيقات عملية تدرك بالخبرة والتجريب، ويسمى علماء النفس العملية الإدراكية (أو المعرفية) الأولى «بالإدراك العقلى» بينما يسمون العملية الإدراكية الثانية «بالإدراك الحسى»، وقد جمع القرآن الكريم ذلك كله فى آية محكمة واحدة هى:

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾

الإسراء/ ٣٦

فالسمع والبصر يشيران إلى الإدراك الحسى، بينما الفؤاد يشير إلى الإدراك العقلى (أو المعنوى)[1] والله -عز وجل- الذى علم الإنسان ما لم يعلم، والذى وصف نبيه الخاتم -ﷺ- بأنه لا ينطق عن الهوى، يأمر عباده بأن يكونوا أول العاملين بما يقولون وإلا دخلوا فى زمرة المنافقين -والعياذ بالله- الذين يقولون ما لا يفعلون

﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

الصف/ ٣

ومن هنا جاء الحديث النبوى الشريف: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» أو «خيركم من تعلم العلم وعلمه». ولذا كان من العلم ما هو «فرض عين» وهو الذى يسأل عنه الفرد وحده دون غيره، وقد حدده حجة الإسلام «الإمام الغزالى» يرحمه الله فى كتابه الجهير: (إحياء علوم الدين) بأنه ما يعين الفرد على أداء العبادات ومعرفة أوامر الحق ونواهيه، وعلاقة ذلك كله بأركان الإسلام التى رواها عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- عن النبى -ﷺ- فى حديث الرجل «شديد بياض الثوب، شديد سواد الشعر» الذى رواه البخارى ومسلم -رحمهما الله- بينما العلم الذى هو فرض كفاية فإنه مثل علم الطب وغيره من العلوم التى يكفى أن يلم بها البعض حتى ينتفع بها الكل.

والعبادات -التى يعتبر العلم بها فرض عين- لا تعنى فى الإسلام مجرد الأفعال الظاهرة، أو الأقوال المعلنة فقط، ولكنها تعنى -إلى هذا- ما وراء الأفعال والأقوال من نوايا باطنية وخلجات روحية، وخواطر قلبية، ومشاعر إيمانية خفية.

وأم[2] هذه العبادات جميعا هو ذكر الله -سبحانه وتعالى- الذى قصر الغاية من خلق الجن والإنس جميعا على مهمة واحدة هى عبادته -عز وجل-، فيسجل هذا فى كتابه السرمدى العظيم

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[الذاريات -٥٦]

ومن ثمة كانت عبادة الإنسان لخالقه -عز وجل- هى محور خلافة الإنسان فى الأرض مصداقا لقوله تعالى لملائكته الأبرار:

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

البقرة: ٣٠

وبهذا يكون ذكر الله هو «أم العبادات» هو المحرك «الديناميكى» Dynamique الهائل الذى يمد الجهاز الإنسانى بالطاقة الفذة التى تعينه على عمارة الأرض، واستثمار كل ما أوتى من مقومات زوَّده البارىء بها فطرية كانت أو مكتسبة لتدبُّر الكون، وإعمال الفكر للسمو بالحياة البشرية إلى المستوى الأعلى دائما الذى يتسق وخلافة الإنسان لله -عز وجل-، بحيث يضع المؤمن نفسه فى كنف الآية القرآنية الكريمة:

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

[آل عمران -١٩١]

ونتبين من هذا أن ذكر الله -سبحانه- لا يعنى التمتمات الآلية، أو الأقوال الجوفاء، أو الأفعال والحركات الصماء، فهذه كلها لا تتعدى مستوى الشعارات التى تصيح بها الحناجر، أو تهتف بها الألسن دون سند إيمانى صادق، أو أساس روحى عميق، فهى إلى الرياء أدنى وأقرب.

وحاشا لمعبود هذا الكون -وما علمنا منه وما لم نعلم- أن يرضى أن تكون عبادته -سبحانه- مجرد كلمات على الشفاة تتردد، أو خلجات مؤقتة تتبدد، بقدر ما تكون طاقة مُريدة تتفجر بالبناء والعمران ونورا يشع فى الجوانح بالإيمان،

(١) توصل علماء النفس وعلماء المنطق معا إلى أن المرء يدرك أولاً (المحسوسات) حتى إذا نضج استخلص منها (المعنويات) ثم يطبق بعد ذلك هذه المعقولات على فهم ما يقع تحت حواسه من محسوسات، وهكذا تدور المعرفة فى دائرة لا نهاية لها، وصدق من قال سبحانه «وقل ربى زدنى علماً» [طه ١١٤].

(٢) الأم هنا بمعنى الأصل origin وليست بمعنى الوالدة mother

فتستجيب له الجوارح -خاشعة- بالحمد والشكر والعرفان.

خليفة الخالق

ونحن نتمثل دائما آيتين كريمتين فى القرآن الكريم لو تدبرهما كل مسلم بالذكر والفكر، والتطبيق والتحقيق إذن لارتقت حياة المسلمين إلى مراقى الكمال، ولتحلت بإهاب الجمال فبلغت بالفيض الإلهى غاية السمو والجلال.

وهاتان الآيتان هما:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

[البقرة - ٣٠]

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾

[الحجر - ٢٩]

فأية مرتبة يبلغها المخلوق أعلى وأسمى، وأعز وأشرف من أن يكون خليفة لخالقه؟ هل خلص كل منا إلى نفسه، وفرغ إلى قلبه ولبه فتفكر، وتدبر أىّ قدر يبلغه إذا تأمل أنه خليفة الحق فى عالم الخلق؟ وهل أدرك مع هذا التفكر والتدبر أية رسالة يشرُف بحملها على كاهله فى هذه الأرض؟

لقد كان ذلك شأن الصادقين المخلصين من المصلحين العاملين الذين اهتدوا إلى دورهم الإيجابى البناء، وعملهم العملى الخلاق فى هذه الحياة، فكان ديدنهم عبادة الله من خلال ما أمر به من أساليب الفلاح، وطرائق الإصلاح.. وقد أعجبنى المنهج اللغوى أحفاد «قحطان» باليمن - حيث كنت أعمل فى الثمانينيات- عندما كانوا يصطنعون كلمة (الإصلاح) بمعنى الإعداد prepare وليس بمعنى إعادة الصلاحية بعد العطب، فمعنى أن يصلح الحائك الثوب هو أن يجعل الثوب صالحا لأداء مهمته، ومعنى أن يصلح النجار المقعد أى يصنعه ليكون صالحا للقعود أو الجلوس وهكذا، وكان يلفتنى هذا الاستخدام لكلمة الإصلاح حيث كان الشائع هو أن إصلاح الشىء يعنى إعادة إعداده، وليس إعداده باديء بدء.

ومن هنا يرتاح الفكر والضمير إلى استخدام هذا المعنى (القحطانى) التليد للإصلاح عندما نقول إن فلانا يصلح الأشياء أى يجعلها صالحة لما وجدت من أجله.. ومن ثمة كان المصلحون هم الذين يعدون الأشياء لما خلقت له، ومن هذا المنطلق يكون معنى الإفساد هو سلب الشىء مما خلق من أجله.

معنى الإصلاح

أرأيت إلى فاكهة العنب مثلاً هل تراها قد خلقت لكى تكون خمرا يُذهب اللب، ويضعف القلب؟ أم خلقت لتكون هى -وغيرها مما لا يحصى- شاهدا على قدرة الخالق -سبحانه-، وإرهاصا بما سيحظى به السعداء فى جنات النعيم؟

فإذا أحالها (المفسدون) إلى خمرة (غُصة) للشاربين كان هؤلاء هم الذين يشير إليهم قول الحق -سبحانه-:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾

[إبراهيم - ٢٨]

وإذا تدبرنا هذا المعنى للإصلاح وهو إعداد الشىء للقيام بما خلق له فما أحرانا أن نصلح أنفسنا أولاً فنعدها لما خلقت له من عبادة تقوم على العلم والعمل، العلم بالله والعمل لله، وما أحرانا كذلك فى هذا المجال أن نصلح جوارحنا فنعدها للقيام بما خلقت له، وكذلك نصلح عقولنا وسلوكنا بل وعلاقاتنا فيما بيننا إذعانا لأمر الحق سبحانه

﴿ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾

[الأنفال-١]

وإن هذا لعمرك هو مناط الحمد للمنعم على نعمائه، فالحمدُ على نعمة البصر هو توجيه البصر إلى ما خلق له وليس إلى ما حرم الله، وكذلك الحمد على كل النعم الإلهية التى نعجز عن إحصائها إذ قال الخلاق العظيم -سبحانه-:

﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾

[إبراهيم -٣٤]

ودخول «إنْ» هنا -فيما نعلم- هو استحالة الحصر، والعجز عن الإحصاء.

وهكذا تتعدَّد دوائرُ الإصلاح وتتنوع وتتشابك حتى تشكل الكيان الإنسانى كله الذى -إن صلح- دار فى فلك الحق -سبحانه- لا يحيد ولا يميد.

وأساس ذلك كله هو (ذكر الله) -سبحانه وتعالى- الذى تتجلى منه -سبحانه- فى كل منا (نفخة) ربانية انتقلت إلينا عبر السلالة الآدمية، وهى النفخة الإلهية التى كانت المبرر القدسى الذى به أمر الحق -سبحانه- ملائكته الأخيار بالسجود لآدم -عليه السلام- حيث يقول -عز وجل-:

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾

[الحجر -٢٩]

ولم يقل -سبحانه-: «فإذا سويته فقعوا له ساجدين» وهو المعنى الذى عمى عنه إبليس لعنه الله أو (تعامى) متعمداً العصيان والكفران فرَدَّ الأمر فى تبجح وإنكار

﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾

[الكهف -٥٠]

الذكر إحساس وجدانى

ومن الواهمين السطحيين من يظن أن (ذكر الله) -عز وجل- هو مجرد ترداد للفظ الجلالة المطهر بطريقة آلية لا تعدو حركة اللسان فى مقدمة الحَلْق بلا تروٍّ أو تأمل، أو هو مجرد «لعب» رتيب بحبات المسبحة فى عىّ دون وعى، أو هو مجرد قراءة القرآن الكريم سباقاً مع الكم وليس تدبرا مع الكيف، ولئن صح هذا النهج عند البعض فى (تصفح) المصحف الشريف فإن الثواب -كما هو معروف- هو على قدر الجهد والعمل، ومن هنا قيل فى الأثر «ليس للمرء من صلاته إلا ما وعى -أو ما عقل».

ولا نحسب هذا الأسلوب الآلى فى «ذكر الله» يصل الإنسان بما يرجوه من أجر ومثوبة فى الأولى والآخرة.

وقد يقول قائل: إنه إنما يفعل ذلك حبا لله وليس طمعا فى جنة أو خوفا من نار -شأن رابعة العدوية رضى الله عنها- وما نظن أن هذه الطريقة تليق بالمحبين الذين يصدعون بأوامر المحبوب، كما أنه لا وجه هنا للمشابهة مع شهيدة العشق الإلهى وأمثالها بحال.

وإن أعظم ما يكون «ذكر الله» هو الارتباط تأملا ووجدانا وعملا بكلامه -عز وجل- وهو القرآن الكريم، ومن هنا كان هو «الذكر الحكيم» ومن هنا كذلك أمر الحق -جلَّ وعلا- عباده العابدين الذاكرين أن يستمعوا لهذا الذكر بل وأن ينصتوا فى قوله -سبحانه-:

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا ﴾

[الأعراف -٢٠٤]

أى أننا مأمورون بالتعايش مع القرآن الحكيم، والامتزاج بحكمته ومعانيه، والتفاعل مع غاياته ومراميه، وأن نوظف عقولنا لفهمه، وأفئدتنا لتدبره، وأرواحنا لتمثله، وجوارحنا للاستجابة له والعمل به. وحسبنا -ونحن نعايش القرآن الكريم- أن تضىء بصائرنا بأن المولى -عز وجل- ينادينا لجنابه، ويدعونا لرحابه ويخاطبنا بخطابه طاهرين وذاكرين.. أليس القرآن الكريم أسماه ربنا العزيز بأنه «الذكر» الحكيم؟

﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾

[آل عمران -٥٨]

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾

[يوسف -١٠٤]

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾

[يس -٦٩]

﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾

[الأنبياء -٥٠]

ولعلنا نعى تماما أن كلمة الذكر هنا ليست تعنى مجرد التذكر remmber أى عكس النسيان forget فالمؤمن لا ينسى الله لكى يتذكره، ولكن الذين يقعون فى هذا الحضيض هم الذين غضب الحق عليهم فحق عليهم قوله:

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

[الحشر -١٩]

أى تمردوا على الأوامر والنواهى والتكليفات الإلهية فضلوا فى دياجير الظلام، وهم تحت الشمس، لا يكادون يميزون بين الحق والباطل، أو بين الخير والشر، أو بين القبح والجمال، أو بين التدنى والجلال، ومثلهم فى ذلك كالذى يتخبطه الشيطان من المس.

إنما ذكر الله هو معيَّة آلائه، وحمد نعمائه، حيث يستشعر المؤمن وجود خالقه بين حنايا روحه بلا كيف ولا أين، ويطمئن إلى رحمته فى عمق نفسه، وجنبات فكره، ينطق بذكر الله

جنانُه قبل لسانه، ويتأمل بواطن خلقه، ومظاهر حكمته، ببصيرته قبل بصره، ومن هنا يُقبل على العمل الصالح الإيجابى البناء فى الدنيا بمشاعر الآخرة، ويصطنع عمق طاقته، وجُمع جهده فى خدمة الخلق كما أمر الحق، ومن ثمة يعمر العمران جنبات كيانه فيضرب فى الأرض ليستنطق فيها كوامن الخير لينشره بين الناس عرفانا بنعمة المنعم، وإيمانا بقدرة المقتدر.

سلوك المؤمن

وهكذا يكون ذكر الله هو الطاقة التى تفجر فى المؤمن طاقات العمل والخلق والابتكار، وهو المعيار الذى يقوِّم سلوك المؤمن العامل إلى الخير والحق والعدل وذلك اتساقا مع «الميزان» الذى وضعه الخالق الحكيم معيارا لكل شىء وتقويماً لكل شىء مصداقا لقوله -سبحانه-:

﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾

[الرحمن -٧، ٨]

وهكذا يتنزه «ذكر الله» عن أن يكون ضرباً من الانطواء على النفس، أو الانزواء عن الدنيا، أو الابتعاد عن حركة الحياة العملية والمعيشة الميدانية، ولكنه بمثابة (الشاحن) -ولله المثل الأعلى- الذى يعين المؤمنين على السعى والجد، والعمل والكد.

أرأيت إذن ما يسمى فى التقنية الحديثة (بالشاحن) الذى يغذُو الآلة بالطاقة حتى يعينها على أداء دورها الذى أختُرعت من أجله؟

أرأيت إذا غاب هذا (الشاحن) عن هذه الآلة هل تستطيع أن تقوم بوظيفتها، أو هل تقوى على الحركة التى تحقق الغرض من وجودها؟ وإن لك أن تطبق هذا على الساعة التى فى يدك أو فى (جيبك) وعلى (الهاتف النقال) الذى تحمله، وعلى آلة النقل التى تحملك، وغير ذلك، وهب أن هذه الآلات قد صارت عطلا من الطاقة فأنى لها أن تعمل بعد أن أصبحت لا جدوى لها ولا منفعة فيها؟!

وكذلك الإنسان الذى هو الكون المتحرك المعجز المركب الفريد، والذى هداه الله -سبحانه وتعالى- إلى (الطاقة) التى تعينه على السعى المثمر فى الأرض، والجهد المنتج فى الحياة بما يعود على نفسه وعلى غيره بالخير وعلى الأرض بالعمران.

محور الرسالات

ولقد كانت هذه الطاقة هى العبادات التى أرسل الحق رُسله جميعا عليهم السلام ليعرضوها على أممهم مبلغين رسالة ربهم فمنهم من استجابوا لها مسلمين مؤمنين موقنين بها حق اليقين، ومنهم من تولوا عنها وأدبروا معرضين ومكذبين ومستكبرين، ولقد كان محور هذه الرسالات جميعا هو الصلة الدائمة بين الإنسان وخالقه، وهى الصلة التى تبلغ فى قوتها ومتانتها ما تبلغه العروة الوثقى التى لا انفصام لها.

ذلك لأن تشبث المخلوق بحبل الخالق المتين، يجعل المخلوق دائما فى ذكر حى، وبالتالى فى تفكر فى الله متصل، وعمل لله مخلص ودءوب.

﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

اسْتِفْتَاءَاتُ الْقُرَّاءِ

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المقيد برقم ٣٨٩ لسنة ٢٠٠٥م المتضمن لبعض الأسئلة وهى:

لغو الكلام

● السؤال من السيد : ع. ع. ع

هل الشاب الأعزب إذا علق طلاق امرأة على الزواج منها أو على خروجها من مكان أو دخولها إليه أو حرم الزواج على نفسه سواء عمم أو خصص كأن يقول: كل امرأة يحرم علىَّ الزواج منها، أو يحرم علىَّ الزواج بفلانة هل كل ذلك يلزمه.

والمطلوب الرأى الراجح فى هذا الكلام، وما الذى يلزمه مع بيان ما عليه العمل فى قانون الأحوال الشخصية، وهل فصلت فى هذه المسائل؟

●● الجواب: أما السؤال عن تعليقه الطلاق وهو أعزب فلا يلزمه فى ذلك شىء، لأن شرط إيقاع الطلاق أن تكون المرأة محلا لإيقاع الطلاق بأن تكون زوجة له أو فى عدة منه من طلاق رجعى، وهذه ليست زوجته ولا فى عدة منه من طلاق رجعى.

وأما السؤال عن تحريمه الزواج على نفسه من امرأة بعينها أو من النساء عموما، فهذا من لغو الكلام الذى لا يلزم عليه شىء شرعاً، اللهم إلا أن يوصف قائله بالسفه وقلة العقل، ولكن لا يحرم عليه الزواج ممن ذكر.

والله سبحانه وتعالى أعلم

سب الأموات

● السؤال ورد من السيد: م. أ. أ

مروا على النبى - ﷺ - بجنازة فأثنوا

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

على جمعة

مفتى جمهورية مصر العربية

عليها خيرا فقال النبى - ﷺ -: «وجبت» ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا فقال: «وجبت» فقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -: ما وجبت؟ قال: «هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار، أنتم شهداء الله فى الأرض»، وفى حديث آخر قال رسول الله - ﷺ -: «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا» رواه البخارى، ما وجه التوفيق بين الحديثين؟ من حيث إنهم سبوا الميت فى الحديث الأول ونهوا عن سبه فى الحديث الثانى؟

●● الجواب: الحديث الأول متفق عليه، والثانى انفرد البخارى بإخراجه، فهما صحيحان، وللعلماء فى التوفيق بينهما أجوبة:

الأول: أن سب الأموات يجرى مجرى الغيبة؛ فإن كان أغلب أحوال المرء الخير، وقد تكون منه الفلتة - فالاغتياب له ممنوع، وإن كان فاسقا معلنا فلا غيبة له، فكذلك الميت.

الثانى: أن النهى محمول على ما بعد الدفن، لأن الميت قد أفضى بذلك إلى ما قدم، والمباح ذكر الرجل بما فيه قبل الدفن ليتعظ الحى بذلك.

وأصح ما قيل فى ذلك - كما قال الحافظ ابن حجر - إن أموات الكفار والفساق يجوز ذكر مساويهم للتحذير منهم والتنفير عنهم، وقد أجمع العلماء على جواز جرح المجروحين من الرواة أحياء وأمواتا.

بخس الثمن ظلم

● ورد من السيد س. ح. ى

(أ) عرض شخص على آخر شراء قطعة أرض، ونظرا لأن الآخر يعلم حاجة الأول واضطراره، فقد تلاعب به وساومه وأخذ الأرض بأبخس الأسعار، فما الحكم؟

●● الجواب : قال – سبحانه وتعالى – :

﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ (هود : ٨٥)

وقال سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (النساء : ٢٩)

فما فعله المشترى من بخس الثمن ظلم نهى عنه الإسلام، والظلم ظلمات يوم القيامة، ولقول الحبيب المصطفى – ﷺ – : «لا يحل مال امرىء مسلم إلا عن طيب نفس»، وقال – ﷺ – : «من أخذ من الأرض شيئا بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين» أخرجه الإمام البخارى من حديث ابن عمر، فواجب على المشترى أن يرد للبائع باقى ثمن الأرض التى اشتراها منه قبل أن يلقى الله – تعالى –، لقول سيدنا محمد رسول الله – ﷺ – : «من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها فإنه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه» رواه البخارى والترمذى من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه –.

والله سبحانه وتعالى أعلم

على الوكيل الالتزام

● (ب) طلبت أخته منه شراء بطانية، ونظرا لأنه كانت تباع عنده البطاطين فى العمل مؤجلة على أقساط فقد أخذ منها ثمن البطانية بسعر السوق نقدا، وقام بسداد السعر مؤجلا على أقساط، والسعر نقداً يقل عن السعر مؤجلاً، فما الحكم ؟

●● الجواب : الرجل المسئول عنه يعتبر فى هذه الحالة وكيلا لأخته، وبشرائه البطانية لها وتسليمها إياها فقد أدى ما عليه من عقد الوكالة بينه وبين أخته، وعليه الالتزام بسداد باقى الأقساط، ولا يلزم أخته منها شىء.

والله سبحانه وتعالى أعلم

العقد شريعة المتعاقدين

● (جـ) : اتفق مع أحد التجار أن يبيع له بأحسن الأسعار السائدة فى السوق ولن يتعامل مع أحد غيره، وظل على ذلك سنوات، وفى إحدى المرات احتاج إلى صنف فلم يجده عند هذا التاجر الدائم التعامل معه، فسأل عنه فى السوق فوجده عند آخر بثمن يقل كثيراً عما كان يشتريه من هذا التاجر، فعلم من ذلك أنه ظل يخدعه سنين طويلة، وكان عليه لهذا التاجر مبلغ ١٨٠ جنيها، فرفض أن يعطيها له، وقال له: أنت سرقتنى بمئات الجنيهات، فهل بذلك تبرأ ذمته، أم لابد من سداد المبلغ ؟

●● الجواب : لا تبرأ ذمته من هذا المال إلا بسداده لصاحبه أو أن يسامحه فيه؛ لأن العقد شريعة المتعاقدين، وإذا كان الآخر غشه فى الثمن؛ فهو مسئول عن غشه يوم القيامة، وكفاه ما قاله سيدنا رسول الله – ﷺ – : «من غشنا فليس منا» أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه –، وعلى التجار أن يتقوا ربهم وأن يلتزموا الصدق، فلقد قال سيدنا محمد رسول الله – ﷺ – : «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء» أخرجه الترمذى والحاكم من حديث أبى سعيد.

والله سبحانه وتعالى أعلم

● السؤال ورد من الشيخ حبشى حسن حسين إمام مسجد طنسا

رجل مات وكان له زوجتان وبنتان وأولاد أخ وماتت الزوجة الأولى قبل مماته فما نصيب كل من هؤلاء الورثة؟

الجواب : بوفاة الرجل المذكور عن المذكورين فقط يكون لزوجته التى مات عنها الثمن فرضاً، لوجود الفرع الوارث، لقوله تعالى:

﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ ﴾ (النساء/ ١٢)

وللبنتين الثلثان فرضا، لتعددهما وعدم وجوب من يعصبهما، لقوله سبحانه وتعالى :

﴿ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ﴾ (النساء١١)

والباقى لأولاد الأخ – شقيقاً كان أو لأب – الذكور فقط تعصيباً، لقول سيدنا رسول الله ﷺ «ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فهو لأولى رجل ذكر» متفق عليه.

فبقسمة التركة إلى أربعة وعشرين سهما يكون للزوجة منها ثلاثة أسهم ولكل بنت ثمانية أسهم، لأبناء الأخ خمسة أسهم.

هذا إذا كان الحال كما ورد بالسؤال وليس هناك وارث آخر بفرض ولا تعصيب غير من ذُكروا ولا فرع يستحق وصية واجبة.

والله سبحانه وتعالى أعلم

***

دلائل الإيمان

فى خلق الإنسان وفى الكون

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

لم يكن للإلحاد وتياراته من أثر، على القلوب المؤمنة الصادقة التى عرفت ربها من خلقها ومن خلق الكون، فإنه لا يدبر إلا الله الواحد الأحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ومن استنار قلبه وفكره لا يحتاج إلى دليل إلا أن هناك تيارات منحرفة مُضللة، أخذت أشكالا متعددة وطفت على سطح الحياة الإنسانية متمثلة فى ظواهر مختلفة منها: المادية الملحدة والحركات الهدامة، والوجودية المتبجحة الضالة، مما يبثه أعداء الإسلام.

والإسلام بكتابه الخالد ودستوره المبين، يرد على المنكرين مسفها أحلامهم رافعا راية الحق:

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾

الطور / ٣٥

وقد روى عن جبير بن مطعم قال: سمعت النبى - ﷺ - يقرأ فى المغرب «الطور» فلما بلغ هذه الآية

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴾

الطور / ٣٥: ٣٧

كاد قلبى أن يطير إلى الإسلام.

وكتاب الله - تعالى - منذ القدم وعلى مر أدوار الحياة يتحدى كل أفاك أثيم، وكل جاحد ومعاند

﴿ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ﴾

لقمان / ١١

وفى آية أخرى يكشف عن جهلهم الفاضح وانحرافهم الذى بلغ درجة من السفه والتخريف، بحيث يدعون غير الله من أصنامهم فيقول - سبحانه وتعالى -:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾

الحج / ٧٣

أدلة الإيمان فى النفس

ويوضح الله - تعالى - فى آياته فى أنفسهم فيقول:

﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

الذاريات / ٢١

ويوضحها فى الكون:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

فصلت / ٥٣

ويوضح الله - تعالى - أدلة الإيمان من أقرب طريق وذلك من خلق الإنسان وأطوار حياته التى مر بها من أول مرحلة منذ أن خلق من نطفة إلى أن صار مضغة إلى آخر تلك الأطوار.

قال - سبحانه -:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾

المؤمنون / ١٢: ١٦

تلك هى الأطوار التى يتقلب فيها الإنسان بقدرة الخالق الواحد الذى بيده ملكوت كل شىء وهو على كل شىء قدير.

الطور الأول: ذكره فى قوله:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾

والسلالة هى الخلاصة التى تسل من بين الكدر، وقال ابن عباس وعكرمة «المراد منه آدم - عليه السلام - فهو الذى سل من طين وأما ذريته فمن ماء مهين».

والطور الثانى: ذكره فى قوله:

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾

أى أنه - سبحانه وتعالى - بعد أن خلق أولا جوهر الإنسان من طين وهو المتمثل فى آدم - عليه السلام - جعل تكرار أفراده عن طريق نطفة فى قرار مكين، إنها نطفة واحدة تخرج من صلب الرجل تستقر فى رحم المرأة، بل إنها خلية واحدة من عشرات الألوف من الخلايا الموجودة فى تلك النطفة فانظر إلى مدى قدرة الله - تعالى - ومن رحمته - سبحانه - أن جعلها ثابتة فى

الرحم بين عظام الحوض لتحفظه من التأثرات والتحركات فالمراد بالقرار موضع القرار وهو المستقر.

الطور الثالث: فى قوله - تعالى -:

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾

وذلك عندما تمتزج خلية الذكر ببويضة الأنثى وتعلق هذه بجوار الرحم نقطة صغيرة فى أول الأمر ويكون غذاؤها عن طريق دم الأم وإنها لقدرة عظيمة تلك التى حولت النطفة البيضاء إلى علقة حمراء ومن صفاتها الأولى إلى صفات العلقة وهى الدم الجامد.

الطور الرابع: فى قوله - تعالى -:

﴿ فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾

أى جعلها قطعة لحم بمقدار ما يمضغ وسمى التحويل خلقا، لأنه يفنى أعراضا ويخلق أعراضا أخرى.

الطور الخامس: فى قوله:

﴿ فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا ﴾

أى صيرناها عظاما وشكلها - سبحانه - فكانت ذات رأس ويدين ورجلين بعظامها وعصبها وعروقها.

الطور السادس: فى قوله:

﴿ فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ﴾

فيكون اللحم كالكسوة للعظم، وهنا يثبت القرآن الكريم حقيقة علمية رائعة سبق بها العلم الحديث الذى لم يعرفها إلا بعد تقدم علم الأجنة وهى أن خلايا العظام غير خلايا اللحم وأنها تتكون أولا فإذا تمت كانت خلايا اللحم التى تكسوها بعد ذلك.

الطور السابع: فى قوله:

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾

أى خلقا مختلفا عن الأولى حيث انتقل من الجمادية إلى الحيوانية وكان أبكم فصار ناطقا ومنحه السمع والبصر وغير ذلك من الخلقة الإلهية العظيمة التى تتمثل فى صورة البدن والروح والقوى بنفخه فيه

﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ ﴾ أى تعالى شأنه فى قدرته وحكمته ﴿ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ المقدرين تقديرا.

الطور الثامن: فى قوله:

﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾

أى صائرون إلى الفناء والموت وليس هذا نهاية الأطوار كما يظن البعض وإنما هو نهاية الحياة الدنيا وطور من أطوار النشأة الأخيرة.

الطور التاسع: فى قوله:

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾

والمتأمل لهذه الآية الكريمة يجد أن الله - تعالى - جعل الموت الذى هو نهاية الحياة الدنيا، وجعل البعث هو إعادة ما أنهاه وأفناه جعل هذين دليلين أيضا على عظيم قدرته وهو - سبحانه وتعالى - بهذه الأدلة التى سقتها قد أعطى الإنسان دليلا قويا ومحسوسا يجب أن يؤمن عن اقتناع كامل ويقين راسخ وأن تلك الأدلة إنما جاءت من أقرب

طريق من أطوار خلق الإنسان وتقلبه بين الحياتين الدنيا والآخرة.

وعن خلق آدم من الطين روى الإمام أحمد بسنده عن أبى موسى، عن النبى - ﷺ - قال: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والخبيث والطيب وبين ذلك» رواه أبوداود والترمذى وقال حسن صحيح.

وعن معنى قوله:

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾

يقول ابن كثير يعنى نفخنا فيه الروح، وقال العوفى عن ابن عباس «ثم أنشأناه خلقا آخر» يعنى ننقله من حال إلى حال إلى أن خرج طفلا ثم نشأ صغيرا ثم احتلم ثم صار شابا ثم كهلا ثم شيخا ثم هرما، وقد روى أحمد فى سنده: حدثنا أبومعاوية حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن عبدالله ابن مسعود - رضى الله عنه - قال حدثنا رسول الله - ﷺ - وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم ليجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما وفى بعض الروايات، نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: رزقه وأجله وعمله وهل هو شقى أو سعيد، فوالذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل عمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها».

أدلة الإيمان فى الكون

وبعد أن ذكر الله - سبحانه وتعالى - أدلة الإيمان فى النفس عن طريق خلق الإنسان والأطوار التى مر بها ذكر أدلة الإيمان فى الكون فقال:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (١٧) وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٨) فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (١٩) وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ (٢٠) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾

المؤمنون ١٧: ٢٢

لقد خلق الله سبع سموات وسميت طرائق لتطارقها فبعضها فوق بعض أو لأنها طرائق للملائكة فى العروج والهبوط والطيران أو لأنها طرائق الكواكب، فيها مسيرها، ولكن ما وجه الإنعام فى خلق السموات السبع؟ نقول إن وجه الأنعام يتلخص فيما يأتى:

أولا: أن الله تعالى جعل السماوات من مواضع الرزق وأسبابه فمنها تتنزل الأمطار.

ثانيا: أنه سبحانه جعلها مقرا للملائكة.

ثالثا: لأنها موضع الثواب ولأنها مكان إرسال الأنبياء ونزول الوحى.

وفى هذه الآية:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾

دليل كونى أنها تدل على أن خالق السماوات وجميع المخلوقات لا يهملها وإنما يحفظها من الزوال ومن الاختلال، ويدبر أمرها حتى تصل إلى ما قدره الله - تعالى - لها وأنه - سبحانه وتعالى - يعلم أعمال العباد وأقوالهم، وما تكنه صدورهم، وهذا يفيد الزجر عن مخالفته، وفى الآية الكريمة دلالة واضحة على كمال قدرة الله وعلمه وأن فيها دليلا على وجود الله - تعالى - لأن خلق السماوات على هذه الصورة البديعة وما يعتريها من أحوال يدل كل ذلك على وجود الخالق المدبر لها، والصانع القادر العظيم وهو الله - سبحانه وتعالى.

وإذا كان الدليل الكونى الأول على الإيمان هو خلق السماوات، فإن الدليل الثانى هو: خلق الماء وإنزاله من السماء والنعم التى نحصل عليها عن طريقه، قال - تعالى -:

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ ﴾

فقد أنزله - سبحانه - من السماء بتقدير يتناسب مع حاجة الحياة والأحياء، وبحيث يكون نفعه كثيرا وجعله سبحانه ثابتا مستقرا فى الأرض وهو القادر أن يذهبه إن شاء بإزالته أو تصعيده أو تعميقه بحيث يتعذر استخراجه فيمكن أن يجعل الماء يغور فى الأرض عن طريق شقوق فى طبقات الصخور وغير ذلك من الوجوه، فإن القادر على إمساكه قادر على إزالته وتبديده.

ومن هنا يتضح فضل الله على العباد، كما أن فى إنزال الماء بقدر وبحسب الحاجة حكما عالية دقيقة فلم يسقه كثيرا غامرا يفسد العمران، ولا قليلا لا يكفى الحاجة بل على حسب الحاجة إليه، بل إن الأرض التى تحتاج إلى ماء كثير للزرع ولا تحتمل بلادها إنزال المطر الكثير عليها مخافة أن يفسد ما عليها من الديار والزروع، فمن لطف الله - تعالى - وحكمته ورحمته أنه يسوق إليها الماء عن طريق بلاد أخرى، كما فى أرض مصر، فإنه يسوق إليها ماء النيل ومعه الطين الأحمر من بلاد الحبشة، فى أوقات المطر بها فيسقى الأرض ويقر الطين على الأرض ليزرع أهل مصر فيه لأن الأرض هناك يغلب عليها الرمال.

ثم ذكر - سبحانه - بعد نعمة الماء، ما يترتب عليه من النعم الأخرى التى تحصل عن طريقه فقال:

﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾

المؤمنون / ١٩ : ٢٠

وإنما ذكر النخيل والأعناب لكثرة منافعهما كما أشار إلى غيرها من الفواكه الكثيرة فعن طريق الماء أنبت - سبحانه - البساتين والحدائق منها النخيل والأعناب، وغير ذلك من الفواكه فى كل إقليم ومن الثمار ما يعجز الناس عن القيام بشكر الله - تعالى -: كما أنشأ أيضا شجرة هى شجرة الزيتونة، تخرج من طور سيناء، والطور الجبل وهو الذى كلم الله عليه موسى وهو بين مصر وأيلة وقيل بفلسطين، وفى قوله:

﴿ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾

إنها متلبسة به ومتصحبة له، وصبغ للآكلين أى أدم، ففيها ما ينتفع به من الدهن والاصطباغ.

وأما الدليل الثالث من الأدلة الكونية على الإيمان فهو ما ذكره فى قوله - تعالى -:

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾

المؤمنون / ٢١ : ٢٢

وهنا نشاهد أنه بعد أن أبرز دليل التوحيد، عن طريق الإنسان وأطوار خلقته انتقل من جانب النفس الإنسانية إلى جانب الأدلة الكونية فأوضح خلق السماوات وإنزال الماء وإحياء النبات فى الأرض ثم انتقل من ذلك إلى عالم الحيوان فذكر على طريق الإجمال ما هى الأنعام من عبرة يمكن للعاقل أن يعتبر بها ويستدل عن طريقها على وجود الله - تعالى - وقدرته ووحدانيته، ثم أخذ فى تفسير تلك العبرة فبينها على الوجوه التالية:

أولا: ﴿ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا ﴾

من الألبان وإذا تمعن الإنسان فى كيفية خلق اللبن شاهد أدلة القدرة الإلهية عن كثب، فهذا اللبن يجتمع فى الضرع ويتخلص من بين فرث ودم ويستحيل إلى طهارة ولون وطعم ويصبح غذاء نافعا مفيدا، ومن عظيم قدرة الله وحكمته أن الأنعام إذا ذبحت لا تجد لها أثرا.

ثانيا: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ ﴾

فى ظهورها وصوفها وأوبارها وأشعارها أو فى بيعها للانتفاع بأثمانها وما شا به كل ذلك.

ثالثا: ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾

وفى هذا الوجه انتفاع بأعيانها فكما ينتفع بها وهى حية بما سبق ينتفع أيضا بها بعد ذبحها بالأكل.

رابعا: ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾

وذلك لأن الانتفاع بالإبل فى الحمل وكركوب على البر كالانتفاع بالفلك فى البحر أو ما هو بمنزلته قال - سبحانه -

﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

النحل / ٧

تلكم هى دلائل القدرة الإلهية فى النفس وفى الكون فى الإنسان وفى الحيوان وفى الماء والنبات وغير ذلك من المخلوقات أفبعد كل هذا يستسيغ منكر وجاحد أن يقف فى وجه الحق؟ أو يثير شبها حول هذا الدين القيم

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

آل عمران / ٨٥

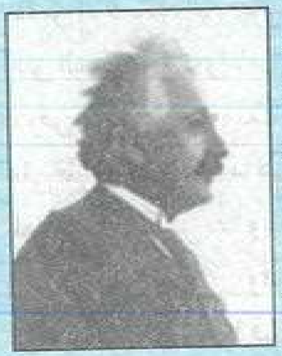
علماء الأمة.. فى العام الدولى للفيزياء

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

اختارت «اليونسكو» هذا العام ٢٠٠٥م للتعريف بعلم الفيزياء ومكانته فى حياتنا، وجعلت المناسبة مرور مائة عام على اكتشاف العالم الفيزيائى «ألبرت أينشتين» نظرية النسبية، وتحتفل دول كثيرة بهذه المناسبة تحت شعار «العام الدولى للفيزياء» World Year of Physics (WYP) فما المقصود بالفيزياء؟ ومن هو أينشتين وما هى أشهر نظرياته؟ وما نصيب علماء الأمة الإسلامية من إنجازاته فى العلوم الفيزيائية؟.

الفيزياء علم أم علوم؟!

الواقع أن الرجوع إلى القواميس لا يفيد كثيرا فى تعريف الفيزياء تعريفا كاملا، فأحد القواميس يعرف الفيزياء بأنها العلم الذى يُعنى بدراسة المادة والطاقة وتفاعلاتهما.


ينشتين

والمصادر الأخرى يدخل تعريفها للفيزياء ضمن هذا الإطار، وهو تعريف عام وغامض لأنه لا يعكس أىَ شىء من المحتوى المقصود، وبعض القواميس الحديثة نسبيا تزيد على التعريف السابق ما يوضح أن الفيزياء تشمل فروع «الميكانيكا» و«الضوء» و«الصوت» و«الحرارة» و«الكهربية» و«المغناطيسية»، ولكن حتى هذه الإضافة لا تفسر لماذا هذه الفروع بالذات دون غيرها هى التى

تندرج تحت ما يسمى عادة بـ «علم الفيزياء»؟.

وبناء على ذلك يجب البحث عن مدخل آخر لتعريف الفيزياء.. وربما نجد هذا المدخل فى سؤال الفيزيائيين أنفسهم عمّا يعنيهم أو يجذب انتباههم، فيهتموا بدراسته والبحث فيه، ويجىء جوابهم بأنهم يحاولون فهم القواعد والقوانين الأساسية التى تحكم سير العالم الطبيعى وتفسر سلوك كل ما فيه من كائنات وظاهرات.

ونظرا لأن نشاطات الفيزياء واهتماماتهم تتغير مع الزمن، فإن تعريف الفيزياء كعلم أساسى يتغير أيضا مع الزمن، والدليل على ذلك أن العديد من فروع الفيزياء الموجودة الآن لم تخطر على البال منذ جيل أو جيلين، كما أن بعض الموضوعات التى تدخل الآن فى علم الكيمياء، أو علم الهندسة، مثلا كانت يوما ما تعتبر من موضوعات علم الفيزياء.. ذلك لأن الفيزيائيين فى بعض الأحيان ينسحبون تدريجيا من مجال ما بمجرد معرفة قوانينه الأساسية، تاركين للآخرين القيام بالمزيد من التطوير والتطبيقات العملية.

وتعريف الفيزياء بأنها العلم الذى يعنى بدراسة القوانين الأساسية التى تحكم حركة العالم الواقعى هو الذى يفسر لنا اهتمام ذوى التخصصات الأخرى بعلم الفيزياء، ليس فقط بالنسبة للمتخصصين فى باقى فروع العلوم الطبيعية، مثل الفلك والفيزياء والجيولوجيا والبيولوجيا «علوم الحياة»، ولكن حتى بالنسبة لدارسى التاريخ والفلسفة عندما يتعرضون مثلا لعلاقة التطور بالنشاطات الإنسانية، أو لشرح مفاهيم المادة، والطاقة والفراغ والزمن وغيرها، ومن ثمّ تبرز أهمية الجانب التاريخى والفلسفى فى تعريف الفيزياء بالنسبة لمختلف فروع العلم والمعرفة، ومعالجتها على أسس علمية.

ولقد تعددت مباحث علم الفيزياء فى العصر الحاضر ونمت بحيث أصبح كل منها بمثابة علم مستقلّ، فهناك علم الميكانيكا الذى يعنى بدراسة حركة الأجسام أو تغيير مواضعها، وهناك علم البصريات الذى يعنى بدراسة طبيعة الضوء وخواصه وتقنياته، وعلم الصوتيات الذى يعنى بدراسة خواص الصوت وتطبيقاتها والظواهر المتعلقة بها، وفيزياء الجوامد التى تبحث فى تركيب المادة وخصائصها الضوئية

والحرارية والكهربية والمغناطيسية، والفيزياء الذرية والنووية التى تعنى بدراسة المكونات الدقيقة للذرة ونواتها ونشاطها الإشعاعى «الطبيعى والاصطناعى»، ومن بين العلوم الفيزيائية التى تأخذ صفة «التخصصية» كعلوم قائمة بذاتها فى الوقت الحاضر نذكر على سبيل المثال: علم الأطياف، فيزياء التعدين، فيزياء الليزر، فيزياء الطاقات العالية، فيزياء أشباه الموصلات، فيزياء الموصلات الفائقة، ... إلخ.

وعلى سبيل التبسيط يمكن القول بأن الفيزياء هى أحد فروع العلوم الطبيعية المعنية بدراسة خصائص وظواهر العالم الطبيعى الذى نعيش فيه بما يشمله من إنسان وحيوان ونبات وجماد، فهى ذلك النوع من المعرفة الذى يعطى إجابات منظمة عن أسئلتنا حول العالم الطبيعى، كما أنها تمثل الخطوات العملية للحصول على هذه الإجابات من خلال ما يسمى عادة بـ «الطريقة العلمية» أو «المنهج العلمى»، فإذا كان الفنان مفتونا بجمال لحظة غروب الشمس، ويتمنى لو أمكنه التعبير عن هذا الجمال فى إبداعات فنية، مثلما يحاول الشاعر أن يجد أحسن الألفاظ والعبارات لوصف ذلك الجمال فى قصيدة إبداعية، فإن الفيزيائى يهتم ببحث الأسباب الواقعية لتلك الظاهرة من خلال دراسة خواص الأشعة الضوئية، ومحاولة التعرف على طبيعتها لمعرفة معنى الغروب والوقوف على حقيقته العلمية، فالفيزيائيون إذن هم هؤلاء العلماء الذين تثيرهم الأسئلة عن كيفية حدوث الظاهرات فى العالم الطبيعى من حولنا، ويبحثون عن الإجابات الشافية لتلك الأسئلة، استنادا إلى أداتين أساسيتين هما: المنطق والتجريب، وما مختلف الاختراعات الحديثة من الليزر إلى رقائق الدوائر المتكاملة، ومن المولد الكهربائى إلى المحرك النفاث، ومن أجهزة الراديو والتليفزيون إلى ثورة المعلومات والاتصالات، إلا إنجازات قد تحققت بسبب الفضول العلمى لدى الفيزيائيين وغيرهم من العلماء فى مختلف مجالات البحث العلمى.

والفوائد التى تجنيها البشرية اليوم من تطبيقات العلوم الفيزيائية عديدة ومتنوعة، ودورها فى تحقيق المزيد من الإنجازات الحضارية خطير ومتميز.. ويكفى أن نشير على سبيل المثال إلى ما

حققه الفيزيائيون فى مجال «الدوائر الإلكترونية المتكاملة»، وهى ثمرة تطور علم «الإلكترونيات» وعلم «أشباه الموصلات»، فبفضل هذا الإنجاز العلمى أمكن اختزال حجم الأجهزة الإلكترونية المختلفة بحيث أمكن الوصول ببعضها من حجم «الثلاجة» إلى حجم «الإصبع» أو أقل، وقد أدى ذلك إلى انخفاض هائل فى الجهود والتكاليف والطاقة اللازمة لإنتاج هذه الأجهزة وتشغيلها، وهناك نوع من الدوائر المتكاملة يسمى «الدوائر الرقمية» Digital Circuits، تستخدم فى بناء «الدوائر المنطقية» Logic Circuits التى يمكنها ترجمة المعلومات ونقلها فى صورة نبضات كهربائية خالية من «التشويش»، وهذه الدوائر تجد تطبيقات مهمة فى عمل الحاسبات الإلكترونية، وفى توجيه الغواصات فى أعماق البحار، والتحكم فى مسارات مركبات الفضاء والصواريخ متعددة المراحل من على الأرض.

وتمتد تطبيقات العلوم الفيزيائية فى الوقت الحاضر لتشمل بصورة مباشرة، أو غير مباشرة، مختلف فروع العلم والمعرفة، ويندر أن يتم اكتشاف ما فى هذه العلوم بدون أن يكون للفيزياء دور أساسىّ فيه بشكل أو بآخر، وخير دليل على ذلك ظهور بعض العلوم البينيّة شبه المستقلة مثل: الفيزياء الجوية، والفيزياء الفلكية، والفيزياء الرياضية، والفيزياء الجيولوجية، والفيزياء الحيويّة، والفيزياء الطبية، والفيزياء البيئية، وغيرها.

وهنا - مرة أخرى - يتأكد لنا ما بدأنا الحديث عنه فى تعريف الفيزياء، فلايزال الفيزيائيون يواصلون دراسة قوانين الكون الأساسية، ويجتهدون فى الإفادة من تطبيقاتها، تماما مثلما كان يفعل أسلافهم منذ القدم، والفارق الوحيد هو أن الكون قد ازداد عمقاً واتساعاً عما كان عليه، بمعنى أن أسراره ومجاهله لم تعد لها صفة البساطة التى كان يتخيلها القدماء.

العلوم الفيزيائية أرومتها عربية إسلامية

مادامت الفيزياء معنية منذ القدم، وحتى يومنا هذا، بدراسة المادة والطاقة وتفاعلاتهما فى العالم الواقعى بأشكالهما وصورهما المختلفة، فإن حركة الأجسام مثلاً، وتأثيرات القوى المختلفة عليها، قد بدأ فى دراستها وفق منهج

علمى سليم علماء الحضارة العربية الإسلامية، حيث حدد ابن سينا فى كتابه «الشفاء» عناصر الحركة فى: المتحرك «الجسم المتحرك»، والمحرِّك «القوة المسببة للحركة»، وما فيه «موضع الجسم»، وما منه «مكان بداية الجسم»، وما إليه «مكان نهاية الحركة»، والزمان «الفترة الزمنية التى استغرقتها الحركة»، وفى تصنيفه لأنواع الحركة يفرق ابن سينا بين الحركة الطبيعية والحركة القسَرية بقوله: (وكل جسم متحرك فحركته إما من سبب من خارج، وتسمى «حركة قسرية»، وإما من سبب من نفس الجسم، إذ الجسم لا يتحرك بذاته، وذلك السبب إذا كان محركًا على جهة واحدة على سبيل التسخير فتسمى «حركة طبيعية».

كما نجد تعريف الحركة الانتقالية والحركة الدورانية فى كتاب «المعتبر فى الحكمة» لابن ملكا البغدادى، وقد سمّاها «الحركة المكانية» و«الحركة الوضعية»، حيث يقول: (الحركة المكانية هى التى بها ينتقل المتحرك من مكان إلى آخر، والحركة الوضعية هى التى تتبدل بها أوضاع الحركة ولا يخرج «الجسم المتحرك» عن جملة مكانه كالدولاب والرّحا).

بل إن قوانين الحركة المنسوبة إلى إسحق نيوتن سبق المسلمون إلى صياغتها قبله بعدة قرون، حيث نجد أن ابن سينا قد عبّر عن مضمون القانون الأول المتمثل فى خاصية «القصور الذاتى» التى يدافع بها الجسم عن بقائه على حالته من السكون أو الحركة المنتظمة ما لم تؤثر عليه قوة خارجية تغيِّر من حالته، وذلك بقوله فى «الإشارات والتنبيهات»: (إنك لتعلم أن الجسم إذا خُلِّى وطباعه، ولم يعرض له من خارج تأثير غريب، لم يكن له بُد من وضع معين وشكل معين، فإذن فى طباعه مبدأ استيجاب ذلك)، ثم يضيف قائلا: (الجسم له فى حال تحركه ميل «أى مدافعة» يتحرك به، ويحس به الممانع، ولن يتمكن من المنع إلا فيما يضعف ذلك فيه، وقد يكون من طباعه، وقد يحدث فيه من تأثير غيره فيبطل المنبعث عن طباعه إلى أن يزول فيعود انبعاثه).

ويعبر البغدادى عن القانون الثانى للحركة، الذى يصف العلاقة الطردية بين القوة والتسارع، بقوله: (وكل حركة ففى زمان لا محالة، فالقوة الأشد تحرك أسرع وفى زمان أقصر.. فكلما اشتدت القوة ازدادت السرعة فقصر

الزمان، فإذا لم تتناه الشدة لم تتناه السرعة، وبذلك تصير الحركة فى غير زمان أشدّ، لأن سلب الزمان للسرعة نهاية ما للشدة)، ونلاحظ هنا معنى «التسارع» «أى العجلة» فى عبارة «سلب الزمان فى السرعة»، وهو يقابل فى العلم الحديث «معدل تغير السرعة» بحسب الصياغة الرياضية لقانون نيوتن الثانى.

وبالنسبة لقانون الحركة الثالث الذى عبر عنه إسحق نيوتن بقوله: «لكل فعل رد فعل مساو له فى المقدار ومعاكس له فى الاتجاه»، فإننا نجد معناه العلمى فى مؤلفات تراثية عدة، منها كتاب «المباحث المشرقية فى الإلهيات والطبيعيات» للإمام فخر الدين الرازى حيث يقول: (الحلقة التى يجذبها جاذبان متساويان حتى وقفت فى الوسط، لا شك أن كل واحد منهما فعل فيها فعلا معوقا بفعل الآخر، ثم لا شك أن الذى فعله كل واحد منهما لو خلى عن المعارض لاقتضى اجتذابه الحلقة إلى جانبه)، ويوضح هذا النص فكرة اتزان الأجسام تحت تأثير قوتين متساويتين فى المقدار ومتعاكستين فى الاتجاه بتأثير الفعل ورد الفعل، ويؤكد الرازى هذا فى معرض شرحه «لإشارات» ابن سينا قائلا: (.. فالحبل الذى يجذبه جاذبان متساويا القوة إلى جهتين متعاكستين لا يخلو إما أن يقال إنه ما فعل واحد منهما فعلا، وهو محال لأن الذى يمنع كل واحد منهما عن فعله هو وجود فعل الآخر).

- يتبـــــــع -

***

إن أهم ما يميز هذا العصر، تلك الحرب المستعرة، التى يشنها الغرب على الإسلام والمسلمين، وبصور شتى، وعلى أصعدة مختلفة، حتى بات الإسلام وقرآنه المبين هدفا مرفوعا، تتبارى الأقلام الحاقدة فى الغرب صراحة ودون مواربة فى ضربه، داعية للقضاء عليه وعلى الشعوب الإسلامية.

وقد اشتد أوار هذه الحرب المسعورة الموجهة للإسلام بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر المدبرة اللعينة، حتى سمعنا وسمع العالم كله، رئيس أكبر دولة يعلن أنه منذ اليوم - يوم الحادى عشر من سبتمبر - فى حرب صليبية ثانية ضد الإسلام..!! أعلنها دون خجل معبرا عن مكنون صدره الذى يغلى، ثم وجدناه يقف بكل قوته وغروره، حتى فاق الأولين والآخرين من الرؤساء الأمريكان، إلى جانب العدوّ الصهيونى، الذى يقوم ليل نهار بتكسير عظام الشعب الفلسطينى الأعزل دون رحمة، بدعوى أنهم إرهابيون يجب القضاء عليهم فى أسرع وقت ممكن حتى يستريح العالم من شرهم. وكانت الحرب على أفغانستان المسلمة، حتى باتت تأتمر بأمر الأمريكان، وتنتهى بنهيهم. وها هى ذى العراق، إحدى قلاع الإسلام والعروبة، بلد الرشيد، فى قبضة «العمّ سام»، وليس هذا وذاك فقط، وإنما نرى هذا الغرب المسعور يتلمظ لإيران المسلمة، وسورية، والسودان الشقيقتين، هذا كله بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية..!! حرب عجيبة..!! لم يشهد لها التاريخ مثيلا من قبل..!!

من القضايا المعاصرة

الغرب بين اتجاهين

لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطة

٣

وهناك حرب من نوع آخر تُشَنُّ الآن، وبأخبث الوسائل والأفكار على الأمة الإسلامية، تلك هى الحرب الموجهة ضد القرآن الكريم، كتاب المسلمين الأوّل، وحصنهم المنيع الذى يتحصنون فيه، وتلتف من حوله القلوب والنفوس. وقد رأينا فى أحاديث سابقة نماذج من هذه الحروب، وأدركنا مدى خطورتها لو أنها بلغت مداها، أو حققت شيئًا مما ترمى إليه.

ولكن رحمة الله واسعة، وعدله دائمًا يلمس قلوب عباده، ليُطمْئِن هذه الشعوب المستضعفة وكأنه يأخذ بأيديها لتُبعث من جديد، ولترى بشائر النصر، وسط ظلام هذه الكوارث والنكبات..!! ومن أين تأتى هذه البشائر؟ إنها تأتى أيضًا من بين براثن الغرب دون أن يفلح الحاقدون فى صدها، ودون أن ينجحوا فى كبت أشعتها..!! فإذا كان فى الغرب أمثال «نولدكه» وتلميذه المخلص «جاك بيرك» اللذان يستخفَان بالقرآن الكريم، ويدّعيان أنه من عند محمد ﷺ ويسخَران أقلامهما لهدمه.

وقد تكلمنا فى هذه القضية فى مقالنا السابق، وطرحنا بعض الأمثلة لما قام به «جاك بيرك» من جهود غير محمودة فى هذا الطريق، وردَّ الدكتور محمد رجب البيومى عليه..!! وإذا كان فى الغرب أيضًا أمثال «جورج بوش» الذى أعلن الحرب على الإسلام والمسلمين، ويقوم الآن بتمويل هذا المشروع الإجرامىّ الذى تنفذه المنظمات اليهودية والنصرانية، لإخراج ما أسموْه «الفرقان الحق»، وقد تحدثنا عنه أيضًا فى مقال سابق على صفحات هذه المجلة الغراء.. إذا كان فى الغرب أمثال هؤلاء وأولئك، فإن فيه أيضًا أمثال «جارودى» المفكر النابغة الذى دخل الإسلام عن قناعة ويقين..!! كما أن فيه أيضًا «موريس بوكاى» الطبيب الفرنسى المشهور، الذى أعلن إسلامه، ليصبح من أشد المؤمنين بالقرآن إيمانًا.. وبأنه منزّل من عند الله - عز وجل - وليس من عند محمد ﷺ كما يزعم الأفاقون. لقد أعلن هذا الرجل إسلامه قائلاً: «لقد دخلتُ الإسلام، وآمنت بهذا القرآن». وإذا كان كل من «نولدكه» وتلميذه «جاك بيرك» وأعوانهما يسخرون من القرآن، ويزعمون أنه يحتوى على أخطاء - معاذ الله - فإن «موريس بوكاى» يردّ عليهم من طريق العلم الصحيح، والبحث الجادّ عن الحقيقة، بأن هذا القرآن ليس من عند محمد، وما ينبغى له أن يكون كذلك، لما يشتمل عليه من حقائق، لم يسفر العلم عنها إلا فى العصر الحديث.



جارودى



موريس بوكاى

قصة إسلام بوكاى

فلقد كتب «موريس بوكاى» كتابًا يقارن فيه بين القرآن والتوراة والإنجيل فى ضوء ما أسفرت عنه العلوم الحديثة، أطلق عليه «القرآن والتوراة والإنجيل والعلم.. دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة» وقبل أن نشير إلى بعض محتويات هذا الكتاب.. نودّ أن نتعرف على الظروف والملابسات التى أدت بمثل هذا الرجل إلى الاعتراف بأن القرآن من عند الله، وليس من عند محمد، وبالتالى إلى دخول الإسلام، وذلك من خلال كتابه الثانى، وهو عبارة عن محاضرة ألقاها أمام معهد الكومنولث البريطانى بلندن عن «القرآن والعلم الحديث»[1]. لنعرف بعد ذلك كيف سارت بحوثه العلمية من خلال قراءة بعض مقتطفات من هذين الكتابين.

يحكى كتاب «القرآن والعلم الحديث»

(١) كتاب «القرآن والعلم الحديث» لموريس بوكاى، أصدرته مؤسسة أم القرى للترجمة والنشر والتوزيع. بالمنصورة طبعة أولى عام ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ باللغتين العربية والإنجليزية.

أن فرنسا استضافت فى أواخر الثمانينيات من القرن العشرين، وفى عهد الرئيس الفرنسى «فرانسوا ميتران» مومياء الفرعون المصرى الملك (منفتاح) المعروف بـ (فرعون موسى) أو (فرعون الخروج)، وهو بالطبع غير فرعون الاضطهاد المسمى بـ (رمسيس الثانى): حيث مات (رمسيس الثانى) وقت أن كان موسى - عليه السلام - بأرض مدين، وخلفه ابنه الفرعون (منفتاح) أو (منبتاح) كما يُطلق عليه أحيانًا.. استضافت فرنسا مومياء (منفتاح) لإجراء اختبارات وفحوصات أثرية ومعالجة عليها. وقد قام بهذه المهمة فريق من أكبر علماء الآثار فى فرنسا، وأطباء الجراحة والتشريح برئاسة البروفيسور «موريس بوكاى».

وبينما كان المعالجون مهتمين بترميم المومياء.. كان اهتمام رئيسهم «موريس بوكاى» مختلفًا عنهم للغاية: كان يحاول أن يكتشف كيف مات هذا الملك الفرعونى؟ وفى ساعة متأخرة من الليل.. ظهرت نتائج تحليله النهائية..

لقد كانت بقايا الملح العالقة فى جسده أكبر دليل على أنه مات غريقًا...!

وأن جثته استخرجت من البحر بعد غرقه فورًا، ثم أسرعوا بتحنيط جثته لينجو بدنه!

لكن أمرًا غريبًا ما زال يحيره وهو، كيف بقيت هذه الجثة دون باقى الجثث الفرعونية المحنطة أكثر سلامة من غيرها، برغم أنها استُخرجت من البحر.. كان «موريس بوكاى» يُعدّ تقريرًا نهائيًا عما كان يعتقده اكتشافًا جديدًا فى انتشال جثة فرعون من البحر وتحنيطها بعد غرقه مباشرة، حتى همس أحدهم فى أذنه قائلاً: لا تتعجل، فإن المسلمين يتحدثون عن غرق هذه المومياء..

ولكنه استنكر بشدة هذا الخبر، واستغربه، فمثل هذا الاكتشاف لا يمكن معرفته إلا بتطور العلم الحديث، وعبر أجهزة حاسوبية حديثة بالغة الدقة، فقال له أحدهم: إن قرآنهم الذى يؤمنون به يروى قصة عن غرقه، وعن سلامة جثته بعد الغرق..!

«فازداد ذهولاً، وأخذ يتساءل.. كيف يكون هذا، وهذه المومياء لم تُكتشفْ أصلاً إلا فى عام ١٨٩٨ ميلادية أى منذ مائة عام تقريبًا، بينما قرآنهم موجود قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام؟!» (٢).

وشغلت هذه القضية «موريس بوكاى» وتطورت مواقفه «وسافر إلى المملكة العربية السعودية لحضور مؤتمر طبى يوجد فيه جمع من علماء التشريح المسلمين..

وهناك كان أول حديث تحدثه معهم عما اكتشفه من نجاة جثة فرعون بعد الغرق.. فقام أحدهم، وفتح له المصحف، وأخذ يقرأ له قوله تعالى:

(٢) «القرآن والعلم الحديث» لموريس بوكاى من ص٥ إلى ص٧ مقتطفات.

﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾

[يونس/ ٩٢]

«لقد كان وقع الآية عليه شديدًا.. ورُجّت له نفسُه رجة جعلته يقف أمام الحضور ويصرخ بأعلى صوته: (لقد دخلت الإسلام وآمنت بهذا القرآن)» (٣).

قراءة بوكاى للقرآن

تلك هى قصة إسلام «بوكاى» أشهر الأطباء الجراحين فى فرنسا، ودخوله هذا الدين من باب العلم، والتحليل الأمين الصادق لإحدى آيات الله المبثوثة فى أرض الواقع المشاهد، ومطابقتها بما ورد فى كتاب الله - عز وجل - قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام مضت..!!

غير أن حياة الرجل، وقصته مع القرآن، وآيات الله الباهرات المبثوثة فيه لم تتوقف عند هذا الحد، الذى أعلن فيه إسلامه، مع ملاحظة أن هذا الإعلان - وتلك مشيئة الله - وقع فى المملكة العربية السعودية، مهبط الوحى المبارك، حيث نزلت الآيات تترى على رسول الله ﷺ معلنة بلسان الحال ولسان المقال، أن هذا القرآن من عند الله رب العالمين، وقد نزل ليقود البشرية كلها إلى طريق الهداية والرشاد، وليطرد الوساوس والخرافات من العقول، وليدعو الناس جميعًا إلى التفكر والتدبر

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾

[الذاريات/ ٢٠:٢٣]

﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

[يونس/ ١٠١]

فعندما قرأ هذا الرجل كتاب الله تعالى بصدق، شاء الله أن يكون ممن قال فيهم:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

[الإسراء: ٨٢]

ومن الصنف الأول الذى ورد فى قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾

[النحل: ٣٦]

قلنا: إن «موريس بوكاى» ألف كتابًا أطلق عليه «القرآن والتوراة والإنجيل

(٣) «القرآن والعلم الحديث» لموريس بوكاى ص٩.

والعلم .. دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة».. ولقد ضمن هذا الكتاب عدداً من البحوث الجادة، التي شملت مقارنات واسعة بين القرآن من جانب وبين التوراة والإنجيل من جانب آخر، تؤكد في مجملها على أن القرآن من عند الله - تبارك وتعالى - وليس من عند محمد. في ضوء ما أسفرت عنه البحوث والدراسات العلمية الحديثة، بخلاف الكتابين الآخرين «التوراة والإنجيل» اللذين كُتبا في عهود متأخرة جداً عن عصر موسى وعصر عيسى - عليهما السلام، حيث كتبهما أتباعهما من بعدهما، مما كان سببًا قويًا وبابًا واسعًا دخلت منهما التحريفات والتبديلات، ليصل «بوكاي» في نهاية البحث إلى نتيجة مؤكدة، مؤداها «أن الرأى السائد المستمسكَ به في بلادنا - يعني أوربا - عن نصوص الكتب المقدسة التي في حوزتنا اليوم، لا يستقيم مع الواقع. ولقد رأينا في أي ظروف وفي أي عصور وبأي طريقة جمعت ونقلت العناصر التي شكلت العهد القديم والأناجيل والقرآن. ولما كانت الظروف التي سادت ميلاد كتابات كل من التنزيلات الثلاثة، قد اختلفت اختلافًا شاسعًا، فقد نجمت عن ذلك نتائج بالغة الأهمية، فيما يتعلق بصحة النصوص وببعض جوانب مضامينها». ثم يلخص آراءه في هذه الكتب الثلاثة قائلاً:

«إن العهد القديم [التوراة] يتكون من مجموعة من المؤلفات الأدبية. أُنتِجتْ على مدى تسعة قرون تقريبًا، وهو يشكل مجموعة متنافرة جداً من النصوص عدّل البشر من عناصرها عبر السنين، وقد أضيفت أجزاء لأجزاء أخرى كانت موجودة من قبل. بحيث إن التعرف على مصادر هذه النصوص اليوم عسير جداً في بعض الأحيان».

وعن الأناجيل يقول: «لقد كان هدف الأناجيل هو تعريف البشر، عبر سرد أفعال وأقوال المسيح، بالتعاليم التي أراد أن يتركها لهم عند اكتمال رسالته على الأرض. والسيىء هو أن الأناجيل لم تُكتب بأقلام شهود معاينين للأمور التي أخبَروا بها. إنها ببساطة تعبير المتحدثين باسم الطوائف اليهودية والمسيحية المختلفة عما احتفظت به هذه الطوائف من معلومات عن حياة المسيح العامة، وذلك في شكل أقوال متوارثة شفهية أو مكتوبة اختفت اليوم بعد أن احتلت دوراً وسطًا بين التراث الشفهي والنصوص النهائية».

ويختم حديثه بقوله عن القرآن: «إن لتنزيل القرآن تاريخًا يختلف تمامًا عن تاريخ العهد القديم والأناجيل، فتنزيله يمتد على مدى عشرين عامًا تقريبًا، وبمجرد نزول جبريل به على النبي ﷺ كان المؤمنون يحفظونه عن ظهر قلب، بل قد سُجِّل كتابة حتى في حياة محمد ﷺ.

إن التجميعات الأخيرة للقرآن التي تمت في خلافة عثمان، فيما بين اثنى عشر عامًا وأربعة وعشرين عامًا من بعد وفاة النبي ﷺ قد أفيدت من الرقابة التي مارسها هؤلاء الذين كانوا يعرفون النص حفظًا، بعد أن تعلموه في زمن التنزيل وتلوه دائمًا فيما بعد. ومعروف أن النص منذ ذلك العصر قد ظل محفوظًا بشكل دقيق. إن القرآن لا يطرح مشاكل تتعلق بالصحة (يقصد أن النص القرآني بطبيعته لا يتطرق إليه شك).

ثم يكمل حديثه عن القرآن ويقول: «إن القرآن، وقد استأنف التنزيلين اللذين سبقاه (يقصد وقد جاء بعد العهد القديم والأناجيل) لا يخلو فقط من متناقضات الرواية، وهي السمة البارزة في مختلف صياغات الأناجيل، بل يُظهر أيضا - لكل من يشرع في دراسته بموضوعية وعلى ضوء العلوم - طابعه الخاص، وهو التوافق التام مع المعطيات العلمية الحديثة، بل أكثر من ذلك، وكما أثبتنا، يكتشف القارىء فيه مقولات (يعني آيات) ذات طابع علمي، من المستحيل تصوُّر أن إنسانًا في عصر محمد ﷺ قد استطاع أن يؤلفها» (٤).

ولقد لقى هذا الكتاب من الرواج ما يفوق الخيال، حيث «نفد من جميع المكتبات، ثم أعيدت طباعته بمئات الآلاف بعد أن تُرجم من لغته الأصلية (الفرنسية) إلى العربية، والإنجليزية، والإندونيسية، والفارسية، والصربكرواتية، والتركية، والأوربية، والكجوراتية، والألمانية! لينتشر بعدها في كل مكتبات الشرق والغرب، وصرت تجده بيد أى شاب مصرى أو مغربى أو خليجي في أمريكا. فهو يستخدمه ليؤثر في الفتاة التي يريد أن يرتبط بها.. فهو خير كتاب ينتزعها من النصرانية واليهودية إلى وحدانية الإسلام وكماله..» (٥).

- يتبع -

***

(٤) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم. دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص٢٨٤ - ٤٨٥. الناشر. الفتح للإعلام العربي - القاهرة.

(٥) القرآن والعلم الحديث «موريس بوكاي» ص١٠ مؤسسة أم القرى للترجمة والنشر والتوزيع. طبعة أولى.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾

شهادات غربية فى إنصاف الإسلام

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

لقد صدق الله العظيم، عندما قال فى قرآنه الكريم:

﴿لَيْسُواْ سَوَآءً﴾

آل عمران: ١١٣

ليعلّم الناس العدالة التى تكتشف الفروق والتمايزات فى مواقف الآخرين، والتى لا تعمم الأحكام فتظلم المنصفين والمجتهدين، عندما تضعهم فى سلة واحدة مع المغرضين والمزيفين.

فالغرب ليس كتلة واحدة صماء وهو لا يمكن اختزاله فى «مشروع الهيمنة الإمبريالية» والاحتلال والاستغلال الذي ناصب الإسلام العداء منذ ظهور الإسلام، ولا يزال يناصبه العداء حتى هذه اللحظات.. والذى حاول ويحاول، طوال ذلك التاريخ، إعادة اختطاف الشرق من الإسلام وأمته وحضارته.

ورغم أن صناعة القرارات، والممارسات التى عانى منها الشرق الإسلامى، ولا يزال يعانى منها حتى الآن، هى بيد قوى الهيمنة الغربية، وتوجهات الفكرية والدينية، وبيد المؤسسات السياسية والاقتصادية والإعلانية والكنسية المعبرة عن هذه الفتوى والتوجهات.. تلك التى تمسخ وتشوه صورة الشرق الإسلامى فى عقول ووجدانات جماهير الشعوب الغربية ذاتها، لتبرر مشاريع الهيمنة الإمبريالية على الشرق فى أوساط هذه الجماهير، وصولاً إلى كسب تأييد هذه الجماهير لمقاصد الإمبريالية الغربية فى إعادة اختطاف الشرق، وحرمان أهله من حقهم الفطرى فى الحرية والاستقلال وتقرير المصير..

رغم هذه الحقيقة.. التى قامت عليها الشواهد فى القسم الأول من هذا الكتاب.. إلا أن العدالة والإنصاف يدعواننا إلى إبراز الوجه المشرق للغرب الحضارى.. والذى تمثل فى العلماء الغربيين الذين عبروا عن حقيقة الإنسان الغربى وموضوعية العلم الغربى، وأثمن ما فى الثقافة الغربية، عندما درسوا الإسلام وحضارته دراسة العلماء المجتهدين، فأنصفوه، وشهدوا له شهادة صدق، نتعلم منها نحن المسلمين ونقدمها للإنسان الغربي الذى ضلله الإعلام الغوغائى، عندما شحن عقله ووجدانه «بثقافة الكراهية السوداء» للإسلام والمسلمين، قائلين لهذا الإنسان الغربي: إننا ندعوك إلى كلمة سواء.. إلى أن تقرأ شهادات هؤلاء العلماء الغربيين العدول، العلمية والموضوعية التى أنصفت الإسلام وأمته وحضارته.

وإذا كان استقصاء هذه الشهادة الغربية يحتاج إلى العديد من المجلدات، فإننا نقف فى هذا المقام عند شهادات نفر- متميز من العلماء الغربيين، الذين يمثلون عمدا من أعمدة الثقافة الغربية، وحججا فى دراسة الحضارة الغربية والإسلامية جميعا.. «والذين كتبوا فى الإسلام دراسات يتعلم منها علماء الإسلام أنفسهم.. وهى دراسات حرى أن يتعلم منها الغربيون قبل المسلمين».

وفى مقدمة هؤلاء العلماء الغربيين، العالم الانجليزى «سير. توماس أرنولد» Arnold,sir Thomas [١٨٦٤- ١٩٣٠م] صاحب الكتاب الفريد الذي درس مسيرة وسيرة انتشار الإسلام فى العالم، عبر التاريخ.. كتاب الدعوة إلى الإسلام].

وعن هذا العالم الحجة، يقول المستشرق الانجليزى البرفسور «ألفريد جيوم» Alfred Guillaume – رئيس دائرة الشرق الأدنى والأوسط لمعهد الدراسات الشرقية والأفريقية لجامعة لندن:-

إنه من أعاظم المستشرقين البريطانيين.. تعلم فى كمبردج، وقضى عدة سنوات ١٨٨٨-١٨٩٨م فى الهند أستاذ للفلسفة فى كلية عليكرة الإسلامية وأستاذاً للفلسفة فى لاهور - ١٩٩٨-١٩٠٤م، ومساعداً لأمين مكتبة ديوان الهند ١٩٠٤-١٩٠٩، وهو أول من جلس على

منبر الأستاذية فى قسم الدراسات العربية فى مدرسة اللغات الشرقية بلندن سنة ١٩٠٤م ثم اختير عميدا لها ولقد ذاع صيته بكتابية [الدعوة إلى الإسلام] لندن سنة ١٨٩٦ و(الخلافة Caliphate) أكسفورد سنة ١٩٢٤م، كما كتب دراسته الإجمالية عن الإسلام بعنوان (العقيدة الإسلامية The Islamic faith) وكتابة الفخم عن التصوير في الإسلام Painting in islam وهو صاحب فكرة كتابة (تراث الإسلام) والمشرف على تنسيقه وإخراجه ولقد كان عالماً باللغتين العربية والفارسية إلى جانب إلمامه بمعظم اللغات الأوروبية مالكا لمفاتيح عالم العصور الوسطى وعالم العصر الحديث.

ولقد خلت كتاباته من أية أغلاط، أو حتى هفوات لاحظها عليها المتخصصون من الغربيين أو المسلمين[1] وإذا كانت هذه هى مكانة «الشاهد» سير توماس أرنولد فيكفى فى الإشارة إلى مكانة شهادته – كتابه (الدعوة إلى الإسلام) الذى نقدم منه شهادته للإسلام إذ يقول فيه المستشرق الانجليزى ر.أ. نيكلسون ١٨٨٦– ١٩٤٥ R.A.Nicholson:

الدعوة إلى الإسلام

تأليف

«سير. توماس أرنولد»

sir Thomas Arnold

«إنه كتاب يفوق حد الوصف من كل ناحية وهو مؤلف لا يمكن الاستغناء عنه، ويعد حجة ثابتة.. وهو من أوله إلى آخره برغم طابعه التاريخي ومنهجه العلمي، إنما هو حجة أرنولد أقامها على الجور والتعصب وإن آراءه فى الجملة خليقة بأن تؤثر حتى فى هؤلاء الذين قد يظنون.. أن هذا الكتاب مصدر خطر، عندما يقدرون بواعث الحماسة فى نشر الدعوة الإسلامية ونتائجها، تاركين بصفة قاطعة مظهراً من نشاط هذه الدعوة لم يحسبوا

١) نيكلسون، «تراث الإسلام ص١٦٨– ترجمة: جرجيس فتح الله. طبعة بيروت سنة١٩٧٢، ومقدمة الطبعة الثالثة لكتاب «الدعوة إلى الإسلام» ص١٥–١٧– ترجمة: د. حسن إبراهيم حسن، د. عبدالمجيد عابدين، إسماعيل النحراوى طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م.

له حساباً كما فعل أرنولد.. إنه ليستولى علينا الدهش كيف استطاع أرنولد أن يجمع وينقذ هذا القدر الهائل من المواد المتنوعة التى تتعلق بالكتب والمراجع التى استخدمها فى الطبعة الأولى من كتاب (الدعوة إلى الإسلام) وإن نظرة واحدة فى المراجع التى اعتمد عليها المؤلف، تكفى لنتحقق من قيمة الكتاب باعتباره مستودعا وصورة للحقائق التى تتعلق بموضوعه.. إنه كتاب زاخر بالحياة.. وبينما نجده ينقلنا على التوالى من بلاد العرب إلى آسيا الغربية وإفريقية وأسبانيا وفارس والهند– والصين والملايو– فإننا نحس من وراء سطحه الهادىء عمق الحجج المقنعة وقوتها، تلك الحجج التى تبعث فيه الحياة.[2].

وبعد هذه الإشارات إلى مكانة «الشاهد» ومكانة «الشهادة».. نقدم شهادة «سير توماس أرنولد» على زيف دعاوى انتشار الإسلام بالسيف والعنف والحرب والإكراه.. تلك الدعاوى التى روج لها، ولا يزال مشروع الهيمنة الغربية فيعلن، بالحقائق الموضوعية، أن انتشار الإسلام إنما حدث بهذه الصورة المدهشة فى سرعتها وقوتها، لسببين أساسين:



نيكلسون

أولهما: الضعف الذاتى والمزمن الذي أصاب النصرانية، والإفلاس الذى أصاب كنائسها المتناحرة، كأثر من آثار جناية الثقافة الهلينية الغربية على النصرانية الشرقية، وما أثمرته من الانقسامات الحادة والمتناقضات العدائية فى صفوف المؤسسات الكنسية إبان مراحل الظهور والانتشار للإسلام..

وثانيهما: سماحة الإسلام.. وبساطته.. ومنطقه العقلانى.. والقوة الذاتية التى امتلكها وتميز بها هذا الدين عن غيره من الديانات.

«يتبــــع»

***

٢) نيكلسون مقدمة كتاب «الدعوة إلى الإسلام» ص١٦، ١٧.

العولمة



مشروع الخطاب الثقافى العربى الإسلامى*

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى

بعد خروج الصليبيين عن البلاد الإسلامية سنة ١٢٩١م تفتحت أفكار الأوربيين على مشاكل كثيرة كانت موجودة فى بلادهم ومجتمعاتهم ولم يشاهدوا مثيلا لها فى المجتمعات الإسلامية التى حاولوا غزوها، من هذه المشاكل مآخذ كثيرة على الكنيسة الأوربية ورجالها والسلطات الواسعة التى كانت تتمتع بها، واصطدام الأفكار اللاهوتية مع المكتشفات العلمية التى بدأت تظهر بعد ذلك، وهوجمت الكنيسة بواسطة الفلاسفة والكتاب والمفكرين هجوما ضاريا، وانتشرت كتابات عديدة فى صور أدبية تخجل العواطف، وتهاجم الكهنوت ورجال الدين والكنيسة الأوربية، وقراءات تحليلية نقدية تهاجم الكتاب المقدس وتتهمه بمجافاة العقل، وتؤكد انحرافها وانحراف رجال الدين المسيحى فى أوربا[1]

وبعد انهيار الثقافة المسيحية أدى إلى ذلك نشأة المادية الجديدة، وبروز الثقافة العلمانية الغربية وصاحبها قيام الفكر الليبرالى بشقيه: السياسى والاقتصادى، ثم قيام مارتن لوثر بحركة الإصلاح الدينى.

وكان من الطبيعى أن يظهر الشك والإلحاد حين أقصيت الكنيسة، ورفعت ورقة الإصلاح الدينى، فلم يعد شيئاً مقدساً، وعلى العقل أن يبحث من جديد عن الحقيقة. فى هذه الفترة ظهرت مرحلة الشك والإلحاد وتم فصل الدين عن الدولة وانتشر عدم التمسك بالمعتقدات الدينية.

ثم نشأ فى أحضان الرأسمالية وليدان يُعدان أثمن ماحققه نضال المجتمع البشرى من أجل التقدم: الحداثة ومكتسباتها الفكرية، والعلمية والتقنية من جهة والديمقراطية السياسية وما يقترن بها من حريات وحقوق من جهة أخرى[2].

عوامل ظهور العولمة

العولمة أساساً: ظاهرة اقتصادية، وظهرت فى منتصف ١٩٨٠ وكان النظام العالمى القديم مازل موجوداً، والاتحاد السوفيتى كان موجوداً، والحرب الباردة أيضا كانت موجودة. ثم بدأت تزداد ازدهاراً بعد انهيار الاتحاد السوفيتى، وتفكك الكتلة الشرقية وانتهاء الحرب الباردة، ولم يعد على الساحة إلا قطب واحد، هو الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها من الدول الغربية والرأسمالية. وفى ذلك الوقت اتجه بعض المفكرين فى أمريكا إلى الهجوم على الحضارات الأخرى، وخاصة الإسلامية والصينية، ورشحها بعض المفكرين والكتاب كعدوين بديلين عن الاتحاد السوفيتى الذى انهار، وظهرت سلسلة المقالات والكتب التى تتحدث عن صراع الحضارات ونهاية التاريخ، وأن العدو الجديد هو الإسلام.



مارتن لوثر

والإشارات المتكررة لازالت تركز على أهمية منازلة الأعداء وخاصة العدو الإسلامى.

«فالعولمة ليست نظرية ولكنها ظاهرة تعبر عن واقع جديد تكون فى العقد الأخير، والذى يتمثل فى الشركات عابرة القارات، وتهيئة اقتصاديات الدول للمنافسة، وفتح الحدود أمام الأفراد والتقنيات ورءوس الأموال، ومنظمة التجارة العالمية وشروطها التى يجب أن تتبعها الدول التى تريد دخول الأسواق الكوكبية، وثورة الاتصالات والمعلومات وشبكة الإنترنت، والقنوات الفضائية، وأخيراً وجود قوة واحدة مسيطرة ومهيمنة على العالم وهى الولايات المتحدة»[3].

العوالمة والعالمية

من المفكرين من يخلطون بين العولمة والعالمية، لوجود بعض التشابه بينهما من حيث المعنى والمضمون والبعد الثقافى الذى تحمله كل منهما.

* نص الكلمة القاها فضيلة الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومى فى مؤتمر مجمع اللغة العربية فى الفترة من ٢٢ مارس حتى ٤ أبريل ٢٠٠٥

(١) العولمة والثقافة الإسلامية، ص١١١ د. محمد الجوهرى حمد الجوهرى.

(٢) العولمة والفكر العربى المعاصر د. الحبيب الجنحانى، دار الشروق

(٣) العولمة والثقافة الإسلامية، ص١٤ د. محمد الجوهرى حمد الجوهرى

فالعالمية الثقافية Cultural unviersalism لشعب ما: تعنى أن تلك الثقافة نمت وارتقت وتفوقت، ثم سمت إلى المستوى العالمى مع احتفاظها بصفاتها الذاتية، وهويتها الخاصة بها، فالعالم يشيد بها، ويقدر خصوصياتها، وبذلك أصبحت ثقافة عالمية.

فالثقافات التى لها صفة العالمية كثيرة ومتعددة، تألقت فى مسيرة تاريخ البشرية، فمنها - على سبيل المثال لا الحصر - الثقافات المصرية القديمة، البابلية، والآشورية، واليونانية، والرومانية، والمسيحية، والإسلامية، وعصر النهضة الأوربية، وعصر التنوير، فهى - بحق - ثقافات عالمية عاونت على إثراء ثقافات العالم أجمع، وشهدت لها الإنسانية على مر التاريخ بأصالتها، وهويتها وخصوصياتها التى تميزت بها عن بقية الثقافات(٤).

وأما ما يطلق عليه «العولمة الثقافية» Cultural Globalism فهى رؤية انبثقت بكل قوة وعزم وإصرار منذ أن انهار الاتحاد السوفيتى فى أوائل التسعينيات، وتبوأت الولايات المتحدة عرش القوة الوحيدة الضاربة عسكرياً واقتصادياً وإعلامياً، وتدعو تلك الرؤية فى أساسها إلى توحيد ثقافات الأمم والشعوب وصقلها فى بوتقة العالمية، لتصبح بذلك النموذج الأمثل الذى ترنو إليه مختلف الحضارات والثقافات للتعامل معه، والاقتداء به، والسير على نهجه، فبعد أن وطدت الولايات المتحدة أقدامها فى إنشاء نظام اقتصادى عالمى جديد، يليه نظام جديد للتجارة العالمية (الجات)، ثم نظام إعلامى جديد، شرع المنظرون الأمريكيون من الفلاسفة والمفكرين فى التحدث بكل جدية واهتمام عن وضع نظام ثقافى عالمى جديد، الغرض منه السعى نحو توحيد الثقافات، وتقريب شقة الخلافات بين الحضارات.

وحقيقة الأمر أن هناك ثلاث قوى رئيسية دفعت العولمة لتشق طريقها نحو الهيمنة الغربية، وخاصة الولايات المتحدة:

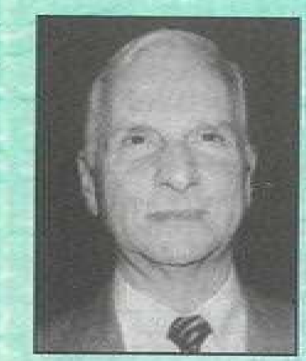
أولها: انهيار الاتحاد السوفيتى وحلفائه الاشتراكيين أمام الرأسمالية الغربية، والذى كان من نتائجه أن أصبحت فيه الولايات المتحدة الأمريكية القطب الأوحد والمهيمن على النظام العالمى الحالى عسكرياً واقتصادياً وعلمياً وإعلامياً.

وثانيها: تسارع التغيرات التكنولوجية المتلاحقة ووسائل الاتصالات، مما ساعد الولايات المتحدة فى الهيمنة على سوق التكنولوجيا العالمية والإعلام.

(٤) راجع: صراع الثقافة الإسلامية مع العولمة، ص١٩ د. محمد الشبينى


المسيرى


فهمى هويدى


أحمد صدقى الدجانى

ثالثها: هيمنة الاقتصاد الأمريكى على العالم عن طريق الشركات العملاقة متعددة الجنسيات، مما دفعه إلى وضع نظام عالمى جديد فى الاقتصاد والتجارة والمصارف الدولية، مما ساعد على نشر القيم الرأسمالية الأمريكية فى أنحاء العالم ضمن إطار من حرية التجارة والاستثمارات وانتقال رءوس الأموال.

مفهوم العولمة

يعتبر مفهوم العولمة ضمن أبرز الأفكار - إن لم يكن أبرزها - التى استقطبت الاهتمام على المستوى العالمى فى الأعوام الأخيرة، وسيصنفه تاريخ المفاهيم التى عرفها القرن العشرون فى رأس القائمة، فهو يختلف عن المفاهيم الأخرى لأنه يمس حياة الناس جميعا بحكم تأثيره اليومى عبر وسائل الاتصال الجديدة، فهنالك من ذهب إلى أنها تعنى الثورة المعلوماتية الكونية التى حولت العالم إلى قرية صغيرة.

وهنالك من حصرها فى ثورة «الإنترنت»؟

وهنالك من قال: إنها سيادة الشركات المتعددة الجنسيات والعابرة للقارات، أو تعنى أهمية رأس المال. ومن قال: إنها وليدة الحداثة فى أحد مظاهرها.

كذلك من أبرز سماتها سياسياً: تجاوز الدولة الوطنية بل قل تهميشها، وتحويل المشرفين عليها إلى خدم فى بلاط أهمية رأس المال الجديدة. فلا يصح أن نقول بعد ذلك إنها تعيد إنتاج النظام الرأسمالى داخل حدودها وخارجها(٥).

إنه اتجاه يعادى أى نوع من القيم سواء كانت دينية، أو قومية، أو إنسانية دينية.

ويرى المسيرى أنها تستند إلى قيم مادية تنفى الخصوصية والإنسانية والدينية، وتحاول - فى ذات الوقت - أن تطرح قيماً تدور حول السوق.. والكباريه.. وتدور حول السوبر ماركت قيم الإنسان الاقتصادى والإنسان الجسمانى.

ويلخصها فهمى هويدى بأنها مفهوم اقتصادى بالدرجة الأولى، وأنها تعبر عن نفى الآخر(٦).

(٥) العولمة والممانعة عبدالله بلقزيز

(٦) الأهرام ٢/٥/٢٠٠٠

(٧) مجلة الحكمة عدد ١٨ص ١٤٢ كتاب الإسلام والعولمة.

أما الدكتور أحمد صدقى الدجانى فيرحب بها وبالتعامل معها انطلاقا من موقف آخر هو ثقتنا بعقيدتنا، وتراثنا، ولغتنا، أى: بحضارتنا الإسلامية التى تمثل جماع هذه العناصر الثلاثة وقدرتها على المواجهة(٧).

نشأة العولمة

يرى فريق من الاقتصاديين أن العولمة - فى مفهومها الحالى - نشأت فى منتصف الثمانينيات وبداية التسعينيات، عندما أخذ الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية التى كانت تدور فى فلكه فى الانهيار، وهو الذى كان قطباً اقتصادياً وتكنولوجياً وعسكرياً عملاقاً يتقاسم الهيمنة السياسية على العالم مع الولايات المتحدة الأمريكية منذ الحرب العالمية الأولى، وكان من نتيجة هذا الانهيار الذى فوجىء به العالم أن برزت الولايات المتحدة كقوة وحيدة تربعت على عرش الزعامة الدولية من دون منافس لها أو مزاحم، حتى إنه يطلق فى الأوساط الدولية شرطى العالم الأوحد.

ولكن بعض الباحثين فى تاريخ العولمة الثقافية وتطورها، لهم تأويل آخر، فهم يرجعونها إلى أنها حدث تاريخى اتخذ مفهومه، ووضعت أساسياته فى القرن الرابع قبل الميلاد من فكر وحكمة عدد كبير من الفلاسفة والحكماء واليونانيين مثل سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم، وهى الثقافة التى تغلغلت فى الفكر الغربى لقرون عديدة حتى وقتنا الحاضر، وكذلك يرى هؤلاء الباحثون أن اكتساح الرومان لشعوب أوربا والشرق الأوسط ونشر ثقافتها وعلومها وفنونها ساهم فى وضع بذور العولمة الثقافية فى العالم الغربى لقرون عديدة حتى وقتنا الحاضر.

أما العالم «رولاند روبرستون» فى بحثه الذى عرضه فى كتاب: «تخطيط الوضع الكونى» فإنه يرى أن ظهور الدولة القومية هى بداية العولمة، وقسم تطور العولمة إلى خمس مراحل هى:

أولا: مرحلة الجنينية: بدايتها منذ القرن الثانى عشر حتى منتصف القرن الخامس عشر، فهى التى شهدت نمو المجتمعات القومية.

ثانيا: مرحلة النشوء: من منتصف القرن الثامن عشر حتى عام ١٨٧٠ وما بعده، وشهدت علاقات بين الدول والفرد والدستور والعلاقات الدولية «المجتمع الدولى».

ثالثا: مرحلة الانطلاق: من عام ١٨٧٠ حتى العشرينيات من القرن العشرين، واتسعت بظهور الأفكار الكونية فى السياسة والرياضة والاقتصاد.

رابعا: مرحلة الصراع: من أجل

الهيمنة: من العشرينيات حتى الستينيات من القرن العشرين، وشهدت الحروب الكونية والصراعات ثم ظهور هيئة الأمم المتحدة.

خامسا: المرحلة الأخيرة: مرحلة عدم اليقين، وبدأت من الستينيات حتى أواخر القرن العشرين، وهى مرحلة التقدم العلمى والفنى الهائل، والهبوط على القمر، وعصر ثورة الاتصالات.....الخ.

يقول الدكتور الشبينى: من هذا العرض يؤكد لنا روبرتسون أن التطور التاريخى للعولمة لم يبدأ منذ الثقافات العالمية القديمة كاليونانية والرومانية وغيرهما كما هو رأى بعض الباحثين، ولا هى بدأت فى الظهور فى أوائل التسعينيات بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وانتصار الرأسمالية الغربية - وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية - كما هو شائع بين المفكرين، بل إنه يرى أن العولمة بدأت تظهر أولا فى عالم الثقافة والاقتصاد بظهور موجة انبثاق القوميات الأوربية، ودعوة الشعوب الغربية إلى الاستقلالية الوطنية السياسية قرب نهاية عصر القرون الوسطى وبداية عصر النهضة، وهى بذلك كانت عولمة أوربية.

ثانيا: أخذت العولمة يتسع مفهومها عندما تطورت العلاقات الدولية، وظهرت ملامح المجتمع الدولى بعد أن شهدت المجتمعات صراعاً دامياً، وحروباً مكثفة، وخاصة إبان الحرب العالمية الأولى وبروز عصبة الأمم الدولية، ثم هيئة الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة.

ثالثا: اتسع مفهوم العولمة بالتقدم الهائل فى علوم التكنولوجيا، وثورة علوم الاتصال والمعلوماتية(٨).

***

(٨) جلال أمين، العولمة.. بداية ونهاية، الأمين العام للصيادلة العرب، فى مقالته بجريدة الأهرام القاهرية فى ١٣ من أغسطس ١٩٩٩، وقد عرض الباحث فى مقالته رأى العالم «رولاند روبرتسن» الذى عرضه فى كتاب «تخطيط الوضع الكونى: العولمة باعتبارها المفهوم الرئيسى فى الثقافة الكونية القومية والكونية والحداثة»، وقد نشر الكتاب باللغة العربية: دار نشر سياج. القاهرة وبيروت، ١٩٩٩ صفحة ١٥ - ٣٠

نقد وثيقة «بكين» لعام ١٩٩٥م إحدى مشروعات الأمم المتحدة (٥)

وماذا قدمت للأطفال ؟!

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعنى

رأينا بعض المخاطر فى جانب المرأة، التى زعمت هذه الوثائق الدولية أنها تخطط لحماية المرأة، وتمكنها من نيل حقوقها بعيداً عن كل القيود التى تفرض عليها داخل نظام «الأسرة» النمطية أو التقليدية أو الشرعية. وبينا أن هيئة الأمم فشلت فشلاً ذريعاً فى تحقيق أى شىء يناسب منزلة المرأة فى الحياة بل هى - الأمم المتحدة - أضاعت المرأة نفسها وأخرجتها عن إنسانيتها قبل أن تضيع حقوقها.

وفشل مشروعات الأمم المتحدة فى جانب المرأة هو هو فشلها فى جانب حقوق الطفل فهى لم تحقق ولن تحقق للطفل نفعاً ما من خلال البنود التى سبق ذكرها. وبخاصة هدم الأسرة الشرعية وإحلال أسر بدلها وهى «شركات» للقاح الجماعى الأريع.

ونسأل الأمم المتحدة وممثليها واضعى وثيقة «بكين لعام ١٩٩٥م» وما تقدم عليها نسألهم هذا السؤال:

- أيهما أفضل للطفل؟ أن ينشأ ويترعرع بين أب وأم يعرفهما ويعيش تحت رعايتهما حتى يبلغ مبلغ الرجال إن كان الطفل ذكراً. أو حتى يبلغ مبلغ النساء إن كان الطفل أنثى أيهما هو الأفضل والأجمل؟

أم أن يفتح عينيه لأول مرة فى الحياة فيلتفت يميناً وشمالاً وأماماً وخلفاً فلا يجد له «أب» ينتسب إليه، ولا يدرى من أين جاءت به التى حملته.

وهب أن هذه المشاعر تحتمل فى سني الطفولة. فماذا يكون وطؤها عليه إذا صار شابا يافعاً، ثم رجلاً، إنه يسأل نفسه، ويسأل غيره حتى أمه إذا سألها فلن تستطيع أن تجيب على هذا القائل: يا أماه.. من هو أبى؟! إنها «المسكينة الحقيرة الذليلة» لا تعرف فعلاً من هو أبو هذا الذى يسأل، لأن الذى بذر فيها البذر شرذمة من الشخوص لا شخص واحد.

إن من المستحيل أن يجد السائل هنا جواباً. وليس فى الوجود أحد يملك الإجابة الصحيحة عليه إلا الله وحده. وأين السبيل إليه؟

إن هؤلاء الأطفال الذين يولدون وهم يمثلون نوعاً جديداً من اليتم، لأنهم يتامى لم يمت آباؤهم ويواروا فى قبورهم بل يتامى وآباؤهم أحياء لكنهم لم يعرفوا لهم آباء ولو رأوهم رأى العين كما أن آباءهم لم يعرفوهم وإن عاشوا معهم فى حظيرة واحدة.

هؤلاء الأطفال «اليتامى»، إن عاشوا فإنهم يعيشون غرباء حتى عن أنفسهم، ولسان حالهم يقول:

هذا جناه أبى علىَّ
وما جنيت على أحد

نعم إنه لم يجن على أحد، لكن ليس أبوه وحده هو الذى جنى عليه بل اشتركت أمه مع أبيه فى هذه الجناية البشعة المنفرة المقززة.

بل إن جانباً آخر ثالثاً اشترك فى هذه الجريمة إنه من يخطط لهدم الأسرة الشرعية، ليقيم بدلاً منها شركات زواج أو عصابات لانتهاك الأعراض والعبث فى الأرض فساداً.

النظام الفطرى الآمن

إن الأسرة الشرعية هى منبت الفضائل النفسية والخلقية والتربوية.

ينشأ الطفل فيها بين كفالة الأب وحنان الأم ورعايتها فيملأ كل منهما عينيه وقلبه، ويحوطانه بالدفء والسعادة فيقبل على الحياة، واثقاً بنفسه، طيب المشاعر، كثير الأمل باسم الثغر، قرير العين، أهلاً لعمارة الكون، يعطى أبناءه ما أخذه هو من أبيه وأمه، فتسير عجلة الحياة إلى بر الأمان.

ومما تقدم يتبين أن نظام الأسرة المتعارف عليه منذ نشأة الحياة الإنسانية هو النظام الفطرى الآمن، إذا أدرك كل من الزوجين قدسية هذا النظام، والأهداف السامية العالقة به، وأن العلاقة بين الأزواج ليست مادية محصورة فى إشباع الغريزة الجنسية، بل إن هذه الظاهرة مع قيودها وضوابطها غير

دائمة، ولا هى مطلوبة فى كل وقت، وإن فى الحياة الزوجية معانٍ سامية من الرباط الروحى والعاطفى والسكون النفسى والألفة، حتى بعد توقف الميل الجنسى عند الزوجين. وهو الذى يصون كرامة الإنسانية، ويسعى بها إلى السعادة والتواد والكمال. أما النماذج التى ذكرناها من الأنماط الجماعية للأسرة فبعضها ينحدر إلى درجات من التدنى لا توجد حتى فى حياة الحيوانات وذوات الأربع والزواحف والحشرات ويترتب على تلك الأنماط الأربعة، فضلاً عن الأوبئة والأمراض، يترتب عليها زوال الروابط الإنسانية والحميمة، وليس القضاء على جميع أشكال التمييز بين المرأة والرجل. فهذا ليس إليه سبيل ولو أمكن لتوقف سير الحياة.

والحكمة كل الحكمة فطرة الخالق التى فطر عليها الإنسان الاختلاف فى الجنس والنوع والمواهب والفقر والغنى. وهذا هو أساس عمارة الكون، وتطور مراحل الحياة ولو خلق الله الناس متساوين فى كل شىء لتجمدت الحياة، ووصلت إلى درجة الفناء.

وثيقة الشهوات والملذات

ومما ترتب على الإجراءات المتقدمة فى شئون المرأة والطفل من المساوىء أنها حصرت سعى الإنسان فى الحياة على الملذات والإغراق فى الشهوات حتى القبيح منها. فلم تر الوثيقة حقوقاً للمرأة إلا انفلاتها من جميع الفضائل والقيم البناءة ووضع الحبل لها على الغارب فى ميدان الاتصالات الجنسية حتى القذر منها، والقاتل لكرامتها.

حتى لكأن رسالتها فى الحياة هى إشباع رغباتها وتلبية شهواتها كلما أحست بمثيراتها فى جسدها.

وهذه النظرة تحمل المرأة فى النهاية على اليأس والقنوط وتورثها الاكتئاب النفسى القاتل، لأن فطرتها التى فطرها الله عليها قضت بأن بواعث الإحساس الشهوى الجنسى تتوقف عند المرأة فى «سن اليأس» قبل توقفها عند الرجل بزمن طويل (حوالى ٢٥ عاما).

فإذا تجاوزت المرأة الأربعين سنة من عمرها أخذت توهجاتها الجنسية فى الانطفاء، حتى تنعدم تماماً فى فترة لاحقة، وهى دون الخمسين.

عندئذ تشعر المرأة التى لم تر فى الحياة إلا المتعة الجنسية، تشعر بأن سعادتها ولت عنها الأدبار، وأنها ماتت وهى على قيد الحياة، فتضيق بها الأرض بما رحبت، وسيتولى اليأس على مشاعرها، وتخيم الكآبة القاتمة على كل شىء فى إحساسها وآمالها، وهذا قد يؤدى بها إلى الانتحار كأقصر طريق للهروب الأعمى من الجحيم الذى هى فيه، وبخاصة إذا عجزت عن الإجابة على هذا السؤال:

لماذا أعيش؟

إن انعدام الإجابة عن هذا السؤال، هو الطريق إلى الهاوية أو إلى «سجن».

أما بالنسبة للطفل، فقد أعدت له الوثيقة جحيماً مستعراً من قبل أن يقدم إلى الحياة، وما الحياة التى يقدم إليها بأنفع له من «الموت»

الذى كان فيه قبل أن يولد. إن قُدِّرَتْ له ولادة.

يقدم إلى الحياة لا يعرف له فيها أباً، ولا راعياً ولا مربياً ولا حناناً ولا عطفاً.

يمشى فى طريق وعر مظلم إن كانت له بداية فلن تكون له نهاية وزاده وطعامه وشرابه بين البداية التعيسة، والنهاية الأليمة، هو الأوهام والآلام والوساوس. إنه هالك ابن هالك.

ويوم تكون أجيال المستقبل هم هؤلاء الأطفال فبطن الأرض أستر وأرحم وأعز وأكرم لهم من ظهرها.

فهل لمثل هذه المأساة تخطط منظمة الأمم المتحدة؟

وهل لمثل هذه المأساة ستستجيب الشعوب والأمم وتلبى النداء؟

ومن المساوىء الناتجة عن الإجراءات المقدمة فى الوثيقة، وبخاصة تقسيم العمل المنزلى بين الزوج وزوجته فى الأسرة (النمطية) غير المرغوب فيها لأن قيام الزوجة وحدها به يعتبر عنفاً وانتهاكاً لحقوقها.

هذا التوجه المغلوط يؤدى إلى قتل روح التعاطف بين الزوجين، ويضع كلا منهما فى موضع خصومة أمام الآخر فضلاً عن أنه اعتمد (أى تقسيم العمل بينهما) على غير أساس مقبول.

لأن الزوجة ليست مطالبة بالإنفاق فى البيت، لا على زوجها ولا على بيتها ولا على نفسها. وقد ظلت المرأة تنهض بهذا الواجب منذ نشأة الحياة المدنية فى الدنيا وفى جميع عصور الحضارة القديمة والحديثة.

ولم يثبت أنها تمردت ولا شكت لأحد بأنها مظلومة أو مضطهدة، بل هى ترى منتهى سعادتها فى هذا التعاون وترى مباهج السرور ونسائم السعادة فى هذا التعاون بينها وبين زوجها، الذى أتاح لها بعمله خارج المنزل وتوفير نفقات الأسرة فرصة التفرغ لإدارة شئون البيت والقيام بتربية الأولاد كأم تملك طاقات هائلة من الحنان الفطرى والحب الصادق لمن كانوا من قبل أحلاماً وردية ترفرف على مشاعر كل من الأب والأم.

تجفيف منابع الحياة

ومن المساوىء المخلة بنظام الحياة الإنسانية الراقية أن بند الوثيقة المرصود للقضاء على نظام الأسرة يهدف فى الوقت نفسه إلى اختفاء دور الأب والأم واختفاء هذا الدور سيؤدى إلى تجفيف منابع الحياة ثم انحسارها ويقضى على العواطف الإنسانية النبيلة وإلى تفكك كل ما بينها من أواصر.

لأن الأمومة هى منابع الخير الفياضة، والأمهات هن بلا ريب صانعات الحياة، وإذا صدق القول «أن وراء كل رجل عظيم امرأة» فإن هذه الـ «امرأة» هى الأم فى المقام الأول. ومسئوليتها فى بيتها بين أفراد أسرتها هى صمام الأمن، ولولا دور الأمومة ما كانت الحياة فى القاعدة

التى تدور بها وحولها رحى الوجود.

الأسرة الشرعية أب وأم

وتعاون الأب والأم فى الأسرة الشرعية غير المرغوب فيها عند وثيقة الأمم المتحدة هو القوة المتدفقة وراء كل الأنشطة البناءة التى تزدهر بها الحياة وتنمو وتتطور جيلاً بعد جيل.

وهذا التعاون موجود حتى فى الحيوانات الدنيا التى لا عقل ولا فكر عندها.

فالحمام يتزاوج ويتآلف اثنين اثنين، وقد عرفناهما يتعاونان تعاوناً ظاهراً للعيان، فكل من الذكر والأنثى يتعاونان فى بناء «العش» الذى يسكنان فيه يوماً بعد يوم، فيأتى كل منهما بأعواد النبات الجاف ويفرشانها فى قاع «العش» ويصنعان منه الجدران إذا لم يجدا قفصاً معداً لهما وبعد أن يفقس البيض «الزغاليل» تتولى الأم تغذيتها، فتملأ حوصلتها بالحبوب ثم «تزقم» أولادها بوضع منقارها فى فم ابنها، ثم تدفع الحبوب إلى حوصلته حتى تملأها. ثم تفعل هذا مع بقية أولادها وتظل على هذا الحال حتى يشب أولادها عن الطوق وتستطيع الحصول بنفسها على أرزاقها، وهنا تشعر الأم بأنها أدت واجبها نحو الجيل الجديد من فصيلة الحمام وكذلك الأسود (جمع الأسد) تلكم الوحوش المفترسة تكون أسراً من زوج وزوجة ويعرف الزوج والزوجة كل منهما واجبهما نحو مولودهما.

فاللبؤة (زوجة الأسد) تتولى تغذية مولودها الذى يولد أعمى لمدة سبعة أيام، أما أبوه (الأسد) فلا يقترب من مولوده مدة سبعة أشهر، فإذا أكمل ولده هذه المدة، جاء الأب ولأول مرة يراه (يرى مولوده) ثم يأخذه من أحضان أمه، ويخرج به من العرين (بيت الأسد) إلى الفيافى والصحراوات لكى يدربه على الحصول على رزقه (اصطياد الفريسة) ومن هذه الحيوانات.. غير العاقلة، من يشيع بينه الزواج الجماعى، أو الزواج المفتوح، أو مشاعيه التخصيب واللقاح، وهى أنواع كثيرة من الحيوانات، فهى أسبق إلى ممارسة هذه الأنماط من الزواج المفتوح أو الفوضوى من «وثيقة الأمم المتحدة» لكن الفرق بين أنماط الزواج الجماعى أو الزواج المفتوح الذى تدعو إليه وثيقة الأمم المتحدة، تحت مسمى «وثيقة بكين عام ١٩٩٥م، أو تحت مسمى «القضاء على كل أشكال التمييز بين الرجل والمرأة»، وبين الزواج الجماعى أو الزواج المفتوح الذى تمارسه فعلاً أنواع عدة من الحيوانات. الفرق بين الزواجين كبير جداً، لأن الزواج المفتوح عند هذه الحيوانات أرقى وآمن من الزواج المفتوح الذى تدعو إليه وثيقة الأمم المتحدة واتفاقاتها الدولية فهو عند الحيوانات أرقى وآمن، لأن المواليد فيه تكفلهم أمهاتهم وتشقى على تربيتهم وحمايتهم من الأضرار حتى يكبروا ويعتمدوا على أنفسهم.

هذه المهمة تقوم بها الأمهات وحدهن. أما الآباء فدورهم غائب تماماً أو معدوم.

أما هذا الزواج فى «وثيقة الأمم المتحدة» فلا رعاية فيه للأطفال إن كان هناك أطفال بل مصيرهم إلى ضياع ماحق.

حرب إبادة ضد البشرية

فالأمم المتحدة تدمرهم قبل أن يولدوا بواحدة من قنبلتين شديدتى التدمير:

القنبلة الأولى: حبوب منع الحمل لتجفيف المنابع من الأساس، فتتخلص منهم قبل أن يولدوا، على حد المثل القائل «الوقاية خير من العلاج»!!

القنبلة الثانية: الإجهاض وهى أشد خطراً وأكثر جرماً من الأولى، لأن الأولى كانت تمنع مجيئهم قبل أن يجيئوا. أما الثانية فهى تنسفهم نسفاً بعد أول مرحلة من مراحل وجودهم. ويترتب على هذا خطران:

أولهما: حرب إبادة ضد بذور البشرية والبشر سيد الحياة على وجه الأرض، ومصدر التنمية والإنشاء والتعمير، وهذه ضربة قاصمة لظهر الحياة الإنسانية.

وثانى الخطرين: إلحاق الضرر الصحى والنفسى، بل والجمالى بالأمهات، وامتهان كرامتهن، لأنهن بهذا الإجهاض يهيئونها للحمل فى العام الواحد عدة مرات. ثم للإجهاض والتفريغ عدة مرات، فتصاب الحامل بالعلل والأمراض وتدهور الصحة العامة والاكتئاب النفسى.

وتتحول بهذه الحماقات إلى مجرد «آلة لهو أو إناء إيضاع» كلما يملأ يفرغ ليصلح لعملية «ملء» أخرى ولو فى يوم «التفريغ» فيالضياع المرأة وسوء سمعتها وانحطاط قدرها عند من يريدون «تحريرها»!!

هذا، وقد قلنا من قبل إن هذا الزواج المفتوح فى سلوك الحيوانات أرقى وآمن من الزواج المفتوح فى وثائق الأمم المتحدة. وهذا حق، لأنه:

– يخلو من إضاعة الأطفال، لأنهم يحظون برعاية أمهاتهم قطعاً.

– ويخلو من قنابل التدمير (موانع الحمل والإجهاض).

فهل يليق بالأمم المتحدة أن يكون الإنسان الذى كرمه خالقه، وفضله فى شكله وصورته وعقله وفكره على كثير مما خلق أحط منزلاً من «الحيوانات»؟.

إن الإنسان فى وثيقة الأمم المتحدة أحط قدراً وأضل سلوكاً من الحيوانات العجماوات، فهى تحيا وفق الفطرة المفطورة عليها، أما «إنسان وثائق الأمم المتحدة» فهو يحيا عكس الفطرة التى فطر عليها.

عقله، وبصره، وسمعه، وقلبه، مسميات لا وجود لها!!

إشاعة الفاحشة بين النشء

ومن المساوىء ذات الأثر الضار جداً، والعائد العقيم، بل المدمر للإنسانية ما دعت إليه الوثيقة فى النقاط الآتية:

أ) إشاعة ممارسة «الجنس» العشوائى بعد تعليمه للأطفال منذ سن مبكرة من أعمارهم وجعل هذا «الفحش» حقاً من حقوق الطفل

(الإنسان فيما بعد) يمارسه بلا ضوابط وخارج نظام الزواج.

ب) وتيسيراً للحصول على هذا الحق دون أن تترتب عليه مشكلات فى نظر الوثيقة، توفر كل دولة حبوب منع الحمل وتوزعها بسخاء على النشء ولتيسير الحصول عليها بلا أدنى عوائق لمنع الحمل غير المرغوب فيه طبعاً.

جـ) إذا لم تكف حبوب منع الحمل فى درء الخطر تطالب وثيقة الأمم المتحدة بإباحة الإجهاض فى كل الدول ورفع الحظر عنه، وتجرى كل دولة عمليات الإجهاض على نفقتها مع العناية الشديدة بصحة الأم المراهقة التى أجهضت!!

لابد من تأمل تدابير الخالق وسننه

والآثار السيئة المترتبة على هذه الإجراءات يمكن رصدها فى الآتى:

- القضاء التام على مكارم الأخلاق والتشجيع على أن يرتمى النشء فى أحضان الشهوات وتعرضهم للأمراض وبخاصة البنات.

- صرف أذهان النشء عن المقاصد النبيلة التى تتطلبها مجتمعاتهم منهم بعد مراحل التعليم.

فضلاً عن الأضرار الصحية التى تصاب بها الأنثى من تعرضها للممارسة الجنسية من أعداد مختلفة من الذكور، وهذا ينعكس أثره على الذكور أنفسهم من ممارستهم الجنس العشوائى مع أنثى مارس الجنس العشوائى معها من قبل ذكور مختلفون آخرون أحوالهم الصحية متفاوتة.

وهذا - بدوره - سوف ينتج فشو الأمراض فى كل البيئات التى يسلك مراهقوها هذا السلوك وتؤدى إلى عكس المهمة المنوطة بمنظمة الأمم المتحدة ومؤسساتها ومنها منظمة الصحة العالمية.

وكان الأولى بالأمم المتحدة مكافحة كل هذه الآثار الدنيئة بدلاً من وضع الخطط التى تعمل على تنشيط هذه الأمراض وسرعة انتشارها.

إن الجيل الذى ينشأ فى ظل هذه الممارسات سوف يزهد تماماً فى نظام الأسرة المثالية المسئولة ما دام متاحاً له إشباع رغباته الغريزية عن طريق هذه العلاقات «العشوائية» الفوضوية وسوف تفاجأ الإنسانية بعد جيلين أو ثلاثة على الأكثر بتوقف «الإنجاب» ويترتب على هذا بداية انقراض الجنس البشرى من الوجود وهذه كارثة الكوارث التى تخطط لها منظمة هيئة الأمم من حيث درت أو من حيث لا تدرى. ولديها خبراء كثيرون كان الأولى أن تعرض عليهم سياساتها المختلفة.

إن إقرار وإباحة إجراءات عمليات الإجهاض سوف تنتج عنه المساوىء الملحقة الآتية:

- استهلاك قوى المرأة سواء كانت مراهقة أو غير مراهقة وذلك لأن وثيقة الأمم المتحدة أباحت لها الممارسة الجنسية خارج نطاق الأسرة، ودعتها إلى الإشباع منها فى كل وقت بلا أية قيود إلا قيد التوقى من الحمل غير الآمن أو المرغوب فيه.

- ثم أباحت لها التخلص من الحمل غير المرغوب فيه عن طريق الإجهاض ولو على حساب الدولة.

وهذا سوف يعرضها للحمل والتفريغ (الإجهاض) طول أشهر السنة بمتوسط ست دورات حمل وست دورات إجهاض وتوالى هذه الآفات فيه خطر محقق على صحتها هى نفسها وتعرضها للإفناء المبكر.

ومعلوم طبياً وواقعياً أن كثرة الحمل يضر كثيراً بصحة المرأة.. فإذا انضم إليه «الإجهاض» فإن ضياع صحتها سيكون هو النتيجة النهائية لهذه السلوكيات (الحمل المتكرر والإجهاض المتكرر) وهذا ما غاب عن وعى وثيقة الأمم المتحدة؟

ومن أجل المتاعب التى تتحملها المرأة فى أثناء فترات الحمل كانت حكمة الخالق ظاهرة للعيان فى وقف صلاحية المرأة - أى امرأة - للحمل دون الخمسين من عمرها. بينما نرى الرجل صالح للإنجاب إلى فترة متأخرة جداً من عمره وبعضهم ينجب حتى بعد المائة من العمر فكانت منظمة هيئة الأمم فى أمس الحاجة لأن تضع تدابير الخالق وسننه فى الحياة أمام ناظريها وهى تخطط أو تضع أى اتفاقيات تهم البشر جميعاً.

لا يختلف عاقلان أن تعاطى موانع الحمل أياً كانت أنواعها، وعمليات الإجهاض تدابير مرفوضة لما يأتى.

أولاً: لما فيهما من انتهاك لحقوق الإنسان الحقيقية الفطرية، لأنها حرب شعواء على الأجيال الجديدة، التى لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً.

ثانياً: للتأثير السيىء على خطط التنمية، التى تدعى المنظمة أنها تتولاها بالرعاية، فإذا قلت الأيدى العاملة والعقول المفكرة المخترعة. إذا قلت هذه العناصر الرئيسية فى عملية «الإنتاج» أو انعدمت فعلى أيدى من وعلى عقول من تقوم عمليات التنمية؟ ولمن ستكون تلك التنمية وقتئذ؟

***

الأزهر

كتاب الشهر

الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية

تأليف

الدكتور رشاد عبدالله الشامى

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

٣

من الواضح البين.. أن من أبرز سمات الشخصية اليهودية.. هو توزعها بين اتجاهات متباينة ـ مع تقاربها فى قوتها القاسية ـ فاليهودية بعنف تعاليمها تعمل على استقطابهم؛ سعيا إلى التسامى بهم وإخلاصهم للدين، فى حدود التعاليم التوراتية بما أضافه إليها حاخاماتهم على امتداد الزمان.

والصهيونية ـ بأطماعها المادية، وتطلعاتها السياسية ـ تسعى إلى اقتلاعهم من براثن التعاليم اليهودية التى تعوقها عن مواصلة مسيرتها.

والإسرائيلية ـ بما تعنيه من لبس عباءة (إسرائيل)، والتخفى وراءه ـ تدفعهم إلى انتزاع أرض من أصحابها كى يقيموا عليها دولة إسرائيل، وفاء بواجب الأحفاد نحو أجدادهم بأى وسيلة تتيسر لهم.

ومن الواضح البين كذلك: أن تلك النوازع المتباينة قد تلتقى لتحقيق إحدى الغايات.. ولكن التقاء المصلحة الذى لا يتجاوز الوصول إلى الهدف أو الاقتراب منه فيما بين أبنائها بعضهم مع بعض وفيما بينهم وبين الآخرين.. هذا الصراع الذى فرض عليها عنفا وقسوة أشد مما عاناه آباؤهم وأجدادهم فى القديم والحديث، والذى بدا فى تلك العدوانية البالغة التى يصيبون بها كل من يكون له أى علاقة بهم!

الروح العدوانية تجاه العرب

وفى الفصل الخامس (جذور دوافع العدوانية تجاه العرب فى الشخصية اليهودية الإسرائيلية) يستخلص الدكتور الشامى من

الدراسات المختلفة: أن الروح العدوانية ـ بتقديرها خاصية سلوكية تعبر عن سمة من سمات الطابع القومى للشخصية الإسرائيلية ـ هذه الروح العدوانية إنما تعبر عن مفهوم جزئى لا كلى؛ بمعنى: أن هذا المفهوم إنما يدور حول المواطن العادى الذى لاوجود له فى ذاته.. ولكن له وجود فى كل مواطن بدرجة أو بأخرى.

فهذا المفهوم يبرز بشكل أكثر وضوحا فى نطاق المقارنة بين الخصائص السلوكية لمواطن معين، وآخر ينتمى إلى مجتمع آخر، وإلى حقيقة حضارية أخرى وهذا المفهوم لايعنى: أن كل من ينتمى إلى مجتمع معين يملك صفات معينة بنفس المقدار، ونفس النسبة، وأن من لا ينتمى إلى ذلك المجتمع لا يملك تلك الصفات، أوتلك النسب. كل ما هنالك: أن أغلب من ينتمى إلى ذلك المجتمع يتصف بصفات سلوكية معينة، تختلف من حيث درجاتها تبعا لظروف كل شخصية فردية وخصائصها.

وهذا المفهوم يعنى: أن الطابع القومى لايمنع استقلال الشخصية الفردية بالنسبة لكل مواطن.

فالتكوين العام للشخصية اليهودية الإسرائيلية قد تفاعل فى داخلها عدد من العوامل فى صورة طبقات متراكمة امتزجت كل بالأخرى، بحيث يصعب تصور أن إحداها أو أن بعضها قد انتهى مفعولها، أو ضعف أثرها أو من الممكن أن يحدث لها ذلك فى المستقبل القريب.

عوامل نمو الروح العدوانية

ومن هنا.. ينطلق الدكتور الشامى، مستعرضا العوامل العدوانية لدى الشخصية اليهودية الإسرائيلية تجاه العرب محاولا إرجاع كل منها إلى جذوره التاريخية والنفسية، فأجملها فى ثمانية عوامل، هى:

١ ـ استلهام الروح العدوانية فى التراث الدينى اليهودى، من مثل ما يضمه كتاب (العهد القديم) من أحداث حربية وصراعية بين الخير والشر، وهو ما تحرص عليه التوراة من ربط وثيق بين (حرب إسرائيل)، و(رب إسرائيل)، حيث تجعل هذا الرب (رب الجنود) الذى يمهد لبنى إسرائيل السبيل لتحقيق مآربهم فى الغزو، والاحتلال، وطرد الشعوب، حتى إنها تصور الرب بأنه هو الذى كان يوحى إلى موسى ـ عليه السلام ـ بخطط الحرب والخديعة، ويأمره بالتجسس وجمع المعلومات قبل الهجوم على أرض كنعان.

وهكذا.. وضع موسى أسس التقاليد العسكرية الإسرائيلية التى سار على هديها من بعده سائر الأحفاد. وبعد موت موسى تولى عبده وخادمه (يشوع بن نون) وأحد الجواسيس الذى أرسلهم موسى للتجسس على أرض كنعان، وعادوا

ليبثوا الرعب فى نفوس بنى إسرائيل، فأمر موسى برجمهم حتى الموت، لكن الرب عفا عن (يشوع بن نون) الذى صار بطلا إسرائيليا معاصراً؛ بسبب وحشية أسلوبه فى التعامل مع الشعوب غير اليهودية.

وقد جمعت قوانين الحرب فى (العهد القديم) فى سفر التثنية، التى تحدد لهم أسلوب الاستيلاء على المدن، وأسلوب التعامل مع أهل البلاد، وقد دعم هذا كتب التراث اليهودى التى جاءت بعد العهد القديم، مثل (التلمود).

وهذه القوانين يتسلمها القادة الإسرائيليون بوصفها مصدر وحى، وشريعة مقدسة لاستئناف البعث الإسرائيلى فى فلسطين، كى تضفى الشرعية، والقانونية على جميع الجرائم من أجل تحقيق وعد الرب.

ومازال جيش الدفاع الإسرائيلى يحافظ على هذه التقاليد، فكل وحدة من وحداته تحمل تابوتا يوضع فيه التوراة، وقد نقش عليه الآية: (انهض بالله، ودع أعداءك يتشتتوا، واجعل الذين يكرهونك يهربون منك).

فمثل هذه النصوص التوراتية التى تغذى الوجدان الإسرائيلى بمبررات العنف، والقسوة، والوحشية الحيوانية تدرس فى المدارس الإسرائيلية، دون أن تحظى بأى معالجة نقدية؛ فما حدث فى (دير ياسين)، وغيرها من الأماكن إنما هو تكرار لما فعله (يشوع بن نون) عند دخوله أرض كنعان.

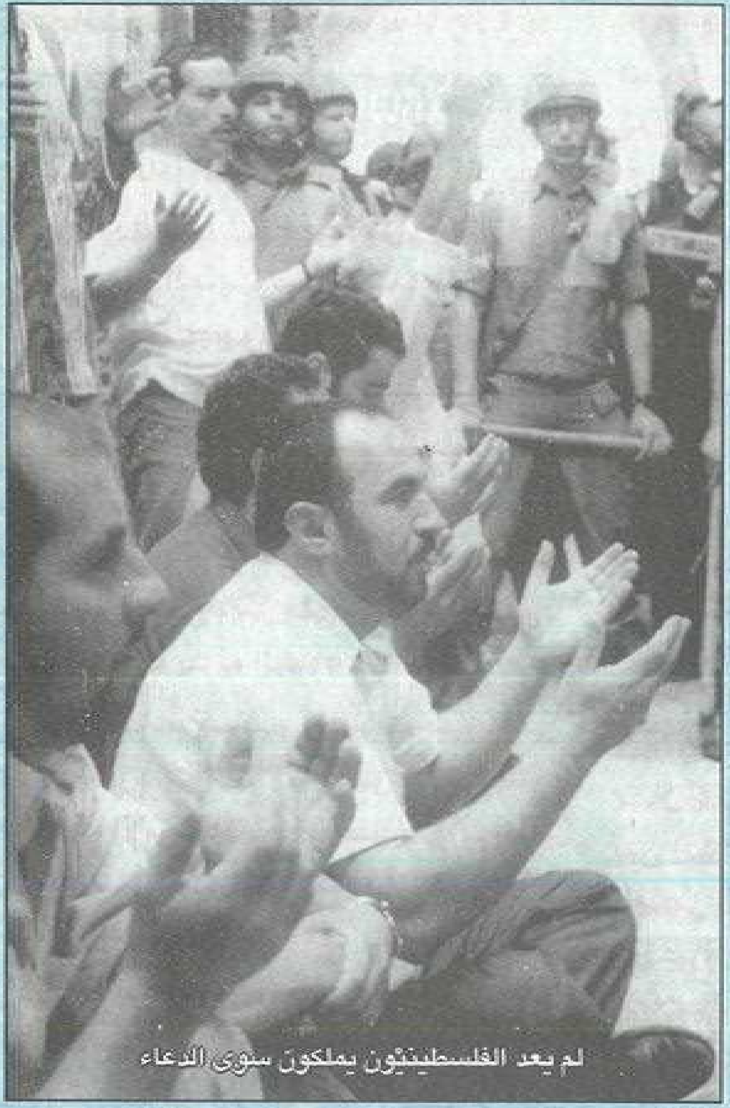
وكانت كذلك الوسيلة لتحقيق المسيحانية لمن يؤمنون من اليهود (بالخلاص المسيحانى)، كما جعلت (الصهيونية الدينية) الحرب أساسا من الأسس التى تقوم عليها هذه الصهيونية.

ومن هنا.. كانت الحروب التى تشنها إسرائيل على الدول العربية هى وفق الشريعة النظرية (الهالاخا) حربا مقدسة للدفاع عن الاستيطان اليهودى (اليشوف) فى فلسطين ضد الجيوش العربية التى غزت فلسطين؛ لتبيد الشعب المقاتل من أجل حريته.

ولذلك.. نرى جماعة (جوش إيمونيم) ترفض أى فكرة للسلام مع العرب بدعوى: أنه فى ظل السلام، وعدم وجود التوتر الأمنى سوف يتدهور التوتر الفكرى، الذى يعشش فى القلوب.

والروح العدوانية فى الفكر الصهيونى

٢ـ والعامل الثانى.. استلهام تقاليد الروح العدوانية فى الفكر والسلوك الصهيونى بما يقومان عليه من تعصب عنصرى ودينى، وعقد (معاداة السامية)؛ فإن الفكر الصهيونى يزخر بمبررات لانهاية لها للعنف المسلح الذى لا يفتقد إلى أسانيد من الدين اليهودى


لم يعد الفلسطينيون يملكون سوى الدعاء

ذاته، على الرغم من أن أغلبية المستوطنين اليهود لم يكونوا يمارسون شعائر اليهودية، وكان كثيرون منهم ملحدين علنا، وعلى الرغم من هذه الصرخة التى أطلقها المفكر الصهيونى (أحد هاعام) ضد تيار العنف والقسوة الذى بدأ مع موجات الهجرة اليهودية الأولى إلى فلسطين.. حتى إن العنف أصبح الأداة التى يتوسل بها الصهيونيون لإعادة صياغة شخصية اليهودى، بل أصبح لا نهاية لمبرراته، و لا للأدلة التى يستند إليها من واقع تراثهم الدينى القديم.

وحينما بدأت الصهيونية فى التطبيق العلمى، فإنها جعلت من اللحم العربى، ومن الدم العربى معهدا لتخريج خبراء القتل المجانى، وسرعان ما أصبح (اليهودى التائه) نمطا جديدا يتعبد فى محراب الوثنية اللاأخلاقية المتعطشة ـ دوما ـ للدماء، من واقع رغبة مكبوتة فى الانتقام بفعل حساسية الظلم الذى لحق باليهود فى أى مكان من العالم، وقد ظهر هذا الانتقام فيما اقترفه اليهود من نسف البيوت على رءوس سكانها، وإلقاء القنابل على جموع الناس فى الأماكن العامة، واغتيال الأفراد، وتدمير القرى؛ كالذى صنعه (شارون) فى عملية (الجدار الواقى) سنة ٢٠٠٢ ضد الفلسطينيين.

وهكذا.. تواصل العصابات الصهيونية الإرهابية تطبق مخططها بتفريغ فلسطين من العرب بالعنف المسلح، حتى أطلق (بيجن) صرخته القائلة: «لولا النصر فى

دير ياسين لما كانت هناك دولة إسرائيل».

والفزع من ذكريات النازية

٣ـ والعامل الثالث: الفزع من ذكريات الأحداث النازية.. وحتى يظل هذا العامل مؤثرا، يلح الصهيونيون دائما على إبقاء الوعى العام لليهود فى حالة من التذكر الدائم، ويحرصون على ترسيخ العادات الدينية اليهودية القائمة على الارتباط بأيام الحزن والمآسى فى تاريخ اليهود.

ويستغل هذا الإلحاح والحرص فى تذكير اليهود بما حل بهم على أيدى الآخرين، مع نسيان ما ينزله اليهود بالآخرين.!

ومن هنا.. كانت أحداث النازية من العوامل ذات الأثر الأعمق فى تشكيل العقلية الإسرائيلية ـ مجتمعا وأفرادا ـ ولذلك.. أسهبت (الموسوعة اليهودية) فى التأكيد على أن أحداث النازية تعد أكثر فترات تاريخ الشتات اليهودى مأساة، وصنع الصهيونيون من المأساة النازية وثنا للبكاء والعويل، يتحتم على كل يهودى أن يصلى إليه، مؤديا طقوس النواح والصراخ.. على الرغم من أن اليهود لم يكونوا وحدهم الضحايا لتلك المأساة، ولا كانوا أكثر الضحايا من الناحية العددية؛ فقد أصابت ملايين البولنديين والروس، وغيرهم.

ولذلك.. تهتم المدارس اليهودية بتلقين التلاميذ أحداث النازية، بما يثير انزعاجهم من الشتات، واستشعارهم ما يحمله من خزى وعار، واحتقارهم اليهود أجدادهم الذين رضخوا لذلك.. حتى خلقت تلك الدروس أطفالا يؤمنون بضرورة النضال من أجل الحياة بالأسنان والأظافر، ولا يستطيعون أن يغفلوا عن ذلك، مع زوال خطر النازية، بحيث لم يعودوا يستطيعون التكيف مع التغير الذى حدث؛ فكل شخص غير معروف يبدو فى نظرهم عدوا، وكل وضع جديد يبدو فى نظرهم تهديدا لأرواحهم.

والتمثل بالقسوة الإسبرطية

٤ـ والعامل الرابع من عوامل نمو الروح العدوانية.. هو اتخاذ القسوة الإسبرطية مثلا أعلى، وذلك بتثبيت عبادة القسوة بين الشباب الإسرائيليين، حيث يمر الفتى الإسرائيلى فى السنوات المبكرة باختبارات قاسية لقوة الاحتمال، فيدفع التلاميذ إلى رحلات طويلة فى الصحراء، تقوم على الانضباط التام، تعويدا لهم على قمع رغباتهم، والقضاء على الخوف.

ومن الشخصيات التى أصبحت موضع عبادة متطرفة من الشباب الإسرائيليين (أرئيل شارون)، حيث يحظى بتأييد عارم من الطبقات المنحطة اجتماعيا، ويرون فيه مخلصا لشعب إسرائيل، بل بطلا، وملكا لإسرائيل، يحاط بهالات من الأساطير مثل (تحدى أمريكا)، وضرب منظمة التحرير الفلسطينية.!

٥ـ وهذا قاد إلى العامل الخامس ـ وهو عسكرة المجتمع الإسرائيلى ـ متمثلا فى سعى حركة عمال صهيون (بوعلى تسيون) فى روسيا وبعض بلدان شرق أوروبا إلى تنظيم وحدات يهودية للدفاع عن أحياء (الجيتو)، وفى إنشاء الصهيونيين قوة مسلحة فعالة، تحقق أطماعها، معتمدين فى ذلك على جيل من الإرهابيين كانت نواة لإنشاء أول منظمة صهيونية سرية فى فلسطين، حيث انتهت بها أحداث الحرب العالمية الثانية لتكون أول وحدة عسكرية نظامية أطلق عليها (سرايا الصاعقة) لمواجهة احتمالات الغزو الألمانى ثم استغل (بن جوريون) ظروف الحرب سنة ١٩٤٨ فقرر دمجها فى جيش الدفاع الإسرائيلى؛ لثقته أن الاحتراف العسكرى هو الشكل الضرورى للمواجهة العسكرية الشرعية لإسرائيل؛ لذلك كان من الضرورى الاعتماد على جيش يضم المجتمع كله، يمكن تعبئته عند الضرورة، مما أدى إلى تغلغل المفاهيم العسكرية فى المجتمع الإسرائيلى، وسيطرة الأيديولوجية العسكرية المتطرفة

والرفض العربى للوجود الإسرائيلى

٦ـ وسادس عوامل نمو الروح العدوانية لدى الشخصية اليهودية.. هو الرفض العربى للوجود الإسرائيلى، الذى تحول إلى عقدة (ديمو قليس)، وتعنى عدم الأمن فى فترة الرخاء؛ فالخوف من مصيبة يولد انعكاسات عدوانية أخطر بكثير من المصيبة نفسها، حيث يتحول من يعانى من الاضطهاد والظلم إلى ظالم يضطهد الآخرين، متوهما أنه بذلك يقى نفسه من الظلم والاضطهاد، حتى انطلق (مكيافيللى)، و(مونتسكيو) إلى التبشير بالحرب الوقائية والدفاع عنها، وعلى نحو ما قرره (بول فاليرى) فى قوله: «إثارة سخط البعض ضد البعض الآخر هى الخطوة الرئيسية للسياسيين» وذلك باتهام الخصم بأنه يضمر نوايا سيئة حتى تستقطب المجموعة كلها حول غرض موحد، فيتزايد الحقد.

فالإنسان الإسرائيلى الذى اصطبغ بالروح العدوانية النابعة من فقدان الإحساس بالأمان، والذى يصرخ دوما بأنه مهدد بالإبادة على يد جيرانه من العرب.. هذا الإنسان إنما تتحكم فيه تلك العقدة العدوانية ـ عقدة ديموقليس ـ وهى التى تجعله لا يستسلم بسهولة لسلم أبدى؛ لأن الحرب هى التى تخلق فيه روح التماسك والتلاحم، وهى التى تذيب التناقضات الداخلية، وتقضى على كل الخلافات السياسية والدينية والاجتماعية.. هكذا وجدت الشخصية اليهودية الإسرائيلية متنفسا دائما على امتداد مراحل الصراع العربى الإسرائيلى فى أشكال الصدام المختلفة التى وقعت بين المستوطنين والفلسطينيين فى مراحل

الاستيطان الأولى، ثم بعد ذلك فى سلسلة الحروب المتواصلة التى نشبت بين إسرائيل ودول المواجهة التى تحملت النصيب الأكبر فى هذا الصدام.

ومن هنا.. شنت إسرائيل حروب سنة ١٩٥٦، وسنة ١٩٦٧، وسنة ١٩٨٢، وفق تصورات استراتيجية معينة، مثل (الحرب الوقائية)، و(الضربة الإجهاضية)، و(الحرب الرادعة)، إلى غير ذلك من العناوين.

فإذا كانت أحداث النازية قد خلقت نموذجا جديدا لليهودى الذى استطاع أن يستخدم العنف وسيلة لتحقيق أهدافه، فإن الرفض العربى للوجود الصهيونى على الأرض العربية ظل بمثابة حجر عثرة فى سبيل تحقيق الصهيونية لأهدافها الرئيسية.

والارتباط بالقوة الامبريالية الكبرى

٧- والعامل السابع من عوامل نمو الروح العدوانية لدى الشخصية اليهودية.. هو الطابع الإمبريالى لإسرائيل بما يستلزمه من سرعة التحول نحو ما يرون فيه مصلحتهم؛ كما تحولوا من الفراعنة إلى الإسكندر الأكبر لنيل تقدير ومن البطالمة إلى (يوليوس قيصر) لكسب امتيازات خاصة من الرومان وهو نفس الطابع المميز للسياسة الصهيونية، الواضح فى ارتباطها بالقوة الكبرى التى تساعدها فى تحقيق أمانيها بإقامة دولة يهودية فى فلسطين؛ فقد بدأت بالتودد إلى السلطان التركى والقيصر الألمانى، ثم تحولت إلى بريطانيا إبان الحرب العالمية الأولى، حيث نالت وعد (بلفور ٢/١١/١٩١٧) بإعانتهم فى إقامة وطن يهودى فى فلسطين، وحين أدركوا أن مصالحهم السياسية تتعارض مع مصالح بريطانيا إزاء معارضة العرب للمخطط الصهيونى، ووعد بريطانيا باستقلال الدول العربية، وخوف الصهيونية من تحقيق ذلك الاستقلال قبل أن يشكل اليهود أغلبية هناك ـ مما يعنى ضياع الهدف الصهيونى ـ عندئذ حاول الصهيونيون مساندة الحكم البريطانى لمدة تكفى لزيادة عددهم فى فلسطين ولشراء مزيد من الأرض.

ومع قيام دولة إسرائيل، والحرص على تعزيز أمنها فى مواجهة الدبلوماسية السوفيتية المؤيدة للعرب.. أهمل مبدأ (الاعتماد على الذات) ولجأوا إلى عجلة الارتباط بالقوة الامبريالية الكبرى، فتوجهت إلى الولايات المتحدة منذ سنة ١٩٦٧ التى اهتمت بمساندتها بسبب عوامل عديدة أيديولوجية واقتصادية واستراتيجية، ودينية، من أبرزها: معارضة أمريكا مفهوم القومية العربية، وإمكان استخدام إسرائيل بديلا استراتيجيا لتحقيق المصالح الأمريكية،

وإيمان فريق غير قليل من الأمريكيين بأن إسرائيل تحقيق للنبوءة التوراتية عن أرض الميعاد، ولإثبات إسرائيل قدرتها العسكرية المتفوقة، ولحيلولة إسرائيل دون ظهور قوى (راديكالية) تهز النفوذ الأمريكى، والخشية بعض الأمريكيين من تحول يهود إسرائيل إلى أمريكا.

وهذا يعنى: أن استمرار الوجود الإسرائيلى فى المنطقة العربية، واستمرار الروح العدوانية التوسعية لهذه الدولة يعتمد كليا على قيام إسرائيل بدور إمبريالى بالنيابة عن الولايات المتحدة، فهى تتلقى من الولايات المتحدة المساعدات الاقتصادية لموازنة اقتصادها وإنمائه، وتتلقى كميات هائلة من الأسلحة.. مقابل الحرب التى تشنها على أية بادرة عربية لا تتسق مع المخطط الصهيونى التوسعى، أو مع المصالح الإمبريالية فى المنطقة العربية.

ومع إن شن الحرب على العرب يوفر لها الدعم الاقتصادى الغربى.. فإن شن الحرب ـ كذلك ـ يجعلها تعيش معزولة عمن يحيطون بها من الدول العربية، فاستمرارها على توازن مهزوز يحوجها دائما إلى الحفاظ على الوحدة الوطنية الداخلية يوفر مستوى معيشيا مرتفعا، وإلى الحفاظ على رغبة يهود العالم فى استمرار دولة يهودية تكون ملجأهم عند الضرورة، ومساندة غير مشروطة تقدمها الولايات المتحدة ودول الغرب لها؛ ففقدها أى شرط من هذه الشروط الثلاثة يعجزها عن الاستمرار فى البقاء؛ فإذا كان اندماج اليهود بشعوب الأقطار التى يعيشون فيها خارج إسرائيل هو الخطر الرئيسى الذى يتهددهم، فإن هناك خطرا رئيسيا آخر لايقل أثره عن سابقه ذلك هو خطر قيام السلام فى الشرق الأوسط الذى قد يأتى من حاجة أمريكا إلى إحداث تغيير فى استراتيجيتها الإمبريالية فى الشرق الأوسط لقيام تحالف أمريكى عربى، وأوروبى عربى.

والشعور بحتمية الحرب

٨- والعامل الثامن فى نمو الروح العدوانية لدى الشخصية اليهودية.. هو الإحساس بحتمية الحرب للوجود الإسرائيلى، فالتاريخ والفكر، والواقع.. كل هذا يؤكد أن الحرب بمثابة أسطورة مغلقة تدخل فى إطار البنية العامة للعقيدة الصهيونية مثل أسطورة (أرض الميعاد) وغيرها؛ لأنهم يعيشون تناقضا حادا بين فرضيات العقيدة الصهيونية، وبين إفرازات المجتمع الإسرائيلى فى صراعه مع الواقع العربى الرافض لوجوده، فهذا التناقض فرض عليهم السقوط فى هوة الجبرية، فأصبحت الحرب تجسيدا ومتنفسا حتميا للروح العدوانية لدى الشخصية اليهودية الإسرائيلية.

وعلى الرغم من أن إسرائيل انتصرت فى

معظم الحروب.. لم تستطع هذه الانتصارات أن تحل مشكلة وضعها الحرج؛ فالدولة الصهيونية تقوم أساسا على انتصار تجسد فى نقل السكان الفلسطينيين، وهو انتصار كلفهم فقدان راحة البال، والشعور بالذنب لدى قطاع من ذوى الحساسية الإنسانية والانتصار سنة ١٩٥٦ أدى إلى تورط المصريين، وانتصار سنة ١٩٦٧ تركهم يعانون من مشكلة السكان العرب، كانت حرب لبنان سنة ١٩٨٢ أسوأ خطوة تحمل فى طياتها العديد من الكوارث على المستقبل.

هكذا.. فإن الحقيقة الثابتة التى لازمت الاستيطان الصهيونى فى فلسطين.. هى أن هذا المجتمع يعيش حالة حرب دائمة، مع العالم العربى الذى يحيط به، حتى أصبحت الحرب نتيجة لذلك بمثابة المحور الزمنى الذى تتحرك إسرائيل وفقا له فى كل مجالات حياتها، الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والفكرية؛ فهى واقع دائم يعيش فيه الإنسان الإسرائيلى المعاصر. وهى واقع موجود فى وعيه، حتى لو كانت الحدود هادئة بشكل مؤقت كالبركان الذى يتوقع انفجاره فى أى لحظة.

ومن هنا.. نجد المجتمع الإسرائيلى قد تحول إلى ثكنة عسكرية تخضع فيه للقيم العسكرية، وعلى رأسها النزعة العدوانية ضد العربى العدو اللدود لهم.. حتى إن مواليد البلاد لم يعرفوا واقعا آخر طوال حياتهم؛ فالفرد منهم يظل جنديا، سواء كان يرتدى البزة العسكرية، أو يرتدى الملابس المدنية، وأصبح القول الشائع عن المجتمع الإسرائيلى: (إنه جنود فى إجازة) قولا لا غرابة فيه.

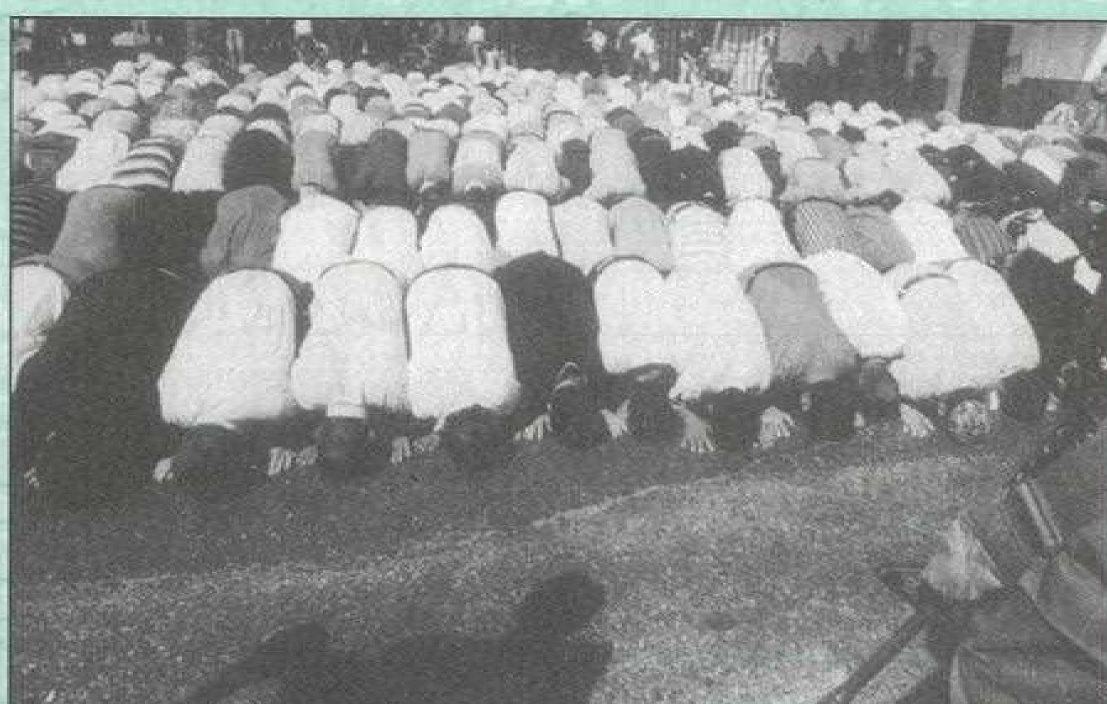
ومن هنا.. أصبح السلام ـ كالحرب ـ يشكل كابوسا مخيفا لا يستطيع تصور وجوده؛ لأن ما قر فى الوجدان الإسرائيلى هو أن الحرب هى الحياة، وأن السلام طريق الزوال؛ فكان ذلك الفزع الذى يعيشه الإسرائيلى مع فكرة السلام.

لذلك.. تعد إسرائيل من الدول التى تجمع فى طياتها أكبر قدر من التناقضات، فهى تبدو كإنسان يخطو إلى الإمام وعيناه متجهتان إلى الخلف، ومثبتة على المنظر الذى أخذ يختفى من بعيد.

ولذلك.. يميل معظم الإسرائيليين إلى السكن فى ازدحام مكثف داخل الدولة، وفى مساكن صغيرة دون حياة خاصة تقريبا، أو فى مساكن مشتركة.

فإذا كانت الحرب هى المركز الرئيسى لكل عناصر الصراع داخل المجتمع الإسرائيلى، فإن المركزية السكانية أصبحت هى الأخرى سمة رئيسية لهذا المجتمع تعكس الرغبة فى احتماء كل بالآخر، والرغبة فى الإحساس بالتقارب ووحدة المصير.

ولذلك..فإن بروز قوى كثيرة داخل المجتمع الإسرائيلى تنادى بالسلام، مثل حركة السلام الآن (شالوم عشكاف)، وغيرها.. لم



حتى الصلاة فى أمن وسكينة استكثرها الإسرائيليون على الفلسطينيين!!

تستطع أن تعكس حالة الإرهاق التى أصابت المجتمع الإسرائيلى بسبب الحروب المتواصلة؛ لأنها مازالت غير مؤثرة على توجيه القرار السياسى فى إسرائيل لصالح السلام.

وبعد...

فالكتاب قدم صورة للواقع الحيوى فى دولة إسرائيل، كما تعكسها مرآة الواقع.. على الرغم من تشابك خطوطها، وتداخل ألوانها، تعلن أن من قدمها سعى بجد وأناة وراء جذور كل خط؛ ليعرف بمنشئه وأنه حلق فى تؤدة وتيقظ وراء جذر كل خط ليعرف بمنشئه، وحلق فى تؤدة وتيقظ وراء كل لون؛ ليتعرف على أبعاده ومؤداه؛ فبذل من الجهد ما يفرض علينا أن نشكره عليه، ملتزما بالأمانة العلمية والخلقية المطلوبة من كل باحث علمى، يسعى لمخاطبة المستويات المختلفة، فيصل إلى كلٍّ بمضمونه.

وضح ذلك فى تحديد منهجه ـ أو متجهة ـ الذى اختاره، بعد أن بين سر اختياره، كما وضح فى التزامه هذا المنهج دون أن يحيد عنه.

فجاء الكتاب واصفا ـ فى غير انفعال أو تميز ـ الشخصية اليهودية الإسرائيلية مستقصيا ـ فى غير اضطراب أو غفلة أبعاد تلك الشخصية؛ ليؤدى دوره فى تعريفنا بالآخر الذى فرض علينا مجاورته ومحاورته والله من وراء القصد.

الأزهر

القانون الأمريكى لمناهضة العداء للسامية

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

يمثل العرب قلب العنصر السامي، غير أن المنظمات الصهيونية سعت إلى احتكار «مصطلح السامية»، واعتبرته يخص اليهود وحدهم، وبات معروفاً أن العداء للسامية يعنى العداء لليهود، دون غيرهم. ومن أبرز هذه المنظمات، منظمتان:

الأولى «معهد دراسات إعلام الشرق الأوسط» (ميمرى MEMRI)، ومقره واشنطن، وهدفه متابعة ما ينشر فى صحافة الشرق الأوسط، باللغات العربية والفارسية، والعبرية، وترجمته إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية، والألمانية، والأسبانية، والروسية، وإرسالها إلى صناع القرار فى عواصم العالم الرئيسية، وكان يرأس هذه المنظمة، الكولونيل «إيجال كرمون»، الضابط الأسبق فى الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية، خلال الفترة من ١٩٦٨ وحتى ١٩٨٨.. وحول مهمة هذه المنظمة كتب المحلل السياسى البريطانى «بريان وايتكير» مقالاً فى صحيفة «الجارديان» البريطانية تحت عنوان «انتقائية ميمرى» (Selective MEMRI) أشار فيه إلى أن «عمل المنظمة يتسم بالانتقائية، ويهدف إلى تشويه صورة العرب، باقتطاع الفقرات من سياقها والتحريف فى عملية الترجمة، وغيرها من عمليات التزييف، والتلاعب فى النصوص المترجمة».

والمنظمة الثانية العاملة فى هذا المجال هى «عصبة مكافحة التشهير» Anti defamation التى كانت تمارس نشاطها فى الولايات المتحدة منذ عام ١٩١٣، تحت رعاية منظمة «بناى بريت» أى أبناء العهد، مركزة على قضايا الأقليات لدمجها فى المجتمع الأمريكى، ثم تطورت مهمتها لتشمل ما يتعلق باليهود، ومعاداة السامية.

العداء للسامية ممارسة غربية

واللافت للنظر أن معاداة السامية هى ممارسة غربية خالصة، فقد نشأ «مصطلح معاداة السامية»، فى نهاية القرن التاسع عشر، فى ألمانيا، للتمييز بين العرق الآرى، والعرق السامى، ويعتبر الصحفى الألمانى «وليام مار» أول من استخدم هذا المصطلح العنصرى عام ١٨٧٩، لتمييز الحركة المعادية لليهود التى عكستها كتابات الصحفيين الألمان، حيث لاقت ترحيباً، وتشجيعاً من المستشار الألمانى «بسمارك»، فجرى تأسيس «جمعية معاداة السامية» التى تدعو إلى طرد اليهود، كما تم إنشاء «حزب معاداة السامية» الذى نال ١٥ مقعداً فى البرلمان الألمانى، وفى العهد الهتلرى، وضع «أدولف هتلر» مبدأ معاداة اليهود، على رأس برنامج حزبه النازى، وانتقلت حركة معاداة السامية، بعد ذلك من ألمانيا إلى بقية الدول الأوروبية، ففى روسيا تأسست حركة معادية لليهود عام ١٨٨١، وظهرت جماعة أخرى مناهضة لليهود فى النمسا عام ١٨٩٥، وامتدت حركة العداء لليهود إلى فرنسا وبريطانيا وإيطاليا، والولايات المتحدة الأمريكية، فقام «هنرى فورد» بدعم الحركات المعادية لليهود معنوياً ومادياً.



بسمارك

كما عمت المجر العديد من الثورات العنيفة ضد اليهود عام ١٩٢٠، تطالب بترحيل اليهود منها، وبذلك يتأكد أن جذور العداء لليهود هى جذور غربية الأصل وليست عربية وإسلامية كما يشاع فى عالم اليوم، للإساءة للعرب والإسلام، والجدير بالذكر أنه فى الوقت الذى يتعرض فيه العرب والإسلام لهجمة شرسة وغير مسبوقة، خاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١، نجد المنظمات الصهيونية، ومن يدعمون إسرائيل فى الإدارة الأمريكية والكونجرس بمجلسيه الشيوخ والنواب، لا يتركون أية فرصة، إلا واستثمروها لصالح الكيان الإسرائيلى، فقد وافق الكونجرس الأمريكى على قانون متابعة معاداة اليهود، فى الثامن من أكتوبر ٢٠٠٤، والذى قدم مشروعه السيناتور

الديمقراطى «توم لانتوس»، وصدَّق عليه، الرئيس الأمريكى فى السادس عشر من نفس الشهر، أى بعد ثمانية أيام من صدوره من الكونجرس، فكان أسرع قرار فى تاريخ الإدارة الأمريكية الحالية، ليكون نافذ المفعول عالمياً منذ هذا التاريخ والهدف من هذا القانون الأمريكى العالمى هو مراقبة حركات، ودعوات معاداة السامية، ومضايقة اليهود، وانتقاد سياسة إسرائيل، فى مختلف دول العالم، ورصدها، ومتابعة كل من يمارسها، وإعداد التقارير بشأنها، وتحديد موقف أمريكا من الدول التى تعادى إسرائيل وتضايق اليهود، سواء بمقاطعتها، وفرض العقوبات السياسية والاقتصادية والعسكرية عليها، واستخدام وسائل الترغيب والترهيب بشأن هذه الدول. واللافت للانتباه أنه فى ظل هذا القانون اتسع مفهوم «معاداة السامية»، ليضم عنصرين رئيسين:

الأول: معاداة الحركة الصهيونية أو التحريض عليها.

والثانى: معاداة أو انتقاد إسرائيل، وسياستها، وأفعالها المجرَّمة دولياً.

كما يحرِّم القانون أيضاً التحريض على كراهية اليهود، ومقاومة الاحتلال الإسرائيلى، وأصبح كل من ينتقد الصهيونية وإسرائيل خارجاً على هذا القانون، وعاصياً له، ويستحق العقاب الذى يوجبه. والجدير بالإشادة أنه سبق صدور هذا القانون، منذ سنوات صدور قانونين شبيهين:

الأول: قانون مراقبة الحريات الدينية فى العالم، وهو ما يُعرف بقانون الأقليات الدينية، وكان يكفى للوفاء، بالأهداف التى يبتغيها القانون الأمريكى الجديد، خاصة أنه يشمل اليهود والمسيحيين والمسلمين، فهو يعاقب أية دولة تعامل الأقليات بصورة غير عادلة.

والثانى: القانون الوطنى (Patriot Act) الصادر عقب هجمات الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١، فجاء مقيداً للحريات المدنية، خصوصاً حرية الصحافة والمعلومات، والاتصال والتنقل، وممارسة الرقابة، والاشتباه، والاعتقال.

حملة شرسة ضد العرب والمسلمين

وفى ظل هذا القانون الوطنى الأمريكى انطلقت حملة شرسة ضد العرب والمسلمين داخل الولايات المتحدة، وبعض الدول الغربية، تصفهم بالإرهاب والعنف والعداء للسلام. وفى إطار القانون الأمريكى لمناهضة العداء للسامية تم تحديد آليات ثلاث لتنفيذه على المستوى العالمى:

الأولى: إنشاء إدارة جديدة، بوزارة الخارجية الأمريكية، لمتابعة وجمع المعلومات عن منتقدى الصهيونية

وإسرائيل ومضايقى اليهود، من خلال السفارات الأمريكية فى دول العالم، ومن مصادر مختلفة أخرى.

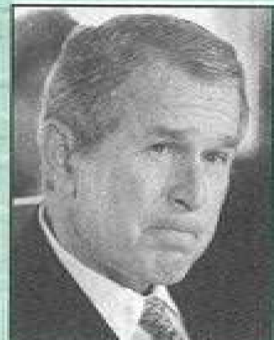
والثانية: تعيين «مبعوث أمريكى خاص» رفيع المستوى لمراقبة تنفيذ القانون.

والثالثة: إصدار تقرير سنوى عن معاداة السامية فى سائر دول العالم مثل تقريرى حقوق الإنسان، والحريات الدينية.

ومن جهة أخرى حدد الرئيس الأمريكى «جورج بوش» بصراحة وبوضوح مفهوم العداء للسامية حينما قال: «إن الدفاع عن الديمقراطية يعنى مهاجمة معاداة السامية، وهزيمة الأشرار الذين يعادون اليهود»، ويأتى هذا القانون فى إطار استراتيجية أمريكية تهدف إلى حماية إسرائيل كدولة للشعب اليهودى، وتأمين وجودها، ودرء الأخطار عنها بكل الوسائل الممكنة، ويتكون هذا القانون الأمريكى الجديد المناهض لمعاداة السامية، من ست فقرات رئيسية:

الأولى: جاءت تحت عنوان: «عرض لقانون الحركات العالمى المعادية للسامية لعام ٢٠٠٤».

بينما عرضت الفقرة الثانية نتائج عشر، يدور محورها حول حوادث العداء للسامية، وتشويه الحركة الصهيونية، والحركة القومية اليهودية، والتحريض ضد إسرائيل واليهود.


جورج بوش

فى حين تضمنت الفقرة الثالثة وسائل ودعم الجهود اللازمة لتقويض حركات العداء للسامية، وقيام وزارة الخارجية الأمريكية بمتابعة القوانين، والحركات المعادية للسامية فى أنحاء العالم.

كما احتوت الفقرة الرابعة على:

أولاً: رصد أعمال العنف البدنى، أو التحرش بالشعب اليهودى، وأعمال العنف أو التخريب لمؤسسات المجتمع المدنى اليهودى كالمدارس، والمعابد، والمقابر المتواجدة فى أنحاء العالم.

وثانياً: رصد رد فعل حكومات تلك الدول على مثل تلك الأعمال المعادية للسامية.

وثالثاً: رصد موقف تلك الحكومات من تطبيق وتفعيل القوانين المتعلقة بحماية حرية الدين، وحرية الشعب اليهودى.

ورابعاً: رصد الجهود التى تبذلها الحكومات لتشجيع عدم الانحياز والتسامح.

وخامساً: متابعة حملات الدعاية فى الإعلام الحكومى التى تبرر أو تشجع الكراهية العنصرية أو أعمال التحريض،

أو ممارسة العنف ضد الشعب اليهودى.

كما نصت الفقرة الخامسة على إنشاء مكتب بوزارة الخارجية الأمريكية لمراقبة، ومكافحة معاداة السامية، والتنسيق، والمساعدة فى إعداد التقارير السنوية للدولة عن حقوق، وممارسات الإنسان، والتقارير السنوية للدولة عن الحريات الدينية فى العالم، ويرأس هذا المكتب «مبعوث خاص» يتولى مراقبة، ورصد الأعمال المعادية للسامية، ومكافحتها، ومقره الرئيسى وزارة الخارجية الأمريكية، على أن يقوم أيضاً باستشارة المؤسسات الداخلية والدولية، والمنظمات غير الحكومية والمنظمات والمؤسسات المتعددة الجنسيات.

أما الفقرة السادسة والأخيرة من هذا القانون، فتتعلق بإعداد التقرير السنوى عن أحوال معاداة السامية ومضايقة اليهود، والقوانين المعادية للسامية، وموقف وردود أفعال الحكومات إزاء الأعمال المعادية لليهود، وموقف الحكومات من تطبيق وتفعيل القوانين المتعلقة بحماية الحريات الدينية للشعب اليهودى، وجهود تلك الدول بشأن تشجيع عدم الانحياز، ونشر التعليم والتسامح.

من أجل استرضاء إسرائيل

ولقد صدر هذا القانون ببنوده الستة من أجل استرضاء إسرائيل، واللوبى اليهودى الأمريكى وكسب ود المحافظين الأمريكيين الجدد، الذين يسعون إلى تأمين الكيان الإسرائيلى، كما تزامن صدوره مع حملة انتخابات الرئاسة الأمريكية لضمان الحصول على الصوت اليهودى، وأن الهدف منه هو إسباغ الحماية الكاملة على إسرائيل، وتأمين وجودها قوية، ولعل التمهيد الحقيقى لصدور هذا القانون، بدأ بانعقاد «المؤتمر الدولى لمكافحة العداء للسامية»، فى مقر وزارة الخارجية الألمانية، فى برلين، فى الثامن والعشرين من إبريل ٢٠٠٤، بدعوة من «منظمة الأمن والتعاون فى أوروبا»، والحكومة الألمانية، وقد حضره الرئيس الإسرائيلى «موشيه كاتساف»، ووزراء خارجية ٥٥ دولة أوروبية كان فى مقدمتهم «كولن باول» وزير الخارجية الأمريكى، وشارك فيه ما يزيد على ٦٠٠ مشارك. وقد تناولت أجندة المؤتمر أربعة محاور رئيسية، وهى:

مكافحة العداء للسامية.

تنمية روح التسامح.

دور التعليم، ودور وسائل الإعلام.

وفى كلمته أمام هذا المؤتمر طالب الرئيس الألمانى «يوهانس راو» بالتفريق بين العداء للسامية، وبين انتقاد سياسة إسرائيل قائلاً: «أناشد كل منتقدى سياسة إسرائيل بأن يفكروا أيضاً فى وضعها الخاص، فاليهود يعيشون منذ تأسيس دولتهم فى خطر على مصيرهم،

وأن على المرء أن يبحث عن شكل مقبول، وأنه ليس لأحد الحق بوضع هذا النقد تحت شبهة العداء للسامية» وهكذا أكد الرئيس الألمانى أن انتقاد السياسة الإسرائيلية لا يعنى بالضرورة العداء لليهود. كما تحدث وزير الخارجية الألمانى «يوشكا فيشر» عن أهمية مكافحة معاداة السامية فى نشر الديمقراطية فى قوله: «إن النضال ضد العداء للسامية هو نضال من أجل الديمقراطية» وبذلك اتفق وزير الخارجية الألمانى، مع الرئيس الأمريكى «جورج بوش» فى ربط انتشار الديمقراطية فى العالم بالكفاح ضد معاداة السامية، وكأن انتقاد إسرائيل أو مناهضة بعض التصرفات اليهودية تقف عقبة فى سبيل نشر الديمقراطية. ومن جهة أخرى فإن إسرائيل ـ فى الرؤية الألمانية والأمريكية ـ هى التجسيد الحقيقى للديمقراطية التى تسعى الإدارة الأمريكية إلى نشرها فى المنطقة بصفة خاصة، وترى فى هذا الكيان الصهيونى النموذج الأمثل لهذه الديمقراطية، وأن أى انتقاد لإسرائيل هو مساس وانتقاد للديمقراطية الأمريكية.

معظم القوانين الأمريكية جاملت اليهود

وحول مدى ملائمة هذا القانون الأمريكى للدستور الأمريكى يقول الدكتور «ماجد رياض» رئيس الجالية المصرية فى الولايات المتحدة الأمريكية: «إن القانون الأمريكى يتماشى مع الدستور، فقد عرض على أعضاء الكونجرس لمناقشته» ويضيف مؤكداً: «أن القانون سيكون له تأثير سلبى على العرب والمسلمين خاصة أن تعريفات القانون، وردت غير واضحة، وصدر فى توقيت انتخابات الرئاسة الأمريكية لاسترضاء اليهود، وكسب أصواتهم، وأن ما يحدث ليس بجديد معظم القوانين التى جاملت اليهود، ومنحتهم مزايا عديدة، انتزعوها خلال العملية الانتخابية بسبب قوتهم التصويتية، وتدخلهم فى السياسة الأمريكية بطريقة فعالة، وهو درس للعرب لاستثمار هذه الانتخابات لتحقيق مكاسب قانونية سواء لنا كمهاجرين، أو لصالح دولنا الأصلية» ويرى البعض أن هذا القانون الأمريكى العالمى الذى يساند إسرائيل يضفى نوعاً من الشرعية للإدارة الأمريكية على إجبار دول العالم بإصدار تشريعات محلية لإنفاذ أحكامه فى داخل حدود هذه الدول، ويسمح للإدارة الأمريكية أيضاً بمطالبة الدول الأخرى بتعديل مناهجها، ومقرراتها التعليمية، فى مدارسها، ومعاهدها، وجامعاتها، بحيث يمحى منها ما يمس الصهيونية أو يرفض الحركة الصهيونية، أو ينتقد إسرائيل. وبذلك صار كل من ينتقد الصهيونية وإسرائيل عاصياً للقانون الأمريكى العالمى، ويستحق ما يوجبه من عقوبات. وفى هذا الصدد يذهب رجال

القانون والتشريع إلى «أن هذا القانون يتعارض مع مبدأ سيادة الدول على أقاليمها، إن قانون أية دولة يجب ألا يتجاوز حدود هذه الدولة، بما يعنى أن من حق الدولة أن تضع قوانين فى إطار حدودها، أو على مواطنيها، أما إذا تجاوز هذه الحدود، فهنا تكون الدولة (الولايات المتحدة) قد اعتدت على سيادة الدول الأخرى».

حماية اليهودية على حساب الأديان الأخرى

هكذا جاء القانون الأمريكى العالمى مخالفاً لمبدأ سيادة الدولة على أراضيها، ومبادىء القانون الدولى، كمايقوم هذا القانون على التمييز العنصرى، فهو فى ظاهره محاولة لمكافحة العنصرية، ووقف أى تمييز عنصرى ضد اليهود، وفى باطنه ينطوى على تفرقة عنصرية شديدة لسببين.

الأول: حمايته لليهودية على حساب الأديان الأخرى، ويعاقب كل من ينتقدها أو يمس بها من جهة، ولا يكترث بمن يسىء إلى المسيحية، والإسلام من جهة أخرى.

والثانى: تجاوزه لحماية الصهيونية وإسرائيل، وتكريس طابع التمييز العنصرى، وخلطه بين السياسة وحماية الأديان (أى الدين اليهودى) إذ أن الدين اليهودى لا صلة له بإسرائيل كدولة ديمقراطية لكل مواطنيها، ولا بالصهيونية كحركة سياسية، إنما هو دين كسائر الأديان السماوية الأخرى ومن ناحية أخرى فإن هذا القانون يتجاوز الحدود لغزو العالم من أجل حماية إسرائيل كدولة يهودية، وفى هذا السياق يرى رجال القانون «أنه لابد من أن يتسع نطاق التعامل مع ظاهرة «معاداة السامية» لتشمل «معاداة المسيحية والإسلام» وليس اليهودية وحدها، حيث إن الدين هو علاقة مباشرة بين الإنسان وربه، ولا ينبغى توظيف الدين أو تسخيره من أجل تحقيق مآرب أو غرض آخر» والجدير بالذكر فى هذا الشأن أن سلاح «معاداة السامية» الذى يشهره هذا القانون العنصرى فى وجه العالم عامة، والعرب والمسلمين خاصة، هو امتداد لفترة سابقة، على صدوره، فقد تم توجيه اتهام معاداة السامية إلى «الشعوب الأوروبية» تعقيباً على نتائج استطلاع الرأى العام الذى أجرته «اللجنة الأوروبية» فى أواخر عام ٢٠٠٣، إذ تبين فيه أن ٥٩٪ من الأوروبيين يعتبرون إسرائيل أكبر خطر على السلام العالمى، وأنها فى ذلك تسبق إيران وكوريا الشمالية وأفغانستان. ولعل أطرف تعليق على هذه النتائج، هو ما جرى على لسان «مارفن هاير» رئيس «مركز سيمون ويزنتال» بلوس انجلوس فى قوله «إن هذا الاستطلاع يُعد مؤشراً على أن

الأوروبيين، تم خداعهم»، ويصف «مارفن هاير» نتائج الاستطلاع بأنها «تظهر حجم معاداة السامية فى المجتمعات الأوروبية فى الوقت الحالى، والذى يفوق حجمه فى أية فترة أخرى، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية». وفى هذا المقام يتساءل البعض هل حقاً أن المسلمين، ومعهم الأوروبيين معادون للسامية؟ وهل القضية، فى الحقيقة قضية العداء للسامية أم أن القضية هى حماية الوجود الإسرائيلى، وترسيخ احتلال إسرائيل للأراضى العربية؟

هل لدى العرب أصوات؟!

وفى الختام يمكن القول أن هذا القانون الأمريكى العالمى هو انتهاك لسيادة الدول على أقاليمها، ومحاولة للتدخل فى الشئون الداخلية لها، وإهدار لحق الشعوب فى الحفاظ على الهوية الوطنية، وهو نوع من الإرهاب الفكرى، لتكميم الأفواه، وكسر الأقلام، واعتداء على حرية التعبير فى العالم، ومنع أى نقد يمكن أن يُوجه إلى إسرائيل، والكثيرون يتساءلون لماذا يقتصر هذا القانون على حماية اليهودية دون المسيحية، والإسلام فى الوقت الذى يتعرض فيه العرب والمسلمون لهجمات بالغة الضراوة على جبهات متعددة؟ أليس من العدل أن يتعامل القانون الأمريكى مع جميع الأديان السماوية على قدم المساواة، ولا ينفرد بتوفير الحماية لليهودية وحدها على حساب المسيحية والإسلام؟

والإجابة عن هذه التساؤلات جاءت صريحة ومحددة على لسان الرئيس الأمريكى الأسبق «هارى ترومان» حينما قال: «هل لدى العرب أصوات فى مينوسوتا يعطونها لى فى انتخابات الرئاسة أو يحجبونها عنى؟ إن اليهود لديهم أصوات فى مينوسوتا، «وليس العرب».

فهذه هى الإجابة التى أصابت كبد الحقيقة فى الانحياز الأمريكى للكيان الصهيونى فى فلسطين العربية، وإصدار هذا القانون العنصرى الذى لا يخدم سوى إسرائيل، ويهود العالم.

***

ندوة بمدينة دُبَىْ بالإمارات تناقش

الحديث الشريف وتحديات العصر

إعداد الأستاذ/
عاطف مصطفى

مؤتمرات وندوات تشهدها العواصم العربية، يشارك فيها عدد كبير من العلماء، يبحثون ويناقشون قضايا مهمة، تحتاج فعلاً إلى طرحها ومناقشتها بكل الصراحة والدأب الذى يتمتع به علماؤنا المسلمون.

ففى مدينة دُبَىْ عقدت ندوة الحديث الشريف وتحديات العصر، ونظمتها كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدُبَىْ، كما عُقِدَ مؤتمر مجمع الفقه الإسلامى «الدورة السادسة عشر» بمدينة دُبَىْ أيضاً.

وللتعرف على ما دار من هذا النشاط الإسلامى المكثف التقيت الدكتور جعفر عبدالسلام.. الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية، والذى شارك فى هذه الفعاليات.

أشار الدكتور جعفر إلى أن المؤتمر حضره عدد من الرسميين، وبدأت الجلسات العلمية فى نفس اليوم وسار المؤتمر على نهج يتبعه منذ وقت طويل، حيث تُخْتَار موضوعات فقهية مختلفة، ويُطلَب من مجموعات من الباحثين أن يكتبوا فيها، وفق تخصصاتهم، كذلك يُعْتَبر المؤتمر عدة مؤتمرات، ويقدم فى الموضوع الواحد أكثر من بحث، بلغ فى المتوسط ستة أبحاث فى هذه الدورة، ويعرض الموضوع من شخص واحد، ويتم التعليق من قِبَل الحضور والباحثين من العلماء والخبراء.

محاور المؤتمر

وكان من بين محاور الموضوعات:

الموضوع الأول زكاة الأموال المجمدة: وهى التى لا يمكن لصاحبها سحبها أو التصرف فيها من الأوعية الاستثمارية، التى تشترط بقاء المبلغ فيها فترات طويلة، قد تستمر منذ إنشاء الوعاء الاستثمارى إلى تصفيته، وبالرغم من أن تجميد الأموال، لا يؤدى إلى انتفاء تنميتها، لكن خصائص الملك العام المقترن بإطلاق التصرف، قد تُخْفَى فتشبه مال الضمر، أو أموال التجارة للمتربص، على ما هو مقرر به فى مذهب المالكية.

أما الموضوع الثانى فتناول: اختلاف الزوج والزوجة الموظفة، حيث أدى دخول المرأة ميادين العمل، خارج محيط الأسرة، إلى مشكلات متعددة، عصفت بعدد من الأسر، ومن أسباب ذلك شعور المرأة بالاستقلال المالى، وما يتبعه من آثار تهدد الاستقرار الأسرى، وتبعاً لهذا الإشكال، برزت عدة تساؤلات منها: انفصال الذمة المالية بين الزوجين، ومبرر احتباس الزوجة، ووجوب نفقتها على الزوج، وهل المرأة ملزمة بأن تشارك فى ميزانية الأسرة، مقابل الإنقاص من التفرغ للأسرة، ومدى حق الزوج فى إلزام الزوجة بترك العمل، ومدى حق الزوج فى إلزام الزوجة بإعطائه جزءاً من الراتب.



د. جعفر عبدالسلام

والموضوع الثالث تناول: البدائل المعاصرة فى تحمل الديّات.

وتناول الموضوع الرابع: القراءة الجديدة للقرآن والنصوص الدينية: فقد أنزل الله- تعالى القرآن- الكريم بلغة العرب، وبذل علماء العربية والمعنيون بعلوم القرآن والتفسير، جهوداً منقطعة النظير فى بيان معانيه ومدلولاته، واعتمدوا فى ذلك السُنَّة، التى هى بيان للقرآن. ونشأ إلى جانب ذلك علم أصول الفقه، الذى تُسْتَخْرَج به الدلالات الصحيحة للنصوص الدينية. فأصول الدلالة ووجوه البيان المنضبطة، هى المرجع فى فهم تلك النصوص، وبخاصة القرآن الكريم، وهى الطرق السَوِيَّة لاستنباط الأحكام، والمنهج الذى التقت عليه الأمة الإسلامية على مدى العهود، وفى شتى المذاهب.

ادعاءات العلمانيين

إن الدعوة التى بدأ بها بعض المستشرقين، وتابعهم عليها المفتونون من العلمانيين إلى القراءة الجديدة للنصوص الدينية، وبخاصة القرآن، بمعنى إطلاق الحرية لقارئ النص فى تفسيره، دون الاحتكام إلى اللغة التى جاء بها، والسُّنَّة الشارحة للقرآن، وما اتفق عليه علماء التفسير فى شتى العصور، بل تطاول أصحاب هذه الدعوة إلى اتهام السابقين من الأئمة والمجتهدين بالجمود على النصوص، وعدم قراءة ما وراءها!.

وانتهى الأمر بهؤلاء إلى نتائج خطيرة، تعطل الدلالة الواضحة للنص، وتلغى الأحكام المستنبطة منه، وتعلى الرأى المجرد، والخواطر الناشئة عن التحكم والهوى، وتطويع النصوص مع الواقع، ولو كان مُجافياً لِمَا استقر من مبادئ وقيم.

وأشار الدكتور جعفر عبدالسلام إلى أنه تم تناول عدد من المحاور منها:

* وصف هذه الظاهرة من مقولات أصحابها، وكشف ما فيها من ملامح الباطنية قديماً، والعلمانية اليوم.

* بيان خطورة القراءة الجديدة للقرآن والنصوص الدينية، بعيداً عن الضوابط المعتمدة من اللغة والسُّنَّة وأصول التفسير وأصول الفقه، وما أحدثه ذلك من ضلال وإضلال.



عبدالله بن عبدالمحسن التركى

* مناقشة دعاة الحاجة إلى القراءة الجديدة للقرآن، أو النصوص الدينية.

* الطرح السنوى للتعامل مع النصوص، والمدى المُتاح لفهمها، على أساس معانى الألفاظ المشتركة، وكون القرآن «حمَّال وجوه».

* ظهور دعوات أخرى تتعلق بهذا المنهج المريب، مثل المناداة بالتجديد لأصول الفقه، على أساس ما تجرى به الأعراف، وتتداوله المجتمعات.

ندوة الحديث الشريف وتحديات العصر

يقول د. جعفر عبدالسلام: إن هذه الندوة والتى نظمتها كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدُبَى، كانت فرصة طيبة للالتقاء بنخبة من العلماء والباحثين والمتخصصين فى السُّنَّة، وكذلك لتجديد العلاقات الوطيدة بين كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ومركز جمعة الماجد

للثقافة والتراث ورابطة الجامعات الإسلامية.

وقد عقدت الندوة خمس جلسات، فضلاً عن جلسة افتتاحية، وجلسة ختامية، وكان للرابطة كلمتها فى الجلسة الختامية، حيث قُمت بتلخيص الندوة وتقييمها بشكل عام، وبَيَّنْتُ كيف تهتم رابطة الجامعات الإسلامية بقضايا الحديث الشريف.

والواقع أن موضوعات ندوة الحديث الشريف وتحديات العصر، قد شملت قضية أساسية، دارت حول نقد الكتابات والآراء، التى قللت من شأن السُّنَّة، وأثارت الشُبهات حول صحتها وحول ثبوتها، وهى حجج قديمة، رددها المستشرقون فى الماضى، وأحياناً بعض الكُتَّاب المحدثين فى الوقت الحاضر.. أما القضايا الجانبية التى أثيرت، فأهمها ما يتصل باستخدام الحاسب الآلى فى جمع وتحقيق الأحاديث، وقد قَدَّمْتُ ورقة حول تجربة مركز صالح كامل فى هذا النطاق، وما ينقصها من أعمال، وقدم ثلاثة باحثين آخرين من المملكة العربية السعودية والأردن دراسات حول هذا الموضوع هم: عبدالله صالح «آفاق توظيف التقنية الحديثة لخدمة الحديث الشريف»، وراتب عباس الخطيب «موسوعة دُبْى للحديث الشريف باستخدام الحاسب» وهو مشروع تجارى تقدم به هذا الباحث من الأردن. أما الورقة التى قدمْتُها فكانت بعنوان «تجربة مركز السُّنَّة بجامعة الأزهر فى إنشاء موسوعة للحديث الشريف باستخدام الحاسب الآلى».



د. أحمد عمر هاشم

وفى تصورى أن هذه هى إحدى القضايا المحورية، التى لم تنل حظها فى هذه الندوة، أو فى غيرها، وتكشف الأحداث كل يوم عن أهمية الندوة الموسعة للمواقع الإسلامية، فى مختلف أنحاء العالم، وأوراق هذه الندوة والمراكز المقترحة مهمة، بل قدم اقتراح إلى معالى الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى، والذى وافق على أن تعقد فى مكة.

– يتبع –

***

طرائف .. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

قد كنت تعرف المنافقين

كان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يذهب إلى دار حذيفة بن اليمان - رضى الله عنه - ويقول له:

يا حذيفة انظر هل فىَّ شىء من النفاق، فإنك كنت تعرف المنافقين فى عهد رسول الله ﷺ؟.

فيقول له حذيفة: والله يا أمير المؤمنين لا أعلم فيك شيئاً من النفاق.

فيقول: الحمد لله، ثم يرجع.

أنا جائع

نظر إبراهيم بن أدهم إلى أحد تلاميذه، وقد اشتد به الجوع، فقال له: علىَّ بدواة وقرطاس، فجاءه التلميذ بهما، فكتب إبراهيم بن أدهم: بسم الله الرحمن الرحيم، أنت المقصود بكل حال، والمشار إليه بكل معنى:

أنا حامد، أنا شاكر، أنا ذاكر

أنا جائع، أنا نائع، أنا عارى

هى ستة وأنا الضمين لنصفها

فكُن الضمين لنصفها يا بارى

وأعطاها لتلميذه، وقال له: لا تعلق قلبك بغير الله، ولم يمض وقت طويل حتى أتى الله بالفرج.

استبطاء

شكا الناس إلى مالك بن دينار القحط، فقال:

أنتم تستبطئون المطر، وأنا أستبطئ الحجارة.

بديهة موفقة

أقبل أعرابى إلى داود بن المهلب فقال له: إنى مدحتك فاستمع. قال: على رسلك، ثم دخل بيته وتقلد سيفه وخرج فقال: قل، فإن أحسنت حكَّمْنَاك، وإن أسأت قتلناك. فأنشأ يقول:

أمنت بداود وجود يمينه

من الحدث المخشىّ والبؤس والفقر

فأصبحت لا أخشى بداود بنوة

من الحدثان إذا شددت به أزرى

له حُكم لقمان وصورة يوسف

وحُكْمَ سُلَيْمانَ وعدل أبى بكر

فَتًى تَفرق الأموال من جود كفه

كما يفرق الشيطان من ليلة القدر

فقال له داود: قد حكَّمْناك فإن شئت على قدرك، وإن شئت على قدرى

قال الأعرابى: بل على قدرى. فأعطاه خمسين ألف درهم

فقال له بعض الجلساء: هلا احتكَمْتَ على قدرِ الأمير؟

قال: لم يَكُ فى ماله ما يفى بقدره!

قال له داود: «أنت فى هذه أشعر منك فى شعرك!. وأمر له بمثل ما أعطاه».

أجعل الله ذخرا لولدى

باع عبدالله بن عتبة أرضاً بثمانين ألفاً، فقيل له:

لو اتخذت لولدك من هذا المال ذخراً!.

فقال: «أنا أجعل هذا المال ذخراً لى عند الله، وأجعل الله ذخراً لولدى»، وقسَّم المال.

فى الصبر

قال المنتصر بن بلال الأنصارى:

عسى فرج يأتى به الله، إنه

له كل يوم فى خليقته أمر

عسى ما ترى أن لا يدوم، وأنت ترى

له فرجاً مما ألح به العسر

إذا اشْتَدَّ عسر، فارج يُسْرا، فإنه

قضى الله أن العُسْر يتبعه اليُسْر

ألهذا دعوناك

دُعى رجل ليخطب فى نكاح فحضر، فقال:

«لقنوا موتاكم شهادة (أن لا إله إلا الله)»؛ فقالت امرأة حضرت: ألهذا دعوناك!. أماتك الله.

ارفعوا هذا الغلام فوق مرتبته

دخل المأمون يوماً بيت الديوان، فرأى غلاماً جميلاً على أذنه قلم، فقال: من أنت يا غلام؟

قال: أنا الناشئ فى دولتك، والمتقلب فى نعمتك، والمؤمل لخدمتك، الحسن بن رجاء.

قال المأمون: بالإحسان فى البديهة تفاضلت العقول، إرفعوا هذا الغلام فوق مرتبته.

نصيحة

أنت فى دار شتات فتأهب لشتاتك

واجعل الدنيا كيومٍ صُمْتَه عن شهواتك

وليكن فِطْرك عند الله فى يوم وفاتك

لا ينبغى للعاقل

قال بعض الحكماء: لا ينبغى للعاقل أن يرضى لنفسه إلا بإحدى منزلتين: إما بأن يكون فى الغاية القُصْوَى من طلب الدنيا، أو أن يكون فى الغاية القُصْوَى من التركِ لها.

الجار

يلومونى أن بعت بالرخص منزلى
ولم يعلموا جاراً هناك يُنَغِّص

فقلت لهم: كُفُّوا الملام فإنما
بجيرانها تغلوا الديار وتَرخص

كيف تركت الناس؟!

قيل لابن السماك الأسدى أيام معاوية: كيف تركت الناس؟.

قال: بين مظلوم لا يُنْتَصَف، وظالم لا ينتهى.

من أحسن ما قيل فى الجود مع الإقلال

قول صريع:

فلو لم يكن فى كَفِّه غيرَ روحه
لجاد بها فليتق الله سائله

«دعاء»

اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا، وكثرة عدونا، وتشتت أهوائنا.

***

قصة العدد

وفاء زوجة

للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحديدى

جلس «مروان بن الحكم» فى دار الإمارة بالمدينة المنورة متوتر الأعصاب قلق النفس يزفر زفرات حارة كمن يعالج هماً دفيناً لا يستطيع له دفعاً وحين ضاق به الأمر أرسل يستدعى صديقه «نصر ابن وائل» وهو أقرب الناس إلى قلبه فى المدينة فلبى الدعوة على عجل وأمر مروان حاجبه ألا يدخل عليه أحداً فى مجلسه مع نصر، وقد فهم الزائر أن مروان ليس فى هدوئه الطبيعى فأراد أن يفتح الحديث بما يرفه عنه فقال له:

- يا أخى أنت سيد المدينة وما عرضت مشكلة إلا وجدت لها حلاً فما لك تبدى اليوم ما لم نتعوده من احتمالك وصبرك؟

فقال مروان: يا نصر أنت صديقى وصاحب سرى وقد أحضرتك لأتحدث معك بما لم أتحدث به مع غيرك ولو كان أقرب الأقربين من أهلى، إن معاوية قد سخرنى فى أمر البيعة ليزيد ابنه وجعلت أتنقل بين البلاد والقبائل لأرضى الجمهرة بولاية العهد ليزيد حتى تمت بمجهودى وكان جزائى بعد ذلك أن يرسل إلىّ من يقول إنى كبرت سناً وأعباء الإمارة فى المدينة ثقيلة ثقيلة فإذا أردت أن تكون معى فى دمشق فهيا.

قال نصر: وماذا قلت له؟

قال مروان: أجبته بأن صحتى جيدة ولا أشكو مرضاً فلا تخف من تقصير يلحق بالإمارة ولكنى رأيت أن معاوية لم يقدم على ذلك إلا لأنه يحاذر أن يمتد سلطانى على الناس فأكون الرجل الأول إذا تولى يزيد وهو شاب غر فأصبح مصدر خطر عليه، إنه معاوية وأنا أدرى به.

قال نصر : إن معاوية لن يغضبك فيتحدث الناس عن غدره بأكبر أعوانه وبشيخ الأسرة بعد أبى سفيان فاطمئن .

قال مروان : أنا ضائق اليوم بهذا المكان ولن يقر لى قرار فماذا أصنع ؟

قال نصر : نترك دار الإمارة ونذهب معا إلى العقيق خارج المدينة ، وقد سال الوادى ، وأينع الثمر وطاب للناس أن يتمتعوا بشمسه نهارا ونجومه ليلا ولعل اختلاف المكان يذهب ما بك من أشجان ، على أن تصحب معك وكيلك عامر بن زياد ليجيب عن أسئلتك التى حدثتنى عنها بالأمس فقد يكون فى إجابته ما يقطع الشك الذى لحقك منه فقد رأيته الآن خارج الإمارة مع بعض المدنيين .

فصاح مروان : قاتله الله ، قاتله الله ، لا تذكر اسمه لى ، فقد وقف على كثير من أخطائى ولا مانع عنده أن يذهب إلى دمشق ويبلغها إلى معاوية فيجعلها وسيلة يبلغ بها ما يريد .

فقال نصر : وكيف عرفت ذلك عن عامر وهو حذر دقيق ؟

قال مروان : لقد جابهنى بالأمس بما لم أكن أتوقعه لقد لاحظت عليه خيانة فيما تحت يده من المال فقلت له صراحة : أشك أنك تخوننى ، أفتدرى بماذا رد علىّ ؟ قال لى : أتشك فقط ؟ قلت : ماذا تقول ويحك ؟ ! ، فقال فى استهتار بالغ : يشهد الله أنى أخونك ويشهد الله أنك تخون أمير المؤمنين ويشهد الله أن أمير المؤمنين يخون الرعية فلعن الله أشد الثلاثة خيانة .

تعجب نصر مما سمع وقال لمروان : ولماذا سكت عنه ؟

فقال مروان : لا يبعد على مثله أن يتصل بدمشق ويبلغ أمير المؤمنين عن بعض ما لاحظه علىّ ومعه الأدلة الصريحة فتحل الكارثة وسأداريه ما استطعت وله معى يوم قريب .

قال نصر : ندع حديث عامر الآن ونذهب إلى العقيق .

(٢)

لم يكد مروان يرتاح قليلا فى مكانه الخاص الذى شيده لنفسه بالعقيق حتى تاقت نفسه للتنزه فى الوادى وقد سال الماء وأينع الثمر وامتدت الظلال غير أن شيئاً ملك عليه أمره حين نظر إلى فتاة حسناء تحمل الجرة وقد لفتت الأنظار بجمالها الساحر فرجف قلبه وهو شيخ يبلغ السبعين ولم يستطع أن يصبر وأن يتماسك فقال لنصر :

ـ بالله عليك تتبع هذه الفتاة واعلم كل خبر عنها فقد ملكت نهاى .

ولم يرد نصر أن يراجعه إذ عرف من شدة لهفته واختلاج وجهه ما دفعه إلى إجابة أمره ومضى مع بعض الحرس وراءها حتى بلغت منزلها فأخذ يسأل عنها وعرف أنها متزوجة

منذ شهر واحد واسمها سعاد واسم زوجها سعد وهو شاب فقير لا يبلغ كفايته إلا بجهد جهيد ورجع إلى مروان فأخبره بما علم ، ورأى مروان أنه يستطيع أن يسترضى سعدا بالمال الكثير ليطلق زوجته وسيغريه بالمال فيبادر بالتنفيذ .

وسيق سعد إلى مروان ففوجىء بما أذهله حين طلب منه أن يطلق سعاد ويأخذ من المال ما شاء فصاح فى وجهه :

ـ هى حياتى ولن أعيش بدونها فإذاأردت أن تقتلنى فافعل ، فذلك أهون مما تريد .

ولم يعدم مروان الحيلة إذ أرسل إلى والد سعاد وقال له :

ـ ماذا تصنع هذه الحسناء مع شاب لا يملك قوت يومه ؟ إنك لو سهلت لى الزواج منها فسأشترى لك أجمل منزل فى المدينة وأمنحك من الدنانير كل ما يرضيك وستكون جليسى فى دار الإمارة وصهرى الذى يأمر فيطاع .

ورأى الوالد أن الدنيا مقبلة عليه فوافق مروان على ما يريد ولفقت تهمة للزوج الشاب فزج به فى السجن وجعل السجان يعذبه ويؤذيه حتى اضطر إلى تطليق سعاد ولم يبرح سعد السجن حتى انقضت العدة وعقد مروان عليها وذهبت إلى منزل الإمارة لتحتل المكان الأول بين زوجتى مروان وجواريه الكثيرات .

(٣)

خرج سعد حزينا يمزق الألم أحشاءه ولا يدرى ما سيصنع فى أيامه السود التى يعيش فى ظلامها البهيم وقد ابتعد عنه الناس إلا من غلبت عليهم الوقاحة فجاءوا يشمتون به ومنهم من يحاول تقريعه فيقول :

ـ عرض عليك المال طوعا فرفضته متأبيا وها أنت قد أكرهت على الطلاق دون أن تقبض ديناراً واحداً وفاز صهرك بكل ما كان مقدراً لك أن تأخذه .

والرجل يسمع متأوها ولا يجد كلمة عزاء من رحيم ، وبعد قرابة أسبوع طرق عليه الباب طارق فى حندس الليل فتوجس شراً وظن خطراً جديداً يترقبه فقام فى حذر يتبين الطارق فإذا هو عامر بن زياد وكيل مروان ففزع لرؤيته ولكن عامر أدرك ما نزل به فعانقه وطيب خاطره وقال له :

ـ جئتك فى حندس الليل لأشير عليك بأمر فيه صلاحك إن شاء الله فأنا أحمل لهذا الظالم من الكراهية ما أضيق عن كتمانه وأترقب الشر منه بعد أن صرحت له بحقيقة أمره فى لحظة غاب فيها صوابى وقد سكت على مضض وكأنه يتحين فرصة للوقيعة بى حين تسمح له الظروف فأنا وأنت شريكان فى كراهيته وقد جئت أقترح عليك ما قد يرد عليك سعاد بعد أن طلقتها مكرهاً وإننى أعلم عن يقين أن معاوية لم يعد يستريح لبقاء

مروان بن الحكم فى المدينة لأمور بلغته عنه فإذا علم جبروته معك وسجنك وتعذيبك دون جريرة ثم إرهاقك بتطليق من تحب فلابد أن ينصفك ليعلن لأهل المدينة أنه لا يقبل ظلم هذا الطاغية، فلابد إذن أن يصل الأمر إلى أمير المؤمنين.

قال سعد: وكيف أصل إلى أمير المؤمنين فى دمشق وأنا رجل لم أبرح المدينة طيلة حياتى ولا أعرف الطريق.

فقال عامر: فكرت فى ذلك ورسمت لك الخطة التى تبلغك ما تريد.

فتطلع سعد مهتما وقال: رعاك الله وأبقاك وكتب لك الخلاص من كيد هذا المارق فما هى هذه الخطة التى أحكمت تدبيرها؟

قال عامر: سيرحل بعض القوم إلى دمشق بعد يومين فى قافلة يسيرة وسأعطيك نفقات الرحلة معهم فإذا وصلت إلى دمشق فاذهب إلى المسجد الجامع واسأل عن كعب المخزومى فهو معروف عند الناس فى هذا الحى وله صلة وثيقة بأمير المؤمنين كما أنه شريف النفس يكره الظلم ولا يعلم عن مراون إلا كل سوء فبلغه سلامى واذكر له ما كان من أمرك راجيا أن يسهل لك الطريق كى تلقى أمير المؤمنين لأن معاوية يتخذ له من الحجاب والحراس ما لم يكن من قبل عهد الخلفاء الراشدين ولا وصول إليه أمامك إلا عن طريق كعب.

فنهض سعد إلى صاحبه فعانقه وقبل يده شاكراً، فأعطاه ما أحضره معه من نقد وحدد له مكان السفر وخرج عامر ليترك سعداً يفكر فى غده وقد بدت له بارقة من الأمل توحى بأن الفرج قد يأتى بعد الضيق.

(٤)

وتم كل شىء كما دبر عامر بن زياد وسار سعد إلى دمشق فحدث كعبا بما كان فغضب غضباً شديداً لجبروت مروان واستضاف الوافد الكريم فى بيته حتى يتم اللقاء ولم يدع الوقت يفوت دون أن يسعى إلى معاوية فاستأذن عليه فى صبيحة الغد وقابله أمير المؤمنين ببشره المعهود وسأله عن مبتغاه فأطرق مفكراً فى أمر مروان ثم قال لمعاوية خلاصة ما فعله مروان بسعد، وأخبره أنه مقيم بمنزله وقد جاء من المدينة لمقابلة أمير المؤمنين.

فقال معاوية: عليك أن تأتى بصاحبك صباح الغد فالأمر يسير.

أرق معاوية فى ليله فتذكر حديث كعب وقال فى نفسه: لولا أن الزوجة على قدر رائع من الجمال ما وقع فى شراكها مروان ولديه الجوارى الحسان مع زوجتين أجاد اختيارهما بيقين وقد وقع فى خاطرى أن أراها وسيتم ذلك حين أبعث رسولين إلى مروان آمرا بردها إلى زوجها الذى أجبرت على مفارقته ومعنفا له آلم التعنيف إذ تجاوز قدره فيما صنع على أن تجىء سعاد إلى دمشق ويبقى زوجها

عند كعب فى رعايتى الحانية وقد تتم بعد ذلك أمور.

وهكذا فوجىء مروان برسولى أمير المؤمنين يبلغانه ما أتيا فيه، فقال له أحدهما ناصحاً:

ـ إن معاوية لم يشأ أن يعلن فعلك الغادر إلى حاشيته وزواره من بنى أمية كى لا يفضحك على رؤوس الأشهاد إذ أراد لك الستر وأنت شيخ كبير فإذا لم تجب أمره عن طوع فسيصدر قراره بعزلك ويبطل نكاحها علنا لأنه اغتصاب شنيع لم يرع فيه حق الله ماذا سيكون موقفك أمام الملأ هنا وهناك.

قال مروان: سأطلقها إجابة لأمير المؤمنين ولكن ما ضرورة ذهابها إلى دمشق ولم لا تبقى عند والدها وهو ولى أمرها؟

فقيل له:

ـ هذه رغبة أمير المؤمنين وقد تشدد فى طلب مجيئها وزوجها سعد هناك ينتظر الفرج القريب على يد أمير المؤمنين.

فهز مروان رأسه وقال فى نفسه: ويل معاوية إنه سمع الكثير عن جمال سعاد وأنا به أدرى ولكن لا حيلة لى معه فلتذهب إليه بدل أن أذهب طريداً من إمارتى فتكون مهزلة أخرى، وسافرت سعاد إلى دمشق بعد طلاقها مكرمة محاطة بالرعاية والعطف حتى بلغ الركب دار الخلافة ومثلت بين يدى معاوية فتطلع إلى القادمة الرائعة وأخذه من الدهش ما أخذ مروان من قبل فخصها بمكان مرموق فى قصر الخلافة وترك الأمر إلى الغد كى يقطع بما يراه، ولم ينم ليله فقد شردت نومه شجون لا طاقة له باحتمالها حتى إذا أشرق الصباح دعا كعبا وسعدا وقال فى حزم.

ـ لقد جاءت سعاد مطلقة ووقعت فى نفسى ولن أجبرها على شىء فهى مالكة أمرها دون مراء، سأخيرها بين أن ترجع إلى سعد أو أعقد عليها فتكون زوجة أمير المؤمنين بعد انقضاء العدة!

دهش سعد لقرار معاوية ولكن لا حيلة له فى الرفض والقبول وقد ظن معاوية أن سعاد حين قضت يومها وليلها فى قصر الخلافة ورأت من مظاهر النعيم ما لا عهد لها به عند مروان فضلا عن زوجها البائس الفقير، ظن معاوية أن كفته هى الراجحة وعجل بحضور سعاد لتعلن اختيارها راضية فى غير إكراه ثم كانت المفاجأة أن نظرت إلى معاوية فى استنكار وقالت:

ـ ما هذا يا قوم أأنقل من شقاء إلى شقاء، سعد زوجى ولن أرضى بسواه حتى ولو كان أمير المؤمنين.

وابتسم معاوية فى دهاء وقال لها فى ملاطفة:

ـ هذا ما توقعته وكنت أختبر وفاءك وإخلاصك وسأجزيك وأجزى صاحبك بما يسعدكما طول الحياة فارحلا بسلامة الله فى رعايتى ومعكما من يهديكما الطريق هانئين سعيدين فى نعمة أمير المؤمنين.

ثم نفحهما بعطاء جزيل.

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبدالموجود أمين

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾

على طريق الهداية

نبدأ موضوعاتنا لهذا الشهر بقصة إسلام شخصية رفيعة المستوى وهى «روبرت كرين» مستشار الرئيس الأمريكى السابق والذى أصبح اسمه: «فاروق عبدالخالق» حيث ألقت الزميلة «هناء طوبار» الضوء على هذا الحدث من خلال مقالها المنشور بجريدة «اللواء الإسلامى» الصادرة فى ٢٠٠٥/٥/٢٦ قالت:

ظل عشقه الطفولى للإسلام، ذلك الدين العظيم يستولى على كيانه، ويرسخ فى أعماقه، وفى عام ١٩٨٠ وبعد انتصار الثورة الإسلامية فى إيران كثر الحديث عن الإسلام وازداد اهتمام الناس فى الغرب به. ولم يكن ذلك من منطلق إعجابهم به وبمبادئه، ولكن باعتباره يشكل تهديدا حقيقيا لهم.

لذلك تعالت أصوات العديد من صناع الفكر وأصحاب الرأى إلى عقد الندوات والمؤتمرات حول هذا الموضوع، بمشاركة العديد من قادة الفكر الإسلامى، وحضر «د. كرين» أحدها لكى يرى ويسمع الدراسات والأطروحات المقدمة. ومنهم د. حسن الترابى الذى أفاض فى الحديث عن الإسلام، كما كان يبحث عنه، فأدرك حقيقة تقدمه فى أفكاره. ووجد فى شريعة الله وكتابه العزيز علاجا لمشكلات الحضارة العلمية، التى أسستها العلمانية، وجعلت المادة أساس الحياة. ووجد فيه مناهج اجتماعية رفيعة، لا تظفر بها أى عقيدة أخرى. تجعل الأفراد متساوين على اختلاف ألوانهم وجنسياتهم، وأيقن بفطرته النقية الذكية أن الإسلام هو النموذج الأمثل للعقيدة الراقية، التى تحفظ للبشرية حقوقها على مر العصور، فى إطار فكرى يتسامى بالقيم، مهما تقادم الزمن ورأى «د. كرين» الترابى وهو يصلى ويسجد لخالقه، وكان ضد مسألة السجود، اعتقادا منه بأن سجود الإنسان فى نظره إهانة له ولإنسانيته، ولكنه أدرك أنه يعنى الانحناء لله - عز وجل - والسجود له، فتراجع وقال فى نفسه: الأولى أن أنحنى وأسجد أيضا، وهذا ما فعله وأعلن اعتناقه للإسلام، وأصر على أن يكون مسلما بعد أن غير اسمه الذى اشتهر به فى محافل السياسة الأمريكية، من «روبرت كرين» إلى «فاروق عبدالحق».

﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾

هذا بالضبط هو طبيعة الاتهام الموجه إلى معتقلى جوانتانامو الذين يعيشون تحت مستوى حياة المخلوقات الحيوانية وعجز الأمريكيون عن توجيه اى اتهام لهم رغم الإذلال الذى لم تعرف له البشرية مثيلا عجزوا عن الإيتان بمرر قانونى واحد يدين ايى واحد من المعتقلين؛ ومؤخراً كان إلقاء المصحف الشريف فى المراحيض والتبول فوقه وسيلة جديدة من وسائل استجواب معتقلى جوانتانامو وفضلاً عن اقتحام المساجد وتدنيسها فى العراق وافغانستان: حول هذا الموضوع كانت الكلمات المنشورة فى صحف: «عقيدتى، واللواء الإسلامى، والأخبار. ففى جريدة «عقيدتى» فى عددها الصادر فى ٢٠٠٥/٥/١٧ كتب الأستاذ (إبراهيم نصر الله) قال:

لن أتحدث عن جريمة انتهاك حرمة المصحف الشريف فى سجون جوانتنامو على أيدى بعض المحققين الأمريكيين لانتزاع اعترافات من معتقلين مسلمين لا ذنب لهم ولا جريرة.

لقد كفانى الحديث عن هذه الجريمة النكراء كتاب كبار وزملاء كثيرون، وقد صدرت بيانات الإدانة من جهات رسمية، وسبقتها جهات غير رسمية.

ثم يقول: أنا لست مع خروج المظاهرات أو إصدار البيانات لأن ذلك لا يغير من الواقع شيئاً ولا يحرك لدى العدو ساكناً. بدليل أنه بينما كانت تصدر البيانات أو تعقد اللجان لصياغتها وفى الوقت الذى كانت تحتشد فيه المظاهرات وفى أماكن عديدة من العالم الإسلامى ارتكب الجنود الأمريكيون جريمة أخرى فى حق المسجد بيت الله فى الأرض، وفى حق المصحف كلام الله للعالمين حيث اقتحموا مسجداً بالعراق وقاموا بتمزيق المصاحف وربما داسوها بأقدامهم، وحتى تكون الرسالة واضحة رسموا الصليب على بعضها.

إن السبب الحقيقى أيها السادة فيما نحن فيه الآن من مذلة وهوان وتكالب الأعداء علينا لخصه النبى الخاتم فى حديث من دلائل نبوته ودليل إعجازه حين قال: «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة الى قصعتها. قالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟.. قال: بل أنتم حينئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله المهابة من قلوب أعدائكم، وليقذفن فى قلوبكم الوهن. قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟.. قال حب الدنيا وكراهية الموت».

إن التعظيم الحقيقى لكتاب الله ليس فقط بحفظه وترديده آناء الليل وأطراف النهار أو بالثورة والبيانات إذا انتهك الأعداء حرمته، وإنما مع هذا كله لابد من تدبر آياته والعمل بها لأن ذلك من شأنه أن يلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب، وساعتها نكون أهلاً لنصر الله.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

وفى جريدة اللواء الإسلامى الصادرة فى ٢٠٠٥/٥/١٩ كانت تلك الكلمة التى جاءت تحت عنوان «استعادة الكرامة»:

القرآن الكريم كتاب الله المحفوظ إلى يوم الدين، وآخر وحى السماء إلى الأرض، أنزله الله هداية للعالمين، وقال عنه: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ فكيف يتجرأ عليه بعض الناس ويهينونه نكاية فى المسلمين، هل هنا على العالم إلى هذه الدرجة وإلى متى يستمر هذا الهوان؟!

نحن كثير ولكن كغثاء السيل مليار ومائتان من الملايين وتتكالب علينا الأمم كما تكالب الأكلة على قصعتها البترولية.. ما الذى أوصلنا إلى هذه الدرجة؟ الإجابة قالها الرسول ﷺ: الوهن.. حب الدنيا وكراهة الموت.. العالم العربى الآن بخيراته الطبيعية أشبه بأندلس القرن الخامس عشر.. فإذا ما اختلف الحكام كان المصير مثل ملوك الطوائف فتضيع البلاد وتباد العباد.

المظاهرات المندلعة فى أفغانستان وفلسطين والسودان.. احتجاجا على المساس بالقرآن المعظم تختزن وراءها تاريخا طويلا من المرارات والعذابات والشعور بالمهانة عبر عقود من الاذلال والاستغلال والاستعمار. ولكن ما هو المخرج؟..

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد: ١١)

هل نحن فى حاجة إلى صلاح دنيا أم إلى صلاح دين أم فى حاجة إلى صلاح الدين مرة أخرى.

فى هوليود المخرج ريدلى سكوت احتفل بتاريخ صلاح الدين الأيوبى فى فيلم مملكة الجنة.. وكيف كان سلطانا مسلما قويا عندما فتح القدس أمر بخروج الأطفال والنساء والمحاربين منها سالمين فقال له قائد الصليبيين: أو لم تذبح الجيوش الصليبية النساء والأطفال حين احتلوا القدس؟ قال صلاح الدين: أنا لست منهم.

المظاهرات والزعيق والبكاء والعويل لن يعيد كرامتنا إذا داستها الأقدام ولكن عودة الكرامة تكون بالعلم والعمل الجاد الخلاق المثمر وباستعادة قوة المسلمين ومكانتهم التى لن تتحقق إلا بتوحدهم تحت راية الإسلام ونبذ خلافاتهم فى مواجهة التحديات التى تتربص بهم.

﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾

وكتبت (الأخبار) فى زاوية (كلمة اليوم) تحت عنوان: المسلمون.. أكثر تحضرا من الذين اعتدوا على القرآن!!

حتى الآن.. لا يوجد تعريف دقيق لمعنى الإرهاب!.. ولكن أمريكا أو الإدارة الأمريكية مازالت تنسب الإرهاب إلى الإسلام والمسلمين!!.. خصوصا بعد حادث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١، وبناء عليه طالبت الإدارة المسيحية الصهيونية التى تهيمن على البيت الأبيض فى واشنطن بحذف بعض كلمات من القرآن الكريم مثل:

﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (الأنفال/ ٦٠)

والسؤال إلى الذين يطالبون بالحذف من كتاب الله الكريم هو: هل أنتم من أعداء الله ـ تبارك وتعالى ـ ومن أعدائنا؟!.. وهل الحرب معلنة بيننا وبين أمريكا؟! لأن كلمة «ترهبون» نزعوها من سياقها!.. وأن القرآن يفسر بعضه بعضا!.. واستندوا على تعريف الإرهاب بهذه الكلمات «ترهبون» وقالوا: إن هذا هو الإرهاب!! ولم يستمع أحد إليهم.. لأن الله ـ تبارك وتعالى ـ الذى أنزل القرآن.. تعهد بحفظه! ونلاحظ فى القضية المثارة حاليا أن المسلمين فى كل أنحاء الأرض أكثر حضارة وذكاء من أهل المسيحية الصهيونية فى الإدارة الأمريكية.. لأن المسلمين فى كل أنحاء الأرض لم يدنسوا الإنجيل أو التوراة أو الزبور الذى أعطاه الله إلى سيدنا داود عليه السلام!.. كذلك لم يعتدوا على «التلمود» مع أنه كتاب من صنع الإنسان.. وفيه تحريف لما نزل فى التوراة!.. والمسلمون الذين يعرفون صحيح الدين الإسلامى الحنيف.. يعرفون أن الذين حاولوا «تدنيس» القرآن الكريم فى سجن أمريكى بكوبا.. ليسوا أصحاب دين.. وهم ملاحدة أو علمانيون!!

وسؤال آخر نتوجه به إلى هيئة اليونسكو.. وهى هيئة دولية ضمن هيئات الأمم المتحدة. لم يصدر عنها ما يدين هذا العمل.. وهو العدوان على كتاب الله المقدس بوضعه فى مكان غير لائق وعدم التعامل معه بالتوقير والاحترام والقداسة!!

مما يؤكد أن المسلمين أكثر حضارة من العلمانيين الأمريكيين.. الذين جعلوا بعض الجنود يعتدون على كتاب الله الأعظم فى قاعدة للجيش الأمريكى بكوبا!!

تقرير للكونجرس اليهودى العالمى يطلب معاقبة العالم الإسلامى بتهمة معاداة السامية

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ حسام وهبة فى جريدة عقيدتى فى عددها الصادر فى ٢٠٠٥/٥/١٠ قال:

قبل عدة قرون بزغ نجم الفيلسوف اليهودى الشهير موسى بن ميمون وترك الرجل تراثاً أكد
فيه أن أحد أهم أسباب نبوغه هو وجوده فى بيئة إسلامية منحته حرية التفكير والإبداع وانه لو
كان تعرض لنفس ظروف أقرانه الموجودين فى الغرب لكان قد عاش ومات مثلهم داخل جيتو
منعزل دون أن يحصل على متعة التفكير التى حصل عليها فى مصر حيث عاش فى ظل الحكم
الإسلامى.

هذه حقيقة اعترف بها العديد من المفكرين اليهود سواء السابقين منهم أو الحاليين.

ولكن هذه الحقيقة ينكرها بعض اليهود المتطرفين الذين استطاعوا فى الفترة الأخيرة السيطرة
على اتحاد المنظمات اليهودية العالمية والذى يرمز له باسم الكونجرس اليهودى العالمى حيث بدأ
هذا الكونجرس فى الفترة الأخيرة مناقشة تقارير تحاول النيل من العالم الاسلامى، وقبل حوالى
ثلاثة أسابيع بدأ الكونجرس اليهودى العالمى حملة أطلقوا عليها اسم «اكتشاف المحرقة الإسلامية
لليهود» على غرار المحرقة النازية لليهود التى تعرض لها اليهود على أيدى النازى الالمانى فى
الفترة المصاحبة للحرب العالمية الثانية.

والهدف الذى أعلنته الهيئة القائمة على الكونجرس اليهودى من كشف التعذيب الذى تعرض
له يهود الدول الاسلامية حسب زعمهم هو الحصول على التعويضات المناسبة بالإضافة إلى
اعتراف المجتمع الدولى والإسلامى بحدوث المحرقة الإسلامية لليهود وبالطبع ضرب الكونجرس
اليهودى أمثلة علي ذلك وزعموا أن يهود ليبيا تعرضوا لحملات تعذيب وإعدام جماعية ونفس
الموقف زعموا أنه حدث ليهود تونس، طالب الكونجرس اليهودى عبر تقاريره التى تبثها العديد
من وسائل الاعلام الدولية حاليا بأن تعترف الدول الإسلامية بالممارسات العنصرية التى تعرض
لها اليهود داخل الدول الإسلامية تمهيداً لطلب تعويضات مالية ضخمة فى المستقبل!!

ولم تمر أسابيع قليلة على قيام الكونجرس اليهودى بمطالبة الدول الإسلامية بالاعتراف بهذه
المزاعم إلا وأصدر تقريراً آخر تحت اسم «عام جديد من معاداة السامية فى العالم» واعتبر
الكونجرس اليهودى عام ٢٠٠٤ العام الأشد قسوة فى تاريخ معاداة السامية حيث يقول «إن
المسلمين هم أحد الأسباب الرئيسية وراء استمرار وتصاعد نبرة المعاداة للسامية فى العالم فداخل
الدول الإسلامية لا يستطيع أحد انكار وجود عشرات المظاهر المعادية للسامية أما فى بقية دول
العالم غير الإسلامى فإن الأعداد الكبيرة من المسلمين الموجودين داخل الدول غير الاسلامية
ينشطون ويبذلون قصارى جهدهم لمعاداة كل ما هو يهودى وهو ما يعنى أن المسلمين وراء تصاعد

نبرة اللاسامية فى العالم والضغط على الدول الاسلامية لوقف حملات اللاسامية هو الوسيلة الوحيدة للقضاء على هذه الظاهرة.

ومن الواضح أن هناك تيارات يهودية متشددة بدأت فى شن حملة منظمة هدفها ابتزاز العالم الاسلامى بكافة السبل المتاحة وغير المتاحة ووفقا لما جاء فى تقرير الكونجرس اليهودى حول ما يسمى «بمعاداة السامية» فإن عام ٢٠٠٤ سجل تصاعدا ضخما فى وتيرة معاداة السامية، وبخلاف الدول الاسلامية التى انتشرت بها كل مظاهر معاداة السامية فإن المسلمين وقفوا ايضا خلف التحرش باليهود فى العديد من الدول الاوروبية وتركزت تلك التحرشات فى فرنسا وبريطانيا وكندا حيث قام المهاجرون المسلمون بمهاجمة اليهود ورموزهم ومعابدهم فى كل شوارع تلك الدول وحتى داخل المؤسسات التعليمية المختلفة.

ويضيف تقرير الكونجرس اليهودى العالمى «فإن الإعلام الإسلامى المحلى داخل الدول الأوروبية المذكورة سابقا ساهم فى إزكاء روح العداء للسامية فى قلوب الشباب الأوروبى مما أدى إلى تعرض أكثر من ٤٠ مدرسة يهودية و ١٤٠٠ قبر من القبور اليهودية وحوالى ٦٠ معبدا يهوديا و ٦٠ شركة يهودية للتخريب!!!

وينتهى التقرير اليهودى بوضع سببين أساسين وراء تصاعد هذه الأحداث المعادية للسامية أولها هو عدم قيام سلطات الدول الأوروبية بمتابعة الجاليات الإسلامية الموجودة فى تلك الدول وطالب التقرير اليهودى بأن يتم مراقبة كل الجاليات الإسلامية الموجودة فى أوروبا وإغلاق الباب أمام أى مهاجرين جدد وضرورة دمج المسلمين الموجودين فى أوروبا فى مظاهر الحياة الأوروبية من ملابس وخلافه حتي يذوب المسلم فى تلك الحياة ويتوقف عن الاهتمام بالسياسة ومن ثم التوقف عن التحرش باليهود واليهودية.

أما السبب الآخر الذى ذكره تقرير الكونجرس اليهودى العالمى ويرى أنه السبب وراء تزايد مظاهر معاداة السامية فى أوروبا وأمريكا فهو الصراع العربى الإسرائيلى حيث يرى التقرير أن إسرائيل فشلت فى توجيه خطاب إعلامى للمجتمع الدولى وهو ما أدى إلى وجود يقين لدى الشباب الأوروبى بأن إسرائيل هى السبب وراء استمرار الصراع مع الفلسطينيين وهو ما يؤدى بالتالى إلى كراهية اليهود واليهودية.

وفى النهاية فإننا يجب ان ناخذ حذرنا فمن الواضح ان هناك حملة صهيونية موجهة ضد الإسلام والمسلمين من أجل ابتزازهم للحصول على مكاسب مادية وسياسية عديدة!!!

***

حديث الفطرة

للأستاذ / عادل خفاجة

إن من يتأمل حديث رسول الله - ﷺ - القائل «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانِه أو ينصرانه أو يمجسانه»[1]

يتبادر إلى ذهنه هذا السؤال: هل الفطرة هى صفحة المولود البيضاء التى لم تتلون ولم تتشكل بعد فيأتى دور الأبوين فيَخطّا أول الخطوط على تلك الصفحة، ليرسما بذلك عقيدة هذا الابن؟!

وإذا كان الحديث النبوى الشريف قد أشار إلى أن المولود يهوده أبواه، أو ينصره أبواه، أو يمجسه أبواه فلماذا لم يذكر - ﷺ - فى الحديث لفظ «أو يسلمانه» فهل هذا يعنى أن الإسلام هو الفطرة؟! وإذا كان الإسلام والفطرة يؤدى أحدهما إلى الآخر؟!

فما هى الفطرة إذن؟!

مفهوم الفطرة

للعلماء فى تعريف الفطرة أقوال فالقسطلانى شارح البخارى يقول فى معنى الفطرة: إنها الجبلة السليمة والطبع المتهيىء لقبول الدين[2].

فهذا أول المعانى التى ذهب إليها العلماء.

أما المعنى الثانى للفطرة فهو: الإسلام، وهو رأى كثير من السلف، وهو ليس ببعيد عن الأول لأنه كنتيجة لازمة له.

وهناك معنى ثالث للفطرة، وهو العهد، أى عهد: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ المذكور فى سورة الأعراف آية/ ١٧٢.

(١) صحيح البخارى - كتاب الجنائز حديث رقم ١٢٩٦.

(٢) الشيخ يوسف الدجوى/ مجلة الأزهر/ المجلد الثالث سنة ١٩٣٢.

ولفضيلة الشيخ يوسف الدجوى تفصيل فى هذه المسألة يحسن بنا أن نقدمه، إذ يقول فضيلته: إن هناك أموراً بدهية لا يختلف فيها الصغير والكبير، فهى عند الطفل كما هى عند الرجل، وليس المراد تفاصيل الشريعة، بل المراد الأصل الأصيل الذى يتحقق به الإسلام.

١- فمن ذلك أن الطفل يدرك بالفطرة أن الجزء أقل من الكل، ولذلك إذا أعطيته نصف تفاحة مثلا فبكى فأعطيته النصف الثانى، سكت ورضى.

٢- ومن ذلك إذا أمرته مداعبا أن يأتى بشىء من نافذة مثلا وهو قصير لا يصل إليه، قال لك بلسان حاله أو مقاله: إنه لا يدركه، أو طلب منك شيئا يطول به ككرسى مثلا، وذلك مبنى على إدراك فطرى هو الفرق بين الطويل والقصير.

٣- ومن ذلك تفرقته بين الحق والباطل، والصدق والكذب، فانك إذا أخبرته بشىء تريد أن تخدعه، فتراه لا ينخدع ولا يسارع إلى التصديق، فإذا أخبره شخص آخر بذلك وتضافرت لديه القرائن على صدق الخبر، قبل وصدّق، وما ذاك إلا لتفرقته بين الصدق والكذب، والحق والباطل، فهو يسكن إلى الحق دون الباطل وإلى الصدق دون الكذب.

٤- ومن ذلك علمه أن الحوادث لا تكون إلا فى زمان، فإذا أخبرته بشىء قال لك: متى كان هذا؟ علما منه بأن الحوادث لابد لها من وقت تقع فيه.

٥- ومن ذلك علمه بأنه لا يكون فعلٌ بلا فاعل، فانه إذا رأى شيئا مع طفل آخر قال له: من أعطاك هذا، وإذا ضربه شخص من ورائه التفت: فهماً منه أن الفعل لا يكون بغير فاعل، وأن الأثر لا يوجد بدون مؤثر.

٦- ومنها إدراكه أن هناك أشياء قبيحة وأشياء حسنة، وأن ما يعود على النفس بالثناء والمدح ينبغى فعله، وما يعود عليها بالنقص والذم ينبغى تركه، ولذلك تشجّع الأطفال وتثار فيهم رغبة فعل الحسن بمدحهم والثناء عليهم، وينفّرون من فعل القبيح بذم من يفعله وتهجينه عندهم.

إن من هذه العلوم الفطرية أيضاً أن الصانع لابد أن يكون متقدماً على صنعته، ولا يصح فى بداهة العقول أن يتقدم على نفسه. وكذلك أن المثلين لابد أن يثبت لأحدهما ما ثبت للآخر، وإلا لم يكونا مثلين.

وبذلك العلم الفطرى نقول: إن الله تعالى مخالف لنا، لأنه لو ماثلنا لكان حادثا مثلنا، وعاجزا مثلنا ومتغيرا مثلنا، وفانيا مثلنا، إلى آخر ضروب المماثلات، وهو دليل واضح لا يحتاج إلى كبير تأمل، لأنه راجع إلى ماهو مركوز فى الفطر من أن ما ثبت لأحد المثلين ثابت للآخر. فهذا هو ما جاء به الإسلام فى أبسط تعاليمه وأول أصوله.

وقد علمت أن الفطرة تشهد له وتنطق به، إلا أن تصاب بآفة تغيرها عن خلقتها فتنحرف بها عن الجادة، وتميل بها إلى منعرجات الطريق، وملتويات الشعاب، وسحيقات الأودية[3].

(٣) الشيخ يوسف الدجوى/ مجلة الأزهر/ المجلد الثالث سنة ١٩٣٢.

فهذا بعض ما ورد من أقوال العلماء فى شأن الفطرة

فالفطرة إذن هى «تلك القوة المركوزة فى الإنسان، والتى ترشده إلى إدراك الحق والواقع فى شأن الألوهية إذا خلا من المؤثرات المصنوعة، والعوامل الطارئة وهى التى يذكرها الله عز وجل فى قوله تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

الروم / ٣٠

ويذكرها فى آيات أخرى، على صورة أخرى(٤)، يقول:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾

[الأعراف / ١٧٢]

نعم.. هذه هى الفطرة التى لو حرص العالم على البعد عن عوامل فسادها أو طمسها، لبقى على فطرته وبقى الناس طائعين عابدين لربهم ولم تذق البشرية ما ذاقته من ألوان وصنوف العذاب، ولتمتعوا بثمرة الفطرة السليمة وأدركوا ما معنى الكرامة. ولعلموا أن لهم رسالة خلقهم الله لأجلها: هى إعمار هذا الكون.

ولكن هذه الفطر النقية لم يزل بها أهل الأهواء حتى حولوها عن نقائها وصفائها فكدروها، لأجل مصالحهم الشخصية، إما لجمع المال وإما لتسخير الأتباع.

فهذا فرعون يقول:

﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾

[النازعات / ٢٤]

فلاشك أنه سبق ذلك الكثير من محاولات الخداع والتضليل حتى جهر فرعون بافترائه هذا وصدقه من صدقه خارجا عن الفطرة التى خلقه الله عليها!!

وهاهم الكهنة الذين ادعوا سلطات غيبية زعموها لأنفسهم جلبت لهم المنافع فأمعنوا فى تضليل الناس فكانت صكوك الغفران فى عصور الإظلام التى لفّت أوروبا!!

أما الإسلام فقد أخذ بيد الإنسان رافعاً إياه إلى أعلى درجات الكرامة ودله على أصدق ميزان ألا وهو «الفطرة».

إن الإسلام يحضُ كل إنسان على المعرفة بل يأمره أن يسأل من يعرف حيث يقول الله تعالى:

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[النحل / ٤٣]

وكذلك السنة المشرفة لم تخلُ من هذا التوجيه الكريم بل عابت على من لم يستفسر عن أمر لم يحط به علماً حيث ورد عن جابر قال: خرجنا فى سفر فأصاب رجلاً منا حجرٌ فشجه فى رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه فقال: هل تجدون لى رخصة فى التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات. فلما قدمنا على النبى

(٤) الشيخ محمد محمد مدنى/ فطرة الله – مجلة الأزهر سنة ١٩٤٧ ص٢٠٢

ﷺ أخبر بذلك، فقال: قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذا لم يعلموا فإنما شفاء العيِّ السؤال إنما كان يكفيه أن يتيمم. ويعصر أو يعصب على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده(٥).

هكذا أكد النبى - ﷺ - على ضرورة السؤال لكل من غابت عنه مسألة ولام من لم يسألوا، حيث قال: «ألا سألوا إذ لم يعلموا»!!

أقول برغم هذا التوجيه الكريم لضرورة سؤال العلماء.

فإن الإسلام أولى الفطرة اهتماما كبيرا وجعلها الميزان الذى يجب أن نعرض عليه فتاوى العلماء، إذ المفتى يعطى الجواب بناء على معطيات السائل، وقد يخفق السائل فى وصف الحالة. فتخرج إجابة المفتى وفق ما بلغه من السائل، وقد يُخفى السائل بعض مفردات المسألة لحاجة فى نفسه، لتخرج الإجابة وفق ما يحب ويهوى.

لذلك لم يترك الإسلام مثل هذه المسألة بلا تحديد، بل جعل المسئولية تقع على عاتق صاحب السؤال، فيعرض ما يقال له على ما جُبل عليه من الفطرة السليمة لأن النبى ﷺ قال: استفت قلبك.

فعن وابصة بن معبد الأسدى قال: أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد أن لا أدع شيئا من البر والإثم إلا سألته عنه، وحوله عصابة من المسلمين يستفتونه، فجعلت أتخطاهم قالوا: إليك ياوابصة عن رسول الله - ﷺ - قلت: دعونى فأدنو منه فإنه أحب الناس إلىَّ أن أدنو منه، قال: دعوا وابصة، ادن يا وابصة «مرتين أو ثلاثا»، قال: فدنوت منه حتى قعدت بين يديه. فقال: يا وابصة أخبرك أو تسألنى؟ قلت: لا بل أخبرنى فقال: جئتَ تسألنى عن البر والإثم فقال: نعم فجمع أنامله فجعل ينكت بهن فى صدرى ويقول: يا وابصة استفت قلبك واستفت نفسك «ثلاث مرات» البر ما اطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك.(٦)

فالفطرة هى الأساس، قبل سؤال العالم وبعد سؤاله، فهى الدافعة للسؤال إذا استغلق عليها الأمر وهى الطالبة للتصويب، إذا لم يبدو لها وجه الحق.

ولقد حدثنا القرآن الكريم أن المشركين أنفسهم لم يكونوا منكرين لهذه الفطرة إنكارا صريحاً، ولكنهم كانوا يبررون ما هم عليه من شرك بمبررات يزعمونها، كأن يقولوا:

﴿ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾

(يونس ١٨)

أو يقولوا:

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾

(الزمر ٣)

وأنهم حين يسألون عن مصدر هذا الوجود، ومفيض هذا الإنعام، يعترفون بأنه الله وحده دون هؤلاء الشركاء الذين اتخذوهم، ولذلك انتفع

(٥) سنن أبى داود ـ كتاب الطهارة ـ باب/ فى المجروح يتيمم. حديث ٢٨٤.

(٦) مسند الإمام أحمد كتاب الشاميين حديث وابصة

الرسل بهذه الفطرة، وخاطبوا فى أممهم هذه الغريزة، واتخذوا منها حجة قائمة دامغة على تناقض المشركين مع أنفسهم، وخروجهم على مقتضى العقل[7]

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾

(٨٧/ الزخرف)

وإننا لنجد النبى - ﷺ - يوقظ الفطرة التى غفت عند ذلك الشاب الذى جاءه ليرخص له فى الزنا وكأنه يوقظ إنسانا فى سبات عميق يهزه برفق حان عدة مرات المرة تلو الأخرى فإذا تأكد له أن ضميره قد أفاق وأنه عاد إلى فطرته النقية دعا له.

فعن أبى أمامة قال: إن فتى شابا أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله أئذن لى بالزنا، فأقبل القوم عليه. فزجروه، قالوا: مه مه فقال: أدنه. فدنا منه قريبا.

قال: فجلس. قال: أتحبه لأمك؟!

قال: لا والله جعلنى الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم.

قال: أفتحبه لابنتك؟

قال: لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم.

قال: أفتحبه لأختك؟

قال: لا والله جعلنى الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم.

قال: أفتحبه لعمتك؟

قال: لا والله جعلنى الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم.

قال: أفتحبه لخالتك؟

قال: لا والله جعلنى الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم.

قال فوضع يده عليه وقال: اللهم أغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه».

فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شىء.[8]

إن البشر اليوم يواجهون الكثير من عوامل الفساد، منها ما يحيط بهم ومنها ما يعمل بداخلهم، وإذا كانت هذه العوامل تتضافر على جذب الإنسان بعيدا عن فطرته السوية السليمة فإن فى الإسلام صلوات خمس كل يوم وليلة تعيده إلى الإيمان وتغسله فلا تبقى من خطاياه شيئا.

لقول الرسول الكريم:

«أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم: خمس مرات هل يبقى من درنه شىء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شىء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»[9].

أليس فى ذلك عود إلى الفطرة النقية مرة أخرى؟؟

ثم ألسنا كشعوب إسلامية فى حاجة ماسة إلى أن نعود إلى فطرتنا النقية حتى تعود إلينا الكرامة الإسلامية التائهة؟!

(٧) فطرة الله ـ مجلة الأزهر ـ سنة ١٩٤٧ ـ المجلد ١٩ ص٢٠٥.

(٨) مسند الإمام أحمد باقى مسند الأنصار حديث رقم ٢١١٨٥

(٩) صحيح مسلم/ كتاب المساجد/ حديث ١٠٧١.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقى الدين

صفعتان

صفعتان قويتان تلقاهما نظام الحكم الأمريكى مؤخرا، الصفعة الأولى جاءت من مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية ومقره «واشنطن» حيث أصدر تقريرا يوم الأربعاء ١١ من مايو سنة ٢٠٠٥م أكد فيه أن معدلات جرائم الكراهية ضد مسلمى الولايات المتحدة الأمريكية، وانتهاك حقوقهم المدنية خلال العام الماضى سجلت أعلى معدل لها منذ هجمات الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م.

وأكد التقرير أن السبب الرئيسى وراء هذا الارتفاع فى معدلات جرائم الكراهية ضد المسلمين يرجع إلى طغيان اللغة المعادية لهم على الخطاب الذى يلتزم به الساسة الأمريكيون، ورجال الدين والإعلام.

ورصد التقرير (١٥٢٢) واقعة انتهاك للحقوق المدنية للمسلمين الأمريكيين بزيادة قدرت بنحو (٤٩٪) عن عام ٢٠٠٣.

فى حين زادت جرائم الكراهية ضد عناصر الجالية المسلمة فى الولايات المتحدة الأمريكية لتصل إلى (١٤١) واقعة بزيادة (٢٥٪) عن عام ٢٠٠٣م[1].

أما الصفعة الثانية فقد كان دويها هائلا وذلك لأنها جاءت من منظمة العفو الدولية والتى أكد تقريرها الصادر يوم الأربعاء ٢٥ من مايو ٢٠٠٥ عن حالة حقوق الإنسان فى العالم لعام ٢٠٠٤م أن الولايات المتحدة الأمريكية تربعت على قمة الدول التى انتهكت حقوق الإنسان، والقواعد القانونية المعمول بها على المستوى الدولى.

وأكدت منظمة العفو الدولية أن لدى الولايات المتحدة ما يقرب من (٥٤٠) معتقلا فى جوانتانامو من (٤٠) دولة يعانون

(١) لمزيد من التفاصيل راجع صحف: الأهرام - الأخبار - الجمهورية - المساء - الحياة - الشرق الأوسط، الصادرة يوم الخميس ١٢ من مايو ٢٠٠٥.

من انتهاكات لحقوقهم، هذا غير آلاف العراقيين والأفغان.

وأكد التقرير أنه بعد أربع سنوات من هجمات سبتمبر، والحرب التى أعلنتها واشنطن ضد الإرهاب، لم يعد العالم أكثر أمنا، بل أصبح أكثر رعبا.

وأضاف التقرير أن «تكتيك» الولايات المتحدة الأمريكية فى حربها ضد الإرهاب لم يمنع الهجمات ضد المدنيين فى أنحاء العالم، بل شجع الحكومات والجماعات المسلحة على ارتكاب انتهاكات لحقوق الإنسان تحت غطاء سياسى.

وأكد تقرير منظمة العفو الدولية أن القوات الأمريكية ارتكبت انتهاكات فادحة لحقوق الإنسان فى العراق، واتهم التقرير واشنطن بخيانة مبادىء حقوق الإنسان، ودفع الجماعات المسلحة إلى مستوى أوسع من الوحشية.

واتهمت المنظمة الولايات المتحدة، والجماعات المسلحة المعارضة للوجود الأمريكى فى العراق بارتكاب انتهاكات كبيرة لحقوق الإنسان حيث لقى آلاف المدنيين مصرعهم.

وقالت المنظمة إن القوات الأمريكية قامت بأعمال قتل غير قانونية، واعتقال، وتعذيب، وسوء معاملة، وعلى الرغم من فضيحة الانتهاكات المروعة التى وقعت فى سجن أبوغريب بالعراق، فإن هذه الممارسات مازالت قائمة فى كل السجون التى تديرها الإدارة الأمريكية والتى تعمل على إعادة تعريف معنى التعذيب بما يخدم انتهاكاتها لحقوق الإنسان.

وأشار التقرير كذلك إلى اعتقال آلاف العراقيين دون أى أدلة، وذلك للاشتباه فى عملهم ضد قوات التحالف، حيث ألقى بهم لعدة أشهر فى مراكز اعتقال غير معروفة.

واتهمت المنظمة الولايات المتحدة بالفشل فى إجراء تحقيقات دقيقة فيما يتعلق بفضيحة «أبوغريب» وهو الأمر الذى دفع المنظمة إلى اتهام واشنطن بأن ممارساتها تشكل الفجوة بين القول والفعل.

وأكد تقرير المنظمة أن الممارسات الأمريكية تقوض من احترام حقوق الإنسان فى العالم، وأن المجتمع الدولى افتقد للإرادة القوية والإمكانات لوقف الانتهاكات، ومعاقبة من قاموا بأعمال وحشية.

وقال التقرير: إن أكبر دولة فى العالم عندما تخترق سيادة القانون، وتقوم بانتهاكات لحقوق الإنسان، فإنها تمنح الآخرين الحق أو رخصة لممارسة الانتهاكات دون توقع عقاب، وبقدر من التفاخر.

ونقول تعليقا على هذين التقريرين:

إذا كان التقرير الصادر عن منظمة العفو الدولية قد استفز الولايات المتحدة بقوة إلا أنها عجزت تماما عن تفنيد محتوياته بدقة، حيث جاء تعليق الرئيس الأمريكى «جورج بوش» ونائبه «ديك تشينى» انفعاليا، حيث قال «بوش»: «إن منظمة العفو أسست تقريرها على أقوال المعتقلين وهم أناس يكرهون أمريكا ولا يقولون الحقيقة».

فى حين قال نائبه «تشينى»: «إن أمريكا حررت ملايين البشر من الاضطهاد، وفعلت الكثير من أجل قضية الحرية، وتعامل أسرى جوانتانامو معاملة طيبة وإنسانية»!!.

ورد «وليام شولز» المدير التنفيذى لمنظمة العفو الدولية على الرئيس الأمريكى ونائبه بقوله: «إن

أمريكا لا تأخذ القوانين والأعراف الدولية ومعاهدة جنيف على محمل الجد»[٢].

أما ما نأخذه على هذا التقرير فهو أنه لم يعلن صراحة بأن الانتهاكات الأمريكية كانت موجهة وبشكل مباشر ضد الدين الإسلامى، وضد معتنقيه وذلك لأن معتقلى جوانتانامو كلهم من المسلمين وأفغانستان دولة مسلمة، وكذلك العراق والانتهاكات الأمريكية الواردة فى التقرير تنحصر فى هذه الأماكن الثلاثة: أفغانستان - العراق - معتقل جوانتانامو.

فإذا ما ربطنا بين ذلك وبين تقرير مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية، فإننا لا نخرج إلا بنتيجة واحدة وهى أن الحكومة الأمريكية الحالية حكومة عنصرية على غرار حكومة النازى فى ألمانيا الهتلرية، وكما تعصب النازى ضد اليهود قديما - كما يقولون - يسير بوش ورفاقه قدما على ذات الدرب، ولكن هذه المرة ضد الإسلام، وضد المسلمين داخل أمريكا وفى العالم كله، وما جريمة تدنيس المصحف الشريف فى معتقل جوانتانامو والتبول عليه وإطعامه للخنازير، واتخاذ صفحاته الكريمة «مناشف تواليت» إلاحلقة من حلقات الحرب ضد الإسلام.

ومن آن لآخر تتعمد الولايات المتحدة الأمريكية تسريب العديد من المعلومات عن انتهاكاتها الوحشية لحقوق المسلمين فى العالم، وكأنما تريد أن تقول لنا: إما أن تدعوا ما أنتم عليه من تمسك بدينكم، وإما سيكون مصيركم القتل والتشريد والاغتصاب والإهانة مثل هؤلاء الذين تطالعون صورهم كل يوم.

ترى هل اطلع العملاء، أعضاء الطابور الخامس - الذين قاموا بتنظيم عدة مظاهرات هزيلة لم تجد أى تجاوب شعبى من أبناء مصر - على هذين التقريرين اللذين يدينان أسيادهم أم أنهم ليسوا فى حاجة للاطلاع عليهما لعلمهم المسبق بالمخطط الأمريكى للحرب ضد الإسلام؟!.

وهل حقا أن لهؤلاء العملاء شعبية فى الشارع المصرى؟!.

حتى الآن فشل العملاء فى حشد أى نسبة تأييد لهم بل لاحقت قياداتهم الفضائح المشينة وبشكل جعلهم يزدادون سقوطا فى أعين الناس وجعلتهم يتساءلون: هل يصلح من فشل فى ضبط شئون بيته أن يضبط شئون دولة.

وأحسب الآن أن شعب مصر صار اليوم - أكثر من أى يوم مضى - يدرك حقيقة ما يراد به.. وأبدا لن نرضى بأن يحكمنا عميل يدين بالولاء للولايات المتحدة الأمريكية وشريكتها إسرائيل.

وكما تمسكت إسرائيل عبر تاريخها كله بأن يحكمها جنرالات خاصة فى وقت الأزمات، فإننا فى مصر نتمسك بأبطالنا ونلتف حولهم ونلفظ من بين صفوفنا الخونة والعملاء.

أحمد تقى الدين

---

(٢) نشر نص التقرير فى صحف: الأخبار - الأهرام - الجمهورية - المساء - الشرق الأوسط - الحياة، الصادرة يوم الخميس ٢٦ من مايو ٢٠٠٥.

الأريحية المحمدية

من القارئ: شعبان عبدالعال إبراهيم - محافظة المنيا - بنى حسن الشروق كانت تلك الكلمات التى جاءت تحت عنوان: «الأريحية المحمدية»، قال:

كانت الأريحية الفياضة لسيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه هى الحلية الباطنة التى تمت بها حليته الظاهرة لعيون الناس، وهو جوابه لما كان له فى قلوبهم من حب وإعظام، وهى الآصرة التى تجمع بين قلبه وتلك القلوب فى نطاق الأسرة الإنسانية: يحبونه ويحبهم ويشعرون به ويشعر بهم، وليس قصارى أمره أنه وسيم، وأنه محبوب، وأنه مهيب.

وقد سرت هذه الأريحية فى صميم طويته فامتزجت طواعية بجميع خصاله وجميع أعماله وجميع علاقاته بالناس ولاسيما الضعفاء، فكان أحرص الناس على جبر القلوب وتطييب الخواطر وتوخى المواساة واجتناب الإساءة، يتفقد أصحابه كباراً وصغاراً ويسأل عنهم ويتحدث إلى ذوى الأقدار وعامة الناس فلا يحسب صغيرهم أن أحداً أكرم عليه منه، ويتحدث إليه من شاء فلا يقطع عليه حديثه وإن طال. وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس، ومن جالسه صابره حتى يكون هو المنصرف.

ومن سننه التى اتبعها وأوصى باتباعها أن يجيب دعوة من دعاه ولا يرد دعوة عبد ولا خادم ولا أمة ولا فقير، وفى ذلك يقول من وصاياه فى آداب الولائم والمحافل:

«إذا اجتمع الداعيان فأجب أقربهما باباً فإن أقربهما باباً أقربهم جواراً، وإن سبق أحدهما فأجب الذى سبق». سنن البيهقى الكبرى ج٧ / ٢٧٥.

دور المسنين

وعن دور المسنين كانت تلك الكلمة التى وافانا بها الأستاذ أحمد عبدالمحسن على - مدرس أول بمدرسة الأورمان الثانوية النموذجية بالدقى - جيزة، قال:

بعدما تغرب شمس العمر ويطعن الرجل أو المرأة فى السن يضيق بهما أقاربهما فيتركان الأولاد والأحفاد وينتقلان إلى أحد بيوت المسنين.

وهذا تقليد غربى أخذ يزحف على عالمنا الشرقى المسلم وذلك نتيجة تقلص الأخلاق والبعد عن الدين.

وهذه ظاهرة غريبة فى هذا العصر الذى سادته تقاليد الغرب بأن يترك الأب أو الأم البيت للابن يمرح به هو وزوجته. فى هذا العمل عقوق للوالدين وإن دل ذلك على شىء فإنه يدل على سوء التربية وجهلنا ببعض تعاليم ديننا الحنيف حيث بين القرآن الكريم أن بر الوالدين يلى عبادة الله قال تعالى:

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾

الأنعام/ ١٥١

ووجهت السنة المطهرة نظرنا إلى أن إكرام الوالدين يعين فى النوازل ويفرج الكربات وينجد الإنسان، كما جاء فى قصة الرفقاء الثلاثة الذين انسدت عليهم فتحة الغار بعدما أطبقت عليها صخرة ضخمة فدعا كل منهم بأرجى ما عمل فتحركت الصخرة ونجوا جميعا ببركة تقواهم، وكان أحدهم قد قال: اللهم إنه كان لى والدان شيخان كبيران، ولى صبية صغار، وكنت أرعى، فإذا رجعت إليهم وحلبت بدأت بوالدى أسقيهما قبل ولدى فما أبيت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب، وجئت بالحليب فقمت به عند رأسيهما وكرهت أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أبدأ الصبية قبلهما - والصبية يتضاغون عند قدمى - فلم يزل ذلك دأبى حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نر منها السماء).

ولن يصمد أمام هذا التيار (العدوان) الغربى المستمر إلا كيان صلب لا تهزه العواصف ولا تنال منه الأيام إلا وهو الأسرة المؤمنة.

إن التجمع الحقيقى يبدأ من الأسرة (الوالدين والأبناء والأقارب والجيران) قال تعالى:

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾

النساء/ ٣٦

جبل المقطم

ويطلب القارئ أحمد على - سيدى بشر - الإسكندرية - معلومات عن جبل المقطم ومكانته الدينية وما يحويه من أودية ومساجد، ونحيله فى هذا الصدد إلى ما كتبته الأستاذة الدكتورة سعاد ماهر فى كتابها القيم «مساجد مصر وأوليائها الصالحين» ونورد منه مقتطفات:

من مظاهر القاهرة الطبيعية الهامة جبل المقطم الذى يقع فى الجهة الشرقية منها، وقد تكون هذا الجبل فى العصور الجيولوجية القديمة نتيجة التواء طبقات الأرض شرقى نهر النيل فى شبه قوس متوسط الارتفاع تقرب قمته من القلعة حيث يبلغ ارتفاعه نحو ٢٤٠ مترا ويصل ارتفاع بعض أجزائه عند المعادى إلى ٣٧٥ مترا.

وحكى الإمام الليث بن سعد، أن المقوقس سأل عمرو بن العاص - رضى الله عنه - أن يبيعه جبل المقطم بسبعين ألف دينار، فكتب بذلك إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -

رضى الله عنه ـ فرد عمر قائلا: سله لمَ أعطاك ما أعطاك فيه وهو لا يزرع ولا يستنبط منه ماء؟ فسأل عمرو بن العاص المقوقس عن ذلك فقال: إنا نجد فى الكتب القديمة أنه يدفن فيه غراس الجنة فكتب بذلك عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين فرد عليه قائلا: أنا لا أعرف غراس الجنة إلا للمؤمنين، فاجعلها مقبرة لمن مات قبلك من المسلمين».

وهناك رواية أخرى تشبه فى مضمونها القصة السابقة، رواها سفيان بن وهب الخولانى قال: «بينما نحن نسير مع عمرو بن العاص فى سفح جبل المقطم وكان معنا المقوقس إذ قال له عمرو: ما بال جبلكم أقرع لانبات فيه على نحو جبال الشام، قال لا أدرى ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أغنى أهله بهذا النيل، وإنا لنجد فى الكتب القديمة ما هو خير من ذلك ياعمرو. فسأله عمرو: وما هو؟ قال: ليدفن تحته قوم يبعثهم الله يوم القيامة لا حساب عليهم. فقال عمرو. اللهم اجعلنى منهم.

وقد روى عن كعب الأحبار، أنه سأل رجلا يريد مصر فقال: اهد لى ترابا من سفح مقطمها فأتاه الرجل بجراب، فلما حضرت كعبا الوفاة أمر أن يفرش تحت جنبه فى قبره.

ويقول الكندى فى كتابه، فضائل مصر، إنه لما أخبر عمرو بن العاص المقوقس: برد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بالاحتفاظ بجبل المقطم وعدم بيعه قال له المقوقس: ما على هذا صالحتنى. فقطع له عمرو قطيعا نحو بركة الحبش «جنوب مصر القديمة».

وكان طبيعيا أن يلجأ الزهاد والمتصوفون إلى جبل المقطم يتخذون من سفحه مقاما ومن أوديته مناما بعد أن عرفوا مكانته، وأما عن الأودية التى به فمن أهمها وادى المستضعفين الذى كان يسيح فيه الشهور والسنين شيخ العارفين وسلطان المحبين الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض.

أما ما بنى بجبل المقطم من المساجد فلعل أقدمها المسجد المعروف بالتنور، ويقال إنه عرف بهذا الاسم لأنه بنى مكان تنور فرعون الذى كان توقد له فيه النار فإذا رأى أهل مصر النار عرفوا بركوبه فيجتمعون له، وقيل إن النار كانت توقد، بالطرفا واللبان والصندروس ليرتفع الوباء عن أهل مصر، ومن القصص التى تروى عن مكان هذا المسجد ما ذكره القضاعى إذ يقول: وجدت فى كتاب قديم أن يهوذا بن يعقوب ـ عليهما السلام، لما دخل إخوته على أخيهم يوسف عليه السلام فى قصة الصواع دخل إلى مكان وكان مقابل التنور فأقام به ثم خلا ذلك المكان إلى أيام الدولة الطولونية فأخذ ابن طولون علما بفضل هذا المكان فأمر بعمارة المسجد والمنار وجعل فيه صهريجا يخزن فيه الماء كما حبس عليه الأحباس، ويقال أيضا: أن تنور فرعون لم يزل بحاله حتى هدمه أحد قواد أحمد بن طولون.

وهناك مسجد دكة القضاة، قال القضاعى هى دكة مرتفعة عن المساجد فى الجبل كان القضاة بمصر يخرجون إليها لرؤية الأهلة وخاصة هلال رمضان ثم بنى مكان هذه الدكة مسجد عرف باسمها.

فى رثاء أبى

تحت هذا العنوان جاءت القصيدة التى كتبها الشاعر الدكتور: كمال عبدالباقى لاشين، الأستاذ بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر بالقاهرة، قال:

أبى إنْ ضمَّكَ اليومَ الترابُ
وحالتْ دونكَ الصُّم الصلابُ
بأرضٍ قفرةٍ لا إنسَ فيها
إذا أمسى الشجاعُ بها يهابُ
فقبل اليوم ماقد كنتَ فينا
أصيلَ الرأى يألفُكَ الصوابُ
وقبل اليوم يا من كنتَ فينا
حكيماً لا يطيشُ له لبابُ
وقبل اليوم يا من كنت فينا
جواداً دونكَ البحرُ العُبابُ
أقول: أبى فيلحظُنى وتُطوى
نواظرُهُ كما يُطوى الكتابُ
ووددتُ جوابه لأطيبَ نفسا
وأنى أن يكون له جوابُ؟!

فصبرى عنك فى الدنيا عجيبٌ
وبعد رحيلكَ العجبُ العُجابُ
لقد حملتهُ للمثوى رقابٌ
وودَّتْ لو تفدّيه الرقابُ
نُهيلُ عليه تربَ القبر ظُهرا
ورُوى من مدامعنا الترابُ
تواردَنا المنايا من قديمٍ
كما تتواردُ الإبلُ السغابُ
وكل مسافر سيئوبُ يوما
وسفرُ الموت ليس لهم إيابُ
إذا قال الفتى: ها قد بلغنا
فيوشك أن يكون له ذهابُ
عرفتُكَ يا أبى حُلوَ السجايا
كأن طباعكَ العسلُ المُذابُ

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصا من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق فى اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا بمشيئة الله تعالى.



أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى

أمريكا تتجاهل التنكيل بمسلمى الصين

اتهمت جماعات حقوقية دولية ومحلية الحكومة الأمريكية بالصمت إزاء القمع الذى تمارسه الحكومة الصينية ضد الأقلية المسلمة، حيث ذكرت وكالة الأنباء الفرنسية فى تقرير بثته مؤخرا عن أوضاع المسلمين بإقليم «شينجيانغ» أن جماعات حقوق الإنسان المحلية والدولية صعدت من تحذيراتها بشأن خطورة الوضع فى منطقة «اليوجور» الغنية بالنفط والمعادن.

وكانت منظمة «هيومان رايتس ووتش» - مقرها نيويورك - قد أوضحت فى تقرير لها أن بكين استغلت ما أسمته واشنطن «الحرب على الإرهاب» كغطاء لتشديد السيطرة على مسلمى «اليوجور» بإقليم «شينجيانغ» وشن حملات اعتقال وتعذيب وأحيانا الإعدام بين صفوف هؤلاء المسلمين، مشيرة إلى أن الحكومة الصينية تستخدم أوصافا مثل «انفصالى» و«إرهابى» لتبرير قمعها الدينى لمسلمى اليوجور.

ناشر قاموس «ويبستر» يسيئ للإسلام

دعت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «ايسيسكو» ناشر القاموس الإنجليزى «ويبستر» إلى تصحيح الأخطاء والافتراءات والمغالطات عن الإسلام والمسلمين التى تضمنتها الطبعة الجديدة من القاموس وأعربت المنظمة فى رسالة وجهتها لناشر القاموس عن استنكارها وإدانتها لما ورد فى هذه الطبعة من إساءة بالغة إلى الدين الإسلامى ومن اتهامات باطلة للعرب وللمسلمين ووصفهم بصفات بذيئة ومن ادعاءات فاسدة وشبهات مردودة فى حق الثقافة الإسلامية مما يتعارض مع الأمانة العلمية والنزاهة الأكاديمية.

ودعت «الإيسيسكو» رئيس تحرير قاموس «ويبستر» إلى تدارك تلك المغالطات والافتراءات فى ملحق خاص أو إصدار طبعة جديدة من القاموس نظيفة من تلك الافتراءات كما طالبت بضرورة اعتذار رئيس التحرير باسم المؤسسة للمسلمين فى العالم.

إصدار موسوعة إسلامية باللغة الروسية

أعلن معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الروسية عن اعتزامه إعداد موسوعة إسلامية باللغة الروسية بعد أن باتت الحاجة ماسة إليها الآن فى ظل الصحوة الدينية فى بلد يقطنه (٢٠ مليون مسلم).

وصرح الدكتور «روستسلان ريباكوف» مدير المعهد بأن علماء الاستشراق الروس بدأوا بالفعل فى إعداد الموسوعة ومن المقرر أن يصدروا فى البداية معجما موسوعيا إسلاميا كبيرا سيتم توسيعه لاحقا إلى موسوعة تتألف من عشرة مجلدات.

توزيع الحجاب مجانا فى مدارس سيرلانكا

أفادت صحيفة سيرلانكية أن المسلمات فى المدارس العامة فى «سيرلانكا» سيحصلن على الحجاب مجانا بناء على اقتراح أحد وزراء الحكومة السيرلانكية.

وقالت الصحيفة وتحمل اسم «ديناميا»: إن رئيس سيرلانكا وحكومتها قررا تزويد طالبات الأقلية الإسلامية بالحجاب مع الزى المدرسى الذى توزعه الدولة مجانا وتبلغ نسبة المسلمين فى سيرلانكا بحسب إحصائية رسمية (٥,٧٪) من الشعب بينما تبلغ نسبة البوذيين ٧٠٪.

افتتاح أكبر مسجد فى أمريكا

افتتح المسلمون الأمريكيون فى «ديترويت» أكبر مسجد فى الولايات المتحدة تكلف بناؤه (١٢ مليون دولار) يتسع المسجد الجديد لأعضاء المركز الإسلامى فى المنطقة الذين يزيد عددهم على (٣٠٠٠) عضو مع إتاحة مساحة كافية للصلاة والأنشطة الثقافية ليصبح هذا المسجد منارة للوجود الإسلامى فى الولايات المتحدة الأمريكية.

ويقطن فى مدينة «ديترويت» وضواحيها أكثر من نصف مليون أمريكى من أصل عربى ويعيش أكثر من (٣٠ ألف) أمريكى من أصل عربى فى ضاحية «ديربون» حيث يقع المسجد الجديد.

وسيضم المسجد الجديد الذى تبلغ مساحته نحو (١١١٥٠) مترا مربعا، مصلى يتسع لأكثر من (٧٠٠) رجل ومصلى علويا للسيدات يتسع لنحو (٣٠٠) مصلية وستكون هناك أيضا مساحة تتسع لجلوس ألف شخص.

تحقيقات تكشف وحشية السلطات التايلاندية ضد المسلمين

كشف تحقيقان مستقلان أجريا حول مقتل نحو (٢٠٠ مسلم) فى تايلاند العام الماضى عن الاستخدام المفرط للقوة ضد المسلمين فى جنوب البلاد والتهاون فى منع الانتهاكات التى تعرضوا لها وجاء فى أحد التحقيقين أن الحكومة لم تسمح للمفاوضات أن تأخذ مجراها واعتمدت على مبدأ القوة المفرطة مع أحداث مينة «فاطانى» جنوب البلاد والتى كان من ضمنها المذبحة التى ارتكبتها قوات الأمن التايلاندية ضد مسلمين تحصنوا داخل مسجد «كروى سى» أسفرت عن مقتل نحو (٣٢ مسلما).

وحدد التقرير أحد عشر من كبار المسئولين المتورطين فى حصار المسجد بمن فيهم نائب وزير الداخلية السابق وأربعة من كبار قيادات الجيش السابقين.

وقال رئيس الوزراء الأسبق ورئيس لجنة المصالحة الوطنية: «إن الفضائح التى اشتمل عليها التحقيقان تعد مجرد بداية لكشف الحقيقة فى بلدنا».

وكانت مواجهات عنيفة قد اندلعت بين قوات الأمن التايلاندية ومسلحين مسلمين ينتمون إلى حركة تحرير فطانى المتحدة «بولو» فى مدينة فطانى «باتنى» كما يسميها الإعلان الغربى وقتل خلالها (١٠٨) من الشباب المسلم من بينهم هؤلاء الذين قصفوا داخل مسجد «كروى سى».

كما انتقد التحقيق الثانى الأسلوب العنيف الذى تعاملت به قوات الأمن التايلاندية مع مظاهرات «تاك باى» التى قتل فيها (٨٧) من المتظاهرين المسلمين؟.

وكان نحو (٣٠٠ مسلم) قد تظاهروا أمام أحد مراكز شرطة ولاية «ناراثيوات» ذات الأغلبية المسلمة فى جنوب تايلاند احتجاجا على حملات الاعتقالات التى تجرى بشكل منظم ضد المسلمين.

من جانبه انتقد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى «أكمل الدين إحسان أوجلى» بشدة تواصل أعمال العنف الدموية التى ترتكب بحق المسلمين فى جنوب تايلاند.

وقال: «العنف يتواصل ضد المسلمين على الرغم من الدعوات التى أطلقتها منظمة المؤتمر الإسلامى والمجتمع الدولى للحكومة التايلاندية لإنهاء الانتهاكات التى هددت حياة المئات من الأشخاص».

يذكر أن عدد المسلمين فى تايلاند يبلغ ٥٪ من إجمالى السكان الذين يدينون بالبوذية ويعيش غالبية المسلمين فى المقاطعات الجنوبية من البلاد بمحاذاة ماليزيا وتعد مقاطعات «فاطانى، يالا، ناراسيوات» مراكز لتواجد المسلمين إلا أنهم يعانون فيها من أشكال مختلفة من التمييز ضدهم خاصة فى مجالات التعليم والوظائف والاستثمار.

حملة تنصير واسعة يتعرض لها الشعب العراقى

يتعرض الشعب العراقى لحملة تنصير واسعة النطاق لاسيما الأكراد فى الشمال حيث عبرت الحركة الديمقراطية الآشورية «المسيحية» فى العراق عن مخاوف من الآثار السلبية المترتبة على حملة تجرى فى إقليم كردستان العراق لتنصير أكرادها المسلمين وأكدت الحركة الديمقراطية الآشورية فى بيان مشترك مع الاتحاد

الإسلامى الكردستانى إدانتها واستنكارها لأية محاولة تنصيرية استفزازية فى كردستان.

وقال البيان: إنه ظهر فى الفترة الأخيرة حركة غربية جاءت من خارج البلاد باسم «تنصير الأكراد المسلمين» وشدد البيان على أن هذه الممارسات تستهدف المسيحيين والمسلمين على حد سواء وتتسبب فى خلق التوتر بين الجانبين.

جدير بالذكر أن أوساطا إسلامية فى كردستان العراق تتهم جهات أجنبية بتنظيم حملات لتنصير الأكراد العراقيين وأكدت أنها تقوم بإدخال العشرات من الأكراد المسلمين إلى دورات تنصيرية فى كنائس خاصة بعد إغرائهم بالمال واختيار المتميزين منهم وإرسالهم إلى الفاتيكان ليعودوا مبشرين، مشيرة إلى وجود مقرات خاصة لإدارة شئون هذه الدورات فى ثلاث مناطق فى كردستان.

وأوضحت هذه الأوساط أن مؤتمرا للأكراد المتنصرين قد عقد فى مدينة أربيل واستمر لمدة يومين ووصفت المؤتمر بأنه استفزازى.

وقالت مصادر عراقية: إن منظمة «أكرون» الأجنبية المدعومة من الفاتيكان تقوم بإدخال العشرات من الأكراد المسلمين إلى دورات تنصيرية فى كنائس خاصة بعد إغرائهم بمبالغ تصل إلى (٦٠٠) دولار فى الشهر فيما يتم اختيار بعضهم وإرسالهم إلى الفاتيكان، وقال مركز «وطن» الإعلامى: إن هناك حاليا مقرات خاصة لإدارة مثل هذه الدورات وتقع فى ثلاث مناطق هى: «دهوك»، «عينكاوة» فى أربيل، والسليمانية.

معاداة الإسلام منهج أمريكى

أكدت منظمة «هيومان رايتس ووتش» الأمريكية أن الإهانة الدينية للمعتقلين أمر شائع فى المعتقلات والسجون الأمريكية ولا تتوقف عند واقعة تدنيس المصاحف التى تراجعت عنها مجلة «نيوزويك» وأكد «ريد برودى» مستشار المنظمة أن الولايات المتحدة أهانت فى جميع أنحاء العالم معتقلين مسلمين بالمساس بمعتقداتهم الدينية.

وأشارت المنظمة إلى أنها جمعت شهادات عديدة من معتقلين سابقين فى جوانتانامو ومترجمين أكدت جميعها تعمد المحققين الإساءة إلى المصاحف وإلقائها على الأرض وفى المراحيض.

مسلمو بريطانيا يتظاهرون احتجاجا على قانون مكافحة الإرهاب

نظم العشرات من مسلمى بريطانيا مظاهرة للاحتجاج على القوانين البريطانية المسماة بـ«قانون مكافحة الإرهاب» والتعبير عن رفضهم لتلك القوانين التى تعطى الحق لأجهزة الأمن القبض على أى شخص بمجرد الاشتباه فى تورطه فيما يسمى بـ«أعمال إرهابية»، وأكد المتظاهرون أن هذه القوانين تستهدف المسلمين دون غيرهم.

وتضمنت المظاهرات بعض الأشخاص الذين يرتدون الزى البرتقالى المميز لمعتقلى جوانتانامو فى إشارة إلى الرفض المطلق للانتهاكات التى تجرى بحق هذه الفئة والتى ألقى القبض على معظم أفرادها دون تهم محددة ولمبررات تتعلق بالأمن الأمريكى فقط أو الاشتباه فى علاقاتهم أو نواياهم لتنفيذ ما تزعم الولايات المتحدة وكذلك بريطانيا أنها أعمال إرهابية.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر: الإرهاب إفساد فى الأرض

استقبل فضيلة الأمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير صالح إلفاموف سفير أوزباكستان بالقاهرة حيث رحب فضيلته بالضيف فى الأزهر الشريف، وقد أبلغ سعادة السفير تحيات فخامة الرئيس إسلام كريموف رئيس جمهورية أوزباكستان لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ولعلماء الأزهر مشيداً بزيارة فضيلة الإمام الأخيرة لدولة أوزباكستان والتى كان لها آثارإيجابية فعالة لدى حكومة وشعب أوزباكستان، كما أبلغ فضيلته تطلع رئيس وحكومة وشعب أوزباكستان لزيارة فضيلة الإمام الأكبر لدولة أوزباكستان فى الوقت الذى يناسب فضيلته ويحدده وحينئذ تأتى الدعوة الرسمية من السيد رئيس الوزراء، ومن جانبه أعرب فضيلته عن اهتمام الأزهر الشريف بأبناء المسلمين الذين يدرسون بالأزهر الشريف من شتى بقاع الأرض وخاصة من دولة أوزباكستان حيث يدرس بالأزهر ٤٥ طالبا فى شتى مراحل التعليم، وللأزهر بعثة من العلماء بجامعة اللغات العالمية والجامعة الحكومية يتعاونون فى التدريس مع علماء أوزباكستان فى تدريس المواد الشرعية والعربية التى تمتاز بالوسطية والاعتدال، والتى تبين أن الإرهاب نكبة دينية، ودنيوية، موضحاً أن الأرهاب هو إفساد فى الأرض وقتل للأبرياء، وتخريب للمساكن وإتلاف للمزارع، وتدمير للمصانع ولكل ما من شأنه أن ينفع الدولة، وهو عمل منكر وبغيض ومخالف للقوانين الوضعية وللشرائع السماوية، والدولة العاقلة هى التى يكثر فيها عدد العقلاء الذين يبنون ولا يخربون ويصلحون ولا يفسدون، والإسلام يمد يده بالسلام الى كل من يمد يده إليه بالسلام، والإسلام دين السلام والأمان، دين يحافظ على سلامة الفرد ومشاعره، ويقاوم الإرهاب بكل صوره وأشكاله وألوانه، واستتباب الأمن فى الأمة أمر مطلوب لاستقرارها وأمنها وسلامتها، وأى أمة فى حاجة إلى التجمع والاعتصام بحبل الله وشريعته تبين أن سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، ومن يفهم الإسلام فهما صحيحا يعلم أنه دين السلام والأمان والرخاء والاطمئنان، وقد وعد فضيلته بتلبية الدعوة حين تتاح الفرصة -إن شاء الله تعالى-

الإمام الأكبر يستقبل المبعوث الشخصى لجلالة ملك الأردن

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف صاحب السمو الملكى غازى بن محمد المبعوث الشخصى والمستشار الخاص لجلالة الملك عبدالله الثانى بن الحسين ملك الأردن، وتأتى تلك الزيارة من منطلق التأكيد على دعم التعاون بين الأزهر الشريف والمملكة الأردنية الهاشمية، وتناول اللقاء الإجابة عن أسئلة واستفسارات سموه فى المسائل الشرعية المختلفة، وحكم من يفسرون الأحكام الشرعية على حسب أهوائهم وهم غير مؤهلين للفتوى، وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف أن الشريعة الإسلامية قد حددت الموضوعات الفقهية، وتناولتها بما يتفق مع الشرع وما يواكب تطورات العصر ومتغيراته وهذا من مرونة الشريعة الاسلامية، وكونها صالحة لكل زمان ومكان، وهى بهذا تحافظ على تماسك الأمة الاسلامية، وفى الوقت نفسه فهى تتصدى لذوى الآراء الهدامة التى تخالف الشرع الحكيم، وأما الذين يفتون بغير علم ويفسرون الأحكام الشرعية حسب أهوائهم الشخصية فإنهم يثيرون الفتن والضغائن التى من شأنها بث البلبلة فى النفوس وهذا يؤدى إلى الفرقة والتنازع والخلافات فى الأمة.

ويستقبل وفدا ماليزيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى الوزير ناصر حاج سكران الوزير بمكتب رئيس وزراء ولاية صباح الماليزية المكلف برئاسة الشئون الدينية الاسلامية والسيد سيد عباس رئيس مجلس الشئون الإسلامية، والوفد المرافق لهما، وقد رحب فضيلته بالوفد مشيداً بعمق العلاقات بين مصر ودولة ماليزيا، موضحا أنه يوجد طلاب من ماليزيا يدرسون بالأزهر الشريف وجامعته العريقة يبلغ عددهم ٧٥٠٠ طالب وطالبة وهناك ثمانية من علماء الأزهر موفدون إلى دولة ماليزيا يقومون بتدريس اللغة العربية والعلوم الشرعية.

ويوجد علماء من ماليزيا يحضرون الدورات التدريبية التى يقيمها الأزهر الشريف فى مصر، وقد خصص الأزهر لدولة ماليزيا عشرين منحة للدراسة بالأزهر هذا العام، مشيداً بخلق الطلاب الماليزيين ومداومتهم على تلقى العلوم والمعارف وحفظ القرآن الكريم وهم بذلك يمثلون القدوة الطيبة، وقد وافق الأزهر الشريف هذا العام على أن يلتحق الطلاب الوافدون بالقسم العلمى اعتبارا من العام الدراسى القادم وبذلك يكون المجال مفتوحا أمامهم لدراسة الطب والهندسة والعلوم والزراعة طبقا للمجموع الذى يؤهلهم لذلك.

ومن جانبه أعرب السيد الوزير عن سعادته بهذا اللقاء المثمر، وأنه ينقل تحيات رئيس وزراء وحكومة وشعب ماليزيا لفضيلة شيخ الأزهر ولعلماء الأزهر ويقدمون خالص شكرهم وامتنانهم لما يقدمه الأزهر الشريف لماليزيا فى النواحى العلمية، وقال إن عدداً كبيراً من أبناء ماليزيا الذين تخرجوا فى الأزهر الشريف يحتلون المراكز والمناصب العليا بالدولة، وقال: إنه يسعدنا أن نستقبل فضيلتكم بماليزيا فى أقرب وقت ممكن لأننا جميعا فى ماليزيا نتشوق لزيارتكم الكريمة لتلقى المحاضرات القيمة. وقد وعد فضيلته بتلبية الزيارة فى الوقت المناسب.

الإمام الأكبر يستقبل سفير رومانيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير مارسيل دينو سفير رومانيا الجديد بالقاهرة بمناسبة توليه العمل كسفير لبلاده فى مصر وقد رحب فضيلة الإمام بسيادته فى مصر وفى أزهرها الشريف موضحا أن الأزهر أبوابه مفتوحة ويرحب بالزائرين كما يرحب بالحوار وعلاقة الأزهر بدولة رومانيا علاقة وثيقة وتوجد بعثة من علماء الأزهر الشريف بالمركز الإسلامى ببوخارست يؤدون واجبهم هناك نحو توضيح صحيح الإسلام، وأعرب فضيلته عن سعادته للإفراج عن الصحفى الرومانى الذى كان محتجزا بالعراق مؤكدا على أننا فى مصر نرفض أية إساءة لأولئك الذين يذهبون للعراق من أجل مساعدة الشعب العراقى الشقيق فى البناء والتعمير وطالبنا مرارا وتكرارا بعدم تعرضهم للخطف أو القتل وطالبنا فى بيانات سابقة بالإفراج عن المختطفين وأكدنا على رفض تلك الأفعال.

ومن جانبه أشاد السفير بالأزهر الشريف ومكانته العالمية والعلمية وأنه مؤسسة إسلامية منذ القدم تشتهر بعلمها وبعلمائها الأفاضل، مشيدا بلقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بوفد الكنيسة الرومانية الذى زار الأزهر وأفصح عن اهتمامه بنشاطات الأزهر للحوارات التى ينظمها لتوضيح سماحة الأديان السماوية، معربا عن سروره بتواجده فى مصر وشعوره بالأمن والأمان ومشاهدته بما يسود المجتمع المصرى من حب وطهارة وحسن معاملة وقد ظهر لى هذا الحب من خلال جموع المسلمين فى صلاة الجمعة والجموع الغفيرة التى تؤدى الصلاة مؤكدا بأنه لا توجد قوى سياسية أو منظمة حكومية تستطيع أن تجمع الناس مثلما يجتمعون بقوة الدين لأداء الصلاة وهو ما نراه من تصرفات المسلمين والبالغ عددهم نحو ٦٠ ألفا يتمتعون بكامل حقوقهم الدينية وحرية العبادة مكفولة لهم كما يمثلون فى البرلمان الرومانى ويشاركون فى أداء واجباتهم كمواطنين ولهم نشاط إيجابى ملموس فى العمل مع الحكومة الرومانية وقد اتضح ذلك من خلال مساعيهم للإفراج عن الصحفى المحتجز بالعراق حتى تم إطلاق سراحه، كما أضاف أنه سعد بما سمعه من رئيس رومانيا عندما قدم الشكر للجالية العربية للمساعدة فى الإفراج عن الصحفى الرومانى وهذا العمل له أهمية للرأى العام الرومانى ويظهر مدى فاعلية رجال الدين ودورهم فى العديد من الأمور وفى نهاية اللقاء شكر سيادة السفير شيخ الأزهر على هذا اللقاء وإتاحة هذه الفرصة الثمينة.

الإمام الأكبر: التعاون يجب أن يسود بين الجميع من أجل السلام

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيدة مارى ايزنهاور الرئيس التنفيذى لجمعية الناس للناس والوفد المرافق وعددهم ٨٠، وهم ممثلى دول الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا وألمانيا وذلك دعما لمعسكر السلام الثانى الذى تنظمه الجمعية بالتعاون والتنسيق مع حركة السيدة سوزان مبارك الدولية للمرأة من أجل السلام والتى تحث على بناء أواصر الصداقة والتفاهم بين الشعوب ونشر رسالة السلام التى هى رسالة كافة الأديان السماوية وقد رغب الوفد فى لقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف للاستماع إلى آرائه الحكيمة

التى تعبر عن جوهر الإسلام وسماحته ووسطيته، ولتوضيح رسالة الإسلام عن السلام وبناء أواصر التفاهم والتعاون بين الشعوب المحبة للسلام وقد أوضح فضيلته بأن هذه الجمعية تحمل أهدافا لخدمة الإنسانية وهو أمر نحترمه جميعا بل ونعمل على تنميته وتقويته وهى حين تنتقل من مكان إلى مكان لنشر التراحم والأمان والسلام بين أبناء المجتمع الإنسانى فهذا أيضا أمر طيب يجب أن يسعى إليه المخلصون فى كل دول العالم وأن من أهدافها خدمة الأطفال والمحتاجين من الفقراء، وتقديم العون والمساعدة لأبناء المجتمع الإنسانى وهذا عمل نقدره ونحترمه وندعو إليه لأن الجمعية بهذه الأعمال تعمل بما أمرت به الشرائع السماوية والعقول الإنسانية السليمة.

ثم قدم فضيلته شرحا مبسطا عن نظام التعليم بالأزهر منذ الحضانة وحتى الجامعة وقال: إن الأزهر الشريف من خلال التعليم بمعاهده وجامعته ومن خلال علمائه المنتشرين فى معظم بلاد العالم يوضح للناس أنهم اخوة فى الإنسانية مهما اختلفت جنسياتهم وعقائدهم لأن الناس جميعا خلقهم الله ـ عز وجل ـ من أب واحد وأم واحدة ونوضح بأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون والتآلف والتراحم، كما نؤكد على أن الذى يحاسب على العقائد هو الله ـ عز وجل ـ وأن لكل إنسان عقيدته ولا إكراه على العقائد، وأن التعاون يجب أن يسود بين الجميع وذلك من أجل نشر السلام والأمان والأخوة الإنسانية بين بنى البشر، كما نوضح دائما أن الأديان جميعها والعقول الإنسانية السليمة ضد الإرهاب والتعصب والعنصرية، لأن من حق الناس جميعا أن يعيشوا فى أمن وسلام كما أن الاهتمام بنشأة الطفل ورعايته والاهتمام بجسمه وعقله يعد من الأساسيات الطبيعية لنشأة وتطور الدول وهو ما تدعو إليه الأديان، وأكد أن التعاون يجب بين الرجل والمرأة، وبين الكبير والصغير وبين الغنى والفقير وبين أهل الشرق والغرب وأهل الشمال والجنوب، وبهذا يسود الأمان وينتشر الرخاء بين أفراد المجتمع الإنسانى وهذا ما يدعو إليه الأزهر الشريف الذى عمره الآن أكثر من ألف عام.

الإمام الأكبر يستقبل نائب رئيس وزراء سنغافورة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / تونى كان كينج يام نائب رئيس الوزراء السنغافورى والدكتور يعقوب ابراهيم وزير البيئة والشئون الإسلامية بسنغافورة والوفد المرافق لهما وقد رحب فضيلته بالوفد مشيداً بخلق أبناء سنغافورة الذين يدرسون بالأزهر الشريف الذى تمتاز الدراسة به بالوسطية والاعتدال واليسر،، والابتعاد عن التعصب والعنصرية، وأثنى على التقدم الذى تحظى به دولة سنغافورة وعلاقتها الطيبة بجيرانها بفضل علمها وثقافتها ورجاحة عقول أبنائها، وهى بذلك أصبحت مركزاً هاماً فى العالم كله، كما قدم شرحا مبسطا لنظام التعليم بالأزهر الشريف والذى يمتاز بتدريس العلوم الإنسانية والرياضية إلى جانب التوسع فى العلوم العربية والشرعية وحفظ القرآن الكريم، ليكون الطالب فاهما للحياة الإنسانية ومدركا بأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون المثمر البناء ليسعد الناس بحياتهم ويعمرون بلادهم ويسعون لتنميتها وازدهارها كما تعملون فى بلادكم، كما نهتم بتعليم ابنائنا بأن الأديان السماوية ضد الإرهاب وضد العنف وضد القتل وضد العدوان وضد الظلم، وأن على الإنسان أن يحب الخير لغيره كما يحبه لنفسه، ويوجد بالأزهر الشريف ٦٠ طالبا وطالبة من دولة سنغافورة، وفى الأزهر كليات للغة العربية وأصول الدين والشريعة والدعوة والطب والهندسة والزراعة واللغات والعلوم وجميع الكليات التى فى الجامعات الأخرى موجودة فى الأزهر الشريف ولدينا فى الأزهر طلاب من أكثر من مائة دولة يدرسون فى معاهده وجامعته.

Peace as a Goal

The ultimate goal of the man of sincere, hearty belief cannot be represented in worldly gains; such a man aspires to what is beyond that. That is, belief in Allah, the Ever-Just and the Ever-Merciful, makes man aspire to see the prevalence of mercy and justice in this world in order to realize the desired peace seen in the above-mentioned three forms. Hence, the ultimate goal of the Muslim in life, death, prayer and deeds is Allah, the Creator and the source of every peace. Allah, the Almighty, says:

{Say, "Surely my prayer, and my rites, and my living, and my dying are for Allah, the Lord of the worlds.} [Al-An`am (Cattle): 162]

In this respect, the Noble Qur'an calls those following different religions to unite in their belief in the existence of only one God worthy of worship, Allah, and to associate no one with Him, and not to believe in the divinity of others but Him.

{Say, "O population of the Book, come to a level word between us and you, that we worship none except Allah, and that we do not associate anything with Him, and that some of us do not take to themselves others as Lords, apart from Allah."}

[Al-`Imran (The Household of `Imran): 64]

Allah, the Almighty, states clearly the freedom of creed, as He says:

{There is no compulsion in the religion.} [Al-Baqarah (The Cow): 256]

This is because religion is man's approach with all his free will towards Allah submitting to His will; Allah says:

{So whosoever decides, then let him believe, and whosoever decides, then let him disbelieve.} [Al-Kahf (The Cave): 29]

Thereupon, we can conclude that the goal of the religion is to build a society in which peace and justice prevail. We can witness that our world today is more aware of the necessity and importance of establishing peace for the benefit and good of the world.

The Launching Point towards Peace

The starting point towards peace, according to Islam, is represented in the individual seeking peace, not only for himself/herself but also for the surrounding world. This is out of the individual's confidence that the source of all peace is Allah Who will spiritually enable him/her to struggle for achieving peace. Here, we should note that the human reason, which is a gift from Allah, is the most supporting feature for man in undertaking the responsibility for fulfilling such a great mission. This is only when man gives his intellect the opportunity to practice a complete role in life.

In this connection, the essential moral teachings, in any of the heavenly religions which involve the protection of the basic human rights, are regarded as a crucial condition for the humanity of humans, the development of their spirituality and the enhancement of their efforts toward peace. That is the reason why the Prophet of Islam (may the blessings and peace of Allah be upon him) stresses on the importance of love among people, as he says, *"Love for your (Muslim) brother what you love for yourself."* He also considers this a condition for being a true Muslim. Hence, when we say that man is required to be responsible for whatever he does, this does not mean that he is not responsible for whatever may happen outside the range of his responsibility. This means that when we see an injustice befalling an individual, a group or a nation, we are obliged to prevent such an injustice in a practical way and if we cannot do that, then let it be in words, and if we cannot do that, then let it be, at least, with heart. Through that, we perceive that the Prophet expresses struggle against evil and injustice, in all their forms, whether through deed, word, or even heart, and this is according to each person's capacity. He considers these three forms as of faith, as faith is closely related to good deeds. Additionally, this is what the Noble Qur'an stresses on in a very clear way. From that we can conclude that both faith and good deed refer to the right path leading to peace.

was unjust and wrong, for the result would be death. However, that believing man could not conceal the truth, for his believing conscience was too strong to be suppressed. In such a critical situation, wisdom was needed. Hence, the caller to the truth began to pave the way before the people saying that Moses came with many miraculous acts and signs, and none of them would deny that. Nevertheless, he did not want to stress on the manifest signs alone, as Fir`awn did not pay any attention to them, so the caller referred to them to just remind people of them. He continued with the method of a man who would judge and balance between two different things. He said (as expressed in the Qur'an), "In case he is a liar, then his lying is upon himself, and in case he is sincere, somewhat of that which he promises you will alight on you." In other words, if Moses is a liar, then he will bear the consequences alone, but if he is truthful, the people will benefit from the fruits of his call.

From this discussion about the caller and what should his method be, we can derive some lessons. First, the caller has to call to Allah with wisdom and good admonition, and to argue in the fairest manner. Second, the caller has to see the ground on which he stands when arguing, and to know the public spirit of the society in which he reveals the essence of his call, so that he can introduce the irrefutable proofs of what he calls to. Third, the caller has to make use of the weaknesses of the oppositions and refute them with apparent evidence. Fourth, the caller should stick to the right, for no matter how long the argument takes as long as the result is revealing the truth.

*Islam and World Peace..!

By: Dr. Mahmoud Hamdy Zaqzouq

Peace Concept in Islam:

Since the beginning of creation, Allah has sent His Messengers and Prophets with the Revelation to guide the people to the right path and to keep them away from the wrong, misleading one. Also, Islam stresses on believing in all the Prophets and Messengers who have delivered Allah's Message to the people. Moreover, all the Divine Messages involve Allah's love for His creatures through calling them to follow His moral and religious instructions for their benefit. All such instructions aim at directing people towards the way of peace which is the same way leading to the source of peace, Allah.

The Islamic concept for peace can be summarized in three different interactive circles. The first circle is represented in the psychological peace inside man. That kind of psychological peace can be afforded through the second circle, which involves peace with Allah as well as peace found in the religious creed. The two circles make way for the third circle, which is peace with others and with the surrounding world.

Peace, according to the Islamic concept, is considered a human deed and bliss from Allah granted to humans at the same time. Moreover, Allah describes Himself as *'As-Salaam'* (i.e., The Peace), and Muslims' greeting is *'As-Salaam Alykum'* (i.e., peace be with you). Furthermore, the Muslims end their prayer with *'As-Salaam Alykum'* once for the right side, representing the right part of the world, and once for the left, representing the left part of the world. This expresses the Muslims' wish that peace spreads all over the world.

* An article published (in Arabic) at Al-azhar magazine

The Caller at the Time of Difficulty..!

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

{And a believing man of Fir`awn's household who kept back his belief said, "Will you kill a man because he says, 'My Lord is Allah'; and he has come to you with the clear evidences from your Lord? And in case he is a liar, then his lying is upon himself, and in case he is sincere, somewhat of that which he promises you will alight on you. Surely Allah does not guide him who is extravagant, a great liar.}

[Ghafir (The Forgiver): 28]

The case of the caller to Allah differs according to the conditions and the surroundings. For more illustration, whoever calls to Allah among people close to him as regards feelings and attitudes, bearing in mind that he is more experienced and knowledgeable than any of them and that he wants to inform them about that of which they have no knowledge, finds before him a paved way as there is a kind of mutual trust.

Another case is when the caller deals with fair and neutral people, who listen to his talk in order to verify his speech and arguments insightfully. In such a case, the caller is obliged to introduce his argument and proofs in a proper and very clear way. The caller will reach his goals if he goes on in his right way due to the idea that such people are willing to listen to the truth when it comes to them clear not distorted. Here, we have to note that the effort exerted by the caller when dealing with these people is more than what is supposed to be exerted with people who exchange with him the feelings of trust. There is a third case which demands the caller's utmost effort. This is when the caller speaks with opponents or even enemies.

This is due to the fact that they will in no way listen to the truth when it comes from the mouth of a truthful and loyal person. That is, they do not feel satisfied with the truth as it spoils their unjust methods and aggressive attitudes. In such a case, the caller should show patience and handle the situation wisely. He should not get angry; rather, he has to make use of all the attributes and means leading to success. No one can deny that the caller, in such a case, shoulders a burden that tires even the strong. Nevertheless, he should be persistent in order to collect the fruitages of victory.

With regard to the last case, the Noble Qur'an presented a great example of such a patient caller seeking Allah's reward, when he faced the most aggressive people using logic and following the right way so as to clarify his opinion before a people who could not stand the word of truth and tended to follow the wrong. That happened when Fir`awn (Pharaoh) did not like Moses when he called people to follow the truth. That is because Fir`awn saw the influence of Moses on the people and the miraculous acts he came with. When Fir`awn saw that he could not refute the arguments and proofs introduced by Moses, he thought of doing a positive act through which he could eliminate the coming danger, so he gathered his people and said (as came in the Qur'an):

{Leave me (alone), to kill Musa (Moses), and let him invoke his Lord. Surely I fear that he may exchange your religion or that he may cause corruption to appear in the land.}

[Ghafir (The Forgiver):26]

Among the people present before Fir`awn at that time was a man who actually did not follow the injustice of Fir`awn, but he would not dare to say to Fir`awn that he

instigate people to distort it. True are the Words of Allah in which He says:{And confound for them their religion}

[Al-An`am (Cattle): 137]

And:
{O population of the Book, why do you confound the Truth with the untruth, and keep back the Truth, and you know (that).} [Al-`Imran (The Household of `Imran): 71]
The USA, claiming the possession of all the elements of civilization, art and love of beauty seeks to disfigure all that which is beautiful, mar all that which is harmonious, destroy all that which is greatly established and play with all that which is natural. When it chooses so for itself, it is up to it, but what is unbelievable is that we come to see one of the program presenters on one of the Arab satellite channels dedicate a special episode of his program to discuss the issue of women leading men in prayer. That program was introduced on Saturday 2, April 2005. The strange thing about this is that the presenter seemed so convinced of the validity of such an act. He said, "Women have given Friday sermons and led men in America and China: In your opinion, what will the following country be? Most of the viewers, who were requested to express their opinions, said, "What happens there is not permissible." He rudely says to them, "I am not asking you about the permissibility of the issue, but I am asking you about the next country where you think women are going to ascend the pulpit to give the Friday sermon then lead men in prayer." Indeed, it would be more befitting of him to invite one of the religious scholars to ask him about the legal ruling concerning such an issue instead of allowing himself to issue *fatwas*[1] and legislations. This is in addition to the fact that, by adopting such a strange attitude, he participates in spreading falsehood and corruption.

[1] *Fatwa* means a legal opinion issued by a *mufti* (Muslim scholar) in response to a layman's question on a point of Islamic law.

view allowing women to lead men in prayer. Such an act is considered in contradiction with the unanimous agreement of the Muslim scholars since the time of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), and up till the present." It was never reported, along Muslims' history, that a woman gave a Friday sermon or led Muslim men and women in prayer while standing side by side. The true religion, Islam, allows only men to lead people in prayer and to call for prayer. It also states that women, when performing prayer, are to stand in rows behind those of men. That is why Allah, Exalted be He, warns against such odd invented practices, as He says:

{Or even do they have associates who have legislated for them as the religion that which Allah has not given permission?}

[Ash-Shura (Counsel): 21]

Moreover, Allah's Messenger (may the blessing and peace of Allah be upon him) has forbidden following such an invented practice. He says, *"Whoever invents a new matter in our religion that is not of it shall not be accepted from him."* This is due to the Islamic rule stating, "As far as religious matters are concerned, following (i.e., to be accepted as is) is the only way permissible. By contrast, as far as worldly matters are concerned, inventing new matters is allowable."

If the USA is keen on guaranteeing the Muslim women's right in leading Muslims in prayer and giving sermons, it is more deserving of it to do so with the American women first; that is, it may permit the American women to assume the positions of priests and rabbis. We never heard of an American woman who assumed the position of a priest or a rabbi. Logically, "The one who does not own does not give." Ironically, we do witness that the USA which claims democracy, human rights and freedom – and, of course, the religious one – allows itself to violate the privacy of Islam and

disrespect against their religious rites and acts of worship. However, we should bear in mind and always remember the continuous attacks on Islam in the past, and the unrelenting attempts to eliminate it. Examples of this could be witnessed through what happened in Andalusia then the Western attacks represented in the Crusades against which the Muslims stood firmly and thus were able to overcome them. After such unsuccessful attacks, the Christian West realized that it would be impossible for it to get rid of Islam and Muslims through the use of force. Therefore, it resorted to other means including "Orientalism", so as to be able to penetrate into the body of the Islamic nations, and study the accurate details of Islam after having good command of Arabic their aim was not to derive benefits from it as an ideal heavenly religion achieving happiness for humanity in this life and eternal bliss in the Afterlife. It was to distort its image and keep people away from it. Their example is like a man who saw a beautiful drawing depicting the blue sky, the silver rills, the green trees and the efflorescent plants; however, instead of enjoying it, he began to mar it by putting irreconcilable, inharmonious colors on it with the aim of distorting its beauty and splendor.

During the eighteenth and nineteenth centuries Orientalism began to pave the way for the Christian West to occupy the Islamic countries. Their purpose was disuniting the Islamic countries, robbing their wealth, spreading ignorance, diseases and civilized backwardness in them. This paved the way for secularism to practice its activities, in putting religion out of people's life. As soon as the Christian West, under the leadership of the USA, succeeded in disuniting the Soviet Union and getting rid of communism, it began to look around searching for a new prey to devour. After finding its new prey represented in Islam with its high spiritual power, the Christian West declared war

against the 'Green Enemy,' a name it gave to Islam and Muslims. Through the events of the 11th of September 2001, it found an excuse to launch wide spread war against Islam and Muslims. The superficial reason for that war was to fight terrorism and prevent the spread of mass destruction weapons in the Islamic world. However its real, hidden reason implied 'economic, political and military goals' as described by the well-known writer Ibrahim Nafi` in his valuable book 'The Madness of the Green Danger and the Campaign of Distorting the Image of Islam.'

Moreover, the West has begun to concentrate on minimizing the influence of Islam and Muslims and threatening them with the use of nuclear weapons against them. In support of this, one of , the US Defense responsible (before the US occupation of Iraq), declared that his country might use such weapons in invading Iraq which they claimed to possess mass destruction weapons.

In addition, it happened that when discussing women's rights and democracy through 'The Big Middle East Project,' an American Secretary of the State, declared, "Our policy aims at enabling women to ascend the pulpit, give Friday sermon, and lead men in prayer." Indeed, that thing happened lately when a woman called Amina Wadood ascended the pulpit and led people, men and women, in the Friday prayer (18th March 2005). She led both men and women in prayer at one of the American churches. Even worse, some of those women who performed prayer behind her were unveiled. Such an act was received with great denial from all the Islamic world. The protestors standing outside that church carried placards saying "The prayer today in which men and women mingle together means hellfire tomorrow."

In this regard, the Grand imam, Dr. Muhammad Sayyid Tantawy the grand sheikh of Al- Azhar stated: "The majority of *Faqihs* (i.e., scholars of Islamic Jurisprudence) are not of the

AL-AZHAR MAGAZINE

Jumadal-Oula, 1426 A. H.

ENGLISH SECTION

June. 2005

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

The Greatness of Islam and the Ingratitude of Its Opponents..!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The greatness of Islam can be witnessed clearly in its respect for the religious privacy of the nations it reacts and deals with. Allah, Glorified be He, says:

{And do not dispute with population of the Book except in the fairest (manner).} [Al-`Ankabout (The Spider): 46]

Allah the Most High also says:

{And do not abuse the ones whom they invoke, apart from Allah, (or) then they would abuse Allah aggressively, without knowledge. Even thus We have adorned to every nation their deed(s).} [Al-An`am (Cattle): 108]

Moreover, He says:

{Allah does not forbid you, (as regards) the ones who have not fought you on account of the religion, and have not driven you out of your homes that you should be benign to them, and be equitable towards them.}

[Al-Mumtahanah (The Woman Tested): 8]

This is in spite of the fact that there is only one religion accepted by Allah, namely Islam; Allah says:

{Surely the religion in the Providence of Allah is Islam.}

[Al-`Imran (The Household of `Imran): 19]

And He also says:

{And whosoever in inequitably seeks for himself as a religion other than Islam, then it shall never be accepted from him.}

[Al-`Imran (The Household of `Imran): 85]

Nevertheless, the Muslims are commanded to respect the religions followed by others, and not to show any kind of abusive criticism or

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير
عادل رفاعى خفاجة

نائب رئيس التحرير
سيد وفا أبو عجور

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ - يوليه/ أغسطس ٢٠٠٥م - الجزء السادس - السنة الثامنة والسبعون

افتتاحية العدد

مُحَاضَرة لا تُنْسَى

بين الشرق والغرب

سمعتُ محاضراتٍ كثيرة فى شتى الندوات على مدى مُتطاول، وكان منها الجيِّد الممتاز الذى تفضَّل بإلقائه أعلام الفكر فى مصر من أمثال منصور فهمى وطه حسين والعقاد وأحمد أمين والمازنى.. وغيرهم ممَّن يشار إليهم بالبنان ولكنّ محاضرة فذّةً مما سمعت تركت فى نفسى صدىً لا أزال أحس رنينه إلى الآن، مع أنها ألقيت بنادى الصحفيين سنة ١٩٥٥ أىْ منذ خمسين عاماً، ولعل مما جعلنى أحاول مراجعتها بينى وبين نفسى أنها ترد على أخطاء لا تزال تتكرر إلى الآن، فالرجوع إليها يُصحح ترهات كثيرة يعترف بها مَنْ يجهلون التاريخ الإسلامى، ويتشيَّعون لآراءٍ زائفة لا تَثْبت للنقد الصحيح.

ومُقدمة أسوقها لظروف هذه المحاضرة الرائعة، فقد أقيمت بنادى الصحفيين ندوة علمية تحت عنوان «حياتنا بين الشرق والغرب» فى يوم الأحد ٢ / ١ / ١٩٥٥، حضرها كوكبة من الفُضَلاء، وقد كان من المتحدثين بها الأستاذ الدكتور أحمد زكى الأديب العالم الشهير، فاتجه بحديثه وجهةً لم تحزْ قبول الجمهور، لأنها أفاضت فى التحدث عن انحدار الشرق وارتقاء الغرب إفاضة انتهى منها الدكتور إلى أننا عالة على الغرب فى كل شىء وأنه إذا وجب أن نبدأ التقدم الحضارى فلا سبيل لنا إلا أن نتّبع خطوات الغرب فى كل شىء دون أن ننظر إلى ثقافتنا العريقة، وبالغ فيما اتجه إليه مبالغة، أحدثت ثورة فى نُفُوس المستمعين، وقد عَبَّر عن شعور الكثرة الغالبة منهم فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ

عبداللطيف السُبْكى، عضو جماعة كبار العلماء وكان بين شهود الندوة، فكتب كلمة بمجلة الأزهر (رجب ١٣٧٤هـ) قال فيها:



احمد أمين



احمد زكى

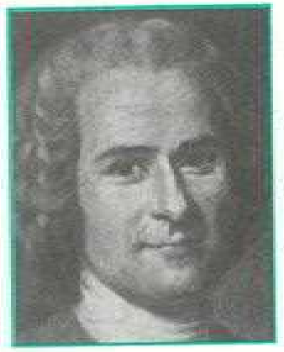


الشيخ عبداللطيف السبكى

«لقد كان سيئاً أن نسمع على لسان رجل كان مُديراً للجامعة أن مصر عالةٌ على الغرب فى كل شىء فى ماضيها وحاضرها جرياً وراء فكرة تدعو إلى الاستكانة إلى الغرب، وكأنه يستخف بالسامعين حتى بعث فى نفوسهم ثورة مكبوتة إلى نهاية الندوة»، ولكن الدكتور الكبير بحقَ الأستاذ الدكتور مصطفى الحفناوى أعقب حديثه بمحاضرةٍ رائعة ـ أحسن الله جزاءه ـ فدافع بالحق عن الحق، وللحق قوة تعصف بالباطل، وإذا كان حديث الدكتور الحفناوى مُرتَجلاً، فإن الأستاذ الكبير الشيخ عبداللطيف السُبْكى، حاول أن يجمع من تسجيله ما يفى بإيضاح فكرته الرائعة، وقد نشر ما اقتبسه من هذا التسجيل بمجلة الأزهر (رجب ١٣٧٤هـ)، ومع أنى كنت من شهود هذه الندوة الحافلة، ومن قراء مجلة الأزهر، فلم أفطن إلى نشر التعقيب الحاسم بالمجلة، مع أن صداه يتردد فى خاطرى منذ سمعته، ثم وقعْتُ عليه مصادفة حين كنت أراجع بعض السنوات، فأعدتُ قراءته فى شوقٍ ورغبةٍ فى إمتاع القُرَّاء بما قاله الأستاذ الكبير الدكتور مصطفى الحفناوى، سأقوم بتسجيل أبرز النقاط التى أكدها الأستاذ الدكتور الحفناوى، فأزْهق الباطل بلسان الحق، وللقارئ أن يرجع إلى مجلة الأزهر المشار إليها ليجد ما يرويه.

قال الدكتور الحفناوى بعد مقدمة هادفة: إن الدكتور أحمد زكى يقول إننا غربيون، وقد اقتبس الشرق من الغرب كل ما نفعه فى مضمار العلم والسياسة، فنحن نعيش عالة عليه فى كل شىء، سواء فى القديم والحديث، وأن مدنية الإغريق هى التى أوجدت حضارة العرب، ولولا هؤلاء ما كان للعرب أدنى فضل!.

عندما كان الناس يُباعون بيع السلع



روسو

وإنى لأتساءل ـ والكلام للدكتور الحفناوى ـ: إذ كنت أرجو أن يدلنا سيادته عن كتب الإغريق التى قرأها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وساعدته فى إقامة دولة عظمى، كانت ذات نظم رائعة فى السياسة والإدارة، وكنت أرجو أن يدلنا على السند التاريخى الذى أثبت أن حقوق الإنسان فى شريعة الإسلام والقرآن والحديث النبوى جاءت من شريعة الإغريق، لأن العكس هو الصحيح، فالناس فى عصور الرومان واليونان كانوا يُباعُون بيع السلع، فهل يستطيع أحد علماء القانون الدولى أن يأتى بقانونٍ غربىّ يقول فيه كاتبه ما قال القرآن:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾

[الحجرات / ١٣]

كان العبيد فى دولة الإغريق هم الأكثرية، ولا يُسمَع لهم رأى فى أى مَنْحَى من مناحى الإدارة والحكم، وكانت جمهورية أفلاطون تجعلُ الناسَ طبقات، للطبقة الأولى الحرية وللطبقة الثانية الطاعة والاستعباد!. وهذا كله قبل الإسلام!.. والبابوية لم تقتصر على الحفاظ على نظام الطبقات، بل راحت تبيع حُظُوظ الناس فى الآخرة، كما سلبت حقوقهم فى الدنيا، فَتُدْخِل الجنةَ مَن تشاء، وتحرم من تشاء، وجعلت طبقة الإقطاعيين، وهم مُلاَّك الأرض من النبلاء، والأمراء طبقة ثانية فوق طبقة العامة، تتحكم فيما دونها تَحكُّمَ المالك فى المملوك، أما الطبقة العُليا فهى طبقة الكُهَّان والقُسُس التى جعلتهم الواسطة بين الله والناس، ولذلك اضطربت أحوال العالم، واختلَّتْ الموازين حتى جاء الإسلام فأعلن ألا فضل لعَرَبىّ على أعْجَمِىّ إلا بالتقوى، وخرج المسلمون من جزيرة العرب يحملون رءوسهم على أيديهم، ولا يستهدفون غيرَ نشر كلمة التوحيد، وأحَسَّت الكنيسة أن تجارة صكوك الغفران لابد أن تبور فقامت بكل وسيلة لمحاربته بالأكاذيب واختلاق الافتراء على النبى ـ ﷺ ـ حتى زعم زاعم أنه كان قسّيساً مسيحياً ثم طُرِدَ، فألَّفَ ما سماه الإسلام!. ولم تَقُم الحُرُوب الصليبية إلا دفاعاً عن الكنيسة، ورغبة فى



نابليون

استعباد الشرق، ولكن مناعة الإسلام قد قهرت المعتدين فباءوا بالخذلان.

ثم هذا الاستعمار الأوروبى الذى جُعِل وسيلة لابتزاز الأموال والزروع والذخائر من الشرق، مَن الذى جعله حَقًا مشروعاً لأوروبا؟. إنها البابويَّة التى أخذت توزع بلاد الله على المُغامِرين من أوروبا، فاستطاع الرجل الأبيض أن يصل إلى آسيا وأفريقيا ليسفك الدماء، وقد جَمَعُوا القراصنة وحطموا الأسطول المصرى فى مياه الهند سنة ١٥٠٢ ثم ظهرت دول الاستعمار بدءاً من البرتغال، فأسبانيا، وحتى هولندا الدولة الصغيرة قد استمرت فى احتلال أندونيسيا أكثر من ثلاثة قرون، وانفجر البركان الاستعمارى حين اقتحمت فرنسا وانجلترا الميدان.

ديمقراطيات الاحتلال والعدوان

ثم جاءت الثورة التى تنادى بالحرية والإخاء والسلام فى أوروبا وقد سبقتها كتابات روسو وفولتير ومنتسكيو، وعُدَّ هؤلاء أبطال الحرية لأنهم نادوا بهذه المبادئ، وكل ما قالوه أعلنه محمد ـ ﷺ ـ فى حجَّة الوداع، وإذا كانت مفخرة روسو هى العقد الاجتماعى، فما هو فى صميمه إلا البَيْعة، سرق روسو موضوعها وصاغها بأسلوبه، ولم يزد عنه فولتير شيئا، وأضيف إلى ما قاله الدكتور الحناوى تعليقاً يسيراً هو: أن أوروبا قد هَلَّلَتْ لمبادئ الحرية والمساواة حين تحدث عنها روسو ونادت بها الثورة الفرنسية، لأنها لم تكن تعرف شيئاً عنها، أما الدول الإسلامية فلم نَرْ جديداً فيها، لأنها تقرأ القرآن وتعرف أن هذه المبادئ مقررة به قبل أكثر من ألف عام، وإذا تجاهلها بعض الطُغاة من الحاكمين، فليس معنى ذلك أنها لم تكن مقررة فى نفوس الناس جميعاً ولكن معناه أن الطاغى المستبد تجاهل حكم الله، وسيناله عقابه يوم الحساب، وقد اعترف فولتير فى كتاب «الأخلاق» بفضل عمر بن الخطاب وأثره فى تحقيق العدالة والمساواة، وإذا كانت الثورة الفرنسية قد أعلنت خروجها على الدين، فذلك الدين هو دين الكنيسة الذى استباح نظام الطبقات، وهو إهدار لآدمية بنى الإنسان، ومن أجل ذلك لم يكن عجباً أن تخلت فرنسا عن مبادئها التى أعلنتها، ووضعت خطة لغزو مصر بقيادة نابليون، ومن بعدها واصلت اعتداءاتها على

الدول الأوروبية نفسها، فضاعت القيَم التى أكدتها الثورة.

ولمّا استطاعت مصر أن تُجلى الفرنسيين فى سنة ١٨٠٢، وتُفوّت عليهم غرضهم الأهم، وهو شق القناة التى استقدم نابليون عدداً من العلماء بما سماه بالبعثة العلمية، وهدفه الحقيقى أن تُشق القناة لنجاح مشروع فرنسى به تحتل فرنسا دول الشرق، والذين يقولون إن علماء الحملة جاءوا من أجل ترقية الحالة العلمية بمصر كاذبون، إذ لم تقُم البعثة بمشروع واحد يدل على نهضة علمية، وكل تجاربها كانت خاصة بتقوية مركز الحملة، حتى إنشاء مجالس الحكم لم يكن لنشر الديمقراطية، بل كان للاستحواذ على طائفة من المصريين كى يُصْبِحُوا ألسنة للمحتل، فيُسْكِتوا غضب الشعب، وهذا ما خاب فيه ظنهم، حيث كان العلماء زعماء الثورة ضد الاحتلال الفرنسى بفضل الزعامة السياسية التى تمثلت فى شخص السيد عمر مكرم، وكان ـ رحمه الله ـ على رأس المثقفين من العلماء الذين قادوا الفكر المصرى فى القرن الثامن عشر، وساعدهم فى أداء رسالتهم أمران.

أولهما: العقيدة الإسلامية التى وقفت حائلاً دون تحقيق آمال نابليون فى امتلاك مصر، وجعلها نقطة ارتكاز للسيطرة على الشرق العربى.

والأمر الثانى: هو الخلافة الإسلامية التى سماها الاستعمار بالرجل المريض، وقد كانت تركيا مريضة فعلاً، ولكنها أقرب إلى مصر وجيرانها من عدو يريد أن يستنزف ثروات البلاد، ويجعلها مزرعة غلال!.

وحين اهتدى الأوروبيون فى القرن التاسع عشر إلى قوة البخار، ظهرت الرأسمالية الصناعية، وكان من همها ابتزاز ثروات الشرق لتغذية المصانع، ثم تُصْبح البلاد الإسلامية عربية وغير عربية سوقاً لبيع ما يفيض عن الاستهلاك المحلى، بل إن الاستهلاك المحلى فى الغرب لم يكن منظوراً له باعتباره هدفاً أول، إذ كان الهدف الأسمى هو امتصاص ثروات البلاد الشرقية، ووراء هذا الهدف المادى قرروا غزو العالم الإسلامى بحملات المُرابين، واستهووا الملوك والسلاطين بما أسموه المدنية الغربية، فعقدوا القروض بفوائد ربوية قاسية، ليأتى النفوذ الغربى لحماية مصالح المرابين، ولا يلبث هذا النفوذ أن تتبعه فرق مسلحة تحتل بلاد المسلمين طولاً وعرضاً، كما رأينا فى مأساة الاحتلال الانجليزى لمصر بعد أن غرقت فى ديون الخديوى إسماعيل، وبهذه الكيفية ضاعت مصر وضاعت غيرها من البلاد بما سمَّوْه «مدنية غربية».

حافة الهاوية

وقبل أن نتورط نحن العرب فيما يردده البعض من ضرورة الأخذ بتلك الحضارة الغربية، نريد أن نقف على رأى الغرب نفسه فى حضارته، وهل هو عنها راض، أم أنه ذهب ضحية لهذه المدنية المادية؟!. ثم مضى الدكتور الحفناوى يعرض آراء كبار المفكرين فى الغرب، الذين تنبأوا بانهيار الحضارة الغربية، وكان مما اختاره من هذه الآراء قول السياسى الألمانى الذى كان مستشاراً للرايخ الألمانى: «نحن الآن على حافة الهاوية، لأننا تقدمنا فى العلم حتى صرنا عبيد العلم، وبرعنا فى الاختراع، حتى صرنا عبيد الاختراع، وتمادينا فى استخدام الآلة، حتى صرنا عبيد الآلة.. ولم يبق لنا من أمل ينقذنا من هذا الفزع المدمر، إلا أن نؤمن بأن هذا الكون له خالق، وأن هذا الخالق العظيم قد وضع له قوانين، وما علينا إلا أن نسير طبقاً لهذه القوانين لنتخلص من عبودية المادة والآلة والاختراع، وبذلك تنجو الإنسانية من الهوة التى تقف على حافتها».

ولم تَنج الإنسانية من هذه الهوة، إذ اندلعت الحرب العالمية الثانية لتأتى على ملايين الأرواح بفعل الآلات الجهنمية التى هيأتها المدنية الغربية، فضاعت ملايين الأرواح، وخُربتْ مئات المدن، وامتلأت دول أوروبا ببقايا الأرامل والأيتام، والعجزة والمشوهين.

وختم الدكتور حديثه عن مسألة الحكم.. «فعرض لما يسمى بالشيوعية والديمقراطية والديكتاتورية والاشتراكية، وكلها نظريات مُنْهارة، ولسنا فى حاجة إليها، فعندنا إسلام «خالد على الزمن، وحجر الزاوية فى نظام الحكم الإسلامى هو أن الحاكم والمحكوم على السواء، يخشون الله فى السر والعلن، وحسْبُنا أن يؤمن الحاكم بأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ رقيب على تصرفاته. وبهذا الشعور لا نرهق أنفسنا بنظم دستورية نستمدها من الغرب، لأن الإسلام لدينا هو صمام الأمان».

هذه خطَرات صائبة مما حوت هذه المحاضرة القيِّمة، وهى تفتح العيون على أمراض الحضارة المادية التى تتفنن فى التكالب على الشهوات، وابتزاز الضعفاء، وإغرائهم بالسقوط، حيث لا يستطيعون ارتفاعاً عن النزوات الهابطة، ولا يلتفتون إلى مستقبل كريم تغمره الطمأنينة النفسية، ويعُمُّه الشعور التام بالعدالة والحرية والمساواة.. وهى الركائز الأولى فى سياسة الإسلام!

د. محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

قال تعالى:

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ ءَامِنُوا بِالَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوٓا ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

الآيات: ٧٢ : ٧٤

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

فأنت إذا تأملت فى هذه الآيات الكريمة تراها قد حكت عن طائفة من أهل الكتاب طريقة ماكرة لئيمة، هى تظاهرهم بالإسلام لفترة من الوقت ليحسن الظن بهم من ليس خبيراً بمكرهم وخداعهم، حتى إذا ما اطمأن الناس إليهم جاهروا بكفرهم ورجعوا إلى ما كانوا عليه، ليوهموا حديثى العهد بالإسلام أو ضعاف الإيمان، أنهم قوم يبحثون عن الحقيقة، وأنهم ليس عندهم أى عداء للنبى ﷺ بل إن الذى حصل منهم هو أنهم بعد دخولهم فى الإسلام وجدوه ديناً باطلاً وأنهم ما عادوا إلى دينهم القديم إلا بعد الفحص والاختبار وإمعان النظر فى دين الإسلام.

ولاشك أن هذه الطريقة التى سلكها بعض اليهود لصرف بعض المسلمين عن الإسلام من أقوى ما تفتق عنه تدبيرهم الشيطانى، لأن إعلانهم الكفر بعد الإسلام، وبعد إظهارهم الإيمان به، من شأنه أن يدخل الشك فى القلوب ويوقع ضعاف الإيمان فى حيرة واضطراب، خاصة وأن العرب - فى مجموعهم - قوم أميون ومنهم من كان يعتقد أن اليهود أعرف منهم بمسائل العقيدة والدين. فيظن أنهم ما ارتدوا عن الإسلام إلا بعد اطلاعهم على نقص فى تعاليمه. والمتتبع لمراحل التاريخ قديماً وحديثاً يرى أن الدهاة فى السياسة والحرب يتخذ هذه الخدعة ذريعة لإشاعة الخلل والاضطراب فى صفوف أعدائه.

قال الأستاذ الشيخ محمد عبده - رحمه الله: «هذا النوع الذى تحكيه الآيات من صد اليهود عن الإسلام مبنى على قاعدة طبيعية فى البشروهى أن من علامة الحق أن لا يرجع عنه من يعرفه. وقد فقه هذا، هرقل، ملك الروم، فكان مما سأل عنه أبا سفيان من شئون النبى ﷺ أن قال له: «هل يرتد أحد من أتباع محمد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فقال أبو سفيان: لا. وقد أرادت هذه الطائفة أن تغش الناس من هذه الناحية ليقولوا: لولا أن ظهر لهؤلاء بطلان الإسلام لما رجعوا عنه بعد أن دخلوا فيه، واطلعوا على بواطنه وخوافيه، إذ لايعقل أن يترك الإنسان الحق بعد معرفته، ويرغب عنه بعد الرغبة فيه بغير سبب»[1].

هذا، وقد روى المفسرون فى سبب نزول هذه الآيات الكريمة روايات متعددة كلها تدور حول المعنى الذى قررناه.

ومن هذه الروايات ما أخرجه ابن جرير عن قتادة قال فى قوله - تعالى -:

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ ءَامِنُوا ﴾

(١) تفسير المنار جـ ٣ ص ٣٢٣.

الخ. قال بعض أهل الكتاب لبعض: «أعطوهم الرضا بدينهم أول النهار، واكفروا آخره فإنه أجدر أن يصدقوكم ويعلموا أنكم قد رأيتم ما تكرهونه فى دينهم، وهو أجدر أن يرجعوا عن دينهم».

وعن السدى: كان - هؤلاء - أحبار قرى عربية، اثنى عشر حبراً، فقالوا لبعضهم: ادخلوا فى دين محمد أول النهار، وقولوا: نشهد أن محمداً حق صادق. فإذا كان آخر النهار فاكفروا وقولوا: إنا رجعنا إلى علمائنا وأحبارنا فسألناهم، فحدثونا أن محمداً كاذب، وأنكم لستم على شىء، وقد رجعنا إلى ديننا فهو أعجب إلينا من دينكم، لعلهم يشكون، يقولون: هؤلاء كانوا معنا أول النهار فما بالهم؟ فأخبر الله - عز وجل رسوله ﷺ بذلك»[2].

والمعنى:

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾

أى: فيما بينهم ليلبسوا على الضعفاء أمر دينهم

﴿ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ ﴾

أى قال بعضهم لبعض: نافقوا وأظهروا التصديق بالإسلام وبنبيه - ﷺ - وبما أنزل عليه وعلى أصحابه من قرآن ﴿ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ ﴾ أى فى أول النهار.

وسمى أول النهار وجهاً، لأنه أول ما يواجهك منه، وأول وقت ظهوره ووضوحه. وقوله:

﴿ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

معطوف على (آمنوا)

أى: آمنوا فى أول النهار واكفروا فى آخره، بأن تعودوا إلى اليهودية، أملاً فى أن ينخدع بحيلتكم هذه بعض المسلمين، فيشكوا فى دينهم، ويعودوا إلى الكفر بعد دخولهم فى الإسلام. وقوله ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ كشف عن مقصدهم الخبيث، وهو ابتغاؤهم رجوع بعض المؤمنين عن دينهم الحق إلى ما كانوا عليه من باطل.

قال الفخر الرازى: «والفائدة فى إخبار الله - تعالى - عن تواضعهم على هذه الحيلة من وجوه:

الأول: أن هذه الحيلة كانت مخفية فيما بينهم، وما أطلعوا عليها أحداً من الأجانب، فلما أخبر الرسول عنها كان ذلك إخباراً عن الغيب فيكون معجزاً.

الثانى: أنه - تعالى - لما أطلع المؤمنين

(٢) تفسير ابن جرير جـ ٣ ص ٣١١.

على تواطئهم على هذه الحيلة لم يحصل لهذه الحيلة أثر فى قلوب المؤمنين، ولولا هذا الإعلام لكان ربما أثرت هذه الحيلة فى قلب بعض من كان فى إيمانه ضعف.

الثالث: أن القوم لما افتضحوا فى هذه الحيلة صار ذلك رادعاً لهم عن الإقدام على أمثالها من الحيل والتلبيس»[3].

ثم حكى - سبحانه - لوناً من عصبيتهم وتعاونهم على الإثم والعدوان فقال تعالى:

﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾

وقوله - سبحانه - حكاية عنهم

﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ ﴾ معطوف على قوله - تعالى - فى الآية السابقة ﴿ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ ﴾.

وقد فسر بعضهم ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ ﴾ بمعنى ولا تقروا، أو لا تعرفوا؛ فتكون اللام فى قوله ﴿ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ أصلية.

وعليه يكون المعنى: أن بعض اليهود قد قالوا لبعض: أظهروا إسلامكم أول النهار واكفروا آخره، لعل هذا العمل منكم يحمل بعض المسلمين على أن يتركوا دينهم الإسلام، ويعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفر ولم يكتفوا بهذا القول بل قالوا أيضاً على سبيل المكر والخديعة، ولا تقروا ولا تعترفوا بأن أحداً من المسلمين أو من غيرهم يؤتى مثل ما أوتيتم من الكتاب والنبوة والفضائل، أو بأن أحداً فى قدرته أن يحاجكم أى يبادلكم الحجة عند ربكم يوم القيامة، ولا تقروا ولا تعترفوا بشىء من ذلك ﴿ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ أى إلا لمن كان على ملتكم اليهودية دون غيرها.

فالمستثنى منه على هذا التفسير محذوف، والتقدير: ولا تؤمنوا أى تقروا وتعترفوا لأحد من الناس بأن أحداً يؤتى مثل ما أوتيتم أو بأن أحداً يحاجكم عند ربكم إلا لمن تبع دينكم، لأن إقراركم بذلك أمام المسلمين أو غيرهم ممن هو على غير ملتكم سيؤدى إلى ضعفكم وإلى قوة المسلمين.

فهم على هذا التفسير يعلمون ويعتقدون بأن المؤمنين قد أوتوا مثلهم من الدين والفضائل عن طريق محمد ﷺ الذى أرسله الله رحمة للعالمين، ولكنهم لشدة حسدهم وبغضهم للنبى ﷺ ولأتباعه، قد تواصوا فيما بينهم بأن يكتموا هذا العلم وتلك المعرفة، ولا يظهروا ذلك إلا فيما بينهم، وصدق الله

(٣) تفسير الفخر الرازى جـ ٨ ص ١٠١.

إذ يقول فى شأنهم :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

[البقرة/١٤٦]

وقد صدر صاحب الكشاف تفسيره للآية بهذا الوجه فقال قوله : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا ﴾ متعلق بقوله : ﴿ أَنْ يُؤْتَى ﴾ وما بينهما اعتراض ، أى : ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم . أرادوا : أسروا تصديقكم بأن المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم ، ولا تفشوه إلا إلى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتاً ، ودون المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام ﴿ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ عطف على أن يؤتى . والضمير فى يحاجوكم لأحد ، لأنه فى معنى الجمع ، بمعنى : ولا تؤمنوا لغير أتباعكم أن المسلمين يحاجونكم يوم القيامة ويغالبونكم عند الله - تعالى - بالحجة »(٤).

هذا هو الوجه الأول فى تفسير الآية الكريمة .

وهناك وجه آخر يرى أصحابه أن قوله - تعالى - ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا ﴾ بمعنى ولا تصدقوا أو ولا تعتقدوا ، فتكون اللام فى قوله ﴿ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ زائدة للتقوية .

فيصير المعنى على هذا الوجه : أن بعض اليهود قد قالوا لبعض : أظهروا الإسلام أول النهار واكفروا آخره لعل عملكم هذا يجعل بعض المسلمين يترك دينه ويعود إلى الكفر الذى كان عليه لا تصدقوا أن أحداً من البشر يؤتى مثل ما أوتيتم يا بنى إسرائيل من الكتاب والنبوة ، أو أن أحداً فى قدرته أن يحاججكم عند ربكم فأنتم الأعلون فى الدنيا والآخرة وأنتم الذين لا تخرج النبوة من بينكم إلى العرب ، ومادام الأمر كذلك فلا تتبعوا إلا نبياً منكم يقرر شرائع التوراة ، أما من جاء بتغيير شىء من أحكامها أو كان من غير بنى إسرائيل كمحمد ﷺ فلا تصدقوه .

فالمستثنى منه على هذا الوجه هو قوله « أحد » المذكور فى الآية ، والمستثنى هو قوله : ﴿ إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ .

والتقدير : ولا تصدقوا أن أحداً يمكن أن يؤتى مثل ما أوتيتم أو يمكنه أن يحاججكم عند ربكم ﴿ إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ أى إلا من

(٤) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٣٧٣.

كان على ملتكم اليهودية ، أما أن يكون من غيركم كهذا النبى العربى فلا يمكن أن يؤتى مثل ما أوتيتم من الكتاب والنبوة ، لأنهما - فى زعمهم - حكر على بنى إسرائيل .

فهم على هذا الوجه من التفسير يزعمون أنهم غير مصدقين ولا معتقدين بأن المسلمين قد أوتوا كتاباً وديناً وفضائل مثل ما أوتوا هم أى اليهود ، ويرون أنفسهم - لغرورهم وانطماس بصيرتهم - أنهم أهدى سبيلاً من كل من سواهم من البشر .

وعلى كل من الوجهين يكون قوله - تعالى : ﴿ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ مفعول به لتؤمنوا .

والتقدير : ولا تصدقوا أو ولا تقروا لأحد بأن أحداً يؤتى مثل ما أوتيتم أو بأن أحداً يحاججكم عند ربكم .

وعلى كل من الوجهين - أيضاً - يكون قوله - تعالى - : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ وقوله : ﴿ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ حكاية من الله - تعالى - لما تواصى به بعض اليهود فيما بينهم من أقوال خبيثة ، وأفكار ماكرة .

ويكون قوله - تعالى - : ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ ﴾ كلاماً معترضاً بين أقوالهم ساقه الله - تعالى - للمسارعة بالرد على أقوالهم الذميمة حتى يزداد المؤمنون إيماناً على إيمانهم ، ويزدادوا هم رجساً إلى رجسهم ، وينكشف ما أضمروه وما بيتوه للمؤمنين من سوء وحقد .

أى قل لهم يا محمد إن هداية الله - تعالى - ملك له وحده ، وهو الذى يهبها لمن يشاء من عباده ، فهى ليست حكراً على أحد ، ولا أمراً مقصوراً على قوم دون قوم ، وإذا كانت النبوة قد ظلت فترة من الزمان فى بنى إسرائيل ، فالله - تعالى - قادر على أن يسلبها منهم لأنهم لم يشكروه عليها وأن يجعلها فى محمد العربى ﷺ لأنه أهل لها وهو - سبحانه - أعلم حيث يجعل رسالته .

هذا ، ويرى بعض المفسرين أن أقوال اليهود التى حكاها القرآن عنهم قد انتهت بنهاية قوله - تعالى - : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾

وأما قوله - تعالى - : ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾

فهو من كلام الله - تعالى - وقد ساقه - سبحانه - للرد عليهم.

فيكون المعنى عليه: أن بعض اليهود قد قال لبعض: أظهروا إسلامكم أول النهار واكفروا آخره لعل بعض المسلمين يرجع عن دينه بسبب فعلكم هذا، ولا تعترفوا بفعلكم هذا إلا لأهل دينكم من اليهود حتى يبقى عملكم هذا سراً له أثره فى بلبلة أفكار المسلمين ورجوع بعضهم عن الإسلام.

وهنا يأمر الله - تعالى - نبيه محمداً ﷺ بالرد عليهم وبالكشف عن مكرهم فيقول: قل لهم يا محمد إن الهدى هدى الله، أى إن هداية الله ملك له وحده فهو الذى يهدى من يشاء وهو الذى يضل من يشاء، وقد هدانا - سبحانه - إلى الإسلام وارتضيناه ديناً لنا ولن نرجع عنه.

وقل لهم كذلك على سبيل التوبيخ والتهكم بعقولهم: أمخافة أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الكتاب والنبوة: أو مخافة أن يحاجكم المسلمون عند ربكم يوم القيامة حيث آمنوا بالحق وأنتم كفرتم له، أمخافة ذلك دبرتم ما دبرتم من هذه الأقوال السيئة والأفعال الخبيثة؟ لاشك أنه لم يحملكم على ذلك المنكر السيء إلا الحسد لمحمد ﷺ ولقومه وزعمكم أنكم أفضل منهم لأنكم - كما تدعون - أبناء الله وأحباؤه فدفعكم ذلك كله إلى كراهية دينه والكيد لأتباعه.

قالوا: ويؤيد هذا الوجه من التفسير للآية قراءة ابن كثير «أأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم..» بهمزتين أولاهما للاستفهام الذى قصد به التوبيخ والإنكار، والثانية هى همزة أن المصدرية.

وقد أشار إلى هذا الوجه الفخر الرازى فقال ما ملخصه: «واعلم أن هذه الآية من المشكلات الصعبة.. ويحتمل أن يكون قوله ـ تعالى:

﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾

من كلام الله - تعالى - فقد قرأ ابن كثير «آن يؤتى أحد..» بمد الألف على الاستفهام، ويكون الاستفهام للتوبيخ كقوله - تعالى - :

﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾

[القلم/ ١٤، ١٥]

والمعنى أمن أجل أن يؤتى أحد شرائع مثل ما أوتيتم من الشرائع تنكرون اتباعه، ثم حذف الجواب للاختصار، وهذا الحذف كثير.

يقول الرجل بعد طول العتاب لصاحبه.

الأزهر

وبعد كثرة إحسانه إليه: أمن قلة إحسانى إليك؟.

والمعنى أمن أجل هذا فعلت ما فعلت»[٥].

ثم أمر الله - تعالى - نبيه ﷺ أن يرد عليهم مرة ثانية حتى يبطل مزاعمهم ويفضحهم على رءوس الأشهاد فقال:

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

أى قل لهم يا محمد: إن الفضل - الذى يتناول النبوة وغيرها من نعم الله على عباده - هذا الفضل وذلك العطاء بيد الله - تعالى - وحده، وهو - سبحانه - المتفضل به على من يشاء التفضل عليه من عباده، وإذا كان - سبحانه - قد جعل النبوة فى بنى إسرائيل لفترة من الزمان، فذلك بفضل منه وبرحمته، وإذا كان قد سلبها عنهم لأنهم لم يرعوها حق رعايتها وجعلها فى هذا النبى العربى فذلك - أيضاً - بفضله ورحمته، وهو - سبحانه - أعلم حيث يجعل رسالته، وهو - سبحانه - صاحب الاختيار المطلق فى أن يؤتى فضله لمن يشاء من عباده. وهو - سبحانه ﴿ وَٰسِعٌ ﴾ الرحمة والفضل ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بمن يستحقهما وبمن لايستحقهما.

ثم قال - تعالى - :

﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾

أى يختص بالنبوة وما يترتب عليها من الهداية والنعم من يشاء من عباده.

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾

أى هو - سبحانه - صاحب الجود العميم والفضل العظيم، فلا عظمة تساوى عظمة فضل الله - تعالى - على خلقه، وإنما هو وحده صاحب النعم التى لا تحصى على عباده، فعليهم أن يشكروه وأن يفردوه بالعبادة والخضوع.

وبذلك تكون الآيات الكريمة قد كشفت عن مسلك من مسالك اليهود الماكرة التى أرادوا من ورائها كيد الإسلام والمسلمين، وفى هذا الكشف تنبيه للمسلمين إلى ما يبيته لهم هؤلاء الأعداء من شرور وآثام حتى يحذروهم.

***

(٥) تفسير الفخر الرازى جـ ٨ ص ١٠٢.

السنة

إذا لم تستحى فاصنع ما شئت

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

روى البخارى بسنده عن أبى مسعود قال: قال النبىّ (ﷺ): «إنّ مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحى فاصنع ما شئت».

صحيح البخارى/ كتاب الأدب/ باب إذا لم تستحى فاصنع ما شئت

التعريف بالراوى: هو أبو مسعود البدرىّ، واسمه عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عُسيرة الأنصارىّ، وقيل: يُسيرة بن عُسيرة ابن خُدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج، لم يشهد بدراً على الصحيح، وإنما نزل ماء ببدر، فشُهر بذلك، وكان ممن شهد بيعة العقبة.

روى أحاديث كثيرة، وهو معدود فى علماء الصحابة، نزل الكوفة، حدّث عنه ولده بشير، وأوس بن ضمعج، وعلقمة، وأبو وائل، وقيس بن أبى حازم، وربعىّ بن حراش، وعبدالرحمن بن يزيد، وعمرو بن ميمون، والشعبىّ وغيرهم.

مات أبو مسعود قبل الأربعين، وقال ابن قانع: سنة تسع

وثلاثين، وقال المدائنىّ وغيره: سنة أربعين، وقيل: له وفادة على معاوية بن أبى سفيان (رضى الله عنه)، قال يحيى القطّان: مات أبو مسعود أيام قتل علىّ بالكوفة، وقال الواقدى: مات بالمدينة فى خلافة معاوية.

اللغويات: إذا لم تستحى فاصنع: فعل مأخوذ من مادة (حيى)، والاستحياء ضدّ الوقاحة، والمعنى: إذا لم تستح من العيب، ولم تخش العار مما تفعله فافعل ما تحدثك به نفسك من أغراضها. حسناً كان أو قبيحاً، فاصنع ما شئت: لفظه أمر، ومعناه توبيخ وتهديد، وفيه إشعار بأنّ الذى يردع الإنسان عن مواقعة السوء هو الحياء، فإذا انخلع منه استباح ارتكاب كل ضلالة، وتعاطى كل سيئة.. ويجوز أن يحمل الأمر على بابه، ويكون المعنى: إذا كنت فى فعلك آمنا أن تستحيى منه لجريك فيه على سَنَن الصواب، وليس من الأفعال التى يُستحيا منها فاصنع منها ما شئت.. وفى ذلك يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ:

«فالمعنى على الأول يكون تهديداً كما فى قوله تعالى:

﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾

(فصلت ٤٠)

وعلى الثانى إذناً وإباحة»، ولا يمكن حمل الحديث على المعنيين جميعاً، لما بين الإباحة والتهديد من المنافاة، واعتبار أحد المعنيين يوجب عدم اعتبار الآخر، وأضاف الإمام العينىّ إلى هذين معنيين آخرين هما: معنى الوعيد: افعل ما شئت تجاز به، والآخر أنه على طريق المبالغة فى الذم، أى: تركك الحياء أعظم مما تفعله. ونرى أن معنى الوعيد قريب من معنى التهديد، فالحاصل أن فى توجيه الحديث ثلاثة تأويلات.

الشرح والبيان: إن الشرائع السماوية جميعها مهما تنوعت طرقها، واختلفت مظاهرها، تتلاقى جميعاً فى أصولها العامة، وتتحد فى جوهرها الذى لا يختلف، لأنها تنبع من مشكاة واحدة، فالمشرع واحد وهو الله «سبحانه وتعالى»، وإنْ تعدّد الرسل، وتنوعت الكتب. وهى إذ تدعو إلى التوحيد الخالص، والإيمان الحق، إنما تدعو إلى الفضائل السامية التى تهذب الروح، وتزكى النفس، وتحيى الضمير، والتى هى أثر من آثار الإيمان، وثمرة من ثمراته.

ومن أهم الفضائل والآداب التى تهذب ذوق المؤمن، وتنمى إحساسه، وتجمل أخلاقه، والتى دعا إليها الرسل جميعاً ـ أدب الحياء، فلقد روى البخارىّ وأبو داود وأحمد عن عقبة بن عمرو الأنصارىّ البدرىّ (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحى فاصنع ما شئت».. صدقت يا سيدى يا رسول الله

(ﷺ) وأيدت المرسلين قبلك فى هذا القول الذى أثر عنهم، وتداوله الناس فيما بينهم جيلاً بعد جيل أثراً نافعاً، وحكمة بليغة صادقة، وجدير بنا أن نعرف أولاً معنى الحياء، إذ الحياء: انقباض النفس خشية ارتكاب ما يكره، واشمئزازها من فعل ما يعاب أو يذمّ.. والحياء أمارة صادقة على حياة الضمير، وصدق الحس، من تخلّق به عصمه من اقتراف السوء، ومخالطة الدنايا، وفعل ما يعاب ويذمّ، ومن فقده تعرّى عن كلّ فضيلة، واستهان بالكبيرة قبل الصغيرة، فلا نكون مبالغين ـ ولا حتى مجاملين ـ إذا قلنا: من أعطى الحياء فقد أعطى الخير كلّه، وحسبنا فى ذلك ما أورده الإمام مسلم ـ فى صحيحه ـ من قول النبىّ (ﷺ): «الحياء خير كله»، وما ورد فى صحيحى البخارى ومسلم ـ رحمهما الله ـ عن عمران بن حصين ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال: قال النبىّ (ﷺ): (الحياء لا يأتى إلاّ بخير).

أدب النبـــوة

ولنا فى رسول الله (ﷺ) أسوة حسنة، وقدوة طيبة، فقد كان فعّالاً قبل أن يكون قوالاً، ودائماً أبداً كان فعله يسبق قوله، وكان أكمل الخلق حياء، روى أبو داود عن أبى سعيد الخدرىّ (رضى الله عنه) قال: (إنّ رسول الله « ﷺ » كان أشدّ حياء من العذراء فى خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه فى وجهه، وكان لطيف البشرة، رقيق الظاهر، لا يشافه أحداً بما يكره، حياء وكرم نفس).. هذا وقد ذكر القرآن الكريم جانبا من حيائه (ﷺ)، فقد كان أصحابه يجلسون عنده، ويطيلون الجلوس، ويستأنس بعضهم بحديث بعض، وكان ذلك يؤذى رسول الله (ﷺ)، ويضايقه، ويحول بينه وبين قضاء كثير من مصالحه، ومع ذلك كان يمنعه حياؤه من أن يأمرهم بالانصراف؛ لخلقه الرفيع، وأدبه الجمّ، وقلبه الرحيم، وحبّه لأصحابه، وحرصه على إرضائهم بكل السبل والوسائل، حتى أثنى عليه القرآن الكريم ثناء عاطراً، ثناء وعته الدنيا، وخلده القرآن الذى نتعبد بتلاوته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

الآية «آل عمران ١٥٩»

لكنّ الله (عز وجل) لا يستحيى من الحق، ولا يمنعه مانع من إظهاره وتبيانه، فأدّب أصحاب نبيه (ﷺ) خاصة، والمؤمنين عامة ـ بهذا الأدب العظيم الرفيع الذى يرفع شأنهم فى الدنيا، ويضمن لهم سعادة الآخرة، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾

الأحزاب ٥٣

الحيـــاء خيـــر عميـــم

أرأيتم كيف أدّب الله عباده المؤمنين بخلق الحياء، لما فيه من الخير العميم، والنفع العظيم، إذ هو السياج المنيع الذى يحمى الأمّة من أن تنهار مقوماتها، ويتصدّع بنيانها؟ فهذا تاجر يحبّ المال، فيدفعه ذلك إلى أن يغش سلعته، كما يدفعه ذلك إلى احتكار طعام الناس، والتحكم فى أقواتهم، ولو أنه أمعن النظر فى ذلك لعلم أنّ هذا التصرف مناف لدينه ومروءته، وفيه خيانة لوطنه وأمته، فيستحيى أن يفعله، وبالتالى يعيش بين الناس تاجراً أميناً، سمحاً صادقاً، يحبّ عملاءه، ويقنع منهم بالقليل من الربح، إسهاماً منه فى إسعاد مجتمعه، لأنه فرد من هذا المجتمع ينبغى أن يؤثّر فيه ويتأثّر به.

وهذا صانع تدفعه كثرة أعماله، ووفره زبائنه إلى إهمال صنعته، وإخلاف وعده، لكنّه يرى ذلك منافياً لدينه وأخلاقه، فيستحيى أن يفعله، فلا يسعه ـ والحال هذا ـ إلاّ أن يتقن صنعته، وأن يفى بوعده، ليحافظ على سمعته، وإتقان صنعته، ليكون قدوة حسنة للصنّاع أمثاله.

وهذه امرأة ترى التحضّر والرقىّ فى الثياب الرقيقة التى تكشف مفاتنها، والمشية الخليعة التى تبرز محاسنها، والزينة الثقيلة التى تغطى وجهها، والعطر الفوّاح الذى يلفت أنظار الرجال لها، ولكنها حين تدقق فى ذلك تراه ثلماً لشرفها، وانتقاصاً لكرامتها، وانتهاكاً لعرضها، كيف وهى المسلمة؟! يجب أن تستحيى من أن تفعل ذلك، فلا يسعها إلا أن تعيش طاهرة شريفة عفيفة مصونة.

وهذا رجل ائتمنه الناس على أموالهم، وللمال بريقه ولمعانه، وإغراؤه وإغواؤه، ففكر فى أن يستولى عليه، وأن يحتفظ به لنفسه، وأن يجحده لأصحابه، لكنه رأى أنّ ذلك خيانة للأمانة، ومعصية لله، فاستحى أن يرتكب هذا المحظور، وأن يرتكب تلك المعصية، فردّ المال إلى أصحابه وهذا رجل أغراه الأعداء أن يخون أمته، وأن يفشى أسرار وطنه مقابل بعض المال، فلم يطاوعه ضميره، واستحى أن يظهر أمام الله والناس فى ثياب الجاسوسية والخيانة والغدر. فامتنع عن

ذلك.. وهذا رجل له مال كثير يحبّ أحد الورثة، ويكره آخر، ففكر أن يزيد نصيب المحبوب، وأن ينتقص نصيب المكروه، أو يحرمه، لكنه يستحيي أن يفعل ذلك، لما فيه من معصية لربّ العالمين. ومخالفة للدين، فلا يسعه – والحال هذا. إلا أن يترك تركته لتقسم بعد وفاته وفق مراد ربّ العالمين.. وهذا رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها فاستحى أن يراه ربّه حيث نهاه، واستحى أن يكون هتاكًا للأعراض، مرتكبًا لما حرّم الله، فقال: إني أخاف الله.

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل
خلوت، ولكن قل: عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما تخفيه عنه يغيب
ألم تر أنّ اليوم أسرع ذاهب
وأنّ غدًا للناظرين قريب

وهذا رجل ترى بسط الله له في الرزق، ووسّع عليه في المال، يسأله فقير معدم مما أعطاه الله، فيستحي أن يردّه وقد منحه الله القدرة على العطاء.. ماذا يكون جوابه عند الله؟

واستحى أن يرميه الناس بالبخل، فأعطى بسخاء وكرم.

هذا هو الحياء، وهذا هو أثره، ألستم معي – والحال هذا – أنّ الحياء خير كله، وأنّ الحياء لا يأتي إلا بخير، ولكنّ الناس تتفاوت نسب حظوظهم من الحياء، وبالتالي تتفاوت – تبعًا لذلك – درجاتهم ومنازلهم عند الله، فمنهم من يستحيي من الله ثمّ من الناس، فهو لا يحب أن يراه ربّه حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره، وبالتالي لا يجرؤ على مخالفته، ولا يدّخر وسعًا في تقديم ما يرضيه، وهو – مع ذلك – حريص على إرضاء الناس، فلا يسمح لنفسه أن يعيش بينهم مذممًا معيبًا، وهذا هو الحياء في أعلى منازله، وأشرف مراتبه، وأتمّ صوره.

الحياء الناقص

ومنهم من يترك القبيح والمعيب حياء من الناس، بحيث لو لم يطلع عليه أحد لفعله، فهو ذو حياء ناقص، ولكنه – مع ذلك – يحمل في نفسه بقية من خير قد تردّه يومًا ما إلى صفوف المخبتين الطائعين، ومنهم – والعياذ بالله – من لا يرجو لله وقارًا، ولا يعمل للناس حسابًا، ولا يخشى لومًا ولا عتابًا، فلا يزال الواحد منهم يهوى من قبيح إلى أقبح، ومن خبيث إلى أخبث، ومن رذيلة إلى أرذل حتى يستقرّ في النهاية في الدرك الأسفل من الضياع والمهانة، وبالتالي يكون من الهالكين، ويصبح من الخاسرين، خسر الدنيا والآخرة:

﴿ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾

الحج ١١

وقد أنشد الشاعر في هذا المعنى:

إذا لم تخش عاقبة الليالي
ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير
ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

خلق الإسلام الحياء

نعم والله لا خير في الدنيا، ولا خير في العيش إذا فقد الإنسان الحياء، روى ابن ماجه أن رسول الله (ﷺ) قال: «إن الله – عز وجلّ – إذا أراد أن يهلك عبدًا نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتًا ممقتًا – أي: بغيضًا مبغضًا – فإذا لم تلقه إلا مقيتًا ممقتًا نزعت منه الأمانة، فإذا نزعت منه الأمانة لم تلقه إلا خائنًا مخونًا – أي: خائنًا في نفسه، مخونًا من غيره – فإذا لم تلقه إلا خائنًا مخونًا نزعت منه الرحمة، فإذا نزعت منه الرحمة لم تلقه إلا رجيمًا ملعنًا، فإذا لم تلقه إلا رجيمًا ملعنًا نزعت منه ربقة الإسلام – أي: عراه –».

فمن أراد العصمة من ارتكاب القبيح فليعلم أنه لا يعصم المرء من ارتكاب القبيح، وفعل المعيب إلا الحياء، فإذا فقد الإنسان الحياء أغرق في الضلال، وأمعن في العصيان، وتباهى به، وأسرف في الطغيان، وافتخر به، ومن ثمّ أنشد بعضهم:

بغاة ظالمين وما ظلمنا
ولكنا سنبدأ ظالمينا
ونشرب إن وردنا الماء صفوا
ويشرب غيرنا كدرا وطينا

وأنشد الآخر:

وربّ قبيحة ما حال بيني
وبين ركوبها إلا الحياء
إذا رزق الفتى وجهًا وقاحًا
تقلب في الأمور كما يشاء

وأنشد الآخر:

كن ابن من شئت واكتسب أدبًا
يغنيك محموده عن النسب
إن الفتى من يقول: ها أنا ذا
ليس الفتى من يقول: كان أبي

وهكذا من رزقه الله الحياء فقد أكمل له الدين، وأتمّ عليه النعمة، روى الإمام مالك (رحمه الله) أن رسول الله (ﷺ) قال: إن لكل دين خلقًا، وخلق الإسلام الحياء»، وروى أبو داود أن رسول الله (ﷺ) سُئل: هل الحياء من الدين؟ فقال: (بل هو الدين كلّه).

فاللهم زين قلوبنا بالإيمان، وجمّل أخلاقنا بالحياء، وعمّر قلوبنا بطاعتك، وطاعة رسولك (ﷺ) فأنت وليّ ذلك، والقادر عليه.

الدعوة والداعية

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

إن أمتنا الإسلامية، التى ختم الله بها الأمم، وختم برسولها سيدنا محمد - ﷺ - جميع الرسل والنبيين، مكلفة بالدعوة إلى الله، ونشر هداية الإسلام فى كل الأرض.

وإذا كانت الأمم السالفة مكلفة بعبادة الله وحده مخلصين له الدين، فإن الأمة الإسلامية الخاتمة مكلفة بذلك وبنشر دين الله فى الأرض.

ذلك لأن الأمم السالفة كان يبعث لها نبى برسالة، وإذا ما انتهت رسالته ولحق بالرفيق الأعلى، بعث رسول آخر برسالة أخرى، وهكذا كان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة.

أما سيدنا محمد - ﷺ - فبعث إلى الناس كافة، وكانت رسالته عامة وخالدة إلى أن يقوم الناس لرب العالمين، فلم تنته رسالته بوفاته بل هى مستمرة، تقوم بها أمته وتبلغها إلى جميع الناس من بعده.

ولذا كانت الأمم السالفة مكلفين بالعبادة.

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾

(البينة / ٥)

أما هذه الأمة فهى مكلفة بالعبادة، وتبليغ الدعوة الإسلامية ونشرها، قال - تعالى :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(آل عمران / ١٠٤)

وأيضا فإن الوحى السماوى نزل بلغتها العربية فكان عليها أن تبلغه إلى سائر الناس، وجميع من فى الأرض.

فالدعوة إلى الله هى رسالة الرسل، وهى واجبة على هذه الأمة أن تدعو الناس بعد انتقال رسولها إلى الرفيق الأعلى وإلى أن يقوم الناس لرب العالمين، قال الله - تعالى :

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

(يوسف / ١٠٨)

وللداعى من الأجر مثل أجور من اتبعه، وتلك منزلة كبرى للدعاة. عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى - ﷺ - قال : «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا»[1].

ولا شىء فى الوجود أسمى من الدعوة فهى عمل الأنبياء ورسالة الرسل، خص الله بها هذه الأمة، لأنها الأمة الخاتمة التى سعدت بالرسالة الخاتمة والنبى الخاتم الذى لا نبى بعده ولا رسول.. وهداية واحد على يد إنسان خير له من حمر النعم، كما جاء فى الحديث عن سهل بن سعد - رضى الله عنه - أن النبى - ﷺ - قال لعلى بن أبى طالب - رضى الله عنه - يوم خيبر : «أنفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله - تعالى - فيه، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم»[2].

رسائل الدعوة

وقد تعددت وسائل الدعوة فى العصر الحديث :

فلئن كانت قديما تقتصر على خطبة الجمعة والمجالس العلمية المباشرة، فإنها الآن قد تنوعت بحيث أصبح من الممكن انتشار الكلمة بسهولة إلى أكبر عدد ممكن من المستمعين والمشاهدين فى بلاد العالم عبر الإذاعة المسموعة والمرئية.

كما أمكن نشرها عن طريق الكلمة المكتوبة فى الصحف والمجلات والكتب والنشرات.

---

(١) رواه مسلم.

٢) رواه البخارى ومسلم.

مجالات الدعوة

كما تعددت مجالات الدعوة: فلم تقتصر على خطبة الجمعة ولا بعض مجالس العلم، بل وجدت أماكن عامة كالأندية، والمدارس والمعاهد والجامعات، والندوات، والمؤتمرات، والمحاضرات، وفى المساجد وسائر التجمعات المختلفة.

وعلى الداعية أن يتحلى بالفضائل، ويتخلى على الرذائل، وأن يكون داعيا بفعله وسلوكه، قبل قوله وإرشاده، فإن تأثير إنسان واحد بسلوكه وفعله وقدوته فى مائة شخص أعظم من تأثير قول مائة متحدث فى شخص واحد، ولذلك كان قدوة الدعاة وإمام المتقين وخاتم المرسلين - عليه أفضل الصلاة وأتم السلام - متمثلا ومطبقا لكل ما يدعو الناس إليه، فكان خلقه القرآن، ومن هنا وجب على الدعاة الذين هم ورثة الأنبياء أن يكونوا نماذج عليا فى البر والطاعة، فليس من المعقول أن يأمروا بالبر دون أن يفعلوه.

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

(البقرة / ٤٤)

واستنكر القرآن سلوك بعض الذين يتصدون للدعوة، وأفعالهم تخالف أقوالهم:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

(الصف / ٢، ٣)

وعقوبة هذا النوع من الناس فى الآخرة أليمة، وعاقبته وخيمة، عن أسامة بن زيد - رضى الله عنهما - أن النبى - ﷺ - قال: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار، فتندلق أقتابه - أى الأمعاء - فى النار فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أى فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه» (٣).

ومن أهم ما يجب أن يتسم به الداعية: الإخلاص فى دعوته، فلا يقصد بدعوته حب الظهور، ولا إعجاب الناس به، ولا الرياء ولا الشهرة، وإنما يقصد بدعوته توجيه العباد وإرشادهم ابتغاء مرضاة الله - سبحانه وتعالى -.

وفى الحديث: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه ثلاثة نفر...» ثم ذكر

(٣) رواه البخارى ومسلم.

منهم الذى يرائى الناس بعلمه وقراءته، حيث قال: «رجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار» (٤).

وعلى الداعية أن يكون متزودا بالعلم والمعرفة، والقرآن والسنة، والفقه والسيرة النبوية، وغير ذلك من العلوم الدينية والعربية وسائر أنواع الثقافات الأخرى، وأن يكون متفقها نابها عالما بأحوال الذين يدعوهم، فلكل مقام مقال، حتى يدعو إلى الله على بصيرة.

العلم والإيمان

وأن يكون ذا خبرة واسعة، واطلاع كبير، وعلم غزير، حتى إذا تصدى لعلاج الأمراض الخلقية، أو لأهل الباطل، كان مسلحا بالعلم والإيمان والمعرفة الكافية فيصف العلاج المناسب، ويقدم الدليل الصحيح ويستنبط الحكم الصائب، فمثله كمثل الطبيب، فحين يكون طبيبا ماهرا يصف الدواء الناجع والجرعة الملائمة، فلا يقصر بحيث يطيل المرض ولا يغالى فى الدواء ويعطى جرعة أكثر فيضر بالمريض، ولذلك فإنه لا يصح أن يمكن من الدعوة من لا خبرة له ومن ليس له علم غزير، حتى لا يترتب على دعوته المضرة وحتى لا يسيء إلى الغير وهو يزعم أنه يحسن صنعا.

وعلى الداعى إلى الحق أن يسير على المنهاج القرآنى الذى أنزله رب العزة - سبحانه وتعالى - على رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - لأننا مأمورون بالاقتداء بالرسول - ﷺ - ومأمورون بتطبيق هذا المنهج الذى يقول فيه رب العزة - سبحانه -:

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

(النحل / ١٢٥)

فالذى يعترف بالحق ويقر به ويتبعه ندعوه بالحكمة، والذى يقر بالحق ويفرط فيه فلا يقوم بالعمل نرشده بالموعظة الحسنة، حتى يثوب إلى رشده ويقوم بالعمل، وأما المعارض الذى لا يعترف

(٤) رواه مسلم.

بالحق فنجادله بالتى هى أحسن .

وعلى الداعى أن يكون صبورا فلا يتبرم ممن يدعوهم حين يعارضونه أو يكذبونه أو يؤذونه فله فى رسوله والرسل السابقين - عليهم جميعا الصلاة والسلام - ، الأسوة والقدوة فى الصبر واحتمال الأذى حتى جاءهم نصر الله قال الله - تعالى - :

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾

(الأنعام / ٣٤)

وفى الآية الكريمة ، وعد بالنصر لرسول الله والرسل السابقين - عليهم الصلاة والسلام - ولأتباعهم وورثتهم من العلماء والدعاة .

وعلى الداعى أن يتسم باللين فى دعوته ، والتيسير وعدم التعسير ، وألا ينفر من يدعوهم ولا يسبهم حتى لا يعرض الحق إلى التجريح من أعدائه الجاهلين ، قال - تعالى - :

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾

(الأنعام / ١٠٨)

وقد روى فى سبب نزول هذه الآية الكريمة عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قال كفار قريش لأبى طالب : إما أن تنهى محمدا وأصحابه عن سب آلهتنا والنيل منها وإما أن نسب إلهه ونهجوه فنزلت :

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾

(الأنعام / ١٠٨)

وفى رواية أخرى أن المشركين قالوا : يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون ربك فنزلت .

استنباط العبرة

وعلى الداعية أن يلتزم بآداب الدعوة ، فلا يكون جافا غليظ القول بل رفيقا لينا ، ولقد وعظ واعظ الخليفة المأمون وعنف له فى القول فقال المأمون للواعظ : يا رجل ارفق ، فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر منى ، وأمره بالرفق قال - تعالى - :

﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾

(سورة طه / ٤٤)

وعلى الداعية أن يحدث الناس بما يفهمون ، وألا يحدثهم بما يعلو على فهمهم ، وأن يتناول فى حديثه مشاكل البيئة والمجتمع ، وأن يحاول تقديم الحلول المناسبة ، والعلاج الملائم بصورة ميسرة

وبأسلوب مقنع ومقبول .

وألا يشهر بأحد من الناس ولا يذكر أسماء بعض الناس ، فإن النصيحة فى الملأ فضيحة ، ومن وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه .. وقد كان قدوة الدعاة سيدنا رسول الله - ﷺ - لا يذكر أسماء الذين يريد إرشادهم بل كان يقول : «ما بال أقوام يقولون كذا .. أو يفعلون كذا» ، وهذا من أدبه العالى وذوقه الرفيع وكمال رفقه ، فما كان الرفق فى شىء إلا زانه ولا نزع من شىء إلا شانه .

وعلى الداعية ألا يهمل الأحداث التى تجرى فى المجتمع ولا المناسبات التى تمر به دون أن يعلق عليها ، ويستنبط العبرة منها .

وألا يكون الكلام طويلا مملا ، ولا قصيرا مخلا ، بل عليه أن يتوسط فى الحديث وفى الزمن الذى يستغرقه .

وألا يخرج المتحدث عن الموضوع الذى يتحدث فيه ، فقد تتداعى الأفكار ويأخذ فى الإطناب مما يجعل الحديث بعيدا عن الموضوع الذى أراد الكلام فيه وتوجيه الناس إليه ، فإن طول الكلام ينسى بعضه بعضا .

وعلى الداعية أن يتحرى اختيار الأحاديث النبوية والأحاديث القدسية التى يستدل بها ، وأن يبتعد عن الأحاديث الموضوعة والضعيفة فلا يأخذ الأحاديث إلا من الكتب الصحيحة المتعمدة .

وأن يحافظ على التعود بالنطق باللغة العربية وأن يصون حديثه عن الأخطاء النحوية واللغوية .

وعلى الداعية أن يعمل بما علم فيجمع بين الإيمان والعلم والدعوة والعمل مصداقا لقول الله - تعالى - :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

(فصلت / ٣٣)

***

خطبة الجمعة :

إعداد الشباب

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى

إعداد الشيخ/ على حامد عبد الرحيم

الحمد لله عز وجل، رسم الطريق للسائرين، وأجزل الثواب للشاكرين

﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا ﴾

(الكهف/ ٤٦)

أشهد أن لا إله إلا الله، واهب النعمة، وناشر الرحمة، وهو بكل شىء عليم، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، معلم الدنيا ومربى البشرية، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وذريته وصحابته، وأتباعه وأنصار دعوته:

﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ﴾

(الفرقان/ ٧٤)

عقول يجب أن تربى

لقد أقبل الصيف وانتهت الامتحانات وبدأت الإجازات، وأصبح الشباب فى فراغ بعد شغل الدرس والاستذكار والابتلاء فى الامتحان، والشباب هم أمل البلاد وفلذات الأكباد، فمن الواجب علينا أن نرعاهم حق الرعاية، وأن نصونهم أفضل الصيانة، والمشاهد الملموس أننا قد نعطى الشباب حظا أو حظوظا من تربية الحس والبدن، ولكننا قد ننسى ما وراء ذلك، مع أن الشباب عقولا يجب أن تربى، وأخلاقا يجب أن تزكى وعقيدة يجب أن تحيا، حتى لا تكون الشبيبة شعبة من شعب الفتون أو الجنون، بل تكون قوة محصنة بمكارم الأخلاق، والقرآن الكريم حين يحدث عن طائفة من خيار الشباب لم ين مدحه لهم على ضخامة البدن أو متانة الفضل فقط، بل بناه على التقوى والهدى، فقال عن فتية الكهف الذين ضربوا القدوة فى الإيمان والصبر:

﴿ إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ﴾

(الكهف/ ١٣)

وقال على لسان بنت شعيب لأبيها فى أمر موسى الشاب حينئذ:

﴿ إن خير من استأجرت القوى الأمين ﴾

(القصص/ ٢٦)

ولقد أشار الرسول الكريم - عليه الصلاة والتسليم - إلى أن الشباب يستحقون أكثر من غيرهم التقدير والعناية، لأنهم صالحون للتأثر والتوجه، بحكم قلوبهم الفتية ومشاعرهم الحية، فقال: «أوصيكم بالشباب خيرا، فإنهم أرق أفئدة، إن الله بعثنى بشيرا ونذيرا، فحالفنى الشباب، وخالفنى الشيوخ، ثم تلا قول الله - تعالى -:

﴿ فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ﴾

(الحديد/ ١٦)

ولم يكتف الرسول بالإشارة إلى مكانة الشباب وحسن استعدادهم، بل رسم المنهاج لتربيتهم وتأديبهم، فقال - عليه الصلاة والسلام -: «الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم»

وهذا الحديث يوصى بأمرين جليلين الأول منها أن يلازم الوالد ولده ما استطاع إلى ذلك سبيلا، حتى يشرف عليه ويتابع خطواته، ويقدم إليه النصيحة فيما يعرض له من أحداث الحياة وأمور المجتمع، وكثير من الناس يهملون هذه الناحية، فلا يجلسون مع أولادهم، بل يتركونهم للخدم أو لأصدقاء الشارع أو جيرة الحى، وقد يتعرض الفتى حينئذ لزلازل وقلاقل تؤدى به إلى معاطب أو مخاطر ولو أن والده لازمه بقدر استطاعته لأعطاه فيضا من وحى تجاربه، وباعد بينه وبين الوقوع فى كثير من الأخطاء والزلات، ولا يريد الحديث الشريف من الوالد أن يلازم ولده ملازمة سلبية صماء، بل يضيف إلى الملازمة أمرا مهما آخر، لا تتم الثمرة من هذه الملازمة إلا به، وهو أن يحسن أدبه ويتقن تهذيبه، ويجيد تعويده مكارم الأخلاق، ثم يأتى حديث ثان ويقول: «من كان له صبى فليستصب له»[1] وهذا مسلك رائع فى تربية الشباب وتدريبهم، فالحديث ينصح الرجل بأن يتقرب من صبيه، فلا ينظر إليه من برج شاهق، ولا يجعل بينه وبينه فجوة بسبب تفاوت العمر، أو اختلاف العصر، بل يتحبب إليه ويتودد، وينزل إلى مستواه، ويعيش فى دنياه، ويتفهم أحاسيسه ومشاعره حتى يدركها على وجهها، ويقدر العوامل والانفعالات التى تموج فى صدر الفتى.

(١) كنز العمال ١٦/٤٥٧

ويحسن توجيهها وقيادتها، حتى ينفس عنها من جهة، ويتقن استغلالها من جهة أخرى.

شباب عصر النبوة

وبعض الناس يخافون على أبنائهم خوفا مبالغا فيه، فيحيطونهم بالحنان الطاغى والعطف الزائد، وقد يظل الولد حبيس هذا التخوف حتى يكبر عمره، وهم لا يسمحون له مثلا بأن يخرج منفردا لركوب ترام أو سيارة أو قضاء مهمة، مع أن الواجب على الأب أن يحسن رعاية ابنه ورقابته عليه، وفى الوقت نفسه يمكنه من النهوض ببعض الأعمال التى تناسبه وتكون شخصيته وتظهر ذاتيته، وتملأ نفسه بالثقة والاطمئنان، حتى لا يظل جبانا خوافا هيابا، فلا يفلح فى حياته، ولا يحسن مواجهة الدنيا حين يضطر إلى مواجهتها، وهذا رسول الله - عليه الصلاة والسلام - نجده يحيط نفسه بكوكبة من الشباب يحملهم جلائل الأعمال وهم فى نضارة الشباب، فهذا علىٌّ الفتى الشاب نراه ينام فى فراش الرسول ليلة الهجرة، ويعرض حياته للخطر بلا خوف أو جبن، ويؤدى الأمانات التى وكل إليه الرسول أن يردها إلى أهلها ثم يهاجر وحده.

وهذا سعد بن أبى وقاص الفتى الشاب نراه فى غزوة أحد - وقد اشتد الأمر على المسلمين، وتفرق الكثيرون - يقف بجوار النبى فى شجاعة وثبات، يدافع عنه بنباله وسهامه، والرسول يقول له حاثا ومشجعا: ارم فداك أبى وأمى، ارم أيها الغلام الحزور «أى القوى»، ويظل سعد يرمى حتى يبلغ ما رماه قرابة الألف، ثم يتناول سهما ويقول: اللهم سهمك، فارم به عدوك، ويزكى الرسول رجاءه قائلا: اللهم استجب لسعد، اللهم سدد رميته، واستجب دعوته، وحقق الله دعاء رسوله، فكان سعد فارسا مسدد الرميات مجاب الدعوات.

وهذا أسامة بن زيد الفتى الشاب يجعله الرسول أميرا على جيش المسلمين وفيه أعلام الصحابة، ولما وجد بعضهم من ذلك شيئا فى نفسه قال الرسول عنه: «إنه مظنة لكل خير، فاستوصوا به خيرا، فإنه من خياركم» (٢)، وأسامة نفسه هو الذى ركب جواده، وسار يقود الجيش، وسار الخليفة أبوبكر فى ركابه ماشيا، فقال له أسامة: إما أن تركب وإما أن أنزل، فقال له: والله لا تنزل ولا أركب، وما على أن أغبر قدمى فى سبيل الله ساعة!

السحر الحلال

ولقد سار صحابة رسول الله على سنته فى العناية بالشاب وتوجيههم وعرفان قدرهم، وهذا هو الإمام الزهرى يقول لطائفة من الشباب: «لا تحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم، فإن عمر بن الخطاب كان إذا نزل

(٢) مسند الإمام أحمد ٢/ ٨٩، ١٧.

به الأمر المفضل دعا الفتيان فاستشارهم، يتبع حدة عقولهم».

ومن بعد الفاروق جاء حفيده خامس الراشدين عمر بن عبدالعزيز الذى نراه يستقبل وفداً أقدم من الحجاز لتهنئته بالخلافة، فتقدم شاب صغير السن ليتكلم، فقال له خامس الراشدين: ليتكلم من هو أسن منك، فقال الفتى: يا أمير المؤمنين، ليس الأمر بالسن وإنما المرء بأصغرية قلبه ولسانه، فإذا منح الله العبد لسانا لافظا، وقلبا حافظا، فقد أجاز له الاختيار واستحق الكلام، ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسن لكان فى الأمة من هو أحق منك بمجلسك هذا، فأعجب عمر بالشاب وشجاعته وحسن منطقه وقال له: صدقت، تكلم أيها الغلام، فهذا هو السحر الحلال!.

فقال الفتى: يا أمير المؤمنين، نحن وفد التهنئة، لا وفد المرزئة «طلب المعونة»، لم تقدمنا إليك رغبة ولا رهبة، لأننا أمنا فى أيامك ما خفنا، وأدركنا ما طلبنا.

وهنا قال عمر لمن حوله معجبا بما سمع:

تعلم فليس المرء يولد عالما
وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده
صغير إذا التفت عليه المحافل

والرسول - عليه صلوات الله وسلامه - لا يرضى للشباب أن يستجيبوا لنزواتهم الجامحة أو أهوائهم، بل يرضى لهم الفضيلة، والحكمة والرزانة، ولذلك يقول: «خير شبابكم المتشبهون بشيخوكم» (٣) أى فى عمق التفكير ورزانة التصرف وبراعة القيادة، كما يرضى لهم الجد فى ميدان الهداية والتقوى ويكرم من يفعل ذلك خير تكريم حين يقول: «إن الله - تعالى - ليباهى ملائكته بالشاب الصالح».

يا أتباع محمد - عليه الصلاة والسلام - يقول حبر هذه الأمة عبدالله بن عباس: «الخير كله فى الشباب، وإنما يكون هذا إذا عنينا بالشباب حق العناية، ورعيناهم أفضل الرعاية، فاتقوا الله فى أولادكم، وارضوا ربكم بصيانتهم وتوجيههم وربطهم بأسباب على استقامة وبصيرة دينهم، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم، وسبحانه من لو شاء لهدى الناس جميعا إلى سواء السبيل.

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾

(المائدة/ ٨٨)

(٣) المطالب العالية ٣/ ٢٧٠٩.

مميزات حقوق الإنسان فى الإسلام

٢

للأستاذ الدكتور/ محمود إمبابى
وكيل الأزهر الشريف

حق الحرية

الخلق كلهم عبيد لله- تعالى- وحده:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن العبد يراد به المعبَّد الذى عبَّده الله فذلَّله ودبَّره وصرفه وبهذا الاعتبار المخلوقون كلهم عباد الله من الأبرار والفجار والمؤمنين والكفار وأهل الجنة وأهل النار، إذ هو ربهم كلهم ومليكهم، لا يخرجون عن مشيئته وقدرته وكلماته التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر، فما شاء كان وإن لم يشاءوا، وما شاءوا إن لم يشأه لم يكن، كما قال تعالى:

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾

[آل عمران: ٨٣]

فهو سبحانه رب العالمين وخالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم ومقلب قلوبهم ومصرف أمورهم، لا رب لهم غيره، ولا مالك لهم سواه، ولا خالق إلا هو، سواء اعترفوا بذلك أو أنكروه، وسواء علموا ذلك أو جهلوه، لكن أهل الإيمان منهم عرفوا ذلك واعترفوا به، بخلاف من كان جاهلا بذلك أو جاحداً له مستكبراً على ربه لا يقر ولا يخضع له مع علمه بأن الله ربه وخالقه».

تعنى الحرية عادة الملكة الخاصة التى تميز الكائن الناطق عن غيره، وتمنحه السلطة فى التصرف والأفعال عن إرادة ورؤية، دون إجبار أو إكراه أو قصر خارجى، لأن الإنسان الحر ليس بعبد ولا أسير مقيد، وإنما يختار أفعاله عن قدرة واستطاعة على العمل أو الامتناع عنه دون ضغط خارجى، ودون الوقوع تحت تأثير قوى أجنبية والإنسان يولد حراً ويجب أن يعيش حراً، ولا يعبد إلا الله الواحد القهار الذى فطر الإنسان على العبودية لله- تعالى-.

فالحرية: هى حرية الإنسان تجاه أخيه الإنسان من جهة، وبما يصدر عنه باختياره من جهة أخرى.

وكفل الإسلام حق الحرية الشخصية أو حرية الذات، وأن الناس متساوون فى هذه الحرية.

قال الشافعى: «إن أصل الناس الحرية حتى يعلم أنهم غير أحرار».

فالإنسان يولد حراً، وليس لأحد أن يستعبده أو يذله أو يقهره أو يستغله، وإن العبودية الحقة لله- تعالى-.

وهناك الوعيد الشديد على من باع حرًا:

عن أبى هريرة- رضى الله عنه- عن النبى ﷺ قال: «قال الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة» فذكر منهم: «ورجل باع حراً فأكل ثمنه»(١)

ومن المعروف تاريخياً أن نظام الرق لم يبتدعه الإسلام وإنما هو نظام وجد قبل ظهور الإسلام فى أنظمة الدول القديمة، وجاء الإسلام وهو وضع ثابت سواء فى دول الشرق القديمة أم فى دول الغرب القديمة. لقد أقر الإسلام الرق، وجعل له من الضوابط والأحكام ما يسمو على أى نظام بشرى، وجعله وسيلة لإخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، لأن السبب الأساسى فى الرق فى الإسلام هو الكفر، وفى ذلك أيضا من المقاصد ما لا يبلغه عقل ولا يحيط به تفكير.

وحرم الإسلام جميع الأسباب المعروفة التى كانت تؤدى إلى الرق ولم يبق إلا على سببين:

١- رق الحرب.

٢- رق الوراثة.

ورق الحرب: هو الذى يفرض على بعض الأسرى، ويشترط فى تلك الحرب شرطان:

١- أن لا تكون الحرب بين فريقين من المسلمين، لأن المسلم لا يجوز أن يسترق ابتداء، لأن الإسلام ينافى ابتداء الاسترقاق، إذ الاسترقاق إنما يقع جزاء للشخص وعقوبة له لأنه استنكف أن يعبد ربه فعاقبه الله تعالى بأن جعله عبد عبيده.

٢- أن لا يكون المسلمون معتدين فى هذه الحرب.

أما رق الوراثة فقد ضيقه الإسلام فى عدة

(١) الحديث أخرجه البخارى فى البيوع، باب إثم من باع حراً (٢٢٢٧).

صور، ومنها:

١- تحريم بيع أمهات الأولاد إذا ولدت من سيدها:

قال ابن قدامة في معرض ذكره لأحكام أمهات الأولاد: «ولا يجوز بيعها ولا التصرف بما ينقل الملك من الهبة والوقف، ولا ما يراد للبيع وهو الرهن، ولا تورث، لأنها تعتق بموت السيد ويزول الملك عنها.

٢- عتق أمهات الأولاد بعد موت سيدها:

قال ابن قدامة: «يعني: أن أم الولد تعتق من رأس المال وإن لم يملك سواها، وهذا قول كل من رأى عتقهن، لا نعلم بينهم فيه خلافًا».

حق التعليم

يتجلى حق الإنسان في التعليم من خلال نقاط كثير، منها:

١- الترغيب في التعليم:

قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾

[التوبة: ١٢٢]

وعن معاوية- رضي الله عنه- قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»[٢].

٢- تخصيص أوقات للمتعلمين.

عن أبي وائل قال: كان عبدالله يذكر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبدالرحمن، لوددت أنك ذكرتنا كل يوم!

قال: أما إنه يمنعني من ذلك إني أكره أن أملكم، وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا[٣].

٣- تحريم كتمان العلم:

قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾

[البقرة: ١٥٩]

قال ابن كثير: «هذا وعيد شديد لمن كتم ما جاءت به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدى النافع للقلوب من بعد ما بينه الله -تعالى- لعباده في كتبه التي أنزلها على رسله».

٤- تعليم الأهل:

عن أبي موسى- رضي الله عنه- قال: «قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة» لهم أجران» وذكر منهم: «ورجل كانت عنده أمة فأدبها، فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران»[٤].

٥- حق النساء في التعليم:

عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: أشهد

(٢) البخاري ٢٧/١، ١٠٧/٤، ١٢٥/٩.

(٣) أخرجه البخاري في العلم، باب من جعل لأهل العلم أيامًا معلومة (٧٠).

(٤) أخرجه البخاري في العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهله(٩٧).

على النبي ﷺ خرج ومعه بلال فظن أنه لم يسمع النساء، فوعظهن وأمرهن بالصدقة، فجعلت المرأة تلقي القرط والخاتم وبلال يأخذ في طرف ثوبه.

حق الإنسان في معرفة الحق

من الحقوق المقررة في الإسلام أن كل إنسان له الحق في أن يعرف الحق، فلا يجوز الحيلولة بين الإنسان وبين الوصول إلى الدين الحق، ويجب كسر جميع الحواجز التي تقف أمام دعوة الحق أن تصل إلى كافة الناس، لأن وصول الحق إليهم حق من حقوقهم يجب الدفاع عنه.

حق التملك والتصرف

حق التملك يعني الاعتراف بحق الملكية الفردية للإنسان وتمكين المالك من سلطة التصرف بالشيء والاستفادة منه واستغلاله، والأصل أن يكون في الأعيان، ثم قرر في المنافع والحقوق.

والتملك في الأصل يقع على المال الذي هو أحد الضروريات الخمس في الإسلام ويعتبر المال أحد الدعائم الأساسية في الحياة وهو أحد عناصر الإنتاج مع العمل والموارد الطبيعية، وهو زينة الحياة، وفطر الإنسان على حبه.

حق العمل

جعل الله- عز وجل- للإنسان وقتًا لطلب المعاش: قال تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾

(النبأ: ١١)

قال ابن جرير: «وجعلنا النهار لكم ضياء لتنتشروا فيه لمعاشكم وتتصرفوا فيه لمصالح دنياكم وابتغاء فضل الله فيه».

ففي هذه الآيات يمتن الله على عباده بأن قسم الزمن على هذه الأرض بين ظلام الليل وضياء النهار، وفي هذا إرشاد للخلق إلى أن هناك وقتا للعمل وهو النهار وآخر للراحة وهو الليل، وتفيد الآيات أن أفراد بني الإنسان لهم الحق في العمل والراحة.

كما حث الإسلام على السعي لطلب المعاش في الأرض: قال تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾

[الملك: ١٥]

وعن الزبير بن العوام- رضي الله عنه- عن النبي ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»[٥].

التحذير من أكل حقوق العمال:

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «قال الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرًا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره»[٦].

(٥) أخرجه البخاري في الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة (١٤٧١). وبمعناه حديث أبي هريرة في الصحيحين.

(٦) سنن ابن ماجه ٨١٦/٢.

موقف الأزهر الشريف من الدعوة إلى التآخى والتآلف بين الأديان السماوية

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف

رئيس اللجنة الدائمة للحوار بين الأديان السماوية بالأزهر الشريف

لقد أعلن الأزهر الشريف كلمته فى الدعوة إلى تعاون الأديان السماوية لتحقيق الإخاء والتآلف بين الأديان السماوية، لنشر العدل والسلام بين الأمم والشعوب، أعلن ذلك فى مؤتمرات كثيرة منها: ما أذاعه فضيلة الإمام الأكبر الشيخ/ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر فى مؤتمر بروكسل سنة ١٩٣٦، ثم ما أكده فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد عبدالله دراز فى مؤتمر الأديان بباريس سنة ١٩٣٩ حيث ألقى بيانا مستفيضا قال فيه:

«إن اختلاف الأديان فى عقائدها وشعائرها لا يمنع أن تلتقى عند قاعدة واحدة هى أساس التعاون المطلوب، وذلك أنها كلها تأمر بالعدل والإحسان وتنهى عن الظلم والعدوان، وتسوى فى المعاملات جميعها بين أعدائها وأصدقائها، وأن دعوة الإسلام قامت على دعامتين:

أولاهما: دعوة الناس جميعا إلى عبادة رب واحد.

وآخراهما: رجوع العقائد السماوية إلى أصل واحد.

وبذلك دعا «الإسلام» إلى الإيمان بجميع الرسل والأنبياء، بل جعل الإسلام اسما مشتركا لكل الأنبياء، فقال - تعالى - فى شأن إبراهيم - عليه السلام -:

﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(آية ١٣١ سورة البقرة)

وفى شأن يعقوب - عليه السلام -:

﴿ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

(آية ١٣٣ سورة البقرة)

كما حذر الإسلام من مناوأة مخالفيه أو مضايقته ماداموا مسالمين لا يعتدون، قال - تعالى -:

﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

(آية ٨ سورة الممتحنة)

إذن فالأديان السماوية يجب أن تكون سبب وفاق ووئام، لا سبب تنابذ وخصام.. وكل الخصومات والصدامات الدينية فى القديم والحديث جاءت بسبب انحراف أصحابها عن الدين، وإذا علم ذلك فيجب الرجوع إلى الحق دون مراء.

عجز الهيئات الدولية

إننا نرى ونشاهد مؤسسات وتجمعات دولية سياسية كثيرة فى العالم تدعو إلى تعارف الشعوب وتعاونها، وإقرار السلام فيما بينها، وهيئة الأمم المتحدة مثال لهذه التجمعات...

غير أننا نعترف أن هيئة الأمم المتحدة عجزت عن أن تؤدى رسالتها على الوجه



محمد مصطفى المراغى



محمد عبدالله دراز

المنشود، وغير قادرة على تحقيق أهدافها المرجوة منها... لأنها بعيدة كل البعد عن أحكام الدين السماوى، وعن شريعة السماء التى أنزلها الله على أنبيائه ورسله لخير البشر.

وما فقدت هذه الهيئة أهميتها فى نظر الكثيرين إلا بمخالفتها قانون العدل الإلهى، واتباعها الهوى والغرض لإرضاء رغبات بعض الدول الكبرى المهيمنة عليها ممن لها استخدام حق النقض «الفيتو» وتنفيذها رغبات هذه الدول فى أن تبرم ما تشاء وترفض ما تشاء تبعا

لمصالحها الشخصية التى تخدم سياستها الاحتكارية دون اعتبار لحقوق ومصالح الدول الصغيرة.

والإسلام لا يعرف ولا يقر اختصاص دولة كبرى بالأمر والنهى، واحتكارها الهيمنة والتسلط، ونزعتها إلى الاستعلاء، وسلبها حقوق وإرادة الضعفاء... بل يقرر الإسلام أن جميع الدول سواء فى حق الحياة والحرية، ورفع مستواها الثقافى والاجتماعى والاقتصادى، وأن الناس جميعا متساوون فى الحقوق والواجبات كأسنان المشط، وأن التفاضل بين الناس لا يكون إلا فى تقوى الله وخشيته، والعمل بما أنزل الله من شرائع سماوية على أنبيائه ورسله، يقول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(آية ١٣ سورة الحجرات)

وأعتقد أن المسيحية - كدين سماوى - تتفق مع الإسلام فى ذلك.

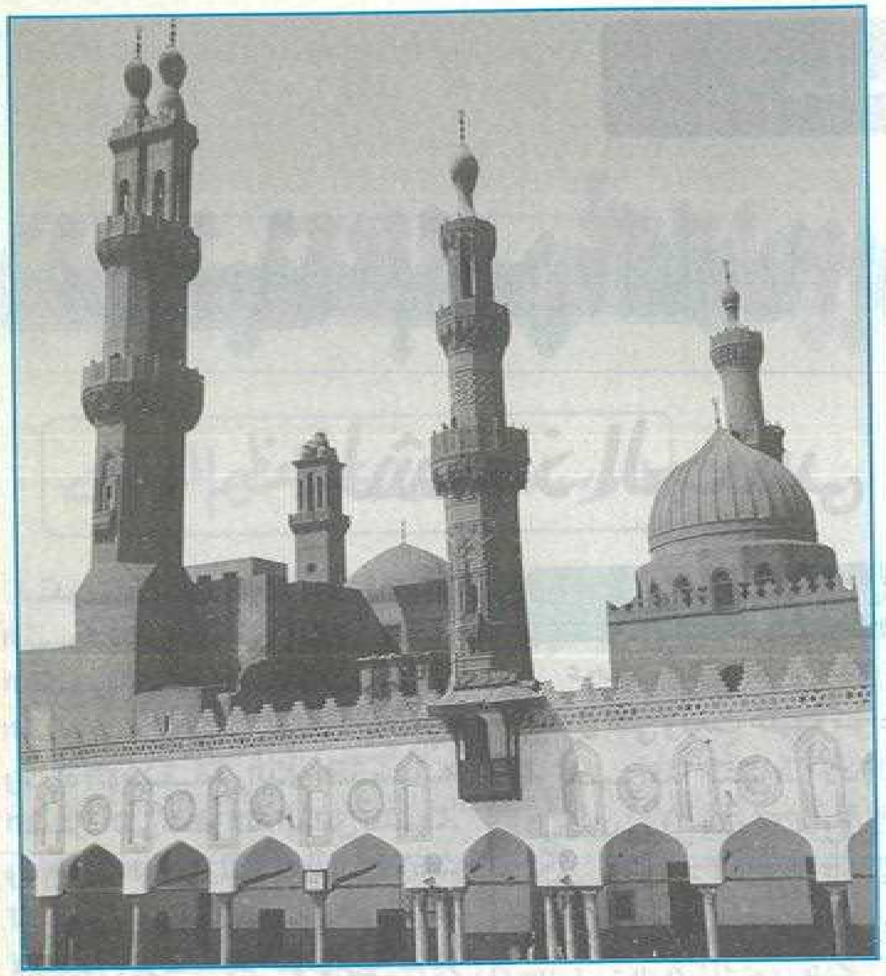
وهذا يؤكد مسئولية قادة الأديان السماوية، ويدعوهم إلى التآخى والتعاون فيما بينهم فى تطبيق شريعة السماء على البشر، التى تحترم آدمية الإنسان كإنسان، وتحقق له الحرية والعدالة والمساواة والسلام، بصرف النظر عن عقيدته الدينية، أو لونه، أو جنسه.

أهمية الحوار الدينى فى تحقيق التفاهم والتعاون

وما دام الأمر كذلك، والأديان السماوية متفقة المصدر والأصول، وهى محل اتفاق، فإننا ندرك مدى أهمية الحوار الدينى بين الأديان السماوية، والحاجة الملحة إلى دعمه وتقويته وتعميمه لتحقيق التفاهم والتقارب بين أتباع الديانات السماوية، والارتقاء بالقيم الإنسانية والأخلاقية، وتوضيح ارتباطها بالقيم الروحية المستمدة من التعاليم الدينية، وتجميع القوى الدينية لمواجهة الإلحاد والانحلال والمذاهب اللادينية الهدامة، والحد من انتشار الرذيلة، والمساهمة الإيجابية فى حل قضايا الصراع الدينى بين الشعوب مختلفة الأديان.. والقضاء على التعصب والتطرف الدينى وما ينتج عنهما من عنف وإرهاب، والمساهمة فى حل بعض المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية لاسيما وأن كثيرا منها ترجع جذورها إلى صراعات دينية.

كما أن الحوار الدينى يعمل على نشر التسامح

الأزهر



وتحقيق المحبة بين البشر ليسود السلام بين الجميع، ويساهم فى التعاون بين أتباع الديانات السماوية على تقديم المساعدات الإنسانية للمناطق التى تصاب بالكوارث.. إلخ ما يحققه الحوار الدينى من خير البشرية.

وموقف الدين الإسلامى من الحوار واضح وصريح.. فالحوار هو لغة الإسلام الأولى فى التخاطب والجدال والمناقشة للوصول إلى الحق.. وهو من أبرز الأساليب الحكيمة والبليغة التى استعملها القرآن الكريم، والذى يقرأ القرآن الكريم يجد كثيرا من آيات الحوار منتشرة فى سوره، والتى تعلم المسلمين وترشدهم إلى اتباع هذا المنهج السليم.

خاتمة

هذه خطرات صادقة جمعتها وعرضتها من المفهوم الحقيقى لمعنى الإسلام كما ورد فى القرآن الكريم، وفى سنة رسوله، وفى أقوال الأئمة من الفقهاء والمشرعين.

وليس الأمر من الخفاء بحيث يحتاج إلى تأكيده، فالنصوص صريحة، والشروح واضحة لمن أسلم وجهه لله وهو محسن...

وأرجو أن أكون قد أوضحت ما أعنيه من نبل وسمو التفاهم والتآخى والوئام بين الإسلام والمسيحية على نحو جازم وقاطع لا يقبل التأويل.

وعلى الله قصد السبيل

نقد وثيقة «بكين» لعام ١٩٩٥م إحدى مشروعات الأمم المتحدة (٦)

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعنى

الشذوذ الجنسى

تدعى وثيقة بكين لعام ١٩٩٥م أن التركيب الخلقى الفطرى عند الذكور والإناث، لا مدخلية له فى التوجه الجنسى عند النوعين. ومراد الوثيقة أن الذى اقتضته الفطرة التى فطر الله الناس عليها، وهو ميل الذكور للإناث وميل الإناث للذكور ليس هو السبيل الوحيد لإشباع الرغبات الشهوية عند الذكور والإناث. فهذا الفهم عند واضعى الوثيقة انحراف عن المسار اللازم نحو إشباع الرغبات الجنسية؟

لذلك حاولت الوثيقة «تفكيك» هذا الارتباط الفطرى الشائع فى الوجود؟

فدعت لتحقيق فك هذا الارتباط أو تقليله، إلى توسيع مجال الممارسات الجنسية بمعنى أن الذكر ينبغى أن يشبع رغباته الجنسية مع ذكر مثله. كما يتاح ذلك للأنثى، فتشبع رغبتها الجنسية مع أنثى مثلها؟!

نقد هذا الكلام

عجيب أمر واضعى هذه الوثيقة، وعجيب أمر الدول التى وقعت عليها سواء بشرط التعديل فيها، أو بغير هذا الشرط، لأن الدعوى هنا أوغلت فى البطلان ومثل هذه الدعاوى لا تغير من الواقع شيئا، لا فى التكوين الخلقى (البيولوجى) عند النوعين الذكور والإناث، ولا فى المشاعر والطباع والأحاسيس الفطرية الناجمة عن «التكوين العضوى» وإن حدث نوع منحرف فى هذه الأحاسيس عند فئة من الناس فيها يرجع إلى فساد وانحطاط فى الذوق ويعد أصحابه مرضى خلقيا وسلوكيا وعاطفيا وهم الشواذ من النوعين الذين فشا وجودهم فى بعض المجتمعات الغربية، مثل الدول الاسكندنافية وغيرها التى سرى فيها الزواج «الذكورى» الذى يتم بين ذكرين على مرأى وعلم من الآخرين.

فالوثيقة -هنا- تدعو إلى هذا «الشذوذ الجنسى» القذر، سواء تم عن طريق الزواج بين اثنين أو كان عاما وبلا أية ضوابط تذكر إلا توافق الرغبات بين طرفيه.

ويعرف فى الغرب -الآن- زواج يطلق عليه: زواج المثلين،

ويشمل النوعين معا:

أن يكون بين ذكرين أو يكون بين انثيين، وفى هذا من دناءة السلوك وقذارة الممارسة ما لا يقره إنسان يحترم إنسانيته وفطرته.

وإذا كانت ممارسة الجنس بين الذكور معروفة، فإن هذه الممارسة عند الإناث تعرف بـ«المساحقة» وهى من الشذوذ الجنسى القذر بمكان.

وبقيت من الشذوذ، الذى تدعو إليه وثيقة الأمم المتحدة صورة أخرى عند الذكور تعرف بـ«العادة السرية» وتتم بأن يشبع «الذكور» نوعا من ميولهم الجنسية بواسطة «اليد» فى حالة هوس نفسى، بل وغياب عن الوعى.

وهذا الشذوذ بصوره المختلفة، فضلا عن كونه مناف للفطرة الإنسانية السليمة، فإنها أسباب لكثير من الأمراض العضوية والنفسية أوصلها بعض الأطباء، إلى ثلاثين مرضا، منها ضعف الذاكرة أو فقدها، والإصابة بالعقم، والانهيار العصبى، أو الإصابة بمرض اهتزاز الأعصاب الشبيه بالشلل الاهتزازى فى الأطراف والعنق والرأس؟ والضعف الجنسى!!!

ولا نكون مغالين فى القول، إذا قلنا إن الأمم المتحدة فى هذه التوجيهات تدعو أو تمهد للحياة الإنسانية الراقية أن تكون أدنى سلوكا وأحط من «الحيوانات البهيمية» لأن هذه المخلوقات الدنيا تحترم فطرتها ولم تفكك الميول اللقاحية كما يفعل الإنسان.

رفع الحد الأدنى لسن الزواج

واضعو وثيقة الأمم المتحدة المعادون لنظام الأسرة الشرعية، التى يطلقون عليها «الأسرة النمطية» أو الأسرة

«التقليدية» ويعتبرون ممارسة الجنس في ظلها غير آمن.

واضعوا هذه الوثيقة توقعوا أن نظام هذه الأسرة سيظل قائما مهما حاولوا القضاء عليها ولهذا تراهم يباعدون عن قيامها، ويدعون إلى وضع حد أدنى لإباحة الزواج من حيث السن أي ألا يسمح لزواج ذكر وأنثى حتى يبلغا سنا محددة يتفق عليها ربما تكون خمسا وعشرين سنة كما جاء في بعض الاقتراحات.

نقد هذا الكلام

إن رفع الحد الأدنى للزواج إلى خمس وعشرين سنة سبق طرحه في بعض النظم التي تخشى من ظاهرة «الانفجار السكاني» أو تزايد السكان عاما بعد عام وبخاصة في العالم النامي كما يحلو لهم أن يقولوا لأن زيادة السكان في نظرهم- تقضي على ثمار خطط التنمية. وهذه «المقولة» وافدة من الغرب في شكل نصائح لشعوب «الشرق» ولكن الأمم المتحدة تبدو متناقضة مع نفسها إلى أبعد الحدود في هذه الوثيقة العجيبة الشأن يتبين ذلك إذا قارنا بين إباحتها ممارسة الجنس للأطفال من وقت مبكر، من ساعة إحساسهم ببواعثه تسري في أجسامهم، وهم في هذه الأوضاع يكونون غير أهل لتحمل مسئولية. لكنهم مثل السوائم «ترعى الكلأ حلوه ومره، نافعه وضاره؟

مع الأخذ في الاعتبار الأضرار التي أشرنا إليها من قبل، المترتبة على إرخاء العنان للنشء قبل الأوان المناسب والعمر المقبول.

فإذا قارنا هذا، بدعوة الأمم المتحدة إلى رفع الحد الأدنى لسن الزواج الشرعي، أدركنا أن الأمم المتحدة تريد للنشء أن يألف ممارسة الجنس الفوضوي وأن تدربه مدة أطول على الحياة بعيدا عن نظام الأسرة الشرعية المثمرة أجمل الثمرات.

وهذا أمر خطير يدعو إلى القلق على مستقبل الإنسانية ويشير ببنات أصابع الاتهام إلى واضعي هذه الوثيقة بأنهم -حقا- أعداء الحياة الإنسانية الفاضلة.

ومن العجيب حقا أن الوثيقة ضمن إجراءاتها لهدم الأسرة الشرعية تعتبر طاعة الزوج في منزل العائلة، انتهاكا لحقوق المرأة لأنها -أي الوثيقة- لا ترى فرقا بين الزوج والزوجة، فهما سيان كل منهما ند للآخر،

أما طاعة المرأة لرئيسها في العمل والتفاني فيها فهذا واجب على المرأة وتعلل ذلك باختلاف النوع بين الرئيس الرجل والمرأة (الأنثى).

نقد هذا الكلام

هذه التفرقة العجيبة قائمة على غير أساس إلا التحكم والتعنت. فاختلاف النوع بين الزوج والزوجة هو حكم العقل الذي لا يقبل فيه نزاع واختلاف النوع

بين الرئيس في العمل وبين مرءوسته هو حكم العقل أيضا فمن أين أتت وثيقة الأمم المتحدة بهذه التفرقة العجيبة، التي تصلح بجدارة أن تكون لقطة في عمل فني كوميدي مثير للإضحاك من الأعماق لا أن تكون مبدأ من مبادئ الأمم المتحدة، المفروض فيها أنها «عقل العالم»؟!

فالرجل هو الرجل في فطرة الخالق.

والمرأة هي المرأة في فطرة الخالق.

وليس إلى تغيير هذه الفطرة وخصائصها وثمارها من سبيل.

حقوق الطفلة الأنثى

تطالب الوثيقة برفع الظلم عن الإناث فيما يتعلق بالإرث حتى يتمتع كل الأطفال بحقوقهم دون تمييز.

نقد هذا الكلام

مع الشرط الأساسي الذي التزمته الوثيقة في صياغة ما تدعو إليه من نظم وقواعد لتطبيقها على شعوب العالم، وبخاصة دول العالم النامي (أي الفقير) فإنها تعرضت في الفقرة المذكورة إلى مصطلح ديني، وهو «الإرث» وقد أتاحت لنا فرصة النقد من منظور ديني بحت.

فالوثيقة تضع أمام بصرها ما عليه العمل في المجتمعات الإسلامية في توزيع تركة المتوفى (أب أو أم) إذا ترك ذكورا وإناثا وجعل نصيب الذكر مثل ما تأخذه الأنثيان

﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾

النساء/ ١١

ترى وثيقة الأمم المتحدة أن في هذا التوزيع ظلما عظيما للأنثى وتطالب -بناء عليه- أن توزع التركات على الذكور والإناث بالتساوي بدون تمييز بين الذكر والأنثى.

ونقول في إيجاز:

إن الله -عز وجل- شرع للبنات حقوقا لتأمين حياتهن في جميع مراحلها، ولم يكلفهن بالسعي على رزقهن إلا في حالات استثنائية نادرة.

فالبنت في كفالة أبيها من يوم تولد حتى تتزوج وتصبح أصلا في أسرة جديدة وبمجرد زواجها وجبت نفقتها، بجميع متطلباتها على زوجها مادامت الحياة الزوجية قائمة بينهما فإذا توفى عنها زوجها فلها في تركته نصيب، إما الربع إذا لم يكن له ذرية منها أو من غيرها، وإذا كانت له ذرية فلها الثمن من التركة، ثم إذا افتقرت فنفقتها على أولادها.

وحين يتقدم لها زوج -أي للبنت- وجب عليه أن يبذل لها صداقا كيفما يتفق عليه. هذا الصداق هو حق خالص لها، لا لأبيها، ولا لغيره فيه أدنى

تصرف إلا برضاها.

أما أخوها الذى شرع الله له ضعفى استحقاقها من التركة فكفالته على أبيه حتى يصبح قادرا على الكسب.

وحين يريد أن يتزوج لابد من بذل صداق (هدية) لمن يريد أن يتزوجها ثم هو ملزم بالإنفاق على زوجته وعلى أولاده حتى تتزوج البنات ويبلغ الأولاد الذكور قادرين على الكسب.

والله قسم الحظوظ فى الميراث بناء على دعامتين:

الأولى: درجة القرابة من المتوفى.

الثانية: تفاوت الأعباء المالية فى الحياة.

وبما قدمناه نجد الولد الذكر وإن اتحدت درجته فى القرابة من المتوفى مع درجة أخته. فإن الأعباء المالية الملقاة عليه فى الحياة أضعاف أضعاف العبء المالى الذى على أخته إن وجدت عندها أعباء مالية.

لذلك كان العدل كل العدل أن يكون نصيبه من الميراث بنسبة ٢:١. فأين الظلم إذن فى هذا التشريع الحكيم؟ إن الظلم كل الظلم فى ما تدعو إليه وثيقة الأمم المتحدة من مساواة الذكور بالإناث فى الميراث.

مثال تطبيقى

فإذا فرضنا أن رجلا توفى وله ولد وبنت، وترك ثروة مقدارها ثلاثة ملايين دولار. فإن نصيب الولد مليونان، ونصيب البنت مليون فإذا تقدم الولد للزواج، ودفع خمسين ألف دولار صداقا وأثث منزل الزوجية بخمسين ألف دولار، ورصد الباقى للإنفاق على الأسرة مدى حياته. وتقدم لأخته زوج ودفع لها خمسين ألف دولار صداقا وأعد لها مسكن الزوجية وتولى الإنفاق عليها وعلى أولادها.

إن نصيب أخيها آخذ فى النقص باستمرار أما هى فقد زاد نصيبها ولم ينقص، أفليس فى هذا دليل على عدالة هذا التوزيع؟!

***

من القضايا المعاصرة

الغربُ بينَ اتجاهَينِ

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

٤

حاول كثير من النصارى واليهود الرد على كتاب موريس بوكاى: «القرآن والعلم الحديث»، وطمس ما فيه من علامات الهداية، ولكنهم كانوا بين رجلين: رجل بدا فى صورة المهرج، الذى لم يحقق إلا الخسارة والبوار، لما أهدره من الأحبار والأوراق، وما أنفقه من الجهد والمال. فيما لا طائل من ورائه.. ورجل قرأ هذا الكتاب، وأمعن فى قراءته عدة مرات فنطق بالشهادتين ودخل الإسلام..!!

يقول «موريس بوكاى»: «إن الدارس للإسلام، يعرف أن العلم والدين فيه توأمان، حتى فى العصر الذى قطع العلم فيه أشواطًا تبدو مذهلة، لم يصطدم الإسلام أبداً مع العلم، بل على العكس ألقت المعارف الحديثة أضواء جلَت لنا معانى القرآن وما فيه من روعة».

«وفى هذا القرن، الذى بدا فيه للغرب، وللعالم غير المسلم أن الحقائق والأفكار العلمية قد أجهزت على بقايا الفكر الدينى، كان الأمر فى العالم الإسلامى مختلفًا تماما، فقد ساعدت هذه الكشوف والحقائق العلمية ذاتها على إثبات ما فى رسالة الإسلام والنص القرآنى من إعجاز علمى يؤكد صدوره من قوى خارقة للطبيعة، أى من وحى الخالق الأعظم!»[١].

ولقد ساق «موريس بوكاى» فى كتابيه اللذين بين أيدينا عدة أدلة علمية، تؤكد كلها على حقيقتين متلازمتين:

أولاهما، أن هذا القرآن ليس من عند محمد ﷺ وما كان له أن يكون كذلك.

(١) القرآن والعلم الحديث «بوكاى» ص١٥.

والثانية، أنه وحى من عند الله - عز وجل.

وقد اعتمدت هذه الأدلة العلمية، على مقارنات واسعة، أجراها الرجل بين نصوص القرآن، التى تتعلق بالكون والحياة والأحياء، وبين ما يوجد من نظيرتها فى الكتابين الآخرين: التوراة والإنجيل، وذلك فى ضوء معطيات العلم الحديث.

***

وبطبيعة الحال، لا يمكننا أن نتحدث عن كل هذه القضايا التى دارت بحوث الرجل حولها، أو حتى معظمها، فليس ذلك بمستطاع فى هذا المقال، ولكننا سنكتفى بالإشارة إلى مثالين فقط كدليل على ما قلناه من أن من يتلو كتاب الله بغية الهداية، فهو المهتدى لا محالة، «قضية خلق الكون فى ستة أيام» و«قضية علم الفلك». وعلى من أراد المزيد أن يعود إلى هذين الكتابين العظيمين..!!

قضية خلق الكون فى ستة أيام

فى كتابة القيم «القرآن والتوراة والإنجيل»(٢) تناول «بوكاى» هذه القضية من زاويتين اثنتين: ماذا يعنى النص فى كل من التوراة والقرآن بالأيام الستة، ثم ما يدعيه المؤلفون الأوروبيون من أن النص القرآنى فى هذه القضية جاء نتيجة للتجميع المستوحى من التوراة، وينشرحون لتقديم الروايتين بالتوازى» يقصد «بوكاى» أنهم يريدون إثبات أن القرآن عند ما ألفه محمد ﷺ رجع إلى التوراة، معتمدين فى ذلك على أن التوراة تسبق القرآن فى التنزيل.



موريس بوكاى

ثم يرد عليهم قائلاً: «إنى أعتقد أن هذا المفهوم خاطىء، فهناك اختلافات جلية، ففيما يتعلق بمسائل ليست ثانوية مطلقًا من وجهة النظر العلمية نكتشف فى القرآن دعاوى لا يُجدى البحث عن معادل لها فى التوراة. كما أن التوراة من ناحية أخرى، تحتوى على معالجات تفصيلية لا معادل لها فى القرآن» وبذلك يؤكد «موريس بوكاى» على خطأ هذا الزعم القائل بأن القرآن مُستوحى من التوراة.

أما بخصوص الزاوية الأخرى - زاوية خلق الكون فى ستة أيام، أو فى ست مراحل، فيركز «بوكاى» على المعنى المقصود فى كل من النصين - القرآن والتوراة - حيث إن المقصود فى التوراة «باليوم» هو الفترة الزمنية المعروفة، وهى المحصورة بين شروقين، أو بين غروبين.

(٢) ص١٥٧.

أما فى القرآن الكريم، فهى ليست كذلك.. ولنترك «بوكاى» يحدثنا بنفسه عن ذلك مبينًا كيف استقر على المعنى الذى تعنيه آيات القرآن الكريم وكيف كان النص القرآنى هو الصحيح فى منطق العقل. يقول: «بوكاى» فى كتابه «القرآن والتوراة والإنجيل والعلم» [ص ١٥٧ وما بعدها].

«إن التجانسات الظاهرية بين النصين معروفة جدًا، فبين هذه التجانسات نجد فى الوهلة الأولى أن ترقيم مراحل الخلق المتعاقبة هو نفسه فى النصين، فأيام الخلق الستة فى التوراة، تعادل الأيام الستة فى القرآن، ولكن المشكلة فى الواقع، أكثر تشابكًا، وتستحق وقفة عندها.

تذكر رواية التوراة، ودون أى غموض، تمام الخلق فى ستة أيام يتبعها يوم الراحة، يوم السبت، وذلك بالتجانس مع أيام الأسبوع.

«إن كلمة «يوم» كما يُفهم من التوراة، تعرف المسافة الزمنية بين إشراقين متواليين للشمس، أو غروبين متواليين وذلك بالنسبة لسكان الأرض. إن اليوم وقد تحدد بهذا المعنى يرتبط وظيفيًا بدوران الأرض حول نفسها. وواضح تمامًا أنه من المستحيل منطقيًا أن تتحدث عن «الأيام» بهذا المعنى الذى تحدد، على حين أن العملية المركبة التى ستؤدى إلى ظهورها، أى وجود الأرض ودورانها حول الشمس، لم تكن قد أنشئت بعدُ عند أولى مراحل الخلق، وذلك بحسب رؤية التوراة..!!

ويواصل حديثه قائلاً: «أما إذا رجعنا إلى نصوص القرآن، فإننا نقرأ فيها.. أن القرآن يقول هو أيضًا بامتداد عملية الخلق على مدة ستة أيام..

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾

[الأعراف: ٥٤]

ثم يذكر بعد ذلك ما ينفى أن المقصود «باليوم أو بالأيام» المعنى القريب لنا وهو المحصور بين شروقين أو غروبين:

﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾

[السجدة/ ٥]

﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾

[المعارج/ ٤]

ويستمر «بوكاى» فى التدليل على خطأ المعنى المقصود المفهوم من التوراة.. ليصل إلى خلاصة واضحة فى هذه المسألة حيث يقول:

«وفى النهاية يُبين لنا هذا العرض، مدى اتفاق المعارف الحديثة وما جاء بالقرآن الكريم، وكلاهما بدوره يختلف تمامًا عما جاء فى التوراة والإنجيل عن مراحل الخلق، وخاصة ما ذكر فيهما عن خلق الأرض فى اليوم الثالث قبل خلق

السموات فى اليوم الرابع، على عكس ما نعرفه من أن: «الأرض نشأت بالانفصال عن الشمس»، ثم يقول: «فكيف بالله عليكم يستقيم الادعاء: أن محمداً ﷺ قد استقى معارفه من تلك الكتب «السماوية» مع ما نعرفه الآن: أن القرآن قد جاء ليصحح ويعدِّل ما جاء بتلك الكتب، ليصبح مطابقًا للمفاهيم الصحيحة التى ما اكتُشفت إلا بعد عصره بقرون؟» (٢).

وبهذه القراءة المتعقلة والمقارنة بين نصِّ القرآن والتوراة يؤكد الرجل على أن نص القرآن هو الصحيح دون ما عداه، مما لا يتفق مع منطق العقل السديد..!!

قضية علم الفلك

وفى هذه القضية، يطوِّف بنا «موريس بوكاى» مع النص القرآن وإشاراته إلى حقائق كونية مؤكدة، لم يعرف العلم منها شيئًا إلا بعد قرون طويلة بعد نزول القرآن.

وإذا كنا فى حديثنا عن القضية الأولى قد اعتمدنا بالدرجة الأولى على كتاب «القرآن والتوراة والإنجيل والعلم...» فإننا فى حديثنا عن جهود «بوكاى» فى القضية الثانية سنعتمد على كتابه الثانى «القرآن والعلم الحديث (ص٢٧ وما بعدها. مؤسسة أم القرى للترجمة والنشر والتوزيع طبعة أولى). لأنه أكثر تركيزاً من سابقه فى هذه القضية.

ومما ذكره هنا، مغالطات الغرب فى وصف العرب بأنهم كانوا أهل فلك، ويعتبرون أنَّ ما جاء بالقرآن من إشارات فلكية أو كونية، إنما هو من معارفهم - أى من معارف العرب - يريدون بذلك أن ينسبوا هذه الإشارات إلى محمد ﷺ «كأن العرب - ومنهم محمد - كانوا دومًا أهل دراية بعلوم الفلك.. ويتجاهلون أن علوم الفلك لم تتطور إلا على أيدى العلماء المسلمين بعد نزول القرآن بعشرات السنين! وحتى فى أوج الحضارة الإسلامية، لم تصل المعارف الفلكية إلى الحد الذى يفسر ما أشار إليه القرآن من حقائق فلكية، لم تكتشف إلا فى العصر الحديث!

ثم يذكر «بوكاى» بعض المفاهيم والإشارات الفلكية التى وردت فى القرآن، والتى تتطابق مع ما وصل إليه العلم الحديث فى هذا المجال: «فبينما لا تميز نصوص التوراة بين صفات الشمس والقمر إلا من ناحية الحجم، فإن القرآن يسميها بصفات مميزة: القمر جسم منير

(٢) القرآن والعلم الحديث ص٢٦، ٢٧.

(نور) فحسب، بينما الشمس هى (السراج) الباعث للضوء.

- جاء فى سفر التكوين: فعمل الله النورين العظيمين النور الأكبر لحكم النهار، والنور الأصغر لحكم الليل والنجوم».

- بينما جاء فى القرآن:

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾

[الفرقان/ ٦١]

﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾

[نوح/ ١٦]

ومن الإشارات التى وردت فى القرآن، وذكرها «بوكاى»: حركة الأجرام السماوية فى أفلاك محددة واتزان بعضها مع بعض طبقًا لقوى الجاذبية التى تحددها - بدورها - الكتل والسرعات، ويتطابق تمامًا مع نصوص القرآن الكريم، وعباراته الدقيقة التى لم يدرك البشر مغزاها قبل المفاهيم الحديثة. مثل ما جاء فى سورة الأنبياء:

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

[الأنبياء/ ٣٣]

«ونلاحظ: أن حركة الأجرام يُشار إليها بالفعل «سبح» الذى يشير لا إلى الحركة فى الماء فحسب. بل إلى نوع من الحركة الذاتية».

ويقول: «أما تعاقب الليل والنهار فليس ثمة جديد فى مجرد الإشارة إليهما، ولكن الجديد والمثير هو التعبير القرآنى المستخدم فى سورة الزمر، وهو (التكوير) الذى يشير إلى لف وتدوير الليل حول النهار، والنهار حول الليل، إذ يشير إلى كروية الأرض، وإلى دورانها فى نفس الوقت، حيث يقول سبحانه:

﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾

[الزمر: ٥]

«والفعل «كوَّر» لغة: يعنى لف العمامة حول رأسه، وهو تشبيه فى غاية الدقة، وقد مرَّت قرون وقرون بعد نزول القرآن قبل أن تعرف البشرية شيئًا من هذه المفاهيم الكونية».

هذا. ولكَمْ كنا نودُّ أن نستعرض الكثير والكثير من جهود «موريس بوكاى» التى قام بها فى سبيل إحقاق الحق وإبطال الباطل. ولكن فيما ذكرناه كفاية لمن أراد أن يعرف - على وجه السرعة - أن الأيام حُبلى بالكثير من المفاجآت السارة لانتصارات الإسلام، وللميادين الواسعة التى يغزوها القرآن الكريم يومًا بعد يوم، ويفتح فيها قلوبًا غُلْفًا، وآذانًا صُمًا، وأعينًا عُميًا..!! هدانا الله بفضله سواء السبيل.

موقعنا بين حضارتين

للدكتور/ حمدى فتوح والى

الإسلام ليس نظرية فى شئون السياسة والاقتصاد. وليس مجرد طريقة فى الأخلاق والسلوك وإنما هو منهج حياة كامل بدأ بنزول القرآن. ونما معه آية آية، وتطور مع فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم خطوة خطوة ومنذ أول آية منه. ومع أول خطوة فيه. رأينا الدعوة تعمد إلى استنفار الهمم. واستجماع الطاقات. واستثمار كل موروث الخير فى قلوب الناس. للاستفادة منه فى إحداث عملية التغيير. هذا التغيير الذى بدا واضحا أن الأرض كانت فى أشد الاحتياج إليه. بعد أن استبد بزمام الأرض شياطينها. وامتلك ناصيتها مفسدوها.

ومنذ غاب الإسلام عن الساحة العالمية. خلافة راشدة، وقيادة فتية عادت الأرض مسرحا للشهوات، وميدانا للعصيان والقوميات، ومرجلا يغلى بالحروب والصراعات وبدا واضحا أن السيادة فى الأرض لم تعد لمن يملك منهجا حكيما أو تصورا سليما وإنما أصبحت ملكا لمن يملك القوة التى يملى بها على الآخر ما يريد وهذا ما يفسر السباق المحموم إلى التسلح والذى بلغ حد الجنون، وأوقع بالأرض حربين عالميتين فى أقل من أربعين عاما ضاع ضحيتها الملايين من البشر بلا ذنب جنوه، أو جرم ارتكبوه سوى ما يعتنقه ساستهم من أفكار شيطانية، ونزعات إجرامية، ونعرات قومية، ومواصفات جاهلية.. وما تزال البشرية تدفع ثمن انحرافها عن الفطرة وافتقادها للمنهج، وعتوها عن أمر الله حروبا طاحنة، وأمراضا مستعصية، وقلقا فى النفوس، واضطرابا دائما فى العقول والقلوب.

وستظل البشرية تعانى هذه الولايات وتصطلى بنار هذه القيادات حتى يأذن الله للأرض بأن تسعد

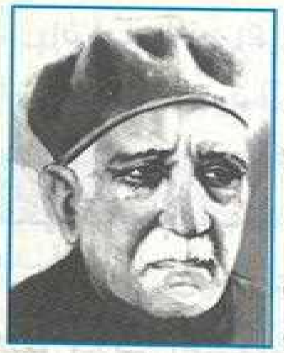
ولقياداتها أن ترشد، فتعود إلى رشدها وتفىء إلى ربها وتعتصم من جديد بمنهج الله رب العالمين.

لقد جربت البشرية الحديثة ألوانا من مناهج البشر فلم تزدها هذه المناهج إلا فسادا وضلالا، ولم يجدوا فى ظلها إلا العناء والشقاء.

إن خلاص النوع الإنسانى لايعقل ولا يمكن أن يكون، إلا بعقيدة روحية إيمانية عاطفية، صالحة لتوحيد الناس فى نظام واحد يتكفل بحاجات الضمائر والمشاعر والوجدان كما يلبى حاجات الأجسام والعقول. والأنظمة البشرية القائمة اليوم لا تملك شيئا من مقومات هذا الخلاص. فإذا كانت الأنظمة البشرية قادرة على إنشاء شركات تجارية تستطيع توزيع الأرباح توزيعا دقيقا بالأسهم والدولار والسنت، فإنها لا تستطيع أن تخلق فى الإنسان تلك العواطف النبيلة التى تسمو به على مطالب الجسد، وتكبح فيه نوازع الأثرة العمياء وهو مغتبط قرير الفؤاد.

يقول الأستاذ العقاد:

«لم تفلح عقائد الغرب فى إحياء تلك العاطفة الروحية، لأن أوروبا قد انحرفت بالمسيحية عن سوائها، ولأن المسيحية تعنى بخلاص روح الإنسان فى حياته الأخروية، ولا تعرض عليه حلا من الحلول التى تقبل التطبيق فى الحياة الدنيا بين وحدة عالمية من جميع العناصر والأقوام. ولو كانت مسيحية الغرب علاجا لمشكلات الإنسان فى العصر الحاضر لعالجت المادية الماركسية التى طغت على روسيا الحديثة، واقتلعتها من أحضان الإيمان بالله»[1].



العقاد

ونحن نقول إن الأستاذ العقاد برغم ما لمسه من إفلاس الحضارة الغربية، وإدراكه لعجزها عن معالجة المادية الماركسية فى روسيا فإن ذلك لايعنى أنها نجحت فى معالجة مشاكل أبنائها فى الغرب. فقادة الحضارة الغربية يشهدون بأنهم أخفقوا تمام الإخفاق فى أن يمنحوا الناس بحضارتهم لحظة من أمان أو اطمئنان. يقول مستر «إيدن» رئيس وزراء بريطانيا:

(١) الإسلام دعوة عالمية ـ الأستاذ عباس العقاد ص١٣٦

«إن أهل الأرض كادوا يرجعون فى آخريات هذا القرن (٢) إلى عهد الهمجية والوحشية، ويعيشون عيشة سكان الكهوف والمغارات.

ومن الغريب المضحك أن البلاد والدول تنفق ملايين الجنيهات على وقاية نفسها من آلة فتاكة تخافها ولكنها لا تنفق على ضبطها، وإنى أتعجب فى بعض الأحيان وأقول: كيف لو زار العالم الجديد زائر من كوكب آخر وهبط إلينا فما عسى أن يشاهده؟ سيجدنا نعد العدة لإهلاك بعضنا بعضا ونتبادل الأنباء عنها، ويخبر بعضنا بعضا كيف نستعمل هذه الآلات الجهنمية»(٣)

شهادة الواقع

ولا أظن القارىء يحتاج إلى دليل على عجز الحضارة الغربية عن تقديم منهج حضارى يشبع إنسان هذا العصر ماديا ومعنوياً لأن ما يسمعه ويقرأه ويشاهده أكبر وأصدق من كل ما يقال ويكفى أن نعلم من خلال إحصائية أجريت فى جامعة لوس أنجلوس بكاليفورنيا أن نسبة الشاذين جنسيا فى الجامعة من الجنسين بلغت ٨٤٪

«وقد صرح «كينيدى» رئيس الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٦٢ أن ٨٥,٧٪ من الشباب الذين يتقدمون للجندية غير صالحين، لأن الشهوات التى غرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية ويقول: «إن مستقبل أمريكا فى خطر لأن شبابها مائع منحل غارق فى الشهوات الأمر الذى سيجعلهم عاجزين عن القيام بالمهام الملقاة على عواتقهم»(٤).

تلك شهادة بعض أعلام الحضارة الغربية على حضارتهم وهى أيضا شهادة الواقع الذى لا يستطيعون إخفاءه أو إنكاره، وإذا كان هذا شأن الحضارة الغربية، فإن شأن الحضارة الشرقية لم يعد يحتاج منا إلى نقد أو تعليل، أو شرح لجوانب النقص والقصور فيها، لأنها سقطت فى بلادها الأصلية ومعلوم أنها لم تسقط إلا لأنها لم تستكمل مقومات البقاء، وما استطاعت أن تبقى هذه العقود من السنين إلا بالتسلط والقهر وتكميم الأفواه ومصادرة جميع الحقوق والحريات وينقل الأستاذ العقاد

(٢) يقصد القرن العشرين

(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ـ مكتبة السنة ص٢١٦

(٤) الإسلام ومستقبل البشرية ـ د.عبدالله عزام ص٣٢

عن المفكر الهندى العلامة السيد محمد على صاحب الترجمة المشهورة للقرآن الكريم قوله:

«إن الشيوعية شر من نظام رأس المال لأن شرور هذا النظام تتفاقم كلما قل أصحاب رءوس الأموال، ومن خطط الشيوعية أنها تحصر رءوس الأموال فى يد فرد واحد أو جملة أفراد، لأن الدولة تصول بالقوة التى لا تقاوم، ولا يملكها الأغنياء بالغا ما بلغ نصيبهم من الثراء، وقصارى الأمر إذا اجتمعت الأموال فى أيدى الحكومة أن يصبح الحكام عصبة مستغلة تحل مع الزمن محل الشركات والمصارف الكبرى، وتصول على الناس بقوة لا تملكها تلك المنشآت»(٥) وهذا ما حدث فى منظومة الدول الشيوعية حتى وصل الأمر بالناس حدا لايطاق، ولم تستطع الفطرة تحمل هذا العبء الثقيل فطرحته عن كاهلها فى بداية التسعينيات من القرن الماضى ليكون هذا التحول بشارة خير للإسلام،ودليل صدق لرؤية المؤمنين من الصادقين من العلماء العاملين ومقدمة لتصديق بقية البشارة بسقوط الشق الآخر الذى يمارس اليوم عربدة فى الأرض أصبحت لاتطاق.

الحضارة المادية لا روح لها

ومن المناسب فى هذا المقام أن اقدم للقارىء إحساسا أفاضه الله على رجل من أحبابه عاش مجاهدا وعالما، ولقى الله شهيدا، هو الدكتور «عبدالله عزام» الذى أدرك ببصيرته الإيمانية سقوط الحضارة الماركسية الإلحادية قبل سقوطها الفعلى بعقد واحد من الزمان فيقول:(٦) «أن شجرة المادية بفرعيها الغربى النفعى العلمانى، والشرقى الإلحادى، تتآكل اليوم وينخر بها السوس من كل طرف وجزء من كيانها، لقد بدأ العفن منذ أيامها الأولى؛ لأنها قامت على غير أساس، وبنيت على غير هدى، لقد أراد زارعها الغربى أن يتحدى طبيعتها وفطرتها وظن أنه يستطيع أن يغير صفتها فيزرعها بلا رى، وأراد أن يغرس الموز فى بلاد الإسكيمو، والصنوبر والتفاح فى خط الاستواء(٧) ففشل فشلا ذريعا، وراح جهده هباء منثورا، لأنه تحدى إرادة الله

(٥) الإسلام دعوة عالمية ـ الأستاذ عباس العقاد ص١٣٤

(٦) الإسلام ومستقبل البشرية ـ د.عبدالله عزام مكتبة المنار ـ الأردن ص٣٦

(٧) يقصد المؤلف: أنهم وضعوا الشىء فى غير موضعه واستنبتوا النبات فى غير بيئته فلم ينبت.

وناموسه فقهره! لقد زرع الغربى حضارته بعيدا عن هدى الله، وخنق فيها الروح منذ اللحظة الأولى، فولدت ميتة بلا روح، مادية بلا حياة، لايجرى الدم فى عروقها، ولدت الحضارة الغربية مشلولة الدماغ، وظن الغربى أنه يستطيع علاج هذا الشلل ولكن كلما تقادم الزمان ومرت الأيام يبين الشلل فى الأعضاء والعطل فى جميع الأنحاء،، إلى أن يقول: «إننى ألمح الذبول فى فرعى الحضارة (الغربى والشرقى) ولكننى أرى أن الضمور والاصفرار فى الفرع الشرقى أشد وأكثر هذا مع تأكدى ـ والله أعلم ـ أن الشجرة بفرعيها ستذوى وليس زمن سقوطها النهائى بعيدا لأنها سنة الله القائل:

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾
(يونس/١٣)

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾
(يونس/٨١)

وهاهى الشيوعية قد سقطت وصدقت نبوءة الرجل وتحقق حدسه فلم يمض بعد كلامه هذا سوى اثنى عشر سنة وسقطت الشيوعية سقوطا مهينا بعد أن فشلت فشلا ذريعا. ومايزال الشق الآخر من الحضارة المادية يتلبط فى وحله ويتخبط فى ظلامه، ويضطرب فى سيره، ويترنح فى خطواته استعدادا للسقوط الأخير، الذى حكم به الخالق الحكيم على كل من ينازع الله سلطانه، ويسعى فى الأرض بالإفساد والتخريب، إنهم يسعون فى الأرض فسادا والله لايحب الفساد.

بين الضلال والهدى

إن الحياة فى نظر الرجل الغربى صراع لا يهدأ وقتال لا يتوقف فهو لايعرف الحياة إلا قويا ظالما أو مقهورا مظلوما أما أن يتسع أفقه ليقبل الآخر شريكا محايدا فى حب ووئام فهذا مالا يخطر للرجل الغربى على بال، لأن الذين يصنعون له فكره، ويضعون له خططه، ويمدون أصحاب القرار السياسى بتصوراتهم وأفكارهم، لا يستمدون تصوراتهم من وحى إلهى، أو منهج ربانى، وإنما المرجع الحقيقى، والمكون التاريخى والعمق الثقافى، يعود إلى المدنية الرومانية الوثنية التى ظلت صاحبة التأثير الفعلى على عقلية الغرب، الذى لم يعرف النصرانية إلا طلاء خارجيا ظاهرا ـ اعتنقها نتيجة أسباب سياسية قاهرة فرضها الإمبراطور قسطنطين فى القرن الرابع الميلادى.

يقول المستشرق النمسوى «ليبولد

فايس» الذى ولد ونشأ فى ظل العقلية الأوروبية: «إن المدنية الأوروبية لاتزال فى واقعها وثنية مادية لاتؤمن بغير القوة»[٨] ولما كان الرجل صادقا مع نفسه فقد خلع عن عنقه وصمة الانتساب إلى هذه الحضارة الحيوانية وأعلن الدخول فى الإسلام وتسمى بـ«محمد أسد» وكتب كتابه العظيم «الإسلام على مفترق الطرق» والذى اقتبسنا منه هذه الكلمات ومن يقرأ مقالة المفكر الأمريكى المعروف «هنتنجتون» التى تعد هى المرجع الفكرى لأصحاب القرار السياسى فى أمريكا والتى جاءت بعنوان «صراع الحضارات» يدرك طبيعة العقلية الأمريكية التى لاتؤمن بغير القوة ولا تبنى سياستها أو تصنع قرارها إلا على هذا الأساس.

وهو أساس ينطلق من إلغاء الآخر والتعامل مع أهل الأرض جميعا بمنطق الإله الذى لايقبل أن يرد أمره، أو يستهجن فعله، أو ينازع فى سلطانه، وهو مقام لاينبغى إلا لله سبحانه و تعالى.

***



محمد اسد

لقد استكبر الإنسان الغربى فى الأرض، واستعلى على البشر، ومكر السيئات، وأظهر الفساد فى البلاد؛ فجنى حصاد ما زرعت يداه، جنى الشوك والشقاء والقلق والبلاء.

إن الحضارة المادية بشقيها الشرقى والغربى، دخلت مرحلة الاستبدال والتغيير!

ولكن من المرشح لوارثة الإنسان الغربى فى قيادة الأرض؟

وأى حضارة هذه التى ستتقدم بإذن ربها لإنقاذ الإنسان؟

إنه الإسلام دين الله الذى ارتضاه للناس منهاجا وإماما.

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾
(آل عمران/١٠١)

(٨) الإسلام على مفترق الطرق ـ محمد أسد ص٤٦.

الهزيمة والفجر



للشاعر السورى الكبير: عمر بهاء الدين الأميرى (*)

عَلَى بُراقٍ مِنَ الإشراقِ مُنْطَلِقِي ... مِنْ حَوْمَةِ الهَمِّ واللأْواءِ والقَلَقِ (١)

فِى مَطْمَحِى أملٌ، لَمْ تَخْبُ جَذْوَتُهُ ... بِرَحْمَةِ اللهِ، والأعْبَاءُ فِى عُنُقِى (٢)

أرْنُو إلَى اللهِ، والضَّرَّاءُ تُحْدِقُ بِى ... ونَكْبَةُ المَسْجِدِ الأقْصَى عَلَى حَدَقِى (٣)

دَمُ الفُؤادِ، ودَمْعُ العَيْنِ، مِنْ لَهَبٍ ... ذَوْبٌ، وزَفْرَةُ صَدْرِى الجَمْرُ فِى الحُرَقِ (٤)

عَلَى مَنَابِتِ تَارِيخٍ، وأرْضِ هُدَى ... مِنَ الرِّسَالاتِ ذَاتِ الجِذْرِ والسَّمَقِ (٥)

عَلَى «الخَلِيلِ» وكَمْ ضَاءَتْ مَنَائِرُهَا ... فِى المَسْجِدِ الحَرَمِ الأسْنَى مِنَ اليَقَقِ (٦)

* من ديوان «من وحى فلسطين» ص٦٥.

والأستاذ عمر بهاء الأميرى، شاعر سورى معروف، عمل فى التدريس والمحاماة، ثم عين وزيراً مفوضاً فى باكستان ثم سفيراً فى المملكة العربية السعودية، ثم اختار الإقامة فى المغرب أستاذاً فى الدراسات العُليا بدار الحديث الحسنية بالرباط. له دواوين كثيرة.

(١) البُراق: الدابة التى ركبها النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج، واستعارها الشاعر لمطية الإشراق الذى انطلق به للتعبير عن السرعة. الحومة: المكان الذى يدور فيه الطائر وغيره، وحومة القتال: معظمه. اللأواء: الشدة

(٢) الجذوة: القطعة الغليظة من الخشب فى طرفها نار.

(٣) أرنو: أديم النظر، وأراد أنه يوجه بصره إلى السماء متضرعاً إلى الله ـ تعالى. الضراء: الشدة.

(٤) ذوب: ذائب، سائل.

(٥) السمق والسموق: العلو.

(٦) الخليل: مدينة الخليل فى فلسطين. اليقق: الأبيض الناصع.

عَلَى مَرَافِعِ عِيسَى جَلَّ رَافِعُهُ، ... عَلَى المَرَاتِعِ أضْحَتْ غُصَّةَ الحُلُقِ (٧)

عَلَى مَرَابِعِ قُدْسِ المَجْدِ، بَارَكَهَا ... وحَوْلَهَا اللهُ، وهْىَ اليَوْمَ فِى الرِّبَقِ (٨)

مَسْرَى الرَّسُولِ وأولَى القِبْلَتَيْنِ بِهَا ... وَا حَرَّ قَلْبَاهُ، مَاذَا لِلفَخَارِ بَقِى!

عَيْنَاىَ، عَيْنَاىَ، ويْلَ الهَوْلِ صُورَتُهُ ... فِى أدْمُعِى، حَيْثُمَا يَمَّمْتُ مِنْ أُفُقِ (٩)

مَالِى أرَى الصَّخْرَةَ الشَّمَّاءَ فِى كَمَدٍ ... تَذْوِى، وعَهْدِى بِهَا مَرْفُوعَةَ العُنُقِ (١٠)

ومِنْبَرَ المَسْجِدِ الأقْصَى يَئِنُّ أسَىً ... قَدْ كَانَ يَحْبُو الدُّنَى مِنْ طُهْرِهِ الغَدَقِ (١١)

والْيَوْمَ دَنَّسَهُ فُجْرٌ ألَمَّ بِهِ ... مِنْ بَغْىِ شَعْبِ اليَهُودِ الدَّاعِرِ الفُسُقِ (١٢)

ولِلْعَذَارَى العَذَارَى المُسْلِمَاتِ عَلَى ... أعْوَادِهِ ضَمَّةُ المُوفِى عَلَى الغَرَقِ (١٣)

لَوْ اسْتَطَاعَ لألْقَى نَفْسَهُ حُمَمًا ... صَوْنًا لَهُنَّ، ودَكَّ الأرْضَ مِنْ حَنَقِ

وظَلَّتِ الكَعْبَةُ الغَرَّاءُ بَاكِيَةً ... وغَمَّ كُلَّ أذَانٍ غُمَّةُ الشَّرَقِ (١٤)

***

وقَائِلِينَ: يَهُودٌ؟ قُلْتُ: وَا حَرَبَا ... أجَلْ يَهُودٌ، يَهُودُ الذُّلِّ والفَرَقِ (١٥)

يَا لائِمِينَ انْظُرُوا، فَاللهُ مِنْ أزَلٍ ... أرْسَى نَوامِيسَهُ فِى الخَلْقِ كَالفَلَقِ (١٦)

هُمْ حَارَبُونَا بِرَأىٍ وَاحِدٍ، عَدَدٌ ... قُلٌّ، ولَكِنْ مَضَاءٌ ثَابِتُ النَّسَقِ (١٧)

عِلْمًا ودَأْبًا وإعْدَادًا وتَعْبِئَةً ... وبَادَرُوا غَزْوَنَا فِى مَكْرِ مُسْتَبِقِ

يَحْدُوهُمُ أمَلٌ، يَمْضِى بِهِ عَمَلٌ ... ونَحْنُ ـ وَاسَوْأتَاـ فِى ضِلَّةِ الحُمُقِ

(٧) مرافع عيسى: يريد الأمكنة التى رفع الله فيها عيسى ـ عليه السلام ـ إلى السماء، ـ جل رافعه ـ: أى تعالى رافعه، وهو ـ الله ـ عز وجل ـ. المراتع: الملاعب. الحلق: جمع حلْق، وهو مجرى الطعام.

(٨) الرِّبَق: جمع الرِّبْقة، وهى عروة الحبل، أراد أنها فى ربقة الاحتلال.

(٩) يممت: قصدت واتجهت.

(١٠) الصخرة: صخرة المسجد الأقصى. الشماء: المرتفعة. تذوى: تذبل.

(١١) يحبو: يعطى. الغدق: الكثير.

(١٢) الفجر: الفجور. البغى: العدوان. الداعر: الشديد الفجور. الفسق: الشديد الفسق.

(١٣) أعواده: أعواد المنبر، تعود بها العذراى المسلمات. الموفى: المشرف.

(١٤) الشرَق: ما يبقى من نفس المحتضر إذا شرق بريقه.

(١٥) واحربا: صيغة تفجع، يقولها. من حرب أى من سلب. الفرق: الخوف الشديد.

(١٦) الفلق: الفجر أو الصبح أو ما انفلق من عموده. نواميسه: سننه وشرائعه.

(١٧) القل ـ بالضم: القلة، ضد الكثرة. النسق: ما جاء على نظام واحد.

كُثْر، ولكن عديدٌ لا اعتداد به … جمعٌ، ولكن بديدٌ غير متسق (١٨)

حارت عقائدنا، زاغت قواعدنا … أما الرءوس فرأىٌ غير متفق (١٩)

البعض يحسب أن الحرب جعجعةٌ … والبعض فى غفلةٍ والبعض فى نفق (٢٠)

***

قالوا: الشعوب، وهل نال الشعوب سوى … قول جزاف، وإصلاح على الورق (٢١)

هم شتتوها وأغروا بينها حسداً … وفرقة، وأثاروا حقدها الطبقى (٢٢)

و«مذهبوها» بدعوى لا ثبات لها … ولا فلاح بها مقطوعة الوثق (٢٣)

وكبلوا جيلها المرموق فى غده … عن نهج محتده فى الدين والخلق (٢٤)

حتى إذا ما أبى أن يستكين لهم … شدوا على عنقه أنشوطة الوهق (٢٥)

***

قد كابروا الله واستعلوا على سفه … منى كواذب، دعوى غير معتنق (٢٦)

وأعلنوها، وما خاضوا معامعها … ولا أعدوا لها إعداد ذى حذق (٢٧)

فكان من أمرنا ما كان من فشل … هذى جحافلهم مهزومة المزق (٢٨)

بهم هزمنا، ومازلنا، وما اتعظت … عمى النفوس، ألا إن الشقى شقى

فيا فجيعة شعب مد كاهله … ليصعدوا منه فى أبنائه العقق (٢٩)

(١٨) بديد: مبدد مفرق. متسق: منظم. (١٩) زاغت: تاهت وضلت.

(٢٠) الجعجعة: صوت رحى الطاحون. النفق- بفتحتين: سرب فى الأرض له مخلص إلى مكان، يريد أن البعض استبد بهم الخوف فاختبؤوا.

(٢١) جزاف: فيه مجازفة، غير مؤكد.

(٢٢) شتتوها: فرقوا بين الشعوب. أغروا بينها: أوقعوا بينها.

(٢٣) الوثق: جميع وثاق، وهو ما يربط به.

(٢٤) كبلوا: قيدوا. المرموق: الذى ينظر إليه على انه امل مرتجى. النهج: الطريق القديم. المحتد: الأصل والطبع.

(٢٥) يستكين: ينقاد ويخضع. الوهق- محركة ويسكن - الحل يرمى فى أنشوطة، فتؤخذ به الدابة والإنسان.

(٢٦) كابروا الله: تحدوه فى كبريائه لاستكبارهم فى الأرض. السفه الجهل والحمق. غير معتنق: غير مؤمن بما يدعى.

(٢٧) المعامع: جمع معمعة، وهى القتال والمعامع: الحروب والفتن والعظائم. الحذق: الإتقان.

(٢٨) الجحافل: الجيوش. المزق: جمع مزقة وهى القطعة الممزقة من الشىء، يريد فلول الجيش.

(٢٩) الكاهل: أعلى الكتف. العقق: غير البررة.

ويا حبائلهم لفى الشباك على … أعناقهم ـ واخنقى الطغيان واختنقى

***

جرح، وأعمق من صبر ومن جلد … خرق، وأكبر من عمر ومن رتق (٣٠)

لقد نكبنا، وما خضنا، ولا هزم الأبطال … فى السجن، والأقطاب فى الشنق (٣١)

بلى نكبنا، بما قد ناب أمتنا … والخطب من قلبنا فى أعمق العمق

لا يأس فالحرب أقدار ودائرة … وإنه طبق يأتى على طبق (٣٢)

مكبلون، ولكن فى غد نبأ … يا نجم مزق ظلام الليل وأتلق (٣٣)

لسنا نبالى، وللقرآن فى دمنا … جذى من العزم تطوى شقة اللحق (٣٤)

غداً، سيشرق بالإسلام طالعنا … بدراً وشمساً ونجلو غرة الفلق (٣٥)

والنصر بالصبر والإيمان معقده … والمجد بالعزم والإعداد والسبق

***

يابن الهدى يا فتى القرآن دعك من الأوهام، جلجل أمر الله أن أفق (٣٦)

أنت الخليف لما آتته من أكل … أنت الطهور على أدرانها.. اندفق (٣٧)

ونقها، واغذها خيرا ومرحمة … أسعد بها الكون، أنت النور فانبثق

ياليلة القدر، أدعو الله فى لهف … أموت من «حرم الأقصى» على نشق (٣٨)

محرراً من يهود يعبثون به … يحوطه الصيد من أبنائه الخلق (٣٩)

عليك أقسم القرآن تلبية … يا رب يا خالق الإنسان من علق (٤٠)

(٣٠) الجلد: التجلد والتماسك، الخرق الرتق: ضد الفتق.

(٣١) الشنق: حبال المشنقة.

(٣٢) الطبق: الحال ومنه قوله تعالى: «لتركبن طبقاً عن طبق»

(٣٣) انتلق النجم: التمع.

(٣٤) الجذى: جمع جذوة- مثلثة-: القبسة من النار والجمرة، الشقة: البعد والسفر البعيد.

(٣٥) الطالع: الهلال، الغرة: غرة كل شىء: أوله، الفلق: الفجر.

(٣٦) جلجل: الجلجلة: صوت الجلجل وهو الجرس.

(٣٧) الخليف: الخليفة، أتته: يريد بالضمير الدنيا، الأدران: الأوساخ، اندفق: من دفق الماء إذا صبه بشدة.

(٣٨) اللهف: اللهفة والتشوق، النشق: الشم، وفعله كفرح، والنشوق: كل دواء يدنى من الأنف ليجد ريحه.

(٣٩) الصيد: النبلاء، والصيد ميل العنق ترفعاً، الخلق: ذوو الأخلاق الحسنة.

(٤٠) العلق: القطعة من الدم الغليظ، وهو ما تؤول إليه النطفة فى الرحم.

الحل الإسلامي

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

حين نؤكد على أن الدين هو الحل الأول والأخير، فإن ذلك يعنى على الفور، أن كثيراً من الفلسفات المادية، والمذاهب البشرية، حاولت أن تقدم حلولا من أى لون، ومن كل لون، ولكنها جميعا باءت بالإحباط والفشل، ووقفت عاجزة تماما أمام طموح الاجتماع الإنسانى.. وتوقه إلى إطار شمولى يستجيب لكافة نوازعه.. ويعالج جميع مشكلاته ويهبه نوعا من الأمن والسلام فى هذا العالم اللاغط.. الملىء بتحديات الخوف، والبطش، ومحاولات الاقتلاع.

حاولت الوثنية القديمة والحديثة، أن تقدم هذا الحل، فتعرّتْ عن عجزها الذاتى الذى فشل فى مجرد الإبقاء على بعض هيبتها فى نفوس سدنتها.. وظلت مجرد وثنيات.

وحاولت المزدكية، والزرادشتية، والمانوية، أن تقدم هذا الحل.. فانكشفت محاولاتها الساذجة عن جهد إنسانى قاصر، لا يستطيع غير الولوغ فى لذائذ آنية بائسة.. أو الضياع فى أبد حيرة وجودية بلا حل.. أو الإحالة على قوى مخلوقة فى الخلق لتأليهها، كالنور والظلام.. وظلت جميعها مجرد خيط آدمى بلا معنى.

وحاولت الشيوعية أن تقدم هذا الحل.. فتركت وراءها عالماً يابساً تحكمه الضرورة من جهة. والصراع الدموى بين الطبقات من جهة أخرى.. وعلقت رايتها الوبيلة رمزاً لمرحلة من مراحل التاريخ الردىء، زعمت فيها أنه (لا إله.. والحياة مادة) فنفت الإنسان فى كون وحشى بلا أية مصابيح، وحددت إقامته فى وجوده الزمانى، ففقد بذلك أروع أشواق روحه، وأنضر مساحات أمله، وحفرت بينه وبين حسَ الخلود هُوات بلا قرار.. وظلت الشيوعية مجرد تحريض تاريخى، إن بنَىَ لبنة، أتى على قواعد آلاف الصروح.

وحاولت الرأسمالية أن تقدم هذا الحل، فباءت بغضب من التاريخ والناس، لأنها ألّهت رأس المال، وعطلت فى الإنسان التاريخى طموحه إلى غد أفضل، وحكمته بحتمية أن يدور فى ساقية العمل، أجيراً عند صاحب رأس المال، بلا تطلع إلا إلى لقمة العيش، ونصبت حوله شباكاً من سيطرة رءوس الأموال هذه، حتى أصبح مجتمعها أشبه شىء بالمجتمعات العبودية القديمة، التى تستنزف طبقة فيها طبقة، كأنها بقانون حتمى غير مرئى، وظلت شرها تاريخياً دميم الوجه إلى درجة التشوية.

وحاولت حتى الوجودية أن تقدم هذا الحل، فأغرقت رأسها فى رمال فلسفات ناضبة، هل الوجود سابق على الماهية؟ أو أن الماهية سابقة على الوجود؟ هل يمكن أن يكون الالتزام الإبداعى التزاماً بموقف؟ أو أنه التزام بفكر سابق على الموقف؟ هل نقول بميلاد الهوية الإنسانية من لحظة سقوطها على الأرض؟ أو أن هذه الهوية تولد بمجرد امتلاكها لوعيها بالوجود؟ إلى آخر هذه الفلسفة الطاعنة فى الشيخوخة، والتى لا يمكن أن تضع رغيفاً فى يد جائع، ولا كساء على أكتاف عريان.. وظلت الوجودية مجرد غياب فى مطلق الكلام.

حصاد الهشيم

وإذن فقد حاولت فلسفات كثيرة، ومذاهب متعددة، أن تقدم هذا الحل، ولكنها عادت جميعاً وفى يديها حصاد الهشيم.. لأنها خاطبت التاريخ الإنسانى من منظور كونه تاريخ معدة لا تاريخ روح، وواجهت المشكل الوجودى على أنه مشكل فكر جدلى لا مشكل واقع إجْرائىّ، وعالجت الظاهرة الإنسانية عن طريق جرعات من المادة، وليس عن طريق إحياء روحى يوظف المادة فى مناطها الراشد.. ففقدت رشادها جميعاً وأفقد إنسانها كذلك قيمة أن يعيش فى الأرض بوحى السماء.

وكان هذا الغباء التاريخى هو المنعطف الخطير الذى ارتطمت به هذه المذاهب الأرضية، فرأينا عديداً من الانشقاقات الداخلية، يثور فى قلب هذه المذاهب، ورأينا عديداً من مفكرى هذه الفلسفات ينقلب على قيمها الوضعية، ويرفض أن يجاريها فى نفى إنسان الأرض عن ممالك السماء، ويدينها من خلال التناقض الذى يثوى فى تركيبها الأولى، ولعل

(جارودى) الفيلسوف الفرنسى المعاصر أقرب الأمثلة على صحوة الضمير الإنسانى فى إنسان هذا العصر الذى أفاق على هشاشة هذه الفلسفات وعلى حقيقة أن الإسلام هو البناء الإلهى المتكامل الذى يربى فى إنسانه نزوع الروح والمادة، ويزكى فى إنسانه قيم الآن والتطلع، ويبارك فى إنسانه شجاعة الفكر والفعل، ويصل فى إنسانه عناصر الحب بين الخلق والخالق، فتستقيم بذلك المعادلة، ويتهيأ الكون لاستئناف حضارة التوحيد من جديد.. وإذن فحين نقول بأن الدين هو الحل الأول والأخير فإن هذه المقولة تنبعث من إدراك تاريخى لفشل كل هذه المذاهب المادية، ووقوف الدين وحده منارة هادية فى أغباش الظلام.

إن الدين عند الله الإسلام

وحين نقول: إن الدين هو الحل.. فإنما نعنى بذلك.. أن الإسلام هو الحل ـ لأن الدين عند الله ـ بنص قرآنه ـ هو الإسلام.. ولأن هذا الإسلام بالفعل ـ قدم بشكل يقينى معجز.. حلولاً لكل المشكل الحياتى من كل جوانبه، فحل المشكل العقيدى.. والمشكل الاجتماعى والمشكل السياسى والمشكل النفسى.. وكان فى كل أولئك ينطلق من قاعدة أصولية ثابتة ويستهدف غاية أصولية ثابتة كذلك.. وبهذه الوضعية الأصولية.. فارق شتى الحلول المطروحة والتى ستطرح.. منذ فجر التاريخ وإلى أبد التاريخ كذلك.

فقد حل الإسلام المشكل العقيدى.. بتوحيد الألوهية.. وتمحيص الربوبية لله.. فقضى بذلك على خرافة تعدد الآلهة.. وعلى بداهة انحيازها إذا تعددت.. وعلى فساد الأرض والسماء لو كان فيهما آلهة غير الله.. وعلى رفض أن يحنى الإنسان قامته لصنم معبود.. أو وثن مؤله.. أو بشر مستكبر فى الأرض!!.

وقد حل الإسلام المشكل الاجتماعى فى جانبيه المادى والشعورى، المادى.. بتقرير أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده.. وبأن المال لله يستخلف فيه إنسانه.. وبأن التكافل والإيثار والحب!.. هى الجسور الواصلة بين من يجد ومن لا يجد.. وبأن الثروة محكومة فى النظام الإسلامى بالصيرورة الدائمة.. عن طريق الميراث.. والزكاة.. والصدقة.. والإسهام فى المشروعات العامة.. والشعورى بتأكيد أن الأسرة هى الخلية الأولى.. التى يتنامى فيها حس التعاطف.. ونقل الخبرة.. وإرساء الاجتماع المسلم على أسس من طهارة المنبع وطهارة المصب جميعاً.. وبأن المجتمع الإسلامى ينبغى أن يظل نموذجاً لسائر المجتمعات الإنسانية، بما يحققه من عناصر التوازن.. والإحساس بالآخرين.. والالتزام العقيدى والإنسانى.. والتناصر فى السراء والضراء.. والقتال تحت راية المبدأ.. إن هيض له جناح.. أو تعرض لافتيات!!.

الشورى

وقد حل الإسلام المشكل السياسى: بتنصيب من يرضاه المسلمون والياً عليهم وبتأصيل قاعدة الشورى التى لا ينفرد معها واحد مستبد برأى.. ويجعل العدالة أساساً صميماً فى علاقة الحاكم بالمحكوم.. ويرفض كل التشريعات الأرضية التى يراد لها أن تحكم الإنسان.. وصولاً إلى تحكيم شرع الله فى الأرض.. وجعله وحدة مقياس الاقتراب أو الابتعاد عن محور الوجود الإسلامى الحقيقى.. وفى هذا الفعل الإسلامى الحقيقى.. استنقاذ لمعنى الحاكمية والمحكومية جميعاً.. لأنه المدخل الوحيد إلى عدالة بلا ظلم.. وإلتزام بلا فوضى.. واجتماع بلا أحقاد.. وتاريخ بلا دم!!.

وقد حل الإسلام المشكل النفسى.. بتحقيق نوع من التوازن بين مطالب الجسد ومطالب الروح.. وبتحديد نوع من التعادل بين المنح والمنع.. وبترسيخ الإحساس بأننا لسنا وحدنا على الأرض.. لأن عين الله تحرس خطواتنا على كل طريق وبتعميق إيماننا فى الآخرة.. حتى لا نتقاتل على الدنيا.. كأنما هى كل الدائرة.. ونهاية الجولة.. وبتأصيل جذور الحب والتفاؤل والثقة والانتصار، والخير والإيثار، والجمال والجدوى.. فى أعماق نفوسنا الآدمية.. حتى تهدأ من لغب وتستريح من تعب.. وتأوى إلى فضائل الأمن والاطمئنان والسلام ونحب أن نؤكد هنا.. أن هذه الحلول المسلمة.. لهذا المشكل أو ذاك.. تنطوى فى النص الإسلامى على جوانب معجزة بالفعل.. فقد تطرق إلى كل جزئيات هذه القضايا!، وخرج بها من مجال الحلم المأمول إلى مجال التحقيق الفاعلى.. فكان بحق إطاراً تاريخياً لحركة الاجتماع الإنسانى، بكل ما يتطلبه هذا الاجتماع من ضرورات وأشواق، أى من تخطيط لواقع الفعل، واقع التوق الأعلى من مجرد الفعل، ومن هنا كان هذا الإطار الإسلامى أقدر على تلبية احتياجات البشر، وأجدر بقيادة التاريخ، وألصق بطبائع الأشياء.

***

تيارات العولمة فى الفكر الإسلامى

للأستاذ الدكتور/
محمد إبراهيم الفيومى

يستطيع الدارس للفكر العربى أمام العولمة من خلال النصوص العربية المنشورة حول ظاهرة العولمة أن يدرجها ضمن التيارات الأساسية التالية:

● التيار الليبرالى: ويذهب أصحابه إلى أن العولمة ظاهرة غير قابلة للارتداد أو الانتكاس، وأن التوفيقية هى الأسلوب الإجرائى الذى يجب أن يتحكم فى التعامل معها.

● تيار قومى قلق أمام تقلص الأهداف الكبرى للأمة العربية متساءل فى حيرة: ما العمل أمام الظاهرة الجديدة؟ ويرى من أبرز ميزات أسلوب معالجته عدم فصلها عن العربية، لكن يؤخذ على هذا التيار أنه ترك جوهر الموضوع وأسهب فى الحديث عن الظاهرة وأمركة العالم.

● تيار إسلامى: ينطلق أساسا من موقع الدفاع عن الخصوصية الثقافية المهددة من قبل موجات العولمة المتدفق.

فالتيار الإسلامى -باتجاهاته كافة- الذى يعتبر اليوم أكثر التيارات تشددا فى شأن الهوية الثقافية بعمقها الدينى، لم تجذبه حتى الآن عولمة الثقافة لا بل استخدم تقنيات العولمة ووسائلها الحديثة وشبكات الإنترنت للدعاية لنفسه وترويج خطابه السياسى، أو حتى التنسيق بين أجنحته فصارت تقنيات الحداثة والعولمة فى خدمة ثقافة هذا التيار وهويته.

● تيار ماركسى: يلاحظ أن أنصاره يعتمدون على منهج المادية التاريخية فى معالجتهم للظاهرة، ولكن البون شاسع بين رؤية معاصرة تنطلق من

المعطيات الجديدة وفى مقدمتها جوهر الفكرة للظاهرة نفسها وبين الوقوع تحت نظرية قديمة انكشفت أخطاؤها.

العولمة ظاهرة استعمارية

يصور المفكر العربى سيار الجميل رؤية الاشتراكيين والراديكاليين للعولمة عند تعقيبه على محاضرة للباحث العربى السيد ياسين عن مفهوم العولمة أثناء مناقشات الندوة الفكرية عن «العرب والعولمة» التى نظمها مركز دراسات الوحدة العربية فى يونيو ١٩٩٨ ببيروت.

ويرى سيار الجميل فى تنظيره للعولمة - كما يراها الأصوليون والوطنيون والاشتراكيون والراديكاليون والتراثيون- بأنها «إمبريالية ثقافية» تسعى إلى تهجين العالم وتجريده من خصوصياته، وفرض النموذج الثقافى الغربى على شعوب الأرض قاطبة. فالكونية المستقبلية التى تسعى العولمة إليها ما هى -فى نظرهم- إلا كونية استعمارية كاذبة، لا تحترم الإنسان ولا تحافظ على جذوره وحضارته وموارده وتجارته وثقافته (١).

وكلها كانت دولا نامية غزاها المستعمر بالقوة العسكرية أحيانًا، وبالسياسة والخداع أحيانًا أخرى. وكان من نتيجة غزوها أن استغل المستعمر إمكاناتها الطبيعية، واستحل مواردها المادية، ودمر اقتصادياتها، واخترق ثقافاتها بغرس النظم التربوية الغربية فى مدارسها ومعاهدها غير عابىء بتراثها، وعقائدها وقيمها الأخلاقية التى ورثتها منذ أجيال بعيدة. وكان من نتيجة كل هذا أن ازدادت الشعوب المستعمرة فقرا على فقر، وانسلخت منها ثقافات مجتمعاتها، وحل مكانها المستعمر الغربى من حيث اللغة والفكر والعادات والتقاليد.

ولكننا نرى أنه ليس من مصلحة العرب، ولا مستقبل التنمية فى مجتمعاتنا -التى تتطلب الانفتاح على عالم الاقتصاد والثقافة والتكنولوجيا والعلوم الحديثة لمواصلة نموها وتطورها- أن نغلق على أنفسنا الأبواب والنوافذ، ونوصد عليها رياح التغيير والإبداع والابتكار.

موقف العرب من النظام الكونى الجديد

وفى ظل هذه التكلات فإن العرب مطالبون بتلافى الخلل فى رؤيتهم للنظام العالمى الجديد، والنهوض بتحمل

(١) تعقيب من المفكر العربي سيار الجميل علي المحاضرة التي القاها السيد ياسين عن مفهوم العولمة في الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، يونيو ١٩٩٨، ص٤١.

مسئولياتهم فى المشاركة الفعالة كوحدة إقليمية للإفادة من هذا النظام، والمشاركة فى تصحيح مساره لصالح الدول العربية فهو نظام يحتاج إلى وعى الحكومات وجماهير الأمة العربية.

فإمكانات التكامل من القوى البشرية والمادية متوفرة لدى العرب، هذا بجانب وحدة العقيدة والتراث واللغة والتقاليد. ورغم كل هذا فإن إقامة السوق العربية المشتركة تتعثر فى دهاليز الجامعة العربية ولجانها المتخصصة.

إن العولمة أصبحت واقعا ملموسا ينبغى ألا نتجاهله.

وهى ليست شرا كلها، ولا خيراً كلها، وعلينا أن نتجاوب معها دون تفريط فى مصالحنا وهويتنا وعقائدنا وثقافتنا وتراثنا.

يقول الدكتور الشبينى: هنا ينبغى أن نلقى الضوء على خمسة محاذير من سيطرة العولمة وهيمنتها على الدول النامية:

● المحذور الأول: أن تؤدى الهيمنة إلى تنازل الدولة الوطنية عن حقوقها السياسية القومية تحت تأثير ضغط الدول الغربية عليها.

● المحذور الثانى: أن تؤدى الهيمنة إلى رضوخ الدولة الوطنية لما تمليه عليها الدول الغربية اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا.

● المحذور الثالث: أن تؤدى الهيمنة إلى استغلال الثروات الوطنية البشرية منها والمادية للدول النامية والإضرار بخطط التنمية بها.

● المحذور الرابع: أن تؤدى الهيمنة إلى الإخلال بالعقائد والعادات والتقاليد والقيم السلوكية للمجتمعات النامية، وذلك بهدف إحلال الحضارة الغربية محل الحضارة القومية.

● المحذور الخامس: أن تؤدى الهيمنة إلى سيطرة نموذج الثقافة الغربية لإحلاله محل الحضارة القومية، ويكون من نتيجة ذلك أن تتخلى الدول النامية عن الضوابط الثقافية التقليدية والتراثية والقيمية التى ورثتها منذ أجيال بعيدة [٢].

ولكننا نحرص كل الحرص على أن تتعامل الدول العربية مع العولمة بكثير من العقلانية والواقعية وإجراء الدراسات العميقة بشأنها، آخذة فى الاعتبار تلك المحاذير فى حساباتها حتى تصبح العولمة عاملاً إيجابيًا فى معاونة الأمة العربية

(٢) صراع الثقافة الإسلامية مع العولمة ص.٥٠

معنى هيمنة نظام عالمى أحادى

عندما نتحدث عن الهيمنة فإننا فى حقيقة الأمر نتحدث عن حرص الدول الغربية على فرض نظام عالمى أحادى جديد على الدول النامية، سواء رضيت تلك الدول أو كرهت.

يقول الكاتبان هانس بيترمارتين، وهارالد شومان فى كتابهما «فخ العولمة... الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية» فى حديثهما عن أمريكا كشرطى العالم الخطر، حيث قالا: «فالزعم القائل بأن أمريكا تساعد العالم على حل مشاكله حبًا فى الخير لوجه الله لا غير، هو زعم باطل أصلاً، فبغض النظر عن كل ما بينهما من اختلافات، لا تحقق حكومات الولايات المتحدة الأمريكية - منذ قديم الزمان- إلا ما تراه يخدم مصالحها القومية [٣].

وإذا كان الأمر كذلك فيما يتعلق بالهيمنة الأمريكية وفرض نظام عالمى أحادى لتحقيق مصالحها القومية، فإن الواجب علينا أن نوضح معنى فرض نظام أحادى غير متعدد الجوانب على الدول النامية. إننا نتساءل: هل فرض مثل هذا على التطور والنمو والارتقاء، لا عاملاً يؤدى سلبًا إلى الهيمنة عليها، أو السيطرة على مقدراتها، أو تنازلها عن حقوقها القومية.

هذا القلق الذى يساور الدول النامية والمفكرين فيها من أن العولمة تؤدى إلى طريق الهيمنة والتبعية الإمبريالية، دفع الكاتب الأمريكى فرانسيس فوكاياما فى كتابه «نهاية التاريخ وآخر البشر» أن يؤكد على أن العولمة تقوم على أساس المنافسة وليس الهيمنة، وأنها أيضًا تقوم على التنافس العالمى من أجل خير البشرية، وخاصة فى إطار الثورة التكنولوجية والاتصالية والمعلوماتية التى يشهدها العالم فى وقتنا الحاضر، علمًا بأن فوكاياما هو الذى عبر فى كتابه هذا عن فرحته الغامرة من انتصار الرأسمالية الأمريكية فى أوائل التسعينيات، وسحقها للأيديولوجية الشيوعية الماركسية، ودعا الدول النامية إلى اتباع نموذج الولايات المتحدة الاقتصادى على أنه النموذج الأمثل الذى من الواجب أن تتبعه مختلف الدول، فالعولمة -كما يراها فوكاياما- تعتبر انتصاراً للقيم والفكر والتكنولوجيا الأمريكية.

(٣) هانس بيتر مارتين، وهارالدشومان: فخ العولمة، الاعتداء علي الديمقراطية، والرفاهية. سلسلة كتب ثقافية شهرية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير ١٩٧٨م، ص١٠٤.

النظام الأحادى الذى لا تسمح الولايات المتحدة الأمريكية بمنافس له :

● أن يعنى التبعية الكاملة وإزالة المقومات الشخصية للدول النامية ؟

● أن يعنى اقتداء الدول للنموذج الأمريكى اقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا ونبذ نماذجها القومية !

● أن يعنى اختراق القوميات ونسف الخصوصيات الثقافية والاجتماعية التى ورثتها الدول النامية منذ أجيال بعيدة !

● أن يعنى تدمير التراث والتقاليد والعقائد والقيم السلوكية لمجتمعات العالم الثالث !

● أن يعنى فرض حلول مستوردة من الولايات المتحدة الأمريكية لحل مشاكل التنمية والتطوير للدول النامية !

وأخيراً وليس آخراً :

● أن يعنى استمرار سيطرة وادى السليكون بولاية كاليفورنيا -موطن ثورة تكنولوجيا الكمبيوتر والمعلومات والاتصالات- على الدول النامية فيما يتعلق بتوطين تلك التكنولوجيا فى تلك الدول !

كل هذه التساؤلات تبحث الدول النامية عن إجابات شافية عنها، وتتلخص التساؤلات فى أربعة أمور هامة هى :

أولا : التخوف من أن يطغى النظام العالمى الأحادى على غيره من النظم القومية ولا يسمح بالتعددية الثقافية والاجتماعية واحترام خصوصيات الشعوب التى ورثتها منذ أجيال عديدة، وبذلك فإن هذا النظام يخلق صراعًا بين الأحادية العالمية والتعددية الكونية.

ثانيا : تخوف الدول النامية من سيادة النظام العالمى الأحادى وهيمنته على هويتها الثقافية والاجتماعية مما يشكل تهديدا لسيادة الدول القومية وشرعيتها ونمط الحياة فيها.

ثالثا : تخوف الدول النامية من تقليل النظام العالمى الأحادى من أهمية الثقافات القومية للدول النامية بحجة أنها ثقافات مختلفة عن الثقافة الغربية الرفيعة، ومن ثم تراها ثقافات هامشية غير متطورة وغير إبداعية، ولذلك كان لزاما عليها أن تتبع نموذج الحضارة الغربية الأمريكية، وتقتفى أثرها، لكى تكون أكثر قدرة على التعايش العلمى والفكرى والتكنولوجى المعاصر.

رابعا : تخوف الدول النامية -وخاصة الإسلامية منها- من أن النظام العالمى الأحادى الغربى لا يعدو غزوا اقتصاديا واجتماعيا فحسب، بل إنه غزو علمانى يهدد دين الأمة العربية والإنقاص من

معتقداتها ومقدساتها الإسلامية.

الاختراق الثقافى وثقافة الاختراق

اختراق الآخر : سلب خصوصيته وبالتالى نفيه فالاختراق الثقافى- الذى تمارسه العولمة بالهيمنة عليه والحلول محله- يمهد بالاختراق الثقافى ليصنع فرقا بين الاختراق الثقافى ومقولة الغزو الثقافى التى راجت فى أدبيات الفكر العربى قبل عقدين من الزمان : تعنى ثقافة الاختراق : ثقافة إشهارية، إعلامية سمعية بصرية ترى فيها العولمة بديلا من الصراع الثقافى، مع أن العولمة قد أسهمت بوسائلها الجديدة فى تجاوز الصراع الاجتماعى حدوده الوطنية التقليدية ليشمل أقاليم جغرافية شاسعة.

وإذا ما سارت الدول الغربية تتخذ هذا الطريق الوعر فى مواصلة تهديد هويات الدول النامية، والتقليل من شأن خصوصياتها الثقافية والاجتماعية بزعم تخلفها عن ركب الحضارة المادية الغربية المعاصرة فإن كل هذا سوف يؤدى -بلا شك- إلى حث تلك الدول على مقاومة العولمة، ودفعها إلى التشكيك فى نواياها، بل أيضا إلى تجاهلها.

إن الهيمنة الثقافية الأحادية يجب ألا يكون لها مكان فى رؤية المنظرين الغربيين الذين يفاخرون بالتقدم الثقافى والعلمى والفنى والتكنولوجى عبر تاريخ الحضارة الغربية، منذ عصر النهضة إلى وقتنا المعاصر، ويرون فى التبعية للثقافة الغربية والاقتداء بنموذج الغرب الطريق الأوحد الذى لا ثانى له لاندماج الدول النامية فى النظام العالمى الجديد، حتى ولو أدى ذلك إلى تهديد لهوية دول العالم الثالث وإهدار لخصوصياتها، ومحو لمعالم تاريخها وتراثها وعقائدها وتقاليدها بل وفنونها وآدابها. إنهم يرون أن التبعية الثقافية العمياء لنموذج الغرب هى الحل الأمثل لمشكلات التخلف للدول النامية والنهوض بها وبذلك تتحقق السيادة الغربية على الثقافات القومية للدول النامية.

وغاب عن دعاة الحداثة والمعاصرة فى إطار العولمة أننا لا نقاوم الحداثة، ولا نقلل من أهمية الإبداع والابتكار والتجديد ولكننا ندعو إلى رؤية معتدلة تدعو إلى التفاعل الثقافى الإيجابى فى ظل العولمة الغربية أخذاً وعطاء، دون خوف أو وجل، ثقة واعتزازاً بحضارتنا ومنجزات ثقافتنا فالعولمة فى مفهومها المعتدل لا تتناقض مع التعددية الثقافية ولا تتعارض مع المحافظة على الهوية القومية للشعوب التى تتعامل معها.

وفى الوقت نفسه ندعو إلى مقاومة تلك الثقافات التى تهدف إلى الهيمنة على ثقافتنا العربية، أو تخترق خصوصيات عقائدنا وتراثنا، حتى لا نكون تابعين لثقافات أخرى غربية أو شرقية بل نكون مبدعين ومبتكرين ومجددين داخل إطار ثقافتنا القومية.

الثقافة القومية

إن إحياء الثقافة القومية العربية فى مواجهة الأحادية الثقافية الغربية تتطلب من المفكرين العرب فى مجالسهم ألا يضيعوا وقتهم فى لعن الثقافة الغربية، وما جرته على الأمة العربية من وبال وهوان، أو ضرورة العمل على مقاومتها، أو إعلان الحرب عليها لتسلم الثقافة العربية من شرورها وهيمنتها. هذا كلام لا تصاحبه الحكمة فى عالمنا المعاصر، ولا يجانبه الصواب فى عالم العولمة الثقافية، فإحياء الثقافة العربية يحتاج أول ما يحتاج إلى تجديدها، وإعادة بنائها برؤية حديثة تخلصها من الشوائب التى علقت بها طوال سنوات طويلة من الجمود والتقليد والركود، والتى بليت بها عبر عصور التخلف والانحدار، حتى يمكنها أن تواصل المسيرة فى ربط ماضيها بحاضرها نحو مستقبل ثقافى أفضل.

إن الثقافة -فى حقيقتها- تعد نتاج تراث المجتمع وحضارته على مر العصور والأزمان بما فيه من عقائد وعادات وسلوك بشرى، وتراكمات من القيم الأخلاقية والفكرية، ومما خلفته الأجيال السابقة فى المجتمع من عمران، وعلوم وآداب، وفنون كل هذا يمثل هوية المجتمع سواء أكان فقيراً أم غنيًا أم ضعيفًا، صناعيًا أم زراعيًا أم بدويًا، شماليًا أم جنوبيًا، فكل مجتمع له هويته وشخصيته اللتان تتميز بهما هويات وخصوصيات أي مجتمع آخر.. ومن ثم فإنه يمكن القول بأن أصالة المجتمع وهويته هما قيمتان اجتماعيتان تنبثقان من تراثه وعقائده وقيمه الاجتماعية.

ومن هنا يمكننا القول بأن لكل أمة خصوصياتها التى تنبع من هويتها وشخصيتها، فهناك الهوية العربية، والهوية الأفريقية، والهوية الآسيوية، والهوية الأوروبية، والهوية الأمريكية.

وحتى فى إطار الهوية الإقليمية نجد أيضا هويات قطرية، لكل دولة الخصوصية التى تختلف كثيراً أو قليلاً عن هويات الدول الأخرى التى تشترك معها فى اللغة أو العقيدة.

ولا مندوحة أمام الدول النامية -صغيرها وكبيرها- إلا أن تلحق بقطار العولمة الثقافية وضرورة الاتفاق بين الأمم والشعوب على آلية يمكن عن طريقها

تحقيق أكبر قدر من التواصل بين الثقافات، والتعاون بين الحضارات، عن طريق الحوارات القطرية والإقليمية والعالمية.
وفى هذا الإطار من التفاعل بين الثقافات والحضارات يمكن أن تحتفظ كل أمة بهوية تراثها وأصالتها، وفى الوقت الذى تتوخى التعريف بثقافتها وتفيد من ثقافات الأمم الأخرى.

الفيلسوف والمفكر العالمى روجيه جارودى أحد أعلام الثقافة الفرنسية فى عصرنا الحاضر يرى أنه:

منذ أن انفردت الولايات المتحدة كقوة أحادية بعد انهيار الاتحاد السوفيتى فى بداية التسعينيات، تسعى إلى فرض هيمنتها بكل قوة على العالم المعاصر، دون اعتبار لهوية شعوبه وخصوصياتها الحضارية والتراثية، بل أيضًا بدون اكتراث لتقاليدها ومعتقداتها وقيمها الإنسانية والاجتماعية.

وقد حذر الفيلسوف جارودى فى كتابه «أمريكا طليعة الانحطاط» دول العالم النامى من الهيمنة الأمريكية التى استفحل أمرها، وعم أثرها عسكريًا وسياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا على مختلف تلك الدول.

والشىء الواضح الذى لا غموض فيه: هو أن انحياز العولمة للثقافة الغربية يعتبر -دون شك- دعوة إلى الأحادية الثقافية، هذه الدعوة سوف تؤدى لا محالة إلى المزيد من التوتر بين الثقافة الغربية والثقافات الأخرى للدول النامية، هذا التوتر مرجعه عدة أسباب، أهمها:

أولا: فرض نظام ثقافى واحد، وتبعية مطلقة لنموذج الثقافة الغربية وتراثها منذ الفلاسفة اليونانيين -وعلى رأسهم سقراط وأفلاطون وأرسطو- فى القرن الرابع قبل الميلاد، ماراً بالعصور الوسطى المسيحية والنهضة والتنوير إلى عصرى الصناعة والتكنولوجيا الحديثة.

ثانيًا: فقدان الخاصية الطبيعية المميزة لحضارات الشعوب النامية فى المجالات الفكرية والأدبية والفنية المعمارية منها والشعبية.

ثالثًا: تعديات على العقائد والتقاليد والقيم الاجتماعية التى تخص مجتمعات الشعوب النامية.

رابعًا: ممارسة التهميش الثقافى والتخلى عن مختلف الضوابط التقليدية والعادات التى تمارسها الشعوب النامية.

خامسًا: السيطرة على الشعوب وإذلالها، ومحو ثقافتها وهوياتها القومية وتراثها الفكرى.

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾

شهادات غربية فى إنصاف الإسلام

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

٢

* يشهد «سير توماس أرنولد» ومعه كوكبة العلماء الغربيين الذين استشهد بدراساتهم- على الحقيقة التى تمثل «مفارقة غريبة» حقيقة انتشار النصرانية التى هى ديانة، السلام المتصوف، والصوفية المسالمة بالسيف والعنف والقهر والإكراه بينما تم انتشار الإسلام الذى هو دين ودولة وعقيدة وشريعة بالسماحة والدعوة التى تتوجه إلى العقول وتجتذب القلوب.

يشهد العلامة «أرنولد» على هذه الحقائق الموضوعية والتاريخية.. ومالنا من هذا المقام، إلا تقديم نصوصه الموثقة التى نقدمها للقارىء الغربي «الظالم للإسلام» أو الجاهل بحقيقته ليراجع موقفه من الإسلام.. كما نقدمها للقارىء المسلم ليزداد يقينه بعظمة الإسلام وسمو سماحته.. وليزداد عزمه على الدفاع عن الإسلام فى مواجهة الحملة البربرية الظالمة لهذا الدين.

ونحن نقدم هذه الشهادة الأولى- شهادة «سير توماس أرنولد» تحت هذه العناوين:

أ- حال النصرانية إبان ظهور الإسلام

ب- العوامل الذاتية لتفوق الإسلام وسرعة انتشاره.

جـ- سماحة الإسلام.

د- نشر المسيحية بالعنف.

يشهد على ذلك كله العلامة «سير توماس أرنولد».. فيقول:

حال النصرانية إبان ظهور الإسلام

(لقد صادفت شريعة محمد ترحيبا لا مثيل له فى العالم.. وإن الذين يتخيلون أنها انتشرت بحد السيف إنما ينخدعون انخداعا عظيما)

جورج سيل Sale.G (١٦٩٧-١٧٣٦م) مترجم القرآن الكريم إلى الانجليزية

العوامل التى ساعدت على نشر الإسلام

إن حالات المجتمع المسيحى نفسه قد جعلت الجهود التى تنطوى على الغيرة والحماسة الدينية فى اكتساب مسلمين جدد أعظم قيمة.

ويعد تدهور الكنيسة الإغريقية فى مقدمة هذه الحالات جميعا وإلى جانب طغيان الدولة البيزنطية فى الشئون الزمنية نشأ استبداد فى الأمور الدينية جعل الحياة العقلية ترزح تحت عبء القرار الحاكم الذى حرم كل مناقشة فى شئون الأخلاق والدين، والشئ الوحيد الذى أقض مضاجعهم هو المجادلات العنيفة التى قامت حربا عوانا على الكنيسة اللاتينية مقرونة بكل ما فى المناقشات النظرية والكراهة العنصرية من شدة ومرارة، وتدهورت ديانة الشعب فأصبحت تراعى المظاهر الخارجية مراعاة تقوم على كثير من الوهم والريبة ووجدت حماسة عبادتهم البالغة متنفسا فى عبادة العذراء والقديسين والصور والمخلفات الأثرية، وانصرف عدد كبير عن كنيسة انحطت حياتها الروحية إلى الحضيض ولما ملوا مناقشات لا نهاية لها حول مسائل مذهبية عويصة كالانبثاق، المزدوج لروح القدس، وأخرى تافهة - كاستخدام الخبز الخمير أو الفطير فى القربان المقدس - تقبلوا بصدر رحب تعاليم الإسلام الواضحة المفهومة التى تقوم على الوحدانية وقد انتهت إلينا أخبار عن طوائف كبيرة من الناس أسلموا ولم يكونوا بسطاء عامتهم فحسب، بل كانوا من العلماء على اختلاف طبقاتهم ومناصبهم وحالاتهم، وأخبار عن الطريقة التى أجرى بها الاتراك أرزاقا أسخى على هؤلاء الرهبان والقساوسة الذين اعتنقوا الإسلام حتى يكونوا قدوة قد تدفع غيرهم إلى اعتناق الإسلام وبينما كانت «أدرنة» لا تزال العاصمة التركية (أى قبل سنة ١٤٥٣م) كان البلاط قد اكتظ بالذين أسلموا ويقال إنهم كانوايؤلفون السواد الأعظم من أصحاب الجاه والسلطان هناك وكثيرا ما انحاز الأمراء البيزنطيون وغيرهم إلى صفوف المسلمين ووجدوا منهم ترحيبا كبيرا.

وبعد سقوط القسطنطينية أظهرت الطبقات العليا من المجتمع المسيحى من الاستعداد لاعتناق الإسلام ما يفوق بكثير استعداد جمهرة اليونان..

وفى الكنيسة الإغريقية أصبح الدين الإسلامى الملجأ الطبيعى لأفراد الكنيسة الشرقية، هؤلاء الذين أحسو بمثل هذا الحنين بعد أن عرفوا صورة من العقيدة أنقى وأبسط...[1]

---

١) «الدعوة إلي الإسلام» ص١٨٥-١٨٧.

فساد رجال الدين المسيحى كان من أسباب اعتناق الإسلام.

.. وفى عهد صلاح الدين الأيوبى فى مصر (٥٦٤ - ٥٨٩هـ - ١١٦٩ - ١٩٩٣م) تمتع المسيحيون بالسعادة إلى حد كبير فى ظل ذلك الحاكم الذين عرف بالتسامح الدينى، فقد خففت الضرائب التى كانت فرضت عليهم، وزال بعضها جملة وملأوا الوظائف العامة كوزراء وكتاب وصيارفة.

وفى عهد خلفاء صلاح الدين نعموا بمثل هذا التسامح والرعاية، قرابة قرن من الزمان، ولم يكن هناك ما يشكون منه إلا ما اتصف به كهنتهم أنفسهم من الفساد والانحطاط، فقد فشت السيمونية [٢] بينهم، فبيعت مناصب القسيسين، الذين اتصفوا بالجهل والرذيلة على حين حيل بين الذين طلبوا التعيين وبين هذا المنصب المقدس بعجزهم عن أداء الأموال المطلوبة فى احتقار وازدراء، مع أنهم كانوا من الجديرين بشغل هذا المنصب، وكان من أثر ذلك أن أهمل تثقيف الناس روحيا وخلقيا إهمالا تاماً وبلغت الحياة المسيحية درجة محزنة من الانحلال... كما بلغ من فساد الكنيسة أنه عند وفاة يوحنا الرابع والسبعين من بطارقة اليعاقبة فى سنة ١٢١٦م، كان لابد من انتخاب خليفة له، وقام بين الجماعات المتعادية المتناحرة التى لجت فى إثارة حقوق المرشحين المتنافسين، نزاع عنيف استمر نحو عشرين سنة، إلا أنه لم يكن من سبيل إلى إصلاح ذات البين بين هذه الجماعات، فقد كان اهتمامهم طوال ذلك الوقت بما قد يترتب على ذلك من نتائج محزنة مخزية ضارة، أقل من اهتمامهم بالمحافظة على روح التحزب التى تنطوى على العناد وإثارة الشقاق وفى أكثر من مناسبة حاول السلطان الجالس على العرش أن يصلح بين هذه الفرق المتخاصمة، ورفض ما عرضته عليه من رشاوى ضخمة بلغت ثلاثة آلاف وخمسة آلاف، بل عشرة آلاف قطعة من العملة الذهبية ليغروه بأن يكفل لهم اختيار أحد المرشحين بالضغط وباستعمال نفوذه الرسمى بل لقد عرض عليهم هذا السلطان أن يتجاوز عن المطالبة بالرسوم التى اعتاد أن يؤديها البطريق الذى يفوز حديثا بالانتخاب، لو أنهم طرحوا منازعاتهم ووصلوا إلى شئ من الاتفاق. ولكن هذه الجهود لم تحقق أى غرض من الأغراض.. وخلا فى الوقت نفسه كثير من الأسقفيات، ولم يكن هناك من يحل محل الأساقفة والقسيسين الذين ماتوا فى تلك الفترة..

ومما يدل على أن تحول المسيحيين إلى الإسلام لم يكن راجعاً إلى الإضطهاد، ما وقفنا عليه من الشواهد التاريخية الأصيلة، وهو أنه فى الوقت الذى شغر فيه كرسى البطرقية، تمتع المسيحيون بالحرية التامة فى إقامة شعائرهم، وسمح لهم بإعادة بناء كنائس جديدة، وتخلصوا من القيود التى حتمت عليهم أن يركبوا الحمير والبغال، وحوكموا فى محاكمهم الخاصة، على حين أعفى الرهبان من دفع الجزية، ومنحوا امتيازات معينة..»[٣]

***

«إن سرعة انتشار الإسلام فى الأيام الأولى من الاحتلال العربى قد تكون راجعة إلى عجز ديانة كالديانة المسيحية وعدم صلاحيتها للبقاء، أكثر من أن تكون راجعة إلى الجهود الظاهرة التى قام بها الفاتحون لجذب الأهلين إلى الإسلام وإن الأساس اللاهوتى لبقاء اليعقوبيين [٤] طائفة منفصلة، والشعائر التى جاهدوا فى سبيل الاحتفاظ بها وقتاً طويلا، ودفعوا ثمناً غالياً فى هذا السبيل، قد اجتمعت فى عقائد كانت صيغتها أشد ما تكون غموضاً وإبهاماً من الناحية الميتافيزيقية ولاشك أن كثيراً من هؤلاء قد تحولوا، وقد أخذت الحيرة منهم كل ما أخذ، واستولى على نفوسهم الضجر والإعياء من ذلك الجدل السقيم الذى احتدم من حولهم، إلى عقيدة تتلخص فى وحدانية الله البسيطة الواضحة ورسالة نبيه محمد بل إننا نجد فى داخل الكنيسة القبطية نفسها فى عصر متأخر شواهد تنبىء عن حركة إن لم تكن إسلامية خالصة، فقد كانت على الأقل وثيقة الصلة بها، وربما ساعد عدم وجود أى نظام كنسى مستقل ليجد طريقه لإيضاحه والتعبير عنه، على زيادة عدد الذين دخلو فى الإسلام.

إن نظرية الحياة المسيحية التى وجدت أقصى ما يمكن إدراكه والتعبير عنه فى التقشف فى أكبر صوره، قد استطاعت أن تظهر بعض الميل نحو الآداب الإسلامية الأكثر إنسانية.. ولكثرة عدد الأقباط الذين كانوا يعتنقون الإسلام من حين إلى حين أخذ أتباع النبى «محمد» يعتبرونهم أشد ميلاً لقبول الدين الإسلامى من أية طائفة أخرى.[٥]

والظاهر أن الأمية كانت متفشية فى السواد الأعظم من رجال الدين المسيحى، فإن معظمهم لم يعرف كيف يكتب برغم إلمامه الضعيف بالقراءة، وكانوا على جانب كبير من الجهل بواجبات مهنتهم المقدسة إلى حد أنهم لم يستطيعوا حتى إعادة صيغة الغفران عن ظهر قلب.. وعلى الرغم من أنه كان من واجبهم أن يلقوا القداس وسائر الخدمات باللغة اللاتينية، كان هناك عدد قليل جداً يستطيع أن يدرك شيئا منها، كما كانوا على جهل بأية لغة عدا لغتهم الأصلية، وكانوا لايعرفون عن حقائق دينهم إلا معارف غامضة أخذوها بالتواتر»[٦]

- يتبع -

٢) نسبة إلى سيمون الساحر، والمراد: محاولة الارتقاء عن طريق المال إلى الرتب الروحية والكهنوتية، وبيع الأشياء الروحية بالأثمان الدنيوية.

٣) «الدعوة إلى الإسلام» ص١٢٨- ١٣٠.

٤) او اليعاقبة: فرقة مسيحية، تنسب إلى يعقوب، وهى إحدى فرق ثلاث اختلفت حول طبيعة المسيح - اليعقوبية، والملكانية، والنساطرة - واليعاقبة يقولون بالطبيعة الواحدة للمسيح، اى أنه هو الله والإنسان اتحدا.

٥) «الدعوة إلى الإسلام» ص٢٢٥-٢٢٧.

٦) المصدر السابق. ص٢١١-٢١٢.

الأزهر

كتاب الشهر

إرهاب القراصنة وإرهاب الأباطرة قديما وحديثا

تأليف: ناعوم تشومسكى

تعريب: أحمد عبد الوهاب

عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

الإرهاب الذى تردده الألسن فى هذه الأيام من مشرق الأرض إلى مغربها.. يرفضه الإسلام رفضا قاطعا ـ بل يحاربه فى شتى صوره ـ لأنه يقوض أهم أسس الإسلام فى علاقته بالإنسان بما يشيعه من أمن وأمان، كان هو وكفالة الطعام من أبرز نعم الله تعالى التى امتن بها على عباده، حيث تطلب إدراك الإنسان لقيمتها أن يخلص العبادة لله المنعم بهما.

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾

[سورة قريش: ٣ - ٤]

فهذا الإرهاب.. يعنى ترويع الآمنين، والذهاب بكل أسباب السلام الذاتى والاجتماعى. ولا صلة له بما ورد فى القرآن الكريم، إذ يطلب من المسلمين أن يعدوا ما استطاعوا من قوة ليرهبوا به عدو الله، فى قوله تعالى:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾

[الأنفال: ٦٠]

فالفارق شاسع واضح بين إرهاب يروع الآمنين بما يصدر عن أهله، وبين إرهاب يخيف المعتدين حتى يأمن الناس عدوانهم، فإذا استجاب هؤلاء المعتدون وامتنعوا عن العدوان، ومالوا إلى السلام، كان هو المبتغى والمقصد، ولذلك أعقب الآية السابقة قوله تعالى:

﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾

[الأنفال: ٦١ - ٦٢]

لكن الإرهاب الذى يتردد على الألسن فى هذه الأيام.. يعنى الفعل المقصود لذاته، وبقصد ترويع الآمنين لسلب بلادهم، أو الاستيلاء على ما هو كامن فى تلك البلاد من نعم الله المركوزة فيها أو لجعلها سوقا تروج منتجات الآخرين ومصنوعاتهم.. إلى غير ذلك من المقاصد والدوافع. فالإرهاب العصرى - وهو امتداد للصور المختلفة من إرهاب القراصنة - يعمل على إشاعة الظلم والقهر فى أرجاء المعمورة، وتبديد الآمال فى عدل يحقق الأمن للناس قاصيهم ودانيهم، دون مجاملة ولا تعصب أو انحياز.. على ما قرره المولى سبحانه فى قوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

[المائدة: ٨]

فالإسلام يأمر بالعدل الحاسم، الذى لا يتأثر بالخصومات الشخصية أو الميول النفسية، لأنه أقرب للتقوى، والحفاظ من العوارض.

بل إن العدل الذى يحض عليه الإسلام ليسمو فوق الخصوصيات الذاتية، والعوارض الطبيعية، فلا نتأثر بالقرابات، ولا بالغنى والفقر، ولا بالقوة والضعف، مقررا بذلك وحدة المعيار، على ما يقرره سبحانه فى قوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾

[النساء: ١٣٥]

هذا هو العدل والأمن اللذان اجتذبا مئات الملايين من البشر إلى اعتناق الإسلام فى شتى بقاع الأرض، وتحقق بهما عالميته.. وليس هو العدل الذى تعلو به الأصوات فى شتى وسائل الإعلام، بينما أيدى الصائحين به مخضبة بدماء المظلومين، وهى تواصل سلبهم كل ما رزقهم الله به من خيرات ونعم ـ بل تسلبهم أرضهم نفسها ـ وتلصق تهمة الإرهاب ـ فى الوقت نفسه ـ بكل من يحاول أن يدفع المعتدى عن عدوانه.

نعم.. إن العدل الذى يملأ به أبناء الغرب فضاء الكون، ويتفاخرون بتحملهم القيام به.. هو عدل الظالم الغشوم الذى بلغت به الوقاحة تلك الدرجة التى تجعله يفرض ظلمه تحت عنوان العدل، وينشر استبداده تحت عنوان التسامح، ويسمى اغتصابه حقوق الآخرين تنمية وتعميرا،

ويلبس قهره الآخرين ثوب الديمقراطية.

الولايات المتحدة.. التحرير والتقييد

ولقد قام برصد ظاهرة العدالة المزيفة تلك مفكر رائد من رعايا أبرز دول الغرب فى القيام على هذه الازدواجية الوقحة، معتمدا فى رصده على ما يزخر به التاريخ، وما يصرخ به الواقع المعلن والمستور، فقدم صورة ناطقة للعدل الأمريكى، تكشف ما تقوم عليه النظم الأمريكية من ازدواجية وتناقض لم يعرف تاريخ الإنسانية لها مثيلا.

أما من قام برصد تلك الظاهرة فهو المفكر الأمريكى اليهودى (ناعومى تشومسكى) أستاذ اللغات فى (ماساشوستس)، والمفكر السياسى، ذو الصوت المتميز فى الولايات المتحدة والعالم.

وأما وعاء الرصد ومادته.. فهو كتاب (إرهاب القراصنة وإرهاب الأباطرة قديما وحديثا) الذى ضمنه الراصد مجموعة مقالات - أو فصول - نشرها المؤلف فى مراحل مختلفة بين ١٩٨٦، وسنة ٢٠٠١، حيث طبعت الفصول الثلاثة الأولى أول مرة سنة ١٩٨٦، وطبع الفصل الرابع والخامس سنة ١٩٩١، وطبع الفصل السادس سنة ٢٠٠١، وقامت دار النشر ((pluto بطبعه بالإنجليزية سنة ٢٠٠٢، ثم قامت مكتبة الشروق الدولية فى مصر بتقديم الطبعة الأولى مترجمة إلى العربية سنة ٢٠٠٥، بعد أن نهض بتعريبها الأستاذ أحمد عبدالوهاب.

والكتاب فى طبعته العربية - يشتمل على عشرين ومائتى صفحة من القطع المتوسط، تضم سبعة فصول.

فى الفصل الأول منها (تنظيم الفكر. مسألة الشرق الأوسط) وجه المؤلف النظر إلى أن الإعلام ذا الصوت المهيمن قرر أن أبرز ما تتسم به الولايات المتحدة بين دول العالم.. هو تفردها بالحرية للدرجة التى تجعل منها دولة غير عادية.

ولكن النظر المتفحص لا يلبث أن يرتد مقررا أن الولايات المتحدة - مع تفردها بغياب القيود على حرية التعبير - تعد حالة متميزة فى قدرتها على ابتكار وسائل تقييد حرية الفكر، وتوظيف تلك الوسائل أنجح توظيف، بحيث تصبح حرية التعبير صادرة عن رؤية وفكر يتلاءمان مع رؤية الصفوة وفكرها، حتى كان من أبرز المبتكرات الأمريكية (أساليب صناعة القبول).

ويستشهد (تشومسكى) على ذلك بما ذكره (هارولد لازويل) سنة ١٩٣٢ فى مدخل (الدعاية) بموسوعة العلوم الاجتماعية فى قوله: إنه يجب أن لا نخضع لـ (دوجمامية) الديمقراطية فى أن الأفراد أفضل قضاة لمصالحهم الخاصة. يجب أن نضع طرقا تضمن تأييد الأفراد لقرارات قادتهم ذوى الفكر الثاقب - كما تعلمنا

قديما على أيدى الصفوة المهيمنة - فحيثما يكفل العنف طاعة المحكومين.. لا يكترث الحكام لما يفكر فيه الشعب، ولكن عندما لا تتوافر للدولة وسائل القهر، فإنها تكترث كل الاكتراث لما يفكر فيه الشعب.

ولم يقف هذا الاتجاه عند حدود الأقوال، ولكنه تمكن من النفوس حتى أصبح هو الشائع بين المثقفين داخل الطيف السياسى، ويحافظ عليه بانتظام حسبما تملى الظروف.

ويرى «تشومسكى» أن هذا الرأى تجاوز الفكر واليقين، ليفسر به كل ما يصدر عن الولايات المتحدة، فلم يكن غريبا أن تقصف ليبيا سنة ١٩٨٦، بل كان دليل نجاح العلاقات العامة فى الولايات المتحدة، حتى لقد قويت به يد الرئيس (ريجان) حيث استطاع أن يقنع (الكونجرس) بالموافقة على الميزانية العسكرية، والمساعدات (للكونترا) فى (نيكاراجوا)، وحتى لقد شكل هذا النوع من التعليم العام جوهر فن الحكم، أو هندسة (القبول الديمقراطى).

ويفسر بهذا (تشومسكى) كذلك موقف الولايات المتحدة من الصراع العربى الإسرائيلى، هذا الصراع الذى يشبه بفتيل قد يفجر حربا نووية.

وعلى الرغم من ذلك.. ساهمت سياسة الولايات المتحدة فى الإبقاء على حالة المواجهة العسكرية، استجابة منها لافتراضات عنصرية ضمنية، مع ما فى ذلك من تجاهل للتأييد الشعبى الأمريكى لدولة فلسطينية، إيمانا بأن الاختلاف مع التوجه الشعبى ليس له أهمية مادامت العناصر الشعبية النشيطة سياسيا تتبع نظاما ملائما.

اللغة الأمريكية الجديدة

ويرى (تشومسكى): أن تحقيق هذه النتيجة يتطلب عدة وسائل، من بينها:

ابتكار شكل ملائم للغة جديدة يكون للمصطلحات الفنية فيها معنى فنى منفصل عن معانيها المألوفة، كما نرى فى مصطلح (عملية السلام) المستخدم فى وسائل الإعلام، وعند طبقة المثقفين والباحثين فى الولايات المتحدة؛ إذ يعنى: مقترحات السلام التى تقدمها حكومات الولايات المتحدة، فإذا قيل: إن أصحاب الفكر القديم يأملون أن تشارك الأردن فى عملية السلام، فهذا يعنى: أنه يجب على الأردن أن تقبل ما تمليه عليها الولايات المتحدة.

ومن هذا المنطلق.. أكد (جوار تزمان) أن منظمة التحرير الفلسطينية ترفض دائما أى مناقشة حول مفاوضات السلام مع إسرائيل. على الرغم مما ينطوى عليه هذا التأكيد من زيف واضح، ومن تجاهل تام للمقترحات العربية للسلام، بما فيها

مقترحات منظمة التحرير الفلسطينية، لأن السلام العربى لا يتوافق مع المصطلح الأمريكى.

وكما نرى فى مصطلح (الرفض)، حيث يشير به (أورويل) فقط إلى موقف العرب الذين يرفضون قبول وجود دولة إسرائيل، فقد وضع هذا المصطلح لمنع الفلسطينيين من المشاركة فى عملية السلام، إذ يضعهم فى موقف التطرف، على الرغم مما يقوم عليه ذلك من تجاهل أصل الرفض. وهو رفض التسليم باغتصاب أرضهم، وطرد أصحابها منها.. بل إن هذا المصطلح ـ بهذا الفهم الأمريكى العنصرى ـ طبق على عناصر كثيرة فى العالم العربى توصف بالرفض.

ولو أن مصطلح (الرفض) هذا جرد من معناه العنصرى الذى يربطه به الإعلام الأمريكى.. إذن لتبين أن الولايات المتحدة وإسرائيل هما اللذان يقودان معسكر الرفض، لرفضهما منح السكان الأصليين لفلسطين حق المصير الوطنى، بينما يمنحون هذا الحق للمستوطنين اليهود، الذين حلوا قهرا محل السكان الأصليين.

بل إن (عملية السلام) التى ترددها الولايات المتحدة والسياسيون الإسرائيليون لتنطوى على الرفض الصريح بأن يختار الفلسطينيون من يمثلونهم فى المفاوضات المزمعة حول مصيرهم.

ويذكر (تشومسكى) عددا من المواقف الأمريكية والإسرائيلية التى تظهر فيها الاتجاهات العنصرية المتخفية وراء تلك المصطلحات المطاطة بما تفرزه من ازدواجية تجمع بين الشىء ونقيضه، تتيح لها أن تعلن قبول الشىء، والتنصل منه فى الوقت ذاته.

ومن الأمثلة التى ساقها (تشومسكى) على الازدواجية الأمريكية، وعنصريتها الرافضة:

اعتراض (الولايات المتحدة) - باستخدام حق الفيتو - على الاقتراح الذى نوقش فى مجلس الأمن يناير سنة ١٩٧٦ لإقامة دولتين تجسيدا لقرار الأمم المتحدة (٢٤٢)، وضمانا لحق كل دولة فى منطقة تمكنها من أن تعيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها.. بينما صادقت منظمة التحرير الفلسطينية على هذا الاقتراح.

وإمعانا من أمريكا فى الرفض القائم على التضليل.. نراها تعلن عن رغبتها فى السماع إلى طموحات الفلسطينيين، بينما تعلن أنها لن توافق على المطالب التى تهدد إسرائيل، مع قبولها المبدأ الذى ينص على شرعية المطالب التى تهدد الفلسطينيين، حتى ساد المناقشات الاعتقاد بأن الدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية مازالوا ثابتين على رفض التوصل إلى حل مع إسرائيل بأى شكل، فى حين.. تمثل رد الفعل الإسرائيلى لاقتراح السلام سنة ١٩٧٦، فى قصف لبنان، الذى أسفر عن

مقتل أكثر من خمسين ضحية، مع إعلان إسرائيل رفضها الدخول فى أية علاقات مع أية مجموعة فلسطينية، فى أية قضية سياسية، بينما أيدت منظمة التحرير الفلسطينية ودول المواجهة العربية اقتراح السلام ذلك.

مطاطية اللغة.. والمصطلحات المرددة

ويذكر (تشومسكى): أن مطاطية اللغة الأمريكية لم تقف عند حد إطلاق مصطلح (السلام) على استسلام الخصم، ومصطلح (الرفض) على كل من يرفض مطالب الولايات المتحدة الإسرائيلية.. بل إن هذه المطاطية أصابت مصطلح (التطرف والاعتدال)، فأصبح (المعتدل) يطلق على كل من يرحب بموقف الولايات المتحدة، و(المتطرف) يطلق على كل من يرفض موقفها.

وبذلك.. أصبح (ائتلاف العمل الإسرائيلى) يمثل موقف المعتدل منذ أن اتخذت لغته الاتجاه الذى يتقارب مع الموقف الأمريكى، بينما نجد (توماس فريدمان) مراسل (نيويورك تايمز) فى إسرائيل يضع على قائمة المتطرفين أولئك الذين يدافعون عن تسوية غير عنصرية، تتفق مع الإجماع الدولى. ويجعل على رأس المعتدلين هؤلاء القادة الغربيين الذين لهم دور قيادى فى العمليات الإرهابية.

ولذلك.. لما أصدر ياسر عرفات سنة ١٩٨٤ سلسلة من التصريحات يدعو فيها إلى مفاوضات تقود إلى اعتراف مشترك.. رفضت الصحافة الوطنية الأمريكية نشر الحقائق، وكذلك صنعت صحيفة (التايمز)، مع الاستمرار فى شجب عرفات المتطرف بحجة إعاقته التسوية السلمية، كما حذف من قبل عرض السادات للسلام من السجل التاريخى، وظل المتداول: أن السادات نموذج للسفاح العربى الذى يعشق قتل اليهود، إلا أنه أدرك خطأ وسائله بعد فشل محاولته للقضاء على إسرائيل سنة ١٩٧٣، حتى لقد بلغ الأمر بصحيفة (التايمز) فى نعى السادات بعد اغتياله أنها لم تكتف بطمس الحقيقة، بل أنكرتها صراحة، ورفضت صحيفة (النيوزويك) طبع حرف واحد يصحح الأكاذيب السافرة التى كتبها الصحفى (جورج ويل) فى هذا الموضوع، برغم اعتراف قسم الأبحاث بالحقيقة سرا.

ومصطلح (الرهينة) يوظف فى التضليل الإرهابى كذلك، وذلك بتفريغه من مضمونه المعجمى، كما حدث مع حملة الإرهاب الدولى لتغيير سلوك حكومة (نيكاراجوا) من توجيه موارد الدولة للغالبية الفقيرة، كى تتحول إلى السياسات التى ترعى مصالح الأعمال الأمريكية والشركاء المحليين.. وفى السبيل إلى إحداث هذا التغيير حوصر شعب (نيكاراجوا)، حتى صار - بهذا

الاحتجاز – رهينة لتنفيذ عملية إرهابية كبيرة موجهة من مراكز الإرهاب الدولى فى واشنطن وميامى.

وكانت الحجة القوية فى ذلك: أن هذا هو السبب الرئيسى لحرب الإرهاب التى تديرها الولايات المتحدة ضد (نيكاراجوا)، وهى الحجة التى لم تقابل بالرفض، إلا أن باب المناقشة لم يفتح لها.

ويلاحظ المؤلف: أن الاستعمال الفنى المفضل لمصطلحات (الإرهاب)، و(الرهينة) يقصر على الذى يوجه ضد أولئك الذين يعدون الإرهاب، واحتجاز الرهائن حقا لهم، دون غيرهم، فلا يدرجون أعمال القصف الدموى فى الشرق الأوسط، والقرصنة واحتجاز الرهائن، والهجوم على القرى الضعيفة.. لا يدرجون ذلك كله تحت مفهوم الإرهاب عندما تقوم به واشنطن وعميلتها إسرائيل.

فالنقطة المحورية فى السياق الحالى لسجل الخداع الخاص بالإرهاب.. هى صنع تاريخ ملائم للخطاب، يكون فيه الإرهاب حرفة للفلسطينيين، بينما يقوم الإسرائيليون بالثأر، أو الاحتلال الشرعى.

إجهاض مساعى السلام

ويرى (تشومسكى): أن هناك قوتين تتآزران لإجهاض أى مسعى لإقرار السلام بين إسرائيل والفلسطينيين، هما: (الولايات المتحدة الأمريكية)، و(اللوبى الإسرائيلى).

وينطلق فى هذه الرؤية من متابعة النهج الأمريكى الواقعى، من جهة، ومن توجهات (اللوبى الإسرائيلى) من جهة أخرى.

أما النهج الأمريكى فهو ناشىء عن الحفاظ على المصالح الأمريكية فحسب، حيث تفرض على السياسة الأمريكية أن تمالىء إسرائيل حرصا على ما تؤديه إسرائيل لأمريكا من خدمات جليلة جعلت منها مصدر قوة استراتيجى فى الشرق الأوسط، وبما تقوم به من مهام، تريد أمريكا أن تحققها من خلف ستار كالدعم فى عملية شبه إبادة جماعية فى (جواتيمالا)، عندما رفض (الكونجرس) الأمريكى أن تشارك الإدارة الأمريكية فى تلك العملية.

وبذلك حرصت أمريكا على أن تظهر إسرائيل فى صورة الدولة التى تكرس نفسها للقيم الأخلاقية، و(طهارة السلاح)، فى حين تجعل الفلسطينيين يبدون فى صورة الإرهابيين الوحشيين، مع رفض الاقتراح بضرورة التماثل فى الحقوق والممارسة الإرهابية، بتقدير هذا الاقتراح معاداة مقنعة للسامية.

وبهذه الرؤية الواقعية.. يفسر الباحث حرص الولايات المتحدة على عدم الوصول إلى حل سلمى بين إسرائيل والفلسطينيين، يتفق مع الإجماع الدولي، فلو سمحت الولايات المتحدة بالتوصل إلي حل سلمي،

لاندمجت إسرائيل فى المنطقة، ولفقدت الولايات المتحدة خدمات دولة عميلة مرتزقة متفوقة عسكريا، ومتقدمة تكنولوجيا، منبوذة من جيرانها، وتعتمد كليا على الولايات المتحدة فى اقتصادها، وبقائها العسكرى، يمكن الاعتماد عليها فى القيام بكل ما يخدم أمريكا.

و(اللوبى) الإسرائيلى يشارك ساسة أمريكا فى الحرص على استمرار المواجهة العسكرية بين إسرائيل وجيرانها العرب ـ على ما كشفه الصحفى الإسرائيلى البارز (دانى روبنشتين) بعد مقابلاته مع ممثلى المنظمات اليهودية الرئيسية.. حين أكد لهم أن إسرائيل لا تواجه مخاطر عسكرية بقدر ما تواجه مخاطر (انهيار سياسى واجتماعى وأخلاقى) ناتجة عن سيطرتها على الأراضى المحتلة، فقد فوجىء بتأكيدهم أن الأمر الأكثر أهمية هو التأكيد مرارا وتكرارا على المخاطر الخارجية التى تواجه إسرائيل، لأن المؤسسة اليهودية فى أمريكا تريد إسرائيل ضحية لهجوم عربى وحشى، فإسرائيل الضعيفة خير وسيلة للحصول على التبرعات المالية التى يعرف الجميع هناك أن ما يرسل إلى إسرائيل منها لا يتجاوز النصف، وأن النصف الآخر يذهب إلى الجمعيات اليهودية فى أمريكا.

كما فوجىء بأن مراقبى الأنشطة النظامية لشرطة الفكر فى (اللوبى الإسرائيلى) عندما يكتشفون أقل إشارة لاقتراح بالتسوية أو حل سياسى ذى معنى.. يسارعون إلى دحض تلك التوجهات بمقالات ورسائل غاضبة للصحافة، مع نشر افتراءات مشوهة لسمعة من يروج لتلك التوجهات.

والمؤرخ العسكرى الإسرائيلى العميد المتقاعد (ميريايل) يرصد دور هذا (اللوبى) ويحذر من أن الرفضية عندهم قد جعلتهم يحولون دولة إسرائيل إلى إله حرب مثل (مارس) إله الحرب، لأنها ستصبح مركبا معقدا من تركيبة الدولة العنصرية لجنوب افريقيا، والنسيج الاجتماعى الإرهابى العنيف لأيرلندا الشمالية، بحيث تكون نوعا فريدا لدولة يهودية تجلب العار لكل يهودى، أينما يكون.. ليس فى الحاضر وحده، بل فى المستقبل كذلك.

فالصهيونية ـ لذلك ـ تفرض وجوب منح إسرائيل حقوقا أكثر من أى دولة أخرى، وتمكينها من إحكام قبضتها على الأراض المحتلة، بما يستلزمه هذا من إعاقة التوصل إلى شكل ذى معنى لتقرير الفلسطينيين مصيرهم.

بل إن التمسك بالممارسة التمييزية قوى جدا لدرجة أنه لا يمكن طرح القضية أمام البرلمان، فالقوانين الجديدة تمنع عرض أى مشروع «ينكر وجود إسرائيل كدولة يهودية»، وبالتالى.. فالتشريع يدفع بعدم قانونية أى احتجاج برلمانى على الشخصية التمييزية للدولة.

ـ يتبع ـ

النظام السياسى في إسرائيل

للأستاذ / صلاح عبدالرحيم محمد

يرى فقهاء القانون الدستورى الإسرائيليون، أن إسرائيل «جمهورية برلمانية» تتوزع فيها السلطة بين رئيس الدولة، والكنيست (البرلمان)، ورئيس الوزراء، والسلطة القضائية، وأن منصب رئيس الدولة فيها شرفى، بينما تتركز السلطة الفعلية فى يد رئيس الوزراء وإذا كان مجلس الوزراء هو بؤرة السلطة فى النظام السياسى الإسرائيلى، فإن كل حزب فى الائتلاف الحكومى، يحرص على أن يهيىء لنفسه موضعا يمارس من خلاله النفوذ من أجل تحقيق ما جاء فى برنامجه الانتخابى.

ولايوجد فى إسرائيل دستور مكتوب، بل «مجموعة من القوانين الأساسية» التى يقوم الكنيست بإصدارها كسلطة تشريعية، مثل قانون العودة لعام ١٩٥٠، وقانون الجيش لعام ١٩٧٦. لاشك أن عدم وجود دستور مدون يجعل من الصعب الحكم على دستورية القوانين، حيث إن هذه القوانين الأساسية، لا تشكل أى قيد على المشرع فى إصدار أى قانون مخالف لها وترجع جذور أول تنظيم للسلطة بين يهود فلسطين، إلى بداية أول عملية انتخابية بما يعرف «بجمعية المنتخبين» التى جرت عام ١٩٢٠ والتى تكونت من ٣١٤ عضوا، وشهد عام ١٩٢٥ حدثين بارزين:

الأول هو افتتاح الجامعة العبرية فى القدس، والتى وضع حجر أساسها عام ١٩١٨.

والثانى هو الانتخاب الثانى «لجمعية المنتخبين» من ٢٢١ عضوا مقابل ٧١ عضوا فى انتخابات الجمعية الثالثة عام ١٩٣١، وانتخاب الجمعية الرابعة عام ١٩٤٤، وقد ظلت هذه الجمعية الأخيرة قائمة إلى أن حل محلها أول «كنيست» إسرائيلى منتخب فى يناير ١٩٤٩.

وتتكون الكنيست من ١٢٠ عضوا ينتخبون بالاقتراع السرى على أساس التمثيل النسبى للقوائم الحزبية، حيث تعد إسرائيل دائرة انتخابية واحدة، وأن اللجنة المركزية للانتخابات هى الهيئة العليا المنظمة للانتخابات، ويرأسها قاض يعينه رئيس المحكمة الإسرائيلية العليا، وأعضاؤها هم ممثلون لمختلف الأحزاب السياسية، على أساس الوزن النسبى فى الكنيست، وأن شرط المشاركة فى الانتخابات بالنسبة للمواطن الإسرائيلى هو بلوغه ١٨ عاما، فما فوق، أما شرط الترشيح لعضوية الكنيست فهو ٢١ عاما فما فوق، ومدة ولاية الكنيست بوصفه سلطة تشريعية ورقابية على أعمال السلطة التنفيذية هى ٤ سنوات وقد جرت انتخابات الكنيست خلال ٥٤ عاما (١٩٤٩ - ٢٠٠٣) ١٦ مرة.

ثلاثون حكومة

ويحدد القانون الانتخابى فى إسرائيل نسبة الحسم بـ١,٥٪ من أصوات المقترعين لكل مقعد من مقاعد الكنيست المائة والعشرين وفى هذا السياق يمكن رصد عدد من الحقائق نذكر منها:

أولا: انفراد «حزب المعراخ» اليسارى العمالى، فى انتخابات عام ١٩٦٩ بأعلى المقاعد فى الكنيست أهلته لتشكيل حكومة بمفرده.

وثانيا: قيام حزب الليكود اليمينى عام ١٩٧٧، بتشكيل أول حكومة يمينية برئاسة «مناحم بيجين».

وثالثا: أنه خلال الفترة من (١٩٤٩ - ٢٠٠٤) تداولت السلطة فى إسرائيل ثلاثون حكومة، تناوب على تشكيلها أحد عشر رئيسا للوزراء.

ورابعا: يعمل كل من الكنيست والحكومة فى ظل مراقب الدولة والسلطة القضائية.

وخامساً: اشتراك ١٣ حزبا فى الانتخابات البرلمانية ورئاسة الحكومة الأخيرة التى جرت فى الثامن والعشرين من يناير ٢٠٠٣، وأسفرت نتائجها على حصول حزب الليكود على ٣٨ مقعدا، وكتلة «العمل - ميماد» على ١٩ مقعداً، وحزب شينوى على ١٥ مقعداً، وحزب شاس على ١١ مقعدا، وحزب الاتحاد القومى على ٧ مقاعد وحزب ميرتس على ٦ مقاعد، والحزب الدينى القومى (المفدال) على ٦ مقاعد وحزب يهدوت هتوراه (يهود التوراة) على ٥ مقاعد، وحزب عام إحاد (شعب واحد) على ٣ مقاعد، والجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة (حداش) على ٣ مقاعد (محمد بركة - عصام مخول - أحمد الطبى)، والتجمع الوطنى الديمقراطى

(بلد) على ٣ مقاعد (عزمى بشارة ـ جمال خالقة ـ وصال طه)، والقائمة العربية الموحدة (راعام) على مقعدين (عبدالمالك دهامشة ـ طلب الصايغ)، وحزب يسرائيل بعلياه على مقعدين، ومجموع هذه المقاعد مائة وعشرون، وتعكس تمثيل هذه الأحزاب السياسية بمختلف توجهاتها ونزعاتها فى الكنيست الإسرائيلى.

وسادساً: معظم الحكومات الإسرائيلية هى حكومات ائتلافية، بسبب عجز أى حزب عن الحصول على الأغلبية المطلقة وهى (٦٠+١) أى نصف مقاعد الكنيست الـ ١٢٠، مضاف إليها مقعد واحد ومن هنا فإن على الحزب صاحب أكبر عدد من الأصوات، وأقل من الأغلبية المطلقة، والمكلف بتشكيل الحكومة أن يبحث بنفسه عن الأحزاب الأخرى لإقناعها بالانضمام لتشكيله الحكومى فى ائتلاف يضمهم حتى يمكن أن تنال الحكومة المكلفة ثقة الكنيست (البرلمان) ومثال ذلك ـ تقريبا للمعنى ـ حصول تكتل الليكود فى الانتخابات الأخيرة على ٣٨ مقعداً، أى أقل من الأغلبية المطلقة، فهو لذلك أضطر إلى تشكيل حكومة ائتلافية بينه وبين كل من حزب شينوى ١٥ مقعداً، وهو حزب يسارى وسط، يكره العرب ، وأيضا المتدينين الأشد تطرفا من اليهود، وحزب الاتحاد القومى ٧ مقاعد، وهو حزب دينى، والحزب الدينى القومى (المفدال) ٦ مقاعد، وهو حزب دينى يمثل المستوطنين ويعبر عن الصهيونية الدينية، وحزب إسرائيل بعلياه (حزب الروس) له مقعدان، وبذلك نالت حكومة شارون الحالية ثقة البرلمان فى السابع والعشرين من فبراير ٢٠٠٣ بعد أن حازت ٦٨ مقعدا فى الائتلاف الحكومى، وقد تم تشكيل هذه الحكومة على النحو التالى:


عزمى بشارة

أولا: وزراء من حزب الليكود وهم ١٤ وزيرا:

(١) سليفان شالوم، وزيرا الخارجية.

(٢) بنيامين نتنياهو، وزيرا للمالية.

(٣) شاؤول موفاز، وزيرا للدفاع.

(٤) إيهود أولمرت، وزيرا للتجارة والصناعة والقائم بأعمال رئيس الوزراء.

(٥) ليمور لفنات، وزيرة للتربية والتعليم.

(٦) تساحى هنجبى، وزيرا للأمن الداخلى.

(٧) ناتان شرانسكى، وزيرا بدون حقيبة وزارية ومسئول القدس.

(٨)ايسرائيل كاتس، وزيرا للزراعة.

(٩) تسيفى لفنى، وزيرة للاستيعاب.

(١٠) دانى نافيه، وزيرا للصحة.

(١١) عوزى لنداو، وزيرا بدون حقيبة وزارية.

(١٢) جدعون عزرا، وزيرا بدون حقيبة وزارية.

(١٣) مئيير شطريت، وزيرا بدون حقيبة وزارية.

(١٤) دان مريدور، وزيرا بدون حقيبة وزارية

ويعلو هذه الكتلة اليمينية النزعة «أرئيل شارون» رئيسا للحكومة.

وثانيا: وزراء من حزب شينوى،وهم ٥ وزراء:

(١٥) تومى لبيد، وزيرا للعدل، وهو زعيم الحزب.

(١٦) إفراهام بوراز وزيرا للداخلية.

(١٧) مودى زنبرج، وزيرا للعلوم والتكنولوجيا.

(١٨) يوسف باريتسكى، وزيرا للبنى التحتية.

(١٩) يهدوت نؤوت، وزيرة للبيئة.

وثالثا: وزراء من حزب الاتحاد القومى، وهما وزيران:

(٢٠) إفيجدور ليبرمان، وزيرا للمواصلات، وهو زعيم الحزب.

(٢١) بنى إيلون، وزيرا للسياحة.

رابعا: وزراء من الحزب الدينى القومى (المفدال) وهما وزيران:

(٢٢) آفى إيتام، وزيرا للإسكان، وهو زعيم الحزب.

(٢٣) زفولون أورليف، وزيرا للعمل، والرفاة الاجتماعى.

وفى ضوء هذا التشكيل يمكن القول إن هذه الحكومة الائتلافية تضم ٢٣ وزيرا منهم ١٤ وزيرا من تكتل الليكود، وخمسة وزراء من حزب شينوى الذى يكره العرب والمتشددين اليهود، ووزيرين من حزب المفدال الذى يمثل الصهونية السياسية ولسان حال المستوطنين، ووزيرين من حزب الاتحاد القومى ذى الميول الدينية، كما يلاحظ على هذا التشكيل الحكومى وجود ثلاث سيدات وزيرات، وهن «تيمور لفنات» وزيرة التربية والتعليم و«يهوديت نؤوت» وزيرة البيئة، و«تسيبى لفنى» وزيرة استيعاب المهاجرين.

والجدير بالذكر أن حكومة شارون الائتلافية، وقت أن نالت ثقة الكنيست برئاسة «رئوفين ديفلين» فى السابع والعشرين من فبراير ٢٠٠٣، كانت تسعى جاهدة لضم «حزب العمل» لهذا الائتلاف، وكانت ذروة هذا المسعى هو لقاء شارون مع «عمرام متسناع» زعيم حزب العمل وقتئذاك

في الثالث والعشرين من فبراير ٢٠٠٣ أي قبل اقتراع الكنيست على ثقته في هذه الحكومة بأربعة أيام، غير أن هذه المحاولة من جانب «شارون» باءت بالفشل حيث اشترط «متسناع» عددا من المطالب التي لم يقبلها رئيس الوزراء الإسرائيلي وهي:

أولا: إخلاء عدد من المستوطنات القانونية وغير القانونية.

وثانيا: إقامة دولة فلسطينية خلال عام من طرح الثقة في حكومته.

وثالثا: الانسحاب من غزة.

ورابعا: تحريك مئات الملايين من الشيكلات من ميزانية المستوطنات للاستثمار في المجالين الاقتصادي والاجتماعي.

لكن شارون انتهز استقالة «متسناع» من رئاسة حزب العمل، وتولى «شيمون بيريز» رئاسة هذا الحزب حتى نجح في إقناعه للانضمام إلى حكومته مؤخرا نائبا لرئيس الوزراء، وكان هدف شارون من ذلك:

أولا: اضفاء نوع من مشروعية أكبر على سياسة اليمين الإسرائيلي أمام الرأي العام الإسرائيلي، ومساعدة إسرائيل للدفاع عن السياسات المتشددة ضد الفلسطينيين.

وثانيا: أن ترك حزب العمل خارج الائتلاف يمنحه الوقت لإعادة بناء حزب العمل من جديد، بعد السقوط المتردي له، في انتخابات رئاسة الوزراء في فبراير ٢٠٠١، حيث حصل باراك على ٣٧,٢٪ مقابل ٦٢,٨٪ لصالح شارون.

ثالثا: أن بقاء حزب العمل خارج الائتلاف الحكومي، يعني إعطاء الفرصة لشيمون بيرنز لتشكيل جبهة معارضة قوية داخل الكنيست، وقد تؤدي إلى تعويق قرارات الليكود وملاحقة الائتلاف في اقتراعات الثقة التي يمكن أن تسقط الحكومة في أية لحظة.

سلطة الكنيست

ومن ناحية أخرى فإن الحديث عن النظام السياسي في إسرائيل لا يكتمل بدون معرفة طبيعة العلاقة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، حيث نجد أن الحكومة لا تمارس عملها رسميا إلا بعد أن تتقدم إلى الكنيست ببرنامجها، وتحوز على ثقته، فله حق الاقتراع بعدم الثقة، وله أن يسائل أي وزير منفردا، أو يسائل الوزارة مسئولية جماعية وله أن يسحب الثقة منها بعد تشكيلها، وممارسة عملها، فتستقيل على الفور، دون إنهاء مدة الكنيست، وحل نفسه، وفي المقابل لا تملك السلطة التنفيذية حل الكنيست، بل إن الكنيست هو الذي يرشح، وينتخب، ويعفي رئيس الجمهورية من منصبه، في حين لا يملك الأخير أي سلطات تجاه الكنيست، وبذلك تحقق هذه العلاقة قدرا كبيرا من

التوازن والاستقرار للنظام السياسي، إذ يظل الكنيست مهيمنا على مجريات الشئون في البلاد، في أوقات الأزمات الدستورية الحادة، خاصة الناجمة عن استقالة الحكومة، والعجز عن تشكيل وزارة جديدة، أما فيما يتعلق بعلاقة السلطة القضائية بالسلطتين التشريعية والتنفيذية، فهي علاقة تتسم بالفصل التام، ومن ثم نأت السلطة القضائية عن الصراعات السياسية والحزبية، فلم تمارس بالتالي «دورا سياسيا» غير أنها في ذات الوقت تتمتع بهيبة كبيرة.

واللافت للنظر أن التعدد الواضح في الأحزاب الذي هو سمة بارزة في النظام السياسي الإسرائيلي، قد أدى إلى تفتيت القوى السياسية، وحال دون تماسكها، وأسهم في بروز قيادات تهيمن على السلطة ومن جهة أخرى فإن النظام الانتخابي المعمول به في إسرائيل على أساس التمثيل النسبي والقائمة الحزبية أسهم في الحد من قدرة الناخبين على التأثير في المرشحين المرتبين في القائمة الحزبية، لأن الناخب، لا يصوت في ظل هذا النظام، لصالح مرشح بعينه، بل يعطي صوته للقائمة الحزبية التي يدين لها بالولاء، أي أن الولاء هنا ليس للمرشح، ولكن للحزب الذي تمثله هذه القائمة، على عكس نظام الانتخاب الفردي الذي يجعل المرشح دائما، أسيراً للناخب الذي منحه صوته ويرى أساتذة القانون الدستوري أن القوى السياسية التي تتحكم في فعاليات الحياة السياسية الإسرائيلية تنقسم إلى قسمين:

الأول: قوى محلية، الأحزاب السياسية، والهستدروت (الاتحاد العام للعمال) والكيبوتزات (المزارع الجماعية) والموشافات (المزارع التعاونية) والمؤسسة العسكرية، والرأي العام المحلي.

والثاني: قوى خارجية، تتمثل في يهود الشتات (يهود العالم)، والمساعدات الاقتصادية الخارجية.

وفي هذا الصدد تنقسم مسئولية صنع القرار في إسرائيل إلى ثلاث مستويات.

الأول: يتكون من رئيس الوزراء، ومجموعة من الوزراء.

والثاني: ينحصر في اللجنة الوزارية للأمن والدفاع والخارجية.

والثالث: يقتصر على رئيس الوزراء ووزير الدفاع.

غير أن المؤسسة العسكرية تعتبر قاسما مشتركا في هذه المستويات الثلاثة ويذكر البعض أن القرارات تتخذ في اجتماع ضيق، وغير رسمي، في منزل رئيس الحكومة، وقبل جلسة الحكومة الرسمية، ثم تنقل هذه القرارات إلى هذه الجلسة للموافقة عليها

رسميا، ويتساءل البعض ما هو دور الكنيست فى هذا الشأن؟.

إسرائيل دولة عقائدية

إن التجربة السياسية فى إسرائيل جعلت للكنيست دوراً يبدأ من تنفيذ القرار، وليس من صنعه، بل إن الكنيست لايمارس سلطاته فى رقابة أعمال الحكومة فى المسائل الهامة، كالأمن والسياسة الخارجية اللذين يشكلان جوهر الحركة السياسية.

ويطرح الكثيرون من رجال القانون سؤالا مهما وهو: ما موقع المؤسسة العسكرية فى النظام السياسى الإسرائيلى؟ فيرون أن تشخيص وضعية العسكريين فى إسرائيل بمثابة «قوة ضغط» تشبه مجموعات الضغط فى الدول الأخرى التى لا يسمح نظامها بسيطرة الجيش على السلطة. ولذلك فإن المؤسسة العسكرية تعتبر من القوى الضاغطة فى النظام السياسى الإسرائيلى. ومن هذا المنطلق يتساءل «الدكتور عزمى بشارة» عضو الكنيست العربى، هل إسرائيل هى دولة عسكر؟ ويرد بقوله:

*«إن إسرائيل ليست دولة عسكرية، فنظامها السياسى ليس عسكرياً، فالخدمة العسكرية أقوى فى جذورها من أن يكون لها هذا الشكل السياسى» ويضيف قوله: «إن كبار ضباط الجيش بعد خروجهم من الخدمة العسكرية، لايجدون مشكلة فى ترشيحهم فى مناصب سياسية، أو إدارة مؤسسات كبرى، لأنهم مؤهلون إداريا» ويذهب الكثيرون إلى القول بأن العقيدة الدينية اليهودية تمثل إحدى مقومات النظام السياسى فى إسرائيل، وإن القول بعلمانية الدولة فى إسرائيل هو قول ينقصه الدقة، فيقول «آشير أريان» أستاذ العلوم السياسية بجامعة تل أبيب، والعميد الأسبق لكلية العلوم الاجتماعية: «إن الفصل بين الدين والدولة فى إسرائيل أمر يستحيل إقامة الدليل عليه، وأن العكس هو الواقع الذى يستند إلى اعتبارات تاريخية وأخرى أيديولوجية، وثالثة سياسية، ورابعة تنظيمية» ويضيف قوله: «إن معظم اليهود فى إسرائيل يمارسون يهوديتهم كأسلوب حياة» وفى هذا الصدد يستشهد البعض الآخر بمشروع الدستور الذى رفض قادة إسرائيل إقراره فى بداية نشأة الدولة، والذى أعده الدكتور «ليو كوهين» وعرض للتصويت على الجبهة التأسيسية عام ١٩٤٩، حيث جاءت: المادة (٧٧) فيه، تنص على «أن القوانين يجب أن تكون مطابقة للتعاليم الأساسية للشريعة اليهودية» فى نفس الوقت لم يرفض مشروع الدستور، وإنما أجل لأجل غير مسمى وفى هذا الإطار يقول المحلل السياسى الإسرائيلى «هيليل فايس» فى صحيفة «هاتسوفيه» الإسرائيلية

بتاريخ ٣/٣/٢٠٠٣: «يجب أن نذكر قول «ليسمان» وأقوال «شاس» التى أكدت على أنه لايمكن أن تقوم «دولة يهودية» بمفهومها الحقيقى دون التوجيهات الدينية، وعليه فاليهودية والعلمانية مصطلحان متضادان، فلا يمكن أن تتمتع دولة إسرائيل بالمصداقية إلا إذا كان أساسها يهودية الدولة».

انتهاك حقوق غير اليهود

ويناقش الدكتور «عزمى بشارة» علاقة الدين بالدولة، فيقول «إن ثمة تناقضا فى هذه العلاقة تكمن فى إمكانية الفصل بين الدين والدولة، ولايمكن الفصل بين الدين والقومية فلايمكن أن تكون يهوديا بدون أن تكون إسرائيليا» ويذهب «بشارة» إلى القول: «إنه طالما لايمكن الفصل بين الدين والقومية، فلا يمكن إقامة نظام ديمقراطى ليبرالى» أى أن القومية فى هذه الحالة هى اليهودية، وليست الإسرائيلية ويرى بعض المحللين السياسيين أن الفكر الأيديولوجى الصهيونى يهيمن على أركان النظام السياسى الإسرائيلى بحيث يمكن القول بأ ن العلاقة بين الصهيونية وإسرائيل هى علاقة سبب ونتيجة، فلا إسرائيل بلا صهيونية، لا صهيونية بلا إسرائيل ونفس العلاقة تجدها بين الصهيونية واليهودية، واليهودية وإسرائيل ويعتقد الكثير من رجال القانون أنه فى ظل المبدأ القائل إن إسرائيل «دولة يهودية ديمقراطية»، فلا يمكن أن يخلو هذا المبدأ من التناقض فى ذاته، خاصة فيما يتعلق بحقوق غير اليهود من عرب ٤٨، فكيف تتحقق الديمقراطية بدون مبدأ المساواة بين مواطنى إسرائيل عربا ويهودا على السواء؟ ويرون أن تضمين مبدأ «دولة يهودية وديمقراطية» فى القوانين الأساسية المتعلقة بحقوق غير اليهود ويؤدى ـ بطبيعة الحال ـ إلى انتهاك حقوق الأقليات غير اليهودية.

ومن جهة ثانية، فإن هذا المبدأ فيه انحراف عن «مبدأ الديمقراطية السياسية» الذى يدعم «مبدأ المساواة».

ومن جهة ثالثة، أن مبدأ «دولة يهودية ديمقراطية» يعزز التوجه القائم على تفضيل يهودية الدولة على ديمقراطيتها التى هى أساس المساواة بين المواطنين فى الحقوق والواجبات.

وفى الختام يمكن القول أنه فى ظل النظام السياسى فى إسرائيل، فالعلاقة بين الدين والدولة والدين والمجتمع، والدين والتعليم هى علاقة وثيقة، وأن الدين اليهودى جزء لايتجزأ من العقيدة السياسية لنظام الدولة، وأن التعدد الحزبى، وتباين التيارات السياسية بمختلف توجهاتها وألوانها، ومشاربها يعكس صورة واقعية لمجتمع المهاجرين الذين أتوا من كل أنحاء العالم يحملون معهم ثقافة، ولغة، وتقاليد مجتمعاتهم التى تمثل أوطانهم الحقيقية.

خلافة الإنسان بين المعصية والغفران

مشكلة أهل الشرك والإلحاد أنهم فقدوا - بعقولهم القاصرة وأحلامهم المريضة - السند القوى الذى يستندون إليه والمرفأ الندىّ الذى يستريحون لديه، ويثقون به، ويطمئنون فى رحابه، فإذا أصابت الواحد منهم مصيبة أو ألمت به ملمة لم يجد أمامه إلا النفق المظلم الذى ينتهى بالجدار الصخرى المعتم الذى يملأ النفس بالوجل دون الأمل، وعندئذ لا يملك إلا أن يضرب ذلك الجدار الصخرى الرهيب برأسه المتحجر حيث يتطاير من حوله الشرر الذى لا يلبث حتى يلفه بنيران الجحيم أو (الانتحار) الذى هو الإثم الأثيم والغرور الجسيم.

ومن ثمة فإننا نقرأ كثيراً ونسمع كثيراً عن ظاهرة الانتحار، تلك التى انتشرت فى البيئات الملحدة التى تظن - آثمة - أن المادة هى كل الحياة ونهاية الكون، وتزعم - فى استكبار وتبجح - أنه لا شىء بعد الرحيل عن دنيا المادة إلا العدم والفناء واللا وجود، أولئك قوم غرتهم الأمانى وبهرتهم ما صنعت أيديهم من «تقنيات» ومخترعات استطاعوا بها أن يتحكموا فى مسيرة الإنسان والزمان والمكان أو هكذا زين لهم خيالهم المريض.

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى

فأما وهمهم عن عبثهم بالإنسان فيدور على - سبيل المثال - حول ما يعرف بالاستنساخ والهندسة الوراثية وغيرها، وأما ظنهم فى التغلب على الزمان، فيتمثل فيما وصلوا إليه من طرائف النقل والاتصال، وأما اعتقادهم فى السيطرة على المكان فمن أمثلته ما عرف من أساليب الصناعة والزراعة واستنباط النبط (النفط) وغير ذلك.

ولقد نسى هؤلاء أو تناسوا، وعموا أو - تعاموا - عن الحقائق البديهية الأولى التى أقاموا عليها أعمالهم التى بها يعيشون فى عتو وعلو واستكبار، فهل تساءلوا وهم «يستنسخون» الكائنات الحية، أو «يهندسون» الوراثة من الذى خلق عنصر الحياة؟ ومن الذى أبدع الخلية المتوارثة؟؟ وهل تأملوا وهم ينقلون الأشياء أسرع من الصوت فى المكان والزمان من الذى برأ هذا الزمان وهذا المكان؟ فإن أجابوا إنها المادة تتشكل وتتغير وتتبدل بحركاتها التلقائية اصطدموا بسؤال جديد: ومن الذى أبدع هذه المادة وبرأ حركتها أيها الضالون المضلون؟

أدعياء الحضارة

لقد كان المشركون فى الجاهلية أرجح من هؤلاء الماديين (المخترعين) عقلا، وأرفع منهم فكراً عندما كانوا - إن سئلوا مثل هذه الأسئلة - أجابوا بكلمة واحدة عميقة المعنى قوية الدلالة هى لفظ الجلالة

﴿ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾

يونس/ ٣١

أما دعاة المدنية (الحديثة) وأدعياء الحضارة (المحدثة) فقد سول لهم كبرهم على الحق، وتعاليهم عن الصدق أنه يمكن إخفاء الحقيقة الإلهية التى تتجلى فيما يفكرون وفيما يفعلون ظانين ظن السوء أن الحرب التى يشنونها على البشر يمكن أن تمتد إلى ما بعد ذلك فيحاربون الله - والعياذ بالله - وهيهات.

ومن هؤلاء من يُعمل فكره فى مسألة (المعبود) فيرباً بنفسه أن يكون معبوده هو المادة الصماء الجامدة، فيتقدم فى هذا المجال خطوة - على ظنه - وليته ما تقدم لأنه كالذى (سكت دهراً ونطق كفراً) إذ يفضل على عبادة المادة عبادة الحيوان!!!

ومن عجائب الحق فى الخلق أن من هؤلاء من يعمل

فى مضمار العلم الحديث قمة علمية وريادة عالية، فلقد أتيح لى أن ألتقى بأحدهم فى دولة كبرى منذ شهور حيث كان يشغل بها منصباً جامعياً كبيراً ومركزاً علمياً خطيراً، وسألت ما ديانته؟ قيل لى إن هذا (البروفيسور) يعبد (البقر) فهو يخرج صباح كل عطلة أسبوعية إلى الغابات حيث يكثر انتشار البقر الوحشى فيقعد[1] إلى (معبوده) الأعجم، فى تأمل طويل، وتبتل ذليل، فتساءلت: ألم يهده عقله الكبير وعلمه الغزير إلى عبادة القدير؟ وتذكرت (قارون) عندما أجاب قومه عن مصدر ماله

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾

القصص/ ٧٨

ويروى القرآن بعد ذلك

﴿ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ ﴾

(القصص ٧٨)

فانظر إلى موقع كلمة ﴿يعلم﴾ هنا أى: (ألم يدخل فى «علمه» هذا الذى يدعيه أن الله قد أهلك قبله من هو أقوى منه ثراء وأغزر مالا) ولكنها حكمة الخلاق المقتدر أن يختبر إيمان الناس بافتتانهم بعضهم ببعض.

إن أصحاب «النفق المظلم» من الملحدين، وأصحاب البقر والحجر ممن صرفهم الهوى والكبر والغرور عن التعرف على الإسلام وهو دين الحياتين الأولى والآخرة، إن هؤلاء هم الذين تضيق صدورهم بكل كبوة، وتجزع أجفانهم أمام كل غفوة فتعمى أبصارهم عن نور الأمل، وتهوى بصائرهم فى مهاوى الفشل فيقتلون أنفسهم، ذلك أنهم ليس لهم (كبير) يلجأون إليه أو (مجيب) يضرعون إليه أو (متعال) يعتصمون بحبله أو (قريب) يطمئنون إليه أو (نور) يهتدون به أو (لطيف) يرجون لطفه. وسبحان من له الأسماء الحسنى.

ولو رحموا أنفسهم لاهتدوا إلى مواطن الرحمة وهى رحاب الحق - سبحانه وتعالى - الذى يؤكد فى كتابه العزيز عفوه عن المذنبين التائبين إذن لامتلأت أنفسهم بالأمل فهجروا الجزع والوجل، واستأنفوا الكد والعمل.

خلافة الإنسان من أجل العمران

لقد عصى آدم عليه وعلى نبينا السلام ربه، ولكن لكى يتم قضاء الله الحق وتنفذ مشيئته فى الخلق، وأمره سبحانه:

﴿ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ ﴾

البقرة/ ٣٠

لم ينته الأمر بعصيان آدم عليه السلام وخروجه وزوجه من الجنة وإلا لما أصبحت هناك أرض معمورة، ولما صارت هناك ذرية معمرة، ولما كان فى الأرض خليفة يعبد الله بعمارتها وخدمتها لتعود بالخير على بنى آدم أجمعين، بل إن الله - سبحانه وتعالى - جعل عمارة الأرض موضوعاً للحساب ومحكا للثواب والعقاب، ومن هنا قيل

(١) يقال للواقف اقعد، وللراقد اجلس.

إن الآخرة هى حصاد الدنيا أو أن الدنيا مهاد الآخرة أو أن الدنيا عمل بلا حساب والآخرة حساب بلا عمل، ولهذا يقول الحق فى كتابه العزيز:

﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴾

(طه ١٢١، ١٢٢)

وانطلاقاً من هذا كان الاتساق المنطقى الذى تسانده الحكمة الإلهية والرحمة الربانية وهو أن يظل ابن آدم مشمرا عن ساعد الجد فى الأرض حتى إذا أخطأ واستغفر الله غفر الله له ليأخذ بيده ويحفزه على استئناف جده وكفاحه وضربه فى الأرض استكمالاً لرسالته كخليفة فيها لله رب العالمين.

ومن سعة رحمة الحق - عز وجل - وحكمته أنه يحث ابن آدم على الاستغفار، ويذكره ويبصره دائماً بأنه سبحانه قريب منه بل أقرب إليه من حبل الوريد، ومن المعانى المعروفة فى تفسير الذكر الحكيم أن الله - جل وعلا - لكى يؤكد ذلك لابن آدم لم يذكر كلمة (قل) فى آية (الدعاء) وجعل الحديث مباشراً بينه وبين عباده:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾

(البقرة ١٨٦)

وتأمل كيف تجلت عظمة اللطف الإلهى هنا عندما جعل الإجابة الإلهية لدعاء الإنسان فى موقع جواب الشرط، وكأن الذات الإلهية جل علاها تنتظر من الإنسان أن يدعو فتجيب، فلله ما أكرم وأعظم وأجل وأعلم.

بل إنه مما ذكر فى الأثر أن الله - سبحانه وتعالى - يستحى أن يمد العبد إليه يديه بالدعاء فيردهما خائبتين.

بل إن الله - سبحانه وتعالى - يطمئن عباده - حتى الذين أسرفوا منهم على أنفسهم - بأن رحمته قد وسعت كل شىء بما فى ذلك المغفرة لهم والترحيب بهم فى رحابه طالما يهرعون إليه نادمين ومستغفرين وموحدين، وتدبر قوله - سبحانه - لهؤلاء وكيف يكرمهم بنسبتهم إليه:

﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ ﴾

(الزمر ٥٣)

وهنا يبث سبحانه الاطمئنان والسكينة فى قلوب عباده المذنبين حين يقول:

﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

(الحجر ٤٩)

فتأمل أساليب التأكيد فى هذه الآية الكريمة الرحيمة المحكمة.

المشرك لا يرجى منه خير

بل إن القرآن الكريم ليسمى إحدى سورة باسم «غافر» حتى يبرز الغفران فى إطار جلى مبين، وهى السورة التى تستهل بذكر الحق سبحانه:

﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ﴾

(غافر ٣)

نعم، شديد العقاب فلا يطعن أحد فى كرم الله ورحمته وغفرانه على غير يقين وعلى غير إيمان فيتمادى فى غيه فى مباهاة وغرور وصلف لأن «لكل ملك حمى وحمى الله محارمه» كما علمنا الحبيب ﷺ، فأنت فى حمى الله المقدس، وفى رحابه المطهر تستمتع بفضله، وتنعم برحمته، وتسعد بغفرانه طالما كنت به من المؤمنين المصدقين الموحدين، وقد قضى الحق – عز وجل – بذلك عندما قال:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾

(النساء ١١٦)

ذلك لأن المشرك لا يرجى منه خير، كما أنه لايستحق الخير إلا إذا آب إلى حظيرة الإيمان وهجر مستنقع الكفران مثل من هداهم الله من مشركى مكة بعد أن كانوا من عتاة المعاندين، وقساة المكابرين، فأعطانا الحق – سبحانه – بهم المثل عندما صاروا من هداة المهتدين، وحماة المدافعين عن دين الله، وهكذا استحقوا أن يغفر الله لهم ما قد سلف، فانتشوا بهذا الغفران الإلهى العظيم وشرعوا يمارسون دور الإنسان الذى جعله الله خليفة فى الأرض، يدافعون عن الدين الحق، وينشرون بين الناس الأمن والعدل، ويعلمون الناس كيف يعايشون كتاب الله ويمارسون توجيهاته ويحققون مراميه، حتى يستشعروا أن كلمة الله هى العليا دائماً فى كل شىء وفى كل مجال وفى كل زمان ومكان وحتى تتغلغل روح القرآن فى مناحى الحياة كما تغلغلت فى جنبات أرواحهم عندما هداهم الله للإسلام، حتى إن الواحد من هؤلاء السابقين – رضى الله عنهم – كان لايحفظ آية من القرآن إلا إذا طبق سلوكياً الآية التى سبقتها فى حياته العملية لتكون له ذخراً فى حياته الأبدية، ومن هنا لم يتناولوا القرآن كماً فحسب بل كيفاً ومعنى وسلوكاً عن إيمان ويقين، أو قل لم يكونوا يحفظونه عن (ظهر) قلب فحسب بل عن (عُمق) قلب حيث يتدفق إلى الجوارح والجوانح جميعاً قبساً من نور السموات والأرض.

وهكذا نرى أن الذنب والغفران والعمران منظومة واحدة تنتظم فى عقد الإيمان الذى لا تشوبه شائبة من شك، أو شبهة من ريب.

ولقد اتفق هذا مع قول الحق سبحانه وتعالى عن الإنسان»

﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾

النساء/ ٢٨

فاقتضت رحمة الله وعنايته أن ينتشل هذا الضعيف من ضعفه ليستقيم لعمارة الكون قوياً سوياً، وكان من مظاهر هذا الضعف البشرى ارتكاب الذنوب ففتح الحق بابه الرحيب والرحيم لهذا المذنب كلما تاب وتاب فآب، وجعل سبحانه خير الخطائين التوابين «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» وتأمل صيغة المبالغة فى كلمة (الخطائين) التى تشير إلى فضل الله حتى على الذين بالغوا فى الخطأ وأسرفوا فيه كما أخبرنا النبى ﷺ.

الإنسان فطر على البراءة

وتقويماً لهذا المخلوق الذى ينتابه الضعف حيناً بعد حين ـ على إيمانه النقى العميق ـ أنزل الله عليه نوراً من عنده يجعل بصره دائماً يقظاً مبصراً، وبصيرته دائماً جلية مستبصرة، وذلك هو القرآن الكريم الكتاب المعجز الذى ما حمله عاجز إلا قوى، وما أهمله قوى إلى عجز.

ولما كان هذا الإنسان كما سبق فى علم الله – عز وجل – سيحمل هذا الكون على كاهله علماً وعملاً وسيتصدى لحمل أمانة مولاه الكبير المتعال فقد اقتضى العدل الإلهى المطلق بأن يكرمه الله فينفخ فيه من روحه العلوية المقدسة، ويُسجد له ملائكته الكرام البررة ويعده لخلافته – سبحانه – فى الأرض، ويخصه بالاتصال بحضرته العظيمة من خلال كتبه المطهرة ورسله المكرمين، ثم يتفضل سبحانه عليه بالرسالة الخاتمة والدائمة مصدقة لما قبلها لتكون بمثابة القياس الحاسم لموقف البشر السابقين واللاحقين، والمعيار الحازم لتقويم المسيرة الإنسانية إلى أن تقوم الساعة، وذلك على يد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

كرم الحق – سبحانه وتعالى – الإنسان إذن بهذه المكرمات وبغيرها من فضل الله – عز وجل – أليس هذا الإنسان هو خليفته فى الأرض؟ فإن لم يكرم فمن يكرم؟

﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾

(الحديد ٢١)

ولقد سجل ربنا – سبحانه وتعالى – ذلك فى كتابه العزيز حين قال:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾

(الإسراء ٧٠)

بل لقد كان من صور تكريم الله – سبحانه – لبنى آدم منذ أبيهم آدم – عليه السلام – المغفرة للذنوب، والقبول لمن يتوب استمراراً للمسيرة الكونية التى أرادها سبحانه منذ أن خلق الأرض ومن عليها.

ولئن ادعى قوم غير هذا فزعموا أن كل إنسان فاسد بطبيعته، وأنه قد توارث هذا عن آدم – عليه السلام – حيث لحقت الجميع من بعده اللعنة إلى الأبد!!! فليس شك فى أن هؤلاء يتحملون وزر هذه الدعاوى أمام الله وأمام تابعيهم بل وأمام أنفسهم أيضاً ولا سيما إن تذكروا فى لحظات الصدق مع النفس ـ إن وجدت لديهم ـ أن الإنسان قد فطر على البراءة والنقاء، وإنه هكذا برأه البارى – عز وجل – مهيأ لالتزام الصواب فيرضى عنه، ومعرضاً للوقوع فى الخطأ فيغفر له، وذلك من خلال معايير (وموازين) وضعها للخلق من هو أعلم بخلقه وعرفهم بها فى كتبه المنزلة على رسله ليكونوا منها على علم موثق ودراية مؤكدة، ومن ثم ذكر فى قرآنه المحكم الحكيم عن الإنسان فقال:

﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾

(البلد ١٠)

أى السبيلين: سبيل الخير وسبيل الشر، وذلك فى سياق الحكم الإلهى العادل:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

(سورة الزلزلة آية ٧، ٨)

تلك كلها دروس ظاهرة وطاهرة يلقنها الحى القيوم لعباده الذين يسعون فى طريقه المستقيم، ويتفكرون فى تدبيره الحكيم.

من ظلمة العصيان إلى نور الغفران

ثم أرأيت كيف يضيء مصباح الكهرباء أو كيف يعمل (الدينامو) المولد للحركة؟

إن كلا منهما يعمل من خلال التقاء الموجب والسالب معاً فإذا التقى التيار الموجب والتيار السالب فى المصباح الكهربائى انتشر الضوء بعد الظلمة، كما أنه إذا التقى التيار الموجب والتيار السالب فى مولد الحركة (الدينامو) تحركت الآلات المتصلة به فتحقق ما يراد منها.

ولاشك فى أن الذنب البشرى هو عنصر سالب فى حياة الإنسان يهدمه ولا يقومه، ويؤذيه ولا ينجيه، ومن هنا تأتى عناية الخالق القوى بمخلوقه الضعيف عنصراً موجباً ـ ولله المثل الأعلى ـ فتتحول حياة الإنسان من ظلمة العصيان إلى نور الغفران، وتتولد لديه طاقة البناء والعمران بعد الخواء واليأس والخذلان فيصبح كائناً معمراً لا مدمراً، عابداً لا جاحداً قد خلقت منه تجربته الذاتية مع الحق داعياً إلى النور يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

أهذا أفضل أم إن يُلقى فى دياجير الضلال تستبد به وساوس الدمار والانحلال؟؟ فسبحانك ربى جلت حكمتك وعمت نعمتك يا من سبقت رحمتك غضبك ويا من تقابل الشر الصاعد بالخير النازل، إنك أنت الكمال المطلق والجمال المطلق والجلال المطلق يا نور السموات والأرض.

إن المولى - عز وجل - يفرح بتوبة عبده الآبق أكثر مما تفرح الأم بعودة وليدها الغائب إليها ومن ثمة يقول سبحانه وتعالى:

﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾

(الأنعام ١٢)

وإن من بديهيات التأمل الإيمانى فى هذا المجال أن ندرك أن تجلى الحق - سبحانه - على عباده بصفات مثل: «الغفور، والرحمن، والرحيم، وغافر الذنب، وقابل التوب» هو تجلى المعبود القادر الحليم على عبده المذنب المقر بذنبه والذى أفاق من غفوته أو غفلته يدعو ربه ويخشى عذابه خوفاً وطمعاً، وذلك لعلمه أن ربه سبحانه:

﴿ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾

(المدثر ٥٦)

ورحم الله عالم قريش محمداً بن إدريس الشافعى عندما كان يناجى ربه مبتهلاً من عمق شعوره:

تعاظمنى ذنبى فلما قرنته
بعفوك ربى كان عفوك أعظما

وهو البيت الذى لمس مشاعر الشاعر العباسى المسلم[٢] فأوصى بأن يُكتب على قبره بعد أن قال فى هذا المعنى:

إلهى إن يكن ذنبى عظيماً
فعفوك يا إله الكون أعظم

ويكفى أن يقول مولانا العظيم فى كتابه الكريم:

﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾

هود/ ١١٤

كما يقول عز وجل:

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾

(الرعد ٦)

وصدق الحبيب ﷺ الذى يقول فى حديثه الشريف الذى تترنم به المنابر فى صلاة الجمعة «التائب حبيب الرحمن والتائب من الذنب كمن لا ذنب له»[٣] حيث يرفع المصلون الأكف ضارعين، ونأمل أن يكونوا أيضاً خاشعين.

فلسفات التشاؤم

إذن فالإسلام يفتح أمام المذنب التائب باب الأمل فيحفزه هذا على العمل بينما هناك أقوام تبنوا فلسفات التشاؤم أو جرفتهم فلسفات التشاؤم قديما وحديثا فبرروها بمبررات يرفضها أى دين حق أوحاه الله إلى رسله الكرام عليهم السلام حتى أطفأ هؤلاء المتشائمون طاقات النور فى وجوه ذويهم ومريديهم فأحالوا حياتهم إلى ظلمات وقبور، حتى أصبح التخلص لديهم من هذه الحياة هو الحل الوحيد والأمل الأكيد فخسروا، أنفسهم فى الدنيا والآخرة فما بكت عليهم السماء وما رحبت بهم الأرض، بل نخالها تضطرب بهم ضيقا وقلقا انتظارا ليوم تلفظهم فيه إلى جهنم جزاء ما استجابوا لدعاتهم المارقين.

فالاستغفار من الذنب إذن هو إذعان للقرآن العظيم واتباع لسنة النبى الكريم ﷺ الذى روى عنه صحابته - رضى الله عنهم - أنه كان يستغفر ربه فى اليوم والليلة سبعين مرة، وعندما سئل ﷺ كيف يستغفر ربه وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ أجاب إجابته الهادية: «أفلا أكون عبداً شكوراً»[٤].

حقاً ما أعظم هذا الدين الحنيف الذى جعله الله - عز وجل - واحة الاطمئنان، ورحاب الأمان، والمختبر الإلهى الذى يفحص أتباعه، والمشفى الربانى الذى يعالج أبناءه، والميدان العملى الذى يدرب جنده فيجعل من المؤمنين به أمناء على الأرض وعُماراً صالحين للحياة، يدركون عن وعى عقلى وعزم نفسى ويقين روحى أن مسيرة الإيمان تسير دائماً من نور إلى نور.

---

(٢) لعله أبو نواس بعد أن صَحَت فطرته وصحْت توبته، حيث قرأت هذا البيت فى يناير ١٩٧٤ وقد كتب بخط يقرأ بصعوبة على مقبرة أبى نواس وذلك أبان حضورى المؤتمر الثامن للمعلمين العرب ببغداد.

(٣) سنن ابن ماجه ٢/٤٢٥٠.

(٤) البخارى ٢/٦٣، ٦/١٦٩، ٨/١٢٤.

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المقيد برقم ٧٨٧ لسنة ٢٠٠٥م المتضمن لبعض الأسئلة وهى:

رضا الوالدين

السؤال الأول: ورد من أحد القراء ويقول فيه: تعرفت على فتاة منذ عدة سنوات ووعدتها بالزواج بعد الانتهاء من التعليم، وعندما أردت الوفاء بوعدى وفاتحت أهلى فى موضوع خطبتى منها فوجئت برفضهم التام والقاطع لهذه الفتاة بزعم عدم التكافؤ الاجتماعى بين أسرتى وأسرتها، وكذلك لأنها مساوية لى فى السن، وأنا الآن فى حيرة من أمرى. هل أرضى ضميرى من أجل تلك الفتاة التى استمر انتظارها لى خمس سنوات وسنها الآن سبعة وعشرون عاما؟ أم أرضى أهلى وبالأخص والدى وأتركها مع العلم أنى أريدها؟

الجواب: طاعة الوالدين واجبة؛ لقول الله تعالى:

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾

(الإسراء ٢٣)

وسُئل ﷺ: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِى؟ قَالَ: «أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ». رواه مسلم.

فطاعة الوالدين واجبة فيما ليس فيه معصية لله تعالى، أما إذا كان فى طاعتهما معصية فلا يطعهما؛ لقوله تعالى:

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾

(لقمان ١٥)

وعليه فالأصل أنه إذا لم يكن قد تم الزواج فالطاعة هى الرأى له، وأما إن كان قد تزوج بها ثم هما يرغبان - أو أحدهما - فى طلاقه لها وهى صالحة مناسبة له فلا يهدم بيته ولا يستجب لهما فى هدم كيان قائم وبيت مستقر وثمرة قد نضجت، ولكن على السائل الآن أن يحاول قدر جهده إقناع أبويه وأن يستجلب رضاهما قدر المستطاع، ويجب على الإنسان الوفاء بالعهد الذى قطعه على نفسه قدر استطاعته، ثم إذا حدث التعارض التام بفشله فى إقناع والديه فعليه ألا يتزوجها.

والله سبحانه وتعالى أعلم

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علـى جمعـة

مفتى جمهورية مصر العربية

المفتى لا يستطيع أن يفتى

السؤال الثانى من القارئ م.ر.م ويقول فى سؤاله: تشاجر زوج مع زوجته شجارا عنيفا مما أغضب الزوج جداً فقال الزوج لزوجته وهو فى غاية الغضب: «أنت طالق بالثلاثة»، وباستمرار الشجار قال الزوج لزوجته فى المرة الثانية والثالثة: «أنت طالق بالثلاثة»، ثم فى الرابعة قال لها: «أنت محرمة علىّ كأمى وأختى» كل ذلك حدث فى مجلس واحد. مع العلم بأن الزوج قد راجع زوجته قبل انتهاء فترة العدة وعاشرها معاشرة الأزواج. فما حكم هذه الأيمان وهل عليه كفارة ظهار؟

الجواب: مثل هذه الأسئلة يجب أن تكون فيها مشافهة مع المفتى بحضوره إلى مكان تواجد المفتى أو الاتصال به هاتفياً؛ حتى يتسنى للمفتى استفصال المستفتى فى الأمور الدقيقة والملابسات الخاصة

بحالته، فعلى السائل وأمثاله أن يتصل مباشرة بالعلماء والمفتين، ولا يقتصر على الكتابة؛ لأنها غالباً لا تكون كاشفة عن الحال الذى يستطيع معه المفتى الإجابة.

والله سبحانه وتعالى أعلم

معاملات البنوك

السؤال الثالث المرسل من م.م.م. والمتضمن: أضع مبلغاً من المال فى أحد البنوك فى صورة شهادات ادخار تعطى عائداً ثابتا طوال مدة الشهادة (ثلاث سنوات) بفائدة مقدارها اثنا عشر بالمائة سنوياً. فما حكم هذه الشهادات؟

الجواب: اختلف الفقهاء منذ ظهور البنوك فى العصر الحديث فى تصوير شأنها طبقاً لاختلاف أهل القانون والاقتصاد فى ذلك التصوير فيما إذا كانت العلاقة بين العملاء والبنك هى علاقة القرض كما ذهب إليه القانونيون أو هى علاقة الاستثمار كما ذهب إليه الاقتصاديون، والاختلاف فى التصوير ينبنى عليه اختلاف فى تكييف الواقعة؛ حيث إن من كيفها قرضا عده عقد قرض جر نفعاً فكان الحكم بناء على ذلك أنه من الربا المحرم، ثم اختلفت الفتوى فرأى بعضهم أن هذا من قبيل الضرورات التى يجوز للمسلم عن الاضطرار إليها أن يفعلها بناء على «الضرورات تبيح المحظورات» أخذاً من عموم قوله تعالى:

﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

(البقرة ١٧٣)

ورأى بعضهم أنه ليس من باب الضرورة؛ حيث إن الضرورة تعرف شرعا بانها ما لم يتناولها الإنسان هلك أو قارب على الهلاك، وبعض هؤلاء رأى الجواز من قاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة عامة كانت أو خاصة، ومن سلك فى التكييف مسلك الاستثمار فبعضهم عدها من قبيل المضاربة الفاسدة التى يمكن أن تصحح بإجارة وبعضهم ذهب إلى أنها معاملة جديدة وعقد جديد غير مسمى فى الفقه الإسلامى الموروث فاجتهد فيه اجتهادا جديدا كما اجتهد فقهاء سمرقند فى عقد بيع الوفاء باعتباره عقدا جديدا، وكما اجتهد شيخ الإسلام أبو السعود فى عقد المعاملة وحكم بحلها كما حكم الأولون بحل الوفاء؛ وذلك لمراعاة مصالح الناس ولشدة الحاجة إليها، ولاستقامة أحوال السوق بها، ولترتب معاش الخلق عليها، ولمناسبتها لمقتضيات العصر من تطور المواصلات والاتصالات والتقنيات الحديثة وزيادة السكان وضعف الروابط الاجتماعية وتطور علوم المحاسبة وإمساك

الدفاتر واستقلال الشخصية الاعتبارية عن الشخصية الطبيعية وغير ذلك كثير فالحاصل أن الخلاف قد وقع فى تصور مسألة التعامل فى البنوك ومع البنوك وفى تكييفها وفى الحكم عليها وفى الإفتاء بشأنها.

والقواعد المقررة شرعاً:-

أولاً: أنه إنما ينكر ترك المتفق على وجوب فعله أو فعل المتفق على حرمته، ولا ينكر المختلف فيه.

ثانياً: أن الخروج من الخلاف مستحب.

ثالثاً: أنه من ابتلى بشىء من المختلف فيه فليقلد من أجاز.

ومن المعلوم من الدين بالضرورة حرمة الربا حيث وردت حرمته فى صريح الكتاب والسُنة وأجمعت الأمة على تحريمه، قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

(٢٧٥ من سورة البقرة)

وقال رسول الله ﷺ: «لعن الله آكل الربا ومؤكله وشاهديه وكاتبه» رواه البخارى ومسلم.

ولكن الخلاف حدث فيما إذا كان هذا الحاصل فى واقع البنوك من قبيل الربا المحرم شرعاً، أو أنه من قبيل العقود الفاسدة المحرمة شرعاً أيضاً، أو أنها من قبيل العقود المستحدثة والحكم فيها الحل إذا حققت مصالح أطرافها ولم تشتمل على ما حرم شرعاً.

وبناء على ما سبق: فإنه يجب على كل مسلم أن يدرك أن الربا قد حرمه الله – سبحانه وتعالى – وأنه متفق على حرمته، ويجب عليه أن يدرك أن أعمال البنوك اختلف فى تصويرها وتكييفها والحكم عليها والإفتاء بشأنها، وأن يدرك أن الخروج من الخلاف مستحب، ومع ذلك فله أن يقلد من أجاز ولا حرمة عليه حينئذ فى التعامل مع البنك بكافة صوره أخذا وإعطاء وعملاً وتعاملا ونحوها.

والله سبحانه وتعالى أعلم

***

قصة العدد

حديث عداس



للأديب الكبير/ الدكتور طه حسين

قال عتبة بن ربيعة لأخيه شيبة: «أنظر إلى هذا الرجل المقبل على حائطنا [1] ومن ورائه السفهاء والعبيد قد أغروا به وسلطوا عليه، فهم يؤذونه بألسنتهم، وهم يؤذونه بما يحصبونه من الحصى والأحجار! ألا تثبته[2]؟».

قال شيبة وقد نظر وأطال: «بلى! والله إنى لأعرفه كما تعرفه، وإن قلبى ليرق له كما يرق له قلبك، وإن نفسى لتثور غضباً له كما تثور نفسك. ولقد هممت ومازلت أنازع نفسى أن أفزع إلى نصره وجواره وحمايته من حلماء ثقيف وسفهائها، لولا ما بينه وبين قومنا، ولولا أنى أعلم أننا إن فعلنا كان لنا مع قومنا أمر عظيم وخطب جليل».

قال عتبة: «وارحمتاه لابن عمنا من قومنا! ثم وارحمتاه لقومنا من أنفسهم! ما كنت أحسب أن يبلغ الأمر بقريش أن يذل عزيزها ونحن شاهدان، وأن يجترىء حى من أحياء العرب وإن كان ثقيفاً، على أن يسوءوا رجلاً من قريش وإن كان مستضعفاً مهيناً، فكيف بابن عبدالمطلب وابن أخى حمزة والعباس!!».

١ - الحائط: البستان

٢ - تثبته: تعرفه حق المعرفة

وكان هذان الرجلان من أشراف قريش، قد ذهبا إلى بستان لهما فى الطائف يصلحان من أمره وأمرهما، ويهيئان لتجارتهما، يجمعان ما تنفذه ثقيف مع تجار قريش إلى اليمن فى رحلتها إلى اليمن، وإلى الشام فى رحلتها إلى الشام. وكانا قد أقاما فى الطائف أياماً، وأقبل فى أثناء ذلك النبى ﷺ يعرض نفسه على ثقيف يلتمس عندهم النصر والعون والجوار، بعد أن تنكرت له مكة بطاحُها وظواهرها، وبعد أن تنكر له الناس حتى أقربهم إليه وأدناهم منه، وبعد أن فقد عمه الذى كان يمنعه ويقوم دونه، وبعد أن فقد زوجه التى كانت ترعاه وتكلؤه وتحوطه بالرحمة والحب والحنان. وكان قد لزم داره بعد هاتين الكارثتين، لا يكاد يبرحها خائفاً محزوناً، حتى أقبل عليه عمه أبولهب فأمنه وأعلن إليه أنه يقوم من حمايته بما كان يقوم به أبوطالب، فسرى عن النبى الكريم شيئاً واستأنف الخروج من داره والذهاب إلى المسجد والاضطراب فى مكة. ولكن قوماً من قريش ألحوا على أبى لهب حتى غيروه على ابن أخيه، فاسترد جواره وحمايته، وعاد إلى مثل ما كان عليه قبل أن يموت أبوطالب. فلما ضاقت مكة بخير أبنائها خرج إلى الطائف يلتمس جوار ثقيف، فأقام فيهم ما شاء الله أن يقيم، يسعى عند هذا ويلطف لذاك، وكلهم يرده وكلهم يمتنع عليه، وكان مقامه فيهم قد أخافهم وثقل عليهم وأثار فى نفوسهم إشفاقاً أن يصيب مدينتهم ما أصاب مكة من اضطراب الأمر وانتقاض الضعفاء على الأقوياء واستجابة قوم لهذا الرجل الذى أنكره قومه ولم تره مدينته إلا ما يكره فتقدموا إليه فى الرحيل عنهم. ولم يكد يفعل حتى أغروا به سفلة الناس وسفهاءهم، فتبعوه يؤذونه بالقول والفعل حتى ألجأوا ضعيفاً مكدوداً وكئيباً محزوناً إلى حائط هذين القرشيين. وأقبل النبى وقوراً هادىء الخطى مطمئن النفس. تظهر على وجهه الكريم آيات الضعف وآيات القوة، وآيات الحزن وآيات الرجاء.

ضعف مصدره الجهد والعناء، وقوة مصدرها الحزم والعزم، وحزن مصدره الرحمة لهؤلاء الذين يدعوهم إلى الخير فيبغونه بالسوء، ويرشدهم إلى النجح فيريدونه بالمكروه. ورجاء مصدره الثقة بأن الله لم يختره لرسالته ليخذله قبل أن يتم أمره ويعلى كلمته ويظهر دينه على الدين كله، وبأن الله لا يصيبه بما يصيبه به من المكروه إلا امتحاناً لقلبه، وابتلاء لنفسه، وتمحيصاً لطبعه.

أقبل هادئاً والناس من ورائه مضطربون، مستأنياً والناس من ورائه مسرعون، حتى انتهى إلى ظل من ظلال البستان. فجلس متعباً مكدوداً، والقرشيان ينظران إليه ويرقان له ويعطفان عليه وينازعان نفسيهما إلى نصره ومعونته، وقد كادا يفعلان لولا أن ذكرا قريشاً، ولولا أن ذكر عتبة بن ربيعة صهره أبا سفيان، وقدر ما يلقاه وما يلقاه أخوه من قريش إن منح محمداً معونة أو نصراً. ولكنهما رأيا ابن عمهما يأوى إلى ظلالهما مكروباً محزوناً،

فلم يملكا أن يمتنعا من أن ينالاه بأيسر الخير وأهون البر، فيدعوان عداساً (عبداً من عبيدهما) ويأمرانه أن يحمل إلى هذا الرجل الضعيف المكدود شيئاً من عنب البستان ليصيب منه. ويمضى العبد منفذاً أمرهما. ولكنهما لا يستطيعان أن ينصرفا عن مكانهما ولا أن يحولا بصرهما عن ابن عمهما، وقد أهينت فيه قريش كلها لولا أن قريشاً قد احتفظت بأحلامها. فهما ينظران ويرثيان ويعمل الأسى فى قلبيهما. والعبد يسعى بالطبق إلى هذا الرجل المحزون، حتى إذا انتهى إليه أقبل الرجل على العنب يريد أن يصيب منه والعبد قائم منه غير بعيد. ولكن القرشيين ينظران فيريان عجباً: يريان كأن حديثاً قصيراً قد دار بين الرجل وبين هذا العبد، ثم يريان العبد وقد أكب على هذا الرجل الحزين يقبل رأسه ويديه ورجليه باكياً مستعبراً مندفعاً فى حديث لا يكاد ينقضى، مظهراً من التكرمة والإجلال لهذا الرجل ما لم يتعود أن يظهره لأحد من سيديه. فيقول أحد القرشيين: «ويحك! لقد أفسد علينا ابن عمنا هذا العبد! وما أرى إلا أن ثقيفا معذورون إن خافوا منه على عبيدهم وضعفائهم وأقويائهم أيضاً ما خفنا نحن منه على العبيد والضعفاء والأقوياء!».

وهذا الرجل قد نهض وقوراً هادئاً، ومضى العبد معه شيئاً من الطريق ثم وقف يشيعه بطرفه حتى غاب عن طرفه وعن طرف القرشيين.

هنالك عاد العبد إلى سيديه، وفى وجهه آيات الكآبة والحزن، وفى وجهه مع ذلك آيات الطمأنينة والرضا، ودموع تجرى من عينيه لم يدريا أكانت دموع حزن وابتئاس، أم كانت دموع غبطة وابتهاج. يقول عتبة بن ربيعة للعبد رفيقاً به عطوفاً عليه: «ويحك يا عداس! إن لك مع هذا الرجل لشأناً، فاقصص علينا بدء حديثك فقد رأيناك حفيا به متلطفاً له مكباً عليه، تقبله باكياً مواسياً ثم مرافقاً له تشيعه بشخصك ثم بطرفك».

قال العبد: «نعم يا مولاى! إن لى مع هذا الرجل شأناً وحديثاً عجباً. وأحب إلى أن أقص عليكما حديثى ولكن أى حديثى تريدان؟ أتريدان حديثى منذ اليوم، أم تريدان حديثى القديم الذى مضت عليه أعوام طوال، والذى دفعنى إلى بلادكم هذه، والذى اضطرنى إلى ما أنا فيه من رق وإلى أن أعمل لكما بيدى فى هذا البستان، وما عملت لأحد قبلكما بيدى وما عملت لنفسى بيدى. وإن كان الناس ليعملون لى كما أعمل لكما الآن؟».

قال عتبة وقد ثارت فى نفسه طبيعة العربى الذى أترف وفيه فضل من بداوة، فهو مشغوف بالقصص، كلف بغريب الحديث: لحديث «وإن لك لحديثاً قديماً بينه وبين حديثك هذا الجديد سبب».

قال عداس: «نعم».

قال عتبة: «فاقصص علينا حديثك».

وأخذ القرشيان مجلسهما استعداداً

لسماع الحديث وهم أن يبدأ حديثه قائماً، ولكنهما أذنا له فى الجلوس فجلس. وأطرق وأغرق فى صمت غير طويل ولكنه كان عميقاً، ثم قال: «لقد انتهيت إلى هذا الرجل منذ حين، فسمعته يقول كلاماً ما أعرف أن الناس يقولونه أو يقولون مثله فى هذه الأرض. فلما سألته عن ذلك حدثنى بحديث ما يعرفه إلا نبى. وكان حديثه هذا منى على ميعاد. أو كنت أنا من حديثه هذا على ميعاد. لقد سألنى سؤالاً لم يسألنيه أحد منذ وطئت هذه البلاد. سألنى عن موطنى الذى نزحت منه، فأنبأته بما لا تعلمان وبما يحسن أن تعلماه الآن، وهو أنى رجل من أهل نينوى، نشأت فى بيت من بيوت الأحرار الذين إن لم يتح لهم الملك والإمارة فقد أتيحت لهم الثروة والغنى. وكنت موفور الحظ من النعمة وحسن الحال فارغاً لما يفرغ له أمثالى فى تلك البلاد من تقسيم الوقت بين لذة الجسم ولذة العقل، ألهو ما وسعنى اللهو، ثم أقرأ واختلف إلى مجالس العلماء والفلاسفة من القسس والرهبان، فأسمع منهم وأتحدث إليهم وآخذ معهم فى ألوان من الجدل حول ما يختلف الناس فيه عندنا من أصول الدين والعلم. وأنتما لا تعلمان من أمرنا فى تلك البلاد إلا قليلاً، إنما تعنيان ويعنى قومكما بما تحملون إلينا من تجارة وما تصدرون به عنا من مال، وما تصيبون فى بلادنا من هذه اللذات اليسيرة. فأما ما دون ذلك فليس لكم به علم وليس لكم عنه سؤال. ولو قد دخلتم فى حياتنا وعرفتم دقائق أمرنا، لرأيتم أن فى نفوسنا اضطراباً شديداً وغلياناً متصلاً وضيقاً بالسلطان، وتمرداً على النظام، وإنكاراً لما ورثنا من عادة وشكاً فيما تلقينا من دين.

ساءت فينا سيرة السلطان فنقمنا من نظام الحكم. وساءت فينا سيرة القسس فشككنا فى الدين. فأما العاجزون فقد أعطوا طاعة ظاهرة وأضمروا عصياناً خفياً وعكفوا على اللذات يستعينون بها على احتمال الحياة. وأما الأقوياء وأولو العزم فقد فكروا وقدروا، وجدوا فى التفكير والتقدير يلتمسون فرجاً من حرج ومخرجاً من ضيق. وكنت فيما رأيت من هؤلاء. فلما ضقت بالحياة فى مدينتى ولم أجد عند علمائها وقسسها شيئاً، خرجت مسافراً إلى الشام ألتمس فى السياحة تسلية وعلماً، وأبتغى فيها ظفراً بالخير. ولست أقص عليكما رحلتى إلى الشام ومنازلى فى طريقى إليها، واضطرابى فى مدنها وقراها، ويأسى من قسسها وعلمائها، وضيقى بسادتها وحكامها، ولكنى انتهيت بعد كثير من الاضطراب إلى دير من الأديار يقوم فى آخر العمران وأول الصحراء مما يلى بلادكم هذه. وأقمت فى هذا الدير دهراً، راضياً عن حياته الهادئة المطمئنة، راضياً عن حياة أهله الآمنين الوادعين الأخيار، ناعم النفس بعشرتهم، مستمتعاً بأحاديثهم. ولكننى سمعت من أحاديثهم عجباً: رأيت لهم فيما بينهم أمراً يتحدثون عنه بالرمز، ويومئون إليه بالإشارة. ورأيت حديثهم هذا الرمزى يكثر ويشتد

إمعانهم فيه كلما مرت بديرهم قافلة من قوافلكم هذه التى تتردد على بلاد الروم. رأيتهم يعرفون أنباء هذه القوافل قبل أن تصل إليهم، فيتهيئون لها ويستقبلونها ويكثرون من سؤالها ويظهرون الحفاوة بها، ثم يخلو بعضهم إلى بعض، فيتبادلون بينهم أحاديث الرمز والإشارة والإيماء، ويقول بعضهم لبعض: لم يأت النبأ بعد، أو يقول بعضهم لبعض: لقد انقطع النبأ بعد أن جاءت بشائره. فلما كثر على منهم ذلك أزمعت أن أعلم علمه، فتلطفت لهم وتوسلت إليهم حتى عرفت أنهم ينتظرون إصلاحا دينيا ذا بال، وأنهم قرءوا فى كتبهم أن هذا الإصلاح يأتيهم من قبل هذه البلاد، وأنهم حسبوا وقدروا، ورأوا أن زمان هذا الإصلاح قد أظل الناس. وأن أنباء قد انتهت إليهم وأحاديث قد نقلت لهم، وكلها يدل على أن أوان هذا الإصلاح قد آن. ثم قصوا علىّ من هذه الأنباء والبشائر أطرافا. فلم أملك أن كلفت بالرحلة إلى بلادكم، وقلت: ما يمنعنى أن أبعد فى السفر! وما يمنعنى أن أتصل بقافلة من قوافلكم هذه فأبلغ معها هذه الأرض، فأعلم من علمها. وأصيب من تجارتها!، ولعلى أظفر بما يتحرق إليه هؤلاء الرهبان شوقا. وأنتما تعلمان كيف كان الاتفاق بينى وبين تلك القافلة التى أمنتنى على نفسى ومالى، وضمنت لى أن أبلغ بلادكم هذه موفورا فأصيب من تجارتها وأعود معها من قابل إلى الشام، حتى إذا بعدنا عن بلادم الروم وانقطعت أسبابى من أسباب قيصر، عدا أهل هذه القافلة على مالى فاحتجزوه، ثم عدوا على فاتخذونى وباعونى من صاحبكما ذاك الذى اشتريتمانى منه قريبا من يثرب.

فهذا بدء حديثى أيها السيدان. وقد عملت فى بستانكما أعواما، وكان الناس يتحدثون من حولى بهذه الأحداث التى تحدث فى مكة، ويتناقلون من حولى أنباء هذا الرجل الذى ينكر الأوثان ويدعو إلى التوحيد، ويريد أن ينصف المظلوم من الظالم، والعبد من السيد، ويسوى بين الضعيف والقوى. وكان الناس يتحدثون من حولى بما يلقى هذا الرجل فى بلده من شر، وما يمتحن به أصحابه من ألوان الفتنة. وكنت كلما سمعت هذه الأحاديث هششت لها، وطابت بها نفسى، وأحسست أن النبأ الأعظم قريب. وكنت أقدر أن صاحب هذا النبأ يجب أن يكون كإخوانه الذين سبقوه عالما بدين الله داعيا إليه، مخبرا عن أنباء الأولين بما لا يخبر به الناس. وكم وددت لو أتيح لى أن أنحدر إلى مكتكما هذه فأسأل صاحبكما وأسمع منه، ولكن الرق فى بلادكما شديد، فنحن أرأف منكم بالرقيق وأعطف منكم عليه. وقد لبثت فى بستانكما هذا أسمع الأنباء وألتمسها وأتحرق شوقا إلى مصدرها، حتى أقبل صاحبكما هذا منذ حين. ولقد رثيت له حين رأيته وأوشاب الناس من حوله يؤذونه بألسنتهم وأيديهم. ولقد هممت أن أفزع لنصره والذود عنه، وما كنت أعلم من أمره شيئا، ولكنها الرحمة عطفتنى عليه. ولقد هممت أن أستأذنكما فى إيوائه وإيثاره بشىء

من القرى، ولكنى رأيتكما تنظران وتتحدثان ولا تنشطان، ثم أمرتمانى بالسعى إليه. فلما بلغته سمعت منه كلاما ما سمعت مثله فى هذه الأرض. فلما سألته عن ذلك سألنى عن موطنى، فلما أنبأته به قال: «هذا موطن يونس نبى الله». فما شككت فى أنه صاحبى الذى أقبلت ألتمس أنباءه».

قال عتبة: «ويحك يا عداس! إن حديثك هذا لعجب، ولكنا نخشى أن يفسد عليك صاحبنا دينك، وإن دينك لخير مما يدعو إليه».

قال عداس: «مهلا يا سيدى! إن الذى يقول ما سمعت لا يدعو إلى شر ولا يغرى بفساد، ولا يأمر إلا بمعروف، ولا يقول إلا حقا».

قال شيبة: «ويحك يا عداس! لقد سحرك صاحبنا فيمن سحر فماذا سمعت منه؟».

قال عداس: «بل لقد هدانى فيمن هدى. ولقد سمعته يناجى ربه بحديث ما سمعت أعذب منه، لقد حفظت حديثه، وإنك لتعلم ما أنا بالعربى، وما حفظ أحاديثكم علىّ بيسير».

قال عتبة: «فهات أعد علينا ما سمعت».

قال: سمعته يقول: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين. أنت رب المستضعفين وأنت ربى. إلى من تكلنى! إلى بعيد يتجهمنى، أو إلى عدو ملكته أمرى! إن لم يكن بك علىّ غضب فلا أبالى، ولكن عافيتك هى أوسع لى. أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بى غضبك، أو تحل علىّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

ولم يفرغ العبد من هذا الحديث حتى أغرق فى بكاء هادىء، وأغرق سيداه فى وجوم عميق. ثم ثاب القوم جميعا إلى أنفسهم، ونظر القرشيان أحدهما إلى الآخر نظرة المستخذى الآسف. ثم قال عتبة لعداس: «أنت وما تشاء يا عداس من حب صاحبك وطاعته، ولكن لا تنس أن لنا عليك حقا وطاعة. وإنا حريصان على ألا تظهر من أمرك شيئا فتضطرنا فيك إلى ما نكره، وتضطر قومنا فينا إلى ما تكره».

ومضت أعوام وحدثت أحداث، ونظر العبد الشيخ ذات يوم فإذا محمد ﷺ قد ضرب عسكره حول الطائف يحاصر فيها ثقيفا، وكان عداس قد انتقل من ملك ابنى ربيعة بعد موتهما إلى الثقفيين، وإذا نفسه تنازعه إلى صاحبه، وإذا هو يحرض الرقيق ويبث فيهم الدعوة إلى الخروج على سادتهم واللحاق بجيش المحاصرين، وإذا نفر من الرقيق يجتمعون إليه، وإذا هم يقتحمون الأسوار ويهبطون إلى العسكر مسرعين، وترميهم مقاتلة ثقيف بالنبل فتصرع منهم جماعة فيهم عداس، قد مات قبل أن يبلغ صاحبه العظيم، ويخلص سائرهم إلى النبى فيهديهم إلى الإسلام ويردهم إلى الحرية، وينصرف عن حصار الطائف، حتى إذا أسلمت ثقيف تكلمت فى رقيقها أولئك وأرادت ردهم إلى الطاعة، فيقول النبى الكريم: «كلا! هؤلاء عتقاء الله».

طرائف .. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

«كلمات حكيمة عن الفاروق.. رضي الله عنه»

قال عمر - رضى الله عنه: ما كانت الدنيا هم رجل قط إلا لزم قلبه أربع خصال: فقر لا يدرك غناه، وهم لا ينقضى مداه، وشغل لا ينفد أولاه، وأمل لا يبلغ مداه.

وجاء فى فصول قصار من كلامه - رضى الله عنه:

من كتم سره كان الخيار فى يده.

أشقى الولاة من شقيت به رعيته

أعقل الناس أعذرهم للناس

ما الخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع.

لا يكن حبك كلفا، ولا بغضك تلفا.

مر ذوى القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا

قلما أدبر شئ فأقبل

أشكو إلى الله ضعف الأمين وخيانة القوى

لو أن الشكر والصبر بعيران ما باليت أيهما أركب

من لا يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه.

«تجهزى.. يا نفس»

من كان حين تصيب الشمس جبينه
أو الغبار يخاف الشين والشعثا
ويألف الظل كى تبقى بشاشته
فسوف يسكن يوما راغما جدثاً
فى ظل مغبرة غبراء مظلمة
يطيل تحت الثرى فى غمها اللبثا
تجهزى بجهاز تبلغين به يا
نفس قبل الردى لم تخلقى عبثا

«هذا أسخى منى وأكرم»

خرج عبد الله بن جعفر بن أبى طالب إلى ضيعة له، فنزل على بستان به نخيل، وبه غلام أسود يقوم على رعايته، وأمامه ثلاثة أقراص، يهم أن يأكلها، فدخل كلب فدنا منه فرمى إليه بقُرص فأكله، ثم رمى له بالثانى فأكله، ثم رمى له بالثالث فأكله، وعبد الله ينظر إليه، فقال له يا غلام: كم قُوتك كل يوم؟ فقال: ما رأيت، قال: فلم أعطيت جميع الطعام للكلب ولم تَتُركْ لنفسك شيئاً؟ فقال: إنّ أرضنا ليست بذات كلاب، وقد جاء هذا الكلب من مسافات بعيدة جائعاً، فكرهتُ أن أردّه.

قال عبد الله: فماذا ستصْنع الآن، وقد نفد زادك، قال: لا مانع، أطوى يومى هذا جائعاً، فتعجّب عبد الله وقال: هذا أسْخى منى وأكرم، وسأل عن صاحب البستان فأشتراه منه، واشترى العبد، ووهبه البستان.

«أحييتنى بقتل جوعى»

قال الأصمعى: سمعت أعرابيا يقول لرجل: أطعمك الله الذى أطعمتنى له، فقد أحييتنى بقتل جوعى، ودفعت عنى سوء ظنى، فحفظك الله على كل جنب، وفرج عنك كل كرب، وغفر لك كل ذنب.

«حكمة.. فى بيت»

لو كل كلب عوى ألقمته حجراً
لأصبح الصخر مثقالا بدينار

***

إذا نطق السفيه فلا تجبه
فخير من إجابته السكوت
فإن كلمته فرجت عنه
وإن خليته كمدا يموت

***

من عاتب الجهال أتعب نفسه
ومن لام من لا يعرف اللوم أفسدا

***

أما ترى الأسد تخشى وهى صامتة
والكلب يخزى لعمر الله نباح

«الصلاة للدرة»

صلى رجل صلاة مختصرة، فقام إليه سيدنا على بن أبى طالب - رضى الله عنه - بالدرة، وقال: أعدها، فلما فرغ، قال: أهذه خير أم الأولى؟ فقال الرجل: بل الأولى، فقال: لم؟ فقال: لأن الأولى كانت لله، والثانية للدرة.

قلعت عيناه فأبصر

حكى عن بعض الشعراء أنه دخل على أحد الخلفاء فوجده جالساً وإلى جانبه جارية سوداء تدعى «خالصة»، وعليها من الحلى وأنواع الجواهر واللآلئ مالا يوصف، فصار الشاعر يمتدحه وهو يسهو عن استماعه، فلما خرج كتب على الباب:

لقد ضاع شعرى على بابكم
كما ضاع در على خالصة

فقرأه بعض حاشية الخليفة وأخبره به، فغضب لذلك وأمره بإحضار الشاعر، فلما وصل الباب مسح العينين اللتين فى لفظة ضاع، وأحضر بين يديه فقال له: ما كتبت على الباب، فقال: كتبت

لقد ضاء شعرى على بابكم
كما ضاء در على خالصة

فأعجبه ذلك وأنعم عليه، وخرج الشاعر وهو يقول: لله درك من شعر قلعت عيناه فأبصر.

«ما رأيت رهنا مثله قط»

تقدم رجل إلى بقال يسأله شيئاً فامتنع، فدنا منه فساره، فدفعه إليه، فقيل له: ما قال لك؟ قال: رهننى طلاق امرأته «وذلك أنه حلف بالطلاق أنه يرده غداً» فقال بعضهم: ما رأيت رهناً مثله قط.

«جواب الأعرابى»

مر الحجاج على رجل كبير فى السن من الأعراب، فقال له: كيف حالك؟

قال الأعرابى: إن أكلت ثقلت، وإن تركت ضعفت.

فقال: كيف نومك؟ قال: أنام فى المجمع، وأسهر فى المضجع.

فقال: كيف قيامك وقعودك؟

قال: إن قعدت تباعدت عنى الأرض، وإذا قمت لزمتنى.

فقال: كيف مشيك؟

قال: تعقلنى الشعرة، وتعثرنى البعرة.

«حسن التصرف»

قال رجل لأمرأته: أمرك بيدك

فقالت: قد كان فى يدك عشرين سنة فحفظته، فلا أضيعه أنا فى ساعة وقد رددته عليك فأمسكها.

«دعـــاء»

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يُعزُ فيه أهل طاعتك، ويُذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر، إنك سميع الدعاء.

مواقف إسلامية

اليسر بين الغاية والوسيلة

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

حاول بعض المتسرعين رسم صورة للمرأة المسلمة من خلال بعض الأحاديث النبوية.. والتى أوردوها ثم فسروها على هواهم.. فبدت صورة المرأة على غير حقيقتها.. كما هى فى ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة.

الأمر الذى يفرض علينا ولاءً للحق - أن نحررها من بين غبش الظنون. والأوهام.. حتى تستعيد المرأة المسلمة ملامحها الأصيلة.. وليست الدخيلة.. إلى الحد الذى يستيقن فيه المرتابون.. كيف تتبوأ المرأة مكانها العلى كشريك فاعل فى ترقية الحياة وكيف تقف معه فى خندق واحد تتعاون معه على البر والتقوى.

ولا يفوتنا - بادىء ذى بدء - أن نقرر أننا لا نكتب للمعاندين الذين أعماهم التعصب.

وإنما نقصد بما نقول صنفين من الناس.

١- المسترشدين الراغبين فى معرفة الحق.. للعمل به.

٢- الجماهير المخدوعة بما يروجه المعاندون، ليعلموا أن الحق أكبر من أن يدعى أحد احتكاره.. مهما كان موقعه.. وأن هناك وجهات نظر أخرى حول بعض القضايا جديرة بالمناقشة، جديرة بالاحترام.

وفى النهاية يتحمل كل إنسان نتيجة اختياره، «ومن أذعن للحق بعدما تبين فأولئك تحروا رشداً».

يزعم بعض الدارسين أن الحجاب أو الخمار كما نعرفهما اليوم ليسا من القرآن فى شىء، بل هما من البدع والخرافات التى أملاها الجهل بتعاليم القرآن، ويعودان إلى التقاليد المتوارثة من المجتمعات القديمة، وقبل نزول القرآن.

وقد قدّم لهذا الرأى بآية قرآنية حاول أن يؤيد بها وجهة نظره الرامية إلى إلغاء الحجاب، لأنه من الحرج الذى رفعه الله تعالى عنا.

والآية التى استشهد بها: قوله تعالى:

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ﴾

«الآية ٧٨ من سورة الحج»

ولابد من وقفة نستبين بها: من الذى جهل تعاليم القرآن، فقال على الله شططا ونسب إلى العلماء غلطاً!

ونتساءل: ما هو معنى الحرج أولاً؟ ثم ما هو الحرج فى الآية الكريمة؟

الحرج هو: «كل ما أدى إلى مشقة زائدة: نفسية أو مادية».

الحرج المنفى فى الآية الكريمة

وإذ يريد الدارس المتعجل أن يجعل الحياة فوضى، بلا حدود ولا ضوابط، وأن يجرى مع أوهام التخييل والتمثيل، مما ليس إلى تحققه من سبيل، إذ يريد الكاتب ذلك.. فإننا معه نسأل الثقات من العلماء عن هذا الحرج المنفى.. فى الآية الكريمة.

عن ابن عباس -رضى الله عنهما: أنه كان يقول فى قوله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ﴾

الحج/ ٧٨

«توسعة الإسلام هى: ما جعل الله تعالى من التوبة والكفارات»[1].

وأخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة قال:

الحرج: الضيق، لم يجعله ضيقاً، ولكنه جعله واسعا:

[أحل لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع. وما ملكت يمينك. وحرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنازير][2].

وعن مقاتل قال: «لم يضيق الدين عليكم، ولكن جعله واسعاً لمن دخله، وذلك أنه ليس مما فرض عليهم فيه إلا وقد ساق إليهم عند الاضطرار رخصة:

(١)- الدر المنثور ج٤/٤٧١. (٢)- القرطبى ج١٢/١٠٠.

الأزهر

فرض عليهم الصلاة فى المقام أربع ركعات وجعلها فى السفر ركعتين وعند الخوف من العدو ركعة.. ويجزيه الإيماء إلى أية جهة، وجعل فى الوضوء رخصة: «إذا لم يجد الماء أن تيمموا الصعيد».

وهكذا.. ويزيد الشاطبى[3] المعنى وضوحاً فيقول:

وكما تتفاوت الأعمال فيما بينها فى ذاتها ـ كصلاة الفجر مقارنة بصلاة الظهر.. كذلك يأتى الاختلاف بسبب اختلاف الظروف الزمانية والمكانية:

فليس إسباغ الوضوء فى زمن الشتاء.. كإسباغه فى الزمن المعتدل.

ولا القيام إلى الصلاة فى قصر الليل. أو فى شدة البرد مثله حين طوله واعتداله.

وقد نسلّم أن فى العبادة كلها مشقة، فهل هذه المشقة غير مستطاعة حتى تدخل فى نطاق الحرج؟

والجواب:

أولاً: أن أعمال الدنيا كأعمال الآخرة كل منها يحتاج إلى جهد ومشقة فى إنجازه.

فلماذا نسترخص ما نبذله من أجل الدنيا، ثم نتحايل للتفلت من كل ما فيه رائحة الآخرة؟!

ثانياً: قد تكون طبيعة العمل نفسه مما لا يفعل إلا بمشقة بالغة ومع ذلك فليس فيه من الحرج شىء! كالجهاد مثلاً:

لا إفراط ولا تفريط

يقول العلماء ما أيده الواقع.. وهو: أن الجهاد يُعرِّض النفس للتلف. ومع أن فى ذلك من المشقة ما فيه إلا أنه ضرورة، لأن الجهاد لا يتم إلا به.. ولك أن تتصور كيف يكون قتل واحد.. إحياء لأمة!!

وإذن فرفع الحرج لا يعنى ـ كما يريد الكاتب المتعجل ـ التسيب.. والتفلت من الدين جملة، إنما هو اليسر. اليسر المشتق من طبيعة الأمة الوسط، فلا إفراط يحمل على الفرار من الدين جملة، ولا تفريط ننقض به غزلنا من بعد قوة أنكاثا.

ويجب ألا يغيب عنا أن هذا اليسر ليس مقصداً فى ذاته، وإنما هو وسيلة يتحقق بها المقصود من وجودنا، وهو: طاعة الله- تعالى- فيما أمر، وفيما نهى.

والذين يتصورون اليسر فوضى ذاهلين عن هذا المقصود.. يخلطون الأوراق.. حين يجعلون من الوسيلة غاية.. فأرادوا الحياة غابة. غابة يسرح فيها البشر كالبهائم، ثم تنحلّ العزائم.

يقول الله عز وجل:

(٣)- الموافقات ج٢/١١٢.

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ﴾

الحج / ٧٨

فى زمان اختلط فيه الحابل بالنابل، والتبس فيه الحق بالباطل وفى الوقت الذى ينطلق فيه السطحيون من الأقوال المتعجلة لا من الأصول الثابتة.. وهم يتعاملون مع القرآن الكريم فى هذا الوقت. لابد من وقفة مع هؤلاء المتعجلين وقفة: تتضح بها المحجة.. ثم بها تقوم الحُجَّة!

قد يزعم بعض الكاتبين أن رفع الحرج هنا يعنى التسيب، واختفاء المعالم، ودك الحدود، فلا قيود، ولا حساب ولا عقاب؟!

الجهـــــاد

ولكننا نحاول فهم الآية الكريمة محكومين بما يليق بجلال القرآن، هذا الكتاب الذى يفرض على الدارس أن يزيِّن معه باطنه بالمجاهدة.. حتى يزيِّن الله ظاهره بالمشاهدة مشاهدة أسراره التى لا تنال بعضها إلا إذا أعطيته كُلَّك!!

فماذا فى الآية الكريمة من معان؟

إننا مأمورون بالجهاد حق الجهاد. أن نستفرغ الجهد فى إيقاع كل ما أمر به الله- تعالى- وهو الجهاد الحق، وعلى جبهتين:

- جهاد العدو: بالنفس.. والمال.
- وجهاد النفس: بإلزامها كلمة التقوى.

والتكليف هنا وإن بدا شاقاً.. إلا أنه الثمن الذى يجب أن تبذلوه راضين جزاء اصطفائه تعالى لكم.. والغُنْمُ بالغرم:

﴿ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ ﴾

اختاركم من بين أمم الأرض جميعاً:

- فجعل الرسالة فيكم.
- والرسول منكم.
- وجعله أشرف الرسل.
- ودينه أكرم الأديان.
- وكتابه أعظم الكتب.
- وجعلكم ـ لكونكم أتباعه ـ خير الأمم.

كل أولئك مقتض التفانى فى طاعته- سبحانه- وبذل النفس والنفيس إعلاء لكلمته.. بالجهاد.

ألا وإن هذا الجهاد الذى كان لكم فى الدنيا ذكراً وفى الآخرة ذخراً ـ لا يساوى هذا الشرف العظيم.

ومع ما فى الجهاد من تعريض النفس للتلف.. إلا أنه مع ذلك خال من الحرج.. ومشقته هينة إلى جانب هذه المكاسب الهائلة.

وإذ يريد الكاتب أن الله- تعالى- ما جعل علينا فى الدين من حرج، فإنا نقول له إن الآية الكريمة تقول:

إن التعبير بحرف الجر «منْ» ينفى كل حرج.

وتنكير «حرج» ينفى أن يكون هنا أدنى حرج..

والقرآن الكريم.. والسنة المطهرة شاهدان بذلك، يقول عز وجل:

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾

النساء / ٢٨

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾

البقرة / ١٨٥

يقول ﷺ: يسروا ولا تعسروا: إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسِّرين][4].

وما دام اليسر هو لحمة الإسلام وسداه، فإنه غير محتاج إلى متشدد موغل فى التشدد. ولا إلى متساهل.. يتخذ من التساهل ذريعة إلى الإنفلات من الدين جملة!

المعادلة السهلة

إننا نرى ما يراه الكاتب المتعجل من ضعف المسلمين، وتأخرهم، لكن ليس كل حلٍ صالحاً لإنقاذهم من ورطتهم.. والحل الصحيح هو تطبيق مبادئه فهذا هو الطريق الأوحد لإثبات صلاحية الإسلام لإسعاد الحياة. ولن يكون ذلك بالتفلت من آدابه كما يريد المستهترون. إن مبادىء الإسلام كأس صاف، فلم نعكره بأهوائنا؟! ثم هو سيف مشرع فى وجه من يريد به كيداً، فلم نضعه فى غمده؟!

ورحم الله سلفنا الصالح، لقد فهموا هذه المعادلة السهلة، وقرروا أن يأخذوا بالأحوط.. متحملين فى سبيل الله ما تحملوا.. شاعرين فى نفس الوقت بمتعة لو علمها المترفون لجالدوهم عليها بالسيوف!

يقول العلماء فى ذلك:

[إن تقدير المشقة فى العبادات. قد يختلف عنه فى غيرها من عادات ومعاملات، ومرد ذلك إلى اهتمام الشرع بجانب العبادات، حيث إن العبادات مشتملة على مصالح العباد. وسعادة الدنيا والآخرة. فلا يليق تفويتها بمسمَّى المشقة. مع يسارة احتمالها ولذلك قال من قال:

«إنَّ ترك الرُّخص فى كثير من العبادات أولى»، ولأن تعاطى العبادة مع المشقة أبلغ فى إظهار الطواعية وأبلغ فى التقرب. ولذلك قال عليه السلام:

[أفضل العبادات أحمزها][5] أى أشقها، وقال: [أجرك على قدر نَصبك][6].

إن الشرع الحكيم يعاملنا بما يليق به من كمال. ونحن مأمورون برد الجميل: التزاما، لا إحجاما!

---

(٤)ـ رواه البخارى والترمذى والنسائى فى قصة الأعرابى الذى بال فى المسجد.

(٥)ـ متفق عليه.

(٦)ـ راجع: رفع الحرج د.صالح بن حميد/٢٨

مسئولية ركاب السفينة

يقول الله عز وجل :

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾

الأحزاب / ٥٣

يقول أحد الكاتبين : [إن الحجاب كما نعرفه اليوم ليس من القرآن فى شىء ، بل هو من البدع والخرافات الناشئة عن الجهل بالقرآن . وهو فى نشأته عائد إلى التقاليد المتوارثة من المجتمعات القديمة] .

وقال آخرون مثلما قال : إن « النقاب » بدعة كانت فى عصور الانحطاط . قال الكاتب المتسرع ذلك .. فهل الأمر كذلك ؟

الأطهر والأطيب

ونعود إلى القرآن نستفتيه فى أمر الحجاب .. لنجد فيه كشف ما يشوش على الحق .. حتى لا يكون « فى صدرك حرج » :

يقول « ابن كثير » فى تفسيره :(٧)

[أى : وكما نهيتكم عند الدخول عليهن ، كذلك لا تنظروا إليهن ، بالكلية ، ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن . فلا ينظر إليهن ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب]

ثم علل ذلك بقوله تعالى :

﴿ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾

الأحزاب / ٥٣

أى : [هذا الذى أمرتكم به وشرعته لكم من الحجاب : أطهر وأطيب] .

وقد أثبتت الأحداث بعد ذلك أن ماشرعه الله - تعالى - هو الأطهر . وهو الأطيب حقاً ، وأن « الحجاب » بمعنى ستر العورة ، كان هو الدواء الناجع المانع من استشراء الانحراف .

يقول المفسرون : [كان ناس من فسّاق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طرق المدينة يتعرضون للنساء وكانت مساكن أهل المدينة ضيقة . فإذا كان الليل .. خرج النساء إلى الطرق يقضين حاجتهن . فكان أولئك الفساق يبتغون ذلك منهن . فإذا رأوا امرأة عليها جلباب قالوا : هذه حُرّة ، وكفوا عنها . وإذا رأوا امرأة ليس عليها جلباب قالوا : هذه أمة ، فوثبوا إليها ، فنزل قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ ﴾

«الأحزاب / ٥٩ : ٦١»

(٧)- تفسير سورة الأحزاب.

وهو أمر للنساء - وبخاصة نسائه وبناته - ﷺ - أن يتميزن فى زينتهن عن الإماء : بأن يدنين عليهن من جلابيبهن .. فيعلم أنهن حرائر فلا يعرض لهن فاسق بأذى ولا ريبة] .

واجب المرأة والرجل والدولة

وفى ضوء هذه الآيات الكريمة ، وعلى هدى ما ذكره المفسرون ، نستخلص الحقائق الآتية :

الحقيقة الأولى: إن الغريزة الجنسية صماء لا تسمع ، عمياء لا ترى ، وأن الإنسان تحت ضغوطها قد يمضى معصوب العين إلى حيث ترمى به ، لا فرق بين خبيثة ولا طيبة .. ولا بين طيبة وأطيب ، وطاهرة وأطهر ، وحتى فى أنظف بيئة عرفتها الحياة .. يمكن أن تستيقظ متى أثيرت من مرقدها ، ولابد من التصدى لها .

والثانية: إن واجب الدولة أن تتدخل - وبحذر - فتتصدى لهذه الغريزة قبل أن تذهب بصاحبها فى الأرض حيران ، وذلك بمنع الاختلاط والنظر أيضاً ، وضرورة وجود الحائل المانع من الاحتكاك حتى لا تكون فتنة .

والثالثة: إن عملية إصلاح المجتمع سيراً به إلى الأطهر والأطيب تبدأ من عند المرأة ، لأنها موطن الإثارة ، وعليها أولاً أن تقلع عن كل ما يثير الفتنة ، لأن الفتنة نائمة ولعن الله من أيقظها .

الرابعة : تهديد العابثين من الشباب بعد ذلك .. بدليل تقديم إدناء الجلابيب على ردع المنافقين إن كل الفسّاق لم تلدهم أمهاتهم فسّاقاً .. وإنما قد يفرض عليهم الفسق فرضاً بما يرون من الكاسيات العاريات .. المائلات المميلات !!

ومن ثم : فواجب المرأة أولاً ألا تخضع بالقول .

وواجب الرجل أن يغض بصره .

على أن يتم ذلك كله تحت سمع الدولة وبصرها .

الدولة التى تراقب ، وتحاسب ، ثم تعاقب قبل أن يستفحل الداء . ويصير محنة يعظم بها الخطب ، ونقمة يغلظ بها البلاء .

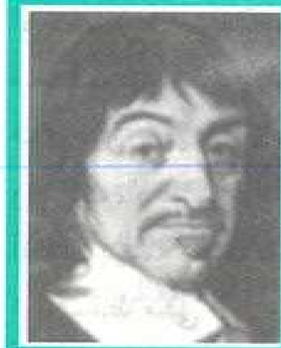
وإذا كان هناك من المتحللين من يريد المرأة جسداً .. فإن على المرأة بعفتها وإبائها أن تعلمه كيف يريدها عفة وتقى .

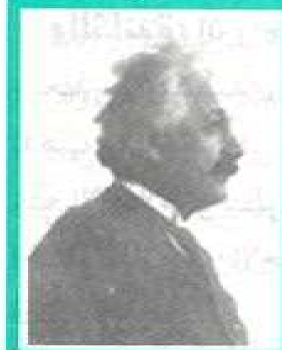
أما إذا كشفت عن لحمها الطرى ، فعندئذ لا نلوم الغوىّ وإنما اللوم على من كشفت لحمها للهر الجائع !!

***

علماء الأمة.. في العام الدولي للفيزياء (٢)

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا


ديكارت


أينشتين

فى زيارة لموقع «مجلة نيويورك تايمز» على الشبكة الدولية (Http: www. nytimes. Com) اطلعت حديثاً على مقال للكاتب الأمريكى ريتشارد باورز Richard Powers عن «أحسن فكرة» The Best Idea شهدتها القرون العشرة الماضية، حيث أوضح بحيدة وموضوعية أن عالماً عربياً مغموراً يدعى فى الغرب باسم «الهازن» Al-hazen، وهو تحريف لاسمه الحقيقى «الحسن بن الهيثم»، نجح فى حل معضلة «الإبصار» و«الضوء» من خلال منهج علمى سليم، وأرشد إلى فكرة التقدم العلمى والتقنى التى كانت بدورها الدليل إلى أكثر الأفكار تأثيراً فى الألفية الثانية، فهى أول فكرة أساسية ثورية فى تاريخ الفكر البشرى تستند إلى المنطق والتجريب، ويعزى إليها كل ما حدث بعد ذلك على أيدى جاليليو وديكارت وبيكون وماكسويل ونيوتن وأينشتين وغيرهم.

شىء طيب أن تنبثق هذه الشهادة الآن من قلب الثقافة الغربية لتنصف عبقرى الحضارة الإسلامية، وتنصف معه الدور الرائد لعلماء المسلمين فى الجمع بين التفكير المنطقى والتجريب لفهم الظواهر الكونية، وتشير إلى قيامهم بتطبيق المنهج العلمى فى مجالات معرفية متنوعة، فتوصلوا على أساسه إلى ابتكار كشوف علمية واختراعات تقنية غير مسبوقة، سجلوها فى مؤلفاتهم التى ظلت مراجع أساسية فى الجامعات الأوروبية حتى عهد قريب.

وإذا كانت اليونسكو قد اختارت هذا العام ٢٠٠٥م للتعريف بعلم الفيزياء ومكانته فى حياتنا، وجعلت المناسبة مرور مائة عام على اكتشاف بعض نظريات العالم الألمانى «ألبرت أينشتين»، واختارت شعار الاحتفال «العام الدولى للفيزياء» (WYP) Warld Year Of Physics، فإن من واجبنا نحن معشر العرب والمسلمين أن نعمل على الإفادة القصوى من هذه المناسبة ـ من خلال مؤسساتنا التربوية والتعليمية والإعلامية ـ فى التعريف بعلم الفيزياء والترغيب فى دراسته والوقوف على أحدث منجزاته، وأن نحيط من لا يعلم علماً بإسهامات علمائنا القدامى والمحدثين والمعاصرين فى تقدم العلوم بعامة، والعلوم الفيزيائية بخاصة، فالفيزياء التى يحتفل بها العالم هذا العام لم يصنعها أينشتين وحده، ولكن صنعتها أفكار علماء كثيرين قبله وبعده.

دراسة الجاذبية وحركة المقذوفات

لا شك أن الإنسان لاحظ منذ القدم سقوط الأشياء من الأعلى إلى الأسفل، وكان أرسطو يعتقد بأن سبب سقوط الجسم إلى الأرض يعود إلى «الوحشة الطبيعية» الكامنة فى الجسم نفسه، تماما مثلما يميل الطفل إلى حضن أمه باعتبارها المكان الطبيعى لإزالة وحشته، واتجاه حنينه يدفع به إلى مقاومة حالة الوحشة وطردها. وقد لاحظ كثير من مؤرخى العلم أن أرسطو قد طبق الأحاسيس الإنسانية على ظواهر الطبيعة وسلوك أشيائها، وأنه قد أمعن فى «أنسنة الطبيعة» عندما رأى أن الجسم المادى الصغير مكانه الطبيعى حين «يسقط» حراً هو حضن أمه: كوكب الأرض.

ويأتى الحسن بن أحمد الهمدانى فى القرن الثامن الميلادى بفكرة رائدة فى بنية الثورات العلمية كما طرحها فيلسوف العلم المعاصر «توماس كون» ضمنها كتابه القيم «الجوهرتان العتيقتان» فى سياق حديثه عن الأرض وما يرتبط بها من أركان ومياه وهواء، فيقول: «...فمن كان تحتها (أى تحت الأرض عند نصفها الأسفل) فهو فى الثبات فى قامته كمن فوقها، ومسقطه وقدمه إلى سطحها الأسفل كمسقطه إلى سطحها الأعلى، وكثبات قدمه عليه، فهى بمنزلة حجر المغناطيس الذى تجذب قواه الحديد إلى كل جانب. فأما ما كان فوقه فإن قوته وقوة الأرض تجتمعان على جذبه، وما دار به فالأرض أغلب عليه بالجذب لأن القهر من هذه الحجارة لا يرفع العلاة ولا سفلة الحداد».

ويتضح جلياً من هذا النص ـ ولأول مرة فى تاريخ العلم ـ أن الهمدانى قد ربط ظاهرة الجاذبية بالأرض التى تجذب الأجسام فى كل جهاتها، وهذا الجذب إنما هو قوة طبيعية مركزة فى الأرض وتظهر آثارها فى مجال فعال حول الأرض أشبه بذلك المجال الذى يتمتع به «حجر» المغناطيس. ولولا هذه الخاصية لكانت كروية الأرض ودورانها سببين أساسيين فى تطاير كل ما على سطحها.. وبهذا المفهوم يكون الهمدانى قد أرسى أول حقيقة جزئية فى فيزياء ظاهرة الجاذبية، وهى ما يعرف بطاقة الموضع، أو طاقة الكمون، الناتجة أصلاً عن ارتفاع الأجسام عن الأرض.

القانون المسعودى

ويزخر التراث العلمى بالكثير من النصوص الأخرى التى تتضمن مفاهيم أكثر وأوصافاً أشمل لظاهرة الجاذبية، فيقول البيرونى فى كتابه «القانون المسعودى»: «والناس على الأرض منتصبو القامات على استقامة أقطار الكرة، وعليها أيضاً نزول الأثقال إلى أسفل». ويفطن الإمام الرازى إلى تعميم أكبر لفكرة الجاذبية يشمل جميع الأجسام المادية، فيتحدث عن «انجذاب الجسم إلى مجاورة الأبعد». ويصحح علماء المسلمين ذلك الخطأ الجسيم الذى وقع فيه أرسطو عندما قال بسقوط الأجسام الثقيلة أسرع من الأجسام الخفيفة، فيثبت ابن ملكا البغدادى حقيقة علمية هامة تقضى بأن سرعة الجسم الساقط سقوطاً حراً تحت تأثير الجاذبية الأرضية لا تتوقف إطلاقاً على كتلته، وذلك عندما تخلو الحركة من أى

معوقات خارجية، ويعبر عن هذه الحقيقة بقوله: «...وأيضاً لو تحركت الأجسام فى الخلاء، لتساوت حركة الثقيل والخفيف والكبير والصغير والمخروط المتحرك على رأسه الحاد والمخروط المتحرك على قاعدته الواسعة، فى السرعة والبطء. لأنها إنما تختلف فى الملأ بهذه الأشياء بسهولة خرقها لما تخرقه من المقاوم المخروق كالماء والهواء وغيره».

ويضيف علماء الحضارة العربية الإسلامية حقائق أخرى جزئية على طريق استكمال التصور الإنسانى لظاهرة الجاذبية من خلال دراستهم لحركة المقذوفات، من حيث إن حركتها إلى تعاكس فعل الجاذبية الأرضية، أو أن القوة القسرية التى قذف بها الجسم إلى أعلى تعمل فى تضاد مع قوة الجاذبية الأرضية، فيقول العالم الفيلسوف هبة الله البغدادى، على سبيل المثال: «...فكذلك الحجر المقذوف، فيه ميل مقاوم للميل القاذف، إلا أنه مقهور بقوة القاذف، ولأن القوة القاسرة عرضية فيه فهى تضعف لمقاومة هذه القوة والميل الطبيعى ولمقاومة المخروق.. فيكون الميل القاسر فى أوله على غاية القهر للميل الطبيعى، ولا يزال يضعف ويبطئ الحركة ضعفاً بعد ضعف وبطئاً بعد بطء حتى يعجز عن مقاومة الميل الطبيعى، فيغلب الميل الطبيعى فيحرك إلى جهته». وهنا يتضح أن البغدادى لا يستخدم مفهوم «الميل» كقوة خفية أو «وحشة طبيعية» فى اتجاه الحنين إلى حضن الأم: كوكب الأرض، كما قال أرسطو، ولكنه علا به القوة المادية التى تتحكم عملياً فى حركة المقذوف صعوداً ضد الجاذبية الأرضية، وهبوطاً فى اتجاهها.

وهكذا، نجد أن علماء الحضارة الإسلامية العرب قد سعوا بمنهجهم العلمى السليم إلى بلورة مفاهيم وصيغ ميكانيكية ساعدت علماء النهضة الأوروبية بعد ذلك على صياغة النظريات والقوانين العلمية لحركة الأجسام على الأرض، أو حركة الأرض والكواكب والنجوم فى الفضاء الكونى.

دراسة الضوء والبصريات

كانت آراء فلاسفة الإغريق متباينة فى تعريف طبيعة الضوء وتفسير عملية الإبصار، وهذا بسبب قصور منهج التفكير السائد آنذاك، القائم على

التأمل العقلى الخالص والقياس الصورى البحت. وكان يمكن لهذه الآراء أن تظل سائدة حتى عصرنا هذا لأن القياس الصورى الذى اصطنعوه منهجا للنظر لا يسمح بتقدم العلم مهما تراكمت المعارف المستنتجة على أساسه.

لكن علماء الحضارة العربية الإسلامية استطاعوا أن يتوصلوا إلى الطريقة التجريبية الاستقرائية التى قفزت بهم إلى مرحلة معرفية أرقى، وكانت نظرية ابن الهيثم فى الإبصار ثورة علمية بكل المقاييس، انطلق فيها من مبدأ عام هو القول بوجود العالم الخارجى وجودا مستقلا فى ذاته خارج الذهن وخارج النفس، وأن العقل والحواس من أدوات إدراكه، ومن ثم أعزى إحساس البصر إلى عامل أو مؤثر خارجى له فى ذاته وجود عينى، وأسماه «الضوء».

ومن الموضوعات الهامة التى تطرق إليها ابن الهيثم فى كتابه الشهير «المناظر» إثبات خاصية انتشار الضوء فى خطوط مستقيمة بتجربة «الغرفة المظلمة»، أو «الخزانة ذات الثقب» التى تحمل فكرة آلة التصوير الضوئى (الكاميرا).. وعندما تعرض ابن الهيثم لشرح ظواهر انعكاس الضوء وانعطافه وانتشاره لجأ إلى استخدام الخيال العلمى فى المماثلة بين الظواهر المختلفة والكشف عن الوحدة التى تربط بين وقائع متناثرة، وابتكر الكثير من المفاهيم العلمية المطابقة للواقع والخبرة، وكان التمثيل الذى استخدمه هو النموذج الميكانيكى لحركة كرة صغيرة من الحديد أو الصلب تسقط على سطح مستو أملس فترتد عنه.

وأدخل ابن الهيثم لأول مرة طريقة تحليل «المتجه» Vector إلى قسطين (مركبتين) متعامدين، وأفاد من رؤيته النقدية فى استخدام المنهج الرياضى إلى جانب المنهج التجريبى، ولهذا فإنه يعتبر المؤسس الأول لعلم البصريات الهندسية.

ولم يغفل ابن الهيثم الجانب التقنى فى بحوثه العلمية، فقد استخدم الآلات الدقيقة فى تجاربه، ولم يكتف بمجرد وصف كيفية استعمالها، وإنما أسهب فى شرح التفاصيل المتعلقة بصنع الأجزاء المختلفة للجهاز.. فيقول مثلاً فى استخدام أنواع المرايا: «رأينا أن نشرح

الأزهر

ذلك ونوضح ليحيط بعلمه من كانت له رغبة فى معرفة الحقائق فبيناه فى هذه المقالة، ولخصنا البرهان على علم حقيقته، وذكرنا طريقة العمل فى اتخاذه وترتيب آلته، وقدمنا الأصول التى يستعملها المهندسون فى جميع أنواع المرايا ليهتدى إليه من التمسه».

وعرفت عند الأوروبيين مسألة باسم «مسألة الهازن» أى ابن الهيثم وهى تنص على أنه: «إذا فرضت نقطتان حيثما اتفق أمام سطح عاكس، فكيف تعين على هذا السطح نقطة بحيث يكون الواصل منها إلى إحدى النقطتين المفروضتين بمثابة شعاع ساقط والواصل منها إلى الأخرى بمثابة شعاع منعكس».

وحلول هذه المسألة كثيرة ومتنوعة، وهى تتراوح بين اليسر والسهولة فى الأحوال العامة وحينما يكون السطح العاكس مستويا، وبين الصعوبة والتعقيد إذا كان السطح العاكس كريا أو اسطوانيا أو مخروطيا، وحينما تعتبر حالات خاصة. وتتدرج مسألة ابن الهيثم فى التعقيد إلى معادلة من الدرجة الرابعة، وقد حلها ابن الهيثم بواسطة تقاطع دائرة مع قطع زائد. كما أورد حلولاً عامة لكل نوع من أنواع المرايا.

وهناك علماء آخرون كتبوا فى البصريات وتعرضوا لبعض نظرياتها، مثل الكندى والرازى وابن سينا وكمال الدين الفارسى وغيرهم، لكن ابن الهيثم يظل له القدح المعلى فى هذا المجال الهام من مجالات العلوم الفيزيائية على مر العصور، بعد أن وضع أصوله السليمة التى أدت إلى الحصول على واحد من أهم الإنجازات العلمية المعاصرة وهو «الليزر».

***

ندوة بمدينة دبي بالإمارات تناقش

الحديث الشريف وتحديات العصر

إعداد الأستاذ/ عاطف مصطفى

٢

وعن أهمية تجربة مركز السُنَّة بجامعة الأزهر فى إنشاء موسوعة للحديث الشريف يقول د. جعفر عبدالسلام إنها أظهرت أن هناك العديد من كُتُب السُنَّة، تحتوى على أحاديث كثيرة، غير تلك المشهورة عند المسلمين ـ أى الكتب الستة ـ وباستثناء صحيح البخارى، لا نجد أن هذه الكتب قد حظيت بالعناية التى يجب أن تعطى لها، وهى تحتاج بالقطع إلى جهود جبارة فى تحقيقها وتنقيتها، من حيث السند، ومن حيث المَتْن، وهى تحتاج إلى التعامل مع الحاسب الآلى فى التحقيق.

وتجربة مركز السُنَّة تحتاج إلى الدراسة الجادة، لأنه قد بذل فيها جهد كبير شارك فيه لفيف من كبار أساتذة الحديث فى جامعة الأزهر، وقطعوا شوطاً لا بأس به فى تحقيق أغراضها، وقد كانت أغراضها واسعة حددها المرحوم الدكتور محمد المصرى، وكان قد قدم الفكرة لمؤسسة «اقرأ الخيرية» والشيخ صالح عبدالله كامل رئيس المؤسسة، وقد تبنتها المؤسسة والشيخ صالح كامل، والدكتور محمد عبده يمانى، وظلت تعمل بمجموعة من المتخصصين فى مقر المؤسسة بالجيزة، إلى أن رؤى أن تنتقل إلى جامعة الأزهر، فى المركز الذى يحمل اسم الشيخ صالح كامل «مركز الاقتصاد الإسلامى» لكى يتسنى الاستعانة بعلماء الحديث من الجامعة، وإن ظل الشيخ صالح كامل يقوم بالإنفاق عليه.

وتناولت الدراسة خطة مركز السُنَّة بجامعة الأزهر فى مرحلتها الأولى: تحديد المصنفات والمسانيد التى يتم التعامل معها، وهذه مرحلة فى غاية الأهمية، حيث قررت اللجنة العلمية المكونة من كبار علماء الحديث فى مصر والذين يتولون التدريس فى جامعة الأزهر ومنهم: أ.د. أحمد عمر هاشم، أ.د. إسماعيل الدفتار، أ.د. العجمى الدمنهورى، أ.د. عزت عطية.. فضلاً عن الأستاذ الدكتور على جمعة والمرحوم د. محمد المصرى، أنه من الأهمية بمكان رصد الكتب التى سيتم تحقيقها، ومن ثم اعتمدت اللجنة، الكتب الستة المشهورة بين علماء المسلمين بشكل مبدئى، ولكنها رأت التعامل مع الكتب الأخرى، التى قدرت أنها تمثل إضافات لها قيمتها فى مجال الحديث، أنه طالما تم تحقيق الحديث بشكل علمى وثبتت صحته، فإن الكتب التى أوردته، يجب أن يتم التعامل معها، لأن ذلك من شأنه توسيع كَمّ الأحاديث الصحيحة، وإضافتها إلى المراجع المعتمدة للسُنَّة، ومن ثم رؤى تحقيق ٣٦ كتاباً منها على سبيل المثال لا الحصر: الموطأ، الآثار، مسند الطيالسى، مسند الشافعى، مصنف عبدالرزاق، مُسْنَد الحميدى، زوائد مُسْنَد مسدد، مُسْنَد أحمد بن حنبل، مُسْنَد بن أبى شيبة، سُنَنْ الدارمى، سُنَنْ أبى داود، سُنَنْ ابن ماجة، سُنَنْ النسائى، المعجم الكبير للطبرانى، السُنَنْ الكبرى للبيهقى.. وغيرها.



جعفر عبدالسلام

ويشير الدكتور جعفر فى بحثه إلى أن التحقيق يبدأ بإدخال مُتُون الحديث فى الحاسب الآلى، وتتولى اللجنة مراجعة ما يُدْخَل فى الحاسب مراجعة آلية، للتحقق من سلامة الكتابة التى يتولاها مُدْخِلُوا البيانات، لتقوم اللجنة بعد ذلك بمراجعة المُتُون على ضوء المبادئ العامة للإسلام، والقواعد التى وضعها علماء الحديث للحكم عليه، مع الاستناد إلى مُجْمَل ما اتفق عليه علماء الأحاديث، وعلماء الفقه فى الحكم على المُتُون، وهذه المهمة التى أعتبرها أساسية، لم يتم الدخول فيها حتى الآن.

إن ما تم حتى الآن هو إدخال اثنين وعشرين كتاباً، احتوت على عدد من كتب الحديث، ولما كانت كتب الحديث مبوبة موضوعياً، فقد اعتمد تصنيف البخارى كأساس لإدخال الأحاديث من الكتب الأخرى تحت نفس العناوين، ومن ثم فإذا أراد أحد الباحثين أن يدرج الأحاديث المرويَّة عن الرسول ـ ﷺ ـ تحت

موضوع واحد، فإن جهاز الحاسب الآلى، يستطيع أن يمده بقائمة طويلة من الأحاديث المروية فى الموضوع من مصادر شتى، وليس من البخارى أو مسلم، أو الكتب الستة فحسب. وأنا أعتبر هذا من الإنجازات الكبيرة فى حد ذاتها، وأعتقد أن المعالجات الأخرى فى مثل هذه الأعمال لم تصل إلى هذه المرحلة، وإنما هى تغطى جزء من كل مرجع تم جمعه على حدة.

وقد ألحقت بالبحث جدولاً للأحاديث التى تم إدخالها فى الحاسب الآلى بمركز السُنَّة حتى الآن أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

صحيح البخارى: ٧١٢٤ حديثاً.

عون المعبود: «شرح سُنَن أبى داود» ٥٢٦٨ حديثاً.

صحيح مسلم: ٧٤٧٠ حديثاً.

سُنَن النسائى: ٥٧٥٧ حديثاً.

سُنَن الترمذى: ٣٩٥٦ حديثاً.

سُنَن ابن ماجة: ٤٣٤١ حديثاً.

موطأ الإمام مالك: ١٨٣٨ حديثاً.

مُسْند الشافعى: ١٧٢٢ حديثاً.

المصنف لابن أبى شيبة: ٣٧٩٤٣ حديثاً.

مُسْند أحمد «من موسوعة صخر» ٢٧١٠٠ حديث



د. أحمد عمر هاشم

وترمى خطة مركز السُنَّة إلى تحقيق هذه الأهداف:

أولاً: توفير إمكانية البحث عن الأحاديث، وفقاً لنظام إخراج المعلومات، وذلك يقتضى إدخال الأحاديث وتحليلها، وإدخال المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، حتى يمكن إخراج المعلومات الحديثة فى صورة استعلامات فورية، وبطاقات وتقارير مطبوعة، توفر للباحث التعرف على موضع الحديث فى أبواب الفهرسة الموضوعية، التى يشتمل عليها جوامع الأحاديث والسُنَن، وقد توفر ذلك العمل فى المركز إلى حد كبير.

ثانياً: توفير إمكانية التعرف على درجة الحديث، وذلك يقتضى إدخال كتب وموسوعات الرواة والجرح والتعديل، وبيانات السَنَد وتسلسله، وعلاقة الرواة بعضهم ببعض، وتصنيف الأحاديث وفقاً للمصطلحات الأساسية فى مادة الحديث، وذلك حتى يتمكن الباحث من التعرف على درجة الحديث، ومدى الثقة فى الرواة والسند، وفقاً لإمكانات الاستدعاء الفورى والبطاقات والتقارير المطبوعة،

وهذا ما لم يتم البدء فيه حتى الآن.

وتتمثل الأهداف النهائية لمركز المعلومات فى الآتى:

* عمل موسوعة شاملة تضم كافة الأحاديث النبوية الصحيحة، تعين الباحثين والدارسين فى سهولة ويسر باستخدام الحاسب الآلى للبحث فى تلك الموسوعة.

* توفير مادة خصبة من أحاديث غير معروفة بين العلماء، بالرجوع إلى المصادر الجديدة بعد تحقيقها ومراجعة مُتُونها وأسانيدها مراجعة دقيقة.

* خدمة كتب السنة الصحاح بتحقيقها وإخراجها بشكل جيد.

* وأخيراً الوصول إلى تحقيق يشمل الرواة والأسانيد، وكذلك مراجعة المتن بالمقارنة بين كتب السُنَّة بعضها البعض. وبالرجوع إلى المبادئ العامة للشريعة، وكتب الفقه الإسلامى..

تقويم تجربة مركز السنّة بجامعة الأزهر

سألت الدكتور جعفر عبدالسلام حول رؤيته لتجربة مركز السُنَّة بجامعة الأزهر قال: لا شك أن مركز السُنَّة الذى تم إنشاؤه بجامعة الأزهر، قد حقق العديد من المزايا للطلاب والباحثين فى السُنَّة، وفى قضايا الفقه الإسلامى على حد سواء، وقد استفدت منه كثيراً، فعندما ساهمت بكتابى «نظام الدولة الإسلامية» لجأت إلى المركز، فكان يعطينى الأحاديث الخاصة بهذا النظام بسهولة ويسر، ومن مجموع ما أدخل إلى المركز من كتب السُنَّة مرة واحدة، وليس من كل كتاب على حدة، وهذه هى الميزة الوحيدة التى يمكن الوصول إليها من هذا العمل حتى الآن.

ورؤيتى أن هذه التجربة لا تعتبر مع ذلك تجربة ناجحة، فلم يتم الوصول إلى النتائج الأخرى التى أشرت إليها من قبل، وأهمها: عمل موسوعة شاملة للحديث الشريف، محققة ومرتبة موضوعياً، وفقاً لتبويب الإمام البخارى، أو التبويب المتبع فى كتب الفقه بشكل عام.

ومن أبرز أسباب ذلك:

* البطء الشديد الذى يتم إدخال الأحاديث به، وكثرة الأخطاء التى تحدث، واحتياجها لمراجعات مستمرة، وقد اقتُرِح لذلك استخدام نظام تصويرى للصفحات «اسكانر» لكنه لم ينجح، وهذه مسألة تحتاج إلى خبرات معلوماتية، ممن يتعاملون مع الحاسب الآلى.

* عدم خبرة أعضاء اللجنة العلمية بأمور الحاسب، وعدم تحمس البعض الآخر لاستخدام هذا الأسلوب فى جمع

الأحاديث وتحقيقها.

* عدم وجود فنيين في استخدامات الحاسب الآلي بشكل جيد حتى الآن.

وأرى أن الأمر يحتاج إلى تعاون دولي وثيق من خلال الاستعانة بخبراء في الحاسب الآلي من مختلف الدول الإسلامية، لحل المشكلات التي تظهر تباعاً أثناء العمل، وكذلك يمكن الاستعانة بخبراء مسلمين من العالم المتقدم في علوم الحاسب الآلي: «الهند - الولايات المتحدة» على سبيل المثال.

أيضاً يمكن الاستعانة بعلماء في الحديث الشريف، من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وإشراكهم في عمل الموسوعة.

كذلك يتم التعاون مع مركز السُنَّة بالأزهر، في توفير مختلف الأجهزة والمعدات الحديثة، التي لا تتوافر حتى الآن بشكل جيد في أعمال المركز.

مع ضرورة حل مشكلات الإدخال والتصحيح، إما بالتعاون على عمل نسخة مصححة جيداً تقرؤها اللجنة قبل الإدخال، أو بحل مشكلات التصحيح فنياً من قبل الخبراء.

ويمكن إخراج بعض الكتب في موضوعات معينة ككتاب «الإيمان» أو «العلم» أو «الصلاة» أو العبادات بشكل عام، وهذا ما يتجه إليه المركز حالياً.. وأرجو أن يكون العمل جماعياً، ويتم استشارة مجموعة من الخبراء بشكل دوري، مع ضرورة وضع جدول زمني لكل مرحلة من مراحل العمل في الموسوعة.



د. على جمعة

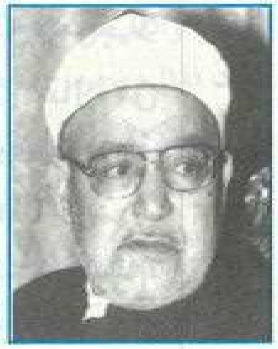
خلاف في الرأي

وعودة إلى بعض ما دار في ندوة «الحديث الشريف وتحديات العصر» وأبرز البحوث التي قدمت، أشار د. جعفر عبدالسلام إلى البحث الذي قدمه السعودي خالد بن منصور الدريس والمغربي زين العابدين بن محمد بلافريج بجامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء.. الأول عنوانه: «مسالك تضييق الاحتجاج بالسُنَّة في الفكر الإسلامي المعاصر» والثاني بعنوان: «قبول الحديث ورده بين تقرير القواعد ودواعي الانفلات».

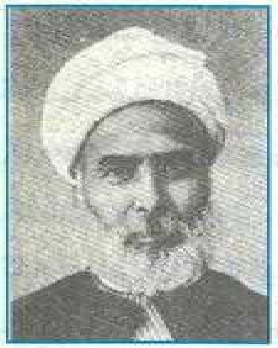
ونجد أن الباحثين، حملا في بحثيهما على بعض علماء الحديث في العصر الحديث، مثل الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد الغزالي، بدعوى الانفلات، لأنهما طلبا مراجعة مُتُون

الحديث على مبادىء القرآن الكريم، وأحكام العقل، حتى لو كانت الأحاديث قد وردت في صحيح البخاري، وانبرى للرد عليهما الدكتور عصام البشير وزير الأوقاف السوداني وعدد آخر من العلماء المسلمين، مما أضفى جواً من السخونة على الجلسة، وأعاد الخلاف القديم الذي يبدو أنه سيستمر بين المجددين والمقلدين، فما كان كتاب الغزالي «السُنَّة بين أهل الحديث وأهل الفقه» إلا دعوة لتحكيم العقل في الحكم على مُتُون الأحاديث، كذا ضرورة عدم تعارضهما مع نصوص القرآن الكريم، وفي حدود ضوابط واضحة، لذا من الصعب أن نقر وصفه أو وصف إمام المجددين في العصر الحديث - الشيخ محمد عبده - بالانفلات والخروج على القواعد المتبعة في علم الحديث.

وأثار الدكتور أبولبابة حسين، زوبعة أخرى خلال أعمال الندوة، بتقديمه كتاباً جامعياً أعدَّ للتدريس في جامعة الزيتونة، ينفلت من كافة الضوابط الشرعية، ويطعن في السُنَّة بشكل صريح ومباشر، ويعتبر كارثة على الإسلام، لأنه يُقدَّم إلى طُلاب يُكوِّن عقليتهم - منذ وقت مبكر - ضد الثوابت الإسلامية، وعدم احترام السُنَّة!



الشيخ محمد الغزالي



الشيخ محمد عبده

وهكذا دارت المناقشات وتناولت من ينتقدون ثبوت السُنَّة أو حجيتها، ومن يدعون إلى التمييز بين ما يجب قبوله، وما يجب رفضه من الأحاديث، وقد تم تقديم دراستين مهمتين في هذا الإطار.

الأولى: للدكتور الأحمدي أبوالنور بعنوان: «الدراسات المعاصرة في السُنَّة بين المتخصصين وغيرهم».

والثانية: للدكتور حمزة عبدالله المليباري بعنوان: «مواجهة التحديات المعاصرة للحديث النبوي».

وجاءت أهمية هذه الندوة في أنها جمعت عدداً كبيراً من المتخصصين في السُنَّة، وصل عددهم إلى ثلاثين عالماً، وهؤلاء العلماء يمثلون مدارس مختلفة، وجامعات عديدة، بعضها من المشرق الإسلامي، وكثير منها من الغرب، مما أتاح الفرصة للتعارف بين علماء متخصصين في مجال واحد من مجالات الدراسات الإسلامية هو الحديث الشريف.

> عن عدى بن حاتم أن رجلا خطب عند النبى ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بئس خطيب القوم أنت. قل ومن يعص الله ورسوله. قال ابن نمير: فقد غوى».

كيف نفهم الحديث النبوى؟!

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى
أمين عام اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر

٢

يقول الإمام النووى فى شرحه: قال القاضى وجماعة من العلماء: «إنما أنكر عليه لتشريكه فى الضمير المقتضى للتسوية(١) وأمره بالعطف تعظيما لله - تعالى - بتقديم اسمه كما قال ﷺ فى الحديث الآخر: «لا يقل أحدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ليقل: ما شاء الله ثم شاء فلان». والصواب [رد على رأى القاضى] إن مثل هذا الضمير قد تكرر فى الأحاديث الصحيحة من كلام رسول الله ﷺ كقوله ﷺ: «وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» ..إلخ. (٢)

وأرى أن ما ذهب إليه النووى هو الأقرب إلى الصواب لسببين:

الأول: أن التثنية فى الضمير لا يقتضى التسوية ولم يقل بذلك أحد من النحويين.

الثانى: ما ذكره الإمام النووى من أن تثنيه الضمير وردت فى كلام النبى نفسه ﷺ وهو سيد الفصحاء والبلغاء كقوله ﷺ وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

قال صاحبى فيما يشبه النحوى: إذن ما سبب قول النبى ﷺ للخطيب «بئس خطيب القوم أنت؟ ثم مال إلى الخلف مصفقا بيديه أجبنى..!!

قلت: مستعينا بالله سائلا الله - تعالى - لصاحبى ولى الهداية والتوفيق: لو رجعت فى تواضع وأناه إلى كتب علوم القرآن وهى كثيرة معروفة.. أشهرها «الاتفاق فى علوم القرآن»، للسيوطى «البرهان فى علوم القرآن» للزركشى، لو جدت بابا خاصا اسمه «باب الوقف والابتداء» لعرفت فيه وتعلمت منه:

أولاً: من أين تبدأ القراءة وأين تقف وعرفت ما يجوز الوقف عليه وما لا يجوز، وما يحسن الوقف عنده، وبالجملة عرفت كيف تقرأ القرآن وتتلوه تلاوة هى أقرب إلى التفسير وتعينك على الفهم واستيعاب ما تقرأ.

الوقف والابتداء

وأنقل لك ما يبين قول رسول الله ﷺ للرجل «بئس خطيب القوم أنت» يقول الإمام الزركشى(٣) تحت عنوان: الباب الرابع والعشرون «معرفة الوقف والابتداء»: «وهو فن جليل» [الوقف والابتداء](٤) وبه يعرف كيف أداء القرآن ويترتب عليه ذلك [أى على معرفة الوقف والابتداء] فوائد كثيرة واستنباطات غزيرة. وبه تتبين معانى الآيات. ويؤمن الاحتراز عن الوقوع فى المشكلات.. إلخ، ثم روى عن سيدنا عبدالله بن عباس وهو ترجمان القرآن ثم قال:

واستأنس له ابن النحاس [يعنى أن ابن النحاس استحسن وقف ابن عباس واستدل] بقول النبى ﷺ: «للخطيب: «بئس الخطيب انت» حين قال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما.. ووقف.

قال [يعنى ابن النحاس وهذا هو المقصود]: كان ينبغى أن يصل كلامه فيقول: «ومن يعصهما فقد غوى» أو يقف على «ورسوله فقد رشد» ثم قال الزركشى فإن كان مثل هذا مكروها فى الخطب ففى كلام الله أشد. ثم قال: فإنه ينبغى أن يوقف على الآية التى فيها ذكر العذاب والنار. وتفصل عما بعدها. ثم ذكر أمثلة لذلك فقال: نحو

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة / ٨١]

ولا توصل بما بعدها وهو قوله - تعالى -:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [البقرة / ٨٢]

[لأن الوصل سوف يفيد أن أصحاب النار خالدون فيها وكذلك يخلد فى النار الذين آمنوا وعملوا الصالحات. وليس ذلك مرادا ولا مقبولا ولا صحيحا] كذا قوله [تعالى]:

﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ [غافر / ٦]

ولا توصل بقوله [تعالى]:

﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ ﴾ [غافر / ٧]

ثم يقول وقس على هذا نظائره، وأنقل لك من الإتقان للسيوطى ما يزيدك بإذن الله اعتناءا وتقديراً لأهمية الوقف والابتداء، لأنه إلى جانب أن عدم معرفة الوقف والابتداء تفسد المعنى، فإنها وبال وضلالة إذا كان تقطيع القراءة لهوى أو لغرض فى نفس القارئ، يفسد المعنى ويحوله عن مقصوده ومراده، يروى السيوطى ما يؤكد أهمية معرفة الوقف والابتداء وأن السلف الصالح كانوا يحرصون على معرفته وتعلمه قبل تعلم الحفظ

---

(١) يعنى أن الخطيب جمع بين الله ورسوله فى ضمير التثنية فقال «ومن يعصهما» ولم يقل ومن يعص الله ورسوله وذلك سبب النهى فى رأى القاضى وجماعة من العلماء.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى باب صلاة الجمعة وخطبتها، سنن النسائى رقم ٣٢٢٧، وأبو داود برقم ٩٢٦ ورقم ٤٣٢٩، ومسند الإمام أحمد برقم ١٧٥٣٦.

(٣) البرهان فى علوم القرآن. تحقيق الأستاذ محمد ابوالفضل إبراهيم جـ١ ص٣٤٢ وما بعدها.

(٤) ما بين المعقوفين ليس من كلام الزركشى ولكنه توضيح من الكاتب.

الأزهر

يقول(٥) «عن القاسم بن عوف البكرى قال سمعت عبدالله بن عمر يقول: لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن. [يعنى يتعلم ويعرف الحلال والحرام وما يجب الإيمان والتصديق به وما يجب عليه أن يعمله] (٦) وتنزل السورة على محمد ﷺ فنتعلم حلالها وحرامها وما ينبغى أن يوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم القرآن اليوم، ولقد رأينا اليوم رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدرى ما أمره ولا زجره. ولا ما ينبغى أن يوقف عنده منه. [يعنى يهتم أحدهم بحفظ القرآن دون أن يتعلم أحكام التلاوة والوقف والابتداء الذى يحض على معرفة الحلال والحرام] قال ابن النحاس: «فهذا الحديث يدل على أن ذلك إجماع من الصحابة ثابت [يعنى أن قول ابن عمر «عشنا برهة من دهرنا» إجماع منه وممن عاش معه] قلت: أخرج هذا الأثر البيهقى فى سننه.

أقول إذا كانت معرفة الوقف والابتداء مهمة وتعين المسلم على أن يقرأ صحيحا فإن تعمد تقطيع الآى لغرض أو لهوى ضلالة ومفسده فوق أنه جهل مخل.

ثم قلت لصاحبى: ليس ما سبق مجرد استطراد لمجرد التطويل لكن توطئه بين يدى حديث اليوم.

فالخلاصة والمقصود ألا تأخذ من الدين ما يوافق هواك وتحكم به! بل وتتحكم فى مصائر الناس باسم الدين. لكن عليك أن تأخذ الدين كله جملة واحدة تعمل به كله وتطبقه على كل حياتك! حتى لا ينطبق عليك قول الله ـ تعالى ـ فى اليهود فى إنكار لما يفعلون.

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾

(البقرة / ٨٥)

الهوى مفسدة

ولم يكن الإنكار من الله ـ تعالى ـ لفعل اليهود إلا بعد أخذ العهد والميثاق عليهم واقرأ الآيتين قبلها حتى تعرف وتتأكد أن ابتسار الحديث وتقطيعه لتأخذ ما تهواه من عمل ليس من صفات المؤمنين الصادقين، ثم تأمل فى نهاية الآية رقم ٨٧ من نفس السورة أيضاً يقول الله ـ تعالى ـ فيها:

﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾

(البقرة / ٨٧)

وضع ما شئت من خطوط حمراء أو سوداء تحت كلمة ﴿بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ﴾ فإن الهوى مفسدة!! ومهما بدى لك الرجل محايدا فإذا دخله الهوى أفسده.

نسأل الله أن ينجينا من الهوى المفسد! وتأمل معى لترى أن كلمات الآية تتكرر بنصها ـ إلا بعض حروف يقتضيها السياق ـ اقرأ فى سورة المائدة قوله تعالى

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾

الآية ٧٠ سورة المائدة

(٥) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى جـ١ ص ٨٣ النوع الثامن والعشرون فى معرفة الوقف والابتداء.

(٦) ما بين المعقوفتين توضيح من الكاتب.

ثم تنهدت طويلا وقلت لصاحبى: تأمل الآية ونفس الكلمات وكيف يفعل الهوى المفسد.

تأمل آيات القرآن الكريم

قال صاحبى كأنه يواسينى: أذكر لك عبارة قلت فيها: إننا نحن المسلمين فى حاجة إلى أن نتأمل آيات القرآن فى وعى ونقرأه على مهل، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: لا تنثروه ـ أى القرآن ـ نثر الدقل»! أو تدرى ما هو «الدقل» يا صاحبى؟! قال فى عجز غريب أقرب إلى البلاهة: وكأنى أتكلم لغة أخرى لا يعرفها: لست أدرى

قلت: هو أردأ أنواع التمر.

قال صاحبى: معذرة لم أعرف هذا ولم أسمع به. ثم أردف لماذا لا تعيش عصرك وتكلمنا بلغتنا!

ورغم أن كلمة «لغتنا» كانت صدمة عنيفة بالنسبة لى إلا أننى قلت فى غيظ مكتوم: هل تعرف كم عمر الثور الأمريكى الهائج من زمن الدنيا.

قال: لا أدرى.

قلت: أنا أعرف أنك لا تدرى لكن يجب أن تعلم لو ساقتك الإقدار إلى تمثال الحرية المزعوم فى بلاد الأمريكان وهو مبنى ضخم ذو طوابق عدة من الداخل. سوف تجد فى بهو المدخل صندوقا زجاجيا أنيقا على قاعدة فى مكان بارز يكاد يقتحم عين كل داخل. سوف ترى فى هذا الصندوق الزجاجى الأنيق جدا القادوم والمطرقة اللتين استخدمهما النحات وهو ينحت هذا التمثال، فهل فهمت شيئا مما رأيت؟ إنهم أناس يريدون أن يصنعوا لأنفسهم تاريخا. ونحن نشوه تراثنا ونعبث بتاريخنا!! ثم قلت هل وعيت الدرس؟ أرجو ذلك!!!

رد صاحبى فى استنكار: ماذا تريد أن تقول؟ لقد أصابنى الدوار ولم أعد أعرف رأسى من قدمى.

قلت فى مرارة: الحمد لله أن أدركت أن لك رأسا!!

ثم قلت لصاحبى فى تلطف جاد لكنه حزين: لقد قطعنا تراثنا وتاريخنا بأيدينا ثم قلت إن قطعة حجر ملقاة فى بلدنا الأقصر أو ورقة مخطوطة فى أحد أروقة الأزهر أكثر عراقة وحضارة مما يدور فى رءوس الآخرين، لكنا لهونا حيث جد الآخرون.

ثم واصلت الكلام وقلت: لقد سعدت بسماع عبارة وردت فى دروس صاحب الفضيلة الشيخ الشعراوى ـ رحمه الله ـ يقول: «يجب استيعاب النصوص لاستنباط الأحكام، لأن استنباط الحكم من آية لا يعنى تمام الحكم، لأنه قد تفوت آية أخرى العالم الذى يستنبط» والعبارة رغم عفويتها وأنها تلقى فى درس عام فى أحد المساجد إلا أنها دقيقة ودافعة. وهى مدونة فى كتب أسباب اختلاف الفقهاء أكثر دقة وإحكاما، فضلا عن كتب أصول الفقه فى مباحث الاجتهاد ومعناه وشروط المجتهد ومن شروط المجتهد أن يلم بموضوعه وأن لا يجتث النصوص اجتثاثا ويقطعها من سياقها ويتبع هواه حتى يصل إلى ما ساقه إليه هواه، فمثلا لا يمكن أن يستقيم اجتهاد من يقول

« فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ »
[الماعون/ ٤]

ويبتر الآية من سياقها حتى قال شاعر سكير عربيد يبرر سكره وعربدته:

ما قال ربك ويل للألى، سكروا

بل قال ربك ويل للمصلينا

فبالله عليك هل هذا الهراء يعتبر حكما شرعيا؟ اعتقد أنى لست فى حاجة لأن أقول لك الإجابة.

جفوة ولؤم

ولقطع هذه اللجاجة والعبث المرفوض، دون سلفنا الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ كتبا ومؤلفات فى علم التجويد أبرزوا فيها أبوابا وفصولا مطولات فى معرفة الوقف والابتداء كما سبق أن نقلت لك شذرات منها.

ثم قلت: أعتقد أنك الآن فى شوق لمعرفة كيف يفهم قول رسول الله ﷺ: «ولا تجعلوا قبرى عيدا» محب صادق. أو كاره لئيم. ولعلك تدرك الجفوة أو الخبث واللؤم فيما يرددونه من الحديث، فإنهم يقطعونه حسب الهوى فلا تسمع منهم إلا أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا قبرى عيدا» ويحذفون «واو» العطف التى تدل على كلام سابق، والأمانة تقتضى ألا تأخذ من الكلام، أو الحديث ما يوافق هواك ولكن الأمانة وسلامة الصدر تقتضى أن نعرض الحديث كله بنصه حتى لا يكون ذلك سببا فى إفساد المعنى. ولهذا أطنبت وأطلت – وربما إلى حد الملالة – فى أهمية معرفة الوقف والابتداء حتى يستقيم المعنى المراد من الكلام.

ولأهمية الوقف ومعرفة متى يجب قال النبى ﷺ للخطيب عندما وقف وقفا أفسد المعنى: «بئس خطيب القوم أنت».

والآن نعرض الحديث كاملا بنصه، كما ورد، ونبسط فهمنا فيه، ولانكره أحدا على مافهمناه.

وليس له أن يرفض ما فهمناه مادام يوافق اللغة ويتواءم مع أحاديث أخرى ويكاد يكملها.

ونص الحديث «لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبرى عيدا»، وصلوا علىّ فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنت».

نحن نفهم الحديث هكذا: لا تجعلوا بيوتكم قبورا بهجر الصلاة فيها لكن أكثروا من النفل فيها حتى لا تصبح مهجورة كأنها قبر، وليس ذلك المعنى غريبا لقد فهمه هكذا كل الفقهاء كما جاء فى الحديث أن النبى ﷺ قال: «وصلوا أيها الناس فى بيوتكم فإن أفضل صلاة المرء فى بيته إلا الصلاة المكتوبة»(٧) ولذلك فإن إمام دار الهجرة.. الإمام مالك قال: إن صلاة التراويح فى البيوت أفضل إلا إذا هجرت المساجد.

ولا تجعلوا قبرى عيدا أى: لا تجفوا قلوبكم فلا تأتون إلىّ إلا فى كل عام مرة أو مرتين مثلما يأتى العيد، بل أكثروا من زيارتى ومن ذاق حلاوة القرب فى الزيارة يوشك ألا يفارق الروضة.

وهو كما الإيمان «يأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها» كما ورد فى الحديث. والثالثة صلوا علىّ حيثما كنتم تشمل الزمان والمكان فلا تجفونى بالإقلال ظنا أن صلاتكم لا تبلغنى ولكن

(٧) الترغيب والترهيب جـ١، ص١٨٧ قال رواه النسائى بإسناد جيد.

أكثروا من الصلاة علىّ فى أى وقت وفى أى زمان فإن صلاتكم تبلغنى ومن هذا المنطلق وبهذا الوعى أفهم قوله تعالى:

« إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا »
[الأحزاب/ ٥٦]

فهذا أمر واضح والأمر للوجوب كما قال علماء أصول الفقه، فهل قُيِّد هذا الأمر بزمن محدد أو بمكان محدد؟ بل جاء بالفعل المضارع يصلون الذى يفيد الاستمرار، فنحن نفهم أن قول النبى ﷺ فيه إرشاد وتوجيه بالإكثار من الصلاة من منطلق الحب نفهم هذا الفهم المستقيم إن ـ شاء الله ـ فهل فى اللغة أو النصوص ما يصادر هذا الفهم؟ حقا إن فى بعض القلوب جفوة نعوذ بالله من ذلك.

لكم ما شئتم وإن كنا كارهين له راجين من الله لكم الهداية. لكن هل فى فهمنا غضاضة من لغة أو شرع؟ أبدا.

ويؤيدنا فى هذا الفهم المستقيم الراشد – بإذن الله ـ قول رسول الله ﷺ فى حديث مؤلم يدركه كل ذى قلب محب: «لا تجعلونى كقدح الراكب يملأ قدحه فإذا فرغ وعلق معاليقه فإن كان له فى الشراب حاجة أو الوضوء أو أهراق القدح فأذكرونى أول الدعاء وفى وسطه وفى آخر الدعاء»(٨) «البزار عن جابر». عبارة مؤلمة وموجعة لمن يحس، أى لا تهملونى وتنسون ذكرى والصلاة علىّ ولا تذكرونى إلا عند الحاجة مثلما يفعل الراكب فى قدح الماء علقه فى سرجه وراحلته وكاد ينساه أو قل إنه نسيه فلا يذكره إلا عند الحاجة إذا احتاج إلى وضوء توضأ وإن احتاج إلى شراب، أما إذا لم يحتج إليه أراقة. أليس هذا الحديث موجعا وكلماته مؤلمة ولذلك كان رسول الله ﷺ يطالبنا أن نذكره وأن نصلى عليه فى كل حين فيقول اجعلونى فى أول دعائكم وأوسطه وآخره».

لابد من الأخذ عن الشيوخ

وأخيرا أقول لماذا نقتطع من الحديث السابق كلمة «لا تجعلوا قبرى عيدا» ثم لماذا نفهمها فهما معوجا مغرضا مغلوطا، إن كان العوج فهما والغرض المغلوط وعيا؟! ثم لماذا لا نضع الحديث الآخر تجاهه ليستقيم المعنى ويتضح المراد ونعود إلى قول علماء القراءات فى ضرورة تعلم الوقف والابتداء؟! ولذلك قالوا: لا يجوز بل يحرم أن يقرأ القارىء قول الله ـ تعالى ـ

« كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ »
الرحمن/ ٢٦

ويقف. بل يجب أن يكمل ويقول:

« وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ »
الرحمن/ ٢٧

ولذلك عجبت عندما تلى قارىء قوله تعالى:

« إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا »
الأحزاب/ ٤٥

وصاح بها فى الميكروفون فقلت أكمل يا رجل: إن الدعوة إلى الله لابد أن تكون بإذن، ولذلك قالوا لابد من الأخذ عن الشيوخ حتى يتحقق الإذن. والله أعلم.

(٨) جامع الأحاديث للجامع الصغير، والجامع الكبير للإمام السيوطى جـ٩ حديث ٢٣٦٠٥/ ٤٥٨٠.

سعيد بن المسيب سيد التابعين

للأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة

كان رسول الله ﷺ يحب لأصحابه الأسماء الحسنة، فكان يغير الموحش منها وما ينذر بالشدة والخوف رغبة منه - ﷺ - فى أن يظهر المسلم فى أجمل صورة: أسما ولقبا ومظهرا، ولعلمه - ﷺ - أن النفس تقبل على كل ما هو حسن وتنفر من كل ما هو قبيح.

ونقل القرطبى عن الزمخشرى قوله: روى عن النبى ﷺ: «من حق المؤمن على المؤمن أن يسميه بأحب أسمائه إليه»(١).

لذلك، لما قدم حزن بن أبى وهب المخزومى على النبى ﷺ فقال: ما اسمك؟ قال: اسمى حزن، قال: بل سهل، قال: ما أنا بمغير اسما سمانيه أبى (٢).

يقول سعيد بن المسيب راوى الحديث وحفيد حزن: «فما زالت فينا الحزونة بعد».

إلى هذا الجد - الذى امتنع عن تحويل اسمه إلى سهل - ينتسب سعيد بن المسيب الذى ورث شدة الطبع ولمس ذلك فى نفسه مما دعاه للقول: «فمازالت فينا الحزونة بعد»!!.

إنه سعيد بن المسيب بن حزن بن أبى وهب ابن عمرو بن عائد بن مخزوم بن يقظة، الإمام

(١) - عبد الحفيظ فرغلى القرنى: حكمة النبى صلى الله وسلم فى تغيير أسماء أصحابه، هدية مجلة الأزهر ربيع الأول ١٤١٧هـ ص ١٩.

(٢) صحيح البخارى كتاب الأدب - باب تحويل الاسم حديث رقم ٥٧٢٥.

العلم، أبو محمد القرشى المخزومى عالم أهل المدينة، وسيد التابعين فى زمانه.

قال عنه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: «لو رأى رسول الله ﷺ هذا لسره» وقال ابن المسيب عن نفسه: «ما أحد أعلم بقضاء قضاه رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر منى».

هكذا عرف سعيد فى نفسه العلم كما عرف فيها الحزونة وشدة الطبع.

مولده

ولد «سعيد» بالمدينة المنورة، لسنتين مضتا من خلافة «سيدنا عمر بن الخطاب» فكانت سنه عند وفاة عمر ثمانى سنوات تقريبا ومن ذكرياته عن سيدنا عمر وهو فى هذه السن المبكرة، قوله: سمعت من عمر - رضى الله عنه - كلمة ما بقى أحد حى سمعها غيرى، كان عمر إذا رأى الكعبة قال: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام».

قوة حافظته

كان سعيد يتمتع بذاكرة قوية وحافظة واعية، بل يمكننا القول إنه كان متميزاً فى هذا الجانب، فقد روى عمران بن عبد الله الخزاعى قال: سألنى سعيد بن المسيب فانتسبت له فقال: لقد جلس أبوك إلىَّ فى خلافة معاوية فسألنى عن كذا وكذا، فقلت له كذا وكذا، ثم يعقب عمران قائلاً: «والله ما أراه مرَّ على أذنه شيئ قط إلا وعاه قلبه»(٣).

«كان سعيد حسن الهيئة جميل الهندام، يعتنى بمظهره ويلبس الغالى من الثياب، ويفرق شعره ويهتم به، ويهذب شاربه ويأخذ منه مأخذاً حسنا، وكل ذلك يعكس حالة سعيد الحسنة ويساره البادى، ولا شك أن هذه صورة مشرقة للعالم الذى يضرب للناس المثل فى مسلكه ومظهره وعزة نفسه وحرصه على الحلال»(٤).

و«كان سعيد رجلا يغلب الجد عليه، وكنت إذا أبصرته خلت أنك أمام رجل قد أمسك بموازين الحق والعدل بين يديه وكلف بحراستها والقيام عليها، ويعرف مدى مسئولية الأمانة التى حملها، فلايجامل، ولا يغمض عينيه ولايبالى بأذى يناله فى سبيل الجهر بما يراه»(٥)

ولعل هذه الصفات التى كان يتمتع بها من: حب للحق والعدل، والجهر بالحق ولو كلفه ذلك نفسه التى بين جنبيه، ثم شدته التى جبل عليها.

لعل هذه الصفات قد جذبته جذبا لدراسة سيرة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وتتبع قضاياه.

(٣) أ.د. محمد إبراهيم الجيوشى: سيد التابعين ص ١٦. وراجع أيضا طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٢٢. وسير أعلام النبلاء.

(٤) أ.د.الجيوشى: سيد التابعين ص ٤١

(٥) أ.د. محمد إبراهيم الجيوشى: سيد التابعين سعيد بن المسيب ص٢٧.

«حتى بلغ الأمر من تمكن سعيد من قضايا عمر أن كان عبدالله بن عمر يرسل إليه يسأله عن أمر عمر وشأنه» (٦)

وكان يقال «ابن المسيب راوية عمر لأنه كان أحفظ الناس لأحكامه وأقضيته» (٧)

«كانت المدينة لعهد سعيد زاخرة بأعلام الشريعة من صحابة رسول الله، فسمع من عليّ، وابن عمر وسعد وابن عباس وأبى الدرداء، وصهيب وجابر وأبى سعيد، وأسماء وعائشة وأم سلمة وغيرهم ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه، أما أبو هريرة شيخ المحدثين، فقد لزم مجلسه، واستظهر أحاديثه، وبلغ من نفسه مبلغا كبيرا حتى تزوج ابنته منساقا بدافع الرغبة الكريمة فى مصاهرة إنسان يحفظ حديث رسول الله» (٨)

وانطلاقا من هذه الرغبة الكريمة أيضا كان حرصه على تزويج ابنته من تلميذه عبدالله بن وداعة.

قال يحيى بن سعيد: كان لسعيد جليس يقال له: (عبدالله بن وداعة) فأبطأ عنه أياما، فسأل عنه وطلبه، فأتاه معتذرا عن تأخره بمرض زوجته وموتها فقال له: ألا أعلمتنا بمرضها فنعودها، أو بموتها فنشهد جنازتها، ثم قال: يا عبدالله، تزوج، ولا تلق الله وأنت أعزب،

فقال: يرحمك الله، ومن يزوجنى وأنا فقير؟ فقال سعيد: أنا أزوجك ابنتى، فقال عبدالله: فسكت استحياء واستعظاما، فقال سعيد: مالك سكت، أسخطا وإعراضا؟ قلت: وأين أنا منها؟ فقال: قم وادع نفراً من الأنصار، فدعوت له نفرا فأشهدهم على النكاح، فلما صلينا العشاء الآخرة توجه سعيد بابنته إلى الرجل الفقير ومعها الخادم والدراهم والطعام، والزوج لا يكاد يصدق ما هو فيه!(٩)

لقد دفع سعيد بابنته للزواج من طالب علم فقير، مقدما إياه على ولى العهد، مؤثرا العلم وأهل العلم على الجاه والمال وأهل السلطان.

فلقد كان العصر الأموى – لعهد سعيد – عصر منافع واستغلال، فالأمراء والولاة لا يسيرون على سنن الراشدين من الخلفاء، وقد بذلوا جهودهم المضنية فى تدعيم الملك باجتذاب الأنصار وإغراء النفوس بالماء والمنصب والنفوذ، وقد رأوا التفاف العامة حول سعيد وتعظيمهم إياه، فأرادوا أن يجذبوه إلى ساحتهم، ليلوذوا بركن وطيد من تعضيده، وسعيد يعلم أنهم أهل جور ومظلمة، فيرفض كل رجاءيقدم منهم إليه، ويراهم دونه فى كل شىء، حيث قد اعتز بتقوى الله، وذلوا بمعصيته، وهو لا يفتأ يعلن رأيه صريحا شهيرا فى منوأتهم الصريحة دون أن يأبه لعاقبة تسوء، أوطامة تعم.

(٦) أ.د. محمد إبراهيم الجيوشى، المصدر السابق ص٢٣
(٧) نفس المصدر السابق
(٨) أ.د محمد رجب البيومى، علماء فى وجه الطغيان ص٩ (هدية مجلة الأزهر بعد شهر المحرم سنة ١٤٢٢ هـ.
(٩) أ.د. محمد رجب البيومى المصدر السابق ص١٥

وقد أراد عبدالملك أن يخطب ابنة سعيد لولى عهده (الوليد) فيكسب بذلك محبة فى القلوب، ويتخذ من سعيد دعامة تجذب نحوه الأنصار والأتباع، ولكن ابن المسيب يحتقر رغائب الحياة وينظر فى ترفع سام إلى مقاييسها الواهنة فى منطق الدهماء، فيرفض أن تكون ابنته أعظم سيدة فى المملكة الإسلامية!

يرفض ذلك لأنه ينكر أن يكون مطية لظالم، أو خديعة لشعب مرهق ذليل! ثم ماذا؟ يعجل بزفاف وليدته إلى طالب علم فقير لا يملك غير قوت يومه! فأى ملاك هذا الذى سما بإنسانيته الرفيعة فوق المقاييس الهابطة إلى أوج رحيب تضيئه العزة ويغمره الجلال»(١٠).

ومضات من حياته

عاش سعيد بن المسيب حياة عادية، لكنها إسلامية صحيحة، فتزوج وأنجب واشتغل بالتجارة لكسب رزقه، وانغمس فى العلم والعبادة.

وكان له ولد ذو شهرة كبيرة فى الأنساب وأما ابنته، فقد رباها فأحسن تربيتها وأدبها فأحسن أدبها، فكانت على علم وتقوى، قال زوجها عن أدبها وتقواها: «لقد كانت المسألة المعضلة تعيى الفقهاء، فأسألها عنها، فأجد عندها منها علما».

كان سعيد بن المسيب فى تجارته لا يرجو إلا وجه الله - تعالى - لا عرضاً زائلاً من وراء تجارته، فقد أثر عنه قوله: «الدنيا نذلة، وهى إلى كل نذل أميل، وأنذل منها من أخذها بغير حقها، وطلبها بغير وجهها فى غير سبيلها».

والتجارة الحلال ليست من الدنيا النذلة، وكل ما كان حلالاً ليس من الدنيا الخسيسة، فها هو يقول:

● «لا خير فيمن لا يجمع الدنيا، يصون بها دينه وحسبه، ويصل رحمه».

● «لا خير فيمن لا يجمع المال من حله، يعطى منه حقه، ويكف به وجهه عن الناس».

وكان عند سعيد بن المسيب مال يتاجر فيه، أو يضارب، ويؤدى زكاته كاملة غير منقوصة، وكان يتجه إلى الله - تعالى - قائلاً:

«اللهم إنك تعلم أنى لم أمسكه بخلاً ولا حرصاً عليه، ولا محبة للدنيا ونيل شهواتها، وإنما أريد أن أصون به وجهى عن بنى مروان حتى ألقاك فتحكم فىَّ وفيهم، وأصل منه رحمى، وأؤدى منه الحقوق التى فيه وأعود منه على الأرملة والفقير والمسكين واليتيم والجار».

ولعل ذلك الدعاء الذى يرجو الله فيه أن يصون وجهه عن بنى مروان، يذكرنا بقول الإمام سفيان الثورى «لولا هذه الدنانير لتمندل بنا الأمراء».

أى لولا هذه الدنانير لاحتجنا إلى الأمراء فجعلونا فى أيديهم أشبه بالمناديل يتمسحون

(١٠) أ.د. محمد رجب البيومى، نفس المصدر السابق ص١٤، ١٥.

فيها ، ويلقونها من يد إلى يد .

والواقع أن هذا هو المسلك الذى ارتضاه ابن المسيب والعلماء العاملون، حتى يسيروا فى حياتهم سيراً كريماً .

موقفه من السلطان

كان ابن المسيب يؤثر البعد عن السلطان وذوى الجاه لا يحب عطاءهم ولا يود عندهم حظوة وكان متقيا شرهم.

ومما يصور موقفه من السلطان ما رواه سلام بن مسكين عن عمران بن عبدالله بن طلحة الخزاعى، قال : «حج عبدالملك بن مروان، فلما قدم المدينة، ووقف علي باب المسجد أرسل إلى سعيد بن المسيب رجلا يدعوه ولا يحركه، فأتاه الرسول وقال : أجب أمير المؤمنين، واقفٌ بالباب يريد أن يكلمك، فقال : ما لأمير المؤمنين إلىّ حاجة، ومالى إليه حاجة، وإن حاجته لى لغير مقضية، فرجع الرسول، فأخبره فقال : ارجع فقل له : إنما أريد أن أكلمك ، ولا تحركه فرجع إليه، فقال له : أجب أمير المؤمنين. فرد عليه مثل ما قال أولاً، فقال : لولا أنه تقدم إلىّ فيك، ما ذهبت إليه إلا برأسك، يرسل إليك أمير المؤمنين يكلمك تقول مثل هذا ؟ فقال : إن كان يريد أن يصنع بى خيراً، فهو لك، وإن كان يريد غير ذلك فلا أحل حبوتى حتى يقضى ما هو قاض، فأتاه فأخبره، فقال : رحم الله أبا محمد، أبى إلا صلابة»(11).

من فتاواه

عن ابن حرملة قال : خرجت إلى الصبح، فوجدت سكران فلم أزل أجره حتى أدخلته منزلى، قال : فلقيت سعيد بن المسيب فقلت : لو أن رجلاً وجد سكران أأدفعه إلى السلطان فيقيم عليه الحد؟

قال : قال لى سعيد بن المسيب : إن استطعت أن تستره بثوبك فافعل.

والذى يبين مما سبق أن سعيد بن المسيب - مع ما كان عليه من صلابة الرأى، والتشدد فى الحق - يرى ستر العاصى وذلك على أساس من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة».

تفسيره

جاء عنه فى قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

الشعراء «٨٨، ٨٩»

قال البغوى قال «سعيد بن المسيب» : «القلب السليم هو الصحيح، وهو قلب المؤمن، لأن قلب الكافر والمنافق مريض» قال تعالى :

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾

البقرة «١٠»

(١١) الطبقات الكبرى لأبى سعد ٥/١٢٩.

● وفى قوله - تعالى :

﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾

الماعون «٧»

روى الطبرى بسنده عن «سعيد بن المسيب» قال : الماعون بلسان قريش : المال، وهو تفسير لغوى بحت كما ترى.

من حكمه

● «الناس كلهم تحت كنف الله يعملون أعمالهم، فإذا أراد الله - عز وجل - فضيحة عبد أخرجه من تحت كنفه، فبدت للناس عورته».

● «أصلح قلبك ، والبس ما شئت».

● «لا تقولوا مسجداً ولا مصيحفا بالتصغير، فتصغروا ما كان لله تعالى، فهو عظيم جليل».

● «إنه ليس من شريف، ولا عالم، ولا ذى فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغى أن تذكر عيوبه».

وفاته

يقول عبدالله بن أبى فروة : شهدت سعيد بن المسيب يوم مات سنة أربع وتسعين فرأيت قبره قد رش عليه الماء، وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء لكثرة من مات منهم فيها .

وقال أبو نعيم : توفى سنة ثلاث وتسعين.

رحم الله سعيدا فقد كان - رضى الله عنه - يعرف قدر نفسه، ويزن قيمة علمه، وسما بروحه إلى أجواز العزة والكرامة، فعاش كريم النفس. حميد الأثر، وكان مثالاً رائعاً تقدمه التربية الإسلامية الصحيحة إلى عشاق العزة والكرامة، فما تعاظم يوماً على فقير محتاج! وما خشع لحظة لطاغية جبار، بل كان يعظم أهل المسكنة ويسعى فى حوائجهم، باذلاً من جهده وماله - على تقدم السن وتأخر العافيه - ما يستطيع، أما الطغاة والفجرة من الولاة فقد جابههم مجابهات سافرة، وامتنع عن لقائهم ومجالستهم، وزاد فندد بفضائحهم المنكرة ومظالمهم الآثمة، وبهذه السيرة الرفيعة، قد نهج نهجه الصالح فى الحياة، فأرى الناس كيف يكون عالم الإسلام رحيم القلب مع الضعفاء، عزيز الجانب لدى الأقوياء، فلا تأخذه فى الله لومة لائم، بل يهتف بالحق الصريح، وإن لمعت الأسنة واشتجرت الرماح(12) هذا الإيمان القوى، وهذا الاعتزاز بالحق، وهذا الورع الرفيع الأخاذ كل أولئك قد أضفى على الرجل حلة من الهيبة والكمال، فكان فى حياته قوة مرهوبة عنيدة، وبعد مماته فكرة سامية نبيلة، ومثلا تشرئب إليه النفوس الطامحة، بل حلما نادرا تتمناه القلوب، وتترقبه الأجيال.

(١٢) أد. محمد رجب البيومى، نفس المصدر السابق ص٨

بين الصحف و المجلات

إعداد
أ/ محمود الفشنى
أ/ عبدالموجود أمين

الغنيمة الكردية

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الكاتب الصحفى الأستاذ «جمال بدوى» والمنشورة بجريدة «الجمهورية» الصادرة فى ٢٠٠٥/٦/٢٣، قال:

فى زحمة الفوضى التى تعم العراق، وعلى دوى المتفجرات وتساقط القتلى، وتدفق الدماء: انسلخ إقليم كردستان، وأدى الزعيم مسعود البارزانى اليمين الدستورية أمام البرلمان الكردى فى أربيل، فى حضور الرئيس العراقى جلال الطالبانى، الزعيم الكردى الثانى الذى يجلس على عرش العراق، وعلى مشهد من أحمد الجلبى وزمرة الوزراء الذين سلموا العراق للاحتلال، وحان وقت تسديد الفاتورة. فى حين كانت الجماهير الكردية تجوب شوارع المدن الكردية، وترفع أعلام كردستان، وتؤدى رقصات الفرح والابتهاج لهذا النصر العظيم الذى حقق للأكراد طموحهم فى دولة كردية مستقلة.

>> الآن: يجنى العراق أخبث ثمرات الاحتلال.. واليوم تنفصل كردستان، وغداً البصرة، وتبقى بغداد مثل جزيرة عربية معزولة تندب حظها، وتبكى مجدها، وتدفع ثمن الفظائع التى ارتكبها صدام حسين وعصابته البعثية فى حق وطنه.. وتوزيع أشلائه على الطامعين، وتحت مظلة الاحتلال الأمريكى نجحت الزعامات الكردية فى اقتناص الغنيمة، فأقاموا الأفراح، ولم يبق لهم من مطالب سوى استلام كركوك حتى تنعم الدويلة الوليدة بمصدر نفطى غزير يحقق لها الثراء والنمو.

>> وعملية سلخ كردستان ليست وليدة اليوم، وإنما تم الإعداد لها منذ أقدم صدام حسين على احتلال الكويت فى أغسطس ١٩٩٠، ورغم انسحابه من الكويت فقد وقع شمال العراق وجنوبه تحت حماية المظلة الجوية للقوات الأمريكية. وبات فى حكم الواقع استبعاد ٦٠٪ من أراضى العراق من هيمنة السلطة المركزية فى بغداد، وعلى مدى عشرات السنين تم إعداد الطبخة على نار هادئة، وانتهت لعبة القط والفار بين أمريكا وصدام حسين بإخراجه من اللعبة مهزوما مدحورا، وتنفيذ المخطط المرسوم سلفا وهو تمزيق العراق وتحويله إلى دويلات إقليمية وطائفية، وليس هناك داع من إطلاق حملة دعائية غوغائية تتحدث عن وحدة أراضى العراق.

>> بعد ان فرغ البارزانى من مراسم تنصيبه حاكما على إقليم كردستان، كان أول ما تلقاه تهنئة الرئيس بوش على هذه الخطوة الجريئة ولم ينس بوش فى ختام المحادثة أن يوصيه بالمحافظة على وحدة العراق وسلامة أراضيه، بينما كانت الفضائيات الكردية تزف إلى العالم أنباء الحدث العظيم باعتباره الخطوة الأولى نحو استقلال كردستان، تلبية لطموحات الشعب الكردى الذى يحلم بأن تكون له دولته المستقلة التى سوف تتطور لتكون مركزا تجاريا وحدوديا مع الدول المجاورة، خاصة بعد أن يتحقق الأمل الأكبر فى ضم كركوك.

عقد الأمان

وكتب الأستاذ «أحمد بهجت» تحت عنوان «عقد الأمان» كلمة نشرتها جريدة الأهرام فى عددها الصادر فى ٢٠٠٥/٦/٢٤، قال:

شاهدنا فى حرب العراق انفلاتا فى الأداء على جميع المستويات والجوانب، يستوى فى ذلك جانب قوات التحالف أو جانب المقاومة، ولجأت المقاومة إلى أسلوب جديد يتمثل فى خطف رهينة أو رهينتين أو مجموعة من الرهائن، والتهديد بقتلهم إذا لم تسحب الدول التى ينتمون إليها قواتها من العراق.

ولم يكن هذا التهديد مجرد كلمات جوفاء، إنما كانوا ينفذون وعيدهم، ويقتلون الرهائن أمام كاميرات التليفزيون ويوزعون شرائط القتل بعد ذلك على الفضائيات.

والمؤسف فى الأمر أن هذا كان يتم ممن يرتدون زورا عباءة الإسلام ويتحدثون باسمها والإسلام منهم برىء.

يحدثنا كتاب «فقه السنة» للشيخ السيد سابق عن عقد الأمان وحكم المستأمن.

يقول فى عقد الأمان إذا طلب الأمان أى فرد من الأعداء المحاربين قبلوه منه وصار بذلك آمناً لا يجوز الاعتداء عليه بأى وجه

من الوجوه.. يقول الله - سبحانه:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾

[التوبة/ ٦]

من له هذا الحق؟.

هذا الحق ثابت للرجال والنساء بلا استثناء، ويتقرر بمجرد إعطائه، ويعتبر نافذاً من وقت صدوره، إلا أنه لا يقر نهائياً إلا بإقرار الحاكم أو قائد الجيش، فإذا تقرر الأمان صار المؤمن من أهل الذمة، وأصبح له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، أما الرسول فهو مثل المؤمن سواء كان يحمل الرسائل أو يمشى بين الفريقين المتقاتلين بالصلح.

بعد أن يتحدث السيد سابق عن عقد الأمان يتحدث عن المستأمن فيقول فى تعريفه: «المستأمن هو الحربى الذى دخل دار الإسلام بأمان دون نية الاستيطان بها والإقامة فيها بصفة دائمة، بل يكون قصده إقامة مدة معلومة لا تزيد على سنة، فإن تجاوزها وقصد الإقامة بصفة دائمة فإنه يتحول إلى ذمى ويكون له حكم الذمى فى الأمان».

أهدرت كل هذه المعانى والقيم فى حرب العراق، وأسيء إلى صورة المسلمين إساءة بالغة فى حرب الرهائن.

نصف العراقيين تحت خط الفقر

وعن «الواشنطن بوست» و«لوس أنجلوس تايمز» نشرت جريدة «الأخبار» الصادرة فى ٢٠٠٥/٦/١٩ تقريرا للأمم المتحدة يؤكد أن نصف العراقيين صاروا تحت خط الفقر بعد الاحتلال الأمريكى للعراق جاء فيه:

طبقاً لأحدث دراسة أجرتها الأمم المتحدة يعيش أكثر من نصف العراقيين تحت خط الفقر، وانخفض متوسط دخل الفرد من ٢٥٥ دولارا عام ٢٠٠٣ إلى ١٤٤ فى عام ٢٠٠٤، وبعد ذلك تقلصت حصص الغذاء الرئيسية التى تقوم بتوزيعها الحكومة وتشمل السكر والأرز والدقيق ولبن الأطفال والشاى والزيت وبعض السلع الأخرى، على الرغم من أنهم يتسلمون هذه السلع أحياناً مثل السكر وهو ممزوج بمياه المطر، والأرز تزحف عليه الديدان، بالإضافة إلى الصابون الذى بالكاد يحدث أى رغوة، ويقول المسئولون ببرنامج الغذاء العالمى الذى تشرف عليه الأمم المتحدة: إن هناك «نقصا حادا فى السلع الرئيسية بالبلاد، وأن الأسر فى البلاد لم تتسلم سلعاً مثل السكر ولبن الأطفال منذ يناير الماضى».

ويلقى أحمد مختار، مدير عام وزارة

التجارة باللوم على هذا النقص فى حصص الغذاء على التهديدات والاضطرابات الأمنية بالبلاد، والتى أحدثت اضطرابات أيضا على الحدود مع الدول المجاورة مثل الأردن وسوريا وتركيا.

ديمقراطية.. أم ترويع وتأديب؟!

تحت هذا العنوان جاءت هذه الكلمة التى نشرتها جريدة «الأهرام» فى عددها الصادر فى ٢٠٠٥/٦/١٧ زاوية «رأى الأهرام»:

هذا العنف الذى تشهده بغداد، والذى أصبح مشهدا متكررا فى معظم المدن العراقية، وما ينطوى عليه من تفجيرات انتحارية، وانفجار سيارات ملغومة وحالات إعدام، والعثور على جثث ومقابر جماعية هو أبلغ دليل على أن الوضع الأمنى فى العراق قد بلغ مرحلة من التدهور لم يعرفها العراقيون من قبل على طول تاريخهم.

لقد أثبتت الأحداث أن رهان القضاء على المقاومة العراقية بالاستخدام المفرط للقوة وبسياسات وآليات التخويف والترويع المستمرة التى تمارسها قوات الاحتلال ليس هو الرهان الصحيح، وأن ذلك لم يؤد إلا إلى المزيد من العنف والعنف المضاد، والمزيد من الجثث والضحايا وحمامات الدم.

والحقيقة أنه ليس بمقدور أحد أن يعثر على أى تفسير مقبول لإصرار الإدارة الأمريكية على إغلاق آذانها لنصائح كثيرة، ومواصلة رفض تحديد أى موعد أو جدول زمنى للانسحاب من العراق، اللهم إلا إذا كان المطلوب هو تقديم العراق كنموذج للتأديب والترويع، وليس كنموذج للحرية والديمقراطية كما جرى الادعاء بذلك لتبرير الغزو!.

***

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقي الدين

من أجل حفنة دولارات

أخيراً كشف النقاب عن حقيقة برامج المعونات الأمريكية المخصصة للدول النامية، حيث كشفت وكالة أنباء «أسوشيتد برس» الأمريكية عن فضيحة مدوية، وهى أن عدداً من وكالات الاستثمار الحكومية الأمريكية وافقت على تخصيص مبالغ مالية تقدر بملايين الدولارات لشخصيات وشركات مرتبطة بعلاقات مشبوهة مع عصابات المافيا، وجماعات مسلحة فى أفريقيا.

معنى هذا أن أموال برامج المعونات الأمريكية المخصصة للدول النامية والتى تتباهى بها الولايات المتحدة الأمريكية لا تهدف لا من الدرجة الأولى، ولا حتى الثانية ولا الثالثة إلى مساعدة الدول النامية على تجاوز مشكلاتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.. إنما هى مخصصة بالدرجة الأولى لخدمة مصالح الولايات المتحدة الأمريكية.

معنى هذا أن الولايات المتحدة الأمريكية ضالعة بشكل أو بآخر فيما حدث أو يحدث من مذابح فى دارفور، ورواندا، ونيجيريا، وكوت ديفوار.. وغيرها من دول القارة الأفريقية.. وبصفة خاصة الدول ذات الكثافة السكانية الإسلامية!

أى أن أموال المعونة الأمريكية لها أهداف بعيدة كل البعد عن برامج التنمية والتقدم والإصلاح والتطوير!.. أهداف تتعلق بزعزعة الاستقرار ونشر الفوضى، والاضطرابات بشكل يتيح للولايات المتحدة الأمريكية أن تستصرخ ضمير العالم الحر للتدخل لإنقاذ هذا الشعب أو ذاك مما يعانيه من قهر واضطهاد وتطهير عرقى،.. و.. و.. إلى آخر القائمة الأمريكية التى صارت محفوظة عن ظهر قلب ثم تتدخل الولايات المتحدة لتوزيع الاتهامات وتفرض الحصار الاقتصادى وترسل بجيوشها لاستعباد الشعوب.

وعندما تتيقظ الحكومات وتفرض حظراً على الجمعيات والهيئات العاملة على أراضيها يمنعها من تلقى مثل هذه المعونات المشبوهة تنتفض الولايات المتحدة الأمريكية غضباً وتتهم هذه الحكومات بالديكتاتورية والاستبداد!

لم تكتف الولايات المتحدة بذلك.. بل سعت إلى تمويل إنشاء أحزاب موالية لها فى العديد من دول العالم وتمويل برامج وأنشطة هذه الأحزاب بشكل يسمح لقيادات هذه الأحزاب بالوصول إلى مقاعد البرلمان ومناصب الحكم الرئيسية فى هذه الدول وبالتالى تتحكم الولايات المتحدة فى مصائر الأمم والشعوب من خلال طابور من العملاء باعوا أنفسهم ودينهم ووطنهم للشيطان من أجل حفنة دولارات.

أقول هذا بمناسبة أحداث قضية محاكمة «عبده مشتاق» الذى حظى بدعم أمريكى غير مسبوق وقامت شخصيات أمريكية رفيعة المستوى بزيارته وجاهرت بدعمه وتأييده، لأنها رأت فيه الشخص الذى يمكنها من خلاله تنفيذ سياساتها الرامية إلى تحطيم، ليس إرادة الأمة المصرية فقط، بل الأمة العربية والإسلامية!!

كان البعض يتصور أن الشارع المصرى سيدعم «عبده مشتاق» وأن المظاهرات ستندلع فى طول البلاد وعرضها تأييداً ودفاعاً عن «عبده مشتاق»، فإذا بالمفاجآت.. مرت عدة جلسات من المحاكمة ولم يتجاوز الأمر مظاهرة قام بها بضع مئات من مؤيدى «عبده مشتاق» ممن استفادوا من أموال المعونات الأمريكية.. ولكنهم اصطدموا بمظاهرات أخرى معارضة ورافضة لـ«عبده مشتاق».

الولايات المتحدة راهنت على «عبده مشتاق» متخيلة أنها تستطيع إعادة نفس ما سبق وأن نفذته فى «بولندا» عندما دعمت العديد من الحركات المناوئة للشيوعية أفرزت ما عُرف فيما بعد بـ «حركة تضامن» التى نجحت فى الوصول إلى الحكم.. ولكنها نسيت أن هناك



الخراب والدمار والمشى فوق بحيرات الدماء.. المحصلة النهائية للتدخل الأمريكى ليس فى العراق فحسب على نحو ما نرى فى الصورة.. ولكن فى العالم أجمع

اختلافا جوهريا بين بولندا، ومصر.. بولندا كانت تعانى من ظلم وقهر واستبداد، فجَّر بركان الغضب ضد نظام الحكم الشيوعى.

أما الوضع فى مصر فهو بالتأكيد مختلف.. والدليل على أن الوضع مختلف أن «عبده مشتاق» فى ظل القوانين المصرية وبأموال المعونة الأمريكية نجح فى تأسيس حزب تحوطه الشبهات وأنشأ جريدة لا هدف لها ومع ذلك لم يجد فى وجهه ديكتاتورية ولا استبدادا يلقى به فى غياهب السجون أو القبور بلا محاكمة.. بل وقف أمام المحكمة يتحدث ويتحدث..

ووقف فى وجهه بسطاء هذا الشعب نفس الوقفة التى سبق أن وقفتها ضده قيادات أحد أكبر أحزاب المعارضة المصرية التى طردته من جميع مناصبه الحزبية بعد اكتشاف حقيقته.

وقف الجميع فى وجه «عبده مشتاق» الذى نظر حوله فلم يجد من يؤيده اللهم سوى قلة مشتراة ببضعة دولارات، ووقف شعب مصر يسخر منه ويقول له: لا، أنت مزوّر.

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾

[الشعراء/ ٢٢٧]

أحمد تقى الدين

وإلى رسائل القراء

التيسير خاصية الإسلام

تحت هذا العنوان كانت كلمة القارئ: السيد حسين العزازى ـ وكيل وزارة بالكهرباء والطاقة سابقاً ـ قال:

ـ ربنا وسعت كل شيء رحمة، غمرتنا بالنعم وأكرمتنا بالفضل وخففت عنا بالتيسير ولم تكلفنا فوق ما نطيق وحببت إلينا الإيمان بالرخص والثواب وقبول التوبة والشفاعة عند الحساب وجعلت المغفرة منحة للموحدين والجنة جزاء المؤمنين الصابرين وصدق الله العظيم:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾

١١٦/ النساء

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

١٠/ الزمر

ولقد ارتبطت التكاليف الشرعية بالاستطاعة وجعلت من المرء حسيباً على نفسه رقيباً على سلوكه وتصرفاته وبوازع من عقله وضميره ولأجل ذلك قال رسول الله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاث عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر وعن المجنون حتى يعقل»(١) تبعاً لما ورد بالحديث الشريف وكل الأعمال تتم باختيار حر دون جبر أو إكراه وعن قناعة واعتقاد:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾

٢٥٧/ البقرة

وتأسيساً على ذلك يتبين يسر الإسلام والاستجابة لتعاليمه وتطبيق أركانه بلا قسر أو تضييق وقد أكد الرسول (ﷺ) ذلك بقوله «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»(٢) وما خير ـ ﷺ ـ بين أمرين إلا واختار أيسرهما.

ـ وعلى الدعاة أن يحرصوا على بيان ذلك وتأكيده وأن يبذلوا الجهد إيضاحاً واستخلاصاً وقياساً لتقديم الفتوى الصالحة والرأى السديد لجمهور المسلمين فيما يعنهم ويشغلهم من مسائل وقضايا أفرزها واقعنا الحافل بالمستجدات والمتغيرات من جراء الانفتاح الحضارى المترتب على ثورة الاتصالات والمعلومات حيث صار العالم قرية كونية صغيرة تمتزج ثقافته وتقتحم خصوصياته إلا من رحم ربى مصداقاً لقول الرسول ـ ﷺ ـ «يأتى على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر»(٣) وبما يقتضينا التمسك

(١) سنن النسائى، حديث رقم ٣٣٧٨.

(٢) البخارى، حديث رقم ٦٧ كتاب العلم.

(٣) سنن الترمذى، حديث رقم ٢١٨٦.

دون تشدد أو تعصب وأن يكون الدين منهج حياة وأداة خير وسعادة بما يتضمنه من معطيات وحلول تبرهن على كفاءته وكفايته كمعين ثقافى وأخلاقى وإنسانى يحصن الحرية ولا يقيدها أو يقوضها وتحكمه معايير التقدير والتوقير والتسامى على الانحطاط والدونية والترفع عن البهيمية ويربط الحق بالواجب بضوابط الحلال التى تبرأ من الاستلاب والاغتصاب والتحايل والارتياب.

– ودور الإسلام الإصلاح جلى واضح فى الجوانب الاجتماعية والاقتصادية وهذا يستوجب لثم الشروخ القائمة فى الكيان الإسلامى نتيجة تعدد الفرق إلى حد التفريق والعلاقة بين المسلم السنى والمسلم الشيعى تكتنفها حزمة من إشكاليات سوء الفهم وغياب الاتفاق وبما يؤثر سلباً على وحدة المسلمين واعتصامهم بحبل الله كأمة واحدة تجمعهم عزة الإسلام وروح السلام.

– والتبسيط والتيسير والتقريب أساليب مطلوبة لدعم الإسلام وترسيخ منهجه فى مواجهة الوضعيين وأدعياء الحداثة ممن يقذفون الإسلام بنعوت يبرأ منها كالجمود والعنف وعدم الاعتراف بالآخر ويفوت عليهم ما يحتويه من علاج شافٍ وواقٍ للإنسانية على امتداد الزمان والمكان والقرآن هو المرشد الهادى والدستور الخالد من لدن الله الواحد لمن أراد أن يستقيم.

دعوة إلى السلام

وتحت عنوان «دعوة إلى السلام» كتب الدكتور/ محمد محمود العطار - كفر الشيخ - قال:

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾

(سورة البقرة: الآية ٢٠٨)

خاض المجتمع البشرى فى القرن العشرين حربين عالميتين وهو مهدد حالياً بحرب ثالثة نووية تحمل فى ثناياها الدمار الشامل للمهزوم والمنتصر على السواء.

والسلام ركيزة قوية لاستقرار البشرية، وشعورها بالأمن والرخاء حيث يعمل على دعم التعاون بين الأمم وحل المشكلات العالمية سلمياً، وتأكيد الحرية والطمأنينة عند الشعوب كلها.

ويمر السلام فى عالمنا الإسلامى والعربى بأزمة حادة، وهى وثيقة الصلة بغياب الوازع الدينى والإيمان بالله. والأمة الإسلامية أمة واحدة، وما أحوج هذه الأمة الآن إلى ترك

خلافاتها، وجمع كلمتها، فقد بات الخطر يهددهم وظهرت النوايا لإذلالهم بعد الاستيلاء على مصادر ثرواتهم.

قال تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾

(سورة الأنعام: الآية ٨٢)

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن رسول الله – ﷺ – قال: «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم» رواه النسائى.

كما يقول الرسول – ﷺ –: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم».

واليوم نحن أبناء الأمة الإسلامية والعربية فى حاجة إلى التمسك بالإسلام ومبادئه التى تدعو إلى التسامح والمساواة والرحمة والعفو والتى تحترم إنسانية الإنسان وتفوق ما تنادى به الهيئات والمنظمات الدولية من حقوق للإنسان. فأين الدول المتقدمة من حقوق الإنسان؟ وأين هى الاتفاقيات والمعاهدات التى تكفل للإنسان الأمن والسلام؟.

إن السلام لن يتحقق إلا بحرية الشعوب وتحريرها وليس بتهديد الشعوب وإعلان الحرب وإثارة الرعب بين الشعوب.

فالسلام هو الحرية، وإنسانية الإنسان لا توجد إلا حين يتحرر ضميره وتتحرر حياته من سلطان العباد إلى سلطان رب العباد الله الواحد القهار. فنحن فى حاجة إلى سلام مع النفس، سلام مع بعضنا البعض نشعر مع أنفسنا بعزة الإسلام وكبرياء الإسلام.

لماذا تتفلسفون علينا؟!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ محمد عباس محمد عرابى - الطائف - كلمة قال فيها:

إنه مما يؤسف حقاً ما يتعرض له المتحدثون باللغة العربية الفصحى فى تعاملاتهم اليومية مع الناس حيث يتعرضون للسخرية والاستهزاء أحياناً فهذا يقول لهم وماذا بعد يا سيبويه؟! لماذا يتقعرون فى كلامكم؟! لماذا تتفلسفون علينا؟! نعم لقد أصبح من يتلفظ بالعربية الفصحى فى نظر الكثيرين متفلسف!!

ولا أدرى لماذا كل هذا التنكر للغة البيان لغة القرآن ويكون الفرح والسرور عند خلط الكلام العربى بلغات إفرنجية أخرى!!

وإلى هؤلاء الساخرين المستهزئين أقول: إن الله «تعالى» اصطفى اللغة العربية من بين اللغات جميعاً لتكون وعاء لكتابه الخالد،

كما اختارها لتكون لسان نبيه الأمين ؛ لذا أوجب الشارع الحكيم تعلمها ؛ حتى تفهم مقاصد الشريعة يقول ابن تيمية : إن معرفة اللغة من الدين ومعرفتها فرض واجب ، وإن فهم الكتاب والسُنة فرض ، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

ويقول الشافعي : فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، ويتلو به كتاب الله وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك .

وإنى لأقترح ـ حتى لا يسخر الناس ممن يتكلمون بالفصحى فى تعاملاتهم ـ :

ـ أن تكون اللغة العربية لغة التدريس ولغة الدوائر الحكومية ولغة الشارع ونبذ العاميات .

ـ أن يلقن الآباء الأطفال ـ منذ تعلم الكلام ـ اللغة العربية الفصحى حتى يتعودوا عليها فى تعاملاتهم اليومية وحتى لا يقولوا لمن يحدثهم بالفصحى لماذا تتفلسفون علينا ؟

الإمام أبو جعفر المدنى

تحت هذا العنوان كانت تلك الكلمات التى كتبها الأديب: فرج مجاهد عبدالوهاب ـ عضو اتحاد كتاب مصر قال:

هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومى المدنى إمام المدينة تابعى .

قال يحيى بن معين : كان إمام أهل زمانه فى القراءة وكان ثقة ، وقال عنه يعقوب بن جعفر بن أبى كثير : كان إمام الناس بالمدينة . . فقيه المدينة لم يكن بالمدينة أحد أقرأ للسُنة من أبى جعفر ، وقال مالك كان رجلاً صالحاً ورُئى فى المنام بعد وفاته فقال : بشروا أصحابى وكل من قرأ قراءتى أن الله قد غفر لهم وأجاب فيهم دعوتى وعليهم بركعات فى جوف الليل كلما استطاعوا ؟ ففيها الخير كله .

كان أول راوية له عيسى بن وردان المدنى ، كان أستاذاً فى القراءة ضابطاً لها من قدماء أصحاب نافع ومن أصحابه فى القراءة على أبى جعفر والثانى : أبو الربيع سليمان بن مسلم بن جماز الزهرى مولاهم المدنى وكان مقرئاً جليلاً ضابطاً مقصوراً فى قراءة أبى جعفر ونافع روى القراءة عرضاً عنهما وتوفى سنة سبعين ومائة .

أما أبوجعفر المدنى فقد توفى سنة ثلاثين ومائة .

من إبداعات القراء

لمن اللوم ؟؟

ويوافينا الصديق: أحمد حمدى والى ـ طب الأسنان ـ المنصورة بقصيدة من إبداعه جعل عنوانها « لمن اللوم»:

لا لن ألوم الفاجر الغدار ... إن شب فى أرض الخلافة نارا

وهوت قذائفه على أطفالنا ... لا لم تغادر رضعاً وصغارا

وشكت مقابرنا أزيز رصاصه ... وطغى بأرض الرافدين وجارا

إن نال من عرض الحرائر وانبرى ... يهدى إلى أرحامهن العارا

هدم المساجد لم يراع حرمة ... داس المصاحف مزق الأسفارا

وتراث أمتنا تبعثر شمله ... وغداً لكل العابثين مزارا

و«أبو تراب» هدَّموا محرابه ... يا ويحهم وتسلقوا الأسوارا

سألوم أوغاداً تطاول خزيهم ... لم يعرفوا عزماً ولا إصرارا

بحَّت حناجرهم بشجب زائف ... حتى غدوا بين المعاشر عارا

باعوا قضيتنا وراموا ذلهم ... عجباً لتيس يعشق الجزارا

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة. وذلك حرصاً من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق فى اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا بمشيئة الله تعالى. ٥

أنباء العالم الإسلامى



إعداد الأستاذ / محمد الشرقاوى

قس أمريكى يعتذر عن إساءته للقرآن

قدم قس كنيسة «دانيالتاون» المعمدانية الواقعة بمدينة «فوريست سيتى» بولاية «نورث كارولينا» الأمريكية اعتذاراً عن وضعه لافتة فى فناء كنيسته تقول: إن القرآن يستحق أن يلقى فى المرحاض !!

وكان مجلس العلاقات الإسلامية ـ الأمريكية «كير» طالب القس بالاعتذار عن إساءته للقرآن وللمسلمين كما طالب الكنائس والشعب الأمريكى بإدانة هذا السلوك المتطرف.

ودعا المجلس الأمريكيين للحصول على نسخة من القرآن الكريم وقراءته بأنفسهم من خلال حملة نظمها لتوفير نسخ من المصحف الشريف مجاناً للشعب الأمريكى.

وأثار موقف القس ويدعى «كريجتون لوفيلاس» استياء وسائل الإعلام والقيادات الدينية الأمريكية حيث أصدر «موريس تشابمان» رئيس اللجنة المرقسية للمعمدانيين الجنوبيين بياناً أدان فيه موقف القس وأعرب عن أسفه أن يقوم القس «لوفيلاس» بنشر رسالة على لافتة أمام كنيسته تحتفى بتدنيس المصحف الشريف !

كان هذا القس قد رفض فى تصريحات صحفية مؤخراً إزالة اللافتة لكنه لم يلبث أن تراجع عن موقفه وأصدر بيان اعتذار.

وقال «لوفيلاس» فى بيانه أنه عندما وضع اللافتة أمام الكنيسة كان يقصد إلى تأكيد وإعلاء الإنجيل وتعاليمه ولم يكن فى نيته إهانة أتباع أية ديانة. وادعى أنه لم يكن يعرف كيف ينظر المسلمون للقرآن وكيف يقدرونه أكثر مما يقدر كثير من الأمريكيين الإنجيل.

وأقر أنه أدرك مدى الإساءة التى سببتها هذه الرسالة للمسلمين مؤكداً شعوره بالندم الشديد على ذلك.

معجم للألفاظ العربية فى اللغة الألبانية

صدر فى ألبانيا (معجم الألفاظ الشرقية فى اللغة الألبانية) لمؤلفه «طاهر ناصف ديزدارى» من علماء اللغة والاستشراق فى جمهورية ألبانيا وصدر المعجم الذى يقع فى «١٢٠٢» صفحة ويضم «٤٥٠٠» كلمة من أصل عربى وتركى وفارسى دخلت الاستعمال اللغوى اليومى فى ألبانيا؛ بالتعاون بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) والمركز الألبانى للفكر والحضارة الإسلامية.

ويعكس هذا المعجم الفريد من نوعه التماذج الفعلى بين اللغات والثقافات الإسلامية ويحقق هدف تعزيز دور الترجمة فى التقارب بين الثقافات والشعوب.

صندوق لدعم العمل الثقافى الإسلامى بالغرب

أوصى المجلس الأعلى للتربية والثقافة فى الغرب فى ختام اجتماعه السادس الذى عقد فى العاصمة الألبانية (تيرانا) بإنشاء صندوق لدعم العمل الثقافى الإسلامى فى الغرب ويرتبط بعلاقات شراكة وتعاون مع الهيئات العلمية والثقافية الرسمية والشعبية فى الدول الغربية.

واعتمد المجلس الذى يعمل فى إطار المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة المشاريع الثقافية التى تقدمت بها كل من الجمعية الدينية الإسلامية فى إيطاليا ومركز الفرقان الإسلامى فى تايلاند وجامعة «همبدرد» فى نيودلهى بالهند.

كما أوصى المجلس بدعوة الإيسيسكو إلى تخصيص مزيد من الأنشطة التربوية والثقافية والإعلامية لفائدة المسلمين فى ألبانيا ودول البلقان تعزيزاً لهويتهم الثقافية الإسلامية ومساعدتهم فى مواجهة تحديات التطوير التربوى والثقافى لأبنائهم.

التحامل على المسلمين يتصاعد بأوروبا

اعتبر مؤتمر لمنظمة الأمن والتعاون فى أوروبا أن التحامل على المسلمين أصبح التحدى الأساسى فى مجال حقوق الإنسان فى أوروبا.

وانتقد المؤتمر تجاهل كثير من الحكومات لهذه المشكلة. وقال مندوبون من عدة دول أمام المؤتمر الذى عقد فى مدينة قرطبة بجنوب أسبانيا: إن أعمال العنف التى تقوم بها أقلية صغيرة من المتشددين الإسلاميين، والحرب التى يشنها الغرب على الإرهاب أذكت نار التحامل على المسلمين.

وقال «دودودين» مقرر الأمم المتحدة المعنى بمكافحة التمييز والكراهية ضد الأجانب إن الدول الأوروبية تصدت لمعاداة السامية بمنتهى القوة ولكنها أهملت خطورة حملة التحريض على كراهية الإسلام وتصاعدها.

سلطات الاحتلال تبنى مدينة سياحية أسفل الأقصى

كشفت السلطات الإسرائيلية النقاب عن انتهاء سلطات الاحتلال الإسرائيلى من بناء الجزء الأكبر من مدينة دينية سياحية أسفل المسجد الأقصى على عمق أربعة عشر متراً فى إطار بناء البنية التحتية لإنشاء الهيكل المزعوم وأكدت صحيفة «معاريف» الإسرائيلية هذا الخبر وأضافت أن مكتباً تابعاً لرئاسة الحكومة الإسرائيلية يشرف مباشرة على الأعمال الممتدة بطول «٤٨٠» متراً فى الواجهة الغربية من حائط البراق وإلى المدرسة العمرية وحتى باب الأسباط.

على الجانب الآخر كشف خبير آثار مقدسى يدعى «إبراهيم الفقى» النقاب عن وجود لجنة إسرائيلية خاصة بدأت فى وضع مسميات تلمودية جديدة للمناطق الإسلامية الموجودة حول الأقصى من أجل دمج المكان بالبناء اليهودى الجديد.

العنصرية تحرق أبرز مساجد «روتردام»

دمر حريق اندلع فى مسجد «شأن الإسلام» أبرز مساجد مدينة «روتردام» الهولندية محتويات المسجد بالكامل وذلك قبل أن يتمكن رجال الإطفاء من إخماده وقال المتحدث باسم الشرطة إن الحريق أحدثَ أضراراً مادية بالغة. ولم تتوافر على الفور معلومات تتعلق بالجهة المسئولة عن الجريمة ودوافعها. إلا أن الشبهات العنصرية فيها تعلن عن نفسها؛ فقد كتب قبل أيام من الحريق على جدران المسجد التابع لمؤسسة «المسلم الهولندى» الذى يديره هولنديون من أصول «سورينامية» ـ سورينام هى إحدى دول أمريكا اللاتينية ـ عبارات عنصرية ضد المسلمين.

ومما يذكر أنه رغم تعرض مسلمى هولندا فى الآونة الأخيرة لسلسلة من الحوادث العنصرية، إلا أن ذلك الاعتداء يعتبر الأول الذى يستهدف مؤسسة تابعة لمواطنين هولنديين ذوى أصول سورينامية؛ مما يشكل تهديداً للأقلية السورينامية التى لا تعانى من أية مشاكل مع السلطات فى هولندا ويعرف عنها اندماجها الواضح فى المجتمع الهولندى.

هذا ويبلغ عدد المسلمين السوريناميين فى هولندا أكثر من «١٠٠» ألف نسمة ويديرون نحو «٣٥» مسجداً ويتبع «٦٥» ألفاً منهم مذهب السُنة.

ومن ناحية أخرى قررت وزيرة شئون الأجانب والاندماج فى هولندا «ريتافير ودنك» طرد ثلاثة أئمة تابعين لمركز الفرقان الإسلامى بمدينة «ايندهوفن» باعتبارهم يمثلون تهديداً للأمن القومى للبلاد وعوائق أمام اندماج المسلمين بالمجتمع وجاء فى بيان صحفى لمصلحة الأجانب التابعة لوزارة العدل الهولندية أن الأئمة الثلاثة غير مرغوب فيهم وبالتالى عليهم مغادرة البلاد بطريقة طوعية وإلا فإنه سيتم إخراجهم عنوة من هولندا.

وأوضح البيان أن الأسباب التى بنى عليها قرار الطرد وسحب الإقامة من قبل مصلحة الهجرة والتجنيس اعتمدت على ما أوردته تقارير المخابرات الهولندية من أن هؤلاء الأئمة الثلاثة يمثلون تهديداً للأمن العام للبلاد.

وحسب المخابرات الهولندية فإن الأئمة الثلاثة يرفضون التعايش الغربى والتواصل مع الآخر مما يجعل من عملهم فى هولندا أحد عوائق الاندماج وعزل مرتادى مركز الفرقان عن المجتمع الهولندى.

وفى أول رد فعل إسلامى على هذا القرار أعرب الناطق باسم مركز الفرقان عن دهشته قائلاً: لنا علاقة بالوزيرة «فيردونك» نفسها فالتواصل بيننا لم ينقطع وكان الأولى بالوزيرة أن تتصل بنا وتسمع منا قبل أن تتخذ قرارها هذا من جانب واحد ودون سابق انذار.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسي

رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام يستقبل سفير مصر فى البانيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير الدكتور رفعت الأنصارى سفير مصر فى دولة البانيا حيث رحب فضيلته بالضيف وتناول اللقاء سبل دعم الأزهر الشريف للمشيخة الإسلامية فى تيرانا بألبانيا وإمكانية معادلة الشهادتين الإعدادية والثانوية بألبانيا مع المناهج الأزهرية كما تم بحث سبل الدعم الأكاديمى الذى يمكن أن يقدمه الأزهر الشريف للجامعة الإسلامية المزمع إقامتها خلال العام الدراسى القادم بألبانيا.

وعن دور علماء الأزهر الشريف فى توضيح صورة الإسلام الصحيحة أكد فضيلة شيخ الأزهر بأن الأزهر يرسل الأئمة والعلماء والوعاظ للعديد من الدول لتبصير المسلمين بأمور الدين، كما يرسل الكتب والمناهج الدراسية للدول ويتم التنسيق مع سفاراتنا فى الخارج، كما أن الأزهر يستقبل أبناء المسلمين من دول كثيرة تصل إلى ١٠٥ دول ليتلقوا العلوم بالأزهر.

كما تم استعراض الدور الحيوى الذى يقوم به مبعوثو الأزهر فى البلاد التى يذهبون إليها لتوضيح صورة الإسلام الذى يمد يده بالسلام لكل من يمد يده إليه بالسلام وأن نشر السلام يؤدى إلى نشر الرخاء والأمان والاطمئنان والعالم كله محتاج إلى ذلك.

ويستقبل سفير ماليزيا بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر سعادة السفير داتوزين العابدين عبدالقادر سفير ماليزيا الجديد بالقاهرة يرافقه الدكتور محمد فخرالدين المستشار التعليمى بالسفارة وذلك بمناسبة تعيينه سفيرا لبلاده فى القاهرة، وقد رحب فضيلته بالضيفين فى مصر وأزهرها الشريف مشيدا بعمق العلاقات والروابط الأخوية بين البلدين، والأزهر يستقبل أبناء ماليزيا للدراسة به وعدد الدارسين يقارب ٧٥٠٠ طالب وطالبة يدرسون فى المعاهد الأزهرية وجامعة الأزهر وقد خصص هذا العام ٢٠ منحة لماليزيا، وتوجد بعثة من علماء الأزهر يدرسون للطلاب بماليزيا وعددهم ٨ علماء، كما يستقبل الأزهر الأئمة والدعاة من دول العالم ومنها دولة ماليزيا حيث يقيم الأزهر دورات تدريبية كل ثلاثة أشهر لهؤلاء العلماء للتدريب على الفتوى وتلقى العلوم والمعارف من كبار العلماء.

وقد أعرب سعادة السفير عن بالغ سعادته بهذا اللقاء وأنه يحمل لفضيلة الإمام الأكبر تحيات رئيس وزراء ماليزيا، وقال: إن ما يقوم به الأزهر فى ماليزيا له أكبر الأثر لدى شعب وحكومة ماليزيا وأنه قد حضر إلى الأزهر الشريف للإعراب عن مدى شكره وشكر بلاده لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ولعلماء الأزهر وعلى ما يقوم به الأزهر نحو تعليم أبناء المسلمين وخاصة أبناء ماليزيا الذين يتلقون علومهم بالأزهر الشريف.

الإمام الأكبر: تعلم اللغة العربية ضرورة لفهم تعاليم الإسلامي

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفداً يمثل مجلس الشعب بنيجيريا برئاسة السيد حسن سليمان نائب رئيس مجلس الشعب النيجيرى حيث رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف مشيدا بالصلة القديمة بين الأزهر ودولة نيجيريا موضحا بأن الطلاب الذين يدرسون فى الأزهر وجامعته يبلغ عددهم حوالى ١٠٠٠ طالب وطالبة ويوجد ٧٥ عالما معاراً لدولة نيجيريا ينشرون الثقافة الإسلامية والعلوم الشرعية والعربية موضحا بأن الدراسة فى الأزهر تمتاز بالسماحة واليسر والاعتدال، وقام فضيلته بشرح موجز للدراسة بمراحل التعليم المختلفة مؤكدا على استعداد الأزهر لتلبية كل ما تحتاجه دولة نيجيريا من علماء ومدرسين ومنح دراسية، وطلب فضيلة شيخ الأزهر ضرورة تعلم اللغة العربية لفهم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، لأنها تعين على فهم تعاليم الإسلام الصحيحة، وأكد على أن يكون فى المناهج الدراسية فى مدارس نيجيريا حصص لتعلم اللغة العربية.

الإمام الأكبر لوفد قضاة السودان: الإسلام دين يقوم على العدل والإنصاف وإعطاء كل ذى حق حقه

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفداً من قضاة محاكم الاستئناف بالسودان برئاسة السيد العبيد زين العابدين رئيس الجهاز القضائى بولاية الجزيرة وقاضى قضاة محكمة النقض يرافقهم المستشار أيمن شاش من وزارة العدل المصرية حيث رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وفى الأزهر الشريف موضحا بأن الإسلام دين يقوم على العدل والإنصاف وإعطاء كل ذى حق حقه بصرف النظر عن اللون أو الجنس أو العقيدة. والقرآن الكريم بين لنا أن القضاة هم الذين يقيمون العدل بين الناس لأن العدل هو أساس الملك موضحا بأن العقوبات التى جاءت فى شريعة الإسلام إنما جاءت لحماية الإنسان والمجتمع من الفساد والإرهاب والظلم وللمحافظة على كرامة الإنسان وعرضه وماله وشرفه، وحين يتحقق العدل يشيع الأمن والأمان والاستقرار بين الناس وفى المجتمع.

وتأتى تلك الزيارة فى إطار الدورات التدريبية التى يعقدها المركز القومى للدراسات القضائية بجمهورية

مصر العربية بالتعاون مع الأزهر الشريف في مجال الاستفادة من خبرات الأزهر فى مسائل الفتوى والأحكام الشرعية فى القضاء.

وقد أجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم، وأبدى استعداد الأزهر لإمداد السودان بالكتب والمراجع المتخصصة فى الشريعة الإسلامية والفتوى.

الإمام الأكبر: تحديد النسل بمعنى منعه غير جائز شرعاً

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفدا من دولة نيجيريا يرافقهم الدكتور محمد سويد المدير التنفيذى للجمعية المصرية لتنظيم الأسرة والدكتور شريف الصادق مدير الإعلام وقد أجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم حول تنظيم الأسرة وبين الفرق بين التنظيم والتحديد وتحدث عن التعقيم والإجهاض، موضحا بأن تنظيم الأسرة بمعنى أن يتفق الزوجان فيما بينهما طبقا لظروفهما الصحية أو الاجتماعية على إطالة المدة بين الحملين حفاظا على صحة الأم ورعاية للطفل حتى ينمو نموا صحيحا فهذا أمر مباح شرعا ولاشىء فيه، أما تحديد النسل بمعنى منعه فهذا غير جائز شرعا مؤكدا على حرمة التعقيم والإجهاض إلا إذا كانت هناك ضرورة تدعو لذلك ويكون بأمر الطبيب المختص الذى يوضح ويبين بأن وجود الحمل يؤدى إلى خطورة على حياة الأم.

وحول سؤال عن تعدد الزوجات قال فضيلته بأن الله- عز وجل- قد شرع الزواج وأباح الزواج بأكثر من واحدة بشرط العدل بين الزوجات وأن تكون هناك ضرورة تدعو لذلك، وفى تلك الحالة لابد من تحقيق العدل بين الزوجات بمعنى إعطائهن حقوقهن متساوية، كتوزيع الوقت والمال بالتساوى لأن ذلك مظهر من مظاهر العدل وقد بين الله- عز وجل- فى القرآن الكريم فى سورة النساء فى قوله تعالى:

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ النساء / ٣

الإمام الأكبر يحث أبناء العراق على التمسك بوحدة الصف

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف عدنان محمد سلمان رئيس ديوان الوقف السنى بالعراق ووكيل وزارة الأوقاف، والسيد هواش خلف متعب المستشار القانونى، والسيد اسماعيل طه وكيل رئيس الديوان والوفد المرافق، أوضح الضيوف سعادتهم لهذا اللقاء مشيدين بتاريخ مصر والأزهر الشريف بمشايخه وعلمائه الذين دائما يتصدون للأحداث بحكمة واقتدار، وأن فتاوى الأزهر الشريف التى تدعو أبناء العراق بالابتعاد عن الفرقة وتحثهم على التمسك بوحدة الصف هى من الأمور التى تساعد على وقف الصراعات الدموية التى تحدث بالعراق.

وأوضح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بأن ما يحدث فى العراق إنما هى فتن تدمى قلب كل إنسان عاقل، لأن ما يحدث من قتل العراقى لأخيه العراقى وقتل الأطفال وتفجير أنابيب البترول إلى غير

ذلك، أشياء لايقوم بها عاقل ونحن كمسلمين ندعو الله أن يزيل الغمة عن الشعب العراقى الذى نحبه، وأن يفرج كربهم وأن يعيد على الشعب العراقى نعمة السلام والأمان والرخاء وأن يجعل أبناء العراق كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، والعراق سواء أكان سنيا أم شيعيا أم كرديا أم تركمانيا يجب أن يكون ولاؤه لبلده لأنهم كلهم عراقيون، وطلب فضيلته أن يجلس العراقيون سويا للعمل من أجل صالح بلدهم العراق ومستقبل أمتهم وندعو الله أن يجنب الشعب العراقى الفتن.

الإمام الأكبر يستقبل وفد أساتذة جامعات إيطاليا

التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بوفد من أساتذة جامعات إيطاليا برئاسة الدكتورة ادليا روسيلى رئيس المعهد الثقافى الإيطالى، والسيد رئيس المعهد البابوى للدراسات الشرقية، والسيد عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة نابولى الشرقية وذلك فى إطار التعاون المشترك بين جامعات إيطاليا ومصر بهدف إيجاد مجموعات من الدراسات المقارنة لمزيد من الفهم المشترك بين الحضارات الغربية والحضارات العربية والإسلامية، وأوضحت الدكتورة أدليا بأن توقيع اتفاقية بين جامعات إيطاليا وجامعة الأزهر الشريف بمثابة خطوة على طريق تبادل الثقافات، الأمر الذى يؤدى فى المستقبل إلى تبادل مثمر وبناء للباحثين، وتبادل المعلومات والأبحاث العلمية بهدف التفاعل الثقافى ومعرفة الاختلافات بين الحضارات، كذا معرفة النقاط المشتركة فى الحضارات.

ومن جانبه أكد فضيلة شيخ الأزهر بأنه يرحب بكل تقارب علمى بين الأزهر الشريف وبين أى جهة فى العالم مشيرا إلى أن العلم لاوطن له وإنما العلم موجود فى كل أنحاء العالم والعقلاء فى كل دولة ينتفعون بعلم غيرهم وهم أيضا ينفعون غيرهم بعلمهم ومن هنا لانقول بتصادم الحضارات وإنما نقول بتعاون الحضارات وبتقاربها وهذا يحدث التكامل وحيث يسود التعارف والتعاون يعم الرخاء بين الدول ونحن كمسلمين نؤمن بأن الاختلاف فى العقائد لايمنع من التعاون والتآلف والتعارف ولكل إنسان عقيدته والذى يحاسب عليها هو الله عز وجل.

اعتماد نتيجة الابتدائية الأزهرية

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر نتيجة امتحان الدور الأول للشهادة الابتدائية الأزهرية للعام الدراسى ١٤٢٥ / ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥ على مستوى الجمهورية بنوعيها (مبصر، كفيف) وكانت النسبة المئوية للنجاح ٦٨,٤٣٪ حيث تقدم للامتحان ١١٢٩٩٣ طالبا وطالبة نجح منهم ٧٦٧٥٧ طالبا وطالبة ومن له حق دخول الدور الثانى ٣٦٢٣٦ طالبا وطالبة.

شهد اعتماد النتيجة فضيلة الدكتور محمود إمبابى وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى رئيس قطاع مكتب شيخ الأزهر وفضيلة الشيخ عمر الديب رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وتم بث النتيجة على موقع الأزهر التعليمى.

***

With the change of morals and habits and the loosening of the tie of religion, the Western invasion has aimed at replacing the Islamic *Shari`ah* with man-made laws; the concepts of faith with materialism; and the Arabic language with the West's language.

An-Nadim has elaborated on uncovering the malicious hidden intentions of the imperialistic West as a civilizational, cultural and moral enemy. The restriction imposed on him by the occupation authorities could not prevent him from calling people to evacuate the occupation armies. This is despite the fact that he would prefer the peaceful means in doing so; that is, "with mildness, man can get the serpent out of its hiding place."

However, An-Nadim has not disregarded the other face of the Western civilization. He says, "How many good fruitages the West transmitted to the East, and which resulted in ornamenting it and increasing its working power." He also says, "There have been many scholars of the West who have treated Islam fairly and proved its uniqueness among the other religions as regards teaching the ways leading to freedom and virtues.

Moreover, An-Nadim has been calling people to know the ideas the "Other" instead of completely rejecting them due to the mere belief that such ideas are something coming from such an unwelcome direction. After discussing and looking into such ideas from the cultural, moral and civilizational perspectives, we are to decide whether to accept or reject them. Furthermore, if we reject such ideas and thoughts without any explanation or justification, this will be regarded as fanaticism towards ignorance not science or religion, thus we have to contemplate such matters and discuss them thoroughly

before deciding. By doing so, we will be able to shed light on the corruption of such ideas and, hence, prove our point and support our attitude.

This has been the attitude of An-Nadim in viewing the "Other's" culture and civilization. In other words, he stresses on knowing what the "Other" has and thinks of, and on making our belief and cultural belonging as a basis for deciding on what to accept and what to reject. In fact, this is the Qur'anic methodology; Allah, Exalted and Glorified be He, says:

{Say, "Offer your proof, in case you be sincere."}

[Al-Baqarah (The Cow): 111]

He also says:

{Say, "Do you have in your presence any knowledge, so you can bring it out to Us?"}

[Al-An`am (Cattle): 148]

Moreover, Allah, the Almighty, says:

{Come up to me with a Book even before it, or some relic of knowledge, in case you are (truly) sincere."}

[Al-Ahqaf (The Sand-Dunes): 4]

On the other hand, the methodology of the disbelievers is represented in obscuration and egocentrism. About them Allah says:

{And the ones who have disbelieved say, "Do not give ear to this Qur'an, and talk idly about it, that possibly you would overcome."} [Fussilat (Expounded): 26]

[*]The Other Face of the Confrontation between The East and the West...!

By: Dr. Muhammad Imarah

According to the developmental project expressed by the great scholar Abdullah An-Nadim [1261-1313 A.H./1845-1896 A.D], we find the confrontation between the project to which An-Nadim belongs, namely the revival and renovation trend, and the "other project" of the imperialistic West and its religious missionaries, and moral and cultural invasion. There are also the "mercenaries and agents" who adopted the attitude of subordination and have become like manipulated tools in the hands of the imperialistic West against our countries.

The West, as an imperialistic project, and its European countries, employed the international system and treaties to solve their differences and unify their word against the East with the aim of invading it. Their attitudes have been focused on keeping the European unity, whatever the international issues may be, and directing intentions towards colonizing the East.

The imperialistic West tries to conceal its malicious aims directed to economic plundering, political autocracy, racial arrogance, moral and cultural distortion and religious fanaticism. In doing so, it resorts to false slogans about "reform and modernity." This is due to the fact that no European country has invaded any country of the East under the name of occupation; rather, it invades such a country under the name of reform and modernity, and cutting off the sources of ignorance from the world. These

[*] An Article Published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.

are but false claims and void excuses invented out of the West's love for autocracy and tyranny. Such countries claim to be the protectors of freedom and, in fact, they know nothing about its meaning.

In order to justify invading our countries and looking down on our cultures, the West, as ruling circles and massive public, has resorted to distorting the image of Islam in the eyes of our children. For more illustration, there is a big lie, spreading among the West, says, "The Arabs adopted banditry as a means for getting wealthy, and thus they took for themselves a leader, whose name was Muhammad Ibn Abdullah (i.e., Allah's Messenger), and walked under his flag. They attacked other nations and plundered their riches. When their word became the highest, their leader (i.e., the Messenger) claimed to be a Messenger sent by Allah and began to state and establish the teachings of a new religion."

The Western invasion against our countries is not just an occupation of the land and plundering of the wealth, but it is an invasion against morals and values as well. It aims at loosening the Islamic tie, and substitute the savage modernity for the Eastern modernity committed to the values and principles of religion.

Under the title "The European Infection Spread into the Countries of the East," An-Nadim says, "Whoever compares the conditions of the countries of the East before being colonized by the Europeans shall see a massive difference as far as morals and values are concerned. When the Europeans entered the countries of the East, they corrupted the morals of both men and women due to what they came with under the name of modernity which was, indeed, a returning to the life of bestiality."

enjoyed a high status in many tribes. Nevertheless, the clever historian did not bother himself talking about woman's high rank and status during the Pre-Islamic period except to surprisingly state, "And if we should look into those beautiful poetic verses [he refers to some poetic verses of the Pre-Islamic era speaking highly about woman], we could see that they are sufficient to reply against those claiming that Islam has raised the social rank of women." Here, we came to realize the true reason behind such praise; a direct, clear missionary purpose. The noted historian found it hard to admit that Islam supported and honored women and raised them to a higher status ever known in history. From his own point of view, tremendous scientific efforts must be exerted to eliminate such a truth. That would be through shedding light on what was said about women in poetry before the Pre-Islamic period, so as to spread a lie that Islam did not do anything worth-mentioning to women.

Before we refer to the sublimity and reform Islam offered to women, we may declare that the *Jahiliyyah* was the cradle for Islam, and Allah chose it to receive the Heavenly Message, Islam. In fact, we agree with Nicholson when he says that the Arab Peninsula was witnessing noble and honorable values during its early time. However, the Arab Peninsula was not witnessing good values and virtues everywhere as it combined both the attributes of evil and good, and wrong and right. When Islam came, it began to support the elements of good and get rid of the elements of evil; Islam kept every moral element and eliminated every malicious one. With regard to the issue at hand, Nicholson mentioned the extract of what he read about the high rank women enjoyed during the *Jahiliyyah* and disregarded undeniable aspects about their humiliation and degradation. He said that women at that time had the right to choose their husbands and the right to fight in battles. Verily, that was true but for only some women not all of them.

If Nicholson was not specialized in the Islamic culture and the Islamic history, we would excuse him with regard to such an attitude. In fact, he was one of those who wrote numerous books on the early years of Islam. His books would indicate that he had read the Qur'an, the Prophetic *hadiths* and the history of the Prophet's Companions, so how could he ignore the harms and acts of humiliation befalling women at the *Jahiliyyah*, and that Islam came to invalidate and remove such acts and harms! Could he be one of those ignoring that the Arabs, at the Pre-Islamic years, were killing their daughters by burying them alive so as to escape shame, and that Islam prohibited such a crime. In support of this, Allah, Exalted and Gloried be He, said:

{And when one of them is given the tidings of (the birth) of a female, his face lingers blackened and he is ever-repressed (with sorrow). He disappears from (the sight) of the people because of the odious tidings (given) him, whether he shall retain it in degradation, or shove it in the dust. Verily, odious is (the way) they judge!} [An-Nahl (The Bee): 58-59]

Moreover, Allah, the Ever-Merciful, says:

{And when the female infant buried alive shall be asked, for whichever guilty deed she was killed.}

[At-Takwir (The Rolling): 8-9]

How could Nicholson ignore that Islam has exhorted towards equality between man and woman regarding the financial matters, punishments, knowledge seeking, as well as towards all that which involves the reformation and uprightness of the soul, mind and body! How could he ignore that women were excluded from inheritance and that Islam invalidated that and entitled women to inherit! How could he ignore an endless number of favors granted to women under Islam!

After that, can any one claim that Islam did not do anything for the sake of women or that they enjoyed untouchable rights during the *Jahiliyyah*? The truth became clear and nothing after the truth except falsehood.

there by the cultural centers of the Arab countries in addition to teaching Portuguese at the language departments here in Egypt. It would be appropriate to mention that Brazil is the largest country in South America and has borders with all the countries of the continent except for two countries, Ecuador and Chile. Its total area is 8,547,404 sq km, and its population amounts to 175 million peoples. Brasilia is its capital, and Rio de Janeiro and Sao Paulo are considered the most important towns. Brazil is well-known for its exports of coffee beans in addition to sugar cane, wheat, corn, cotton, cocoa and coconut oil. Moreover, it has oil wells and mines of iron, copper, zinc, gold, manganese and coal. The current president is Luiz inacio lula da Silva.

Egypt's Foreign Minister, Ahmed Abu Al-Gheit, expressed his optimism about the summit saying, "The Arab-Latin Summit is considered a starting point for opening horizons before the expansions of cooperation and the achievement of mutual understanding between the two sides around the importance of moving together in a real partnership towards serving the issues of the Arab and South American countries, especially the issue of development so as to achieve welfare and progress." He indicated that there are hopes around increasing the rates of tradeoffs and investment of energies and capabilities of each party, establishing direct airways and free trade zones, as well as taking the initiative as regards defending the cases of the developing nations.

Woman between *Jahiliyyah*[1] and Islam...!

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

The renewed British Orientalist, Reynold Nicholson, has 'great' efforts in the area of Arab literature. He is among those who deeply study Islam and oriental literature, including Arab, Persian and Turkish. He has also deep studies on Farid El-Din Al-Attar, Umar Al-Khayyam, Al-Shams Al-Tabrizy, Al-Mas`udy, Muhammad Iqbal, Mohey Al-Din Ibn Araby as well as others of the men of Islamic thought. About him, the well-known scholar Ahmad Hassan Al-Zayyat said, "Nicholson's studies and researches in Arabic literature show a great value seen clearly in the straightforward methodology, clear style, and powerful understanding of the different effects and factors forming the Arabic literature." I was hoping if what was said by the great scholar, Al-Zayyat, could be generalized to include all the chapters of Reynold's book on the Arabic literature. That is, when I read that book, I felt the strength of patience, excellence of deduction and extension of horizon. However, you can feel this as far as Islam in its early years is not concerned. In other words, in such positions tackling the early years of Islam, we feel the clear purpose and the personal inclination which we hope such a professional researcher and historian be free of.

I read what the great historian mentioned about the Arab woman and her status during the Pre-Islamic period. He was raising her to a status higher than we could perceive. I was amazed to see the British Orientalist talking about the woman during the Pre-Islamic time in a way full of compassion and consideration. Hence, I was tempted to say that this man was free of fanaticism and partiality. Moreover, he described the Arabs in a fair, moderate manner when he referred to their noble, praiseworthy qualities. On our side, we cannot deny that woman during the Pre-Islamic time

[1] *Jahiliyyah*: The Pre-Islamic period of ignorance.

as this goes back to the expansion of the gap of hatred between the current US administration and the Arab World. That was clear in the words said by Hugo Rafael Chávez, the Venezuelan President, who was among the attendants of the summit. He criticized the sovereignty the US practices over the whole world saying, "Holding the first Arab-Latin summit is considered a reply to the sovereignty practiced by the US." Chávez described the US occupation of Iraq as "a suppression of the nation's sovereignty." Furthermore, he ascribed the reasons behind the massive spread of killing and destruction to the way followed by Washington derived by its wish to overwhelm the entire planet. Chávez considered the United States of America the most violator of human rights at the time it would talk about democracy and protection of such rights.

It is worth-mentioning that the Arab-South American Summit has succeeded in founding the bases of a new kind of relations between two similar areas, including about 600 million peoples. The summit's goals have been to minimize the dependency and subordination to the United States and Europe, as well as to strengthen the alliance between the Arabs and South America in the United Nations and the World Trade Organization. It also exhorts towards promoting the trade exchange and investments between the two sides. Moreover, it has stressed the importance of driving attention towards the economic growth between the two sides. Encouragingly, the summit has resulted in the establishment of a free trade zone between the countries of South America

and the countries of the Gulf Cooperation Council (GCC), in addition to dozens of important economic projects. Further, it has given rise, and provided support, to the Arab issues suffering suffocation and repression at the international scenes. Among the significant results of the summit is that it has built a close relation as well as a mutual acquaintance between the countries of the two sides and removed a huge cloud covering the existence of an ancient civilization far away from the clashes between civilizations; a civilization following peaceful coexistence among nations.

The mutual understanding prevailing between the Arab and South American countries has surprised the political analyzers. That surprise would vanish if they would know that the Arabs have racial extension into the countries of South America, in general, and Brazil, in particular. The proof of this is that there are more than ten million Brazilians of Arabic origins. Also, the Arabic habits and traditions still inherited there and passed from one generation to another, especially in Sao Paulo, where the biggest Arab gathering is. It is worth noting that this famous town once had a mayor of an Arabic origin, and a TV broadcasting station owned by a Brazilian of an Arabic origin.

There is a hope of creating an atmosphere of communication and close relation between the Arab and South American countries, especially Brazil. That may be through directing attention to teaching Arabic

AL-AZHAR MAGAZINE

Jumadal-Akhrira 1426 A. H.

ENGLISH SECTION

July. 2005

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah,Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

The Arab-South American Summit...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The Arab-South American Summit did not witness the publicity it deserved, neither at its beginning or at its end. That made many people think that it would be a normal insignificant conference. Moreover, some entities used their means to block its news and keep it in the dark.

Nevertheless, the summit, at its end, surprised the political observers with a final statement involving some powerful decrees. Such decrees would call to the necessity of respecting the international law and legality, as well as the termination of the Israeli occupation of the Arab and Palestinian lands and to make Israel return to the borders of the 4th of June 1967 in addition to the removal of the Jewish settlements including those in the occupied part of Jerusalem. Additionally, the statement censured the American sanctions imposed on Syria. The statement stressed also on the right of any nation to resist the foreign occupation, and it showed a powerful support to the Arab issues.

This summit was considered the first of its kind to be held among the Arab countries and South America. The United States of America did not seem to be satisfied with the summit as it did with other less important conferences; rather, it received it with dissatisfaction and worry. There is no surprise in that

الفهــــــرس

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

الأزهر

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً - الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً
أوربا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

رجب ١٤٢٦هـ - أغسطس ٢٠٠٥م - الجزء السابع - السنة الثامنة والسبعون

افتتاحية العدد

الثقافة الإسلامية رابطة أصيلة

-١-

حين أخذت العلوم الإسلامية تزدهر فى فاتحة العصر العباسى، أقبل العلماء والباحثون على تدوين التراث الإسلامى دائرًا فى فلك القرآن الكريم وحديث رسول الله ﷺ، إقبالاً مثمرا مفيدا؛ فظهرت مؤلفات قيمة فى الفقه والتفسير والحديث وتاريخ الصحابة كان مؤلفوها خالصى النية للبحث العلمى الذى لا يعتمد على غير النصوص الواضحة، ورائدهم الإخلاص العلمى فيما يدونون، ولم يدر ببال أحد من هؤلاء أنه ينتمى إلى العرب أو غير العرب، فالخليل بن أحمد حين كتب معجم العين لم يدر بخلده إلا أنه مسلم يؤمن ببلغة القرآن ويدعو للإحاطة بمعانى مقرراتها، لتكون وسيلة لفهم الكتاب العزيز، وسيبويه الفارسى لم يدر بخاطره أنه فارسى حين ألف (الكتاب) خاصًا بمسائل النحو فى العربية فكان أول كتاب فى موضوعه وما برح إلى الآن المرجع الأول للدارسين فى هذا الفن، ثم انثالت الكتب المختلفة فى فروع الدين واللغة حتى كتبت فهارس خاصة بأسماء هذه الكتب التى تعددت فى مناحى الثقافة الإسلامية بحيث تجد فى تفسير القرآن عشرات الكتب. وكذلك فى تدوين الحديث وشرحه، وفى مسائل الفقه على تعددأئمته الذين بذلوا الجهد الخالص فى استنباط أحكامه وتقرير قواعده على أحسن وضع يتاح، وبهذه الكتب أصبح لدينا من علماء الإسلام فى كل بلد إسلامى فى العراق والشام ومصر والمغرب والهند وفارس والأندلس من أكملوا التراث الإسلامى إكمالاً رائعا لا يكاد يوجد نظيره فى تراث دين آخر، وكانت الحدود الجغرافية لا تمنع اتصال علماء المشرق والمغرب، وتتيح لكل رحالة من طلبة العلم أو ممن يزاولون التجارة أن ينتشروا فى شتى الأماكن دون عائق ولا يسأل أحد عن موطنه سؤال الغريب الوافد بل سؤال الأخ القادم على إخوته فى الدين، يبادلهم الرأى ويشاطرهم التفكير، بل إن من العلماء من آثروا البقاء فيما نزحوا إليه من البلدان إذ رأوا من حسن الاستقبال وبشاشة المودة ما هيأ لهم أن يكونوا أساتذة يجلسون فى مكان الصدارة من الحلقة العلمية، ولكن ضعف الدولة العباسية، وانقسامها إلى عدة دويلات صغيرة أو كبيرة، أقام فى بعض النفوس ما يشبه العصبية للإقليم، وأقول فى بعض النفوس لأن الكثرة الواعية كانت تعلم أن الحدود الجغرافية مصطنعة من أجل سياسة الحكم، أما الوطن الإسلامى فوحدة متكاملة متفقة فى آمالها وآلامها، وتتحدد فى مشاعرها وعواطفها. هذه الفئة القليلة أخذت تفاخر بما أنتجت من مؤلفات، وممن أبرزت من علماء! ثم تقارن مالديها بما لدى غيرها من الدول المجاورة، ووجدت من تشجيع الولاة على دراسة العلم، وإحياء حركة التأليف، ما بعثها إلى استضئال مكانة الآخرين، وهنا نشأ نوع من التعصب والتباهى، والانتقاص لآثار الغير، وهو نشاز أليم ساعد على تآكل الوحدة الإسلامية، ونزل من ورائه من يحذون حذوه من قالة السوء فإذا كل إقليم ينظر إلى غيره نظرة المنافس المناضل. لا الأخ المعاون النصير، وظهرت عصبية فرقت الرأى الإسلامى لم تكن موجودة من قبل، وانتهز دعاة السوء دخانها المتصاعد، فوضعوا الزيت على النار فازدادت اشتعالا وغفل هؤلاء عن شىء هام ما كان يجب أن يغفل عنه الغافلون، هو أن القرآن الكريم، والحديث النبوى الشريف أصل أصيل لكل هذه المؤلفات. كأنها ترد موردهما، وتستقى من نبعهما، وإذا اتحد الأصل، فإن كل فرع مهما اختلف لونه، وتعدد ثمره فلابد أن يرجع إلى أصله غير مجذوم عنه ولا منقطع، ولو رجعوا للأصل لالتقوا على أمر سواء.

أعلام السنة أخذوا عن الشيعة

إن المشاهد فى تاريخ العلم أن الصدر الأول من علماء العصر العباسى، كانوا ينظرون إلى الدرجة العلمية والخلقية حين يأخذون الرواية عن قائلها، دون نظر إلى غيرها، فالدرجة العلمية إذا كانت وافية تشهد بجدارة صاحبها، وتفوقه العلمى فهى من هذه الناحية المرجح الأول فى القبول، والدرجة الثانية التى لا يتم الترجيح بدونها هى الدرجة الخلقية إذ لا دين لمن لا أمانة له، بل إن الأمانة تكون موضع احترام من لم يتأهل للعلم، فحسبه أنه رضى الخلق حميد السيرة، ولا يكون العالم المحيط جديرا بالاحترام إذا تخلى عن الأمانة العلمية فى شىء، وكتب التاريخ التى دونت فى هذا العصر تحفل بآراء العلماء من كل بلد دون تفريق بين عربى وغير عربى، ولا أقف عندها لأن التاريخ بالغا ما بلغ، لا يبلغ درجة رواية الحديث الشريف، إذ وضعت له من

الضوابط والقيود ما يُحترز به من الخطأ، وقد كانَ رُواة الحديث الكبار أمثالِ أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم، لا يذهبون في الشك مذهب مَن يبحث عن أصل الراوي ومَنبعه بل مذهب عدالته وتوقه بما يرويه، فقد كانَ عديّ بن ثابت بن قيس عالم الشيعة وقاضيهم وإمامَ مسجدهم، وقد وثّقه الدارقطني وأحمد بن حنبل والنسائي، وقال أبو حاتم الرازي عنه إنّه صادق صدوق، وكذلك كانَ منصور بن أبي الأسود الليثي الكوفي الخياط من أئمة الحديث، وروَى المحدثون أحاديثه لصدقه وعدالته وهو شيعي أمينٌ، بل كانَ الإمام أبوالحسن علي بن عاصم الواسطي من طَبقة شيوخ الإمام أحمد بن حنبل، وكان يحضر مجلسه أكثرُ من ثلاثين ألفا فلا يَبْقى في بغداد عالم ذُو مكانة إلا شهد مجلسه، وقد جاء في كتاب الكفاية للخطيب البغدادي أن المعتصم الخليفة العباسي كان يختلف إلى مجلس أبي الحسن علي بن عاصم هذا، فَسمعه يَروي حديثاً عن عمرو بن عبيد، فقال له أتَروي عن عمرو ابن عبيد وهو قدري؟ قال: نعم أروْي لأنه ثقة! وكانَ عبيد الله بن مُوسى العبْسي من كبارعلماء الشيعة وروَى عنه الإمام البخاري ما رواه، وكذلك روَى عنه أبوحاتم الرازي، وأبوبكر بن شيبة وكثيرٌ من الفضلاء! وقد وثّق يَحيى بن معين كثيراً ممن شاهدهم من أعلام الشيعة وقالَ عن كل مَن تحدث عنهم إنّه صدوق، فإذا كانَ أهلُ السنة يَقبلون روايات الخوارج والقدريّة لأمانة من قالوها وثقتهم بهم، فهم لروايات عُلماء الشيعة أسرع، وبهم أوثق، وكانَ على الذين يتربّصون بالمسلمين الدوائر ألا يَبحثوا عن أقاويل ذَكرها من لا يُؤمنون على العلم، فَيفتحون بها باباً للخلاف يسرهم أن تتسع شقّته، وقد راجَ هذا الدجل الكاذب في عصورِ الضعف العلمي، ولكننا نرجع إلى الحقيقة الآنَ حين نعتبر الثقافة الإسلامية قاسماً مشتركا بَين جميع المسلمين، وفي مقدّمتهم أهل السنة والشيعة دون تميز.

وإذا كانت كتب التاريخ تجمعُ الغث والسمين، لأنها تقومُ قديمًا على الرواية والإسناد، فإنّها بما جَمعت من الأخطاء كانتْ إحدى بواعث الضغينة بين الأخوين المتجاورين، لأن أصحاب الأهواء، جُعلوا يلتقطون من روايات المتأخرين، ما يدلّ الواقعُ على بطلانه، وفيهمُ من يجمع هذه الترهات في مؤلَف مُتصل ليُشعل نار الفتنة بين المسلمين، ونحنُ نعرف أن المؤرخ من تلاميذ الطبري ومن جاء بعده، كانَ ينقُل الروايات الضعيفة مَع الروايات الصحيحة، تاركاً التمحيص الدقيق لرجاله، ومَن قدمَ إليهم الوثائق الدالة ليقُوموا بالنفي أو الإثبات، فمن الغفلة أن نأتي لرواية كاذبة ذكرها مؤرخ عجول، ونجعلها بمنزلة الصواب، إذ لابد من الترجيح والتعديل!

طه حسين والشعر الجاهلي



طه حسين

ونشير هنا إلى شيء مهم حاول المغرضون أن يَنفخوا في ناره، ليجعلوه لهباً ممتدا يحرق الأخضر واليابس، وهو في صُورته الحقيقية دُخانٌ انتشر سوادُه من نفثات بعض الشعراء الّذين يهمّهم بعضُ الاستظراف في القول دُون تحقيق، ومن ثُلة من المؤلفين الّذين يريدون التباهي بانتسابهم إلى دولة الفرس تباهيا تنكره النزعة الإسلامية المنادية بأنّ الناس جميعا على حدّ سواء، فلاَ فضلَ لعربي على عجمي إلا بتقوى الله، هذه الفئةُ القليلة التي نَشرتْ دُخانَها المتصاعد ليست مقياساً عاما لكلّ أعجمي، بل هي تُصوّر بعض المنازع الخاصة لقوم يحبونَ المباهاة في غير طائلٍ دون أن يُصوّروا ظاهرة عامة تنطبقُ على الجميع، بدليل أنّ العرب أنفسهم قد وقَع بينهم النزاع الذى أدّى إلى الحرب حينا، فهذا قيسيّ وهذا يمني، وهذا تميميّ، وهذا أسَدى، ولم يكن هذا النزاع غيرُ دخان يُحدث السواد المتطاير، ولا يدلّ على ظاهرة عَربيّة، لأن المتنازعين جميعا عربٌ أقحاح فإذا قال قائل منهم:

قَبح الإله بني كليب إنهم ... لا يحفظون محارم الجيران

أو قال:

فغضّ الطَرف إنّك من نمير ... فلا كعباً بلغت ولا كلابا

أو قال قائل:

أخزى الذى سمك السماء مجاشعا ... وبنى بناءَك في الحضيض الأسفل

أو قال:

ونحن أناسٌ لا نرى القتل سبة ... إذا ما رأته عامر وسلول

فلسنا نأخذ من ذلك ما يدل على انقسام عربي يعصف بالوحدة العربية كما إذا قال بشار:

ونبئت قوما بهم جنة ... يقولون من ذا، وكنتُ العلَم

ألا أيها السائلي جاهدا ... ليعرفني أنا أنف الكرم

نمت في الكرام بني عامر ... فروعي وأصلي قريش العجم

و قال أبو نواس:

تبكي على طلل الماضين من أسد ... لا در درك قل لي من بنو أسد

ومن تميم وغيلان ولفهما ... ليس الأعاريب عند الله من أحد



محمد فريد وجدى

فإن هذه الأبيات الطائفية، تدلّ على نزعة شخصية، وليست تصوّر نزعة عامة يحتفل بها المستشرقون فيشعلون نارها، ويضخمون معنى الشعوبية إلى الحدّ الذى تنكره الحقائق الواضحة، ولعلّ أكثر من روّج هذه الدعوى فى عصرنا الحاضر هو الدكتور طه حسين، حيث قال فى كتاب الشعر الجاهلى:

لم يكد ينتصف القرن الأول للهجرة، حتى كان فريق من سبى الفرس قد استعرب وأتقن اللغة واستوطن البلاد العربية، فأخذ هذا الشباب الفارسى الناشئ يتكلم لغة العرب، ويحاول نظم الشعر، ويجاوز هذا إلى مشاركة العرب فى أغراضهم الأدبية والسياسية، ولم يكن هؤلاء الموالى مخلصين للعرب حقًا، وإنما كانوا يستغلون هذه الخصومات السياسية، ليعيشوا وليحيوا حياة السادة الأحرار، ثم ليشفوا ما فى صدورهم من غلّ للعرب، ولعلك تلاحظ أن الكثرة الكاثرة، من العلماء كانوا من العجم الموالى، وكانوا يستظلّون بسلطان الوزراء من الفرس أيضا، وكانت غايتهم قد استحالت من إثبات سابقة الفرس فى الملك إلى ترويج هذا السلطان الذى اكتسبوه أيام بنى العباس، وإقامة الأدلة على أن الأمر قد ردّ إلى أهله وأنّ العرب الذين حيل بينهم وبين السيادة الفعلية لم يكونوا أهلا لتلك السيادة.

فريد وجدى يرد على طه حسين

هذا كلام الدكتور طه: وقد ردّ عليه الأستاذ الكبير محمد فريد وجدى قائلا:

«الذى يستخلص من هذا الكلام أنّ هؤلاء الموالى قد عمتهم روح الشر، فلم يكونوا مخلصين فى عملهم، فهبّوا ينظمون الشعر، ويتدخلون فى السياسة، ويطلبون العلم ليستعيدوا ما كان لقومهم من سيادة على العرب، وليشفوا ما فى صدورهم من غل عليهم، وقد نجحوا فى ذلك بممالأة الوزراء لهم، وكان جلّهم من أبناء جلدتهم، وهذا كلام فى نظرنا بعيد عن التحقيق، فإنك رأيت أن هؤلاء الموالى نالوا السيادة على عهد بنى أمية، ولم يكن إذ ذاك من وزراء الفرس من يؤيدهم، بل كان الأمر كله بيد العرب، ولم يشعر العرب أنفسهم وهم أهل ذكاء وفطنة أنّ هؤلاء الأعلام، من الفرس الذين توزعوا سيادة الأقطار فى العلم كانوا يضمرون السوء لهم، ويبعد عن العقل أن أمة برمتها، فى يدها الحكم، تغضى عن نية شر يضمرها لهم فئة من الناس فتخول لهم قيادتها العلمية، وسيادتها الدينية، كما يبعد عن العقل أن تجمع هذه الفئة على هذه النية الفاجرة، ولا يفتضح أمرها لهذه الأمة، حتى يقوم أديب بعد مضى ثلاثة عشر قرنا فيكشف عن دخيلة أمرهم، فلم يكترث بما كشفه أحد».

الأزهر الشريف والتفتح العلمى

فلنترك المبالغة فى تضخيم، أثر الشعوبية، فى العصر العباسى الأول، ولنلتفت إلى ظاهرة أخرى من ظواهر التفكك الذى حدث بعد عصر الوحدة الإسلامية فى صدر الدولة العباسية، حتى عهد المتوكل، إذ نحن نعلم أن رجال السياسة فى عصور التفكك والانحلال.. قد ساعدوا على تأريث الشقاق بين أفراد الوطن الإسلامى لأمور خاصة يراها الحاكم مما يثبت أركان دولته، ولكن رجال العلم فى شتى الأقطار المترامية فى العالم الإسلامى كانوا بمنأى عن هذه النقيصة، والأزهر الشريف فى مصر أحد الأمثلة الدالة على التفتح العلمى الملم بكل ما يجدّ لدى المفكرين فى العالم الإسلامى، فقد كانت علومه الدينية لا تقف عند مؤلفين بأشخاصهم بل إنّ الكثير منها كان من تأليف إخواننا فى ربوع العالم الإسلامى، ففى باب التفسير كانت شروح النسفى والبيضاوى والفخر الرازى والزمخشرى والنيسابورى تعد دروساً يومية تناقش فى حلقات الدرس، وعليها حواشيها التى احتفل بتدوينها من جاءوا بعدهم من المفسرين، وفى مجال الحديث كانت مجموعات البخارى ومسلم والبيهقى وابن ماجه والترمذى تتداول فى هذه الدروس، أما البلاغة وهى أقرب إلى الانتماء العربى الخالص، فقد كان من مددها العلمى ما كتبه القزوينى والسكاكى والشيرازى والسعد التفتازانى والسيد الجرجانى! وأذكر أنى شرحت الإيضاح للخطيب القزوينى من مدى قريب على طلاب كلية اللغة العربية بالأزهر، كما أنّ من العمد الأصيلة فى دراسة البلاغة بالأزهر كتابا الإمام عبدالقاهر الجرجانى، دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، ولم يحظ مؤلف بلاغى حظوتهما فى السيرورة، والذيوع، إذ تعددت طبعاتهما، وتعدد محققو هذه الطبعات، وعبدالقاهر الجرجانى مثل رائع للعقلية الإسلامية التى هضمت البيان العربى، والفكر المنطقى، على نحو جعل البيان ضربا من ضروب الفكر الإنسانى فى أرقى مجاليه! وإذن فالتراث الإسلامى ممتد متصل لا تعوقه حوائل النزعات الشخصية! ومما يجب أن أذكره بالتقدير ما قام به علماء الهند الأخيار فى القرن الماضى من إحياء لكتب السنة المطهرة، فقد قاموا بنشر مخطوطات ثمينة لم نسمع بها من قبل وأبرز هؤلاء الأفاضل من نفاذ البصيرة، وقوة النظر، وسلامة الرأى ما أجلسهم مجلس الصدارة فى هذا الميدان! وتداول الكتب التراثية بين العالم الإسلامى يشعر كلّ بلد أنه ليس وحده، وأنّ بلادا أخرى تشاطره همومه وأشواقه، وأضرب مثلا بكتاب الأمالى لأبى على القالى، فقد ألفه عراقى هو أبوعلى، وشرحه أندلسى هو البكرى، وقام على تحقيقه وطبعه عالم هندى هو الأستاذ عبدالعزيز اليمنى، وطبعته لجنة مصرية هى لجنة التأليف والترجمة والنشر، فقل ما شئت فى هذا المثل الذى جمع البغدادى والأندلسى والهندى والمصرى على هوى واحد هو حب التراث العربى والأدب الإسلامى!

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

قال تعالى:

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾

الآيات: ٧٥ : ٧٦

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الإمام الرازى: اعلم أن تعلق هذه الآية – وهى قوله:

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾

بما قبلها من وجهين:

الأول: أنه – تعالى – حكى عنهم فى الآية المتقدمة أنهم ادعوا أنهم أوتوا من المناصب الدينية ما لم يؤت أحد غيرهم مثله، ثم إنه – تعالى – بين أن الخيانة مستقبحة عند جميع أرباب الأديان وهم مصرون عليها فدل هذا على كذبهم.

والثانى: أنه – تعالى – لما حكى عنهم فى الآية المتقدمة قبائح أحوالهم فيما يتعلق بالأديان وهو أنهم قالوا

﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾

حكى فى هذه الآية بعض قبائح أحوالهم فيما يتعلق بمعاملة الناس، وهو إصرارهم على الخيانة والظلم وأخذ أموال الناس فى القليل والكثير.

قال ابن عباس: أودع رجل عند عبدالله ابن سلام ألفاً ومائتى أوقية من ذهب فأداها إليه. وأودع رجل آخر عند فنحاص بن عازوراء اليهودى ديناراً فخانه فنزلت الآية (1).

والمعنى: إن من أهل الكتاب فريقاً إن تأمنه على الكثير والنفيس من الأموال يؤده إليك عند طلبه كاملاً غير منقوص، وإن منهم فريقاً آخر إن تأمنه على القليل والحقير من حطام الدنيا يستحله ويجحده ولايؤديه إليك إلا إذا داوم صاحب الحق على المطالبة بحقه واستعمل كل الوسائل فى الحصول عليه.

فالآية الكريمة قد مدحت من يستحق المدح من أهل الكتاب وهو الفريق الذى استجاب للحق وآمن بالنبى ﷺ كعبدالله ابن سلام وأمثاله من مؤمنى أهل الكتاب. وذمت من يستحق الذم منهم وهو الفريق الذى لا يؤدى الأمانة، ولم يستجب للحق، بل استمر على كفره وجحوده، وهذا القسم يمثل أكثرية أهل الكتاب.

والمراد من ذكر القنطار والدينار هنا العدد الكثير والعدد القليل. أى أن منهم من هو فى غاية الأمانة حتى أنه لو اؤتمن على الأموال الكثيرة لأداها، ومنهم من هو فى غاية الخيانة حتى أنه لو أؤتمن على الشىء القليل لجحده.

وقوله:

﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾

استثناء من أعم الأحوال أو الأوقات. أى لا يؤده إليك فى حال من الأحوال أو فى وقت من الأوقات إلا فى حال أو فى وقت مداومتك على طلبه، والإلحاح فى

---

(1) تفسير الفخر الرازى جـ ٨ ص ١٠٧.

ذلك، واستعمال كل الوسائل للوصول إلى حقك.

قال الجمل: و﴿ دمت ﴾ هذه هى الناقصة، ترفع وتنصب، وشرط إعمالها أن يتقدمها ما الظرفية كهذه الآية: إذ التقدير إلا مدة دوامك. وأصل هذه المادة للدلالة على الثبوت والسكون. يقال: دام الماء، أى سكن. وفى الحديث: «لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم» أى الذى لا يجرى.. ومنه دام الشىء إذا امتد عليه زمان. ودامت الشمس إذا وقفت فى كبد السماء وقوله: ﴿ عَلَيْهِ ﴾ متعلق بقوله: ﴿ قَآئِمًا ﴾ والمراد بالقيام الملازمة، لأن الأغلب أن المطالب يقوم على رأس المطالب، ثم جعل عبارة عن الملازمة وإن لم يكن ثمة قيام[٢].

قال ابن جرير: فإن قال قائل: وما وجه إخبار الله بذلك نبيه ﷺ وقد علمت أن الناس لم يزالوا كذلك، منهم المؤدى أمانته ومنهم الخائن لها؟ قيل: إنما أراد - عز وجل - بإخباره المؤمنين خبرهم على ما بينه فى كتابه بهذه الآية، تحذير المؤمنين من أن يأتمنوهم على أموالهم، وتخويفهم من الاغترار بهم، لاستحلال كثير منهم أموال المؤمنين[٣].

ثم حكى - سبحانه - بعض الأسباب التى جعلتهم يبررون خيانتهم وجحودهم لحقوق غيرهم فقال - تعالى -:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ ﴾

وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى ترك الأداء المدلول عليه بقوله - سبحانه -: ﴿ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ ﴾.

والمراد بالأميين: العرب، خصوصاً من آمن منهم، وسمى العرب بالأميين نسبة إلى الأم، وذلك لغلبة الأمية عليهم لكأن الواحد منهم قد بقى علي الحالة التى ولدتهم عليها أمهاتهم من عدم القراءة والكتابة.

والسبيل: المراد به: الحجة الملزمة والحرج. وأصله الطريق، ثم أطلق على الحجة باعتبارها طريقاً ووسيلة للإلزام وتحمل التبعات.

أى: ذلك الامتناع عن الوفاء بالعهود، وجحود الأمانات والحقوق من الفريق الخائن. سببه زعمهم الباطل أنهم ليس عليهم حرج أو إثم أو تبعة فى استحلال أموال العرب الأميين واستلابها منهم بأية طريقة، لأن الأميين ليسوا على ملتهم.

واليهود يزعمون أن كتابهم يحل لهم

(٢) حاشية الجمل على الجلالين جـ ١ ص ٢٨٨.

(٣) تفسير ابن جرير جـ ٣ ص ٣١٧ طبعة مصطفى الحلبى.

قتل من خالفهم، كما يحل لهم أخذ ما له بأى وسيلة. وهذا الخلق الذميم معرق فى اليهود، لأن أنانيتهم جعلتهم يحرفون كتبهم على حسب ما تهوى نفوسهم، فقد كانت التوراة تحرم الربا تحريماً مطلقاً فتقول: «لا تأخذ ربا من أخيك إذا أقرضته» فحرف اليهود هذا النص: إذ زادوا فيه كلمة الإسرائيلى فأصبح النص هكذا «لا تأخذ ربا من أخيك الإسرائيلى إذا أقرضته» وبذلك أصبحوا يحرمون الربا عند تعاملهم مع أنفسهم ويحلونه عند تعاملهم مع غيرهم، لأنهم لا يشعرون بالأخوة الإنسانية العامة.

قال الآلوسى: أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: بايع اليهود رجال من المسلمين فى الجاهلية فلما أسلموا تقاضوهم عن بيوعهم فقال اليهود: ليس علينا أمانة ولا قضاء لكم عندنا، لأنكم تركتم دينكم الذى كنتم عليه، وادعوا أنهم وجدوا ذلك فى كتابهم.

وقال الكلبى: قالت اليهود: «الأموال كلها كانت لنا، فما فى أيدى العرب منها فهو لنا، وأنهم ظلمونا وغصبونا فلا إثم علينا فى أخذ أموالنا منهم»[٤].

وقوله - تعالى -:

﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

رد عليهم فيما قالوه من أنهم ليس عليهم فى الأميين سبيل، وتكذيب لهم فيما زعموه، لأن قولهم هذا ما أنزل الله به من سلطان، ولا يؤيده عقل سليم، إذ المبادىء الخلقية الفاضلة يجب أن تطبق على جميع الناس بدون تفرقة بينهم.

والمعنى: أن هؤلاء اليهود الذين يجحدون الأمانات متذرعين بقولهم:

﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ ﴾

يفترون علي الله الكذب فى قولهم هذا، وهم يعلمون أنهم كاذبون، لأنهم ليس عندهم فى كتبهم نص يبيح لهم استحلال أموال العرب وخيانتهم، وإنما الذى تأمرهم به كتبهم هو أداء الأمانة لمستحقيها بالمعروف.

وقوله: ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ جملة حالية من الضمير فى ﴿ يَقُولُونَ ﴾ ومفعول العلم محذوف اقتصاراً، أى وهم من ذوى العلم. أو اختصاراً، أى يعلمون كذبهم وافتراءهم.

ولقد بين النبى ﷺ فى أحاديث متعددة أن الأمانة يجب أن تؤدى إلى البار والفاجر، ومن ذلك ما أخرجه ابن جرير عن سعيد بن جبير أنه قال: لما نزلت:

﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ ﴾

(٤) تفسير الآلوسى جـ ٣ ص ٥٠٢.

قال النبى ﷺ : «كذب أعداء الله!! ما من شىء كان فى الجاهلية إلا وهو تحت قدمى، إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البار والفاجر»(٥).

ولقد سار أتباع النبى ﷺ على مبدأ أداء الأمانة، وعدم أخذ شىء من أموال الغير إلا بوجه مشروع.

قال ابن كثير: «قال عبدالرزاق: أنبأنا معمر عن أبى إسحاق الهمدانى عن أبى صعصعة بن يزيد. أن رجلاً سأل ابن عباس: إنا نصيب فى الغزو من أموال أهل الذمة: الدجاجة والشاة. قال ابن عباس: فتقولون ماذا؟ قال نقول: ليس علينا بذلك بأس. قال ابن عباس: هذا كما قال أهل الكتاب:

﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾

إنهم إذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم إلا بطيب أنفسهم»(٦).

ثم أكد الله - تعالى - كذب هؤلاء اليهود الذين قالوا:

﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾

بجملة أخرى فيها الرد الذى يخرس ألسنتهم، ويدحض مزاعمهم فقال - تعالى:

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾

و﴿ بَلَىٰ ﴾ حرف يذكر فى الجواب لإثبات المنفى فى كلام سابق، ولقد حكى القرآن قبل ذلك أن اليهود قد نفوا أن يكون عليهم فى الأميين سبيل. فجاء - سبحانه - بهذا الرد الذى يثبت ما نفوه. ويبطل مازعموه.

والمعنى: ليس الأمر كما زعمتم أيها اليهود من أنه ليس عليكم فى الأميين سبيل، بل الحق أن عليكم فيهم سبيل. وأنكم معذبون بسبب كفركم واستحلالكم لأموالهم بدون حق ومثابون إن آمنتم بالله ورسوله ووفيتم بعهودكم، وصنتم أنفسكم من كل ما يغضب الله - تعالى.

وقد علل - سبحانه - هذا الحكم العادل بجملة مستأنفة عامة فقال:

﴿ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾

أى كل من أوفى بعهد الله فآمن بنبيه محمد ﷺ واستقام على دينه، واتقى ما نهى الله عنه من ترك الخيانة والغدر وما إلى ذلك من المحرمات، فإن الله يحبه ويرضى عنه، ومن لم يفعل ذلك فإن الله يبغضه ولا يحبه ويعذبه العذاب الأليم.

وبذلك تكون الآية الكريمة قد بينت أن

(٥) تفسير ابن جرير جـ ٣ ص ٣١٨.

(٦) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٧٤.

محبة الله لعبده تتوفر بأمرين:

أولهما: الوفاء بالعهد. فكل ما يلتزمه الإنسان من عهود فالوفاء بها واجب. وفى مقدمة هذه العهود، العهد الذى أخذه الله على عباده بتوحيده والإيمان برسله وعلى رأسهم محمد ﷺ.

وثانيهما: تقوى الله بمعنى أن يجتنب ما نهى الله عنه وحرمه عليه، ولا يفعل إلا ما أحله الله وأذن له فيه.

وقد خلا اليهود من هذين الأمرين، لأنهم لم يفوا بعهودهم، ولم يتقوا الله، فسلبت عنهم محبته، واستحقوا غضبه - سبحانه - ونقمته.

قال صاحب الكشاف: قوله - تعالى - ﴿ بَلَىٰ ﴾ إثبات لما نفوه من السبيل عليهم فى الأميين، أى بلى عليهم سبيل فيهم. وقوله:

﴿ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ ﴾

جملة مستأنفة مقررة للجملة التى سدت ﴿ بَلَىٰ ﴾ مسدها. والضمير فى ﴿ بِعَهْدِهِ ﴾ راجع إلى ﴿ مَنْ أَوْفَىٰ ﴾ على أن كل من أوفى بما عاهد عليه واتقى الله بأن ترك الخيانة والغدر فإن الله يحبه.

فإن قلت: فهذا عام يخيل أنه لو وفى أهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله. قلت: أجل، لأنهم إذا وفوا بالعهود، وفوا أول شىء بالعهد الأعظم وهو ما أخذ عليهم فى كتابهم من الإيمان برسول مصدق لما معهم.

ولو اتقوا الله فى ترك الخيانة لاتقوه فى ترك الكذب على الله وتحريف كلمه،

ويجوز أن يرجع الضمير فى ﴿ بِعَهْدِهِ ﴾ إلى الله، على أن كل من وفى بعهد الله واتقاه فإن الله يحبه ويدخل فى ذلك الإيمان وغيره من الصالحات، وما وجب اتقاؤه من الكفر وأعمال السوء.

فإن قلت: فأين الضمير الراجع من الجزاء إلى من؟ قلت: عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير»(٧).

وبهذا يكون القرآن قد كشف عن مكر اليهود وخداعهم، ورد عليهم فيما افتروه من أقوال باطلة، وأثبت أنهم يكذبون فيما يدعون عن تعمد وإصرار، وبين أن أداء الأمانة واجب على كل إنسان، وأن كل من وفى بعهود الله واتقاه فهو أهل لمحبته ورضاه.

***

(٧) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٣٧٥.

السنة

رجب بين الشهور

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

روى الإمام مسلم فى صحيحه (كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات/ باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال برقم ١٦٧٩) - بسنده - عن أبى بكرة عن النبى - ﷺ - أنه قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب شهر مضر الذى بين جمادى وشعبان». ثم قال: «أى شهر هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس ذا الحجة؟». قلنا: بلى، قال: «فأى بلد هذا؟». قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس البلدة؟» قلنا: بلى قال: «فأى يوم هذا؟». قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس يوم النحر؟» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «فإن دماءكم وأموالكم - قال محمد: وأحسبه قال: وأعراضكم - حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، فلا ترجعن بعدى كفارا - أو ضلالا - يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أوعى له من بعض من سمعه». ثم قال: «ألا هل بلغت؟».

التعريف بالراوى

هو أبوبكرة الثقفى الطائفى مولى النبى - ﷺ - اسمه: نفيع بن الحارث، وقيل: نفيع بن مسروح، تدلى فى حصار الطائف ببكرة - خشبة مستديرة فى جوفها محور تدور عليه، وقد تطلق على الناقة الفتية - فكنى بأبى بكرة فرَّ إلى النبى - ﷺ - وأسلم على يديه، وأعلمه أنه عبد، فأعتقه، روى جملة أحاديث، وقد حدَّث عنه بنوه الأربعة، وأبوعثمان النهدى، والحسن البصرىّ، ومحمد بن سيرين، وغيرهم، سكن البصرة، وكان من فقهاء الصحابة، ووفد على معاوية، وأمّه سمية، فهو أخو زياد بن أبيه لأمّه، وكان - رضى الله عنه - من فضلاء الصحابة وصالحيهم، قال ابن سعد: مات أبوبكرة فى خلافة معاوية بن أبى سفيان بالبصرة، فقيل: مات سنة إحدى وخمسين، وقيل: سنة اثنتين وخمسين، وصلى عليه أبوبرزة الأسلمى الصحابى، قال الحسن البصرىّ - رحمه الله -: لم ينزل البصرة أفضل من أبى بكرة وعمران بن حصين.

اللغويات

عند الله: فى حكم الله، وفيما كتب فى اللوح المحفوظ.

أربعة حرم: جمع حرام، والحرام: الممنوع من فعله، والحرم الأشهر الأربعة التى كان العرب يحرمون فيها القتال.

الشرح والبيان

لقد اختار الحقّ - سبحانه - من كل جنس أطيبه وأطهره وأزكاه، ونسبه إلى نفسه واختصّه وارتضاه، خلق الملائكة وفضل بعضهم على بعض، وخلق الناس وفضل بعضهم على بعض:

﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾

(آية ٧٥ من سورة الحج)

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

(آل عمران/ آية ٧٣)

كذلك فضّل الله بعض الأمكنة على بعض، ففضل من السماوات أعلاها، ومن الجنات الفردوس، وقد ورد فى الحديث الشريف: «إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس الأعلى».. ومن البلاد مكّة التى أقسم بها - سبحانه - وأشاد بها فى محكم كتابه، قال تعالى:

﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾

(التين/ ٣)

ومن المساجد المسجد الحرام، إذ هو المسجد الإمام، قال تعالى:

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾

(البقرة/ ١٥٠)

فلم يكن عجبا والحال هذا أن يفضّل الله - سبحانه - بعض الأزمنة على بعض، فشهر رمضان أفضل الشهور على الإطلاق، حيث أنزل فيه القرآن الكريم، وفرض فيه الصيام، قال تعالى:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾

(البقرة/ ١٨٥)

والأيام العشر من ذى الحجة العمل الصالح فيها خير وأحبّ إلى الله من غيرها عدا رمضان، وليلة القدر العبادة فيها خير من عبادة ألف شهر ليس فيها رمضان بنصّ القرآن:

﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾

(القدر/ ٣)

فلا عجب والحال هذا أن تخلع يد الكريم الوهاب على شهر رجب الذى نعيش أيامه الآن – حلة فضل تجعله أثيرا بين الشهور، لذا كان رسول الله – ﷺ – إذا ظهر هلال رجب ناجى ربه بهذا الدعاء: «اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان»،(٢) وفى هذا الدعاء إشارة لطيفة إلى أن موسم الخير والبركة، موسم العبادة والطاعة قد بدأ، فينبغى أن نقبل على الله بهمة ونشاط، وأن نكثر فيه من الذكر، وألوان البر والخير وسائر القربات، إلا أنه قد ارتبط بشهر رجب، معتقدات وعادات، فما موقف الإسلام منها؟..

حين جاء الإسلام وجد عادات وتقاليد ومعتقدات، فلم ينكرها الإسلام جملة، ولم يقرها جملة، بل أقر منها ما كان صحيحا نافعا مفيدا، وأبطل منها ما كان فاسدا ضارا، ورجب من الترجيب، وهو التعظيم، وقد قال العرب: «عش رجبا تر عجبا»، وقال أهل الرمز: الراء من رجب رمز للرحمة، والجيم رمز لجرم العبد، أى: ذنبه، والباء رمز للبر، فكأن الله – تعالى – يقول للعبد: جعلت جرمك بين رحمتى وبرى فلا أدع لك ذنبا إلا غفرته.. ورجب من الشهور العربية التى اعتبرها الإسلام، ومن الأشهر الحرم التى اجتمع على تقديسها أهل الجاهلية والإسلام، وقد قيل: إن العرب كانت تسميه «منصل الأسنة»، لأنهم كانوا إذا حل رجب لم يدعو رمحا ولا سهما فيه حديدة إلا نزعوها، كناية عن توقف القتال ومنعه، حتى كان الرجل منهم يلقى قاتل أبيه أو أخيه فلا تمتد يده إليه بسوء، كما كانت العرب تسميه «الأصم»، إذ لا تسمع فيه أصوات السلاح، كما كانت تسميه «الأصب»، لما كانوا يتصورونه من أن رحمة الله – عز وجل – تصب فيه على العباد، كذلك كانت تسميه «شهر الله»، لأنه من الأشهر الحرم، وكانت ربيعة ومضر تحرم أربعة أشهر من السنة، فكانت ربيعة تحرم رمضان وتسميه رجبا، وكانت مضر تبالغ فى تعظيم رجب وتحريمه، فلما جاء الإسلام أقر حرمة الأشهر الحرم، لكنه أنكر ما كانت تعمد إليه ربيعة من تحريم رمضان، وما كان يعمد إليه الجاهليون عامة من النسيء، وهو تأخير شهر محرم إلى شهر آخر غير محرم، وعده زيادة فى الكفر، وإضلالا للناس، وهذا ما يهدف إليه النبى – ﷺ – من قوله فى حجة الوداع: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان»، وهو نفسه الذى تشير إليه الآيات الكريمة من سورة التوبة (رقم ٣٦، ٣٧):

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (٣٦) إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾

(التوبة/ ٣٦، ٣٧)

كذلك أباح الإسلام القتال فى رجب وغيره من الأشهر الحرم على غير عادة العرب إذا كان القتال ردا للظلم، ودفعا للعدوان والطغيان، قال تعالى:

﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(الشورى/ ٤١، ٤٢)

فحينما هاجر الرسول – ﷺ – من مكة المكرمة موطن الوحى الأول إلى المدينة المنورة موطن الوحى الثانى، وأصحاب البيعة والنصرة – أراد أن يوطد أركان الدولة الجديدة، وأن يؤمن حدودها، وأن يظهر هيبتها وقوتها ومنعتها لجيرانها وأعدائها، ليأمن جانبهم.. أرسل – عليه الصلاة والسلام – عبدالله بن جحش، ومعه ثمانية من المهاجرين، وأعطاه كتابا، وأمره ألا ينظر فيه حتى ينزل بنخلة «مكان بين مكة والطائف»، وألا يستكره أحدا من أصحابه على شيء لا يريده، فنفذ عبدالله أمر النبى – ﷺ – وفى الطريق صادفوا عيرا لقريش يقودها عمرو ابن الحضرمى، ففكر بعضهم فى الاستيلاء على العير، وتحرج آخرون من القتال فى الشهر الحرام، وذكر بعضهم أنه لم ير هلال رجب، ثم انتهزوها فرصة، فرمى واقد بن عبدالله عمرو بن الحضرمى فقتله، وقدموا بالعير والأسيرين بعد أن عزلوا الخمس – إلى المدينة المنورة، فأنكر النبى – ﷺ – عليهم ذلك، وقال: «ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام» فحزن أفراد السرية حزنا لا يعلمه إلا الله، وتملكهم الخوف من معصية الله ورسوله – ﷺ –، وقالوا: ما نبرح حتى تنزل توبتنا، ولكن الله – جلت قدرته، وتعالت عظمته وحكمته – يسرى عنهم، ويذهب عنهم الهم والحزن، فيفصل فى القضية، قال تعالى:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(البقرة/ ٢١٧، ٢١٨)

فحسم نزول هذه الآيات أمر القتال فى الأشهر الحرم، وقضى على ثورة الثائرين، ودعوة المرجفين من قريش واليهود الذين أشاعوا أن محمدا – ﷺ – وأصحابه أباحوا القتال وإراقة الدماء، واغتصاب الأموال فى الشهر الحرام.. وأقر نزول الآيات الكريمة السكينة فى قلوب المؤمنين، وملأ نفوسهم رضا عن الله ورسوله – ﷺ –.. عند ذلك قبل النبى – ﷺ – فداء الأسيرين، والأسيران هما عثمان بن عبدالله الذى لحق بمكة ومات كافرا، والحكم ابن كيسان، وقد هداه الله للإسلام، وأنعم عليه بالإيمان، وحظى بالشهادة يوم بئر معونة.

وهكذا فشلت اليهود فى إشعال نار الفتنة بين قريش والمسلمين لما قالوا: إن الحرب واقعة لا

محالة بين المسلمين وقريش، بل بينهم وبين العرب جميعا جزاء ما انتهكوا من حرمة الشهر الحرام، وقالوا قتل واقد بن عبدالله عمرو بن الحضرمي: عمرت الحرب، والحضرمي: حضرت الحرب، واقد: وقدت الحرب.

وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على حقد دفين في نفوس اليهود على الإسلام والمسلمين، كذلك أبطل القرآن الكريم حجج المشركين واستنكارهم القتال في الشهر الحرام ،لأن الصدّ عن سبيل الله والكفر به أكبر من القتال في الشهر الحرام وفتنة الرجل في دينه أكبر من القتال في الشهر الحرام، فإن كان الشهر الحرام لا يحل فيه القتال فإنه لا حرمة عند الله لمن فتن الناس في دينهم وصدهم عن سبيل الله وأخرج أهل الحرم منه.

وقد أظهرت السريّة انضباطا عسكريا رفيعا تميّز به قائد السرية، وتمثّل ذلك في كمال طاعته، وتنفيذه للأوامر النبويّة، فحين قرأ كتاب النبيّ - ﷺ - امتثل للأمر، وأعطى من نفسه القدوة الحسنة، وبث الحماسة في نفوس جنوده، فما كاد يقرأ الكتاب حتى وجد فيه: أمض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها قريشا، وتعلم لنا من أخبارهم.. فأطلع على الفور أفراد السرية على كتاب الرسول - ﷺ - قائلا: إنه نهاني أن أستكره أحدا منكم، فمن كان يريد الشهادة، ويرغب فيها فلينطلق معي، ومن كره ذلك فليرجع، فلم يتخلف منهم أحد، غير أن البعير الذي كان يعتقبه سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان ندّ منهما، فشغلا بطلبه، ومضى عبدالله برفاقه حتى نزل أرض نخلة، فحدث ما سبق أن أشرنا إليه.

ولعلك تلاحظ - أيها القارىء الكريم - أنّ أفراد السرية كانوا جميعا من المهاجرين، ليس فيهم واحدا من الأنصار، وإن أعطى هذا شيئا فإنما يعطى أنّه كان أمرا مدروسا دراسة حكيمة، ولهذه الدراسة أهدافها، ومنها إحياء قضية المهاجرين في أنفسهم أولا، وإحياؤها على المستوى الخارجيّ، ومن الأهداف أيضا إنهاك الاقتصاد القرشيّ ومحاصرته، وإضعاف قريش عسكريا، واستعادة المهاجرين بعض الحقوق المسلوبة، وتدريب الصحابة على إتقان فنون القتال، وإرهاب اليهود في المدينة وحولها، وإظهار القوة التي غدت بالمدينة لأعداء المسلمين من قريش وغيرهم من العرب.

وقد حققت هذه السرية أهدافها، واستردّ المهاجرون من مشركي قريش بعض الأموال عوضا عما فقدوه في مكة، وانتصروا عليهم، فكان انتصارهم هذا أول انتصار إسلاميّ مسلّح على العدو.

وإذا كان شهر رجب هو الذي حدث فيه أول انتصار إسلاميّ، فهو الشهر الذي حدث فيه انتصار المسلم على نفسه وشيطانه وشهوته وهواه قبل أن ينتصر على عدوّه في ميدان القتال، لأن الانتصار على النفس مقدمة لابدّ منها للانتصار على العدو، إذ لا يستطيع من عجز أن ينتصر على نفسه - أن ينتصر على عدوه ونحن لا ننتصر على أعدائنا بكثرة أعدادنا، ولا بقوة عتادنا، ولا بوفرة سلاحنا، ولكن ننتصر عليهم بفضل طاعتنا لله - عز وجلّ - ومعصيتهم له، فإذا استوينا وإياهم في

المعصية كان لهم النصر، وكانت لهم القوة والغلبة، ومن ثمّ عرف شهر رجب بشهر العبادة والطاعة، ولا عجب في ذلك، فالصلاة إنما فرضت بمكة ليلة الإسراء والمعراج، وقد هبط جبريل - عليه السلام - على النبي - ﷺ - صبيحتها، فعلّمه الصلاة، وكيفيتها، ومواقيتها.

والصلاة من أركان الإسلام الأساسية، وفرائضه، بعيدة المدى في تهذيب النفس، وتطهيرها من أدران الغواية، قال تعالى:

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾

(العنكبوت/ ٤٥)

ولما قيل للنبيّ - ﷺ - إن فلانا يصلي فإذا أصبح سرق، قال: «سينهاه ما يقول»، لأنه يقول في كل صلاة يؤديها - فرضا كانت أو نفلا -: «اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم» (الفاتحة).

فالصلاة صلة دائمة بين الإنسان وربه، يقف فيها العبد بين يدى خالقه ومولاه موقف الضراعة والرجاء، فيستحق بذلك رحمة المعبود وفضله.

أرأيت كيف احتفظ الإسلام لشهر رجب بمكانته، وكيف أضفى عليها جلالا وبهاء، فهلاّ طهّرنا فيه القلوب، وصفينا فيه النفوس، وأخلصنا لله - عزّ وجلّ - في أيامه المباركة، وتنافسنا فيه على الطاعات، وألوان البر، وصنوف القربات، وأكثرنا فيه من صيام التطوّع، لأنّ الصيام فيه - وفي غيره من الأشهر الحرم - مستحبّ، فقد ورد أن رجلا من باهلة أتى النبيّ - ﷺ - فقال: يا رسول الله، أنا الذى جئتك عام الأول، فقال: فما غيرك، وقد كنت حسن الهيئة؟! قال: ما أكلت طعاما إلا بليل منذ فارقتك، فقال رسول الله - ﷺ -: لم عذبت نفسك؟ ثم قال: «صم شهر الصبر ويوما من كل شهر»، قال: «زدني، فإن بي قوة»، قال: «صم يومين»، قال: «زدني»، قال: «صم من الحرم واترك ثلاثا»، وقال بأصابعه الثلاثة، فضمّها ثم أرسلها.

هذا ولا يخفى ما أعدّه الله - عز وجل - من الأجر للصائمين، فعن أبي سعيد الخدريّ - رضى الله عنه - أنّ النبيّ - ﷺ - قال: لا يصوم عبد يوما في سبيل الله إلاّ باعد الله - بذلك اليوم - النار عن وجهه سبعين خريفا..

وإذا كانت الطاعة واجبة في كل الأوقات فإن الطاعة في الأشهر الحرم تكون أوجب، وبالتالي فإنّ الطاعات فيها يتضاعف أجرها، وإذا كانت المعاصي والآثام محرمة في كل وقت فإن العقوبة تتضاعف عندما يحدث ذلك في الأشهر الحرم، وكذلك قال - ﷺ -: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا»، واليوم يوم النحر، والشهر ذو الحجة، والبلد البلد الحرام.

هكذا أقام الإسلام موازين العدالة، ونصب مشاعل الهداية، ودعم أركان الإسلام في كل مكان، ولو طبقت تعاليمه لعاش الناس جميعا أخوة متحابين متعاطفين متراحمين، غير متزاحمين ولا متكالبين ولا متنافسين، لا تفرقهم الدنيا، ولا ينزغ بينهم الشيطان.. جعلنا الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

خطبة الجمعة :

الإسراء والمعراج

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى

إعداد الشيخ/ على حامد عبد الرحيم

الحمدلله عزوجل، هو بديع السموات والأرض:

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(الملك: ١)

أشهد أن لا إله إلا الله، تنزهت أسماؤه وتكاثرت آلاؤه، وهو صاحب الفضل العظيم، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، أشرف من سعى على قدم، وأبلغ من نطق بالحكم، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، وجنوده وحزبه:

﴿ أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

(البقرة: ٥)

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام..

فى مثل هذا الوقت منذ أكثر من ألف وربعمائة سنة كان الله تبارك وتعالى يعد نبيه محمداً صلوات الله وسلامه عليه لحادث فريد عجيب فى التاريخ تظهر به قدرة الخالق، وكرامة الإنسان، وصلة الأرض بالسماء، واتساع ملكوت الله الفسيح الأرجاء، وهو حادث الإسراء الذى افتتح الله بذكره إحدى سور قرآنه فقال:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء: ١)

والمثير للتفكير أن هذا الحادث التكريمى الجليل قد وقع لسيد الأنبياء وإمام المرسلين بعد سلسلة ثقيلة من الشدائد والمتاعب، فقد دعا النبى القبائل بمختلف الوسائل، فتأبى

عليه أكثرها واعتدى عليه أفجرها، وتواصوا بالإثم والمنكر، فحاصروه مع قومه فى الشعب زمناً طويلا، ثم مات عمه أبوطالب الذى كان يغضب له ويدافع عنه، وكانت القبائل تحسب حسابه، وكذلك ماتت خديجة الزوجة الرحيمة الحنون، واست وآست، وعاونت وناصرت، حتى استحق عام وفاتهما أن يسمى «عام الحزن». وما كاد العم والزوجة يلحقان بربهما حتى انفجر طواغيت الشرك والكفر فى فنون الإيذاء والتعذيب، واضطر الرسول أن يخرج من مكة إلى الطائف، لعله يجد هناك من هم أرق قلوباً أو ألين أفئدة، فإذا الكفر كله ملة واحدة، وإذا المقابلة هناك تدل على لؤم وجرم، فعاد الرسول جريحاً مهموماً، به من الآلام والأحزان ماالله به عليم، ولسانه يردد من قلبه هذه الكلمات: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس يارب العالمين، أنت أرحم الراحمين، وأنت رب المستضعفين، وأنت ربى، إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى، أم إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى، غير أن عافيتك هى أوسع لى، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يحل علىّ غضبك، أو ينزل بى سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك». [1]

فى هذا الجو المعتم المظلم، ومن خلال هذه الشدائد والمتاعب التى أثقلت وألحت، وألقت بكلكلها الحاطم على كاهل الرسول الرحيم المسالم، امتدت يد الله العلى الأعلى، لتنقذه وترفعه وتمجده، وتطلعه على ملكوت السموات والأرض، وتريه الآيات الكبرى، دون أن يزيغ البصر أو يطغى، فكان حادث الإسراء العظيم، الذى أرادت به العناية الإلهية أن تظهر عن طريقة فضل الرسول الأكبر، فتسبغ عليه آيات التكريم والتمجيد فى أعقاب تلك المشاق التى رآها وعاناها، لكى يتعلم أصحاب المبادىء العليا أن طريق الحق مهما كان فيه من أشواك أو متاعب سيؤدى إلى الغاية النبيلة والعاقبة الجليلة، ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون.

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾

(القصص: ٥)

وإلى جانب هذا أرادت عناية الله تعالى أن تقوى روح الثقة والاطمئنان فى صدر الرسول، فإذا كانت الطرق ضاقت على دعوة محمد فى شعاب مكة، فإن الله قادر على أن يفسح له الطرق فى رحاب الكون العريض الواسع، وإذا كانت الأرض بترابها لم تتمهد تحت

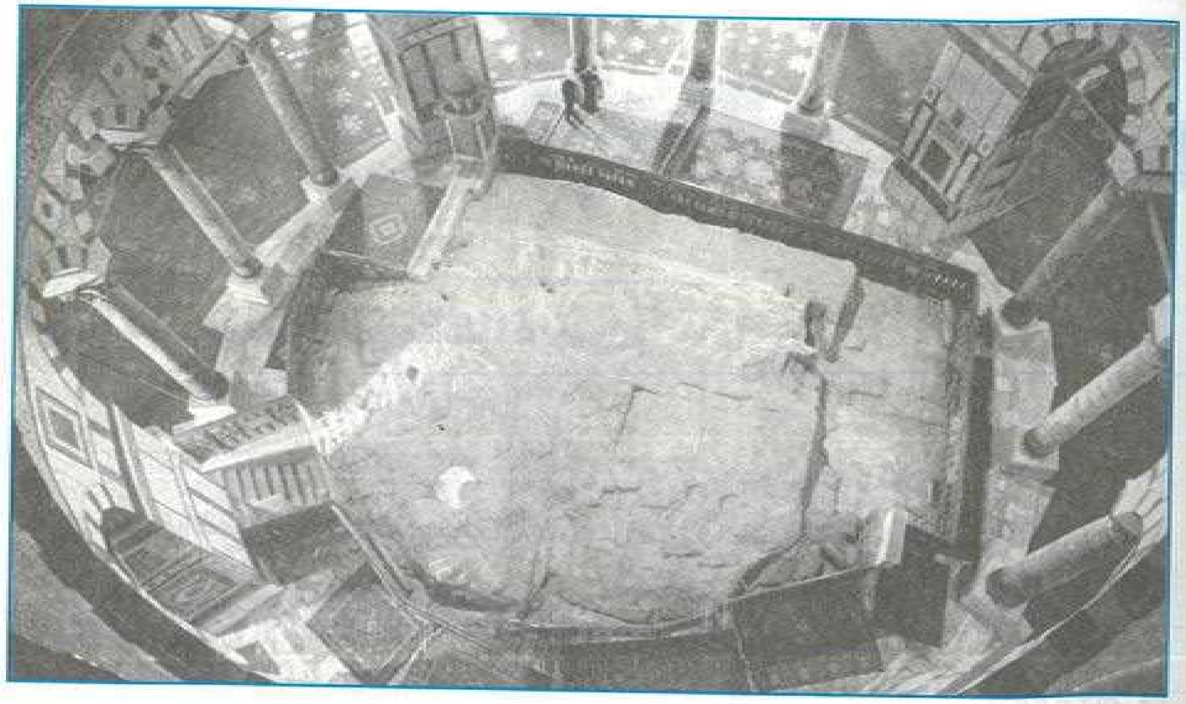
(١) البخارى فى التاريخ ج٢ ص٣٤٥

أقدامه فإن آفاق الكون عن يمين وشمال تصبح ممهدة أمام ركابه، يتنقل بينها وفوقها حيث شاء الله العلى الكبير، وإذا كان الكافرون قد تقاصرت هممهم، وضاقت عقولهم، وسقمت نفوسهم، وعميت أبصارهم، فلم يروا ضوء الحق الساطع، ولم يدركوا دليل الصدق الناصع، ولم يفلحوا فى اتخاذ الأسباب لإصلاح أرضهم، فإن الله تعالى قد هيأ الإنسان الكامل الماثل فى شخص محمد عليه الصلاة والسلام لكى يتغلب على الأبعاد والمسافات، ولكى يربط أسباب الأرض بأسباب السماء، ولكى يشف ويرف، وبذلك يعلو ويسمو، ويبعد ثم يدنو، فإذا هو قد عرف من مشاهد الطبيعة وأسرار الكون وأبعاد الخليقة ما يعد قدوة عليا لكل طامح إلى المعرفة الواسعة أو راغب فى المزيد من العلم بأمور الحياة والأحياء، فى الأرض والسماء، من هنا قال القرآن وهو يتحدث عن المعراج:

﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾

(النجم: ١٨)

ومن اللافت للنظر أن الإسراء كان قبل الهجرة بقليل. وبعد سلسلة المتاعب التى عرفنا أمرها، فإذا كان الله تعالى قد اختار وقوع الإسراء بعد تلك المتاعب ليكون تكريما وتثبيتا، وتأكيداً لروح الرجاء والأمل فى صدور المؤمنين المجاهدين، فإن الإسراء نفسه كان بالنسبة إلى كثير من العرب أمراً عجيباً. وحادثاً غريباً. اهتزت له المشاعر. وثارت بسببه العقول حتى استغله جمع الكافرين ليثيروا شكوكاً أو أوهاماً فى صدور بعض الداخلين فى الإسلام على رقة أو ضعف، وجعل هؤلاء الكافرون يقولون إن أمر محمد بالأمس كان محتملا، وأما اليوم، وبعد أن يحدثنا بأنه أسرى به فى ليلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، مع أن قوافلنا تقطع ما بينهما فى شهر ذهاباً وشهر إياباً، فدون ذلك ويذهب حلم الحليم - فيما يزعم هؤلاء ويتوهمون وهنا قد يتساءل الإنسان: لماذا اختار الله هذا الوقت بالذات لحادث الإسراء، وهو سبحانه يعلم أن المسلمين سيهاجرون بعد قليل إلى المدينة، تاركين أموالهم وديارهم وعقارهم؟ لعل الله قد اختار ذلك ليكون امتحاناً وابتلاء للجماعة المؤمنة المجاهدة، حتى يتميز الخبيث من الطيب، وحتى تعد هذه الجماعة نفسها لما هو أكثر من المعارضة والاضطهاد والتعذيب، فتكون صالحة للتضحية الكبرى المتمثلة فى الهجرة، حيث يتركون كل شىء ويخرجون مهاجرين إلى الله وحده بغير زاد، إلا التقى وعمل المعاد، متذكرين فى إيمان عميق ويقين وثيق قول رسولهم: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء



مانوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله رسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ماهاجر إليه» (٢)

ولقد نجح المؤمنون فى الاختبار، وفازوا فى الامتحان، فواصلوا التصديق للرسول، وعلموا أن الإسراء تكريم للإنسانية الفاضلة متمثلة فى شخص أفضل إنسان، وتوجيه من الله لعباده كى يدركوا أن الإنسان الذى يمشى على الأرض، ويأكل منها، ويرتبط بها، يستطيع إذا واتته عناية الله أن يسموا بعلمه وشفافيته وروحانيته، فيجول خلال الملكوت الأكبر ليرى ما يرى من آيات ربه الكبرى.

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام..

ما أكثر العظات والعبر التى نلحظها فى حادث الإسراء، وإذا كان هناك بالأمس أو اليوم من يشكون أو يستبعدون وقوع الإسراء، فإن ما هدى الله إليه الإنسان من كشوف علمية قربت الأبعاد وألغت المسافات من أقوى الأدلة على أن الإسراء ليس ببعيد على من أمره أن يقول للشىء كن فيكون، وصدق القرآن حيث يقول:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾

فصلت: ٥٣

---

(٢) البخارى ج١ص٢، ج٨ ص١٧٥، ج٩ ص٢٩

الحضارة الإسلامية ومكانة المرأة

للأستاذ الدكتور/ محمود امبابي
وكيل الأزهر الشريف

لقد رفعت الحضارة الإسلامية مكانة المرأة، وأكرمتها بما لم تكرمها به حضارة سواها، فالنساء فى الحضارة الإسلامية شقائق الرجال، وخير الناس خيرهم لأهله، فالمسلمة فى طفولتها لها حق الرضاع، والرعاية، وإحسان التربية، وهى فى ذلك الوقت قرة العين، وثمرة الفؤاد لوالديها وإخوانها.

وإذا كبرت فهى المعززة المكرمة، التى يغار عليها وليها، ويحوطها برعايته، فلا يرضى أن تمتد إليها أيد بسوء، ولا ألسنة بأذى، ولا أعين بخيانة.

وإذا تزوجت كان ذلك بكلمة الله، وميثاقه الغليظ، فتكون فى بيت الزوج بأعز جوار، وأمنع ذمار، وواجب على زوجها إكرامها، والإحسان إليها، وكف الأذى عنها.

وإذا كانت أما كان برها مقرونا بحق الله - تعالى - وعقوقها والإساءة إليها مقرونا بالشرك بالله، والفساد فى الأرض وإذا كانت أختا فهى التى أمر المسلم بصلتها، وإكرامها، والغيرة عليها، وإذا كانت خالة كانت بمنزلة الأم فى البر والصلة.

وإذا كانت بعيدة عن الإنسان لا يدنيها قرابة أو جوار كان لها حق الإسلام العام من كف الأذى، وغض البصر ونحو ذلك.

ومازالت مجتمعات المسلمين ترعى هذه الحقوق حق الرعاية، مما جعل للمرأة قيمة واعتبارا لا يوجد لها عند المجتمعات غير المسلمة.

ثم إن للمرأة فى الإسلام حق التملك، والإجارة، والبيع، والشراء، وسائر العقود، ولها حق التعلم، والتعليم، بما لا يخالف دينها، بل إن من العلم ما هو فرض عين يأثم تاركه ذكرا أم أنثى.

بل إن لها ما للرجال إلا بما تختص به من دون الرجال، أو بما يختصون به دونها من الحقوق والأحكام التى تلائم كلا منهما على نحو ما هو مفصل فى مواضعه.

ومن إكرام الإسلام للمرأة أن أمرها بما يصونها، ويحفظ كرامتها، ويحميها من الألسنة البذيئة، والأعين الغادرة، والأيدى الباطشة، فأمرها بالحجاب والستر، والبعد عن التبرج، وعن الاختلاط بالرجال الأجانب، وعن كل ما يؤدى إلى فتنتها.

والإسلام أمر الزوج بالإنفاق عليها، وإحسان معاشرتها، والحذر من ظلمها، والإساءة إليها.

بل ومن المحاسن - أيضا - أن أباح للزوجين أن يفترقا إذا لم يكن بينهما وفاق، ولم يستطيعا أن يعيشا عيشة سعيدة، فأباح للزوج طلاقها بعد أن تخفق جميع محاولات الإصلاح، وحين تصبح حياتهما جحيما لا يطاق.

وأباح للزوجة أن تفارق الزوج إذا كان ظالما لها، سيئا فى معاشرتها، فلها أن تفارقه على عوض تتفق مع الزوج فيه، فتدفع له شيئا من المال، أو تصطلح معه على شىء معين ثم تفارقه.

ولقد نهى الإسلام الزوج أن يضرب زوجته بلا مسوغ، وجعل لها الحق الكامل فى أن تشكو حالها إلى أوليائها، أو أن ترفع للحاكم أمرها، لأنها إنسان مكرم داخل فى قوله - تعالى -:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

(الإسراء/ ٧٠)

حسن المعاشرة تكليف

وليس حسن المعاشرة أمرا اختياريا متروكا للزوج إن شاء فعله وإن شاء تركه، بل هو تكليف واجب، قال النبى - ﷺ -: «لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يضاجعها»[1] فهذا الحديث من أبلغ ما يمكن أن يقال فى تشنيع ضرب النساء، إذ كيف يليق بالإنسان أن يجعل

(١) رواه البخاري ومسلم

امرأته – وهى كنفسه – مهينة كمهانة العبد بحيث يضربها بسوطه، مع أنه يعلم أنه لابد له من الاجتماع والاتصال الخاص بها، وهذا يجعلنا نتطرق إلى موضوع ضرب الزوجة وحكمة مشروعيته حتى لا يظن أحد أن الإسلام حرم الضرب فى كل الأحوال.

ضرب الزوجة

يقول الداعون إلى إبطال صيغة الضرب الموجودة فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة إلى أن قاعدة حق تأديب المرأة «ولا سيما ضربها هى عبارة تاريخية كان لها فعالية جمة لنقل الذهنية الجاهلية من قتل المرأة إلى التساؤل حول ضربها» وليست قاعدة شرعية.

وهذا محض افتراء يقول – عز وجل – :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾

(النساء / ٣٤)

ويقول – عليه الصلاة والسلام – فى حجة الوداع: «ألا واستوصوا بالنساء خيرا فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، إلا أن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فُرُشكم من تكرهون ولا يأذن فى بيوتكم من تكرهون ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن».[٢]

القرآن مدح المرأة المؤمنة

والملاحظ أن هؤلاء الأشخاص تحت شعار «إنسانية المرأة وكرامتها» يأخذون من الآية ما يريدون فقط وهى كلمة الضرب وينسون التسلسل الذى ورد فى الآية حيث ورد فى البداية مدح للمرأة المؤمنة الحافظة حقوق الزوج ومن ثم ورد ذكر الناشز، فالكلام إذا يتعلق بنوع خاص من النساء وليس كل النساء، والمعروف أن طبائع الناس تختلف من شخص لآخر وما ينفع الواحد لا ينفع الثانى، ومن عدالة الإسلام أنه أورد العلاج لكل حالة من الحالات، فمادام «يوجد فى هذا العالم امرأة من ألف امرأة تصلحها هذه العقوبة، فالشريعة التى يفوتها هذا الغرض شريعة غير تامة، لأنها بذلك تؤثر هدم الأسرة على هذا الإجراء وهذا ليس شأنه شريعة الإسلام المنزلة من عند الله».

والواقع أن «التأديب لأرباب الشذوذ

(٢) ابن ماجه ١/٥٩٤ برقم ١٨٥١.

والانحراف الذين لا تنفع فيهم الموعظة ولا الهجر أمر تدعو إليه الفطر ويقضى به نظام المجتمع، وقد وكلته الطبيعة من الأبناء إلى الآباء كما وكلته من الأمم إلى الحكام ولولاه لما بقيت أسرة ولا صلحت أمة، وما كانت الحروب المادية التى عمادها الحديد والنار بين الأمم المتحضرة الآن إلا نوعا من هذا التأديب فى نظر المهاجمين وفى تقدير الشرائع لظاهرة الحرب والقتال».

قال تعالى :

﴿ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ﴾

(الحجرات / ٩)

إضافة إلى ذلك فإن الضرب الوارد فى الآية مشروط بكونه ضربا غير مبرح وقد فسر المفسرون الضرب غير المبرح بأنه ضرب غير شديد ولا شاق، ولا يكون الضرب كذلك إلا إذا كان خفيفا وبآلة خفيفة، كالسواك ونحوه.

ولا يكون القصد من هذا الضرب الإيلام وإطفاء الغيظ ولكن التأديب والإصلاح والتقويم والعلاج، والمفترض أن التى تتلقى الضرب امرأة ناشز، لم تنفع معها الموعظة والهجر، لذلك جاء الضرب الخفيف علاجا لتفادى الطلاق، خاصة أن نشوز بعض النساء يكون عن غير وعى وإدراك لعواقب خراب البيوت وتفتت الأسرة.

فى فرنسا يقولون: المرأة كشرائح اللحم كلما ضربتها ازدادت رقة

إن سعى بعض الداعين لإبطال مفعول آية الضرب تحت حجة المساواة لن يفيد فى إيقاف عملية الضرب إذ أن المرأة ستبقى تضرب خفية كما يحصل فى دول العالم الغربى الحافل بالقوانين البشرية التى تمنع الضرب، ففى كندا ١١٤ جمعية مهمتها مساعدة وعلاج الأزواج العدوانيين الذين يرتكبون أفعال العنف مع الزوجات والتى تتراوح بين توجيه اللكمات إلى الوجه والتهديد بالقتل، ناهيك عن الشتائم والألفاظ النابية، وتشير الإحصاءات إلى أن أكثر من ثلث جرائم القتل، قتل فيها الأزواج زوجاتهم، وأن ١٨٪ من حالات الطوارىء التى تدخل المستشفيات هى لزوجات تعرضن للضرب، وفى فرنسا بلد الرقة والنعومة – التى اشتهرت بتدليل المرأة – عشرات المنظمات الإنسانية التى أنشئت خصيصا لاستقبال مثل هذه الحالات، ويبدو أن الفرنسيين فى ممارستهم للعنف مع الزوجات متأثرون بعبارة للأديب الفرنسى «إلكسندر دوماس» يقول فيها: «المرأة الفرنسية كشرائح اللحم كلما ضربتها أكثر ازدادت رقة وليونة»، وجاءت الإحصاءات الرسمية لتؤكد هذا التأثر فتقول.. إنه يوجد نحو مليونى زوجة فى فرنسا تتعرض للضرب وكل أشكال المضايقات والتكدير، وفى إيطاليا هناك امرأة من كل عشر نساء تتعرض للضرب المبرح الذى يؤدى فى

كثير من الأحيان إلى غرف العناية الفائقة بالمستشفيات.

وفي أغلب الدول المتقدمة.. ترصد الدراسات الاجتماعية استشراء هذه الظاهرة برغم القوانين والنظم الرادعة، والتي يبدو أنها أثبتت فشلها بجدارة في صون كرامة المرأة وحمايتها.. وتحاول تلك الدراسات أن ترصد أسباب تلك الظاهرة المخيفة التي تطعن المدنية الغربية في شرفها فتقول: إن ضرب الزوجات يمارسه الرجال الذين يتعاطون المخدرات والخمر أو من ذوي المزاج الحاد.. ويبرر الأزواج موقفهم العدواني باتهام الزوجات بأنهن السبب في وجود الظاهرة.. ومن بين المبررات أيضا فقدان العمل أو البطالة أو تراكم الديون أو انفلات المرأة الأخلاقي.. وبالطبع لم تحاول تلك الدراسات الالتفات إلى البعد الديني في القضية ويبدو أنها لن تفعل..

إن الأرقام مفزعة والظاهرة مخيفة وصادمة لأولئك الذين يقدسون مدنية الغرب ويسبحون بحمدها.

فإذا كان هذا العدد في تزايد في تلك الدول التي تحرم الضرب، فلماذا لا يوجد في بيئاتنا الإسلامية هذا العدد مع أن شريعتنا تبيح الضرب؟ أليس لأن قاعدة السكن والمودة هي الأساس بينما العظة والهجران والضرب هي حالات شاذة تقدر بضوابطها وكما قال - تعالى - في نهاية الآية:

﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾

(النساء/ ٣٤)

إن هؤلاء القوم يستنكفون من مشروعية تأديب المرأة الناشز، ولا يستنكفون أن تنشز المرأة، وتترفع على زوجها، فتجعله - وهو رأس البيت - مرءوسا، وتصر على نشوزها، وتمشي في غلوائها، فلا تلين لوعظه، ولا تستجيب لنصحه، ولا تبالي بإعراضه وهجره.

لقد أذن الإسلام بضرب الزوجة كما في قوله - تعالى -:

﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾

(النساء/ ٣٤)

وكما في قوله - عليه الصلاة والسلام - في حجة الوداع: «ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح».

للإصلاح لا للإهانة

ولكن الإسلام حين أذن بضرب الزوجة لم يأذن بالضرب المبرح الذي يقصد به التشفي، والانتقام، والتعذيب، وإهانة المرأة وإرغامها على معيشة لا ترضى بها.

وإنما هو ضرب للحاجة وللتأديب، تصحبه عاطفة المربي والمؤدب، فليس للزوج أن يضرب زوجته بهواه، وليس له إن ضربها أن يقسو عليها، فالإسلام أذن بالضرب بشروط منها:

أ- أن تصر الزوجة على العصيان حتى بعد التدرج معها.

ب- أن يتناسب العقاب مع نوع التقصير،

فلا يبادر إلى الهجر في المضجع في أمر لا يستحق إلا الوعظ والإرشاد، ولا يبادر إلى الضرب وهو لم يجرب الهجر، ذلك أن العقاب بأكثر من حجم الذنب ظلم.

جـ- أن يستحضر أن المقصود من الضرب العلاج والتأديب والزجر لا غير، فيراعي التخفيف فيه على أحسن الوجوه، فالضرب يتحقق باللكزة، أو بالمسواك ونحوه.

د- أن يتجنب الأماكن المخوفة كالرأس والبطن والوجه.

هـ- ألا يكسر عظما، ولا يشين عضوا، وألا يدميها، ولا يكرر الضربة في الموضع الواحد.

و- ألا يتمادى في العقوبة قولا أو فعلا إذا هي ارتدعت وتركت النشوز.

فالضرب - إذا - للمصلحة لا للإهانة، ولو ماتت الزوجة بسبب ضرب الزوج لوجبت الدية والكفارة، إذا كان الضرب لغير التأديب المأذون فيه.

يلبسون الحق بالباطل

ومن هنا يتبين لنا أن الضرب دواء ينبغي مراعاة وقته، ونوعه، وكيفيته، ومقداره، وقابلية المحل، لكن الذين يجهلون هداية الإسلام يقلبون الأمر، ويلبسون الحق بالباطل.

ثم إن التأديب بالضرب ليس كل ما شرعه الإسلام من العلاج، بل هو آخر العلاجات مع ما فيه من الكراهة، فإذا وجدت امرأة ناشز أساءت عشرة زوجها، وركبت رأسها، واتبعت خطوات الشيطان، ولم ينجح معها وعظ ولا هجران - فماذا يصنع الرجل في مثل هذا الحال؟

هل من كرامته أن يهرع إلى مطالبة زوجته كلما نشزت؟ وهل تقبل المرأة ذلك، فينتشر خبرها، فتكون غرضا للذم، وعرضة للوم؟.

وإذا أخطأ أحد من المسلمين سبيل الحكمة، فضرب زوجته وهي لا تستحق، أو ضربها ضربا مبرحا، فالدين براء من تبعة هذه النقائص، وإنما تبعتها على أصحابها.

هذا وقد أثبتت دراسات علم النفس أن بعض النساء لا ترتاح أنفسهن إلا إذا تعرضن إلى قسوة وضرب شديد مبرح، بل قد يعجبها من الرجل قسوته، وشدته، وعنفه، فإذا كانت امرأة من هذا النوع فإنه لا يستقيم أمرها إلا بالضرب.

وشواهد الواقع والملاحظات النفسية على بعض أنواع الانحراف تقول: إن هذه الوسيلة قد تكون أنسب الوسائل لإشباع انحراف نفسي معين، وإصلاح سلوك صاحبه، وإرضائه في الوقت ذاته، فربما كان من النساء من لا تحس قوة الرجل الذي تحب أن يكون قواما عليها إلا حين يقهرها عضليا.

وليست هذه طبيعة كل امرأة، ولكن هذا الصنف من النساء موجود، وهو الذي يحتاج إلى هذه المرحلة الأخيرة، ليستقيم على الطريقة.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾

شهادات غربية فى إنصاف الإسلام

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

٣

ويواصل السير توماس أرنولد شهادته المنصفة مستد لا بآراء العديد من المفكرين الأوربيين فيقول: «إن اليعاقبة الذين كانوا يكونون السواد الأعظم من السكان المسيحيين، قد عوملوا معاملة مجحفة من أتباع المذهب الأرثوذكسى التابعين للبلاط -«البيزنطى» - الذين ألقوا فى قلوبهم بذور السخط والحنق اللذين لم ينسهما أعقابهم حتى اليوم. كان بعضهم يعذب ثم يلقى بهم فى اليم، وتبع كثير منهم بطريقهم إلى المنفى لينجوا من أيدى مضطهديهم، وأخفى عدد كبير منهم عقائدهم الحقيقية، وتظاهروا بقبول قرارات مجمع خلقدونية [١] ولقد قيل إن «جستنيان» (٤٨٣ - ٥٦٥م) أمر بقتل مائتى ألف من القبط فى مدينة الإسكندرية، وأن اضطهادات خلفائه قد حملت كثيرين على الالتجاء إلى الصحراء..

وقد جلب الفتح الإسلامى إلى هؤلاء القبط.. حياة تقوم على الحرية الدينية التى لم ينعموا بها من قبل ذلك بقرن من الزمان.. ويظهر أن حالة القبط فى الأيام الأولى من حكم المسلمين كانت معتدلة نوعاً ما، وليس هناك شاهد من الشواهد على أن ارتدادهم

١) المجمع المسكونى الرابع -سنة ٤٥١م- وهو الذى أقر عقيدة الطبيعتين المسيح، وهى العقيدة الكاثوليكية.

عن دينهم القديم ودخولهم فى الإسلام على نطاق واسع كان راجعا إلى اضطهاد أو ضغط يقوم على عدم التسامح من جانب حكامهم الحديثين بل لقد تحول كثير من هؤلاء القبط إلى الإسلام قبل أن يتم الفتح، حين كانت الإسكندرية، حاضرة مصر وقتئذ، لاتزال تقاوم الفاتحين، وسار كثير من القبط على نهج إخوانهم بعد ذلك بسنين قليلة [٢]...»

الجدل المسيحى ساهم فى نشر الإسلام

«ويزعم كثير من علماء اللاهوت المسيحيين أن حالة الكنيسة الشرقية التى تدهورت فى ذلك الوقت من الناحية الخلقية والروحية لابد وأن تكون قد دفعت كثيرين إلى أن يلتمسوا جواً روحياً أسلم وأصح فى ذلك الدين الإسلامى الذى جاءهم وهو فى أشد ما تكون الحماسة الغضة قوة وعنفا.

وعلى سبيل المثال، يتساءل «ملمان» Dean - Mil man: «ماذا كانت حال العالم المسيحى فى الأقاليم التى تعرضت لأولى غزوات الإسلام؟ كانت الأحزاب الدينية يناوىء بعضها بعضاً، ورجال الكنيسة يتنازعون فيما بينهم على أشد مسائل الدين إبهاماً وأكثرها غموضا، فيما يتعلق بما وراء الطبيعة فى العقيدة الدينية والأرثوذكس والنساطرة وأتباع أوطيخوس [٣] واليعاقبة يضطهد بعضهم بعضاً، وقد استحكمت بينهم العداوة التى لاتفتر ولاتنقطع، ولانكون مبالغين فى الحكم على مساوىء الجدل الدينى إذا افترضنا أن كثيرين ربما فرحوا بوقوع خصومهم فى إسار الكفار - «يقصد المسلمين» - وكان هذا أفضل عندهم من أن يجمع بينهم هدف مشترك فى سبيل الدفاع عن المسيحية التى تربط بينهم.

فكم من أناس لابد أن يكون هذا الجدل قد زعزع أسس عقيدتهم! وكم كان يكون غريباً لو أن هؤلاء الآلاف من الناس لم يلتمسوا، وهم فى ضجرهم وحيرتهم، ملجأ من هذه المجادلات التى لاتنتهى عند حد ولاتعرف اللين والتسامح، فى تلك الحقيقية البسيطة الواضحة، حقيقة الوحدانية، مهما طولبوا بالاعتراف ببعثة محمد ونبوته.

٢) «الدعوة إلي الإسلام» ص١٢٣- ١٢٤.

٣) أوطيخوس Eutyches «٣٨٨- ٤٥٤م» راهب يونانى عاش فى القسطنطينية، وقال بوحدة الطبيعة فى المسيح «مونوفيزية» فحرمه المجمع الخلقيدونى سنة ٤٥١م.

كيتانى يدافع عن الإسلام

وشبيه بهذا ما يراه «كيتانى» Caetani «١٨٦٩ - ١٩٢٦م» من أن انتشار الإسلام بين نصارى الكنائس الشرقية إنما كان نتيجة شعور باستياء من السفسطة المذهبية التى جلبتها الروح الهلينية إلى اللاهوت المسيحى، أما الشرق الذى عرف بحبه للأفكار الواضحة البسيطة، فقد كانت الثقافة الهلينية وبالا عليه من الوجهة الدينية، لأنها أحالت تعاليم المسيح البسيطة السامية إلى عقيدة محفوفة بمذاهب عويصة، مليئة بالشكوك والشبهات فأدى ذلك إلى خلق شعور من اليأس، بل زعزع أصول العقيدة الدينية ذاتها فلما أهلّت آخر الأمر أنباء الوحى الجديد فجأة من الصحراء لم تعد تلك المسيحية الشرقية التى اختلطت بالغش والزيف وغرقت بفعل الانقسامات الداخلية، وتزعزعت قواعدها الأساسية، واستولى على رجالها اليأس والقنوط من مثل هذه الريب، لم تعد المسيحية بعد تلك قادرة على مقاومة إغراء هذا الدين الجديد الذى بدد بضربة من ضرباته كل الشكوك التافهة وقدم مزايا مادية جليلة إلى جانب مبادئه الواضحة البسيطة التى لاتقبل الجدل، وحينئذ ترك الشرق المسيح وارتمى فى أحضان نبى بلاد العرب.

الإسلام منح العبيد رجاء والإنسانية إخاء

أضف إلى هذا قول «تايلور» Taylor «١٧٥٣ - ١٨٢٤»: «إنه من اليسير أن ندرك لماذا انتشر «هذا الدين الجديد» بهذه السرعة فى أفريقيا وآسيا كان أئمة اللاهوت فى أفريقيا والشام قد استبدلوا بديانة المسيح عقائد ميتافيزيقية عويصة، ذلك أنهم حاولوا أن يحاربوا ما ساد هذا العصر من فساد بتوضيح فضل العزوبة فى السماء وسمو البكورية إلى مرتبة الملائكة، فكان اعتزال العالم هو الطريق إلى القداسة، والقذارة صفة لطهارة الرهبنة وكان الناس فى الوقاع مشركين يعبدون زمرة من الشهداء والقديسين والملائكة، كما كانت الطبقات العليا مخنثة يشيع فيها الفساد، والطبقات الوسطى مرهقة بالضرائب، ولم يكن للعبيد أمل فى حاضرهم ولا مستقبلهم فأزال الإسلام -بعون من الله- هذه المجموعة من الفساد والخرافات لقد كان ثورة على المجادلة الجوفاء فى العقيدة، وحجة قوية ضد تمجيد الرهبانية باعتبارها رأس التقوى، ولقد بين أصول الدين التى تقول بوحدانية الله وعظمته، كما بين أن الله رحيم عادل يدعو الناس إلى الامتثال لأمره والإيمان به وتفويض الأمر إليه وأعلن أن المرء مسئول، وأن هناك حياة آخرة ويوما للحساب، وأعد للأشرار عقاباً أليما، وفرض الصلاة والزكاة والصوم وفعل الخير، ونبذ الفضائل الكاذبة والدجل الدينى والترهات والنزعات الأخلاقية الضالة وسفسطة المنازعين فى الدين، وأحل الشجاعة محل الرهبنة، ومنح العبيد رجاء، والإنسانية إخاء، ووهب الناس إدركاً للحقائق الأساسية التى تقوم عليها الطبيعة البشرية..»

«.. أضف إلى ذلك، أن الإسلام قد نظر إليه بعض الباحثين على أنه رد فعل ضد النظام الكنسى البيزنطى، الذى كان يمثل الإمبراطور ورجال بلاطه صورة من الجلالة الإلهية فى الأعالى، وينظر إلى الإمبراطور نفسه لاعلى أنه الحاكم الدنيوى الأعظم فحسب، بل على أنه الكاهن الأكبر كذلك.

أضف إلى ذلك أيضا أنه كان لتعميم استعمال اللغة العربية فى كافة أرجاء البلاد الخاضعة للخلافة الإسلامية، وبخاصة المدن والمراكز الكبرى الآهلة بالسكان، كما كان كذلك للتماثل الذى تم تدريجيـاً فى الأخلاق والعادات، والذى أدى فى خلال ما يقرب من قرنين إلى اندماج الأجناس المغلوبة على اختلافها اندماجاً قوياً فى الحياة القومية التى كان يحياها العنصر العربى الحاكم كان لهذا كله من غير شك صدى فى الحياة الدينية والفكرية لدى كثيرين من أفراد الديانات التى دخلت فى حماية العرب الفاتحين ومن المحتمل جداً أن تكون الحركة الفكرية التى أثرت فى العقيدة الإسلامية تأثيراً بالغاً، ابتداء من القرن الثانى حتى القرن الخامس للهجرة، قد أثرت فى المفكرين المسيحيين فصرفتهم عن ديانة كان روح عقيدتها السائدة تلوح فى ذلك الوقت أنها عقيدة مستحيلة من الناحية العملية» (٤)

***

«لقد اتسعت الكنيسة المسيحية.. «فى شمال أفريقيا»- قبل الإسلام-.. ومع ذلك، فقد تلقت من اضطهاد الوندال(٥) ضربة لم تفق منها أبداً فقد ظل الوندال الآريون قرابة قرن من الزمان، يضطهدون الأرثوذكس اضطهاداً عنيفاً لا هوادة فيه، فشردوا أساقفتهم، وحرموا الجهر بإقامة شعائرهم الدينية، وقسوا فى تعذيب هؤلاء الذين أبوا أن يدخلوا فى ديانة من فتحوا بلادهم» (٦).

٤) جون تايلور «١٧٥٣– ١٨٢٤م» فيلسوف سياسى امريكى، يعرف بـ«جون تايلور الكارولينى»، له مؤلفات هامة فى الحقوق الخاصة بالولايات.

٥) «الدعوة إلى الإسلام» ص٨٩-٩٢.

٦) قبيلة جرمانية قديمة، استوطنت مع قبائل جرمانية أخرى وادى أودر ابتداء من حوالى القرن الخامس قبل الميلاد.

الاضطهاد الدينى أسلوب أوروبى

«ولكننا لم نسمع – فى ظل الإسلام – عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن أى اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحى ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدى الخطتين لاكتسحوا المسيحية بتلك السهولة التى أقصى بها فرديناند Ferdinand (١٤٥٢ – ١٥١٦م) وإيزابيلا Isabella (١٤٥١ – ١٥٠٤م) دين الإسلام من أسبانيا، أو التى جعل بها لويس الرابع عشر Louis XIV (١٦٣٨ – ١٧١٥م) المذهب البروتستانتى مذهبا يعاقب عليه متبعوه فى فرنسا، أو بتلك السهولة التى ظل بها اليهود مبعدين من انجلترا مدة خمسين وثلثمائة سنة.

لقد كانت الكنائس الشرقية فى آسيا قد انعزلت انعزالاً تاماً عن سائر العالم المسيحى الذى لم يوجد فى جميع أنحائه أحد يقف فى جانبهم باعتبارهم طوائف خارجة عن الدين، ولهذا فإن مجرد بقاء هذه الكنائس حتى الآن ليحمل فى طياته الدليل القوى على ما قامت عليه سياسة الحكومات الإسلامية بوجه عام من تسامح نحوهم..

إنه يجب ألا نفرض أن حالة القبط كانت على الدوام حالة طائفة مضطهدة، بل على العكس كانت هناك فترات كانوا يترقون فيها إلى المناصب التى يتمتع أصحابها بالشهرة والغنى فى الدولة فملأوا مناصب الوزراء والكتاب فى دواوين الحكومة، وحددوا قيمة الضرائب التى تجبى على الأرض التى تعطى على سبيل الالتزام (٧) وجمعوا ثروة ضخمة فى بعض الحالات ولقد أمدنا تاريخ كنيستهم بكثير من الأمثلة عن رجال الكنيسة الذين تمتعوا بعطف الأمراء الذين حكموا بلادهم، ونعم القبط فى عهدهم بأقصى درجات الطمأنينة.

صحيح أن بعض الخلفاء قد قام بمحاولات غير مجدية لإقصائهم عن الوظائف العامة، فأصدر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ ٧٥٤-٧٧٥م) والمتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ ٨٤٧-٨٦١م) والمقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ ٩٠٨-٩٣٢م) والآمر (٤٩٤-٥٢٤هـ ١١٠١ - ١١٣٠م) وهو أحد الخلفاء الفاطميين فى مصر مراسيم بهذا الصدد وصدرت مثل هذا فى عهد سلاطين المماليك فى القرن الرابع عشر الميلادى، ولكن مجرد تجديد هذه المراسيم الخاصة بإقصاء الذميين من الوظائف الحكومية دليل على أن مثل هذه الأساليب التى

٧) «الدعوة إلى الإسلام» ص١٤٥-١٤٦.

الأزهر

تنطوى على التعصب لم تكن توضع موضع التنفيذ دائماً، والحق أنه يمكن أن تكون هذه المراسيم راجعة بوجه عام إما إلى سخط شائع أثاره السلوك الخشن المتعجرف الذى يسلكه الموظفون المسيحيون، أو إلى سورات من التعصب حملت الحكومة على القيام بأعمال من التعسف تتنافى مع الروح العامة التى ظهر بها الحكم الإسلامى، ولكن مصير هذه الأعمال التعسفية قد آل إلى الزوال فى أسرع وقت..

روح الإسلام السمحة

إن هذه المراسيم لم تكن إلى حد كبير أثراً لشعور دينى بحت بقدر ما كانت أثراً للظروف السياسية التى سادت هذا العصر.. ويمكن أن نرجع كثيراً من اضطهادات المسيحيين فى البلاد الإسلامية إما إلى الشك فى ولائهم، الذى كانت تثيره دسائس المسيحيين الغرباء وأعداء الإسلام وتدخلهم فى شئونهم، أو إلى الشعور السيئ الذى أثاره الملك القائم على الخيانة والقسوة، الذى ظهر به هؤلاء الأجانب نحو المسلمين، على أن التعصب الدينى مسئول عن كثير من أمثال هذه الاضطهادات، كما حدث فى عهد الخليفة المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ ٨٤٧-٨٦١م) الذى اتخذ نحو المسيحيين اجراءات شديدة من التعسف.. ومما هو جدير بالذكر أن مؤرخى الكنيسة النسطورية –التى لم يكن بد من أن تقاسى الكثير من هذا الاضطهاد– يعدونه أمراً حديث العهد، انفرد به المتوكل وانتهى بوفاته.. (٨)

ولكن مثل هذا التعسف كان منافياً لروح الإسلام السمحة، وللتعاليم التى أثرت عن النبى.. ويظهر أن أمثال سورات الاضطهاد هذه قد أثارها فى بعض الحالات هؤلاء المسيحيون الذين شغلوا مناصب عالية من خدمة الحكومة من جراء إساءة استعمال سلطتهم، فأثاروا على أنفسهم بظلمهم المسلمين شعوراً قوياً من الاستياء، وقد قيل أنهم استغلوا مناصبهم العالية فى سلب أموال المؤمنين ومضايقتهم ومعاملتهم بشئ كثير من الغلظة والقحة وتجريدهم من أراضيهم وأموالهم، وقد تقدم المسلمون بالشكوى إلى الخليفة المنصور (١٣٦-١٥٨هـ ٧٥٤-٧٧٥م) والمهدى (١٥٨-١٦٩هـ

٨) نظام فى استغلال الأرض الزراعية، تطرح فيه الدولة القرى والأرض فى المزاد على من يتقبل الالتزام بخراجها، فيدفع الملتزم ضمان هذا الأداء، ثم يقوم بالإشراف على زراعة الفلاحين والأقنان لها لقاء ما يتعيشون به، محصلا الفوائض بين ما يدفعه للدولة وما يستغله من الأرض لنفسه.

٧٧٥-٧٨٥م) والمأمون (١٩٨-٢١٨هـ ٨١٣-٨٣٣م) والمتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ-٨٤٧-٨٦١م) والمقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ ٩٠٨-٩٢٣م) وإلى كثير من خلفائهم كما تعرضوا أيضاً لبغض كثير من المسلمين باستخدامهم عيونا للدولة العباسية ومطاردة أشياع البيت الأموى الذى أقصى عن الحكم، وفى عصر متأخر اتُهِمَ المسيحيون فى زمن الحروب الصليبية باتصالهم بالصليبيين اتصالا ينطوى على الخيانة، فجلبوا على أنفسهم قيودا شديدة الحرج، ليس من العدل أن نصفها بأنها اضطهاد دينى.

يقول السمعانى[١٠] ٥٠٦ - ٥٦٢هـ ١١١٣- ١١٦٧م جـ١ القسم الأول ص٩٨،١٠٦- حين يتحدث عن الأسباب التي أدت إلى اضطهاد المسيحيين فى ظل الحكم الإسلامى:

«كثيرا ما أثارت المنازعات المتبادلة بين المسيحيين أنفسهم، وتصريحات رجال الدين وكبراء قادتهم، وسلطة أقطابهم العاتية، عاصفة من الاضطهاد، وخاصة المجادلات بين الأطباء والكتاب بصدد السيطرة المطلقة على أمتهم».

مستشرق أوربى: لا نجد دينا أكثر تسامحا من الإسلام

وفى خلال الحروب الصليبية، طالما وقع مسيحيو الشرق فى تهمة العمل على ممالأة الغزوات التي قام بها إخوانهم فى الدين من المسيحيين الذين وفدوا من الغرب.

وفى تركيا الحديثة، نجد حركة استقلال اليونان، وما أثارته هذه الحركة من العواطف الدينية فى أوروبا المسيحية ساعدت على جعل نصيب الشعوب المسيحية الخاضعة.. أشق مما كان يمكن أن يكون لو أنهم لم يتهموا بالخيانة ونفورهم من حاكمهم المسلم.

وقد أوضح «جوبينو» De- Gobineau «١٨١٦-١٨٨٢م»[١٠] فكرته إيضاحا قويا جدا فيما يتعلق بمسألة تسامح الإسلام حين قال:

«إذا انفصلت العقيدة الدينية عن الضرورة السياسية التي طالما تحدثت وعملت باسمها، فإننا لا نجد دينا أكثر تسامحاً، بل يمكن أن يقال على وجه التقريب، أكثر بعدا عن الاكتراث للعقيدة الفردية من الإسلام، هذا التكوين الآلى قوى إلى حد أننا إذا استثنينا الحالات التي كان كيان الدولة الواقع فى خطر يحمل الحكومات الإسلامية على اتخاذ كل الأساليب للوصول إلى توحيد العقيدة، فقد كان التسامح إلى أقصى حد هو القاعدة المستمدة من الأصول الإسلامية.. ولا يجوز أن نقف عند ألوان القسوة والعنف اللذين ارتكبا فى أية مناسبة.. والتى إذا نظرنا إليها عن قرب لن نتردد فى معرفة أن أسبابها كانت سياسية محضة، أو راجعة إلى الأهواء البشرية، أو إلى المزاج المسيطر على الحاكم أو فى الشعوب، إن الفعل الدينى لم يلجأ إلى هذه الوسائل إلا من حيث هى حجة، ولكنه في الواقع لا يدخل فى نطاقها».[١١]

ولقد عرض «مارى بن سليمان»[١٢] تعليلا لحالات الارتداد عن النصرانية إلى الإسلام.. حول نهاية القرن العاشر.. بقوله: «وأسلم خلق كثير، وكان أصل ذلك تجوز الناس فى أديانهم، وقبح سيرة الكهنة فى المذابح والبيع وبيوت المقدس»، «ولم يتعرض أحد لمعظم كنائسهم وأديارهم إلا فى المدن الكبيرة، حيث تحول بعضها إلى مساجد، وهو تصرف كان من العسير أن يعترض عليه نظراً لتزايد عدد المسلمين الهائل وما كان يقابله من تناقص فى المجتمع المسيحى»[١٣].

***

٩) لقد شمل اضطهاد المتوكل كثيراً من المسلمين أيضا، واضطهد المعتزلة والشيعة اضطهادا فاق اضطهاده لغير المسلمين.

١٠) أبو سعيد، عبدالكريم بن محمد التميمى، مؤرخ ورحالة، من حفاظ الحديث، له آثار هامة في التاريخ والأنساب، وكتابه «تاريخ مرو» يزيد على عشرين جزءا.

١١) جوبينو- جوزيف آرثر- كاتب وسياسى فرنسى، يعد كتابه عن «التفاوت بين الأجناس البشرية» أهم مؤلفاته.

١٢) مارى بن سليمان «منتصف القرن الثانى عشر الميلادى» مؤلف نسطورى جمع علوم النساطرة وتاريخهم فى كتابه «المجدل للاستبصار والجدل».

١٣) «الدعوة إلى الإسلام» ص٩٨، ٩٩، ١٢٨، ٩٤-٩٨، ٤٦٢، ٨٣.

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

هل من جديد فى قضية الدعوة؟

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

صدر مؤخرا بين «الأزهر الشريف» وبين وفد أمريكى يطلق على نفسه «سفراء السلام» وثيقة تدعى باسم «الحقوق الدينية» تضمنت عددا من البنود، تدعو جميعها إلى إطلاق الحرية الكاملة لأتباع كل دين فى أن ينشروا دينهم أنى شاءوا دون أن يتصدى لهم أتباع الدين الآخر بما يحد من حركتهم، أو يوقفهم عند حد، ووافق الأزهر الشريف عليها.. دون تحفظ حتى على بند واحد من بنودها، وذلك من منطق سماحة الإسلام، التى رفع رايتها رسول الله - ﷺ - منذ أن جاءت الدعوة المباركة، ونطق بها صراحة كتاب الله الكريم.

قال تعالى:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾

(البقرة/ ٢٥٦)

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

(يونس/ ٩٩)

وهذه طبيعة الحياة التى شاء الله أن تكون هكذا

﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

(يونس/ ١٩)

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

(هود/ ١١٨/ ١١٩)

«سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا» فالإسلام بطبيعته سمح «كريم» يُفسح صدره دائما للآخر، ويمنحه الفرصة كاملة ليقول ما عنده دون إكراه أو مغالطة، شريطة أن يكون المبلِّغ على جلية من أمور الدين الذى يدعو إليه، ليزيل كل لبس أو غموض يقع فى طريق الدعوة:

﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾

(الأنفال/ ٤٢)

هذا من جانب، ومن جانب آخر لأنه يثق فيما عنده من مثل ومبادىء، فالحق له وجه واحد ومنطق واحد، ولابد من أن يؤدى إلى نتيجة واحدة، لا تتعدد فيها الألوان، ولا تختلط فى ساحتها الأفهام.. ولقد كان علماؤنا الأفاضل فى توقيعهم على هذه الوثيقة، ينطلقون من هذه الحقيقة بشطريها.

لكن الذى نودّ أن نقوله هنا ونؤكد عليه، حتى لا نكون قد أخطأنا فى حق ديننا وفى حق أنفسنا، أن هذه الوثيقة تستحق منا كل اهتمام، لا لأن ما تضمنته من بنود جديدة علينا، فنحن أول من آمن بمضمونها، وأول من طبقها تطبيقا عمليا على أرض الواقع، منذ أن خرجت الدعوة من الجزيرة العربية، وانطلقت فى الأقطار، محققة من الانتشار فى الأقطار المجاورة وغير المجاورة ما يُعدّ فى ذاته إحدى معجزات هذا الدين، كما سنوضح بعد قليل بشىء من التفصيل.

لكن الذى نود أن نلفت النظر إليه هنا، أنها صدرت من الولايات المتحدة الأمريكية ولم تصدر من مسيحيى الشرق، الذين يساكنوننا ديارنا، وتعنيهم هذه القضية عناية مباشرة، والولايات المتحدة الأمريكية هى راعية المسيحية الغربية، التى اختلطت تعاليمها ومبادئها بتعاليم الصهيونية العالمية، التى لا تعرف إلا التعصب الأعمى، والكذب وتشويه الحقائق، وتسييس التعاليم الدينية، حتى أنها قد اتخذت منذ قيام إسرائيل - وهذا معروف تماما - من الدين قومية لها، وهو ما يجعلها قريبة من المبدأ القائل: «من ليس معنا فهو بالضرورة علينا».. !! حيث باتت ترتكب أفضع الجرائم ضد الإنسانية، وتحيك أشد المؤامرات فتكا بالشعوب، حتى إن المحللين والمؤرخين لم يبحثوا يوما فى أسباب كارثة حلت بأمة أو بعدد من الأمم، إلا وجدوا أصابع الاتهام تشير صراحة أو من وراء الستار إلى الصهيونية، هذا هو المناخ العام الذى اكتنف هذه الوثيقة وهو مناخ أقل ما يوصف فيه أنه مناخ «مسمم» ومشحون.

أشلاء الشعب الفلسطينى

هذه حقائق نعيشها.. ويعيشها العالم من حولنا، وتتضح نتائجها من فوق أشلاء الشعب الفلسطينى الأعزل، الذى لم تذرف الولايات المتحدة الأمريكية عليه دمعة واحدة طيلة حياتها، ولم توجه مرة واحدة لليهود حتى كلمة عتاب إرضاء للأمة الإسلامية، بل إنها تستخدم حق «الفيتو» اللعين لإبطال أى كلمة لوم أو عتاب من الدول التى يصحو ضميرها آنا بعد آن، لتستمر آلات الحرب الأمريكية، والتى بأيدى الصهيونية فى تكسير عظام الأطفال والنساء والشيوخ من الشعب الفلسطينى.. !! هذه هى الولايات المتحدة الأمريكية، التى تتباكى على الحرية الدينية، وهذا

هو موقفها الرسمى المعلن من قضايا الإسلام والمسلمين، وهذا هو المناخ الذى صدرت منه وثيقة «الحقوق الدينية».

لقد صدرت هذه الوثيقة من تحت عباءة الرئيس الأمريكى «جورج بوش» الصغير وهو أشهر رئيس لعب بالنار منذ أول يوم فى ولايته، متخذا من البلاد الإسلامية مسرحا لهذه الألعاب دون سواها من بلاد الله ولازال يخطط ويهدد، ولا يعلم إلا الله كم من الأنهار ستجرى بدماء المسلمين على يديه..!!.

وهو ذو تاريخ عقائدى معروف، حيث يرى نفسه مبعوث العناية الإلهية فى هذا العصر لنشر المسيحية فى العالم، وهو الذى يقوم بتمويل المشروع المسيحى – اليهودى الأثيم المعروف باسم «الفرقان الحق» الذى تحدثنا عنه قبل ذلك، وتحدثت عنه معظم وسائلنا الإعلامية، ليكون بديلا للقرآن الكريم، وقد آلى الرئيس الأمريكى «مبعوث العناية الإلهية» على نفسه ألا يكون هناك مسلم واحد على وجه الأرض، خلال مدة لا تزيد على عشرين عاما.

هذه حقائق نعرفها ويعرفها العالم كله، ويعرفها رجال «الأزهر الشريف» وهم يوقعون على هذه الوثيقة، ولسان حالهم يردد قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾

(الشعراء/٢٢٧)

كما يردد هذه المقولة المشهورة «.. وعلى الباغى تدور الدوائر».

فالإسلام دين الله الذى ارتضاه لعباده، وهو الدين الذى تنضوى تحت لوائه كل



رسالات الله السابقة

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾

(المائدة/٤٨)

من لدن آدم – عليه السلام –، إلى عيسى ابن مريم – عليه السلام –، الذى جاء ليهدى خراف بنى إسرائيل الضالة، وليكون بشيرا بمقدم خاتم الأنبياء والمرسلين

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾

(الصف/٦)

صلح الحديبية

نقول هذا، ونحن نؤكد على أننا لا نستنكر من شيوخنا الأجلاء، هذه الموافقة على الوثيقة، فلو كنا فى مراكزهم ما فعلنا غير هذا، فالأمر شبيه كل الشبه بما حدث يوم صلح الحديبية بين رسول الله – ﷺ – وبين وفد المشركين، حيث كانت كل بنود هذا الصلح أو معظمها تنطق صراحة بالإجحاف الذى يقع على المسلمين من ورائها، حتى إن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – يقول لأبى بكر الصديق: «يا أبا بكر، ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟» فيقول له الصديق: «بلى، نحن على الحق إن متنا وإن حيينا» فيقول له: «أليسوا هم على الباطل؟» فيقول له: بلى، هم على الباطل» فيقول له: «فلمَ نعطى الدنية فى ديننا؟!» فيقول له الصديق: «الزم غرزك يا عمر، إنه رسول الله، ولن يضيعه الله» فيتوجه الفاروق إلى رسول الله – ﷺ – ويقول له: «يا رسول الله: ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟» فيقول له: «بلى نحن على الحق إن متنا وإن حيينا» فيقول له: «أليسوا على الباطل؟» فيقول له: «بلى هم على الباطل» فيقول له: «فلم نعطى الدنية فى ديننا؟!» فيقول له الرسول – ﷺ –: «الزم غرزك يا عمر، فإنى رسول الله، ولن يضيعنى الله» ولذا كان هذا الصلح «صلح الحديبية» فتحا مبينا للإسلام والمسلمين.

نعم نحن على الحق، وهم على الباطل، وخاب من لم يعرف هذه الحقيقة من المسلمين.

وأولو الأمر من علماء المسلمين، وشيوخ الأزهر الأفاضل، يؤمنون تماما بهذه الحقيقة بشقيها.. ولكنهم وقعوا على هذه الوثيقة مقتدين فى هذا العمل التاريخى برسول الله – ﷺ – فى صلح الحديبية، ولن يضيعهم الله، أما نحن فموقفنا لا ينبغى أن يتخطى موقف عمر بن الخطاب فلنلزم غرزنا، فهذا دين الله، ولن يضيعه الله..!! وإننا لنؤمن بأن هذه الوثيقة ستكون فتحا مباركا للإسلام والمسلمين فى هذا العصر.

موقف تاريخى للأزهر

ونحن حينما نذكر أن علينا نحن المسلمين الالتزام التام بما وافق عليه رجال الأزهر الشريف لا نعنى أن نقف مُغمضى العينين، أمام ما يمكن أن يحدث من وراء هذه الوثيقة، خصوصا ونحن طيلة حياتنا لم نتخذ من الديانات المخالفة موقف الهجوم، ولم يُثبت التاريخ واقعة واحدة أكره فيها المسلمون واحدا من النصارى أو اليهود على اعتناق الإسلام.. أقول: لا ينبغى أن نقف مغمضى العينين عما يمكن أن يحدث «فالمؤمن كيّس فطن» و«سوء الظن من حسن الفطن»، فمما يغلب على ظننا أن الوفد الأمريكى حينما قدم إلى مصر، كان يراهن على رفض رجال الأزهر لهذه الوثيقة أكثر مما يراهن على الموافقة، ولقد كان من المخطط المرسوم على ما نظن وحسبما تؤكد تعاملاتنا الطويلة مع مثل هذه المنظمات المشبوهة أن ترفض القاهرة، ممثلة فى رجال الأزهر الشريف التوقيع على هذه الوثيقة، وعندئذ يتلقف الوفد الأمريكى هذا الرفض ليملأ الدنيا ضجيجا، على السماحة والسلام اللذين يفتقدهما الإسلام والمسلمون، وهو ما يؤكد على صحة مقولتهم الظالمة بأن الإسلام دين الإرهاب، وأن رجال الأزهر متعصّبون، معادون للأديان السماوية الأخرى، غير أن رجال الأزهر كعادتهم شامخون، واثقون

من أنهم على الحق، فلا مانع من هذه الموافقة بالرغم مما تحتويه من البنود التى تمثل المروج الخضراء، التى تُخفى تحتها كل ألوان الأفاعى والحيات، وإنهم فى موقفهم التاريخى هذا يتمثلون قول الحق - تباركت أسماؤه - وهو يخاطب نبيه - ﷺ :

﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾

(الأنفال / ٦١ / ٦٢)

المسلمون حافظوا على حرية العقيدة

قلنا فى فقرة سابقة: إننا نؤمن بكل ما جاء فى هذه الوثيقة، لأننا أول من طبّق مضمونها على أرض الواقع.. فلم يُثبت التاريخ حدثا واحدا ظلم فيه مسلم - حاكما كان أو محكوما - غير مسلم أو انتقصه حقه، أو أكرهه على الخروج من دينه إلى دين آخر، فها هو ذا رسول الله - ﷺ - عقب وصوله إلى المدينة يقوم أولا بتوثيق عُرى الأخوة بين المسلمين: مهاجرين وأنصار، ثم يقوم بعقد صلح بين المسلمين من جانب وغير المسلمين من جانب آخر وهم اليهود على أن يعيش الجميع فى أمن وسلام مدافعين عن المدينة ضد كل مُغير أو مُعتد على حرمة هذا البلد، ثم ضم إلى هذا الحلف العرب المشركين، الذين يساكنونه فى المدينة، ولم يُكره أحدا من هؤلاء وأولئك على ترك دينه والدخول فى الإسلام، فلما نقض اليهود هذا العهد الموثق كان مصيرهم الطرد أو القتل، كل حسب جرمه، وما كان يمكن أن يترتب عليه من نتائج لو أنهم بلغوا ما أرادوا للدعوة وصاحبها - ﷺ - لقد حافظ المسلمون طوال تاريخهم على حرية العقيدة، حيث كانت - ولاتزال - تقوم على عناصر ثلاثة:

أولها: تفكير حر غيرُ خاضع للتقليد، أيا كان من يقلده، سواء أكان الآباء الأولين أم الأقوياء الحاضرين.

ثانيها: منع الإكراه على عقيدة معينة بتهديد أو تعذيب.

ثالثها: أن يكون حُرا فى العمل بمقتضى دينه، لا يمنعه اضطهاد من الظهور بدينه وإقامة شعائره[1].

ولقد ظلت الدولة الإسلامية - على امتداد تاريخها - محافظة على هذا المبدأ فى حماية حقوق الأقليات غير المسلمة، حيث إن حماية غير المسلم واجبة على الدولة الإسلامية، فدمه مصون، ومن اعتدى عليه يُقتص منه، وأمواله مصونة، وحريته الشخصية مصونة ليس لأحد أن يمسّها، وكرامته محترمة، لأنه إنسان معصوم الكرامة كالمسلم على سواء.

«ولا شك أن تنفيذ هذه المبادىء مع اختلاف الدين، قد يكون صعبا على بعض النفوس، ولذا كانت المبالغة فى احترام حقوق الذمّيين، حتى لا تذهب الحماسة الدينية الرعناء إلى الاعتداء.

(١) اقرأ «المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام» لفضيلة الإمام الشيخ محمد أبوزهرة ج٣ ص٩٧ وما بعدها - ملحق مجلة الأزهر لشهر المحرم ١٤٢٦هـ.

مواقف لعمر بن الخطاب

«وعمر بن الخطاب كان يبث العيون على ولاته ليعرف مقدار إقامتهم للعدل فى رعيتهم، وأول ما يهتم بالسؤال عنه معاملتهم لأهل الذمة.. وكان لا يمتنع عن القصاص ممن يظلمهم» وقصة ابن عمرو بن العاص والى مصر من قبله مع أحد المصريين مشهورة ولا داعى لذكرها هنا فى هذه العُجالة[2]، وحينما حضرته الصلاة وهو فى كنائس النصارى وطلب منه رجال الدين المسيحى الصلاة داخلها رفض قائلا: حتى لا يقول المسلمون - بعد ذلك - هنا صلى عمر فيغلبوكم على كنائسكم، ثم خرج وصلى أمام الكنيسة، والإسلام إنما يتحرى بذلك أقصى درجات العدالة، فالدين لله الذى يحاسب العبد عليه يوم القيامة، ولن تفر منه شاردة أو واردة، وليس من الإنصاف أن يُحاسب العبدُ على «شىء» مرتين، وإساءة معاملة الذمّىّ فى دار الإسلام فى الدنيا نوع من الحساب له يقع عليه بيد البشر، وهو ما لا يليق أن يجتمع على شخص واحد مع حساب الله له فى الدار الآخرة، وهو لابُدّ واقع.. عدل إلهى مطلق فى تقدير الجزاء، لا يعدم أن يجد فى كل عصر من حكام المسلمين ومن الرعية من يقوم على رعايته وتطبيقه بكل حرص وأمانة.

المسلمون فى أوربا وأمريكا مواطنون من الدرجة الثانية!!

هذه ملامح يسيرة من معاملة الإسلام لغير المسلمين، الذين يعيشون فى كنف دولة الإسلام.. فأين هذا مما يحدث الآن - ونحن فى عصر «الحضارة والمدنية وحقوق الإنسان» - للأقليات المسلمة، التى تعيش فى أوروبا وفى الولايات المتحدة الأمريكية، من تضييق الخناق عليهم، واعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية، والنظر إليهم بعين التوجّس والحذر، وتحديد أماكن تحركاتهم وتفتيشهم تفتيشا ذاتيا مبالغ فيه أينما ساروا وحيثما حلّوا، وبخاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر الشهيرة، التى يبرأ منها الإسلام براءة تامة، ولقد سمعت أحد رجالات مصر الأفاضل[3]، يحكى ما حدث له فى إحدى بلاد الغرب «المتحضر الذى يعرف حقوق الإنسان ويقوم على رعايتها»، فلقد ذكر الرجل أنه فى أحد أسفاره تم تفتيشه وهو - بعد - لا يزال فى المطار، حتى وصل الأمر إلى الضغط على رجله داخل الحذاء، فضحك الرجل، وحينما سُئل عن سبب ضحكه قال لسائله، وهو نفس الشخص الذى ضغط على رجله: أنت ثانى رجل يقوم بالضغط على رجلى داخل الحذاء، وحينما سأله عن الرجل الأول، قال: هو بائع الحذاء الذى ضغط على رجلى، ليطمئن على «سلامة المقاس» هذا ما قاله الأستاذ الفاضل لأحد مسئولى الأمن فى هذا البلد، ويا ليت صاحبنا فهم مغزى العبارة..!!

يتبع

(٢) المجتمع الإنساني في ظل الإسلام ج٣/٩٧ وما بعدها

(٣) هو الدكتور احمد كمال أبوالمجد، وكان مستضافا فى برنامج «حوار على نار هادئة» فى إحدى القنوات الفضائية.

ما يقال عن الإسلام

نقد وثيقة «بكين» لعام ١٩٩٥م إحدى مشروعات الأمم المتحدة (٢)

كلمة نقد جامعة

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعنى

فى ما تقدم أبدينا نقداً لبعض البنود الواردة فى وثيقة بكين لعام ١٩٩٥م التى صدرت عن الأمم المتحدة فى شئون المرأة والطفل. وكان نقدنا موجهاً إلى البنود بنداً بنداً مما تناولناه بالنقد.

وفى هذه الكلمة الجامعة نسجل ـ هنا ـ نقداً عاماً لجميع البنود، حتى يتبين لنا إلى أى مدى يتمثل حجم الضرر بالحياة لو قدر لهذه الوثيقة أن تخرج إلى حيز التنفيذ إذا فرضت على النظم الحاكمة والشعوب التابعة لها مع الإشارة إلى «الجذور» التى نبتت عنها هذه الأفكار فى جملتها وتفصيلها.

إن هذه البنود تمثل اختراقات حمراء دامية لكل ما ورثته وتعارفت عليه المجتمعات الإنسانية منذ نشأتها وتطورها. ثم اتخذت منه نظاماً عاماً تسير عليه الحياة.

● فجاءت بنود هذه الوثيقة شاذة لكل الشذوذ عن عقائد الإنسان وأخلاقياته وعاداته وتقاليده المرعية.

● فادعت العداوة بين النساء والرجال.

● وادعت أن نظام الأسرة انحراف خطير ترتب عليه ظلم المرأة واحتقارها وامتهانها.

● وأباحت الشذوذ الجنسى بكل صوره المعروفة وغير المعروفة.

● وشنت حرباً لا هوادة فيها ضد العفة والطهارة الخلقية والخلقية.

● جعلت االدعارة القذرة سلوكاً مألوفاً، وحقاً من حقوق الإنسان طفلاً وطفلة ـ شاباً وشابة، رجلاً وامرأة واعتبرت تحريمها انتهاكاً لحقوق الإنسان؟

● جعلت الممارسة الجنسية بين «المثلين» ـ رجلين وامرأتين حقاً محمياً بقوة القانون من حقوق الإنسان؟

وهذا ـ كما ترى ـ أكبر وأشنع وأقبح انتكاسة فى نظام الحياة البشرية لم يسبق لها شبيه أو مثيل فى تاريخ البشر.

وقد يتساءل الناس ولابد أن يتساءلوا، كيف تنحو منظمة الأمم المتحدة هذا المنحى الخطر الذى يتنافى مع موروث الإنسانية فكراً، ويتنافى معها سلوكاً وواقعاً؟

وإذا عرف السبب زال العجب، وأسباب هذه الانتكاسة إذا عرفناها زال العجب وتحول إلى ترديد هذه الحكمة:

«كل إناء بالذى فيه ينضح»

وقد أجابت سيدة أمريكية فاضلة، هى السيدة «كاترين بالم فورث» عن هذا التساؤل:

كيف يصدر عن الأمم المتحدة هذا الانحطاط القذر؟ حين قالت:

إن لجنة المرأة فى الأمم المتحدة، شكلتها امرأة إسكندنافية كانت تؤمن بالزواج المفتوح ورفض الأسرة، وكانت تعتبر الزواج «الشرعى» قيداً «على المرأة» وأن الحرية الجنسية لابد أن تكون مطلقة «لا ضوابط فيها».

وكانت تقول «يعنى كاترين»: إن المواثيق والاتفاقيات الدولية، التى تخص المرأة والأسرة والسكان تصاغ الآن فى وكالات ولجان تسيطر عليها فئات ثلاث:

الأنثوية المتطرفة.

وأعداء الإنجاب والسكان.

والشاذون والشاذات جنسيا؟

ومصطلح الأنثوية المتطرفة، اتجاه شديد العداوة للرجال، ومن شعارات هذا الاتجاه شعار يقول: «حطموا الرجال».

أما أعداء الإنجاب والسكان فهذا الاتجاه مع رفضه لنظام الأسرة الشرعية.

فإنه يدعو إلى عدم الإنجاب لتصبح المرأة فى حرية تامة تمارس الجنس وهى غير مسئولة عن تربية الأطفال أو خدمة

الزوج؟

أما الشاذون والشاذات جنسياً، فهم الذين يمارسون الجنس بكافة أشكاله بدون رباط رسمى. ولهم فى بعض الدول الغربية نقابات معترف بها قانوناً، وبخاصة فى أمريكا وهم يتزايدون عاماً بعد عام؟

لقد كشفت السيدة كاترين السر وراء هذا التردى الخطير فى توجهات منظمة هيئة الأمم المتحدة وما كان لها أن تثق فى هذه الفئات الثلاث وتتركه مع فساد طبائعهم وسلوكهم فى مقام القيادة والتخطيط للإنسانية الراقية بعد أن قطعت أشواطاً من التحضر والنهوض.

فقد أفرغوا ما فى أوهامهم وأنفسهم من شذوذ فكرى وسلوكى، فى هذه الوثيقة، ليطبعوا العالم كله بالدناءة والإسفاف والحقارة والهمجية ويقتلوا كل ما فى الوجود من قيم الطهر والعفاف والتآلف والود.

أجل: إن كل إناء بالذى فيه ينضح، كما يقول الحكماء.

إننا فى مواجهة هذا الانقلاب الخطير الذى يراد للحياة نستصرخ عقلاء الأمم المتحدة بأن تئد هذا المشروع فى ظهر أبيه قبل أن يصل إلى رحم أمه، استئصالاً لنواة الشرور والمقابح والآثام.

وقد وقف أحرار الإنسانية ـ من قبل أمام هذه الحقارات مستنكرين لها، وعارضها الأزهر والفاتيكان وجمعيات الأسر ورجال التربية وعلماء الأخلاق والاجتماع، وبعض المنظمات العالمية الشريفة فى الشرق والغرب وفى كل مكان.

جمهورية أفلاطون

ومن جذور هذه النزعة الإباحية من حيث النشاط الفكرى المجرد جمهورية أفلاطون المعروفة؛ حيث اقترح إباحة الممارسة الجنسية المشاعة فى مزرعة تفريخ بشرى بين مجموعة من الرجال والنساء يتبادلون المعاشرة الجنسية بشكل عشوائى حتى لا يعرف المولود من هو أبوه، ولا من هى أمه، لأن الأطفال يخلطون بعد ولادتهم لتجهل أمهاتهم كما جهل آباؤهم.

حتى حارسات هذه المزرعة اشترط أفلاطون إن يقفن على أبوابها عاريات، وادعى أن عريهن لا يقدح فى عفتهن، ما دمن يتحلين بالفضيلة؟

ثم المزدكية والمانوية فى فارس القديمة قبل الإسلام حين ظهرت أفكار تنادى بشيوعية الفروج فى عهد كسرى أنوشروان، الذى عارضه ابنه خشية على مصير أمه فلما أصر كسرى أنوشروان قتله ابنه ليحمى شرف أمه؟

أما عمليا فإن عمل قوم لوط هو أكبر جذر عملى وقدوة سيئة لوثيقة الأمم

المتحدة، لأنهم كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء، فرفع الله قريتهم إلى السماء، ثم قلبها على رؤوسهم وأرسل عليهم حجارة من سجيل وما هى من الظالمين ببعيد.

لذا فإن على الإنسانية أن ترفض بقوة بنود وثيقة الأمم المتحدة وإلا فإن الله لها بالمرصاد.

نداء واستغاثة

بما أن الوثيقة التى تصدينا لما فيها من بنود لاغتيال الأخلاق الإنسانية الفاضلة، هى خطر ماحق لموروثات الرسالات السماوية وتمثل انتكاسة مروعة لحاضر الإنسانية قاطبة. وسوف يعقد مؤتمر فى نيويورك من شهر فبراير القادم فى الثامن والعشرين هذا العام ٢٠٠٥م لإقرار ما ورد فى الوثيقة على العالم كله وفرضه عليهم بالضغوط الحازمة والعقوبات القاسية لكل دولة لا تلتزم به.

لهذا كله نوجه هذا النداء لممثلى الديانتين المسيحية والإسلام ليتحركوا بسرعة لوقف هذا التخريب، والاعتداء على رسالات السماء ونستغيث بعد الله بالفاتيكان والأزهر واتحاد الكنائس العالمى ورابطة العالم الإسلامى بالسعودية ومجمع البحوث الإسلامية، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر، وجميع المؤسسات والمراكز والهيئات الدينية المسيحية والإسلامية، ليناشدوا منظمة الأمم المتحدة بإلغاء هذا المشروع المدمر، وبمواصلة العمل على كافة الأصعدة، لإنقاذ العالم من هذه الكارثة، وإرسال وفد عالى المستوى من علماء الدين مسلمين ومسيحيين لحضور المؤتمر القادم فى نيويورك، ليشرحوا للمؤتمرين الأخطاء الفادحة، والأضرار الساحقة التى سوف تترتب على تطبيق ما ورد فى وثيقة بكين ١٩٩٥م، التى ستصيب الحياة الإنسانية عامة فى أقتل مقاتلها. لا قدر الله.

والله ولى التوفيق

***

كتاب الشهر

إرهاب القراصنة وإرهاب الأباطرة قديماً وحديثاً

تأليف: ناعوم تشومسكى

تعريب: أحمد عبدالوهاب

عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

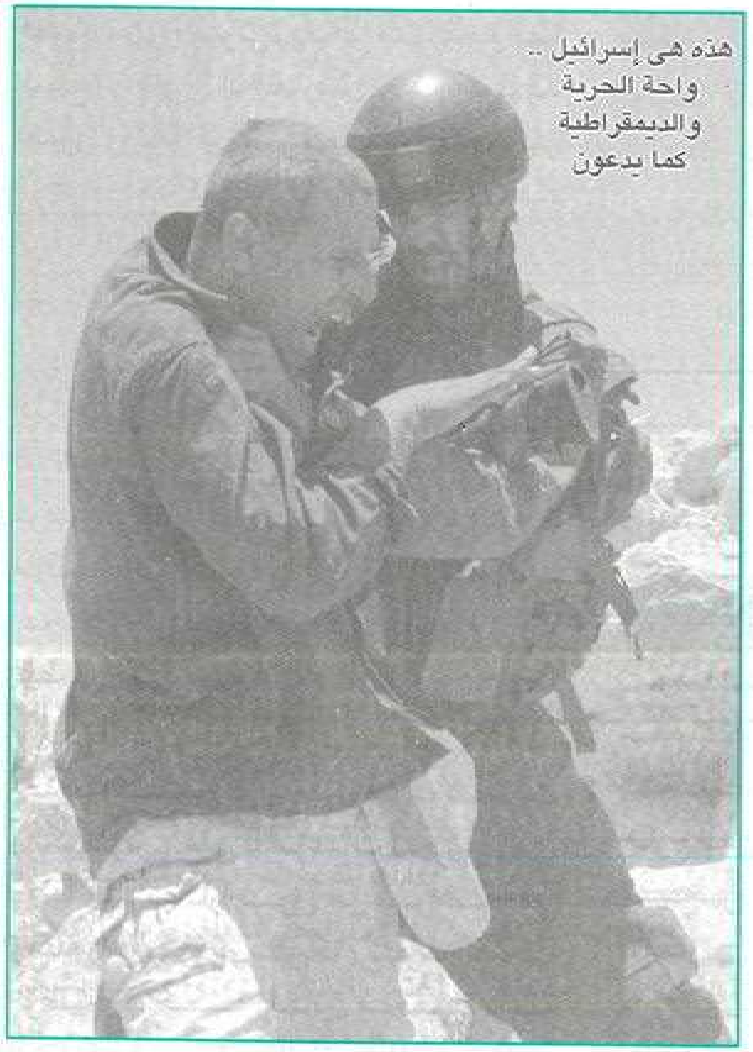
٢

ظل الأباطرة يعتمدون على نشاط القراصنة وغزواتهم العدوانية فى توسيع إمبراطوريتهم فى مقابل ما يضمن لهم الأباطرة من مؤازرة ومعاونة فى مواجهة أى قوة تحاول أن تقف فى وجوههم، وتحمى البحار والبلاد الساحلية من عدوانهم المستمر... حتى إذا حققت الكشوف العلمية الحديثة، وما توصلت إليه البشرية من مخترعات حديثة، حولت القارات الأرضية الممتدة إلى قرى صغيرة متقاربة أو متلاصقة.

عندئذ لجأ هؤلاء اللصوص الإرهابيون إلى ارتداء أزياء جديدة، يخفون بها وجوههم القبيحة، وأشكالهم المقززة المرعبة؛ فرأيناهم فى ثياب جديدة تخفى لصوصيتهم وإهابهم، مثل ثوب العولمة الذى امتلأ الفضاء بأصوات التبشير بها، والدعوة لقبولها، والانضواء تحت كنفها، معتمدة على سلاحى العصا والجزرة؟ فما لم يحققه الإغراء بالجزرة، يحققه العنف بالعصا، والإكراه بها؛ مستغلين كل ما توصل إليه العلماء من استخدامات علمية فى التضليل والقهر،، والتخفى وراء الشعارات البراقة الكاذبة من: حقوق الإنسان، وديمقراطية.. إلى غير ذلك مما أخذ (تشومسكى) نفسه بهتك أستاره، وكشف خباياه.

نطاق حرية الحوار والنشر

ويضيف (تشومسكى) مقرراً: إن الأداة الرئيسية لنظام (غسيل المخ تحت راية الحرية)، تشجع على الحوار فى القضايا السياسية فقط، داخل إطار اقتراحات مسبقة تجسد الأفكار الأساسية لاتجاه المجموعة؛ ففى حالة الحرب الفيتنامية سمحت القواعد الأيديولوجية بالحوار بين (الصقور والحمائم) عندما انقلبت قطاعات الأعمال الأمريكية الرئيسية ضد الحرب لتكاليفها الباهظة، وللضرر الواقع على مصالحها؛ فلم يكن مفر من التشجيع على حوار يبدد اعتراض تلك القطاعات، حيث فرض على الحوار مجالات أخرى، مثل: ندب الأخطاء، وسوء الفهم، دون التطرق إلى الحقيقة الرئيسية عن الحرب التى تؤكد أن الولايات المتحدة لم تكن تدافع عن الدولة التى كانت فى الأساس من صنيع الولايات المتحدة، وإنما كانت تهاجمها منذ سنة ١٩٦٢ بالمشاركة فى قصف (فيتنام الجنوبية)، وبدأت الحرب الكيماوية لدفع الملايين إلي المخيمات بحجة حمايتهم من عصابات الفيتناميين الجنوبيين التى كانت الولايات المتحدة نفسها تدعمها سراً. بعد أن قوضت أية إمكانية للتوصل إلى حل سلمى، ودست نظاماً عميلاً قتل عشرات الآلاف من الفيتناميين الجنوبيين، وفى أثناء الحرب كان الهجوم الرئيسى للولايات المتحدة ضد فيتنام الجنوبية، وقد نجح الهجوم فى أواخر الستينيات في تدمير المقاومة الفيتنامية الجنوبية، وقد أعلن أن هذا الهجوم ليس إلا دفاعاً ضد عدوان داخلى، مع حرمان الإعلام الأمريكى، والثقافة السائدة، وحتى أغلب مطبوعات حركة السلام، ومنعه من الحديث عن هذا الهجوم. وفى المقابل أعلن بكل الوسائل أن هجوم الاتحاد السوفيتى على أفغانستان عدوان يستدعى المقاومة.



هذه هى إسرائيل.. واحة الحرية والديمقراطية كما يدعون

وبصفة (تشومسكى) أحد المشاركين فى الحوار الذى دار حول عدوان فيتنام الشمالية، ومدى حق الولايات المتحدة فى محاربتها تحت

غطاء القانون الدولى، دفاعاً ضد هجومها المسلح... يقرر: أن المعارضين لعنف الدولة قد تعثروا ووقعوا فى شراك نظام دعاية ذى تأثير مرعب؛ فقد كان من الضرورى - خلال هذه المدة - أن يكون الدخول فى ساحة الحوار بشروط تضعها الدولة.

وهذا الوضع نفسه ينطبق على الحوار الذى أدير حول أمريكا الوسطى؛ فالحرب الإرهابية للولايات المتحدة فى (السلفادور) ليست موضوعاً للنقاش بين فئات المهذبين، ولا توجد مناقشة بالفعل. والحوار حول سعى الولايات المتحدة لاحتواء (نيكاراجوا) هو المسموح به فقط فى حدود ضيقة.

ففى الأشهر الثلاثة الأولى من سنة ١٩٨٦، عندما اشتد الحوار حول قرب تصويت (الكونجرس) على المساعدات للجيش الذى يهاجم (نيكاراجوا) من قواعده فى (هندوراس)، و(كوستاريكا) نشرت الصحف الوطنية آراء خمسة وثمانين صحفياً، داعية المشاركين فى سياسة الولايات المتحدة لدعم قضية (نيكاراجوا)، فانتقد الجميع حكومة (الساندنيستاز)، ولم يسمح لأحد من هؤلاء المجرمين بالتعبير عن وجهة نظره.

والشىء نفسه ينطبق تماما علي الشرق الأوسط، فقد تدخل فى مناقشات حول وجوب السماح للفلسطينيين بالدخول فى عملية السلام... لكن بشرط أن لا نفهم أن الولايات المتحدة وإسرائيل تقودان معسكر الرفض، وأنهما يعيقان باستمرار وبعنف كبير أية عملية سلام حقيقية.

وهذا نفسه ما يناقش فى نطاقه قضية الإرهاب؛ فعلى الرغم من تنبيه بعض المثقفين إلى ضرورة التراجع عن المبالغة فى نسبته إلى (إمبراطورية الشر) وعملائها، ووجوب فحص الجذور الاجتماعية والفكرية للأصولية الإسلامية الشرق أوسطية، فقد تكون هناك مصادر أخرى للإرهاب فى الشرق الأوسط، مستبعد من قبل اعتباره، فهو ليس منكراً فقط، وإنما هو غير قابل للتفكير فيه.

بل... وحرية التفكير.. كذلك

وهذا الفيلسوف (جون دولان) يرى: أن عدم التفكير فى ذلك ليس راجعاً إلى أن الشعب تنقصه الشجاعة فى التعبير عن أفكاره خارج المدى المسموح به، ولكن لأن الشعب سيحرم من القدرة على الوصول إلى هذه الأفكار.

والتضليل، وتعدد المعايير... يأتيان فى مقدمة وسائل الحرمان من القدرة على الوصول إلى هذه الأفكار، فبينما يفرضون على الفلسطينيين - الذين يتوسلون بالإرهاب لرفع الظلم عنهم - أن ينبذوا الإرهاب، ويبحثوا عن سبل أخرى تحتوى على حل وسط لتحقيق أهدافهم... بينما يطالبون الفلسطينيين بذلك... نجد (مارك هيلر) نائب مدير مركز (جافى) للدراسات الاستراتيجية التابع لجامعة تل أبيب يقرر: أن الإرهاب الذى تكفله الدولة... هو حرب منخفضة الحدة،



إرهاب القراصنة

وضحاياها - بما فى ذلك الولايات المتحدة - مخولون بناء علي ذلك بالرد بكل الوسائل المتاحة لهم.

ولو أننا وافقنا على مبدأ أخلاقى بسيط لطبقنا على أنفسنا المعايير نفسها التى نطبقها على الآخرين... غير إن هذا المبدأ الأخلاقى وما ينتج عنه يصعب استيعابه فى الثقافة العقلانية السائدة، ويصعب التعبير عنه فى الصحف التى تطالب بالعقاب القاسى للآخرين على جرائمهم، ولو حاول أحد أن يقتحم تلك الصعوبة، فقد يصبح عرضة للمقاضاة بتهمة التحريض علي العنف الإرهابى ضد القادة السياسيين للولايات المتحدة وحلفائها.

حتى لقد عقد حوار مؤسف فى وسائل الإعلام حول السماح للقراصنة بالتعبير عن مطالبهم من الأباطرة، وتوضيح مفاهيمهم... انتهى هذا الحوار بالإدانة الشديدة لمحطة (إن. بى. سى) لإجرائها مقابلة مع الرجل المتهم بالتخطيط لعملية اختطاف (أخيلى لورو)؛ لأنها - بتلك المقابلة - تخدم مصالح الإرهابيين، مما يعد انحرافاً مخزياً عن الاتساق المطلوب الحر، الذى يؤدى واجبه بشكل صحيح، في الوقت الذى تتسع فيه وسائل الإعلام لصوت الإمبراطور وبلاطه، مثل (رونالد ريجان)، و(جورج شولتز)، و(مناحم بيجين)، و(شمعون بيريز) بأن يتحدثوا عن الحرب ذات الحدة المنخفضة، وحقهم فى الثأر والاحتلال، دون تردد، ودون السماح بأى تعقيب.

ففى الظاهر المعلن: لا هيمنة فى الولايات المتحدة على الفكر... حتى إن الرقابة على المطبوعات لا تكاد توجد. ولكن البديل يتخفى

وراء ما يعرف بـ (تنظيم الفكر). ذلك الذى أصبح صناعة مزدهرة، وضرورية بالفعل فى هذا المجتمع الحر القائم على مبدأ قرار الصفوة، وللتأييد العام أو السلبية.

سلام الذئاب

وفى الفصل الثانى: (إرهاب الشرق الأوسط والنظام الأيديولوجى الأمريكى) ينطلق (تشومسكى) من تصريح الرئيس (ريجان) حين التقى (شمعون بيريز) رئيس الوزراء الإسرائيلى فى ٧/١٠/١٩٨٥، الذى أعلن فيه: أنه والسيد (بيريز) قد ناقشا شر الإرهاب، الذى أودى بحياة كثير من الضحايا الإسرائيليين، والأمريكيين، والعرب... ولقد اتفقا على أن لايوهن الإرهاب من جهودهما لتحقيق السلام فى الشرق الأوسط.

والسلام عندهما يقوم على استبعاد جماعة السكان الأصليين من الحق فى تقرير المصير فى فلسطين القديمة، بحجة أنه جزء لا يتجزأ من دولة إسرائيل؛ لأن الماضى الذى تصرح به التوراة لا يمكن تغييره، ولأن وجود دولة فلسطينية يهدد الوجود الفعلى لإسرائيل فمفهوم الدولة اليهودية - الذى أشيد به فى الولايات المتحدة - يلغى الوجود للشعب الفلسطينى، فالفلسطينيون لا يمكن أن يصبحوا شركاء أرض قدسها شعبنا منذ آلاف السنين.

وبناء على ذلك رفضت إسرائيل إجراء أى مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية، حتى وإن اعترفت بإسرائيل، ونبذت الإرهاب.

وعندما أرسل (بيريز) قاذفاته لمهاجمة تونس، وقتل عشرين تونسياً، وخمسة وخمسين فلسطينياً... قدم إلى واشنطن ليتناقش مع شريكه فى الجريمة حول السلام والإرهاب، مع تأكده من تواطؤ الولايات المتحدة فى هجومهم على تونس الذى بدا من عدم تحذير الضحايا - حلفاء أمريكا - بانطلاقهم للهجوم على الرغم من أن المصادر الحكومية قالت: إن الأسطول السادس الأمريكى كان على علم بالغارة، ولم يخبر المسئولين التونسيين بذلك.

وبعد اجتياح الإسرائيليين بيروت بدعم من الولايات المتحدة الذى أسفر عن عشرين ألف قتيل، والذى قال فيه أحد الشخصيات القيادية بالبنتاجون للمراسل العسكرى الإسرائيلى (زائيف تشيف): لقد استخدمتم مطرقة ضد ذبابة، وقتلتم الكثيرين... بعد هذا الاجتياح وافقت تونس على استقبال الفلسطينيين المرحلين من بيروت بأمر من (ريجان).

ومع ذلك... ازداد التأييد داخل إسرائيل للعدوان، ولفريق (بيجين)، و(شارون) فى تواز مع الأعمال الوحشية التى بلغت أعلى ذروتها عقب القصف العنيف الذى تعرضت له بيروت فى أغسطس.

ولم تتراجع واشنطن عن تأييدها الواسع لإسرائيل إلا استجابة للرفض العالمى... ومع هذا... فقد كان تراجعها صورياً، حيث امتنعت وحدها كالعادة عن التصويت على إدانة مجلس الأمن لهذا العدوان المسلح الذى كان انتهاكاً سافراً لميثاق الأمم المتحدة، والقانون الدولى،

ومعايير السلوك، وحيث أكد المدافعون عن إرهاب إسرائيل: أن هذه الغارة استهدفت الأشخاص المسئولين عن الأنشطة الإرهابية، وعلى رأسهم ياسر عرفات الذى يعدونه الأب المؤسس للعنف الفلسطينى المعاصر.

وفى أخريات سنة ١٩٨٥، استعرضت الصحافة الأحداث الإرهابية فأسقطت الهجوم الذى شنته إسرائيل على تونس... أما صحيفة (تايمز) فاكتفت بالإشارة إلى قصف تونس، ومع ذلك... ذكرته على أنه مثال للثأر، وليس مثالاً للإرهاب.

وعلى هذا النهج سار (تشومسكى) فى استعراض الأحداث الإرهابية التى قامت بها إسرائيل بمباركات أمريكية تتمثل دائماً فى اعتراضها على أى مشروع يدين تلك الجرائم، متعللة دائما بازدواج معيارية المشروع، وعدم الاعتقاد بأن الإدانة يمكن أن تنهى الصراع... إلى غير ذلك من العبارات الخادعة.

الإرهاب الإعلامى

ويدلف (تشومسكى) من ذلك الاستعراض، إلى استعراض الإعلام الغربى، ليقدم صورة له، تكشف حقيقته وحقيقة ما يرديه من أخبار وبيانات من خلال بعض الأمثلة التى تصور حقيقته، فيقدم تقريراً أرسل من بيروت مدعوماً بما أدلى به شهود العيان الذين استعانت بهم الشرطة اللبنانية، وما ذكره صحفى من جريدة النهار المحافظة، وما قررته حركة (أمل) الشيعية، جاء فيه: قامت القوات الإسرائيلية والمرتزقة من جيش لبنان الجنوبى باقتحام قرية (كونيه) الشيعية فى ٣١/٢/١٩٨٥، فأجبروا جميع مواطنيها - حوالى ألفين - على مغادرتها، حيث نسفوا المنازل، وأضرموا النار فى عدد منها...

وفى مقابل هذا التقرير قدم (جرينبرج) من القدس تقريراً آخر لم يحدد فيه مصادره، يقول: «لاذ القرويون المذعورون من جيش لبنان الجنوبى بالفرار من قرية (كونيه) عقب مقتل اثنين من جنود جيش لبنان الجنوبى داخل القرية».

وهذا التقرير الأخير هو الذى روجت له الدعاية الإسرائيلية، مع حرصها على حجب التقرير الأول؛ وبذلك أحرزت ميزتين مهمتين، هما:

١ - أن الأخبار تقدم إلى الجمهور الأمريكى من خلال الرؤية الإسرائيلية الرسمية.

٢ - وأن المراسلين الأمريكيين عندما يحرصون على إجراء تحقيقات مستقلة يعتمدون على نظام الدعاية الإسرائيلية، بدلاً من الاعتماد على مستضيفيهم.

وبذلك... راج فى الولايات المتحدة: أن إسرائيل كانت تخطط دائما للانسحاب، لكن الإرهابيين الشيعة يضطرونهم إلى إرجاء الانسحاب، بسبب انغماسهم فيما هو معتاد من تلذذ عربى بالعنف من أجل العنف.

ومن هذا المنطلق الإعلامى... استخدم المسئولون والمعلقون الأمريكيون - على نطاق واسع - المفهوم الإسرائيلى للإرهاب؛ فرأوا أن مقاومة الجيش المحتل ومرتزقته المحليين إرهاب

يستحق الانتقام القاسى، حتى رأينا (ريجان)، و(بيريز) يهنئان بعضهما على موقفهما من الإرهاب البغيض. وحتى صارت القاعدة: أن الفلسطينيين يلعبون دائماً دور الإرهابيين، أما الإسرائيليون فيلعبون دور المنتقمين الذين يأخذون الثأر، على الرغم من اختلاف تلك القاعدة عن الحقيقة اختلافاً صارخاً.

ويواصل (تشومسكى) استعراض الأمثلة التى تكشف أبعاد التضليل الإعلامى الذى يقدم كل من يقاوم المحتل، ويدافع عن أرضه.. فى صورة الإرهابى الشرس، ويقدم الإسرائيليين فى اجتياحهم، وهدمهم المنازل، وتجريفهم الأرض بأشجارها... فى صورة البرىء الذى يسعى لحماية نفسه من أولئك الهمج، أو الذى ينتقم من المعتدين عليه.

ويخلص (تشومسكى) من تلك الأمثلة الكثيرة.. ليقرر القاعدة الثانية التى يعمل على ترسيخها الإعلام الإسرائيلى والأمريكى، وهى: أن الولايات المتحدة وإسرائيل ينشدان السلام، ويبذلا فى سبيله كل جهد، ولكن الرفض العربى هو الذى يعوقه... على الرغم من أن عرفات أطلق سلسلة من التصريحات فى أوروبا وآسيا دعا فيها إلى عقد مفاوضات مع إسرائيل، تقود إلى اعتراف مشترك، بينما سارعت إسرائيل إلى رفض هذا العرض، وتجاهلته الولايات المتحدة، وقد نشر ذلك فى الصحف المحلية، دون إبراز له. أما الصحافة الوطنية العامة فقد طمست الرواية برمتها، وفرضت صحيفة (نيويورك تايمز) حظراً على الأعمال التى تشير إلى هذه الحقائق، بينما استمرت - مع صحف أخرى - فى شجب عرفات لعدم رغبته فى اتباع حلول دبلوماسية، حتى أصبح طبيعياً: أنه كلما زاد نفوذ الصحيفة، زاد تصميمها على طمس الحقائق.

الإرهاب بين القراصنة والأباطرة

وبعد استعراض (تشومسكى) مجموعة من المواقف التى تكشف أبعاد الإرهاب الإعلامى، ومدى سطوته وجبروته، ودوره الفعال فى تشويه صورة المدافعين عن أرضهم وحقوقهم، وتجميل صورة الغاصبين، وتحسين أفعالهم... بعد هذا الاستعراض يقدم طائفة من الأحداث، تؤكد أن إرهاب الأباطرة حماة إسرائيل يتوازى تماماً مع إرهاب القراصنة الذين يقومون بالقرصنة تحت اسم دولة إسرائيل.

من ذلك... قيام إسرائيل فى يونية سنة ١٩٨٤ باختطاف عبارة كانت تبحر بين قبرص ولبنان، على بعد خمسة أميال من الساحل اللبنانى، وإجبارها على التوجه إلى حيفا، حيث اعتقلت ثمانية أشخاص لبنانيين وتاسع سورى.

هذا العمل الذى وصفه (فرى يانسن) بأنه (بند آخر فى قائمة طويلة من اللصوصية الدولية التى تمارسها دولة (إسرائيل)... لم يلق من الولايات المتحدة سوى الصمت المعلن.

ولما قصف الإسرائيليون جزيرة قبالة طرابلس نتج عنه قتل خمسة عشر شخصاً، وإصابة عشرين، وفقد عشرين... جميعهم صيادون لبنانيون، وأطفال كانوا بمعسكر

كشافة... زاعمين: أنها قاعدة للقوات المحمولة بحراً لمنظمة التحرير الفلسطينية... هذا الزعم الذى وصفه (يانسن) بأنه هزلى.

ولما اختطفت إسرائيل طائرة ليبية مدنية فى الرابع من فبراير سنة ١٩٨٦ لم ينل من التعليق أكثر من أنه خطأ بنى على خطأ استخباراتى وقبل ذلك... تم اختطاف العديد من الفلسطينيين من قوارب مدنية مبحرة من لبنان إلى قبرص، واقتيدوا إلى وجهات سرية داخل إسرائيل.

ولم تثر واحدة من هذه الحالات أى اهتمام أو تعليق، فيما عدا ذكر عابر، تفرضه الظروف... حتى لقد أصبح معروفاً: أن مثل هذه العمليات... امتياز خاص لإسرائيل، فلها وحدها أن تقوم باختطاف السفن، واختطاف الأشخاص حين تشاء، ولها وحدها امتياز قصف ما تطلق عليه (أهدافاً إرهابية)... تفعل ذلك كله بمصادقة من الرأى السائد فى الولايات المتحدة، مهما كانت الحقائق.. بل حتى لو كان هذا الإرهاب ضد الأمريكيين... يمكن التغاضى عنه، بالروح نفسها التى قوبلت بها هجمات الإرهابيين الإسرائيليين على المنشآت الأمريكية فى مصر سنة ١٩٥٤، فى محاولة لإثارة القلاقل، وتشويه العلاقات المصرية - الأمريكية، وإجهاض مفاوضات السلام السرية التى كانت جارية آنذاك..!

وكما قوبلت محاولة إغراق سفينة التجسس الأمريكية (ليبرتى) فى المياه الدولية سنة ١٩٦٧ بواسطة القاذفات الإسرائيلية، وزوارق الطوربيد، حيث قتل أربعة وثلاثون، وأصيب مائة وواحد وسبعون من طاقمها، ولم يعلق على ذلك الحدث بأكثر من وصفه بالخطأ... ثم طواه النسيان، فلم يعرف أى شىء تفصيلى عما حدث، حتى لكأن المصاب لم يكن مصاباً أمريكيا.

وبهذا الصمت الإعلامى والرسمى المثير... قوبلت عمليات تعذيب الأمريكيين التى قام بها الجيش الإسرائيلى فى الضفة الغربية، وفى جنوب لبنان... مع تأكيد السفير الأمريكى على صحة تلك الوقائع.

ويواصل (تشومسكى) استعراض طائفة من صور القرصنة الإسرائيلية التى تعربد بها فى شتى الاتجاهات والمواطن، والتى تنال الحماية الدائمة من الإمبراطور المهيمن على البيت الأبيض فى أمريكا أياً كانت هويته السياسية على مدى أكثر من نصف قرن.

ويخلص من هذا الاستعراض... ليقرر: أن الشىء الذى يستوقف النظر فى هذا السجل الضخم من الأعمال الإرهابية... أن جميع تلك الأحداث لم تنل من سمعة إسرائيل فى داخل الولايات المتحدة؛ فكل عمل إرهابى يصدر عنها لا يلبث أن ينحى جانباً، أو تخلق له المعاذير، أو يحاط بالصمت والكتمان حتي يطويه النسيان، أو يوصف - فى أشد الحالات وأقساها - بأنه انحراف مؤقت، تبرره الطبيعة الشائنة للعدو الذى أجبر الإسرائيليون على التعامل معه، واضطروا إزاءه إلى الانحراف عن السبيل القويم، والوقوع فى مثل تلك الهفوات والأخطاء.

«يتبـــع»

حاجة البشرية إلى الإسلام

للدكتور/ حمدى فتوح والى

مرت بالبشرية أحوال غابت فيها الثوابت الشرعية، وانعدمت الضوابط الأخلاقية وانطلقت الشهوات، وضعف منطق العقل، واستأسد منطق الأنياب والعضلات فازداد الفقير فقرا والضعيف ضعفا، كما ازداد الأغنياء غنى والأقوياء قوة ولم يعد يسمع فى الأرض إلا منطق المخلب والناب.

تجد هذا فى الأرض، بعد أن أصيب دين المسيح بحادثة خطيرة أعجزته عن أن يقدم للأرض منهجا، ويعلى فيها شريعة ويحمل الناس على أمر السماء.

ففى سنة ٣٠٥م حدثت حادثة عظيمة. وهى اعتلاء النصرانية عرش رومية الوثنية. وكان ذلك بجلوس قسطنطين على سرير الأباطرة سنة ٣٠٥م فانتصرت فيه النصرانية على الوثنية، ونالت فجأة ما لم تكن تحلم به من ملك عريض، ودولة مترامية الأطراف، وكلمة لا تعلوها كلمة. ولما كان قسطنطين إنما توصل إلى الملك على جسر من أشلاء النصارى وأنهار من دمائهم التى أريقت فى الذب عنه والنصر له عرف لهم الجميل وبذل لهم وجهه. ووطأ لهم أكنافه وقلدهم مفاتيح ملكه.

ولكن انتصر النصارى فى ساحة القتال وانهزموا فى معترك الأديان، ربحوا ملكا عظيما وخسروا دينا جليلا؛ لأن الوثنية الرومية مسخت دين المسيح، ومسخه أهله، وكان أكثر مسخا له وتحريفا هو قسطنطين الكبير حامى زمار النصرانية ورافع لوائها (١).

يقول «ول ديورانت» فى كتابه «قصة الحضارة» المجلد السابع:

«لما أن فتحت المسيحية رومة، انتقل إلى الدين الجديد أبناء الدين الوثنى القديم، فانتقل إليه لقب الحبر الأعظم Pontifex Meyimus وعبادة الأم العظمى وعدد لا يحصى من الأرباب التى بثت الراحة والطمأنينة فى النفوس والإحساس بوجود كائنات فى كل مكان لا تدركها الحواس.. نقول أن هذه كلها انتقلت إلى المسيحية كما ينتقل دم الأم إلى ولدها. وأسرت رومية الأسيرة فاتحها»(٢).

المنقذ الغريق!!

والذى جاء منقذا فإذا به يتحول غريقا، وخاب أمل أهل الأرض فى النصرانية، التى تخلت عن رسالتها وتنازلت عن ثوابتها فى توحيد الله ورضيت بالوثنية بديلا. وتحول رجال الكنيسة إلى رموز معزولة عن الحياة بعد أن شاعت بينهم المقولة المعروفة: «إعط ما لقيصر لقيصر، وما لله لله» وظهر جليا بأن قيصر هو المسيطر على كل شيء، وأن الله عند الوثنية لم يعد له أدنى سلطان على حياة الناس وهكذا تحولت الدولة الرومية إلى قوة وثنية جبارة. وزاد خطرها عندما ملكت زمام الأرض بانتصارها على الدولة الفارسية الوثنية المجوسية. التى كانت تشكل نوعا من التوازن بين القوى.


ابو الحسن الندوى

ولم تكن فارس بعبادتها للنار أسعد حظا، من وثنية الروم بل كانت أشقى وأنكى، فالنار لا توحى إلى عبادها شريعة، ولا ترسل رسولا، ولا تعاقب العصاة والمجرمين. وبهذا ترك الناس لأهوائهم شأن المشركين فى كل زمان ومكان. وهكذا حرمت الأمة الفارسية دينا عميقا جامعا يربى النفس ويهذب الخلق ويقمع الشهوات ويحفز على فعل الخيرات ويكون دستورا للأمة ونظاما للحياة.

وظهر واضحا أن البشرية فقدت ربانها وغاب عنها النور الذى يهدى والحادى الذى يرشد إلى الطريق. وأصبحت البشرية تنشد ربانها وتنتظر منقذها إلى أن أذن الله للأرض بالسعادة فبعث إليها محمدا ﷺ فكانت بعثته فتحا للأرض كلها. وإنقاذا للبشرية بأسرها. ورحمة للعالمين

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

[الأنبياء: ١٠٧]

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص٢٣٧

(٢) قصة الحضارة ٦. ٤١٨ ترجمة محمد بدران

يقول د. بيرون فى المؤتمر الدولى الخامس للعلوم التاريخية الذى عقد بمدينة أوسلو فى أغسطس سنة ١٩٢٩م:

«إن ظهور الإسلام كان خاتمة العصور القديمة، وبداية إيقاظ الإنسانية فى أول عصورها المتوسطة؛ حيث بدأت أوروبا الغربية مدنية جديدة وحياة جديدة يجب معها اعتبار هذا الحادث العظيم هو بداية عصر جديد».

ويقول الأستاذ أبوالحسن الندوى مصورا حالة المجتمع البشرى عند بعثة رسول الله ﷺ: «بعث محمد بن عبدالله ﷺ والعالم بناء أصيب بزلزال شديد هزه هزا عنيفا؛ فإذا كل شيء فيه فى غير محله، نظر إلى العالم بعين الأنبياء فرأى إنسانا قد هانت عليه إنسانيته، رآه يسجد للحجر والشجر، وكل مالا يملك لنفسه النفع والضرر. رأى معاقرة الخمر إلى حد الإدمان، والخلاعة والفجور إلى حد الاستهتار، وتعاطى الربا إلى حداغتصاب واستلاب الأموال. ورأى الطمع وشهوة المال إلى حدالجشع والنهامة، ورأى القسوة والظلم إلى حد وأد البنات وقتل الأولاد.

رأى ملوكا اتخذوا بلاد الله دولا، وعباد الله خولا، ورأى أحبارا ورهبانا أصبحوا أربابا من دون الله، يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله».

«رأى المواهب البشرية ضائعة أو زائفة لم ينتفع بها ولم توجه التوجيه الصحيح، فعادت وبالا على أصحابها وعلى الإنسانية. رأى الشجاعة تحولت همجية وفتكا. والجود تبذيرا وإسرافا والأنفة حمية جاهلية. والذكاء مكرا وخديعة، والعقل وسيلة لابتكار الجنايات والتفنن فى الشهوات».

هداية الإنسان تبدأ من قلبه

ولأنه كان رسولا نبيا ولم يكن مصلحا اجتماعيا أو حاكما سياسيا؛ فقد هدى بإذن ربه إلى مفتاح قفل الطبيعة البشرية. فلم ينشأ أن يعلنهادعوة سياسية. ولا قومية عربية، لأنه لم يبعث لينسخ باطلا بباطل، و يبدل عدوانا بعدوان فيخرج الناس من حكم الفرس والرمان إلى حكم عدنان وقحطان. إنما أرسل إلى الناس كافة بشيراً ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا. ليهديهم بإذن ربهم إلى صراط مستقيم.

لقد علم صلوات الله وسلامه عليه أن القلب هو سيد الجوارح. وأدرك بهداية الله له أن هداية الإنسان تبدأ من قلبه، فقال ﷺ: «ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب» (٣).

(٣) اتحاف السادة المتقين ٣/١٥٣.

البداية فى بيت النبوة

والقلب المقصود هنا هو باطن الإنسان وكيانه الروحى. هو وجدانه وعقله ومشاعره وإحساسه، ولهذا فقد بدأ معهم بالقرآن المكى يرقق به مشاعرهم ويحيى به ضمائرهم ويهز به كيانهم .ويعمق به يقينهم وإيمانهم.

وكانت البداية فى بيت النبوة؛ حيث تلقى الحبيب ﷺ أمر الله بالقراءة إيذانا باتصال السماء بالأرض. وبداية لحمل نور الله إلى الناس

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

[سورة المائدة ١٥، ١٦]

ونزلت آيات الله تترى، واستيقظت القلوب والأرواح على مشاهد القيامة ومصارع المكذبين وجزاء المؤمنين الموحدين، فكانت للمؤمنين بشرى وللكافرين إنذارا وتحذيرا.

إن أعظم ما حرص عليه رسول الله ﷺ فى دعوته هو استيعاب قلوب من يدعوهم، وأن يطمئن إلى صحة هذه القلوب ويقظتها. وأنها مستعدة لأن تنفعل لسماع القرآن انفعالا صادقا عميقا. ولم يعجله عن هذا الهدف شيء، مهما بدا هذا الشيء عظيما وخطيرا..

فرباهم على قيام الليل وقراءة القرآن وتذوق معانيه والتعرض لنفحاته ولفحاته وتبشيره وإنذاره وبين الخوف والرجاء والانشراح والبكاء ومشاهد الجنة، ومشاهد النار. عاشت قلوب أصحاب رسول الله ﷺ فكأنها ترى القيامة رأى العين، لقد كانوا جميعا مثل قلب حارثة ـ الذى سأله النبى ﷺ: كيف أصبحت ياحارثة؟، فقال حارثة: أصبحت مؤمنا بالله حقا، قال: ياحارثة انظر ما تقول، وإن لكل قول حقيقة، فما هى حقيقة إيمانك؟

فيقول حارثة: عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى، وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزا، وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون، وإلى أهل النار يتضاغون فيها.

ويسر النبى ﷺ بما رأى من ثمرة تربيته المباركة، فيقول مؤيدا: «ياحارثة عرفت فالزم».

إنه اليقين الذى جعل الجنة تعيش فى ضمائرهم وجعل صورة جهنم لا تغيب عن خواطرهم. وهذا اليقين هو الذى جعل الرجل منهم ينفر لملاقاة أعداء الله ويجد لذته وسعادته فى شدة اللأواء. وعظم البلاء. وإذا حيل بينه وبين ساحة الجهاد بحائل من فقر أو عرض أو مرض؛

﴿ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴾

[التوبة: ٩٢]

إنه اليقين الذى جعل رجلا مثل عمير ابن الحمام يستطول الحياة حتى يسيغ تمرات فى فمه ويقول عندما بشره الرسول بالجنة إن قتل مقبلا غير مدبر: إن حياة حتى أسيغها لطويلة، ثم اندفع يقاتل أعداء الله حتى قتل.

وهو اليقين الذى جعل المرأة تقول حين بلغها نبأ قتل زوجها وأولادها وأخيها. كل خطب دون رسول الله يهون.

وهو اليقين الذى جعل صهيبا ينزل عن ماله وبيته وأهله ليخلص بنفسه مهاجرا إلى الله.

تلك كانت حياة الأرض عند بعثة رسول الله ﷺ وهذه كانت بدايته. دين يتعامل مع الفطرة السوية، مقدرا ضعفها ومعترفا بقصورها وحاجتها إلى التهذيب والتأديب. مرتقيا بها ـ من حيث هى ـ إلى مدارج الجمال والكمال.

الإسلام يعطى الدنيا والآخرة حقهما

يقول د. روبرت بير جوزيف، أستاذ الفلسفة بالجامعات الفرنسية الذى ألف أكثر من عشرين كتابا فى الفلسفة والتوحيد:

«اعتنقت الإسلام؛ لأنه الدين الوحيد الذى يجد الإنسان فيه روحه وأشواقه ومستقبله، وهو دين المعرفة؛ لأنه يدعو معتنقيه إلى التزود بالعلم والعمل به».

ولا غرو فى ذلك؛ فإن أول آية من القرآن الكريم ﴿إقرأ﴾ هى التى جعلت رسول الله ﷺ يقول: «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد» ويقول الأستاذ تريتون استاذ الدراسات الشرقية الإفريقية بجامعة لندن: «إن الإسلام يعطى كلاً من الدنيا والآخرة حقهما، وفى وسع المسلم أن يعيد النظر فى حياته دون أن ينقطع عن الماضى، وله أن يراجع أحكام المعاملات والشريعة؛ لأن باب الاجتهاد لا يزال مفتوحا والمسلمون يجتهدون اليوم ليثبتوا أن الإنسانية الصادقة والآداب القديمة والعقل السليم تلقى أرفع تعبيراتها فى شريعة الإسلام وأحكامه، ويسلمون على أن واقعهم اليوم ليس على ما يحبون. وأن الإصلاح ضرورة لا محيص عنها ،لكنهم يصرون على أن الإسلام دون غيره هو الذى يصلح لمطالب النوع البشرى».

ويقول المستشرق الإنجليزى هاملتون جب: «إن الإسلام مازال فى قدرته أن يقدم للإنسانية خدمة سامية جليلة، فليست هناك أية هيئة سواه يمكن أن تنجح مثله نجاحا باهرا فى تأليف

الأجناس البشرية المتنافرة فى جبهة واحدة أساسها المساواة.. فالجامعة الإسلامية العظمى فى أفريقيا والهند وأندونيسيا بل وتلك الجامعة الإسلامية الصغيرة فى الصين أو فى اليابان، لتبين كلها أن الإسلام مازال له القدرة على أن يسيطر كليا على أمثال هذه العناصر المختلفة الأجناس والطبقات، فإذا ما وضعت منازعات دول الشرق والغرب موضع الدرس؛ فلابد من الالتجاء إلى الإسلام لحسم النزاع»(٤).

الإسلام قوة الغد

ونختم هذا المقال بهذه الشهادة التى يقدمها الكاتب الألمانى (باول شميتز) فى كتابه: (الإسلام قوة الغد العالمية) والذى كتبه فى الثلاثينيات من القرن الماضى، ينبه قومه إلى مواطن القوة فى الإسلام فيقول: «سيعيد التاريخ نفسه مبتدئا من الشرق، عودا على بدء من المنطقة التى قامت فيها القوة العالمية فى الصدر الأول للإسلام، وستظهر هذه القوة التى تظهر فى تماسك الإسلام ووحدته العسكرية. وستثبت هذه القوة وجودها إذا ما أدرك المسلمون كيفية استخراجها والاستفادة منها».

إن الإسلام بما له من خصائص وسمات تفرد بها عن سائر الأديان والمذاهب والملل هو المرشح وحده لقيادة الأرض. دون أن يشعر واحد من أهل الأرض جميعاً أن الإسلام طامع فيه أو معتد عليه أو يبغى من ورائه نفعا دنيويا فى أية صورة من الصور؛ لأن الإسلام منهج الخالق إلى جميع المخلوقين نزل إليهم ليسعدوا وينعموا ولتدوم فيهم كلمة الأمان والرضا والسلام.

﴿ الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾

[إبراهيم: ١]

﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾

[الشورى: ٥٣]

***

(٤) أنور الجندي، من تراث الإسلام ص١٥٨

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المقيد برقم ٧٨٧ لسنة ٢٠٠٥م المتضمن لبعض أسئلة القراء وهى:

تعليق الصور

السؤال الأول المرسل من د.ع - القاهرة والمتضمن: ما حكم تعليق صور الأهل على جدران المنزل؟ وما حكم الاحتفاظ بهذه الصور للذكرى؟

الجواب: الصور الفوتوغرافية جائزة؛ لأنها ليست محاكاة ومضاهاة لخلق الله تعالى من ذى الرُّوح، وما هى إلا حبس للظل فقط، وإذا كان يجوز استعمالها فإنه يجوز الاحتفاظ بها وتعليقها على الجدران للذكرى، ولكن نقول: يجب أن نجنب الغرف العامة الصور الخاصة التى تكون بين الزوجين مثل صور الزفاف وصور النساء فى غير حجابهن وأمثالها.

والله سبحانه وتعالى أعلم

من أحكام الرضاع

السؤال الثانى ورد من م.م.ع. ويقول فى سؤاله: ما حكم الشرع فى هذه المسألة: امرأة أرضعت ابن أخيها مع بنت لها، وقد توفيت هذه البنت التى رضع معها هذا الولد، ثم أنجبت بنتاً أخرى بعد سنتين من وفاة الأولى. فهل لهذا الولد أن يتزوج من ابنة عمته هذه؟

الجواب: المقرر شرعاً أنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب متى تم الرضاع فى مدته الشرعية وهى سنتان قمريتان من تاريخ الولادة على المفتى به؛ إذ بالإرضاع تصير المرضعة أماً من الرضاع لمن أرضعته ويصير جميع أولادها

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علـى جمعـة

مفتى جمهورية مصر العربية

- سواء منهم من رضع معه أو قبله أو بعده - إخوة وأخوات له من الرضاع.

وقد اختلفت كلمة الفقهاء فى مقدار الرضاع المحرم: فذهب أبو حنيفة ومالك وأحمد فى إحدى رواياته إلى أن قليل الرضاع وكثيره فى التحريم سواء، وذهب الشافعى وأحمد فى أظهر رواياته إلى أن الرضاع الموجب للتحريم هو ما بلغ خمس رضعات متفرقات مشبعات فأكثر فى مدة الرضاع سالفة الذكر، وهو ما عليه الفتوى والقضاء.

وفى واقعة السؤال: فإنه لا يجوز للابن الذى رضع من عمته أن يتزوج بأى واحدة من بناتها؛ لأنه صار ابناً لعمته، وبناتها صرن أخوات له، ولا يؤثر موت التى رضع معها هذا الابن فى الحكم الشرعى.

والله سبحانه وتعالى أعلم

أبغض الحلال

السؤال الثالث ورد من السيد ح.أ ويقول فى سؤاله: لماذا لا نأخذ فى موضوع الطلاق بأن يكون التلفظ به أمام المأذون؛ وذلك خروجاً من موضوع هل كان الزوج فى حالة غضب أم لا، أم كانت الزوجة فى حالة طهر أو حيض وغيرها من مثل هذه الأمور؟ حيث إن الطلاق أمام المأذون يعطى للزوج فرصة للتريث والتروى ومعرفة خطورة ما هو مقدم عليه، وللمحافظة على الأسرة. وما حكم الطلاق فى غير وجود المأذون؟

الجواب: العقود ألفاظ تعبر عما يجول فى خاطر الإنسان، ولهذا قال الشاعر:

إنَّ الكلامَ لَفِى الفُؤادِ وإنما
جُعِلَ اللسانُ على الفؤادِ دَلِيلا

ولهذا كان لابد فى العقود من الصيغة التى هى الإيجاب والقبول، فلا يتم النكاح إلا بالتلفظ بألفاظ النكاح إيجابا

وقبولا، ولكن الطلاق حل لعقدة النكاح، فتكفى فيه عبارة المطلق وتلفظه به، ولا يشترط الإشهاد على الطلاق، بخلاف النكاح، ولقد أعطى الإسلام الرجال القوامة، وجعل كلمة الطلاق حقا لهم دون النساء، ولا تكون للمرأة إلا إذا فوضها الزوج فى تطليق نفسها منه، وأعطى الإسلام الأزواج ثلاث فرص فى شأن الطلاق، ورهبه منه، وقال بلسان الحال: إن الطلاق دمار للأسرة وهدم لها، فلا تلجأ إليه إلا عند الضرورة، لذلك، فإن حدث ووقع منك مرة فاستدرك الأمر، وإن كانت الثانية فمازال عندك فرصة لتصحيح وضعك فاحذر الثالثة؛ قال تعالى:

﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩) فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة ٢٢٩ ـ ٢٣٠)

وقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أَبْغَضُ الحَلَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى الطَّلَاقُ» رواه أبو داود.

ومهمة المأذون هى التوثيق فقط صونا للحقوق.

وعليه وفى واقعة السؤال: فلا حاجة لأن يكون الطلاق على يد المأذون وأمامه، وذلك توسعة على الأمة ورفعا للحرج عنها، قال تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

(الحج ٧٨)

والطلاق عند عدم وجود المأذون طلاق صحيح وما اقترحه السائل أمر طيب ذهب إليه أحد كبار العلماء، ولكن لا يفتى به إلا إذا أقرته المجامع الفقهية مثل: مجمع البحوث الإسلامية.

والله سبحانه وتعالى أعلم

القرآن الكريم

السؤال الرابع ورد من السيد ح. أ. ويقول فيه: تكفّل الله - سبحانه وتعالى - بحفظ القرآن الكريم، فلماذا لم يتكفل بحفظ الكتب المقدسة الأخرى رغم أن مصدرها واحد، وهو الله - سبحانه وتعالى؟

الجواب: قال تبارك وتعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

(الحجر ٩)

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه

وآله وسلم ليتعبد به ويتحدى بأقصر سورة منه، والقرآن الكريم هو الدستور السماوى الصالح لكل زمان ومكان الذى جمع الله فيه قصص السابقين؛ قال تعالى:

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾

(يوسف ٣)

وقال تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦) وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

(النمل ٧٦ ـ ٧٧)

وحفظ الله تعالى للقرآن الكريم دون باقى الكتب السماوية المقدمة لأنه الكتاب الخاتم الجامع لكل الكتب السابقة؛ لأن كل نبى كان يبعث إلى قومه خاصة وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث إلى الناس كافة، وكان يجمع أكثر من نبى فى أماكن مختلفة وفى وقت واحد مثل سيدنا إبراهيم عليه السلام وسيدنا لوط عليه السلام، فكان الكتاب ـ كصحف إبراهيم وموسى وإنجيل عيسى وزابور داود ـ ينزل لفئة من الناس دون الآخرين، ولكن القرآن جاء لكل الناس العربى وغيره من كان فى عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن يأتى بعده حتى تقوم الساعة فكان جديراً بأن يحفظ دون سائر الكتب.

فضلاً عن أن الله - تعالى - شاءت حكمته أن يبتلى السابقين باستحفاظهم لكتبهم وعدم تحريفها وتغييرها، فلم يثبتوا ولم يوفوا إلا قليلاً ممن وفقه الله. فاحتفظ تعالى بهذا الكتاب الخالد لهذه الأمة المرحومة وتكفل بحفظه - تعالى - إكراماً لهم وإظهاراً لقدرهم عنده - تعالى - وهو - سبحانه - يرفع من يشاء ويضع من يشاء، لا معقب لحكمه ولا رادّ لفضله.

والله سبحانه وتعالى أعلم

***

معاملة المسلمين مع غيرهم... المبادئ والتطبيق

١

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف
رئيس اللجنة الدائمة للحوار بين الأديان السماوية بالأزهر الشريف

أصبحت الحقائق التاريخية مشتهرة وذائعة بين الناس - على وجه عام وبين الدارسين المتخصصين - على وجه خاص لاسيما فى هذا الزمن الذى سهل فيه الاتصال الثقافى بين الشرق والغرب، ونشرت كتب كانت مخطوطة من قبل فاظهرت من الأفكار والآراء والمعلومات ما اكتملت به حلقات البحث على نحو لم يكن متيسرا فى العهود الماضية وتطورت وسائل الحصول على المعرفة والمعلومات بالتقدم السريع فى عالم الاتصالات، وبالتقدم العلمى فى اختراع أجهزة تخزين المعلومات مهما بلغ كمها، واستدعائها فورا وقت طلبها بمنتهى اليسر والسهولة والسرعة.

ونتيجة لذلك فقد ألقيت على عاتق العلماء تبعة ثقيلة تدعوهم إلى أن يقرأوا ما لم يكن معلوما من قبل، وأن يسهموا بكل إمكاناتهم فى جلاء الحقيقة ونشرها بأقوى ما يكون دون تقصير أو مواراة، أو ميل أو انحراف.. لاسيما علماء الدين..

والدين الخالص الذى أنزله الله على رسله الكرام يدعو معتنقيه إلى اتباع الحق وإقامة العدل، ورفض الباطل ومنع الظلم، وحمل العلماء أمانة تبصير الناس بحقائق الدين نقية صافية، خالية من الشوائب والانحرافات، والالتزام بتنفيذها قولا وعملا، وسلوكا وأخلاقا..

ولو اتبع المتدينون تعاليم وأحكام ومبادىء وتوجيهات دينهم الصحيحة لعاش الناس فى أخوة جامعة، ومحبة خالصة، وسلام دائم.. غير أن بعض النفوس لا تخلوا من الأهواء، ولا تسلم من الأسقام، ومنهم من يؤول النص الصريح على غير وجهه الصحيح، فيحدث الشقاق والتنابذ، والفرقة والانقسام، والبغض والكره.. وقد آن لنا أن ننصاع إلى الحق، وأن نسلم به ونحترمه، وأن نعمل على نشره وتعميمه، وأن نلزم أنفسنا جميعا بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتى هى أحسن.. وأن نفرق بين النصوص المقدسة فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وبين سلوك وأفعال بعض من ينتسبون إلى الإسلام التى تخالف أحكام النصوص المقدسة!! وادعاءاتهم كذبا وزورا أنها هى الإسلام.

إن الهجوم على الإسلام من أعدائه شىء تعودناه، والتهم الباطلة التى يوجهونا للإسلام إفك ألفناه.. غير أن شراسة الهجوم على الإسلام والمسلمين بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ بلغت قمة البذاءة والوقاحة، وركزت على وصف الإسلام بالإرهاب وسفك الدماء، وأنه دين يحض المسلمين على كره وقتال غيرهم، وأنه دين يستبيح للمسلمين أرواح وأموال وأعراض من لا يدينون بالإسلام.. إلخ ما يلفقونه للإسلام من أباطيل.

ونشطت أجهزة الإعلام بجميع وسائلها التى تمتلكها الصهيونية العالمية والرأسمالية اليهودية لتحض شعوب العالم على العداء للإسلام والمسلمين.. وخلطوا المفاهيم، وألبسوا الحق ثوب الباطل، والباطل ثوب الحق، وأصبح الإرهابى الحقيقى المحتل أرض غيره، والمستبيح نفس وعرض ومال وأرض من يحتله أصبح رجل سلام!! وصار المكافح المناضل المجاهد المقاوم للاحتلال والظلم، المدافع عن أرضه وشرفه وعرضه وماله صار إرهابيا.. وأضحى الناس فى حاجة ماسة إلى من يرشدهم إلى الصواب، ويعرفهم الحقيقة، ويحدد لهم المفاهيم السليمة..

لقد صار قلب الحقائق سمة للمتعصبين من أعداء الإسلام، وعلامة مميزة لأعداء الحق والدين، ولم تسلم حقائق الدين الإسلامى - الناصعة البياض فى عقائده ومبادئه، وأركانه وأحكامه، وتعاليمه وأخلاقه من قلبها وتشويهها من هؤلاء!!

ومن هنا كانت أهمية الكتابة فى هذا الموضوع، إن الكتابة فى هذا الموضوع تأتى فى هذا الوقت الذى ندعو فيه إلى الحوار الهادىء البناء بين أصحاب الرسالات السماوية، لاسيما وأن البشرية - وقد غرقت الآن فى محيط الماديات والصراعات أصبحت فى

حاجة ماسة إلى سماع صوت الدين الذى ينقذها من ويلات النزاع السياسى، والشقاق العنصرى، ويحميها من هيمنة القوة، وسطوة الرأسمالية، واحتكار سوق العلم والمال، وأخطر من ذلك كله احتكار الغذاء واستخدامه سلاحا لفرض خنوع الشعوب وإعلان تبعيتها لمن يملك إنتاجه!!

إن الدين يدعو إلى الإخاء والوفاق وإلى التعارف والتعاون، وإلى المحبة والسلام بين الناس جميعا، فالدين لم يوجد فى الحياة إلا لسعادة البشر جميعا، وحماية الإنسان من الشرور والموبقات، وإرشاده إلى ما يحقق له الخير فى دنياه وأخراه.

علاقة الإسلام بالديانات السماوية السابقة

يخطىء من يعتقد، أو يفكر، أو حتى يظن أن الدين الإسلامى جاء لينكر الديانات السماوية السابقة عليه، أو أنه جاء ليقطع الصلة بينه وبين هذه الديانات، أو أنه جاء ليحارب أتباعها ويقضى عليهم ويستأصل شأفتهم.. إن كل من يعتقد أو يفكر أو حتى يظن ذلك فقد وقع فى خطأ كبير.. فمن أسس عقيدة الدين الإسلامى أنه أمر المسلم بالإيمان بالرسل السماوية السابقة عليه، وبجميع الأنبياء والرسل السابقين الذين أرسلهم الله برسالات سماوية، والذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم على سبيل التحديد والحصر.. وإن كان القرآن الكريم قد أشار إلى رسل سابقين آخرين غير هؤلاء على وجه الإجمال لم يحدد أسماءهم، قال الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾

آية ٧٨ سورة غافر

وهذا يعنى أن الوحى الإلهى وحدة جامعة.. وأن أى مسلم لا يؤمن بأى رسول من الرسل ـ عليهم جميعا الصلاة والسلام ـ أولا يؤمن بأى كتاب سماوى نزل من عند الله على أى رسول منهم لا يكون مسلما..

يقول الله تعالى:

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

آية ١٣٦ سورة البقرة

لقد أرشد الله ـ جل شأنه ـ المؤمنين فى هذه الآية الكريمة إلى نبذ التعصب الدينى ودعاهم إلى اتباع الوحى الإلهى الذى أرسله الله على الرسل ـ السابقين ـ مبشرين ومنذرين، بدون تفرقة بين أحد منهم.. وطلب من المسلمين ـ بصيغة الأمر ـ أن يقولوا لأتباع الديانات السابقة: إننا نؤمن ونصدق بالله وبالقرآن الكريم الذى نزل على الرسول محمد ﷺ وبالتوراة التى أنزلها الله على

موسى ـ عليه السلام ـ وبالإنجيل الذى أنزله الله على عيسى ـ عليه السلام ـ ونؤمن بكل ما آتاه الله لأنبيائه ورسله جميعا تصديقا لهم على نبوتهم ورسالتهم.. ونحن فى تصديقنا وإيماننا بالأنبياء والرسل السابقين لا نفرق بين أحد منهم، فلا نؤمن ببعضهم ونكفر بالبعض الآخر، بل نؤمن بهم جميعا، ونحن لربنا مسلمون خاضعون له بالطاعة، مذعنون له بالعبودية..

ويقول الله جل وعلا:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾

آية ١٣ سورة الشورى

أى شرع الله لكم يا أمة محمد ﷺ من أصول الأديان التى لا يختلف فيها دين عن دين، أو شريعة عن شريعة: كإخلاص العبادة لله ـ تعالى ـ والإيمان بكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر، والتحلى بمكارم الأخلاق: كالصدق والعفاف والحب والتعاون واحترام الآخرين وعدم الاعتداء عليهم.. وما شرعه لنوح ـ عليه السلام ـ وما أوحى به إلى نبيه محمد ﷺ، وما أوصى به أنبياءه: إبراهيم وموسى وعيسى ـ عليهم جميعا الصلاة والسلام ـ من وصايا تتعلق بوجوب طاعة الله تعالى، وإخلاص العبادة له، والبعد عن كل ما يتنافى مع مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم.

وقد أمر الله ـ جل وعلا ـ المؤمنين بإقامة الدين. وذلك بالالتزام بتوحيد الله وطاعته وبالإيمان برسله وكتبه وباليوم الآخر، وبالالتزام بتنفيذ أوامره ونواهيه فى الأصول والأحكام والآداب التى أجمعت عليها الشرائع الإلهية والتى لا تقبل الاختلاف أو التفرق.

وقد شق وعظم على المشركين دعوتكم إياهم إلى وحدانية الله تعالى، وإلى ترك ما ألفوه من شرك ومن تقاليد باطلة ورثوها عن آبائهم.

ثم بين الله كمال قدرته ونفاذ مشيئته، فهو سبحانه يصطفى ويختار لرسالته من يشاء من عباده، ويهدى إلى الحق من ينيب ويرجع إليه ويقبل على عبادته وطاعته.

ويقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

آية ٢٨٥ سورة البقرة

لقد مدح الله ـ جل شأنه ـ فى هذه الآية الكريمة رسوله محمدا ﷺ، ومدح المؤمنين الذين آمنوا به بأن كلا منهما «الرسول والمؤمنون» صدق بما أنزله الله فى القرآن الكريم: من عقيدة وشريعة، وعبادات ومعاملات، وأخلاق وفضائل، وسمعيات وغيبيات.. تصديق إقرار وخضوع واطمئنان، وأن كلا منهما آمن إيمانا تاما صادقا بوجود الله ـ تعالى ـ ووحدانيته،

وكمال صفاته، ووجوب الخضوع والعبادة له، وبوجود الملائكة وأنهم عباد مكرمون

﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾

التحريم / ٦

كما آمنوا بكتب الله التى أنزلها، وبرسله الذين أرسلهم لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وأن من صفاتهم «الرسول والمؤمنون» أنهم لا يفرقون بين رسل الله فى الإيمان بهم، وبالتصديق برسالة كل رسول أرسله الله، ولا يقولون كما قال غيرهم:

﴿ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ﴾

النساء / ١٥٠

وفى مدح الله هذا تشريف وتكريم للرسول وللمؤمنين، وإعلاء من شأنهم وأقدارهم ومنازلهم.

الإسلام جاء متمما ومكملا

ولقد ضرب لنا رسول الله ﷺ مثلا يوضح ويبين فيه أن الدين الإسلامى أتى مكملا ومتمما للديانات السماوية السابقة عليه، ويؤكد ﷺ فيه تأكيدا تاما على ما جاء به القرآن الكريم من سلامة أصول الديانات السماوية، واتفاق مصدرها، واتفاق أهدافها وغاياتها، فعن أبى هريرة -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال ﷺ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»(١).

إن من يقرأ هذا الحديث النبوى الشريف قراءة متأنية يرى بكل تأكيد أن الديانات السماوية تنسجم فيما بينها انسجاما صحيحا كما تنسجم اللبنات الناهضة فى البناء الواحد، وأن كل دين سماوى يجىء إنما يأتى ليكمل ما سبقه من الديانات السماوية الأخرى دون تعارض أو تصادم، حتى إذا ما تهيأت البشرية واشتدت حاجتها إلى استقبال الدين المكمل والمتمم للأديان السماوية السابقة جاءت الديانة الإسلامية خاتمة لهذه الأديان السماوية غير محددة بزمان أو مكان، وغير خاصة بقوم معينين، بل هى رسالة عامة للناس جميعا فى كل زمان ومكان، يقول الله تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾

آية ٢٨ سورة سبأ

وقد تم بالديانة الإسلامية البناء الربانى الذى أقامه الله ليجمع الناس كلهم على كلمة سواء، وليهديهم إلى طريق الحق والخير الذى يحقق لهم السعادة فى الدنيا والنعيم فى الآخرة، ويقول الله تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

آية ١٠٧ سورة الأنبياء

- يتبع -

(١) من بحث: العلاقات المشتركة بين الأديان السماوية وأهميتها فى بناء جسور التعاون بينهما، المؤلف: فوزى فاضل الزفزاف.

الأزهر

تكامل الفكر والفعل.. من المنظور الإسلامى!!

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

من الأخطاء التى توشك أن تكون خطايا فى حياتنا المسلمة المعاصرة، أننا نمارس كثيرا من القيم ممارسة فكرية ناضبة من المحتوى الواقعى، الذى يحيل القيمة إلى فعل، والشعار إلى سلوك، وقد نشأ عن ذلك انشطار مروع بين ما نقول وما نفعل، وبالتالى بين ما نريد وما نستطيع، لأن فعل الاستطاعة لا يصدر إلا عن ذات تعرف ماذا تقول، وإذا قالت عرفت كذلك كيف تحيل هذا القول إلى فعل، أما أن نغيب عن وعى الفعل إلى خدر الحلم الكلامى، فتلك بداية الانحطاط الحضارى فى أية أمة وفى أى تاريخ.

وقد لفتنا القرآن الكريم إلى هذه الوضعية البشعة، التى تشكل عدواناً حقيقياً على نوع علاقاتنا بالله فقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

الصف / ٢، ٣

ولكن يبدو أن حضارة الاجترار الكلامى التى انحدرت إلى المسلمين من الجاهلية، كانت لاتزال قابضة على أعناق بعض المسيرة، فأهدرنا وعينا عن هذا الهتاف القرآنى الجليل، ومارسنا -ولانزال للأسف- غباء الضياع فى أبد الحلم والشقشقة اللسانية، بينما يشكو واقعنا المسلم من ضمور الرؤى، وضمور الإنجاز فى كل اتجاه.

عالة على الحضارة

خذ مثلا ما نردده فى إعلامنا اليومى بأننا أحفاد خالد وأبى عبيدة وصلاح الدين، وبأننا امتداد تاريخ البطولات والأمجاد والفتح، وبأننا ورثة حضارة أمدت التاريخ القديم والمعاصر بروافد الإبداع، والإخصاب، ثم حدق فى زوايا حياتنا الحضارية والاجتماعية والفكرية المعاصرة فستجد أننا -بصدق موجع- أعداء خالد وأبى عبيدة وصلاح الدين، وبأننا بتر لتاريخ البطولات فى تاريخنا القديم،

وبأننا عالة على حضارة أوشكت فى أيدينا أن تستحيل إلى صراخ مأساوى يفجر براكين الغضب فى الشرايين، لأن أحفاد الرجال لابد أن يكونوا رجالا قادرين على الفعل، وليس على مجرد الانتماء، ولأن امتداد التواريخ البطولية يحتاج إلى نضال أسطورى وليس إلى مجرد الادعاء، ولأن ميراث الحضارات يتطلب ذاكرة تعى وتضيف وتحقق زمانها فى الزمان، وليس فى مجرد التخييل، هكذا تنتسب الأمم، وتتحقق أحلام الرجال!!

والفاجع فى هذا الصدد أننا بدأنا نمارس حضارة (الكلام) حتى فى القيم الحياتية الصغيرة فضلا عن القيم الحضارية الكبيرة، وإن كانت القيم فى النهاية لاتقبل التجزيىء.

فنحن نزعم -فى واقعنا المسلم المعاصر- أننا (صادقون) بينما يصرخ الكذب فى خطواتنا وفى بريق أعيننا، ونزعم (العفة) ونحن غارقون فى ممارسات الجنوح والتفلت، ونزعم (الحلم) ونحن من البلادة الميتة على مسافة أشبار، ونزعم (النظافة) ونحن نخبىء فى أعماقنا جثثا من شهوات التدلى والانحدار، ثم نزعم بعد ذلك أننا بهذا الزعم نتابع خطى إسلامنا العظيم، ولو أننا راجعنا هذه اللوحة القرآنية الجليلة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

الصف/ ٢، ٣

لعرفنا أن بيننا وبين إسلامنا ملايين المسافات المحترقة.. وإذن فنحن فى حاجة إلى وعى إسلامى (فاعل) وليس مجرد (عارف) فالمعرفة المنخوبة ليست مدخلا إلى أى حضارة روحية ترسم ظلها على أرض الله فى وثوق!!

معنى الصدق

ماذا إذن نعنى (بالصدق) فى واقع حضارى مسلم، يستشرف التمكين لصوت التوحيد فى الأرض؟ هل نعنى بذلك صدق الكلمة؟ أم صدق العقيدة؟ أم صدق العواطف؟ أم صدق الطموح؟

من المنظور الإسلامى لابد أن نعنى بالصدق كل أولئك الأشياء، لأن الكلمة الصادقة تؤكد الحق والخير والجمال، وتنفى الزيف والعدوانية والقبح فى كل منحى وفى كل اتجاه.

ولأن العقيدة الصادقة تؤكد علاقة السماء بالأرض، وعلاقة الإنسان بالتاريخ، وعلاقة الفعل بالمثل، وتنفى أن ينحنى الجذع إلا لله، وأن ينكسر السيف إلا فى قلب الظلم، وأن يكف الطموح إلا فوق روابى الانتصار.

ولأن الفعل الصادق هو المدخل إلى حضارة ممتلئة بإنجازات تضع المستقبل فى وعيها بلا مفارقة، لأنه أساس معادلة الوجود التاريخى لإنسانية الإنسان.

ولأن العواطف الصادقة هى الحب الحقيقى، وهى الانتماء الحقيقى، وهى التضحية الحقيقية، وهى الصدور عن نظافة الداخل فى اتجاه كل ما هو صادق ونبيل.. ولأن الفكر الصادق امتلاء بكل ثقافة العالم، وإصرار على

المشاركة بهذه الثقافة الموسوعية فى إثراء ثقافة العالم كذلك، ومتى كان الفكر - بهذا التصور صادقا، فتلكم مقدمة لاختفاء كثير من الخاتلات التى تحرف مسيرة الفرد والجماعات عن منطلقاتها الصحيحة.

ولأن الطموح الصادق يرفض أن يتدثر بالماضى غطاء له من المستقبل، ولكنه يتسلح بوعى الماضى والحاضر معاً لإنجاز مستقبل بحجم ما يسعه الفعل البطولى، فمأساة العالم الإسلامى المعاصر أنه بدأ يزحف نحو فهم مغلوط لوعيه بتراثه، إذ هو يوشك أن يحبس هذا التراث فى مجرد الوعى به، مع أن هذا التراث قادر إذا أحسن فهمه وتوظيفه والقتال تحت رايته، أن يفتح للمسلمين قارات جديدة تماماً، وأن يضعهم فى طليعة الزحف الحضارى المعاصر: أنموذجا يقاس عليه مدى الاقتراب الصوابى من منطق الحضارة الصميم

يقول ولا يفعل

يصبح (الصدق) بهذا الفهم ليس مجرد المطابقة الكلامية، وإنما المطابقة الكلامية.. والمطابقة الفعلية، والمطابقة الشعورية، والمطابقة العقيدية التى تفتح جناحيها لكل المطابقات النظيفة والمتعالية.. ونصبح نحن لانطلق مصطلح (الصدق) و(الصادق) إلا على هذا النحو من التحقق الشمولى: الذى يتجسد فى صدق الفعل والفاعل، ونبل الحركة والباعث، وجسارة الفكر والطموح، وتوحيد العقيدة وعقيدة التوحيد.

ليس إذن (صادقا) هذا الذى (يقول) (ولايفعل) ما دام قادراً على الفعل، وبعض مأساوية الواقع المسلم المعاصر أنه ارتضى صراخ الحناجر بديلا عن الإنجاز التاريخى، فضمرت فيه روح الشهادة التى كانت مدخل إلى بناء تاريخه القديم، ونؤكد أنه لو (صدقت) ذرات من فتات ما نطرح فى واقعنا المعاصر من شعارات صدقا فاعلا حقيقا، لتغير وجه العالم الإسلامى، أو لعرفنا على الأقل أن (الصدق) يحتم من الوجهة الإسلامية أن نحلم بقدر ما نستطيع، وأن نرفع من الرايات بقدر ما تقدر السواعد أن تحمل، فقد أصابنا الكلام الكاذب الكثير، والفعل الكاذب الكليل بإحباطات تاريخية- بلا انتهاء!!

ونخلط دائما فنصيب كثيرا من مصطلحاتنا الإسلامية المتعالية بغير قليل من الضمور، وغير قليل من التشوه.

(فالعفة) مثلا مصطلح إسلامى حضارى يوشك من فرط تقليصنا له أن يصبح مرادفا فقط للامتناع الشهوى، مع أنه أرحب مجالا من مجرد الكف الجنسى بلا حدود، فإذا تجاوزنا مصطلح العفة إلى ما يمكن أن يشتق من مادته اللغوية ظهر لنا مدى ما ينطبق عليه هذا المصطلح من مضامين تتجاوز هذا المدى الضامر الذى حاصرناه فيه حتى أرهقناه تحدداً وضموراً..

العفة من المنظور الإسلامى

وخذ مثلا عفة المسلم عن مقارفة التدلى الخلقى، أو السلوكى، أو الفكرى، أو الحضارى، أو الروحى، فإنك ستصير مع

مضمون هذا المصطلح من هذا المنظور أمام علاقات بحجم الوجود الإنسانى كله..

إن عفة المسلم عن التدلى الخلقى تعنى رفضه لممارسات الجنس المنحرف، والنميمة الفاحشة، والكذب الوبيل، والتدليس المقزز، والافتيات الغشوم..

وعفة المسلم عن التدلى الفكرى تعصمه من الغواية الفكرية، ومن تملق الواقع الساقط بمزيد من التبرير، ومن تمرير الجرائم الحضارية التى تقتلع الإنسان مفرداً وجمعاً من أمانة، إلى هوات القتل والتدمير..

وعفة المسلم الروحية تتعالى به عن أن يكون ملحداً على الرغم من سلامه الداخلى، أو وثنيا يتحلب ريقه لإله مزيف من المال أو السلطة أو أى عرض من أعراض المادة الصائرة..

فإذا تعاملنا مع مصطلح كمصطلح (العفة) من هذا المنظور الحضارى المسلم أمكن أن نقترب من دائرة الفهم الصوابى عن إسلامنا..

فليس عفيفا من يمتنع فقط عن الممارسات الجنسية غير المشروعة، بينما هو غارق فى ممارسات الكذب والجبن والتخلى وجرائم التبرير.. وليس عفيفا من يمتنع عن كل أولئك فقط وهو عابد لخوفه أو طموحه أو لامبالاته من دون الله، لأن العفة ليست جزيرة معزولة فى محيط، ولكنها طرف جدلى فى علاقة كلية، إما أن تضيء بكاملها، أو يزحف على وجهها جميعاً خريف من الجدب والظلام.. وهذا بعض مضامين الرفض القرآنى الجليل لعبثية أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعضه الآخر..

التاجر الغاش إنسان يتخلى عن عفة السلوك المسلم، والطبيب الوحش إنسان يقتل فيه عفة الضمير المسلم، والمعلم الجاهل إنسان يزيف عفة الالتزام المسلم، والسياسى الكاذب إنسان يقامر بعفة المستقبل المسلم، والداعية المراوغ إنسان يهرب عفة الإيمان المسلم، وهكذا تتفاقم أحجام الانهيارات، إذا نحن تجاوزنا حتمية الالتزام بعفة الموقف وعفة الفكر وعفة الإيمان.

يصبح مصطلح (العفة) إذن مناط إشعاع فى اتجاه الفعل، واتجاه الشمول، فى وقت معاً..

فلا الثرثرة العارية من التحقق الوجودى هى العفة، ولا التحدد فى زاوية فاضلة وإهدار سائر الزوايا هو العفة، لأن العفة هى أن تكون فاعلا ومتعادلا، حتى لاتصيب الاجتماع المسلم بمزيد من الجهارة الجوفاء، أو بمزيد من التحدد الضامر.

كان محمد ﷺ ذروة فى العفة حين رفض أن يخر لصنم أو يهادن أى نظام عبودى، وكان أبوبكر– رضى الله عنه ذروة فى العفة حين أبى أن يساوم حتى فى عقال بعير كانوا يؤدونه من قبل لرسول الله ﷺ، وكان عمر– رضى الله– عنه ذروة فى العفة حين حسم الموقف لصالح الرجل العادى وضد إرادة السيد التياه، وكان عثمان– رضى الله– عنه ذروة فى العفة حين أتى بماله ليجهز به زحف الجنود، وكان على– رضى الله عنه– ذروة فى العفة حين تجاوز ذاته ونام تحت سيوف المتربصين بقائد الدعوة..

ونحو هذا الأفق من الفهم عن مصطلحات إسلامنا ينبغى أن نستحث الخطى بلا ملال !!

قصور ذاتى

والحلم قيمة من القيم الحضارية الإسلامية التى زيفها الفهم المغلوط فى واقعنا المسلم المعاصر، فليس من الحلم المسلم أن نسترسل فى صمت البلادة والمسلمون تتناوشهم المذابح وحروب الإبادة فى كل مكان.. وليس من الحلم المسلم أن نسمى عجزنا التاريخى الفادح بغير اسمه الحقيقى، فنزعم بأنه مصابرة، أو ملاينة، أو احتواء أخلاقى لعبثية العصر الذى نعيش فيه.. إن حلمنا المعاصر إحباط، وعجز، وانكفاء على عتبات التسليم والاهتراء، ولا ينبغى أن نسدل على وجهه الدميم أيا من الأقنعة تحت أى زعم على الإطلاق.

الحلم على العدو المناوئ ينطلق من أساسية القدرة على سحقه، أو حتى مواجهته، والحلم على الغزو الفكرى ينطلق من أساسية القدرة على إفحامه أو حتى محاورته، والحلم على التدنى الحضارى ينطلق من أساسية القدرة على استيعابه أو حتى تعليته، لأن مثل هذا الحلم يبدو دائما لابساً خوذته، متأهبا لقتال مصيرى محكوم غالبا بحتمية الانتصار، بما هو قادر على حرية الحركة، وعلى استقطاب التاريخ فى زاويته بلا تخلف، أما الحلم الهروبى الذى يبرر قصوره الذاتى، بمزيد من الصمت ومضغ المقولات الجاهزة والهاربة، فينبغى أن نعريه ليظهر بوجهه الدميم، غير متخف فى ثياب القدرة الضابطة لحركتها كما يوهمون.

أى حلم يمكن أن نواجه به مجازر الإسلام فى شرق العالم وغربه على السواء؟

أى حلم يمكن أن نتعامل به مع موجات التفسخ الأخلاقى الذى يجتاح عالمنا المسلم ويعين عليه صوت الفكر والفن والإعلام بلا ملال؟

أى حلم يمكن أن نخاطب به الجهل والتخلف فى كل زاوية وفى كل اتجاه؟

أى حلم يمكن أن نرفعه فى وجه التحدى الحضارى الذى يتجاوزنا –كل يوم– بآلاف المسافات؟

الاقتلاع الحضارى

أى حلم يمكن أن نشهره فى وجه الاقتلاع الحضارى الذى يجتاحنا من كل الجهات، حتى غدونا غرباء فى بلادنا، وفى تراثنا، وفوق روابينا؟

وهل يمكن أن يكون حلماً كل هذا التخلى الهروبى العاجز حتى عن الرفض، فضلا عن طموح التطلع إلى فتح أوما يشبه الفتح؟؟؟

ليس حليما من تضربه بالسوط –فى – غير حد– ويبتسم لك ابتسامة صفراء، إنه تجسيد فاجع لعبودية تاريخية ساقطة!!

وليس حليما من تغتصب الأرض من تحت أقدامه، وتتركه يبحث فى قمامات التاريخ– ضاحكاً ببلاهة غليظة– عن مكان يأوى إليه إذا جن ليل العالم الكبير.. إنه تجسيد فاجع لعبودية تاريخية ساقطة!!

وليس حليما من تحشو فمه بمقولات لاتمت

إليه ولايمت إليها، ومع ذلك يقاتل دونها بغباء غليظ غير محدود، إنه تجسيد فاجع لعبودية تاريخية ساقطة.. وما أكثر العبوديات التى يمكن رصدها فى هذا المجال !!

إن القرآن الكريم حرر فهمنا للحلم، ولكننا رفضنا هذا التحرير.. فحين جلجل فينا قائلا:

﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾

البقرة/ ١٩٤

كان يقتلع من أعماقنا رسوبية الخور، وتبرير النكوص، ولكننا رجعنا إلى انهيارنا الفاجع فسمينا عدم المواجهة حلما، وهو حلم مكذوب بكل المقاييس، ولنفهم من التعبير القرآنى (اعتدى) ليس مجرد الاعتداء المسلح، وإنما الاعتداء الحضارى الشامل بما ينطوى عليه من اعتداءات فكرية وروحية واجتماعية واقتصادية وسياسية، يجب أن تجابه (باعتداءات) مماثلة فى كل مجال من هذا المجالات، حتى ننتصف للذات المسلمة المعاصرة، بعد كل ما أثخنها من جراح، وما تناوشها من خطوب.

الحلم من المنظور الإسلامى يبدأ من القدرة وينتهى إلى القدرة، أما الحلم العاجز التبريرى فهو صفحة جديدة من صفحات تفسير وبيل لقيم إسلامنا النظيف !!

ولعل قيمة أخرى من القيم الحضارية المسلمة لم تنل من سوء الفهم مثل الذى نالته قيمة (النظافة) فقد حاصرها شراحها التبريريون بمجرد النظافة البدنية، التى تشكل بالفعل مدخلاً إلى صحة العبادة وكمالها على السواء، مع أن (النظافة) من الوجهة الإسلامية تبدأ ربما من نقطة معاكسة، أى أنها تبدأ من الداخل وتمتد حتى تشمل الخارج، لأن نظافة الخارج وحدها لاتعنى فى النظر الإسلامى سوى حركة أنانية عابرة، أما حين تمتد النظافة فتشمل الداخل والخارج، أى العروض والجوهر، فإنها تصبح بذلك حركة حضارية شاملة، تضع شروطها على مسيرة التاريخ راضياً وراغماً على السواء.

نظافة الروح

إن مصطلح (النظافة) يعنى -من المنظور الإسلامى- نظافة البدن، ونظافة الفكر، ونظافة الروح، ونظافة الأرض، ونظافة التاريخ.. أى أن تكون كل هذه الأبعاد فى حركة فعلها وانفعالها جميعا، محكومة بمعامل النظافة، الذى لايطرأ عليها مجرد طروء ثانوى، وإنما ينبع من وجودها الأولى، ومن مجموع علاقاتها معا، ومن مفردات صيرورتها وتطورها جميعا.. ولذلك كان مصطلح (الطهارة) مرادفا - فى الفقه الإسلامى - لمصطلح (النظافة)، أو فلنقل كانت النظافة - فى الفقه الإسلامى - مشروطة فى تحققها بالطهارة، حتى لاتكون مجرد غسل للجوارح، بينما تخوض الروح فى مباءات الوحل !!

نظافة البدن تعنى حياطة الإطار المنوطة به كل تكاليف العبادة والجهاد والفكر، وإثراء الواقع الحياتى..

ونظافة الفكر تعنى حراسة المضمون القيمى الذى يقود مسيرة الواقع فى اتجاهها الصحيح بلا تخبط فى مهاوى الخرافة أو القصور أو الجماح

ونظافة الروح تعنى حماية الطاقة التى تستطيع وحدها أن تخاطب فى الكون ما وراء المادة، وما يتعالى على التحديد..

ونظافة الأرض تعنى صيانتها من أن تكون مباءة للتفحش أو القهر أو ضرب الإيمان القرير.. ونظافة التاريخ تعنى رفع إصر الألوهيات الكاذبة عن كاهل البشر، وتحرير مساره من كذب الدجاجلة وإملاء الطواغيت !!

وما دامت النظافة أساس حركة البدن والفكر والأرض والتاريخ، فلن يستطيع وسخ الجاهليات القديمة والحديثة أن يزحف ليحتل موقعا فى ساحة الكون بشرط أن يستطيع حملة الرفض لهذه الجاهليات أن يبدأوا منطلقهم من ذواتهم، أى أن يكونوا هم نماذج (نظيفة) شكلاً ومضموناً، فكراً وسلوكاً، يداً وجيباً، ولساناً وقلباً، فإذا استطاعوا أن يبدأوا من هذا المنطلق، فإن انتصارهم على كل ظلام العالم يمكن أن يكون على مرمى رمح من عيونهم.

هؤلاء المتأنقون الذين يخادعون بالكلمة والفعل، يفوح منهم نتن الجثث المتجيفة، لأنهم ينشرون الكراهية والانحطاط وقتل الصدق فى كل مناط.. أما الأشعث الأغبر فربما أقسم على الله فأبره، لأنه يحتوى عالما من الطهارة والجسارة، والجدارة، ونبل السلوك..

واقعنا الحضارى

ومن هنا كان المفهوم التقويمى فى الإسلام ينطلق ويرسو من قاعدة أن الله لاينظر إلى اشكالنا وصورنا، ولكنه ينظر إلى أعمالنا وقلوبنا..

ليست هذه بالطبع دعوة من أى لون إلى مخاصمة الطهارة البدنية، أو التأنق الخارجى، فالمسلم مطالب بأن يأخذ زينته، وأن يتجمل ما استطاع، لأن الله جميل يحب الجمال.. ولكن بشرط ألا يتحيف هذا الانكفاء على المظهر جدارة المخبر.. فالنظافة إذن ليست مجرد إهالة كم من الماء على جوارحنا فحسب، ولكنها الإبحار إلى مكابدات تاريخية، حتى يتمحض القلب للخالق، والفعل للدين، والفكر لمحاولات تطويع المناوئين !!

ألم نقل منذ البدء: إن حضارة الفعل لاحضارة الاجترار هى دعوة الأمل وأمل الدعوة فى واقعنا الحضارى المسلم المعاصر؟

وما لم نقاتل فى سبيل أن يولد على الأرض المسلمة هذا الفهم، فسيظل إسلامنا كلاماً جميلاً.. مجرد كلام.

أما واقعنا الحضارى فسيزحف صوب نهاية فاجعة، نأمل أن تكون فرضية تاريخية يمنع حلولها فينا عمل إسلامى بحجم الشهادة، وإجماع مسلم فاعل بحجم التحول إلى قدر الانتصار !!!

من أبرز ملامح الدعوة الإسلامية

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

إن من أبرز ملامح الدعوة الإسلامية الرحمة، فهى جوهر الإسلام وهو من صفات الله- سبحانه وتعالى:

﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

وبالرحمة نزل الدستور السماوى،

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾

سورة الإسراء (٨٢)

ومن أجلها أرسل الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وفيها تركز هدف رسالته ومقصد دعوته. قال الله- تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

سورة (الأنبياء/ ١٠٧)

وهى السمة المميزة للمسلمين فيما بينهم فهم يتراحمون ويعطف بعضهم على بعض ويواسى كل منهم أخاه فمشاعرهم متلاقية، وأحاسيسهم تنهض بالتعاون والتساند والتعاطف والتآلف.

لا مكان للقسوة بين قلوبهم ولا تظهر الشدة أو الغلظة فى محيطهم إلا مع أعدائهم من الكفار وفى ميدان الجهاد فى سبيل الله.

قال الله- تعالى:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾

الفتح (٢٩)

ولم تفارق الرحمة رسول الله ﷺ فى لحظة من اللحظات بل كانت طبيعته وفطرته حتى مع المشركين من قومه فلم يدع عليهم بل قال: «اللهم أهد قومى فإنهم لا يعلمون» ويصفه القرآن الكريم بالرحمة والرأفة الواسعة:

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

(التوبة ١٢٨)

الرحماء موطن الأمل

والرحماء من عباد الله هم موطن الأمل للناس، ومعقد الرجاء لهم، وحيث حلوا فعندهم مرافق الرحمة للمتعبين وواحة الأمن للمتفزعين، من طلبهم أجابوه، لأن الله- تعالى- جعل فيهم رحمته أما القاسية قلوبهم فالناس بمنأى عنهم فلا يرجوهم أحد، ولا ينتظر منهم فضل، لقد حل عليهم سخط الله وفى الحديث القدسى يقول الله تعالى: «اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى فإنى جعلت فيهم رحمتى ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فإنى جعلت فيهم سخطى».

وتظل الرحمة مع المسلم فى كل خطاه قسمة مميزة لشخصيته. لا تنفك عنها، ذلك أنها تغمر الكيان الإنسانى فى الفرد، ويشيع روحها فى الجماعة فتشرق فى حياة الإنسان مع نفسه وتتضاعف فى، معاملة الإنسان لوالديه، وتتسع أقطار الرحمة لتحتوى الأقارب وتمد ظلالها على الجيران وتتداح أبعادها حتى تشمل الخلق قاطبة من إنسان أو حيوان. أما رحمة الإنسان بنفسه فتكون بالوقوف بها عند ما أمر الله والانتهاء عما نهى عنه فلا يوردها موارد الهلاك لا يكلفها من العمل مالا يطاق قال الله تعالى:

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾

البقرة (١٩٥)

رحمة الإنسان بنفسه

وعن ابن مسعود- رضى الله عنه- أن النبى ﷺ قال: «هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون»[1] وهم المتعمقون الذين يتشددون فى غير موضع التشديد، لأن رحمة الإنسان بنفسه لها أهميتها وأثرها حتى ولو كان ما يأتيه الإنسان عملا من أعمال العبادة يدعو الإنسان إلى إعطاء قسط من الراحة، ليستطيع القيام بأعماله وعباداته. «عن أبى ربعى حنظلة بن الربيع أحد كتاب رسول الله ﷺ قال: لقينى أبو بكر- رضى الله عنه- فقال: كيف أنت ياحنظلة؟ قلت: نافق حنظلة. قال: سبحان الله ما تقول؟ قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا الجنة والنار كأنا رأى عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات- أى مارسنا ولاعبنا، نسينا كثيرا- قال أبو بكر- رضى الله عنه: فوالله أنا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ فقلت: نافق حنظلة

(١) رواه مسلم

يارسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «وماذاك؟» قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأى العين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسينا كثيرا. فقال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده لو تدومون على ما تكونون عليه عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فراشكم وفى طرقكم، لكن يا حنظلة ساعة وساعة» (٢).

الرحمة بالوالدين

تلك هى رحمة الإنسان بنفسه، شرعها الإسلام، وجعل تعاليمه تنادى بها وتحرص عليها، وأما عن الرحمة بالوالدين فقد نادى القرآن بها بعد الأمر باختصاص الله- تعالى- وحده بالعباده، فقال- تعالى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾

(الإسراء/٢٣)

وعند بلوغهما الكبر يؤكد القرآن جانب الرحمة بهما لدرجة يصل فيها الإنسان من الرحمة بحيث لا يتضرر منها مهما كلفه البر بهما، وأن يخفض لهما جناح الذل من الرحمة. ولا يكتفى برحمته الفانية، وإنما يطلب لهما رحمة الله الباقية بالدعاء لهما

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾

(الإسراء/٢٣، ٢٤)

وقد روى أن رجلا قال لرسول الله ﷺ: إن أبوى بلغا من الكبر أنى آلى منهما ما وليا منى فى الصغر فهل قضيتهما حقهما؟ قال: «لا فإنهما كان يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وتريد موتهما».

وأما الرحمة بالأقارب: فلها منزلتها عند الله، وحسب الذى يصل رحمه أنه موصول من ربه، وحسب الذى يقطعها أنه مقطوع. عن أبى هريرة- رضى الله عنه- عن النبى ﷺ قال: «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال: نعم.. أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب: قال: فهو لك

(٢)رواه مسلم

قال رسول الله ﷺ فاقرأوا إن شئتم(٣):

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾

محمد: ٢٢

وكذلك الرحمة بالجيران تعاونا معهم، وتلبية لندائهم وإحسانا إلى المحتاجين منهم، ورحمة الإنسان بالناس عامة، قال رسول الله ﷺ: «لن تؤمنوا حتى تراحموا» قالوا: يا رسول الله كلنا رحيم قال: «ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكنها رحمة العامة» (٤).

الرحمة بالحيوان

والرحمة بالحيوان، فلا يجيعه ولا يتعبه ولا يقسو عليه ولا يحبسه. إن المسلم ذو قلب رحيم لا تبدو ملامح شخصيته من غلافها الجسدى أو المظهر الشكلى. وإنما فى النظرة الحانية إلى المحيطين بالإنسان وفى شعاع روحه وهو يضىء بالود وحب الخير طريق الناس، وفى قلبه الرحيم وهو يشاطر الناس أحزانهم ويشاركهم فى أفراحهم، وفى كفه وهى تمسح دمعة المسكين وتأخذ بيد الضعيف وتسدى المعروف للناس.

بهذه الحياة الخصبة التى تترعرع فيها العلاقات الإنسانية وتنبعث منها صنائع المعروف تظهر شخصية الإنسان المسلم، قائمة على أساس ثابت من الإيمان بالله، وأماالذى أقفرت حياته من الإيمان فقلبه مقفر من الرحمة، وشخصيته تنفر من المعروف والناس ينفضون من حوله فلا يرجى جانبه، ولا تمتد بالخير يداه، وهذا الذى لا يرحم الناس فى الدنيا لا يرحمه الله فى الآخرة. عن جرير بن عبدالله- رضى الله عنه- قال: قال رسول ﷺ: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله» (٥)

وقد أمر الرسول ﷺ بالرحمة بمن فى الأرض حتى يحظى المسلم برحمة ربه، عن عبدالله بن عمرو بن العاص- رضى الله عنهما- أن رسول ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحكم من فى السماء» (٦).

***

(٣) رواه البخاري

(٤) رواه الطبراني

(٥) رواه احمد، والبخاري، ومسلم

(٦) رواه ابوداود والترمذي

العولمة والوطنية والقومية الثقافية

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى

الحديث عن العولمة لابد أن يتطرق إلى شقين هامين، وهما: القومية والوطنية.

الهوية الوطنية

لاشك أن معالم الهوية الوطنية قد اهتزت ـ بل تصدعت ـ أركانها بعد فشل النظام التربوى، وتفكك النظام الأسرى، سقط مشروع «المدرسة الوطنية» وقد حلمت به أجيال من رواد الحركات الإصلاحية فى المجتمع العربى الإسلامى منذ قرنين. إن البرامج التليفزيونية تؤدى اليوم رسالة الأسرة والمدرسة معا.

لذلك فإن هناك العديد من الأسباب التى تدعو ثقافات الدول النامية إلى الاصطدام بالثقافة العربية، ومقاومة هيمنتها، والتصدى لسيطرتها والتبعية لها، والوقوف أمام تسلطها على سيادة دول العالم الثالث، فحتمية الصدام بين الثقافة الغربية التى تخفى هيمنتها تحت عباءة العولمة وبين الدول النامية يمكن أن تتحقق إذا ما توفرت الأسباب الآتية:

● أن تنحاز العولمة الثقافية إلى ثقافة الدولة الغربية التى تسعى وراء هيمنة ثقافتها على ثقافات الدول النامية، وحملها على التنازل عن حقوقها القومية.

● أن تدعو العولمة الثقافية إلى الأحادية الثقافية ومقاومة التعددية الثقافية ـ بما يؤدى إلى إزالة المقومات الشخصية والحضارية للدول النامية.

● أن تستخدم العولمة الثقافية كستار تحتمى خلفه الدول الغربية لاختراق القوميات الثقافية للدول النامية، وتفتيت كياناتها، وإضعاف هويتها من خلال عوامل السيطرة الاقتصادية والتفوق فى التكنولوجيا الحديثة واحتكارها.

● أن تعمل العولمة الثقافية على تغريب الهويات الوطنية

الثقافية للدول النامية، والتقليل من شأن إنجازاتها التاريخية الحضارية لغرض إحلال الثقافة الغربية مكانها.

● أن تستغل الدول الغربية العولمة الثقافية لإلغاء السيادة القومية والوطنية للدول النامية، وهدم مقومات الفكر فيها، وإزالة معتقداتها وتقاليدها وتراثها بحجة دونية تلك الثقافات أمام الثقافة الغربية التى تتميز بالإبداع والتحديث.

ولا يمكن للثقافة العربية أن تصمد أمام التيار الجارف لسيطرة العولمة الثقافية والهيمنة الغربية فى القرن المقبل، إلا إذا وضع المفكرون العرب ـ بدعم مخلص من حكوماتهم ومؤسساتهم الثقافية ـ استراتيجية موحدة هدفها:

● تحرير الثقافة العربية من القوالب التقليدية التى ورثتها طوال القرون العشرة الماضية من تاريخها الطويل والتى يغلب عليها التبعية والنقل والتكرار.

● إحياء التراث الفكرى العربى، وتنقيته من الشوائب الدخيلة عليه التى عملت على إضعافه وتأخره، وإعادة تركيبه بما يتفق مع تطور العصر وأحداثه ولا يمكن أن يتحقق كل هذا إلا بإعادة بناء الفكر العربى وربط ماضيه المجيد بحاضر العصر الذى نعيش فيه فى اتجاه المستقبل وتحدياته.

● الدعوة إلى ديمقراطية الثقافة العربية، وممارسة حرية التعبير عن مختلف العلوم والفنون والآداب.

إنه فى عصر ثورة التكنولوجيا الحديثة والأقمار الصناعية والاتصالات المعلوماتية لن تقوم للثقافة العربية قائمة فى القرن القادم، ولن يكون لها مكان فى العولمة الثقافية دون حدوث صحوة ثقافية عربية تنطلق فى أجواء العولمة متسلحة بالابتكار والإبداع، ومستخدمة أدوات العلوم الحديثة وتكنولوجيا الإرسال المتقدمة، والبرامج التى تتميز بالفن والإتقان والحداثة.

● ضرورة وضع استراتيجية مستقبلية لرؤية إبداعية للثقافة العربية قادرة على تكيفها بالعولمة الثقافية التى تضعها الدول الغربية فى الألفية الثقافية القادمة.

ماذا تعنى العولمة الثقافية

يرى الفيلسوف الاجتماعى ميتشل تومبسون فى كتابه عن «نظرية الثقافة» أن هناك رؤيتين للثقافة: «الرؤية الأولى: هى أنه ينظر إلى الثقافة على أنها تتكون من القيم والمعتقدات والمعايير والرموز والأيديولوجيات وغيرها من المنتوجات العقلية. أما الاتجاه الآخر فيربط الثقافة بنمط الحياة الكلى لمجتمع ما، والعلاقات التى تربط بين أفراده، وتوجهات هؤلاء الأفراد فى حياتهم»[1].

(١) مقدمة كتبها الفاروق زكى يونس لكتاب ميشيل تومبسون وآخرين عن نظرية الثقافة، ترجمة على سيد الصاوى، عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٧، صفحة ١٠.

فلكل ثقافة خصوصياتها التاريخية التى تنفرد بها، والمعتقدات والتقاليد والعادات التى تتحلى بها مجتمعاتها، والفنون التشكيلية والأدبية والفكرية التى أفرزتها ابتكارات شعبها، ولذا فإنه يمكننا القول بأن لكل ثقافة كرامتها وعزتها وقيمها، التى من الواجب على مختلف الشعوب احترامها والمحافظة عليها بل والمعاونة على تنميتها.

وليس معنى أن لكل شعب ثقافته الفردية التى يتميز بها وتحدد خصوصياته، أن تنغلق كل ثقافة على نفسها، وأن تعمل على الانكفاء على ذاتها، وأن تتقوقع داخل مجتمعاتها، فإن الجمود والتحجر الثقافى يؤديان بلا شك إلى الذبول، ومن ثم إلى الوهن والزوال. بل نحن ندعو إلى التفاعل بين الثقافات والتجاوب مع بعضها البعض، وإلى تحطيم الحدود والمعوقات التى تفصل بين كل منها، وإلى احتفاظ كل ثقافة بهويتها والتمسك بخصوصياتها، وذلك كله عن طريق الحوار الإيجابى الذى يستهدف التعرف إلى الثقافات الأخرى، والإفادة والاستفادة منها.

العولمة والتنوع الثقافى

فى الندوة التى أقامتها أكاديمية المملكة المغربية عام ١٩٩٧م. عن «العولمة والثقافة» أبرز المفكر الإفريقى مختار إمبو، مدير عام منظمة اليونسكو الدولية السابق ـ بخبرته الواسعة فى مجال الثقافة الدولية ـ ضرورة تنوع الثقافات داخل منظومة العولمة، وقد أورد فى بحثه ضرورة ترسيخ تنويع مفهوم الثقافة، حيث أكد أنه «من هنا لايمكن لهذا المفهوم أن يرسخ فى أذهان المنظمات الدولية إلا بالتحرر من الهيمنة الاستعمارية، وهذا ما طالبت به الدول الحديثة العهد بالاستقلال التى أرادت العودة إلى أصولها الثقافية والتاريخية دون الانغلاق على الإسهامات الإيجابية للمدنية الغربية»[٢].

إن ما يدعو إليه إمبو فى بحثه هو الحرص على أن تتنوع الثقافات داخل إطار العولمة، وألا تنغلق العولمة على الثقافة الغربية كما كان الوضع فى السابق، عندما كانت الدول الاستعمارية تهيمن على دول العالم الثالث فكريا واقتصاديا وعلميا وحضاريا.

ويستطرد إمبو فى حديثه قائلا: «فإنها ـ أى الدول الحديثة العهد بالاستقلال ـ تؤكد على ضرورة تشجيع التفاهم المتبادل بين مختلف الثقافات، وإغنائها حتى تقوم علاقات ثقافية خالية من أى نوع من أنواع الهيمنة»[٣].

إننا نرى أن الدعوة إلى ثقافة واحدة ـ لنكون عالما واحدا ـ تعتبر دعوة تروج للتبعية الإمبريالية، وتدعو إلى تحطيم الحدود الحضارية، وإلغاء سيادة الأمم النامية، والعبث بتراثها وأصالتها وإهمال

(٢) أ.مختار إمبو، التنوع الثقافى والعولمة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب ١٩٩٧، صفحة ٢٢١.

(٣) أ.مختار إمبو، المرجع السابق صفحة ٢٢١.

تقاليدها وعاداتها وقيمها الثقافية، وهذا ما لم يحدث مثله فى تاريخ البشرية.

ومن ثم فإن الخطأ الجسيم الذى يقع فيه العديد من المنظرين الغربيين ـ وخاصة الأمريكيين منهم ـ هو رفع شعار «عالم واحد وثقافة واحدة» باسم العولمة الثقافية، يعتبر منطقا يجانبه الصواب لعدة أسباب، أهمها:

أولا: أن كل شعب من شعوب العالم ـ سواء النامى منه أو المتقدم، الشرقى منه أو الغربى، الشمالى منه أو الجنوبى ـ له ثقافته الخاصة به والتى ورثها منذ أجيال بعيدة متمثلة فى عقائده الدينية، وتراثه الأدبى والعلمى والفكرى، وعاداته وتقاليده وفنونه الشعبية، وقيم سلوكه الاجتماعى التى ينفرد بها عن مختلف الثقافات.

وثانيها: أن من حق كل شعب أن يتمسك بثقافته الأصيلة ويحافظ على هويتها، ويعمل على تنميتها.

ثالثا: أن من حق كل شعب أن يقاوم الغزو الثقافى الذى يستهدف محو ثقافته الأصيلة وإحلالها بثقافات أخرى أكثر حداثة وتقدما.

فإن الحضارات لاتموت، ولا يقضى عليها[٤].

العولمة والثقافة الإسلامية

إن موجات الغزو الثقافى للمستعمرين على الدول العربية أحدثت ولاشك شرخا غائرا فى تطور الفكر العربى وتقدمه؛ لكى يواكب متطلبات العصر، كما أوجدت جرحا عميقا فى بنيان قدرة هذا الفكر على النمو والتقدم ليتجاوب مع تطلعات المجتمعات العربية فى التحديث والابتكار والإبداع فى القرنين الماضيين؛ نتيجة لكل هذه العوامل السلبية التى أوجدها الاستعمار فى كيان الأمة العربية فإن هناك أربع فجوات عميقة أبعدت المسافة وزادت الهوة بين التطور الثقافى والاقتصادى والعلمى فى المجتمعات العربية الإسلامية، ومثيلها فى المجتمعات الغربية.

الفجوة الأولى: وهى الفجوة المعرفية والمعلوماتية بين المستعمر وبين المجتمعات العربية المستعمرة.

وبذلك لم يتحقق التوازن الثقافى والعلمى بين الدول العربية وبين الدول الغربية المستعمرة.

الفجوة الثانية: عمل المستعمر بدأب وإصرار على أن يكون التعليم فى الدول العربية بالمرحلة العامة والجامعية تعليما نظريا يعتمد على الحفظ والتلقين ومنح الشهادات التى تعطى الحق للمواطنين

(٤) صراع الثقافة الإسلامية مع العولمة، ص٩٨ د.محمد الشبينى: دراسات فى التاريخ (توينبى) ترجمة د.شفيق غربال.

للالتحاق بوظائف الحكومة.

الفجوة الثالثة: عرقلة الدول المستعمرة للتطور العلمى والتكنولوجى للدول العربية، والاعتماد على الغرب فى بناء المصانع، وإدخال الميكنة والطرق الحديثة فى الزراعة وإقامة المنشآت العلمية والصناعية التى تعتمد على التكنولوجيا الحديثة، وبذلك فات العرب فى القرنين التاسع عشر والعشرين المساهمة فى آليات التطور العلمى والصناعى والتكنولوجى، ومن ثم أدى ذلك إلى هيمنة الدول الغربية على مقادير الدول العربية فى كل ما يتعلق بالتطور والإبداع الفكرى التكنولوجى.

الفجوة الرابعة: شجع المستعمر التخلف العلمى عند العرب والمسلمين، كما عمل على تأخرهم فى مسايرة النهضة الفكرية والعلمية التى انتشرت فى دول أوروبا.

عمل المستعمر على إدخال الفرقة والعداوة والصراعات بين الطوائف والمذاهب الدينية فى البلد العربى الواحد؛ تحقيقا للفلسفة التى كان مكيافيللى يروجها لأميره فى حكم البلاد، وهى القائلة: «فرق تسد» هذا بالإضافة إلى محاربة العقائد و التقاليد والعادات والقيم العربية الإسلامية الأصيلة التى يتحلى بها الإنسان العربى، علاوة على مقاومة الفكر والتراث العربى رغبة من المستعمر فى السيطرة على الثقافة العربية، والهيمنة على خصوصياتها وهويتها.

وفى عدد من الدول العربية عملت المؤسسات الاستعمارية والتبشيرية على الترويج للغتها سواء الفرنسية منها أو الإنجليزية أو الإيطالية، وجعلها لغة المراسلات والمكاتبات الرسمية، وكذلك الحرص على تدريسها فى المدارس والمعاهد والجامعات بهدف إحلال اللغة الأجنبية مكان اللغة العربية.

الفكر العربى والعولمة

إنه من الطبيعى أن يحاول الفكر العربى فهم ظاهرة العولمة، وأن يتأثر بالفكر الغربى فى معالجته للظاهرة الجديدة، فبعض الفكر العربى يحمل فى باطنه قضايا الحداثة: كالاشتراكية والديمقراطية الغربية، ومع مختلف مدارس النقد الحديث فى الفنون والآداب، ومع مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية خلا بعضه الذى أعاد الإنتاج مع محاولة نقد وتجديد. أما الفئات المفكرة التى وقفت عند قضايا الحداثة وتعيد طرحها اجترارا، فهى تعنى باجترارها قضايا الحداثة اتهام الفكر العربى بالعقم والجمود، وعدم قدرته على طرح مشاكل جديدة حتى فيما يمت بصلة وثيقة إلى قضايا بيئته الحضارية.

إن التنابز الذى شق وحدة الفكر العربى وانساق فيه بعض المفكرين العرب متهمين فكرهم بالجمود، والواقفون عليه رجعيون، وكان سبب انقسامهم، وهو عين الجمود والبلادة.

فالرجعيون فى نظرنا: أهل الأصالة يرون فى الذين يأخذون بتلابيب الغرب خروجا عن الهوية وانسياقا من غير برنامج اتفقوا عليه.

ثم إن قضايا الحداثة تجاوزتها أوروبا، ومازالوا يسعون وراء التراث الغربى، فهم مشغوفون بالتبعية وليس بالتجديد، والتبعية التى يسعون وراءها لصيقة بالمغلوب أبدا، وقد شغف المغلوب ـ منذ القدم ـ بتقليد ثقافة الغالب، ثم إن القضايا التى يطرحها المشغوفون بالتبعية هى لا تعنى الوطن إنما تعنى بعض الفئات المفكرة. فلا يمكن أن نتصور تجديدا جذريا فى القضايا الفكرية ذات الطابع الكونى والدعوة إلى مناهج جديدة فى مجتمع يعانى من التخلف السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى.

ولكننا حريصون فى الوقت ذاته على تأكيد الجانب الإيجابى فيها، وأعنى بذلك انفتاح الفكر العربى المعاصر على القضايا الكونية، والتفاعل معها، بذلك يسهم فى التصدى لجميع نزعات الانغلاق والتقوقع.

والخطاب العربى لا يحمل وحدة الفكر القومى، ولا وحدة التوجه والهدف، وإنما هو خطاب تطغى عليه الحماسة وبعيد عن الموضوعية والدقة العلمية، ولا يحدد سمات الخصوصية الثقافية متأثرا بالوضع القومى، تعلم لغة الشعارات التى لا تصمد أمام الفحص والتمحيص.

وكيف يصاغ خطاب عربى ومازالت «الخصوصية الثقافية» ليست محل إجماع بين فئات النخبة السياسية والفكرية؟!

مثال ذلك: التراث، والدعوة إلى إحياء التراث، فالمواقف مختلفة حول مضامين هذا الموروث التى ينبغى عليها إحياؤها لتبرز ملامح الخصوصية الثقافية من جهة ولتكون صالحة للإسهام بها فى ثقافة العولمة من جهة أخرى.

العولمة وأثرها على الفكر العربى

إن العولمة ستكرس الثنائية والانشطار فى الهوية الثقافية العربية، هوية تمثل تيار الجمود على التقليد، وأخرى تجسم الاختراق الثقافى. مع أن العولمة مع مرور الزمن تؤدى إلى تقليص الهوية المحافظة لفائدة هوية جديدة أكثر انسجاما مع الثقافة الكونية، وهى ثقافة إنسانية عامة وليست مرتدية ثقافة الاختراق.

***

الذين جاءوا بالإفك

للدكتور/ أبى حسام

﴿إن الذين جاءو بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم (١١) لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين﴾

أخَذتْ تَبكى وقد ران المساءْ   ويحهم قد تركُوها فى العراءْ
نَشدت كهفاً يواريها فما   وجَدت مأوى لها غير الفضاء
ظلمةٌ تطغى بقفر موحش   تَفزع الأُسْدُ به كيف الظباء؟
هجمَ الليل بها مفترسًا   كَل نجْم سَيء الحظ أضاء
ذكرتَ أحمدَ، لو يعلم ما   هى فيه، قطعَ البيد وجاء
شأنها الدائب أن تذكره   فى دُجى الشَر، فينجاب البلاء
ذكرتْ أحْمد حيثُ استشعرت   فى اخْتناق اليأس روحا من رجاء
طيفُه أوْحى إليها ثقة   لم تُتَح إلا لرهْط الأنبياء
عَقلها يَغلى بشكٍ كلما   أبصرْت واقعَها قيد الشقاء

غير أن القلبَ فى أعماقه   واثقٌ بالله يَرجوه النجاء
أطرقتْ فاستمعْت ذا صيحة   يُرقصُ البيد على صوت الحداء
مُدلجٌ أسأمه المسرى فلم   يَجد السلوان إلا فى الغناء
من بعيد تسمع الصوت ولا   تبصر القادم، والليل عماء
نظرت وارتجفت تحذر أن   يثب الليل عليها باعتداء
إنه يشدو، وما يُعقل أن   ينهج الغِريد نهج الأشقياء
غير أن النَوم قد أنقذها   فارتَمتْ تنهلُ منه ما تشاء
أىَ عَوْن قدَم النوم لها   فطوى أشجانها طىَ الرداء
ودَنا صفوانُ فاستفظَع ما   قَادها للتيه فى القفر الخلاء
هَابها فى نَومها قَديسة   سهرت تحرُسها عين السماء
هبَ يدعو الله كى يوقظها   ألغيرِ الله نسعى بالدعاء
دَعوةٌ نَمت عليه فاغتدى   واضحَ النبرة بين الحنفاء
أيقظتْ من وعيها فانتبهت   لتَرى الهودج مستور الغطاء
وتنحَى، فاعتلتْ واثبة   مَا رأى طلعتها الزهراء راء
قَبسٌ مؤتلقٌ من أحْمدٍ   آذن النفس بما يمحو العناء
واصل المسْعى بها إذ ضَمنت   راحة القلب وموفور الهناء
أتُرى الناقة قد باهت بها   فَمضت تسحب ذيل الخيلاء

٢٠

وردت منزلَها هانئة   مَوْرد الطَير على ظل وماء
لم تَخلْ أنَ غدا محنتها   تفصُل العظم، وتمتص الدماء
عصبةٌ ألهبها الحقد جوىً   فمضت تأكل لحم الأبرياء

حطّم الإسلام منها شِرّةً ... تعشق الزور وتلتذ العداء

خَنَستْ مذْعورة من بطشه ... فهى لا تلقاه، شأن الضعفاء

غير أن الحقد قَدْ أورثها ... شرراً هيّج منها البرحاء

أوْهموا أغْرارهم فانطلقوا ... كلّ فردٍ منهمو كالببغاء

قَدم الركبُ، وجاءت بَعده ... معَ صفوان، وفى الأمر خفاء

هكذا قالوا ولَجّتْ فتنة ... خبّ فيها كلّ ذى عقل هواء

ويْلهمْ، قد سَقط العقد فلمْ ... نَسجوا فى أمره كل ادعاء

ان تَكُنْ تعلم ما يَعقبه ... تَركَتْهُ دون بحث فى العراء

وأتى الأمر أبابكر فما ... شامَ فى المحنة وَجهًا للعزاء

واثقٌ من عرضه يُرمضه ... أن قومًا أوغلوا فى الافتراء

لم يُطق مرأى رسُول الله فى ... محنةٍ جسّدها فرط الدهاء

ورسول الله مَا أهدأه ... وهو فى اللأواءِ زينُ الحلماء

تَرك السَيْل بمجراه وقد ... لَمح النار على وشك انطفاء

سائلٌ عنها فما يتركها ... فى لظى محنتها رهن البلاء

كيفَ تيكم؟ باحثًا مستفسرا ... ولَهُ من ربّه الأعلى اهتداء

يالها الله، تدجّى خَطْبها ... حَين لا يبدو شعاع من ضياء

سقطتْ مُنهارة ينهشها ... ألمٌ قد كاد يوليها الفناء

أى إفك زعَمُوه ويحهم ... مَا الذى أغْراهُمُو بالشرفاء

من ذوى القربَى نفوس لَهجت ... بالخنا، كَيف يُلام البُعداء

مسطحٌ كابن أبىّ، فتنةٌ ... تَجمع الضّدين من دان وناء

ودّت الموت، وهْل يمنعها ... بعد أن تَمضى هُراءُ الأدنياء

سحب ليس يُجلّى غيْمها ... غيرُ جبريل بوحى ذى جلاء

يَدْلهمُّ الجو فى عاصفة ... ما لوحش القفر فيها من وقاء

ثم يصفوُ، فإذا الأفق سنا ... من لجين، وإذا الريح رخاء

٣٠.

مثلما يُسعد لألاء السنا ... مقلة الخابط فى التّيه العماء

ضلّ ما ضلَّ بداج غيهب ... تعزف الجن به لحن الرثاء

جلجل الذكر بها تبرئةً ... تسقط الغيث على قوم ظماء

للخبيثات الخبيثون وما ... كان زينُ الخلق بين الخبثاء

طَيّبٌ يُهدى إلى طيبّة ... طُهر المغرس أصلا والنماء

جئتمو بالإفك يرمى جَمْعَهُم ... بشواظ لاهب يوم الجزاء

قدْ تولى كبره ذُو حَسد ... برّح الغلُّ به، والغلّ داء

لم يُصب من أحمدٍ أهدافه ... فانْتحَى زوجتَه كيما يساء

هبْه يَقْلى أحمداً، ما صنعتْ ... زوجةٌ تُمنَى بكيدِ اللؤماء

أأصيلٌ سيدٌ فى قومه ... ثالبُ الأعراض بالزيْف الهراء؟

هُو من دهمائها فليعترفْ ... بخناهُ ليس أهلاً للعلاء

أىّ حَسْناء حصان خَصّها ... ربّها الأعلى بإكليل الثناء

أشرقتْ فى سورة النور فما ... مثلها فى أوجها ذات بهاء

إن تكنْ مريم نالت فخرها ... فهما فى دولة الحُسنى كفاء

أصبحتْ أسوةَ غيد بعدها ... صرْن نهبًا لادّعاء التعساء

فرَفَعنَ الأمر لله كما ... رَفعت، والله عون الضعفاء

ليتَ من يرمى بإفك غادة ... يُدرك العُقبى فيثنيه الحياء

***

فروض الكفاية..

تشريع حضارى مهمل

للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفنى

من الواضح أن التشريع الإسلامى قسمان، قسم فردى وقسم جماعى، فأما الفردى فهو الذى يوجه إلى الأفراد، بمعنى أن مضمون أحكامه يؤديها كل فرد ولا ينوب فيها فرد عن فرد إلا بأحكام خاصة فى بعض الحالات، وهذا القسم أفاض فيه علماء الإسلام وفقهاء التشريع الأوائل إفاضة مذهلة فى استقصاء كل تفاصيله وفروعه، سواء فى العبادات وفى المعاملات وفى علاقات الأحوال الشخصية، وفى الحدود والقصاص وغير ذلك، وسواء فى الواقع الكائن أو فيما يتوقع حدوثه فى المستقبل، حتى لن يكون من المبالغة أن يقال إنهم لم يتركوا مسألة أو احتمالا إلا وبينوا حكمه فى ضوء الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس أو الاجتهاد، وبهذا أضاءوا لأفراد المسلمين طريقهم دون لبس أو غموض.

ولم تبق إلا مستجدات الحياة التى يسهل على أى فقيه عالم مخلص أن ينسجها على المنوال الذى نسج عليه هؤلاء العلماء الأوائل، وحتى الذى اختلف فيه العلماء الأوائل كان اختلافهم رحمة بالمسلمين، تحقيقا لقوله تعالى:

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾

(البقرة: ١٨٥)

وأما الجانب الجماعى من التشريع الإسلامى وهو الموجه إلى الجماعة وليس إلى الأفراد فمما يؤسف له أن العلماء الأوائل لم يوجهوا إليه شيئاً ذا قيمة من جهودهم التى كانت هائلة رائعة فى الجانب الفردى من التشريع، بل تركوه شبه مهمل حتى أوشك المسلمون أن يتناسوه، وكثير منهم لايكادون يعرفون عنه شيئا بوصفه تشريعا، وأقصى ما تركه العلماء القدماء عن هذا الجانب هو محض أمثلة له، مثل الصلاة على الميت ورد السلام وتشميت العاطس إذا حمد الله، فإذا مات شخص رجل أو امرأة من المسلمين وجب على المسلمين بوصفهم جماعة أن يصلوا عليه، وهذا الواجب لايطالب به الأفراد فلا يجب على كل فرد علم بهذا الموت أن يصلى على الميت، وإنما يجب على الجماعة بوصفهم جماعة، فإذا صلى عليه بعضهم ولو واحد سقطت المسئولية عن الجميع، فإذا لم يصل عليه أحد كان كل مستطيع آثما مذنبا، ومثل هذا يسمى فرض كفاية، بمعنى أنه واجب أصلا على المجموع، ولكن إذا آداه البعض كان كافيا عن الكل، فإذا لم يؤده أحد كان الجميع آثمين، وهذا هو التعريف الذى عرف به العلماء الأوائل فروض الكفاية، وكذلك السلام إذا ألقاه شخص على جماعة وجب عليهم جميعا أن يردوا السلام، ولكن إذا رد بعضهم ولو واحد أغنى عن الجميع، فإذا لم يرد أحد كان الجميع ممن يستطيعون الرد مذنبين، وكذلك إذا عطس شخص بين جماعة وحمد الله وجب على الجميع أن يشمتوه، وتشميته بمعنى الدعاء له، فإذا دعا له بعضهم ولو واحد أغنى عن الجميع، وحتى هذه الأمثلة التى ساقها العلماء الأوائل من فروض الكفاية لم يكن لهم فيها كبير فضل، بمعنى أنها لم تكن نتيجة بحث أو اجتهاد منهم، لأنها ثابتة وصريحة بالكتاب أو السنة أو الإجماع المتوارث، وهذا لايحتاج إلى توضيح.

أما أصل الموضوع وهو أن فى التشريع الإسلامى قسما جوهريا مكلفة به الجماعة وليس الأفراد بوصفهم أفرادا فهذا ما كان ينبغى أن يوليه العلماء الأوائل اهتماما واضحا ليس عابرا، بل اهتماما أصليا وليس فرعيا، لأنه يتعلق بحضارة الأمة، ويمثل نهضتها، ومن هنا كان القول بأن التشريع الجماعى أو فروض الكفاية هو التشريع الحضارى للأمة الإسلامية، ويمكن إيجاز الفرق بين التشريع الفردى، والتشريع الجماعى، بأن التشريع الفردى يهدف إلى مصلحة الفرد من خلال العمل الفردى، أما التشريع الجماعى فيهدف إلى مصلحة المجتمع أو الأمة من خلال العمل الجماعى وإن أداه أفراد نيابة عن الجماعة ومن المعروف، بل من البدهى أن حضارة الأمم لاتبنى بجهود فردية، بل لابد من تضافر الجهود الجماعية، وهذا ينطبق على كل مجال من مجالات الحضارة، سواء العلمية والفكرية، فأى نوع من أنواع الصناعة مثلا لم يظهر ولم يكتمل طفرة واحدة، ولا من جهد فردى، وإنما يكون من تضافر جهود كثيرة، بل أجيال متعددة، ثم تتواصل الجهود لتنمية هذه الصناعة والارتقاء بها، مثل صناعة السلاح، وصناعة السيارات، وصناعة الطائرات، وكل الصناعات على الإطلاق، ومن المشهور أن فكرة الطائرة بدأها شخص عربى فى الأندلس صنع لنفسه جناحين من ريش الطيور، ليطير بهما من فوق سطح بناء، ولكنه لم ينجح فسقط ميتا، ولكن آخرين أخذوا يطورون الفكرة، وتتواصل جهودهم حتى أصبحت الطائرة حقيقية، ومازالت

الأزهر

جهود العلماء تتواصل لتطوير أدائها مدنيا وعسكريا، وكذلك سائر العلوم النظرية، مثل علم اللغة، وعلم الفلسفة، وعلم التاريخ وغير ذلك كلها إنما بدأها أفراد ثم تواصلت الجهود فى البناء على أسسها وأحكامها حتى تصبح علوما متكاملة، ثم قابلة للبناء عليها مصاحبة لنمو الأمة وتزايد حضارتها.

وكذلك هذا التشريع الحضارى (فروض الكفاية) وجه الحضارة فيه أنه يقوم من أساسه بخلاف كل المجالات على جهود المجتمع بوصفه كلا، فالدين حين يطلب فى هذا المجال أمرا إنما يطلبه من الجماعة وليس من كل فرد كما يطلب فى العبادات مثلا من صلاة أو صوم أو غير ذلك، كما رأينا فى الأمثلة السابقة فى صلاة الجنازة ورد السلام، وهذا المنهج ينفرد به الدين الإسلامى، فلا يوجد فى تشريع دين أو تشريع أمة تكليف للمجتمع إلا فى الدين الإسلامى، وإنما يوجد التكليف للأفراد.

وقد كان العلماء الأوائل بما أوتوه من جهود واسعة مستفيضة أن يوجدوا من التشريع الحضارى (فروض الكفاية) تشريعا متكاملا يحقق نهضة الأمة ويقيم حضارتها فى كل العصور حين تنفذ هذا التشريع كما فعلوا فى التشريع الفردى الذى يصلح كل فرد يلتزم تطبيقه، وسيجدون القرآن الكريم، والحديث النبوى حافلين بمواد لهذا التشريع فى كل مجال من مجالات الحضارة والرقى، سواء فى الناحية الدينية أو العمرانية أو الآداب العامة أو ما يتعلق بمجد الأمة وقوتها بين الأمم.

ففى المجال الدينى الأمر واضح كصلاة الجنازة وصلاة الاستسقاء، وهذا النوع قد نجد منه ألوانا فى الأديان الأخرى كالطقوس التى تقام فى مناسبات معينة يطلب فيها من الجماعة إقامة هذه الطقوس، والمجال الدينى لذاته لايعد من الحضارة بمفهومها المعروف، وإنما الجانب الحضارى حينئذ هو ما قد ينتج عن العقيدة الدينية أو يترتب عليها فى حضارة الحياة كما كان الأمر فى العقيدة الفرعونية رغم بطلانها دينيا، فإنها أنتجت الحضارة العمرانية التى لازالت تبهر بدقتها وجمالها كل من يشاهدها ويشاهد محتواها ومن المجالات الحضارية الواضحة فى هذا التشريع ما يلى:

أولا: المجال الثقافى

مع أن القرآن حافل بتمجيد العلم ورفع شأن العلماء، حتى جعل الله العلم سببا مباشرا لتفضيل آدم على الملائكة ودعوتهم للسجود له سجود تعظيم من أجل العلم، مع ذلك لم يترك الله السعى لتحصيل العلم لمجرد الترغيب فيه أو الإشادة به، وإنما وجه الأمة الإسلامية إلى الأسلوب العملى لنشر العلم وشيوعه، فطلب من المسلمين أن يختاروا أفرادا أو جماعات فى صورة بعثات علمية، تحصل العلم من منابعه، ثم تعود

بهذا العلم تنشره بين الأفراد بالوسائل المتاحة حتى يصل إلى بقية الأمة، ومن الواضح شديد الوضوح فى هذا المنهج قوله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾

(التوبة: ١٢٢)

ومن البدهى أن فهم القرآن أو تطبيقه ليس مقصورا على طائفة أو جيل أو مكان، فإن الله أرسل رسوله، وأنزل قرآنه ليكون للناس كافة على اختلافهم واختلاف أماكنهم إلى يوم القيامة، وحيث إن الآية تنصب على التوجيه العلمى فلا مانع من أن نفهم تعبير ﴿ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ ﴾ على أنها تعنى فرق العلم، بمعنى التخصص العلمى فى كل مجال، بمعنى أن على كل أصحاب تخصص فى أى مجال علمى أو صناعى كمجالات الطب أو الهندسة المدنية أو العسكرية أو الصناعة فى كل فروعها أيضا المدنية أو العسكرية، البرية أو البحرية أو الجوية، وهكذا، على كل أصحاب تخصص أن يختاروا بعثات داخلية أو خارجية للتزود بكل جديد فى مجال تخصصهم، ثم يعودون به ليتزود منهم بقية أبناء تخصصهم، وهذا هو المنهج الذى بنيت وتبنى عليه كل حضارة، حيث يبنى اللاحقون على جهود السابقين، ولا تعارض بين دخول المجال العلمى المادى وبين تعبير

﴿ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾

لأن المفروض أن كل العلوم تبنى على أسس الدين وتكون خدمة لأبنائه ولاتتعارض مع مبادئه.

ولننظر إلى حال الأمة الإسلامية أو العربية لو أن الله وفق أبناءها إلى تطبيق هذا التشريع الحضارى.

ثانيا: فى المجال الاجتماعى والعمرانى

القرآن الكريم حافل بفروض الكفاية فى كل نطاق الحياة الاجتماعية والعمرانية، كقوله تعالى:

﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

(الحج: ٧٧)

وكقوله تعالى:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾

(المائدة: ٢)

وكذلك قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾

(الأنعام: ١٦٥)

ففى الآية الأولى نجد الأمر صريحا بفعل الخير، والخير معنى عام، ومن صلبه كل مصلحة تحتاجها الجماعة، وكل أمر يعود على المجتمع بالنفع والصلاح، فإذا احتاج المجتمع إلى أى مشروع كتمهيد طريق، أو

بناء مستشفى، أو إقامة مدرسة أو مسجد أو غير ذلك، فكل هذا ونحوه يدخل فى نطاق الأمر بفعل هذا الخير، ويكون من باب فرض الكفاية الواجب على كل قادر على الإسهام فيه، بصفة الوجوب الذى يقتضيه الأمر، ولكن إذا أداه البعض سقط عن الكل، فإذا لم يؤده أحد أثم الجميع، ويظل الإثم قائما حتى يتحقق المشروع.

والآية الثانية كأنها توضيح لمضمون الآية الأولى، بمعنى أن الذى لايطيق الفرد أداءه من فعل الخير العام يجب على أفراد المجتمع التعاون فى أدائه.

والآية الثالثة تذهب إلى أبعد من المعانى السابقة، حيث جعل الله الإنسان خليفة يخلفه سبحانه فى ملكية الأرض وتعميرها، وهى مسئولية كبرى أن يكون الإنسان نائبا عن الله فى أرضه.

ومما يستوقفنا فى الآية الأولى التعقيب بقوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ بمعنى إذا فعلتم الخير الذى يحتاجه المجتمع، وتقتضيه مصلحة الأمة فلكم أن تنتظروا الفلاح والرفعة والنهضة.

ثالثا: فى مجال كيان الأمة وقوتها بين الأمم

من طبيعة الناس أفرادا وجماعات وأمما التنافس، فكل فرد ينافس المشاركين له فى القرابة أو العمل أو البيئة ليكون أقوى منهم فى مجال التنافس، وكذلك كل قبيلة أو جماعة أو دولة تنافس من حولها لتكون أقوى منها عسكريا أو اقتصاديا أو سياسيا أو غير ذلك، وهكذا كل الأحزاب السياسية والفرق الرياضية وكل بنى آدم هكذا نزعتهم، كما يقول تعالى عن حب التنافس والمزايدة

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾

(التكاثر: ١، ٢)

ومن أجل هذا واعتبارات كثيرة لايتسع المجال للإفاضة فيها كان على الأمة الإسلامية أن تحسب حساب من حولها فى العالم، فإذا كانت ضعيفة كان عليها وجوبا أن تبذل قصارى جهدها لتكون قوية حتى تستطيع مواجهة ما ينتج عن منافسة الآخرين لها، وإذا كانت قوية فعليها وجوبا أن تحافظ على قوتها وأن تنميها لتواجه أيضا منافسة ومزايدة الآخرين لها فى القوة، ولاينبغى أن يخدعها حسن الصلة أو حسن الظن بمن حولها، ولا أن تطمئن إلى بعدهم المكانى عنها مهما يبلغ، وخصوصا فى هذا العصر الذى انعدمت فيه المسافات، فإن ذلك كله لا يلغى طبيعة الإنسان، ولا يغير من سنة الحياة فإن من طبيعة الإنسان فرداً أو جماعة أو أمة أنه حينما يكون ضعيفا قد يكون كل أمله أن يقوى ليتقى قوة الآخرين، ولكنه ما إن يشعر بالقوة حتى يفكر فى الطغيان، ويؤكد هذا قوله تعالى بأسلوب التأكيد

﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾

(العلق: ٦، ٧)

وإذن فالواجب الذى لا محيص عنه على الأمة الإسلامية أن تخرج نفسها من قاع الضعف إلى مراقى القوة لتتقى طغيان الآخرين، أو لترفع عن أنفاسها ما جثم عليها من طغيان، وكان من رحمة الله بخير أمة أخرجت للناس أنه لم يتركها للاجتهاد أو التخبط فى البحث عن دعائم القوة، وإنما أنزل إليها كتابا محكما فيه كل ما تحتاج إليه فى كل مجال ومنه مجال القوة الذى يحفل القرآن أيضا بدعائمها، ولكن يكفى فى ذلك هذا الشعار المعروف

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾

(الأنفال: ٦٠)

فهذا التعبير الكريم يتضمن أمرين، أحدهما أسباب القوة بصفة عامة، والآخر السبب المشهور والمباشر للقوة وهو السلاح، فأما الأسباب العامة فهى مطلقة تتضمن كل ما يسهم فى إيجاد القوة، وأهمها على الإطلاق القوة الاقتصادية التى لاتنجح أية وسيلة بدون الاعتماد عليها اعتماداً مباشراً، فمثلا لن تنجح أية حرب، بل لن تقوم أصلا إذا لم تعتمد على قوة اقتصادية تغذيها، ولم تنجح أية نهضة علمية فى أية أمة إذا لم تعتمد على قوة اقتصادية، والعلم من دعائم القوة، وفى مقدمة الدعائم العامة للقوة الوحدة والتضامن، وقد حذر القرآن الكريم من التنازع المؤدى إلى الفشل وذهاب القوة، ومن آثار أن القوة الاقتصادية أساس أية وسيلة من وسائل القوة أن القرآن الكريم يدعو كثيرا إلى الجهاد بالنفس والمال فى سبيل الله، ولكنه فى الغالبية العظمى من آيات الجهاد يقدم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس كقوله تعالى:

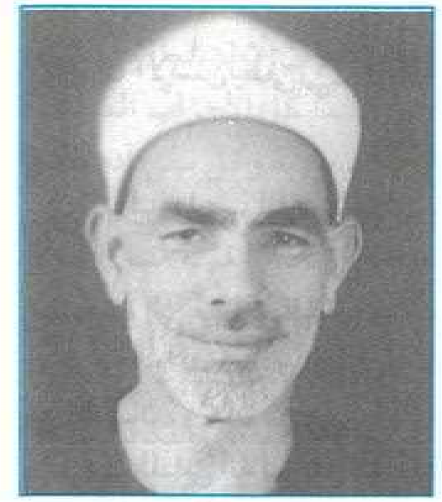
﴿ وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

(التوبة: ٤١)

وأما السبب المباشر للقوة وهو قوة السلاح المرموز إليها برباط الخيل، فقد ساقها القرآن الكريم آخرا، بمعنى أعدوا كل ما تستطيعون من وسائل القوة السلمية كالوحدة والاقتصاد والعلم بكل فروعه النظرية والعلمية والصناعية وغير ذلك، وحينئذ يكون سلاحكم ناجحا مهيبا، ولم يأمر الله المسلمين بهذا الإعداد ليكون للعدوان أو البغى على أحد، وإنما ليتقوا عدوان الآخرين وبغيهم حين تكون للمسلمين قوة يحسب الأعداء حسابها.

ومن الواضح أن هذا الإعداد جاء بلفظ الأمر، أى أنه فرض على المسلمين، ولكنه فرض كفاية، إذا أداه بعض المسلمين سقط التكليف عن الكل، فإذا لم يؤده أحد كان كل القادرين على الإسهام من المسلمين آثمين.

من أعلام الأزهر



الشيخ طه محمد الساكت

١٣٢١-١٤٠٣هـ/١٩٠٣-١٩٨٣م

للأستاذ مجد مكى

عندما قرأت مقالات الشيخ فى السنة النبوية، أحببته وأكبرت علمه وفضله، ولمست إخلاصه وصدقه وتحريه وأمانته.. ولم أجد لفضيلته ترجمة منشورة لأحد تلاميذه وأصحابه، وما أكثرهم!! ثم أكرمنى نجله الكريم السيد يحيى طه الساكت - وفقه الله ورعاه - بأوراق ومذكرات، رتبتها ونظرت فيها، واستخلصت منها الترجمة التى بين يدى القارئ.

وأهم ما يتعلق بترجمته ورقات كتبها فى نسبه ومولده ونشأته، ثم ورقة أخرى فى موجز حياته العلمية.

أما نسبه فهو: محمد بن إبراهيم بن محمد لقب بالساكت لطول سكوته، وقيل: للعزلة. ابن عبدالوهاب صاحب مقام بأكبر مساجد البلدة ابن العفيفى صاحب مقام عظيم تجاه سيدى عبدالله المنوفى بقرافة مصر - وينتهى نسب العفيفى إلى الحسن سبط رسول الله - ﷺ.

وأمه: شريفة بنت عبدالسلام بن يوسف ابن محمد بن عبدالرزاق بن محمد شقيق الشيخ العفيفى.

يقول الشيخ - رحمه الله - عن نفسه:

مسقط رأسى: بلدة «ميت عفيف» التابعة لمركز منوف، مديرية المنوفية.

ولدت فى ٢٥ من ربيع الأول ١٣٢١ هجرية، الموافق ٢١ من شهر أبريل ١٩٠٣ ميلادية، ولأمر قدره الله رحلت الأسرة إلى

جهة كفر الدوار بحيرة، ولم أتمم فى رضاعى وقتئذ شهرين، ولأسباب المعيشة انتقلت بى الأسرة إلى القصعى بمحطة الرمل الميرى برمل الإسكندرية، وفى هذه البلدة حفظت القرآن وسنى تبلغ الثانية عشرة، ثم اشتغلت بالمعيشة بضع سنين مع تعهدى للقرآن ومخالطة أهل العلم.

ولما اتصلت بصاحب الفضل علىَّ أستاذى الأول الشيخ سيد رمضان اشتد شوقى للعلم، ورأى منى ذلك، فزاده إلهاباً، وطالع لى علوم السنتين الأوليين، وجاهد معى، حتى التحقت بالسنة الثالثة بالمعهد الإسكندرى، مضحياً فى سبيل هذه النعمة كل مرتخص وغالٍ، وكان ذلك فى سنة ١٣٣٩ هجرية، ١٩٢١ ميلادية.

ولانقلاب سياسى ألغيت هذه السنة على طلاب الأزهر وفروعه، وبالمعهد المذكور نلت الشهادة الأولية منتسباً، ثم الشهادة الثانوية متطوعاً، والتحقت بالقسم العالى بالأزهر منتسباً، انتهى.

وبعد كتابة ما تقدم وقفت على أوراق أخرى فيها زيادة تفصيل عن نشأته الأولى، وقد كتبت هذه الأوراق بخطه بتاريخ ١٧ محرم ١٣٤٢هـ الموافق ٣٠ أغسطس ١٩٢٣م وهو فى العشرين من عمره، وهذه الأوراق هى موضوع تعبير كتب فيه جواباً مفصلاً عن سؤال يطلب فيه مدرس المادة أن يذكر تاريخ حياته منذ منشئه إلى اليوم، فكتب كلاماً جيداً ممتازاً.

موجز حياته العلمية

فى عام ١٩٣٤: نال شهادة التخصص القديم فى التفسير والحديث، وكان أول فرقته. وشهادة التخصص القديم تعادل الدكتوراه، وتسوغ لحاملها التدريس بالجامعات.

فى عام ١٩٣٥: كان أول المتسابقين فى امتحان الوعظ والإرشاد بالأزهر الشريف.

من عام ١٩٣٥-١٩٣٩: عين واعظاً عاماً بالفيوم ثم بالإسكندرية.

من عام ١٩٣٩-١٩٤٨: عين مدرساً بمعهد القاهرة الثانوى.

من عام ١٩٤٩-١٩٥١: بعث مدرساً بكلية الشريعة بمكة المكرمة.

من عام ١٩٥٢-١٩٥٣: عاد مدرساً بمعهد القاهرة الثانوى.

من عام ١٩٥٣-١٩٦٧: عين مفتشاً للعلوم الدينية والعربية، ثم مفتشاً عاماً للعلوم الدينية.

فى عام ١٩٦٧: ندب للدراسات العليا بقسم الحديث فى كلية أصول الدين بجامعة الأزهر.

من عام ١٩٦٨-١٩٧٠: ندب مدرساً للتفسير والحديث بالجامعة الإسلامية بليبيا.

فى عام ١٩٧١: ندب مدرسا للحديث فى كلية أصول الدين بجامعة الأزهر.

فى عام ١٩٧٢: ندب مدرساً للحديث وعلومه فى كلية أصول الدين بجامعة الأزهر فى أسيوط.

من عام ١٩٧٣-١٩٧٤: ندب مدرساً

للحديث وعلومه في جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان.

من عام ١٩٧٥-١٩٧٦ : ندب مدرساً للحديث وعلومه في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض.

في ١٢ من شهر رمضان المعظم عام ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م رغبت المملكة المغربية في إيفاد عالم من كل قطر عربي لإحياء هذا الشهر الكريم بالدراسات الحديثية وغيرها، فكان هو المندوب الوحيد الذى اختاره الأزهر ممثلاً لمصر والأزهر.

وله بحوث ودراسات ومذكرات في الحديث وعلومه لاتزال مخطوطة، والله المستعان على جمعها وطبعها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فهذه الأسطر السابقة مما كتبه عن نفسه العلامة المحدث الشيخ طه بن محمد الساكت، والتى تقدم صورة مجملة، وتعريفاً عاماً عن أسرته ونشأته، ومراحل حياته العلمية والوظيفية.

وهذه شذرات أخرى تلقى بعض الضوء على حياته من خلال كتابه «درجات الناس عند الملوك»، إذ كتب فيه بعض خواطره وذكرياته، تظهر بعض الجوانب من حياته:

حجته الأولى والثانية وانتدابه للتدريس بمكة المكرمة:

«حج أبوأمامة رئيساً لبعثة الأزهر عام ١٣٥٩، ويقال: إنها كانت بعثة نموذجية، ثم حج مستقلاً عام ١٣٦٧ مع والدته وزوجه، وزار فيمن زار بعوث التدريس، فلم يجد أكثرهم على ما يتمناه من التعاون والتآزر، وما يحب لنفسه من معاني الخلال.

شكا بثه وحزنه إلى الله، وود لو يبعث فيعمل أول ما يعمل على إحلال الصفاء محل الجفاء، وعلى تجميل بعثة أم القرى حتى تكون زينة البعوث في الإسلام.. وحقق الله أمنيته، فندب عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م مدرساً بالبلد الحرام.

سعيه في الإصلاح في بعوث التدريب بمكة المكرمة

لما استقر أبوأمامة، وقر عينا بمكة، خلص نجياً هو والأستاذ الجليل الدكتور عزام بك، وزيرنا المفوض بالمملكة العربية السعودية إذ ذاك.

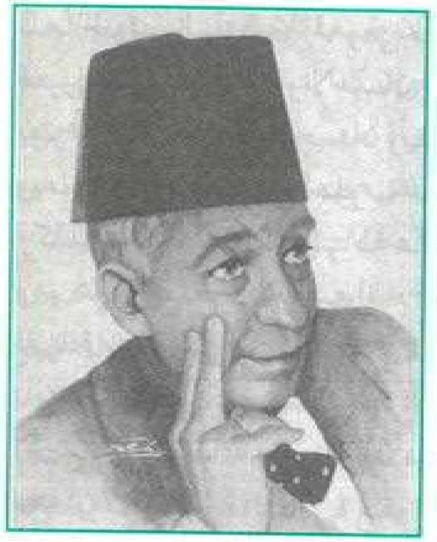
ورجا منه أن يكون رئيساً للجنة الإصلاح. واشترط للعضوية الدائمة أن يتحلى العضو بهذه الخلال الثلاث: الحكمة، والبذل، والحلم، يريد بها ألا يكون رجل الإصلاح في حاجة يوماً إلى الإصلاح.

وأما العضو المندوب فاشترط فيه أن يكون أعرف بالخصمين، وأرجى للنجاح.

ومن خلال بحثى في بعض أوراقه التى أطلعنى عليها نجله الكريم السيد يحيى الساكت، تظهر معالم أخرى من شخصيته، وكذلك من خلال المقالات الكثيرة التى نشرها في كثير من المجلات الإسلامية الذائعة الصيت الواسعة الانتشار في عصره لمن أراد أن يستقصى جوانب حياته ومجالات عطائه.

رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له الأجر والثواب.

المازنى وعين الرضا



للأستاذ الدكتور/ متولى محمد البساطى

شاءت إرادة الله أن يكون تاريخ ميلاد المازنى هو نفسه تاريخ وفاته، في العاشر من أغسطس سنة ١٨٨٩[1]، مات أبوه وهو صغير، فساءت حال الأسرة بعد وفاته، وذاق مرارة اليتم والفقر معاً.

وتركت الفاقة أثراً كبيراً في نفسه، فكان عندهم إحساس ممض بالفقر، جعله ينقبض عن الناس، ويبتعد عنه، وقوى هذا الميل في نفسه، حتى ساء ظنه بالناس، وأحس بالغربة والنفور -خاصة من الأثرياء، فتجنب مخالطتهم[2].

ومن ناحية أخرى ترك البؤس والفاقه أثراً إيجابياً في نفسه فرققا إحساسه فكان حانياً رقيق الحاشية، طيب القلب، نقياً بعيداً عن الحقد[3].

ولقد كان لأمه أثر طيب في حياته، إذ أغدقت عليه من حنانها وعطفها، وكان شاغلها، وهمها، وكتاباته تصور هذا الجانب الحانى خاصة بعد وفاتها، وهو دائماً يذكرها بالفضل، وأنها كانت سبباً في توجيهه لفهم الحياة والناس فهماً صحيحاً.

وظهر هذا جلياً في نتاجه الإبداعى، إذ يناجيها في رقة:

«لأنك عندى بمنزلة لا تدانيها منزلة، أنت خير الناس، وسيدة الدنيا، وكل من عداك هباء.. أنا أحاول أن أحيا حياة فاضلة لأنك معى في الدنيا، مجرد شعورى بوجودك يرفع نفسى، ويعصمنى من كثير، وما هممت بشيء إلا رأيتنى أسأل نفسى -هل ترضى عنه أمى لو علمت أو لا ترضى- فأقدم أو أحجم

١- عبدالواحد الوكيل.. مقدمة أحاديث المازنى.. الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٦١م.

٢- قصة حياة.. تأليف إبراهيم عبدالقادر المازنى ص٤ وأماكن أخرى دار الشعب ١٣٩٠هـ/١٩٧١م.

٣- إبراهيم عبدالقادر المازنى - د. نعمات فؤاد ص٦٢/٦٣ - الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٨م.

تبعاً لجواب السؤال»[٤]. وهى مناجاة تعطى صورة طيبة للبر بالأم والإحسان إليها من ابن يعرف قيمة البر والإحسان ويقدر دور الأم ويعرف فضلها فى أسلوب عذب رقيق وكلمات فيها تلقائية وبساطة عالم الطفولة، وهو نموذج ينبغى أن يوضع أمام أعين النشء لقراءة سيرة مثل هذه الشخصية فى علاقتها بأمها فى عصر كثر فيه جحود الأبناء وقوبل الإحسان بالإساءة وجوزيت الأمهات جزاء سنمار.

لقد ترك المازنى أثراً بارزاً فى جوانب الفكر المختلفة: من الأدب والشعر، والنقد، والقصة والأقصوصة، والمسرحية، والترجمة، والمقالة وكتابه: «من النافذة»[٥] يضم مجموعة خواطر وانطباعات تحت هذا العنوان حيث اعتاد أن يجلس كل صباح فى غرفة صغيرة من غرف البيت الذى يسكنه، متأملاً كل واقف، أو غاد، أو رائح بالنظر إليهم من فرجة بين مصراعى النافذة، وتتعدد أمامه المناظر وتتنوع وتتوالى، وهى نظرات لا تخلو من التأمل العميق، لتتصل برؤيته للكون، والحياة، والناس، وللعادات والتقاليد، وطبيعة الرجل، والمرأة.

وهو لا يمل النظر، ولا يفارق جلسته أمام النافذة، إلا لضرورة كدعوته إلى الطعام، أو الانتقال إلى مكتبه، أو الخروج إلى عمله.

ومن الأفكار التى جالت فى ذهن المازنى - وهو فى نافذته - ثم وقف أمامها مطيلاً النظر والتأمل: «الميل مع الهوى تبعاً للحب أو الكره»، إذ الإنسان فى ميله مع الهوى إذا أحب شيئاً رضى عنه وإذا كره شيئاً سخط عليه، وهو ما عبر عنه الشاعر بعين الرضا، وعين السخط، فى بيت شعرى مشهور يجرى مجرى الحكمة والمثل.

فحب الآخرين، والرضا عنهم أمر فطرى وأعظم الرضا عند المازنى هو رضاء المرء عن نفسه أولاً - وليس رضاه عن غيره كما يقول الشاعر - فحب النفس من حب الحياة، وإدراك المرء لعيوبه لا يمنع الحب والإيثار، فهو لا تخفى عليه عيوب نفسه ونقائصها من مادية، وأدبية، وبدنية، ونفسية وعقلية، لأنه دائم النظر فى نفسه، وهى سمة من سمات شخصية المازنى، وهو لا يريد أن يكون غير نفسه، حتى لو أعلن خلاف ذلك وهو يرى أن الإنسان بطبيعته ساخط متبرم، غير راض عما فى يده، وهو دائم التطلع والنظر إلى ما فى يد غيره، وتلك من أسباب المعاناة لأن المقارنة طبيعة إنسانية أشار إليها القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾

(النساء/ ٣٢)

٤- قصة حياة ص٢٧.

٥- دار المعارف - الطبعة الثالثة.

وأبناء المازنى أحب خلق الله إليه - كما يقول - ولذا لا يستطيع أن يتفهم قول أمه عندما كان يتألم أن تكون هى المصابة لا هو، أو أن تكون هى المتوفاه قبله، فينكر عليها هذا غير مصدق، متعجباً من تمنى الإنسان الموت قبل غيره، وهو إحساس لا يستطيع أن يدعيه، ولو خير أن يموت قبل أولاده، لما تردد فى اختيار الحياة، ولربما أظهر التردد نفاقاً وستراً لأنانيته الصارخة - كما يقول - مع إيمانه الصادق بأن أمه كانت مخلصة صادقة السريرة.

ونظراً لأن الإيثار وثيق الصلة بالحب - حب الإنسان لنفسه وحبه لغيره - فإن المرأة - عنده - فى الإيثار غير الرجل، وشعور الأم غير شعور الأب فهو يصدق إيثار المرأة لابنها على نفسها، ولكنه لا يصدق من الرجل هذا!!!

ومن الغرابة ألا يستطيع المازنى أن يتفهم استعداد أمه بأن تفتديه عند الإصابة بالمرض أو الموت، فينكر عليها هذا متعجبا غير مصدق أن هذا هو الإحساس الطبيعى للأم، إذ غرس فى طبيعتها التضحية من أجل أبنائها وذلك أمر فطرى، معروف غير منكر فى الأمهات، به تستقيم الحياة، ويعمر الكون، وهو أمر لا نظنه فى الطبيعة الإنسانية فقط، بل عند الحيوان وهو ما تؤكده وقائع الحياة فى الماضى والحاضر، والقول بغير هذا يتنافى مع طبيعة الإنسان السوية وطبيعة الأم بصفة عامة، ونظن أن المرأة خلقت وفى طبعها الإيثار والتضحية من أجل أبنائها حتى بحياتها بل إن طبيعة الإيثار قد تتجاوز الأبناء إلى غيرهم وإن كنا نتفق معه فى أن طبيعة الإيثار فى المرأة أظهر وأقوى منها فى الرجل، وهو أمر يتوافق مع ما غرس فى طبيعتها من حب وحنو لا يحتاج إلى توصية أو تذكير.

وثانى الملاحظات فى كلام المازنى هو عجبه من تمنى الإنسان الموت قبل غيره وأنه لو خير أن يموت قبل أولاده لما تردد فى اختيار الحياة وهذا منه أنانية صارخة - كما يقول - وكأن المازنى بهذا يقع فى التناقض بين ما يقوله وبين الطبيعة الإنسانية وذلك فى قوله: «ولربما أظهر التردد نفاقاً وستراً لأنانيتى الصارخة» وذلك لاختيار الحياة دون الموت تعقيباً على قول أمه بعد ذلك بأنها كانت مخلصة صادقة السريرة، إذ لا نتصور صدقه فى الأول لأنه أب أو عدم قبوله بكلام أمه فى الثانى فى حديثها عن التضحية بنفسها من أجل أبنائها.

والبيت الذى تمثل به المازنى، ورتب عليه تلك الخواطر وهو:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدى المساويا

يرى المازنى أن الشاعر صدق فى الشطر الثانى، دون الأول، ويبدو أن المازنى ينظر إلى الإنسان على أنه فى حالة الرضا غيره فى حالة السخط، إذ الحب يجعل الإنسان هادئاً - يستطيع أن يوازن ويقارن، ولكن السخط يجعل الإنسان ثائراً متوفزاً فلا يكون أمامه مجال للحكم الموضوعى ولربما كان هذا

تعليلاً من المازنى لاختلاف حالة الإنسان فى الموقفين.

ولكننى أرى أن موقف الإنسان فى حالتى الرضا والسخط سواء وهو ما يتوافق مع قوله تعالى :

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

(الجاثية / ٢٣)

والآية تثبت أثر الهوى عندما يستبد بالنفس فى السخط أو الرضا فلا يرى الإنسان غير هواه فيتخبط فى ضلاله ويسير على غير هدى ويلغى عقله، فلا يسمع ولا يرى إلا ما يتوافق مع هواه.

كما أن ذلك يتوافق مع ما جاء فى الأمثال العربية، والشعبية، التى هى خلاصة تجربة بشرية يتمثل فيها الصدق ومن تلك الأمثال :

«حبك الشىء يعمى ويصم» «وحسن فى كل عين ما تود» (٦)

وكذلك فى الأمثال الشعبية مثل «القرد فى عين أمه غزال».

وخلاصة تلك الأمثال أن حب الإنسان للشىء يخفى عليه عيوبه، ونقائصه، ويصيب المرء بالصمم، فلا يلتفت إلى سماع اللوم، أو النقد وإظهار المعايب، وهو أمر له خطره فى الحياة، وكم ترتب على الميل مع الهوى من نتائج غير محمودة العواقب، كانت لها آثارها السيئة فى جوانب الحياة المختلفة : بدت فى التعصب الكريه للرأى، أو للمذهب، أو للجماعة، أو للفرد، فكان الصراع والقتال، وضياع الحقوق، وتردى الأحوال، وتقطع الوشائج والصلات ومن النوادر فى هذا أن تقوم حرب بين دولتين بسبب مباراة فى كرة القدم !!!

وقد جرت حكمة الله فى الكون على أن كل شىء - خلقه الله - لا يخلو من محاسن، ومعايب.

والبيت الذى تمثل به المازنى وأدار حوله النظر، هو بيت مشهور يجرى على ألسنة الناس مجرى الحكمة والمثل وعلى الرغم من شهرته فقائلة غير معروف وغير مشهور عند كثير من الدارسين وكأن البيت أخذ سمة المثل عندما يشتهر على ألسنة الناس ولا يعرف قائله، وهو من جملة أبيات قالها شاعر عاش فى العصر الأموى، وهو عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبى طالب بن عبدالمطلب، وهو من أجواد بنى هاشم، وشعرائهم، وقد خرج على بنى أمية فى آخر أيام بنى مروان ثم صار إلى خراسان فأخذه أبومسلم الخراسانى، وقتله.

وهذه الأبيات خاطب بها عبدالله بن معاوية الحسين بن عبدالله بن عبيد الله بن العباس، وكان صديقا له، ثم وقع بينهما شر

٦- مجمع الأمثال للميدانى جـ١ ص ٣٤٩ تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه سنة ١٩٧٨م.

فتهاجرا (٧) والأبيات هى :

رأيت حسينا كان شيئا ملفقاً
فكشفه التمحيص حتى بدا ليا
وعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدى المساويا
وأنت أخى ما لم تكن لى حاجة
فإن عرضت أيقنت أن لا أخا ليا

والأبيات تعبر فى صدق عن طوية عبدالله ابن معاوية فى حالتيه :

من الصفاء، والكدر، ولعل الشاعر فى البيت الثانى من الأبيات الثلاثة يلتمس لنفسه عذراً فى رؤيته لصديقه فى هذه الصورة الكريهة بعد أن وقع الشر بينهما، فهو فى الحالة الأولى لم ير معايب صديقه، وفى الثانية لم ير محاسنه، فهو عندما رضى الله عنه لم ير إلا أحسن ما عرف وعندما سخط لم ير إلا أسوأ ما عرف ولقد صدق فى الأولى، وما كذب فى الثانية.... وهذه طبيعة إنسانية.

وهذا البيت الذى تمثل به المازنى ورد فى ديوان الإمام الشافعى مع مجموعة أبيات أخرى تنسب إليه (٨) وأرجح أن نسبة هذا البيت إلى الإمام الشافعى غير صحيحة والأرجح ما ذكرناه من أن صاحبه هو عبدالله بن معاوية السابق ذكره.

ولعل أول ما يسترعى الانتباه فى أدب المازنى هو أسلوبه.

وأسلوب المازنى أسلوب عذب شيق يستهوى القارىء، ويجذبه، ويمتعه، ولربما يرجع ذلك إلى عدة سمات أكسبته نكهة خاصة، وميزته عن معاصريه من الأدباء والنقاد.

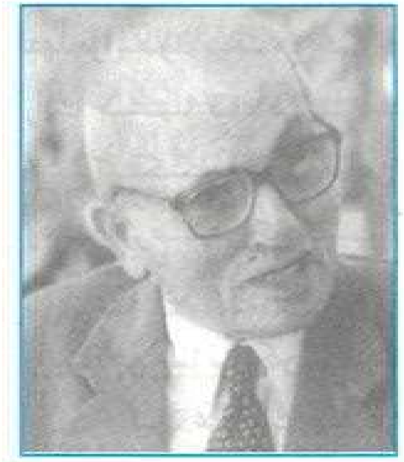
ويأتى فى مقدمة هذه السمات نزعة السخرية التى لازمته كظله، وارتبطت باسمه، وأدبه، فهو ساخر من نفسه، ومن الأفراد، والمجتمع، ومن العيوب والعادات والتقاليد البالية واستخدام المازنى السخرية سلاحا يواجه به تلك العيوب، كما استخدمها سلاحاً ينفس به عن ضيقه وألمه عندما تشتد به الأمور، وتنزل به النوازل.

كما استخدمها سلاحاً يواجه به عيوبه الخَلقية والخُلقية، كما استخدمها سلاحاً يتقى به الكيد، والدسائس، فوجد فيها راحته، فأمتع قراءه، ومحبيه وصار من أعلام السخرية فى الأدب المعاصر، ولاتزال كتبه ومقالاته تحظى باهتمام الدارسين.

٧- تجويد الأغانى لابن واصل الحموى القسم الثانى جـ١ ص ١٤٠٥ تحقيق د. طه حسين وإبراهيم الإبيارى - مطبعة مصر ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

٨- ديوان الإمام الشافعى بتحقيق د. محمد عبدالمنعم خفاجى مكتبة الكليات الأزهرية - الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

الدكتور شوقى ضيف



رئيس مجمع الخالدين فى رحاب الله تعالى
(١٩١٠م-٢٠٠٥م)

للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

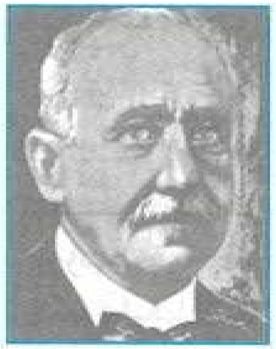
منيت الحياة الأدبية فى مصر، فى العاشر من مارس الماضى، بوفاة الدكتور شوقى ضيف، رئيس مجمع اللغة العربية، بعد عطاء خصب فى حقل الدراسات الأدبية، والتأريخ لعصور الأدب المختلفة: الجاهلى، والاسلامى، والعباسى (الأول والثانى)، وعصر الدول والامارات، والحديث.

وهذه المؤلفات تُعد بحق من أمهات الكتب فى موضوعاتها.. وقد دفعه إلى تصنيفها، قوله: «للباحثين المحدثين – من عرب ومستشرقين، كتب مختلفة فى تاريخ الأدب العربى، أدَّت كثيراً من الفائدة والنفع، منذ ظهورها.. غير أن من الحق، أنه ليس بين هذه الكتب، ما يبسط الحديث فى أدبنا وأدبائنا، على مر التاريخ، من الجاهلية إلى العصر الحديث، بسطاً مفصلاً دقيقاً، وأغزر هذه الكتب، وأحفلها مادة، كتاب: «تاريخ الأدب العربى» لبروكلمان، وهو دائرة معارف جامعة، لا تقتصر على الحديث عن شعرائنا وكتابنا، بل تفيض فى الكلام عن فلاسفتنا وعلمائنا من كل صنف.. مع استقصاء آثارهم المطبوعة والمخطوطة، فى مشارق الأرض ومغاربها»(١) إلى أن يقول: «وهذه العناية من وصف التراث العربى جميعه، جعلت (بروكلمان) لا يُعنى عناية مفصلة ببحث العصور والظواهر

(١) انظر مقدمة كتابه (العصر الجاهلى) الطبعة الثامنة سنة ١٩٦٠ ص ٥، ٦.


مهدى علام


البارودى


أحمد شوقى


حافظ إبراهيم

الأدبية، ولا ببحث شخصيات الأدباء بحثاً تاريخياً نقدياً تحليلياً، إذ شغله عن ذلك مواد كتابه المتنوعة الكبيرة» ويخلص – مما تقدَّم إلى قوله: «وإذن فأنا لا أبالغ إذا قلت إن تاريخ أدبنا العربى، يفتقد إلى طائفة من الأجزاء المبسوطة، تبحث فيها عصوره من الجاهلية إلى عصرنا الحاضر، ثم ينتهى موضحاً دوره فى هذا كله، بقوله: «وقد حاولت أن أنهض بهذا العبء...»(٢) وقد أثبتنا كافة ما تقدم، لأهميته فى استكناه أبعاد شخصية الدكتور شوقى ضيف العلمية، التى أجاد الدكتور مهدى علام تصويرها، بقوله: إنه قد رُزق علم العلماء، وتواضع العظماء، فى كياسة تنمّ عن جذور عميقة فى المعرفة والخُلُق، وكلماته أقرب إلى الهمس، ولكنها أقوى من أعلى جرس!»(٣).

* * *

وقدَّم الدكتور شوقى ضيف، للمكتبة العربية أيضاً، كتبه التى تحمل عناوين: «الفن ومذاهبه فى الشعر العربى» وآخر (فى النثر العربى)، و«التطور والتجديد فى الشعر الأموى» وله من الدراسات البلاغية: (البلاغة: تطور وتاريخ) و(البلاغة عند ابن رشد) وفى النقد الأدبى، قدَّم: (فصول فى الشعر ونقده) و(فى النقد الأدبى).. وله فى التراجم: (البارودى)، و(أحمد شوقى)، و(ابن زيدون).

وهذه الكتب، وغيرها – فى مجال الكتب المحقَّقة – تجعلنا نعده: أحد الركائز، بين الصفوة الممتازة من علمائنا الأعلام، فى ثقافتنا الأدبية المعاصرة.

* * *

ونتبيَّن مدى إيثاره لإحقاق الحق – بعد إمعان النظر – من قوله بمقدمة الطبعة الثانية من كتابه: «دراسات فى الشعر العربى المعاصر»: «تختلف هذه الطبعة،

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر كتابه «المجمعيون فى خمسين عاماً» ط سنة ١٩٨٦ ص١٢٨.

عن الطبعة السابقة.. من وَجْهَيْن:

أما أولهما، فهو أنى اعتَدْتَ النظر، فى بعض الفُصُول.. وخاصة الفصْل الخاص بحافظ إبراهيم، وما كَتَبْتُه فيه عن وَطَنيَّته.. فقد كنتُ تجاوزتُ ـ من بعض الوجوه ـ الاعتدال فى الحُكْم عليه، مُغْفلا المقياس التاريخى النِّسْبىّ لظروف عصره، وما كان يحوط أبناء جيله فيه من بَلْبلة سياسيَّة.. ومن غير شك سلمت لحافظ نَفْسُه فى هذه الظروف، ولم يَقْعد عن نصْرة وطنه بلسانه، بل كان - فى أكثر أيَّامه ـ الهاتف بخواطره الوطنية، ومشاعره السياسيَّة، وخاصة فى أوائل هذا القرن، حين كان الاحتلال على أشُدِّه، لذلك رَجعْتُ أعْدِلُ فى بعض أحكامه على وطنيته..»

وهذا الاعتراف، يُعد ذروة إثْبات شاكلة الصواب، فى الأمانة العلميَّة، بعدما جدَّ من حقائق، قُبيْل الطبعة الجديدة من كتابه هذا..

* * *

ويتجلَّى دفاعُ المَجيد عن المَجيد، فى قوله بعد انتصاره للشعر العمودى، معقباً على دعاوى أنصار الشعر (الجديد): «من المؤكَّد أنَّ أركاناً كثيرة من بُنْيان الإيقاع الشعرىِّ الموروث، سقطت، أو خرَّت، من إيقاع الشعر الحر، فقد خرَّ رُكْنُ البيت، وركْن الشطر، وركن القافية.. وهى أركان تُحرمُ الأذن فيه أنغاماً كثيرة، بل إنها لتنقله نَقْلا من عالم الأُذُن، إلى عالم الْبَصَر، وكأنه شعرٌ يُنْظَم ليُقرأ، لا ليُسْمع ولا ليُنْشد أو يُتَغَنَّى به.. فقد حُطِّمتْ فيه حُدودُ القوافى فى الشطور والأبيات، وأصبح سطورا تطول وتَقْصُر، والبَصَر يَنحدر فيها من بَدْئها إلى نهايتها.. دون توقُّف أو تَمَهُّل، أو خواتيم مُنْتظرة، وهو، من أجل ذلك، يثير مشكلات كثيرة، منها مشكلة طاقته الموسيقيَّة، وأنه لا يصلح للغناء، وأنه لا يَلَذُّ الآذان والأسْماع»(٤).

* * *

وفى تقويمه لتراثنا الشعرى، يَدْحض مَقُولة من ينتقص شعْرَ المديح، وكيف أنه يشغل الحيِّزَ الأكبر من هذا التراث، وهو ليس إلا مَلَقًا واستجداءً، ولَغْواً وغُثاء لا غناء فيه.. يقول مُعقِّباً ومفندا: «وهو قول ناشىء عن نقص فى فهم هذا الفن، ونقص فى استقصاء نماذجه ودراستها دراسة مُتعمِّقة» إلى أن يقول: «ولْنَصْعَدْ مع المديح إلى زمنه الأول فى العصر الجاهلى، فسنرى المادحين فيه، يُسَجِّلون بُطولات زعماء القبائل فى الحرب، وآثارهم فى السلم وحَقْن الدماء، على

(٤) أنظر كتابه (فصول فى الشعر ونقده) ط ثالثة سنة ١٩٧١م ص٣١٩.

نحو ما هو معروف عند زهير فى مديحه لحصْيْن بن حُذيفة، وهَرِم بن سنان، وهو فى مديحه لهما، يصور مَناقبهما، تصويرا يملأ النفس العربية محبَّةً للمُثُل العليا الخُلُقيَّة، التى كانت تُقدِّرها فى شيوخ القبائل وسادتها وزعمائها..»(٥).

* * *

ثم ينتقل إلى الحديث عن أثر المديح فى العصر الإسلامى، بقوله: «وما أن يتم الله على قبائل الجزيرة الإسلامية نعْمة الإسلام، حتى ينضَوُوا تحت لواء أمة عربية واحدة، وما يَلْبَثُون أن يخرجوا إلى الجهاد فى سبيل الله، ويقيموا دولتهم الكبيرة من أواسط آسيا، إلى المحيط الأطلسى.. وهم لا ينْسون الشعر، مستلهمين فيه هدْى القرآن الكريم، مما جعل المثاليَّة الخلقيَّة فى المديح، تضمُّ شُعاعات إسلاميَّة جديدة، حتى تتلاءم ومُثُل الإسلام..»(٦).

إلى أن ينتهى إلى قوله: «ولعلنا لا نُبالغ إذا قلنا إنَّ أروع ما نقرؤُه عن العبَّاسيين، من وصف الربيع ومباهجه، إنما نقرؤه فى مقدمات مدائحهم على نحو ما يلقانا عند أبى تمام والبحترى والمتنبىّ.. وامتاز البحترى من بينهم بوَصْفه فى تلك المقدمات، لقُصور سامراء، وما كان بها من برك، وما امتدَّ حول البِرك من رياض.. كان يحكى زَهْرُها ريشَ الطواويس، وهو يجسِّدها بأبهائها، وقبابها ومَقاصيرها ونُقُوشها وقد اندثرتْ تلك القصور، ولم يبْق منها إلا أطْلالُ ورسوم، وإلا مدائح.. (البحترى)، التى تجسمها فى قوة..»(٧)

رحم الله شوقى ضيف رحمة واسعة، وأسْكَنَه فَسِيح جنَّاته.

***

(٥) المصدر السابق ص١٩.

(٦)، (٧) المصدر السابق.

علماء الأمة.. فى العام الدولى للفيزياء

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

ظل العطاء الإسلامى فى مختلف مجالات العلم والتقنية ممتداً لأكثر من ثمانية قرون، حتى بعد أن فقدت ديار الإسلام وهجها العلمى فى عصور الازدهار الحضارى، حيث بقيت- ولا تزال -هناك ومضات عارضة تؤكد قدرة المسلمين على مواصلة العطاء، برغم ما أصاب الأمة من يبس وتحجر فى القرون الأخيرة. على أن هذا التخلف الملحوظ فى العالم العربى والإسلامى يجب ألا يعزى بأىّ حال من الأحوال إلى أى صورة من صور العجز أو القصور فى العقلية العربية الإسلامية. وليس أدل على ذلك من وجود العديد من أعلام أمتنا الإسلامية فى كل علم وفن.. تزدان بهم سماء الحضارة المعاصرة.. وتبقى إنجازاتهم خير شاهد على اتصال الخيط الذى يربطنا بعصر الازدهار الأول، وبقاء شعاع النور الذى تضيئه شمعة الإسلام لخير الإنسان فى كل زمان ومكان، أملاً فى اجتياز فجوة التخلف التى تفصل بيننا وبين المتقدمين.

٣

ومن بين علماء الأمة المعاصرين فى مجالات العلوم الفيزيائية التى يحتفل بها العالم هذا العام ٢٠٠٥ تحت شعار «العام الدولى للفيزياء» World year of physics (WYP) نذكر- على سبيل المثال لا الحصر - عدداً من الفيزيائين الذين حظيت إسهاماتهم العلمية بتقدير عالمى رفيع - ومهدت الطرق لتطبيقات مهمة فى الحياة الإنسانية وجذبت اهتمام الباحثين فى مختلف أنحاء العالم، وفتحت آفاقا جديدة فى مجالات العلم والمعرفة.

على مصطفى مشرفة

ولد على مصطفى مشرفة فى يوم ٢٢ من صفر سنة ١٣١٦ هـ الموافق ١١ من يوليو ١٨٩٨م فى حى المظلوم بمدينة دمياط بمصر، ووافته المنية فى ١٢ يناير ١٩٥٠م بعد حياة حافلة بالإنجازات العلمية المتميزة أثنى عليها مشاهير علماء عصره أمثال «نيلز بوهر» و«أينشتين» وغيرهما، فقد أهله تفوقه ونبوغه للسفر فى بعثة إلى انجلترا لإتمام دراسته والحصول على درجة دكتوراه الفلسفة Ph.D عام ١٩٢٣م من جامعة لندن وتم انتخابه عضواً فى الجمعية الملكية الإنجليزية، ونشرت له أبحاث رائدة

فى أشهر المجلات العلمية الإنجليزية وفى عام ١٩٢٤م نال مشرفة درجة دكتوراه العلوم D.S 0 من جامعة لندن، فكان بذلك أول عالم عربى يحصل على أعلى درجة علمية تمنحها جامعات بريطانيا وعمره لم يكن تجاوز ستة وعشرين عاماً ولم يسبقه فى الحصول عليها سوى عشرة علماء فقط على مستوى العالم، وعندما أنشئت كلية العلوم بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة حاليا) عام ١٩٢٥م عين فيها الدكتور مشرفة أستاذاً مساعداً للرياضيات، ثم منح لقب أستاذ الرياضيات التطبيقية فى عام ١٩٢٦م، بناء على توصية من عالم الذرة الشهير «نيلز بوهر» N.BOHR وكان مشرفة الأستاذ العربى الوحيد بين أساتذة الكلية الأجانب.

وقد نشرت لمشرفة أبحاث قيمة عن العلاقة بين المادة والإشعاع وكان من الرواد القائلين بتكافؤ المادة والإشعاع، واستشهدت المراجع العلمية العالمية بهذه الأبحاث، وقال السير «أولفر لودج» عن أحدها: «وثم بحث استرعى انتباهى، وهو بحث الدكتور مشرفة بجامعة القاهرة، فى نشرة «الجمعية الملكية للعلوم» عام ١٩٢٩م، عنوانه: «ميكانيكية الموجه وازدواج المادة والإشعاع» ولم يكن هذا إلا تمهيداً لبحثه الأصيل الذى نشره فى مؤتمر دورى بزيورخ عام ١٩٣٢م وجعل عنوانه: «هل يمكن اعتبار الإشعاع والمادة صورتين لحالة كونية واحدة» وهو البحث الذى ذاع به



د. على مصطفى

صيت مشرفة بين علماء العالم، وجذب انتباه عالم النسبية «ألبرت أينشتين» وهناك أبحاث أخرى لمشرفة لاتقل أهمية فى مجال الضوء وميكانيكا الكم وانشطار الذرة، كان آخرها البحث الذى نشر قبل وفاته بثلاثة شهور فقط عن النقص فى كتلة نواة الذرة.. وقد انتخب مشرفة عضواً فى العديد من الهيئات والجمعيات العلمية الدولية، واختارته الحكومة الأمريكية عضوا فى اللجنة الدولية للأبحاث الذرية وحزن المجتمع العلمى العالمي لوفاته، فقال أينشتين: «لقد كان مشرفة رائعاً، وكنت أتابع أبحاثه فى الذرة بكل ثقة لأنه كان من أعظم علماء الفيزياء وقال السير أوين ريتشارد سون» كان مشرفة من أعظم علماء الفيزياء الرياضية فى العالم، وقد كنت اتطلع بثقة بالغة إلى الأعمال العظيمة التى قام بها فيما يتصل بأبحاث الذرة».

محمود عبدالرحيم مختار

ولد محمود مختار في ١٩/١٢/١٩٠٧م بالقاهرة وفاضت روحه الطاهرة إلى بارئها في ديسمبر من عام ٢٠٠١م بعد أن أرسى قاعدة علمية للفيزيائيين العرب، حيث كان أول رئيس مصري لقسم الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة لمدة ثمانية عشر عاما تخرج خلالها جيل الرواد الذين حملوا لواء نشر العلم في مصر والبلاد العربية.

وشغل محمود مختار منصب عميد كلية العلوم جامعة القاهرة، واختير عضواً في العديد من اللجان والهيئات العلمية العالمية، وشارك علي مصطفى مشرفة في إجراء بحوث علمية تطبيقية ومن بين بحوثه العلمية المهمة التي حظيت باهتمام عالمي دراسات في مجال «فوق الصوتيات» ULTRASONICS التي فتح بها الطريق لتخصص دقيق في مجال الاتصالات في الأجواء الرطبة ومن هنا اعتبرت انجلترا هذه البحوث ذات أهمية حربية ومنعت نشرها أثناء فترة الحرب العالمية الثانية ونشرت بعد ذلك في عام ١٩٤٥ في أشهر المجلات العلمية، وحرص الدكتور محمود مختار على أن ينشىء في مصر أول مدرسة علمية في علم «فوق الصوتيات» على مستوى المدارس المماثلة في الدول المتقدمة وتناولت بحوث هذه المدرسة دراسة امتصاص الصوت وممانعته وانتشاره وطرق قياسه في الأجواء المختلفة كالصحاري والأجواء العاصفة والجافة كما أنشأ مدرسة مماثلة تعنى بالنواحي التطبيقية في مجال استخدام فوق الصوتيات في الطب والبيولوجيا وتخرج في المدرستين عدد كبير من الباحثين قاموا بدورهم بإنشاء مدارس بحثية مماثلة في عدد كبير من الجامعات والهيئات العلمية في مصر والعالم العربي.



د. محمود عبدالرحيم مختار

محمد عبدالمقصود النادى

ولد بمدينة سمنود دقهلية بمصر في يناير من عام ١٩١٨م وتوفي بالقاهرة في رمضان عام ١٤٢٢ هـ الموافق ١٧ نوفمبر ٢٠٠١م ظل أكثر من نصف قرن بعد أن حصل على دكتوراه الفلسفة في الفيزياء النووية النظرية عام ١٩٤٨م من جامعة لندن بانجلترا، وهو يعمل في مجال البحوث النووية التي حقق فيها تميزاً عالمياً وأنشأ مدرسة علمية كبيرة ورائدة بكلية العلوم جامعة القاهرة في مجال الطاقات العالية High energy physics وشغل رئاسة قسم الفيزياء بعلوم القاهرة ومؤسسة الطاقة الذرية وعمل عميداً لكلية العلوم جامعة القاهرة ونائباً لرئيس

جامعة المنصورة وتخرج على يديه جيل من العلماء المتميزين في التخصصات النظرية والتجريبية النووية بمعامل القوى. وفي مجال فيزياء البلازما plasma physics وطبقت شهرته الآفاق عندما أثمرت جهوده مع تلاميذه باكتشاف «جسيم أساسي جديد» new elementary particle متعادل الشحنة تحدثت عنه الدوريات العلمية العالمية.

محمد عبدالسلام

ولد محمد عبدالسلام في ٢٩ من يناير ١٩٢٦م بمدينة جانج في باكستان وحصل على دكتوراه الفلسفة في الفيزياء من جامعة كمبردج بانجلترا عام ١٩٥٢م، وحصل على الدكتوراه الفخرية من أكثر من عشرين جامعة في مختلف أنحاء العالم وبلغت أبحاثه المنشورة نحو مائتي بحث في فيزياء الجسيمات الأولية وأصبح «الأستاذ سلام» هو اسم الشهرة لواحد من أكبر علماء المسلمين خلال القرون الستة الأخيرة، وأحد كبار علماء الفيزياء المعاصرين بحصوله على جائزة نوبل عام ١٩٧٩م، بالإضافة إلى العديد من الجوائز العالمية والميداليات التذكارية والأوسمة التي كرمه بها عدد كبير من مختلف دول وجامعات وأكاديميات العالم.

كان «سلام» ـ رحمه الله ـ من أوائل الذين عكفوا على دراسة واحدة من أهم قضايا العلم المعاصر المتعلقة بتوحيد القوى الطبيعية العاملة في الكون، وقال عنها في حفل تسلمه جائزة نوبل: «إن علم الفيزياء تراث مشترك للإنسانية جمعاء، لأن الشرق والغرب والشمال والجنوب شاركوا فيه بالتساوي هذه في الواقع عقيدة كل الفيزيائيين» وقال أيضا: «إن بحثنا حول وحدة قائمة بين قوى الطبيعة المتباينة ظاهرياً هو جزء من إيماننا كفيزيائيين وجزء من إيماني كمسلم، وعندما نستمتع بامتياز إدراك جزء من إبداع الله وفهم هذا الإبداع أرى أن هذا فضل من الله أشكره عليه بكل تواضع:

﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾

الجمعة/ ٤

وقال أيضاً: «كلما تعمقنا في البحث ازدادت دهشتنا وانبهرت أبصارنا.

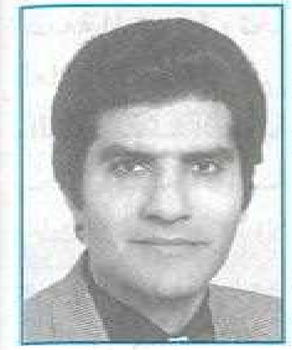
وإسهام عبدالسلام في الشئون الإنسانية لا يقل أهمية عن إسهامه في تقدم العلم، فهو من أكبر المدافعين عن قضايا العالم الثالث، ويشعر بالمرارة والآسى حين يرى الفروق القائمة في الثروة والتقدم العلمي بين نصف العالم الأغنى ونصفه الأفقر، ويعتقد أن هذه الحالة يجب ألا تدوم.

وقد شغل محمد عبدالسلام مناصب علمية مهمة، فعمل أستاذاً للفيزياء النظرية في جامعة لندن، وعضواً في لجنة

العلوم الاستشارية للأمم المتحدة وممثلاً لبلاده فى وكالة حكام الطاقة الذرية الدولية، ومديراً لمركز «تريستا» الدولى للفيزياء النظرية وأستاذاً محاضراً فى عدد من الجامعات الشهيرة.

محمد النشائى

ولد محمد صلاح الدين النشائى فى القاهرة عام ١٩٤٣، وهاجر فى سن مبكرة إلى ألمانيا فى عام ١٩٥٦م ليحصل على دبلوم الهندسة الإنشائية من جامعة هانوفر عام ١٩٦٨، ودرجة الدكتوراه فى الميكانيكا التطبيقية من جامعة لندن عام ١٩٧٤م وعمل باحثاً وأستاذاً بجامعات كمبردج فى لندن، وفرانكفورت فى ألمانيا، ونيومكسيكو فى الولايات المتحدة الأمريكية والحرة فى بروكسل، وجامعات القاهرة والمنصورة والإسكندرية بمصر، وجامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية ونشرت له الدوريات العلمية المتخصصة أكثر من أربعمائة بحث فى مجالات الرياضيات والفيزياء والهندسة النووية، وصنف بعضها كبحوث واعدة فى الفيزياء لأنها من أكثر الأبحاث العلمية التى يتم الاستدلال بها والرجوع إليها على مستوى العالم، وهو عضو فى عديد من الجمعيات العلمية المرموقة ومجالس تحريرها، بالإضافة إلى أنه مؤسس ورئيس تحرير المجلة العلمية الدولية اللاخطية متعددة المجالات.



د. محمد النشائى

ومن أهم الإسهامات العلمية التى جذبت اهتمام العلماء حديثاً تلك النظرية التى استحدثها النشائى لتوحيد الطاقات الأساسية فى إطار تصميم واستكمال نظرية النسبية لأينشتين ونظرية التوحيد هذه تعالج فى أحد جوانبها ظاهرة تأثير «القوى» على الأجسام فى الزمان والمكان عن طريق الملاحظة المباشرة لتدافعها وتجاذبها أمام أعيننا، وهى الظاهرة التى بدأها أسلافه المسلمون بتحديد أنواع الحركة وأوصافها على نحو ما جاء فى كتب «الشفاء» لابن سيناء، و«التحصيل» لابن المرزبان، و«المعتبر فى الحكمة» لابن ملكا البغدادى، وغيرها ثم جاء الفيزيائى الإنجليزى اسحق نيوتن ليصيغ قوانين الحركة على أساس استقلال المكان عن الزمان، وأعقبه الفيزيائى الألمانى أينشتين الذى قدم تصوره للمتصل رباعى الأبعاد المكون من اندماج المكان والزمان اندماجاً تاماً يختلف عن أى منهما فى حالته

المفردة وهو ما عرف باسم «الزمكان» space time ويقدم النشائى نظريته الجديدة لاستكمال التصور الذى بدأه الإغريق والمسلمون، وطوره نيوتن وأينشتين فيقول: «إن أينشتين صاحب نظرية تقريبية لا ترى للزمان معنى ملموساً إلا فى وجود المكان، أما نظريتى فتجعل الزمان محسوساً كالمكان تماماً، دون فارق بينهما».

وقد استطاع محمد النشائى من خلال رؤية نقدية لهندسة الزمان والمكان أن يوحد بين نظريتين تبدوان متباعدتين، أو متقابلتين: إحداهما تدعى «نظرية الكم» Quan-tum theory التى أسسها «ماكس بلانك» لتفسير التركيب الذرى، والأخرى هى نظرية النسبية التى تعنى بحركة الأجسام ذات السرعات العالية ويوافق النشائى عدد كبير من علماء العالم المتخصصين فى مجاله بل إنه نبه إلى عدد من الأخطاء التى وقع فيها بعضهم أمثال برجوجين prigogine الحائز على جائزة نوبل عام ١٩٧٨م، وستيف هوكنجز s. hawkings الذى يعمل مع النشائى فى نفس القسم بجامعة كمبردج.

وللنشائى نظريات أخرى جديدة فى مجالات متعددة تشمل «نظرية الفوضى» والثقوف السوداء، ونظرية الانفجار الكبير عن أصل الكون.

إن «محمد النشائى» اسم يتردد بقوة من سنوات كأحد المرشحين لجائزة نوبل فى الفيزياء، وصاحب أهم نظريات القرن الحادى والعشرين.

وبعد فقد آثرنا الحديث عن هذه النخبة المنتقاة من علماء الأمة المعاصرين فى الفيزياء، مثلما تحدثنا عن عدد من علماء الحضارة الإسلامية الذين وضعوا الأسس السليمة للعلوم الفيزيائية المعاصرة لنؤكد حقيقة مهمة مؤداها ان الفيزياء لم يصنعها أينشتين وحده ولكن صنعها علماء كثيرون قبله وبعده يأتى فى مقدمتهم علماء أمتنا العربية والإسلامية.

***

البرنامج النووى الإيرانى

بين الضغوط الأمريكية والتهديدات الإسرائيلية

للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد

إن سعى إيران للحصول على الطاقة النووية، لم يبدأ منذ قيام الثورة الإسلامية الإيرانية عام ١٩٧٩، لكنه يرجع إلى عصر شاه إيران الراحل «محمد رضا بهلوى» حينما قامت حكومة الشاه بعقد اتفاق مع ألمانيا عام ١٩٧١ من أجل بناء أول مفاعل للطاقة النووية فى مدينة «بوشهر» بجنوب إيران. غير أن العمل فى هذا المشروع النووى، توقف بسبب الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠ - ١٩٨٨)، التى لم تكد تضع أوزارها، حتى نفضت ألمانيا يدها عن إتمامه. ومن هنا دخلت الجمهورية الايرانية الإسلامية فى مباحثات مع روسيا من أجل استكمال هذا المشروع، أسفرت عن توقيع طهران فى الثامن من يناير ١٩٩٥ اتفاقا للتعاون، مع روسيا بقيمة ٨٠٠ مليون دولار، بحيث ينتهى استكمال بناء المفاعل النووى فى أواخر عام ٢٠٠٦.

وبينما أعلنت إيران بصراحة أن برنامجها النووى يندرج بالكامل فى إطار الاستخدامات السلمية للطاقة النووية، فقد أثارت أطراف دولية وإقليمية، يأتى على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، شكوكاً عديدة حول حقيقة الدوافع النووية الإيرانية، مستندة فى ذلك إلى عدد من الأمور، منها أنه ليس ثمة ما يبرر قيام دولة غنية بالنفط والغاز الطبيعى، بضخ استثمارات ضخمة فى مجال الطاقة النووية، وما تردد حول «وجود بنود سرية» فى اتفاق التعاون النووى الروسى، تنص على قيام روسيا بتزويد إيران بمحطة للطرد المركزى لتخصيب اليورانيوم، وأيضاً على ما كان قد نشر فى بعض التقارير الغربية من أن إيران سعت إلى شراء كميات من اليورانيوم، تكفى لصناعة «قنبلة نووية» من جمهورية كازاخستان، عام ١٩٩٤، إلا أن إدارة كلينتون حالت دون إتمام هذه الصفقة النووية، وما نشر كذلك فى بعض التقارير الغربية حول عقد صفقة لشراء مئات الأطنان من أوكسيد اليورانيوم من جنوب إفريقيا، إلا أنها رفضت إتمامها بسبب ضغوط أمريكية، وانتهت هذه الشكوك بتوجيه أصابع الاتهام، صراحة، إلى إيران، بأنها تقوم بتطوير برنامج نووى عسكرى سرى بدعوى الاستخدامات السلمية للطاقة النووية.

كسر الاحتكار الإسرائيلى

وفى ضوء ذلك انتابت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل حالة من القلق الشديد من أن مجرد حصول إيران على هذه الكميات من اليورانيوم لتشغيل مفاعلها النووى، سوف يؤمن لها بناء «قاعدة تكنولوجية نووية» تمكنها من إنتاج السلاح النووى، الذى يكسر الاحتكار الإسرائيلى للترسانة النووية فى المنطقة من ناحية، ويخل بتوازن القوى العسكرية من جهة ثانية، ويهدد الأمن الإقليمى من جهة ثالثة. ومن ثم حرصت الولايات المتحدة الأمريكية على إدارة ملف البرنامج النووى الإيرانى على ثلاثة أسس رئيسية.

الأول: إصرارها المستمر على نقل الملف النووى الإيرانى من الوكالة الدولية للطاقة الذرية إلى مجلس الأمن لفرض عقوبات على إيران بزعم انتهاكها اتفاقية الضمانات النووية.

والثانى: تكثيف ضغوطها على الدول التى تمد إيران بالتكنولوجيا، والدعم الفنى للبرنامج النووى الإيرانى، وعلى وجه الخصوص، روسيا الاتحادية وباكستان.

والثالث: تلويحها الدائم باستخدام الخيار الدبلوماسى، مع عدم استبعاد إمكانية استخدام الخيار العسكرى ضد إيران وبذلك تبلورت الصيغة الأمريكية بوضوح فى إدارتها لملف البرنامج النووى الإيرانى فى أمرين رئيسين.

إما التعاون الكامل مع الوكالة الدولية للطاقة الدولية للطاقة الذرية، والوقف الكامل لعملية تخصيب اليورانيوم (وهى عملية تنقية اليورانيوم لاستخدامه وقودا فى محطات الطاقة النووية أو صنع القنابل).

أو نقل الملف النووى الإيرانى من الوكالة الدولية إلى مجلس الأمن.

وإذا ما حاولنا معرفة موقف الثلاثية الأوروبية (بريطانيا وفرنسا وألمانيا) المفوضة من الاتحاد الأوربى للتفاوض مع الجانب الإيرانى حول حقيقة البرنامج النووى

الإيرانى، والتى مارست الولايات المتحدة ضغوطها عليها من أجل أن تسايرها فى مطالبها إزاء الضغط من جانب هذه الثلاثية على إيران للتخلى عن برنامجها النووى، نجد أن الموقف البريطانى جاء مسانداً للموقف الأمريكى، وداعماً له، فهو يطالب بالوقف الكامل لتخصيب اليورانيوم، ووقف جهود إيران للسعى لإنتاج الوقود النووى.

أما الموقف الفرنسى فقد اتسم بالاستقلالية عن المواقف الأمريكية، فهو يميل إلى حق إيران فى الاحتفاظ بالحد الأدنى من التكنولوجيا النووية بالقدر الذى لا يسمح لها بامتلاك أسلحة نووية، مع وجود رقابة مستمرة لمنشآتها النووية من جانب مفتشى الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

أما فيما يتعلق بالموقف الألمانى من البرنامج النووى الايرانى، فهو فى موقع وسط بين تبعية بريطانيا للولايات المتحدة، واستقلالية فرنسا، آخذاً فى اعتباره الاستثمارات الألمانية لدى إيران فى مجال النفط والغاز الطبيعى.

البرادعى

وقد لجأت الولايات المتحدة إلى العديد من أوراق الضغط على إيران، فاستخدمت الوسائل الدبلوماسية للتهديد بتحويل الملف النووى الإيرانى إلى مجلس الأمن، وسعت إلى إقناع الدول الأوربية بتبنى موقفها الداعى إلى التخلى عن البرنامج النووى الايرانى، وحاولت الضغط على الوكالة الدولية لاتخاذ موقف يدين إيران، لكن تقارير الوكالة أوضحت أنه لا يوجد أدلة قاطعة على سعى البرنامج النووى الإيرانى لإنتاج سلاح نووى. كما اتهمت واشنطن المدير العام للوكالة الدولية «دكتور محمد البرادعى» بتواطئه، وعدم حياده بشأن المسألة النووية الايرانية، وانحيازه لإيران، وقد انعكس هذا الاتهام فى اعتراض الولايات المتحدة على تمديد ولايته كمدير عام للوكالة الدولية للطاقة الذرية فى أول الأمر، غير أنها سرعان ما سحبت اعتراضها، خاصة عندما وجدت أن باقى الأعضاء ومجلس محافظى الوكالة (٣٥ عضوا) وافقوا على إعادة انتخابه للمرة الثالثة، لذلك اضطرت الولايات المتحدة على الموافقة مع باقى الاعضاء على تمديد ولاية الدكتور «البرادعى» للمرة الثالثة فى الثالث عشر من يونيو ٢٠٠٥، كمدير عام للوكالة الدولية.



محمد البرادعى

التهديد الأمريكى

ومن ناحية أخرى، تلوح الولايات المتحدة بين الحين والآخر، باستخدام القوة العسكرية، وتهدد إيران بتوجيه ضربة عسكرية وقائية ضد منشآتها النووية، على

أساس أن هناك وحدات أمريكية خاصة فى دول مجاورة لإيران، على استعداد لهذه الضربة العسكرية، كما لجأت الإدارة الأمريكية إلى أسلوب الإغراء بإعلانها على لسان وزيرة الخارجية الأمريكية «كوندوليزا رايس» موافقة واشنطن على انضمام إيران إلى منظمة التجارة العالمية، واستعدادها لمدها بقطع غيار للطائرات الإيرانية، مقابل تخليها عن برنامجها النووى، وقد مارست الولايات المتحدة مؤخراً الضغط على إيران من خلال الملف اللبنانى، فبعد اضطرار القوات السورية إلى الخروج من لبنان، تتجه واشنطن إلى تحجيم دور حزب الله الموالى لطهران بهدف تجريد إيران من مصادر قوتها فى لبنان من جهة، وقطع الطريق على تعاونها مع سوريا، ووقف دعمها لفصائل المقاومة الفلسطينية من جهة أخرى.

إن النقطة الخلافية بين الطرفين هى مسألة «تخصيب اليورانيوم» والتى تراها إيران حقاً طبيعياً لها، وليس أدل على ذلك من قيام الرئيس الايرانى السابق «محمد خاتمى» فى الثلاثين من مارس ٢٠٠٥ بزيارة المنشأة النووية الايرانية فى مدينتى «أصفهان، وناتنز» حيث تفقد قاعتين رئيسيتين، واقعتين تحت الأرض، لتدشين أجهزة الطرد المركزى فى مجمع «ناتنز» الخاص بتخصيب اليورانيوم. وقد صرح الرئيس الإيرانى عقب تلك الزيارة بأن إيران تنوى إعادة تخصيب اليورانيوم فى المستقبل القريب، من خلال تدشين ٥٠ ألف جهاز للطرد المركزى، حيث توفر هذه الأجهزة «الوقود لمفاعل نووى واحد» فقط وأن الوكالة الدولية، على علم بجميع مراحل تصنيعها، وأنه من المقرر أن يبحث الوفد الأوربى فى اجتماعه مع الوفد الإيرانى فى جنيف فى الفترة المقبلة الاقتراح الإيرانى باستئناف تخصيب اليورانيوم.



محمد خاتمى

ومن جانب آخر، فقد أثار الموقف الإيرانى من المفاوضات مع الثلاثية الأوربية التى فوضها الاتحاد الاوربى نيابة عنه «ردود فعل واسعة» على الساحة الدولية، إذ انتقدت وزيرة الخارجية الأمريكية «كوندوليزا ريس» موقف الاتحاد الأوروبى الذى يتفاوض مع إيران بشأن ملفها النووى، معتبرة أن الثلاثية الأوروبية لم تقم بواجبها بشكل كاف بتوجيه التهديد لإيران بفرض عقوبات دولية عليها مالم توقف برنامجها النووى، قالت «رايس»: «إن الإيرانين فى حاجة إلى أن يسمعوا جيداً، أنه فى حالة عدم تقديمهم بيانات واضحة عن نشاطهم النووى، واتخاذ التدابير اللازمة للتحقق من صحة هذه

البيانات، فعندها لابد من رفع الملف النووى الإيرانى إلى مجلس الأمن، وهذا لم تقربه الثلاثية الأوربية»، وأضافت «كوندوليزا» قولها: «إن الولايات المتحدة على استعداد كامل لبحث أنواع الضمانات والتأكيدات التى يمكن للإيرانيين تقديمها للعالم، لإثبات عدم سعيهم لإنتاج سلاح نووى. ومن أجل ذلك فإن المفاوضات، مازالت مستمرة، والولايات المتحدة ليست طرفاً فى هذه المفاوضات، بل عليها الانتظار لما سوف تسفر عنه من نتائج».

إيران ترفض المفتشين وتعتبرهم جواسيس

والجدير بالذكر أن جوهر أزمة الملف النووى الإيرانى تركز، خلال النصف الثانى عام ٢٠٠٣، على مطالبة الولايات المتحدة الأمريكية بإلحاح، القوى الدولية ووكالة الطاقة الذرية، على وجه الخصوص، ممارسة ضغوطها على إيران للتوقيع على البروتوكول الإضافى، الذى يسمح لمفتشى الوكالة الدولية للطاقة الذرية بالقيام بالتفتيش المفاجئ للمواقع النووية الإيرانية المشتبه فيها وفى هذا السياق أشارت صحيفة «جمهورى إسلامى» الايرانية فى ١٨/٥/٢٠٠٥ إلى «أن التصديق على البروتوكول الإضافى لمعاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية من جانب الحكومة، والتعهد للأوروبيين بالتصديق على لائحة البروتوكول الإضافى يعرض البلاد لعمليات التجسس من جانب جواسيس الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل الذين يعملون كمفتشين للوكالة، ويمس بالسيادة الإيرانية على أرضيها، ويتعارض، مع استقلال السلطة التشريعية، واستقلال البلاد». واللافت للنظر أن الضغوط الامريكية طالت أيضا روسيا الاتحادية بوصفها الطرف الأصيل فى اتفاق التعاون النووى بين إيران وروسيا الموقع فى الثامن من يناير ١٩٩٥، والذى ينص على التزام روسيا الاتحادية بتوريد الوقود النووى اللازم لتشغيل المفاعلات محل التعاقد، على أن يعاد هذا الوقود بعد استخدامه إلى روسيا، حيث توصلت الولايات المتحدة، وروسيا إلى اتفاق عام ١٩٩٥ لم يعلن فى حينه، وقع عليه نائب الرئيس الامريكى السابق «آل جور»، ورئيس الوزراء الروسى السابق «فيكتور تشيرنو ميردين» ينص على امتناع روسيا عن بيع أية مكونات نووية لإيران ، يمكن أن تستخدم فى صنع السلاح النووى، وبالذات تكنولوجيا الطرد المركزى، ولضمان امتثال روسيا لهذا الاتفاق، وافق الكونجرس الأمريكى على تعليق صرف المساعدات المقدمة من الولايات المتحدة إلى روسيا لعام ١٩٩٨ على وقف التعاون النووى الروسى.

وقد وصلت الضغوط الأمريكية على روسيا ذروتها خلال زيارة نائب وزير الخارجية الأمريكية «جون بولتون» لموسكو فى الخامس من مايو ٢٠٠٥ لإجراء

مباحثات مع بعض المسئولين من وزراتى الخارجية، والشئون النووية الروسية للضغط على روسيا لوقف تعاونها مع إيران، وعرض «بولتون» خلال هذه الزيارة، ماوصفه بأنه «أدلة» على استخدام إيران تكنولوجيا نووية لأغراض عسكرية. وفى ضوء ذلك كله، جاء التحرك الإيرانى فى المقابل على محورين.

الأول يتمثل فى محاولة تفكيك الموقف الأوروبى بحيث لا يشكل قوة ضغط على إيران، خاصة أن باقى دول الاتحاد الاوروبى (٢٥ دولة)، تقف خلف «الثلاثية الأوروبية» المفوضة من قبل الاتحاد الاوروبى بالتفاوض مع إيران، مؤيدة ومساندة.

والثانى يتمثل فى تفعيل النشاط الدبلوماسى تجاه الدول الأوروبية وغير الأوروبية لإقناعها بعدالة البرنامج النووى الإيرانى، وشرعيته، ونفى أية صلة من قريب أو بعيد بحيازة أسلحة نووية.

وفى هذا السياق جاءت زيارة الرئيس الايرانى السابق «محمد خاتمى» للنمسا فى إبريل ٢٠٠٥ لبحث تطوير العلاقات بين البلدين، وبحث القضايا ذات الاهتمام الدولى، وفى مقدمتها ملف البرنامج النووى الإيرانى، حيث أكد الرئيس «خاتمى» لنظيره النمساوى «هاينس فيشر» على الصفة السلمية للبرنامج النووى لطهران، وعدم وجود نية للانسحاب من معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية، ورغبة إيران فى التوصل، مع الثلاثية الأوربية إلى اتفاق، يكفل لإيران الحق فى استخدام الطاقة النووية للأغراض السلمية. وكانت هذه الزيارة فى محلها، خاصة أن النمسا ستتولى رئاسة الاتحاد الأوروبى فى مطلع عام ٢٠٠٦، وتعد إحدى الدول المؤيدة للخيار الدبلوماسى مع الملف النووى الإيرانى، كما قام الرئيس السابق «محمد خاتمى» بزيارة فنزويلا، وقد أعلن الرئيس الفنزويلى «هوجو شفيز» أثناء هذه الزيارة، تأييد فنزويلا للبرنامج النووى الإيرانى السلمى، واستعداده لقطع إمدادات النفط عن الولايات المتحدة تضامناً مع إيران فى أزمتها النووية.

الموقف الإسرائيلى.. والخوف من الرد الإيرانى

ويبدو أن الموقف الإسرائيلى، بالنسبة للبرنامج النووى الإيرانى، متوائم تماماً مع الدور الأمريكى الضاغط على إيران، فقد ظهر بوضوح أن هذا الموقف محكوم بأمرين: الأول قلق إسرائيل الشديد من احتمالات امتلاك إيران للسلاح النووى.

والثانى الخوف من كسر الاحتكار النووى الإسرائيلى فى المنطقة الذى يمثل الرادع الرئيسى لخصوم إسرائيل وفى هذا الإطار ترى إسرائيل أن مجرد امتلاك إيران القدرة على تخصيب اليورانيوم يمثل تطوراً بالغ الخطورة، ودليلا على أنها باتت تمتلك الخبرات العلمية البشرية الكافية والتكنولوجية المتقدمة اللازمة للقيام فى

وقت لاحق بعمليات التخصيب فى مواقع بعيدة عن عيون مفتشى الوكالة الدولية للطاقة الذرية، مما يتيح لها إنتاج السلاح النووى. وفى هذا الصدد أشار مسئولون إسرائيليون إلى ان اسرائيل لن تسمح لإيران بحيازة السلاح النووى مهما كان الثمن، بما فى ذلك إمكانية الإقدام دون أدنى تردد، على قصف المنشآت النووية الإيرانية.

ومن هنا بادر شارون رئيس الوزراء الاسرائيل بتكليف جهاز الموساد بتولى مهمة ملف البرنامج النووى الإيرانى الذى كان، من قبل، ضمن شئون وزارة الخارجية الإسرائيلية. ويذكر فى هذا الشأن أنه منذ أغسطس عام ٢٠٠٣، أصدر «شارون» أوامره لجهاز الموساد بإعداد الخطط الملائمة لقصف المنشآت النووية الايرانية. ومن ناحية أخرى جرى تسريب معلومات عبر وسائل الإعلام الغربية، بقيام إسرائيل بتركيب صواريخ بحرية من طراز «هاربون» على غواصات من طراز «دولفين» الألمانية الصنع العاملة فى صفوف البحرية الإسرائيلية بعد تطويرها من أجل توجيه ضربة نووية مفاجئة من أعماق البحار إلى المواقع النووية الايرانية، مع التلويح بتطوير رؤوس نووية لتركيبها على هذه الصواريخ، إذا ما نجحت إيران بالفعل فى تطوير السلاح النووى. ومن المعلوم أن هدف إسرائيل من تسريب هذه المعلومات هو ردع إيران، وتحذيرها من مواصلة تطوير قدراتها النووية. ومن جانب آخر ذكر تقرير «لجريدة صنداى تايمز» أن إسرائيل تخطط سراً لتوجيه ضربة جوية، مع هجوم بقوات أرضية على بعض الأهداف الايرانية وذلك فى حالة فشل الجهود الدبلوماسية فى تقليص البرنامج النووى الإيرانى، كما تشير التقارير الصحفية إلى قيام مجلس الوزراء السياسى الأمنى الإسرائيلى، بالتصديق الأولى لتنفيذ هذا الهجوم، وذلك فى الجلسة السرية التى عقدت خلال شهر فبراير ٢٠٠٥ ويشمل هذا التكتيك الذى تقرر فى حالة الهجوم، نشر قوات خاصة تابعة لجيش الدفاع الإسرائيلى، بالإضافة إلى استخدام طائرات «إف ١٥»، وقنابل ذات قدرة على اختراق الأنفاق الأرضية وتشير هذه المصادر الصحفية الغربية إلى أنه يتم مناقشة خطة الهجوم على المفاعل النووى الإيرانى، مع عناصر أمريكية رسمية، وأن هذه الخطة جاهزة، وسيتم تنفيذها فى حالة فشل المساعى الدبلوماسية فى تقليص البرنامج النووى الإيرانى. ويرى المراقبون العسكريون أن عملية قيام إسرائيل بضربة جوية ضد المنشآت النووية الإيرانية ليست مهمة سهلة، كما تتوهم إسرائيل، حيث أن أقرب موقع للقصف الجوى فى مدينة «بوشهر» يبعد عن الحدود الجنوبية لإسرائيل، مسافة

الأزهر

١٣٠٠ كيلو متر، وسوف تضطر المقاتلات الإسرائيلية إلى اختراق الأجواء الأردنية والسعودية والعراقية، وهو أمر، بطبيعة الحال، بالغ الصعوبة، فى حين أنه من غير الممكن أن تسمح تركيا للطائرات الإسرائيلية باختراق المجال الجوى لها، وهى فى طريقها لقصف المفاعل النووى الإيرانى. ويذكر هؤلاء المراقبون أنه فى المقابل يمكن لإيران الرد على هذه الضربة الجوية المباغتة، فهى تمتلك من الأسلحة، ما يتيح لها القدرة على الرد بعنف على إسرائيل، باستخدام الصورايخ الباليستية بعيدة المدى مثل «شهاب ٣» التى يمكن أن تصل إلى عمق إسرائيل بسهولة.

إيران ترفض التنازل

والجدير بالذكر أنه برغم إعلان إيران أن برنامجها النووى مخصص لأغراض سلمية فقط، فقد حذر «سيلفان شالوم» وزير الخارجية الإسرائيلى إيران بقوله: «إن فكرة امتلاك الطغاة الإيرانيين «لقنبلة ذرية» لا تمثل فقط كابوساً لإسرائيل، بل للعالم كله».

كما أكد «ديك تشينى» نائب الرئيس الأمريكى «جورج بوش» «أن إيران سوف تواجه ردود أفعال قوية إذا لم ترتدع وتتخل عن برنامجها النووى».

ومن هنا رفضت إيران المبادرة الأمريكية التى تدعوها إلى دخول منظمة التجارة العالمية، وتزويدها بقطع غيار لطائراتها، فى مقابل الوقف الكامل لعملية تخصيب اليورانيوم، حيث صرح متحدث إيرانى قائلاً: «إن إسلوب الضغط والاتهام والتهديد لن يجعلوا إيران تتنازل عن حقها الشرعى فى استخدام التكنولوجيا النووية لغايات سلمية» ومن المعلوم أن الاتفاقية الدولية لمنع انتشار الأسلحة النووية أكدت أن الاستخدام النووى فى الأغراض السلمية حق مكفول للدول الموقعة عليها، وبذلك فإن إعلان إيران معاودة نشاطها النووى فى هذا المجال أمر غير مرفوض ولا يجب أن يتم معاقبتها عليه.



محمود نجاد

وفى الختام يمكن القول أن البرنامج النووى الإيرانى يعتبر من أخطر الملفات التى تنتظر الرئيس الإيرانى الجديد «محمود أحمدى نجاد»، فإن إدارة الرئيس الأمريكى «بوش» مصرة على إنهاء ما يسمى بالخطر النووى الإيرانى، ولو تطور الأمر، بنقل القضية إلى مجلس الأمن الدولى، أو التلويح بإمكانية توجيه ضربة عسكرية للمنشآت النووية الايرانية، وهو الخيار الذى تؤيده إسرائيل بكل قوة، وهو ما ينذر بعواقب، مازالت فى علم الغيب.

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

«أعطيتنى بشعرك فوق ما أعطيتك»

ذهب عبيدالله بن العباس مرة إلى الشام، فأصابه المطر فى الطريق، ولمح على بُعد نارا، فقال لغلامه: نُسْرِع إليها.

فلما قدما نحو المكان، وجدا شيخا ذا هيئة رثّة، فرَحَّب بهما، وأسرع إلى امرأته يقول لها: اذبحى شاتك، وهيّئى طعاما لهذا السيد، فقد توسمتُ فيه الخير، فإن يكن من مضر فهو من بَنى عبدالمطلب، فقالت له: ليس عندنا غيرها، والموتُ لصبيتى إن فقدوا الشّاة، فقال: موتهم أحب إلىَّ من اللؤم، وقامَ بنفسه فقبض على الشاة وذبحها، وقطّعها أرباعا، ووضعها فى القِدرْ حتى إذا استوت ملأ الجفنة بلحمها وقدمها، وأراد عبيدُ الله أن يرحل، فقالَ لغلامه: أعط الشيخ ما معك من نفقة، فقال: أأعطيه ما معى ومقداره يبلغ خمسمائة دينار وأكثر! ثم هو لا يعرفك، فقال له: ويحك، إنه لم يكن يملك من الدنيا غير هذه الشاة، وقد جاء بها، وإن كان لا يعرفنى، فأنا أعرف نفسى!

ثم ارتحل عبيد الله، وقضى حاجته بالشام، وقفل راجعاً إلى المدينة حتى إذا قرب فى الطريق من دار الشيخ، قال لغلامه: ملْ بنا إليه ننظر كيف تبدلت حاله، فإذا رجل ثرى له إبل وغنم، فقال له عبيدالله وكان قد غيّر ملبسه: أتعرفنى؟ فقال: لا والله فمن أنت. فقال: أنا نزيلك ليلة كذا وكذا، فنهض الرجل واقفاً وأكب على قدمه يقبلها، وقال له:

لقد قلتُ فيك شعرا فاسمعه، ثم أنشد:

توسمتُه لما رأيتُ مهابةً
عليه وقلت المرء من آل هاشم
وقلتُ لأهلى فى الخلاء وصِبيتى
أحقاً أرى أم تلك أحلام نائم

فضحك عبيدالله، وقال: لقد أعطيتنى بشعرك فوق ما أعطيتك. وقال لغلامه: أعطه مثلها. فكاد الرجل يطير.

«كلمات مأثورة فى الحلم»

قال هشام بن عبدالملك لخالد بن صفوان: بِمَ بلغ فيكم الأحنف ما بلغ؟ قال: إن شئت بخلة، وإن شئت بخلتين، وإن شئت بثلاث. قال: فما الخلة؟ قال: كان أقوى الناس على نفسه. قال: فما الخلتان؟ قال: كان موقى الشر، ملقى الخير. قال: فما الثلاث؟ قال: كان لا يجهل، ولا يبغى، ولا يبخل.

وقيل لقيس بن عاصم: ما الحلم؟ قال: أن تصل من قطعك، وتعطى من حرمك، وتعفو عمن ظلمك.

وقالوا: ما قرن شىء إلى شىء أزين من حلم إلى علم، ومن عفو إلى قدرة.

وقال الحسن: المؤمن حليم لا يجهل وإن جُهل عليه، وتلا قول الله عز وجل:

﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾

سورة الفرقان الآية رقم (٦٣)

وقال الشاعر:

ليست الأحلام فى حين الرضا
إنما الأحلام فى حين الغضب

«من أحب إليك»

قيل لبعضهم: من أحب إليك، أخوك أم صديقك؟

فقال: لا أحب أخى إذا لم يكن صديقى.

وقال ابن عباس -رضى الله عنهما-: الصديق أوكد من القريب ألا ترى استغاثة الجهنميين حين قالوا:

﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾

سورة الشعراء الآيات ١٠٠، ١٠١

ولم يستغيثوا بالآباء والأمهات.

«عزة النفس»

كان سعيد بن عمرو بن العاص ذا نخوة وهمّة، قيل له فى مرضه: إن المريض يستريح إلى الأنين، وإلى شرح ما به إلى الطبيب، فقال: أما الأنين فهو

جزع وعار، والله لا يسمع الله منّى أنيننا، فأكون عنده جزوعا.

«يا ليتها كانت القاضية»

مرض أحد النحويين، فزاره أحد أقاربه من الأعراب؛ فسأله عما يشكو منه؟

فقال النحوى: حمى جاسية، نارها حامية منها الأعضاء واهية، والعظام بالية.

فقال له الأعرابى: لا شفاك الله بعافية، ياليتها كان القاضية.

«كفانى ذلك»

لقى هارون الرشيد الكسائى فى بعض طرقه، فوقف عليه، وتحفى بسؤاله عن حاله! فقال: أنا بخير يا أمير المؤمنين، ولو لم أجد من ثمرة الأدب إلا ما وهب الله ـ تعالى ـ لى من وقوف أمير المؤمنين لكان ذلك كافياً محتسباً.

«فراسة»

طاف سائل مكفوف البصر بشوارع «أصبهان» يسأل الناس على حسب عادته، فأعطاه رجل رغيفا، فدعا له السائل، وقال: رد الله غربتك؛ فقال المتصدق: وكيف عرفت أننى غريب وأنت أعمى؟

فقال الرجل: لأنى أسأل الناس فى هذه المدينة منذ ثلاثين سنة، ما أعطانى أحد رغيفاً صحيحاً.

«جائزة وعقوبة»

مثل رجل بين يدى المنصور، ورمى بإبرة، فغرزت فى الحائط، ثم أخذ يرمى واحدة بعد الأخرى، فكانت كل إبرة تدخل فى ثقب سواها حتى بلغ عدد الإبر مائة، فأعجب المنصور به، وأمر بمائة دينار، وحكم عليه بمائة جلدة، فارتاع الرجل وسأل عن السبب، فقال له المنصور:

ـ أما الدنانير فلبراعتك، وأما الجلدات فلإضاعتك الوقت فيما لا ينفع.

«دعاء»

اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحوّل عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك.

قصة العدد

فى مجلس المأمون

للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحديدى

سئم المأمون مجلس مع الوزراء وأعيان الدولة من العمال والولاة وأراد أن يرفه عن نفسه بمجلس آخر يكون أهنأ لنفسه وأدعى لراحته فأمر بانفضاض المجلس وعقد مجلس آخر للقضاة وفيهم كبار العلماء والفقهاء وكان المأمون على دراية تامة بمسائل الفقه واللغة والتشريع فإذا خاض هؤلاء فى معضلة تشريعية كان له رأى حاسم مع أنه يُجيد الاستماع لكل ما يقال دون أن تفوته مسألة واحدة.

وما إن مضى وقت حتى حضر يحيى بن أكثم كبير القضاة فى عصر المأمون ومعه رفقاؤه من كبار القضاة فابتهج المأمون بمرآهم وقال ليحيى: والله يا يحيى لمجلس من مجالس العلم أحب إلىّ من كل مجلس متاح وقد عجّلت بانقضاء مجلس الولاة شوقاً إلى مجلس هؤلاء وأشار إلى القضاة لأنهم أصحاب العقل الراجح والحكم النزيه.

فقال يحيى: أبقى الله أمير المؤمنين وأطال أيامه السعيدة، ورحم الله والده أمير المؤمنين «هارون الرشيد»، فقد كان لا يمل مجلس العلماء وقد ورث أمير المؤمنين حفظه الله عنه هذه الخلة الحميدة،

وقال أحمد بن أبى دؤاد: العلمُ لم ينقطع أبداً عن خلفاء الله من بنى العباس، فقد كان أبو جعفر المنصور فقيهاً، قبل أن يكون خليفة، وكان المهدى يعقد مجالسه مع أبى ذؤيب والأوزاعى، وكان مولانا أمير المؤمنين الرشيد لا يترك مجلس القاضى أبى يوسف إلا لضرورة سياسية، فهو سميره بالليل وقد أمره بكتابة مؤلف عن الخراج فصار دستوراً للأمة وها نحن الآن مع أمير المؤمنين العالم الفقيه.

فابتسم المأمون وقال : قرأت كتاب الخراج الذى ألفه القاضى أبو يوسف فلم أر أحسن منه فى بابه، وقد وزع أبى رحمه الله نسخاً على الولاة والقضاة إكباراً لما جاء به من الأحكام فى المال والسياسة والحرب والعمران، وأنتم أدرى بالكتاب وأعرف ولا أزيدكم شيئاً فى تقدير مكانته.

قال يحيى : أذكر أن مولانا هارون الرشيد قد قرأ كتاب الموطأ للإمام مالك، وقد طلب منه أن يعيد مراجعته، لجعله المرجع الأول والأخير فى الأحكام.

فقال مالك رضى الله عنه : إنه لايَرى ذلك، لأن الأحكام الشرعية متنوعة وقد يصلح لبلد ما لا يصلح لبلد آخر لاختلاف البيئة، فلنترك كل قاض وشأنه فى الحكم بما يراه من الأمور الفرعية دون أن نأمر باتباعِ ما جاء فى الموطأ.

فابتسم الرشيد وقال لمالك : أحسنَ الله إليك فقد رأيت ما غاب عنى.

ولو كان مالك ممن يغره المظهر الخادع لاستجابَ لرأى الرشيد ولكنه العلم وحقه لدى العلماء.

وسكتَ القوم قليلاً فقال أحدهم ولم يتكلمْ من قبل : أذكر أن أمير المؤمنين هارون الرشيد رحمه الله قد طلبَ لقاءَ الفضيل بن عياض حين علم أنهُ يحج فى العام الذى حجّ فيه الرشيد فامتنع الفضيل واعتل.

فقال الرشيد : نَذهبُ نحن إليه، وكان جالساً بالحرم النبوى جوار المحراب فقدم إليه الرشيد وهو يبتسم، وقال له : إذا كنتَ لم تأت يا فضيل فهأنذا جئت لك، أريد أن أستمع من وعظك ما يشفى الصدر ويثبت اليقين.

فقال الفضيل : يا أمير المؤمنين إنها الجنة وإنها النار وطريقهما معروف لمن حفظ كتاب الله وسنة رسوله فعليكَ بهما فى كل ما تأتى وما تدع من الأمور.

فقال الرشيد : نعمت النصيحة يا فضيل، ألك حاجة أعجل بقضائها؟

فقال الفضيل : حاجتى إلى الله لا إليك يا أمير المؤمنين.

فسكتَ الرشيد قليلاً ثم قال : كلنا ذلك الرجل يا فضيل، حاجتنا إلى الله وهو نعم المولى ونعم النصير.

قال المأمون : لقد عمر المجس وسعد بسيرة أمير المؤمنين الرشيد، وما أذكر أنى خالفته فى كل أمر قضاه، إلاّ ما كان من تسرعه فى أمر البرامكة. فسكت القوم ولم يتحدثوا بشىء.

فقال المأمون ليحيى : لماذا لاَ تتكلم يا يحيى ولَك اللسان الطلق والرأى الصريح؟.

فقال يحيى : ياأمير المؤمنين يَرى الحاضر ما لا يرى الغائب، ولم نحط علماً بكل ما كان يدبر فى السر والعلانية، وأمير المؤمنين هارون من الحزم واليقظة

والعدالةَ بحيث لا تفوته فائتة وقد مضى القوم إلى سبيلهم، ومضَى مولانا الرشيد، ونحن اليوم لا نملك الحكم الصريح.

تطلع المأمون إلى يحيى وإلى وجوه الحاضرين وأراد أحمد بن أبى دؤاد أن ينقل الحوار إلى وجهة أخرى.

فقال : يا أمير المؤمنين لقد تحدثَ الناس أنَك ذهبت لمجلس أبى هذيل العلاف بالمسجد الجامع فلم لم تدعه إليك ولا تكلّف نفسك عناء الجلوس مع العامة؟.

فقال المأمون : وهل الدولة غير العامة يا أحمد، إنه ليروقُنى أن أجلس إلى المجتمع العامر بالناس فأسمع كل ما يقال دون أن يعرف أحدٌ أنى المأمون وقد كنت متنكراً فى مجلس أبى هذيل فمن أنبأك عنى يا أحمد؟

قال أحمد : عرفك أحد الفضلاء من الجالسين، وهو ثقةٌ فى دينه وعلمه، وقد حدثنى عنك حديث المعجب المرتاح،

وقال لى : تَواضعَ المأمون للعلم، فرفَعه الله إلى أسمى مقام.

قال المأمون : نسأل الله التوفيق.

ثم حضر الحاجب الخاص، وأسر للمأمون بشىء، لا يريد أن يسمعه أحد، وعلم القوم أن أمير المؤمنين فى حاجة إلى الخلوة لأمر طارىء، فاستأذنوا شاكرين وقام المأمون فسلم عليهم واحداً واحداً ثم قال لهم فى ابتسام : على أمل فى مجلس جديد.

كان الذى شغل المأمون أنَ من أسَر إليه أخبره أن بالباب رجلاً قبَض عليه وإلى حلب وأرسله مقيداً إلى بغداد ليقضى أمير المؤمنين بشأنه حيث دأب هذا الرجل على مدح أمير المؤمنين الأمين، وذم المأمون لأنه غدر به، وهى تهمة لا يجب السكوت عنها، إذ لو تعددت هذه الأقوال وانتشرت فى الشام فإنها لا تجلب خيراً للناس وربما كان ذلك موضع ثورة وعصيان. وقد بادر المأمون فطلبَ من استصحب هذا الرجل من حلب إلى بغداد فسرعان ما حضر إليه فقال له المأمون : قَضيتَ مع هذا الرجل فى رِحلتك هذه أياماً طويلة فماذا كنت تلاحظ عليه فى سلوكه؟

قال : أشهد يا أمير المؤمنين أنه كان دائم الوضوء والصلاة، ولا ينقطع عن ذكر الله، حتى لأحسبنه من الأولياء، وقد قلت له إن تهمتك خطيرة وأن عاقبَتها لا تبشر بخير، فابتسم فى وجهى وقال : الله يعلم أنى برىء، ولن يُضيّعنى الله، ولمَ يكُن يشغله من أمره غير الصلاة، وذكر الله، بل صام عدة أيام فى هذا الحر اللافح، وكنُت أقول له : إن السفر فى رمضان يجيز الفطر للمسلم ونحُن لسنا فى شهر رمضان، فقال لى : إنى حين أكون صائماً أظل فى عبادة دائمة وهذه العبادة تشغلنى عن أمور الحياة وتقربنى إلى الله.

فكر المأمون قليلاً ثم أمر باستدعاء

الرجل فدخل عليه مسلماً بالإمارة فى خشوع ونظر المأمون فوجد رجلاً مهيباً جليلاً أبيض الوجه والعمامة، جميل الصورة ولحيته تكسوه مهابة وتجله، فقال فى نفسه: إن بشائر الخير تلوح فى محيّا هذا الرجل، وأجلسه أمامه دون أن يطيل الوقوف ثم سأله المأمون: ماذا كان من أمرك، حتى تخوض فى حديث الأمين والمأمون؟.

فقال: مولاى أقول بصراحة، لا أكتم عنك شيئاً، أم أوجز القول فلا أبدى غير القليل؟

فقال المأمون: قل كل ما لديك، فأنا مستمع حريص.

فابتدأ الرجل باسم الله عز وجل وقال: يا أمير المؤمنين الصدق منجاة والكذب مهواة، وهذا حديث مرّ عليه بضع سنوات، فقد كنت فى المسجد الجامع فى حلب، ووجدت العامة يتحدثون عن أمير المؤمنين «الأمين» بألفاظ لا تليق أن تنسب إلى آل رسول الله وهم خير الناس. فقلت: يا قوم إنكم تسيئون لبيت النبوة، حين تتحدثون عن ابن عم رسول الله ﷺ بما لا يليق، وأمير المؤمنين المأمون يسوؤه أن يجد حديث أخيه مضغة للأفواه، فمهما كان بينهما من خلاف فهما ابنا هارون الرشيد، ومن يدرى لعل الذى تم كان بغير رضا الأمين والمأمون، ولكنه أمر نزل وتم وليس لنا أن نتكلم بالسوء فيمن مضى إلى ربه، تتقدمه صحيفة أعماله.

كان هذا منذ بضع سنوات تتجاوز الخمس وقد بلغ الأمر والى حلب فلم ينقدنى فى شىء لأنى لم أقل ما يسىء بل حاولت أن أكتم ألفاظ السوء عن المتزيدين، ثم حدث فى الشهر الماضى اعتداء من الوالى على بعض المنازل المملوكة لغيره وصاحبة المنزل أرملة بائسة يريدها الوالى أن تترك مكانها إلى منزل بعيد حيث له مأرب فى إضافة منزلها إلى منزل مجاور ليقيم داراً متسعة وجاءتنى المرأة المسكينة شاكية، باكية، فهرعت إليه أقول إن فى أرض حلب سعة لمن يريد أن يبنى دون أن يرهق الناس بما يثقل عليهم، وأنّ صاحبة المنزل أحق بالسكنى فيه، فقد ألفته وعرفت الجيران واتصلت وسائلها بالحى، فلم يستمعْ إلى رأيى وهنا قررت أن أتحدث فى شأنه بالمسجد العام، لأكوّن رأياً يقف ضده فلم أمكث غير يوم حتى جاءنى استدعاءٌ للذهاب إلى بغداد مقيداً بالأغلال، وقد قيل لى أننى ذكرت أمير المؤمنين بما لا يليق منذ خمسة أعوام، وهذا باطل صريح، لأن الموضوع لا يخرج عما تحدثت به إلى أمير المؤمنين.

قال المأمون: أحب أنْ أعرف كل ما كان ببعض التفصيل لا الإجمال.

فقال الشيخ: كنت فى المسجد بعد صلاة المغرب منتظراً صلاة العشاء كعهدى الدائم فسمعت لغطاً يدور فيه ذكر

الرشيد والأمين والمأمون فأكبرت أن تكون مساجد الله لغير الصلاة والدرس الدينى.

فقلت فى غضب: يا قوم إنّ من هؤلاء من ذهب إلى رحمة الله، ومنهمْ من لا يزال ممتعاً بسلامة الله وكلهم خيار من خيار، فدعوا حديثكم عنهم وخوضوا فيما تعرفون.

قال قائل: هل الأمين من الخيار؟، قلت: لا يعلم الغيب إلا الله، ويجب أن تكفّوا عن حديث السوء، ثم بلغ الأمر الوالى فلم يسألنى عن شىء، حتى تحدّيته يوم أراد غصب المنزل، فتذكر أنىّ كنت أمدح الأمين، وما مدحته ولكنى أردت أن أكف الألسنة عن ابن عم رسول الله، فإذا كنت مخطئاً فإنى أعتذر الآن إلى أمير المؤمنين.

قال المأمون: قد عرفت الصدق من حديثك وسيماك، وأنت أهل للثقة والتقدير وأنت من الآن والى حلب وقد أمرت بعزل الواشى الغاصب النمام.

فقال الشيخ: أحسن الله إليك يا مولاى، ولكنى أقترح أن أكون بعيداً عن الولاية إذ لا أقوم بأعبائها وأشير عليك برجل فاضل من أهل حلب يصلح للأمر والنهى وهو موفق بإذن الله.

كبر الشيخ فى عين المأمون وقال له مبتسماً: قد نفذنا اقتراحك على أن تكون مستشاره الناصح ولن يخرج عن رأيك وسأكتب له بذلك فى خطاب الولاية، وقد ندعوك لرؤيتك فلا تبطئ فأنت ناصح أمين وقد فوجيء الحلبيون برجوع الشيخ سليماً مهاباً، مصحوباً بحرس الدولة كأمر أمير المؤمنين، وقد أشاع الناس من قبل بأنه لن يعود، كما فوجئوا بعزل الوالى وتعيين آخر قد ارتضاه الشيخ بعد أن رفض أن يكون والياً، وله مع ذلك حق الاعتراض على ما لا يرضاه، وتلك منزلة لم تكن لحلبى من قبل، ثم أبصروا الوالى الجديد يتردّد على منزل الشيخ وكأنه ولى الأمر الفعلى فشكروا الله أن يكون هذا الزاهد العازف صاحب الإشارة والتوجيه.

***

المرأة بين غلواء المادية ورحمة الإسلام

للأستاذ / عادل خفاجة

يكاد يتميز فى العالم فريقان: الأول يمثله المسلمون فى شتى بقاع الأرض والآخر يمثله الماديون وأغلبهم فى الغرب.

أما المسلمون فيتمسكون بالقيم والتقاليد، وأما الغربيون فقد أسرفوا فى التمسك بالمادية، حتى صاروا لا يؤمنون بغير المادة.

وتراهم - وقد سادوا العالم بما وصلوا إليه من تقدم تكنولوجى - لا يؤمنون بما فى أيدى الفريق الآخر، بل ويعتقدون أن سبب تخلفهم يرجع إلى معتقداتهم وتمسكهم بالدين!!

ولكن المسلمين - برغم تخلفهم الحضارى - يعلمون أن القيم التى بين أيديهم هى أمل النجاة وهى الضوء الهادى لهم عند النهوض بعد طول سبات.

والمرأة واحدة من المعضلات التى تزيد الهوة بين الطرفين:

فريق يريد لها الكرامة، كل الكرامة.

وفريق يريد لها الحرية، كل الحرية.

فإلى أى الفريقين يجب أن تنحاز المرأة؟!.

من داخل أروقة الأمم المتحدة نسمع كلاماً يرويه محمد العشماوى باشا سنة ١٩٤٨ مفاده: «أن المرأة الشرقية ماتزال محجوراً عليها، وأن هناك فوارق وفواصل بينها وبين الرجال، وأن مرد ذلك إلى الدين الإسلامى، ووقوفه عقبة فى سبيل نهوض المرأة ومساواتها بالرجل»[١].

وإذا كان الأمر يقف عند حد اتهام الشرق

١ - راجع مجلة «الأزهر» المجلد التاسع عشر سنة ١٣١٧هـ مقال «فى محيط المرأة» لصاحب السعادة محمد العشماوى باشا.

بظلم المرأة، لهان الأمر ولكن ما يثير غضب المسلمين أن الغرب يوجهون اتهامهم للإسلام، وهو من باب التجنى الصارخ والمجافاة للحقيقة، فالإسلام أول من مكَّن للمرأة فى المجتمع الإنسانى، بداية من تحريم وأد البنات، وانتهاء بتقرير حقوق المرأة كإنسان فى شتى المجالات.

حق المرأة فى الحياة

نعم.. لقد أدان القرآن الكريم وأد البنات.. قال تعالى:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾

(النحل / ٥٨)

أما أحاديث رسول الله ﷺ فقد كانت من الكثرة بمكان حتى أقلع القوم عن عادتهم المرذولة طلباً لرضوان الله وجنته التى وعد بها عباده الطائعين الذين يحسنون تربية البنات. «فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: مَن كان له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن وضرائهن أدخله الله الجنة برحمته إياهن. قال: فقال رجل: وابنتان يا رسول الله. قال: وإن ابنتان. قال رجل: يا رسول الله وواحدة. قال: وواحدة»[٢].

وعن عائشة قالت: قال رسول الله - ﷺ -: «من ابتلى بشىء من البنات فصبر عليهن كُنَّ له حجاباً من النار»[٣].

وعنه - ﷺ - أنه قال: «إن الله عز وجل حرَّم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنعا وهات. وكره لكم ثلاثاً، قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال»[٤].

فهل علمَ بذلك المتفكهون الذين يعلنون عن وأد البنات فى أيامنا هذه لنفس السبب الواهى القديم وهو خشية الفقر؟. فلنقرأ من مقال للدكتور مراد هوفمان قوله: «إن عمليات القتل المنظمة للأجنة من الإناث قد شهدت توسعاً هائلاً، خاصة منذ أن استطاع الطب أن يحدد نوع الجنين بواسطة الموجات فوق الصوتية، فى دول مثل الصين، وتايوان، وكوريا الجنوبية، وباكستان، والهند. وتستطيع أن تقرأ فى العيادات الطبية التى تقوم بإجراء عمليات الإجهاض هذا الإعلان: «ادفع ٥٠٠ روبية ووفر ٥٠٠٠٠». المبلغ الأخير يدفعه الأب ليجهز ابنته للزواج، ولقد أدى هذا الأمر إلى نقص حوالى ١٠٠ مليون أنثى فى آسيا (هذا رقم تقديرى)»[٥].

٢ - المستدرك على الصحيحين.

٣ - سُنَنْ الترمذى ج٤/٣١٩ - قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

٤ - صحيح مسلم ٣/١٤٤١.

٥ - د. مراد هوفمان.. «متساوو الحقوق أم سواسية»

حق المرأة فى التقاضى

لم يقف الإسلام عند حق المرأة فى الحياة بل أقر لها كل الحقوق التى يجب أن تتمتع بها كإنسان نذكر منها: حق التقاضى.

يقول الأستاذ محمد العشماوى:

«أذكر أنى لقيت سيدة هى زوجة مشرع فرنسى كبير، فتحدثتْ إلىّ فيما تحدثت تزف إلىّ أن فرنسا فى طريقها إلى استصدار تشريع يبيح للمرأة المتزوجة التقاضى دون إذن الزوج. فقلت لها: أما زالت فرنسا متأخرة إلى هذا الحد؟. فقالت: نحن أول أمة غربية سنّت هذا القانون؛ فقلت لها: يؤسفنى بل يسرنى أن أخبرك بأن الإسلام فرغ من ذلك منذ أربعة عشر قرناً، فمنح المرأة هذا الحق، واعترف لها بالرشد التام»(6).

استقلال ذمة المرأة المالية

يقول الله تعالى:

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (النساء/ ٢٠)

والآية.. وإن كانت تدل على جواز إصداق المرأة بالمال الجزيل، ففيها أيضاً دلالة على «تكريم الإسلام للمرأة، فقد كانت مهضومة الحق، يعتدى عليها بأنواع من الاعتداء، فرفعها الله - تعالى - بما شرعه من تعاليم إسلامية من تلك الهوّة التى كانت فيها، وقرر لها حقوقها، ونَهى عن الاعتداء عليها. ومن مظاهر ذلك أنه حرّم أن تكون موروثة، كما يورث المال، وكذلك حرّم عضلها وأخذ شىء من صداقها إلا إذا أتت بفاحشة مبيّنة»(7).

هكذا فإن المرأة المسلمة تتمتع باستقلالها الاقتصادى وتم الاعتراف لها بحق التصرف منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، فى حين نجد المرأة الألمانية - على سبيل المثال - لم تتمتع بذلك إلا فى منتصف القرن العشرين عندما تدخلت المحكمة الدستورية الألمانية وحررتها من سيطرة الزوج على أموالها وممتلكاتها.

حق المرأة فى طلب العلم

إن الإسلام حث المرأة على طلب العلم تماماً، كما حث الرجل على طلبه، وقد روت السيدة عائشة ما رأته من أفعال النبى - ﷺ - وروت الكثير من الأحاديث، وأخذ عنها الرجال.

ولم يكن أمر رواية الأحاديث الشريفة وقفاً على السيدة عائشة - رضى الله عنها - بل لغيرها - من أمهات المؤمنين - الكثير من الأحاديث التى أخذها المؤمنون عنهن وعملوا بها.

٦ - مجلة «الأزهر» - المجلد التاسع عشر سنة ١٣٦٧هـ «فى محيط المرأة» - محمد سعيد العشماوى باشا ص ٤٢٩.

٧ - أ.د. محمد سيد طنطاوى.. «التفسير الوسيط» المجلد ٣ ص ٩٦ و ٩٧، نهضة مصر.

حق المرأة فى العمل

بداية نقول: هل المرأة التى لا تعمل خارج البيت عاطلة بلا عمل؟!.

والإجابة تأتى بلا أدنى تردد.. بل تعمل ما لا طاقة للرجال به!!..

فإن تربية الأطفال لا طاقة للرجال بها، برغم أن المرأة تقوم بها بسعادة!!..

ولكن.. إذا فقدت المرأة من يُنفق عليها فما عساها أن تفعل؟!

إذن.. فلابد أن تخرج المرأة غير متبرجة فى مثل هذه الظروف القاهرة للعمل خارج البيت لتكسب قوتها، أما من يتخذون مسألة «كسب القوت» ذريعة لاخراج المرأة، فيتصدى لهم الأستاذ محمد فريد وجدى قائلاً:

«ويقولون: «أتريدون أن تجردوا المرأة من كل عمل تكسب به قوتها؟» ونقول نحن: لا، فإننا نريد أن تكسب المرأة قوتها من طريق الزوجية، لأن الله خلق النساء على عدد الرجال مع تفاوت لا يعتد به هنا تارة وهناك تارة أخرى. ولكنكم أنتم بتسويلاتكم لها الخروج والتبرج والاختلاط بالرجال، قد عملتم من طريق غير مباشر على إشاعة العزوبة كما قدمنا. وشيوع العزوبة يفضى إلى وجود جيوش من النسوة لا يجدن القوت، فيضطررن للعمل مع الرجال. والعمل مع الرجال يزيدهم إغراقاً فى العزوبة للأسباب التى لا تخفى على أحد. فأنتم الذين قضيتم على المرأة بأن تذل فى العمل الخارجى.

نعم: هو إذلال لها أى إذلال، فإنها لم تخلق لتمتهن كبائعة أو كاتبة أو سائقة أوتومبيل أو سمسارة.. إلخ، ولكنها خلقت لتكون ربة بيت، وأن هذا البيت لو كان كوخاً فهو أكرم لها، وأحفظ لمميزاتها من أن تكون بائعة أو كاتبة أو سكرتيرة.

ولسنا ننكر أن المجتمع مهما بالغ فى المحافظة على النظام الطبيعى حيال النساء، فسيوجد منهن من يعوزها القوت، ولكن عدد المعوزات يكون قليلاً يمكن الحكومة الرشيدة من تدبير أعمال لهن، تليق بكرامتهن»(8).

ويؤيد هذا الرأى العشماوى باشا حيث يقول: «فليكن من همنا أولاً أن نهيىء المرأة لرسالتها الكبرى، ثم نأخذ ما زاد من وقتها وما فضل من جهدها للانتفاع به فى الميدان العام؛ على أن المرأة هى فى ميدانها الأول ملكة متوجة، وفى ذلك الميدان العام جندى فى غمار الجنود، فلتتفرغ لمملكتها قبل كل شىء، وليكن عملها فى الميدان الآخر نافلة تسخو بها نفسها حين تطمئن إلى أنها قامت بالفروض خير قيام. فأما أن تحل بنا الفوضى، فنرى المرأة تزهد فى رسالتها لتتمزق جهودها فى ميادين مختلفة، فإن ذلك يجعل شأننا كشأن جيش ذى وحدات ضربت فيه الفوضى أطنابها، وترك الجند فيه مراكزهم، فخلت وحدات من أبطالها، وغصت وحدات بغير

٨ - محمد فريد وجدى: «هل للمرأة أن تتعلم العلوم العالية».. مجلة «الأزهر» المجلد السادس سنة ١٣٥٤هـ ص ٤٩١.

رجالها. فكيف يتسنى لجيش مختل النظام كهذا الجيش أن يحارب أعداءنا الثلاثة من فقر وجهل ومرض؟!.[9]

إن الإسلام لا يكلف المرأة بالإنفاق على نفسها، فهى إن كانت بنتاً فنفقتها على أبيها، وإن كانت زوجة فنفقتها على زوجها.. ونفقتها على من يلى أمرها فى غير هاتين الحالتين.

وذلك لأجل تفرغها لتربية الأبناء والاضطلاع بهذه المهمة التى لا يصلح لها سواها. وهو أمر مستقر لدى أهل العلم المنصفين.

نذكر هنا بعض آرائهم فمن كتاب النظام السياسى على مقتضى الفلسفة الوضعية للفيلسوف الكبير «أوجست كونت» الفرنسى، واضع تلك الفلسفة ومؤسس علم العمران، نقدم هذه الكلمات:

«ينبغى أن تكون حياة المرأة بيتية وألا تكلف بأعمال الرجال؛ لأن ذلك يقطعها عن وظيفتها الطبيعية، ويفسد مواهبها الفطرية، وعليه فيجب على الرجال أن ينفقوا على النساء دون أن ينتظروا منهن عملاً مادياً ـ كما ينفقون على الكُتَّاب والشعراء والفلاسفة ـ فإذا كان هؤلاء يحتاجون لساعات كثيرة من الفراغ لإنتاج ثمرات قرائحهم، كذلك يحتاج النساء لمثل تلك الأوقات ليتفرغن فيها لأداء وظيفتهن الاجتماعية من حمل، ووضع وتربية»[10].

ولم يكن هذا رأى «كونت» فقط، بل نجد المفكر والفيلسوف الكبير «برنارد شو» يقول:

«أما العمل الذى تنهض به النساء.. العمل الذى لا يمكن الاستغناء عنه فهو: حمل الأجنَّة، وولادتهم، وإرضاعهم، وتدبير البيوت من أجلهم، ولكنهن لا يؤجرن ذلك بأموال نقدية، وهذا ما جعل الكثير من الحمقى ينسون أنه عمل على الإطلاق، فإذا تحدثوا عن العمل جاء ذكر الرجل على لسانهم، وأنه هو الكادح وراء الرزق، الساعى المجتهد وراء لقمة العيش، وما إلى ذلك من الأوصاف التى يخلعونها فى جهل وافتراء، إلا أن المرأة تعمل فى البيت، وكان عملها فى البيت منذ الأزل عملاً ضرورياً وحيوياً لبقاء المجتمع ووجوده»[11].

أما الانجليزى «صامويل سمايلس»، وهو من أركان النهضة الإنجليزية فيقول:

«إن النظام الذى يقضى بتشغيل المرأة فى المعامل، مهما نشأ عنه من الثروة فإن نتيجته هادمة لبناء الحياة المنزلية؛ لأنه يهاجم المنزل، ويقوض أركان الأسرة، ويمزق الروابط الاجتماعية، ويسلب الزوجة من زوجها، والأولاد من أقاربهم، وصار لا نتيجة له إلا تسفيل أخلاق المرأة؛ إذ وظيفة المرأة الحقيقية هى

9 – مجلة «الأزهر» ـ المجلد التاسع عشر سنة ١٣٦٧هـ «فى محيط المرأة» ـ محمد سعيد العشماوى باشا ص ٤٣١.

10 – نقلاً عن محمد فريد وجدى: «هل للمرأة أن تتعلم العلوم العالية».. مجلة «الأزهر» المجلد السادس سنة ١٣٥٤هـ ص ٤٨٦.

11 – «الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة» البهى الخولى ص ٢٣٠.

القيام بالواجبات المنزلية، مثل ترتيب مسكنها، وتربية أولادها، والاقتصاد فى وسائل معيشتها، مع القيام باحتياجاتهم البيتية»[12].

ويقول «جون سيمون»: «المرأة التى تشتغل خارج بيتها تؤدى عمل عامل بسيط، ولكنها لا تؤدى عمل امرأة!. فما فائدة مزاحمتها للرجل فى عمله، وتركها عملها ليس له من يقوم به؟.»[13].

هذه آراء بعض من مفكرى الغرب تشير إلى أهمية عمل المرأة ولكن داخل بيتها...

فلماذا خرجت المرأة للعمل فى الغرب؟!.

إذا نظرنا إلى الغرب فنجد أن الأب غير مكلف بالإنفاق على أبنائه «ذكوراً وإناثاً» إذا وصلوا مرحلة البلوغ؛ بل له أن يطالب بأجرة الحجرة التى تسكنها ابنته إذا كانت هذه الحجرة فى بيته!.

لذلك فقد خرجت المرأة الغربية للعمل لتعول نفسها وقد خدعت بكثير من الشعارات أهمها:

ـ البحث عن الحرية.

ـ الاستقلال الاقتصادى.

ـ المساواة بينها وبين الرجل.

فلم تجن سوى مشاكل جمة، أهمها: المضايقات، والتحرش الجنسى.. وهو ما تثبته الإحصائيات فى كثير من دول الغرب.

بل إن الأمر المثير للعجب أن هذه المضايقات والاعتداءات الجنسية، لم تسلم منها حتى موظفات هيئة الأمم المتحدة ـ التى تتبنى مؤتمرات المرأة ـ فقد قدم استفتاء إلى السكرتيرات فى الأمم المتحدة حول الابتزاز الجنسى لهن أثناء العمل، وقد تم استجواب (٨٧٥) منهن، وأفادت ٥٠٪ منهن بأنهن قد وقعن تحت تأثير هذه المضايقات والاعتداءات الجنسية شخصياً ـ وذلك قبل مصادرة الاستفتاء من قبل المسئولين فى الأمم المتحدة!!»[14].

لقد قلدت المرأة المسلمة المرأة الغربية، وخرجت للعمل دون ضرورة، فأصابت البطالةُ الكثير من الشباب المستحق للعمل لإعداد بيت الزوجية والإنفاق على المرأة.

وعملت المرأة لتثبت ذاتها تارة، وحقها فى المساواة تارة أخرى جرياً وراء شعارات جوفاء لا طائل من ورائها، فتركت تربية أبنائها لغيرها، فأنهكها العمل وأنفقت أجرها بين ما تحتاج إليه من أزياء، وما أجبرت عليه من أجر الخادمات!!.. ولسان حالها يقول: «ألا من تشريع رحيم يعيد المرأة للبيت؟!».

وإننا لنحيى المرأة فى ريفنا المصرى التى تعمل فى البيت فإذا احتاجها الحقل كانت أول المشاركين غرساً وحصاداً.

12 – فريد وجدى، نقلاً عن «عمل المرأة» سالم السالم ص ١٨ و١٩.

13 – «المرأة المسلمة» وهبى غاوجى ص ٢٣٠.

14 «عمل المرأة» محمد الباز ص ١٨٩.

المصحف الشريف بالمدينة المنورة

للأستاذ / عبد السلام إبراهيم ناصف

أولت العناية الإلهية بكتاب رب العالمين تقدما لا مثيل له فى كل بلاد العالم. فقد تفنن الكتاب والخاطون والرسامون كل فى تخصصه ـ فى إخراج نسخ مزينة ومزخرفة ومتقنة التجليد ودقيقة الطبع من المصحف الشريف.

أما المدينة المنورة. مدينة رسول الله صلوات ربى وسلامه عليه فقد تفوقت على كل بلاد الدنيا فى خدمة المصحف الشريف وأفردت له دارا خاصة به. وضع حجر أساس إنشائها مليك المملكة العربية السعودية فى ١٤٠٣/١/١٦هـ بهدف المحافظة على القرآن الكريم كتاب الله العظيم والعناية به كى يظل مقروءا ومعمولا به وبأحكامه فى القول والعمل ـ فكان قرار إنشاء الدار من أشرف الأعمال وأجلها خدمة لكتاب الله ونشره صحيحا ومدققا والعمل على توزيعه على المسلمين فى شتى أرجاء المعمورة [وأينما وجد من ينطق بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله].

ولقد عنى به المسلمون منذ عهد رسول الله ﷺ وعهد الخليفة الصديق حيث أمر بجمعه وحفظه عند الخليفة الفاروق حتى جاء ذوالنورين عثمان بن عفان الذى أمر بكتابته فى مصحف كامل بلا تنقيط ولا تشكيل حتى شكله أبوالأسود الدؤلى.

واستمرت عناية المسلمين بالمصحف الشريف تحقيقاً لوعد الله

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

(الحجر / ٩)

صدق الله العظيم وصدق وعده لكلامه وقرآنه المجيد. لذا كان قرار المملكة العربية السعودية بإنشاء دار للقرآن بالمدينة المنورة حفاظاً له وصوناً من أى أخطاء فكان إخراجه مبهراً ومدققاً بل ومفسراً مقروئاً ومسموعاً.

وتقع تلك الدار الأنيقة بالمدينة المنورة على طريق (تبوك) على مساحة مائتين وخمسين ألف متر مربع أُنشئت عليها الدار ومسجد يليق بها، ومكتبة تضم المصحف الشريف ودار كاملة تضم جميع العاملين به خدمة لمن يخدم المصحف.

ولقد استفادت هذه الدار من وسائل التكنولوجيا الحديثة ومقتنياتها على شبكة المعلومات «الإنترنت» بست لغات عدا العربية وهى الإنجليزية والفرنسية والأسبانية والأردية والأندونيسية والهوسا.

ويعمل بالدار نحو ألفى عامل فى جميع التخصصات التى يحتاج إليها إخراج المصحف الشريف.

أهداف المشروع

١- إصدار مصاحف سليمة، دقيقة بطباعة فاخرة.

٢- الاهتمام بالدراسات القرآنية.

٣- الوفاء باحتياجات العالم الإسلامى من إنتاجها المتميز من المصحف الشريف.

٤- توفير أحدث التجهيزات والمطابع التى تزيد من إنتاجه.

٥- تدريب «كوادر» فنية شابة فتية على طباعة المصحف الشريف.

٦- تسجيل المصحف وإخراجه برواياته المتواترة.

٧- ترجمة وطباعة معانى القرآن الكريم وتفسيره بأغلب لغات العالم الحية.

٨- تسجيل المصحف على شرائط تسجيل بتقنية عالية واستنساخ الملايين منها.

٩- الاهتمام بعلوم القرآن الكريم وإعدادها للنشر بعد فحصها وتدقيقها.

١٠- حصر المخطوطات النادرة من المصاحف ومصادر السنة وجميع الأحاديث النبوية الشريفة وتصنيفها وتبويبها فى حواسب آلية عالية الدقة وإعداد الدراسات والأبحاث التى تدرأ الشبهات والأباطيل التى تثار حول السنة الشريفة.

١١- تغطية العالم الإسلامى بالمصاحف الحديثة إذ تُنتج هذه الدار أكثر من مائتى مليون مصحف شريف.

عناية المسلمين بالقرآن الكريم

العناية بالقرآن الكريم سنة نبوية ـ فالرسول الأمين صلوات ربى وسلامه عليه قد اتخذ كتاباً للوحى وكان كلما نزلت آية منه يقول: (ضعُوا هذه الآية فى موضع كذا) سنن أبى داود ١ / ٥٩ وكان يقول لهم: (لا تكتبوا عنى شيئاً سوى القرآن ومن كتب عنى شيئاً سوى القرآن فليمحه) كتاب الزهد ٤ / ٢٢٩٨.

ولم ينتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن كتب القرآن الكريم كله فى رقع سليمه ومحفوظه ـ ولقد جمعه أمير المؤمنين خليفته ـ رضوان الله عليه ـ وأودعه عند خليفته عمر الفاروق ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ الذى أودعه لدى حفصة، ومنها أخذه الخليفة الثالث عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ وأمر بكتابته فى ست نسخ أرسل منها خمساً إلى

البلاد المفتوحة واحتفظ بالسادس لنفسه وكان النص القرآنى مجرداً من الشكل والتنقيط حتى أنجزه العلامة أبو النحو أبو الأسود الدؤلى .

ولقد حفظ الله المصحف الشريف على مر العصور وبرع فى كتابته العديد من الخطاطين والرسامين وفنانى الزخارف والنقوش . حتى ظهر مصحف المدينة المنورة الذى عنيت الدار بإخراجه فى صورة مشرفة تليق ، فهو فخر للعالم الإسلامى كله ، إذ مر المصحف الشريف بعدة مراحل فنية ومراجعة دقيقة لأكثر من مائتى لجنة مسموعاً أو مقروءاً كلمة بكلمة وسطراً بسطر وملزمة بملزمة بكل دقة وبعناية فائقة تليق بمكانته فى النفوس والقلوب وطاعة لأمر الله وتقرباً منه إليه حتى لا يتسرب إليه أى خطأ أو تحريف فى أى كلمة أو حرف ولا تنقطع أعمال المتابعة والإشراف والتدقيق أثناء عملية الطبع بصورة متأنية إلى جانب الجودة المتناهية الدقة فى ماكينات الطباعة الحديثة المطورة التى تعلو عن كل مستوى لدرجة أنها تتوقف عن العمل حال ظهوره أى خطأ لغوى أو نحوى أو حتى علامة توقف أو علامة وصل فى غير مكانها ، فإذا ما تم تصحيح الخطأ تعاود الطباعة دون توقف ـ فهى تتوقف تلقائياً لاستبعاد الناشز من كلمات القرآن الكريم ، فإذا ما تم استبعاده وتصحيح المسار عادت للطباعة وحدها .

وتسجل مثل هذه الأخطاء فى سجلات خاصة للرجوع إليها لتحليل أسباب وقوعها ، ثم ترتب هذه الملازم وتجمع حسب ترتيبها ، ثم تراجع فى أكثر من لجنة فنية متخصصة فى اللغويات والقراءات والخطوط والرسومات وانتهاء بلجنة المراقبة النهائية التى تضع عليها أختامها ورموزها دليلاً على سماحها بالتداول .

عشرة ملايين مصحف

ولقد صممت مطبعة المصحف الشريف على أعلى مستوى من الدقة والتقنية الحديثة حتى إنه يقال : إنها أحدث آلة للطباعة فى العالم كله بدءاً من مرحلة التصميم واختيار الرسومات والزخارف والخطوط والألوان والمواد الكيمائية ومروراً بعمليات التصوير والمونتاج والقص والتلوين والترتيب والتجليد ، ويمكنها طبع أكثر من ثلاثة آلاف ملزمة تحوى الواحدة منها اثنتين وثلاثين صفحة على الوجهين بسمك يتراوح بين ٧٠ – ٤٥٠ جراماً أى ما يعادل نحو ١٥٠ مصحفاً فى الساعة الواحدة ـ مع تنسيق توزيع الأحبار ثم تنتقل الملازم «أتوماتيكيا» إلى قسم التجليد عبر وسائل آلية حديثة حيث يتم تجليد المصحف فى أحدث الآلات التى استوردتها الدار خصيصاً ويبلغ تعدادها ستين «ماكينة» معدة لعملية الطى وعملية التجميع وعملية الخياطة والتسريح والتفصيل والتلبيس وانتهاء بالتذهيب .

وملحق بالدار مركز للدراسات القرآنية ومركز للترجمة ومركز لخدمة السنة والسيرة النبوية ومركز للحاسب الآلى يضم أقساماً للتأهيل والتدريب وقسماً للتسجيلات الصوتية .

الأزهر

ويبلغ إنتاج الدار نحو عشرة ملايين نسخة من المصحف الشريف إضافة إلى مليون نسخة من تفسير القرآن الكريم روعى فى إخراجها منتهى الدقة التى تتناسب وقدسية المصحف ـ ولقد تم تغطية أكثر من أربعين لغة غير العربية لتوزيعها على مسلمى العالم ـ ولقد أصدرت الدار المصحف الشريف برواياته كلها لترضى كل القراء وبكل الأحجام مكتوباً ومسموعاً عبر ملايين الأشرطة الحديثة المسجلة بتقنيات عالية الجودة والدقة .

ولم تكتف الدار بخدمة المصحف الشريف فقط بل تعدت إلى خدمة السنة النبوية الشريفة وتجميع الأحاديث الصحيحة واستبعاد الموضوع منها سواء العفوى أو المتعمد إلى جانب التراجم والسير الإسلامية المنقاة من التحريف أو التأويل الفاسد بأسلوب حديث متطور كما لم تهمل الدار المناسبات الإسلامية العديدة التى تمر بحياتنا الاجتماعية على مدار السنة فهى تشارك المجتمع الإسلامى كل أعياده ومواسمه الدينية فتقوم بتوزيع الكتب والكتيبات والمنشورات وأشرطة التسجيل فى كل مناسبة ، خاصة زوار المملكة فى مواسم الحج والعمرة إضافة إلى تزويد سفارات العالم بكل إنتاج الدار دون مقابل كما أنها تزود المدارس والمعاهد والتجمعات الشبابية .

وتقوم الدار بعمل ندوات دينية موسعة تستعين فيها بعلماء الدين الإسلامى لشرح أهداف الدين الحنيف وفتح باب المناقشة حول كل المواضيع التى يكثر حولها الجدل كما أنها تقوم بعمل دورات تدريبية للشباب تبث فيه روح الإسلام وتعاليمه دون تطرف أو مغالاة لإعدادهم دينياً واجتماعياً من خلال شرح آيات القرآن الكريم وتفسيره وكذلك نصوص السيرة النبوية والأحاديث الشريفة وحث هؤلاء الشباب على عمل البحوث والدراسات الإسلامية فى كل المناسبات .

الرد على مزاعم أعداء الإسلام

وأخيراً تعمل الدار على إنشاء قاعدة معلومات ترد على مزاعم أعداء الإسلام والمسلمين وحث الدعاة والخطباء والوعاظ والمرشدين على الإكثار من الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة فى مخاطبتهم وخطبهم . وإعداد دراسة تكشف عن مواضع الخطأ والتحريف فى بعض الترجمات المتداولة اليوم للرد عليها والتحذير منها .

وهى التى تقوم أخيراً بتنظيم مسابقات لحفظ القرآن الكريم وتجويده بين حفاظه فى جميع أنحاء المعمورة تتكفل فيه بنفقات التسفير والإعاشة والإقامة وإثابة المتفوقين بجوائز مادية تحفز الجميع إلى التسابق فى هذا الميدان المشرف .

كل هذا لخلق جيل يتمسك بالقرآن الكريم والسنة المحمدية فى مجتمعنا العربى والإسلامى بل يتعداه إلى العالم الغربى والأمريكى تأكيداً لمبدأ المحافظة عليه وتصديقاً لقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

(الحجر / ٩)

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبدالموجود أمين

مثلت الاعتداءات الإرهابية التى تعرضت لها مدينة شرم الشيخ المصرية واحدة من أبشع الأعمال الإجرامية التى شهدتها الأراضى المصرية.. العدوان الإرهابى استهدف منشآت ومشروعات أقامها مصريون، ويعمل بها مصريون خرجوا طلبا للرزق والكسب الشريف لتحصدهم يد الإجرام الأثيمة.. يد اتخذت من الأديان شعارا لتبرير القتل والسطو والهدم وترويع الآمنين، بينما هى فى الحقيقة يد الشيطان.. لهؤلاء المجرمين نقول :

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

ونعرض هذا الشهر جانبا لما تناولته بعض الصحف تجاه هذا العمل الإجرامى الأثيم.

التحريض على العلماء لن يخدم حربنا ضد الإرهاب

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ/مجدى سالم المنشورة فى جريدة عقيدتى والصادرة فى ٢٦ من يوليو سنة ٢٠٠٥م قال فيها :

عندما حدثت تفجيرات لندن كتبت أؤكد أننا نرتكب نفس الأخطاء فى كل مرة وأن ردود أفعالنا دائماً تتجه اتجاها خاطئاً ولذلك لا أمل فى مواجهة حاسمة وحقيقية وصحيحة للإرهاب ولعمليات القتل والتدمير الغبية.

فى انجلترا.. وأوروبا بصفة عامة زادت حدة العداء للإسلام والمسلمين وتعرضت عدة مساجد ومراكز

إسلامية ومسلمين فى هذه الدول لاعتداءات غبية غذتها حملة إعلامية أكثر غباءً وهو خطأ كبير لأنه اتجه لمن لا ذنب لهم وإذا كان هذا الأمر يمكن أن نجد له مبرراً فى الغرب بسبب سيطرة الدوائر الصهيونية على وسائل الإعلام هناك وبسبب سوء فهم المجتمعات الغربية لحقيقة الإسلام ولأسباب سياسية واجتماعية مختلفة فإننا لا نستطيع ان نبرز بعض ردود الفعل الغريبة والتحليلات الأكثر غرابة التى ظهرت فى الإعلام المصرى وخاصة التليفزيون عقب أحداث العمليات الإرهابية القذرة التى تعرضت لها مدينة شرم الشيخ جنوبى سيناء.

انتهزت بعض الأقلام والبرامج الحوارية الفرصة لكى تشن حرباً وحملة شعواء ضد العلماء وأئمة المساجد وخاصة الأزهريين منهم والدعاة بدعوى انهم يحرضون على الإرهاب فى خطب الجمعة ودروس المساجد وشبه البعض كلمات الدعاة بأنها قنابل موجهة إلى صدر المجتمع.

وقد شاهدت وسمعت محاولات فضيلة المفتى الدكتور على جمعة وهو يحاول إقناع المتحدثين فى أحد هذه البرامج بأن مايقوله العلماء على المنابر مجرد فكر يجب مواجهته بالفكر والحجة إذا كان فيه أى نوع من التجاوز وأن الأزهر وعلماءه ودعاته لا يتحدثون إلا من منطلق وسطية الإسلام وسماحته التى لا تقبل الاعتداء على الآمنين والتى تفرق جيداً بين الدفاع عن النفس والعدوان، وأن قتل النفس بغير حق قتل للناس جميعاً إلا ان كل هذا لم يجد آذانا صاغية لأن أصحاب هذه الأفكار وجدوا فيها فرصة للاصطياد فى الماء العكر والهجوم على علماء الإسلام ودعاته والتحريض ضدهم.

وقد نسى هؤلاء أو تناسوا فى خضم عدائهم للعلماء والدعاة أنهم بهذا الهجوم الذى يضعون فيه الجميع فى سلة واحدة دون تفريق بين المعتدلين الذين يفهمون الدين فهما صحيحا وبين المتطرفين الذين يجب مواجهتهم بالحجج والبراهين يحرمون المجتمع كله من أهم خطوط الدفاع ضد التطرف والإرهاب.

بل والأكثر خطورة من ذلك يتركون الساحة خالية للصراع بين المتطرفين فى الدين والمتطرفين ضد الدين.. ومع وجود الوازع الدينى الكامن داخل كل إنسان فلن يكون أمام من يستمع للمتطرفين من كلا الجانبين إلا أن ينحاز لأى فئة منهما فتكون النتيجة مد الفكر المتطرف والإرهاب بدماء جديدة من الشباب الذين لم يجدوا من يوجه إليهم الفكر الصحيح وإشعال نار صراع لا ينتهى أبداً.

عموما لا يختلف اثنان على أن ما حدث فى شرم الشيخ جريمة فظيعة ومرعبة تؤكد أن الهدف هو القضاء على مقاومة مصر وإرادتها وإسلامها المعتدل.. وهذا لن يحدث أبدا طالما ظل الأزهر شامخا قويا باعتداله ورجاله

المخلصين.. أما هؤلاء الذين اتخذوا مما حدث فى شرم الشيخ ذريعة للهجوم على العلماء والدعاة بلا تفريق فهم لا يختلفون من وجهة نظرى مع هؤلاء الذين حرقوا المساجد فى أوروبا كرد فعل على تفجيرات لندن وسوف يأتى الوقت الذى يدركون فيه أن مثل هذه الآراء لا تفيد فى مواجهة الإرهاب وإنما يمكن أن تساهم فى دعمه.

مجرمون وقتلة والإسلام منهم برىء

وكتب الأستاذ بسيونى الحلوانى فى نفس العدد كلمة تحت عنوان «مجرمون وقتلة والإسلام منهم برىء» قال فيها :

كل يوم يؤكد هؤلاء القتلة أنهم لا دين لهم ولا خلاق.. لا عقل عندهم ولا ضمير.. لا هدف لهم إلا الإفساد فى الأرض وترويع الآمنين وبث الرعب والخوف فى نفوس الكبار والصغار.. أما لماذا يفعلون ذلك؟! فلا يوجد أحد يدرى!

لقد زعم هؤلاء القتلة أنهم يقاومون الغزاة المحتلين الذين اعتدوا على بعض ديارنا العربية والإسلامية واستباحوا كل شىء.. فتعاطف معهم بعض المسلمين وانخدعوا بادعاءاتهم ومزاعمهم الكاذبة.

لكن سرعان ما انكشف هؤلاء القتلة أمام الجميع بعد أن أراقوا دماء أهلهم وألحقوا أبلغ الضرر بأوطانهم وتسببوا فى خراب بيوت كثير من الأسر التى تبحث عن لقمة العيش.

لقد فتشت فى وسائل الإعلام وتصفحت العديد من مواقع الإنترنت الإخبارية لأبحث عن المبررات التى دفعت هؤلاء المجرمين إلى ارتكاب جريمتهم التى راح ضحيتها العشرات من المصريين والعرب الأبرياء.. فلم أجد مبررات مقبولة أو غير مقبولة.

إن مصر ليست دولة محتلة تسيطر عليها قوات أجنبية تهدد كرامة أهلها وتستنزف ثرواتها لكى ينفذ هؤلاء القتلة عملياتهم الإرهابية لطرد المحتلين.

.. ومصر العربية المسلمة لا تحتل دولة وليس لها قوات فى أية دولة أخرى.. بل مصر تقف دائما إلى جانب إخوانها المسلمين ـ عرباً وغير عرب ـ تدافع عن حقوقهم وترفض وتدين كل عدوان على بلادهم.. وموقف مصر مما يحدث على أرض العراق وأفغانستان وفلسطين واضح للجميع ومشرف لكل المصريين.

إذا كان هدف هؤلاء القتلة ضرب استقرار مصر قبل الانتخابات الرئاسية والتأثير على نتائج هذه الانتخابات ـ كما أشار إلى ذلك بعض المحللين السياسيين ـ فهؤلاء القتلة أغبياء ولا يعرفون الشعب المصرى جيداً.

فالشعب المصرى الحر يرفض أن يملى عليه أحد إرادته أو يؤثر على قراره، أو يتدخل فى اختياره.. ومصر كلها بكل طوائفها السياسية تقف صفاً واحدا خلف قيادتها لحماية الوطن من هؤلاء المخربين المفسدين.

إن هذه الجرائم الإرهابية لا تفرقنا.. بل

تزيد من وحدتنا وتضاعف من قوتنا، وتجعلنا أكثر إصراراً على مواجهة المفسدين لحماية الوطن من الإرهابيين.

بقيت كلمة للشامتين الذين وظفوا فضائياتهم للصيد فى الماء العكر فتحدثوا عن أمن مصر بكلمات جارحة منافية للحقيقة.. نقول لهؤلاء: إن أمن مصر بخير وما حدث فى مصر حدث أبشع منه فى لندن وأمريكا وأسبانيا، بل وفى قلب إسرائيل.. تلك الدولة التى تنفق على أمنها أضعاف ما تنفق على طعامها وشرابها.

إن جريمة شرم الشيخ ستجعلنا أكثر إصراراً على مواجهة هؤلاء المفسدين وملاحقتهم فى كل مكان والاقتصاص منهم.

المؤتمر الدولى للإرهاب ضرورة

وتحت هذا العنوان جاء «رأى الأهرام» المنشور بعددها الصادر فى ٢٠٠٥/٧/٢٦ :

أخيراً أضحى العالم كله مدركا بأنه لابديل عن المواجهة الجماعية الدولية للإرهاب الذى استفحلت شروره وأصبح المصدر الأول لتهديد السلم والأمن الدوليين، والخطر الأكبر ضد البشرية جمعاء، وأن عقد مؤتمر دولى للإرهاب أضحى ضرورة عاجلة، وهى الدعوة التى أطلقها الرئيس مبارك فى الثمانينات من القرن الماضى.

لقد دخل الإرهاب فى طور جديد من العنف، فقد طور آلياته وأدواته موظفا عصر التكنولوجيا والمعلومات لإحداث أكبر قدر من التدمير والخراب، وأصبح الجميع هدفا له، دولا غنية وفقيرة، مذنبين وأبرياء، مدنيين وعسكريين، موظفا الدين بصورة خاطئة تارة، ومستغلا المعاناة التى تعيشها كثير من الشعوب الواقعة تحت الاحتلال، خاصة فى فلسطين والعراق تارة أخرى لتسويغ وتبرير عملياته الإجرامية. لقد أثبتت أحداث ١١ سبتمبر والعمليات الإرهابية فى أسبانيا ولندن وشرم الشيخ وكثير من مناطق العالم، أن الوقت قد حان لعقد مؤتمر دولى تحت إشراف الأمم المتحدة، لإبرام اتفاقية دولية شاملة تضع تعريفا محدداً للإرهاب وتفرق بينه وبين المقاومة المشروعة لتحرير الأرض، وتحدد بدقة الإجراءات الكفيلة بمواجهته ومعاقبة الدول التى ترعاه وتأوى عناصره. إن نجاح هذا المؤتمر يتطلب الإعداد الجيد له من ناحية والإسراع بعقده من ناحية أخرى، وتوافر الإرادة الدولية لتنفيذ ما يصدر عنه من قرارات واتفاقيات.

والأهم من ذلك أن مواجهة الإرهاب تكون وفق رؤية عالمية شاملة أمنية وقانونية واقتصادية وسياسية بتسوية الصراعات الدولية ومحاربة الفقر والتخلف والابتعاد عن سياسة المعايير المزدوجة.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقى الدين

زنا المحارم أم حق يراد به باطل

التطور التكنولوجى المذهل الذى جعل العالم على اتساعه قرية عالمية، جعل من وسائل الإعلام سلاحا ذا حدين، إما أن نحسن استخدامها، فتصبح أمرا حيويا يساعد فى ربط الإنسان بمجتمعه وترقيته وتخليصه من أزماته النفسية والمادية، وإما أن تتحول إلى قوة طاغية لا اعتبار لديها لعقيدة المجتمع وقيمه وأخلاقياته؛ حيث تصبح العملية الإعلامية مجرد معبر عن القوة المسيطرة فى المجتمع وأداة من أدواتها الرئيسية.

ومجتمعنا الإسلامى على اتساعه مستهدف من قوى متعددة لا تتسم أهدافها بالوضوح دائما، خاصة فى مجال الاتصال، حيث يمكن السيطرة على العقول وتوجيهها من أجل تهيئة المناخ الذى تبتغيه هذه القوى.

يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

[النساء/ ٢٣]

أسوق هذه الآية الكريمة بعد أن شاهدت حلقة من برنامج تبثه احدى القنوات الفضائية، وكان موضوع الحلقة «زنا المحارم»، وهى بلاشك إحدى الموبقات المنتشرة فى العديد من دول العالم؛ فنجد فيها الابن يعاشر أمه، والأب يعاشر ابنته، وفى الوقت نفسه لا يمكن لأحد الزعم بأن هذه المأساة «زنا المحارم» سلوك يغلب على ٧٥٪ من سكان الكرة الأرضية، وإنما هو سلوك مستهجن ينتشر فى المجتمعات التى تسمح بالإباحية وتجاهر بها وتدافع عن حقوق الشواذ - وهم بالملايين فى الولايات المتحدة وفى أوروبا - ولهم نقابات تدافع عنهم وعن حقهم فى ارتكاب ما يرونه من موبقات فى إطار ما يعرف بحقوق الإنسان!!

ولست أدرى ما الذى دفع القناة الفضائية - وهى ليست إحدى قنوات التليفزيون المصرى - وإنما هى للأسف قناة عربية يعمل فيها مصريون، هذه القناة استضافت فى برنامجها التليفزيونى المذكور سيدة ترتدى الحجاب -وبالتالى فهى مسلمة- زعمت أن ٧٥٪ من مجتمعنا يعانى من ظاهرة «زنا المحارم»!! هكذا قالت ٧٥٪ من مجتمعنا وتركت كلمة مجتمعنا هذه بدون تحديد، فلم تقل المجتمع المصرى، أو المجتمع العربى، أو المجتمع الإسلامى.

ولكننا إذا افترضنا أن السيدة المذكورة تقصد المجتمع المصرى، فهذا معناه أنها تؤكد أن ٥٢,٥ مليون مصرى ومصرية يمارسون زنا المحارم!!

وإذا افترضنا أنها تقصد المجتمع العربى أو المجتمع الإسلامى فإن الرقم يتضاعف ليصل إلى مئات الملايين.

نحن لا نملك أن ننفى أن مثل هذه الظاهرة قد تكون موجودة، ولكن هل يصدق أحد أن معدل انتشارها يبلغ ٧٥٪؟!!

كان من الممكن أن نسمع هذا الكلام أو نقرأه فى وسائل الاعلام الغربية، ولكن أن نسمعه فى وسائل الإعلام العربية، فهذه كارثة!!

السيدة المحجبة - وكانت تتحدث بلهجة مصرية - قالت: إن القضية خطيرة وأنه لا بد من التصدى لها، وحتى يتم التصدى لها لا بد من الاعتراف بوجودها والتحلى بالشجاعة اللازمة لمواجهة هذه المأساة!!

البرنامج -والذى لم أتابعه من بدايته- استضاف ضابط شرطة مصرى أكد أنه صادف طوال حياته المهنية حالة أو حالتين، وهذا الكلام مقبول.

أما غير المقبول فهو ما قالته تلك

السيدة المحجبة التى يبدو أنها تعيش فى بؤرة من بؤر الرذيلة المبتلاه بهذا الداء، فأرادت أن تعزى نفسها بالادعاء بأن كل المجتمع يمارس هذه الرذيلة!!

ومن غير المقبول أيضاً أن يذاع مثل هذا البرنامج فى وقت وجَّه العالم كله سهامه صوب العرب والمسلمين يتهمهم بالإرهاب، فهل عز على القائمين على هذه الفضائية ألا يُتَّهم العرب والمسلمون بالفجور والشذوذ وكل الموبقات؟!.

لا أعتقد أن السيدة المحجبة قالت ما قالت بهدف علاج الظاهرة المزعومة والذى اعتقده يقينا أن الهدف تحطيم كل اعتزاز بالدين وبالشرف والأخلاق التى عُرف بها العرب والمسلمون، وبها استحقوا وصف المولى عز وجل:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

[آل عمران/ ١١٠]

أجل هناك من يريد أن توصف الأمة الإسلامية كلها بالانحلال الأخلاقى، للإيحاء بأن هذا الانحلال سببه العقيدة الإسلامية، وإلا ما الهدف من ذكر أن نسبة انتشار زنا المحارم فى العالم العربى، أو العالم الإسلامى أو فى مصرنا الغالية ٧٥٪.

وهكذا يصبح الإسلام هو سبب الإرهاب!! وهكذا يصبح الإسلام هو سبب زنا المحارم!! إذن الإسلام دين خطر على البشرية وينبغى محاربته!!

هكذا يسير المخطط ونساهم نحن فى تنفيذه بأيدينا فنهدم أنفسنا بدعوى علاج مشكلات المجتمع فتكون كلمة الحق التى لا يراد بها سوى الباطل.

أحمد تقى الدين

وإلى رسائل القراء ←

منهج الإسلام فى المعرفة

من القارئ على عبدالوهاب -الرمل - الإسكندرية- كانت تلك الكلمة:

لقد ذهب دعاة العلمانية إلى القول بأن العلمانية هى: «الدعوة إلى الاعتماد على الواقع الذى تدركه الحواس، ونبذ كل ما لا تؤيده التجربة، والتحرر من العقائد الغيبية التى هى عندهم ضرب من الأوهام ومن العواطف بكل ضروبها وطنية كانت أو دينية. بزعم أنها تضلل صاحبها، وتحول بينه وبين الوصول إلى أحكام موضوعية محايدة».

ويبدو هذا المفهوم واضحاً فى ظل الظروف والبيئة والعصر الذى ظهر فيه، ولكنه لا يستطيع أن يقوم بنفسه منهجاً عالمياً، أو إنسانياً، أو مذهباً صالحاً للتطبيق فى مختلف البيئات والثقافات. وأكثر ما يكون هذا المفهوم اضطراباً وخطأ حينما يعرض على مفاهيم الفكر العربى الإسلامى. ذلك أن الإسلام فى بيئته الفكرية الواسعة، قد حدد منهجاً للمعرفة يختلف كل الاختلاف. ويبدو معه مفهوم العلمانية غريباً وقاصراً وبعيداً عن الحاجة والضرورة.

ومنهج المعرفة فى مفهوم الإسلام لا يقوم على الأوهام والعواطف والأهواء المضللة. ولا يعترف بالانحياز، أو الميل إلى جانب معين، ولكنه يستقيم على الحق فى ضوء البرهان والدليل، ويعتمد على الوحى والعقل، ويجرى فى إطار الفطرة.

﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾

[الروم/ ٣]

ومنهج الإسلام فى المعرفة منهج متكامل، ليس عقلياً خالصاً، وليس روحياً خالصاً، ولكنه منهج جامع فريد متكامل، يعطى للعقل طريقه ومنطلقه فى الآفاق التى يستطيع الجرى فيها والتحرك داخلها، وخاصة فى مجال العلم والتجربة والانطلاق فى آفاق الأرض بالبحث والكشف. ثم يغطى المناطق الأخرى التى لا تستطيع التجربة، أو العقل أو الحس اقتحامها والوصول إليها. وخاصة فيما يتعلق بالكون والحياة والوجود والنفس الإنسانية. فيطبق فيها منهج الوحى الذى قدمته الأديان إلى البشرية. واستكمل نموذجه الأوفى فى القرآن، عقيدة وشريعة وأخلاقاً.

من أعلام القراء:

الإمام يعقوب الحضرمى البصرى

ويوافينا الأديب: فرج مجاهد عبدالوهاب - عضو اتحاد كتاب مصر بكلمة عن الإمام يعقوب الحضرمى البصرى، قال فيها:

هو يعقوب بن إسحاق بن زيد أحد القراء العشرة الذين تواترت قراءتهم إلى الرسول الأعظم - ﷺ - وكان يعقوب أعلم الناس فى زمانه بالقراءات والعربية والرواية وكلام العرب والفقه. انتهت إليه رئاسة الإقراء بعد أبى عمرو وكان إمام جامع البصرة.

قال أبو حاتم السجستانى: هو أعلم من رأيت بالحروف واختلاف القراءات ومذاهبها وعللها وكان أقرأ أهل زمانه وكان لا يلحن فى كلامه.

أول راوية محمد بن المتوكل اللؤلؤ البصرى المعروف برويس وكان إماماً فى القراءة وضابطاً مشهوراً وتوفى سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

وثانيهما: أبوالحسن روح بن عبدالمؤمن البصرى. كان مقرئاً جليلاً ضابطاً مشهوراً من أصحاب يعقوب وأوثقهم روى عن البخارى فى صحيحه وتوفى سنة ٢٣٥هـ.

الصدق

تحت هذا العنوان جاءت الكلمة التى وافانا بها الصديق «أحمد عبدالمحسن على محمد» ناظر بمدرسة الأورمان الثانوية النموذجية بالدقى، قال:

الصدق هو قول الحق والإخبار بما يطابق الواقع دون تبديل أو زيادة أو نقصان، وليس مقصوراً على القول، بل بالفعل أيضاً كالإشارة وهز الرأس ونحوهما، وقد يكون صمتاً بلا قول أو فعل.

* وليس للصدق إلا طريقة واحدة وهى أن يقول الإنسان الحق ولا شىء غيره، فالصدق رأس الفضائل وأجمل ما يتحلى به الإنسان من صفات تزيده هيبة ووقاراً إذ به تنال الثقة وتكتسب الثروة ويطيب العيش.

* والصدق من الضروريات التى يتوقف عليها نظام العالم بأسره، ألا ترى أنه بالصدق تثبت الحقوق وتحفظ الأرواح ويتم النظام ويعيش الناس فى أمان وسلام.

* ألا ترى أن الرجل الصادق يكون دائماً

الأزهر

موضع الثقة ومحل الأمانة محترماً، لأن الصادق ليس بخائن، ولا مختلس ولا نمام ولا مخادع، ولا مزور ولا غشاش، فإذا عاملت رجلاً صادقاً فأنت فى مأمن على مالك وعرضك.

فالتاجر لا يعامله الناس إلا إذا اشتهر عنه الصدق فى المعاملة، والصانع ينصرف عنه عملاؤه إذا لم يصدق فى مواعيده، والطبيب لا يقصده أحد إلا إذا وثق به الناس وكان صادقاً.

* والصدق من أهم الأسس، بل هو الأساس المتين الذى تُشاد عليه المجتمعات، ولولاه ما بقى مجتمع، ذلك لأنه لابد للمجتمع من أن يتفاهم أفراده بعضهم مع بعض، ومن غير التفاهم لا يمكن أن يتعاونوا، وهذا هو الصدق بعينه، يتجلى ذلك فى المجتمعات الصغيرة كالأسرة والمدرسة، فكلاهما لا يبقى إلا بالصدق.

* والدليل على أن الصدق ضرورة هو أن أغلب المعلومات التى وصلت إلينا بالسماع أو القراءة مبناها الصدق وعليها يعتمد الإنسان فى معاملاته وتصرفاته.

- قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾

(التوبة/ ١١٩)

- وقال عز وجل:

﴿ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ ﴾

(الأحزاب/ ٢٤)

- وقال رسول الله - ﷺ -: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا».(١)

- وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -: «لأن يضعنى الصدق وقلّما يفعل، أحب إلىّ من أن يرفعنى الكذب، وقلّما يفعل».

- وقال علىٌ - كرم الله وجهه -: قد يبلغ الصادق بصدقه ما لا يبلغه الكاذب باحتياله.

- وقال أيضاً: «الباطل والحق يتداولان دول الزمان من غير مذلة للحق، ولا معزة للباطل».

- وقال الأحنف لابنه: «يا بنى، يكفيك من شرف الصدق أن الصادق يقبل قوله فى عدوه، ومن دناءة الكذب أن الكاذب لا يقبل قوله فى صديقه ولا عدوه، لكل شىء حلية، وحلية المنطق الصدق، ويدل على اعتدال وزن العقل».

- وقال أرسطو طاليس: «أحسن الكلام ما صدق فيه قائله، وانتفع به سامعه، وإن الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب».

- وقال أحد العلماء: «ليكن مرجعك إلى الحق، ومنزعك إلى الصدق، فالحق أقوى معين، والصدق أفضل قرين».

- وقال بعض الفضلاء: «الصدق منجيك وإن خفته، والكذب مرديك وإن أمنته».

- وقال بعض العلماء: «مَنْ صدق مقاله، زاد فى جماله».

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة ص ١٠٥.

كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الصديق محمد عباس محمد عرابى، قال:

إن معظم الأنشطة التى تجرى فى حياة الكبار والصغار، والتى تتطلب المشافهة، تتطلب مراعاة الكياسة والظرف واللطف، وهذه أمور تنطوى أساسا على احترام الآخرين وتقديرهم. وهذا الاحترام والتقدير، يمهد لإيجاد ألوان من الصداقة، وخلق جو لطيف.

والسلوك الاجتماعى المرغوب فيه، إنما ينتج بالتقليد فى معظم الحالات، ومن الضرورى للبيت والمدرسة أن يقدما مواقف تهىء للطفل مفاهيم جديدة من عمق التفكير، مثل التعارف وتبادل الترحيب، وكثير من الأطفال يحتاجون إلى المساعدة فى معرفة تبادل الترحيب أو تبادل التحية. كما يحتاجون إلى معرفة الأسلوب المناسب للتعبير، وتجنب الغلظة والفظاظة أو عدم الاكتراث. وهى أمور يمكن أن تكتسب سريعا فى دروس قليلة سهلة. وسيستمتع الأطفال عندما يرون أن خبرتهم الجديدة فى الترحيب قد بدءوا يمارسونها مع الكبار ومع المدرسين ومع زملائهم من الأطفال من حولهم.

والمواقف التى يتبادل فيها الناس التعارف، تعد أمراً ضرورياً، فالأطفال مثلاً فى حاجة إلى أن يعرفوا كيف يقدمون آباءهم إلى الآخرين، وكيف يقدمون الآخرين إليهم. وكيف يقدمون أصدقاءهم وكيف يجيبون عندما يقدم إليهم شخص آخر.

وربما كان هناك نقد يوجه إلى المدرسة فى تحملها مسئولية تعليم التلاميذ مثل هذه الآداب الاجتماعية. ولكن ملاحظة دقيقة لما يظهر على الكبار من خلال عملية التقديم لاثنين من الأصدقاء مثلاً، سوف يسكن مثل هذا النقد ويهدئه. إنه فى كثير من الأحايين يخطىء الفرد فى تقديم الآخرين. وقد تُقال الأسماء خاطئة، أو فى ترتيب خاطىء عند التقديم. والثقة والاطمئنان فى مثل هذه المهارات الاجتماعية تأتى من خلال التدريب فقط.

إن الهدف من تدريب الأطفال على مثل هذه الأنماط السلوكية الاجتماعية، ليس إلمام الأطفال بها وحسب، ولكن الهدف الأسمى أن يتعلم الأطفال لغة التحدث، ولغة التكلم فى إطار محبب مرغوب من التلاميذ.

إن المعلم يستطيع أن يدرب أبناءه من التلاميذ على أساليب للترحيب واللقاء والوداع مثلاً من خلال لعبة تمثيلية يسميها «تمثيلية الترحيب». أو من خلال لعبة يسميها الاسم نفسه. أو يحاول أن يجعل من الفصل ميدانا لهذا التدريب.

وبعد فالأطفال أمانة فى أعناقنا وصدق رسول الله ﷺ عندما قال: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته».



أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى

مقتل وفقد نصف مليون مسلم فى حرب الشيشان

قدر مسئول شيشانى عدد القتلى فى الشيشان منذ عام ١٩٩٤ بـ (٣٠٠ ألف) قتيل بالإضافة إلى حوالى (٢٠٠ ألف) آخرين فى عداد المفقودين.

أعلن ذلك نائب رئيس الوزراء الشيشانى «ووكفاه عبدالرحمانوف» أثناء زيارة قام بها لجمهورية داغستان المجاورة للشيشان لإقناع نحو ١١٠٠ مسلم من اللاجئين الشيشان بالعودة إلى ديارهم بعدما فروا من حملة مداهمات نفذها الجيش الروسى.

من جانب آخر أكدت مصادر روسية تلك الإحصائيات مؤكدة أن ٤٠٪ من ضحايا حرب الشيشان من الأطفال.

علمانيون يجتمعون فى باريس للتصدى لخطر الديانات

التقى فى العاصمة الفرنسية باريس لفيف من العلمانيين والملحدين من الشرق والغرب لصياغة برنامج ضد ما يزعمونه خطرا متناميا تشكله الديانات السماوية على دول العالم.

ونظم هذا المؤتمر المشبوه الاتحاد الدولى اللادينى واللاأخلاقى بالاشتراك مع هيئة فرنسية

أخرى هى «التفكير الليبرالى» والتى تضم مفكرين ليبراليين وتضم فى عضويتها (٩٥) منظمة من (٣٥) دولة.

قرار كندى بفرض المراقبة على المساجد

فى خطوة مفاجئة أصدر وزير الداخلية الكندى قراراً بفرض مراقبة دائمة على المساجد والمراكز الإسلامية بكندا والتدقيق الكامل على استقدام ودعوة الأئمة والعلماء من البلاد العربية والإسلامية حسب أحدث استطلاعات الرأى التى أكدت أن ٧٥٪ من سكان كندا يخافون من الإسلام والمسلمين ويرونه دينا يحض على العنف!!

ماليزيا تدعو الغرب لعلاج عقدة الخوف من الإسلام

دعا عبدالله بدوى ـ رئيس وزراء ماليزيا ـ الغرب إلى التحرر من الخوف المرضى من الإسلام وحث «بدوى» العالم الإسلامى على القيام بالإصلاحات المطلوبة لتحديث مجتمعاته ومحاربة أسباب الانحراف ومن بينها الفقر كمدخل لكسب الحرب على الإرهاب.

يذكر أن ماليزيا تترأس الدورة الحالية لمنظمة المؤتمر الإسلامى.

سيناتور أمريكى متطرف يطالب بنسف مكة المكرمة

استنكر مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كير)، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو» التصريحات المتطرفة التى أدلى بها عضو الكونجرس الأمريكى «توم تانكريدو» التى لوح فيها بقدرة الولايات المتحدة الأمريكية على تدمير مكة المكرمة فى حالة تعرضها لهجوم إرهابى يقوم به متطرفون إرهابيون ينتمون إلى الإسلام ـ على حد قوله.

وقالت الإيسيسكو فى بيان لها: إن تصريحات عضو الكونجرس الأمريكى هى عين التطرف وتعبر عن أفكار متطرفة تخدم الإرهاب وأكدت الإيسيسكو أن مثل هذه التصريحات من شخص يفترض أنه يمثل الشعب الأمريكى تسىء أبلغ الإساءة إلى علاقات بلاده مع دول العالم الإسلامى وتفسد الجهود المبذولة من أجل مواجهة الإرهاب ودعم الحوار البناء بين الثقافات والحضارات.

كما طالبت المنظمة النائب المسىء بالاعتذار فورا للمسلمين عن هذه التصريحات المشينة.

متطرفون يعتدون على ستة مراكز إسلامية بنيوزيلاندا

كشفت السلطات النيوزيلاندية أن ستة مراكز إسلامية تعرضت للتخريب على أيدى بعض المتطرفين، وأوضحت الشرطة أنه تم تحطيم المبانى المستهدفة فى «أوكلاند» وكتب على جدرانها الخارجية بالطلاء الأسود: «ليرقد اللندنيون بسلام».

وندد قادة المسلمين فى نيوزيلاندا بشدة بهذه الأعمال التخريبية.

وقال رئيس اتحاد الجمعيات الاسلامية فى نيوزيلندا: إنها أول مرة ينفذ فيها عمل بهذا الحجم ضد المسلمين المقيمين فى هذا البلد وعددهم (٤٠ ألفاً) بينهم (٢٥ ألفاً) يعيشون فى أوكلاند.

وسارعت رئيسة وزراء نيوزيلندا «هيلين كلارك» إلى إدانة هذه الهجمات داعية إلى التحلى بالهدوء والتسامح.

توقف بناء مسجد هونج كونج

اضطر المسئولون عن بناء مسجد جزيرة هونج كونج الصينية إلى وقف استكمال عملية البناء التى بدأت مطلع هذا العام بسبب التراجع الشديد فى التبرعات المالية اللازمة لاستكمال عملية البناء خاصة بعد حادث التفجيرات بالعاصمة البريطانية لندن.

وذكر المسئولون عن المسجد أن المتبرعين توقفوا عن تمويل مشروع المسجد الذى كان سيخدم نحو (٧ آلاف) مسلم خشية تعرضهم لمضايقات من قبل أجهزة الأمن التى تخلط بين بناء المسجد والإرهاب.

أسقف كانتربرى: لا يصح أن يكون المسلمون كبش فداء

حذر «روان ويليامز» كبير أساقفة كنيسة كانتربرى فى بريطانيا من أن يصبح المسلمون «كبش فداء» لتفجيرات لندن وذلك بعد تعرض بعض المساجد والمسلمين فى بريطانيا لاعتداءات.

ونقلت وكالة الأنباء الفرنسية عن «ويليامز» قوله إنه زار عدداً من المعاهد الإسلامية لإعادة تأكيد العلاقات الودية بين المسلمين والمسيحيين فى بريطانيا.

وأضاف: نحتاج جميعاً إلى انتشار مشاعر الصداقة الطبيعية والتعاون المشترك فى الأيام المقبلة التى يتصاعد فيها التحريض ضد جيراننا المسلمين واعتبارهم «كبش فداء» فهذا لا يصح.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يستقبل المستشار الدينى لرئيس وزراء ماليزيا

• استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر معالى السيد عبدالحميد عثمان المستشار الدينى لرئيس وزراء ماليزيا وسعادة السفير زين العابدين عبدالقادر سفير ماليزيا بالقاهرة والأستاذ الدكتور فخر الدين عبدالمعطى المستشار التعليمى لدولة ماليزيا حيث رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف وأكد على أن الأزهر الشريف يرحب بأبناء ماليزيا من الطلبة والطالبات الذين يدرسون بالأزهر الشريف على منح دراسية.

ومن جانبه أكد السيد المستشار على أهمية دور الأزهر الشريف ومكانته العالمية فى ترسيخ وتوضيح مفاهيم الدين الإسلامى بوسطيته واعتداله، وأن للأزهر الشريف كلمة مسموعة فى شتى بقاع الأرض وأن علماء ومشايخ الأزهر الشريف دائما يواجهون الأحداث الجارية بكل حكمة واقتدار، وقال: إنه جاء لتقديم الشكر للأزهر الشريف وعلمائه لمواقفه المعتدلة التى تلقى ترحيبا وصدى واسعا لدى عموم المسلمين. وقال سيادته: إننا فى حاجة لوجود المهندس والطبيب الأزهرى من أبناء ماليزيا من خريجى الأزهر الشريف ولذا فنحن نطلب زيادة عدد المنح الدراسية بكلية الطب للطلبة والطالبات من خريجى المعاهد التى تدرس مناهج الأزهر الشريف بدولة ماليزيا. وقد وعد فضيلته بالاستجابة لطلب السيد المستشار.

ويستقبل نقيب أشراف العراق

• استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سماحة الشيخ عباس فاضل الحسن نقيب الأشراف بالعراق، والدكتور مصطفى علوان مدير المكتب الإعلامى لسماحته، والأستاذ شريف بلال مدير الشئون المالية بالنقابة، حيث رحب فضيلته بالسادة الضيوف بالأزهر الشريف داعيا

المولى- عز وجل- أن يفرج كرب المسلمين بالعراق، وأن تتوحد كلمتهم وأن يعيد على العراق نعمة السلام والأمان والرخاء وأن يجعل أبناء العراق كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

ومن جانبه أكد سماحة الشيخ نقيب الأشراف على أهمية دور الأزهر الشريف ومكانته العلمية والعالمية فى ترسيخ وتوضيح المفاهيم الإسلامية الصحيحة وأن للأزهر كلمة مسموعة فى شتى بقاع الأرض، وأن علماء الأزهر الشريف لديهم القدرة الفائقة على مواجهة الأحداث بحكمة واقتدار، وقال: إنه جاء لتقديم الشكر للأزهر الشريف ولعلمائه للمواقف المعتدلة التى تلقى ترحيبا وصدى واسعا لدى عموم المسلمين. وقال: إننا فى حاجة ماسة لبعض المدرسين من الأزهر الشريف للانتفاع بهم فى مدارس العراق.

وقد وعد فضيلته بتلبية طلباته على أن تأتى عن طريق وزارة الخارجية.

السفير الإيرانى يؤكد على أهمية دور الأزهر فى التصدى للفتن المذهبية

• استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد محمد رضا رءوف سفير إيران بالقاهرة وذلك بمناسبة توليه منصبه الجديد كسفير لبلاده يرافقه الأستاذ حجة الله بوراكى المستشار الثقافى بالسفارة وقد رحب فضيلته بسعادة السفير فى مصر وفى الأزهر الشريف متمنيا له إقامة طيبة والتوفيق فى عمله داعيا المولى عز وجل أن يحفظ مصر وإيران والدول الإسلامية والعربية من كل مكروه وأن يتم عليهم جميعا نعمة الأمان والسلام والاستقرار مؤكدا على أن كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ فهو مسلم، وأن الخلاف فى الفروع لا يؤثر طالما نحن جميعا متفقون فى الأصول، والاختلاف لا يمنع من الود والمحبة والتواصل وتبادل المنافع التى أحلها الله- عز وجل- والخلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية، وأكد على أننا جميعا نخلص العبادة لله- عز وجل- ولابد من المصارحة والمكاشفة لتدوم المحبة، وعلينا أن نتبادل النصائح بقلب طهور.

ومن جانبه شكر سعادة السفير فضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء والحفاوة وإتاحة هذه الفرصة وقال: إنه جاء يحمل تحيات فخامة رئيس الجمهورية والسادة أصحاب السماحة العلماء لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وللسادة أصحاب الفضيلة علماء الأزهر مؤكدا على أهمية الدور البارز الذى يقدمه الأزهر للمسلمين فى شتى بقاع الأرض، ولمواقف الأزهر تجاه التطورات التى يشهدها العالم، مستنكرا اغتيال السفير المصرى فى العراق، مبينا أن هذا ليس من الإسلام، كما أكد على الدور البارز الذى يقوم به علماء الأزهر فى التصدى للفتن الطائفية

والمذهبية كما أنه يقدر دور الأزهر التاريخى فى حل مشاكل العالم الإسلامى، ودوره فى مجال الدعوة الإسلامية الذى يشهد له بذلك كل العالم وخاصة العالم الإسلامى، ووجه الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية فى الوقت الذى يناسب فضيلته وستوجه الدعوة رسميا من رئيس دولة ايران.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود امبابى وكيل الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يؤكد:
الإسلام ضد الإرهاب، وضد قتل الآمنين مسلمين وغير مسلمين

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفدا من مديرى المدارس العربية وأئمة المساجد والإخصائيين الاجتماعيين وطلاب الجامعات والمدارس من الولايات المتحدة الأمريكية برئاسة الدكتور جونسون أستاذ الفقه الإسلامى المقارن والعلوم الاجتماعية ورئيس جمعية الإيمان بالولايات المتحدة الأمريكية، والذين قدموا إلى مصر لتعلم اللغة العربية تحت إشراف جامعة الأزهر الشريف فى إطار الدورة المعدة بمركز الشيخ صالح كامل بجامعة الأزهر الشريف وقد رحب فضيلته بأعضاء الوفد فى مصر وفى الأزهر الشريف حيث قدم شرحا مبسطا لنظام التعليم فى الأزهر الشريف فى المراحل التعليمية المختلفة وحتى الجامعة مؤكدا على أن الدراسة فى الأزهر تمتاز بالتوسط والاعتدال والبعد عن العصبية المقيتة والتعقيد الأعمى، وتتميز بحفظ القرآن الكريم كاملا والتوسع فى دراسة العلوم الشرعية والعلوم العربية إلى جانب العلوم الثقافية الأخرى- والأزهر الشريف يدرس جميع المذاهب الإسلامية ويحترم جميع المذاهب ونقول دائما: إن كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيم الأركان فهو مسلم ونحن نغرس فى نفوس الطلاب والطالبات فى الأزهر الشريف بأن الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة، وعلينا أن نخلص العبادة لله- عز وجل- ونتحلى بمكارم الأخلاق والعفاف والطهارة وأن نبتعد عن الغرور والتكبر وأن نعطى كل إنسان حقه ونؤكد على أن لكل إنسان عقيدته ولا إكراه على العقائد لأن الإكراه على العقائد لايأتى بمؤمنين صادقين وإنما يأتى بمنافقين كذابين. ويأمرنا الدين الإسلامى بأن نمد يدنا بالسلام لكل من يمد يده إلينا بالسلام والإسلام ضد الإرهاب وضد العدوان وضد التخريب وضد قتل الآمنين سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين والإسلام دين يحارب العدوان وينهى عن الاعتداء على النساء والأطفال والآمنين وان مايحدث من تفجيرات فى لندن وفى العراق ومن قتل للأبرياء وقتل السفير المصرى بالعراق كل هذا يحرمه الإسلام ويجرمه والذين يفعلون ذلك مجرمون وجبناء ومن يفعل ذلك باسم الإسلام، الإسلام منه برىء.

وأجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات الوفد ونصحهم بأن يكونوا قدوة لغيرهم فى سلوكهم وأمانتهم وألا يبيحوا أخذ حق الغير من مسلم أو غير مسلم وألا يعتدوا على حقوق الغير، ونحن كعلماء فى مصر نبين للناس ما هو حلال وما هو حرام ونوضح بأن الإسلام دين السلام ولايبيح الاعتداء على الغير، وفى الوقت نفسه أمرنا الله -عز وجل- أن نرد العدوان على من يعتدى علينا ولا نكون بادئين بالعدوان.

وفى نهاية اللقاء شكر الوفد فضيلته على إتاحة فرصة للقاء وماسمعوه من معلومات قيمة ونصائح غالية وضحها فضيلته.

الإمام الأكبر:
العقوبات فى الإسلام شرعت لنشر الاستقرار والأمن

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفدا من قضاة مملكة البحرين وعددهم ٢٠ قاضيا يشاركون فى الدورة التدريبية فى قانون الإجراءات الشرعية المنعقدة بالمركز القومى للدراسات القضائية برئاسة الشيخ حميد المبارك رئيس محكمة الاستئناف العليا الشرعية بمملكة البحرين. يرافق الوفد السيد المستشار أيمن شاش عضو المكتب الفنى للمركز القومى للدراسات القضائية بوزارة العدل المصرية، حيث رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف موضحا بأن القضاء على رأس الوظائف التى متى وجدت فى أمة من الأمم وقام على تنفيذها قضاة عادلون فالأمة تسعد بقضائها العادل، وقد أمرنا القرآن الكريم بالعدل فى القول والفعل والحكم وفى الشهادة وفى الإصلاح بين الناس والقضاء هو ميزان العدل فى الأمة الذى إذا ساد عم الأمن والأمان والرخاء. والعقوبات فى شريعة الإسلام لم تشرع لظلم الناس أو إذلالهم، وإنما شرعت ليعم الاستقرار والأمن والاطمئنان فى المجتمع لأن إعطاء كل ذى حق حقه ونصرة المظلوم كل هذا ينشر السلام والأمان فى المجتمع وحقوق الإنسان مصونة والإسلام يرفض الاعتداء على أى حق وإذا ما اعتدى إنسان على غيره، هنا تطبق شريعة الإسلام التى يكفيها شرف أنها اعتبرت أن قتل نفس واحدة والاعتداء عليها بغير ذنب يستوجب قتلها، فكأنما قتل الناس جميعا، ومن أحياها وتسبب فى إحيائها فكأنما أحيا الناس جميعا.

كما أجاب عن أسئلة واستفسارات الوفد، وقد شكر الوفد فضيلته على هذا اللقاء المثمر المفيد وعلى المعلومات القيمة التى استفادوا منها وعلى جسور المودة الممتدة وعلى الاستفادة من

الأزهر الشريف وعلومه وبحوثه وتوجهات علمائه المعتدلة المستمدة من شريعة الإسلام السمحة المعتدلة ونقلوا تحيات جلالة الملك حمد بن عيسى وحكومة وشعب البحرين لشيخ الأزهر الشريف ولعلماء الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يستقبل وزير العدل الأندونيسى

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد حقوق الإنسان فى أندونيسيا برئاسة معالى الدكتور حامد أول الدين وزير العدل الاندونيسى والدكتور حافظ عباس نائب الوزير لحقوق الإنسان والدكتورة آن المدير الإقليمى للعلاقات الاقليمية، والدكتورة فريدة من مكتب نائب رئيس جمهورية أندونيسيا، وقد رحب فضيلته بالوفد الكريم مشيدا بالعلاقات الوثيقة بين الأزهر الشريف ودولة أندونيسيا ذات الصلات التاريخية القديمة التى تزداد يوما بعد يوم، مبينا أن طلاب وطالبات أندونيسيا الذين يدرسون بالأزهر الشريف يزيد عددهم على ثلاثة آلاف طالب وطالبة يدرسون على منح من الأزهر بجميع مراحل الدراسة وبجامعة الأزهر الشريف، كما يوجد ٥٠ عالما أوفدهم الأزهر على نفقته للتعاون فى تعليم أبناء اندونيسيا مع زملائهم المدرسين الأندونيسيين لتدريس العلوم الشرعية والعربية بمعاهد أندونيسيا، وقال فضيلته بأن الطلاب الذين يدرسون بمعاهد أندونيسيا يمكنهم استكمال دراستهم الجامعية بجامعة الأزهر الشريف، وأكد فضيلته على أن مناهج الأزهر الشريف تمتاز بالوسطية والاعتدال، وشريعة الإسلام تمتاز بالوضوح.

ومن جانبه شكر معالى الوزير فضيلته على حسن اللقاء والحفاوة وإتاحة هذه الفرصة، وقال: إنه جاء لتعميق العلاقات وتوطيدها بين مصر وأزهرها الشريف ودولة أندونيسيا وطلب توفير المراجع الخاصة بحقوق الإنسان وذلك لحاجة شباب أندونيسيا الماسة لهذه المراجع بهدف التعريف بحقوق الإنسان المستمدة من الشريعة الإسلامية وأعرب عن رغبته فى زيارة فضيلة شيخ الأزهر الشريف لأندونيسيا، وأكد على أن المعاهد الأزهرية فى دولة أندونيسيا تحتل مكانة عالية، وتلقى تأييدا من جانب حكومة وشعب أندونيسيا.

وأكد فضيلة الإمام الأكبر على حق الإنسان فى المعرفة وفى طلب العلم وفى الحصول على عمل شريف وحقه فى الكرامة الإنسانية وحقه فى أن يعيش حرا دون أن يستغله أحد أو يستذله أحد.

حضر اللقاء فضيلة الدكتور محمود امبابى وكيل الأزهر الشريف.

ويستقبل وفد مراقبة حقوق الإنسان

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفدا من مراقبة حقوق الإنسان «وهى منظمة حقوق الإنسان مستقلة» برئاسة السيدة سارة لياويتسون المديرة التنفيذية لقسم الشرق الأوسط وشمال افريقيا والسيد جوستورك نائب المديرة والسيد فادى القاضى المتحدث باسم المنظمة فى الشرق الأوسط، وقد رحب فضيلته بالوفد مثنيا على جهده فى خدمة الإنسانية، وقالت السيدة رئيسة الوفد إننا جئنا للاستماع لنصائح ومشورة فضيلة شيخ الأزهر للارتقاء بمستوى عمل المراقبة كمدافعين عن حقوق الإنسان.

وأوضح فضيلة الإمام الأكبر أن الأديان السماوية كلها تحترم النفس الإنسانية واعتبر أن من قتل نفسا واحدة ظلما وعدوانا كأنه قتل الناس جميعا وأوضح فضيلته بأن من حق كل إنسان أن يدافع عن نفسه وعن ماله وعن عرضه وعن كل ما يجب الدفاع عنه ولايجوز شرعا قتل المدنيين من الأطفال والنساء والشيوخ الذين لاصلة لهم بالحروب وكل عدوان على الآمنين فهو حرام حرام، وعلينا أن نوضح وأن نبين الجوانب الشرعية وأؤكد بأن الدين الإسلامى دين سلام يحرم ويجرم أى عدوان على الآمنين كما يجرم الإرهاب والتطرف لأن الأديان السماوية أنزلها الله- عز وجل- لحماية النفس البشرية من العدوان عليها، وقد شكر الوفد فضيلته على حسن اللقاء وإتاحة هذه الفرصة التى استفادوا فيها من نصائح فضيلته التى سمعوها وأنهم سينقلون ماسمعوه للرأى العام وأنهم سيجعلون لهذه الآراء فاعلية للرد على من يغالط هذه الآراء، وأن ماسمعوه يطابق ما ينادى به قانون حقوق الإنسان وأنهم ضد قتل الأبرياء والآمنين الذين لاذنب لهم فى الحروب، مع الأخذ بالاعتبار بشرعية القتال للدفاع عن النفس وحق تقرير المصير لأن الدفاع عن النفس حق مشروع للإنسان.

الإمام الأكبر يكرم حفظة القرآن الكريم

● شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف تكريم الطلبة المتفوقين فى المسابقة الكبرى لحفظ القرآن الكريم لعام ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م والتى أقامها الأزهر الشريف بمركز مؤتمرات الأزهر بمدينة نصر وقد تقدم للمسابقة على مستوى الجمهورية ٢١٧٦٠ طالبا وطالبة تم تصعيد ١٨٠٣٠ طالبا وطالبة بعد التصفية وبلغ عدد الحاصلين على جوائز مالية ١٣٢٧٣ طالبا وطالبة وكان عدد المحفظين المستحقين للجوائز ١١٠١ محفظ وبلغت جملة مبالغ الجوائز للطلبة والمحفظين ١٥,٣٢٦,٩٥٠ مليونا من الجنيهات، وقد ألقى فضيلته كلمة هنأ فيها الفائزين من الطلاب والطالبات وحثهم على بذل المزيد من الجهد ليحصدوا ثمار تفوقهم مؤكدا على أن حفظة القرآن

الكريم هم الذين يفهمون معنى الجهاد ويفرقون بينه وبين الإرهاب، والفرق بينهما كالفرق ما بين السماء والأرض وهما نقيضان لايجتمعان لأن الإرهاب هو العدوان على الآمنين ظلما وعدوانا وهو خسة ونذالة سواء كان من مسلم أو من غير المسلم، وشريعة الإسلام وضعت دستورا ثابتا فى العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين فى آيات من القرآن الكريم وشريعة الإسلام واضحة تدعو للحفاظ على الإنسانية وتنهى عن الظلم والعدوان وأن ما حدث فى شرم الشيخ من قتل للأبرياء وهدم للمبانى والمنشآت الذين قاموا بهذا هم سفلة وجبناء لقتلهم الأبرياء الذين ذهبوا للبحث عن لقمة العيش ومعظمهم من المصريين الآمنين، ومن يتستر على هؤلاء الجناة هم شركاء لهم فى الجبن والإجرام، وكما قلنا من قبل إن قتل العراقى للعراقى حرام، وقتل السفير المصرى فى العراق هو الإرهاب بعينه، والإسلام بعيد كل البعد عن هذه الأفعال الإجرامية ومرتكبو هذه الحوادث لايفهمون الإسلام وليسوا بمسلمين.

حضر الحفل الدكتور يوسف والى نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة السابق وتبرع بمبلغ ثلاثين ألف جنيه للمتسابقين كل عام، كما حضر الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف، والسيد أحمد العماوى وزير القوى العاملة والتدريب والدكتور محمود امبابى وكيل الأزهر الشريف وقيادات الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف وسفراء الدول الإسلامية والعربية.

الإمام الأكبر يشهد تخريج الفوج الأول لمركز إعداد القادة

● شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف تخريج الفوج الأول لمركز إعداد القادة بحلوان والذى تشرف عليه وزارة التعليم العالى وتشترك فيه جميع جامعات جمهورية مصر العربية وجامعة الأزهر الشريف بهدف تنشيط الطلاب والطالبات فى جميع التخصصات السياسية والاقتصادية والرياضية والاجتماعية وفى كافة الأنشطة المختلفة، وقد تميز فوج طلبة جامعة الأزهر الشريف بالانضباط والالتزام حيث فاز الأزهر بجائزة كأس الانضباط وحققت جامعة الأزهر المركز الأول للطالب المثالى أحمد عبدالعزيز محمد، كما فاز بالمركز الأول فى الإبداع الطالب أسامة مفرح سالم، وفاز بالمركز الأول فى الشعر الطالبة هند سعيد عبده، كما فاز بالمركز الأول لتنس الطاولة الطالب سامى عبدالقادر السيد، وفاز بالمركز الأول فى التميز الطالب معتز سامى محمود، وقد تحلى وفد جامعة الأزهر الشريف بروح الفريق الذى أظهر طالب الأزهر بصورة تتناسب ومكانة الأزهر الشريف وجامعته العريقة، وكان عدد الطلاب ٢٩ طالبا وعدد الطالبات ١٢ طالبة من كليات مختلفة من جامعة الأزهر الشريف، وقد رحب بهم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وأعد لهم حفلا لتميزهم وألقى فضيلته كلمة شكر فيها الطلبة والطالبات على حسن خلقهم أولا وعلى حسن التزامهم وانضباطهم وتميزهم فى

الأنشطة المختلفة وحصولهم على المراكز المتقدمة أمام طلاب الجامعات الأخرى، وعلى خلقهم الحميد الذى استمدوه من دراستهم من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة ومن دراسة العلوم الشرعية والعربية، كما أشاد فضيلته بهذه الدورات التى يستفيد منها الطلبة والطالبات على مدار شهور الصيف من كل عام يستمعون فيها إلى المحاضرات القيمة فى التخصصات المختلفة والأنشطة الرياضية والذهنية الأخرى التى تصقل مواهبهم وتزيد ثقافتهم مما يؤثر على سلوكهم وانضباطهم وحثهم على التميز دائما وعلى التمسك به وعلى أن يكونوا قدوة لغيرهم من الأفواج الأخرى.

الإمام الأكبر يعتمد نتيجة امتحان الدور الأول للشهادة الإعدادية

● اعتمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف نتيجة امتحان الدور الأول للشهادة الإعدادية الأزهرية للعام الدراسى ١٤٢٥ / ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥ على مستوى الجمهورية مبصر وكفيف حيث تقدم للامتحان ١٠٤٠٧٠ طالبا وطالبة حضر منهم ١٠٣٨٢٢ طالبا وطالبة وبلغ عدد الناجحين ٦٠٧٧٨ وكانت النسبة المئوية للنجاح ٥٨,٦٪، وكانت نسبة النجاح للبنين ٥٤,٣٪ ونسبة النجاح للفتيات ٦٦,١٪.

ويعتمد نتيجة امتحان الدور الأول للثانوية الأزهرية

● اعتمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف نتيجة امتحان الدور الأول للشهادة الثانوية الأزهرية للعام الدراسى ١٤٢٥ / ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥ على مستوى الجمهورية مبصر وكفيف حيث تقدم للامتحان ٨٦٥٠١ طالب وطالبة نجح منهم ٤٥٦١١ طالبا وطالبة وكانت نسبة النجاح فى القسمين العلمى والأدبى معا ٥٣,١٪، وبلغت نسبة النجاح فى القسم العلمى ٦٢,٣٪ ونسبة النجاح فى القسم الأدبى ٤٩,٢٪.

الدكتور أسامة الغنام عميدا لطب الأزهر

● صدر قرار رئيس مجلس الوزراء بناء على موافقتى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف والأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر الشريف بتعيين السيد الأستاذ الدكتور أسامة السيد محمد الغنام أستاذ ورئيس قسم جراحة المخ والأعصاب بكلية طب بنين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة عميدا للكلية اعتبارا من ٣١ / ٧ / ٢٠٠٥م.

None of the mindful may suffer any doubt about the truth of Al-Mi`raj, as it has been stated clearly in the Qur'anic text and thus it needs no other proof to affirm its occurrence.

What proves that the two events of Al-Isra' and Al-Mi`raj took place at one night is that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "When Al-Buraq was brought to me, I mounted it until I reached Baitul-Maqdis... then, I was made to ascend to the nearest heaven." (Related by Imam Muslim).

In the heaven, Allah, the Ever-High, enjoined Prayer on Muhammad and his nation so as to be a kind of connection relating the Prophet and his followers to Allah. Stressing the virtues of Prayer, Allah, Exalted be He, says:

> {The believers have already prospered. Who in their prayers are submissive. And who from idle talk are veering away. And who at giving the Zaka[2] are active[3] and who are preservers of their private parts except from their spouses and what their hands possess, then surely they are not[4] blameworthy. Then whosoever inequitably seeks beyond that, then those are aggressors. And it is they who pay heed to their deposits and their covenant. And it is they who preserve their prayers. It is those how are the inheritors. How shall inherit paradise. They are therein eternally (abiding) . }
>
> [Al-Mu'minun (the Believers) : 1-11]

---

[2] Zakat: Give the poor-dues.
[3] Literally: are performers.
[4] Literally: other than being blameworthy.

Ibn Ishaq reported that when Abu Bakr (may Allah be pleased with him) was told that his friend, Muhammad, claimed that he had been to Baitul-Maqdis (in Jerusalem) the night before, he said, "If he said so, I would believe him." They said to him, "Do you believe him even before you hear what he says?" He replied, "Where is your reason? I believe him as regards the revelation that comes from the heaven, then how can I deny him being to Baitul-Maqdis and the heaven is much farther than it?"

In his book "Adwa'a Al-Bayan (Lights of Clarification)," Sheikh Muhammad Al-Amin tackled the meaning of the verse "And in no way did We make the vision that We showed you except as a temptation to mankind." He said that Allah, the Greatest, made what the Prophet saw of miracles and wonders, during Al-Isra' and Al-Mi`raj, as a temptation to the people, for their minds would find it difficult to accept it. People would think that it did not happen indeed; How could he perform prayer at Baitul-Maqdis (Jerusalem) and ascend the seven heavens and see what he saw at only one night?

Moreover, Sheikh Muhammad Al-Amin mentioned that Allah referred, in other positions, to the vision that He made a temptation to the people. This is stated in Allah's Words in which He says:

> {Will you then wrangle with him about what he sees? And indeed he did already see him (during) another descent, at the Lote-Tree of the utmost Boundary, at it is the Garden of the Abode. As that which envelops did envelop the Lote-Tree. In no way did (his) beholding swerve, and in no way was it inordinate. Indeed he has already seen of the signs of his Lord, the greatest.} [An-Najm (The Star): 12-18]

When the famous publisher Husam Al-Qudsi offered his master, Al-Kawthary, one hundred copies of a book he spent a whole year reviewing it as a present in return for his efforts, he refused lest he should miss the reward of Allah. Moreover, when he was experiencing severe financial conditions and was suffering illness, his student Ahmad Khairy wanted to give him the price of medications, but he preferred to sell his books for a cheap price to buy himself the medications and save himself such embarrassment. Furthermore, when professor Muhammad Abu Zahrah wanted Al-Kawthary to teach the students at the post-graduation studies department at the Law College, Cairo University, he said to professor Abu Zahrah, "I am afraid that I no longer have the strength that can enable me to fulfill the duties of such a task so as to achieve the desired goals." However,professor Abu Zahrah insisted on his request arguing, "Your presence with the students would be in itself a great obtainment, and you may discuss matters with the great scholars and astonish them with your opinions. You may try it." Al-Kawthary said, "Teaching is a trust and honesty and I fear lest I should not be able to preserve them, and I fear Allah." Upon receiving such a reply, professor. Muhammad Abu Zahrah unwillingly submitted to the wish of his master. He was amazed to see such an attitude of Al-Kawthary springing out of his sincerity and honesty, while, at the same time, there were instructors and teachers who would not pay any attention to time and spend it aimlessly. These are but some praiseworthy attributes possessed by Al-Kawthary and we may require complete volumes to state his contributions to knowledge, and his scientific qualifications.He gave us an example that should be followed.

*The Two Signs of Al-Isra' And Al-Mi`raj
By: Sheikh Mu`awad `Awad Ibrahim

The two signs of Al-Isra' and Al-Mi`raj occupy a high rank among the other signs granted by Allah to His Prophet and Messenger Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him). They imply great care on the part of Allah towards those who adhere to His commands and give preference to whatever He says over anything else.

> {Hymned be He, Who made His bondman to set forth by night from the Inviolable Mosque to the Further [i.e., Remotest] Mosque, around which We have blessed, that We might show him (some) of Our signs. Surely He is the One Who is The Ever-Hearing, The Ever-Beholding.} [Al-Isra' (The Night Journey): 1]

This verse is a clear text that enjoins believing in the sign of Al-Isra' (i.e., the Night Journey) even if it has been just a narration told by Allah in His Ever-Glorious Book or by His Messenger in his *Sunnah* (i.e., Prophetic Tradition).

With regard to the realty of vision in Al-Isra' Journey, Allah, The Almighty, reveals:

> {And in no way did We make the vision that We showed you except as a temptation to mankind.}
>
> [Al-Isra' (The Night Journey): 60]

The verse is an indication affirming that Al-Isra' was an event experienced by the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) while being awake, not as assumed, by some of the simple-minded, a dream seen during his sleep.

* An Article Published (In Arabic) At Al-Azhar Magazine.

Muhammad Zahid Al-Kawthary
The Verifying Scholar
By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

Al-Kawthary's reading of the books of the Islamic heritage and literature in all different fields qualified him to be the keeper of this heritage in all its various trends. He read those kinds of books carefully with a penetrating and critical eye. Despite their different views, all the verifiers agree that Al-Kawthary possessed encompassing knowledge in all the numerous fields of knowledge and science. In fact, his scientific sessions, held after the Friday Prayer every week, were considered a scientific place to which the verifiers would hurry to seek knowledge and find precious advice. Those verifiers were quite certain that Al-Kawthary would not prevent others from benefiting from his wide knowledge.

The great scholar Al-Kawthary was known for his open-heartedness and outstanding knowledge. Naturally, those enquirers would ask questions they thought unanswerable, but it was unnatural – except for those endowed with a gift from Allah – to see someone having all the answers for such questions as if he had been asked the same questions before and exerted much effort in study searching for the right answers. It happened once that a person came to Al-Kawthary carrying a manuscript thinking that he was the only one having the chance to know about it, but he was astonished to know that Al-Kawthary had read the manuscript in more than one copy and, moreover, he would recommend for him some other manuscripts to read in the Islamic, Arabic and non-Arabic libraries spreading allover the Islamic world. Furthermore, when a rare manuscript was presented before Al-

Kawthary, he would know – through the way according to which it was written – the writer and the year in which it was written. He would also introduce some possibilities which soon after would turn into hard facts.

Indeed, there were many prominent figures who exerted commendable effort in collecting manuscripts, but we could not find one matching Al-Kawthary in his unique reading and understanding of such manuscripts. Among those figures were Sheikh Taher Al-Jaza'ry, Sheikh Khalil Al-Khalidy and Ahmed Pasha Taymor. However, none of them would reach the degree of Al-Kawthary regarding what he read in the Islamic languages, including Arabic, Turkish, and Persian. Those great scholars dealt with only the Arabic heritage, but Al-Kawthary crossed that scope. Additionally, he translated many writings from such languages into Arabic and would offer them as a present to whoever needed them without demanding such a person to attribute the translation to him.

Al-Kawthary was well-known for many praiseworthy attributes, among which were his satisfaction and straightforwardness. He was invited to teach Turkish at one of the academic institutions, but he refused, for he perceived that there were some Orientalists, who would display the opposite of what they concealed, among the teaching staff. Consequently, he refused the position because he would not be at ease when dealing with such individuals. Moreover, he was offered money in return for the effort he exerted in verifying, documenting and writing the introduction of some of the heritage books, yet he refused, even at his worst times of need. He believed that receiving money for what he did would prevent the reward in the Hereafter.

to the fourth heaven and again the same questions and answers were exchanged as in the previous heavens. There, I met Idris and greeted him. Then we ascended to the fifth heaven and again the same questions and answers were exchanged as in previous heavens. There, I met and greeted Harun (Aaron).

Then we ascended to the sixth heaven and again the same questions and answers were exchanged as in the previous heavens. There I met and greeted Musa (Moses).' Then we ascended to the seventh heaven and again the same questions and answers were exchanged as in the previous heavens. There I met and greeted Ibrahim (Abraham) who said, 'You are welcomed, O righteous son and prophet.'

After that, we came by a river by which there were tents of pearls, corundum and aquamarine. There were also beautiful, well-bred, green birds. Hereupon, I said, 'O Jibril! What are those beautiful, well-bred birds?' He said, 'O Muhammad! Those who eat them live in happiness and comfort more than those birds.' Jibril, then, asked me, 'O Muhammad, do you know what is this river?' I said, 'No.' He said, 'This is Al-Kawthar which Allah has granted you.' I looked at the river and there were vessels made of gold and silver in it, and its water was whiter than milk. I took a golden vessel and drank of its water; it was sweeter than honey and more fragrant than musk. Then, Jibril took me until we reached *Sidratul-Muntaha* (i.e. the Lote-Tree in the seventh heaven) and there a cloud of every color enveloped me and Jibril abstained to take a step forward. Hereupon, I fell in prostration to Allah, Exalted and Glorified be He. Allah said to me, 'O

Muhammad, when I created the heavens and the earth, I enjoined fifty prayers on you and your nation, so you have to perform them.' Then, the cloud vanished and Jibril took me. I descended till I met Musa (Moses) who asked me, 'What have you done?' I said, 'Fifty prayers have been enjoined on me.' He said, 'Your followers cannot put up with such an obligation. So, return to your Lord and request Him to reduce the number of prayers.' I returned and requested Allah for reduction and He made it forty. I returned and met Musa and had a similar discussion, and then returned again to Allah for reduction and He made it thirty, then twenty, then ten, and then I came to Musa who repeated the same advice. Ultimately, Allah reduced them to five prayers and made them equal (in reward) to fifty. When I came to Musa again, he said, 'What have you done?' I said, 'Allah has made them only five.' He repeated the same advice but I said, 'Now I feel shy of asking my Lord again to reduce them.' Then, I was made to descend to the earth again.

It is worth-mentioning that the Prophet was a human being on the earth, then he had a kind of angel-like nature in the heavens, then he had a higher degree than angels when he was allowed to reach *Sidratul-Muntaha* unlike Jibril. Hence, there were three things that happened to the Prophet:

First: Humanity on the earth;

Second: Angle-like nature in the heavens before reaching *Sidratul-Muntaha;*

Third: A higher degree than angels when he was allowed to advance to what was beyond *Sidratul-Muntaha.* There he heard Allah's Words.

That journey was meant to exhort the Prophet to continue in his mission while being confident in Allah's Might, and enable him to overcome the obstacles facing him. The Prophet returned from that blessed journey while filled with unshakable faith. He did not hesitate to tell the people about the journey he undertook to the heavens. Also, he did not give any attention to the advice of those who preferred that he should not tell the people about what he had seen or heard.

Some people may deny the miracles introduced at the hands of the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him), such as the splitting of the moon, the springing of water from between his honorable fingers, and placing the eye, that was pulled out, back to its first place as if nothing had happened. Those acts of miraculousness were seen by his contemporaries and they believed in them due to their faith. Even those who came after them believed in those miracles for their firm faith they absorbed from their predecessors.

The most important miracle introduced by the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) has been the Noble Qur'an. The miracle of Al-Isra' and Al-Mi`raj comes second in order. The following *Hadith* (i.e., Prophetic Tradition) describes the blessed journey with which the Prophet was singled out.

Anas Ibn Malik (may Allah be pleased with him) narrated that the Prophet said, "Jibril (Gabriel) came to me with Al-Buraq, a white animal, smaller than a mule and bigger than a donkey. I set out with him and when we reached Baitul-Maqdis (in Jerusalem), uncountable

people gathered, then a muezzin called for prayer, so we all stood in rows waiting for someone to lead us in prayer. Here, Jibril took me and let me lead them in prayer. When we finished prayer, Jibril asked me, 'Do you know who were those who performed prayer behind you?' I said, 'No.' Jibril said, 'They were all the prophets sent by Allah, Exalted be He, since the creation of mankind.'

After that, Jibril took me to the heaven and when we reached the nearest heaven, Jibril said to the gate-keepers, 'Open the gate.' The gatekeepers asked, 'Who is it?' He said, 'Jibril.' The gate-keepers asked, 'Who is accompanying you?' Jibril said, 'Muhammad.' The gate-keepers said, 'Has he been called?' Jibril said, 'Yes.' Then it was said, 'He and you are welcomed. What a wonderful visit his is!' There, I met Adam and greeted him and he said, 'You are welcomed my righteous son and prophet.' Then we ascended to the second heaven. When we arrived, the gate-keepers asked, 'Who is it?' Jibril said, 'Jibril.' It was said, 'Who is with you?' He said, 'Muhammad.' They asked, 'Has he been sent for?' He said, 'Yes.' It was said, 'He and you are welcomed. What a wonderful visit his is!' There, I met Isa (Jesus) and his cousin Yahya (John) may Allah have peace on them both.

Then we ascended to the third heaven. It was asked, 'Who is it?' Jibril said, 'Jibril.' It was asked again, 'Who is with you? Jibril said, 'Muhammad.' It was asked, 'Has he been sent for?' 'Yes,' said Jibril. 'He and you are welcomed. What a wonderful visit his is!' There, I met Yusuf (Joseph) and greeted him. Then we ascended

AL-AZHAR MAGAZINE

Rajab 1426 A. H.

ENGLISH SECTION

August 2005

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

Al-Isra' and Al-Mi`raj[1]

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Here is the month of Rajab while Muslims are overwhelmed in their dissensions and disunity. If we go back in time, especially to this month, we will recall the miracle of Al-Isra' and Al-Mi`raj, the miracle solely destined to Prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him). Prophet Muhammad was made to take that journey while he was at the beginning of his fifties. That journey was a means of relieving him from his sadness for the death of his uncle followed by the death of his wife, Lady Khadijah (may Allah be pleased with her), just after his uncle by only three days. Both his wife and his uncle. were of great support to him. Could we imagine how sad the Prophet was?

Due to the above-mentioned sad events, Allah, the Almighty, made His Prophet take the sacred journey of Al-Isra' and Al-Mi`raj so as to let him see some of the Greatest Signs to relieve his pain. In this regard, Allah, Exalted and Glorified be He, says:

﴾Hymned be He, Who made His bondman to set forth by night from the Inviolable Mosque to the Further [i.e., Remotest] Mosque, around which We have blessed, that We might show him (some) of Our signs. Surely He is the One Who is The Ever-Hearing, The Ever-Beholding.﴿ [Al-Isra' (The Night Journey): 1]

[1] Al-Isra' (Night Journey): The miraculous journey which Prophet Muhammad made by night from Mecca to Jerusalem. Al-Mi`raj (Ascension): It is the miraculous ascension of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) from Jerusalem to the Heavens to meet his Lord.

الفهـــــــرس

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

المشرف العام

الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

رئيس التحرير

أ. د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً - الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً

أوربا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

شعبان ١٤٢٦هـ - سبتمبر ٢٠٠٥م - الجزء الثامن - السنة الثامنة والسبعون

افتتاحية العدد

الثقافة الإسلامية رابطة أصيلة

- ٢ -

وإذا كان القرن الرابع الهجرى هو ألمع عصور الأدب والثقافة ازدهاراً فى الأدبين العربى والفارسى؛ فإن مؤرخى هذا العصر قد ذكروا من النوابغ فى العربية والفارسية معاً من كان موضع العجب والإعجاب من الباحثين، حيث اندفع الكثيرون من نوابغ هذا العصر المزدهر إلى التأليف والإبداع باللغتين الشقيقتين، فكان ذلك رحماً موصولة لمشاعر تختلف بلاداً ولغةً ولكنها تتحد عواطف ودنيا وإيماناً، وقد قرأت كتاب (تاريخ الأدب الفارسى) الذى ألفه الباحث الكبير الدكتور رضا زاده شفق أستاذ الأدب الفارسى بجامعة طهران، وقام بترجمته إلى العربية الدكتور محمد موسى هنداوى مدرس اللغة الفارسية بكلية الآداب المصرية، فرأيت شواهد هذا التآلف واضحة فيما ذكره من تراجم مختصرة لنوابغ الأدب الفارسى، وفيهم الكثيرون من الذين كتبوا بالعربية الفصحى؛ فكانوا شعراء فى الأدبين على مستوى واحد، وكذلك كانوا سواء فى التأليف الأدبى والعلمى باللغتين وسألمّ ببعض حديثهم فى إيجاز شديد، مبتدئاً بما قاله الأستاذ الكبير محمد كرد على فى كتابه «أمراء البيان» فى مقدمة حديثه عن الوزير الشهيد ابن العميد الذى قال فيه المتنبى:

عَـربىٌّ لسـانُه فلسـفىٌّ ... رأيـه، فارسـيَّة أعيـاده

خَلَق الله أفصح الناس طراً ... فى بـلادٍ أعرابُه أكـرادُه

يقول الأستاذ محمد كرد على ص٥٤٧ من الجزء الثانى من أمراء البيان:

«كان الفرس أهمَّ العناصر الإسلامية التى عُنيت بنشر العربية منذ رفرف علم الإسلام على بلادهم وقد أحرزوا فى العلم والسياسة أفضل منزلة، لما خُصّوا به من الاستعداد لقبول الحضارة، أعانهم على ذلك إلفُهم الحكمَ والنظام، وتفانيهم فى طاعة العظماء والملوك، وكانوا فى القرون الأولى من خير الشعوب التى قامت بحق الإسلام».

وكان العصر السامانى من ألمع العصور بريقاً فى الحرص على التأليف والترجمة بين الأدبين، علماً وفناً، ففى هذا العصر تُرجم تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرى بأجزائه المتعددة من العربية إلى الفارسية بأمر الأمير منصور السامانى كما تُرجم تفسيرُه الشهير للقرآن الكريم حيث قام بترجمته نخبة من علماء ما وراء النهر بأمر الأمير، وفى العهد السامانى ظهر من علماء الإسلام أمثال الدينورى صاحبه (الأخبار الطوال) وحمزةُ الأصفهانى صاحبُ التاريخ العام وابن الفقيه الهمذانى ومحمد بن يعقوب الكلينى من متقدمى فقهاء الشيعة المعدودين، وكذلك محمد بن على المعروف بابن بابويه وهو من رؤساء الشيعة، وكلهم كان يكتب بالفارسية والعربية معا، أمّا أبوبكر الرازى العالم الطبيب، فقد كان درّة العلم فى هذا العصر، وشهرته الآن فى أوروبا تغنى عن كل تقديم وابن العميد والصاحب كانا يكتبان بالفارسية والعربية معا، ولهما شعر فى اللغتين، كذلك كان قابوس بن وشكمير يكتب ويشعر باللغتين، وابن سينا ألّف بالفارسية والعربية معا، وكذلك البيرونى الذى زاد عليهما بحذق الهندية والترجمة منها، ونحن نقرأ فى العربية حكم أبى الفتح البستى، ولها نظائر فى الشعر الفارسى يرويها أدباء اللغتين لأن الحكَمْ والأمثال كانت ذات رواج بين المتأدبين حينئذ، ورشيد الدين الوطواط له مؤلفاته فى البلاغة العربية، كما له فى هذا الفن بالفارسية كتابه (حدائق السحر) وقد ترجمه الدكتور الشواربى إلى العربية، أمّا كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالى فقد ألّف أولا بالعربية، ثم رأى من حقّ الذين يقرأون الفارسية أن يهتدوا بمواعظه فوضع ملخصا سماه (كيمياء السعادة) باللغة الفارسية والميدانى صاحبُ مجمع الأمثال له كتبٌ فارسية متعددة، جعلت مكانه فى الأدب الفارسى معادلا مكانته فى الأدب العربى، ولا نذكر من الشعراء من كان أصلهم فارسيًا ولم ينظموا بالفارسية مثل بشار وأبى نواس ومهيار والأبيوردى والطغرائى، بل نشيرُ إلى من نظموا باللغتين معا وهم كثير أشار إليهم صاحب كتاب (تاريخ الأدب الفارسى) الذى أشرت له من قبل، فهذه الآثار الكثيرة التى ذكرت منها القليل الضئيل الذى يدل على الكثير الحفيل مما تركت، تؤكد أن التراث الإسلامى قاسمٌ مشترك، وأنّ علينا واجبًا يقضى بإذاعة مالم يُنشر منه وبقى محجوبا فى المخطوطات، وبتداوله بين القراء نعرفُ صلتنا الوثيقة بآبائنا وأجدادنا من العلماء والأدباء والشعراء! وإذا كان من طرفة أدبية شعرية تُقال فى هذا المجال، فإنّى أروى ما ذكره المحبى فى خلاصة الأثر إذْ قال عن العلامة البورينى إنه عشق اللغة الفارسية وأصبح يتكلم بها كأنّه من أهلها تماما، وقد أنشد فى ذلك مُخاطبا حبيبته الفارسية:

تعلمتُ لفظَ الأعـجـمىّ وإنّنى ... من العـرب العـرباء لا أتكتم

وما كانَ قصدى غيرَ صَوْن حديثكم ... إذا صِـرتُ من شَـوقى به أترنم

فـإن كنتُ بين المعجمين فـمعـرب ... وإن كنت بين المعربين فـمعـجم

فـأغدوا بأشواقى إليكم مـترجـمـا ... وسـركم فى خـاطرى ليس يُعلَم



محمد إقبال

وما أشرتُ إليه من قبلٍ متعلق بالتراث الماضى، ولكنَ ماذا نصنع أمامَ الثقافة المعاصرة وفى كلِّ موطن تُوجد مؤلفات دسمة تتحدث عن مشكلات العالم الإسلامى، ولا يقرؤها غير أصحاب اللغة التى تصدر بها، وفيها بكل تأكيد ما يفيد جميع المسلمين فى شتى أقطارهم المختلفة، إنّ المفكرين الإسلاميين اليوم بحمد الله كثيرون، وكلُّ مُفكر يكتب عن الإسلام ما يراه، ويدور حول ما كتب نقاشٌ حتى يؤدى إلى أفكارٍ مضيئة فهل سيظل كل كاتب يُفضى بهمومه الإسلامية إلى قراء لغته فحسب؟ إنّ معنى ذلك أن يُحرم الكثيرون من ثمارٍ جيدة لا تُتاح لهم فرصة الاطلاع عليها، وهنا لا بد أن نفكر فى الترجمة التى تتيح لهذه الأفكار أن تنتقل إلى القراء من المسلمين جميعا، ونحن نعرفُ أن جهودا فردية تبذل فى هذا المجال، فأنا أعرف كتبا هندية وباكستانية وتركية وفارسية نُقلت إلى اللسان العربى، أشعرتْ قارئها أنَّ إخوانه فى مشارق الأرض ومغاربها يحسّون أحساسه ويعالجون همومه! بل إنّ نفرا من الكتاب، كتبوا باللغة الأوروبية كتابةً كانتْ مرآة خالصة للإسلام النّقى، ورسوله الكريم، وقد تُرجمت هذه الكتب من الإنجليزية التى حظيت بنصيبٍ كبير من هذه المؤلفات إلى العربية، فدلّت علي نماذجٍ من التفكير الصائب فى وصف المشكلات، ووضع الحلول والذين ترجموا هذه الكتب من الإنجليزية أفرادٌ معدودون شاقهم ما قرأوه، ودفع بهم الإعجاب إلى أن يترجموا كتباً رائعة لمحمد إقبال وأمير على ومولاى محمد على، وغيرهم ممن فهموا طبيعة العصر وعرضوا الحقائق الإسلامية فى معرض زاهر يوائم هذه الطبيعة، بل إنّهم تحدثوا عن الشبهات التى ردّدها الغرب حديث القارىء البصير لخلاصة الثقافات الأوربية فأتى البيوت من أبوابها حين عقد مجال المقارنة الأمينة بين سلوك وسلوك، وكان من أثر هذه المقارنة أن رجحت كفة الإسلام، وانطفأت شعل البغضاء التى أوقدها أشباه المبشرين من مدعى البحث العلمى، وهم ذوو مرض عضال.

إن هذه الجهود الفردية -ولأصحابها نقدم الشكر الجزيل على ما قاموا به من إذاعة هذه الآثار إلى آفاقٍ مترامية- لا تكفى وحدَها لما أريده من الاهتمام بنشر الثقافة الإسلامية المعاصرة فى لغات الإسلام جميعها، بل لابد من جهد رسمى حكومّى يفرض نفسه فرضًا على الساحة العلمية، ونحن لدينا كليات الآداب الإنسانية، ومعاهد الترجمة الشبيهة بالكليات الجامعية، فلنجعل من رسالة هذه المعاهد -معاهد اللغات والترجمة- أن تقومَ كل عام باختيار كتب مشهود لها بالأصالة والابتكار فتكلّف من الأساتذة من يَقوم بترجمتها إلى لغة إسلامية أخرى، ثم تتبادل الكليات هذه الترجمات كما تتبادل الرسائل الجامعية، وبذلك نضمن انتشار عشرة كتب على الأقل فى العام الواحد، لأن الجامعات لدينا فى طهران وأنقرة والقاهرة وعليكرة، تهتم بما يُسمّى باللغات الشرقية دون أن تحدّد لهذا الاهتمام رسالةً إسلامية يجب أن يكونَ أداؤها موضعَ الترقب والانتظار، وستجد هذه الكتب المنتخبة من الحصاد العقلى الوفير اهتماماً من القراء، إذ كلُّ مؤلف قد كَتَبه أستاذ نابه فى بلده، واختارته للترجمة كليةٌ ذات اهتمام بما يَستجاد من الآثار، على أنْ تصدر كل عام مجلةٌ حولية تشيرُ إلى الكتب المختارة، وإلى اللغة التى تُرجمت لها، وإلى أماكن توزيعها، وبهذا التعاون العلمى الوثيق نقرأ ما كُتب فى الدراسات الإسلامية على نحوٍ شامل متسع،



محمد ابو زهرة

بل إنه يوفر جهدا كبيرا، حين يفكر أستاذٌ فى البحث عن موضوع جوهرى، ويتأهَب للعمل، فيجد هذا البحث قد سبق أن قام به زميلٌ مماثل فى لغة أخرى، وقد تُرجم إلى اللغة التى كان ينوى التأليف بها فيتجه إلى بحث آخر، دُون تكرار يفقد جدواه.

وأنا أعرف كتبا فى الشريعة للأستاذ الكبير محمد أبوزهرة قد تُرجمت إلى اللغات المشار إليها، كما أعرف كتباً لأعلام الإسلام فى غير مصر قد تُرجمت إلى العربية فأضاءت مناحى من التفكير كان يلفّها الظلام، فليترجم من شاء من الأفراد ما شاء مما يراه ذا نفع علمى، ولكنّ لابد من عَمل جماعى جامعى يكون هو الأصل فى نشر الثقافة الإسلامية، ويكون بذلك إحدى الخطا المنشودة فى الوحدة الإسلامية التى تسعى إلى تحقيقها فى الغد القريب!

وإذا كانَ كلَ كتاب جادَ فى ناحية من نواحى الفكر الإسلامى يعملُ على تأصيل الوحدة الإسلامية بما يضم من حقائق صحيحة هى اللّبنات الوطيدة فى التوجيه الإسلامى، فإنّ على كل مؤلّف الآن أن يتجنب ما ردّده السابقون من الآراء الداعية للخلاف! فإنّ السياسة الحزبية فى الماضى كانت تحتاج إلى اتجاهاتٍ متعارضة تُرضى الحكّام، وقد مضت الحاجة لهذه الاتجاهات، إذ لا تنازعَ بين خلافةٍ وخلافة، ولا بين مذهب ومذهب، فعاد الإسلام إلى منبعه الأول صافيا مترقرقا فى أنهار الكتاب المنزل، وجداول الحديث النبوى المؤكد، ومن هنا تتلاقى الأفكار صافيةً ثقافة من منبعها العذب حتى مَصبّها الرائق، ونحن نحذّر ممن يحملون أوزار التاريخ البعيد إذ يروق لهم تسجيل ما كان من شقاق ذَهَب رجاله، وتعدت صلاحيته، فمحاولةُ استعادته محاولة ضارة، ومثلُها لا تكون ترفا علميًا، بل حماقةٌ فكرية تُغفل واقع اليوم، وتحاول أن يكون بأسُ المسلمين بينهم، بدلَ أن يكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا!

وإنى أرى - بفضل الله - ما يجعلنى شديد الأمل فى تحقيق تعاون علمىّ يقرّب البعيد، ويُدنى النازح الشاسع، وقد خلصت النيات خلوصا ليس بعده غير العمل الدائب، والنشاط المتوثب، وأختم حديثى المتواضع بقول الله -عز وجل-:

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(المائدة/ ١٥، ١٦)

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

الآيات: ٧٧ : ٧٨

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

روى المفسرون فى سبب نزول قوله - تعالى -

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ ﴾

الآية روايات منها: ما أخرجه الشيخان عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقى الله وهو عليه غضبان» قال عبدالله: ثم قرأ علينا رسول الله مصداقه من كتاب الله،

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾

إلخ.

وفى رواية قال: «من حلف على يمين ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقى الله وهو عليه غضبان»، فأنزل الله - تعالى - تصديق ذلك

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾

آل عمران ٧٧

قال عبدالله: فدخل الأشعث بن قيس فقال: ما يحدثكم أبو عبدالرحمن قلنا: كذا وكذا فقال: صدق. فىَّ نزلت كان بينى وبين رجل خصومة فى بئر، فاختصمنا إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: شاهداك أو يمينه؟ قلت: إنه إذا يحلف ولا يبالى فقال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين ليقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان»[(١)] ونزلت:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ ﴾

وروى البخارى عن عبدالله بن أوفى أن رجلا أقام سلعة فى السوق فحلف بالله لقد أعطى بها ما لم يعطه ليوقع فيه رجلا من المسلمين،[(٢)] فنزلت

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ ﴾

وقال الفخر الرازى: قال عكرمة إنها نزلت فى أحبار اليهود، كتموا ما عهد الله إليهم فى التوراة من أمر محمد ﷺ وكتبوا بأيديهم غيره، وحلفوا بأنه من عند الله لئلا يفوتهم الرشا»[(٣)].

هذه ثلاث روايات فى سبب نزول تلك الآية الكريمة، وأرجحها رواية الشيخين، ولذا وجب الأخذ بها إلا أن نزول الآية فى قصة معينة لا يمنع شمول

---

(١) أخرجه البخارى في كتاب التفسير، باب «إن الذين يشترون» جـ ٦ ص ٤٢، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب «إن الذين يشترون» جـ٦ صـ٤٢.

(٣) تفسير الفخر الرازي جـ٨ صـ١١١.

حكمها لكل ما يشبه هذه القصة أو الحادثة، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب - كما يرى جمهور العلماء.

فكل من حلف بالله كاذبا، واشترى بعهده - سبحانه - ثمنا قليلا حقت عليه العقوبة التى بينتها الآية الكريمة. ويدخل تحت هذه العقوبة دخولا أوليا أولئك اليهود الذين خانوا عهد الله بإنكارهم لنبوة محمد ﷺ مع أنهم يعرفون صدقه معرفة جليلة.

والمراد بقوله ﴿ يَشْتَرُونَ ﴾ أى يستبدلون، وذلك لأن المشترى يأخذ شيئا ويعطى شيئا، فكل واحد من المعطى والمأخوذ ثمن للآخر.

والمراد ﴿ بِعَهْدِ اللَّهِ ﴾ كل ما يجب الوفاء به، فيدخل فيه ما أوجبه الله - تعالى - على عباده من فرائض وتكاليف، ومن إيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، كما يدخل فيه - أيضا - ما أوجبه الله على أهل الكتاب من الإيمان بمحمد ﷺ ـ الذى يجدون نعته فى كتبهم، ويعرفون صدقه كما يعرفون أبناءهم.

والباء فى قوله - تعالى -: ﴿ بِعَهْدِ اللَّهِ ﴾ داخلة على المتروك الذى تركوه وأخذوا فى مقابله الثمن القليل.

وقوله ﴿ وَأَيْمَانِهِمْ ﴾ معطوف على عهد الله.

والمراد بأيمانهم تلك: الأيمان الكاذبة الذى يحلفونها ليؤكدوا ما يريدون تأكيده من أقوال أو أفعال.

والمراد بالثمن القليل: حظوظ الدنيا وشهواتها من نحو المال والمنافع الزائلة، التى أخذوها نظير تركهم لعهود الله، وحلفهم الكاذب.

وليس وصف الثمن بالقلة هنا من الأوصاف المخصصة للنكرات، بل هو من الأوصاف اللازمة للثمن المحصل نظير خيانةعهود الله تحقيراً له، إذ أنه لا يكون إلا قليلا وإن بلغ ما بلغ من أعراض الدنيا بجانب رضا الله والوفاء بعهوده.

وقوله:

﴿ أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾

أى الذين يخونون عهد الله ويحلفون الأيمان الكاذبة فى مقابل عرض من أعراض الدنيا، لا نصيب لهم ولاحظ من نعيم الآخرة بسبب ما ارتكبوه من غدر وافتراء.

وقوله:

﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ﴾

أى لا يكلمهم بما يسرهم بل يكلمهم بما يسوؤهم ويخزيهم يوم القيامة بسبب أعمالهم السيئة.

أو أن عدم كلام الله - تعالى - لهم: كناية عن عدم محبته لهم، لأن من عادة المحب أن يقبل على حبيبه ويتحدث إليه، أما المبغض لشىء، فإنه ينصرف عنه.

وإلى هذا المعنى ذهب الإمام الرازى فقد قال ما ملخصه: «وقوله - تعالى - ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ﴾ فيه سؤال وهو أنه - تعالى - قال:

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

الحجر ٩٢، ٩٣

فكيف الجمع بين الآية التى معنا وبين قوله

﴿ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

والجواب: أن المقصود من كل هذه الكلمات: بيان شدة سخط الله عليهم، لأن من منع غيره كلامه، فإنما ذلك بسخط عليه، وإذا سخط إنسان على آخر قال له: لا أكلمك، وقد يأمر بحجبه عنه ويقول: لا أرى وجه فلان، وإذا جرى ذكره لم يذكره بالجميل، فثبت أن الآية كناية عن شدة الغضب نعوذ بالله منه وهذا هو الجواب الصحيح [٤].

وقوله:

﴿ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾

أى لا يعطف عليهم ولا يرحمهم ولا يحسن إليهم، وذلك كما يقول القائل لغيره: أنظر إلى، يريد: ارحمنى واعطف على.

ويقال: فلان لا ينظر إلى فلان، والمراد من ذلك نفى الإحسان إليه وترك الاعتداد به، فقد جرت العادة بأن من اعتد بإنسان وعطف عليه التفت إليه.

قالوا: فلهذا السبب صار المراد بعدم نظر الله - تعالى - إلى هؤلاء الخائنين عبارة عن ترك العطف عليهم والإحسان إليهم والرحمة بهم.

ولا يجوز أن يكون المراد من عدم النظر إليهم، عدم رؤيتهم لأنه - سبحانه - يراهم كما يرى غيرهم من خلقه.

وقوله - تعالى - ﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ أى أنه - سبحانه - لا يطهرهم من دنس

(٤) تفسير الفخر الرازي جـ ٨ صـ ١١١.

ذنوبهم وأوزارهم بالمغفرة، بل يعاقبهم عليها. أو أنه - سبحانه - لا يثنى عليهم كما يثنى على الصالحين من عباده بل يسخط عليهم وينتقم منهم جزاء غدرهم.

ثم ختم - سبحانه - الآية ببيان النتيجة المترتبة على هذا الغضب منه عليهم، فقال:

﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

أى ولهم عذاب مؤلم موجع بسبب ما ارتكبوه من آثام وسيئات.

فأنت ترى أن الآية الكريمة قد توعدت هؤلاء الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا بأنهم لا حظ لهم من نعيم الآخرة، وأنهم ليسوا أهلا لرضا الله ورحمته وإحسانه، وأنهم سينالون العذاب المؤلم الموجع بسبب ما قدمت أيديهم.

ثم بين - سبحانه - بعض الرذائل التى صدرت عن فريق من أهل الكتاب فقال - تعالى -:

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾

والضمير فى قوله - تعالى - ﴿ مِنْهُمْ ﴾ يعود إلى أهل الكتاب الذين ذكر القرآن طرفا من رذائلهم ومسالكهم الخبيثة فيما سبق.

قال الفخر الرازى: اعلم أن هذه الآية

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا ﴾

تدل على أن الآية المتقدمة وهى قوله - تعالى -

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ ﴾

نازلة فى اليهود بلا شك، لأن هذه الآية نازلة فى حق اليهود وهى معطوفة على ما قبلها، فهذا يقتضى كون تلك الآية المتقدمة نازلة فى اليهود أيضا[5].

وقال ابن كثير: يخبر - سبحانه - عن اليهود - عليهم لعائن الله - أن منهم فريقا يحرفون الكلم عن مواضعه، ويبدلون كلام الله، ويزيلونه عن المراد ليوهموا الجهلة أنه فى كتاب الله كذلك وينسبونه إلى الله وهم يعلمون من أنفسهم أنهم قد كذبوا وافتروا فى ذلك كله[6].

وقوله ﴿ يَلْوُونَ ﴾ مأخوذ من اللى.

(٥) تفسير الفخر الرازي جـ ٨ صـ ١١٢.

(٦) تفسير ابن كثير جـ١ صـ ٣٧٦.

وأصل اللى الميل يقال: لوى بيده ولوى برأسه إذا أماله والتوى الشىء إذا انحرف ومال عن الاستقامة إلى الاعوجاج والمعنى:

«وإن من هؤلاء اليهود الذين كتموا الحق واشتروا بعهد الله وبأيمانهم ثمنا قليلا إن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب»

أى يعمدون إلى كتاب الله فينطقون ببعض ألفاظه نطقا مائلا محرفا يتغير به المعنى من الوجه الصحيح الذى يفيده ظاهر اللفظ إلى معنى آخر سقيم لا يدل عليه اللفظ ولكنه يوافق أهواءهم ونواياهم السيئة، ومقاصدهم الذميمة.

وذلك كأن ينطقوا بكلمة ﴿ رَاعِنَا ﴾ نطقا ملتويا يوافق فى لغتهم كلمة قبيحة يقصدون بها الإساءة إلى النبى ﷺ وقد نهى الله - تعالى - المؤمنين عن مخاطبة النبى ﷺ بأمثال هذه الألفاظ حتى لا يتخذها اليهود ذريعة للإساءة إلى النبى ﷺ فقال - تعالى -

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا ﴾
البقرة ١٠٤

وكأن ينطقوا بكلمة «السلام عليكم» بقولهم: «السام عليكم» بحذف للام يعنون الموت عليكم لأن السام معناه الموت.

وكأن يغيروا لفظا من كتابهم فيه ما يشهد بصدق النبى ﷺ بلفظ آخر، أو يؤولوا المعانى تأويلا فاسدا، وقد وبخهم الله - تعالى - على هذا التحريف فى كثير من آيات القرآن الكريم، ومن ذلك قوله - تعالى -

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾
البقرة ٧٥

وقوله - تعالى -

﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾
النساء ٤٦

وقوله - تعالى -

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا ﴾

إنصاف منه - سبحانه - للفريق الذى لم يرتكب هذا الفعل الشنيع وهو تحريف كلامه - عز وجل - وتلك عادة القرآن فى أحكامه لا يظلم أحدا ولكنه يمدح من يستحق المدح ويذم من يستحق الذم.

وقوله ﴿ يَلْوُونَ ﴾ صفة لقوله ﴿ فريقا ﴾.

والباء فى قوله ﴿ بِالْكِتَابِ ﴾ بمعنى

«فى» مع حذف المضاف. أى وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم فى حال قراءتهم للكتاب، إما بحذف حروف يتغير المعنى بحذفها، أو بزيادة تفسد المعنى، أو بغير ذلك من وجوه التغيير والتبديل.

وقوله - تعالى -

﴿ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾

بيان للدوافع السيئة التى دفعتهم إلى ارتكاب هذا التحريف الذميم.

والضمير المنصوب فى قوله ﴿ لِتَحْسَبُوهُ ﴾ وكذلك ضمير الغائب ﴿ هُوَ ﴾ : يعودان إلى الكلام المحرف الذى لووا به ألسنتهم والمدلول عليه بقوله ﴿ يَلْوُۥنَ ﴾.

أى إن من هؤلاء اليهود فريقا يلوون ألسنتهم فى نطقهم بالكتاب ويحرفونه عن وجهه الصحيح، لتظنوا أيها المسلمون أن هذا المحرف الذى لووا به ألسنتهم من كتاب الله الذى أنزله على أنبيائه، والحق بأن هذا المحرف ليس من كتاب الله فى شىء، وإنما هو من عند أنفسهم نطقوا به زورا وبهتانا إرضاء لأهوائهم. وقوله: ﴿ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ هو المفعول الثانى لقوله : ﴿ لِتَحْسَبُوهُ ﴾.

والمخاطب بقوله : ﴿ لِتَحْسَبُوهُ ﴾ هم المسلمون وقال :

﴿ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾

بتكرار لفظ الكتاب، ولم يقل وما هو منه، للتنبيه على أن كتاب الله المنزل على موسى وعيسى - عليهما السلام - برىء كل البراءة من تحريفهم وتبديلهم، ومما يزعمونه ويفترونه عليه ثم بين - سبحانه - أنهم قد بلغت بهم الجرأة فى الكذب والافتراء أنهم نسبوا هذا الذى حرفوه وغيروه من كتبهم إلى الله - تعالى - فقال :

﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

أى أن هؤلاء الذين يلوون ألسنتهم بالكتاب، ليوهموا غيرهم بأن هذا المحرف من الكتاب، لا يكتفون بهذا التحريف، بل يقولون

﴿ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾

أى هذا المحرف هو نزل من عند الله هكذا، لم ننقص منه حرفا ولم نزد عليه حرفا، والحق أن هذا المحرف ليس من عند

(٧) تفسير ابن كثير جـ ١ صـ ٣٧٧.

الله ولكنهم قوم ضالون يقولون على الله الكذب وهم يعلمون أنهم كاذبون.

ففى هذه الجملة الكريمة بيان لإصرارهم على الباطل، ولتعمدهم الكذب على الله، وتوبيخ لهم على هذا الافتراء العجيب. وقد أكد الله جرأتهم فى النطق بالزور والبهتان بمؤكدات منها :

أن كذبهم لم يكن تعريضا وإنما كان فى غاية الصراحة، فهم يقولون عن المحرف :

﴿ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾

وأن كذبهم لم يكن على البشرفحسب وإنما على الله الذى خلقهم والذى يعلم ما يسرون وما يعلنون

﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾

وأن كذبهم لم يكن عن جهل أو عن نسيان وإنما عن علم وإصرار على هذا الكذب، وهذا ما يشهد به قوله - تعالى: - ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

وهكذا القلوب إذا فسدت، واستولى عليها الحسد والجحود ، ارتكبت كل رذيلة ومنكر بدون تفكر فى العواقب، أو تدبر لما جاءت به الشرائع ، وأمرت به العقول السليمة. وفى هذه الآية ترى أن لفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهِ ﴾ قد تكرر ثلاث مرات، كذلك لفظ ﴿ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ تكرر ثلاث مرات، ولم يكتف بالضمير الذى يدل عليهما، وذلك لقصد الاهتمام باسم الله- تعالى - وباسم كتابه، وبالخبر المتعلق بهما، ولأن من عادة العرب أنهم إذا عظموا شيئا أعادوا ذكره، وقد جاء ذلك كثيرا فى أشعارهم، ومنه قول الشاعر :

لا أرى الموت يسبق الموت شئ
نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

فقصد الشاعر من تكرار لفظ الموت تفخيم شأنه وتهويل أمره.

وبذلك نرى أن القرآن الكريم قد توعد الذين يشترون بعهد الله وبأيمانهم ثمنا قليلا بأشد ألوان الوعيد، كشف عن لون آخر من ألوان مكر بعض اليهود، وعن جرأتهم فى النطق بالكذب عن تعمد وإصرار، حتى يحذرهم المسلمون.

***

السنة

خصلتان يحبهما الله «عزوجل»

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

عن أشج عبد القيس أنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: «إن فيك خلتين يحبهما الله - عز وجل -» قلت: ما هما؟ قال: «الحلم والحياء». قلت: أقديما كانا فىّ أم حديثا؟ قال: «بل قديما». قلت: الحمد لله الذى جبلنى على خلتين يحبهما)

.. رواه أحمد فى مسنده ٤/٢٠٦.

التعريف بالراوى

هو الأشج العبدى، واسمه المنذر بن الحارث بن زياد بن عصر بن عوف بن عمرو بن عوف بن جذيمة بن عوف بن أنمار بن عمر بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبدالقيس ابن أفصى بن دعمىّ.. وفد إلى النبى (ﷺ) فى وفد عبدالقيس، وسمي بالأشج، لأن النبى صلي الله عليه وسلم قال له: يا أشج، فعرف من ذلك اليوم بالأشج.

اللغويات

خلتين: مثنى خلة، والخلّة: الخصلة، يقال: فيه خلّة حسنة وخلّة سيئة، والجمع: خلال.

الحلم: خلاف الطيش، وهو مأخوذ من مادة (حلم) التى تدل على ترك العجلة، وهو الأناة والعقل، وهو نقيض السفه، وجمعه أحلام وحلوم، وقد ورد فى التنزيل:

﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا ﴾

«الطور ٣٢»

حلم (بالضم) يحلُم حلماً، أى: صار حليماً.. وتحلم أى: تكلف الحلم.. والحليم فى صفة الله (عز وجل) معناه الصبور، وقيل: هو الذى لا يستخفه عصيان العصاة ولا يستفزه الغضب عليهم لكنه جعل لكل شىء مقداراً، فهو منته إليه، وقيل: حلم الله هو تأخيره العقوبة عن المستحق لها، فيؤخر العقوبة عن بعض المستحقين قال تعالى:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾

الآية ٤٢ من سورة إبراهيم

ثم قد يعذبهم، وقد يتجاوز عنهم، وقد يعجّل العقوبة لبعضهم، كما أن حلُم فلان عن فلان معناه: لم يقابله على إساءته ولم يجازه عليه.. فالحلم ترك الانتقام عند شدة الغضب مع القدرة على ذلك، بضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب.

الحياء: خلق يبعث على ترك القبح، ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق، وهو انقباض النفس من شىء، وتركه، حذراً من اللوم فيه، وهو من الفضائل التى تدخل تحت العفة، بل هو أولها، وهو من صفات المولى - عز وجل - فالله الحيى كما ورد فى الحديث الشريف: «إن ربك حيى كريم يستحيى من عبده وذلك مبالغة فى الحياء، والغاية من وصف الله - تعالى - به فعل ما يسر، وترك ما يضر، والعطاء من غير سؤال، وهو قسمان: غريزى ومكتسب، والحياء المكتسب هو الذى جعله الشارع من الإيمان، وهو المكلَّف به، دون الغريزى، وقد ينطبع الشخص بالمكتسب حتى يصير كالغريزى، وقد جمع لرسول الله (ﷺ) النوعان فكان فى الغريزى أشد حياء من العذراء فى خدرها، وكان فى الذروة العليا فى المكتسب.

«أقديما كان فىّ أم حديثاً؟» المراد: أهما صفتان طبعنى الله عليهما، أم هما مكتسبتان؟

الشرح والبيان

إن رسول الله (ﷺ) منحه الله من الصفات وأفاض عليه من النعم والهبات، ليكون القدوة الحسنة والأسوة الطيبة فى كل مجالات الحياة، فشرع لنا من الفضائل

والآداب ما يجعل الحياة جنة حافلة بالرحمة والحنان وقنطرة تعبر إليها إلى بر السلام والأمان، إلى الجنات والرضوان فكان (ﷺ) أشد حياء من العذراء فى خدرها وكان إذا كره شيئاً عرف فى وجهه، وكان لطيف البشرة، رقيق الظاهر، لا يشافه أحداً بما يكره حياء وكرم نفس وهذه هى مظاهر الحياء عند رسول الله (ﷺ) قال ابن القيم (رحمه الله): قسم الحياء إلى عشرة أوجه:

١- حياء جناية: ومنه حياء آدم (عليه السلام) لما فر هارباً فى الجنة، قال الله تعالى: أفراراً منى ياآدم؟ قال: لا يارب، بل حياء منك.

٢- حياء التقصيرة كحياء الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون، فإذا كان يوم القيامة قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك.

٣- حياء الإجلال، وهو حياء المعرفة، وعلى حسب معرفة العبد ربه يكون حياؤه منه.

٤- حياء الكرم: كحياء النبى (ﷺ) من القوم الذين دعاهم إلى وليمة أم المؤمنين زينب بنت جحش (رضى الله عنها)، وأطالوا الجلوس عنده فقام واستحيى أن يقول لهم: انصرفوا.

٥- حياء الحشمة: كحياء على بن أبى طالب (رضى الله عنه) أن يسأل رسول الله (ﷺ) من المذى لمكان ابنته منه.

٦- حياء الاستحقار، واستصغار النفس: كحياء العبد من ربه (عز وجل) حين يسأله حوائجه، احتقارا لشأن نفسه واستصغارا لها، وقد يكون لهذا النوع سببان: أحدهما استحقار السائل نفسه واستعظامه ذنوبه وخطاياه، والآخر استعظام مسئوله، وهو الله (عز وجل).

٧- حياء المحبة، أى: حياء المحب من محبوبه حتى أنه إذا خطر على قلبه فى غيبته هاج الحياء من قلبه، وأحس به فى وجهه، ولا يدرى ما سببه، وكذلك يعرض للمحب عند ملاقاته محبوبه، ومفاجأته له، له روعة شديدة ومنه قولهم: جمال رائع، وسبب هذا الحياء، وتلك الروعة مما لا يعرفه أكثر الناس، فإذا فاجأ المحبوب محبه ورآه بغتة أحس القلب بهجوم سلطانه عليه، فاعتراه روعة وخوف.

٨- حياء العبودية: هو حياء ممتزج من محبة وخوف ومشاهدة عدم صلاح عبوديته لمعبوده، وأن قدره أعلى وأجل منها، فعبوديته له توجب استحياءه منه لا محالة.

٩- حياء الشرف والعزة: هو حياء النفس العظيمة الكبيرة إذا صدر منها ما هو دون قدرها من بذل أو عطاء أو إحسان فإنه يستحيى مع بذله حياء شرف نفس وعزة.

١٠- حياء المرء من نفسه: هو حياء النفوس الشريفة، العزيزة الرفيعة من

الأزهر

رضاها لنفسها بالنقص، وقناعتها بالدون، فيجد نفسه مستحييا من نفسه، حتى كأن له نفسين، يستحيى بإحداهما من الأخرى وهذا أكمل ما يكون من الحياء، فإن العبد إذا استحيى من نفسه فهو بأن يستحيى من غيره أجدر.

وإذا كان الحياء مطلوبا من الناس جميعا فإنه مطلوب - على نحو ألزم - ممن ولاهم الله (عز وجل) أمور الناس، ومنحهم النفوذ والسلطان، وقد أنشد الشاعر:

لايعرف الحقد من تعلو به الرتب

ولا ينال العلا من طبعه الغضب

ولذلك لماغضب الخليفة الأموى هشام ابن عبدالملك بن مروان على رجل من أشراف الناس، وشتمه - ما كان من الرجل إلا أن وبخه وقال له: أما تستحيي أن تشتمنى وأنت خليفة الله فى أرضه؟! فأطرق هشام رأسه واستحيا! وقال للرجل: اقتص، أى: خذ منى القصاص، اشتمنى كما شتمتك، قال الرجل: ما كنت لأفعل!! أى: ما كنت لأشتم الخليفة، قال الخليفة: خذ عن ذلك عوضا من المال، قال الرجل: لا، قال: فهبها لله، قل:هى لله ثم لك.

فنكس هشام رأسه وقال: والله لا أعود لمثلها أبدا... هذا درس فى الحياء لا ينسى، ومثل ينبغى أن يحتذى به فإياك - يا أخى الكريم - وما يعتذر منه.

وعلينا أن نتساءل: ما الطريق إلى التخلق بهذا الخلق الرفيع النبيل الذى يرفع قدر صاحبه، ويعلى من شأنه، يقول الجنيد (رحمه الله) فى هذا المعنى:

[إن الحياء يتولد من رؤية الآلاء (أى: النعم العظيمة) ورؤية التقصير فى حق المولى - جل شأنه] .. وهذا حق، فنعم الله على العباد كثيرة وفيرة، نعم يعجز البيان عن حصرها، وتتضاءل الطاعات عن شكرها، وتفنى لحظات الأيام والليالى دون استغراقها قال تعالى:

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾

إبراهيم ٣٤

..وقال:

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

النحل ١٨

ومع ذلك فالناس عن هذه النعم - فى غفلة ساهون، سبحان الله! كأنهم لا يحسون ولا يدركون، وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾

العاديات ٦، ٧

ومعنى (كنود): جحود.

فالشكور من العباد قليل، قال تعالى:

﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾

سبأ ١٣

ومن ثم فإن رب العالمين يذكر النفوس الجاحدة، ويفتح قلوب الخلق وعيونهم على نعمه الظاهرة والباطنة، فيقول:

﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾

لقمان ٢٠

فهل يليق بعاقل يتقلب فى نعم الله أن يستعين بها على معصيته؟! أعتقد أنه إذا ذكر النعمة استحيى من المنعم (جل فى علاه) وبالتالى لايجرؤ على مخالفته، ولا يرضى أن يراه ربه حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره، ولذلك ورد: «خف الله على قدر قدرته عليك، واستح منه على قدر قربه منك» وحسب الحياء فضلا وشرفا أنه من أخلاق الله (عز وجل) ففى الحديث الشريف: «إن الله حييٌ كريم يستحيى إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين» والحياء أثر من آثار الإيمان، وشعبة من شعبه، قال (ﷺ) - فيما رواه البخارى ومسلم (رحمهما الله) بسندهما من حديث أبى هريرة (رضى الله عنه) - : «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان» فالحياء والإيمان قرينان متلازمان لا ينفكان كالشىء وظله، وإذا رفع أحدهما رفع الآخر، روى الحاكم فى مستدركه - وقال: صحيح على شرط البخارى ومسلم، وأقره الذهبى - عن عبدالله بن عمر (رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله (ﷺ): «الحياء والإيمان قرنا جميعا، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر فمن فقد الحياء فقد الإيمان ومن فقد الإيمان فقد كل شىء:

إذا الإيمان ضاع فلا أمان
ولا دنيا لمن لم يحيي دينا

وقد مر رسول الله (ﷺ) على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه فى الحياء، كأنه يقول له: إن الحياء قد أضر بك، فقال له رسول الله (ﷺ) - كما فى الصحيحين من حديث عبدالله بن عمر رضى الله عنهما - : «دعه فإن الحياء من الإيمان» وقد روى الإمام أحمد والترمذى (رحمهما الله) عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: «الحياء من الإيمان، والإيمان فى الجنة. والبذاء - أى: الوقاحة وفحش القول من الجفاء، والجفاء فى النار».

ومن ثم فإن الإسلام يحث المؤمن على الحياء فى جميع الأوقات، وعموم الأحوال عندما يكون مع الناس، أو فى خلوة وقد ورد أن رسول الله (ﷺ) رأى رجلا يغتسل

بالبرز أى: الفضاء الخالى من الناس - فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن الله حييٌ.. ستير، يحب الحياء فإذا اغتسل أحدكم فليستتر» رواه أبو داود فى سننه.

هذا ولما سأله أحد الناس عن الاغتسال فى مكان لا يراه فيه أحد قال (ﷺ): (الله أحق أن يستحيي منه من الناس)... قال تعالى:

﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾

المجادلة ٧

أليست هذه التعاليم تعاليم ديننا، وتوجيهات نبينا (ﷺ)؟! مالى أرى الناس فى غربة عنها، فما أكثر الذين فقدوا الحياء، وعدموا الضمير، وفقدوا الحلم، فانعكست فى نفوسهم القيم، واختلت الموازين، واضطربت المعايير، ما أكثر الذين ران عليهم التبجح وجمود الوجه! فأصبحوا لا يتأثرون بنقد، ولا يحفلون بملام، ولا يبالون بثناء أوهجاء، ولا يهتمون بحلال أو حرام، سبحان الله! كأنهم فى الدنيا مخلدون، وعلى ربهم لا يعرضون، وعن أقوالهم وأفعالهم لا يسألون، ولا يحاسبون، وكأنهم لم يقرءوا ولم يسمعوا هذا التهديد الإلهى، وذلك الوعيد الربانى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾

يونس ٧، ٨

أما من استعد لهذا اللقاء، وأعد نفسه للمساءلة والحساب فقد بشره رب العالمين بقوله:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

يونس ٩، ١٠

هذا وينبغى أن نفرق بين الحياء والخجل، لأن الحياء له دائرته المشروعة، فإذا خرج عن هذه الدائرة كان خجلا مذموما، وذلك كمن يفرط فى حقه، أو يتهاون فى عرضه، أو يتهيب من قول الحق.. كما ينبغى أن يسأل الإنسان عما يجهل من أمور دينه، لأن الإسلام لا يعذر بالجهل فمن ترك السؤال عما يجهل خجلاً كان متكبراً عن طلب الحق، مجانبا للصواب، قالت أم المؤمنين عائشة (عليها الرضوان): (رحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمور دينهن)،

فالحياء كلمة واسعة الدلالة، مترامية الأطراف، وما دخل الحياء فى شىء إلا زانه، وما فقد من شىء إلاشانه، وما ترك الحياء فضيلة إلا حث عليها، ورغب فيها، ولا رذيلة إلا نهى عنها، وحذر منها، روى الترمذى عن عبدالله بن مسعود (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «استحيوا من الله حق الحياء» قال: قلنا: يا رسول الله إنا نستحيى والحمد الله، قال: «ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء».

وهكذا يمنع الحياء صاحبه - كما ذكرنا آنفا - من الطيش والسفه، ويعصمه من المفاسد والزلل، وهو - كما علمنا رسول الله (ﷺ) فى الحديث الأخير - يحفظ الرأس من الأفكار الضالة، والنزعات الفاسدة، ويحفظ ما وعاه الرأس من الحواس من سمع وبصر ولسان، قال تعالى:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾

الإسراء ٣٦

وكذلك يحفظ البطن من الخبيث المحرم والرجس الممنوع، والشهوة المحرمة، وهو - بعد هذا وذاك - يذكر المرء بأنه سيموت وسيلاقى ربه ليسأله عما قدم، وبالتالى ينصرف عن زينة الدنيا إلى أعمال البر وفعل الخير رجاء ما عند الله

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾

الشورى ٣٦

ومن مظاهر ذلك ما ورد أن رجلاً سأل ابن العلاء حاجة، فوعده بها ثم تعذرت عليه فلقيه الرجل، فقال له: وعدتنى وعداً فلم تنجزه، فقال له ابن العلاء: فمن أولى بالغم أنا أم أنت؟ فقال له الرجل: أنا، فقال ابن العلاء: بل أنا لأنى وعدتك فرجعت أنت بفرح الموعد، ورجعت أنا بهم الانجاز، ثم عاق القدر عن بلوغ الإرادة، فلقيتنى مدلا - أى: معاتبا ومؤنبا - ولقيتك محتشما - أى: خجلان من العجز عن الوفاء فصرت أولى منك بالغم.

هذا هو الحياء فى أعلى صوره، وأشرف مراتبه، فاللهم زين قلوبنا بالإيمان، وجمل أخلاقنا بالحلم والحياء واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وفقنا الله جميعا لما يحبه ويرضاه.

***

إنما الدنيا لأربعة نفر

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

المسلم كيس فطن يدرك حقيقة الحياة ويعرف موقعه منها ثم يعرف أموره وأحواله بما يتواءم مع شريعة الله، ولا يختلف مع الدين.. ولا يتصادم مع نظم الحياة الجادة المستقيمة. والإنسان المسلم فى هذه الحياة لا يعيش لنفسه فقط ولكنه يعيش متعاونا مع الغير والغير متعاون معه فهو اجتماعى بطبعه. والناس فى هذه الحياة يحتاج بعضهم إلى بعض ومن قصور التفكير أن يظن البعض أن غيره هو المحتاج اليه وانه غير محتاج إلى أحد.

كيف؟ وطبيعة الحياة أخذ وعطاء والتكوين الإلهى للجماعات البشرية على ظهر هذه الحياة أنهم درجات بعضهم فوق بعض:

﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾

الزخرف، ٣٢

وهذه الحكمة الإلهية بها تنهض الجماعات، ويكدح الناس فى الحياة وتعمر بهم الأرض.

وكما أن الإنسان محتاج إلى عمل يكسب من ورائه، ومحتاج إلى مال ينفق منه، ومحتاج إلى صاحب العمل، فإن صاحب المال محتاج لهذا العامل، ولولا هذا العامل ما كان يتفق له جميع ماله ولاتحصيل ربحه، ولا إدارة عمله الذى يدر عليه هذا الربح.

بل إن الإنسان كثيراً ما تعترضه مواقف يحتاج فيها إلى أبسط الأعمال وأقل المهن التى لا ينظر الناس إليها بعين الإكبار والتقدير، بل ربما ينظرون إلى بعض الأعمال البسيطة والمهن غير البراقة نظرة غير كريمة.

ولكنهم فى الحقيقة إذا راجعوا أنفسهم وقت حاجاتهم الملحة إلى هذه المهن وتلك الأعمال عرفوا قيمتها وأدركوا أهميتها، وعلى كل إنسان أن يدرك دوره فى الحياة والطريقة المثلى لتسيير دنياه.

وضروب الناس متفاوتة فى الدنيا وحظوظهم متنوعة فمنهم من أوتى حظا من العلم والمال.

بالعلم والمال يبنى الناس ملكهمو
لم يبن ملك على جهل وإقلال

ومن الناس من أوتى علما ولم يؤت مالاً.

ومنهم من أوتى مالا ولم يؤت علما.

ومنهم من لم يؤت مالا ولا علما .

إنهم أربعة نفر.. وقد جاء تفصيلهم فى السنة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام. ففيما إخرجه الترمذى :

عن أبى كبشة الأنصارى قال : قال رسول الله ﷺ «ثلاثة أقسم عليهن. وأحدثكم حديثا فاحفظوه: مانقص مال من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله بها عزا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر.. وزاد فى رواية: وما تواضع عبد لله إلا رفعه الله وأحدثكم حديثا فاحفظوه إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقى فى ماله ربه ويصل به رحمه ويعلم أن لله فيه حقا فهذا بأفضل المنازل.

وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول : لو أن لى مالا لعملت عمل فلان فهو بنيته فأجرها سواء وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط فى ماله بغير علم ، لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقا فهذا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما ، فهو يقول : لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته ووزرهما سواء.

والناس فى حياتهم أحد فريقين:

› فريق : هم طلاب دنيا يجعلونها همهم ومنتهى مقصدهم فهم يبحثون عنها فى كل الدروب ويجرون وراءها فى كل اتجاه وربما كانوا عنها بعيدين وكانت عنهم بعيدة وكلما جروا خلفها جرت هى أمامهم فلا يلحقونها ولا ينالون منها إلا ما قسمه الله لهم. وفريق آخر هم طلاب الآخرة جعلوها همهم وشغلهم الشاغل حتى وهم فى أعمالهم الدنيوية جعلوها خالصة نقية لم تشبها شائبة فأولئك أغنى الله قلوبهم وأتتهم الدنيا راغمة.

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع عليه شمله ، وأتته الدنيا وهى راغمة. ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ماقدر له فلايمسى إلافقيرا، ولا يصبح إلافقيرا ، وما أقبل عبد على الله بقلبه إلا جعل الله قلوب المؤمنين تنقاد إليه، بالود والرحمة وكان الله بكل خير إليه أسرع» اخرجه الترمذى .

وقال عمر - رضى الله عنه: «ما كانت الدنيا هم رجل إلالزم قلبه أربع خصال : فقر لايدرك غناه، وهم لا ينقضى مداه، وشغل لا ينفد أوله ، وأمل لا يبلغ منتهاه».

وتلك حقيقة لها من واقع الحياة أمثلة كثيرة ونماذج وافرة فنحن نشاهد من كانت الدنيا همه فى فقر دائم.. وربما تتساءل - قارئى العزيز- كيف يتأتى هذا وهو غنى؟ وكيف يكون فى فقر وهو ذو مال ؟ ولكنك حين تلقى نظرة عابرة على صفحة المجتمعات الإنسانية ترى من الناس من يريد أن يضيف إلى ماله أموالا ويحرص على عدم نقصانها

ويجتهد فى زيادتها..

ومن أجل هذا فهو لا ينفق منها وإنما يكنزها ولا يتمتع بها وإنما يضن بها على نفسه ، وأهله. ورحمه. والفقراء. والمحتاجين فهو فى فقر بيدأن المال بين يديه.

وأما الهم الذى لا ينقضى فهو فى شغل شاغل وراء جمع ثروته وما يخشى أن يضيع منها وما يجب أن يضاف إليها لتنمو وماتشابك به مصالحه مع مشاغله ومشاغله مع متاعبة وهكذا .. فهو فى شغل لا ينفد .. ووراء أمل لا يبلغ مداه، لأن طالب الدنيا لا يشبع ، ولو كان لابن آدم واد من ذهب لتمنى إن يكون له الثانى ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب. ويتوب الله على من تاب . تلك حقيقة لا يمارى فيها أولو الألباب. ، ولكن ليس معنى هذا أن الإسلام لا يدعو إلى السعى والعمل . لابل إن الإسلام هو دين العمل والسعى والتمتع بطيبات الحياة الدنيا.

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قلنا يارسول الله مالنا إذا كنا عندك رقت قلوبنا وزهدنا فى الدنيا وكانت الآخرة كأنها رأى عين وإذا خرجنا من عندك فعافسنا أهلينا وشمعنا أولادنا. أنكرنا أنفسنا.

فقال عليه الصلاة والسلام: «لو تدومون على حالكم عندى لزارتكم الملائكة فى بيوتكم . ولصافحتكم فى طرقكم، ولو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بخلق يذنبون ويستغفرون فيغفرلهم ساعة وساعة والحديث يدعو اخره إلى التوبة وليس إلى الاستهانة بالذنب فليس معنى ، لو لم تذنبوا .. فتح طريق الذنب، لا ، وإنما المراد فتح باب التوبة ، وإعطاء الفرصة والأمل لمن ضلوا أن يثوبوا إلى رشدهم وأن يتوبوا إلى الله ، وإن يكونوا على اتصال دائم به - سبحانه وتعالى - هذا مع سعيهم فى الحياة وكدهم وجهدهم وتعبهم ونصبهم، فهم يعملون لدنياهم كأنهم يعيشون أبدا ويعملون لآخرتهم كأنهم يموتون غدا.

ومن كلام على بن أبى طالب - رضى الله عنه «لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة لطول الأمل ويقول فى الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين. إن أعطى منها لم يشبع وإن منع لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتى ويبغى الزيادة فيما بقى ، ينهى ولا ينتهى ،ويأمر بما لا يأتى، يحب الصالحين ولا يعمل أعمالهم ويبغض المسيئين وهومنهم ، يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقيم على ما يكره الموت له، إن سقم ظل نادما . وإن صح أمن لاهيا يعجب نفسه إذا عوفى، ويقنط إذا ابتلى، تغلبه نفسه على مايظن ولا يغلبها على مايستيقن. ولا يثق من الرزق بما ضمن له ولا يعمل من العمل بما فرض عليه، إن استغنى بطر وفتن وإن افتقر قنط وحزن». تلك طبيعة الإنسان وهى فى حاجة دائمة إلى إصلاح وتقويم وتهذيب وصقل . وتسليم بالإيمان بالله واليوم الآخر..

الحضارة الإسلامية ومكانة المرأة

ميراث المرأة

٢

للأستاذ الدكتور/ محمود امبابي
وكيل الأزهر الشريف

نأتى لأمر مهم يتعلق بتكريم الحضارة الإسلامية للمرأة وهو حقها فى الميراث فنقول:

إن نصيب الذكر فى الميراث يختلف عن نصيب الأنثى وذلك يرجع لعدة أمور:

١- الميراث من جملة النظام العام فى الإسلام فهو خاضع لعموم المسئوليات والأحكام المناطة بالذكر والأنثى وما اختلف فيه من أحكام فهو راجع إلى القاعدة العامة فى عدم لزوم اطراد المساواة بين العاملين، لأن لهم تكاليف حسب أعمالهم ومسئولياتهم فالرجال وهم جنس واحد ليسوا بمتساوى الدخول والمرتبات لدى الجهات الحكومية أو غيرها فى جميع الأنظمة وإنما التفاوت راجع إلى طبيعة أعمالهم ومؤهلاتهم وكفاءاتهم ولا تقوم الحياة إلا بهذا ولا يعتبر هذا مؤثرا فى أصل المساواة.

٢- زيادة الذكر فى نصيبه راجعة إلى طبيعة التكاليف المناطة به فى النظام الإسلامى، فهو المسئول وحده عن تكاليف الزواج من مهر ومسكن ومن أجل مزيد إيضاح لهذا النظام لنفرض أن رجلا مات وخلف ابنا وبنتا وكان للابن ضعف نصيب أخته ثم أخذ كل منهما نصيبه وتزوجا فالابن مطالب بالتكاليف السابقة من مهر وسكن ونفقة مدى الحياة.

أما أخته فسوف تأخذ المهر من زوجها حين زواجها وليست محتاجة إلى شىء من نصيبها لتصرفه فى زواجها أو نفقة بيتها.

ثم إن دية قتل الخطأ يتحمل الرجال من العصبة والأقارب مساعدة القاتل فى دفعها دون النساء، ومن هذا يتضح ما على الرجال من تكاليف مالية ليست على النساء فى نظام الإسلام.

من أجل هذا يجب أن نعلم أن الشريعة الإسلامية تختلف عن أنظمة البشر الجائرة التى تحكم كثيرا من بقاع العالم اليوم حيث فيها يتبرأ الأب من ابنته حين تبلغ سن الثامنة عشر لتخرج باحثة عن لقمة العيش وكثيرا ما يكون ذلك على حساب الشرف ونبيل الأخلاق، أما الفتاة فى الإسلام فهى مرعية فى كنف أبيها أو من يقوم مقامه شرعا حتى تتزوج.

إن منهج الإسلام أحكاما وأخلاقا لا يجوز أن يكون تأمين العيش فيه على حساب العرض والشرف فما ضياع الشرف إلا ضياع للعالم كله ولئن وجد الشاب والشابة فى نزواته وصبواته وفترة طيشه لذة عاجلة فإن عاقبتها الدمار والتشتت الأسرى وتقطيع الأرحام وانتشار الفساد فى الأرض وما نساء الشوارع وفتيات المجلات والأفلام فى أوروبا وأتباع أوروبا إلا نتائج ذلك النظام الخاسر فهن إفرازات أخطاء البيوت الخربة والمسئولية الضائعة حينما ألقاها الرجال عن كواهلهم فوقعن حيث وقعن وتبع ذلك التنصل من مسئولية النسل والتربية الصحيحة وأصبح الفرد ذكرا أو أنثى لنفسه لا لأمته ولشهواته القريبة لا للهمم العليا وبهذه يسرع الفساد إلى المجتمع ويعم الخراب الديار.

٣- الميراث ملحوظ فيه الجانب المادى فهو مرتب على نظام الزواج فهو كعملية الطرح بعد عملية الجمع لإخراج نتيجة صحيحة، أى أن الزيادة فى الميراث ليست تفضيلا ولكنها تعويض مادى بحت.

ولقد كانت المرأة قبل الإسلام تحرم هى وأطفالها من حقهم فى ميراث رب الأسرة، وعندما جاء الإسلام أصلح هذا الفساد، وجعل القرآن الكريم للمرأة حقا فى الميراث، وجعل لها نصيبا باعتبارها زوجة وبنتا وأما وأختا.

أ- باعتبارها زوجة: تستحق الميراث ولو بمجرد عقد الزواج عقدا صحيحا، فالزوجة المدخول بها لها الحق فى الميراث

من زوجها المتوفى. وقرر القرآن نصيبها في الميراث في قوله تعالى:

﴿ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾

(النساء / ١٢)

والولد هنا المقصود به الذكر والأنثى.

فالزوجة تستحق الربع من تركة زوجها المتوفى ما لم يكن للزوج فرع وارث - ذكرا أو أنثى - والفرع الوارث هو الابن أو الابنة، سواء كان منها أو من غيرها، فإن كانت حاملا منه تنتظر حتى تضع حملها فينقص ميراثها من الربع إلى الثمن بنص الآية الكريمة.

وتستحق الزوجة الثمن في تركة زوجها عند وجود الفرع الوارث للزوج، سواء كان منها أو من غيرها.

كذلك الزوجة غير المدخول بها لها الحق في الميراث من زوجها المتوفى، فقد روى الإمام أحمد أن ابن مسعود سئل عن رجل تزوج امرأة فمات عنها ولم يدخل بها ولم يفرض لها «فقال: أقول فيها برأيي، فإن يك صوابا فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه: لها الصداق كاملا، وعليها العدة، ولها الميراث»، فقام معقل ابن سنان الأشجعي فقال: سمعت رسول الله - ﷺ - قضى به في «بروغ بنت واشق» ففرح عبدالله بذلك فرحا شديدا.

إنصاف الإسلام للمطلقة

المرأة المطلقة إذا مات زوجها وهي مازالت في مدة العدة فإنها ترثه إذا كان الطلاق رجعيا، لأنها في حكم الزوجة، وتنتقل من عدة الطلاق إلى عدة الوفاة، والطلاق الرجعي هو أن تكون المرأة طلقت بعد الدخول بها بغير عوض «الخلع»، وكان الطلاق لأول مرة أو ثاني مرة، فإذا مات زوجها فإنها ترثه لقوله - تعالى -:

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(البقرة / ٢٢٨)

وقوله - تعالى -:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾

(الطلاق / ١)

فقد أمر الله - سبحانه وتعالى - الزوجة المطلقة أن تبقى في بيت زوجها في فترة العدة، وقوله - تعالى -:

﴿ لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾

(الطلاق / ١)

يعني به الرجعة.

انقضاء مدة العدة

أما إذا طلقت المرأة طلاقا سرا أو جهرا وعلمت بالطلاق أو لم تعلم، وانقضت مدة العدة قبل وفاة زوجها، فلا حق لها في الإرث منه، كما أنه لا حق له في الإرث منها إن ماتت قبله، أما إذا كانت المطلقة التي مات زوجها مطلقة طلاقا بائنا مثل أن يكون الطلقة الثالثة، أو أعطت الزوج عوضا ليطلقها «الخلع» أو كانت في عدة فسخ لا عدة طلاق، فإنها لا ترث ولا تنتقل من عدة الطلاق إلى عدة الوفاة.

وهناك حالة ترث فيها المطلقة طلاقا بائنا، مثل إذا طلقها الزوج في مرض متهما بقصد حرمانها، فإنها في هذه الحالة ترث منه ولو انتهت العدة، ما لم تتزوج، فإن تزوجت فلا إرث لها، والمرأة التي انقضت عدتها لا يطلق عليها اسم «الزوجة».

ومن ناحية أخرى فإنه لا يجوز أن ترث الزوجة الكتابية زوجها المسلم، فيرى الإمام الشافعي أن الكتابية التي يجوز نكاحها كالمسلمة فيما لها وما عليها إلا أنهم لا يتوارثان.

كما أنه لا يجوز أن يرث المسلم غير المسلم ولو كان أباه.

قال صاحب الرحبية:

ويمنع الشخص من الميراث واحدة من علل ثلاث:

رق وقتل واختلاف دين، فافهم فليس الشك كاليقين.

فموانع الميراث ثلاث:

١- الرق: فالرقيق لا يرث ولا يورث.

٢- والقتل: لقوله - ﷺ -: «ليس للقاتل من الميراث شيء»[1].

٣- واختلاف الدين: فالمسلم لا يرث غير المسلم، وبالعكس، سواء كان الارتباط بينهما بقرابة أو بزواج أو بولاء، وسواء كان الإسلام قبل قسمة التركة أو بعدها.

ومن الأدلة على ذلك قوله - عليه الصلاة والسلام -: «لا يرث المسلم

(١) رواه البخاري ومسلم

الكافر ولا الكافر المسلم» وهذا ما عليه الخلفاء والجمهور.

ب- باعتبارها بنتا:

قرر القرآن الكريم نصيبها فى الميراث باعتبارها بنتا فى قوله - تعالى -:

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ﴾

(النساء/ ١١)

فللبنت الواحدة النصف فرضا إذا لم يوجد معها معصبها، وهو أخوها فأكثر، وللاثنتين فأكثر الثلثان عند فقد المعصب.

جـ- باعتبارها أما:

قرر القرآن الكريم نصيبها فى الميراث باعتبارها أما فى قوله - تعالى -:

﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾

(النساء/ ١١)

فالأم تأخذ سدس التركة فرضا عند وجود الفرع الوارث للميت وتأخذ ثلث التركة فرضا عند عدم وجود الفرع الوارث للميت.

د- باعتبارها أختا:

كما قرر القرآن الكريم نصيبها فى الميراث باعتبارها أختا فى قوله - تعالى:

﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾

(النساء/ ١٢)

وقوله - تعالى -:

﴿ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

(النساء/ ١٧٦)

فللأخت الواحدة النصف فرضا عند عدم معصبها، وهو أخوها الشقيق، والجد أحيانا وللأنثيين فأكثر الثلثان فرضا عند عدم معصبهما وترث الواحدة فأكثر بالتعصيب مع معصبها، وله ضعف الواحدة.

ويلاحظ هنا استخدام القرآن الكريم لـ(لام) الاختصاص والملكية، وتأتى هذه اللام فى كل نصيب: ففى نصيب الزوجة: «ولهن الربع» و«فلهن الثمن»

وفى نصيب البنت: «فلهن ثلثا ما ترك» وفى نصيب الأم: «فلأمه الثلث» و«فلأمه السدس» وفى نصيب الأخت: «فلكل واحد منهما السدس» و«فلها نصف ما ترك».

كل ذلك يؤكد مبدأ حق المرأة فى الميراث بمقدار نصف ما يرث شقيقها.

هـ- للذكر مثل حظ الأنثيين:

لقد أعطى الإسلام المرأة نصيبا فى الميراث، كما أعطى الرجل نصيبا، وإن كان نصيب المرأة أقل من نصيب الرجل، فلأن الرجل هو الذى ينفق عليها وعلى أولادها ومن يعولهم، إن النساء يرون أن يكون الرجل هو الباذل من أجلهن، المنفق المتكفل بالإنفاق عليهن، حتى يشعرن برجولته المنبثقة من القوامة والإنفاق، فالقوامة معناها القيادة والرعاية والسند والملجأ والحصن والأمن.

وإذا كان أهم مواضع التفرقة بين الرجل والمرأة مسألة تقسيم الإرث، ومسألة القوامة، فذلك حق، ولكن ليس معناه منح ميزة للرجل على المرأة، فالإسلام يجعل الرجل هو المكلف بالإنفاق، ولا يطلب من المرأة أن تنفق شيئا من مالها على غير نفسها وزينتها.

إن الإسلام فرض للمرأة النصف لأنها معفاة من أى تكليف، وفرض للذكر مثل حظ الأنثيين لأنه حمله كل أعباء الصداق والنفقة على زوجته وأولادهما، وعلى الأقارب من ذوى الأرحام.

فأين الظلم الذى يزعمه دعاة المساواة المطلقة؟ إن المسألة حساب لا عواطف ولا ادعاءات، تأخذ المرأة ثلث الثروة الموروثة لتنفقه على نفسها، ويأخذ الرجل ثلثى الثروة لينفقهما على زوجة وعلى أسرة وأولاد، فأيهم نصيبه أكثر من الآخر بمنطق الحساب والأرقام؟!.

إن المنهج الإسلامى يتبع الفطرة فى تقسيم الوظائف وتقسيم الأنصبة بين الرجال والنساء، والفطرة ابتداء جعلت الرجل رجلا والمرأة امرأة، وأودعت كلا منهما خصائصه المميزة، لتنوط بكل منهما وظائف معينة، لا لحسابه الخاص، ولا لحساب جنس منهما بذاته، ولكن لحساب هذه الحياة الإنسانية التى تقوم وتنتظم وتستوفى خصائصها وتحقق غايتها من الخلافة فى الأرض، وعبادة الله بهذه الخلافة عن طريق هذا التنوع بين الجنسين، والتنوع فى الخصائص، والتنوع فى الوظائف، وعن طريق تنوع الخصائص، وتنوع الوظائف ينشأ تنوع التكاليف، وتنوع الأنصبة، وتنوع المراكز لحساب المجتمع المسلم، ولحساب الخلق والصلاح، والخير والعدل المطلق المتكامل الجوانب والأسباب.

على أن هذا فى المال الموروث بلا

تعب، أما فى المال المكتسب فلا تفرقة فيه بين الرجل والمرأة، وإنما المساواة الكاملة فى الجهد والجزاء.

فيقول - تعالى -:

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾

(النساء/ ٣٢)

فى هذه - الآية الكريمة توجيه للنفوس وتربيتها على عدم التطلع إلى ما أنعم الله به على البعض، والتوجه إلى الله صاحب العطاء، وسؤال من بيده الفضل والعطاء، وذلك التوجه مصاحب لتقرير حق الرجال ونصيبهم فيما اكتسبوا، وحق النساء ونصيبهن فيما اكتسبن، إنها لمسة وجدانية مؤثرة، وتوجيهات تربوية من صنع العليم بالإنسان وتكوينه النفسى ومسالك نفسه ودروبها الكثيرة.

هذا، والجدير بالذكر أنه فى بعض الحالات سوى الإسلام بين الذكر والأنثى فى الإرث، وذلك عند اتحاد السبب والعاطفة، كأولاد الأم، فإن المورث ليس له من أخيه لأمه من عاطفة التراحم الناشئة من صلة الأمومة أكثر مما له من أخت لأمه.

شهادة المرأة

يطعن أعداء الحضارة الإسلامية فى موضوع شهادة المرأة وهم يرون أن الإسلام يقف عائقا أمام تساوى الرجل والمرأة فى الشهادة معتبرين أن «قضية الشهادة هذه منافية لمبدأ المساواة بين الرجل والمرأة، وأنها مظهر آخر من مظاهر الدونية للمرأة فى الشريعة الإسلامية» وللرد على مزاعمهم نؤكد على أن التمييز فى الشهادة بين الرجل والمرأة ليست مطلقة بل هى تختلف من حالة إلى أخرى، وهى على أقسام:

١- الشهادة التى لا يقبل فيها شهادة المرأة مطلقا وهى شهادة القصاص والحدود ذلك لأن هذه القضايا تثير موضوعاتها عاطفة المرأة ولا تقوى على تحملها.

٢- شهادة المبايعة والمداينة وهى التى يطلب فيها شهادة رجلين أو رجل وامرأتين بناء على قوله تعالى:

﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ﴾

(البقرة/ ٢٨٢)

وهذا التمييز فى هذا النوع من الشهادة ليس تميزا عبثيا وإنما يعود إلى

الفوارق الفطرية والطبيعية بين الرجل والمرأة، حيث إن المرأة لقلة اشتغالها بالمبايعات معرضة أكثر من الرجل للضلال الذى هو نسيان جزء وتذكر جزء آخر، ويعود سبب ضلال المرأة أكثر من الرجال إلى طبيعة تركيبة جسمها الذى يجعلها تتأثر بسرعة مما يعرضها لعدم الثبات.

٣- شهادة اللعان التى تتساوى فيها شهادة الرجل وشهادة المرأة كما فى حال اللعان، وهى الحالة التى يحصل فيها اتهام بالخيانة الزوجية، قال - تعالى -:

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۝٦ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٧ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٨ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

(النور/ ٦: ٩)

٤- شهادة الولادة وإحقاق النسب للمولود والرضاعة كلها شهادات تنفرد فيها المرأة دون الرجل، كما جاء عن رسول الله - ﷺ -: «فقد روى عن عقبة بن الحارث، أنه تزوج أم يحيى بنت أبى أهاب. فجاءت امرأة وقالت: «لقد أرضعتكما»(*) فسأل عقبة النبى - ﷺ - فقال: كيف وقد قيل؟ ففارقها عقبة، فنكحت زوجا غيره».

يتبين لنا مما سبق أن وجود امرأتين فى الشهادة مع رجل واحد، هو أمر خاص فى المداينة فقط دون سائر أنواع الشهادات مما ينفى وجود تمييز فى الحقوق بين الرجل والمرأة ومما ينفى المساس بكرامة المرأة بل جل ما فى الأمر أن الدين الحنيف يهدف إلى توفير الضمانات فى الشهادة وزيادة الاستيثاق لإيصال الحق إلى أصحابه.

***

(*) وفي رواية: «فسألت، فأبطأنا عليها، قالت: تصدقوا على فوالله لقد أرضعتكما جميعا

العولمة والهوية الثقافية الإسلامية

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى

إن الثقافة تعبر – فيما تعبر عنه – عن نظرة أمة ما إلى: الكون، والحياة والموت، والإنسان ومهامه.

يذهب الجابرى إلى أن الهوية لا تغدو ممتلئة، قادرة على نشدان العالمية، وعلى الأخذ والعطاء إلا إذا تجسدت مرجعيتها فى كيان تتطابق فيه ثلاثة عناصر: الوطن، والأمة، والدولة، فكل مس بالوطن أو بالأمة أو بالدولة هو مس بالهوية الثقافية، والعكس صحيح أيضاً، كل مس بالهوية الثقافية هو مس فى الوقت نفسه بالوطن والأمة والدول، وتجسيدها التاريخى. فمن المعروف أن اللغة دعامة صلبة فى بناء الهوية الثقافية، وقد تصدع هذا البناء فى كثير من المجتمعات اندثرت فيه اللغة وماتت(١).

وفى تعريف الجابرى للهوية الثقافية ما يفهم منه – وإن كان لا يعنيه الجابرى وربما لا يلتفت إليه على ضوء عبارات التعريف – أن المس بالهوية الثقافية هو مس بالوطن

(١) العرب والعولمة – مركز دراسات الوحدة العربية، وفيه بحث محمد الجابرى: العولمة والهوية الثقافية، ص٢٩٩.

والأمة والدولة، فإن ثقة أى مقوم من مقوماتها، أو محاولة تجاوز مقولاتها المتهافتة يصبح تهمة يعاقب عليها القان... عقابه، وبخاصة فى نظم سياسية أص... تزعم أنها الدولة بعينها، وأى نق... سياسى قائم وعابر هو نقد للدو... بالوطن، وبالأمة وتحول. أما ما نأخذه على الجابرى فإنه لم يدخل العقيدة فى الملة (الدين) فى مقومات الهوية الثقافية مع أن الدين عنصر جوهرى فى التشكيل الثقافى والهوية الثقافية.

ما هو مستقبل الثقافة العربية فى عصر ثقافة الصورة باعتبارها تمثل وجها خطير الشأن من أوجه العولمة، ويطرح عربيا قضايا متنوعة، وذات أبعاد مستقبلية محيرة؟ هل انفكت العلاقة بين المجتمع الوطنى والثقافة الوطنية؟ إن خطاب عدد من المفكرين العرب يتحدث عن الخصوصية الثقافية ليس لأسباب ثقافية بل لأسباب سياسية، حتى تصبح الصيغ الخاصة المشوهة للديمقراطية من الخصوصية الثقافية، وكذلك حقوق الإنسان، وحتى يتحول إلجام وسائل الإعلام وتشديد الخناق على قيم أخرى ذودا عن قيم الخصوصية الحضارية.

...ا دخلت المسجد ... أن يقول]: «ورأيت ... كأنهم الملائكة، ... الجماعة التى ... ه عليهم) ... يا عباءته ... بق من ... الفرنسي... على والى مصر و... وصنف كل هذا الجبرتى ... «تاريخ عجائب الآثار فى الت... والأخبار»، وكان مما دعا إليه الجبرتى: الإفادة من العلوم والفنون الحديثة التى دونها العلماء الفرنسيون إبان وجودهم فى مصر أثناء الحملة الفرنسية، وفى الوقت نفسه خشى الجبرتى من أن تلك العلوم والفنون والعادات والتقاليد الفرنسية قد تؤثر سلباً على التراث الإسلامى والعقيدة والعادات والتقاليد والقيم التى يتحلى بها المصريون آنذاك(٢).

ويؤكد الباحث العربى فضيل أبوالنصر فى كتابه «بين الغربنة والأسلمة: واقع الصراع على الساحة العربية الإسلامية» أن الجبرتى رحب فى «روايته للاحتلال

(٢) عبدالرحمن الجبرتى، تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، دار الجيل، بيروت، دون تاريخ.

الفرنسى بالإنجازات التى تحققت نتيجة الحملة الفرنسية، إلا أنه كان يشعر دوما بالخطر على الدين والأخلاق الملازم لكل حكم غير مصرى»[٣].

فالإشكالية التى نحن بصددها هى الثنائية التى يعيشها الفكر العربى فيما يتعلق بالأصالة والمعاصرة.

ويلقى المفكر العربى عبدالسلام المسدى فى كتابه «العولمة والعولمة المضادة» الضوء على هذه الظاهرة فيقول: «والحقيقة أننا فى تحديات الفكر العربى نواجه جملة من الثنائيات: الأولى هى ثنائية الحاضر والماضى، ذلك أن أحد أسباب المعضلة العربية العامة يتمثل فى عدم القدرة على ضبط علاقة الراهن بالتاريخ»[٤].

ومن أجل التغلب على هذه الإشكالية الثنائية التى يعيشها الفكر العربى منذ زمن بعيد، علينا أن نعيد بناءه، ونرسى قواعد عصرية له. إن إعادة بناء الفكر العربى تتطلب منا وضع ثلاث قواعد ثابتة حتى يكون البناء سليمًا قويًا:

القاعدة الأولى فى البناء: هى الاعتزاز الكامل، الذى لا ريب ولا جدال فيه بالثقافة العربية الإسلامية وتراث الأمة فى العقائد والعادات والتقاليد، والمحافظة عليها وتأصيلها فى حياة الإنسان العربى.

القاعدة الثانية: هى إحياء الثقافة العربية من مرقدها، وتنقيتها من الشوائب التى علقت بها فى عصور الضعف والانحطاط التى مرت على الأمة العربية.

والقاعدة الثالثة: هى وضع الأسس السليمة التى تعيد بناء الفكر العربى لكى يتعايش مع العصر الذى نعيش فيه، ويواكب عصر المعلوماتية، والتكنولوجيا الحديثة، وشبكات الإنترنت، بمعنى أن يعيش الفكر العربى عصره بكل ما فيه من إبداع وتقدم فى شتى المجالات العلمية والأدبية والفنية والتكنولوجية.

ونحن لا نرى تناقضًا بين أن يتمسك الإنسان العربى بفكره وتراثه وعقيدته، وأن يكون فى الوقت نفسه قادراً على أن يعيش عصره، ويواكب المتغيرات الثقافية الفكرية والعلمية والتكنولوجية والتعرف إليها، والإفادة منها. فإعادة بناء الفكر العربى ليس أمراً وليد العصر الذى نعيش فيه، بل كان ظاهرة صحية تتميز بها العصور الذهبية الإسلامية التى جمعت بين الأصالة الثقافية العربية والثقافة المعاصرة لتلك العصور.

(٣) فضيل أبوالنصر، بين الغربنة والأسلمة – واقع الصراع الثقافى على الساحة العربية الإسلامية، الناشر بيسان، بيروت، ١٩٩٧.

(٤) عبدالسلام المسدى، العولمة والعولمة المضادة، كتاب سطور، القاهرة، ١٩٩٩، صفحة ٢٣.

مشكلة علاقة المفكر العربى بالسلطة السياسية

لقد طال الجدل حول غياب الحرية الثقافية فى الكثير من أرجاء الوطن العربى، مما عوق بناء ثقافة وطنية يقودها المفكرون فى إطار من الديمقراطية الثقافية، والحرية الكاملة فى التعبير، والمحافظة على حقوق الإنسان العربى فى الاجتهاد والإبداع والابتكار، ومن ثم لم تتمكن الدول العربية إلى وقتنا هذا من تحقيق أى إنجاز يذكره لها التاريخ فى بلورة رؤية عربية ثقافية متكاملة، يمكنها أن تواجه العولمة الثقافية التى تدعو إليها الدول الغربية وأمريكا.

الباحث العربى صبرى عبدالحافظ فى مقالته عن «الحرب (يقصد حرب الخليج عام ١٩٩٠) ومأسوية علاقة المثقف العربى بالسلطة» يلقى الضوء على الأسباب التى عملت على تبعية المؤسسة الثقافية العربية للمؤسسة السياسية، وعدم استقلال المثقف وتحرره من مؤسسة السلطة، فيقول: «وتعود ذيلية قطاع كبير من المثقفين إلى كثير من الأسباب التاريخية والحضارية، وأهمها غياب الحرية عن أفق الممارسات السياسية والثقافية فى معظم أرجاء الوطن العربى، وسيطرة العقلية العشائرية والقبلية التى لا تتسامح مع الرأى المخالف لشيخ القبيلة، وتبعية المؤسسة الثقافية للمؤسسة السياسية وعدم استقلال المثقف اقتصاديًا عن مؤسسة السلطة»[٥].

ويمكننا أن نلخص الأسباب التى ذكرها الباحث فى مقالته عن تسلط المؤسسات السياسية على المفكرين العرب وإخضاعهم لسلطتها ومشيئتها لأربعة محاور رئيسية، هى:

- غياب حرية الفكر والتعبير عن النفس تحت تسلط الممارسات السياسية فى الدول العربية.
- وجود العقلية العشائرية والقبلية التى تفرض الرأى الواحد ولا تقبل الرأى الآخر.
- تبعية المؤسسة الثقافية للمؤسسة السياسية.
- عدم استقلال المثقف العربى اقتصاديًا عن مؤسسة الدولة.

(٥) صبرى حافظ، الحرب ومأساوية علاقة المثقف العربى بالسلطة، مقالة فى كتاب «عودة الاستعمار من الغزو الثقافى إلى حرب الخليج»، قام بتحرير الكتاب رياض الريس، ويشمل المؤلف كتابات لمجموعة من المفكرين العرب، الناشر رياض الريس للكتب والنشر، لندن فى نوفمبر ١٩٩١، صفحة ٢٠٩.

مختارات من الشعر المعاصر

رحلة عابسة (١)

(للشاعر الكبير الأستاذ أحمد محرم)

عَصفَ الهوى بجوانحِ المُشتاقِ ... وهفا الحنينُ بقلبه الخفّاقِ (٢)

ما يَصنعُ القلبُ الطَّروبُ إذا الهوى ... بلغَ القرارَ، وجالَ فى الأعماقِ؟

يا صاحبى: فيم المُقامُ على الأذى؟ ... سِرْ، فالبلادُ فسيحةُ الآفاقِ

اركبْ جَناحَ الرِّيحِ واستبقِ المدى ... بَعُدَ المدى (بالشاعرِ السَّبَّاقِ)

ماذا تظنُّ بنا المدائنُ والقُرى؟ ... الركبُ رَكبى، والرِّفاقُ رِفاقى

وأنا الذى أحببتُها وجَعلتُها ... دارَ الهوى، ومَحلَّةَ الأشواقِ

ولكم سَقيْتُ رُبوعَها من أدمُعى ... والباكياتُ جَوامدُ الآماقِ (٣)

لاذتْ بأروقةِ البيانِ، فلم تجدْ ... فى الحادثاتِ النُّكرِ مثلَ رُواقى

---

(١) قدمت مجلة الرسالة هذه القصيدة بقولها «من دمنهور عاصمة البحيرة التى هى مقرّ الشاعر إلى القاهرة، ومن القاهرة إلى الإسكندرية عن طريق الصحراء انطلقت به السيارة هو وصديق له، فمرّ فى طريقه بدانشوى والقناطر الخيرية والأهرام، فتنكرت شاعريته لكل هذه المشاهد، أو هى تنكرت لهذه الشاعرية الساخطة، وحسبه أن يكون فى جوف الصحراء فيحسب أنه فى نفق من الأنفاق، وأن يكره الشمس فيراها تخلع رداء الحسن والإشراق ويشهد الروض يكره نفسه فيلقى بما فيه من زهر وأوراق».

(٢) هفا الحنين بقلبه حركه وذهب به.

(٣) الرُّبوع الأحياء أو هى الديار، والآماق جمع الموق مجرى الدّمع من العين.

أدبٌ تحصَّنَ بالمروءةِ فارعَوى ... عنه المساوِمُ، واتَّقاهُ الرَّاقى (٤)

ما كنتُ أحسبُ والخُطوبُ كثيرةٌ ... أنّ القريضَ يُباعُ فى الأسواقِ

***

قُلْ للجداولِ والزُّروعِ: تحدَّثى ... فى غيرِ ما وَجَلٍ (٥)، ولا إشفاقِ

ماذا يُمارسُ من شدائدِ دهرِه ... مَن أنتِ كلُّ رجائِه، ويُلاقى؟

ولِمَنْ جَناكِ؟ أللذى هو زارعٌ؟ ... أم أنتِ للجانى بلا استحقاقِ؟

ويْلى على (فلاحِ مصرَ) أما كفى ... ما ذاقَ من عَنَتٍ (٦)، ومن إرهاقِ؟

يُغنى ألوفَ المُترفينَ (٧) بمالِه ... ويعيشُ فى فقرٍ، وفى إملاقِ

سُبحانَ من شرعَ السَّبيلَ لخَلقِه ... أكذا يكونُ تفاوتُ الأرزاقِ؟

***

ولقد مررتُ (بدُنشواى) فهاجنى ... وَجْدٌ على مَرِّ الحوادثِ باقِ (٨)

تلك السِّياطُ على الجلودِ، وهذه ... سُودُ الحبالِ تُشدُّ فى الأعناقِ

وأرى دُموعَ الثَّاكلاتِ هَواميًا ... تَجرى، فتَغرقُ فى الدّمِ المُهراقِ (٩)

تَرمى النُّفوسُ، وما بها من قوّةٍ ... تَزَعُ (١٠) الرُّماةَ، وما لها من واقِ

---

(٤) ارعوى عنه كفّ عنه، والرّاقى من يصنع الرُّقية.

(٥) الوجل: الخوف.

(٦) العنت: الشدة والهلاك.

(٧) المترف: المتنعم.

(٨) فى هذا البيت وما يليه إشارة إلى حادثة دنشواى التى تتلخص فى أن خمسة من الضباط الإنجليز قصدوا إليها فى ١٣ من يونيو سنة ١٩٠٦ لصيد الحمام وأصيب بعض الأهلين فاصطدموا بالإنجليز فأصابوا بعضا منهم فثارت ثائرة اللورد كرومر عميد الدولة البريطانية وعقدت المحكمة المخصوصة لمحاكمة الأهالى وقضت بإعدام أربعة منهم وجلد وحبس ثمانية ونفذ الإعدام والجلد فى نفس البلد على مرأى ومسمع من أهله وكان فى ذلك الحكم وفى تنفيذه من القسوة ما أثار أنفس المواطنين.

(٩) الثاكل: التى فقدت ابنها، وهمى الدّمع سال، والمُهراق المُراق.

(١٠) وزعه: كفه ومنعه.

عرف (الحمام) مُصابَها، فكأنما … لَبِسَ الأسى فى هذه الأطواق[١١]

لولا الأُلَى حَملوا السِّلاح لصَيْده … لم يَسْقِها الموتَ المُسَمِّمَ ساق

***

سِرْ يا رفيقى، ليتنى فى مَحْبَسى … ولَسَوْف أمنعُ أن يُحلّ وثاقى[١٢]

أهِىَ (القناطرُ) فى بَديعِ جَمالِها؟ … أم تلك بعضُ مَقابرِ الأخلاق؟

ودعوا العُهودَ، فما وجدتُ لِمُدَّعٍ … فى الحُبِّ من عهدٍ، ولا ميثاق

الحبُّ ما صرفَ القُلوبَ إلى الهُدَى … وسَما إلى الجوزاءِ بالأحداق[١٣]

دينُ المُروءةِ والوفاءِ، وإن هُمو … زعموهُ دينَ تصنُّعٍ ونفاق

القبرُ أطيبُ من فُؤادِ مُنافقٍ … خدعَ النُّفوسَ بظاهرٍ برّاق

***

ما هذه (الأهرامُ) ما لبناتِها … ساقوا أمورَ المُلكِ شرَّ مَساق؟

هدموا القُوَى فيها يُشدُّ فناؤها … ويُقامُ أطباقًا على أطباق

هىَ إن أردتَ الحقَّ شاهدُ قسوةٍ … يُخزِى الوُجوهَ، وآيةُ اسْتِرقاق[١٤]

أفما تراها، كلّما اسْتَنْطَقْتَها … زادَتْكَ من صَمْتٍ ومن إطراق؟

خُرسٌ يُجلّلُها الحياءُ، وما بها … إلاّ ضلالُ (السّادة الحُذّاق)

قالَ الأُلَى فُتِنوا بها: مُستودَعٌ … للسرِّ، غُودِرَ مُحكَمَ الأغلاق[١٥]

دَعْ ما يُريبُك من وَساوسِ مَعشرٍ … عكفوا على التّهويلِ والإغراق[١٦]

دارٌ تُجيرُ من الزّمانِ وصَرْفِهِ … وتَصونُ ما أبقى من الأرماق[١٧]

---

(١١) جمع الطوق وهو حلى للعنق يحيط به. (١٢) قيدى.

(١٣) الجوزاء: برج فى السماء، والأحداق جمع حدقة وهى سواد العين الأعظم.

(١٤) أخزاه أوقعه فى الخزى، والاسترقاق الاستعباد.

(١٥) جمع الغَلَق الباب العظيم أو ما يُغلق به الباب.

(١٦) من أغرق فى الأمر بالغ فيه وأطنب.

(١٧) جمع الرمق بقية الحياة.

خيرٌ من الصَّرحِ المُقامِ لظالمٍ … جافى الطِّباعِ إلى الأذى توّاق[١٨]

***

سِرْ فى القِفارِ البيدِ، ما لركابِنا … من حابسٍ فيها، ولا مُعتاق[١٩]

رَحُبَتْ جوانبُها، فنحن نَظُنُّها … أخلاقَ حُرٍّ ماجدِ الأعراق[٢٠]

أتظنُّ أنا فى فسيحِ فضائِها … أم نحن فى نَفَقٍ من الأنفاق؟

إصبِرْ، ولا تعجب لما أنا قائلٌ … فالهمُّ ويحكَ آخذٌ بخناقى[٢١]

وكأنّما أنا والأحبّةُ حُضّرٌ … حولى صريعُ نوًى، ونضوُ فراق[٢٢]

إنّا اجتمعنا للرحيلِ، يضمُّنا … فكأنّنا لم نجتمعْ لتلاق

ذُقتُ الخُطوبَ، فما وجدتُ مَرارةً … كمرارةِ الحِرمانِ والإخفاق[٢٣]

ما كنتُ أُوثِرُ أن أُفارقَ موضعى … لولا القضاءُ وحكمةُ الخلاّق

***

مالى رأيتُ الشّمسَ حين كرِهتُها … خلعتْ رداءَ الحُسنِ والإشراق؟

ولقد شهدتُ الرّوضَ يكرهُ نفسَهُ … لمّا رمَى بالزّهرِ والأوراق

للعبقريّةِ من هوى أربابِها … علمٌ تُجوِّدُهُ، وفنٌّ راق

أمُّ البدائعِ، مما يُحدُّ نطاقُها … إن حدّدَ الأقوامُ كلَّ نطاق

هىَ للرِّجالِ على الخَصاصةِ والغِنَى … أغلَى الكُنوزِ، وأنفسُ الأعلاق[٢٤]

***

---

(١٨) مُسرعٌ.

(١٩) القفار البيد: الصحارى لا ماء فيها ولا ناس ولا كلأ، واعتاقه صرفه وثبّطه وأخّره.

(٢٠) جمع العرق وهو الأصل.

(٢١) ويحك كلمة ترحّم وتوجّع وقد تأتى بمعنى المدح والتعجب، وقيل إنها ويل، والخناق العُنق.

(٢٢) النوى: البعد، والنضو المهزول كأنّه جُرِد من اللحم.

(٢٣) أخفق: طلب حاجةً فلم يُدركها.

(٢٤) الخصاصة الفقر، والأعلاق جمع العِلْق النّفيس من كل شىء لتعلّق القلب به.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾

شهادات غربية فى إنصاف الإسلام

٤

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

.. وبعد أن شهد المستشرق الإنجليزى «سير توماس أرنولد» [١٨٦٤ - ١٩٣٠م] على المناخ الذى ظهر فيه الإسلام.. مضى ليشهد على التفوق الذاتى للإسلام.. ذلك الذى ضمن له -دون إكراه- سرعة الانتشار- فقال:

«لقد باشر محمد سلطة زمنية كالتى كان يمكن أن يباشرها أى زعيم آخر مستقل، مع فارق واحد هو أن الرباط الدينى بين المسلمين كان يقوم مقام رابطة الدم. وعلى هذه الصورة أصبح الإسلام، ولو من الوجهة النظرية على الأقل، كما سن دائما، نظاما سياسيا بقدر ما هو نظام دينى.

كانت رغبة محمد ترمى إلى تأسيس دين جديد. وقد نجح فى هذا السبيل، ولكنه فى الوقت نفسه أقام نظاما سياسيا له صفة جديدة متميزة تميزا تاما..

وكان دخول مبدأ جديد من الوحدة الاجتماعية فى ظل الأخوة الإسلامية فى المجتمع العربى قد بدأ منذ حين فى إضعاف القوة الرابطة للفكرة القبلية القديمة، تلك الفكرة التى أقامت بناء المجتمع العربى على أساس قرابة الدم. وكان إسلام الفرد ودخوله فى المجتمع الجديد هدما لأهم قوانين الحياة العربية الأساسية، كما كانت كثرة دخول العرب فى الإسلام من العوامل القوية التى أدت إلى تفكيك النظام القبلى وتركه ضعيفا أمام حياة قوية شديدة التعصب قوية التماسك، كتلك الحياة التى صار إليها المسلمون.

إن دخول الإسلام فى المجتمع العربى لم يدل على مجرد القضاء على قليل من عادات بربرية وحشية فحسب، وإنما كان انقلابا كاملا لمثل الحياة التى كانت من قبل.

كذلك نجد أن أداء الصلوات الخمس كل يوم على جانب عظيم من التأثير، سواء فى جذب الناس أو الاحتفاظ بالمسلمين منهم. وقد أحسن «مونتسكيو» [١٦٨٩- ١٧٥٥][(١)] فى قوله: «إن المرء لأشد ارتباطا بالدين الحافل بكثير من الشعائر، منه بأى دين آخر أقل منه احتفالا بالشعائر، وذلك لأن المرء شديد التعلق بالأمور التى تسيطر دائما على تفكيره».

إن دين المسلم يتمثل دائما فى مخيلته، وفى الصلوات اليومية، يتجلى هذا الدين فى طريقة نسكية خاشعة مؤثرة، لا تستطيع أن تترك العابد والمشاهد كليهما غير متأثرين.

يتحدث سعيد بن الحسن -أحد يهود الاسكندرية، الذى اعتنق الإسلام فى سنة ١٢٣٨م- عن مشهد صلاة الجمعة فى مسجد باعتباره عاملا حاسما فى تحوله إلى الإسلام. فى خلال مرض شديد قد انتابه، رأى فى المنام أن صوتا يأمره بأن يجهر بالإسلام: «وعندما دخلت المسجد [ويستمر حديثه إلى أن يقول]: «ورأيت المسلمين يقفون صفوفا كأنهم الملائكة، سمعت هاتفا يقول: هذه هى الجماعة التى أخبر الأنبياء (صلوات الله عليهم) بقدومها.. ولما ظهر الخطيب مرتديا عباءته السوداء، استولى علىَّ شعور عميق من الرهبة.. ولما ختم خطبته بالكلمات:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

(النحل: ٩٠)

ولما بدأت الصلاة أحسست بقوة تدفعنى إلى النهوض، لأن صفوف المسلمين بدت أمامى كأنها صفوف الملائكة، الذين يتجلى الله القدير فى سجداتهم، ثم سمعت هاتفا يهتف بى: إذا كان الله قد تحدث مرتين إلى بنى إسرائيل فى كل العصور، فإنه يتحدث إلى هذه الجماعة فى كل وقت من أوقات الصلاة. وأيقنت فى نفسى أنى خُلقت لأكون مسلما»..

أما «رينان إرنست» [١٨٢٣ - ١٨٩٢م][(٢)] فإنه يقول: «ما دخلت مسجدا

(١) كاتب وفيلسوف فرنسى يعد مؤلفه [روح القوانين] من معالم النهضة الأوروبية. بسط فيه الحديث عن أشكال الحكومات، والفصل بين السلطات، والديمقراطية النيابية.

(٢) مؤرخ وناقد ومستشرق فرنسى، كتب عن نشأة المسيحية. وله كتاب [ابن رشد والرشدية] وهو من الذين نزعوا إلى تقسيم البشر تقسيماً عنصرياً حسب السلالات.

قط، دون أن تهزنى عاطفة حادة، وبعبارة أخرى: دون أن يصيبنى أسف محقق على أننى لم أكن مسلما».

ومن كلمات أسقف مسيحى مشهور «ما من فرد يتصل بالمسلمين لأول مرة إلا أخذ بمظهر دينهم هذا.. وحيثما يمكن أن توجد، فى الطريق العامة، أو فى محطة السكة الحديدية، أو فى الحقل، فإن من أكثر الأشياء شيوعا أن ترى الرجل منهم، يترك فى اللحظة التى يقوم فيها بأداء أعماله أياً كانت، بدون أدنى تأثر بالرياء أو الظهور، وفى سكينة وتواضع، لكى يؤدى صلواته فى أوقاتها المحددة، وأكثر من ذلك، أنه ما من فرد رأى يوما ساحة الجامع الكبير يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان، وهى غاصة بما قد يربو على ١٥٠٠٠ مصل، وكلهم منهمكون فى صلاتهم، مظهرون أعمق آيات الإجلال والخشوع فى كل إشارة يبدونها، إلا تأثر تأثرا عميقا بهذا المشهد، أو أخذ فكرة عابرة عن تلك القوة التى ينضوى مثل هذا النظام تحت لوائها، على حين نجد النظام الدقيق الذى يتجلى فى دعوة الناس اليومية إلى الصلاة، عندما يؤذن الداعى فى وقت السحر، قبل أن يتنفس الصباح، أو بين ضوضاء ساعات العمل وضجيجها، أو عندما يرخى الليل سدوله كذلك، مفعما بتلك الرسالة ذاتها..

ولا حاجة إلى القول بأن صيام شهر رمضان جزء عن دليل ثابت يدحض النظرية القائلة بأن الإسلام نظام دينى يجذب الناس عن طريق مراودتهم فى ملذاتهم الشخصية، وكما قال «كارليل»(٣) [١٧٩٠- ١٨٤٣]: «إن دين محمد ليس بالدين السهل، فإنه بما فيه من صوم قاس، وطهارة، وصيغ معقدة صارمة، وصلوات خمس كل يوم، وإمساك عن شرب الخمر، لم يفلح فى أن يكون دينا سهلا..»(٤)

* * *

«ويرجع انتشار الإسلام فى تلك الرقعة الفسيحة من الأرض إلى أسباب شتى، اجتماعية وسياسية ودينية، على أن هناك عاملا من أقوى العوامل الفعالة التى أدت إلى هذه النتيجة العظيمة، تلك هى الأعمال المطردة التى قام بها دعاة من المسلمين وقفوا حياتهم على الدعوة إلى الإسلام، متخذين من هدى الرسول مثلاً أعلى وقدوة صالحة..

لقد حمل الإسلام، منذ البداية، طابع الدين الذى يقوم على الدعوة، ويسعى لجذب قلوب الناس لتحويلهم إليه، وحثهم على الدخول فى زمرة المؤمنين، وكما كانت الحال فى مبدأ الأمر كذلك ظلت على هذا النحو إلى اليوم..

ولم يكن نشر الإسلام من عمل الرجال

(٣) مصلح ومفكر إنجليزى حر. له كتابه المشهور [العظماء مائة اولهم محمد].

(٤) [الدعوة إلى الإسلام] ص ٥٢، ٥٩، ٦١، ٥٥٨، ٥٥٩، ٤٥٩، ٤٦٠.

وحدهم، بل لقد قامت النساء المسلمات أيضا بنصيبهن فى هذه المهمة الدينية.. وقد أنشأ دعاة السنوسية(٥) الذين قدموا لنشر دعوتهم بين التبوبو(٦) فى شمال بحيرة تشاد، مدارس للبنات، واستغلوا ما كانت تحدثه النساء. من نفوذ قوى بين القبائل (كما كان لهن هذا النفوذ بين جيرانهن من البربر)، فبذلوا جهودهم لجذبهن إلى صفوف الإسلام.

إنه يجب ألا نلتمس الأدلة على روح الدعوة الإسلامية فى قسوة المضطهد أو عسف المتعصب، ولاحتى فى مآثر المحارب المسلم، ذلك البطل الأسطورى الذى حمل السيف فى إحدى يديه، وحمل القرآن فى اليد الأخرى -وإنما نلتمسها فى تلك الأعمال الوديعة الهادئة التى قام بها الدعاة وأصحاب المهن الذين حملوا عقيدتهم فى كل صقع من الأرض. على أن هؤلاء الدعاة لم يلجأوا إلى اتخاذ مثل هذه الأساليب السلمية فى نشر هذا الدين عن طريق الدعوة والإقناع، بخلاف ما زعم بعضهم، حينما جعلت الظروف القوة والعنف أمرا مستحيلا، يتنافى مع الأساليب السياسية، فقد جاء القرآن مشددا فى الحض على هذه الطرق السلمية، فى غير آية منه، مثال ذلك:

﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ۝١٠ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ﴾ [المزمل: ١٠، ١١]

﴿ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ ﴾ [الجن: ٢٣]

﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [الجاثية: ١٤]

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [النحل: ٣٥]

﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [النحل: ٨٢]

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]

(٥) طريقة صوفية مجددة تعد من حركات اليقظة الإسلامية الحديثة. تنسب إلى مؤسسها محمد بن على السنوسى الادريسى [١٢٠١ - ١٢٧٥هـ - ١٧٨٧ - ١٨٥٩م].

(٦) من القبائل الإفريقية.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾

[الشورى: ٤٨]

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾

[يونس: ٩٩]

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾

[سبأ: ٢٨]

ولم تكن هذه التعاليم مقصورة على السور المكية، وإنما وردت أيضا بكثرة فى الآيات المدنية، كقوله تعالى:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾

[البقرة: ٢٥٦]

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾

[التغابن: ١٢]

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾

[النور: ٥٤]

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾

[الحج: ٤٩]

﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

[المائدة: ١٣]

* * *

إذا كان المسلمون قد بلغوا مثل هذه الحماسة فى نشر الدعوة.. فلنسرد الآن بعض العوامل التى ساعدت على نجاحهم:

فى مقدمة هذه الأسباب: بساطة العقيدة الإسلامية، لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وكل ما يطلب من الذى يدخل فى الإسلام، قبول هاتين الشهادتين.. إن هذه العقيدة البسيطة لا تتطلب تجربة كبيرة للإيمان، ولا تثير فى العادة مصاعب عقلية خاصة.. ولما كانت خالية من المخارج والحيل النظرية اللاهوتية، كان من الممكن أن يشرحها أى فرد، حتى أقل الناس خبرة بالعبارات الدينية النظرية.

ولا يستطيع أى فرد أن يوضح الطابع العقلى للعقيدة الإسلامية، وما جنته من هذا الطابع من الفائدة فى نشر الدعوة، توضيحا يبعث على الإعجاب، بأكثر مما وضحه البروفيسور «مونتيه» [١٨٥٦-١٩٢٧م][7] فى العبارات التالية:

(٧) ادوارد مونتيه. مستشرق فرنسى، ترجم القرآن إلى الفرنسية. ومن مؤلفاته [حاضر الإسلام ومستقبله].

«الإسلام فى جوهره دين عقلى، بأوسع معانى هذه الكلمة من الوجهتين الاشتقاقية والتاريخية، فإن تعريف الأسلوب العقلى Rationalism بأنه طريقة تقيم العقائد الدينية على أسس من المبادىء المستمدة من العقل والمنطق، ينطبق على الإسلام تمام الانطباق. والحق أن محمدا، الذى كان متحمسا لدينه، كما كان كذلك يمتلك غيرة الإيمان، ونار الاقتناع -تلك الصفة القيمة التى بثها كثير جدا من أتباعه- قد عرض حركته الإصلاحية على أنها وحى وإلهام: على أن هذا النوع من الوحى ليس إلا صورة من العرض والتفسير، وإن لدينه كل العلامات التى تدل على أنه مجموعة من العقائد قامت على أساس المنطق والعقل، وتتلخص العقيدة الإسلامية، من وجهة نظر المؤمنين، فى الاعتقاد بوحدانية الله ورسالة نبيه، أما من وجهة نظرنا نحن الذين نحلل عقائده تحليلا لا روح فيه، فنعتقد فى الله وفى الحياة الآخرة. وهذان المبدآن هما أقل ما ينبغى للاعتقاد -الدينى، وهما أمران يستقران فى نفس الرجل المتدين على أساس ثابت من العقل والمنطق، وتلخصان كل تعاليم العقيدة التى جاء بها القرآن. وإن بساطة هذه التعاليم ووضوحها لهى على وجه التحقيق من أظهر القوى الفعالة فى الدين وفى نشاط الدعوة إلى الإسلام.

لقد حفظ القرآن منزلته من غير أن يطرأ عليه تغيير أو تبديل، باعتباره النقطة الأساسية التى بدأت منها تعاليم هذه العقيدة، وقد جهر القرآن دائما بمبدأ الوحدانية، فى عظمة وجلال وصفاء لا يعتريه التحول، ومن العسير أن نجد فى غير الإسلام ما يفوق تلك المزايا وإن هذا الإخلاص كمبدأ الدين الأساسى، والبساطة الجوهرية فى الصورة التى يصاغ فيها هذا الدين، والدليل الذى كسبه هذا الدين من اقتناع الدعاة الذين يقومون بنشره اقتناعا يلتهب حماسة وغيرة، إن هذا كله يكوّن الأسباب الكثيرة التى تفسر لنا نجاح جهود دعاة المسلمين.

وكان من المتوقع لعقيدة محددة كل التحديد، خالية كل الخلو من جميع التعقيدات الفلسفية، ثم هى تبعا لذلك فى متناول إدراك الشخص العادى، أن تمتلك، وإنها لتمتلك فعلا، قوة عجيبة، لاكتساب طريقها إلى ضمائر الناس.»

* * *

وقد أكد «مراتشى» Marracci [١٦١٢-١٧٠٠م][8] هذا القول، فى القرن السابع عشر، بقوله:

(٨) الإب ماراتشى مستشرق إيطالى، من رجال اللاهوت نشر القرآن، متنا وترجمه بالإيطالية، وله [دراسة عن الإسلام]، كما أسهم فى ترجمة العهدين القديم والجديد.

«لو قارن كافر بين أسرار الحالة الطبيعية البسيطة التى فاقت طاقة الذكاء البشرى، أو التى هى، على الأقل، من الصعوبة بمكان، إن لم تكن مستحيلة [العقيدة المسيحية] وبين عقيدة القرآن، لانصرف عن الأولى فى الحال، وأسرع إلى الثانية فى ترحيب وقبول».

«.. وإذا قبل الذى يدخل فى الإسلام هذه العقيدة البسيطة وتعلَّمها، لم يكن بد عندئذ من أن يتعلم فرائض الدين الخمس:

(١) النطق بالشهادتين

(٢) وإقام الصلوات الخمس فى أوقاتها

(٣) وإيتاء الزكاة

(٤) وصوم رمضان

(٥) والحج إلى مكة

وطالما اعترض بعض الناس على أداء هذا الفرض الأخير باعتباره بقية غريبة من بقايا الوثنية، ظلت من جملة تعاليم النبى التى تدعو إلى الوحدانية، ولكن ينبغى ألا يعزب عن الأذهان أن الحج قد اقترن بإبراهيم، فهو إعادة دين إبراهيم. ولكن، فوق ذلك كله ـ وهنا تكون أهميته العليا فى تاريخ نشر الدعوة فى الإسلام ـ ينظم الحج اجتماع المؤمنين فى كل سنة، على اختلاف شعوبهم ولغاتهم، من كافة أنحاء العالم، للصلاة فى ذلك المكان المقدس، الذى يولون وجوههم شطره فى كل ساعة من ساعات عباداتهم الخاصة فى أوطانهم النائية. ولم تستطع أية محاولة يقوم بها عباقرة أى دين أن تتصور وسيلة أحسن من هذه الوسيلة تطبع فى عقول المخلصين معنى حياتهم المشتركة، وأخوتهم التى ارتبطت بروابط الدين، وفى ذلك المكان، حيث نجد عملا ساميا من أعمال العبادة المشتركة، نرى زنجى ساحل أفريقيا الغربى يلتقى بالصينى من أقصى الشرق، ويتعرف التركى الرقيق المهذب على أخيه المسلم من أهل الجزائر المتوحشين الذين يسكنون أبعد أطراف بحر الملايو. وفى هذا الوقت نفسه تتطلع قلوب المؤمنين فى كافة أنحاء العالم الإسلامى، فى عطف وحنين، إلى إخوانهم الأسعد حظا منهم، الذين تجمعوا فى المدينة المقدسة، فيحتفلون فى أوطانهم بعيد الأضحى - العيد الكبير- وإن زيارتهم المدينة المقدسة قد أصبحت فى نظر كثير من المسلمين التجربة التى حثتهم على الجهاد فى سبيل الله. ولقد قامت طبقة الحاجى -الحجاج- بنصيب فعال فى أعمال نشر الدعوة الإسلامية.

وإلى جانب نظام الحج، نجد إيتاء الزكاة فرضا آخر يذكر المسلم دائماً بقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

الحجرات: ١٠

ـ وهى نظرية دينية تتحقق على صورة رائعة تبعث على الدهش فى المجتمع الإسلامى، وقلما تعجز عن أن تتجلى أعمال الشفقة إزاء المسلم الجديد. ومهما

يكن جنسه ولونه وأسلافه، فإنه يُقبل فى زمرة المؤمنين، ويتبوأ مكانه على قدم المساواة فى أقرانه المسلمين».

* * *

«لقد روعى فى تأليف هيئة الكنيسة المسيحية، منذ بدء تاريخها، نشر التعاليم المسيحية بين الكفار، وكان يبشروها، فى أغلب الأحيان، قساوسة ورهبانا، يعينون لهذا الغرض بانتظام».

أما فى الإسلام، فإن عدم وجود أى لون من ألوان الكهنوت أو أية هيئة دينية منظمة أيا كانت، قد جعل نشاط الدعوة عند المسلمين يتجلى فى صورة مختلفة تمام الاختلاف عن تلك التى تظهر فى تاريخ البعوث التبشيرية المسيحية، فليس هناك جمعيات للدعوة، ولا موكلون مدربون لهذا الغرض، كما أنه قلما نجد مواصلة الجهود فى هذه السبيل.

«إن عدم وجود فكرة عن نظام الكهنوت، أو أية نظرية ترى فصل المعلم الدينى عن عامة المؤمنين أو ترى ضرورة العكوف على تأدية الوظائف الدينية، والتصريح بها، كل ذلك يجعل الاختلاف الأساسى فى النظامين، يظل قائما فى كل مكان، فى وضوح وجلاء..»

* * *

«.. ولم يكن النشاط الروحى للإسلام، كما زعم عدد كبير من الناس، متمشيا مع سلطانه السياسى، بل على العكس من ذلك، نجد فقدان السلطة السياسية والانتعاش المادى، يعمل على إبراز أجمل الصفات الروحية التى تعد أصدق البواعث التى تحفز على القيام بأعمال الدعوة[9]..

● ففى فارس: «لما تشتت الجيوش الفارسية لم يلق المسلمون مقاومة تذكر من الشعب الفارسى الذى كان قد استبد بحكمه ممثلوا الدولة الساسانية، فى أواخر أيامها استبدادا امتاز بكثير من ضروب الفوضى والعنت.. ومما أثار غضب الأهلين، وجعلهم ينظرون إلى حكامهم نظرة تنطوى على الكراهية والبغضاء، وزادت شقة الخلاف بينهم، أن هؤلاء الحكام كانوا يناصرون ديانة زرادشت التى غدت الدين الرسمى فى الدولة، وصاروا على جانب عظيم من القوة فى مجالس الملك، وادعوا أن لهم نصيبا كبيرا فى إدارة الشئون المدنية، واستغلوا نفوذهم فى اضطهاد كل الديانات المخالفة لهم (وكانت كثيرة).. وقد أثار هذا الاضطهاد شعور الكراهية المريرة.

---

(٩) [الدعوة إلى الإسلام] ص ٢٧، ٦٢، ٤٥١، ٢٨ – ٣٠، ٤٥٤ – ٤٥٧، ٤٤٩، ٤٦٩.

معاملة المسلمين مع غيرهم... المبادىء والتطبيق

خصوصية الاختلاف بين الأديان السماوية

شاءت إرادة الله وحكمته أن يختلف أفراد البشر في وجوه كثيرة: في اللون في الطول والقصر، في الغنى والفقر، في الصحة والمرض، في القوة والضعف، في النشاط والخمول، في العادات والتقاليد، في الذكاء والغباء، في اللغة واللهجات، في الخير والشر، في الهداية والضلال، في الإيمان والكفر.. إلخ الاختلافات القائمة بين أفراد البشر، يقول الله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

آية ١٩ سورة يونس

ويقول سبحانه:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾

آية ٢٢ سورة الروم

بل وجد الاختلاف في سائر مخلوقات الله - جل وعلا - في: في الجماد والنبات، وفي الطير والدواب، والليل والنهار، يقول الله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾

آية ٢٧، ٢٨ سورة فاطر

كما وجد الاختلاف في الماء الذي هو أساس كل كائن حي على وجه الأرض، يقول الله تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾

آية ٥٣ سورة الفرقان

غير أن الاختلاف [1] بين الأديان السماوية له خصوصية خاصة مغايرة

(١) من بحث (الفهم المتبادل للإسلام والمسيحية وتفعيل هذا الفهم) المؤلف فوزى فاضل الزفزاف.

الأزهر

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف
رئيس اللجنة الدائمة للحوار بين الأديان السماوية بالأزهر الشريف

٢

للاختلافات الأخرى الكائنة في خلق الله - تعالى - على وجه عام، سواء أكانت هذه الاختلافات الواقعة بين البشر (في غير العقيدة الدينية)، أم بين النباتات، أم بين الجمادات، أم بين الحيوانات، أم بين الطيور، أم بين الليل والنهار، أم بين الكواكب والنجوم، أم بين الماء.. إلخ..

فالأديان السماوية كلها مصدرها واحد، وأصولها واحدة، وأهدافها وغاياتها واحدة، لا يختلف فيها دين عن دين، فكلها متفقة في إثبات وجود الله خالق الكون بمن فيه وما فيه، وعلى الدعوة إلى توحيد الله وعبادته، وعلى الإيمان بكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر، وعلى الإيمان بالحساب والجزاء في الآخرة على أعمال الدنيا.

ويؤكد ذلك حديث الرسول ﷺ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: (أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء أخوة علات «أولاد الرجل من أمهات متفرقة» أمهاتهم شتى ودينهم واحد»

أما الاختلاف الواقع في شرائع الأديان السماوية فهو فيما يتعلق ببعض الأوامر والنواهي، وببعض وجوه الحلال والحرام، وبغير ذلك من فروع الشريعة.

فقد يحرم الله شيئا على قوم عقوبة لهم، ويحله لقوم آخرين تخفيفا عنهم، كما قال الله تعالى:

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾

آية ١٤٦ سورة الأنعام

وكتحريم صيد السمك في يوم السبت على قوم وحله لغيرهم، كما قال الله - تعالى:

﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾

آية ١٦٣ سورة الأعراف

وكما قال الله ـ تعالى ـ حكاية عن عيسى عليه السلام :

﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾

آية : ٥٠ سورة آل عمران

المبادىء والتطبيق

لا يتسنى لباحث يكتب بحثا عن المبادىء والتطبيق فى معاملة المسلمين مع غيرهم، أن يحصى المبادىء الإسلامية التى تحكم معاملة المسلمين مع غيرهم على وجه الحصر والتحديد، وأن يذكر أمثلة عملية لتطبيقها من خلفاء المسلمين وولاتهم وحكامهم على مر الأزمنة والعصور، وعلى وجه التفصيل.. فهذا شىء يتعذر صنعه، ويستحيل عرضه، لأنه يحتاج إلى كتب ومجلدات.

وقد تناول كثير من المؤرخين والكتاب ـ من المسلمين ومن غير المسلمين ـ على مر الأزمنة والعصور هذه المبادىء بالكتابة والشرح والتوضيح والتحليل والتعليق.. كل كتب على حسب رؤيته ووجهة نظره، وعلى حسب هواه وعاطفته الدينية وعلى حسب اتجاهاته العقائدية ونزعته السياسية.. ومنهم من كان منصفا عادلا صادقا مع نفسه ومع الحقيقة، ومنهم من كان مغرضا ظالما غير صادق مع نفسه ومع الحقيقة.

غير أن المتاح والمناسب فى هذا المقام هو التعرض إلى ذكر بعض أهم هذه المبادىء وذكر بعض الأمثلة والنماذج من التطبيق.. وفى ذلك إشارة عامة إلى موقف الإسلام من هذه القضية.. ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى كتب السيرة والتاريخ الإسلامى، وهى لا تعد ولا تحصى من كثرتها وتنوعها.

إن تعاليم الإسلام واضحة وصريحة فى نظام معاملة المسلمين لغيرهم من أصحاب الديانات السماوية الأخرى، بل ومن أصحاب المعتقدات الأخرى غير الديانات السماوية، فقد حددت آيات القرآن الكريم، وشرحت السنة النبوية أسس هذه المعاملات فى جميع مجالات الحياة.

وسأكتفى بالحديث عن ثلاثة مبادىء أساسية لأن كل مبدأ منها يعتبر وحدة عامة تشتمل كثيرا من المبادىء الفرعية الأخرى.

حرية العقيدة الدينية

الإسلام دين الفطرة

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

آية ٣٠ سورة الروم

والفطرة تقتضى أن يكون الإنسان حرا فى تفكيره، والحرية الفكرية حرية عامة تشمل حرية العقيدة الدينية.

والإسلام جاء لينظم حياة البشر وعلاقاتهم مع ربهم خالقهم

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾

الآية ٥٦، ٥٧، ٥٨ سورة الذريات

كما جاء الإسلام لينظم حياة البشر وعلاقاتهم بعضهم مع بعض فى جميع مجالات الحياة ويسير بهم إلى الطريق المستقيم الذى يكفل لهم تحقيق الخير والسعادة فى الدنيا والآخرة، دون صراع أو صدام بينهم.

وأول مبدأ من المبادىء الإسلامية التى تحكم معاملة المسلمين مع غيرهم هو: حرية العقيدة الدينية، وتحريم الإكراه على الدين، يقول الله تعالى :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

آية ٦٤ سورة آل عمران

ويقول سبحانه :

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾

آية ٩٩ سورة يونس

وبهذا التشريع الحاسم طبق الخلفاء الراشدون قوانين حرية العقيدة الدينية على غير المسلمين.

وقد تمتع أهل الكتاب بحريتهم الدينية، وضمان مصالحهم العامة تمتعا رائعا فى ظل الدولة الإسلامية، ونلحظ ذلك فى المعاهدة التى أمضاها الفاروق عمر بن الخطاب مع أسقف بيت المقدس، وهى نظير جميع المعاهدات التى أمضاها الخلفاء الراشدون مع أهل البلاد التى تم فتحها، وفيها النص على حقوق أهل الكتاب دون نقص، ومن بعض سطورها: (هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم لغيرهم، ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من غيرها، ولا من صليبهم، ولا من شىء من

أمـوالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، ومن خرج منهم فإنه آمن على ماله ونفسه حتى يبلغ مأمنه، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم سار، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن شاء رجع إلى أهله، ولا يؤخذ منهم شىء حتى يحصد حصادهم..).

ثم ختم عمر الكتاب بتوقيعه، وشهد عليه خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبدالرحمن ابن عوف، ومعاوية بن أبى سفيان..

وهذا العهد كان موضع نظر بعيد لدى المنصفين من كتاب الغرب، فقد علق الدكتور «ا.س.ترتون» مؤلف كتاب (أهل الذمة) بقوله[2]:

«فى هذا العهد نلاحظ نقاطا بالغة الغرابة، ذلك أنه لم تجر العادة بأن يشترط المغلوبون الشروط التى يرتضونها فيقبلها الغالب».

كما نقل الشيخ الغزالى ـ رحمه الله عن الدكتور «أ.س.ترتون» ما ذكره فى كتاب أهل الذمة تعليقا على كلام سيدنا عمر ووصيته قبيل الوفاة ص٣٨.



الغزالى

وفى الأخبار النصرانية شهادة تؤيد قول عمر، وهى شهادة البطريرك «عشيويابه» الذى تولى منصبه ٦٤٧ـ ٦٥٧ إذ يقول: «إن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون، لأنهم ليسوا أعداء النصرانية، بل يمتدحون ملتنا، ويوقرون قسيسينا وقديسينا ويمدون يد المعونة إلى كنائسنا وأديرتنا».

ومما قاله الدكتور «ا.س.ترتون» فى كتابه «أهل الذمة»:

«كانت عادة الحكومة قد جرت على استعمال النصارى الذين قلما خلا منهم ديوان من دواوين الدولة، وقد لاحظ فى سنة ٢٥٣هـ وجود إيصال ضريبة باللغتين العربية واليونانية، وقد استعملت اللغة العربية لأول مرة فى أعمال الحكومة بأصفهان فى زمن أبى مسلم.. كما أننا نجد رجلا مسيحيا يتولى السجن قريبا من الكوفة سنة ٢٦هـ حين كان الوليد بن عقبة عاملا عليها، ثم إن العرب حين فتحوا مصر أبقوا على من فيها من العمال البيزنطيين».

ـ يتبع ـ

(٢) كتاب: التعصب والتسامح ـ الشيخ محمد الغزالى.



الأزهر الشريف يحتفل بمئوية الشيخ محمد عبده

إمام المجددين صاحب المشروع الحضارى والإصلاحى

تابع الجلسة الافتتاحية الأستاذ/ عاطف مصطفى
تصوير الأستاذ/ محسن طه عبدالمتعال



فى احتفال يليق بمكانة علم من أعلام الفكر فى بلادنا، احتفل الأزهر الشريف وعلى مدى يومين بذكرى الإمام محمد عبده، وذلك يومى السابع والعشرين والثامن والعشرين من يوليو الماضى، بقاعة الإمام محمد عبده بمناسبة مرور مائة عام على وفاته عام ١٩٠٥، وكان لهذا الاحتفال دلالات كبرى، فالشيخ محمد عبده، الذى عارض مشايخ الأزهر فى عصره مشروعه لإصلاح الأزهر، ها هو الأزهر يحتفل بفكره، ومشروعه الإصلاحى، وها هو الأزهر الذى تطوّر على طريق محمد عبده، وبواسطة تلاميذه من أعلام العلماء من مثل: الشيخ المراغى وشلتوت وعبدالمجيد سليم والخضر حسين..

ها هو الأزهر يتبنى الاحتفال بأعظم العلماء الأزهريين فى عصرنا الحديث.. ولقد دارت محاور الندوة حول المشروع الإصلاحى للإمام محمد عبده.

وقد ألقى الإمام الأكبر فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى فى بداية الاحتفال كلمة ضافية أشار فيها إلى أن الإمام محمد عبده وضع منهجا متميزا فى الإصلاح، فى كثير من المجالات، وعلى رأسها علم تفسير القرآن الكريم، كما أنه رسخ من خلال تجديده مفاهيم كفيلة، بإحياء الأمة الإسلامية ونهضتها وأكد الإمام الأكبر أن الوفاء بالعلماء من صفات الأخيار، وأن الإمام المجدد محمد عبده، على رأس الذين يجب الوفاء لهم، لأنه عمّر حياته بالعمل الصالح، والنافع الذى من شأنه أن ينهض بالأمة الإسلامية.

وأكد فضيلة الإمام الأكبر أنه لأهمية عقلية الإمام محمد عبده ومنهجه فى تفسير القرآن الكريم، فقد رجع إلى تفسيره عند كتابة تفسير القرآن الكريم، الذى عكف عليه ١٧ عاما لإبراز جوانب سامية من هدايات القرآن الكريم.

› وفى الجلسة الافتتاحية أيضاً ألقى الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف كلمة بعنوان: «الإمام محمد عبده مصلحاً» مشيراً إلى أن الإصلاح لا ينطلق من فراغ، فهناك أسباب تدفع إليه، تتمثل فى تردى الأوضاع فى مجال من المجالات، إلى درجة لا يمكن تجاهلها أو السكوت عليها.

والإصلاح الذى نعنيه هنا ليس عملية ترقيع لسد بعض الثغرات الظاهرة، وإنما هو عملية أساسية شاملة، وشأن المصلح هنا، مثل الطبيب الذى عليه أن يتعرف على المرض الذى يشكو منه المريض، ويقوم بتشخيصه. بكل دقة.

وقد كان هذا شأن محمد عبده، فعندما بدأ خطواته الأولى فى التعلم الدينى بالجامع الأحمدى فى طنطا، تمرد عليه وهرب منه، لأنه وجد خللا ما فى البرنامج التعليمى، لم يرض أن يسكت عنه، وقد كانت هذه التجربة الشخصية الأولى، هى منطلقه لكل محاولاته الإصلاحية المستقبلية. وقد ظل هذا الأمر يختمر فى نفسه، ويعتمل فى فكره، إلى أن نضجت تجربته فى نهاية الأمر، وتبلورت خطته فى إصلاح التعليم الدينى.

› وقد كان للدكتور محمد عمارة دوره الهام فى هذه الندوة، والتى ترأس جلستها الأولى، كما قدم بحثه القيم فى ختام الجلسات والتى حضرها الإمام الأكبر فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى وكان بحثه بعنوان: الإمام محمد عبده «مشروع حضارى للإصلاح بالإسلام» وتناول فيه المنهج



الإسلامى فى الإصلاح، ونظرية الإمام محمد عبده فى مصادر المعرفة وسبل المعرفة، ونظرته لعلاقة الدين بالدولة، وما كتبه عن مقام العقل والسببية، والسنن الإلهية وحدود العقل الإنسانى، وكيف قدم مشروعا إصلاحيا لنهضة الأمة، انطلاقا من المرجعية الإسلامية.

والدكتور عمارة، هو أحد أبرز مفكرينا الذين تناولوا شخصية محمد عبده، من خلال كتبه القيمة، وبحوثه ودراساته، حتى إنه يعد تلميذا نجيبا فى مدرسته، وتأثر بأفكاره، فضلاً عن تسليط الضوء على منهجه الإصلاحى، كما يشدد دائما على ضرورة الاهتمام بشخصية الإمام الذى يعد من أبرز علماء مدرسة الإحياء.

ويقول د. محمد عمارة: إن مقالات الإمام محمد عبده ورسائله تعد فتحا مبينا، تجددت بها أساليب الكتابة العربية، فتخلصت من بقايا السجع والمحسنات اللفظية، التى بقيت تثقل هذه الأساليب، منذ عصر المماليك، حتى إننا نستطيع القول أن مقالاته هذه، هى الامتداد والتطور لرسائل الجاحظ، تجاوزت بها العربية قيود عصر الركاكة والانحطاط.

وكانت معاركه الفكرية دفاعا عن الإسلام والمسلمين، وأبرزها تلك التى كانت بينه وبين مفكر فرنسا ووزير خارجيتها، جابرييل هانوتو، وبينه وبين فرح أنطون، كانت مجالاً خصبا للكشف عن الوجه الحقيقى للإسلام، بعد أن تراكمت عليه البدع والخرافات.

وبواسطة تلاميذه وعلى أيديهم كان التطور الذى شهده الأزهر من الشيخ محمد مصطفى المراغى إلى الشيخ مصطفى عبدالرازق، إلى الشيخ عبدالمجيد سليم، إلى الشيخ محمد الخضر حسين، وحتى الشيخ محمود شلتوت.

ونتيجة جهاده المتصل تحققت عالمية منهاجه فى الإصلاح والتجديد، مجسدة عالمية الإسلام، عندما تبنت منهاجه هذا دعوات وجمعيات، ونهضات إسلامية، امتدت من مشرق عالم الإسلام إلى مغربه، ومن شماله إلى جنوبه، فأتباعه فى أندونيسيا وفى المغرب العربى على سبيل المثال، يعدون بعشرات الملايين، ونهضة المغرب العربى والجزائر، هى امتداد لمنهجه فى الإصلاح والتجديد، ولِمَ لا، وقد أفنى عمره وحياته من أجل إعلاء دين الإسلام ونصرته وتجديده.

***

وعلى امتداد البحوث الفنية التى نوقشت داخل قاعة الإمام محمد عبده، طرحت قضايا هامة فى مشروع الإمام الذى يتم على مدار هذا العام كعلَم من أعلام الفكر من قبل كل تيارات الفكر فى بلادنا، بل وعلى نطاق وطن العروبة وعالم الإسلام، حيث تعقد العديد من الندوات العلمية والفكرية الآن، كما نشرت العديد من الدوريات الفكرية والثقافية، ملفات عن فكره وسيرته.. من أكسفورد بلندن إلى الجمعية الخيرية فى مصر، إلى المجلس الأعلى للثقافة، إلى مكتبة الاسكندرية، وفى مجلة (الهلال) المصرية و(العربى) الكويتية، و(وجهات نظر)

ومجلة الأزهر تكتب الدراسات والملفات عن فكره وسيرته وفاء لهذا الرجل الذى قلما يجود الزمان بفكره وعلمه. ونبدأ اعتبارا من هذا العدد فى نشر البحوث التى ألقيت بقاعة الإمام محمد عبده فى ذكراه.





الإمام محمد عبده مفسراً

عن الإمام محمد عبده مفسرا جاء بحث فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر والذى ألقاه فى الجلسة الافتتاحية، قال فضيلته:

من العلوم التى خاضها الإمام الشيخ محمد عبده ـ رحمه الله ـ بعد أن بلغ أشده واستوى، وبعد أن آتاه الله ـ تعالى ـ ما آتاه من العقل السليم، ومن الإدراك القويم، لشئون الدين والدنيا من هذه العلوم: علم تفسير القرآن الكريم.

وعلم تفسير القرآن الكريم، قد قيض الله ـ تعالى ـ له رجالا قضوا معظم أيام حياتهم فى خدمته وفى دراسة موضوعاته.. فمنهم من كتب فى إعجازه وبلاغته.. ومنهم من كتب فى قصصه وأخباره..



ومنهم من كتب فى أسباب نزول بعض آياته.. ومنهم من كتب فى قرءاته ورسمه.. ومنهم من كتب فى مكيه ومدنيه..

ومنهم من اهتم بإبراز الجوانب الفقهية أو الاجتماعية أو النفسية أو السلوكية أو اللغوية أو التربوية أو غير ذلك من الجوانب الإصلاحية..

لأن تفسير القرآن الكريم، هو المفتاح الذى يكشف عن تلك الهدايات السامية، والتوجيهات النافعة، والعظات الشافية، والكنوز الثمينة التى احتواها القرآن الكريم، ودون تفسير القرآن الكريم تفسيراً سليماً مستنيراً، لا يمكن الوصول إلى ما اشتمل عليه هذا الكتاب من هدايات وتوجيهات، مهما قرأها القارئون، وردد ألفاظه المرددون.

ولقد قال بعض الحكماء! مثل الذين يقرءون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره! مثل هؤلاء كمثل قوم جاءهم كتاب من مليكهم ليلاً، وليس معهم مصباح، فداخلتهم روعة وهم لا يدرون ما فى الكتاب.

ومثل الذى يعرف تفسير القرآن الكريم كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرءوا ما فى الكتاب. وقد تعلمت ـ بفضل الله وتوفيقه ـ مما كتبه الأستاذ الإمام فى تفسير القرآن الكريم، أنه ـ رحمه الله ـ كتب ما كتب بعقله وبقلبه وبمشاعره وبإيمانه العميق بأن

هذا القرآن هو كلام الله ـ تعالى ـ الذى أنزله على قلب نبيه وخاتم رسله محمد ﷺ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور...

وأنه ـ رحمه الله ـ قد اهتم بإبراز جوانب سامية من هدايات القرآن الكريم من أهمها:

فاعفوا واصفحوا

● التحليل العميق لمعانى الألفاظ من حيث دلالاتها اللغوية

نرى جانباً من ذلك عند تفسيره ـ رحمه الله ـ لقوله ـ تعالى:

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(سورة البقرة الآية ١٠٩)

فهو ـ رحمه الله ـ يقول: وفى أمره ـ تعالى ـ لعباده المؤمنين، بقتال أعدائهم فى الوقت المناسب الذى يختاره لهم، وفى أمره لهم بالعفو والصفح، إشارة إلى أن المؤمنين ـ على قلتهم ـ هم أصحاب القدرة والشوكة...

لأن الصفح إنما يطلب من القادر على خلافه. فكأنه ـ سبحانه ـ يقول: لا يغرنكم



ـ أيها المؤمنون ـ كثرة من هم على الباطل، فإنكم على قلتكم أقوى منهم، بسبب ما أنتم عليه من الحق، فعاملوهم معاملة القوى العادل، للضعيف الجاهل..

وفى إنزال المؤمنين على قلتهم منزلة الأقوياء، ووضع أهل الكتاب على كثرتهم موضع الضعفاء، إيذان بأن أهل الحق هم المؤيدون بالعناية الإلهية، وأن العزة لهم ما داموا ثابتين على حقهم.

ومهما يتصارع الحق والباطل، فإن الحق هو الذى يصرع الباطل، ثم يقول ـ رحمه الله.. وقد قلنا مرارا!! إنما بقاء الباطل فى غفلة الحق عنه»

الصبر يولد الثبات

● اهتمامه ببيان الآثار الطيبة التى تترتب على التمسك بالفضائل.

ومن الشواهد على ذلك أنه ـ رحمه الله ـ عند تفسيره لقوله ـ تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

(سورة البقرة «الآية ١٥٣»)

يقول: «ولعل مما يشهد بأفضلية هذه الأمة على غيرها من الأمم: أن الله ـ تعالى ـ قد أمر بنى إسرائيل فى السورة نفسها بالاستعانة بالصبر والصلاة فقال:

﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾

البقرة/ ٤٥

إلا أنه ـ سبحانه ـ قال لهم:

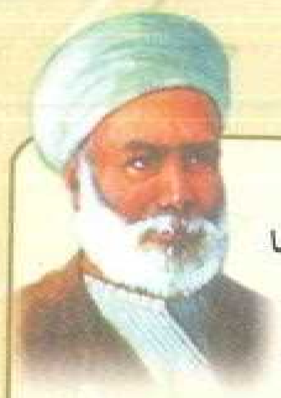
﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾

البقرة/ ٤٥

ليشعرهم بضعف عزائمهم عن عظائم الأمور.

ولم يقل ـ سبحانه ـ للمؤمنين فى هذه الآية التى معنا، للإيماء إلى أنهم قد يسر لهم ما يصعب على غيرهم، وأنهم هم الخاشعون الذين استثناهم الله هنالك.

ثم يقول ـ رحمه الله ـ وإن من سنة الله ـ تعالى ـ أن الأعمال العظيمة لا تتم، ولا ينجح صاحبها إلا بالثبات والاستمرار، وهذا إنما يكون بالصبر، فمن صبر فهو على سنة الله، والله معه، لأنه ـ سبحانه ـ جعل هذا الصبر سبباً للظفر، إذ هو يولد الثبات والاستمرار الذى هو شرط النجاح، ومن لم يصبر فليس الله معه، لأنه تنكب سنته، ولن يثبت فيبلغ غايته» وقد قالوا فى الحكم: «الصبر تعويد النفس الهجوم على المكاره. وتجرع الصبر فإن قتلك قتلك شهيداً، وإن أحياك أحياك عزيزا»



حق الجسد وحق الروح

● اهتمامه عند تفسيره للآيات القرآنية: بتاريخ الملل والنحل.

فهو يقول عند تفسيره لقوله ـ تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(سورة البقرة: الآيتان ١٧٢، ١٧٣)

يقول ـ رحمه الله ـ عند تفسيره لهاتين الآيتين:

«لا يفهم هاتين الآيتين حق الفهم إلا من كان عارفاً بتاريخ الملل عند ظهور الإسلام وقبله» فإن المشركين وأهل الكتاب، كانوا فرقاً وأصنافاً. منهم من حرم على نفسه أشياء معينة بأجناسها أو أصنافها، كالبحيرة والسائبة عند العرب، وكبعض الحيوانات عند غيرهم. فقد كان المذهب الشائع عند النصارى: أن أقرب القربات إلى الله ـ تعالى، يكون بتعذيب النفس، وحرمانها من الطيبات المستلذة، واحتقار الجسد ولوازمه، واعتقاد أنه لا حياة للروح إلا بذلك.

وقد تفضل الله على هذه الأمة بأن جعلها أمة وسطاً، تعطى الجسد حقه، وتعطى الروح حقها، فأحل لنا الطيبات لتتسع دائرة نعمه الجسدية، وأمرنا بالشكر عليها لتقوية الجوانب الروحية، وجعلنا أناسي كملة، بهذه الشريعة المعتدلة.

الحاكم المستبد

● اهتمامه بنشر العدل وإماتة الظلم لاسيما بالنسبة للحكام.

فهو عند تفسيره لقوله ـ تعالى:

﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾

(البقرة: الآية ٢٠٥)

فهو ـ رحمه الله ـ فى هذه الآية يفسر التولى بأنه من الولاية بمعنى الحكم، مخالفاً بذلك جمهور المفسرين الذين يفسرون التولى هنا بمعنى الإدبار والانصراف فيقول!

«وهذا الوصف ظاهر جداً فى تفسير التولى بالولاية والسلطة، فإن الحاكم الظالم المستبد، يكبر عليه أن يرشد إلى مصلحة، أو يحذر من مفسدة، لأن يرى أن هذا المقام الذى ركبه واعتلاه، يجعله أعلى الناس رأيا وأرجحهم عقلاً...

بل الحاكم المستبد الذى لا يخاف الله ـ تعالى ـ، يرى نفسه فوق الحق، كما أنه فوق أهله فى السلطة، فيجب ـ مادام الأمر كذلك



فى زعمه ـ أن يكون أفن رأيه خيراً من جودة آرائهم، ويجب أن يكون إفساده نافذاً مقبولاً دون صلاحهم، فكيف يجوز لأحد منهم أن يقول له: اتق الله فى كذا..

سعى الأفراد والأمم

● اهتمامه بربط النتائج بالأسباب، وتوبيخه لأولئك الذين يكلون النجاح والفشل بالأقدار، دون التفات إلى السعى والعمل وبذل الجهد...

فهو عند تفسيره لقوله ـ تعالى:

﴿ سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾

(البقرة الآية ٢١١)

يقول ـ رحمه الله ـ إن الرزق بلا حساب ولا سعى فى الدنيا إنما يصح بالنسبة للأفراد، فإنك ترى كثيراً من الأبرار وكثيرا من الفجار أغنياء موسرين، متمتعين بسعة الرزق، وكثيرا من الفريقين، فقراء معسرين..

والمتقى دائماً يكون أسعد حالاً، وأكثر احتمالاً، ومحلاً لعناية الله ـ تعالى ـ به، فلا يؤلمه الفقر كما يؤلم الفاجر، لأنه يجد فى التقوى مخرجاً من كل ضيق...

وأما الأمم فأمرهم على غير هذا، فإن الأمة التى ترونها فقيرة ذليلة، لا يمكن أن تكون متقية لأسباب نقم الله ـ عز وجل ـ وسخطه.

وليس من سنة الله أن يرزق الأمة العزة والثروة وهى لا تعمل، وإنما يعطيها بعملها، ويسلبها بزللها»

أمة واحدة

● اهتمامه بإبراز الرأى الذى اقتنع به، مع التدليل على صحته، حتى ولو خالفه جمهور المفسرين..

نرى ذلك عند تفسيره لقوله ـ تعالى:

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾

البقرة/ ٢١٣

فجمهور المفسرين لهم رأيان:ـ

أولهما: أن معنى الآية: كان الناس أمة واحدة متفقين على توحيد الله.. ثم اختلفوا ما بين ضال ومهتد، فبعث الله إليهم النبيين، ليبشروا من اهتدى بجزيل الثواب، ولينذروا من ضل بسوء العقاب.

وثانيهما: يرى أصحابه أن معنى الآية! كان الناس أمة واحدة مجتمعين على الضلال والكفر، فبعث الله النبيين لهدايتهم.

وقد رجح الإمام ـ رحمه الله ـ رأيا ثالثا ـ وهو خلوهم عن الشرائع، وجهلهم بالحقائق، وقال فى ترجيحه لهذا الرأى:



«خلق الله الإنسان أمة واحدة، أى مرتبطا بعضه ببعض فى المعاش لا يسهل على أفراده أن يعيشوا فى هذه الحياة الدنيا إلا مجتمعين يعاون بعضهم بعضا، فكل واحد منهم يعيش ويحيا بشئ من عمله..

لكن قواه النفسية والبدنية قاصرة عن توفير جميع ما يحتاج إليه فلا بد من انضمام قوى الآخرين إلى قوته.

وهذا معنى قوله: الإنسان مدنى بطبعه يريدون بذلك: أنه لم يوهب من القوى ما يكفيه للوصول إلى جميع حاجاته إلا بالاستعانة بغيره، ولما كان الناس كذلك، كان من رحمة الله بهم! إرسال الرسل إليهم مبشرين ومنذرين...

الصلاة الوسطى

● وقد اتجه ـ رحمه الله ـ هذا الاتجاه وهو إبراز رأيه بأدب وتواضع حتى ولو خالف جمهور المفسرين عند تفسيره لقوله ـ تعالى:

﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾

(البقرة الآية ٢٣٨)

فجمهور المفسرين يقولون بأن المقصود بالصلاة الوسطى، هى صلاة العصر، لأن بعض الأحاديث النبوية الشريفة قد وردت بذلك، ولأنها تقع فى وسط الصلوات الخمس، إذ قبلها اثنتان، وبعدها اثنتان ولأنها وسط بين صلاتى الليل وصلاتى النهار أما الإمام محمد عبده ـ رحمه الله ـ فيقول: «ولولا أن العلماء قد اتفقوا على أن المقصود بالصلاة الوسطى صلاة العصر، لكان يتبادر إلى فهمى من قوله ﴿ الصلاة الوسطى ﴾ أن المراد بالصلاة: الفعل، وأن المراد بالوسطى: الفضلى، فيكون المعنى: حافظوا على جميع أنواع الصلاة، وهى الصلاة التى يحضر فيها القلب، وتتوجه بها النفس إلى الله ـ تعالى ـ وتخشع لذكره، ولتدبر كلامه، لا صلاة المرائين ولا الغافلين»

الموت المعنوى

وقد اتجه هذا الاتجاه ـ أيضاً ـ وهو إبراز رأيه ولو خالف رأى جمهور المفسرين، عند تفسيره لقوله، تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾

(سورة البقرة: الآية ٢٤٣)

فجمهور المفسرين ـ وربما جميعهم ـ يرون أن المراد بالإماتة والإحياء معناهما الحقيقى



الحسى، وأن الموت كان موتا حقيقياً حسياً لهم، وأن إعادتهم إلى الحياة بعد ذلك، كانت إعادة حقيقية حسية...

وقد خالف الأستاذ الإمام محمد عبده ـ رحمه الله ـ إجماع المفسرين أو جمهورهم، فرأى أن المراد بالموت فى الآية، الموت المعنوى، بمعنى أن موت الأمم إنما هو فى جبنها وذلتها، وأن حياتها إنما تكون فى عزتها وحريتها، فقال:

« والمتبادر من السياق، أن أولئك القوم قد خرجوا من ديارهم بسائق الخوف من عدو مهاجم، لا من قلتهم فقد كانوا ألوفا.. وإنما هو الحذر من الموت يولده الجبن فى أنفس الجبناء، كما قال أبو الطيب:

يرى الجبناء أن الجبن حزم
وتلك خديعة الطبع اللئيم

لقد خرجوا فارين، فأماتهم الله بإمكان العدو من رقابهم، وأفنى قوتهم، وصاروا لا وجود لهم فى أنفسهم، وإنما وجودهم تابع لوجود من أذلهم، وأزال استقلالهم..

فلم غيروا ما بأنفسهم، فجمعوا كلمتهم، وطردوا أعداءهم، عادت إليهم الحياة، وعادت إليهم حريتهم وكرامتهم.

وموت الأمم فى جبنها وذلتها، وحياتها فى استقلالها وحريتها. فهو ـ رحمه الله ـ يرى أن الموت والحياة فى الآية معنويان...

الحق لا يرجع عنه

● تعليقه على أسباب النزول بالتحليل العميق، وبالتوجيه الحكيم..

فعند تفسيره لقوله ـ تعالى:

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢) وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

(آل عمران الآيتان ٧٢، ٧٣)

قال ـ رحمه الله ـ ما ملخصه: نزلت هذه الآيات فى قوم من أحبار اليهود قال بعضهم لبعض: ادخلوا فى الإسلام فى أول النهار، وارتدوا عنه فى آخر النهار، فإذا ما قال لكم بعض المسلمين لماذا فعلتم ذلك؟ فقولوا لهم إننا قوم نبحث عن الحقيقة، وإننا ليس بيننا وبين نبيكم عداوة، وإنما نحن بعد أن دخلنا فى الإسلام وعرفنا أحكامه وجدناه دينا باطلاً، لذلك تركناه..

ويعلق فضيلة الإمام الشيخ محمد عبده على سبب نزول الآيات فيقول: «وهذا الذى تحكيه الآيات من صد الأحبار عن الإسلام، مبنى على قاعدة طبيعية فى البشر، وهى أن علامة الحق أنه لا يرجع عنه من يعرفه، وقد فهم هذا المعنى «هرقل» ملك الروم، فكان مما سأل عنه أبا سفيان من شئون النبى ﷺ أن



قال له:

«هل يرتد أحد من أتباع محمد ﷺ عن الإسلام بعد دخوله فيه كراهة له؟

فقال أبو سفيان: لا.

ثم قال ـ رحمه الله: «وقد أرادت هذه الطائفة من الأحبار أن تخدع الناس من هذه الناحية ليقولوا: لولا أن ظهر لهؤلاء بطلان الإسلام لما رجعوا عنه بعد أن دخلوا فيه، وبعد أن اطلعوا على بواطنه وخوافيه، لأن لا يعقل أن يترك الإنسان الحق بعد معرفته، ويرغب عنه بعد الرغبة فيه بغير سبب»

العلم وسنن الله

● اهتمامه بنشر العلم فى الأمة، لأنه أفضل وسيلة للنهوض والرقى والتقدم فى الأفراد والجماعات والأمم ومن الأدلة على ذلك: أنه ـ رحمه الله ـ عند تفسيره لقوله تعالى:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ (٢) ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ (٣) ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

(العلق: ١ ـ ٥)

عند تفسيره لهذه الآيات قال ـ رحمه الله: «إنه لا يوجد بيان أبرع، ولا دليل أقطع، على فضل القراءة والكتابة والعلم بجميع أنواعه، من افتتاح الله ـ تعالى ـ كتابه وابتدائه الوحى بهذه الآيات الباهرات!!

فإن لم يهتد المسلمون بهذا الهدى، ولم يرشدهم النظر فيه إلى النهوض، وإلى تمزيق تلك الحجب التى حجبت عن أبصارهم نور العلم.. وإن لم يسترشدوا بفاتحة هذا الكتاب المبين، ولم يستعينوا بهذا الضياء الساطع.. فلا أرشدهم الله... لأن لله ـ تعالى ـ سننا لا تتغير، ومن هذه السنن: قوله ـ سبحانه:

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾

(الزلزلة: ١: ٨)

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

(النحل / ٩٧)

نسأل الله ـ عز وجل ـ أن يتغمد الإمام العظيم، الشيخ محمد عبده برحمته ورضوانه، وأن يحشره ـ وأن يحشرنا معه ـ مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا. ذلك الفضل من الله، وكفى بالله عليما

والله الموفق



الإمام محمد عبده مصلحاً

تحت هذا العنوان جاء بحث فضيلة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف حيث قال فضيلته:

الإصلاح فى أى مجال من المجالات شأن لا يحسنه كل أحد ، فله رجاله وله شروطه التى لابد من توفرها لكى ينهض المصلح بدعوته إلى الإصلاح . والمصلح لا يولد مصلحاً ، ولكن هناك ظروفاً موضوعية وقدرات شخصية تجعله يسعى إلى الإصلاح ويعمل على تحقيقه ، مستجمعاً قواه العقلية وقدراته الفكرية للتخطيط له، مستعيناً فى ذلك بمواهبه الشخصية التى يتمتع بها.



و الإصلاح لا ينطلق من فراغ، فهناك أسباب تدفع إليه تتمثل فى تردى الأوضاع فى مجال من المجالات إلى درجة لا يمكن تجاهلها أو السكوت عليها . وعندما يتجه المصلح إلى الإصلاح فإنه لابد له أولاً من دراسة الأحوال القائمة فى هذا المجال أو ذاك و التعرف عليها بدقة ، ونقد الأوضاع السائدة . ومهمة النقد هنا أساسية فى عملية التشخيص للتعرف بموضوعية على السلبيات للعمل على تجنبها و الإيجابيات للعمل على تأكيدها و الاستفادة منها .

و الإصلاح الذى نعنيه هنا ليس عملية ترقيع لسد بعض الثغرات الظاهرة ، وإنما هو عملية أساسية شاملة . وشأن المصلح هنا مثل الطبيب الذى عليه أن يتعرف على المرض الذى يشكو منه المريض ويقوم



بتشخيصه بكل دقة بناءً على التحاليل الشاملة و الفحوصات الكاملة ثم يبدأ بعد ذلك مرحلة العلاج .

وقد كان هذا هو شأن محمد عبده . فعندما بدأ خطواته الأولى فى التعليم الدينى بالجامع الأحمدى فى طنطا تمرد عليه وهرب منه ، لأنه وجد خللاً ما فى البرنامج التعليمى لم يرض أن يسكت عنه . وقد كانت هذه التجربة الشخصية الأولى هى منطلقه لكل محاولاته الإصلاحية المستقبلية . وقد ظل هذا الأمر يختمر فى نفسه ويعتمل فى فكره إلى أن نضجت تجربته فى نهاية الأمر وتبلورت خطته فى إصلاح التعليم الدينى .

ولعل هذا هو ما دفع الكثيرين إلى وصف محمد عبده بأنه مصلح دينى. و لاشك فى أن الإصلاح عند محمد عبده مرتبط بإصلاح الفكر الدينى بصفة خاصة ولكنه فى الوقت نفسه مرتبط بإصلاح الفكر بصفة عامة ، فالإصلاح لديه حلقات متشابكة يجمعها رباط واحد وتهدف إلى غاية واحدة هى الإصلاح فى أوسع معانيه من منطلق أن الدين الإسلامى دين للحياة بجميع أبعادها ومختلف نواحيها . و كان محمد عبده يطمح من خلال ذلك إلى إصلاح المجتمع و الدفع به إلى التقدم و الارتقاء وتخليصه من الاحتلال وإصلاح أحوال الحكام و المحكومين . وخطة الإصلاح هذه تتطلب عقلية متفتحة وشخصية فذة وعلماً واسعاً . وقد كان محمد عبده يتمتع بذلك كله .

الإصلاح الدينى

وقد اتسعت آفاق التجربة الشخصية التى خاضها محمد عبده فى الجامع الأحمدى، وتعددت أبعادها إلى الحد الذى جعله فى نهاية الأمر على اقتناع تام" بأن ضعف المسلمين سببه سوء (فهم) العقيدة و الجهل بأصول الدين ، وأن ذلك أضاع أحلامهم و أفسدها ، وأن العلاج الوحيد هو إصلاح التعليم الدينى " (١). وذلك لما للدين من عمق عميق فى النفوس ، وتأثير عظيم فى توجيه السلوك.

ويؤكد الشيخ تصوره هذا بقوله :

" إذا استقرينا أحوال المسلمين للبحث عن أسباب الخذلان ، لا نجد إلا سبباً واحداً : وهو القصور فى التعليم الدينى ، إما بإهماله جملة - كما هو فى بعض البلاد - وإما بالسلوك إليه من غير طرقه القويمة - كما فى بعض آخر " (٢) .

وأعتقد أن الشيخ محمد عبده - الذى

---

(١) زعماء الإصلاح فى العصر الحديث للأستاذ أحمد أمين صـ ٣٠٩.

(٢) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى للدكتور محمد البهى صـ ١٤١ وما بعدها. دار الفكر بيروت ١٩٧٣م.

رحل عن دنيانا منذ قرن من الزمان ـ لو كان يعيش بيننا الآن لردد الكلام ذاته مناديا بأن علاج التطرف و التعصب و الإرهاب الذى يعانى منه العالم الإسلامى فى الوقت الراهن يكمن فى إصلاح التعليم وفى التربية الدينية السليمة.

ومن أجل إصلاح التعليم الدينى وضع الشيخ محمد عبده لائحتين لتحقيق هذا الغرض .

أولهما : ـ تتعلق بإصلاح التعليم الدينى فى المدارس الإسلامية على مستوى دولة الخلافة العثمانية ، وقد رفعها إلى شيخ الإسلام فى الآستانة بوصفه رئيس اللجنة التى شكلها السلطان عبد الحميد لإصلاح البرامج فى المدارس الإسلامية .

و ثانيتهما : ـ تتعلق بإصلاح التعليم فى سورية فى مواجهة انتشار المدارس الأجنبية فيها وضرورة تعميم المدارس الوطنية وإصلاح برامج التعليم الدينى بها . وقد رفع محمد عبده هذه اللائحة إلى والي بيروت عندما كان منفياً إليها ومقيماً بها(٣) .

أما اللائحة الخاصة بإصلاح التعليم فى مصر فقد تقدم بها إلى اللورد كرومر ، وهذا أمر يدعو إلى الدهشة و التساؤل : لماذا لم يقدم تصوره عن إصلاح التعليم فى مصر إلى الخديوى أو إلى رئيس الوزراء أو إلى أى مسئول مصرى آخر ؟

لقد كان محمد عبده يرى أن زوال الاحتلال مرهون بالتعليم ، وأن القوة الفاعلة فى مصر آنذاك كانت فى يد كرومر ، الأمر الذى جعله يتوجه بمشروعه فى إصلاح التعليم إلى من يملك النفوذ والقرار. وهذا التوجه يفسر لنا سر الفتوى التى أصدرها بجواز الاستعانة بالأجانب على ما فيه خير ومنفعة للمسلمين (٤) . ولكن السؤال هو : هل يمكن أن يتصور المرء أن يأتى خير للأمة على يد محتل غاصب ؟ لقد أظهرت الأيام أن ذلك أمر بعيد المنال ، بل يعد من رابع المستحيلات .

و الأمر الذى لا شك فيه أن الشيخ كان محباً لوطنه ، محباً لدينه ، مخلصاً فى دعوته الإصلاحية ، مجتهداً فى البحث عن أفضل الحلول للوصول إلى الأهداف المرجوة . ولكل مجتهد نصيب .

ورؤية محمد عبده للإصلاح الدينى بصفة عامة وإصلاح التعليم الدينى بصفة خاصة تمتد لتشمل إصلاح العقيدة وإصلاح المؤسسات الإسلامية كالأزهر و الأوقاف

(٣) زعماء الإصلاح صـ ٣٠٩.

(٤) المرجع السابق صـ ٣١٤.



حسونة النواوى

والمحاكم الشرعية (٥) . فقد كان يرى أن إصلاح هذه المؤسسات فيه صلاح للأمة .

وقد اهتم اهتماماً بالغاً بإصلاح العقيدة وتنقيتها مما طرأ عليها من تشويه ، ورأى أن أفضل السبل لإصلاح العقيدة هو تفسير القرآن الكريم . وكان له فى هذا الصدد إسهامات عديدة .

وفى دروسه " كان يقرأ الآية فإذا اتصلت بالعقيدة شرحها شرحاً وافياً ، عارضاً ما ورد فى القرآن فى موضوعها ، مبيناً ما دخل على المسلمين فى هذه العقيدة من فساد ودخيل ، وإذا اتصلت الآية بالأخلاق أبان أثر هذا الخلق فى صلاح الأمم وضياعه فى فسادها ، وإذا اتصلت بحالة اجتماعية أوضح أثر هذه الحالة الاجتماعية فى حياة الأمم ، مسترشداً بالواقع ، مستشهداً بما يجرى فى العالم " (٦) .

ولم يكن الشيخ محمد عبده يكتفى بالإصلاح النظرى عن طريق المقالات والخطب و المؤلفات ، وإنما كان يتحين كل فرصة مواتية لتطبيق أفكاره ونقلها إلى دنيا الواقع ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وقد أتيحت أمامه الفرصة عندما تولى الخديوى عباس الحكم خلفاً لوالده الخديوى توفيق الذى كانت علاقة الشيخ به سيئة للغاية ، وعندما تأكد الشيخ أن الخديوى عباس لديه رغبة حقيقية فى الإصلاح عرض عليه البدء بإصلاح الأزهر . وقد اقتنع الخديوى بما عرضه عليه الشيخ ، وصدر الأمر بتشكيل أول مجلس إدارة للأزهر برئاسة الشيخ حسونة النواوى ، وفيه الشيخ محمد عبده الذى نجح فى تحريك هذا المجلس لإصلاح بعض الأمور فى الأزهر ، وإن لم تكن إصلاحات جوهرية ، ولكنه بدأ بها تمهيداً لما يريده من إصلاحات جوهرية تتعلق بالبرامج الدراسية واختيار الكتب وطرق التدريس وغيرها من أمور أساسية .

وعندما شرع فى ذلك جوبه بمعارضة قوية وعقبات كأداء سدت أمامه الطريق ، وفتحت أمام خصومه الباب لإطلاق الشائعات والاتهامات ضده ، ووصل الأمر إلى حد رميه بالزندقة و الخروج عن الدين ، الأمر الذى لم يستطع معه أن يستمر فى مشروعه لإصلاح الأزهر . وعلى الرغم من

(٥) المرجع السابق صـ ٣٠٩ وما بعدها.

(٦) زعماء الإصلاح صـ ٣٢٩.

ذلك فإن أفكاره الإصلاحية لم تمت ، وظلت تعمل عملها فى نفوس وعقول تلاميذه ومريديه ممن تهيأت لهم الفرص بعد ذلك بسنوات طوال لتحقيق بعض ما كان يصبو إليه .

ومن بين هؤلاء التلاميذ و المريدين الذين تحمسوا لأفكار الشيخ محمد عبده فى إصلاح الأزهر وينسب إليهم الفضل فى تحقيق بعض أفكاره فى هذا الصدد كان الدكتور محمد البهى رحمه الله الذى ولد فى العام ذاته الذى توفى فيه الشيخ محمد عبده ، و الذى كان أول مدير لجامعة الأزهر يقوم بتطبيق قانون تطوير الأزهر رقم١٠٣ لسنة ١٩٦١ م. وقد اشتمل هذا القانون مع قوانين أخرى سابقة على تحقيق العديد من أفكار الشيخ محمد عبده فى إصلاح الأزهر .

إصلاح الفكر

وإذا كان الدين يعد المحور الرئيسى فى فكر الشيخ محمد عبده ، وأن كل محاولاته الإصلاحية تدور حوله ، فإن إصلاح الفكر فى تصوره لا ينفصل عن الدين ولا عن التعليم الدينى . ويعبر الشيخ عن ذلك بقوله : " ارتفع صوتى بالدعوة إلى أمرين عظيمين :الأول : تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف ، والرجوع فى كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى ، واعتباره من ضمن موازين العقل البشرى التى وضعها الله لترد من شططه ، وتقلل من خلطه وخبطه . . . وأنه على هذا الوجه يعد صديقاً للعلم ، باعثاً على البحث فى أسرار الكون ، داعياً إلى احترام الحقائق الثابتة ، مطالباً بالتعويل عليها فى أدب النفس وإصلاح العمل . . . والأمر الثانى : إصلاح أساليب اللغة العربية فى التحرير سواء كان فى المخاطبات الرسمية أو المراسلات بين الناس " (٧) .



محمد البهى

وقد سبق أن أشرنا إلى أن الإصلاح الدينى يرتبط لديه ارتباطاً وثيقاً بإصلاح الفكر . وإصلاح الفكر يعنى العودة إلى مقررات العقل السليم وتمكين هذا العقل من أداء دوره كاملاً فى الحياة . ومن هنا وجدنا الشيخ فى دعوته الإصلاحية يؤكد على أهمية العقل وأهمية دوره الحاسم فى إحداث التغيير المطلوب و الإصلاح المنشود ، فإذا استقام الفكر استقام الفهم

(٧) المرجع السابق صـ ٣٢٧.

للدين ، واستقامت أمور الحياة ، وانفتح الطريق ممهداً أمام الإنسان نحو تجديد الحياة وتطويرها والارتقاء بها وبناء الحضارة الإنسانية على أسس سليمة راسخة .

وقد كانت هذه النظرة للعقل الإنسانى هى مرتكز دعوته الإصلاحية التجديدية التى خاض فى سبيلها نضالاً طويلاً على جميع الأصعدة . لقد دعا الشيخ إلى أن " العقل يجب أن يحكَّم كما يحكم الدين فالدين عرف بالعقل ، ولابد من اجتهاد يعتمد على الدين و العقل معاً حتى نستطيع أن نواجه المسائل الجديدة فى المدنية الجديدة ، ونقتبس منها ما يفيدنا ، لأن المسلمين لا يستطيعون أن يعيشوا فى عزلة ، ولابد أن يتسلحوا بما تسلح به غيرهم . وأكبر سلاح فى الدنيا هو العلم ، وأكبر عمدة فى الأخلاق هو الدين . ومن حسن حظ المسلمين أن دينهم يشرح صدره للعلم ويحض عليه ، وللعقل ويدعو إليه ، وللأخلاق الفاضلة التى تدعو إليها المدنية الحاضرة " (٨) .

وحتى يتمكن العقل من أداء دوره الفاعل فى حياة الناس أفراداً وجماعات لابد من تمهيد الطريق أمامه ، وإزالة العقبات التى تعترض طريقه . ومن هنا كان تأكيد الشيخ محمد عبده على ضرورة التخلص من هذه العقبات أولاً حتى لا يكبو العقل متعثراً فيها إذا سار فى طريقه دون إزالتها . وأهم هذه العقبات فى نظره تتمثل فى التقليد الأعمى وفى تخدير العقل عن طريق المصادر السيئة للتثقيف .

و التقليد يعد بمثابة إلغاء للعقل ، وقضاء على شخصية الفرد ، وكبت لقدراته وامتهان لكرامته . وهذا التقليد الممقوت يعد ـ فى نظر الشيخ ـ ضلال يعذر فيه الحيوان ، ولكنه لا يصح بحال من الأحوال من الإنسان القادر على التفكير والتمييز . وفى هذا الصدد يوجه الشيخ سهام النقد إلى الفقهاء الذين جعلوا من كتبهم ـ على علاتها ـ أساس الدين ولم يخجلوا من قولهم : إنه يجب العمل بما فيها وإن عارض الكتاب و السنة . فانصرفت الأذهان عن القرآن والحديث ، وانحصرت أنظارهم فى كتب الفقهاء على ما فيها من الاختلاف فى الآراء و الركاكة"(٩).

وقد شدد الشيخ محمد عبده على ضرورة تحرير الفكر من أغلال التقليد ، وأشار إلى أن السبق فى الزمان ليس آية من آيات العرفان ، ولا معلياً لعقول على عقول . فالسابق و اللاحق يستويان فى التمييز و الفطرة . وهناك إمكانات متوفرة أمام

(٨) المرجع السابق صـ ٣٢٧.

(٩) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ـ تحقيق د. محمد عمارة جـ ٣ صـ ١٩٥ بيروت ١٩٨٠.

اللاحق لم تكن متاحة لمن سبقه :

" فاللاحق له من علم الأحوال الماضية واستعداده للنظر فيها و الانتفاع بما وصل إليه من آثارها في الكون ما لم يكن لمن تقدمه من أسلافه وآبائه " (١٠) .

وأشار الشيخ محمد عبده إلى دور الإسلام الحاسم في مجال تحرير الفكر من أغلاله وقيوده حيث " أطلق (الإسلام) سلطان العقل من كل ما كان يقيده ، وخلصه من كل تقليد كان يستعبده ، ورده إلى مملكته يقضي فيها بحكمه وحكمته"(١١) ، " وهكذا تم للإنسان بمقتضى دينه أمران عظيمان طالما حرم منهما وهما : استقلال الإرادة واستقلال الرأي و الفكر ، وبهما كملت إنسانيته " (١٢).

ويحذر الشيخ تحذيراً قوياً من المصادر السيئة للتثقيف التي تؤذي العقول بما تنقله من جراثيم فكرية وأوبئة ثقافية تهدم العقول وتقضي على صحة الفكر و الثقافة . ويضرب الشيخ مثالاً على ذلك بـ " كتب الأكاذيب الصرفة وهي ما يذكر فيها تاريخ أقوام على غير الواقع . . . ومنها كتب الخرافات ، وهي تارة تبحث عن نسبة بعض الكائنات إلى الأرواح الشريرة المعبر عنها بالعفاريت ، وتارة تتكلم عن ارتباط الحوادث الجوية و الآثار الكونية ببعض الأسباب التي لا مناسبة بينها وبين ما زعموه ناشئاً عنها ، وتارة تثبت ما لا يقبله العقل ولا ينطبق على قواعد الشرع الشريف " (١٣) .


جمال الدين الأفغاني

و الأمر المؤسف حقاً أن أمثال هذه الكتب التي تخدر العقل وتشل فاعليته لا تزال تجد لها سوقاً رائجة في أيامنا هذه بعد مرور قرن كامل من الزمان على رحيل الشيخ محمد عبده . وإذا كان يحذر من أمثال هذه المصادر السيئة للتثقيف فإنه من ناحية أخرى يرى ضرورة تزويد العقل بالزاد الفكري السليم والغذاء الثقافي الصحيح من الكتب المفيدة الصحيحة و العلوم النافعة التي تؤهل صاحبها لتمييز الغث من السمين من الأفكار.

(١٠) رسالة التوحيد لمحمد عبده. تحقيق محمود أبورية صـ ١٥٤. دار المعارف الطبعة الرابعة.

(١١) المرجع السابق صـ ١٤٥.

(١٢) المرجع السابق صـ ١٥٥.

(١٣) الأعمال الكاملة جـ ٣ صـ ٥٠.

وما أشار إليه الشيخ من ضرورة حسن اختيار الكتب التي تغذي العقل ينطبق بطبيعة الحال على كل منتجات الفكر و الأدب و الفن في أجهزة الاتصال ووسائل الإعلام المختلفة المقروءة والمسموعة و المرئية ، وفي المسرح والسينما و الفيديو و الإنترنت وغير ذلك من مصادر ثقافية مختلفة تؤثر بطريقة أو بأخرى في بناء شخصية الفرد و المجتمع(١٤).

الإصلاح السياسي

على الرغم من أنه من المعروف أن الشيخ محمد عبده كان لا يحب السياسة ويلعنها ويلعن مشتقاتها فإنه اضطر إلى الاشتغال بها مرتين : مرة حين دفعه التيار في الثورة العرابية ، ومرة أخرى حين كان تحت تأثير أستاذه جمال الدين الأفغاني .

ومن ناحية أخرى فإن مشروعه الإصلاحي الطموح لم يكن ليتجاهل هذا الجانب الهام في حياة الأمم و الشعوب . ومن هنا وجدناه في عبارات صريحة واضحة يدخل بنا إلى معترك السياسة ضمن مشروعه الإصلاحي فيقول :

" وهناك أمر آخر كنت من دعاته و الناس جميعاً في عمى عنه ، وبعد عن تعقله ، ولكنه هو الركن الذي تقوم عليه حياتهم الاجتماعية ، وما أصابهم الوهن والضعف و الذل إلا بخلو مجتمعهم منه . . . وذلك هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب ، وما للشعب من حق العدالة على الحكومة " (١٥) .

ومن الأمور التي كانت مطروحة بقوة في ذلك الوقت قضية الحكم النيابي . وكان يميل إلى التدرج في هذا الأمر و البدء بإصلاح المجالس البلدية وتعويد الأهالي السير عليها قبل الشروع في إنشاء مجلس نيابي . وفي مواجهة المطالبين بالمجلس النيابي أطلق العبارة الشهيرة التي يقول فيها : " إنما ينهض بالشرق مستبد عادل " . ويذهب الشيخ إلى القول بأن هذا المستبد العادل يستطيع أن يفعل الأعاجيب في خمسة عشر عاماً وينقل الأمة خطوة واسعة إلى الأمام .

و عندما عين الشيخ عضواً في مجلس الشورى كانت له بصماته الواضحة فيما اتخذه هذا المجلس من قرارات هامة فيها مصلحة للأمة . وعلى وجه العموم فإن محمد عبده كان يميل في آرائه في المسائل

(١٤) راجع كتابنا: مقدمة في الفلسفة الإسلامية صـ ١٥٠ - دار الفكر العربي ٢٠٠٢.

(١٥) الفكر الإسلامي الحديث صـ ١٢٢.



السياسية إلى القول بأن النضج السياسى يعتمد على التعليم و التربية . ومشروعه الإصلاحى - كما هو معروف - كان يجعل من التعليم أولوية قصوى فى تحقيق الأهداف الوطنية . وهذا الاتجاه كان يتناقض مع اتجاه آخر قوى يعتمد على إلهاب مشاعر الجماهير مطالباً بجلاء الإنجليز أولاً (١٦) .

ولم يستطع الشيخ تحقيق الكثير فى المجال السياسى ، ولذلك نفض يديه من السياسة بعد ذلك ولعن السياسة وكل ما اشتق منها . فطبيعة محمد عبده كانت تختلف عما تتطلبه السياسة . وهذا يفسر لنا أيضاً السبب فى عدم استمراره فى مسايرة ثورية جمال الدين الأفغانى ، فكل ميسر لما خلق له .

وبعد أن خاض محمد عبده مع أستاذه الأفغانى العديد من التجارب السياسية التى لم تؤد إلى تحقيق الأهداف والطموحات المرجوة، توصل إلى اقتناع تام بأن أفضل طريق للإصلاح هو التربية . ومن أجل ذلك اقترح على الأفغانى ، أن يختارا عدداً من أبناء العالم الإسلامى لإعدادهم علمياً وتربيتهم دينياً وخلقياً، وتزويدهم بالأفكار الإصلاحية ، وإرسالهم بعد ذلك إلى بلادهم ليقوم كل منهم بالدعوة إلى الإصلاح فى بلاده . ولم يوافق الأفغانى الثائر على هذا الاقتراح العقلانى الهادئ ، وقال لتلميذه : " إنك مثبط للهمم " .

و الحق أن محمد عبده لم يكن فى يوم من الأيام مثبطاً للهمم بل العكس هو الصحيح وهو أنه قد عمل باستمرار على إيقاظ الهمم وتحريك الطاقات ، وظل طول حياته مناضلاً من أجل الإصلاح بمعناه الشامل، ومناضلاً من أجل نهضة العالم الإسلامى .

خاتمة

ومن خلال ما عرضناه فى الفقرات السابقة يتضح لنا أن الدعوة الإصلاحية للشيخ محمد عبده تقوم فى جوهرها على أساس من العقل وتحكيمه فى كافة المجالات وتمكينه من أداء دوره كاملاً فى هذه الحياة بالتعاون التام مع صحيح الدين حتى يمكن للأمة أن تنهض من كبوتها ، وتزيل عن كاهلها أثقال التخلف ، وتسير فى طريقها بخطى ثابتة متحررة من ظلمات الجهالة وغشاوات الخرافات و الأوهام متسلحة بالعلم متحصنة بالدين . " فالعقل - كما يقول - يجب أن يحكم

(١٦) زعماء الإصلاح صـ ٣١١، ٣٣٤ وما بعدها.



كما يحكم الدين ، ولابد من اجتهاد يعتمد على العقل والدين معاً " (١٧) .

ونحن اليوم لا نزال أحوج ما نكون إلى استيعاب هذه الدروس القيمة من تراث الإمام محمد عبده ، فكلماته لا تزال تعبر عن أوضاعنا وكأنه - رغم مرور قرن من الزمان على رحيله عن دنيانا - لا يزال يعيش بيننا يشخص أدواءنا الفكرية ويصف لها العلاج . وهكذا تظل أفكار العظماء نابضة بالحياة تنشر أضواءها فى كل مكان .

إن أجيالنا الجديدة فى أشد الحاجة إلى التعرف على قادة الفكر وعظماء التاريخ من أمثال الإمام محمد عبده والانتفاع بما خلفه لنا من فكر وما جسدته شخصيته من كفاح طويل فى سبيل ترسيخ قواعد الفكر الصحيح و المنطق السليم والفهم السديد لتعاليم الدين ، فذلك كله يشكل بداية الطريق لكل نهضة ومفتاح التقدم أمام كل أمة .

ولكن الأمر الذى يؤسف له أنه كلما سار بنا ركب النهوض خطوة إلى الأمام أطلت برأسها من هنا وهناك عناصر التخلف التى تتمسح بالدين وتتاجر بالسياسة لتجذبنا إلى الوراء خطوات . ومن هنا تعثرت الأمة فى سيرها وتخلفت مسيرتها فى الوقت الذى يسرع فيه غيرنا الخطى حتى بعدت الشقة بيننا نحن المسلمين - وبينهم ؛ وأصبحنا فى مؤخرة الركب ننعى حظنا العاثر ، ونبحث هنا وهناك عن شماعات نعلق عليها قصورنا وتقصيرنا .

إن القضية المصرية اليوم أمام الأمة الإسلامية هى قضية التخلف فى شتى المجالات الفكرية و الاجتماعية والاقتصادية و العلمية و المادية وفى مجالات التفكير الدينى ، و العقل ينبغى أن يأخذ دوره كاملاً لإنقاذ الأمة من وهدة هذا التخلف . أما شغل الأمة بقضايا إطالة اللحى وتقصير الثياب و الدفاع عن النقاب و السواك وتعدد الزوجات وما شاكل ذلك من أمور هامشية فإنه يعد جناية فى حق الأمة وتعويقاً لها عن مسيرتها نحو التقدم واللحاق بركب العصر .

(١٧) زعماء الإصلاح صـ ٣٣٧.



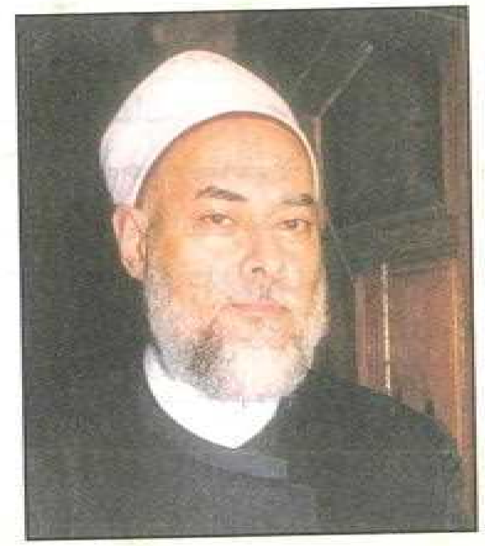
الإمام محمد عبده مفتياً

تحت هذا العنوان جاء بحث فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة مفتي جمهورية مصر العربية قال:

«العلماء ورثة الأنبياء»[1] هذا التقرير النبوي الصريح يعبر عن مكانة العلماء في الأمة الإسلامية ودورهم الرائد في قيادتها علمياً وفكرياً، وإذا تكلمنا عن تاريخنا المعاصر ومن برز فيه من العلماء العاملين لدين الله، فإننا لا نستطيع أن نغفل الإمام محمد عبده رحمه الله.

ساهم محمد عبده بعلمه ووعيه واجتهاده في تحرير العقل العربي من الجمود، وشارك في إيقاظ وعي الأمة نحو التحرر، وبعث الوطنية، وإحياء الاجتهاد الفقهي لمواكبة التطورات السريعة في العلم، ومسايرة حركة المجتمع وتطوره في مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية.

فعندما نتحدث عن الإمام محمد عبده، فإننا لا نتحدث عن فيلسوف عبقري، ولا عن مصلح مكافح، ولا عن عالم بارع، ولا عن مفت واع، بل نتحدث عن كل هؤلاء في شخص ذلك الإمام العالم المجدد، ولنتعرف على جانب من حياته ونشأته.



مولده ونسبه

وُلد الإمام محمد عبده في عام (١٢٦٦هـ = ١٨٤٩م) لأب تركماني الأصل، وأم مصرية تنتمي إلى قبيلة «بني عدي» العربية، ونشأ في قرية صغيرة من ريف مصر هي قرية «محلة نصر» بمحافظة البحيرة.

نشأته وطلبه للعلم

أرسله أبوه إلى الكُتّاب، حيث تلقى دروسه الأولى على يد شيخ القرية، وعندما شبَّ الابن أرسله أبوه إلى «الجامع الأحمدي» - جامع السيد البدوي- بطنطا، لقربه من

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، ج١ ص ٣٧، وابن حبان في صحيحه، ج١، ص ١٠١.



بلدته؛ ليجوِّد القرآن بعد أن حفظه، ويدرس شيئًا من علوم الفقه واللغة العربية.

انتقل محمد عبده من الجامع الأحمدي إلى الجامع الأزهر عام (١٢٨٢ هـ = ١٨٦٥م)، وكانت الدراسة في الأزهر- في ذلك الوقت- لا تخرج عن هذه العلوم في شيء إلا أنه لم يستطع أن يتجاوب مع المقررات الدراسية أو نظم الدراسة من صعوبة بعض المتون العلمية عليه، فقرر أن يترك الدراسة ويتجه إلى الزراعة، ولكن أباه أصر على تعليمه، فلما تأكد من إصرار أبيه على موقفه، هرب إلى بلدة قريبة فيها بعض أخوال أبيه، وهناك التقى بالشيخ الصوفي «درويش خضر» - خال أبيه- الذي كان له أكبر الأثر في تغيير مجرى حياته.

استطاع الشيخ «درويش» أن يعيد الثقة إلى محمد عبده، بعد أن شرح له بأسلوب لطيف ما استعصى عليه من تلك المتون المغلقة، فأزال طلاسم وتعقيدات تلك المتون، وقرّبها إلى عقله بسهولة ويسر.

وعاد محمد عبده إلى الجامع الأحمدى، وقد أصبح أكثر ثقة بنفسه، وأكثر فهما للدروس التى يتلقاها هناك، بل قد صار شيخا، معلما لزملائه، يشرح لهما ما غمض عليهم قبل موعد شرح الأستاذ.

انتقل محمد عبده من الجامع الأحمدى إلى الجامع الأزهر عام (١٢٨٢ هـ = ١٨٦٥م)، وقد كان الأزهر غاية كل متعلم وهدف كل دارس، فدرس الفقه والحديث والتفسير واللغة والنحو والبلاغة، وغير ذلك من العلوم الشرعية واللغوية.

جهاده الفكري الفلسفي

رأى محمد عبده توجه العديد من المثقفين لتبني آراء الفيلسوف الفرنسي «كونت» التي كانت تتوجه لـ«هدم النظام اللاهوتي»، فواجه هذا الاقتحام التحديثي الأوروبي الذي انتشر في كل مكان: في المدارس العصرية، وفي الصحافة والفنون ووضع المرأة الخ.. بتحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى، واعتباره ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه.

وكان بارعاً في مناظراته قوي الحجة سهل الأسلوب، ويتضح ذلك في مناقشته مع «هانوتو» قنصل فرنسا في مصر والتي تُعد مظهراً يجسد وعي محمد عبده، وذلك من خلال رده على حديث أجرته صحيفة الأهرام سنة ١٩٠٠، مع هذا القنصل؛ حيث كانت فرنسا تزعم أنها قدمت للبلدان الإسلامية التي استعمرتها شروطاً اجتماعية وثقافية أكثر تطوراً وقربتها من الحداثة، فيما اعتبرت الاستعمار البريطاني مُصعّداً للشبكات الدينية المحافظة.

وفي حديث القنصل الجملة الهامة



التالية: «فكلما تقدمت أوربا تأخر الشرق، لأن الواقف يتأخر بقدر ما يسير الماشي وإن كل حكومة انفصلت عن الشرق وسارت على النظام الأوروبي علماً ومدنية فإنها نجحت، بل كل ما يود التنبيه إليه أن أوروبا تقدمت، إنما مرجع تقدمها محاربة السلطة الدينية مدة ثلاثة قرون وذلك لكي تفصلها عن السلطة المدنية». ويردُ محمد عبده بذكاء على آراء السياسي الفرنسي مذكراً بأن فرنسا اعتبرت نفسها حامية للكاثوليك في الشرق، وملكةُ إنجلترا تُلقب بحامية البروتستانت، فأين العلمانية؟

ويحدد محمد عبده العلاقة بين السلطة الدينية والسلطة السياسية بالشكل التالي: «إن الخليفة عند المسلمين ليس بالمعصوم، ولا هو مهبط الوحي ولا من حقه الاستئثار بتفسير الكتاب والسنة»، «إن الإسلام لم يجعل للقاضي أو المفتي أو شيخ الإسلام أدنى سلطة على العقائد وتقرير الأحكام وكل سلطة تناولها هؤلاء فهي سلطة مدنية قررها الشرع الإسلامي، ولا يجوز لواحد منهم أن يدعي حق السيطرة على إيمان أحد أو عبادته لربه، أو ينازعه في طريق نظره. هذه نماذج من رؤيته الفلسفية، وقضيته الفكرية، ودفاعه عن الإسلام، ولننظر إلى جانب آخر من حياته وهو الحياة العلمية والدعوية.

حياته العلمية والدعوية

استمر «محمد عبده» يدرس في «الأزهر» اثني عشر عاماً، حتى نال شهادة العالمية سنة (١٢٩٤هـ = ١٨٧٧م)، ثم انطلق ليبدأ رحلة كفاحه من أجل العلم والتنوير، فلم يكتف بالتدريس في الأزهر، وإنما درّس في «دار العلوم» وفي «مدرسة الألسن»، كما اتصل بالحياة العامة. وكانت دروسه في الأزهر في المنطق والفلسفة والتوحيد، وكان يُدرِّس في دار العلوم مقدمة ابن خلدون، كما ألف كتابا في علم الاجتماع والعمران.

وحينما تولى الخديوي «توفيق» العرش، تقلد «رياض باشا» رئاسة النظار، فاتجه إلى إصلاح "الوقائع المصرية"، واختار الشيخ محمد عبده ليقوم بهذه المهمة، فضم «محمد عبده» إليه «سعد زغلول»، و«إبراهيم الهلباوي»، والشيخ «محمد خليل»، وغيرهم، وأنشأ في الوقائع قسماً غير رسمي إلى جانب الأخبار الرسمية، فكانت تحرر فيه مقالات إصلاحية أدبية واجتماعية، وكان الشيخ «محمد عبده» هو محررها الأول. وظل الشيخ «محمد عبده» في هذا العمل نحو سنة ونصف السنة، استطاع خلالها أن يجعل «الوقائع» منبراً للدعوة إلى الإصلاح.

كما اتصل محمد عبده بعدد من الجرائد، فكان يكتب في «الأهرام» مقالات في الإصلاح الخلقي والاجتماعي، فكتب مقالا في «الكتابة والقلم»، وآخر في «المدبر الإنساني والمدبر العقلي والروحاني»، وثالثا





عباس حلمي



سعد زغلول

في «العلوم العقلية والدعوة إلى العلوم العصرية».

الإمام محمد عبده مفتيا للديار المصرية

نستطيع أن ننظر للإمام محمد عبده من أكثر من جهة، فيمكن أن ننظر إليه باعتباره مصلحاً، ويمكن أن ننظر إليه باعتباره مقاوماً للاستعمار، وغير ذلك إلا أن أفضل ما نلقبه به هو مفتي الديار المصري؛ إذ يعني ذلك كونه حجة ومرجعية في ربط الدين بالحياة، وهو ما توج مسيرته الطاهرة.

بعد وفاة الخديوي توفيق سنة (١٣١٠هـ = ١٨٩٢م)، ولي الخديوي عباس، الذي كان متحمسا لمناهضة الاحتلال، سعى الشيخ "محمد عبده" إلى توثيق صلته به، واستطاع إقناعه بخطته الإصلاحية التي تقوم على إصلاح الأزهر والأوقاف والمحاكم الشرعية، وصدر قرار بتشكيل مجلس إدارة الأزهر برئاسة الشيخ «حسونة النواوي»، وكان الشيخ محمد عبده عضوا فيه، وهكذا أتيحت الفرصة للشيخ محمد عبده لتحقيق حلمه بإصلاح الأزهر، وهو الحلم الذي تمناه منذ أن وطئت قدماه ساحته لأول مرة.

وفي عام (١٣١٧هـ = ١٨٩٩م) تم تعيينه مفتياً للبلاد، وجاء الأمر العالي من المعية السنية بتاريخ ٢٤ محرم ١٣١٧ الموافق ٣ يونيه ١٨٩٩ نمرة ٢ سايرة صورته:

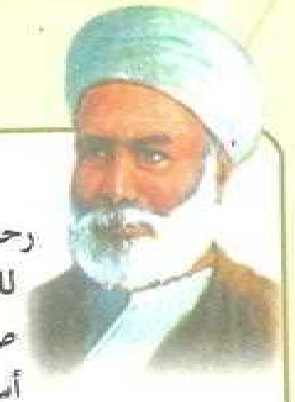
فضيلتلو حضرة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية:

بناء على ما هو معهود في حضرتكم من العالمية وكمال الدراية قد وجهنا لعهدتكم وظيفة إفتاء الديار المصرية وأصدرنا أمرنا هذا لفضيلتكم للمعلومية والقيام بمهام هذه الوظيفة عطوفتلو الباشا رئيس مجلس النظار بذلك.

الختم

عباس حلمي

ونص هذا الأمر العالي موجود في المجلد الثاني من مجلدات دار الإفتاء المصرية، وهو المجلد الأول من فتاوى الشيخ محمد عبده



رحمه الله، وكان أول تسجيل للشيخ في هذا الدفتر يوم ٢ صفـر ١٣١٧ هـ ـ أي بعد أسبوع من صدور الأمر العالي ـ وبالدفتر ٤٨٧ فتوى آخرها في ٢٣ صفر سنة ١٣٢٠ هـ، ويبدأ الدفتر الثالث بالنسبة لدار الإفتاء، وهو الثاني بالنسبة للشيخ محمد عبده من ٢٧ صفر ١٣٢٠، وفي صفحة ١٦٠ من الدفتر تنتهي فتاوي الشيخ محمد عبده وعددها في هذا الدفتر ٤٥٧ وآخرها في تاريخ ٤ ربيع الثاني سنة ١٣٢٣ هـ وبذلك يكون مجموع فتاوى الشيخ ٩٤٤ مسجلة في ٣٦٠ صفحة تقريباً، في المجلد الثاني والثالث من مجلدات دار الإفتاء، ثم أكمل الدفتر الثالث الشيخ بكري الصدفي بعد توليته منصب مفتي الديار المصرية.

وفاته

وكانت علاقته بالخديوي عباس يشوبها شيء من الفتور، الذي ظل يزداد على مر الأيام، خاصة بعدما اعترض على ما أراده الخديوي من استبدال أرض من الأوقاف بأخرى له إلا إذا دفع الخديوي للوقف عشرين ألف فرقًا بين الصفقتين.

وتحول الموقف إلى عداء سافر من الخديوي، فبدأت المؤامرات والدسائس تُحاك ضد الإمام الشيخ، وبدأت الصحف تشن هجومًا قاسيا عليه لتحقيره والنيل منه، ولجأ خصومه إلى العديد من الطرق الرخيصة والأساليب المبتذلة لتجريحه وتشويه صورته أمام العامة؛ حتى اضطر إلى الاستقالة من الأزهر في سنة (١٣٢٣هـ= ١٩٠٥م).

وإثر ذلك شعر الشيخ بالمرض، واشتدت عليه وطأة المرض، الذي تبيَّن أنه السرطان، وما لبث أن تُوفي بالإسكندرية في (٨ من جمادى الأولى ١٣٢٣ هـ = ١١ من يوليو ١٩٠٥م) عن عمر بلغ ستة وخمسين عاماً رحمه الله تعالى، ورزقنا الاستفادة من علمه وفكره وجهاده. آمين.

سمات الإمام محمد عبده وأثرها في نتاجه الإفتائي

تميز الإمام محمد عبده بسمات نبيلة أصيلة أثرت في منهجه العلمي وتراثه الإفتائي؛ وهذه الصفات واضحة جلية تتيح لكل من طالع تراثه الإفتائي أن يقرأ تلك السمات بوضوح، ولتعدد تلك السمات نتخير أهمها ونمثل لكل سمة منها بفتوى.

١- بُعد النظر واعتبار المآلات :

كان ـ رحمه الله ـ فقيهاً بارعاً ينظر إلى العواقب والمآلات وإلى المفاسد والمصالح، وهناك أمثلة كثيرة تؤكد تلك السمة الأساسية في فكر الإمام محمد عبده نتخير منها تلك الفتوى، حيث سئل : عن زوجة ارتدت عن الإسلام بقصد فسخ النكاح وعادت إلى الإسلام فورا فهل يفسخ النكاح ردا لقصدها أولا يفسخ ولا ينفذ قصدها ؟ وإذا فسخ فما حكم الصداق ؟ هل يقرر على الزوج بالدخول أو يلزمها حيث إن الفسخ من



جهتها وأن الزوج تركها من مدة ثلاثة شهور ولم يسأل عنها إلى الآن ؟

فأجاب : قال فى الفتح قد أفتى الدبوسي والصفار وبعض أهل سمرقند بعدم وقوع الفرقة بالردة ردا عليها .وغيرهم مشوا على الظاهر .ولكن حكموا بجبرها على تجديد النكاح مع الزوج. ولما كان الإجبار على النكاح غير متيسر ولانفاذ له وكان كثير من الزوجات قد اتخذن دينهن لعبة يخلعنه كلما اردن التخلص من أزواجهن وهى وسيلة من أقبح الوسائل وجب لذلك إقفال هذا الباب فى وجوههن خصوصا مع تعذر إجراء أحكام الردة عليهن كما هو معلوم فلهذا لا ينفسخ النكاح ولا تقع الفرقة بمجرد ردة الزوجة بل تبقى الزوجة فى عصمة زوجها والمهر واجب عليه بالدخول لا يسقط بردتها كما هو ظاهر والله أعلم.

ويؤكد تلك السمة كذلك إجابته عن هذا السؤال؛ حيث سئل عن : رجل أقر أنه كان من طائفة الدروز ويريد الآن أن يترك ما كان عليه من الاعتقادات الدرزية ويعتنق الدين الإسلامي الحنيف المبين. فهل والحالة هذه إذا أتى بالشهادتين مع عبارة التبرى من جميع ما يخالف دين الإسلام يعتبر بنظر الشرع مسلما ويعامل معاملة المسلمين فورا ولا يعد منافقا وإذا صح إسلامه بتلك الصيغة فما حكم من لم يقبل إسلامه من المسلمين، وهل يشترط لقبول إسلامه أن يكون رسيما أرجو الجواب ؟

فأجاب : الذى قالوه إنه متى جاء الدرزى ونحوه طائعا معلنا بأنه كان على عقيدته وأنه رجع عنها متبرئا من كل دين يخالف دين الإسلام وجب قبول قوله واعتبر مسلما. وقالوا كذلك إن من لم يقبل رجوع من يريد الأوبة إلى الإسلام يكون راضيا ببقائه على الكفر. وقالوا إن أقل ما فى ذلك أن يكون آثما مسيئا ثم إنه ليست لنا سنة نتبعها فى اعتبار المتحول إلى الإسلام مسلما منا له مالنا وعليه ما علينا فى أخوة الدين إلا سنة نبينا محمد ﷺ وقد كان عليه السلام يقبل الرجعة إلى الإسلام بعد الردة والإخلاص بعد النفاق ولم يكن ينظر إلى من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وأن القرآن حق والآخرة حق وأن جميع ما فرضه الله فى كتابه واجب الأداء وما منعه يجب عنه الانتهاء إلا نظرة المسلم للمسلم ولم يكن يفرق بين المسلمين فى الإسلام إلا أن يطلعه الله على مكان شخص من نفاق أو قامت له على ذلك شواهد قاطعة. وكتب السنة شاهدة بذلك فكيف لا نقنع من الناس ما قنع ﷺ منهم وكيف نطالبهم بأكثر مما طالبهم به وهو صاحب الشريعة وإليه المرد عند النزاع.

فهذا الدرزى الذى اعترف بما كان عليه وجاء الآن طائعا من نفسه يشهد أنه على الدين الحق وأنه ينبذ كل دين يخالفه. يعد مسلما حقا. ومن لم يقبل منه ذلك يخشى أن يبوء بها نعوذ بالله فليتق الله المسلمون



وليرجعوا إلى حكم الله وحكم رسوله ولا يكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم والله ينقذهم مما صاروا إليه وهو يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

أما اعتبار الراجع إلى العقيدة الصحيحة مسلما فلا يحتاج إلى أن يكون ذلك من طريق رسمية بل يكفى أن يعلم الله عنه ذلك ثم في جريان أحكام المسلمين عليه لا يحتاج إلا إلى أن يعرف الناس منه ذلك وتبين أمره بين من يعرفونه. والله تعالى أعلم.

٢- إحاطته بالقوانين والنظم في بلده وبلاد العالم:

ينبغي أن يكون العالم على دراية كاملة بقوانين بلاده، وكذلك البلاد الأخرى كلما أمكن، ويعكس ذلك انخراطه في مجتمعه ومحاولة تأثيره فيه وإصلاحه له، لأن العالم وخاصة المفتي لابد أن يفتي بما لا يضع السائل في حرج، ولا حيرة وهذا لا يتأتى إلا بالاطلاع على قوانين البلاد. وكان الإمام محمد عبده كذلك، فكان يحيط بالقوانين والأعراف الدولية، ويعلم التوصيف الشرعي لها، ويتجلى هذا في تلك الفتوى التي سئل فيها : عن المسلم إذا دخل بمملكة إسلامية. هل يعد من رعيتها. له مالهم وعليه ما عليهم على الوجه المطلق. وهل يكون تحت شرعها فيما له وعليه عموما وخصوصا. وما هى الجنسية عندنا. وهل حقوق الامتيازات المعبر عنها عند غير المسلمين بالكبيتولاسيون موجودة بين ممالك الإسلام مع بعضهم بعضا ؟

فأجاب : «من المعلوم أن الشريعة الإسلامية قامت على أصل واحد، وهو وجوب الانقياد لها على كل مسلم فى أى محل حل وإلى أى بلد ارتحل، فإذا نزل ببلد إسلامى جرت عليه أحكام الشريعة الإسلامية فى ذلك البلد، وصار له من الحق ما لأهله، وعليه من الحق ما عليهم، لا يميزه عنهم مميز ولا أثر لاختلاف البلاد فى اختلاف الأحكام.

نعم قد يكون الحاكم فى بعض الأقطار حنفيا وفى بعضها مالكيا مثلا، ولكن هذا لا أثر له فى الحق للشخص أو عليه. فمتى قضى له أو عليه فله ما قضى له به وعليه أداء ما قضى به عليه على أى مذهب كان متى كان القاضى مولى من طرف الحاكم العام إذ حكم الحاكم يرفع الخلاف.

ولا ذكر لاختلاف الأوطان فى الشريعة الإسلامية إلا فيما يتعلق بأحكام العبادات من قصر الصلاة للمسافر أو جواز الفطر فى رمضان مثلا، وقد يتبع ذلك شىء فى اختصاص المحاكم من حيث تعيين الجهة التى يكون لقاضيها الحق فى أن يحكم فى الدعوى التى ترفع إليه من شخص على آخر، هل هى محل المدعى أو محل المدعى عليه غير أن شيئا من ذلك لا يغير من حق للمدعى أو المدعى عليه.

فالشريعة واحدة والحقوق واحدة يستوى فيها الجميع فى أى مكان كانوا من



البلاد الإسلامية، فوطن المسلم فى البلاد الإسلامية هو المحل الذى ينوى الإقامة فيه ويتخذ فيه طريق كسبه لعيشه، ويقر فيه مع أهله إن كان له أهل، ولا ينظر إلى مولده ولا إلى البلد الذى نشأ فيه، ولا يلتفت إلى عادات أهل بلده الأول، ولا إلى ما يتعارفون عليه فى الأحكام والمعاملات. وإنما بلده ووطنه الذى يجرى عليه عرفه وينفذ فيه حكمه هو البلد الذى انتقل إليه واستقر فيه.

فهو رعية الحاكم الذى يقيم تحت ولايته دون سواه من سائر الحكام، وله من حقوق رعية ذلك الحاكم وعليه ما عليهم لا يميزه عنهم شيء لا خاص ولا عام. أما الجنسية فليست معروفة عند المسلمين، ولا لها أحكام تجرى عليهم لا فى خاصتهم ولا عامتهم. وإنما الجنسية عند الأمم الأوروبية تشبه ما كان يسمى عند العرب عصبية. وهو ارتباط أهل قبيلة واحدة أو عدة قبائل بنسب أو حلف يكون من حق ذلك الارتباط أن ينصر كل منتسب إليه من يشاركه فيه.

وقد كان لأهل العصبية ذات القوة والشوكة حقوق يمتازون بها على من سواهم. جاء الإسلام فألغى تلك العصبية ومحا آثارها وسوى بين الناس فى الحقوق فلم يبق للنسب ولا لما يتصل به أثر فى الحقوق ولا فى الأحكام.

فالجنسية لا أثر لها عند المسلمين قاطبة.

فقد قال ﷺ إن الله أذهب عنكم عبية (بضم العين وكسر الباء المشددة وفتح الياء أى – عظمة) الجاهلية عظمتها وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقى وفاجر شقى، الناس كلهم بنو آدم، وآدم خلق من تراب» وروى كذلك عنه ليس منا من دعا إلى عصبية وبالجملة فالاختلاف فى الأصناف البشرية كالعربى والهندى والرومى والشامى والمصرى والتونسى والمراكشى مما لا دخل له فى اختلاف الأحكام والمعاملات بوجه من الوجوه. ومن كان مصريا وسكن بلاد المغرب وأقام بها جرت عليه أحكام بلاد المغرب، ولا ينظر إلى أصله المصرى بوجه من الوجوه.

وأما حقوق الامتيازات المعبر عنها بـ«الكابيتولاسيون» فلا يوجد شىء منها بين الحكومات الإسلامية قاطبة. فهذه بلاد مراكش وبلاد أفغانستان لكل من البلدين حكومة مستقلة عن الأخرى. وكلا الحكومتين مستقل عن الدولة العثمانية، ولا يوجد شىء من حقوق الامتيازات بين حكومة من هذه الحكومات وأخرى منها.

وما نراه من الوكلاء لحكومة مراكش مثلا من الممالك العثمانية لا يعتبرون سفراء مثل سفراء الدول الأجنبية، وإنما هم وكلاء لشخص الحاكم ورجال دولته لقضاء بعض المصالح الخاصة ولمساعدة مواطنيهم فيما يعرض لهم من الحاجات، ولا أثر لهم فيما يدخل فى الشرائع والأحكام، وما يوجد من أثر الامتياز فى الحقوق لرعية شاه العجم أو سلطان مراكش فى بعض الممالك الإسلامية



كمصر فإن الإيرانيين والمغاربة قد نالوا ضربا من الامتياز بالتقاضى إلى المحاكم المختلطة من عدة سنوات. ذلك الذى تراه من أثر الامتياز يناقض أصول الشريعة الإسلامية كافة.

فلا أهل السنة يجيزونه ولا مجتهدو الشيعة يسمحون به، وإنما هو شيء جر إليه فسوق بعض الرعايا وميل المحاكم المختلطة إلى التوسع فى الاختصاص. وما قضت به بعض القوانين المصرية من أن سائر العثمانيين لا ينالون حق التوظف فى مصالح الحكومة المصرية، ولا حق الانتخاب فى مجالس شوراها إلا بقيود مخصوصة يشبه تقرير الحقوق فى انتخاب مجالس البلدية فمجلس بلدية الاسكندرية مثلا لا يدخل فى انتخاب أعضائه المقيم بالقاهرة. فهو من باب تفضيل سكان المكان على سكان غيرهم، وإيثارهم أولئك بالنظر فى المنافع على هؤلاء لقربهم مع استواء الكل فى الانتساب إلى شريعة واحدة، واشتراكهم فى الحقوق التى قررتها الشريعة بلا امتياز. هذا ماتقضى به الشريعة الإسلامية على اختلاف مذاهبها. لا جنسية فى الإسلام ولا امتياز فى الحقوق بين مسلم ومسلم. والبلد الذى يقيم فيه المسلم من بلاد المسلمين هو بلده ولأحكامه عليه السلطان دون أحكام غيره، والله أعلم.

٣- أحاطته بأعراف غير المسلمين :

كلما زادت سعة اطلاع العالم بأعراف غير المسلمين وعرف مصطلحاتهم، كلما مكنه ذلك من فهم الواقع وإدراكه بالشكل السليم، مما يتيح له القدرة على الإفتاء السليم، ومما يجلي تلك السمة التي كان يتميز بها الإمام هذا السؤال سئل : عن رجل تعهد لابنته بمبلغ من النقود بصفة دوطة حسب العوايد المسيحية فى الزواج يدفعه لها عند زواجها لتشترى به عقارا لها على شرط أنه إذا مات قبلها يخصم من نصيبها فى تركته وقد تزوجت قبل أن تهتدى على العقار اللازم شراؤه فاتفق الطرفان على بقاء مبلغ الدوطة تحت يد الوالد إلى وقت الطلب لشراء العقار وقد استثمر الوالد هذا المبلغ ودفع لابنته ما استحق لها من ثمرته مدة، ثم ماتت البنت عن زوجها وولدها منه قبل أداء هذا المبلغ من والدها، فهل للزوج والولد أن يطالبا والدها بما يخصهما فى المبلغ المذكور أو يجوز للوالد أن يدعى أن ابنته لم تملكه لعدم القبض قبل وفاتها ؟

فأجاب فضيلة الإمام بقوله : « حيث إن مبالغ الدوطة فى عرف المسيحيين هى كمبالغ المهور عند المسلمين فكما يلزم مبلغ المهر فى ذمة والد الزوج إذا ألزم نفسه به فكذلك يلزم مبلغ الدوطة فى ذمة والد الزوجة متى ألزم به نفسه كما فى حادثتنا فالمبلغ الذى ألزم به نفسه الوالد فى واقعتنا يعتبر دينا لازما لذمته كسائر الديون التى تلزم الذمة ولا يعتبر من قبيل الهبة التى لا تتم إلا بالقبض خصوصا وقد شرع الوالد فى استثمار المال باسم بنته



وقد قبضت مبلغا من ثمرته فلا ريب أن المبلغ يعتبر تركة لتلك البنت ولزوجها وولدها حق المطالبة بنصيبهما منه وليس للوالد حق الامتناع من تأديته لهما والله أعلم».

٤- تكريم المرأة وإعطاؤها حقوقها :

سبق الإمام محمد عبده المجتمع الغربي، كما سبق الإسلام كل الحضارات في قضية تكريم الإنسان بنوعيه الذكر والأنثى، ولما كان الإمام محمد عبده يسير على نهج العلماء العاملين المدركين لحقيقة الإسلام، ظهر في فكره وتراثه، فكان يرى أن للمرأة حقوق لا يجوز للرجل أن يمنعها عنها، وتتجلى هذه السمة في تلك الفتوى، سئل : شخص تزوج بامرأة، وكلما أرادت أن تزور أبويها يمنعها زوجها ويدعى أن ذلك لا يجوز شرعا، فما الحكم ؟

فأجاب فضيلة الإمام محمد عبده بقوله : « صرحوا بأنه لا يمنعها من الخروج إلى الوالدين فى كل جمعة إن لم يقدرا على إتيانها على ما اختاره فى الاختيار. ولا يمنعهما من الدخول عليها فى كل جمعة. كذا فى التنوير وشرحه. وهو ما اختاره فى فتح القدير حيث قال وعن أبى يوسف فى النوادر تقييد خروجها بأن لا يقدرا على إتيانها فإن قدرا لا تذهب وهو حسن. وصرح بأن الأخذ بقول أبى يوسف هو الحق إذا كان الأبوان بالصفة التى ذكرت، وإلا ينبغى أن يأذن لها فى زيارتهما فى الحين بعد الحين على قدر متعارف.

أما فى كل جمعة فبعيد. فإن فى كثرة الخروج فتح باب الفتنة خصوصا إذا كانت شابة والزوج من ذوى الهيئات بخلاف خروج الأبوين فإنه أيسر. وهذا ترجيح منه لخلاف ما ذكر فى البحر أنه الصحيح المفتى به من أنها تخرج للوالدين فى كل جمعة بإذنه وبدون إذنه، وللمحارم فى كل سنة مرة بإذنه وبغير إذنه كذا فى رد المحتار وصرح فى البحر بأن الخروج للأهل زائدا على ذلك يكون لها بإذنه.

وعلى ذلك يجوز لهذه المرأة أن تخرج إلى أبويها فى كل جمعة أذن لها الزوج أو لم يأذن، ولها أن تخرج إلى المحارم كذلك كل سنة مرة بإذنه وبغير إذنه كما أن لها أن تخرج إلى الأهل كذلك كل سنة مرة بالإذن وبدونه. أما خروجها زائدا على ذلك للأهل فيسوغ لها بإذنه. والله أعلم».

٥- تمسكه بالحقوق وعدم ضياعها بالتقادم:

كان الإمام محمد عبده مجاهداً وطنياً اشترك في ثورات ضد الاحتلال ونفي خارج البلاد، وكان يترسخ في فكره ثبات الحقوق لأهلها وأنها لا تضيع بالتقادم، وكان ذلك بسبب العقلية الفقهية، وأثر في الفتاوى في المسائل الخاصة الفرعية، فقد سئل : عن رجل صدر له حكم من مجلس بنى سويف الملغى بتاريخ ٢٠ القعدة سنة ٣٠٢ بإلزام محمد عبد الهادى بأن يدفع له مبلغ ٤٩٤٠,٠١٦ وقد بقى هذا الحكم بلا تنفيذ حتى ألغى



المجلس لإفلاس المحكوم عليه ثم افتتحت المحاكم الأهلية بالوجه القبلي وفي ٥ ربيع الأول سنة ٣١٩ أعلن هذا الحكم للمحكوم عليه لأجل تنفيذه فعارض المحكوم عليه بسقوط حكم المجلس الملغي لمرور مدة تزيد عن خمس عشرة سنة وبأن منع القاضي من سماع الدعوى بعد مرور الزمن نتيجة سقوط الحق وبأن القول بعدم سقوطه بتقادم الزمان هو أن صاحبه لو تكمن من الحصول عليه بدون واسطة القضاء حل له أخذه ديانة .فهل يوجد بأحكام الشريعة نص يسقط الحكم بمرور الزمن وهل ما قيل موافق للشريعة .أفتونا في هذه الحادثة.

فأجاب : من هذا السؤال يظهر أن المحكوم عليه لا يزال مقرا بهذا المبلغ الذى حكم به عليه، غاية الأمر أنه يعارض بسقوط الحكم بالنظر لما ذكر والذى يقتضيه الحكم الشرعى أنه مع الإقرار به يلزمه، لأن الإقرار حجة معتبرة يعامل به المقر ولو طال الزمن مادام لم يأخذ صاحب الحق حقه، لأن الحق لا يسقط بتقادم الزمان ولا بعدم أخذه مع التمكن فلا عبرة بما عارض به المحكوم عليه .والله تعالى أعلم.

٦- وحدة المجتمع وعدم انفصال المسلم عن مجتمعه :

كان الإمام محمد عبده يحب أن يظهر المسلمون في كل مكان في مظهر حضاري، يندمجون في المجتمع مع الاحتفاظ بهويتهم، ويأثرون فيه بالصلاح والخير، ويتأثرون منه فيما لا يعارض عقيدتهم ودينهم، لذلك كان يوضح للمسلمين الأمور في القضايا التي قد تختلط فيها تلك المعاني عليهم، فقد سئل في فتوى عن عدة أشياء : أولا : يوجد أفراد في بلاد الترنسفال تلبس البرانيط لقضاء مصالحهم وعودة الفوائد عليهم هل يجوز ذلك ؟ ثانيا : إن ذبحهم مخالف لأنهم يضربون البقر بالبلط وبعد ذلك يذبحون بغير تسمية، والغنم يذبحونها من غير تسمية هل يجوز ذلك ؟

فأجاب -رحمه الله- : أما لبس البرنيطة إذا لم يقصد فاعله الخروج من الإسلام والدخول في دين غيره فلا يعد مكفرا. وإذا كان اللبس لحاجة من حجب شمس أو دفع مكروه أو تيسير مصلحة لم يكره كذلك لزوال معنى التشبه بالمرة. وأما الذبائح فالذى أراه أن يأخذ المسلمون في تلك الأطراف بنص كتاب الله تعالى في قوله

﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾

المائدة/ ٥

وأن يعولوا على ما قاله الإمام الجليل أبو بكر العربي المالكي من أن المدار على أن يكون ما يذبح مأكول أهل الكتاب قسيسهم وعامتهم ويعد طعاما لهم كافة .فمتى كانت العادة عندهم إزهاق روح الحيوان بأي طريقة كانت وكان يأكل منه بعد الذبح رؤساء دينهم ساغ للمسلم أكله لأنه يقال له طعام أهل الكتاب ولقد كان النصارى في زمن النبي عليه الصلاة والسلام



على مثل حالهم اليوم، خصوصا ونصارى الترنسفال من أشد النصارى تعصبا في دينهم وتمسكهم بكتبهم الدينية، فكل ما يكون من الذبيحة يعد طعام أهل الكتاب متى كان الذبح جاريا على عادتهم المسلمة عند رؤساء دينهم.

ومجيء الآية الكريمة

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾

المائدة/ ٥

بعد آية تحريم الميتة وما أهل لغير الله به بمنزلة دفع ما يتوهم من تحريم طعام أهل الكتاب، لأنهم يعتقدون بألوهية عيسى وكانوا كذلك كافة في عهده عليه الصلاة والسلام إلا من أسلم منهم.

ولفظ أهل الكتاب مطلق لا يصح أن يحمل على هذا القليل النادر .فإذن تكون الآية كالصريحة في حل طعامهم مطلقا، متى كانوا يعتقدونه حلا في دينهم دفعا للحرج في معاشرتهم ومعاملتهم. والله أعلم.

٧- التيسير على المسلمين :

الإسلام دين يسر، قال تعالى:

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾

البقرة/ ١٨٥

وقال سبحانه :

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴾

النساء/ ٢٨

وقال تعالى :

﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾

المزمل/ ٢٠

من أجل انطباع تلك الصورة في قلوب العلماء العاملين قال سفيان الثوري -رحمه الله- إنما العلم عندنا الرخصة من ثقة فأما التشدد فيحسنه كل أحد، وكان الإمام محمد عبده خير من عبر عن ذلك التيسير في منهجه العلمي والفكري، ولعلنا نرى ذلك التيسير في فتوى سئل فيها عن بداية الشهر العربي هل بالهلال أو بالحساب ؟

فأجاب : المقرر شرعا أن أول الشهر إنما يعرف برؤية الهلال ويثبت ذلك بالشهادة المعروفة عند أهل الشرع، لا فرق في ذلك بين رمضان وشوال وغيرهما.

أما العمل بالحساب ففيه خلاف بين علماء بعض المذاهب والمعول عليه أنه لا يلتفت إلى الحساب لأن أحكام الدين الإسلامي مبنية على الأسهل والأيسر للناس في أي قطر كانوا وأي بقعة وجدوا. وأما مظان وجود هذا الحكم فهي أبواب الصوم في جميع كتب الفقه المعتبرة والله أعلم.

٨- اجتماع علماء المسلمين وعدم الاستقلال بالفتوى- درء المفاسد وجلب المصالح للمسلمين- التيسير على المسلمين في حياتهم وتمكينهم من نصر دينهم

كل هذه المبادئ تتضح وتتجلى في تلك



الفتوى الطويلة التي وجهت إليه من الهند، حيث قام بإعداد فتوى جماعية من كبار العلماء وكتبها وأرسلها وأخبر عن ذلك، ولحفظها كوثيقة يطلع عليها الناس نذكرها بنصها كما جاءت في المجلد الثاني من فتاوى دار الإفتاء نمرة ٢٦٤ في ٩ محرم ١٣٢٢ وكان نصها :

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد فقد ألقى إلي أستاذ من أساتذة الجامع الأزهر - وهو موظف كبير في المحاكم الشرعية - سؤالاً ورد من الهند إلى بعض أنبائه[٢] يطلب الجواب عليه، والسؤال موجه إلى العلماء، لا إلى عالم واحد، كما هو مذكور في نصه، فرأيت أن يكون الجواب عليه محتويا على كثير من أفاضل العلماء. وقد انتدب حضرة حامل السؤال إلي كتابة ما يجده من الكتاب والسنة وأقوال علماء الحنفية في موضوعه. وأرسلت بنسخة من السؤال إلى حضرة الأستاذ شيخ الحنابلة في الجامع الأزهر، فورد منه ما رأى أن يجيب به. وكلفت جماعة من أساتذة الشافعية والمالكية أن يكتبوا ما يعتقدون أنه الحق في جواب السؤال، فكتبوا وأشبعوا جزاهم الله خيرا.

وإني ابتدئ بما أجاب به أفاضل الشافعية والمالكية بعد ذكر السؤال، ثم أثني بجواب شيخ الحنابلة، وأختم بمقال الأستاذ الحنفي، ثم بما يعن لي أن أضم إلى أقوال جميعهم. والله الموفق إلى الصواب، وهو الهادي إلى الصراط المستقيم.

السؤال : ما يقول السادة العلماء في جماعة من المسلمين يقرون أنهم على عقيدة أهل السنة والجماعة ومن تابعي فقهاء الأئمة الأربعة، ويسعون في تحصيل الألفة والاتفاق بين أهل الإسلام، ويدعون أهل الثروة واليسار إلى تربية أيتام المسلمين، وإلى إشاعة الإسلام في مقابلة حملات الكتابيين وصولات الوثنيين. إلا أنهم مع ذلك يستعينون بالكفار وأهل البدع والأهواء لنصرة الملة الإسلامية وحفظ حوزة الأمة المحمدية، وجمع شملهم واتحاد كلمتهم. فهل مثل هذه الاستعانة تجوز شرعا، وهل لها نظير في القرون الثلاثة الفاضلة المشهود لها بالخير. وهل يجوز لأحد من المسلمين أن يعارضهم في هذه الأعمال الجليلة والمقاصد الحسنة، ويسعى في تثبيط الهمم عن معاونتهم والتنفير من صحبتهم نظراً إلى أنهم يستعينون فيها بالكفار وأهل البدع والأهواء ويدخلون مجالسهم ويخالطونهم لمثل هذه المصالح العامة. وما حكم من

(٢) كذا بالأصل ولعلها أبنائه.



يرميهم بمجرد هذه الأعمال بالكفر والتضليل وسوء الاعتقاد والخروج عن أهل السنة والجماعة، أفيدوا الجواب ولكم الثواب.

ما كتبه جماعة من أفاضل المالكية والشافعية : أما السعي في تحصيل الألفة والاتفاق بين أهل الإسلام فلا نزاع في أنه أفضل الأعمال الدينية وأعظمها عند الله تعالى، فإن التآلف والتودد بين المسلمين هو مدار الإيمان وأساس الإسلام والسبب الوحيد لنظام المدنية وقوام المجتمع الإنساني ومدار سعادته في الأولى والآخرة، وقد حث النبي ﷺ على الأخذ به وبيان فوائده في كثير من الأحاديث فمن ذلك قوله ﷺ : «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا». وقوله : «لا يؤمن عبد حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير». وقوله : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ولا يؤمن جاره شره»[٣]. وقوله : «نظر المؤمن إلى أخيه المؤمن حباً له وشوقا إليه خير من اعتكاف سنة في مسجدي هذا». وقوله : «أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً أو تقضي عنه ديناً». وقوله : «أفضل الفضائل أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك». وقوله : «من أصلح فيما بينه وبين الله أصلح الله فيما بينه وبين الناس، ومن أصلح جوانيه أصلح الله برانيه».

ومن تأمل في قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

الحجرات / ١٠

وقوله تعالى :

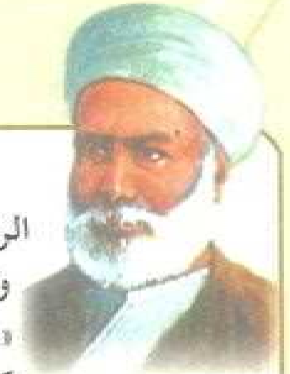
﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

الأنفال / ٤٦

مع قوله ﷺ : «لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تنافسوا، وكونوا عباد الله إخوانا» وقوله : «دب فيكم داء الأمم قبلكم ألا وهي البغضاء والحسد، والبغضاء هي الحالقة، لا أقول حالقة الشعر وإنما هي حالقة الدين».

من نظر في ذلك كله عرف ما للسعي في تحصيل الألفة والمحبة بين الناس من المكانة في الدين، وأنه من أعظم الأعمال وأفضل الخصال، وعرف وجه حث الشرع عليه والتنويه بشأنه وتعظيم قدره. وأما تربية أيتام المسلمين ودعوة المثرين إليها فمن الأمر المعروف في الدين ومن أفضل أعمال البر وأحبها عند الله تعالى، والسنة مملوءة بطلب

(٣) كذا بالأصل والحديث في مسلم ج١ ص٦٨ بلفظ : «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه».



الرفق بالأيتام والضعفاء والمساكين، ففي الحديث: «من أحسن إلى يتيم أو يتيمة كنت أنا وهو في الجنة كهاتين». وفيه: «خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه، أنا وكافل اليتيم في الجنة كهذا ـ وقال بأصبعين السبابة والوسطى». وفيه: «أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك، ارحم اليتيم وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك». وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا ذُكر النبي ﷺ بكى(٤) قال: كان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالناس، وكان لليتيم كالوالد، وكان للمرأة كالزوج الكريم، وكان أشجع الناس قلبا، وأوضحهم وجها، وأطيبهم ريحا، وأكرمهم حسبا، فلم يكن له مثل في الأولين والآخرين.

إلى غير ذلك من الأحاديث. أما القرآن فكثيرا ما قرن بين اليتامى وذي القربى والمساكين وابن السبيل في مقام الأمر بالإحسان والعبادة، قال تعالى:

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾

النساء / ٣٦

وقال:

﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ ﴾

(البقرة / ١٧٧)

إلى غير ذلك من الآيات. وأما إشاعة الإسلام في مقابلة حملات الأجانب والدعوة إليها فهي أول مسألة من مسائل الدين وأساس وجوده وعليها حفظ كيانه وبقائه، بل هي النوع الميسور الآن من أنواع الجهاد في سبيل الله تعالى كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾

المائدة / ٦٧

وقال تعالى:

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾

الحجر / ٩٤

وقال تعالى:

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾

التوبة / ١٢٢

وقال تعالى:

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

الشعراء / ٢١٤، ٢١٥

(٤) كذا ليس فيه حرف عطف.



﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾

الحجر / ٨٩

إلى غير ذلك من الآيات.

وفي الحديث عن طارق قال: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز فمر وعليه جبة حمراء وهو ينادي بأعلى صوته: «يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا» ورجل يتبعه بالحجارة وهو يقول: «يا أيها الناس لا تطيعوه». وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة». قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المؤمنين(٥) [وعامتهم](٦)، وقال عليه الصلاة والسلام: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم» والآيات والأحاديث في هذا الباب [أكثر](٧) من أن تحصر، وليست هذه المسائل الثلاثة من محل الخلاف بين العلماء، بل هي مما أجمع الكل عليه. وأما الاستعانة بالكفار وأهل البدع والأهواء مصالح [ ](٨) فإن كانت بأموالهم وكانت لمصلحة دينية أو منفعة دنيوية ولم يشتمل على معنى الإذلال والولاية المنهي عنها، فلا نزاع في جوازها خصوصا إذا نظرنا للكفار [ ](٩) من جهة أنهم نقضوا العهود وتمردوا على الأحكام، فإنه لا بأس بتناول أموالهم والانتفاع بها متى أمنت الفتنة والرذيلة، وقد قبل النبي ﷺ [ ](١٠) ففي صحيح البخاري قال أبو حميد: أهدى ملك أيلة للنبي بغلة بيضاء وكساه بُردا وكتب له يخبرهم. وعن أنس: أن أكيدر دومة أهدى إلى النبي ﷺ، وعن أنس بن مالك: أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها، فجئ بها فقال(١١): ألا نقتلها؟ قال: لا. فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ. وعن عبد الرحمن بن أبي بكر قال: كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة، فقال النبي ﷺ هل مع أحد منكم طعام؟ فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه، فعجن، فقال النبي ﷺ: «بيعا أم عطية»؟ أو قال: «أم هبة». قال: بل بيع. فاشترى منه شاة فصنعت، وأمر النبي ﷺ بسواد بطن أن يشوى، وأيم الله ما في الثلاثين والمائة إلا وقد حز النبي ﷺ حُزة من سواد بطنها: إن كان شاهداً أعطاه، وإن كان غائباً خبأ له. وطلب ﷺ من يهودي له دين على صحابي مات وترك أيتاماً أن يبرئهم من الدين فما قبل. وقصته في البخاري.

وفي الألوسي عند قوله تعالى:

(٥) كذا بالأصل.
(٦) قطع بالأصل.
(٧) قطع بالأصل.
(٨) قطع بالأصل بمقدار كلمة.
(٩) قطع بالأصل بمقدار كلمة أو كلمتين.
(١٠) قطع بالأصل بمقدار كلمة أو كلمتين.
(١١) كذا بالتذكير.



﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾

الكهف / ٥١

ما نصه : وأما الاستعانة بهم في أمور الدنيا فالذي يظهر أنه لا بأس بها، سواء في أمر ممتهن كنزح الكنائف أو في غيره كعمل المنابر والمحاريب والخياطة ونحوها. اهـ.

وكتب على قوله

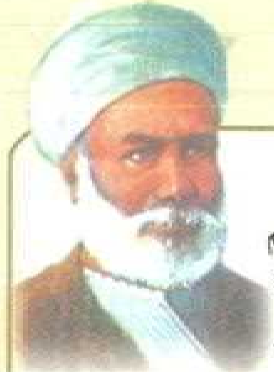
﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾

آل عمران / ٢٨

ما نصه : قال ابن عباس: نزلت في طائفة من اليهود كانوا يباطنون نفرا من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فقيل لأولئك النفر: اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروا لزومهم ومباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم. فأبى أولئك النفر إلا مباطنتهم وملازمتهم، فأنزل الله هذه الآية ونهى المؤمنين عن فعلهم. وحُكي في سبب نزول الآية غير ذلك. ثم أفاد أن المنهي عنه من الموالاة ما يقتضيه الإسلام من بغض وحب شرعيين يصح التكليف بهما؛ لما قالوا: إن المحبة لقرابة أو صداقة قديمة أو جديدة خارجة عن الاختيار معفوة ساقطة عن درجة الاعتبار. وحمل الموالاة على ما يعم الاستعانة بهم في الغزو مما ذهب إليه البعض. ومذهب الحنفية وما عليه الجمهور أنه يجوز ويرضح له.

وما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: خرج رسول الله ﷺ لبدر فتبعه رجل مشرك كان ذا جراءة ونجدة، ففرح أصحاب النبي ﷺ حين رأوه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «ارجع فلن أستعين بمشرك» فمنسوخ؛ لأن النبي ﷺ استعان بيهود بني قينقاع ورضح لهم. واستعان بصفوان بن أمية في هوازن. وذكر بعضهم جواز الاستعانة بشرط الحاجة والوثوق أما بدونها فلا تجوز، وعلى ذلك يحمل خبر عائشة. وكذا ما رواه الضحاك عن ابن عباس في سبب نزول الآية وبه يحصل الجمع وأدلة الجواز.

ومما أشار إليه من أدلة المنع والجواز ما رواه أحمد ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للرجل الذي تبعه: «ارجع فلن أستعين بمشرك». ثم تبعه فقال له: «تؤمن بالله ورسوله؟» قال: نعم. فقال له: «انطلق». وعن الزهري أن النبي ﷺ استعان بناس من اليهود في خيبر وأسهم لهم. وأن قزمان خرج مع أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد وهو مشرك فقتل ثلاثة من بني عبد الدار حملة لواء المشركين، حتى قال ﷺ: «إن الله ليأزر هذا الدين بالرجل الفاجر». كما ثبت عند أهل السير. وخرجت خزاعة مع النبي ﷺ على قريش عام الفتح. وقد تصدى أئمة الحديث والفقهاء إلى الجمع بين هذه الآثار بأوجه منها ما تقدم، ومنها ما ذكره البيهقي عن نص الشافعي رضى الله



عنه أن النبي ﷺ تفرس الرغبة في الذين ردهم، فردهم رجاء أن يسلموا. ومنها أن الأمر في ذلك إلى رأي الإمام. ومنها أن الأمر في ذلك إلى رأي الإمام. ومنها أن الاستعانة كانت ممنوعة ثم رخص فيها، قال الحافظ في التلخيص: وهذا أقربها وعليه نص الشافعي. وحكى في البحر عن العترة وأبي حنيفة وأصحابه أنه تجوز الاستعانة بالكفار والفساق حيث يستقيمون على أوامره ونواهيه، واستدلوا باستعانته ﷺ بناس من اليهود وبصفوان بن أمية يوم حنين.

قال في البحر: وتجوز الاستعانة بالمنافق إجماعاً؛ لاستعانته ﷺ بابن أُبي وأصحابه. انظر نيل الأوطار. وفي الألوسي عند قوله تعالى:

﴿ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾

آل عمران / ٢٨

ما مفاده: وفي الآية دليل على مشروعة التقية، وعرفوها بمحافظة النفس أو العرض أو المال من شر الأعداء، سواء كانت عداوتهم مبنية على اختلاف الدين كالكفر والإسلام، وعلى أغراض دنيوية كالمال والمتاع والملك والإمارة. إلى أن قال: وعد قوم من باب التقية مداراة الكفار والفسقة والظلمة وإلانة الكلام لهم والتبسم في وجوهم والانبساط لهم وإعطاءهم لكف أذاهم وقطع لسانهم وصيانة العرض، ولا يعد ذلك من باب الموالاة المنهي عنها، بل هي سنة وأمر مشروع. وقد روى الديلمي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى أمرني بمداراة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض» وفي رواية: «بعثت بالمداراة». وفي الجامع: «سيأتيكم ركب مبغضون، فإذا جاءوكم فرحبوا بهم». وروى ابن أبي الدنيا: «رأس العقل بعد الإيمان بالله تعالى مداراة الناس، وفي رواية البيهقي: رأس العقل المداراة. وأخرج الطبراني: «مدارة الناس صدقة». وأخرج ابن عدي وابن عساكر: «من عاش مداريا مات شهيداً، قُوا بأموالكم أعراضكم، وليصانع أحدكم بلسانه عن دينه». وعن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذن رجل على رسول الله ﷺ وأنا عنده، فقال رسول الله ﷺ: «بئس ابن العشيرة وأخو العشيرة» ثم أذن له، فألان له القول. فلما خرج قلت: يا رسول الله قلت ما قلت ثم ألنت له القول؟! فقال: يا عائشة إن من شر الناس من يتركه الناس - أو يدعه الناس - اتقاء فحشه» وفي البخاري عن ابن أبي الدرداء[١٢]: إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم. وأخرج ابن أبي شيبة عن شعيب

(١٢) كذا بالأصل والصواب عن أبي الدرداء.



قال : كنت مع علي بن عبد الله فمر علينا يهودي أو نصراني، فسلم عليه. قال شعيب : فقلت : إنه يهودي أو نصراني. فقرأ علي آخر سورة الزخرف

﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾

الزخرف / ٨٨، ٨٩

وقيل لعمر بن عبد العزيز : يف تبتدئ أهل الذمة بالسلام ؟ فقال : ما أرى بأسا أن نبتدئهم. قلت : لم ؟ قال لقوله تعالى :

﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ ﴾

الزخرف / ٨٩

وروى البيهقي : « ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لابد له من معاشرته حتى يجعل الله له في ذلك مخرجا ». على غير ذلك من الأحاديث، غاية الأمر : لا تبتغي المدارة إلى حيث يخدش الدين ويرتكب المنكر وتساء الظنون. إذا علمت ذلك فالاستعانة بالكفار وأهل البدع والأهواء المشار إليها في السؤال متى خلت عما أومأنا إليه فلا بأس بها، بل هي من الأمر المشروع كما تقدم - وقد علمت نظيرها في القرون الفاضلة المشهود لها بالخير - متى كانت الاستعانة من هؤلاء لنصرة وحفظ حوزة الملة، وحينئذ لا يجوز لأحد من الناس أن يعارضهم في هذه الأعمال الجليلة ويسعى في تثبيط الهمم عن معاونتهم، بل الواجب على كل واحد من أفراد الأمة أن يشاركهم في هذا العمل؛ لأنه في البر والخير وقد قال تعالى :

﴿ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾

الحج / ٧٧

﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾

المائدة / ٢

والمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضاً، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه. وأما حكم من يرميهم بالكفر والتضليل وسوء الاعتقاد فإن كان يعتقد أنهم كفار حقيقة بمثل هذا العمل وأنهم خرجوا عن دين الإسلام بمجرد ذلك فحديث : « إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما » ظاهر في تكفير هؤلاء المضللين، وقد نص شراح الحديث وعلماء الأمة على الأخذ بظاهر هذا الحديث بالقيد المذكور. وإن قصدوا أن هؤلاء بولايتهم للكفار واستعانتهم بهم يفعلون فعل الكفار وليسوا بكفار حقيقة، فمع افترائهم وجهلهم بالدين قد أثموا وارتكبوا جريمة تقرب من الكفر بهذه الكلمة الشنيعة التي لا تصدر من مسلم فضلاً عن عالم، وفي الحديث : «أبغض عباد الله إلى الله طعان لعان» وإن من أخلاق المؤمن أن لا يحيف على من يبغض ولا يلم فيمن يحب، ولا يضيع ما استودع، ولا يحسد ولا يطغى



ولا يلغى، ويعترف بالحق، وإن لم يشهد عليه، ولا يتنابز بالألقاب، في الصلاة متخشعا، إلى الزكاة مسرعا، في الزلازل وقورا، في الرخاء شكورا، قانعا بالذي له، لا يدعي ما ليس له، ولا يجمع في الغيظ، ولا يغلبه الشح عن معروف يريده، يخالط الناس كي يعلم، ويناطق الناس كي يفهم، وإن ظلم وبغي عليه صبر حتى يكون الرحمن هو الذي ينتصر له. هذه هي أخلاق المؤمنين، حتى إذا خرجوا منها فسدت أخلاقهم، وانطفأ نور إيمانهم، ونقضوا عرى الإسلام عروة عروة حتى لا يبقى منه شيء. نسأله السلامة.

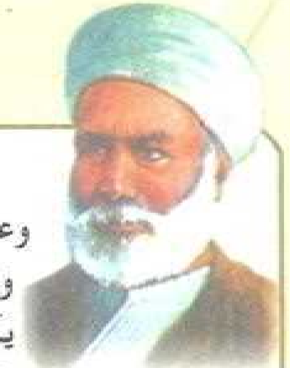
وفي الفروق القرافية : اعلم أن النهي يعتمد المفاسد كما أن الأوامر تعتمد المصالح، فأعلى رتب المفاسد الكفر، وأدناها الصغائر، والكبائر متوسطة بينهما، وأكثر التباس الكفر إنما هو بالكبائر، فأعلى رتب الكبائر يليها أدنى رتب الكفر، وأدنى رتب الكبائر يليها أعلى رتب الصغائر، وأصل الكفر إنما هو هو انتهاك خاص لحرمة الربوبية إما بالجهل بوجود الصانع وصفاته العلى أو جحد ما علم من الدين بالضرورة.

قال ابن رشد : لا يحكم على أحد بالكفر إلا من ثلاثة أوجه، وجهان متفق عليهما والثالث مختلف فيه، فأما المتفق عليهما فأحدهما أن يقر على نفسه بالكفر بالله تعالى، والثاني : أن يقول قولا قد ورد السماع وانعقد الإجماع أن ذلك لا يقع إلا من كافر. وإن لم يكن ذلك في نفسه كفرا على الحقيقة، وذلك نحو استحلال شرب الخمر وغصب الأموال وترك فرائض الدين والقتل والزنا وعبادة الأوثان والاستخفاف بالرسل وجحد سورة من القرآن وأشباه ذلك مما يكون علامة على الكفر وإن لم يكن كفرا على الحقيقة والثالث المختلف فيه : أن يقول قولا يعلم أن قائله لا يمكنه مع اعتقاده والتمسك به معرفة الله تعالى والتصديق به وإن كان يزعم أنه يعرف الله تعالى ويصدق به. وبهذا الوجه حكم بالكفر على أهل البدع من كفرهم وعليه يدل قول مالك في العتبية : ما آية أشد على أهل الأهواء من هذه الآية

﴿ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ ﴾

آل عمران / ١٠٦

انظر فتاوى أبي عبد الله. و الحاصل أن هؤلاء المضللين المكفرين قد ارتكبوا بهذه الكلمة كبيرة من الكبائر التي تفضي إلى الكفر إن لم يكونوا معتقدين كفر هؤلاء الجماعة المتمسكين بعقائد أهل السنة وأعمال الإسلام والمسلمين، ولعلهم إن شاء الله يكونون كذلك غير معتقدين كفر هؤلاء وإنما نطقوا بهذه الكلمة نقصا وعنادا ظاهريا، فإن باب التكفير باب خطر ينبغي الاحتراز عنه ما وجد إليه سبيل، ولا يعدل بالسلامة شيء وإن كان قولهم بالكفر من الجهل العظيم والإقحام على شريعة الله تعالى وأحكامه بالجهالة



وعلى عباده بالفساد والظلم والعدوان، وأما إن كانوا يكفرون أولئك الساعين في الخير وهم يعتقدون أنهم كفار حقيقة فيكونون هم الكافرين - كما سبق في أول الكلام للحديث ، ومع ذلك نسأل الله سبحانه وتعالى أن يصلح حالهم وينقذهم من هذه الضلالة ويهديهم إلى الصراط المستقيم.

ما كتبه الأستاذ شيخ الحنابلة [ ](١٣)

عندنا معاشر الحنابلة أن الشرع الشريف ألزمنا أن لا نكفر أحداً من أهل القبلة إلا إذ عرض نفسه للكفر، وكفر بمخالفة ما شرعه لهذه الأمة سيد البشر ﷺ وكان المخالف فيه مجمعا عليه وعلماء أهل [السنة](١٤) والجماعة المتصفون بهذه الصفات الممدوحة شرعا من تحصيل الاتفاق والائتلاف بين فرق أهل الإسلام من غير اختلاف وشقاق وغير ذلك من بقية الصفات التي حث عليها الشارع ليسوا كذلك، وأن استعا [نتهم](١٥) بالكفار في تحصيل مصالح المسلمين العامة كالصنائع والجهاد وغيرها، فإن الصنائع مأمور بها شرعا، وقد اتصف بها آدم ومن بعده من الأنبياء والمرسلين كما نص عليه ابن عباس، وقد نقل المروذي عن الإمام أحمد أنه قال في قوم لا يعملون ويقولون نحن متوكلون : هؤلاء مبتدعة. واستعانة المسلمين بالكفار جائزة في الجهاد للضرورة كضعف المسلمين، ولو كان العدو من بغاة المسلمين، لما روى الزهري أن رسول الله ﷺ استعان بناس من اليهود في حربه فأسهم لهم. رواه سعيد. وإذا جازت الاستعانة بالكفار في الجهاد فتجوز الاستعانة من المسلمين بهم في غيره مما فيه مصلحة لعموم المسلمين بجامع أن كلا من المصالح العامة.

وتكفير علماء أهل السنة والجماعة بالاستعانة بأهل البدع والأهواء ودخولهم في مجالسهم واختلاطهم معهم في هذه المصالح العامة لا يجوز شرعا، وإن قال ابن مفلح في الفروع أن ال [استعانة](١٦) بهم مختلف فيها، قيل بالجواز، وقيل بالمنع، بل مكفروا هؤلاء العلماء هم الكفار. قال في منتهى الإرادات وشرحه للبهوتي : وعن الإمام أحمد أن الذين كفروا أهل الحق والصحابة كفار. قال المنقح : وهو أظهر [من القول] (١٧) بأنهم فسقة خوارج بغاة. وقال في الإنصاف : والقول بتكفيرهم هو الصواب وهو الذي ندين الله به، وقال ابن مفلح في الفروع : وعن الإمام أحمد أنهم كفار. وقال في الترغيب والرعاية إنه الأشهر. وذكر ابن [ ](١٨) لا خلاف فيه وفي الحديث الشريف الصحيح أن من كفر أحدا بلا تأويل فقد كفر. وقال الشيخ برهان الدين الحلبي : ومن كفر أخاه المسلم بغير

(١٣) قطع بالأصل بمقدار كلمة.
(١٤) قطع بالأصل بمقدار كلمة.
(١٥) قطع بالأصل.
(١٦) قطع بالأصل بمقدار كلمة.
(١٧) قطع بالأصل بمقدار كلمة.
(١٨) قطع بالأصل بمقدار كلمتين على الأكثر.



تأويل فهو كافر يجب عليه تجديد الإسلام والتوبة من ذلك وتجديد نكاحه إن لم يدخل بزو[جته] (١٩) وكذا إن دخل بها عند أبي حنيفة، وأما عندنا فالعصمة باقية إن عاد إلى الإسلام بالتوبة قبل انقضاء العدة فيجب على المسلم أن يصون(٢٠) من التكفير بغير موجب قطعي كل فرد من أفراد أمة محمد - ﷺ - ، ومرتكب ذلك لغرض نفسه لا ريب هو من الضالين المخفوقين، والله ولي التوفيق. وقد روى أبو داود بإسناده عن أنس قال : قال رسول الله - ﷺ - : « ثلاث من أصل الإيمان : الكف عمن قال لا إله إلا الله لا نكفره بذنب ولا نخرجه عن الإسلام بعمل، والجهاد منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار » والله أعلم.

ما كتبه الأستاذ الفاضل الحنفي :

قال الله تعالى في كتابه العزيز :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ المائدة / ٢

وقال عز من قائل :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ آل عمران / ١٠٣

وقال مخاطباً لصفوته من خلقه

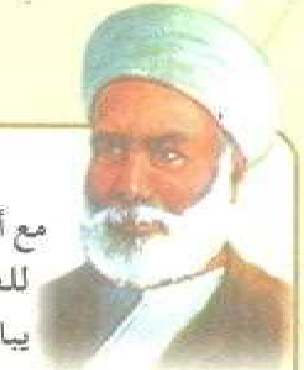
﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ النحل / ١٢٥

وقال في محكم آياته :

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ الممتحنة / ٨

وهي آية محكمة لم تنسخ على ما عليه أكثر أهل التأويل. وقال ﷺ : «المؤمن إلف مألوف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف» وقال عليه السلام : « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » وهو في الصحيحين. إذا تمهد هذا فنقول : أما تكفير المؤمن فإن مذهب أهل الحق عدم جوازه بارتكاب ذنب ليس من المكفرات، صغيرا كان الذنب أو كبيرا، عالما كان مرتكبه أو جاهلا، وسواء كان من أهل البدع والأهواء أو لا. نص عليه عبد السلام شارح الجوهرة عند قول المصنف : «فلا نكفر مؤمنا بالوزر» وقال في الدر « من باب المرتد» : لا يفتى بالكفر بشيء من ألفاظه إلا فيما اتفق المشايخ عليه. وقال في جامع الفصولين: لا يخرج الرجل من الإيمان إلا جحود ما أدخله فيه وما يشك في أنه ردة لا يحكم به إذ الإسلام الثابت لا يزول بالشك

(١٩) قطع بالأصل.
(٢٠) كذا بالأصل، ولعل هناك سقط بمقدار كلمة فتكون يصون نفسه.



مع أن الإسلام يعلو، وينبغي للعالم إذا رفع إليه هذا أن لا يبادر بتكفير أهل الإسلام اهـ.

وقال في الفتاوى الصغرى : الكفر شيء عظيم فلا أجعل المؤمن كافرا متى وجدت رواية أنه لا يكفر اهـ. وقال في الخلاصة وغيرها : إذا كان في المسألة وجوه توجب التكفير ووجه واحد يمنعه فعلى المفتي أن يميل إلى الوجه الذي يمنع التكفير تحسينا للظن بالمسلم. وقال في التتارخانية : لا يكفر بالمحتمل ؛ لأن الكفر نهاية فيستدعي نهاية الجناية ومع الاحتمال لا نهاية. وفي رد المحتار «من باب البغاة» ما يفيد إجماع الفقهاء المجتهدين على عدم تكفير أهل البدع. قال : وإن ما يقع من تكفير أهل مذهب لمن خالفهم ليس من كلام الفقهاء الذي هم المجتهدون، بل من غيرهم، ولا عبرة بغير الفقهاء. وفي الدر وحواشيه «من باب الإمامة» : من كان من قبلنا لا يكفر بالبدعة حتى الخوارج الذين يستحلون دماءنا وأموالنا وسب أصحاب الرسول - ﷺ - غير الشيخين وينكرون صفاته تعالى وجواز رؤيته ؛ لكونه عن تأويل وشبهه، والمراد بالخوارج من خرج عن معتقد أهل الحق لا خصوص الفرقة التي خرجت على عليّ، فيشمل المعتزلة والشيعة.

وأما الاستعانة بالكفار وبأهل البدع والأهواء على نصرة الملة الإسلامية فهذا مما لا شك في جوازه وعدم خطره، يرشد إلى ذلك الحديث الصحيح المار ذكره : «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» وقال - ﷺ - : «إن الله ليؤيد الإسلام برجال ما هم من أهله». وقال في الدر المختار - من كتاب الغنائم عند قول المصنف «أو دله الذمي على الطريق» - ومفاد[21] جواز الاستعانة بالكافر عند الحاجة، وقد استعان عليه الصلاة والسلام باليهود على اليهود ورضخ لهم. وفي شرح العيني على البخاري : أن النبي عليه السلام استعان بصفوان بن أمية في هوازن، واستعار منه مائة درع وهو مشرك اهـ.

وفي المحيط «من كتاب الكسب» : ذكر محمد في السير الكبير : لا بأس للمسلم أن يعطي كافرا حربيا أو ذميا وأن يقبل الهدية منه كما روي أن النبي - ﷺ - بعث خمسمائة دينار إلى مكة حين قحطوا أو أمر بدفعها إلى أبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية ليفرقاها على فقراء أهل مكة ؛ ولأن صلة الرحم محمودة في كل دين، والإهداء إلى الغير من مكارم الأخلاق.

وفي شرح السير الكبير للسرخسي : لا بأس أن يصل الرجل المسلم المشرك قريبا كان أو بعيدا، محاربا كان أو ذميا. وفي الدر المختار «من كتاب الوصايا» : أوصي[22] حربي

(٢١) كذا بالأصل والصحيح مفاده.

(٢٢) كذا بدون اداة شرط.



أو مستأمن لا وارث له هنا بكل ماله صح، وكذا لو أوصى له مسلم أو ذمي جاز. ثم قال : وصاحب الهوى إذا كان لا يكفر فهو بمنزلة المسلم في الوصية. وقال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ ﴾

الممتحنة/ ٩

على قوله تعالى :

﴿ أَن تَوَلَّوْهُمْ ﴾

الممتحنة/ ٩

قال أهل التأويل : هذه الآية تدل على جواز البر بين المشركين والمسلمين وإن كانت الموالاة منقطعة. وفي البخاري ما يدل على وصية عمر - رضى الله عنه - بالقتال عن أهل الذمة ولا يكلفوا إلا طاقتهم هـ[23] هذه هي نصوص الفقهاء وأصحاب الحديث وأهل التفسير في وجهي السؤال، وبها تندفع كل شبهة في عمل هؤلاء الموفقين لخير أهل الملة الحنيفية السمحاء العاملين في تحصيل الائتلاف والاتفاق بين فرق أهل الإسلام الداخلين بتربية أيتام المسلمين في قوله - ﷺ - كما في صحيح البخاري - : «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا - وأشار بأصبعية السبابة والوسطى» المجاهدين بعملهم هذا لإعلاء كلمة الله ونصرة الموحدين، ولا يمنع من صحة عملهم دخولهم في مجالس أهل البدع واختلاطهم معهم في هذه المصالح العامة متى كانت نيتهم تحصيل ذلك الخير العام فإن الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى. والله أعلم.

هذا ما ذكره هؤلاء الأفاضل، ثم نقول : المطلع على ما نقله حضرات الأساتذة من علماء الجامع الأزهر من نصوص الكتاب والسنة وأقوال الأئمة والعلماء من أهل المذاهب الأربعة يعلم حق العلم أن ما يفعله أولئك الأفاضل دعاة الخير هو الإسلام ومن أجل مظاهر الإيمان، وأن الذين يكفرونهم أو يضللونهم هم الذين تعدوا حدود الله وخرجوا عن أحكام دينه القويم. أولئك الدعاة إلى الخير قاموا بأمر الله في قوله :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

آل عمران/ ١٠٤

أما خصومهم فقد خالفوا نهي الله سبحانه في قوله :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَٱخْتَلَفُوا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

آل عمران/ ١٠٥

(٢٣) كذا بالأصل ولعلها اهـ.



وإن كانوا يعتقدون كفر أولئك المؤمنين حقيقة فالمفتي به عند الحنفية لاعتدادهم الإيمان وأعماله كفرا وهو جحود لما جاء به محمد ﷺ . وإن كانوا يقولون ذلك نبزاً بألسنتهم، فأخف حالهم أن يدخلوا في الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، وقد قال الله فيهم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾

النور / ١٩

لأنهم يضللون من يؤمن بالله واليوم الآخر وبما جاء به محمد ﷺ ويرمونهم بالفسق في أعمالهم، وهو إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، وما أعظم الوعيد في قوله :

﴿ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾

فهو من فظائع الكبائر. بقى أن بعض الجهلة المتشدقين ربما تعرض لهم الشبهة في فهم قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾

آل عمران / ١١٨

إلى آخر الآية، وقوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

المجادلة / ١٤

وقوله تعالى :

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾

المجادلة / ٢٢

وقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾

الممتحنة / ١

وما لم أتذكره مما قد يكون فاتني من الآيات التي تصرح أو تشير إلى المنع من موادة المؤمنين لغير المؤمنين، على أنه لا شبهة لهؤلاء الجهلة في مثل هذه الآيات تسوغ لهم تفسيق إخوانهم أو تكفيرهم بعدما جاء في الآية المحكمة من قوله تعالى :

﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

الممتحنة / ٨ ، ٩



وبعد ما جاء في القصص الذي قصه الله علينا لتكون لنا فيه أسوة إذ قال :

﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾

لقمان / ١٥

وبعد ما أباح الله لنا في آخر ما أنزل على نبيه ﷺ نكاح الكتابيات، ولا يكون نكاح في قوم حتى تكون فيهم قرابة المصاهرة، ولا تكون تلك القرابة حتى تكون المودة. وحقيقة ماجاء في الآيات الدالة على النهي عن موالاة غير المؤمنين أو مودة الفاسقين والمحادين لله تعالى أنه نهي عن الموالاة في الدين ونصرة غير المؤمن على المؤمن فيما هو من دينه وإمداد الفاسق بالمعونة على فسقه، وعن اتخاذ بطانة من غير المؤمنين يكون من صفتها أنها تبذل وسعها في خذلانهم وإيصال الضرر إليهم فيكون إدلاء المؤمنين إليها بأسرارهم واتخاذها عضدا لهم في أعمالهم إعانة لها على الإيقاع بهم.

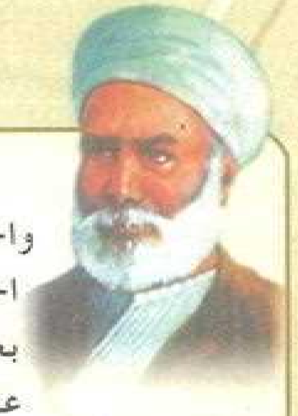
أما إذا أمن الضرر وغلب الظن بالمنفعة ولم يكن في الموادة معونة على تعدي حدود الله ومخالفة شرعه، فلا خطر في الاستعانة بمن لم يكن من المسلمين أو لم يكن من الموفقين الصالحين ممن يسمونهم أهل الأهواء، فإن طالب الخير يباح له، بل ينبغي له أن يتوسل إليه بأية وسيلة توصل إليه ما لم يخالطها ضرر للدين وللدنيا، وقد بينت السنة وعمل النبي ﷺ ما صرح به الكتاب في قوله :

﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ ﴾ إلخ.

الممتحنة : ٨

ولقد كانت لنا أسوة حسنة في استعانة رسول الله ﷺ بصفوان بن أمية في حرب هوازن وفي غيرها من الوقائع كما هو معروف في السنة. ثم كان في سيرة الخلفاء الراشدين من لدن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى علي - كرم الله وجهه - ما فيه الكفاية لمسترشد إذا استرشد فقد أنشأ عمر رضى الله عنه الديوان ونصب العمال، واحتاج المسلمون إلى من يقوم في العمل في حساب الخراج وما ينفق من بيت المال، واحتاجوا إلى كتاب المراسلات والقوم أميون لا يستطيعون القيام بما كان يطلبه العمل من العمال، فوضعوا ذلك كله في أيدي أهل الكتاب من الروم وفي أيدي الفرس، ولم يزل العمل على ذلك في خلافة بني أمية بعد الراشدين إلى زمن عبد الملك بن مروان، ولا شك في أن هذا استعانة بغير المسلمين على أعمال هي من أهم أعمالهم، فكيف ينكر هؤلاء الجهال جواز تلك الاستعانة، بل قد استعان كثير من ملوك المسلمين بغير المسلمين في حروبهم.

وإنا نذكر ما قال ابن خلدون في ذلك كله، قال في باب ديوان الأعمال



والجبايات: وأما ديوان الخراج والجبايات فبقي بعد الإسلام على ما كان عليه من قبل، ديوان العراق بالفارسية، وديوان الشام بالرومية، وكتاب الدواوين من أهل العهد من الفريقين. ولما جاء عبد الملك بن مروان واستحال الأمر وانتقل القوم من غضاضة البداوة إلى رونق الحضارة، ومن سذاجة الأمية إلى حذق الكتابة، وظهر في العرب ومواليهم مهرة في الكتاب والحسبان، فأمر عبد الله سليمان بن سعد والي الأردن لعهده أن ينقل ديوان الشام إلى العربية فأكمله لسنة [من][٢٤] يوم ابتدائه، ووقف عليه سرحون كاتب عبد الملك فقال لكتاب الروم: اطلبوا العيش في غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم. وأما ديوان العراق فأمر الحجاج كاتبه صالح بن عبد الرحمن وكان يكتب [ ][٢٥] ولقن ذلك عن زادان فروخ كاتب الحجاج قبله. ولما قتل زادان في حرب ابن الأشعث استخلف الحجاج صالحا هذا مكانه، وأمره أن ينقل الديوان من الفارسية إلى العربية ففعل [ ][٢٦] في الكلام على الوزارة وأما حال الجباية والإنفاق والحسبان فلم يكن عندهم برتبة؛ لأن القوم كانوا عربا أميين لا يحسنون الكتاب والحساب، فكانوا يستعملون في الحساب [ ][٢٧] قليلا فيهم. وأما أشرافهم فلم يكونوا يجيدونه؛ لأن الأمية كانت صفتهم التي امتازوا بها، وكذا حال المخاطبات وتنفيذ الأمور لم يكن عندهم رتبة خاصة [ ][٢٨] ديته[٢٩] ولم تخرج السياسة إلى اختياره؛ لأن الخلافة إنما هي دين ليست من السياسة الكلية في شيء، وأيضا فلم تكن الكتابة صناعة فيستجاد للخليفة [ ][٣٠] لم يبق إلا الخط فكان الخليفة يستنيب في كتابته من عماله من يحسنه اهـ. وقال في الحروب ومذاهب الأمم في ترتيبها: «فصل [ ][٣١] الكر والفر صار ملوك المغرب يتخذون طائفة من الإفرنج في جندهم واختصوا بذلك؛ لأن قتال أهل وطنهم كله بالكر والفر [ ][٣٢] مامه فلابد وأن يكون أهل ذلك الصف من قوم متعودين للثبات في الزحف وهم الإفرنج، ويرتبون مصافهم [ ][٣٣] ذلك للضرورة التي أريناكها من تخوف الإجفال على مصاف

(٢٤)، (٢٥)، (٢٦)، (٢٧)، (٢٨) قطع بالأصل.

(٣٠)، (٣١)، (٣٢)، (٣٣) قطع بالأصل.

(٢٩) لعلها تابعة لكلمة سابقة.



السلطان، والإفرنج لا يعرفون غير الثبات في ذلك؛ لأن عادتهم [ ][٣٤] سلطانية لقاضي القضاة ابن الحسن[٣٥] علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي في الكلام على وزارة التنفيذ وهذا الوزير وسط بين الإمام وبين الرعايا والولاة، يؤدي عنه ما أمر، وينفذ عنه ما ذكر، ويمضي ما حكم ويخبر بتقليد الولاة وتجهيز الجيوش، ويعرض عليه ما ورد من مهم، وتجدد في حدث ملم، ليعمل فيه ما يؤمر به، فهو معين في تنفيذ الأمور وليس بوال عليها ولا متقلداً لها، فإن شورك في الرأي كان باسم الوزارة أخص. ثم قال: ويجوز أن يكون هذا الوزير من أهل الذمة وإن لم يجز أن يكون وزير التفويض منهم. واستعانة الخلفاء من بني أمية وبني العباس بأرباب العلوم والفنون من الملل المختلفة فيما هو من فنونهم مما لا يمكن لصبي يعرف شيئا من تاريخ الأمة إنكاره، وقد كانوا يستعينون بهم على أعين الأئمة والعلماء والفقهاء والمحدثين بدون نكير، فقد قامت الأدلة من الكتاب والسنة وعمل السلف على جواز الاستعانة بغير المؤمنين وغير الصالحين على ما فيه خير ومنفعة للمسلمين. وإن الذين يعمدون إلى هذه الاستعانة لجمع كلمة المسلمين وتربية أيتامهم وما فيه من خير لهم لم يفعلوا إلا ما اقتضته الأسوة الحسنة بالنبي ﷺ وأصحابه، وأن من كفرهم أو فسقهم فهو بين أحد الأمرين: إما كافر أو فاسق. فعلى دعاة الخير أن يجدوا في دعوتهم، وأن يمضوا على طريقتهم، ولا يحزنهم شتم الشاتمين، ولا يغيظهم لوم اللائمين، فالله كفيل لهم بالنصر إذا اعتصموا بالحق والصبر. والله أعلم.» انتهت الفتوى نصاً.

ولعلنا في تلك الورقات القليلة نكون أبرزنا دور الإمام محمد عبده باعتباره مفتيا، قام بالتطبيق العملي للدين، وأسقط أحكام الدين على واقع الناس المعيش، نسأل الله أن ينفعنا بعلمائنا الكرام، وأن يرحمهم رحمة واسعة آمين.

***

(٣٤) قطع بالأصل.

(٣٥) كذا بالأصل ولعلها أبي الحسن.

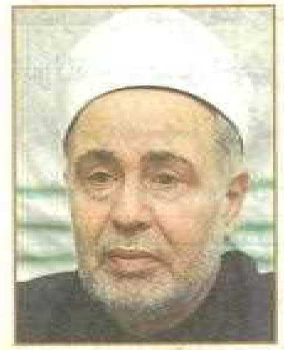


إمام يتحدث عن إمام

للأستاذ / عادل رفاعى خفاجة

في الاحتفال الذى دعا إليه فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر، بمناسبة مرور مائة عام على رحيل الإمام محمد عبده ألقيت العديد من الأبحاث القيمة التى تناولت فكر الإمام وأعماله.

وكان من أهم هذه الأبحاث وأكثرها عمقا ذلك البحث الذى ألقاه الإمام الأكبر بعنوان: «الإمام محمد عبده مفسرا». ولقد قدم الإمام الأكبر - على سبيل الاستشهاد - عددا من النقاط المتميزة فى تفسير الإمام محمد عبده، وأشار إلى معان أتى بها الإمام محمد عبده على وجه لم يسبق إليه، وفى الحقيقة، ما كان لأحد أن يشير إلى هذه الدقائق المنبثة فى تفسير الإمام محمد عبده مثلما فعل الإمام الأكبر؛ فالإمام الأكبر فسر القرآن الكريم فى نحو سبعة عشر عاما، وعاش طيلة هذه السنوات بين ما كتبه المفسرون حتى أخرج للمسلمين تفسيره «الوسيط» فى خمسة عشر جزءا، ولذلك جاء حديثه عن الإمام محمد عبده حديث إمام عن إمام وحديث مفسر عن مفسر.

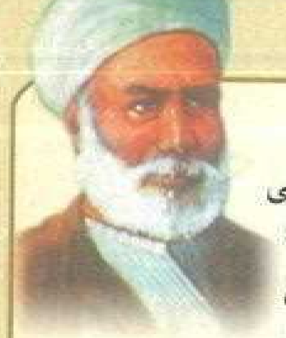


د. محمد سيد طنطاوى

ولقد أوحى إلينا هذا الموقف الكريم -أعنى حديث الإمام محمد سيد طنطاوى عن الإمام محمد عبده- أن نستدعى من صفحات التاريخ حديثا مماثلا للإمام المراغى عن الإمام محمد عبده، فالإمام المراغى سمع ورأى الإمام محمد عبده وتتلمذ على يديه وكان تلميذه الأول وكان المثابر على حضور دروسه بالأزهر، وعن ذلك يقول الأستاذ الكبير محمد فريد وجدى: «إذا كان لإنسان أن يتحدث بحق معترف به عن الإمام المجدد العظيم الشيخ محمد عبده فهو حضرة صاحب الفضيلة الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغى غير منازع»[١].

وقال عنه د. محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر: بالرغم من أن حياة الشيخ المراغى كانت قصيرة، إلا أنها كانت طويلة وكبيرة بالنسبة للأعمال التى قام بها فى خدمة الأزهر من اصدار قوانين وتطوير للمناهج وإنشاء كليات: اللغة العربية، وأصول

(١) مجلة الأزهر - المجلد ١٢ سنة ١٣٦٠ هـ، ص٢٨٥





محمد فريد وجدى

الدين والشريعة والقانون.

ولم يكن المراغى فلتة فى عائلة، بل أحد أعضاء عائلة كلها علماء أثروا المكتبة الإسلامية بالكثير من المؤلفات والتراجم والتحقيق لكتب التراث[٢]

والإمام المراغى كانت له أحاديث مشتهرة بالإذاعة، كانت فى بادىء الأمر دروس دينية فى مساجد البلاد الكبرى، رأت الإذاعة أن تنقلها إلى العالم الإسلامى فى كافة ربوعه، فحازت من التقدير ما جعلها أفضل نمط يحتذى فى التفسير الإذاعى وقد اختار الأستاذ الأكبر من آيات الكتاب ما يظهر محاسن الإسلام فى توجيهاته الخلقية والتشريعية وما يبرز رأى القرآن فى كثير من القضايا المعاصرة التى يظن بعض المتسرعين أن كتاب الله بمنأى عنها، مع الحرص على الدقة الواضحة دون تكلف لتأويل نص، أو مجاراة نظرية مستحدثة، بل صدع بالمنطق الصريح الجلى دون تعقيب بما ينافيه من وسائل التمحل والاعتساف ومع معالجة للمشكلات الاجتماعية والسياسية المعاصرة فى نبراس الكتاب المبين[٣].

وكان الإمام المراغى على جانب كبير من التواضع، يستطيع القارئ أن يتبينه من قوله:

«أما الدروس الدينية، فإنى أعتقد أن إخلاصكم، ومحبتكم إياى، أكبرت من شأنها عندكم بأكثر مما تستحق، فهذه الدروس كانت شرحا لبعض الآيات الكريمة، قصدت به أن يكون فى المستوى الذى يفهمه الجمهور، لا فى المستوى الذى يستفيد منه العلماء، فإذا قابله الجمهور بالحمد والاطمئنان والرغبة فى الزيادة، فإنى أصدق ذلك، وأحمد الله عليه، وعلى أنهم أفادوا منه، أما إذا سمعت منكم أن هذه الدروس كانت محل إفادة للعلماء فهو ما أحمله على الظن وعلى محمل رضاكم وأحمد الله على ذلك أيضا»[٤].

غير أن للدكتور رجب البيومى فى هذه المسألة رأى آخر حيث يقول:

وأنا أرى أن هذه الدروس أفادت كثيرا من العلماء إذ وجهتهم الوجهة الإعلامية الصحيحة فى مواجهة الجمهور، وتقديم ما يناسب العقليات المختلفة دون إجحاف بالمادة، كما أفادتهم كثيرا فى التطلع إلى قضايا معاصرة من صميم الفكر القرآنى غفل عنها الكثيرون، وكشف عنها الإمام المراغى مهتديا بطريقة أستاذه الإمام محمد عبده رحمهما الله[٥].

(٢) موقع الشبكة الاسلامية Islamweb.net

(٣) ا. د. محمد رجب البيومى - التفسير القرآنى - هدية مجلة الأزهر ج٢ - ص١٤٨ - شوال ١٤٢٥هـ.

(٤) المرجع السابق ص١٤٨.

(٥) المرجع السابق ص١٤٩.

هذه لمحة موجزة عن الإمام المراغي أردت بها أن يعلم القارىء قدر ذلك الإمام الفذ الذى يتحدث عن الإمام محمد عبده؛ فيقول:

«عبد من عباد الله الذين اختصهم بمزيد فضله، ومنحهم من صفات الإنسانية الفاضلة ما امتازوا به عن أقرانهم فى عصرهم وأمثالهم فى عصور أخرى، وأشرفوا على الناس يألمون لما عليه الناس من انحطاط علمى وخلقى وأدبى، ويحاولون تبديل أمم أخرى بهم، ورجل ممن رزقوا لذة المعرفة، وأفيض عليهم نور العلم الإلهى، ففهموا أسرار الدين، وعرفوا السعادة الحقة على وجهها. منحه الله قوة فى الجسم والحواس، وبسطة فى العلم، وعقلا قويا نفاذا، وفطرة سليمة، وإلهاما صادقا، وشجاعة فى الحق، وازدراء للباطل، وقلبا رحيما بالضعفاء والفقراء، وحبا للبذل والإحسان»(٦).

ثم يعرج على وصف الحالة الاجتماعية والسياسية والفكرية التى كانت تسيطر على ذلك العصر الذى نشأ فيه الإمام، فيقول:

«نشأ الشيخ فى عصر من العصور القاتمة، كل شيء فيه ممض مؤلم للنفوس الحرة والفطر الصادقة: الأمم الإسلامية تتحدر علميا وسياسيا واجتماعيا إلى أحط الدركات، وليس لطالب الحرية العقلية بينها متنفس، والدين يفهمه الناس على غير وجهه، واللغة العربية اختلطت بغيرها من لغات العجم، والزلفى إلى الحكام لها طرق لا يرضاها ذو مروءة. ذهب ريح المسلمين وتفلت من أيديهم زمام الحياة العامة، وتداعت عليهم الأمم كما تداعى الأكلة على القصاع، وليسوا قلة بين الأمم، ولكنهم كغثاء السيل»(٧).



رجب البيومي

فى هذا العصر وتلك البيئة المتحدرة علمياً وسياسياً واجتماعياً بدأ محمد عبده خطواته الجادة لتلقى العلم فاصطدم فى كتب اللغة بقواعد جافة وحواش مملة، كما فجع فى مقررات الفقه بموضوعات لا تساير حاجة المجتمع.

يقول الإمام المراغي:

«ذهب يتعلم فتعلم كما يتعلم غيره قواعد جافة ليس لها حياة تصلها بمنابعها من الكتاب الكريم والسنة المطهرة، ولا بأصولها من لغة العرب وأساليبهم وأدبهم؛ وتعلم القواعد فى مختصرات رضيها ذلك العصر المظلم، لا تفهم إلا بشروح وحواش وصناعة خاصة، فلا اللغة العربية بمساعدة على إجادة النظم والنثر والكتابة والخطابة وعلى فهم القرآن الكريم وفق

(٦) مجلة الأزهر – المجلد ١٢ سنة ١٣٦٠هـ – ص ٣٨٥.

(٧) المرجع السابق.

الأساليب العربية ولا الفقه بساد حاجة المجتمع وحاجة الحكومات والدول فى التشريع والتنظيم، ولا دراسة الكلام والمنطق بموصلة إلى الاستدلال الصحيح الذى يطمئن إليه العقل ويقنع الخصم. المتحدث فى الاجتهاد وتخير الأحكام لتطابق الأحكام حاجة العصر ولتلائم أحوال الأمم وأحوال الأزمنة، مبتدع مخالف لما أجمع عليه المحققون؛ والداعى إلى سيرة السلف الصالح داع إلى مخالفة سيرة العلماء المبرزين؛ والداعى إلى كتب الأولين مقصر عن فهم كتب المحققين من المتأخرين؛ والمنادى بأن كتب الفقه وكتب التفسير وكتب الحديث ملئت بمعلومات خاطئة وبأوهام وقصص لفقها من قبل علماء الإسرائيليات مخالف لما درج عليه صالحو هذه الأمة وجهابذتها»(٨).

ولكن محمد عبده لم يكن طالبا عاديًا فلم يجد فيما يدرس ما يشفى غلته ويبل صداه، بل تاقت نفسه إلى أستاذ يختلف منهجه وأسلوبه عن كل من يحيطون به، ليقينه أن ما يدرس فى هذه الكتب ليس موصولاً بالعلم الصحيح.

وظل محمد عبده مدة من الزمن يبحث عن ذلك الأستاذ وكم كانت هذه الفترة من حياته قاسية أليمة، لكنه تخطاها بصبر المؤمن الواثق أن فرج الله قريب.

يقول الإمام المراغي:

«ثم أعطاه الله ما كانت تصبو إليه نفسه، فهبط إلى مصر جمال الدين الأفغانى، وهو رجل ثائر على النظم الموجودة جميعها: نظم الدراسة، ونظم الحكومات، خبير بأحوال الدنيا وأحوال الأمم، عليم بأدوار التاريخ وما تقلبت عليه الأمم الإسلامية من أطوار، خبير بالتاريخ العلمى الإسلامى وبغيره من التواريخ، عالم بمذاهب الأمم ونحلها، عالم بالاستدلال وطرقه، بصير بالدعوة إلى الله سبحانه، وبالدعوة إلى ما يريده من الآراء والمذاهب، يفقه أغراض الدين العامة، ويحترم العقل ويعرف له قدره، ويضع الرجال مواضعهم لا يعطيهم أكثر مما يستحقون؛ رجل يمت بصلة نسبية إلى صاحب الرسالة، ويرى أن عليه ديناً لجده لا بدّ أن يؤديه؛ ذلك الدَّين هو وقف مواهبه جميعها على تبيين هذا الدين وإصلاح حال المسلمين. وجد الشيخ فى السيد جمال الدين بغيته، ووجد ما يسد نهمه، ويشفى صدره، ويزيل صدأ عقله ويشحذه، ويرد ذلك الجوهر صافيا نقيا لامعاً كما فطره الله، ثم يملؤه علما ويقينا وإيماناً ومعرفة، ويعدّه للإصلاح»(٩).

لقد تم للشيخ ما أراد، أتم دراسته، واكتمل نضجه بطوافه المتأمل فى البلاد الإسلامية والغربية.

ومن ثمرة هذا النضج أنه كان يهتم بالمضمون أكثر من الشكل، وبالفعل أكثر من

(٨)، (٩) المرجع السابق ص٣٨٥، ٣٨٦.

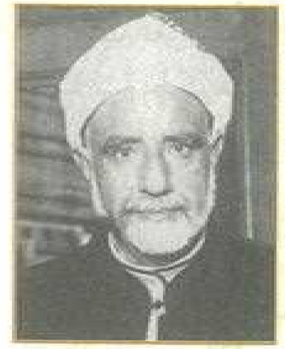
القول. ولعل ما يؤيد ذلك أنه ذات يوم قال له أحد الحاضرين: «إن فلانا حفظ كتاب البخاري، ولا شك أن الكثير منا ينبهر عندما يسمع ذلك ولكن الشيخ الإمام -رحمة الله عليه- يبتسم ويقول: «لقد زادت في البلد نسخة» إذ الإمام يهمه التطبيق في المقام الأول[١٠].

وهذا القول على جديته يُظهر فيما يُظهر روح الدعابة عند الإمام. ومما يدل على ذلك أنه بينما كان في درسه يفسر القرآن، وكان الناس يتحدثون في ذلك الحين عن دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة، إذ دخلت الرواق الذي يلقي فيه الأستاذ الدرس فتاة صغيرة لا تقل سنها عن اثنتي عشرة سنة، فتخطت رقاب بعض الحاضرين، ووصلت إلى والدها، فأسرت إليه بكلمة في أذنه وخرجت، فالتفت الناس إليها استغرابا لجرأتها، وسكت الأستاذ الامام هنيهة ثم قال باللغة العامية: «يظهر دي المرأة الجديدة اللي بيقولوا عنها في الصحف والمجالس»[١١].

دعابة أبلغ أثرا

لم يكن الإمام يلقي الدعابة بغرض التفكه وجعل الابتسامة تعلو وجه محدثه فحسب، بل كان يقصد من ورائها أبلغ الأثر، ولنتأمل مداعبته للإمام المراغي الذي يقول:

«وداعبني مرة إثر خروجي من امتحان شهادة العالمية: هل تعرف تعريف العلم؟ فقلت له: نعم، وكنت أحفظ إذ ذاك أكثر تعاريف العلم، فسردت بعضها. فقال: اسمع مني تعريفا مفيدا: العلم هو ما ينفعك وينفع الناس. ثم سأل: هل انتفع الناس بعلمك؟ قلت له: لا، قال: إذاً أنت لست بعالم، فانفع الناس بعلمك لتكون عالماً»[١٢].



محمد مصطفى المراغي

وكان من ثمرات طوافه بالبلاد الإسلامية والغربية- أيضاً- أن اطلع على أساليب حديثة في القضاء.

يقول الإمام المراغي:

«عرف الشيخ أساليب القضاء الحديثة من منابعها، فصار قديراً على الإصلاح في القضاء الشرعي كما هو قدير على الإصلاح العلمي وإصلاح نظم الدراسة.

هيأت له الأسباب جميعها تولي إفتاء الديار المصرية، وصار له شأن في إصلاح الأزهر بعضوية الإدارة فيه، وكانت مواهبه وجاهه وخبرته بالدولة ورجال الدولة مما جعله المسيطر على الإصلاح في الأزهر وصاحب النفوذ فيه»[١٣].

(١٠) دروس من القرآن الكريم للإمام محمد عبده تقديم طاهر الطناحي ص٧- دار الهلال.

(١١) المرجع السابق.

(١٢)، (١٣) مجلة الأزهر - المجلد ١٢ - سنة ١٣٦٠، ٣٨٦ وما بعدها.

عرف الشيخ أن النفوذ والجاه ووضع النظم وما إلى ذلك لا يكون في الرجال العاملين ولا العلماء المجددين، وأنه لا بد لهذا كله من أن يضاف إليه التعليم الصحيح، وأن يتولاه بنفسه، فقرأ في الأزهر كتابا قيما من كتب المنطق، وقرأ رسالته في التوحيد، وقرأ كتب الشيخ عبدالقاهر في البلاغة، وشرع يفسر كتاب الله.

كانت دروس الشيخ كالغيث، أما البلد الطيب فقد خرج نباته بإذن ربه، وأما البلد الخبيث فقد خرج نباته نكدا؛ وكانت دروسه مثلا عاليا في طريقة الإلقاء والتفهيم، وفي العبارات الفصيحة المتخيرة النافذة إلى القلوب؛ وكانت دائرة معارف يجد اللغوي فيها حاجته، والفقيه رغبته، والمتكلم بغيته، ويجد علماء الاجتماع فيها تطبيق آي القرآن على معارفهم، وكانت صرخاته المدوية منبهة للغافل ومحركة للجامد، وكانت عاصفة قوية هزت الأشجار الباسقة القوية فسقطت أوراقها الذابلة ثم أورقت، أما الشجيرات الضعيفة والحشائش الدنيئة فأفلتت منها ولم تنتفع بها»[١٤].

وكان الإمام محمد عبده أكثر ميلاً إلى الرفق واللين، برغم قدرته على الشدة وهو في ذلك متأسيا بقول الرسول الكريم:

«إن الرفق لا يكون في شئ إلا زانه ولا ينزع من شئ إلا شانه»[١٥].

ويتضح ذلك من نصيحته للإمام المراغي الذي يقول:

«ودعته ليلة سفري إلى السودان لتولي قضاء مديرية دنقلة في نوفمبر ١٩٠٤، فسألني: هل معك رفقاء السفر؟ فقلت: نعم، بعض كتب آنس إليها وأستديم بها اتصالي بالعلم، فقال: أومعك كتاب إحياء؟ فقلت: الحمد لله، هذا كتاب لا يجوز لمسلم أن يسافر سفرا طويلا دون أن يكون رفيقه. ثم قال لي: أنصحك أن تكون للناس مرشداً أكثر من أن تكون قاضيا، وإذا استطعت أن تحسم النزاع بين الناس بصلح فلا تعدل عنه إلى الحكم، فإن الأحكام سلاح يقطع العلاقات بين الأسر، والصلح دواء تلتئم به النفوس وتداوى به الجراح[١٦].

ويلخص الإمام المراغي أعمال الإمام محمد عبده في سطور فيقول:

ترك بذور الإصلاح للتعليم الديني وتعليم علوم العربية، وبذور إصلاح القضاء الشرعي، وبذور إصلاح المجتمع الإسلامي والأمم الإسلامية، وليس في رجال تفسير كتاب الله من يضارع الشيخ أو يقاربه في تطبيق آي القرآن على سنن الاجتماع، وفي تصوير هدى القرآن، وفي فهم أغراض الدين العامة.

(١٤) المرجع السابق.

(١٥) مسلم ج٤ / ٢٠٠٤.

(١٦) مجلة الأزهر - المجلد ١٢ - سنة ١٣٦٠هـ ص٢٨٧ وما بعدها.

ثم يلخص أسلوب حياته أيضا فى سطور فيقول:

ولم يكن يفوته أن يذكر بالقرآن، وأن يعتبر بالقرآن كلما ذكرت الحوادث وكلما جدت العبر؛ ولم يكن يفوته أن يشهر بالظالمين، وأن يثنى على المخلصين العادلين؛ فقد كان يحب الحق أكثر مما يحب نفسه. عاش للعلم، وعاش للدين، وعاش للإسلام والمسلمين.

لقد علم الإمام المراغى من شيخه «أن العلم هو ما ينفع الناس» وأن كل من حوله من علماء ما دام علمهم لا يصل نفعه للناس، فليسوا بعلماء، ولعل ذلك ما جعله ينتصف لشيخه من شانئيه حين وصفه بأنه أحد رجال السلف الصالح، يقول الإمام المراغى:

مات الشيخ وبقيت طريقته فى الإصلاح لم تمت، وبقيت آراؤه مدونة فى الكتب، ومرسومة فى صدور تلاميذه المخلصين، يورثونها الأبناء والأحفاد. إن ذلك المصباح لايزال يسطع نوره، ولا يزال نوره يمتد فى آفاق البلاد الإسلامية وغيرها.

وسيتجلى للناس جميعهم، عندما ينصفه التاريخ ويتقادم العهد، أنه علم من أعلام الأمة، ومجدد من مجددى الإسلام، وأنه أحد رجال السلف الصالح تأخر ميلاده عن خير القرون لحكمة أرادها الله، فولد فى القرن الثالث عشر الهجرى.

نبوءة المراغى!!

لم يكن المراغى شيخا ككل الشيوخ وإنما كان يتمتع ببصيرة نافذة وفكر متوقد فتنبأ منذ أربعة وستين عاماً أن يُكرَّم محمد عبده بما يستحقه ولكن عندما يأتى أناس يفهمون ما قاله، يقول الإمام المراغى:

ذهب الشيخ إلى جوار ربه منذ ست وثلاثين سنة، وكان فضله مجحودا، وكان يرمى بالكفر والزندقة؛ لكنه كلما ابتعد الناس عنه بالزمان اقتربوا من معرفته، وزاد المقرون له بالعلم والتقوى والإيمان والغيرة على الدين، والمقرون له بالإصلاح، وبالذود عن الإسلام والمسلمين.(١٧)

نعم: لقد صدقت نبوءة الإمام المراغى وجاء تكريم الإمام محمد عبده بدعوة من الإمام محمد سيد طنطاوى فى ذكرى مرور مائة عام على رحيله وكانت الأبحاث تلقى عن إنجازات محمد عبده وأعماله الإصلاحية يحوطها إعجاب الحاضرين وإقرارهم بفضل الإمام محمد عبده.

وبعد.. ألا تستحق أفكار الإمام المجدد، وسط كل هذا الاعجاب والاقرار له بالعلم والتقوى، ألا تستحق أن نضع لها الآليات اللازمة للتطبيق؟!

(١٧) المرجع السابق

من معانى التسامح فى الإسلام

للدكتور / السيد أحمد فرج

التسامح قيمة من قيم الإسلام، وهو عنصر من عناصر القوة فيه، وإذا كان قلب رسالة الإسلام قائم على الرحمة كما جاء فى قوله تعالى:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ «الأنبياء: ١٠٧».

فإن التسامح منبث من الرحمة، وهو قسم فيها، وأصل من أصولها. لكن الأمة الإسلامية فى العصر الحاضر، متهمة من قبل الغرب بأنها تميل إلى العنف، وسفك الدماء وإراقتها، وذلك لأن دين الإسلام - كما يزعمون وزعمهم كاذب- يدعو أهله إلى إشعال نار الحروب على غير المسلمين، وهذا الزعم ليس زعما فرديا خرج من فكر سياسى فرد أو منظر مفرد من بين المفكرين أو المنظرين فى الغرب، ولكن زعم برز نتيجة رأى عام للإدارة الحاكمة لأكبر دولة مسيحية بروتستانتية فى العالم هى الولايات المتحدة الأمريكية التى تقود العالم الغربى فى صراعه مع الإسلام وتقدم أخطر الكتب التنظيرية التى تشيع هذه المزاعم فى العالم وفى مقدمتها كتاب المفكر المنظر السياسى الأمريكى الشهير صمويل هنتنجتون: «صراع الحضارات»، وهو الكتاب الذى سرد فيه هنتنجتون نظريته فى الصراع الحضارى بين الحضارة الغربية، والحضارة الإسلامية، وهو ما يطبقه عمليا الرؤساء الأمريكيون، ابتداء من «رونالد ريجان» حتى «جورج بوش الابن».

إن هذا الأمر الجليل دعا حكومة مصر العربية- إلى عقد مؤتمر يبين «التسامح فى الحضارة الإسلامية»، يبين للعالم أن التسامح كان أصلا من أصول القيم النبيلة، ومبدأ من مبادىء البر فى الإسلام، وأن الإسلام حريص على رفع قيمة التسامح بالقول والفعل. ويدعو المسلمين إلى عدم مبارزة أحد بعداوة، أو حرب، بل إن الإسلام حريص على ألا يقدم على ذلك، إلا إذا لم يجد أمامه حلا

آخر . قال تعالى :

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

«فصلت : ٣٤»

ولقد جاء القران الكريم، بالآيات التى تؤكد شريعة التسامح والسلام ومنها :

١- قال تعالى :

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ ﴾

«الحشر : ٢٣»

٢- قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾

«البقرة : ٢٠٨»

٣- قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾

«النساء : ٩٤»

٤- قال تعالى:

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

«النحل : ١٢٥»

والآيات فى هذا الباب كثيرة .

قيمة التسامح فى الإسلام

والإسلام عندما يرفع قيمة التسامح للناس جميعا ، فإنه بذلك يعلن نظرته الكلية إلى كل البشر . ذلك لأن البشر جميعا نسلوا من نفس واحدة، وأنهم جميعا على اختلاف الأزمان والأجيال ، والأديان تربطهم وشيجة النفس الواحدة التى نسلوا منها فى قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾

«النساء :١»

ورب العزة هاهنا يوصى الناس جميعا بالتسامح والعيش بسلام ويذكرهم بأصلهم الواحد «الرحم الواحد» الذى خرجت منه كل الأرحام، لأن فى التسامح ضمان تعايش كل الشعوب فى جو من الإخاء الإنسانى، بصرف النظر عن التعددية فى الدين، وفى اللون ، والعرق - لأن الناس جميعا خُلقوا من نفس واحدة.

والتسامح فى كل الأحوال يقوم على الاعتراف بحق كل الناس فى الحرية والكرامة بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية والثقافية والعرقية، وعلى الاعتراف المتبادل بحق كل إنسان فى ممارسة معتقداته، وحقوقه داخل أرضه،

وفى ممتلكاته، دون تدخل من خارج مهما كانت المبررات . وهذا الاعتراف المتبادل شرط لإقامة السلام الشامل الضرورى للمجتمع البشرى فى العالم .

والإسلام يدعو إلى البر بالآخرين، الذين ليسوا على شريعة الإسلام ما داموا لم ينبذوا بحرب ، أو بشر للجماعة الإسلامية . قال تعالى:

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

«الممتحنة : ٨»

ومن الآية نعلم أموراً تتضمن معانى سامية هى :

١- أن الله -تعالى- لا ينهى عن التسامح مع غير المسلمين، والبر بهم.

٢- أن هذا التسامح مشروط بعدم الاعتداء على المسلمين، أو إخراجهم من ديارهم.

٣- أن إقامة العدل بين الناس- أى بين المسلمين وغير المسلمين- هى الأساس الذى تقوم عليه العلاقات الإنسانية.

وفى كل الأحوال فإن القرآن الكريم ينبه المسلمين إلى أنه سبحانه- وتعالى- خلق الناس جميعاً على اختلاف أديانهم ومعتقداتهم وثقافاتهم على أن يتعارفوا ويتعايشوا، دون أن يظلم أحد أحداً، هذا فى أمور الدنيا، أما فى أمور الآخرة فإنما يكون الفضل لجماعة إنسانية دون أخرى بالتقوى واتباع الدين الحق.

قال عز من قائل :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

«الحجرات : ١٣»

أراد الله -تعالى- أن يتحقق التآلف بين الشعوب والتعاون عن طريق التعارف، وتبادل سبل المعرفة مع احترام كل جماعة لمعتقدات الجماعات الأخرى - وكذا ثقافاتها وعاداتها- هذا فى الدنيا أما فى الآخرة، فإنما التفاضل يكون بالتقوى، واتباع الحق.

الإسلام يرسم منهج التسامح- ومنهج الحوار مع غير المسلمين للوصول إلى الرأى الصحيح دون إثارة فتن أو إحن. والآيات الداعية إلى ذلك فى القرآن كثيرة منها :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

«آل عمران : ٦٤»

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

«العنكبوت : ٤٦»

ولا يكره الإسلام أحداً على الدخول فيه ، فحرية الدين مكفولة للجميع قال تعالى :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾

«البقرة : ٢٥٦»

وقال تعالى :

﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾

«الكهف : ٢٩»

التسامح لا يعنى الاستسلام

إذا كان الإسلام دين تسامح وسلام كما بينت الآيات الكريمة فـإنه ليس دين استسلام فالإسلام الذى أمر بالبر بغير المسلمين فى حال السلم وعدم الاعتداء ، أمر المسلمين بالدفاع عن أنفسهم إذا ظلموا قال تعالى :

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

«الممتحنة : ٨-٩»

وقال تعالى :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

«الحج : ٣٩- ٤٠»

فالإسلام لا يطلب من المسلمين الدخول فى الحرب ، إلا إذا لحق بهم ظلم من عدو ، أو لإعلاء كلمة الله لتكون هى العليا .

فـإذا لم يكن من القتال بد فقد وضع الرسول ﷺ قاعدة للقتال يعمل بها قادة الجيوش الإسلامية الذين أوصاهم ﷺ بقوله : لا تغلو ، ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا» .

وأوصى أبوبكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ أحد قواده وهو يزيد بن أبى سفيان قائلاً : «إنك ستجد قوماً زعموا أنهم حبسوا أنفسهم فى الصوامع ، فدعهم وما زعموا ، وإنى موفيك بعشر : لا تقتلوا امرأة ولا صبياً ، ولا كبيراً هرماً ، ولا تقطعن شجراً مثمراً ، ولا نخلاً ، ولا تحرقها ، ولا تخربن عامرا ، ولا تعقرن شاة ولا بقرة إلا لمأكلة ، ولا تجبن ولا تغل» ..

كما نص القرآن الكريم على حسن معاملة الأسير قال تعالى :

﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾

«محمد : ٤»

وقال تعالى :

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾

«الإنسان : ٨- ٩»

تلك هى القواعد التى سنها الإسلام للمسلمين إذا اضطروا لدخول حرب يدافعون فيها عن حوزة الإسلام- ولكى تكون كلمة الله هى العليا .

أين هذا من عقيدة الحرب عند الولايات المتحدة فى حرب تدميرها لأفغانستان والعراق- وعقيدة إسرائيل فى حرب إبادتها للفلسطينيين .

إن النظريات السياسية فى الولايات المتحدة أفرزت نظرية الصراع الحضارى والبحث عن خصم- وتم اختيار هذا الخصم فى الإسلام ، كما حددته نظرية صمويل هنتنجتون فى صراع الحضارات . وهو الخصم نفسه الذى حدده جورج بوش الابن بعد أحداث ١١ من سبتمبر سنة ٢٠٠١ .

وإذا تأملنا فى آيات القرآن الكريم التى تأمر المسلمين بالقتال ، وجدناها محاطة بضوابط أخلاقية ، وتحذر المقاتلين من أى اعتداء فى مثل قوله تعالى :

﴿ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾

«المائدة : ٣٢»

ومعنى ومن أحياها أى امتنع عن قتلها . . . وقال تعالى :

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

«البقرة : ١٩٠»

وقال تعالى :

﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾

«البقرة : ١٩٤»

***

السنة بين المنكرين والمتهاونين والمتلاعبين

لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى
أمين عام اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر

روى البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله [1]

وعن العرباض بن سارية قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة زرفت منها العيون ووجلت منها القلوب. فقال قائل: يارسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا فأنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء المهدين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وأياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار» [2] صدق رسول الله ﷺ

وحجية السنة النبوية وكونها طريقا لمعرفة الأحكام الشرعية أمر ثابت من ضرورات هذا الدين ولايشكك فى هذا إلا جهول متعصب أو ملحد مكذب» [3] ويؤيد ماسبق ما أوردناه من أحاديث وآيات كثيرة منها قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾

الأنفال آية ٢٠

وقوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾

آل عمران آية ٣١

(١) فتح البارى ص ٦ حديث رقم ٢٩٥٧ باب يُقاتل من وراء الإمام.

(٢) سنن أبى داود ص٢ باب فى لزوم السنة.

(٣) انظر كتاب حجة السنة المسمى بالنفحات الشذية فيما يتعلق بالعصمة والسنة النبوية للشيخ محمد الطاهر الحامدى ط مكتبة الآداب بالقاهرة وكتاب حجة السنة للأستاذ الدكتور/ عبدالغنى عبدالخالق

وقوله تعالى:

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

النور آية ٦٣

قال صاحبى فى صورة استفهام هو أقرب إلى الإنكار لماذا تركت موضوعك السابق «كيف تفهم الحديث؟ برغم أنه موضوع حسن ذو بيان هادئ عقلانى جميل؟ لماذا بعد حلقتين ألفناهما جنحت إلى موضوع آخر أكثر تعقيداً وخطراً وأراه يدفعنى إلى سؤال ملح هل هناك من ينكر حجية السنة؟!

قلت لصاحبى مغتبطا بفطرته النقية وإيمانه الغض الندى: رعاك الله وحفظ عليك إيمانك وسلامة فطرتك، إن قوما مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية فطرحوا السنة عن عمد قائلين نحن نؤمن بالقرآن وحده فالله تعالى يقول:

﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾

سورة الأنعام آية ٣٨

ويقول أيضا عن القرآن

﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾

الكهف/ ٤٩

المنكرون

فأداهم ذلك إلى الخروج عن الجماعة وتأويل القرآن على غير ماأنزل الله.

قال صاحبى فى استنكار ظاهر: هل هناك من يهرف بمثل هذا القول..؟؟ وهل يوجد أناس يطرحون السنة بهذه الحجج الواهية؟؟ ويزعمون من بعد ذلك أنهم يؤمنون بالقرآن وأنهم مسلمون. كيف مع أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾

الحشر آية ٧

ويقول أيضا

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

النور آية ٦٣

قلت لصاحبى وأنا متفائل بوعيه وحماسه: بل لابد أن يوجد هذا الصنف من الناس الذين يزعمون أنهم مسلمون ويؤمنون بالقرآن وحده ويرفضون السنة استناداً إلى التأويل السيئ لقوله تعالى:

﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾

الأنعام/ ٣٨

وان شئت الدقة فقل استناداً إلى هذا الضلال المتعمد والتحريف والزيغ المقصود.

رد صاحبى مقاطعاً فى عجلة لا تخلو من استنكار قائلا : كيف تقول : لابد أن يوجد هذا الصنف المنكر للسنة ؟! ثم واصل كلامه أو استنكاره قائلا لى : كأنك تراه من المسلمات أو كأنك تستحث وجود هذا الصنف !! قلت فى تؤدة وأناة . أنا لا استحث وجود هذا الصنف المنكر للسنة ولا أراه من المسلمات بل أعتقد أنه من دلائل النبوة .

قال صاحبى وقد اشتد استنكاره : كأنى أراك تجمع بين المتناقضات ؟ كيف تدافع عن السنة ثم ترى تكذيبها وإنكارها من دلائل النبوة ؟

قلت : لعلك لم تسمع قوله ﷺ : «ألا لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته - وفى رواية - ممتلئة بطنه ، يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدرى !!! ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه» ثم قلت فى ألم أرجو أن لا أكون فى حاجة إلى أن أشرح لك أو أبين كلمات الحديث فهى تفيض بالحسرة وتنضح بالألم . !!! وتلطخ وجوه المارقين من الدين فى بلادة وبلا حياء يلوون كتاب الله ويحرفونه عن مواضعه !! فهل جاءت السنة بخلاف ماجاء فى كتاب الله أو نقضت شيئاً أحكمه الكتاب المبين أم أنها جاءت لبيان مجمله وتوضيح معناه ؟!

ولذلك يروى أن سيدنا على بن أبى طالب - رضى الله عنه وكرم الله وجهه - طلب من ابن عباس حين زعم بعض الخوارج أنهم يطلبون من يحاجونه . قال الإمام - رضى الله عنه - لابن عباس - رضى الله عنهما - حاججهم بالسنة فإن القرآن حمال ذو وجوه . .»

المتهاونون

قال صاحبى : أحسب أنك قد بينت طائفة المنكرين للسنة بما فيه الكفاية .

قلت : أسأل الله أن أكون قد فعلت .

قال : فمن هم المتهاونون ؟!

قلت لصاحبى : المتهاونون بالسنة طوائف متعددة . وجماعات مختلفة ربما لم يكن بينهم تنسيق - أقصد أنهم لم يجتمعوا ويخططوا ويرسموا لكل مجموعة دوراً محدداً - إنهم لم يفعلوا ذلك لكنهم جميعاً يلتقون عند نهاية المطاف وإن اختلفت طرائقهم لكن أهدافهم توحدت فى الطعن على السنة :

الطائفة الأولى: لاتبتغى من الشغب والهجوم إلا التحلل من أوامر الدين ونواهيه فالحلال والحرام والعفه والورع كلمات لم ترد فى قواميسهم بعد فهم يضيقون بها كما يضيق الرجل الصالح من الخنا والفجور .

وطائفة ثانية: تعرف الحق وتعرف مكان السنة من الدين ، لكنها - وياللخسارة - آثرت الدنيا على الآخرة وباعت دينها بدنياها فهى تبتغى الشهرة السريعة والجاه والمال فما عليهم فى سوق الكساد الفكرى ودنيا القيم الشريفة . ماعليهم إلا أن يلغوا فى الدين فهذا هو أسرع طريق إلى الشهرة وإسباغ الألقاب فى عالم اليوم .

وطائفة ثالثة: كانت صيداً سهلاً وقع فى شباك ما أسموه البحث العلمى المجرد والموضوعية . فكل هذه المسميات صورها لنا الغرب طعما خبيثاً ابتلعه أكثر المثقفين إما عن سوء قصد أو عن ولع بمسميات ما أنزل الله بها من سلطان . ألقاها المثقفون فى ساحاتنا فى دأب واستمرار دون كلل أو ملل وتلقته أجيال غريرة بالقبول والترحاب تمشياً وانقياداً مع تيار التقدمية والحداثة !! فأصبحنا نسمع ونرى من لايقيم وزناً للمعجزات التى وقعت للنبى ﷺ زاعمين مغرضين أن المعجزة التى ينبغى الحديث عنها فقط هى القرآن الكريم أما ما وقع قبلنا فى زمن النبى ﷺ فهم يدارونه خجلا كأنما هو سوأة يستحيون منها أمام الثقافة العصرية .

ونحب أن نسأل فى ميدان العصرية والمعاصرة والمنهج العلمى والبحث المجرد ، ومن منطق احترام العقل ، وما شئت من مسميات براقة ، نحب أن نسأل : لماذا لم ينكر هؤلاء المثقفون معجزات سيدنا موسى وعيسى عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام . . ؟ لماذا تبقى عصا موسى - عليه السلام - تلهب الوجدان الغربى فى الحياة والفن ؟ لماذا تُطل مائدة روح الله عيسى - عليه السلام - تحرك ريشة الفنان الغربى ليبدع لوحة العشاء الأخير ؟ أليس فى هذا ما يتنافى المنهج العلمى المزعوم الذى يدعيه بعض كتابنا الكبار الذين انطلت عليهم هذه الخدعة - العصرية والمعاصرة - وروج لها وبنى كتاباته على أساسها ظنا منه أن هذا هو الطريق العلمى المجرد . وأنه طريق العقل الذى ينبغى أن يسلكه العلماء الباحثون ؟

محدودية العقل البشرى

ويدحض الدكتور محمد رجب البيومى[٤] هذه الحجج الواهيه بأسلوب رصين وعقل فطين لم ينخدع بمزاعم المستشرقين بوجوب التجرد وموضوعية البحث العلمى . . وننقل هنا كلامه بتصرف نظراً لقوته ورجاحته . .

يقول : أنا من وجهة نظرى الشخصية لا أرانى أؤيد [من يدعى] الارتكاز على العقل وحده ، وإن كان هدفه إقناع الخصوم والأعداء ، لأن هؤلاء الخصوم من صميم اعتقاد هم يرون أن العقل - بحيزه الضيق - لايقدر على الاحتكام وحده فى أمور كثيرة دون مساعدة الإلهام ، وهم لذلك يؤمنون بمعجزات من سبق محمداً ﷺ من الانبياء ، ويعلمون تمام العلم أن مقدرة العقل البشرى محدودة لاتتجاوز نطاقها المعلوم . .

إن الأفضل للباحثين فى المعجزات أن يعلموا أنها تتصل بقدرة الله - عز وجل - وقدرة الله - تعالى - فوق ما تحتمله العقول ،

(٤) السيرة النبوية عند الرواد المعاصرين د. محمد رجب البيومى - الأزهر - اللجنة العليا للدعوة.

فإذا سلمنا بقدرة الله، ولابد أننا مسلمون عقلاً وواقعاً ـ فلنا أن نسلم عقلا بكل معجزة يسرها الله لنبيه الكريم. وهذا التسليم وحده ضرب من ضروب الفكر الصحيح، وليس إيماناً أعمى يفتقر إلى الدليل، لأن الفكر الصحيح يوقن بقدرة فاطر السموات والأرض، وخالق الحب والنوى، ومرسل السحاب بالرحمة والحياة، وخالق الإنسان من طين لازب».

لماذا أطنبت فى هذه الجزئية وأطلت؟ نعم أطلت لأن السنة المطهرة شطر الدين وعدم التصديق بمعجزة حسية أو عدم التعويل عليها أو التقليل من شأنها ما دامت ثابتة بطريق صحيح ـ كل ذلك أو بعضه ـ هو إهمال لحديث عن النبى ﷺ وذلك خطر عظيم لأنه يراد به أن تكون حياة النبى ﷺ وحركته شىء من التاريخ يؤخذ منه ويترك، ولكنها فى الواقع شىء آخر فوق التاريخ والسرد، إنها دين، لأنها سنة المصطفى فما دام الإسناد صحيحاً فإهمال حركة منه ﷺ أو سكون غير مقبول من المسلم لأنه رفض للسنة الصحيحة.

وأصدقك القول ـ ياأخى المسلم ـ أنك إذا قرأت سيرة النبى ﷺ مصدقاً لها فإنك تعطر قلبك ووجدانك وعقلك بحياته الطاهرة، وتلهب شوقك إلى الحبيب المصطفى ﷺ وأنت مطالب بهذا باراً مبروراً إن فعلت.

أما إذا قرأت سيرته ﷺ على أنها تاريخ لعظيم ممن نسميهم عظماء التاريخ، فلسوف يصدأ وجدانك ويظلم قلبك، لأنك ظلمت الصادق المصدوق، الشفيع المشفع، فقد ساويته بسائر البشر وهو نور الكون وفوق العبقرية والعظمة والنبوغ.

ولعل القول برد الأخبار كلها ـ أى ما ورد عن طريق الخبر والرواية ـ لأنه ـ فى زعمهم ـ ليس ثمة طريق ثابت لنقلها، هو تعليل خبيث، وحجة ضالة قصد بها الوصول إلى ترك الاحتجاج بالسنة.

حجية السنة

وفى محاولة للتقليل من شأن السنة فى إثبات الأحكام والطعن فى حجيتها تطل علينا مقولة حديثة معاصرة لعل القائلين بها لم يخطر ببالهم الطعن فى حجية السنة لكنها المحاكاة، تلك المقولة التى شاعت عند كثير من أساتذة أصول الفقه فى كليات الحقوق، ذلك أن أساتذة القانون يقررون أن الأساس فى التشريع الوضعى هو الدستور، ثم يليه فى المرتبة القانون وأَعْجَبَتْ هذه المقولة أساتذة أصول الفقه فى كليات الحقوق وتلقفوها وشاعت فى كتبهم عندما كتبوا فى الأدلة الشرعية بادئين بالكتاب، فالسنة، فالاجماع إلخ وقالوا: وهكذا ترتبط السنة النبوية بالقرآن الكريم كما ترتبط القوانين بالدستور أما رتبتها فى الاستدلال فإنها تالية للقرآن.

وهذا الكلام فيه من الخطأ ما فيه لأن الكتاب والسنة كلاهما وحى إلهى ليس

بحاجة إلى تقويم أما القوانين والدستور فهما يرتبطان ارتباطا لا يغنيهما عن التقويم من وقت لآخر.

ونكاد لانرى غير د. عبدالمجيد مطلوب نجا من هذه المقولة(٥).

إن مرتبة السنة لاتقل عن مرتبة الكتاب فى إثبات الأحكام.

يقول أستاذنا الدكتور عبدالغنى عبدالخالق فى كتابه القيم «حجية السنة» وهو كلام جيد - أنقله بتصرف قليل - لحاجة الموضوع إليه.
يقول: السنة مع الكتاب فى مرتبة واحدة من حيث الاعتبار والاحتجاج بهما على الأحكام الشرعية، ومن المعلوم أنه لانزاع فى أن الكتاب يمتاز عن السنة ويفضل عنها بأن لفظه منزل من عند الله متَعبَّد بتلاوته، معجز للإنس والجن عن أن يأتوا بمثله بخلافها (أى السنة) فهى متأخرة عنه فى الفضل من هذه النواحى، لكن ذلك لا يوجب التفضيل بينهما من حيث الحجية بأن تكون مرتبتها التأخير عن الكتاب فى الاعتبار والاحتجاج فتهدر ويعمل به وحده لو حصل بينهما تعارض دون ذلك لا يكون وإنما كان الأمر كذلك لأن حجية الكتاب إنما جاءت من ناحية أنه وحى من عند الله - تعالى - ولادخل للأمور المذكورة فيها (أى الحجية) فلو لم يكن الكتاب معجزاً ولا متعبداً بتلاوته وثبتت الرسالة بغيره من المعجزات لوجب القول بحجيته كما كان الأمر كذلك فى الكتب السابقة.

والسنة مساوية للقرآن من هذه الناحية فإنها وحى مثله، وهو المعتبر فى إثبات الأحكام فيجب القول بعدم تأخرها عنه فى الاعتبار.(٦)

ثم قلت لصاحبى متلطفاً: أحسب أن جلسة اليوم قد طالت ولم نتكلم عن طائفة المتلاعبين بالسنة وأرى أن نرجأ الحديث عنهم إلى لقاء آخر.

عمر بن الخطاب

نتحدث فيه بإذن الله بمناسبة قرب حلول الشهر المبارك «رمضان» عن عدد صلاة التراويح.. لماذا يرفض المتلاعبون فعل سيدنا عمر بن الخطاب مع أنهم يردون زعمهم ويقبلون ما نسب إليه - رضى الله عنه - من أنه أمر بقطع الشجرة التى تمت عندها بيعة الرضوان ؟؟؟

أليس سيدنا عمر هو الذى جمع الناس على إمام واحد وصلى التراويح عشرين ركعة وهو الذى قالوا أنه أمر بقطع الشجرة.

فلماذا يكون إماماً مثبوتاً هنا مرفوضا هناك.

وإذا كان فى العمر بقية نتحدث معاً فى جلسة قادمة نبين وجه الصواب والله أعلم.

---

(٥) عبدالمجيد محمود مطلوب رئيس قسم الشريعة بحقوق عين شمس

(٦) ٤٨ من كتاب حجية السنة للعلامة أ د/ عبدالغنى عبدالخالق، مطبوعات المعهد العالى للفكر الإسلامى بواشنطن الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦م. وقد كتبها رحمه الله فى يناير ١٩٤٢م كما أشار إلى ذلك فى مقدمته.

إشارات تربوية فى التراث الإسلامى

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى

(١)

اتفق المفكرون فى الشرق والغرب جميعا على أن من خصائص الفكر المستنير هو «روح النقد، وتكوين وجهة نظر» لأن من خلال هاتين الخاصتين ينضج الفكر، وتستقل الشخصية، وتسير الأمم إلى الأمام.

وتنطق بذلك عصور الازدهار الفكرى سواء عند قدماء الإغريق أو عند الرواد المسلمين. إذ لو كان مفكرو المسلمين من أمثال الفارابى وابن سينا وابن رشد وغيرهم قد اكتفوا بمجرد النقل عن الإغريق كما يدعى المفترون من المستشرقين ـ ومن أسف من المستغربين أيضا ـ إذن لما استحق هؤلاء الأفذاذ أن يسموا بالرواد، ولما استحقوا أن يعترف بهم ويشهد لهم المنصفون من مفكرى الغرب الذين هم أعلم من غيرهم بما قدمه المفكرون المسلمون من أياد بيضاء ناصعة البياض من غير سوء على العالم الغربى المعروف آنذاك حتى لقد اعترف كثير منهم بأنه لولا ما قدمه المسلمون للغرب من فكر فريد، ومنهج جديد(١) لظلت أوروبا تسبح فى لجج من الظلمات دون منقذ مئات من السنين.

ولئن كان فلاسفة اليونان قد أخذوا إبداعاتهم من الصراعات الساخنة والحروب الطاحنة التى دارت بين آلة الحرب المتغطرسة فى (اسبرطة) وبين آلة الجدل الأحمق العقيم والمغالط فى (أثينا)(٢) فإن فلاسفة المسلمين قد أخذوا فكرة «الإبداع» هذه عن الآيات البينات المحكمة المنزلة عليهم من لدن حكيم عليم عندما كان القرآن الكريم ينحى باللائمة على الكفار لتقليدهم الأعمى لآبائهم وأخذهم عن أسلافهم دون

(١) مثل المنهج التجريبى «الاستقرائى» الذى أبدعه جابر بن حيان والحسن بن الهيثم قبل روجر بيكون وفرنسيس بيكون بقرون.

(٢) على يد جماعة السوفسطائيين.

الأزهر

سبب معقول، أو سند معقول، وكان القرآن يمد الحبل لهؤلاء قائلا:

﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

[البقرة: ١١١]

فهم يقلدون لمجرد التقليد ويجنحون إلى سهولة المحاكاة والتقليد بدلا من إعمال الفكر والتجديد معرضين فى صلف وعناد:

﴿ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾

[المائدة: ١٠٤]

أو:

﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾

[الشعراء: ٧٤]

وقد أعماهم عن الحق ميلهم الأحمق إلى ما يسميه علماء الاجتماع «عبادة الأسلاف» التى أدت بهم إلى عبادة الأوثان.

ولقد كان غريبا مفرطا فى الغرابة موحيا بالاستغراب والعجب أن تتجه هذه العقول التى كانت تجيد فن الجدل وصناعة الكلام مثل هذا الاتجاه الضال، إذ لو أنهم كانوا ذوى عقول تافهة أو أحلام هشة لما أنزل عليهم الحق تبارك وتعالى هذا القرآن المعجز العظيم بالمستوى الذى يتحدى جدلهم بالقول المفحم ويتصدى لعنادهم بالمعنى الملجم، حتى لم تمض فترة وجيزة على إشراق شمس الدعوة المبهرة حتى كشفت أنوار القرآن عن أصنافهم بين مقتنع مجيب وعتل مريب.

الإيجابيات والسلبيات

إلا أن الإسلام لم ينكر على هؤلاء تأثرهم بالأجيال السابقة إنكارا تاما، وهنا تأتى فكرة الكشف عن «الإيجابيات والسلبيات» وهى ما يطلق عليها عملية «النقد».

ومن ذلك أن النبى ﷺ يقول: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)(٣) أى أنه كانت هناك أخلاق كريمة صالحة ولكن شابتها الشوائب وحامت حولها الشبهات، فجاء الإسلام لينقى هذه الخصال الأخلاقية الصالحة من تلك الشوائب، ويمسح عنها تلك الشبهات، كما فعل القرآن الكريم عندما تدرج توجيهه الحكيم وفق الطبيعة البشرية فى تحريم الخمر والميسر وغيرهما.

وكم يحدثنا التراث العربى عن أصحاب الخلق الكريم الذين لم يشهدوا ظهور الإسلام مثل: «حاتم طىء» الذى عرف «بحاتم الطائى» وكيف ضرب به المثل فى إكرام الضيف حتى لقد كان يعتق (عبده) إكراما لضيفه وقد اشتهر عنه حديثه إلى أحد رفيقه قائلا:

أوقد فإن الليل ليل صرٌ
والريح يا غلام ريح قرٌ

(٣) ابن سعد عن أبى هريرة «الجامع الصغير للسيوطى».

إن جلبت (أى النار) ضيفا فأنت حرُ

إشارة إلى أنهم كانوا يوقدون النار ليلا فوق الجبل حتى تهتدى بها القوافل والأفراد فيستضيفهم صاحب النار، ويفسح لهم بتبله وأريحيته فى الدار.

ومن هنا قالت الخنساء - رضى الله عنها - «أم الشهداء الأربعة» فى الإسلام وهى ترثى - فى الجاهلية - أخاها غير الشقيق «صخرا» بما لم يعرف الشعر العربى فى الرثاء مثله:

وإن «صخرا» لتأتم الهداة به
كأنه علم فى رأسه نار

فانظر إلى الإسلام ماذا فعل مع ابنة حاتم الطائى بعد ذلك عندما أخذت ضمن الأسرى فى إحدى الغزوات، فأكرمها النبى ﷺ، وقال فى أبيها خيرا، ذلك الكريم الذى عاتبته زوجه يوما لبسط يده بالمال للناس فرد عليها قائلا:

«أماوى».. إن المال غاد ورائح
ويبقى على الناس الأحاديث والذكر

وقد بقى فعلا ذكر حاتم ولم يبق ماله.

صلة الرحم

فالإسلام إذن لم يمزق الوشائج بين الأجيال، ولم يقطع الصلات بين الأرحام، ولم يضعف العرى بين ذوى القربى، وهو الذى يحض بكل قوة وحماس على صلة الأرحام سواء فى القرآن الكريم أو السنة المشرفة، ألم ينذر القرآن الكريم قاطعى الأرحام بقوله العزيز:

﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ٢٧]

ثم ألم يمنع النبى ﷺ ولد عبدالله بن أبى بن سلول من قتل أبيه المنافق الشهير عندما طلب الابن ذلك من النبى ﷺ حتى لايحمل دم أبيه إذا قتله غيره [٤] وذلك رغم ما كان عليه أبى بن سلول من النفاق اللعين، والحقد الدفين والإفك المبين حيال محمد ﷺ وأصحابه، وموقفه فى غزوة «أحد» وغزوة «تبوك» وصمة معروفة تلطخ سيرته عندما خرج مع المسلمين بقيادة النبى ﷺ قاصدين ساحة «أحد» ثم رجع «ابن سلول» مع عشيرته الضالة بعد شوط من الطريق [٥]، فحقت عليه لعنة الله التى حلت به وبأمثاله من المنافقين الذين كانوا فى الدرك الأسفل من النار، والذين ألهبهم القرآن الكريم بالغضب واللعنة فى سورة «براءة» التى تسمى كرما من الحق وفضلا بسورة «التوبة» حيث يخاطب المولى - عز وجل - حبيبه ﷺ خطابه الحكيم فى شأن هؤلاء:

﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة: ٨٠]

وأشهد أننى عندما وصلت إلى هذه الآية وأنا فى رحاب الروضة الشريفة لم أملك إلا أن ألتفت يسارا إلى حيث «البيت» المحمدى الطاهر (ولا أقول القبر) مناجيا النبى ﷺ: «إذا كان الله - عز وجل - يخاطبك يا حبيبه وصفية بمثل هذه اللهجة فى الخطاب فكيف يخاطبنا نحن يوم القيامة إلا أن يتولانا بفضلة وكرمه وعفوه ورحمته»؟

ذلك لأن ترابط القربى والأرحام هو النواة الحية الفاعلة لترابط خلايا المجتمع وتماسك أعضائه، ومن هذا المنطلق نص توجيه الحق جل وعلا لنبيه ﷺ فى مستهل الدعوة

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]

وهو التوجيه الذى استجاب له محمد ﷺ فدعا أهله وعشيرته إلى لقاء (جبل الصفا) وخاطبهم بقوله «يا معشر قريش أدنوا منى أكلمكم، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقونى؟»: فأجابوا «نعم أنت عندنا غير متهم، وما جربنا عليك كذبا قط» فاستأنف ﷺ: «إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد، يا بنى عبدالمطلب، يا بنى عبد مناف، يا بنى زهرة، يا بنى تميم، يا بنى مخزوم، يا بنى أسد إن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين وإنى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا إلا أن تقولوا: لا إله إلا الله» وهنا وقع الطغاة فى اللبس فنقضوا أنفسهم، إذ بعد أن أقروا بأن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يجربوا عليه كذبا قط انتكسوا إلى صراع نفسى، وتمزق وجدانى وتناقض عقلى، فسخروا منه، وأعرضوا عنه مع أنه من أنفسهم وحريص عليهم، وكان منهم منذ قليل بمثابة الفلذة من الكبد، والسويداء من القلب! أليس هذا محمد يا أبا لهب الذى أعتقت جاريتك لأنها بشرتك بمولده منذ أربعين عاما، ولكن صدق الله:

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦]

يتبع

---

(٤) بعد العودة من غزوة «أحد» تناول بعض الصحابة «سعد، وزيد وعمر - رضى الله عنهم -» فى حضرة النبى - صلى الله عليه وسلم موقف المنافق ابن سلول وكان عمر - رضى الله عنه - يرى قتله وهنا دخل ولد ابن سلول ومثل بين يدى النبى - صلى الله عليه وسلم - قائلا: «يا رسول الله إن أبى قد نافق فيما أسمع، وقد بلغنى أنك تريد قتله فإن كنت لابد فاعلا فمرنى به فأنا أحمل إليك رأسه، والله لقد علمت الناس ما كان من رجل أبر بوالده منى، لكنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل أبى يمشى فى الناس فأقتله، فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار» وإذا بالنبى - صلى الله عليه وسلم - بحكمته ورأفته يرد بأن «كلا لن نقتله بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا» «كتب السيرة».

(٥) تراجع عبدالله بن أبى بن سلول كذلك عندما ذهب المسلمون لغزو الروم فى الاتجاه الشمالى من المدينة المنورة فيما يعرف بغزوة «تبوك» وذلك فى موقف مشابه لتراجعه فى غزوة «أحد».

من التراث العلمى

كتاب أدب الدنيا والدين

هو أقضى القضاة العالم الثقة أبوالحسن على بن محمد ابن حبيب الماوردى، ولد فى البصرة سنة ٣٦٤هـ، ومات ببغداد سنة ٤٥٠هـ، عن عمر يبلغ ستا وثمانين سنة، عاش أزهى عصور النهضة العلمية الإسلامية، وشارك فيها، حيث كان من بين تلاميذه المؤرخ المحدث الكبير أحمد بن على بن ثابت، صاحب تاريخ بغداد، وكان من بين كتبه «الأحكام السلطانية» الذى قال عنه العلامة مصطفى السقا: إنه من ابتكاراته العلمية، وإنه أشبه ما يكون بالدستور العام للدولة. كما شارك فى الجانب السياسى للدولة حيث اختير سفيرا بين بغداد وبنى بويه من سنة ٣٨١ - ٤٢٢هـ، ولعل هذا من بين الأسباب التى دفعت عالم الحديث الشهير الإمام ابن الصلاح لاتهامه بالاعتزال والتشبيه والتشيع.

بقلم الدكتور/ عبدالعزيز أبوسريع يس

أما كتاب الماوردى «البغية العليا فى أدب الدين والدنيا» الذى نحن بصدده، والذى ذاع وانتشر باسم «أدب الدين والدنيا» فأنا أرجح أن يكون هو آخر مؤلفاته، ذلك أنه جمع عصارة فكر الرجل الأدبى، وعلمه الدينى، وممارسته السياسية، وخبرته القضائية والتدريسية، فهو أديب يعرض لموضوعه فيتتبع معانيه وطرق عرضها وصياغتها بين رجالات القول فكرا وتجارب وحكما وأمثالا وشعرا، وهو عالم نفس يعرض دخائل النفس الإنسانية، ويعرف ما يصلحها فى دنياها وأخراها، وهو عالم اجتماع من الطراز الأول، ولا أبالغ إذا قلت إن له أفكارا تتردد بيننا الآن مع أنه من أبناء القرن الخامس الهجرى، ومع ذلك كله تجد تواضع العلماء وصدقهم مع الله - عز وجل - ثم مع أنفسهم، وأبسط إشارة لهذا التواضع أنك تجد أبواب كتابه الخمسة مسبوقة بلفظ

●● راجع فى ترجمته: طبقات الشافعية الكبرى ج ٣/ ٣٠٢، ٣٠٤، تاريخ بغداد ج ١٠٢/١٢، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ج ١٥/ ٥٣، ٥٤ وفيات الأعيان ج ١/ ٣٢٦

«فى»، وهى - على التوالى - كما يلى: فى فضل العقل وذم الهوى، فى أدب العلم، فى أدب الدين، فى أدب الدنيا، فى أدب النفس.

العقل الغريزى

١- فى باب فضل العقل: يبدأ الرجل كلامه فى هذا الباب عالما دينيا فيقول[1]: «اعلم أن لكل فضيلة أسا، ولكل أدب ينبوعا، وأسُّ الفضائل وينبوع الأدب هو العقل، الذى جعله الله - تعالى - للدين أصلا، وللدنيا عمادا، فأوجب التكاليف بكماله، وجعل الدنيا مدبَّرة بأحكامه.. وجعل ما تعبَّدهم به قسمين: قسما وجب بالعقل فوكده الشرع، وقسما جاز فى العقل فأوجبه الشرع، فكان العقل له عمادا»، ثم يقسم العقل قسمين: غريزى ومكتسب، فالغريزى هو العقل الحقيقى، وله حدٌ يتعلق به التكليفُ لا يجاوزه إلى زيادة، ولا يقصر عنه إلى نقصان، وبه يمتاز الإنسان عن سائر الحيوان، فإذا تمَّ فى الإنسان سمى «عاقلا»، ثم نراه يدعم هذا العلم بعد ذلك بفيض من علمه اللغوى والأدبى[2] فيذكر أن العقل سمِّىَ بهذا الاسم تشبيها بعقل الناقة، لأن العقل يمنع الإنسان من الإقدام على شهواته إذا قَبُحت، كما يمنع العقال الناقة من الشرود إذا نفرت، ولذلك قال عامر بن عبدالقيس: إذا عقلَك عقلُك عما لا ينبغى فأنت عاقل،.. وأما العقل المكتسب فهو نتيجة العقل الغريزى، وهو نهاية المعرفة، وصحة السياسة، وإصابة الفكرة، وليس لهذا حد، لأنه ينمو إن استعمل، وينقص إن أهمل، وفى هذا المجال نوه الماوردى بخبرة ذوى الأسنان وما هو قائم عندهم من الحُنكة وصحة الروِيَة، بكثرة التجارب، وممارسة الأمور، وفى هذا الصدد نقل قول العرب: المشايخ أشجار الوقار، ومنابع الأخبار، لا يطيش لهم سهم، ولا يسقط لهم وهم، إن رأوك فى قبيح صدُّوك، وإن أبصروك على جميل أمدُّوك، وقول بعض الشعراء:

ألم تر أن العقل زين لأهله ... ولكن تمام العقل طول التجارب.

مشاورة الشباب

وقيل فى منثور الحكم: من طال عمره نقصت قوة بدنه، وزادت قوة عقله، كما أنه لم ينس الاهتمام بالشباب، وعدم إهمال فرط ذكائهم وحسن فطنتهم، مشيرا من خلال دراسات علمية، ووقائع

١- أدب الدنيا والدين ص٣.

٢- المرجع السابق باب فضل العقل ٤ : ٢٤.

تاريخية، إلى أن نهضة الأمم لا تكون إلا بهم، وفى هذا الصدد أيضا ذكر قول العرب: عليكم بمشاورة الشباب فإنهم ينتجون رأيا لم ينله طول القدم، ولا استولت عليه رطوبة الهرَم، حكى الأصمعى – رحمه الله – قال: قلت لغلام حدَث من أولاد العرب كان يحادثنى، فأمتعنى بفصاحة وملاحة: أيسرُّك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنت أحمق؟ قال: لا والله، قال: فقلت: ولمَ؟ قال: أخاف أن يجنى علىَّ حمقى جناية تذهب مالى، ويبقى علىَّ حمقى فانظر إلى هذا الصبى كيف استخرج بفرط ذكائه، واستنبط بجودة قريحته، ما لعلَّه يدقُّ على من هو أكبر منه سنًا، وأكثر تجربة، وأحسن من هذا الذكاء والفطنة ما حكى ابن قتيبة أن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – مرَّ بصبيان يلعبون، وفيهم عبدالله ابن الزبير، فهربوا منه إلا عبدالله، فقال له عمر – رضى الله عنه –: «مالك؟ لمَ لا تهرب مع أصحابك؟» فقال: «يا أمير المؤمنين: لم أكن على ريبة فأخافك، ولم يكن الطريق ضيِّقا فأوسِّع لك»، فانظر ما تضمنه هذا الجواب، من الفطنة وقوة المُنَّة، وحسن البديهة، كيف نفى عنه اللوم، وأثبت له الحجة، فليس للذكاء غاية، ولا لجودة القريحة نهاية، ونحن قد نرى بعد ذلك أن هذه الأزاهير التى نقلناها عن الماوردى مما يجدر بنا أن نطبقه فى هذا العصر، لا أن نردِّده كلاما وشعارات.

فراسة العالم

٢– فى أدب العلم: يقول الماوردى:[٣] «اعلم أن كل العلوم شريفة، ولكل علم منها فضيلة، والإحاطة بجميعها محال، قيل لبعض الحكماء: من يعرف كل العلوم؟ فقال: كل الناس.

وقال بعض العلماء: لو كنا نطلب العلم لنبلغ غايته، لكنا قد بدأنا العلم بالنقيصة، ولكنا نطلبه لننقص فى كل يوم من الجهل، ونزداد فى كل يوم من العلم»..[٤] «واعلم أن للعلوم أوائل تؤدى إلى أواخرها، ومداخل تفضى إلى حقائقها، فليبتدىء طالب العلم بأوائلها لينتهى إلى أواخرها، وبمداخلها ليفضى إلى حقائقها، ولا يطلب الآخر قبل الأول، ولا الحقيقة قبل المدخل، فلا يدرك الآخر، ولا يعرف الحقيقة، لأن البناء على غير أسّ لا يُبنى، والثمر من غير غرس لا يُجنى»..[٥] «وينبغى أن يكون للعالم فراسة يتوسَّم بها المتعلم ليعرف مبلغ طاقته، وقدر استحقاقه، ليعطيه ما

٣– أدب الدنيا والدين ص٢٧.

٤– أدب الدنيا والدين ص٢٩.

٥– أدب الدنيا والدين ص٧٣، ٧٤.

يتحمله بذكائه، أو يضعف عنه ببلادته، فإنه أروح للعالم، وأنجح للمتعلم، وقد روى ثابت عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله – ﷺ –: «إن لله عبادا يعرفون الناس بالتوسّم».(*)

وفى هذه الأزهار التى اقتطفناها من باب العلم نجد الماوردى العالم المسلم – فى النص الأول – يفتح الطريق واسعا لكل العلوم، فلكل علم فضيلة، والإحاطة بجميعها محال، كما ينقل عن الحكماء أن العلم موزع بين الناس، وهو بهذه الآراء يبرىء المسلمين من تخلُّفهم الذى يوسمون به فى هذا العصر باسم الإسلام، فكل الناس فى المجتمع الإسلامى ما بين عالم ومتعلِّم فى شتى المعارف، أما فى النص الثانى فإننا نجد أنفسنا أمام عالم نفسانى يرسم الطريق التدريجى للتعلم، فطالب العلم المبتدىء يبدأ بأوائله ثم يترقى، لأن الثمرة الناضجة ما كانت عن غرس جيِّد، وتعهد مستمر.

العالم والمتعلم

والشيء اللافت للنظر فى النص الثالث أنك ترى الماوردى قد تحوَّل فيه إلى أستاذ فى طرق التدريس التربوية – كما نقول فى عصرنا الحديث – حيث يرى وجوب تفرُّس المعلِّم، واستبطانه لشخصية المتعلِّم ليعطيه العلم على قدر حاجته، فإن ذلك – كما قال – أروح للعالم، وأنجح للمتعلِّم، على أننا نراه فى بقية باب العلم[٦] يمضى فى هذا الطريق فيضع شروطا للمتعلِّم أهمها: الفراغ الذى يكون معه التوفر، ويحصل به الاستكثار، والظفر بعالم سمح بعلمه، متأن فى تعليمه، ثم يذكر طرفا مما يتأدب به المتعلِّم ويكون عليه العالم، منها قوله: اعلم أن للمتعلم فى زمان تعلُّمه تملقاً وتذللا، إن استعملها غنم، وإن تركها حُرِم، روى معاذ عن النبى – ﷺ – أنه قال: «ليس من أخلاق المؤمن التملَّق إلا فى طلب العلم»(**) وروت عائشة – رضى الله عنها – عن النبى – ﷺ – أنه قال: «من وقَّر عالما فقد وقَّر ربَّه»(***) وقال بعض الشعراء:

إن المعلِّم والطبيب كلاهما
لا ينصحان إذا هما لم يُكرَما
فاصبر لدائك إن أهنت طبيبه
واصبر لجهلك إن جفوتَ معلِّما

ومنها حديثه عن تبادل الخبرة النفسية للمتعلم وهو يتفرَّس أثر العلم فى أستاذه،

٦– أدب الدنيا والدين، باب فى أدب العلم ٥٨ : ٧٧.

(*) – مجمع الزوائد للهيثمى ٢٨٦/١٠.

(**)– تنزيه الشريعة ٥٢/١.

(***) – تنزيه الشريعة ٢٧٤/١.

فيراه يقول ما لا يفعل ظنًا من هذا المعلّم أن المطلوب منه فى نظر الناس هو العلم كما يقول الشاعر:

اعمل بقولى وإن قصّرتُ فى عملى
ينفعك قولى ولا يضرُرك تقصيرى

فيتحدث عن مثل هذا المعلّم فيقول: إن من قال ما لا يفعل فقد مكر، ومن أمر بما لا يأتمر فقد خدع، ثم يهدّده بقول رسول الله - ﷺ -: «المكر والخديعة وصاحباهما فى النار»(*)، هذا عن خسرانه فى الآخرة، أما عن خسرانه فى الدنيا فإن ذلك من أسباب سقوطه عند الناس، بل ربما يكون ذلك سببا لإغراء المأمور بترك ما أمر به عنادا، وارتكاب ما نهى عنه كيادا، ويحلّل فى هذا الصدد حكاية واقعية مفادها أن أعرابيا أتى ابن أبى ذئب (ت ١٥٩هـ) فسأله عن مسألة طلاق، فأفتاه بطلاق امرأته، فقال: انظر حُسنا، قال: نظرت وقد بانت منك، فولّى الأعرابى وهو يقول:

أتيت ابن ذئب أبتغى الفقه عنده
فطلّق حتى البتَ تبّتْ أنامله
أطلق فى فتوى ابن ذئب حليلتى
وعند ابن ذئب أهلُهُ وحلائلُه؟!

فظن بجهله أنه لا يلزمه الطلاق لقول من لم يلتزم الطلاق.

٣- فى باب أدب الدين: يحسب الماوردى الناس فى شرع الله حينما يتحدث عن حكمة التكليف فى الدين فيقول: (٧) «اعلم أن الله - سبحانه وتعالى - إنما كلف الخلق متعبّداته، وألزمهم مفترضاته، وبعث إليهم رسله، وشرع لهم دينه، لغير حاجة دعته إلى تكليفهم، ولا ضرورة قادته إلى تعبُّدهم، وإنما قصر نفعهم، تفضُّلا منه عليهم، كما تفضّل بما لا يُحصى عدا من نعمه، بل النعمة فيما تعبّدهم به أعظم، لأن نفع ما سوى المتعبَّدات مختصّ بالدنيا العاجلة، ونفع المتعبَّدات يشتمل على نفع الدنيا والآخرة، وما جمع نفعى الدنيا والآخرة، كان أعظم نعمة، وأكثر تفضُّلا»، وفى اعتقادى أن هذا الكلام مبتكر لم أقرأه لأحد قبله.

هكذا يُعرض شرع الله

وفى اعتقادى أيضا أن حديثه عن تخفيف الله - عز وجل - التكاليف الدينية على ضعفاء المسلمين من قبيل هذا الابتكار، حيث يقول: (٨) «ثم من لطفه - سبحانه - بخلقه، وتفضله على عباده، أن جعل لهم من جنس كل فريضة نفلا، وجعل لهم من الثواب قسطا، وندبهم إليه ندبا، وجعل لهم بالحسنة عشرا،

(*) المستدرك للحاكم ٤/٦٠٧.

٧- أدب الدنيا والدين ٧٨.

٨- أدب الدنيا والدين ٨٠.

ليضاعف ثواب فاعله، ويضع العقاب عن تاركه، ومن لطيف حكمته أن جعل لكل عبادة حالين: حال كمال، وحال جواز، رفقا منه بخلقه، لما سبق فى علمه أن فيهم العَجل المبادر، والبطىء المتثاقل، ومن لا صبر له على أداء الأكمل، ليكون ما أخلَّ به من هيئات عبادته، غير قادح فى فرض، ولا مانع من أجر، فكان ذلك من نعمه علينا، وحسن نظره إلينا».

هكذا يمضى بنا الماوردى فى حديثه الدينى الجميل(٩)، فيتحدث عن حكمة الله ـ عز وجل ـ فى ترتيبه لما فرض على عباده من الصلاة والصيام والزكاة والحج، ثم ينتقل إلى أحوال الناس فى فعل الطاعات واجتناب المعاصى، وما يدخل على الطائعين من الآفات إلى آخر ما كتب فى هذا الباب، وفى كل حديث من أحاديثه يستعذب القارىء أدبه الرقراق، وعلمه الفياض، مما يجعله يهتف فى داخله: هكذا يجب عرض شرع الله على الناس.

٤- وفى باب أدب الدنيا: نجد أنفسنا أمام عالم اجتماع وعالم دين معا، ذلك أنه يدخل لحديث هذا الباب من جهة ما تفصح عنه شواهد الحياة من احتياج الناس بعضهم لبعض، وعجز كل منهم عن الاستقلال عن أخيه فى شئون هذه الدنيا، ومن جهة ما تشير إليه نصوص الدين فيقول: (١٠) «اعلم أن الله - تعالى - لنافذ قدرته، وبالغ حكمته، خلق الخلق بتدبيره، وفطرهم بتقديره، فكان من لطيف ما دبَّر، وبديع ما قدَّر، أن خلقهم محتاجين، وفطرهم عاجزين، ليكون بالغنى منفردا، وبالقدرة مختصا، حتى يشعرنا بقدرته أنه خالق، ويعلمنا بغناه أنه رازق، فنذعن بطاعته رغبة ورهبة، ونقرّ بنقصنا عجزا وحاجة، ثم جعل الإنسان أكثر حاجة من جميع الحيوان، لأن من الحيوان ما يستقل بنفسه عن جنسه، والإنسان مطبوع على الافتقار إلى جنسه، واستعانته صفة لازمة لطبعه، وخلقة قائمة فى جوهره، ولذلك قال الله - سبحانه -:

﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾

النساء/٢٨

يعنى عن الصبر عما هو إليه مفتقر، واحتمال ما هو عنه عاجز، ولما كان الإنسان أكثر حاجة من جميع الحيوان كان أظهر عجزا، لأن الحاجة إلى الشىء افتقار

٩- أدب الدنيا والدين، باب فى أدب الدين ٨٠ : ١١٥

١٠- أدب الدنيا والدين ١١٦.

إليه، والمفتقر إلى الشىء عاجز عنه».

قواعد إصلاح الدنيا

وصلاح الدنيا عند الرجل معتبر من وجهين[١١]:

أولهما: ما ينتظم به أمور جملتها.

والثانى: ما يصلح به حال كل واحد من أهلها، وفى حديثه عن الوجه الأول ذكر أن قواعد صلاح الدنيا ستة أشياء: دين متبع، وسلطان قاهر، وعدل شامل، وأمن عام، وخصب دائم، وأمل فسيح.

أما حديثه عن الوجه الثانى فقد حصره فى ثلاثة أشياء: نفس مطيعة، وألفة جامعة، ومادة كافية، وتمام طاعة النفس هو حديث الباب الخامس - كما سيأتى.

أما الألفة الجامعة بين الناس فقد ذكر فيها أن الناس يتوادّون من خلال أسباب خمسة هى: الدين، والنسب، والمصاهرة، والمودة، والبرّ، أما المادة الكافية فقد تحدث فيها عن مجالات عمارة الإنسان للأرض من زراعة، ونتاج حيوان، وتجارة وصناعة، والأمر الجديد عنده اللافت للنظر أنه جعل الصناعة ثلاثة أقسام هى: صناعة فكر، وصناعة عمل، وصناعة مشتركة بين الفكر والعمل، وهذا ما نشاهده فى عصرنا الحاضر، فما يقابل صناعة الفكر عنده، صناعة الأدب والصحافة عندنا الآن، وما يقابل الصناعة المشتركة بين الفكر والعمل عنده صناعة التخطيط وصناعة الإدارة والمتابعة، وصناعة رقابة الجودة الإنتاجية فى المصانع والشركات عندنا، أما صناعة العمل فهى الأمر المتعارف عليه فى عصرنا وعصره من أمور إعمار هذه الحياة بجهود سواعد المجتمع من أجل غد أفضل للبشرية، وهذا كله يجعلنا نعتبر أفكار علماء المسلمين فى القرن الخامس الهجرى إعجازا علميا رائعا يضاف إلى رصيدهم فى صنع الحضارة الإنسانية، وبهذه المناسبة نقول لشبابنا: إن هذا السبق الفكرى للعقل العربى المسلم يبين - بما لا يدع مجالا للشك - أن العقل العربى أشدّ ذكاء من العقل الغربى، وما عليهم إلا أن يثقوا بأنفسهم وهم يحاولون إزالة حجب التخلف الذى ضربه الغربيون عليهم فى هذه الأيام.

٥- فى باب أدب النفس: يرى الماوردى أنه لابدّ من تأديب النفس مهما طبعت على الأخلاق، ومهما تحلّت بالعقل، ذلك أن النفس - كما قال - [١٢] يسعدها هوى مطاع، وشهوة غالبة، ولو كان العقل مغنيا عن الأدب لكان أنبياء الله - تعالى - عن أدبه مستغنين، وبعقولهم مكتفين، وقد روى عن النبى - ﷺ - أنه قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[*] وقال على

١١- أدب الدنيا والدين باب فى أدب الدنيا ١١٨ : ٢١٠.

١٢- أدب الدنيا والدين انظر ص٢١٠.

(*) السنن الكبرى للبيهقى ١٩٢/١٠.

بن أبى طالب - رضى الله عنه -: «إن الله - تعالى - جعل مكارم الأخلاق ومحاسنها وصلا بينه وبينكم، فحسب الرجل أنه يتصل من الله - تعالى - بخلق منها» والتأديب يلزم من وجهين[١٣]: أحدهما ما لزم الوالد لولده فى صغره.

والثانى: ما لزم الإنسان فى نفسه عند نشأته وكبره، فأما التأديب اللازم للأب، فهو أن يأخذ ولده بمبادىء الآداب ليأنس بها، وينشأ عليها، فيسهل عليه قبولها عند الكبر، لاستئناسه بمبادئها فى الصغر، لأن نشأة الصغير على الشىء تجعله متطبعا به، ومن أغفل فى الصغر، كان تأديبه فى الكبر عسيرا، وقد روى عن النبى - ﷺ - أنه قال: «ما نحل والد ولده نحلة أفضل من أدب حسن يفيده إياه، أو جهل قبيح يكفه عنه، ويمنعه منه»[**] وأما الأدب اللازم للإنسان عند نشأته وكبره فأدبان: أدب رياضة واستصلاح، وهذا النوع يحتوى على ما يلزم مراعاته من أخلاق شخصية تكبح جماح النفس وقد جعلها فى ستة فصول هى: مجانبة الكبر، والاتصاف بحسن الخلق العام، والحياء، والتحلى بالحلم وعدم الغضب، والاتصاف بالصدق وعدم الكذب، ومجانبة الحسد، والنوع الثانى من أدب النفس هو أدب المواضعة والاصطلاح، وقد جعل ذلك فى ثمانية فصول هى - من وجهة نظره وأنا معه - جماع التعامل الأخلاقى الذى استقر عليه اصطلاح عقلاء الناس فى إحراز الفضائل، وهى على الترتيب: فضل الكلام والصمت، فضل الصبر وعدم الجزع، فضل المشورة، فضل كتمان السر، ضرر آفتى المزاح والضحك، ضرر التطير، فضل المروءة، آداب عامة فى المأكل والمشرب والملبس ومحاسبة النفس.

وبعد: فإن هذا الكتاب جدير باسمه «أدب الدنيا والدين»، ذلك أن قارئه ينفتح على دراسات ومعارف واسعة تفيده فى دنياه، وأخلاق وأحكام شرعية جامعة تفيده فى أخراه، وقد يجعلنا هذا نرجح - كما أسلفنا - أنه من أخريات التأليف العلمى للماوردى، حيث إنه خلاصة عقله، وحصيلة تجاربه فى حياته، أراد أن يهديها للناس أداء لواجبه نحوه، ونحن قد عرضناه وفاء لحقه نحونا، والله - وحده - هو الهادى إلى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

***

١٣- أدب الدنيا والدين، باب فى أدب النفس ٢١٠ : ٢٢٧.

(**) سنن الترمذى ٢٢٧/٣.

كتاب الشهر

إرهاب القراصنة.. وإرهاب الأباطرة قديما وحديثا

لناعوم تشومسكى

تعريب

أحمد عبد الوهاب

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

٣

الشر – منذ البدء – صناعة شيطانية، توعد بها إبليس أبناء آدم فى ثنايا تحديه رب العزة – منذ عصى أمر ربه، ولم يسجد لآدم فانتقل إلى زمرة الشياطين – فى شأن أبناء آدم، فطلب من ربه أن يمهله الزمن الذى يتمكن به هو وأعوانه من زلزلة الوجود الآدمى على الأرض:

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾

(ص: ٧٩ – ٨٣)

والشر – فى العصر الحديث – صناعة شيطانية كذلك، توعد – ويتوعد – بها حكام الولايات المتحدة وأضرابهم من الصهيونيين أبناء آدم الذين يتمسكون بالإيمان بالله الواحد، ويلتزمون بقيم الدين وأخلاقياته، وما ينشأ عنها من حتمية الدفاع عن حقوقهم الإنسانية، فكل جماعة تتمسك بهذا أو تلتزم به، هى خارجة عن طاعته، معادية له يجب أن ينزل بها أقسى ألوان التنكيل المادى، والمعنوى من قتل، وتدمير، وحصار.. إلى غير ذلك من ألوان الإرهاب المعتمدة على أحدث ما توصل إليه العلم الحديث.

أيهما شيطان الشر؟!

فى الفصل الثالث (ليبيا فى قائمة الشر).. يستعرض (تشومسكى) طائفة من الشرور التى ابتلى بها العالم الحديث، فى

الأزهر

سعى مقارن بين ما يصدر عن أمريكا وما يصدر عن غيرها من دول العالم من أعمال إرهابية، كشف بها تفوق أمريكا على غيرها فيما تقوم به من أعمال إرهابية أصابت شتى أطراف العالم، مع حرصه على أن يجرد مقارنته من الانطباع العاطفى، فاعتمد على التقارير الرسمية خصوصا تقارير منظمة العفو الدولية.

ومن الأمثلة على ذلك: ما قررته منظمة العفو الدولية أن ليبيا بدأت عمليات القتل الإرهابية أوائل ١٩٨٠، بينما كان (جيمى كارتر) يرقب ما يقوم به (خوسيه نابوليون دورات) من التصعيد المتزايد فى الحرب الإرهابية الفاشية فى (السلفادور) وأن حصيلة الإرهاب الليبى تمثلت فى قتل نحو أربعة عشر فردا من الليبيين أما حصيلة الإرهاب الأمريكى فى (السلفادور) فقد بلغت نحو خمسين ألف فرد من أبناء (السلفادور)، حتى وصفه الأسقف (ريفيرا واماس) بأنه حرب إبادة وقتل جماعى أما (دورات) فقدم التحية لقوات الأمن التى أنجزت هذه المهمة وذلك لخدمتهم الشجاعة فى الوقوف بجانب الشعب ضد الدمار، بحجة أن القتلى كانوا من الشيوعيين كما نالت هذه العملية استحسان الولايات المتحدة حيث كانت تلك المجزرة الإرهابية هى النموذج الحقيقى لدعم التقدم نحو الديمقراطية على الأرض، ولإعطاء الحكم لجماعات تخدم الولايات المتحدة مع إجبار الشعب على التصديق والموافقة على قرار الصفوة.

ويضيف (تشومسكى) مثالا آخر على إرهاب الدولة تفوقت جرائمه على ما وقع فى (السلفادور)، حيث تدفقت الأسلحة الأمريكية على وكلائها فى (جواتيمالا) المختارين من ألوية أرجنتين النازية الجديدة، ومن (تايوان) و(إسرائيل) لينفذوا القتل بشكل أكثر فعالية تحت التوجيه غير القانونى للبنتاجون والـ(سى آى إيه) فكانت الثمرة ذبح نحو سبعين ألف جواتيمالى، مع إطراء (ريجان) وأعوانه على القتلة، ومن قاموا بعمليات تعذيب، وصفهم بالتفانى الكامل للديمقراطية.

فإذا كانت ليبيا دولة إرهابية، فإنها – مع مقارنتها بهذا الإرهاب الأمريكى – لا تعدو أن تكون لاعبة صغيرة فى ميدان الوحشية الإرهابية.. ولكن (ريجان) أبى إلا أن يصف القذافى بأنه إرهابى كبير، وأنه أرسل ترسانة الأسلحة والمستشارين ليساعد (نيكاراجوا) على مواجهة أمريكا، قاصدا بذلك تبرير القيام بقصف ليبيا، وإثارة العنصرية السائدة المعادية للعرب.

وبعد استعراض مفصل للتحرشات الأمريكية، وما صاحبها من غزو للأراضى

الليبية.. يقرر (تشومسكى): أن الولايات المتحدة - بمثل هذه الأعمال - أصبحت فى جزء كبير من العالم مبعث خوف وفزع خصوصا بعد ماقامت به إدارة (ريجان) من زرع المخاوف فى النفوس، مستغلة - فى ذلك- استراتيجية (الرجل المجنون) التى تنسب إلى (ريتشارد نيكسون)، مع محاولة ضم أوروبا إلى الحرب الصليبية الأمريكية، للحاجة إلى عمل شىء بحيث لا يتحمل الأمريكيون المجانين المسئولية مرة أخرى.

وبمثل هذاالتنظيم والتخطيط الدقيق استطاعت الإدارة الأمريكية أن تستدرج القذافى إلى الوقوع فى الشرك الذى أعدله لتسويغ ضرب ليبيا، فلما تمكنت من تحميله مسئولية انفجار صالة (الديسكو) أصدرت حكمهاعليه بعناية، وبشكل متناسب، وبعدالة خالصة.. حتى إن هيئة إذاعة جنوب أفريقيا ذكرت أن الهجوم على ليبيا يؤكد التزام قائد العالم الغربى باتخاذ إجراءات ايجابية لمقاومة الإرهاب أما (شمعون بيريز) فى إسرائيل فقد صرح بأن هذا الهجوم له مسوغاته الواضحة، فهو دفاع عن النفس. وهكذا.. استطاع إمبراطور الإرهاب أن يوقف بربرية القرصان الليبى، مقررا: أنه وحده هو الجدير بأن يوسم بـ(شيطان الشر) وأنه لايحق لأى قرصان أن يمارس أى صورة من صور الإرهاب، إلا إذا كان مرضيا عنه من الإمبراطور.

ويخلص (تشومسكى) من استعراضه هذا... إلى تقرير: أن الأسباب الحقيقية لهجوم الولايات المتحدة على ليبيا لا علاقة لها بالدفاع عن النفس ضد (الهجمات الإرهابية) على قوات الولايات المتحدة فى بيروت فى أكتوبر سنة ١٩٨٣ كما ادعى (شمعون بيريز) ولاعلاقة لها بأى من الأعمال الأخرى المنسوبة - بحق أو بغير حق - إلى ليبيا، ولا علاقة لها بـ(الدفاع عن النفس ضد هجوم قادم)، ولكنها ترجع إلى أن القذافى وقف فى طريق المخططات الأمريكية فى شمال أفريقية، وفى الشرق الأوسط، وغير ذلك من المواطن، وإلى أنه قدم الدعم للبوليساريو، وجماعات فى السودان تعترض عليها الولايات المتحدة، وإلى أنه شكل وحدة مع المغرب بما يتعارض مع رغبات الولايات المتحدة.. إلخ تلك الأسباب.

إمبراطورية الشر فى مواجهة العزلة الدولية

وفى الفصل الرابع (دور الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط) يقرر (تشومسكى): أن عزلة الولايات المتحدة ازدادت تحت وطأة الطابع الاستبدادى فى عقلية الشخصيات القيادية فى إدارة

(ريجان)، وقد كشف هذه العزلة أحداث كثيرة من بينها: التصويت على سلسلة كبيرة من القضايا داخل الأمم المتحدة فحين عرض موضوع إقامة منطقة سلام بجنوب الأطلنطى لم يحصل إلا على صوت واحد، مقابل ١٢٤ صوتا رافضا. ولما قدم موضوع مطالبة الولايات المتحدة أن تلتزم بقرار المحكمة الدولية بوقف عدوانها على (نيكاراجوا) صوت لصالحه أربعة وتسعون فى مقابل ثلاثة فقط، هم: الولايات المتحدة، و(السلفادور)، وإسرائيل مما اضطر الولايات المتحدة إلى استخدام حق (الفيتو) فى مجلس الأمن سبعا وعشرين مرة فيما بين سنة ١٩٨٠، و١٩٨٥ بينما لم تستخدم هذا الحق منذ نشأة الأمم المتحدة سوى خمس عشرة مرة فقط.

كما أظهر استطلاع الرأى فى أوروبا، الذى قامت به وكالة الإعلام الأوروبية: أن الرأى الأوروبى يثق فى (ميخائيل جورباتشوف) فى مسألة الحد من الأسلحة أكثر من ثقته فى (ريجان) بنسبة: ٤ - ١ فى انجلترا وبنسبة: ٧- ١ فى ألمانيا.

ولكن الإدارة الأمريكية لم تكترث بذلك ولجأت إلى إثارة مشاعر الوطنية والحماسة الشعبية فى الداخل عن طريق إشاعة المخاوف التى تمس وجود المجتمع الأمريكى، وتهدده من بعض الجماعات أو الدول الضعيفة، والنهوض فى مواجهة هؤلاء الأعداء الضعفاء العزل لضربهم، وتحقيق انتصارات رخيصة عليهم، توهم العامة من الأمريكيين بأن إدارته حققت للشعب الأمريكى الأمان، مطلقة على ذلك النهج شعار: (الهدف الكامل للسياسة العملية)، أى بأن تشعر المجتمع الأمريكى دائما بأن الخطر يتهدده، وذلك بواسطة ترويعه بسلسلة لا تنتهى من (البعابع) أو الغيلان المخيفة، التى لا وجود لها إلا فى الخيال.

وما حملة الدعاية على الإرهاب الدولى إلا مظهر من مظاهر الاستخدام البارع لهذه الأساليب فى الداخل وفى الخارج فصناع السياسة فى إدارة (ريجان) يعلمون أن العناصر (الليبرالية) داخل (الكونجرس) ووسائل الإعلام يمكن ترويعها بسهولة بتوجيه الاتهام إليها بأنها لينة ضعيفة، تهاب القتال لقلة كفاءتها، وضعف عزمها فى مواجهة الغول أو (البعبع).. كما أن صناع السياسة هؤلاء يدركون أن مصادر العنف الضخمة التى تقع فى حوزتهم، تسمح لهم بازدراء الرأى العالمى.

كما حدث فى قمة (طوكيو) بعد قصف ليبيا، حيث دفع (الريجانيون) أصفياءهم الغربيين إلى المشاركة.. وذلك بتحذيرهم من أنهم إذا لم ينضموا إلى

العنف الأمريكى، فلن يصدقوا ما قد يفعله بهم الأمريكيون المجانين فى المرة القادمة.

ويقدم (تشومسكى) عدة أمثلة من واقع سلوكيات الإدارة الأمريكية.. تكشف عمليات التضليل التى تواجه بها العامة فى داخل أمريكا، وأعضاء (الكونجرس) الأمريكى، والرأى العام العالمى بحيث تبدو أمريكا فى هيئة الكيان البرىء الذى تضطره الأعمال الإرهابية إلى مقاومة ذلك بعنف وقسوة دفاعا من أمن المواطنين ومكاسبهم وحرياتهم وحضارتهم مستعينة فى ذلك بمكائد إرهابيين دوليين ذوى حنكة ورؤية دولية اجتازوا الحاجز الذى يمكن فيه كبح مشروعاتهم متمثلا فى تنظيم إرهاب دولى فعال متعدد الأسماء والعناوين يمتد نشاطه من الشرق الأوسط إلى أمريكا الوسطى وما وراءها، من كل ما يكشف عن فهم متقن لكيفية إدارة الإرهاب الدولى.

ويقرر (تشومسكى): أن الأسماء والعناوين التى ينضوى تحتها النشاط الإرهابى الأمريكى تقوم على التجديد اللغوى للمصطلحات التقليدية، فمصطلح (المعتدل) يشير إلى العناصر التى تمتثل تماما لأوامر الولايات المتحدة ومطالبها ومصطلح (المتطرف) يشير إلى الذين لا يمتثلون لأوامرها.

ومن هنا.. يمكن أن نفهم المقصود بإعلان (ريجان) عن إرسال أسلحة إلى إيران عبر حلقة اتصال إسرائيلية، لإقامة علاقات مع العناصر المعتدلة فى إيران.

كما يمكن أن نفهم السر فى وصف (سوهارتو) بالاعتدال عندما قام بعمليات قتل جماعية فى إندونيسيا، ووصفه هو ذاته بالتطرف فى آخر حكمه، عندما قلل من عنفه، وأنشأ علاقات استراتيجية خارج أمريكا.

و(تشومسكى) يقدم - على هذا الطريق - أمثلة عديدة ومتنوعة، تقرر: أن إدارة (ريجان) قد تولت بنشاط إعداد المساعدة العسكرية لجيشها الوكيل بالتحايل على قوانين (الكونجرس)، وعلى قرار المحكمة الدولية، وعلى القوانين الراسخة التى تعود إلى قانون الحياد فى القرن الثامن عشر.

ومن هذا المنطلق.. يوضح (تشومسكى): أن الأساس الذى ستقوم عليه علاقات الولايات المتحدة بالعالم العربى.. هو العمل على ضمان سيطرتها على الموارد الرئيسية للطاقة فى شبه الجزيرة العربية، معتمدة - فى ذلك - على دعم من تسميهم (الوطنيين المعتدلين) مع استمرار مقاومة من تصفهم بـ(الوطنيين المتطرفين) الذين يقفون عقبة فى طريق أهداف الولايات المتحدة.

الإرهاب... شبحا. وحقيقة

وفى الفصل الخامس (الإرهاب الدولى، الصورة والواقع) عمل (تشومسكى) على أن يعرف بالإرهاب متوسلا بالنظر الموضوعى فى مصادر المعلومات المؤثرة فرأى: أنها لم تستطع أن تقدم تعريفا دقيقا يميز الإرهاب.

فقانون الولايات المتحدة الرسمى يقرر: أن العمل الإرهابى يعنى النشاط الذى ينطوى على فعل عنيف، يعرض الحياة الإنسانية للخطر، أو يتضح من مصدره أنه عاقد النية على تخويف المجتمع المدنى، أو إكراهه، أوالتأثير على سلوك الحكومة بالاغتيال أو الاختطاف دون أن يميز هذا القانون بين الإرهاب الدولى، والاعتداء، ولا بين الإرهاب والثأر، ولا بين الإرهاب والمقاومة المشروعة.

بينما يقررالكتيب المقدم لجيش الولايات المتحدة: أنه الاستخدام المحسوب للعنف - أو التهديد بالعنف - للحصول على مآرب سياسية، أو دينية، أو فكرية.

ولكن التحقيقات تقرر: أن الولايات المتحدة قد ابتدعت - بموجب معتقد ريجان - وسائل جديدة فى الإرهاب الدولى، حيث توظف بعض الدول أفرادا من الإرهابيين والمجرمين للقيام بأعمال عنف فى الخارج.

أما الولايات المتحدة فقد تميزت بتأسيس شبكة إرهاب دولى، وتأسيس مجموعة من الدول العميلة، والمرتزقة لكى تمول عملياتها الإرهابية، وتنفذها وفق توجيهات إدارة المخابرات الأمريكية مثل (الأرجنتين)، و(كوريا الجنوبية)، و(إسرائيل).

ولما أصدرت محكمة العدل الدولية - فى يونيو سنة ١٩٨٦ - حكمها بإدانة الولايات المتحدة لاستخدامها غير المشروع للقوة، ولشنها حربا اقتصادية، منافية للقانون.. قوبل هذا الحكم بالرفض، بحجة أنه حكم غير ملائم، صدر من محكمة معادية.

ولما قدم هذا الحكم إلى مجلس الأمن للمصادقة عليه.. استخدمت الولايات المتحدة حق (الفيتو)، حتى أصبح واضحا أن الولايات المتحدة دولة إرهابية، خارجة على القانون وتروج- بكل الوسائل - أن ليس لأى دولة الحق فى الدفاع عن نفسها ضد أى هجوم إرهابى تشنه الولايات المتحدة لأن المعتقد المفروض الذى لا يمكن تحديه: هو أن هجوم الولايات المتحدة على دولة إن هو إلا هجوم لحماية تلك الدولة من عدوان داخلى... كما أعلن صراحة عند هجومها على (فيتنام) الجنوبية.

وهذا يعنى: أن تأسيس جيش إرهابى لإخضاع مجتمع متمرد.. هو عمل

مشروع، وأن إرسال جيش الولايات المتحدة لمهاجمة (نيكاراجوا) هو مباشرة منها لحقها وليس أدل على ذلك من المناقشة التى نشبت حول الإبقاء على قوة إرهابية داخل (نيكاراجوا) بعد ما ألغى الكونجرس الأمريكى سنة ١٩٨٨ عملية الإمداد الضخمة للمخابرات الأمريكية.. هذه المناقشة التى أوضح فيها مسئول بوزارة الدفاع: أن «هذين الألفين من الرجال الأشداء بمقدورهم ممارسة بعض الضغط على حكومة (نيكاراجوا)، وإرغامها على استخدام مواردها الاقتصادية فى النواحى العسكرية والحيلولة دون حل مشاكلها الاقتصادية بالإضافة إلى أى شىء يفرض ضغطا على نظام (الساندنيستاز) يلفت الانتباه إلى فقدانها للديمقراطية، ويمنع (الساندنيستاز) من حل مشاكلها الاقتصادية... مما يعتبر ميزة إضافية.

وليس الكلام والمناقشات هى - وحدها - دليل الإرهاب الأمريكى، فالواقع الماثل يؤكد ذلك... ويكفى النظر إلى ما خلفته القوات التابعة للولايات المتحدة فى (نيكاراجوا) من مسلسل القتل، والاغتصاب، والتشويه، والاختطاف، والدمار.

ومن قبل.. تم ذبح عشرات الآلاف فى (السلفادور)، فيما وصفه رئيس الأساقفة فى عام ١٩٨٠ بأنه حرب إبادة، وقتل جماعى، ضد المجتمع المدنى الأعزل، بهدف القضاء على التجمعات الشعبية التى تدافع عن حقوقها الإنسانية الرئيسية.. حتى سيطر الترويع والخوف العام على مجتمع (السلفادور) مما اضطره إلى التسليم النفسى بالإرهاب والاستسلام العام لمشاهدة الجثث المنكل بها، حيث فقد المجتمع قيمة حق الحياة.

الإرهاب بين الأمريكيين والصهيونيين

ويرجع (تشومسكى) نظره فيما قبل ثمانينيات القرن العشرين فيرصد من فظائع الأحداث الإرهابية ما يمنح الولايات المتحدة جائزة التفوق فى أعمال الإرهاب الدولى بدون منافس، اللهم إلا ربيبتها إسرائيل التى أبت إلا أن تحذو حذو الولايات المتحدة بمثل عمليات القبضة الحديدية التى مارستها فى لبنان، وفى تونس، حتى استحقت بها عن جدارة جائزة الإرهاب الفردى الثانية حتى إذا كانت سنة ١٩٨٦ تمثلت أكبر حادثة إرهاب فردى فى قيام الولايات المتحدة بقصف ليبيا، ذلك القصف الذى حقق للولايات المتحدة مكانة بارزة فى مسابقة جائزة الإرهاب الدولى، بينما كانت تمارس نشاطها الإرهابى الجماعى فى أمريكا الوسطى، مما اضطر معه (الكونجرس) إلى الاستجابة لطلب المحكمة الدولية بوضع نهاية (للاستخدام غير

المشروع للقوة) واضطرت الإدارة الأمريكية إلى وصف مثل ذلك بأنه إعلان فعلى للحرب.

وعلى الرغم من أن بعض الجماعات الوطنية لا تمانع أن تطلق على مقاومتها المشروعة وصف الإرهاب.. نجد إسرائيل - وهى مصدر صناعة الإرهاب - تعد منظمة التحرير الفلسطينية جهة ملعونة داخل الولايات المتحدة حتى إن القانون الخاص الذى أصدره (الكونجرس) سنة ١٩٨٧ لمقاومة الإرهاب: يحظر على المواطنين الأمريكيين تلقى أى مساعدة، أو تمويل، أو أى شىء ذى قيمة من منظمة التحرير الفلسطينية، التى يحظر عليها إنشاء مكاتب أو منشآت أخرى تعزز مصالحها.

وبلغ حرص هؤلاء الإرهابيين على لغة التضليل والتخفى درجة جعلت النظام العنصرى لدولة (جنوب إفريقيا) يغضب غضبا شديدا من المؤتمرات الدولية التى تعنى بالإرهاب وخصوصا من القرار الرئيسى للجمعية العامة للأمم المتحدة الذى يدين الإرهاب الدولى، ويدعو كافة الدول إلى العمل على محاربة هذا الطاعون الفتاك، وإلى منح الشعوب الخاضعة للأنظمة الاستعمارية حق تقرير المصير، والحرية، والاستقلال.

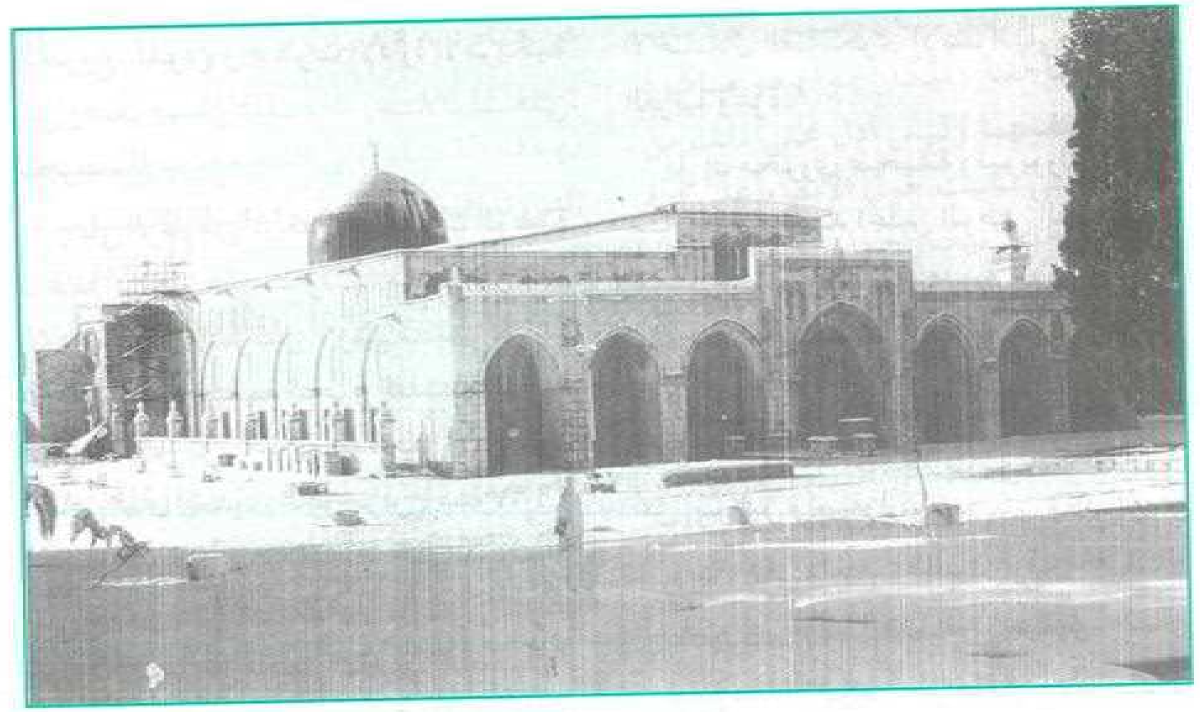
ولم يعترض على هذا القرار سوى الولايات المتحدة، وإسرائيل بحجة أن هذا القرار يسمح للمؤتمر الوطنى الإفريقى بأن يقاوم حليفتيهما الإفريقية الجنوبية، ويقاوم الاحتلال العسكرى الإسرائيلى للضفة الغربية وغزة.

بل إن محررى صحيفة (نيويورك تايمز) سخروا من تأييد المجلس الوطنى الفلسطينى للمؤتمرات الدولية المعنية بالإرهاب وفى مواجهة الانتفاضة الفلسطينية أعلنت الولايات المتحدة: أن الصراعات الداخلية التى تشهدها فى الأرض المحتلة تهدف إلى تقويض أمن إسرائيل واستقرارها.

وبناء على ذلك.. طالبت بوقف أعمال الشعب التى تراها إرهاباً ضد إسرائيل.

ومع هذا الإعلان.. تراها تلوح بأن إيقاف هذا الإرهاب الوحشى يساعد الولايات المتحدة على وضع حل للقضايا المثارة بالشكل الذى يكون مرضيا لها ولإسرائيل وإلا نفذت إسرائيل تهديدها بوحشية شديدة.

ولكى توقف الولايات المتحدة هذا، وتقضى على ذلك الطاعون - كما تسميه - فعليها أن تعمل بنصيحة الخبير المعنى بالإرهاب الذى دعته صحيفة (نيويورك تايمز) ليقدم أفكاره عن كيفية مقاومة هذا الطاعون، فقرر: أن الإرهابيين - وخصوصا قادتهم - يجب القضاء عليهم كما صنعت الولايات المتحدة بقصف ليبيا، وكما صنعت إسرائيل بقصف تونس، واجتياح لبنان، فإذا ما كان للعالم المتقدم أن يسود فعليه بالمزيد من مثل هذه العمليات.



القدس والجدار الفاصل

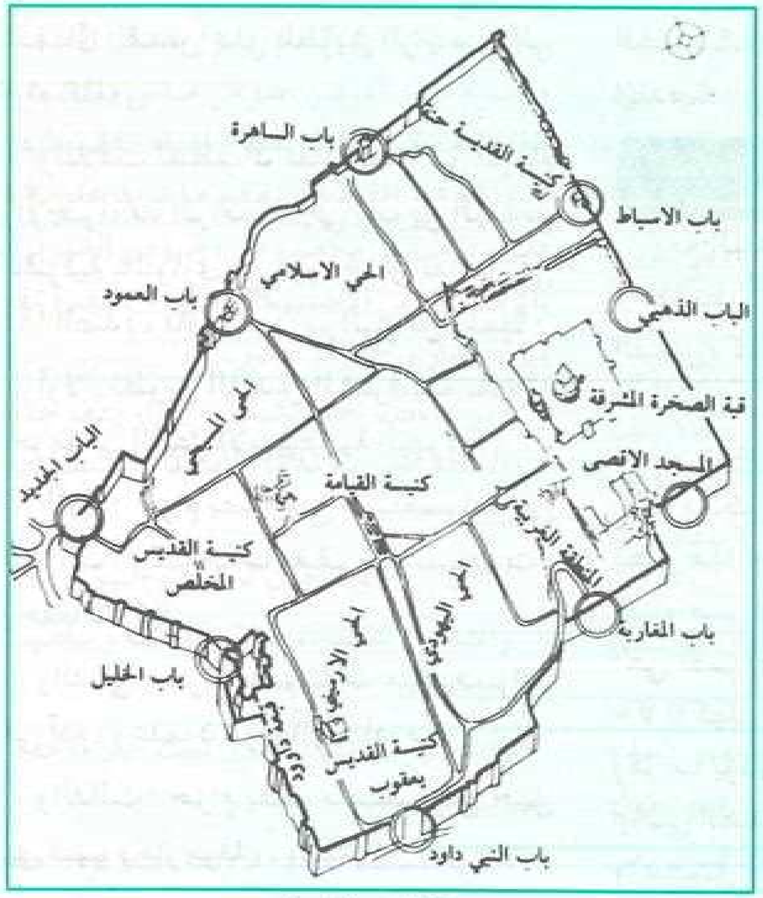
للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد

يعتبر الجدار الفاصل ـ الذى بدأت سلطات الاحتلال الإسرائيلى العمل فيه منذ السادس عشر من يونيو ٢٠٠٢ ـ جزءاً من خطة للفصل أحادى الجانب، تهدف إلى توسعة المنطقة الفاصلة بين فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ (إسرائيل) والضفة الغربية المحتلة عام ١٩٦٧، بما فيها القدس الشرقية، بدعوى منع أو تقليل العمليات الاستشهادية الفلسطينية داخل الخط الأخضر، بما يحمى أمن المواطن الإسرائيلى من ناحية، ويحافظ على أمن المستعمرات اليهودية القائمة فى المناطق الفلسطينية الأخرى من ناحية أخرى. والجدار على هذا النحو يسهم فى سلخ القدس الشرقية، من محيطها الفلسطينى فى الضفة الغربية وعزلها تماماً عنها لتكون هى والقدس الغربية، عاصمة يهودية موحدة، وأبدية لدولة الشعب اليهودى، وبذلك يلعب جدار القدس دوراً جوهرياً فى استكمال باقى حلقات تهويدها.

الأزهر

وتستند فكرة الجدار الفاصل إلى ثلاثة شعارات:

الأول: شعار «إسحق رابين» الانتخابى عام ١٩٩٢ القائل «نحن هنا، وهم هناك»، والثانى: شعار «رحبعام زئيفى» مؤسس «حزب موليدت» الداعى إلى تفريغ القدس من الفلسطينيين، لتصبح يهودية أرضاً وسكاناً وهو شعار مفاده «نحن هنا، وهم هناك، والسلام لإسرائيل»، وقد رفع هذا الشعار أثناء انتخابات ١٩٩٦ التى فاز فيها «بنيامين نتانياهو» برئاسة الحكومة.



مدينة القدس القديمة

والثالث: شعار «إيهود باراك»، رئيس الوزراء السابق، والذى لوّح به أثناء مفاوضات كامب ديفيد ٢٠٠٠، ومفاده «إن السياجات الجيدة تصنع جيراناً جيدين»، كما تأكدت فكرة جدار الفصل، مع اندلاع انتفاضة الأقصى فى الثامن والعشرين من سبتمبر ٢٠٠٠.

وفى هذا السياق، فإن الإسرائيليين يدركون أن كلمة «سور أو جدار» لاتحظى بتعاطف العالم، لذلك فهم يتحدثون الآن عن «جدار لإنقاذ الإسرائيليين الأبرياء»، وأن من حق إسرائيل الدفاع عن نفسها ضد الإرهاب الفلسطينى. وطبقاً للمخطط الإسرائيلى، فقد سعت الحكومة الإسرائيلية إلى فصل القدس الشرقية، وعزلها عن باقى الأراضى الفلسطينية فى الضفة الغربية، وهو المخطط الذى أخذت فى تنفيذه منذ الخامس من سبتمبر ٢٠٠١، وقد شمل عزل المناطق والقرى فى شمال غرب القدس وجنوبها الشرقى، ومن هنا حفرت قوات الاحتلال الإسرائيلى خنادق على طريق العيزرية والطور جنوب شرق القدس، ونصبت حواجز جديدة على جميع مداخل المدينة وشددت إجراءاتها الصارمة والتعسفية على حاجزى «جبع» و«قلنديه»

شمال القدس على الطريق الرئيسى إلى «رام الله».

واللافت للنظر أن ثمة عدداً من المهام والإجراءات الرامية إلى تطويق القدس الشرقية بالتوازى مع دور الجدار الفاصل فى هذا الصدد، قامت بها إسرائيل من أهمها:

أولاً: تطويق القدس الشرقية بثلاثة أحزمة من الكتل الاستيطانية اليهودية.

الأول: حزام يضم أربع مستعمرات هى عطروت، وكوخاف يعقوب وبسغوت، وجفعات زئيف.

والثانى: حزام يضم ثلاث مستعمرات هى آدم، وعلمون، ومعاليه. أدوميم.

والثالث: حزام يضم مستعمرتى جبل أبو غنيم (هارجوفا)، وجيلو.

وثانياً: ربط المستعمرات الاستيطانية اليهودية القائمة خارج القدس الشرقية بالأحياء اليهودية داخلها.

وثالثاً: ربط الحزام اليهودى المحيط بالقدس الشرقية، بالعمق اليهودى للقدس الغربية عبر عدة أنفاق.

ورابعاً: نشر البؤر الاستيطانية اليهودية داخل الأحياء السكنية الفلسطينية فى القدس الشرقية، وإسكانها بالمستوطنين اليهود.

وخامساً إغلاق جميع المؤسسات الرسمية الفلسطينية القائمة فى القدس الشرقية لتصفية وجودها فى المدينة المقدسة.

حاضن القدس

ومع البدء منذ يناير ٢٠٠٢ فى تنفيذ «خطة تطويق القدس» أو ما يسمى «حاضن القدس» كنواة لإقامة الجدار الفاصل حول المدينة الذى يعرف باسم «غلاف القدس» فإن الجدار يتوغل فى القدس لعمق يتجاوز العمق الذى يمكن أن يصله فى المدن الأخرى، إذ يصل هذا الجدار فى بعض المناطق إلى ٢٠ كيلو متراً، كما هو فى منطقة «سلفيت» التى تضم «منطقة غلاف القدس» وتمتد ١٧٠ كيلومتراً خارج حدود بلدية القدس، وهو ما يؤدى إلى ابتلاع ٢٠٪ من مساحة أراضى الضفة الغربية، وضمها إلى إسرائيل، واعتبار أكثر من ٢٥٠ ألف من السكان الفلسطينيين مجرد «غرباء» يُمنعون من التنقل بين قراهم، ومدنهم ولا يُسمح لهم بالتحرك إلا بموجب تصريحات يحصلون عليها من سلطات الاحتلال الإسرائيلى مسبقاً، وفى هذا السياق، سيتم بناء سور فى شرق مدينة القدس يفصلها عن محيطها العربى تماماً، مع إقامة سور فى بيت لحم حول قبر «راحيل» زوجة سيدنا يعقوب. وقد بلغ الجزء الأول من الجدار فى شمال الضفة الغربية ١١٥ كيلومتراً، وتكلف ٢٥٠ مليون دولار، وقد عزل هذا الجزء مدن جنين ونابلس، وطولكرم، وقلقيلية عن الأرض التى احتلتها إسرائيل عام ١٩٤٨، ولا يتفق

مسار هذا الجدار مع خط هدنة ١٩٤٩ (الخط الأخضر)، كما لايتفق أيضاً مع خط حدود يونيو ١٩٦٧.

ويبعد الجدار عن شرق الخط الأخضر بما يتراوح بين ٣ إلى ٤ كيلومترات، وفى بعض قطاعاته ٢٠ كيلومتراً.

وقد ترتب على استكمال الجزء الأول من الجدار، اغتصاب ما بين ١٦٠ إلى ١٨٠ ألف دونم من الضفة الغربية وحدها، كما بدأت قوات الاحتلال المرحلة الثانية لاستكمال أسوارها الأمنية، بإنشاء سورين يمتدان من الشرق للغرب، أحدهما شمال الضفة الغربية والآخر جنوبها للربط بين نهايتى السورين الشرقى والغربى، وانتظار البدء أيضاً فى تنفيذ السور الشرقى على طول وادى الأردن، واستكمال القطاع الجنوبى من السور الغربى.

سرقة الأرض والمياه

وفى هذا المقام أكد الخبير الدولى الكندى «مارك زيتون» أن الجدار الفاصل الذى أنشأته إسرائيل فى الضفة الغربية ليس وسيلة لسرقة الأراضى الزراعية الفلسطينية فحسب، بل أيضاً لسرقة المياه الفلسطينية فى المناطق التى يمر بها الجدار.

ويُذكر فى هذا الشأن أن التوسع الاستيطانى والجدار الفاصل يكملان سيطرة إسرائيل على نحو ٩٠٪ من مصادر المياه فى الضفة الغربية إذ أن تكتل أرئيل الاستيطانى يمتد بعمق ٤٤ كيلو متراً شمال الضفة، ويقوم على أكبر حوض مائى بالضفة الغربية، كما يتأثر قطاع المياه الفلسطينى ببناء الجدار الفاصل، بفقد ما يزيد على ١٢ مليون متر مكعب فى الحوض الغربى، بالإضافة إلى الاستيلاء على ٤٠ بئراً تقع بين الجدار والخط الأخضر.

ومن جانب آخر يشكل الجدار بتعرجاته فى الضفة الغربية ثلاثة كانتونات فلسطينية رئيسية:

الأول: كانتون حول نابلس وجنين.

والثانى: كانتون حول رام الله وسلفيت شمال القدس.

والثالث: كانتون حول بيت لحم والخليل جنوب القدس.

أما بالنسبة لوادى الأردن، فلا تزال هذه المرحلة من الجدار الفاصل تنتظر قراراً إسرائيلياً بشأن مسار الجدار على طول نهر الأردن، الذى سيطوق هذه الكانتونات من الشرق، فى حين ستترك مدينة «إريحا» تشكل هى الأخرى «كانتوناً إضافياً مصغراً».

ومن الناحية العملية فقد أوصى «شارون» الحكومة بالتصديق على ثلث مسار الجدار، ومقطعين بطول عشرة كيلومترات شمالى القدس، وعشرة أخرى جنوبها من بين ٥٦ كيلومتراً مقررة لتطويق القدس الشرقية، ويبلغ مسار الجدار ككل ٦٠٠ كيلومتر تقريباً، صدَّقت الحكومة على إقامة جدار بطول ٤٠٠ كيلومتر، أقيم منه بالفعل

٢٠٠ كيلومتر، وقد بلغت التكلفة الإجمالية المقررة للمشروع برمته ١,٥ مليار دولار، كما بلغت تكلفة الكيلومتر الواحد من الجدار ١٠ ملايين شيكل أى ما يزيد على مليونى دولار.

ويقوم الجدار الفاصل على أساس المبدأ القائل «ضم أكبر عدد من الإسرائيليين، وأقل عدد من الفلسطينيين فى الجانب الإسرائيلى» ويمكن تقسيم الجدار إلى جزءين رئيسيين:

الأول: الجدار الذى يطوق القدس والمعروف باسم «غلاف القدس».

والثانى: هو الجدار الرئيسى الذى يمتد على طول الضفة الغربية شمالها وغربها وجنوبها.

ولقد تم تحديد مسار الجدار الفاصل ليشمل معظم التجمعات الاستيطانية اليهودية القريبة من الخط الأخضر، كما يشمل أيضاً مناطق أخرى بعيدة نسبياً.

وبهذا يضم هذا الجدار بعد بنائه نحو ٥٤ مستعمرة إلى الغرب منه بالإضافة إلى ١٢ مستعمرة فى شرقى القدس.

ويتكون الجدار الفاصل أولاً من:ـ

أولا: أسلاك شائكة لولبية، تعتبر أول عائق فى الجدار من الناحية الشرقية.

وثانيا: خندق بعرض ٤ أمتار، وعمق ٥ أمتار، يلى مباشرة الأسلاك الشائكة.

وثالثا: شارع مسفلت، عرضه ١٢ متراً، يخدم دوريات المرور فى عمليات المراقبة والاستطلاع.

ورابعا: شارع مغطى بالتراب والرمل، عرضه ٤ أمتار لكشف آثار المتسللين، يتم تمشيطه مرتين يومياً، فى الصباح والمساء.

وخامسا: جدار أسمنتى، يعلوه سياج معدنى إلكترونى، وكاميرات، وأضواء كاشفة.

ويختلف هذا الجدار الأسمنتى من قطاع إلى آخر، حيث يتراوح ارتفاعه من متر إلى ٨ أمتار، ويهدف هذا الجدار إلى حجب الرؤية على الجانب الآخر الفلسطينى.

ويلى الجدار الأسمنتى شارع ترابى ورملى، ثم شارع مسفلت، يليهما خندق مماثل للخندق الأول، ثم أسلاك شائكة لولبية، ولقد بدأت المرحلة «أ» من الجدار الفاصل، فى السادس عشر من يونيو ٢٠٠٢، ويمتد من قرية «سالم» فى قضاء جنين الشمالى، إلى «إلكانا» جنوبى قلقيلية، بموازاة الخط الأخضر، بالإضافة إلى قطاع يمتد ٢٢ كيلومتراً حول القدس الشرقية، ثم أعطت حكومة شارون الموافقة على بدء المرحلة «ب» من الجدار العازل، فى يناير ٢٠٠٣، على طول ٤٥ كيلومتراً على امتداد الحدود الشمالية لمحافظة جنين، من حاجز تفتيش سالم شرقاً إلى قرية «فقوعة».

من هنا بادرت حكومة شارون فى تنفيذ

هذه المرحلة على أساس مبدأ «أن الأرض والأمن للإسرائيليين عبر الجدار الفاصل» وبعد ذلك نُشر مخطط المرحلتين «ج» و«د» من الجدار فى مارس ٢٠٠٣.

عزل الفلسطينيين عن القدس

ولاحظ المراقبون أنه بينما كانت المرحلتان «أ» و«ب» تتوغلان على مسافة ٦ كيلومترات من الخط الأخضر، توغلت المرحلة «ج» من الجدار إلى منتصف الضفة الغربية ليضم مستعمرتى كيدوميم، وأرئيل داخل الجانب الإسرائيلى، ويتردد مؤخراً أنه تم تعديل مسار الجدار، ليُخرج (أرئيل) من إطاره، كما ابتلعت المرحلة «د» من الجدار أجزاء واسعة من محافظتى بيت لحم والخليل جنوبى القدس الشرقية.

وما يجب التأكيد عليه أن الجدار الذى يطوق القدس الشرقية، سيعبر حيين فلسطينيين، تاركاً أكثر من ٥٠ ألف فلسطينى من سكان المدينة المقدسة على جانب الضفة الغربية منفصلاً بذلك عن باقى سكان القدس، بالإضافة إلى عزل آلاف الفلسطينيين فى القدس الشرقية خلف جدار القدس، وفوق ذلك سيضم جدار القدس ٥٥ ألفاً من سكان ضواحى القدس الشرقية فى مناطق مُطوقة بالجدار إلى الجانب الإسرائيلى، خصوصاً قرى بيرنبالا، والجيب، وبيت حنينا، وجديرة، وقلندية، والرام، وحزمة، وعناتا، ومخيم شعفاط.

وعلى ذلك لن تنقطع صلة هذه القرى بالمدينة المقدسة فقط، بل ستنقطع أيضاً عن مدن كبيرة مثل رام الله شمالى القدس، والخليل جنوبها، وسيفصل هذا الجدار القدس، عن ضواحيها الشرقية مباشرة فى «أبوديس» و«العيزرية»، و«الشيخ سعد»، و«السواحرة»، التى ستتحول إلى كانتونات، بينما كفر عقاب فى شمال الحدود البلدية للقدس الشرقية ستتحول إلى كانتون آخر.

وفى ضوء ذلك يمكن القول بإن جدار القدس سوف يقتطع ما يقرب من ١٠٠ ألف فلسطينى من نسيج مدينة القدس الشرقية، بعضهم داخل الجدار الذى يطوق القدس، والبعض الآخر يبقى خارجه، فعلى سبيل المثال نجد أن الجدار يقسم «السواحرة» إلى جزءين، جزء منها شرق الجدار «السواحرة الشرقية» والجزء الآخر غرب الجدار «السواحرة الغربية»، والأسوأ من ذلك نجد حوالى ١٥٠ ألف فلسطينى يحملون هويات القدس، ويقيمون فى كفر عقاب، وقلندية داخل الجدار، أصبحوا منقطعى الصلة عن أهليهم وأقاربهم خارج الجدار.

تطهير ديموجرافى

ويرى المراقبون أن هذا الجدار المطوق للقدس الشرقية يفسح المجال لمطامع إسرائيل لابتلاع مزيد من الأرض، فبينما لا تضم المستعمرات اليهودية سوى ١,٧٪ من مساحة الضفة الغربية، فإن الجدار المطوق

للقدس يحتل مساحة تعادل ٣٠ ضعف هذه النسبة، مما يتيح مجالاً واسعاً أمام إسرائيل للتوسع. ويصف «إيلان بابه» أحد المؤرخين الجدد فى إسرائيل، وضع ١٠٠ ألف فلسطينى سيضمهم جدار القدس إلى الجانب الإسرائيلى، بصفة «عائدين غير شرعيين»، وهو ما يتخوف منه الفلسطينيون، من أن يؤدى هذا الجدار إلى عملية «تطهير ديموجرافى» لهم فى الضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية، حيث يصبح فيها اليهود أغلبية.

سجناء خلف الجدار

ويتحدث المحلل العسكرى «زئيف شيف» حول آثار الجدار السلبية على الفلسطينيين، فى مقال له بجريدة «هاآرتس» فى ٥ / ١٢ / ٢٠٠٣ فيقول: «وما أن يستكمل الجدار بناءه، فإنه سيبعد «حل الدولتين» أكثر فأكثر، ويتحول إلى مسألة غير ممكنة»، ويضيف «زيف» قوله: «إن الفلسطينيين سيتحولون إلى سجناء فى جيتوات خلف الجدار، بينما يواصل الإسرائيليون البقاء على جانبى الجدار. فالجدار لا يفصل بين اليهود والفلسطينيين فقط، وإنما بين الفلسطينيين والفلسطينيين أيضاً».

ويكشف «زئيف شيف» أهداف إسرائيل من الجدار فيقول: «إذا كانت إسرائيل معنية بجدار أمنى، يوفر لها الحماية من الإرهاب، فالحل بسيط جداً، لقد كان عليها أن تضع هذا الجدار على طول الخط الأخضر، بدون انحرافات، أما إذا كانت تريد الفصل، فالحل أيضاً بسيط جداً، فعليها أن تخلى المستوطنات» وهكذا يكشف المحلل الإسرائيلى أهداف إسرائيل للحصول على مزيد من الأرض، وحصار الفلسطينيين فى كانتونات، ومعازل، وحتى يرغمونهم على الهجرة القسرية بعد أن تحوّل حياتهم إلى جحيم لا يطاق. ويرى البعض أنه إلى جوار التهجير القسرى (الترانسفير) للفلسطينيين، فإن الجدار الفاصل يقوم بنوع آخر من التهجير، هو المحو البصرى، والمكانى للسكان الفلسطينيين الخاضعين للاحتلال الإسرائيلى. ومن جانب آخر فقد صدر أمر عسكرى إسرائيلى فى أكتوبر ٢٠٠٣، يقضى بأن الأراضى الفلسطينية الواقعة بين الجدار الأمنى (الجدار الفاصل) وحدود إسرائيل، تعتبر منطقة مغلقة، كما يدعو الفلسطينيين الذين ينطبق عليهم الأمر العسكرى، أن يبادروا بطلب الحصول من السلطات الإسرائيلية، على إذن بالعيش فى منازلهم، وزراعة أراضيهم، والذهاب إلى مستشفياتهم، ومدارسهم، وأسواقهم، مما يدل على ممارسة الضغوط على أصحاب الأرض الفلسطينيين، ليتركوها طواعية، فيما تسميه إسرائيل «تطهير ديموجرافى».

المحكمة الإسرائيلية ترفض الجدار

واللافت للنظر أنه على الرغم من قرار محكمة العدل الدولية فى لاهاى فى ٩ يوليو ٢٠٠٤ باعتبار الجدار الفاصل «غير شرعى»، وأنه يجب وقف العمل به، وهدم ما تم بناؤه فإن إسرائيل تجاهلت هذا القرار، ولم تعترف به، وأعلن شارون موافقته على استكمال الجدار الفاصل فى منطقة القدس الشرقية فى جلسة مجلس الوزراء الإسرائيلى المنعقدة فى ١٠ يوليو ٢٠٠٥، على أن تنتهى عمليات البناء فى سبتمبر ٢٠٠٥، متحدياً بذلك أيضاً قرار محكمة العدل العليا الإسرائيلية الصادر فى ٣٠ يونيو ٢٠٠٤، الذى أكد أن الضرر الناجم عن الجدار الفاصل لا يقتصر على أراضى السكان أو على إمكان وصولهم إليها، إذ أن مداه أوسع كثيراً، فهو يلحق الضرر بنسيج حياة السكان بأسرهم، وأن جدار الفصل فى كثير من الأماكن مثل «بيت سوريك» يحيط بالقرية من الغرب والجنوب والشرق، ويعوق الجدار مباشرة وصول السكان الفلسطينيين المحليين إلى المراكز الحضرية مثل «بيرنبالا»، و«رام الله»، وقد طالب القرار السلطات الإسرائيلية المعنية بإقامة الجدار (القائد العسكرى) أن توازن بين حاجات الأمن وحاجات السكان المحليين، وتعويضهم مالياً فى حال عدم وجود بديل للأراضى التى ابتلعها الجدار.

جيتــــو

وفى الختام يمكن القول بأن بناء الجدار الفاصل يتعارض مع قرار كل من محكمة العدل العليا الإسرائيلية وأيضاً قرار محكمة العدل الدولية فى لاهاى، ويعمل على تقطيع أوصال الضفة الغربية، والاستيلاء على أراضيها، وتهويد القدس الشرقية، وتفريغها من الفلسطينيين، وتحويلها إلى مدينة يهودية أرضاً وسكاناً، ويبدو أن إسرائيل، فى ظل هذا الجدار العنصرى عازمة على فرض «حياة الجيتو» على الفلسطينيين أصحاب الأرض الشرعيين بتحويل الضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية إلى كانتونات (معازل) منفصلة لا يربطها رابط جغرافى يجعل فيها وحدة جغرافية متماسكة تصلح لإقامة دول فلسطينية قادرة على الحياة.

غير أن الحقيقة التى لا يمكن إنكارها أن إسرائيل بهذا الجدار الفاصل، تصنع لنفسها «جيتو أكبر» تحتمى فيه من الفلسطينيين سكان الأرض وأصحابها الحقيقيين، الذين اغتصبت أرضهم وأملاكهم، وديارهم. ومع ذلك فلن ييأس الفلسطينيون، ولن يفقدوا الأمل فى استرداد ما اغتصب، مهما تجبر الباطل واستطال، واغتر بقوته، وظن أنه على كل شىء قدير، وستظل القدس، رغم القيود التى تكبلها، والجدر التى تطوقها من كل جانب، عربية قلباً وقالباً، سكاناً وأرضاً، ثقافة وحضارة.

إنسان الاستخلاف .. وسماته الحضارية

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

إن مبدأ الاستخلاف الذى يطرحه الإسلام بحاجة ماسة إلى ترسيخ مفهومه الصحيح فى بؤرة اهتمام المسلمين، باعتباره واحداً من المبادئ الإسلامية الحاكمة التى يرفدها العلم والعمل معاً ليمكنا لها فى الأرض.

فالخليفة هو الذى يحكم قبضته على كل ما يقع فى دائرة ملكه. وليس الخليفة من لا يقدر على استغلال الموجودات المسخرة للإنسان من خالقها وبارئها..

لقد أولى الإسلام الحنيف - إسلام القرآن الكريم والسنّة النبوية المشرفة - عناية فائقة إلى الإنسان، وميزه الله - تعالى - وفضله وكرمه على كثير من خلقه عندما استخلفه، وشرفه على الملائكة بما اختصه من علم أسماء كل شىء دونهم.

قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾

(سورة البقرة: ٣٠-٣٣)

وقد جاء فى تفسير هذه الآية الكريمة أن الله - تعالى - أظهر فضل آدم بتعليمه ما لم تعلمه الملائكة، وخصه بالمعرفة التامة دونهم، ومنحه من الوسائل والمَلَكات ما يساعده على الإدراك الصحيح لحقائق الموجودات، ويمكنه من العلم الذى ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب، ولا يقاربه إمكان الغلط والوهم. ولا شك أن الإحسان إلى

الأصل إحسان إلى الفرع، والنعمة على الآباء نعمة على الأبناء، قال - تعالى -:

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾

(سورة الأنعام: ١٦٥)

كذلك كرم الله - تعالى - الإنسان بأن خلقه فى أحسن تقويم، وجعله فى أبهى صورة، قال - تعالى -:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾

(سورة التين: ٤)

وقال - سبحانه وتعالى -:

﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾

(سورة التغابن: ٣)

ومن بديع صنع الله فى خلق الإنسان وتقويمه إياه، أن أهله لما أراده له من مكان كريم خليفة له فى أرضه، وميزه فى الخلق بدماغه الراقى ولسانه الناطق ويده الصنّاع، واجتماع هذه المزايا الثلاث قد مكّن الإنسان من النقش والحفر والكتابة، ثم تسجيل حضاراته بالوسائل المتتابعة التطور، وهذا هو الذى جعل الحضارة الإنسانية تراكمية نامية، لا تعتمد على مجرد النقل والتأسى والتقليد من فرد إلى فرد.

أيضاً، ميز الله الإنسان بالعلم المكتسب بعد الولادة، والمتزايد دائماً من خلال عملية تصحيح مستمرة لمسيرته، وصولاً إلى كشف الحقائق المنبثة فى الآفاق وفى الأنفس. قال - تعالى -:

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(سورة النحل: ٧٨)

وقال:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

(سورة فصلت: ٥٣)

وقال:

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

(سورة طه: ١١٤)

وقال:

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾

(سورة يوسف: ٧٦)

كما ميز الله الإنسان بالقدرة على التعبير والإبانة والمحاورة بلسان فصيح. قال - تعالى -:

﴿ الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

(سورة الرحمن: ١-٤)

وفوق ذلك كله كرم الله الإنسان بأن نفخ فيه من روحه، فاستحق أن تنحنى له الملائكة إجلالاً وإكباراً لمقدمه بأمر الله، كما قال ـ تعالى ـ لملائكته:

﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾

(سورة ص: ٧١-٧٢)

وهذا العنصر المجهول الكُنْه:

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾

(سورة الإسراء: ٨٥)

يبدو أنه أعلى عناصر تكوين الإنسان، وأنه منطوٍ على قابليات عظيمة للسموّ والارتفاع فى معارج الرُقِىّ النفسى. وهذا اللفظ نفسه «الروح» أُطلِقَ على المَلَكْ المُقرَّب «جبريل» ـ عليه السلام ـ.

هذه بعض لمحات من سمات إنسان الاستخلاف الذى كرمه الله تعالى فى شخص آدم ـ عليه السلام ـ، وأعلن كرامة البشر كافة حين قال:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

(سورة الإسراء: ٧٠)

الطاقات الكونية مهيأة للإنسان

وهذا كله يثبت أن الإنسان نوع متفرد ومتميز عن سائر المخلوقات، لأنها لم تُكلَّف ما كُلِّفَهُ من عمارة الأرض وخلافة الله فيها. ولهذا عرض الله الكون على الإنسان، من خلال كتابه الكريم، ليتأمله بعقله، ويتعرف على أسراره وظواهره ونواميسه، كما عرضه على حواسه وجوارحه لينتفع بكل ما سخره الله له فى ظل النظرة الإيمانية المستقصية التى تُتَوِّج التأمل والانتفاع معاً. وتربطه فى الحالتين بالإله الخالق المُنْعِم الذى سخر له الكون فى المجالين وأَقْدَرَهُ على النشاطين: النظرى التأملى، والعملى التطبيقى ليستخدمهما فى ما يعود عليه بالخير والسعادة، كرامة من الله له، ونعمة منه عليه. قال ـ تعالى ـ:

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾

(سورة لقمان: ٢٠)

وقال:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(سورة الجاثية: ١٣)

وهذا يعنى أن الطاقات الكونية كلها مهيأة للإنسان، لا يستعصى شىء منها عليه إذا تيسرت سبله، وعليه أن يبذل جهده ويعمل فكره فى فتح مغاليقها، والكشف عن أسرارها.

بيان وإعجاز

ويبلغ التعبير القرآنى قمة البيان والإعجاز فى وصف هذه الحال التى يكون عليها الكون مسخراً للخدمة الدائبة المستمرة، باعتباره مذللاً لإرادة الخالق ـ جلَّ وعلا ـ ومطوعاً لعمل الإنسان فيه، وهذا يعنى تأكيد القرآن الكريم بدرجة متساوية على «التسخير» و«التفكر»، كأنهما وجهين لعملة واحدة، فى إشارة إلى اكتساب مهارة الإفادة مما فى السماوات والأرض استناداً إلى معرفة علمية سليمة، وهو ما نعبر عنه فى لغتنا المعاصرة بثنائية «العلم ـ التكنولوجيا». ويضرب القرآن الكريم لنا المثل بداود وسُلَيْمان ـ عليهما السلام ـ عندما تمت لهما السيطرة على التكنولوجيا المعروفة فى عصرهما. قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ﴾

(سورة سبأ: ١٠، ١١)

وجاء فى التفسير أن داود ـ عليه السلام ـ كان ـ بعد أن ألان الله له الحديد ـ يصنع الدروع من صفائح رقيقة تجمع بين الخفة والتحصين على القصد وقدر الحاجة. ويذكر القرآن الكريم فى موضع آخر بقصة ذى القرنين الذى بنى خطوط دفاعه من «زُبَر الحديد»، قال ـ تعالى ـ:

﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴾

(سورة الكهف: ٩٦)

والزُبَر جمع زُبْرة، وهى القطعة الضخمة من الحديد. ومثل هذه الأعمال كانت تقنيات متقدمة فى عصورها، والقرآن الكريم لا يقص علينا القصص إلا ليضرب للناس مثلاً يُحتَذى من أجل بناء المستقبل:

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(سورة الحشر: ٢١)

عظمة الإنسان المستخلف

على أن إنسان الاستخلاف مُطالَب، فى مقابل كل هذه النعم التى منحها الله ـ تعالى ـ إياه بأن يتحمل المسئولية كاملة بعد أن زوده الله أيضاً من الصفات والخصائص ما يُمكِّنُه من تغيير الواقع والمشاركة الحرة فى الاختيار. فهذه سلطة عظيمة تستلزم المسئولية أمام مانحها

بقدر ما أعطى من القدرة. وإذا كانت آيات القرآن الكريم التى تحث إنسان الاستخلاف فى سعيه لكسب رزقه، على توجيه طاقته العقلية «الفكرية» والجسدية «العملية» لإعمار الأرض التى يعيش عليها، واستخراج خيراتها وكنوزها للاستفادة منها ـ إذا كانت هذه الآيات الكريمة قد حَرِصَتْ على نسبة الخلق لله الواحد، وتعداد نعمه على بنى البشر، فإنها قد حرصت كذلك على بيان أن هذا الخلق الإلهى كان لمصلحتهم، وأنه مجرد وسيلة لا فضل لهم فى إيجادها، وأن عليهم أن يكدحوا ويجتهدوا لينعموا بثمارعملهم. وربما كانت أكثر الكلمات لفتاً للنظر فى هذا السياق كلمات «العمل» و«الصنع» و«الاستعمار» (أى طلب العمران)، و«إثارة الأرض» التى تتوقف كلية على فعل الإنسان واجتهاده، بالإضافة إلى كلمات مثل: «الأرض» و«البحر» و«النهر» التى إن توقف وجودها وتسخيرها على القدرة الإلهية فهى ـ فى الوقت نفسه ـ موضع التنافس بين البشر لاستغلالها والاستفادة منها، ولا تتحقق الحكمة من خلقها وتذليلها إلا بذلك. ولهذا فإن تحقيق أمانة الاستخلاف، التى أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها ـ يستوجب المعرفة التامة بموجباتها وشروطها ووسائلها ومنهجياتها، نظراً لارتباطها الوثيق بطبيعة البناء الحضارى المتوازن والمتواصل.

وهكذا يتضح أن عظمة الإنسان ورفعته تتجليان فى معرفته لحقيقته، وفى استشعاره، واستحضاره اليقظ لموقعه من الوجود، وهو أنه مستخلف فى الكون ممن خلقه وخلق الكون، فيكون الكون بذلك فى مقام الوسيلة التى يحقق بها الإنسان غاية وجوده، فإن استشعر افتقاره لخالقه وحاجته إلى عبوديته ورعايته واستمداد سلطانه منه، كان فى أرفع مكانة من الوعى وأعلى درجة من الأخلاق. ذلك أن التوحيد الخالص هو أول الثوابت الإيمانية التى تمثل نقطة الانطلاق فى التفكير السليم، وحجر الزاوية فى توجيه رؤية الإنسان الصائبة لحقائق الحياة والفكر والوجود. أما إذا استغنى عن خالقه ولجأ إلى العبودية المذلة للطبيعة أو لجزء منها، أو لفرد أو لطبقة من البشر كأصحاب المال والسلطة، أو لمفاهيم مبتدعة تنسب إلى العلم أو العقل أو الغريزة أو العدم، فإنه يكون قد انتهى إلى التجاوز والطغيان اللذين يقودان إلى القلق والاضطراب، وذلك مآل الحضارات التى يشيدها الإنسان بمعزل عن القيم الإيمانية الهادية، فينتهى بها الحال إلى الدمار والهلاك.

الحضارة المثلى

هذه هى نظرة الإسلام الشاملة المحيطة لماهِيَّة الإنسان، والنافذة إلى أغوار طبيعته، والموازنة لكل جوانبه وخصائصه. ومن ثم فإنها تفسح له المجال للارتقاء المتوازن فى معارج الرُّقِىّ ليُشَيِّد الحضارة المُثْلَى فى حياة البشر، ويحرز التقدم الذى تتحقق به السعادة القُصْوَى فى الدارين. ومن الجدير بالذكر أن هذا التصور الإسلامى الحضارى لا يقتصر ـ بطبيعة الحال ـ على الإنسان الفرد، بل يمتد ليُصَوِّر الإنسان فى تجلياته الجماعية على مستويات الأسرة والجماعة، والدولة والأمة، وعلى مستوى البشرية كلها. ومن هنا يتحرك المنظور الإسلامى الحضارى فى مختلف المجالات ليفرز قِيَماً تتواءم مع سمات الإنسان المستخلف، فيكون قوام الحكم ـ فى المجال السياسى مثلاً ـ قوله ـ تعالى ـ لنبيه الملك داود ـ عليه السلام ـ:

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾

(سورة ص: ٢٦)

وإذا لم يُقَدِّر الإنسان نِعَم الله عليه حق قدرها، فيحمده عليها ويرعاها، انقاد إلى نوازع الشر ووسوسة الشيطان. بيد أن الله وهبه العقل الذى يميز به الخير من الشر، وهداه النَّجْدَيْن، وأرسل إليه الرُّسل، فإن هو أفلح فى التمسك بجوهره الكريم أصبح من الذين استثناهم الله من التردِّى إلى أسفل سافلين، وفاز فوزاً عظيماً.

تنويه

وقع فى العدد السابق بمقال «المرأة بين غلواء المادية ورحمة الإسلام» خطأ غير مقصود فى اسم المرحوم «محمد حسن العشماوى» باشا وزير المعارف سابقا.

لذا وجب التنويه

مواقف إسلامية

وفى الإسراء دروس.. تصلح بها النفوس

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

فى سورة «النحل» تفصيل لمراحل العناء التى تلقاها الرسول ﷺ :

الأولى : تكذيب القوم بالرسول ﷺ .

وذلك قوله عز وجل :

﴿ ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون ﴾

النحل ١١٣

فقد جاءهم الهدى يدق عليهم الباب.. ولم يكلفوا عناء البحث عنه، وجاء على لسان صاحبهم، من دمهم ولحمهم.. الذى يعرفهم ويعرفونه بحكم هذه الزمالة.

ثم هو رسول : مبلغ... فكان رد الفعل هو : التكذيب، الذى صاروا به أهلا لعذاب لم ينزل فقط بساحتهم. ولكنه «أخذهم» فلم يبق لهم على أثر بعد ما كانوا ملء السمع والبصر.

والثانية :أنهم كذبوا بالرسالة : وذلك ما يشير إليه قوله عز وجل :

﴿ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ﴾

النحل/ ٢٤

﴿ ماذا أنزل ربكم ﴾

الذى تتقلبون فى نعمه

﴿ قالوا أساطير الأولين ﴾

متجاهلين أنهم الذين يوقنون بصدق «صاحبهم» ومع ذلك يفضلون التكذيب وكان بإمكانهم أن يسكتوا على الأقل.

وثالثة الأثافى هى : تكذيبهم للمرسل سبحانه وتعالى : وذلك قوله عز وجل

﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ﴾

النحل (٣٨)

بل يفترون على الله الكذب حين يزعمون أن شركهم من صنع الله ـ عز وجل ـ ولولا أنه أراده لهم ما أشركوا.

وذلك قوله عز وجل :

﴿ وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شىء ﴾

النحل (٣٥)

ابتلاء الأنبياء

وعلى كثرة ما يحتشد فى الذاكرة من أحداث لكن هذه المواقف الصعبة تظل ماثلة فى الذهن، وقد تغيب عن ناظرك لكنها تستمر سابحة فى خاطرك، مؤكدة سنة الله ـ تعالى ـ فى الابتلاء الذى يكون على قدر دين المبتلى.

ولما كان ﷺ خاتم الأنبياء فقد كان البلاء واسعا وعميقا مؤكدا سنة من سننه ـ عز وجل ـ وهى : عند انسداد الفرج.. يجئ الفرج! ولو كان العسر فى جحر لدخل عليه اليسر.. ثم أخرجه! وهكذا: إذا المصائب توالت.. تولت!

وجاء الفرج

ولقد جاءت سورة «الإسراء» عقيب سورة «النحل» طليعة الفرج القريب، لتأخذ سبيلها إلى العقول يقينا وإلى القلوب.. حبا، وباليقين والحب كان الإسراء والمعراج

فى مشهد : غير مسبوق ولا ملحوق :

فكان ﷺ إماما فى لحظات جمع فيها الزمان.

وفى أطهر مكان قد يهون العمر إلا لحظة وتضيق الأرض إلا موضعا

ثمن الفرج

وقد كان لهذا الفرج ثمنه عندما سكنت النفس تحت مجارى الأقدار، فإن قتل الصبر صاحبه مات شهيدا.. وإن أبقى عليه كان سعيدا.

شاهد من القرآن

وأى شيء أكبر شهادة ؟

إنه القرآن الذى مكن لهذه الحقيقة فى قلوب المؤمنين الصابرين وهي أن العاقبة للصابرين : يقول عز وجل :

﴿ سيجعل الله بعد عسر يسرا ﴾

الطلاق / ٧

إنه الفرج والفرج القريب بدليل التعبير بالسين ﴿ سيجعل ﴾ وليس بـ«سوف».

ثم يقول عز وجل :

﴿ فإن مع العسر يسرا ۞ إن مع العسر يسرا ﴾

الشرح، ٥، ٦

ولن يغلب عسر يسرين !!

وشاهد من التاريخ

لقد امتحن يوسف ـ عليه السلام :

من الجب.. إلى القصر.. ثم إلى السجن.. ثم وفى النهاية ماذا حدث؟

كان الأمر على ما يقول الشاعر:
وما هذه الأيام إلا منازل.

فمن منزل رحب.. إلى منزل ضنك
أما فى نبى الله يوسف أسوة
لمثلك.. محبوس عن الظلم والإفك
أقام جميل الصبر فى السجن برهة
فآل به الصبر الجميل إلى الملك

ولقد كانوا يقولون:

طبعت على كدر.. وأنت تريدها
صفوا من الأكدار والأقذار
ذلك ما لا يكون!
تطلب الراحة فى دار العنا؟!
ضل من يطلب ما لا يكون!

وإذا كان الانسان يطلب فى الدنيا ما لا يدركه.. فكيف مع الآخرة يدرك ما لا يطلبه؟

وقد كان لهم فى التعامل مع البلاء منهج رشيد كان أحدهم إذا ابتلى.. واشتدت عليه وطأة البلاء تذكر عندئذ ذنوبه، فهان عليه ما يلاقيه!

لقد كان من حكمة الله - عز وجل - أن يسلط الألم على الإنسان.. ولكنه برحمته سلط الزمن على هذا الألم.. فكأن شيئا لم يكن. فإذا المبتلى فى نعمتين: نعمة النسيان.. أو التناسى.. ثم نعمة الأمل فى فرج قريب

من دروس الدعوة

أ - إن أظلم ساعات الليل هى التى تكون قبيل بزوغ الفجر، وهكذا كان الاسراء، والمعراج، ذلك الفجر الصادق:

ومن خلال تلال اليأس يشرق الأمل ومن غشاوة الأحزان.. ينبثق السرور.

ب - ضرورة أن يطمئن «الداعى» أولا إلى أن نصر الله قريب، بل هو آت لا ريب فيه. فإذا اطمأن قلبه ثقة بربه - تعالى - فقد بدأ يسير فى الاتجاه الصحيح. وكذا فى السرور.. لابد من أن يطمئن أولا.. ليحسن استقبال التكليف.

وكان الشاعر يقول للخليفة: تهيأ.. لأننى سأمدحك!

ونذكر هنا قوله - عز وجل - تثبيتا لقلب موسى عليه السلام:

﴿ لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾

طه/ ٦٨

جـ - الترفق بالمدعو إعانة له على الامتثال، ومن أجل ذلك يقول سبحانه:

﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ ﴾

الإسراء/ ١

ولم يقل سبحانه «سبحان الله» لأن للفظ الجلالة.. الله» رهبة. ولأن القضايا الكبيرة لا تفرض بالرهبة، وإنما بالتلطف، ولهذا المعنى نفسه أضمر تعالى المعراج «لغرابته.. رفقا بالمدعو.

د - وقال - عز وجل: ﴿ سُبۡحَٰنَ ﴾ لتكون نسبة التنزيه أعظم مثل: رجل عدل ثم ﴿ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾ أى: على سراة الأرض..

يعنى على وجهها. وهذا أدل على الإعجاز من إرادة السرى ليلا.. لأن إرادة السير على وجهها يدل على أنه أسرى به ﷺ مشيا على

ظهرها. لا طيرانا.. ولا سبحا.

هـ - ثم يقول - عز وجل:

﴿ مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ﴾

وهذا يدل منذ البداية على مؤانسته ﷺ حتى لا يستوحش.. بمعنى أنه ﷺ فى ضيافة ربه - عز وجل - ولا دور للبشر هنا مطلقا.

ثم هو «عبده» بينما يذكر غيره من الأنبياء «بالعلم» والذكر بالصفة أبلغ من ذكر «العلم».

د - وهكذا، لا يكتفى القرآن الكريم بإشعال الرغبة فى قلب «المدعو» وإنما: يقود خطوات أقدامنا.. وخطرات قلوبنا. ولا يتركنا لننقل خطانا فى صحراء الحياة حيارى.

ز - كان الفتى المتحمس يسألنى محتدا: كيف نسترد القدس؟ وكنت أقول له الجواب فى آى القرآن.. يقول عزوجل:

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ ﴾

الإسراء/ ٥

ح - من خصائص الجندى المثالى:

١ - «عبادا»: متواضعين يعطون.. ثم لا يأخذون.. وسروره الأكبر لا فيما ينال من «جوائز» وإنما سروره فى تحقيق هدفه، فتلك هى مكافأته.. وهو منسجم مع هذه الطبيعة من حوله: فالأشجار تعطى لتحيا، فإذا لم تعط، عرضت حياتها للخطر.

ثم هم ﴿ عِبَادٗا لَّنَآ ﴾ وليسوا لحزب من الأحزاب: عزتهم من عزة الله.. وطاقتهم مستمدة من الزيت المبارك. وهم أصحاب شجاعة ذاتية.. وليست شجاعة الذين يوضع فى أيديهم السلاح اليوم ليحاربوا.. من الذين:

﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ﴾

الحشر/ ١٤

﴿ أُوْلِي بَأۡسٖ ﴾ والبأس منكر فهو غير محدود.

وهو «شديد» لانه مستمد من القوى الأعلى سبحانه.

ومن خصائص هؤلاء العباد:

﴿ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ ﴾

الإسراء/ ٥

إن لديهم شجاعة المواجهة.. وبالسلاح الأبيض.. لينجز الله تعالى بهم وعده.

وأين منهم أولئك الذين «يرضون بالحياة الدنيا من الآخرة، ولسان حالهم يقول:

خلق الله للحروب رجالا
وخلقنا لقصعة وثريد

ولا هم لاحدهم إلا أن يعيش حياته بين ردائه وحذائه، يسيل لعابه على جاه يتمناه، أو مال يتشهاه. أو مأجور يغشاه. ثم ينادى بتحرير الأرض وهو يرقص على مزامير الشيطان، وهل ينجح فى تحرير أرض فى قبضة عداه. من لم ينجح فى تحرير نفسه من قبضة هواه».

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

«فضيلة التثبت فى العلم»

قيل لمصقلة: أما أكثر شكك! قال: محاماة عن اليقين.

وسأل إبراهيم النخعي عامرا الشعبى عن مسألة فقال: لا أدرى. فقال النخعي: هذا والله العلم، سئل عما لا يدرى فقال: لا أدرى.

وقال مالك بن أنس إمام المذهب: إذا ترك العالم «لا أدرى» فقد أصيبت مقاتله.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: من سئل عما لا يدرى فقال لا أدرى فقد أحرز نصف العلم.

وقال العلماء: العلم ثلاثة: حديث مسند، وآية محكمة، ولا أدرى. فجعلوا لا أدرى من العلم إذا كان صوابا. وهذا الأدب العالى الذى تحلى به المسلمون فى مجال العلم هو الذى يفخر اليوم علماء الغرب بالوصول إليه. وقد عدوا من الأدب أن يبدأ الرجل كلامه بقوله (يظهر لى) أو (يلوح لى) أو (أرجح) إلخ من صيغ التثبت.

«هكذا فارق الحياة بلا دين ولا دنيا!!»

خرج الشاعر الأعشى من «نجد» إلى الرسول ـ ﷺ ـ يمتدحه بقصيدة ويُسْلِم، فعرض له أبو سفيان فأعطاه مائة ناقة؛ على أن يترك سفره ويعود إلى دياره، فأخذ الإبل وعاد وركب أحدها فهوجلتْ به، فسقط على رأسه فاندقت عنقه، وفارق الحياة؛ بلا دين ولا دنيا، أما قصيدته التى هيأها ليقولها بين يدى رسول الله ـ ﷺ ـ فهى بديعة الحسن يقول فيها:

شباب وشيب وافتقار وثروة
فلله هذا الدهر كيف ترددا

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى
ولاقيت بعد الموت من قد تَزَوَّدَا
ندمتَ على أن لا تكون كمثله
وأنك لم تُرصِدْ لما كان أرصدا

«ما كذبت»

خطب رجل إلى قوم، فسألوا عنه الشعبى، فقال: رزين القعدة، نافذ الطعنة، فزوجوه ثم علموا أنه كان خياطاً، فقالوا للشعبى: غررتنا يا أبا عمر، فقال: ما كذبتكم حرفاً.

وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ

فى الرأس أربعة سوائل: عذب فى فمه يسوغ به الطعام والشراب؛ ولزج فى أنفه ليمنع الغبار، ومالح فى عينيه يمنعها من اليبس، ومر فى أذنيه يحميها من الحشرات.

«ذكر العيوب»

قال بعض السلف: أدركت قوماً لم يكن لهم عيوب فذكروا عيوب الناس فذكر الناس لهم عيوباً، وأدركت قوماً كانت لهم عيوب فكفوا عن عيوب الناس فنسيت عيوبهم.

«أربع كلمات»

قال الزهرى: ما سمعت بأحسن من كلام تكلم به رجل عند سليمان بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين أسمع منى أربع كلمات فيهن صلاح دينك وملكك وآخرتك ودنياك؛ قال: لا تعد أحدا عدة وأنت لا تريد إنجازها، ولا يغرنك مرتقى سهل إذا كان المنحدر وعراً، واعلم أن الأعمال جزاء فاحذر العواقب، والدهر تارات فكن على حذر.

«كيف رأيت الدهر؟»

كان عبيد بن شرية الجرهمى من المعمرين، وفد على معاوية، وكان مما سأله عنه: كم أتى عليك؟ قال: الأربعون ومائتا سنة، قال: فكيف رأيت الدهر؟ قال: سُنَيَّات بلاء، وسُنَيَّات رخاء، ويوم شبيه بيوم، وليلة شبيهة بليلة؛ يهلك والد، ويخلف المولود، فلولا الهالك لامتلأت الدنيا، ولولا المولود لم يبق أحد. وأنشد:

وما الدهر إلا صدر يوم وليلة
ويولد مولود ويفقد فاقد
وساع لرزق ليس يدرك قوته
ومهدًى إليه رزقه وهو قاعد

«بخل.. وذكاء»

قال رجل لثمامة بن أشرس : إن لى إليك حاجة .

قال : وأنا لى إليك حاجة

قال : وما حاجتك إلىَّ ؟

قال : لا أذكرها حتى تضمن قضاءها .

قال : قد فعلت .

قال : فإن حاجتى إليك ألا تسألنى حاجة فانصرف الرجل عنه .

«أول جورك»

اختصم سيدنا عمر بن الخطاب وأبو كعب ـ رضى الله عنهما ـ فى حادثة إلى زيد بن ثابت ، فألقى زيد إلى سيدنا عمر بوسادة يجلس عليها .

فقال له سيدنا عمر : هذا أول جورك ! !

وأبعد الوسادة وجلس بين يديه .

«حقا»

اشترى أعرابى جملاً ، فندم عليه فى شرائه ، فجعل يصعد النظر فيه ويصوبه ليجد ما يتوصل به إلى رده .

فقال البائع : «من طلب عيباً وجده» .

«الأجوبة السديدة المسكتة»

قيل لعلى بن أبى طالب – رضى الله عنه : كم بين المشرق والمغرب ؟ فقال : مسيرة يوم للشمس قيل له : فكم بين السماء والأرض ؟ قال : مسيرة ساعة لدعوة مستجابة .

أفضل الناس

الناس بالناس مادام الحياء بهم
والسعد لاشك تارات وهبات
وأفضل الناس ما بين الورى رجل
تقضى على يده للناس حاجات

سبحانك

قالت أعرابية : سبحانك ما أشق الطريق على من لم تكن دليله ، وأوحشه على من لم تكن أنيسه .

برد ونار

يكفيك من التقوى برد الاطمئنان ، ويكفيك من المعصية نار القلق والحرمان .

«دعاء»

«اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان» .

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبدالموجود أمين

لماذا يتهم الإسلام دون غيره بالإرهاب؟!

وفى جريدة «اللواء الإسلامى» فى عددها الصادر فى ٢٠٠٥/٨/٤ كتب الأستاذ عبدالمعطى عمران:

لا أدرى لماذا يختزل الإسلام بمبادئه الهادية وشرائعه السمحة وأخلاقه السامية ، فى سلوك جماعة خارجة أو منحرفة عن تعاليمه ؟ . فالإسلام عندما يختزل فى تنظيم القاعدة وما يصدر عنه من جرائم فى حق المسلمين قبل غيرهم .. فهذا ظلم كبير وافتراء على الحقيقة والواقع ، ففضلاً عن الغموض الذى يحيط بهذا التنظيم الذى نشأ بمباركة ودعم مِمَّنْ يحاربونه الآن ، فإن هناك عشرات المنظمات والجماعات الإرهابية العالمية التى ارتكبت أفظع الجرائم فى حق الإنسانية ، ومع ذلك لم يقل أحد إن هذا إرهاب مسيحى أو إرهاب يهودى أو حتى إرهاب بوذى ، لكن عندما يقوم إنسان مسلم بإلقاء حجر على جندى يحتل بلاده وينهب ثرواته ، فالتُهْمَةُ جاهزة ، وإذا حدث أى حادث تفجير أو قتل فى العالم فالتُهْمَةُ تُلْصَق بالإسلام حتى قبل إجراء التحقيقات ومعرفة مَنْ وراء هذه الأحداث ؟ ! .. ومنذ أيام سمعت حواراً على إحدى الفضائيات العربية بين باحثة أمريكية ويبدو من اسمها ولهجتها أنها من أصل عربى ، وأخذت تكيل التُهَم للإسلام والمسلمين وتقطع الآيات والأحاديث النبوية عن سياقها وتبْتُر معانيها لتبرر اتهاماتها مدعية أن كل مسلم هو فى الحقيقة إرهابى ، وأنه يمارس هذا الإرهاب حتى على أسرته ومجتمعه ، فضلاً عن ممارسته مع الآخرين ، وزعمت أن الإسلام دين لا يقبل الآخر ولا يعرف إلا لغة القتل والنفى والإقصاء وسيلة للتعامل مع الآخرين .. وأنه لا توجد أية نصوص تتحدث عن القتل إلا فى الإسلام . ولكن قَيَّضَ اللّه للرد عليها أستاذاً جزائرياً ، فَنَّدَ مزاعمها ورد على تَخَرُّصَاتِها وأبطل حُجَّتَها ، وسألها عن عدد ضحايا الإرهاب

الإسلامى المزعوم مقارنة بالحروب العالمية الطاحنة والحروب الدينية التى شهدتها أوروبا نفسها والتى راح ضحيتها عشرات الملايين، مَنْ أشعل هذه الحروب.. هل هم المسلمون؟!.. ومن الذى ألقى القنابل النووية على هيروشيما وناجازاكى فى الحرب العالمية الثانية؟!.. ومن الذى قتل عشرة آلاف مسلم فى مدينة «سربرنتشا» البوسنية فى قلب أوروبا المتحضرة وأم الديمقراطية؟!.

والواقع أن الذين يتهمون الإسلام بالإرهاب لم يفهموا حقيقته، ولهذا فإنهم نَصَّبُوا أنفسهم أعداءً له، جرياً على القاعدة التى تقول: إن الإنسان عدو ما يجهل، وقد ساعدهم الإرهابيون بتصرفاتهم الحمقاء، وجرائمهم البعيدة عن هَدْى الإسلام وتعاليمه على فهم تلك الصورة المغلوطة عن الإسلام، حيث ظنوا أن أولئك الذين يبالغون فى إضفاء المسحة الإسلامية على مظهرهم وطريقة كلامهم، على علم بالإسلام، أو تمسك به يجعل ما يفعلونه حُجَّة على الإسلام، والحقيقة غير ذلك تماماً، لأنهم مجموعة من ذوى الغرض السياسى الذين يريدون أن يصلوا إلى أهدافهم باسم الإسلام، فهم حين يقتلون ويخرِّبون، لا ينتصرون للإسلام، بل ينتصرون لأنفسهم، ويعملون فى سبيل الأهداف الخبيثة التى يأملون فى تحقيقها، على حساب سمعة الإسلام، والإساءة إليه، ولو كفَّ هؤلاء الإرهابيون عن التمسح بالإسلام فيما يقترفونه بحق الإنسانية من آثام لتغيرت الصورة ولأصبح الإسلام هو الحَكَم على الإسلام، ووقتها لن يملك الذين يهاجمونه إلا أن يكتشفوا بأنفسهم ما فيه من رحمة وتسامح وعدل، وقد يتحولون من خندق المهاجمين له إلى ساحة المدافعين عنه.

المستوطنون خرجوا فى رحلة «اللاعودة»

كتب محمد عبدالعزيز فى جريدة «عقيدتى» فى عددها الصادر فى ٢٠٠٥/٨/٢٣ قائلاً:

هكذا خرج المستوطنون اليهود من إحدى وعشرين مستوطنة إسرائيلية فى غزة قد أخليت من ساكنيها طوعاً أو قسراً، هكذا خرجوا فى رحلة اللاعودة بعد احتلال دام ثلاثة عقود من الاستيطان.

آن الأوان أن يتنفس سكان القطاع نسيم الحرية وعبيراً نقياً برزاز مياه البحر المتوسط دون أن تلوثه أنفاس الاحتلال.

احتفالات برحيل آخر المستوطنين وانطلاقة نحو حرية أرادوها لهم ولأراضيهم صنعوها بأثمان غالية.. احتفالات مبهجة وإن كانت منقوصة بسبب الضباب الذى تُخَيِّمه إسرائيل على مصير المعابر والمطار والسيطرة الفلسطينية على المياه الإقليمية وما يكتنف هذا الانسحاب من غموض لاسيما بعد تأكيدات رئيس وزراء إسرائيل أنه يحترم تكثيف حركة البناء الاستيطانى فى الضفة فيما تتجه غزة إلى أن تتحول من حالة احتلال إلى سجن كبير، لكن الانسحاب فى حد ذاته

يعتبر خطوة أولى تأمل السلطة الفلسطينية فى أن تعقبها خطوات مماثلة تتضمن أراضى الضفة الغربية والقدس.

وعلى مدى أسبوع من عملية إخلاء المستوطنات حاول من تبقى من سكانها ممن لم يغادروها طوعا مقاومة الجنود، فأغلقوا الأبواب وأقاموا الحواجز والمتاريس وأحرقوا إطارات السيارات ولجأوا إلى الأسطح وقذفوا عناصر الشرطة والجنود الإسرائيليين بالمواد الكيميائية الحارقة.. والبيض ومواد الطلاء، واحتمى مئات المتطرفين داخل الكنيس لكن الغلبة كانت فى النهاية للجنود الذين اقتادوهم إلى حافلات أخرجتهم إلى غير رجعة.. وفيما يراقب العالم من خلال التغطية الإعلامية المركزية لعمليات إجلاء المستوطنين، حتى يفهم الهدف الذى قصد به، وكم هى جسيمة تضحيات هؤلاء لترك منازل سكنوها بعد احتلال عسكرى لأراض مغتصبة.

بدأت المرحلة الثانية من خطة الانسحاب وهى تدمير تلك المنازل الخالية، وكانت مستوطنة «كارم عتسامونة» بجنوب غزة أولى المستوطنات بعد أن أخليت تماما من ساكنيها، وهكذا بدأوا:

﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ ﴾

الحشر/٢

كما وصفتهم آية من آيات الذكر الحكيم فى سورة الحشر، فى حدث مماثل مع يهود بنى النضير.. المشهد يتكرر مع اليهود بزعامة ارئيل شارون، حيث تقوم الجرافات والبلدوزرات بهدم المستوطنات التى بنوها بتكلفة بلغت المليارات، لتستمر عملية الهدم.

فالحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، لاسيما تلك التى كانت لارئيل شارون، بنت هذه المستوطنات وزودتها بأحدث الوسائل التكنولوجية والترفيهية، وتوفير العيش الكريم لمستوطنيها.. فعلى سبيل المثال لا الحصر قرية تقع بالقرب من مستوطنة ناتسريم استشهد العشرات من أبنائها بينما كانت بيوتهم تنتهك بشكل مستمر، وكان السكان يمنعون من مزاولة حياتهم اليومية، فلا مدارس ولا زراعة ولا حتى فرص الخروج من تلك البيوت.. صورتان لواقعتين متناقضتين، فهذه مستوطنة ناتسريم التى تبعد بضعة أمتار عن قرية الفراقة، والتى قدمت هدية للمستوطنين عشية احتفال إسرائيل بعيد الغفران عام ١٩٧١، داخلها أقيمت المنشآت الضرورية لعيش رغد، وهذا ما جعل الرحيل عنها، كما الحال مع غيرها، ترافقه حسرات وألم عبر عنه كثير من المستوطنين المرحلين مبعثه هو أنهم كانوا يعتقدون أن لا شىء سيخرجهم من هذا المكان.

فداخل المستوطنات أسسوا حياة ظنوا أنها ستدوم لهم إلى الأبد، ونسوا وتناسوا أنهم عاشوا على أراض يمتلكها غيرهم وقد

احتلوها بالقوة ولم يدر بخاطرهم أن الجرافات ستهدم يوما بيوتهم التى أنشأوها على أنقاض منازل سكان القطاع.

إن ناتسريم كان يحصد سكانها سنويا أطنانا من الفواكه والخضراوات أما فى منطقة الفراقة فلم يحصدوا خلال السنوات الثلاثين الماضية إلا البؤس، إلا أن فى استطاعتهم اليوم أن يحلموا بمستقبل كريم، بعد أن أزيلت الأسلاك الشائكة وانتزع العلم ذو النجمة السداسية الذى كان يرفرف فوق أراضيهم.. فلن ينظر الطفل الفلسطينى بعد الآن من ثقب الباب ليتابع من هم فى مثل سنه وهم يلهون ويمرحون بلا قيود، بينما هو مقيد مكبل خلف باب خشبى يكاد يستتر من بداخله، لكن وبعد أن هدموا المستوطنات من خلفهم وخربوا البيوت بأيديهم آن للأطفال الفلسطينيين فى غزة أن يمرحوا.

أمريكا تستوعب الدرس فى العراق

كتب حسين فتح الله فى جريدة الأهرام فى عددها الصادر فى ٢٠٠٥/٨/٢٣ قال:

الخسائر البشرية، كانت ومازالت هى الهاجس الذى يؤرق صُنَّاع القرار وقادة الجيوش الميدانية الأمريكية، وقبل غزو العراق وأفغانستان قبل ذلك حرص الأمريكيون على توجيه ضربات جوية وصاروخية مركزة للأهداف المعادية لهم قبل أن تطأ أراضى الدولتين أقدام الجنود الأمريكيين، إلا أن نجاح الغزو لم يكن أبداً نهاية للتهديد الذى يمكن أن يعصف بحياة هؤلاء الجنود تحت تأثير العمليات المستمرة للمقاومة، الأمر الذى أدى إلى تكثيف الاستخدام الأمريكى للروبوتات العسكرية التى تعمل عن بُعد سواء فوق الأرض أو فى السماء أو حتى فى أعماق البحار فى محاولة لتأمين تعرض القوات الأمريكية لهجمات مفاجئة، وللقيام بتوجيه ضربات مؤثرة للأشخاص والأهداف التى يكتشفها «الإنسان الآلى» الذى يقوم ـ فى مرحلة لاحقة ـ بتدميرها دون أن يعرض حياة «الإنسان البشرى» لخطر الموت أو الإصابة.

قبل أيام أعلن مسئول عسكرى أمريكى أن القوات الأمريكية تعتزم نشر ٢٠٠ روبوت خلال الأشهر الستة المقبلة فى العراق وأفغانستان، وأن ٣٠ روبوتاً تم نشرها فى العراق بالفعل، وأنه طُلب من الإدارة الأمريكية شراء مئات أخرى من هذه الروبوتات للكشف عن القنابل المفخخة التى تستخدمها المقاومة العراقية والأفغانية فى عملياتها.

وثمة سؤال مهم يفرض نفسه بعد هذا التطور من جانب القوات الأمريكية هو: إذا كان استخدام «الروبوت» قد جاء بتوسيع دوره فى الحرب بالعراق بناء على التطوير الذى لحق بخطط وتكتيكات وأسلحة المقاومة العراقية التى أوقعت المزيد من الخسائر البشرية فى صفوف القوات الأمريكية، ألا يظل هناك احتمال كبير فى أن تقوم المقاومة

العراقية ـ مرة أخرى ـ بتطوير نفسها لكى تتمكن من القوات الأمريكية وإنسانها الآلى؟!.. إن التاريخ الإنسانى خير دليل على أن أى غزو مهما طال لابد إلى زوال، وأن إرادة الإنسان فى الحرية والاستقلال أقوى من أى سلاح، حتى لو كان «الروبوت»!!..

حملة.. تجميلية!

تحت هذا العنوان جاء الكلمة المنشورة فى جريدة «المساء» فى عددها الصادر فى ٢٠٠٥/٨/٢٢ وكتبها «عربى أصيل»:

بدأ الرئيس الأمريكى جورج بوش حملة مكثفة واسعة النطاق لإقناع الشعب الأمريكى بسلامة قراره بغزو العراق.

ومثل هذه الحملات تعكس قصوراً شديداً فى النظر لدى بوش وأفراد إدارته، حيث يعتقدون أن الحملات الإعلامية كفيلة بتجميل كل قبيح مهما كان، وهم يتناسون أن الأمر الواقع أقوى من كل شىء ولن تجدى معه الحملات.

ودعونا من القول بمكافحة الإرهاب وحماية الشعب الأمريكى منه، فالولايات المتحدة هى الراعى الأول للإرهاب فى العالم، بل والإرهابى الأول الذى ارتكب جرائم عديدة لم يعاقب عليها.

والولايات المتحدة نفسها تحفل أراضيها بالعديد من الجماعات الإرهابية ذات المنطلقات الدينية والعرقية، وهناك فوضى حيازة الأسلحة.. فلا يكاد يمر يوم دون أن تطالعنا الأنباء بسقوط ضحايا أبرياء لهذه الفوضى فى أكثر من ولاية أمريكية.

وهناك عصابات عديدة على غرار عصابات المافيا، تنشط فى معظم الولايات وتكاد تصبح دولة داخل الدولة، هناك شوارع فى المدن الأمريكية الكبرى لا يستطيع أى شخص السير بها بمفرده فى وضح النهار.. وكل هذه الأشكال من الإرهاب تعجز الحكومات الأمريكية المتوالية عن التصدى لها، وتحاول تبرير فشلها بالحديث عن إرهاب خارجى مفترض.

وقبل الحرب على العراق نجح بوش فى تسويق مبرراتها بإقناع قطاعات من الرأى العام الأمريكى بأنها سوف تساعد على توفير فرص عمل لهم فى مشروعات إعادة إعمار العراق، فالأموال التى خصصتها الولايات المتحدة لهذا الغرض ـ وهى أصلاً مسروقة من الشعب العراقى ـ أعيد تخصيص معظمها لأغراض عسكرية، وما تبقى منها تم إسناده لشركات أمريكية، وإن كان العمل لم يبدأ فيها بعد، وهذه الشركات قررت استخدام عمالة رخيصة من دول آسيا بدلاً من العمالة الامريكية.

وفوجىء المواطن الأمريكى بأن عليه تحمل تكاليف الحرب بعد أن عجزت عوائد البترول العراقى الذى تسرقه الولايات المتحدة عن الوفاء بتكاليفها، والتى ستصل الى ٣٠٠ مليار دولار بحلول منتصف العام الحالى.

فماذا ستفيد الحملة إذن؟!!

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقى الدين

ولا عـــــزاء

دليل جديد قدمته وسائل الإعلام الأوربية على مدى تغلغل التطرف الدينى فى المجتمع الأوربى ضد الإسلام وضد المسلمين.

فمؤخراً رصدت إحدى الفضائيات قصة مأساة تعرض لها شاب بريطانى يبلغ من العمر ثلاثاً وعشرين عاماً.. المأساة تخص «دانيال مورتون» الذى كان عائداً بالقطار عقب زيارته لأقاربه فى مدينة برمنجهام، ووصل القطار إلى المحطة فى سلام وأمان، ولكن السلام والأمان لم يكن مصاحباً لـ «دنيال مورتون» والذى ما أن لامست قدماه (رصيف) المحطة حتى فوجىء بعدد من الأشخاص يرتدون ملابس مدنية يهاجمونه ويطرحونه أرضاً ويقومون بتفتيشه بعنف، ثم أمروه بالركوع على ركبتيه فما أن فعل حتى بدأوا فى ركله بأقدامهم.

قد تتصور عزيزى القارىء أننا أمام قصة اعتداء عنصرى بغيض تعرض له مواطن بريطانى مسلم ولكن هذا التصور غير صحيح تماماً !! (دانيال مورتون) ليس مسلماً ولكنه ذو بشرة سمراء، وملامحه تشبه ملامح المسلمين، ولأجل هذا لحق به قدر هائل من الإيذاء..

المحققون البريطانيون رفضوا الاستماع إليه فى البداية تماماً، وأصروا على طرح الأسئلة، وأصروا أيضاً على الحصول على إجابة مفادها أنه إرهابى مسلم ينتمى إلى إحدى المنظمات الإرهابية.

وعندما يئس المحققون من الحصول على تلك الإجابة بعد جهد جهيد بذلوه فى تعذيب هذا الرجل توقفوا عن التعذيب وبدأوا فى الاستماع إليه فأعطاهم عنوان والدته فى (توتنهام) فذهب المحققون إلى والدته حيث تأكد لهم تماماً أن «دانيال» مواطن بريطانى لا يعتنق الدين الإسلامى فبادروا بإطلاق سراحه وبرروا الخطأ بأنه لم يكن أبداً خطأهم، وإنما الخطأ فى البشرة السمراء واللحية التى جعلتهم يعتقدون بأن (دانيال) إرهابى مسلم!!

ومن الغريب أن دانيال لحظة نزوله من القطار كان يقف بجواره شاب مسلم بريطانى اسمه (نسيم أحمد) الذى وقف مذهولا يراقب ما يحدث وقد سيطر الرعب عليه متصوراً أنه سيلقى نفس المعاملة، ولكن (نسيم) لم تكن بشرته سمراء، ولم تكن له لحية لذلك سلم ونجا.

قبلها لقى شاب برازيلى ملتح اسمه «خوان تشارلز» مصرعه برصاص الشرطة البريطانية للاشتباه فى أنه إرهابى مسلم بسبب بشرته السمراء ولحيته التى لم يكن معتاداً على إطلاقها، ولكنه فقط تكاسل عن حلقها فدفع الثمن غالياً.. حياته، وبعد البحث والتحرى تبين أنه مسيحى كاثوليكى!!

ترى ما هو حال المسلمين فى بريطانيا وهل يعيشون فى أمن وسلام؟ بل هل يمكن أن يصدق أحد أنهم يعيشون فى أمن وسلام، ويمارسون حياتهم بدون ضغوط أمنية وسياسية؟

بقى أن تعلم عزيزى القارىء أن الشرطة البريطانية رفضت تقديم أى اعتذار، بل التمست لنفسها كل الأعذار!!

ولا عزاء لحقوق الإنسان.. ولا عزاء لحرية العقيدة!!

أحمد تقى الدين

وإلى رسائل القراء

عدل الإسلام

تحت هذا العنوان جاءت كلمة القارىء طه عبدالفضيل ـ الفيوم ـ قال:

مما يؤسف له تلك الموجة العاتية التى يتعرض لها الإسلام وأمة الإسلام بزعامة النظام العالمى الجديد الرامية إلى تجريد الأمة الإسلامية من هويتها ونزع جذورها الإسلامية وتحطيم كل مايمكن أن يشعرها بالعزة والفخر ألا وهو ماضيها الحضارى التليد، وهى أمور يمكن أن يفهم مغزاها ومقصدها إذا ماصدرت عن رعاة النظام العالمى الجديد، ولكن أن تصدر تلك الدعوات الهدامة من مسلمين فتلك هى الطامة الكبرى..

ومؤخرا صدرت عن العديد ممن يسمون أنفسهم بـ«المثقفين» دعوات هدامة عبر الفضائيات تدعو إلى عدم النص فى دساتير الدول الإسلامية على أن «الشريعة الإسلامية هى المصدر الأول للتشريع» تحت دعوى أن الشريعة الإسلامية كانت متمشية وملائمة لزمن تطبيقها.. أما الآن فهناك بدائل تشريعية جديدة تتماشى مع العصر الذى نعيش فيه..هكذا يقول هؤلاء..

كما تناول نفس القضية أحد مرشحى رئاسة الجمهورية فى مصر ممن يبشروننا بـ«غد» جديد وإلى هؤلاء نقدم كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ إلى عامله على العراق أبوموسى عبدالله بن قيس الأشعرى.. وهو الكتاب المشهور فى التاريخ الإسلامى بـ«كتاب سياسة القضاء وتدبير الحكم» ليدلونا على نص تشريعى معاصر يصلح بديلا لمثل هذا النص:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله عمر أمير المؤمنين، إلى عبدالله بن قيس. سلام عليك، أما بعد:

فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدلى إليك، فإنه لاينفع تكلم بحق لانفاذ له.

آس بين الناس فى مجلسك ووجهك، حتى لايطمع شريف فى حيفك، ولاييأس ضعيف من عدلك.

البينة على من ادعى واليمين على من أنكر..

والصلح جائز بين الناس، إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالا.

ولايمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك، وهُديت لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق لايبطله شىء، وأعلم أن مراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل.

الفهم الفهم فيما يتلجلج فى صدرك مما ليس فيه قرآن ولاسنة، واعرف الأشباه والأمثال، ثم قس الأمور بعد ذلك، ثم اعمد لأحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى.

اجعل لمن ادعى حقاً غائباً أمداً ينتهى إليه، فإن أحضر بينة أخذ بحقه، وإلا استحللت عليه القضاء.

والمسلمون عدول فى الشهادة إلا مجلوداً فى حد، أو مجربا عليه شهادة زور، أو ظنينا فى ولاء أو قرابة. إن الله تولى منكم السرائر ودرأ عنكم البينات.

وإياك والقلق والضجر، والتأذى بالخصوم فى مواطن الحق التى يوجب الله بها الأجر ويحسن الذخر، فإنه من صلحت سريرته فيما بينه وبين الله، أصلح الله مابينه وبين الناس، ومن تزين للدنيا بغير ما يعلم الله منه شأنه الله، فإن الله لايقبل من عباده إلا ما كان خالصا، فما ظنك بثواب عندالله فى عاجل رزقه وخزائن رحمته؟. والسلام».

بر الوالدين

كتب القارىء جمال أحمد ـ باب الشعرية ـ القاهرة تحت هذا العنوان قال:

بر الوالدين من الأمور التى حض عليها الشرع الإسلامى الحنيف بل وفرضها فرضا، فالله عز وجل قال فى محكم آياته:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾

[الإسراء/٢٣]

وقال جل شأنه:

﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾

[النساء/٣٦]

وفى الحديث الشريف فيما أخرجه الإمام أحمد بمسنده عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال: «أتى إعرابى رسول الله ﷺ فقال: إن أبى يريد أن يجتاح مالى، قال ﷺ: أنت ومالك لوالديك إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وأن أموال أولادكم من كسبكم فكلوه هنيئاً».

واليوم نجد من المسلمين من يلقى بوالديه فى دور المسنين تخلصاً من عبء رعايتهما والإنفاق عليهما.. وما أكثر المآسى التى تطالعنا بها الصحف عن عقوق الأبناء وعدم قيامهم بالامتثال لأمر الله برعايتهما، وما أكثر المؤتمرات التى ناقشت هذه الظاهرة، وما أكثر خطب الجمعة التى ألقيت بالمساجد تحض الشباب على طاعة الوالدين.. ولكن للأسف نحن نقرأ القرآن الكريم والحديث الشريف ونسمع خطب الوعظ والإرشاد ثم لا نعمل بأى شىء من ذلك وأصبح الدين دروساً تلقى بلا تطبيق عملى فى حياتنا اليومية فحذار يا أمة الإسلام من أن يأتى يوم نصير فيه مثل الذين قال الله فيهم:

﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾

(الجمعة/٥)

من أعلام الإسلام:

الشيخ حسنين محمد مخلوف

تحت هذا العنوان جاءت رسالة القارئ شعبان عبدالله ـ الإسماعيلية ـ حيث قدم نبذة مختصرة عن حياة العالم الجليل قال:

● ولد فى محافظة القاهرة يوم (٦) مايو.

● تلقى دروسه على يد كبار علماء الأزهر.

● حصل على الشهادة العالمية من الأزهر عام ١٩١٤.

● عمل بالتدريس فى الأزهر، ثم عين قاضيا بالمحاكم الشرعية، ثم أصبح رئيسا لمحكمة الإسكندرية أواخر عام ١٩٤١.

● عين رئيسا للتفتيش الشرعى بوزارة العدل، ساهم فى إصدار العديد من القوانين منها قانون إصلاح المحاكم الشرعية، وقانون المجالس الحسبية، ومحاكم الطوائف الملية.

● قام بتدريس الشريعة بقسم التخصص بمدرسة القضاء الشرعى.

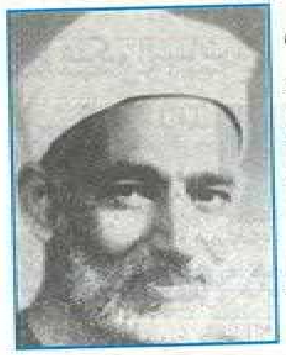
● فى أكتوبر عام ١٩٢٤م صدر مرسوم ملكى بتعيينه نائبا لرئيس المحكمة الشرعية العليا.

● فى عام ١٩٤٥ عُين مفتيا للديار المصرية.

● اختير عضوا بجماعة كبار علماء الأزهر الشريف عام ١٩٤٨.

● مُنح كسوة التشريف العلمية مرتين إحداهما عندما كان رئيسا لمحكمة طنطا، والأخرى عندما كان مفتيا للديار المصرية.

● حصل على جائزة الملك فيصل العالمية لدوره فى خدمة الدعوة الإسلامية، وذلك فى ٢٨ من ربيع الأول لسنة ١٤٠٣هـ الموافق ١٢ من يناير لسنة ١٩٨٣م.



● كان أحد الداعين إلى إنشاء رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة واختير عضوا بالمجلس التأسيسى للرابطة.

● من أهم مؤلفاته:

١ ـ كتاب «كلمات القرآن.. تفسير وبيان».

٢ ـ كتاب «الفتاوى الشرعية».

٣ ـ كتاب «صفوة البيان فى تفسير القرآن».

٤ ـ كتاب «المواريث».

٥ ـ رسالة فى أخطار المعاصى والآثام ووجوب التوبة منها إلى الملك العلام.

٦ ـ رسالة فى شرح أسماء الله الحسنى.

٧ ـ رسالة فى دعاء يوم عرفة.

٨ ـ رسالةفى فضائل نصف شعبان.

٩ ـ أدعية من وحى القرآن الكريم والسنة.

١٠ ـ رسالة فى ختم القرآن الكريم ووجوب بر الوالدين.

١١ ـ رسالة فى تفسير آية الكرسى وسورة الإخلاص، وسورة الضحى.

١٢ ـ رسالة فى تفسير سورة القدر.

١٣ ـ رسالة فى حكم الشريعة الإسلامية فى مأتم الأربعين.



أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى

مسلمو جنوب أفريقيا يطلقون حملة إعلامية لتوضيح قضاياهم

أطلق مجلس فقهاء المسلمين بجنوب أفريقيا حملة إعلامية للتعريف بقضاياهم ومقاومة النزعة السلبية تجاه المسلمين، وذلك على خلفية قرار حكومى قضى بفصل موظفة مسلمة من العمل لإصرارها على ارتداء الحجاب فى مقر العمل.

كانت سلطات مصلحة السجون بجنوب أفريقيا قد فصلت السيدة «فيروز آدم» من العمل مبررة ذلك بأنها «أصرت على تغطية رأسها ورفضت رفع قميصها بحسب الزى المقرر لموظفى الخدمة فى السجون».

وعلى إثر ذلك رفعت «فيروز» دعوى قضائية ضد المصلحة حول هذا القرار، فألغى قرار الفصل بعد أول جلسة استماع أمام المحكمة.

لكن عندما باشرت «فيروز» عملها فى اليوم التالى مرتدية غطاء الرأس تم إعادة فصلها، على الرغم من أنه لا توجد قوانين تحظر ارتداء الحجاب.

من جانبه اعتبر الشيخ «حكمت صديق» أمين عام مجلس فقهاء المسلمين فى جنوب أفريقيا أن هذا التطور يحمل دلالات غير إيجابية عن نظرة بعض المؤسسات والمسئولين فى البلاد إلى أصحاب الديانات الأخرى خاصة المسلمين التى يكرسها هذا القرار باعتبارها غير متسامحة، رغم تحسن الحياة السياسية والممارسة الوطنية للديمقراطية والإرادة الحرة للمواطنين.

إنشاء مجلس أعلى للأئمة والدعاة بالبرازيل

تم فى البرازيل تأسيس المجلس الأعلى للأئمة والدعاة، عقب انعقاد مؤتمر شارك فيه نحو (٣٥) داعية على مدى ثلاثة أيام وبعد أن ناقشوا نظامه أقروه فى الجلسة الختامية، تم انتخاب تسعة من الدعاة لعضوية المجلس التأسيسى، كما تم انتخاب الشيخ «على العبدونى» أميناً عاماً للمجلس، والشيخ «خالد تقى الدين رزق» أميناً عاماً مساعداً، كما تقرر

انتخاب لجان للدعوة وللإفتاء وللمساجد والتعليم.

وقُدِّم نظام هذا المجلس للدوائر الرسمية المحلية لطلب الترخيص له.

ومن الجدير بالذكر أنه يوجد فى البرازيل حالياً نحو (٦٩) مسجداً تديرها المؤسسات الإسلامية المنتشرة فى ثلاثين مدينة برازيلية، ويجمعها اتحاد للجمعيات الإسلامية.

إنشاء معهد ثقافى إسلامى فى هولندا

يجرى حالياً فى هولندا إنشاء معهد ثقافى عربى إسلامى تشارك فيه أربع بلديات فى العاصمة «أمستردام» ومن المقرر أن يبدأ المركز بالفعل أولى فعالياته عقب فصل الصيف، وتأتى هذه المبادرة استجابة لدعوة رئيس الوزراء.

جاءت المبادرة من عدد من الشخصيات العامة من الهولنديين الأصليين والمهاجرين المسلمين، وستشمل المبادرة اثنتين على الأقل من المنظمات الإسلامية الكبرى.

وسيُؤَسَّس المعهد على غرار «معهد العالم العربى» فى باريس.

وسيكون المعهد الهولندى مركزاً للمعارض والتعليم والمناقشات، كما سيصبح منبراً حراً لإدارة الحوارات حول أوضاع المسلمين فى هولندا.

ووصف المبادرون مشروعهم بأنه رد فعل للصورة السلبية الشائعة فى هولندا عن الدين الإسلامى والجالية المسلمة هناك، وسيركز المعهد على توعية الشباب المسلم وتنويرهم بالاتجاهات الفكرية المختلفة فى الإسلام لسد النهم الشديد إلى المعرفة لدى الشباب المسلم.

إلغاء حكم إيطالى بإدانة مسلمة لارتدائها الحجاب

ألغت محكمة مدينة «تريفيزو» الإيطالية طلباً لبلدية المدينة نفسها بمحاكمة مهاجرة بنغالية لارتدائها حجاباً يغطى كامل وجهها.

وقال «لوكاديلى» وهو القاضى الذى كلفا بالبت فى قضية المرأة البنغالية المحجبة: إن اللباس الإسلامى للمرأة لا يعد جريمة يعاقب عليها القانون الإيطالى، رغم كونه فى بعض الأحيان يؤدى إلى تغطية الوجه وإخفاء الهوية، وكانت المهاجرة البنغالية المسلمة قد استوقفتها السلطات الأمنية بمدينة «تريفيزو» قبل ثمانية أشهر، حيث اقتادتها إلى مديرية الشرطة التى سجلت ضدها مخالفة من خلال محضر بُعث إلى محكمة المدينة.

وقال مسئول من حزب الشيوعيين الإيطاليين: إن المسئول عن تقديم هذه المرأة المسلمة إلى المحكمة هو حزب «عصبة الشمال» من خلال عمدة مدينة «تريفيزو» الذى ينتمى إليه، وتصدر عنه قرارات ومواقف عنصرية من حين إلى آخر.

منع الأذان فى الحرم الإبراهيمى

استنكر الشيخ «يوسف جمعة سلامة» وزير الأوقاف الفلسطينى قيام قوات الاحتلال الإسرائيلى بمنع رفع الأذان فى المسجد الإبراهيمى بالخليل ولمدة غير محدودة، وبيَّن أن الحكومة الإسرائيلية قررت منع مؤذن المسجد الإبراهيمى من الدخول إلى غرفة الأذان ورفع الأذان منها دون تحديد مدة انتهاء هذا القرار.

وأضاف وزير الأوقاف الفلسطينى أن هذه الغرفة تقع فى القسم المُغتَصَب من قِبَل المستوطنين منذ جريمة الحرم الإبراهيمى، ولم تكتف قوات الاحتلال بهذا، بل قامت أيضاً بمضايقة المصلين ومنعهم من الدخول إلى المسجد للصلاة فيه مؤكداً أن الهدف من ذلك هو تهويد المسجد الإبراهيمى والسيطرة عليه.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى

رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

المؤسسات الدينية فى مواجهة الإرهاب

تحت رعاية وبحضور فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف عقد بمركز الأزهر للمؤتمرات مؤتمر «المؤسسات الدينية فى مواجهة الإرهاب» وقد تحدث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف قائلاً: إن المؤسسة الدينية فى مصر أول من حارب وواجه الإرهاب وقال فيه قول الحق حيث إن الأزهر الشريف أول من أصدر بياناً واضحاً عقب أحداث ١١ سبتمبر الإرهابية وقلنا: إن الذين فجروا البرج هم مجرمون وإرهابيون ويحق للدولة التى حدث فيها هذا الفعل الإجرامى أن تعاقبهم وتقدمهم للعدالة، وقال: إن الذين فجروا أنفسهم فى أحداث شرم الشيخ أو فى أى منطقة آمنة فى العالم هم انتحاريون وقتلة ومجرمون وليسوا بشهداء، والإسلام برىء من الذين يفجرون أنفسهم فى الآمنين سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، وأشار إلى أن الله أوجدنا من أب واحد وأم واحدة وكرم بنى آدم وسخر هذا الكون لخدمة الإنسان الذى ميزه عن المخلوقات، وسنة الله فى خلقه أن هذه الحياة نزاع موصول بين الحق والباطل وبين الخير والشر وهى سنة الحياة، كما أن الناس فى كل زمان ومكان مختلفون فى عقائدهم وأفكارهم ومقاصدهم واتجاهاتهم وسلوكهم وآمالهم، واختلاف الناس أمر واقعى، ومع ذلك فإن الله وسعهم برزقه وعطائه، والعقائد لا تباع ولا تشترى، ولكل إنسان عقيدته ولا إكراه عليها، وشريعة الإسلام تمد يدها بالسلام إلى كل من يمد يده إليها بالسلام، والعقوبات فى شريعة الإسلام لم تشرع لإذلال الناس وإنما شرعت لنشر الأمن والأمان والسلام فى المجتمع وحماية لأمن وكرامة الناس، وأن الجهاد شرع للدفاع عن الحق ونصرة المظلوم، والفرق بين الجهاد والإرهاب كالفرق بين السماء والأرض، فالإرهاب قتل للأبرياء والآمنين والمتستر على الإرهابيين المجرمين هو شريك لهم فى إجرامهم، لأنه لا يوجد مبرر لهم فى ارتكاب جرائمهم، والذى برره لهم شيطانهم، وأن من

طمست بصيرته يكون الشيطان تلميذاً له، ونحن باسم المؤسسات الدينية نقول: إن هؤلاء الذين يفجرون أنفسهم فى الآمنين فيقتلون ويصيبون ويخربون، الإسلام برىء منهم والعقول الإنسانية السليمة بريئة منهم، والشرف الإنسانى برىء منهم، ونحن أول مؤسسة دينية فى العالم تعلن الحرب على الإرهاب وإدانته، لأن شريعة الإسلام تمد يدها بالسلام لكل من يمد يده إليها بالسلام، وأشار إلى أن المؤسسات الدينية فى مصر تقف يداً واحدة وتتعاون مع كافة مؤسسات الدولة ضد الإرهاب والإرهابيين.

وتحدث معالى الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف فقال: إن المؤسسة الدينية فى مصر تقوم بدورها فى مواجهة الأفكار المنحرفة والظالمة وأن إلقاء اللوم على المؤسسة الدينية فى ظهور فكر الإرهاب فيه ظلم كبير، وأن مواجهة الإرهاب مسئولية مشتركة من أجل مصلحة الأمة، والأمة الإسلامية اليوم تعيش فى ظروف صعبة وأن الإسلام مظلوم بما يحدث من انفجارات ينسبونها إلى الإسلام، وكأن العالم استيقظ بعد أربعة عشر قرناً من الزمان ليجد الإسلام يدعو إلى الإرهاب، والأمر محير، هل نقول إنها مؤامرة على الإسلام وعلى العالم الإسلامى فقط، ومع ذلك فإن مصر لم تسلم من أحداث الإرهاب فى الأقصر وطابا وشرم الشيخ

ومنذ بدأ الإرهاب والمؤسسات الدينية فى الأزهر وجامعته ودار الافتاء والأوقاف لم تتخل يوما عن الدور المنوط بها، فالخطاب الدينى والاجتماعى والسياسى يؤدى واجبه على خير وجه، ومنذ مئات السنين والأزهر الشريف يتخرج فيه الكثير والعديد ولا يوجد منهم متطرف واحد، لأن الأزهر الشريف يدعو إلى دين الله على بصيرة، وسفراء الأزهر هم الذين درسوا به ويؤدون واجبهم على نفس نهج ما درسوه من وسطية واعتدال، أما الإرهاب الذى يحدث اليوم فلا ينسب لأى دين من الأديان فضلا عن الإسلام لأن الإسلام لا صلة له بالإرهاب، والإسلام شريعة وعقيدة وأخلاق وحضارة ومن يقول غير ذلك لا يفهم الإسلام فهما صحيحا.

.. وتحدث فضيلة الدكتور على جمعة ـ مفتى الجمهورية ـ قائلاً: إن الإسلام برىء من الذين يرجفون الآمنين، وأن هذا الفكر لن يفلح ولن يستمر أبداً، لأن الفطرة السليمة فى نفوس الناس، والوحى الشريف الذى تركه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتاب وسنة ضد الإرهاب، والإسلام برىء ممن يتطاولون عليه بغير علم، والكتاب والسنة قد حددت هذا الإرهاب عبر التاريخ كما بينت النزاع بين الخير والشر، وأن مفهوم الجهاد الصحيح هو جهاد النفس المستمر.

.. وتحدث فضيلة الدكتور أحمد الطيب ـ رئيس جامعة الأزهر ـ قائلاً: إن التفجيرات التى تحدث هنا وهناك داخل الأمة وخارجها أضرت بالمسلمين أعظم الضرر، وأن كل بلاد المسلمين بلا استثناء تعانى أسوأ وضع نتيجة اتهام الإسلام والمسلمين بها، وأصبح الكل فى نظر الغرب مجرما ويجب أن تحل عليه العقوبات الدولية، وهذا الذى أصاب البلاد هو بلاء لما خلفه من موت

ودمار، ويقصد بها الفتن الداعية لتفتيت الوحدة الوطنية، وكسر شوكة الشباب وحمل العداء للإسلام، والذين يقومون بهذه الأفعال لم يفكروا إلا فى تنفيذ الخطط العمياء التى تضيع من بعدها الشعوب مثلما ضاعت أفغانستان وبعدها العراق بهدف تأديب المسلمين حيث أجمع الغرب على تطبيق العقوبات الدولية وهى مجرد ذرائع وعلينا توعية الناس.

وفى ختام المؤتمر: أكد المؤتمر على أن المؤسسات الدينية فى مصر تعمل مع كل مؤسسات الدولة فى مواجهة الإرهاب بكافة صوره وأشكاله وأفكاره الهدامة التى تتعارض مع تعاليم الإسلام وسماحته ومبادئه التى أرست قواعد الأمة والأمن فى المجتمع.

حضر المؤتمر بعض السادة الوزراء والسفراء وأعضاء مجمع البحوث الإسلامية وقيادات الأزهر وجامعته العريقة ووزير الأوقاف وعلماء الأزهر الشريف والأوقاف.

الإمام الأكبر يستقبل وزير العدل الأفغانى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الازهر الشريف معالى الدكتور عبدالسلام عظيمى وزير العدل والمستشار القانونى للسيد رئيس جمهورية أفغانستان، والدكتور عبدالملك كامدى رئيس المحكمة العليا والأستاذ عبدالباسط عبدالحميد المنسق المحلى يرافقهم السيد المستشار أيمن شاش بالمركز القومى للدراسات القضائية بجمهورية مصر العربية حيث رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف مشيداً بعمق العلاقات مع دولة أفغانستان، مؤكدا على أن فى الأزهر الشريف أكثر من (٣٢٨) طالباً وطالبة يدرسون على منح دراسية من الأزهر الشريف ويقيمون فى مدينة البعوث الإسلامية ويتلقون التعليم مع إخوانهم المصريين. والتعليم فى الأزهر الشريف يمتاز بالتوسط والاعتدال والبعد عن التعصب الأعمى والعنصرية البغيضة المقيتة، وقال فضيلته: إننى التقى بهم فى كل يوم جمعة ونؤدى صلاة الجمعة معهم ونرشدهم لما يجب عليهم فعله نحو أداء رسالتهم بعد أن أنهوا دراستهم بالأزهر الشريف، مؤكدين لهم على أن الدين الإسلامى دين يمد يده بالسلام إلى كل من يمد يده إليه بالسلام، وأكد فضيلته على أهمية دور القضاء العادل الذى من شأنه أن يسود المجتمع الأمن والأمان الأمر الذى يؤدى إلى الرخاء والتنمية والتقدم، وقال فضيلته: إن الفرق بين الجهاد والإرهاب كالفرق بين السماء والأرض، لأن الإرهاب نكبة دينية ودنيوية، وهو اعتداء وعدوان وظلم ولايحصد من ورائه إلا الشر والقتل وهو ضد الشرائع السماوية ولذلك نهت عنه وأثمته كل الشرائع والقوانين والأعراف أما الجهاد فهو مشروع وهو دفاع عن الدين وعن النفس وعن المال وعن كل مايجب الدفاع عنه.

ومن جانبه شكر معالى وزير العدل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على إتاحة فرصة

اللقاء مشيدا بدور الأزهر الشريف من إعداده للأساتذة والعلماء والدعاة والوعاظ، وأن الشعب الأفغانى لاينسى أبدا دور الأزهر الشريف الهام، وقال إن الحروب التى منيت بها أفغانستان على مدار عشرين سنة قد غيرت من صورة الإسلام الصحيحة، وعلينا أن نعيد النظر فى التأكيد على أهمية دور المنبر والمسجد وإعداد القائمين على الوعظ والإرشاد لنسمع منهم مايتعلق بكل مجالات الحياة من الجانب الدينى ويوضحوا لنا كل ماهو صحيح فى الدين الإسلامى.

ويستقبل سفير أفغانستان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر سعادة السفير الدكتور/ عبدالرحيم شيرازى سفير دولة أفغانستان بالقاهرة حيث رحب فضيلته بسيادته فى مصر وأزهرها الشريف متمنيا له إقامة طيبة فى مصر، وأن مصر تعتبر بلده الثانى وأن مكتب شيخ الأزهر مفتوح لاستقباله فى أى وقت وأشاد فضيلته بالعلاقات الطيبة القديمة قدم التاريخ بين البلدين، وطلاب أفغانستان يدرسون بالأزهر الشريف على منح دراسية فى جميع مراحل التعليم الابتدائى والإعدادى والثانوى والجامعة، والأزهر الشريف بمناهجه يعلم سماحة الاسلام ويعلم الوسطية من الاعتدال وقد خصص الازهر الشريف ٢٠ منحة لأبناء أفغانستان هذا العام وعلى الدولة أن تختار هؤلاء الطلاب وترسلهم هذا العام للدراسة بالأزهر الشريف مع إخوانهم، وقد حمل فضيلة الإمام الأكبر سعادة السفير تحياته وتمنيات الأزهر الشريف إلى فخامة رئيس دولة أفغانستان بالتقدم والازدهار وذلك بسواعد أبنائها، والأزهر الشريف فى خدمة أبناء المسلمين فى شتى أنحاء المعمورة.

ومن جانبه شكر سعادة السفير فضيلته على حسن اللقاء وإتاحة هذه الفرصة وقال إنه جاء إلى الأزهر الشريف يحمل تحيات فخامة رئيس دولة أفغانستان لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وليقدم الشكر على المساعدات التى يقدمها الأزهر الشريف لأبناء أفغانستان مشيدا بالأزهر الشريف وعلمائه وشيخه، وقال: إن الكثير من أبناء أفغانستان قد تخرجوا فى الأزهر الشريف ويحتلون مراكز مرموقة فى أفغانستان،

وطلب سعادة السفير زيادة المساعدات من الأزهر الشريف للتوسع فى التعليم الأزهرى.

ويستقبل وزير الشئون الإسلامية الماليزى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الازهر الشريف معالى الدكتور/ عبدالإله محمد زين وزيرالشئون الإسلامية بدولة ماليزيا يرافقه السيد داتو زين العابدين عبدالقادر سفير ماليزيا بجمهورية مصر العربية والوفد المرافق لهما، وقد رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف مشيدا بعمق العلاقات والروابط الأخوية بين البلدين، والأزهر الشريف يستقبل أبناء دولة ماليزيا للدراسة بالأزهر وعدد الطلاب الذين يدرسون بالأزهر حوالى سبعة

آلاف وخمسمائة طالب وطالبة يدرسون فى معاهد الأزهر وجامعته العريقة، وقد خُصص هذا العام لدولة ماليزيا عشرون منحة دراسية ٠، وتوجد بعثة لعلماء الأزهر، يقومون بالمشاركة فى التدريس إلى جانب أساتذة ماليزيا والأزهر يستقبل أئمة ووعاظ ماليزيا يحضرون الدورات التدريبية التى ينظمها الأزهر الشريف كل ثلاثة أشهر لتدريب الأئمة والوعاظ من دول العالم الإسلامى وتقام فى الأزهر الآن الدورة رقم ٧٠.

وقد أعرب معالى الوزير عن بالغ سعادته لإتاحة الفرص لهذا اللقاء وقال:

إنه يحمل لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف تحيات رئيس دولة ماليزيا، وقال إنه حضر إلى الأزهر الشريف للإعراب عن مدى شكره وشكر بلاده لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ولعلماء الأزهر الشريف على مايقوم به الأزهر الشريف نحو تعليم أبناء المسلمين وخاصة أبناء دولة ماليزيا الذين يتلقون علومهم بالأزهر الشريف الذى تمتاز الدراسة فيه بالحكمة والاعتدال والوسطية، وقال إنهم جاءوا للاستفادة والاسترشاد بآراء فضيلته فى أمور الفتوى والشريعة، وخاصة أنهم بصدد إعداد منهج لتنمية الأسرة والفرد فى ماليزيا يكون مستمدا من الحضارة الإسلامية وخاصة أن ٦٣٪ من شعب ماليزيا من المسلمين.

ليبيا تطلب مدرسين من الأزهر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى وزير الأوقاف والسيد محمد بشير مروان أمين الهيئة العامة للأوقاف بجمهورية ليبيا الشقيقة، حيث رحب فضيلته بالضيفين الكريمين مشيدا بالاخوة الطيبة والصلة التى تربط بين الشعبين الشقيقين مصر وليبيا ، وقال فضيلته إن أبناء ليبيا يحضرون إلى مصر للتعلم بالأزهر الشريف ، يتلقون العلم على أيدى علماء الأزهر وهم بذلك سفراء للأزهر ولمصر حينما يعودون إلى بلدهم ينقلون ماتعلموه من القرآن الكريم ومن علوم شرعية وعربية ، فالأزهر الشريف يعلمهم سماحة الإسلام ويسره ووسطيته واعتداله التى هى منهج التعليم فى الأزهر الشريف، والأزهر لايدخر وسعا فى تلبية كل ماتطلبه الجمهورية الليبية.

ومن جانبه شكر معالى الوزير فضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء وإتاحة الفرصة لهذه المقابلة الطيبة وعلى الجهد الذى يقدمه الأزهر الشريف للعالم الإسلامى أجمع وللجمهورية الليبية على وجه الخصوص مشيدا بالأزهر ودوره وشيخه وعلمائه، وقال إنه جاء لزيارة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر للتزود فى مجال الشريعة والفقه ولبحث سبل تعزيز التعاون العلمى، وطلب سيادته توفير بعض المدرسين والوعاظ من الأزهر الشريف للعمل فى ليبيا إلى جانب إخوانهم فى ليبيا لنشر العلوم والثقافة الشرعية والعربية.

ومن جانبه أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على أن من واجبات الأزهر الشريف توفير كل ماتحتاجه الدول من علماء ووعاظ لنشر تعاليم الإسلام السمحة، ووعد ببحث ودراسة ماطلبه معالى الوزير وتوفير كل ماتحتاجه الجمهورية الليبية فى أقرب وقت .

الإمام الأكبر يستقبل وفدا سعوديا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد الشباب السعودى برئاسة السيد / عبدالعزيز محمد الدخيل تنفيذا لبروتوكول التبادل الشبابى بين وزارة الشباب المصرية والرئاسة العامة لرعاية الشباب والرياضة بالسعودية لعام ٢٠٠٥م، وقد رحب فضيلته بالوفد، وقدم لهم التعزية فى وفاة خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز داعيا له بالرحمة والمغفرة، وأن يجزيه خير الجزاء لما قدم لبلاده وللمسلمين، كما قدم التهنئة لخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز داعيا له بالتوفيق والسداد وأن يكون خير خلف لخير سلف، موضحا بأن البلاد تنعم بنعمة الأمان والأمن والرخاء والاطمئنان حينما يكون شبابهم واعيا لتعاليم دينه الحنيف، وشريعة الإسلام تعتبر الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة وأن من أخص خصائص الإسلام أنه يمد يده بالسلام لكل من يمد يده إليه بالسلام، وأن العقائد لا إكراه عليها ، وشريعة الإسلام تمتاز بالوضوح فليس فيها عقد نفسية أو أحقاد أو ظلم ، لأنها ضد كل ذلك ، وأكد فضيلته على أن الجهاد إنما شرع للدفاع عن النفس وعن العرض وعن المال وعن الشرف وعن الكرامة الإنسانية، وعن الأرض، وعن كل ماأوجب الله عز وجل الدفاع عنه.

وتعرض فضيلته للأحداث التى تعرضت لها المملكة العربية السعودية ومصر وغيرهما من الدول من عمليات إرهابية قام بها جاهلون لأمور دينهم ، فالدين الإسلامى لايأمر بالعدوان وإنما يأمر برد العدوان والدفاع عن الأرض وعن العرض وعن العقيدة وعن الكرامة ضد المعتدى الظالم، وقال فضيلته: إن التعاون وتبادل المصالح أمر هام وضرورى بين المسلمين بعضهم البعض وبينهم وبين غيرهم ويجب أن يسود هذا التعاون المصارحة والمكاشفة ، لأن المسائل التى تبنى على المصارحة والمكاشفة وحسن الظن تأتى بثمار طيبة ويكون التعاون بناء ومفيداً ونافعاً، وعلى الشباب مناقشة أمورهم الدينية مع المتخصصين ليوضحوا لهم ما خفى عليهم من مسائل فقهية وشرعية، حتى يعرفوا أن الإرهاب هو عدو لكل القيم الإنسانية، وأن الإسلام يدعو للفضائل وللعفاف والطهارة كما يدعو للتسامح، وقد أوصاهم بأن يفهموا دينهم فهماً صحيحاً سليماً، وأن يحافظوا على مكارم الأخلاق، حتى تكون لديهم القدرة على الدفاع عن دينهم ويستطيعوا أن يوضحوا لمن لا يفهم الدين فهماً صحيحاً أن الإسلام يحرم القتل والتخريب، وأن العدوان والاعتداء على الآمنين مرفوض ولا يقره الدين ولا العقل السليم، والإسلام برىء من كل ذلك، وعلينا أن نعمل بآداب الإسلام وتعاليمه، وهى آداب سامية.

وفى نهاية اللقاء شكر الوفد فضيلته على سعة صدره وعلى الشرح الوافى لما يجب أن يكون عليه الشباب المسلم.

الدورة التدريبية الـ ٧٠ لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى

وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على إقامة الدورة التدريبية العالمية السبعين لتدريب الأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى للأزهر الشريف لمدة ثلاث شهور اعتبارا من ١/٨/٢٠٠٥ ويبلغ عددهم عشرين إماما وواعظا، من الجزائر والسودان، وبنجلاديش، وغانا، وتوجو، وبورندى، ويتحمل الأزهر تذاكر السفر ذهابا وإياباً ونفقات الإقامة كاملة بمدينة البعوث الإسلامية.

افتتاح معهد القراءات للفتيات

افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف يرافقه اللواء فؤاد سعد الدين محافظ المنوفية معهد القراءات للفتيات بشبرا باخوم وهو أول معهد لعلوم قراءات القرآن الكريم للفتيات على مستوى العالم الإسلامى تمهيدا لضمه إلى الأزهر الشريف ليصبح إحدى مؤسساته التى يرعاها ويعتز بها، ويخدم المعهد محافظات المنوفية والقليوبية والغربية، ومركز ميت غمر من محافظة الدقهلية، وأشار السيد المستشار حامد عبدالدايم أن المعهد يشتمل على ثلاث مراحل مجموعها ثمانى سنوات مدة المرحلة الأولى، عامان دراسيان تحصل بعدها الطالبة على إجازة التجديد وهى تؤهل الطالبة للعمل كمحفظة للقرآن الكريم، والمرحلة الثانية: مدتها ثلاث سنوات تؤهل للحصول على عالمية القراءات، والمرحلة الثالثة والنهائية ومدتها ثلاث سنوات تؤهل للحصول على تخصص القراءات، وقد بلغ عدد الطالبات بالمراحل الثلاث فى العام الدراسى ٢٠٠٤/٢٠٠٥ (١٣٠) طالبة.

وتكلفت المبانى والتجهيزات أكثر من مليون جنيه تبرع بها بعض الخيرين من رجال الأعمال، وقد أعد بالمبنى أماكن لإقامة المغتربات من الفتيات تستوعب ٣٠ طالبة من حيث الإقامة واحتياجات الإعاشة، وتجرى الدراسة على نحو ما تجرى عليه كافة معاهد القراءات بالأزهر الشريف على ثلاث مراحل مدتها ٨ سنوات.

اعتماد نتيجة الدور الثانى للإبتدائية الأزهرية

اعتمد فضيلة الأستاذ الدكتور محمود امبابى وكيل الازهر الشريف نتيجة امتحان الدور الثانى للشهادة الابتدائية الأزهرية على مستوى الجمهورية للعام الدراسى ٢٠٠٥م حيث بلغت نسبة النجاح ٨٣,٣٦٪ وكانت نسبة النجاح فى الدور الأول ٦٨,٤٣٪ وبذلك تصبح نسبة النجاح فى الدورين معا الأول والثانى ٩٤,٢٠٪.

There is another virtue pertaining to the month of Sha`ban; that is, it was full of Islamic glories and important events. These events was topped by the turning of the *Qiblah* (i.e., the direction towards which Muslims direct their faces during prayer) from the Aqsa Mosque to the honorable Ka`bah. The majority of views decide that such an event had took place in the middle of Sha`ban, 2 A.H. With regard to that event, Allah, Exalted be He says:

> {We have already seen the turning about of your face[5] to the heaven; so We will indeed definitely turn you towards a Qiblah that shall satisfy you. So turn your face towards the Inviolable Mosque; and wherever you are, then turn your faces towards it.}
>
> [Al-Baqarah (The Cow): 144]

In the above-mentioned verse, the wisdom behind the turning of the *Qiblah* is obvious for the minds. In other words, when the Muslims faced the Aqsa Mosque, the *Qiblah* of the Christians and Jews, that was a kind of calling the People of the Book to share such a spiritual inheritance along with them. Nevertheless, when those people refused to return to the right path of Allah represented in Islam, the Muslims turned to the Ka`bah, by Allah's command, during their prayer. This is due to the fact that the Ka`bah was the House built by their father Ibrahim (Abraham), and they inherited him, so it was of their right to inherit the House and turn to it during their prayer.

Finally, Sha`ban and our Lord demand us to understand our religion and work accordingly. May Allah grant us success to follow the footsteps of the Messenger and adhere to his *Sunnah*!

[5] O Muhammad

From that we can derive that the good cannot be distinguished from the evil, nor the lawful from the unlawful except through the instructions of Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him). In addition, the servant cannot win the satisfaction of the Lord except through winning the satisfaction of the Messenger. But differently, knowing the guidance provided by the Messenger is the way leading to success, and knowing his life and sticking to his instructions and commands is the ship leading to the safe shore.

With regard to the Messenger's guidance, we may note that he used to observe fasting during the month of Sha`ban much more than he would in other months (except, of course, in Ramadan). This is due to the fact that Allah favors the Month of Sha`ban over the other months with some virtues. In this connection, Lady `A'ishah, the Mother of the Faithful, said, *"The most of the fasting observed by Allah's Messenger was in the month of Sha`ban. Thus, I asked the Messenger, 'O Allah's Messenger, I see most of your fasting observed in the month of Sha`ban.' He said, 'This is the month in which the Death Angel writes the names of whomsoever he shall causes death, so I do not like my name to be written except while I am in a state of fasting.' "*

There is another *hadith* supporting the above-mentioned one in which Lady `A'ishah said, *"The Messenger said, 'Allah writes the names of the souls to die this year, so I like to die while I am in a state of fasting.' "*

From these two *hadiths* and many others, we can feel how Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) would attribute great honor to the month of Sha`ban. That is, he would observe fasting most, if not all, of the month. Moreover, he used to observe acts of worship, such as performing prayer, giving in charity, reciting the Qur'an, etc., in a degree more than he would in any other month.

will, then the brave and the coward would be equal, as the sensible oscillations are of one level. In fact, the difference between the fearless and the coward lies in the soul. Moreover, if this is the way, we would be astonished to see a huge, muscular person showing ignoble fear in the face of danger, while see a thin, weak person showing bravery at the same situation. Hence, if the strength of oscillation is the motive behind courage and cowardice, the matter would be general for everyone; that is, every well-built person would be courageous while every weak person would be coward. This is not the actual case. Here, the material mass has nothing to do with this, for the true factor goes for the decisive will, the real outcome of the soul.

There is another unquestionable proof in this respect; namely, the soul exists. This proof can be witnessed in the bodily anesthetization. For more illustration, the anesthetic affects the soul not the body, for we see the scalpel of the surgeon doing its work on the body without the least feeling of pain by the patient. This is due to the fact that the anesthetic works on the soul and pushes it into a state of unconsciousness so the patient feels nothing. Thereupon, the soul is a thing completely independent from the body. Stated differently, the soul is something totally confined to the Creator's knowledge.

After proving that the soul and the body are two different things, we find ourselves obliged to ask: Has that human entity been created without a creator? Is it reasonable for that body with its all different systems – digestive, reproductive and respiratory – and according to such a harmonious orderliness to exist aimlessly or randomly without being created by a mighty power?! After all that we have mentioned, if the atheists still on their atheism, let them continue the constructive, objective research and scientific investigation so that they might be able to believe the Words of Allah in which He, says:

> {We shall soon show them Our signs in the horizons and in themselves till it is evident to them that it is the Truth. And does it not suffice as to your Lord that He is The Ever-Present Witness over everything?} [Fussilat (Expounded: 53]

*Among the Virtues of Sha`ban

By: Sheikh Ibrahim `Atta Al-Fayoumi

Allah, the Al-Mighty, is Good and He does not like except that which is good among the deeds and words. Hence, the servant has to choose what is good among the deeds, sayings and manners. Simply stated, the good is what is accepted by the sound nature, *Shari`ah* (i.e., Islamic Law) and mind.

The best among deeds is the worshipping of Allah Alone, devoting oneself to Him in secrecy and in public as well as favoring His satisfaction and obedience over anything else. Our obedience to Allah can be felt in our obedience to His Prophet and Messenger Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him).

> {Whosoever obeys the Messenger, then he has already obeyed Allah} [An-Nisa' (Women): 80]

And:

> {Say, "In case you (really) love Allah, then closely follow me (and) Allah will love you.}
>
> [Al-Imran (The Household of Imran): 31]

Here, it is necessary for people to know about the honorable Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) with regard to all his affairs so that they can follow his footsteps. In this respect, Allah, the All-Wise, says:

> {Indeed you have already had a fair example in the Messenger of Allah for whosoever hopes for Allah and the Last Day, and remembers Allah much.}
>
> [Al-Ahzab (The Allied Parties): 21]

Moreover, Allah says:

> {And whatever the Messenger brings you, then take it; and whatever he forbids you then give over.}
>
> [Al-Hashr (The Mustering):7]

* An Article Published (In Arabic) At Al-Azhar magazine.

Atheism's Foundation Cracks
By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

The atheists, of whatever category, give themselves a high esteem they actually lack. In fact, they see themselves as great scholars and thinkers who have their own independent views, deep sightedness, and vast horizons. That is indeed what they believe of themselves. What ascertains such a feeling is when they deal with some people of narrow knowledge, so they begin boasting themselves. For their intellectual deficiency, they forget to compare themselves with the prominent scholars among the believers who have studied the scientific matters seriously and deeply. Such believing scholars are many but the atheists' eyes are too blind to see them; the atheists cannot see what is miles and miles above their heads. The atheists only deal with the simple-minded and ignorant among the people with the aim of implanting doubt into their hearts and minds.

The atheists – you may call them the materialists, freethinkers, naturalists, etc. – do not believe except in only what they feel and see. That is why the atheists declare atheism depending on their limited abilities and deficient faculties. However, they have been strongly confronted by a group of fearless scholars who have been armed with the scientific evidence able to eliminate all doubts.

Some researchers in their serious writings analyze the attitudes and beliefs of the materialists. They say that the materialists believe that this world has but only one actual fact; that is, the external matters that can be seen, touched, and perceived by senses. In fact, the materialists do not believe in anything else, as, according to their own ideas and beliefs, other matters do not exist. In accordance with such beliefs, the human being is nothing but a uniform live body, and the soul, thus, is not a thing outside or inside the body, for it cannot be seen or touched. In reply to such ideas believed by the materialists, we can prove, with basic undeniable facts, the corruption and invalidity of such ideas. We say that the senses are deceitful as it happens in many times that they do not perceive things as they

truly are. Let us take the Sun as an example. Is there anything clearer to our eyes than the Sun? It is that shiny thing that circulates from the east to the west above our heads. We see the light moving with her from a place to another. This is the manner according to which our senses perceive the Sun. But, does the Sun circulate in reality and moves from one place to another? The actual facts, in which the materialists believe, affirm that the Earth is the one that circulates around the Sun and that the Sun stands still without circulation. Though the eye sees the Sun as a flat object, it is in fact a round object. Hereupon, if we do not have something clearer than the Sun, despite the fact that we see it in a way different from its actual reality, so how can we deny the existence of what is beyond the perception of the senses?!

In this relation, if we do not see the soul, this does not mean that the body is a uniform entity having no soul; rather, this means that sight alone is not the only proof of existence. In other words, every one of us has a different way of thinking that leads his/her bodily movements according to the way he/she wills. Also, the will is the outcome of such thinking. Through the soul, the little baby feels the meaning of mercy when seeing a smile on the face of his/her mother and thus he/she smiles back. The baby also feels the anger when he/she feels the harshness of any stranger, thus, he/she cries. Hence, the will, alone, can prove the existence of the spiritual world; the soul. It is a world totally different from the tangible world. That will is not exclusive to the world of humans but it can be felt in that of animals; for example, the animal runs, stops, eats and sleeps whenever it wills. Additionally, when an animal faces an obstacle, it tries to overcome it through thinking. For example, the animal finds an easy means when it wills to climb a tree; and when it wishes to get its food, it runs, jumps and turns until it gets its food. All this proves that each living being has its own different, independent soul.

As for the materialists' claim that the brain oscillations are the real factors responsible for operating humans, it is a baseless idea. To prove, if the oscillations are the real alternative for the

Thereupon, all the tribes knew that it was Abu Sufyan and the polytheists who broke their promise. Consequently, the Muslims ran the market of Badr by themselves and won the satisfaction of Allah and their trade became prosperous. True are the Words of Allah in which He says:

> {The ones to whom the multitude said, "Surely the multitude have already gathered against you, so be apprehensive of them." Yet, it increased them in belief, and they said, "Allah is the Reckoner for us, and how excellent is The Ever-Trusted Trustee. So they turned over with favor from Allah and (His) Grace, untouched by (any) odious (disadvantage); and they followed closely the Divine satisfaction of Allah; and Allah is The Owner of magnificent Grace.}
>
> [Al-`Imran (The Household of `Imran): 173-174]

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) would observe fasting on many days during this month. An-Nasa'y narrated about Usama Ibn Zayd (may Allah be pleased with them both) that he said, *"O Messenger of Allah, you fast during Sha`ban much more than you do in any other month." The Prophet said, "This is a month between Rajab and Ramadan to which people pay no attention, yet it is a month during which deeds are lifted to the Lord of the Worlds and I like my deeds to be lifted while I am fasting."*

Among the virtues of this blessed month are what has been narrated about its middle night and how the Prophet would observe special acts of worship at it to show its virtue. At-Tabarany and Ibn Hibban (in his *Sahih*) narrated, from Mu`az Ibn Jabal (may Allah be pleased with him), that the Prophet said, *"Allah looks at all His creatures at the middle night of Sha`ban. He forgives all His creatures except a polytheist or a quarreler."*

However, it should be noted that there is no specific invocation reported on the Prophet at this night. It is desirable to invocate Allah devotedly at this night. In this connection, the Mother of the Faithful `A'shah (may Allah be pleased with her) said that the Prophet, at his prostration during the middle night of Sha`ban, said, *"O Allah, I seek shelter with Your forgiveness against Your punishment. O Allah, I seek refuge with Your satisfaction against Your wrath. O Allah, I seek shelter with You from You. Exalted is Your face. I do not count to praise You. You are as You praised Yourself."* When Lady `A'ishah asked the Prophet about this supplication, he said, *"Gabriel, peace be upon him, taught me these words and ordered me to repeat them in my prostration."*

It is worth mentioning here that one cannot be absolved from the rights of the servants of Allah unless such rights are returned to their owners or unless their owners abdicate them. On the other hand, one can be absolved from the rights of Allah, Exalted be He, by repentance and giving up sins. The *Faqihs* (scholars well-versed in Islamic Jurisprudence) deem it rightful to spend much time worshiping Allah during this night and to invoke for the benefit of oneself and one's beloved as well as the alive and the dead of the believers. However, people are not permitted to judge that it is obligatory to celebrate the middle night of Sha`ban as a prescribed act or a stressed-upon *sunnah* without relying on an authentic legal proof. As for the meetings held at the mosques during this night as well as the well-known invocations, they have no basis pertaining to the Four Imams[4] nor relevant to the Imams of *Hadith*. Hence, the Muslims should avoid them and choose for themselves any supplication with which they call their Lord.

[4] The great well-known Imams of Islamic Jurisprudence. They are Abu Hanifah, Malik, Ash-Shafi`y and Ahmed Ibn Hanbal.

Facing the Holy Ka`bah, as well as previously facing the Aqsa Mosque, does not involve worshipping them at all. In this respect, we may give mention to the second Rightly-Guided Caliph, Umar Ibnul-Khattab, when he went to kiss the black stone, where he said, "By Allah! I know that you are a stone that can neither cause any harm nor bring forth any benefit. Had I not seen Allah's Messenger kissing you, I would never have kissed you." Thus, facing the Ka`bah during prayer does not mean worshipping it in any way; rather, it is just a means for congregating the rows of millions of Muslims towards one direction during prayer so as to devotedly worship Allah Alone. The *Qiblah* means no other than a symbol towards which the community of Muslims direct their faces during prayer to declare the Oneness of Allah, to glorify Him, and to increase their faith in Him.

Notwithstanding, Allah, the Almighty, Who commands the Muslims to adhere to unity and forbids them from dissention exhorts them to all such behaviors achieving this unity. Allah says:

> {And adhere firmly to the Rope[3] of Allah, altogether, and do not be disunited; and remember the favor of Allah upon you as you were enemies, then He brought your hearts together.}
>
> [Al-`Imran (The Household of `Imran): 103]

Suppose, while performing prayer, every Muslim faced a certain direction he desired. In such a case, the Muslims would appear in their prayers disunited. For this reason, it was inevitable for them to face one *Qiblah*. Allah, the Ever Majestic be He, wants Muslims to be united in their worship as well as in all their affairs.

The event of altering the *Qiblah* from the Aqsa Mosque to the Inviolable Mosque aroused the objection of the polytheists and the hypocrites who had long polemicized about it. The Lord,

[3] The Covenant of Allah, namely the Qur'an and the *Sunnah*.

Exalted be He, called them the foolish as they debated with the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and his Companions aggressively. Allah, Glory be to Him, described them saying:

> {The foolish ones among mankind will say, "What has turned them away from their *Qiblah* which they had been (facing)?" Say, "To Allah (belong) the East and West; He guides whomsoever He decides to a straight path."}
>
> [Al-Baqarah (The Cow): 142]

Before embracing Islam, Abu Sufyan Ibn Harb appointed a certain time to fight against the Muslims after the battle of Uhud, where he said, "Our meeting is in Badr, next year." He threatened the Muslims and arrogantly menaced them. The place of Badr had an annually commercial season used to take place during the month of Sha`ban. At that occasion, Quraysh, as well as the other tribes, used to gather for commercial exchange among themselves. By the time of that occasion, Quraysh was inflicted with aridity and had no products to offer in that market that used to extend for eight days.

Consequently, failing to fulfill his promise, Abu Sufyan wanted to attribute the charge of breaking such a promise to the Muslims so as to save the face of the polytheists. He thus ordered to circulate rumors about the strength of Quraysh in order to infuse fear into the hearts of the Muslims so that they might retard from fighting, then he could announce that Quraysh marched to meet the Muslims who dared not to fight them. Therefore, Abu Sufyan started performing his plan. He sent his agents to circulate in Medina that Quraysh was coming with large multitudes that Muslims could not face by any means. Yet the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) paid no attention for such rumors and disquieting news. He marched to Badr accompanied by one thousand and five hundreds of his Companions. When the Prophet and his Companions reached Badr, they found no trace of Quraysh.

AL-AZHAR MAGAZINE
Sha'ban, 1426 A. H.

ENGLISH SECTION
September. 2005

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."
(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

The Month of S ha`ban

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

At the Mosque of the Two *Qiblas*[1] in Medina, the one who succeeds, by Allah's favor, to visit it stands in a state of learning and taking an example. All memories summon but only one unforgettable event represented in the alteration of the *Qiblah* towards which Muslims direct their faces in their prayers. It was altered from Jerusalem to the Holy Ka`bah in the Inviolable House. In this regard, Allah, Exalted be He, says:

> {We have already seen the turning about of your face[2] to the heaven; so We will indeed definitely turn you towards a *Qiblah* that shall satisfy you. So turn your face towards the Inviolable Mosque; and wherever you are, then turn your faces towards it} [Al-Baqarah (The Cow): 144]

This event took place on Monday in the middle of Sha`ban, approximately two years after the Hegira. Some of the narrow-minded researchers may speak ill of a hole in the wholesome building of Islam claiming, "If Islam is the religion of absolute monotheism, why then it legislates turning one's face during prayer to such buildings as the Ka`bah or the Aqsa Mosque? Does that glorification for these two buildings not involve worshipping them?" The reply is that it is Allah Alone, Exalted be He, Who is worshipped, and to Whom all kinds of worship, as well as every consecration, is directed. In His Ever-Glorious Book, Allah says:

> {Say, "Surely my prayer, and my rites, and my living, and my dying are for Allah, The Lord of the worlds." No associates has He; and this is I am commanded, and I am the first of the Muslims.} [Al-An`am (The Cattle): 162-163]

[1] The *Qibla* is the direction towards which people direct their faces during performing prayer.
[2] O Muhammad

الفهــــــرس

بسم الله الرحمن الرحيم

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

المشرف العام

الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً - الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً

أوربا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

☎ ت: ٢٦٣٨٥٩٩

رمضان ١٤٢٦هـ - أكتوبر ٢٠٠٥م - الجزء التاسع - السنة الثامنة والسبعون

الدروس الدينية فى رمضان

الإمام المراغى فارس الحلبة

كانت المساجدُ منذ نشأة الإسلام مدارس عامةً تُلْقَى فيها المواعظ ويُتْلَى فيها القرآن بقراءاته المتعدِّدَة تعليماً وتثقيفاً، وقد نشأت المَذاهبُ الفقهية فى حلقات هذه المساجد، فسجلَتْ مجداً علمياً رائعاً، قبل أن تَنْشَأ المدارسُ لتقوم بدورها فى دراسة العلوم على نحو مُنْضَبِط مُنَظَم، وفى مصر كانت مساجدُ عمرو بن العاص وابن طولون والأزهر وغيرها مدارسَ ذاتَ جداول وأساتذة وموادّ، كما عُرِفَ عصرُ المماليك بتولية كبار العلماء خُطْبَةَ الجمعة بمرسومٍ سُلطانى، وكان كبارُ الفقهاء يَعدُّون الخُطْبَة الأسبوعية والدرس الدينى موضع إعزازٍ ومباهاة، حتى جاء العصر العثمانى فانطفأ بريق العلم، ورفعت الدولة يدها عن التعليم، فكانت المساجدُ لا تجد إلاّ المتطوعين مِمَّن يحملون أمانة العلم لتُؤدّى للعامة والخاصة ابتغاء وجه الله، حتى تبدل هذا الحال فى هذا العصر، فازدهرت الدروس الدينية بالمساجد ازدهاراً حميداً، ورأينا كبار العلماء يتطوعون بإلقاء الدروس فى شهر رمضان، ولهم جمهورهم الغفير فى كل مسجد، وأذكر أن الشيخ محمد بخيت المطيعى المفتى الأسبق كان يلقى درس العصر فى رمضان بالمسجد الحسينى، وكان الشيخ يوسف الدجوى يلقى درسَ العشاء بالجامع الأزهر، وكان الشيخ السمالوطى يلقى درسه قبيل الفجر فى المسجد الزينبىّ وثلاثتهم أعضاء فى جماعة كبار العلماء بالأزهر، وفى الناسِ مَن يُتابع هذه الدروس الثلاثة يومياً، فيتنقل من مسجد إلى مسجد حتى يحصُل على أكثر ما يستطيع من العلم المتاح، لذلك كان رمضان لدى الناس شهر العلم، كما هو شهر القرآن، وكانت فرحةُ الصائمين بدروسه تُعادل فرحتهم بصومه، واعتقاد المثوبة فى الاستماع مما يحفزهم على المواصلة دون انقطاع!.



المراغى



فريد وجدى

ولكنّ هذه الدروس الدينية قد بلغت أوجها الرفيع فى عهد الأستاذ الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغى، حيث كانت دُروسه مطمح الأنظار، إذ يحضرها جلالة الملك فاروق، ورئيس الوزراء، وكبار الصفوة من العلماء والمثقفين، ومن العامة أيضاً، وكنتَ ترى السجّاد مفروشاً خارج المسجد إلى مدى فسيح، وقد ازدحَم الناس فى مُحيطه حين ضاق بهم المسجد، وصَوْتُ الميكروفون يُدوِّى بأداء الإمام، والإذاعاتُ العربية فى عواصمها المُختلفة تنقُل الحديث الدينى كما تنقله إذاعة مصر، والجرائد اليومية تنشر ملخصاً وافياً لما قيل، أما المجلات الدينية فتَنْشُر النص بأكمله!. وقد جُمِعَ كثير من هذه الدروس فى كتاب قَيِّم أصدرته دار الهلال وتَعَدّدَت طبعاته مرات!.

وكَيْلا يظن بى القارئ إسرافاً فيما أُدَوِّنه، فإننى أنقُل إليه ما كتبه الكاتب الكبير الأستاذ محمد فريد وجدى حول هذه الدروس بالمجلد الثامن من مجلة «الأزهر» سنة ١٣٥٦هـ ص٦٤٢، حيث قال من مقال مستفيض ننقُل منه ببعض التَّصرف:

«إنَ السُّنَّة الكريمة التى سَنَّها حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق فى الاستماع إلى الدروس الدينية تُعْتَبَر بحقٍ حادثاً جللاً فى العالم الإسلامى الحديث، وسيكون من آثارها المباشرة يقظة العاطفة الإسلامية فى نفوس الأمم الآخذة بهذا الدين، والرغبة فى استجلاء رُوحه الصحيحة وأصوله العالمية القويمة، ولَمّا كان هذا لا يُمْكن أن يكون إلاّ من طريق التناسب العقلى، والترابط العلمى بين الناس، فسيُثْمِر هذا الجُهْد انقلاباً فى وسائل الفهم، وطريقة تجلية الأغراض الإسلامية».

وقد قام الإمام المراغى بما اعْتُبِر تجديداً باهراً فى حُسن الأداء وجمال البيان، وجلالة الموضوع إذ جالَ فى نواحٍ شَتّى مما يهم النفوس من أسرار الدين، وأصوله العلمية، وفيما لَهُ صلةٌ بالعالم الإنسانى، ومَراميه الأدبية، فَبَيَّنَ فضيلته الأسباب الداعية إلى ما كان من

انفصام وحدة المسلمين، ووقوع الشقاق بينهم، فعلى المسلمين أن يدركوا ما تعنيه هذه النزعة الشريفة، وإنّ هذه الدعوة إن لم تُثْمِر ثمرتها اليوم فستحقق غداً».

ولعلّ القراء على ذكر من مقال لى سبق أن نشرته بمجلة الهلال، أَرُدُّ فيه على كاتب فاضل ظنّ أن أحاديث المراغى كانت للدعاية الحزبية، فأثبت له نقيض ماقال، وقلت: إن من حسن الحظ فى بيان الحقيقة، أن الأحاديث دُوِّنَتْ بكاملها فى مجلة الأزهر، فى حين إلقائها، وليس بها ما يُشَمُّ منه رائحة التحزُّب، كما ليس من المعقول أن يجعل إمام المسلمين كتاب السماء، ومسجد الرحمن أداة لتوجيه حزبى، وهو من هو، والتفسير منتشر ذائع!. وهو الوثيقة التى تمحق الاتهام.

ولعل مما ينطق بالحجة البيضاء فى هذا الصدد أن الإمام فى درسه الذى ألقاه فى رمضان سنة ١٣٦٣هـ مفسراً قول الله ـ عز وجل ـ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾

(سورة النساء: ٥٩)

قد قال إن معنى «أولى الأمر» أنهم أهل البيِّنة من العلماء والفقهاء، والأمراء الذين يمثلون الأمة الإسلامية تمثيلاً صحيحاً بعيداً عن الهوى والغرض، وعن سائر المؤثرات، ويمثلون طوائفها المختلفة، فهم أصحاب الكفاية فى الرأى والتشريع وأهلُ الدراية بمصالح الأمة وما يوافقها!. هذا ما قاله الإمام على مسمع من جلالة الملك وحاشيته ووزرائه!. فلم يَقُل إن ولىّ الأمر هو الملك أو رئيس الوزراء!. بل جعَل الطاعة لأعلام الأمة الذين يمثلون كيانها، وهم بعدُ أصحاب الكفاية فى الرأى والتشريع.

لم يشأ الإمام المراغى أن تكون الدروس الدينية فى مسجد الأزهر وحده، بلْ رأى أن تُلْقَى هذه الدروس فى المساجد المختلفة بالقاهرة والإسكندرية، ليكون لساكنى الأحياء الشهيرة حظهم من الاحتفاء، حين يجدون جلالة الملك ووجهاء الدولة يقصدون مسجدهم الذى يعتزون بإقامة الشعائر به، وكان صدى هذا التوجيه الشعبى النبيل، أنّ أهالى كل مسجد، قد أقاموا مظاهر الاحتفال الباهرة ليلة الدرس الدينى، فأضاءوا الثُّريَات الكهربائية حتى أصبح الليل نهاراً يأتلق بالشمس، ونصبوا الأبسطة والسجاجيد فى نواحى المسجد الأربع، وخيوط الكهرباء تمتد من الأعلى فَتُلْقِى أثراً من

الارتياح النفسى لدى كل ناظر، وقد حرص أكثرُ الحاضرين على أن يصحبوا أولادهم فى أكمل زينة، ولا يوجد حرسٌ ملكىَ يمنع من أراد الدخول إذا كان الفراغ متسعاً، أمّا وقد ضاق المسجد الرحيب عن قاصديه، ففى الخارج متّسَع لمن يجلس مطمئناً فوق البُسط والسجاجيد، وأستشهد الآن بالدروس الدينية التى ألقيت فى رمضان سنة ١٣٥٦هـ حيث بُدِئَ الدرس الأول مساء الخميس فى الثامن من الشهر الكريم بمسجد البوصيرى بمدينة الإسكندرية، وتلاه الدرس الثانى بمدينة القاهرة فى مساء يوم الجمعة السادس عشر من رمضان بالمسجد الحسينى الشريف، وجاء الدرس الثالث مساء يوم الخميس الثانى والعشرين من رمضان بمسجد أبى العلاء بالقاهرة، ثم الدرس الرابع فى مساء الخميس التاسع والعشرين من رمضان بمسجد السلطان الحنفى بالقاهرة. وهذا نَمطٌ من عام واحد تتابعت بعده الأعوام، لتُكرِّر نماذج هذه الدروس فى مساجد شتى، ولوتتبعناها بالتفصيل لَتشعَّب الحديث!.

وإذا كان الإمام المراغى حريصاً على الوحدة الإسلامية بين شتى الدول الإسلامية، فقد دعا إلى نبذ مسائل الخلاف المذهبى دعوة صريحة، وأعلن أن الأصول العامة هى مجال الاتفاق، وأما الفروع فأمرها سهلٌ، إذ لكل وجهة هو موليها، ولكن قوماً ممّن تضيق عقولهم عن استيعاب هذه البديهيات، قد جنحوا للخلاف، وفسحت لهم الصحف الهابطة مجال اللجاج، دون أن يعرف القائمون على تحريرها مناط الخلاف، وموضع الشقاق، لذلك تأثر طُلاب الأزهر إذ ضاقت صدورهم بما يُروج من الإفك، واتجهت وفودٌ من كليات الشريعة وأصول الدين واللغة العربية إلى مقر المشيخة تعلن تأييدها المطلق لما يدعو إليه الشيخ الأكبر، وتستنكر أن يقوم مُسلمٌ منَّا بهذا العبث المريض، وقد نشرت مجلة الأزهر إذ ذاك بعض كلمات كبار الأساتذة التى ألقيت فى لقاء الأستاذ الإمام مُعْلنة خالص الابتهاج بالبيان المشرق الذى استفاد منه كل سامع، وكان الرجل الكبير متواضعاً كل التواضع حين قال رداً على ما سمع:

«أما الدروس الدينية فإنى أعتقد أن إخلاصكم لى ومحبتكم إياى أكبرت من شأنها عندكم بأكثر مما تستحق، فهذه الدروس كانت شرحاً لبعض الآيات الكريمة قصدتُ به أن يكون فى المستوى الذى يفهمه الجمهور، لا فى المستوى الذى يستفيد منه العلماء، فإذا قابله الجمهور بالحمد والاطمئنان والرغبة فى الزيادة فإنى أُصدق ذلك، وأحمد الله

عليه، وعلى أنهم أفادوا منه، أما إذا سمعتُ منكم أنَّ هذه الدروس كانت محلَّ إفادة العلماء، فهو ما أحْمله على الظن، وعلى محمل إخلاصكم ومحبتكم لى، وأحمد الله على ذلك أيضاً».



محمد عبدالله دراز



الشعراوى

وقال الإمام فى وفد آخر:

«أعتقد أننا فى بداية الطريق، وأقول لكم إن القيام بنشر دين الله لا يكفى فيه المجهود الفردى، وإنما يحتاج إلى تضافر جهود المسلمين، وأولى الرأى جميعاً، وإنه ليسرنى منكم هذا الشعور الذى جعلنى أعتقد أن مهمة نشر الدين تحل المحل اللائق بها، وأنها آخذة فى الازدياد».

أما أثر هذه الدروس فيما جدَّ بعدها من كُتُب التفسير الحديث، فواضحٌ ملحوظ لأنَّ قراءة ما كتبه الأساتذة محمد عبدالله دراز وسيد قطب ومحمد متولى الشعراوى والجبالى، توحى بتأثير الإمام فى خطراته الاجتماعية، ونظراته الأسلوبية، وإذا كان هؤلاء قد توسعوا فى منحاهم الفكرى، فذلك لا يُغْفلُ أثر البذرة فى نماء الشجرة، ومما يعلى قدر هذه الدروس أنها كانت بلسان عربى مُبين، لم تُلَوِّثه العامية التى يصطفيها بعض الواعظين فى التفسير بدعوى أنها تساعد على جلاء المعنى وتقريبه للقُرَّاء، والشيخ الشعراوى قد ألِفَ هذا النمط فى دَرْسه الإذاعى، ولكنه فيما طُبِعَ من أجزاء التفسير قد ارتقى بالأسلوب إلى مستوى عال - رحمه الله.. أما إلقاء الإمام فكان كالجدول المنساب، رقراقاً هادئاً، شفافاً عما يحمل من اجتهاد وتحليل، وسأنقل للقارئ نموذجين من تفسيره، يُوضِّح أولهما منحاه البيانى فى تقريب الصورة الأدبية إلى الأذهان دون اصطناع لمصطلحات البلاغة التى تَضُرُّ هنا أكثر مما تنفع! لقد وقف الأستاذ عند قوله - تعالى -:

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ

مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾

(الحديد: ٢٠)

فقال - ببعض التصرف:

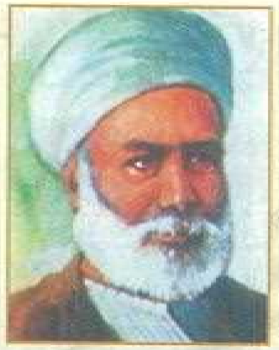
«فى الدنيا لعبٌ ولهو يتفكه الناس بهما، وأكثر ما يكون الأول للصبيان، وأكثر ما يكون الثانى وهو الزينة - للنساء ومَنْ فى حكمهنَّ من الرجال، وفيها تفاخرٌ بالأنساب والمقدرة وغيرهما من الصفات، وفيها مباراةٌ فى الإكثار من المال والولد والجيوش، وكل هذه عُرْضَةٌ للتبدل والزوال، ويغلبُه أن تقع الحسرات بعد اللهو والملذات، وقد ضرب الله مثلاً للدنيا فى سرعة تقضّيها، وقلة جدواها، وفى بهجتها عند إقبالها، وعبوسها عند إدبارها، فقال إنها كالنبات يستوى على سوقه ويخضر، ويُعْجَبُ به الزرّاع، ثم يجف ويصفر ويصير هشيماً وحطاماً متكسراً، ففى الطور الأول جمالٌ وسحر وفتنة للناظرين، وبهجةٌ للنفس والعين، وأنسٌ لا يُقَدَّر قدره، لكنَّ هذا الطور لا يدوم بل ينقضى بسرعة ويحلُّ الطور الثانى، وفيه يزول الجمالُ والسحر والفتنة ثم لا يبقى من الأعواد البديعة غير حُطام لا تستريح له النفس، وتَذْروه الرياح، وقد قال سعيد بن جُبير: الدنيا متاع الغرور، إذا ألْهتْك عن طلب الآخرة، أما إذا دعتك إلى رضوان الله فنعم المتاع..»....... ثم انتقل الأستاذ الإمام إلى ما بعد هذا النص، ليبرز ترابطه العضوى بما قبله فأتى بالجديد الطريف، ولا أستطيع أن أنقل هنا ما قال!

أمَّا النموذج الثانى فأنقل بعضه للدلالة الاجتماعية التى يحرص على إيضاحها، فقد شرح قول الله - عز وجل -:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾

(الفرقان: ٦٧)

فتوسع توسعاً شافياً فى الرد على من يحرمون الطيبات، واستشهد بنصوص صريحة من محكم الكتاب، والسُّنَّة وأقوال الصحابة والتابعين، ثم قال: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، وقد قال ابن عباس: (كل ما شئت واشرب ما شئت، والبس ما



محمد عبده

شئت إذا أخطأك اثنان، السرفُ والمخيلة)، والمخيلة هى الخُيلاء والكبر، فقد نهى الله عن ترك الطيبات تنسُكاً وعبادة، وطلب عدم تجاوز الحد إلى الإسراف، وفى الرجوع إلى الهَدْى المحمدى تبصرة ونور وضياء، عن ابن عباس قال: (رأيت على رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحُلَلْ، وقد لبس الإزار والرداء والجبة، ولبس فروة مكفوفة بالسندس، وكان له جبّة طيلسانية خسروانية لينة، وكان له بردان أخضران، وكساء أحمر، وكان يحب فى الطعام الحلوى، وقد أكل الضأن والدجاج والجزور، وأكل الشواء والرُطَب والتمر، وشرب اللبن خالصاً ومشوباً، وشرب نقيع التمر، وكان لا يشرب إلا النظيف العذب، ويحب البارد الحلو.

هذا هدى القرآن والهدى المحمدى فى تناول الطيبات، فمن تركها زُهْداً وعبادةً فلا حق له، ومَن بَخِل على نفسه وعلى غيره وعشيرته فلا حق له، ومن اتبع القوام فهو من عباد الرحمن».

وبعض الذين تحدثوا عن هذه الدروس التوجيهية الهادفة، ذكروا أنها قبسٌ من روح الإمام محمد عبده، حيث كانت دروسه الرائعة فى تفسير كتاب الله بالرواق العباسى تجديداً صريحاً فى تناول كتاب الله، والبحث عن هديه الإصلاحى، وتحديد الرسالة الإسلامية فى إنقاذ البشرية وإخراجها من الظلمات إلى النور، مع البعد عن المماحكات اللفظية، والاعتراضات الجدلية التى تغشى ضياء الوحى القرآنى لدى كثير من المفسرين، فتحجبه عن العقول، وهذا حق لا شك فيه، والإمامُ المراغى تلميذ الإمام محمد عبده، وحامل راية الإصلاح الدينى من بعده، إذ بلغ بالأزهر مبلغاً ارتفع به إلى مستوى الجامعات المعاصرة حين دعا إلى إنشاء الكليات، وتطوير مناهج التعليم الدينى، وهو رحمه الله يعترف بأثر الإمام محمد عبده، وقوة تأثير دروسه الدينية وأفكاره التوجيهية، يقول الإمام المراغى عن أستاذه الكبير ودروسه القرآنية الهادية:

«كانت دروس الشيخ كالغيث، أما البلد الطيب فقد خرج نباته بإذن ربه، وأمّا البلد الخبيث فقد خرج نباته نكداً، وكانت دروسه مثلاً عالياً فى طريقة الإلقاء والتفهيم، وفى العبارات الفصيحة المُتخيَّرة النافذة إلى أعماق القلوب، وكانت دائرة معارف يجدُ فيها



محمود شلتوت

اللغوى حاجته، والفقيه رغبته، والمتكلم بغيته، ويجد علماء الاجتماع بها تطبيق آى القرآن على معارفهم، وكانت صرخاته المدوية منبهة للغافل، ومحركة للجامد، وكانت عاصفة قوية، هزّت الأشجار الباسقة القوية فسقطت أوراقها الذابلة ثم أورقت، أما الشجيرات الضعيفة، والحشائش الدنيئة، فأفلتت منها ولم تنتفع بها»..

وبعد.. فيطيب لى أن أشير إلى شىء له أهميته المعاصرة بمناسبة الحديث عن تفسير الإمام المراغى، حيث إن القنوات الفضائية، والإذاعات اللاسلكية، قد زاد انتشارها، وعظم خطرها، وهى تفسح مجالاً واسعاً للأحاديث الدينية، والتفسير القرآنى فى طليعتها، وقد تختار من المتحدثين من يجيد القول، فيشبع السامع بما يفتح الله به عليه، ولكن كثيراً ممَّن يتصدرون للقول فى تفسير كتاب الله بهذه المنافذ القوية التأثير البعيدة الصيت، يُضلون السبيل بما يسوقونه من أفكارٍ تشتط حيناً، وتضعف حيناً، وفيهم من يتطلب المثالة بعرض آراء واهية قال بها القدماء، وهى منقودةٌ داحضة، وهذه الآراء ليس مكانها القنوات والإذاعات، لأنها تحتاج إلى تمحيص دقيق فى الصحف الدينية المتخصصة حتى تكشف الرغوة عن الصريح، وأنا أدعو هؤلاء وهم فى مجال الدعوة إلى سبيل الله أن يقرأوا ما كتبه الإمام المراغى ليحاولوا أن ينهجوا نهجه المستنير، فإنّ أحاديثه الساطعة تقدم المثال النادر لما يجب أن يطالع به جمهور السامعين، ومنَ الأسف أن بعض مقدمى هذه الأحاديث مِنْ موظفى الإذاعة يفرطون فى الثناء على ما يقال بدءاً وخاتمة، حتى ليتوهم الغافل أنه سمع من الرأى مالا مُعقَّبَ من بعده، وهى جهالة تندرج على جهالة، فتكون ظلمة فوق ظلمة، فإذا جعلنا أحاديث المراغى ومن تبعه بإحسان كمحمود شلتوت وعبدالوهاب خلاف ومحمد عبدالله دراز أمثلة تُحتَذى، فإننا نسير بالسفينة إلى الشاطئ المأمول فى سلامة واطمئنان!.

د/ محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال تعالى: ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربنيين بما كنتم تعلمون الكتب وبما كنتم تدرسون (٧٩) ولا يأمركم أن تتخذوا الملئكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾

الآيات: ٧٩ : ٨٠

قال ابن كثير: عن ابن عباس قال: أبو رافع القرظى حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام: أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم؟ فقال رجل نصرانى من أهل نجران يقال له الرئيس: أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعونا؟- أو كما قال - فقال رسول الله ﷺ: «معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر بعبادة غير الله، ما بذلك أمرنى ولا بذلك بعثنى» أو كما قال ﷺ - فأنزل الله فى ذلك[1] قوله- تعالى -: ﴿ ما كان لبشر ﴾

إلى قوله:

﴿ بعد إذ أنتم مسلمون ﴾

(١) تفسير ابن كثير ج١ ص ٣٧٧.

فقوله- تعالى-

﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ﴾

رد على أولئك الجاهلين الذين زعموا أن بعض النبيين يصح له أن يطلب من الناس أن يعبدوه من دون الله والمعنى: لا يصح ولا ينبغى ولا يستقيم عقلا لبشر آتاه الله - تعالى - وأعطاه ﴿ الكتب ﴾ الناطق بالحق، الآمر بالتوحيد، الناهى عن الإشراك، وآتاه ﴿ والحكم ﴾ أى العلم النافع والعمل به، وآتاه ﴿ والنبوة ﴾ أى الرسالة التى يبلغها عنه- سبحانه- إلى الناس، ليدعوهم إلى عبادته وحده، وإلى مكارم الأخلاق، لا يصح له ولا ينبغى بعد كل هذه النعم أن يكفرها ﴿ ثم يقول للناس ﴾ بعد هذا العطاء العظيم الذى وهبه الله له:

﴿ كونوا عبادا لى من دون الله ﴾

أى: لا ينبغى ولا يعقل من بشر آتاه الله كل هذه النعم أن يقول للناس هذا القول الشنيع وهو:

﴿ كونوا عبادا لى من دون الله ﴾

لأن الأنبياء الذين آتاهم الله الكتاب والحكم والنبوة يحجزهم خوفهم من الله، وإخلاصهم له، عن أن يقولوا هذا القول المنكر، كما يحجزهم عنه - أيضا - ما امتازوا به من نفوس طاهرة، وقلوب نقية، وعقول سليمة .. لأنهم لو فرض أنهم قالوا ذلك لأخذهم الله- تعالى - أخذ عزيز مقتدر فهو- سبحانه- القائل:

﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل (٤٤) لأخذنا منه باليمين (٤٥) ثم لقطعنا منه الوتين (٤٦) فما منكم من أحد عنه حجزين ﴾

الحاقة/ ٤٤ : ٤٧

والتعبير بقوله- تعالى - :

﴿ ما كان لبشر ﴾ تعبير قرآنى بليغ، إذ يفيد نفى الشأن وعدم اتفاق هذا المعنى مع الحقيقة المفروضة فى الرسل الكرام- عليهم الصلاة والسلام- وشبيه بهذا التعبير قوله- تعالى -:

﴿ ما كان لله أن يتخذ من ولد ﴾

مريم: ٣٥

﴿ وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطئا ﴾

النساء/ ٩٢

وجاء العطف بثم فى قوله:

﴿ ثم يقول للناس ﴾ للإشعار بالتفاوت العظيم بين ما أعطاه الله - تعالى. لأنبيائه من نعم، وبين هذا القول المنكر الذى نفاه- سبحانه- عنهم، وهو أن يقولوا للناس: اجعلوا عبادتكم لنا ولا تجعلوها لله- تعالى- ثم بين - سبحانه- ما يصح للأنبياء أن

يقولوه للناس فقال – تعالى – :

﴿ ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾

وقوله ﴿ ربانيين ﴾ جمع ربانى نسبة إلى الرب – عز وجل – بزيادة الألف والنون سماعا للمبالغة كما يقال فى غليظ الرقبة رقبانى ولعظيم اللحية : لحيانى .

والمراد بالربانى : الإنسان الذى أخلص لله – تعالى – فى عبادته ، وراقبه فى كل أقواله وأفعاله ، واتقاه حق التقوى ، وجمع بين العلم النافع والعمل به ، وقضى حياته فى تعليم الناس وإرشادهم إلى ما ينفعهم .

والمعنى : لا يصح لبشر آتاه الله ما آتاه من النعم أن يقول للناس اعبدونى من دون الله ، ولكن الذى يعقل أن يصدر منه هو أن يقول لهم : كونوا ﴿ ربانيين ﴾ أى مقبلين على طاعة الله – تعالى – وعبادته وحده بجد ونشاط وإخلاص ، بسبب كونكم تعلمون غيركم الكتاب الذى أنزله الله لهداية الناس وبسبب كونكم دارسين له ، أى قارئين له بتمهل وتدبر .

وقوله – تعالى : ﴿ ولكن كونوا ربانيين ﴾

استدراك قصد به إثبات ما ينبغى للرسل أن يقولوه . بعد أن نفى عنهم ما لا ينبغى لهم أن ينطقوا به ، أى : لا ينبغى لبشر آتاه الله نعماً لا تحصى أن يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ، ولكن الذى ينبغى له أن يقوله لهم هو قوله : كونوا ربانيين أى مخلصين له – سبحانه – العبادة إخلاصا تاما .

ففى الجملة الكريمة إضمار ، والتقدير : «ولكن يقول لهم كونوا ربانيين» فأضمر القول على حسب مذهب العرب فى جواز الإضمار إذا كان فى الكلام ما يدل عليه ، ونظيره قوله – تعالى –

﴿ فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم ﴾

آل عمران : ١٠٦

أى فيقال لهم : ﴿ أكفرتم ﴾ ، والباء فى قوله ﴿ بما كنتم ﴾ للسببية . وما مصدرية أى بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له .

وقرأ أبو عمرو وابن كثير ونافع ﴿ تعلمون ﴾ بإسكان العين وفتح اللام – من العلم أى بسبب كونكم عالمين بالكتاب ودارسين له .

قال الرازى : دلت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانيا ، فمن اشتغل بذلك لا لهذا المقصد ضاع سعيه وخاب عمله ، وكان مثله كمثل من غرس شجرة حسناء مونقة بمنظرها ولا منفعة بثمرها ، ولهذا قال ﷺ : «نعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع» .

وقوله – تعالى –

﴿ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ﴾

تأكيد لنفى أن يقول أحد من البشر الذين آتاهم الله الكتاب والحكم والنبوة للناس اعبدونى من دون الله ، وتنزيه لساحتهم عن

أن يأمروهم بعبادة غير الله .

وقوله ﴿ ولا يأمركم ﴾ وردت فيه قراءتان مشهورتان :

أما القراءة الأولى فبفتح الراء عطفا على «يقول» فى قوله ﴿ ثم يقول ﴾ وتكون ﴿ لا ﴾ مزيدة لتأكيد معنى النفى فى قوله :

﴿ ما كان لبشر ﴾ ويكون فى الآية التفات من الغيبة إلى الخطاب . والمعنى على هذه القراءة :

﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله ﴾

ما ذكر ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ، أو يأمرهم باتخاذ الملائكة والنبيين أربابا ، وذلك كقولك ما كان لزيد أن أكرمه ثم يهيننى ويستخف بى .

وبهذه القراءة قرأ ابن عامر وحمزة وعاصم .

وعلى هذه القراءة يكون توسيط الاستدراك بين المعطوف والمعطوف عليه ، للمسارعة إلى تحقيق الحق ، ولبيان ما يليق بشأنه ويحق صدوره عنه .

وأما القراءة الثانية فقد قرأها الباقون برفع الراء فى ﴿ يأمركم ﴾ فتكون الجملة مستأنفة ، والمعنى : ﴿ ولا يأمركم ﴾ هذا البشر الذى أعطاه الله ما أعطاه من نعمة أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا .

وخصص الملائكة والنبيين بالذكر لأن عبادتهما قد شاعت عند كثير من الناس ، فقد وقع فى عبادة الملائكة «الصابئة» الذين كانوا يقيمون فى بلاد الكلدان ، وتبعهم بعض المشركين من العرب . ووقع فى عبادة بعض النبيين كثير من النصارى فقد اتخذوا المسيح إلها يعبد وزعموه ابن الله وكثير من اليهود عبدوا عزيرا وزعموه ابن الله .

والاستفهام فى قوله :

﴿ أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾

للإنكار الذى بمعنى النفى . أى : أن الرسل الكرام لا يمكن أن يأمروا الناس بالكفر بالله بعد أن هداهم الله – تعالى – عن طريق هؤلاء الرسل إلى أن يكونوا مسلمين .

فالجملة الكريمة تأكيد بأبلغ وجه لنفى أن يأمر الرسل الناس بعبادة غير الله ، وتنزيه لساحتهم عن أن يقولوا قولا أو يأمروا بأمر يخالف ما تلقوه عن الله – تعالى – من إفراده بالعبادة والطاعة والخضوع .

قال بعضهم : وإذا كان ما ذكر فى الآيتين لا يصلح لنبى ولا لمرسل ، فلأن لا يصلح لأحد من الناس غيرهم بطريق الأولى والأحرى ، ولهذا قال الحسن البصرى : لا ينبغى هذا المؤمن أن يأمر الناس بعبادته . ثم قال : وذلك أن القوم – يعنى أهل الكتاب – كان يعبد بعضهم بعضا كما قال – تعالى :

﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾

التوبة : ٣١

فالجهلة من الأحبار والرهبان يدخلون فى هذا الذم ، بخلاف الرسل وأتباعهم من العلماء العاملين ، فإنهم إنما يأمرون بما أمر الله به ، وينهون عن ما نهى الله – تعالى – عنه ، ولذلك سعدوا وفازوا[2]

(٢) تفسير ابن كثير بتلخيص ج١ ص ٣٧٧.

السنة

نعمتان امتن الله بهما على المؤمنين

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

روى الإمام البخارى (رحمه الله) فى صحيحه كتاب التفسير/ باب: إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا بسنده. عن عطاء بن يسار عن عبدالله بن عمرو بن العاص (رضى الله عنهما) أن هذه الآيه التى فى القرآن:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾

الأحزاب/٤٥

قال: فى التوراة: يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين، أنت عبدى ورسولى، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعيناً عمياً، وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً»

التعريف بالراوى

عبدالله بن عمرو بن العاص صحابى جليل وهو شخصية من شخصيات التاريخ الفذة، فهو الرجل الذى آل على نفسه أن يصوم الدهر، ويقوم الليل، وهو الذى جمع القرآن الكريم على عهد رسول الله (ﷺ) وهو الذى قال فيه أبوهريرة (رضى الله عنه): (ما من أصحاب النبى «ﷺ» أحد أكثر حديثاً منى إلا ما كان من عبدالله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب)، وهو الذى استأذن رسول الله «ﷺ» أن يدون كل ما يسمع منه من أحاديث فأذن له، وقد كان يقرأ

بالسريانية فى وقت يندر فيه القارئ بالعربية، وهو الرجل الذى نفذ الإسلام الى قلبه قبل أبيه، فهاجر إلى رسول الله «ﷺ»، وهو فى الرابعة عشرة من عمره. كان (رضى الله عنه) كثير العلم، مجتهداً فى العبادة، تلاء للقرآن، روى له عن رسول الله «ﷺ» سبعمائة حديث، وإنما قلت الرواية عنه - مع كثرة ما حمل - لأنه سكن مصر، وكان الواردون إليها لأخذ العلم قليلين، بخلاف أبى هريرة (رضى الله عنه) فإنه استوطن المدينة، وهى مقصد المسلمين من كل مكان، توفى بمصر سنة خمس وستين بعد الهجرة عن اثنتين وسبعين سنة (رضى الله عنه)

اللغويات

«شاهداً ومبشراً ونذيراً»: أى: شاهداً على الأمة، ومبشراً المطيعين بالجنة، ومنذراً العاصين بالنار، أو شاهداً للرسل قبله بالإبلاغ.. حرزاً: أى: حصناً.

الأميين: هم العرب. المتوكل: أى: على الله، لقناعته باليسير، والصبر على ما كان يكره. الفظ: أى الجافى المسئ.. والغليظ: خشن الطبع، صعب الخلق، والمراد نفى هاتين الصفتين (الفظاظة والغلظة) عن رسول الله «ﷺ».

سخاب من السَّخب - وهى بالصاد المهملة بدل السين أشهر - وهو رفع الصوت بالخصام.. ولا يدفع السيئة بالسيئة أى: لا يقابلهما بمثلها ولن يقبضه الله، أى: يميته حتى يقيم به أى: حتى ينفى الشرك ويثبت التوحيد. الملة العوجاء: ملة الكفر.

فيفتح بها أى: بكلمة التوحيد.. أعيناً عمياً أى: عن الحق.

وقلوباً غلفاً: الغلف جمع أغلف، والمراد به القلب الذى لم يع الرشد، كأن عليه غلافاً أى: غشاء.

الشرح والبيان

إن اقتفاءنا أثر النبى «ﷺ» وتذكرنا لسيرته العطرة، وأخلاقه الحميدة، وتأسينا بكل ما جاء به من أركان الدين وأسس الإيمان، قال تعالى:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

البقرة ٢٨٥

وقال:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾

الحشر ٧

فينبغى أن نطيع الله ورسوله «ﷺ» فى كل أمر ونهى صدر عنهما، وخاصة أننا عرفنا الله عن طريق رسول الله «ﷺ» ولا يعرف الطيب من الخبيث، ولا الخير من الشر، ولا الحلال من الحرام - إلا من جهة رسول الله «ﷺ» ولا ينال العبد منا رضا الله (عز وجل) إلا عن طريق رسول الله «ﷺ» فمعرفة هديه طريق النجاح، والإلمام بسيرته والتمسك بسنته سفينة النجاة

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

آل عمران ١٠١

لذا كان رسول الله (ﷺ) يقول: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبونى بحب الله»(١).. هذا ولما كانت نعم الله على العباد كثيرة، نعم لا تحصى ولا تعد، مصداق قوله تعالى:

﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾

ابراهيم ٣٤

وقوله تعالى:

﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

النحل ١٨

فإن أجل النعم وأعظمها نعمتان، هما نعمة الإيمان، ونعمة الرسول (ﷺ) وذلك لأن الله (سبحانه وتعالى) لم يمتن على عباده إلا بهاتين النعمتين، نعمة الإيمان فى قوله تعالى:

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾

الحجرات ١٧

ويوضح ذلك قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾

٣٧ الأحزاب

أى: أنعم الله عليه بالإسلام وأنعمت عليه بالإعتاق، وهو زيد بن حارثة (رضى الله عنه) حب رسول الله (ﷺ)، كان غلاماً لخديجة (رضى الله عنها) فوهبته لرسول الله (ﷺ) لما تزوجها، وقدم أبوه وعمه فى فدائه، فسألا عن النبى (ﷺ) فقيل: هو فى البيت الحرام، فدخلا عليه فقالا: يابن عبدالمطلب، يابن هاشم، يا بن سيد قومه، أنتم أهل حرم الله وجيرانه تفكون العانى، وتطعمون الأسير، جئناك فى ابننا عندك، فامنن علينا، وأحسن إلينا فى فدائه، قال: ومن هو؟ قالوا: زيد بن حارثة. فقال رسول الله (ﷺ): فهلا غير ذلك؟ قالوا: وما هو؟ قال: أدعوه فأخيره، فإن اختاركم فهو لكم، وإن اختارنى فوالله ما أنا بالذى أختار على من اختارنى أحداً، قالا: قد رددتنا على النصف، وأحسنت، فدعاه فقال: هل تعرف هؤلاء؟ قال: نعم، قال: من هذا؟ قال: هذا أبى، وهذا عمى، قال (ﷺ): فأنا من قد علمت ورأيت، وعرفت صحبتى لك، فاخترنى أو اخترهما، قال زيد: ما أنا بالذى أختار عليك أحداً أبداً، أنت منى مكان الأب والعم، فقالا: ويحك يا زيد، أتختار العبودية على الحرية، وعلى أبيك وعمك؟! وعلى آل بيتك؟! قال: نعم، قد رأيت من هذا الرجل شيئا ما أنا بالذى أختار عليه أحداً أبداً،

---

١) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٣٩/٣.

فلما رأى رسول الله (ﷺ) ذلك أخرجه الى الحجر وقال: (أشهدكم أن زيداً ابنى يرثنى وأرثه) وبذلك يكون الرسول (ﷺ) قد أنعم عليه بالحرية، وتبناه، فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابا نفساً، فانصرفا، ودعى من هذا التاريخ زيد ابن محمد، وظل الحال على ذلك حتى جاء الإسلام وبعث الرسول (عليه الصلاة والسلام) وأنزل الله (تبارك وتعالى) قوله:

﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ﴾

الأحزاب ٥

فدعى - من يومئذ - زيد بن حارثة، فكان (ﷺ) يقول له: أنت أخونا ومولانا حيث كان من السابقين الأولين إلى الإسلام (رضى الله عنه).

هذا والإيمان طريق الجنة، قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٤٢) وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

الأعراف ٤٢، ٤٣

ويوضح ذلك قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾

النساء ٩٤

أى: كذلك كنتم كفاراً فهداكم الله للإسلام ومنَّ عليكم بالإيمان، فأعظم به من نعمة، وفى هذا يقول رسول الله (ﷺ): (ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل فى الجنة، ومنزل فى النار، فإن مات ودخل الجنة ورث أهل النار منزله فيها، وإن دخل النار ورث أهل الجنة منزله فيها، فذلك قوله تعالى: «الذين يرثون الفردُ، فيها خالدون» المؤمنون (٢)

ونعمة الرسول عليه السلام قال تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٢) وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٣) ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾

الجمعة ٢، ٣، ٤

وقد امتن الله برسوله (ﷺ) على المؤمنين فى قوله تعالى:

---

٢) سنن ابن ماجه ٤٣٤١.

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾

آل عمران ١٦٤

والمعنى: لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من جنسهم، ليتمكنوا من مخاطبته ومجالسته وسؤاله والانتفاع بتوجيهاته ونصائحه، يتلو عليهم ما يتنزل من كتاب ربه يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، لتزكو منهم النفوس، وتطهر من الدنس والخبث والجهل، وقد كانوا قبل القرآن الكريم والرسول العظيم (ﷺ) فى ضلال بينٍ، وغيٍ واضح ظاهر وقد جاء وصف الرسول (ﷺ) بهذا المعنى فى التوراة والإنجيل وقد دلت الآيات الكريمة على ذلك، قال تعالى:

﴿ هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

الأعراف ١٥٦، ١٥٧

فقد أوضحت الآيات أن صفات رسول الله (ﷺ) موجودة فى التوراة والإنجيل، وأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحل الطيبات ويحرّم الخبائث، ويضع عن أمته التكاليف الشاقة التى كلفت بها الأمم السابقة، ويؤكد ذلك ما رواه الإمام البخارى (رحمه الله) - بسنده عن عطاء بن يسار قال لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص (رضى الله عنهما) فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن: يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين، نت عبدى ورسوله، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب فى الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويُفتح بها أعين عمىٍ، وآذان صم وقلوب غلف.

وكيف لا يمتن به الله (عز وجل) علينا، وقد أرسله ربّ العزة لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم برهم وفاجرهم، قال تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾

والعالم هو ما سوى الله (عز وجل) حكى القرطبى عن سعيد بن جبير (رضى الله عنه) عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال: (كان محمد (ﷺ) رحمة لجميع الناس، فمن آمن به وصدق به سعد، ومن لم يؤمن به سلم مما لحق الأمم السابقة من الخسف والغرق).

وصدق رب العالمين إذ يقول:

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

العنكبوت / ٤٠

فكل أمة كذبت رسولها عاجلها الله بالعقوبة إلا أمة محمد (ﷺ)، فقد رفع الله عنها العذاب حين كذبت رسولها لوجوده بينهم، لأن العذاب ينافى الرحمة، فلقد كان (ﷺ) رحمة للمؤمنين فى الدارين، الدنيا والآخرة، ورحمة للكافرين فى الدنيا فقط من عذاب الاستئصال، وكيف لا يكون رحمة وقد رفع الله العذاب عن قريش لما قالت: اللهم إن كان هذا الذى يقرؤه محمد (ﷺ) هو الحق المنزل من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، قال الله - تعالى - حكايه لما قالوه، وجوابا عما سألوه:

﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٢) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣) وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

الأنفال ٣٢، ٣٣، ٣٤.

وفى هذا المعنى يقول (ﷺ): أنزل الله علىَّ أمانين لأمتى: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة، وقال (ﷺ): (العبد آمن من عذاب الله ما استغفر الله (عز وجل) ألا وإن رب العالمين يقول:

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾

النساء ١١٠

وجاء على لسان نوح (عليه السلام):

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾

(نوح ١٠)

هذا وقد امتن الله على قريش أن صرف عنهم أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو آثارها من الوجود، فأبادهم الله، وأرغم آنافهم، وخيب سعيهم، وأحبط أعمالهم، وردهم بشر خيبه، . قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾

سورة الفيل

وكأنى برب العالمين يقول لهم: يا معشر قريش لم ننصركم على الأحباش بخيريتكم عليهم، فهم نصارى، وأهل

كتاب سماوى ، وأنتم وثنيون عبدة أصنام وأوثان وهم أحق بالنصر منكم ، ولكن نصرناكم عليهم ، صيانة للبيت العتيق الذى سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبى محمد (ﷺ) خاتم الأنبياء والمرسلين ، قال تعالى : (

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾

الأحزاب ٤٠

ولهذا كان (ﷺ) يقول : (أنا حظكم من الأنبياء وانتم حظى من الأمم)(٣) ونحن نقول : لنعم الحظ لنا أنت يا رسول الله ﷺ فما نحن فيه من الخير ، وما ننعم به من أنوار الهداية- يرجع الفضل فيه إلى الله ثم إليك ، ولذلك كان واجبنا أن نحيى سنته ، وأن نقيم شرعه ودينه فذلك دليل الحب ، طريق الجنة ، قال (ﷺ) (من أحيا سنتى فقد أحبنى ، ومن أحبنى كان معى فى الجنة) وعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - أن رجلاً سأل النبى (ﷺ) متى الساعة يارسول الله ؟ قال : (ما أعددت لها ؟) قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقه ولكنى أحب الله ورسوله قال : (أنت مع من أحببت) ، قال تعالى :

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾

النساء (٦٩، ٧٠)

أما الذين يدَّعون حبَّ الله ورسوله (ﷺ) ولم يمتثلوا أمرهما ، ولم يجتنبوا نهيهما فهم مدعون كاذبون ، وقد أنشد الشاعر :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه
هذا لعمرى فى القياس بديع
لوكان حبك صادقا لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع

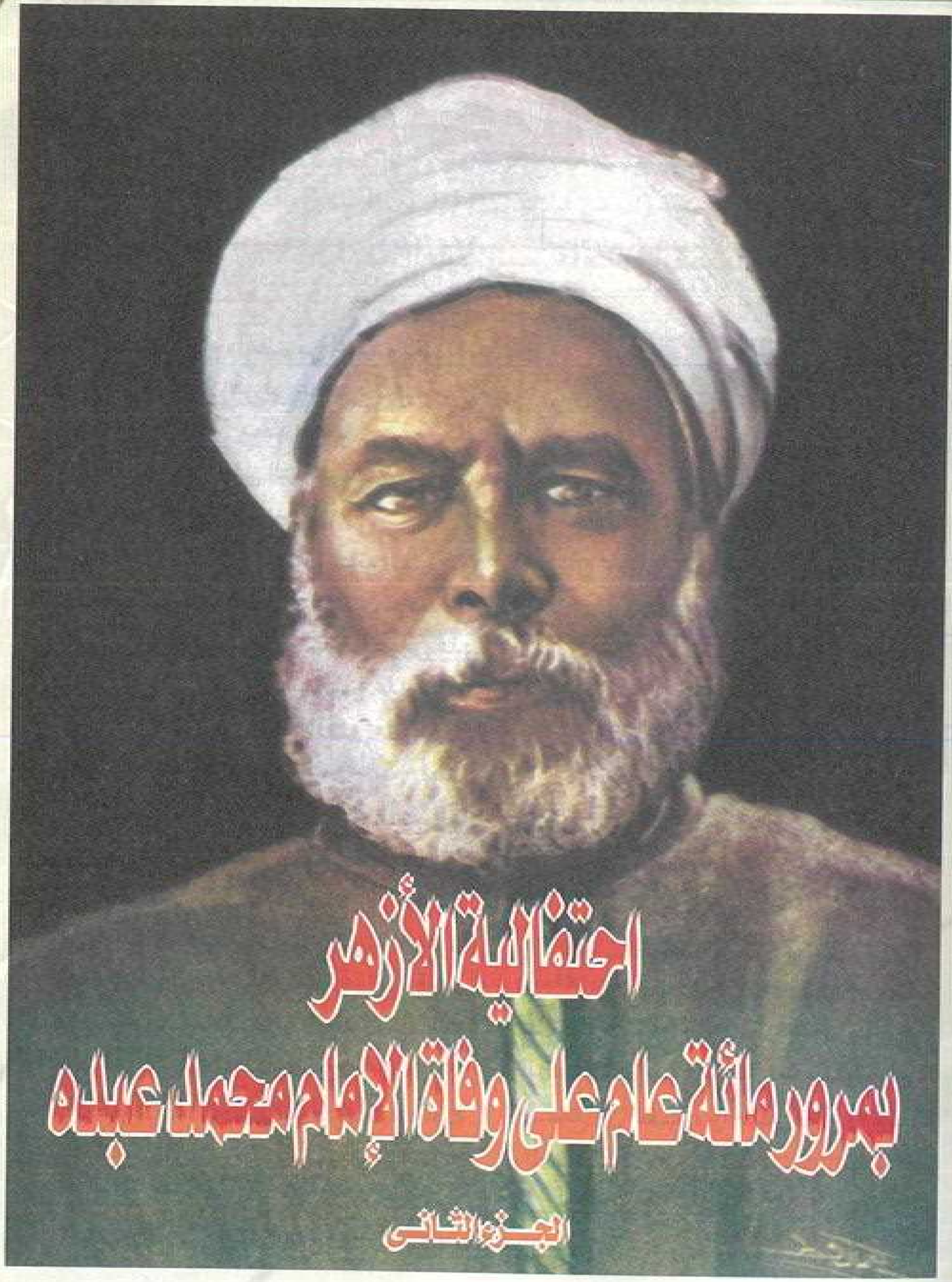
وأنشد الآخر :

كل من يدعى حبَّ النبى ولم يفد
من هديه فسفاهه وهراء .
فالحب أول شرطه وفروضه
إن كان صدقا- طاعة ووفاء

اللهم ارزقنا حبكَ ، وحبَّ من يحبك ، وحب نبيك ، وحبَّ من يحب نبيك ، اللهم ارزقنا شفاعته ، واحشرنا يوم القيامة تحت لوائه ، واجعلنا من أنصار سنته ، المطبقين قوله ، المقتدين بفعله ، اللهم اسقنا يوم القيامة بيده الشريفة شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبداً ، فأنت ولىّ ذلك والقادر عليه ، وفقنا الله جميعاً لما يحبه ويرضاه .

---

٣) البخارى ١٤/٥ ، ٤٩/٨ ، ٨١/٩ .





الإمام محمد عبده متكلما

قدم الأستاذ الدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر بحثا بعنوان «الإمام محمد عبده متكلما» قال فيه:



الأستاذ الإمام «أعظم من أنجبته القرية، ونهض برسالة الأزهر فى عصره، عبقرى الإصلاح والهداية: محمد عبده، قدس الله روحه، وأعاننا على التعريف بفضله، والتعريف بواجبنا من بعده» (1).

هكذا بدأ الأستاذ العقاد كتابه القيم عن الإمام محمد عبده، عبقرى الإصلاح والتعليم، وكذلك نبدأ ورقتنا باقتباس هذه الكلمة، اقتداء، بل تلمذة على تراث عملاق يكتب عن عملاق، وعقل يؤرخ لعقل، وفيلسوف يترجم لفيلسوف.

واليوم يذكر للأزهر الشريف: شيخه وعلمائه وأساتذته فضل السبق إلى الاحتفال بمرور مائة عام على وفاة الأستاذ الإمام، ومن أولى من الأزهر بالتعريف بهذا الرائد الأزهرى الذى سبق عصره.. وكان نقطة تحول فارقة فى تاريخ الفكر الاسلامى بوجه خاص، والثقافة العربية فى كل أرجاء الشرق بوجه عام.

إن هذا الإمام العظيم قد خرجت من تحت عباءته كل التيارات الفكرية المعاصرة: النصية، والعقلية، والتحررية المعتدلة، وتتلمذ فى مدرسته الجامعة رواد هذه الاتجاهات، من أمثال: رشيد رضا ومدرسته.. والمراغى وتلاميذه، ومصطفى عبدالرازق ومدرسته، والعقاد ومدرسته بل كل رواد النهضة العربية ممن كانوا يؤمنون بضرورة الجمع بين القديم والحديث أو الأصالة والمعاصرة.. فى عقلانية هادئة وتوازن محسوب، وانتماء معلن إلى الجذور، ويعتصمون به كطوق نجاة واق من هلاك الارتهان ودمار التبعية والاستلاب.

1) العقاد، الإمام محمد عبده/ص١٥، ضمن الأعمال الكاملة (مجلد ١٧)، بيروت ١٩٨٠





رشيد رضا

وتطمح هذه الورقة إلى الإسهام فى تجلية جانب من جوانب عظمة الإمام، وهو جانب علم الكلام أو الجانب العقلى فى تراثه، ومحاوراته، ومناظراته.. وهو - فيما أرى - جانب بعيد الغور فى أطواء هذه العقلية الفذة، التى تترامى أطرافها أمام الباحث، كما تترامى شطآن البحار وآفاق الفضاء.

وإن من المستحيل على ورقة كهذه، محدودة المساحة والهدف.. رسم صورة - ولو فى إجمال شديد - عن الجانب العقلى فى تراث الإمام.

ولكن ستبلغ هذه الورقة هدفها إن استطاعت أن تضع يدى القارئ على أبرز قسمات هذا الجانب، وأظهر ملامحه.

وأرجو ألا يكون من باب المصادرة على المطلوب المبادرة بالقول بأن الفلسفة العقلية عند الأستاذ الإمام هى - تحديداً - فلسفة العقل، وقيمته وقدره فى دين الإسلام، وإن هذا الدين القيم هو الذى أمدّ هذا الفيلسوف الذكى بأمضى سلاح، نازل به خصومه من المسلمين المقلدين، ومن الغربيين الناقدين على سواء.

وقد كان للشيخ فى هذا المجال مناظرات عقلية، من أدق وأهم ماعرفه تاريخ الحوار بين المسلمين وغيرهم.

وهو الآن من أحوج مايحتاجه القارئ المسلم فى أيامنا هذه.. وكثير مما فاضت به قريحة هذا العبقرى كان يكتبه وكأنه يكتب عن الدعاوى التى تبثها - الآن - قنوات الفضاء، وصفحات الجرائد والكتب والمجلات، وتنهال على عقلية المسلم ووعيه، من شرق وغرب، ومن شمال وجنوب.. حتى لكأن القضايا هى القضايا، والدعاوى هى الدعاوى!!

....

وفى الصفحات التالية تحاول هذه الورقة بيان شئ من جانب هذه العقلية الإبداعية، وذلك فى مجالين محددين.. هما: مجال علم الكلام ممثلا فى «رسالة التوحيد» ومجال المناظرات، ممثلا فى رد الشيخ على خصوم الإسلام.

رسالة التوحيد تمثل فلسفة الإمام الكلامية:

وتعد «رسالة التوحيد» للإمام محمد عبده، النص الوحيد الموثق، الذى يبحث فيه عن فلسفة الإمام الكلامية، ورؤيته الجديدة ومدى تحرره من علم الكلام التقليدى أو تأثره به، وإلى أى مدى كان هذا التحرر أو التأثر، وهل كانت رسالة التوحيد تجديدا لعلم الكلام أو تجريداً وتهذيبا لهذا العلم.. إلخ هذه الأسئلة التى تطرح نفسها وتواجه الباحث



بصورة أو بأخرى.

ونقول: إن رسالة التوحيد هى النص الكلامى الوحيد فى تراث الشيخ، لأنه يعتز بها أسلوباً وصياغة، وتبويبا وترتيباً، وسيراً على المقدمات إلى المطالب، ومنهجاً لايعول فيه إلا على صحة الدليل، وقد نبهنا الإمام فى مقدمة رسالة التوحيد إلى أن هذه الرسالة تجيئ على خلاف ماعهد من هيئة التأليف حتى فى طريقة الاستدلال.. وهذا مانفهمه من وصفه لرسالته بأنها: «أمالى مختلفة (...) فى أسلوب لايصعب تناوله.، وإن لم يعهد تداوله: تمهيد مقدمات، وسير منها إلى المطالب ، من غير نظر إلا إلى صحة الدليل ، وإن جاء فى التعبير على خلاف ماعهد من هيئة التأليف، راميا إلى الخلاف من مكان بعيد، حتى قد لايدركه إلا الرجل الرشيد»[٢].

وكما قال الإمام فإن رسالة التوحيد هى فى الأصل دروس ألقيت على الطلاب فى إحدى مدارس بيروت ، فى صورة إملاءات يقيدونها فى دفاترهم، غير أن الشيخ لم يكن ليحتفظ لنفسه بشئ مدون من هذه الإملاءات .، ولذلك لما غادر بيروت الى القاهرة، سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٩م) نسى الشيخ ماأملاه ولم يعد يذكر منه شيئا، فقد ترك وظيفة التعليم، وانشغل بمهام أخرى صرفته عن التفكير فيما أملاه فى هذا العلم، ثم عاوده الحنين إلى الاشتغال بهذا العلم مرة أخرى، لأنه - كما يقول- : «ركن العلم الشديد»[٣] فطلب من أخيه «حمودة بك



مصطفى عبدالرازق

عبده» الذى كان مايزال تلميذا فى المدرسة السلطانية ببيروت فى ذلك العهد - أن يرسل إليه نسخة مما أملاه فى هذا الفن، ولما قرأها ووجدها قريبة من المستوى الذى يطمح إليه، أعمل فيها قلم التصحيح والتهذيب من بسط فى بعض العبارات وتوضيح لما يغمض من مقدمات وحذف لما رآه فضلة من القضايا والمسائل الكلامية - ثم نشرها بعد ذلك.

ونحن لانعلم على وجه الدقة السنة التى تم فيها تحرير رسالة التوحيد فى صيغتها النهائية، وإن كنا نعلم أنها كتبت أو أعيدت كتابتها بعد عودة الإمام من بيروت إلى القاهرة، أى بعد سنة ١٣٠٦هـ بأعوام غير قليلة، وأغلب الظن أن هذه الرسالة طبعت فى حياة الأستاذ الإمام، وصدرت عن المطبعة الأميرية سنة ١٣١٥هـ ، وهى الطبعة التى نبه عليها الأستاذ محمود أبو رية فى نهاية ما أسماه «الطبعة الثانية لرسالة التوحيد» (!!) وقال: «إننا حافظنا فى نشر

٢) رسالة التوحيد، ضمن الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده تحقيق وتقديم د. محمد عمارة، المجلد الثالث ص٣٧١ ط دار الشروق، القاهرة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

٣) انظر رسالة التوحيد ٣٧٢ (ضمن الأعمال الكاملة)





العقاد

هذه الرسالة على النص الأصلى لها كما بدأ فى الطبعة الاولى التى صدرت عن المطبعة الأميرية فى سنة ١٣١٥هـ (...) بغير أن ننقص منها حرفا»[٤] ويؤيد هذا التاريخ تقريظ الشيخ سعيد الخورى الشرتونى الكاثوليكى - لرسالة التوحيد - فى كتاب بعث به إلى الإمام يقول فيه: «... وردتنى هديتكم التى كشفتم بها عار العصر، وجلبتم له بها الفخر، وهى مؤلفكم الفريد فى علم التوحيد.. الخ»، وتاريخ هذا الخطاب هو: ٦ ربيع أول سنة ١٣١٦هـ[٥] .. وأيضا تقريظ آخر للشيخ سليم بوحاجب من تونس بعث به إلى الإمام بتاريخ ٧ شوال ١٣١٧هـ يقول فيه: «لقد وصلنى (...) ما أتحفتمونا به بل سائر الأمة . وهو تلك الرسالة الغراء المهمة.، التى هى الملاك الوحيد للحصول بسهولة على مايلزم استحضاره من علم التوحيد..»[٦] ، ويبدو أن الرسالة طبعت فى حياة الإمام مرتين، مرة فى سنة ١٣١٥هـ والأخرى سنة ١٣١٧هـ، ويقوى هذا الزعم أن الدكتور محمد عمارة فى تحقيقه القيم للأعمال الكاملة للإمام محمد عبده يذكر رسالة التوحيد كمصنف من مصنفات الفترة الأخيرة فى حياة الإمام، والتى بدأت من ١٨٩٩ وحتى وفاته عام ١٩٠٥م[٧] .. وهو مايوافق سنة ١٣١٥هـ وبذلك يثبت على وجه اليقين أن رسالة التوحيد طبعت لأول مرة سنة ١٣١٥هـ وذلك قبل وفاة الإمام بسبع سنوات على الأقل.

وأيا ما كان الأمر فإن رسالة التوحيد هى النص الوحيد الذى يستطيع الباحث - من خلاله - التعرف على أبرز القسمات الكلامية فى فكر هذا الشيخ العملاق، والذى شغل بعبقريته .، وتأملاته - التى لم تخطئ - فى ضمير المستقبل . كل نخب الفكر والثقافة التى جاءت بعده، على مختلف مشاربها وأذواقها بل وعقائدها.

تجديد الإمام لعلم الكلام

يرى كثير من الباحثين فى تاريخ الأستاذ الإمام أن تجليات عبقريته الكلامية قد استقلت بها رسالة التوحيد ، وأن الباحث عن تجديد الإمام فى هذا الحقل عليه أن يولى وجهه

٤) رسالة التوحيد، تأليف الأستاذ الإمام محمد عبده ص١٨٩، ط دار المعارف ، مصر

٥) أنظر رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ١: ٧٨١. دار الفضيلة - القاهرة ٢٠٠٣

٦) السابق ٧٨٤

٧) د. محمد عمارة: الأعمال الكاملة ، ١: ٣٤ - ٣٥. (٢) عباس محمود العقاد عبقرى الإصلاح والتعليم: الإمام محمد عبده ص٢٢٢ (ستوات فى تاريخ الأستاذ الإمام) دار الكتاب العربى، بيروت ١٩٧١.



شطر ما سطره فى هذه الرسالة.. وقد تأيد هذا الاتجاه بعد ماستطاع المنهج النقدى الداخلى للنصوص زعزعة الثقة فى نسبة نص التعليقات ونص رسالة الواردات إلى الأستاذ الإمام.. وكم كنا نتمنى أن تثبت نسبة هذين النصين - البالغين غاية الدقة والعمق - إلى الإمام.. فإن فيهما أنظاراً كلامية وفلسفية تقف قبالة أنظار الإيجى والعلامة الدوانى والشيخ الرئيس ابن سينا وابن عربى قامة بقامة ورأسا برأس: قبولا ورفضا وتعديلا وتوجيها.. وفى هذا المستوى فإن الأستاذ الإمام يستحق - لو لم يشكك فى نسبة الكتابين إليه - أن ينتزع لقب: «حكيم الشرق» أو فيلسوف الشرق من أستاذه، دون أدنى منازعة، ولا مغالبة.. ورسالة التوحيد ليست هى المجلى الوحيد، ولا الأتم للتعرف على مظاهر التجديد فى هذه الرسالة عند الشيخ محمد عبده، وذلك إذا ماقارنا عمله فى هذه الرسالة لمناظرته التى رد فيها على الوزير الفرنسى هانوتو ونشرت تحت عنوان: «الإسلام والمسلمون والاستعمار» أو مناظرته التى رد فيها على فرح أنطون صاحب مجلة الجامعة، بعنوان: «الاضطهاد فى النصرانية والإسلام» (٨).. ففى هاتين المناظرتين تتجلى عبقرية الإمام فى الرد على خصومه. وبما يعكس تضلعه من علوم: الفلسفة والتوحيد والمنطق أولا. ثم من علوم: التاريخ والأديان والاجتماع ثانيا.. وبحيث يمكن القول بأن «رسالة التوحيد» بكل ماتتضمن من نظرة تجديدية لم تكن فى حميا هذه المناظرات إلا «مادة» وظفها الإمام بكل اقتدار فى الدفاع عن الإسلام عقيدة ونظاما، بصورة مكنته من انتزاع إعجاب القراء المسلمين والمسيحيين أنفسهم وذلك برغم الوشيجة القوية التى تربطهم بكل من هانوتو وأنطون.. ونكتفى فى هذا المقام بما جاء فى رسالة «جاد أفندى عيد» - احد أدباء المسيحيين - إلى «عبدالقادر بك القبانى» صاحب جريدة «ثمرات الفنون» من حديث عن رد الإمام على هانوتو، يقول فيه: «ولم يكن لرد الإمام الوقع العظيم فى نفوس المسلمين فقط، بل إن كثيرين من أفاضل النصارى قد أجلوه كثيرا، وأحلوه محلا كريما، ولا أبالغ إذا قلت لسعادتكم إننى قرأته أكثر من عشرين مرة» (٩)

إن عبقرية التجديد عند الإمام تبدو للمتأمل فى رسالة التوحيد كما تبدو له فى مناظراته الفلسفية الشهيرة لمفكرى أوروبا وعلمائها، وإن كانت المناظرات - فيما أرى - هى المجلس الأتم الذى يظهر فيه استخدام الإمام لعلم الكلام وعلوم النظر استخداما أعمق

٨) لمزيد من المعلومات عن ردود الإمام على هانوتو وانطون .. أنظر د. محمد عمارة: الأعمال الكاملة، ٣: ٢١٧ - ٢٥١ ، ٢٥٩ - ٣٦٨ ، أنظر أيضا رشيد رضا ، تاريخ الأستاذ الإمام.. جـ١ (القسم الثانى) ص ٧٩٩ - ٨١٦ ، ص ٧٩٩ - ٨١٦ ، جـ٢ : ٤٠٠ - ٤٦٨

٩) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ ١ (القسم الثانى) ص٨٠٢



وأدق.. ولعل من المفيد فى توضيح هذه المسألة أن نعرض لصور هذا التجديد فى رسالة التوحيد، ثم فى الأصول العقلية التى استند إليها الإمام فى منازلة الخصوم ومناظرتهم، وكل ذلك فى إطار ماتسمح به حدود هذه الورقة.

التجديد فى رسالة التوحيد

تبدأ رسالة التوحيد بمقدمات عرض فيها الإمام لتعريف علم التوحيد، وسبب تسميته بعلم الكلام.. ثم انتقل مباشرة إلى طرح قضايا لايطرحها المتكلمون عادة فى مقدمات مصنفاتهم، ورغم أن هذه القضايا لم يطرحها الإمام بصورة مرتبطة ومنظمة - كما توقعنا من عنوانه السابق: «مقدمات» - فإن بإمكاننا أن نخلص إلى أن أهم هذه القضايا هى هذه التفرقة بين منهج القرآن الكريم فى بيان العقيدة ومنهج الأديان السابقة، وفى هذا المقام يقرر الإمام أن علم التوحيد - بمعنى علم تقرير العقائد وإثبات ماجاءت به النبوات - علم مشترك بين المسلمين والأمم السابقة على الإسلام، والفرق أن القائمين على أمر الأديان السابقة لم يحفلوا بالدلائل العقلية ولا الدلائل الكونية المحسوسة فى بيان العقائد، وإنما كانت دعواتهم لعقائدهم فى واد، ومنازع العقول فى العلم فى واد آخر، بل ربما جاءت دعواتهم على النقيض من أوليات العقل وضرورياته، كثيرا ما صرح الدين على لسان رؤسائه انه عدو العقل: نتائجه ومقدماته، فكان جل مافى علوم الكلام تأويلاً وتفسيراً وإدهاشاً بالمعجزات أو إلهاء بالخيالات، يعلم ذلك من له إلمام بأحوال الأمم قبل البعثة (١٠) وفى مقابل هذا النهج يضع الإمام النهج الجديد الذى جاء مع القرآن الكريم فى بيان الدين، ومعقد الجدة فى هذا النهج أنه مستمر الدلالة، متواصل البرهنة، سواء بالنسبة لمن عاش فى عصر نزول القرآن أو لمن جاء بعده على اختلاف الزمان والمكان.. ومن طبيعة هذا النهج أنه لايحفل - فى الاستدلال على نبوة محمد ﷺ بما عهد من استدلالات على النبوات السابقة، ولا يعول كثيرا على الخوارق الحسية التى يتبدد أثرها من نفوس المؤمنين إذا ماطال عليهم الأمد، وهنا يبرز الإمام إعجاز القرآن الكريم - فى بلاغته وفصاحته وتحديه للبلغاء والعظماء - كبرهان على صدق النبوة، وأنه - رغم إعجازه - لم يطلب الانقياد الأعمى لما يقرره، بل عول على الدعوى والبرهان فى مجادلة المخالفين ونقض دعاواهم وحفز الفكر ولفت أنظار العقول إلى نظام الكون ومافيه من إحكام وإتقان. حتى وهو يقص علينا أنباء السابقين وأحوالهم، يقرر أن للخليقة سنة لا مجال فيها لتغيير ولا تبديل.. وهكذا «تآخى

١٠) رسالة التوحيد ٣٧٤ (ضمن المجموعة الكاملة)



العقل والدين لأول مرة فى كتاب مقدس، على لسان نبى مرسل، بتصريح لايقبل التأويل . وتقرر بين المسلمين كافة - **إلا من لا ثقة بعقله ولا بدينه** - أن من قضايا الدين ما لا يمكن للعقل الاعتقاد به الا من طريق العقل، كالعلم بوجود الله، وبقدرته على إرسال الرسل وعلمه بما يوحى بهم إليه» [11] .

وهذا الذى قرره الإمام من رفعة مقام العقل فى دين الإسلام، وحجيته المطلقة فى ابتناء قاعدة الإيمان بالله - تعالى - ليس جديدا فى متون علم الكلام.، وقد ألمح الشيخ إلى ذلك فى نصه السابق، فقد تقرر من قبل عند الجوينى والغزالى والدوانى والإيجى والتفتازانى، وقبل هؤلاء: عند المعتزلة عن آخرهم - أن العلم بحدوث العالم ووجوب الصانع ووجوب قدرته وعلمه وإرادته، كل ذلك لايثبت إلا عن طريق العقل، وأن هذه العلوم، إذا لم تثبت أولا فمن المستحيل أن يثبت شرع قبلها أو معها، إذ مبنى ثبوت الشرع برمته قائم على خبر الله - تعالى - أو مايسمى بالكلام النفسى.. وعليه فإن كل الأصول التى تسبق الكلام النفسى، مثل وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وإرادته، يستحيل إثباتها بالكلام الإلهى.. يقول الإمام الغزالى: «أما المعلوم بدليل العقل دون الشرع فهو حدوث العالم ووجوب المحدث وقدرته وعلمه وإرادته فإن كل ذلك ما لم يثبت، لم يثبت الشرع، إذ الشرع يبنى على الكلام.، فإن لم يثبت كلام النفس لم يثبت الشرع، فكل مايتقدم فى الرتبة على كلام النفس يستحيل إثباته بكلام النفس» [12].

ويقول فى موضوع سابق، فى معرض الاستدلال على صفة الكلام: «ومن أراد إثبات الكلام بالإجماع أو بقول الرسول فقد سام نفسه خطة خسف..» [13]..

ويستخلص من نصوص المتكلمين فى هذا الأصل أن الاستدلال على وجود الله - تعالى - وعلى كثير من صفاته كالقدرة والعلم والإرادة والكلام، ليس لثبوته من طريق غير طريق العقل، وأن شيئا من ذلك لايمكن أن يثبت من طريق الشرع، لأنه لو ثبت بالشرع فهذا يعنى أن مصدر ثبوته هو الكتب الإلهية أو أقوال الأنبياء، ويلزم على ذلك أن يكون المؤمن قد صدق بكلام الله قبل أن يصدق بوجود الله لأن التصديق بوجود الله من طريق القرآن أو الحديث - مثلا - يستلزم بالضرورة سبق الإيمان بالقرآن والحديث على الإيمان بالله، مع أنه يلزمه التصديق بالله أولا ليستقيم له التصديق بكلام الله بعد ذلك، وهكذا لو ابتنى أصل الإيمان بالله على الشرع

11) السابق ٣٧٤ - ٣٧٥

12) الاقتصاد فى الاعتقاد ١٧٦، مكتبة الجندى، مصر ١٩٧٢

13) السابق ١٠٢



فإن فكرة الدور الباطل تصبح علة فادحة فى صحة الدليل، ويصبح ثبوت الوجود الإلهى متوقفا على ثبوت الشرع. بينما ثبوت الشرع متوقف هو بدوره على ثبوت الوجود الإلهى، وقس على ذلك كل الصفات التى تسبق صفة الكلام بالمعنى النفسى.. ولذلك أجمع المسلمون كافة، إلا من لا ثقة بدينه وعقله، كما يقول الإمام محمد عبده، على أن إثبات الوجود الواجب، وصفاته الكمالية غير السمعية.. لا مفر له من دليل العقل، وأن الشرع، ليس لثبوته من طريق إلا طريق العقل، ومن رام إثباته بالإجماع أو بقول الرسول فقد رام محالاً كما قال الغزالى. لأن الإجماع نفسه لايثبت إلا بعد ثبوت قول الرسول، إذا هو مستند إليه ومبنى عليه.

إذا أضفنا إلى التأصيل السابق ماألمح إليه الإمام محمد عبده - فى إشارة سريعة - من أن العقل إذا كان هو الأساس الذى يبتنى عليه أصل الألوهية. فمن المنطقى أن يقدم العقل ويؤول النقل فى كل مسألة يبدو فيها ظاهر النص متعارضا مع العقل.. وهذه القاعدة أشبه بفرع يبتنى على التأصيل السابق، وهو أصل الألوهية والنبوة، إذ العقل بعد ماثبتت له هذه المنزلة الكبرى فى تأسيس العقيدة وبعد ما أصبح قاضيا فى أخطر وأعظم الأصول فى الإسلام. فبالضرورة تثبت له هذه المنزلة فى كل حكم من أحكام الخطاب الشرعى وعلى أى مستوى من مستوياته، وبحيث تطرد له الأولوية فى التوجيه والترجيح.. فإذا بدا أن النص لايجرى مع العقل فى مضمار واحد فإن أولوية الترجيح تكون حينئذ لمنطق العقل وأحكامه، ثم يؤول النص ويفسر بما يتفق والعقل فى نهاية الأمر.. فإن لم يمكن التأويل بقى النص فى منزلة متعالية فوق العقل وفوق أحكامه وقضاياه، وحينئذ يفوض العلم فيه إلى الله تعالى.. على أن علو النص فوق العقل فى أمثلة نادرة - لايعنى بحال أن هذه الأمثلة تضاد العقل أو تصطدم مع أولياته وثوابته، فهذه المفارقة مرفوضة شكلا وموضوعا فى دين الإسلام، وسواء فى ذلك النصوص التى تؤصل العقيدة، أو النصوص التى تؤصل الشريعة وأحكامها فى العبادات والمعاملات والأخلاق. والإجماع منعقد - كما يقول الإمام «على أن الدين إن جاء بشئ قد يعلو على الفهم فلا يمكن أن يأتى بما يستحيل ضد العقل» [14].

ومرة أخرى لا نجد جديداً فيما ذهب إليه الإمام من تقرير القاعدة العامة، قاعدة تقديم العقل وتأويل النص، فقد أشبع الكلام فيها- من قديم- تأصيلاً وتدليلاً ودفاعاً، ومن أبرز

14) رسالة التوحيد ٢٧٥.. ومن الأمثلة على ذلك إنكار موسى - عليه السلام - لما فعله العبد الصالح من خرق للسفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار. فقد بدا كل ذلك فى حكم العقل مذموما ومرفوضا عند العقلاء، ولكن حين كشفت له حقائق هذه الظواهر بان له وجه الحسن فيها وأن ماظنه من قبل قبيحا فهو بسبب اختلاف منزلتين وتفاوت مرتبتين.

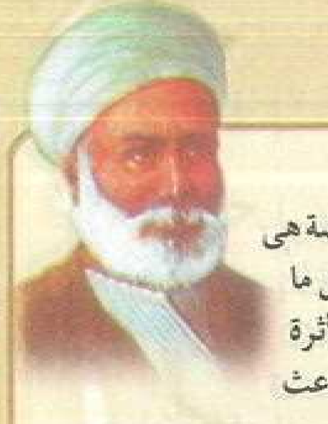


المنافحين عنها الإمام الكبير فخر الدين الرازى، الذى اكتملت على يديه هذه القاعدة وأخذت فى كتبه الكلامية وغير الكلامية صورتها النهائية، وصارت فى مناظراته: «القانون» الذى يحكم أمر العلاقة بين العقل والنص فى المتشابهات ومشكل القرآن والحديث، وكثيراً ما جعلها فى بعض كتبه عنواناً على أحد الفصول، فمثلاً يعنون الفصل الثانى والثلاثين من كتاب: أساس التقديس فى علم الكلام بقوله: «فى أن البراهين العقلية إذا صارت معارضة بالظواهر النقلية فكيف يكون الحال فيها.(١٥)

وفى هذا الفصل يبين الرازى أن دلائل العقول إذا دلت على ثبوت شيء وأشعرت ظواهر الأدلة النقلية بنقيض ذلك، فإن العلاقة بينهما لا تخرج عن أحول أربعة: إما تصديق ما يثبته العقل ويثبته الشرع معاً، وهذا أمر محال، لأنه تصديق باجتماع نقيضين، وكذلك تكذيب الأمرين معا، لما فيه من ارتفاع النقيضين، وهو محال كذلك.. فبدائه العقول تقضى بأن النقيضين لا يجتمعان معاً ولا يرتفعان معاً. ثم يبقى احتمالان لا ثالث لهما:، أولهما: تصديق النقل وتكذيب العقل وتحت هذا الاحتمال مشكلات كبرى تكر بالنقض والبطلان على العقل والشرع جميعاً، ذلك أن صحة الظواهر النقلية تتوقف معرفتها أولاً على ثبوت أصول لا مفر منها وهى ثبوت الصانع وصفاته، وبخاصة صفة الكلام، وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول الذى أخذت عنه هذا الظواهر، وكل هذه الأصول موقوفة على الدلائل العقلية كما عرفنا من قبل، فلو كذب العقل وأجرى النص على ظاهره فهذا طعن فى العقل وقدح فى أحكامه وقضاياه، ويلزم ذلك- ضرورة- أننى ارتضيت طريقاً مطعونا عليه فى إثبات وجود الله وصفاته وتصديقى بكتبه ورسله، على أن اتهام العقل فى حال دلالته المتعارضة مع ظاهر النص يفتح الأبواب على مصاريعها لاتهامه فى دلالته على التصديق بالله وبكتبه ورسله، لأنه إذ أمكن تكذيبه فى حال، فإن تكذيبه فى أحوال أخرى أمر وارد، وإذن فما الذى يضمن لى أن تصديقى بالله وكتبه ورسله كان صحيحاً إذا كان الطريق الذى أوصلنى إليه غير موثوق فيه؟! وهنا يقول الرازى: «إن القدح فى العقل لتصحيح النقل يفضى إلى القدح فى العقل والنقل معا (١٦) فلم يبق إذاً إلا الاحتمال الأخير وهو العمل بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة مع تأويل النصوص المتعارضة فى ظواهرها مع هذه الدلائل، أو تفويض العلم فيها لله تعالى، وهذا الوجه هو ما يطلق عليه الرازى «القانون الكلى

١٥) ط الحلبى ١٩٣٥، ص ١٧٢- ١٧٣.

١٦) السابق ١٧٢.



المرجوع إليه فى جميع المتشابهات».(١٧)

ولعلنى لا أجاوز طور المعقول لو ذهبت إلى القول بأن مفتاح فلسفة الإمام محمد عبده يكمن فى هذين الأصلين العقليين اللذين وقع عليهما الإمام فى تراث المسلمين العقلى، ووجد فيهما ما يترجم عن شخصيته العقلانية الفذة، فهو شخصية لا تنتمى إلى مذهب كلامى بعينه، ولا إلى مدرسة فلسفية بعينها، كما أنها لا تنطلق من مسلمات مذهبية ولا من أصول موضوعة وضعاً، ما إن يبدأ منها حتى تسيطر عليه وتجمد رؤاه فى أنساق وأطر مذهبه، ولعل شخصيته العقلية فى تحررها وانفتاحها على كل المذاهب والمدارس تذكرنا بشخصيته الإنسانية التى عالجها المفكر العملاق: العقاد، تحت عنوان: «شخصية ولا شخصية» وقال فيما قاله عنها: كأننا نحس بعد التوسع فى المعرفة بشخصيته أنها شخصية ولا شخصية، أو أن أعماله الخاصة هى أعماله العامة (......) فكل ما فيها من بواعث الأنانية والأثرة فهو فيها جنباً إلى بواعث الإنسانية والإيثار.(١٨)

ومايقوله العقاد عن شخصية الإمام الإنسانية يقال مثله عن شخصيته الفكرية، وبحيث يمكن وصفه بأنه فيلسوف أو متكلم مستقل وغير مستقل فى الآن نفسه، فهو مستقل حين يطالعنا بهذا النسيج التجديدى الذى لم ينسج فيه على منوال سابق، وهو غير مستقل حين نمعن النظر فى خيوط هذا النسيج فنرى فيها طائفة غير قليلة تضرب فى جذور التراث، وإن ظل الباحث المتأمل دهشاً أمام عبقرية التوظيف، أو إعادة الإنتاج- إن صح مثل هذا التعبير!..

١٧) السابق ١٧٢ هذا القانون حمل ابن تيمية على تصنيف كتاب كبير بعنوان: بيان موافقة صريح المعقول لتصحيح المنقول» وتصدى فيه لإبطال قاعدة التأويل التى استقرت قبله فى التراث العقلى بقرون عدة.. على أن محاولته فى كتابه هذا لم تنته إلى نتيجة تنقض هذا القانون من الأساس؛ فلم يصرح ابن تيمية رغم نقده العنيف للرازى بالقول بتقديم ظاهر النص على دليل العقل فى حالة التعارض، وما كان له أن يقوْل ذلك أو يقبله بحال.. لكنه حاول أن يزيل إمكان التعارض- أصلاً- بين العقل الصريح والنقل الصحيح، فطعن فى التأويل كما عرضه الرازى، وتناول بالنقد المقدمات الثلاث التى هى ثبوت التعارض بينهما، وانحصار القسمة فى الأقسام الأربعة، وبطلان الأقسام الثلاثة الأولى، وانتهى إلى أن هذه المقدمات باطلة، وأن الشرع الصحيح أمر قطعى، وبقطيعته لا يتأتى له أن يعرض العقل الصريح.. والكتاب كله بأجزائه التسعة رد لعبارة الرازى السابقة، والتى قسم فيها الأمر إلى الاحتمالات الأربعة.. وقد طمح ابن تيمية فى كتابه هذا إلى إزالة أى تعارض بين العقل والنقل وعرض من منظوره هذا كل الخلافيات الكلامية التى يثور حولها الجدل بين مدرسة العقليين المؤولين بقيادة الرازى وبين مدرسة النصيين، لكن يمكن القول بأنه رغم ما بذله ابن تيمية من حجاج دقيق وعميق فإن أمر اعتلاء النص- فى بعض الأحيان- على طاقات العقل ظل كما هو حقيقة ثابتة استعصت على كل محاولات درء التعارض بينهما.. ولعل انطلاق ابن تيمية من منظور الموافقة والمطابقة هو الذى أوقعه فيما أخذه عليه خصومه من مؤاخذات، وبخاصة: مؤاخذة التجسيم والتشبيه، لأن الذى يلغى المجاز فى القرآن، ولا يفوض فى المتشابهات، ثم يجرى النصوص المتشابهة على ظواهرها لا يسعه إلا قبول ظواهر النصوص بكل ما توهم به هذه الظواهر من تشبيه وتجسيم ترفضه دلائل العقل الصريح.

(١٨) عباس العقاد، عبقرى الإصلاح والتعليم: الإمام محمد عبده ص٢١٦، ٢١٧.



إن المنطلق العقلى الذى يستعلن فى كتابات الإمام الكلامية والفلسفية والتى قعد فيها منذ البداية ابتناء الأصول الكبرى فى الإسلام على الدليل العقلى كالوجود الإلهى والصفات وتصديق الرسل، وتقديم أدلة العقول على ظواهر النصوص المتعارضة- ظل يشكل الخلفية العقلية والإيمانية التى كان يتكىء عليه الشيخ الفيلسوف في أغلب أنظاره ورؤاه عن الإسلام اعتقاداً ودفاعاً.

وفيما يتعلق برسالة التوحيد- مثلاً - فإنه يصعب على الباحث- بعد قراءتها - أن يقف بالإمام تحت لافتة مذهب كلامي محدد، أشعرى أو معتزلي أو سلفي.. ألخ، وأغلب الظن أنه لم يكن يفكر فى أن يختط لنفسه إنشاء مذهب جديد، أو نصرة مذهب قديم، مصداق ذلك هذه الخيوط ذات الألوان المختلفة- والمتباعدة أيضا- والتي استطاع أن ينسج لوحة غاية فى الإبداع والاتساق، مع أنك لو أخذت كل خيط فيها على حدة ورجعت به إلى موطنه الأصلى فإنك قد تقبله، وقد تنكره أشد الإنكار- فمثلا يجرى الإمام مع الفلاسفة فى طريقتهم على الاستدلال على الواجب بالممكن، ويترسم خطاهم فى قاعدة: «اقتضاء وجود الممكن لوجود الواجب اقتضاء ضروريا»، متنكباً طريق المتكلمين فى إثبات الصانع وهو طريق: «الحدوث»، لكن سرعان ما يفارق الفلاسفة فى منتصف الطريق، لينضم إلى المتكلمين فى القول بأن القدرة الإلهية أوجدت العالم من عدم، بما يعنى أنه يقول مع المتكلمين بحدوث العالم، لكنه فى الوقت نفسه لا يكفر القائلين بقدم العالم.

وحين يعرض لصفة القدرة والإرادة والاختيار يفسرها بمقولات المتكلمين (١٩)، ويثبت لله تعالى الاختيار فى الفعل، وينفى عنه لوازم مذهب الفلاسفة التى تتأدى إلى الاضطرار فى أفعاله - تعالى - فليس «من أفعاله ولا من تصرفه فى خلقه ما يصدر عنه بالعلية المحضة والاستلزام الوجودى بدون شعور ولا إرادة، وليس من مصالح الكون ما يلزمه مراعاته لزوم تكليف (......) تعالى عن ذلك علواً كبيراً» (٢٠)، وعنده- كما عند الفلاسفة- أن الكمال فى الكون إنما هو أثر الوجود الواجب الذى هو أكمل الوجودات،

١٩) وعبارة الإمام فى هذا الموضوع هى: «فيكون (العالم) حادثاً، إذ الحادث ما سبق وجوده بالعدم، فكل ممكن حادث إن وجد» رسالة التوحيد ٣٨٥ وهذه قد لا يفهم منها الحدوث الزمانى الذى يعنيه المتكلمون، وربما فهم منه الحدوث الذاتى كما يقول الفلاسفة، لكنا وجدنا للإمام نصاً صريحاً فى موضوع آخر يقول فيه: وهذا الحدوث الثابت لجميع أجزاء العالم أو أجناسه وأنواعه نريد منه الحدوث الزمانى وهو المسبوق بعدم (انظر العقيدة المحمدية للإمام محمد عبده ص ٧٧، تحقيق ودراسة د. فتحى أحمد عبدالرازق ط. مصر للخدمات العلمية ٢٠٠٣) وهذا النص الأخير لا يدع مجالاً للارتياب فى أن مقصود الإمام من هو الحادث بالذات وبالزمان.. ويجدر التنويه بأن هذه العقيدة فرغ الإمام من تأليفها سنة ١٢٩٤هـ وتم نشرها- كما يقول هو فى نهاية العقيدة- فى سادس ربيع الأول سنة ١٢٢٩ هـ. أى قبل تأليفه رسالة التوحيد.

٢٠) رسالة التوحيد ٣٩١.



وأرفعها، إلا أنه يلتقى مرة أخرى بمذهب الأشاعرة فى أن أفعال الله تعالى لا تعلل بالأغراض، وهى فى الوقت ذاته منزهة عن العبث ويستحيل أن تخلو من الأغراض، وإن كان تفسيره لاستحالة التعليل بالأغراض يختلف عن تفسير الأشاعر (٢١)..

ويذهب الإمام فى قضية صفة «الكلام الإلهى» مذهب الأشاعرة، فيثبت قدم الكلام النفسى وحدوث الكلام المسموع المركب من الحروف والمقروء بالأصوات؛ وهو مذهب متوازن يتبناه الإمام ليقف به موقفاً وسطا بين تفريط المعتزلة فى قولهم بحدوث صفة الكلام مطلقاً، وإفراط الحشوية فى قولهم بقدم الكلام الإلهي: النفسى والمسموع، ويرى الإمام أن أصحاب المذهب الأخير لم يكونوا مؤهلين للحديث فى مثل هذا القضايا. وأن الذى يقول «بقدم القرآن المقروء أشنع حالاً وأضل اعتقاداً من كل ملة جاء القرآن نفسه بتضليلها والدعوة إلى مخالفيها» (٢٢)..

ويعتذر لموقف الإمام أحمد بن حنبل بأنه لم يكن أبداً دفاعاً عن القول بقدم الكلام المسموع، وإنما كان تأدباً وتأثماً من وصف القرآن بصفة الحدوث.. يقول الشيخ محمد عبده: «أما ما نقل إلينا من ذلك الخلاف الذى فرق الأمة وأحدث فيها الأحداث، خصوصاً فى أوائل القرن الثالث من الهجرة، وإباء بعض الأئمة أن ينطق بأن القرآن مخلوق، فقد كان منشؤه مجرد التخرج والمبالغة فى التأدب من بعضهم، وإلا فيجل مقام مثل مقام الإمام ابن حنبل عن أن يعتقد أن القرآن المقروء قديم وهو يتلوه كل ليلة بلسانه ويكيفه بصوته. (٢٣)

وفيما يتعلق بالبحث الشهير فى مسألة الصفات عامة. ونسبتها إلى الذات، وهل هى عليه أو غير، أولا هذا ولا ذاك. يختار الإمام الرأى القائل بأن البحث فى هذه المسألة بحث عقيم ولا يفيد شيئاً، اللهم إلا الانعكاسات السلبية على نقاء العقيدة ووحدة الأمة..

وموقف الإمام هذا ليس بجديد، إنما الجديد تحليله الفلسفى الذى يضعه بين يدى هذا الموقف. وهو تحليل يتناول فيه تحديد «الغاية» التى ينتهى إليه كمال العقل الإنسانى فى معارفه ومداركه، وعند الإمام أن هذه الغاية هى معرفة «العوارض» فى الحسيات والوجدانيات والعقليات، ثم التأدى منها إلى معرفة مناشئها وتحصيل كليات لأنواعها، والإحاطة ببعض القواعد لعروض ما يعرض لها، أما الوصول إلى كنه حقيقية ما فهما لا تبلغه قوته» (٢٤).

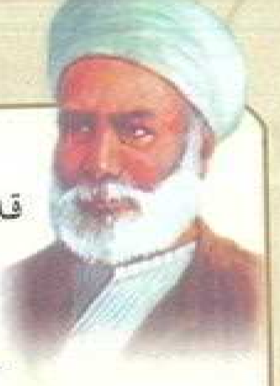
ويضرب الإمام مثلاً لذلك ظاهرة «الضوء» الذى هو أجلى المحسوسات وأبينها، ورغم أنه

٢١) السابق ٣٩٢.

٢٢) السابق ٣٩٤.

٢٣) السابق ن. م

٢٤) السابق ٣٩٥.



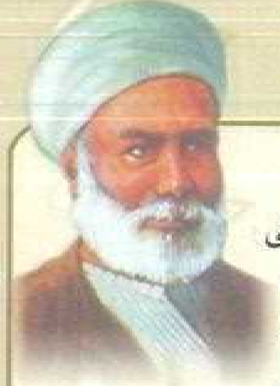
قد صار أخيراً علماً على علم خاص مستقل له قضاياه ومسائله إلا أن عالماً واحداً من علماء الضوء لم يستطع أن يفهم ما هو الضوء، «ولا أن يكتنه معنى الإضاءة نفسه، وإنما يعرف من ذلك ما يعرفه كل بصير له عينان.»(٢٥) ويقول الإمام: إن الله تعالى لم يعلق معارف العقل وحاجات الناس على معرفة «كنه الأمور» ولا حقائقها، وإنما أناط كل ذلك بمعرفة «العوارض والخواص» وهذه النظرة- التى تذكرنا بفلسفة «كانت» فى تفرقته الشهيرة بين الشيء فى ذاته وظواهر الشيء- يطبقها الإمام أيضا على أنموذج آخر غير محسوس، هو أنموذج إدراكنا للنفس، تلك التى يتعالى معرفة «كنهها» على كل وسائل الإدراك العقلى، ويرى الإمام إن محاولات الفلاسفة والمتكلمين فى هذه المسألة لم تسفر عن قضية واحدة يقينية، وظل الاحتمال متساويا وواردا فى جوهرية النفس وعرضيتها، وهل هى قبل الجسم أو بعده، وهل هى حالة فيه أو مجردة عنه، وهل هى قديمة أو حادثة، وهل هى نفس واحدة ملية أو نفوس جزئية.. إلخ ما هو معروف من خلافيات هذا الباب.

ويخلص الإمام من كل ذلك إلى هدفه الأساسى، وهو أن البحث فى ذات الله تعالى لمعرفة هل: صفاته عين ذاته، أوغير ذاته، أو لا عين ولا غير، أكثر تعذراً وأشد استحالة من معرفة كنه الضوء وحقيقة النفس. والعلم اللازم فى مثل القضايا المتعالية هو العلم بأن لله- تعالى:- صفات اتصف بها، أخبرنا بها الصادق المعصوم. أما البحث فيما وراء ذلك فهو «طلب للاكتناه من جهة، وهو ممتنع على العقل البشرى (......) وتطاول إلى ما لا تبلغه القوة البشرية من جهة أخرى، فهو عبث ومهلكة لأنه يؤدى إلى الخبط فى الاعتقاد، لأنه ويطول بنا المقام لو رحنا نستعرض مسائل علم الكلام فى هذه الرسالة، بحثاً عن مظاهر التجديد سواء فى تأصيلها أو فى تنظيرها، ولكن يمكن القول- إجمالاً- أن مظاهر التجديد فى هذه الرسالة تتجلى فى توجهات ثلاثة فى فلسفة الإمام:

الأول: التحرر من التمذهب بمذهب كلامى معين، أو الانحباس داخل أسوار مدرسة بعينها من مدارس علم الكلام. وبهذه الحرية- المنضبطة بمنطق العقل والنقل- استطاع الإمام أن ينظر إلى المذاهب الكلامية نظرة فوقية، أو نظرة من خارجها مكنته من نقدها نقداً بناء، يعمقها تارة، ويصوب اتجاهاتها تارة أخرى.. وقد رأينا كيف يبدأ فيلسوف ثم ينتهى أشعرياً أو معتزليا، أو العكس، وكل ذلك فى المسألة الواحدة أو القضية الواحدة.

الثانى: المرجعية العقلية والمرجعية النصية التى كان يصدر عنهما الإمام فى أنظاره ورآه

٢٥) السابق ن.م



الكلامية والفلسفية، وقد رأينا أنه كيف كان شديد الاعتداد لمرجعية العقل، لكن كان يعرف أن للعقل حدوده التى لايستطيع أن يتخطاها بحال من الأحوال- وهو بذلك يقف موقفاً جامعاً لكل محاسن النصيين والعقليين ومتجاوزاً فى الوقت نفسه لكل التمحلات التى قد يختنق بها الباحث- أحياناً- وهو يقرأ فى هاتين المدرستين.

الثالث: التجديد فى التحليل وفى البرهنة على ما يراه صواباً، وبما يلامس فلسفات عصره ومعارفها، وهذا المنحى قد مكن الإمام من تصوير «عالمية الإسلام» تصويراً حياً، وكيف أن شريعته مؤهلة- بصورة دائمة- لمواكبة متغيرات الأحداث ومستجدات التطور. ويستطيع الباحث أن يقرأ الكثير فى كتابات الإمام مما يكشف عن قدرة «الإسلام» الخلاقة على البناء المستمر المتجدد والاحتفاظ- فى الوقت نفسه بالمصادر والأصول والثوابت تحديد لما لا يجوز تحديده، وحصر لما يصح حصره»(٢٦).

التجديد فى المناظرات

احتفظ لنا تراث الإمام محمد عبده بمناظرتين تعكسان عبقرية متفردة متمكنة من قواعد علم البحث والمناظرة فى التراث العقلى للإسلام، ومطلعة على علوم التاريخ والاجتماع والفلسفات القديمة والحديثة..

وهاتان المناظرتان هما فى الأصل ردود على مقال كتبه «مسيو هانوتو» وزير خارجية فرنسا، وهو مقال استعمارى فى الدرجة الأولى، دعا فيه المسلمين إلى ضرورة الفصل بين الدين والدولة، وبخاصة فى شمال أفريقيا، حيث المستعمرات الفرنسية، وحيث المقاومة الإسلامية لحكومة فرنسا المسيحية التى تستعمر بلادهم.. وقد فطن «هانوتو» إلى أن هذه المقاومة الصلبة ترتكز أول ما ترتكز على المبدأ المتقرر فى أصول الإسلام وتاريخه وحضارته، من أنه دين ودنيا، وأن الجانب السياسى فيه لا ينفصل عن الجانب الدينى بحال.. ومن هنا دعا فى مقاله هذا إلى ضرورة أن يقوم المسلمون بعملية فصل حاسم بين السياسة وبين الدين، حتى يتمكنوا من التعاون مع الحكومات الفرنسية، والانفتاح على حضارة أوروبا، وحتى يضعوا أقدامهم على بداية طريق التقدم والتحضر.. وهو يبارك الخطوات التى اتخذها بلد مثل «تونس» واستطاع أن يضعف الروابط التى تربطه بمكة وبالصلاة وبالدين بشكل عام.. ولكن يبرر «هانوتو» دعوة المسلمين إلى ترك المقاومة وإلى الاستكانة والخضوع للغرب المسيحى، دعم نظرته هذه بدعاوى ملفقة مثل دعوى «الآرية» التى تذكرنا بدعوى صدام الحضارات الآن، والتى تقارن بين التمدن الآرى

٢٦) السابق ٣٩٥.



والتمدن السامى، وتنتهى إلى أن، الأول قفز بشعوبه إلى قمة المدنية والمساواة والتحضر بينما كان الثانى مصدر قهر وتخلف للشعوب السامية، وكذلك دعوى أن التوحيد والتنزيه فى الإسلام يباعد بين الله والمسلم بينما يقرب التشبيه والتجسيد بين اليسوع والمؤمنين به، وأخيراً قرن هانوتو بين الإسلام والمسيحية فى مسألة القضاء والقدر، وزعم أن الإسلام- بجبريته- «يحط الإنسان إلى حضيض الضعف»، بينما ترفعه المسيحية- بمذهبها فى الإرادة الحرة والاختيار- إلى «ذروة القوة».

ولا نستطيع بطبيعة الحال أن نستقصى كل ردود الأستاذ الإمام على دعاوى هانوتو ودعاوى غيره فى كتابه: الرد على هانوتو، والرد على فرح أنطون، فهذان الكتابان جديران ببحث مستقل يستقصى وجوه القوة والعمق والتجديد فى مناظرات الإمام ونكتفى بأن نشير- فى عجالة- إلى ما يلى:

لم يعن الأستاذ الإمام كثيراً فى ردوده بالمسيحية كعقيدة، ولم يشأ أن يجادل فى أصول العقيدة المسيحية، كالتثليث والتجسد والصلب والفداء، وإنما وجه اهتمامه إلى كشف ضحالة معلومات «هانوتو» فى علوم التاريخ والفلسفة ومقارنة الأديان، وبين أنه ليس واحداً من الكتاب، ولا من أهل النظر. والدارسون لعلم أدب البحث والمناظرة يدركون أن الأستاذ الإمام فى ردوده هذه يستخدم «المعارضة» التى لا تتعلق بخصوص الدليل: مقدمات ونتائج، بل «المعارضة» التى تتجاوز الدليل لتقدم فى تمام «الدعوى» بمعارضتها بمورد أو آخر يتخلف أية المدلول أو يتهافت معه أصل الدعوى.

وفى هذا السياق عارض الإمام دعوى الآرية وتفضيلها على السامية بأن «الهند» هى منشأ الآرية ومنبت غرسها، وأن أديانها قضت بتقسيم الناس إلى طبقات، ومن هذه الطبقات «من قضى عليهم دينهم بالانحطاط فى العقل والخلق والصناعة، ولا يباح له أن يرتقى إلى طبقة ما فوقه إلى انقضاء العالم، وهو الجمهور الأغلب منهم» (٢٧)... فهل يقول هانوتو أن هذا الانحطاط فى الدين الآرى الهندى جاءه من المدنية السامية؟! كيف والتمدن السامى لم يعرف التمدن البرهمى إلا فى زمان متأخر جداً؟! وهذا معلوم لكل من له أدنى معرفة بجغرافيا البلاد الهندية؟!.

وإذا كانت الآرية هى مبعث الفضائل والمساواة والتسامح فما هذه الفظائع «التى انتفخ بها بطن التاريخ الأوروبى الآرى»؟! وكيف تفسر الهمجية الآرية التى عاشتها أوروبا ردحاً طويلاً من الزمن؟! أليس ذلك دليلاً على أن العلم والمدنية لم ينبعا من معينها، وإنما جاءاها. بمخالطة الأمم السامية،

٢٧) محمد عبده، الرد على هانوتو: الإسلام والمسلمون والاستعمار (ضمن المجموعة الكاملة) ٢٢١.



كما يعلمه المطلع على تاريخ اليونان الأقدمين» (٢٨)، وهنا يذكر الأستاذ الإمام وزير الخارجية الفرنسى بأن أول شرارة اقتبسها التمدن الآرى فى أوروبا جاءتها من شعلة الحضارة الإسلامية «التى كان يسطع ضوؤها من بلاد الأندلس على ما جاورها، والتى حاول الكهنوت المسيحى إطفاءها قرونا عدة فلم يستطع.. ويذكر الإمام «أن الناظر فى التاريخ الأوروبى تحمر عيناه من مناظر الدماء المتجسدة على جليد الأزمان، ذلك بما سفله أهل ذلك الدين المتحد بالمدنية الآرية ليقاوموا دعاة تلك المدنية ويخمدوا نارها» (٢٩).

ثالثاً: أين نجد فى الإنجيل هذا الإصحاح أو الآية التى تحض المسيحيين على المغالبة والغلبة وطلب التفوق فى التمدن والتحضر؟! إن الإنجيل الموجود والمقرر بين أيدينا يأمر «أهله بالانسلاخ عن الدنيا والزهادة فيها، ويوجب عليهم إذا سلبهم السالب قميصاً أن يعطوه الرداء أيضاً، وإذا ضربهم الضارب على خدهم الأيمن أن يديروا له خدهم الأيسر، ويقص عليهم أن دخول الجمل فى سم الخياط أيسر من دخول الغنى ملكوت السماوات (.....) والعيان يدلنا على أن شيئاً من ذلك لم يكن، فإن هذه المدنية (الآرية) إنما هى مدنية الملك والسلطان، مدنية الذهب والفضة، مدنية الفخفخة والبهرج، مدنية الختل والنفاق، وحاكمها الأعلى هو «الجنيه» عند قوم، و «الليرا» عند قوم آخرين، ولا دخل للإنجيل فى شىء من ذلك».. (٣٠)

ثم يقرر الإمام حقيقة يصفها بأنها بديهية يعرفها صبيان المكاتب، ويجهلها هذا الوزير الشهير.. هذه البديهية هى أن دين «التوحيد» ليس ديناً سامياً، بل هو دين عبرانى خالص، بشر به إبراهيم- عليه السلام وأبناؤه من بعده، وحتى عيسى عليه السلام فإنه ينتسب إلى العبرانيين من جهة أمه- عليها السلام- وكذلك أصحابه وأنصاره الأولون.. «أما بقية الساميين من عرب وفينيقيين يخالفوا فى ذلك بنى عمهم أو أعداءهم الآريين» (٣١).

ويختتم الإمام نقده للمسألة الآرية بعبارة رائعة، وإن كانت موجعة لـهانوتو وتلاميذه، قال فيها: «وقبل إلقاء القلم أذكر الذين يتفانون فى إجلال مثل هذا الوزير (....) أنى إن صغرت شأن «هانوتو» فى معارفه التاريخية، فذلك لأنه صغير فيها حقيقة، وكثير من قومه يعرف ذلك عنه، لأنه لا أمير فى العلم إلا العلم والسلام» (٣٢).

٢٨) السابق ٢٢٢.
٢٩) السابق ٢٢٢- ٢٢٣.
٣٠) السابق ٢٢٢/ ٢٢٣
٣١) السابق ٢٢٤.
٣٢) السابق ن. م.



الإمام محمد عبده مجدّداً

تحت هذا العنوان جاء البحث الذى تقدم به الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر سابقا وعضو مجمع البحوث الإسلامية قال:

● فى كل أمة أمة من الأمم أعلام مجددون، وأئمة مخلصون يهدون الأمة ويرشدونها، وينهضون بالإصلاح والتجديد فيها، وهم فى العادة- لا يظهرون إلا فى فترات من الزمن متباعدة.

● من هؤلاء الإمام محمد عبده الذى ولد عام خمسة وستين ومائتين وألف من الهجرة ١٢٦٥هـ الموافق عام تسعة وأربعين وثمانمائة وألف من الميلاد ١٨٤٩م فى محلة نصر التابعة لمركز شبراخيت بمحافظة البحيرة، من أسرة مصرية متوسطة الحال، وابتدأت نشأته الأولى بحفظ القرآن الكريم ثم التحق بالجامع الأحمدى فى طنطا، وكاد اليأس يتسرب إليه من بعض الدروس التى زعمها تجافى طرق التربية ولا تتناسب واستعداد الطالب، ولكن تداركته العناية الإلهية حيث قيض الله له شيخا من أخوال أبيه وهو الشيخ درويش خضر فأخذ يفقهه ويفسر له ما صعب عليه حتى أقبل على العلم وعلى الحياة العلمية بنفس راضية وقال فى ذلك: واتسع لى ما كان ضيقا، وصغر عندى من الدنيا ما كان كبيرا، وعظم عندى من أمر العرفان والنزوع بالنفس إلى جانب القدس ما كان صغيرا، وتفرقت عنى جميع الهموم ولم يعد لى إلا هم واحد، وهو أن أكون كامل المعرفة، كامل أدب النفس.



● ثم واصل الإمام محمد عبده مسيرته التعليمية فى الأزهر حتى تخرج وصحب الشيخ جمال الدين الأفغانى الذى قدم إلى مصر فكان مجيئه فاتحة عهد جديد فى حياة الشيخ محمد عبده، وكان لصحبة محمد عبده لجمال الدين الأفغانى أكبر الأثر فى حياته قال الشيخ محمد عبده فى مذكراته:



وقد صاحبته وأخذت أتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والحكيمة أى (الفلسفية) والكلامية، وأدعو الناس إلى التلقى عنه كذلك.

● وقد كان لجمال الدين الأفغانى أكبر الأثر فى توجيه محمد عبده إلى النهوض علميا وأدبيا واجتماعيا ووطنيا، وبعد حصوله على الشهادة العالمية عين مدرسا بالأزهر ثم عين فى مدرسة دار العلوم ثم فصل منها بسبب اتصاله بجمال الدين الأفغانى حيث كانت الحكومة تعتبر آراءه مناهضة لها.

● وعكف الشيخ محمد عبده على دراسة اللغة الفرنسية وتعلمها وكان يقول: "من لم يعرف لغة من لغات العلم الأوروبية لا يعد عالما فى هذا العصر".

● وقد سافر إلى أوربا وكان له انطباع أبداه فى بعض ما سجله فى مقارنة بين المسلمين والغرب حين قال عن الغرب: "وجدت مسلمين ولم أجد إسلاما، وفى الشرق وجدت إسلاما ولم أجد مسلمين" وذلك بسبب ما كان عليه الأوروبيون من إتقان للعمل وإخلاص فيه فأخذوا مبادئ الإسلام التى تحث على إحسان العمل بينما أهمل المسلمون ذلك.

دور الإمام محمد عبده فى التجديد

معنى التجديد: يراد بالتجديد بعث روح الإخلاص والعمل، ومضاعفة الجهود للنهضة والتقدم فى كل المجالات، مع الابتكار والتحديث فيما يحتاج إلى ذلك.

● كما يعنى التجديد مواكبة التقدم العلمى، ومواجهة التحدى الحضارى، من غير إهمال للتراث، ولا رفض للماضى بل - فى مناخ التجديد- نبعث ما اندرس، ونقدم ما يحتاجه الواقع المعاصر، والمستقبل القادم.

وقد وضح الرسول -ﷺ- أن الله سبحانه وتعالى يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة من يجدد لها دينها، حتى تنهض الأمة وتظل رسالتها العالمية مستمرة متجددة، مواكبة لكل زمان ومكان.

عن أبى هريرة -رضى الله عنه- عن رسول الله -ﷺ- قال: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" «رواه أبو داود فى الملاحم، والحاكم فى الفتن» قال ابن كثير: قد ادعى كل قوم فى إمامهم أنه المراد بهذا الحديث والظاهر أنه يعم جملة من العلماء من كل طائفة وكل صنف من مفسر ومحدث وفقيه ونحوى ولغوى وغيرهم.

وقد بحث العلماء تحديد المجددين، وذكر الإمام السيوطى رحمه الله المجدد فى كل قرن، فذكر أن فى المائة الأولى عمر بن عبد العزيز، وفى الثانية: الشافعى وفى الثالثة ابن سريج وفى الرابعة: الأسفراييني، وفى الخامسة: الغزالى، والسادسة: الفخر الرازى، وفى السابعة، ابن دقيق العيد،



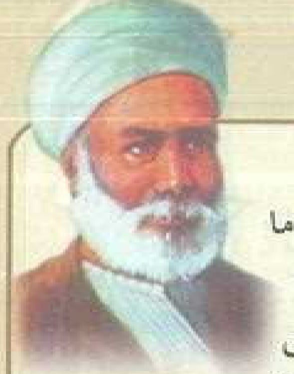
وفى الثامنة: البلقينى، وفى التاسعة: السيوطى. وفى حديث أخرجه أبو داود فى سننه: "المجدِّدينا أهل البيت" أى على معنى أن آل الرسول -ﷺ- هو كل تقى.

وذكر السيوطى المجددين فى أبيات له منها:

الحمد لله العظيم المنة
المانح الفضل لأهل السنة
ثم الصلاة والسلام تلتمس
على نبىٍ دينه لا يندرس
لقد أتى فى خبر مشتهر
رواه كل عالم معتبر
بأنه فى رأس كل مائة
يبعث ربنا لهذى الأمة
منّاً عليها عالما يُجدّدُ
دين الهدى لأنه مجتهدُ
فكان عند المائة الأولى عمر
خليفة العدل بإجماع وقر
والشافعى كان عند الثانية
لما له من العلوم السامية
وابن سريج ثالث الأئمة
والأشعرى عدّه من أمه
والباقلانى رابع أو سهل أو
الأسفراييني خلف قد حكوا
والخامس الحبر هو الغزالى
وعدّه ما فيه من جدال
والسادس الفخر الإمام الرازى
والرافعى مثله يوازى
والسابع الراقى إلى المراقى
ابن دقيق العيد باتفاق
والثامن الحبر هو البلقينى
أو حافظ الأنام زين الدين
وهذه تاسعة المئين قد
أتت ولا يخلف ما الهادى وعد
وقد رجوت أننى المجدد
فيها بفضل الله ليس يجحد
وآخر المئين فيما يأتى
عيسى نبى الله ذو الآيات
يجدد الدين لهذى الأمه
وفى الصلاة بعضنا قد أمّه
مقرر لشرعنا ويحكم
بحكمنا إذ فى السماء يعلم
وبَعْده لم يبق من مجدد
ويُرفع القرآن مثل ما بُدى

● وهكذا نرى أن سلف الأمة عُنوا بالبحث عن كل مجدد فى كل عصر بل نظمت أسماؤهم وبعض سماتهم، لأهمية دور المجددين فى كل زمان ومكان.

● وعصر الإمام محمد عبده يشهد له العلماء والمفكرين والكتاب والمنصفون



أنه المجدد بحق لعصره الذى عاش فيه، ولم يكن التجديد الذى نادى به هدما للماضى، ولا قضاء على التراث، بل كان جمعا بين الأصالة والمعاصرة، وكان توظيفا للتراث فى خدمة العصر، وإخضاع ظواهر العصر الحديثة إلى أحكام الشريعة الغراء.

● وإيمانا من الشيخ محمد عبده بأن التجديد لا ينبع إلا من عقيدة راسخة تؤمن أن فيه صلاحا للأمة، ولى وجهه شطر التجديد الدينى أولا وتمثل هذا فى اتجاهه إلى إصلاح الأزهر الشريف والعناية بالتعليم الدينى لأنه أساس بناء الأمة، وفى ضوء التوجيهات الدينية يمكن صياغة شخصية الأمة.

● وكان على يقين أن إصلاح التعليم، وأن نشر التعليم الدينى السليم يكفل بناء مجتمع صالح متقدم، يجدد شبابه وقوته، ويبنى للأجيال القادمة مستقبلا مرموقا، بعيدا عن العنصرية بعيدا عن الاستبداد بالرأى، حراً طليقا.

● وفى مجال التجديد نجد دعوة جريئة للشيخ محمد عبده وهى الانفتاح على الثقافات والمعارف والعلوم الأخرى فالحضارة كل لا يتجزأ والمعرفة بالأمور الدينية والشرعية تستوجب المعرفة بسائر العلوم.

● وكانت غيرته على الإسلام تدفعه إلى الدفاع عنه وبيان أنه دين يدعو إلى النظر والاعتبار، وكشف ما فى الكون من أسرار.

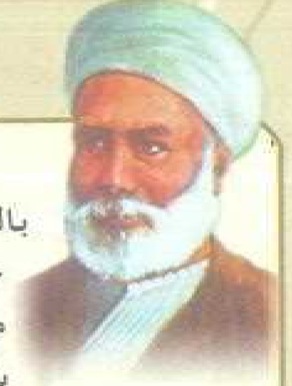
● ولطالما ركز فى كتاباته الغزيرة على دعوة الإسلام إلى العلم وبيان أنه لا توجد خصومة بين الدين والعلم الحديث بل بالعكس فإن الإسلام يدعو إلى التجديد وإلى إعداد القوة بكل أشكالها وبما يتناسب مع كل عصر وزمان.

● وعنى الإمام محمد عبده بالدعوة إلى تجديد مناهج التعليم وأن تكون المواد الأخرى الاجتماعية والثقافية لها مجالها فى الأزهر فاقترح أن يقوم بتدريس "مقدمة ابن خلدون" فرفض الأزهر حيث لم تجر العادة بتدريس مثل هذا.

● وكتب فى جريدة "الوقائع" مقالات عديدة تدعو إلى تجديد مناهج التعليم وتطويره، وكانت المقالات والكتابة سلاحه الوحيد فى خوض معركة التجديد؛ لأنه لم يكن ذا منصب تنفيذى قوى يستطيع من خلاله أن ينتصر لدعوته، فأراد من خلال قلمه أن يدعو الناس إلى فكرة التجديد والإصلاح.

التجديد فى المجال الدينى

● كما عنى الإمام محمد عبده بالتجديد فى المجال التعليمى، ونادى بتجديد مناهج التعليم، فقد عنى بالتجديد أيضا فى المجال الدينى ولا يراد



بالتجديد الدينى تغيير حكم من الأحكام أو أصل من الأصول، وإنما يراد بالتجديد بعث ما اندرس، وبيان الرأى الدينى والشرعى فيما استجد فى الحياة من ظواهر وأمور.

● وقد دخل الإمام محمد عبده العديد من المعارك الفكرية فى سبيل الدعوة إلى التجديد؛ لأن فى مواجهة الدعوة إلى التجديد دعاة يدعون إلى الجمود والانغلاق.

● ولام المسلمين على عدم تقدمهم فى مجال الصناعة الحربية وابتكار آلاتها، وأن غيرهم قد سبقهم فى هذا المضمار، مع أن المسلمين هم أولى الناس بالتقدم العلمى والصناعة الحربية أما التقدم العلمى؛ فلأن أول آية نزلت من القرآن الكريم كانت دعوة للعلم والمعرفة والقراءة وحملت مفاتيح الحضارة الإسلامية حيث قال الله تعالى فى أول آيات القرآن نزولا، قال سبحانه:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

العلق/ ١ - ٥

وأما بالنسبة للصناعات الحربية: فلقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

الأنفال/ ٦٠

فقد أمر الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية الكريمة المؤمنين أن يعدوا لأعدائهم ما استطاعوا من قوة، وأن يبذلوا أقصى ما فى الوسع الإنسانى، دفاعا عن الدين والوطن والأرض والعرض، وأن يأخذوا بأسباب العلم الحديث، وبكل جديد فى عالم المعرفة والصناعة، وكل ما فيه قوة المؤمنين وهيبتهم والمحافظة على الوطن الإسلامى.

● وفى سبيل دعوة الإمام محمد عبده إلى التجديد نهض فى دعوته على أسس قويمة، رأى أنها ضرورية للقيام بالتجديد:

١ - التخلى عن رذائل الجهل والتقليد والخرافات.

٢ - التحلى بالعلم واحترام العقل والتفكير.

٣ - الجمع بين الأصالة والمعاصرة، وأنه لا خصومة بين الدين والعلم والتجديد.

أسس التجديد عند الإمام محمد عبده

● بنى الإمام محمد عبده أسس دعوته إلى التجديد على:



١ - التخلى عن رذائل الجهل والتقليد والخرافات فدعا إلى المزيد من نشر التعليم الذى يقضى على الجهل والأمية وكلما ازدادت ساحة العلم والتعليم فى مجتمع ازدادت ساحة النهضة والتجديد، ومن هنا أخذ يدعو إلى العلم وإلى انتشار مؤسساته ودوره وإلى إصلاحه وتطويره، وإلى تحريره من الكتب التى تنشر المعلومات الخاطئة، أو الخرافات البعيدة عن الحق، وناهض فى دعوته التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف. والأمر الثانى: إصلاح أساليب اللغة العربية".

● ومما لا شك فيه أنها دعوة تتسق مع ما دعا إليه الإسلام وما حذر منه القرآن الكريم من سلوك طريق التقليد، وما حذر منه الرسول -ﷺ- من مخاطر التقليد حيث جاء عن حذيفة -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "لا تكونوا إمعة تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا" (رواه الترمذى)

وقد نعى القرآن الكريم على أولئك الذين وقعوا أسرى العادة والإلف تجافيهم عن الحق، وضرب مثلهم بمن ينادى على حيوان يسمع الصوت ولايفهم له معنى فهم فى انهماكهم فى التقليد الأعمى ووقوعهم فريسة التبعية البلهاء كمثل الصم والبكم قال الله تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ۞ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

البقرة/ ١٧٠، ١٧١

وهذا الصنف من الناس لم يعط نفسه استقلالها ولم يمنحها حريتها فى البحث عن الحق، وإنما حبسها بين أسوار التقاليد الموروثة توبقها العادات البالية، وتمتهن كرامتها وإنسانيتها.

٢ - والأساس الثانى من أسس التجديد الدعوة إلى التحلى بالعلم واحترام العقل والتفكير، قال الإمام محمد عبده: "والعقل من أجل القوى، بل هو قوة القوى الإنسانية وعمادها، والكون جميعه هو صحيفته التى ينظر فيها وكتابه الذى يتلوه، وكل ما يقرؤه فيه فهو هداية إلى الله، وسبيل للوصول إليه"[1] إنه

(١) من بحث منشور بمجلة منبر الإسلام أ.د/ محمود زقزوق عدد صفر سنة ٢٠٠٥هـ صفحة (٦)



ينبه إلى أهمية استخدام العقل الذى وهبنا الله تعالى إياه فهو الذى يميز بين الخير والشر والحق والباطل والنافع والضار، وبدونه لا يكون الإنسان إنسانا، إنه قوة القوى الإنسانية وعمادها، ويشير إلى أن العقل ينظر فى كتاب الكون المفتوح فيهتدى إلى الله سبحانه وتعالى.

ولكن العقل وحده غير كاف إذ أن الله تعالى لم يترك الناس لعقولهم فحسب ليهتدوا بها إلى خالقهم ودينهم وما يجب عليهم بل أرسل الرسل مبشرين ومنذرين وأنزل الكتب السماوية لهداية الخلق وإرشادهم وتصحيح أوضاعهم وتشريع ما ينفعهم ويرشدهم.

٣- الأساس الثالث: هو الجمع بين الأصالة والمعاصرة وأن الإسلام يدعو إلى العلم ويحث عليه، ويرحب بالعلم الحديث واكتشافاته، فلا خصومة بين الدين والتقدم العلمى، بل إن الإسلام هو دين العلم حث عليه وأمر بالسير والنظر لما فى الكون من أسرار. إن التراث له أهميته فى مجال التجديد، كما أن المعاصرة لها أهميتها كذلك، وليس معنى التجديد أن ننقطع عن تراثنا إذ هو الأساس والموجه إلى المستقبل وإلى التجديد، ولكن لا يقع المجتمع فريسة التقليد فدعا الشيخ محمد عبده إلى تحرير الفكر من قيد التقليد، وقال فى هذا الصدد: "ارتفع صوتى بالدعوة إلى أمرين عظيمين: الأول تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف والأمر الثانى إصلاح أساليب اللغة العربية".

والتجديد الذى يدعو إليه الإمام محمد عبده ودعوته إلى الإصلاح والجمع بين الأصالة والمعاصرة، كل ذلك يقوم على أسس من تعاليم الإسلام، حتى لا يكون هناك إفراط فى مجال التجديد وتحكيم العقل فيحدث إفلات من تعاليم الدين، كما أنه فى الوقت نفسه لا يتلبث الناس بالجمود ويظلون كما هم دون تقدم أو تطوير أو تجديد، بل إن الدين حاكم على كل تقدم وتجديد بحيث لا يحدث شطط أو إفراط أو تفريط

التجديد بين السلبية والايجابية

● إن التجديد ليس خيرا محضا، بل قد تشوب الدعوة إلى التجديد بعض الأخطاء والأوهام، فمع ما للدعوة إلى التجديد من إيجابيات فإن فيها بعض السلبيات التى قد يقع فيها العلماء والمفكرون والمجددون أمثال الشيخ محمد عبده وغيره لأنهم بشر.

● ومع إجلالنا وتقديرنا للإمام محمد عبده، وما أسداه للفكر الإسلامى من أياد، فلا يمنعنا هذا أن نقرر أن كل إنسان يؤخذ من رأيه ويُردّ إلا صاحب الروضة صلوات الله وسلامه عليه.



وسأقدم فى هذا نموذجا للشيخ محمد عبده ذكره فى تفسير جزء "عم يتساءلون" قال عند الكلام على قوله تعالى:

﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴾

الفلق: / ٤

"وقد رووا أحاديث فى أن النبى -ﷺ- سحره لبيد بن الأعصم، وأثر سحره فيه حتى كان يخيل له أنه يفعل الشىء وهو لا يفعله، أو يأتى شيئا وهو لا يأتيه وأن الله أنبأه بذلك، وأخرجت مواد السحر من بئر وعوفى -ﷺ- مما كان نزل به من ذلك ونزلت هذه السورة:

﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴾

ثم يقول: ولا يخفى أن تأثير السحر فى نفسه عليه السلام، حتى يصل به الأمر إلى أن يظن أنه يفعل شيئا وهو لا يفعله، ليس من قبيل تأثير الأمراض فى الأبدان، ولا من قبيل عروض السهو والنسيان فى بعض الأمور العادية، بل هو ماسّ بالعقل آخذ بالروح وهو مما يصدق قول المشركين فيه "إن تتبعون إلا رجلا مسحورا" وليس المسحور عندهم إلا من خولط فى عقله، وخيل له شيئا يقع وهو لا يقع فيخيل إليه أنه يوحى إليه ولا يوحى إليه.

ثم يقول: وأما الحديث - على فرض صحته- فهو آحاد والآحاد لا يؤخذ بها فى باب العقائد وعصمة النبى من تأثير السحر فى عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ فى نفيها عنه إلا اليقين"

ثم نراه بعد ذلك يدعو إلى عدم تحكيم الحديث فى العقيدة وعدم الأخذ به، ويرى الأخذ - فقط - بالقرآن قال: "وعلى أى حال فلنا بل علينا أن نفوض الأمر فى الحديث، ولا نحكمه فى عقيدتنا، ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل.."(٢) أ.هـ.

تعقيب ورد على رأى الشيخ محمد عبده فى السحر

● إن الحديث الذى شكك فيه الشيخ حديث صحيح سندا ومتنا عن عائشة رضى الله عنها قالت: "سحر رسولَ الله -ﷺ- لبيدٌ بن الأعصم حتى كان رسول الله -ﷺ- يخيل إليه أنه يفعل الشىء ولا يفعله" (رواه البخارى ومسلم)

وذكر الإمام البخارى فى صحيحه ترجمة الحديث بقوله: باب هل يَستخرج السحر؟ وقال قتادة: قلت لسعيد بن المسيب: رجل به رطب - أى سحر- أو يُؤَخَذ عن امرأته- أى يحبس عنها ولا يصل إلى جماعها أيُحلّ عنه أو يُنشَر؟ وهو نوع من العلاج يعالج به؟

قال: لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح

(٢) تفسير جزء (عم) للشيخ محمد عبده.



فأما ما ينفع فلم يُنَهَ عنه.

ثم أورد البخارى الحديث بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله -ﷺ- سُحِرَ حتى كان يرى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن، قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا، فقال: يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتانى فيما استفتيته فيه؟ أتانى رجلان فقعدا أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال الذى عند رأسى للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم رجل من بنى زريق حليف اليهود كان منافقا، قال: وفيم؟ قال: فى مشط ومشاطة قال: وأين؟ قال فى جُف طلعة ذكر تحت رعوفة فى بئر ذَروان، قالت: فأتى النبى -ﷺ- البئر حتى استخرجه، فقال هذه البئر التى أريتها وكأن ماءها نقاعة الحناء، وكأن نخلها رؤوس الشياطين قال: فاستُخرج قال: فقلت: أفلا تنَشَّرْتَ؟ فقال: "أما والله فقد شفانى وأكره أن أثير على أحد من الناس شرا" (رواه البخارى)

ومن الحديث السابق يتضح أن السحر كان خاصا بالناحية المتعلقة بإتيان النساء حيث كان يرى أنه يأتى نساءه ولا يأتيهن أى أنه ليس فى العقل ولا تأثير له فى العقل ولا يقدح فى أمر الوحى، بل هو كسائر الأمراض.

فحديث السحر لا يقدح فى شأن العقل ولا الوحى بل المراد أنه خاص بمسألة مباشرة النساء، ولكن فهم أكثر الناس، ومنهم الشيخ محمد عبده أن السحر يؤثر فى عقل الرسول -ﷺ- كما يؤثر فى جسده ولذلك أنكروا الحديث إذ رأوا عدم الأخذ به واعتبروا هذا مطعنا فى النبوة ويتنافى مع العصمة فالذين بالغوا فى تحكيم العقل عظمت عليهم رواية مثل هذا الحديث وعدوه -إن صح حسب زعمهم وتعبيرهم- يكون مخالفا للقطعى فى النقل وهو ما حكاه الله عن المشركين من طعنهم فى الرسول-ﷺ- كعادة أمثالهم فى رسلهم: "إن تتبعون إلا رجلا مسحورا"

فتأثير السحر إنما كان فى البدن دون الروح والعقل أى أنه تأثير من نوع الأعراض البدنية مثله فى ذلك مثل سائر الأمراض التى تعترى الأنبياء.

وقال الشيخ الألبانى - فى تعليقه على مختصر صحيح مسلم: "واعلم أن هذا الحديث صحيح الإسناد بلا ريب أخرجه الشيخان وغيرهما من طرق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، وله شاهد من حديث زيد بن أرقم عند أحمد (٤ : ٢٦٧) بإسناد صحيح وابن سعد بإسناد آخر صحيح أيضا. ولقد أخطأ السيد الإمام رحمه الله ومن قلده فى تضعيفه لهذا الحديث وأثاروا حوله شبهات عقلية هى فى الحقيقة (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء) وليس فى الحديث سوى أنه مرض -



ﷺ- وأنه يرى أنه يأتى النساء وما يأتيهن. والله سبحانه الذى حفظه من أن يخطئ فى التشريع وهو كبشر يمكن أن يخطئ ولكن الله عصمه فكذلك الله حفظه وهو بشر قد سحر، ومن شأن البشر أن يسحر، فأى شيء فى هذا السحر الذى أصابه -ﷺ- وقد أصاب مثله موسى -عليه السلام- بنص القرآن:

﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾

طه/٦٦

فهل مس ذلك من مقام موسى عليه السلام كلا ثم كلا وكذلك الشأن فى الحديث أ.هـ

وليس بياننا هذا بقادح فى شخصية الشيخ محمد عبده فهو مجدد ومصلح نعتز به، واختلاف الرأى لا يفسد للود قضية، والحق أحق أن يتبع وقد أردنا من وراء هذا النموذج لرأى الشيخ والرد عليه أن نوضح أن التجديد وإطلاق الحرية للعقل لابد له من ضوابط حتى لا يحدث شطط فى التفكير أو تضعيف لما صح من الأحاديث فالرأى العقلى مهما سما أمره وعلا قدره هو رأى بشرى قابل للخطأ، وأما الحديث النبوى الذى ثبتت صحته فلا يصح العدول عنه لرأى عقلى يستبعد حدوث ما يذكره الحديث.

ونحن مع الشيخ الإمام فى دعوته الإصلاحية وتجديده لما اندرس من أمور الدين بشرط ألا يصادم هذا ما ثبتت صحته من أحاديث رسول الله -ﷺ-، "إذا ثبت الحديث فهو مذهبى" كما قال بعض أئمة سلفنا رحمهم الله تعالى.

● والناظر إلى مؤلفات الشيخ محمد عبده يرى أنها تشتمل على الدعوة إلى التجديد، ومن هذه المؤلفات كتابه: "الإسلام دين العلم والمدنية" الذى اشتمل على العديد من جوانب التجديد إلى غير ذلك من الكتب والمقالات، التى تدل على رسوخ قدمه فى التراث، وعلو همته فى التجديد والتطوير.

● رحم الله هذا الإمام الجليل وجزاه خيرا عن جهوده التى تذكر فتشكر فى خدمة الثقافة الإسلامية الأصيلة والفكر الإسلامى النابض.

وسلام عليه مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، وبالله التوفيق.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،،

***



الإمام الشيخ محمد عبده أديباً

تحت هذا العنوان جاء بحث الأستاذ الدكتور طه مصطفى أبوكريشة نائب رئيس جامعة الأزهر سابقا وعضو مجمع البحوث الإسلامية قال:

قبل الحديث عن منزلة الإمام الشيخ محمد عبده فى الأدب العربى الحديث، يحسن بنا أن نلقى نظرة عامة على حالة الأدب والنقد الأدبى فى العصر الذى سبق عصر الشيخ محمد عبده.

ويذكر المؤرخون للأدب أن صورة الأدب والنقد فى بدايات القرن التاسع عشر قد استحالت إلى حالة يرثى لها من الضعف والقصور، أما الأدب شعره ونثره فقد كانت ألفاظه ركيكة مبتذلة، تؤخذ فى أغلبها مما يجرى على ألسنة العامة، ثم تأتى فى سياقها، وفى صياغة الجمل والتراكيب مثقلة بالمحسنات البديعية التى لا تترك كلمة واحد دون أن تأتى فيها، وعلى هذا النحو كانت المعانى إذا جاءت مشتملة على السطحية التى لا يشعر معها القارىء بشىء من العمق، ولا بشىء من الجدة التى تغذى الوجدان والشعور.. وأما الموضوعات فإنها موضوعات تافهة هينة، بحيث لا يستحق أن يقول فيها الأديب أدبا يقدمه للقراء، وذلك مثل وصف القلم والمحبرة أو وصف حفل زفاف، أو التهنئة بمناسبة من المناسبات العامة أوالخاصة.



ويذكر مؤرخو الأدب أن السبب الذى أدى إلى أن يكون الأدب على هذا النحو هو عدم العناية باللغة العربية خلال الفترة الزمنية التى حكمت فيها البلاد حكما مملوكيا وعثمانيا، إذ كانت اللغة العربية لغة ثانية، تزاحمها لغات الحاكمين، وعلى رأسها اللغة التركية التى فرضت فرضا فى دواوين الحكم وعلى ألسنة المتكلمين.

هذه بإيجاز حالة الأدب فى مطلع العصر





البارودى

الحديث، لكن مع تقدمنا للأمام فى عقود القرن التاسع عشر الميلادى جدت أمور أدت إلى نهضة الأدب، وإلى تغير صورته إلى ما هو أفضل، ومن تلك الأمور:

١- ظهور آلة المطبعة التى أتاحت للباحثين والدارسين أن يطلعوا على كثير من الدواوين الشعرية للشعراء القدامى فى العصور الذهبية للشعر من أمثال أصحاب المعلقات، وفحول الشعراء فى العصر الأموى والعباسى كجرير والفرزدق وأبى تمام والبحترى والمتنبى التى تدور حول صناعة الشعر والنثر، كما تدور حول علوم التفسير والحديث والفقه والتاريخ ونخص بالذكر كتب الجاحظ وعبدالقاهر الجرجانى وابن خلدون.

وقد ساعد كل من هذا وذاك الطبقة المثقفة على أن تتغذى بغذاء أدبى وعلمى جديد، يرقى بأذواقها وعقولها، وأن تنصرف فى الوقت نفسه عن ذلك الغذاء الردىء الذى كان مطروحاً بين يديها.

وبطبيعة الحال فإن رقى الذوق نتيجة لذلك لم يحدث دفعة واحدة وفى الحال، ولم يكتمل نضجه بين عشية وضحاها، وإنما احتاج إلى زمن ليس بالقليل، حتى ظهر الأثر بعد عدة عقود أى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى.

٢- والأمر الثانى يتمثل فى هذه الثقافة الجديدة المتنقلة بين أيدى الناس وأعنى بذلك ما صاحب ظهور فن الطباعة من ظهور فن الصحافة، التى تمثلت فى ظهور صحف يومية أو مجلات أسبوعية وشهرية، وقد رأى فيها الأدباء متنفسا وطريقا يذيعون خلاله أدبهم شعرا ونثراً، وتنافسوا فى ذلك تنافسا عظيما ومفيدا.

٣- والأمر الثالث ما حدث حين أنشئت المدارس والمعاهد الفنية العالية إلى جانب ما كان موجودا وقتئذ وبخاصة فى رحاب الأزهر ومعاهده.. إذ أصبح يدرس فى دور العلم الزاد الجيد الجديد الذى ظهر عن طريق المطبعة، وأعنى بذلك الثقافة والعلوم العربية القديمة التى تتصف بفصاحة لغة التأليف وبعمق الموضوعات، والذوق الراقى للمؤلفين والأدباء والنقاد، وقد ساعد هذا على تخريج طائفة كبيرة من المتخصصين الذين كان لهم دور بارز فى النهوض بالأدب شعره ونثره، ولقد كان فى طليعة هؤلاء الشيخ محمد عبده..

٤- الأمر الرابع الذى كان له أثر واضح فى نهضة الأدب وشعره ونثره ظهور جيل من الشعراء الذى أحيوا فى شعرهم صورة الأدب العربى القديم فى عصر ازدهاره وقوته، ويأتى فى مقدمة هذا الجيل رائد الشعر الحديث محمود سامى البارودى.



وإلى جانب ظهور جيل الشعراء بهذه الصورة القوية، رأينا أيضا ظهور جيل من كتاب النثر الأدبى البليغ الذين بعثوا الكتابة النثرية الأدبية البليغة فى كتاباتهم، ومن هذا الجيل الشيخ حمزة فتح الله فى المواهب الفتحية، والشيخ سيد المرصفى فى الوسيلة الأدبية والشيخ محمد عبده فى كتاباته المتنوعة فى التفسير والعقيدة وفى المقالات الصحفية، وفى مناظراته وحواراته المتعددة.

نماذج من التأليف والكتابة النثرية

عند الشيخ محمد عبده

من النماذج النثرية فى محاضرات التدريس:

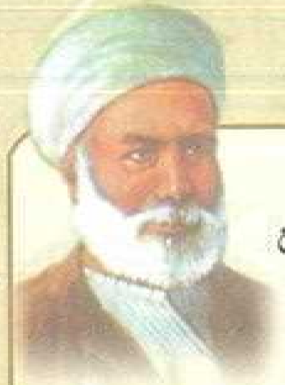
عندما نعود إلى التراث التأليفى للشيخ محمد عبده فإننا نجد فى مقدمة ذلك دروسه التى أملاها على الطلاب عندما كان مبعدا عن مصر فى بيروت بعد الثورة العرابية، وهى الدروس التى طبعت فيما بعد فى رسالته التى تحمل عنوان «رسالة التوحيد» وهى رسالة تتناول كثيرا من القضايا العقدية التى بحثها القدماء، وأفاضوا فى شرحها على اختلاف مذاهبهم، ولكن مع ذلك فإن الشيخ محمد عبده عرض هذه القضايا عرضا جديدا استطاع من خلاله أن يصل إلى القلوب، وأن يؤثر فى العقول، إذ كان هذا العرض الجديد قائما على سلامة الأسلوب والصياغة، وعلى وضوح المعانى والأفكار، بحيث جاء هذا العرض على خلاف ما كان معهودا فى مؤلفات هذا العلم من قبل من جفاف الأسلوب، وغموض المعانى، وتعقيد العبارات التى كانت تحتاج إلى الشرح والبيان وإلى تأليف شروح لهذه الشروح فيما كان معروفا تحت مصطلح الحواشى.



سيد المرصفى

.. ومن الشواهد الواردة فى هذه الرسالة ما جاء عن قضية «أفعال العباد» وهى القضية الشائكة الى احتدم حولها الجدل والنقاش من قديم يقول: (كما يشهد سليم العقل والحواس من نفسه أنه موجود ولا يحتاج فى ذلك إلى دليل يهديه ولا معلم يرشده، كذلك يشهد أنه مدرك لأعماله الاختيارية، يزن نتائجها بعقله، ويقدرها بإرادته، ثم يصدرها بقدرة ما فيه، ويعد إنكار شىء من ذلك مساوياً لإنكار وجوده فى مجافاته لبداهة العقل.

وكما يشهد ذلك فى نفسه يشهده أيضا فى بنى نوعه كافة متى كانوا مثله فى سلامة العقل والحواس، ومع ذلك فقد يريد إرضاء خليل فيغضبه، وقد يطلب كسب رزق فيفوته، وربما سعى إلى منجاة فيسقط فى مهلكة، فيعود باللائمة على نفسه إن كان



لم يحكم النظر فى تقدير فعله، ويتخذ من خيبته أول مرة مرشداً له فى الأخرى، فيعاود العمل من طريق أقوم، وبوسائل أحكم، ويتقد غيظة على من حال بينه وبين ما يشتهى إن كان سبب الإخفاق فى المسعى منازعة منافس له فى مطلبه، لوجدانه من نفسه أنه الفاعل فى حرمانه، فينبرى لمناضلته، وتارة يتجه إلى أمر أسمى من ذلك إن لم يكن لتقصيره، أو لمنافسة غيره داخل فيما لقى من مصير عمله، كأن هب ريح فأغرق بضاعته أو نزلت صاعقة فأحرقت ماشيته، أو علق أمله بمعين فمات، أو بذى منصب فعزل، فيتجه من ذلك إلى أن فى الكون قوة أسمى من أن تحيط بها قدرته، وأن وراء تدبيره سلطان لا تصل إليه سلطته.

فإن كان قد هداه البرهان وتقويم الدليل إلى حوادث الكون بأسره مستندة إلى واجب وجود واحد يصرفه على مقتضى علمه وإرادته خشع وخضع ورد الأمر إليه فيما لقى، ولكن مع ذلك لا ينسى نصيبه فيما بقى.. فالمؤمن كما يشهد بالدليل وبالعيان أن قدرة مكون الكائنات أسمى من قوى الممكنات، يشهد بالبداهة أنه فى أعماله الاختيارية عقلية كانت أوجسمية قائم بتصريف ما وهب الله له من المدارك والقوى فيما خلقت لأجله، وقد عرف القوم شكر الله على نعمه فقالوا: هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه إلى ما خلق لأجله.

على هذا قامت الشرائع وبه استقامت التكاليف، ومن أنكر شيئا منه فقد أنكر مكان الإيمان من نفسه وهو عقله الذى شرفه الله بالخطاب فى أوامره ونواهيه.

أما البحث فيما وراء ذلك من التوفيق بين ما قام عليه الدليل من إحاطة علم الله وإرادته وبين ما تشهد به البداهة من عمل المختار فيما وقع عليه الاختيار فهو من طلب سر القدر الذى نهينا عن الخوض فيه والاشتغال بما لا تكاد تصل إليه العقول) «الرسالة ٦٣ / ٦٤».

ومن هذا الاقتباس فى هذه القضية العقائدية التى اشتد حولها الجدل، ندرك كيف كان الإمام موفقا فى طرح الموضوع، وفى الوصول به إلى درجة الإقناع العقلى والمنطقى والعاطفى، وكل ذلك من خلال أسلوب أدبى علمى رفيع لا نجد فيه كلمة غامضة تحتاج إلى شرح يلحق بها، وكذلك لا نجد فيه عبارة معقدة يتوه فيها المعنى ويضل، وإنما يلقانا المعنى فى وضوح وسفور فى ذاته، ومن خلال توالى الجمل التى تزيده وضوحاً ومن الأمثلة على ذلك فى هذا الشاهد ما نراه فى قوله عن المعوقات التى قد تعرض للإنسان فى بعض أموره مع اتخاذه كافة الأسباب التى تتعلق به ويقدر عليها، إذ يقول: (فقد يريد إرضاء خليل فيغضبه، وقد يطلب كسب رزق فيفوته وربما يسعى



إلى منجاة فسقط فى مهلكة فيعود باللائمة على نفسه إن كان لم يحكم فى النظر فى تقدير فعله) ثم يقول : (

وتارة يتجه إلى أمر أسمى من ذلك إن لم يكن لتقصيره، ولمنافسة غيره دخل فيما لقى من مصير عمله، كأن هب ريح فأغرق بضاعته، أو نزلت صاعقة فأحرقت ماشيته، أو علق أمله بمعين فمات، أو بذى منصب فعزل).

إن الإلحاح على تعديد الأمثلة هو من أجل الوصول إلى الوضوح الذى لا يترك للغموض سبيلا يحول بين القارىء وفهم الموضوع، فأين هذا من القصد المتعمد إلى الغموض فى المعانى كما كان فى العصر الذى قبله، ظنا بأن ذلك آية من آيات العلم والبراعة والتفوق، وأن الوضوح والتسهيل هو علامة من علامات القصور وسذاجة العقول.

وكذلك فإنه من خلال النظر فى هذا الشاهد نلاحظ أن الشيخ محمد عبده قد تحرر فى أسلوبه من قيود المحسنات البديعية التى كانت فرضا لازما عند سابقيه فى كل بيت من أبيات الشعر، وفى كل جملة من جمل النثر، وإذا أتى بشىء من هذه المحسنات فإنه يأتى اتفاقا ودون قصد إليه بحيث لايكاد يحس، وقد يتجاوزه القارىء أثناء قراءته دون أن يشعر به، ومثال ذلك فى هذا الشاهد الذى معنا قوله : « فقد يريد إرضاء خليل فيغضبه، وقد يطلب كسب رزق فيفوته، وربما يسعى إلى منجاة فسقط فى مهلكة».

فالرضا والغضب والطلب والفوت، والمنجاة والمهلكة هى من المحسن البديعى القائم على الطباق بين كل كلمتين من هذه الكلمات، وفيها من الجمال العفوى الذى يتسلل وينساب فى هذه الجمل، ويترك أثره فى النفوس أنسا وارتياحا وقبولاً.

ونأخذ اقتباسا آخر من هذه الرسالة فى سياق الحديث عن وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتحت عنوان : اعتراض مشهور : «قال قائل إذا كانت بعثة الرسل حاجة من حاجات البشر، وكما لا لنظام اجتماعهم، وطريقا لسعادتهم الدنيوية والأخروية، فما بالهم لم يزالوا أشقياء، عن السعادة بعداء، يتخالفون ولا يتفقون، يتقاتلون ولا يتناصرون، يتناهبون ولا يتناصفون ؟ كل يستعد للوثبة، ولا ينتظر إلا مجىء النوبة، حشو جلودهم الظلم، وملء قلوبهم الطمع، عد أهل كل دين دينهم حجة لمقارعة من خالفهم فيه، واتخذوا منه سببا جديدا للعداوة والعدوان، فوق ما كان من اختلاف المصالح والمنافع، بل أهل الدين الواحد قد تنشق عصاهم، وتختلف مذاهبهم فى فهمه، وتتفارق عقولهم فى عقائدهم، ويثور بينهم غبار الشر، وتتشتت أهواؤهم بالفتن، فيسفكون دماءهم ويخربون ديارهم، إلى أن يغلب قويهم ضعيفهم، فيستقر الأمر للقوة لا للحق والدين، فها هو



ذا الدين الذى تقول إنه جامع الكلمة، ورسول المحبة، كان سببا فى الشقاق، ومضرما للضغينة، فما هذه الدعوى وما هذا الأثر ؟

نقول فى جوابه : نعم.. كل ذلك قد كان، ولكن بعد زمن الأنبياء، وانقضاء عهدهم، ووقوع الدين فى أيدى من لا يفهمه فيه، أو يفهمه ويغلو فيه أو لايغلو فيه ولكن لم يمتزج حبه بقلبه، أو امتزج بقلبه حب الدين، ولكن ضاقت سعة عقله عن تصريفه تصريف الأنبياء أنفسهم أو الخيرة ممن تبعهم، وإلا فقل لنا : أى نبى لم يأت أمته بالخير الجم، والفيض الأعم، ولم يكن دينه وافياً بجميع ما كانت تمس إليه حاجتها فى أفرادها وجملتها ؟».

وفى الشاهد نلاحظ السمة الأدبية فى الصياغة من خلال الإيقاع الصوتى الذى يحدث من وراء توازن الجمل الذى نراه فى قوله «يتخالفون ولا يتفقون، يتقاتلون ولا يتناصرون، يتناهبون ولا يتناصفون، كل يستعد للوثبة، ولا ينتظر إلا مجىء النوبة» هذا إلى جانب من نراه من الطباق بين الكلمات فى هذه الجمل.

وكذلك نلاحظ هذه السمة الأدبية من خلال الإيقاع الصوتى الذى يحدث من وراء السجع فى «أى نبى لم يأت أمته بالخير الجم، والفيض الأعم» وكل ذلك كما قلنا يأتى تلقائياً دون تكلف، ودون قهر للكلمات حتى تسكن للبديع، وإنما يرى القارىء أنه يسير مع الكاتب، وأنه ينطق بما ينطق به، وأنه يتجاوب معه فى هذا الجمال الصوتى البعيد عن الصخب وقعقعة الألفاظ.

من الشواهد النثرية فى الكتابة الصحفية:

ونختار هذه الشواهد من مجلة «العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى» التى أصدرها كل من السيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده، وكانت جميع الأفكار فى الجريدة لجمال الدين، أما الأسلوب والعبارة فكانا للإمام محمد عبده (العروة الوثقى ص٣٣).

ومن المعروف أنهما أصدرا هذه الجريدة عندما نفى الأفغانى إلى باريس بفرنسا ثم لحق به من بعده الشيخ محمد عبده.

وقد صدرت هذه الجريدة لتعبر عن أهداف (جمعية العروة الوثقى) وهى جمعية إسلامية عالمية هدفها إعادة عزة الإسلام ومجده، والعمل على تطهير عقائده مما شابها وتحرير العالم الإسلامى من ذل الاستعمار وعبوديته، كما ستبدى اهتماماً خاصاً بالرد على التهم التى توجه إلى الشرقيين عامة والمسلمين بصفة خاصة، وستعنى بتفنيد مفتريات الغرب التى يزعم قائلوها بأن المسلمين لن ينهضوا أبدا ما داموا متمسكين بأصول دينهم.

ومن خلال هذا الهدف نقف عند بعض



الشواهد لنتعرف على السمات الأدبية الخاصة بأسلوب الكتابة الصحفية عند الشيخ محمد عبده

ومن هذه الشواهد ماكتبه تحت عنوان «سنن الله فى الأمم وتطبيقها على المسلمين» وهو موضوع يدور حول تراجع القوة الإسلامية بعد أن كانت هى القوة الأولى فى العالم منذ ظهور الإسلام وما تلاه من القرون التى تشهد بعزة الإسلام. وقد صدر هذا المقال بقوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

(الرعد/١١)

وقوله عز وجل:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

(الأنفال/٥٣)

ومما جاء فى هذا المقال وفى بيان السبب فى تغير أحوال العالم الإسلامى إلى غير ما كان عليه من عزة ومنعة وقوة وسلطان «هذه الأمة التى كانت الدول العظام يدفعون لها الجزية عن يد وهن صاغرات استبقاء لحياتهم، وملوكها فى هذه الأيام يرون بقاءهم فى التزلف إلى تلك الدول الأجنبية، ويا للمصيبة ويا للرزية، أليس هذا بخطب جلل، أليس هذا ببلاء نزل، ما سبب هذا الهبوط؟ وما علة هذ الانحطاط؟ هل نسئ الظن بالوعود الإلهية؟ معاذ الله، هل نستيئس من رحمة الله ونظن أنه قد كذب علينا ونعوذ بالله، هل نرتاب فى وعده بنصرنا بعد أن أكده لنا؟ حاشاه سبحانه. لا كان شئ من ذلك ولن يكون- فعلينا أن ننظر لأنفسنا ولا لوم لنا إلا عليها، إن الله تعالى برحمته قد وضع لسير الأمم سنناً متبعة ثم قال

﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾

(الفتح/٢٣)

أرشدنا سبحانه فى محكم آياته إلى أن الأمم ماسقطت من عرش عزها، ولا بادت ومحى اسمها من لوح الوجود إلا بعد نكوبها عن تلك السنن التى سنها الله على أساس الحكمة البالغة، إن الله لايغير مابقوم من عزة وسلطان ورفاهة وخفض عيش وأمن وراحة، حتى يغير أولئك القوم مابأنفسهم من نور العقل وصحة الفكر وإشراق البصيرة.

هذا العدد الوافر والسواد الأعظم من هذه الملة «أمة الإسلام» لا يبذلون فى الدفاع عن أنفسهم وأوطانهم شيئاً من فضول أموالهم، يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة، كل واحد منهم يود لو يعيش ألف سنة، وإن كان غذاؤه الذلة وكساؤه المسكنة، ومسكنه الهوان. تفرقت كلمتنا شرقاً وغرباً، وكاد يتقطع مابيننا، لايحن أخ لأخيه، ولا يهتم جار بشأن جاره، ولا يرقب أحدنا فى الآخر إلاً ولاذمة، ولا نحترم شعائر ديننا، ولاندافع عن حوزته، ولا نعززه بما نبذل من أموالنا



وأرواحنا حسبما أمرنا.

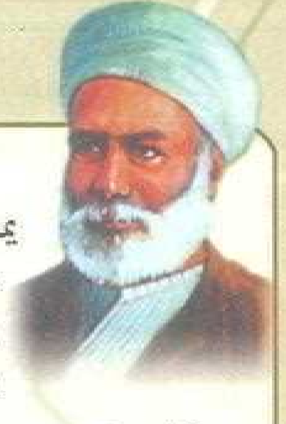
أيحسب اللابسون لباس المؤمنين أن الله يرضى منهم بما يظهر على الألسنة ولا يمس سواد القلوب، هل يرضى الله عنهم بأن يعبدوه على حرف، فإن أصابهم خير اطمأنوا به، وإن أصابتهم فتنة انقلبوا على وجوههم، خسروا الدنيا والآخرة، هل ظنوا أن لايبتلى الله مافى صدورهم، ولايمحص ما فى قلوبهم، ألا يعلمون أن الله لايذر المؤمنين على ماهم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب؟ هل نسوا أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم للقيام بنصره وإعلاء كلمته؟ لايبخلون فى سبيله بمال، ولا يشحون بنفس، فهل لمؤمن بعد هذا أن يزعم نفسه مؤمناً وهو لم يخط خطوة فى سبيل الإيمان لا بماله ولا بروحه؟. العروة ١٢٨-١٣٢.

إننا إذا نظرنا فى هذا الشاهد من جريدة العروة الوثقى فإننا نجد فيه كيف توافرت فيه السمات الأدبية التى يجب أن تكون فى الأسلوب الصحفى الذى يخاطب الجماهير ويثير عواطفهم مع إقناع عقولهم حتى تصل الرسالة إليهم وهم مؤمنون بما جاء فيها، ومن ثم يعملون بما تهدف إليه من غايات.

ومن الأمثلة على ذلك مانراه من كثرة الاعتماد على الأسلوب الإنشائى الذى جاء عن طريق الاستفهام، وهو أسلوب يدع المخاطب لكى يتولى الإجابة بنفسه عن السؤال المطروح، دون أن يلقى اليه الخبر إلقاء مباشراً، ويفرض عليه فرضاً. ومما جاء فى هذا الشاهد قوله فى سياق الحديث عن تغير حال الأمة من العزة إلى الذلة بسبب تفريطها «أليس هذا بخطب جلل؟ أليس هذا ببلاء نزل؟ هل نسئ الظن بالوعود الإلهية؟ معاذ الله. هل نستيئس من رحمة الله ونظن أن قد كذب علينا؟ نعوذ بالله هل نرتاب فى وعده بنصرنا بعد أن أكده لنا؟ حاشاه سبحانه. لا كان شئ من ذلك ولن يكون».

فإذا تأملنا فى هذا الأسلوب الإنشائى رأيناه كيف أخبر عن العاطفة الصادقة التى كانت وراءه، والتى جعلت الكاتب يسوق الاستفهام ويكرره فى جمل متوالية متنوعة حتى يوفى هذه العاطفة حقها فى حسن التعبير عنها والعاطفة الصادقة البعيدة عن الزيف شرط أساس فى صدق مضمون الرسالة الصحفية وفى تحقيق الإيمان بها.

وعلى هذا النحو من الأسلوب الإنشائى المثير للعاطفة لدى المتلقى، وهى عاطفة حزينة بسبب ما آل إليه حال الأمة نقرأ قوله فى هذا الشاهد «أيحسب اللابسون لباس المؤمنين أن الله يرضى عنهم بما يظهر على الألسنة ولايمس سواد القلوب؟ هل يرضى الله عنهم بأن يعبدوه على حرف؟ هل ظنوا أن لايبتلى الله ما فى صدورهم، لا



يمحص ما فى قلوبهم؟.. هل نسوا أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم للقيام بنصره وإعلاء كلمته؟».

وبالإضافة إلى ذلك الأسلوب فإننا نرى كيف استعان الكاتب بكثير من المعانى المقتبسة من الآيات القرآنية، وفى ذلك من التأثير مافيه لأنه لا أصدق من الله حديثاً، وكل ذلك من أجل إيقاظ القلوب، وإحياء النفوس، مع المواجهة بما لاشك فيه ولا مراء، ومن الأمثلة على ذلك فى الشاهد الذى بين أيدينا قوله «فعلينا أن ننظر لأنفسنا ولا لوم لنا إلا عليها، إن الله تعالى برحمته قد وضع لسير الأمم سنناً متبعة» ثم قال «ولن تجد لسنة الله تبديلاً» وقوله «إن الله لايغير مابقوم من عزة وسلطان ورفاهة وخفض عيش وأمن وراحة حتى يغير أولئك القوم ما بأنفسهم من نور العقل وصحة الفكر وإشراق البصيرة» وهو معنى مقتبس من قوله تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

(الأنفال/ ٥٣)

وقوله: «أيحسب اللابسون لباس المؤمنين أن الله يرضى بما يظهر على الألسنة ولايمس سواد القلوب» وهو معنى يشير إلى صفة المنافقين التى جاءت فى قوله تعالى ذما للمنافقين

﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾

(الفتح/ ١١)

وقول الكاتب «هل يرضى الله عنهم بأن يعبدوه على حرف» يشير إلى قول الله تعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾

(الحج/ ١١)

وعلى هذا النحو نرى عبارة «هل نسوا أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم للقيام بنصره وإعلاء كلمته»، وهى عبارة تشير إلى قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾

(التوبة/ ١١١)

وكذا عبارة «هل ظنوا أن لا يبتلى الله ما فى صدورهم ولايمحص ما فى قلوبهم» فهى عبارة تشير إلى قوله تعالى:

﴿ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾

(آل عمران/ ١٥٤)

وقد أعان الكاتب على ذلك كونه حافظ للقرآن الكريم، مما يدل على تشرب روحه



وعاطفته بآيات الذكر الحكيم وسريانها على لسانه، وإطلالها على فكره وأسلوبه وهو يكتب أو يؤلف أو يخطب، وتلك سمة من سماته التى تحدد ملامح شخصيته الأدبية، والتى تدل عليه دلالة واضحة سافرة دون أن تختلط بغيرها من الشخصيات، وهذا أبرز شئ فى مجال التفرد والتفوق الذى يكسب صاحبه الخلود والبقاء فى ذاكرة المؤرخين والقارئين والدارسين على مر الأجيال.

من الشواهد النثرية فى القضايا المعاصرة:

من المعروف فى تاريخ الإمام الشيخ محمد عبده أنه كان له دور بارز فى مناقشة القضايا المعاصرة وبخاصة تلك القضايا التى تمس العلاقة بين الدين والعلم، أو الدين والسياسة، وللإمام كتاب فى هذا الميدان يحمل عنوان «الإسلام دين العلم والمدنية» وفيه يدافع دفاعاً مجيداً عن الإسلام مبرزاً أن الإسلام هو دين العلم، ودين التمدن وأنه لامعاداة بينه وبين فروع العلم التى يعود نفعها للبشرية، كما لامعاداة بينه وبين التحضر القائم على إصلاح الإنسان فى دينه ودنياه.

وفى قضية الدين والسياسة ترى الإمام يتصدى للمستشرق هانوتو الذى يدعو إلى الفصل بين الدين والسياسة، ويقوم بالرد عليه مبيناً الفرق بين مافى الإسلام وما فى غيره من مذاهب وعقائد فيقول «بقى الكلام على جمع السلطة الدينية والسياسية فى شخص واحد يقول فيه «مسيو هانوتو» إن أوربا لم تتقدم إلا بعد أن فصلت السلطة الدينية عن السلطة المدنية وهو كلام صحيح. ولكنه لم يدر مامعنى جمع السلطتين فى شخص عند المسلمين، لم يعرف المسلمون من تلك السلطة الدينية التى كانت للبابا على الأمم المسيحية عندما كان يعزل الملوك ويحرم الأمراء، ويقرر الضرائب على الممالك، ويضع لها القوانين الإلهية، وقد قررت الشريعة الإسلامية حقوقاً للحاكم الأعلى وهو الخليفة وهو السلطان، ليست للقاضى صاحب السلطة الدينية، وإنما السلطان مدبر البلاد بالسياسة الداخلية والمدافع عنها بالحرب أو السياسة الخارجية، وأهل الدين قائمون بوظائفهم وليس له عليهم إلا التولية والعزل، ولا لهم عليه إلا تنفيذ الأحكام بعد الحكم، ورفع المظالم إن أمكن».

ويتحدث عن قضية أخرى وهى قضية التكفير مبيناً مدى خطورة المجازفة بالحكم على أحد بذلك فيقول «هلا ذهبت.. إلى ما اشتهر بين المسلمين وعرف من قواعد أحكام دينهم وهو إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه ويحتمل الإيمان من وجه واحد حمل على الإيمان، ولا يجوز حمله على الكفر. فهل رأيت تسامحاً مع

أقوال الفلاسفة والحكماء أوسع من هذا؟ وهل يليق بالحكيم أن يكون من الحمق بحيث يقول قولاً لايحتمل الإيمان من وجه واحد من مائة وجه؟ إذا بلغ به الحمق هذا المبلغ كان الأجدر به أن يذوق حكم محكمة التفتيش البابوية ويؤخذ بيديه ورجليه فيلقى فى النار»٩٩ .

وفى قضية «السلطة الدينية» وهل لها وجود فى الإسلام يقول «هدم الإسلام بناء تلك السلطة، ومحا أثرها حتى لم يبق لها عند الجمهور من أهله اسم ولا رسم، لم يدع الإسلام لأحد بعد الله ورسوله سلطاناً على عقيدة أحد ولا سيطرة على إيمانه، على أن الرسول عليه السلام كان مبلغاً ومذكراً لامهيمناً ولا مسيطراً، قال الله تعالى:

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾

(الغاشية / ٢١، ٢٢)

ولم يجعل لأحد من أهله أن يحل ولا أن يربط لا فى الأرض ولا فى السماء، بل الإيمان يعتق المؤمن من كل رقيب عليه فيما بينه وبين الله سوى الله وحده، ويرفع عنه كل رق إلا العبودية لله وحده، وليس لمسلم مهما علا كعبه فى الإسلام على آخر مهما انحطت منزلته فيه إلا حق النصيحة والإرشاد، قال تعالى:

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

(العصر / ٣)

وقال:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(آل عمران / ١٠٤)

وقال:

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾

(التوبة / ١٢٢)

فالمسلمون يتناصحون ثم هم يقيمون أمة تدعو إلى الخير، وهم المراقبون عليها يردونها إلى السبيل السوى إذا انحرفت عنه، وتلك الأمة ليس لها عليهم إلا الدعوة والتذكير والإنذار والتحذير، ولايجوز لها ولا لأحد من الناس أن يتتبع عورة أحد، ولايسوغ لقوى ولا لضعيف أن يتجسس على عقيدة أحد، وليس يجب على مسلم أن يأخذ عقيدة أو يتلقى أصول ما يعمل به من أحد إلا عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ»ص١٠١ .

فهذان مثالان من أمثلة المعالجة الفكرية لقضايا العصر التى تتصل برد الشبهات عن الإسلام، ومع أن المعالجة معالجة فكرية عقلية إلا أننا نرى فى الأسلوب روح العاطفة الصادقة التى كانت وراء الأسلوب



شوقى ضيف

المشرق الواضح البعيد عن الغموض والتفلسف، مع أن القضايا المطروحة قد تدعو بطبيعتها الى شئ من ذلك، حيث يكون العمل للعقل فى المقام الأول قبل الوجدان والمشاعر، لكن الموهبة الصادقة عند الشيخ محمد عبده استطاعت أن تزاوج بين هذا وذاك فجاءت المزاوجة على هذا النحو الذى يدنيها من القلوب والعقول فى وقت واحد.

وبعد: فهذه إطلالة عجلى على النزعة الأدبية عند الإمام الشيخ محمد عبده، وقد تبين لنا من خلالها كيف شارك فى تحرير الكتابة النثرية مما كان سائداً من قبل، حررها فى الأسلوب فبدا واضحاً مشرقاً بعد تعقيد وإغراب، وحررها فى الأفكار والمعانى فبدت واضحة ليس بينها وبين القارئ حجاب، وحررها فى مجال العاطفة فبدت صادقة بعد زيف وتكلف وخداع. وحررها فى مجال الإيقاع الصوتى فبدت جميلة مطبوعة تنساب الى الأذن فى جمال خال من صخب الألفاظ وضجيج الحروف. وحررها قبل ذلك فى صلة الأدب بالحياة حيث ربط الأدب بالحياة والواقع من خلال موضوعات كبرى وليس من خلال موضوعات تافهة لاوزن لها ولاقيمة.

ونختم هذه الإطلالة برأى شيخ مؤرخى الأدب الأستاذ الدكتور شوقى ضيف، الذى تحدث فيه عن الأثر الأدبى للشيخ محمد عبده فى النثر الحديث فقال: «وعلى نحو ماكان مصلحاً فى الدين كان مصلحاً فى الأدب واللغة فهو الذى أخرج كتاباتنا الصحفية من الدائرة البالية العتيقة دائرة السجع وما يرتبط به من أنواع البديع إلى دائرة الأسلوب الحر السليم، وكان على رأس من طوعوا هذا الأسلوب ومرنوه على تحمل المعانى السياسية والاجتماعية الجديدة، فقد بسطه حتى يفهمه الجمهور، وافتن فى طرق أدائه مبتعداً عن الصيغ المتكلفة، التى لم تكن تقبل سعة. ومعنى ذلك أنه تطور بنثرنا من حيث الشكل والموضوع، فلم يعد يستخدم البديع الضيق الملئ بانحرافات الجناس وما يشبهه. وفى الوقت نفسه عبر بأسلوبه المرسل الجديد عن معان عصرية، فيها أثر الفكر الغربى، وفيها أثر الفصل الزمنى أو الفترة الزمنية التى عاشها فى بيئته المصرية» «الأدب العربى المعاصر فى مصر ٢٢٧».

ولعل فيما قدمنا من شواهد من مجالات مختلفة ما يكشف عن هذه الخصائص والسمات الأدبية عند الإمام الشيخ محمد عبده فى كتابته النثرية وهى الخصائص التى تقدم صورة عن تطور النثر ونهضته فى العصر الحديث مشاركاً فى ذلك أعلام النثر الآخرين.



محمد عبده والسياسة

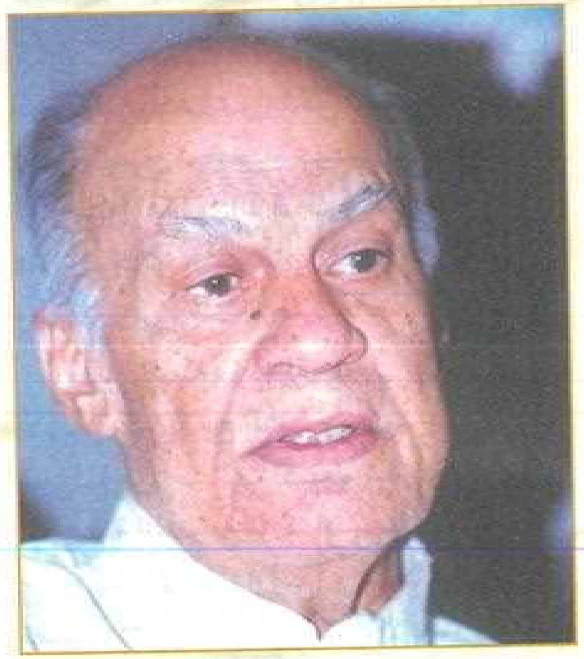
تحت هذا العنوان جاء بحث الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومى الأستاذ بجامعة الأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية قال:

الإمام محمد عبده يمثل منهج إصلاح وتجديد، وهو تاريخ أمة بما تحمل من هموم وأوجاع ومشاكل وما يراودها من طموحات وتطلعات إلى المستقبل وعندما كانت قوى الاستعمار تعبث بها وبمصالحها، وتبدد ثرواتها وتلعب بتوجهاتها وتطلعاتها، أخذت تتحسس طريقًا إلى خلاصها من بين طرق شتى بئس السير فيها موصوفة بتآمر الاستعمار ومتملقيه بالكلمة والقلم، الذين طوعوا أنفسهم خدمًا للدفاع عن مصالحه دون مصالح الوطن:

﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾

(البقرة/ ١١، ١٢)

وفى وسط هذا الظلام أخذت الأمة تتلمس طريقها إلى الإصلاح وهتفت من يحمل مصباح التنوير من بنيها؟ فنفر من بنيها - من نجوعها وأريافها وحواضرها - من تقدموا المسيرة رافعين راية الإصلاح والتجديد وكانت مسيرة شاقة وكان من



ذلك النفر الإمام محمد عبده؛ إنه كان أمة صنع تاريخها وكان الأزهر قد صنعه على عينه وأقامه قيمًا عدلًا على حمل أمانة الدعوة إلى الله على بصيرة وهدى فنال فتح الله

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾

فاطر/ ١٢

فاستجاب الإمام - رحمة الله عليه - لنداء الأمة الوجدانى ليعينها على ما تتطلع إليه من طموحات رؤاها المستقبلية فهيأته إرادة الله أن يعد نفسه وينهل من معين الثقافة والفكر. فصفت له مشاربه، وعبّ منه عبا حتى رتب نفسه من الداخل فنهض يحمل تبعة كفاح أمة، وكان على بينة من استعداد بنى قومه فكتب يقول: إن استعداد الناس لأن ينهجوا منهج الشورى غير متوقف على أن يكونوا متدربين فى البحث والنظر على أصول الجدل المقرر لدى أهله، بل يكفى كونهم نصبوا أنفسهم وطمحت أبصارهم للحق، وضبط المصالح على نظام موافق لمصالح البلاد وأحوال العباد، ومما تقدم سرده تعلم أن أهالى بلادنا المصرية دبت فيهم روح الاتحاد وأشرفت نفوسهم منه على مدارك الرأى العام فأخذوا يتنصلون من جرم الإهمال ويستيقظون من نومة الإغفال وقد مرت عليهم حوادث كقطع الليل المظلم وكان يرى رأى الفيلسوف الفرنسى "لابرويز: لا وطن فى حالة الاستبداد، ولكن هناك مصالح خصوصية، ومفاخر ذاتية، ومناصب رسمية".

ويقول: ما الفائدة من أن يكون وطنى عظيمًا كبيرًا إن كنت فيه حزينا حقيرًا أعيش فى الذل والشقاء خائفًا أسيرًا.

من هنا صدر فى بناء أسس ورقته فى الإصلاح والتجديد التى كانت رمز كفاحه الوطنى فأقامها على ثلاثة أسس:

الأساس الأول: تحرير المفاهيم الثقافية الفكرية التى كانت قائمة على التقليد



وإلغاء وجمود النظر العقلى، ووقوفها عند حد الدروس المدرسية.

الأساس الثانى: تحديده مفهوم المواطن من مفاهيم الرعاع والرعايا وعلاقته بالوطن وأن الوطن هو المواطن بقوله: وجملة القول أن فى الوطن من موجبات الحب والحرص والغيرة ثلاثة:

الأول: أنه السكن الذى فيه الغذاء والوقار والولد والأهل.

والثانى: أنه مكان الحقوق والواجبات التى هى مداد السياسة.

والثالث: أنه موضع النسبة التى يعلو بها الإنسان ويعز ويسفل.

الأساس الثالث: إصلاح التعليم الأزهرى وغير الأزهرى ومنشآته التعليمية.. كانت نموذج منهاج لإصلاح مسيرة التعليم.

وتلك الورقة التى كتبناها تشير إلى ملامح منهاجه الإصلاحى التجديدى ولا تستوفيه فهى مقدمة صغرى لمقدمة كبرى.

نزعته إلى الإصلاح

لعل نزعته إلى الإصلاح الاجتماعى والسياسى والدينى استمدت أسبابها الأولى من نشأته فى قريته والقرية فى مصر بؤرة المجتمع المصرى ينعكس عليها ما فيه من ألوان الظلم والقهر والطغيان واستبداد المستبدين فهى صورة صادقة للحياة المصرية.



يحدد الإمام محمد عبده مفهوم التحرير بأمرين مغايرا بينه وبين الحرية البتراء.

الأمر الأول: احترام المعتقدات الدينية، وأنه لا حرية لفكر يخالف الأصول الدينية ولا يعد تنورا وتبصرا استباحة القبائح واستحلال المحظورات.

الأمر الثانى: رفض ما يظنه عقلاؤنا من أن السر التقدم هو فى اتباع الغرب فإن هذه الدعوة هى عين الرق والاستعباد. وتلك هى الحرية البتراء والتقليد الأعمى.

وفى ذلك يقول: وحاضرنا يقوم على التقليد من غير تبصير بحال البلاد واستعدادها.

وقد سلك الإمام محمد عبده سبيل الإصلاح الذى ابتغاه لنفسه، وهو منهج الإصلاح "المتدرج" الذى يأخذ فى اعتباره تربية المواطن وتحريره من الجمود، الذى يعوق العقل ويقف فى سبيل التطور الاجتماعى والثقافى؛ وذلك لا يتيسر فى نظره إلا من خلال السمو بالمفاهيم الثقافية والدينية؛ لذلك كان جهاده فى سبيل تحرير الوطن والمواطن يحتاج إلى إرادة قوية وصبر. أما منهج زميله فى الكفاح جمال الدين الأفغانى الذى كان يدعو إليه وهو منهج الطفرة - الثورة - والذى كان يراه مناسبا لإجلاء الاستعمار عن الديار الإسلامية، فإنه وإن كان منهجا مستهدفًا الإصلاح السريع إلا أنه لا يتناسب مع رؤية الإمام محمد عبده لظروف سياسية وخاصة أنه عاصر ثورة عرابى وهو أخبر بها من غيره، وربما كان فشلها داعيا لاختيار سبيل "الإصلاح المتدرج"(١).

وقد حفرت معاناته الأولى وما لاقاه فى سبيل نشأته، وعدم استقرار أسرته، وما وقع عليها من حيف ونزوله غريبا هو وأسرته فى قرية غير قريتها الأولى، حفر كل ذلك بصماته العميقة فى نفس الشيخ، فكان مترددًا فى الالتحاق بالأزهر يقدم رجلا ويؤخر أخرى كما شكلت تلك الصور من المعاناة منهجه الإصلاحى، فكتب يقول:

ثم نظرت نظرة فى نفسى وما كانت عليه بدايتى وما لاقيت فى تربيتى وما نزعت إليه أثناء الطريق فى سيرى وما انتهيت إليه فيما تأخر من أيام عمرى فوجدت اختلافا قد يسهو عنه الغافل ولكن ربما ينتفع بملاحظته العاقل.

وجدت أننى نشأت كما نشأ كل واحد من الجمهور الأعظم من الطبقة الوسطى من سكان مصر، ودخلت فيما فيه يدخلون ثم لم ألبث بعد قطعة من الزمن أن سئمت الاستمرار على ما يألفون واندفعت إلى طلب

(١) فى مناهج تجديد الفكر الإسلامى - التقريب بين المذاهب - للدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ص (٤١).



شىء مما لا يعرفون فعثرت على ما لم يكونوا يعثرون عليه وناديت بأحسن ما وجدت إليه وارتفع صوتى بالدعوة إلى أمرين عظيمين:

الأمر الأول: تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، والرجوع فى كسب معارفه إلى ينابيعه الأولى، واعتباره من ضمن موازين العقل البشرى التى وضعها الله لترد من شططه وتقلل من خلطه وخبطه لتتم حكمة الله فى حفظ نظام العالم الإنسانى وإنه على هذا الوجه يعد صديقا للعلم باعثا على البحث فى أسرار الكون داعيا إلى احترام الحقائق الثابتة مطالبا بالتعويل عليها فى أدب النفس وإصلاح العمل. كل هذا ما أعده أمرا واحدا وقد خالفت فى الدعوة إليه رأى الفئتين العظيمتين اللتين يتركب منهما جسم الأمة: طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم وطلاب فنون هذا العصر ومن هو فى ناحيتهم.

الأمر الثانى: هو إصلاح أساليب اللغة العربية فى التحرير سواء كان فى المخاطبات الرسمية من دواوين الحكومة ومصالحها أو فيما تنشره الجرائد على الكافة منشأ أو مترجما من لغات أخرى أو فى المراسلات بين الناس. وكانت أساليب الكتابة فى مصر تنحصر فى نوعين كلاهما يمجه الذوق وتنكره لغة العرب. الأول ما كان مستعملا فى مصالح الحكومة وما يشبهها وهو ضرب من ضروب التأليف بين الكلمات رث خبيث غير مفهوم ولا يمكن رده إلى لغة من لغات العالم لا فى صورته ولا فى مادته. ولا يزال شىء من بقاياه إلى اليوم عند بعض الكتاب من القبط ومن تعلم منهم غير أنه والحمد لله قليل. والنوع الثانى ما كان يستعمله الأدباء والمتخرجون من الجامع الأزهر وهو ما كان يراعى فيه السجع وإن كان باردا وتلاحظ فيه الفواصل وأنواع الجناس وإن كان رديئا فى الذوق، بعيدا عن الفهم، ثقيلا عن السمع غير مؤد للمعنى المقصود وهو وإن كان يمكن رده إلى أصول اللغة العربية فى صورته لكنه لا يعد من أساليبها المرضية عند أهلها. ولا يزال هذا النوع موجودا فى عبارات المشايخ خاصة. ثم ورد عليها فى أخريات الأيام ضرب آخر من التعبير كان غريبا فى بابه وهو ما جاءنا من الأقطار السورية فى جريدتى الجنة والجنان المنشأتين بقلم المعلم بطرس البستانى. وهذا الضرب كان يعد من غرائب الأساليب وبه أنشئت جريدة الأهرام فى مصر وقد محى أثره والحمد لله.

الأمر الثالث - العدالة والطاعة: وهناك أمر آخر كنت من دعاته والناس جميعا فى عمى عنه وبعد عن تعقله. ولكنه هو الركن الذى تقوم عليه حياتهم الاجتماعية. وما أصابهم الوهن والضعف



والذل إلا بسبب خلو مجتمعهم منه وذلك هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة. نعم كنت فيمن دعا الأمة المصرية إلى معرفة حقها على حاكمهم وهى هذه الأمة التى لم يخطر لها هذا الخاطر على بال من مدة تزيد على عشرين قرنا. دعوناها إلى الاعتقاد بأن الحاكم وإن وجبت طاعته هو من البشر الذين يخطئون وتغلبهم شهواتهم، وأنه لا يرده عن خطئه بهذا القول[٢] والاستبداد فى عنفوانه، والظلم قابض على صولجانه ويد الظالم من حديد والناس كلهم عبيد له أى عبيد.

نعم إننى فى كل ذلك لم أكن الإمام المتبع ولا الرئيس المطاع غير أنى كنت روح الدعوة. وهى لا تزال بى فى كثير مما ذكرت قائمة ولا أبرح أدعو إلى عقيدتى فى الدين وأطالب بإتمام الصلاح فى اللغة وقد قارب؛ أما أمر الحكومة والمحكوم فتركته للقدر يقدره وليد الله بعد ذلك تدبره؛ لأننى قد عرفت أنه ثمرة تجنيها الأمم من غراس تغرسه وتقوم على تنميته السنين الطوال. فهذا الغراس هو الذى ينبغى أن يعنى به الآن والله المستعان.

أصبت نجاحا فى كثير مما عنيت به



محمد على

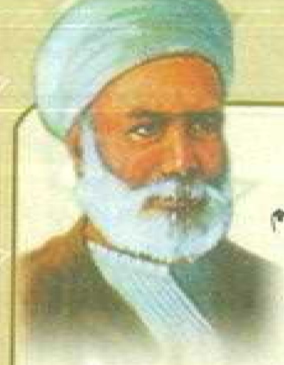
وأخفقت فى كثير مما وجهت عزيمتى إليه ولعل لذلك أسبابًا بعضها مما غرز فى طبعى وشىء منها التف حولى وطائفة منها من أصالتى فى الرأى أو خلطى ومن الذى يستطيع أن يفصل ذلك غيرى حتى يكون إن شاء الله عبرة لمن يأتى من بعدى.

حال مصر قبيل محمد على

تولت السلطة فى البلاد المصرية - قبل دخول الجيش الفرنسى - أنواع من الحكومات التى تسمى فى اصطلاح الغربيين حكومات الأشراف وتسمى فى عرف المصريين حكومة الالتزام وتعرف عند الخاصة بحكومة الإقطاع وأساس هذا النوع من الحكومات يقوم على تقسيم البلاد بين جماعة من الأفراد يملك كل أمير منهم قسما يتصرف فى أرضه وقوى ساكنيها وأبدانهم وأموالهم كما يريد فهو حاكمهم السياسى والإدارى، والقضائى وسيدهم المالك لرقابهم.

ومن طبيعة هذا النوع من الحكومة أن تنمو فيه الأثرة وتتغلغل فيه أصول الاستبداد وفروعه وتنزع نفس كل أمير

(٢) يشير بذلك إلى موقفه من حكومة الخديو توفيق فى الثورة العرابية.





نابليون

إلى توسيع دائرة ملكه بالاستيلاء على ما فى يد جاره من الأمراء. فكان من مقتضى الطبيعة أن كل أمير لا ينفك عن التدبير والتفكير فيما تعظم به شوكته مما يدافع به عن حوزته وأن يكون الجميع دائما فى استعداد إما للوثوب وإما للدفاع. ولكن الأمراء فى مجموعهم كانوا يقاومون سلطة الملوك. فيضطر الملك لاستمالتهم ومحاباة بعضهم للاستعانة ببعضهم على البعض الآخر فضعف بذلك استبداد الملوك فيهم.

وكان كلٌ يطلب من القوة ما يسمح له بمد يده إلى ما فى يد الآخر أو يدفع به صولته فالخصام كان دأبهم والحرب كان أهم عملهم[٣].

نابليون وظهور الإرادة الشعبية

جاء الجيش الفرنسى والبلاد فى هذه الحالة. فدخل البلاد بسهولة لم يكن ينتظرها، واحتل عاصمتها، واستقر له السلطان فيها، ولم تكن إلا أيام قلائل حتى ظهر فيه القلق وعظمت حوله القلاقل وأخذت القوى الحيوية الكامنة فى البلاد تظهر فكثرت الفتن ولم تنقطع الحروب والاعتداءات، ولم يهدأ لرؤساء العساكر بال. يدلل على ذلك شكوى نابليون نفسه - فى تقاريره التى كان يرسلها إلى حكومة الجمهورية - من اصطياد العربان لعساكره من كل طريق وسلبهم أرواحهم بكل سبيل

واضطر نابليون أن يسير فى حكومة البلاد بمشورة أهلها وانتخب من أعيانها من يشركه فى الرأى لتدبيرها طوعا لحكم الطبيعة التى وجدها.

ظهور محمد على وضرب القوى الوطنية

ما الذى كانت تنتظره البلاد من نوع حكومتها؟. كانت تنتظر أن يشرق نور مدنية يضىء لرؤساء الأحزاب طرقهم فى سيرهم لبلوغ آمالهم وقد كان ذلك ممكنا لو أمهلهم الزمان حتى يعرف كل منهم ما بلغ به غيره الغاية التى كان يقصدها فى بلاد غير بلاده. أو كانت البلاد تنتظر أن يأتى أمير عالم بصير فيضم تلك العناصر الحية بعضهم إلى بعض ويؤلف منها أمة تحكمها حكومة منها ويأخذ فى تقوية مصباح العلم بينها حتى ترتقى بحكم التدريج الطبيعى وتبلغ ما أعدته لها تلك الحياة الأولى.

(٣) فى مناهج تجديد الفكر الإسلامى - التقريب بين المذاهب - للدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ص (٤٤).



وفى تلك الظروف ظهر محمد على، وكان ظهوره بالوسائل التى هيأها له القدر، ولكن ما الذى صنع محمد على؟ إنه لم يستطع أن يحيى ولكن استطاع أن يميت. كان معظم قوة الجيش معه وكان صاحب حيلة بمقتضى الفطرة. فأخذ يستعين بالجيش وبمن يستميله من الأحزاب على إعدام كل رأس من خصومه ثم يعود بقوة الجيش وبحزب آخر على من كان معه أولا، وأعانه على الخصم الزائل، فيمحقه.. وهكذا حتى إذا سحقت الأحزاب القوية وجه عنايته إلى رؤساء البيوت الرفيعة فلم يدع منها رأسا يستتر فيه ضمير (أنا) واتخذ من المحافظة على الأمن سبيلا لجمع السلاح من الأهلين وتكرر ذلك منه مرارا حتى فسد بأس الأهالى وزالت ملكة الشجاعة منهم وأجهز على ما بقى فى البلاد من حياة فى أنفس بعض أفرادها فلم يُبْقِ فى البلاد رأسا يعرف نفسه حتى خلعه من بدنه، أو نفاه من بلده إلى السودان فهلك فيه.

أخذ يرفع الأسافل ويعليهم فى البلاد والقرى كأنه كان يحن لشبه فيه ورثه عن أصله الكريم، حتى انحط الكرام وساد اللئام ولم يبق فى البلاد إلا آلات له، يستعملها فى جباية الأموال، وجمع العساكر بأية طريقة وعلى أى وجه.. فمحق بذلك جميع عناصر الحياة الطيبة من رأى وعزيمة واستقلال نفسى، ليصير البلاد المصرية جميعها إقطاعا واحدا له ولأولاده على أثر إقطاعات كثيرة كانت لأمراء عدة.

نقد محمد عبده لبرنامج محمد على الإصلاحى

نظر محمد عبده إلى البرنامج الإصلاحى الذى قدمه محمد على والى مصر فوجده برنامجا طموحا، ضد الأجانب ورغم نقد محمد عبده له فإننا نرى أنه كان يبغى إصلاحا حقيقيا، يرتفع بمصر لأن تكون قوة حقيقية على المستوى الدولى.

ولكن ماذا صنع محمد على بعد ذلك؟ اشرأبت نفسه لأن يكون ملكا غير تابع للسلطان العثمانى فجعل من العدة لذلك أن يستعين بالأجانب من الأوربيين فأوسع لهم فى المجاملة وزاد فى الامتياز خارجا عن حدود المعاهدات المنعقدة بينهم وبين الدولة العثمانية حتى صار كل صعلوك منهم - لم يكن يملك قوت يومه - ملكًا من الملوك فى بلادنا يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل. وصغرت نفوس الأهالى بين أيدى الأجانب بقوة الحاكم وتمتع الأجنبى بحقوق الوطنى التى حرم منها وانقلب الوطنى إلى غريب فى داره غير مطمئن فى قراره فاجتمع على سلطان البلاد المصرية ذلان:

أ - ذل ضربته الحكومة الاستبدادية



المطلقة.

ب- وذل سامهم الأجنبى إياه غير واقف عند حد أو مردود إلى شريعة.

وقد قالوا عن محمد على: إنه سما بنجم العلم فى سماء البلاد، وهذا حق فقد عنى بالطب لأجل الجيش ووجه إلى كشف كذب ادعاءات المجنى عليهم - فى بعض الأحيان - عندما يراد إيقاع الظلم بمتهم. وعنى بالهندسة لأجل تنظيم الرى والمحافظة على مياه النيل. غير أن ذلك كله قد انصب فى خدمة إقطاعه الكبير.

ولكن هل فكر يوما فى إصلاح اللغة: عربية أو تركية أو ارناؤوطية؟.. هل فكر فى بناء التربية على قاعدة من الدين أو الأدب؟.. هل خطر فى باله أن يجعل للأهالى رأيا فى الحكومة فى عاصمة البلاد أو أمهات الأقاليم؟ هل توجهت نفسه لوضع حكومة قانونية منظمة يقام بها الشرع ويستقر العدل؟

لم يكن شىء من ذلك بل كان رجال الحكومة إما من الأرناؤوط أو الجراكسة أو الأرمن المورالية وما أشبه هذه الأوشاب - وهم الذين يسميهم بعض الأحداث من أنصاره اليوم دخلاء - وكان يحكمون بما يهوون لا يرجعون إلى شريعة ولا قانون وإنما يبتغون مرضاة الأمير صاحب الإقطاع الكبير(٤).

أين البيوت المصرية وأين الحرية؟

أين البيوت المصرية التى أقيمت فى عهده على قواعد التربية الحسنة؟ أين البيوت المصرية التى كانت لها القدم السابقة فى إدارة حكومة أو سياستها أو سياسة جندها مع كثرة ما كان فى مصر من البيوت الرفيعة العماد الثابتة الأوتاد؟.

أرسل جماعة من طلاب العلم إلى أوربا ليتعلموا فيها.. فهل أطلق لهم الحرية أن يبثوا فى البلاد ما استفادوا؟.. كلا.. ولكنه اتخذهم آلات تصنع له ما يريد وليس لها إرادة فيما تصنع.. وظهر بعض الأطباء الممتازين وهم قليل. وظهر بعض المهندسين الماهرين وهم ليسوا بكثير والسبب فى ذلك أن محمد على ومن معه لم يكن فيهم طبيب ولا مهندس.. فاحتاجوا إلى بعض المصريين ولم يكن أحد من الأعوان مسلطا على المهندس عند رسم ما يلزم له من الأعمال، ولا على الطبيب عند تركيب أجزاء العلاج. فظهر أثر استقلال الإرادة فى الصناعة عند أولئك النفر القليل من النابغين وكان ذلك مما لا يخشى عاقبته على المستبدين.

(٤) فى مناهج تجديد الفكر الإسلامى - التقريب بين المذاهب - للدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ص (٤٦).



أين مدارس الفنون الحربية؟

هل كانت له مدرسة لتعليم الفنون الحربية؟

أين هى؟.. وأين الذين نبغوا من طلابها؟.. فإن وجد نابغ فهل هو من المصريين؟.. عدوا إن شئتم أحياء أو أمواتا.

وقد ترجمت كتب كثيرة فى فنون شتى من التاريخ، والفلسفة والأدب، ولكن هذه الكتب أودعت فى المخازن من يوم طبعت وأغلقت عليها الأبواب إلى أواخر عهد إسماعيل باشا. فأرادت الحكومة تفريغ المخازن منها أو تخفيف ثقلها عنها فنثرتها بين الناس فتناول منها من تناول. وها يدلنا على أنها ترجمت برغبة بعض الرؤساء من الأوربيين الذين أرادوا نشر آدابهم فى البلاد لكنهم لم ينجحوا لأن حكومة محمد على لم توجد فى البلاد قراء ولا منتفعين بتلك الكتب والفنون.

كانوا يتخطفون تلامذة المدارس من الطرق وأفناء القرى[٥] كما يتخطفون عساكر الجيش. فهل هذا مما يحبب القوم فى العلم ويرغبهم فى إرسال أولادهم إلى المدارس؟.. لا.. بل كان يخوفهم من المدرسة كما كان يخيفهم من الجيش.

أين الزراعة والصناعة؟

حمل محمد على الأهالى على الزراعة ليس خدمة لاقتصاد البلاد ولكن ليأخذ الغلات.. ولذلك كانوا يهربون من امتلاك الأطيان، كما يهرب غيرهم من الهواء الأصفر والموت الأحمر.. وقوانين الحكومة لذلك العهد تشهد بذلك.

يقولون إنه أنشأ المعامل والمصانع ولكن هل حبب إلى المصريين العمل والصنعة حتى يستبقوا تلك المعامل من أنفسهم؟.. وهل أوجد أساتذة يحفظون علوم الصنعة وينشرونها فى البلاد.

أين هم؟.. ومن كانوا؟.. وأين آثارهم؟.. لا.. بل بغض إلى المصريين العمل والصنعة بتسخيرهم فى العمل والاستبداد بثمرته فكانوا يتربصون يوما لا يعاقبون فيه على هجر المعمل والمصنوع لينصرفوا عنه ساخطين عليه لاعنين الساعة التى جاءت بهم إليه.

الجيش والأسطول

يقولون إنه أنشأ جيشا كبيرا فتح به الممالك ودوّخ به الملوك. وأنشأ أسطولا ضخما تثقل به ظهور البحار وتفخر به مصر على سائر الأمصار. فهل علّم المصريين حب التجنيد وأنشأ فيهم الرغبة فى الفتح والغلب وحبّب إليهم الخدمة فى

(٥) الأفناء: الناس المجهولون.



الجندية وعلمهم الافتخار بها؟

لا.. بل علمهم الهرب منها وعلم آباء الشبان وأمهاتهم أن ينوحوا عليهم معتقدين أنهم يساقون إلى الموت. بعد أن كانوا ينتظمون فى أحزاب الأمراء ويحاربون لا يبالون بالموت أيام حكم المماليك وكأن من ينتظم فى الجندية على عهد محرر مصر لا يخرج منها إلا بالموت.

هل شعر مصرى بعظمة أسطوله أو بقوة جيشه وهل خطر ببال أحد منهم أن يقول هذا جيشى وأسطولى أو جيش بلدى أو أسطوله؟

كلا.. لم يكن شيء من ذلك فقد كان المصرى يعد ذلك الجيش وتلك القوة عونا لظالمه فهى قوة خصمه. كذلك كان يعدها كل عثمانى فى مصر أو فى غير مصر.

ليقل لنا أنصار الاستبداد كم كان فى الجيش من المصريين الذين بلغوا فى رتب الجندية إلى رتبة البكباشى على الأقل؟ فلم يترك الجيش فى حياة مصر والمصريين إلا أسوأ الأثر. اثر كله شر فى شر؛ لذلك لم تلبث تلك القوة أن تهدمت واندثرت.

وقد ظهر ذلك الأثر السيئ حينما جاء الإنجليز لإخماد ثورة عرابى. حيث دخلوها بأسهل ما يدخل به دامر[٦] على قوم بل استقروا ولم توجد فى البلاد قوة تثبت لهم أن فى البلاد من يحامى عن استقلالها وهو ضد ما رأيناه عند دخول الفرنسيين إلى مصر. وبهذا رأينا الفرق بين الحياة الأولى والموت الأخير.

الدين والأوقاف

لقد كان من جدران سلطانه دعامة الدين. ولكن أى دين كان دعامة لسلطان محمد على؟ إنه دين التحصيل[٧] دين الكرباج. دين من لا دين له إلا ما يهواه ويريده. وإلا فليقل لنا أحد من الناس فى أى عمل من أعماله ظهرت رائحة للدين الإسلامى الجليل؟.

إنهم لا يذكرون إلا مسألة الوهابية وأهل الدين يعلمون أن الإغارة فيها كانت على الدين لا للدين. نعم إن الوهابية غلوا فى بعض المسائل غلواً أنكره عليهم سائر المسلمين، وما كان محمد على يفهم هذا ولا سفك دماءهم لإرجاعهم إلى الاعتدال وإنما كانت مسألة مصالح دنيوية محضة بعثتها جراءة محمد على على سلطانه العثمانى وكان معه ما كان مما هو معروف[٨].

(٦) الدامر: هو الذى يدخل على القوم بلا استئذان.

(٧) يعنى تحصيل الضرائب بالقوة والظلم.

(٨) فى مناهج تجديد الفكر الإسلامى – التقريب بين المذاهب – للدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ص (٤٩).



نعم أخذ ما كان للمساجد من الرزق وأبدلها بشىء من النقد يسمى "فائض رزنامة" لا يساوى جزءا من الألف من إيرادها. وأخذ من أوقاف الجامع الأزهر ما لو بقى له اليوم لكانت غلته لا تقل عن نصف مليون جنيه فى السنة وقرر له بدل ذلك ما يساوى نحو أربعة آلاف جنيه فى السنة.

وقصارى أمره فى الدين أنه كان يستميل بعض العلماء بالخلَع أو إجلاسهم على الموائد لينفى من يريد منهم إذا اقتضت الحال ذلك وأفاضل العلماء كانوا عليه فى سخط. ماتوا عليه.

ولا أظن أن أحدا ذا بصيرة يرتاب - بعد عرض تاريخ محمد على - فى أن هذا الرجل كان تاجرا زارعا وجنديا باسلا ومستبدا ماهرا لكنه كان لمصر قاهرا ولحياتها الحقيقية مُعْدما. وكل ما نراه الآن فيها مما يسمى حياة فهو من أثر غيره.

المصادر الفكرية لورقة إصلاح محمد عبده

استمد محمد عبده ورقته الإصلاحية من نهضات محمد على وورقة إسماعيل وجمال الدين الأفغانى ومن رؤاه الخاصة الثقافية ومن نقده للأوضاع السياسية والدينية والثقافية عندما كان يغشى منتدى الأميرة نازلى فاضل مع سعد زغلول وقاسم أمين وفتحى زغلول وغيرهم من صفوة الوطنيين والأدباء والمفكرين وكانت وجهة نظره كما يقول:

كان المصريون قبل سنة ١٢٩٣هـ(٩) يرون شئونهم العامة والخاصة ملكا لحاكمهم الأعلى ومن ينوب عنه فى تدبير أمورهم. يتصرف فيها حسب إرادته. وكانت سعادتهم وشقاؤهم موكولين إلى أمانته وعدله، أو خيانته وظلمه ولا يرى أحد من حقه أن يرى رأيا فى إدارة بلاده أو فكرة يتقدم بها فى عمل من الأعمال يرى فيها صالحا لأمته، ولا علاقة بينهم وبين الحكومة سوى أنهم مملوكون لها مصرفون فيما تكلفهم به الحكومة وتفرضه عليهم. وكانوا بعيدين غاية البعد عن معرفة ما عليه الأمم الأخرى سواء كانت شرقية أو غربية.

ومع سفر البعض منهم إلى البلاد الأوربية وما جاورهم من البلاد الإسلامية أيام محمد على باشا الكبير وإبراهيم باشا لم يشعر الأهالى بشىء من ثمرات تلك الأسفار ولا فوائد تلك المعارف التى حصلوا عليها واكتسبوها.

(٩) سنة ١٢٩٣ الهجرية توافق سنة ١٨٧٦ الميلادية التى وقعت فيها الحرب العثمانية وكان لها مع يقظة جمال الدين آثرها كما سيأتى بعد.



نهضة إسماعيل باشا السياسية

وقد أنشأ الخديو إسماعيل مجلس الشورى فى مصر سنة ١٢٨٣ الهجرية ومع أن الغاية من إنشائه أن يكون للأهالى رأى فى شئون بلادهم يرجع إليه الحاكم فإن أحدا منهم ولا من أعضاء هذا المجلس نفسه كان له ذلك الحق؛ لأن الخديو إسماعيل قيده فى النظام وفى العمل.. أما فى النظام؛ فلأنه قد نص فيه على أن نظر المجلس منحصر فيما تراه الحكومة من اختصاصه وما يعن لها أن ترسله إليه للمداولة فيه.

وأما فى العمل؛ فلأن الخديو كان يرسل عند المداولة من يخبر الأعضاء بإرادة جنابه السامى فيقررون ما يريد بعد مداولة صورية. فكان المصريون فى ذلك الحين يشعرون بأن الإرادة المطلقة هى التى كانت ولا تزال تصرفهم فى آرائهم!.

وهل كان فى استطاعة أحد أن يعمل على خلاف ما يأمر به؟.

هل كان يجوز لشخص أن يميل بفكره عن الطريق التى رسمت له أو عن الوجهة التى يتوجه إليها الحاكم لو أن الفكر السليم حدثه بأن هناك وجهة خيرا من تلك الوجهة؟ هل كان يمكنه أن ينطلق بما حدثه به فكره؟.

كلا.. إنه كان بجانب كل لفظ نفى عن الوطن. أو إزهاق للروح. أو تجريد من المال.

وبينما الناس على هذه الحال. لا كاتب ينبههم ولا خاطب يوقظهم إذا عرض أمر قلما يلتفت إليه أو تحوم الأفكار حواليه وإن كان مما يعرض فى كل مكان، وجرت به السنة الإلهية فى كل زمان.

نهضة جمال الدين

جرت سنة الله فى خلقه أن عظائم الأمور تتولد من صغارها كما أن ضخام الأشجار تنبسق من بذورها.

جاء إلى هذه الديار فى سنة ١٢٨٨هـ(١٠) رجل بصير فى الدين عارف بأحوال الأمم واسع الاطلاع جم المعارف جرئ القلب واللسان. وهو المعروف بالسيد جمال الدين الأفغانى اختار الإقامة فى مصر فتعرف إليه فى بادئ الأمر طائفة من طلبة العلم ثم اختلف إليه كثير من الموظفين والأعيان. ثم انتشر عنه ما تخالفت آراء الناس فيه من أفكار وعقائد فكان ذلك داعيا إلى رغبة الناس فى الاجتماع به لتعرف ما عنده.

وكانت مدرسته بيته.. فاشتغل بتدريس بعض العلوم العقلية، وكان يحضر

(١٠) نزل جمال الدين الأفغانى مصر فى أول المحرم سنة ١٢٨٨هـ الموافق ٢٢ مارس سنة ١٨٧١م وقد ولد فى كابل سنة ١٢٥٤هـ الموافق سنة ١٨٣٨م وهو أكبر بأربع سنوات من الشيخ محمد عبده الذى ولد سنة ١٢٥٨هـ الموافق ١٨٤٢م.

دروسه كثير من طلبة العلم ويتردد على مجالسه كثير من العلماء وغيرهم. وهو فى جميع أوقات اجتماعه بالناس لا يسأم من الحديث فيما ينير العقل ويطهر العقيدة أو يذهب بالنفس إلى معانى الأمور أو يلفت الفكر إلى النظر فى الشئون العامة مما يمس مصلحة البلاد وسكانها وكان طلبة العلم ينتقلون بما يكتبونه من تلك المعارف إلى بلادهم أيام الأجازة وكان الزائرون يذهبون بما ينالونه إلى أحيائهم ينشرونه فى الناس.. فاستيقظت مشاعر وانتبهت عقول وخف حجاب الغفل فى أطراف متعددة من البلاد خصوصا القاهرة.

نهضة الصحافة وانتشار الوعى الثقافى

نشبت الحرب بين الدولة العثمانية ودولة روسيا فى سنة ١٢٩٣هـ[11].

ووجد الناس من أنفسهم لذة فى الاطلاع على ما يكون من شأن الدولة العثمانية صاحبة السيادة عليهم من دولة روسيا فتطلعوا على ما يرد من أخبار الحرب.

وقد سهلت كثرة الأجانب فى البلاد ورود الجرائد الأوربية إلى طلابها من الأوربيين كما مهدت مخالطتهم للعامة والخاصة الطريق إلى العلم بما فيها فزاد تشوق الناس إلى الوقوف على حوادث تلك الحرب وسرى هذا الشعور إلى بعض الجرائد العربية التى كانت لا تزال إلى هذا العهد مقصورة على ما لا يهم فانطلقت فى إيراد الحوادث ونشرها وظهر فيها الميل إلى إطراء ما كانت تأتى به العساكر الروسية وازدراء ما كان ينسب إلى الجنود العثمانية. فوجد الناس الناقم على تلك الجرائد والناصر لها وحدث بين العامة نوع من الجدال لم يكن معروفا من قبل ثم استحدثت جرائد كثيرة مجاراة ما سبقها فى نشر الأخبار ومناوأتها فى المشرب واندفعت الرغبات إلى الاشتراك فيها إلى حد لا يمكن منعه وقضى سلطان الوقت على سلطان الإرادة القاهرة.

لم يكن ما ينشر فى الجرائد محصورا فى حوادث الحرب بل اجترأ الكثير منها على نشر ما عليه سائر الأمم فى سيرتهم السياسية والاجتماعية وزادوا على ذلك نشر ما كان قد بدأ فى الحكومة المصرية من سوء الأحوال المالية وكثر المتحدثون بما يكثر فى تلك الجرائد.

ظهور الوعى الشعبى وتكوين الحزب الوطنى الحر

ولا شك فى أن الهزات الثقافية التى ظهرت هنا وهناك لم تمض من غير أثر إنما تركت بصماتها واضحة فنمى الوعى القومى وظهر ميل الأمة السياسى، وبرزت

---

(١١) هذه السنة الهجرية الموافقة ١٨٧٦ الميلادية وهى التى أشار إليها الشيخ محمد عبده فيما سبق.



جمال الدين الأفغانى



شريف باشا

تجربة الأحزاب منبرا شرعيا للممارسات السياسية والثقافية، كذلك كانت الآراء السياسية التى يبثها جمال الدين الأفغانى فى تلامذته ومريديه وما يبينه لهم وللناس من أنواع الحكومات الدستورية والاستبدادية تؤثر فيهم وفى غيرهم من الطبقات، ولكن الشعور بحقوق الأمة فى أمر حكم نفسها ومراقبة أعمال حكامها، لم يسر فى هذه النابتة من المصريين، إلا وقد صحبه رؤية التصرف الأجنبى فى حكومتهم والتحكم الأوربى فى شئون البلاد. فتعلقت آمال البصراء من المواطنين بإصلاح عظيم غير أن سوء حال الحكومة الوطنية وفساد رجالها والخوف من السلطة الأجنبية كل ذلك كان عقبة فى طرق الإصلاح.

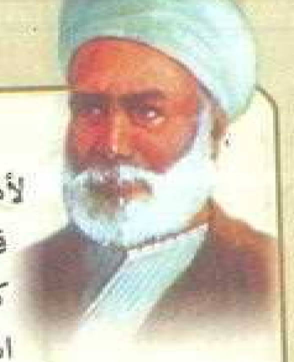
وقد ضاق الخديو إسماعيل بالوزيرين الأوربيين وأخذ يسعى للخلاص منهما وكثرت الإشاعات عن فساد تصرفهما. وفى أثناء ذلك دعا مجلس شورى النواب إلى الاجتماع فوفد أعضاؤه إلى القاهرة. وفى أنفسهم ذلك الشعور الشديد بسوء الأحوال. فالتأم المجلس فى ٩ المحرم سنة ١٢٩٦هـ (٢ يناير سنة ١٨٧٨م) فى موج من التشويش وشدة الاضطراب واتفق أن الحكومة لم تقدم إليه من المسائل التى نظرت فيها إلا ما لا قيمة له عندها، فكثر فى المجلس انتقاد الحكومة، وكانت هذه أول مرة ظهر فيها لبعض النواب رأى يخالف رأى الحكومة ولكن الخديو فى ذلك الحين كان يشد عضد أعضاء المجلس فى المعارضة[12].

لذلك اجتمع الأعيان فى دار السيد البكرى[13] ووضعوا اللائحة الوطنية المشهور أمرها، التى تعهدوا فيها بوفاء ديون أوربا وضمانتهم لها. وقد أحدث ما فعله إسماعيل من الالتجاء إلى أعيان الأمة شعورا بقوة لم يعرفوها من قبل فقد أيقنوا أن الحاكم القوى السلطان قد صار فى حاجة إليهم ولا قوام

---

(١٢) فى مناهج تجديد الفكر الإسلامى - التقريب بين المذاهب - للدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ص (٥٢).

(١٣) هو السيد على البكرى نقيب الأشراف وقد اجتمع الأعيان والأحرار والوطنيون فى داره واتفقوا على تأسيس جمعية وطنية ثم اجتمعوا بدار إسماعيل راغب باشا رئيس مجلس شورى القوانين وعقدوا هذه الجمعية ووضعوا وثيقة وطنية تتضمن تسوية للديون يعارضون بها مشروع ريفرس ويلسون ويجعل البلاد قادرة بضمانتهم على وفاء ديونها وطالبوا فى هذه الوثيقة أو اللائحة - كما كانت تدعى - تأليف وزارة وطنية مستقلة وإقصاء الوزيرين الأوربيين عنها وتقرير نظام دستورى للبلاد قوامه جعل الوزارة مسئولة أمام مجلس النواب.



لأمره إلا بالاعتماد عليهم، فزاد ذلك فيهم ولوعا بما كانوا يميلون عليه من وجوب اشتراكهم فى أعمال الحكومة تفاديا للمضار التى نشأت عن استقلال الحاكم بالرأى وانفراده بالسلطة.

وكان السيد جمال الدين قد ساهم وأسس حزبا فى مصر(١٤) باسم "الحزب الوطنى الحر" وكان من أغراضه السعى لتنازل الخديو إسماعيل وكان محمد توفيق على صلة بهذا الحزب. وكان الناس كافة فى شوق إلى رؤية إسماعيل بعيدا عن كرسى الخديوية وكان طلاب الحرية من الأهالى يترددون على رئيس الوزارة المصرية (شريف باشا) يظهرون له الميل إلى ولى العهد توفيق باشا. وكان بينه وبين السيد جمال الدين محادثات فى هذا الأمر فسعى هو والكثيرون من الأعيان عند محمد شريف باشا حتى يقنع الخديو الأسبق بوجوب التنازل عن الخديوية.

ثم ذهب وفد من المصريين ومعهم السيد جمال الدين الأفغانى إلى وكيل دولة فرنسا(١٥) وأبانوا له أن فى مصر حزبا وطنيا يطلب تنازل الخديو وأن الإصلاح لا يتم إلا على يد ولى العهد توفيق باشا(١٦).

وقد انتشر ذلك فى القاهرة وغيرها.. وتناقلته الجرائد وهى أول مرة عرف فيها اسم "الحزب الوطنى الحر"(١٧).

مفهوم التحرير وتحرير العقل عند الإمام محمد عبده

وأما حرية الفكر - التى يزعمونها - فكانت خاصة بالاعتقادات والمشارب الدينية فأخذ كثير من الناس يجهر بين العامة بألفاظ تناقض دينه الذى ولَه فيه فإن قيل له خَفِّض من صوتك وأجْمِل فى

(١٤) من الخطب السياسية التى كان يخطبها السيد جمال الدين الأفغانى قبيل خلع الخديو إسماعيل قوله فى خطبة بالإسكندرية جاء فيها: "أنت أيها الفلاح المسكين تشق قلب الأرض لتستنبت منها ما تسد به الرمق بأود العيال فلماذا لا تشق قلب ظالمك؟ لماذا لا تشق قلب الذين يأكلون ثمرة أتعابك". وكان لمثل هذه الأقوال يقظة وصدى فى النفوس.

(١٥) يقصد مسيو تريكو ولم يذهب السيد جمال الدين ومن معه إلى وكيل انجلترا؛ لأنه كان على عداء شديد مع انجلترا .. وهى تعرف شدة كراهيته لها وهى التى حاربته على أن توفى.

(١٦) خلع الخديو إسماعيل باشا بإرادة سلطانية أرسلها إليه بالتلغراف الصدر الأعظم فى ٢٦ يونية سنة ١٨٧٩م وتولى محمد شريف باشا رئيس الوزراء تقديمها إليه بسراى عابدين وجلس فى نفس اليوم توفيق باشا على كرسى الخديوية وسافر إسماعيل إلى المنفى بعد ثلاثة أيام أى فى ٣٠ يونية سنة ١٨٧٩م.

(١٧) كان جمال الدين شديد الميل إلى السياسة وإلى الحرية ومحاربة الاستعمار قوى الرغبة فى إنقاذ البلاد الإسلامية من المستعمرين. وقد انتهز الفرصة لجمع الكلمة فدخل الماسونية حتى صار من الرؤساء. ثم أنشأ محفلا وطنيا ماسونيا للشرق بلغ أعضاؤه ثلاثمائة وعظم أمره حتى أن ولى العهد توفيق وقتئذ طلب الدخول فيه. ثم أنشأ الحزب الوطنى الحر فسعت إنجلترا إلى الدس له عند الخديو توفيق حتى نفاه من مصر بعد ما تولى الحكم.



قولك فما كل الناس يرضاه. قال: إننا فى زمان الحرية. وعلى أن أفكاره التى يذهب عليها فى مخالفة دينه ليست بأفكار مرتبة مبنية على مبادئ ربما يقال إنه اتخذها مشربا بل ألفاظ حفظها من معاشريه لو سئل عن معناها أو طلب منه بيان أى وهم ساقه إليها؟ لعجز عن التعبير والتجأ إلى التهوس ورمى من يخاطبه بالجهل والخشونة حيث لم يوافقه على مشربه الفاسد ثم يتخذ هذه الخزعبلات الاعتقادية - التى يظنها تنورا وتبصرا - ذريعة لاستباحة القبائح واستحلال المحظورات ولقد رأيت شخصا ينكر ألوهية الخالق - والعياذ بالله - ثم يسأل عن حكمة المعراج؟! ومنهم من ينكر النبوات ويعتقد بالشياطين؟! وما أشبه ذلك فهؤلاء من الجهل بمكان لا يدانيهم فيه حيوان فضلا عن إنسان.

فهذه الحرية البتراء التى رمانا بها عقلاؤنا لم تدع لها أثرا يحمد وإن كان الأوربيون يحرصون عليها فإن استعداد بلادنا لم يكن ملائما لمثل هذا الإطلاق الذى هو فى الحقيقة عين الرق والاستعباد فإن الجاهل الذى لم يتعود على تصريف إرادته وإعمال اختياره إذا أطلق له العمل وقع فى أشد من الرق وأضر من العبودية. نعم إنه عتق من أسر الضابطة وغل الجزاء ولكن شهواته الخبيثة تبيعه بأبخس الأثمان إلى الإسراف والبطالة والكسل وجميع أنواع الشرور وتودعه سجن الفقر وتغله بطوق الذل والعار وياليته بقى تحت سيادة القانون يسوسه حتى فى أعماله الشخصية" فالكبسة" على ما كان فيها من الخطر على الأنفس والأموال وشناعة الصورة لو أحسن فيها القصد لكانت أولى وأفضل إلى زمن تتقدم فيه التربية فيكون لكل شخص زاجر من نفسه فترتفع "الكبسة" بذاتها ويذهب الناس أحرارا بطبعهم وما كان ذلك بعسير ولا محتاج إلى زمن طويل وما ضرنا إلا بالتقليد على غير تبصر بحال البلاد واستعدادها.

فتلك الحرية - التى سموها إطلاق الفكر - قد عتقت صاحبها من قيد العقل وأسلمته إلى الجهل الأعمى فهو يتصرف به كيفما يقتضى من المضرات ولو أنه بقى تحت سيادة العقل يسوسه المهذبون ويقوده المتبصرون حتى يعلم من أين تؤتى الأفكار وبأى الوسائل يوفى العقل حظوظه الحقيقية لكان ذلك خيرا وأبقى ولم يكن يحتاج إلا لتخفيف يسير فى شناعات المتعصبين وتعيين دائرة منتظمة يردد الكلام بين محيطها إلى زمن معين حتى تستقيم العقول فتضرب لنفسها حدا تقف عنده ولكننا طلبنا أن نكون على مثال الأوربيين فى عوائدهم حتى المضرة بأخلاقنا وأعمالنا وأفكارنا.



وإننا نخشى لو تمادينا فى هذا التقليد الأعمى واستمر بنا الأخذ بالنهايات الزائدة قبل البدايات الضرورية الواجبة أن تموت فينا أخلاقنا وعاداتنا وأن يكون انتقالنا عنها - لو انتقلنا - على وجه تقليدى أيضا لا يفيد. لكن الوقت لم يفت بعد فعلى من يريد بنا خيرا أن يذهب بنا طريقا قويما ولا أراه إلا نشر القوانين وإن كانت طويلة صعبة المنال فى وقتنا هذا. وما لا يدرك كله لا يترك كله - إنما لا يكتفى بنشرها على لسان "الجرائد" فإن قارئيها قليل ولا بإرسال "المنشورات" إلى "عمد" البلاد فإن كثيرا منهم قلما يفهم إذا قرأ ولكن لابد من تشكيل جمعيات فى القرى والمدن لإفهام "القوانين" و"اللوائح" و"المنشورات" وإلا ضاعت الحقوق وكثرت المشاكل وصعب كبح صغار المأمورين عن الإجراءات المضرة بالحكومة والأهالى معا ثم وضع حدود قومية للأعمال الشخصية والأخلاق والتصرفات إن إصلاح الأخلاق والأفكار والأعمال من أهم واجبات البلاد وبدونه لا يمكن إصلاح شىء من أمورها وليس بجائز أن يجعل فى درجة أقل من درجة قوانين حفظ الضبط والربط.

ومركز النظر فى جميع ذلك نبهاء البلاد وذوو الشأن فيها - فعليهم إن كانوا صادقين فى الوطنية - أن يبذلوا الجهد فى طلب ذلك والقيام بما يلزم وإلا فإنهم مقلدون فقط(١٨).

تحرير الوطن والمواطن

الوطن جامعة وطنية:

الوطن هو الوحدة التى تجتمع كلمة الأمة عليها عظم بذلك شأنه المعنوى وتعلقت به المنافع الكلية وصار المحور الذى تدور عليه المقاصد والمساعى فيرتفع قدره ويعلو مكانه

وإذا ارتفع قدر الوطن فذلك يعود بالشرف والعز على ساكنيه؛ لأنه لا حقيقة له إلا بهم وفيهم ولا رفعة فيه إلا منهم ولهم فهم إياه وهو لفظ وجودهم معناه.

فيا أبناء الوطن العزيز لئن فرق بينكم اختلاف الآراء وتنوع المشارب، وتلون التصورات فقد وجدتم فى الجامعة الوطنية ما تأتلفون به، وتجتمعون عليه فيجعلكم عصبة خير متلاحمة الأطراف متوازرة متضافرة كالبنيان المرصوص.

الوطن والولاء:

الوطن فى اللغة: محل الإنسان مطلقا فهو والسكن بمعنى: استوطن القوم هذه الأرض وتوطنوها أى اتخذوها سكنا. وهو عند أهل السياسة: مكانك الذى تنسب إليه ويحفظ حبك فيه ويعلم حقه عليك وتأمن فيه على نفسك وآلك ومالك. ومن أقوالهم

(١٨) فى مناهج تجديد الفكر الإسلامى - التقريب بين المذاهب - للدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ص (٥٧).



فيه: لا وطن إلا مع الحرية. وقال "لابرويز" الحكيم الفرنساوى: لا وطن فى حالة الاستبداد ولكن هناك مصالح خصوصية ومفاخر ذاتية ومناصب رسمية وكان حد الوطن عند قدماء الرومانيين: المكان الذى فيه للمرء حقوق وواجبات سياسية.

وهذا الحد الرومانى الأخير لا ينقض قولهم: لا وطن إلا مع الحرية بل هما سيان فإن الحرية إنما هى حق القيام بالواجب المعلوم فإن لم توجد فلا وطن لعدم الحقوق والواجبات السياسية وإن وجدت فلابد معها من الواجب والحق وهما شعار الأوطان التى تفتدى بالأموال والأبدان وتقدم على الأهل والخلان ويبلغ حبها فى النفوس الزكية مقام الوجد والهيمان.

أما السكن الذى لا حق فيه للساكن، ولا هو آمن على المال والروح فغاية القول فى تعريفه أنه مأوى العاجز ومستقر من لا يجد إلى غيره سبيلا فإن عظم فلا يسر وإن صغر فلا يسوء قال "لابرويز" السابق الذكر: ما الفائدة من أن يكون وطنى عظيما كبيرا إن كانت فيه حزينا حقيرا أعيش فى الذل والشقاء خائفا أسيرا؟!

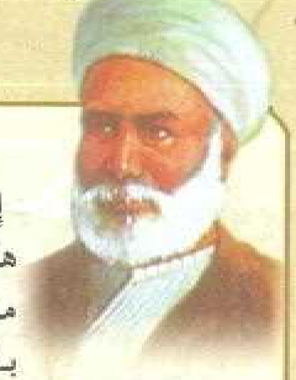
على أن النسبة للوطن تصل بينه وبين الساكن صلة منوطة بأهداب الشرف الذاتى فهو يغار عليه ويذود عنه كما يذود عن والده الذى ينتمى إليه وإن كان سيئ الخلق شديدا عليه؛ ولذلك قيل فى مثل هذا المقام أن ياء النسبة فى قولنا مصرى وإنجليزى وفرنسى هى من موجبات غيرة المصرى على مصر والفرنساوى على فرنسا والإنجليزى على إنجلترا فأنكر ذلك بعض الناس وكان فى الأمر لاشك سوء فهم أو سوء إفهام.

وجملة القول أن فى الوطن من موجبات الحب والحرص والغيرة ثلاثة تشبه أن تكون حدودا: الأول: أنه السكن الذى فيه الغذاء والوقار والأهل والولد والثانى: أنه مكان الحقوق والواجبات التى هى مدار الحياة السياسية وهما حسيان ظاهريان والثالث: أنه موضع النسبة التى يعلو بها الإنسان ويعز أو يسفل ويذل وهو معنوى محض.

فإذا تقرر ذلك مما قلناه وجب على المصرى حب الوطن من كل هذه الوجوه فهو سكنه الذى يأكل فيه هنيئا ويشرب مريئا ويبيت فى الأهل أمينا وهو مقامه الذى ينسب إليه ولا يجد فى النسبة عارا ولا يخاف تعبيرا وهو الآن موضع حقوقه وواجباته التى حصلت له بما أوضحناه من دخوله فى دور الحياة السياسية.

الأدب السياسى يصنع المواطن:

يرى الإمام محمد عبده أنه من أجل تربية المواطن وتعليمه معنى المواطنة وآدابها من حب وانتماء وولاء.. فينبغى على القائمين على التربية أن يضعوا مناهج فى الأدب السياسى. وشأن هذا المقرر أن يحدد معنى المواطنة من معنى الهمج والرعاع. فيقول:



إن للوجود الإنسانى فى هذه الحياة الدنيا ثلاثة أدوار متوالية يأخذ بعضها بأطراف بعض: الأول: دور الفطرة وهو الوجود الطبيعى. والثانى: دور الاجتماع وهو الحالة المدنية. والثالث: دور السياسة وهو موضوع كلامنا فى هذا المقام.

إن هذه الحياة توجب للوطنى أن يكون حرا فى رأيه متصرفا فى شأنه إلى حد ألا يضر بالهيئة المجتمعة ولا يمس شأن سواه فهذه الحرية – على شرطها المذكور – تقتضى العلم بالمصلحة العمومية والحدود الشخصية وهو ما يعبر عنه بالأدب السياسى ووجه الضرورة فى معرفة هذا الأدب أن المرء إذا عرف مصلحة قومه، سعى فيما يوجب لها البقاء والنماء وإذا رأى حدود إخوانه، أقام لنفسه حدا لا يتعداه، وحظا لا يتخطاه بخلاف ما إذا جهل ذلك فإنه لا يأمن حينئذ أن يظهر بما يخالف تلك المصلحة، ويفسد هذه الحدود فتكون حريته ضررا بأوطانه ووبالا على إخوانه.

ولكل من هذه الحقوق الثلاثة حد لو تعداه لكانت الحيرة فيه شرا من القيد، وأشنع من العبودية: فحد حرية الرأى أن يكون مبنيا على القياس موافقا للحكمة مطابقا للصواب. وحد حرية القول أن يراد به الخير ولا يجاوز فيه حد المنفعة والملائمة ولا يمس شرفا مصونا ولا يضر بريئا أمينا ولا ينشر عن غير علم يقين. وحد حرية الانتخاب أن يراد به مصلحة الوطن العزيز ليس إلا.

ولكن مهما بلغت الأمة من مبالغ السياسة وكثر عدد أفرادها المتأدبين بذلك الأدب فلن يكون لها نماء ولا بقاء فى الحياة السياسية، ما لم تكن ذات وجهة معلومة ووحدة لا تقبل النزاع والخلاف يدل على ذلك تقدم الذين اتحدت وجهتهم وتأخر الذين تفرقت كلمتهم من قبلنا وفى هذه الأيام.

فإن قيل: ما لنا لا نرى تفرق الأمم الأوربية أقساما وأحزابا مانعا من تزايد ثروتهم وتعاظم قوتهم واستفحال أمرهم فى الحياة السياسية؟

قلنا: إن أولئك الأمم لا يختلفون على غايتهم المقصودة بالذات وإنما تتنوع الطرق التى يسلكونها إلى تلك الغاية فإن كان الفرنسوى جمهوريا أو ملكيا أو إمبراطوريا فهو فرنسوى على كل حال وقبل كل شأن وإن كان الألمانى محافظا أو تقدميا أو اجتماعيا فهو ألمانى من وراء ذلك. وهكذا الإنجليزى والإيطالى والنمسوى وسائر أهل المدنية والحياة السياسية.

الوطنية والقانون والقوى:

أما القانون فهو الناموس الحق الذى ترجع إليه الأمم فى معاملاتها العمومية وأحوالها الخصوصية وهيئاتها النفسانية أعم من أن يكون متعلقا بروابط الممالك وعلائقها أو منوطا بالسياسة الداخلية كالإدارة المدنية



والتدابير المنزلية أو باحثا عن الأخلاق الفاضلة وما ينبغى أن يتحلى به الإنسان منها وما يجب أن يبتعد عنه من أضدادها وسواء كان فى أمة واحدة أو أمم متعددة.

أما القوة فكانت شرعة الأمم الغابرة والشعوب السالفة وقت أن كان الإنسان جبلى الطبع لا يمتاز عن غيره من أنواع الحيوان إلا بالفصل(١٩) المميز أعنى قابلية النطق المجرد عن نور المعارف وشعار التمدن فكانت له الحاكم الفيصل يرجع إليها فى تحصيل غرضه ونوال مطلوبه وباختلافها وتفاوتها اشتدادا وضعفا وتقدما وتقهقرا كانت تختلف الأمم وقتئذ فى الشرف والضعة والسطوة والفقر والغنى من غير نظر إلى شىء من وسائل تلك الوجوه مهما كانت طرائقها فكان الرجل يمتاز بين قومه بصفة الإقدام والجرأة وكثرة السلب والنهب.

وبينما الإنسان تائه فى أغوار الاستعباد فى هاتيك الأزمنة أزمنة القوة والاستبداد والجور والعبث والفساد ليس له حق يصان ولا عرض إلا ويهتك ويهان إذ أشرقت عليه قرائح الذين جادت بهم مراحم الفضل وعرفوا بمناهج الخير فأبصر من طلائع أفكارهم ما يهديه إلى سبل الرشاد ويوقظ فكرته إلى التماس الصواب من أبواب السداد.

ولما كانت القوانين مناط ضبط الأعمال لتكون منتجة لجلال الفوائد وهى ثمرة الأعمال النظرية وخلاصة الأبحاث الفكرية صارت قوانين كل أمة على نسبة درجتها فى العرفان واختلفت القوانين باختلاف الأمم فى الجهالة والعلم(٢٠).

وقد جرت عادة المشرعين فى كل زمان أن يراعوا فى وضع القوانين درجة عقول الذين يراد وضعها لهم حتى لا تكون مبهمة عليهم فلا يتيسر لهم فهمها ولا معرفة الغرض منها وأن يلاحظوا العوائد والأخلاق ملاحظة تامة فلا يخرجون فى تأسيس القوانين عما تقتضيه من الشدة والتخفيف فرب طائفة من الناس ينفع فيهم الزجر الخفيف ويردعهم الوعيد بالجزاء الهين إذا كانت طباعهم سهلة الانقياد ونفوسهم شريفة وحواسهم سريعة التأثر فهؤلاء لا يسن لهم من القوانين إلا ما كان منطبقا على أحوالهم فلا يكلفون بالقوانين الصارمة لأنها تضر بهم شأن من يتجاوز فى استعمال الدواء الحد المخصوص.

(١٩) الفصل: مصطلح منطقى يعنى جزء الماهية الذى يميز النوع عن مشاركيه يسمى "الفصل القريب" إذا ميز النوع عن مشاركيه فى الجنس القريب مثل "الناطق" بالنسبة للإنسان ويسمى "الفصل البعيد" إذا ميزه عن مشاركيه فى الجنس البعيد كالإحساس بالنسبة للإنسان... الخ.

(٢٠) فى مناهج تجديد الفكر الإسلامى – التقريب بين المذاهب – للدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ص (٦٠).



الإمام محمد عبده

وعن منهج الإمام محمد عبده فى إصلاح الدنيا بالدين جاء بحث الأستاذ الدكتور محمد عمارة عضو مجمع البحوث الإسلامية، قال:

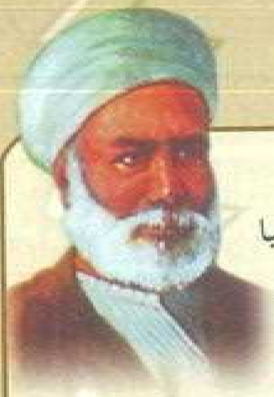


مشروع حضارى للإصلاح بالإسلام

(١)

لقد تألقت الدعوة الإصلاحية للإمام محمد عبده حول بدايات القرن الرابع عشر الهجرى، فى واقع حضارى تميز بسيادة الجمود والتقليد فى دوائر طلاب العلم الدينى - وهو غلو يحجب الدين والإصلاح الإسلامى عن الواقع والحياة- فيخلق الفراغ الدينى الحق فى هذا الواقع، ويبعد المنهاج الإصلاحى الإسلامى عن أن يكون هو سبيل الأمة للنهضة والتقدم.

كما تميز هذا الواقع الحضارى بزحف النموذج الغربى فى التقدم والتحديث على الشرق الإسلامى، ذلك النموذج الذى وفد إلى بلادنا فى ركاب الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة لعالم الإسلام.. وهو نموذج قد يميز بالغلو الشديد، وذلك عندما انحاز إلى عالم الشهادة رافضا عالم الغيب.. وإلى الدنيا فى مواجهة الدين.. وإلى الفردية فى مقابلة الجماعة.. وإلى الأرض فى رفضه لحاكمة السماء وشريعتها.. وإلى المادية والوضعية فى مقابلة الروح.. وإلى القوة فى مواجهة العدل.. وإلى الصراع بدلا من التوافق.. وإلى العقل فى مقابلة النقل



والوجدان.. فملأ هذا النموذج الغربى الفضاء الفلسفى والثقافى والسياسى بحشد غفير من "الثنائيات المتناقضة"، التى عبرت وتعبر عن غلو التفريط، المقابل لغلو الإفراط الذى مثله الجمود والتقليد السائدين بين طلاب علوم الدين فى شرقنا الإسلامى، بذلك التاريخ..

ولمجافاة كلا الموقفين جمود طلاب علوم الدين.. وجحود طلاب العلوم الغربية- لمنهاج الوسطية الإسلامية فى الإصلاح والنهوض، كان حرص الإمام محمد عبده على تميز منهاجه فى الإصلاح بسمة الوسطية الإسلامية الجامعة.. فكتب عن تميز موقفه ومنهجه ودعوته بهذه الوسطية عن أهل الجمود والتقليد للموروث، وأهل الجمود والتقليد للوافد الغربى.. فقال:

"ولقد خالفتُ فى الدعوة إليه (أى إلى منهجه فى الإصلاح) رأى الفئتين العظمتين اللتين يتركب منهما جسم الأمة: طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم، وطلاب فنون هذا العصر ومن هو فى ناصيتهم" (١)

ثم تحدث عن أن هذه الوسطية - التى انحاز إليها.. وتميز بها منهاجه الإسلامى- ليست خيارا ذاتيا، وإنما هى منهاج الإسلام، الذى تميز به عن الغلو الذى أصاب أهل الشرائع الأخرى..

"..فلقد ظهر الإسلام، لا روحيا مجردا، ولا جسديا جامدا، بل إنسانيا وسطا بين ذلك، آخذا من كلا القبيلين بنصيب، فتوافر له من ملاءمة الفطرة البشرية ما لم يتوافر لغيره، ولذلك سمى نفسه: دين الفطرة. وعرف له ذلك خصومه اليوم، وعدّوه المدرسة الأولى التى يرقى فيها البرابرة على سلّم المدنية" (٢)

فالوسطية هى السمة المميزة للإسلام، وهى السبب الذى جعل الإسلام دين الفطرة البشرية السوية.. فكان لذلك سلّم الارتقاء على درب المدنية، بشهادة الخصوم قبل الأصدقاء!..

ولقد أفاض الأستاذ الإمام فى الحديث عن هذه الوسطية الإسلامية، الجامعة - فى الإصلاح- بين الدين والدنيا.. وذلك فى تفسيره قول الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾

(البقرة: ١٤٣)

مشيرا إلى دلالات مجئ الحديث عن الوسطية الإسلامية فى سياق حديث القرآن عن الهداية الإلهية للإنسان:

﴿ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾

فقال: "..أى على هذا النحو من الهداية جعلناكم أمة وسطا."

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ٢ ص٣١٠ دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة دار الشروق- القاهرة سنة ١٩٩٣م.

(٢) المصدر السابق. جـ٣ ص٢٨٧



ثم عرض لمعنى هذه الوسطية الإسلامية فى تراث السلف.. ثم أضاف رؤيته التى جعلتها منهاجا فى النظر والإصلاح.. فقال:

"لقد قالوا: الوسط هو العدل والخيار، وذلك لأن الزيادة على المطلوب فى الأمر إفراط، والنقص عنه تفريط وتقصير، وكل من الإفراط والتفريط ميل عن الجادة القويمة، فهو شر ومذموم، فالخيار هو الوسط بين طرفى الأمر، أى المتوسط بينهما.

ولكن، يقال: لم اختير لفظ الوسط على لفظ الخيار، مع أن هذا هو المقصود؟ والأول إنما يدل عليه بالالتزام؟؟

والجواب من وجهين:

أحدهما: أن وجه الاختيار هو التمهيد للتعليل الآتى، فإن الشاهد على الشئ لا بد أن يكون عارفا به، ومن كان فى أحد الطرفين فلا يعرف حقيقة حال الطرف الآخر ولا حال الوسط أيضا.

وثانيهما: أن فى لفظ الوسط إشعارا بالسببية، فكأنه دليل على نفسه، أى أن المسلمين خيار وعدول لأنهم وسط، ليسوا من أرباب الغلو فى الدين المفرِطين، ولا من أرباب التعطيل المفرَطين، فهم كذلك فى العقائد والأخلاق والأعمال.."

ثم مضى الأستاذ الإمام إلى الحديث عن أن هذه الوسطية الإسلامية إنما جاءت ثورة على شيوع الغلو - غلو الإفراط والتفريط - الذى ساد الشرائع والأنساق الفكرية التى سبقت ظهور الإسلام:

"ذلك أن الناس كانوا قبل ظهور الإسلام على قسمين:

قسم تقضى عليه تقاليده المادية المحضة، فلا همّ له إلا الحظوظ الجسدية، كاليهود والمشركين.

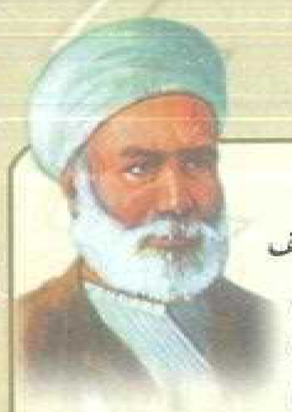
وقسم تحكم عليه تقاليده بالروحانية الخالصة، وترك الدنيا وما فيها من اللذات الجسمانية، كالنصارى والصابئين وطوائف من وثنيى الهند أصحاب الرياضات.

وأما الأمة الإسلامية فقد جمع الله لها فى دينها بين الحقين، حق الروح وحق الجسد، فهى روحانية جسمانية. وإن شئت قلت: إنه أعطاها جميع حقوق الإنسانية، فإن الإنسان جسم وروح، حيوان وملك، فكأنه قال: جعلناكم أمة وسطا، تعرفون الحقين وتبلغون الكمالين ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ﴾ بالحق ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ الجسمانيين بما فرطوا فى جنب الدين، والروحانيين إذا فرطوا وكانوا من الغالين. تشهدون على المفرطين بالتعطيل، القائلين:

﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾

الجاثية: ٢٤

بأنهم أخلدوا إلى البهيمية، وقضوا على استعدادهم بالحرمان من المزايا الروحانية، وتشهدون على المفرَطين بالغلو فى الدين



القائلين إن هذا الوجود حبس للأرواح وعقوبة لها، فعلينا أن نتخلص منه بالتخلى عن جميع اللذات الجسمانية وتعذيب الجسد وهضم حقوق النفس، وحرمانها من جميع ما أعده الله لها فى هذه الحياة. تشهدون عليهم بأنهم خرجوا عن جادة الاعتدال، وجنوا على أرواحهم بجنايتهم على أجسادهم وقواهم الحيوانية، تشهدون على هؤلاء وهؤلاء، وتسبقون الأمم كلها باعتدالكم وتوسطكم فى الأمور كلها، ذلك بأن ما هُديتم إليه هو الكمال الإنسانى الذى ليس بعده كمال، لأن صاحبه يعطى كل ذى حق حقه، يؤدى حقوق ربه، وحقوق نفسه، وحقوق جسمه، وحقوق ذوى القربى، وحقوق سائر الناس.

﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾

البقرة: ١٤٣

أى أن الرسول - عليه الصلاة والسلام- هو المثال الأكمل لمرتبة الوسط. وإنما تكون هذه الأمة وسطا باتباعها له فى سيرته وشريعته، وهو القاضى على الناس فيمن اتبع سنته ومن ابتدع لنفسه تقاليد أخرى أو حذا حذو المبتدعين.

فكما تشهد هذه الأمة على الناس بسيرتها وارتقائها الجسدى والروحى بأنهم قد ضلوا عن القصد، يشهد لها الرسول بما وافقت فيه سنته وما كان لها من الأسوة الحسنة فيه، بأنها استقامت على صراط الهداية المستقيم، فكأنه قال: إنما يتحقق لكم وصف الوسط إذا حافظتم على العمل بهدى الرسول واستقمتم على سنته، وأما إذا انحرفتم عن هذه الجادة فالرسول بنفسه ودينه وسيرته حجة عليكم بأنكم لستم من أمته التى وصفها الله فى كتابه بهذه الآية، وبقوله:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾

(آل عمران: ١١٠)

بل تخرجون بالابتداع من الوسط، وتكونون أحد الطرفين.." (٣)

فالوسطية هى منهاج الإسلام فى صياغة الإنسان.. وهى سبيل إسلامية الإصلاح فى المجتمعات.. وهى الطور المتقدم الذى انتقلت الإنسانية إليه بشريعة الإسلام.. وهى شرط خيرية الأمة الإسلامية.. وهى - لذلك- (صراط الهداية المستقيم) كما قال الأستاذ الإمام.

***

وفى معرض مقارنة الإمام محمد عبده بين وسطية الإسلام وبين الغلو النصرانى فى الرهبانية والحرمان من حقوق الجسد وزينة الحياة الدنيا، وجعل الدين بديلا ونقيضا للحياة الدنيا.. تحدث عن أولية الحياة الدنيا فى الإسلام على الدين، وعن تأليف الوسطية الإسلامية وجمعها بين الحياة وبين الدين.. فقال:

---

(٣) المصدر السابق. جـ٤ ص٣٣٢-٣٣٥ طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م.



"الحياة فى الإسلام مقدمة على الدين. أوامر الحنيفية السمحة إن كانت تختطف العبد إلى ربه، وتملأ قلبه من رهبه، وتفعم أمله من رغبه، فهى مع ذلك لا تأخذه عن كسبه، ولا تحرمه من التمتع به، ولا توجب عليه تقشف الزهادة، ولا تجشمه فى ترك الملذات ما فوق العادة.

صاحب هذا الدين -ﷺ- لم يقل: "بع ما تملك واتبعنى". ولكن قال لمن استشاره فيما يتصدق به من ماله: "الثلث، والثلث كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس".

والقاعدة قد عمت: "صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان". فترى الدين قد راعى فى أحكامه سلامة البدن كما أوجب العناية بسلامة الروح.

أباح الإسلام لأهله التجمل بأنواع الزينة، والتوسع فى التمتع بالمشتهيات، على شريطة القصد والاعتدال، وحسن النية، والوقوف عند الحدود الشرعية، والمحافظة على الرجولية. جاء فى الكتاب العزيز:

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

الأعراف: ٣١ : ٣٣

ووضع قانونا للإنفاق وحفظ المال فى قوله:

﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (٢٨) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾

الإسراء: ٢٧ : ٢٩

وخشى على المؤمن ان يغلو فى طلب الآخرة فيهلك دنياه وينسى نفسه منها، فذكرنا - بما قصه علينا- أن الآخرة يمكن نيلها مع التمتع بنعم الله علينا فى الدنيا، إذ قال:

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾

القصص: ٧٧

فنرى أن الإسلام لم يبخس الحواس حقها، كما أنه هيأ الروح لبلوغ كمالها. فهو الذى جمع للإنسان أجزاء حقيقته، واعتبره حيوانا ناطقا، لا جسما نيا صرفا، ولا ملكوتيا بحتا، جعله من أهل الدنيا كما هو من أهل الآخرة، واستبقاه من أهل هذا العالم الجسدانى كما دعاه إلى أن يطلب مقامه الروحانى. أليس يكون بذلك وبما بينه فى قوله:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾

(البقرة: ٢٩)



قد أطلق القيد عن قواه، ليصل من رفه الحياة إلى منتهاه؟. والنفوس مطبوعة على التنافس، قد غرز فيها حب التسابق فيما تعتقده خيرا أو تجده لذيذا أو تظنه نافعا. وليس فى الغريزة الإنسانية أن يقف بها الطلب عند حد محدود، أو ينتهى بها السعى إلى غاية لا مطالع للرغبة وراءها، بل خصها الله بالتمكن من الرقى فى أطوار الكمال من جميع وجوهه إلى ماشاء الله أن ترقى بدون حد معروف"[٤]

هكذا تحدث الإمام محمد عبده عن الوسطية الإسلامية الجامعة.. التى هى خصيصة من خصائص الإسلام.. وقسمة ثابتة من قسمات المنهاج الإسلامى فى الإصلاح إصلاح النفس.. وإصلاح الاجتماع الإنسانى-.. كما تحدث عن انحيازه إلى هذه الوسطية الإسلامية، وتميز منهاجه الإصلاحى بهذه الوسطية عن أهل الغلو - غلو الإفراط عند طلاب علوم الدين فى عصره- وغلو التفريط عند طلاب النموذج الغربى الوافد فى ركاب الاستعمار.

ولقد امتلأت صفحات آثاره الفكرية بالتطبيقات - النظرية والعملية - لمنهاج الوسطية الإسلامية على ميادين المشروع الإصلاحى.. المشروع النهضوى للإصلاح بالإسلام.. والذى اتخذ فيه الأستاذ الإمام من تجديد الدين سبيلا لتجديد دنيا المسلمين.

(٢) فى نظرية المعرفة

وفى مواجهة الاستقطابات الحادة - فى نظرية المعرفة- عند تيارات الغلو الديني واللاديني.. حيث وقف أهل المادية والوضعية فى سبيل المعرفة- عند العقل والحواس فقط.. ووقف أهل الجمود والتقليد للموروث عند ظواهر النصوص وحدها.. ووقف غلاة الصوفية - الباطنية- عند خطرات القلوب دون سواها..

فى مواجهة هذا الغلو الذى سقط فيه كل هؤلاء، تفردت الوسطية الإسلامية الجامعة بالتأليف بين ما سماه الإمام محمد عبده:

(الهدايات الأربع) هدايات: العقل.. والنقل.. والتجربة.. والوجدان- التى تزاملت وتكاملت فى تحصيل المعرفة الإسلامية - الشرعية والمدنية- فأثمرت الثقافة والمعرفة الإسلامية المتوازنة.. فبالجمع والتأليف بين هذه الهدايات تكون الثقافة والمعرفة الوسطية، التى يوقظ فيها العقلُ والقلب.. ويرطب فيها القلبُ حسابات العقول المجردة.. وتكتشف فيها التجارب والحواس آيات الله المبثوثة فى الأنفس والآفاق- كتاب الله المنظور-.. ويضيف فيها النقل - بنبأ السماء العظيم- مالا تستطيع العقول والحواس - وهى نسبية الإدراك-

(٤) المصدر السابق. جـ٣ ص٢٩٢-٢٩٦



الاستقلال بمعرفته من نبأ الغيب وعوالم الإلهيات..

ولقد أفاض الإمام محمد عبده فى الحديث عن هذه النظرية - نظرية الهدايات الأربع- الممثلة للوسطية الإسلامية الجامعة فى نظرية المعرفة.. وذلك عندما وقف فى تفسيره لسورة الفاتحة أمام قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾

الفاتحة: ٦

فقال: الهداية فى - اللغة- : الدلالة بلطف على ما يوصل للمطلوب.. ولقد منح الله الإنسان أربع هدايات يتوصل بها إلى سعادته:

أولاها: هداية الوجدان الطبيعى والإلهام الفطرى، وتكون للأطفال منذ ولادتهم..

والثانية: هداية الحواس والمشاعر، وهى متممة للهداية الأولى فى الحياة الحيوانية، ويشارك الإنسان فيهما الحيوانُ الأعجم، بل هو فيهما أكمل من الإنسان، فإن حواس الحيوان وإلهامه يكملان له بعد ولادته بقليل، بخلاف الإنسان، فإن ذلك يكمل فيه بالتدريج فى زمن غير قصير..

والثالثة: هداية العقل. خُلق الإنسان ليعيش مجتمعا، ولم يعط من الإلهام والوجدان ما يكفى مع الحس الظاهر لهذه الحياة الاجتماعية كما أعطى النحل والنمل.. فحباه الله هداية هى أعلى من هداية الحس والإلهام وهى العقل الذى يصحح غلط الحواس والمشاعر ويبين أسبابه، وذلك أن البصر يرى الكبير على البعد صغيرا، ويرى العود المستقيم فى الماء معوجا، والصفراوى يذوق الحلو مرا، والعقل هو الذى يحكم بفساد هذا الإدراك.

والهداية الرابعة: الدين. يغلط العقل فى إدراكه كما يغلط الحواس، وقد يهمل الإنسان استخدام حواسه وعقله فيما فيه سعادته الشخصية والنوعية، ويسلك بهذه الهدايات مسالك الضلال، فيجعلها مسخرة لشهواته ولذاته حتى توروده موارد الهلكة.. فاحتاج الناس إلى هداية ترشدهم فى ظلمات أهوائهم، إذا هى غلبت على عقولهم، وتبين لهم حدود أعمالهم ليقفوا عندها، ويكفوا أيديهم عما وراءها.

ثم إن مما أودع فى غرائز الإنسان الشعور بسلطة غيبية متسلطة على الأكوان، ينسب إليها كل ما لا يعرف له سببا، لأنها هى الواهبة كل موجود ما به قوام وجوده، وبأن له حياة وراء هذه الحياة المحدودة. فهل يستطيع أن يصل بتلك الهدايات الثلاث إلى تحديد ما يجب عليه لصاحب تلك السلطة، الذى خلقه وسواه ووهبه هذه الهدايات وغيرها مما فيه سعادته فى تلك الحياة الثانية؟..

كلا! إنه فى أشد الحاجة إلى هذه الهداية الرابعة - الدين-، وقد منحه الله إياها..

ولكن.. بقى معنا هداية أخرى، وهى المعبر عنها بقوله تعالى:



﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾

الأنعام: ٩٠

فليس المراد من هذه الهداية ما سبق ذكره، فالهداية فى الآيات السابقة بمعنى الدلالة، وهى بمنزلة إيقاف الإنسان على رأس الطريقين - المهلك والمنجى- مع بيان ما يؤدى إليه كل منهما وهى ما تفضل الله به على جميع أفراد البشر. أما هذه الهداية، فهى أخص من الدلالة، وهى لم تكن ممنوحة لكل أحد كالحواس والعقل - على ما قدمنا- كان محتاجا إلى المعونة الخاصة، فأمرنا الله بطلبها منه فى قوله:

﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾

(الفاتحة: ٦)

فمعنى:

﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾

دلنا دلالة تصحبها معونة غيبية من لدنك، تحفظنا بها من الضلال والخطأ.

وما كان هذا أول دعاء علمنا الله إياه، إلا لأن حاجتنا إليه أشد من حاجتنا إلى كل شئ سواه" (٥)

هكذا صاغ الفيلسوف الحكيم الإمام محمد عبده لمذهب الوسطية الإسلامية فى نظرية المعرفة هذا البناء الفلسفى المحكم، الذى ميز رؤية الإسلام فى هذه القضية المحورية عن كل النظريات والآراء التى سادت فى دوائر الغلو الدينى واللا دينى على مر تاريخ المعرفة الإنسانية.

***

ثم عاد الأستاذ الإمام ليتحدث عن ذات القضية.. فى تفسيره قول الحق سبحانه وتعالى-:

﴿ الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾

البقرة/ ٢٥٧

فقال: - بعد رفض ما سماه "تفسير العوام الذين لا يفهمون أساليب اللغة العالية، أو تفسير الأعاجم، الذين هم أجدر بعدم الفهم" والذين استدلوا بهذه الآية على "الجبر والجبرية" - قال الأستاذ الإمام:

"إن المؤمن لا ولى له ولا سلطان لأحد عليه إلا الله تعالى، ومتى كان كذلك فإنه يهتدى إلى استعمال الهدايات التى وهبها الله له على وجهها، وهى: الحواس، والعقل، والدين. فهؤلاء المؤمنون كلما عرضت لهم

(٥) المصدر السابق. جـ٤ ص٤٢-٤٦ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.



شبهة لاح لهم بسلطان الولاية الإلهية على قلوبهم شعاع من نور الحق يطرد ظلمتها، فيخرجون منها بسهولة :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾

(الأعراف: ٢٠١)

جولان الحواس فى رياض الألوان وإدراكها ما فيها من بديع الصنع والإتقان يعطيهم نورا، ونظر العقل فى فنون المعقولات يعطيهم نورا، وما جاء به الدين من الآيات البينات يتم لهم نورهم" [٦]

***

وعلى حين سقط الغلو اللا دينى بالغرب والمتغربين فى التناقض المزعوم بين "العلم" و "الدين".. فإن هذه الوسطية الإسلامية الجامعة فى نظرية المعرفة قد جمعت وزاملت وكاملت بين العلم والدين.. فالعلم ثمرة للحواس والعقل.. والدين هداية، إن علت - أحيانا- على الحواس والعقل، فإنها لا تناقض ثمرات أى منهما.. ولذلك، انتهى الإمام محمد عبده إلى أن هذه الوسطية الإسلامية فى نظرية المعرفة.. هى التى تعصم العقل المسلم من هذه "الثنائية المتناقضة" التى سقطت فيها الحضارة الغربية ثنائية التناقض المزعوم بين العلم والدين.. فقال :-

"لقد وعد الله بأن يتم نوره، وبأن يظهره على الدين كله، فسار فى سبيل التمام والظهور على العقائد الباطلة أعواما، ثم انحرف به أهله عن سبيله، وساروا به إلى ما يرون وترى. ولن ينقض العالم حتى يتم ذلك الوعد، ويأخذ الدين بيد العلم، ويتعاونا معا على تقويم العقل والوجدان، فيدرك العقل مبلغ قوته ويعرف حدود سلطته، فيتصرف فيما أتاه الله تصرف الراشدين، ويكشف ما مكنه فيه من أسرار العالمين، حتى إذا غشيته سبحات الجلال وقف خاشعا، وقفل راجعا، وأخذ أخذ الراسخين فى العلم، الذين قال فيهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب - كرم الله وجهه- فيما يروى عنه: "هم الذين أغناهم عن اقتحام السدود المضروبة دون الغيب، الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا.."

هنالك يلتقى (العقل) مع الوجدان الصادق (القلب) لم يكن الوجدان ليدابر العقل فى سيره داخل حدود مملكته متى كان الوجدان سليما، وكان ما استضاء به من نبراس الدين صحيحا إياك أن تعتقد ما يعتقده بعض السذج من أن فرقا بين العقل والوجدان (القلب) فى الواجهة بمقتضى الفطرة

(٦) المصدر السابق. جـ٤ ص٧٢٣، ٧٣٤ طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م.



والغريزة، فإنما يقع التخالف بينهما عرضا عند عروض العلل والأمراض الروحية على النفوس، وقد أجمع العقلاء على أن المشاهدات بالحس الباطنى الوجدان - أو (القلب) من مبادئ البرهان العقلى، كوجدانك أنك موجود، ووجدانك لسرورك وحزنك وغضبك ولذتك وألمك، ونحو ذلك.

ومُنحنا العقل للنظر فى الغايات والأسباب والمسببات، والفرق بين البسائط والمركبات، ومُنحنا الوجدان لإدراك ما يحدث فى النفس والذات من لذائذ وآلام، وهلع واطمئنان، وشماس (امتناع وإباء) وإذعان، ونحو ذلك مما يذوقه الإنسان، ولا يحصيه البيان، فهما عينان للنفس تنظر بهما، عين تقع على القريب، وأخرى تمتد إلى البعيد. وهى (النفس) فى حاجة إلى كل منهما، ولا تنتفع بإحداهما حتى يتم لها الانتفاع بالأخرى، فالعلم الصحيح مقوّم الوجدان، والوجدان السليم من أشد أعوان العلم، والدين الكامل علم وذوق، وعقل وقلب، برهان وإذعان، فكر ووجدان. فإذا اقتصر دين على أحد الأمرين فقد سقطت إحدى قائمتيه، وهيهات أن يقوم على الأخرى. ولن يتخالف العقل والوجدان حتى يكون الإنسان الواحد إنسانين والوجود الفرد وجودين.

قد يدرك عقلك الضرر فى عمل ولكنك تعمله طوعا لوجدانك، وربما أيقنت المنفعة فى أمر وأعرضت عنه إجابة لدافع من سريرتك، فتقول: إن هذا يدل على تخالف العقل والوجدان. ولكن أقول: إن هذه حجة من لا يعرف نفسه ولا غيره. عليك أن ترجع إلى نفسك فتتحقق من أحد الأمرين إما أن يقينك ليس بيقين، وأنه صورة عرضت عليك من قول غيرك، فأنت تظنها علما وما هى به، وإما أن وجدانك وهم تمكن فيك، وعادة رسخت فى مكان القوة منك، وليس بالوجدان الصحيح، وإنما هو عادة ورثتها عمن حولك وظننتها شعورا منبعه الغريزة، وما هى منه فى شئ.

لابد أن ينتهى أمر العلم إلى تآخى العلم والدين على سنة القرآن الكريم والذكر الحكيم. ويأخذ العالمون بمعنى الحديث الذى صح معناه: "تفكروا فى خلق الله، ولا تفكروا فى ذات الله"، وعند ذلك يكون الله قد أتم نوره ولو كره الكافرون، وتبعهم الجامدون القانطون، وليس بينك وبين ما أُعدك به إلا الزمان الذى لابد منه فى تنبيه الغافل، وتعليم الجاهل، وتوضيح المنهج، وتقويم الأعوج، وهو ما تقتضيه السنة الإلهية فى التدريج [٧]:

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾

الأحزاب: ٦٢

(٧) المصدر السابق. جـ٣ ص٣٢٢، ٣٢٣



﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾

المعارج: ٦، ٧

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾

محمد : ٧

﴿ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾

(آل عمران ١٥٠)

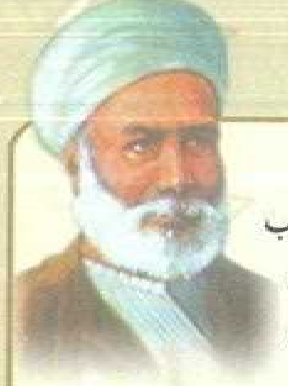
هكذا قدم الأستاذ الإمام مقالا فى فلسفة الوسطية الإسلامية الجامعة لهدايات الأربع، فى نظرية المعرفة الإسلامية، نفى فيه وجود أى تناقض حقيقى بين العلم والدين.. أو بين العقل والوجدان القلب فهذه الهدايات جميعها عيون النفس الإنسانية، تتزامل وتتكامل فى تحصيل المعرفة المتوازنة والمتكاملة، المحققة لطمأنينة الإنسان..

وبذلك تبلورت قسمة من قسمات المشروع الحضارى للأمة قسمة نظرية المعرفة الإسلامية، التى تميزت بالوسطية الإسلامية الجامعة- عن نظائرها من نظريات المعرفة عند أهل الغلو - سواء منهم أهل الغلو الدينى- المفرِطين- أو أهل الغلو اللا دينى - المفرِطين- . فبالوسطية جمعت هذه النظرية - فى مصادر المعرفة- بين الواقع- واقع عالم الشهادة، وكتاب الله المنظور، وسننه المبثوثة فى الأنفس والآفاق.. وبين عالم الغيب، ونبأ السماء العظيم الذى جاء به الوحى فى كتاب الله المسطور.. كما جمعت - هذه النظرية فى المعرفة- بين الهدايات الأربع: العقل.. والنقل.. والتجربة.. والوجدان... رافضة غلو الإفراط والتفريط فى هذا الميدان الهام من ميادين الإصلاح..

***

(٣) مقام العقل.. وحدوده

ولم يقف حديث الإمام محمد عبده عن العقل عند هذا الذى قدمه فى "نظرية المعرفة الإسلامية"، عندما وضعه ضمن "الهدايات الأربع"، التى هى سبيل الإنسان إلى المعارف والعلوم.. وإلى الصراط المستقيم.. وإنما - فوق ذلك- كان العقل ميدانا لمعركة فكرية كبرى وخصبة خاضها الأستاذ الإمام ضد طرفى الغلو: غلو "السلفية الحرفية"، التى تنكرت لهداية العقل، عندما اكتفت بالوقوف عند حرفية النصوص وظواهرها، غافلة عن تعقل المقاصد الشرعية من وراء هذه النصوص.. وغلو "المادية الوضعية الغربية"، التى ألّهت العقل، وتجاوزت بإدراكاته حدود "النسبية" -ككل ملكات الإنسان- إلى حيث ادّعت "الإطلاق" لمدركاته، رافعة شعار "التنوير الوضعى الغربى"، القائل: "لا سلطان على العقل إلا للعقل وحده" وهو الشعار الذى يعنى الرفض لأن يكون



الوحى والنقل، وكذلك القلب والوجدان من مصادر الهداية والمعرفة بالنسبة للإنسان - أى الرفض للوسطية الإسلامية الجامعة-..

خاض الإمام محمد عبده معركة "العقلانية الإسلامية" هذه من منطلق الوسطية الإسلامية الجامعة، ضد طرفى الغلو فى التعامل مع العقل.. فكتب منتقدا الغلو "السلفى" للوهابية - رغم عدّه إياها من حركات الإصلاح.. وذلك لتكفيرها جمهور المسلمين.. ولتشددها غير المبرر ضد الآثار الإسلامية - ومنها قبة قبر رسول الله ﷺ- التى همت بهدمها!.. وأيضا - وهذا هو الأهم فى موضوعنا- لتنكبها طريق العقلانية الإسلامية، ومجافاتها سبيل النظر العقلى، مكتفية بالوقوف عند حرفية النصوص وظواهرها..

ولقد كتب الأستاذ الإمام فى نقد هذه "السلفية الوهابية" يقول:

"لقد قام الوهابية للإصلاح، ومذهبهم حسن، لولا الغلو والإفراط:

- أى حاجة إلى قولهم بهدم قبة النبى ﷺ.
- والقول بكفر جميع المسلمين؟!..
- والعمل على إخضاعهم بالسيف، أو إبادتهم؟!..

نعم، لا بأس بالمبالغة فى القول والخطابة لأجل التأثير بالترغيب والترهيب والتنفير، ولكن، ما كل ما يقال يكتب ويبنى عليه عمل.." (٨)

ثم انتقد مجافاة هذه "السلفية الحرفية" لمنهاج النظر العقلى والعقلانية الإسلامية، هذه المجافاة التى جعلتهم أضيق صدرا بالعقل والعقلانية من المقلدين الذين يعادون الإصلاح!..فقال:

".. وهذه الفئة أضيق عطنًا (أفقا) وأحرج صدرا من المقلدين. وهى، وإن أنكرت كثيرا من البدع، ونحت عن الدين كثيرا مما أُضيف إليه وليس منه، فإنها ترى وجوب الأخذ بما يفهم من لفظ الوارد، والتقيد به، بدون التفات إلى ما تقتضيه الأصول التى قام عليها الدين، وإليها كانت الدعوة، ولأجلها مُنحت النبوة، فلم يكونوا للعلم أولياء ولا للمدنية أحباء.." (٩) انتقد الإمام محمد عبده هذه "السلفية - الإصلاحية"، لمجافاتها منهاج النظر العقلى والعقلانية الإسلامية - وهو السلفى العقلانى، الذى أعلن أن هدفه من وراء دعوته السلفية العقلانية، هو "تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة، قبل ظهور الخلاف، والرجوع فى كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى، واعتبار الدين من ضمن موازين العقل البشرى" (١٠).. فميز بين سلفيته العقلانية،

(٨) المصدر السابق. جـ٢ ص٥٣٧

(٩) المصدر السابق. جـ٣ ص ٣١٤

(١٠) المصدر السابق. جـ٢ ص ٣١٨



الداعية إلى "تحرير الفكر من قيد التقليد"، وبين "السلفية الوهابية" التى جافت العقل والعقلانية فغدت - فى هذا الميدان- أضيق أفقا من المقلدين!.. وقادها هذا الجفاء للعقل إلى حيث تنكبت طريق العلم والمدنية!..

***

كذلك انتقد الإمام محمد عبده "الغلو المادى الوضعى"، الذى ذهب أصحابه على درب "تأليه العقل" إلى حد إنكار أن يكون النقل والوحى مصدرا من مصادر المعرفة.. حتى لقد ذهب نفر منهم إلى تفسير المعجزات والخوارق وكل ما لا يستقل العقل والحس بإدراك كنهه تفسيرا ماديا!..

ولقد شهد عصر الأستاذ الإمام لهذا التيار المادى والوضعى صولة، قادها نفر من المثقفين الموارنة، الذين تعلموا وضُربت عقولهم فى مدارس الإرساليات النصرانية فى لبنان، ثم هاجروا إلى مصر، وأصدروا فيها - لهذا المغرض- صحفا ومجلات، كان فى طليعتها مجلة "المقتطف" ١٢٩٣-١٣٧١هـ/١٨٧٦-١٩٥٢م التى وصفها المصلح المجدد عبد الله نديم ١٢٦١-١٣١٣هـ/١٨٤٥-١٨٩٦م) فقال عن كتابها وما ينشرون فيها: "أعداء الله وأنبيائه، الأجراء، الذين أنشئوا لهم جريدة جعلوها خزانة لترجمة كلام من لم يدينوا بدين، ممن ينسبون معجزات الأنبياء إلى الظواهر الطبيعية والتراكيب الكيماوية، ويرجعون بالمكونات إلى المادة والطبيعة، منكرين وجود الإله الحق. وقد ستروا هذه الأباطيل تحت اسم فصول علمية، وما هى إلا معاول يهدمون بها عموم الأديان..!!"(11)

انتقد الأستاذ الإمام هذا الغلو اللا دينى، فقال عن نموذجه الذى تجسد فى المدنية الأوربية: "إن هذ المدنية هى: مدنية الملك والسلطان (القوة)، مدنية الذهب والفضة، مدنية الفخفخة والبهرج، مدنية الخَتل والنفاق، وحاكمها الأعلى هو "الجنيه" عند قوم، و "الليرا" عند قوم آخرين، ولا دخل للإنجيل فى شئ من ذلك.."(12)

وعلق على لقائه وحواره مع الفيلسوف الانجليزى "سبنسر" ١٩٠٣ - ١٨٢٠م[الذى بدا يائسا من مستقبل أوربا- بسبب سقوطها فى النزعة المادية-.. علق الإمام متعجبا من الفلاسفة الأوربيين، الذين اهتدوا إلى عبقرية الحضارة الأوربية فى المخترعات الدنيوية، والصناعات التى جملت ويسرت حياة عالم الشهادة، على حين عجزوا عن

(11) عبد الله النديم: مجلة (الأستاذ) العدد التاسع والثلاثون ص ٩٢٣، ٩٢٤- القاهرة سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م.

(12) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ٣ ص ٢٠٥



اكتشاف فطرة التدين فى الإنسان، ومن ثم دخلوا بحضارتهم المادية فى هذا المنحدر الخطير.. علق الإمام على هذا الحوار - مع "سبنسر"- فقال: "هؤلاء الفلاسفة والعلماء الذين اكتشفوا كثيرا مما يفيد فى راحة الإنسان وتوفير راحته وتعزيز نعمته، أعجزهم أن يكتشفوا طبيعة الإنسان، ويعرضوها على الإنسان حتى يعرفها فيعود إليها!. هؤلاء الذين صقلوا المعادن حتى كان من الحديد اللامع المضئ، أفلا يتيسر لهم أن يجلوا ذلك الصدأ الذى غشى الفطرة الإنسانية، ويصقلوا تلك النفوس حتى يعود لها لمعانها الروحى؟!.

لقد حار الفيلسوف سبنسر- فى حال أوربا، وأظهر عجزه، مع قوة العلم! فأين الدواء؟ ..إنه الرجوع إلى الدين.. الدين هو الذى كشف الطبيعة الإنسانية وعرّفها إلى أربابها فى كل زمان، لكنهم يعودون فيجهلونها!.."(13)

ثم تحدث الأستاذ الإمام فى نقده لهذا الغلو اللا دينى- عن المتغربين من أبناء الشرق الذين سقطوا فى هذا المستنقع، فأنكروا كل ما وراء مدركات الحواس.. فقال:

"يوجد فى كل أمة، وفى كل زمان أناس يقذف بهم الطيش والنقص فى العلم إلى ما وراء ساحل اليقين، فيسقطون فى غمرات من الشك فى كل ما لم يقع تحت حواسهم الخمس، بل قد يدركهم الريب فيما هو من متناولها... فإذا عرض عليهم شئ من الكلام فى النبوات والأديان، وهمّ من أنفسهم هام بالإصغاء، دافعوه بما أوتوا من الاختيار فى النظر، وانصرفوا عنه، وجعلوا أصابعهم فى آذانهم حذر أن يخالط الدليل أذهانهم فيلزمهم العقيدة، وتتبعها الشريعة، فيحرموا لذة ما ذاقوا، وهو مرض فى الأنفس والقلوب يستشفى منه بالعلم، إن شاء الله"(14)

***

وبعد هذا الموقف الرافض والناقد لتيارى الغلو - الغلو الدينى.. والغلو اللا دينى- غلو التفريط.. وغلو الإفراط- إزاء العقل والعقلانية.. قدم الأستاذ الإمام صياغات فكرية محكمة ومتوازنة.. حول:-

أ -مقام العقل بين الهدايات التى وهبها الله للإنسان..

ب - وارتباط الأسباب بالمسببات..

ت - والسنن الكونية، التى جعلها الله قوانين لسير العالم والاجتماع، لا تبديل ولا تحويل..

ث - وحدود العقل، كملكة من ملكات

(13) المصدر السابق. جـ٣ ص ٤٩٥

(14) المصدر السابق. جـ٣ ص ٤١٥



الإنسان.. له مقام عال وخطر عظيم، لكنه لا يحقق وحده السعادة للإنسان، وإنما لابد معه من الوحى والنقل الذى يقدم من نبأ الغيب وعوالم الإلهيات ما لا تستقل بإدراكه العقول..

قدم الإمام فى هذه الميادين صياغات فكرية، لا نغالى إذا قلنا إنها "مقال فى العقلانية الإسلامية".. جاء فيه:

عن مقام العقل فى الإسلام

"العقل: هو جوهر إنسانية الإنسان.. وهو أفضل القوى الإنسانية على الحقيقة..[15]

.. ولقد تآخى العقل والدين لأول مرة فى كتاب مقدس، على لسان نبى مرسل؛ بتصريح لا يقبل التأويل، وتقرر بين المسلمين كافة - إلا من لا ثقة بعقله ولا بدينه -: أن من قضايا الدين ما لا يمكن الاعتقاد به إلا من طريق العقل، كالعلم بوجود الله، وبقدرته على إرسال الرسل، وعلمه بما يوحى إليهم، وإرادته لاختصاصهم برسالته، وما يتبع ذلك مما يتوقف عليه فهم معنى الرسالة، كالتصديق بالرسالة نفسها..

كما أجمعوا على أن الدين إن جاء بشئ قد يعلو على الفهم، فلا يمكن أن يأتى بما يستحيل عند العقل[16]

أول اساس وُضع عليه الإسلام: هو النظر العقلى، والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح، فقد أقامك منه على سبيل الحجة، وقاضاك إلى العقل، ومن قاضاك إلى حاكم فقد أذعن إلى سلطته، فكيف يمكنه بعد ذلك أن يجور أو يثور عليه؟

بلغ هذا الأصل بالمسلمين أن قال قائلون من أهل السنة: إن الذى يستقضى جهده فى الوصول إلى الحق، ثم لم يصل إليه، ومات طالبا غير واقف عند الظن، فهو ناج. فأى سعة لا ينظر إليها الحرج أكمل من هذه السعة؟[17]

لقد اتفق أهل الملة الإسلامية، إلا قليلا ممن لا ينظر إليه، على أنه إذا تعارض العقل والنقل، أُخذ بما دل عليه العقل، وبقى فى النقل طريقان:

طريق التسليم بصحة المنقول، مع الاعتراف بالعجز عن فهمه، وتفويض الأمر إلى الله فى علمه.

والطريقة الثانية: تأويل النقل، مع المحافظة على قوانين اللغة، حتى يتفق معناه مع ما أثبته العقل.

إنه لا يقين مع التحرج من النظر، وإنما

(15) المصدر السابق. جـ5 ص 428، جـ3 ص 298

(16) المصدر السابق. جـ3 ص 256، 257

(17) المصدر السابق. جـ3 ص 282



يكون اليقين بإطلاق النظر فى الأكوان، طولها وعرضها، حتى يصل إلى الغاية التى يطلبها بدون تقييد.

فالله يخاطب، فى كتابه، الفكر والعقل والعلم بدون قيد ولا حد. والوقوف عند حد فهم العبارة مضر بنا، ومناف لما كتبه أسلافنا من جواهر المعقولات، التى تركنا كتبها فراشا للأتربة وأكلة للسوس، بينما انتقلت إلى أمم أُخرى أصبحت الآن تُنعت باسم النور!..

والقرآن قد دعا الناس إلى النظر فيه بعقولهم.. فهو معجزة عُرضت على العقل، وعرفته القاضى فيها، وأطلقت له حق النظر فى أنحائها، ونشر ما انطوى فى أثنائها.. فالإسلام لا يعتمد على شئ سوى الدليل العقلى، والفكر الإنسانى الذى يجرى على نظامه الفطرى، فلا يدهشك بخارق للعادة، ولا يغشى بصرك بأطوار غير معتادة، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة إلهية..

والمرء لا يكون مؤمنا إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به. فمن رُبِّى على التسليم بغير عقل، والعمل، ولو صالحا، بغير فقه، فهو غير مؤمن، لأنه ليس القصد من الإيمان أن يذلل الإنسان للخير، كما يذلل الحيوان، بل القصد منه أن يرتقى عقله وتتزكى نفسه بالعلم بالله والعرفان فى دينه، فيعمل الخير لأنه يفقه أنه الخير النافع المرضى لله، ويترك الشر لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته فى دينه ودنياه، ويكون فوق هذا على بصيرة وعقل فى اعتقاده.. فالعاقل لا يقلد عاقلا مثله، فأجدر به أن لا يقلد جاهلا هو دونه![18]..".

***

وللصلة الوثيقة بين مقام العقل فى الإسلام.. وبين تقرير الإسلام الارتباط بين الأسباب والمسببات.. كتب الأستاذ الإمام.. عن:

السببية: "إن القول بنفى الرابطة بين الأسباب والمسببات جدير بأهل دين - يقصد النصرانية (ورد فى كتابه الإنجيل) أن الإيمان وحده كاف فى أن يكون للمؤمن أن يقول للجبل تحوّل عن مكانك، فيتحول الجبل!.. يليق بأهل دين تُعد الصلاة وحدها، إذا أخلص المصلى فيها، كافية فى إقداره على تغيير سير الكواكب وقلب نظام العالم العنصرى!.. وليس هذا الدين هو الإسلام.

دين الإسلام هو الذى جاء فى كتابه:

(18) المصدر السابق. جـ3 ص 151، 279-281، جـ4 ص 414



﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾

التوبة: ١٠٥

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾

الأنفال: ٦٠

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾

الأحزاب: ٦٢

-.. وأمثالها ..

وليس من الممكن لمسلم أن يذهب إلى ارتفاع ما بين حوادث الكون من الترتيب فى السببية والمسببية إلا إذا كفر بدينه قبل أن يكفر بعقله!.." (١٩)

***

السنن الكونية الحاكمة

كما كتب الأستاذ الإمام عن السنن الكونية الحاكمة لسير العالم والاجتماع:

"إن لله فى الأمم والأكوان سننا لا تتبدل.. وهى التى تسمى شرائع، أو نواميس، أو قوانين.. ونظام المجتمعات البشرية وما يحدث فيها، هو نظام واحد لا يتغير ولا يتبدل. وعلى من يطلب السعادة فى المجتمع أن ينظر فى أصول هذا النظام حتى يرد إليه أعماله، ويبنى عليها سيرته، وما يأخذ به نفسه، فإن غفل عن ذلك غافل فلا ينتظر إلا الشقاء، وإن ارتفع فى الصالحين نسبه، أو اتصل بالمقربين سببه. فمهما بحث الناظر وفكر، وكشف وقرر أتى لنا بأحكام تلك السنن، فهو يجرى على طبيعة الدين، وطبيعة الدين لا تتجافى عنه، ولا تنفر منه.." (٢٠)

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾

آل عمران: ١٣٧

إن إرشاد الله إيانا إلى أن له فى خلقه سننا، يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علما من العلوم المدونة، لنستديم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمة - فى مجموعها - أن يكون فيها قوم يبينون لها سنن الله فى خلقه، كما فعلوا فى غير هذا العلم من العلوم والفنون التى أرشد إليها القرآن بالإجمال، وبينها العلماء بالتفصيل عملا بإرشاده، كالتوحيد والأصول والفقه.

والعلم بسنن الله تعالى من أهم العلوم وأنفعها، والقرآن يحيل عليه فى مواضع كثيرة، وقد دلنا على مأخذه من أحوال الأمم

(١٩) المصدر السابق. جـ٣ ص ٥٠٢.

(٢٠) المصدر السابق. جـ٣ ص ٢٨٤.



إذ أمرنا أن نسير فى الأرض لأجل اجتلائها ومعرفة حقيقتها.. (٢١)

وبهذا الأصل، الذى قام على الكتاب وصحيح السنة وعمل النبى -(- مُهدت بين يدى العقل كل سبيل، وأزيلت من سبيله جميع العقبات، واتسع له المجال إلى غير حد.." (٢٢)

***

ثم خلص الأستاذ فى حديثه عن العقلانية الإسلامية... إلى تقرير الحقيقة التى خالف فيها الإسلام أهل "الغلو العقلانى".. وذلك عندما وضع للعقل حدودا لا يتعداها وهى حدود عالم الشهادة- وقرر حاجته إلى الوحى فى معرفة نبأ الغيب والسماء.. وكثير من مقادير الأحكام فى العبادات.. ولذلك، كتب الأستاذ الإمام، فقال عن حدود العقل الإنسانى:

"إن العقل البشرى وحده ليس فى استطاعته أن يبلغ بصاحبه ما فيه سعادته فى هذه الحياة، اللهم إلا قليل ممن لم يعرفهم الزمن، فإن كان لهم من الشأن العظيم ما به عرفهم أشار إليهم الدهر بأصابع الأجيال!

وقد يكون من الأعمال ما لا يمكن درك حسنه، ومن المنهيات ما لا يعرف وجه قبحه، وهذا النوع لا حسن له إلا الأمر ولا قبح له إلا النهى.. (٢٣)

إن مجرد البيان العقلى لا يدفع نزاعا، ولا يردُ طمأنينة، وقد يكون القائم على ما وضع من شريعة العقل يزعم أنه أرفع من واضعها، فيذهب بالناس مذهب شهواته، فتذهب حرمتها، وينهدم بناؤها، ويفقد ما قصد بوضعها.. (٢٤)

وإذا قدّرنا العقل البشرى قدره، وجدنا غاية ما ينتهى إليه كماله إنما هو الوصول إلى معرفة عوارض الكائنات التى تقع تحت الإدراك الإنسانى.. أما الوصول إلى كنه حقيقية فمما لا تبلغه قوته (٢٥)

ومن أحوال الحياة الأخرى ما لا يمكن لعقل بشرى أن يصل إليه وحده.. لهذا كان العقل محتاجا إلى مُعين يستعين به فى وسائل السعادة فى الدنيا والآخرة.. (٢٦)

فالعقل هو ينبوع اليقين فى الإيمان بالله، وعلمه، وقدرته، والتصديق بالرسالة.. أما النقل فهو الينبوع فيما بعد ذلك من علم الغيب، كأحوال الآخرة، والعبادات.. (٢٧)

والذى علينا اعتقاده: أن الدين الإسلامى دين توحيد فى العقائد، لا دين تفريق فى القواعد، والعقل من أشد أعوانه، والنقل من

(٢١) المصدر السابق. جـ٥ ص ٩٤، ٩٥.

(٢٢) المصدر السابق. جـ٣ ص ٣٦٩.

(٢٣) المصدر السابق. جـ٣ ص ٣٩٩.

(٢٤) المصدر السابق. جـ٣ ص ٤١١.

(٢٥) المصدر السابق. جـ٣ ص ٣٧٩.

(٢٦) المصدر السابق. جـ٣ ص ٢٩٧.

(٢٧) المصدر السابق. جـ٣ ص ٣٢٥.



أقوى أركانه.. "(٢٨)

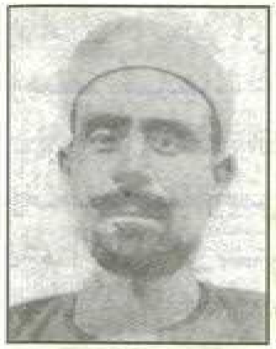
***

هكذا تكلم الإمام محمد عبده.. وكتب "مقالا فى العقلانية الإسلامية"، من موقع الوسطية الإسلامية الجامعة.. ومن موقع الرفض والنقد للغلو مطلق الغلو- غلو التفريط الذى انحازت إليه "السلفية الوهابية" - التى جافت العقل، وكأنها خلطت بينه وبين "الهوى"!.. وغلو الإفراط، الذى انحازت إليه المادية الغربية، التى ألهت العقل، فجعلت سلطانه فوق كل سلطان.. حتى سلطان العلم الإلهى، الكلى والمطلق والمحيط..

فإذا علمنا أن الإمام محمد عبده كان كثير النقد للمعتزلة فى كثير من مقولاتهم "العقلانية".. ومنها موقفهم من "التحسين.. والتقبيح".. أدركنا ما فى مقالته العقلانية من إبداع وتجديد.

(٤) عن الدين والدولة

عندما صدر كتاب (الإسلام وأصول الحكم) للشيخ على عبد الرازق (١٣٠٥ - ١٣٨٦ / ١٨٨٧-١٩٦٦م) سنة ١٩٢٥م.. فزعم لأول مرة فى تاريخ الإسلام.. والفكر الإسلامى- أن الإسلام "دين لا دولة.. ورسالة لا حكم".. وجاء فيه - تحت هذا العنوان- : أن نبى الإسلام -ﷺ- "ما كان إلا رسولا لدعوة دينية خالصة للدين، لا تشوبها نزعة مُلك ولا حكومة.. ولم يقم بتأسيس مملكة، بالمعنى الذى يفهم سياسة من هذه الكلمة ومرادفاتها، ما كان إلا رسولا كإخوانه الخالين من الرسل، وما كان ملكا ولا مؤسس دولة، ولا داعيا إلى مُلك.. وظواهر القرآن المجيد تؤيد القول بأن النبى لم يكن له شأن فى المُلك السياسى، وآياته متضافرة على أن عمله السماوى لم يتجاوز حدود البلاغ المجرد من كل معانى السلطان.. لم يكن إلا رسولا قد خلت من قبله الرسل.. ولم يكن من عمله شئ غير إبلاغ رسالة الله تعالى إلى الناس.. وليس عليه أن يأخذ الناس بما جاءهم به، ولا أن يحملهم عليه.. كانت ولاية محمد على المؤمنين ولاية الرسالة غير مشوبة بشئ من الحكم. هيهات هيهات، لم يكن ثمة حكومة، ولا دولة، ولا شئ من نزعات السياسة ولا أغراض الملوك والأمراء.."(٢٩)..



على عبدالرازق

عندما صدر هذا الكتاب، وفيه هذه الدعوى غير المسبوقة، حتى من قبل

(٢٨) المصدر السابق. جـ٣ ص ٣٦٥

(٢٩) على عبد الرازق الإسلام وأصول الحكم ص٦٤-٨٠ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥م.



المستشرقين!.. دعوى علمنة الإسلام، وجعله نصرانية يدع ما لقيصر لقيصر، ويقف فقط- عند ما لله بالمفهوم الكنسى- .. وقع زلزال فكرى كبير وخطير فى عالم الفكر الإسلامى، على امتداد عالم الإسلام، وفى دوائر الاستشراق.. ودارت معركة فكرية لعلها من أكبر وأخصب معارك الفكر التى شهدها العالم الإسلامى فى العصر الحديث..

ويومئذ وضمن هذه المعركة الفكرية- جرت محاولة من العلمانيين- المدافعين عن دعوى هذا الكتاب-لعلمنة فكر الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده- فى علاقة الدين بالدولة- كى يشهد لعلى عبد الرازق وكتابه (الإسلام وأصول الحكم)

ولقد خلط أصحاب هذه المحاولة التى تبنتها جريدة (السياسة) يومئذ- بين رفض الأستاذ الإمام للسلطة الدينية الكهنوتية كما عرفتها الكنيسة الأوربية فى عصورها الوسطى- وبين موقفه من علاقة الدين الإسلامى بالدولة، وكون دولة الإسلام هى مدنية وإسلامية فى ذات الوقت، مدنية تصنع الأمة نظمها ومؤسساتها، وهى مصدر السلطات فيها، وإسلامية، لأن الإسلام وشريعته وفقه معاملاته هو المرجعية الحاكمة لسلطات الأمة والدولة فى هذا النسق الفكرى والسياسى المتميز.. فهى دولة مدنية، قامت وتقوم لتنفيذ الشريعة وإقامة حدود الله.

حدثت هذه المحاولة لعلمنة فكر الإمام محمد عبده فى علاقة الدين بالدولة.. وذلك حتى يشهد - ولوزوراوقسرا- للكتاب الذى يدعو إلى علمنة الإسلام!..

وفى هذه المحاولة ركزت صحيفة (السياسة) على اقتباس نصوص الأستاذ الإمام، التى تؤكد على مدنية الدولة.. "فالحاكم فيها مدنى من جميع الوجوه".. وعلى رفض الإسلام للسلطة الدينية "فليس فى الإسلام ما يسمى عند قوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه".. وعلى ترك الشريعة الإسلامية تفاصيل النظم والمؤسسات والقوانين فى الدولة للشورى والاجتهاد.. وعلى رفض الإسلام للحروب الدينية التى تُكره الناس على الاعتقاد الدينى.. الخ.. الخ.. (٣٠)

***

لكن هذه المحاولة لعلمنة محمد عبده، وقسره على أن يشهد لعلمنة الإسلام.. قد باءت بالفشل الذريع.. ذلك أن موقف الأستاذ الإمام من هذه القضية - علاقة الدين بالدولة- كان موقفا حاسما.. وشديد الوضوح..

فمدنية سلطة الخليفة - السلطة التنفيذية فى النظام الإسلامى- لا تعنى إنكار وجوب

(٣٠) صحيفة السياسة القاهرة- فى ٦ يوليو سنة ١٩٢٥م.



الخلافة الإسلامية - وهو ما قاله كتاب على عبد الرازق..

وما يرفضه محمد عبده من خلط "الخلافة الإسلامية" بـ "الثيوقراطية" الأوربية الكاثوليكية، هو ذات ما وقع فيه على عبد الرازق، عندما ادّعى أن عامة المسلمين، علماء وعامة، يرون أن الخليفة إنما يستمد سلطانه من الله، وأنه ينفرد بالولاية المطلقة على الأمة فى شئون الدين والدنيا..

والإمام محمد عبده يحدد أن الحكومة الإسلامية يجب أن تكون شورية، ملتزمة بالشريعة الحقة.. وهذا يعنى أن الإسلام قد حدد لأمته إطارا محددا لحكومة معينة يجب أن تلتزم هذا الإطار.. وهذا هو الذى رفضه على عبد الرازق، عندما أطلق سراح الاختيار لأى حكومة من الحكومات، حتى ولو كانت بلشفية!..

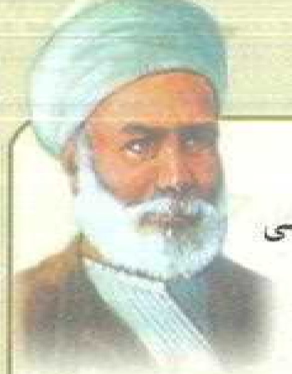
وحديث الأستاذ الإمام عن تسامح الخلافة الإسلامية والخلفاء المسلمين مع العلم والعلماء والفلسفة والفلاسفة، مناقض للصورة التى قدمها على عبد الرازق لهذه الخلافة ولهؤلاء الخلفاء، فى هذا الميدان، فلقد ادعى أن نظام الخلافة قد قهر وقبر ملكات المسلمين فلم يبدعوا فى العلوم السياسية أى إبداع!..

ثم.. إننا إذا شئنا أن نقتبس من فكر الأستاذ الإمام "مقالا" ضافيا عن رأيه فى علاقة الإسلام بالدولة.. وكيف أنه دين دولة.. فإننا سنجد أنفسنا أمام صفحات مليئة بالأفكار الشديدة الحسم والوضوح..

فوسطية الإسلام جامعة بين الدنيا والآخرة - وليس هو الدين الذى يترك هذا العالم - الدنيا- ليقيم مملكته خارج هذا العالم! ?بل إنه هو الدين الذى يقدم الدنيا على الآخرة، حتى ليرى الإمام محمد عبده أن علوم المدنية ومخترعات الحضارة والصناعات التى تتطلبها دنيا الناس، إنما هى دين وتكاليف شرعية!.. فيقول فى تفسير آية البقرة (٢٢٠)": إن القرآن قد قدم الدنيا على الآخرة ﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ -لأنها مقدمة فى الوجود بالفعل، وكل ما أمرنا الله تعالى به وهدانا إليه فهو من ديننا، ولذلك قال علماؤنا: إن جميع الفنون والصناعات التى يحتاج إليها الناس فى معاشهم هى من الفروض الدينية" [٣١]

إذا كانت الفلسفات السياسية والاجتماعية، و"الأيديولوجيات" الفكرية والعقدية، لابد لكل منها من "دولة.. وسلطة"، تقيمها وتطبقها وتطورها.. فإن الإسلام هو الذى جاء "بشريعة" مع "الدين"، والذى مثل ويمثل منهاجا شاملا للبناء والتأسيس والتقدم

(٣١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده. جـ٤ ص ٥٩٧



والنهوض والإصلاح، والذى جمعت تكاليفة بين "الفردى" و "الجماعى والاجتماعى".. والذى مثل - بعبارة الإمام محمد عبده - كمالا للشخص، وألفة فى البيت، ونظاما للملك".. هذا الإسلام.. بسبب من أنه المنهاج الشامل للإصلاح، والنموذج المتكامل والمتميز للنهوض والتقدم.. لابد وأن تكون له "دولة" تقيمه.. وتحرسه.. وتلتزم بمنهاجه..

إن "الحل الليبرالى" لابد له من "دولة ليبرالية" تقيمه وتطوره.. وكذلك "الحل الشمولى" أو "القومى"..الخ..الخ..

ولقد كان الإمام محمد عبده شديد الحسم والوضوح فى أن الإسلام هو "سبيل الإصلاح" وهو الحل لمشكلات كل العصور فى كل المجتمعات.. وفى مواجهة التيارات الفكرية الغربية والمتغربة، التى بشرت بالنموذج الغربى العلمانى سبيلا للنهضة، وقف الإمام محمد عبده مدافعا عن "الحل الإسلامى"، الذى هو الطريق الطبيعى لتقدم مجتمعات الإسلام.. فكتب يقول:

"إن أهل مصر قوم أذكياء.. يغلب عليهم لين الطباع، واشتداد القابلية للتأثير. لكنهم حفظوا القاعدة الطبيعية، وهى: أن البذرة لا تنبت فى أرض إلا إذا كان مزاج البذرة مما يتغذى من عناصر الأرض، ويتنفس بهوائها، وإلا ماتت البذرة، بدون عيب على طبقة الأرض وجودتها، ولا على البذرة وصحتها، وإنما العيب على الباذر.

أنفس المصريين أُشربت الانقياد إلى الدين حتى صار طبعا فيها، فكل من طلب إصلاحها من غير طريق الدين فقد بذر بذرا غير صالح للتربة التى أودعه فيها، فلا ينبت، ويضيع تعبه، ويخفق سعيه، وأكبر شاهد على ذلك ما شوهد من أثر التربية التى يسمونها أدبية، من عهد محمد على ١٢٦٥-١١٨٤هـ/ ١٧٧٠-١٨٤٩م [إلى اليوم.. فإن المأخوذين بها لم يزدادوا إلا فسادا ?وإن قيل إن لهم شيئا من المعلومات- فما لم تكن معارفهم وآدابهم مبنية على أصول دينهم فلا أثر لها فى نفسهم..

إن سبيل الدين لمريد الإصلاح فى المسلمين سبيل لا مندوحة عنها، فإن إتيانهم من طرق الأدب والحكمة العارية عن صبغة الدين، يحوجه إلى إنشاء بناء جديد، ليس عنده من مواده شئ، ولا يسهل عليه أن يجد من عمّاله أحدا.

وإذا كان الدين كافلا بتهذيب الأخلاق، وصلاح الأعمال، وحمل النفوس على طلب السعادة من أبوابها، ولأهله من الثقة فيه ما ليس لهم فى غيره، وهو حاضر لديهم، والعناء فى إرجاعهم إليه أخف من إحداث ما لا إلمام لهم به، فلم العدول عنه إلى غيره؟ [٣٢]

(٣٢) المصدر السابق. جـ٣ ص ١٠٩، ٢٣١



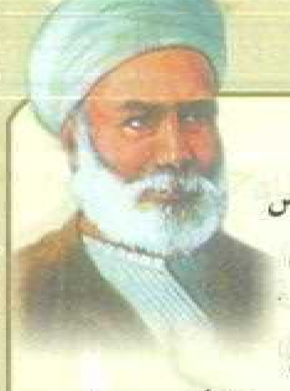
وإذا كان وضع "دستور" أو "قانون" بدون "دولة.. وسلطة" تطبقه هو "عبث" لايليق بالعقلاء.. فإن عاقلا من العقلاء لا يمكن أن يجيز على الإسلام وجود "شريعة" دون "دولة" تضعها فى الممارسة والتطبيق!.. لذلك، كانت "الدولة الإسلامية" ضرورة لازمة لتطبيق الحل الإسلامى فى النهوض، والمنهاج الإسلامى فى الإصلاح.. وفى هذا المقام يقول الإمام محمد عبده:

"إن الإسلام دين وشرع، فهو قد وضع حدودا، ورسم حقوقا.. ولا تكتمل الحكمة من تشريع الأحكام إلا إذا وجدت قوة لإقامة الحدود وتنفيذ حكم القاضى بالحق، وصون نظام الجماعة وتلك القوة لا يجوز أن تكون فوضى فى عدد كثير، فلابد أن تكون فى واحد، وهو السلطان أو الخليفة..

والإسلام لم يدع ما لقيصر لقيصر، بل كان من شأنه أن يحاسب قيصر على ماله، ويأخذ على يده فى عمله.. فكان الإسلام: كمالا للشخص، وألفة فى البيت، ونظاما للملك امتازت به الأمم التى دخلت فيه عن سواها ممن لم يدخل فيه.." (٣٣)

وبعد هذا الحسم والوضوح من قبل الأستاذ الإمام- لجمع الإسلام بين الدنيا والآخرة.. وبين الدين والدولة.. لأنه منهاج شامل للحياة: كمال للشخص.. وألفة فى البيت.. ونظام للملك.. وسياج لنظام الجماعة.. وسلطة تقيم الحدود التى وضعها الله.. بعد هذا الحسم والوضوح لهذه القضايا فى علاقة الإسلام بالدولة- دفع الإمام محمد عبده عن "دولة الإسلام" هذه شبهة "السلطة الدينية.. الحَبْرية.. الكهنوتية" التى سقطت فيها الدولة الكنسية بأوربا العصور الوسطى.. فليس فى الإسلام كهانة أصلا.. ولا وساطة دينية - فضلا عن سلطة دينية- تقف بين الإنسان وخالقه.. وعلماء الإسلام - من المفتى.. إلى القاضى.. إلى شيخ الإسلام- ليسوا كهنة، ولا أصحاب سلطان على عقائد الناس.. وإنما سلطاتهم كسلطات الدولة- مدنية يحددها القانون الإسلامى.. فالدولة فى الإسلام- مدنية، تقيمها الأمة، وتطور مؤسساتها المدنية، و"المدنية" هنا ليس اللادينية - كما هو حال مضمون هذا المصطلح فى القاموس الغربى.. وإنما المدنية هنا معناها نفى القدسية والكهانة عن "الدولة"، مع بقاء مرجعيتها "إسلامية.. شرعية"، لأن الإسلام بعبارة محمد عبده- : "دين وشرع.. وضع حدودا، ورسم حقوقا" ودولته هى الملتزمة بالمرجعية الإسلامية بالشرع والحدود والحقوق-.. فهى دولة مدنية وإسلامية فى ذات الوقت، وليست كهنوتية.. ولا علمانية.. إنها "تميز"

(٣٣) المصدر السابق. جـ٣ ص ٢٨٧، ٢٢٥، ٢٢٦



بين الدين والدولة.. دونما "فصل" أو "اتحاد"..

وفى رفض الإسلام "للسلطة الدينية الكهنوتية"، وبراءة دولته منها، يقول الإمام محمد عبده:

"إن الإسلام لم يعرف تلك السلطة الدينية.. التى عرفتها أوربا.. فليس فى الإسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة، والدعوة إلى الخير، والتنفير عن الشر.. وهى سلطة خولها الله لكل المسلمين، أدناهم وأعلاهم.. والأمة هى التى تولى الحاكم.. وهى صاحبة الحق فى السيطرة عليه، وهى تخلعه متى رأت ذلك من مصلحتها، فهو حاكم مدنى من جميع الوجوه، ولا يجوز لصحيح النظر أن يخلط الخليفة، عند المسلمين، بما يسميه الإفرنج "ثيوكرتيك"، أى سلطان إلهى.. فليس للخليفة - بل ولا للقاضى، أو المفتى، أو شيخ الإسلام- أدنى سلطة على العقائد وتحرير الأحكام، وكل سلطة تناولها واحد من هؤلاء فهى سلطة مدنية، قدرها الشرع الإسلامى.. فليس فى الإسلام سلطة دينية بوجه من الوجوه.. بل إن قلب السلطة الدينية، والإتيان عليها من الأساس، هو أصل من أجل أصول الإسلام.." (٣٤)

وعندما زار الإمام محمد عبده جزيرة "صقلية" سنة ١٣٢١هـ-١٩٠٣م.. ورأى فى قصورها ومتاحفها صور الملوك والأمراء والكرادلة، التى تعكس "سلطات" كل منهم فى عصر "الدولة الدينية" الأوربية، عاد فعرّج على التمييز بين السلطة الدينية الكهنوتية للكرادلة - فى تلك الدولة- وبين سلطات علماء الإسلام فى التاريخ الإسلامى والدولة الإسلامية.. فكتب يقول:

"رأيت بيتا من بيوت القصر فى "بلرم".. عاصمة صقلية فيه صور نواب الملك فى عهد "البوربون"، بعد "النورمنديين"، ومع كل نائب منهم "كردينال"، كما كان للملوك "كرادلة" يصحبونهم ويشركونهم فى كثير من شئون الملك، ولذلك كان النائب عن الملك يصحبه "كردينال" يرجع إليه فى أمور دينه وفى أعماله السياسية، أيام كانت الأحكام المدنية والسياسية مما يدخل فيه رجال الدين، كما نقول عندنا "المفتى" أو "شيخ الإسلام" فى عهد الملوك الذين لا تسمح لهم أوقاتهم بتعلم العلوم الدينية، فيحتاجون إلى من يرجعون إليه من علماء الدين.

غير أن "المفتى" و"شيخ الإسلام" إنما يجيب عما يُسئل عنه، أو يؤدى ما كُلّف به، أما "الكردينال" فكان يبتدئ المشورة، ويقترح المطلب، ويقيم نائبَ الملك على المذهب، ويكف يده عن العمل الذى لا يرضاه، ويحمله على بسطها فيما يتوخاه، فكانت

(٣٤) المصدر السابق. جـ٣ ص ٢٣٣، ٢٨٨، ٢٨٦، ٢٨٥



السلطة الحقيقية مدنية سياسية دينية فى نظام واحد، لا فصل فيه بين السلطتين، وهذا الضرب من النظام هو الذى يعمل البابوات وعمالهم من رجال "الكثلكة" على إرجاعه، لأنه أصل من أصول الديانة المسيحية عندهم، وإن كان ينكر وحدة السلطة الدينية والمدنية من لا يدين بدينهم.." (٣٥)

فالسلطة الحقيقية فى الدولة الدينية الكنسية هى لرجال الكهنوت، الذين زعموا ويزعمون أن نيابتهم إنما هى عن الله، لا عن الأمة، فلا سلطان للأمة على السلطان الحقيقى فى هذه الدولة.. بينما "الأمة" - فى الإسلام- هى المكلفة بتطبيق الشريعة.. و"الدولة" مستخلفة عن "الأمة" تختارها الأمة، وتراقبها، وتحاسبها، وتعزلها عند الاقتضاء.. فالسلطة للأمة، ومعها سلطة الدولة، محكومة جميعا بحدود الشريعة والمرجعية الإسلامية..

وكما يقول الإمام محمد عبده:

"إننا مسلمون، تجب علينا المحافظة على الشريعة وصونها من العبث... وإن الجمهور الأعظم يعتقدون أن أحكام الشريعة الإسلامية وافية بسد حاجات طلاب العدل فى كل زمان ومكان، مع اليسر ورفع الحرج الذى تكفل الله برفعه عن هذه الأمة إلى أن تنقضى الدنيا" (٣٦)

***

هكذا جمعت الوسطية الإسلامية - فى فكر الأستاذ الإمام- بين الدين والدولة.. وبين الدنيا والآخرة.. وبين سلطة الأمة ومرجعية الشريعة الإسلامية.. فى نموذج متميز كل التميز عن جميع النماذج السياسية التى عرفتها الحضارات الأخرى فى علاقة الدين بالدولة..

فالدولة عندنا "إسلامية-مدنية".. إسلامية المرجعية.. ومدنية النظم والمؤسسات.. بينما تراوحت النظم الأخرى بين "الدولة الدينية"، التى جعلت الدولة دينا، وحكما بالحق الإلهى والتفويض السماوى، لا علاقة له بسلطة الأمة... وبين "الدولة العلمانية"، التى جاءت رد فعل للدولة الدينية، ففصلت الدين عن الدولة فى النموذج الليبرالى- وفصلته عن الحياة فى النموذج الماركسى- عندما عزلت السماء عن الأرض!..

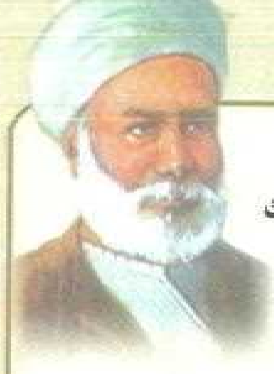
***

تلك لمحات عن بعض المعالم فى المشروع الحضارى للإمام محمد عبده.. الذى كانت الوسطية فيه منهاجا للإصلاح بالإسلام..

وصدق الله العظيم إذ يقول:

(٣٥) المصدر السابق. جـ٢ ص ١٧٥

(٣٦) المصدر السابق. جـ٢ ص ٢٥١



﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

(البقرة ١٤٣)

ورحم الله الإمام محمد عبده، الذى قال:

"إن الإسلام دين وشرع.. كمال للشخص.. وألفة فى البيت.. ونظام للملك.. وضع حدودا، ورسم حقوقا.. ولا تكتمل الحكمة من تشريع الأحكام إلا إذا (وجدت قوة - دولة.. وسلطة) لإقامة الحدود وتنفيذ الأحكام.. وبهذا تميز الإسلام وامتازت به الأمم التى دخلت فيه عن سواها ممن لم يدخل فيه، فكان المدرسة الأولى التى يرقى فيها البرابرة على سلم المدينة..

ورحم الله جمال الدين الأفغانى أستاذ محمد عبده- الذى قال:

"إنا، معشر المسلمين، إذا لم يُؤسس نهوضنا وتمدننا على قواعد ديننا وقرآننا، فلا خير لنا فيه، ولا يمكن التخلص من وصمة انحطاطنا وتأخرنا إلا عن هذا الطريق، وإن ما نراه اليوم من حالة ظاهرة حسنة فينا (من حيث الرقى والأخذ بأسباب التمدن) هو عين التقهقر والانحطاط، لأننا فى تمدننا هذا مقلدون للأمم الأوربية، وهو تقليد يجرنا بطبيعته إلى الإعجاب بالأجانب، والاستكانة لهم، والرضا بسلطانهم علينا، وبذلك تتحول صبغة الإسلام، التى من شأنها رفع راية السلطة والغلب، إلى صبغة خمول وضعة واستئناس لحكم الأجنبى...

إن الدين هو قوام الأمم، وبه فلاحها، وفيه سر سعادتها، وعليه مدارها.. وهو السبب المفرد لسعادة الإنسان..

ولقد بدأ الخلل والهبوط (فى تاريخنا) من طرح أصول الدين، ونبذها ظهريا.. والعلاج إنما يكون برجوع الأمة إلى قواعد دينها، والأخذ بأحكامه على ما كان فى بدايته..

ومن طلب إصلاح الأمة بوسيلة سوى هذه، فقد ركب بها شططا.. ولن يزيدها إلا نحسا، ولن يكسبها إلا تعسا!.." (٣٧)

وصدق رسول الله -ﷺ- إذ يقول: فيما رواه الطبرانى-:

"يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له، ينفون عنه تحريف الضالين وانتحال المبطلين"

وإذ يقول:- فيما رواه أبو داود:-

"يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها"..

ولقد كان الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده مشروعا نهضويا، لتجديد دين الإسلام، كى تتجدد به دنيا المسلمين.. عليه رحمة الله.،،

(٣٧) الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى ص ٢٢٧، ٢٢٨، ١٣١، ١٢٧، ١٩٧-١٩٩ دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م.



الشيخ محمد عبده والفكر الاقتصادى

وتحت هذا العنوان جاء بحث المستشار الدكتور محمد شوقى الفنجرى عضو مجمع البحوث الإسلامية قال:

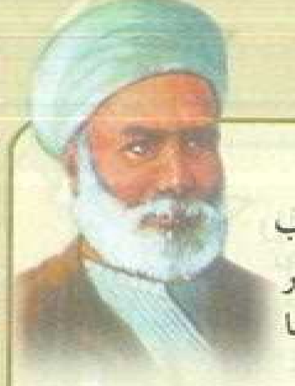
من يستقرىء مؤلفات الشيخ محمد عبده أو مقالاته أو تفسيره لبعض الآيات القرآنية يجد فيها الكثير من الآراء الاقتصادية فضلا عن الرؤيا المتعمقة لمختلف مشكلات المجتمع وحلولها العملية.

ونكتفى فى هذا المقام بعرض ثلاث مسائل اقتصادية رئيسية جاءت متفرقة فى مراجعه السابقة نوردها بذات ألفاظه وعباراته وذلك بعد تجميعها وتوزيعها بمعرفتنا على عناوين ثلاثة على الوجه الآتى:

(أ) مشكلة تخلف العالم الإسلامى:

١- يقول الشيخ محمد عبده: (إننا إذا استقرينا أحوال المسلمين للبحث عن أسباب الخذلان لا نجد إلا سببا واحدا هو القصور فى التعليم الدينى ذلك لأن البعد الدينى لدى الإنسان يمثل مركز الدائرة فى تكوين الشخصية، ومن هنا يمتد تأثيره إلى كل الخطوط التى تصل هذا المركز بمحيط الدائرة)، (إن الدين بالنسبة للإنسان بمثابة «الحاسة» أو البوصلة التى لا غنى عنها، ولقد كان الإسلام «مهمازا» للمسلمين يحثهم على جلائل الأعمال ومصباحا لبصائرهم يسترشدون به فى استعراف الأحوال وتقويم الأفكار، وعاطفا يعطف قلوبهم على الأمم بالعفو والرحمة وحسن المعاملة حتى رضيتهم الأرض سادة لهم وقادة لسكانها)، (والدين هو الذى يحقق الارتقاء المعنوى، والارتقاء المعنوى هو الذى يبعث على الارتقاء المادى)، «وتعلو الأمم حضاريا بفعل العقل والعلم ولكنها لاتستمر متحضرة بدون الدين والأخلاق».

ويضيف الشيخ الإمام «إن أعمال الإنسان تصدر عن إرادته وإرادته تنبعث عن آرائه وآراؤه هى نتاج عقيدته وعلمه فالدين والعلم مصدر الأعمال كلها دنيوية وأخروية، وسعادة الناس فى دنياهم وأخراهم لا تتحقق إلا بالإيمان والعمل»، وأن حياة الإنسان تضيق أو تتسع بقدر ما يعلم ويعمل بعلمه، «وإن أقوى شرط فى النجاح قوة العزيمة فيه بأن يصر الإنسان على الفوز بغرضه، فإذا ضعفت فيه ضاع نجاحه، وهذا شأن المسلمين اليوم»، «وإن



من أكبر التقوى علو الهمة، ومن أكبرها السعى فى مصلحة الأمة ونفع الناس».

٢- ويؤكد الشيخ الإمام «أن المشكلة ليست فى الدين وإنما فى الفهم الخاطىء للدين وعدم ربط مبادئه وقيمه بقضايا العصر.. لقد انصرفت الأذهان عن القرآن والسنة وانحصرت الأنظار فى كتب الفقهاء على ما فيها من الاختلاف فى الآراء وماتراكم عليها من الخزعبلات والفكر المتخلف الذى استمر فى الوجود واكتسب نوعا من القداسة بسبب التقليد بحيث طمست حقيقة الإسلام المشعة البناءة وتعطلت وظيفته الأصلية «كمهماز» للرقى والتقدم المادى والروحى»، «وإنه مما يعرقل شخصية المسلم ما يشيع بين الناس من «جبرية» مرفوضة و«توكل» مذموم و«سلبية» بغيضة، وإنه من المؤسف أن تشغل الأمة الإسلامية بقضايا هامشية كإطالة اللحى وتقصير الثياب والدفاع عن النقاب والسواك وتعدد الزوجات... إلخ، بل لايخجل الفقهاء بتعريف الزواج بأنه «عقد يملك به الرجل بضع المرأة» فينحط به غافلا التعريف القرآنى بقوله تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۝٢٠ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

الروم/ ٢٠، ٢١

وهو ميثاق غليظ ورباط مقدس

«إن من أهم ما يجب التصريح به بيان ما انتشر بين العامة مما يحسبونه دينا وهو عند الله ليس بدين».

٣- وينتهى الشيخ الإمام إلي أن «سوء الفهم بين الغرب والمسلمين يكمن فى جهل الغرب بماهية الإسلام والمسلمون أنفسهم ليسوا على دراية بالإسلام سواء على المستوى النظرى أو العملى أو الأخلاقى».

ويضيف الشيخ الإمام «إن الأمور الاعتقادية التعبدية يجب إرجاعها إلى القرآن والسنة وبعبارة أخرى إرجاعها إلى ما كان عليه السلف الصالح بلا زيادة ولا نقصان.. أما الإسلام من حيث هو نظام سياسى أو اجتماعى أو اقتصادى فإنه يظل قابلا للتطوير والتكييف بتغيير الأزمنة والأمكنة».

إن القضية المصرية اليوم أمام الأمة الإسلامية هى قضية التخلف فى شتى المجالات الفكرية والدينية والاجتماعية والاقتصادية، ولقد كان الشيخ محمد عبده سابقا لعصره حين اهتم من أكثر من مائة عام بأكبر تحد يواجهه العالم الإسلامى وهو مشكلة التخلف التى مازلنا نعانيها، ولقد كان الشيخ الإمام صريحا فى تحليله مخلصا فى حلوله وذلك على نحو ما سبق ذكره بنصوصه القوية المميزة والتى تنطق بأنه ليس مجرد مصلح دينى



وإنما هو حكيم رائد من أعلام الفكر بمعناه الشامل.

(ب) المشكلة الاقتصادية مشكلة الفقر:

١- يقول الشيخ محمد عبده «إن الفقر الحقيقى الذى تعانيه البلاد ليس بسبب قلة الموارد والإمكانات المادية حسبما يردد البعض وإنما فقر البلاد يتمثل فى قلة الراشدين فيها وغناها الحقيقى يتمثل فى كثرة المهتدين إذ مهما كانت الموارد فإنها بدون عقل رشيد وفكر سليم لاقيمة لها.. فماذا تصنع الوسائل المهيئة إذ لم تجد من يستعملها فيما هو وسيلة له وأى شىء تفيده الفرص إذا لم تصادف من ينتهزها وهل يقطع السيف الصقيل بلا بطل»، وفى موضوع آخر يقول «حقيقة مشكلة الفقر ليست فى قلة الموارد وإنما فى العقول والأفكار بقلة الحيلة وفقدان الهمة».

وهو بذلك إنما يعبر عن الفكر الاقتصادى الإسلامى فى قوله تعالى:

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾

إبراهيم / ٣٤

وقوله:

﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾

لقمان / ٢٠

فالمشكلة الاقتصادية وهى مشكلة الفقر أو الندرة ليس مردها قلة الموارد الطبيعية كما تزعم المذاهب والنظم الاقتصادية الوضعية، وإنما هى فى نظر الاقتصاد الإسلامى حسبما كشف عنه الشيخ محمد عبده مردها العقول والأفهام «بقلة الحيلة وفقدان الهمة» أى مردها الإنسان نفسه بظلمه وكفرانه كما عبرت الآية رقم «٣٤» من سورة إبراهيم بأنه «ظلوم» بسوء توزيع الثروة «وكفار» بعدم استغلاله ما هيأ له الله تعالى من نعم لاتحصى وموارد طبيعية لاتنفد حتى قيام الساعة ويكفى أن نضرب مثلا باليابان فإنه ليس لديها موارد طبيعية وكل ما تفعله أنها تستورد الخامات الأولية وتصنعها وتبيعها بمكاسب هائلة، بحيث أصبحت ثانى قوة اقتصادية فى العالم بعد أمريكا، وذلك بفضل مواردها البشرية ممثلة فى العامل اليابانى المدرب المتقن لعمله.

٢- ومعنى ثان يضيفه الشيخ محمد عبده وهو أن فقر الفقير يجرى على سنة من سنن الله ـ تعالى ـ فى المجتمعات بمعنى أن هذا الفقر له أسبابه المادية فى سلوك الناس وظروف حياتهم ونظم مجتمعاتهم وصدق الله العظيم



﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾

الأعراف / ٩٦

فالفقر والغنى أوضاع أو ظواهر اجتماعية تجرى على سنن الله ولكنها ليست فى ذاتها سننا أو قوانين دائمة الثبات والبقاء وفرق كبير بين الأمرين، ذلك ان تغيير هذه الأوضاع الطبقية والأحوال الاجتماعية رهن بالجرى على سنن أخرى أنفع وأصلح، وهى أيضا من سنن الله «فإذا كان فقر الفقير إنما هو بالجرى على سنة من سنن الله فإزالة فقره أو مساعدته عليه أو فيه، إنما يجرى على سنة من سننه تعالى أيضا كما أن غنى الغنى كذلك»[1].

وفى ذلك يقول أيضا الشيخ محمد عبده: إن نظام البشرية وما يحدث فيها هو نظام واحد لايتغير ولايتبدل والله تعالى يقول:

﴿ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾

الإسراء / ٧٧

﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾

الأحزاب / ٦٢

فعلى من يطلب الفلاح فى هذا الاجتماع أن ينظر فى أصول هذا النظام يرد إليها أعماله ويبنى عليها سيرته وما يأخذ به نفسه فإن غفل فلا ينتظر إلا الشقاء وان ارتفع إلى الصالحين نسبه أو اتصل بالمقربين سببه، وصدق الله العظيم :

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾

النجم / ٣٩، ٤٠

٣- ومعنى ثالث يضيفه الشيخ محمد عبده، وهو أن المزايا الاقتصادية والاجتماعية التى تعود على الإنسان إنما هى ثمرة للجهد الجماعى للجماعة البشرية التى ينتسب إليها وليس ثمرة لجهده الذاتى والفردى فقط ذلك «أن الإنسان إنما يكتسب المال من الناس بحذقه وعمله معهم فهو لم يكن غنيا إلا بهم ومنهم، فإذا عجز بعضهم عن الكسب لآفة فى فكره ونفسه أو علة فى بدنه، فيجب على الآخرين الأخذ بيده وأن يكونوا عونا له حفظا للمجموع الذى تربط مصالح بعضه بمصالح البعض الآخر»[2]، ويذهب إلى أن الغنى الذى يقصر فى ذلك «لايستحق أن يكون مسلما.. بل هو كافر حقيقة وإن سمى نفسه مؤمنا»[3].

(١) انظر تفسير الإمام محمد عبده للآية «٢٤٥» من سورة البقرة فى الجزء الرابع من الأعمال الكاملة للدكتور محمد عمارة.

(٢) انظر تفسير الإمام للآية «٤٣» من سورة البقرة المرجع السابق.

(٣) انظر تفسير الإمام للآية «٢٥٤» من سورة البقرة المرجع السابق.



وينتهى الشيخ محمد عبده إلى أن الإسلام أعلى من قيمة العمل ويعتبرها القيمة الحقيقية التى تمنح هذه الحياة لذاتها الوحيدة والأصيلة إذ يقول: «إن من لايذوق لذة العمل الاختيارى لايذوق لذة الراحة الحقيقية، لأن الله ـ تعالى ـ لايضع الراحة فى غير العمل» ويتحدث عن بطالة الأغنياء وكيف أن «حب الراحة يوقعهم فى تعب لانهاية له وهو تعب البطالة والكسل أو العمل الاضطرارى»[٤].

(ج) الإنفاق فى سبيل الله:

١- يقول الشيخ محمد عبده: إن المراد بالإنفاق فى سبيل الله، الإنفاق على المحتاجين ومختلف المصالح العامة وهو إنفاق واجب شرعا فى الأموال وهو غير الزكاة وغير النفقات الخاصة والعائلية وغير نفقات الجود والكرم وهو ليس محدودا بقدر معين ولا محددا بمبلغ لايتعداه وهو أيضا لايبرهن وجوبه بحيازة نصاب معين كما هو الحال فى الزكاة، ويذكر الشيخ محمد عبده قوله تعالى:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾

البقرة / ٢١٩

أى كل ما زاد عن الحاجة وإن القرآن أطلق «العفو» ليقدره كل قوم فى كل عصر بما يليق بحالهم وظروف وملابسات مجتمعهم واحتياجاته[٥].

ويضيف الشيخ محمد عبده أن المال فى الإسلام هو أصلا مال الله ـ تعالى ـ فهو الذى رزقه وأنعم به على عبده وأن الفقير المحروم عبدالله مثل وأنه حرم من سعة العيش لضعف أو حرمان من الأسباب التى توصل إلى الرزق وليس حق الحائز لهذا المال بأقوى من حق المحتاج إلى هذا المال فيه فمركزهما القانونى واحد من حيث مشروعية الانتفاع بهذا المال سواء وعلى قدم المساواة وأن الحائز الذى يمنع المحتاج حاجته – سواء أكان هذا المحتاج فردا أو مصلحة عامة – هو بمثابة السارق والمغتصب لمال الآخرين[٦].

٢- وفى تفسيره لقوله تعالى

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾

النساء / ٢٩

يقول الشيخ محمد عبده «إن الله سبحانه أضاف الأموال إلى الجميع، فلم يقل: يأكل بعضكم من مال بعض للتنبيه على ما قررناه مرارا من تكافل الأمة فى حقوقها ومصالحها كأنه يقول:

(٤) انظر تفسير الإمام للآية «٢٧» من سورة البقرة المرجع السابق.

(٥) انظر تفسير الإمام للآية «٢٢٠» من سورة البقرة فى الجزء الرابع من الأعمال الكاملة للدكتور محمد عمارة مرجع سابق.

(٦) المرجع السابق.



إن مال كل واحد منكم هو مال أمتكم فإذا استباح أحدكم أن يأكل مال الآخر بالباطل كان كأنه أباح لغيره أكل ماله وهضم حقوقه لأن المرء يدان كما يدين.. وأن فى هذه الإضافة مسألة أخرى وهى أن صاحب المال حائز له يجب بذله للمحتاج، فكما لايجوز للمحتاج أن يأخذ شيئا من مال غيره بالباطل كالسرقة والغصب فإنه لايجوز لصاحب المال أن يبخل عليه بما يحتاج إليه»[٧].

وهذا يذكرنى بقوله تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾

يس / ٤٧

وهو ما عبر عنه الإمام الشافعى فى عبارة فقهية دقيقة مشهورة عنه «إن للفقراء أحقية استحقاق فى مال الأغنياء حتى يجعله الله بمثابة المال المشترك بين الغنى والفقير»، وقول الفقيه أحمد بن الدلجى: «إن من حق المحروم أن يرى النعم التى بأيدى الناس مغصوبة والمالك المستحق يطالب باسترداد ماله من أيدى الغاصبين»[٨] ومن قبله يصرح الإمام ابن حزم أن للجائع عند الضرورة أن يقاتل فى سبيل حقه فى الطعام الزائد عند غيره «فإن قتل -أى الجائع- فعلى قاتله القصاص وإن قتل المانع فإلى لعنة الله لأنه منع حقا وهو طائفة باغية»، ومن قبل يصرخ الصحابى أبوذر «عجبت لمن لايجد القوت فى بيته كيف لايخرج على الناس شاهرا سيفه»[٩].

٣- ويخلص الشيخ محمد عبده إلى أن الإسلام قرآنا وسنة وإجماعا ينحاز إلى صف الفقراء والمحتاجين والمستضعفين ويذكر قوله تعالى:

﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾

آل عمران / ٩٢

والحديث النبوى: «لن تؤمنوا حتى تراحموا» قالوا: «يارسول الله: كلنا رحيم! قال: «إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة العامة»[١٠].

وفى تقرير المبدأ الذى يحدد للفقراء فى أموال الأغنياء ما يكفيهم نقرأ الحديث الذى يرويه «الإمام على» عن الرسول ﷺ «إن لله على أغنياء المسلمين فى أموالهم، بقدر ما يسع فقراءهم وما يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يصنع أغنياؤهم ألا وإن الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا أليما».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(٧) انظر تفسير الإمام للآية «٢٩» من سورة النساء فى الجزء الخامس من الأعمال الكاملة للدكتور محمد عمارة مرجع سابق.

(٨) انظر الفقيه أحمد بن على الدلجى، الفلاكة والمفلوكون، طبعة سنة ١٣٢٢هـ، لناشره مكتبة ومطبعة الشعب بالقاهرة، ص٢٦.

(٩) انظر ابن حزم، المحلى الجزء السادس المسألة رقم ٧٢٥.

(١٠) انظر عبدالحميد جودة السحار، أبوذر الغفارى، الطبعة الثامنة، مطبوعات مكتبة مصر.



ملامح التجديد فى فتاوى الإمام محمد عبده

تحت هذا العنوان جاء البحث الذى تقدم به الأستاذ الدكتور عبدالله مبروك النجار الأستاذ بجامعة الأزهر، قال:



الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبى بعده، سيدنا محمد بن عبد الله الرحمة المهداة والنعمة المسداة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن سار على منوال شريعته واتبع منهاج دينه إلى يوم الدين وبعد.

فإن مما هو مسلم به أن الإمام محمد عبده- رحمه الله - كان رائدا من رواد التجديد الفقهى، بل والفكرى والتربوى وكانت حياته ولا تزال، حدا فاصلاً بين عهدين من عهود الاشتغال بعلوم الشريعة، عهد الثبات والتقليد، وعهد النشاط والتجديد، ولم يكن التجديد فى حياة الإمام محمد عبده أمراً طارئًا تكلفته نفسه، أو عملاً مبتدعًا أملى عليه من غيره، ولكنه جاء نتيجة طبيعية لقوة عقلية حباه الله بها وذكاء فطريا أضفى عليه من حدة الفهم وصفاء النفس وصفاء القريحة ما مكنه من قراءة الواقع قراءة صحيحة، وإنزال المصادر الشرعية عليه إنزالاً صائبا يؤكد فى حياة الناس ما اختص الله به شرعه الخاتم من الخلود والصلاحية المستمرة لحكم سلوك الناس إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وإذا كان الله - تعالى- قد اختص دينه بالخلود والدوام ضرورة أنه الدين الخاتم، وأن النبى الذى بعث به هو الرسول الخاتم فلن يأتى بعده نبى أو رسول بحلال أو حرام، حيث ختم النبيون به ﷺ وأنه لذلك قد احتوى كل ما تقتضيه المستجدات البشرية من ضبط شرعى ووصف فقهى فإن تلك الميزة التى اتسم بها هذا الشرع الحنيف وتفرد بها عما سبقه من شرائع السماء ما كان لها أن تبدو واضحة جلية بدون عقول كبيرة تقوى على تلك المهمة، وتقدر بسبب ما حباها به ربها الفتاح العليم من قدرة على الفهم وحسن التوجيه- أن تكتشف الصلة الوثيقة بين أصول الشريعة التى تناهت نصوصها واكتمل نزولها باكتمال حياة النبى الخاتم ﷺ وبين المستجدات التى لا تتناهى، ولا يتوقف تطورها يوما بعد يوم، حتى أصبح ما يتاح للناس منها اليوم غير ما كان موجوداً بالأمس، والتى لا بد أن يكون الدين حاكما لها، وأن يوجد فى ثنايا نصوصه من وجوه الدلالة ما يستوعب كافة أشكالها، وهذه العقول الكبيرة لابد أن يكون منها ذلك العقل المستنير الذى أفاء الله به على الإمام محمد عبده، ولهذا كان رائداً من رواد التجديد، وفقهيا كبيراً من طراز الأئمة الذين استطاعوا أن يثبتوا للعالمين ما اختص الله به شريعته من عموم وخلود وصلاحية لكل زمان ومكان.

ولم يكن التجديد فى حياة الإمام محمد عبده ابتداعا بعيداً عن الأصول، أو رؤى فكرية تصادم مصادر الشريعة وأدلتها، ولكنه كان نوعا من الاجتهاد الدقيق فى جملة من المستجدات الفقهية التى عاصرت حياة هذا الإمام الكبير، ولم يدر بها السابقون عليه حيث لم تكن قد وجدت فى عصورهم، ولهذا خلت مؤلفاتهم ومصنفاتهم من التعليق عليها أو تناولها بالدراسة الفقهية التى تلحقها بأصولها، أو ردها إلى مصادرها، فكان اجتهاده فيها ابتكاراً فقهيا سبق به أقرانه وبز فيه إخوانه، وفاق فيها أمثاله أتاح باجتهاده فيها حلولاً فقهية فتحت باب الاجتهاد لكافة المجددين بعده، وكان لهم بفضل ما أثر عنه من تلك الاجتهادات شرف التلمذة على ما كتب، أو التقليد لما اجتهد، أو العمل بما أفتى، وكان له فضل السبق فيما فتح الله عليه فيها، وأهلا لفضل الله وثقة الناس.

وإذا كنا نتكلم عن ملامح التجديد فى فتاوى الإمام محمد عبده، فإن تلك الملامح تقتضى بيان معنى التجديد، لا سيما وأن الكلام فيه تركيز فى الآونة الأخيرة حتى غدا من كثرته أن يكون سببا لخفاء معناه، واختلاط مفهومه، ولا غرو فإن الخفاء قد يكون من كثرة الكلام، وتزاحم التناول، كما أن بعض الذين تناولوا التجديد بقصد التعريف به قد تحدثوا عنه، وكما لو كان أمراً سياسيا أملته الظروف المعاصرة، لتكون الأحكام الشرعية مجرد ظل للمتغيرات





الدولية التي يشهدها العالم لا حكمًا عليها وموجهًا لها، وذلك خطأ لا يدانية خطأ، وانحراف لا يبلغه انحراف، فإن الله ما أنزل أحكام لتكون رهنًا لهوى الناس أو ظلاً لأفعالهم، ولكنه أنزلها لتكون ضابطة لأفعالهم وراسخة لسياسة حياتهم ولهذا كان من الصواب أن يعرف التجديد المراد والذى سار عليه الإمام محمد عبده بأنه: امتداد وجه الدلالة فى مصادر الأحكام الشرعية إلى ما يستجد من أمور الحياة.

ومن هذا التعريف يبدو أن للتجديد عنصرين:

أولهما: الامتثال الكامل لمصادر الشريعة وأدلتها وفقا لما نزل به وحى السماء على أشرف الخلق وأكملهم، وخاتم أنبياء الله ورسله محمد ﷺ وعلى نحو ما اجمع عليه سلف الأمة وفهم أئمة الاجتهاد فى العصور المختلفة.

ثانيهما: استقراء المستجدات التى تتمخض عنها حياة الناس، بغية إنزال مصادر الشريعة عليها، وإلحاقها بأصولها التى تبين حكمها حلاً أو حرمة، ومن ثم فإن التجديد لا يعنى إهمال الأصول أو الابتعاد عنها، كما أنه لا يعنى إهدار المستجدات أو تجاهل وجودها، وفى ضوء هذا المعنى الصحيح للتجديد جاء منهج الإمام محمد عبده، لكنه أضاف إليه من قدراته العقلية وما حباه الله به من حسن الفهم لأمور دينه، ما جعل لمنهجه اختصاصًا متميزًا وتجربة خاصة، سوف يكون من هدف تلك الدراسة تحديد ملامحها، وبيان عناصرها ليكون الاقتداء بها مقدورًا، والسير على منوالها سائغًا للطالبين، وميسورًا للراغبين فى التجديد من الفقهاء والمعاصرين والباحثين والدارسين إن شاء الله رب العالمين.

خطة الدراسة:

وسوف نتناول دراسة ملامح التجديد فى فتاوى الإمام محمد عبده من خلال مبحثين وخاتمة:

المبحث الأول: مواطن التجديد فى فتاوى الإمام محمد عبده.

المبحث الثانى: ضوابط التجديد فى فتاوى الإمام محمد عبده.

الخاتمة: لبيان مقاصد التجديد فى فتاوى الإمام محمد عبده.

هذا وبالله التوفيق ومنه العون والسداد،،،

المبحث الأول

مواطن التجديد

فى فتاوى الإمام محمد عبده

يمكن القول: إن فتاوى الإمام محمد عبده قد اشتملت على كافة أبواب الشريعة أحمالا، فلم يخل باب فقهى من الأبواب التى وردت ضمن تصنيفات الأئمة والفقهاء من اجتهاد فقهى للإمام



محمد عبده جاء في مقال أو بحث أو فتوى. لكن فتاواه الواردة ضمن أبواب الفقه الإسلامى المختلفة قد عالجت مسائل مستحدثة، ووقائع مستجدة لم يتح لأحد من الفقهاء قبله أن يقف عليها أو أن يشهد حدوثها، لأنها تالية على حياتهم، ولهذا اتسم منهجه في تناولها بالابتكار الخالص الذى لا يستند إلى قريحة بشرية قبله، وإنما يعتمد على مصادر الشريعة الإسلامية العامة وأدلتها، ومن خلال الفهم الذى سيتعامل مع تلك الأدلة مما يجعل وجوه دلالتها قادرة على استيعاب تلك المستجدات. وليس من اليسير على تلك الدراسة، وقد أعدت للتذكير العاجل بملامح التجديد في فتاوى الإمام محمد عبده- أن تحتوى على كافة الفتاوى التى تحمل بصمة من بصمات التجديد الفقهى للإمام محمد عبده لأن إحصاء تلك الفتاوى يحتاج إلى دراسة أوسع وجهد أوفى، لكن حسبنا من تلك الفتاوى ما يكفى لإبراز ملامح الصورة الكاملة للتجديد من خلال انتقاء الأبرز منها في الأبواب المختلفة، وفى تراث الإمام محمد عبده من تلك الفتاوى ما يجعل مهمة الانتقاء الكافى لبيان تلك الملامح ميسورًا ومهمة سهلة. وبخاصة إذا اتسمت بالانتقاء المتوائم مع أبواب الفقه المختلفة، وكان فيها من مظاهر التجديد ما ييسر الوصول إلى المطلوب ومن تلك الفتاوى المنتقاة من أقسام الفقه الإسلامى ما يلى:

المطلب الأول

(١) باب بطلان

وتحريم الدوسة

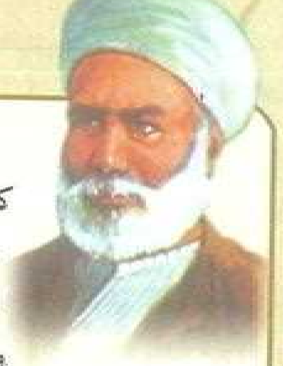
وفى مقالين متعاصرين كتب تحت عنوان (بطلان الدوسة) ما يفيد تحريم تلك البدعة، ضمن حملته على جمله من البدع التى ألصقها العوام بدين الله، دون أن تقوم على سند صحيح من أدلة هذا الدين.

ومما كتبه - رحمه الله- : " ومن أفظع تلك البدع: بدعة" الدوسة" وهى أن ينطرح الناس مصطفين أحدهم لجنب الآخر، ثم يعلو أحد المشايخ على ظهورهم بحصان يدوسهم واحداً بعد واحد، حتى ينتهى إلى آخرهم، وهم مسلمون من أهل الإيمان الذين أمر الله بتكريمهم، وجرم إهانتهم إلا لحد أو تعزيز شرعى، بل إن الكتاب العزيز قد نطق بتكريم بنى آدم على سائر الحيوانات مطلقاً، فكيف بالمؤمنين وهم أشرف هذا النوع، وقد جعلهم الله في الدرجة الثالثة من عزته- سبحانه- فقال:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾

المنافقون/ ٨

فهل يليق بعد هذا أن يطرح المؤمن الشريف مهانا على التراب ليطأه حافر من البُهم، وقد نهت الشريعة الغراء عن إهانة أجساد الأموات فضلاً عن الأحياء.



كما أن تلك البدعة تنطوى على جملة من المحظورات الشرعية كإهانة المؤمنين، والتعرض للخطر، فإنه لا يؤمن أن تفلت رجل الحيوان الضخم كالحصان الذى يركبه الشيخ للدوسة، فترض عضواً يابساً أو تقطع عضواً رخوا يكون فيه تلف المصاب، وأن التعرض للخطر من المحظورات الشرعية المحرمة الارتكاب.

على أن أصل الدوسة، فيما تقول العامة، كانت كرامة للشيخ «يونس» بأن يدوس حصانه على آنية من الزجاج ولا تنكسر، وهى مرة واحدة فكيف تبدل الزجاج بالإنسان وصارت عادة مستقرة؟ نعوذ بالله، أن الدوسة وأمثالها من البدع لم يرد لها نوع مشابه، ولا مماثل في السنة النبوية الغراء، حتى يلتمس أحد موافقتها للشرع، ولو بطريق التشبيه على بعد، وأما دعوى أنها من الكرامات، فهى باطلة عند أهل السنة والجماعة، فإنهم نصوا في كتب التوحيد على أن من شروط الكرامة أن لا تصير عادة يتعاطاها من يريد إظهارها على حسب إرادته، فإن صارت كذلك كأكل النار، وضرب السلاح والدوسة ونحوها التى يتعاطاها كل من يأخذ عهد على طريقة الرفاعى أمر السعدى، أو يتولى مشيخة «السعدية» أيا كان، فلا تكون من قبيل الكرامة، بل تعد من الحيل المذمومة، والبدع المنكرة التى يريد الجهال أن يغيروا بها شرع الله (١)

باب في حكم النحت والتصوير

وللإمام محمد عبده في حكم النحت والتصوير ما يشبه الفتوى التى جاءت ضمن مقاله عن رحلته إلى صقلية،

وقد جاء في هذا المقال ما يمثل فتوى في الموضوع يمكن إيرادها على النحو التالى: "لأهل صقلية حرص غريب على حفظ الصور المرسومة على الورق والنسيج، هل تدرى لماذا؟ إذا كنت تدرى السبب في حفظ سلفك للشعر وضبطه في دواوينه والمبالغة في تحريره، خصوصاً شعر الجاهلية، وما عنى الأوائل رحمهم الله- بجمعه وترتيبه، أمكنك أن تعرف السبب في محافظة القوم على هذه المصنوعات من الرسوم والتماثيل، فإن الرسم ضرب من الشعر المرئى الذى يرى ولا يسمع، والشعر ضرب من الرسم الذى يسمع ولا يرى، إن هذه الرسوم قد حفظت من أحوال الأشخاص في الشئون المختلفة من أحوال الجماعات في المواقع المتنوعة ما نستحق أن تسمى به ديوان الهيئات والأحوال البشرية، يصورون الإنسان أو الحيوان في حال الفرح والرضا والطمأنينة والتسليم، وهذه المعانى المدرجة في هذه

(١) الوقائع المصرية- العدد ١٠٣٥، فى ١٣ ربيع الأول سنة ١٢٩٨هـ، ومشار إليها فى مجموعة الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده- تحقيق الدكتور محمد عمارة- ج٢ ص ٥١ وما بعدها دار الشروق الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣م.



الألفاظ متقاربة لا يسهل عليك تمييز بعضها عن بعض، ولكنك تنظر في رسوم مختلفة، فتجد الفرق ظاهراً باهراً بصورته مثلاً في حالة الفزع والجزع، والخوف والخشية، والجزع والفزع مختلفان في المعنى، ولم أجمعهما هنا طمعاً في جمع عينين في سطر واحد، لأنهما مختلفان حقيقة، ولكنك ربما تعتصر ذهنك لتحديد الفرق بينهما وبين الخوف والخشية، ولا يسهل عليك إن تعرف متى يكون الفزع ومتى يكون الجزع، وما هى الهيئة التى يكون عليها الشخص في هذه الحال أو تلك، أما إذا نظرت إلى الرسم، وهو ذلك الشعر الساكت، فإنك تجد الحقيقة بارزة لك تتمتع بها نفسك، كما يتلذذ بالنظر فيها حسك، إذا نزعت نفسك إلى تحقيق الاستعارة المصرحة في قولك: رأيت أسداً، تريد رجلاً شجاعاً، فانظر إلى صورة أبى الهول، بجانب الهرم الكبير تجد الأسد رجلاً أو الرجل أسداً، فحفظ هذه الآثار حفظ للعلم في الحقيقة، وشكر لصاحب الصنعة على الإبداع فيها، وعلى إجادته البيان فيما وقع، ولما كان.

وقد يرد على ذلك حديث: "إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون"، أو ما في معناه مما ورد في الصحيح، فإن الذى يغلب على ظنى أن هذا الحديث قد جاء في أيام الوثنية، حيث كانت الصور تتخذ في ذلك العهد لسببين: الأول: اللهو، والثانى: التبرك بمثال من ترسم صورته من الصالحين، والأول مما يبغضه الدين، والثانى مما جاء الإسلام لمحوه، والمصور في الحالتين شاغل عن الله أو ممهد للإشراك به،

فإذا زال هذا العارضان، وقصدت الفائدة، كان تصوير الأشخاص بمنزلة تصوير النبات والشجر في المصنوعات، وقد صنع ذلك في حواشى المصاحف وأوائل الصور، ولم يمنعه أحد من العلماء مع أن الفائدة في نقش المصاحف موضع نزاع، أما فائدة الصور فمما لا نزاع فيه على الوجه الى ذكر، وإذا كانت الصور مظنة للشرك والعبادة، فإن اللسان مظنة للكذب، فهل يجب ربطه مع أنه يجوز أن يصدق كما يجوز أن يكذب، وبالجملة فإنه مما يغلب على ظنى أن الشريعة الإسلامية أبعد من أن تحرم وسيلة من أفضل وسائل العلم، بعد تحقق أنه لا خطر فيه على الدين، لابد من جهة العقيدة، ولا من وجهة العمل، على أن المسلمين لا يتساءلون إلا فيما تظهر فائدته ليحرموا أنفسهم منها، وإلا فما نالهم لا يتساءلون عن زيارة قبور الأولياء، أو من يسميهم بعضهم بالأولياء، وهم ممن لم تعرف لهم سيرة، ولم يطلع لهم أحد على سريرة، ولا يستفتون فيما يفعل عندها من ضروب التوسل والضراعة، وما يعرضون عليها من الأموال والمتاع، وهم يخشونها كخشية الله أو أشد، ويطلبون منها ما يخشون إلا يجيبهم الله فيه، ويظنون أنها أسرع إلى أجابتهم من عنايته سبحانه وتعالى، ولا شك أنه لا يمكنهم



الجمع بين هذه العقائد، وعقيدة التوحيد، ولكن يمكنهم الجمع بين التوحيد، ورسم صورة الإنسان والحيوان لتحقيق المعانى العلمية وتمثيل الصور الذهنية.

نحن لا نعنى بحفظ شئ نستبقى نفعه لمن يأتى بعدنا، ولو خطر ببال أحد منا أن يترك لمن بعده شيئاً جاء ذلك الذى بعده أشد الناس كفراً بتلك النعمة، وأخذ في إضاعة ما عنى السابق بحفظه، فليست ملكه الحفظ مما يتوارث عندنا، وإنما الذى يتوارث هو ملكوت الضغائن والأحقاد، تنتقل من الآباء إلى الأولاد حتى تفسد العباد، وتخرب البلاد ويلتقى أصحابها على شفير جهنم يوم المعاد[٢]

المطلب الثاني: في العبادات

مسائل الأذان وصلاة الجمعة والجنائز

سئل الإمام محمد عبده – رحمه الله – عن جملة من المسائل التى تقع في الأذان عند صلاة الجمعة والجنائز وهى كالآتى: :

أولاً: قراءة سورة الكهف جهراً يوم الجمعة لأجل عدم غوغاء الفلاحين بالكلام الدنيوي.

ثانيًا: ما اشتهر من الترقية قبل الخطبة، مع مراعاة الآداب في الإلقاء.

ثالثًا: ما يحدث من الأذان قبل الوقت يوم الجمعة بما يشتمل على استعانات وصلوات على النبى ﷺ لتنبيه الفلاحين الموجودين بالغيطان الغافلين عن مكان الجمعة.

رابعًا: الأذان داخل المسجد بين يدى الخطيب.

خامسًا: ما اشتهر في الصلاة والسلام على النبى ﷺ عقب الأذان في الأوقات الخمس إلا المغرب.

سادسًا: الذكر جهراً أمام الجنازة بكيفية معتدلة خالية من التلحين، وهل ذلك كله جار على السنن القويم أو فيه إخلال بالدين؟.

وقد أجاب فضيلته:

إن كل عبادة لم يرد فيها نص عن النبى ﷺ، ولم يأت في عمله، ولا في عمل أصحابه اقتداء بها وإن لم نعرف وجهة الاقتداء فهى بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، فهى ممقوتة للشارع يجب منعها، وهذه العادات كلها ما عدا الأذان بين يدى الخطيب صور لعادات محدثة، لم تكن على عهد النبى ﷺ ولا أصحابه، ولا التابعين، ولا تابعيهم، ولا يعرف بالتحقيق من أحدثها، وما ينقل عن بعض العلماء في

(٢) ورد بيان عن حكم الصور والتماثيل ضمن حديثه عن مشاهداته فى رحلته إلى صقلية أثناء عودته من رحلته إلى الجزائر وتونس، بالمجلدان السادس والسابع من المنار، وورد ضمن مجموعة الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده- المرجع السابق- ص ١٦٨ وما بعدها.



الترقية مثلاً من أنها بدعة مستحسنة لا يصح التعويل عليه، لأنه لم يعرف بين ما يستحدث في العادات كالأكل والشرب، واللباس والمسكن، وما يستحدث في العبادات فكل ما يحدث في النوع الأول مما لا ضرر فيه باليدين ولا بالبدن، وكان مما يخفف مشقة أو يدفع أذى أو يفيد منفعة، فهو مستحسن. ولا مانع منه إذا لم يكن ممنوعا بالنص كاستعمال الذهب والفضة والحرير للرجال ونحو ذلك.

وأما ما يحدث في القسم الثانى "أعنى قسم العبادات ، فالحديث فيه على عمومه، أعنى كل ما حدث منه بدعة، والبدعة ضلالة والضلالة في النار بلا شبهة.

المطلب الثالث: في شئون الأسرة

مسألة تعدد الزوجات

كتب الإمام محمد عبده عن حكم الشريعة في تعدد الزوجات ما نصه: "أباحت الشريعة المحمدية للرجل الاقتران بأربع من النسوة إن علم من نفسه القدرة على العدل بينهن، وإلا فلا يجوز الاقتران بغير واحدة، قال تعالى:

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾

النساء/ ٣

فإن الرجل إذا لم يستطع إعطاء كل منهن حقها، اختل نظام المنزل" وساءت معيشة العائلة، إذ العماد القويم لتدبير المنزل هو بقاء الاتحاد والتآلف بين أفراد العائلة، والرجل إذا خص واحدة منهن دون الباقيات، ولو بشئ زهيد، كان يستعيضها حاجة في يوم الأخرى امتعضت تلك الأخرى، وسئمت الرجل لتعديه على حقوقها بتزلفه إلى من لا حق لها، وتبدل الاتحاد بالنفرة- والمحبة بالبغض، وقد كان النبى ﷺ وجماعة الصحابة رضوان الله عليهم- والخلفاء الراشدون، والعلماء، والصالحون من كل قرن إلى هذا العهد يجمعون بين النسوة مع المحافظة على حدود الله في العدل بينهن، فكان النبى ﷺ وأصحابه والصالحون من أمته لا يأتون حجرة الزوجات في نوبة الأخرى إلا بإذنها، وسنة النبى ﷺ في تفصيل مسائل العدل بين الزوجات وتحريم الميل إلى احداهما دون الأخرى مما يخل بالعدل بينهما، واضحة ومعروفة، حتى أنه ﷺ كان يعتذر عن ميله القلبى مع حرصه على العدل المادى، بقوله: "اللهم هذا (أى العدل في المبيت والعطاء) جهدى فيما أملك، ولا طاقة لى فيما تملك ولا أملك (يعنى الميل القلبى)، وكان يجرى القرعة بينهن إذا أراد سفراً وقد قال الفقهاء: يجب على الزوج؛ المساواة في القسم للبيتوتة بإجماع الأئمة، وفيها وفى النفقة عند غالبهم- حتى قالوا: يجب على ولى المجنونة أن يطوفه على نسائه، وقالوا: لا يجوز للزوج أن يدخل عند إحدى زوجاته في نوبة أخرى إلا لضرورة مبيحة، غايته أنه يجوز له أن يسلم



عليها من خارج الباب، والسؤال عن حالها بدون دخول، وقال علماء الحنفية، إن ظاهر آية:

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾

النساء/ ٣

أن العدل فرض في البيتوتة، وفى الملبوس والمأكول والصحبة لا في المجامعة، لا فرق في ذلك بين فحل وعنين ومجبوب، ومريض وصحيح، وقالوا: إن العدل من حقوق الزوجية، فهو واجب على الزوج كسائر الحقوق الواجبة شرعًا، إذ لا تفاوت بينهما، وقالوا: إذا لم يعدل ورفع إلى القاضى، وجب نهيه وزجره فإن عاد عزر بالضرب لا بالحبس، وما ذلك إلا محافظة على المقصد الأصلى من الزواج وهو المعيشة وحسن السلوك فيها.

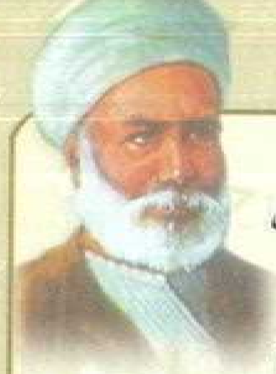
أفبعد هذا الوعيد الشرعى، وذاك الإلزام الدقيق الحتمى الذى لا يحتمل تأويلاً ولا تحويلا يجوز الجمع بين الزوجات عند توهم عدم القدرة على العدل بين النسوة فضلاً عن تحققه؟ فكيف يسوغ الجمع بين نسوة لا يحملنا على جمعهن إلا قضاء شهوة فانية، واستحصال لذة وقتية، غير مبالين بما ينشأ عن ذلك من المفاسد ومخالفة الشرع الشريف؟، فإنا نرى أن الغيرة بين النساء تدفع للوشاية والكذب والانتقام، وكثرة العراك والشجار، والانشغال بهن عما يجب عليهن من أعمال المنزل، ويكثرن من خيانة الرجل في ماله وأمتعته لعدم الثقة بالمقام عنده، لأنهن - دائما - يتوقعن منه الطلاق ومن شدة تمكن الغيرة والحقد في أفئدتهن تزرع كل واحدة فى ضمير ولدها ما يجعله من ألد الأعداء لأخوته من أولاد النسوة الأخريات، وقد يؤدى كثرة نساء التعدد وما يحدثه من المنغصات في حياة الزوج إلى فض ذلك الاشتباك بتطليقهن جميعًا.

ثم يقول: وغاية ما يستفاد من آية التحليل: حل تعدد الزوجات إذا أمن الجور، وهذا الحلال لسائر أنواع الحلال تعتريه الأحكام الشرعية الأخرى، من المنع والكراهة وغيرهما بحسب ما يترتب عليه من المفاسد والمصالح، فإذا غلب على الناس الجور بين الزوجات، كما هو مشاهد في أزماننا، أو نشأ عن تعدد الزوجات فساد فى العائلات وتعد للحدود الشرعية التى يجب التزامها وقيام العداوة بين أفراد الأسرة الواحدة، وشيوع ذلك إلى حد يكاد يكون عامًا، جاز للحاكم، رعاية للمصلحة العامة أن يمنع تعدد الزوجات بشرط أو بغير شرط، على حسب ما يراه موافقًا لمصلحة الأمة (٣) وبالجملة يجوز الحجر على الأزواج عمومًا أن يتزوجوا غير واحدة إلا لضرورة تثبت لدى القاضى، ولا مانع من ذلك في الدين البتة. وإنما الذى يمنع ذلك هو العادة فقط. (٤)

---

(٣) مجموعة الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده- السابق، ص ٧٦ وما بعدها، ص ٨٦ .

(٤) المرجع نفسه ج ٢- ص ٩٣ ..



مسألة الطلاق باللفظ الصريح

كتب الإمام محمد عبده مقالاً عن الطلاق، جاء فيه: إن من أجال النظر في نصوص الكتاب العزيز، وما اشتمل عليه من الآيات المقررة للطلاق وأحكامه يجد أن الشرع الشريف قد وضع أصلاً عامًا يجب أن ترد إليه جميع الفروع في أحكام الطلاق، وهو أن الطلاق محظور في نفسه، مباح للضرورة، قال تعالى:

﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

النساء/ ١٩

وقال سبحانه:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾

النساء/ ٣٥

وقال سبحانه:

﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾

النساء/ ١٢٨

وجاء في الحديث "أبغض الحلال عند الله الطلاق" كما جاء في الحديث - أيضًا: "لا تطلقوا النساء إلا من ريبة، إن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات"، وقال على - رضى الله عنه -: "تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز منه العرش"

وجاء في حواشى ابن عابدين الأصل في الطلاق الحظر، والإباحة للحاجة إلى الخلاص فإذا كان بلا سبب أصلا لم يكن في حاجة إلى الخلاص، بل يكون حمقًا وسفاهة رأى ومجرد كفران بالنعمة وإخلاص الإيذاء بالمرأة وأهلها، ولهذا قال سبحانه:

﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾

النساء/ ٣٤

أى لا تطلبوا الفراق.

ومن يطالع كتب الفقه يجد أن جميع الأئمة قد نظروا على العموم إلى هذا الأصل الجليل بما من شأنه العمل على تضييق دائرة الطلاق، بما يصل إليه الإمكان، لكنهم لم يراعوا تطبيق هذا الأصل بطريقة متساوية، أما اتباع الأئمة من الفقهاء، فقد توسعوا في أمر الطلاق، ولم تطرد طريقتهم على طريقة متساوية في تطبيق الأحكام على الوقائع، ويبدو ذلك في مسائل من أهمها:

مسألة وقوع الطلاق الصريح بدون اشتراط النية

فقد خالف فيها بعض الفقهاء لا سيما من المذهب الحنفى في تلك المسألة الأصول العامة التى بُنيت عليها معظم



أحكام الشريعة، وفاضت بها نصوص الكتاب والسنة، كالأصل المقرر لعدم تكليف المكره والغافل والمخطئ، وأخرجوا الطلاق من مشمول هذا الأصل، وقضوا بطلاق المكره، والمخطئ والهازل والسكران مع تعريفهم السكران بأنه هو الذى لا يميز السماء من الأرض.

وكما يبدو فإن أصحاب هذا الرأى: لم يعولوا على النية التى هى أساس الدين الإسلامى كما يستفاد من حديث: "إنما الأعمال بالنيات"، كما أنهم لم يلتفتوا إلى قصد الشارع في أن الطلاق محظور في الأصل، وأنه أبغض الحلال عند الله، وقد جاءت تعليلاتهم لوقوع الطلاق في تلك الحالات عليلة: ومن ذلك ما ذكره الزيلعى ما معناه: أن لفظ الطلاق ذكر على لسان الزوج، وأن طلاق المكره يقع لأنه خير بين شرين، فاختار أهونهما، وأما السبب في وقوع طلاق السكران، فلأنه ارتكب معصية فيكون اتباع الطلاق زجرا وعقاباً له.

ثم يقول: لكننا نحمد الله على أن في المذاهب الفقهية الأخرى ما يخالف ذلك ويتفق مع أصول الشريعة والمصلحة العامة، ويمكن لمريد الإصلاح أن يأخذ به فيقرر بعدم صحة الطلاق الذى يقع في تلك الأحوال، وليسمح لى القارئ أن أبدى هنا كل ما أظنه صوابًا فأقول:

لا يمكننى أن أفهم أن الطلاق يقع بكلمة لمجرد التلفظ بها مهما كانت صريحة، نعم إن الأعمال لا تستغنى عن الألفاظ، ولكن تلك الألفاظ يجب أن تكون دليلاً صادقًا على النية التى عليها مدار العمل، وينتج عن ذلك أن الطلاق، وبحسبان أنه عمل يقصد به رفع قيد الزواج، فإن ذلك يفرض حتمًا وجود نية حقيقية عند الزواج، وإرادة واضحة في أنه إنما أريد الانفصال عن زوجته، لا أن يفهم كما فهم الفقهاء وصرحوا به في كتبهم: إن الطلاق هو التلفظ بحروف (ط ل ا ق) ولهذا اشتغلوا بتأويل الألفاظ والتفنن في فهم معانيها في ذاتها بقطع النظر عن الأشخاص: وعندهم متى ذكر اللفظ تم حكمه، ولهذا قصروا أبحاثهم جميعًا على الكلمات والحروف وامتلأت الكتب بالاشتغال بفهم ألفاظ: طلقتك، وأنت طالق، ومطلقة، وعلى الطلاق، وطلقت رأسك أورجلك أو ظهرك أو عرقك وما أشبه ذلك، وصارت المسألة، مسألة بحث في اللفظ والتركيب إن صح اعتباره مقيداً في اللغة والنحو، إلا أنه لا يفيد مطلقًا علم الفقه بشئ.

إن الطلاق لم يخرج عن كونه عملاً شرعيًا يترتب عليه ضياع حقوق، وإنشاء حقوق جديدة، وهو في حد ذاته لا يقل عن الزواج في الأهمية، وقد قال



الله في الزواج:

﴿ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾

البقرة / ٢٣٥

فإن العزم هو عقد القلب على الفعل، وكما طلبه الشارع في الزواج، فإنه يكون مطلوباً في الطلاق، ولهذا قال سبحانه:

﴿ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ ﴾

البقرة / ٢٢٧

والعزم أن يكون اللفظ فيه تعبيراً صادقًا عن النية، لأنه كالزواج في أهميته، حيث تتعلق به أعظم الحوادث المدنية كالنسب والميراث والنفقة والزواج، فالاستخفاف به إلى حد التعويل على وقوعه بمجرد اللفظ مجرداً عن النية مدهش كل من له إلمام ولو سطحى بالوظيفة السامية التى تؤديها الشرائع في العالم، وبالجملة فإن الفقهاء لو اشتغلوا بعلم الفقه الحقيقى لتبين لهم أن الطلاق لا يكون طلاقًا إلا إذا كان مصحوباً بنية الانفصال.

نحن في زمان صار ضرر الطلاق فيه عامًا، وألف الرجال فيه الهذر بألفاظ الطلاق، فجعلوا عصم نسائهم، كأنها لعب في أيديهم ينصرفون فيها كيف يشاءون، ولا يرعون للشرع حقًا، ولا للزوجية حرمة، وصار الطلاق يقع دون أن يقصده المطلق، وبمجرد الحلف على أمر أو حصول نقاش، وربما كان الفراق ضربة قاضية على الزوج وزوجته، فإذا افترق منها بكلمة صدرت منه لا يقصد الانفصال كان الطلاق من غير نية.

فلم لا يجوز مع ظهور الفساد في الأخلاق والضعف في العقول وعدم المبالاة بالمقاصد أن يؤخذ، بقول بعض الأئمة: من أن الاستشهاد شرط في صحة الطلاق، كما هو شرط في صحة الزواج، وفقًا لما ذكره الطبرى، وكما يشير إليه قوله تعالى في آخر آية سورة الطلاق:

﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾

الطلاق / ٢

أليس هذا أمراً صريحًا بالإشهاد، يشمل كل ما أتى قبله من طلاق ورجعة، وإمساك وفراق؟ أليس قصد الشارع أن يكون الطلاق واقعة حال مشهورة لدى العموم ليسهل إثباته؟ لم لا نقرر أن وجود الشهود وقت الطلاق ركن بدونه لايكون الطلاق صحيحًا فيمتنع بهذه الطريقة وقوع الطلاق من غير قصد؟ ثم يقترح في نهاية بحثه: أن الطلاق لا يصح إلا إذا وقع أمام القاضى أو المأذون وبحضور شاهدين ولا يقبل إثباته إلا بوثيقة رسمية(٥).

---

(٥) الطلاق، ضمن مجموعة الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده- مرجع سابق ص ١١٤- ١٢٢.



المطلب الرابع:

مسائل المعاملات

مسألة أرباح صندوق توفير البريد

سئل الإمام محمد عبده – رحمه الله– عن صندوق توفير البريد، بعد تعديله الأخير، وما إذا كان يجوز الادخار فيه وأخذ أرباحه شرعاً، وقال السائل: أنه لا يخفى على حضرتكم فوائده، لا سيما أنه يربى ملكة الاقتصاد في الإنسان، وهو ما يؤيده الشرع في ذاته، أفيدونا آجركم الله.

فأجاب – رحمه الله تعالى – بقوله: إن التعديل الذى تعنونه كان برأى لجنة من علماء الأزهر جمعها أمير البلاد لأجل تطبيق إيداع النقود في الصندوق على قواعد الفقه المعروفة – وقد كتبوا في ذلك ما ظهر لهم، وأرسلته المعية إلى الحكومة، فعرضته على المفتى وصدق عليه، وأمر بالعمل به ونحن لا نرى بأسا من العمل به حيث أن الشريعة لا تمنع التعاقد في عمل يفيد الآخذ والمعطى بيع أو تجارة، والذى يفهم من سبب تحريم الربا من قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾

آل عمران / ١٣٠

أنه كان في المدينة وغيرها من اليهود والمشركين من يقرض المحتاج بالربا الفاحش، كما عهد من المرابين والخواجات في هذه البلاد، وفى ذلك من خراب البيوت ما فيه، ومن ثم فالحكمة من تحريم الربا؛ إزالة هذا الظلم، والمحافظة على فضيلة التراحم والتعاون، أو فقل: "ألا يستغل الغنى حاجة أخيه الفقير إليه"، وهذا هو المراد بقوله تعالى:

﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾

البقرة / ٢٧٩

ولا يخفى أن المعاملة ينتفع بها ويرحم فيها الآخذ والمعطى، والتى لولاها لفاتتهما المنفعة معا لا تدخل في هذا التعليل:

﴿ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾

لأنها ضده، على أن المعاملة التى يقصد بها البيع والاتجار لا القرض للحاجة، هى من قسم البيع لا من قسم استغلال حاجة المحتاج، ولا يخفى إن إدارة البريد هى مصلحة غنية من مصالح الدولة، وأنها تستغل المال الذى يودع في صندوق التوفير فينتفع المودع والعمال المستخدمون في المصلحة والحكومة فلا يظلم أحدهم الآخر، وما قالوه ليس من قبل الحيل الشرعية، وإنما



هو من قبيل الشركة الصحيحة، من قوم المال، ومن آخر من الاستغلال فلا مانع إذا من العمل بالتعديل.

والحاصل إن المسألة قد أحلوها من طريق الفقه الظاهرى، والباحث في الفقه الحقيقى، وهو حكمة الشرع وسره، لا نرى ما ينافى حلها بناء على ماتقدم، والتضييق في التعامل يفقر الأمة ويضعها ويجعلها مسودة للأمم والله أعلم وأحكم(٦).

مسألة التأمين على الحياة

سئل الإمام محمد عبده – رحمه الله تعالى–:

ما قولكم دام فضلكم في شخص يريد أن يتعاقد مع جماعة على أن يدفع لهم مالاً من ماله الخاص على أقساط معينة ليعملوا فيه بالتجارة، واشترط عليهم أنه إذا قام بما ذكر، وانتهى أمر الانفاق المعين بانتهاء الأقساط المعينة، وكانوا قد عملوا في ذلك المال وكان حيا فيأخذ ما يكون له من المال مع ما يخصه من الأرباح، وإذا مات في أثناء تلك المدة فيكون لورثته، أو لمن له حق الولاية في ماله أن يأخذوا المبلغ تعلق مورثهم مع الأرباح، فهل هذا التعاقد الذى يكون مفيداً لأربابه بما ينتجه من الربح جائز شرعا، نرجو التكرم بالإفادة. فأجاب – رحمه الله–: لو صدر مثل هذا التعاقد بين ذلك الرجل وهؤلاء الجماعة على الصفة المذكورة كان ذلك جائزاً شرعا، ويجوز لذلك الرجل بعد انتهاء الأقساط والعمل في المال وحصول الربح، أن يأخذه – لو كان حيا– ما يكون له من المال مع ما يخصه في الربح، وكذلك يجوز لمن يوجد بعد موته من ورثته، أو من له ولاية التصرف في ماله بعد موته أن يأخذ ما يكون له من المال مع ما أنتجه من الربح والله أعلم(٧).

المطلب الخامس:

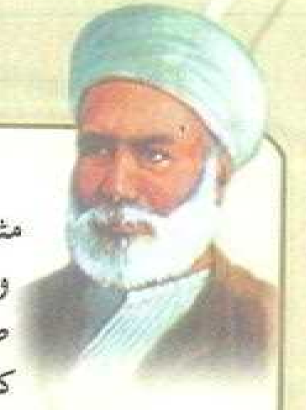
مظاهر التجديد في تلك الطائفة المنتقاة من الفتاوى

وكما يبدو من مطالعة تلك الفتاوى المنتقاة من التراث الفقهى للإمام محمد عبده، نجد أن فيها من مظاهر التجديد ما يمكن إبرازها فيما يلى:

أولاً: أن الوقائع التى كانت محلاً لفتواه كانت جديدة الحصول ومعاصرة الوجود له، ويبدو أن القدر قد أدخر وجوده وجعله معاصراً لتلك المستجدات، ليصلح الله بفقهه أمر الأمة فيها، إذ ربما لو عاصرها غيره لما استطاع أن يجيد قراءتها ليصل إلى

(٦) مجموعة من الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، السابق- ج ١ – ص٧٩٩ وما بعدها.

(٧) الفتاوى الإسلامية- ج٣ – ص ٨٢٣، مجلة المحاماة- س ٥ – ص ٥٦٣- برقم ٤٦٠ .



مثل ما وصل إليه الإمام فيها، ومن ذلك: مسألة فوائد صندوق توفير البريد، فإنها كانت من المسائل المستجدة التي عاصر وجودها حياة الإمام، وكذلك الأمر فيما يتعلق بمسألة: التأمين على الحياة، حيث كان هذا النوع من التعامل حديث الوجود في المنطقة الإسلامية، وإن كان وجوده الفعلى قد سبق حياة الإمام بأكثر من قرن وظهرت له أثر فقهى في حاشية الفقية الحنفى الكبير ابن عابدين المعروفة باسم حاشية رد المحتار على الدر المختار، إلا أن ذلك الأثر لم يكن يشفى الغليل، أو يضع الحكم الحاسم لهذا الموضوع الجليل، ومن ثم كان تناول الإمام لها بالإفتاء، إنما هو إفتاء في مسألة لا يصح تصنيفها إلا ضمن النوازل المستجدة في عهده رحمه الله، ومن المعلوم أن موضوع الفتوى إذا كان جديداً، فإن الإفتاء فيها لا بد أن يكون هو الآخر موصوفاً بالتجديد.

ثانيًا: أن بعض الوقائع التى أفتى فيها، وإن لم تكن جديدة الحصول، وطارئة الحدوث، إلا أن التعامل معها من قبل العوام قد غلبت عليه الأعراف الفاسدة والعادات الباطلة، والنوازع الضالة، والأهواء الشاردة معين الدين الصافى وأصوله الصحيحة، ومن ثم أساء الناس التعامل مع أحكامها، أو قصدوا بتلك الأحكام غايات تجافى مقاصد الشارع الحكيم من تشريعها، مع ما في ذلك الذى جنحوا إليه من المفاسد الواضحة والمضار الماحقة على الدين والأسرة والمجتمع والأفراد، ومن ذلك فتواه المتعلقة بتعدد الزوجات، حيث تعامل الناس فيها من جهة أنها من المباحات دون اعتبار لما يطرأ على تلك الإباحة من المفاسد التى تصلح لتغيير أصلها إلى الحظر، وإذا كانت مفاسد التعدد محل خفاء أو مسامحة فيما مضى، فإنها في حياة الإمام محمد عبده قد أخذت مظهراً اجتماعيا يكاد يرقى في مفسدته إلى الضرر العام، وكان ذلك الأمر جديداً يقتضى حلاً، فوجده في فتوى الإمام محمد عبده ومن ذلك - أيضا- فتواه المتعلقة بإيقاع الطلاق بالألفاظ الصريحة دون وجود نية الطلاق، حيث خالف جمهور الفقهاء فيما ذهب إليه من أن الطلاق لا يقع بها إلا إذا كانت مصحوبة بالنية الحقيقة لفصم عرى الزوجية، وقد دفعه للقول بذلك، ما استجد في عهده من فساد الناس، واستهانتهم بألفاظ الطلاق واتخاذها هزوا ولعبا وعلى نحو لم يكن موجوداً لدى السابقين، حيث كان الناس على تقوى وخشية من الله تمنعهم من أن يقولوا قولاً في الميثاق الغليظ، وهم لا يقصدونه، لأن مخالفة القول للقصد نوع من النفاق الذى يربأ الانقياد بأنفسهم عنه، كما أن تموج الطبع وقصد الإضرار



بالنساء لم يكن موجوداً، أما وقد تغير ذلك الأمر فإنه يعد واقعًا مستجداً يقتضى تغيير الفتوى فيه وفقًا لما طرأ عليه من تلك المستجدات التى لم تكن موجودة من قبل، ولهذا بعد افتاء الإمام فيها من قبيل المستجدات في فتواه.

ومنها أيضًا إفتاؤه في الدوسة، وما أحدثه الناس من البدع في خطبة الجمعة، والجنازات وعلى نحو ما تم انتقاؤه من فتاوى الإمام في قسم العبادات من تلك الدراسة.

ثالثًا: أن موضوع معصية تلك الفتاوى المستجدة، وإن كان سابقًا على حياة الإمام، إلا أن النظر الفقهى إليها لم يتحول عن الفكرة المستقرة عنها منذ أن فتح الرسول ﷺ مكة وحطم الأصنام وهو يطوف حول الكعبة، ومنذ ذلك التاريخ وليس في العقل الإسلامى فكرة عن التماثيل إلا من تلك الزاوية المؤثمة التى ترتبط بالشرك الأكبر وصرف الناس عن دين الله الحق إلى عبادة تلك الأديان الباطلة، فلما سافر الإمام للخارج ووجد من نظر أهل صقلية، إلى تلك التماثيل، ما يخالف ما استقر في العقل الإسلامى عنها، رأى أن ذلك المستجد ينبغى أن يكون سببًا لتوجيه أدلة التحريم وفقًا لتلك النظرة الإنسانية التى لاتنكر ما في تلك التماثيل من المنافع المتصلة بتدوين العلم وتسجيل أحوال الناس في الحقب التاريخية السابقة بما يمكن أهل الفترات اللاحقة من الوقوف عليها والاستفادة من تاريخها، فإن الاعتبار لسنة الأولين مما أرشد إليه الشارع الحكيم سبحانه، وأن تلك التماثيل، وبوصف أنها من أدوات التعبير والبيان تدخل تحت عموم قوله تعالى:

﴿ الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

الرحمن/ ١-٤

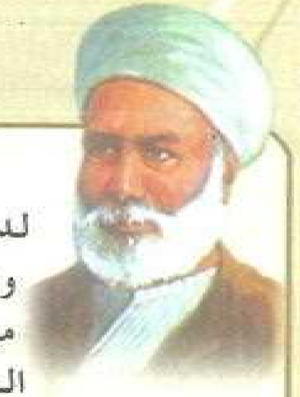
ولهذا لم يكن ثمة مانع لدى الإمام من أخذ ذلك المستجد في الاعتبار وإعادة توجيه أدلة تحريم الصور والتماثيل بما يجعلها معللة بكونها صارفة عن عبادة الله سبحانه، فإذا تغيرت تلك العلة، وأصبحت لغاية أخرى تتفق مع ما شرعه الإسلام من الأمور مثل تدوين التاريخ، وتسجيل أحوال الأمم والشعوب لأخذ العبرة منها مما يعمق الإيمان بالله سبحانه، يكون حكمها الإباحة وليس التحريم.

المبحث الثانى

ضوابط التجديد

في فتاوى الإمام محمد عبده

بالنظر في جملة الفتاوى المستجدة للإمام محمد عبده، نجد أن تعامله مع قضية التجديد، لم يأت على حساب أدلة الشريعة الصحيحة، ومصادرها المعتبرة



لدى جماهير الأئمة والفقهاء، ولم يكن مروقًا من مبادئ الاجتهاد الصحيح، والقواعد الفقهية العامة التي سار عليها سلف الأمة وعلماؤها، والتي قررها الفقهاء لتكون علامات هادية لمن يريد أن يجمع الفرع بأصله ويرجع المسألة إلى أدلتها، بل كان ذلك التجديد قائمًا على أصول شرعية معتبرة، وضوابط فقهية صحيحة يمكن إبرازها فيما يلي:

أولاً: الاحتكام إلى كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ وإجماع علماء الأمة وذلك الاحتكام يمثل أمرا ثابتا وراسخًا في كل ما أثر عن الإمام محمد عبده من تراثه العلمي، والفقهي ومنه فتاواه في الأمور المستجدة والنوازل الحادثة وغيرها، ويبدو ذلك واضحًا من ثنايا فتواه في قسم العبادات حيث يقول: إن كل عبادة لم يرد بها نص عن الله - سبحانه- أو عن نبيه ﷺ قولاً أو فعلاً، ولا في عمل أصحابه اقتداء به ﷺ تكون بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، فهي ممقوتة للشارع يجب منعها.

ويقول في موضع آخر: الاعتقاد الصحيح الذى (٨) يشوبه شوب من الخطأ - وهو ما يجب عى كل مؤمن بما جاء به محمد ﷺ أن يعتقده فهو الأساس الذى بنيت عليه رسالته[٨] فإذا ما عنت له مسألة- بحث عن حكمها في كتاب الله- تعالى- ثم أجرى عليها ما ورد به، ثم في سنة نبيه ﷺ ثم يورد الحديث الدال عليه، مبينًا درجته من الصحة، ودلالته على المطلوب ثم استقر عليه إجماع علماء الأمة لا يحيد عنه قيد أنملة.

ثانيًا: الاهتداء بقواعد الفقه العامة، ومبادئه الكلية، والنظر بعين الاعتبار إلى مقاصد الشريعة من وضع الأحكام، ليكون حكم الفرع متجها وفق أصله إلى حيث يقصد الشارع سبحانه، وحتى يقوم الانسجام بين الأحكام ولا يتضارب الفرع مع غايته، فإن شريعة الله مبنية بأحكام دقيقة، وقائمة على نظام متناسق، تتعاضد فيه الأحكام ولا تتضارب، وفى إطار الاعتداء بالقواعد العامة للفقه الإسلامي، استطاع أن تستثمر تلك المبادئ للحكم الصحيح على الواقعة من جهة حقيقتها ومضمونها إعمالاً لحديث: "إنما الأعمال بالنيات" والذى أخذ الفقهاء منه قاعدة أن العبرة في الحكم على الأمور والتصرفات بمعناها وليس بمبناها، ومن جهة ما فيها من المصالح والمفاسد باعتبار أن الله لم يشرع لعباده من الأحكام إلا ما رجحت فيه المصلحة على المفسدة، فإذا تغير الحال وزادت المفاسد على المصالح فيها

(٨) من فتوى الإمام فى التوسل بالأنبياء والأولياء، مجموعة الأعمال الكاملة- السابق- ج٣ - ص ٥٣٦.



لا يكون الحكم مشروعًا، بل ممنوعًا.

ثالثًا: الاهتداء بما كتبه الأئمة السابقون والعلماء المجتهدون في المسألة، فنراه ينقل عنهم أقوالهم في المسألة محل الدراسة أو الافتاء، معزوة إلى أدلتها الشرعية من الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة، ولم يكن يتقيد في نقل أقوال السابقين عليه بمذهب معين، ولكنه كان يأخذ من أقوال كل مذاهب ما يرى أنه ملائم لزمانه، ومصالح للأخذ به والسير على منواله، ولما يصادفه من مستجدات الحياة فيحقق التيسير على الناس، أو يفوت عليهم إهدار مقصد من مقاصد الشريعة وإذا كان الإمام يستشهد بنقول من كتب المذهب الحنفى في أمور العبادات وغيرها إلا أنه حين يجد أن من نقول المذهب المالكى ما يحقق مصلحة ملحة تدعو إليها الحاجة المعاصرة لاستقرار الأسرة وإنصاف المرأة من المضار التى تحيق بها في ظل رابطة الزوجية، وذلك انصافًا لها وحفظًا لحقوقها.

رابعًا: إذا وجد من أقوال الفقهاء ما يقتضى العدول عنه لغير موجبه، وانقضاء علته، فإنه لا يتردد في بيان ذلك، مقتديًا بما هو مقرر من أنه لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان، وأن الحكم يدور مع علته وجودًا وعدما، فإذا تغيرت علته، وتحول مقتضاه، فإنه يتعين أن يتغير وفقًا لذلك، ولعل رائده في هذا ما أثر عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضى الله عنه- في جملة من الاجتهادات الفقهية المتعلقة بمراكز حقوقية متميزة، كحقوق الزوجية وغيرها، ومنها ما رآه من إمضاء الطلاق الثلاث على من أوقعه، مع أنه كان في عهد النبى ﷺ وأبى بكر وسنتين من خلافته - رضى الله عنه- لا يقع به إلا طلقة واحدة، وكان دافعه لذلك التغيير ما وقع في حياة الناس من المستجدات السلوكية التى تقتضيه، والتى عبر عنها - رضى الله عنه- بقوله: إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة، فلو مضيناه عليهم، فأمضاه عليهم، وكما يبدو فإن استهانة الناس بأمر الطلاق، وطيشهم في التعامل مع عصمة الزوجية كان سببا لتعيير الاجتهاد في إيقاع الطلاق من قبل عمر، ولهذا فإن الإمام حين رأى استهانة الناس بأمر الطلاق وحمقهم في النطق بألفاظه من غير قصد لإيقاعه، لم يتردد في الجهر بأنه لامناص من إعمال القواعد العامة التى تقضى بأن الأعمال بالنيات، وأن لفظ الطلاق حتى ولو كان صريحًا لا يقع إلا إذا صاحبه قصد صحيح يفصح عنه لفظ صريح، وقد خالف بذلك ما أثر عن جمهور الفقهاء من تقسيم الطلاق إلى صريح وكناية، واختصاص كل قسم منهما بحكم يخالف فيه الآخر من جهة وجود النية وعدمها، فالكناية لا تقع إلا بالنية، والصريح يقع بدون نية، وهو ما أثار عجبه بسبب مخالفته لما هو مقرر من أن الأعمال بالنيات ولهذا ذهب إلى أن الطلاق



الصريح بدون نية لا يقع وقرر أن الإشهاد شرطًا لصحته فإذا لم يوجد إشهاد على الطلاق أو توثيق له فإنه لا يعتد بها، بل قرر أن الطلاق لا يقع إلا أمام الشهود أو أمام المأذون أو القاضى، وما رآه الإمام هو ما سبق أن قرره بعض فقهاء الحنفية والشافعية ونسبوه إلى كثير من سلف علماء الأمة، وذلك على نحو ماورد في الأشباه والنظائر للإمام ابن نجيم الحنفى والأشباه والنظائر للإمام السيوطى الشافعى، حيث ورد فيهما ما يفيد أن الطلاق الصريح بدون نية إيقاع الطلاق لا يقع[9].

وهذا الاتجاه هو ما يتفق مع مقاصد الشريعة العامة ويؤيده أن الله تعالى قد أهدر عبارة المكره على الكفر رغم التلفظ بها صراحة، وحكم باستقرار إيمانه وعدم الاعتداد بها وذلك بقوله تعالى:

﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾

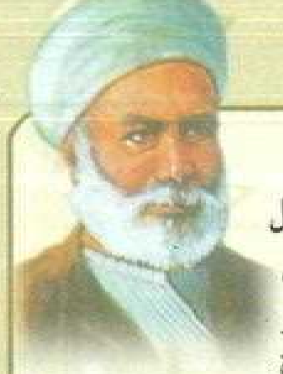
النحل/ ١٠٦

حيث أهدر الله كلمة الكفر حين لم تصادف قصد إيقاعها في القلب، بل قال النبى ﷺ: لعمار بن ياسر حين أتى إليه شاكيًا ما فعله المشركون به من عذاب ليحملوه على النطق بكلمة الكفر، مما اضطره أن ينطق بها مكرهًا فقال له ﷺ: ماذا وجدت قلبك؟ قال: وجدته مطمئنًا بالإيمان، فقال ﷺ: إن عادوا فعد(٢٤)، وإذا كان الله قد أهدر كلمة الكفر حين لم تصادف قصداً، والإيمان هو أصل التصرفات، فلا يكون اللفظ مهدرا إذا لم يصادف القصد إليه فيما دون الإيمان من باب أولى.

رابعًا: النظر إلى المستجدات نظرًا صحيحًا، وقراءتها قراءة صائبة تستهدف سبر أغوارهما وفهم أبعادها- والوقوف على حقيقتها، وذلك من منطلق أن الحكم على الشئ فرع عن تصوره، وأن الفقيه إذا لم يقم بفهم الواقع الذى يفتى فيه فإن حكمه عليه لن يكون صائبًا، ولن يستطيع أن يصيب عين الحق فيما يقرره، وقد وهب الله الإمام محمد عبده، قدرة فائقة على فهم الواقع، وحظا من فقه النفس الذى يمكنه من الغوص في أعماق النفس البشرية، وتحليل مواقفها، وتتبع ما تشير إليه نوازعها وذلك فيما اختص به من الذكاء، الفطرى والصفاء النفسى، والتفوق العقلى، وفيما اكتسبه من قراءاته ورحلاته ولقاءاته وتعدد ثقافاته ومشاربه وأعماله وتجاربه في أمور المعاش والعباد.

خامسًا: التوازن في نظرته المعتدلة

(٩) راجع الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٣١ طبعة المكتبة التوفيقية، والأشباه والنظائر للسيوطى ص ١٠٦ طبعة المكتبة التوقيفية..



للأحكام بما يحقق سعادة الدارين، وفلاح الحياتين، فلم يهمل حظ الحياة الدنيا ويترك بعض المسلمين فيما هم عليه من جهل وتخلف وركون إلى الخرافات والترهات والدجل، بل دعا إلى العمل للدنيا والأخذ بالأسباب، وتحقيق التقدم في العمل والصناعات والتجارات، ومنبها إلى أن الاستعداد للآخرة لا يتنافى مع العمل للدنيا والتقدم فيها، وإن العزة التى اثبتها الله لعباده لن تتحقق إلا إذا أخذوا بالأسباب وركنوا إلى العمل واحترموا العقل، واستغلوا ما سخره الله لهم من النعم في أبدانهم وحياتهم للقيام بواجب العبادة له، والخلافة في الأرض على النحو الذى يرضيه سبحانه.

سادسًا: احترام الإبداع البشرى، طالما إنه لا يشغل عن طاعة ولا يؤدى إلى معصية، وفى حدود هذا الضابط، نظر إلى ثمار العقل البشرى من الفنون الراقية والاداب السامية على أنها عطاء بشرى مدخل ضمن ما منّ الله به على عباده بقوله تعالى في سورة الرحمن:

﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾

الرحمن/ ٣، ٤

بل أنها قد تعد نوعًا خاصًا من البيان لا يقدر عليه إلا من حباهم الله بالموهبة المتميزة، والملكات المتفردة والتى قد تصل في قوة تعبيرها ودلالتها على أسرار النفوس وأمزجة الكائنات ما يجعل النظرة إليها تغنى عن مطالعة مجلدات، وفى صور تلك النظرة الفقهية المتميزة جاء حديثه عن الصور والتماثيل بما يجعل الحكم الشرعى عليها مرهونًا بالغاية منها، وليس لذاتها، فإن تلك الذات كغيرها من الذوات قد تكون متلبسة المفاسد، لكن وجود المفاسد فيها لا يبرر القول بمنعها إلا إذا كانت تلك المفاسد غالية، والمصالح نادرة، أو منعدمة.

سابعًا: الشجاعة في إبداء الرأى والجهر بما يراه حقًا وصوابًا مهما كلفه ذلك من المشاق والصعوبات، وقد لاقى في سبيل ذلك من التطاول والتجريح والاضطهاد ما أوجد خصومه بينه وبين أصحاب الكلمة النافذة، وذوى السلطة في المجتمع، وفتح عليه أبوابًا من سوء الظن والتعامل ما لايليق به، وقد أقعده ذلك عن اعتلاء منصب كان أهلا له وهو الإمامة الكبرى ومشيخة الأزهر، ولكنه لم يتول ذلك المنصب رغم قدراته العقلية ومكانته العلمية، بل إنه قد اضطر إلى تقديم استقالته من الأزهر قبل موته بأشهر معدودات، ولعل ذلك العنت هو الذى ألبّ عليه علته، وقوى عليه مرضه، فأعجزه عن القيام بمهام عمله، وحسبه أن اجتهاده لم يذهب سدى، بل أثمر من الطلاب والتلاميذ والأئمة، ما جعل حياته ممتدة بهم، وأراه حية بوجودهم.



خاتمة

أهم مقاصد التجديد في

فتاوى الإمام محمد عبده

وفى ختام تلك الدراسة يبدو من مطالعة ملامح التجديد وضوابطه في فتاوى الإمام محمد عبده أن لهذا التجديد مقاصد يمكن استجلاؤها من ثنايا ما ذكره تعليلاً لأحكام فتاواه أو تبيانًا لوجوه الحكمة فيها، وهذه المقاصد يمكن ارجاعها إلى ما يلى:

أولاً: إبراز ما اتسمت به شريعة الله من يسر وخلود، وقدرة على حكم مستجدات الحياة دون الاستعانة بتشريع سواها أو اللجوء إلى غيرها، ولن يتسنى إبراز تلك السمة التى اختص الله بها شريعته إلا بالتجديد الذى يظهر قدرتها على استيعاب المستجدات وإسباغ حكم الله عليها.

ثانيًا: إبراز ما في الشريعة الإسلامية من تسامح وقدرة على التواصل والتعاون مع الآخرين والتعامل معهم في إطار الأخلاق الفاضلة، والكليات الخمس التى اتفقت عليها جميع الأديان، وإذا قعد بالناس اختلاف العقيدة يبقى التلاحم والتعاون بينهم قائمًا على أساس الأخلاق ومقومات الحياة التى لا يختلف عليها دين من الأديان.

ثالثًا: احترام كرامة الإنسان وعقله وإرادته وتفكيره وحريته، باعتبار أنه موئل الكرامة التى أثبتها الله لبنى آدم، فعدت من حقه حياً و ميتًا، ولهذا لا يتصور ورود حكم شرعى يهدر الكرامة أو يجافى حقوقها.

رابعًا: استقرار الأسرة والحفاظ عليها باعتبار إنها الوعاء الحافظ لمقومات الدين أحكامًا ورجالاً، وإذا فقدت الأسرة الاستقرار واضطربت حياتها تعرضت حياة الأفراد والمجتمع للمخاطر.

خامسًا: احترام آدمية المرأة وحقوقها واحترام عقلها وقدرتها على العطاء في الحياة الخاصة والعامة، واعمالاً لما سنه الله من الولاية التضامنية بينها وبين الرجال في القيام بطاعة الله، والعمل من أجل سعادة الدارين.

سادسًا: احترام العقل وما ينتج عنه آراء يجب التعامل معها بالحوار الهادف والنقاش الهادف، وبعيدًا عن العنف والبغض والكراهية.

سابعًا: حب الوطن والنظر إليه على أنه من لوازم الأحكام الشرعية، والوعاء الحافظ لعزة الدين وكرامة الإسلام والمسلمين، ولهذا كان كل ما يحفظ الوطن ويدعم وجود الأمن فيه من مقاصد الدين، وباعتبار أن ضياع الوطن يؤدى إلى ضياع الدين والإطاحة بمقدراته.

هذا وبالله التوفيق،،،

***



الأستاذ الإمام محمد عبده

عبقرية الإصلاح فى رحاب القضاء

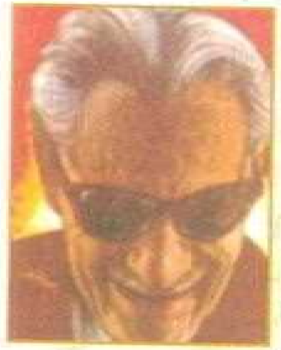
وعن دور الإمام محمد عبده فى إصلاح النظام القضائى فى مصر جاء بحث الأستاذ رجائى عطية المحامى عضو مجمع البحوث الإسلامية، قال:

حين ولد الأستاذ الإمام محمد عبده فى قرية محلة نصر من أعمال مديرية الغربية فى عام ١٨٤٩، لم يكن أحد يعرف أن ميلاده فى هذا الزمن القفر من موافقات المقادير، ولا كان أحد يمكن أن يتنبأ بأن هذا الوليد سوف يملأ الدنيا ويشغل الناس بعد زمن وجيز، وأنه مقدور أن يحمل شعلة الإصلاح لينشر النور والضياء فى ربوع مصر والشرق بعد ظلام ليل طويل من الجهالة والجمود، ومع ذلك فإن الإستاذ الإمام لم يكن من عظماء الفرصة، وإنما كانت عظمته مستمدة من " القدرة الخالصة " التى تحمل مقوماتها وتعبر عن نفسها فى كل وقت وعصر.. نعم كان العصر عصر إظلام يتحرق شوقا للخروج من متاهات الجهل والجمود، وقيض له فى الأستاذ الإمام وأترابه أن يحملوا شعلة الاستنارة ويقودوا حملة الإصلاح، إلا أن عبقرية محمد عبده الإصلاحية عبقرية عريضة عميقة، لا تنحبس انتظارا لفرصة تسنح للتعبير عن نفسها، وإنما فى نسيجها وبصيرتها ما يهيئ لها تهيئة الظروف وتذليل الصعاب وتعبيد الوهاد وخلق فرص التقدم خلقا قوامه هذه العبقرية الإصلاحية بفطرتها وصفاتها وسجاياها.. كان الأستاذ الإمام أعظم من أنجبته القرية المصرية ونهض برسالة الأزهر فى



عصره ، وكان ينبوع قوة روحانية تطوى عوارض الزمن وصغائر الدنيا فيما تفيض به من حياة إنسانية متعددة الجوانب ، لم تدع مجالاً إلاّ طرقته ببصيرتها المفطورة ، ونظرتها العميقة ، وعقلانيتها الفياضة التى بعثت الحياة بعثا جديداً فى عصر بأكمله .. من المحال أن نقرأ لأحد من أعلام التنوير من أواخر القرن التاسع عشر وحتى الآن ، دون أن نجد الأستاذ الإمام حاضراً فى كتاباته ، مؤثرا فى نسيجه وتكوينه .. عن أثره العميق فيه وفى جيله أشار عميد الأدب العربى خريج الأزهر والجامعة ـ الدكتور طه حسين فى كتابه الأيام ، وعن أثره فى سنوات التكوين تحدث الأستاذ العقاد حتى قال فيمن تمنى أن يكتب عنهم ـ إنه لم يتيسر له أن يكتب عن الأستاذ الإمام محمد عبده خليفة الغزالى أحب المفكرين الإسلاميين إليه وأقدرهم تفكيرا على الإطلاق ، إلاّ بعد أن أجمع أمره على إطراح التردد الطويل الذى يلازمه عند الكتابة عن أحب الشخصيات وأقربهم إليه، وجاهد نفسه للإكتفاء بثلاثمائة صفحة فى كتابة ترجمة كانت ألف صفحة دون الكفاية عنده لموضوعها وجلال قدر الأستاذ الإمام وعظمة دوره ورسالته الإصلاحية التى تركت أثرا بالغا فى عصره ، شمل من تسامعوا به فضلا عمن تلقوا مباشرة عنه .

كان الأستاذ الإمام مطبوعاً على عبقرية الإصلاح وعبقرية التعليم ، مدركا إدراكا عميقا أن الإصلاح لا يتأتى إلا بالتعليم ، وأن إنارة العقول لاكتساب القدرة على الفهم واختيار سبل الإصلاح لا تكون إلاّ بالتعليم ودربة العقل على النظر والتفكير .. هذه العبقرية الإصلاحية يلمسها المتتبع لسيرة الأستاذ الإمام فى كل مجال طرقه أو عرض له، فى الفقه والشرع ، وفى التعليم والترشيد، وفى السياسة والوطنية ، وفى التربية والإجتماع ، وفى الصحافة والكتابة والتأليف، وفى القضاء ، وفى الأعمال الخيرية .. لم تفارقه هذه النظرة الإصلاحية قط ، حتى عندما دفع به النفى الإجبارى إلى خارج البلاد، فى أعقاب الثورة العرابية ، فيأبى أن يفارق بيروت إلاّ بعد أن أودع آراءه فى إصلاح الأمة الاسلامية بالتعليم والتربية فى رسالتين



طه حسين

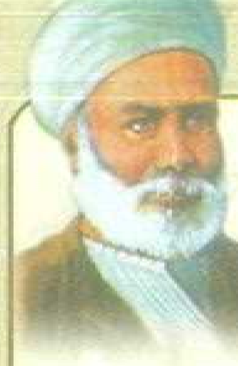
(لائحتين) أرسل إحداهما إلى شيخ الإسلام بالآستانة ، وأرسل الثانية إلى بيروت، يشرح فيهما ما اهتدى إليه أثناء مقامه فى منفاه من وسائل إصلاح البلاد عن طريق التعليم والتربية (عباس العقاد . الإمام محمد عبده ـ سلسلة أعلام العرب العدد / ١ ص ١٠٦) .. هذا النابغة ـ الريفى الأزهرى ـ عرف بالسليقة والفطرة ، وبالعلم والتأمل

والخبرة ـ بل آمن إيمان الدين المتين أن " التقدم العصرى " رهين بعلوم لنا أهملناها وهجرناها ، وعلوم للمعتدين علينا سبقونا إليها ولم نلحقهم فى غير القليل منها ، فيقول للناس فى مقال له فى صحيفة الأهرام :

" ليت شعرى إذا كان هذا حالنا بالنسبة إلى علوم أرضعت ثدى الإسلام وغذيت بلبانه وتربت فى حجره وتقلدت أيوانه منذ زمن يزيد على ألف سنة . فما حالنا بالنسبة إلى علوم مفيده هى من لوازم حياتنا فى هذه الأزمان .. لابد لنا من اكتسابها وبذل الجهود فى طلبها " (العقاد ـ المرجع السابق ص ١٨ / ١٩)

فى القضاء أرادوا إبعاده عن السياسة والتعليم فصار إليه إصلاح القضاء !

من موافقات المقادير ، أن تعيين الأستاذ الإمام بالقضاء عام ١٨٨٨ ، لم يكن خالياً من الغرض ، فردت المقادير على المغرضين غرضهم ! .. كانت عبقرية الإمام الإصلاحية قد أقضت مضاجع ، وكانت روحه الوطنية الوثابة قد أقلقت السلطات ، فهو مصلح لا يهدأ ولا يدع أحداً يهدأ أو يستنيم ، فكانت حوادث الثورة العرابية سنة ١٨٨١ التكئة التى اتخذت ذريعة لنفيه وإبعاده عن البلا د ، ولكنه بعد أن أمضى السنوات الثلاث فى الشام التى اختارها مقاماً لنفيه المرهون نهوه بإذن من الخديوى ، شد الرحال إلى باريس ليلحق بأستاذه جمال الدين الأفغانى ، وليصدرا معاً جريدة " العروة الوثقى " التى



منعت الحكومة المصرية دخولها للبلاد ، وانتهت سنوات النفى والتغريب بعودته إلى مصر سنة ١٨٨٧ ، فتلاقى توجس السلطات من استئناف نشاطه مع احتياج نظارة الحقانية إليه فى وظيفة القضاء الذى كان يعانى معاناة مرة وفى حاجة إلى إصلاحه وتطعيمه بذوى العلم والفقه والكفاءة .. كان أمل الأستاذ الإمام فيما يبدو ـ أن يستأنف حين عاد مسيرته الإصلاحية فى التعليم ، وربما كانت أنسب الأماكن آنذاك لعطائه ـ معهد دار العلوم الذى يجمع بين ثقافة الأزهر وعلوم العصر الحديث ، إلاّ أن ولاة الأمر أوجسوا ـ على ما يظهر ـ من إسناد وظيفة التدريس فى دار العلوم إليه تحسباً لتمكنه واقتداره على بث القوة التى لديه فى نفوس الناشئة من معلمى المستقبل على امتداد البلاد ، فأرادوا من ثمّ إبعاده عن التعليم ، وتلاقت هذه الرغبة مع احتياجات القضاء ونظارة الحقانية إلى وظائف ريم أن يتوفر فى شاغليها العلم بالشريعة والفقه ، مع النزاهة والكفاية للحكم الصالح. ولقد أوشك الأستاذ الإمام أن يرفض الوظيفة المختارة له التى رأى أن اختياره لها لم يراع رغبته ولا كفايته للإصلاح عن طريق التربية والتعليم ، ولأنه ـ كما قال ـ " جرب عمله فى التعليم وعلم أنه قد خلق له ، وأنه لم يخلق ليقول حكمت على هذا وحكمت لذاك .. " (عباس العقاد ـ المرجع السابق ص ١٠٧ / ١٠٨)



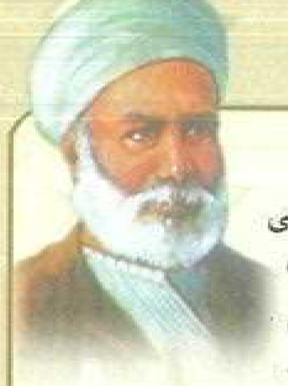
وقد قلنا إن تعيين الأستاذ الإمام بالقضاء كان من موافقات المقادير ، لأن هذا التعيين - وعلى غير توقع من أرادوا التخلص والإبعاد ! - أضاف إلى كل من القضاء وإلى تاريخ الأستاذ الإمام ، أضاف إلى القضاء نضج التجربة التى خاضها الأستاذ الإمام بروحه الوثابة وعلمه العريض وإخلاصه الهائل وعبقريته الإصلاحية ، فكان على المنصة مثالاً جديداً لم يسبقه إليه أحد ، وكان فى كتابة الأحكام أحد أضلاع استحداث لغة جديدة فى الحيثيات جمعت بين الفقه والشرع والقانون ، وبين متانة العبارة وجلاء المعنى والبعد عن التقعر والنطاعة ، وأضاف هذا العطاء إلى تاريخ الأستاذ الإمام صفحات جديدة لم يكن ليسطرها لولا أن أتيحت له فرصة العمل فى القضاء الذى تجلت فيه جوانب جديدة فى هذه العبقرية الإصلاحية التى لا يحدها حد ، ولا تنطوى فى مجال دون مجال .

شهد النبهاء للأستاذ الإمام أنه كان معلماً فى أحكامه ، وأنه كان من لوازمه التأمل والتدبر ومراجعة الفكر قبل أن ينتهى إلى الحكم الذى يقرن النطق به بأداء واجبه فى الإرشاد والتنوير والنصح والتوجيه ، حتى ليبدو المحكوم عليه مقتنعاً بما حكم ضده به .

فى القضاء عمل الأستاذ الإمام قاضياً ببنها سنة ١٨٨٨ ، ثم بالمنصورة ، ثم نقل منها إلى الزقازيق ، ثم رقى إلى الدرجة الأولى بالقاهرة سنة ١٨٩٢ ، ثم عين مستشاراً فى الاستئناف سنة ١٨٩٥ لنراه عضو اليسار فى دائرة باسيلى بك تادرس سنة ١٨٩٦ وفى دائرة سعد بك زغلول سنة ١٨٩٧ ، فكانت جهوده آية على إخلاص جدير بالأستاذ الإمام جعله فى المقدمة فى كل ما اضطلع به (عبد الحليم الجندى - الإمام محمد عبده - سلسلة أعلام الإسلام - دار المعارف - ط ٢ - ص ٥١ - ٥٥) .

العالم الجليل لا يترفع عن الاستعداد لولاية القضاء

لم يمارس الأستاذ الإمام وظيفة القضاء ممارسة العاديين أو الأوساط القانعين بأداء المطلوب وكفى ، فلم تكن هذه شخصية الأستاذ الإمام ، ولا كانت هذه نظرته للحياة التى أدرك أنها كانت بإنتظار خطواته الإصلاحية المخلصة .. قد عرف منذ عين فى القضاء أن قاعدته الشرعية تضعه فى المقدمة فى هذا المضمار بين رجال القضاء ، ولكنه نظر فرأى بين القضاة من نالوا بعثات فى باريس ، وتخصصوا فى الفقه الفرنسى الذى تعرض له المحاكم فى تطبيق ما نقل عنه أو استمد بعض جذوره منه ، وأدرك بطموحه وإيمانه بقيمة المعرفة أنه لا معدى عن الرجوع إلى مصادر هذا الفقه بلغته الأصلية لمن يريد أن يملك زمام الأمر فيه ، فبادر الأستاذ الإمام - وهو العالم الجليل فى مجاله - إلى استحضار ما كان قد ألم به من مبادئ الفرنسية فترة النفى فى باريس بعد أن كان قد بدأ شوطه معها إبان الثورة العرابية وهو فى الرابعة والأربعين ،



فواصل المجاهدة مع الصبر ليسبر أغوار هذه اللغة ليحسن الإلمام وفهم ما يتعين على القاضى العالم الفقيه أن يلم به ليفهم وليحكم بالعدل الذى هو مهجة القضاء وغايته .. نسمع إليه يحكى هذه التجربة فيقول :

" بدأت بتعلم اللغة الفرنساوية عندما كانت سنى أربعاً وأربعين سنة . ولكن ميلى إلى تعلم لغة أجنبية ابتدأ فى أثناء الحوادث العرابية فتعلمت الهجاء ثم تركته ونسيته تقريباً ، وعندما سافرت إلى فرنسا أول مرة أقمت هناك عشرة أشهر .. ولم أتعلم شيئاً من الفرنساوية .. أما بعد عودتى من النفى إلى مصر واشتغالى بالقضاء .. خصوصاً فى الجنايات على أصول القوانين الفرنساوية وجلوسى بين قضاة يغلب عليهم العلم بتلك القوانين فى لغتها ، فقد تقوى عندى الميل إلى تعلم اللغة الفرنساوية حتى لا أكون فى معرفة القوانين أضعف ممن أجلس معهم مجلس القضاء .. فوجدت أستاذاً لا بأس به جاءنى حاملا كتاب نحو فى يده (كرامير) فسألته ما هذا ؟ فقال كتاب نحو فقلت له " لا وقت عندى لأن ابتدئ ، وإنما عندى زمن لأن أنتهى " ثم ناولته قصة من تأليف " إسكندر ديماس " وقلت له : أنا أقرأ وأنت تصلح .. سافرت بعد ذلك إلى فرنسا وسويسرا عدة مرات فى أيام العطلة ، وكنت أحضر دروس العطلة فى كلية جنيف " .. ثم أضاف يقول : " ثم إن الذى زادنى تعلقا بتعلم لغة أجنبية هو أنى وجدت أنه لا يمكن لأحد أن يدعى أنه على شئ من العلم يتمكن به من خدمة أمته ويقدر على الدفاع عن مصالحها كما ينبغى إلا إذا كان يعرف لغة أوربية . كيف لا وقد أصبحت مصالح المسلمين مشتبكة مع الأوروبيين فى جميع أقطار الأرض؟ وهل يمكن مع ذلك لمن لا يعرف لغتهم أن يشتغل للاستفادة من خيرهم للخلاص من شر الشرار منهم " ؟!

ويعلق الأستاذ العقاد على هذا المنهج فيقول ص ١١٠ - ١١٢ من كتابه عن الأستاذ الإمام : تأبى ملكة التعليم إذا تمكنت من صاحبها أن تتوارى ولها مندوحة للبروز فى حركة من حركات ذهنه أو شاغل من شواغل حياته . فقد كان القاضى التلميذ يتلقى دروسه الأولى فى اللغة الفرنسية وكأنه يُعلم أستاذه فيها كيف يعلمه تلك الدروس وكيف يختار له أوجزها وأنفعها لمثله ، وهداه إلهام البديهة إلى منهج فى تعليم اللغات للكبار على الخصوص لم يكن معلوما فى ذلك الحين ولم ينتشر قط فى البلاد الغربية أو الشرقية قبل وفاته ، ونعنى به منهج التعليم الذى أطلقوا عليه بعد ذلك اسم المنهج الكلى أو منهج الابتدائى بالكلام المجمل والانتهاء إلى التفاصيل المتفرعة عليه ، ويؤثر المعلمون على هذا المنهج أن يبدأ قارئ اللغة بقراءة الجملة ثم يتعلم تفسيرها بفهم



مفرداتها على حدة ، ثم يلم بقواعدها الضرورية ، أو بأجروميتها ونحوها وصرفها وبلاغتها ، من توضيح موقع الكلمة بالنسبة إلى الكلمات الأخرى وإلى التراكيب التى تحتويها . جاء المعلم وفى يده كتاب من كتب الأجرومية الأولية ، فقال للمعلم : لا وقت عندى للإبتداء من البداية فلنبدأ من حيث ننتهى ، وتناول قصة من قصص " اسكندر دوماس " ليقرأ عباراتها ويستمع تصحيح المعلم لنطقه وتفسيره لمعانيها ... قال : أما ما عدا ذلك فهو عملى ، والنحو يأتى فى أثناء العمل ، وعلى هذا المنهج أتم الكتاب وأتبعه بكاتبين آخرين ، وتعود بعد الدرس أن يطالع ما قرأه على المعلم منفردا بصوت مرتفع ليسمع نطقه ويتذكر مواضع خطئه وتصحيح معلمه ، واختبر فى نفسه نجاح هذا النهج فأوصى به من كان يعرفهم من طلاب اللغة الفرنسية ، ومنه استفاد الشاعر " حافظ إبراهيم " فوائد حسنة فى هذا الباب ، كما سمعت منه وهو يحدثنا عن محاولته الأولى لترجمة كتاب " البؤساء "

لقد صار هذا النظر فى تحصيل العلم من كل باب جزءاً لا يتجزأ من رؤية الأستاذ الإمام لوجوب اتساع دائرة تحصيل العلم فى منابعه المختلفة ، ترى هذا فى تفسيره رحمه الله لسورة العصر حين يقول :

" لو قضى الزمان بأن يكون من وسائل التمكن من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واشتغال الناس بالحق عن الباطل ، والطيب من الخبيث - أن يضرب الإنسان فى الأرض ، ويمسحها بالطول والعرض ، وأن يتعلم اللغات الأجنبية ، ليقف على ما فيها مما ينفعه فيستعمله وما يخشى ضرره على قومه فيدفعه - لوجب على أهل العلم أن يأخذوا من ذلك بما يستطيعون ، ولهم فى سلف الأمة من القرن الأول إلى نهاية القرن الرابع من الهجرة أحسن الأسوة ، وأفضل قدوة " . (دروس من القرآن الكريم - الأستاذ الإمام محمد عبده - كتاب الهلال - مارس ١٩٥٩ - ص ١٠٨)

يقول الدكتور عثمان أمين فى كتابه عن الأستاذ الإمام من سلسلة أعلام الإسلام :-

" لقد أجمع أصحاب الأستاذ الإمام وخاصته على أنه أتقن اللغة الفرنساوية تحدثا وقراءة وفهما على الرغم من قرب عهده بتعلمها . وهذا ما شهد به أخيرا الأستاذ لطفى السيد (باشا) حين ذكر أن الشيخ محمد عبده هو الذى كان يجلو لإخوانه المصريين ما غمض من عبارات الفيلسوف الفرنساوى " تين " : فى كتابه المشهور عن الذهن ، ونحن نعلم من جهة أخرى أن الأستاذ الإمام قد أملى فى مرض موته فصلا بالفرنساوية نشره المسيو دى جرفيل فى كتابه عن مصر الحديثة بعنوان : وصية سياسة للمرحوم المفتى الشيخ محمد عبده ، كما نعلم أن الشيخ قد ترجم عن



الفرنساوية كتاب التربية للفيلسوف الإنجليزى " هربت سبنسر " ترجمة تدل على تمكنه من تلك اللغة ... (العقاد المرجع السابق - ص ١١٠ / ١١١)

و من اللافت فى شخصية الأستاذ الإمام أنه يقول ويفعل ، ولا ينفصم الفعل عنده عن الكلام ، فرأيناه فى إعداد تقرير اصلاح القضاء الشرعى يجوب البلاد المصرية طولا وعرضا ، وشمالا وجنوبا ، ولا يجمع المراد فى مكتبه أو يطلب الناس للقائه بمقره ، وإنما يطلب المعرفة الحقيقية فى مظانها المختلفة لتجئ تعبيرا عن الواقع الحاصل ، فيأتى تقريره شاملا إلى عمق النظرة - إلماما واسعا وتشريحا عريضا

لحقائق الأحوال والمثالب الجارية فى ذلك الأوان .. ورأيناه لا يستنكف من شد الرحال وقطع الأسفار طلباً لتعلم اللغة فى مواطنها ، ولا يجد غضاضة وهو الأستاذ الجليل من أن يجلس مجلس التلميذ إلى من يتلقى عنهم لغة لا يعرفها أو لا يجيدها ، ثم يخلص فى طلبها حتى يبلغ حد الإتقان فيها ، وحتى ترجم منها وإليها ، وكتب بها بحثا بالفرنسية نشره " دى جرفيل " فى كتابه : " مصر الحديثة " الصادر سنة ١٩٠٥ ، والذى فيه - فى هذا البحث - جعل يناقش الفقه المقارن مناقشة العارف الملم بعيوبه ومحاسنه ، وليخرج بزاد معارفه بالفقه الشرعى - بنتيجة يستخلصها بتمكن اقتدار أن شرع الله تبارك وتعالى هو الأحكم ضبطا وسداداً وهداية ورشاداً من كل ما وضعته أو إستنته قرائح الناس (عبد الحليم الجندى - المرجع السابق - ص ٥٧ / ٥٨)

الأستاذ الإمام على منصة القضاء

يقولون فى الأمثال التى تجرى مجرى الأوابد بين رجال القضاء والمحاماة ، إن المحامى هو مرآة القاضى ، لأنه يرى فيه مالا يستطيع القاضى أن يراه فى نفسه ، ويلمس من المحيط الذى يتعامل فيه القاضى ردود أفعال الناس وإحساسهم به .. لذلك لم يكن غريبا أن يتقدم الصفوف يوم الإحتفال بإنشاء محكمة النقض والإبرام عام ١٩٣١ - شيخ المحامين الأستاذ الكبير إبراهيم الهلباوى ليتحدث عن القضاة الراحلين ، وليكون أول حديثه عن الأستاذ الإمام محمد عبده .. يذكر للإمام رحمه الله أن تربيته كانت أزهرية بحتة تعده لأن يكون من عظماء رجال الدين وأئمته ، ولكن ما إن عين الأستاذ الإمام فى يونيو سنة ١٨٨٨م بوظيفة نائب قاض بمحكمة بنها ، حتى تكشفت فى الإمام جوانب لم يتوقعها أحد ، ولم يدر بخلد أحد أن إمام الدين سوف يكون إماما صاحب مدرسة جديدة فى القضاء .. سبقه إلى منصة القضاء دوره فى رئاسة تحرير الوقائع المصرية الذى استحدث فى تحريرها نشر الأحكام الهامة التى أصدرتها المجالس الملغاة ، وقرن النشر بتعقيب عليها بما يقتضيه الحال من نقد أو ملاحظات ، فإذا ما شاءت المقادير - أو رغبات إبعاده !! - تعيينه



في القضاء ، شف عن عبقريته الإصلاحية التي لا يحاصرها شيء .. انتقل من قاضي بنها ليكون قاضي المنصورة ، ثم نقل في ٧ يناير ١٨٩٢ م قاضيا من الدرجة الأولى في محكمة مصر ، فاحتك به الأستاذ الهلباوي إحتكاك عمل ، وعاينه قاضيا في محكمة عابدين أهم محاكم القاهرة ، ويعقب الهلباوي تعقيب خبير شاهد عيان فيقول عن الأستاذ الإمام :

" لا أذكر أن كرسي القضاء فيها جلس عليه رجل كان موضع إعجاب جميع الطبقات من متقاضين ومن صحفيين وسواهم مثل المرحوم الشيخ محمد عبده أولا والمرحوم عبدالخالق ثروت باشا من بعده ، فلقد كان الوقار والجلال والهيبة تفيض جميعا في أفق هذه المحكمة . كان محمد عبده يصدر الحكم ويشفعه أو يسبقه أحيانا بدروس ومواعظ يلقيها على المحكوم عليه والجمهور إلقاءً يشعر الجماهير والمحكوم عليه نفسه أنهم في حضرة أب ومصلح كبير . ولقد كنا نتحدث في مجالسنا بهذا ونعجب لهذه النتائج التي يحصل عليها هذا المعلم المفطور بطبيعته بين سامعيه أو متقاضيه إذ لم يحصل - إلا نادرا - أن عاد إليه متهم أو خصم بمثل ماحكم عليه به من قبل . رقي بعد ذلك نائب مستشار بمحكمة الإستئناف في ٢١ نوفمبر سنة ١٨٩٥ وبقي بها إلى ٥ يونيو سنة ١٨٩٩ يوم اختير مفتيا للديار المصرية مع اشتراطه على الحكومة أنه لو أقيل - بل ولو استقال - من تلك الوظيفة كان له أن يعود لمركزه في محكمة الإستئناف كما كان ". (الكتاب الذهبي للمحاكم الأهلية - ١٩٣٧ - المجلد الأول - ص ٤٦٨ - ٤٧١)



عبدالخالق ثروت باشا

لغة وصياغة الأحكام

كانت اللغة العربية مهيضة في بلدها ، تفسح المجال في المحاكم للإنجليزية والفرنسية والإيطالية والتركية ، ويعدو الترك والكرد والشركس والأرناءوط وأسرى ابراهيم باشا من بلاد " المورة " و" كريت " والأناضول " الذين فك اعتناقهم الإسلام أسرهم - على أهل البلاد ، فصاروا حكاما يترفعون على أهل مصر وعلى لغتها ، فتراجعت اللغة العربية في المرافعات والأحكام ، ومن يرجع إلى سجلات وأحكام المحاكم الشرعية في ذلك الزمان يجد العجب العجاب في تردي لغة الأحكام ومصطلحاتها وسيادة التركية التي كانت لغة البلاد الرسمية ، وتشويه النقل إلى اللغة العربية ، مع تواضع وضعف وركاكة كتابة المذكرات والأحكام ، ولعل بداية نهضة اللغة العربية في المحررات القضائية الرسمية يرجع إلى البناءين العظام في باقة رائعة كان منها الأستاذ شفيق بك منصور واسماعيل باشا





سعد زغلول



قاسم أمين

صبري والأستاذ الإمام محمد عبده وسعد باشا زغلول وأمين باشا فكري وعبد العزيز باشا فهمي ومحمد باشا فخري وأحمد فتحي باشا زغلول وقاسم بك أمين ومحمد بك صالح وحفني بك ناصف وغيرهم .. هؤلاء الذين حملوا الشعلة ، وانتقلوا نقلة ملحوظة بأسلوب كتابة الأحكام وتطعيمها بمبادئ الشرع والقانون. (التشريع والقضاء قبل إنشاء المحاكم الأهلية - عزيز خانكي بك - ص ٢٠ - ٢٧)

هذا ، وقد أورد الأستاذ المستشار عبد الحليم الجندي ص ٥٣ - ٥٥ بكتابه عن الأستاذ الإمام ، نموذجين لحيثيات الأحكام التي كتبها الأستاذ الإمام / أحدهما كتبه بمفرده ، والثاني بالاشتراك مع سعد زغلول .

همة في الإصلاح ماضية .. رغم الدسائس والمؤمرات

لم يكن الأستاذ الإمام يباشر مهامه الإصلاحية في يسر وسهولة ، ففضلا عن جمود الجامدين ، فإن الدسائس لم تدعه وما يريده من خير لدينه ووطنه .. فلاحقته المؤامرات والدسائس في تواصل غريب مدهش ومؤسف ! .. يروى جانبا من ذلك أحمد شفيق باشا الذي شغل رئاسة الديوان الخديوي لفترات طويلة ، وعاصر الأحداث عن قرب فيورد بمذكراته في أحداث سنة ١٩٠١ (جـ ٣ ، ٣٤ - ٤٠) - أن الدسائس قد تكاثرت للنيل من مفتي الديار المصرية الأستاذ الإمام محمد عبده ، وأن المؤامرات نجحت في إيغار صدر الخديوي عباس حلمي الثاني عليه ، وأنه سمع الخديوي يتوعد ويلوح بالإنتقام منه ، وزادت الدسائس حتى استحسن الأستاذ الإمام محمد عبده أن يتقدم باستقالته فلم يقبلها الخديوي - وأن البعض بلغ به الكيد حد تلفيق صورة شمسية للأستاذ الإمام مع بعض نساء الإفرنج وحملوها إلى اللورد كرومر موعزين بوجوب استقالته لأن هذا إزراء بالشيخ ومنصبه ، ولكن الحيلة لم تنطل على اللورد الإنجليزي العجوز ، وزاد التلفيق افتضاحا حين نشرت الصورة (الملفقة) في بعض الجرائد المشبوهة (حمارة منيتي - البابا جللو المصري - الأرنب) ، فغضب العقلاء لهذا التجني السافر المشبوه على مقام الأستاذ الإمام ! وكشف شفيق باشا في أحداث سنة ١٩٠٦ عن ضيق الخديوي وعدم ارتياحه لتعيين سعد زغلول ناظراً للمعارف بسبب " كثرة اختلاطه " بالأستاذ الإمام محمد عبده وأن الخديوي لم يكن يخفي ضيقه بمن له صلة بالأستاذ الإمام حتى بعد وفاته ، وبلغ به الأمر أن قال لأحمد فتحي زغلول رئيس المحكمة المخصوصة لقضية دنشواي : " أني أنتقد عليك

قبل كل شيء أنك من حزب الشيخ محمد عبده" !!! (المرجع السابق - المجلد / ٣ - ص١٠٢)

الأستاذ الإمام وإصلاح القضاء الشرعي

من ترتيب أو موافقات المقادير ، أنْ تقلبَ الأستاذ الإمام فى وظائف القضاء عدة سنوات قبل أن يوكل إليه دراسة وكتابة تقريره الضافى عن إصلاح حال القضاء الشرعي فى مصر ، فعلى مدار قرابة عشر سنوات تقلد فيها الأستاذ الإمام عدة مواقع فى القضاء ما بين بنها والزقازيق والمنصورة والقاهرة ، وما بين المحاكم الأهلية الابتدائية ومحكمة الاستئناف العالى - أضاف الأستاذ الإمام إلى علمه الواسع بعلوم الدين وبالشريعة الإسلامية ، رصيدا عريضا عن أحوال القضاء وشجونه وهمومه ومتاعبه وقضاياه ، فامتزجت لديه منظومة متكاملة تتيح له أن ينظر إلى أحوال القضاء الشرعي بعين العالم الإسلامي ، وفقيه الدين ، وبعين القاضى الخبير بأحوال البشر ومسالك ومتاعب الأقضيات وسبل الحكم بالعدل الواجب بين الناس .

هذه القاعدة المعرفية العريضة التى دانت للأستاذ الإمام ، قد التأمت بعبقريته الإصلاحية ، وهمته العاليه وعزمه الذى لايلين ، وإخلاصه العميق لكل ما خاضه فيه أو اضطلع به ، وتقريره الضافى عن إصلاح حال القضاء الشرعي هو دليل الأدلة على تلاحم هذه الصفات التى أتاحت لصاحبها هذا الغوص العميق فى أحوال القضاء الشرعي، والاستشراف النابه المتفطن إلى سبل إصلاحه الواجبة ، وفى مقدمتها إنشاء مدرسة للقضاء الشرعي .



علي مبارك

كان من رأى الأستاذ الإمام الذى بثه بمقالاته وأحاديثه ، إلى جوار تقريره - أن يتلقى طلاب مدرسة القضاء الشرعي - العلوم العصرية ، وأن يلموا بها إلى جانب العلوم الدينية ، فيتعلمون إلى جوار الفقه والأحكام والمعاملات وآداب الدين - الحساب والتاريخ وتقويم البلدان والمعارف القضائية التى تتعدد منابعها ولا غناء للقاضى الشرعي عنها ، وقد استقبلت جريدة الأهرام القاهرية نظر الأستاذ الإمام بالترحيب ، فكتبت عام ١٩٠٤ تقول إن إنشاء مدرسة القضاء الشرعي التى يتبناها الإمام تذكر بإنشاء دار العلوم فى عهد على باشا مبارك وما لقيه إدخالها فى أوانه من مقاومة شديدة قبل أن يستبين للمقاومة المتشددة قدر وجلال وفائدة ما أضافته مناهجها إلى الدراسات الدينية التى ظلت محل رعاية واهتمام (الأهرام - ديوان الحياة المعاصرة - د. يونان لبيب رزق - ج٤ - القسم الأول - ص ٣٣٠)

تقرير إصلاح القضاء الشرعي

كان الأستاذ الإمام قد أنفق فى مواقع القضاء قرابة عشر سنوات منذ ١٨٨٨ م حين عين فى ٣ يونيه ١٨٩٩ مفتيا للديار المصرية ، وعلم خلال تجربته من شجون القضاء ما حرك كل عبقريته الإصلاحية ليدلى بدلوه فى إصلاح القضاء الشرعي الذى رآه أحوج فروع القضاء إلى الرعاية والإصلاح ، فهذا عبقرى إصلاحى لا يهدأ ، ولا يدع أحداً يهدأ .. ظنوا حين عينوه فى القضاء أنهم سوف ينحون الصوت الذى أقض المضاجع طلبا للإصلاح فى التعليم والسياسة والوطنية ، فإذا به ينهج بأسلوبه فى القضاء نهجا لم يسبق إليه أحد ، وإذا به يحول منصة الحكم إلى منصة هداية وتقويم وإصلاح وإرشاد ، وإذا به وقد عينوه مفتيا للديار المصرية لا يخلد إلى الدار الجليلة ويدير منها النظر فى شئون الإفتاء ، وإنما يبادر إلى وزير الحقانية (العدل الآن) فيثير معه أحوال القضاء الشرعي وليل الجمود والظلام الطويل الذى ران عليه ، ويحرك رياح التغيير والإصلاح ، ويتخذ من " المبادرة " مالا يتخذه إلاّ ذوو العزائم والهمم ، ويتخذ فترة الأجازة الصيفية التى يخلد الموظفون فيها إلى الراحة والتنعم - فترة للعمل والمجاهدة والمكابدة ، فلا يرتاح له جنب ، ويأبى إلاّ أن يطلب المعرفة الحقيقية الواقعية فى مظانها المختلفة ، فيقطع البلاد المصرية طولا وعرضا ، ويقوم بزيارات " ميدانية " (بلغة عصرنا) إلى المحاكم الشرعية فى ريف مصر وحواضرها ، ويقابل العديد من قضاتها ، ويطلع بنفسه على سجلات المحاكم وأقلام الكتاب ومضابطها ، ويستخلص من واقع دراسته العريضة العميقة الشاملة - مواطن الداء وأسباب الفساد والركاكة ، ويتأمل فيما رأى ليداركه بالعلاج بنظر ثاقب يضمنه تقريرا ضافيا ومطولا ينبه فيه إلى مواطن العجز والخلل والجمود والتراجع ، ويستشرف سبل التغيير والإصلاح والنهوض، ويضع فى مقدمة الحلول المرجوة إنشاء مدرسة القضاء الشرعي التى تبناها .

فى مقدمة هذا التقرير المكتوب فى نوفمبر ١٨٩٩م بعد رحلة التفتيش الطويلة التى بدأت فى أول صيف ١٨٩٩م والذى أعاد طبعه السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار - كتب الأستاذ الإمام يقول لناظر الحقانية (تحت رقم ى/ ٥٤٩٧٤ بدار الكتب المصرية) :

" علمت عقب تعيينى فى وظيفة إفتاء الديار المصرية أن سأكون عضوا فى اللجنة التى عزمت الحكومة الخديوية أن تكل إليها النظر فيما يجب إدخاله على المحاكم الشرعية من الإصلاح الشرعي والنظامى ، فرأيت من الواجب علىَّ أن أكون على بصيرة من الأمر العظيم الذى سأدعى إلى البحث فيه ، وأنه لا يتم لى ذلك إلاّ بالاطلاع على ماهو جار فى هذه المحاكم والبحث فى العلل التى عم الكلام



فيها وما يجب أن يوضع لها من الدواء ، مع الحرص على قواعد الشرع وأصوله ، ومراعاة مصالح العامة والآخذين بأحكام الشريعة المطهرة في عقائدهم ومعاملاتهم ، وإزالة ما عمت منه شكواهم مما ينسب إلى عمال المحاكم أو العوائد المتبعة في سير أعمالها ، ورأت نظارة الحقانية ما رأيت ، فسألتني أن أمرّ على المحاكم مدة الصيف الماضي وأنظر في أعمالها وأقدّم لها نتيجة ما يتيسر لي من البحث في أحوالها ، فطفت على كثير من محاكم الوجه البحري واطلعت على ما أمكن الاطلاع عليه من سجلات ومضابط ومرافعات وسير في الأعمال ، وعرضت ذلك على ما تقرر من أحكام الشريعة الغراء وما وضع من اللوائح للمحاكم الشرعية ، واستخلصت مجموع آراء أقدمها بين يدي سعادتكم ، وأرجو أن تكون موضوع نظر يأتي بالفائدة إن شاء الله ، وسألم في تقريري هذا بأهم ما يجب النظر فيه الآن وأدع ما دون ذلك إلى المستقبل" .

لقد استغرق هذا التقرير ، في طبعة "المنار" المحفوظة بدار الكتب المصرية ، ثلاثا وثمانين صفحة استعرض فيها الأستاذ الإمام أحوال القضاء الشرعي من جميع نواحيه ، موضوعا وشكلا وإجراء ، فلم يدع جانبا من جوانبه إلا درسه ومحصه وتمعن فيه بواسع علمه وعريض خبرته وثاقب نظره وسديد رأيه ، بدأ تقريره عن الحاجة إلى المحاكم الشرعية ووظائفها ، أهميتها واختصاصاتها وما أصاب التعامل معها وخفاء طرق المرافعات وشكاوى القضاة ، كما تناول "أماكن هذه المحاكم" وعدم صلاحيتها ، والكتبة وأمراض التعامل معهم ، وغياب الكفاءة بين القضاة ، ومقترحاته لتأهيلهم ورفع مستواهم العلمي والمعرفي ، واقتراح إنشاء مدرسة القضاء الشرعي التي تبناها وأحوال الحجّاب والأعمال الكتابية والدفاتر ، ووجوب تسجيل ما يرد إلى القضاة من طلبات حتى لا يتهربون من البت فيها ، وتشكيل المحاكم واختصاصاتها ووجوب ضبط ألقاب القضاة ، كما توقف عند سلبيات معالجة الخصومة القضائية وما يعترضها من حيل وأساليب الإطالة وبعثرة الجهود والوقت ومضارة الخصوم ، والعادات المنحطة التي شاعت بمجلس القضاء ووجوب الترقي بها والتزام تقاليد مرعية تتفق مع جلال القضاء ودوره .

كما مس الأستاذ الإمام ـ ما يسمى شهادة "شهود المعرفة" ومغالاة القضاة في اعتبارها رغم ماهو معلوم لهم من زور شأنها واستئجار المحترفين لها الذين يشهدون بما لايعرفون تبعا لما يقال ويدفع لهم !! ـ فينادي الأستاذ الإمام بوجوب "الإسراع بمحو هذا الحرج الشديد المعطل لسير القضايا الحامل للمتقاضين على التقاط الشهود من الأزقة والشوارع ليشهدوا زورا بأنسابهم أو بأشخاصهم وهم لا يعرفونهم ، فإن في



بقاء ذلك إغراء بأقبح الكبائر في نظر الشريعة الإسلامية وهي الشهادة الزور" !!!

ويتوقف التقرير عندما أسماه الأستاذ الإمام "تكليف بالتزوير" في شأن "الشهادات والأدلة" ، كالشاهد على خيانة في وقف يكلف بذكر جميع أعيان الوقف وحدودها وسلسلة المستحقين بل وبالشهادة على أن الواقف وقف كذا وكذا ـ وهو تكليف بالتزوير قطعاً ، لأن الواقف كان في زمن لا يصل إليه سن الشاهد ، وهذا مما لا يجوز ، ولا حاجة إلى تكليف الناس بما ليس في طوقهم .

وبعلم العالم ، وخبرة القاضي ، وعبقرية الإصلاح ـ يورد الأستاذ الإمام أن الرأى عنده "أن تستخلص أحكام الشهادات في جميع الأبواب من كتب الشريعة الغراء ، وتودع في كتاب يضم إلى ما يستخلص في الدعوى ليكون العمل عليه" . أما القسم الشرعي الذي يختص بالدعوى والأدلة بتفصيل تام فيجب "أن تنظر فيه لجنة من علماء الشريعة على المذاهب الأربعة لرفع الالتباس واستخلاص الأحكام على وجه يرفع الحرج عن المتقاضين إلى محاكم الشرعي الإسلامي الحنيف" .

أما "الأحكام" فقد أورد تقرير الأستاذ الإمام أنه كثر فيها البلاء ، وعمت الشكوى ، وتباعد ما كان عليه السلف الصالح ، مما يوجب الفزع إلى الشريعة الإسلامية المطهرة وتشكيل لجنة من العلماء ليستخرجوا من الأحكام الشرعية مافيه شفاء لعلل الأمة في جميع أبواب المعاملات والأحوال الشخصية وبوضع ما يستخرجونه في كتاب شامل لكل ما تمس إليه الحاجة ، ولعل موسوعة الفقه الإسلامي التي يتعاقب صدورها الآن أحد ثمار هذه الدعوة الرشيدة التي أطلقها الأستاذ الإمام من قرن من الزمان .

إن العارفين المتابعين ليعلمون حق العلم أن الشوط البعيد الذي قطعناه الآن في إصلاح أحوال القضاء الشرعي إنما يرجع إلى ما تفطن ونبه إليه وإلى سبل علاجه هذا المصلح العظيم .

وبعد فهذه صفحات موجزة لتاريخ عريض وبصمات فذة لا تزال مورقة حتى الآن ، سبق بها الأستاذ الإمام أهل زمانه في محراب القضاء مثلما سبقهم في كل مجال خاضه طلباً للإصلاح وإزالة تراكمات الجمود الذي ران ، فبث دعوة إصلاحية وقّادة لا نزال نغترف من معينها ونجد الفضل في ينبوع هذه القوة الروحانية والعبقرية الإصلاحية التي طوت عوارض الزمن وصغائر الدنيا وفاضت بعطائها على الإنسانية ، أمانة للعقيدة ، والدين ، والحق ، والعقل ، والفكر ، والخير ، والإبداع ، والجمال .

***



دور الأستاذ الإمام محمد عبده فى إصلاح المؤسسات



تحت هذا العنوان جاء بحث الأستاذ الدكتور عبدالمعطى بيومى الأستاذ بجامعة الأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية، قال:

كان محمد عبده يعول فى إصلاحه على المؤسسات، بحيث يمثل إصلاح المؤسسات الآتية فى نظره أهمية خاصة فى توجهه للإصلاح وهى:-

١- مؤسسات التربية والتعليم: أهمية التربية والتعليم فى نظر الإمام.

- الأزهر، ومافيه من: التدريس، التأليف.

٢- المؤسسات الدينية: الأوقاف - المساجد - الإفتاء

٣- دوره فى القضاء

٤- دوره فى الصحافة

٥- الجمعيات الخيرية

دوره فى مؤسسات التربية والتعليم:-

أهمية التربية فى نظر الإمام:-

كان الأستاذ الإمام يعلق على التربية والتعليم الإصلاح كله، بحيث يتوقف عليه كل شئ.. فالتربية الدينية عنده هى الموصلة إلى العمل النافع للأمة.

قال: «... فإن المسلمين إذا تهذبت أخلاقهم بالدين، سابقوا الأوروبيين فى اكتساب العلوم وتحصيل المعارف ولحقوا بهم فى التمدن»[1].

وكان يرى أن اكتساب العلوم وتحصيل المعارف بدون التربية الأخلاقية النابعة من التعاليم الإسلامية، لا تؤدى بالأمة إلى غير القلق والهذيان، كما كان يرى أن الناس فى كل الأمم أكفاء فى كل شئ، ولا نقص فى الدنيا إلا من جهة العقول والأخلاق. وهى العلاج لكل أدواء المجتمع.

فهو يرى أن أرضنا طيبة التربة، طيبة الهواء، كثيرة النبات، وهى بما تأتى من الثمرات لقادرة على حفظ ناموسها وتقوية شوكتها، بل قادرة على أن تكون سلطتها مبسوطة إلى أقطار أخرى»[2].

ولكن السبب فى الفقر فى هذه الأرض كما يقول «عدم سريان روح التربية الشرعية العقلية التى تجعل إحساس الإنسان بمنافع بلاده كإحساسه بمنافع

١) تاريخ الأستاذ الإمام، جـ٢ صـ ٤٨٠

٢) المصدر نفسه صـ ١٥٣

نفسه، وشعوره بأضرار وطنه كشعوره بأضرار ذاته.. إن لم نقل تجعل الإحساس الأول أقوى من الثانى»[3].

وفى إحدى خطب «الجمعية الخيرية» رأيناه يذكر هذا المعنى ذاته بقوله:

«إن بلادنا ليست بلاد الجوع القتال، ولا بلاد البرد القارس المميت، ولا بلاد الشتاء التى لاينال الإنسان فيها قوت يومه إلا بالعذاب الإليم، بل نحن فى بلاد رزقها الله سعة من العيش، ومنحها خصوبة وغنى، يسهلان على كل عائش فيها قطع أيام الحياة بالراحة والسعة، ولكنها - ويا للأسف -، منيت مع ذلك بأشد ضروب الفقر.. فقر العقول والتربية»[4].

وهو يرى أن القفز إلى إصدار القوانين والتشريعات، شئ لايفيد الأمة كثيراً، أما الشئ المفيد حقاً فهو التربية قبل إصدار القانون.. فلابد إذن أن تتغير القوانين لتناسب ملكات الأمة.

يقول: «ليست هيئة النظام المدنى لأمة من الناس سوى صورة لمادة الملكات التى اكتسبها أفرادها، من مألوفاتها وعوائدها التى نشأت عليها سواء كانت ممدوحة أو مذمومة، وأن اختلاف قوانينها فى معارج صعودها ومدارك هبوطها، لاينفك عن هذه الملكات، مهما تغيرت أصنافها وتبدلت شئونها.

هذا ماجعل عقلاء الناس يجتهدون أولاً فى تغيير الملكات وتبديل الأخلاق، عندما يريدون أن يضعوا للهيئة الاجتماعية نظاماً محكماً، فيقدمون التربية الحقيقية على ماسواها ليتسنى لهم أن يحصلوا على هذه الغاية، بل يجعلون فى نفس القوانين النظامية، فصولاً وأبواباً تضبط الأخلاق وتحفظ الملكات الفاضلة، وتكون حداً تقف عنده النفوس فى أعمالها وتلتزمه الأشخاص فى سيرها، حتى تنتقل الأعمال من حالة التكليف الى حالة العادة والملكة، فتصبح الأخلاق فاضلة، والعادات حسنة، وتسير الأمة فى طريق الاستقامة الى خير غاية»[5].

٣) المصدر نفسه صـ ١٥٤

٤) الأستاذ الإمام نقلا عن: عباس العقاد، محمد عبده، صـ٢٦٠

٥) تاريخ الأستاذ الإمام، جـ٢ صـ ١٧٢



وفى حديث الأستاذ الإمام عن التربية والقوانين، فإنه يركز على أمرين هامين يختلف بهما عن كثير من دعاة الإصلاح فى هذه الفترة:

– فهو لايرى استيراد القوانين من بلاد غير هذه البلاد، فالنقل عن الحضارة الغربية قوانينها ومؤسساتها إذن ليست سبيلاً إلى الإصلاح «فإن البلاد تختلف باختلاف المواقع والمصالح والعوائد والأخلاق، وماينطبق على الأصول المدنية والسياسية فى بلاد، قد لاينطبق عليها فى أخرى» وحينئذ لايسوغ لأرباب الشورى أن يجاروا غير بلادهم فى سن القوانين»[٦]

فهو يختلف فى هذه النقطة عن رفاعة الطهطاوى وخير الدين التونسى، كما يختلف بصورة أشد مع المتغربين الذين يرون نقل الحضارة الغربية بكاملها، لأن القوانين لابد أن تكون نابعة من البلاد التى تشرع لها.

–ومن هنا كان رأيه البدء بالتربية أولاً، قبل التقنين.

يقول: «ليست القوانين التى تفرض العقوبات على الجرائم، وتقدم المغارم على الهفوات، هى التى تربى الأمم وتصلح من شأنها. فإن القوانين لم توضع فى يد جميع العالم إلا للشواذ والهفوات والسقطات، أما القوانين المصلحية فهى نواميس التربية المحلية لكل أمة».

وقد اختلف محمد عبده فى البدء بالتربية مع الكثيرين من زعماء الحركة الوطنية ودعاة الإصلاح.

ويبين الإمام أن التربية يجب أن تتم على أساس الإسلام، يقول:

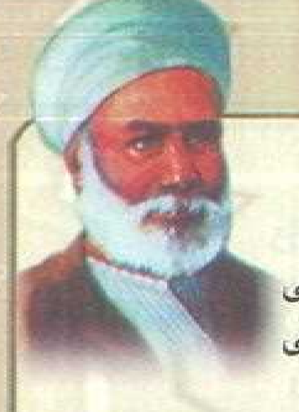
«... ثم يكون التعليم فى هذه الفنون المذكورة – فنون التعليم التى اقترحها – والتربية على وجه يتفق مع قواعدها، مستندين إلى الشرع الشريف بحيث تذكر مآخذها من القرآن والسنة الصحيحة، وماصح أثره من أقوال الصحابة وعلماء السلف الأول ومن حذا حذوهم، كحجة الإسلام الغزالى وأمثاله».

أما من ناحية التعليم. فقد عاب محمد عبده نظم التعليم التى كانت سائدة حينئذ، وأرجع إليها الخذلان الذى تعانيه الأمة الإسلامية.

قال «إذا استقرينا أحوال المسلمين للبحث عن أسباب الخذلان لانجد إلا سببا واحداً، وهو القصور فى التعليم الدينى إما بإهماله جملة كما هو فى بعض البلاد، وإما بالسلوك إليه من غير طرقه القوية كما فى بعض آخر»[٧].

٦) المصدر السابق صد ١٦٧، ٢١٧

٧) تاريخ الأستاذ الإمام، جـ٢ صد ٣٤١



كما نبه على خطر المدارس الأجنبية التى كان يقيمها الغربيون فى أنحاء العالم الإسلامي وأبان عن هدفها من التأثير على عقول أبناء المسلمين وصبغهم بصبغة غير إسلامية [٨] ولقد حاول عندما كان عضواً بمجلس المعارف أن يعين الرقابة الحكومية على هذه المدارس، فلجأ إلى حيلة ذكية دعا فى جلسة للمجلس بمعاونة الحكومة لهذه المدارس، فهلل الأعضاء الأجانب وخالف الوطنيون، وأقرت المعونة. وفى جلسة أخرى دعا الى فرض رقابة الحكومة على هذه المدارس. فهلل الوطنيون وخالف الأجانب. ولكنه أفحمهم بالحجة.

الأزهر

كما انتقد الأزهر، والمدارس الحكومية.. والكتاتيب فى القرى، وكشف عن حالة الفوضى التى تتخبط فيها كل مرافق التعليم بحيث تسير إليه من غير طرقه القوية كما قال..

ولذلك وضع الأستاذ الإمام لإصلاح التعليم ثلاث خطط:-

– خطة لإصلاحه فى الدولة العثمانية. بعثها الى شيخ الاسلام فى الآستانة.

– خطة لإصلاحه فى سوريا. بعث بها إلى والى سوريا

– خطة لإصلاحه فى مصر. نشرها لولاة الأمر فى مصر ولسائر الناس.

وكل هذه الخطط إنما تدور حول أن تكون التربية الدينية هى أساس التعليم الرئيس، ويضاف إليها العلوم النافعة لتقدم الأمة، وكلها ترتكز على ضرورة أن يهب أولو العزم واليسار من المسلمين ليساعدوا على إقامة هذا التعليم ونشره فى الأمة، لأن فى التعليم حماية للأمة ولأغنيائها خاصة»[٩]

قال: «فعلى الأغنياء منا الذين يخافون من تغلب الغير عليهم، وتطاول الأيدى الظالمة إليهم أكثر من الفقراء أن يتآلفوا ويتحدوا ويبذلوا من أموالهم فى افتتاح المدارس والمكاتب، واتساع دوائر التعليم حتى تعم التربية، وتنبت فى البلاد جراثيم العقل والإدراك، وتنمو روح الحق والصلاح، وتتهذب النفوس ويشتد الإحساس بالمنافع والمضار، فيوجد فى أبناء البلاد من يضارع بنى غيرها من الأمم فتكون عند ذلك فى رتبة المساواة. لهم مالنا وعليهم ماعلينا».[١٠]

ولقد كان الأمل الكبير للأستاذ الإمام فى إحياء التعليم الإسلامى معلقا على

٨) المصدر نفسه جـ٢ ص١٧٢: ١٨٠

٩) المصدر نفسه جـ٢ ص١٧٢: ١٨٠

١٠) المصدر نفسه جـ١ ص١٤٣: ١٥٠

إحياء الأزهر وإصلاحه، وهو معقل هذا التعليم وحلقة الوصل بين المسلمين.، والجامعة الأخطر التي يناط بها الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه، ضد الحملات الإلحادية والصليبية عبر الزمان فإذا به يتحول إلى تخريج الفقهاء الذين لايعرفون سوى كتب معينة ينفقون أعمارهم رخيصة في حل رموزها، وحكاكات ألفاظها، ولايجيدون شيئا سواها وسوى التقليد الأعمى، والحزبية المذهبية الضيقة التي تجعل من الإسلام الواحد أنواعاً كثيرة متفرقة من الإسلام، هذا فضلا عن سوء الحالة الصحية وجهل الطلاب والعلماء جميعا بكل شئ من العلوم الأخرى غير بعض العقائد والأحكام الفقهية على أحد المذاهب.

وقد استطاع محمد عبده في أول العلاقة بينه وبين الخديوي عباس، أن يقنعه بإصلاح الأزهر، فسن قانوناً تمهيدياً لإصلاح الأزهر، وأنشأ مجلساً لإدارة الأزهر. انتخب أعضاؤه من كبار علماء الأزهر، عدا عضوين عينتهما الحكومة.

وقد بدأ هذا المجلس أعماله بزيادة الرواتب، وقد كان محمد عبده يرى أن يتم الإصلاح برغبة شيوخ الأزهر أنفسهم، ووضع نظام للتدريس والامتحان.

ثم أمر الخديوي بصرف مبلغ آخر، خصص منه جانب لدار الكتب التي أنشئ لها مجلس إدارة، وقد كانت الكتب مبعثرة في الأزهر في الأروقة والحارات، معرضة للضياع والتلف. ثم جعل للأزهر طبيبا وصيدلية، وحسن بعض المرافق.

إلا أن الذي كان يهم الشيخ محمد عبده أكثر من غيره هو العلوم التي ينبغي أن تدرس في الأزهر، وأصول التدريس التي ينبغي أن يسير عليها المدرس، وضرورة مواظبة الطلاب.، بعد أن كان الطلاب لاضابط لهم في الغياب والحضور، كما كان المدرسون لايهتمون بتحضير الدروس، أو الالتزام بموضوع معين في مادة معينة. وكثيرا ماكانوا يسبون طلابهم.، ويسبون آباءهم وأمهاتهم.

أراد محمد عبده أن يصلح كل ذلك. وكاد يفلح في مسعاه.، لولا أن تغير عليه قلب الخديوي. فأعرض عن الإصلاح، وانحاز إليه فريق كبير من شيوخ الأزهر الذين وقفوا عقبة حقيقية في سير التقدم والنهوض بهذا الجامع العريق.

وبعد أن رأى محمد عبده أن لا فائدة عادت ترجى من مجلس إدارة الأزهر استقال منها في سنة ١٩٠٥، وكان ذلك آخر عهده بالأزهر، إذ توفي بعد قليل.

التدريس

- لم يكن الأستاذ الإمام يرى رسالة تستحق أن ينفق فيها عمره مثل التدريس والتعليم رغم تجديده وجهده في كل ما



محمد البهي

تناوله، لكنه كان يقول كثيرا «إنما خلقت لكي أكون معلماً».

وكثيرا ما كان الخديوي يخاف أن يمارس الإمام مهنة التدريس، خشية أن تنتقل أفكاره إلى الناشئة، وكان هو يريد أن تنتقل هذه الأفكار للتلاميذ كوسيلة، أنجح وسيلة، لتكوينهم وبث القوة في عروقهم عن طريق التربية.

وكانت طريقة الأستاذ الإمام تختلف عن طريقة معاصريه كما كان يختلف عنهم باختيار العلوم التي يدرسها، فبينما كان الأزهريون يقصرون همهم على دراسة الكتب والحواشي والتقريرات التي وضعت في العصور المتأخرة عصور الجمود والتخلف وركود الفكر مقتصرين على تقرير العقائد على مذهب أهل السنة وأحكام الفقه على مذهب معين من المذاهب الأربعة إذا به يتجه إلى تدريس «مقدمة ابن خلدون» في فلسفة التاريخ والاجتماع وكتاب «الأخلاق» لابن مسكويه وكتاب «كيزو» في السياسة.

كما كان منهجه في العقائد البعد عن المماحكات اللفظية.، والاعتناء بالأدلة والموازنة بينها، فحيث رجع الدليل رجع المذهب الذي أسس عليه، سواء كان للأشعري أو المعتزلة.

وقد وجد الإمام بغيته في تدريس التفسير في المرحلة الأخيرة من حياته، بحيث كان درسه في التفسير جامعاً لكل العلوم. هادفاً إلى كل ألوان التقدم والنهوض بالمسلمين، سائرا فيه على منهج خاص قوامه:

- تطبيق الآية على الواقع بالتوسع في معنى النص، أو بحمل الشبيه على الشبيه.
- اعتبار القرآن وحدة واحدة، يتوقف فهم بعضه على فهم الجميع.
- اعتبار السورة كلها أساساً في فهم آياتها، واعتبار الموضوع فيها أساساً لفهم النص الذي ورد فيه.
- إبعاد الصنعة اللغوية.
- عدم إغفال الوقائع التاريخية في سير الدعوة الإسلامية عند تفسير الآيات التي نزلت فيها [11].

ويعد تفسير الأستاذ الإمام محمد عبده آخر تفاسير القرآن في هذا العصر باستثناء تفسير بعض السور للأستاذ الدكتور محمد البهي.

- كما كان له في منزله مجلس يدرس

(١١) الدكتور/ محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلة بالاستعمار الغربي صـ١٧٩



فيه لكبار الرجال فى مصر على مستوى عال من الدراسة.

ولقد استطاع محمد عبده أن يؤثر بدروسه فى جيله وفى الأجيال التى لحقت جيله بحيث كان أستاذا يقصده العامة والخاصة ويروا منه أعجوبة العصر، فى العلم والتعليم حتى لقب بحق: الأستاذ الإمام.

التأليف

سبقت الإشارة إلى أسلوب الأستاذ الإمام الذى حرره، وحرر به الأسلوب العربى من القوالب اللفظية القديمة.. كما حرر التأليف من الجدل والمناقشات وعمد إلى المعنى المباشر.

ولقد ظهر منهجه أكثر ماظهر فى كتب العقيدة التى تراكمت فيها المجادلات والمحاورات اللفظية، وحشيت حشوا بالفلسفة، فأسقط محمد عبده كل هذا ونقى البحث فى العقيدة منه. وخير مثل لذلك رسالة التوحيد «التى ألفها لطلابه عندما كان مدرساً فى المدرسة السلطانية فى بيروت».

كذلك كان الأستاذ الإمام رائداً فى الفكر الإسلامى الحديث، لنوع من الكتابة، تخصص فيها فى الدفاع عن الإسلام ضد شبهات الغربيين، الساسة منهم والمستشرقين، وذلك مثل مقالات كثيرة بهذا الصدد وكتابه «الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية» شاهد على ذلك، هذا إلى جانب بعض كتبه الشهيرة مثل: شرح نهج البلاغة. شرح البصائر النصيرية. شرح مقامات بديع الزمان الهمذانى. إلى غير ذلك من الكتب[١٢].

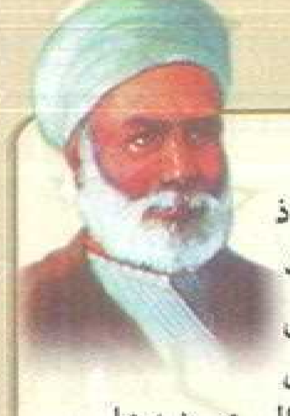
وبهذا جمع محمد عبده فى وسائل تجديده للفكر الإسلامى بين الوسائل العصرية والتقليدية.

إصلاح المؤسسات الدينية الأخرى

وإلى جانب رغبة الأستاذ الإمام فى إصلاح الأزهر، فقد عمل من أجل إصلاح المؤسسات الدينية الأخرى.. ذات الأثر الفعال فى توجيه الحياة الاجتماعية، وكان الانجليز يحاولون إظهار أنهم يحترمون الدين ولايتدخلون فى شئونه ومؤسساته، فتركوا للخديوى التصرف فى الأزهر، والأوقاف، والمحاكم الشرعية، فحاول الإمام أن يقنع الخديوى بإصلاح هذه المؤسسات فإنه لا يؤمن تدخل الانجليز فيها إذا طال العهد وساعدت الفرصة.

---

١٢) تاريخ الاستاذ الإمام صـ٧٧٧



الأوقاف

وقد لاحظ الأستاذ الإمام أن ريع أراضى الأوقاف يدر دخلاً كبيراً.. مع أن حالة المساجد فى غاية السوء، فلا يصرف لموظفيها مايكفيهم شيئا، إذ كان راتب الإمام مائة قرش وقد تكون خمسين قرشا فقط. مما جعل العلماء ينصرفون عن هذا العمل. فكان أئمة المساجد ومؤذنوها من الخرافيين، مما تدنى معه مستوى الإرشاد الدينى فى خطب الجمعة إلى الحض على التواكل، فضلاً عن إقامة صلاة الجماعة على وجه غير صحيح.

وعندما عين الأستاذ الإمام مفتياً للديار المصرية، كان من طبيعة عمله أن يكون عضوا بمجلس إدارة الأوقاف، فوضع مشروعاً لإصلاح المساجد، جعل الإشراف على المساجد لإدارة تنشأ لهذا الغرض، تسمى «إدارة المساجد» تكون تابعة لمصلحة الأوقاف بحيث تتولى هذه الإدارة الإنفاق على المساجد من ريع الأوقاف، فترفع مرتبات الأئمة والمؤذنين والملاحظين، ويعين الأئمة من خريجى الأزهر، وتخصص فى المساجد دروس يقوم بها العلماء لإرشاد الناس إلى الدين الصحيح.

وبعد معارضات وتأجيلات أقر مجلس الأوقاف مشروع الأستاذ الإمام فى شهر صفر ١٣٢٢هـ (فبراير ١٩٠٤م) وبدأ فى تنفيذه بالقاهرة، ولكن الخديوى كان قد أعماه الحقد على الأستاذ الإمام. فأمر بإيقاف تنفيذ المشروع، بإيعاز من قاضى مصر وعرضه على مجلس الشورى، وانتهى به الأمر إلى عرضه على اللورد كرومر.

وشاء الله أن يمضى الإمام إلى رحاب ربه، ولم ينفذ المشروع.

الافتاء

كذلك جدد الأستاذ الإمام الكثير فى منصب الإفتاء، فبعد أن كان المفتون من قبله يقتصرون فى عملهم على الرد على الفتاوى الرسمية التى ترد من النظارات الحكومية ونظارة العدل على وجه الخصوص.

وعندما تسلم عمله فى الإفتاء وجد أن المفتين الذين سبقوه تواتروا على كلمة واحدة يفتون بها على القضايا المحولة إليهم من نظارة العدل بخصوص الإعدام وهى «إذا ثبت على هذا الرجل أنه قتل الآخر عامداً متعمداً بشرطه حكم بقتله وإلا فلا».

لكنه ما أن عرضت عليه قضية مثل هذه حتى طلب ملف القضية كاملا بوقائعها وحيثيات الحكم فيها فراجعه ونظر فيه بخبرة القاضى ورؤية العالم المجتهد.. فكان يصل الى الحكم الذى يراه، فكان بذلك المفتى والقاضى جميعاً.



ولم يكن فى فتاواه يتقيد بمذهب الأحناف، كما كان يفعل السابقون.، بل كان يفتى بما يراه من قواعد الشريعة.

كذلك لم يكن يقتصر فى عمله على الاستفتاءات التى ترده من مصر وحدها.، بل عمم نطاق عمله فى سائر أنحاء العالم الإسلامى، وكانت أشهر فتاوى الإمام:

- فتوى لبعض السائلين فى الهند بجواز الاستعانة بغير المؤمنين لما فيه مصلحة المؤمنين.

- الفتوى الترانسفالية، لبعض أهل الترانسفال، يجيز فيها لبس القبعة للمسلم ويجيز ذبائح أهل الكتاب وصلاة الشافعى خلف الحنفى.

وبهذا الجهد الممتاز الذى طور به الإمام منصب الإفتاء انتفع الناس بالمفتى خير انتفاع.

دوره فى القضاء

فقد عمل على إصلاح القضاء منذ تولى العمل فيه.

فكان يجتهد فى تحرى العدل. ولايتقيد بظاهر نصوص القانون.

وقد شكا بعض الناس الإمام إلى المستر «سكوت» لأنه خالف نص القانون فى بعض القضايا فلما سأله المستر «سكوت» عن حقيقة موقفه فيها قال الإمام: «هل العدل وضع لأجل القانون؟ أم أن القانون وضع لأجل العدل؟

قال المستر «سكوت»: لا. بل القانون وضع لأجل العدل.

فشرح الإمام أحكام القضايا للمستر «سكوت» فاقتنع بها وأكد اجتهاده[13].

- كما كان يهتم بالتربية فى القضاء، وخاصة فى الجرائم الاجتماعية التى تتعلق بالفسق، والتزوير، والجرائم المالية كالربا، والسرقة.، وكان يلقى المواعظ على المتهمين إذ كان يرى التربية أهم من العقاب فى الإصلاح.

- كذلك كان يصلح بين الأسر، ويهتم بهذا الإصلاح أكثر من اهتمامه بما يصدر من أحكام.

المحاكم

وقد توجهت همته إلى إصلاح المحاكم الشرعية، باعتبارها الفيصل فى أمور الأسرة وهى أساس المجتمع، فقام بجولات كثيرة عندما كان مفتيا يفتش على هذه المحاكم، فكشف فى تقرير كبير يتضمن

١٣) قدرى قلعجى، ثلاثة من أعلام الحرية صـ ٢٥٩



ثلاثا وثمانين صحيفة، وجود الفساد فى هذه المحاكم من ضعف القضاة وتمسكهم بعوائد يزعمونها من الشريعة وما هى منها، وتدخل الوزارة فى شئون هذه المحاكم، وصعوبة معاملة الناس مع الكتاب، وطول الزمن على القضايا وخصوصا إن كانت مهمة، وخفاء طرق المرافعات حتى على العارفين بأحكام الشريعة، وضعف رواتب القضاة.

ورأى العلاج فى ضرورة أن تصلح الدولة أماكن القضاة والكتبة.، وتوفر استقلالهم فى الرأى. وتوسع عليهم فى النفقة، وتعنى بتنفيذ أحكامهم، وفى ضرورة أن يكون هؤلاء القضاة من المتعلمين فى الأزهر، بعد إنشاء قسم القضاء فيه، وقسم آخر يتخرج منه الكتاب.

ثم اقترح ثلاثة أمور أخرى:

١- أن توسع اختصاصات المحاكم الشرعية.

٢- أن لا يقصر التعيين فى منصب القضاء على الأحناف فقط.

٣- أن تؤلف لجنة لوضع كتاب فى أحكام المعاملات الشرعية، ينطبق على مصالح الناس في هذا العصر، ولا يكون هذا الكتاب وافيا بالغرض واقياً للمصالح إلا إذا أخذت الأحكام من جميع المذاهب الإسلامية المعتبرة ليكون اختلافهم رحمة للأمة.

لكن كل هذه الأفكار والمشروعات تحطمت على صخرة الجمود والجهل، وأماتها أن قال فريق من القضاة والشيوخ إن ذلك غير جائز شرعيا، فرأت الحكومة السكوت على المشروع خوفاً من آثاره الفتنة.

دوره فى الصحافة

أما فى مجال الصحافة فحسب الإمام أنه رائد الصحافة العربية، ونقلها نقلتها الرائعة من السجع المتكلف، إلى الأسلوب الصحيح، ومن كونها مجرد ناقلة أخبار إلى موجهة للمجتمع، بانية للرأى العام.

وقد أشرنا إلى جهده الرائع فى «الوقائع المصرية» حيث أحدث بها هذا الانقلاب فى الصحافة، فجعل من هذه الجريدة منبرا لنقد الوزارات، وألزم الوزارات بتقديم تقرير دورى بأعمالها ومشروعاتها، لتعلنه الوقائع على الناس ليروا ما فى هذه الوزارة من عمل أو تكاسل، كما كان لإنشائه القسم الأدبى فى هذه الجريدة خير أثر فى الارتقاء بالقلم والفكر والثقافة.

وما أن انتقل جهده الصحفى إلى مجلة «العروة الوثقى» حتى أنشأ بها مجلة كانت أقوى صوتا، وآلم سوطا لظهر الاستعمار، ولم تعرف فى تاريخ الشرق الحديث مجلة أكثر ذيوعاً وشهرة وأكثر تأثيراً فى التاريخ الحديث من هذه المجلة، وكانت كلها بأسلوب الأستاذ الإمام.



ولتعويله على الصحافة فقد كان يتمنى - كما أخبرنا السيد رشيد رضا - أن يؤلف شركة تنشىء جريدة يومية، يديرها مجلس إدارة، ويكتب فيها طائفة من الكتاب الأخصائين، يتخصصون فى الكتابة فى النواحى المتعددة، اجتماعية وعلمية وأدبية واقتصادية، ،وزراعية، بحيث لا تتناول من السياسة إلا الأخبار الصادقة ذات العبرة والفائدة فى أهل البلاد، وبحيث لا ينشر فيها إلا ما وافق عليه جميع أعضائها ولا تكون خصماً لجريدة أخرى.

دوره فى إقامة الجمعيات

وإلى جانب ما تقدم من الوسائل كان الشيخ محمد عبده يرى أن إقامة الجمعيات وسيلة تساعد على تحقيق الغرض من أقرب طريق، لأن مجهود الفرد قد لا يكفى للغرض الكبير، بقدر ما يكفى جهود أفراد متعددين.

وأشهر الجمعيات التى أسسها الإمام هى:-

- جمعية العروة الوثقى. أسسها فى باريس، بالاشتراك مع أستاذه جمال الدين الأفغانى.

- جمعية إحياء الكتب العربية - كان غرضه من تأسيسها إحياء التراث العربى.

- الجمعية الخيرية الإسلامية. وكان غرضها تربية الأيتام وغير القادرين على نفقات العلم، ثم مساعدة كل ذى حاجة إلى المساعدة.

ويبدو أن الأستاذ الإمام كان متأثرا فى تكوين الجمعيات بأستاذه جمال الدين الأفغانى وبالحضارة الغربية.

قال فى معرض حث الأغنياء على المساهمة فى إقامة التعليم:

«أفلم يعتبروا بالجمعيات الأوروبية، التى لم يكن أعضاؤها إلا الزارعين والصانعين والتجار، كيف يبلغ إيراد الواحدة منها ثلاثين مليوناً من الجنيهات وبعضها أكثر وبعضها أقل، وجميع ذلك يصرف فى بث المعارف والعلوم، واتساع دائرة المصانع والفنون، وتقوية روح التربية الحقة، التى لا شأن للبلاد إلا إذا تحلى أبناؤها بحلاها»

تلك إذن أدوار محمد عبده فى إصلاح المؤسسات ووسائله فهل نجح فيما أراد وما أثر ذلك فى الفكر الإسلامى؟

الواقع أنه ترك أثراً لا يمكن إغفاله فى الفكر الإسلامى، وترك فى هذه المؤسسات توجهها المستمر إلى الإصلاح.

***



قراءة أولى فى وثائق مجهولة

أضواء جديدة على أوراق من ملف الإمام محمد عبده

تحت هذا العنوان قدم الأستاذ الدكتور مجاهد توفيق الجندى أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر قراءة جديدة فى أوراق الإمام محمد عبده، قال:

يعد الشيخ «محمد عبده خيرالله» خالدا بحسه النقدى وباتجاهه التنويرى، فهو يحتل مكانة كبيرة فى تاريخ الفكر العربى المعاصر، لقد قال بأفكار حية ولم يقل بأفكار ميتة كتلك الأفكار التى تتردد بين الحين والآخر من جانب أشباه الدارسين وأنصار الظلام والرجوع إلى الوراء والصعود إلى الهاوية وبئس المصير.. ومن يحاول التغافل عن الرجل وأفكاره، فإن وقته يعد عبثا ضائعا.

وسواء اتفق البعض مع الرجل أو اختلفوا معه حول رأى أو أكثر من الآراء التى قال بها، إلا أن الرجل قد وضع بصماته على مسار فكرنا العربى المعاصر، وقد أحسن صنعا حين اختلف مع جمال الدين الأفغانى، فإذا قارنا بين الرجلين محمد عبده من جهة والأفغانى من جهة أخرى فإن الخلود يكون للشيخ محمد عبده، إذ كم نجد من أفكار رجعية تارة وظلامية تارة أخرى عند الأفغانى، وإن كان أكثرهم لا يعملون. (١)

(١) راجع مقدمة كتاب: رائد الفكر المصرى الإمام محمد عبده، تأليف الدكتور عثمان أمين، المجلس الأعلى للثقافة، طبع الهيئة العامة للمطابع الأميرية ١٩٩٦، صدره الأستاذ الدكتور عاطف العراقى.



لقد كان الشيخ محمد عبده من أبرز دعاة التجديد الفكرى والدينى فى عصره، لقد بذل جهدا كبيرا وخاض المعارك الفكرية.. لقد دخل فى صميم المشكلات الاجتماعية والفكرية، ولم يكن متفرجا من الخارج ولم يرتض لنفسه أن يجلس فى الخارج متفرجا، أى يجلس فى الفناء، ولو كان قد جلس فى الفناء لكان قد أدركه الفناء، أما وقد خاض بشجاعة ويقين ونبل وإخلاص العديد من المعارك بحثا عن التجديد والتنوير، وسعيا من جانبه نحو الضياء، ونحو كل قيمة خالدة فى حياتنا التى نحياها.. ومن حقنا أن نفخر به كمصرى وعربى نشر النور والضياء، نعم وجب علينا دراسة أفكاره وما أعظمها وأروعها وخاصة إذا قارنا بينها وبين ما يتردد الآن من أفكار ظلامية تارة وإرهابية تارة أخرى، يجب علينا دراسة أفكاره، حتى لا يزعم البعض أننا جيل بلا أساتذة.

إن خير صورة للاحتفال بمفكرنا الشامخ محمد عبده إنما تتمثل فى تذكير الناس بأفكاره، وذلك عن طريق نشر كتبه التى قام بتأليفها، وأيضا إعادة طبع بعض الكتب الهامة التى تم تأليفها عنه فى سلسلة مجمع البحوث الإسلامية.

لقد عاش الرجل حياة قصيرة أنتج فيها إنتاجا غزيرا ثم مات ولكن الخلود يكون لفكره، يكون للقيم الرائعة التى دعانا إليها حتى دخل فكرنا المعاصر وتاريخه من أوسع الأبواب وأرحبها.

مولد الإمام محمد عبده

ولد «محمد عبده خيرالله» فى بيت الماضى عمدة قرية «شنرا»[٢] مركز الجعفرية[٣] مديرية الغربية، وهى بلدة

(٢) راجع وثيقة رقم ١ تعريفه بقلم الإمام محمد عبده وبخط يده من ملف الإمام محمد عبده رقم «٢٢٦٧٩٠»، محفظة «٨٧٣» دولاب ٤٢ عين رقم ٤ صورناه لأول مرة وتنشر وثائقه وننفرد نحن بنشرها لأول مرة، وهى تقلب الموازين، فقد أخطأ الكثير فى تاريخ مولد الإمام ومكانه وقد اتفق بعض الباحثين على مولد الإمام فى قرية «محلة نصر» ومنهم الدكتور عثمان أمين وغيره والأستاذ الدكتور على جمعة مفتى الديار المصرية قال فى ملف الإمام محمد عبده فى مجلة العربى عدد «رقم ٥٥٩» ربيع آخر سنة ١٤٢٦هـ يونية ٢٠٠٥ تحت عنوان «إمام التجديد فى الرأى والفتوى ص٨٢» أنه ولد سنة ١٢٦٦ هـ والتى توافق بالتاريخ الميلادى سنة ١٨٤٩ «راجع عثمان أمين: محمد عبده ص٢٥ طبع المجلس الأعلى للثقافة» وذكر أنه ولد فى قرية صغير من ريف مصر هى «محلة نصر» محافظة البحيرة والأصح أنها «شنرا غربية» الباحث

(٣) الجعفرية «بلوس الهوى القبلية» بلدة الباحث ومسقط رأسه، وقد كان بملف الإمام محمد عبده شهادة ميلاده فى ملف الإمام بدار المحفوظات العمومية، وكان بها أيضا اسم الداية «القابلة» التى ولدته، لكن الشهادة اختفت من الملف ربما حتى لا يعرف الناس أنه ولد فى غير محلة نصر محافظة البحيرة، بدلا من محافظة الغربية، ولأنهم يحتفلون بمولده هناك، وهو فخر يعتزون به، لكنه فخر زائف لأنه ولد وبخط يده فى شنرا.



داخلية بعيدة عن طرق المواصلات الرئيسية على بعد حوالى خمسة أو ستة كيلومترات من مدينة طنطا، وعلى مقربة منها جنوبا قرية الأنبوطين وشبرا قاص[٤] وشرقا قرية ميت حواى والجميزة[٥] وشمالا قرية طوخ مزيد وغربا قرية «اشنواى» وكل هذه القرى تتبع الآن مركز السنطة - غربية.

كان أبوه -رحمه الله- قد ولد فى محلة نصر مركز شبراخيت محافظة البحيرة، وبجوارها قرية «لقانة» الشهيرة من أبوين مصريين: الأم مصرية من «بنى عدى» والأب من أصول صقلبية وقيل من أصل تركمانى وسواء صح هذا أو ذاك فالأم من قبيلة سيدنا عمر بن الخطاب عدوية من أسيوط.

وكان «عبده خيرالله» والد الإمام من المشاغبين للسلطة لأسباب نجهلها.. ولذلك دأبت على الايقاع به، وكان من حملة السلاح المجيدين للرمى به والتنشين الدقيق.. وقد ضيقت السلطة عليه الخناق وحتى لا يقع فى حبائلهم هام على وجهه فأسلمته المقادير إلى قرية «حصة شبشير» مركز «محلة منوف» فى ذلك الوقت وهى قرية أيضا بعيدة بعض الشىء عن طرق المواصلات العامة ليكون فى مأمن من العيون والعسس، وتقع فى المسافة بين قرية «شبشير الحصة» مركز طنطا طريق المحلة الكبرى وبين قرية «كنيسة دمشيت» مركز طنطا على مقربة من قرية «نواج» وكلا الأخيرتين تقعان على طريق طنطا - كفرالشيخ طريق «قد'ور» غربية.

زواج عبده خيرالله بأم الإمام محمد عبده السيدة «جنينة» بنت عمر عثمان

وقد تزوج من «حصة شبشير» هذه بسيدة من عائلة طيبة ومن بيت شهير كريم هو بيت «عثمان» لكنه إثر زواجه ترك هذه القرية تعمية على السلطة، وذهب إلى قرية «طوخ مزيد» ويحكى أنه كانت هناك «ذئب متوحشة كانت تسكن فى هيشة هناك، قطعت الطرق وأخافت الفلاحين، ولم يستطع أحد من أهل المنطقة القضاء عليها أو طردها من هناك لكن عبده خيرالله كمن لها وصوب عليها قذيفة أصابت منها مقتلا، وفرح الناس بهذا الخبر وجاءوا زرافات ووحدانا يشاهدون الذئبة القتيلة التى أضجت مضاجعهم، وأصبحت سيرة الرجل على كل لسان وسارت بذكره الركبان، وأصبح وأمسى عدة أيام فى

(٤) تقع بين السنطة وطنطا طريق الزقازيق «طريق مسفل انشأه الإنجليز» سنة ٢١٩٢٦م ليصل إلى مدن القنال «الباحث» وبها عائلة جوهر وعائلة سليم وكان الإمام على صلة بهما.

(٥) قرية الجميزة هى التى اختفى فيها عبدالله النديم خطيب الثورة العرابية.. وقبض عليه فيها حيث سلمه «الفرارجى» للسلطان بالأسف «الباحث»



ضيافة عمدة «طوخ مزيد» وهو من عائلة عبيد ذلك الذى عرض عليه الإقامة الدائمة فى بلدته، لكنه فضل عليها قرية «شنرا»، وقد أعطاه عمدتها بيتا كما أعطاه فدانا من أجود الأرض الزراعية وقد أعطاه أيضا من الأنعام جاموسة وحماراً واستقر هناك، وولد له محمد هذا الذى سيصبح العالم الشهير الذى جابت شهرته الآفاق [6].

حفظه القرآن الكريم

عندما كبر محمد عبده وشب عن الطوق حفظ القرآن الكريم عند محفظ فى شنرا ثم جوده فى إحدى مقارىء القرآن الكريم بالجامع الأحمدى [7]، وكان ـ سبحان العاطى الوهاب ـ سريع الحفظ ثم جلس فى حلقات العلم بهذا الجامع ينتقل من حلقة إلى حلقة يقطف من كل بستان زهرة لكن منهج التعليم فى الجامع الأحمدى كان منهجا وعرا شاقا يخالف ما تقضى به أبسط قواعد التربية [8] وكاد الصبى ينصرف عن العلم، واشتغل بالزراعة، وهو فى عنفوان حالة نفسية ألمت به، قيض الله له أن يلتقى بأحد أخوال أبيه «الشيخ درويش خضر» وهو من المتصوفة ذوى القلوب الطيبة زكى الفؤاد استطاع فى أسبوعين أن يروض من الفتى جماحه، وأن يوجهه إلى المعانى القدسية والأنوار الربانية واللذائذ الروحية.

وقد تحدث محمد عبده نفسه عن ذلك الأثر الطيب الذى تلقاه فى ريعان شبابه فقال: «وتفرقت عنى جميع الهموم ولم يبق إلا هم واحد، وهو أن أكون كامل المعرفة، كامل أدب النفس، ولم أجد إماما يرشدنى إلى ما وجهت نفسى إليه، إلا ذلك الشيخ الذى أخرجنى فى بضعة أيام من سجن الجهل إلى فضاء المعرفة، ومن قيود التقليد إلى إطلاق التوحيد.. «هذا الشيخ» هو مفتاح سعادتى إن كانت لى سعادة فى هذه الحياة الدنيا، وهو الذى رد لى ما كان غاب عنى من غريزتى، وكشف لى ما كان خفى عنى مما أودع فى فطرتى [9].

---

(٦) زار الباحث قرية «شنرا» مركز السنطة أكثر من مرة وقابل العديد من العلماء، وخاصة من عائلة الماضى الذين أكدوا أن الإمام محمد عبده ولد فى بيتهم وقد رأيت هذا البيت وهى مبنى بالطوب اللبن، لكن بعضه قالوا إنه هدم وبنى مكانه بيت جديد بالطوب الأحمر المحروق «الباحث».

(٧) كانت المقارىء الأحمدية لا تنتهى فى ليل أو نهار فهناك مقارىء تبدأ بعد صلاة العشاء إلى الفجر وأخرى منه إلى الضحى وثالثة إلى الظهر ورابعة من الظهر إلى العصر وخامسة إلى المغرب وسادسة من المغرب إلى العشاء ومنها مقرأة جوهر اللالا، ومقرأة على بك الكبير ومقرأة سيدى عبدالرحيم، ومقرأة أحمد باشا المنشاوى وغيرها «راجع المقارىء الأحمدية فى كتابنا: الجامع الأحمدى شقيق الجامع الأزهر ص١٩٦، ١٩٧

(٨) انظر مجلة «المنار» للسيد رشيد رضا ـ المجلد الثامن ص٣٨١ ـ ٣٨٢.

(٩) محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام جـ١ ص٢٢.



دخوله الأزهر الشريف

كان دخول محمد عبده إلى الأزهر حدثا جللا والتحاقه به كان سنة ١٨٦٦م وهو أهم مركز للثقافة الإسلامية يأتيه من شتى بقاع الأرض الشباب المسلم، مزودين بالقليل من المال والكثير من الإيمان من الهند والصين والملايو وجاوة والتركستان من عشرات الشعوب الإسلامية التى يكتب كل شعب منها اسمه على خريطة الدنيا بالدم والجهد والتضحية، كانوا يحضرون إلى القاهرة ليجلسوا على أرض الأزهر، وليستمعوا إلى شيوخه وهم يصاولون الكلمات والحروف، ابتغاء أن يستخرجوا منها من الأسرار ما يملأ بقاع الأرض، ولم يكن الشيوخ أوفر نعمة من طلابهم، فإنهم جميعا سواء فى خشونة العيش وربط الأحجار على البطون، وطعامهم الحقيقى هو العلم، وهو أقسى على أسنانهم من الخبز الجاف.

ولم يكن أهل الدين فى عزلة عن الحياة، برغم كل ما هم فيه من زهد وقناعة.. كانوا هم الطبقة المثقفة، وشيخ الأزهر الذى قد لا يخرج إلى الدرس فى يومه لأنهم يغسلون له قميصه، وهو لا يملك سواه.. هذه الصورة الجميلة الرائعة كانت تتوارد فى مخيلة أهل الريف من القرويين ومن إليهم من أهل الحضر، فيرسلون أبناءهم إلى ذلك المعهد ليصبحوا خليقين بالانتماء إلى الفصيلة الإنسانية وما من شيء يمكن أن يصرفهم عن هذا الغرض السامى النبيل، فهم يقصدون الأزهر على الدواب [10] وفى السفن التى تجوب البحار والأنهار!!

هذا وقد أنفق محمد عبده من عمره ثلاث سنوات فأكثر، دون أن يجنى فائدة تذكر من الدروس التى كان يستمع إليها هناك، ولا جدال أن مرجع ذلك إلى طريقة التدريس السائدة فى الأزهر تلك الطريقة الجامدة العتيقة التى كانت تفرض على طلاب العلم مختصرات لا تفهم إلا بشروح وحواش وتقارير، وإنما تزدحم ذاكرتهم بحشد مشوش من المعلومات النحوية المتشابكة والتدقيقات اللفظية التى تزهق الفكر وتعوقه عن النمو [11] فانصرف الشاب محمد عبده عن العلوم الأزهرية، وتطلعت نفسه إلى علوم جديدة.

وفى ذلك الحين أصابته أزمة نفسية جعلته ينقطع عن الدروس، ويمارس ضروب الزهد والرياضة ويحاول أن يعتزل العالم ويفر من الناس، ولكنه اجتاز هذه

---

(١٠) كان والد الشيخ محمد عبده قد جهز له ركوبة (حمارة قوية) مخصصة له يوميا يذهب بها إلى جامع الأحمدى طيلة مدة دراسته، واكترى له من يوصله من شنرا إلى طنطا والعودة، وهو الريس مكاوى، وقد رآه بعض أهل هذه القرية من الطاعنين فى السن، وهذه أقوالهم لى. (الباحث).

(١١) راجع: محمد عبدالله عنان: (تاريخ الجامع الأزهر)القاهرة سنة ١٩٤٢م، محمد على غريب: الأزهر منذ أربعين عاما.



الأزمة الصوفية أيضا بفضل الشيخ درويش[١٢].

وكان من حسن حظ محمد عبده أن يلتقى بشخصية أخرى عظيمة ملهمة، فيوجهه كما فعل الشيخ درويش من قبل، وكانت هذه المرة شخصية رجل ثائر وبطل من أبطال التحرير هو السيد «جمال الدين الأفغانى» وقد التف حوله صفوة القوم بالقاهرة، واستطاع محمد عبده ـ بفضل ما تلقاه من أستاذه من هداية روحية أن يتحول نهائيا عن طريق الزهد، وأن يقبل على الحياة العملية إقباله على دراسة العلوم المختلفة كالفلسفة والرياضيات والكلام والأخلاق والسياسة وغيرها مما لم يكن له مكان فى مناهج الأزهر[١٣] وأخذ الأفغانى يبث تعاليمه الحرة التى لم يكن للناس عهد بها من قبل، وأخذ يقرأ لتلاميذه طائفة من الكتب العربية القديمة والكتب الأوروبية المعربة فى الفلسفة والسياسة والاجتماع فكان ذلك فتحا جديدا فى موضوعات التعليم[١٤].

ووجد الشاب المصرى عند الأفغانى روحا جديدة لم تكن مألوفة عن شيوخ الأزهر، ووجد عنده مذهبا فلسفيا واحدا، ونظرة إلى الحياة عميقة وصورة عن الكون منظمة[١٥]

محمد عبده يدخل امتحان العالمية

فى سنة ١٨٧٧م تقدم محمد عبده لامتحان العالمية فى الأزهر، فظفر بشهادتها على الرغم من الشكوك التى حامت حول اسمه لاتصاله بجمال الدين الأفغانى ولكتابته الفصول داعيا إلى التجديد وترك التقليد[١٦] وقد أخذ محمد عبده يلقى فى الأزهر وغيره دروسا فى المنطق والكلام والأخلاق، وامتازت دروسه بمنهج جديد جمع حوله عددا عظيما من الطلاب.. وقد انضم محمد عبده إلى الفرع الماسونى «كوكب الشرق» وكان يضم حوالى «٥٠٠» خمسمائة من صفوة البلاد[١٧].

وفى سنة ١٨٧٩م أصبح محمد عبده أستاذا للتاريخ فى مدرسة دار العلوم[١٨]

(١٢) راجع: محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام ط ص سنة ١٠٧، ١٠٨.

(١٣) راجع: محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام نفس المرجع ص ٢٦، جرجى زيدان: مشاهير الشرق جـ١ ص ٣٠١، ٣٠٢.

(١٤) راجع: محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام جـ ١ ص ١٠٣ - ١٠٤، دكتور محمد ضياء الدين الريس: تباشير النهضة فى العالم الإسلامى أو الشرق الأوسط فى التاريخ الحديث طبع دار الأنصار - القاهرة سنة ١٤٠١ هـ ٣ ص ١٣٨ - ص١٥١.

(١٥) أحمد أمين: زعماء الأصلاح فى العصر الحديث القاهرة سنة ١٩٤٨ ص٦٦

(١٦) عثمان أمين «محمد عبده» (أعلام الإسلام) القاهرة سنة ١٩٤٤م.

(١٧) رشيد رضا «المنار» مجلد٨ ص ٤٠٢.

(١٨) هى التى أصبحت تسمى باسم كلية دار العلوم بعد ذلك والتى أنشأها على باشا مبارك للعناية بالعلوم الإسلامية والمعاونة فى إحياء اللغة العربية.



وأستاذا للأدب فى مدرسة الألسن، وظل يشغل هاتين الوظيفتين إلى جانب مواصلته لدروسه بالأزهر[١٩].

محمد عبده والثورة العرابية

فى مستهل حكم الخديوى توفيق عين «رياض باشا» محمد عبده محررا للجريدة الرسمية، وأصبح رجل الدين الأزهرى بعد وقت قصير رئيس تحريرها، وانتقلت الجريدة إلى عهد من النشاط والإشراق، وبرز فيها ما يميز الإمام محمد عبده من الاتجاه نحو الإصلاح الدينى والخلقى، كان الشيخ معلما ومصلحا فى آن واحد كانت غايته رفع مستوى الأمة، وتقويم أخلاقها، والنهوض بها نهضة اجتماعية فى أناة وتدرج ومن غير عنف ولا طفرة، وكان يعتقد أن ذلك يتم عن طريق سلوك قادتها سبيل التربية والتثقيف لا سبيل تقليد الغرب من غير فهم نافذ ولا إدراك عميق[٢٠] والتمسك بظواهر المدنية المادية مع الغفلة عن صميم المدنية الروحية[٢١].

كان من نتائج الحركة الوطنية هذه أن حدث انقلاب سنة ١٨٧٩م أدى إلى سقوط حكومة «نوبار» والوزراء الأوروبيين الآخرين، وهناك نتيجة أخرى هى: تألب الجيش المصرى بقيادة عرابى على الضباط الأتراك والجراكسة وأفضى إلى ثورة أعقبها احتلال الإنجليز لمصر سنة ١٨٨٢م ولم يكن محمد عبده مشايعا لعرابى فى البداية لكن إزاء تدفق الحوادث لم يستطع محمد عبده إلا أن يسارع بشد أزر العرابيين الثائرين، حتى غدا أحد الرءوس المدبرة لشئون الحكومة الوطنية.. وبعد فشل عرابى اتهم محمد عبده بالتآمر والضلوع مع رجال الثورة وحكم عليه بالسجن ثم بالنفى ثلاث سنوات[٢٢] فاختار سوريا، ورحل إليها سنة ١٨٨٣م ولم تطل إقامته بها فاستدعاه الأفغانى إلى باريس.

وثائق ملف الإمام محمد عبده

لم أكن أعرف شيئا عن ملف الإمام محمد عبده حتى سألنى أحد تلامذى[٢٣] قائلا: يا أستاذى أنت من مركز السنطة

(١٩) محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام جـ١ ص ١٣٥- ١٣٦.

(٢٠) محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام جـ١ص ١٣٧.

(٢١) انظر ما كتبه الإمام محمد عبده نفسه عن عمله فى «الوقائع المصرية» فى: محمد رشيد رضا تاريخ الاستاذ الامام جـ ص١٧٥ - ١٨٠.

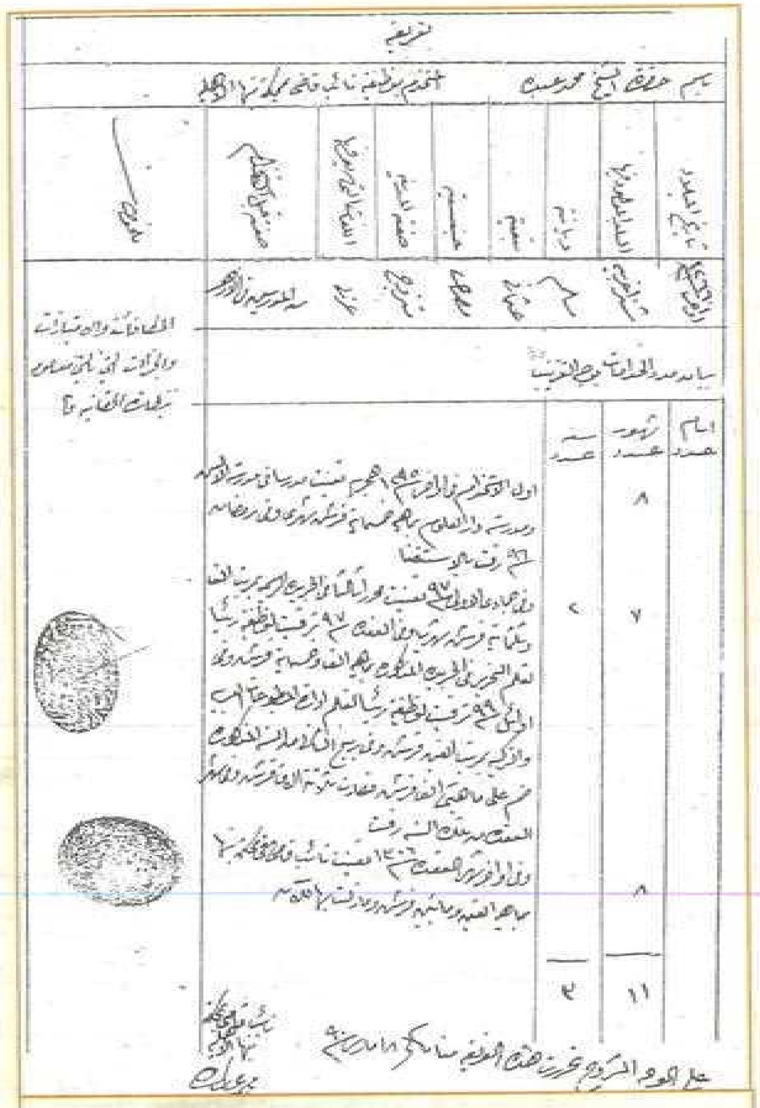
(٢٢) محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام جـ ص١٥٧، وعثمان أمين: محمد عبده ص٣٥ - وما بعدها وراجع ملحق وثائق الامام وثيقة رقم ١ من وليبور لدى (المرسوم الخديوى).

(٢٣) هو حسام احمد عبدالغنى رجب الحاصل على رسالة الماجستير بعنوان «جهود الإمام محمد عبده فى إصلاح الأزهر» من قسم التاريخ والحضارة جامعة الأزهر سنة ٢٠٠٣م.



غريبة هل تعرف قرية «شنرا» وكيف أصل إليها فوصفت له الطرق الموصلة إليها!! لكنني أيضا سألته لماذا هذه القرية على وجه الخصوص فقال: لأنها القرية الحقيقية التي ولد فيها الإمام محمد عبده، ولكنه من المعلوم أنه ولد في قرية «محلة نصر» مركز شبراخيت ـ بحيرة ـ فمن أين هذه المعلومات الجديدة ومن أين حصلت عليها فقال: من ملف الإمام محمد عبده في دار المحفوظات العمومية المصرية.

وسرعان ما اتجهت إلى دار المحفوظات لتصوير هذا الملف وعمل دراسة شاملة عليه تمهيدا لنشره، لكن المسئولين يرفضون تصوير أي ورقة من الملف لأن التصوير ممنوع قطعيا، وكان لابد من تدخل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر، ودارت اتصالات واسعة بين فضيلته ووزارة المالية، والضرائب العقارية ودار المحفوظات، ومشيخة الأزهر، والجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء وبعد ثلاث سنوات، وبعد طرق الأبواب يسر الله الأمور، وبدأت حركة ملحوظة في دار المحفوظات لفتح أقفال الدواليب استعدادا لإخراجها وتصويرها على نفقتي الخاصة.



وثيقة يظهر بها محل ميلاد الإمام محمد عبده

لكن بكل الأسف الشديد تعطلت ماكينة التصوير بعد تصوير عشرة ملفات ولم أتمكن من تصوير غيرها حتى الآن لظروف خارجة عن الإرادة.. ومن هذه الملفات التي صورناها ملف الأستاذ الإمام



محمد عبده وهو يحتوى تقريبا على مائة وثيقة وخمس وثائق وهي ناطقة بتاريخ الإمام محمد عبده دون تجميل أو تذويق لأن كاتب الوثيقة لا يعرف أنها ستكون في يوم من الأيام ذات قيمة كبيرة ولها المقام الرفيع في دور الأرشيف العالمية، ومن هذه الوثائق، عالمية الإمام محمد عبده.

شخصية الإمام محمد عبده

قبل أن نفيض في ترجمة حياته وما قام فيها من أعمال جليلة يحسن بنا أن نلم ببيئته الأولى لنعرف من أين جاءه هذا النبوغ ومن أين أتاه هذا التكوين الذي دهش له أستاذه «جمال الدين الأفغاني» حيث قال له وهو طالب أزهري يلبس الزعبوط، وقد تحلى بجميل الأخلاق ومحاسن الصفات من العفة والعزة ورعاية الكرامة: «قل لي بالله عليك: من أي أبناء الملوك أنت؟ يقول ذلك للشيخ محمد عبده المجاور بالأزهر، وهو الذي كان «أي الأفغاني» يخاطب الملوك مخاطبة الند للند، ويهدد بعضهم فيخافه ويوسط أكبر سلطان مسلم في عصره ليحول بين السيد وبينه.

بيئته وأهله

قلنا فيما سبق أنه ولد في قرية «شنرا البحرية» مركز الجعفرية بمديرية الغربية لكن والده «عبده خيرالله» كان قد ولد في «محلة نصر» مركز شبراخيت التابع لمديرية البحيرة.. على نحو ما فصلناه ويعرف عن أبيه هذا أنه كان قليل الكلام وقور المظهر لا يختلط بصغار الناس، يحترمه أهل بلده ويوقرونه يقرى الضيف ويؤوى الغريب ويكرم النزيل.

كانت هذه الخصال تؤثر في محمد الصغير، ويعتقد أن أباه أعظم رجل في القرية، بل أعظم من في الدنيا ذلك لأن الحكام كانوا ينزلون في بيتهم لا في بيت العمدة «عمدة محلة نصر» على سمعته وثروة صاحبه، فتعلم أيضا أن الكرامة وعلو الهمة لا يتعلقان بالثروة والمركز الرسمي، وكان الوالد ذا عزيمة وثبات على الرأي قاسيا على من يعاديه، وكما كان والده مهيبا في القرية كانت والدته ترحم المساكين وتعطف على الضعفاء والمحتاجين.

ظلم الحكام في تلك الأيام

كان يكفي للإطاحة بأسرة من الأسر أن يشي بها واش كذاب، إذ كان الظلم والاستبداد من مظاهر هذه الأيام وكان ظلما لا يقف عند حد، فلا قانونا مرعي، ولا عدل ينصف المظلوم، فقد وشى أحد الحاقدين الحاسدين على أسرة «خيرالله» بأن عندهم سلاحا، وأنهم وأعوانهم يقفون في وجه الحكام، فأخذوا جميعا وزج بهم في السجون لا يخرج الواحد منهم إلا ميتا، ثم سلب هذا الكاشح بمعونة الحكام كل ما وصلت إليه يده حتى الأبواب وخشب



السقوف، فهاجر والد المترجم وعمه ومن معهما إلى «كُنَيِّسَة أورين» وهى قرية صغيرة تتبع مركز شبراخيت ونزلوا عند الحاج «محمد خضر» وهو خال والد المترجم، ولكنه خشى أن يؤويهم خوفا من الاضطهاد مع أنه عمدة القرية فانتقلوا إلى قرية تتبع مركز «الجعفرية» هى شنرا مركز السنطة حاليا.. ثم استأجروا أرضا وعملوا فيها، واشتهر الوالد بالفتوة والبراعة والحنكة فى الصيد بالسلاح[٢٤].. فأحبه مصطفى المنشاوى وأحمد ومحمد أخواه، وكانوا موظفين فى دايرة الخديو إسماعيل بالقرشية مركز الجعفرية غربية[٢٥] وأصبح بينهما صداقة ومحبة.

ولما اشتد الظلم بأهل قرية «محلة نصر» تسللوا بيتا بيتا ليقيموا بجوار من سبقهم وفى ذلك خسارة على ذلك الواشى، فجدد الوشاية، ورفع الشكوى إلى مدير البحيرة، وكان الوالد وقتئذ فى شبراخيت - مدعيا أن عبده خيرالله أصبح مأوى لمن فروا بأسلحتهم من القرية وكان «عباس الأول» قد أصدر أمرا بتجريد الأهالى من السلاح واتهم أيضا مصطفى المنشاوى بإيوائه بعض الهاربين الفارين من الخدمة العسكرية، فزج بالجميع فى السجن، ومازالوا فى السجن حتى أفرج عنهم فى أول ولاية سعيد باشا، فعاد الوالد إلى قريته، فلم يجد مما كان يملكه أسلافه بها إلا جدران البيت المهدمة.

أثر الوراثة فى المترجم

من هذه النبذة الوجيزة عرفنا ما كان عليه والد الشيخ من الشهامة والشجاعة والوقار والسخاء والاحترام من الناس فهل تأثر الشيخ محمد عبده بالوراثة فى اكتساب تلك الصفات الحميدة؟.. أكثر الناس الكلام فى الوراثة وجعلوها أصلا فى التكوين الجسمى والنفسى والخلقى فقالوا: «العرق يمد لسابع جد» ويقول أبوحيان التوحيدى فى مسائل الحرف والصناعات والفنون الإسلامية: «...

(٢٤) راجع: عبدالسميع البطل: الإمام محمد عبده مقال له فى مجلة «منبر الإسلام» العدد الثامن السنة ٢٥ عدد شعبان سنة ١٣٨٧ هـ نوفمبر ١٩٦٧ ص ١٣٨ وما بعدها.

(٢٥) كانت الجعفرية مركزا كبيرا هو الأول فى مديرية الغربية وهى بلدة كبيرة الآن بها مستشفى كبير كان وحدة صحية تبرع بأرضها وساهم فى بنائها المرحوم الأستاذ/ أمين بك ابن الشيخ محمد بك عز العرب وكلاهما كان عضو مجلس النواب وكانا صديقين للزعيم سعد زغلول، ومن مؤسسى حزب الوفد، كما قام أمين بك عز العرب بإنشاء كوبرى على فرع بتيين ليربط الشاطئ الغربى وبه الجعفرية والقرى الأخرى على الشاطئ الشرقى كان ذلك سنة ١٩٤٢ سنة مولد كاتب هذا البحث، وقد حل هذا الكوبرى مشاكل كثيرة حيث كانت المواشى وأصحابها يتنقلون بين الشاطئين عبر مركب يشد بجنزير وبصعوبات لاحصر لها لكن سحب البساط من تحتها أحمد باشا المنشاوى، فتبرع للحكومة بعدة قصور من الدائرة فى السنطة أحدها لمركز البوليس وآخر للمحكمة وثالث للمستشفى ونقل مقر المركز إلى السنطة حيث تمر السكة الحديد.



والعرق إذا وشج على شىء من الفضائل أو الرذائل، أتى بالعجائب وأوفى على الغرائب»[٢٦].

نشأته وطلبه للعلم

لم يدخل الطفل محمد عبده كتاب القرية ليتعلم القراءة والكتابة إلا بعد العاشرة من عمره، ثم حفظ القرآن الكريم للمرة الأولى فى قرية «شنرا» ثم ثبته حفظا للمرة الثانية، ثم أسلمه أبوه لمعهد طنطا، حيث كان أخوه لأمه الشيخ مجاهد يسبقه إليه لتجويد القرآن الكريم. كان ذلك سنة ١٢٧٩هـ.

وفى سنة ١٢٨١هـ انتظم فى دروس العلم، فبدأ يدرس النحو فى شرح الشيخ خالد على الأجرومية[٢٧]، فقضى سنة ونصف السنة لا يفهم شيئا، لأن طريقة التأليف والتعليم كانت عقيمة لا توصل إلى نتيجة، يجلس الشيخ الصغير الطالب للعلم وهوخالى الذهن من كل شىء فيفاجأ بدرس النحو فى كتاب واحد مؤلف من عدة كتب: المتن أولا، وهو اختصار سريع للقواعد، وعلى المتن شرح يشرح قواعده ويفسر شواهده ويعربها، وعلى الشرح حاشية يستدرك فيها صاحبها على الشرح ثم الهامش يستدرك فيه صاحبه على الحاشية. عدة كتب فى كتاب واحد، ومطلوب من الصغير المبتدىء أن يلم بذلك كله فى كل درس، هذا بعد المقدمة التى يفسر فيها الشارح مبادىء النحو، وهى - ككل فن - عشرة منها: تعريف العلم الذى يدرسه الطالب الصغير، وموضوعه وثمرته والحاجة إليه.. الخ الخ، ثم يبدأ فى درس ثان وهو إعراب بسم الله الرحمن الرحيم ومتعلق حرف الجر وتقديره، ثم أوجه الإعراب فى «الرحمن الرحيم» ما يجز منها وما يمتنع ولابد من إيراد هذا البيت:

إن ينصب الرحمن أو يرتفعا ... فالجر فى الرحيم قطعا منعا

(٢٦) د/ مجاهد توفيق الجندى: أبوحيان التوحيدى الخطاط البامر والوراق الماهر مع تحقيق رسالته فى عالم الكتابة ط ٢ القاهرة سنة ٢٠٠٥م

(٢٧) الشيخ خالد الأزهرى الجرجاوى: وينسب إلى «جرجا» كانت قاعدة الأعمال الجرجاوية (سوهاج) حاليا، جاء إلى مصر (القاهرة) فقيرا حافى القدمين عارى الرأس، وذلك فى منتصف القرن التاسع الهجرى تقريبا وتوسط له بلديه ليعمل وقادا فى الأزهر حيث يشعل القناديل بعد تنظيف فتائلها وتعميرها بزيت الإضاءة، وهو على السلم وعلى مقربة من السقف سقطت منه فتيلة على أحد الطلاب فزيتت ملابسه فثار وشتمه وعيره بالجهل، يقول السخاوى فى ترجمة له فى كتابه الضوء اللامع «فحمى من هنا...» يعنى أصابته الحمية والغيرة، وعزة النفس، فجلس فى حلقات العلم بالأزهر الشريف يقطف من كل بستان زهرة وهو كبير السن حتى أفاد كثيرا من دروس العلم، وألف المؤلفات السهلة النافعة فى النحو والصرف فأفاد منها طلاب الأزهر الشريف وبورك فيها حيث مازالت تدرس فى المعاهد الاعدادية الأزهرية إلى الآن ت سنة ٩٠٥ هـ والأجرومية هو متن فى النحو والصرف ينسب إلى المعمر الأفريقى محمد بن أجروم، وهو مختصر سهل فى النحو والصرف يحفظه الصغير مع حفظ القرآن، وقد شاع بين الأزهريين: «من حفظ المتون حاز الفنون».



وبعد ذلك إعراب عنوان الدرس الثالث، وقد يكون كلمة كتاب أو باب، ولابد من إعراب كلمة باب أو كتاب والأوجه الجائزة فيه.

كل ذلك يتلقاه الطالب المبتدىء فى الدروس الأولى، وكأنه يتلقى بلغة أجنبية لا يعرف منها حرفا واحدا فهل بعد ذلك نعجب، إذا كان الطالب يمكث فى طلب العلم عشرين سنة فأكثر ومحصوله من العلم قليل؟ ولعل هذه البداية هى التى جعلت الشيخ محمد عبده يثور على طريقة التعليم فى الأزهر حين صار له من الأمر شىء.

أدرك الشيخ اليأس من النجاح وهرب من الجامع الأحمدى عند أخواله ثلاثة أشهر، ثم عثر عليه أخوه وأراد إكراهه على العودة فأبى إلا أن يعود إلى البلد، ليشتغل بالزراعة، وعاد عازما على ألا يعود إلى طلب العلم، وتزوج سنة ١٨٨٢هـ[٢٨]

يقول الشيخ محمد عبده خيرالله: فهذا أول أثر وجدت فى نفسى من طريقة التعليم فى طنطا وهى بعينها طريقة الأزهر، وهو الأثر الذى يجده خمسة وتسعون فى المائة ممن لا يساعدهم القدر بصحبة من لا يلتزمون هذه السبيل فى التعليم - سبيل إلقاء المعلم ما يعرفه وما لا يعرفه بدون أن يراعى المتعلم ودرجة استعداده للفهم، غير أن الأغلب من الطلبة الذين لا يفهمون تغشهم أنفسهم فيظنون أنهم فهموا شيئا، فيستمرون على الطلب إلى أن يبلغوا سن الرجال وهم فى أحلام الأطفال، ثم يبتلى بهم الناس، وتصاب بهم العامة، فتعظم بهم الرزية لأنهم يزيدون الجاهل جهالة، ويضللون من توجد عنده داعية الاسترشاد، ويؤذون بدعاويهم من يكون على شىء من العلم، ويحولون بينه وبين نصح الناس بعلمه[٢٩] أ.هـ.

وبعد أربعين يوما من زواجه ألزمه أبوه بالعودة إلى طنطا، وبعد امتناع واحتجاج لم يجد مندوحة من الطاعة، فركب فرسا، وصحبه أحد أقاربه ليوصله إلى محطة إيتاى البارود ليركب منها القطار إلى طنطا، وكان يوما قائظا حره شديد والريح عاصفة ملتهبة، فقال محمد عبده لصحابه: أنا لا أستطيع مواصلة السير فى هذه الحرارة، فلنعرج على قرية ننتظر فيها حتى يخف الحر، فأبى، فأجرى الفرس وتركه وأعلمه أنه ذاهب إلى «كُنَيْسَة أورين» وفيها خئولة أبيه، وقد كان معروفا بالفروسية واللعب بالسلاح، ففرح به شباب هذه القرية، ورجوا أن يقيم معهم مدة، يلهو كل منهم بالآخر.

(٢٨) عباس محمود العقاد محمد عبده أعلام العرب.

(٢٩) عباس محمود العقاد: محمد عبده سلسلة أعلام العرب عدد١ وزارة الثقافة والإرشاد القومى د. ت ص ٨٤ - ٨٥ مرجع سبق.



أدركه صاحبه وبقى معه إلى العصر، ثم أراده على السفر فأبى، وسلمه الفرس على أنه سيسافر إلى طنطا غدا فى الصباح، وقال له: إن شئت فقل إنى سافرت إلى طنطا، وبقى هو فى القرية خمسة عشر يوما، تحولت فيها حالته، واكتسب رغبة غير رغبته الأولى على نحو ما شرحنا عند حديثنا عن الشيخ درويش خضر الذى استطاع بصلاحه وقوة حجته وحنكته أن يقنع محمد عبده بالعودة إلى دراسة العلم بالجامع الأحمدى، وإذا أراد الله أمرا هيأ له أسبابه[٣٠].

كان فى نحو السابعة حين ابتدأ يتعلم القراءة والكتابة، فكان فى قريته أمام طريقتين فى هذه المرحلة من مراحل التعليم: طريقة السوط والفلقة «الفلكة» وهياج العشرات من الصبية بين جدران المكتب العتيق، وطريقة التعلم فى البيت بين يدى أستاذ واحد من أهله يعلمه ويعنى بتفهيمه، ويعز عليه أن يقنعه بالسوط والفلقة وجلبة الصياح فى مكان كالمكان الذى يختار للمكتب فى ذلك الزمان، فكان من حظه أن يتعلم حروفه الأولى على أفضل الطريقتين،

ثم أسلمه أبوه إلى حافظ معتقد والذى يقرأ القرآن مع تلميذه الوحيد قراءة بعد قراءة، قبل أن يأخذه باستظهاره من فاتحته إلى خاتمه مقروءا أو غير مقروء، لا فرق بين تعليم الضرير وهو يحفظ بالتلقين وتعليم المبصر الذى ينظر إلى الكلمات والآيات فى اللوح الخشبى أو الصفيحى فكان محمد عبده فى هذه أيضا مجدودا موفقا لأمثل الطريقتين.

دروس العلم فى الجامع الأحمدى

يقول «محمد عبده»: ذهبت إلى طنطا وكان ذلك قرب آخر السنة الدراسية فى شهر جمادى الآخرة من سنة ١٢٨٢هـ، فاتفق أن بعض المشايخ كان قد ماتت بنته فعاقه الحزن عليها من إتمام شرح كتاب «الزرقانى على العزية» وآخر عرض له عارض منعه عن اتمام شرح الشيخ خالد على الأجرومية، فأدركت كلا منهما فى أوائل الكتاب الذى كان يدرس، وجلست فى الدرسين فوجدت نفسى أفهم ما أقرأ وما أسمع والحمدلله، وعرف ذلك منى بعض الطلبة، فكانوا يلتفون حولى لأطالع معهم قبل الدرس ما سنتلقاه».

وفى يوم من شهر رجب من تلك السنة، كنت أطالع بين الطلبة، وأقرر لهم معانى شرح الزرقانى فرأيت أمامى شخصا يشبه أن يكون من أولئك الذين يسمونهم

(٣٠) عبدالسميع البطل الإمام محمد عبده - مقال فى مجلة منبر الإسلام العدد الثامن السنة ٢٥ شعبان سنة ١٣٨٧هـ نوفمبر ١٩٦٧ مرجع سبق ص ١٤٠ - ١٤٢، عباس محمود العقاد، محمد عبده نفس المرجع ص ٨٦ ، ٨٧.



بالمجاذيب.. فلما رفعت رأسي إليه قال ما معناه: ما أحلى حلوى مصر البيضاء، فقلت له: وأين الحلوى التي معك؟ فقال سبحان الله من جد وجد، ، ثم انصرف فعددت ذلك القول منه إلهاما ساقه الله إليّ ليحملني على طلب العلم في مصر دون طنطا.

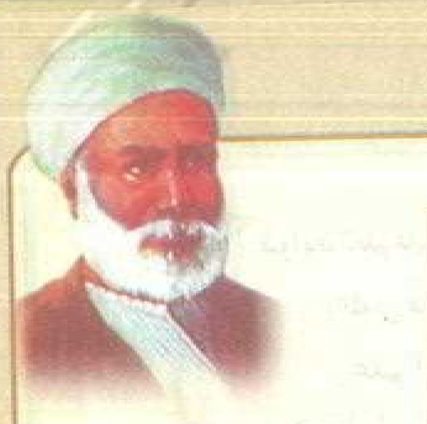
وفي منتصف شوال من تلك السنة ذهبت إلى الأزهر وداومت على طلب العلم على شيوخه مع محافظتي على العزلة والبعد عن الناس، حتى كنت استغفر الله إذا كلمت شخصا كلمة بغير ضرورة وفي أواخر كل سنة دراسية كنت أذهب إلى «محلة نصر» لأقيم بها شهرين[٣١] من منتصف شعبان إلى منتصف شوال، وكنت عند وصولي إلى البلد أجد خال والدي الشيخ درويش[٣٢] قد سبقني إليه فكان يستمر معي يدارسني القرآن والعلم إلى يوم سفري، وكل سنة كان يسألني ماذا قرأت، فاذكر له ما درست فيقول: ما درست المنطق، ما درست الحساب، ما درست شيئا من مبادىء الهندسة.. وهكذا كنت أقول له: بعض هذه العلوم غير معروف الدراسة في الأزهر، فيقول: طالب العلم لا يعجز عن تحصيله في أي مكان.. فكنت إذا رجعت إلى القاهرة، ألتمس هذه العلوم عند من يعرفها، فتارة أخطىء في الطلب وأخرى أصيب، إلى أن جاء المرحوم السيد جمال الدين الأفغاني إلى مصر أواخر سنة ١٢٨٦هـ.

محمد عبده في الأزهر

لم يلبث محمد عبده أن أقام بالقاهرة أياما حتى ألفى نفسه في الجامع الأزهر، كما ألفى نفسه من قبل مرة بعد مرة على مفترق طريقين: طريق الأذن والذاكرة، وطريق الذهن والوجدان وقد سميتا يومئذ بين طلاب العلوم الدينية بطريقة التقليد وطريقة التجديد.. وحسبنا على صلابة المقلدين على جمودهم أن شيخهم

(٣١) خفي علينا إلى الآن السنة التي انتقل فيها من «شنرا» إلى «محلة نصر» والمدة التي قضاها هنا وهناك والد الامام بعد العفو عنه من السلطة الخديوية (الباحث).

(٣٢) هو أحد أخوال الإمام محمد عبده سبقت له أسفار إلى صحراء ليبيا، ووصل في أسفاره إلى طرابلس الغرب وجلس الى السيد «محمد المدني» والد الشيخ ظافر المشهور الذي كان قد سكن الأستانة وتوفي بها، وتعلم عنده شيئا من العلم، وأخذ عنه الطريقة الشاذلية، وكان يحفظ الموطأ وبعض كتب الحديث، ويجيد حفظ القرآن وفهمه، ثم رجع من أسفاره إلى قريته هذه واشتغل بما يشتغل به الناس من فلاحة الأرض وكسب الرزق بالزراعة يقول الإمام: جاءني هذا الشيخ صبيحة الليلة التي بتها في الكُنَيِّسة وبيده كتاب يحتوي على رسالة كتبها السيد محمد المدني إلى بعض مريدية ومن يشتغل بها ونفرت منه بخط مغربي دقيق، وسألني ان اقرا له فيها شيئا لضعف بصره، فدفعت طلبهُ بشدة ولعنت القراءة أشد النفور ولكن الشيخ تبسم ولم يزل بي حتى أخذت الكتاب للتوسع راجع: العقاد، محمد عبده ص٨٨.





صورة البيورلدى الذي يحصل عليه العالم الذي يرغب في الحصول على العالمية للتدريس بالأزهر الشريف

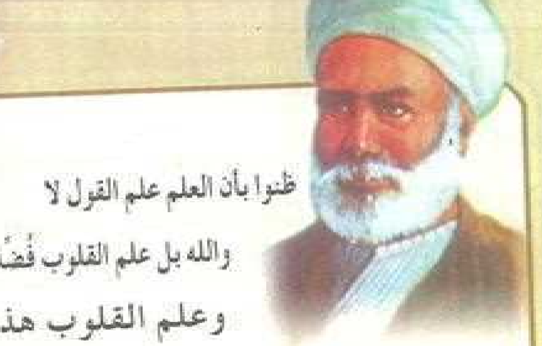
الشيخ محمد عليش[٣٣] خرج يسعى بخنجره إلى درس الشيخ السنوسي ليقتله، لأنه كتب في مؤلف له أنه يجتهد بعلمه في فهم الشريعة من كتاب الله غير متقيد بما كتبه الفقهاء من المتأخرين أو المتقدمين، ولولا سفر الشيخ السنوسي من القاهرة لما برح الشيخ يتعقبه حيث كان، ليقضي عليه.

وقد كان لأنصار التجديد مدرسة مستقلة يقصدها من يريدها، وقلما يبحث عنها من كان يطلب العلم على من يفتتحون كتاب النحو بإعراب البسملة، ويختمون الكتب كلها بخاتم الذاكرة، فبحث الطالب الأزهري الغريب عن أساتذته المختارين من علماء التجديد، وحضر على عالمين جليلين من أشهرهم وأقدرهم، هما: الشيخ حسن الطويل والشيخ محمد البسيوني، وكلاهما من تلاميذ الشيخ حسن رضوان الذي تفرغ لحكمة التصوف بعد أن استوفى حظه من العلوم العقلية والشرعية، ثم يئس من الدرس والتدريس في الجامع الكبير، فتركه ليلحق بأستاذه، الذي كان يلقي دروسه في غير حلقاته، ونظم وهو يودع حلقاته أرجوزة يقول فيها عن جماعة المقلدين:

لو كان هذا وصفهم ما شنعوا

بل وقتهم في «جاء زيد» ضيعوا

(٣٣) كان الشيخ محمد عليش (ما عليه شيء) وهو من أصول مغاربية من الشيوخ الأفاضل لكنه كان من هؤلاء المتمسكين بالقديم من علوم الأزهر وتراثه، الجامدين عليه لايفرطون فيه، ولايسمح في درسه بأي عبث من أي طالب كائنا من كان، وكان مشهورا بعصاه الطويلة يلاحق بها كل عابث بل كان يجري خلفه في صحن الأزهر، ولايتركه إلا أن يشبعه بها ضربا وهذا هو الشيخ عبدالرحمن عليش الذي يعترض على الشيخ محمد مصطفى المراغي في مشروعه لتطوير الأزهر سنة ١٩٢٨، وكتب مذكرة ضامنة فند فيها هذا المشروع. انظر: د/ مجاهد توفيق الجندي: الأزهر بين المراغي والظواهري حوله كلية اللغة العربية عدد ١٩.



ظنوا بأن العلم علم القول لا

والله بل علم القلوب فُضلا

وعلم القلوب هذا هو العلم الذى ميزه الطالب الناشىء فى قريته، وجاء إلى العاصمة الكبرى ينشده فيجده على تلك الحال: إمامه العارف بفضله يبحث عن تمامه بعيدا عن حلقات الأزهر وخليفتاه النابغتان بعده يقنعان من درسه وتدريسه بالجانب المأمون من خنجر الشيخ عليش!

قال صاحب المنار نقلا عن أستاذه محمد عبده: «... كان الشيخ حسن الطويل ممتازا فى الأزهر بعلم المنطق، وحضره عليه ولم يكن يشفى ما فى نفسه بل كانت تتشوف دائما إلى علم غير موجود، فكان يبحث فى خزائن الكتب الأزهرية عن طلبته المجهولة فيظفر ببعض الشىء، ومما ظفر به كتاب القطب عل الشمسية ناقصا».



صورة شهادة العالمية التى حصل عليها الشيخ سنة ١٢٩٤ هـ

قال: «وقرأ الشيخ حسن الطويل لهم شيئا من الفلسفة، ولكن لم يكن يجزم بأن المعنى كذا، بل كان الدرس احتمالات أو شبهات، الحذر فيما بينها، حتى جاء السيد جمال الدين فسكنت إليه نفسه من اضطرابها ووجدت عنده جميع طلبتها وأقصى أمنيتها(٣٤)

(٣٤) عباس العقاد: محمد عبده – مرجع سبق – ص ١٠٢ – ١٠٣.

مواقف إسلامية

الصوم والفتنة النائمة

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

تظل الصخرة رابضة على قمة الجبل.. ما لم تحركها غضبة من غضبات الطبيعة.. فإن هي زحزحت عن مكانها، انطلقت عبر السفح. ولا تملك قوة أن توقف اندفاعها.. ثم تستقر هناك فى أعماق الوادى.

وكذلك الشهوة فى كيان الإنسان، إنها تظل نائمة. ما لم توقظها مثيرات تندفع بها نحو الحمى.. حتى تقع فيه!

ومن رحمة الله – تعالى – بخلقه أن شرع لهم من الضوابط ما يمسك بها.. لتظل الفتنة نائمة.. والشهوة ساكنة هناك بعيدا عن مغريات الحياة. وكان الصوم واحدا من أنجع السبل النائية بغرائز الإنسان. لتبقى فى قرار مكين على مدى شهر كامل.. بعيدا عن كل حركة تغرى بالإثم.. أو توقظ الفتنة النائمة.

حكمة الصيام

لكل عمل هدف يحققه فى دنيا الناس. ولن يكون العمل كذلك إلا إذا جاء على الصورة المحققة لهذا الهدف، فلا يكفى أن تشرب ليتحقق الرى.. فلابد أن يكون المشروب ماء.. وعلى نحو خاص.

فإذا شربت خمرا. أو عسلا. فلن يذهب الظمأ، ولن تبتل العروق. وإذا أمسكت بالكأس فارغة، ثم وضعتها على شفتيك.. فى حركة تشبه حركة الشارب.. فلن يغنى ذلك عن الماء شيئا. ذلك بأن الحركات لا تحقق الغايات. ولابد أن تكون معبرة عن مضمون وروح..

لتصل أخيرا إلى الهدف المرجو.

وحكمة الصوم مذكورة فى قوله - تعالى -:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

[البقرة/١٨٣]

فالتقوى غاية الصوم وثمرته. وليس من الضرورى أن تجئ التقوى ثمرة طبيعية للصوم، كيفما كان الصوم، كاملا أو ناقصا. وعلى أى حال كان الصائم.

إن الرحلة شاقة مضنية.. تحتاج إلى زاد وعدة كما يفيد حرف الترجى «لعل» حتى يحصل الصائم ملكة التقوى التى تزداد بها قامته ارتفاعا.. ويصبح أطول باعا فى مجال الخير.. بقدر ما تزداد قدمه رسوخا فى دنيا الناس.

الطريق إلى تحقيق الغاية

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين»(1)

وإذن.. فالمسلم مدعو إلى الصوم - على صعوبته - ولكن فى ظروف مواتية:

أ- إن الأمل فى دخول الجنة والزحزحة عن النار يصبح اليوم مشرقا فالجنة بين يديك مفتحة الأبواب.. ولا خوف هناك من دخول النار.

ب- والقوى العدوانية المانعة من الوصول إليها مقيدة الآن بالسلاسل.. فلم يبق لك عذر بعد ذلك.. ولابد من انتهاز الفرصة لتعبد الله - تعالى - عبادة هو - سبحانه - يعينك عليها. فكن عند حسن الظن بك: صائما قائما.

رفقة الخير

وتذكر أيها المسلم أنك لست وحدك على الطريق!

فمعك إلى نفس الغاية ملايين من رفقة الخير: يتعاونون معك على البر والتقوى..

وإذا كانت المصائب يجمعن المصابينا كما قيل.. فإن وحدة الغاية.. ورفقة السلاح أعون ما تكون على إنجاز الأعمال الكبيرة.

فخذ طريقك مع الملايين من المسلمين فى الموكب الآسر.. المهيب.. وتمل هذه الصورة الفريدة بعين خيالك.. لترى كيف تكون أبعاد التربية الإسلامية.

إن الجيش لا يجرى تدريباته على كل شخص على حدة.. بل يجرى تدريباته على الجيش كله. فالجميع ينهض فى وقت واحد. ويعمل معا حين يسمع «البوق» حتى تغرس فيهم روح الجماعة. وحتى يتعودوا على أداء العمل بطريقة منسقة.

بالإضافة إلى أن هذا يعد عونا لتربية

(1) رواه مسلم.

الواحد منهم للآخر، أى إكمال العجز الموجود فى شخص ما.. بتعاون الآخرين معه. وهكذا. ومن هنا خصص شهر رمضان للعبادة والصيام. وأمر المسلمون جميعا أن يصوموا جميعا فى وقت واحد.

وهكذا جعل هذا الحكم العبادة الفردية عبادة جماعية مثلما يضرب رقم فى مائة ألف. فيعطى ناتجا عدديا ضخما.

وكذلك فإن الفائدة الأخلاقية والروحية التى يمكن أن تحدث من صيام أفراد. يمكن أن تتضاعف وتزداد بصيام الآف وملايين الأشخاص مجتمعين.

فشهر رمضان يملأ الجو كله بروح التقوى والخير. وكأن حقل التقوى قد اخضوضر داخل الأمة كلها. ولا يحاول كل فرد تجنب الذنوب فقط بل يساعده أخوته من الصائمين مثله فى القضاء على ما به من ضعف إن وجد)(2).

ما هو الصوم؟

(الصيام جنة) إنه ساتر لك من النار فى الآخرة.. ولكى يكون كذلك ينبغى أن يكون ساترا لك من الذنوب فى الدنيا.

(فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث يومئذ، ولا يصخب.. فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إنى صائم).

أى أن الصائم مطالب بأن يكف عن لغو الكلام. ليقوم بدوره فى صنع بيئة يحف بها الجلال. وتثمر فيها الفريضة ثمرتها فى نفسه.. ثم فى مجتمعه.

ولا يكفى الجانب السلبى هنا.. وعليه أن يتحمل المسئولية كاملة فلا يقابل العدوان بمثله.. بل بتذكير المعتدى بأنه صائم. تذكيراً يكفه عن الأذى.

ومن الغريب أن يصوم المسلم عن الحلال من طعامه وشرابه.. ثم لا يكفه الصوم عما حرم عليه أصلا!

ومثل هذا الصيام غرم يتحمله الإنسان الذى يعذب نفسه بالجوع.. ثم ترتد العبادة وبالاً عليه.. ويكون الحاصل صفرا.

(رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع. وقائم ليس له من قيامه إلا السهر)(3).

إن المسلم الذى يدخل أفق الصوم. ثم لا يتخلص من هواياته الشخصية المفضلة من الكذب.. والهذر.. فلا حاجة هناك إلى صومه.. لأن حينئذ يمارس لونا من تعذيب النفس.. لا يرضى به الإسلام..

إن القاعدة التى ينبغى أن ينطلق منها الصائم هى: الإيمان.. (من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)(4).

وكيف يغفر الله ذنب صائم يضيف إلى

(2) المودودى، خطب الجمعة ١١٢.

(3) رواه النسائى وابن ماجة.

(4) رواه أحمد.

ذنوبه القديمة ذنوبا أخرى لا تجعله أهلا للمغفرة؟!

الصوم بين العبادات

روى مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم: (قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له. إلا الصيام. هو لى. وأنا أجزى به. فوالذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك).

ومع أن عمل ابن آدم كله لله ـ تعالى ـ إلا أنه ـ سبحانه ـ يخص الصوم بهذا الشرف العظيم حين يضيفه إلى ذاته ـ سبحانه: (هو لى).

وقد بين علماؤنا الحكمة من هذا التخصيص بما يمكن تلخيصه فيما يلى:

١- إنه الفريضة الوحيدة التى لم يعبد أحد غير الله تعالى بها. فقد عظمت الأصنام بكل صور العبادة.. عدا الصوم.

٢- الصوم أبعد ما يكون عن الرياء.

٣- ليس للصائم حظ ولا متعة من صيامه. بينما تحقق العبادات الأخرى ـ إلى جانب الحكمة الإلهية ـ بعض فوائد دنيوية أخرى.

٤- الاستغناء عن الطعام من صفات الحق ـ سبحانه ـ والصوم تقرب إليه سبحانه بما يتعلق بهذه الصفة.

عظم الجزاء

والكريم إذا وعد بأنه سيتولى بنفسه العطاء.. اقتضى ذلك السعة ووفرة العطاء..

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

[الزمر: ١٠]

وإذ يقول الشاعر:

إن العظائم كفؤها العظماء.

فلن يحصل على هذا الجزاء الأوفى إلا من صام إيمانا واحتسابا كما أشارت السنة المطهرة.

ولاشك أن الصائم المحتسب.. المتخلق بالصبر الجميل هذا المدى الطويل. سوف يحقق فى نفسه معنى الجندية المستعدة لتبعات الحق.. مهما كان ثقلها.

إن الصلاة ـ كما يقول بعض العلماء ـ تستغرق فى أدائها وقتا قصيرا.. وكذلك الزكاة.. أما الصوم فهو تدريب على الطاعة مدة أطول:

أ- إمساك.. طول النهار..

ب- وبالليل قيام.. وتراويح.. وذكر..

وهذا الالتزام الطويل من شأنه طبع النفس بمعنى الطاعة.. التى يأتيها الإنسان من بعد بقليل من المعاناة بعد أن تمرس عليها طويلا.

ومعنى ذلك أن طول الصحبة يزيدك قربا من مولاك.. كما يزيدك تعلقا بالحق.. الذى تبذل الخير من أجله ولو أغضب الدنيا كلها.. كما ترفض الشر ولو أعجب الدنيا كلها.. أيضا!

مسك الختام!

وإذا فرح المفطرون الآثمون بمقعدهم خلاف شريعة الله.. وإذا رضوا بما هم فيه من متعة عابرة.. فاجرة.. وإذا حاولوا الزهو أمام الصائمين بعافية مغشوشة.. وحرية لا طعم لها.. فإن فى كيانهم صراعا خلفه النكوص عن أداء الواجب.. يجعل من كل هذه المظاهر البراقة سرابا.

أما الصائمون.. فإنهم يعيشون فى جنة من إحساسهم بأداء الواجب.. حتى رائحة الفم الحاصلة بالامتناع عن الأكل أطيب.. وعند الله.. من ريح المسك فى خياشيم المرضى المفرطين!

وعندما يأتى المساء.. ويتحلق الصائمون حول مأدبة الطعام فإن فرحة الإحساس بأداء الواجب تنسى الصائم معاناة اليوم.

ثم هى مقدمة للفرحة الكبرى عندما يلقى الله ـ تعالى ـ ويرى من آثار تكريمه ورحمته خصوصيات، لا يفوز بها إلا الصائمون:

(إن فى الجنة بابا يقال له: الريان. يدخل منه الصائمون يوم القيامة.. لا يدخل معهم أحد غيرهم. يقال: أين الصائمون؟ فيدخلون منه. فإذا دخل آخرهم أغلق. فلم يدخل منه أحد)

وهكذا يكون الجزاء من جنس العمل..

وهكذا يكون الجزاء الأوفى:

- ينادى المنادى: أين الصائمون.. بالذات.. فيقبلون.. ويقف الآخرون.. فإذا دخلوا.. أغلق الباب.. ومنع غيرهم.. وعلى مشهد منهم.. إنه تكريم.. يفضى إلى تكريم.. جزاء ما قدموا من طاعة تؤتى أكلها اليوم.

أما بعد:

[قل صدق الله]

صدق الله العظيم الذى قال:

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾

الجاثية/ ٢٣

أجل ليس هنا أضل ممن اتخذ إلهه هواه: ويوشك بعض المسلمين اليوم أن يكونوا كذلك.. ذلك بأنهم:

يأكلون كما تأكل الأنعام.. وفى شهر الصيام يعبدون إله الاستهلاك.. والتفنن فى الطعام والشراب.

وهى فتنة راجفة.. ليس لها من دون الله كاشفة.

***

الحضارة الإسلامية ومكانة المرأة

تعدد الزوجات

٣

للأستاذ الدكتور/ محمود امبابي
وكيل الأزهر الشريف

لقد جاء الإسلام بأحكام وتشريعات صالحة لكل زمان ومكان، وما شرع الله من حكم إلا وفيه حكمة وتحقيق مصلحة ودفع مفسدة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها. وقد تخفى مقاصد وحكم بعض التشريعات عن قوم وتتحقق عن آخرين، والخلاف في فهم معانيها لا يعنى أن لها مقاصد موهومة، وإنما قد يتعلق بالناس، بالمصالح والمقاصد الموهومة من تشريع الحكام ويتركون المقاصد الأصلية الواضحة إما لجهل أو قلة علم، أو لعدم تحقق أدوات النظر الاجتهادى لدرك الأحكام ومقاصدها.

زيادة على ما سبق، فإن أحكام الله تعالي، وفي عصر هيمنة الرؤية العلمانية العوراء للدين، تجعل من كثير من أحكام الشرع واقعة فى دائرة الشبهة لما لسيطرة النظرة التغريبية على الناس من أثر فى توجيه حياتهم وطرق عيشهم.

ولعل من القضايا بالغة الأهلية التى شرعها الله ـ تعالى ـ نجد "تعدد الزوجات" الثابت فى كتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالح. هذا التشريع الربانى أثير حوله كثير من اللغط من قبل العلمانيين الذين يتبعون تفاهم الغرب والجاهلية المعاصرة وينكرون شرائع الله بدون علم، في حين أنهم لا يجرؤون علي التصريح برفضهم للانحراف عن الفطرة وانتهاكات حقوق الإنسان والمجتمع من مثل زواج المثليين والترويج للرذيلة وقتل النفس بغير حق والصد عن الحياة الكريمة والجرى وراء المادة واللذة.

ومنذ خمس سنوات ظهر اتجاه ينادى إلى سن قانون يمنع تعدد الزوجات، وقد ظهرت بوادر هذا القانون في قسيمة الزواج الجديدة حيث وضعوا بها عدة شروط منها:ـ

هل توافقين على أن يتزوج عليك زوجك ؟

وهكذا تكون البداية لسن قانون منع تعدد الزوجات. لذلك نقول:

أدلة تعدد الزوجات كثيرة منها: قال تعالى:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾

(النساء ـ ٣)

وروى البخارى: "عن سعيد بن جبير قال لى ابن عباس: هل تزوجت؟ قلت: لا. قال: فتزوج فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء وخير هذه الأمة هو (محمد ﷺ)

والتعدد سنة الأنبياء: إبراهيم ـ علية السلام ـ تزوج اثنتين ـ وداوود ١٠٠٠ زوجة كما ورد في التوراة وسليمان ١٠٠ زوجة ومحمد ﷺ ٩ زوجات.

بعض الشبهات والرد عليها:

حديث زواج علىٍ من بنت أبى جهل: "عن المسور بن مخرمة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو علي المنبر: «إن بنى هشام بن المغيرة استأذنوا فى أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبى طالب فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم فإنما هى بضعة منى يريبنى ما أرابها ويؤذينى ما آذاها هكذا قال."

الرد: لماذا لم يذكر المستدلون بهذا الحديث جملة "أما إنى لا أحرم حلالا ولا أحل حراما" أى لا أحرم ما أباح الله تعالى للمسلمين وقد قال

﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم ﴾

النساء/ ٣

لذلك فإن أهل العلم أجمعوا على أن هذا الحديث خاص فقط ببنت رسول الله ﷺ مع بنت عدو الله أبو جهل.

هكذا يجوز لولى الأمر أن يحجم المباح إذا عم الضرر:

الرد: إن نسبة الذين عددوا أقل من خمسة في الألف فكيف حكموا على أن الضرر قد عم وزاد ثم أن أكثر من ٩٩٪ من قضايا المحاكم هى بين المرأة الواحدة والرجل الواحد فهل يتدخل ولى الأمر إذا ويمنع الزواج نهائيا؟!

ومن الشبهات أيضا مسألة الغيرة: حيث ادعوا أن الغيرة تؤدى إلى أضرار بالغة بين النساء والأطفال مما يؤدى لزيادة الكراهية والحقد بين الأشقاء وهكذا....

الرد: الغيرة مسألة سلبية ولكن لا ينبغى أن نعصب بها الأمر ونهدم المصالح الراجحة وزوجات النبى ﷺ كن يغرن مع ذلك لم يمنع

رسـول الله ﷺ الصـحـابـة من أن يعـددوا، والمصالح الراجحة منها :ـ

أ ـ إعفاف النساء اللاتى لا أزواج لهن.

ب ـ تكثـيـر نسل المسلمين (اليـهـود والنصارى يكثرون نسلهم) فهل نهدم تلك المصالح الهامة بسبب غيرة النساء؟؟

قالوا: إن الرجل لن يستطيع العدل وذلك لقوله تعالى:

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

(النساء ـ ١٢٩)

الرد: قال تعالى:

﴿ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ ﴾

النساء/ ١٢٩

فـأباح بذلك بعض الميل وهو مـيل قلبي (المحبة القلبية) وما يترتب عليها من معاشرة المرأة وهذا معفو عنه.

ولابد من العدل بين الزوجات مادياً ويكون هذا بحسب احتياج كل زوجة ورضاها وليس بشرط أن يكون نفس الشيء أو بنفس الثمن فقد تحتاج زوجة شيئاً يكون رخيصا ولكنها ترضى به وتحتاج الأخرى شيئاً يكون أغلى ولكنها ترضى أيضا فالعدل هنا حسب الحاجة والرضا.

قالوا كثرة التزوج يكون من ورائها كثرة النسل وكثرة النسل مظنة الفاقة والحاجة وقد فسر الشافعي ـ رحمه الله ـ قوله تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾

أى تفتر عيالكم!!

الرد: أنكر العلماء جميعا على الشافعي ذلك التفسير وتفسير الآية الصحيح هو: ذلك أدني ألا تجوروا أى تظلموا.

٥ ـ ومن أعجب ما استدلوا به على تحريم تعدد الزوجات أبيات شعرية قالها أحد الشعراء:

تزوجت اثنتين لفرط جهلي
بما يشقى به زوج اثنتين
فقلت أعيش بينهما خروفا
أنعم بين أكرم نعجتين
فجاء الأمر عكس الحال
دوما عذابا دائما ببليتين

ونقول:

أ ـ تعدد الزوجات أفضل من تعدد العشيقات.

ب ـ لابد للرجل الذى يريد أن يعدد أن يكون على قدر المسئولية ولعلنا نعانى من آثار منع التعدد من خلال ظهور أنواع أخرى من الزواج مثل:

الزواج العرفي: وكان من نتاجه أكثر من ١٢ ألف طفل ليس لهم آباء.

وزواج الخطف: وهذا النوع ظهر في لبنان

وزواج المسيار: وهو زواج تتنازل فيه المرأة عن مهرها ونفقتها بل وتصرف على زوجها وتمنع من الإنجاب فهى فقط للمتعة.

فـأكرم لها أن تكون زوجة رابعة من أن تتزوج بهذا الزواج

السنة النبوية بين المنكرين والمتهاونين والمتلاعبين

٢

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى
أمين عام اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر

كـان حـديثنا فى العـدد الماضى عن المنكرين للسنة. وقلنا إن ظهور هذه الطائفة من دلائل نبوته ـ ﷺ ـ بإخباره ـ ﷺ ـ بظهور هذه الطائفة المنكرة والتى تتشدق باتباعها للدين وهو منها برىء وهى منه أكثر براءة بل إنها اتخذته وسيلة لتحقيق أغراض الله أعلم بها. لقول النبى ـ ﷺ ـ: يوشك رجل جالس على أريكته ممتلئة بطنه يُحدث بحديثى فيقول بينى وبينكم كتاب الله. وللحديث ألفاظ متقاربة أما المتهاونون بالسنة فهم لا يكادون يختلفون عن هذه الطائفة حيث إن نهايتهم جميعا واحدة وهدفهم مشترك وإن لم يجتمعوا أو يتشاوروا بينهم فكل فى طريق. وكما يقولون: «كل الطرق تؤدى إلى روما». وربما نفرد لهم مقالاً خاصاً.

أما الذى يعنينا الآن ونحن بصدده فهم المتلاعبون بالسنة الذين يَرْوُون أحاديث صحيحة لكنهم يلوونها حسب أهوائهم ويجزئون منها ما يريدون. فينطبق عليهم قوله تعالى:

﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾

المائدة/ ١٣

ويلوون النصوص والوقائع حسب مزاجهم وأتباعهم ومتبوعيهم ويفتون ويتشدقون كأنهم يشرعون ويرمون بكلمة الكفر كل من لا يوافق مزاجهم ويتشدّدون فى الدين كأنهم خلقوا الناس!!!

قال صاحبى فى تلطف ودود: شوقتنى للحديث فأستمحيك عذراً أن تبادر بما تريد وتسعفنى بما تقول حيث إننى ضقت ذرعاً بصبية يلوكون أحاديث صحيحة لكنّ لهم فهماً بطريقتهم يوقع فى حرج شديد ويؤدى بالمسلم إلى خصام مع أهله: والده وولده وأخيه وأخته وزوجه.

أجبت صاحبى فى إحساس مختلط متضارب أجبته مهموماً مغموماً، مغتبطاً مسروراً: أما الهم والغم فلهذا العنف والضيق الذى أشاعوه بين الناس حتى صوّروا للناس كأن الدين عنادٌ مع الحياة وصراع لا ينتهى مع الناس أما مصدر الغبطة

والسرور فلأن صاحبى أتاح لى فرصة الإبانة والشرح لعل الله أن يصلح به عوج النفوس الضعيفة والنفسيات المتعالية المتغطرسة التى جعلت الدين وسيلة للتحكم فى الخلق أو سبيلاً للعيش بعد أن ضاقت بهم سبل الحياة كما يعيش الناس وقبل أن أدخل فى الموضوع أرجو أن أضع أمامك نصوصا بين الكتاب والسنة حتى تتبين أن الدين ليس عنفاً وتعنتا إنما هو تقرب إليه بما فرضه الله- سبحانه- كما جاء فى الحديث القدسى. «ما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضته عليه ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه..» الحديث فالمسألة انحصرت بين فرض ونفل. لكنى أريد أن أوضح تعبيراً لطيفاً فى الحديث. وهو أن التوبة إلى الله تكون بما فرضه هو- سبحانه- لا بما يتخيله البشر من عنت وتعذيب أو تهاون وتفريط. إنما الأمر كله لله ولن يقرب من الله أو يتقرب إليه إلا بما افترضه- سبحانه- وبما ثبت وروده عن نبيه المعصوم - ﷺ.

أقول هذا بسبب ما تجرأ به صبى من هؤلاء الصبية قال: إنه يترك سنة صلاة الضحى فى بعض أيامه عامداً حتى لا تفرض ولا تشتبه بالفرض! بئس ما قال! وبئست الدعوى الشيطانية الماكرة! فقد توهم الصبى أنه مشرع وأن فعله ومداومته عليه يمكن أن تجعل العمل فرضاً!!! ثم قلت لصاحبى: يا سبحان الله أهكذا وصلت الجرأة ببعضهم حتى يقول هذه المقولة أو هكذا لعب به الشيطان حتى توهم ونطق بهذه المقولة؟؟

المشكلة أن بعض الصبية الذين يهيمون بهذا البلاء يرددون هذه المقولة ويعتقدونها. إن هذه مصيبة وجهل فاضح مفوضح بل هى قلوب عميت وطمست وصدق الله حيث يقول:

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾

الحج/ ٤٦

أىّ جهل هذا يا رب بحقيقة الوحى وأى اغترار هذا لطاعة يؤديها الإنسان!

فنحن عندما نوفق لطاعة نسأل الله القبول وإن كنا لا ندرى مقبولة أم هى علينا رد؟ ونذكر ساعتها حكمة لابن عطاء الله السكندرى تقول: «ربّ معصية أكسبت ذلاً وانكسارا خير من طاعة أكسبت عزا واستكبارا» وأى استكبار بعد أن يعتقد إنسان فى نفسه أنه بمواظبته على سُنة من السنن أو قل إنه تركها حتى لا تفرض أو لا تشتبه بالفرض؟ هل هو مشرع بعد رسول الله؟ وهل ثمة وحى بعده - ﷺ !!

أخرج الإمام أحمد والبيهقى عن أنس (وكان ذلك بعد انتقاله - ﷺ - إلى الرفيق الأعلى) أن سيدنا أبا بكر قال لسيدنا عمر انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها فلما انتهيا إليها بكت فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله!! قالت:

والله ما أبكى أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله. ولكن أبكى أن الوحى انقطع من السماء. فهيّجتهما فجعلا يبكيان»[1] وهذا يعنى أن الوحى انقطع بعد رسول الله - ﷺ - وأنه - ﷺ - يبلغ عن ربه وأن عمَلنا مهما كان لا يحول السنّة فرضاً وتركها بهذا الادعاء هرطقة لا يعرفها الإسلام.

قال صاحبى فيما يشبه الضيق والملل: أنهيت مقالك السابق بوعد بالحديث عن فعل سيدنا عمر فى صلاة التراويح وما نسب إليه فى قطع شجرة الرضوان؟ ثم أردف فى تلطف وودود ظاهر: ما علاقة ما رويته بما نتحدث عنه اليوم؟

قلت لصاحبى: رعاك الله. لقد بكت أم أيمن وأبكت وهى تقول أعلم أن ما عند الله خير لرسوله. لكنها بكت وأبكت لانقطاع الوحى فلا تشريع بعد انتقال النبى - ﷺ - ولكنه اجتهاد فى إطار محكم وأصول فقهية نعتز بها.

ثم أردفت قائلا لصاحبى: آه لو صبرت وتأملت قول رسول الله - ﷺ - فيما رواه البخارى وغيره أنه قال: «إن الله كتب عليكم الحج فحجوا» فقال رجل فى إلحاح غريب: «أكل عام يا رسول الله؟» تقول بعض الروايات أن النبى - ﷺ - تحاشا الرجل فالتفت إلى الجهة الأخرى حتى يتجنب المواجهة فجاءه الرجل صاحب الإلحاح الغريب حيث توجه وأعاد سؤاله: أكل عام يارسول الله؟ فتجنبه النبى - ﷺ - والتفت إلى الجهة الأخرى فجاء ذو الإلحاح المفرط ليعيد مقالته: أكل عام يا رسول الله؟ فما كان من النبى - ﷺ - إلا أن قال: «لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم. ذرونى ما تركتم إنما أهلك من كان قبلكم بكثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم»

وواصلت قولى لصاحبى: تأمل معى الحديث الذى رواه البخارى وهو عن صلاة النبى - ﷺ - فى رمضان. وقد بين فيه رسول الله - ﷺ - السبب فى ترك المواظبة على التراويح. «عن السيدة عائشة أم المؤمنين- رضى الله عنها- أن النبى - ﷺ - صلى فى المسجد فصلى لصلاته ناس ثم صلى فى القابلة - يعنى خرج إلى المسجد فى الليلة التالية - فكثر النا س- ثم اجتمعوا فى الليلة الثالثة فلم يخرج إليهم رسول الله - ﷺ - فلما أصبح قال - مبينا سبب عدم خروجه - رأيت الذى صنعتم فلم يمنعنى من الخروج إلا أنى خشيت أن تفرض عليكم.[2]

وهذا له فقط - ﷺ - فمواظبته على العمل تفيد أنه فرض أو أن الله- سبحانه وتعالى- يفرض هذا العمل الذى واظب عليه النبى - ﷺ - وكذلك قوله بأن هذا العمل واجب

(١) حياة الصحابة للكاندهلوى جـ٣ ص٣٠

(٢) البخارى فى باب فضل من قام رمضان والتهجد، ومسلم باب الترغيب فى قيام رمضان.

يصبح واجباً مثل مسألة الحج فلو أجاب – ﷺ – السائل الذى سأل عن الحج أهو كل عام؟ لأصبح فرضاً وهذا الشأن له وحده – ﷺ – فلو أن صبيا غريرا قال وزعم وادعى فى جراه غريبة أنه يترك صلاة النافلة حتى لا تكون فرضا أو حتى لا تشتبه بالفرض!! أقول له تب إلى الله فهذه خدعة شيطانية.

قال صاحبى وقد أصابه شيء من الملل والضيق لكن تدفعه الرغبة الصادقة إلى العلم فى أن يعرف الحقيقة فى مسألة صلاة التراويح وما ورد عن قطع شجرة الرضوان قال: حدثنى عن صلاة التراويح.

قلت لصاحبى: إن أردت الصدق والحقيقة فليس لى حديث إنما أنا أنقل بأمانة وأحاول أن أفهم بتجرد. لكن الذى أعجب له ومنه وما لا يقبله مسلم عاقل أن نقبل رأى سيدنا عمر فيما يرضينا ونهواه ونرفضه فيما لا نهواه. ذلك هو التلاعب بالسنة مع أن النبى – ﷺ – قال: «أقتدوا بالذين من بعدى أبوبكر وعمر»(٣)

فهُم فى الواقع لا يقتدون بأبى بكر ولا بعمر ولا بالسنة النبوية إنما هم يُرَوِّجُون لأهوائهم ويتصيدون لها ما يوافقها. أليس عمر هو الذى يزعمون أنه قطع الشجرة المزعومة؟ وهو هو بعينه عمر الذى جمع الناس على إمام واحد وصلى بهم التراويح عشرين ركعة؟ فلماذا يصرون على أنها ثمانى ركعات؟ ولماذا يزعمون أنها هى السنة؟ وينكرون على من يصليها عشرين ركعة؟ – لماذا؟ أليست كلها سنة؟ من شاء فعل ومن شارك ترك أما أن ينكر المتلاعبون على غيرهم ويصرون أن فعلهم هو الثابت الصحيح فهذا تَقَوُّلٌ بغير دليل وزعم باطل وترويج مزور فى دين الله.

فنحن ننكر عليهم لسببين:

الأول: أن نوافلهم أقل مما يفعله الآخرون.

والثانى.. أنهم يزعمون أن فعلهم سنة. وليست كذلك. فلو أنهم تخلوا عن هذا الزعم لما أنكرنا عليهم. ولو أنهم فعلوا ما فعلوه من صلاتهم ثمان ركعات دون أن يُخطئوا من يصلى عشرين لقلنا إن هذا جهدهم وطاقتهم فى فعل الخيرات ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها. وبعد كل ما سبق. نُورد النصوص التى توضح الأمر تماماً وترد جموح المغرضين. فالثابت الصحيح أن النبى – ﷺ – لم يصل التراويح بهذه الكيفية التى نحن عليها الآن. أخرج البخارى عن ابن شهاب قال أخبرنى عروة عن (السيدة) عائشة (أم المؤمنين رضى الله عنها) أخبرته أن رسول الله – ﷺ – خرج ليلة من جوف الليل فصلى فى المسجد وصلى رجال بصلاته. فأصبح

(٣) إرشاد السارى بشرح صحيح البخارى.

الناس فتحدثوا فاجتمع أكثر منهم فصلى فصلوا معه فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد فى الليلة الثالثة فخرج رسول الله فصلى بصلاته. فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال: أما بعد فإنه لم يخف على مكانكم ولكنى خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها فتوفى رسول الله – ﷺ – والأمر على ذلك(٤)

والذى نفهمه من هذا الحديث عدة أمور:

أولاً: أن خروجه – ﷺ – لم يكن فى أول ليلة من رمضان ولم يكن فى أول الليل حيث إن نص الحديث لا يفيد ذلك.

ثانياً: أن خروجه – ﷺ – لم يكن معلوماً للصحابة. بدليل قوله «فأصبح الناس فتحدثوا».

ثالثاً: أن خروج الصحابة وصلاتهم خلف النبى – ﷺ – الليلتين التاليتين وزيادتهم فى كل ليلة عن التى قبلها. يدل على أن صلاة التراويح لم تكن معلومة بالهيئة التى نحن عليها الآن بدليل قوله فاجتمع أكثر منهم وقوله «فكثر أهل المسجد فى الليلة الثالثة».

رابعاً: أن النبى – ﷺ – لم يخرج بعدها للصلاة معهم رغم كثرتهم بدليل قوله «عجز المسجد عن أهله» يعنى ضاق المسجد بمن فيه وسماهم أهله لأن المسجد آهل بهم أى عامر.

خامساً: أن النبى – ﷺ – كان يعلم باجتماعهم ومع ذلك لم يخرج بدليل قوله «لم يَخف علىَّ مكانكم».

سادسا: أن سبب عدم خروجه – ﷺ – خشية أن تفرض علينا صلاة الليل وإذا فرضت ربما عجزنا عنها بدليل قوله «ولكنى خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها».

سابعاً: نعود ونكرر ونؤكد أن مداومته – ﷺ – على الفعل تفيد أن هذا الفعل فرض نؤكد ونكرر أن ذلك له وحده – ﷺ – وليس لأحد سواه.

ثامناً: أن لفظ هذا الحديث لم يقدر عدد ركعاته – ﷺ – وإن كان ثم حديث آخر عن السيدة عائشة أم المؤمنين– رضى الله عنها– نص على أنه ما كان يزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة لكنه مع ذلك ليس فيه ما يفيد أن صلاته مع الجماعة فى المسجد كانت مقتصرة على هذا العدد.

تاسعاً: أن هذا الوضع وهو صلاة الناس فرادى أو على أئمة متعددين بغير عدد مصرح به أن هذا استمر حتى انتقال النبى – ﷺ – إلى الرفيق الأعلى.

واستمر الوضع كذلك فى خلافة الصديق– رضى الله عنه– وصدراً من خلافة الفاروق عمر– رضى الله عنه.

– يتبع –

(٤) فتح البارى كتاب صلاة التراويح باب فضل من قام رمضان حديث رقم ٢٠١٢ ج٤ ص٢٩٥.

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبدالموجود أمين

بعد إعلان الزرقاوى الحرب على الشيعة في العراق.. الخسائر لمن.. والمكاسب لمن؟!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ مجدى سالم في جريدة «عقيدتى» الصادرة في ٢٠٠٥/٩/٢٠ قال:

بعدما أعلن أبو مصعب الزرقاوى قائد تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين ــ والذى يدعى أنه يمثل ويقود المقاومة الإسلامية السنية المسلحة ضد قوات الاحتلال ــ أعلن الحرب على الشيعة في العراق وهو من وجهة نظرى إعلان بنصر ساحق لقوات الاحتلال الأمريكية ضد الشعب العراقى وضد العراق العربى المسلم.. إعلان بهزيمة نكراء لكل العراقيين المخلصين لوطنهم وعروبته وإسلامه.. وإعلان أكثر وضوحاً بعمالة أبو مصعب الزرقاوى لأعداء الإسلام والراغبين في فناء المسلمين.

وإذا لم يكن الأمر كذلك فما الذى يمكن أن يكسبه الإسلام من إشعال حرب أهلية بين السنة والشيعة في العراق.. وما الذى يمكن أن يكسبه العراق والعراقيون؟!

ما الذى يمكن أن تخسره قوات الاحتلال من عمليات الاغتيال المتبادلة للعلماء ورجال الدين من السنة والشيعة؟ وما الذى يمكن أن تحققه من نصر تفجيرات السيارات المفخخة التى تستهدف المساجد في العراق سواء كانت للسنة أو الشيعة ويروح ضحيتها المئات من المسلمين؟!

الإجابة عن كل هذه الأسئلة في حرف وكلمة.. لا شيء!!

الخاسر هم العراقيون والضائع هو العراق والتشويه الكامل لصورة المقاومة المشروعة التى يزداد فقدانها لتعاطف الرأى العام العالمى معها.. أما الإسلام فهو الخاسر الأكبر.. والمتقاتلون كلهم في النار!!

وإذا كان هؤلاء هم الخاسرون فمن الذى يجنى المكاسب؟!

الإجابة سهلة وواضحة: المكاسب لقوات الاحتلال.. وأعداء الإسلام الذين وفر لهم الزرقاوى جهودهم وأموالهم وأسلحتهم.. وأيضا دماءهم وقدم لهم متعة مشاهدة تقاتل العراقيين سنة وشيعة.

مثلما فعل أستاذه بن لادن من قبل عندما تفاخر ــ صدقا أو كذبا لست أدرى ــ بأن تنظيمه هو الذى ارتكب جريمة الحادى عشر من سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية وأعطى المبرر والحق لجورج بوش الابن وإدارته لشن حرب عالمية ضد الإسلام والمسلمين بدعوى الحرب ضد الإرهاب.

غزة.. الشبر الأول

تحت هذا العنوان جاءت الكلمة المنشورة في جريدة «الجمهورية» الصادرة في ٢٠٠٥/٩/٢٤:

اغتالت قوات الاحتلال الإسرائيلية ٣ شبان فلسطينيين في هجومها الغادر على بلدة «علاو» قرب طولكرم بالضفة الغربية المحتلة، بعد يومين فقط من إصدار اللجنة الدولية الرباعية بيانها المخيب للآمال الذى أشادت فيه برئيس الوزراء الإسرائيلى شارون، وطالبت بنزع أسلحة فصائل المقاومة الفلسطينية، وسمحت لنفسها بالتدخل في شئون الفلسطينيين متبنية الشروط الإسرائيلية المغرورة، للسماح لحركة حماس بالاشتراك في الانتخابات البرلمانية القادمة.

لعل الهجوم الإسرائيلى الغادر وما أراقه من دماء الشهداء يكون إشارة لا تخطئها عين إلى استمرار إسرائيل في إرهاب الشعب الفلسطينى مستفيدة بضغط دولى ظالم وشائن تقوده الولايات المتحدة يسعى لتجريد الفلسطينيين من أبسط أسلحة المقاومة والصمود، أمام آلة عسكرية جبارة لا تخضع للمحاسبة أو العقاب، تتصور نفسها قادرة على إرغام الشعب الفلسطينى على التنازل عن حقوقه وبقية أرضه التى لا يعتبر قطاع غزة بالنسبة لها سوى الشبر الأول.

الأقليات المسلمة في الخارج

تحت هذا العنوان كتبت «اللواء الإسلامى» في عددها الصادر في ٢٠٠٥/٩/٨:

تكفل قواعد القانون الدولى العام «للأشخاص الذين ينتمون إلى أقليات عنصرية أو دينية أو لغوية في دولة ما الحق ــ بالاشتراك مع الأعضاء الآخرين من جماعتهم ــ في التمتع بثقافتهم، أو الإفصاح عن ديانتهم وممارسة شعائرها واتباع تعاليمها، أو استعمال لغتهم» (م ٢٧ من العهد الدولى للحقوق المدنية والسياسية لعام ١٩٦٦). إلا أن الأقليات المسلمة في الدول الغربية في أوروبا، وأمريكا الشمالية (الولايات المتحدة، وكندا) قد عانت معاناة شديدة منذ أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١، وازدادت معاناتهم بعد أحداث لندن في يوليو الماضى، وتعرض المسلمون في بريطانيا خاصة النساء والأطفال للعديد من المضايقات والاعتداءات بسبب لا يد لهم فيه، وكل تهمتهم أنهم ينتمون إلى الدين الإسلامى الذى يتدثر بعباءته أولئك الإرهابيون المتطرفون الذين يعلنون صباح مساء أنهم يدافعون عن الإسلام والمسلمين ولكنهم في الحقيقة قد أساءوا إلى الإسلام والمسلمين إساءة لم تتحقق على أيدى أعداء الإسلام منذ فجر الدعوة الإسلامية وحتى الآن.

معاملة المسلمين مع غيرهم... المبادىء والتطبيق

٣

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف

رئيس اللجنة الدائمة للحوار بين الأديان السماوية بالأزهر الشريف

شهادة منصفة

إن حرص الإسلام على تأكيد مبدأ حرية العقيدة الدينية يتضح جليا فى انتشار الإسلام فى مدن فارس والعراق التى خير أهلها بين الدخول فى الإسلام بإرادتهم الحرة وبلا إكراه أو ضغط، وبين البقاء على دينهم مع دفع الجزية، وبين القتال.

وهذه شهادة منصفة من كاتب مسيحى أرثوذكسى ينفى فيها ادعاء أن الإسلام انتشر بحد السيف، ويؤكد على أن الإسلام لم يكره أحدا على اعتناقه والدخول فيه، وأن حرية العقيدة الدينية كفلها الإسلام.

يقول الأستاذ الدكتور/ نبيل لوقا بباوى[1]:

«فى معركة القادسية كانت قوات المسلمين حوالى خمسة وثلاثين ألف مقاتل، يقابلها أكثر من مائة وعشرين ألف فارسى، أى أن القوات الفارسية كانت أكثر من ثلاثة أضعاف القوات الإسلامية، ومع ذلك انتصرت القوات الإسلامية، لأنها كانت تؤمن بعقيدة تحركها وهى الإسلام، وهى قوة دافعة لهم فى الاستشهاد فى سبيل الدفاع عن هذه الديانة وحمايتها وحماية الدولة الإسلامية الوليدة... أما القوات الفارسيةفكان قائدهم يربطهم بالسلاسل حتى لا يفروا من المعركة، لأنه لا يوجد هدف قومى لهم فى حروبهم يدافعون عنه.

وقبل بدء معركة القادسية أرسل سعد بن أبى وقاص إلى ملك الفرس: يزد جرد المندوبين لمقابلته حقناً للدماء، وعرضوا عليه الخيارات الثلاثة فى الإسلام وهى: الدخول فى الإسلام، أو البقاء على دينهم مع دفع الجزية (ضريبة الدفاع عنهم)، أو القتال... لأن فرض الإسلام بحد السيف لم يكن هدفا مطلقا للإسلام - كما يدعى المستشرقون - بدليل أن الإسلام يعرض على أهل البلاد أن يبقوا على دياناتهم

(١) كتاب «انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء» ص١٣

ومباشرة عقائدهم الدينية بحرية تامة مقابل دفع الجزية «ضريبة الدفاع عنهم» غير أن ملك الفرس أصر على القتال...

وبعد انتصار القوات الإسلامية على القوات الفارسية فى القادسية فتحت أبواب مدن العراق وفارس أمام القوات الإسلامية، وكان فى مقدورها أن تفرض الإسلام بالقوة على أهل كل المدن، لأنه لا توجد مقاومة أمامها، ولكن القوات الإسلامية كانت تسير على النهج الذى حدده القرآن الكريم:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾

البقرة/ ٢٥٦

فلذلك قبلت الجزية من مدينة بهر سير التى رفضت الدخول فى الإسلام، وكذلك مدينة المدائن، ومدينة جولاء، وبعض المدن الأخرى...

ثم يبين الأستاذ الدكتور/ نبيل لوقا بباوى سماحة الإسلام مع أصحاب الديانات الأخرى، وقبوله التعايش السلمى معهم، وحرصه على حقن دمائهم، وسلامة أموالهم وممتلكاتهم، بعقد مقارنة بين ما فعله الإسلام مع أصحاب الديانات الأخرى: من المودة والرحمة، وكفالة حرية العقيدة الدينية لهم، وضمان كافة الحقوق التى للمسلمين لهم، تطبيقا للقاعدة: «لهم ما لنا وعليهم ما علينا»، وبين ما فعله المسيحيون الكاثوليك مع المسيحيين البروتستنت، فيقول[2]:

«إن الإسلام كديانة سماوية لم يحاول إفناء أصحاب الديانات الأخرى أو إرغامهم على الدخول فى الديانة الإسلامية بالإكراه، ونظرة واحدة بعد ذلك بفترة طويلة حينما ظهر المذهب البروتستنتى فى أوروبا على يد لوثر قاومت الكنيسة الكاثوليكية أتباع هذا

(٢) كتاب «انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء» ص١٣٨

المذهب بكل ما أوتيت من قوة، وعرف تاريخ الاضطهاد بين الكاثوليك والبروتستنت مذابح بشرية رهيبة، من أهمها مذبحة باريس فى ٢٤ أغسطس ١٥٧٢م التى دعا فيها الكاثوليك البروتستانت ضيوفا عليهم فى باريس للبحث فى تسوية تقريب وجهات النظر بين الكاثوليك والبروتستانت، فما كان من الكاثوليك إلا أن سطوا على ضيوفهم البروتستانت فى ظلمة الليل وقتلوهم جميعا، وكانت شوارع باريس تجرى بها دماء ضحايا البروتستانتينية، وانهالت التهانى على تشارلز التاسع ملك فرنسا بغير حساب من بابا الفاتيكان ومن ملوك الدولة الكاثوليكية على هذه المجزرة البشرية... إننى أسرد هذه الواقعة لنرى الفرق فى تعامل أصحاب الديانات المخالفة مع بعضها».

كما أن انتشار الإسلام فى مصر وبرقة وطرابلس تم بعد أن خُيِّر أهل كل بلد بين الدخول فى الإسلام بإرادتهم الحرة وبلا إكراه أو ضغط، وبين البقاء على دينهم مع دفع الجزية، وبين القتال...

لقد استعرض الأستاذ الدكتور/ نبيل لوقا بباوى تاريخ دخول مصر فى حكم الدولة الرومانية، وتاريخ دخول المسيحية مصر، وما تحمله المسيحيون المصريون الأرثوذكس من تعذيب وقتل وإبادة جماعية من الدولة الرومانية لعدم اعتناق المصريين المسيحية الكاثوليكية، وبعد هذا الاستعراض يقول(٣):

«بعد ذلك الاستعراض التاريخى من واقع أمهات الكتب المسيحية لا يستطيع أحد أن يؤيد ما يقوله المستشرقون بأن الإسلام انتشر بحد السيف فى مصر، بل الحقيقة أن أهل البلاد من الأقباط الأرثوذكس فى مصر كانت لديهم رغبة قوية فى هزيمة الجيوش البيزنطية الرومانية، لذلك قام الأقباط الأرثوذكس بإرشاد قوات عمرو بن العاص فى كل تجولاتها فى مصر لتخليصهم من حمامات الدم والمقابر الجماعية التى كان ينصبها الجنود الرومان للأقباط الأرثوذكس فى مصر والشام...

فبعد أن أصبحت الديانة المسيحية هى الديانة الرسمية للدولة البيزنطية وضعوا المسيحيين فى مصر أمام خيارين اثنين: الخيار الأول القتل، والخيار الثانى هو ترك عقيدتهم الأرثوذكسية فى الديانة المسيحية واتباع العقائد الكاثوليكية التى يرفضونها واستشهدوا فى كل العصور من أجل عقيدتهم الأرثوذكسية، لذلك حينما أتى عمرو بن العاص وعرض تخليصهم من عذابهم على أن يدفعوا الجزية «ضريبة

(٣) كتاب «انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء» ص١٥٨

الدفاع» مقابل الدفاع عنهم، على أن يباشروا عقائدهم الدينية بحرية تامة حسب معتقداتهم الدينية فى طبيعة السيد المسيح «رغم أنها تخالف ما ورد فى صريح القرآن الكريم» رحبوا بذلك، وهذا من سماحة الإسلام.

وأصدر عمرو بن العاص كتاب أمان للأنبا بنيامين بطريق الأقباط الثامن والثلاثين الذى كان هاربا فى الصعيد بالعودة، ونص عهد الأمان الآتى: «أينما كان بطريك الأقباط بنيامين نعهده بالحماية والأمان وعهد الله، البطريك هنا فى أمان واطمئنان لتولى أمر ديانته ويرعى أهل ملته» ودخل الأنبا بنيامين الإسكندرية فى احتفال شعبى بعد أن ظل مختفيا فى الصحراء فى الصعيد ثلاثة عشر عاما.

وقد كان الأستاذ الكبير الدكتور/ محمد عبدالله دراز - رحمه الله - واسع الأفق، بعيد النظر، دقيق التعليل، بارع التحليل، مُلهم الإدراك حين نظر إلى الاختلاف القائم بين الأديان - مع أن إلههم واحد، وكلهم يصدرون من مشكاة النور السماوى - فقال - رحمه الله (٤):

«غير أن هاهنا نقطة يجب التنبيه إليها وهى: أن القرآن الكريم حين دعا إلى هذه الوحدة

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾

سورة آل عمران آية ١٩

لم يجعلها غاية يطلب الوصول إليها من كل طريق، وشراءها بكل ثمن، بل نظر إليها كمثل عال وأمل عزيز ينبغى الاقتراب منه بقدر الطاقة، واعترف فى أكثر من موضع بأن هذا الأمل متعذر التحقيق

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾

سورة هود الآيتان ١١٨، ١١٩

هذه النظرة لها نتائجها الطبيعية فى مسلك الإسلام بإزاء مخالفيه، فهى التى جعلته يواجه الحقيقة الواقعة بالاحتمال والتسامح...

وهى التى حددت مهمة الرسول بأنها ليست هى إكراه الناس على الإيمان، وإنما هى التعليم والإنذار، ثم تفويض الأمر فى عقائدهم إلى الله الذى سيتولى الحكم بينهم فى يوم الفصل(٥):

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

آية ٩٩ سورة يونس

(٤) كتاب «بحوث إسلامية» ملحق مجلة الأزهر عدد شهر صفر ١٤٢٦هـ، من بحث ألقاه فضيلته فى مؤتمر الأديان العالمى الذى عقد فى باريس فى جامعة السربون، ص: ٥٣، ٥٤، ٥٥.

(٥) من بحث «الإرهاب وحقوق الإنسان من منظور إسلامى» تأليف: فوزى فاضل الزفزاف.

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾

سورة البقرة آية ٢٥٦

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾

الغاشية الآيتان ٢١، ٢٢

﴿ مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾

سورة المائدة آية ٩٩

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾

سورة الشورى آية ١٥

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

سورة الكافرون آية ٦

﴿ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

سورة الجاثية آية ١٤

ومن المهم أن نلاحظ أن هذا الموقف لا يخص علاقة المسلمين بأهل الكتاب، فإن أكثر هذه النصوص مكية فى شأن الوثنيين أنفسهم. وقد صرح القرآن بأن هذه هى حدود مهمة الرسول بإزاء الطوائف كلها، وذلك فى تلك الآية المدنية الجامعة

﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾

سورة آل عمران آية ٢٠

ولكن ليس معنى حرية العقيدة الدينية أن يفعل الإنسان ما يؤذى مشاعر الآخرين الذين يخالفونه فى العقيدة، أو أن يعتدى على مقدساتهم الدينية، أو أن يستهزىء بطقوسهم الدينية...

فاستقلالية كل دين، واحترام خصوصيات عقائده، وعدم تجريح أتباعه، أو الطعن فى عقيدتهم، أو الخروج على الآداب العامة فى معاملاتهم والحديث معهم، كل هذا موضع اهتمام الدين الإسلامى، يقول الله تعالى:

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

سورة الأنعام آية ١٠٨

وبهذه النصوص القرآنية الصريحة التى لا لبس فيها ولا تأويل، تتلاقى الأكف بالمصافحة والتسليم، وتتعانق القلوب بالمحبة والإخاء... حيث يرسل السلام ضوءه على النفوس المؤمنة، فيمحوا آثار الخلاف والشقاق، ويوطد دعائم الإخوة الإنسانية...

- يتبع -

***

لحظات طيبات مع الإمام البخارى

للأستاذ/ عادل خفاجة

فى هذه الأيام الطيبة المباركة يطيب لنا أن نعيش لحظات مباركات مع رجل طبقت شهرته الآفاق.

قال عنه يحيى بن جعفر البيكندى: «لو قدرت أن أزيد من عمرى فى عمره لفعلت، فإن موتى يكون موت رجل واحد وموته فيه ذهاب العلم».

وقال عنه الحسين بن حريث: «لا أعلم أنى رأيت مثله كأنه لم يخلق إلا للحديث».

وقال قتيبة بن سعيد: «هو فى زمانه كعمر فى الصحابة».

إنه صاحب أعظم المؤلفات تقديرا، وأعلاها منزلة وأكثرها شهرة إنه الإمام البخارى.

نسبه ومولده

هو أبوعبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفى ولد يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ببخارى[1].

وبردزبه بالفارسية الزراع كذا يقوله أهل بخارى، وكان بردزبه فارسيا على دين قومه ثم أسلم ولده المغيرة على يد اليمان الجعفى وأتى بخارى فنسب إليه نسبة ولاء عملا بمذهب من يرى أن من أسلم على يده شخص كان ولاؤه له وإنما قيل له الجعفى لذلك.

وأما والد محمد فقد ذكرت له ترجمة فى كتاب الثقات لابن حبان فقال: فى الطبقة الرابعة إسماعيل بن إبراهيم والد البخارى يروى عن حماد بن زيد ومالك، وروى عنه العراقيون منهم: أحمد بن حفص، وأحمد بن جعفر وغيرهم وكان هذا الوالد - رحمة الله عليه - تقيا عالما محدثا، اشتهر بين الناس بحسن السلوك والورع، رحل كثيرا إلى العلماء وأهل الحديث فحدث عنهم، وروى سماعا عن «مالك بن أنس وحماد بن زيد

(١) بخارى: هى الآن بجمهورية أوزبكستان فى آسيا الوسطى.

وعبدالله بن المبارك»[٢].

ومما ينسب إليه أنه عندما وافته المنية قال: «لا أعلم من مالى درهما من حرام ولا درهما من شبهة»[٣].

نشأته

استقبل البخارى حياته فى أسرة ثرية متدينة، يشيع فيها الحديث النبوى، فأبوه من رجال الحديث - كما ذكرنا - وأمه تقية صالحة لا تقل تقى وورعا عن والده حتى عدها المؤرخون من ذوى الكرامة والولاية، فقد روى غنجار فى تاريخ بخارى، والسبكى فى الطبقات «أن محمد بن إسماعيل البخارى ذهبت عيناه فى صغره فدعت أمه كثيرا حتى رأت الخليل إبراهيم - عليه السلام - فى المنام، فقال لها: «يا هذه قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك أو بكائك» قال: فأصبح وقد رد الله عليه بصره»[٤].

فى ظل هذه الأسرة الكريمة نشأ الإمام البخارى فى معية أب ورع حافظ وأم مؤمنة متضرعة قانتة، فتربى فى بيئة علمية، حيث أتيحت له أمهات الكتب المعروفة فى زمانه فحفظها بعد أن حفظ كتاب الله ثم بدأت تتفتح مداركه.

روى القسطلانى عن أبى جعفر محمد بن أبى حاتم أنه قال: «قلت للبخارى: كيف كان بدء أمرك؟ فقال: أُلهمت حفظ الحديث فى المكتب ولى عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من المكتب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلى»[٥].

وهنا لابد لنا من وقفة مع هذا الصبى الذى لم يزد عمره عن إحدى عشرة سنة، وقد انضم إلى جمع من الرجال يطلبون الحديث، يلتفون حول شيخهم يسجلون ما يمليه عليهم.. ويقول الشيخ خلاف ما يحفظه الصبى.. فماذا عساه أن يفعل؟ هل يصمت حتى يتأكد من صحة ما يحفظ؟!..

يحكى الإمام البخارى قصة ما حدث لمحمد بن أبى حاتم، فيقول: أُلهمت حفظ الحديث وأنا فى الكتاب، قلت: وكم أتى عليك إذ ذاك فقال عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكتاب فجعلت أختلف إلى الداخلى وغيره فقال يوما فيما كان يقرأ للناس عن سفيان عن أبى الزبير عن إبراهيم فقلت: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم فانتهرنى فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك، فدخل فنظر فيه، ثم رجع فقال: كيف هو يا غلام؟ فقلت هو الزبير بن عدى عن إبراهيم فأخذ القلم

(٢) روى ذلك ابن حبان فى كتابه «الثقات».

(٣) مقدمه فتح البارى ص٥٠٢.

(٤) الإمام البخارى أمير المؤمنين فى الحديث للأستاذ الدكتور يوسف الكتانى هدية مجلة الأزهر عدد رجب ١٤١٨هـ، وذكرت القصة فى البداية والنهاية ج١١/ ٢٥.

(٥) المرجع السابق.

وأصلح كتابه وقال لى صدقت وقد حدث بعض أصحابه أنهم سألوه ابن كم حين رددت عليه؟ فقال: ابن إحدى عشرة سنة[٦].

أى شجاعة تلك التى جعلت هذا الصبى الصغير يراجع أستاذه ويقول له: ارجع إلى الأصل؟!.

إنها الشجاعة التى ترتكز على حافظة قوية وقلب غير هياب.

حافظته القوية

كانت هذه الحافظة القوية التى رزقه الله إياها فى صباه، حافظة فطرية أصيلة رافقته طوال حياته، ولم تتخل عنه يوما بل جعلها الله سندا قويا فى الاختبارات التى تعرض لها خلال حياته فى أكثر من مرة، نذكر منها ما رواه أحمد بن الحسن الرازى قال: سمعت أبا أحمد ابن عدى يقول: سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن إسماعيل البخارى قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوا إلى عشرة أنفس: إلى كل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخارى، وأخذوا الموعد للمجلس، فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها، ومن البغداديين، فلما اطمأن المجلس بأهله، انتدب إليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث، فقال البخارى: لا أعرفه، فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه، فمازال يلقى عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخارى يقول: لا أعرفه، فكان الفهماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون: الرجل فهم ومن كان منهم غير ذلك يقضى على البخارى بالعجز والتقصير وقلة الفهم، ثم انتدب رجل آخر من العشرة، وهكذا حتى فرغ العشرة، والبخارى لا يزيدهم على: لا أعرفه، فلما علم البخارى أنهم قد فرغوا، التفت إلى الأول منهم فقال: أما حديثك الأول فهو كذا، وحديثك الثانى فهو كذا، والثالث والرابع على الولاء، حتى أتى على تمام العشرة، فرد كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك، ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها، وأسانيدها إلى متونها، فأقر له الناس بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل[٧].

رحلات البخارى العلمية

كانت رحلات البخارى جلها فى طلب العلم فبدأت برحلته مع أمه وأخيه للحج وكان سنه آنذاك لا تتجاوز ست عشرة سنة، وما كاد يفرغ من حجه والاتصال بعلماء مكة ومحدثيها حتى رحل إلى المدينة المنورة - على

(٦) مقدمة فتح البارى لابن حجر العسقلانى ص٥٠٢.

(٧) طه حبيب: البخارى مجلة الأزهر المجلد الرابع سنة ١٣٥٢هـ ص٤٩١.

ساكنها أفضل الصلاة والسلام - للزيارة والأخذ من العلماء.

فلما استوفى حظه من الرواية والسماع بعد ستة أعوام انطلق متنقلا عبر الأقاليم والأقطار(٨).

ثم تتابعت رحلات البخارى وسفره فى سبيل الحديث والرواية حتى شملت أغلب الحواضر العلمية فى وقته، واستغرقت معظم حياته، كل ذلك يجالس العلماء ويحاورهم ويجمع الحديث ويرويه، ويعقد مجالس التحديث والمناقشة ويتعرض للامتحان والكيد، فيخرج سالما منتصرا على الكائدين والمتربصين.

لقد تتبع د. الكتانى البلاد التى زارها البخارى فأحصى منها: مكة - المدينة - بغداد - واسط - البصرة - الكوفة - دمشق - حمص - قيسارية - عسقلان - خراسان - نيسابور - مرو - هراة - بخارى - مصر.. وغيرها(٩).

العلماء الذين أخذ عنهم البخارى

روى عثمان بن أبى شيبة عن وكيع قال: لا يكون الرجل عالما حتى يحدث عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه(١٠) ولذلك نجد أن البخارى حدث عن خمس طبقات:

الطبقة الأولى: من حدثه عن التابعين مثل: محمد بن عبدالله الأنصارى.

الطبقة الثانية: من كان فى عصر هؤلاء لكن لم يسمع من ثقات التابعين كآدم بن أبى إياس.

والطبقة الثالثة: هى الوسطى من مشايخه وهم من لم يلق التابعين بل أخذ عن كبار تبع الأتباع كسليمان بن حرب وأحمد بن حنبل.

الطبقة الرابعة: رفقاؤه فى طلب العلم ومن سمع قبله قليلا كمحمد بن يحيى الزهلى.

الطبقة الخامسة: وهم فى عداد طلبته فى السن والإسناد سمع منهم للفائدة كعبدالله بن حماد الآملى، وقد روى عنهم أشياء يسيرة(١١).

مؤلفاته

ظهر نبوغ البخارى مبكرا فقد حفظ القرآن وهو دون التاسعة، وبدأ حفظ الحديث وهو ابن إحدى عشرة سنة وحفظ أغلب أمهات كتب الحديث وهو ابن إحدى عشرة سنة فأعطاه ذلك دراية واسعة بكيفية التأليف حيث بدأ وهو دون الثامنة عشرة فكان حصيلة ما كتب يزيد على سبعة وعشرين مؤلفا نذكر منها(١٢):

١- الجامع الصحيح.

٢- الأدب المفرد.

٣- قرة العينين برفع اليدين فى الصلاة.

(٨) بتصرف عن د. يوسف الكتانى.. الإمام البخارى أمير المؤمنين فى الحديث هدية مجلة الأزهر عدد رجب ١٤١٨هـ.

(٩) المرجع السابق.

(١٠) مقدمة فتح البارى لابن حجر العسقلانى ص٥٠٣.

(١١) المرجع السابق «بتصرف».

(١٢) أ. د. يوسف الكتانى: مرجع سابق.

٤- القراءة خلف الإمام.

٥- بر الوالدين.

بخلاف ما ضاع ولا يعرف له أثر.

ورعه

لم يكن الإمام البخارى عالما حافظا فحسب بل كان عالما عاملا، ينفذ ما وعاه قلبه من الكتاب والسنة وما استقر بضميره، وهكذا يجب أن يكون المسلم محاسبا لنفسه قبل أن يحاسب.

لقد أكسبه ذلك ورعا إلى ورعه الذى ورثه عن أبيه القائل «لا أعلم من مالى درهما من حرام ولا درهما من شبهة».

ولعل الإمام البخارى قد ارتقى درجة أعلى فى سلم الورع - رحمه الله - حيث كان يتحلل لنفسه مما يقع منه عن غير قصد ولو كان يسيرا هينا وترى ذلك فيما رواه ابن حجر العسقلانى فى مقدمة فتح البارى إذ يقول عن وراق البخارى «كان(١٣) يركب إلى الرمى كثيرا فما أعلم أنى رأيته فى طول ما صحبته أخطأ سهمه الهدف إلا مرتين بل كان يصيب فى كل ذلك ولا يسبق، قال وركبنا يوما إلى الرمى ونحن بفربر فخرجنا إلى الدرب الذى يؤدى إلى الفرضة فجعلنا نرمى فأصاب سهم أبى عبدالله وتد القنطرة التى على النهر فانشق الوتد فلما رأى ذلك نزل عن دابته فأخرج السهم من الوتد وترك الرمى وقال لنا ارجعوا فرجعنا فقال لى يا أبا جعفر لى إليك حاجة وهو يتنفس الصعداء فقلت نعم، قال: تذهب إلى صاحب القنطرة فتقول إنا أخللنا بالوتد فنحب أن تأذن لنا فى إقامة بدله أو تأخذ ثمنه وتجعلنا فى حل مما كان منا، وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر، فقال لى أبلغ أبا عبدالله السلام، وقل له أنت فى حل مما كان منك فإن جميع ملكى لك الفداء. فأبلغته الرسالة فتهلل وجهه وأظهر سرورا كثيرا وقرأ ذلك اليوم للغرباء خمسمائة حديث وتصدق بثلثمائة درهم».

اللهم إنه لو حدث مثل ذلك فى زماننا لدفع الرامى ثمن «الوتد» وما أحس بأى تأنيب من ضميره وربما لم يشغل باله أصلا.. فهو لم يعمد إلى الإخلال به ولكن رجلا مثل البخارى لم يهنأ بالحياة حتى جاءه رد صاحب القنطرة بالرضا والعفو.. إن بضعة دراهم هى ثمن الوتد لم تكن لتشغل بال البخارى فقد تصدق بأضعافها.. إنما شغل باله يوم الحساب إنه الورع وإنه الخوف من يوم الحساب وهو -أيضا- ما جعله يطلب الصفح من أبى معشر الضرير عن شىء لا يعلمه فقد روى أنه قال لأبى معشر اجعلنى فى حل يا أبا معشر فقال من أى شىء فقال رويت حديثا يوما فنظرت إليك وقد أعجبت به وأنت تحرك رأسك ويديك فتبسمت من ذلك، قال أنت فى حل يرحمك الله يا أبا عبدالله.

ونحن نقول: يرحمك الله يا أبا عبدالله من فى زماننا يماثلك فى ورعك؟!

(١٣) أى البخارى.

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
علـى جمعـة
مفتى جمهورية مصر العربية

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المقيد برقم ١٥١٥ لسنة ٢٠٠٥م المتضمن لبعض الأسئلة وهى:

سرادقات العزاء

السؤال الأول ورد من السيد / أ. أ. خ

يقول فى سؤاله: قرأت فى جريدة الأهرام فتوى لفضيلة المفتى بأن إقامة السرادقات للعزاء بدعة وهو ما تطمئن إليه النفس والحمد لله. ويقول: أنا محل اقتداء وتأس فى قريتى وقد امتنعت زمناً طويلاً من دخول هذه السرادقات للعزاء واعتاد الناس منى ذلك لعلمى أن فيه مصلحة إنكار البدعة وعدم المشاركة فى إقامتها إلا أن ذلك يفوت غالباً مصلحة العزاء والتآلف، والآن لا أدرى هل أدخل السرادقات ويكون ذلك شبه إقرار منى بمشروعيتها أم أظل على امتناعى وأفوت مصلحة التعزية ومصلحة تآلفى مع أهل القرية مع أنى داعية أحرص على التقارب حتى لا يتذبذب الناس فى حكم هذا الأمر.

الجواب: الدين الإسلامى الحنيف هو دين المودة والرحمة والترابط والتواصل والمواساة، لقول سيدنا محمد رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» رواه الإمام أحمد فى مسنده والإمام مسلم فى صحيحه عن النعمان ابن بشير رضى الله عنهما.

وقد حث الإسلام أتباعه على مواساة المصاب منهم حتى يخففوا آلام المصيبة عنه، ووعد ﷺ المعزى بثواب عظيم فقال فى حديثه الشريف: «من عزى مصاباً فله مثل أجره» رواه الترمذى وابن ماجه والبيهقى.

وقال صلوات الله عليه وتسليماته:

«ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبة إلا كساه الله سبحانه من حلل الكرامة يوم القيامة»

رواه ابن ماجه.

ويستحب تعزية أهل الميت جميعا صغيراً وكبيراً رجالاً ونساء، ولا يعزى الرجال الشابات من النساء، أو اللاتى يخشى منهن الفتنة، ولا يكون العزاء بعد ثلاثة أيام إلا لمن كان غائباً عن المكان أو لم يعلم فإنه يعزى حين يحضر أو يعلم، وإقامة المآتم والسرادقات لقبول العزاء على الميت من العادات التى جرى بها العرف عندنا وإذا تمت بطريقة لا إسراف فيها ولا مباهاة ولا تفاخر وكان القصد منها استيعاب أعداد المعزين الذين لا تسعهم البيوت والدور فلا بأس من ذلك.

أما إذا كان ذلك من أجل المباهاة والتفاخر- كما يحصل كثيراً- فهو إسراف محرم شرعاً، وتشتد الحرمة إذا كان قد حمل أهل الميت القصر نصيبا فى ذلك، أو كان أهل الميت فى حاجة إليها.

ولاشك أن أهل الميت يكونون فى أمس الحاجة إلى من يخفف عنهم ويواسيهم بالقول وبإعداد الطعام لهم وبالمال إذا كانوا فى حاجة إلى ذلك، لانشغالهم وإرهاقهم بمصابهم وتجهيزاته، وهذا معنى قول رسول الله ﷺ: «اصنعوا لآل جعفر طعاماً، فقد جاءهم ما يشغلهم» رواه أبو داود وابن ماجه والبيهقى من حديث عبدالله بن جعفر رضى الله عنهما.

بل قد يجب الجلوس لتلقى المعزين، كما أشار ذلك الشروانى فى حاشيته على تحفة المحتاج بشرح المنهاج لابن حجر الهيتمى.

وعليه وفى واقعة السؤال: فإنه يجوز للسائل أن يدخل السرادقات للعزاء ومشاركة الناس فى مصابهم، ولعل السائل يقصد شخصا آخر غيرى، فأنا لم أفت بهذا للجرائد ولا لغيرها.

والله سبحانه وتعالى أعلم

الانتظار بين الأذان والإقامة

السؤال الثانى ورد من السيد / ر.م.و

هل هناك وقت محدد بين الأذان وإقامة الصلاة؟ وهل مدة الانتظار هذه واجبة؟ وهل يجوز الاستغناء عنها وإقامة الصلاة بعد الأذان مباشرة؟

الجواب: الأذان والإقامة سنة من سنن الكفاية: لأمر سيدنا رسول الله ﷺ بذلك، وللمواظبة عليهما، ودلت الأخبار أنه ليس بفرض عين ولا كفاية، لقول النبى صلوات الله وسلامه عليه وآله: «لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما فى التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما فى العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا» متفق عليه.

والأذان هو الإعلام بدخول وقت الصلاة، وقد جاء فى فضله أحاديث كثيرة منها ما سبق ذكره ومنها ما رواه أبوهريرة ﷺ أنه قال: «إن المؤذن يغفر له مدى صوته ويصدقه كل رطب ويابس سمعه والشاهد عليه خمسة وعشرين درجة» رواه أحمد وأبوداود.

وغير ذلك من الأحاديث النبوية الشريفة، ويستحب الدعاء بين الأذان والإقامة، لأن الدعاء حينئذ لا يرد كما جاء فى الحديث عن سيدنا رسول الله ﷺ، ويستحب أن يقعد المؤذن بين الأذان والإقامة قعدة ينتظر فيها الجماعة، لأنه ورد فى الحديث الشريف: «بين كل أذانين صلاة» رواه الشيخان وغيرهما.

وعليه فى واقعة السؤال: فإنه يستحب الانتظار بين الأذان والإقامة بقدر وضوء المصلى وأداء المصلين السنة الراتبة القبلية، فالانتظار ليس واجبا، بل هو مستحب كما أوضحنا، ويجوز تجاوز هذه المساحة الزمنية وأن يؤذن المؤذن ويقيم الصلاة مباشرة بعد الأذان إن كانت هناك مصلحة جماعية لأهل المسجد فى ذلك، كخوف من أمطار تزداد عليهم أو ضوضاء تشوش عليهم، وأما إذا لم يكن هناك سبب أو كان الباعث سببا شخصياً لفرد أو بعض الأفراد فإن تفويت هذه الفترة الزمنية مكروه، لإفضائه إلى ترك السنة وتضييع ثواب الجماعة بأكملها أو بعضها أو تكبيرة الإحرام على بعض المصلين، بل قد يحرم إن ترتب على ذلك شقاق وشحناء بين المصلين.

مسألة فى الطلاق

السؤال الرابع: ورد من السيد/ م. أ: يقول فى رسالته طلقت زوجتى الطلقة الثالثة عند المأذون وكنت قد طلقتها من قبل طلقتين فهل يجوز لى أن أتزوج من أختها الصغرى؟

الجواب: إذا طلق الزوج زوجته وانتهت عدتها منه سواء كان الطلاق رجعيا أم بائنا فإنه يجوز له الزواج من أختها ما لم يكن هناك مانع آخر من رضاع أو غيره، والمنهى عنه شرعاً أن يتزوجها وأختها مازالت فى عصمته أو فى عدتها منه من طلاق رجعى أو بائن بينونه صغرى أو كبرى، وهذا ما عليه السادة الأحناف، وهو ما عليه العمل فى الديار المصرية، لقول الله تبارك وتعالى

﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾

النساء (٢٣)

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقى الدين

شهر للفضيلة وأشهر للمعصية

ابتدع المسلمون بدعة ما أنزل الله بها من سلطان.. ألا وهى تقسيم العام إلى قسمين: قسم للفضيلة وهو شهر رمضان المبارك، وقسم آخر للمعصية وهو باقى أشهر العام ومن لايصدقنى أقول له:

- فى شهر رمضان المبارك تزدحم المساجد بالمصلين، فإذا ما أدوا صلاة عيد الفطر هجروها - أى المساجد - انتظاراً لحلول شهر رمضان من العام الذى يليه!
- فى شهر رمضان ينفض الناس الأتربة عن المصاحف فمنهم من يختم القرآن مرة، ومنهم من يختمه مرتين وربما أكثر، فإذا ما فرغوا من أداء صلاة العيد، أغلقوا المصحف، وأودعوه مكانه المعتاد ليعلوه التراب من جديد انتظاراً لرمضان جديد!
- فى شهر رمضان يسخوا الأغنياء فى الإنفاق على الفقراء فتنتشر موائد الرحمن، وتكثر التبرعات المالية والعينية للفقراء والمحتاجين فإذا ما فرغ القوم من أداء صلاة العيد تراهم أمسكوا أيديهم بخلاً وشحاً ونسوا حق الفقير والمحتاج!
- فى شهر رمضان يتزاور الأهل والأصدقاء، فإذا ما انقضى الشهر عمت بينهم الشحناء والبغضاء.
- فى شهر رمضان تحتشم الكثيرات من النساء وبعضهن يرتدين الحجاب، فإذا ما انقضى الشهر إذ بهن يخلعن ما كن عليه من احتشام ووقار!

أى أننا نعبد الله شهراً ونعصاه على مدى أحد عشر شهراً وبعد ذلك نتباكى على ما آل إليه حال الإسلام وأمة الإسلام؛ وأقول أمة الإسلام لأننى لا أعنى بما ذكرت مصر وحدها.. ولكن للأسف فإن البعد عن الإسلام وتعاليمه فى جوهرها صار حال الكثرة من أبناء الأمة الإسلامية جمعاء وصدق فينا قول من قال: «يا أمة ضحكت من جهلها الأمم»

وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

الرعد / ١١

وبلغ الأمر مداه عند من يُدعى «أبو مصعب الزرقاوى» الذى أعلن صراحة الحرب على المسلمين الشيعة وأزهق أرواح المئات منهم فى مذابح دموية رهيبة ونقول له :

«إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله» . وهى كلمات بليغة قالها الصحابي الجليل عبد الله بن عمر – رضى الله عنه – نستذكرها اليوم بمناسبة ما اقترفته ولازالت تقترفه فئة باغية ،نذكرها بقول رسول الله ﷺ : «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» وقوله ﷺ : «لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض» وإذا كان رسول الله ﷺ قال : «لن يدخل الجنة قاطع رحم» فهل يدخل الجنة سافك لدماء المسلمين.

فبأى حق وبأى منطق يعلن شخص يزعم أنه مسلم الحرب علي مسلم آخر لمجرد أنه يخالفه فى المذهب.

بأى حق أعلن المدعو أبومصعب الزرقاوى الحرب على المسلمين الشيعة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيمون الصلاة ويؤدون الزكاة ويصومون رمضان ويحجون البيت !!

بأى حق استحل لنفسه إعلان الحرب علي أبناء الأمة الإسلامية . .

بأى حق أحل لنفسه قتل أنفس حرم الله قتلها إلا بالحق ؟ !

ألم يأن لهؤلاء الذين يوغرون الصدور ويثيرون النعرات العرقية والمذهبية بين أبناء الأمة الإسلامية حتي تقطعت منهم الأوصال وقتلوا أبناءهم وخربوا بيوتهم ، وأساءوا لأمة التوحيد أبلغ الإساءة . . أن يتدبروا قول المولى عز وجل :

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾

(الأنفال / ٤٦)

ألم يأن لهم أن يدركوا أن الشر لا يمكن أن يؤدى إلى خير .

ألم يأن لهؤلاء أن يدركوا أن إهدار دم المسلم لا يمكن أن يكون طريقا إلى نيل رضا الله ورسوله .

وأخيرا . . ترى هل يسير الزرقاوى على السنة التى ابتدعها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها وهى شهر للفضيلة وأحد عشر شهرا للمعصية ويكف يده عن أزهاق أرواح المسلمين فى العراق فى الشهر الفضيل ؟ أم تراه يبتدع سنة جديدة فيجعل العام كله بأشهره الاثنى عشر للمعصية ؟

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾

(إبراهيم / ٢٨)

أحمد تقى الدين

وإلى رسائل القراء

من آداب الصوم

بمناسبة حلول شهر رمضان أعاده الله على أمة المسلمين بالخير والبركات، كتب الصديق الأستاذ أحمد عبدالمحسن على محمد ـ ناظر بمدرسة الأورمان الثانوية النموذجية بالدقى ـ كلمة عن آداب الصوم، قال فيها:

● إذا رأيت هلال رمضان أو هلال غيره فقل كما كان الرسول ﷺ يقول : «اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ربى وربك الله ، هلال رشد وخير» .

● استقبل رمضان بنية أن تصوم لله إيماناً واحتساباً ، وافتح فى أول ساعة منه صفحة جديدة فى سجل أعمالك ومعك العزم الأكيد على التزود فيه بصالح الأعمال ، فمن أدركه رمضان فلم يغفر له فقد خاب وخسر يقول ﷺ : «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ، صفدت الشياطين ، وغُلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ، وينادى منادٍ : يا باغى الخير أقبل ، ويا باغى الشر أقصر» .

● ليكن منهجك فى الصوم ، التخلى عن الرذائل والتحلى بالحلم والوقار والسكينة واجتناب الفحش من القول وترك الصخب فعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : «مَن صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ مما يبغى له أن يتحفظ كفَّر ما قبله» .

● اقبل على تلاوة القرآن فى رمضان فى ليله ونهاره فهو شهر القرآن ففى الحديث «كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة» والصيام والقرآن يشفعان للمؤمن يوم القيامة يقول الصيام : أى رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه – فيشفعان» .

● عند الإفطار توجه إلى الله بالدعاء لنفسك وللمسلمين فهى فى هذه اللحظة دعوة مقبولة إن شاء الله يقول ﷺ : «إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد» .

● تناول إفطارك عقب غروب الشمس مباشرة وقبل صلاة المغرب على تمرات أو على أى شراب حلو فإن لم يتيسر لك ذلك فعلى الماء وذلك لتكسر حدة الجوع وتطفىء حرارة العطش وحتى تقبل على صلاة المغرب غير معجل .

● تناول سحورك قريباً من الفجر ففى ذلك عون على النشاط فى النهار وتحمل مشاق الصوم وبذلك يتحقق لك فضلان : تحقيق السنة بتأخير السحور وإدراك صلاة الصبح جماعة فى وقتها . عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «تسحروا فإن فى

السحور بركة».

● تجنب الإفراط فى الأكل والشراب فإن من حكم الصوم، التخفيف على المعدة وتنقية البدن من رواسب الطعام المتراكمة فى داخله طوال العام وقد جاء فى الحديث: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه».

وقد أمرنا الله - تبارك وتعالى - بترك الإسراف فى الأكل والشرب فقال عز من قائل:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

الأعراف/ ٣١

الصيام عن فعل المنكر

وكتب الصديق أحمد عبده - الدلنجات - بحيرة قال:

صوم رمضان فريضة علي كل مسلم ومسلمة في كل عام متي ثبت دخول الشهر برؤية هلاله:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾

«البقرة/ ١٨٥»

وصوم رمضان أحد أركان الإسلام الخمسة التي حددها رسول الله ﷺ في الحديث الذي رُوي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: بني الإسلام علي خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان». «متفق عليه».

وحدد الرسول الكريم ﷺ شروط صحة الصيام ونبه على ضرورة الالتزام بها:

روي البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني أمرؤ صائم».

وروي ابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم أن رسول الله ﷺ قال: ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل: إني صائم إني صائم». وروي أبوداوود والترمذي وابن ماجة حديث رسول الله ﷺ «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه».

فهذه الأحاديث النبوية الشريفة حوت ما يجب أن يتحلى به المسلم من أخلاق ليس فى الشهر الفضيل فحسب، وإنما من لحظة ميلاده إلى لحظة وفاته. فما أجمل الصيام عن اللغو والصخب وقول الزور فتعالوا بنا معشر المسلمين بدءاً من هذا الشهر الفضيل وإلى أن يلقى كل منا ربه نصوم عن كل مستقبح ومنكر، عسى الله أن يوفقنا ويسدد خطانا.. آمين.

أسباب النصر وصفات المجاهدين

وكتب الصديق: هانى شاكر محمد - امام وخطيب بأوقاف سوهاج كلمة تحدث فيها عن أسباب النصر وصفات المجاهدين قال:

تمر الأيام وتمضى الشهور والأعوام ويأتى رمضان من كل عام ليذكرنا بالجهاد وقوة الثبات فى مواجهة الأعداء وبمناسبة موافقة هذا الشهر الكريم لشهر أكتوبر فإننا لابد وأن نتذكر معركة العاشر من رمضان - السادس من أكتوبر، وسيظل رمضان يذكرنا بأيام انتصاراتنا العظيمة، ما بين غزوة بدر، وعين جالوت وصولا إلى انتصارات العاشر من رمضان المجيدة، ولذلك لابد أن ننبه إلى أسباب النصر وصفات المجاهدين، فالجهاد لا يكون إلا إذا قصد به وجه الله وأريد به إعلاء كلمته ورفع راية الحق ومطاردة الباطل وبذل النفس فى مرضاة الله فإذا أريد به شىء دون ذلك كالمغنم والذكر أو القول بالشجاعة فلا يسمى جهادا حقيقيا وعلى القائد أن يأخذ وجنوده الأهبة والاستعداد التام بشأن القوة المادية على ما يليق بالزمان والمكان فينشىء مصانع السلاح والذخيرة ويستحضر كل ما يمكن من آلات الحرب الحديثة ويعمل على تدريب الجنود عليها وأن يعمل على رفع مستوى القوى المعنوية بأن يوجد بينهم عوامل الإخاء والترابط وينشر كذلك العدل والمساواة ويحثهم على الشجاعة واليقظة والسخاء والمروءة. وعلى الجنود بالنسبة لقائدهم الطاعة فى غير معصية لأن الطاعة فى معصية منهى عنها لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وقد روى البخارى ومسلم عن علىّ كرم الله وجهه قال: بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليهم رجلا من الأنصار وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا، فعصوه فى شىء فقال: اجمعوا لى حطبا، فجمعوا ثم قال: أوقدوا نارا، فأوقدوا ثم قال: ألم يأمركم رسول الله أن تسمعوا وتطيعوا؟

فقالوا: بلى. قال: فادخلوها، فنظر بعضهم إلى بعض، وقالوا إنما فررنا إلى رسول الله من النار فكانوا كذلك حتى سكن غضبه وطفئت النار. فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها أبدا وقال: لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق إنما الطاعة فى المعروف».

وإنا لنرفع إلى الله أكف الضراعة ونتوجه إليه بنفوس راضية وقلوب واعية أن يفرج عنا ما نحن فيه وأن يهبنا النصر العاجل على أعدائنا وأن يرزقنا الأمن والأمان فى أوطاننا إنه نعم المولى ونعم النصير.

طرائف .. ومواقف

للشيخ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

البصيرة تغني عن البصر

أحسن ما قيل في دفع التعيير بالعمى قول بشار بن برد :

وعيرني الأعداء والعيب فيهم
وليس بعار أن يقال ضرير
إذا أبصر المرء المروءة والتقى
فإن عمى العينين ليس يضير
رأيت العمى أجرا وذخرا وعصمة
وإني إلى تلك الثلاث فقير

ولعبدالله بن عباس رضي الله عنه :

إن يأخذ الله من عيني نورهما
ففي فؤادي وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل
وفي فمي صارم بالقول مشهور

وفوق هذا كله بلاغة وحكمة قوله تعالى :

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾

[سورة الحج - الآية : ٤٦]

أخوك يسمع

قال شقيق البلخي : أهديت لسفيان الثوري ثوبا فرده عليَّ، فقلت له : يا أبا عبدالله لست أنا ممن يسمع الحديث حتى ترده عليَّ !!

قال : علمت ذلك، ولكن أخوك يسمع .

العلم والحلم

قال رجاء بن حيوة -رحمه الله :

ما أحسن الإسلام ويزينه الإيمان، وما أحسن الإيمان ويزينه التقوى، وما أحسن التقوى ويزينها العلم، وما أحسن العلم ويزينه الحلم، وما أحسن الحلم ويزينه الرفق.

وقال بعض الأدباء في هذا المعنى :

العلم والحلم حلتا كرم
للمرء زين إذا هما اجتمعا
كم من وضيع سما به العلـ
ـم والحلم فنال السمو وارتفعا
صنوان لا يستتم حسنهما
إلا بجمع لذا وذاك معا

لا حيلة في المرأة

قال سقراط : «ثلاثة كانت من أكره الأشياء إليَّ : نحو اللغة اليونانية، والفقر، والمرأة. وقد تغلبت على الأول بكثرة الدرس، وعلى الثاني بالسعي والصبر، ولكني لم أجد حيلة في المرأة» .

لا أحل ما حرم الله

مر ابن سيرين بقوم، فقام إليه رجل، فقال : «يا أبابكر إنا قد نلنا منك فحللنا» فقال : «إني لا أحل لك ما حرّم الله عليك، فأما ما كان إليَّ فهو لك» .

من وصايا السلف

إذا غامرت في شرف مروم
فلا تقنع بما تحت النجوم
فطعم الموت في أمر حقير
كطعم الموت في أمر عظيم
يرى الجبناء أن العجز عقل
وتلك خديعة الطبع اللئيم

(أبو الطيب المتنبي)

مخاطبة بخيل

كان بعض البخلاء إذا صار الدرهم في يده خاطبه وناجاه وقَبَّله، وقال له : بأبي أنت وأمي، كم من أرض قطعت، وكيس خرقت، وكم من خامل رفعت، إن لك عندي ألا تعرى ولا تضحى، ثم يلقيه في الكيس، ويقول له : اسكن على بركة الله في مكان لا تحول عنه، ولا تخرج منه .

فإن المساجد لله

تغيّر الرشيد يوما على زبيدة، فقال لها : أنت طالق ثلاثا إن بت الليلة في مملكتي، فاستفتوا في ذلك القاضي أبا يوسف، فقال : تبيت في بعض المساجد، فإن المساجد لله فولاه القضاء بجميع مملكته .

من مكارم الأخلاق

قال خالد بن صفوان : شهدت عمرو بن عبيد ورجل يشتمه، فما ترك منه شيئا، فلما فرغ قال له عمرو : أجرك الله على ما ذكرت من صواب، وغفر لك ما ذكرت من خطأ،

قال : فما حسدت أحدا حسدى لعمرو على هاتين الكلمتين ! !

« على الزوج السادس »

تزوجت امرأة بأربعة رجال ماتوا على التوالى، ثم تزوجت الخامس، ولما أشرف على الموت جلست فوق رأسه، تلطم وجهها وتصرخ قائلة : على من تتركنى ؟ ففتح الزوج عينيه ورد بصوت ضعيف، قائلاً لها : على الزوج السادس.

« الشجاعة .. والصبر »

سأل أعرابى عنترة، ما الشجاعة ؟

قال : هى الصبر.

قال : وما هو الصبر ؟

قال عنترة : هاك أصبعى ضعها فى فمك، وهات أصبعك أضعها فى فمى وكل منا يعض على أصبع أخيه. وبعد قليل صرخ الأعرابى من فرط الألم ففك عنه عنترة، وقال له : لو لم تصرخ أنت لصرخت أنا.

« دعاء »

● اللهم ارحمنا إذا أتانا اليقين، وعرق منا الجبين، واشتد الحنين والأنين.

● اللهم ارحمنا إذا اشتدت السكرات، وفاضت العبرات، وتعطلت القوى والقدرات.

● اللهم ارحمنا إذا يأس منا الطبيب، وبكى علينا الحبيب.

● اللهم ارحمنا إذا حملنا على الأعناق، والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق.

***



أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى

بلدية ميلانو تغلق أول مدرسة إسلامية

فى خطوة مثيرة للجدل والاستنكار قامت بلدية ميلانو بشمال إيطاليا بإغلاق أول مدرسة عربية إسلامية ينتظم فيها نحو ٥٠٠ تلميذ معظمهم من المصريين وذلك بعد نحو أسبوع واحد فقط من منحها ترخيصا رسميا بالعمل.

وفى تصريحات غلبت عليها نبرة التعالى والعنصرية قال وزير الداخلية الإيطالى «جوسيبى بيزانو» : يجب أن يذهب الأطفال المسلمون إلى المدارس العامة وأن يتعلموا الإيطالية.. وأنا لا أريد معازل بل أريد إسلاما إيطاليا.

قناة تليفزيونية خاصة لمسلمى هولندا

بدأ فى هولندا بث إذاعى وتليفزيونى جديد مخصص لمسلمى هولندا تحت اسم «البث الإسلامى الهولندى» ويهدف لمحو الصورة السلبية التى تقدمها وسائل الإعلام الغربية عن الإسلام والمسلمين بعد الأحداث التى شهدها العالم فى السنوات الأخيرة.

وفى تصريحات صحفية أوضح المدير الداخلى للبث «بيتر فرشخور» أن البث الجديد سيعبر

عن المسلمين بشكل إيجابى خلافا للصورة السلبية التى تقدمها وسائل الإعلام الغربية وقال: إن الهولنديين سيشاهدون المسلم العادى وليس المسلم الذى تصوره لهم وسائل الإعلام كإرهابى كما سنثبت أن الإرهاب مرفوض من عامة المسلمين والقيادات المسلمة على حد سواء.

اعتداءات على مساجد بثلاث ولايات أمريكية

طالب مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية «كير» فى بيان له سلطات تنفيذ القانون بالولايات المتحدة الأمريكية بالتدخل العاجل للتحقيق فى الدوافع خلف اعتداءات تعرضت لها مؤخرا مساجد بولايات «نبراسكا وكاليفورنيا ونيويورك الأمريكية».

ووقعت هذه الاعتداءات على مسجد المؤسسة الإسلامية بمدينة لينكون بولاية نبراسكا، وفى كاليفورنيا تعرض المسجد الكبير للعديد من الاعتداءات وكذلك فى مدينة «بابكون» بولاية نيويورك تم الاعتداء على حرم مسجد «الرشد» وتمثلت هذه الاعتداءات فى إلقاء زجاجات البيرة وإفراغ الخمور بساحات المساجد والتحرش بالمصلين أثناء خروجهم ودخولهم المسجد.

الاحتلال يدفن نفايات سامة فى أراضى المستوطنات

اتهم مسئول فلسطينى قوات الاحتلال الصهيونى والمستوطنين بدفن نفايات خطيرة وسامة فى أراضى مستوطنات قطاع غزة بعد إخلائها من المستوطنين وأكد منسق اللجنة الشعبية للدفاع على الأراضى أن المستوطنين دفنوا براميل من المواد السامة على عمق من ثلاثة إلى ستة أمتار من أراضى المستوطنات معتبرا ذلك محاولة لإلحاق الضرر بالإنسان الفلسطينى وإفساد الأرض وحرمان الشعب الفلسطينى من استغلالها بعد تحولها للسيادة الفلسطينية.

وكانت صحيفة «يديعوت أحرونوت» قد ذكرت أن قوات الجيش الإسرائيلى قامت بحفر خنادق بعمق ثمانية أمتار حول محيط تجمع مستوطنات «جوش قطيف» بدعوى عدم تمكين الفلسطينيين من دخول المستوطنات غير أن بعض الدلائل تشير إلى أن حفر تلك الخنادق كان الهدف منه دفن مواد سامة ومخلفات خطرة داخلها.

افتتاح مسجد للمسلمين فى قلب التبت

انطلق من مسجد «لاسا» الكبير صوت الشيخ «يعقوب» باللغة العربية مؤذنا لصلاة الجمعة وداعيا مسلمى التبت للقدوم إلى المسجد العتيق الكائن بشارع «تسيسو» بالعاصمة لاسا.

وقال الشيخ يعقوب كبير أئمة مسلمى التبت وإمام مسجد لاسا الكبير: إن الإسلام دخل إلى منطقة التبت قبل أكثر من ألف سنة من القوافل التجارية مشكلين نواة قومية «سالار» المسلمة إحدى القوميات الصينية العشر التى تدين بالإسلام وأوضح أن تاريخ المسجد يعود إلى أكثر من قرن من الزمان.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يهنئ رئيس الجمهورية

أرسل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر برقية تهنئة للسيد الرئيس محمد حسني مبارك بمناسبة فوزه في انتخابات رئاسة الجمهورية، وهذا نصها:

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية

حفظه الله وسدد خطاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد:

فباسم الأزهر الشريف، ومن قلوبنا قبل ألسنتنا، نقدم لسيادتكم خالص التهنئة بمناسبة فوزكم العظيم فى انتخابات رئاسة الجمهورية.

ندعو الله - عز وجل - أن يمتعكم بكامل الصحة، وبموفور العافية، وأن يرزقكم السداد والتوفيق فى كل أقوالكم، وأعمالكم، وأن يبارك لكم فى كل من تحبون وما تحبون، وأن يستركم بستره الجميل، وأن يصونكم من كل سوء وأن يجعلكم ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه، إنه - سبحانه - على ما يشاء قدير، نعم المولى ونعم النصير.

والسلام عليكم ورحمة وبركاته

شيخ الأزهر الشريف

محمد سيد طنطاوى

٦ من شعبان سنة ١٤٢٦هـ - ١٠ من سبتمبر سنة ٢٠٠٥م

الإمام الأكبر يستقبل وفدا ماليزيا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف وفداً من رؤساء وممثلى الشئون الدينية الإسلامية بدولة ماليزيا، يرافقهم الدكتور محمد فخر الدين عبدالمعطى المستشار التعليمى لسفارة ماليزيا بالقاهرة، حيث رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف، مشيداً بعمق العلاقات والروابط الأخوية بين البلدين، والأزهر الشريف يستقبل أبناء ماليزيا للدراسة به وعدد الطلاب والطالبات الدارسين أكثر من ٧٥٠٠ طالب وطالبة يدرسون بمعاهد الأزهر الشريف وجامعته العريقة، وقد خصص لهذا العام ٢٠ منحة دراسية لأبناء ماليزيا، وتوجد بعثة من علماء الأزهر يقومون بالتدريس لأبناء ماليزيا إلى جانب أساتذة ماليزيا وعددهم ثمانية علماء، والأزهر يستقبل أئمة ووعاظ ماليزيا لحضور الدورات التدريبية التى ينظمها الأزهر كل ثلاثة أشهر لعلماء ووعاظ دول العالم الإسلامى يدرسون العلوم الشرعية واللغوية والتدريب على الفتوى على أيدى أساتذة متخصصين من علماء الأزهر والجامعة كما قدم فضيلته شرحا مبسطا عن مراحل التعليم بالأزهر الشريف وجامعته مؤكداً أن الدراسة بالأزهر تمتاز بالوسطية والاعتدال والبعد عن التعصب مع الاهتمام بحفظ القرآن الكريم والتوسع فى العلوم الشرعية والعربية، وقد أعرب السيد رئيس الوفد عن بالغ سعادته لإتاحة هذه الفرصة وهذا اللقاء حيث إن ما يقوم به الأزهر الشريف فى ماليزيا له الأثر الطيب لدى شعب وحكومة ماليزيا، وقدم شكر بلاده لما يقوم به الأزهر الشريف نحو تعليم أبناء المسلمين وخاصة أبناء ماليزيا.

السفير اللبناني في القاهرة يؤكد:

لن نجد تعاليم الدين الإسلامي الحنيف من مصادره دون شطط إلا في الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير الدكتور عبداللطيف مملوك سفير دولة لبنان بالقاهرة، حيث رحب فضيلته بالضيف الذى جاء لتقديم التهنئة لفضيلة شيخ الأزهر الشريف ولعموم المسلمين بالنصف من شعبان، وكذا التهنئة بقدوم شهر رمضان المبارك، ومن جانبه أعرب سعادة السفير عن رغبته فى زيادة عدد المنح الدراسية لأبناء دولته لبنان، للدراسة بالأزهر الشريف الذى تمتاز الدراسة فيه بالتصدى لموجات الانحراف عن صحيح الإسلام، موضحا أن التعليم بالأزهر الشريف يمتاز بالوسطية والاعتدال فى تعليم أبناء المسلمين العلوم الشرعية والعربية، بعيدا عن التعصب، وعن الفكر المنحرف، لأننا الآن فى لبنان فى حاجة ماسة إلى تعاليم الدين الإسلامى الحنيف، من مصادره الأصلية دون شطط، ولن نجد ذلك إلا فى الأزهر الشريف الذى يدعو إلى نبذ العنف والتطرف ومحاربة الإرهاب، ودولة لبنان تكن للأزهر الشريف كل احترام وتقدير، لدوره البارز الفاعل، ومكانته العالمية التى يتمتع بها فى العالم أجمع، وأن الأزهر الشريف مؤسسة دينية عالمية تحافظ على خطها العظيم فى تعليم أبناء المسلمين

أمور دينهم الحنيف بوسطية واعتدال، وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على أن الأزهر الشريف يسعده دائما أن يستقبل أبناء لبنان للدراسة به وبجامعته العريقة، والأزهر على استعداد لتلبية طلبات سعادة السفير، لأن لبنان ومصر بلدان شقيقان لهما جذور تاريخية ممتدة عبر القرون ودعا لشعب وحكومة لبنان بالاستقرار، ودوام نعمة الأمن والأمان والسلام.

الإمام الأكبر يستقبل وفد قضاة أذربيجان

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفدا قضائيا من دولة أذربيجان يرافقهم المستشار مدحت بسيونى نائب رئيس محكمة النقض، وعضو المكتب الفنى بمركز الدراسات القضائية بالقاهرة، وتأتى هذه الزيارة فى إطار الدورات التدريبية التى يعقدها المركز القومى للدراسات القضائية بالتعاون مع وزارة الخارجية المصرية، وقد رحب فضيلته بالسادة أعضاء الوفد فى مصر وأزهرها الشريف موضحا أن لدولة أذربيجان طلبة يدرسون بالأزهر الشريف وجامعته ويبلغ عددهم حوالى ٢٠٠ طالب كما أن للأزهر بعثة أزهرية من العلماء يقومون بتدريس العلوم العربية والشرعية لأبناء أذربيجان.

ثم تحدث فضيلته عن العدل وعن مكانته السامية فى شريعة الإسلام التى تؤكد على أن العدل أساس الملك، وأن العدل يكون فى الأقوال والأحكام ووجوب تحقيق العدل. والعدالة أمر مقرر شرعا ويقوم به السادة القضاة، ومن نتائجه وثماره حينما يتحقق العدل أن يسود الأمن والأمان والاستقرار، الذى ينتج عنه الرخاء، والتقدم والرقى.

والقضاء هو الدعامة التى ترتكز عليها مقومات الدولة أو الأمة فى الاستقرار.

والقضاء هو صمام الأمن فى كل دولة، وقد أكد فضيلته على أن شريعة الإسلام أمرتنا جميعا أن نكون عادلين لقوله تعالى:

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ النساء/ ٥٨

وقوله تعالى:

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ
أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ المائدة/ ٨

والعدل فى شريعة الإسلام عدل مطلق بين الناس، عدل يعطى كل إنسان حقه سواء أكان مسلما أم غير مسلم فهى كما تنصف المسلم تنصف أيضا غير المسلم، وشريعة الإسلام علمتنا أن نمد يدنا بالسلام لكل من يمد يده إلينا بالسلام، ولكن من يسىء إلى ديننا أو بلدنا أو كرامتنا فقد أذن الله لنا أن ندافع عن أنفسنا، وقد أشاد فضيلته بطلبة أذربيجان الذين أتموا دراستهم بالأزهر وجامعته، ويشاركون فى النهوض بدولتهم بتطبيق ما تعلموه وما درسوه فى الأزهر الشريف وجامعته.

موزمبيق تطلب الاستعانة بالخبرات التعليمية الأزهرية

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير أرتوجو سفاجاموا سفير موزمبيق بالقاهرة وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر به فى الأزهر الشريف مشيدا بالصلة القديمة بين الأزهر الشريف ودولة موزمبيق، موضحا بأن الطلبة الذين يدرسون فى الأزهر الشريف على منح دراسية من دولة موزمبيق، يدرسون مع إخوانهم من الطلبة المصريين ويمتازون بالخلق الطيب، وأيضا يوجد بعثة أزهرية من العلماء يساهمون فى نشر الثقافة الإسلامية وتدريس العلوم العربية والشرعية لأبناء موزمبيق، وقدم فضيلته شرحا مبسطا لنظام التعليم بالأزهر الشريف حتى التخرج فى الجامعة وأكد على أن الدراسة تمتاز بالوضوح وبالوسطية والاعتدال.

ومن جانبه شكر سعادة السفير فضيلته على حسن الحفاوة والاستقبال مؤكدا على الروابط والصلات بين الأزهر الشريف وبين دولة موزمبيق فى النواحى العلمية والتعليمية، وقال إنه يحمل تقدير وشكر حكومة وشعب بلاده لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف، وللأزهر ولعلمائه لما يقدمه لهم من خدمات جليلة للعالم الإسلامى وقال إنه جاء يطلب مساعدة الأزهر الشريف فى إنشاء معهد أزهرى يشرف عليه الأزهر وتدرس فيه مناهج وعلوم الأزهر الشريف، وطلب أيضا زيادة عدد العلماء قد وعد فضيلته بتلبية طلباته، وأن الأزهر فى خدمة أبناء المسلمين فى موزمبيق وفى كل مكان لأن هذه هى رسالة الأزهر الشريف.

ونيجيريا تطلب دعما فنيا من الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / يرنس بولا اجيبولا، رئيس جامعة الهلال بنيجيريا حيث رحب فضيلته بالضيف فى مصر وأزهرها الشريف مؤكدا على العلاقات الطيبة التى تسود بين البلدين وأن الأزهر الشريف لا يدخر وسعا فى مساعدة أبناء نيجيريا وأبناء المسلمين فى شتى بقاع الأرض، وبين فضيلته على أن لنيجيريا طلابا يصل عددهم إلى ألف طالب يدرسون بالأزهر الشريف على منح دراسية بمراحل التعليم المختلفة، ويوجد بعثة أزهرية قوامها ٧٥ عالما مبتعثا لدولة نيجيريا يعلمون أبناءهم صحيح الإسلام وعلوم الشريعة وعلوم اللغة العربية والقرآن الكريم، ثم أوضح الضيف أنه حضر للقاهرة للتشرف بمقابلة فضيلة شيخ الأزهر الشريف، وأنه جاء إلى هذا الصرح الشامخ ـ الأزهر الشريف ـ بعلمائه وعلمه، والذى يمتد نور علمه إلى شتى بقاع العالم، لأن معظم الدول تستعين بعلماء الأزهر الشريف فى تعليم أبنائها الإسلام الصحيح المعتدل، وقال إنه يطلب الدعم الفنى بالكتب والأدوات المدرسية والدعم المعنوى، حتى يستطيعوا نشر العلوم الإسلامية بين سكان نيجيريا البالغ عددهم حوالى ١٤٠ مليون نسمة، ونسبة المسلمين هناك حوالى ٦٥٪ من إجمالى السكان، وقد وعد فضيلته بدراسة طلباته تمهيدا لتلبيتها.

cautiously answer, *"Good. You are a generous brother and the son of a generous brother."* Hereupon, the Prophet said, *"Go! You are the free ones."* What a surprising reply! What a wonderful, full of mercy, reply! What a brief word that made them feel the bitterness of ignominy and regrets! That reply was not the result of a temporary situation; rather, it was the fruit of a deep experience of the human souls. Such a reply was based on a truthful philosophy that believed in the best of manners. It sees forbearance as the master of all virtues, so it commands towards forbearance and forgiveness.

With regard to the above, we come to know that the Prophet's unique quality of oratory is an aware application of what he has been guided to; namely, deep psychological knowledge. That knowledge was clear in his first speech when he wanted to declare his call to Allah. He did not prepare eloquent, well-arranged words, but he had the deep, accurate conciseness. When he wanted to call his people to embrace Islam, he ascended the Safa Mountain and started calling the people until they gathered around him. He surprised them with a question, *"Suppose I have told you that there is a (hostile) cavalry in the valley intending to attack you, would you believe me?"* They said, *"Yes, for we have not found you telling lies before."* Hence, the asker felt reassured due to that clear confession and fair testimony, so that he would resort to the straightforward logic without any elongation. He said, *"I am a warner to you in the face of a terrific punishment. I am Allah's Messenger sent to your in particular and to all mankind in general."* That was a call for a new creed targeting to shake an established one. The people kept a while astonished, for they just acknowledged the truth of the man, but now they could not accept his saying. Here, Abu Lahab said (to the Prophet), *"Is it for this purpose you have gathered us?"* Then, they scattered so that they could discuss what they just heard.

What could conciseness do in such a serious situation?! That was nothing but the miraculousness represented in the Prophet's speech.

From the Prophet's Eloquence

The Influential Elements in the Prophet's Oratory

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

Allah, Exalted be He, says:

> **{And in no way did We teach him poetry; and in no way does it behoove him; decidedly it is nothing (else) except a Remembrance and an evident Qur'an.} [Ya-Sin: 69]**

In another Sura, Allah, the Almighty, says:

> **{And the poets, the misguided closely follow them; have you not seen them wander in every valley, and that they say what they do not perform? Excepting the ones who have believed, and done deeds of righteousness.}**
>
> **[Ash-Shu`ra' (The Poets): 224-227]**

From the second Sura you come to know the explanation of the first one. Stated differently, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) would not say poetry, for most of the poets do not stick to the truth; rather, they wander in the valleys of talk and imagination as their odd natures would allow. It would be worthier for their poetry to be sincere and true.

It is worth noting that oratory is a quality, like poetry, whose possessor is a talented person around whom people gather, so that such a person may quench the thirst of their minds and hearts with what benefits them and relieves their breasts. Thus, the influential orator cannot be except a person who is far-sighted, expressive, experienced, and emotionally sincere. As for the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), none can deny that he was a matchless, talented man endowed with wisdom. If we wish to refer the Prophet's matchless oratory to a clear reason, we shall find that such a reason involves his being kept away from poetry by Allah, for he would observe sincerity and truth as regards his thoughts and ideas, sanctify the certain facts, and respect rational thinking. That is, he would

reach the truth through sound logic, so that he could fulfill his target.

On the other hand, you may find some reports and *Hadiths* (i.e., Prophetic Traditions) stating that Allah's Messenger would welcome and praise good poetry as he said to Hassan Ibn Thabit, *"Say (the poetry) and the Holy Spirit shall be with you."* Hereupon, some people may think that there is a kind of contradiction between welcoming poetry by the Messenger and that he was not taught any of it because it would not behoove him. The truth is that what the Messenger welcomed and praised would conform to his own manner as regards favoring sincerity, easy structure, and clearly defined abridgment. These three elements are more manifest in the Messenger's oratory and are more beneficial for the hearer.

In case oratory is a natural quality in the soul of the speaker, its prerequisites have been fulfilled by the Messenger due to his sensitive feeling, far-penetrating transparency and sound inspiration. The Messenger was brought up among people who would not boast except with poetry. He was born for Banu Hashim and his uncles were from Banu Zuhrah and he grew up in Quraysh. All that would strengthen such a quality not to mention his impressive eloquence and beautiful logic. Hence, the Messenger did not run after oratory but it ran in his veins.

One of the signs of the Prophet's oratory and eloquence could be witnessed clearly on the Day of the Conquest of Mecca. The Commander, the Prophet, would stand among the people and none of them was in doubt that he would orate about his history of suffering at the hands of his enemies. Moreover, no one of the disbelievers of Mecca would doubt that the Prophet would threaten the people who drove him out of his home and launched many wars against him and his followers. What could they expect of a man whom they caused unbearable harm?! On the other hand, the Prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) asked them quietly, *"O the people of Quraysh! What do you think I am going to do with you?"* They

mouth of a fasting person is better in the sight of Allah than the smell of musk. There are two pleasures for the fasting person, one at the time of breaking one's fast and the other at the time when one will meet one's Lord as one will be pleased because of one's fasting."

Some scientists have drawn a similarity between fasting and the protective serum that protects the body against serious diseases and viruses. That serum is injected into the body of the Muslim during a whole month of every year, so that the fasting person is armed with a strong will able to resist all desires, including the sexual one. If this is the case with the ones who observe fasting for only one month in the year, what will the case be with the one who observes fasting for two or three days of every week throughout the whole year?! Add to this that one does not aim behind observing fast except winning Allah's Satisfaction and drawing near to Him.

As for the glory of the month of Ramadan, one cannot skip the event that Allah, Ever-Majestic be He, has revealed the Qur'an in it. Allah says:

{The month of Ramadan (is the month) wherein the Qur'an was sent down: a guidance to mankind, and clear evidences of the guidance and the criterion.}

[Al-Baqarah (The Cow): 185]

The Revelation started at a blessed night, *Al-Qadr* (i.e., the Determination) Night that was described with two things never realized by any other night of the whole year: the Blessed Night and *Al-Qadr* Night. Allah, Exalted be He, says:

{Surely We have sent it down at a blessed night; surely We have been constantly warning. Therein

every Wise Command is distinctly (decreed), (as) a Command from Our providence; surely, We have (ever) been sending (Messengers). As a mercy from Your Lord; surely He, (only) He, is The Ever-Hearing, The Ever-Knowing.}

[Al-Dukhan (Smoke): 3-6]

Moreover, Allah, Glorified be He, says:

{Surely, We sent it down at the Night of Determination; and what makes you realize what is the Night of Determination? The Night of Determination is more charitable than a thousand months. The Angels and the Spirit keep coming down therein, by the permission of their Lord, with every Command. Peace it is, till the rising of the dawn.}

[Al-Qadr (Determination): 1-5]

It is worth mentioning that the Qur'an started to be revealed at the Night of *Al-Qadr* and it took twenty-three years to complete. Undoubtedly, revealing the Qur'an took all that time so that its legislations, rulings and manners could be understood and also to enable the Prophet's Companions (may Allah be pleased with them all) memorize it all and work accordingly. In this relation, the disbelievers would wonder why the revelation of the Qur'an took all that time. Commenting on this, Allah says:

{And the ones who have disbelieved have said, "Had it been that the Qur'an had been sent down upon him as one complete whole." Thus, that We make firm your heart-sight thereby, and We have recited it in a (distinct) recitation.}

[Al-Furqan (The criterion): 32]

brings Allah's Mercy, Satisfaction, Generosity and Kindness towards His servants obeying His commands and hurrying to realize His Satisfaction. By doing so, the Muslims are worthy of Allah's Care and Mercy. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) says, *"When the month of Ramadan starts, the gates of the Paradise are opened and the gates of the Hell are closed and the devils are chained."*

Among the numerous benefits of fasting is that it strengthens the virtue of devotion, for there is no one watching over the one observing fast except Allah, so the reward will be great. This is in accordance with what Allah the Ever-Exalted in a Hadith Qudsi[1] said:*All the deeds of Adam's sons (i.e., people) are for them, except fasting which is for Me, and I will give the reward for it."* In another *Hadith* (i.e., Prophetic Tradition) Abu Umamah (may Allah be pleased with him) says, *"I asked Allah's Messenger to advise me with something that benefits me. The Messenger said, 'You may observe fasting, for there is nothing that equals it."* For more illustration, there is nothing comparable to fasting as regards its great reward, the purity of spirit, the soundness of body and the nearness to Allah. Due to fasting, one is able to control one's desires so that they cannot control one and thus cause one to err.

Furthermore, fasting softens the hearts of the rich towards the needy. Such a benefit helps fill the gap between them all and thus love, intimacy and sincere affection prevail. Moreover, the fasting Muslim ascends the ladder towards perfection and keeps himself/herself away from evils and sins. That is why the Prophet says,

(1) Hadith Qudsi (sacred Hadith) that one which blongs to Allah and differs from the Holy Quran.

"Fasting is protection (for one against evils)." The Prophet also says, *"One may not get from one's fasting except hunger and thirst, and one observing the night in worship may not get from this except staying up at night."* Put differently, the true fasting person is the one who abstains from eating and drinking and keeps oneself away from sexual desire, slander, rumors, lies, backbiting, illegal gains, and harming people and usurping their rights. The true Muslim also does not cause corruption on the earth.

As for the most sublime virtue of fasting, it is represented in piety, which involves, according to the Muslim scholars, fearing Allah and hoping for His mercy and kindness. Piety, as indicated by Allah, the Ever-High, is the best of provision; Allah says:

> {And sustain yourselves; so the most charitable sustenance is piety; and be pious to Me, O (men) endowed with intellects!}

[Al-Baqarah (The Cow): 197]

This noble verse directs speech to those endowed with intellects, for they are the ones who realize facts not perceived by many others.

With regard to the above issue, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) explains for us the way leading to piety. He says, *"Allah said, 'All the deeds of Adam's sons (i.e., people) are for them, except fasting which is for Me, and I will give the reward for it.' Fasting is a shield or protection from the fire and from committing sins. If one of you is fasting, one should avoid sexual relation with one's wife and quarreling, and if somebody should fight or quarrel with one (i.e., the fasting person), one should say, 'I am fasting.' By Him in Whose Hands my soul is, the unpleasant smell coming out from the*

AL-AZHAR MAGAZINE
Ramadan, 1426 A. H.

ENGLISH SECTION
October. 2005

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

Ramadan Brings to Muslims Their Unity

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The month of Ramadan is the month wherein the Qur'an was sent down: a guidance to mankind, and clear evidences of the guidance and the criterion. This is the month in which Allah has prescribed for us fasting as a general Islamic ritual so as to indicate the unity among all the Muslims. This is a kind of unity that is not limited to any time or place, or weakened by distances or geographical boundaries, be they natural or political. In addition, this unity is not obstructed by any race, color or language. This is due to the fact that Islam does not pay any attention to such matters. In support of this, Allah, the Ever-Exalted, says:

{O you mankind, surely We created you of a male and a female, and We have made you races and tribes that you may get mutually acquainted. Surely the most honorable among you in the Providence of Allah are the most pious; surely Allah is Ever-Knowing, Ever-Cognizant.}

[Al-Hujurat (The Apartments): 13]

Moreover, Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) says, *"There is no preference of an Arab over a foreigner neither for a white man over a black one except with piety. You were born from Adam and Adam was created from earth."*

This unity is based on a pillar symbolized in the Creed believed by all the Muslims. For example, whoever among them witnesses the month of Ramadan is obligated to fast it. In this regard, fasting the month of Ramadan

الفهـــرس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ



احتفال جمهورية مصر العربية بليلة القدر

وجه الرئيس محمد حسنى مبارك خطاباً تاريخياً للأمة الإسلامية فى احتفال مصر بليلة القدر.. تحدث فيه عن قضايا الأمة الراهنة ومسئوليتها نحو دينها الحنيف.. ووسائل الخروج من الأزمات المحدقة بها من خلال التأسى بسيرة رسولنا الكريم والسلف الصالح، والالتزام بمنهج الله.

كما تناول الرئيس أهمية تقديم الإسلام للعالم على شكله الصحيح، وإصلاح الصورة المغلوطة عنه.

كلمة الرئيس

محمد حسنى مبارك



الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر..

العلماء الأجلاء..

ضيوف مصر الأعزاء..

الإخوة والأخوات..

أتحدث إليكم فى ليلة مباركة.. فى ليلة القدر.. فيها أنزل القرآن هدى للناس.. وفيها يفرق كل أمر حكيم.

ويسعدنى فى هذه المناسبة العطرة، أن أتوجه بالتهنئة إلى شعب مصر، وشعوب أمتنا العربية والإسلامية، كما يسعدنى أن أتوجه بالتحية إلى علماء مصر ورجال الأزهر الشريف، الذين يحرصون كل عام على أن يكون احتفالنا بهذه الليلة المباركة، مناسبة نستلهم منها الدروس والعبر.. نراجع فيها أحوالنا وأحوال عالمنا العربى

والإسلامى، ونتفكر فيما فيه الخير لشعوبنا وأمتنا فى مشارق الأرض ومغاربها، وخير البشرية على اتساع العالم.

العلماء الأجلاء..

الإخوة والأخوات..

يأتى احتفالنا برمضان وليلة القدر، وسط ظرف إقليمى ودولى بالغ الدقة والتعقيد.. فى مرحلة بالغة الصعوبة يجتازها عالمنا الإسلامى، وفى مواجهة تحديات غير مسبوقة تملى علينا جميعا أن نأخذها مأخذ الجد، وأن نتعامل معها بما تتطلبه من الحكمة واليقظة والتدبر.

إن العالم الإسلامى وسط العواصف العاتية التى تحيط به، والتحديات التى يواجهها، فى حاجة الآن أكثر من أى وقت مضى لوقفة مع الذات، وقفة تتمعن فى جوهر الإسلام وتعاليمه وسماحته، وتصل ماضى الأمة الإسلامية بحاضرها ومستقبلها، وقفة تستلهم ما أسهمت به الحضارة الإسلامية فى تراث الإنسانية، وتستمد منه العزم على مواجهة حاضر يموج بالتحديات، والتصميم على صنع مستقبل يزخر بالطموحات والآمال.

ليلة مباركة

لقد نزلت أولى آيات القرآن الكريم فى مثل هذه الليلة المباركة.. فكانت دعوة إلى القراءة والتعلم.. دعوة استجاب لها المسلمون الأوائل فخرج من بينهم علماء أجلاء.. أمثال ابن الهيثم، والخوارزمى، والفارابى، وابن سينا وغيرهم.. وضعوا أسس علوم الجبر والفيزياء.. أضافوا لعلوم الطب وللفلسفة اليونانية.. حملوا شعلة التنوير والحضارة.. ولاتزال إسهاماتهم محل تقدير العالم وإعجابه إلى اليوم.

دعا القرآن الكريم والسنة المطهرة إلى مكارم الأخلاق، فانتشر الإسلام فى أندونيسيا وجنوب آسيا بما قدمه التجار المسلمون من قدوة حسنة، أعلى الإسلام قيم العمل والاجتهاد والمساواة والشورى.. أرسى حقوق المرأة ومبادىء احترام الآخر وحرية الفكر والاعتقاد.. فاتسع العالم الإسلامى من الأندلس إلى مشارف الصين.

أين نحن الآن من ذلك؟ إن منطق المصارحة يقتضى منا التسليم بما يواجهه عالمنا الإسلامى اليوم من أوضاع صعبة.. ما بين قضايا عالقة طال انتظارها لتسوية عادلة كالوضع فى فلسطين، وبؤر توتر غاب عنها الاستقرار كالوضع فى العراق، ونزاعات مسلحة على غرار ما يجرى فى دارفور، وقلاقل واضطرابات على نحو ما هو حادث فى بقاع عديدة، فضلا عن مشكلات الفقر والفجوة الآخذة فى الاتساع بين دول العالم الإسلامى والدول المتقدمة، فى مجال العلوم وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات وغيرها.

الإرهاب والتطرف

وفوق كل ذلك ومعه.. صار عالمنا الإسلامى فى مواجهة تحد رئيسى آخر.. يتمثل فى ظاهرة الإرهاب والتطرف.. يهدد مجتمعاتنا وأرواح أبنائنا وأرزاقهم ووحدتهم، ويعطى الذرائع والمبررات لمن يروجون لدعاوى صدام الحضارات، ولمن يحاولون وصم العروبة والإسلام بالإرهاب، ولمن يشجعون المشاعر المعادية للمسلمين وجالياتهم فى دول الغرب، وكأن حضارة برمتها تقف فى موقع الاتهام والترصد.

الإخوة والأخوات..

نعم إن عالمنا الإسلامى يواجه تحديات جساما ومشكلات صعبة.. إلا أنها تحديات لا يستحيل تجاوزها، ومشكلات لا تستعصى على الحل، إننا نمتلك من الإيمان بالله والثقة فى أنفسنا ما يمكننا من ذلك، ونستطيع أن نعمل يدا بيد كى نكون بحق خير أمة أخرجت للناس.

مسئولية كبرى

إن نهضة عالمنا العربى والإسلامى إنما تتحقق بنهضة أوطانه وشعوبه وأبنائه.. وإننا فى مصر مقبلون على مرحلة جديدة وهامة فى مسيرتنا.. تشتد الحاجة خلالها لإدراك واع لرسالة الإسلام وجوهره. تلك هى مسئولية علمائنا الأجلاء من رجال الأزهر.. إننا فى حاجة لخطاب دينى يعى مشكلات المجتمع ويتعامل معها.. يعلى قيمة العمل والمشاركة.. ينشر الإدراك الواعى لقيم الإسلام ومبادئه وتعاليمه.. ويبصر بسماحته ونبذه للتطرف والإرهاب. خطاب دينى يقطع الطريق على محاولات الدس والوقيعة بين مسلمى مصر وأقباطها، ويحفظ لمصر استقرارها وسلامها الاجتماعى ووحدتها الوطنية.

أقول للدعاة الأجلاء.. من رجال الدين وعلمائه.. إنكم تتحملون مسئولية كبرى. علموا الناس ما ينفعهم.. وأعينوا الشباب على المشاركة فى حركة الحياة والاجتهاد فى خدمة الوطن. اجعلوا من تعاليم الدين وقيمه ومبادئه سلوك حياة.. اشرحوا لشبابنا أن الشريعة السمحاء قد حرمت إراقة دماء الأبرياء.. واستهداف الآمنين وترويعهم. ذكروهم دائماً بأن الدين لله والوطن للجميع.. وبأن أحداً لا يملك حق الزعم باحتكار الدين، وما من جماعة تملك الزعم بأفضلية خاصة أو مرتبة أعلى.. أو تنصيب أفراد بعينهم أوصياء على الدين، أو متحدثين باسمه نيابة عن جموع المؤمنين.

روح الإسلام

إننا مقبلون على مرحلة جديدة.. نستكمل خلالها ما حققناه معاً خلال السنوات الماضية.. ونحقق بها طموحاتنا لمستقبل أفضل. ونحن عندما نتحدث عن أهدافنا فى هذه المرحلة على طريق الديمقراطية والإصلاح والتحديث.. فإننا إنما نقول لأنفسنا وللعالم.. هذه بضاعتنا ردت إلينا. فتلك هى روح الإسلام الحقة وما يدعونا إليه ديننا الحنيف.. ندين به لأنفسنا ولشعوبنا، ونمضى على طريقه موقنين بأننا أصحاب حضارة عريقة، وأبناء منطقة هى مهد الديانات السماوية التى أنارت للعالم طريقه ولا تزال.

سوف نمضى فى المرحلة الجديدة المقبلة بعون الله وتوفيقه.. نواجه تحدياتها ونحقق طموحاتها. نتمسك بهويتنا وخصوصياتنا العربية والإسلامية.. وننفتح فى ذات الوقت على عالم لا نملك الانعزال عنه.. ندافع عن مصالح وطننا وأبنائنا وقضايا أمتنا.. نستلهم مبادئ الإسلام وتعاليمه وسماحته.. ونحاصر منابع الإرهاب والتطرف أياً كانت.. ننشد الخير للجميع فى عالم مستقر آمن.. يسعى للبحث عن قيم ومبادئ مشتركة.. ومستقبل مشترك.. وعلاقات دولية تتأسس على الحوار والتكافؤ والتعاون والاحترام المتبادل.

ندعوا الله فى هذه الليلة المباركة.. أن يوفقنا فى توحيد كلمتنا وجمع شملنا، وأن يسدد خطانا ويهدينا لما فيه خير مصر وأمتها العربية والإسلامية إنه سميع مجيب الدعوات.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

كلمة فضيلة الإمام الأكبر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى



وألقى فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر كلمة فى الاحتفال بليلة القدر.. قال:

إنه فى الأوقات الفاضلة يحلو الكلام عن الدعاء.. ونحن الآن فى العشر الأواخر من شهر رمضان فى الليالى التى تلتمس فيها ليلة القدر، والتى تتنزل فيها الملائكة لكى تدعو للمؤمنين وقد أمر الله عز وجل عباده بأن يكثروا من التضرع إليه بالدعاء، ومن آداب الدعاء ألا يتعجل الانسان الإجابة فأنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد:

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾

والدعاء متى صدر من لسان صادق ومن قلب طاهر ومن نفس نقية ومن مشاعر تبتعد عن الحرام وتلتزم الحلال يكون أهلا للإجابة ومن تلك النماذج دعاء سيدنا ابراهيم الذى دعا الله سبحانه وتعالى بقوله:

﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾

فأجاب الله دعاءه.

إن الدعاء يكون بعيدا عن الإجابة إذا ولغ الإنسان فى الحرام، عن طريق الرشوة أو عن أى طريق من الطرق التى حرمها الله عز وجل، ولذلك قال بعض الصحابة للنبى ﷺ: «يا رسول الله ادعو الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة، فقال له النبى ﷺ: «يا فلان أخلص العبادة لخالقك وأطب مطعمك» بمعنى أن يحافظ الانسان على أن يكون الأكل من حلال والمشرب من حلال والملبس من حلال، وابن حياتك على الحلال، هنا تستجاب دعوتك، وهكذا بين لنا سيدنا رسول الله ﷺ أننا فى هذه الأيام المباركة نتضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن يديم على مصر وعلى شقيقاتها وعلى العالم أجمع نعمة الأمان ونعمة السلام، ونعمة الرخاء ونعمة الاطمئنان، وأن يديم على أبناء مصر من مسلمين ومن مسيحيين نعمة المحبة ونعمة التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وأن يديم على مصر هذه النعم وأن يجعلها دائما فى رخاء لا تمتد يدها إلا إلى خالقها عز وجل نسأله عز وجل أن يديم علينا جميعا هذه النعم.

كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور
محمود حمدى زقزوق
وزير الأوقاف

وأكد الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف أن الاعتزاز بالوطن وحبه ينبغى أن يترجم إلى أفعال علي أرض الواقع فالوطن بحاجه إلى كل العقول والسواعد التى تبنى وتعمر وتجمع القلوب والعقول على مافيه مصلحة البلاد.

وقال: إن الدعوة إلى تجديد الخطاب الدينى ترتكز على أساس من القيم الإسلامية الدافعة إلى تقدم المجتمع والتى تواكب متغيرات العصر.

وأضاف: إن رمضان شهر الروحانيات والتقرب إلى الله والروحانيات تعد عنصراً أساسيا فى تكوين كل إنسان. وهذا أمر يؤكده تاريخ الحضارات التى صنعها الإنسان على مدى تاريخ البشرية. فقد كان الدين



دائما أحد المكونات الأساسية لكل الحضارات، والإيمان ـ الذى هو تعبير عن الدين ـ يعد فطرة أصلية فى أعماق النفس الإنسانية، وهذا يعطى أن الإنسان متدين بطبعه كما تشير إلى ذلك الآية الكريمة:

﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ ومن أجل ذلك فإن الوقوف بالإنسان عند عالم المادة فقط يعد قصورا فى فهم طبيعة الإنسان وتكوينه.

الإيمان والأمل

وقال الوزير: وإذا كان شهر الصوم يلفت نظر الإنسان وعقله إلى هذا الجانب المهم من طبيعته، ويؤكد صلته بالله خالق الكون الذى يفتح له دائما باب الأمل فى رحمته ورضوانه، فإن هذا ربما يفسر لنا سر ارتباط الإيمان بالأمل. فالمؤمن لايمكن أن ييأس أو يتسرب القلق إلى نفسه أو الشك إلى قلبه.

إن الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني ـ الذى هو قضية مستمرة ومتواصلة ـ ترتكز على أساس من القيم الإسلامية الدافعة إلى تقدم المجتمع والتى تواكب متغيرات العصر، وهى دعوة ترمى ـ من بين ما تسعى اليه ـ إلى تأكيد قيمة الأمل فى النفوس حتى ينطلق الجميع مقبلين على الحياة والعمل والإنتاج من أجل خير هذا الوطن الذى نعتز جميعا بالانتماء إليه. وهذا الاعتزاز ينبغى أن يترجم إلى أفعال على أرض الواقع. فالوطن فى حاجة إلى كل العقول والسواعد التى تبنى وتعمر، وتجمع القلوب والعقول على ما فيه مصلحة البلاد.

وأكد وزير الأوقاف أن الشعب وضع فى الرئيس مبارك ثقته التامة ليبنى معه مستقبل هذا الوطن بعزم أكيد وإصرار لا يعرف التردد أو اليأس.

وكلنا أمل فى مستقبل مشرق قد بزغت شمسه بالفعل وبدأت نسمات صبحه تنعش النفوس بالآمال الكبار.

وقال: إننا إذ نحتفل بليلة القدر فإننا نحتفل فى الوقت نفسه بالقرآن الكريم الذى أنزل فى هذه الليلة المباركة ليكون منهاج حياة المسلمين. وقد حرص المسلمون منذ نزول القرآن على العناية به وحفظه فى الصدور. ومصر التى احتضنت الأزهر الشريف منذ أكثر من ألف عام حرصت على العناية بالقرآن الكريم وحفظه وتدريس علومه حتى أصبحت لها الريادة فى عالمنا الإسلامى فى الحفاظ على الدين الحنيف بعيدا عن المذهبيات الضيقة والتعصبات الزائفة.

واستمرارا لهذه المسيرة تقيم مصر كل عام مسابقة عالمية فى حفظ القرآن الكريم وإدراك معانيه تحت رعاية كريمة من الرئيس

مبارك إيمانا منه بمدى أهمية تنشئة الأجيال الجديدة على تربية دينية واعية ترسخ قيم التسامح والاعتدال والوسطية.

وأضاف أنه تقدم لمسابقة هذا العام متسابقون من خمس وستين دولة، ويشرف الفائزون بتسلم جوائزهم من الرئيس تشجيعا لهم على الاستمرار فى التعمق فى علوم القرآن بصفة خاصة وعلوم الدين بصفة عامة ليكونوا منارات هداية وقدوة لغيرهم من الأجيال.

جائزة مبارك للدراسات الإسلامية

وأكد أنه من المآثر العظيمة التى تسجل للرئيس مبارك فى هذه المناسبة الكريمة موافقته على إنشاء جائزة مبارك للدراسات الإسلامية ولا شك فى أن هذه الجائزة تمثل حافزا قويا ودعما كبيرا لمسيرة البحث فى الدراسات الإسلامية والسير بها نحو التجديد الذى يتفق مع المبادىء الإسلامية من ناحية، ومتغيرات العصر ومعطياته من ناحية أخرى. وقد كان موضوع الجائزة هذا العام «الموقف الإسلامى من دعوى صدام الحضارات» وقد أقرت اللجنة الدائمة للجائزة منح الجائزة هذا العام وقدرها مائة ألف جنيه مناصفة بين أستاذين فاضلين يشرفان بتسلم جائزتيهما من الرئيس وسيكون موضوع جائزة العام القادم إن شاء الله عن «الموقف الإسلامى من العولمة».

وقال: إن وزارة الأوقاف ـ التى تتحمل مسئولية التوعية الدينية الصحيحة فى داخل مصر ـ تقوم بدور مهم فى التعريف بالإسلام فى الخارج، وتدرك تماما أن أمن هذا الوطن واستقراره مرهون بالوعى الدينى السليم البعيد عن كل الوان التعصب والتطرف وما يترتب عليهما من إرهاب وترويع للآمنين. وتتعاون الوزارة فى هذا الصدد تعاونا لا حدود له مع الأزهر الشريف ـ قلعة الإسلام الحصينة ـ ومع دار الإفتاء المصرية. والدعاة فى مصر واعون بمسئولياتهم، مدركون لمهمتهم والوزارة ـ التى تشرف على أكثر من ثلاثة وتسعين ألف مسجد وزاوية ـ قادرة بإذن الله على الوفاء بمتطلبات هذه المرحلة التى تعيشها مصرنا العزيزة.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

المشرف العام

الشيخ / إبراهيم عطا الفيومى

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً - الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً

أوربا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

☎ ت: ٢٦٣٨٥٩٩

شوال ١٤٢٦هـ - نوفمبر ٢٠٠٥م - الجزء العاشر - السنة الثامنة والسبعون



افتتاحية العدد

رحلات محمد عبده إلى أوربا

تعددت اتجاهات محمد عبده الفكرية وكلها تهدف إلى النهوض بالأمة الإسلامية بعامة، والأمة المصرية بخاصة، لذلك انفرد بين لداته من علماء الأزهر باتجاه عصرى جديدة، لأنه بتأثير أستاذه جمال الدين الأفغانى حين تصدر للتدريس بالجامع الأزهر لم يدرس العلوم الذائعة بين الأزهريين فى عصره كالنحو والفقه والتفسير والحديث، مع إجادته إياها إجادة تامة ولكنه درس كتبا فى الأخلاق لم تكن معروفة للطلاب من قبل مثل كتاب «تهذيب الأخلاق» لابن مسكويه، بل زاد فاختار كتبا أجنبية أحدها كتاب تاريخ المدنية فى أوروبا لمؤلفه الفرنسى «فرانسوا جيزو»، وقد نقله إلى العربية كاتب سورى هو حنين نعمة الله الخورى، ولقوة شخصيته، وسعة اطلاعه، وفصاحة لسانه، لم يعترض أحد من الطلاب عليه، بل زادوا إقبالا على درسه، أما الذين اعترضوا فهم بعض الشيوخ الذين لم يقرءوا الكتاب وكان كل ما قالوه فى نقده إنه وأمثاله مما لم تجر به العادة فى الأزهر.

وحين انتقل إلى التدريس فى دار العلوم، واختيرت له مادة التاريخ، لم يقرأ ما ألفه زملاؤه من نقول عن الطبرى وابن الأثير بل اختار مقدمة ابن خلدون، وهى فى فلسفة التاريخ، ولم تكن فى التاريخ نفسه وقد فتح بهذا مجالا واسعا للتفكير الحر، والنقد المعتدل لما يوجب النقد، كما جعل الأحداث ذات أسباب وعلل، ترجع إليها، وقد قال الأستاذ أحمد أمين: إن الشيخ محمد عبده ألّف كتابا للطلاب سماه «علم الاجتماع والعمران» قد نسخوه بأيديهم فى الدرس ولم يُعثر عليه بين مؤلفاته، والظاهر أنه كان ينوى مراجعته علميا قبل الطبع فلم تسمح ظروفه حيث انتقل إلى رئاسة تحرير الوقائع المصرية فكانت ذات فتح جديد فى الصحافة المصرية، إذ لم يكتف بنشر القرارات الرسمية كما كان شأنها من قبل، بل فتحت مجالا للبحوث العلمية والمقالات الأدبية، كما جعلت تنقد ما يخالف العدالة من قرارات يصدرها الوزراء وحكام الأقاليم، وقد ثار على إبراهيم باشا ناظر المعارف إذ ذاك على الشيخ محمد عبده واتجه بالشكوى إلى رياض باشا ناظر النظار فقال له: «عليك أن تقرأ ما تنقده الجريدة فإن كان صحيحا فيجب أن تُصحح الخطأ، وإن كان غير صحيح فاكتب ما يدلّ على ذلك والجريدة ملزمة بنشره



وهكذا كان رياض عَضُدا للأستاذ الإمام فى اتجاهه السديد.

وكان جمال الدين دائم الذكر لتلاميذه وأظهرهم محمد عبده للنظم الأوروبية التى تُحدد سلطة الحاكم، وتتقيد بدستور واجب النفاذ، لأن انجلترا وفرنسا وغيرهما تلتزم العدالة فى بلادها، وتسير وفق قوانين صارمة لا مجال للنزاع عليها فدفع تلاميذه إلى دراسة ما نقل إلى العربية من هذه القوانين، وقد ترجم الكاتب المعروف أديب إسحق كثيرا منها، ونشر فصولا عنها فى مجلتين كان يشرف على تحريرهما، فقرأ محمد عبده ما وقع فى يده من هذه القوانين، وتمنى أن يكون فى مصر هذا الالتزام الصارم بتعاليم الإسلام وقوانينه التى تنشد العدالة، وقد أهملها الحاكمون، وغفل عنها من أكثروا من دروس العبادات فى الأزهر وكأنها كل شىء فى الفقه الإسلامى، مع أن الشريعة الإسلامية حددت العلاقة بين الحاكم والمحكوم ونادت بالشورى وأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر، ودِراستها فى هذه النواحى تُضىءُ الطريق للأمة الإسلامية المكبلة بالأغلال.

الثورة العرابية

وحين انتهت الثورة العرابية إلى خاتمتها الأليمة كان مما أمض قلب محمد عبده أن الخيانة الدنيئة قد كانت أقوى أسباب هذا الإخفاق، وأن الأيام قد كشفت نفوسا مريضة لم تعرف معنى الشرف، فحالفت العدوَّ طمعا فى مجد زائف، وأن مثل محمد سلطان فى ماله وعقاره قد خضع لذهب المحتل، وجعله وسيلة إغراء للضعفاء فبعث من يفرقه على الدهماء ليكونوا عون المحتل الغاصب، لم يأسف محمد عبده لخاتمة الثورة كما أسف لخيانة الأوغاد، ومنهم أصدقاؤه الذين صافاهم الود، ومهد لهم طريق الجاه والحظوة وظنّهم على شىء من الكرامة، فكانوا حربا عليه يَدُسّون ويختلقون ويشهدون بالزور الصريح، ولو وقفوا موقف الحياد ما كان لهم هذا التأثير الممضّ فى نفسه، والرجل الكريم يعض شفته نادما على بَذْر زرعه فى أرضٍ سبخة فأتى حصيدهُ بالعلقم المرير، ثم حُكم عليه بالنفى ثلاث سنوات إلى بيروت بعد أن ذاق مرارة السجن المهين، وكان ينتظر من أوليائه من قبل أن يكونوا معه فكانوا حربا عليه، وهو بعدُ أديب حساس طغت شجونه فى صدره فرأى أن ينفّس عن مكنونه فى خطاب حارّ أرسله إلى بعض أصدقائه وكان أسلوبه من الاشتعال والالتهاب بحيث كادت حروفه تحرقُ الورق لما تحمل من الزفرات، وأنقل بعض ما تحدث به عن وغْد من الأوغاد قابل معروفه بالجحود، وتلاهُ غيره وغيره ممن اختلقوا عليه ما لم يفعل وأنطقوه بما لم يقُل، فقال فيما قال عنهم:

«ما لهؤلاء القوم كأنما قُذف بهم من شاهق جبل، فسقطوا على رءوسهم، ما بالهم يقذفون من أفواههم أخلاطا أقذر من البلغم وأمَرّ من الصفراء، وكأنما جرعوا جرعة من السقم فقلبت أمعاءهم، واستقرت فى حلاقيمهم فقالوا ما قالوه! هل أتأسف أن كنتُ سبّاقا إلى الخيرات، هل أتأسف أن كنتُ شجاعا فى الدفاع عن ذوى مودّتى، هل أستحق العقاب على حُبّى لبلادى والناسُ لها كارهون».



العـــروة الوثقـــى



الأفغانى

على هذا الحال من الحزن الفاجع واليأس القاتل ذهب الإمام إلى منفاه، فى بيروت، ولكنّ إيمانه قد شدّ من أزره وشجاعته وجدت سبيلها إلى قلبه، فصّمم على الكفاح العلمّى، وعرف اللبنانيون فضله وعلمه، فصار مُدرّسا بالمدرسة السلطانية، وعزم على أن ينشىء فى كل مكان يحل به نفوسا تتطلعُ إلى المجد، عن طريق التربية والتعليم، وبدأ بتدريس كتب لم تكن معروفة للقوم فى فصول الدراسة واجتهد فى البيان والتبيين، حتى أصبح درسه مُلتقى الأنظار، وتزاحم عليه الناس كبارا وصغارا، وقد شرح فيما شرح كتاب نهج البلاغة للإمام على- كرم الله وجهه، وقرأ دروسا فى الأدب والأخلاق والتاريخ، وجعلت الصحف إذ ذاك تنقل شذرات من دروسه، وكأنها بحوث علمية يجب أن تذاع ولم يكن فى الوقت نفسه لاهيا عن مآسى الوطن العربى بخاصة والوطن الإسلامى بعامة، إذ أنشأ مع أستاذه جمال الدين جمعية العروة الوثقى وجعلا يختاران لها من الشرفاء فى مصر والهند وإيران وتركيا والشام من يثقون فى إخلاصهم، ويتوقُّون إلى إنقاذ الأمة الإسلامية من براثن الاستعمار! ثم رأى جمال الدين الأفغانى بباريس أن جمعية العروة الوثقى فى حاجة إلى مجلة تنطق بأهدافها وتجمعُ المسلمين على كلمة سواء، وأنّ أعضاء الجمعية الذين رحبوا بدعوته لن يصبحوا قوة مؤثرة إلاّ إذا اتصلوا اتصالا دائما بأفكار جمال الدين وتلميذه، وهُنا أرسل إلى محمد عبده كى يُغادر بيروت إلى باريس، فيعمل كلاهما على إصدار مجلة العروة الوثقى لتكون معجزة الإنقاذ حين تبعث الأمل وتحيى الرجاء! مجلة لها حجرة صغيرة بأعلى منزل متواضع فى شارع متواضع بباريس، ولكن هذه الحجرة المحدودة كانت بمنزلة سفارة كبرى للعالم الإسلامى فى بلاد الغرب جميعها، إذ ما ذاع العدد الأول منها، وأُرسل إلى أعضاء الجمعية فى شتى ربوع الإسلام، حتى وفد إليها من الزائرين من يهتم بأحوال العالم الإسلامى صديقا أو عدوّا، فالصديق يؤازر ويعاضد ويقدّم ما يملك من النصيحة ويجمع من التبرعات، والعدّو يكتشف ما خلفها من البواعث، ويشتعل غيظا فى أطوائه حين يرى لوامع الفجر تؤذن بنور الصباح!.

ولم يكن للمجلة من هيئة التحرير غير جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده، ومحمد ميرزا باقر وهو فارسى يجيد الإنجليزية وينقل إلى جريدة العروة الوثقى ما يهم من الأنباء مما تنشره الصحف الإنجليزية بشأن العالم الإسلامى، وقد أحكم الأستاذ وتلميذُه الخطة الناجحة فى ذيوع الجريدة إذ كان لها مراسلون يذهبون بالأعداد إلى الأقطار المختلفة مزودين بتعاليم جمال الدين حتى كان فى موسكو نفسها من يعضد الجريدة، ويرسلها إلى مسلمى القوقاز والداغستان والقرم وسائر البلاد التى يحكمها قيصر الروس، وقد سافر محمد عبده نفسه إلى تونس والجزائر والمغرب ومرّ بمصر متخفيا فى طريقه إلى بيروت، إذ حُكم عليه بالنّفى منها، ولك أن تعجب للوطنى الحر الباسل يُذاد عن موطنه، والخونة الأوغاد يتبوءون أكبر المناصب، ويتمتعون بالجاه



والحظوة، ولكنها مصر التى قال فيها الشاعر الكبير الأستاذ أحمد محرم:

بأرض تَتْرُكُ الآسادَ صرعى لَتستبقى الثعالب والكلاب!

أما خطة الجريدة فقد أوضحها محمد عبده فى المقال الافتتاحى المنشور بالعدد الأول من الجريدة حيث أعلن أنها ستكون فى خدمة الشرقيين، فتبين مكامن الضعف، وتوضح السبيل إلى تدارك ما فات، وتبين الأسباب والعلل التى أدت إلى الانحدار، وتكشف الغطاء عن الشُبه المميتة التى أدت إلى اليأس من الوصول إلى إنقاذ المريض من دائه العضال، وتُعلن أن المسافة التى يجب أن نقطعها ليست من الطول بحيث يتعاظمها اليائسون بل هى سلهة المنال، بالعمل الحازم، والسعى الجازم، ويكفى أن نبدأ فى السير خطوة خطوة ليهون العسير كما يجب التمسك بالأصول الصحيحة التى سنها الدين الإسلامى فى قرآنه وأحاديث نبيه ﷺ لتكون نبراسا هاديا فى مدلهم الأحداث، وأولُها إعداد القوة الباسلة لمواجهة الأعداء، إذ لابد من التكافؤ فى المقدرة الذاتية والمكتسبة ليعرف المستعمرون أن الأمر جدّ وما هو بالهزل، لأن القوىّ المتكبر يبتلع الضعيف عيانا دون حياء، وإن خدعه بمعسول الأباطيل، كما على الجريدة أن تهتم بما يفتريه المغرضون عن الإسلام ورميه بالجمود، وادّعائهم أنه علّة التأخر الذى انتهت إليه أمم الإسلام، وأنه لا سبيل إلى الخلاص إلا بالنزوع عن تعاليمه والارتماء فى أحضان الأعداء، والعدُّو هو العدو يريد الخير لنفسه وحده، ويبغى لمنازله سوء المصير، وقد بلغ الأستاذ منتهى الروعة حين قال «إن الجريدة ستتبعُ سير الداعين إليها، فلا تظهر إذا أدلجو، ولا تُنجدُ إذا أغوروا، وهو معنى دقيق يُحتم وحدة الصف، ويرسم الهدف دون اختلاف فى الزمان والمكان، فلن تكون فى الظهيرة إذا كان دعاتها فى شتى البلاد يدلجون فى المساء، ولن تصعد إلى النجد إذا سلكوا سبيل الغور، لأن الاتحاد قوة، وسبيل الرشد واضح يهتدى إليه ذوو البصائر، أما المغرضون فهم فى غيهم يعمهون، كما طمأن الأستاذ قراءه أن الجريدة فى سيرها سترعى تقوية الصلات الحميمة بين الأمم المختلفة، وتأييد المنافع المشتركة بينها، والسياسات القومية المعتدلة التى لا تميل إلى الحيف والإجحاف بحقوق الشرقيين، كما لا تهن فى إيضاح غوامض السياسات المغرضة ليكون الشرقيون على بيّنة مما يُحاك فى الظلام، وقد فتحت أبواب الأمل، وبشرت بالمستقبل الوضىء، كما أكد الأستاذ الإمام أن النفوس الإنسانية وإن بلغت من فساد الطبع ما بلغت لن تحتمل الضّيم إلا إلى حدّ، ثم تكرّ النفوس إلى قواها فتلتمس الخلاص وربما تخطئ مرة فتكون عليها الدائرة، ولكن ما يصيبها من الخطأ يُلهمها تدارك ما فات، والاحتراس من الوقوع فى مثله فتصيب فى الكرة التالية ويتم لها النصر والغلبة.

وقد فزعت الجرائد الاستعمارية فى انجلترا وفرنسا من تأثير الجريدة الشديد، وأدركت خطرها القوىّ على بقاء الاستعمار، وسعت انجلترا سعيا حثيثا إلى مصادرتها فى مصر والهند، مما عبرت عنه العروة الوثقى حين قالت فى العدد التاسع:

«انعقد مجلس النظار المصرى فى القاهرة، واهتم بالبحث عن العروة الوثقى، ثم صدر قراره إلى نظارة



الداخلية بأن تشتد فى منع الجريدة من دخول الأقطار المصرية، وعلى إدارة البوسطة «البريد» أن تُراعى الدقة فى ذلك وأن كل من توجد عنده العروة الوثقى سيغرم مبلغا من خمسة جنيهات إلى خمسة وعشرين جنيها، ونحن لا نظن أن أحدا من النظار له رأى اختيارى فى هذا القرار ولا أن مصريا يسكن هذه البلاد يرى فيه جانبا من العدل غير أننا نعلن أن همم الرجال لا تُقعدها أمثال هذه المظالم، وليس يُعجزنا وصول هذه الجريدة فى كل بقعة تحوطها السلطة الإنجليزية الظالمة».

محمد عبده فى لندن

وقد ظهر أن العدد الواحد من العروة كان إذا وُجد مع إنسان، تهافت القراء على نسخ صور منه باليد، وإذاعته على أوسع مدى يطاق؛ وهذا ما لم يحدث لجريدة من قبل! ولم يحدث من بعد، وقد رأت الحكومة الإنجليزية أن تتصل بالشيخ محمد عبده بعد أن وَسَّطت من يقوم بدعوته إلى لندن، وهذا اعتراف واضح بتأثير العروة الوثقى ومحاولة استعمارية لجس النبض مع إغراء بالوعود الكاذبة، ولم يرفض الإمام هذه الدعوة بل رآها سبيلا إلى إيضاح وجهة النظر الإسلامية لمن بيدهم الأمر فى شئون المسلمين بمصر والهند، ودار نقاش سياسى، كان فى رأيى أوَّل مفاوضة دبلوماسية بين مصر وانجلترا، والذين يؤلفون الآن تاريخ المفاوضات السياسية بين مصر وانجلترا يتجاهلون موقف الإمام الرائد، ويقصرون الحديث على رجال السياسة من النواب الرسميين، وهم بذلك يفرطون فى حق التاريخ، لأن الوثائق السياسية فى وزارة الخارجية بلندن قد حفظت ما دار بين الإمام وسياسيى انجلترا، وسجلته فى صحائفها، كما أذاعت الصحف الإنجليزية كل ما دار فى حرية تامة، لم تتح للجرائد المصرية حينئذ! وهذا من عجائب التناقضات! بل إن الصحف الفرنسية فى باريس قد نقلت عن الصحف الإنجليزية كل ما دار، وبعضها حبذ موقف الإمام، وأعلن إعجابه بصراحته، وقوة منطقه، وبعض آخر خشى تأثير الحديث على مستقبل المستعمرات الفرنسية، فحاول تأييد وجهة النظر الإنجليزية! وهو تأييد مفضوح، لأن الحق لا يمترى فيه غير متعسف لجوج!

وكان المستر بلانت صديق مصر الحميم بمواقفه المشهودة من الثورة العرابية، ودفاعه عن استقلال مصر، ورفضه الاحتلال الغاشم قد توثقت صلته بجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده، وكان عاملاً قويا فى نجاح العُروة الوثقى حيثُ شارك فى رسم سياستها كما يبدو جليا من رسائله للإمام، واستجابة محمد عبده لاقتراحاته الهادفة، كان هذا الرجل المخلص رفيق محمد عبده فى رحلته الإنجليزية، حيث نزل لندن دون أن يعرف أحدا سواه، وقد صحبه فى أول زيارة لمجلس العموم البريطانى مؤملا أن يجدا رئيس المجلس، ولكنه كان متغيبا، فانتهزا الفرصة لمقابلة كثير من الأعضاء البارزين، ومنهم تشيشون الذى أقام حفلة عشاء للإمام، وقدمه للنواب باعتباره زعيما مصريا يسعى لاستعادة استقلال بلاده، وقد هاج حديث الإمام عن مآسى الاستعمار فى مصر نائبا إيرلنديا فقام بدوره ليتحدث عن بعض المواقف المُشابهة لانجلترا فى إيرلندا، وأصر بعض النواب على إطالة الحديث ليلموا بالموقف الدقيق فى مصر والسودان، إذ كانت الثورة المهدية



تشغل الأذهان هناك، وفى الختام قام أحد النواب فذكر أن المجلس شرُف بلقاء المتحدث المصرى الصريح.

وتحددت مواعيد أخرى للقاء المسئولين فى البرلمان، وأعيان السياسة الإنجليزية، وقد حاول المستر لابوتير أحد النواب البارزين أن يُقنع الأستاذ بأن المستر جلادستون رئيس الوزراء الإنجليزى يريد إجلاء القوات الإنجليزية عن مصر فى مدى قريب، ثم ابتدأ اقتراحه للإمام داعيا محمد عبده إلى العمل على امتناع الشعب المصرى عن دفع الضرائب للحكومة المصرية حتى تنكشف غُمة الاحتلال ورد الشيخ قائلاً: «إن رئيس الوزراء يكرر دائما أن الاحتلال سينقضى سترا لسياسته الاستعمارية أمام الرأى العام العالمى، ولكنه فى الوقت نفسه يرسل كتائب القوات الإنجليزية إلى مصر وكأنه يمهد لاحتلال دائم، هذا غير مئات الموظفين من الإنجليز الذين ملأ بهم الإدارت الوزارية فى شتى مرافق البلاد وإذن فالقول شيء والعمل شيء آخر.

وفى اليوم التالى قابل محمد عبده المستر تشرشل العضو البارز فى البرلمان قبل أن يتولى وزارة شئون الهند، بأيام فاستمع إلى شكوى محمد عبده عن مآسى الاحتلال، ووافقه دبلوماسيا على كل ما قال ثم وعد أن يرتب لقاء عاجلا للإمام مع رئيس الوزراء، وخرج الإمام بانطباع كريم نحو محدثه الكبير.

وقد نقلت الصحف الإنجليزية أحاديث شتى للإمام عن المسألة المصرية، كما تسميها هذه الصحف، وكانت هذه الأحاديث صريحة لا تحتمل اللبس، فقد هاجم محمد عبده الاحتلال مهاجمة سافرة، وقال لمن يحاولون تلبيس الحق بالباطل إن تعاطف الإنجليز مع المصريين الذى يذيعه بعض النواب أشبه بتعاطف الذئب مع الحمل قبل التهامه، وأن الشيء الوحيد الذى علمته انجلترا للمصريين هو أن يتحدوا ليكونوا صفا واحدا أمام الاحتلال.

وقد وجه إليه محرر صحيفة «بال مال جازيت» سؤالا ظنه مبعث إحراج للرجل الصريح، فسأله عن رأيه فى الخديو توفيق ومنحاه السياسى الذى يخالف اتجاه الإمام، فردَّ محمد عبده فى قوة: «إن أكبر خطأ ارتكبهُ توفيق هو السماح للإنجليز بدخول البلاد، والانضمام إليهم، أثناء الحرب الوطنية الشريفة، ومن المستحيل أن يكنَّ له المصريون أدنى احترام، وإننا بصراحة لا نريد أن نرى خونة بوجوه مصرية، وقلوب إنجليزية» وكانت هذه الإجابة مصدر فزع لتوفيق، حيث صمم على امتداد نفى الإمام عن مصر بعد انتهاء مدته المقررة، ولولا تدخل كرومر فى رجوعه لما سمح له بالعودة مكرها فيما بعد.

موقف مع وزير حربية انجلترا

وإذا اتسمت اللقاءاتُ السابقة بالكياسة والمرونة من الجانب الإنجليزى، فإن لقاء الإمام باللورد هرتنكتون وزير الحربية الإنجليزية قد صاحبه جفاف شديد تجاوز الصراحة اللبقة إلى الهجوم الذى يُغفل حساب المشاعر الإنسانية، وكانت نظرة الوزير متعالية وكأنه ينظر من شاهق مرتفع يجلس عليه فى وزارة



الحربية مُهونًا من شأن الشرق والشرقيين فى مصر والهند، فقد جَابَهَ الإمام بقوله مفتتحا الحديث: «ألا يرضى المصريون أن يكونوا فى أمن وراحة تحت السلطة الإنجليزية، وألا يعلموا أن حكومتنا خير لهم من حكومة الأتراك؟!».

فسارع الشيخ يرد عليه قائلاً: «إن المصريين عرب، وأكثرهم مسلمون. وفيهم من يحبون أوطانهم كما يحب الشعب الإنجليزى وطنه، فلا يخطر لأحدهم أن يميل إلى سلطة من يخالفه فى الجنس والدين. ولا يصح للورد وهو على علم بطبائع الأمم أن يتصور هذا الميل على الإطلاق!».

فقال الوزير: «هل تنكر أن الجهالة عامة فى الشعب المصرى، وأن الكافة لا تفرق بين الحاكم المصرى، والحاكم الأجنبى، وما ذكرته من النفرة من سلطة الأجانب يكون فى الأمم المهذبة».

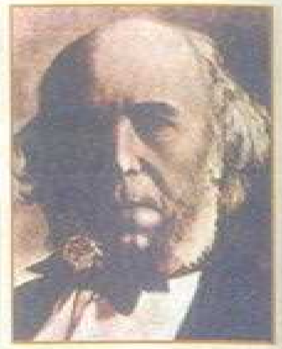
فاحتد الشيخ قائلا: «إن النفرة من ولاية الأجنبى، ونبذ الطبع لسلطانه مما أُودع فى فطرة البشر، وليس يحتاج للدرس والمطالعة.. وهو شعور إنسانى ظهرت قوته فى أشد الأمم توحشا مثل الزولو الذين لم تنسوا ما كابدتموه منهم فى الدفاع عن أوطانهم، والمسلمون مهما كانوا لا يصلون إلى الدرجة التى يتصورها الوزير، فالأُميون منهم ومن لا يقرأون ويكتبون، لا يفوتهم العلم بضروريات الدين، وأولهما ألا يدينوا لمخالفهم فيه، وأن أرض مصر منذ عهد محمد على قد انتشرت فيها العلوم والآداب الحديثة على نحو ما هو موجود فى بلاد أوروبا، والأخبار السياسية يفهمها الأمى مَمن يقرأ الجرائد، وبذلك نشأ عندهم الشعور الوطنى مضافاً إلى الشعور الطبيعى. ولا أظن المصريين يخالفون فى ذلك سائر الأمم».

وقد كتب الإمام تعليقاً على هذا الحديث فى جريدة العروة الوثقى يقول فيه: «هذا وزير الحربية الإنجليزى يظن أن الجهل يبلغ من المسلمين إلى حد أن سُلب عنهم الشعور الإنسانى، وأنهم فى حضيض الجهل لا يُميزون بين القريب والغريب، وهذا دليل على أنه ومن على شاكلته يظنون أن الأمم الشرقية بعامة والأمة المصرية بخاصة، فى درجة الحيوانات السائمة لا تتألم إلا بين الجوع والعطش وليس لها من الأحاسيس إلا نوع من الانفعالات البدائية، ولا تعرف من شئونها إلا ما تقوم به حياتها الحيوانية فتألف راكبها الذى يستخدمها فى الأعمال الشاقة، مادام يقدّم لها الطعام والشراب، فإذا كانت هذه عقيدة رجال الحكومة الإنجليزية فى الأمم التى تتسلطون عليها، فأى معاملة تكون منهم لها؟ ألا يعاملونهم معاملة العجماوات والحيوانات الرتع، كما يفعلون الآن بالهند، وساء ما يفعلون!».

لقد كان ذيوع الحديث بين وزير الحربية والإمام فى العالم العربى والإسلامى على صفحات العُروة الوثقى كشفاً للنقاب عن البواعث الدافعة لاحتلال الشرق ونهب ثرواته، ومَحو ما يزعمون من إشاعة التقدم الحضارى، لأن احتقار الإنسانية البشرية إلى هذا الحد لا يوحى بخير يرجى من أصحاب هذا الشعور البغيض، وقد أساء اللورد هرتنكتون إلى نفسه قبل أن يُسيء إلى وطنه، لأنه رسم صورة السياسى الإنجليزى الذى لا يرى غير نفسه، والذى يضع نفسه فى مستوى لا تؤيده غير أفعال الانجليزى الاستعمارية فى نهب الثروات، واستغلال العزل والمسالمين فى أشق الأعمال، دون رحمة كى يسرقوا مناجم الخير فى أفريقيا وآسيا دون حياء!



العلوم الطبيعية أساس التقدم الحضارى



هربرت سبنسر

وإذا كان محمد عبده يستنكر العدوان الانجليزى على الشعوب الآمنة، ويشعر بمضيض الألم حين يذكر تغطرس من حادثهم من رجال السياسة، واستعلاءهم البغيض، فإنه فى الوقت ذاته يعترف بفضل ذوى النباهة من مفكرى انجلترا، ويقرأ ما تُرجم من كتبهم الهادفة فى تقدير حقيقى لثمار الفكر الإنسانى الرفيع، وقد ترجم عن الفرنسية كتاباً فى التربية للفيلسوف الإنجليزى الشهير هربرت سبنسر إذ أعجبته نزعته العلمية فى تربية النشء على أصول من الفكر الدقيق، وأقنعته دعوته المتكررة إلى أن تهتم المدرسة بالحياة العملية، ليكون التلميذ مؤهلا للاستقلال المادى فى حياته المستقبلية بعيداً عن أسر الوظيفة الحكومية، واهتمامه الجاد بتدريس العلوم الطبيعية باعتبارها أساس التقدم الحضارى وإن خالفه فى زرايته الناقمة على الآداب الإنسانية وجهره بأن الدراسات الأدبية لا تفيد المجتمع الإنسانى فى شىء. بل تعوق الكثيرين عن الإمعان فى نظريات العلم المادى مع أن الدراسات الأدبية تفتح مغاليق النفس البشرية وتهيىء الناس إلى فهم الخوافى المستترة من المشاعر المتناقضة، والأحاسيس المتباينة. لذلك أصر الإمام على أن يزور إنجلترا قبل وفاة سبنسر بعام واحد إذ جاءته الأنباء عن مرضه الذى سينتهى لا محالة برحيله، فدفعه الشوق العلمى إلى محادثته، ويقول المستر بلانت انه حين علم هذه الرغبة الأكيدة لدى محمد عبده أنبأه بأن أكبر مفكر مصرى قد ترجم كتابه إلى العربية وأنه أكبر عالم إسلامى فى الشرق، ويحب أن يَسعد بلقائه. وكان سبنسر قد امتنع عن الزيارات العلمية بمشورة أطبائه، ولكنه بعد محادثة بلانت لسكرتيره عن الزائر المصرى رحّب بلقائه، يقول بلانت: ولم يكن المرض قد أصاب عقله وإن حطّم جسمه فظل الفيلسوف محتفظا بدقة تفكيره، وكان صوته قويا، وقد تحدث مع الإمام فى شئون السياسة فنعى على الإنجليز اعتداءهم الظالم فى حرب الترنسفال وقال إن ذلك وصمة فى تاريخ الإنسانية. ثم انتقل إلى سؤال الإمام عن حقيقة الوجود فى الرأى الإسلامى، وقد سجل السيد محمد رشيد رضا هذه المحاورة الشائقة بما لا يخرج فى صميمه عما قاله المستر بلانت فى مذكراته، وكان الإمام لبقاً حين ذكر له أنّ علماء الإسلام ليسوا على رأى واحد فهناك أهل السنة، وهناك المعتزلة، وهناك المتصوفة من القائلين بوحدة الوجود، وقد استمع الفيلسوف بدقة إلى شرح الإمام. ثم قدم سكرتيره ليعلن أن الأطباء قد منعوا الفيلسوف الإنجليزى من الاسترسال فى الجدل نظراً لحالته الحرجة. فاستأذن الإمام. وقد ودّع بمظاهر التقدير من الفيلسوف الكبير، وقد تأثر محمد عبده بمجلس الرجل وكتب يقول فى مذكراته ببعض التصرف:

«لقد حركت كلمة الفيلسوف منى كل مشاعرى حين قال فى التنديد على انجلترا إزاء حرب الترنسفال «الحق الآن للقوة» لأن هذه الكلمة لو جاءت من غيره لأتت مقتولة ببرودة التقليد، فتكون جيفة تعافها النفس، ولكنها جاءت ملتهبة فأثارت حرارة وأحدثت وهجا، وغيرة من العلماء الذين اكتشفوا كثيراً مما يفيد راحة الناس يعجزون عن الحكم على هذه الأمور، فهؤلاء الذين





أحمد لطفى السيد

يصقلون المعادن حتى تتغير من حال إلى حال يعجزون عن فهم الطبيعة الإنسانية ولم يتيسر لهم أن يصقلوا تلك النفوس إذ فقدت لمعانها الروحى ! إن الرجوع إلى الدين هو الذى يكشف الطبيعة الإنسانية ، ولكنهم يتجاهلونه» وأسلوب الأستاذ المؤثر بانفعاله الصادق يغنى عن كل تعليق .

محمد عبده والثقافة الفرنسية

وقد تنبأ سبنسر فى مجلس الامام بحدوث حرب عالمية تدمّر الكون عن قريب . وقد مات سبنسر كما مات الأستاذ الإمام قبل أن تحدث هذه الحرب الهائلة فى سنة ١٩١٤ ، فكانت مصدر شر هائل ، ثم تلتها حرب أخرى سنة ١٩٣٩ ، كانت أشد هولاً وإزعاجاً ، ولا يعلم غير الله ما عسى أن يحدث بعد أن أصبح الحكم للقوة لا للحق ، فأكل القوى الضعيف .

وقد ذكر الأستاذ أحمد لطفى السيد فى حديث تاريخى نشره بمجلة الرسالة فى ١٥ / ٥ / ١٩٣٣ عن الإمام محمد عبده أنه فى سنة ١٨٩٧ قد زار جنيف ، والتحق بإحدى جامعاتها الحرة ليستمع إلى دروس فى الأدب يلقيها محاضر فرنسى عن فيكتور هوجو وآرائه المدوّنة فى كتاب (رُوى بلاس) وقد مهّد الأستاذ لطفى لذلك بقوله :

«كنت فى جنيف سنة ١٨٩٧ لغرض سياسى ، فانتهزت هذه الفرصة والتحقت بجامعتها لتلقى دروس فى الأدب والفلسفة أقامتها فى الصيف للحاصلين على درجة علمية ، وكان من المصريين معنا الإمام محمد عبده وقاسم أمين وسعد زغلول ، وكنا بعد الظهر نقرأ فى كتاب شهير للفيلسوف الفرنسى (تين) ومن العجب أننا كنا إذا التوت علينا عبارة فى الفهم كان الشيخ محمد عبده هو الذى يجلو غامضها مع أنه أقل علماً منا باللغة الفرنسية ، وقد انتسب معى إلى دروس الأدب بالجامعة وأقبل عليها فى جدّ ومثابرة ، وكان الأستاذ المحاضر يفتح باب المناقشة بعد الدروس ليبدى كل طالب رأيه فيخطىء أو يصيب ، ويُعقب الأستاذ بما يراه فى إجابة الطلاب ، وقد خرج الشيخ محمد عبده ، وهو شديد الإعجاب بما رأى وسمع . ثم قال : «إننا فى بلادنا لا نُعلّم هكذا» واعتزم أن يدخل هذه الطريقة فى دروسه بالأزهر .

مع تولستوى

ولم يكن الأدب الفرنسى وحده هو مجال الاهتمام من الإمام ، بل كان يقرأ فى الفرنسية كثيرا ممّا يُترجم فيها من الآداب العالمية ، وكان يهتم بأصحاب الفكر الإصلاحية فى السياسة والدين من كبار المؤلفين ، ومن أعظمهم فى رأيه الفيلسوف الروسى الشهير تولستوى ، وقد تابع الإمام آراءه الإصلاحية فى الدين والسياسة ، واتفق معه على كثير مما رآه ، وبخاصة فهمه لعقيدة التوحيد ، إذ جاء هذا الفهم مطابقا لما حكاه القرآن الكريم عن المسيح – عليه السلام– ولم يكن إعجاب الإمام بتولستوى صامتا أو مقتصراً على





سعد زغلول



تولستوى



قاسم أمين

ما أذاعه عنه فى دروسه ، بل رأى أن يكتب إليه شخصيا ، مُعبراً عن سُروره الخالص بما يقرره من الآراء الصحيحة . ذات النظر البعيد . وقد سجل المؤرخ الكبير الأستاذ محمود الخفيف فى كتابه القيم الخاص بتولستوى ، نصّ الكتاب الذى أرسله الإمام للأديب الروسى وهو يغنى عن كل تعليق إذ قال فى وضوح منير :

«أيها الحكيم الجليل ، لم نحظ بمعرفة شخصيتك ، ولكننا لم نحرم التعاون مع روحك ، إذ سطع علينا نور أفكارك وأشرقت فى آفاقنا شموس من آرائك . ألفت بين نفوس الفضلاء ونفسك . فقد هداك الله إلى معرفة سر الفطرة التى فُطر الناس عليها ، ووفقك إلى الغاية التى هُدى البشر إليها ، فأدركت أن الإنسان جاء إلى هذا الوجود لينبت بالعلم ، ويثمر بالعمل ، ولأن تكون ثمرته تعباً يرتاح به فى نفسه ، وسعيا يبقى به ويُرقى جنسه ، وشعرت بالشقاء الذى نزل بالناس حين انحرفوا عن سنة الفطرة ، وما استعملوا قواهم التى لم يمنحوها ، إلا ليسعدوا بها فيما كدّر راحتهم وزعزع طمأنينتهم ، ونظرت إلى الدين فجرحت حجب التقاليد وصلت إلى حقيقة التوحيد ، ورفعت صوتك تدعو الناس إلى ما هداك الله إليه ، وتقدمت أمامهم بالعمل الصالح ، لتحمل نفوسهم عليه ، فكما كنت بقولك هاديا للعقول ، كنت حاثّا للعزائم والهمم ، وكما كانت آراؤك ضياء يهتدى به الضالون ، كان مثالك فى العمل ، إماماً يقتدى به المسترشدون» .

والعبارة الأخيرة هى مفتاح شخصية الإمام الفكرية ، لأنه فى حياته الخصبة قد قرن العلم بالعمل ، وسعى إلى الإصلاح وفق ما اهتدى به من نور العلم ، فكان فى مصر إمام الجيل دون منازع ، وكل من جاء بعده من الأئمة قبس من نوره وسَناً يضىء من مشكاته ! وسيظل ذكره العاطر يتردد عبر الأجيال ، وقد مر على رحيله . قرن كامل ، وهو فى كل عام يزداد توهجاً ، وبريقاً ، لأن الله لا يضيع أجر العاملين .

د ./ محمد رجب البيومى



أبلغ رثاء للشيخ محمد عبده



لشاعر النيل حافظ إبراهيم

سَلامٌ على الإسْلامِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... سَلامٌ على أيامِهِ النَّضِراتِ(1)

على الدِّينِ والدُّنيا، على العِلْمِ والحِجا ... على البِرِّ والتَّقْوى، على الحَسَناتِ

لَقَدْ كُنْتُ أخْشَى عادِيَ المَوْتِ قَبْلَهُ ... فَأصْبَحْتُ أخْشَى أن تطُولَ حَياتي

فَوا لَهفي - والقَبْرُ بَيْني وبَيْنَهُ - ... على نَظْرةٍ من تِلْكُمُ النَّظَراتِ(2)

وَقَفْتُ عليه حاسِرَ الرَّأْسِ خاشِعاً ... كأني حِيالَ القَبْرِ في عَرَفاتِ(3)

لقد جَهِلُوا قَدْرَ الإمامِ فَأوْدَعُوا ... تجاليدَه في مُوحِشٍ بفَلاةِ(4)

ولو ضَرَّحُوا بالمَسْجِدَيْنِ لأنْزَلُوا ... بخيرِ بِقاعِ الأرضِ خَيْرَ رُفاتِ(5)

تَبارَكْتَ هذا الدِّينُ دِينُ مُحَمَّدٍ ... أيُتْرَكُ في الدُّنيا بغَيْرِ حُماةِ؟

بارَكْتَ هذا عالِمُ الشَّرْقِ قد قَضَى ... ولانَتْ قَناةُ الدِّينِ للغَمَزاتِ(6)

زَرَعْتَ لَنا زَرْعاً فأخْرَجَ شَطْأَهُ ... وبِنْتَ ولَمَّا تَجْتَنِ الثَّمَراتِ(7)

(1) النضرات: ذوات الحسن والرونق.

(2) وا لهفي: كلمة يتحسر بها على ما فات.

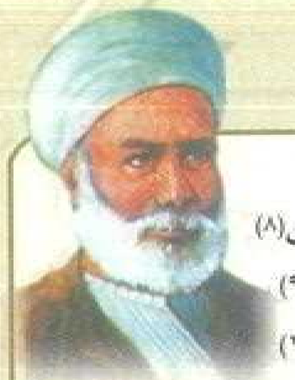
(3) حاسر الرأس: عاريه. وحيال القبر: تلقاءه وأمامه.

(4) تجاليد الإنسان: جسمه وبدنه. والفلاة: الصحراء الواسعة.

(5) ضرح للميت: حفر له ضريحاً. ويريد «بالمسجدين»: المسجد الحرام بمكة، وبيت المقدس. ورفات الميت: ما بلى وتكسر من عظامه. يقول: لو أنهم حفروا بأحد المسجدين ضريحاً لهذا الجسم لكان حرياً بذلك، لأنه خير جسم يدفن فى خير بقعة من الأرض.

(6) قضى: مات. والقناة: الرمح. ولين القناة: كناية عن الضعف والوهن. ويريد «بالغمزات»: المطاعن الموجهة إلى الإسلام من أعدائه.

(7) شطء الزرع: فراخه أو سنبله. وكنى بالزرع: عما قام به الفقيد من ضروب الإصلاح. وبنت: بعدت.



فَواهاً لَهُ ألاَّ يُصيبَ مُوَفَّقاً ... يُشارِفُه والأرضُ غيرُ مَواتِ(8)

مَدَدْنا إلى الأعْلامِ بَعْدَكَ راحَنا ... فَرُدَّتْ إلى أعْطافِنا صَفِراتِ(9)

وجالَتْ بِنا تَبْغي سِواكَ عُيُونُنا ... فَعُدْنَ وآثَرْنَ العَمَى شَرِقاتِ(10)

وآذَوْكَ فى ذاتِ الإلهِ وأنْكَرُوا ... مَكانَكَ حتى سَوَّدُوا الصَّفَحاتِ(11)

رأيْتَ الأذَى فى جانبِ اللهِ لَذَّةً ... ورُحْتَ ولَمْ تَهْمُمْ لَه بشَكاةِ

لقد كُنتَ فيهم كَوْكَباً فى غَياهِبٍ ... ومَعْرِفةً فى أنفُسٍ نَكِراتِ(12)

أبَنْتَ لَنا التَّنْزيلَ حُكْماً وحِكْمَةً ... وفَرَّقْتَ بَيْنَ النُّورِ والظُّلُماتِ(13)

ووَفَّقْتَ بينَ الدِّينِ والعِلْمِ والحِجا ... فأطْلَعْتَ نُوراً من ثَلاثِ جِهاتِ

وَقَفْتَ (لهانُوتو) و(رينانَ) وَقْفَةً ... أمَدَّكَ فيها الرُّوحُ بالنَّفَحاتِ(14)

وخِفْتَ مَقامَ اللهِ فى كُلِّ مَوْقِفٍ ... فَخافَكَ أهْلُ الشَّكِّ والنَّزَغاتِ(15)

وكَمْ لَكَ فى إغْفاءةِ الفَجْرِ يَقْظَةً ... نَفَضْتَ عليها لَذَّةَ الهَجَعاتِ(16)

ووَلَّيْتَ شَطْرَ البَيْتِ وَجْهَكَ خالياً ... تُناجي إلهَ البَيْتِ فى الخَلَواتِ(17)

وكَمْ لَيْلَةٍ عانَدْتَ فى جَوْفِها الكَرَى ... ونَبَّهْتَ فيها صادِقَ العَزَماتِ(18)

(8) الضمير فى «له» يرجع إلى الزرع. ويشارفه: يشرف عليه. والأرض الموات: الجدبة التى لا تنبت. يخشى ألا يجد الزرع من يتعهده بعد الفقيد مع خصوبة الأرض وقبولها لما يغرس فيها.

(9) يريد «بالأعلام»: المشهورين من العلماء. والراح: جمع راحة، وهى الكف. والأعطاف: الخواصر. وصفرات: أى خاليات.

(10) شرقات: أى محمرات من البكاء.

(11) يشير بهذا البيت وما بعده إلى المطاعن التى كان يوجهها أعداء الفقيد له، وينشرونها فى بعض الصحف تشهيراً به، وتحقيراً من شأنه.

(12) الغياهب: الظلمات.

(13) يشير بهذا البيت إلى الدروس التى كان يلقيها الأستاذ الإمام فى تفسير القرآن.

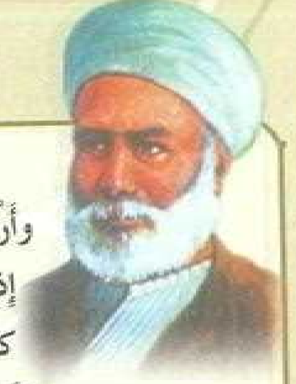
(14) هانوتو: هو جبرائيل هانوتو السياسى المؤرخ الفرنسى.. ولد فى ١٩ نوفمبر ١٨٥٣م، وقد كتب مقالات فى الطعن على الإسلام. ورينان: هو أرنست رينان الفرنسى، ولد فى ٢٧من فبراير سنة ١٨٢٣م، وقد كان قساً كاثوليكياً؛ وهو مشهور بمطاعنه فى الدين الإسلامى كصاحبه السابق، وقد رد الفقيد على مطاعنهما. وتوفى رينان فى سنة ١٨٩٢م. والروح: جبريل.

(15) النزغات: الوساوس.

(16) الإغفاءة: النومة. «ونفضت عليها» إلخ، أى أنه خلع على اليقظة لذة الهجعة فصار يتلذذ من اليقظة تلذذ الناس بالهجعة، أى النوم.

(17) البيت: الكعبة.

(18) الكرى: النوم. وصادق العزمات، من إضافة الصفة إلى الموصوف، أى العزمة الصادقة.



وأرصدتَ للباغي على دين أحمدٍ … شباةَ يراعٍ ساحرِ النفثات(١٩)

إذا مسَّ خدَّ الطِّرسِ فاضَ جبينُه … بأسطارِ نورٍ باهرِ اللمعات(٢٠)

كأنَّ قرارَ الكهرباءِ بشقِّه … يريك سناهُ أيسرُ اللمسات(٢١)

فيا سنةً مرَّت بأعوادِ نعشِه … لأنتِ علينا أشأمُ السنوات

حطمتِ لنا سيفاً، وعطَّلتِ منبراً … وأذويتِ روضاً ناضرَ الزهرات(٢٢)

وأطفأتِ نبراساً وأشعلتِ أنفساً … على جمراتِ الحزنِ منطويات(٢٣)

رأى في لياليكِ المنجِّمُ ما رأى … فأنذرنا بالويلِ والعثرات(٢٤)

ونبَّأه علمُ النجومِ بحادثٍ … تبيتُ له الأبراجُ مضطربات

رمى السرطانُ الليثَ والليثُ خادرٌ … وربَّ ضعيفٍ نافذِ الرميات(٢٥)

فأودى به ختلاً فمال إلى الثرى … ومالت له الأجرامُ منحرفات(٢٦)

وشاعت تعازي الشهبِ باللمحِ بينها … عن النيِّرِ الهاوي إلى الفلوات

مشى نعشُه يختالُ عُجْباً بربِّه … ويخطرُ بين اللمسِ والقبلات(٢٧)

تكادُ الدموعُ الجارياتُ تُقلُّه … وتدفعُه الأنفاسُ مستعرات(٢٨)

بكى الشرقُ فارتجَّت له الأرضُ رجَّةً … وضاقت عيونُ الكونِ بالعبرات

ففي الهندِ محزونٌ وفي الصينِ جازعٌ … وفي (مصرَ) باكٍ دائمُ الحسرات

(١٩) ارصدت: أعددت وهيأت. واليراع: القلم. وشباته: سنه. ونفثات القلم: ما يفيض به من كلمات تشبيهاً لها بما ينفثه الساحر فى العقد.

(٢٠) الطرس «بالكسر»: الصحيفة التى يكتب فيها.

(٢١) سناه: ضوءه ونوره. يقول: كأن الكهرباء مستقرة فى شق هذا القلم، فمجرد اللمس يظهر نوره.

(٢٢) حطمت: كسرت. وأذويت: أذبلت.

(٢٣) النبراس: المصباح.

(٢٤) يريد «بالمنجم»: أحد المنجمين، وكان قد تنبأ بوفاة الأستاذ الإمام فى السنة التى توفى فيها، وكتب ذلك فى تقويمه السنوى.

(٢٥) رمى السرطان.. إلخ. إشارة إلى أن المرحوم الإمام مات بالسرطان، وهو هذا الداء المعروف. والليث خادر: أى والأسد فى أجمته. ويطلق السرطان أيضاً على برج فى السماء، يقابله برج الأسد الذى أطلق الشاعر عليه لفظ الليث. واستعمل الشطر الأول فى المعنيين، كما يدل عليه سياق الكلام فى الأبيات التالية.

(٢٦) أودى به: ذهب به. والختل: الخداع. والأجرام: الأفلاك.

(٢٧) ربه: صاحبه.

(٢٨) تقله: تحمله. ومستعرات: مشتعلات من الحزن.



وفي الشامِ مفجوعٌ، وفي الفرسِ نادبٌ … وفي تونسٍ ما شئتَ من زفرات

بكى عالمُ الإسلامِ عالمَ عصرِه … سراجَ الدياجي هادمَ الشبهات(٢٩)

ملاذَ عيايلٍ ثمالَ أراملٍ … غياثَ ذوي عدمٍ إمامَ هداة(٣٠)

فلا تنصبوا للناسِ تمثالَ (عبدِه) … وإن كان ذكرى حكمةٍ وثبات

فإني لأخشى أن يضلُّوا فيومئوا … إلى نورِ هذا الوجهِ بالسجدات(٣١)

فيا ويحَ للشورى إذا جدَّ جدُّها … وطاشت بها الآراءُ مشتجرات(٣٢)

ويا ويحَ للفتيا إذا قيل من لها؟ … ويا ويحَ للخيراتِ والصدقات

بكينا على فردٍ وإنَّ بكاءنا … على أنفسٍ للهِ منقطعات

تعهَّدها فضلُ الإمامِ وحاطها … بإحسانه والدهرُ غيرُ مواتي(٣٣)

فيا منزلاً في (عينِ شمسٍ) أظلَّني … وأرغمَ حسادي وغمَّ عداتي(٣٤)

دعائمُه التقوى وأساسُه الهدى … وفيه الأيادي موضعُ اللبنات(٣٥)

عليكَ سلامُ اللهِ، ما لكَ موحشاً … عبوسَ المغاني مقفرَ العرصات(٣٦)

لقد كنتَ مقصودَ الجوانبِ آهلاً … تطوفُ بك الآمالُ مبتهلات(٣٧)

مثابةَ أرزاقٍ، ومهبطَ حكمةٍ … ومطلعَ أنوارٍ، وكنزَ عظات(٣٨)

***

(٢٩) الدياجي: الظلمات.

(٣٠) الملاذ: «بالفتح»: الملجأ. وعيايل: جمع عيل «بتشديد الياء». وعيل الرجل: من يتكفل بهم ويمونهم ويقوم عليهم. وثمال الأرامل: من يقوم بأمرهن ويعينهن. والغياث: المغيث والمعين. والعدم: الفقر.

(٣١) يومئوا: يشيروا، وقد رد الشاعر بهذا البيت على ما اقترحه بعضهم من إقامة تمثال للأستاذ الإمام.

(٣٢) يريد «بالشورى» مجلس شورى القوانين، وكان الفقيد عضواً به. وطاشت: انحرفت عن القصد. ومشتجرات: مشتبكات لا يميز فيها الحق من الباطل.

(٣٣) حاطها: صانها وحفظها. والمواتي: الموافق المساعد.

(٣٤) عين شمس: ضاحية من ضواحي القاهرة معروفة، وكان فيها بيت الفقيد.

(٣٥) دعائم البيت: عمده. والأيادي: النعم. واللبنات: ما يضرب من الطين للبناء: الواحدة لبنة.

(٣٦) الموحش: الخالي الذى ليس به ساكن. ومغانيه: منازله التى كان ينزل بها ساكنوه: الواحد مغنى. وعرصاته: ساحاته.

(٣٧) منزل آهل: عامر بأهله. ومبتهلات: داعية متضرعة.

(٣٨) المثابة: المرجع. أى أن الناس كانوا يرجعون إلى هذا البيت فى طلب أرزاقهم.

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢) أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾

الآيات: ٨١ : ٨٣

قوله - تعالى -

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ﴾

الظرف ﴿ إِذْ ﴾ منصوب بفعل مُقدَّر تقديره اذكر، والخطاب فيه للنبى ﷺ أو لكل من يصلح للخطاب.

والميثاق: هو العقد المؤكد بيمين.

أى: اذكر يا محمد أو أيها المخاطب وقت أن أخذ الله الميثاق من النبيين.

وللمفسرين فى هذه الآية الكريمة أقوال أشهرها قولان:

أولهما: وهو رأى جمهور العلماء - أن المراد أن الله - تعالى - أخذ الميثاق من النبيين.

وثانيهما: وهو رأى بعض العلماء - أن المراد أن الأنبياء هم الذين أخذوا الميثاق من غيرهم.

والمعنى على رأى فريق من أصحاب القول الأول - منهم الحسن والسدى وسعيد بن جبير - أن الله - تعالى - أخذ الميثاق من النبيين أن يصدق بعضهم بعضاً، وأخذ العهد على كل نبى أن يؤمن بمن يأتى بعده من الأنبياء وينصره إن أدركه؛ فإن لم يدركه يأمر قومه بنصرته إن أدركوه. فأخذ - سبحانه - الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى، ومن عيسى أن يؤمن بمحمد - صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً - وإذا كان هذا حكم الأنبياء، كانت الأمم بذلك أولى وأحرى.

والمعنى على رأى فريق آخر من أصحاب هذا القول منهم علىّ وابن عباس وقتادة: أن الله - تعالى - أخذ الميثاق من النبيين أن يؤمنوا بمحمد ﷺ إذا أدركوه، وأن يأمروا أقوامهم بالإيمان به.

قالوا: «يؤيد هذا ما أخرجه ابن جرير عن علىّ بن أبى طالب قال: لم يبعث الله نبياً: آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد فى محمد ﷺ لئن بُعث وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه، ويأمره فيأخذ العهد على قومه. ثم تلا الآية»(١).

فكأن أصحاب هذا القول الأول متفقون فيما بينهم على أن الميثاق إنما أخذه الله من النبيين، إلا أن بعضهم يرى أن هذا الميثاق أخذه الله منهم لكى يصدق بعضهم بعضاً، والبعض الآخر يرى أن هذا الميثاق أخذه الله منهم فى شأن محمد ﷺ خاصة.

قال ابن كثير ما ملخصه. وما قاله الحسن ومن معه لا يُضاد ما قاله علىّ وابن عباس ولا ينفيه، بل يستلزمه ويقتضيه... وقد روى الإمام أحمد عن عبدالله بن ثابت قال: جاء عمر إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله: إنى مررت بأخ لى من بنى قريظة، فكتب لى جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك؟. قال: فتغير وجه النبى ﷺ قال عبدالله بن ثابت: فقلت له: ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟. فقال عمر: رضيت بالله رباً. وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً. قال: فسرى عن النبى ﷺ وقال: «والذى نفسى بيده لو أصبح فيكم موسى - عليه السلام - ثم اتبعتموه وتركتمونى لضللتم، إنكم حظى من الأمم وأنا حظكم من النبيين».

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا. وإنكم إما أن تصدقوا بباطل وإما أن تكذبوا بحق، وإنه والله لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعنى» وفى بعض الأحاديث: «لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعى».

فالرسول محمد ﷺ «هو الإمام الأعظم الذى لو وُجِد فى أى عصر وُجِد - كان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم»(٢).

هذا هو معنى الجملة الكريمة عند أصحاب الرأى الأول الذين يرون أن الله - تعالى - أخذ الميثاق من النبيين. وأصحاب هذا الرأى كما سبق أن بيَّناهم جمهور العلماء.

١) تفسير الألوسى جـ٣ ص٢٠٩.

٢) تفسير الكشاف جـ١ ص٣٧٨.

أما أصحاب الرأى الثانى الذين يرون أن المراد من الآية أن الأنبياء هم الذين أخذوا الميثاق من غيرهم، فالمعنى عليه.

واذكر يا محمد أو أيها المخاطب وقت أن أخذ الأنبياء العهد على أقوامهم بأنه إذا بُعث محمد ﷺ وأدركوه فعليهم أن يؤمنوا به ويصدقوه وينصروه فكأن معنى الآية: واذكر وقت أن أخذ الله الميثاق الذى وثق الأنبياء على أقوامهم..

هذا، وقد أشار صاحب الكشاف إلى هذين الرأيين وغيرهما فقال:

﴿ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۧنَ ﴾ فيه غير وجه:

أحدهما: أن يكون على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك.

والثانى: أن يضيف الميثاق إلى النبيين إضافته إلى الموثق لا إلى الموثق عليه، كما تقول: ميثاق الله وعهد الله كأنه قيل: وإذ أخذ الله الميثاق الذى وثقه النبيون على أممهم.

والثالث: أن يراد ميثاق أولاد النبيين وهم بنو إسرائيل على حذف المضاف.

والرابع: أن يراد أهل الكتاب وأن يرد زعمهم تهكماً بهم؛ لأنهم كانوا يقولون: نحن أولى بالنبوة من محمد لأنا أهل الكتاب، ومنا كان النبيون»(٣).

والذى تسكن إليه النفس فى معنى الآية. هو الرأى الأول الذى قال به جمهور العلماء، وذلك لأن الآيات الكريمة مسوقة ـ كما يقول الفخر الرازى لتعديد تقرير الأشياء المعروفة عند أهل الكتاب، مما يدل على نبوة محمد ﷺ قطعاً لعذرهم، وإظهاراً لعنادهم، ومن جملة هذه الأشياء ما ذكره ـ سبحانه ـ فى هذه الآية. وهو أنه ـ تعالى ـ أخذ الميثاق من الأنبياء بأنهم كلما جاءهم رسولٌ مصدق لما معهم آمنوا به ونصروه، وأخبر أنهم قبلوا ذلك، وحكم ـ سبحانه ـ بأنه من رجع عن ذلك كان من الفاسقين.. فحاصل الكلام أنه ـ تعالى ـ أوجب على جميع الأنبياء الإيمان بكل رسول جاء مصدقاً لما معهم، ولا شك أن محمداً ﷺ قد جاء مصدقاً لما معهم فوجب على الجميع أن يؤمنوا به»(٤).

ولأن هذا المعنى هو الظاهر من الآية الكريمة. ولا تحتاج إلى تقدير مضاف أو غيره، والأخذ بالمعنى الظاهر الذى لا يحتاج إلى تقدير أولَى من الأخذ بغيره.

ولأن أخذ العهد على الأنبياء بأن يؤمنوا بمحمد ﷺ أعلى وأشرف لقدره ﷺ من أخذه على أممهم وأقوامهم.

ولأن أخذ العهد على الأنبياء أخذ له على الأمم، إذ كل أمة يجب أن تصدق بما جاءها به نبيها.

واللام فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ﴾

قرأها الجمهور بالفتح. وقرأها حمزة بالكسر.

أما قراءة الفتح فلها وجهان:

٣) تفسير الكشاف جـ١ ص٣٧٩.

٤) تفسير الفخر الرازى جـ٨ ص١٢٢.

أولهما: أن تجعل «ما» اسم موصول مبتدأ، وما بعده صلة له، وخبره قوله:

﴿ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ ﴾

والتقدير: واذكر وقت أن أخذ الله ميثاق النبيين قائلاً لهم: الذى آتيتكم إياه من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما أوتيتموه لتؤمنن بهذا الرسول ولتنصرنه. وعلى هذا الوجه تكون اللام فى قوله ﴿ لَمَآ ﴾ للابتداء وحسن دخولها هنا لأن قوله: ﴿ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم ﴾ فى مقام المقسم عليه، وقوله:

﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۧنَ ﴾

فى مقام القسم، إذ هو بمنزلة الاستحلاف تقول: أخذت ميثاقك لتفعلن كذا فكأنك قلت: استحلفتك لتفعلن كذا..

وثانيهما: أن تجعل «ما» ههنا، اسم شرط جازم فى موضع نصب بآتيتكم.

والتقدير: ما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم، لتؤمنن به ولتنصرنه.

وعلى هذا الوجه يكون فعل الشرط مكوناً من جملتين:

الأولى: ﴿ ءَاتَيۡتُكُم ﴾.

والثانية: ﴿ ثُمَّ جَآءَكُمۡ ﴾ وهما معاً فى محل جزم بما الشرطية. وقوله: ﴿ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ ﴾ جواب القسم الذى تضمنه قوله:

﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۧنَ ﴾

وجواب الشرط محذوف، لأن القاعدة النحوية أنه إذا اجتمع شرط. وقسم فالجواب المذكور للسابق منهما وجواب اللاحق محذوف وهنا السابق هو القسم. قال ابن مالك:

وحذف لدى اجتماع شرط وقسم
جواب ما أخرت فهو ملتزم

وأما على قراءة الكسر التى قرأها حمزة فتكون اللام للتعليل كأنه قيل: اذكر وقت أن أخذ الله ميثاق النبيين، لأن إيتاءهم الكتاب والحكمة، ثم مجىء من يصدقهم يوجب عليهم الإيمان بهذا الرسول المصدق لما معهم ويوجب عليهم نصرته.

والمراد بالكتاب: ما أنزله الله ـ تعالى ـ على هؤلاء النبيين من كتب تنطق بالحق.

والمراد بالحكمة: الوحى الوارد بالتكاليف المفصلة التى لم يشتمل عليها الكتاب.

أو المراد بها العلم النافع الذى أعطاه ـ سبحانه ـ لهم، ووفقهم للعمل به. و﴿ مِّن ﴾ فى قوله: ﴿ مِّن كِتَٰبٖ ﴾ للبيان.

قال القرطبى: «والمراد بالرسول هنا محمد ﷺ واللفظ وإن كان نكرة فالإشارة إلى معين، كقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ ﴾

النحل/ ١١٢

إلى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ فَكَذَّبُوهُ ﴾

النحل/ ١١٣

فأخذ الله ميثاق النبيين أجمعين أن يؤمنوا بمحمد ﷺ وينصروه إن أدركوه، وأمرهم أن

يأخذوا بذلك الميثاق على أممهم(٥).

ثم حكى - سبحانه - ما قاله لهم بعد أن أمرهم بالإيمان بهذا الرسول وبنصرته فقال:

﴿ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ ﴾

والإصر: العهد. وأصله من الإصار - أى الحبال التي يعقد بها الشيء ويشد - وسمى العهد إصراً لأنه تقوى به الأقوال والعقود.

أى: قال الله - تعالى - للنبيين: أأقررتم بهذا الذى أمرتكم به وقبلتم عهدى؟. والاستفهام للتقرير والتوكيد عليهم لاستحالة معناه الحقيقى فى حقه - سبحانه -.

ثم حكى - سبحانه - ما أجاب به الرسل وما رد به عليهم فقال:

﴿ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾

أى: قال الرسل مجيبين لخالقهم - عز وجل - أقررنا يا ربنا وقبلنا عهدك وأطعناه. فرد عليهم - سبحانه - بقوله: ﴿ فَٱشۡهَدُواْ ﴾ أى فليشهد بعضكم على بعض بهذا الإقرار، وأنا على إقراركم وإشهاد بعضكم على بعض من الشاهدين.

وهذا توكيد عليهم، وتحذير من الرجوع.

ثم بين - سبحانه - عاقبة الناكثين لعهودهم فقال:

﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾

أى فمن أعرض عن الإيمان بمحمد ﷺ وعن نصرته، بعد أخذ الميثاق المؤكد عليه، فأولئك المعرضون «هم الفاسقون» أى الخارجون عن الإيمان إلى أفحش دركات الكفر والخيانة.

والفاء فى قوله: ﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ ﴾ للتفريع، و﴿ مَن ﴾ يجوز أن تكون شرطية ويكون قوله:

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ جوابها.

ويجوز أن تكون موصولة، ويكون قوله:

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ هو الخبر.

والضمير فى قوله: ﴿ تَوَلَّىٰ ﴾ يعود على «من» بالإفراد باعتبار لفظها، ويعود عليها بصيغة الجمع فى قوله: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾ باعتبار معناها.

وبعد أن بين - سبحانه - أن الإيمان بمحمد ﷺ حق لا ريب فيه، وأنه واجب على جميع من مضى من الأنبياء والأمم، عقب ذلك ببيان أن كل من كره الإيمان بما جاء به محمد ﷺ فإنه يكون بعيداً عن الدين الحق، مستحقاً للعقاب الأليم فقال - تعالى -:

﴿ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾

والاستفهام للإنكار والتوبيخ، وهمزة الاستفهام داخلة على فعل محذوف، والفاء الداخلة على «غير» عاطفة لجملة ﴿ يَبۡغُونَ ﴾ على ذلك المحذوف الذى دل عليه الاستفهام

٥) تفسير القرطبي جـ٤ ص١٢٥.

وعينه المقام.

والمعنى: أيتولون عن الإيمان بعد هذا البيان فيبغون ديناً غير دين الله الذى هو الإسلام.

ومعنى ﴿ يَبۡغُونَ ﴾ يطلبون. يقال: بغى الأمر، يبغيه بُغاء - بضم الباء - أى طلبه. وقوله - تعالى -:

﴿ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا ﴾

جملة حالية. أى أيبغون ديناً غير دين الله والحال أن الله - تعالى - استسلم وانقاد وخضع له من فى السماوات والأرض طوعاً وكرهاً. أى طائعين وكارهين، فهما مصدران فى موضع الحال.

والمراد أن كل من فى السماوات والأرض قد انقادوا وخضعوا لله - تعالى - إما عن طواعية واختيار وهم المؤمنون لأنهم راضون فى كل الأحوال بقضائه وقدره، ومستجيبون له فى المنشط والمكره والعسر واليسر. وإما عن تسخير وقهر وهم الكافرون لأنهم واقعون تحت سلطانه العظيم وقدرته النافذة، فهم مع كفرهم لا يستطيعون دفع قضائه - سبحانه - وإذن فهم خاضعون لسلطانه - عز وجل - لأنهم لا سبيل لهم ولا لغيرهم إلى الامتناع عن دفع ما يريده بهم.

هذا، وقد ساق الفخر الرازى جملة آراء فى معنى الآية الكريمة ثم اختار أحدها فقال ما ملخصه: فى خضوع من فى السماوات والأرض لله وجوه: أصحها عندى أن كل ما سوى الله - سبحانه - مُمكن لذاته، وكل مُمكن لذاته فإنه لا يوجد إلا بإيجاده، ولا يُعْدَم إلا بإعْدَامه، فإن كل ما سوى الله فهو منْقاد خاضع لجلال الله فى طرفى وجوده وعدمه. وهذا هو نهاية الخضوع والانقياد. ثم إن فى هذا الوجه لطيفة أخرى: وهى أن قوله:

﴿ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ ﴾ يفيد الحصر، أى وله كل ما فى السماوات والأرض لا لغيره.

فهذه الآية تفيد أن واجب الوجود واحد، وأن كل ما سواه فإنه لا يوجد إلا بتكوينه، ولا يفْنَى إلا بإفْنَائه(٦). والآيات فى هذا المعنى كثيرة.

وقوله: ﴿ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾ أى إليه وحده يرجع الخلق فيجازى كل مخلوق بما يستحقه من خير أو شر.

ففى الجملة الكريمة تحذير من الإعراض عن دينه، لأنه ما دام مرجع الخلق جميعاً إليه - سبحانه - فعلى العاقل أن يسلم نفسه إلى خالقه اختياراً قبل أن يسلمها اضطراراً، وأن يستجيب لأوامره ونواهيه، حتى ينال رضاه.

وبذلك تكون هذه الآيات الكريمة قد أقامت للناس الأدلة على صدق النبى ﷺ وأمرتهم بالدخول فى دينه، وحذرتهم من الإعراض عنه بأجْلَى بيان وأقوى بُرهان.

***

٦) تفسير الفخر الرازى جـ٨ ص١٣٠.

السنة

مثل الذى يَذْكُرُ ربَّه والذى لا يذكره مثل الحىِّ والميِّت

عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم. قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. قال: فيسألهم ربهم - وهو أعلم منهم -: ما يقول عبادى؟ قال: تقول: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك. قال: فيقول: هل رأونى؟ قال: فيقولون: لا والله مارأوك. قال: فيقول: وكيف لو رأونى؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا. قال: يقول: فما يسألوننى؟ قال: يسألونك الجنة. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار. قال: يقول: وهل رأوها قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها. قال: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة. قال: فيقول: فأشهدكم أنى قد غفرت لهم: قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان، ليس منهم إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم». [متفق عليه]

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

التعريف بالراوى

هو الصحابىّ الجليل، الإمام الفقيه المجتهد الحافظ سيد الحفاظ الأثبات أبوهريرة الدوسىّ اليمانىّ، اختلف فى اسمه على أقوال جمّة، أرجحها: عبدالرحمن بن صخر، والمشهور عنه أنه كُنى بأولاد هرّة بريّة قال: وجدتها، فأخذتها فى كمّى، فكنيت بذلك. حمل عن النبىّ ﷺ علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه، حدّث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين فقيل: بلغ عددهم ثمانمائة، كان مقدمه وإسلامه فى أول سنة سبع، عام خيبر، توفى (رضى الله عنه) سنة سبع وخمسين بعد الهجرة.

اللغويات

- يلتمسون أهل الذكر: يتبعون مجالس الذكر.
- فإذا وجدوا قومًا: وجدوا مجلسًا فيه ذكر.
- تنادوا: يتنادون.
- هلمّوا إلى حاجتكم: تعالوا إلى بغيتكم.
- فيحفونهم بأجنحتهم: يدنون بأجنحتهم حول الذاكرين.
- ما يقول عبادى: أىّ شىء تركتم عبادى يصنعونه؟
- فما يسألونى؟: أىّ شىء يطلبون؟

فمم يتعوذون: من أىّ شىء يستجيرون؟

الشرح والبيان

هذا حديث نبوىّ شريف يوضّح بجلاء فضل مجالس الذكر والذاكرين، وفضل الاجتماع على ذلك، وأنّ جليسهم يندرج معهم فى جميع ما يتفضّل الله ـ تعالى ـ به عليهم إكراماً لهم، ولو لم يشاركهم فى أصل الذكر، ويوضّح محبة الملائكة لبنى آدم، ومقدار اعتنائهم بهم، كما يوضح أن السؤال الذى يصدر من السائل، وهو أعلم بالمسئول عنه من المسئول، لبيان العناية بالمسئول عنه، والتنويه بقدره، والإعلام بشرف منزلته، وفى خصوص سؤال الله الملائكة عن أهل الذكر - إشارة إلى قولهم:

﴿ قَالُوٓا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

البقرة / ٣٠

فكأنه قيل لهم: انظروا إلى ما حصل منهم من التسبيح والتقديس مع ما سلط عليهم من الشهوات، ووساوس الشيطان، وكيف عالجوا ذلك، وضاهوكم فى التسبيح والتقديس، ويؤخذ من هذا الحديث أن الذكر الحاصل من بنى آدم أعلى وأشرف من الذكر الحاصل من الملائكة؛ لحصول ذكر الآدميين مع كثرة الشواغل، ووجود الصوارف، وصدوره فى عالم الغيب، بخلاف الملائكة فى ذلك كله، وفيه أيضاً بيان كذب من ادعى من الزنادقة أنه يرى الله (تعالى) جهراً فى دار الدنيا؛ إذ قد ثبت فى صحيح مسلم من حديث أبى أمامة مرفوعاً: «واعلموا أنكم لم تروا ربكم حتى تموتوا».

درجات الذكر

هذا وللذكر درجات قال عنها العلامة ابن القيم (رحمه الله): هو على ثلاث درجات:

الأولى: الذكر الظاهر ثناء أو دعاء أو رعاية، فذكر الثناء نحو: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر)، وذكر الدعاء نحو قوله تعالى:

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾

الأعراف / ٢٣

وذكر الرعاية مثل قول ذاكر: «الله معى»، «الله ناظر إلىّ»، «الله شاهدى».

والثانية: الذكر الخفى، وهو الخلاص من القيود، والبقاء مع الشهود، ولزوم المسامرة..

والدرجة الثالثة الأخيرة: الذكر الحقيقى، وهو شهود ذكر الحق إياك، والتخلص من شهود ذكرك، وقد سمى هذا الذكر حقيقياً، لأنه منسوب إلى الرب (تعالى)، فذكر الله لعبده هو الذكر الحقيقى، وهو شهود ذكر الحق عبده.

وقال أبوالفرج بن الجوزى: الذكر يقال على وجهين:

- أحدهما: الذكر بالقلب.
- والثانى: الذكر باللسان، وهو فى الموضعين حقيقى، ويستعار فى مواضع تدل عليها القرينة.

الذكر فى القرآن

وقيل: الذكر ما ذكرته بلسانك وأظهرته، والذُّكر -بضم الذال- بالقلب، يقال: مازال منى على ذُكر، أى: لم أنسه، والذكرى: كثرة الذكر، وهو أبلغ من الذكر، قال تعالى:

﴿ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

ص / ٤٣

ومعانى كلمة الذكر متعددة فى القرآن الكريم.

- أحدها: الذكر باللسان:

﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾

البقرة / ٢٠٠

- والثانى: الذكر بالقلب:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ﴾

آل عمران / ١٣٥

وقيل: هو الندم.

- والثالث: الحديث:

﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾

يوسف / ٤٢

- والرابع: الخبر:

﴿ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾

الكهف / ٨٣

- والخامس: العظة:

﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾

الأعراف / ١٦٥

- والسادس: الوحى:

﴿ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾

الصافات / ٣

- والسابع: القرآن:

﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾

الأنبياء / ٥٠

- والثامن: التوراة والكتب السابقة:

﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

الأنبياء / ٧

- والتاسع: الشرف:

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾

الزخرف / ٤٤

- والعاشر: الطاعة:

﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾

البقرة / ١٥٢

أى: أطيعونى أغفر لكم.

- والحادى عشر: البيان:

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ ﴾

الأعراف / ٦٩

- والثانى عشر: الصلوات الخمس:

﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾

البقرة / ٢٣٩

- والثالث عشر: صلاة الجمعة:

﴿ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ﴾

الجمعة / ٩

- والرابع عشر: صلاة العصر:

﴿ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى ﴾

ص / ٣٢

- والخامس عشر والأخير: الرسول:

﴿ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا ﴾

الطلاق ١٠، ١١

وقد قيل: ﴿ أَنزَلَ ﴾ فى هذه الآية الكريمة بمعنى: أرسل..

وهذه الآيات يستشهد بها لهذه المعانى وغيرها.

لقد سمى الله (تعالى) القرآن الكريم فى هذه الآيات، وفى كثير غيرها ذكراً، وذلك لأن كل آية من آيات الله البينات تشتمل على ذكر الله (عز وجل) أو ذكر نعمة من نعمه، ومن هنا كانت تلاوة القرآن الكريم، وكان تدبر معانيه، والاستماع إليه فى خشوع وخضوع ضرباً من ضروب العبادة، وصفة لازمة للإيمان، وطريقاً سهلاً ميسوراً للحصول على رحمات الله (عز

وجل)، قال تعالى:

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

الأعراف / ٢٠٤

فالويل كل الويل لمن يسمع آيات الله تتلى عليه، ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم، لقد توعد الحق -سبحانه- الذين لايذكرونه بالعذاب الشديد، والعقاب الأليم

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

الزمر / ٢٢

كما سلط عليهم شياطين الغى يضلونهم السبيل، ويزينون لهم سوء أعمالهم، قال تعالى:

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

الزخرف / ٣٦، ٣٧

المؤمنون الحقيقيون

أما آن لنا والحال هذا أن نستمع إلى آيات الله البينات، فتخشع قلوبنا لذكر الله وما نزل من الحق، أما آن لنا أن نمتثل أوامره، ونجتنب نواهيه، ونحل حلاله، ونحرم حرامه، ونقف عند حدوده، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾

الحديد / ١٦

إن الذين تخشع منهم القلوب، وتقشعر منهم الجوارح والجلود إنما هم المؤمنون الحقيقيون:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

الأنفال / ٢

وقال:

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾

الزمر / ٢٣

ومن عجب نرى أن الحق -سبحانه- حين يطالبنا أن نذكره يعدنا فى الوقت نفسه أن يذكرنا إذا ذكرناه، ليكون الجزاء من جنس العمل، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾

الأحزاب / ٤١، ٤٢

وقال:

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾

البقرة / ١٥٢

ولقد روى الطبرانى عن أبى هريرة «رضى الله عنه» أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله (عز وجل) يقول: يابن آدم، إنك إذا ذكرتنى شكرتنى، وإذا نسيتنى كفرتنى»، أى: جحدت نعمى، وأنكرت إحسانى.

الذاكر حى.. والغافل ميت

وحسبنا أن يذكرنا ربنا، فلا يدعنا لأنفسنا، ولا يتخلى عنا حين نحتاج إليه! وإذا كنا نعلم علم اليقين أنه ربنا، وخالقنا ورازقنا، وأن كل شىء بيده، فما أحوجنا إليه! وما أرحمه بنا! فكيف تطيب لنا الحياة إن لم نذكره؟!

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

الرعد / ٢٨

فمن حق الله على الناس أجمعين أن يكونوا له ذاكرين، ولنعمائه شاكرين، ولكتابه قارئين، وبما فيه عاملين، حتى نكون من الأحياء، قال ﷺ: «مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره مثل الحى والميت»(١)، فالذاكر لله (عز وجل) حى، والغافل والناسى والجاحد ميت، وإن أكل وشرب وتنفس. قال تعالى:

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

الأنعام / ١٢٢

المؤمن لا يراه ربه حيث نهاه

ومن هنا جاء قول الحق سبحانه:

﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾

الأعراف / ٢٠٥

هذا والذكر الحقيقى أن يكون المؤمن على صلة دائمة بالله فى معاملاته وفى عبادته وفى يقظته ونومه، وحين يخلو بنفسه، وحين يكون مع الناس، والذكر بهذا المعنى هو الذى يحمل المؤمن على أن يستحى من ربه، فلا يغفل عن مراقبته، ولا يجرؤ على معصيته، ولا يقصر فى أداء ما أوجب عليه، ولا يدخر وسعاً فى أداء ما يرضيه (سبحانه)، وبالتالى لا يراه ربه حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره، ثم إن الذكر يتنوع بتنوع الجوارح والمشاعر، فذكر العينين بالبكاء، وذكر الأذنين بالإصغاء، وذكر اللسان بالثناء، وذكر اليدين بالإعطاء، وذكر البدن بالوفاء، وذكر القلب بالخوف والرجاء، وذكر الروح بالتسليم والرضاء.

وعلى ضوء هذه المعانى ينبغى أن يفهم الذكر فى قول الله (تعالى):

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾

العنكبوت / ٤٥

فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر بفضل ما يفترض فيها من الخشوع والخضوع لله (عز وجل)، وتمثل جلاله وكبريائه، وتسبيحه وتكبيره، والثناء عليه، والتوجه إليه بالدعاء، وبفضل أنها خمس صلوات فى اليوم والليلة، أولاها وهى صلاة الصبح يبدأ بها المسلم يومه حين يستيقظ، والأخيرة وهى صلاة العشاء، يختتم بها يومه قبل أن يأوى إلى فراشه، وبين

(١) البخارى ٥/٢٣٥٣.

الأولى والأخيرة ثلاث صلوات ؛ ثلاثة لقاءات مع الله، فى مناجاة كلها تضرع وخشية، وفى تسبيح كله إجلال وتقديس، وفى دعاء كله رغبة ورهبة، وبفضل هذه المواقيت التى يلتقى فيها المؤمن ربه، ويقف طاهراً بين يديه، فإنه يستحى أن يفعل معصية، فإذا ما صلّى، وعاودته الرغبة الآثمة، والشهوة العارمة استحى من الله (عزّ وجلّ) أن يلقاه بعد لحظات وهو مذنب آثم، وهكذا تسلّمه كل صلاة إلى الصلاة التى تليها، حتى تسلمه الأخيرة إلى النوم، فينام ولم يسجّل عليه ذنب، ولم تحص عليه معصية، لأنه يُمضى حياته إما فى صلاة، وإما فى انتظار صلاة، فإذا كانت الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر بفضل ما يشترط لها من طهارة فى البدن والثوب والمكان، واستقبال القبلة، وستر العورة، ودخول الوقت والنية، فإنّ ذكر الله (عزّ وجلّ) لا يحتاج إلى شىء من هذا أو ذاك، لأنك تستطيع أن تذكر ربك فى كل الأوقات، وفى عموم الأحوال؛ فى الغنى والفقر، وفى الصحة والمرض، حينما توافيك النعمة، أو تنزل بك المصيبة، فى أوقات السلم، وفى أوقات الحرب، وهكذا.

مكانة الذكر

فذكر الله لا يحتاج إلى أكثر من شغل القلب بالله (عزّ وجلّ)، والتأمل فى ملكوته، واستحضار رقابته وخشيته، ومن كان كذلك فلا يجرؤ على معصية مولاه، ولا يدخر وسعاً فى تقديم ما يرضيه، ومن هنا يتضح أنّ أثر ذكر الله (عزّ وجلّ) فى النهى عن الفحشاء والمنكر أكبر من أثر الصلاة كما أخبر الله (عزّ وجلّ):

﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾

العنكبوت / ٤٥

ولا نعنى بهذا أنّ ذكر الله (عزّ وجلّ) يغنى عن الصلاة، وإنما نريد أن نبيّن ما للذكر الله من مكانة سامية بين العبادات فى الإسلام، خاصة أن كثيراً من المسلمين فى هذا العصر شغلتهم الدنيا، وسحرهم زخرفها، فركنوا إليها، وتسابقوا فى صراع عنيف على متاعها.

وفى ظلّ هذا الصراع تلاشت القيم، واختفت الفضيلة، وتدهورت الأخلاق، مع أنّ الله (عزّ وجلّ) خلق الدنيا لنا، وخلقنا للآخرة، فشغلنا ما خلق لنا عما خُلقنا له، ومن ثمّ جاء التحذير الإلهى لعباده المؤمنين، قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾

المنافقون / ٩

ولذلك وصف الله (عزّ وجلّ) الذاكرين بأنهم أصحاب العقول السليمة، فقال:

﴿ إِنَّ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

آل عمران / ١٩٠، ١٩١

ووعدهم بالمغفرة، والأجر العظيم، والثواب الكبير، قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمًا ﴾

الأحزاب / ٣٥

خير الأعمال

وحسب الذاكرين لله (عزّ وجلّ) شرفاً أنهم فى معيّة الله (عزّ وجلّ).

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبىّ (ﷺ) قال: «يقول الله عز وجلّ: أنا عند ظنّ عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم، وإن تقرّب إلىّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرّب إلىّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة»، أى: من تقرّب إلى الله بطاعة قليلة جازاه بمثوبة كبيرة، وإن أتى بالطاعة متأنياً أسرع إليه بالثواب، هذا هو الذكر، وذلك شأنه، وتلك مكانته بين العبادات، أمّا الذاكرون فهم أرفع الناس قدراً وأسماهم عند الله منزلة وشأناً، وقد روى الإمام الترمذى عن أبى الدرداء (رضى الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) قال: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله (عزّ وجلّ).

أسبق الناس

ولذلك لما قال أحد العلماء فى مجلس من المجالس: إذا ذكر الصالحون نزلت الرحمة، فقيل له: فكيف إذا ذكر الله (عزّ وجلّ)؟! قال: إذا ذكر الله (عزّ وجلّ) نزلت الطمأنينة فى القلب، أما قرأت قول الله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾

الرعد / ٢٨

هذا وقد قال علماء الطبيعة: إن الطبيعة لا تعرف الفراغ، فالإناء الخالى من الماء مملوء بالهواء، فكذلك القلب الخالى من ذكر الله والإيمان مملوء بالغفلة والنسيان، ومن هنا جاء قوله (سبحانه):

﴿ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطًا ﴾

الكهف / ٢٨

أما الذاكرون لله (عزّ وجلّ) المستحضرون لرقابته وسلطانه فهم أسبق الناس إلى الدرجات العلى، والنعيم المقيم، قال تعالى:

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾

الواقعة ١٠ : ١٢

وقد جاء فى الحديث الشريف عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: «سبق المفردون»، قالوا: وما المفردون، قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات».. نسأل الله (عزّ وجلّ) أن يجعلنا من الذاكرين الشاكرين، وأن يجنبنا الغفلة والنسيان.

الحضارة الإسلامية ومكانة المرأة

للأستاذ الدكتور/ محمود امبابي
وكيل الأزهر الشريف

٤

المرأة فى الغرب

فى تقريره السنوى الذى قام بإعداده فريق متخصص يرصد أحوال المرأة فى العالم الغربى، ذكر «معهد المرأة» فى إسبانيا - مدريد، مجموعة من الإحصاءات المذهلة، التى تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن مشكلة «حقوق المرأة» وفق الرؤية الغربية التى تحاول الأمم المتحدة فرضها على العالم كله، هى مشكلة غربية لا أكثر، وأن المرأة الغربية ليست هى المرأة النموذجية، بحيث إن ما تعانيه لابد أن تكون كل امرأة تعانيه أيضا!

وبالطبع لا نعنى بهذا الكلام أن المرأة فى بلادنا لا تعانى شيئا، ولكن بالتأكيد لا تعانى نفس مشاكل المرأة الغربية، والإحصاءات تخص دولتين هما الولايات المتحدة وإسبانيا، باعتبارهما يمثلان القمة والعتبة فى ركب الحضارة والتطور بالمعيار المادى.

فى إسبانيا

فى عام ١٩٨٩م كان متوسط الولادات ١,٣٦ لكل امرأة.

- وفى عام ١٩٩٢م كان متوسط الولادات ١,٠٢، وهى أقل نسبة ولادات فى العالم.

- وفى عام ١٩٩٠م (٩٣٪) من النساء الإسبانيات يستعملن حبوب منع الحمل ولمدة ١٥ عاما متتالية فى عمر كل منهن.

- وفى عام ١٩٩٠م قدمت ١٣٠ ألف امرأة بلاغات بالاعتداء الجسدى والضرب المبرح من قبل الرجال الذين يعيشون معهن سواء كانوا أزواجا أم أصدقاء.

- ويقول أحد المحامين: إن الشكاوى بالاعتداء الجسدى والضرب المبرح بلغت عام (١٩٩٧م) ٥٤ ألف شكوى، وتقول الشرطة: إن الرقم الحقيقى عشرة أضعاف هذا العدد.

- وفى عام ١٩٩٥م خضعت مليون امرأة لأيدى جراحى التجميل، أى بمعدل امرأة من كل ٥ نساء يعشن فى مدريد وما حولها.

- كما أن هنالك بلاغا يوميا عن قتل امرأة بأبشع الطرق على يد الرجل الذى تعيش معه.

الولايات المتحدة الأمريكية

- فى عام ١٩٨٠م (١,٥٥٣٠٠٠) حالة إجهاض، ٣٠٪ منها لدى نساء لم يتجاوزن العشرين عاما من أعمارهن، وقالت الشرطة: إن الرقم الحقيقى ثلاثة أضعاف ذلك.

- وفى عام ١٩٨٢م (٨٠٪) من المتزوجات منذ ١٥ عاما أصبحن مطلقات.

- وفى عام ١٩٨٤م (٨ ملايين) امرأة يعشن وحدهن مع أطفالهن ودون أية مساعدة خارجية.

- وفى عام ١٩٨٦م (٢٧٪) من المواطنين يعيشون على حساب النساء.

- وفى عام ١٩٨٢م (٦٥) حالة اغتصاب لكل ١٠ آلاف امرأة.

- وفى عام ١٩٩٥م (٨٢) ألف جريمة اغتصاب، ٨٠٪ منها فى محيط الأسرة والأصدقاء، بينما تقول الشرطة: إن الرقم الحقيقى ٣٥ ضعفا.

- وفى عام ١٩٩٧م بحسب قول جمعيات الدفاع عن حقوق المرأة: اغتصبت امرأة كل ٣ ثوان، بينما ردت الجهات الرسمية بأن هذا الرقم مبالغ فيه فى حين أن الرقم الحقيقى هو حالة اغتصاب كل ٦ ثوان!

- وفى عام ١٩٩٧م (٦) ملايين امرأة عانين سوء المعاملة الجسدية والنفسية بسبب الرجال، ٧٠٪ من الزوجات يعانين الضرب المبرح، و٤ آلاف يقتلن كل عام ضربا على أيدى أزواجهن أو من يعيشون معهن.

- ٧٤٪ من العجائز الفقراء هم من

النساء، ٨٥٪ من هؤلاء يعشن وحيدات دون أى معين أو مساعد.

– ومن ١٩٧٩ إلى ١٩٨٥م: أجريت عمليات تعقيم جنسى للنساء اللواتى قدمن إلى أمريكا من أمريكا اللاتينية، والنساء اللاتى أصولهن من الهنود الحمر، وذلك دون علمهن.

– ومن عام ١٩٨٠ إلى عام ١٩٩٠م: كان بالولايات المتحدة ما يقارب مليون امرأة يعملن فى البغاء.

– وفى عام ١٩٩٥م: بلغ دخل مؤسسات الدعارة وأجهزتها الإعلامية ٢٥٠٠ مليون دولار.(١)

شاهد من أهلها

وتعالوا نسمع شهادات من غربيات:

تقول جليندا جاكسون حاملة الأوسكار التى منحتها ملكة بريطانيا وساما من أعلى أوسمة الدولة، والتى حصلت على جائزة الأكاديمية البريطانية، وجائزة مهرجان مونتريال العالمى تقول:

«إن الفطرة جعلت الرجل هو الأقوى والمسيطر بناء على ما يتمتع به من أسباب القوة تجعله فى المقام الأول بما خصه الله به من قوة فى تحريك الحياة، واستخراج خيراتها، إنه مقام الذاتية عند الرجل التى تؤهله تلقائيا لمواجهة أعباء الحياة وإنمائها، واطراد ذلك فى المجالات الحياتية».

ب- الزعيمة النسائية الأمريكية «فليش شلافى» دعت المرأة إلى وجوب الاهتمام بالزوج والأولاد قبل الاهتمام بالوظيفة، وبوجوب أن يكون الزوج هو رب الأسرة وقائد دفتها.

جـ- وفى كتاب صدر أخيرا عن حياة الكاتبة الإنجليزية المشهورة «أجاثا كريستى» ورد فيه قولها:

«إن المرأة الحديثة مغفلة، لأن مركزها فى المجتمع يزداد سوءا يوما بعد يوم، فنحن النساء نتصرف تصرفا أحمق، لأننا بذلنا الجهد خلال السنين الماضية، للحصول على حق العمل والمساواة فى العمل مع الرجل. والرجال ليسوا أغبياء، فقد شجعونا على ذلك معلنين أنه لا مانع مطلقا من أن تعمل الزوجة وتضاعف دخل الزوج.

ومن المحزن أن نجد بعد أن أثبتنا نحن النساء أننا الجنس اللطيف الضعيف أننا نعود اليوم لنساوى فى الجهد والعرق الذى كان من نصيب الرجل وحده».

د- وتقول طبيبة نفسية أمريكية:

(١) (التقرير السنوى المسمى بـ «قاموس المرأة» صدر عن معهد الدراسات الدولية حول المرأة، ومقره مدريد، وهو معهد عالمى معترف به».

«أيما امرأة قالت: أنا واثقة بنفسى، وخرجت دون رقيب أو حسيب فهى تقتل نفسها وعفتها».

رأى للعلم الحديث

هذا ما يقوله العقلاء من أولئك القوم، فماذا يقول العلم الحديث فى ذلك الشأن؟.

لقد أثبت العلم الحديث أخيرا وهم محاولات المساواة بين الرجل والمرأة، وأن المرأة لا يمكن أن تقوم بالدور الذى يقوم به الرجل، فقد أثبت الطبيب «د. روجرز سبراى» الحائز على جائزة نوبل فى الطب وجود اختلافات بين مخ الرجل ومخ المرأة، الأمر الذى لا يمكن معه إحداث مساواة فى المشاعر وردود الأفعال، والقيام بنفس الأدوار.

وقد أجرى طبيب الأعصاب فى جامعة «بيل» الأمريكية بحثا طريفا رصد خلاله حركة المخ فى الرجال والنساء عند كتابة موضوع معين أو حل مشكلة معينة، فوجد أن الرجال بصفة عامة يستعملون الجانب الأيسر من المخ، أما المرأة فتستعمل الجانبين معا.

وفى هذا دليل – كما يقول أستاذ جامعة بيل – أن نصف مخ الرجل يقوم بعمل لا يقدر عليه مخ المرأة إلا بشطريه.

كل ميسر لما خلق له

وهذا يؤكد أن قدرات الرجل أكبر من قدرات المرأة فى التفكير، وحل المشكلات.

وهذا ما اكتشفه البروفيسور ريتشارد لين من القسم السيكولوجى فى جامعة ألستر البريطانية حيث يقول: «إن عددا من الدراسات أظهرت أن وزن دماغ الرجل يفوق مثيله النسائى بحوالى أربع أوقيات».

وأضاف لين: «إنه يجب الإقرار بالواقع، وهو أن دماغ الذكور أكبر حجما من دماغ الإناث، وأن هذا الحجم مرتبط بالذكاء».

وقال: «إن أفضلية الذكاء عند الذكور تشرح أسباب حصول الرجال فى بريطانيا على ضعفى ما تحصل عليه النساء من علامات الدرجة الأولى».

وسواء صح ما قالوه أم لم يصح فإن الله – سبحانه – أخبرنا فى كتابه بالاختلاف بين الجنسين على وجه العموم فقال – عز وجل:

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾

(آل عمران/ ٣٦)

فكل ميسر لما خلق له، وكل يعمل على شاكلته.

***

معاملة المسلمين مع غيرهم... المبادىء والتطبيق

٣

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف
رئيس اللجنة الدائمة للحوار بين الأديان السماوية بالأزهر الشريف

تحقيق المساواة بين الرعية

عانت [١] البشرية قبل مجىء الإسلام كثيرا من الظلم والقسوة والعذاب... بسبب التفرقة بين البشر: بين الأبيض والأسود، وبين الغنى والفقير، وبين القوى والضعيف، وبين الرجل والمرأة، وبين الطبقة الحاكمة وسواد المحكومين، وبين أصحاب الحسب والنسب الذى وصَفوه لأنفسهم وبين الخدم والعامة الذين صاروا لا يملكون من أمرهم شيئا سوى الخنوع والخضوع والطاعة والولاء لأسيادهم أصحاب الجاه والنفوذ والسطوة والسلطان والأمر والنهى... حتى الأطفال حديثى الولادة لم تسلم عند العرب فى الجاهلية من هذه التفرقة البغيضة، ويسجلها القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

سورة النحل آية ٥٨، ٥٩

وأبناء الفرس كانوا ينظرون إلى الأكاسرة كما ينظرون إلى الآلهة، وأبناء الرومان كان يستعلى بعضهم فوق بعض...

وهكذا عمت بلوى التفرقة المجتمعات البشرية قبل الإسلام، وساد قانون الغابة بين الناس، القانون الذى لا يعرف الأمن والأمان، ولا يعرف الهدوء والاستقرار، وعاش الناس فى رعب الخوف، وفزع القلق، وجهالة الغدر والمصير...

إلى أن بزغ فجر الإسلام وأشرقت شمسه، وانتشر نوره، وعمت مبادئه وأحكامه، ورفرفت راية المساواة التى شرعها للناس جميعا عالية خافقة، فالكل سواء لا فرق بين أبيض وأسود، ولا بين غنى ولا فقير، ولا بين حاكم ومحكوم، الفضل والتفاضل بين الناس فى التقوى وفعل الخير فقط...

ويَسُنّ الإسلام هذا القانون العادل، ويسجل القرآن الكريم هذا الدستور العظيم فى قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

سورة الحجرات آية ١٣

وفى قوله تعالى:

﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾

سورة النساء آية ١٢٣، ١٢٤

وفى قوله جل وعلا:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾

سورة الزلزلة آية ٧، ٨

ويؤكد الرسول ﷺ هذه المساواة المطلقة بين الناس جميعا من كل لون وجنس ونوع فى الحديث الشريف: (الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى).

فشريعة الإسلام الغراء تثبت وتؤكد أن المساواة بين الناس حق من حقوق الإنسان، وأن ضمان حريته، واحترام إنسانيته كفلها الدستور الإسلامى، فالكل سواء أمام القانون يطبق على الجميع بلا استثناء، فلا شفاعة لمجرم، ولا تغاضى عن مرتكب إثم.

وقصة شفاعة أسامة بن زيد سجلها التاريخ الإسلامى ليؤكد هذا المبدأ الإسلامى مبدأ المساواة بين الناس: فقد أراد أسامة بن زيد - مولى رسول الله ﷺ وكان قريبا إلى قلبه، فقد تربى فى بيت النبوة ونال حب وعطف الرسول - أن يشفع لفاطمة بنت الأسود المخزومية، وكانت قد ضبطت متلبسة بجريمة السرقة، فغضب النبى ﷺ وأنكر الشفاعة، ووجه الحديث إلى أسامة فى غضب شديد قائلا: (أتشفع فى حد من حدود الله؟) ثم قام النبى بعد ذلك فخطب الناس قائلا: (إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق

(١) من بحث «الإرهاب وحقوق الإنسان من منظور إسلامى» تأليف: فوزى فاضل الزفزاف.

الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها).

التقوى أساس المفاضلة

وتخاصم الصحابى الجليل أبوذر الغفارى مع عبد زنجى فقال له: يا ابن السوداء، فغضب رسول الله ﷺ غضبا شديدا وقال: طَفَّ الصاع (أى جاوز الأمر حده) ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى والعمل الصالح)، فما كان من أبى ذر إلا أن وضع رأسه على الأرض وقال للأسود: قم فخذ بحقك منى.

عليك الصلاة وأزكى السلام يا سيدى يا رسول الله، فقد حسمت بأقوالك القاطعة الحازمة قضية التفرقة بين بنى البشر، وقنّنت مبدأ المساواة بين الناس، وغرست فى قلوب أصحابك حرصهم على الالتزام بتطبيق دستور المساواة، فها هو الصديق سيدنا أبوبكر ـ رضى الله عنه ـ يؤكد على هذا المعنى ـ أى معنى المساواة ـ فى أول خطبة خطبها ـ وقد ولى أمر المسلمين ـ فيقول: (يا أيها الناس: إنه والله ما فيكم أحد أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له، ولا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه...) وأبوبكر يقول ذلك لأنه يعلم أنه حيث تفتقد المساواة تفتقد العدالة، وحيث تفتقد العدالة يفتقد الأمن والأمان، وحيث يفتقد الأمن والأمان تسود شريعة الغاب ويحدث الإرهاب وينهار المجتمع.

روح المساواة

ولقد كان الصحابى الجليل يقف على قدم المساواة ـ فى مقام الشكوى ـ مع غير المسلم حتى يُقْضى لأحدهما، فقد ذهب يهودى إلى الخليفة عمر بن الخطاب يشكو علىّ بن أبى طالب لأمر من الأمور، فلما مَثَل علىّ أمام الخليفة لاحظ أن الخليفة يخاطبه بكنيته بقوله: يا أبا الحسن، فاكتس وجه علىّ بمسحة من الغضب، فقال عمر أكرهت أن يكون خصمك يهوديا؟ وأن تمثل معه أمام القضاء على قدم المساواة؟ أجاب علىّ: لا، ولكننى غضبت لأنك لم تُسوِّ بينى وبينه، بل فضلتنى عليه إذ خاطبته باسمه وخاطبتنى بكنيتى.

وهكذا يأبى علىّ ـ وهو المشكو منه ـ إلا أن يحافظ على روح المساواة فى موقف القضاء فلا يرضى أن يخاطبه أمير المؤمنين بكنيته، لأن فيها معنى التوقير والتقريب، لكى يطمئن اليهودى إلى أن الحكم الذى سيصدره الخليفة سيكون خاليا من الهوى.

الفاروق.. القدوة

ولقد أكد الفاروق[٢] عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ على تحقيق وتطبيق مبدأ المساواة بين الرعية، وألا يتميز أحد على أحد

(٢) كتاب العشرة المبشرون بالجنة إصدار جريدة صوت الأزهر.

حتى ولو كان أمير المؤمنين نفسه، إنه يبدأ القدوة من نفسه ليكون مثالا يحتذى به ويسير على المنهج جميع ولاته.

لقد جاءه ـ يوما ـ أحد ولاته بهدية من الحلوى، فسأل حاملها: ما هذا؟ قال: حلوى يصنعها أهل أذربيجان، وقد أرسلنى بها إليك عتبة بن فرقد ـ الوالى على أذربيجان ـ فلما عرف مذاقها الشهى قال لحاملها: أوكل المسلمين هناك يطعمون هذا؟ قال الرجل: لا، وإنما هو طعام الخاصة، فأعاد عمر إغلاق الوعاء جيداً وقال للرجل: أين بعيرك؟ خذ حملك هذا وارجع لعتبة، وقل له: عمر يقول لك: اتق الله وأشبع المسلمين مما تشبع منه.

وهكذا يطبق خليفة المسلمين المساواة بين الناس على نحو فريد فى أمور قد يراها البعض سهلة هينة، ولكنه يضع الضوابط لتحقيق المساواة بمنهاج عملى تطبيقى، ولكى تكون دعوته للمساواة دعوة مسموعة، ولكى تستجيب الرعية له، رأى أن يبدأ بنفسه، وأن يعطى نموذج القدوة من ذاته، فإن الرعية حين ترى راعيها لا يستأثر بشىء دونها تطبق ذلك بصدق، وحين يرى الولاة أن أمير المؤمنين لا يقبل أن يتميز عن أحد بأبسط الأمور، فإنهم سرعان ما يطبقون المساواة فيما بينهم بدقة.. وحين يرون أن الذى يأمرهم بأمر يطبقه على نفسه ويبدأ به مع ذاته يكونون أسرع استجابة وأعظم اقتناعا، لا كهؤلاء الآخرين الذين يأمرون بالبر وينسون أنفسهم!! فلا يستجيب الناس لهم.

إن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ كان يمثل القدوة المثلى لجميع الولاة ولجميع أفراد رعيته فى المساواة وفى غيرها من أمور الحياة.

ولم يقتصر تطبيق المساواة بين المسلمين، بل أيضا بين المسلمين وغير المسلمين، فأعطى للعالم الصورة السمحة لهذا الدين فى معاملة الناس أجمعين، وفى المساواة بين الجميع.

عمر يقتص للقبطى

هذا هو والى مصر عمرو بن العاص ـ رضى الله عنه ـ عندما تسابق ابنه مع أحد أبناء أقباط مصر. وسبق ابن عمرو، علا محمد بن عمرو ظهر القبطى بالسوط وضربه قائلاً: خذها وأنا ابن الأكرمين.

فلما رُفع الأمر إلى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ دعا عمرو بن العاص وابنه محمدا. يقول أنس ـ رضى الله عنه ـ:

فو الله إنا لجلوس عند عمر، وإذا عمرو بن العاص يقبل فى إزار ورداء، فجعل عمر يتلفت باحثا عن ابنه محمد، فإذا هو خلف أبيه، فقال عمر: أين المصرى؟ قال: هاأنذا يا أمير المؤمنين، قال عمر: خذ الدرة واضرب بها ابن الأكرمين، فضربه حتى أثخنه، ونحن نشتهى أن يضربه، فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه، وعمر يقول اضرب ابن الأكرمين.

ثم قال عمر اجعلها على صلعة عمرو، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه، قال

الرجل : يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت وضربت من ضربنى، قال عمر : أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذى تدعه.

ثم التفت إلى عمرو وقال : يا عمرو، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟ والتفت إلى المصرى وقال له : انصرف راشدا فإن رابك ريب فاكتب إلىّ.

مقاييس السمع والطاعة

ومن نماذج المساواة التى عهدتها فيه رعيته، ومكنتهم من أن يجادلوه ويناقشوه فى الحق، ما حدث عندما جاءته بعض برود من اليمن فقام بتوزيعها بين المسلمين، وكان لكل فرد برد واحد، وعندما وقف عمر على المنبر خطيبا وعليه برد فصّله قميصا، ودعا الناس إلى الجهاد وقف أحد المسلمين قائلا : لا سمعا ولا طاعة، فقال عمر ولما ذلك؟ قال الرجل : لأنك استأثرت علينا، لقد خرج فى نصيبك من الأبراد اليمنية برد واحد، وهو لا يكفيك ثوبا، فكيف فصلته قميصا وأنت رجل طويل؟ فالتفت عمر إلى ابنه قائلا : أجبه يا عبدالله، قال عبدالله : لقد ناولته من بردى فأتم قميصه، وحينئذ قال الرجل : أما الآن يا عمر فالسمع والطاعة.

ويطول بنا القول لو ذهبنا نقرأ صحائف العصور الإسلامية التالية لعصر الخلفاء الراشدين فنقلنا عنها ما كان لكثير من الوزراء والأطباء والأدباء ورجال المال والاقتصاد والصناعة والمترجمين وكتبة الدواوين فى الدولة الإسلامية من غير المسلمين من مكانة مرموقة، ومن مناصب عالية رفيعة، ومن مساهماتهم الإيجابية البناءة فى النهوض بالأمة، ورفع مستوى كفاءة الأداء فى الجهاز الإدارى للدولة، بل إن هناك مهنا خاصة تكاد تكون موقوفة على المخلصين من هؤلاء.

وهذه هى سماحة الإسلام وحرصه على تحقيق المساواة بين أفراد الرعية، دون النظر إلى الدين، مادام المواطن حريصا على سلامة أمن الدولة، مجتهدا فى النهوض باقتصادها، ملتزما بالعمل على رفعة شأنها، مساهما فى تقدمها العلمى وثقافتها.

أما إذا خالف ذلك، وثبت عليه التقصير والإهمال أو الخيانة فالكل أمام القانون سواء، مسلما كان أو غير مسلم.

وقد يوجد من الجامدين من يعترض على ذلك، ولكن هؤلاء يوجدون فى كل ملة ودين، ولا عبرة بشطحاتهم التى تصطدم بمبادىء الإنسانية قبل أن تصطدم بمبادىء الدين.

- يتبع -

***

تزكية النفس الانسانية

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

إن تكوين الشخصية القويمة لا تستكمل ملامحها إلا بتزكية النفس وتنقية داخل الإنسان وأعماقه، قبل مظهره الخارجي. والإنسان الذى يعجز عن إصلاح نفسه التى بين جنبيه هو أكثر عجزاً عن إصلاح نفوس الآخرين والتأثير فيهم، وللنفس البشرية دوافعها فى السلوك وتأثيرها على الكيان الخارجي، ولها وساوسها المتحركة وهواجسها الشائكة. التى تدفع الى الانحراف والسوء والفحشاء والمنكر

﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

سورة يوسف آية "٥٣"

بالقرآن الكريم تتزكى النفوس. فلا تعوقها الفتن، ولا تعكر حياتها الضلالة فتنتهي بالهلاك وقد أمر الله - تعالى - رسوله عليه الصلاة والسلام ان يذكر الناس بكتاب ربهم لئلا تضل النفس وتهلك فقال تعالى :

﴿ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾

سورة الانعام "٧٠"

ولا يتأتى للنفوس تزكية في غير البيئة الإسلامية الآمنة، المطبقة لشريعة الله، ففى

رحابها تستقر النفس وتطمئن، فلا ترتاع من أحد يمكر بهـا، ولا ترتاب فى نفـوس من حولها، وكم زعم البعض أن في بعض البيئات التي توغلت في المدنية المجردة عن الإسلام رقة في المعاملة وملاطفة في الأسلوب والمنظر فخدع في النفوس وظن فيها الحسنى وليس الأمر كما زعم فيها الحسنى، وليس الأمر كما زعم لأن صفاء النفس لا يتأتى من السطح الخارجي لحياة الناس ومعاملاتهم، وإنما مبعثه من داخل القلب وأعماق النفس الإنسانية، وليس في غير الكتاب والسنة والإيمان الصحيح طريق للتزكية وقد امتن الله - تعالى - على عباده إذ أرسل لهم رسوله بكتاب قويم يزكيهم ويعلمهم فقال تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

سورة الجمعة آية ٢

ويتتبع الأسلام تزكية النفس في مسار الحياة فيدفعها إلي الخير، ويعمل علي ترقيتها من إمارة بالسؤ الي نفس لوامة ثم إلى نفس مطمئنة. لقد وضح القرآن حقيقة النفس البشرية في ضعفها، وكيف تستهويها الفتنة بمظهرها الخلاب:

﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾

يوسف / ٥٣

لكن عندما يصحو الضمير الديني ويتحرك وازع الدين يخاف الإنسان مقام ربه، وعندئذ ينهى نفسه الأمارة بالسوء فيحظى بالرحمة والجنة قال تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾

سورة النازعات آية (٤٠-٤١)

وعندما ترتقي نفس الإنسان المسلم بالتزكية تلوم نفسها لاعلي ارتكاب الخطأ فحسب بل تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان. وبتلك النفس اللوامة ورد القسم في القرآن فى قوله تعالي:

﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾

سورة القيامة آية (١-٢)

وعندما ترتقى النفس بالتزكية وتطمئن بإيمانها وسلوكها فتنتهي عما نهى الله وتأمر بأمر الله وحين تنقضى بها رحلة الحياة الدنيا تقبل على الله محبورة مستبشرة ويقال لها:

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾

الفجر آية (٢٧: ٣٠)

ومن رحمة الله بعباده أنه وضح لهم طريق الخير ليتبعوه. وطريق الشر ليتركوه وألهم كل نفس هذا الإحساس والبيان:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾

سورة الشمس (آية ٧: ١٠)

تسليح النفس

وفي مسار تزكية النفس يحرص الإسلام على تسليح النفس بذكر الله والوضوء والصلاة لينتصر علي وساوس الشيطان وينفض غطاء الكسل وعوامل التثبيط. ففيما رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة -رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نائم ثلاث عقد يضرب على كل عقدة، عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ تذكر الله انحلت عقدة فإن توضأ انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا اصبح خبيث النفس كسلان).

إن الكسل ظاهرة غير صحية في حياة المسلم لكن خبث النفس تحطيم للشخصية بمنظارها القائم يتطلع المرء إلى من حوله فيسيء بهم الظنون وحيث تقع نظراته على محامدهم. إذا بها فى عينه مثالب. إنه لا يرى فى الورود إلا الشوك، وانطباعاته عن دنيا الناس انعكاس لما يتردد صداه في نفسه فهي عارية عن الخير والجمال فلا تري فى الوجوه خيرا ولا جمالا.

هذه النفس التي عناها الشاعر بقوله:

وترى الشـوك فى الورود وتعمى
إن ترى فـوقـه الندي إكليـلا
والذى نفســه بغيـر جمـال
لا يرى في الوجوه شيئـا جميـلا

وما أحوج المجتمع الإنساني إلي تزكية النفس وإلي التضرع إلى الله أن يحفظها فى السر والعلانية في اليقظة وفي النوم كما كان سلفنا يضرعون إلى الله ليحفظها.

روي الإمام مسلم عن عبد الله بن عمر أنه أمر رجلا إذا اخذ مضجعه قال: اللهم خلقت نفسى وأنت توفاها لك مماتها ومحياها إن أحييتها فاحفظها وإن أمتها فاغفر لها اللهم إنى أسألك العافية».

وما أروع أن تدعو بدعاء رسول الله ﷺ كما رواه مسلم: (اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم إني اعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها).

بين الخوف والرجاء

يشكل الوجدان الإسلامى المعتدل بين الخوف والرجاء حيث يتوازن بناء الشخصية فلا يؤدي به الرجاء إلى الإهمال ولا يؤدى به الخوف إلى اليأس:

﴿ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾

سورة يوسف (٨٧)

وبين الخوف والرجاء يستيقظ الضمير الديني محذرا لصاحبه من التردي في مهاوي الفساد والتهلكة مرغبا له طريق الطاعة والنجاة بالرغبة والرهبة فتنمو فى أعماقه

عواطف جياشة وأحاسيس صادقة مبعثها صحة العقيدة وقوة الصلة بالله وهذه الصلة الوثيقة هى التى تضفي علي حياته الرجاء فى رحمة الله وفي الوقت نفسه تحذره من عذابه:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾

سورة الاسراء (٥٧)

نموذج من القرآن

والاتجاه إلى الله بالرغبة والرهبة مع المسارعة في الخيرات سبيل لفتح الأبواب وتحقيق الأمال لأنه لا يستقيم على ذلك إلا من صدقت نيته وصفت سريرته وأشرقت حياته بالإيمان ولقد أخبر الله تعالى: عن زكريا - عليه السلام - حين طلب أن يهبه الله ولدا يكون نبيا من بعده فسارع هو وأهله فى الخيرات وفي الدعاء رغبا ورهبا فأجاب الله دعاءهم وحقق رجاءهم، قال تعالي:

﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾

سورة الأنبياء (٨٩-٩٠)

فهذا نموذج يقدمه القرآن فيه تجلية لأثر الخوف والرجاء وما ينبغي أن يكون عليه المسلم في دعائه واتجاهه إلى الله وبين الخوف والرجاء دائرة إيمانية مشرقة تنطفىء فيها المخاوف النفسية وينبثق منها الأمن الروحى حيث يكف الإنسان نفسه عن كل ما يغضب الله خوفا منه ويسارع إلى مرضاته رجاء رحمته وعندئذ يظل مستشمرا ثواب الله وعقابه وغفرانه وعذابه.

﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴾

سورة الحجر / ٤٩، ٥٠

وقال تعالى:

﴿ حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾

سورة غافر (١-٢)

كما دعا القرآن إلي الخوف والرجاء ففي السنة الشريفة فيض عامر يستهدى به المسلم فى حياته ويفتح أمامه باب الأمل والرجاء فى رحمة الله.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: قال الله عز وجل: (سبقت رحمتى غضبي)[1] وفيما رواه ايضا عن عمر بن الخطاب أنه قال: (قدم على رسول الله ﷺ بسبى فإذا امرأة من السبي تبغى إذا وجدت سبيا فى السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا رسول الله صلي الله عليه وسلم أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار؟ قلنا: لا والله وهى تقدر على أن لا تطرحه. فقال رسول الله ﷺ: الله أرحم بعباده من هذه بولدها)

وحتي لا يتكل الناس على الرحمة وجانب الرجاء نجد أن الرسول ﷺ يخبر عن وقوع العذاب من أمور قد يستهين البعض بها. روى الإمام مسلم عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله علية وسلم: (دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلا هي أطعمتها ولا هي ارسلتها تأكل من خشاش الأرض)

وتؤكد السنة المشرفة حقيقة الخوف والرجاء ومدي ما عند الله من العقوبة والرحمة حتي لا يتسرب الغرور أو اليأس الى داخل النفس الإنسانية. روى مسلم بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ماطمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ماقنط من جنته أحدا)

وترسم السنة صورة متكاملة الملامح لحياة الإنسان اليومية يكتنفها الخوف والرجاء في حركته وسكونه، في يقظته ونومه، ففيما رواه مسلم عن سعد ابن عبيدة، حدثنى البراء بن عازب ان رسول الله ﷺ قال: (إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل اللهم إني أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجي منك إلا إليك آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت).

خوف من الله

وليس في عنصر الخوف من الله إهدار للحرية واستقلالها كما يدعي أعداء الإسلام فإن الخوف صمام أمن وعاصم من الزلل، والتربية في أمس الحاجة إليه ثم أنه ليس خوفا من مخلوق وإنما خوف من الله.

يقول السلف: ينبغي تغليب الخوف على الرجاء ما دام الإنسان يغدو ويروح فى الدنيا فإذا خرج منها حسن به الرجاء على الخوف عند الله ذلك ويرى البعض إذا غلب الأمن من عذاب الله فالخوف أفضل وإذا غلب اليأس فالرجاء أفضل.

ما أروع ما قاله ابن القيم في هذا: «القلب في يدها إلى الله - عز وجل - بمنزلة الطائر فالمحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه فمتي سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران ومتى قطع الرأس مات الطائر ومتي فقد الجناحان فهو عرضة لكل طائر وكاسر».

(١) البخارى ٦/٢٧٤٥.

مواقف إسلامية

مَنْ نامَ قليلاً .. أكلَ كثيراً !!

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

يقول الله ـ عز وجل ـ:

﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾

(النبأ/ ٩-١١)

مدخل

لا يخبر القرآن الكريم بمحالات العقول.. بل إنه يخبر بمحاراتها.. أى أنه يخبر بما حارت فيه العقول.. فلم تفهمه. بمعنى أنه لا يخبر بما ينفيه العقل. بل بما يعجز عن فهمه.. فإذا لم يحاول العقل أن يفهم.. أو حاول لكنه لم يوفق.. إذا كان الأمر كذلك.. فإن العيب فى الإنسان.. وليس العيب فى القرآن.

النوم سلطان

وهذا ما أكدته التجربة الإنسانية عبر الزمان المتطاول، وقد كنا نفهم من «سلطة النوم» أنه حين يهجم عليك، أو عندما يتسلل إلى دماغك رويداً رويداً، فإنه يدخل بك الهوينى فى عالم مسحور، حين يفرض عليك أن تلقى سلاحك.. عاجزاً عن مقاومته.. فإذا أنت فى «سبات» مقطوع الصلة بالحياة

والأحياء.. فى حالة ما أنت فيها بحى.. ولا ميت.. كنا نفهم ذلك.. زمان..

ولكن التحاليل المعملية أكدت أن للنوم سلطاناً مترامى الأطراف، ممتد الأبعاد. يقول الرازى: «إن النوم ـ بمقدار الحاجة ـ من أنفع الأشياء. أما دوامه: فمن أضر الأشياء». وأنفع ما فيه أنه: «سُبات»: أى: راحة واستجمام. «هدنة للروح من صراع الحياة العنيف.. هدنة تلم بالفرد، فيلقى سلاحه، ويستسلم لفترة من السلام الآمن.. السلام الذى يحتاجه الفرد حاجته إلى الطعام والشراب».

نهاية المطاف

ثم كان تحقيق «الأهرام» تحت هذين العنوانين:

«السهر: يزيد الوزن» و«من نام قليلاً أكل كثيراً»، وفى محاولة لحل هذه المعادلة قالوا: هناك «هرمونات» تتحكم فى الشهية، والإحساس بالجوع. وعندما «تسهر» تجوع.. لأن السهر يزيد من «هرمونات الجوع».. فإذا أنت تختار طعاماً عالى السُّعرات، بالإضافة إلى الحلوى، والنشويات. كل ذلك على حساب الخضر والفواكه. التى يزهدك السهر فيها بقدر حاجة الدماغ إلى طاقة السكر، التى فقدها خلال السهر، ولكنه إذا نام.. فإن النوم يحقق ما يلى:

أ- ينشط هرمون الشبع.

ب- يقوم النوم بعملية التنظيم.

جـ- بالنوم تنعكس الحرارة إلى الباطن.. فينهضم الطعام.

ويعنى ذلك: أن السهر من دواعى الشره.. وبه تكون المعدة ملآى بالطعام.. وإذن فإن العقل لا يعمل بكل طاقته. ثم يكون الملل.. والكسل.. والترهل.

مصادر هذا الاتجاه

وقد استورد هؤلاء الباحثون آراءهم تلك من مصادر غربية، ثم سألوا الدكتور «يوسف مينا» والذى قال: «قلة النوم عامل ضمن عوامل» ولكن لم يلتفت له أحد.

رأى الإسلام

يقرر القرآن الكريم أن النوم راحة واستجمام، يزود الإنسان بالطاقة لسعيه بالنهار.. والمقصود بالنوم هو: «السبات» أى: المنقطع.. للراحة.. على أن يكون ذلك بالليل.. الليل: الذى جعله الله ـ تعالى ـ «لباساً» أى: زينة وجمالاً.. كما أن الثوب زينة للابسه، وجمال. والنوم كذلك.

والفارق كبير بين النوم ليلاً والنوم نهاراً. فالنوم ليلاً له فوائد عظيمة، حيث تنال أعضاء الجسم من الراحة أضعاف ما تناله خلال النوم نهاراً بسبب ما فيه من

ضوضاء وصخب، وضوء قوى، وكلها مؤثرات شديدة على الجهاز العصبى.

وقد اكتشف العلماء أخيراً أن الغدة الصنوبرية فى الدماغ تقوم بإفراز مادة تسمى (الميلاتونين) التى تؤثر تأثيراً مباشراً فى عملية النوم، وأن الظلام يزيد إفراز هذه المادة، بعكس الضوء الذى يثبطه.

نعمة النوم

يقول الحق - تعالى - فى ذلك:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢) وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(القصص / ٧١-٧٣)

والمعنى: إنه من مظاهر رحمته - عز وجل - بكم: أنه - عز وجل - لم يجعل الليل دائماً.. ولم يجعل النهار دائماً.. وإنما قدرهما - سبحانه - متعاقبين عليكم.. لترتاحوا بالنوم ليلاً.. وتتقلبوا فى الأرض نهاراً.. نعمة منه - عز وجل - تذكر فتشكر.

«فالإنسان مدفوع إلى أن يتعب بتحصيل ما يحتاج إليه. ولا يتم له ذلك لولا ضوء النهار.. ولأجله يحصل الاجتماع، فتمكن المعاملات. ومعلوم أن ذلك لا يتم لولا الراحة والسكون بالليل».

وتأمل قوله - تعالى -:

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴾

(فإن الإنسان بسبب اللباس يزداد جماله، وتتكامل قوته، ويدفع عنه أذى الحر والبرد.. فلذا لباس الليل بسبب ما فيه من النوم: يزيد فى جمال الإنسان، وفى طراوة أعضائه - استرخائه - وفى تكامل قواه الحسية والحركية. ويندفع عنه أذى التعب الجسمانى.. وأذى الأفكار الموحشة. فإن المريض إذا نام بالليل وجد الخفة العظيمة.

من بلاغة الآيات الكريمة

يقول الخطيب الإسكافى:[1]

للسائل أن يسأل عن: تقديم الليل على النهار.. وأنه لو قُدم النهار: هل كان على مقتضى الحكمة.. وقوله عقيب هذا:

﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾

وعقيب الآخر:

﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

(١) درة التنزيل وغرة التأويل/ ٣٤٥-٣٤٦.

والجواب عن ذلك أن يُقال:

إن نسخ الليل بالنير الأعظم.. أبلغ فى المنافع.. بما ضمن من المصالح من نسخ النهار بالليل:

ألا ترى أن الجنة نهارها دائم.. لا ليل معه، لأن الليل فى دار التكليف للاستراحة.. والاستعانة بالجمام والراحة على ما يلزم من الكُلف المتعبة، والمشاق المنصبة. ودار النعيم يستغنى فيها عن ذلك، لأنها مقصورة على نيل المشتهى. وعلى ما تلتذ به النفس وتهوى.

فتقديم ذكر الليل.. لانكشافه عن النهار الذى يمكن من التصرف فى المعايش. والسعى فى المصالح. إلى ما لا يحصى كثرة من المنافع المتعلقة بالشمس. أحق وأولى.

وقوله: ﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ أى: أفلا تسمعون سماع من يتدبر المسموع - ليستدرك منه قصد القائل. ويحيط بأكثر ما جعل الله فى النهار من المنافع. أم أنتم صم عن سماع ما ينفعكم؟

وقوله تعالى:

﴿ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

القصص (٧٢)

أى: أفلا تستدركون من ذلك ما يجب استدراكه، فإن عقيب السماع استدراك المراد بالمسموع. إذا كان هناك تدبر له. وتفكر فيه. ولم يجعله السامع دبر أذنه.

قال الرازى:

وإنما قرن بالضياء.. ﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر».

● قال «البيضاوى»:

«.. لأن استفادة العقل من السمع أكثر من استفادته من البصر».

النوم آية

وقف العالم الأوروبى فى مؤتمر علمى كبير يقرر ما يلى: أن الإنسان إذا وصل به النوم إلى المرحلة الثالثة من مراحله.. فإن الروح تفارقه تماماً. كما تفارق الروح الميت. وقد تأكد لى ذلك بعد بحث على مدى ٤٠ عاماً.. وعلى آلاف الأفراد.

وعندئذ قام شاب مسلم وقرأ قوله تعالى:

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[الزمر ٤٢]

ولما ترجمت الآية للرجل أقسم أن هذا لا يمكن أن يكون كلام بشر.. إنه ليس من عند محمد.. وأنا أريد أن أدخل فى دين محمد.. ثم ذهب إلى المنصة وأعلن إسلامه!!

فى السنة المطهرة:
النهى عن السمر لا عن السهر

«روى عن النبى ﷺ أنه قال: «لا سمر إلا لمصل أو مسافر» [٢]

تقول كتب اللغة فى السهر:

إنه: الأرق.. وهو: عدم النوم ليلاً..

ومعنى ذلك أن «السهر» شأن كونى يفرض على الإنسان لأسباب نفسية أو جسمية.. ومن ثم فهو غير داخل فى طاقة الإنسان، ولا يملك عنه حولاً أحياناً.

أما «السمر» فهو وضع يختاره الإنسان حين يواصل اليقظة التى يضيع بها عمره، ويضر بصحته، وهو الحديث بالليل خاصة. من أجل ذلك ينهى ﷺ عن «السمر» لا عن «السهر».

وكان هو الأسوة الحسنة:

فعن عائشة رضى الله عنها: «ما نام رسول الله ﷺ قبلها- العشاء- ولا سمر بعدها» [٣]

إلا إذا كان لمصلحة شرعية. فقد كان رسول الله ﷺ يسمر مع أبى بكر فى الأمر من أمر المسلمين.. وأنا معهما وهكذا يقول عمر- رضى الله عنه- والذى كان يضرب الناس على «السمر» بعد العشاء.. وفي رواية: على «السهر» ثم يقول لهم (أسمرا فى أوله. ونوماً فى آخره).

وكان هذا دأب الصالحين.. من أمثال الإمام الشافعى والذى كان يجزىء الليل ثلاثة أثلاث:

الثلث الأول: يكتب.

والثانى: يصلى.

والأخير: ينام.

الصلاة وكفاءة وظائف الجسم

بعض المسلمين اليوم يبددون أثمن لحظات العمر، لحظات السهر.. وما بعد العشاء، حين يسهرون، فيتأخرون حيث لا يستيقظون إلا قبيل الظهر وقد أضاعوا ساعات النشاط وزيادة الإنتاج.. وهذا ما أيقنه العلم الحديث الذى يقول:

أظهرت البحوث العلمية الحديثة أن مواقيت الصلوات الخمس تتوافق مع أوقات النشاط الفسيولوجى للجسم، مما يجعلها وكأنها هى القائد الذى ينظم عمل الجسم كله.

فهرمون النشاط فى جسم الانسان وهو هرمون «الكورتيزون» يبدأ فى الازدياد ويصل إلى أعلى معدلاته مع دخول وقت صلاة الفجر، ويتلازم مع ارتفاع منسوب ضغط الدم، ولهذا يشعر الإنسان بنشاط كبير بعد صلاة الفجر

(٢) المعجم الكبير للطبرانى ١٠/ ٢١٧-١٠.

(٣) السنن الكبرى للبيهقى، كتاب الصلاة.

بين السادسة والتاسعة صباحا، هكذا فإن الوقت بعد الصلاة هو أنسب وقت لبداية العمل وكسب الرزق وإنجاز أية مهمات تتطلب تركيزا عاليا، وقد قال رسول الله - ﷺ - فيما رواه الترمذى وابن ماجه والإمام أحمد: «اللهم بارك لأمتى فى بكورها» كذلك تكون فى هذا الوقت أعلى نسبة لغاز الأوزون فى الجو، ولهذا الغاز تأثير منشط للجهاز العصبى وللأعمال الذهنية والعضلية والعكس عند وقت الضحى، فيقل إفراز هرمون الكورتيزون ويصل لحده الأدنى، فيشعر الإنسان بالإرهاق مع ضغط العمل ويكون فى حاجة إلى راحة، ويكون هذا بالتقريب بعد سبع ساعات من الاستيقاظ المبكر وهنا يدخل وقت صلاة الظهر فتؤدى دورها كأحسن ما يكون وفى بث الهدوء والسكينة فى القلب والجسد المتعبين.

وبعدها يسعى المسلم إلى طلب ساعة من النوم تريحه وتجدد نشاطه بعد صلاة الظهر وقبل صلاة العصر، وهو ما نسميه «القيلولة» وقد قال عنها رسول الله ﷺ فيما رواه ابن ماجة عن ابن عباس: «استعينوا بطعام السحر على الصيام، وبالقيلولة على قيام الليل»، وقال ﷺ: «قيلوا فإن الشيطان لا يقيل»[٤] وقد ثبت علميا أن جسم الانسان يمر بشكل عام فى هذه الفترة ببعض الكسل والخمول حيث يرتفع معدل مادة كيميائية مخدرة يفرزها الجسم فتحرضه على النوم فيكون الجسم فى أقل حالات تركيزه ونشاطه وإذا ما استغنى الإنسان عن نوم هذه الفترة فإن التوافق العضلى العصبى يتناقص كثيرا طوال اليوم.

ثم تأتى صلاة العصر ليعاود الجسم بعدها نشاطه مرة أخرى ويرتفع معدل هرمون الإدرينالين فى الدم، فيحدث نشاطا ملموسا فى وظائف الجسم خاصة النشاط القلبى ويكون هنا لصلاة العصر دور مهم فى تهيئة الجسم والقلب بصفة خاصة لاستقبال النشاط المفاجئ والذى كثيرا ما يتسبب فى متاعب خطيرة لمرضى القلب للتحول المفاجئ للقلب من الخمول إلى الحركة النشيطة.

ثم تأتى صلاة المغرب فيقل إفراز هرمون الكورتيزون ويبدأ نشاط الجسم فى التناقص، وذلك مع التحول من الضوء إلى الظلام، وهو عكس ما يحدث فى صلاة الصبح تماما، فيزداد إفراز مادة «الميلاتونين» المشجعة على الاسترخاء والنوم فيحدث تكاسل للجسم وتكون

(٤) المعجم الأوسط ١/ ١٣.

الصلاة بمثابة محطة انتقالية من مرحلة نشاط إلى بداية هدوء وسكون لفسيولوجية الجسم وأجهزته.

وتأتى صلاة العشاء لتكون هى المحطة الأخيرة فى مسار اليوم، والتى ينتقل فيها الجسم من حالة النشاط والحركة إلى حالة الرغبة التامة فى النوم مع شيوع الظلام وزيادة إفراز «الميلاتونين» لذا يستحب للمسلمين أن يؤخروا صلاة العشاء إلى قبيل النوم لذا نجد أن الالتزام بأداء الصلوات فى أوقاتها هو أدق أسلوب يضمن للإنسان توافقا كاملا مع أنشطته اليومية، مما يؤدى إلى أعلى كفاءة لوظائف أجهزة الجسم البشرى.

وقد أفلح رجال «جددوا» حياتهم على هذا النسق الفريد.. فى الوقت الذى استسلم فيه آخرون للشيطان حتى بال فى آذانهم..

ومن معانى ذلك: أن محاولة تعويض ساعات النوم صباحا عن الساعات بعد صلاة العشاء فى السهر.. هذه المحاولة مقضى عليها بالخسار. لأن الاستجمام فى أول الليل.. لا يجبره نوم صباح اليوم التالى.. لأن هذا النوم ضياع لنشاط لا يعوض ما فات.. وصار هؤلاء الكسالى: ممن يلهون طويلا.. ولا يعملون إلا قليلا. وقد تكون لديهم رغبة فى الإصلاح ولكن لا همة هناك.

دروس فى الدعوة..والاجتماع

ومن دروس الدعوة هنا: أن وعد الله حق: ومن أصدق من الله قيلا ومن أصدق من الله حديثا..

قل صدق الله، صدق الله -تعالى- حين قال:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

[فصلت/ ٥٣]

لقد أراهم الحق سبحانه - كما وعدهم - من آيات النوم ما يفرض عليهم التسليم بالنتيجة، بعد التسليم بالمقدمات، وإذن.. فلا داعى لركوب أمواج الحماس.. لتشن الغارة على القوم هناك.. بأننا على الحق وأنتم على الباطل.

لأن كونك على الحق لا يشفع أن تجرح شعور الآخرين. ولكن الحكمة أن نقول لهم هذه تجاربكم المعملية تثبت اليوم ما سبق الإسلام بإثباته منذ أكثر من ألف عام.. فهل أنتم منتهون.. عن حملة التشويه بعدما تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر.

لقد أثبتت معاملكم أن تأخير «النوم» بالسهر سبيل إلى التخمة التى هى طريق إلى أمراض العصر وأن من نام قليلا.. أكل كثيرا..

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾

[الجاثية/ ٦]

إنها دعوة إلى زيادة النتائج التى بها تحتفون وتتناطحون.

فالمسلم مدعو إلى النوم.. وبعد العشاء مباشرة.. ليتمكن من اليقظة عند الفجر.

يوقظه «الأذان» أن ينهض من فراشه.. ليعمل وينتج فى الوقت الذى يتقلب فيه «الساهرون» فى فرشهم كسالى عاجزين قد «بال الشيطان» فى آذانهم فلم يسمعوا.. ولم يستمتعوا.

وليت شعرى: لقد أضاع بعض المسلمين اليوم - بالسهر - أضاعوا أثمن لحظات العمر وهى: السحر.. بهذا.. السهر.. فلم يشكروا نعمة النوم.. بل أضاعوا من أساليب الدعوة ما هو أدل على الإلزام وأعظم فى الإفحام.

من دروس الاجتماع

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

[آل عمران: ١٩٠]

وقد فهمها أولوا الألباب فعلا.. وكيف؟؟

إن اختلاف الليل والنهار يحقق الله تعالى به ما يلى:

- يغير المناخ..
- يحول اتجاه الريح..
- يؤثر فى الهواء.
- يؤدى إلى تعاقب المطر.. الذى يطرد الجفاف.
- ثم يكون موت الأرض وإحياؤها..

ونقول: لم يجعل الله تعالى الليل سرمدا.. ولا النهار سرمدا ولكل مزية.. والمزيتان.. متكاملتان.. لا متعامدتان.

وهنا نواجه بقانون اجتماعى مشتق من هذا القانون الكونى وهو:

أن المزية.. لا تقتضى الأفضلية فأنت متميز بموهبة.. وزميلك معروف بأخرى.. فلا فضل لأحدكما على الآخر.. وإنما هو تنوع التخصصات فأنتما متكاملان.. لا متعاندان

أما بعد:

فقد كانت أمتنا على وعى كامل بهذه الحقيقة وهى أن السهر.. مضر بالإنسان.. ولقد كان «للقاعدة» دورها فى إلزام القمة كلمة التقوى.. بحمايتها من آصار السهر.

روى لسان الدين بن الخطيب وزير دولة بنى نصر «التى شيدت قصر الحمراء». أن ثالث ملوك تلك الدولة كان «يسهر» على أنوار ضخام الشمع. وكانت تتخذ له من جذوع فى أجسادها مواقيت تخبر بانقضاء ساعات الليل، ومضى الهزيع. وإنما فعلوا ذلك.. لأنه كان يطيل السهر. وقد أصيبت عيناه من ذلك بأذى. فرأوا أن يلفتوا نظره إلى مواقيت الليل، بهذه الطريقة!!

وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا

شهادات غربية فى إنصاف الإسلام

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

٥

«.. لم يكن النشاط الروحى للإسلام، كما زعم عدد كبير من الناس متمشياً مع سلطانه السياسى، بل على العكس من ذلك، نجد فقدان السلطة السياسية والانتعاش المادى، يعمل على إبراز أجمل الصفات الروحية التى تعد أصدق البواعث التى تحفز على القيام بأعمال الدعوة»[1].

ففى فارس: «لما تشتت الجيوش الفارسية لم يلق المسلمون مقاومة تذكر من الشعب الفارسى الذى كان قد استبد بحكمه ممثلو الدولة الساسانية فى أواخر أيامها استبداداً امتاز بكثير من ضروب الفوضى والعنت، ومما أثار غضب الأهلين، وجعلهم ينظرون إلى حكامهم نظرة تنطوى على الكراهية والبغضاء، وزادت شقة الخلاف بينهم، أن هؤلاء الحكام كانوا يناصرون ديانة زرادشت التى غدت الدين الرسمى فى الدولة وصاروا على جانب عظيم من القوة فى مجالس الملك، وادعوا أن لهم نصيباً كبيراً فى إدارة الشئون المدنية، واستغلوا نفوذهم فى اضطهاد كل الديانات المخالفة لهم (وكانت كثيرة).. وقد أثار هذا الاضطهاد شعور الكراهية المريرة الذى أحسه الشعب الفارسى نحو هذا الدين الذى تغلغل فى بلاد الفرس، ونحو تلك الدولة التى وقفت من ذلك الاضطهاد موقف الرضا والتشجيع، كما كان كذلك علة ذلك الانتصار الذى حالف الفتح العربى، وجعله يظهر فى صورة تخليص الأهلين مما أصبحوا فيه.

وما أن تم للمسلمين ما أرادوا على هذا الوجه، حتى تنفس الفرس أنفسهم الصعداء ورحبوا بالحرب حباً فى الخلاص من ظلم الحكام أولاً، ورغبة فى إعفائهم من الخدمة العسكرية ثانياً، ثم أملاً فى تمتعهم بالحرية الدينية آخر الأمر.

إنه حتى فى عهد احتضار الأسرة الساسانية، ثارت ثائرة خسروا الثانى، واشتد حنقه من جراء الهزيمة التى أنزلها به الإمبراطور المسيحى هرقل [٦١٠ - ٦٤١م] فأمر باضطهاد المسيحيين المقيمين فى داخل حدود مملكته، والذين تحملوا على اختلاف مذاهبهم كثيراً من ألوان العنت والآلام.

وإلى جانب الاضطراب السياسى فى الدولة، ظهرت تلك الفوضى الأخلاقية التى ملأت عقول المسيحيين، الذين وقفوا أمام هذه المصائب المتراكمة والآلام المعنوية التى أثارها قيام الصراع العنيف بين هذه العقائد المتنافرة، فمالوا إلى هذا النظام الإسلامى العجيب من التنسيق العقلى الذى ينمو فيه هذا الدين الجديد فى سهولة ويسر، ويكتسح أمامه أكثر الأديان الأخرى، ويحاول أن يقيم الحالة الدينية والاجتماعية على أساس جديد. وبعبارة أخرى، كان أهالى فارس والأجناس السامية بوجه خاص، قد بلغت عقليتهم درجة ساعدتهم على التحول إلى ذلك الدين الجديد والترحيب باعتناقه فى حماسة ملحوظة، لما يمتاز به من البساطة وهكذا قدر للإسلام أن يبدد بضربة واحدة كل هذه الغيوم، وأن يفتح أمام الناس سبلاً واضحة من الآمال الكبيرة، وأن يعدهم بتخليصهم فى أسرع وقت من عبوديتهم وحالتهم السيئة.

الفرس يرحبون بالإسلام

على أن سكان المدن، وخاصة الصناع وأصحاب الحرف وأهل الطبقة العاملة، قد رحبوا بالدين الإسلامى، واعتنقه عدد عظيم منهم فى حماسة كبيرة، وذلك لما تتطلبه أعمالهم من تركهم ديانة «زرادشت» وتقبيح عبادة النار والأرض والماء، وهم الذين كان ينظر إليهم أمام القانون باحتقار وازدراء، ولما فى اعتناقهم الإسلام أيضاً من تركهم فى الحال أحراراً، ومساواة فى المذهب الدينى.

ولم تكن القوة أو العنف السبب فى اتساع نطاق تحويل الناس إلى الإسلام، بدليل هذه المعاملة التى عامل بها العرب من ظل من الفرس على تمسكه بدينه القديم.. ومن المستحيل قطعاً أن نقول إن اضمحلال ديانة زرادشت كان سببه أن الفاتحين المسلمين استعانوا بالقوة على حمل الناس على اعتناق الإسلام.

وعلى الرغم من قلة المعلومات التى وصلت إلينا عن تحول الناس إلى الإسلام، يظهر أن انتحالهم هذا الدين كان بمحض إرادتهم، كما يظهر أن أتباع ديانة زرادشت قد تمتعوا بوجه عام بالحرية الدينية إلى نهاية العصر العباسى. حتى إذا جاء الغزو المغولى بدأ فى تاريخهم عصر أكثر إظلاماً من العصر الذى سبق.

إننا نقرأ أن أحد قواد المسلمين فى عهد الخليفة المعتصم [٢١٨ - ٢٢٧هـ - ٨٣٣ - ٨٤٢م].. أمر بجلد إمام ومؤذن لأنهما اشتركا فى هدم أحد معابدهم فى بلاد الصغد، واستخدما حجارته فى بناء مسجد مكانه. وفى

(1) [الدعوة إلى الإسلام] ص٢٧، ٦٢، ٤٥١، ٢٨-٣٠، ٤٥٤-٤٥٧، ٤٤٩، ٤٦٩.

القرن العاشر الميلادى، أى بعد فتح الفرس بثلاثة قرون، وجدت معابد النار فى العراق وفارس وكزمان وسجستان وخراسان وجبال أذربيجان وأران، وبعبارة أخرى فى كل كورة من كور فارس تقريباً. كما لم تخل أى مدينة أو كورة فى فارس من المجوس أو معابد النار. وقد ذكر الشهرستانى أيضاً (حين ألف فى عصر متأخر ـ فى القرن الثانى عشر) اسم معبد للنار فى أسفينية بجوار بغداد نفسها..»[٢].

«... ولقد شهدت الفترة التى أعقبت الفتح العربى تحول جماعات كبيرة من نصارى خراسان إلى الإسلام، كما نقف على ذلك من رسالة، لأحد رجال الكنيسة المعاصرين.. وهو البطريق النسطورى «يشوع ياق الثالث Isho Vabn وكان قد بعث بهذه الرسالة إلى سمعان Simeon مطران ريفاردشير Revardashir ورئيس أساقفة فارس.

دليل ساطع

وتحمل هذه الرسالة الدليل الساطع على طابع الهدوء والحالة فى نشر هذا الدين الجديد ـ الإسلام ـ أضف إلى ذلك أن المؤرخين المحدثين لم يفطنوا إلى هذه الرسالة إلا قليلاً، لهذا لا نرى بأساً من أن نذكرها هنا كاملة:

«أين أبناؤك، أيها الأب الذى ثكل أبناءه؟ أين أهل مرو العظام، الذين على الرغم من أنهم لم يشهدوا سيفاً ولا ناراً ولا تعذيباً، ولم يسيطر على نفوسهم إلا حب التجارة والأخذ منها بنصيب، تنكبوا الطريق المستقيم، وكبكبوا فى هوة الضلال ـ فى الهلاك المقيم، وسيقوا إلى الفناء ولم ينج إلا قسيسان (قسيسان بالإسم على الأقل) من نار الكفر المحرقة، كما تنتزع جمرتان من اللهيب؟ واحسرتاه! واحسرتاه! على هذه الآلاف المؤلفة التى تحمل اسم المسيحية، والتى لم يتقدم حتى واحد منها ليهب نفسه ضحية للرب ويريق دماءه فى سبيل الدين الحق.

أين كذلك معابد كرمان وبلاد فارس جمعاء؟ إن الذى أنزل بهم الخسران والدمار لم يكن وساوس إبليس ولا إرادة ملوك الأرض ولا أوامر حكام البلاد.. ولكنه نفثة ضعيفة من نفثات شيطان تافه حقير لم تعده الشياطين التى بعثته فى مهمته جديراً بشرف الشياطين، ولم يمنحه إبليس قدرة على الخداع الشيطانى حتى يستطيع أن يبثه فى بلادكم ولكنه بإشارة من أمره هدم جميع الكنائس فى بلادكم فارس».

وإن العرب الذين منحهم الله سلطان الدنيا، يشاهدون ما أنتم عليه، وهم بينكم، كما تعلمون ذلك حق العلم، ومع ذلك فهم لا يحاربون العقيدة المسيحية، بل على العكس، يعطفون على ديننا ويكرمون قسسنا وقديسى الرب، ويجودون بالفضل على الكنائس والأديار. فلماذا إذن هجر شعبك من أهل مرو عقيدتهم من أجل هؤلاء العرب؟ ولماذا حدث ذلك أيضاً فى وقت لم يرغمهم فيه العرب، كما

(٢) المصدر السابق ص٢٣٥ـ٢٤٠.

يصرح بذلك أهل مرو أنفسهم، على ترك دينهم، بل تعهدوا لهم أن يبقوا عليه آمناً مصوناً إذا هم اقتصروا على أداء جزء من تجارتهم إليهم.. ولكنهم هجروا العقيدة التى تجلب الخلاص الأبدى إبقاء على نصيب من عرض هذه الدنيا الزائلة تلك العقيدة التى اشترتها وتشتريها حتى هذا اليوم شعوب بأسرها بإراقة دمائها حتى ترث بذلك حياة أبدية، إن شعبك من أهل مرو، قد قبلوا عن رغبة أن يغيروا دينهم من أجل جزء من تجارتهم، بل من أجل ما هو أقل من ذلك[٣].

***

المغول

«وفى بلاد المغول: «فإن كيوك بن أجتاى، وإن لم يعتنق الدين المسيحى، إلا أنه أظهر كثيراً من العطف على ذلك الدين الذى كان يدين بعقائده رئيس وزرائه وأحد كتابه. وكان القساوسة النسطورية محل رعايته السامية، فى الوقت الذى استقبل فى بلاطه السفراء من قبل البابا «إنوسنت الرابع Innocent IV» [١٢٤٣ ـ ١٢٥٤م]. وكانت السلطتان المسيحيتان فى الشرق والغرب تتطلعان إلى المغول، لمساعدتهما فى حربهما مع المسلمين، وكان «هيتون» Heyton ملك أرمينية، المسيحى هو العامل الرئيسى فى إقناع «مانجو خان» [١٢٤٨ ـ ١٢٥٧م] بإرسال تلك الحملة التى دمرت بغداد بقيادة هولاكو [١٢٥٦ ـ ١٢٦٥م] الذى حملته زوجته المسيحية، بما كان لها من نفوذ، على أن يظهر عطفاً شديداً للمسيحيين، وللنساطرة منهم بوجه خاص. ومن ثم اعتنق كثير من المغول الذين احتلوا بلاد أرمينية وجورجيا الدين المسيحى، وعمدوا على أن أيدي مسيحيى هذه البلاد».

ولقد تزوج «أباقا خان» [١٢٦٥ ـ ١٢٨١م] ـ ابن هولاكو ـ من ابنة، إمبراطور القسطنطينية ـ المسيحية ـ وامتلأ بلاطه بالقسيسين المسيحيين، وأرسل السفراء إلى بعض أمراء أوروبا، فكان يراسل القديس لويس ملك فرنسا [١٢١٤ ـ ١٢٧٠م] وشارل [١٢٢٦ ـ ١٢٨٥م] ملك صقلية، وجيمس ملك أرغونة، يطلب إليهم التحالف معه على المسلمين، كما أرسل لهذا الغرض أيضاً بعثاً من ستة عشر سفيراً من المغول إلى مجمع ليون سنة ١٢٧٤م، حيث دخل رئيس أولئك السفراء فى المسيحية «وعُمد مع بعض رفاقه».

ولقد ضيّق «جغطاى» على رعاياه من المسلمين بما سنه من القوانين الشديدة الحرج، التى ضيقت على شعائرهم الدينية.. ويذكر «الجوزجانى» أن جغطاى هذا كان ألد أعداء المسلمين من بين خانات المغول كافة، وقد بلغ من شدة عدائه لهذا الدين أنه لم يكن يرغب فى أن ينطق أحد بكلمة مسلم فى حضرته، اللهم إلا إذا أريد بها التحقير والحط من شأنها.

فلما أسلم «طرمان شيرين» Tarma Shirin حول

(٣) المصدر السابق ص١٠١ـ١٠٢.

سنة ١٣٢٦م بدأ انتشار الإسلام بين المغول .. وكان أوزبك خان Uzbek Khan زعيم القبيلة الذهبية من سنة ١٣١٣ حتى سنة ١٣٤٠م شهيراً بتحمسه لنشر تعاليم الدين الإسلامى، وحرصه على تحويل كثير من الأهلين إليه، ويقال إنه وضع خطة لنشر الإسلام فى كافة أرجاء بلاد الروسيا .. وعلى الرغم من تحمسه فى نشر الإسلام وتفانيه فى الإخلاص له، فإنه كان كثير التسامح نحو رعاياه من المسيحيين، فقد منحهم الحرية التامة فى إقامة شعائرهم الدينية من غير أن يتعرض لهم أحد بسوء، وذهب فى تسامحه إلى أبعد من هذا، فسمح لهم بموالاة التبشير لدينهم ونشره فى بلاده.

وثيقة أوزبك خان

ومن أهم الوثائق التى تسترعى الانتباه عن التسامح الإسلامى، ذلك العهد الذى منحه «أوزبك خان» المطران بطرس سنة ١٣١٣م، وقد جاء فيه:

«بمشيئة الله العلى القدير وعظمته ورحمته: من أوزبك إلى أمرائنا، كبيرهم وصغيرهم، وغيرهم. إن كنيسة بطرس مقدسة، فلا يحل لأحد أن يتعرض لها ولا لأحد من خدامها أو قسيسيها بسوء، ولا أن يستولى على شئ من ممتلكاتها أو متاعها أو رجالها، وأن لا يتدخل فى أمورها، لأنها مقدسة كلها. ومن خالف أمرها هذا بالتعدى عليها، فهو أثيم أمام الله وجزاؤه منا القتل ولندع المطران ينعم بالأمان والبهجة، ولندعه (أوكيله)، يقرر وينظم كل المسائل الكنسية بقلب سليم وفؤاد عادل قويم. وإننا نعلن فى حزم أننا نحن وأولادنا وأمراء دولتنا وولاة أقاليمنا لن نتدخل بأى حال فى شئون الكنيسة ولا فى شئون المطران، ولا فى شئون المدن والمراكز. والقرى والأراضى المخصصة للصيد فى البر والبحر، ولا فى الأراضى والمراعى والصحارى، ولا فى المدن والأماكن الداخلة فى أملاكها الخاصة، ولا فى الكروم والطواحين، ولا فى مراعى الشتاء، ولا فى أى شئ من ممتلكات الكنيسة وأمتعتها، ولندع بال المطران فى راحة دائمة خالياً من كل تعب أو نصب، ولندع قلبه سليماً قوياً، ولندعه يصلى لله من أجلنا ومن أجل أولادنا وأمتنا، حتى إذا وضع أحد يده على شئ مقدس، ثبتت عليه التهمة، وباء بغضب من الله، وكان جزاؤه القتل، حتى يلقى مصيره الرعب والفزع فى قلوب الآخرين. وإذا فرض الخراج أو غيره من الضرائب، كالرسوم الجمركية، والمكوس، وضرائب الطرق والأراضى غير المزروعة، أو إذا أردنا حشد الجنود من بين رعايانا، فلا يجمع شئ بالقوة والإكراه من الكنائس التابعة للمطران بطرس، أو لأى أحد من رجال الدين التابعين له، وكل ما يؤخذ من رجال الدين بالقوة والإكراه، يرد إليهم أضعافاً ثلاثة .. ولتكن شرائعهم وكنائسهم وأديارهم ومعابدهم محل الاحترام والتعظيم وكل من يتهم أو يحط من شأن هذا الدين فلن يقبل منه أى عذر ولا أن يطلب العفو، بل يكون جزاؤه القتل. وسوف يتمتع أخوة القسيسين والشمامسة الذين يجلسون إلى

مائدة واحدة وفى دار واحدة بنفس هذه المزايا والحقوق ...».

* * *

«وكان الروس ـ فى ظل حكم المغول المسلمين ـ إذا أدوا الضرائب المفروضة عليهم، تركت لهم الحرية فى إقامة شعائرهم الدينية كيف شاءوا»(٤).

* * *

الهند وأسطورة الإكراه

وفى الهند: «استجاب كثير من أمراء السند لدعوة الخليفة عمر بن عبدالعزيز [٦١ ـ ١٠١ هـ ـ ٦٨١ ـ ٧٢٠ م] إياهم إلى اعتقاد الإسلام .. ويمكن أن نحكم على أن حالات التحول هذه كانت فى جوهرها بمحض إرادة الذين أسلموا، من ذلك التسامح الدينى الذى أظهره العرب لرعاياهم الوثنيين بعد غزوتهم الأولى التى امتازت بشئ من العنف، مثال ذلك: أنه سمح لشعب برهمن آباد ـ، وكانت مدينتهم قد فتحت عنوة، بإصلاح معبدهم الذى كان مصدر عيش البراهمة، وما كان لأحد أن يحرم من إقامة شعائر دينه الخاصة، وكان الفاتحون، بوجه عام، لا يترددون فى تخصيص حى من أحياء المدينة لأصحاب الديانات الأخرى، كما كانوا يسمحون للشعب بإقامة عقائده وشرائعه الخاصة.

وفى اللحظة التى كان المسلمون فيها فى انحلال من الناحية السياسية، كان الإسلام لا يزال يحرز نجاحاً متوالياً فى نشر الدعوة وقد ظهر عامل التحول إلى الإسلام، عندما وقف اعتقاد الناس لديانة الوثنية عقبة دون التقدم بين رجال البلاط عند المسلمين .. وقد قيل إن الضغط الحكومى لم يكن قط أشد على الهندوس فى عهد «أورنج زيب» Aorangzeb. وينبغى أن نلاحظ أن مصدر هذا التحول الذى تم عن طريق الإكراه إنما هو وليد أسطورة قبلية أو محلية، وليس هذا إشارة (بقدر ما أمكننى الوصول إليه) إلى ذلك فى العبارات التاريخية الخاصة بحكم «أورنج زيب».

ولعل «تيبو سلطان» [١٧٥٣ ـ ١٧٩٩م] هو الحاكم المسلم الذى أخذ على نفسه مهمة تحويل الناس إلى الإسلام بالإكراه ففى سنة ١٧٨٨م أذاع المنشور التالى على أهالى «مليبار»:

«بعد انقضاء أربع وعشرين سنة على غزو بلادكم، لا تزالون على عصيانكم وتمردكم، ولازلتم مصدر القلق والاضطراب، وفى الحروب التى نشبت خلال فصلكم الممطر، كنتم أنتم السبب فى استشهاد كثير من جندنا .. وليكن هذا، فإن ما فات مات، وإنى مستعد لأن أتناسى الماضى، وقد حان الوقت الذى يجب أن تعدلوا عن خطتكم، وتلزموا السكن والهدوء، وتؤدوا ما عليكم من الضرائب كما يفعل الرعايا الأخيار، ومادامت المرأة فيكم لا تقنع برجل واحد، بل تعاشر عشرة رجال. وما دمتم تذرون أمهاتكم وأخواتكم ينغمسن فى حمأة الرذيلة،

(٤) المصدر السابق ص٢٥٢، ٢٥٣، ٢٦٠، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٠-٢٧٣.

فإن جميع الناس يولدون من سفاح، وما دمتم فى علاقاتكم أكثر قحة من الوحوش الضارية، لذلك أرى لزاما علىّ أن أنهاكم عن هذه العادات الأثيمة، وأنصح لكم أن تكونوا كسائر البشر. وإذا عصيتم أمرى وخالفتم نصحى، فقد أقسمت قسما حقاً غير حانث فيه ولا آثم، أن أحملكم على الصراط المستقيم، وان أنيلكم شرف الإسلام أجمعين، وأن أسوق جميع عظمائكم، كبيركم وصغيركم إلى مقر حكومتى..».

ويمكن أن نحكم على مبلغ من ضآلة تأثير انتشار الإسلام بالإكراه من جانب الحكام المسلمين من هذه الحقيقة، وهى: أنه حتى فى المراكز التى يسود فيها النفوذ الإسلامى مثل دهلى وأجرا، لا يكاد يعدو عدد المسلمين فى العصور الحديثة على العشرة فى المائة من سكان الإقليم الأول، على حين أن عدد المسلمين فى الإقليم الثانى لا يكاد يبلغ ربع السكان.. وليس ثمة ما يدعو إلى الشك فى أن تحول الناس المطرد إلى الإسلام بالطرق السلمية كان من بين الطقات السُفْلَى، كما هى الحال فى الوقت الحاضر حين يزداد دخول الناس من حين إلى حين من بين أفراد قبيلة «تيان» (Tiyans) الذين يقال إنهم يكونون إحدى الجماعات التى تُعَد من أكثر الجماعات تقدما فى الهند، وجماعة «مكهة ون» (Makkavons) أى طبقة السماكين، وكذلك من طبقة «تشرومن» (Cherumans) أى حراث الأرض.. وغيرها من طبقات الرقيق، الذين يخلصهم الإسلام من القيود التى تلحق بالمنبوذين فى نظام الهند الاجتماعى.... ففى «تراونكور» (Travancore) لا يسمح لبعض الطبقات السفلى أن تقترب من البرهمى بأكثر من أربع وسبعين خطوة، كما يجب عليهم أن يصيحوا بصوت كصوت الخنزير وهم فى الطريق إيذانًا بدنوهم. وهناك أمثلة كثيرة من هذا النوع من التدليل على صحة هذا القول. لذلك لا نعجب إذا رأينا الأهالى المسلمين يزداد عددهم بسرعة بسبب دخول الناس فى الإسلام. من بين هذه الطبقات السفلى الذين يحررون أنفسهم بذلك من مثل هذا الظلم الذى يحقر من شأنهم، والذين يرفعون منزلتهم ومنزلة ذرياتهم فى المجتمع.

ويقال فى الواقع: «إنه قد بلغ من ازدياد عدد المابيلا الذين يقيمون على الساحل الغربى بسبب مَن دخل فى الإسلام من الطبقة الهندوكية السفلى، أن أصبح فى الإمكان أن تتحول كافة الأجناس السفلى التى تقيم على الساحل الغربى إلى الإسلام فى سنوات قليلة».

«إن الهندوكي الذى نبذته طبقته بطريقة ما، وطردته تبعا لذلك أسرته وجماعته التى اعتاد أن يتنقل بينها، كان طبيعيًا أن ينجذب نحو دين يقبل جميع الناس من غير تمييز، وأن يُبوِّئه فى المجتمع منزلة تماثل فى المستوى الاجتماعى، تلك المنزلة التى كان قد أُقْصِى عنها. وإن مثل هذا التحول كان يقترن فى العادة بإيمان صادق بهذا الدين وعقائده».

«.. فى مقاطعة البنجاب الشرقية مثلاً.. قامت نهضة دينية عظيمة بعد إعلان العصيان

والثورة، وتنقل الدُعاة فى طول البلاد وعرضها، يدعون المؤمنين إلى نبذ شعائرهم الوثنية، ويَبسطُون لهم مبادئ العقيدة الخالصة، وكان من أثر ذلك أن بُنِيَتْ الآن مساجد فى معظم القرى التى يمتلك فيها المسلمون أى نصيب لا يستهان به، على حين أن الأهالى أخذوا يكفون الآن عن إقامة العبادات الوثنية التى كانت أكبر مظهراً وأكثر علانية».

«إن سكان الهند ينقسمون إلى خمس طبقات:

البراهمة، وهم طبقة العلماء ورجال الدين..

والشترى، وهم الجند..

ويش أوبش، وهم التجار ورجال الأعمال..

وشودر، وهم الطبقة الدنيا..

وجندال، وهم لا يفترقون عن الحيوانات..

ولا يختلط أفراد هذه الطبقات ببعض بحال من الأحوال».

«وقلَّما سُجِلَتْ حالات التحول الإجبارى إلى الإسلام. بيد أن ما أحرزه الإسلام من نجاح مستمر فى البنغال السُفلى لم يكن راجعا إلى القوة والعنف، فقد راق الإسلام نظر الأهالى، كما انتزع السواد الأعظم من الذين تحولوا إلى هذا الدين من طبقة الفقراء، وأدخل فى أذهانهم تصوراً أرقى لمعنى الإله، ومثلاً أسمى للإخوة الإنسانية، وقدم للعشائر المنحطة التى غصت بها البنغال، والتى ظلت أجيالاً دنيئة وضيعة، أبعد ما تكون عن حظيرة الجماعة الهندوكية، منفذاً حراً، تقدمت منه إلى نظام اجتماعى جديد».

«لقد قال الأسقف «لفروى» (Lefroy) [١٨٧٧-١٩٢٥م][٥]: إن طابع تعاليم الإسلام الواقعية، قد جذب عقولاً لم تقنع بنظام الفكرة الحلولية التى تتميز بالغموض والنسبية، فلما اصطدم الإسلام مع ما عرف عنه من تمثيل قوى لحقيقة وجود الله، وتلك الحقيقة التى انبعثت منها، وهى طابع الحق الذى يتميز بالثبات المطلق، والمحسوسية البحتة.. اصطدم بعقيدة الحلول، التى تقوم على الغموض، وبما قامت عليه هذه العقيدة من نسبية، تبع ذلك بالضرورة أن الإسلام لم ينتصر فى هذه المعركة فحسب، بل لقد غدا البلسم الشافى الذى سرى فى شريان الحياة والفكر فى بلاد الهند العليا، وسرعان ما أحيا عقولاً كثيرة، وبث فيها حياة أكثر قوة ونشاطًا، تلك العقول التى لم تقبل من تلقاء ذاتها أن تتأثر بمثل هذا التأثير الفكرى...»

«ولو أن إمبراطورية المغول بقيت، لكان من المحتمل أن تؤدى هذه النزعات التى تجنح نحو الإسلام إلى تحول أمراء (راجه بوت) نهائيا إلى الإسلام»[٦]

---

(٥) هارولد ماكسويل — قس انجليزى، وعالم حشرات كتب كثيرا عن حشرات الهند

(٦) [الدعوة إلى الإسلام] ص٣٠٥، ٣٠٦، ٢٩٤، ٣٥١، ٣٠٢، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٢، ٢١٤، ٢٢٧، ٣٩٠.

الحداثة والتحديث فى الفكر العربى

للأستاذ الدكتور/ محمد ابراهيم الفيومى

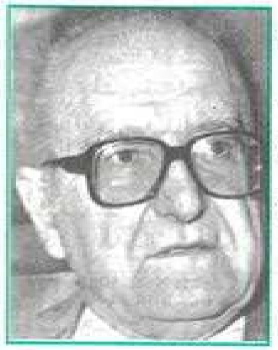
عن تاريخ العرب وخاصة فى القرون الأربعة الذهبية الأولى من الهجرة، شهدت إنجازات فلسفية وعلمية ورياضية وطبية وأدبية من عدد كبير من العباقرة العرب أسهموا فى نشر الفكر والمعرفة على حضارات العالم، فى الوقت الذى كانت فيه الحضارة الأوروبية يخيم عليها الظلام الفكرى فى القرون الوسطى، ففى الوقت الذى اهتم فيه الخلفاء المسلمون بتشجيع الترجمة من اليونانية والهندية والفارسية والسريانية والعبرية، وقربوا إليهم الفلاسفة والعلماء، وزادوا فى عطائهم، كانت الكنيسة الأوروبية فى القرون الوسطى مدعمة بمحاكم التفتيش، تكبل العلماء والأدباء والفلاسفة بقيود من القوانين الدينية والتعاليم الفكرية الصارمة التى تجعلهم غير قادرين على التعبير عن أنفسهم، أو الابتكار والتجديد عما يدور بخلدهم.

وسار هذا الصراع بين الكنيسة والمفكرين الغربيين قروناً عديدة إلى أن دخلت أوروبا فى عصر النهضة فى القرن الرابع عشر.

لقد أدت ترجمة الكتب العربية العلمية والفلسفية والطبية والرياضية إلى اللغات الأوروبية دوراً أساسياً فى دفع أوروبا إلى تخطى ظلام القرون الوسطى، والدخول فى عصر النهضة والانطلاق إلى آفاق التحديث والإبداع. يذكرنا المؤرخ والفيلسوف الفرنسى روجيه جارودى فى كتابه «أمريكا فى طليعة الانحطاط» بأنه فى الوقت الذى كانت فيه المجتمعات الأوروبية فى القرن التاسع ترزح تحت سطوة محاكم التفتيش، يحيطها الأمية، وأن أبناءها غير قادرين على معرفة القراءة والكتابة، كان الخليفة المأمون - بمعاونة عدد كبير من المترجمين - يعملون بجد فى إنشاء مكتبة ضخمة هى «دار الحكمة» تضم آلافًا من الكتب والمجلدات الثمينة القديمة والحديثة لغرض إثراء المجتمع العربى فى العلوم والفنون والآداب، وفى الوقت نفسه أقام المسلمون

مكتبة «قرطبة» وكانت تحتوى على أكثر من مائة ألف مجلد، بينما لم تضم مكتبة شارل الخامس ملك فرنسا الملقب بالحكيم - والحكيم يعنى العالم - إلا ألف كتاب بعد أربعة قرون[1].

واضح مما تقدم: أن الفلاسفة والعلماء المسلمين فى عصورهم الذهبية، كان لهم الأثر الأكبر فى نقل العلوم والفلسفة والطب والفلك والرياضيات والآداب إلى الثقافة الغربية، وبذلك كان لهم فضل السبق فى دفع الفكر الأوروبى إلى النمو والازدهار بدءاً بعصر النهضة. وكان فضل الإبداع فى الثقافة العربية للحكام والأمراء المسلمين فى العصور الأموية والعباسية، وكان المأمون عملاق الفكر الإسلامى، تمثل فترة حكمه العصر الذهبى للحداثة، وذلك بترجمة مئات من أمهات الكتب فى الفلسفة والآداب لأفلاطون، والفلسفة والمنطق لأرسطو، والطب لأبوقراط وجالينوس، وكثير من الكتب فى الرياضيات والفلك لإقليدس وأرخميدس وبطليموس وغيرهم من كبار المفكرين فى العصر اليونانى القديم. كما تُرجم إبان حكم المأمون العديد من الكتب من اللغة السنسكريتية فى الرياضيات



جارودى

والطب والفلك والآداب، ومن السريانية والعبرانية مختلف العلوم والفنون والآداب.

وإذا ما تتبعنا إبداعات العلماء والمفكرين الإسلاميين فى مختلف العلوم والفنون والآداب، لوجدنا أنهم كانوا يتميزون بست صفات بارزة:

الصفة الأولى: هى الانفتاح - لا الانغلاق - على فكر الحضارات الأخرى وعلومها وفنونها وآدابها والإفادة منها فى إثراء الثقافة العربية.

والصفة الثانية: هى الرؤية الحديثة الثاقبة التى تظهر فى مؤلفاتهم التى تتصف بالإبداع والابتكار والحداثة وليست التبعية والتقليد الأعمى والمحاكاة للثقافات الأخرى.

والصفة الثالثة: هى حرية الفكر، والتعبير عن النفس، وتبادل المعرفة والحوار الذى شجع عليه الحكام والأمراء العرب.

والصفة الرابعة: هى الإنتاج الغزير للمؤلفين العرب فى مجالات دراساتهم

---

(١) روجيه جارودى، مرجع سابق، مقدمة كامل الزهيرى للكتاب، صفحة ١١.

وأبحاثهم مما كان مصدر إعجاب لعلماء عصر النهضة الأوروبية.

والصفة الخامسة: هى جنوح العلماء العرب فى العلوم الطبيعية والطبية - لأول مرة فى تاريخ البشرية - إلى البحث والتجريب واتباع المناهج العلمية فى إجرائها.

والصفة السادسة: هى مواءمة المفكرين العرب بين التمسك الشديد بالأصالة الإسلامية وبين العصر الذى يعيشون فيه، فكانوا لا يجدون فى ترجمة كتابات عباقرة الإغريق والفرس والهند من الفلاسفة والعلماء والأدباء غزواً ثقافياً للفكر الإسلامى، أو تهديداً للعقيدة أو التقاليد أو القيم الإسلامية، أو تعدياً على خصوصيات التراث العربى، بل على العكس من ذلك، فقد وجدوا فى فكر الثقافات الأخرى خير معين لإثراء الثقافة العربية وتطويرها والعمل على تحديثها والإبداع فيها.

وفى مسيرة التاريخ الإسلامى ظهر العديد من الفلاسفة والعلماء والمؤرخين والأدباء واللغويين الذين تركوا بصمات فكرهم واضحة فى تاريخ الحضارات، ونذكر من هؤلاء المبدعين الإسلاميين فى مجال الفلسفة والفكر الكندى، والفارابى، وابن سينا، وابن رشد، وابن خلدون.

مشروع الفكر العربى إزاء العولمة

وعلى أىّ حال، فإن الفكر العربى سيواجه فى الألفية الثالثة تحديات شرسة، ومواجهات متواصلة، وصدمات متلاحقة أمام جحافل العولمة الثقافية وغزوها لحصون الثقافة العربية، مما يتطلب من الثقافة العربية ضرورة تحديث نفسها، وتجديد تراثها، والإبداع والابتكار فى منظومتها، حتى تصبح قادرة على الصمود أمام محاولات غزوها، واقتحام هويتها وخصوصياتها، والسيطرة عليها. فلا مفر إذن من تحديث الفكر العربى، وإعادة بناء تراثه، وتدعيم رصيده الإبداعى لمواجهة تغلغل العولمة الثقافية، ومن ثم يمكننا القول بأنه لا بديل للحداثة العربية، حتى يمكننا المضى فى ترسيخ الهوية الحضارية العربية، وتحقيق السيادة الفكرية لها.

إن وضع استراتيجية لتحديث الثقافة العربية فى مواجهة تحديات العولمة الثقافية ينبغى أن يبنى على خمس قواعد رئيسة هى:

● القاعدة الأولى: هى بلورة رؤية فكرية إبداعية عربية لها ملامحها القومية وخصائصها الإقليمية التى تمتد جذورها إلى التراث العربى القديم والحديث على السواء.

الأزهر

● القاعدة الثانية: هى إعادة بناء الفكر العربى، والعمل على تحديثه، وإزالة ما علق به من شوائب عطلت من مسيرته نحو النمو والازدهار.

● القاعدة الثالثة: هى تحرير الثقافة العربية من القوالب التقليدية التى عاشت فيها طوال قرون عديدة، مما جعلها ثقافة راكدة، تخلفت عن ركب الحضارة.

● القاعدة الرابعة: هى أن حرية الفكر والتعبير عن النفس، وديموقراطية الثقافة العربية، والتحديث والابتكار، وحقوق المفكر العربى، كلها قضايا أساسية لا غنى عنها فى استراتيجية تحديث الثقافة العربية.

● القاعدة الخامسة: هى إزالة الحواجز الثقافية بين الدول العربية، وتعزيز الجهود الرامية إلى توحيد رؤية عربية قومية، تكون غايتها النهوض بالثقافة العربية لتصبح ثقافة إبداعية عالمية.

لقد آن الأوان لوضع استراتيجية عربية لتحديث الفكر العربى للانتقال به من مرحلة الخمول والجمود الذى عاشته مدة طويلة، إلى عصر الثورة التكنولوجية والمعلوماتية والعولمة الثقافية.

ومازال السؤال يطل برأسه: لماذا لم تتمكن الفئتان معاً من إبداع فكر جديد؟

الخطاب العربى والعولمة

هذا السؤال يرجع إلى محاسبة الذات التاريخية والثقافية، وربما يذيب تلك الألسنة المتنابزة التى تقلل من شأن بعضها البعض، أهل الأصالة يقللون من شأن أهل التبعية، وهم جميعاً أمام السؤال سواء. وربما من وجهة نظرى أن إجابتهم عن السؤال أيضاً سواء، وأهل التبعية - كذلك قصوراً وتقصيراً - يحطون من شأن أهل الأصالة.

ولذا قالوا: إن أسباب التخلف هى، أولاً:

● مأساة التخلف: لا يعرف تاريخ المجتمعات الحديثة إبداعا فكريا متميزا، وتجديدا ثقافيا فى مجتمع متخلف اقتصاديا واجتماعيا، وفكريا، ويئن تحت نير الاستبداد السياسى. فالطائفتان يقران معا تلك المشكلة.

● المشكلة السياسية: تقف المشكلة السياسية العقبة الكئود أمام كل محاولات التحديث والتجديد، فقد برهنت الدراسات الحديثة أن النظم السلطوية كانت عائقا خطير الشأن أمام كل حركة تجديدية. وهما معا يقولان بذلك.

● عجز الفكر العربى المعاصر عن تقديم برنامج تصالح بين الشقاق الفكرى.

● التهميش والتبعية: أفضى ذلك إلى مزيد من التبعية للذين غلبهم ميلهم إلى الاحتذاء بالغرب إلى مزيد من التهميش لأهل الأصالة، وتستمر النخبتان معًا عاكفتين على كتابة الهوامش كل على متنه. والسلطة تلجم الأفواه وتحبس الأنفاس.

العرب قبل الإسلام وبعده

الخروج من الجاهلية إلى الإسلام

للدكتور/ عبد الحليم عويس

- إنه خروج من التيه المظلم.. تيه الجاهلية.. إلى نور الإسلام.. ليس خروجا للعرب وحدهم، بل للمسلمين جميعاً، وللعقل الإنسانى بدرجات متفاوتة، كما تنتشر أشعة الشمس ساطعة هنا، وخافتة هناك!!

- وليست الجاهلية ضد الثقافة أو العلم، بل هى مصطلح يدل على الحمق والخفة والفوضوية والنزق، كما يدل على الوثنية أيضا بكل أبعادها الظلامية!!

- ولهذا نجد القرآن الكريم يطلق مصطلح الجاهلية على الوثنية التى سيطرت على العرب قبل الإسلام، مع أن العرب لم يكونوا فقراء فى صناعة الأدب، والمعلقات شاهد على ذلك، لكنها (جاهلية) لأن علاقاتها المقدسة لم تكن مع (الأفكار والمعانى)، وإنما كانت مع (أوثان الكعبة)، فالبيان العربى آنذاك كان بيانا وثنيا ماديا شيئيا. وإذا كانت الوثنية جهالة، فالجهالة بالمقابل وثنية، وليس مصادفة أن الشعوب البدائية تؤمن بالأوثان والتمائم[1].

أما الإسلام فيدل على السلام، أخذا من مادة (سلم) من جانب ويدل على النظام والانضباط، والانقياد لأوامر الله وشرع الله، ومن هنا أطلقت على المسلم لأنه أسلم وجهه لله طوعا، فكأن المسلم هو الذى رضى بالانقياد لله بالإرادة، مع

(1) مالك بن نبى: مشكلة الأفكار فى العالم الإسلامى، ص ٩٦، دار الفكر المعاصر، بيروت.

انقياده فى جملة الكائنات فطرة.. ولهذا أطلق مصطلح الإسلام على كل الأديان السماوية.

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

(البقرة / ١٣٢)

وجاء على لسان يوسف عليه السلام

﴿ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

(يوسف / ١٠١)

ثم خصصت الكلمة، وأطلقت على الدين الخاتم، الذى نزل على النبى محمد عليه الصلاة والسلام، قال تعالى:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾

(آل عمران / ٨٥)

وقال تعالى:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾

(المائدة / ٣)

ومن ثم دخلت كل أديان التوحيد (فى الإسلام) الأخير (إسلام القرآن والسنة الشريفة) الممثل لكل عقائدها، وشرائعها السماوية، البريئة من التدليس والتحريف

فالإسلام - فى استعماله الأخير - هو الدين الذى كلف الله به محمدا ﷺ ليحمله إلى البشرية بواسطة (جبريل عليه السلام) قائلا له:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾

(المزمل / ١ : ٥)

- فكان (القرآن) هو القول الثقيل التكاليف والأعباء، وهو دستور هذا الدين الذى يهدى به الله من يشاء للتى هى أقوم:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾

(الإسراء / ٩)

هو (الآية) و(المعجزة) الخالدة الباقية لمحمد النبى الأمى ﷺ ثم كانت سنة الرسول ﷺ القولية والفعلية والتقريرية، تفصيلا لمجمله، وتوضيحا لمبهمه، ومتممة للجوانب والفروع التى لم ترد فيه.

- وهذا الإسلام يقوم على (توحيد الله) ونفى كل صور الشرك عن الله، والأمر بعبادته وحده، وتنزيهه تنزيها كاملا

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾

(الشورى / ١١)

والله – فى الإسلام – مالك الملك، وبيده الأمر كله، وهو رب كل شىء، والمصرف والمهيمن على كل شىء.

وللإسلام أركان بُنى عليها، وهى خمسة أركان:

شهادة أن لا إله إلاالله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً.

– وللعقيدة الإيمانية الإسلامية أركان ستة، لا يقوم الإيمان إلا بها، وهى: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

– ومن جانب آخر يطلق الإسلام على دين المخلوقات كلها.. أرضاً وسماء.. نباتا وحيواناً وطيراً.. الخ

﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾

آل عمران / ٨٣

كل ما في الكون من خلائق مسلمة لله لأنها تسير وفق النواميس التى حددها لها خالقها، لا تحيد عنها قيد أنملة، فكأن الإنسان حين يسلم يكون قد أنسجم مع كل الكائنات، وأصبح يتجاوب معها فى تسبيح الله، وذكره، وعبادته.



احمد امين

ولا يكون المسلم مؤمنا حقا إلا إذاتحقق فيه الإيمان بالله – سبحانه وتعالى – وبوحدانيته، وكماله فى ذاته وأسمائه وصفاته، والتصديق بأن القرآن معجزة رسول الله، وأنه الكتاب المنزل من عند الله على نبيه – صلوات الله عليه – تبيانا لكل شىء، وفرقاناً بين الحق والباطل، وأن العمل بما فيه واجب على كل مسلم، فليس هو نظريات ولا فلسفات وإنما هو كتاب جاء يهدى البشرية للطريق الإنسانى والربانى الأقوم[٢].

قال تعالى:

﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾

الإسراء / ٩

– وبالاضافة إلى التزام المسلم بأركان الإيمان، وأركان الإسلام، هناك شريعة يجب على المسلم أن يلتزم بها فى حدود الطاقة البشرية، وهذه الشريعة ينبثق عنها نظم سياسية، واقتصادية واجتماعية، تقوم عليها الحياة، وهى تعبر فى الوقت نفسه عن روح العقيدة

(٢) د محمد عقلة: الإسلام حقيقته وموجباته، ص١٦ بتصرف طبع الأردن.

الإسلامية، وعن تأثير الإيمان بالله الواحد الأحد فى الحياة.

– وفى الوقت نفسه ترتبط بهذه الشريعة أخلاق متممة لها، ترتفع بقوانينها عن أن تكون قوانين جافة، وضعية، غير موصولة بالله وعبادته، وبخدمة الإنسانية على النحو الكريم الذى يجمع بين الربانية والإنسانية فى سياق واحد!!

النقلة الحضارية من الجاهلية إلى الإسلام

من المعجزات التى حققتها الرعاية الإلهية للنبى محمد ﷺ أنه أخرج هذه الأمة العربية الجاهلية، التى لم يترك (أحمد أمين) نقيصة إلا وصمها بها، معتمداً على فقهه العاجز لآراء ابن خلدون، وعلى بعض النقول الأخرى[٣]، التى تجاهلت (الزمن الحضارى) الذى كان العرب يعيشون فيه، ولم يعترف أحمد أمين للعرب إلا بالكرم، والوفاء، والشجاعة[٤].. وهى أخلاق توجبها البيئة.. أقول: إن من المعجزات التى حققتها هذه الرعاية الإلهية لرسوله محمد ﷺ أنه أخرج العرب – بالإسلام – من الظلمات إلى النور، وجعلهم – فى معاملاتهم فيما بينهم، ومع الآخرين، مسالمين أو محاربين، وفى عباداتهم –

﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

آل عمران / ١١٠

لدرجة أن الواحد منهم كان يشعر بأنه (رسول) رسول الله، وبأنه (مبتعث) على هدى النبى ومنهجه لتغيير العالم، وتحطيم الأصنام والأوثان الفكرية والبشرية المسيطرة على العالم، إبان القرن السابع الميلادى (الأول الهجرى) وما بعده.. وقد قال واحد منهم لرستم قائد الفرس – مستخفاً به، وبترفه، وثرائه، وملكه، وجبروته.. قال (ربعى بن عامر) سفير القائد سعد بن أبى وقاص إلى رستم، قبيل معركة القادسية: «لقد ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة»[٥] وقد لخص لنا – وللإنسانية كلها – هذه النقلة الخطيرة من عالم الجاهلية بكل حماقاته ووثنيته ومظالمه ومباذله.. إلى عالم الإسلام، بكل عدله وخيره ورحمته وقيمه الربانية

(٣) أنظر احمد أمين – مجر الإسلام، صفحات من ٣٠ – ٣٨ دار الكتاب العربى ط١١/١٩٧٩ بيروت.

(٤) من العيوب المنهجية التى وقعه فيها احمد أمين أنه يبسط القول كثيرا – فى الشبهات والمثالب – ويورد نصوصاً من هنا وهناك تؤيد هذا، ثم يعمد إلى ذكر أقوال موجزة لا تزيد عن بضعة أسطر، يبدو بها كأنه يردُّ على هذه الآراء، وهى طريقة متفقة مع طريقة صديقه طه حسين.

(٥) اقرا القصة كلها فى ابن كثير: البداية والنهاية ٣٩/٧ ، ٤٠.

الإنسانية - الصحابى الجليل (جعفر بن أبى طالب)، فى قوله أمام (النجاشى):

«كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسىء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد - نحن وآباؤنا - من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدقناه، وآمنا به.. فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا، وظلمونا، وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادكم»(٦).

أحمد أمين ونزعة التشكيك

- ومن عجب أن نزعة التشكيك لم تفارق أحمد أمين، حتى بصدد هذه القصة الثابتة الواردة فى أوثق المصادر، يقول أحمد أمين: «وهذه القصة، وإن كان يغلب على الظن أنها موضوعة، بدليل أن الصيام ورد فيها، وهو لم يشرع إلا بعد الهجرة إلى الحبشة، وبغيرذلك من الأدلة، فهى تمثل النزاع بين العقليتين أصدق تمثيل»(٧).

ويتجاهل أحمد أمين أن (الصلاة) - أيضا - بالصورة الإسلامية الأخيرة - لم تكن أيضا قد شرعت، فلماذا لم يضمها إلى الصيام؟.. ويتجاهل - أو ينسى - أحمد أمين - أن الصيام والصلاة والحج شرائع حنيفية، موجودة بأشكال مختلفة - فى كل الرسالات السماوية (الإسلام الحنيفى الربانى).. فالرسول ﷺ منذ بعث وهو يصلى، ويصلى خلفه - أحيانا - علىّ بن أبى طالب - رضى الله عنه- والرسول أيضا هو الذى صرح للمسلمين صيام نبى الله داود -عليه السلام- وسماه أعدل الصيام (فقد كان داود يصوم يوما ويفطر يوما)، وكذلك كان (الحج) إلى بيت الله الحرام منذ قال الله لخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام:

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ﴾

(الحج/ ٢٧)

لكن نزعة التشكيك - للأسف - أوقعت المفكر الكبير فى مثل هذه الأخطاء التى لا تليق بعلمه وفضله!!

(٦) سيرة ابن هشام

(٧) فجر الإسلام: ٧٦

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

هل من جديد فى قضية الدعوة؟

٢

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

ولنعد الآن إلى قصة هذه الوثيقة التى تحمل عنوان «الحقوق الدينية» والتى صاغتها المؤسسات الدينية فى الولايات المتحدة الأمريكية، ووقع عليها الأزهر الشريف.

إذا كانت حرية الدين مكفولة للجميع، فلماذا أقام المسيحيون الدنيا، ولم يقعدوها عندما أعلنت بعض نسائهم خروجهن عن المسيحية، ودخلن الاسلام عن قناعة تامة، ودون ضغط أو إكراه؟ ألا يعد ذلك خرقا صريحا للبند الثامن من هذه الوثيقة، الذى يقول: «لكل إنسان رجلا كان أو امرأة حق فى اعتناق أو رفض اعتناق دين من الأديان، دون التعرض لأذى من قبل أى جهة دينية أو سياسية»؟!.

وهل من بنود الوثيقة، أن حرية العيب فى الأديان الأخرى وتشويه حقيقتها مكفولة لهم دون سواهم؟ وهل ما يحدث الآن من إلصاق التهم الجُزافية الخرقاء بنبىّ الإسلام - ﷺ - على شبكة «النت»، الذى يقتحم على المسلمين ديارهم، هو من حرية الدعوة التى كفلتها هذه الوثيقة لأهل كل دين..؟ إن تحت يدنا الآن بعض هذه الافتراءات المنسوبة إلى نبىّ البر والرحمة - ﷺ - وهى وغيرها مما لا يُخشى بأسه، فهى افتراءات تقوم على المغالطات المكشوفة، والفهم السقيم لآيات القرآن الكريم، واقتطاع بعض هذه الآيات من سياقها القرآنى على الطريقة المشهورة «فويل للمصلين» أو «لا تقربوا الصلاة».. أو ذكر بعض الأحاديث المغلوطة والموضوعة، أو التى لا يفهم هؤلاء الناس مراميها، حتى البسيطة منها لجهلهم بالعربية وما تحمله أساليبها من طاقات دلالية.

نقول: هذه الافتراءات لا يُخشى بأسها، وإنما هى

كلعب الصبيان الذين لا يميزون بين ما إذا كان بأيديهم قطعة من حلوى أو جمرة من نار، ولذا لا ترقى إلى درجة مناقشتها وإنما نسوق منها من الأمثلة ما يُغنى فيه القليل عن كثير:

- إذا نزل قول الله - تعالى - مخاطبا نبيه - ﷺ -:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾

(الأنفال/ ٦٥)

فهل يعنى ذلك بالضرورة، أن رسول الله يحث على استعمال السيف على إطلاقه؟ ألم يذكر القرآن الكريم، والسنة المطهرة من ضوابط الجهاد عندما تدعو إليه الضرورة ما يعد مفخرة يتعلم منها قادة الشعوب من كل ملة وعلى امتداد التاريخ، ويُلقى على حمل السلاح قُدسيَّة ترقى به إلى مصاف أرقى العبادات؟!.

- وعندما يقول الله لرسوله - ﷺ -:

﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾

(محمد/ ١٩)

فهل يعنى هذا أن رسول الله كان مخطئا، وهو فى حاجة إلى الاستغفار مما بدر منه من ذنوب؟ ألا يدرى هذا الأفاك، الذى زعم هذا الزعم عبر شبكة «النت» أن هناك مفهوما فى الشرع يقال له: «حسنات الأبرار سيئات المقربين»؟ ثم ألا يدرى أن هذا توجيه وتعليم للمؤمنين من خلال ما يتوجه به الله مباشرة إلى رسوله الكريم المعصوم؟ - ﷺ -.

- وعندما يقول الله لرسوله - ﷺ -:

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

(الأعراف/ ٢٠٠)

فهل يعنى هذا بالضرورة أن الشيطان كان له على الرسول سبيل؟.

ولن نشغل أنفسنا ونشغل القارىء بأكثر من هذا فإنما هى «هرطقات» صبيانية لا تستحق أن نضيع معها وقتنا فهو أثمن من ذلك بكثير.. والقارىء لها يُشفق على أصحابها لما وصلت إليه أفهامهم من سطحية الفكر وضحالة المعارف أكثر مما يشعر بالحنق عليهم..!!.

ويكفينا ما سقناه من أمثلة فى هذا الصدد للتدليل على أن الذين يتباكون على حرية الدعوة، وحرية الاعتقاد، ليسوا جادين فيما يدعون إليه.

نحن لا نزعم مطلقا أن من حق أى مسلم، أن يردَ بالمثل، ويخوض بكلمة واحدة فى حق المسيح - عليه السلام -، أو فى حق أحد أنبياء الله - عز وجل -، لأن ذلك مما يُخرج عن الملة والعياذ بالله، ونحن نفهم حدود عقيدتنا والحمد لله رب العالمين، فرسل الله جميعا أخوة على طريق الدعوة إلى الله - تبارك وتعالى - والإيمان بخاتمهم - عليه السلام - يقتضى الإيمان بهم جميعا،

وبطهارتهم وعصمتهم من الدنايا ومن الذنوب صغيرها وكبيرها على السواء.

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

(البقرة/ ٢٨٥)

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾

(الشورى/ ١٣)

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

(البقرة ١٣٦، ١٣٧)

غير أننا نقف بإيماننا بعيسى - عليه السلام - عند حدود بشريته من جانب، وأنه مرسل من عند الله من جانب آخر، وتلك هى حقيقته التى لا يُقبل عندنا إيمان من يتعدى هذا الحد، ولا إيمان من يقف به إيمانه قبل أن يبلغ به هذه الغاية وها هو ذا كتاب الله، الذى تعهد سبحانه وتعالى بحفظه من أى تحريف أو تبديل ينطق صراحة بما يقطع اللجاجة فى هذه القضية

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾

(المائدة/ ١٧)

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾

(المائدة/ ٧٢، ٧٣)

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

(المائدة/ ١١٦، ١١٧)

تلك هى حقيقة هذا النبى المبارك، وتلك حدود إيماننا به وبرسالته - عليه السلام - لا إفراط ولا تفريط..!!.

قراءة نقدية

«الإسلام وأزمة العصر» لمؤلفه برنارد لويس

عرض وتحليل: أ.د. محمد فتحى فرج بيومى

ترددت كثيراً فى الكتابة حول هذا الكتاب، وذلك لسابق معرفتى بافتقاد كاتبه للموضوعية، تلك الخصيصة التى تعتبر من أهم المعايير، التى يفترض توافرها فى مثل هذا النوع من الكتابة التى يختلط فيها الدين بالتاريخ والسياسة. إلا أن الكاتب قد أضاف إلى ذلك تحاملاً، غير مسوغ علمياً ومنهجياً، سواء من الناحية التاريخية أو على مستوى الواقع المشهود.

وقد عرفت هذا الكاتب منذ فترة بعيدة، وذلك من خلال كتابين، أولهما قديم، صدر له فى لغته الإنجليزية عام ١٩٤٨، وقد ترجمه، بعد ذلك بسنوات د. حسين نصار تحت عنوان: «أرض السحرة»، وهو عبارة عن مجموعة من القصص، جمعها «بشكل مغرض» وقدم لها لويس، لكى تمثل – فى رأيه – العصور المختلفة التى تعاقبت على مصر. ويعلق على ذلك الدكتور نصار بقوله: وبالرغم من أن القصص وليد مراحل متباعدة من الحياة المصرية، فإنها تكشف عن خصائص متقاربة. فالأستاذ لويس، كما يتضح من مقدمته، وصلت به دراسته فى القصة المصرية إلى نتائج معينة، فحاول أن يأتى فى هذا الكتاب بما يؤيد نتائجه من قصص ومن هنا نستشف عدم موضوعية الكاتب، واستباقه النتائج ثم محاولة إثباتها وتعليلها بعد ذلك، حتى فى حقل الدراسات الأدبية.

تلك إذن صفة متأصلة فى الكاتب تبدو فى دراساته الأدبية كما ظهرت، بعد ذلك بفجاجة، فى دراساته السياسية والاستراتيجية.

ومن آرائه، الخطيرة والخاطئة، فى مقدمة هذا الكتاب قوله فى معرض حديثه حول الغزو «يتجنب دائماً كلمة فتح» العربى لمصر وقد مزق خلق إمبراطورية إسلامية عسكرية جديدة فى الشرق الأدنى، فى حرب مستمرة مع بيزنطة والغرب المسيحى «أين كان الغرب المسيحى فى ذلك الوقت؟»، مزق لعدة قرون وحدة حوض البحر الأبيض المتوسط؟، التى أوجدها وحافظ عليها السلم الطويل الأجل الذى استتب فى العصر الرومانى، واقترب بمصر تدريجياً من أن تبحث عن صلاتها فى الأراضى الواقعة وراء حدودها الشرقية، واستلهام العروبة والإسلام بدلاً من بلاد الإغريق وروما المسيحية، وتم ذلك بتقطيع صلاتها الاقتصادية والثقافية بينها وبين العالم الغربى(1).

ولن نكلف أنفسنا عناء الرد على هذا الإفك، حيث يرد الكاتب على نفسه فى الفقرة التالية مباشرة للفقرة السابقة فيقول: وكانت العربية تتقدم تقدماً مطرداً باعتبارها لغة الحكومة والتجارة والمجتمع والثقافة، وساعد الانتشار السريع للإسلام بين المصريين، الذين كانوا فى عزلة عن الغرب «هكذا» لانتمائهم إلى كنيسة قبطية منفصلة، على انتشار العربية(2).



برنارد لويس

أما الكتاب الآخر، فقد صدرت طبعته الثانية عام ١٩٩٤ بعد ثلاثين عاماً من طبعته الأولى، ويبدو أن الكاتب لم يغير فى أفكاره الرئيسية، إلا أنه قد أعاد النظر فى بعض أجزائه، وذلك فى ضوء المتغيرات التى جدت على الساحة الدولية، وهنا نود أن نلفت النظر إلى مغزى عنوان الكتاب، على الرغم من قدمه النسبى «١٩٦٤»، وذلك حتى نستوعب ما يخطط له مفكرو الغرب ومنظروه، ليتيحوا من البدائل المناسبة،

١- برنارد لويس - أرض السحرة - ترجمة د. حسين نصار - مكتبة مصر - ص١٢، ط١٩٥٨

٢- المرجع السابق - ص١٣

ما يمكن متخذ القرار وصناع السياسة أن ينفذوه، حينما تحين الفرصة وتتهيأ الظروف، مهما طال الوقت أو تأجل التنفيذ، حيث جعل المؤلف عنوان كتابه على النحو التالى: The Shaping of the Modern Middle East أى: «تشكيل الشرق الأوسط الحديث»[٣].

لويس كاتب دعائى

يصف الناقد الأدبى الراحل د. إدوارد سعيد فى كتابه الهام «الاستشراق» برنارد لويس بأنه «أكاديمى توهم أعماله بأنها دراسات منهجية موضوعية بريئة من التعصب، لكنها فى الواقع توشك أن تكون دعاية ضد موضوع تخصصه» أى ضد العرب والمسلمين، الموضوع الذى أوقف حياته وجهده عليه.

وبرنارد لويس ينتمى، إلى طائفة من الكتاب دأبوا على الافتئات على الحقيقة، بل وتزييفها فى بعض الأحيان، ومحاولةعرض ما يؤمنون به مسبقاً، ثم تمحل المبررات والمسوغات لمحاولة إثباته بعد ذلك، سواء بالحق أو بالباطل، لا يهم، وأحياناً ثالثة بخلطهما معاً، وهو بذلك يقلب منهج البحث العلمى رأساً على عقب! وفى هذا يقول د. حمدى السكوت: إن موضوعية لويس ما لبثت أن تكشفت لأذكياء القراء الذين لاحظوا أن أعماله منذ أواخر الخمسينيات، وعلى نحو أوسع بعد انتقاله إلى أمريكا، تخفى وراءها أهدافا دفينة لخدمة الصهيونية، والإساءة للعرب والمسلمين[٤]. ويخلص د. السكوت إلى أن لبرنارد لويس دوراً محورياً فى تحويل السياسة الأمريكية من النهج الديبلوماسى إلى نهج عدوانى غليظ ومتعجرف وفى تبرير سياسة ازدواج المعايير، التى تمادى فيها بوش ومعاونوه بعد ذلك. وفى إقناع إدارة بوش والرأى العام الأمريكى بأن سبب كراهية العرب لأمريكا ليس موقفها المساند ظلماً لإسرائيل، وإنما هو شعور المسلمين بالحقد على الحضارة الغربية، «ممثلة الآن فى أمريكا» لأنها هزمتهم وأشعرتهم بالمهانة بعد أن كانوا سادة العالم، مشعلا بذلك فتنة «صراع الحضارات»، ومحولاً بذلك عداء أمريكا من بعض المتطرفين إلى عداء شامل للعرب والمسلمين. فالدور الذى أخذه على عاتقه هذا الرجل، ونذر نفسه له، يتمثل فى تبنى مشروع ظاهره علمى، بيد أنه

٣- د. محمد فتحى بيومى (٢٠٠٤) الإسلام شريكاً، لمؤلفه فريتس شتيبات - مجلة «منبر الإسلام» السنة ٦٣، العدد ٧ ص٦١ - ٦٥.

٤- د. حمدى السكوت (٢٠٠٥) برنارد لويس - «مرشد عام» المحافظين الجدد - مجلة «العربى» العدد ٥٥٨، ص١٦ - ٢١.

فى جوهره سياسى محض، وهو تقديم صورة الإسلام إلى الغرب كما تعكسها مرآة لويس، بحيث يرسخ فى أذهان قارئيه صورة سلبية للإسلام تخدم توجهه الصهيونى، فهو لاينسى مطلقا أنه يهودى، وقد كرمته جامعات إسرائيل على جهوده (المخلصة!) فمنحته درجتين من بين درجات الدكتوراة الفخرية الثمانية التى حصل عليها ويعد هذا الكتاب نموذجا سافرا لأسلوبه، الذى اعتمده لتنفيذ هذا الدور، إضافة إلى ما سبقه من جهود.

كلمة فى العنوان

إذا كان الكتاب يعرف من عنوانه - كما يقولون- فإن حقد الرجل وسمومه تكاد تقطر منذ الوهلة الأولى للكتاب، أى من عنوانه فى لغته الأصلية، الذى جاء هكذا: The Crisis of Islam : Holy war and Unholy Terror ويعنى ذلك: «أزمة الإسلام: حرب مقدسة وإرهاب غير مقدس». وقد حاول مترجم الكتاب الأستاذ أحمد هيكل - وهو نجل كاتبنا الكبير الدكتور محمد حسين هيكل، رحمه الله - أن يخفف من صفاقة المؤلف وحدة عنوان كتابه الفج، ليجعل عنوان الكتاب فى طبعته العربية: «الإسلام وأزمة العصر..»، بينما لم يغير فى عنوانه الجانبى (أو الشارح). والواقع أن المترجم، قد أحسن صنعا بتصويبه لعنوان الكتاب - على الرغم من أن البعض سيتهمونه بالتحريف والتغيير - ثم إنه قدم المسوغات المنطقية والموضوعية لذلك، بشكل واضح، مما يستنبط منه القارىء إدانة المؤلف وكشف افتراءاته وأكاذيبه.

أزمة الضمير

يعتبر هذا الكتاب أحد مخرجات المشروع القومى للترجمة، الذى ينهض به المجلس الأعلى للثقافة، وقد أعادت مكتبة الأسرة طبع هذا الكتاب، فى مهرجانها للعام ٢٠٠٤ والكتاب الذى بين أيدينا نسخة من هذه الطبعة، التى قدم لها د. رءوف عباس - أستاذ التاريخ الحديث بجامعة القاهرة - بدراسة هامة بعنوان: «أزمة الضمير عند برنارد لويس». وتعتبر هذه المقدمة، فى حد ذاتها، إضافة جيدة لهذا الكتاب، ويختتم د. عباس دراسته بقوله فيما يشبه التحذير: إن كتاب لويس لايعبر عن «أزمة الإسلام» ولكنه يعبر عن «أزمة الضمير» عند برنارد لويس، وبطانته من الصهاينة الذين يتحكمون فى حقل دراسات الشرق الأوسط فى الولايات المتحدة الأمريكية، ويوجهون صناع

السياسات الاستعمارية الجديدة للهيمنة على الوطن العربى، لذلك يجب علينا أن نتبنى مشروعا ثقافيا إعلاميا لمواجهة هذا الخطر الذى يهدد بلادنا فى الحاضر والمستقبل(٥).

مغالطتان

يحتوى الكتاب على مقدمة وتسعة فصول إضافة إلى «كلمة أخيرة» بين فيها المؤلف، فى عجالة، قصة تأليفه لهذا الكتاب، أما المقدمة فقد بدأها الكاتب – لتبرير الاحتلال والتواجد الأمريكى بالمنطقة –بمغالطتين:

فحوى أولاهما أن الحرب التى يخوضها الأمريكان إنما هى حرب موجهة ضد الإرهاب وليست ضد العرب ولا ضد المسلمين بوجه عام! وينسى أو يتناسى أن الإرهاب صناعة أمريكية.

أما المغالطة الأخرى فتتمثل فى عرض الكاتب لوجهة نظر «ابن لادن» فى أن هذه المواجهة هى حرب دينية من أجل الإسلام ضد الكفار، ومن ثم وبالضرورة فهى حرب ضد الولايات المتحدة باعتبارها أكبر قوة فى عالم الكفار، ولو سلمنا بأمانة عرضه لوجهة نظر ابن لادن هذه فبأى حق نسلم له بأن هذا هو رأى الإسلام أو حتى رأى غالبية المسلمين.

وينسى لويس أن ابن لادن نفسه صناعة أمريكية، فقد تربى فى حضن المخابرات المركزية الأمريكية، لضرب الوجود السوفيتى فى أفغانستان، فضلاً عن أن هناك فرقا بين المنهج والمنتهج، أو بين الإسلام وسلوك بعض المسلمين.

أما الفصل الأول، وهو بعنوان: «تعريف الإسلام»، فيتعرض له المؤلف بشكل هلامى، فهو يعتقد أن كلمة «إسلام» تشير إلى أكثر من أربعة عشر قرنا من التاريخ، وإلى مليار وثلث المليار من البشر، وإلى تراث دينى وثقافى شديد التنوع. ثم يتناقض مع نفسه عند المقارنة بين «الإسلام» و«المسيحية»، منحازا إلى طائفته بشكل مزر، لم يستطع، رغم محاولة تغليفه وتمويهه، أن يصمد فى إخفائه، فتشى به عباراته ويقع فى تناقض فج (ص ٥، الفقرة الأولى).

فى الفصل الثانى بعنوان «دار الحرب»، فبعد أن شوه مصطلح «الجهاد» واعتبره عدوانا مسلحا على كل من يعتنق دينا غير الإسلام، راح لويس يسجل، فى محاولة منه لإلصاق التهم بالمسلمين، ووصمهم تاريخيا بأنهم

٥- د. رءوف عباس (٢٠٠٤) «تقديم ودراسة» لكتاب: «الإسلام وأزمة العصر» لمؤلفه: برنارد لويس - ترجمة أحمد هيكل - مكتبة الأسرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ص٢٩.

أرباب حرب وصراع، على مدى القرون المتطاولة، لأتفه الأسباب حيث يقول: دار الصراع لأكثر من ألف عام من جانب الخلفاء المسلمين من عواصمهم المتعاقبة فى المدينة ودمشق وبغداد والقاهرة واسطنبول ضد الأباطرة المسيحيين فى القسطنطينية وفيينا وبعد ذلك، وتحت مسميات أخرى، فى بلدان أكثر بعدا إلى ناحية الغرب، وكان كل من هؤلاء الأباطرة فى عصره هو الهدف الأساسى للجهاد. (ص ٨٣)

تشويه التاريخ

وفى الفصل الثالث، الذى جعله الكاتب تحت عنوان: «من الصليبيين إلى الإمبرياليين»، يحاول أن يوهم القارىء أن مسألة القدس، التى يدور حولها جدل كبير، مسألة تافهة بالنسبة للمسلمين، أو أنها ليست مسألة جوهرية على الأقل، حيث يقول: «ويبدو أنه بعد نجاح الجهاد واسترداد القدس لم يعد صلاح الدين وخلفاؤه، من بعده، يهتمون بالمدينة إلى حد أن أحدهم، فى سنة ١٢٢٩ ميلادية، تنازل عنها للإمبراطور فريدريك الثانى، كجزء من تسوية سياسية تم الاتفاق عليها كحل وسط بين الحاكم المسلم والصليبيين» وهب أن حاكماً مسلماً أخطأ فهل يعد ذلك قرينة على عدم أهمية المدينة بالنسبة للمسلمين من نواح كثيرة منها الدينى والتاريخى والقومى؟!

أما فى الفصل المعنون بـ«المعايير المزدوجة»، فيواصل فيه لويس جهوده فى تأصيل فكرة كراهية المسلمين للغرب، واستعداد المسلمين للتعاون مع كل من يعادى الغرب، حتى أنهم صادقوا هتلر وتعاونوا مع النازية، رغم أنها المسئولة عن اضطهاد اليهود وهجرتهم إلى فلسطين! وصادقوا الاتحاد السوفيتى «السابق»، رغم أنه كان صاحب المبادرة فى الاعتراف بدولة إسرائيل «هكذا يخلط الأوراق بشكل غريب!» وحينما يتعرض للقدس، يعتبر أن بناء المسجد الأقصى عام ٦٩١ ميلادية تحدياً لليهود والمسيحيين لأنه - فى زعمه - قد بنى فى موقع هيكل سليمان، رغم أن الجهود المتواصلة لرجال الآثار اليهود فى التنقيب حول وتحت المسجد الأقصى، طوال ثلاثة عقود، منذ وقوع المدينة تحت الاحتلال، لم تمكنهم من الحصول على أدلة أثرية تؤكد إقامة المسجد فى موقع الهيكل المزعوم!

أرأيت إلى أى مدى يقلب لويس الحقائق، ويشوه وقائع التاريخ ومعالم الجغرافيا، ويورد فذلكات ومقدمات مخادعة ومراوغة، حتى يحصل على النتائج التى يريدها، مع محاولة إيهام القارىء فى الوقت ذاته بمصداقيته ونزاهته!

كتاب الشهر

إرهاب القراصنة.. وإرهاب الأباطرة قديماً وحديثاً

لناعوم تشومسكى

تعريب

أحمد عبدالوهاب

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

٤

من أخطر ما يصاب به الإنسان... غفلته عن حقيقته ـ بداية ونهاية ـ واستسلامه لدوافع الطغيان، فى ظلال استشعاره القوة، والقدرة، والغنى؛ فيندفع معربداً ليشبع ما قرَّ فى نفسه من تفرد عن أبناء البشر، وما سيطر عليه من شعور بتميز ذاتى أو عرقى، سلبه القدرة على التمييز بين الخير والشر، بل أعمى عينيه عن الواقع، فلم يعد يكترث بما يدعى (خير)، حتى إنه لم يعد يراه، ولم يعد يرى غير نفسه جديراً بالحياة الحرة الكريمة، فله وحده الحق المطلق فى أن يبسط سلطانه على كل ما تقع عينه عليه، وله وحده الحق المطلق فى أن يأمر فيطاع، وله وحده الحق المطلق فى أن يقول ما يقول، فلا يعقب على قوله أحد إلا بالخضوع والرضا، وله وحده الحق المطلق فى أن يحدد الطيب والردىء، وأن يصف من يشاء بالانحراف أو الاتزان، حيث يرى أن المنحرف الشاذ الذى يجب أن يقاوم ويباد هو من لا يطيع أوامره، وأن المتزن المتحضر هو من يسارع إلى السير فى ركابه، ويلبى إشاراته قبل أن تكون مطالب أو أوامر.

ومكمن الخطر الداهم فى أنه ـ مع ضعفه الفطرى ـ يرفع نفسه إلى مصاف الآلهة التى تمنح وتمنع، غير مدرك ما يقوده إليه طغيانه هذا وجبروته من فساد وتحلل ذاتى، بعد أن يعزل نفسه تماماً عن سائر البشر، فلا يبقى له فى نفس أحد ذرة من محبة، أو احترام، أو تعاطف؛ حيث يصبح وجهاً كريهاً، واسماً



بغيضاً، وهيئة وحشية، تسعد بسفك الدماء، وتدمير الحضارات؛ ليصل إلى ما يتوهمه انتصارا.

ولقد أصيب بهذا الخطر قادة كثيرون على مدى الحياة البشرية على الأرض، دون أن يتعظ واحد بأسلافه، ولقد عرف العصر الحديث فى قادة الولايات المتحدة أبرز قادة أصابهم هذا الداء الوبيل، فجمعوا إلى أنفسهم كل شرور السابقين، ورعوا بذورها ـ بكل عناية ـ فى نفوس أخلافهم، وتعهدوها بالرعاية، حتى أثمرت شياطين الشر الذين راحوا ينشرونه فى كل بقاع الدنيا، كما رأينا فيما رصده واحد من أعلام الفكر الذين رفضوا هذا الطغيان المبيد.

الحادى عشر من سبتمبر فى الميزان

ولم يقف المفكر الأمريكى عند هذا الحد، ففى الفصل السادس «العالم بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر» استصحب «تشومسكى» ما التزمه من النظر الموضوعى فى تقييم أحداث الحادى عشر من سبتمبر التى عدت غزواً للولايات المتحدة... فلما استعرض ما خلفه الحدث من ضحايا أبرياء.. وجد أننا أمام جريمة عادية؛ فجميع ضحاياه أقل بكثير من ضحايا أى حرب من الحروب التى تشنها الولايات المتحدة فى شتى بقاع العالم، على نحو ما قرره أحد الصحفيين من أبناء «بنما» فى ثنايا إدانته تلك الجريمة؛ مشيراً إلى الفارق الكبير بين ضحايا الحادى عشر



المجاهد الليبى المسلم عمر المختار لحظة إلقاء قوات الاحتلال الإيطالية القبض عليه بتهمة ممارسة الإرهاب على الأراضى الليبية ضد القوات الإيطالية الغازية. عمر المختار دفع حياته ثمناً لمقاومة الاحتلال ولم يدفع الغزاة المحتلون أى ثمن. فترى من الإرهابى ومن الذى ينبغى أن يدفع الثمن؟!

من سبتمبر، وضحايا القصف الأمريكى لحى «كوريلو» الذى قدم آلاف القتلى، دون اهتمام بإجراء حصر جاد لهم، ودون إبداء أى شعور بالندم، نظراً لأن الضحايا من البؤساء غير المتحضرين.

وتلك النظرة المتغطرسة ليست جديدة، فمنذ ثمانين عاماً... أعطى سلفهم «تشرشل» أوامره باستخدام الغازات السامة لنشر إرهاب فعال بين الأفغان؛ ساخراً من رقة الحمقى، ذوى القلوب الضعيفة، الذين فشلوا فى إدراك أن الأسلحة الكيماوية ما هى إلا مجرد «تطبيق للعلم الحديث على الحرب الجديدة»، وأنه يجب استخدامها (لوضع نهاية سريعة للشغب المنتشر على مقدمة الحدود) من هؤلاء الأفغان البؤساء، غير المتحضرين.

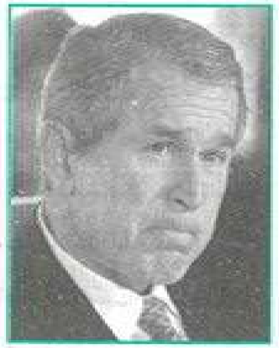
فإذا وضعنا حدث الحادى عشر من سبتمبر فى كفة هذا الميزان... وجدنا أنه حدث عادى، لا يصح أن يوصف بما وصف به من أنه حدث تاريخى، إذ حجم الإجرام فيه لا يتجاوز المعتاد.

ولكن نظرة الولايات المتحدة وأوروبا إلى الحدث تختلف عن ذلك كثيراً... فالولايات المتحدة جعلت منه حدثاً تاريخياً؛ إذ رأت فيه حدثاً فاجأ الآلهة، واخترق أمنهم، بما لم تصب به أرض الآلهة منذ سنة ١٨١٤، حين أحرق البريطانيون «واشنطن». أما أوروبا التى غزت معظم بلاد العالم، وتركت وراءها فى كل مكان مخلفات الإرهاب والدمار، دون أن تتعرض

الأرض الأوروبية طوال هذا الزمان لأى هجوم... أما أوروبا هذه فقد شعرت بالصدمة العنيفة تهز كيانها، ورأت فى الحدث خرقاً مؤثراً لمعايير السلوك المقبول خلال مئات السنين.



تشرشل



بوش



صدام حسين

ويقدم «تشومسكى» من الواقع الماثل ما يقرر: أن اغتباط الولايات المتحدة والأوروبيين بالفظائع التى أنزلت بأفغانستان وغيرها.. أن هذا الاغتباط أوضح دليل على القصد والتعمد، وأن صدور تلك الفظائع كان نتيجة تخطيط، لا عشوائية فيه ولا وهم؛ فليس هناك التباس بأى أوهام فيما يخص مقدمات التخطيط للحرب فى أفغانستان؛ إذ أن هذه المقدمات قد تأسست على افتراض لا يمكن دحضه.. وهو: أن التهديد بالقصف، ثم القصف، سوف يزيد كثيراً من عدد الأفغان المعرضين لخطر الموت، نتيجة للجوع، والمرض، والعراء.

كما إن القرار الذى طالبت به واشنطن باكستان بوقف قوافل سيارات الشحن التى تقدم القدر الأكبر من الغذاء والإمدادات الأخرى إلى المجتمع الأفغانستانى... هذا القرار لم يثر أى نوع من التعليق، على الرغم مما يترتب عليه من وقوع ملايين الأفغان فى آتون الجوع.

وقد صاحب هذا القرار رفض واشنطن طلبات الأمم المتحدة ووكالات الإغاثة وقف القصف ليتاح تسليم الغذاء والمعونات الأخرى للمدنيين واللاجئين الأفغان.

ولو نظرنا إلى السبب الذى دفع الولايات المتحدة لتوجيه هذه الفظائع للأفغان... لوجدنا أن شعب الأفغان برىء تماماً من أى إساءة للولايات المتحدة، حتى لقد اجتمع ألف من القادة الأفغان فى مدينة «بيشاور»، واتفقوا على الإطاحة بنظام طالبان، مع رجاء الولايات المتحدة بوقف الغارات الجوية... مما دفع وسائل الإعلام الدولية إلى التعاطف معهم، ودعوة الأمريكان لوقف ضرب هذا الشعب البرىء، ووضع نهاية لقصف أفغانستان، مع الحث على تبنى وسائل أخرى للإطاحة بنظام طالبان المكروه.

ويضيف «تشومسكى» إلى هذا موقف الولايات المتحدة من المعارضة العراقية، عندما عاود «بوش» الأب التعاون مع

صديقه القديم، وحليفه صدام حسين فى سحقه تمرداً شيعياً فى جنوب العراق تحت بصر وسمع الجيش الأمريكى المسيطر على المنطقة سيطرة كاملة، بينما رفضت واشنطن أن تسمح للمعارضة بأى معونة، ورفضت أن تسمح لقيادات المتمردين بالحصول على الأسلحة التى استولوا عليها.

بل إن إدارة «بوش» أكدت رفضها التعامل مع زعماء المعارضة العراقية؛ لشعورها أن الاجتماعات السياسية معهم لن تكون ملائمة للسياسة الأمريكية فى ذلك الوقت.

و«تشومسكى» يلفت النظر إلى ما حدث بعد انهيار الطغيان السوفييتى، فبدلاً من أن تختفى الحاجة إلى استخدام القوة... سرعان ما لُطخ هذا النصر بفظائع جديدة فى شتى أنحاء العالم، بحجة العمل على ترسيخ المصداقية، وضمان الاستقرار؛ تبريراً للقصف الذى تعرضت له صربيا، حتى استطاع الأمريكيون أن يحصلوا على وقاية ضد الرأى العالمى، وضد المناقشة النقدية، وحتى أصبحت الهيمنة الواسعة لأمريكا أمراً ضرورياً لأسباب تقنية معلومة جيداً، كى تتمكن من إبطال عمل الأسلحة المضادة للأقمار الاصطناعية للعدو.

وإلى هذا... فإن الأمر يتطلب قبضة حديدية لأسباب أخرى، منها: ما سوف



شارون



باراك

تؤدى إليه العولمة من توسيع الفجوة بين الأغنياء والفقراء بشكل يختلف تماماً مع الفكرة، ولا يتسق مع الواقع، مما يفرض إدخال الخوف إلى النفوس، والاستخدام العملى لوسائل القتل ذات القدرة التدميرية العالية، المقذوفة من الفضاء، حتى يمكن السيطرة على العناصر الجامحة التى قد تحاول مناهضة العولمة.

قوانين إدانة المعتدى عليه

وفى الفصل السابع «الصراع الأمريكى / الإسرائيلى ـ الفلسطينى» قام «تشومسكى» برصد الأحداث التى نشأ عنها أحدث مراحل الصراع الإسرائيلى ـ الفلسطينى فى التاسع والعشرين من سبتمبر سنة ٢٠٠٠، فنبه إلى أن اليوم السابق على هذا التاريخ شهد الزيارة ـ أو الحملة ـ التى قام بها «آرئيل شارون» وبطانته العسكرية إلى المسجد الأقصى، والتى أثار بها جماهير المسلمين، فقام «إيهود باراك» بإرسال سيل جرار ومروع من قوات الجيش والشرطة إلى المسجد الأقصى

يوم الجمعة ـ اليوم التالى للحملة الشارونية ـ فتحولت ثورة اليوم السابق إلى صدامات، خلفت العديد من القتلى الفلسطينيين، بالإضافة إلى مائتى جريح.

بذلك تأكد «شارون» و«باراك» أنهما نجحا فى تهيئة المسرح لإحداث العواقب المزلزلة لمساعى السلام فى المنطقة، حيث تهيأت الفرصة أمام الإعلام الإسرائيلى والأمريكى لجعل ما حدث حلقة من حلقات الصراع الإسرائيلى الفلسطينى؛ لتبرير كل ما قامت به إسرائيل من أعمال عنف وحشية، بدعوى الدفاع عن النفس، على الرغم من أن التحقيق الذى أجرته الأمم المتحدة أكد على أنه لم يتوفر دليل على قيام الفلسطينيين بإطلاق النار خلال هذه الأيام العصيبة، حتى إن المحققين خلصوا إلى أن قوات الجيش الإسرائيلى لم تتكبد خسارة واحدة خلال الأشهر التى تلت ذلك الحدث، فى حين قتل المئات من الفلسطينيين، وفرض نظام أكثر وحشية من ذى قبل، أخضع فيه الشعب الفلسطينى لأعمال عقاب جماعى أتسم بالإذلال والقسوة.

وقد اتفقت تقارير منظمات حقوق الإنسان مع تقارير الأمم المتحدة... غير أن هذه التقارير وتلك لم يحفل بها داخل الولايات المتحدة، ولم تلق أى اهتمام من الأمريكيين، مما يؤكد أن ما يحدث لا يصح أن يسمى «صراعاً فلسطينياً / إسرائيلياً»؛ إذ الواقع يوجب تسميته «الصراع الأمريكى الإسرائيلى/ الفلسطينى» حتى لقد أصبح من الخطأ وغير الملائم إدانة الأعمال الوحشية الإسرائيلية، خاصة داخل الولايات المتحدة، كالشأن فى إدانة الجرائم التى تدعمها الولايات المتحدة فى أمريكا الوسطى.

وهكذا انطلق الإسرائيليون بعربدتهم غير المسبوقة فى الأرض الفلسطينية، مسلحين بالدعم الأمريكى المباشر، ومدرعين بسياسة غض البصر، والمراوغة من المسئولين الأمريكيين. والأمثلة التى تقرر ذلك من الواقع أكثر من أن تحصر؛ ففى الثلاثين من سبتمبر قام الجيش الإسرائيلى بقتل الطفل «محمد الدرة» خلال ردهم على عملية الرشق بالحجارة بالقرب من مستوطنة «نتزاريم» الصغيرة، مع أن هذا الطفل لم يكن مشاركاً فى الرشق بالحجارة. ثم اتخذت إسرائيل من هذا الحدث مبرراً لبناء قاعدة عسكرية كبيرة، تقسم قطاع غزة قسمين. وفى اليوم التالى ـ الأول من أكتوبر ـ صعّدت إسرائيل مستوى العنف، فبعد أن قتلت اثنين من الفسطينيين بدون سبب واضح... أطلقت مروحية عسكرية إسرائيلية نيرانها بشكل عشوائى ومتكرر على مناطق متاخمة للمستشفى الميدانى التابع للهلال الأحمر، مما أدى إلى تعطيل العمليات فيه. وعلى الحدود بين مصر وغزة أطلقت المروحيات الإسرائيلية صواريخ أسفرت عن مقتل عدد من الفلسطينيين

وجرح العشرات. وفى اليوم التالى قامت المروحيات بإطلاق الصواريخ على المبانى والسيارات فى منطقة «نتزاريم»، فقتل عشرة فلسطينيين وجرح خمسة وثلاثون، وكان الرد على ذلك: مكافأة إسرائيل بتوقيع اتفاقية لأكبر عملية شراء مروحيات أمريكية وقطع غيار لمروحيات هجومية من طراز «أباتشى». وقد تواصل هذا الدعم ـ دون تغير ـ فى الأشهر التالية، حيث أرسل إلى إسرائيل مروحيات «بوينج أباتشى لونج بو» قيمتها خمسة بلايين دولار أمريكى، مع توجيه تحذيرات أمريكية إلى الفلسطينيين لوضع نهاية لما يقترفون من إرهاب، مصحوبة بتصريحات رسمية تستهجن العنف، دون أن تتجاوز التصريحات المجردة.

دعائم الهيمنة الغربية

وفى سبيله لتوضيح دور إسرائيل فى المنطقة العربية... يلفتنا «تشومسكى» إلى أن ما نشأ عن الحرب العالمية الثانية من هيمنة الولايات المتحدة هيمنة تمكنت معها من تنحية بريطانيا وفرنسا عن دورهما الاستعمارى، وتوليها هى زمام السيطرة الاستعمارية على الشرق الأوسط، وقيامها بتعديل قواعد الهيمنة لتى أرستها بريطانيا من قبل،عدلت الولايات المتحدة ذلك بدمج صف ثان من «خفر الحراسة المحلى»، كما أطلقت عليهم إدارة «نيكسون»، وهم عبارة عن شرطة لحفظ النظام، ويكون مركز إدارتهم فى واشنطن، بينما القوات الأمريكية البريطانية تظل مدخرة إلى أن تستدعى الحاجة.

وفى البداية تمثلت تلك الشرطة فى «تركيا» التى هيئت لتكون قاعدة لقوة الولايات المتحدة فى المنطقة، ثم أصبحت «إيران»، حتى نصحت «الـسى آى إيه» بأن القوة اللازمة للمنطقة لإعاقة الوطنية العربية تكمن فى «دعم إسرائيل» بتقديرها القوة الوحيدة المتبقية فى الشرق الأوسط الموالية للغرب، والتى يمكن الاعتماد عليها.

وتمثل ذلك فى ازدياد المعونة الأمريكية المقدمة لإسرائيل بعد انتصارها سنة ١٩٦٧، ثم تسارعت الزيادة سنة ١٩٧٠ عندما أعاقت الدعم السورى للفلسطينيين الذين كانت تنفذ فيهم عمليات قتل جماعية فى الأردن؛ فرأت أمريكا فى تلك الإعاقة خدمة جليلة لها.

ولأن سقوط «الشاه» سنة ١٩٧٩ مثل ضربة قاسية لأمريكا... نهض الرئيس «كارتر» على الفور لإرسال أحد قادة حلف شمال الأطلنطى لمحاولة إثارة انقلاب عسكرى، فلما فشلت تلك المهمة؛ قامت إسرائيل بمعاودة إقامة اتصالات عسكرية، وإرسال أسلحة أمريكية.

وعندما تنحى صديق واشنطن وحليفها «صدام حسين» عن مكانته الأثيرة، بتخليه عن واجب الامتثال للأوامر... لجأت الولايات المتحدة إلى سياسة الاحتواء الثنائى، التى استهدفت إيران والعراق.

ومع هذا الصعود والهبوط تطورت العلاقات الأمريكية الإسرائيلية، حتى أصبحت إسرائيل مساهماً جيداً فى عمليات واشنطن فى أمريكا اللاتينية وغيرها من الأماكن. يقرر هذا ما جاء فى تقرير «شلومو جازيت» الجنرال المتقاعد، والرئيس الأسبق للاستخبارات العسكرية الإسرائيلية، والمسئول رفيع المستوى فى الوكالة اليهودية، ورئيس جامعة بن جوريون... جاء فى تقريره المقدم سنة ١٩٩٢ ما يلى:

«لم تتغير مهمة إسرائيل الرئيسية على الإطلاق، وهى مستمرة على أهميتها الحيوية؛ فموقعها فى الشرق الأوسط الذى يقطنه المسلمون العرب يوجب على إسرائيل أن تكون الحارس الوفى على الاستقرار فى كافة الدول المحيطة بها. إن الدور المنوط بها هو منع أو إيقاف عمليات التطرف، وإعاقة مد رقعة التعصب الدينى الأصولى».

الإرهاب الأمريكى الإسرائيلى ومساعى السلام

ويرى «تشومسكى»: أن قرار مجلس الأمن الدولى (٢٤٢) سنة ١٩٦٧ كان المحك الذى كشف توجهات أمريكا فى علاقتها بإسرائيل ـ أو توجهات الإمبراطور بقراصنته ـ حيث دعا القرار إلى انسحاب إسرائيل من الأراضى التى احتلتها، وإلى عقد معاهدة سلام شامل تعترف بحق كل دولة فى العيش فى سلام وأمن داخل حدود معترف بها.

ولكن الولايات المتحدة لما قابلت هذا القرار بالرفض... أصبحت فى عزلة دولية، مما ألجأ إلى تأويل القرار؛ استجابة لدعوة «كيسنجر» القائمة على سياسة «كش ملك»، والتى تبلورت فى قرار «لا مفاوضات»، بل القوة فحسب؛ وذلك ليضمن لإسرائيل التحكم فى تحديد الأرض التى تنسحب منها.

وبتأويل الولايات المتحدة... أصبح القرار يعنى: الانسحاب فقط بالقدر الذى تحدده الولايات المتحدة وإسرائيل. وتمسكت إسرائيل بهذا التأويل، فرفضت عرض السادات «بإقامة معاهدة سلام كامل مقابل انسحاب إسرائيل من الأراضى المصرية فقط»؛ معلنة أنها لن تنسحب إلى حدود ما قبل الخامس من يونيه ١٩٦٧.

ولما حذر السادات من اضطراره للدخول فى حرب إذا ما استمر الرفض لجهوده الرامية إلى السلام... قوبل هذا التحذير من الغطرسة الأمريكية الإسرائيلية بالرفض والازدراء، ثم بالشجب الإسرائيلى العنصرى بشكل لاذع، وبتصرف إرهابى وحشى، تبدى فى برامج الاستيطان شمال شرق سيناء، بعد ترحيل نحو عشرة آلاف مزارع وبدوى بوحشية شديدة من قبل قوات قادها اللواء «آرئيل شارون».

وفى السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣ نفذ السادات ما حذر منه، فكانت تلك



منطق القوة.. انتصار مصر فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ فرض على إسرائيل التسليم بضرورة الانسحاب من الأراضى العربية المحتلة وبغير هذا الانتصار ما كانت لتنسحب من سيناء، والصورة لقائد الموقع الإسرائيلى الحصين فى بورتوفيق بعد استسلامه للقوات المصرية

الحرب التى تحولت إلى ما يشبه الكارثة بالنسبة لإسرائيل والعالم، والتى جعلت «كيسنجر» يدرك أن القوة وحدها لا تكفى، فلجأ إلى الاستراتيجية البديلة الطبيعية التى تحققت على يد «كارتر» فى «كامب ديفيد»، حيث أمنت إسرائيل جانب مصر، فانطلقت لتعزيز عملياتها العسكرية ضد منظمة التحرير الفلسطينية داخل لبنان، ولمواصلة نشاطها الاستيطانى فى الضفة الغربية بدعم غزير من إدارة «كارتر» وما خلفها من إدارات.

وازدادت عزلة الولايات المتحدة بسبب معاونتها إسرائيل فى عربدتها... خصوصاً عندما قرر مجلس الأمن فى يناير سنة ١٩٧٦ عمل تسوية ثنائية، يدخل فيها قرار الأمم المتحدة (٢٤٢) مضافاً إليه: إنشاء دولة فلسطينية فى الأراضى المحتلة.

وعلى الرغم من أن دول أوروبا وروسيا، ودول عدم الانحياز... دعمت هذا القرار، رفضته الولايات المتحدة وإسرائيل، بل إن إسرائيل قامت بقصف لبنان وقتل خمسين من المدنيين، دون سبب سوى التذرع بالثأر من الأمم المتحدة.

و«تشومسكى» يدعم رؤيته تلك بمزيد من الأمثلة الموثقة، التى توضح الرغبة الأمريكية الإسرائيلية فى دعم القراصنة بكل وسائل الإرهاب، خصوصاً الإعلام المضلل الذى بدا فى إطلاق واشنطن مصطلح «عملية السلام» على جميع مساعيها فى إعاقة أى تسوية دبلوماسية،

ثم بدا فى ترديد: «إن إدارة بوش الأولى قد اتخذت مساراً قاسياً تجاه إسرائيل»، مع أن العكس هو الصحيح... خصوصاً بعد صدور قرار الأمم المتحدة فى ديسمبر سنة ١٩٩٠ بالتأكيد على الحقوق الفلسطينية، حيث دخلت الولايات المتحدة فى حرب مع العراق، وأعلن «جورج بوش» عن النظام العالمى الجديد بقوله: «ما نقوله أمر نافذ»، معبراً عن ابتهاجه بالنصر، فأصبحت الولايات المتحدة فى وضع يسمح لها بفرض موقفها الرافض.

وبهذه المعايير... هبطت «عملية السلام» إلى الرؤية الأمريكية الإسرائيلية فحسب. كما تؤكده الوثائق، والأحداث الواقعية التى قامت على التفريق بين المعلن المذاع، وبين الواقع النافذ؛ فإذا كانت صيغة «رابين - بيريز» قد نصت على أن الاستيطان سوف يكون مقيداً بالنمو الطبيعى، تحت عنوان «تجميد المستوطنات»... فإن الواقع يقوم على تبنى قاعدة «الزيادة الهائلة فى تراخيص البناء»؛ أى أن التبنى الكامل للصيغة الإسرائيلية الأمريكية يذيع إعلان إسرائيل عن تجميد شامل للمستوطنات... بينما تغدق إسرائيل المال لبناء المستوطنات.

ومن هنا... انتقد «يوسى بولين» حكومة «نتنياهو» بسبب خطاباتها الحماسية المثيرة، داعياً إياها إلى العمل الصامت، على غرار ما صنعته حكومة «رابين» من زيادة بناء المستوطنات إلى حوالى ٥٠٪ فى هدوء وحكمة، بينما أنتم - بغباء - تظهرون نواياكم كل صباح، فتثيرون الفلسطينيين، وتحولون موضوع القدس - كعاصمة موحدة - إلى موضوع مناقشة عالمية.

ومن الأمثلة الكثيرة لهذه الأساليب الفجة ما جاء فى التقارير الأمريكية من وصف مدينة «معالى أدوميم» بأنها أحد أحياء القدس، على الرغم من أن هذه المدينة أنشئت إبان حكومة العمل فى منتصف سبعينيات القرن العشرين، ونمت بشكل سريع؛ نتيجة التدفق الغزير فى المعونات المقدمة من الحكومة، وقد اقتطعت أراضيها من أراضى العديد من القرى الفلسطينية، بما فى ذلك قرية «أبوديس» التى سوف تصبح القدس الفلسطينية، طبقاً لخطط الحمائم.

وهكذا... تمكن القراصنة - بخفة يدهم - من تقليص الأرض فى مصلحة القدس الإسرائيلية. ولما اكتشفت السلطات الإسرائيلية عدم ترخيص كثير من المبانى التى أقامها المستوطنون اليهود... لم تتردد فى منحهم تراخيص بأثر رجعى، بدلاً من إزالتها، فى الوقت الذى تُصر فيه على إزالة المبانى التى أقامها العرب، بدون ترخيص.

أى أن خفة اليد الإسرائيلية، مدعومة بخنوع القضاء لسلطات الدولة... كانت السبيل ليفقد الفلسطينيون آمالهم فى أن

تخفف قوات الجيش الإسرائيلى من فرص طرد الفلسطينيين من أرضهم، حيث رفضت المحكمة العليا الإسرائيلية معارضة الفلسطينيين التوسع الإسرائيلى الإضافى فى رقعة «معالى أدوميم»؛ تنفيذاً للمبدأ الإسرائيلى القائل: «يخضع جميع السكان المحليين المغلوبين على أمرهم إلى النظم التى وضعتها القوة العسكرية للاحتلال، كى تعزز مصالحها السياسية».

وهكذا... تعاون الأباطرة مع عملائهم فى إنفاذ أشرس عملية سطو – أو اغتصاب – مسلح، استخدمت فيه جميع الأسلحة المادية والمعنوية التى توصلت إليها أحدث وسائل التقدم العلمى الحديث، متجردة من كل معانى الرحمة والعدل، فى صلف وغطرسة لم يصل إلى بعضها القراصنة فى العصور الخالية؛ فلا وجود لحقوق الإنسان، ولا مكان لأى التزامات دولية، ولا قيمة لأى معاهدات أو اتفاقات مع تلك الأنشطة الخطيرة التى تقوم بها الولايات المتحدة وإسرائيل فى الأراضى الفلسطينية المحتلة، والتى بلغ معها الإعلام الأمريكى أقصى درجات التضليل والوقاحة بإعلان: «أن الأراضى المتنازع عليها تعتبر أراضى يقوم الفلسطينيون باحتلالها».

وبعد..

فالكتاب مرآة ناصعة تقدم صورة القراصنة الأقدمين بشراستهم وهمجيتهم التى حظيت باستهجان المتحضرين واحتقارهم، على مدى قرون ممتدة من الزمان. وتقدم إلى جوارها صورة القراصنة العصريين – الذين أفرزتهم الولايات المتحدة وإسرائيل – باستخدامهم أحدث ما قدمه العلم الحديث من وسائل الحرب والتدمير والإبادة مادياً ومعنوياً. وأبلغ درجات التضليل الإعلامى؛ فبهتت – فى جوارها – معالم الصورة الأولى، وبدا القراصنة الأقدمون أقرب إلى احترام القيم الإنسانية، مع هذا البعد الشاسع بين قراصنة العصر الحديث بقسوتهم وعنفهم وتجاهلهم حق الإنسان على أخيه الإنسان.

وقد بذل «تشومسكى» فى سبيله لتجلية هاتين الصورتين جهداً شاقاً؛ لالتزامه بالموضوعية الجادة، المعتمدة على الوثائق التاريخية، والقرارات الصادرة من المسئولين، والتصريحات المعلنة، والإحصاءات الدقيقة التى تكشف التوجهات الأمريكية والإسرائيلية على مدى أكثر من نصف قرن.

بيد أن حرصه على الالتزام بالموضوعية الموثقة... دفع به إلى أن يغرق القارئ فى متاهات التكرار تارة، وفى مجاهل الإيماءات والإشارات تارة، وفى مجهدات التشتت الذهنى وراء الأمثلة المتشابهة والمتشابكة تارة ثالثة.

ولكن... عذر المؤلف واضح فى أنه:

أولاً... قدم تلك الصورة فى هيئة مقالات ستة، قدمت فى نحو خمسة عشر

عاماً – بين سنة ١٩٨٦، وسنة ٢٠٠١ – ألمّ فيها بالمسار الأمريكى الإسرائيلى منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، وتتبع فيها ما عاصره من أحداث فى تلك المرحلة.

وأنه ثانياً... قدم فى كل مقالة قطاعاً متميزاً من الصورة – بخصوصياته، وأسبابه، ومشكلاته، وقضاياه التى – إن تميزت من غيرها فى حالة – اشتبكت معها فى حالات.

لهذا، وذاك... اضطر المؤلف – فيما أرى – إلى تكرار كثير من الحوادث، والمواقف، والنتائج؛ مما يثقل كاهل القارئ المتأنى. ويوزع جهده بين الانطلاق مع الأحداث والمواقف. وبين الحاجة إلى إعادة النظر فيما تقدم؛ للربط بين عناصر الموضوع؛ فضلاً عن أن ما مضى على تقديمه عام أو أكثر قد يحوج إلى التذكير به، وبما قد يكون خافياً على الكاتب فى حينه، ثم تكشف له فيما بعد.

هذه بعض الأعذار التى أراها كانت وراء ذلك – ليس من منطلق المجاملة، أو انتحال الأعذار – ولكن من منطلق تقدير من يعرف الكتابة والبحث، وما يستلزمه من جهد واجتهاد، وحرص على الدقة الأمينة، ونظر دائم دائب.

أما ما ضمه الكتاب من أحداث ومواقف... فقد لاحظت أن الكاتب شفع أكثر ما يوثقها من تقارير، أو قرارات، أو تصريحات، أو بيانات – من كل ما يحمد له – ولكن هناك ما ذكر مجرداً من هذا التوثيق، مثل ما جاء عن توظيف المملكة السعودية مع إسرائيل فى تنفيذ ما تريده الولايات المتحدة؛ إذ لم يقدم من الأدلة ما يوثق ذلك، على الرغم من أن توثيقه أهم بكثير من توثيق الأعمال الإسرائيلية، ليس لأنه مستبعد، ولكن لأن للمخابرات الأمريكية والإسرائيلية من وسائل الإعلام الشيطانية ما تستطيع به أن تلبس الأمور على إبليس نفسه؛ قصداً إلى إشاعة الفرقة بين عناصر الأمة العربية.

أما أسلوب الكاتب، ومنهجه التعبيرى فقد يكون كذلك من أسباب ذلك الإرهاق الذى يصيب قارئه؛ لأنه لم يعتمد فيه على الأسلوب العلمى – فى تحدده وترتيبه – ولكنه سلك فيه النهج المترسل المسترسل الذى يتقنه قلة من كُتّاب الصحف المتميزين فى شتى اللغات، مثل أنيس منصور فى الصحافة العربية.

تلكم بعض الملاحظات التى اهتديت إليها فى ثنايا قراءتى المتكررة لهذا الكتاب، كى أقدمه فى تلك الهيئة. والله من وراء القصد.

***

التطور الإسرائيلي للانسحاب من غزة

للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد

اضطرت حكومة شارون، ومن جانب واحد إلى إجلاء ٨٥٠٠ مستعمر من مستعمرات غزة لـ٢١، بعد احتلال إسرائيلي دام ٣٨ عاما، وإخلاء أربع مستعمرات في شمال الضفة الغربية من ٦٠٠ مستعمر، أعقبه تفكيك لقواعدها، وتدمير لمنازلها وهدم لمعابدها اليهودية فكما بنوا، هدموا، وكما شادوا، خربوا فهم يخربون بيوتهم ومعابدهم، بأيديهم، وليس بأيدي غيرهم ثم يلي ذلك نهاية لفك الارتباط، بانسحاب القوات الإسرائيلية الغازية، من داخل غزة إلى التمركز على حدودها، وهو ما يعني إعادة انتشار لهذه القوات من جديد، ولكن على حدود غزة الخارجية لمحاصرتها، وهو ما يشبه تحويل غزة إلى سجن كبير وفي هذا السياق كتب المحلل الإسرائيلي «ياريف أوبنهايمر» مقالا تحت عنوان: «خطة فك الارتباط خطة عديمة القيمة» بجريدة «معاريف» الإسرائيلية في ١٠/٦/٢٠٠٥ يقول فيه: «إن خطة فك الارتباط من الناحية السياسية والأمنية، مازال ينقصها الكثير، لعدم التنسيق مع القيادة السياسية الفلسطينية، وتجميد المفاوضات حول مستقبل الضفة الغربية، وعدم الإفراج عن المعتقلين الفلسطينيين، وعدم نقل السيطرة في مدن الضفة الغربية إلى السلطة الفلسطينية، وكل ذلك يجعل من خطة فك الارتباط خطة عديمة القيمة، على الصعيد السياسي والأمني».

وتنقسم هذه الخطة إلى مرحلتين:

الأولى: هي مرحلة الإخلاء الطوعي، واستغرقت شهرا كاملا من ١٥/٧/٢٠٠٥ إلى ١٥/٨/٢٠٠٥، وفي خلالها تم إخلاء المستوطنين اليهود طواعية.

والثانية: هي مرحلة الإخلاء القسري، وتم خلالها إجلاء المستوطنين بالقوة، وامتدت هذه المرحلة من منتصف أغسطس ٢٠٠٥ حتى ٥/١٠/٢٠٠٥.

وفي هذا الشأن يصف المحلل الإسرائيلي «ياريف أوبنهايمر» في مقاله السابق ذكره بجريدة «معاريف» الحال السيئة التي يشعر بها الإسرائيليون بوجه عام، والنخبة الحاكمة بوجه خاص بسبب الخروج اليهودي من غزة من جانب واحد، فيقول: «إن ثمة كوابيس أربعة يخشى منها الإسرائيليون:

الأول: يتمثل في المشهد الذي يبدو فيه الفلسطينيون، وهم يرقصون فوق أسطح المنازل في «جوش قطيف».

والثاني: هو التخوف من أن يتم الإخلاء تحت وطأة إطلاق النار من جانب حركة حماس.

والثالث: كابوس وجداني يتمثل في إخلاء ١٢٠ مقبرة في «جوش قطيف»، حين يضطر مستوطنو غزة إلى إعادة دفن موتاهم مرة أخرى في أماكن استيطانهم الجديدة.

والرابع: هو «بنيامين نتنياهو» الذي اعترض على خطة فك الارتباط، مهدداً بالاستقالة وقد استقال بالفعل.

ومن ناحية أخرى يعتبر العميد الإسرائيلي «عيبال جلعادي» صاحب الفكرة الأساسية لخطة فك الارتباط، بعد توليه لواء التخطيط الاستراتيجي في شعبة التخطيط بالجيش الإسرائيلي عام ٢٠٠١، ففي حديثه مع «بن كسبيت» بجريدة «معاريف» بتاريخ ١٦/٧/٢٠٠٥ يقول: «كان هناك ضرورة ملحة لدفع ثمن مقابل الحصول على الاستقرار، وهذا هو الأساس الذي بنيت عليه خطة فك الارتباط، فقد تولدت هذه الخطة من منطلق أننا في وضع سيء، لقد ظهرت فكرة الانسحاب من غزة في أواخر عام ٢٠٠١، وقد عرضتها على ضباطي في اجتماعات جرت خلال عام ٢٠٠٢ بالاشتراك مع جميع أفرع القوات، وقد وافق عليها رئيس الوزراء، وأجريت نقاشا أطلقت عليه «الراحة التكتيكية من أجل الراحة الاستراتيجية» وخلال هذا النقاش عرضت ثلاثة انتصارات:

الأول: رفض الرئيس الأمريكي لعرفات.

والثاني: حقيقة أن الولايات المتحدة ستغزو العراق.

والثالث: حقيقة بناء الجدار الفاصل» ويواصل العميد «جلعادي» الحديث حول خطة فك الارتباط، فيقول: «لقد أطلقنا على الخطة «خطة عيدان» وهي اختصار للأحرف الأولى من أسمائنا الشخصية «عيبال وداني» وهي ما عرفت بعد ذلك «بخطة انسحاب مرحلي يساعد على الاستقرار».

وبذلك يتضح أن الدافع الأساسي لوضع خطة الانسحاب من غزة هو شراسة المقاومة الفلسطينية ضد المحتل الإسرائيلي الغاصب، وتردي الأوضاع الأمنية في القطاع، وشعور الإسرائيليين، تبعا لذلك، بالقلق وعدم الاستقرار، ويرى هذا المسئول الإسرائيلي أن وضع الخطة كان مشروطا بالمقابل الأمريكي لإسرائيل فيقول «جلعادي»: «إنه في نوفمبر عام ٢٠٠٣ عرض «شارون» في روما مبادىء

خطة فك الارتباط على «اليوت أبرامز»، وبدأ الحديث مع الأمريكيين حول المقابل الذى ستحصل عليه إسرائيل نظير انسحابها من غزة، ولم نضع الخطة إلا بعد ما علمنا بحجم المقابل المحتمل، وكان هذا فى يناير وفبراير ٢٠٠٤، وحينئذ كان يمكن تقديم خطة لهيئة الأركان، علما بأن المكاسب والمقابل أثرا على أسلوب وضع الخطة» ومن هنا يمكن القول إن خطة فك الارتباط ما هى إلا اتفاق أمريكى إسرائيلى على خروج يهودى من غزة من جانب واحد مقابل ضمان وتعهد أمريكى لإسرائيل بدعم احتلالها العسكرى، للضفة الغربية وترسيخه، وتوسيع لمستوطناتها، ومواصلة بناء الجدار الفاصل، وتحويل الضفة الغربية إلى معازل تحول دون قيام دولة فلسطينية قابلة للحياة، تكون عاصمتها القدس الشرقية، وسيطرتها على المعابر الحدودية، وتحويل قطاع غزة ـ رغم الخروج اليهودى منه ـ إلى «جيتو» لمليون و٣٠٠ ألف فلسطينى، ومن هذا المنطلق تقوم خطة فك الارتباط على عدد من الأسس تحقق هذه الأهداف الإسرائيلية التى لاتخفى على أى مراقب، ومن أهم هذه الأسس.

أولا ـ الانسحاب من المستوطنات الموجودة فى قطاع غزة، وهى تنقسم إلى ثلاث مجموعات:

الأولى: وتشمل مستوطنات موراج، وعدد مستعمريها ٢٢١ مستوطنا، ونتساريم، وعدد مستعمريها ٥٢١ مستوطنا، وكفار داروم، وعدد مستعمريها ٤٧٥ مستوطنا وبذلك يصل عدد المستوطنين فى هذه المستوطنات الثلاث إلى ١٢١٧ مستوطنا.

والثانية: وتضم تكتل جوش قطيف الاستيطانى، وعدد مستوطناته ١٥ مستوطنة يسكنها ٥٧٩٨ مستوطنا، وهى أكبر تجمع استيطانى فى غزة.

والثالثة: وتشمل ثلاث مستوطنات، فى شمال غزة، وهى إيلاى سيناى، دوجيت، ليسينت، ويسكنها ١٥٥٠ مستوطنا.

وثانيا ـ الانسحاب من أربع مستوطنات صغيرة فى شمال الضفة الغربية، وهى كاديم، غانيم، صانور، حوميس، ويسكنها ٦٠٠ مستوطنا.

وثالثا ـ إخلاء قطاع غزة، بما فى ذلك المستوطنات الإسرائيلية القائمة، وانتشار القوات الإسرائيلية خارج القطاع باستثناء الانتشار العسكرى فى منطقة الخط الحدودى بين قطاع غزة ومصر (ممر فيلادلفى) أو ما يسمى فى الأصل «ممر صلاح الدين».

ورابعا ـ أنه مع استكمال عملية الانسحاب، لن يبقى وجود لقوات الأمن الإسرائيلية فى المناطق التى سيتم إخلاؤها فى القطاع.

وخامسا ـ قيام إسرائيل بإخلاء أربع مستوطنات فى شمال الضفة (منطقة نابلس

وجنين)، وكل المرافق العسكرية الثابتة فى هذه المنطقة، مع انتشار للقوات الإسرائيلية من جديد خارج المنطقة التى سيتم إخلاؤها.

وسادسا ـ فيما يتعلق بالوضع الأمنى فى قطاع غزة، نجد أن إسرائيل ستسيطر على المجال البرى والجوى والبحرى، مع بقاء غزة منزوعة السلاح، ويحق لإسرائيل الدفاع عن نفسها، بما فى ذلك اتخاذ إجراءات وقائية، مثل الرد باستخدام القوة ضد أية تهديدات تنشأ فى قطاع غزة أى أنه يجوز لإسرائيل تحت أية ذريعة ـ إعادة احتلال القطاع.

الفرار.. وليس الانسحاب من غزة

أما فيما يتصل بالوضع الأمنى فى الضفة الغربية، فإنه مع إخلاء أربع مستوطنات فى شمال الضفة، لن يبقى وجود عسكرى إسرائيلى ثابت فى المنطقة، مع حق إسرائيل فى الدفاع عن نفسها بما فى ذلك اتخاذ إجراءات وقائية مثل الرد باستخدام القوة ضد أى تهديدات تنشأ فى هذه المنطقة.

وسابعا: استمرار النشاط الأمنى الإسرائيلى فى باقى الضفة الغربية المحتلة حسب وضعه القائم.

وثامنا: فيما يتعلق بالمعابر الدولية، فإن المعبر الدولى بين مصر وغزة، سيتم نقله إلى «نقطة الحدود الثلاثية» جنوب الموقع الحالى، وقد تم مؤخرا الاتفاق بين مصر وإسرائيل والسلطة الفلسطينية على السماح بانتشار ٧٥٠ جنديا من حرس الحدود المصرى على طول هذا المعبر (طوله حوالى ١٤ كم) بمعنى انتقال المسئولية الأمنية المشتركة عنه إلى كل من مصر والسلطة الفلسطينية.

أما معبر «إيرنز» فسيتم نقله داخل إسرائيل، وفقا لجدول زمنى تحدده بنفسها. والسؤال الذى يطرح نفسه فى هذا الصدد هو لماذا تنسحب إسرائيل من غزة؟

فى ضوء المنظور الإسرائيلى فإن الوضع الديموجرافى فى غزة ليس فى صالح إسرائيل، فقطاع غزة لايمثل بالنسبة لإسرائيل أى إغراء لتبقى فيه حتى الآن، فمساحته صغيرة لاتتجاوز ٣٦٥ كيلومترا مربعا، وتبلغ مساحة المستوطنات فيه نحو ٥٪ من مساحة القطاع، يسكنها ٨٥٠٠ مستوطن، داخل محيط بشرى فلسطينى هادر، تعداده يفوق ١,٣ مليون فلسطينى، ولا يحتوى إلا على موارد شحيحة لاتسمن، ولاتغنى من جوع، غير أنه من أكثر المناطق قدرة على المقاومة الشرسة، بقيادة حركة حماس، العدو الرئيسى للكيان الإسرائيلى، الذى لا تعترف بالوجود الإسرائيلى فى فلسطين التاريخية، وترى أن النضال الفلسطينى هو الأسلوب الوحيد لتحرير الأرض والشعب وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة. ولعل أهم الأسباب للخروج اليهودى من غزة هو الكلفة الأمنية والمادية الباهظة التى أثقلت كاهل المحتل الإسرائيلى،

فقد تجاوزت الميزانية العسكرية الخاصة بالتواجد العسكرى الإسرائيلى فى الضفة الغربية وقطاع غزة ٦,٥ مليار دولار فى الفترة من عام ١٩٨٧ (عام الانتفاضة الأولى) إلى عام ٢٠٠٥، كما تضاعفت ميزانية وزارة الأمن الداخلى الإسرائيلية (الشين بيت) لمواجهة انتفاضة الأقصى ويذهب البعض إلى القول إن الهدف الرئيسى للفرار من غزة هو نقل الثقل الكامل للاستيطان اليهودى إلى الضفة الغربية، والطموح لتهجير مليون يهودى من يهود العالم إلى قلب الضفة، بالإضافة إلى عدد المستوطنين فيهاالذين يبلغ عددهم حاليا نحو ٤٣٢ ألفا و٢٧٥ مستوطنا، يسكنون ١٤٨ مستعمرة يهودية، بما فيها أحياء القدس الشرقية.

الانسحاب من غزة هو الأول والأخير

وفى هذا الشأن يتحدث رئيس الوزراء الإسرائيلى «شارون» إلى مذيعة القناة الثانية بالتليفزيون الإسرائيلى «زينا متسليح» فى ١٦/٧/٢٠٠٥ مجيبا عن تساؤل حول «أن الفرضية الأساسية بأنه يقوم بإخلاء «جوش قطيف» لتعزيز السيطرة على الضفة الغربية، فرضية ذات سند ومبررة» فيقول: «انظرى.. هناك اتفاق بينى وبين الرئيس الأمريكى بوش» (وهو يعنى وعد بوش فى إبريل ٢٠٠٤) مصدقا عليه من الكونجرس الأمريكى، وهذا الاتفاق يحتوى على أمور واضحة، وأحد بنوده ألا يعود الفلسطينيون إلى داخل إسرائيل، ولكن لدولة فلسطينية فقط، وإذا استمر الإرهاب (يقصد المقاومة الفلسطينية)، فلن تكون هناك «خريطة طريق»، ولن يكون هناك دولة فلسطينية ومن بنود هذا الاتفاق أيضا أن تبقى التكتلات الاستيطانية فى «يهودا والسامرة» (أى الضفة الغربية) تحت سيطرة إسرائيل، ومرتبطة بها بامتداد إقليمى، وهذا سيحدث» وهكذا يعترف شارون، صراحة، بأن المقابل للانسحاب الإسرائيلى من غزة هو الضمان الأمريكى لاستمرار الاحتلال الإسرائيلى للضفة الغربية، ويضيف شارون فى حديثه للقناة الثانية بالتليفزيون الإسرائيلى قائلا: «إننا بصدد فك الارتباط، وليس خريطة الطريق، إنه فك «ارتباط واحد أوحد»، ولن يحدث مرة أخرى، ولن يكون هناك فك ارتباط آخر» ومن ثم يمكن القول أن هذا التصريح العلنى من جانب شارون فيه تأكيد جازم باستحالة إعادة الضفة الغربية للجانب الفلسطينى، وأن الانسحاب من غزة شىء، وخريطة الطريق شىء آخر، أى أن خطة فك الارتباط ليس جزءاً من خريطة الطريق، وأن الانسحاب من غزة هو الانسحاب الأول والأخير، فلا انسحاب بعده لأنه جاء من جانب واحد، بدون اتفاق مع الفلسطينيين، وتكفى غزة للفلسطينيين لإقامة دولتهم المستقلة، وعاصمتها غزة، وهذه هى الرؤية الإسرائيلية للانسحاب من غزة.

الصراع الفلسطينى/ الفلسطينى

ومن جانب آخر، وتوزيعا للأدوار فى مجال خطة فك الارتباط، كتب «أفرايم عنبار» أستاذ العلوم السياسية فى جامعة بار إيلان، ومدير «مركز بيجن ـ السادات للأبحاث الاستراتيجية» حول وضع الفلسطينيين، بعد انسحاب إسرائيل من غزة بجريدة هآرتس فى ١٧/٧/٢٠٠٥ يقول: «وفى النهاية فإن الانسحاب الإسرائيلى من قطاع غزة، سيضع «محمود عباس» والمنظومة السياسية الفلسطينية فى محك صعب للغاية، فالسلطة لن تقدر، أبدا على منع سرقة الممتلكات الإسرائيلية التى سيتم تركها، كما أنها لن تضمن السيطرة على الأراضى التى ستخليها إسرائيل، وأن مكانة حماس فى قطاع غزة أقوى بكثير منها فى «يهودا والسامرة» (أى الضفة الغربية)، وهى ترغب فى استغلال هذه القوة لتحسين وضعها فى مواجهة السلطة الفلسطينية، وحتى لو توصل «أبومازن» إلى اتفاق مع المنظمات بشأن تقسيم الغنائم، ستظل المشكلة الرئيسية بلا حل، ألا وهى عدم السيطرة على استخدام القوة، فالانسحاب من قطاع غزة، سيزيد من الانقسامات الداخلية داخل المجتمع الفلسطينى» ومن هنا يذهب «إفرايم عنبار» أستاذ العلوم السياسية، بجامعة بار إيلان إلى تحذير القيادة السياسية الفلسطينية وتنبيهها إلى قوة حماس الطاغية التى تشكل ـ من وجهة نظره ـ خطرا كبيرا على قياة السلطة الفلسطينية، وهو حق يراد به باطل، إن هو فى الحقيقة يريد أن يؤكد على أن حركة حماس، العدو الأول لإسرائيل والتى تعتبر أحد أهم أسباب الفرار من غزة، هى أيضا عدو للسلطة الفلسطينية، فهى تريد الانقضاض على السلطة، والهدف واضح هو العمل على ذرع بذور الشقاق بين الفلسطينى والفلسطينى، وبين فصائل المقاومة والسلطة الفلسطينية، حتى يبدو الفلسطينيون أمام العالم بأنهم غير جديرين بحكم أنفسهم بأنفسهم، ناهيك عن إشعال نار الفتنة بين الإخوة الفلسطينيين ليحارب بعضهم بعضا، ويغفلوا عن تحرير سائر المناطق المحتلة، وعلى رأسها فك أسر القدس الشرقية، عاصمة الدولة الفلسطينية التى تلوح فى الأفق ولادتها بعد آلام مخاضها، والتى استمرت ٣٨ عاما تحت الاحتلال.

هل تضيع القدس

وفى الختام يمكن القول أن فك الارتباط من جانب واحد يكشف عن أولا: أن القوة العسكرية لايمكن أن تحسم وحدها أى نزاع فلسطينى إسرائيلى.

وثانيا: أن الانسحاب من غزة سبقه اتفاق مكتوب، ممهور بخاتم الكونجرس الأمريكى بدعم احتلال إسرائيل للضفة الغربية، وأنه لاعودة للفلسطينيين لديارهم فى فلسطين ٤٨، وأن القدس بشقيها الشرقى والغربى عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل، وأن الانسحاب من غزة هو الأول والأخير كما يقول شارون.. فهل تضيع القدس؟

هل يصلح التسامح مع اليهود؟

للدكتور/ سيد أحمد فرج

بعد أن هاجر الرسول - ﷺ - والمسلمون من مكة إلى المدينة، كان اليهود يسكنون أطرف المدينة، ولقد أخذ هؤلاء اليهود يثيرون الشك حول رسالة الإسلام والرسول - ﷺ - فبين القرآن الكريم، خاصة فى سورة البقرة طريقة اليهود منذ عهد موسى - عليه السلام - وكيف أنهم دائما كانوا يحيدون عن الحق، ويزيفون الحقائق ويرتكبون صنوف العناد والتكذيب لأنبيائهم السابقين ويخالفون منهجهم الدينى الصحيح، قال - تعالى - فى سورة البقرة فى حقهم:

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾

(البقرة: ٤٠)

بين القرآن الكريم للمسلمين طبيعة اليهود وما انطوت عليه نفوسهم من تزييف الحقائق، وتشكيك غير اليهود فى معتقداتهم، بعقولهم الملتوية البعيدة عن الحق.

لم يكن المسلمون عندما هاجروا إلى المدينة قد دربوا فى شئون السياسة والاجتماع، ولا يعرفون أساليب اليهود

فى التشكيك فى أمور الدين والدنيا، فكانت آيات القرآن تنزل ترشدهم إلى الإحاطة الكاملة الشاملة التى يجب عليهم الاسترشاد بها، لأنها تناولت كل العلل وعلاجها، قال - تعالى - :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(آل عمران: ١٠٠ - ١٠١)

كان اليهود لا يألون جهدا فى العمل على تشكيك المسلمين فى عقيدتهم وفى نبيهم - ﷺ - ويسلكون إلى ذلك طرقا من إثارة الفتن والشبهات.. قال - تعالى - :

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾

(البقرة: ١٠٩)

فهم يعرفون أن دين الإسلام هو الحق، ولكنه الحسد أن جاءت الرسالة الإسلامية فى العرب، وعنادهم وميلهم إلى الفتنة والكيد، جعلهم يعملون لفتنة المسلمين وردهم عن دينهم.. قال - تعالى - :

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾

(البقرة: ٢١٧)

وقال - تعالى - :

﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

(آل عمران: ٧٢)

وقال - تعالى - :

﴿ إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) ﴾

(آل عمران: ١٠٠)

فهذه الآيات الكريمة تبين أن اليهود يضمرون الحقد والكيد للمسلمين فى كل الأحوال، وبكل الطرق والأساليب - سواء كان ذلك بإثارة الفتنة، أو القتال بشن الحرب على المسلمين - فهم يريدون فتنة المسلمين فى دينهم، والقضاء عليهم.

شاس بن قيس اليهودى

لماذا وقع الاختيار على شاس، مع أن اليهود الذين كادوا للإسلام كثيرون؟

الإجابة.. تم اختيار شاس، لأنه المثل الأعلى لليهودى الذى يضمر الحقد على الإسلام والمسلمين فى كل عصر وآن، ابتداء من عصر النبى - ﷺ - إلى عصر شارون وحزب شاس الدينى فى الكيان الصهيونى.

ولقد وصف الإمام محمود شلتوت شاس بن قيس اليهودى فقال: كان عظيم الكفر، شديد الطعن على المسلمين، شديد الحسد لهم.

أما الذى أحدثه شاس من الفتنة فقد مر على نفر من الأنصار من الأوس والخزرج، وكانوا متآلفين متحابين لأن الإسلام نزع ما فى قولبهم من غل الجاهلية - وشق على شاس أن يراهم وقد طابت نفوسهم وقد برأت عما كان فيها من أحقاد الجاهلية التى زادتها الحروب بين الأوس والخزرج قبل أن يدخلوا فى الإسلام - وبالتالى فى السلم.

مر بهم شاس فوجدهم يتجاذبون الحديث الملىء بالإخاء والمودة، فانضم إلى مجلسهم، وأخذ يجرهم فى الكلام إلى ما كان بينهم من حروب وثارات الجاهلية ويذكرهم بأيامهم التى كانت فى أغلبها للخزرج على الأوس، وأخذ ينشدهم ما قاله شعراؤهم فى أيامهم الغابرة، فانتفضت فيهم العداوة والخصومة التى تحركت فى وجدانهم، وهيجت مشاعرهم، ومازال بهم حتى تنادوا السلاح، السلاح.

ولكن الله - سبحانه - الذى جمعهم على محبته، ونزع ما فى قلوبهم من غل الجاهلية، وملأها بالإيمان وأخوة الإسلام لم يمهل هذا الشيطان الذى نفث سمومه فيهم، يريد تفريقهم وتمزيقهم وإعادتهم إلى كفر الجاهلية

﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾

[الرعد/ ١٤]

فما هى إلا دقائق أو لحظات حتى بلغ الخبر رسول الله - ﷺ - فأسرع إليهم تحيطه كوكبة من المهاجرين والأنصار أخلصت لله - تعالى - ورسوله - ﷺ - فقضى على الفتنة قبل أن تشتعل.

فسكنت ثائرتهم، وأغمدوا سيوفهم، ورجعوا إلى الحق نادمين تائبين فنزلت فيهم هذه الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) ﴾

(آل عمران: ١٠٠)

شاس اليوم وشاس الأمس

هل انتهى شاس الأمس من بين اليهود ولم يعد يظهر غيره، الحقيقة أن شاس الأمس بقى فى أجيال اليهود جيلا بعد جيل وكان لكل شاس فى كل جيل من أجيالهم عمل شاس الأول نفسه، وأسلوبه وغايته أما درجة الكيد للمسلمين، فقد اختلفت من عصر إلى عصر، بحسب قوة

المسلمين أو ضعفهم ذلك أن شاس الأول وجد أمة قوية الإيمان، متراصة متماسكة يقودها نبى مرسل إلى الناس كافة، استطاع بعون الله وقدرته أن يؤلف بين المسلمين ويجعل منهم أمة واحدة

﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾

[الفتح/ ٢٩]

أما شاس اليوم، فهو متمثل فى شارون، وقد اجتمعت له من القوة المادية والسلاح الفتاك، ومعاونة خصوم الإسلام وفى مقدمتهم القوة الأمريكية الغاشمة وهم يتفقون جميعا يهودا وأمريكان على أهمية هدم الإسلام، وتمزيق أقطاره بإحياء الخصومات والعداوات بينها، ليكن بعضهم إلى بعض البغضاء، وليظن بعضهم فى بعض الظنونا حتى يتقطعوا أحزابا وشيعا.

إن شاس الأمس أضعف من شاس اليوم وأوهن، فقد واجه شاس الأمس محمدا - ﷺ - وصحبه - رضى الله عنهم - ولكن شاس اليوم أقوى قدرة على التدمير، وإحراق الأخضر واليابس، وتدمير البشر والشجر والمدر، لأنه يواجه اليوم مسلمين شغلتهم الدنيا عن الآخرة.

ليس أمام المسلمين اليوم إلا تطهير نفوسهم من الغل على إخوانهم المسلمين وتطهير جو الأقطار الإسلامية من الفتن والإحن ثم الاتحاد لكى يقدروا على شاس اليوم والله المستعان.

لكن ما يجب الانتباه إليه أن الآية التى نزلت فى هذه الحادثة، لم تجعل اليهود جميعا شاسا، فقد تضمنت من عدالة الحكم والإنصاف أنها فرقت بين بعض أهل الكتاب الذين يضمرون العداوة للإسلام والمسلمين وبعضهم الذين لا يضمرون للمسلمين شرا، ويمكنهم أن يعيشوا معهم فى ظل وطن واحد، ويتعاملون معهم ويتبادلون سبل المعايش.. قال - تعالى -:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) ﴾

(آل عمران: ١٠٠)

وقال - تعالى -:

﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾

(آل عمران: ٧٢)

وقال - تعالى -:

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾

(البقرة: ١٠٩)

وقال - تعالى -:

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة: ٧٥)

وقال – تعالى –:

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ﴾

(آل عمران: ٧٨)

على أن هؤلاء هم الفريق الغالب عليهم، وعليه جاء الخطاب فى أغلب الأحوال من شئونهم مع المسلمين، قال – تعالى –:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾

(آل عمران: ٧٠)

وقال – تعالى –:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

(آل عمران: ٩٩)

وفى كل الأحوال فى شئون اليهود يجب ألا نغفل نحن عن كيدهم، ويكون لنا فى رسول الله – ﷺ – فيهم – أسوة حسنة، فنحذرهم على الدوام.

قال – تعالى –:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾

(الأحزاب: ٢١)

وقال – ﷺ –: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدى أبدا، كتاب الله وسنتى»[١].

والتمسك بكتاب الله – تعالى – وسنة نبيه – ﷺ – هو الاعتصام بحبل الله المتين الذى يقينا من الضلال والهلاك، قال – تعالى –:

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(آل عمران: ١٠١)

موقف المسلمين من الصهاينة

ابتداء يدعو الإسلام إلى أن يدخلوا فى السلم كافة، قال – تعالى –:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾

(البقرة: ٢٠٨)

فالإسلام دين سلام، ولكن فى الوقت نفسه لا يقبل الاستسلام ولا يدعوا المسلمين إلى أن يبدءوا بحرب على غير

(١) الحاكم فى المستدرك ١٠/ ١٧١.

المسلمين، إلا إذا هم بادءوهم بحرب عدوانية، عند ذلك يفرض الإسلام على المسلمين الجهاد للدفاع عن حوزة الإسلام وعن عز المسلمين.

هذه هى القاعدة الجليلة التى تحدد علاقة دولة الإسلام، بدول غير المسلمين، وهو ما لم نجده فى موقف اليهودية من الحروب، فحرب اليهود كما نصت نصوص التوراة غايتها إهلاك الأمم الأخرى كما جاء فى سفر العدد ٣٣/ ٥٠ – ٥٣ فى حروب موسى: «وكلم الرب موسى فى عربات مؤاب على أردن أريحا قائلا: كلم بنى إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم، وتمحون كل تصاويرهم وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة، وتخربون جميع مرتفعاتهم، وتملكون الأرض وتسكنون فيها لأنى قد أعطيتكم الأرض لكى تملكوها».

هذا مع أن موسى – عليه السلام – مات فى سنى التيه بسيناء ولم يدخل أرض كنعان، فلما دخلها يوشع بن نون فتاه فعل بها بحسب نص التوراة ما كان أمره به موسى، من قتل الإنسان والحيوان، وتدمير للأرض وحرق وإبادة.

***

﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المقيد برقم ٣٨٩ لسنة ٢٠٠٥م المتضمن لبعض الأسئلة وهى:

مواريث

السؤال السادس: ورد من السيد / ع.أ

يسأل: ماتت سيدة وتركت: حفيدا هو (ابن ابن)، وبنتا. فما نصيب كل منهما؟

الجواب: بوفاة السيدة المذكورة فى السؤال عن المذكورين فقط فإنه يكون لبنتها نصف التركة فرضا، لانفرادها وعدم وجود من يعصبها، لقوله تعالى:

﴿ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ﴾

(النساء ١١)

والباقى بعد النصف يكون لابن الابن تعصيبا، لعدم وجود صاحب فرض آخر أو عاصب أقرب، وذلك لقول الرسول ﷺ «ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقى فهو لأولى رجل ذكر» متفق عليه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما.

هذا إذا كان الحال كما ورد بالسؤال وليس هناك وارث بفرض ولا تعصيب غير من ذكرا ولا فرع يستحق وصية واجبة.

والله سبحانه وتعالى أعلم

يجوز قطع الأصبع الزائدة

السؤال الخامس: ورد من السيد/ س.ع

يقول فى رسالته: هل يجوز قطع الإصبع الزائدة سواء أكانت فى اليد أم فى القدم، علما بأنها لا تسبب أى ألم جسدى إلا أنها تسبب ألما نفسيا شديداً؟

الجواب: نعم، يجوز قطع الإصبع الزائدة فى اليد أو فى القدم، وليس هذا من باب تغيير الخلقة المنهى عنه، لأنه شىء زائد على أصل الخلقة.

والله سبحانه وتعالى أعلم

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
على جمعة
مفتى جمهورية مصر العربية

الطهارة

السؤال السابع: ورد من السيد / م.ع

ما حكم الصلاة فى الأماكن التى أصابتها النجاسة ثم جفت، مثل الصلاة فى الحقل التى بالت فيه الحيوانات؟ وما حكم الصلاة فى الثوب الذى أصابته النجاسة ثم جفت ولم يمكن التعرف على الجزء الذى أصابته فى الثوب؟

الجواب: من شروط صحة الصلاة الطهارة: طهارة البدن والثوب والمكان، لقول سيدنا رسول الله ﷺ «الطهور شطر الإيمان» رواه مسلم من حديث أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه.

والطهور معناه: طهارة الثوب والبدن والمكان، وقال ﷺ: «لا تقبل صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول» رواه مسلم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما.

وقال الله تعالى فى شأن طهارة الثياب:

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾

(المدثر: ٤)

وقال ﷺ فى شأن البدن: «تنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه» رواه الدراقطنى.

وجاء فى شأن طهارة موضع الصلاة أن النبى ﷺ نهى عن الصلاة فى المقبرة والمجزرة ونحوهما، ولا علة ظاهرة لهذا النهى إلا النجاسة، ولعموم قول الله تعالى:

﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾

(المدثر ٥)

والصلاة فى الأماكن التى أصابتها النجاسة إن علم مكانها فليلق عليها ماء كثير حتى يغلب على الظن طهارتها، لما روى أن أعرابيا بال فى المسجد فقام إليه بعض القوم فقال رسول الله ﷺ: «دعوه ولا تزرموه»، قال: فلما فرغ دعا بدلو من ماء فصبه عليه. متفق عليه من حديث أنس رضى الله عنه.

فإن عجز الإنسان عن تحديد موضع النجاسة وكان الموضع محدودا فليطهره كاملا، وإن كان غير محدود فليصل فى مكان آخر، لأن الأرض جعلت لنا مسجدا وطهورا، وما دام لا يتيقن نجاسة

المكان الجديد فالأصل الطهارة، لأن اليقين لا يزول بالشك.

وأما الصلاة فى الثوب الذى أصابته النجاسة ولا يستطيع تمييزها لجفافها فإنها لا تصح وعليه غسل الثوب كاملا، لأن النجاسة حينئذ هى المتيقنة والطهارة مشكوك فيها، واليقين لا يزال بالشك، فيستصحب اليقين.

والله سبحانه وتعالى أعلم

اتجاه القبلة

السؤال الثامن: ورد من السيدة/ هـ.س

تقول: كنت فى سفر إلى إحدى المناطق داخل مصر وحان وقت الصلاة، وعندما قمت لأداء الصلاة وقعت فى حيرة شديدة، لعدم قدرتى على معرفة الاتجاه الصحيح للقبلة، فأخبرنى أحد الحاضرين بأن الاتجاه الصحيح للقبلة هو بأن أجعل أذنى اليسرى باتجاه مشرق الشمس، فهل هذا القول صحيح؟ وهل يسرى على كل مناطق مصر؟ وما الحكم فى حالة عدم معرفة اتجاه القبلة؟

الجواب: من شروط صحة الصلاة استقبال القبلة، لقول الله تعالى:

﴿ قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾

(البقرة ١٤٤)

فعلى الإنسان أن يبحث عن القبلة عن طريق أهل الخبرة فى ذلك، فإن كان الإنسان فى مكان عجز عن تحديد اتجاه القبلة فليجتهد قدر استطاعته وليصل حسب اجتهاده، وكون المصلى يجعل أذنه اليسرى باتجاه مطلع الشمس وبذلك يكون متجها للقبلة فهذا صحيح، ولكن ليس فى كل مصر، بل إلى قرب المنيا، ثم بعدها ينبغى الانحراف عن ذلك أكثر جهة الشرق.

والله سبحانه وتعالى أعلم

ختم القرآن

السؤال التاسع: ورد من السيد/ ع.س

يقول: اعتاد بعض الناس وبخاصة فى المجتمعات الريفية والشعبية القيام بعمل ما يسمى (خاتمة لقراءة القرآن الكريم). ويقومون بهذا العمل بعد وفاة الميت بثلاثة أيام. فما حكم الشرع فى هذا العمل؟

الجواب: إن قراءة القرآن من أفضل العبادات التى يتقرب بها المسلم إلى ربه، فقراءة القرآن على الإنسان بعد وفاته أو حال وفاته سواء فى منزله أو فى المسجد أو بعد صلاة الجنازة أو قبلها أو عند القبر كل ذلك جائز شرعا، وهى بفضل الله تهون على الميت فى قبره كما أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ، وقد حثنا صلوات الله وسلامه عليه على قراءة القرآن للميت بعد وفاته فقال فى حديث معقل بن يسار رضى الله عنه ﷺ: «اقرءوا (يس) على موتاكم» رواه أحمد وأبوداود وابن ماجه وصححه ابن حبان والحاكم.. ولابد فى القراءة من التأدب بآداب التلاوة وعدم الإخلال بالحروف والامتثال لأمر الله تعالى فى قوله تعالى:

﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾

(المزمل ٤)

ومما لا شك فيه أن القرآن نور وأن قراءته سبب فى إنزال الرحمات وسبب فى التجليات الإلهية بالمغفرة والرضا والرحمة، ولذلك يقرؤه أهل البيت على موتاهم راجين تنزيل الرحمات على فقيدهم. وينبغى لقارىء القرآن أن يقول قبل قراءته أو بعدها «اللهم اجعل مثل ثواب ما أقرأه أو ما قرأته لفلان» وذلك ليصل ثواب القراءة إلى الميت. والميت أو المحتضر ينتفع بسائر القربات ومنها قراءة القرآن بإذن الله تعالى، وندعو الله أن يغفر لجميع موتى المسلمين.

والله سبحانه وتعالى أعلم

ضبط اتجاه القبلة

السؤال الثالث: ورد من السيد/ م.ق.ج

معظم مساجد بلدتى وبخاصة المساجد القديمة قبلتها غير صحيحة بحسب ماتشير إليه البوصلة، وحاول بعض المصلين ضبط اتجاه القبلة إلى الاتجاه الصحيح إلا أن بعضا آخر رفض هذه المحاولة، وقال: نريد فتوى من علماء الأزهر توضح لنا أن هذا الأمر من الدين الحق- على حد قولهم- فالرجا من فضيلتكم إفادتنا بهذا الشأن..

الجواب: من شروط صحة الصلاة استقبال القبلة، لقول الله تعالى:

﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ﴿١٤٩﴾ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾

(البقرة ١٤٩: ١٥٠)

وعلى المسلم أن يتحرى القبلة ما استطاع إلى ذلك سبيلا فإن عجز عن التحرى فليجتهد قدر استطاعته ثم ليصل، لقول سيدنا محمد رسول الله ﷺ «... فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه» رواه أحمد.

ولكن تحرى العين يكون عند عين الكعبة المشرفة، وعندها لا يجوز الانحراف عن جرمها المشرف بأى قدر من الانحراف، وأما إذا لم تكن الكعبة نفسها مرئية للمصلى- كحال السائل فى مسجده- فلا بأس بانحراف يسير يمينا أو يسارا عن صواب القبلة، بحيث يبقى وجه المصلى محاذيا الكعبة المشرفة بأى جزء منه، وقد حدد ذلك العلماء بخمس وأربعين درجة، أى باثنتين وعشرين درجة ونصف الدرجة من كل ناحية من ناحيتى الوجه، وذلك لقوله تعالى:

﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾

«البقرة ١٤٤»

أى ناحيتها لا إلى عينها.

وعليه وفى واقعة السؤال: فإذا كانت القبلة فى المساجد القديمة تنحرف عن القبلة قليلا فى حدود خمس وأربعين درجة من الناحيتين: أى اثنتين وعشرين درجة ونصف الدرجة من كل ناحية، فيجوز إبقاء القبلة على ماهى عليه وتكون الصلاة صحيحة، أما إذا زادت عن ذلك فحينئذ يجب التوجه إلى الاتجاه الصحيح للقبلة.

والله سبحانه وتعالى أعلم

خطبة الجمعة :

أين الأمة الشاهدة؟! (*)

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ/ علي حامد عبد الرحيم

الحمد لله عز وجل، جعل الثواب والعقاب نتيجة لعدالة الحساب، وهو أحكم الحاكمين. أشهد أن لا إله إلا الله، يكره مخالفة الأعمال للأقوال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

الصف / ٢، ٣

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله القائل: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأقوالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» (١) فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه:

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾

(طه/ ١١٢)

يا أتباع محمد (ﷺ):

ما أبعد هذه الأمة الإسلامية اليوم عما أراده لها ربها، ودعاها إليه رسولها، وطالبها دينها، وأوجبته عليها كرامتها، ثم ما أوسع دعواها، وما أوجع بلواها، فالله جل جلاله يقول لأمته مثلاً:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

(البقرة/ ١٤٣)

(*) ألقيت يوم الجمعة ٣٠ من أغسطس سنة ١٩٦٨م.

(١) مسند الإمام أحمد ٢/ ٢٨٥، ٥٣٩.

حقيقة الأمة الوسط

والأمة كما يقول المفسرون هي الجماعة التي تؤم أي تقصد جهة واحدة، فتكون موحدة الصف موحدة الهدف، والوسط هو العدل والخير، لأن وسط الشيء هو خياره، ووسط الوادي هو خير موضع فيه وأكثره ماء ونباتاً، وواسطة العقد هي خير جوهرة فيه، والرسول أوسط قريش نسباً أي خيرهم، والقرآن يقول:

﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ (القلم/ ٢٨)

أي أعدلهم وأفضلهم، والرسول يقول: «خير الأمور أوساطها»(٢) والوسط في الحقيقة هو البعد عن الطرفين بعداً متساوياً، والطرفان هما الإفراط والتفريط، فالإنسان الوسط يبعد عن الإسراف بعداً مساوياً تماماً لبعده عن التقصير، فكأن الوسط يوجد فيه معنى الانضباط والاستقامة والاستواء على الصراط المستقيم، والمؤمن الحقيقي هو الذي يمضي في طريقه على خط معتدل. لا يميل عنه ولا يضل فيه، فلا هو يغلو ويسرف، ولا هو يقصر أو يجحف، ولذلك علم الله عباده أن يدعوه كل يوم عدة مرات قائلين في الصلوات:

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾

(الفاتحة ٦، ٧)

وحين قال الله لأمته:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾

البقرة / ١٤٣

كأنه يقول لأبنائها وهو أعلم بمراده: لقد أردتكم خياراً عدولاً، يزكيكم العلم والعمل، وتجمعكم كلمة التوحيد، ويعزكم توحيد الكلمة، وتزينكم خصالكم الحميدة التي تضبط خطوات أصحابها، فتجعلهم في الوسط الصحيح السليم القويم، فهم ينهضون بكل الواجبات، وهم يحذرون كل المنهيات، والله من وراء الجمع مرشد ومعين.

ثم قال الله تعالى لأبناء الإسلام:

﴿ لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾

البقرة/ ١٤٣

والشهادة درجة خطيرة ومنزلة جليلة، فيها يقبل حكم الإنسان على غيره في دينه وعمله، والرسول يقول: «من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض. أنتم شهداء الله في الأرض أنتم شهداء الله في الأرض» (٣) ثم تلا قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

البقرة/ ١٤٣

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ٣/ ٢٧٣

(٣) مسلم ٦٠، مسند الإمام أحمد ٣/ ١٨٦

وهذه الشهادة تقتضى أن يكون الشاهد صالحاً لها جديراً بها قادراً عليها، فيكون فاضلا عادلاً له شمائل ينفرد فيها وفضائل يتحلى بها، حتى تكون له مزية على غيره، فيصلح لإبداء الشهادة على سواه.

منهج الأمة وخطتها

شهادة الأمة الإسلامية على غيرها من الأمم فيها معنى الإشراف والتوجيه والقيادة، فلابد لها من منهج وخطة، ولابد أن يكون لديها قيم وموازين، فهى الأمة الحاكمة الفاصلة، التى تقضى بين الأمم، وتقوم اعوجاجها، ولن يستقيم الظل والعود أعوج، وفاقد الشىء لا يعطيه، فإذا كانت هذه الأمة الاسلامية مسئولة عن تقويم غيرها، فلابد أن تكون قويمة فى نفسها، وأن تكون كما أراد خالقها أمة وسطاً، أى معتدلة فى أمورها مستقيمة فى اعتقادها وتفكيرها وتصرفها، فقد هيأ الله لها أسباب الوسطية فى كل شىء حتى فى مكانها، فجعلها وسطاً بين الشرق والغرب لتكون بعقلها وفضلها وعملها الصمام والزمام والإمام لمن فى الشرق ومن فى الغرب، وتلك مكانة عليا لها تبعاتها وواجباتها ومشقاتها: «إن العظائم كفؤها العظماء».

أمة شاهدة ومشهود عليها

وإذا كانت هذه الأمة الإسلامية مطالبة بأن تكون شاهدة على الناس، فإنها فى الوقت نفسه مشهود عليها، وهى مشهود عليها من أكرم شاهد، وأكمل نموذج للإنسانية الطاهرة الفاضلة، إن الشاهد عليها هو الصادق المصدوق رسول الله (ﷺ):

﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾

البقرة/ ١٤٣

فالرسول يشهد لكم وعليكم، وهو يشهد بأنه قد بلغكم فأدى الرسالة وصان الأمانة، ولعل هذا هو بعض السر فى تكراره قوله: «ألا هل بلغت، اللهم فاشهد»(٤) وهو يشهد بالإيمان لمن استجاب واهتدى واستقام، ليكون ذلك تزكية للمتقين عند ربهم، والأمر من بعد هذا ومن قبله بيد الله وحده، يفعل ما يشاء ويختار، ورسول الله الشاهد على أمته هو الذى يقول لها: «أنا فرطكم على الحوض، من مر على شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، وليمرن على أقوام أعرفهم ويعرفوننى ثم يحال بينى وبينهم، فأقول يارب إنهم منى (أى يقولون إنهم من أمتى) فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدى»(٥) وهو الذى يقول لأمته: «خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا

(٤) البخارى ١/ ٣٨، ٥/ ٢٢٣، ٨/ ١٩٨، ٩/ ٦٣، ٩٥

(٥) البخارى ٨/ ١٤٨، ١٥٠، ١٥٨

يستشهدون (لا يدعون للشهادة لعدم أهليتهم لها) ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن»(٦) وما أشد الموقف وأعظم الهول حينما تقف الأمة أمام رسولها ليشهد عليها عند ربها:

﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴾

النساء/ ٤١

ومن المعروف فى فقه الإسلام أن الإنسان لا يصلح للشهادة في الأمور القضائية الدنيوية بمجرد كونه مسلماً أو قوله أنا مسلم، بل لابد أن يكون مرضياً فى أخلاقه وسلوكه، وأن يكون عادلاً منصفاً، لأن الله يقول فى وصف الشهداء

﴿ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾

(البقرة / ٢٨٢)

ويقول:

﴿ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾

(الطلاق / ٢)

مأساة الأمة

العدالة هنا كما قال المفسرون هى صفاء السريرة واستقامة السيرة وتجنب الكبائر والتزام الفضائل، فكيف إذن بشهادة أمة على غيرها من الأمم؟ وهل تجرؤ هذه الأمة حقاً على أن تقف موقف الشهادة على سواها قبل أن تسأل نفسها.

أتستحق أن تكون شاهدة أم لا؟ وهلا يكون من العدل- إن كان لابد لها من شهادة- أن تشهد على نفسها قبل أن تحاول التعرض للحكم على من عداها؟ هاهى ذى اليوم تبدو وكلها ثغرات صالحة لتوجيه الطعنات والضربات، فهل لها صف موحد، أو هدف موحد، أو جيش موحد، أو قيادة موحدة، أو خطة موحدة، إن فيها من يقدر على أن يضرب عدوها ثم يتقاعس، وفيها من يعجز عن الضرب ثم تتوالى عليه الضربات بلا نصير، وفيها من يقول كثيراً ولا يعمل قليلاً ولا كثيراً، وفيها من يصمت صمت الأموات حتى عن الكلمة الطيبة، وفيها من تبلد حسه وتجمد شعوره فصارت أنباء العدو المتكررة عنده كأنها حديث «عن التغيير الذى لا يذكر فى درجات الحرارة» وفيها من يرون الإباحية مدنية، ومن يرون التعرى حضارة، ومن يرون التعبد رجعية، ومن يرون التدين ضيق أفق، فكيف تجرؤ أمة هذا شأنها على أن تقول إنها هى التى يصدق عليها قول ربها:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾

البقرة / ١٤٣

يا أتباع محمد (ﷺ): أنتم بقايا الخير فى حنايا المجتمع، فكونوا بفضل ربكم ومعونته همزة الوصل بين ماض كريم لأمة الإسلام ومستقبل مأمول لها، ومن سار على الدرب وصل

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴾

المائدة / ٨٨

(٦) البخارى ٣/ ٢٢٤، ٢/ ٤١٠، ٤٧٩.

قراءة إيمانية فى كتاب الكون والحياة

عالم البحار والأنهار

للأستاذ الدكتور/
أحمد فؤاد باشا

البحر يطلق فى لغة العرب على الماء الكثير الواسع الممتد، ملحاً كان أو عذباً، وقد استخدمه القرآن الكريم بالمعنيين، ووردت الكلمة مفردة ٣٣ مرة، ومثناة ٥ مرات، وجمعاً على «بحار» مرتين وعلى «أبحر» مرة واحدة، فيكون مجموع مرات ورودها فى القرآن الكريم ٤١ مرة.

وسمىَ «البحر» كذلك لعمقه واتساعه وانبساطه، ومنه قيل للعالم الواسع العلم، وللكريم الواسع المعروف: بحر. وقد ورد إطلاق البحر على الماء العذب فى بعض أشعار العرب، ثم غلب علي الماء الملح حتي قل إطلاقه علي الماء العذب. وما يزال يطلق على بعض روافد النيل اسم البحر، مثل بحر الجبل، وبحر الزراف، وبحر الغزال، كما سمى أحد فروع النيل المتجه إلى منخفض الفيوم باسم بحر يوسف. ومن البحار التى عرفها العرب بحر الروم «البحر الأبيض المتوسط»، وبحر الخزر «بحر قزوين»، وبحر القُلزم «البحر الأحمر»، وبحر الهند «المحيط الهندى»، وغيرها.

أما حين وردت كلمة البحر مثناة فى القرآن الكريم فقد أريد بها «البحر» و«النهر». أو الماء الملح والعذب على سبيل التغليب فى أربع آيات هى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾

(سورة فاطر: ١٢)

وقوله:

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ﴾

(سورة الفرقان: ٥٣)

وقوله:

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾

(سورة النمل: ٦١)

وقوله:

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾

(سورة الرحمن: ١٩)

كما أريد بها مكان التقاء موسى والخضر ـ عليهما السلام ـ عند اجتماع أو التقاء بحرين معيَّنين فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾

(سورة الكهف: ٦٠)

وقد اختُلفَ كثيراً فى تحديد هذين البحرين.

أما كلمة «البحار» فقد وردت فى آيتين فقط هما:

﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾

(سورة التكوير: ٦)

﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾

(سورة الانفطار: ٣)

وقد وردت على وزن من أوزان جموع الكثرة لأن المراد بها هنا فيضان المياه واختلاط ملحها وعذبها وطغيانها وتغطيتها اليابسة كمقدمة لقيام الساعة، وهذا يناسبه التكثير.

أما كلمة «أبحر» التى وردت فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾

(سورة لقمان: ٢٧)

فتختلف عن «البحار» فى أنها تدل على القلة لمجيئها على وزن من أوزان جموع القلة. وقد اقتضى السياق ذلك تمييزاً للعدد «سبعة».

وبالنسبة لكلمة «النهر» فى اللغة فتعنى المجرى الواسع من الماء العذب. ويعرف النهر بأنه مسطح مائى ينساب على اليابسة فى مجرى طويل ضمن ضفتين. وقد يكون منبع النهر مثلجة، أو نهراً جليدياً ينصهر، أو ينبوعاً، أو بحيرة تفيض مياهها، ويقع مصب النهر فى نهايته، حيث تصب مياهه فى نهر أكبر، أو فى بحيرة أو فى أحد البحار أو المحيطات.

وقد وردت كلمة «النهر» فى القرآن الكريم مفردة ثلاث مرات، وتُقْرأ بفتح الهاء وسكونها، ووردت مجموعة على «أنهار» ٥١ مرة. ومن اللغويين مَنْ عَدَّ كلمة «نَهَر» جمعاً كأنهار، مما يعنى عدم ورود الكلمة مفردة فى القرآن.

ومن يتتبع الاستعمال القرآنى يجده فى معظم الأحيان يربط الكلمة مفردة ومجموعة بنعيم الجنة وثواب الآخرة، كما فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾

(سورة القمر: ٥٤)

وقوله:

﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾

(سورة آل عمران: ١٥)

وهناك ثلاثة مواضع استخدم القرآن فيها كلمة «أنهار» على سبيل الاستعارة بجامع الجريان والاتساع فى كل، وذلك قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾

(سورة محمد: ١٥)

أما أنهار الدنيا، أو نهر محدد منها، فقد تحدثت عنها آيات أخرى مثل قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ ﴾

(البقرة: ٢٤٩)

تشير إلى نهر قال عنه المفسرون إنه نهر بين الأردن وفلسطين. وقوله وتعالى:

﴿ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴾

(الكهف: ٣٣)

تتحدث عن رجلين أحدهما فقير والآخر غنى، وكان للغنى بستانان يجرى بينهما نهر، أو مسيل ماء أو جدول يروى البساتين، فهو نهر خاص يجرى فى ممتلكاته. وقوله تعالى:

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ﴾

(الزخرف: ٥١)

تتحدث عن فرعون مصر وعن نهر النيل وفروعه التى تنتشر فى أرض مصر.

أما الآيات التى تتحدث عن الأنهار بعامة فهى:

﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ﴾

(البقرة: ٧٤)

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾

(البقرة: ٢٦٦)

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴾

(إبراهيم: ٣٢)

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ﴾

(الرعد: ٣)

﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا ﴾

(النحل: ١٥)

وعلى الرغم من أن البحر والنهر كليهما من خلق الله الذى لم تتدخل قدرة الإنسان لإيجاده، فإن لهما جانباً آخر حضارياً يتمثل فى جهد الإنسان للاستفادة منهما، والسعى لاستغلال مواردهما، واستخدام إمكاناتهما لكسب

الرزق والإعمار وتسيير شئون الحياة. ومن المعروف أن الحضارات الإنسانية الكبرى نشأت على ضفاف الأنهار وسواحل البحار. وقد أشار القرآن الكريم إلى عدد من المهن والحرف التى يمكن أن تدور حولهما، وطرق استثمارهما. ومن ذلك: اتخاذها وسيلة للانتقال ونقل البضائع، كما فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ ﴾

(البقرة: ١٦٤)

وقد أدى اتخاذ الفلك وسيلة للانتقال إلى نشأة صناعة السفن. ومن لطائف القرآن الكريم حرصه على أن يربط حركة الفلك بالعناية الإلهية تعميقاً للإيمان. ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ ﴾

(لقمان: ٣١)

وقوله:

﴿ رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ﴾

(الإسراء: ٦٦)

وقوله:

﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾

(المؤمنون: ٢٨)

وهناك أيضاً من فوائد البحار والأنهار ما أشار إليها القرآن الكريم فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(سورة فاطر: ١٢)

وهى إشارة تدل على ما أودعه الله ـ جل وعلا ـ فى البحار والأنهار من نعم عديدة تتعلق بالغذاء والكساء ومصادر الرزق الأخرى، وتعتبر الأسماك بصفة عامة أهم الحيوانات البحرية التى يتناول الإنسان لحومها، وينقطع لصيدها أو تصنيعها مئات الألوف من الأشخاص فى مختلف بلاد العالم، كما أن الدول التى تعتمد فى اقتصادياتها على هذه الثروة تحدد مياهها الإقليمية التى لا تسمح للدول الأخرى بالصيد فيها. ويحصى العلماء ما يقرب من عشرين ألف نوع من الأسماك مختلفة الأشكال والأحجام، والألوان تعيش فى البحار والمحيطات والأنهار والبحيرات الداخلية المغلقة أو المتصلة بالبحار، أو غير ذلك من البيئات المائية.

وبالنسبة لاستخراج ما فى البحار والأنهار من كنوز ولآلئ نجد الإشارة إليه فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾

(سورة الرحمن: ٢٢)

وربما كانت قراءة نافع وأبى عمرو وغيرهما: «يُخْرَجُ منهما ...» هادفة إلى إبراز الدعوى إلى السعى والكد لإخراج هذه الكنوز.

وتسخير البحار والأنهار لبنى الإنسان لا يقتصر على الشرب والسقى والزرع والصيد والانتقال ونقل البضائع واستخراج الحلى والآلئ، وإنما يتسع ليشمل فوائد أخرى عديدة، منها أن البحار والأنهار من المصادر المهمة فى عصرنا لإنتاج الطاقة النظيفة.

خلق الإنسان «فى أحسن تقويم»

«الإنسان» اسم يطلق على الذكر والأنثى من بنى آدم، وقد تكرر وروده فى القرآن الكريم ٦٥ مرة، معرفاً فى جميعها بالألف واللام، إلا قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾

(سورة الإسراء: ١٣)

وقيل سُمِّىَ الإنسان بذلك لأنه خُلِقَ خلقة لا قوام له إلا بكونه يأنس بالآخرين من بنى جنسه، ولهذا قيل: الإنسان مدنى بطبعه، من حيث لا قوام له فرداً، ولا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه، وقيل سُمِّىَ بذلك لأنه يأنس بكل ما يألفه، وقيل: هو إفعلان، وأصله: إنسيان، سُمِّىَ بذلك لأنه عَهِدَ الله إليه فنسى.

ويتفرد الإنسان بخصائص تجعله جديراً بأن يوصف بأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد خلقه فى «أحسن تقويم»، وكرمه بالصورة الحسنة، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾

(التين: ٤)

وقال:

﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾

(التغابن: ٣)

وقد كان النبى ـ ﷺ ـ يكرر هذا الدعاء فى سجوده: «سجد وجهى للذى خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين».

ومن عناصر التقوم الأحسن، الذى خلق الله الإنسان عليه، والذى يُعَدُّ مفتاحاً لفهم الكثير من المزايا التى تفرد بها بين مخلوقات الله، أنه يمشى على رجلين، مع الوضع القائم المنتصب للجسم، واعتدال قامته، والإنسان هو المخلوق الوحيد الذى يقف ويمشى منتصباً ورأسه فوق رجليه ويسامتهما تماماً. ويعتمد هذا على توازن دقيق فى الجسم تسهم فيه الانحناءات الخفيفة فى العمود الفقارى أماماً وخلفاً، مع توزع الأحشاء الداخلية توزعاً منتظماً حول محور ثقل الجسم. وتستقر الجمجمة فوق العمود الفقارى القائم عند وسط قاعدتها، ولا تتصل به عند مؤخرتها، كما هى الحال فى القردة. والعجيب أن هذا الوضع القائم الذى تعجز عنه المخلوقات الأخرى، لا يكلف الإنسان جهداً عضلياً كبيراً، وذلك راجع إلى هندسة بنائية تهيىء للجسم أن ينتصب ومعظم العضلات المحيطة بالوركين مرتخية مرتاحة.

وبعض «أشباه الإنسان» يمشى أحياناً على اثنتين، ولكنها لا تكون منتصبة القامة، كما أن تباعد رجليها يجعلها تتأرجح يمنة ويسرة. أما فى الإنسان فيتقارب عظما الفخذ لتتقارب القدمان، وبذلك يصبح هذا التأرجح قليلاً

للغاية. وتساعد الذراعان على حفظ التوازن وتقليل الجهد المبذول، وذلك بتبادلهما الحركة أماماً وخلفاً مع الرجلين. ورجلا الإنسان قويتان ومزودتان بعضلات كبيرة قوية، حتى تستطيعا تحمل ثقل الجسم كله فوقهما، وكذلك هما أطول نسبياً، إذ إنهما نصف قامة الإنسان، فى حين أنهما ثُلُث قامة القردة العليا.

والوضع القائم والمشى على قدمين حررا الذراعين تماماً من مهمة حمل الجسم ونَقْله. وهذه نعمة كبرى، فقد استطاعت اليدان أن تستجيبا للدماغ الراقى، وازدادت الإبهام القابضة مقدرة على الحركة أمام سائر الأصابع. ويد الإنسان قادرة على الإتيان بحركات لا حدود لها، ولكن تتميز فيها قبضتان: قبضة قوية بضم الأصابع على راحة اليد، قادرة على الرفع والدفع والشد والثنى والضرب والبطش، وقبضة دقيقة بين الإبهام وأطراف الأصابع، بعضها أو كلها. وهكذا أصبحت اليد قادرة على اصطناع الآلات واستخدامها وإتقان سائر المهارات، ويكفى أنها أمسكت بالريشة والقلم، فكانت أساس اصطناع حضارات الإنسان وتسجيلها. ووجود العضلات المحركة للأصابع فى الساعد لا فى اليد، محركة إياها بأوتار ممتدة إليها. جعل اليد مرنة دقيقة رشيقة، وزاد أصابعها مقدرة على الإتيان بمختلف الحركات.

وذراعا الإنسان طولهما مناسب تماماً، فلا هما طويلتان متدليتان، كما هى الحال فى القردة التى تتسلق وتتعلق بذراعيها، ولا هما قصيرتان عاجزتان، كما فى القردة التى تمشى قافزة على رجليها الخلفيتين.

والوضع القائم وتحرر الذراعين واليدين قد ساعدا أيضاً على تحرر الرأس والوجه وإعفائهما من أن يندسَّا فى الرغام والقاذورات لتناول الطعام والبحث عنه، فهما قد هَيَّآ للرأس ذلك الوضع المستقر الرفيع فوق الجسم. وللوجه ذلك الوضع الكريم المستشرف المستكشف، وفتحاً للحواس، وبخاصة العينان، مجالاً واسعاً لمراقبة البيئة وجمع المعلومات. ووضع الوجه أكسبه ذلك التناسق الجميل فى صورة الجبهة دون بروز كبير فوق حجاج العين، مع فكين رشيقين ليس فيهما زوايا حادة ومزودين بأسنان صغيرة منتظمة، وليسا فى حاجة إلى عضلات غليظة. ونظراً لكبر عُلْبة الدماغ وصغر الفكين تحلَّى الإنسان بفم مناسب ووجه أصغر وأجمل، مع بروز مناسب للأنف والذقن والأذنين.

هذه لمحات من بديع صنع الله الذى خلق الإنسان فى أحسن تقويم.. فتبارك الله أحسن الخالقين.

أهم المصادر:

١- د. أحمد فؤاد باشا، رحيق العلم والإيمان، دار الفكر العربى، القاهرة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢- قاموس القرآن الكريم ـ معجم الألفاظ الحضارية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمى، الكويت ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٣- قاموس القرآن الكريم ـ معجم الحيوان ـ مؤسسة الكويت للتقدم العلمى، الكويت ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م

السنة النبوية بين المنكرين والمتهاونين والمتلاعبين

٣

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى
أمين عام اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر

يروى البخارى وغيره عن عبدالرحمن ابن عبدالقادر قال: خرجت مع عمر بن الخطاب فى رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلى الرجل لنفسه ويصلى الرجل فيصلى بصلاته الرهط: فقال عمر: إنى أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أفضل ثم عزم فجمعهم على أبى بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم فقال عمر: نعم البدعة.

وفى رواية نعمت البدعة هذه.. «فتح البارى، الحديث الحديث رقم (٢٠١٠) كتاب صلاة التراويح»

قال القسطلانى (نعم البدعة هذه) سماها بدعة لأنه - ﷺ - لم يسن لهم الاجتماع لها ولا كانت فى زمن الصديق ولا أول الليل ولا كل ليلة ولا هذا العدد وهى - أى البدعة - خمسة: واجبة ومندوبة ومحرمة ومكروهة ومباحة. وحديث: «كل بدعة ضلاله» - والكلام للقسطلانى - من العام المخصوص وقد رغب فيها عمر (رضى الله عنه) بقوله نعم البدعة وهى (أى نعم) كلمة تجمع المحاسن كلها. كما أن بئس تجمع المساوىء كلها. وقيام رمضان- ومازال الكلام للقسطلانى - ليس بدعة لأنه - ﷺ - قال: اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر وإذا اجتمع الصحابة مع عمر - رضى الله عنه - على ذلك زال عنه اسم البدعة والفرقة التى ينامون عنها أفضل من التى يقومون يريد أخر الليل. فهذا تصريح منه بأفضلية صلاتها فى أول الليل على أخره. لكنه ليس فيه إن فعلها فرادى أفضل من التجمع[١]

قال ابن حجر فى معنى «نعم البدعة» فى بعض الروايات «نعمت البدعة» بزيادة تاء. والبدعة أصلها ما أخذت على غير مثال سابق. وتطلق فى الشرع فى مقابل السنة فتكون مذمومة والتحقيق (والكلام لابن حجر) أنها إن كانت مما تندرج تحت مستحسن فى الشرع فهى حسنة وإن كانت

(١) ارشاد الساري بشرح صحيح البخاري للقسطلاني ص ٣ وص٤٨٥.

مما تندرج تحت مستقبح فى الشرع فهى مستقبحة وإلا فهى فى قسم المباح. وقد تنقسم إلى الأحكام الخمسة[٢]

قال صاحبى فى لهجة أقرب إلى الإنكار لم أعهدها منه: ما سند عمر فيما فعل من جمع الناس على قارىء واحد وجعل صلاتهم عشرين ركعة؟

قلت فى غيظ ظاهر وإنكار لهذا الاستفهام الغريب الشاذ: هل سمعت بمقولة أحسبها صادقة كل الصدق تقول إن الأدب مُفضل على العلم!

قال كأنه يريد أن يستحثنى على الجواب: نعم سمعتها وأعتقد أنها صادقة.

ثم قلت: هل سمعت بقوله - ﷺ - ليس منا من لم يوقر كبيرنا؟. الحديث

قال فى عجلة: نعم.

قلت: من أكبر أنت أم سيدنا عمر؟ أليس أولى بك أن تقول سيدنا عمر ثم ترضى عنه حيث ان الله- سبحانه- وتعالى ترضى على المهاجرينْ جميعا والأنصار جميعا حيث قال- سبحانه

﴿ وَالسَّٰبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

(التوبة/ ١٠٠)

ويقول سبحانه فى سورة النحل

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

(النحل / ٤١)

ثم قلت لصاحبى فى لهجة تقطر مرارة وأسى من هذه الجرأة الفاحشة على أمراء أهل العلم والفضل «والسابقون الأولون» قلت: من أعلم بسنة رسول الله أنت أم سيدنا عمر؟ لو أنك فهمت فهما ورأيت وهما زعمت أنه رأى ووردت رواية ثابتة عن سيدنا عمر - رضى الله - هل تتبع وهمك، أم تتبع ما ثبت من فعل سيدنا عمر - رضى الله - عنه؟ وأرجو وأود لك ولكل مسلم ألا يتصور أنه يمن أو يتفضل عندما يترضى على سيدنا عمر- رضى الله عنه- أو أحد من الصحابة أما عن السيادة فأنه يستحقها بالشجاعة والصدق والرجولة فضلا عن الصحبة والسبق.

وأقرأ يا ولدى تاريخ سيدنا عمر- رضى الله عنه- لتعرف بعض فضله وموافقاته مع كتاب الله عزو وجل في آيات كثيرة عدها بعضهم أربعة عشر موضعا منها: عندما قال للنبى - ﷺ - يا رسول الله بين لنا بيانا شافيا فى «الخمر» فنزل قول الله تعالى:

(٢) فتح الباري ص٤ وص٢٩٨.

﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

المائدة/ ٩٠

ومن أقواله رضى الله عنه: «يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر احجب نساءك».

فنزل قول الله تعالى: «وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب».

ثم أردفت هل نستطرد فى سيرة سيدنا عمر – رضى الله عنه؟ والله إنى لأشهد أن شذى سيرته– رضى الله عنه– وصحبه يعطر التاريخ كما أن تاريخه يُقض مضجع كل ظالم وكل حاكم وكل راع ومسئول. على أننى رغم حبى وتعلقى بسيرة سيدنا عمر – رضى الله عنه – وسيرة صحابة رسول الله إلا أننى رغم ذلك أحببت أن تعود معى إلى موضوعنا وسؤالك الغريب عن سند سيدنا عمر – رضى الله عنه– فيما رآه وفعله رغم أنه يكفيه سنداً أنه سيدنا عمر – رضى الله عنه– أنقل لك ما قاله العلامة ابن حجر فى شرحه لكتاب البخارى. قال: «قال ابن التين وغيره: استنبط (سيدنا) عمر – رضى الله عنه– ذلك من عدة وجوه:

أولاً: من تقرير النبى – ﷺ – لمن صلى معه فى تلك الليالى – يعنى أن النبى – ﷺ – أقر الذين صلوا خلفه ولم ينههم عن اقتدائهم به ولم يأمرهم أن يصلوا متفرقين كما كانوا.

ثانياً: أن كراهة النبى– ﷺ – ذلك (الخروج إليهم) خشية أن يفرض عليهم ولم تكن كراهته ﷺ ذلك (الخروج إليهم) إلا خشية أن تفرض عليهم ولم تكن كراهته لأن الاجتماع فى صلاة التراويح لا تجوز.

ثالثاً: لما انتقل النبى – ﷺ – إلى الرفيق الأعلى حصل الأمن من أن المواظبة على صلاة التراويح لن تجعلها فرضا وأعود وأكرر القول بأن ذلك له وحده – ﷺ.

رابعاً: رجّح سيدنا عمر– رضى الله عنه– الاجتماع على إمام واحد لأن فى الاختلاف والصلاة خلف أئمة متعددين ما يبعث على الفرقة فالاجتماع على إمام واحد أفضل وفيه جمع لشمل المسلمين ولأن صلاة الجمعة وهى فرض لا تجوز خلف أئمة مقعدين فى مسجد واحد وتكون باطلة فالاجتماع فى صلاة التراويح وهى نفل أولى وأحسن[٣]

خامساً: لم تقع فى هذه الرواية بيان عدد الركعات التى كان يصلى بها أبى ابن كعب، لكن روى الإمام مالك– رضى الله عنه– عن طريق يزيد بن خصيفه عن

(٣) راجع فتح الباري لابن حجر ص٤، كتاب صلاة التراويح، ونصب الراية للزيلعي ص٢ وص١٤٧، نيل الأوطار للشوكاني ص١ وص٥٢ تحت عنوان فعل ابن الخطاب للتراويح.

السائب أنها عشرين ركعة وهذا محمول على غير الوتر وعن يزيد بن رومان قال: كان الناس يقومون فى زمن عمر بثلاث وعشرين. وروى محمد بن نصر من طريف عطاء قال: «أدركتهم فى رمضان يصلون عشرين ركعة وثلاث ركعات الوتر». والجمع بين هذه الروايات يمكن باختلاف الأحوال ويحتمل أن ذلك الاختلاف بحسب تطويل القراءة بحيث يطيل القراءة تقل الركعات وبالعكس[٤].

قلت لصاحبى: الذى يعنينى فى الأمر كله وأرى أنه الفهم المستقيم فى المسألة باذن الله تعالى:

أولاً: أن المسألة لا تحتمل العراك ولا الطحن فى الهواء أو العجن فى الماء – كما يقولون.

ثانياً: أن الروايات تعددت كما رأيت بأن سيدنا عمر هو الذى جمع الناس. وأنه هو الذى صلى عشرين ثم ثلاث ركعات الوتر. فلماذا نقبل رأيه فى توحيدهم على إمام واحد ونقلده فى ذلك بعد أن كانوا أوزاعا متفرقين إلا فى الليالى التى خرج فيها رسول الله – ﷺ – ثم عادوا وتفرقوا حتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى وخلافة سيدنا أبى بكر وشطراً فى خلافة الفاروق – رضى الله عنهم– جميعا. فلماذا يعجبهم ويصوبون فعل ابن الخطاب فى الاجتماع على إمام واحد ويرفضون أو ينكرون صلاته عشرين ركعة؟

وأستأذنك فى سؤال: هل يقبلون أن تتعدد الأئمة فى المسجد الواحد؟ ولماذا مع أن ذلك كان فى زمن النبى – ﷺ – ولم ترد رواية واحدة تقول إنهم اجتمعوا إلا فى الليالى التى خرج فيها رسول الله – ﷺ – ثم عادوا ولم يجمعهم إلا الفاروق؟

فلماذا يقتدى بالفاروق فى الاجتماع ولا يقتدى به فى العدد؟

بل لماذا ينكرون ذلك عليه وعلينا؟ أليس الفاروق هو الذى جمع الناس خلف إمام واحد وهو الذى صلى عشرين ركعة؟

قاطعنى صاحبى فى عجلة كأنه خشى أن تفوته فرصة قائلا: جزاك الله خيراً فيما أوضحت به هذه المسألة. وأرجوك أن توضح لى المسألة الأخرى. وهى أن سيدنا عمر – رضى الله عنه– قطع شجرة الرضوان لأنه وجد الناس يتبركون بها؟

عاجلت صاحبى قائلا: أعود وأكرر لماذا يرضون ابن الخطاب فى هذه ولا يرضونه فى تلك؟ ثم قلت: معذرة، فقد أطلت عليك وسوف نستبين الأمر معا فى لقاء قادم باذن الله.

(٤) فتح الباري لابن حجر ص٤.

الفكر الدينى..

بين بلاغة العقل وبلاغة العاطفة

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

لا يستطيع المتابع لحركة الفكر الدينى المعاصر بعامة أن ينكر أن هناك نوعين من أساليب التوصيل العقيدى إذا شئنا أن نقول.. أما أحدهما فيتمثل فى بلاغة العقل، وأما الآخر فيتمثل فى بلاغة العاطفة.. ولم يسلم، حتى الفكر الدينىّ المسلم ـ للأسف ـ من التحيز فى أحد هذين المنحنيين، مرة يقترب أكثر إلى هنا، ومرة يقترب أكثر إلى هناك!!

فالذين يمارسون بلاغة العاطفة يتصورون أن استثارة الجماهير نحو قضية من القضايا، أو حتى إيمان من الإيمانات، كافية بذاتها فى تأصيل إيمان حقيقى، والذين يمارسون بلاغة العقل يتصورون أن تسريب مجموعة من المقدمات والنتائج إلى عقول الجماهير كافٍ لخلق حس عقيدى يرتضى فى النهاية أن تكوّن هذه المقدمات والنتائج إيمانه الأثير!!

ولسنا من هؤلاء ولا من أولئك على السواء، فالذين يشعلون فى الجماهير حماسة عاطفية فائرة يتركون هذه الحماسة خابية بنفس الاندفاع الذى أشعلوا به نارها فى الناس.. والذين يقيسون

الأشياء بمجرد العقل المحايد يتركون وراءهم كَوْمَةً من القضايا المحايدة التى قليلاً ما ينحاز إلى القتال دونها جيل أو قبيل!!

ولقد علّمنا الإسلام ـ وكأننا لم نفهم عنه ـ أن الوجهة فى هذا الصدد، هى أن ندخل على الناس من خلال توازنٍ فاهم بين ما هو عقل وما هو عاطفة، أى أن نخاطب فيهم ملكاتهم الطبيعية ولا نُعطِّل منها واحدة لحساب واحدة على الإطلاق.. لأننا من هذا المدخل نستطيع أن نفضى إلى العقل المقتنع والقلب الشاعر، وهما معاً مجموع الملكات الطبيعية فى الإنسان، وعنهما تتفرع جداول بلا حدود!!

وإذن فالذين يحيلون الفكر الدينى إلى حماسيات فاقعة يتصورون أنهم يمكن أن يلفقوا من الخرافة إسلاماً.. وهم كاسدون فى هذا الفهم إلى مَدًى سيء المصير!!

والذين يحيلون الفكر الدينى إلى مقولات صماء أو محايدة يتصورون أنهم يمكن أن يلفقوا من التفلسف إسلاماً.. وهم ساذجون فى هذا الفهم إلى حدّ البوار..!!

الاتجاه القرآن

أما الذين يحسنون توظيف العقل والعاطفة جميعاً فى قضية الفهم عن الدين، فهم أولئك الذين يعرفون طبائع الأشياء، وكيف تستقيم لهم مناهج الجدل مع الموقنين والجاحدين على حدّ سواء..!!

والغريب أن هتافات القرآن الكريم بتمجيد الإيمان المفكر والإيمان الشاعر معاً أجلى من أن تشحب أو تغيم، ولكن كثيراً من الذين يتلكأون عند أحدهما فحسب، يعصبون عيونهم وأذهانهم عن هذا الاتجاه القرآنى، منسحبين إلى ظلام الفصل اللامبرر بين التوأمين.

فإذا قرأنا:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

البقرة/ ١٦٤

فى مخاطبة العقل الإنسانى..

وقرأنا:

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

الزمر/ ٢٣

فى مخاطبة العاطفة الإنسانية.

وإذا وضع القرآن الكريم ظواهر الطبيعة الجميلة أساساً لتأمل الفكر فى قوله:

﴿ يُنبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

النحل / ١١

فإنه يضع ظواهر الطبيعة الحيَّة أساساً لتأمل الروح إلى جانب تأمل الفكر فى قوله:

﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾

النحل / ٥ ، ٦

وليست قضية العناق بين العقل والعاطفة، أو بين الفكر والوجدان شيئاً طارئاً على المنظور الإسلامى، فإن صميم الإسلام أن يبقى على الإنسان فى حالة حضوره الفكرى والوجدانى، لأن الفكر بلا وجدان جمرة منطفئة، ولأن الوجدان بلا فكر تسيُّب بلا قانون.. ومتى تم الفصل بينهما فقد يتبقى من الإسلام ربما مجموعة من النصوص غير القابلة للتجسد الحى فى حركة الأحياء، أو ربما مجموعة من التهويمات العاطفية غير القادرة على ربط قانونها بقانون فلسفة الوجود!!

المستقبل مهدد بالضياع

ولكن.. هل نستطيع أن نتجاهل الواقع الآنىَّ، الذى فرض حصاره الوحشى على العقل المسلم حتى أوشك أن يُفرغهُ من مضمونه الفاعل؟. إن سواد الاجتهادات - إذا جاز أن نسميها - فى هذه المرحلة ليس شيئاً غير خطابة هنا أو زعيقاً شعارياً هناك، أما دور العقل فقد توارى من الساحة المسلمة أو كاد، وإذن فقد أجدْنا - جازمين - فى شطر المعادلة الواحدة إلى نصفين، وانفردنا بنصفٍ بينما خاصمنا النصف الآخر، كأنما إلى لا لقاء..

ومن هنا.. فقد خسر العالم الإسلامى المعاصر ربما كل قضاياه، واكتفى بالصراخ والدجل العاطفى، وعزل عقله عن الساحة فى ليل تشتد فيه حاجتنا إليه، ليعطينا سلاحاً نقاتل به معاركنا، وطبَّاً نُبرئُ به جراحاتنا، وهندسةً نُشيد بها واقعنا، وتقْنيّةً نفجر بها طاقات جغرافيتنا، وفكراً نَعبُر به هزائمنا إلى انتصاراتنا..!!

إن أندلس الأمس ضاعت.. وأندلسات أخرى تضيع.. وكل مستقبل العالم الإسلامى مهدد بالضياع.. إن لم نراجع تاريخنا كله، ونعيد للمعادلة هيئة

خلقها الأولى.. فنزاوج بين العقل والعاطفة.. ونفكر بالفكر والوجدان.. ونَجْبَهَ العالم المعاصر بحضارة الفهم الموضوعى البازغ من تأمل الأشياء والتعاطف معها فى نفس اللحظة.. حينذاك تصبح حضارتنا هى نحن، ترسمها على سواعدنا وَشْماً، وفى قلوبنا خَفْقاً، ووراء أهدابنا لَوْنَ عُيُون!!

استنهاض الحضارة

هل يبيح لنا هذا المنطق المغلوط فى مخاطبة الحس الحضارى المعاصر أن نتهم هؤلاء الخابطين بعزل عقولهم - إن كانت لهم عقول - عن التلقى الفاهم فى مدرسة القرآن والسُنَّة واجتهادات العقول المسلمة؟. إن المتلقى عن القرآن يروعه تماماً ما تحمله كل آياته وسوره من ثقل ثقافى وفكرى وحضارى فى كل الاتجاهات، فى السياسة والاقتصاد والدين والاجتماع والفكر.. ويروعه كذلك ما تحمله نفس هذه الآيات والسور من توهج عاطفى يحيل القضية الجامدة إلى ألقٍ مُشاهَدٍ ومُحَس، ويجعل من هذا الكم الفكرى عَبَقاً روحياً يعانق القلب فيما هو يعانق العقل.. فهل نستطيع كسر أطواق البلادة لنستعيد ذاكرة التلقى عن القرآن الكريم، والسُنَّة المطهرة، واجتهادات السلف؟.

إن استنهاض حضارة ما، لا يتأتى من طريق التجييش لهذه الحضارة فحسب، ولكنه ينبثق أساساً من الوعى الشمولى بعناصر هذه الحضارة، وبمنظورها الخاص فى الحياة والكون والإنسان، وبمدى اقتدارها على حوار الحضارات المعاصرة والحضارات الغابرة على السواء.. فإذا أمكن أن نختار هذا الوعى، فإننا قادرون على استنهاض حضارتنا المسلمة من جديد، لتعيد هى صياغة حاضرنا ومستقبلنا، وصياغتنا نحن كذلك، فقد فقدنا ملامح وجوهنا الأولى، وأصبحنا قطيعاً بلا ملامح، أو فلنقل بملامح هجينة، تتراكب قشرة من هنا على قشرة من هناك، كأنما نتأهب بها لتمثيل ملهاة فاجعة، إذا جاز أن تكون الملهاة فاجعة إلى هذا المدى المخيف..!!!..

***

﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾

بين الفقه والتربية

للأستاذ الدكتور / مصطفى رجب

> إن دراسة القواعد الفقهية يسرت ضبط فروع الأحكام العملية بضوابط تربط كل زمرة من هذه الفروع برابطة تجمعها وإن اختلفت موضوعاتها وأبوابها ولولاها لبقيت الأحكام الفقهية فروعا متناثرة مشتتة.
>
> وهذه القواعد مهمة للفقيه وللمفتى وللمربى وللداعية، وبقدر الإحاطة بها يعظم قدر كل من هؤلاء، ويظهر رونق الفقه، تتضح مناهج الفتوى، وينكشف بالتعمق فيها تنافس العلماء وتفاضل الفضلاء.

وللقواعد الفقهية أهمية كبرى لا يستغنى عنها كل مشتغل بالفقه وفروعه وأصوله أو بالدعوة، ويتمثل ذلك فيما يلى.

١- أن القواعد الفقهية توفر على الفقيه وقته وجهده، إذ بها يستطيع ضبط الجزئيات ومعرفة مسائل الفروع، لأن مسائل الفروع كثيرة، وأحكام الجزئيات منبثة فى كثير من الأبواب المختلفة يصعب استدامة حفظها، لأنها تتشابه فى بعض الوجوه، أما القاعدة الفقهية فإنها أيسر حفظا وأسهل استحضارا لقلة لفظها وإحكام صياغتها فهى غالبا تغنى عن حفظ الجزئيات والمسائل.

٢- أن الفقيه عندما ينكب على دراسة القواعد الفقهية فإن ذوقه ووعيه الفقهى يكون ناميا متجددا يستطيع أن يرد بهذه الملكة الفقهية كثيرا من المسائل إلى أصولها التى تجمعها للعلاقة التى بينهما، كما يستطيع أن يربط ما يجد من نوازل وأحداث جديدة بأصولها، وبذلك يسهل على الفقيه معرفة هذه النوازل وخاصة إذا لم يكن

للأقدمين بها عهد ولم يتكلموا فيها بشىء، والمسلمون أحوج ما يكونون إلى أمثال هؤلاء الفقهاء الذين يبينون للمسلمين حكم الشريعة فى النوازل الجديدة والقضايا المستحدثة.

٣- عند دراسة الفقيه للقواعد الفقهية يتجدد لديه فهم واستخراج أوجه التشابه فى المسائل، فبذلك تتسع دائرة التطبيق العملى لهذه القواعد، وربما نشأ عن ذلك قواعد جديدة فيثرى الفقه الإسلامى، ويجد الناس الحلول لكثير من القضايا الفقهية الطارئة، والمشكلات العصرية الشائكة.

٤- كما أن من الفوائد التى تبين أهمية دراسة القواعد الفقهية أنها تعطى صورة للمذهب الذى كتبت فيه بحيث إن المتمرس بها وبفروع المذهب يوجد عنده تصور للمذهب يستطيع به أن يتعرف على مسائله ويدرك مراميه.

٥- تسهل القواعد الفقهية على من يفهمها مهمة الدراسة المقارنة بين المذاهب الفقهية فتكون المقارنة بين القواعد الكلية لا بين الفروع الجزئية التى يتوه القارىء فيها.

٦- بمعرفة القواعد الفقهية يسهل على العالم إبطال دعوى أولئك الذين يغمطون الفقه الإسلامى حقه وينقصون من قدره، ويرمونه بأنه حلول جزئية وليس قواعد كلية.

٧- إدراك مقاصد الشريعة، فمعرفة القاعدة العامة يفهم منه مقصد الشريعة فى ذلك، فقاعدة «المشقة تجلب التيسير» - مثلا - يفهم منها أن رفع الحرج والتيسير على العباد مقصد من مقاصد الشريعة.

الجانب التربوى فى القواعد الفقهية

تسعى التربية - بكل وسائلها - إلى تحقيق هدف سام هو تغير سلوك الفرد لما ينبغى أن يكون مرضيا ومقبولا من المجتمع، وبهذا يمكن للتربية أن تغير المجتمع بأكمله لأن الفرد جزء من المجتمع فإذا تغير سلوك الفرد إلى الأفضل والأقوم والأحسن نكون بذلك قد خلقنا مجتمعا متفاهما متحابا متعاونا.

ولا يمكننا توجيه الأفراد إلى فعل الأشياء أو تركها إلا عندما نتعرف الحكم الشرعى بالحل أو الحرمة، وهذا ما يعطينا إياه الفقه، إذاً بدون الحكم الفقهى لا نستطيع توجيه الأفراد إلى السلوك المرغوب فيه شرعا وإبعادهم عن السلوك المنهى عنه شرعا.

وبهذا يتضح أن هناك علاقة وطيدة بين الفقه والتربية، إذ أن الفقه لا يكون قد أعطى نتائجه التربوية إلا إذا طبق فى المجتمعات والتزمت هذه المجتمعات بالأحكام الفقهية النابعة من الكتاب والسنة، وبهذا يكون هناك مجتمع مؤمن ملتزم.

مثال تطبيقي من القاعدة الفقهية: «من استعجل بالشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه».

تعني هذه القاعدة أن التصرف غير الحكيم والاستعجال غير المشروع يفوت على صاحبه حقه، ويعاقب بحرمانه من أخذ هذا الحق الذي تعجل الحصول عليه في غير وقته مسببا ضررا لمن بين يديه هذا الحق.

أمثلة تطبيقية على القاعدة

هذه القاعدة عامة في أحكام الدنيا والآخرة، ويدخل فيها مسائل كثيرة منها في أحكام الدنيا:

١- إذا قتل الوارث مورثه، أو من أوصى له بشيء فإنه يحرم من الميراث والوصية.

٢- ومنها لو طلق رجل امرأته ثلاثا بغير رضاها - في مرض موته - قاصدا حرمانها من الإرث ومات وهي في العدة فإنها ترثه.

٣- ومنها أن الفار من الزكاة قبل تمام الحول - بتنقيص النصاب أو إخراجه عن ملكه بالتنازل عنه لغيره كنوع من التحايل - تجب عليه الزكاة.

وكذلك منها في أحكام الآخرة:

١- من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة.

٢- من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة.

فالخمر ولبس الحرير مما وعد الله به عباده في الجنة، فمن استعجل حصول الاستمتاع بهما في الدنيا حرمهما في الآخرة تطبيقا للقاعدة، ومن ترك شيئا لله وهواه في نفسه عوضه الله خيرا منه في الدنيا والآخرة، فمن ترك معاصي الله ونفسه تشتهيها، عوضه الله إيمانا في قلبه وسعة وانشراحا، وبركة في رزقه وصحة في بدنه مع ماله من ثواب الله في الآخرة.

التطبيقات التربوية

١- يربي الطلاب على التأني في كل عمل يقومون به، فعلى سبيل المثال يجب أن يتأنى الطالب في الإجابة على الامتحان وفي التفكير السليم لأنه إذا استعجل وأسرع في الإجابة عوقب بالحرمان من المستوى الذي يتمناه.

٢- على الدعاة والإعلاميين تربية جميع فئات المجتمع على الإتقان والتأني في العمل وعدم الإسراع فيه.

٣- على الإدارة المدرسية تربية الطلاب على أهمية الالتزام بالوقت المدرسي وعدم الهروب من المدرسة لأن الهروب والاستعجال قد يؤدي إلى فصل التلميذ، وهذا عقاب بحرمانه من المدرسة ومواصلة الدراسة نتيجة هروبه واستعجاله في إنهاء اليوم المدرسي.

٤- على الدعاة والإعلاميين الدعوة

المستمرة إلى تطبيق هذه القاعدة في حياة الناس يساعد على حقن دماء المسلمين والمحافظة على أرواحهم ودمائهم.

٥- على أجهزة الشرطة والقضاء التيقن من أن تطبيق هذه القاعدة يولد الطمأنينة والراحة في النفس الإنسانية وعدم الخوف من الإضرار بها.

٦- من شأن استشعار المؤمن لهذه القاعدة، تهذيب النفس وضبطها بألا تقدم على فعل المنكرات ولا تنجر وراء الطمع والجشع لأن عقابها الحرمان من هذا الحق.

٧- تربي هذه القاعدة فئات المجتمع على التصرف الحكيم الفطن في البيع والشراء.

٨- تؤكد هذه القاعدة أن التشريع الحكيم من عند لطيف رحيم بالأمة فجزاء كل من يعمل لمصلحته ولنفسه تصرفا غير مشروع، هو الحرمان من هذا الحق لأنه أضر بالآخرين.

المصادر والمراجع

١- أحمد الزرقا، شرح القواعد الفقهية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣.

٢- إسماعيل بن حسن بن محمد علوان، القواعد الفقهية الخمس الكبرى، الرياض، دار ابن الجوزي، ٢٠٠٠.

٣- جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الفقه الشافعية، بيروت، دار الكتاب، ١٩٨٧.

٤- عبدالرحمن بن ناصر السعدي، رسالة في القواعد الفقهية، الرياض، مكتبة أضواء السلف، ٢٠٠٢.

٥- محمد صدقي بن أحمد البورنور، الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣.

٩- محمد عبدالقادر أبوفارس، أصول الفقه، سلطنة عمان، الكليات المتوسطة، دائرة إعداد المعلمين، ١٩٨٥.

***

نماذج من الإيجابية في القرآن الكريم

للدكتور/ حمدى فتوح والى

الإيجابية أو الذاتية كلمات فرضت نفسها على حياتنا الثقافية نتيجة احتياج الساحة الدعوية إليها، ولأنها كلمات جديدة على حياة الناس فى هذه الأيام؛ فربما احتاجت إلى تأصيل شرعى ولغوى؛ وحتى لا تفاجأ بأحد المتحذلقين يقف أمامك منتصبا يسألك عن الأصل اللغوى لهذه الكلمة. ويفاجئك - جهلا - بأنها لا وجود لها فى معاجمنا اللغوية؛ فإننى سأسارع إلى التأصيل اللغوى لكلمة الإيجابية - أما الذاتية فهى نسبة إلى الذات - وأظنها لا تحتاج إلى تدليل أو تأصيل.

الإيجابية مصدر صناعى جىء به للدلالة على سرعة التفاعل مع الحدث وحضور البديهة عند اشتجار الأمور وتشابكها. وهى مأخوذة من مادة الفعل «وجب» وفعلها أجاب: يجيب - إجابة، بمعنى لبى - وأطاع فى سرعة وبلا تردد، ومصدر الفعل أجاب: إجابة ومجاوبة. يقول صاحب الألفية فى النحو

لفاعل الفعال والمفاعلة ومن مادة الفعل «وجب» جاء اسم الله تعالى (المجيب) ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ ﴾

[الأحقاف: ٣١]

وقوله تعالى:

﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾

[الشورى: ٤٧]

وقوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾

[الأنفال: ٢٤]

ولأن الفعل يقصد به التفاعل مع المواقف وإبداء الرأى فيها والمشاركة المؤثرة فى تحديد مصيرها، انطلاقا من إحساس ذاتى واقتناع داخلى؛ فإن البعض استحسن تسميتها «بالذاتية» لتكون أقرب إلى الانفعال الذاتى دون انتظار لتوجيه خارجى.

والإيجابية بهذا المعنى تمثل المطلب الدعوى الأهم، الذى تحتاج إليه المرحلة فى هذه الأيام. ولو نظرنا فى مقومات النجاح التى سبقت كل عمل إصلاحى ناضج أو كل حركة تغييريه ناجحة لرأينا الإيجابية أو الذاتية كانت هى السمة الأساسية الأشد وضوحا والأكثر قوة وتأثيرا فى حياة القائمين على هذه الحركات فى كل زمان ومكان وكتاب الله - سبحانه وتعالى - بما حوى من أوامر ونواه ودعوة ملحة إلى التغيير والإصلاح، وهو أوضح مثال لذلك وهو أيضا دليلنا الشرعى على وجوب الإيجابية وضرورتها فى حياة المسلمين اليوم. فمن يقرأ خطاب الله - تعالى - لأنبيائه يجد الإيجابية هى لحمة هذا الخطاب وسداه، ففى كتاب الله - تعالى - ثناء على الأنبياء وذريتهم لأنهم كانوا يسارعون فى الخيرات، ففى سورة الأنبياء، ذكر القرآن قصة إبراهيم مع قومه، وقصة داود وسليمان، وقصة لوط مع قومه. وبعد أن ذكر إسحاق ويعقوب وقصة نوح عليه السلام، عاد ليثنى على أيوب وإسماعيل وإدريس وذا الكفل. ويونس وزكريا ويحيى. ثم عقب على هؤلاء جميعا بالثناء عليهم بأنهم:

﴿ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾

(الأنبياء: ٩٠)

مؤمن آل فرعون

وجعل سبحانه وتعالى من صفات المؤمنين الصادقين المسارعة إلى الخيرات والسبق إليها بقوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾

(المؤمنون: ٥٧ - ٦١)

والمواقف الدالة على الإيجابية والذاتية في كتاب الله أكثر من أن تحصى .

فهذا رجل يعيش في مجتمع كافر لا يعين على الخير ، ولا يدعو إليه . وبرغم ذلك فإنه ضرب المثل في الإيجابية والمسارعة إلى الحق وفعل الخير . فعندما يرى تواطؤ الناس على الشر ، وإجماعهم على إيقاع الأذى بنبي الله موسى . يقوم من بينهم ليوهن عزمهم ويثبط همتهم ، ويكثر لهم النصح . ويحضهم على الإخلاص . ولا يترك سبيلا من سبل الحجاج العقلي والإقناع الوجداني إلا يسلكها معهم أملا أن يصل بهم إلى كف الأذى عن نبي الله موسى ، فهو يبدأ معهم بإحياء ومضة الخير في فطرتهم :

﴿ أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ﴾

(غافر : ٢٨)

ثم يسهل عليهم أمر الهداية ويحببها إليهم . ويطمئن نفوسهم بأنهم لن يصيبهم من تبعة إيمانهم بما جاء به شر أو أذى . وإنما الشر لو وجد فسيحيق بصاحبه

﴿ وإن يك كاذبا فعليه كذبه ﴾

(غافر / ٢٨)

ثم ينقلب مخوفا ومحذرا في صورة الناصح الأمين ، وإنه لكذلك ، فيقول :

﴿ وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ﴾

(غافر / ٢٨)

وهي طريقة في الحجاج لم تترك سبيلا للنفس كي تهرب أو تخادع . ثم يعرض بإسرافهم على أنفسهم وكذبهم على ربهم مهددا لهم بذلك فيقول :

﴿ إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ﴾

(غافر / ٢٨)

وفي ذاتية عالية وثقة بالنفس زائدة ورغبة في الخير ملحة صادقة ، يتابع الرجل رسالته فيذكرهم أن النعيم لا يدوم . وأن الملك والجاه والسلطان لا يثبت ولا ينفع أمام غضبة الله وسلطانه .

﴿ يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا ﴾

(غافر : ٢٩)

ولاحظ معي استعمال ضمير المتكلم وإدخال نفسه معهم في مصير واحد . زيادة في التلطف والتحسس لمداخل القلوب واستمالتها

﴿ فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا ﴾

(غافر : ٢٩)

وبرغم إصرار فرعون - وهو صاحب السلطان والجبروت - على الجحود والكنود وإضمار العداوة . والتمادي في خداع الناس وركوب موجة التأله الكاذب بقوله :

﴿ ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴾

(غافر : ٢٩)

برغم هذا الموقف الذي استغل فيه سلبية الناس وانهزامهم وانعدام وزنهم وثقتهم في أنفسهم . لم ينهزم الرجل المؤمن ولم يستبعد أن يوقع الله التغيير على يديه برغم عدم وضوح أية اشارة أو علامة على قرب التغيير أو هزيمة الباطل المتبجح في هذا الموقف ، لكنه يصر على بذل آخر جهد يستطيعه في هذا المضمار قائلا :

﴿ يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب (٣٠) مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ﴾

(غافر : ٣٠ ، ٣١)

وبعد أن يصب على أسماعهم تلك الطرقات العنيفات من تذكيرهم بمصارع السابقين من الهالكين ، ممن سبقوهم إلى الجدال والعناد . يعود إلى إظهار عاطفة الحب لهم والخوف عليهم والإشفاق من سوء المصير بين يدي جبار السموات والأرض في يوم لا ينفعهم فيه طغيان فرعون ولا حاشيته ولا سلطانه .

﴿ ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد (٣٢) يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ﴾

(غافر : ٣٢ ، ٣٣)

وكلمة عاصم جاءت نكرة لينفي من حسهم أي أمل في أية قوة تعصمهم من غضب جبار السموات والأرض ، وهي إشارة ذكية إلى فرعون الذي يقتدون به ، ويلوذون بحماه . ويضيعون دينهم ودنياهم بسببه رغبة فيه أو رهبة منه . وهو في الحالين لا يملك من الأمر شيئا

﴿ ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾

(غافر / ٣٣)

ثم لا يتركهم إلا بعد أن يقيم الحجة عليهم ويذكرهم بأقرب النماذج إليهم وألصق الأحوال بهم وهو قصة المصريين مع نبي الله يوسف وكيف وقفوا منه من قبل موقفا غبيا كالذي يفعلونه الآن مع موسى

﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب ﴾

(غافر : ٣٤)

ومن ينظر فى قصة هذا الرجل، يلاحظ أنه رغم عظم الدور الذى أداه وروعة المواقف التى وقفها. وبرغم ثبات قلبه وقوة حجته ورباطة جأشه. فإن السياق القرآنى لم يزد على وصفه بأنه مؤمن من آل فرعون. فهو ليس نبيا ولا رسولا. وليس مدعوما بقوة سياسية ولا بشرعية حزبية.

وإنما كل الذى حكاه السياق هو أنه رجل مؤمن عميق الإيمان بربه مهموم بدعوته، حريص على قومه وعشيرته، مدرك لطبيعة مهمته. تتضح فى حسه ومشاعره حقيقة الولاء لمن يحملون هم الدين. ويجاهدون لإصلاح الناس وإسعادهم كما تتضح فى مشاعره حقيقة البراء من الكافرين والخداعين والمتاجرين بآلام الناس وجبنهم. وهوانهم من الطغاة والظالمين. وتقديم الرجل للناس خاليا من كل سلطان إلا سلطان ربه والاستناد إليه، أراه رسالة إلى كل الرجال المخلصين العقلاء من أبناء أمتنا اليوم ليقوموا فى أمتهم بمثل هذا الدور العظيم. وساعتها سيكون الجهد أوفر، وسيكون العائد أكبر، وستكون الدعوة بين الناس أكثر قبولا. وأسرع استجابة، لأن مجتمعنا اليوم أقل ولاء للشياطين، ولايزال غالب أفراده يرتادون المساجد. ويؤدون الفرائض. ويذكرون الله. ولايزال يملكون فى حسهم رصيدا من خوف الحساب فى اليوم الآخر. ويعملون حسابا كبيرا لهذا اليوم.

إن الأمة اليوم أحوج ما تكون إلى رجال من طراز هذا الرجل، لا ينتظرون أوامر إليهم كى تدفعهم إلى أداء دورهم الدعوى وإنما ينطلقون إلى أداء مهمتهم من إحساسهم بأن الدور الدعوى خير كله. وبأنه مطالب أن يبلغ دعوة الله حبا فى الله وإخلاصا له ويقينا بوعده وتصديقا بلقائه.

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾

(الكهف: ١١٠)

وإن كان يريد إذناً بالدعوة فليأخذ من قول ربه له:

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

(النحل: ١٢٥)

ومن قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

(فصلت: ٣٣)

ومن يقرأ سورة القصص يتأكد أن دور الرجل لم يكن فقط فى دعوة أهله وقومه وتثبيط همة الملأ من قوم فرعون عن إيذاء موسى كما رأينا فى سورة غافر، ولكن عندما رأى إجماع الناس على الباطل وأن تيار كفرهم وعنادهم أكبر من أن يوقفه جهد رجل ونصائحه، سارع ليحذر موسى من مكرهم وفجورهم. ويفضح ما تواطأوا عليه من التآمر الشيطانى على حياة المخلصين من المؤمنين:

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾

(القصص: ٢٠)

واستجاب موسى لنصيحة الرجل على الفور

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

(القصص: ٢١)

إن الرجل لم يلتمس لنفسه العذر فى أنه بذل فى موقف النصح والإقناع لقومه ما بذل. وأنه اجتهد بكل درجة ممكنة لينقلهم من الكفر إلى الإيمان. أو ليكف أيديهم عن إيذاء المؤمنين. ولكنه عندما لم تفلح جهوده فى دعوتهم وهدايتهم انتقل إلى ميدان جهادى آخر. دون أن ينتظر إذنا من أحد أو يعود إلى كبير أو صغير يلتمس منه المشورة أو يتلقى منه الإذن، لأن الأمر أوضح من أن يحتاج إلى مشورة أو إذن. وأسرع من أن ينتظر ترددا أو تقصيرا.

لقد انتقل من ميدان الدعوة والنصيحة إلى ميدان صيانة أرواح المخلصين ونصحهم وبيان ما يدبر لهم على أيدى هؤلاء القساة الظالمين المجرمين. فكان الرجل فى المجالين عظيما وعاقلا وإيجابيا أريبا.

صاحب يس

وقريب من نموذج هذا الرجل، رجل آخر، نلقاه فى سورة «يس» عند قوله تعالى:

﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

(يس: ٢٠، ٢١)

قال ابن اسحاق فيما بلغه عن ابن عباس- رضى الله عنهما: إن أهل القرية هموا بقتل رسلهم. فجاء رجل من أقصى المدينة يسعى أى لينصرهم من قومه قالوا وهو حبيب بن سرى. وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس- رضى الله عنهما- قال: اسم صاحب يس حبيب النجار، فقتله قومه، وقال السدى كان قصارا، وقال عمر بن الحكم كان إسكافا،

وقال قتادة : كان يتعبد فى غار هناك . وأيا ما كان الاسم أو الصفة التى كان عليها الرجل، فإن الذى يعنينا هو موقف الرجل من قومه، ومجيئه من أقصى المدينة دون تكليف من أحد، إلا بما وجده فى نفسه من ضرورة الدفاع عن المرسلين لثقته فى عدالة قضيتهم وصحة دعوتهم وصدق رسالتهم.

ويلاحظ أن القرآن قدم الجار والمجرور الذى يشعر ببعد المسافة وشدة المشقة :

﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾

(يس / ٢٠)

والفعل الدال على حالة الرجل وقت مجيئه يدل على ما يتمتع به الرجل من شعور بالمسئولية. واهتمام بالأمر جعله يذهب لنصرة الرسل سعيا. وهو ليس بالمشى العادى - إنما هو مشى سريع أقرب إلى الجرى منه إلى السير العادى. وما أن يصل إلى منتدى القوم حتى يعالنهم بما يعتقد صحته. ويرى فيه نجاة قومه ونصرة الدعاة الصالحين. وزيادة فى ترغيب قومه بالهداية وصف الدعاة بأعظم وصف وأصدقه وهو أنهم رسل الله. وبذلك وضع قومه أمام مقام الألوهية لعلهم يخشعون فيهتدون، ثم شفع كلامه. بما يستميل قلوبهم ويطمئن نفوسهم. ويقربهم فى اتباع المرسلين وهو أنهم لا يتقاضون منهم أجرا نظير دعوتهم وهدايتهم. ثم إن حالهم يشهد بأنهم صادقون مخلصون، ويحاول إيقاظ الفطرة المخدرة الغائبة فى أعماقهم بقوله يستحثهم ويستنهضهم فى صورة أسلوب تحريضى تحقيقى. قائلا :

﴿ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

(يس : ٢٢)

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية : أى وما يمنعنى من إخلاص العبادة للذى خلقنى وحده لا شريك له. وإليه ترجعون يوم المعاد فيجازيكم على أعمالكم إن خيرا فخير وإن شرا فشر. ثم يبدى الرجل إنكاره ودهشته فى صورة استفهام تعجبى يحمل معنى التوبيخ والتقريع عندما يقول مستنكرا :

﴿ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴾

(يس : ٢٣)

وفى نوع من الإسقاط والتعريض بهم، وفى كياسة عالية، وذكاء عظيم. يجعل نفسه هدفا للمثل الذى لا يحمد. ويعلن عن استهجانه ونفوره لهذا التفكير الأعوج مصدرا حكما على نفسه إن كان

كذلك. ولما كان هو من المؤمنين وليس من هذا الصنف البليد. فإن الحكم يكون قد أصابهم هم، لكن ذلك كله يتم دون مواجهة أو مصادمة أو تهييج. إنه لم يزد على أن قال : إنى إن فعلت ذلك أكون فى ضلال مبين، فهل ترضون أن تكونوا كذلك؟! ثم يعلن إيمانه بربه سبحانه موجها خطابه لقومه قائلا :

﴿ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾

(يس/ ٢٥)

أى الذى كفرتم به ﴿ فَاسْمَعُونِ ﴾ أى فاسمعوا قولى.

ويحتمل أن يكون خطابه إلى الرسل يشهدهم على إيمانه. وتلمح فى الآيات إيجازا بالحذف، فنجد أنفسنا أمام نهاية مأساوية حزينة عندما يخاطبنا بعد أن صار بين يدى ربه فى الجنة، فندرك حينئذ أن الرجل كان ضحية جهل المدعوين وحمقهم واستيلاء الشيطان عليهم.

ومن يتصور مجتمعا مجمعا على الكفر مقيما عليه متلبسا به قد عايش أوضاعه وأحواله وصار له معها إلف وعادة. يدرك مدى صعوبة المهمة التى يقوم به رجل يصادم هذا كله ويصادره.

ويحكم على حالهم كله بأنه ليس بشىء - مهما كان رقيقا مهذبا أديبا - لابد أن يلاقى من قومه إنكارا وإعراضا. وقسوة تصل إلى حد التصفية الجسدية الكاملة. وهو المصير الذى لقيه أخونا المؤمن فى موقفه الإيمانى هذا. إنها النفوس الأبية النقية التى لا تقبل الزيف ولا تسيغه. ولا تنحنى فى مواقف الحق. إلا لله رب العالمين

﴿ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾

(يس/ ٢٥)

قالها منتصرا بها للحق الذى قامت عليه السموات والأرض. صادعا بها فى وجه الباطل برغم علمه بما عليه أهل الباطل من جحود وكنود، وما يتوقع منهم من بغى وظلم وعدوان أثيم. لكن الحق أغلى عليه من نفسه والصدع به آثر لديه من العيش الذليل حتى وإن كان الثمن هو الروح.

***

قصة العدد

اليمامتان (*)

لإمام البيان العربى الأستاذ مصطفى صادق الرافعى

جاء فى تاريخ الواقدى، أن (المقوقس) عظيم القبط فى مصر، زوج بنته (أرمانوسة) من (قسطنطين بن هرقل) وجهزها بأموالها حشما لتسير إليه، حتى يبنى عليها فى مدينة قيسارية[1]؛ فخرجت إلى بلبيس وأقامت بها.. وجاء عمرو بن العاص إلى بلبيس فحاصرها حصاراً شديداً، وقاتل من بها، وقتل منهم زهاء ألف فارس، وانهزم من بقى إلى المقوقس، وأخذت أرمانوسة وجميع مالها، وأخذ كل ما كان للقبط فى بلبيس. فأحب عمرو ملاطفة المقوقس، فسير إليه ابنته مكرمة فى جميع مالها، (مع قيس بن أبى العاص السهمى)؛ فسر بقدومها....».

هذا ما أثبته الواقدى فى روايته، ولم يكن معنياً إلا بأخبار المغزى والفتوح، فكان يقتصر عليها فى الرواية؛ أما ما أغفله فهو ما نقصه نحن:

كانت لأرمانوسة وصيفة مولدة تسمى (مارية)، ذات جمال يونانى أتمته مصر ومسحته بسحرها، فزاد جمالها على أن يكون مصرياً، ونقص الجمال اليونانى أن يكونه؛ فهو أجمل منهما، ولمصر طبيعة خاصة فى الحسن؛ فهى قد تهمل شيئاً فى جمال نسائها أو تشعث منه، وقد لاتوفيه جهد محاسنها الرائعة؛ ولكن متى نشأ فيها جمال ينزع إلى أصل أجنبى أفرغت فيه سحرها إفراغا، وأبت إلا أن تكون الغالبة عليه، وجعلته آيتها فى المقابلة بينه فى طابعه المصرى، وبين أصله فى طبيعة أرضه كائنة ما كانت؛ تغار على سحرها أن يكون إلا الأعلى.

(*) نرجو القارئ أن يطالع هذه القصة أكثر من مرة، ليدرك مغزاها البعيد. مجلة الأزهر

(1) بلدة بفلسطين. وبلبيس هى المدينة المعروفة بمحافظة الشرقية بمصر.

وكانت مارية هذه مسيحية قوية الدين والعقل، اتخذها المقوقس كنيسة حية لابنته، وهو كان والياً وبطريركاً على مصر من قبل هرقل؛ وكان من عجائب صنع الله أن الفتح الإسلامى جاء فى عهده، فجعل الله قلب هذا الرجل مفتاح القفل القبطى، فلم تكن أبوابهم تدافع إلا بمقدار ما تدفع، تقاتل شيئاً من قتال غير كبير، أما الأبواب الرومية فبقيت مستغلقة حصينة لاتذعن إلا للتحطيم، ووراءها نحو مائة ألف رومى يقاتلون المعجزة الإسلامية التى جاءتهم من بلاد العرب أول ما جاءت فى أربعة آلاف رجل، ثم لم يزيدوا آخر ما زادوا على اثنى عشر ألفاً. كان الروم مائة ألف مقاتل بأسلحتهم ــ ولم تكن المدافع معروفة ــ ولكن روح الإسلام جعلت الجيش العربى كأنه اثنا عشر ألف مدفع بقنابلها، لايقاتلون بقوة الإنسان، بل بقوة الروح الدينية التى جعلها الإسلام مادة منفجرة تشبه الديناميت قبل أن يعرف الديناميت!

ولما نزل عمرو بجيشه على بلبيس، جزعت مارية جزعا شديداً؛ إذ كان الروم قد أرجفوا أن هؤلاء العرب قوم جياع ينفضهم الجدب على البلاد نفض الرمال على الأعين فى الريح العاصف؛ وأنهم جراد إنسانى لايغزو إلا لبطنه؛ وأنهم غلاظ الأكباد كالإبل التى يمتطونها؛ وأن النساء عندهم كالدواب يرتبطن على خسف؛ وأنهم لاعهد لهم ولا وفاء، ثقلت مطامعهم وخفت أماناتهم؛ وأن قائدهم عمرو بن العاص كان جزاراً فى الجاهلية، فما تدعه روح الجزار ولا طبيعته؛ وقد جاء بأربعة آلاف سالخ من أخلاط الناس وشذاذهم، لا أربعة آلاف مقاتل من جيش له نظام الجيش!

وتوهمت مارية أوهامها، وكانت شاعرة قد درست هى وأرمانوسة أدب يونان وفلسفتهم، وكان لها خيال مشبوب متوقد يشعرها كل عاطفة أكبر مما هى، ويضاعف الأشياء فى نفسها، وينزع إلى طبيعته المؤنثة، فيبالغ فى تهويل الحزن خاصة، ويجعل من بعض الألفاظ وقوداً على الدم.

ومن ذلك استطير قلب مارية وأفزعتها الوساس، فجعلت تندب نفسها، وصنعت فى ذلك شعراً هذه ترجمته:

جـاءك أربعـة آلاف جـزار أيتـهـا الشـاة المسكينة!

سـتـذوق كل شـعـرة منك ألم الذبح قـبـل أن تُذبحى!

جـاءك أربعـة آلاف خـاطف أيتـهـا العـذراء المسكينة!

سـتـمـوتين أربعـة آلاف مـيـتـة قـبـل الموت!

قونى يا إلهى، لأغمد فى صدرى سكيناً يرد عنى الجزارين!

يا إلهى، قو هذه العذراء، لتتزوج الموت قبل أن يتزوجها العربى..!

***

وذهبت تتلو شعرها على أرمانوسة فى صوت حزين يتوجع؛ فضحكت هذه وقالت: أنت واهمة يا مارية؛ أنسيت أن أبى قد أهدى إلى نبيهم بنت (أنصنا)[٢]، فكانت عنده فى مملكة بعضها السماء وبعضها القلب؟ لقد أخبرنى أبى أنه بعث بها لتكشف له عن حقيقة هذا الدين وحقيقة هذا النبى، وأنها أنفذت إليه دسيساً يعلمه أن هؤلاء المسلمين هم العقل الجديد الذى سيضع فى العالم تمييزه بين الحق والباطل، وأن نبيهم أطهر من السحابة فى سمائها، وأنهم جميعاً ينبعثون من حدود دينهم وفضائله، لا من حدود أنفسهم وشهواتها؛ وإذا سلوا السيف سلوه بقانون، وإذا أغمدوه أغمدوه بقانون. وقالت عن النساء: لأن تخاف المرأة على عفتها من أبيها أقرب من أن تخاف عليها من أصحاب هذا النبى؛ فإنهم جميعاً فى واجبات القلب وواجبات العقل، ويكاد الضمير الإسلامى فى الرجل منهم ـ يكون حاملاً سلاحاً يضرب صاحبه إذا هم بمخالفته.

وقال أبى: إنهم لا يغيرون على الأمم، ولا يحاربونها حرب الملك؛ وإنما تلك طبيعة الحركة للشريعة الجديدة، تتقدم فى الدنيا حاملة السلاح والأخلاق، قوية فى ظاهرها وباطنها. فمن وراء أسلحتهم أخلاقهم؛ وبذلك تكون أسلحتهم نفسها ذات أخلاق!

وقال أبى: إن هذا الدين سيندفع بأخلاقه فى العالم اندفاع العصارة الحية من الشجرة الجرداء؛ طبيعة تعمل فى طبيعة؛ فليس يمضى غير بعيد حتى تخضر الدنيا وترمى ظلالها؛ وهو بذلك فوق السياسات التى تشبه فى عملها الظاهر الملفق ما يعد كطلاء الشجرة الميتة الجرداء بلون أخضر.. شتان بين عمل وعمل، وإن كان لون يشبه لوناً..

فاستروحت مارية واطمأنت باطمئنان أرمانوسة، وقالت: فلا ضير علينا إذا فتحوا البلد، ولا يكون ما نستطير به؟

قالت أرمانوسة: لا ضير يا مارية، ولايكون إلا ما نحب لأنفسنا؛ فالمسلمون ليسوا كهؤلاء

(٢) هى مارية القبطية التى أهداها المقوقس إلى النبى (ﷺ) وكانت من (أنصنا) بالوجه القبلى.

العلوج من الروم، يفهمون متاع الدنيا بفكرة الحرص عليه، والحاجة إلى حلاله وحرامه، فهم القساة الغلاظ المستكلبون كالبهائم؛ ولكنهم يفهمون متاع الدنيا بفكرة الاستغناء عنه والتمييز بين حلاله وحرامه، فهم الإنسانيون الرحماء المتعففون.

قالت مارية: وأبيك يا أرمانوسة، إن هذا لعجيب! فقد مات سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم من الفلاسفة والحكماء، وما استطاعوا أن يؤدبوا بحكمتهم وفلسفتهم إلا الكتب التى كتبوها..! فلم يخرجوا للدنيا جماعة تامة الإنسانية، فضلا عن أمة كما وصفت أنت من أمر المسلمين؛ فكيف استطاع نبيهم أن يخرج هذه الأمة وهم يقولون إنه كان أمياً؟ أفتسخر الحقيقة من كبار الفلاسفة والحكماء وأهل السياسة والتدبير؛ فتدعهم يعملون عبثاً أو كالعبث، ثم تستسلم للرجل الأمى الذى لم يكتب ولم يقرأ ولم يدرس ولم يتعلم؟

قالت أرمانوسة: إن العلماء بهيئة السماء وأجرامها وحساب أفلاكها، ليسوا هم الذين يشقون الفجر ويطلعون الشمس؛ وأنا أرى أنه لابد من أمة طبيعية بفطرتها يكون عملها فى الحياة إيجاد الأفكار العملية الصحيحة التى يسير بها العالم، وقد درست المسيح وعمله وزمنه، فكان طيلة عمره يحاول أن يوحد هذه الأمة، غير أنه أوجدها مصغرة فى نفسه وحوارييه، وكان عمله كالبدء فى تحقيق الشيء العسير؛ حسبه أن يثبت معنى الإمكان فيه.

وظهور الحقيقية من هذا الرجل الأمى هو تنبيه الحقيقة إلى نفسها، وبرهانها القاطع أنها بذلك فى مظهرها الإلهى. والعجيب يا مارية، أن هذا النبى قد خذله قومه وناكروه وأجمعوا على خلافه، فكان فى ذلك كالمسيح، غير أن المسيح انتهى عند ذلك؛ أما هذا فقد ثبت ثبات الواقع حين يقع؛ لايرتد ولا يتغير؛ وهاجر من بلده، فكان ذلك أول خطا الحقيقة التى أعلنت أنها ستمشى فى الدنيا، وقد أخذت من يومئذ تمشى. ولو كانت حقيقة المسيح قد جاءت للدنيا كلها لهاجرت به كذلك، فهذا فرق آخر بينهما. والفرق الثالث أن المسيح لم يأت إلا بعبادة واحدة هى عبادة القلب، أما هذا الدين فعلمت من أبى أنه ثلاث عبادات يشد بعضها بعضاً: إحداها للأعضاء، والثانية للقلب، والثالثة للنفس؛ فعبادة الأعضاء طهارتها واعتيادها الضبط؛ وعبادة القلب طهارته وحبه الخير؛ وعبادة النفس طهارتها وبذلها فى سبيل الإنسانية. وعند أبى أنهم بهذه الأخيرة سيملكون الدنيا؛ فلن تقهر أمة عقيدتها أن الموت أوسع الجانبين وأسعدهما.

قالت مارية: إن هذا والله لسر إلهى يدل على نفسه؛ فمن طبيعة الإنسان ألا تنبعث نفسه غير مبالية الحياة والموت إلا فى أحوال قليلة، تكون طبيعة الإنسان فيها عمياء: كالغضب

الأعمى، والحب الأعمى، والتكبر الأعمى؛ فإذا كانت هذه الأمة الإسلامية كما قلت منبعثة هذا الانبعاث، ليس فيها إلا الشعور بذاتيتها العالية ـ فما بعد ذلك دليل على أن هذا الدين هو شعور الإنسان بسمو ذاتيته، وهذه هى نهاية النهايات فى الفلسفة والحكمة.

قالت أرمانوسة : وما بعد ذلك دليل على أنك تتهيئين أن تكونى مسلمة يامارية!

فاستضحكتا معاً وقالت مارية : إنما ألقيت كلاماً جاريتك فيه بحسبه، فأنا وأنت فكرتان لا مسلمتان.

***

قال الراوى : وانهزم الروم عن بلبيس، وارتدوا إلى المقوقس فى (منف)، وكان وحى أرمانوسة فى مارية مدة الحصار ـ وهى نحو الشهر ـ كأنه فكر سكن فكراً وتمدد فيه؛ فقد مر ذلك الكلام بما فى عقلها من حقائق النظر فى الأدب والفلسفة، فصنع ما يصنع المؤلف بكتاب ينقحه، وأنشأ لها أخيلة تجادلها وتدفعها إلى التسليم بالصحيح لأنه صحيح، والمؤكد لأنه مؤكد.

ومن طبيعة الكلام إذا أثر فى النفس، أن ينتظم فى مثل الحقائق الصغيرة التى تلقى للحفظ؛ فكان كلام أرمانوسة فى عقل مارية هكذا : «المسيح بدء وللبدء تكملة، ما من ذلك بد. لاتكون خدمة الإنسانية إلا بذات عالية لاتبالى غير سموها. الأمة التى تبذل كل شىء وتستمسك بالحياة جبناً وحرصاً لاتأخذ شيئًا، والتى تبذل أرواحها فقط تأخذ كل شىء».

وجعلت هذه الحقائق الإسلامية وأمثالها تعرب هذا العقل اليونانى؛ فلما أراد عمرو بن العاص توجيه أرمانوسة إلى أبيها، وانتهى ذلك إلى مارية قالت لها : لايجمل بمن كانت مثلك فى شرفها وعقلها أن تكون كالأخيذة، تتوجه حيث يسار بها؛ والرأى أن تبدئى هذا القائد قبل أن يبدأك؛ فأرسلى إليه فأعلميه أنك راجعة إلى أبيك، واسأليه أن يصحبك بعض رجاله؛ فتكونى الآمرة حتى فى الأسر، وتصنعى صنع بنات الملوك!

قالت أرمانوسة : فلا أجد لذلك خيراً منك فى لسانك ودهائك؛ فاذهبى إليه من قبلى، وسيصحبك الراهب (شطا)، وخذى معك كوكبة من فرساننا.

***

قالت مارية وهى تقص على سيدتها : لقد أديت إليه رسالتك فقال : كيف ظنها بنا؟ قلت :

ظنها بفعل رجل كريم يأمره اثنان : كرمه، ودينه. قال : أبلغيها أن نبينا (ﷺ) قال : «استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم فيكم صهراً وذمة». وأعلميها أننا لسنا على غارة نغيرها، بل على نفوس نغيرها.

قالت : فصفيه لى يامارية.

قالت : كان آتياً فى جماعة من فرسانه على خيولهم العراب، كأنها شياطين تحمل شياطين من جنس آخر؛ فلما صار بحيث أتبينه أومأ إليه الترجمان وهو (وردان) مولاه ـ فنظرت، فإذا هو على فرس كميت أحم(٢) لم يخلص للأسود ولا للأحمر، طويل العنق مشرف له ذؤابة أعلى ناصيته كطرة المرأة، ذيال يتبختر بفارسه ويحمحم كأنه يريد أن يتكلم، مطهم...

فقطعت أرمانوسة عليها وقالت : ما سألتك صفة جواده...

قالت مارية : أما سلاحه...

قالت : ولا سلاحه، صفيه كيف رأيته (هو)!

قالت : رأيته قصير القامة علامة قوة وصلابة، وافر الهامة علامة عقل وإردة، أدعج العينين..

فضحكت أرمانوسة وقالت : علامة ماذا؟...

... أبلج يشرق وجهه كأنه فيه لألاء الذهب على الضوء، أيدًا اجتمعت فيه القوة حتى لتكاد عيناه تأمران بنظرهما أمراً.. داهية كتب دهاؤه على جبهته العريضة يجعل فيها معنى يأخذ من يراه؛ وكلما حاولت أن أتفرس فى وجهه رأيت وجهه لايفسره إلا تكرر النظر إليه.

وتضرجت وجنتاها، فكان ذلك حديثاً بينها وبين عينى أرمانوسة... وقالت هذه : كذلك كل لذة لايفسرها للنفس إلا تكررها...

فغضت مارية من طرفها وقالت : هو والله ما وصفت، وإنى ما ملأت عينى منه، وقد كدت أنكر أنه إنسان لما اعترانى من هيبته...

قالت أرمانوسة : من هيبته أم عينيه الدعجاوين...؟

***

(٢) الكميت الأحم : هو الأحمر الضارب للسواد، لا يخلص لأحد اللونين، فإذا كان أحمر خالصاً قيل فيه : كميت مدمى (بتشديد الميم الثانية وفتحها).

ورجعت بنت المقوقس إلى أبيها فى صحبة (قيس)، فلما كانوا فى الطريق وجبت الظهر، فنزل قيس يصلى بمن معه والفتاتان تنظران؛ فلما صاحوا: «الله أكبر...!» ارتعش قلب مارية، وسألت الراهب (شطا): ماذا يقولون؟ قال: إن هذه كلمة يدخلون بها صلاتهم، كأنما يخاطبون بها الزمن أنها الساعة فى وقت ليس منه ولا من دنياهم، وكأنهم يعلنون أنهم بين يدى من هو أكبر من الوجود؛ فإذا أعلنوا انصرافهم عن الوقت ونزاع الوقت وشهوات الوقت، فذلك هو دخولهم فى الصلاة؛ كأنهم يمحون الدنيا من النفس ساعة أو بعض ساعة؛ ومحوها من أنفسهم هو ارتفاعهم بأنفسهم عليها؛ انظرى، ألا ترين هذه الكلمة قد سحرتهم سحراً فهم لايلتفتون فى صلاتهم إلى شىء، وقد شملتهم السكينة، ورجعوا غير من كانوا، وخشعوا خشوع أعظم الفلاسفة فى تأملهم؟.

قالت مارية: ما أجمل هذه الفطرة الفلسفية! لقد تعبت الكتب لتجعل أهل الدنيا يستقرون ساعة فى سكينة الله عليهم فما أفلحت، وجاءت الكنيسة فهولت على المصلين بالزخارف والصور والتماثيل والألوان، لتوحى إلى نفوسهم ضرباً من الشعور بسكينة الجمال وتقديس المعنى الدينى، وهى بذلك تحتال فى نقلهم من جوهم إلى جوها؛ فكانت كساقى الخمر؛ إن لم يعطك الخمر عجز عن إعطائك النشوة. ومن ذا الذى يستطيع أن يحمل معه كنيسة على جواد أو حمار؟

قالت أرمانوسة: نعم إن الكنيسة كالحديقة؛ هى حديقة فى مكانها، وقلما توحى شيئا إلا فى موضعها؛ فالكنيسة هى الجدران الأربعة، أما هؤلاء فمعبدهم بين جهات الأرض الأربع.

قال الراهب شطا: ولكن هؤلاء المسلمين متى فتحت عليهم الدنيا وافتتنوا بها وانغمسوا فيها ـ فستكون هذه الصلاة بعينها ليس فيها صلاة يومئذ.

قالت مارية: وهل تفتح عليهم الدنيا، وهل لهم قواد كثيرون كعمرو...؟

قال: كيف لاتفتح الدنيا على قوم لا يحاربون الأمم بل يحاربون ما فيها من الظلم والكفر والرذيلة، وهم خارجون من الصحراء بطبيعة قوية كطبيعة الموج فى المد المرتفع؛ ليس فى داخلها إلا أنفس مندفعة إلى الخارج عنها؛ ثم يقاتلون بهذه الطبيعة أمماً ليس فى الداخل منها إلا النفوس المستعدة أن تهرب إلى الداخل...!

قالت مارية: والله لكأننا ثلاثتنا على دين عمرو...

***

وانفتل قيس من الصلاة، وأقبل يترحل، فلما حاذى مارية كان عندها كأنما سافر ورجع؛ وكانت ما تزال فى أحلام قلبها؛ وكانت من الحلم فى عالم أخذ يتلاشى إلا من عمرو وما يتصل بعمرو. وفى هذه الحياة أحوال «ثلاث» يغيب فيها الكون بحقائقه: فيغيب عن السكران، والمخبول، والنائم؛ وفيها حالة رابعة يتلاشى فيها الكون إلا من حقيقة واحدة تتمثل فى إنسان محبوب.

وقالت مارية للراهب شطا: سله: ما أربهم من هذه الحرب، وهل فى سياستهم أن يكون القائد الذى يفتح بلداً حاكما على هذا البلد...؟

قال قيس: حسبك أن تعلمى أن الرجل المسلم ليس إلا رجلاً عاملاً فى تحقيق كلمة الله، أما حظ نفسه فهو فى غير هذه الدنيا.

وترجم الراهب كلامه هكذا: أما الفاتح فهو فى الأكثر الحاكم المقيم، وأما الحرب فهى عندنا الفكرة المصلحة تريد أن تضرب فى الأرض وتعمل، وليس حظ النفس شيئاً يكون من الدنيا؛ وبهذا تكون النفس أكبر من غرائزها، وتنقلب معها الدنيا برعونتها وحماقاتها وشهواتها كالطفل بين يدى رجل، فيهما قوة ضبطه وتصريفه. ولو كان فى عقيدتنا أن ثواب أعمالنا فى الدنيا، لانعكس الأمر.

قالت مارية: فسله: كيف يصنع (عمرو) بهذه القلة التى معه والروم لايحصى عددهم؛ فإذا أخفق (عمرو) فمن عسى أن يستبدلوه منه؟ وهل هو أكبر قوادهم، أو فيهم أكبر منه؟

قال الراوى: ولكن فرس قيس تمطر وأسرع فى لحاق الخيل على المقدمة كأنه يقول: لسنا فى هذا...

***

وفتحت مصر صلحاً بين عمرو والقبط، وولى الروم مُصعدين إلى الإسكندرية، وكانت مارية فى ذلك تستقرىء أخبار الفاتح تطوف منها على أطلال من شخص بعيد؛ وكان عمرو من نفسها كالمملكة الحصينة من فاتح لايملك إلا حبه أن يأخذها؛ وجعلت تذوى وشحب لونها وبدأت تنظر النظرة التائهة: وبان عليها أثر الروح الظمأى؛ وحاطها اليأس بجوه الذى يحرق الدم؛ وبدت مجروحة المعانى؛ إذ كان يتقاتل فى نفسها الشعوران العدوان: شعور أنها عاشقة، وشعور أنها يائسة!

ورقت لها أرمانوسة، وكانت هى أيضا تتعلق فتى رومانياً، فسهرتا ليلة تديران الرأى فى رسالة تحملها مارية من قبلها إلى عمرو كى تصل إليه، فإذا وصلت بلغت بعينها رسالة نفسها...

واستقر الأمر أن تكون المسألة عن مارية القبطية وخبرها ونسلها وما يتعلق بها مما يطول الإخبار به إذا كان السؤال من امرأة عن امرأة. فلما أصبحتا وقع إليها أن عمراً قد سار إلى الإسكندرية لقتال الروم، وشاع الخبر أنه لما أمر بفسطاطه أن يقوض أصابوا يمامة قد باضت فى أعلاه، فأخبروه فقال: «قد تحرمت فى جوارنا، أقروا الفسطاط حتى تطير فراخها». فأقروه!

***

ولم يمض غير طويل حتى قضت مارية نحبها، وحفظت عنها أرمانوسة هذا الشعر الذى أسمته: نشيد اليمامة:

على فسطاط الأمير يمامة جاثمة تحضن بيضها.
تركها الأمير تصنع الحياة، وذهب هو يصنع الموت!
هى كأسعد امرأة؛ ترى وتلمس أحلامها.
إن سعادة المرأة أولها وآخرها بعض حقائق صغيرة كهذا البيض.

***

على فسطاط الأمير يمامة جاثمة تحضن بيضها.
لو سئلت عن هذا البيض لقالت: هذا كنزى.
هى كأهنأ امرأة، ملكت ملكها من الحياة ولم تفتقر.
هل أكلف الوجود شيئاً كثيراً إذا كلفته رجلاً واحداً أحبه!

***

على فسطاط الأمير يمامة جاثمة تحضن بيضها.
الشمس والقمر والنجوم، كلها أصغر فى عينها من هذا البيض.
هى كأرق امرأة؛ عرفت الرقة مرتين: فى الحب، والولادة.

هل أكلف الوجود شيئاً كثيراً إذا أردت أن أكون كهذه اليمامة!

***

على فسطاط الأمير يمامة جاثمة تحضن بيضها.
تقول اليمامة: إن الوجود يجب أن يرى بلونين فى عين الأنثى؛
مرة حبيباً كبيراً فى رجلها، ومرة حبيباً صغيراً فى أولادها.
كل شىء خاضع لقانونه؛ والأنثى لاتريد أن تخضع إلا لقانونها.

***

أيتها اليمامة، لم تعرفى الأمير وترك لك فسطاطه!
هكذا الحظ: عدل مضاعف فى ناحية، وظلم مضاعف فى ناحية أخرى.
احمدى الله أيتها اليمامة، أن ليس عندكم لغات وأديان،
عندكم فقط: الحب والطبيعة والحياة.

***

على فسطاط الأمير يمامة جاثمة تحضن بيضها،
يمامة سعيدة، ستكون فى التاريخ كهدهد سليمان،
نسب الهدهد إلى سليمان، وستنسب اليمامة إلى عمرو.
واهاً لك ياعمرو! ما ضر لو عرفت (اليمامة الأخرى)...!

***

طرائف .. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

استبقاء الأصدقاء

قال حكيم: معاتبة الصديق خير من فقده.

وقال أحمد بن أبان:

إذا أنا لم أصبر على الذنب من أخٍ
وكنت أجازيه فأين التفاضل
ولكن أداويه فإن صح سرني
وإن هو أعيا كان فيه تحامل

وقال عبدالله بن معاوية:

ولست ببادى صاحبى بقطيعة
ولست بمُفْشٍ سرَّه حين يغضب
عليك بإخوان الثقات فإنهم
قليل فَصِلْهُم دون مَنْ كنت تصحب
وما الخدن إلا مَنْ صفا لك ودهُ
ومَنْ هو ذو نصح وأنت مغيب

وقيل لحكيم: مَنْ أحب إليك: أخوكَ أم صديقك؟.

فقال: أخى إن كان صديقى.

وقال أكثم بن صيفى:

القرابة تحتاج إلى مودَّة، والمودَّة لا تحتاج إلى قرابة.

وقال أبو تمام الطائى:

ولقد سبرت الناس ثم خبرتهم
ووصفت ما وصفوا من الأسباب
فإذا القرابة لا تقرب قاطعًا
وإذا المودة أقرب الأنساب

فضل الإفادة والاستفادة

دخل رجل على أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان فكان لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده علما. فقال له: أنَى لك هذا؟.

فقال الرجل: لم أمنع قط يا أمير المؤمنين علما أفيده. ولم أحتقر علما أستفيده، وكنت إذا لقيت الرجل أخذت منه وأعطيته.

وقال عبدالله بن المبارك يصف عالمًا:

صموت إذا ما الصمت زيَّن أهله
وفتاق أبكار الكلام المختم
وعى ما وعى القرآن من كل حكمة
وسيطت له الآداب باللحم والدم

القاضى الصغير، والقاضى الكبير

دخل إياس بن معاوية وهو شاب صغير على قاضى دمشق ومعه شيخ كبير، فقال إياس للقاضى: أصلح الله القاضى، هذا الشيخ ظلمنى، وأكل مالى، فقال له القاضى: يا فتى ارفق بالشيخ، ولا تستقبله بمثل هذا، فقال إياس: إن الحق أكبر منى، ومنه، ومنك، فقال القاضى: اسكت. قال إياس: وإن سكت فمن يقوم بحجتى؟. قال القاضى: لا بأس، تكلم، فوالله لا تتكلم بخير، فقال إياس: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له»، فبلغ ذلك الحوار الخليفة فعزل القاضى، وولى إياسًا مكانه.

رأيان مختلفان

دخل أعرابى على بعض الولاة، وهو يجود بنفسه، فرآه مسروراً فى هذه الحالة الخطيرة فقال له: ما هذا السرور؟. فقال المحتضر: يا سبحان الله، أخرجُ من بين الظالمين والحاسدين والمغتابين، وأُقْدِمُ على أرحم الراحمين ولا أُسَرّ؟!.

وسأل الوليد بن عبدالملك شيخاً كبيراً بلغ من العمر أرذله: أتحب الموت أيها الشيخ؟. فقال: لا يا أمير المؤمنين، ذهب الشباب وشَرُّهُ، وجاء الشَّيْبُ وخيرُهُ، فإذا قمت حمدت الله، وإذا جلست ذكرته، فأنا أحب أن أعيش لتبقى لى هاتان الخصلتان.

تصبَّر

تصبَّر أيها العبد اللبيب
لعلك بعد صبرك ما تخيب
وكل الحادثات إذا تناهت
يكون وراءها فرجٌ قريب

وقال آخر:

عسى الهمُ الذى أمسيت فيه
يكون وراءه فرجٌ قريب
فيأمن خائف، ويُغاثُ عانٍ
ويأتى أهله النائى الغريب

آداب الكلام

قال حكيم: اعقل لسانك إلا عن حق توضحه، أو باطل تدحضه، أو حكمة تنشرها، أو نعمة تذكرها.

وقال بعض الشعراء:

رأيت العز فى أدب وعقل
وفى الجهل المذلة والهوان

وما حُسْن الرجال لهم بحُسْنٍ
إذا لم يسعد الحُسْنَ البيان

كفى بالمرء عيبًا أن تراه
له وجه وليس له بيان

وقال بعض الحكماء: إذا جالست الجُهَّال فأنصت لهم، وإذا جالست العلماء فأنصت لهم، فإن فى إنصاتك للجُهَّال زيادة فى الحلم، وفى إنصاتك للعلماء زيادة فى العلم.

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: مَنْ لَمْ يعد كلامه من عمله، كثرت خطاياه.

أطيب ما فى الدنيا

قال أحد الصالحين: مساكين أهل الدنيا، خرجوا من الدنيا، وما ذاقوا أطيب ما فيها. قالوا: وما أطيب ما فيها؟. قال: محبة الله والأنس به والشوق إلى لقائه، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه.

قال الشاعر:

فليتك تحلو والحياة مريرة
وليتك ترضى والأنام غضاب

إذا صح منك الودّ فالكل هين
وكل الذى فوق التراب تراب

حقا

قال الأصمعي: مررت بأعرابية، وبين يديها فتى فى السباق(١)، ثم رجعت ورأيت فى يدها قدح سويق تشربه، فقلت لها: ما فعل الشاب؟. فقالت: واريناه، فقلت: فما هذا السويق؟. فقالت:

على كل حال يأكل القوم زادهم
على البؤس والبلوى وفى الحدثان

عمود الجمال ورداؤه وبرنسه

قالت امرأة لخالد بن صفوان: إنك لجميلٌ يا أبا صفوان. فقال: وكيف تقولين هذا، وما فىَّ عمود الجمال ولا رداؤه ولا بُرنُسه. فقالت له: ما عمود الجمال؟. قال: الطول، ولست بطويل، ورداؤه البياض، ولست بأبيض، وبُرنُسه سواد الشعر، وأنا أشمط، ولكن قولى إنك لمليح طريف.

دعاء

اللهم اجعلنى شكوراً، واجعلنى صبوراً، واجعلنى فى عينى صغيراً، وفى أعين الناس كبيراً.

١) السباق: النزع والاحتضار.

إشارات تربوية فى التراث الإسلامى

٢

للأستاذ/
محمد مصطفى البسيونى

لو كان الإسلام يرفض الماضى كله رفضا قاطعا إذن لرفض الكتب السماوية السابقة، ولنأى عن مسيرة الأنبياء والرسل السابقين، ومعاذ الحق، وحاشا للإسلام أن يحدث ذلك، ويكفى فى هذا السياق أن يشبه الرسول الكريم ﷺ من سبقوه من الرسل باللبنات التى يقوم عليها البناء إلا (لبنة واحدة) فيقول ﷺ عن نفسه: (أنا هذه اللبنة) مشيرا إلى الاتساق والاتفاق بينه وبين إخوانه المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، ومشيرا كذلك إلى أن دين الله الواحد هو دين واحد، وإن تعدد حملة رسالته إلى البشر بتعدد الزمان والمكان.

وإن التواصل (المستنير) - بين الأجيال - الذى دعا إليه الإسلام كتابا وسنة هو ما يحتاج إليه المسلمون أشد الحاجة اليوم ولا سيما فى زحام التغيرات (المادية) التى تطرأ على المجتمعات كل يوم بل فى كل ساعة إن لم يكن فى كل (فمتوثانية)(١) مما كان له آثاره (المعنوية) التى نخشى أن تجنح بالأجيال إلى شاطىء غير أمين وبر غير مأمون.

ولو أن علماء الإسلام السابقين اعتمدوا على «ثقافة تقليد الأجيال» وحدها لما تعددت المذاهب الفقهية، ولما اختلفت تفاسير القرآن الكريم وفقا للقواعد والمبادىء والأسس التى يحيط بها المتخصصون ويتقنها «أهل الذكر» ولما كان هناك مبرر لمبدأ الاجتهاد والقياس وغيرهما من أسس معالم الشريعة السمحاء.

(١) «الفمتوثانية» هى الوحدة الزمنية التى استحق على اكتشافها العالم المصرى المسلم «أحمد زويل» جائزة نوبل.

ومما لست أنساه من مأثورات شيخنا العلامة «المجدد» الشيخ محمد متولى الشعراوى ـ رحمه الله ـ أن الرسول ﷺ كان أقدر الناس وحده على تفسير القرآن الكريم إذ عليه نزل وبه عمل، ولكنه ﷺ أراد بوحى من الحق ـ سبحانه ـ أن يفسح فى هذا لأخيار المسلمين حتى يعملوا عقولهم المؤمنة البصيرة ويشحذوا قرائحهم الموقنة المنيرة ويستلهموا مدد المولى ـ سبحانه وتعالى ـ فى تأكيد الحقيقة العظمى أن القرآن هو كتاب كل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة، ويستنيروا بما جاء فى الحديث الشريف (أنتم أدرى بشئون دنياكم)[2] وما فى معناه الحكيم، ولقد فتحت ثقافة الجد والتجديد فى التراث الإسلامى مغاليق العقول فتفتقت عن علوم ومعارف لم يكن لعالم الظلمات آنذاك عهد بها، وإلا فكيف دحض «الحسن ابن الهيثم» رائد علم الضوء فكرة أرسطو «أن العين ترى الجسم بسقوط أشعتها عليه» فقال بن الهيثم بخطأ ذلك لأن هذا معناه أن العين يمكن أن تبصر فى الظلام» ثم أبدع فكرته عن الإبصار بأن العين ترى بسقوط الأشعة من الجسم عليها» وذلك فى كتابه الجهير (المناظر)، وأيضا كيف اكتشف العالم المسلم ابن النفيس «الدورة الدموية الصغرى» وهو الكشف الذى انتحله فى الغرب «هارفى»[3] فيما بعد فى غفلة من المسلمين الذى كانوا قد انبهروا فى تلك الغفلة بالثقافة الغ البراقة السهلة الميسورة التى لا تكا عى دعوة الخلاق العظيم



محمد متولى الشعراوى

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾

[الحج: ٤٦]

ولنتأمل هنا التوجيه الربانى الذى يوحى إلى باحثى العلم ـ دون أن يشعروا ـ بآليات البحث العلمى من مشاهدات حسية ومدركات عقلية، فجلّ من علم الإنسان ما لم يعلم.

وقد ساعد على هذا السبق عند المسلمين أن المجتمع المسلم كان مصدرا للثقافة والحضارة معا إلى غيره من المجتمعات قبل أن يصبح هذا المجتمع المسلم مستوردا من غيره لكل شىء بما فى ذلك «الحضارة والثقافة» وكان لابد أن يحدث ذلك حيث إن النهر فى مساره يتجه دائما

(٢) عن حديث «إبار النخل» «أى تلقيحه وإصلاحه».

(٣) وليم هارفى (١٥٧٨ : ١٦٥٧) كان طبيبا لشارل الأول ملك إنجلترا.

الأزهر

إلى مهابط الفراغ، ويا له من فراغ!!!.

وينبغى فى هذا الصدد أن نذكر ما يقوله علماء الاجتماع من أن كل مجتمع له جانبان: جانب مادى (ويسمونه بالجانب الحضارى) وجانب معنوى (ويدعونه بالجانب الثقافى) ثم يقررون أن الجانب المادى هو أسرع تغيرا من الجانب المعنوى، لأن (المادة) شىء ملموس محسوس يلمسه البشر بسرعة ويحسون فوائده وعوائده فى الحال، كتغير وسائل الاتصال التى تدخل اليوم كل آن فى مجال قوله تعالى:

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[النحل: ٨]

بينما تتباطأ التغيرات المعنوية (الثقافية) لأنها ترتبط بالموروثات الفكرية التى قد تنفر من أى تغير يطرأ عليها، وقد قيل «إن المرء عدو ما جهل» فأنت قد ترى إنسانا يمسك فى يده (بالمحمول) وهو من أحدث وسائل الاتصالات ويمشى به فى الشارع متبخترا ذهابا وإيابا، ثم تبحث عن الذى يحكيه هذا الإنسان لمحدثه عبر هذا (المحمول) فتجده كلاما ينم عن فكر سطحى أو «ثقافة» ضحلة، لأن (ثقافة) هذا الشخص تتخلف كثيرا عن (حضارته)!! أو أن (محمول رأسه) يتخلف كثيرا عن (محمول يده).

ويسمى علماء الاجتماع تغير الحضارة المادية بطريقة أسرع من تغير الثقافة المعنوية بالتخلف الثقافى أو الفجوة الثقافية.

وجدير بالاهتمام ملاحظة أن هذا التفاوت بين الحضارة والثقافة لم يظهر فيما مضى فى المجتمع الإسلامى الذى كانت تشرق عليه شمس النهضة (الحقيقية) حيث كانت الثقافة المعنوية المتمثلة فى تغلغل تعاليم الإسلام فى عادات القوم وتقاليدهم وأعراقهم بل وعلومهم واتجاهاتهم وأفكارهم وعلاقاتهم وأساليب تربيتهم لأبنائهم وبناتهم وغير ذلك من الأساليب اليومية للحياة، كانت هذه كلها مواكبة لما كان المسلمون يصطنعونه من وسائل مادية سواء فى المسكن أو دار العلم والتعليم أو المسجد أو المختبر أو أدوات الطعام والشراب وغير ذلك من (تقنيات) مادية آنذاك.

تكامل ثقافى وحضارى

ولم يشك مسلمو تلك العصور السالفة من أنهم يعانون من التخلف الثقافى أو «الفجوة الثقافية» لأن الإسلام قد رباهم على أن المجتمع المسلم (متكامل الثقافة والحضارة جميعا)، وأن هناك اتساقا بين مقومات المجتمع المسلم ومقومات الشخصية الإنسانية المسلمة.

وإذا كلفنا مرة أخرى بمبادىء علم الاجتماع ـ ولاسيما أن مؤسسه هو العالم المسلم ابن خلدون ـ نراه فى هذا المجال يصطنع مصطلحين أحدهما «الاستعارة الثقافية» والآخر هو «الامتصاص الثقافى»..

فأما الاستعارة الثقافية فهى تناقل الخبرات الثقافية والأفكار بين المجتمعات فى أخذ وعطاء دون استغراق أحد هذه المجتمعات فى كيان غيره بما يهدد بمحو هويته وشخصيته وأما الامتصاص الثقافى فإنه يشير إلى اعتماد مجتمع ما اعتمادا مطلقا على غيره ثقافيا بحيث يتسم غالبا بالأخذ دون العطاء.

فأين ياترى نريد نحن أن يكون موقعنا بين هذين المصطلحين ؟؟؟

الوسطية نهج إسلامى

إنه ليس من شك فى أن كلا منا تمتزج لديه مشاعر الحنين و«الأنين» معا إلى التربية المثلى التى دعا إليها الإسلام فى «إعلان حراء» على لسان جبريل ـ عليه السلام ـ و«إعلان عرفات» على لسان محمد ﷺ وإلى أن تقوم الساعة، وهى التربية التى تطبع (ولا تصنع) المسلم على الفكر (المجدد) المميز بين الغث والسمين بدلا من الاستسلام لموجات الزحف المبهرج والمزركش، والذى يحمل السم فى الدسم، وأسلوب التجديد هنا هو الطريقة التى واجه بها المسلمون الأوائل الثقافات اليونانية والفارسية وغيرها فرفضوا منها السقيم وقبلوا منها المستقيم.

ومن هنا نرى أن «الوسطية بين التقليد والتجديد ليست نهجا تربويا مستحدثا وإنما هى نهج تربوى إسلامى سباق، وقد جئنا عليه بأمثله فى مستهل حديثنا هذا حينما ذكرنا موقف الإسلام (قرآنا وسنة) من العلاقة بين الأجيال.

فإذا اتفقنا على هذا كان لابد من القول إن هذا الضرب من التربية لا يتم إلا من خلال تشكيل الناشئة الغضة التى أصبحت وحدها هى الأمل «النقى» لعملية إعادة بناء المجتمع من جديد حيث نهيئ لأجيالنا التى «تحبو» اليوم فرص «المشى» الهادف الواعى بعد أن نغذوها بطرق التفكير الرصين وكيفية التعبير السوى المبين، ثم أسلوب السلوك الذى يستبين طريق النور فى وسط الظلمات وهو الطريق الذى يرضى الله ورسوله والوطن والضمير.

الخبيث والطيب

وهكذا نتقى الله – سبحانه – فى هذه «البذور» البريئة حتى تصير يوما «جذورا» راسخة و«فروعا» قوية و«أغصانا» وارفة تحمل مسئولية المجتمع وترفع راية القيم وتقود من يأتى بعدها إلى سواء السبيل.

إن الوسطية بين «التقليد الناقد» والتجديد الرائد، والتى تشيع من بين ثنايا تعاليم الإسلام هى ثقافة الحركة الديناميكية التى تميز بين الخبيث والطيب والتى تفرق بين الزبد الذى يذهب جفاء وبين ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض، بينما الاكتفاء بـ «التقليد العاجز» عن

التفكر والإبداع فتلك هى ثقافة البلادة والتخلف والخمول وهى ثقافة السهولة المتراخية التى تعبر عن عقدة «جلد الذات» أحيانا وما يسمى «بعقدة الخواجة» أحيانا أخرى وهكذا.

والمجتمع الذى يحيا حياة التقليد الأعمى مجتمع يعطى «الاستهلاك» كل همه ويميل إلى «الاجترار» دون «الابتكار» ويجنح إلى التقييد دون التجديد، وينعكس هذا على أسلوبه فى التربية فيميل أبناؤه إلى «الصم دون الفهم»، والقفز إلى النتائج قبل تفنيد المقدمات، وكثيرا ما يتمرد أفراده على القيم الأصيلة ويهرولون فى غير وعى أو تمييز إلى القيم الدخيلة.

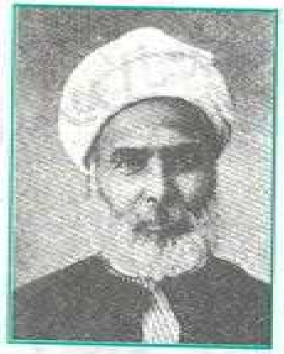
ذلك أنهم قد هجروا الضوابط والروابط التى رسمها الحق – سبحانه – ليكونوا بحق

﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

(آل عمران: ١١٠)

مسئولية تربوية

وإنها لمسئولية تربوية من الدرجة الأولى أن نصوغ شخصية أبنائنا من جديد على ثقافة الوسطية البناءة المستنيرة التى هى قيمة كبرى من قيم تراثنا الإسلامى العريق الذى دعا إلى التوكل ونبذ التواكل حين يقول نبينا – ﷺ – «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا»(٤) والتوكل هو أن تعمل بفكر وحساب، وجهد وثاب، آخذا بالأسباب، وإلا فهل تقبل أن تكون أقل مرتبة من الطير التى تبذل الجهد فتجدّ فى الغدو «خماصا» وتجدّ فى الرواح «بطانا»؟ ولقد حاج بعض تلاميذ الشيخ محمد عبده شيخهم الإمام حول هذا الحديث بعد إساءة فهمه ومرماه فأجابهم الأستاذ الإمام «أرأيتم لو أن الطير ظلت فى أعشاشها دون غدو ورواح هل كان يمكن أن تشبع بعد مخمصة أو تطعم بعد جوع؟؟».



محمد عبده

وإن إلقاء هذه المسئولية التربوية برمتها على أجهزة التعليم وحدها يعيدنا مرة أخرى إلى ثقافة التقليد فقط، إذ أن هذه المهمة هى مسئولية كل من له علاقة مباشرة أو غير مباشرة «بالتنمية التربوية» فى المجتمع استجابة لحديث النبى – ﷺ – «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»(٥) ويا لها من مسئولية تتصدر يوم القيامة «كشف الحساب».

(٤) عن عمر – رضى الله عنه – «الجامع الصغير».

(٥) مستهل الحديث عن ابن عمر – رضى الله عنهما – «الجامع الصغير».

البريد العلمى

حصاد الهشيم

الحضارة الإسلامية وهواية المتيمين بحضارة الغرب

للأستاذ / محمد عبدالله السمان

«رأت مجلة الأزهر أن يكون للقراء الأفاضل باباً للتعليق على ما تنشره المجلة إثراء للنقد الفكرى ونبدأ بمقال قيم للأستاذ محمد عبدالله السمان»

● بادئ ذى بدء أقول:

لقد مُنِىَ العالم الإسلامى بشرذمة من ضعاف النفوس ـ وبخاصة: من درسوا فى جامعات أوروبا ـ متيمة بحضارة الغرب، متجاهلين حضارة الإسلام، التى أضاءت أوروبا فى العصر الوسيط وهى غارقة فى ظلام التخلف والجهل، اعترف بذلك العدول من مفكرى الغرب أنفسهم، بل ما هو أبشع من التجاهل: الاستخفاف إلى درجة الازدراء.

وهؤلاء المتيمون بحضارة الغرب أساءوا إلى أنفسهم ـ دون أن يدركوا ـ حين تنازلوا عن هويتهم طواعية تزلفاً إلى الغرب، وكسباً للارتزاق والأضواء معاً.



زكى نجيب محمود

وكم أحزننى أن يقول أستاذ جامعى مثل الدكتور زكى نجيب محمود فى كتابه «تجديد الفكر العربى»: «يجب علينا أن نلحق بقطار الغرب قبل أن يفوتنا»، وحدث ولا حرج عن كتاب الدكتور طه حسين: «مستقبل الثقافة».. ورحلت القمم، وتركوا لنا ذيولاً يحتضنها الإعلام، تسير على الدرب. استغلت فرصة أصبح الإسلام فيها الجدار المائل، يقذفه بالحجارة والطوب كل من هَبّ ودَبّ.. تنال من الإسلام وثوابته، وهذه الذيول أجبن من أن تتعرض ـ ولو تلميحاً لا تصريحاً ـ لقضايا حقوق الإنسان التى لم تصبح مهملة وحسب، بل مهينة إلى أقصى درجات المهانة فى ظل سلطات غاشمة. وكأن هذه الذيول تعى قول معاوية بن أبى سفيان: «نحن لا نحول بين الناس وألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا».

● هذه كلمات أُمَهِد بها للتعقيب على المقال الافتتاحى بمجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة، بقلم رئيس التحرير د. محمد رجب البيومى، تحت عنوان: «محاضرة لا تُنسى، بين الشرق والغرب». ووصف الكاتب هذه المحاضرة بأنها: «تركت فى نفسى صدى لا أزال أحس رنينه إلى الآن، مع أنها ألقيت بنادى الصحفيين سنة ١٩٥٥م أى منذ خمسين عاماً، ولعل ما جعلنى أحاول مراجعتها بينى وبين



محمد رجب البيومى



أحمد زكى

نفسى، أنها ترُد على أخطاء لا تزال تتكرر إلى الآن، فالرجوع إليها يصحح ترهات كثيرة، يعترف بها مَن يجهلون التاريخ الإسلامى، ويتشيعون لآراء زائفة، لا تثبت للنقد الصحيح».

أما المُحَاضر فقد كان الدكتور أحمد زكى ـ الأديبَ العالم الشهير ـ الذى كان مديراً للجامعة، وقد اختارته دولة الكويت ليكون أول رئيس تحرير لمجلة «العربى» التى صدرت عام ١٩٥٨م،

فانعكست آراؤه عليها، وسار على دربه من جاء بعد رحيله.

اتجه المحاضر بحديثه - كما يقول الكاتب - وجهة لم تحز قبول الجمهور لأنها أفاضت فى التحدث عن انحدار الشرق، وارتقاء الغرب إفاضة انتهى منها الدكتور إلى أننا عالة على الغرب فى كل شىء، وأنه - إذا - وجب أن نبدأ التقدم الحضارى فلا سبيل لنا إلا أن نتبع خطوات الغرب فى كل شىء دون أن ننظر إلى ثقافتنا العريقة. وبالغ فيما اتجه إليه مبالغة أحدثت ثورة فى نفوس المستمعين، وقد عبر عن شعور الكثرة الغالبة منهم الأستاذ الكبير عبداللطيف السُبكى - عضو جماعة كبار العلماء - وكان بين شهود الندوة، فكتب كلمة بمجلة الأزهر (رجب ١٣٧٤هـ) وفيها:

«لقد كان سيئاً أن نسمع على لسان رجل كان مديراً للجامعة أن مصر عالة على الغرب فى كل شىء فى ماضيها وحاضرها، جرياً وراء فكرة تدعو إلى الاستكانة.. إلى الغرب، وكأنه يستخف بالسامعين، حتى بعث فى نفوسهم فورة مكبوتة إلى نهاية الندوة».

وأشار رئيس التحرير فى مقاله إلى أن الدكتور الأستاذ مصطفى الحفناوى تصدى لمحاضرة الدكتور المحاضر معقباً، فدافع عن الحق بالحق، ومما جاء فيها:

«إن الدكتور أحمد زكى يقول: «إننا غربيون، وقد اقتبس الشرق من الغرب كل ما نفعه فى مضمار العلم والسياسة، فنحن نعيش عالة عليه فى كل شىء سواء فى القديم أو الحديث، وأن مدنية الإغريق هى التى أوجدت حضارة العرب، ولولا هؤلاء ماكان للعرب أدنى فضل».



عبداللطيف السبكى

وأضاف الدكتور الحفناوى:

«وإنى لأتساءل: إذ كنت أرجو أن يدلنا سيادته عن كتب الإغريق التى قرأها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وساعدته فى إقامة دولة عظمى. كانت ذات نظم رائعة فى السياسة والإدارة.. وكنت أرجو أن يدلنا الدكتور على السند التاريخى الذى أثبت أن حقوق الإنسان فى شريعة الإسلام، والقرآن والحديث النبوى، جاءت من شريعة الإغريق، لأن العكس هو الصحيح، فالناس فى عصور الرومان واليونان كانوا يباعون بيع السلع».

أقول: إن للدكتور سليمان الطحاوى كتاباً بعنوان: «عمر بن الخطاب وفن الإدارة والسياسة» والدكتور الطحاوى - رحمه الله - كان عميداً لحقوق عين شمس - وقد أثبت: أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - سبق فرنسا فى فن الإدارة والسياسة، وقد عرضت الكتاب فى مجلة «الوعى الإسلامى» الكويتية

فى أوائل السبعينيات.

ومما قاله الدكتور الحفناوى:

«كان العبيد فى دولة الإغريق هم الأكثرية، ولا يُسْمَع لهم رأى فى أى منحى من مناحى الإدارة والحكم.. وكانت جمهورية أفلاطون تجعل الناس طبقات.. للطبقة الأولى: الحرية، وللطبقة الثانية: الطاعة والاستعباد.. والبابوية لم تقتصر على الحفاظ على نظام الطبقات.. بل راحت تبيع حظوظ الناس فى الآخرة، كما سلبت حقوقهم فى الدنيا. فَتُدْخِل الجنَّة من تشاء، وجعلت طبقة الإقطاعيين وهم مُلاك الأرض من النبلاء والأمراء، طبقة ثانية فوق الطبقة العامة، تتحكم فيما دونها تحكُم المالك فى المملوك.. أما الطبقة العليا فهى طبقة الكُهَّان والقَسَسْ التى جعلتها الواسطة بين الله والناس، ولذلك اضطربت أحوال العالم، واختلَّت الموازين، حتى جاء الإسلام فأعلن: ألا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى».

وينتهى الدكتور الحفناوى إلى القول:

«وقبل أن نتورط - نحن العرب - فيما يردده البعض من ضرورة الأخذ بتلك الحضارة الغربية، نريد أن نقف على رأى الغرب نفسه فى حضارته، وهل هو عنها راض أم أنه ذهب ضحية لهذه المدنية المادية؟. واستشهد الدكتور بآراء المفكرين فى الغرب، الذين تنبأوا بانهيار الحضارة الغربية، ومنهم السياسى الألمانى الذى كان مستشاراً للرايخ الألمانى، حيث قال:

«نحن الآن على حافة الهاوية، لأننا تقدمنا فى العلم حتى صرنا عبيداً للعلم، وبرعنا فى الاختراع حتى صرنا عبيد الاختراع، وتمادينا فى استخدام الآلة حتى صرنا عبيد الآلة.. ولم يبق لنا من أمل ينقذنا من هذا الفزع المدمر، إلا أن نؤمن بأن هذا الكون له خالق، وأن هذا الخالق العظيم وضع له قوانين، وما علينا إلا أن نسير طبقاً لهذه القوانين، لنتخلص من عبودية المادة.. وبذلك تنجو الإنسانية من الهوة التى نقف على حافتها».

ونضيف نحن:

إن بعض المفكرين من بلاد صانعة الحضارة، هم الذين يوجهون صيحات الإنذار، لأن الخطر أصبح محدقاً بالبشرية قاطبة، بعد أن أعلنت الحضارة المعاصرة عن إفلاسها، يقول الدكتور ألكسيس كارليل فى مؤلفه المعروف: «الإنسان ذلك المجهول»:

«إن الحضارة العصرية أصبحت فى موقف صعب، لأنها لا تلائمنا، فقد أُنْشِئَتْ دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية، إذ أنها تولدت من خيالات الاستكشافات العلمية وشهوات الناس وأوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم، وعلى الرغم من أنها بمجهوداتنا إلا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا.»!!

أجل: فمما لا جدال فيه: أن الحضارة الغربية التى جفت فيها الروح، وشُل بها

الضمير، وطغت فيها المادة على كل شيء، فحطمت كل القيم والمبادئ الإنسانية، وحولت العالم إلى غابة شاسعة، تتحكم فيها الوحوش الضارية، جعلت: لا مفر من الأخذ بمنهج الله، الذى حمله محمد ﷺ إلى الناس كافة، وإلا ظلت البشرية تتخبط فى متاهات الغي والضلال والفساد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إن ما عرضه الدكتور أحمد زكى فى محاضرته التى بعثت الاشمئزاز فى نفوس الحضور.. مجرد كلام مكرر، سبقه غيره من المتيمين بالحضارة الغربية، ولا يزال يردده كثير بعده، حتى أصبح هواية لدى طلاب الشهرة والأضواء والارتزاق. وشاء الله - عز وجل - أن تقع فى يدى دراسة لمفكر فرنسى هو مسيو هنرى سيرويا عن «فلسفة الفكر الإسلامى» أهداه إلى المفكر الإسلامى الجزائرى: «مالك بن نبى»، المعروف بدراساته الممتازة عن مشكلات الحضارة على ضوء الإسلام، وقد نصحنى بنشره ضمن سلسلة «الثقافة الإسلامية» التى أصدرتها (١٩٥٨ - ١٩٦٥م) وأخذت بنصيحته - رحمه الله - رحمة واسعة.

فماذا يقول المفكر الفرنسى؟.

«إن الفكر العربى - بصوره الروحانية والعقيدية والفلسفية - ليلقى ضوءاً نافذاً فى تاريخ المدنية البشرية.. والبعض يزعم أن العرب - أصلاً - ليسوا بروحانيين ولا بفلاسفة، ليسوا سوى أناس لهم نزعة غير عادية إلى الفصاحة، كما ادعوا بأن أغلب الفلاسفة العرب الذين كتبوا بالعربية.. لم يكونوا من أصل عربى، شذ منهم الكندى، ويبدو أن هذا القول فيه كثير من المبالغة».



مالك بن نبى

•••

• ثم ماذا بعد هذا؟.

فتحية - أولاً - للدكتور رئيس التحرير، فقد أتحفنا بمقاله، وأقول ثانياً لهذه الشرذمة التى استهوتها الحضارة الغربية الزائفة: إن هذه الحضارة التى تريدون منا أن نتنازل عن هويتنا، لنلحق بها، كانت وراء - ولا تزال - وراء اضطراب العالم اليوم، لقد أثمرت حربين عالميتين فى أقل من أربعة عقود، أكلتا الأخضر واليابس، وسفكت دماء عشرات الملايين من الأنفس، وهذه الحضارة هى التى أثمرت الانحلال الخُلقى والبوهيمية الفَجَّة، وأصبح الشذوذ الجنسى مشروعاً، وكذلك الزواج المثلى الذى لا مثال له فى عالم الحيوان، وليهنأ المتيمون بحضارة الغرب، وأنتم فى نظرنا أشبه بمعتوه يدعى الطهارة وهو يتبول نهاراً على نفسه فى قارعة الطريق!. ولن تتأثر حضارتنا من واقع ديننا بنقيق الضفادع أو طنين الذباب أو عواء الكلاب الضالة!!..

الجامع الصحيح

ثمرة حياة الإمام البخارى

للأستاذ / عادل خفاجة

السنة النبوية هى المصدر الثانى بعد كتاب الله تعالى ولها من الحجية ما لكتاب الله تعالى، لذلك فهى أصل من أصول الدين نتعرف من خلالها على ما أجمل فى القرآن الكريم فهى البيان الوافى، لأنها تنتظم شئون الحياة كافة. فالسنة حجة على المسلمين بلا خلاف.

ولأهمية السنة حذر الرسول كل من يختلق عليه الأحاديث بالعذاب الشديد.

قال رسول الله ﷺ: «من كذب علىَّ متعمداً فليتبوأ مقعدة من النار»[١]

وعلى الرغم من شدة التحذير فإن هناك من أخذوا على عاتقهم مهمة محاربة الدين، فوضعوا أحاديث مكذوبة مفتراة بهدف صرف الناس عن دينهم.

غير أن الإسلام لم يعدم أئمة حفاظا نصبوا أنفسهم ووهبوا أعمارهم لخدمة الدين والذب عن سنة رسوله الكريم لأن الكيد للدين أمر متحقق من أولئك الذين يحبون استمرار الظلام ويستفيدون منه.

«إن أئمة الدين تنبهوا لهذا، وعملوا على تلافيه، فصنف إمام دار الهجرة الإمام مالك الموطأ، وألف الإمام أحمد مسنده، وكتب غيرهما من الأئمة الأعلام كتبا كثيرة»[٢]

١- البخارى - جـ١ - ٥٢

٢- البخارى.. طه حبيب.. مجلة الأزهر المجلد الرابع سنة ١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٣، ص٤٨٨

مولـد كتـاب

كان البخارى عند اسحاق بن إبراهيم الحنظلى المعروف بابن راهوية وهو من هو فى الحديث والفقه ويكفى أن نقول إنه لُقب بأمير المؤمنين فى الحديث والفقه ـ فسمعه البخارى وهو يقول: «لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح حديث رسول الله ﷺ»!!

يقول البخارى: فوقع ذلك فى قلبى.

وتمر الأيام ويرى البخارى كأنه واقف بين يدى النبى ﷺ وبيده مروحة يذب بها عنه، فسأل بعض المعبرين فقال له أنت تذب عنه الكذب.

وهذه رؤيا أخرى لمحمد بن أبى حاتم الوراق يقول: رأيت محمد بن اسماعيل البخارى يمشى خلف النبى ﷺ فكلما رفع النبى ﷺ قدمه وضع البخارى قدمه فى ذلك الموضع.

لقد علم البخارى بأمر هذه الرؤيا، وأيقن أن هناك مهمة يجب أن ينهض بها ألا وهى جمع أحاديث رسول الله ﷺ.

توفرت لدى الإمام البخارى الهمة لجمع حديث رسول الله ﷺ وأيقن أنه مُقدم على عمل يُرضى عنه الله ورسوله.

فماذا هو فاعل؟! إن العمل جد خطير، ولكن الصعاب تلين أمام عزائم الرجال وأى عمل أفضل من جمع السنة المطهرة؟!

وقد اطّلع البخارى على ما صُنف فى الحديث ولاحظ أن أغلب كتب من سبقوه، لا يُعنى فيها بموضوع التمييز بين الحديث الصحيح وغيره، وإنما يجمع المحدث ما وصل إليه تاركا البحث عن رواته ومقدار الثقة بهم إلى القارئين أو السامعين، أما الآخرون فكانوا يجمعون إما أحاديث أهل المدينة أو أحاديث أهل مكة.

فمالك بن أنس يجمع أحاديث الحجاز وخاصة أهل المدينة وابن جريج أحاديث الحجازيين وخاصة أهل مكة. «ولكن البخارى وسع فى هذه الدائرة وسن سنة لمن بعده من المحدثين فى الإمعان فى الرحلة لطلب العلم، وبعبارة أخرى لطلب الحديث، فبعد أن سمع حديث أهل بلده ذهب إلى بلخ وسمع محدثيها ورحل إلى مرو ونيسابور والرى وبغداد والبصرة والكوفة ومكة والمدينة ومصر ودمشق وقيسارية وعسقلان وحمص، فهو بهذا وضع لنفسه خطة أن يجمع ما تفرق من الحديث فى الأمصار وأقام فى هذه الرحلات نحو ستة عشر عاما» (٣)

أراد البخارى فى كتابه أن يقتصر على جمع الأحاديث الصحيحة والحديث الصحيح فى اصطلاح المحدثين هو: الحديث المسند الذى يتصل إسناده من الراوى إلى النبى ﷺ - ويكون كل راوٍ من رواته عدلا ضابطا.

«وهذا العمل - أعنى تعريف صحيح الحديث من ضعيفه - كان يحتاج البدء فيه إلى عناء لا يقدر، فهو يحتاج إلى معرفة واسعة بتاريخ رجال الحديث، وتاريخ حياتهم ووفاتهم، ليعرف هل التقى الراوى بمن روى عنه أو لا، ويحتاج إلى

٣- الإمام البخارى وكتابه الصحيح للأستاذ عباس طه مجلة الأزهر ص٩٦٨

معرفة دقيقة برجال الحديث من زمن البخارى إلى زمن الصحابى، ما مقدار صدقهم والثقة بهم وحفظهم، ومن منهم صادق أمين ومن منهم مستور الحال، ومن منهم كاذب ومن منهم صادق تقبل دعوته ولا تقبل روايته» (٤)

لقد انبرى البخارى للقيام بهذه المهمة، وإنه عليها لقدير، بما حباه الله من قوة الذاكرة.

منهج الإمام البخارى فى جامعه

روى عن البخارى أنه قال: لم تكن كتابتى للحديث كما كتب هؤلاء كنت إذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبته وحمله الحديث إن كان الرجل فهما، فإن لم يكن سألته أن يخرج إلىَّ أصله ونسخته فأما الآخرون لا يبالون ما يكتبون وكيف يكتبون». وقال: «ما وضعت فى كتاب الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين. وقال صنفت الجامع من ستمائة ألف حديث فى ست عشرة سنة وجعلته حجة فيما بينى وبين الله» (٥)

ومن هنا نعرف مدى اهتمام البخارى باختيار الأحاديث الصحيحة التى وضعها فى الجامع الصحيح حيث عمد إلى هذا الكم الهائل الذى جمعه طوال حياته فاختار منه على ما ذكره ابن حجر «سبعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعين حديثا».

وهذا العدد تدخل فيه الأحاديث المكررة، ولا تدخل فيه المعلقات والمتابعات والموقوفات والمقطوعات. فإذا أضيفت إليه التعليقات والمتابعات بلغت (٩٠٨٢) حديثا غير الموقوف والمقطوع. وإذا حذف المكرر واقتصر على عد الأحاديث الموصولة السند غير المكررة، كانت (٢٧٦٢) حديثا (٦)

ويمكن استقراء المنهج الذى سار عليه الإمام البخارى من تسميته للكتاب، فلقد سماه:

«الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه».

«فعُلم من قوله «الجامع» أنه لم يخصه بصنف دون صنف ولهذا أورد فيه الأحكام والفضائل والأخبار عن الأمور الماضية والآتية وغير ذلك من الآداب والرقائق.

ومن قوله «الصحيح» أنه ليس فيه شىء ضعيف عنده وإن كان فيه مواضع قد انتقدها غيره فقد أجيب عنها وقد صح عنه أنه قال ما أدخلت فى الجامع إلا ما صح.

ومن قوله «المسند» أن مقصوده الأصلى الأحاديث التى اتصل إسنادها ببعض الصحابة عن النبى ﷺ سواء كانت من قوله أم فعله أم تقريره» (٧).

ولاشك أن الإمام البخارى كان يضع نصب عينيه أموراً يرجح بها ويختار على أساسها ما

٤- الإمام البخارى وكتابه الجامع الصحيح - عبدالحميد سامى بيومى - مجلة الأزهر السنة العاشرة ص٢٨١.

٥- مقدمة فتح البارى.. لابن حجر العسقلانى ص٥١٢.

٦- الإمام البخارى وكتابه الجامع الصحيح - عبدالحميد سامى بيومى - مجلة الأزهر - السنة العاشرة ص٢٨٢.

٧- توجيه النظر فى أصول الأثر.. الطاهر الجزائرى الدمشقى.. تحقيق عبدالفتاح أبوغدة جـ١ ص٢٢٠

يأخذه فى الجامع وما يدعه سماها العلماء شروط البخارى.

قال الحافظ أبوبكر الحازمى رحمه الله: إن شرط الصحيح أن يكون إسناده متصلا وأن يكون راويه مسلما صادقا غير مدلس ولا مختلط متصفا بصفات العدالة ضابطا متحفظا سليم الذهن قليل الوهم سليم الاعتقاد (٨)

ولأن الإمام البخارى كان محدثاً وفقيها فى نفس الوقت، فأراد أن يُضمِّنَ الجامع الكثير من الأحكام الفقهية فاستخرج بفهمه من المتون الكثير من المعانى فى أبواب الكتاب بحسب تناسبها، واعتنى بآيات الأحكام، فانتزع منها الدلالات لأبواب أرادها وفى هذا الشأن قال الدهلوى(٩): وأراد «البخارى» أيضا أن يفرغ جهده فى الاستنباط من حديث رسول الله ﷺ، ويستنبط من كل حديث مسائل كثيرة جداً، وهذا أمر لم يسبقه إليه غيره، غير أنه استحسن أن يفرق الأحاديث فى الأبواب، ويودع فى تراجم الأبواب سر الاستنباط. أ.هـ.

ويقول ابن حجر نقلا عن الحافظ أبوالفضل محمد طاهر المقدسى: اعلم أن البخارى رحمه الله كان يذكر الحديث فى كتابه فى مواضع ويستدل به فى كل باب بإسناد آخر ويستخرج منه بحسن استنباطه وغزارة فقهه معنى يقتضيه الباب الذى أخرجه فيه وقلما يورد حديثا فى موضعين بإسناد واحد ولفظ واحد وإنما يورده من طريق أخرى لمعان نذكرها والله أعلم بمراده منها، فمنها أنه يخرج الحديث عن صحابى ثم يورده عن صحابى آخر والمقصود منه أن يخرج الحديث عن حد الغرابة.

فيعتقد من يرى ذلك من غير أهل الصنعة أنه تكرار وليس كذلك لاشتماله على فائدة زائدة.

ومنها أن الرواة ربما اختلفت عباراتهم فحدث راوٍ بحديث فيه كلمة تحتمل معنى وحدث به آخر فعبر عن تلك الكلمة بعينها بعبارة أخرى تحتمل معنى آخر فيورده بطرقه إذا صحت على شرطه ويفرد لكل لفظة بابا مفردا.

ومنها أحاديث زاد فيها بعض الرواة رجلا فى الإسناد ونقصه بعضهم فيوردها على الوجهين حيث يصح عنده أن الراوى سمعه من شيخ حدثه به عن آخر ثم لقى الآخر فحدثه به فكان يرويه على الوجهين، ومنها أنه ربما أورد حديثا عنعنه راويه فيورده من طريق أخرى مصرحا فيها بالسماع على ما عرف من طريقته فى اشتراط ثبوت اللقاء فى المعنعن فهذا جميعه فيما يتعلق بإعادة المتن الواحد فى موضع آخر أو أكثر.

وأما تقطيعه للحديث فى الأبواب تارة واقتصاره منه على بعضه أخرى فذلك لأنه إن كان المتن قصيرا أو مرتبطا بعضه ببعض وقد اشتمل على حكمين فصاعدا فإنه يعيده بحسب ذلك،

٨- مقدمة فتح البارى.. لابن حجر العسقلانى

٩- أعلام المسلمين فى الهند يسمون عاصمة بلادهم (دهلى) لأن ذلك أقرب إلى تلفظهم باسم هذا البلد، والنسبة إليه (دهلوى). أما (دلهى) كما تذكره صحفنا الآن فهو اللفظ الإنجليزى، كما يقول الانجليز للإسكندرية (الكسندريا)، وللقاهرة «كايرو». فهو تحريف، والصواب (دهلى) والخطأ (دلهى). راجع مجلة الأزهر المجلد ٢٨ ص٨٨.

مراعيا مع ذلك عدم إخلائه من فائدة حديثية وهى إيراده له عن شيخ سوى الشيخ الذى أخرجه عنه قبل ذلك.

وأما اقتصاره على بعض المتن ثم لا يذكر الباقى فى موضع آخر فإنه لا يقع له ذلك فى الغالب إلا حيث يكون المحذوف موقوفا على الصحابى وفيه شيء قد يحكم برفعه فيقتصر على الجملة التى يحكم لها بالرفع ويحذف الباقى لأنه لا تعلق له بموضوع كتابه كما وقع له فى حديث هزيل بن شرحبيل عن عبدالله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال: إن أهل الاسلام لا يسيبون وإن أهل الجاهلية كانوا يسيبون هكذا أورده.

وهو مختصر من حديث موقوف أوله جاء رجل إلى عبدالله بن مسعود فقال إنى أعتقت عبدا لى سائبة فمات وترك مالا ولم يدع وارثا فقال عبدالله إن أهل الاسلام لا يسيبون وإن أهل الجاهلية كانوا يسيبون فأنت ولى نعمته فلك ميراثه فإن تأثمت وتحرجت فى شيء فنحن نقبله منك ونجعله فى بيت المال» فاقتصر البخارى على ما يعطى حكم الرفع من هذا الحديث الموقوف وهو قوله إن أهل الإسلام لا يسيبون؛ لأنه يستدعى بعمومه النقل عن صاحب الشرع لذلك الحكم واختصر الباقى لأنه ليس من موضوع كتابه وهذا من أخفى المواضع التى وقعت له من هذا الجنس وإذا تقرر ذلك اتضح أنه لا يعيد إلا لفائدة (١٠)

وبعد.. فقد أخرج الإمام البخارى للأمة الإسلامية ذلك الجامع الصحيح وكأن الله قد أعد هذا الرجل لهذا العمل فكانت حياته - كما يقول الحافظ ابن حجر - بين آخر القرون الثلاثة الأولى التى وصفها النبى ﷺ بأنها خير القرون وبين زمن البدع والمذاهب الزائفة والدعوة إلى تشويه الإسلام.

نعم.. إن الإمام البخارى «هو الرجل الذى أعده الله لإدراك نهاية القرون الثلاثة بالشطر الأول من حياته، فتسلم منها أمانات الإسلام، كما أعده بالشطر الثانى من حياته ليستقبل زمن الفتنة بجهاده وجهوده ويقيم له ولأهله هذه القلعة الحصينة من سنة رسول الله فيقضى بها على كل محاولة سافرة أو مدسوسة لإتلاف الإسلام وتحويل مجراه».

ورحم الله الإمام البخارى الذى ملأ حياته بالعلم والعمل والكفاح وعلمنا كيف يملأ المؤمن فراغه حيث يقول:

اغتنم فى الفراغ فضل ركوع
فعسى أن يكون موتك بغتة
كم صحيح رأيت من غير سقم
ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

وكأنه بهذا القول يتكلم عن نفسه، التى صعدت إلى بارئها بينما كان يتهيأ للخروج إلى أهل سمرقند.

وكان ذلك ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين.

فليرحم الله الإمام البخارى لقاء ما قدم للإسلام والمسلمين.

(١٠) مقدمة فتح البارى.. لابن حجر العسقلانى

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقي الدين

مأساة أمة

تابعنا عبر الصحف والفضائيات العديد من الكوارث التى ضربت عدة دول وبخاصة الأعاصير التى ضربت الولايات المتحدة الأمريكية والزلازل التى ضربت باكستان وأفغانستان.

واختلف سلوكنا كمسلمين أولا، وكبشر ثانيا، عن غيرنا حيث تفاعل العرب والمسلمون مع الكوارث التى تعرضت لها الولايات المتحدة الأمريكية وتسابقوا فى ضخ مئات الملايين من الدولارات للمساهمة فى إزالة آثار الكارثة عن أبناء العم سام، فى الوقت الذى شمت فيه حاخامات إسرائيل وبقوة فيما حدث للولايات المتحدة الأمريكية حيث قالوا بأن هذه الأعاصير هى عقاب الرب لأمريكا لأنها أجبرت إسرائيل على الانسحاب من قطاع غزة.. وأن أمريكا تستحق بفعلتها ما حدث لها وأنها يجب أن تدفع ثمن الجرم الذى ارتكبته.

علما بأن إسرائيل تستمد وجودها من الوجود الأمريكى والدعم والمساندة الأمريكية اللامحدودة لها!!

المهم أن المساعدات العربية تدفقت على الولايات المتحدة الأمريكية لمساعدتها على إزالة آثار الأعاصير، وصدرت التصريحات السياسية من شتى الدول العربية تتحدث عن أن الوقوف إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية هو واجب تمليه العقيدة الإسلامية بتعاليمها السمحاء، والنخوة العربية التى تأبى على نفسها ألا تساعد منكوبا.

كلام جميل وسلوك طيب لا غبار عليه.. ولكن عندما ضربت الزلازل باكستان وأفغانستان، وخلفت ما يزيد على النصف مليون قتيل وشردت الملايين من الذين أزيلت من الوجود مدنهم وقراهم لم نر أثرا لتعاليم الإسلام السمحاء والنخوة العربية التى تأبى على نفسها ألا تساعد منكوبا!!

وذرا للرماد فى العيون اكتفت نفس الدول التى دعمت الولايات المتحدة الأمريكية بمئات الملايين من الدولارات - مع ما تملكه الولايات المتحدة من امكانات بشرية وتكنولوجية واقتصادية جبارة مكنتها من إنفاق ما يقرب من ألف مليار دولار فى حربها على أفغانستان والعراق أنفقتها كما يقول صقورها خدمة للبشرية!! - اكتفى المتبرعون أنفسهم بتقديم بضعة أجولة من القمح والدقيق وعدد من زجاجات المياه وبضعة ملايين من الدولارات لمساعدة الشعبين المنكوبين باكستان وأفغانستان على مواجهة المحنة التى مايزالون حتى اليوم يقاسون من آثارها، بضعة ملايين لا تصل إلى حتى ١٠٪ مما حصلت عليه الولايات المتحدة من مساعدات لمنكوبى أعاصيرها!!

وبعد هذا يتحدثون عن النخوة العربية، وتعاليم الإسلام السمحاء!!

ما بال القوم يتقاعسون عن الجهاد بأموالهم فى سبيل انتشال إخوة لهم فى الدين مما صاروا إليه؟ أم ترى الشريعة الإسلامية والنخوة العربية قررت أن معاونة الولايات المتحدة الأمريكية واجب وفرض عين على أغنياء الأمة العربية وأثريائها، وفرض كفاية عندما يكون الأمر متعلقا بأبناء المسلمين المنكوبين بالزلازل؟!

وأخيرا.. ألم يهز مشاعر هؤلاء ذلك المشهد البشع الذى بثته محطة SBS الاسترالية ويصور ستة جنود أمريكيين يضرمون النار باثنين من الأفغان المسلمين أحياء ويقفون حولهما يمرحون ويرقصون ويتوعدون الأفغان بأن هذا هو مصير كل من يقف فى وجه الاحتلال الأمريكى لأفغانستان؟!

ألم يدر بخلدهم ولو للحظة أن الأموال التى دفعوها للولايات المتحدة الأمريكية لمواجهة آثار الأعاصير قد توجه لسداد مرتبات هؤلاء الجنود الستة مثلا؟!

أتعلمون أن ثريا عربيا تبرع منذ فترة ليست بالقصيرة بتبنى مشروع تجديد إنارة شوارع العاصمة البريطانية «لندن» امتنانا لهذه المدينة الرائعة على ما تمنحه إياه من أوقات طيبة يقضيها بها خلال رحلاته!!

وبعد هذا نتباكى على حالنا.. ونترحم على ماض تليد نعيش فى ذكراه ونتسائل لماذا هذا حالنا؟!

ألا ترون معى أننا نعيش مأساة صنعناها بأنفسنا؟!

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾
(الرعد ١١)

أحمد تقى الدين

وإلى رسائل القراء ←

رسالة لها تاريخ

من الأستاذ/ عبدالحق بن باديس ـ الرئيس الشرفى لمؤسسة عبدالحميد بن باديس، كانت تلك الرسالة التى وجهها إلى فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر، وتتعلق برسالة تلقاها فضيلة الإمام الأكبر الشيخ مصطفى المراغى شيخ الأزهر الأسبق - رحمه الله - من المجاهد الجزائرى الإمام عبدالحميد بن باديس - رحمه الله - وحرص القارئ الكريم على إرسال صورة زنكوغرافية لنص الرسالة بخط الإمام عبدالحميد بن باديس، وهاك أيها القارئ الكريم نص الرسالة يعقبه تعليق للمحرر:



د. محمد سيد طنطاوى — مصطفى المراغى — عبدالحميد بن باديس

قسنطينة فى ١٣ ربيع الثانى سنة ١٣٥٣هـ - ٢٥ يونيو سنة ١٩٣٧م

إلى جناب صاحب الفضيلة مولانا الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الأستاذ الإمام مصطفى المراغى أدامه الله للمسلمين رُكْناً ركيناً ولتراث الإسلام جامعاً أميناً.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد..

«فإن الخلافة الإسلامية العلمية عرشها اليوم وقبل اليوم هو الأزهر، وفضيلتكم بحق تبوأتم هذا العرش الربانى - خليفة المسلمين العلمى، ولو أن المسلمين - وهم كلهم يعترفون بهذا - أبرزوا إلى حيز العمل والتنفيذ لاستردوا أعظم ما هم بأشد الحاجة إليه من معانى الخلافة، وأحسب أن من أحسن الوسائل لإبراز هذا المعنى وتحقيقه اتصال الأزهر بالأمم الإسلامية من أقطار الأرض بالمبتعثين يرسلهم إليها وبالبعثات العلمية ترسلها إليه، ومن فضل الله أن هذا قد شرع فيه فعلاً من بعض الأقطار كالهند ونرجو أن يتم به بغيتها، ولما كانت جمعيتنا قد أخذت على نفسها خدمة المسلمين الجزائريين فى دائرة العلم والدين، رأت أن من واجبها أن تسعى فى إيفاد بعثة لكرع العلم من مناهل الأزهر الشريف.

ومما يسهل عليها ذلك أن تعرف أن الأزهر يأوى تلك البعثة مثل البعثات الإسلامية الأخرى، فلهذا أتقدم باسم الجمعية لفضيلتكم ملتمساً إبداء رأيكم السديد ونصحكم الأبوى وإننى فى انتظار التشرف بجوابكم الكريم. أدامكم الله للإسلام والمسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله..

من عبدالحميد بن باديس

رئيس الجمعية

تعليق

للتعريف بالإمام عبدالحميد بن باديس نقول:

ولد عبدالحميد بن باديس بمدينة قسنطينة الجزائرية سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٨٩م، وتوفى بها مساء الثلاثاء ٨ من ربيع الأول سنة ١٣٥٩هـ الموافق ١٦ من أبريل سنة ١٩٤٠م، وهى ذكرى تحييها المؤسسات الثقافية والدينية الجزائرية.

ولد عبدالحميد بن باديس فى ظل الاحتلال الفرنسى للجزائر، وعاين بعينيه فظائع الاحتلال الفرنسى للبلاد.

اهتم الإمام ابن باديس أكثر ما اهتم بتحصيل العلم، وقد بدأ رحلته العلمية منذ طفولته المبكرة، حيث حفظ القرآن الكريم كاملا، فلما شب عن الطوق برع فى علوم القرآن الكريم وفسره، ودرس اللغة العربية وآدابها، ونبغ فى الفقه والحديث حتى بلغ فيه شأواً كبيراً لفت إليه الأنظار بنبوغه العلمى والفكرى.. وكان يرى أن على الشعب إن أراد أن يتخلص من نير الاحتلال فينبغى أن يكون العلم هو أحد أهم الأسلحة التى ينبغى التسلح بها.

واضطر ابن باديس نظراً لنُدْرة المطبوعات العربية والتضييق الشديد على التعلم باللغة العربية إلى الارتحال إلى الأراضى الحجازية لطلب المزيد من العلم، وقال قولته المشهورة: «نحن لا نهاجر، فنحن حراس الإسلام والعربية والقومية فى هذا الوطن». (١)

وفى المدينة المنورة التقى ابن باديس مع شريكه فى الجهاد ضد الاستعمار فيما بعد «محمد البشير الإبراهيمى»، وكانا يلتقيان فى المسجد النبوى عقب صلاة العشاء فى لقاء ممتد حتى صلاة الفجر يتدارسان أوضاع الجزائر وسُبُل تحقيق نهضة علمية وثقافية واجتماعية بالجزائر، بما يحقق الهدف المنشود، وهو طرد الاستعمار الفرنسى البغيض.

وكان من نتائج هذه الرحلة والتى استمرت ثلاثة أشهر قضاها فى الأراضى الحجازية، ومنها زار سوريا، ومصر، ولبنان ليعود بعد ذلك إلى الجزائر، كان من نتائج رحلته أن أسس هو ورفيق دربه «البشير



ASSOCIATION
DES "OULAMA" D'ALGÉRIE

Bureau de la Présidence
13, Rue Alexis-Lambert, 13
CONSTANTINE

مكتب الرئاسة

صورة زنكوغرافية لنص الرسالة بخط الإمام عبدالحميد بن باديس - رحمه الله.

الإبراهيمى» جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وفى ذلك يقول البشير الإبراهيمى واصفاً رحلة الإمام عبدالحميد بن باديس إلى الأراضى الحجازية:

«إنها كانت تدبيراً للوسائل التى تنهض بالجزائر، ووضعاً للبرامج المفصلة لتلك النهضة، وأشهد الله على أن تلك الليالى من عام ١٩١٣م، (أى أثناء وجودهما بالأراضى الحجازية) هى التى وضعت فيها الأُسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التى لم تبرز للوجود إلا فى عام ١٩٣١م.(٢)

وكان القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما الأساس الذى قامت عليه الحركة الإصلاحية التى قادها الإمام عبدالحميد بن باديس، باعتبار أن

(١)، (٢) اسماعيل زروخى، علماء الجزائر يستمدون جذور الإصلاح من المدينة المنورة، بحث منشور بمجلة الحج والعمرة الصادرة بالمملكة العربية السعودية، السنة الثامنة والخمسون، العدد الحادى عشر، محرم ١٤٢٤هـ.

الأساس فى حركته الإصلاحية هو الاهتمام بالنشء والشباب الناهض، الذى على كاهله ستقوم حركة الإصلاح والثورة ضد الاحتلال، فكان المنطلق الدينى هو الأساس عنده فى التربية والتنشئة.

وهو ما أكد عليه ابن باديس بقوله: «إننا والحمد لله نربى تلامذتنا على القرآن من أول يوم ونوجه نفوسهم إلى القرآن الكريم». (٣)

وابتعد ابن باديس تمامًا عن أسلوب التلقين المباشر والتحفيظ، وإنما اعتمد التربية بالأسوة والقدوة الحسنة منهجًا له، وهو ما يؤكده رفيق دربه (البشير الإبراهيمى) بقوله: «كانت الطريقة التى اتفقنا عليها أنا وابن باديس فى اجتماعنا بالمدينة المنورة سنة ١٩١٣م، فى تربية النشء هى ألا نتوسع له فى العلم، وإنما نربيه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل، فتمت لنا هذه التجربة فى الجيش الذى أعددناه من تلامذتنا». (٤)

تلك نبذة قصيرة أوردناها إتمامًا للفائدة مع ما فيها من تقصير شديد عن حياة المجاهد الفذ الإمام عبدالحميد بن باديس.

المحرر

من العلماء النوابغ

عمر الخيام

وسطر الأديب فرج مجاهد عبدالوهاب ـ عضو اتحاد كتاب مصر ـ هذه الكلمات التى تحدث فيها عن عمر الخيام الشاعر الشهير، وعالم الرياضيات الفذ، فقال:

الكثيرون لا يعرفون عنه إلا أنه صاحب «رباعيات الخيام» التى تغنيها أم كلثوم، ولكن القليل من يعرف عنه أنه من العلماء الأفذاذ فى الرياضيات، وأنه مطور علم الجبر، يقول ديفيد يوجين سميث فى كتاب «تاريخ الرياضيات»: إن علماء الرياضيات فى القرون الوسطى وما قبلهم لم يصلوا فى حلولهم الجبرية إلا إلى نظرية واحدة ذات حدين وأساسين، فى حين أن عمر الخيام قد وصل فى حلوله إلى سبعة أسس.

أدخل عمر الخيام الجبر على حساب المثلثات وحل معادلات من الدرجة الثالثة والرابعة، فقد استطاع أن يوجد العلاقة بين علمى الجبر وعلم الهندسة وأن يرتقى بعلم الجبر إلى حد فاق أساتذته من العلماء، وألف العديد من الكتب التى كانت المعين الذى استقى منه علماء العرب والمسلمين ومن بعدهم علماء الغرب، ومن هذه الكتب:

١- رسالة فى البراهين الجبرية.
٢- رسالة الميزان الجبرى.
٣- كتاب المقنع فى الحساب الهندسى.
٤- رسالة فى معادلات من الدرجة الثالثة والرابعة.

(٣)، (٤) المصدر السابق.

تقول المستشرقة زيجريد هونكة: «ولعل عمر الخيام الشاعر الصوفى صانع القبة، وصاحب الرباعيات الشعرية المشهورة هو الذى طور علم الجبر وأوصله إلى قمة عالية من الازدهار، بل إنه من الإنصاف أن نقول إن عمر قد وفق فى الارتقاء بعلوم الجبر إلى ذروة سامقة لم يعرف لها مثيل إلا على يد الفيلسوف الفرنسى ديكارت عالم الرياضيات الشهير المتوفى ١٦٥٠م ثم تابع الأوروبيون تطويرهم لهذا العلم على أساس ما ورثوه عن العرب أكثر مما ورثوه عن ديكارت ذاته».

ذلك أن علماء العرب والمسلمين هم الذين طوروا المعادلات الجبرية واستخرجوا الجذور التربيعية والتكعيبية، ويظهر ذلك فى كتاب نصير الدين الطوسى «جامع الحساب» الذى استمد فيه أفكار عمر الخيام وحقق نظرياته تحقيقاً علمياً دقيقاً، وبذلك يكون هذا العالم قد سبق العالم الغربى «فارما» فى نظريته، وسبق ديكارت فى أبحاثه وتطويره لعلوم الجبر، وورث العلماء فى الغرب فكرة الهندسة التحليلية من نابغة علماء الرياضيات ثابت ابن قرة.

بقى أن نعرف أن عمر الخيام اسمه: أبوالفتح عمر بن إبراهيم الخيام ولد سنة ٤٤٠هـ - ١٠٤٨م وتوفى سنة ٥٢٥هـ - ١١٣٢م. رحمه الله

موعظة بليغة

وتخيرت القارئة: سلوى عبدالسلام محمود ـ من الإسكندرية ـ موعظة بليغة لأمير المؤمنين على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ لتهديها إلى قراء المجلة.

قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب- كرم الله وجهه: «رحم الله عبدا سمع فوعى، ودعى إلى الرشاد فدنا، وأخذ بحجزه هاد فنجا، وراقب ربه، وخاف ذنبه، وقدم خالصا وعمل صالحا، واكتسب مذخورا، واجتنب محذورا، ورمى غرضا، وأصاب عوضاً، وكابر هواه، وكذب مناه، وحذر أجلا، وأدب عملا، وجعل الصبر رغبة حياته، والتقى عدة وفاته، يظهر دون ما يكتم، ويكتفى بأقل مما يعلم، لزم الطريقة الغراء، والمحجة البيضاء، واغتنم المهل، وبادر الأجل، وتزود من العمل».

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصًا من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق فى اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا بمشيئة الله تعالى.

بين الصحف و المجلات

إعداد
أ/ محمود الفشنى
أ/ عبدالموجود أمين

إكرام الميت «حرقه» !!

تحت هذا العنوان كانت تلك الكلمات المنشورة في جريدة الأخبار الصادرة في ٢٠٠٥/١٠/٢٥ للأستاذة/ سهير جبر، قالت:

إحراق الجنود الأمريكيين لجثتى مقاتلين من طالبان هو آخر فصل من مسلسل فضائح الانتهاكات والتعذيب التى يمارسها الجيش الأمريكى.

محطة SBS الاسترالية المحلية بثت شريطاً التقطه مصورها ستيفن ديون الذى كان منضماً لوحدة الحرب النفسية التابعة للجيش الأمريكى والذى شهد الواقعة بالكامل وصورها. ظهر فى الشريط ٦ جنود أمريكيين يقفون حول الجثتين المنبعث منهما الدخان واللذين قتلا فى قرية تابعة لقندهار.

أحد الضباط يتلو رسالتين مليئتين بالسباب والإهانات لطالبان ويصف مقاتليها بالكلاب الجبناء المختبئين ويحثهم على الخروج لأخذ الجثتين ومقاتلتهم.. قال الجندى فى رسالته إنه تم وضع الجثتين فى اتجاه الكعبة قبل إحراقهما.

وقال المراسل الاسترالى إن جنود وحدة الحرب النفسية كانوا مدركين أن عملية حرق الجثث هى تدنيس للإسلام. فالإسلام يحظر حرق الجثث فـ«إكرام الميت دفنه». وقد تم توزيع صور الجثث المحروقة فى عدة مناطق كما طافت العربات بالمكبرات الصوتية فى القرية والقرى المجاورة وهى تذيع الرسالتين على الأهالى لبث الرعب فيهم.

كالمعتاد أعلنت القيادة الأمريكية بدء تحقيق حول الحادث وهذا التحقيق هو الشماعة التى يعلقون عليها كل جريمة ليفلتوا من العقاب. فماذا فعلوا فى مرتكبى جرائم التعذيب فى أبوغريب؟ ٣ سنوات فقط هو الحكم على الجندية ليندلى انجلند.

لقد لقى ١٠٨ معتقلين حتفهم فى السجون الأمريكية فى العراق وأفغانستان منذ ٢٠٠٢ وهذا باعتراف البنتاجون وما خفى كان أعظم. حكم فقط على جنديين بالسجن ٣ أشهر لتعذيب مسجونين أفغان بإجرام حتى الموت.

أحد المعتقلين كان سائق تاكسى يدعى ديلاور وتم تعليقه من رسغيه فى السقف لمدة ٤ أيام طبقاً لنيويورك تايمز التى تسرب لها ألفا صفحة من التحقيقات. ولم يكتف الجنود بتعليق السائق ولكن ظلوا يضربونه على قدميه أكثر من مائة مرة خلال ٢٤ ساعة. كما تم إجبار أحد السجناء على تقبيل حذاء المحققين بينما أجبر سجين آخر على التقاط زجاجات بلاستيك رُشقت فى فضلات آدمية. محققة وقفت فوق رقبة سجين وضربت بقدمها سجيناً آخر فى أعضائه الحساسة. سجين آخر كان يدعو الله عندما تكالب عليه عدد من الجنود الأمريكيين فى سباق لضربه على مدى ٢٤ ساعة حتى يصرخ باسم الله.

يقول رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكى إن حرق الجثتين لا تنم عن اخلاق العسكريين الأمريكيين متناسياً انتهاكات جوانتانامو وأبوغريب التى ارتكبها العسكريون الأمريكيون. وكالعادة يلجأ رامسفيلد لتكرار نفس السيناريو الممل ونفس تمويع المواقف لم يحاول حتى أن يبتكر أو يجدد فيقول إن هذه الاتهامات تضرب الجيش سواء كانت صادقة أم كاذبة وأنه لم يشاهد الشريط ولا يعرف إن كانت الاتهامات صحيحة..

الولايات المتحدة تتعرض لضغوط مكثفة من الرأى العام العالمى ومنظمات حقوق الإنسان من أجل وقف انتهاكاتها لآلاف من أسرى الحرب فى مئات المعتقلات السرية حول العالم حتى أن الكونجرس الأمريكى أصدر تشريعاً بحظر المعاملة الوحشية وغير الإنسانية المهينة للمعتقلين بأغلبية ٩٠ ضد ٩.

وكان رد فعل البيت الأبض التلويح باستخدام بوش الفيتو لوقف التشريع مصراً على التمادى فى الانتهاكات للقوانين الدولية والقيم الأمريكية.

التعنت الإسرائيلى يعطل المفاوضات

ومن جريدة الجمهورية الصادرة فى ٢٠٠٥/١٠/٢٥ تخبرنا تلك الكلمة التى جاءت فى باب «الجمهورية تقول» تحت عنوان «التعنت الإسرائيلى يعطل المفاوضات»:

لعبت مصر دوراً هاماً فى إتمام عملية الانسحاب الإسرائيلى من قطاع غزة باعتبارها خطوة أولى فى طريق الانسحاب الشامل من الأراضى الفلسطينية المحتلة فى يونيو ١٩٦٧ طبقاً لخارطة الطريق أمريكية الصنع دولية الرعاية.

وتسعى مصر فى هذا الإطار إلى دفع عملية السلام بالإسراع فى تنفيذ خارطة الطريق حتى لا يشعر الفلسطينيون باليأس إزاء التعنت الإسرائيلى الظاهر للعيان من تأخر الاتفاق على المعابر والميناء والمطار فى غزة

واستمرار اغتيال كوادر المقاومة والتوغلات التى يعقبها اعتقالات أقل ما يقال عنها إنها مثيرة للتوتر ولا تخلق مجالاً لمفاوضات تقوم على الثقة وحسن النية.

وتحرص القيادة المصرية فى اتصالاتها الإقليمية مع إسرائيل والدولية مع أوروبا والولايات المتحدة على تأكيد هدف الاستفادة من قوة الدفع بعد تحرير غزة بالانطلاق إلى دعم الشعب الفلسطينى وسلطته الوطنية سياسياً واقتصادياً وإزالة نقاط الخلاف بين الفلسطينيين وإسرائيل بما يخلق الثقة حتى تستأنف المفاوضات.

وجاءت قمة مبارك أبومازن لتؤكد أهمية الدور المصرى وضرورة قيام إسرائيل وحلفائها بالدور المنوط بهم حتى ينجح السلام.

تراجع بوش

وكتب الأستاذ رفقى فخرى فى جريدة الأخبار الصادرة فى ٢٠٠٥/١٠/٢٥ قال:

تراجع الرئيس الأمريكى جورج بوش عن وعده بقيام دولة فلسطينية.. وقال إنه غير واثق أن ذلك الهدف يمكن تحقيقه قبل مغادرته البيت الأبيض فى يناير ٢٠٠٩.

ويبدو أن بوش نسى أن خارطة الطريق التى ترعاها الولايات المتحدة كانت قد حددت نهاية عام ٢٠٠٥ لإنشاء دولة فلسطينية.. لكنه تراجع وأمهل نفسه حتى نهاية ولايته فى يناير عام ٢٠٠٩.. ثم عاد وتراجع عن هذا الموعد أيضاً..

والتراجع عن التعهدات فى السياسة الدولية فى قضايا مصيرية مثل إنشاء الدولة الفلسطينية من جانب الرئيس الأمريكى الذى يفترض أنه يمثل القوة العظمى الوحيدة فى العالم.. مسألة خطيرة.. غير مقبولة.. وتعطى مؤشرات سياسية يمكن تطبيقها على قضايا أخرى كثيرة.. الولايات المتحدة طرف أساسى فيها.. بمعنى آخر فإننا لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا إن الرئيس الأمريكى بعد تراجعه.. يصبح غير أهل للثقة فى أى اتفاقات أخرى يدخل طرفاً فيها.. كما يمكن أن يصبح ذلك مقدمة لتراجع آخر فى القضية الفلسطينية لحساب إسرائيل.. وإذا كان بوش قد أفتى بأن من حق إسرائيل الاحتفاظ بأراض فلسطينية فيها تجمعات استيطانية يهودية كبيرة.. ثم تراجع عن تعهده بقيام دولة فلسطينية.. فإن الأمور يمكن أن تتطور إلى «وعد جديد» لإسرائيل على حساب الشعب الفلسطينى.

يجب أن يعلم الرئيس الأمريكى أن تعهداته محسوبة عليه.. وأن العالم كله يراقب تصريحاته.. وإذا تراجع بهذه البساطة فى قضية مصيرية.. لن يصدق أحد أى شئ يقوله بشأن العراق.. أو إيران.. أو سوريا.. أو غيرها من القضايا الأخرى الساخنة فى العالم.

تراجع بوش.. انتكاسة خطيرة فى صورة الرئيس الأمريكى.. ودرس بالغ الأهمية للعرب للاعتماد على أنفسهم.. وعدم الثقة فى الدولة العظمى الوحيدة.. لأن رئيسها يمكن أن يتراجع عن أى وعد قطعه لهم فى أى وقت.. ويمكن أن يتخلى عنهم عند أول منعطف.



أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى

مؤتمر وزارى يناقش أوضاع الطفولة فى العالم الإسلامى

بالتعاون والتنسيق بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - وصندوق الأمم المتحدة للطفولة - اليونيسيف - ومنظمة المؤتمر الإسلامى.

يعقد المؤتمر الإسلامى الأول للوزراء المكلفين بالطفولة للدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى وعددها (٧٥) دولة فى العاصمة المغربية الرباط.

وسيناقش المؤتمر أوضاع الأطفال فى العالم الإسلامى والرؤية الإسلامية لقضايا الطفولة وتأكيد عالمية هذه الرؤية والتوعية بتوجيه مزيد من العناية بالموازنات المخصصة لتحسين أوضاع الطفل فى العالم الإسلامى.

كما سيهتم المؤتمر بتعزيز تبادل الرأى والخبرة حول قضايا الطفولة فى الدول الأعضاء من جهة أخرى.

ويهدف المؤتمر إلى تحسين مستوى أداء المؤسسات والهيئات المتخصصة العاملة فى مجال الطفولة فى العالم الإسلامى وتفعيل آليات التعاون فيما بينها من خلال تبادل الخبرات وتعزيز اللقاءات وتوحيد الأهداف وتحديد الأولويات.

الأزهر يمنع دخول كتاب أمريكى عن الإسلام إلى مصر

فشلت الجهود التى بذلتها الجامعة الأمريكية بالقاهرة وجهات أخرى فى تعديل قرار الأزهر بمنع دخول كميات كبيرة من كتاب «الإسلام الوهابى» من تأليف «نتانادى كوغ» فى جامعة جورج تاون بواشنطن.

كان تقرير لجان الفحص بالأزهر قد أكد أن الكتاب يقطر حقدا على الإسلام ويتضمن معلومات خاطئة وسرد أخبار دخيلة على الإسلام ويطعن فى القرآن وخاصة قضية الناسخ والمنسوخ.

تجدد الاشتباكات بين المسلمين والهندوس

فرضت السلطات الهندية حظر التجول فى بلدة «ماو» الواقعة فى ولاية «أوتاربراديش» عقب اندلاع مصادمات بين المسلمين والهندوس مما أدى إلى مصرع شخص وإصابة عشرات آخرين وذكر متحدث باسم الشرطة فى الولاية الواقعة شمالى الهند بأن المصادمات بدأت عندما رفض المسلمون فى البلدة مرور موكب خلال أحد الاحتفالات الهندوسية فى منطقة تقطنها أغلبية منهم مما أدى إلى تراشق الجانبين بالحجارة ولجوء البعض إلى إشعال الحرائق؛ وقال المتحدث باسم الشرطة: إن قوات إضافية من الشرطة هرعت إلى البلدة حيث قامت بتفريق الحشود الغاضبة غير أن الاشتباكات تجددت مما أدى إلى صدور الأوامر بفرض حظر التجول وإطلاق النار على الفور على من يخالف تلك الأوامر.

ووصف المتحدث الوضع فى المدينة بأنه متوتر غير أنه تحت السيطرة.

صحيفة دانماركية تسىء الرسول ﷺ

تسببت صحيفة «بولاند بوسطن» الدانماركية فى تفجير أزمة واسعة بسبب نشرها صورا كاريكاتيرية مسيئة لرسول الله محمد ﷺ.

وقاد المسلمون فى الدانمارك حملة احتجاجات واسعة كما أدان عدد كبير من المنظمات الدولية والإسلامية ذلك وعلى رأسها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - الإيسيسكو - واعتبرت ما قامت به الصحيفة الدانماركية خرقا للقانون الدولى واستهانة بالمشاعر الدينية فى مختلف دول العالم.

وعن خلفية الموضوع تذكر الرابطة الإسلامية فى الدانمارك فى بيان لها أن رئيس الوزراء الدانماركى «أنس فوراسموش» دعا الأئمة وبعض الشخصيات إلى لقاء بمسكنه الصيفى فى كوبنهاجن فى سبتمبر الماضى لمعالجة موضوع العنف والتطرف وتم خلال اللقاء طرح عدة أفكار ومقترحات لعلاج المشكلة.

وحين علمت وسائل الإعلام بذلك نشرت صحيفة «بولاند بوسطن» رسومها الكاريكاتيرية المسيئة للإسلام فردت الرابطة الإسلامية والمركز الثقافى الإسلامى ومجمع أهل البيت بتنظيم مظاهرة احتجاجية سلمية بالشوارع الرئيسية فى العاصمة كوبنهاجن.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يستقبل رئيس المجلس الإسلامى بسنغافورة

• استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / محمد عالمى موسى رئيس المجلس الإسلامى بسنغافورة يرافقه السيد / تى توابا سفير سنغافورة بالقاهرة والوفد المرافق، حيث رحب فضيلته بسيادتهما وبالوفد المرافق فى مصر وأزهرها الشريف، مشيداً بعمق العلاقات والروابط الأخوية بين البلدين، والأزهر الشريف يستقبل أبناء سنغافورة للدراسة به على منح دراسية وعدد الطلاب يقارب ١٠٢ طالب وطالبة يدرسون بمعاهد الأزهر وجامعته وقدم فضيلته شرحاً مبسطاً لمراحل التعليم فى الأزهر منذ الحضانة ومدتها سنتان مروراً بالتعليم الابتدائى. ثم الإعدادى، ثم الثانوى، ثم الجامعة وبها الكليات النظرية والكليات العملية.

والدراسة بالأزهر تمتاز بالاعتدال والوسطية والوضوح مع الاهتمام بحفظ القرآن الكريم والتوسع فى العلوم الشرعية والعربية، وقد أتاح الأزهر الشريف لأبناء سنغافورة والعالم الإسلامى الذين يدرسون بالأزهر الشريف الالتحاق بالقسم العلمى هذا العام وذلك لإتاحة الفرصة لهم للالتحاق بالكليات العملية.

وحول سؤال عن التفجيرات التى حدثت فى لندن وحكم الإسلام فى ذلك، أجاب فضيلته بأن مَنْ يقومون بمثل هذه التفجيرات مجرمون، وعلى الحكومات أن تتعاون لمحاكمة مثل هؤلاء المجرمين وتقديمهم لمحاكمة عادلة رادعة، والإسلام يدعو إلى السلام، وهو ضد الإرهاب سواء حدث من مسلم أو غير مسلم، وكل من يتستر بالإسلام ويرتكب أعمالاً إرهابية كالقتل والتخريب فالإسلام برىء منه، ويجب أن يحاسب على أنه مجرم لتستره بالإسلام، ولارتكابه مثل هذه الجرائم، وهذا الحكم ينطبق على من يرتكب هذه الأفعال الإرهابية والإجرامية من كل الأديان والمذاهب وليس من الإسلام فقط، وجميع الأديان تنبذ العنف والقتل والإرهاب والتخويف،

وتدعو إلى السلام وإلى المحبة وإلى المودة وإلى التعاطف وإلى التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

وقد أعرب السيد رئيس المجلس الإسلامى بسنغافورة عن بالغ شكره وتقديره وسعادته لإتاحة هذه الفرصة وهذا اللقاء الطيب له وللوفد، حيث إن ما يقوم به الأزهر الشريف لأبناء سنغافورة له الأثر العظيم لدى شعب وحكومة سنغافورة، وقال إن زيارته للأزهر الشريف تأتى استكمالاً لزيارة السيد نائب رئيس وزراء سنغافورة التى تركت أثراً طيباً وجميلاً لدى شعب وحكومة سنغافورة، وتأتى هذه الزيارة فى إطار توطيد وتوسيع العلاقات وأنه يتفق تماماً مع آراء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، ويؤيده فى ضرورة أن تتكاتف وتتضافر الجهود للتصدى للإرهاب من أجل حماية البشرية جمعاء.

وفى نهاية اللقاء قدم الضيف الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لزيارة سنغافورة، وقال فضيلته إن سنغافورة بلد نظيف وجميل ووعد فضيلته بتلبية الدعوة فى الوقت المناسب.

ويستقبل رئيس مكتب المؤتمر الوطنى السودانى

• استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتور كمال حسن على رئيس مكتب المؤتمر الوطنى السودانى بالقاهرة يرافقه السيد/ محمد عثمان حبيب الله والسيدة/ ست البنات محمد، بقطاع العلاقات العامة للمكتب بالقاهرة.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف مؤكداً على العلاقة الطيبة والعلاقات الأخوية بين الشعبين المصرى والسودانى، متمنياً للشعب السودانى التوفيق والسداد فى خطوات الإصلاح والتعمير التى بدأتها حكومة السودان، مؤكداً على أن العاقل من الناس من يُجَمِّع ولا يُفرِّق، يُصْلِح ولا يُفْسِد، بل هو الذى يتصدى لحل المشاكل بعيداً عن الشطط، ويكون ذلك بالحكمة والاقتدار، وأصحاب الأرض هم الأقدر على فهم مشاكلهم والعمل على حلها، ووظيفة الحكومة هى المساعدة والمساندة المطلقة.

ومن جانبه قدم الدكتور كمال حسن على الشكر لفضيلة الإمام الأكبر لإتاحة الفرصة لهذا اللقاء الذى يتيح لمكتب المؤتمر الوطنى السودانى تعزيز العلاقات بين مصر والسودان فى كافة المجالات ومع كل المؤسسات، وهى من أهداف المكتب الرئيسية، للظروف التى يمر بها السودان بعد توقيع اتفاقية السلام، يتحتم علينا فى الفترة القادمة بذل الجهد لتوحيد جهود السودان، كما أن علاقاتنا مع مصر علاقات استراتيجية لوجود قواسم مشتركة بين شعبينا، مؤكداً على أهمية الدفع المصرى للسودان، والذى له دور هام فى المحافظة على السودان وهويته وتواجده، كما أن من أهداف هذه الزيارة لفضيلتكم طلب الدعم بزيادة عدد المنح الدراسية لأبناء السودان نظراً لما يتمتع به الأزهر الشريف من مكانة علمية فى العالم، والذى تمتاز الدراسة فيه بالوسطية

والاعتدال سواء بمعاهده الأزهرية أو بجامعته العالمية.

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على أن الأزهر الشريف على استعداد تام لتقديم العون والمساعدة لأبناء السودان الشقيق من خلال التنسيق المشترك، مع العلم بأن فى الأزهر الشريف عدداً كبيراً جداً من الطلاب يدرسون فى الأزهر الشريف وجامعته، ويتخرج منه كل عام أعداد كبيرة يعودون إلى السودان يحملون عبء التنمية والتعليم ونشر ما تعلموه.

مقدونيا تطلب تعاونا تعليميا مع الأزهر الشريف

• استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد أساتذة الجامعات من دولة مقدونيا برئاسة الأستاذ على البرقوقى مدير العلاقات مع الدول الإسلامية بمقدونيا، وذلك فى إطار الدورات التدريبية التى ينظمها مركز اللغة العربية التابع لجامعة القاهرة بالتعاون مع الصندوق المصرى للتعاون الفنى مع دول الكومنولث بوزارة الخارجية المصرية يرافقهم الأستاذ/ فتح الله على المرسى من مركز اللغة العربية، حيث رحب فضيلته بالوفد فى مصر وفى الأزهر الشريف ملقياً الضوء على الأزهر الشريف ومكانته العلمية، مستعرضاً نظام التعليم فى الأزهر الشريف فى مراحله المختلفة، مؤكداً على اهتمام الأزهر الشريف بحفظ القرآن الكريم إلى جانب التوسع فى العلوم الشرعية والعربية، وذلك لتوضيح صورة الإسلام الصحيحة من خلال اعتدال ووسطية الإسلام.

وأضاف فضيلته بأن الأزهر الشريف يستقبل طلاباً وطالبات من ١٠٥ دول على منح دراسية، يوفر لهم احتياجاتهم من وسائل التعليم والإعاشة والرعاية الصحية، ويقوم بالتدريس لهم أساتذة متخصصون من علماء الأزهر الشريف ومن أساتذة جامعة الأزهر الشريف، وحينما يعودون إلى بلادهم ينقلون ما تعلموه فى الأزهر الشريف إلى إخوانهم وأبناء بلادهم، والأزهر الشريف يخصص سنوياً منحاً دراسية لمعظم الدول بالتنسيق مع سفاراتنا فى الخارج عن طريق وزارة الخارجية المصرية، وللأزهر الشريف معاهد أزهرية وفروع للكليات منتشرة فى كثير من الدول، تدرس علوم الأزهر الشريف ومناهجه التى تتسم بالوضوح والاعتدال والتوسط والبعد عن التعصب.

وقد أعرب أعضاء الوفد عن بالغ سعادتهم بتواجدهم فى الأزهر الشريف ذلك الصرح العظيم ولقائهم بفضيلة الإمام الأكبر الذى يمثل المرجعية الدينية للمسلمين فى كل مكان، والذى قدم لهم العلم النافع والشرح المفيد. وأبدى أعضاء الوفد الرغبة فى معادلة الشهادة الثانوية من مدرسة عيسى بك مع الثانوية الأزهرية حتى يتمكن الحاصلون عليها من الالتحاق بجامعة الأزهر الشريف.

وقد أوضح فضيلته بأنه لا مانع من ذلك طبقاً للقواعد المنظمة والمتبعة.

الإمام الأكبر:
الدراسة بالأزهر تمتاز بالوسطية وتدعو إلى التعاون بين البشر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى السيد / براسون مصرى رئيس مؤسسة سان تى شو الإسلامية بتايلاند والوفد المرافق، حيث رحب فضيلته بالوفد فى مصر وفى الأزهر الشريف، وقال: إن الأزهر الشريف على استعداد لتقديم كل المساعدة والعون للمدارس الإسلامية والدينية وإمدادها بالمدرسين والكتب والمناهج الدراسية طبقاً للبروتوكولات المتبعة لتدريس مناهج الأزهر الشريف، والقرآن الكريم فى المقام الأول، ثم العلوم الشرعية والعربية وهى مناهج تمتاز دراستها بالوسطية والاعتدال، مؤكداً على أن الدراسة فى الأزهر الشريف تدعو إلى تعاون بنى البشر جميعاً من أجل خدمة البشرية، وإعطاء كل ذى حق حقه، واحترام حقوق الغير سواء أكان مسلماً أم غير مسلم، والأزهر الشريف أبوابه مفتوحة دائماً للتعاون مع المسلمين من شتى بقاع الأرض.

ومن جانبه شكر الوفد فضيلة الإمام الأكبر على هذا اللقاء الذى رغبوا فيه منذ فترة طويلة، مؤكدين أنهم جاءوا للقاء فضيلة شيخ الأزهر وإمام المعلمين للأخذ بنصيحته وبمشورته، وللتعريف بمدرستهم الإسلامية فى تايلاند.

الإمام الأكبر:
نرحب بالحوار وأبوابنا مفتوحة

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيدة كارين هيوز/ وكيلة وزارة الخارجية الأمريكية للدبلوماسية العامة والسيدة/ دينا باول نائبة وكيلة وزارة الخارجية والسيد/ جوردون جراى نائب مساعد وكيلة وزارة الخارجية والسيد/ استيوارت جونز القائم بأعمال السفارة بالقاهرة والوفد المرافق، حيث رحب فضيلته بالوفد فى مصر والأزهر الشريف ملقياً الضوء على الأزهر الشريف ومكانته العالمية، شارحاً نظام التعليم فى مراحله المختلفة، من الحضانة وحتى الجامعة، مؤكداً على اهتمام الأزهر الشريف بتوضيح صحيح الإسلام وتدريس العلوم الشرعية والعربية والتى تمتاز بالتوسط والاعتدال، والبعد عن التعصب الأعمى والبعد عن التطرف والعصبية البلهاء، ونحن فى دراستنا نعتبر الناس جميعاً من أب واحد وأم واحدة، والعلم عندنا يقوم على التعاون، والتعليم نابع من شريعة الإسلام التى نعلمها للطلاب والطالبات وهى شريعة تعطى لكل إنسان حقه سواء أكان مسلماً أم غير مسلم، وشريعة الإسلام تمد يدها بالسلام لكل من يمد يده إليها بالسلام، ونحن ضد الإرهاب والتطرف بكل صوره وأشكاله، وضد الظلم والعدوان، والأزهر

الشريف كان من أول المؤسسات الدينية التى أدانت أحداث ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١م وطالبت بالتحقيق مع مرتكبى هذه الأحداث، وتقديمهم للمحاكمة العادلة، وذلك من خلال البيان الذى أصدره مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.

وقد أعربت السيدة كارين هيوز عن بالغ سعادتها لهذا اللقاء وأنها قررت أن أول زيارة لها فى مصر تكون للأزهر الشريف لمعرفتها بتاريخ هذه المؤسسة العريقة التى تعتمد على الوسطية والاعتدال، وأنها جاءت تحمل تحيات وتقدير الرئيس بوش والسيدة وزيرة الخارجية الأمريكية لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، وأن الرئيس بوش طلب منها مد جسور التعاون للحوار بين الأديان والحوار بين رجال الدين.

وقال فضيلة الإمام الأكبر: إننا نرحب بالحوار وأبوابنا مفتوحة، وبالأزهر لجنة للحوار وتدور حواراتنا من أجل التعاون لنشر السلام والأمان والرخاء والاطمئنان، والأديان السماوية كلها تأمر كل عاقل أن يقف إلى جانب الحق والعدل، ويحارب الإرهاب والظلم أياً كان مصدره، ونحن نرحب بكل تعاون يحارب الإرهاب ويعمل على نشر الرخاء والأمان فى كل ربوع العالم، ويُسعد الأزهر أن يتعاون فيما يتعلق بالأمور الدينية لأن هذا تخصصنا، ونقول دائماً إن لكل دولة حضارتها، وعلى الدول أن تستفيد من حضارات بعضها البعض، وتتبادل العلم والمعرفة والثقافة، وكل ما من شأنه نشر الرخاء والإخوة الإنسانية، والمحبة بين أفراد المجتمع الإنسانى كله، فالأديان السماوية كلها تدعو إلى المحبة التى تولد الرخاء والأمان وحسن العلاقة بين الناس، لأننا أصبحنا فى زمن الحروب فيه لا تحل المشكلات، وإنما تُحل المشكلات بالتفاهم والتقارب والحوار بقلب مفتوح، وإننى أقدم خالص عزائى للإخوة والأبناء فى الولايات المتحدة الذين تضرروا من الأعاصير، ونقدر الجهد الضخم الذى قام به الرئيس الأمريكى وحكومته لمواجهة الكارثة.

من جانبها شكرت السيدة كارين هيوز فضيلة شيخ الأزهر على ما أبداه من عزاء للشعب وللحكومة الأمريكية من جراء الأعاصير، وعلى المساعدات التى قدمتها مصر فى تلك الظروف، وقد طلبت نصيحة فضيلته بصفته رجل دين لما يحدث فى العراق من قتل عشوائى للمدنيين، حيث أوضح فضيلته أن ما يجرى فى العراق هى فتن ومصائب كقطع الليل المظلم، ونحن نتقدم لإخواننا فى العراق أن يجتمعوا وينسوا ما بينهم من خلافات وأن يتعاونوا على النهوض بدولتهم ليسود الأمان والرخاء، ونحن دائماً نسدى لهم النصح ونُبيِّن أن ما يحدث فى العراق إنما هو تخريب للعراق كله، وعليهم أن يدركوا تلك الحقيقة، لأنهم كلهم أبناء دولة واحدة ومن الواجب عليهم أن يعرفوا أنهم إذا لم يصلحوا أنفسهم، فلن يصلحهم غيرهم..

حضر اللقاء فضيلة الدكتور/ محمود إمبابى وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى رئيس قطاع مكتب شيخ الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ عمر الديب رئيس قطاع المعاهد الأزهرية والدكتور على السمان نائب رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف.

Moreover, Allah has exhorted us to meditate and apply our minds as regards all that comes in our ways. This is when He has asked us using "*How*" in the following Qur'anic verses:

> *{Will they then not look at the camels, how have they been created, and at the heaven, how has it been raised up, and at the mountains, how have they been set up, and at the earth, how has it been encrusted (i.e., provided with a surface or crust)?}*
>
> [Al-Ghashiyah (The Enveloper): 17-20]

Asking with "*How*" requires scientific thinking in a methodological way in order to acquire knowledge through which one seeks to realize the pure and clear scientific fact and make use of it in promoting life on earth.

Hereupon, scientific thinking is an intrinsic quality in man since Allah created him not only as a natural need pushing him to search for what may fulfill his needs but also as an intellectual necessity with which he can organize and promote his life and attain a better understanding for the nature of things and phenomena he deals with. As a result, man has been able to benefit from his acquired experience in exploiting everything around him to fulfill the needs of his life. Gradually, man's information has increased in response to what the circumstances entail. For example, agriculture has driven man to know how to weigh, measure, count and evaluate. Moreover, the life circumstances and conditions have urged him to travel and know new places, making use of land marks and stars. When he arranges the means of living in a certain area, man has begun to learn professions and industries and direct his attention to what may benefit him in his life.

This way, the scientific thinking has continued to be an integral part of the practical and intellectual practices during man's civilizational progress. This may be one of the most prominent reasons behind the scientific progress and civilization development of humanity. Accordingly, the

scientific thinking is a civilizational necessity that relates to the requirements of society and its comprehensive development, or it should be so, whenever possible.

In our present time, we are witnessing the super abilities of the advanced technologies in providing man with welfare. Meanwhile, we are paying much attention towards following up the great theoretical discoveries in mathematics, physics, astronomy, chemistry, biology and other basic sciences. This urges us to say that there is a "new paradigm" born already and has begun to grow and develop since the beginning of this decisive century known as *"The Millennium of Knowledge."* This paradigm features two important correlative characteristics, namely knowledge and the skill required in application. These two represent a basic rule for developing both man and society. It has become unacceptable for performance, in any field, to be based on form rather than content or vice versa. Moreover, it would be too dangerous for the technical skill to represent a specialty without any grounds based on knowledge and science. This is expressed, in the English culture, as *"The Know – how is becoming (how) without knowing."*

With regard to the above, the specialists consider that education is the thermometer with which they can measure the efficiency and interaction between those two characteristics: knowledge and skill. This is with the aim of reaching an appropriate level of quality and ability to stand in competition. This is because the challenges of the local and international market require the best cognitive and technical abilities in order to apply the new methods produced by various technologies, especially the most sophisticated ones.

There is no doubt that the educational and informational institutions are greatly required to play an enlightening role in shedding light on such concepts and their significance in achieving the real link between sound scientific thinking and civilizational development of society in all the vital fields.

However, let this be based on an academic teamwork representing the source of disseminating the Islamic culture. By doing so, we shall be taking a step forward towards achieving the Islamic unity we long aspire.

Indeed, every significant book, which tackles one of the aspects of the Islamic thinking, works on deepening and reinforcing the Islamic unity, through what it contains of facts representing the solid bricks on which the Islamic attitude shall be built. Nevertheless, every writer should avoid entering into what has been repeated by the formers of ideas and thoughts calling for dispute and difference. What makes me say so is that the political parties, in the past, needed opposing directions and attitudes that would satisfy the rulers. By contrast, in the present, such a need for different opinions exists no more. Stated differently, Islam is returning to its first source flowing in the rivers of the Heavenly-Revealed Book and the rills of the Prophetic *Sunnah*.

I see, with Allah's Favor, some signs that make me very hopeful that a scientific cooperation is at hand. This is due to the sincere intentions that do not require except diligent work and ongoing activity to be fulfilled. Let me conclude with Allah's Words in which He says:

{Our Messenger has already come up to you, making evident to you many things you have been concealing of the Book, and he is clement about many things. A light has already come up to you from Allah, and an evident Book. Whereby Allah guides whomsoever closely follows His Divine satisfaction in the ways of peace, and brings them out of the darkness(es) into the light by His permission, and He guides them to a straight path.}

[Al-Mâ'idah (The Table): 15-16]

*The Scientific Thinking Is an Intellectual Need and a Civilizational Necessity
By: Dr. Ahmad Fou'ad Pasha

The term "scientific thinking" and its relation with the development of societies is acquiring increasing importance, especially after the huge knowledge explosion that have changed many of the thinking methodologies and behaviors of man, and after science, with its theories and applications, has stepped in the various fields of the human activities. Allah, Exalted be He, says:

{And He taught Adam all the names.}

[Al-Baqarah (The Cow): 31]

Here, Allah has honored humans when He has distinguished them with the knowledge of the names of everything. This was the first intellectual behavior on the way of knowing things. Thus, it will not be surprising for man to start utilizing other cognitive faculties – granted to him by Allah – in order to acquire knowledge and experience. Indeed, intellect comes on the top of the pyramid of these faculties; Allah, the Almighty, says:

{And Allah brought you out of your mothers' bellies not knowing anything, and He has made of you hearing and beholdings (i.e., eyesight) and heart-sights, that possibly you would thank (Him).}

[An-Nahl (The Bee): 78]

That is why Allah, Exalted and Glorified be He, has held us responsible for using the tools of thinking and means of knowledge which He has granted us. This is stated in His Verse that says:

{Surely hearing and beholding and heart-sight, all of those shall be questioned of.}

[Al-Isrâ' (Night Journey): 36]

---

* An article published (in Arabic) at Al – Azhar Magazine

The Islamic Culture Is an Original Tie!!!

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

What should we do about our present culture in which there are countless writings and compilations in every area tackling the problems of the Islamic world and no one can read them but those who speak the same language in which these compilations and writings are written? This is despite the fact that such works may benefit all the Muslims everywhere.

Today, thank Allah, there are numerous Muslim thinkers and each one of them writes what he/she sees on Islam. After that, discussions are held with the aim of reaching enlightening ideas. Back to the same questions: Will every writer keep writing his/her Islamic concerns to only the people sharing his/her the same language? This means that many others will not be able to benefit from the fruits of such works because they simply do not understand the language. Here, we have to think about translation which will allow these ideas to move and travel to all Muslims everywhere. We actually know that there have been individual efforts exerted in this field. Such efforts – though deserving to be thanked greatly for what they have presented – are not enough, for we want to direct much attention towards disseminating the contemporary Islamic culture in all the languages of Islam. Rather, there has to be a governmental, official effort in this field in order to impose itself on the academic arena. To that end, there are many institutions and colleges, so we may assign a beneficial message for each of them. That is, each of these colleges and institutions may choose, every year, those books known for their originality and creativity and assign their translation to its teaching staff to undertake translating

them into another Islamic language. After that, the colleges and institutions may exchange these translations the same as they do with the academic theses. By doing so, we shall be able to circulate more than ten books every year. This is because our universities in Tehran, Ankara and Cairo pay interest to what is known as "Oriental Languages" without giving this interest any Islamic message that should be delivered. Hence, such selected works will attract the attention of readers for two reason: First, the author is a great character in his/her country and, second, the faculty, undertaking the translation, directs much importance to new, beneficial works. This effort should also be accompanied by the issuance of an annually magazine referring to the selected books, the languages into which they are translated, and the distribution places.

Through such a close scientific cooperation, we shall be able to read what has been written in the Islamic studies on a wide scale. Moreover, this shall safe tremendous efforts; for example, when a professor thinks about making a research on a crucial subject, then he/she finds that the same subject has already been conducted by another colleague in another language and that such a research has been translated in the same language this professor intends to write his/her research in, therefore, he/she will choose another new subject without useless repetition or waste of time.

I know a number of books, on *Sharî`ah* (Islamic Law) by the scholar Muhammad Abu Zahra, that have been translated into numerous languages. Additionally, I know books written by the most prominent among the Muslim non-Arabic scholars that have been translated into Arabic, so they have enlightened the aspects of thinking surrounded by darkness. So let those who can translate exert their efforts and contribute by translating the scientifically useful works.

I call here President Rajab Tayyip Erdogan not to seek joining the European Union, ignore its member countries and cooperate with his brothers in the Group of Eight and the Islamic Conference in order to contribute with them in establishing the Islamic Union. Let him abide by the Noble Verse in which Allah, Exalted be He, says:

{And (suffer) yourself to (endure) patiently with the ones who invoke their Lord in the early morning and nightfall, willing to seek His face, and do not let your eyes trespass away from them, willing (to gain) the adornment of the present life.}

(Al-Kahf (The Cave): 28)

Although, the European union countries agreed to Turkey to join their union, all indicators refer that the European Union members will cause Turkey to enter a long dark tunnel. The reason behind saying so is that the negotiations with Turkey shall involve thirty-five fields, including agriculture, economy and society, and it has to achieve certain ratios that please the members of the Union, and thus it may get the final approval. A long way, but may Allah help it!

them instead of disseminating justice, helping the week and supporting the poor.

Nevertheless, from beyond the dark cloud covering the Islamic world there comes a beam of light that owes its source to Europe itself. This light clarifies the way in front of whoever seeks the truth. For more illustration, a Swedish journalist called Maylin Send Kist has declared her embracement of Islam after she has been guided by Allah. She states that Islam is the only religion that deserves to be embraced and that it is the source of tranquility for the soul. Moreover, Maylin has said that she finds her needs and all that she has been searching for in Islam. She tastes the feeling of tranquility and peace of the soul when she repeats, *"There is no deity but Allah and Muhammad is the Messenger of Allah."* Maylin considers Islam as the saving boat. After embracing Islam, she has decided to put on veil and said, "Now I can go my way with no molestations as this wearing has cast away from me all devils." Maylin married a Muslim journalist, and she gave birth to two daughters. She keeps on instructing them the teachings of Islam since their very young age. Maylin visited Egypt in 2004 where she stayed for nine months. After her return, she wrote in the Swedish newspapers to say that verily Allah honored the humans and revealed them Devine Books to liberate them from being slaves to other than Him in all their affairs.

Thus, the Muslims should keep in mind their glory and power when they were joined never fearing any power whatever it might be. Let their slogan be the Noble Verse that state:

{And do not feel feeble, neither grieve; and you are the most exalted, in case you be believers.}

(Al-`Imrân (The Household of `Imran): 139)

have a similar position in the Middle East where they are considered among the biggest countries in this area in terms of the demographic, economic and military criteria. In this respect, the visit paid by President Mohamed Hosni Mubarak to Ankara, on 11 February 2004, gained a strategic significance throughout the Middle East regarding the status quo resulting from the US occupation of Iraq as well as its consequences on the security and stability in the whole area. Both Turkey and Egypt, in participation with the neighbors of Iraq, tried as far as they could to prevent the American war launched against Iraq. Not only that, they have continued to coordinate with each other through meetings even after the American occupation in order to reach a solution for the crisis. The last of these was the meeting held in Kuwait. Unquestionably, the obvious aim of the two countries focuses on maintaining the unity of Iraq and its regional stability and rejecting the idea of dividing the Iraqi lands.

Besides, the two countries are members in the Group of Eight, which includes – in addition to them – Iran, Pakistan, Bangladesh, Indonesia, Malaysia and Nigeria. Yet, there is another stronger tie joining them, i.e. their participation in the Organization of the Islamic Conference (OIC).

More ever,TURKEY is trying to coordinate its attitudes and approaches with Syria. Among the good results of this brotherly efforts comes the visit of President Bashshar Al-Assad to Turkey in January 2004.

It is well-known that, TYRKEY since a long time, has been seeking to join the European Union, but, , its trials have been met with procrastination and even opposition and evasion. Many of the member countries in the European Union attribute their refusal to that all

the members of the Union embrace Christianity and that they do not want an Islamic country to join them. In addition to, Angela Merkel, the leader of the Christian Democratic Union (CDU) in Germany as well as the rival of the German chancellor Gerhard Schröder,and lastly the chan cellor of Germany made it a principle of her party to keep Turkey away from joining the European Union on the basis that she refuses an Islamic country to join the Union. This reason has been witnessed in preventing Turkey from joining the Union in every time it tries to join it. Sometimes, the reason is hidden under the claim that Turkey must first acknowledge Cyprus as an united state, albeit those countries know well that this is quite impossible as the rights of the Islamic part of Cyprus will be totally consumed in case such an arbitrary acknowledgement is given.

All that has been mentioned above explains why Turkey has lost its patience due to the evasions and maneuvers of the members of the European Union. Recently, the Turkish Prime Minister has declared that his country has no intention to offer any other concessions as conditions for joining the European Union.

Contemplating this matter deeply clarifies how far the Christian West practices fanaticism against Islam and Muslims and that it hates and fights this religion to the extent that it cannot hide that. The claims of the Western members seem true, yet, in their essence, they are nothing but false.

It seems to me that this is the darkest era experienced by Islam and Muslims, for wars are disguisedly launched against Muslims under sly excuses. Even the most powerful country in the world opposes

AL-AZHAR MAGAZINE
Shawwal, 1426 A. H.

ENGLISH SECTION
November. 2005

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

Why All That Obstinacy?
By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Understanding the facts of Islam and its essence are among the political attitudes distinguishing the Turkish party of Justice and Development, presided by the Prime Minister Rajab Tayyip Erdogan. The party is also distinguished by its active tendencies that estimate every situation. This has been expressed by foreign minister Abdullah Gul during the Asian Economic Summit held in Thailand. He said that the Islamic community has the ability to change and cope with modernity. Obviously, this was witnessed through the attitude adopted by Turkey concerning the American invasion of Iraq. The USA assumed that Turkey, despite being a Muslim neighbor to the Muslim country of Iraq, would offer whatever facilities demanded by the US Administration, such as dispatching brigades of the Turkish forces to support the troops of what is called as 'Coalition Forces,' not to mention allowing the planes of the US air forces to pass across the Turkish airfields to transport military equipment, as well as allowing the American troops to be deployed over the Turkish lands. Contrarily, the reply of the Turkish parliament banished such fancies, for its decisive attitude expressed the essence of Islam strictly prohibiting fighting against Muslim brothers to satisfy the will of non-Muslims who have no real causes so that they might be supported in such fighting. Then, there comes the Turkish role of offering constructive attempts to extend bridges with the Arabic Islamic world, such as improving and strengthening relations between Turkey and Egypt. Both of these two countries are tied with the relations of brotherhood and religion. In addition, both of them

الفهـــرس

بسم الله الرحمن الرحيم

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

المشرف العام

الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً - الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً

أوروبا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

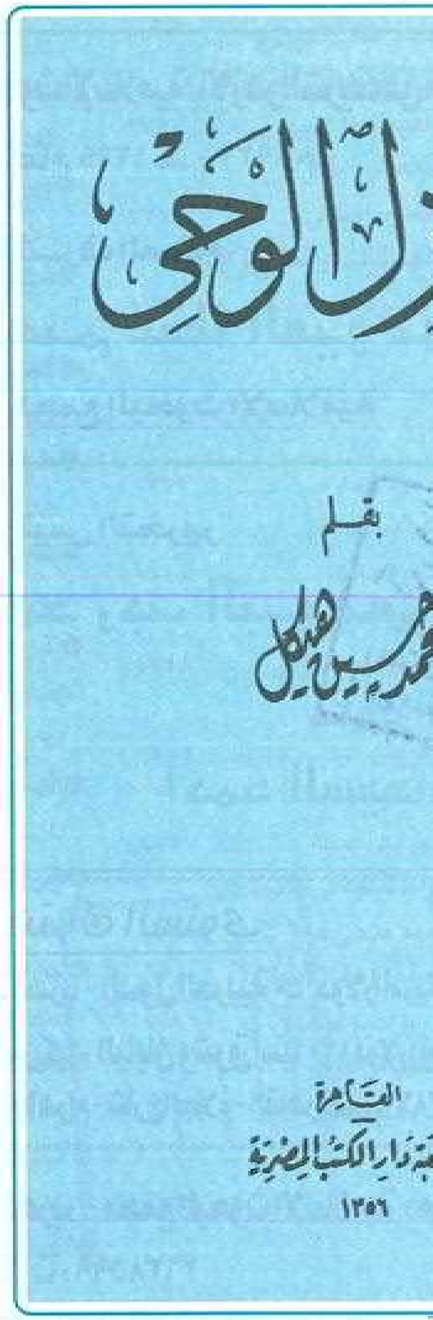
المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

ذى القعدة ١٤٢٦هـ - ديسمبر ٢٠٠٥م - الجزء الحادى عشر - السنة الثامنة والسبعون

افتتاحية العدد

قراءة فى كتاب:



قرأت ما وقع تحت يدى من كُتُب الرحلات الخاصة بزيارة الحجاز، لحجّ البيت الحرام ورؤية قبر الرسول، قرأتُها بشغف زائد لجلال موضوعها، ولكننى أقرّر فى صدق أنى لم أجد كتابًا ملك علىّ مشاعرى، واستحوذ على تفكيرى أثناء مطالعته ككتاب «فى منزل الوحى» للدكتور محمد حسين هيكل، وقد مضى على تأليفه خمسةٌ وستون عامًا ولا يزال بريقُه الخالب يجذب إليه المثقفين من القُرَّاء فى حبٍّ واندفاع، حتى إنهم يصحبُوه معهم فى رحلة الحج المباركة، مكتفين به عن سواه، والدكتور هيكل من كبار الأدباء فى العالم العربى، وله نفوذُه الأدبى الكبير بما أبدع من آثار خالدة، أهمها فى رأيى كتاب «حياة محمد» ويليه كتاب «فى منزل الوحى»، وإجماعُ المستنيرين على عظمة هذين الكتابيْن الخالديْن لمْ يمْنع نفرًا من المعارضين أن يواجهوهما


محمد حسين هيكل

بالنقد، وهذا شىءٌ طبيعى لأنّ الكتاب المؤثر هو الذى يُحدث صدى رنانًا بين القراء والنقاد، ولكنّ من المؤسف أن يقوم ببعض النقدات مَنْ لا يرتفع بترهته إلى مستوى النقد، وقد يكون مُبْتدئًا فى الدراسة المنهجيّة، بحيث خُيِّلَ له أنّ درجة الماجستير أو الدكتوراة تُتيحُ له أن يرتقى إلى مستوىً لا يبلغه ناشىءٌ مثله! ومع ذلك يتحدث عن المؤلف وكأنه باحثٌ فى مستواه، وهو لا يَسْتطيعُ إدراك مراميه، والناقدُ الأصيل قبل أن ينقُد كاتبًا ما. عليه أن يعرف اتجاهَهُ الفكرى، فيُصَوِّرهُ للقارئ بحدُوده الفاصلة، فإذا خالفه فى شىء فهى مخالفةُ اتّجاه لاتجاه، لكُل منهما أشياعه ومؤيدوه، أما أن يتَصيَّدَ الناقد ما يخرج عن اتجاهه المحدود، زاعمًا أنّ ما يقوله وحده هو الصواب فَطُفُولةٌ ساذجة لابدّ أن تتبعها شبيبةٌ عاقلة!. والمذاهب الإسلامية فى التشريع والعقيدة لا تكتفى عند رأى واحد، فيما سوى التوحيد والرسالة، ومؤرخو هذه المذاهب يَعْرضونها كما يراها أئمتها تاركين للقارئ أن يختار منها ما يصادف من نفسه موضع الارتياح!. وهذا شأن أهل العلم من القديم.

وشىءٌ آخر ألفتُ النظر إليه، هو اعتقادُ الناقد الناشىء أنه وحده المُصيب، وأن من يُوجهُ إليه النقد قد خرج عن المتعارف عند أهل العلم، وهذا غرورٌ لا حدّ له، قد يصل بصاحبه إلى دَعْوى أنه هو الذى يفهم الإسلام الصحيح، وكان عليه أن يعلم أن تلاميذ محمد عبده الذى جَعل الدكتور هيكل من بينهم لا يَقلُّونَ إخلاصًا للدين، وحمية للعقيدة، وآثارهم العلمية هى التى شرفت الكتاب الإسلامى وجعلته ذا اعتبارٍ ملحوظ لدى من لا يتدينُون بالإسلام، وهذا كسبٌ للدين، لأنّ الذى يكتُبُ ولا يُضيفُ قارئًا جديدًا لدينه ما هو إلا ناسخٌ يُرَدِّدُ ما قيل، وليس المهم أن يعتنق القارئ الجديد الإسلام، بل المهم أن يعرف أنَّه دين الحرية والكرامة والمساواة، وليس كما يزعم المُرْجفُون.

بعد هذه المقدمة التى كشفت بها عَمَّنْ نقدوا كتاب «فى منزل الوحى» دونَ سعَة رَحْبة فى استماع الرأى المخالف، وتقديره حقّ قدره، أقول: إنّ أولَ ميزة لهذا الكتاب من رحلات الحجاز المتعدِّدَة، أنّ المؤلف ينقلُ عن ذات نفسه أولاً، فهو يرى ويفكر ويعلل، ثم يخلُو إلى راحته الهادئة، فيستعرض كل ما شاهده ويتخيله شاخصًا أمام عينه، فيفحص ما دق من سماته، ويُعللِ ما انطبع عليه من الملامح، ويتغلغل إلى ما خفى من بواطنه حتى إذا تمّ له ذلك كله، جرَّدَ القلم لينقل عن صدره ما انتهى إليه من رأى، ينقله فى بيان



إبراهيم رفعت

مستطاب ينحدر أمام عين القارئ كما ينحدر الماء من أعلى القمة مائراً جائشًا حتى ينتهى إلى المصب، وإذا كان من وراء ذلك كله أسلوبٌ منسجم مطرد، فقد بلغ البيان بصاحبه مرتبة الإبداع الفنىّ، حتى ليستحيل شعراً فى مواقف الروعة، حين تنفعل العاطفة بمشهد غار حراء، أو قبر الرسول، أو ضريح حمزة، بل حين تنفعل بمشاهد الحجيج فى الطواف والسعى على جبل عرفات، وعند رمى الجمار! وكأنى بالمؤلف حينئذ لا يصف ما شاهده، بل يصف نفسه فيما شاهد وعاين، ولذلك يظلّ كتابه فريداً فى بابه، لأنّ كتُبًا قيِّمة ككتُب «إبراهيم رفعت» و«محمد لبيب البتانونى» و«شكيب أرسلان» قد تبلُغ مبلغًا حسنًا فى تصوير الرحلة المؤمنة، ولكنّ بعضها يغنى عن بعض، لأنّ المعلومات الأثرية معروفة بالسماع والقراءة لدى من لم يشاهد ويرحل، وحين يسجلها غير الدكتور هيكل إنما يكتب تاريخًا يشفعه ببعض التعليقات النافعة، والاقتراحات السديدة، أما الدكتور هيكل فإنّ عاطفته قد لوّنتْ المشاهد والأحداث والمواقع بلون ذاتى أضفى الجدّة القشيبة على كلّ ما سطّر، لذلك أقول صادقًا، إن كتاب «فى منزل الوحى» لن يُغنى عنه سواه، فى حين قد يُغنى فى كثير من تحقيقاته عن سواه. فليس لنا به من حاجة!.

هذا الإحساس الباهر الذى يحسُّه الناقد المحايد بجلال هذا الكتاب الخالد بموضوعه ومؤلفه معًا!! لم يكن يستشعره المؤلف نفسه، لأنّ إحساسه بعظمة المكان وساكنيه جعله يُعدِّد ما كتب دون ما يأمل، وأنك لتلمس ذلك فى قوله المتواضع: «وليس هذا الكتاب مرجعاً من مراجع التاريخ، ولا شىء فيه من تقويم بلاد العرب، وإنما هى وقفات وقفتها فى بلاد الوحى ومنزله أستوحىْ فيها مواقف محمد بن عبدالله، وهناك فى هذه المواقف تجرّدتْ نفسى وسمتْ روحى، وكرّرتُ بالعصور والقرون أطويها، ورحْتُ أتمثّل هذا الهادى الكريم، وأتمثّل المسلمين من حوله، ألتمسُ فى ذلك الأسوة والعبرة آملاً أن أُشرك فيهما إخوانى المؤمنين بالله، وبما جاء من عند الله، ولم أتقيد فى هذه المواقف بما جاء فى كتاب غير كتاب الله الكريم، ولم أُخضعْ تفكيرى لحكم غيرى، وما كان لى أن أخضعه. فقد كنت فى كثير من هذه المواقف أحسّ أنّنى بين القوم أسمع وأرى، وأتمنى لو كنت أجاهد معهم، فأفوز فوزاً عظيماً، وما كاد لى أن أفعل ثم أخدع نفسى، فأزعم أنى

الأزهر



شكيب ارسلان



محمد مصطفى المراغى

إذْ أُحدِّثُ الناس إنما أقُصُّ عليهم ما رأيته، وما أحسسْتُ به، فى حين لا أقُص إلا ما رآه غيرى، وما سبقنى إلى تسطيره، لقد تركتُ نفسى على سجيتها تتوجهُ بوحْى روحى، وتستلهم الحق مما حولى، وتستعرض ما تستلهمه على حكم عقلى، وتقرير ضميرى، ثم سطرت ما اجتمع من ذلك لا أبغى به إلا رضا الله»(١).

هذا ما قاله الدكتور هيكل، وقد تواضع كثيراً حين قال: ليس هذا الكتاب مرجعًا من مراجع التاريخ، ولا شىء فيه من تقويم بلاد العرب، وحين قال: إنى لا أقُص إلا ما رآه غيرى وما سبقنى إلى تسطيره، لأن الكتاب بواقعه المشهود مرجع من مراجع التاريخ، وإنّ المؤلف لا يقُص ما قصه غيره فحسب، بل يزيد عليه بما برع فيه من إحاطة، وأحسن من تعليل، وأبدع من تصوير، وبما زاده هذا قدْ حفظَ للكتاب مكانه الجهير بين كتب الرحلات، وأصبح لزامًا على كلّ من يحاول أن يكتب رحلة مكّيّة جادة أن يستوضحه ويستهديه، محاولاً أن يبلغ مستواه.

وما أحب أن أسلُك المنهج التقليدى فى عرض الكتاب، فأقولُ أنه مُقسَّم إلى ستّة أبواب، بين المقدمة والخاتمة، فيتحدث الباب الأول عن عزم السفر، وما بين المرفأين والعمرة بمكة ووقفة عرفات وأيام التشريق، ويتحدث الباب الثانى عن مكة الحديثة وابن السعود فى مكة، والجمعة فى الحرم، ومشهد الكعبة، وآثار مكة، وغار حراء، وغار ثور وظاهر مكة، ويتحدث الباب الثالث عن الطائف وطريقها وبادية الطائف وأسواق العرب، ويتحدث الباب الرابع عن طواف الوداع وطريق المدينة ووحى البلدة المنورة، كما يتحدث الباب الخامس عن المسجد النبوى والمدينة الحديثة، وآثار المدينة، وجنّة البقيع، وقبر حمزة، والحُجرة النبوية الشريفة، وظاهر المدينة، وزيارة الوداع، والباب الأخير يتحدث عن أوبة الرضا وبدر وشهدائها!. وقد يرى القارئ فى رؤوس الأبحاث هذا الاتجاه الشامل لتقصى كل ما بالربوع الطاهرة وما حولها من أحداث وذكريات تقَصِّيًا لا يدعُ غلّةً لظامئ، ولكننى لا أرى عرض الأبواب بهذا الإيجاز، بل لا أرى

(١) فى منزل الوحى ص ٢٠.

تلخيصها إذا اتسع المجال بِمُغْنٍ فتيلاً عن الولوج إلى منعرجات الكتاب، لأن كل باب من هذه الأبواب يُعْطى النفس المفكرة والروح الشاعرة ما تشاءان، فإذا كان حظّ النفس المفكرة هو التحقيق فى عالمى الزمان والمكان بحثًا ودرسًا واستنباطًا، فإن حظ الروح الشاعرة هو التحليق فى آفاق الكون الأعلى، والإصغاء إلى نبضاته الدافقة بالنغم العذب، وإلهامه بالحنين المذيب، والاستشهاد على ذلك كلّه مجهد شاق فى مثل هذه الأوراق. ولكنى أفضل للقارئ مشهدًا يهزه ويشجيه هو مشهد الحجرة النبوية الشريفة حين يقدم عليها الزائر المشوق لأول مرة بعد أن قرأ عنها الكثير وعرف عن طريق الاطلاع ما يظنه مغنيًا عن السماع، أجلْ إنه قرأ ما قرأ من قبل وعرف ما عرف فى هذه القراءة، ولكنه حين أتى للمشاهدة الروحيّة المؤمنة أحسّ شيئًا عظيمًا فوق ما قرأ واستوعب، يقول الدكتور هيكل ونعم ما قال:(٢)

«لقد كنت أحسب أنى لن أرى فى طريقى غير ما أعرف، لكننى ما لبثت حين تقدمت فى المسجد خطوات، فاشتملنى شفقه الرهيب، أن نسيتُ ما كان فى ذهنى من صورة المسجد مما اطلعت عليه، فها أنذا أواجه الحقيقة ذاتها، أشهدُها بعينى، وألمسها بجوارحى، وما عسى أن تغنى الصورة عن الحقيقة أو يغنى الخيال عن الحس، انجابت الصورة وانجاب الخيال، وسرتُ مأخوذًا نحو الحجرة بما حولى، امتدت عن يسارى غابةٌ ضخمة من العُمد البديعة الصقل، وهبط من نوافذ المسجد الرفيعة عن يمينى ضوء لم يحجب الأشعة المنبعثة من مصابيح الكهرباء، منبسطة على السجاجيد الثمينة الّتى نسير عليها، ومع ذلك لم يشخص بصرى إلى العمد، ولا ارتفع إلى النوافذ ولا استقر على السجاجيد، بل سرت مندفعاً أمامى كاسر الطرف خشوعاً ورهبةً، ممتلئ القلب من حياة الرسول الكريم، تتواتر فى نفسى دِراكًا مواقف العظمة والجلال منذ بعثه الله نبيًا حتى اختاره للرفيق الأعلى، ثم تقف النفس عند هذا المكان الذى أخطو فيه، والذى خطا فيه ﷺ مقامه بالمدينة، والذى شهد أمر الله ووحيه إلى نبيه ووقوف المسلمين الأولين حافّين من حوله، ما جعلنى أنسى كل شىء إلا هذه المواقف التى غيرتْ وجه العالم بعظمتها.... أقمتُ مكانى هُنَيْهَةً شاخصًا إلى هذه الحجرة مأخوذ الذهن عن التفكير، وكأننى فى حضرة تلك أؤدى مراسم الإجلال والإكبار، بل كان الموقف أكبر من حضرة

(٢) فى منزل الوحى ص ٤٢٧.

ملك، لقد لقيت ملوكًا وتحدثت إليهم، فلم أجد للُقياهُم مثل هذه المهابة، ولا امتلأت نفسى أمامهم بشىء من الإكبار. ولم أشعر بشىء من الجلال الروحى الذى أخذَ على تفكيرى المسالك. أشهد لقد كنت فى حيرة، ماذا أصنع؟».

لقد امتد حديث الدكتور هيكل صفحات حول هذا الموقف فهل أستطيع الاستشهاد بفحواه كله؟. إن فى الكتاب صفحات تنفح بمثل هذا العبير!. وسأضطر إلى تجاوزها، ولكنى لا أنسى رهبتى وأنا أقرأ ما كتبه الدكتور تحت عنوان: «على قبر حمزة»، حيث بدأه بهذا الوصف الرائع(٣).

اخشع فأنت هنا أمام عرين الأسد، وهذه الجبال والأودية مما حولك كلّها مجاله، فيها كان يصول ويجول، وأثناءها كان يصيح بفرائسه من شجعان قريش، فإذا بها تنهدُّ إلى الأرض رُعْبًا وفزعًا، هذا جبل أُحُد أمامك، وهذا جبل سلع من خلفك، وهذا وادى قناة يجرى بينهما، وهذه البساتين تمتدّ ها هُنا وهناك عن يمين وشمال، وراء هذا المهمة التى ظل خلاءً من هيبته صاحب العرين، ما لى أراكَ الآن حاسر الرأس خاشعًا، وما يبكيك؟. أتُراك كأهل هذه المدينة لا يبكون فقيدًا لهم إلا بَكوا قبله حمزة أسد الله وأسد رسوله؟! أم تُراك اذكرت مصرعه على مقربة منك، وهذا دمه الزكى تتراءى لعينيك فى كل قطرة منه، معانى النبل والكرامة والاستبسال؟! فأنت تبكى لهذه الخصال، غالَها وحشىٌ فى غير مصاولة أو مبارزة؟!. ابكِ ما طاب لك البكاء، وتمثل من صفات حمزة وشممه وإقدامه وإيمانه وسُمُو نفسه ما شئت، فما أنت ببالغ من بكائك إلا ما يزيدُكَ شوقًا إلى هذا القبر، تعودُ إليه لتقف عنده فتبكى صاحبه، الذى صُرِعَ لا كما تُصْرَعَ الأبطال فى ميدان القتال، بل كما يُغتال الكرام فى حلك الظلام».

يتبـــع

د./ محمد رجب البيومى

(٣) فى منزل الوحى ص ٥٢٧.

تفسير سورة آل عمران

قال تعالى:

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْءَاخِرَةِ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ﴾

الآيات: ٨٤ : ٨٥

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قوله ﴿ وَالْأَسْبَاطِ ﴾ جمع سبط وهو الحفيد، والمراد بهم أولاد يعقوب - عليه السلام - وكانوا اثنى عشر ولدا قال - تعالى -

﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾

الأعراف/ ١٦٠

وسموا بذلك لكونهم حفدة إبراهيم وإسحاق - عليهم السلام - والمعنى: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لأهل الكتاب الذين جادلوك بالباطل وجحدوا الحق مع علمهم به، قل لهم ولغيرهم ﴿ ءَامَنَّا بِاللَّهِ ﴾ أى آمنت أنا وأتباعى بوجود الله ووحدانيته، واستجبنا له فى كل ما أمرنا به، أو نهانا عنه.

وآمنا كذلك بما ﴿ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ من قرآن يهدى إلى الرشد، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم.

وآمنا أيضاً بما أنزله الله ـ تعالى ـ من وحى وصحف على:

﴿ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ﴾

وآمنا ـ أيضا ـ بما آتاه الله ـ تعالى ـ لموسى وعيسى من التوراة والإنجيل وغيرهما من المعجزات، وبما آتاه لسائر أنبيائه من وحى وآيات تدل على صدقهم.

﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾

أى لا نفرق بين جماعة الرسل فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل أهل الكتاب، إذ فرقوا بين أنبياء الله وميزوا بينهم وقالوا ـ كما حكى القرآن عنهم ـ

﴿ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ﴾

النساء/ ١٥٠

وهم فى الحقيقة كافرون بهم جميعاً، لأن الكفر بواحد من الأنبياء يؤدى إلى الكفر بهم جميعاً، ولذا فنحن معاشر المسلمين نؤمن بجميع الأنبياء بلا تفرقة أو استثناء.

﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾

أى خاضعون له وحده بالطاعة والعبودية. مستجيبون له فى كل ما أمرنا به وما نهانا عنه. فالآية الكريمة تأمر النبى ﷺ أن يخبر عن نفسه وعمن معه بأنهم آمنوا بالله وبكتبه وبرسله جميعاً بدون تفرقة بينهم، لأنها شرائع الله ـ تعالى ـ التى أنزلها على أنبيائه، كلها مرتبط بعضها ببعض، وكلها تتفق على كلمة واحدة هى إفراد الله ـ تعالى

ـ بالعبودية والطاعة .

قال صاحب الكشاف : فإن قلت : لم عدى أنزل فى هذه الآية بحرف الاستعلاء ﴿ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ﴾ ، وفيما تقدم من مثلها ـ فى سورة البقرة ـ بحرف الانتهاء ؟ ﴿ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾ قلت : لوجود المعنيين جميعاً ، لأن الوحى ينزل من فوق وينتهى إلى الرسل ، فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر .

ومن قال إنما قيل هنا ﴿ عَلَيۡنَا ﴾ لقوله ﴿ قُلۡ ﴾ وقيل هناك ﴿ إِلَيۡنَا ﴾ لقوله ﴿ قُولُوٓاْ ﴾ تفرقة بين الرسل والمؤمنين ، لأن الرسول يأتيه الوحى على طريق الاستعلاء ، ويأتيهم على وجه الانتهاء ، من قال ذلك تعسف . ألا ترى إلى قوله :

﴿ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ البقرة / ٤

وإلى قوله :

﴿ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾

آل عمران / ٧٢[1]

وخص هؤلاء الأنبياء الذين ذكرتهم الآية بالذكر ، لأن أهل الكتاب يزعمون أنهم يؤمنون بهم ويتبعونهم ، فأراد القرآن أن يبين لهم أن زعمهم باطل ، لأنهم لن يكونوا مؤمنين بهم إلا إذا آمنوا بمحمد ﷺ .

وقوله ـ تعالى ـ ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ ﴾ بيان لثمرة الإيمان الحق الذى رسخ فى قلوب المؤمنين وعلى رأسهم هاديهم ومرشدهم محمد ﷺ ، لأن هذا الإيمان الحق جعلهم يصدقون بأن رسل الله جميعا قد أرسلهم ـ سبحانه ـ بالدعوة إلى توحيده وإخلاص العبادة له ، وإذا وجد تفاضل أو اختلاف فهذا التفاضل والاختلاف يكون فى أمور أخرى سوى الإيمان بالله وإفراده بالعبودية ، سوى ما اتفقت عليه الشرائع جميعها من الدعوة إلى الحق وإلى مكارم الأخلاق . وقد جاءت رسالة محمد ﷺ خاتمة للرسالات ، وجامعة لكل ما فيها من محاسن فوجب الإيمان بها ، وإلا كان الكفر بها كفراً بجميع الرسالات السابقة عليها .

وقوله ﴿ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ يفيد

(١) تفسير الكشاف جـ ص٣٨١

الحصر ، نحن له وحده أسلمنا وجوهنا ، وأخلصنا عبادتنا . لا لغيره كائنا من كان هذا الغير .

وهذا يدل على أنهم بلغوا أعلى مراتب الإخلاص والطاعة لله رب العالمين .

ثم بين ـ سبحانه ـ أن كل من يطلب دينا سوى دين الإسلام فهو خاسر فقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴾

أى : ومن يطلب دينا سوى دين الإسلام الذى أتى به محمد ـ ﷺ ـ فلن يقبل منه هذا الدين المخالف لدين الإسلام ، لأن دين الإسلام الذى جاء به محمد ، هو الدين الذى ارتضاه الله لعباده قال ـ تعالى ـ

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾

المائدة / ٣

ولأنه هو الدين الذى ختم الله به الديانات ، وجمع فيه محاسنها .

أما عاقبة هذا الطالب لدين سوى دين الإسلام فقد بينها ـ سبحانه ـ بقوله :

﴿ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾

أى وهو فى الآخرة من الذين خسروا أنفسهم بحرمانهم من ثواب الله ، واستحقاقهم لعقابه جزاء ما قدمت أيديهم من كفر وضلال .

وفى الحديث الشريف «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»[2] أى مردود عليه ، وغير مقبول منه .

وفى الإخبار بالخسران عن الذى يبتغى أى يطلب دينا سوى الإسلام ، إشعار بأن من يتبع دينا سوى دين الإسلام يكون أشد خسرانا ، وأسوأ حالا ، لأن الطلب أقل شراً من الاتباع الفعلى .

***

(٢) البخارى ٣/ ٩١ ، ٩/ ١٣٢ .

السنة

الابتلاء بين النعمة والنقمة

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطى رضى، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة، وإن كان فى الساقة كان فى الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع» (رواه البخارى).

معانى الكلمات

(تعس): انكبّ على وجهه، أو بعد، أو هلك، أو شقى.

و(الخميصة): كساء أسود مربع له أعلام وخطوط. و(انتكس): عاوده المرض كما بدأ به، وانقلب على رأسه، فهو دعاء عليه بالخيبة، لأن من انتكس خاب وخسر.

و(شيك): أصابته شوكة. و(فلا انتقش): فلا خرجت شوكته بالمنقاش.

و(طوبى): اسم الجنة أو شجرة فيها. و(بعنان فرسه): بلجامها.

و(أشعث رأسه): اغبر وتلبد. و(إن كان فى الحراسة): حراسة العدو خوفا من هجومه.

و(الحراسة): مقدمة الجيش. و(الساقة) مؤخر الجيش.

التعريف بالراوى

هو عبدالرحمن بن صخر ـ رضى الله عنه ـ وسبب تكنيته بذلك ما رواه ابن عبدالبر عنه، أنه قال: كنت أحمل يوما هرة فى كمى فرآنى النبى ﷺ فقال: ما هذه؟ فقلت: هرة. فقال: يا أبا هريرة وفى رواية إسحاق. وجدت هرة حملتها فى كمى، فقيل لى: ما هذه؟ فقلت: هرة. فقيل: أنت أبوهريرة، ورجح بعضهم الأول، وقيل غير ذلك.

أسلم عام خيبر، وشهدها مع رسول الله ﷺ. ثم لازمه الملازمة التامة رغبة فى العلم،

راضيا بشبع بطنه، وكان يدور معه حيث دار، ومن ثم كان أحفظ الصحابة. وقيل: إنه طلب من رسول الله (ﷺ) أن يدعو له بقوة الحفظ فدعا له، وقد شهد له ﷺ أنه حريص على العلم والحديث. يروى عنه ـ كما قال البخارى ـ أكثر من ثمانمائة ما بين صحابى وتابعى، وله خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثا، اتفقا منها على ثلاثمائة، وانفرد البخارى بثلاثة وسبعين. وكان ملازما لسكنى المدينة، وبها توفى سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين عن ثمان وسبعين سنة، ودفن بالبقيع.

الشرح والبيان

هذا حديث عظيم الشأن، جليل القدر، يوضح تباين الناس فى تصورهم للدنيا والآخرة، لأن منهم من ينصرف إلى الدنيا بملذاتها وشهواتها، ومنهم من ينصرف إلى الآخرة بالعبادات والطاعات وفعل الخيرات ومنهم من يعمل للدنيا والآخرة. وإن الابتلاء للبشرية سنة من سنن الله فى خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا. قال تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾

البقرة (١٥٥ - ١٥٧)

وقال:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾

محمد (٣١)

وقال:

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

آل عمران (١٨٦)

ولكن الابتلاء قد يكون بالخير كما يكون بالشر، وقد أنشد الشاعر:

قد يبتلى الله بالبلوى وإن عظمت
ويبتلى الله بعض الناس بالنعم

وقد تناول القرآن الكريم هذا المعنى. قال تعالى:

﴿ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

الأعراف (١٦٨)

وقال:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾

الأنبياء (٣٥)

والمعنى: نبتليكم بالمصائب تارة، وبالنعم أخرى، لننظر من يشكر، ومن يكفر، من

يصبر، ومن يقنط، والمصيبة مقتضية للصبر، والنعمة مقتضية للشكر. والقيام بواجب الصبر أيسر وأسهل من القيام بحقوق الشكر، فالنعمة - إذن - أعظم البلاءين، وأصعب الاختبارين.

ومن ثم كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وهو الخليفة الأواب، الناطق بالصواب، الذى وافق حكمه حكم الكتاب - يقول: بلينا بالضراء فصبرنا، وبلينا بالسراء فلم نصبر، أى: لم نشكر.. فالمؤمن الحق هو الذى إن وافته النعمة شكر، وإن حلت به المصيبة صبر، فيستفيد فى الحالين معاً، ولذلك عجب رسول الله ﷺ من أمر المؤمن، فقال: (عجبا لأمر المؤمن! إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن إصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له) رواه مسلم عن صهيب ابن سنان - رضى الله عنه.

لهذا لا ينبغى لإنسان وسع الله له فى الرزق، وبسط له فى العطاء، - أن يعتقد أن بسط الرزق، وسعة العطاء إكرام من الله له، ولا ينبغى لإنسان ضيق الله عليه فى الرزق وقتر له فى العيش - أن يعتقد أن ضيق الرزق، وتقتير العيش إهانة من الله له، فالله - سبحانه - يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، يعطى ويمنع، يعطى من يحب ومن لا يحب، لكنه لا يعطى الدين إلا من أحب، فمن أعطاه الله - عز وجل - الدين فقد أحبه، أما الرزق فقد تكفل به - سبحانه - لكل مخلوقاته:

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾

هود (٦)

﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾

الذاريات (٢٢ - ٢٣)

فالله - عز وجل - يرزق المؤمن والكافر، والبار والفاجر، والصالح والطالح، والمحسن والمسىء والخير والشرير، وليس فى ذلك تكريم أو إهانة. ومن ثم جاء قول ربنا سبحانه:

﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴾

الفجر (١٥ - ١٧)

أى: ليس كذلك فى الحالين، فالعبرة بطاعة الله - عز وجل - وطاعته ماثلة فى الرضا بالقضاء، والصبر عند البلاء، فإن كان غنيا شكر، وإن كان فقيرا صبر، وتلك علامات الإيمان، فالإيمان - كما علمنا رسول الله ﷺ - أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومره.

فيا من بسط الله له فى الرزق، ووسع عليه فى العطاء، وأمده بالنفوذ والسلطان، وأنعم عليه بالذرية، اعلم أن الله - عز وجل - منحك تلك النعم، ليرى أتشكره عليها،

وتطيعه فيها، أم تشغل بها عنه، وتعتاض بها منه.

﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾

لقمان (١٢)

على أن نسيان ولى النعم يحمل الإنسان على الطغيان، والله - تبارك وتعالى - يقول:

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴾

العلق (٦ - ٨)

وإذا كان للمال بريق يلمع، وسراب يغر ويخدع، فإن للأبناء قوة تفتن، وتشغل. قال تعالى:

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

(الكهف ٤٦)

ويقول:

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

التغابن (١٥)

ولقد روى الترمذى عن عبدالله بن بريدة عن أبيه - رضى الله عنهما - قال: «رأيت النبى ﷺ يخطب، فجاء الحسن والحسين - رضى الله عنهما - وعليهما قميصان أحمران، يمشيان ويعثران، فنزل ﷺ فحملهما، ووضعهما بين يديه، ثم قال: صدق الله (عز وجل):

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾

نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما، ثم أخذ فى خطبته».

لهذا كان ﷺ يخاف على أمته أكثر ما يخاف من زهرة الدنيا، وبركات الأرض، لعلمه أن تفتح الحياة بألوان الخير، وصنوف النعم، وإن كان أمرا مفرحا فى ظاهره، لكنه مخيف فى حقيقته وباطنه، وكأنى به - وقد كشف الله له الغيب، وأزال أمامه حجب الزمان، فتحدث عن أحوال الناس فى هذه الأيام، فالله - سبحانه - يختبر عباده بما يفيض عليهم من النعم والخيرات، فمن شكر المنعم على النعمة حفظها له، وأدامها عليه، وبارك له فيها، وضاعف له الأجر والثواب فى الآخرة، أما من جحد النعمة، وأنكر فضل المنعم، واستغل النعمة فى المعصية - فإن الله - عز وجل يسلبها منه، ويضاعف له العذاب فى الآخرة، وفى هذا يقول رب العالمين - سبحانه -

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾

إبراهيم (٧)

فليس فى مقابلة الشكر إلا الكفر - أعاذنا الله منه.

فيا أخا الإسلام، إذا كنت فى نعمة فارعها

فإن المعاصى تزيل النعم، وما أصعب ـ على النفس ـ زوال النعم! قال تعالى:

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١٠) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾

هود (٩-١١)

وما قصة قارون وما قصة سبأ وما قصة غيرهما فى القرآن الكريم، ـ وهى كثير ـ إلا ضربا من ضروب التوجيه والتعليم والتذكير

﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

الأعراف (١٧٦)

روى مسلم عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال: (قال رسول الله ﷺ: إن أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا. قالوا: وما زهرة الدنيا؟ قال: بركات الأرض).

فلم يكن عجبا والحال هذا ـ أن يدعو رسول الله ﷺ بالتعاسة والشقاء والخسران على من استعبدته النعم تحت وطأة مطالبه، لأن الله ابتلاه بالنعمة، فنسى فضل المنعم، فهو يفرح بالعطاء، ويحزن للحرمان، وكان عليه ألا يفرح بما أوتى، وألا يحزن على ما فات، وعلامة شقائه وتعاسته الرضا بالعطاء، والحزن عند الحرمان، وهى حالة من النفاق، يقول الله تعالى:

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾

التوبة (٥٨)

ويوضح ذلك قوله ـ جلّ شأنه:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾

الحج (١١)

وإذا كان رسول الله (ﷺ) قد دعا على من استعبدته النعم - فنسى فضل المنعم - بالتعاسة والشقاء، فقد توعده الله باللعن والعذاب. قال تعالى:

﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾

عبس (١٧)

فيا من بدنياه اشتغل
قد غره طول الأمل
ولم يزل فى غفلة
حتى دنا منه الأجل
الموت يأتى بغتة
والقبر صندوق العمل

هذا ورب العالمين يأمرنا أن نقتدى بالنبى الكريم فى كل أحواله، وفى كل أمر ونهى صدر عنه:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾

الحشر (٧)

وقد روى الحاكم عن أم المؤمنين عائشة (رضى الله عنها) أن رسول الله ﷺ كان إذا أتاه الأمر يسره قال: (الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات)، وإذا أتاه الأمر يكرهه قال: [الحمد لله على كل حال].

وبالجملة فحيثما يكون إيمان، يكون ابتلاء، وعلى قدر الإيمان يكون البلاء. وفى الحديث ـ عند أصحاب السنن ـ عن سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ قال: (أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل)(١)

وروى الترمذى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله (ﷺ): (مايزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة)، وفى مسند الإمام أحمد (يبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان فى دينه صلابة زيد فى بلائه)، وعند الترمذى أيضا أن النبى (ﷺ) قال: [إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله (تعالى) إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط].

وإذا كان رسول الله (ﷺ) قد دعا بالتعاسة والشقاء على من اطمأن للدنيا، ورضى بها، وشغلته عن المنعم، فجحد فضله، ونسى نعمه، فقد دعا بالحياة الطيبة فى الدنيا، وبالنعيم والجزاء الأوفى فى الآخرة، فقال: (طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه. إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة. وإن كان فى الساقة كان فى الساقة. إن استأذن لم يؤذن له. وإن شفع لم يشفع) أى أنه يجاهد فى سبيل الله لإعلاء كلمة الله، ولاينتظر من أحد جزاء ولا شكوراً، لأنه يبتغى بجهاده وبلائه فى سبيل الله ـ وجه الله، وذلك قمة الإخلاص، وذروة الطاعة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى يزن بميزان حكمته الأمور ـ يقول:

«إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا. وإن حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة» (٢).

فالإسلام لا يعد العمل خالصا لله إلا إذا تجرد من كل البواعث والدوافع الدنيوية، وكانت الوجهة فيه، والغاية منه إرضاء الله ـ تبارك وتعالى ـ القائل

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾

الكهف (١١٠)

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

---

(١) الحاكم فى المستدرك ٣/٣٤٣.

(٢) سنن ابن ماجه ٢/١٣٢٠ حديث رقم ٣٩٨٩.

الإفتاء

دوره وشروطه

بقلم فضيلة الأستاذ الدكتور

محمود إمبابى أمين

وكيل الأزهر الشريف

الفتوى فى اللغة هى بيان الغامض فى مسألة ما، وقوله تعالى ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ ﴾ أى يسألونك سؤال تعلم،

واصطلاحا فالفتوى هى جواب الفقيه عما سئل عنه ليبين حكم الشريعة فيه، فالفتوى فرع من فروع علم الفقه، وقد اصطلح على لفظ الفتوى أو الفتيا لأنهما يحملان معنى الجواب الرشيد والمحكم والقوى، وضرورة الفتوى معلومة، وحكمها الشرعى أنها فرض كفاية، والمسلمون مأمورون بسؤال أهل الذكر إن كانوا لا يعلمون.

والاستفتاء لمعرفة حكم الشريعة الغراء يدل على أن السائل حريص على دينه وأنه ليس من الغافلين.

ويدل على حدس التعلم عند المسلم، فإن أول العلم يكون ملاحظة فى الذهن ثم يأتى التساؤل والبحث عن الإجابة الصحيحة، ولذا ينبغى احترام السائل وتشجيعه وتعليمه ما ينفعه ويصلح شأنه مهما كان سؤاله بسيطا، فكل الأسئلة مهمة من الناحية الدينية.

وقد تولى الله - جل وعلا - الإجابة عن الكثير من أسئلة البشر سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين وهذا موجود بكثرة فى القرآن الكريم وفى السنة المطهرة فإن الفتوى هى الرياسة الحقيقية، وحذرت من الافتاء بغير علم ومن التكتم على العلم عند الحاجة إليه، وقد كان الصحابة الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ يدركون ما تقصده تحذيرات السنة الشريفة، فكانوا يعتبرون السكوت والاستماع أفضل من الكلام، وكان احدهم يود لو أن أخاه كفاه الكلام والإفتاء.

وعن بعض التابعين قال: أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يُسألُ إحدهم عن مسألة فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول وعنه قال: لقد أدركت فى هذا المسجد عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ ما أحد منهم يحدث حديثا إلا ود أن أخاه كفاه الحديث، ولا يسأل عن فتيا إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا.

وقال البراء: «لقد رأيت ثلاثمائة من أهل بدر ما فيهم من أحد إلا وهو يحب أن يكفيه صاحبه الفتيا» وقال بعض الأكابر لبعض المفتين: «أراك تفتى الناس! فإذا جاءك الرجل يسألك، فلا يكن همك أن تخرجه مما وقع فيه ولتكن همتك أن تتخلص مما يسألك عنه» وعن القاسم بن محمد بن أبى بكر أحد فقهاء المدينة - المتفق على علمه وفقهه بين المسلمين - أنه سئل عن شىء فقال: «لا أُحْسِنُهُ».

فقال السائل: إنى جئت إليك لا أعرف غيرك.

فقال القاسم: «لا تنظر إلى طول لحيتى وكثرة الناس حولى، والله ما أُحْسِنُهُ».

فقال شيخ من قريش جالس إلى جنبه: يا ابن أخى الزمها فوالله ما رأيتك فى مجلس أنبل منك مثل اليوم.

فقال القاسم: «والله لأن يقطع لسانى أحب إلىّ أن أتكلم بما لا علم لى به».

فالسنة أن لا يرغب العالم فى تقلد منصب الإفتاء ولكن يكلفه ولى الأمر بذلك إن كان من أهلها، فمن طلب الأمر بنفسه أوكله الله إلى نفسه ومن كلفوه به فإن الله يعينه عليه، فعلى ولى الأمر أن يبحث عن أهل الفتوى فيكلفهم بها، وعليه أن يمنع غير أهلها من التعدى لها، وفى هاتين الخصلتين صيانة للدين واهتمام بشأنه وسد باب الفتن والجهل.

أقسام الفتوى

والإفتاء نوعان : حقيقى ومجازى .

فالافتاء الحقيقى : يكون القائم به مستقلاً فى الوصول إلى حكم الشريعة لتمكنه من العلم.

وأما الإفتاء المجازى فهو : الذى لا يستقل القائم به فى معرفة الحكم الشرعى لقصور إمكاناته العلمية ولكنه ينقل أقوال غيره من العلماء، وهذا لا يسمى عند الأولين مفتياً بل ناقلاً، أى أنه يروى ويقول ما توصل إليه العلماء من أحكام، فيشترط فى الناقل معرفة أقوال العلماء ومن أين قالوها (مصدرها ودليلها) ومعرفة ما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيها، وأن يعرف حال الفتوى (الظروف المصاحبة للفتوى) وكذلك معرفة أحوال الناس وظروفهم ومعاملاتهم، وكل هذه الشروط وغيرها وضعت لسلامة الإفتاء وإلى المناسب فليس كل صواب مناسبا، وليس ما يصلح للإنسان من فتوى يصلح لغيره، فقد سئل عالم نفس السؤال من شخصين فأجاب أحدهما بنعم وأجاب للآخر بلا، وقد سئل سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه عن العمل الصالح ليتمسك به السائل ويستمر فى العمل به فأجاب كل واحد منهم بما يناسبه ولم يكن عليه الصلاة والسلام صاحب قوالب جامدة عند إجابته.

إن المفتى ينال احترام الناس وتقديرهم، ولهذا نجد أكثر الناس يتصدون للإفتاء وهم ليسوا من أهله لا حقيقة ولا مجازاً، فتراهم يستعملون لفظ الحرام والحلال والإباحة والجواز والكراهة وغيرها وما علموا أن تلك الألفاظ تعنى حكم الدين الذى أنزله الله تعالى وبلغه رسوله الكريم ومن العجيب أنهم ليسوا بعلماء ولا حتى طلبة علم شرعى ولكنهم يملكون من الجرأة ما يحللون ويحرمون بغير علم، ولو سألته هل اتفق علماء الأمة المعتبرين على ما تقوله؟ فإنه لا يعرف، ولو سألته من الفقهاء يقول بمثل قولك، ومن أى طبقة من طبقات الفقهاء صدر هذا القول؟ فإنه لا يعرف ولو سألته أن يُعرب الآية التى استشهد بها لعجز بل أحياناً يتجرأ الفرد على الإفتاء وهو لايحسن حتى مجرد الكتابة والقراءة ثم يزعم أن قوله هو حكم الله من فوق سبع سماوات ويسفه أقوال العلماء المخالفين لقوله!!

«يتبـــع»

***

الوسطية الإسلامية

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

إذا كانت الفضيلة وسطاً بين طرفين أحدهما الإفراط والآخر التفريط، فإن «الفاضل» هو الذى يشكل المحور الثابت العنيد الذى لا يتلاشى على الأبعاد!

ولأن كل الدعوات صياح ضائع فى القفر ما لم تتخذ من الإنسان محوراً لها مستوعبا وناقلا، فقد انحنت جميعها فى تعاطف وثير على صياغة هذا الإنسان المؤهل لدوريه: «الاستيعاب» و«النقل» وكانت للقرآن الكريم فى هذا الصدد حكمته الخاصة التى استطاع بها أن يصنع أنماطا من البشر تستعصى على الذوبان والتفتيت، وتصمد فى معارك التحدى إلى نهاية الشوط.. غير عابئة كثيرا بما يتناثر على جبينها من جراح!!

ولقد كانت فلسفة القرآن فى صياغة «الإنسان» على هذا النحو قائمة على أساس وضعه فى المنتصف الإيجابى.. محورا لكل شىء.. ونقطة ارتكاز لكل شىء.. وقاعدة انطلاق لكل شىء.. فهو على كل المستويات الخلقية.. والخلقية.. والسلوكية.. وسط قاصد منضبط بين التدلى غير القادر على النهوض، والتحليق غير القابل لمعايشة الواقع الحياتى!!

ومع وقوفنا العابر مع آيتين من القرآن الكريم نتبين ملامح هذا المنهج القرآنى فى ائتلاف وروعة واقتدار.

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾

[الفرقان/ ٦٧]

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾

[الفرقان / ٦٨]

فهنا حملة على «الإسراف» وحملة مقابلة على «التقتير» بعد الدعوة الحارة إلى الإنفاق والبذل.. حتى إذا أمكن وضع الإنسان فى المنتصف العادل والعاقل انطلق القرآن لتعزيز هذه الوضعية الرائعة بتخليص إنسانها من العبودية لما سوى الله.. وحياطة وجوده الذاتى ضد كل ما هو مدمر وقاتل.. وضد كل ما هو متدل وجانح للهبوط..

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ﴾

[الفرقان / ٦٧]

إن الإسراف المبدد لا يمكن أن يسفر عن شىء غير انهيار الخلفية الاقتصادية للفرد والمجموع، مما يهدد المجتمع الإسلامى بالإفلاس والجدب والإحباط العاجز عن كل محاولة للتصدى فى مجالات الصراع.. ومن هنا كانت رعاية الإسلام «للمال» رعاية حميمة.. وكانت حملته الضارية على كنزه وتأليهه أروع روعة وأهدى سبيلا.. إن المال عصب هذه الأرض.. ولكنه ليس غايتها أبدا.. إنه وقود القاطرة التى تشق طريقها فى الزحام لكى تصل بالملايين إلى «محطة» الوصول التى عندها تشرق الشمس، ويقبل الصديق صديقه فى مودة واعتناق.

ولعل مقارنة سريعة بين وضع الإسلام - كدعوة يجب أن تهيأ لها مجالات العمل - فى بلد مهيض اقتصاديا.. وبينه فى بلد ناهض من هذه الناحية.. إذا وجدت الدولة المسلمة هنا أو هناك - تؤكد لنا أن «المال» سلاح يجب أن يتوافر للدعوة حتى تتمكن معه من مزاولة دورها الحضارى وإشعاعها الرسالى.. فالمسلم الذى لا يشغله البحث الكادح عن الرغيف يمكن أن يشغله البحث الكادح عن أرض جديدة يزرع فى رحابها إسلامه.. وعن قلوب كافرة يطوعها لإيمانه، وعن قوافل فارغة من الداخل يضىء غسقها المر.. ويثرى جدبها العقيم.. فإذا تخطينا إطار الفرد إلى إطار الدولة.. وإطار الانتشار إلى إطار الدفع والذود.. عرفنا أن للمال دوره الخطير فى تصفية كل الجيوب المغيرة والتصدى لسلاحها الفاتك بأسلحة أضر وأفتك..

﴿ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾

[الانفال / ٦٠]

التعقل والالتزام

بعد أن يلقى القرآن الكريم الضوء على ما أبدع الله فى الأرض من جنات معروشات وغير معروشات.. والنخل.. والزرع.. والزيتون.. والرمان.. متشابها وغير متشابه.. يهتف بالملايين من أتباعه فاتحا أحداق عيونهم على هذه الحقيقة:

﴿ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

[الأنعام / ١٤١]

والقرآن لا يعطل فينا حاسة البهجة.. ولا يصادم فينا طبيعة الحب للطيبات.. ولا يكره أن يفتح الإنسان للوجود ذراعين أرحب من الوجود.. ولكنه فقط يدعونا إلى لون من ألوان التعقل والالتزام:

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

[الأعراف / ٣١]

المنهج القرآنى الراشد

والقرآن يحرض على البذل ويدفع إلى امتلاك ناصية الخير.. ولكنه يحذر من الإسراف والخرق.. هادفا من وراء ذلك إلى تربية الجماهير المسلمة على خلق القصد فى كل شىء..

﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾

[الإسراء / ٢٦، ٢٧]

وعلى هذا المنهج القرآنى الراشد فى تربية الأفراد والجماعات سلك النبى القائد ﷺ طريقه إلى صياغة الجموع من حوله.. فهو القائل فى تأكيد عميق: «لأن تترك ورثتك أغنياء خير لك من تتركهم عالة يتكففون الناس.. هذا يعطيهم وهذا يمنعهم».. وهو القائل: «اليد العليا خير من اليد السفلى».. وهو الصادح فى إيمان: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير».

التقتير

هذا جانب من حملة القرآن على «السرف» المفضى إلى الإجداب.. فإذا انتقلنا إلى الجانب الآخر الذى أعلن فيه حملته القاسية على «التقتير» فى إطار هذه الآية:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾

[الفرقان / ٦٧]

راعنا هذا الدمج فى موطن واحد بين النقيضين حتى لا يفرغ الإنسان من شىء قبل أن يهىء للامتلاء بشىء آخر.. إن «السرف» جريمة.. نعم.. ولكن مقابله الذى هو «التقتير» جريمة أخرى.. وحتى لا ينزلق الفرد أو تنزلق الجموع من هاوية الإسراف إلى حضيض التقتير.. قرن القرآن هذه بتلك.. ليقيم المسلم على صراط لا خرف فيها ولا شح.. وإنما «قوام بين ذلك».. وحملة القرآن على التقتير لا تنحصر فى دائرة الشح المادى وحده، وإنما تنساح لتشمل التقتير فى البذل المادى.. والتقتير فى العطاء الفكرى.. والتقتير فى الثراء النفسى.. لأن المقتر فى البذل المادى يصيب نفسه ويصيب المجموع من حوله بالضمور والانكماش.. وبديهى أن موارد الدولة الإسلامية وكفايتها قائمة أساسا على التعاون المفضى إلى القوة وعلى بذل ما فرض من الزكاة وغير الزكاة.. فإذا وجدت العناصر المقترة التى

منها يتكون الكل فى إطار الدولة كانت نتيجة ذلك اهتزاز العلائق فى المجتمع.. واضطراب الموازين فى الدولة. وغياب الأساس الصامد الذى ينهض عليه البناء مما يوحى بانهيار مرتقب لا تقف بوائقه عند حد..

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾

[التوبة/ ٣٤، ٣٥]

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴾

[الليل/ ٥-١١]

ولأن المقتر فى بذل العطاء الفكرى يشكل قوة جذب شريرة إلى الوراء.. وحاجزا على طريق التقدم يعيق المضى والانطلاق.. لقد نبه القرآن إلى خطورته.. وضراوة مسلكه.. ولفت إليه فى إعجاز معجز عاقدا بين تقتيره وتقتير الباخل بماله ما يشبه الصلة الحميمة فى قوله تعالى:

﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴾

[الإسراء/ ١٠٠]

إن التعبير القرآنى العظيم:

﴿ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾

يغطى الجانب المادى والجانب الفكرى على السواء لأن هذين الجانبين لا ينضويان بالضرورة تحت مفهوم الرحمة التى عناها القرآن الكريم.

ولأن المقترفى بذل الثراء النفسى هو الآخر يهدم ما بناه الله فيه من استعداد طبيعىّ لحب الأغيار.. والتلاحم الوجودى والمصيرى بالآخرين. لقد ألمح إليه القرآن فى أكثر من موضع

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

[الحشر/ ٩]

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ﴾

[آل عمران/ ١٨٠]

والرسول ﷺ يعطى الموقف وضوحا رائعا فى حديثه مع الأعرابى الذى وجده يدعو ربه قائلا: «اللهم ارحمنى وارحم محمدا ولا ترحم معنا أحدا» فقال له النبى ﷺ: «لقد حجرت واسعا يا أعرابى» إن هذا الإحياء لمناطق حب الآخرين داخل النفس كان منهج القرآن ورسوله العظيم مما يوحى بأن قتامة النفس المقترة فى شتى مجالات هذا التقتير شيء يرفضه الإسلام وتأباه طبيعة المسلم.. لأن المسلم كان كما أراده الله.. عاقلا لا يركب غوارب التبديد والسرف.. وسمحا لا ينزوى فى كهوف التبلد والإقتار وكان بين ذلك قواما!

قضية المال

ويبدو التلاحم بين الآيات القرآنية المعجزة فى انتقالنا الفورى إلى الآية التالية:

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾

[الفرقان/ ٦٨]

إن قضية المال التى أثارها القرآن الكريم فى الآية السابقة توحى من حشد ما توحى بأن بعضا من الناس قد يؤلهون المال فهو يحرضهم على التحليق فوق غباء هذا المنطق، وإلى تمحيص العبودية لله بدءا وختاما فإذا فعلوا كانوا أحادا فى قوافل أولئك الراشدين الذين يرتفعون بأنفسهم إلى قمة الحق.. وهذا منضو تحت قوله:

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾

[الفرقان/ ٦٨]

وفوق ما تسوقه الآية بصدد القصاص فى النفس:

﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾

[الفرقان/ ٦٨]

تشع كلماتها الإلهية معانى أخرى.. فليس القتل فقط أن يعتدى إنسان على آخر وإنما كذلك هو اعتداء الإنسان على نفسه باليأس القانط المتشائم أو بالجريمة الخانقة المدمرة، أو بالجهل المغلق الهابط.. أو بالعزلة المريضة الصفراء أو بالكراهية للحياة والأحياء على السواء.

وجميل أن يجيء التعبير القرآنى فى قوله:

﴿ وَلَا يَزْنُونَ ﴾

[الفرقان/ ٦٨]

بعد «القتل» مباشرة أليس الزنا قتلا هو الآخر؟ أليس يقتل عفاف الحرة المسلمة؟ أليس يقتل شرف الزوج الغائب ربما فى صراع مع الحياة من أجلها ومن أجل أطفاله الأبرياء؟ أليس يقتل نبض الإنسانية فى علاقاتنا بالنوع؟ أليس تمهيدا لخلق مجتمع لقيط تتفتح فيه أحداق الطفولة اللاشرعية على نوازع التدلى وهواتف الهبوط؟ هذه محظورات ينبه إليها القرآن..

﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾

[الفرقان/ ٦٨]

لا أريد بهذه الانطباعات السريعة الخاطفة مع آيتين من آيات القرآن الكريم أن أزعم أنى أفسر أو أشرح. وإنما أستطيع فقط أن أزعم أنها انطباعات يعكسها النص القرآنى على من يحاول أن يصيخ إلى إيقاعه الإلهى بقدر وافر من التفتح لما يمكن أن يضيفه من ثراء.. وخصوبة.. وتعميق لحس التذوق الفنى فى أروع أنساقه وقد حاولت أن أكون هذا المتلقى وأرجو أننى قد كنته حقا.

مواقف إسلامية

هذا هو السلاح فمتى نبدأ الجهاد؟!

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

يقول الله - عز وجل -:

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾

(الحج/ ٢٧ - ٢٨)

كان أبوحنيفة - رحمه الله - كلما وافت أشهر الحج.. كان يفاضل بين العبادات، وقبل أن يشرع فى الحج.

فلما حج.. فضَّل الحج على سائر العبادات.. لما شاهد من تلك المنافع.. أو تلك الخصائص:

وقد انطلق - رحمه الله - تعالى - من منطوق الآية الكريمة، والتى جاء لفظ المنافع فيها منكرا.. شاهداً بتنكيرها على أنها منافع

مختصة بهذه العبادة بالذات، فهى كثيرة وافرة لا يحدها حد، ولا يحصيها عد، ثم هى متنوعة: دينية، ودنيوية.. على نحو لا يوجد فى غيرها من العبادات.



رجب البيومى



محمد فريد وجدى



عبدالرحمن الكواكبى

حتى التجارة «وإنها جائزة للحاج من غير كراهة، إذا لم تكن هى المقصود من سفره».

ثم هى منافع «لهم»: للناس.. وليست للمعبود الذى لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين.

المنافع.. فى منطق المعاصرين

يقول أ. د. محمد رجب البيومى[1] «وما دار فى خلد الأستاذ محمد فريد وجدى، قد دار فى خلد المصلح الكبير السيد عبدالرحمن الكواكبى منذ مائة عام، حيث فكر تفكيرا طويلا فى اجتماع المسلمين سنويا بهذا المكان الطاهر، ورأى أن الاقتصار على الشعائر الدينية وحدها، لا يفى بالمقصود من اجتماع أمة من كل بقاع الأرض فى مكان خاص، لتقتصر على الطواف، والسعى، والوقوف بعرفة، ورمى الجمار وحدها دون أن تدرك معانى الأخوة الإسلامية التى تجرى مجرى الدم فى عروق بنى الإسلام على اختلاف ألسنتهم وألوانهم» أ. هـ.

وعرض القضية على هذا النحو يساوى قول بعض المعاصرين: «إن العبادات لا تكفى».

وقد ينتهزها عدو مناور مدخلا للطعن فى الإسلام.. من حيث إن ما شرع من عبادات غير كاف فى إصلاح الحياة والأحياء.. مع أن الحق هو: أن الله - عز وجل - كاف عبده بهذه العبادات.. ولكن سبب تأخرنا أننا لم نرتفع إلى مستواها العالى، لم نرتب على المقدمات نتائجها.. لقد شهد الكافرون بربوبيته - عز وجل - موصوفا بصفات الجمال والجلال.. ومع ذلك فلم يرتبوا على هذه المقدمة نتيجتها وهى: إفراده - سبحانه وتعالى بالعبادة.. وكذلك نحن فالعبادات كافية فى إصلاح الحياة ولكن.. أين المصلحون؟.

أين المصلحون الذين يصلّون.. فينتهون عن الفحشاء والمنكر؟ وأين الذين يصومون.. فيتقون؟

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا

(١) مجلة الأزهر، عدد شهر ذى القعدة ١٤٢٥هـ.



وهكذا يقولون عن مشاعر الحج: إن الاقتصار على الشعائر الدينية وحدها لا يكفى!

وما هى هذه الأمور المقتصر عليها؟

إنها: الوقوف بعرفة.. والطواف.. والسعى.. ورمى الجمار!!

● والسؤال الآن:

هل حقا إن الاقتصار على هذه الرموز غير واف بتحقيق مقاصد الحج؟ من حيث كونها أعمالا دينية بحتة؟!

● ونجيب:

إن الحج هو هذه الأعمال جميعا.. وبها.. وعن طريقها تتحقق المقاصد الدنيوية. فليست مجرد أداء رتيب.. وإنما هى مضمونة على المنافع الدنيوية التى نريد من ورائها الدار الآخرة.

لقد كان الجاهليون يطوفون، ولكن انطلاقا من هواهم، فلما شرع الله - عز وجل - الحج اشترط أن تكون مقاصدنا الدنيوية منطلقة من قاعدة الإيمان، من قاعدة الذكر، وذلك بعض ما يشير إليه قوله - عز وجل -:

﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ ﴾

ومن معانى ذلك: أن هذه المنافع مضمنة بذكر الله - عز وجل - والذى نتقرب إليه - تعالى - بهذه الشعائر.. محققين فى نفس الوقت منافع دنيانا.

● ومن المنافع: «رجع كيوم ولدته أمه»:

بمعنى إعادة صياغة الإنسان من جديد.. ليبدأ الرحلة إلى ربه طاهرا.. وبلا قيود.

● ومن المنافع.. الالتزام:

بمعنى أن شعائر الحج ليس للنفس فيها مدخل

ولا للعقل فى فهم أسرارها حيلة.. وإنما هى مجرد الطاعة لأن الآمر هو الأحق بها، وذلك يعنى: التدريب على مخالفة الهوى ليكون الولاء لله - عز وجل - وحده.. وبلا تساؤل: لماذا؟ وكيف؟.

وتأمل:

● فى الذبح: طاعة مطلقة.

● وفى الطواف: توحيد ووحدة.

● وفى رمى الجمرات: حماية من بؤرة الشر.. ومن كل ما يفسد العمل.

● وفى السعى: قيمة التوكل

كل هذه القيم.. قد صرّفها الله - تعالى - فى القرآن الكريم، ولكنها فى الحج تربية عن طريق التطبيق العملى.

● ومن المنافع: فى العمرة.. تدخل مكة وحيدا.. ثم تخرج وحيدا.

أما فى الحج فلابد من: زمان، ومكان، وشعائر. ثم رفعة تتحقق بها الوحدة.. الوحدة واقعا لا نظرية.

وإذا اختلفت اللغات.. والعادات.. والطبائع فلم يمنع ذلك من الوحدة.

نخرج من جلودنا.. من قومياتنا الضيقة، لنكون كيانا واحدا يفرض هيبته على الآخرين.

وسوف «يشهدون» هذه المنافع.. يشاهدونها لكنها لن تتحقق بمجرد شهودها.. وإنما لابد من الوحدة لتحصيلها.. من حيث كانت المبادرات الفردية عاجزة عن تحقيقها.

● ومن المنافع: رمى الجمرات

إن هذه الشعيرة تعنى:

أ- اكتشافنا عدونا المبين.. وهو الشيطان الرجيم.

ب- ثم اتفاقنا على رميه.. على رفض خططه الرامية إلى التحريش بيننا.. لنوفر الطاقة التى نبددها فى خلافاتنا لنسدد بها ضربة إليه وحده.

● ثم قبل ذلك الوقوف بعرفة، وكيف يشعر المسلم أنه ليس وحده فى هذه الدنيا.. وإنما هو جزء من أمة ضخمة.. يغيظ الله بها الأعداء.. وإنها لجيش لا يقهر.

● فإذا جاء الطواف: ترقى ذلك الإحساس.. ليشعر المسلم بأنه جزء من «الكون».. وكيف؟ إن قانون «كبلر» يقول: إذا طاف النجم حول الشمس أسرع، كلما اقترب منها حتى لا يحترق.

وهكذا نحن.. على الأرض: نتجه إلى الكعبة فى وقار.. حتى إذا طفنا حولها زادت حركتنا!! فنحن جزء من الكون الكبير.

فإذا تأملنا قوله - عز وجل:

﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾

ربما جاز لنا أن نقول: إن المنافع.. مشهودة لنا، إنها بين أيدينا.. وليست فى أيدينا.

وعلينا أن نستصحب هذه الشعائر فى عودتنا كما ولدتنا أمهاتنا صحفا بيضاء ليكون السؤال.. لا عن المنافع الدنيوية، فهى محققة ضمن هذه الشعائر الدينية.. وإنما السؤال عن: متى يعى المسلمون هذه الدروس.. ليتخذوا منها منطلقا إلى عصر جديد.. مجيد؟

يوم عرفة

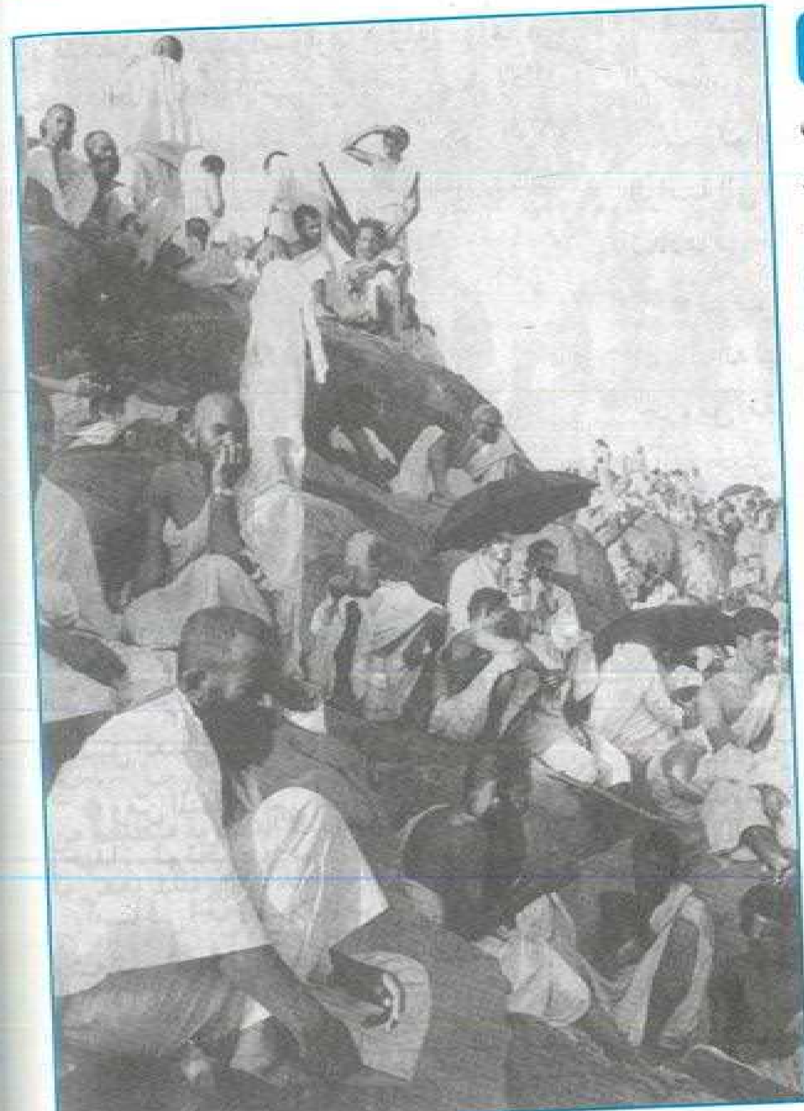
إن الأمم اليوم تحتفل بأعيادها.. وتقيم أقواس النصر ابتهاجا بنصرها على عدوها.. فكيف لا يكون «يوم عرفة» عيد الأعياد بما غفر الله - تعالى - لنا.. حتى عدنا كيوم ولدتنا أمهاتنا.. مراغمة للشيطان الذى يحثو على رأسه التراب؟.

إحساس «الحاج» بأن «الحج عرفة» وأن الله يقبل فيه التوبة.. ويلعن إبليس. هذا الإحساس فرصة يراجع فيها الحاج سيئاته: لتكون له.. وقفة مع النفس.. يبدأ بعدها حياة جديدة خالية من عقدة الذنب.

ثم إنك مأمور بالحضور فى عرفات.. ثم منها إلى «مزدلفة» ثم: إلى منى، ثم: ارم هذا الجمر وقبّل هذا الحجر..

ويعنى ذلك:

التدريب على الالتزام.. ثم إدراك أن أعضاءك تتحرك.. ولكن لا بأمرك.. بل بأمر خالقها - عز وجل - وسوف تشهد عليك فى الآخرة.. فاحذرها من الآن!!.



من بركات عرفات

الحجاج: يفطرون «يوم عرفة» ثم يوم العيد ثم الحادى عشر، والثانى عشر، فهم عمال يؤتون أجرهم طعاما وراحة وقبل أن يجف عرقهم.

لقد ذابت الحضارات الفرعونية والآشورية، فى خضم الحضارة العربية الإسلامية، ولكن حضارة الإسلام عصية على

الذوبان بما تملك من عناصر البقاء: فهى مستمدة من مصدر واحد هو:

١- القرآن الكريم والسنة المطهرة.

٢- ولها غاية واحدة هى: الكعبة.

وبالحج: سلحها الله - عز وجل - «بمنافع» هى فى الواقع أسلحة النصر.. فمتى تبدأ الجهاد بهذا السلاح؟!!.

لابد وقبل «الوقفة» لابد من «وقفة مع النفس»: لقد وقف غيرنا مع نفسه: فجعل قوّته فوق حقنا.

استدراك

ولكننا لا ننسى للعربى ميزة ينبغى التنويه بها وهى: نخوة العروبة

وتأمل موقف المشركين وهم يحيطون ببيته - ﷺ - ليلة الهجرة!

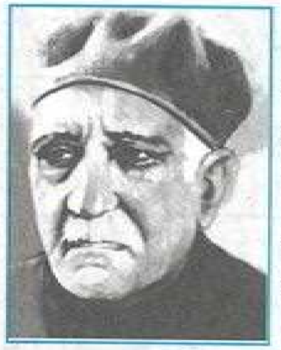
لقد كان بإمكانهم اقتحام البيت وفى حركة انتحارية.. ولكنهم أحاطوا بالبيت ولم يقتحموه.. مدفوعين بنخوة العروبة التى فرضت عليهم أن يكونوا فى عداوتهم للدعوة أشرافا.

وهذا درس من دروس الدعوة التى تفرض على الداعى استثمار ما يمكن أن يكون لدى «المدعو» من عناصر الخير.. لنقوده منها إلى ما نريد ومن حيث لا يشعر.

يقرر «العقاد» تفرد معنى العيد فى اللغة العربية.. عنه فى اللغات الأخرى: فبعض أسمائه باللغات الأوروبية تدل على معنى الوليمة ووفرة الطعام.

وبعض أسمائه تدل على اليوم الدينى أو يوم «العطلة».

وليست هذه من خواص العيد، التى ينفرد بها بين سائر الأيام.



العقاد

وبعض أسمائه الحديثة تقابل كلمة «السنوية» أو «المئوية» وتصدق على احتفال بعينه.. يجوز أن يكون يوما واحدا لا يُعاد إليه.

ويجوز أن يكون من غير الأعياد: لأنه من ذكرى الكوارث، أو ذكرى الحداد.. أما كلمة العيد بصيغتها هذه فى اللغة العربية فهى أدل من تلك الأسماء جميعا على خاصته ومعناه.

ويعنى ذلك كما يقول: «ويتفق لنا أن نذكر مزية لهذه اللغة فى كلمة «العيد» بلفظها ومعناها، فإن تسمية العيد بهذا الاسم، تدل عليه بأخص معانيه وهى: الإعادة والتعييد، وليس لهذه الخاصية مدلول مفيد فى أسماء العيد بأكثر اللغات» أ. هـ.

ماذا بعد الحج

اسأل نفسك.. هل ستستمر على ذلك الصفاء:

١- تذكُر التوحيد.. وما يثمره من وحدة؟.

٢- وتذكر عداوة الشيطان.. والاستمرار فى «رمى» وساوسه؟.

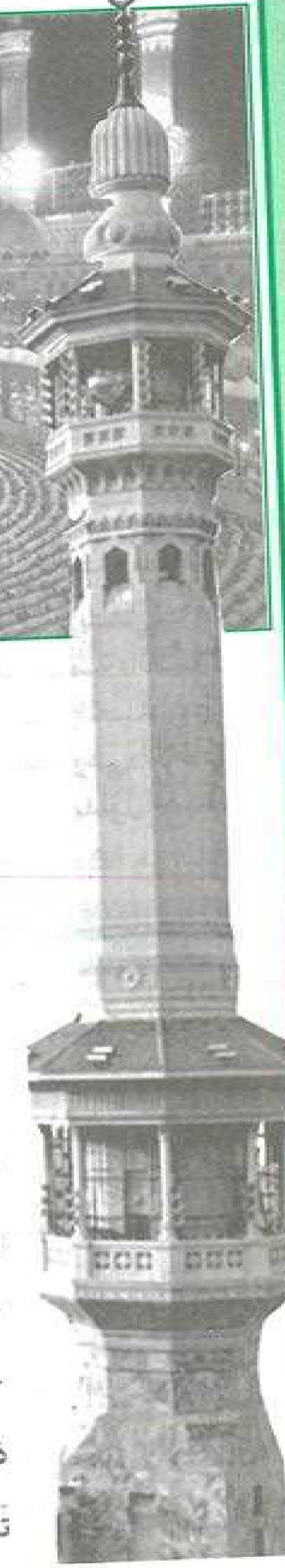
٣- هل مازالت تلك المنافع.. أو هذه المكاسب.. هل مازالت متوهجة فى كيانك؟.

٤- تذكَر نعمته - تعالى - عليك: أن كنت «الذابح» ولم تكن المذبوح!.

فى موسم الحج



مكة المكرمة



للدكتور/ أبى حسام

.١.

أحس وجوده فوعى هواها … وهام بما تكن فما عداها

مشى طفلاً إلى الكُتَّاب يسعى … فألقى شيخه يشكو نواها

ويعلن أنه لابدَّ ماضٍ … إليها العام يسألها هداها

وعاد لبيته فإذا أبوه … يحدث أمه عن مصطفاها

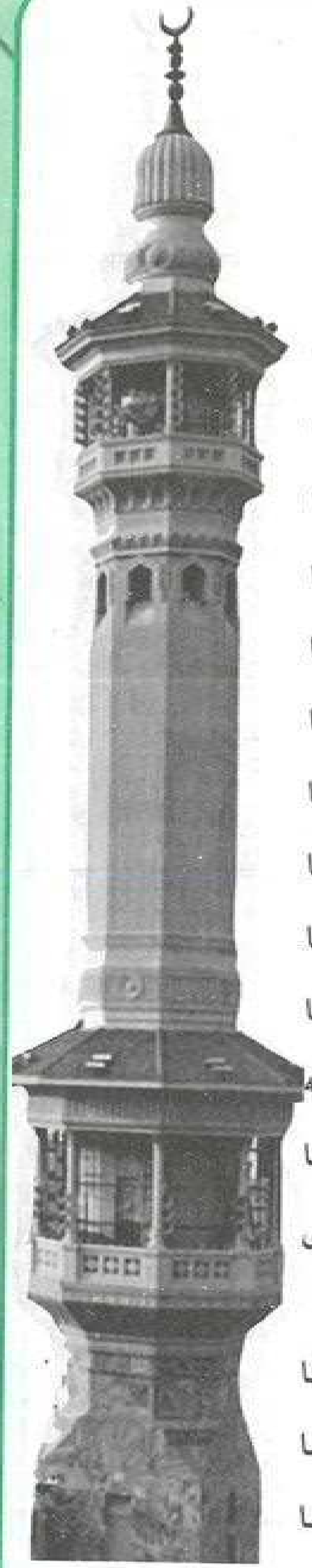
وكم سألا، وما سئما سؤالاً … متى الأيام تدنى من حماها؟

حديثٌ شاغلٌ للطفل ينهى … إليه حرَّ شوقٍ ما تناهى

حديثٌ أيقظ الإحساس منه … وأورثه شعوراً وانتباها

ذكا شوقاً فهبَّ يفيض عنها … بأوصافٍ تسر كأن رآها

تخيلها بذهن الطفل - عرساً … بقصرٍ ماج فى بشرٍ وتاها



وحين وعى رأى الإسلام عرساً … يحقق للبرية مشتهاها

فيالفراسة للطفل شدت … بإلهام يسدد من خطاها

.٢.

وشب نهاه فى عصرٍ خصيب … ليقطف من ثقافته جناها

فشاهد موكب التاريخ تزهو … مسيرته فتابعها اتجاها

رأى مصراً، وخف إلى أثينا … وضاق يبغى رومه إذ أتاها

وروعه ظلامٌ عند كسرى … فيالنوائبِ، بلغت مداها

أتلك هى الحواضر، نح عنها … فقد أودى بساكنها أذاها

ودار بعينه فإذا سكون … على الصحراء يعجزه اكتناها

أكان سكونها إرهاص وحيٍ … يجلجل بالهداية من علاها

أجل، وبمكة سيرنُّ صوتٌ … يغيث الأرض أن تلقى رداها

لتلك منازل القرآن أصغت … لأول آيةٍ دوَّى صداها

مضت طىَّ الأثر كذات لمح … تريق بكل داجيةٍ سناها

تبخترت الحجارة فى حراءٍ … بربك أى إحساسٍ عراها

ترى الروح الأمين سعى إليها … يسامر عندها بالوحى طه

وتعلم أن أجيالاً ستأتى … تمجدها، وتمنحها هواها

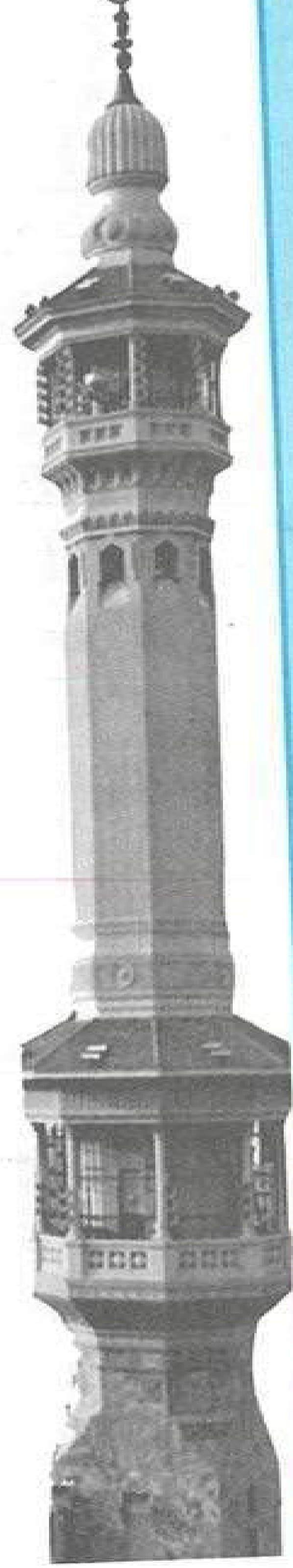
فلم لم تنتفض تيهاً بمجد … لو أنَّ البدر أحرزه تباهى

.٣.

تسمع للأباطح حين تمشى … فإنَّ لكل ناحيةٍ لغاها

ستنطق بالذى شهدت وتروى … عن الهيجاء إذ دارت رحاها

معاركُ طغمة جهلت فتاهت … بظلماء تدجى جانباها



مَشَى بالحجةِ البيضاء فيهم ... نبيُّهمو فذمُّوه سفاها

وصاح بهم: إلهُ العرش يدعو ... إلى الحسنى فما عرفوا الإله

بطشتم بالضعيف كأن ذُلاً ... عراه يزيدكم عزا وجاها

وعذبتم رفيقكمو، فصمّوا ... عن البلوى كما خرسوا شفاها

وقلتم سادةٌ وهمو عبيد ... وما عبد بسيده يضاهى

سواسيةٌ غدوتم غير تقوى ... تحلق بالتقى إذا رعاها

تدابرتم، فلا عهداً حفظتم ... ولا رحماً، تناشدُ من جفاها

ويذبحُ بعضكم في الثأر بعضاً ... أنوقاً قد غدوتم أم شياها

فأين حصافةُ الشبان منكم ... وأحلامُ الكهولة ما دهاها؟

وما تجدى الحجة في أناس ... إذا ما الجهلُ قد وسم الجباها

بكت أم القرى إذ دابروه ... وودت لو يميدُ بهم ثراها

تحول راحلاً عنها فضجّت ... وكم ذرفت حنينا مقلتاها؟

وودت أن يعودَ فحانَ فتحٌ ... من الرحمن حقق مبتغاها

كأني بالمحصب راح يهدى ... لغارِ حراءَ تهنئة تلاها

وخف البيت من طرب يباهى ... بيوم قلّد الدنيا حلاها

يلاحظ جانب الأصنام شزراً ... وقد كلح العبوس بها وشاها

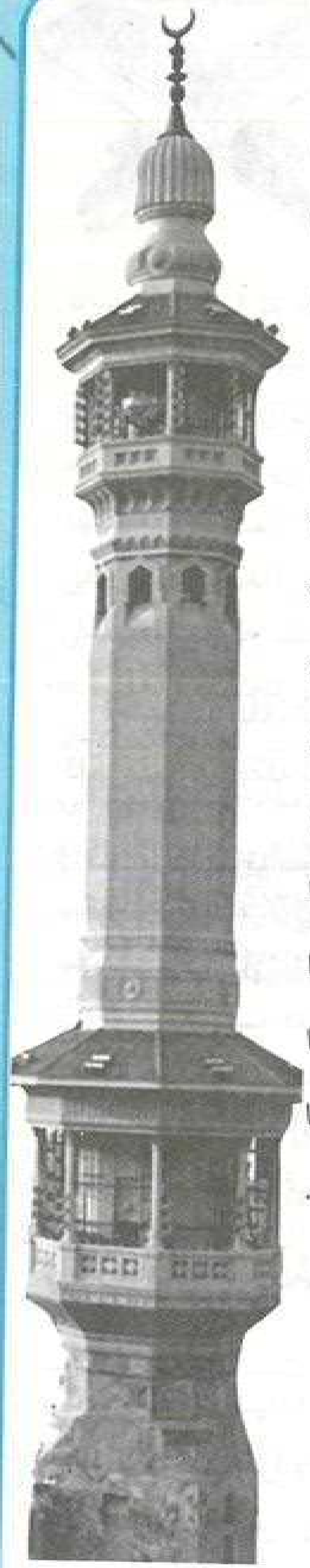
تأكد أن ساعتها تدانت ... ففي الإسلام ما يمحو خناها

يبشر مكة بالفتح سمحا ... رحيماً لا تسيل به دماها

لصارت قبلة الإسلام تحيى ... شريعته وتقتبسُ من سناها

فأهدت للسقام بكل أرض ... دواءهمو، فما يشكون آها

الأزهر



حمت ديناً، وشاد الدين دُنيا ... إلى أوج الفضيلة منتماها

لتلك صحائف التاريخ تُملى ... روائعها فسائل من تلاها

ولعتُ بها صغيراً دون فحص ... وبعد الفحص أنعشني شذاها

هوى أمسِ القديمَ فما عجيبٌ ... إذا ما جئتُ في يومى أراها

.٤٠

أقلبى هل أصخت لذات طوق ... بضال المنحنى تشكو أساها؟

وهل لك بالغضا زفرتُ شوق ... فكم نفس به لقيت ضناها؟

تصاعد من فم المشتاق نارا ... كأن من الغضا قبست لظاها؟

وما يبغى الحجون لدى نفوس ... معذبة شجاها ما شجاها؟

وهل رق الصفا لمتيميه ... وإن يكُ صخرةً صلدت قواها

معاهد للصبابة دارساتٌ ... ومن عجب تحير من أتاها!

سبت عقل (الشريف) فهام وجدا ... وأعلن كلَّ قافيةِ طواها

أحاول أن أقلده فأعيا ... كتمتام تلكأ حين فاها

حجازياته رنت فأشجت ... وهزت كلَّ ذواق رواها

معاهدُ خلدت ديناً وشعراً ... فأولت كل حائرِ هداها

لئن عز الحنيف بها مُدلاً ... لتلك الضاد تصدح في رباها..

***



خطبة الجمعة :

القرآن أساس التعليم

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصى

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

الحمد لله، نزل القرآن شفاء للمؤمنين، وجعله نورا وضياء للمهتدين:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

الواقعة / ٧٥ : ٨٠

نشهد أن لا إله إلا أنت، ضمنت كتابك خلاصة الحكم، وأتممت فيه بصائر الأمم

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾

الأنعام / ٣٨

ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبدك ورسولك، لم يقرأ ولم يكتب، ولكنه علم الأوائل والأواخر، وغرس أصول المكارم والمفاخر،

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

النساء / ١١٣

فصلواتك اللهم وسلامك عليه، وعلى آله وصحبه، وجنوده وحزبه

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

الأنعام / ٨٢

يا أتباع محمد عليه السلام...

إن موضوع اليوم خطير جليل، ولكنى سأوجز فيه القول وأجمله، لأنى منذر ومحذر، وطويل الكلام ينسى بعضه بعضا، وإيقاظ القلوب أو قرع الأسماع يحتاج إلى الصراحة والإيجاع، لا إلى الإكثار والإشباع..

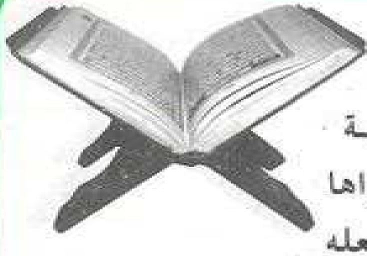
القرآن.. كتاب العربية الأعلى

إن لكل دعوة فى الوجود أساساً تنهض عليه، ومصدرا ترجع إليه، وينبوعا تستمد منه، وقد جعل الخلاق العليم للإسلام الحنيف أساساً وعمادا هو القرآن، أبان عن ذلك حين قال سبحانه:

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

المائدة / ١٥، ١٦

وقد صنع الله كتابه على عينه، ووضع فيه مكنون سره وكنوز أمره، فجعله كتاب الثقافة العامة بما فيه من قصص وتاريخ وأخلاق وعلوم كونية وطبيعية، وجعله منهل الدين والملة بما فيه من تقنين حكيم وتشريع قويم، فى العبادات والمعاملات والحدود، وجعله كتاب العربية الأعلى الذى يحفظ شبابها ويصون كيانها ما دامت السموات والأرض، ولولاه لبادت العربية كما بادت سواها من اللغات، وجعله كتاب الأدب والبلاغة بما فيه من بيان وإعجاز وإيجاز، وتقدير وتأثير، ومعنى هذا أن القرآن الكريم يجمع أصول التربية والتعليم، ويضمن لحافظه ودارسة العاكف عليه والمستمد منه فقها فى الدين وتبصره فى الدنيا ونورا فى العقل والثقافة، ولذلك حرص المصطفى عليه صلوات الله على تعلمه وتعليمه فقال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[1]. وقال: «وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[2] وروى عن ربه فى الحديث القدسى قوله: «من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»[3].

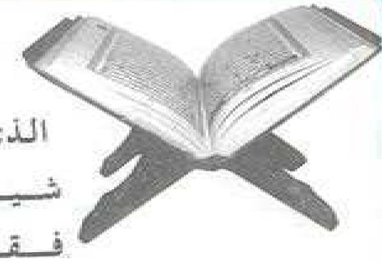


*ألقيت يوم الجمعة ٢٥ من رمضان سنة ١٣٧٠هـ، ٢٩ من يونيو ١٩٥١م.

(١) صحيح البخارى جـ٦ ص ٢٣٦، سنن الترمذى جـ٤ ص ٢٤٦ برقم (٣٠٧١).

(٢) صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٧٤ برقم ٣٨ / ٢٦٩٩.

(٣) سنن الترمذى جـ٤ ص ٢٥٥ برقم (٣٠٩٤).



وشوه صورة الذى لا يحفظ شيئا من القرآن فقال: «إن الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب»[٤].

العلوم العربية والإسلامية

ولقد أدرك المسلمون الأوائل منزلة القرآن السامية ومكانته العالية، فاتخذوه أساسا لتربيتهم وتعليمهم، يتلقاه الأبناء عن الآباء منذ أول الطريق، ثم يعكفون عليه دارسين مستنبطين مطبقين، ثم يستخرجون منه بسببه ما يتيسر لهم من آداب وعلوم وفنون. ظلوا على ذلك أزمانا طويلة سعدوا فيها وعزوا خلالها، ووصلوا عن طريق القرآن والتعلق به إلى الكثير، حتى لو نظرنا إلى العلوم العربية والإسلامية التى تعددت وتفرعت وتضخمت لوجدناها ثمرات أنبتتها روضة القرآن الكريم، ثم مرت بالمسلمين فتن ومحن شغلتهم عن قرآنهم، وحالت بينهم وبين تربية ربهم، وأخذوا يستعيرون أنماطا فى التربية والتعليم من هنا وهناك. ومن أسف وعجب أنهم لا يستعيرون إلا عن أعدائهم والمتربصين الدوائر بهم، ولا يأخذون إلا أخذ الجهول الذى لا يدرى ما ينفع وما يسوء، حتى أصبحت الثقافة فى الأمة الإسلامية الممزقة الأوصال المبعثرة الأشلاء خليطا من فضلات، ومزيجا غريبا من استعارات:

فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة

مشكلة الألوان مختلفات!!

بوادر نهضة

واليوم نشهد فى الأمة بوادر نهضة واسعة النطاق لتعميم التعليم، وجعله كالماء والهواء والغذاء، وهناك مشروعات تعليمية عامة تأخذ طريقها إلى التنفيذ الملزم والشمول التام، والإسلام الحنيف أول من يرحب بالوثبة الواسعة فى محاربة الجهل إينما كان، وغرس العلم فى عقل كل إنسان لأن الإسلام هو الذى جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، ولكننا لا نريد أبدا أن تكون هذه المشروعات مستعارة من الخارج، ولا نرضى أبدا أن تكون مبنية على أساس مادى مدنى بعيد عن الدين، ونطلب بأن يكون أساس

(٤) سنن الترمذى جـ٤ ص ٢٥٠ برقم (٣٠٨٠).



التعليم للمسلمين هو القرآن، ولا مانع أبدا أن يضاف إلى الأساس روافد وسواند تسعى فى ركابه وتعمل لغايته، وإلا فالويل كل الويل لأمة تؤمن بربها وتعتقد فى دينها ثم تجعل كتابها الأقدس نسيا منسيا فى التعليم أو ذيلا من الذيول بين المواد والعلوم..

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴾

طه/ ١٢٤: ١٢٦

القرآن فى خطر

يا أتباع محمد عليه السلام...

إن القرآن الكريم فى خطر، فقد أخذ حفاظه فى التقلص والانقراض، وأغلقت كتاتيبه فى القرى بسبب تعميم التعليم فى المدارس، وسدت السبل الموصلة إلى مدارس تحفيظه حتى باتت مهددة بالزوال، وإن استمر الأمر على ذلك لاقدر الله فسيطوى علم القرآن من البلاد، ويومئذ يفرح أعداء الإسلام، لأنهم يعرفون أن حياة المسلمين معقودة ببقاء هذا الكتاب ونشره فى الآفاق، وهم يبذلون الجهود والأموال سرا وعلانية باحتيال لئيم ومكر عجيب لتحقيق تلك النكبة، فطالبوا ولاة أموركم فورا ـ كل حسب استطاعته ـ بأن يكون كتاب الله هو الأساس فى التعليم، لأنه تقويم للسان وتثقيف للجنان وتثبيت للإيمان وفيض من الرحمن؛ وعودوا إلى مصاحفكم من جديد لتسامروها حافظين متدبرين، وخذوا أولادكم بحفظ ما يمكن حفظه من القرآن الكريم، وإلا فقد حقت علينا اللعنة وسوء القرار

﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾

غافر/ ٤٤

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾

النحل/ ١٢٨

أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم. سلوا ربكم التوفيق يستجب لكم.[٥]

(٥) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة ٢٥ من رمضان سنة ١٣٧٠ هـ / ٢٩ من يونيو سنة ١٩٥١م.

﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

المسلم الحق ينزه الطاعات عن المبررات

للأستاذ/
محمد مصطفى البسيونى

رضى الله عن الصحابى الجليل «الفاروق عمر بن الخطاب» الذى روى عن الصادق الأمين - ﷺ - الحديث الشريف الذى سجلته كتب الحديث ومراجع السيرة، قال - رضى الله عنه بينما نحن عند رسول الله - ﷺ - ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى - ﷺ - فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد، أخبرنى عن الإسلام، فقال رسول الله - ﷺ - «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله - ﷺ - وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا» فقال له: صدقتَ، فعجبنا له يسأله ويصدقه [(١)].

وعندما سأل الصحابة النبى - ﷺ - عن هذا الزائر الذى يسأل ثم يصدق أجابهم - عليه الصلاة والسلام - «إنه جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم دينكم» [(٢)].

إذن فأركان الإسلام موحى بها من رب العزة - سبحانه وتعالى - عن طريق أمين الوحى - عليه السلام -، ومن هنا كان معنى «الإسلام» يتضمن «التسليم» بها دون تردد أو تلكؤ أو تباطؤ أو إعادة استفسار أو تبرير، فالمسلم الحق هو الذى «يسلّم» بما أنزل على محمد - ﷺ - دون محاجة أو لجاج.

(١) من حديث ورد فى صحيح مسلم «كتاب الإيمان».
(٢) النسائى ٨/ ١٠١.

ونعود إلى عمر - رضى الله عنه - لنتأمل موقفه العملى حين جاء إلى الحجر الأسود المشرف وهو يهم بتقبيله أثناء طوافه بالبيت الحرام إذ وقف هنيهة [(٣)] أمامه قائلا «والله إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك».

وهكذا نرى أن الإيمان بالمقدمة العظمى وهى صدق رسالة محمد - ﷺ - يجعل النتائج المستنبطة منها كلها متسقة معها تمام الاتساق.

وتأمل ألفاظ الفاروق - رضى الله عنه - هنا كيف يُغلظ القسم «الحلف بالله والتأكيد بإنَ، ولام التأكيد» ثم يقول «لولا أنى رأيتُ» فالرؤية عنده شاهد عيان وقول بيان «رسول الله يقبلك» ولم يقل «محمدا» لأنه موقن بأنه يتلقى دينه عن رسول صادق أمين قد أتى بدين لا ينبغى أن يكون من عند غير الله - عز وجل -، كما أنه قد وُفق بإلهام عميق عندما تكلم هنا بلفظ القرآن الكريم فى آية «الأسوة»

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾

(الأحزاب: ٢١)

فحرص - رضى الله عنه - على ذكر التأسى برسول الله - ﷺ - فى هذا الموقف الذى يتجلى فيه صدقُ المسلمين المسلّمين.

لهذا سمى الصدّيق

ويبرز فى خاطرنا هنا «تسليم» الصديق أبى بكر - رضى الله عنه - عقب «ليلة الإسراء» إذ ذهب الناس إليه فقالوا له: هل لك يا أبا بكر فى صاحبك؟! يزعم أنه جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة؟ قال أبوبكر «إنكم تكذبون عليه» فقالوا: «هو ذاك فى المسجد يحدث به الناس» قال أبوبكر - رضى الله تعالى عنه: «والله لئن قال لقد صدق فما يعجبكم من هذا فوالله إنى ليخبرنى أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه» ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله - ﷺ - فقال: «يا نبى الله أحدثت القوم أنك أتيت بيت المقدس الليلة؟» فقال: «نعم» فقال أبوبكر: «يا نبى الله صفه لى فإنى قد جئته» يريد بذلك إقناع المكذبين، وهنا يقول النبى - ﷺ - إن الله - سبحانه - قد رفع له بيت المقدس فأخذ يصفه لأبى بكر - رضى الله عنه - الذى ما فتىء يلهج بتصديق النبى - ﷺ - فقال - عليه الصلاة والسلام -: «أنت يا أبا بكر الصديق» [(٤)].

وهكذا سمى أبوبكر عند الله وعند رسوله وعند مسيرة الأنام بـ«الصديق»، ولعل تصديقه هذا بخبر الغيب هو الذى هيأه أهلا للصحبة المحمدية ليلة الهجرة الغراء عندما

(٣) الهنيهة هى الساعة اليسيرة.
(٤) من سيرة ابن هشام طبعة صُبيح ص٢٧٠.

أخبره النبى - ﷺ - بنبأ الهجرة فبادره فى لهفة المحب المشوق المصدق «الصحبة يا رسول الله» وقد كان.. وأكرمه الحق - سبحانه - بذكر هذه الصحبة فى قرآن يتلى وذكر يتعبد به إلى يوم الدين

﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾

(التوبة: ٤٠)

وذلك مما دعا أصدق الخلق - ﷺ - أن يضع على كيان صديقه الصدوق - رضى الله عنه - وساما نورانيا وهو الذى لا ينطق عن الهوى «لو وزن إيمان الأمة وإيمان أبى بكر لرجح إيمان أبى بكر»(٥).

وهكذا كانت سيرة السلف الصالح الذين حُملوا الرسالة الخاتمة الرائدة فحملوها على خير ما تُحمل الرسالات، وبأعظم ما تؤدى الأمانات، وكان كل منهم فى تنافس إيمانى مثالى فى مجال التأسى بصاحب الدعوة العظمى - ﷺ - حتى إذا أعلن - عليه السلام - للحاضر والغائب أمنيته الأبدية الغالية «بل الرفيق الأعلى» أخذ خلفاؤه الراشدون ومن جاء بعدهم، وبعدهم يتمثلون هذه الأسوة المطهرة قولا وعملا وسلوكا جيلا بعد جيل من منطلق قوله - ﷺ - إلى الأنام «الخير فىَّ وفى أمتى إلى يوم القيامة»(٦).

الإسلام تسليم مطلق للحق

ولقد علمنا «الإسلام» أنه دين التسليم بأوامر الحق - سبحانه - ونواهيه، وإنه ليتسق مع هذا التسليم كذلك بالسنة المحمدية المطهرة من قول أو عمل أو تصديق.

وهذا التسليم لابد أن يكون تسليما لا تشوبه شبهة من تردد أو رجعة، وعلى ذروته التسليم بوحدانية الواحد الأحد - جل وعلا - إذ من منطلق هذه «الذروة الصمدية المطلقة» تنبثق إشعاعات النور فى كل العبادات التى يتقرب بها «العبد المطيع» لمعبوده المطاع، ولكى يتحقق هذا التقرب على الوجه الذى يرضاه الله ورسوله فإن «العبد» لابد أن يتحلى بحُلا الإذعان ويتخلق بخُلق «التسليم» وإلا كان أمره ضربا من النفاق فيقول ما لا يفعل ويفعل ما لا يقول، وهذا هو الطريق المعوج الذى لا يمكن مطلقا أن يصل المخلوق بالخالق لأن طريق الله طريق مستقيم

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾

(الأنعام: ١٥٣)

ولئن طال الحديث حول مفهوم

(٥) إتحاف السادة المتقين ١/ ٣٢٣.

(٦) كشف الخفا ١/ ٤٧٦.

«الإسلام» وإبراز كنهه الحقيقى وهو التسليم فذلك لأن الناس «ولا نقول العصر» قد بعُدت بمعظمهم الشُقة، وتفرقت بهم السبل، وأصبحوا فى «جميع» الأحوال يبحثون عن الأسباب، والعلاقات بين العلل والمعلولات، متأثرين بما يعيشون فيه اليوم أو بما يعيش فيهم من الانبهار بالكشف والاختراع مما يتفيأون ظلاله ويلمسون آثاره فى حياتهم اليومية دون أن يهتدوا إلى أن هذا كله هو بادىء بدء نعمة من نعم خالق الكون - سبحانه - ينعم بها على خلقه لعلهم يحسنون عمارة الأرض ويستشعرون فضله عليهم ورحمته بهم فيلهجون بذكره عرفانا وحمدا

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

(الأعراف: ٤٣)

وهكذا يتأملون حكمته ويدركون مشيئته فيما هداهم إليه من إبداعات يبدعونها بعقولهم وأيديهم مع قصور بصائرهم عن إدراك أن ذلك كله من إبداع مبدع العقل وصانع الأيدى - سبحانه - بديع السماوات والأرض وخالق كل شىء، إذ لعلهم إن أعملوا بصائرهم وأبصارهم علموا أن الله - سبحانه - يبين لهم هذه الآيات «العلمية» شيئا فشيئا آخذا بأيديهم إلى الحق ومعينا لعقولهم على الحقيقة مصداقا لقوله - سبحانه -

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

(فصلت: ٥٣)

وتأمل «س» المستقبل هنا التى تفيد المستقبل القريب والتى تشير - والله أعلم - إلى أن آيات الله فى خلقه هى آيات تترى، وهى متتالية ومتوالية وتنتظر منا النظر البصير، والفكر المنير، والضمير المستنير حتى نعرف أين نحن من الإسلام وأين الإسلام منا.

الانبهار بالعلم لا ينفى الإذعان لخالقه

ومن الغريب أننا كلما أحاطت بنا آيات الله كل يوم، كلما غفلنا عنها أو تغافلنا - والعياذ بالله - كأننا نصر على البقاء فى مكاننا دون حراك أو رغبة فى الاهتداء.

حتى أننا أصبحنا نُأوّلُ كل شىء كما نريد، ونفسر كل شىء بما نهوى، وننظر مبهورين بمبادىء العلّية والتجريب حتى لو انسقنا إلى الغربة والتغريب.

والعلم حق وإعمال العقل حق، وغنى عن البيان أن ديننا المستقيم يحضَ على طلب العلم والمزيد منه

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

(طه: ١١٤)

كما أنه يرفع من شأن العقل الذى ميز الإنسان على غيره من الكائنات والذى «يعقل» رغباته الجامحة وشهواته الجانحة.

ولكن «الإسلام» كذلك قد طلب منا «التسليم» بما لا يقع فى إمكان علم الإنسان، ولا يحتويه مجال عقله المرتبط بالزمان والمكان ولاسيما فيما يتعلق بالمظاهر «المعجزة» التى يعجز عنها التفسير والمسائل «التعبدية» التى تعلو على الاجتهاد والتبرير.

ومن هذه الأمور مثلا ما يتعلق بصيام رمضان فقد كلف الكثيرون بالقفز «العقلى» على ما يستطيعون وما لا يستطيعون وذلك بصياغة المبررات المعقولة وغير المعقولة لأمور تضمنتها العبادات وظنوا أن الإسلام قد رخص لهم الولوج بالعقل لكل باب، فشرعوا يتظاهرون بتبرير كل شىء، وترى الواحد منهم يتشدق ويتبهنس وهو يفعل هذا ولسان حاله يردِّد:

وإنى وإن كنت الأخير زمانه

لآت بما لم تستطعه الأوائلُ

تعبد الصوم لا يبرر

ومن هؤلاء من يغتنم حلول شهر رمضان المبارك وهو يتضمن طقوسا قضى بها الحق للتعبد دون تبرير بشرى، وإذا به يدعى أن الصوم قد شُرع لتدريب المسلم على الصبر، وقوة الإرادة، والعطف على الفقير الجائع.

ولو أنهم ذكروا هذه الأمور على أنها خصال مستمدة من الصيام لكان الأمر معقولا أما أن يضعوا هذه الخصال فى صُلب فريضة الصيام فهو تزيّد خارج عن الموضوع، إذ أن الحكمة التى ذكرها الحق - سبحانه وتعالى - من فريضة الصيام هى:

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(البقرة: ١٨٣)

والتقوى كما ورد عن على بن أبى طالب - كرم الله وجهه هى: «الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل والاستعداد ليوم الرحيل».

أما الخصال التى يلصقها هؤلاء بشهر الصوم وليس غير، فإنها يمكن أن تستمد من العبادات الأخرى التى هى أيضا بدورها أمور تعبدية ينبغى على المسلم أن «يسلم» بها لأن المطلوب منها الطاعة المطلقة للمعبود - عز وجل - شأن الملائكة الذين سجدوا لآدم لأنهم أمروا بذلك إلا إبليس فقد جادل وعلّل وبرر

﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾

(ص: ٧٦)

وإذا عدنا للمبررات التى يضعها البعض لتبرير الصوم وهى مثلا الإحساس بالجوع مما يستدر عطف الغنى الصائم على الفقير فلماذا إذن يصوم الفقير الجائع الذى يقاسى الجوع ليلا ونهارا؟ هل يمتنع عن الصوم لأنه فقد أحد مبرراته؟!!.

أما الصبر وقوة الإرادة والتحمل وغير ذلك فكم كان يتحلى بها المسلمون حتى قبل فرض صيام رمضان فى العام الثانى من الهجرة، ولذلك واجهوا أئمة الشرك وتحدوا أئمة الكفر الذين كانوا يتفننون فى إيذائهم ويبتدعون الأفاعيل لإعادتهم بعد إيمانهم كفارا حسدا من عند أنفسهم، ولا تنسى ذاكرةُ الإسلام مدى الدهر ما حدث لبلال - رضى الله عنه - وآل ياسر - رضى الله عنهم [٧]، وغيرهم، وناهيك بأساليب القهر والتخويف والتقتيل والتعذيب فيما سبق الهجرة النبوية المشرفة التى كانت طاقة نورانية غراء أضاءت النفق المظلم لكى يتضوع نورها فى رحاب ثنيات الوداع قبل «حىّ العوالى» و«قباء» بالمدينة المنورة.

فوربك أى بلاء وأى ابتلاء عاش فيه هؤلاء وقابلوه بالصبر الجميل والاحتمال الطويل قبل فرض صيام رمضان حتى إذا دخل رمضان دخلوا معه غزوة بدر فأبلوا ما يعرفه الجميع من البلاء الحسن حيث كانت بركات رمضان المعظم تظللهم وذكريات نزول القرآن الكريم فيه تكللهم وتعمر أرواحهم وقلوبهم وتقوى عزائمهم وتفتل سواعدهم، وهكذا أراد ربك أن تلتحم خصال الإسلام العظمى التى بين جوانحهم مع الدفقات الرمضانية المباركة من حولهم فيتولد النصر المبين.

وهكذا كان كل منهم كأنه المقصود بقول الحق - سبحانه وتعالى - لإبراهيم - عليه السلام -

﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(البقرة: ١٣١)

وكذلك الصلاة

ومن المحدثات التى سمعناها من البعض القول بأن من «حكمة» الصلاة أنها تفيد الجسم قياما وركوعا وسجودا شأنها شأن «الرياضة البدنية» فهى تقوى العضلات وتساعد على هضم الطعام «ولاسيما فى صلاة القيام التى تلى "تخمة" الإفطار».

فإذا كان الأمر كذلك فما أشقى المرضى الذين أذن لهم الحق - سبحانه - فى

(٧) الذين طمأنهم النبى - ﷺ -، وقد شهد تعذيبهم «صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة».

الصلاة قياما أو قعودا أو على جنوبهم فإن لم يستطيعوا فليكن وهم رقود حتى ليمكنهم أن يصلوا بتحريك أعينهم وهكذا وهكذا مما يملك ناصيته علماؤنا الفقهاء من أهل الذكر.

إذن فالصلاة عبادة لا تحتاج إلى تبرير إلا أن يقال لفارضها - عز وجل -

﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

(البقرة: ٢٨٥)

ولماذا لا يقول هؤلاء إن الصلاة مادامت «رياضة» فلتكن «رياضة روحية» مرتبطة بالروح التى هى من أمر ربى فكانت طاعة الصلاة أيضا - وهى الفارقة بين المسلم والكافر - هى كذلك من أمر ربى بحركاتها وسكناتها وجهرها وسرها وعددها وتوقيتها وهكذا وفرضها مباشرة على محمد - ﷺ - وأمته فى ليلة المعراج وهكذا وهكذا.

ولقد ذكر أصحاب هذه «التخريجات» مثل ذلك فى شأن الزكاة والحج بحجة أنهم يوظفون العقل الذى ميز به الحق - سبحانه - الإنسان على غيره من الكائنات، ويا أيها العقل كم من التخريجات تعلل باسمك!!.

الانطلاق بالعقل شطط

حقا لقد خلق الله - عز وجل - العقل للإنسان «ليعقل» شهواته ونزواته وأحكامه عن الشطط والسرف والجنوح، والأولى من هذا أن يعقل العقل نفسه عن الغرور فلا يدّعى لنفسه ما ليس له، ويدرك قبل غيره أنه مخلوق لله يذعن لأوامره، ويخضع لنواهيه، ويتحرك فى حدوده، ويلتزم بطاعاته، إذ لو أطلق للعقل الزمام لما صار عقلا ولكن صار هباءة طائشة حائرة ضالة فى فراغ، وبعد أن كان يحيا فى دائرة «نور على نور» أصبح يهيم فى دائرة «فراغ فى فراغ» أو «ظلام فى ظلام»، ولا نذهب بعيدا فأمامنا فى تاريخ من زعموا أنهم فلاسفة - وما هم بذلك [٨] فمنهم من قال إن الكون هو مادة فقط شأن «الماركسية»، ومنهم من قال إن الفرد «الوليد» هو «مشروع إنسان» لأنه لا إرادة له بعدُ مثل «الوجوديين» ومنهم من قال إن الحقيقة تتعدد بتعدد أهواء الأفراد وحواسهم وأولئك هم دعاة المغالطة والإسفاف المعروفون بـ «السوفسطائيين Sophiste» ومنهم من ادّعوا ودعوا أربابا متفرقة فهناك كما يزعمون إلهة الجمال «فينوس» وإله الحرب «مارس» وهكذا

(٨) الفلسفة فى معناها اللفظى هى محبة الحكمة Philosophy أى البحث عن الحقيقة فإذا مَرَق مدّعوها عن هذا المعنى فقد ضلوا ضلالا بعيدا أما إذا التزموا «التوفيق» الذى كان ينشده ابن رشد وأمثاله فى الشرق والغرب فذلك «أقرب» إلى الرشاد، و«أدنى» من السداد

وهكذا من تُرهات أدى إليها الإفراط فى التباهى بالعقل والتفريط فى الالتزام بـ «التعقل» القويم وسبيله المستقيم.

لقد أمرنا المولى - عز وجل - بالتحدث دائما بنعمة العقل وذلك بحسن استخدامها وحكمة الاسترشاد بها حتى إن مادة «عقل» ذُكرت فى القرآن الكريم فيما يقرب من خمسين موقعا، ولكن الحق - سبحانه - عندما حثّنا على النظر العقلى، وحضّنا على تحكيم العقل دائما فى كل أمورنا فلعل هذا - ولله الحكمة البالغة - يرجع إلى أهمية أن تكون هناك ضوابط لأعمالنا وسلوكياتنا فى الحياة بما يُعيننا على عمارة الأرض وخلافة الإنسان فيها، ومن ثمة أطلق الله - سبحانه - للعقل حرية الحركة ينطلق ما شاء له الانطلاق فى التفكير والتطوير والتأويل والتفسير على ألا يتعدّى «السقف» الذى وضعه الله له من أصول للمعتقدات وأسس للشريعة ومبادىء للطاعات، وذلك فى مثل قول المبلّغ الأمين عن ربه - ﷺ - «صلوا كما رأيتمونى أصلى» [٩] أو «خذوا عنى مناسككم» [١٠] وغير ذلك من الأوامر القاطعة.

أما فيما فوق هذا السقف العقلانى فإنه ينبغى للعقل أن يتوقف كما توقف موسى - عليه السلام - عندما رأى الرجل الصالح يخرق السفينة ويقتل الغلام ويقيم الجدار الذى يريد أن ينقض دون مقابل، مما يدعو العقل إلى انتظار ما فوقه من أحكام.. وتوقُّفُ العقل هنا ليس قصورا فيه أو تقصيرا منه وإنما هو من قيم الحكمة التى تدعو إلى معرفة قدر الذات وإفساح الطريق لما هو أسمى وأعلى فى معارج العلم ودرجات المعرفة والإدراك وذلك زيادة فى الإيمان واطمئنانا إلى أنه فوق كل ذى علم عليم إلى أن يصل الأمر إلى صاحب العلم المطلق - جل وعلا - حيث يقف المسلم على سنام التسليم وقمة الإذعان فى رضى نفسى وقبول قلبى وارتياح روحى ليس مثله ارتياح.

***

(٩) البخارى ١/١٦٢.

(١٠) السنن الكبرى للبيهقى ٥/١٢٥.

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾

شهادات غربية فى إنصاف الإسلام

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

٦ شهادات من أندونيسيا

● «إن هناك شواهد كافية تدلنا على وجود جهود سلمية فى الدعوة لنشر عقيدة الإسلام فى خلال السنوات الستمائة الأخيرة حقاً إن السيف كان يمتشق أحياناً لتأييد قضية دين، ولكن الدعوة والإقناع، وليس القوة والعنف، كانا هما الطابعين الرئيسيين لحركة الدعوة هذه وإن النجاح الرائع هو الذى أحرزه التجار بنوع خاص، الذين كسبوا السبيل إلى قلوب الأهالى.. وإلى جانب التجار، كان هناك جموع ممن يصح أن نسميهم الدعاة المحترفين- وهم الفقهاء والقضاة والحجاه «الحجاج»-.. وقد حاولت الحكومة الهولندية، حتى منتصف القرن التاسع عشر، أن تضع العراقيل فى سبيل الحجاج».

«ففى جاوه، كان ما أحرزه الإسلام من تقدم نتيجة أعمال الدعاة أكثر من أن يكون نتيجة أعمال الأمراء..» وفى بلوكس - بأرخبيل الملايو - جعلت غزوة البرتغاليين تقدم الإسلام أبطأ مما قد يكون لو أن هذه الغزوة لم تحدث، فقد طردوا القاضى، الذى وجدوه يفقه الناس فى عقائد محمد، ونشروا المسيحية بين الأهالى الوثنيين، ولقوا فى ذلك شيئاً من النجاح، وإن كان قصير الأمد».

● «وفى سليبيس، فإن التحول إلى الإسلام، فيما يظهر، قد حدث بطريقة سلمية».

● «وفى جزائر مندناو وسولو، قاوم الأهالى، على وجه الإجمال، كل الجهود التى بذلها المسيحيون فى الغزو والتبشير، حتى نهاية القرن التاسع عشر، مقاومة ناجحة، إلى حد أن المبشرين الإسبان يئسوا من الاستمرار فى القيام بأعمال التبشير.

ويرجع نجاح الإسلام إلى حد بعيد، إذا ووزن بالمسيحية، الى الصورة المختلفة التى عرضت بها هاتان الدانتان على أهالى هذه البلاد، فقد انطوى اعتقادهم بالمسيحية على فقد الحرية السياسية كلها، والاستقلال القومى، ومن هنا أصبح الناس ينظرون إليها على أنها رمز العبودية»[(١)].

***

الصين

● وفى الصين: «..ومن المحتمل جداً، على الرغم من قلة الشواهد التاريخية الصريحة، أن الإسلام دخل الصين أول مادخل مع التجار الذين كانوا يسلكون الطريق البحرى القديم، ولكن أسبق النصوص التى يمكن أن نثق بصحتها تشير إلى علاقات سياسية تبادلوها برا عن طريق بلاد فارس..

ولقد تمخضت فتوح المغول عن حركة هجرة واسعة النطاق هاجر فيها المسلمون على اختلاف قومياتهم، من عرب وفرس وأتراك وغيرهم، إلى الإمبراطورية الصينية..

وفى عام ١٨٦٧م عبر كاتب روسى (Vasil'ev) فى كتاب هام كتبه عن الإسلام فى الصين عن الفكرة التى تقول بأن الإسلام مهيأ الآن ليصبح الدين القومى للامبراطورية الصينية، ولأن يقلب تبعا لذلك، الأوضاع السياسية فى العالم الشرقى رأسا على عقب».

***

الشام وآسيا الوسطى

● وفى الشام وآسيا الوسطى: «لما بلغ الجيش الإسلامى وادى الأردن، وعسكر أبو عبيدة بن الجراح (٤٠ ق.هـ/١٨ هـ - ٥٨٤ / ٦٣٩م فى فحل، كتب الأهالى المسيحيون فى هذه البلاد إلى العرب، يقولون: «يا معشر المسلمين، أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا».

وغلق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش «هرقل» (٦١٠ - ٦٤١م)[(٢)]، وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب

---

(١) توماس ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٢٥ ، ٤٢٨ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠.

(٢) ليون كايتانى، أمير ومستشرق إيطالى اشتهر بدراساته فى التاريخ الإسلامى، وله (تاريخ الإسلام) فى عشرة مجلدات، (دراسات فى تاريخ الشرق) فى ثلاثة مجلدات، ونشر (تجارب الأمم) لابن مسكويه.

إليهم من ظلم الإغريق وتعسفهم».

«.. ويقول «كايتانى» Caetani (١٨٦٩ - ١٩٢٦م): «لقد قبل السكان عن رضى ظاهر تغيير الحكومة» وذلك بمجرد أن علموا أن العرب سيحترمون حقوقهم الشخصية، وسيتركون لهم الحرية العامة فى إقامة شعائرهم الدينية.

● وفى سورية أسرعت مدن ومقاطعات بأكملها الى التفاهم مع العرب حتى قبل أن تقع هزيمة الروم النهائية وفى السواء أذعنوا دون أية معارضة، وقبلوا السيادة الجديدة دون شرط ولاقيد، ومن المحتمل أن يكون هذا قد تم بالنسبة إلى كثير من المناطق السورية النائية عن طريق المواصلات الكبرى.

● أما ولايات الدولة البيزنطية، التى سرعان ماستولى عليها المسلمون ببسالتهم، فقد وجد انها تنعم بحالة من التسامح لم تعرفها طوال قرون كثيرة بسبب ماشاع بينهم من الآراء اليعقوبية والنسطورية، فقد سمح لهم أن يؤدوا شعائر دينهم دون أن يتعرض لهم أحد».

● وفى سنة ١٢٤٤م، عندما وقع بيت المقدس نهائياً فى أيدى المسلمين، رحب المسيحيون من أهل فلسطين بالسادة الجدد، واطمأنوا اليهم ورضوا بحكمهم.

وكذلك دفع هذا الشعور نفسه، شعور الاطمئنان الى الحياة الدينية فى ظل الحكم الإسلامى كثيراً من مسيحيى آسيا الصغرى، فى إبان هذه الفترة ذاتها، إلى الترحيب بمقدم الأتراك السلاجقة باعتبارهم مخلصين لهم من الحكومة البيزنطية البغيضة، لا بسبب نظام الضرائب المجحف وحده، ولكن بسبب روح الاضطهاد التى ظهرت بها الكنيسة الاغريقية، والتى قمعت بمثل هذه القسوة، بدع أصحاب بولس ومحطمى الصور والتماثيل Icemoe Lasts كذلك.

وطالما دعا الأهلون الأتراك، فى عهد ميخائيل الثامن (١٢٢٤ - ١٢٨٢م) إلى الاستيلاء على مدنهم الصغيرة فى داخل آسيا الصغرى، تخلصاً من استبداد الدولة، وكثيرا ماهاجر الأغنياء منهم والفقراء إلى الولايات التركية (٣).

***

تركيا

● وفى تركيا: «من أولى الخطوات التى اتخذها محمد الثانى (٨٣٣ - ٨٨٦هـ ١٤٣٠ - ١٤٨١م) بعد سقوط القسطنطينية (٨٥٧هـ - ١٤٥٣م) وإعادة إقرار النظام فيها، ان يضمن ولاء المسيحيين بأن أعلن نفسه حامى الكنيسة الإغريقية، فحرم اضطهاد المسيحيين تحريماً

(٣) (الدعوة إلى الإسلام) ص ٧٣، ٧٤، ١١٦، ١١٧.

قاطعاً، ومنح البطريق الجديد مرسوماً يضمن له ولأتباعه ولمرؤوسيه من الأساقفة حق التمتع بالامتيازات القديمة والموارد والهبات التى كانوا يتمتعون بها فى العهد السابق.

ولم يقتصر المسلمون فى معاملة رئيس الكنيسة على ماتعود أن يلقاه من الأباطرة والمسيحيين من توقير وتعظيم، بل كان متمتعاً أيضاً بسلطة أهلية واسعة.. وكان من أثر ذلك أن الإغريق، ولو أنهم كانوا يفوقون الأتراك عدداً فى كل الولايات الأوربية التابعة للدولة العثمانية، قد جعلهم التسامح الدينى الذى رخص لهم، وما تمتعوا به من حماية لحياتهم وأموالهم، يسرعون فى الموافقة على تغيير سادتهم وإيثار سيادة السلطان على سيادة أية سلطة مسيحية، وكان الغزاة العثمانيون فى بقاع كثيرة من المملكة يلقون ترحيباً من جانب الإغريق، ويعدونهم مخلصين لهم من الحكم الظالم المستبد».

«ولاشك أن الولايات التركية كانت أحسن حكماً وأكثر رخاء من معظم جهات أوربا المسيحية، وأن جمهرة السكان المسيحيين الذين اشتغلوا بزراعة الأراضى كانوا ينعمون بقدر كبير من الحرية الشخصية، كما كانوا ينعمون بثمار جهودهم فى ظل حكومة السلطان أكثر مما كان ينعم به معاصروهم فى ظل كثير من الحكام المسيحيين. أضف إلى ذلك عاملاً كبيراً كان من أهم العوامل فى زيادة نشاط المملكة التجارى، ذلك أن السلاطين الأولين كانوا دائماً على استعداد لإنعاش الصناعة والتجارة بين رعاياهم، وأن كثيرا من المدن الكبرى قد ازدهرت ازدهارا كبيراً عندما خلصها الفتح التركى مما أصابها فى عهد الدولة البيزنطية من طغيان الثروة الحكومية التى عرقلت نهضتها وشلت حركتها».

«إن المعاملة التى أظهرها الأباطرة العثمانيون للرعايا المسيحيين- على الأقل بعد أن غزوا بلاد اليونان بقرنين- تدل على تسامح لم يكن مثله حتى ذلك الوقت معروفاً فى سائر أوربا وإن أصحاب «كالفن» Calvin (١٥٠٩ - ١٥٦٤م) فى المجر وترانسلفانيا، وأصحاب مذهب التوحيد Unitarian من المسيحيين الذين كانوا فى ترانسلفانيا، طالما آثروا الخضوع للأتراك على الوقوع فى أيدى أسرة هابسبورج المتعصبة ونظر البروتستانت فى سيليزيا إلى تركيا بعيون الرغبة، وتمنوا بسرور أن يشتروا الحرية الدينية بالخضوع للحكم الإسلامى، وحدث أن هرب اليهود الإسبانيون المضطهدون فى جموع هائلة فلم يلجأوا إلا إلى تركيا، فى نهاية القرن الخامس عشر كذلك نرى القوزاق Cossaks الذين ينتمون الى فرقة المؤمنين القدماء Old Believers الذين

اضطهدتهم كنيسة الدولة الروسية، وقد وجدوا من التسامح فى ممالك السلطان ماأنكره عليهم إخوانهم فى المسيحية.

وربما كان يحق لمقاريوس، بطريق أنطاكية فى القرن السابع عشر، أن يهنئ نفسه حين رأى أعمال القسوة الفظيعة التى أوقعها البولنديون من الكاثوليك Catholick Poles على روسيى الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية. قال مقاريوس: «أدام الله بقاء دولة الترك خالدة إلى الأبد.. فهم يأخذون مافرضوه من جزية ولاشأن لهم بالأديان، سواء أكان رعاياهم مسيحيين أم ناصريين، يهودا أو سامرة. أما البولنديون الملاعين فلم يقنعوا بأخذ الضرائب والعشور من إخوان المسيح، بالرغم من أنهم يقومون بخدمتهم عن طيب خاطر، بل وضعوهم تحت سلطة اليهود الظالمين أعداء المسيح الذين لم يسمحوا لهم حتى بأن يبنوا الكنائس، ولا بأن يتركوا لهم قسسا يعرفون أسرار دينهم..».

«.. وحتى إيطاليا، كان فيها قوم يتطلعون بشوق عظيم إلى الترك لعلهم يحظون كما حظى رعاياهم من قبل بالحرية والتسامح اللذين يئسوا من التمتع بها فى ظل أية حكومة مسيحية. وهنا قد يلوح أن الإسلام لم ينتشر بالقوة في أملاك سلطان تركيا..».

● **تفوق العثمانيين الأدبى:** وبينما كان فى المجتمع المسيحى فى ذلك الحين ما يدعو إلى الصد والنفور، كان فى أخلاق الأتراك وحياتهم ما يبعث على التقريب والاجتذاب. وكان تفوق العثمانيين فى عصورهم الأولى، إذا ما قورن بانحطاط زعماء الكنيسة المسيحية ومعلميها، لابد أن يؤثر بطبيعة الحال فى العقول الزاهدة التى سئمت الأطماع المنبعثة من الأنانية، وبيع الوظائف الكنسية، وفساد أفراد الكنيسة الإغريقية.. وكثيرا ما قدم الكتاب المسيحيون الذين لا يكنون للعثمانيين محبة ولا ودا، تقدمة المدح والثناء على فضائل الأتراك، فمن أولئك كاتب كان له رأى سيئ فى عقيدتهم.. هو الكسندر روس Alexander Ross يتحدث عنهم بقوله: «حتى بين توافه القرآن نجد بعض جواهر من الفضائل المسيحية»، وفى الحق لو قرأ المسيحيون باهتمام شريعة المسلمين وتاريخهم وتدبروها، لاستولى عليهم الحياء حين يشاهدون إلى أى حد هؤلاء المسلمون ذوو غيرة علي عبادتهم وتقواهم وتصدقهم وإلى أى حد متفانون فى إخلاصهم، قانتون فى مساجدهم، وإلى أى حد مطيعون لرئيسهم الروحى، حتى التركى العظيم نفسه لا يحاول أمرا إلا بعد مشورة المفتى، وإلى أى حد هم مهتمون بمراعاة أوقات الصلوات الخمس فى كل يوم حيث وجدوا وأيا كانت مشاغلهم؟ ما أشد مراعاتهم دائما لصومهم من الصباح حتى المساء طوال أيام الشهر بلا انقطاع، وما أكثر تواد المسلمين وتراحمهم، ما أعظم ما يرى من عنايتهم بالغرباء فى

نزولهم سواء الفقير النازح أو المسافر! لو تأملنا عدالتهم ونزاهتهم وسائر فضائلهم الخلقية لخجلنا من جمودنا سواء في عبادتنا أو فى تراحمنا، ومن جورنا وإفراطنا وتعسفنا، فلا ريب أن هؤلاء الناس سيقيمون الحجة علينا ولا شك أن عبادتهم وتقواهم وأعمال الرحمة فيهم، هي الأسباب الرئيسية لنمو الدعوة المحمدية».

«.. وقد وصل مؤرخ حديث إلى مثل هذه النتيجة حين قال: «نجد كثيرين من الإغريق من ذوى المواهب العالية والميزات الخلقية قد بلغ تأثرهم بتفوق المسلمين، أنهم حتى عندما كانوا يتجنبون الاندماج فى خدمة السلطان بأداء ضريبة الأبناء، كانوا يدخلون فى دين محمد بمحض إرادتهم. ولابد أنه كان لتفوق المجتمع التركى من الناحيةالخلقية شأن كبير فى هذا التحول إلى الإسلام، الذى كان كثير الوقوع فى القرن الخامس عشر بقدر ما كان للطموح الشخصى للأفراد من أثر فى هذا السبيل».

«.. إن بعض الناس بدأ يسأل: «هل من الجائز أن يأذن الله للمسلمين بأن يبلغوا ما بلغوه من هذا العدد الذى لا يدخل تحت حصر بدون سبب معقول؟ هل من المتصور أن مثل هذه الآلاف المؤلفة تتعرض للهلاك الأبدى كما يتعرض الرجل الواحد؟ كيف يمكن أن يكون أمثال هذه الجماهير الزاخرة مناوئة للدين الحق؟ إنه إذا كان الحق أقوى من الباطل، وكان الناس جميعا يحبون الحق ويرغبون فيه أكثر مما يحبون الباطل، فليس من المحتمل أن تجمع أقوام كثيرة كهؤلاء علي محاربته، كيف استطاعوا أن يقووا على الحق مادام الله يعين علي الحق ويؤيده؟ كيف استطاع دينهم أن ينتشر بهذه الصورة العجيبة لو أنه قام على أساس فاسد من الباطل؟».

«.. وبعد أن نظمت الشريعة الإسلامية مسألة الرق، انتزع عن الرقيق كثير من أشد مظاهره غلظة وفظاظة، ويظهر أنه لم يكن على الأقل فى تركيا شئ من أمثال تلك الأعمال الوحشية والفظائع التى كانت فى ولايات القرصنة فى إفريقيا الشمالية.. كان للرقيق، كما لسائر المواطنين حقوقهم.. بل قيل إنه كان للعبد أن يقاضى سيده إذا أساء معاملته، وأنه إذا تحقق القاضى من اختلاف طباعهما اختلافا بينا إلي حد تعذر الاتفاق بينهما، فله أن يرغم السيد على بيعه».

«وينبغى أن نقرر، فيما يتعلق بالترك، أنهم عاملوا خدمهم ومواليهم معاملة أحسن من تلك التى كان النصارى يعاملون بها خدمهم وعبيدهم، فكان الخادم الماهر فى فن من الفنون يتمتع بكل ما يرجوه الحر، ولا ينقصه إلا التحرر»[٤]

(٤) المصدر السابق ص ١٧٠، ١٧٢، ١٧٤، ١٨١ - ١٨٣، ١٩٦ - ٢٠١.

معاملة المسلمين مع غيرهم... المبادىء والتطبيق

تحقيق العدالة بين الرعية

ما أسعد أن يعيش الإنسان فى مجتمع تسوده العدالة، ويطمئن فيه إلى تطبيق العدل بين الناس جميعا، لا فرق بين حاكم ومحكوم، ولا بين غنى وفقير، ولا بين قوى ولا ضعيف، ولا بين مسلم وغير مسلم.

ولأن الإسلام حريص على أمن المجتمع واستقراره، وعلى إرساء دعائم هذا الأمن والاستقرار اعتنى عناية بالغة بتحقيق العدالة بين الناس جميعا بلا تفرقة أو تمييز، فأولاها اهتمامه وركز عليها باعتبار أنها من أهم حقوق الإنسان فى الإسلام.

ولأهمية العدل فى حياة المجتمعات والشعوب والأمم، بصفته ركنا أساسيا فى بناء المجتمع السليم، فإذا تحقق العدل وساد، والتزم الجميع بتطبيقه ضمن المجتمع استقرارا واطمئنانا يدفعانه إلى التقدم فى جميع جوانب الحياة.. نجد أن القرآن الكريم قد اهتم اهتماما خاصا بالعدل، فقد وردت مادة (عدل) وتصرفاتها: اعدلوا، تعدلوا، يعدلون.. إلخ فى تسع عشرة آية من سور القرآن الكريم، كما وردت مادة (قسط يقسط بمعنى العدل) فى ست وعشرين آية من سور القرآن الكريم.

والقرآن الكريم يأمر فى صراحة ووضوح بإقامة العدل ووجوب تحقيق العدالة، يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

سورة النحل آية ٩٠

ويقول جل وعلا:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾

سورة النساء آية ٥٨

ويحذر القرآن الكريم من الانحياز إلى طرف من الخصمين عند الحكم، بسبب قرابة تربط بين الحاكم أو القاضى وهذا الطرف، يقول الله تعالى:

٤

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف
رئيس اللجنة الدائمة للحوار بين الأديان السماوية بالأزهر الشريف

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾

سورة الأنعام آية ١٥٢

كما يحذر القرآن الكريم من الانحياز إلى إلى طرف من الخصمين عند الحكم بسبب عداوة، أو كره، أو بغض للطرف الآخر، يقول سبحانه وتعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

سورة المائدة آية ٨

وللترغيب فى الالتزام بالعدل والنطق بالحق بيّن رسول الله ﷺ عاقبة وجزاء العادلين عند الله، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص صلى – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين (العادلين) عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون فى حكمهم، وأهليهم، وما ولوا» (١)

وعن عياض – رضى الله عنه – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى مسلم، وعفيف متعفف ذو عيال) (٢)

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ يا أبا هريرة: عَدْل ساعة أفضل من عبادة ستين سنة: قيام ليلها وصيام نهارها، ويا أبا هريرة: جَوْر ساعة فى حُكْم أشد وأعظم عند الله عز وجل من معاصى ستين سنة)

وكان رسول الله ﷺ أول من يطبق العدالة على نفسه، فقد طالبه يهودى بدين لم يأت موعد سداده بعد، واشتد اليهودى واحتد فى طلبه، وجذب الرسول من ثوبه جذبه شديدة أثرت فى عنقه الشريف، مما أثار حفيظة سيدنا عمر بن الخطاب – رضى

(١) رواه الإمامان مسلم والنسائى.

(٢) رواه مسلم.

الله عنه ـ وهمّ بضربه، فقال له النبي ﷺ : «لا يا عمر: أنا وهو أولى منك بغير ذلك: تأمرنى بحسن الأداء وتأمره بحسن التقاضى»(٣)

ولقد حرص الخلفاء الراشدون فى صدر الإسلام على الالتزام بالعدالة وتطبيقها على أنفسهم أولا، فكانوا موضع القدوة والحذوة للرعية، ولدى من يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب. والتاريخ الإسلامى حافل بالأمثلة:

فقد افتقد سيدنا على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ درعه فوجدها عند رجل نصرانى، فرفع دعوى إلى القاضى شريح، فقال شريح للخصم: ما تقول فى دعوى أمير المؤمنين؟ فقال: الدرع درعى، وليحضر أمير المؤمنين البينة، فقال شريح للإمام على: ألك بينة على ما تقول؟ فقال الإمام على: ليس عندى بينة، فقال شريح: هى إذن ملك للرجل لا لك. وأخذ الدرع خصمه ومضى دون اعتراض.. وسارع سيدنا على إلى شريح فقال له: حيّاك الله، فقد علمت بما يفرضه الشرع الحنيف، وبعد ذلك رجع الخصم إلى شريح فقال له: الدرع درع أمير المؤمنين، وقد أخذتها وأنا أتبع الجيش عند ذهابه إلى صفين! وبلغ الأمر عليا فقال: هى له تبرعا مادام قد اعترف بالحق.

وحدث أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ مرّ بباب قوم فوجد سائلا ضرير البصر يسأل الناس، فسأل عنه، فعرف أنه يهودى، فقال له: ما ألجأك إلى السؤال؟ فقال: الحاجة والسن، فأخذ عمر بيده، وذهب به إلى منزله وأعطاه مما وجد، ثم أرسل إلى خازن بيت المال وقال له: انظر هذا وأمثاله، فو الله ما أنصفناه إذ أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، وقد قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾

التوبة/ ٦٠

وهذا من المساكين من أهل الكتاب.

على أننا لا نجد مثالا أعلى يبرز عدالة الإسلام، واهتمامه البالغ بتحرى وجه الحقيقة مع الخصوم ليحكم بالحق بينهم، مثل هذا المثل الصارخ الذى يدل على حرص الإسلام على تحقيق العدالة بين الناس جميعا، وعلى النزاهة البريئة من كل شك، وهو مَثَلٌ جدير بالتأمل والتفكر، والذيوع والانتشار، ليكون قدوة عظمى للحاكم والمحكومين، وللراعى والرعية، وللناس أجمعين.

فقد نزل القرآن الكريم ليبرأ يهوديا اتهم ظلما وعدوانا بالسرقة، وليس لديه

(٣) متفق عليه.

أدلة تثبت براءته، وكاد أن يصدر الحكم عليه بإدانته بالسرقة، وتنفيذ الحد عليه، لولا تبرئة القرآن الكريم له.

فقد حدث أن سطا رجل ـ ينتسب إلى الإسلام ـ اسمه طُعْمَة بن أبيرق ـ أحد بنى ظفر ـ على جار له اسمه: قتادة بن النعمان، وسرق درعا له فى جراب من دقيق، فجعل الدقيق ينتشر من خرق فيه، ثم خبأ طعمه الدرع عند رجل من اليهود اسمه: زيد بن السمين ليحفظها عنده وديعة له.

وبحث أصحاب الدرع عنها عند طعمه فلم يجدوها، وحلف ما أخذها، فتركوه وتتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودى، فأخذوه واتهموه بالسرقة، فقال اليهودى: دفعها إلىّ طعمة، وأودعها عندى أمانة له، وأنه لا يعلم شيئا عن سرقتها، وأنه برىء من تهمة السرقة.. فقالت بنو ظفر ـ أقارب طعمة ـ: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ، فلما وصلوا إليه سألوه أن يجادل ـ أى يدافع ـ عن صاحبهم طعمة، وقالوا إن لم تفعل هلك طعمة، وافتضح أمره، وبُرىء اليهودى السارق.

وعرضت المسألة على رسول الله صلى الله عليه حيث أنكر طعمة أنه سرق، وأنكر أنه أعطى الدرع إلى اليهودى، وجعل طعمة يحلف ـ كذبا ـ على صدق كلامه.

وأمام هذا الحلف المتكرر من طعمه، وأمام ضبط الدرع فى منزل اليهودى، وليس لديه أدلة على أن طعمة أعطاها له.. كاد رسول الله ﷺ أن يبرىء طعمة من تهمة السرقة، وأن يعاقب اليهودى، وقيل همّ أن يقطع يده.

ولكن الله عز وجل المطلع على كل شىء، يعلم السر وأخفى، شاء سبحانه أن يظهر الحق ويبرىء المظلوم، فنزلت هذه الآية الكريمة تبرىء اليهودى من السرقة، وتطلب من الرسول ﷺ أن يستغفر الله مما همّ به من تبرئة طعمة وإدانة اليهودى، حيث إن ظاهر الأمر يقتضى ذلك «وهذا إن لم يكن ذنبا إلا أنه سبحان الله وتعالى أمر نبيه ﷺ بالاستغفار من ذلك لعلو مقامه على حد قول العلماء: «حسنات الأبرار سيئات المتقين»، أو تطلب من الرسول ﷺ أن يستغفر الله لهؤلاء الخائنين لكى يتوبوا إلى الله تعالى ببركة استغفاره لهم، كما توجه الآيات الكريمة التوبيخ الشديد للخائنين أقارب طعمة الذين دافعوا عنه ليبرءوه من الخيانة، ثم تفتح الآيات الكريمة باب التوبة لمن يعمل عملا سيئا يؤذى به غيره ـ كما فعل طعمة باليهودى، أو يظلم نفسه بارتكابه الفواحش التى يعود معظم ضررها على نفسه، بأن يتوب إلى الله توبة صادقة نصوحا، وعندما يتوب يجد الله بفضله وكرمه غفورا رحيما.

يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (105) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (106) وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (107) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (108) هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (109) وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا (110) وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (111) وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (112) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (113) ﴾

سورة النساء الآيات من ١٠٥-١١٣

فإنصاف اليهودى بإنزال الوحى من السماء لتبرئته، مما يقطع دون شك بحرص الإسلام على تحقيق العدالة بين الناس جميعاً، بلا تفرقة ولا تميز بينهم، ولا دخل لاختلاف الدين فى ذلك، وعلى إنصاف أهل الكتاب وعدم مؤاخذتهم بما لم يفعلوه.. والرسول ﷺ بشر يحكم بما اتضح له، ولكن الله من فوقه عليم يهديه إلى الصراط المستقيم.

عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: جاء رجلان من الأنصار يختصمان إلى رسول الله ﷺ فى مواريث بينهما قد درست. ليس عندهما بينة، فقال رسول الله ﷺ: «إنكم تختصمون إلىّ وإنما أنا بشر، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فإنى أقضى بينكم على نحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار..» فبكى الرجلان وقال كل منهما: حقى لأخى، فقال رسول الله ﷺ: «أما إذ قلتما ذلك فاذهبا فاقتسما، ثم توخيا الحق بينكما ثم استهما. ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه»[4]

إن الإسلام ينظر إلى العدالة على إنها أساس أمن المجتمع واستقراره، وفى ظل الحياة العادلة ترى الجميع آمنين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ولننظر إلى حياة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد طبق العدل فى أسمى معانيه، ها هو ذا يأتيه رسول كسرى بالمدينة فلم يجد له قصراً ولا بيتاً متميزاً عن سائر الرعية، ويراه نائماً أمام بيته، فدهش وقال قولته المشهورة: حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر.. ولقد أثارت هذه الواقعة مشاعر شاعر النيل حافظ إبراهيم -رحمه الله- فأنشد هذه الأبيات:

وراع صاحبَ كسرى أن يرى عُمرا
بين الرعية عطلا وهو راعيها

وعهده بملوك الفرس أن لها
سوارا من الجند والأحراس يحميها

رآه مستلقياً فى نومه فرأى
فيه المهابة فى أسمى معانيها

فقال قولة حق أصبحت مثلاً
وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها

أمنت لما أقمت العدل يا عمر
فنمت نوم قرير العين هانيها

(٤) رواه الإمام أحمد.

وداع!

شعر: السيد الصديق حافظ

راحلٌ عنك أستحثُ المطايا ... مُوسَقاتٍ[1] أحمالُهُنَّ الخطايا!

لم أنلْ منك ما أحبُّ وأرجو ... غير أن المنى بلوغُ المنايا![2]

إنْ أخَيْرُ ما بين عُمْرٍ جديدٍ ... أو بقايا عُمْرِى لقلتُ: البقايا!

عشتُ ما عشتُ لم يطبْ لى مقام ... فى زمان الأسى ودنيا الدنايا!

***

حبُّها إن طغى مُذلٌ مبيدٌ ... عاصفٌ والهوى عظيم الضحايا!

إن حبًّا يجرُّ إثما ضلالٌ! ... ويْك يا من بغَى غرامَ البغايا!!

الرجال الذين سادوا عبيدٌ ... واللواتى يأسِرْنَ هن السبايا!

***

قصةُ الدهرِ ليس فيها جديد ... وحكاياه هُنّ هُنّ الحكايا!!

يركض العمر بين مهدٍ ولحدٍ ... ثم يلقى إلى ظلام الزوايا!

***

خيرُ ما فى الزمان ساعة صفْوٍ ... فى مداها أدعوك ربَّ البرايا!

سبحت باسمك الحنايا[3] ودانت ... لك روحى وقدستْك الخلايا![4]

ربِّ إنى ظلمتُ نفسى كثيرا ... فاغفر الذنب يا عليم الخفايا!

***

(١) موسقات: محملات. الوسْق حمل البعير.

(٢) المنايا: جمع منية - الموت.

(٣) الحنايا: الضلوع، جمع حنيّة وهى القوس شبهت بها الضلوع لانحنائها.

(٤) الخلايا: خلايا الجسد، المعنى كل خلية وما دونها تقدسك ربى وتعظمك.

وظيفة المسلمين.. البلاغ بالحكمة والحوار

أهمية الحوار الحضارى

للدكتور/ عبد الحليم عويس

الحوار بين الناس والحضارات والأفراد «هو ما سماه القرآن التعارف»، فى قوله تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾

الحجرات/ ١٣

بما يقتضيه التعارف من تبادل الخبرات والمعارف، وتحقيق التفاهم والود والتعاون.. هذا الحوار ضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية وبقاء الحضارات.. ولهذا كانت فترات السلام هى الأصل فى بناء الحضارات واستمرارها، أما الحرب فشذوذ يؤدى إلى إزهاق الأرواح وتبديد الإمكانات، وما ينفق عليها قد يسعد الجنس البشرى كله قرونا - كما نرى فى حجم الإنفاق العسكرى فى العصر الحديث - ومن هنا يكتسب الحوار أهميته البالغة من كون الوجود الاجتماعى الإنسانى لا يتحقق إلا بوجود «الآخر المختلف»، الذى يمكن أن نتعرف عليه، وتتبادل معه الخبرات وصور التعاون.. وبالتالى تستطيعان معا - بالالتقاء والحوار - إنتاج المعرفة، وتوليد الأفكار الجديدة، حتى تتضح المعانى، وتغنى المفاهيم، لأن الحوار فى مستوياته العليا إنما هو نوع من إنتاج المعرفة الراقية، التى تتحاور مع كافة ضروب المعرفة الإنسانية.

وبالتزام الحوار، وتواصله بين الأطراف المختلفة، تتقلص شقة الخلاف شيئا فشيئا، وبفضله تتسع قدرات العقل، وتتعمق مداركه، وفى أجواء الحوار ينمو العقل، ويقوى بما يتهيأ له من تنوع فى الفكر، واختلاف فى المنهج(١).

فإذا أغلق الإنسان باب الحوار، فقد أغلق على عقله الأوردة التى تحمل إليه المعرفة الناضجة التى قبلتها العقول، ومحصتها النظرات الثاقبة، والآراء السديدة.

ويؤكد أحد الباحثين النابهين على أن الحوار - فى حقيقة أمره - انعكاس لمستوى تطور وعى الفرد والجماعة، بينما يمثل الانطواء على الذات، والتقوقع داخلها مرحلة الطفولة والبدائية.

فكلما سما الإنسان، وترفع عن أنانيته، أوجد فى ذاته مكانا أرحب

للآخر، وأدرك أن الحقيقة ليست فى الأنا وحدها، بل هى تتكامل مع الآخر، والحوار معه فرصة ثمينة لاكتشاف الأنا، وإضاءة ساطعة على الثغرات، والنواقص التى لا تخلو منها شخصية إنسانية(٢).

وقد سجل التاريخ الإنسانى للحضارة الإسلامية أنها كانت هى المبادرة باقتحام فضاء الآخر، والدخول معه مبكرا فى حوار صريح وجرىء، تناول المقدس والممنوع، وطرحت على بساط البحث، والتحليل، والنقاش العلمى الجاد، كل المنظومات المعرفية التى طالتها أيدى علمائها، دون خوف أو وجل(٣).

الاستعلاء الأوروبى

لكن موقف أوروبا كان على العكس من ذلك! فمع تشويهها الدائم للإسلام، أضافت - إلى هذا التشويه الظالم - عنصر الاستعلاء القومى والحضارى، لاسيما عقب اكتشافها لأمريكا، ورأس الرجاء الصالح «مستفيدة من خبرة المسلمين البحرية»، وازدهارها الاقتصادى، واكتشافاتها العلمية، ومن ثم اعتبرت أوروبا نفسها صاحبة مشروع كونى، تمثل فيه أوروبا «المركز»، وباقى العالم لا يعدو أن يكون مجموعة أطراف، مكونة من أنماط حياتية، واقتصادية، غير واعية، ومتعثرة، وساكنة، ومفتقرة لقوة الاستكشاف، والتحليل، والاستنتاج(٤)، وكأنها - فى رأيها - لا تستحق الحياة، أو كأنها لم يكن لها رصيد حضارى، ربما يفوق الحضارة الأوروبية فى بعض معطياته المعنوية والفنية بخاصة.. والمادية بالنسبة لعصرها ثانية.

وبهذه الروح الاستعلائية العنصرية، عامل الغرب كل الحضارات القديمة، التى سيطر على شعوبها، وجند كل قواه

(١) محمد زرمان: ثقافة الحوار ودورها فى التأسيس للتواصل بين الأنا والآخر، مؤتمر الإسلام والمسلمون فى القرن الحادى والعشرين، عمان، إربد، الأردن، جامعة اليرموك، نوفمبر ٢٠٠٤م.

(٢) محمد زرمان: البحث السابق. (٣) المرجع السابق «بتصرف». (٤) المرجع السابق.

لتحطيمها، وتشويهها، وإحلال النموذج الغربى محلها، منطلقا من رؤية تدميرية استعمارية تقوم على أن كل الحضارات الأخرى لا تستطيع أن تلتحق بالغرب وحدها فى ميدان التقدم، وبما أنها لا تستطيع أن تفعل ذلك لوحدها، فإنه ينبغى على الغرب أن يساعدها، أى أن يستعمرها(٥).

وهو منطق عجيب !!.

***

ونظن أنه - بهذا الفكر الاستعلائى العنصرى - لا يمكن أن يكون هناك مكان للحوار، من وجهة نظر ساسة أوروبا وقادتها، ونخبها المثقفة المؤمنة بهذا الفكر العنصرى الماسونى.. اللهم إلا حوار السادة مع العبيد..!!.

وظيفة المسلمين.. البلاغ لا الحرب

تعد حرية العقيدة أساسا من أسس التنظيم الإسلامى للحياة، فلا إكراه فى الدين.. قال تعالى:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾

البقرة / ٢٥٦

وتدلنا عبارة:

﴿ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾

على أن وظيفة الرسول والمسلمين هى تبليغ الدين، حتى يتبين للناس ما فيه من الحق، ولهم - بعد ذلك - أن يؤمنوا به أو لا يؤمنوا.

وقال الله - سبحانه -:

﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾

آل عمران / ٢٠

وهكذا تتحدد وظيفة الرسول ومن معه فى القيام بوظيفة البلاغ.

الإسلام دين عالمى

ولهذا أصبح بث الدعاة للإسلام فى أوساط المعمورة واجبا إسلاميا، لأن الإسلام دين عالمى، أو بتعبير أدق دين ذو نزعة عالمية، والناس جميعا مخاطبون به، وعليهم شرعا أمام الله وليس قهرا فى دنيا الناس الاستجابة لتعاليمه، لأنه حياة جامعة للناس، وهو دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها، قال الله - تعالى -:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

الروم / ٣٠

(٥) المرجع السابق.

قال - تعالى -:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾

الأعراف / ١٥٨

وقال - سبحانه -:

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾

الفرقان / ١

لكن - من المعروف - أن كثيرا من القوى لا تترك الناس تعرض فكرها، بل تصادر هذا الحق، وتحارب أصحابه الذين يسعون إلى الحوار، وتصحيح ما تراكم من الأخطاء عبر التاريخ، وهى تقاوم ترقية العقل والفكر، وإصلاح الحياة، وتدعيم الحضارة المدنية، ومن الضرورى فى هذه الحالة - كما حدث للمسلمين فى المدينة - وجود قوة تحمى وظيفة البلاغ، ودرع يصونها.

ومن هنا كان التلازم فى الإسلام بين الدعوة إلى الدين وقيام الدولة، ووظيفة الدولة نشر الدعوة وحفظ العقائد والآداب، وإقامة الفرائض والسنن، وتنفيذ الأحكام فى بلاد الإسلام، وحماية البيضة، والذب عن الحوزة.

انتشار الدعوة وامتداد الدولة

وهذا يوجب أن نميز بين انتشار الدعوة وامتداد الدولة، ولا يصح للمسلمين وغيرهم أن يفهموا أن الدعوة المحمدية انتشرت تحت ظلال السيف، نتيجة لاقتران ظهورها خارج الجزيرة العربية بظهور الدولة الإسلامية، وامتزاج تاريخ الفتوحات السياسية والدولية بتاريخ الفتح الدينى، لأن قبول الإسلام كان بمعزل تام من الخضوع لسلطان الدولة.

وتؤكد آيات الله فى القرآن الكريم، كما تؤكد مسيرة التاريخ أن الدعوة إلى الإسلام عن طريق الإكراه ممنوعة تماما.

ففى القرآن يرد قوله - تعالى -:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾

البقرة / ٢٥٦

وقوله - تعالى -:

﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

يونس / ٩٩

وقوله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾

يونس / ١٠٠

ومن مسيرة التاريخ يتبين لنا أن مجرد وجود كثير من الفرق والجماعات الهندوسية والسيخية، والبوذية، واليهودية، والمسيحية فى الأقطار التى ظلت قرونا فى ظل الحكم الإسلامى دليل ثابت على التسامح الذى نعم به غير المسلمين من أهل الكتاب وغيرهم، كما تدل مسيرة التاريخ على أن الاضطهادات التى كانت تقع بأيدى الطغاة والمتعصبين، إنما كانت ناتجة من بعض ظروف خاصة وإقليمية، أكثر من أن تكون منبعثة من مبدأ مقرر من التعصب، وكثيرا ما وقعت على المسلمين أكثر من غيرهم.

التسامح الإسلامى

وكان طابع التسامح يلازم القواد الفاتحين حين الفتح أيضا، مما يدل على أن اعتناق الهندوسيين والمسيحيين للإسلام كان عن اختيار وإرادة حرة، ومن الشواهد على هذا أن محمد بن القاسم الثقفى فاتح بلاد السند، كان يحترم عقائد الهند ويقول: «ما البد - يعنى صنم بوذا، أو كل ما يعبد، حتى من غير البد، أو موضع العبادة الذى شبه عندهم بكنائس النصارى، وبيوت النيران عند المجوس - إلا ككنائس النصارى، وبيع اليهود، وبيوت نار المجوس»، حتى إنه حينما مات بكى أهل الهند أنفسهم لاحترامه عقائدهم ولعدالته.

ويؤكد «توماس أرنولد» أن لواء الدعوة إلى الإسلام حمله التجار المسلمون الصادقون الأمناء إلى حد كبير، وخاصة فى أفريقيا وبلاد أخرى غير متمدنة، كما حمله الفقهاء، والقضاة والحجاج، الذين نشطوا فى نشر تعاليم الإسلام، لا سيما فى العهود الأخيرة، وبالجملة فإن كل مسلم كان يتحمس لدينه ويدعو إليه فى نطاقه الخاص به حتى النساء المسلمات فى خدورهن، وحتى المسلمين الأسرى فى ديار عدوهم.

وكل ذلك يجعلنا نردد مع «أرنولد» قوله: «لقد ظهر أن الفكرة التى شاعت بأن السيف كان العامل فى تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق، وأن السيف إذا كان يمتشق أحيانا لتأييد قضية الدين، فإن الدعوة والإقناع، وليس القوة والعنف كانا هما الطابعين الرئيسيين لحركة الدعوة هذه».

ويعلق الدكتور وهبة الزحيلى على أقوال «أرنولد» بقوله: «لقد أثبتت التجارب قديما وحديثا أن المبدأ الذى يفرض بالقوة سرعان ما يزول إثر زوالها، والمعروف عن الإسلام أن الذين اتبعوه كانوا أشد تحمسا ونصرة له، وأكثر غيرة على مجده وتدعيم صولجانه، وما ذلك إلا لأن الإيمان عمر قلوبهم بالمنطق والبرهان».

وقد نص علماء التوحيد على أن الإيمان لا يقبل من إنسان عن طريق محض التقليد، وإنما لابد له من دليل على الإيمان، ولو كان الدليل إجماليا، وأنه لا قيمة لإسلام ظاهرى غير صادر عن اقتناع، قال - تعالى -:

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾

الحجرات / ١٤

فكيف يكره الإسلام الناس على الإيمان مع رفضه للتقليد ومطالبته المؤمن بالدليل على صدق إيمانه حسب قدرته الثقافية والعقلية.

والنتيجة أن الإيمان لابد أن يكون بمحض الاختيار، ولا سبيل للإكراه على الإيمان، وإلا كان الإيمان هباء ضائعا لا قيمة له.

بالدعوة وحدها انتشر الإسلام

وما ثبت أن الرسول أكره أحدا على الإيمان، بل إنه - عليه السلام - كان موقنا بأن وظيفته الإنذار والتبليغ فقط، لاسيما وقد رفع الله عنه الأسى والحزن إذا أعرض الناس عن دعوته، قال الله - تعالى -:

﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾

الغاشية / ٢٢

﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾

الشورى / ٤٨

﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾

فاطر / ٢٣

﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾

الكهف / ٦

وأما حروب الإسلام ضد قريش والفرس والروم فإنها لم تكن لنشر العقيدة بالسيف، وإنما هى تأديب لمن يكفرون بحرية العقيدة الإسلامية، ويفتنون الناس عما تؤمن به قلوبهم وتطمئن له عقولهم، قال الله - عز وجل -:

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾

البقرة / ١٩٣

يقول (جوستاف لوبون) المؤرخ الفيلسوف الفرنسى: «لم تكن القوة عاملا فى انتشار الإسلام، فقد ترك العرب الفاتحون المغلوبين أحرارا فى أديانهم، فإذا حدث أن اعتنق بعض الأقوام الإسلام واتخذوا العربية لغة لهم، فذلك لما رأوه من عدل العرب الغالبين مما لم يروا مثله من سادتهم السابقين، ولما كان الإسلام من السهولة التى لم يعرفوها من قبل.. والتاريخ أثبت أن الأديان لا تفرض بالقوة، فلما قهر النصارى عرب الأندلس فضل هولاء القتل والطرد عن آخرهم على ترك الإسلام، ولم ينتشر الإسلام بالسيف، بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنق الإسلام الشعوب التى قهرت العرب مؤخرا كالترك والمغول».

ويقول جورج سيل الإنجليزى، مترجم معانى القرآن إلى الإنجليزية: «إنه لن يتحرى الأسباب التى من أجلها صادفت شريعة محمد ترحيبا لا مثيل له فى العالم، لأن هؤلاء الذين يتخيلون أنها قد انتشرت بحد السيف وحده، إنما ينخدعون انخداعا عظيما»(٦).

***

وهكذا - من خلال ما ذكرناه - يتأكد لكل دارس منصف موضوعى أن الإسلام لم يعمد إلى القتال على أساس أنه وسيلة من وسائل نشره، وإنما كان القتال تطورا طبيعيا تقتضيه حماية الدعوة ودولتها ومؤسساتها، وفرض هيبتها على المستخفين بها، الذين استمرأوا تعذيب المسلمين وملاحقتهم فى كل بلاد العالم.

(٦) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، وانظر/ أنور الجندى: تاريخ الإسلام، المجلد الثانى، ص٤٩، دار الأنصار - مصر.

السنة النبوية بين المنكرين والمتهاونين والمتلاعبين

٤

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

أمين عام اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر

كان آخر حديث لنا عن المتلاعبين بالسُّنَّة، تناولنا فيه الحديث عن تلاعب المتلاعبين «فى صلاة التراويح» عدداً وجماعة ورفضهم لما روى عن سيدنا عمر بن الخطاب، وليس العجب أنهم رفضوا كلَّ ما روى عن سيدنا عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – لكن العجب كأنهم نفذوا قوله – تعالى:

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾

البقرة / ٨٥

وكأنهم قرأوا قوله – تعالى:

﴿ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾

النساء / ٤٣

ولم يكملوا الآية، ولقد قلنا إن التراويح لم تكن تصلى جماعة فى عصر النبى – ﷺ – ولا فى عصر سيدنا أبى بكر وصدرا من خلافة سيدنا عمر – رضى الله عنه – (١) فالثابت أن النبى – ﷺ – خرج فصلى – ليالى معدودات – وصلى خلفه الناس لكنه وجدهم أوزاعاً متفرقين «يصلى الرجل ويصلى خلفه جماعة، ويصلى الرجل لنفسه منفرداً وهكذا» ومع هذا لم يثبت أن النبى – ﷺ – نهى عن هذا أو أنه – ﷺ – أمر بأن يجتمعوا على إمام واحد والذى جمع الناس على قارىء واحد وإمام واحد هو سيدنا عمر ابن الخطاب – رضى الله عنه –، ولم يخالف فى ذلك أحد من المسلمين ولم ينكر على سيدنا عمر جمعه الناس على إمام واحد، ولك أن تسأل لماذا لم يخالف حتى المتلاّعبين فيما فعله سيدنا عمر – رضى الله عنه –؟ ألأن ذلك يرضيهم، أو يوافق هواهم؟؟!! أو أنهم وجدوا ما يرضى شهوة الاختلاف والتشرذم الممقوت فأنكروا فعله – رضى الله عنه – فيما روى أنه صلى عشرين ركعة، فوجدوا ضالتهم فى زعمهم الصواب وما يرضى غرور الزعامة عندهم أو التميز فى عدد الصلوات، ونسأل كل عاقل.. أليس سيدنا

(١) راجع مقالنا السابق عدد شهر رمضان ١٤٢٦هـ.

عمر هو الذى جمع الناس ولم يثبت أن من سبقه فعل فعله؟ فلماذا يكون سيدنا عمر إماماً مقتدىً فى جَمْع الناس على إمام واحد ويكون فعله مقبولاً، ولا يكون متبوعاً فى نفس الفعل من ناحية أخرى؟؟!! نرجو الله – سبحانه وتعالى – ألا يكون ذلك عن هوىً وأن لا يصبح الفعل المخالف شعاراً لفئة أو جماعة على أن القضية كلها كما سبق أن قلنا – لا تحتمل هذا الخلاف ولا تقبل هذه المخالفة – الأمر كله فى نطاق «الفضل» من شاء فعل ومن شاء ترك ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

هذا ما أردت تأكيده وألا نصدر فيما نقول أو نفعل عن هوىً أو رغبة فى حب الظهور والتفرد.. ونسأل الله ونحن نتعرض لقضية أخرى مشابهة إن صح تسميتها كذلك – وقل – إن شئت – زوبعة من زوابع «أبى مرَّة» أسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يوفقنى لتجنبها ويعيننى على أن أجنب المسلمين ويلات هذا التمزق والشتات الذى نعانيه من انشغالنا بقضايا – لا أقول تافهة – ولكن نندفع فى عناد أحمق وننسى من أجلها قضايا أكثر خطراً وخطورة على المسلمين.

قال صاحبى – بعد أن اعتدل فى جلسته وكأنه تهيأ لهجوم مرتقب: ألا يكفيك كل ما قدمت وقلت وحكيت لتتعرض ما تريد أن تقوله فى موضوعك اليوم؟

قلت فى صراحة وصدق: أما هذه فمعك فيها كل الحق. فلقد آن الأوان أن نعرض لما سبق أن وعدتك به فى المقال السابق.. ولعلك تذكر أننى وعدتك بالحديث عما نسب إلى سيدنا عمر بن الخطاب –رضى الله عنه– أنه قطع أو زعموا أنه قطع ـ شجرة الرضوان ـ بعد أن رأى جموع الناس يلتفون حولها ويصلون عندها أو يتبركون بها، وأرى أن هذا يستوجب أن نعرض أولاً لقضية التبرك.. هل هى جائزة مقبولة أو هى واقعة ثابتة؟ ثم نثنى بالحديث عما نسب إلى سيدنا عمر – رضى الله عنه – من قطع الشجرة الموهومة للأسباب المزعومة.

قال صاحبى فى تحفز ظاهر: – أرى فى قولك «مصادرة على المطلوب» – كما يقول علماء المنطق – حيث إنك تصف الشجرة بأنها موهومة وأن الأسباب مزعومة، قبل أن تعرض القضية، قلت مهلاً حتى تتبين وجه الصواب ولا تتسرع أما عن قضية التبرك فإنه من الثابت الصحيح أن صحابة رسول الله – ﷺ – كانوا يتبركون بوضوئه وشعره وعرقه وبذاقه – ﷺ – وإليك البيان:

● أولاً: روى الإمام أحمد (٢) فى مسنده فى صلح الحديبية أنه لما أرسل المشركون من أهل مكة عروة بن مسعود الثقفى ليفاوض النبى – ﷺ – ويكتب معه عهد وشروط

(٢) جـ٤ ص٣٢٤.

الصلح: روى المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم- والحديث فى المسند بطوله راجعه إن شئت- يقول الراوى فقام عروة من عند رسول الله - ﷺ - وقد رأى ما يصنع أصحابه حيث كان لا يتوضأ إلا ابتدروه - تسابقوا إلى تناوله- فلا يبذق بذاقاً إلا ابتدروه، ولا يسقط من شعره شىء إلا أخذوه.

ونحن لا نستشهد بكلام عروة بن مسعود.. وإنما نستشهد بفعل أصحاب النبى - ﷺ - وإقراره لهم، لأن إقراره - ﷺ - بفعل حدث أمامه حديث كما قرر أهل الاختصاص وعلماء مصطلح الحديث وعلماء الأصول.

● ثانياً: روى البيهقى بسنده فى الدلائل عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: (٣) «لما رمى رسول الله - ﷺ - الجمرة ونحر هديه ناول الحلاق شقه الأيمن فحلقه فناوله أبا طلحة.. ثم ناوله شقه الأيسر فحلقه وأمره أن يقسمه بين الناس» قال البيهقى: رواه مسلم فى الصحيح عن ابن أبى عمر عن سفيان.

● ثالثاً: روى البخارى (٤) عن عبدالله بن وهب قال: «دخلت على أم سلمة فأخرجت لنا شعراً من شعر النبى - ﷺ - مخضوبا». وأحسب أنك تعلم أنها لم تحتفظ به إلا من أجل البركة كما أنها لم تخرجه لهم إلا التماساً للبركة أم أنك ترى غير ذلك؟.

والكلام فى هذا يطول والشواهد كثيرة.

وما لنا نُطوِّح بعيدا، وقد قال ابن عباس وهو حبر الأمة وترجمان القرآن فى تفسيره(٥) عند قوله - تعالى -:

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾

البقرة / ٢٤٨

قال ما نصه: «ما ترك موسى كتابه ويقال ألواحه وعصاه».. ومما ترك هارون رداءه وعمامته وفيما ذكرناه دلالة على أن الاحتفاظ بعصا موسى ورداء هارون وعمامته فيه بركة ترجى وهى دليل ملك طالوت.. ولولا ذلك لما كان للاحتفاظ بها معنى ولا للإشارة إليها وذكرها فى القرآن فائدة بل كان عبثا والقرآن منزه عن ذلك وإذا أضفنا إلى ذلك وتأملنا فى تجرد وصفاء، حديث الإسراء.. وتتبعنا الأماكن التى صلى فيها النبى - ﷺ - وفهمنا ما فيها من إشارات وما ترمى إليه من مقاصد سامية لو تأملنا ذلك فى تجرد وبلا تحزب وأفكار مسبقة وإصرار عنيد.. لرأينا أن الأماكن خمسة، فهل فى هذا التحديد معنى؟ وهل الإشارة فيها تبصرة لأولى الألباب لمن كان له قلب يعقل أو لمن ألقى السمع وهو شهيد؟ أم أن

(٣) دلائل النبوة للبيهقى.
(٤) كتاب اللباس باب ٦٦.
(٥) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس لأبى طاهر يعقوب للفيروزبادى.. ٣٣.

الأمر كان عبثا ولهوا غير مقصود؟

أم أنها لأهداف سامية وإشارات لطيفة لا يعقلها إلا العالمون؟؟.

ثم قلت لصاحبى: لن أقول إن كبرياء مزيفا فى غير موضعه يمنعك من التواضع لتسأل عما لا تعرف.

دعنى أسألك، وتتولى أنت الإجابة عن نفسك.. لماذا كان سيدنا جبريل فى كل مرة يسأل النبى - ﷺ - أتدرى أين صليت؟ وتتكرر الإجابة من رسول الله - ﷺ - هى.. لا هى: «يقولها فى كل مرة، مع أنه - ﷺ - يقول «زويت لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها». أقول لك بصدق أرى النبى - ﷺ - يريد أن يعلمنا نحن بهذه الأماكن التى صلى فيها وباركها، وأنها منازل مباركة بوركت بمن كان فيها وحل بها من الأنبياء قبله وتأكدت بركتها بتشريفها بحلوله - ﷺ - والأماكن التى صلى فيها النبى - ﷺ - كانت على التوالى:

● الصلاة الأولى: فى طيبة وإليها المهاجرة، وقد طابت واستنارت بحلوله - ﷺ - بها وطاب هواؤها ببركة دعوته.

● الصلاة الثانية: كانت عند شجرة موسى التى استظل تحتها حين خرج من مصر كما قال الله:

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾

القصص / ٢١

● الصلاة الثالثة: كانت بطور سيناء حيث كلم الله سيدنا موسى وهو مكان تجلى فيه الله على سيدنا موسى.

● الصلاة الرابعة: كانت فى بيت لحم حيث ولد سيدنا عيسى.

وفيما سبق إشارة ولفت انتباه ونظر للتبرك بآثار المقربين الصالحين من عباد الله وأماكن التجليات.

● الصلاة الخامسة: كانت فى بيت المقدس حيث صلى بالأنبياء إماما.

ويكفى دليلا على التبرك بآثار الصالحين فوق ما ذكرناه ما جاء فى سورة يوسف - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - حينما ابيضت عينا سيدنا يعقوب من الحزن بكاء على فقد ابنه، فقال سيدنا يوسف:

﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾

(يوسف / ٩٣)

وما أن تحرك الركب الكريم بالقميص المبارك من مصر قاصدا الشام حيث يعقوب -عليه السلام- حتى استنشق عبير ريح ولده:

﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾

يوسف / ٩٤

ويصف القرآن الكريم الأثر العظيم للبركة التى حدثت بفضل الله ليعقوب لقول الله - تبارك وتعالى -:

﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾

يوسف / ٩٦

القرآن منهج ودستور

والذى يجب أن أنبه إليه حتى لا تختلط الأمور على المنكرين والمدعين أقول : إن الفعل لله وحده وليس للقميص، كما أن عصا موسى ولا أى عصا تملك أن تشق البحر وحتى إن شقته فلن تستطيع أن تجففه قال - تعالى -:

﴿ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا ﴾

طه / ٧٧

فالفاعل هو الله على كل حال وفى كل حال .. وليس لمنكر أن يقول إن هذا نبى وليس رجلا صالحا حتى نتبرك بأثره لسببين :

● الأول : أن القصص القرآنى ليس حكايات مبتورة عن واقع يعيشه الناس كما يحاول العلمانيون والحداثيون أن يروجوا لذلك، ويجعلوا من القرآن كتابا معزولا بعيدا عن الحياة محفوظا فى متاحف التاريخ: إنما القرآن كما أنزله الله - سبحانه وتعالى - منهج حياة ودستور عمل.

● ثانيا : كما يقول الأصوليون : «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب» (٦).

ثم قلت لصاحبى : أعتقد أن فيما ذكرته عن البركة والتبرك فيه الكفاية ولا أجد فى نفسى رغبة فى إكراهك وقسرك على الاعتقاد أو العمل بما قلت، لكن أعتقد أن من واجبى البيان والشرح وعلى الله الهداية .. وأرى أنه حان الوقت الآن لنتناول موضوع الشجرة الموهومة، وما نسب إلى سيدنا عمر من قطع مزعوم، ونظرا لأهمية الموضوع لا أجد ثمة مجالا لكلام بيزنطى وحوارات مرسلة غير محققة لكنى آخذ بيدك إلى كتاب البخارى الجزء السابع صفحة ص٥١٢ : طبعة دار الريان، باب غزوة الحديبية على النحو التالى :

● حديث رقم ٤١٦٣، ما نصه : «حدثنا محمود (٧) حدثنا عبيد الله عن إسرائيل عن طارق بن عبدالرحمن قال : انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون قلت : ما هذا المسجد؟ قالوا : هذه الشجرة حيث بايع رسول الله بيعة الرضوان فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته، فقال سعيد : حدثنى أبى أنه كان فيمن بايع رسول الله تحت الشجرة قال : فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر (٨) عليها. فقال سعيد : إن أصحاب محمد - ﷺ - لم يعلموها فعلمتموها أنتم !! أقول واضح أن قوله العام المقبل هو العام التالى لصلح الحديبية ولم يكن عمر خليفة وما كان يمكن أن يفعل عمر بغير إذن من رسول الله - ﷺ - شيئا من تلقاء نفسه لم يؤمر به.

(٦) راجع مقالنا فى مجلة الأزهر عدد شهر شعبان سنة ١٤٢٢ تحت عنوان جلسة هادئة وحوار بناء ص١٢١٦، ١٢٢٧.

(٧) وهو أحد شيوخ البخارى.

(٨) لم نعثر عليها.

● حديث رقم ٤١٦٤ : حدثنا موسى حدثنا أبوعوانة، حدثنا طارق عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه كان ممن بايع تحت الشجرة فرجعنا إليها عامنا المقبل فعميت علينا (٩).

● حديث رقم ٤١٦٥ : حدثنا قبيصة .. حدثنا سفيان .. عن طارق قال : «ذكرت عند سعيد ابن المسيب الشجرة فضحك، فقال : أخبرنى أبى وكان شهدها .

● حديث سعيد بن المسيب عن أبيه فى الشجرة أورده من طريق قتادة عنه .. من طريق طارق بن عبدالرحمن عن سعيد عن ثلاث طرق إلى طارق قوله : لقد رأيت الشجرة التى كانت بيعة الرضوان تحتها .. ووقع فى بعض النسخ «قال محمود ثم أنسيتها» قوله : ثم أتيتها بعد فلم أعرفها . بين فى رواية طارق أنه أتاها فلم يعرفها .

قوله : فقال سعيد بن المسيب : إن أصحاب رسول الله لم يعلموها وعلمتموها أنتم .. وهو على سبيل التهكم .

وذكر البخارى أيضا فى كتاب الجهاد والسير : باب البيعة فى الحرب : جـ٦ : ص١٤٦ : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا جويرية عن نافع قال : قال ابن عمر :- رضى الله عنهما - رجعنا من العام المقبل وهو العام التالى لصلح الحديبية، فما اجتمع اثنان على الشجرة التى باعينا تحتها ..» الحديث .

فالثابت مما سبق من أحاديث أن الشجرة التى تمت تحتها البيعة لم يتعرف عليها حتى الذين بايعوا تحتها أو أن الله أنساهم إياها، أو أن الله رفعها، كما ورد فى حديث : «خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحا اثنان فرفعت».

موقف لسيدنا عمر

ثم قلت لصاحبى : يبقى من حقك سؤال، وهو ما الذى فعله سيدنا عمر؟.

قال فى لهفة : نعم، نعم ما الذى فعله سيدنا عمر؟

قلت : بعدما سبق ذكره من أحاديث تقول إن سيدنا عمر وجد أناسا شبهت عليهم شجرة فذهبوا يتبركون وهم غير موقنين من أنها شجرة الرضوان فأنكر ذلك وقطع الشك باليقين، ولعله فعل ذلك مثل فعله عندما رفض أن يصلى داخل الكنيسة عندما ذهب وتسلم مفاتيح بيت المقدس قائلا «حتى لا يغلبكم المسلمون عليها» وما ذلك إلا خوفا من أن يفعلوا ذلك التماسا لبركة مكان صلي فيه عمر.

(٩) أى لم نستدل على مكانها.

معالم الحق محددة، وموازين الحل والحرمة واضحة، يدرك هذا كل ذى عقل، وكما جاء فى الحديث «الحلال بين والحرام بين»..

ولقد شرع الله -تعالى- العبادات والطاعات وجعل لها أساس لقبولها وصحتها والمثوبة عليها هى «النية» ولكن النية محلها القلب. أى لايطلع عليها إلا علام الغيوب- سبحانه وتعالى- الذى يعلم السر وأخفى.

سلامة الغاية والوسيلة

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

ومن هنا كان الناس أحد رجلين: رجل توافق علانيته سره، وآخر تخالف علانيته سره، إلا أنهما معا وفى كثير من الأحوال يتفقان فى ظاهر الأعمال، ولكنهما فى الحقيقة جد مختلفين وبينهما عند الله فارق كبير.

فأما الأول وهو الذى اتفق سره وعلانيته.. فقد وثق بأن ربه يراه، ويعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور، ومادام كذلك فمخالفة السر لاتبعده ولاتجنبه من المؤاخذة.. إنه يوقن العمل بنيته إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وإن الناس يبعثون علي نياتهم، وإن النية إن خفيت على الخلق فلا تخفى على الخالق لأنه يعلم ماتبدون وماتكتمون.

وبحسب النية يصح العمل أو لا يصح، ويكمل أو ينقص، وبحسب النية يجازى عليه إحسانا، أو يؤاخذ عليه عقابا. كما فى الحديث. «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى» والإنسان المسلم الذى يدرك هذه الحقيقة يصدر فى كل أعماله عن نية صادقة لله رب العالمين فى سائر عباداته ومعاملاته وسلوكه وأخلاقه حتى فى أعماله المباحة وحتى فى أفعاله وسلوكه العادى.. وهو بهذا يحظى بمثوبة وافرة وأجر كريم. ومايأتيه من المباحات ومن الأفعال العادية بنيته الصادقة المخلصة لله تعالى والتى تمخضت للخير، تصبح الأمور العادية والأعمال المباحة طاعات يثاب عليها ويؤجر.

فإذا نهض للحياة يعمل ويدأب ويسعى ويكسب، ويطلب الدنيا دون أن يشغله ذلك عن الآخرة، ويجمع المال الحلال مؤديا حقوقه المشروعة ومايجب عليه فيه متبعا للسبل المشروعة الحلال فى كسبه، والطرق المشروعة الخيرة فى

إنفاقه، إنه يطلبه ليعف عن المسألة، ويعلم أن اليد العليا خير من اليد السفلى، ويطلبه سعياً على أهله وأبنائه وأرحامه وعطفا وإحسانا إلي الفقراء والمساكين والبائسين والمحتاجين، والجيران وأهل الحقوق وفى الحديث: «ومن طلب الدنيا حلالا، تعففا عن المسألة، وسعيا على عياله تعطفا على جاره، لقى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر»[1].

وإذا أتى شهوته قصدا لإعفاف نفسه وزوجه وابتغاء الولد كان ذلك صدقة يؤجر عليها بحسب نيته وإنما لكل امرئ ما نوى وقد قال صلوات الله وسلامه عليه: «وفى بضع أحدكم صدقة» قالوا: أيأتى أحدنا شهوته يارسول الله ويكون له فيها أجر؟ قال: أليس إن وضعها فى حرام كان عليه وزرا؟ فكذلك إذا وضعها فى حلال كان له فيها أجر»[2].

هذا هو الرجل الأول الذى وافقت نيته الخيرة سلوكه الخير.

وأما الآخر: وهو الذى خالفت سريرته علانيته فقد يأتى بعض الطاعات، ويقوم بأداء بعض العبادات، ومع هذا فلاينال من المثوبة ماينال الأول: وليس له من صحة العمل وكماله نصيب لأن نيته لم تكن خالصة لله تعالى: فإذا أدى صلاته - وهى عبادة - رياء الناس - فليس فقط أنه محروم من الثواب بل الويل له كما قال تعالى:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾

الماعون / ٤: ٧

وكذلك الزكاة والحج والصدقات وسائر الأعمال.

غير أن هناك نية صادقة حسنة ولكنها رغم هذا لاتجدى فتيلا، وذلك عندما تختلف سلامة الغاية والوسيلة ففى الأمور المحرمة مثلا: لو حسنت النية مهما حسنت فإنها لاتغير الحرام إلى الحلال ولاتجعل من الأمر الحرام جوازا ولا حلا بحال من الأحوال.

فمثلا لو أن إنسانا ما جمع مالا كثيرا من «الربا» وعن طريق معاملاته الربوية جمع ثروة طائلة ليقيم بها مسجدا، أو حتى مساجد عديدة ومشاريع للخير، وإنفاقا فى سبيل الله فهل هذه النية الحسنة والتى هى غاية سليمة تبرر الوسيلة السيئة المحرمة التى اتبعها فى معاملاته الربوية.. وفى أفعاله المحرمة؟ كلا كلا.. فحسن الغاية لايبرر سوء الوسيلة، لأن الله -تعالي- طيب فلا يقبل، من الأعمال إلا ما كان حلالا طيبا

(١) رواه الطبراني

(٢) رواه الشيخان

يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «إن الله طيب لايقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾

المؤمنون / ٥١

وقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾

البقرة / ١٧٢

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء «يارب يارب» ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك»(٣).

وكذلك لو جمع المال من حرام فكانت وسيلته محرمة ورصد نية حسنة له، بأن ينفق منه ويتصدق مبتغيا من الله الأجر، فإنه لا أجر له، وعليه إثم الحرام وإصره وله العقاب حتى ولو أنفقه كله، ولايبارك الله فيه ففى الحديث: «من جمع مالا من حرام، ثم تصدق به.. لم يكن له فيه أجر وكان إصره عليه»(٤).

بل إن ما تركه من هذا المال يكون زاده إلى النار ففى الحديث: «لايكسب عبد مالا حراما فيتصدق به فيقبل منه، ولاينفق منه فبارك له فيه ولايتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار. إن الله تعالى لايمحو السئ بالسئ ولكن يمحو السئ بالحسن إن الخبيث لايمحو الخبيث»(٥).

ومن الأشياء التى ساءت فيها الوسيلة، وظاهر غايتها غير ذلك، من يشرب المسكر كالخمر مثلا بحجة الدواء، فمع كون النية والغاية من الشرب العلاج فهى محرمة لاشك فى حرمتها، وأما تعلل المتعللين بأن فيها علاجا أو دواء فغير صحيح فشربها للدواء حرام، لأنه ورد النهى عن التداوى بما حرمه الله -تعالى- قال ﷺ: «إن الله أنزل الداء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولاتداووا بحرام»(٦).

بل إنها لا شفاء فيها، لأن الشفاء فى الحقيقة بيد الله -سبحانه وتعالى- واتخاذ الأدوية إنما هو أخذ بالأسباب واتباع لتوجيهات الإسلام والله -سبحانه وتعالى- المالك للشفاء لم يجعل

(٣) رواه مسلم والترمذي

(٤) رواه الحاكم وابن خزيمة وابن حبان

(٥) رواه أحمد

(٦) رواه أبوداود

فيما حرم شفاء.

قال ابن مسعود فى شأن المسكر: «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم». (٧) فاتضح لنا النهى الصريح عن التداوى بالحرام، ثم اتضح ثانيا أن المحرم لا شفاء فيه.

ومايتضح ثالثا: فهو أن كل مسكر ليس - فقط - منهيا عن التداوى به، وأنه لاشفاء فيه فحسب بل إن فى الحرام داء لادواء.

فمن شرب مسكرا ليتخلص من داء، أو ليبتغى فيه الشفاء فإنه يقع فى الداء ويصيبه الداء بلا شك، فعندما سأل رجل رسول الله ﷺ عن الخمر فنهاه عنها فقال الرجل: إنما أصنعها للدواء، فقال رسول الله ﷺ: «إنه ليس بدواء ولكنه داء»(٨).

إذن فليس لأحد أن يتعلل بحسن النية أو شرف الغاية ونقائها، مبررا بذلك الوسيلة التى يتبعها، والسلوك الذى يسير فيه.

فإن الإسلام واضح فى وسائله وغاياته. نقى فى مبادئه وأحكامه قوى فى إثبات الحق وإحقاقه وفي إنكارالباطل وإزهاقه. وفى هذا كله ينير الطريق أمام المجتمعات الإسلامية.. لتمضى على هدى ونور» وتشق طريقها إلي ربها فى أمان وهدى، وفى إخلاص فى السر والعلانية.

***

تنويه

وقع خطأ مطبعي غير مقصود في عدد شهر رمضان ١٤٢٦هـ ص١٤٨١ وصحته: «.. فهداكم الله للإسلام ومن عليكم بالإيمان، فأعظم به من نعمة، وفي هذا يقول رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا له منزلان، منزل في الجنة ومنزل في النار، فإن مات ودخل الجنة ورث أهل النار منزله فيها، وإن دخل النار ورث أهل الجنة منزله فيها، فذلك قوله تعالي:

﴿ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ المؤمنون / ١١

(٧) رواه البخاري معلقاً

(٨) رواه مسلم وأحمد وأبوداود

دين التوحيد

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

خلق الله الكائنات الحيوانية، وزودها بما يكفل لها البقاء، وركب فى غريزتها ما يضمن استمرار أنواعها: سواء من حيث الإقبال على التناسل، أو من حيث الاندفاع إلى ما يقيم أودها ويقيها الهلاك. أما الإنسان، فقد زوده الله - تبارك وتعالى - فضلا عن ذلك بما يكفل له الترقى، الذى لا يتوقف عند حد، حتى تحقق على يديه - على امتداد حياته - ما كان فى عداد المستحيلات، ولاتزال خطواته تحقق المزيد من هذه الإنجازات، وستظل إلى ما شاء الله..!!

ولعل الحكمة فى ذلك، أن الله - عزت كلمته - جعله خليفة له فى الأرض، وجعل هذه الأرض محور اهتمامه، ومرتكز آماله وأحلامه، تنطلق منها ملكاته إلى ما حولها من الكائنات والكواكب الأخرى.. أما سلاحه الذى منحه الله إياه، ليستخدمه فى سبيل تحقيق هذه الإنجازات كلها، فهو العقل، تلك الطاقة الكبرى، التى لا يعلم حدود إمكاناتها إلا خالقها..!!

هذه حقيقة نعرفها، ولا يستطيع أحد كائنا من كان أن ينكرها، ولا يمكن أن نجحد فضل العقل فى ترقى النوع البشرى.

ولكن، بجانب هذه الحقيقة، هناك حقيقة أخرى، تلازمها ولا تنفك عنها، وهى غريزة التدين، التى زود الله بها الإنسان، وهى الشعور الدائم بأن هناك قوة عليا تسيطر عليه، وعلى الطبيعة من حوله، وليس له بد من أن ينحنى أمامها، ويسلس لها قياده فى كثير من أمور حياته.

وأحسب أن العامل فى هذا الشعور، ثلاثة أمور:

الأول: ما يشعر به أحيانا من قوة الرعد والبرق والريح وحركة الأرض.. وغير ذلك مما ينتابه فى حياته، ولا يدرى لذلك سببا يفهمه، أو يمكن أن يتعامل معه بما يكفكف من حدته، أو يخفف من غلوائه.

الثانى: ما رسخ فى «لا شعوره» منذ أبيه آدم - عليه السلام - حينما أرسله الله - تبارك وتعالى - إلى ذريته، فسمع منه من سمع وعرف منه من عرف من أبنائه ومن ذرياتهم ليتوارثوه جيلا بعد جيل.

الثالث: ذلك العهد الموثق، الذى أخذه الله - عز وجل - على الخلائق، وهم بعد لا يزالون فى عالم الذر:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾

(الأعراف: ١٧٢)

«فالإنسان، له «وعى» يقينى بوجوده الخاص، وحقيقته الذاتية «من جانب» ولا يخلو من «وعى» يقينى بالوجود الأعظم والحقيقة الكونية «من جانب آخر»، لأنه متصل بهذا الوجود، بل قائم عليه».

«والوعى والعقل لا يتناقضان، وإن كان الوعى أعم من العقل فى إدراكه، لأنه مستمد من كيان الإنسان كله، ومن ظاهره وباطنه، وما يعيه هو وما لا يعيه، ولكن يقوم به قياما مجملا محتاجا إلى التفصيل والتفسير»[1] وهو ما تكفلت به الرسالات السماوية التى جاءت بها الرسل عليهم السلام.

فالرسالات السماوية إنما جاءت لتدعم «الوعى» الدينى فى الإنسان، وتقفه على مركزه فى الكون، وما يجب وما يجوز وما يستحيل فى حق الله من ناحية.. ولإضاءة الطريق أمام العقل البشرى حتى لا يدمر نفسه بنفسه، بما قد يطغى عليه من غرور وكبرياء من ناحية أخرى، ولإزاحة ما قد يكون واقفا فى طريقه من أوهام وخرافات، أو معطلا له من زعامات وادعاءات، تترتب على المصالح والأهواء الشخصية، حينما يتسلط الحكام، ومن بيدهم مقاليد الأمور.

ومن هنا تتابعت الرسالات السماوية على امتداد الزمان، حاملة معها النداء المقدس مرة تلو الأخرى، ولأمة بعد أمة، لتخلص العبادة لله رب العالمين، ولتصد هذه الادعاءات الضالة المضلة

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾

(النحل: ٣٦)

فهى دعوة الرسالات كافة، لتكون العبادة خالصة لله وحده، لا شريك له.. قالها آدم - عليه السلام - لبنيه وذريته من بعده، وقالها كل نبى ورسول إلى قومه الذين أرسل إليهم، على امتداد تاريخ الرسالات، سواء منهم من ذكر فى القرآن الكريم ومن لم يذكر

﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ

(١) عباس محمود العقاد فى كتابه «الله» ص١٤٥، مكتبة الأسرة.

تكليما ﴿١٦٤﴾ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ﴾

(النساء: ١٦٣ : ١٦٥)

﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾

(غافر: ٧٨)

فجميع الرسل – عليهم السلام – إنما كانوا يدعون الناس على اختلاف عصورهم، وتعدد مشاربهم واتجاهاتهم إلى دين واحد، يخلصون فيه العبادة لرب واحد، لا شريك له فى ملكه، وتلك قضيتهم الأولى والأخيرة، وما عداها فى شتى العصور إنما هو فرع لها وقائم على هديها.

فهذا نوح – عليه السلام – يقول لقومه:

﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾

(الأعراف: ٥٩)

وهذا هو هود – عليه السلام:

﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون ﴾

(الأعراف: ٦٥)

وهذا هو صالح – عليه السلام:

﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم ﴾

(الأعراف: ٧٣)

وهذا هو شعيب – عليه السلام:

﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم ﴾

(الأعراف: ٨٥)

وهذا هو يوسف – عليه السلام – حينما كان يفصح عن جوهر الدين الحق الذى أوحاه الله إليه:

﴿ واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴿٣٨﴾ يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴿٣٩﴾ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾

(يوسف: ٣٨ – ٤٠)

فالدين الذى جاءت به الرسل كافة واحد، يقوم على قاعدة واحدة «لا إله إلا الله» كما تضمنت هذه الرسالات – بناء على ذلك – بيان أن الحياة فى هذه الدنيا ليست إلا مقدمة ليوم آخر يأتى بعد الموت، وهو يوم القيامة، الذى يحاسب فيه الخلائق كافة على ما قدموا: إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

﴿ إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم ﴿١﴾ قال يا قوم إني لكم نذير مبين ﴿٢﴾ أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون ﴿٣﴾ يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ﴾

(نوح: ١ : ٤)

وقد جرت سنة الله مع أنبيائه ورسله – عليهم السلام – أن يؤيد دعواهم للنبوة والرسالة بمجموعة من الخوارق، التى لا قبل لبشر بها، وعلى الوجه الذى يؤيد صاحب الدعوى، وكأن الله – عز وجل – يقول: صدق عبدى فيما يبلغ عنى، وقد كانت خارقة كل رسول من جنس ما برع فيه قومه، أو ما هم فى أشد الحاجة إليه، ولم يقدر على تحقيقه بشر، ليكون التحدى أبلغ، ولتكون الحجة ظاهرة للناس كافة.

وقد اقترن اسم كل نبى ورسول من أنبياء الله ورسله بذكر عدد من الخوارق، التى أيد الله بها دعوته، وكانت سندا له فى مواجهة قومه المنكرين لما جاء به، حتى تقيم عليهم الحجة، وتسد أمامهم طريق الإنكار.

عرف موسى – عليه السلام – بمعجزة العصا – التى جعلها الله بقدرته حية تلتهم ما يأفكه سحرة فرعون، وهى نفسها التى ضرب بها موسى البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، وضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم، كما عرف أيضا بمعجزة اليد، التى أدخلها – عليه السلام – فى جيبه ثم أخرجها بيضاء من غير سوء.

ومن الخوارق التى عرف بها موسى – عليه السلام –: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم.

وعرف عيسى – عليه السلام – بمعجزة إحياء الموتى، ومعجزة إبراء الأكمه والأبرص، وإنباء القوم بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم.

وعرف إبراهيم – عليه السلام – بمعجزة النار، التى سلبها الله خاصية الإحراق عندما ألقاه قومه فيها، حماية له وكبتا لهم وردا لكيدهم فى نحورهم.. ومعجزة السكين، التى سلبها الله خاصية الذبح، بعد أن طرح ابنه إسماعيل للجبين، محاولا ذبحه، تنفيذا لأمر الله -عز وجل- ثم معجزة الفداء العظيم، الذى افتدى به إسماعيل – عليه السلام –.

وعرف سليمان – عليه السلام – بمعجزة الريح، ومعجزة الشياطين التى سخرها الله له لتكون جندا من جنده تأتمر بأمره وتنتهى بنهيه.

وعرف داود – عليه السلام – بمعجزة الصوت الجميل، حتى إن الطير والجبال كانت تردد معه تسابيحه لله – عز وجل –، وهو يتلو مزاميره.

وعرف خاتمهم محمد – ﷺ – بكثير من المعجزات، التى لاتزال كتب السنة المطهرة تزهو بها على طول الزمان: فقد عرف بمعجزة الماء النابع من بين أصابعه الشريفة ومعجزة حنين الجذع إليه، ومعجزة الإسراء والمعراج.

كما عرف – ﷺ – بسيدة المعجزات قاطبة: معجزة القرآن الكريم، التى لاتزال تتجدد على طول الزمان، ولا تزال تنضح بألوان من الإعجاز الذى يناسب كل عصر وكل فئة من الناس.

قصة العدد

مصرع وزير طاغية

للأستاذ الدكتور عبداللطيف الحديدى

جلس الكامل بن شاور مكتئباً حزيناً، ولم يبرح غرفته مدى يومين، وكان أبوه شاور الوزير الداهية يراقبه ويعلم أنه لا يتفق معه فى معاداة جيش أسد الدين، بل يميل إلى هذا الجيش الإسلامى باعتباره نافذة الخلاص من مورى ملك الصليبيين الذى ترددت رسله إلى شاور، وقابلها مقابلة الصديق للصديق، وهم أعداء البلاد، وقد أعلن الكامل رأيه بشجاعة لوالده، فقال له:

- إنك شاب غر لا تفهم فى مسائل السياسة، وأنا حريص على مصلحة مصر وأعلم من الذى يضرها وينفعها، فجابهه الكامل بأنه يسلك مسلك الخيانة دون مواربة.

وأنه من الآن لن يكون ولده، وسيظل فى حجرته منعزلا لا يخرج للناس؛ لأنهم يرمقونه بعيون غاضبة، ويكادون يقولون فى وجهه: هذا ابن شاور، هذا ابن الخائن الأثيم.

تحامل شاور على نفسه، ودخل إلى ولده فى حجرته التى لا يبرحها إلا لقضاء الحاجة، وأظهر الابتسام والحنو حين رآه يفتح المصحف الشريف ويقرأ فى كتاب الله، فقال له متودداً: أسمعنى يا بنى ما تقرأ، (يريد أن يفتح بابا للحوار).

فقال له الكامل:

- اسمع يا أبى فأنا أقرأ قول الله فى سورة التوبة:

﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾

[التوبة: ١١٤]

فكظم شاور غيظه، وعرف أنه المقصود بما توحى به الآية الكريمة من معان، وأن كل مناقشة مع الكامل لا تجدى، فقال له مصطنعا الرفق: يا بنى إن القرآن لا يفهمه الشباب من أمثالك، ولكن يفهمه العلماء الكبار، وسأرسل لك القاضى الفاضل عبدالرحيم البيسانى ليهديك إلى سواء السبل.

ثم خرج غاضبا، واستدعى القاضى الفاضل، وقال له: إن الكامل شاب مغرور، ويفهم كتاب الله على غير وجهه، وقد رأيت أن تزوره، وتنهاه عن غيه ورعونته، وتبذل جهدك فى ردعه عن معاداة أبيه، والسير فى ركاب أعداء البلاد الذين أرسلهم نورالدين زنكى ليغتصبوا سلطتى، ويكون لهم الأمر والنهى، وأنت تعرف أن المصريين يحبونهم، ويمقتوننى، وهذا ما لا أستطيع الصبر عليه، اذهب يا عبدالرحيم إلى هذا الولد ولا تتركه حتى يكون فى صفى لا فى صف أسد الدين! وجند نور الدين!

كان القاضى الفاضل يحتقر شاور فى باطن شعوره، ويراه نكبة على البلاد ولكن لا يجرؤ على مواجهته، وكان بينه وبين الكامل بن شاور صداقة حميمة، ويؤيده كل التأييد فى معارضة أبيه، فلما ذهب إلى لقائه فرح الكامل برؤيته، وجلسا يتحدثان عن العواطف المشتركة بينهما، ولكنه استمع إلى الكامل حين أشار عليه بأن يقابل شاور، ويعلن أنه لن يحيد قيد شعرة عن مسلكه، ولن يرضى عن أبيه، إلا إذا خاصم ملك الصليبيين، ورفض استقبال سفرائه حين يأتون إلى مصر، وأعلن صراحة للناس أنه يقف فى صف نورالدين!

وذهب القاضى إلى شاور فأوقفه على تصميم الكامل على رأيه، وأن الآية الكريمة التى عرضها عليه أجدر بالاتباع، فإبراهيم تبرأ من أبيه حين لمس أنه عدو الله وهو يتبرأ أيضا من أبيه؛ لأن الموقف متفق تماما، وأمر القرآن أجدر بالاتباع والإذعان!

وكان شاور يدبر مؤامرة لاغتيال قادة الجيش الإسلامى، وفى مقدمتهم أسد الدين شيركوه، وصلاح الدين الأيوبى، ووالده أيوب شادى وهم قادة الجيش الإسلامى فى مصر فإذا استطاع شاور أن يقتلهم فى مؤامرة محبوكة فسيتفرق الجيش الإسلامى وسينسحب جنود الشام من البلاد إلى غير رجعة! لقد دبر هذه المؤامرة، وهو يظن أنه يرضى «مورى» ملك الصليبيين فيعتبره صديقه الحميم، ويظل وزيرا آمرا ناهيا فى البلاد دون شريك، وبخاصة أن «مورى» يعلم أن بقاء

جيش نورالدين فى مصر، هو البلاء المبين.

أخذ شاور يفكر فى المؤامرة الدنيئة، فنادى ولده الكامل واستدعى القاضى الفاضل، وقال لهما فى خبث: إنى رجعت إلى رأى ولدى الكامل، ولن أكون خصما للجيش الإسلامى بمصر. وسأبدأ بمصالحة أسد الدين، حيث أدعوه إلى قصر الوزارة مع قادة الجيش الإسلامى جميعا، فى مناسبة سارة هى عقد قران ولدى الكامل على خطيبته، فقد كان من المقرر أن يتم عقد هذا القران من العام الماضى، ولكن ظروف البلاد السياسية لم تتهيأ لعقد هذا القران، ومادام عزمى قد اتجه إلى مصالحة جيش أسد الدين وقادة جيشه فسأدعوهم إلى مائدة حافلة يوم عقد القران، وعلى الكامل أن يبلغهم ذلك فهم أصدقاؤه وسيرحبون بقبول الدعوة، وتكون المناسبة السعيدة بادرة صلح وتعاون بينى وبين أسد الدين.

فرح الكامل فرحا شديدا بهذا الاتجاه الذى كان ينتظره منذ قدوم جيش أسد الدين، وقام يحتضن والده ويقبله، وقد حدد الموعد يوم الإثنين القادم، وعلى الكامل أن يقوم بدعوة القوم، فهو صاحب الحفل، ولن يتأخروا عن المجيء!

وما كاد القاضى الفاضل يخلو بالكامل حتى قال له: إنَّ هذا الانقلاب المفاجيء لن يحدث هكذا سريعا من وزير بعيد الغور، شديد الكيد، كشاور وبخاصة أنه لم يدع غير رجال أسد الدين ولم يدعُ أعيان الدولة المصرية، ورجال القصر الفاطمى، واقتصر على قادة الجيش وحدهم، وهى مناسبة كانت تستدعى حضور الأعيان ووجهاء مصر؛ لا أن تقتصر على جنود أسد الدين.

فكر الكامل فيما قال القاضى، فرأى وجهة نظره سليمة، وقد تسرّع فدعا أسد الدين وجميع القادة، فرحبوا بالدعوة، وقالوا: إنها بادرة صلح واتفاق، ولم يدر بأذهانهم شيء مما ارتاب فيه القاضى! فتطلع الكامل إلى القاضى متسائلا:

– وماذا علىَّ أن أفعل؟!

قال القاضى: عليك أن تراقب القصر يوم الدعوة فإذا وجدته يضم نفراً من الجنود السود الذين يصطنعهم شاور، فاعلم أن المكيدة مدبرة، وأن هؤلاء هم أداة التنفيذ، وقد أعدهم شاور ليهجموا على ضيوف وهم عزل من السلاح جاءوا للمجاملة فى حفلة عرس لا فى حومة قتال!

قال الكامل: هو الرأى بعينه، وسأكون شديد الحذر فى هذا اليوم من الصباح، وما كاد ضوء الفجر يشرق، حتى رأى الكامل حشودا من جنود السودان، تفد إلى

القصر، وقد أعد لكل جندى مكانه فى ساحات القصر وردهاته، ومعه السيف والخنجر والرمح، فدهش دهشة رائعة. وتقدم لأحد الجنود وكان يظن أن الكامل مشترك مع أبيه فى المؤامرة إذ لا يعقل أن يخالف أمره، فسأله عن المهمة التى جاءوا إليها، فقال بسذاجة: إن شاور سيريح المصريين من الشاميين وقد دبر الخطة لاغتيالهم حين يتكامل عددهم قبل الغداء.

اجتمع الكامل مع القاضى، فقررا معا أن يذهب الكامل إلى أسد الدين، ويطلب منه إرجاء الحضور فلا يأتى إلى القصر، وعرف أسد الدين بذكائه أن هناك مؤامرة كانت تحاك، فاجتمع بصلاح الدين وتشاورا معاً فى الموقف، فقال صلاح الدين: لم استبشر خيرا بدعوة هذا الغادر، وهكذا تحقق ظنى، والفضل للكامل!"

انتظر شاور بفارغ الصبر أن يحضر القوم، وقد أعد العدة، وجعل وراء كل باب من الأبواب جندياً مدججاً بالسلاح وحين يكتمل الجميع يهجمون هجمة رجل واحد، على الضيوف المسالمين، وتكون مذبحة فاصلة، كما هيأ فريقا من الجيش المصرى ليقفوا فى وجه الجنود الشاميين إذا اندفعوا للثأر وأمدهم بما استطاع من الذخيرة والسلاح!

وحان الموعد، فلم يحضر أحد، وأسرع شاور إلى ولده الكامل فوجده يضحك ساخراً، فقال له: ماذا صنعت أيها العاق؟!

فقال: اذكر يا أبى قول الله عن سيدنا إبراهيم

﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾

التوبة / ١١٤

وها أنذا قد تبرأت ممن يريد اغتيال جنود الله فى أرض المسلمين!

أيقن شاور أن يومه قد حان، وأن المكيدة قد فاح سرها بين الناس ولن ينجو من انتقام أسد الدين!

وهذا ما كان بعد وقت قصير!!

***

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين).

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المقيد برقم ١٨٦٧ لسنة ٢٠٠٥م المتضمن لبعض الأسئلة الآتية:

تحية المسجد

السؤال من السيد/ ع . أ:

● هل يجوز جمع النوافل مثل تحية المسجد مع الركعتين اللتين بين الأذان والإقامة؟ وما حكم إفشاء السلام على الجالسين فى المسجد: هل يكون قبل تحية المسجد أم بعد الفراغ منها؟

●● الجواب:

أولاً: حث النبى ﷺ من دخل المسجد أن يصلى ركعتين قبل أن يجلس تحية للمسجد فقال: «إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس» [متفق عليه واللفظ للبخارى]

ويجوز للمصلى أن يصلى تحية المسجد مع الركعتين اللتين بين الأذان والإقامة، نص على ذلك الشافعية وغيرهم، قال السيوطى فى كتابه الأشباه والنظائر: «أحرم بصلاة ونوى بها الفرض والتحية: صحت، وحصلا معا، قال فى شرح المهذب: اتفق عليه أصحابنا ولم أر فيه خلافاً بعد البحث الشديد سنين» ا. هـ

وقال فى موضع آخر عن التحية مع صلاة أخرى: «تحصل ضمناً ولو لم ينوها». اهـ.

فالمقصود من تحية المسجد عدم الجلوس قبل الصلاة أياً كان نوع الصلاة: مؤداة أو فائتة أو راتبة أو نفلاً مطلقاً أو مقيداً، لا أنها صلاة مستقلة بذاتها.

ثانياً: أما بالنسبة لإفشاء السلام على الجالسين فى المسجد: فإنها غير مرتبطة بتحية المسجد، بل هى متعلقة بلُقيا المسلمين: فإذا لاقاهم قبل تحية المسجد فليسلم عليهم ولا يؤخر السلام لما بعد الصلاة، وإذا لم يلقهم فليبدأ بتحية المسجد ولا يتكلف أن يذهب إلى شخص بعيد ليسلم عليه قبل الصلاة، وكل هذا لأن السلام متعلق باللقيا؛ قال ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست» قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: «إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه» [متفق عليه واللفظ لمسلم].

والله سبحانه وتعالى أعلم

لحم رقبة الإبل حلال

السؤال: من السيدة/ هـ. أ:

● كنت أعمل فى المملكة العربية السعودية، وفى إحدى المرات دار نقاش بينى وبين بعض أهل البلد التى كنت أعمل بها حول بعض الأمور الدينية ومنها حكم أكل لحوم الإبل للمتوضئ، وأن بعض أهل هذه البلدة فى المملكة عندهم قناعة بأن أكل رقبة الإبل حرام؛ لأن الرسول ﷺ وضع رجله الشريفة عليها. أرجو توضيح الحكم الشرعى فى هذه الأمور للأهمية.

●● الجواب:

أولاً: اختلف العلماء فى حكم نقض

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
علـى جمعـة
مفتى جمهورية مصر العربية

أكل لحوم الإبل للوضوء على قولين:

القول الأول: ذهب الثورى ومالك والشافعى وأصحاب الرأى إلى أن أكل لحوم الإبل لاينقض الوضوء بحال، واستدلوا على ذلك بحديث جابر ـ رضى الله عنه ـ قال: كان آخر الأمرين من رسول الله ﷺ: ترك الوضوء مما مست النار [رواه الأربعة وصححه ابن حبان].

القول الثانى: ذهب الحنابلة ومن وافقهم إلى أن أكل لحوم الإبل ينقض الوضوء على كل حال نيئاً ومطبوخاً عالما كان الآكل أو جاهلاً، واستدلوا على ذلك بحديث البراء بن عازب ـ رضى الله عنه ـ قال: سئل رسول الله ﷺ عن لحوم الإبل فقال: «توضأوا منها»، وسئل عن لحوم الغنم فقال: «لا تتوضأوا منها» رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وصححه وابن خزيمة وابن حبان.

والجمهور يحملون هذا الحديث وغيره على النسخ بدليل حديث جابر المتقدم، والمختار للفتوى من هذين القولين هو القول الأول، وهو عدم نقض الوضوء بأكل لحوم الإبل.

ثانياً: أما بالنسبة لحكم أكل رقبة الإبل فإنه حلال، وليس وضع النبى ﷺ رجله الشريفة عليها - إن ثبت ذلك - دليلاً على تحريم أكلها؛ فقد وضع ﷺ يده الشريفة على حيوانات أخرى، وركب ﷺ حيوانات متعددة، وكل هذا لم يحرم أكله، وإنما تأتى الحرمة هنا من النهى عن أكل شيء معين.

والله سبحانه وتعالى أعلم

المعاش ليس من حقك

السؤال: من السيد/ أ. ح:

● كانت والدتى رحمها الله تحصل على معاش ثابت بعد إحالتها إلى التقاعد وكانت تحصل عليه من البنك عن طريق ماكينة الصراف الآلى بواسطة البطاقة الممغنطة، وعندما توفيت قمت بإخطار هيئة التأمين والمعاشات وذلك بإرسال صورة من شهادة الوفاة إلى الهيئة، وبعد ذلك بفترة اكتشفت أن مبلغ المعاش مازال يُصرف ويوضع فى حساب والدتى فى البنك فقمت بسحب المبلغ الموجود. فهل من حقى أخذ هذه النقود مع العلم بأنى

الأزهر

أمر بضائقة مالية وفى أمس الحاجة إلى هذا المال؟ وما حكم المبالغ التى حصلت عليها من قبل وقمت بالتصرف فيها؟.

●● الجواب:

مادمت لا تستحق شيئاً من معاش أمك فلا يجوز لك أن تأخذه حتى ولو كنت تمر بضائقة مالية، وعليك بحساب ما أخذته من ذلك بغير وجه حق وتصرفت فيه والقيام برده إلى المعاشات إن أمكن، وإلا فضعه فى مصالح الفقراء والمساكين.

والله سبحانه وتعالى أعلم

مسألة فى الزكاة

السؤال: من السيد/ ف. ع:

● كان معى مبلغ من المال فقمت بتأسيس شركة للتجارة فى أجهزة الحاسب الآلى ومستلزماته، والآن مر عام على تأسيس هذه الشركة وأريد أن أخرج الزكاة عن هذه التجارة. فكيف يتم إخراج الزكاة عن هذا النشاط بالتفصيل، مع العلم بأن هناك مديونيات للشركة ومديونيات عليها وهناك أيضا بضاعة موجودة بالمخازن مع بداية تأسيس الشركة فهل تدخل هذه المديونيات وهذه البضاعة فى حساب الزكاة؟.

●● الجواب:

إذا كان المسلم لديه شركة تجارية كالشركة المذكورة فى السؤال فإن إخراجه لزكاتها يكون كالآتى:

تخصم المديونيات التى على الشركة (الخصومات المتداولة) وتضاف المديونيات التى للشركة وتقوّم البضاعة الموجودة بالشركة بسعر بيعها بسعر الجملة (الأصول المتداولة ورأس المال العامل دون أن تحسب الأصول الثابتة) وقت وجوب الزكاة عند حلول الحول القمرى ويخرج عن ذلك ربع العشر.

والله سبحانه وتعالى أعلم

***

الأثر النفسى فى حركية الصورة الأدبية

الأستاذ/ علي إسماعيل درويش

تعد الصورة الفنية دعامة يتكىء عليها الشاعر فى بلورة دروبه التى يسلكها لخلق العوالم التى يريد التنفيس عنها فيما بين آهات وخفقات وأنات وما تعج به نفسه من هواجس وصراعات وآلام مبرحة أحياناً وفرحة تغمره بكل صنوف السعادة والابتهاج حينا آخر.

والصورة الشعرية أصل موجود فى الواقع، لكن تحوير الشاعر وتفلسفه فيها هما اللذان يكسبانها خاصية البعد والإغراب، لذا فهى خلاصة تجارب عاشها أصحابها فى ظروف خاصة بهم وأوقات يعرفونها بنعتها فباتوا يشكلون بالصورة أحوالهم المتباينة، ومن هنا فالصورة الشعرية لا تعد نزعة عابرة وإنما هى وليد شرعى لزواج دام ردحاً طويلاً بين الحياة السعيدة الباسمة الخضراء وبين اللون الأحمر القانى من كثرة ما اصطبغت به من دماء.

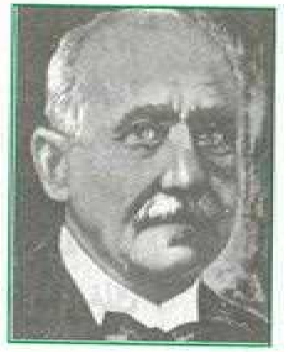
والنقد الأدبى ينظر إليها على أنها قدم راسخة على أرض ثبات تعضد من شأن الفكرة وتقويها، وفى تصورى أن المتلقى تجاه الشعر الخلو من الخيال كالظمآن إلى الرى فى الماء المالح، كلما تجرع منه ازداد عطشاً.

وقد اقتصرت هنا على الصورة الحركية دون غيرها لأنها تكون أشد عنفاً ووقعاً لما تحمله من شحنات نفسية حمل الشاعر فيها كل ما يمور فى خاطره من أفراح وأتراح، وأرجعت الصورة الحركية تحليلياً إلى الجانب النفسى (السيكولوجى) لأنه يستغرق ويختزل الأفانين النفسية والشعورية فى بوتقته ليصهرها وتلك هى العملية التى تصبح بها الموضوعات قادرة على إشباع الرغبات، فكل رغبة فى حاجة إلى موضوع، كل ذلك متكرس فى البؤرة الشعورية التى اصطرعت وتماوجت داخلها دوافع شتى.

وحركية التصوير الفنى بهذا تسوى الشعر دوحة لقاء



البارودى



شوقى



حافظ

وترفد فيه بواعث الجمال وتخصبه وتبعده عن همود الفتور والكرى ومطاوى الكهولة والضعف، وتغذيه بالقمانة والسمو.

والجدير بالذكر أن البحث النفسى له أكبر الأثر في تجلية الغموض فى الصور الشعرية، ومن هنا أهيب بدارسى الأدب والنقد ألا يتناسوا مهمتم الأصلية وهى دراسة النص وتحليله وعدم الجرى وراء التهويمات التى لا طائل من ورائها سوى الحشو والشطط، فالأستاذ (مصطفى عبداللطيف السحرتى) يقول فى دراسته للأسلوب: (والملحوظ أيضا أن الأسلوب المتراوح بين الجودة والرداءة فى الصنيع الشعرى يكشف عن نفس تجمع بين نفاسة المعدن وخساسته، والأسلوب المفتعل يدل على الادعاء والغرور، والأسلوب التقليدى قد يدل على التقليد والزيف النفسي أو الوهن الذهنى، والأسلوب المتقطع الذى لا وحدة فيه قد يدل فى بعض الحالات على الشذوذ أو النضال الباطنى بين العقل الواعى والغافى) [١]

ولا يمكن لنا أن نسلم بهذا الكلام لأنه يخرجنا من حيز البحث العلمى الموثق إلى حدود التنجيم والتخمين المتشعوذ، فالأسلوب لا دخل له بنفاسة المعدن أو خساسته وإنما المعنى هو المحدد لذلك.

وما أزجى به (السحرتى) يمكن الرد عليه بالآتى: الافتعال دليل على التشاعر، أما المحاكاة والتقليدية ففى أكثر أحوالها اعتزاز بالسابق وحنين جارف إلى ذكريات الماضى الجميل وأكبر دليل على ذلك شعراؤنا العظام كالبارودى وشوقى وحافظ ومن لف لفهم، وتقطع الأسلوب وعدم توحده يدل على إحساس الشاعر بالضياع والتشتت وعدم الثبات لما حلّ به فهو يتلوى ويعتصر فيأتى أسلوبه مطبوعاً بهذا كله.

(١) الشعر المعاصر في ضوء النقد الحديث، للأستاذ مصطفي عبداللطيف السحرتي، ط تهامة للنشر والمكتبات، جدة، الثانية ١٩٨٤ ص ٥١، ٥٢.

وإذا كان مجال الحديث عن التصوير للأسلوب فالصورة الحركية تجسيد حي بلوره فنان مبدع لجأ إلى سحر الطبيعة وجمالها الفتان مزاوجا بين نفسه المترهلة بالإحن والمحن صاباً جام لواعجه فى أبعاد صورته التى إختارها لتكون له يد العون والمساعدة فى بث صرخاته المدوية.

وسيكولوجية الصورة هنا منبعثة من الشاعر بالاشتراك مع زوايا وأحزان الطبيعة الصامتة التى يحركها ويهزها ويحاورها فيجعلها صائتة مجنونة تقفز وتترنح كأنها الصبى فى لهوه وعبثه.

وسأتناول هذه النظرية تطبيقياً على أبيات تخيرتها من قصيدة (الدمعة الخرساء) للشاعر المهجرى (إيليا أبى ماضى) والتى يبدو فيها لغز الموت والحياة، وما يحدثه الموت للإنسان من إرباك صفوفه، وإنهاك قواه وشل حراكه.. قصّ ذلك من خلال مأساة فتاة رقيقة وهى تحتضر للوفاة بعدما كانت تلهو والبسمات تنير وجنتيها يقول الشاعر:

سمعت عويل النائحات عشية
فى الحى يبتعث الأسى ويثير
يبكين فى جنح الظلام صبية
إن البكاء على الشباب مرير
فتجهمت وتلفتت مرتاعة
كالظبى أيقن أنه مأسور
فكأنما بطل تكنفه العدا
بسيوفهم وحسامه مكسور

يتناول (أبوماضى) هنا حادثة إنسانية مضنية هى موت فتاة فى ريعان شبابها وما يتصل بذلك من التفجع عليها ويتخذ من قصيدته مدخلاً للحديث عن الفناء وفلسفة الحب والتأمل فى الوجود الخارجى. ففى البداية يعطينا صورة الذهول الذى أصابه من وقع جرس العويل والنواح وأصداء ذلك، فقد جاء الموت وسربل المكان من حوله بجلبابه الأسود القاحل وإذ بالفتاة ينتابها الهلع والارتياع والتجهم لما تسمعه وتراه، ويصور الشاعر موقفها المتبدد مع الموت ببطل أوقعه العدا فى شباكهم وطوقوا عنقه بسيوفهم وهو لا يملك ما يدفع به عن نفسه.

وأرى أن الصورة هنا جاءت كلية متكاملة اعتمد فيها الشاعر على الصور الجزئية التى تؤدى بدورها إلى صورة كلية ممتلئة بالحيوية حيث هى صورة صوتية لونية حركية، فالصوت فى قوله (سمعت - عويل - النائحات - يبكين)، واللون فى قوله (عشية - الظلام)، والحركة فى قوله (تجهمت - تلفتت - مرتاعة) هذا التشكيل الفنى نبع من رؤية الشاعر للفتاة البريئة التى كانت تضاحكه وتمازحه وتبادله المرح والمداعبة وبين لحظة وأختها وقعت فريسة لشبح الموت العارم، يشل أعضاءها واحداً تلو

الآخر فضاقت نفسه، هذا الضيق تبعه انطلاقة خيالية يمضغها الألم تحت أضراسه جراء ما يحدث أمامها ثم اتسعت ساحة الشعور عنده ليلم بكل ما بصرت به عيناه من تمزق الصبية تحت آلة الموت البتارة. فما حدث لـ (أبى ماضى) ماهو إلا ضيق فى النفس تلته سعة شعورية لاستقبال المؤثرات الخارجية لتشكيل الصورة الحركية بنظرة شمولية إرعادية من كثرة ماحوته من أصوات وألوان تموج هنا وهناك.

ثم يصور شاعرنا حال الفتاة المتعبة المسكينة المجهدة وما ارتسم على صفحة وجهها قائلاً:

كانت تمازحنى وتضحك فانتهى
دور المزاح فضحكها تفكير
قالت وقد سلخ الأسى ابتسامتها
صدق الذى قال الحياة غرور

تظل الصورة الحركية تؤدى دورها ببراعة لإبراز الحالة الواجمة التى أصابت الفتاة فقد انتهى دور مضاحكتها لـ (أبى ماضى) وأخذت تفكر فيما آل إليه مصيرها التعيس وحظها العاثر فراحت تتفوه بكلمات أشد غلياناً من المرجل فوق الموقد المتأجج، والملحوظ أن الفتاة لم تبسط فى حديثها فحالها هو اللسان الناطق.

وتلوح لى الناحية الإبداعية العليا والطاقة الفنية الكبرى فى قوله (قالت وقد سلخ الأسى ابتسامتها) فهى تتكلم والأسى يكشط شفتيها والقلق ينفث فى أعطافها ورغبتها فى الحياة تلح عليها والقوى البدنية قد فقدت توازنها على سرير النهاية.

استطاع الشاعر أن يرسم ذلك كله فى شكل درامى مستوعب للخصائص والسمات التقنية الفاعلة ومن هنا برزت الموهبة وانطلق الإبداع من كل صوب وحدب ومن العمق النفسى (السيكولوجى) حيث ترجم الشاعر المناخ الانفعالى المتشبع بكل الظواهر السوداوية ووجود الفزع على وجه الفتاة وما تشكله البيولوجية الأنثوية من تشنجات وآهات منبحة ومجروحة وأثر ذلك على النفس الرهيفة الحساسة.

فالتصوير الفنى هو عمود الشعر وعماده والتربة النقية الخصيبة التى تزخر بأشهى الأطالح وعلى ذلك أقرر مدى أهمية استشفاف العوامل النفسية القابعة تحت وطأة التوتر والانفعال ومدى الأهمية القصوى للدراسات النفسية لتأصيل وتحليل البحث الأدبى علمياً وفنياً وشعورياً ومدى الارتقاء والتعمق فى فلسفة الكون والفن والحياة.

***

بمناسبة مرور مائة عام على رحيله

حول رؤية الإمام محمد عبده لعلاقة الدين بالعلم

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

العلاقة بين الدين والعلم، بصورة عامة، تمثل واحدة من أكثر الإشكاليات أصالة، وأقواها أثراً فى تقدم الأمم وانحطاطها. وقد ظهرت هذه الإشكالية فى ثقافتنا العربية الإسلامية بمسميات عدة فى ثنائيات متقابلة من قبيل: النقل والعقل، الأصالة والمعاصرة، الاتباع والإبداع، التراث والتجديد، وغيرها. ومن الطبيعى أن يتعدد مفهوم كل من الدين والعلم فى هذه الصيغ تبعا لمناهج المفكرين الذين تناولوه استنادا إلى مرجعيات فكرية متباينة فى الشرق والغرب على حد سواء. لهذا تباينت آراؤهم بدرجات متفاوتة حول طبيعة العلاقة التى تربط بين الدين والعلم، اتفاقا وتآلفا وانسجاما من ناحية، أو تعارضا وخصومة وعداءً من ناحية أخرى، أو توفيقاً وتلفيقا واحتواءً من ناحية ثالثة.

وقد أسهم الإمام محمد عبده، من خلال منهجه الإصلاحى ورسالته التنويرية، فى تفنيد دعاوى الفصل بين الإسلام والعلم، ودافع -بحيدة وموضوعية- عن وحدة الفكر الإسلامى عن طريق التوفيق بين الحقائق الإيمانية والعلمية لتلبية مطالب الحياة الحديثة، وسعى إلى التقريب بين ما ينبغى للمجتمع الإسلامى أن يكون عليه، وبين مابات عليه فى الواقع، متخذاً من ثنائية الإيمان والعلم أساساً لتفعيل الإصلاح واطراد التقدم. وفى يقينه "أن العقائد إذا سلمت من البدع تبعتها سلامة الأعمال من الخلل والاضطراب، واستقامت أحوال الأفراد، واستضاءت بصائرهم بالعلوم الحقيقية، دينية ودنيوية، وتهذبت أخلاقهم بالملكات السليمة، وسرى الإصلاح منهم إلى الأمة"(١). وقد أقام الإمام منهجه فى الإصلاح على الوسطية الإسلامية الجامعة، مخالفاً فى الدعوة إليه "رأى الفئتين العظيمتين اللتين يتركب منهما جسم الأمة: طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم، وطلاب فنون هذا العصر ومن هم فى ناحيتهم"(٢).

(١) محمد عبده، الإسلام دين العلم والمدنية، دار الهلال، القاهرة (د. ت).

نبذة عن حياة الإمام محمد عبده وأهم آرائه

ولد محمد عبده خير الله فى بيت الماضى عمدة قرية «شنرا» مركز الجعفرية مديرية الغربية فى عام ١٢٦٦هـ الموافق سنة ١٨٤٩م. وكان أبوه - رحمه الله - قد ولد فى محلة نصر مركز شبرا خيت محافظة البحيرة فى منطقة الدلتا، من أبوين مصريين: الأم مصرية من «بنى عدى» والأب من أصول صقلبية وقيل من أصل تركمانى (٣). حفظ محمد عبده القرآن الكريم عند محفّظ فى شنرا، ثم جوّده فى إحدى مقارئ القرآن الكريم بالجامع الأحمدى - جامع السيد البدوى - بطنطا. ولم يرق التعليم التقليدى للفتى الموهوب، فتركه بعد عام ونصف فقط من الدراسة، ولكن أحد أخوال أبيه «الشيخ درويش خضر» أقنعه بالعودة لاستكمال عام آخر فى طنطا قبل أن ينتقل إلى الجامع الأزهر بالقاهرة فى سنة ١٨٦٦م، لكنه لم يتجاوب مع المقررات الدراسية لصعوبة المتون العلمية عليه، فقرر أن يترك الدراسة ويتجه إلى الزراعة. لكن الأقدار ساقت إليه الشيخ درويش خضر مرة أخرى ليبسط له ما استعصى عليه من العلوم الأزهرية.



محمد عبده

(٢) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، دراسة وتحقيق د. محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٣م.

(٣) د. مجاهد توفيق الجندى، قراءة أولى فى وثائق مجهولة: أضواء جديدة على أوراق من ملف الإمام محمد عبده، مجلة الأزهر، الجزء ٩، السنة ٧٨، رمضان ١٤٢٦هـ - أكتوبر ٢٠٠٥م.

وفى عام ١٨٧٢ قابل محمد عبده السيد جمال الدين الأفغانى (١٨٣٩-١٨٩٧) لأول مرة وانبهر به، وتتلمذ على يديه، ووجد عنده روحاً جديدة لم تكن مألوفة عند شيوخ الأزهر، كما وجد عنده منهجاً إصلاحيا واضحا شجعه على أن يقبل على الحياة العلمية إقباله على دراسة العلوم المختلفة كالفلسفة والرياضيات والكلام والأخلاق والسياسة وغيرها مما لم يكن له مكان فى مناهج الأزهر. وأخذ الأفغانى يبث تعاليمه الحرة التى لم يكن للناس عهد بها من قبل، وأخذ يقرأ لتلاميذه طائفة من الكتب العربية القديمة والكتب الأوروبية المعربة فى الفلسفة والسياسة والاجتماع، فكان ذلك فتحاً جديداً فى موضوعات التعليم. وفى عام ١٨٧٧م ظفر محمد عبده بشهادة العالمية الأزهرية، وأخذ يلقى فى الأزهر وغيره دروساً فى المنطق والكلام والأخلاق، وامتازت دروسه بمنهج جديد جمع حوله عددا عظيما من الطلاب. وفى سنة ١٨٧٩م عُين محمد عبده أستاذاً للتاريخ فى مدرسة دار العلوم وأستاذاً للأدب فى مدرسة الألسن، وظل يشغل هاتين الوظيفتين إلى جانب مواصلته لدروسه بالأزهر(٤).

وتعتبر «رسالة التوحيد» أهم مصنفات الإمام محمد عبده، وفيها دلل على وسطية الإسلام الجامعة، وعلى أن القرآن الكريم قد طرح قضايا الدين طرحاً عقليا، مدعَّما بالبراهين ومفنداً لآراء الخصوم. وفى ردوده على جبريل هانوتو أكد محمد عبده على ضرورة الفصل بين وضع المسلمين المتردى، والأثر الذى يمكن أن يستحدثه الإسلام فى معتنقيه، وقال إن المسلمين الأوائل طبقوا الإسلام فكانت لهم المنعة والعزة، فلما فارقوه من بعد انحطوا. وأكد محمد عبده على الوحدة العضوية فى النظرة الإسلامية إلى الكون، واعتبر هذه الوحدة دليلاً على تفوق الإسلام الذى لم يجعل شعاره إعطاء ما لقيصر لقيصر وما لله لله، بل إخضاع قيصر لله ومحاسبته على كل ما يأتيه من حسنات أو سيئات(٥).



جمال الدين الأفغانى

ويمكن تلخيص الآراء الإصلاحية التى نادى بها الإمام محمد عبده فى أربعة مراحل لعملية الإصلاح والانبعاث: ترتكز الأولى على "تحرير العقل من قيود التقليد"، وتهدف الثانية إلى فهم سليم للدين، مع التشديد على فترة النبى ﷺ والخلفاء الراشدين باعتبارها العصر الذهبى للعرب والمسلمين، حيث كان الإسلام على أصالته ولم يتعرض لشروحات وكتابات الفقهاء وعلماء الكلام، والمرحلة

(٤) عن المصدر السابق.

(٥) د. عبد المنعم حفنى، الموسوعة الفلسفية، دار ابن زيدون بيروت – مكتبة مدبولى القاهرة (د. ت).

الثالثة تعتبر أن السلطة النهائية فيما يتعلق بالعقيدة الدينية لا تكمن فى المذاهب والشيع ورجال الدين، بل فى القرآن والسنة، والمرحلة الرابعة تركز على دراسة الحقائق الدينيّة على أسس عقلانية(٦).

وقد كتب الإمام محمد عبده عن تميز منهاجه فى الإصلاح بسمة الوسطية الإسلامية الجامعة، فقال: "ظهر الإسلام، لاروحيا مجردا، ولا جسديا جامدا، بل إنسانيا وسطا بين ذلك، آخذاً من كلا القبيلين بنصيب، فتوافر له من ملاءمة الفطرة البشرية مالم يتوافر لغيره، ولذلك سمى نفسه «دين الفطرة»، وعرف له ذلك خصومه اليوم...."(٧)، ثم قال: «جاء هذا الدين على الوجه الذى ذكرنا فهدى ضالا، وألان قاسيا، وهذب خشناً، وعلم جاهلا، ونبّه خاملا، وأثار إلى العمل كسولاً، وأقدر عليه متواكلا، وأصلح من الخلق فاسداً، وروج من الفضيلة كاسداً، ثم جمع متفرقا، ورأب متصدعاً، وأصلح مختلاً، ومحا ظلما، وأقام عدلاً، وجدد شرعاً، ومكّن للأمم التى دخلت فيه نظاماً امتازت به عن سواها ممن لم يدخل فيه، فكان الدين بذلك عند أهله كمالاً للشخص، وألفة فى البيت، ونظاماً للملك، وظهرت به آثار النعمة عليهم فى جميع شئونهم، ولم يفت العلم حظ من عنايته، بل كان قائده فى جميع وجوه سيره، فإن شاء قائل أن يقول إن الدين لم يعلمهم التجارة ولا الصناعة، ولا تفصيل سياسة الملك، ولا طرق المعيشة فى البيت، لم يسعه أن يذكر أنه أوجب عليهم السعى إلى ما يقيمون به حياتهم الشخصية والاجتماعية، وأوجب عليهم أن يحسنوا فيه، وأباح لهم الملك، وفرض عليهم أن يحسنوا الملكة.... هكذا كان الإسلام مهمازاً للمسلمين يحثهم إلى جلائل الأعمال، ومصباحا لبصائرهم يسترشدون به فى استغراق الأحوال وتقويم الأفكار، وعاطفا يعطف قلوبهم على الأمم بالعفو والمرحمة وحسن المعاملة، حتى رضيتهم الأرض سادة لها، وقادة لسكانها، وكان من أمرهم وأمره ما هو معلوم»(٨).



عرابى

وكان الإمام محمد عبده قد انحاز إلى ثورة عرابى، فنفى من مصر وجاء إلى بيروت حيث عمل فى التدريس فى الكلية الإسلامية التى

(٦) د. محمد كامل ضاهر، الصراع بين التيارين الدينى والعلمانى فى الفكر العربى الحديث والمعاصر، دار البيرونى للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٤.

(٧) الاعمال الكاملة للإمام محمد عبده، مرجع سابق.

(٨) الشيخ الإمام محمد عبده، الإسلام دين العلم والمدنية، تحقيق ودراسة: د. عاطف العراقى، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨م.

أسسها الشيخ أحمد عباس الأزهري، ثم سافر إلى باريس للالتحاق بأستاذه جمال الدين الأفغاني حيث ساعده على تأسيس جمعية سرية أصدرت مجلة «العروة الوثقى». ثم سافر إلى لندن سنة ١٨٨٤. وبعد توقف «العروة الوثقى» عن الصدور ذهب إلى تونس ومنها إلى مصر متنكراً. ثم مالبث أن عاد إلى بيروت حيث مكث ثلاث سنوات يعمل في التدريس في مدرسة أنشأتها جمعية إسلامية خيرية حيث عمل على التقريب بين الأديان والدعوة إلى التفاهم، وكان يلقى المحاضرات، وكانت داره في بيروت، كما كانت في القاهرة، ملتقى للعلماء والأدباء والمفكرين الشباب من مختلف الطوائف (٩).

وكان القس الإنجليزي اسحق تايلور يرى أن شرح المسيحية كما يبسطه الإمام يوشك أن يعينه على اقناع الأوروبيين بالتوحيد بين الديانتين على الجادة الوسطى التي يلتقي لديها المؤمن بالأناجيل والمؤمن بالقرآن. (١٠)

وفي عام ١٨٨٨م سمح الخديوي للإمام محمد عبده بالعودة إلى مصر، وفي سنة ١٨٩٩ عين مفتيا لمصر مما مكنه من القيام ببعض الإصلاح في المحاكم الشرعية وإدارة الأوقاف، كما ساعدت فتاويه في الشئون العامة على تفسير الشريعة الإسلامية تفسيراً يتفق مع حاجات العصر. وفي عام ١٩٠٥م توفي الإمام بالإسكندرية عن عمر بلغ ستة وخمسين عاماً، رحمه الله تعالى بقدر ما أعطى لدينه وأمته.



رشيد رضا

وكان من أبلغ ما قيل في رثائه قصيدة لشاعر النيل حافظ إبراهيم، مطلعها:

سلامٌ على الإسلام بعد محمد سلام على أيامه النضرات

وجاء فيها:

أبنْت لنا التنزيل حُكْماً وحكمةً وفرقت بين النور والظلماتِ

ووفقت بين الدين والعلم والحجا فأطلعت نوراً من ثلاث جهاتِ

واشتهر من تلاميذ الإمام محمد عبده السيد محمد رشيد رضا (١٨٦٥ - ١٩٣٥) الذي سار على درب أستاذه، فأصدر مجلة «المنار» التي أصبحت صوت الإمام وتلاميذه، وداعية المشروع الإصلاحي الأكثر تأثيراً في العالم الإسلامي. ولا تزال آراؤه الإصلاحية جاذبة لاهتمام المفكرين شرقا وغربا، مما يدل على علو مكانته وعمق أثره في حركة التنوير الإسلامي المعاصرة، فقد كان صاحب رؤية تجديدية رشيدة تحقق التواصل مع قضايا عصره، وهي أيضا قضايا عصرنا، بل إنها قضايا كل عصر.

يتبع

(٩) ميشال جحا، ابن رشد بين فرح أنطون ومحمد عبده، مجلة الاجتهاد، العدد ٣٠، بيروت ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، دار النهار للنشر، بيروت، ط ٤ (١٩٨٦).

(١٠) عباس محمود العقاد، عبقري الإصلاح والتعليم: محمد عبده، نهضة مصر، القاهرة.

بين الصحف والمجلات

إعداد

أ/ محمود الفشني

أ/ عبدالموجود أمين

الحضارة الإسلامية

عن دور الحضارة الإسلامية في تعميق الحوار بين الأمم والشعوب كان مقال الدكتور أحمد السايح المنشور بجريدة الوفد الصادرة في ٢٠٠٥/١١/١٨، ومما قال:

إن حوار الحضارات الذي ندعو إليه ينبغي أن يجنب المسلمين عمليات فرض التجارب والنماذج الوافدة من بلدان وحضارات معينة، والتي يتم إسقاطها على واقع مغاير للواقع الذي بعثت فيه.

وإن نقل التجارب ونشر المفاهيم التي أفرزتها سياقات تاريخية واجتماعية معينة وتصدير البرامج. لا يمكن أن ينجح إلا في سياق تواصلي، ومناخ تفاعلي، ورؤية تبادلية تحترم خصوصية الآخر وذاتيته الحضارية والثقافية.

كما أن مفهوم المسلمين للحوار الحضاري. لا ينفصل عن الأبعاد الخلقية للقيم الثقافية والدينية عموماً، فثقافة المسلمين الإسلامية انبثقت تاريخياً عبر منظومة القيم التي كانت ولاتزال تمثل جزءاً من رصيد المسلمين الحضاري، وهي منظومة تميز نسيج الأمة الاجتماعي بمختلف خلاياه.

ومع هذه المحاذير يتعين كذلك تبين طبيعة المعوقات التي تعترض طريق هذا الحوار، خصوصاً الحوار الإسلامي - الغربي، وفي مقدمتها ما يشوب الصورة الغربية من سلبيات وتشويهات لايتحمل المسلمون المسئولية عنها.

لقد أصبحت وسائل الإعلام والاتصال في الأيام الراهنة هو المسئول الأول عن عملية نقل صورة الشعوب وثقافاتها وصياغة المواقف منها وحولها ولا يخفى على أحد أهمية هذا الدور وخطورته في آن واحد.

فالإعلام يبلور السياسات ويكون الاتجاهات ويوجه القرارات، لدى الدول والجماهير في الوقت نفسه، خصوصاً

مواقف التعاطف أو النفور.

إن صورة المسلمين الحضارية فى غالبية وسائل الإعلام الغربية. لا تعكس صورة المسلمين الحضارية، كما أن الأحكام المعيارية حولها لا تستند إلى موضوعية موثوقة.

لقد بات من الضرورى تصحيح صورة الحضارة الإسلامية المشوهة والمنقوصة لدى العالم الغربى، ويجب أن نعترف بوجود جهل بالمسلمين أو تجاهل لهم. برغم أن المسلمين يعرفون تاريخ الغرب وحضارته ولغاته أكثر مما يعرف هو عن المسلمين حتى أبناؤنا المهاجرون، على رغم أهميتهم الحضارية فى بعض المجتمعات الغربية، لا يحضون فى مجتمعات المهجر بالقدر الكافى على تعليم اللغة العربية.

وكثيراً ما يؤدى التهميش اللغوى والقيود إلى إبعاد الأجيال الجديدة فى بعض الجاليات العربية والإسلامية عن جوهر القيم الإسلامية الحقيقية.

إن الحوار الحقيقى بين الحضارات يشكل أبرز التحديات التى يواجهها العالم اليوم، فهو شرط أساسى من شروط التعايش السلمى بين الشعوب.

ونحن نعتقد أن الحضارة العربية الإسلامية قادرة فى ظل التحولات الدولية والتحديات المستجدة بفضل رصيدها التاريخى، والثقافى، وتجاربها الثرية، على أن تلعب دوراً إيجابياً فى تعميق مبادىء الحوار بين الأمم والشعوب وتحقيق معانى التفاهم والسلام الدوليين.

قضية بالغة الحساسية

وفى جريدة الأخبار الصادرة فى ٢٠٠٥/١١/٢١ كتب الأستاذ/ محمد عبدالمنعم معلقاً على مؤتمر الوفاق الوطنى العراقى المنعقد بمقر الجامعة العربية بالقاهرة مؤخراً، قال:

فى كلمته أمام الاجتماع التحضيرى لمؤتمر الوفاق الوطنى العراقى الذى انعقد بمقر الجامعة العربية بالقاهرة، جسد السيد إبراهيم الجعفرى، رئيس وزراء العراق، نموذجاً عصرياً مشرفاً لما ينبغى أن تكون عليه القيادات السياسية فى عالمنا العربى وذلك عندما احترم عقولنا جميعاً وتحدث بأسلوب صادق ومباشر عن حقيقة المشاكل، وحقيقة الأوضاع، ومدى الارتباط بيننا وبين العالم الذى نعيش فيه، وكان الرجل رائعاً عندما تطرق فى كلمته إلى المفاهيم الحقيقية فى القرآن الكريم وذلك فيما يتعلق بـ «الوحدة» وضرورة الاعتراف «بالآخر» وفى هذا الموضوع بالغ الحساسية أشار الرجل إلى ما يؤكد دعوة الإسلام لتحقيق ذلك وأن الاعتراف «بالآخر» يشمل المجال الدينى والاعتراف بجميع الأديان الأخرى - على العكس تماماً من الأفكار التى تبناها المتطرفون والمتشددون والذين يسعون من خلالها إلى العزلة عن الآخرين بجانب استنفار عداواتهم.. كما نشاهد حالياً!

كان الرجل جاداً ومباشراً فى تناوله للأوضاع التى وصلنا إليها، وكان بارعاً عندما تناول مفهوم الوحدة فى الإسلام، وكيف أننا فيما بيننا

لا نقبل «الآخر» منا والذى ينتمى إلى ذات الدين الحنيف، فما بالنا «بالآخر» الذى ينتمى إلى ديانة مختلفة؟ إنها قضية بالغة الحساسية ليت علماء وشيوخ ودعاة الإسلام يزيدوننا علماً ووعياً فى هذا الاتجاه الذى يسعى المتطرفون سعياً محموماً لاستغلاله كسند منيع يحول بيننا وبين جميع الدول والمجتمعات بل ويمزقنا من الداخل. لقد احترم الجعفرى عقولنا وكان صادقاً ومباشراً فى كلمة ارتجلها باقتدار واضح، وكشف بذلك عن نوعية واعدة من القيادات العراقية تختلف تماماً عن جميع النوعيات التى شاهدناها هناك على مر عقود طويلة من التاريخ.. نوعيات جاهلة ومستهترة لم تجلب لنا وللعراق غير الدمار والخراب المبين!

الليل الأسود

ومن جريدة الأخبار الصادرة فى ٢٠٠٥/١١/٢١ اخترنا كلمة للكاتب الصحفى الأستاذ جلال دويدار جاءت تحت عنوان «خواطر» قال فيها:

ألا لهذا الليل الأسود أن ينجلى بتوقف هذا السيل من الدماء البريئة التى تسيل فى بلاد الرافدين التى كتب عليها ألا ترى أمنا ولا استقراراً منذ احتلالها.

لقد غزا الأمريكيون العراق عام ٢٠٠٣ لإنقاذ العالم والولايات المتحدة - على حد قولهم - من خطر أسلحة الدمار الشامل التى كان الديكتاتور صدام حسين ينتجها رغم إعلان لجان التفتيش الدولية عدم العثور على أى أثار لهذا الاتهام وبعد أن تم احتلال كل أراضى العراق وتنصيب معارضى صدام ومؤيدى الولايات المتحدة مقاليد الحكم فشلت قوات الاحتلال فى إثبات تهمة حيازة أسلحة الدمار الشامل على نظام الحكم المخلوع.

ولمواجهة موجة الانتقادات داخل الولايات المتحدة أعلن بوش أنه ذهب إلى العراق لضرب الإرهاب الذى كان وراء عملية الهجوم على مركز التجارة الدولى فى نيويورك ومقر البنتاجون فى واشنطن. حاول دعم هذه المبررات بادعاء علاقة وثيقة بين نظام صدام وبين تنظيم القاعدة المتهم الرئيسى فى تفجيرات الولايات المتحدة الإرهابية.

ومنذ أسابيع أعلنت بعض التقارير المنشورة فى الصحف الأمريكية والعالمية عدم وجود أى علاقة بين صدام حسين وهذا التنظيم الإرهابى بل العكس تبين أنه لم يكن مسموحاً بتواجد أعضائه على أرض العراق.

اذن فقد جاء الإرهاب وهذا السلوك الإرهابى الدموى إلى العراق ومنطقة الشرق الأوسط بل إلى العالم كله نتيجة السياسات الأمريكية وعملية الغزو التى قال الرئيس بوش إنه قام بها لمواجهة قوى الإرهاب التى ضربت الولايات المتحدة ونقل المعركة مع الإرهابيين إلى خارج الأرض الأمريكية.. لم يفكر رئيس أكبر دولة فى العالم فى الأسباب الحقيقية التى يختفى وراءها المخططون لهذه الأعمال الإرهابية والقائمون على تنفيذها.

إنه لا يريد أن يعترف بأن الظلم والإحباط واليأس هى من الأسلحة التى يجرى استخدامها لاستقطاب تلك العناصر التى تسير فى ركاب الإرهاب.

فظائع أمريكا فى الفلوجة

تحت هذا العنوان كتب «عربى أصيل» فى جريدة المساء الصادرة فى ٢٠٠٥/١١/١٨ قال:

ما حدث ويحدث فى العراق منذ مارس ٢٠٠٣ حتى الآن لا نعلم عنه إلا أقل القليل، وما فعلته قوات الغزو فى الجيش والشعب العراقى غير معلوم بتفاصيله، خاصة فى ظل شرخ واسع يسيطر على أرض الرافدين، شرخ يفصل فريقين عن بعضهما الى حد العداوة، فريق يرى الأمريكيين أصدقاء جاءوا لتحرير العراق وفريق ينظر إلى القوات الأمريكية على أنها قوات غازية لابد لها من الرحيل عن أرض العراق.. وبين الفريقين ضاعت الحقائق ولا يكشف بعضها إلا وسائل الإعلام الأجنبية ومحطات التليفزيونات الغربية والتى أخذت على عاتقها مهمة إعلام المشاهد بما يحدث على أرض العراق رغم فظاعته وكان التليفزيون الإيطالى واحداً ممن كشفوا ماذا حدث فى مدينة الفلوجة، تلك المدينة التى خشى الامريكيون أن تتحول إلى رمز للمقاومة، فحولوا بناياتها إلى ركام وضربوا أهلها بكافة الاسلحة المحرمة الدولية وغير المحرمة وقد بث التليفزيون الإيطالى فيلماً وثائقياً عن حصار وضرب المدينة والغبار الأبيض يغلفها من كل جانب وتحدث الخبراء وأجمعوا على أن سبب الغبار الأبيض هو استخدام قذائف الفوسفور الأبيض والتزم الامريكيون الصمت إلا أن بشاعة صور القتلى والتشوهات التى أحدثتها تلك الذخيرة، أجبر الأمريكيين على الحديث فى النهاية وأقرت وزارة الدفاع الامريكية «البنتاجون» بأن الجيش استخدم قنابل الفوسفور الابيض خلال الحملة ضد المسلمين فى مدينة الفلوجة العام الماضى ونفت أن تكون هذه المادة قد تم استخدامها ضد المدنيين. مؤكدة إنها ذخيرة تقليدية تستخدم للتمويه أو لتحديد الأهداف فى مناطق معينة.

قليل القليل الذى يعرفه العالم عما حدث فى العراق، إلا أن الأفلام موجودة والصور قابلة للتداول وتضيع الحقائق والحقوق فى الخلافات العراقية ـ العراقية الراهنة ولم تمنع المآسى من تقاربهما لتقديم شكاوى إلى المحافل الدولية والمحاكم العالمية لترى الدنيا أن الولايات المتحدة الامريكية لم تأت إلى العراق حباً فى أهله وأن ما يمارسه جنود الاحتلال أبشع بمراحل مما مارسه صدام والذى لا يجب أن يقف وحيداً فى قفص الاتهام.. بل هناك آخرون عذبوا وشردوا وقتلوا العراقيين بأحدث ما وصلت إليه علوم التكنولوجيا!

أوقفوا النزيف أولا

وفى جريدة الأهرام فى عددها الصادر فى ٢٠٠٥/١١/٢٠ كتب داود فرحان قال:

اهتمت وسائل الإعلام العربية والدولية بانتهاكات حقوق الإنسان فى أحد سجون وزارة الداخلية العراقية وكأنها المرة الأولى التى تكتشف فيها مثل هذه الانتهاكات ودعا قياديون فى أحزاب وتنظيمات عربية سنية إلى فتح تحقيق دولى بشأن سوء معاملة أكثر من ١٧٠ عراقياً كانوا معتقلين فى سجن سرى للداخلية فى أحد أحياء بغداد الراقية.. ورغم الأدانة الدولية التى عبر عنها الأمين العام للأمم المتحدة كوفى أنان بقوله إنه يشعر «بقلق عميق» إزاء تجاوز حقوق الإنسان فى العراق ورغم استنكار الجنرال جورج كيسى قائد القوات الأمريكية فى العراق والسفير الأمريكى فى بغداد زلماى خليل زاده لما حدث وقولهما فى بيان مشترك «إن سوء معاملة المعتقلين أمر غير مقبول بتاتا» فإن الجريمة ستمر مثل غيرها من الجرائم المماثلة التى قيدت ضد «مجهول» بعد أن نفت وزارة الداخلية أى علاقة لها بما يحدث فى تلك السجون السرية من ممارسات على أيدى إحدى الميليشيات الطائفية التى تحكم قبضتها على أجهزة الوزارة، وخاصة قوات المغاوير.

لقد نبهت طوال الأشهر السبعة الأخيرة قيادات عراقية عربية معارضة للاحتلال لظاهرة اختطاف واعتقال المئات من المدنيين السنة واختفاء أخبارهم أو العثور على جثثهم قرب الحدود مع ايران أو فى نهر دجلة أو فى المزارع دون أن تحرك الحكومة العراقية ساكناً إزاء مسألة بهذه الخطورة تتعلق بأرواح مواطنين تقع عليها مسئولية حمايتهم وتوفير الأمن لهم ولكل العراقيين على حد سواء، والمشكلة فى هذه الظاهرة التى استنكرها رئيس الوزراء العراقى ووزير داخليته ونفيا علمهما بتلك الممارسات الوحشية فى تلك السجون غير النظامية، أن من يقوم بها أفراد يرتدون زى الشرطة العراقية ويركبون سياراتها الحديثة ويحملون فى أياديهم اجهزة اتصال رسمية، بل ويبرزون لمن يرغب بطاقاتهم الشخصية للتأكد من أنهم جاءوا بشكل رسمى لاعتقال أشخاص مشتبه بهم وحين تشرق صباح اليوم التالى يتم الإعلان عن اكتشاف جثث المعتقلين فى البرارى وعيونهم معصوبة وأياديهم مقيدة دون أى محاكمة أو تحقيق أى أنه قتل على الهوية أو على الطائفة وهذا أخطر أنواع القتل الجماعى الذى ترتكبه تنظيمات سرية مسلحة.

ولعل من أولى النقاط التى ينبغى الاتفاق عليها تثبيت ميثاق شرف يحرم قتل العراقيين بهذا الاسلوب الشائن وإدانة استهداف المراكز المدنية والبيوت والمساجد والمطاعم والأسواق العامة التى يذهب ضحيتها مئات الابرياء وغالبيتهم من الأطفال والنساء والعمال البسطاء وتنطبق نفس الحالة على قوات الاحتلال الأمريكى التى استنكرت مأساة سجن وزارة الداخلية فى حين أنها ارتكبت وترتكب العشرات من المآسى اللاإنسانية فى معتقلاتها وحملاتها العسكرية ضد المدن الرافضة للاحتلال ومن اخطرها ما كشف النقاب عنه اخيرا من استخدامها للأسلحة الكيمياوية والفوسفور الأبيض فى قصف مدينة الفلوجة ومدن أخرى وحرق الأطفال والنساء بدون رحمة أو أى إحساس إنسانى سليم.

لابد أن يتفق أطراف الحوار العراقى ـ العراقى أولاً على وقف نزيف الدم.

أما نقاط الخلاف السياسية بين هذه الأطراف فيمكن حلها عبر التركيز على نقاط التوافق وصياغة منهاج عمل للتعامل بين العراقيين على أساس المواطنة قبل أى شيء أخر.

كتاب الشهر

التجانس اليهودى والشخصية اليهودية

للدكتور

عبدالوهاب المسيرى

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

١

من أبرز ما يقوم عليه الكيان الصهيونى - الذى تجسم أخيرا فى دولة إسرائيل - الكذب والتضليل والوهم من كل مايجعل من (لا شىء) شيئا ذا كيان ماثل له جميع مقومات الكائن الموجود ذى الأيدى العديدة والبالغ طولها المدى، تلك الأيدى التى تتمكن بها من انتزاع كل ما تهفو إليه بحيث تقنع الآخرين بأن لا مناص من الخضوع لطموحاتها والمسارعة لتحقيق تلك الطموحات بدون أى مقاومة أو ممانعة.

وهذا الكيان الصهيونى قد نجح فى الوقوف على الوسائل التى يحول بها الكذب حقيقة والتى يجعل بها الضلال هدى والوهم واقعا.. وكان من أهم تلك الوسائل: الإعلاميات بكل ألوانها ومفرداتها من صحافة، وإذاعة مسموعة، وإذاعة مرئية - فى كل أطوارها ومسرح وسينما ومن استهواء مخابراتى لطائفة من الناس، ذوى التوجهات الشاذةعن سمت الإنسان السوى، بتيسير توجهاتهم مع رصد كل ما يصدر عنهم لجعل هذا السلوك الشاذ حدا آخر للسلاح نفسه يتوعدون به من تحدثه نفسه بالتوقف - ولو للحظة - عن مواصلة مابدأوا به معه.

كما كان من أهم تلك الوسائل التضليلية.. تحويل مسار اللغة، بإخراج الكلمة من مجالها اللغوى - فى شتى استعمالاتها - إلى المجال المعاكس أتم المعاكسة، كما فى جعل كلمة (الاستيلاء على أرض الغير) استعمارا وكما فى جعل (مقاومة الغاصب) إرهابا، وكمافى جعل (حرية الاختيار) عصيانا، وكما فى جعل (إبادة الغير) تطهيرا.. إلى غير ذلك من الألفاظ والتعبيرات، مع بذل أقصى الجهد الإعلامى والإعلانى لإشاعة ذلك وفرضه على الآخرين وجعله هو الأصل التراثى الذى يجب أن يسود وذلك بالإلحاح الدائم لفرضه على الأسماع والعقول، حتى يستجيب القاصى قبل الدانى، والخاصم قبل الممالئ فإذا الأساطير حقائق قائمة، وإذا الأوهام شخوص ماثلة.

وكان من أخطر تلك الألفاظ الخادعة التى روجوا لها حتى راجت.. (الهوية اليهودية) و(التجانس اليهودى)، و(الشخصية اليهودية).

وموطن الخطورة فى هذه الألفاظ: أنهاتجعل مما لا كيان له صنما شامخا يجتذب الآخرين لعبادته، والسعى الدائب لطاعته حتى لقد أصبح على كل ذى لب وفكر واع.. أن ينهض لتحرير عقل البشرية من هذا الوهم الزائف، وينأى به عن هذا الضلال الكاذب ويفتح أمامه باب الحقيقة لينساب من خلاله شعاع الهداية والتبصير.



عبدالوهاب المسيرى

على هذا الطريق نهض الأستاذ الدكتور عبدالوهاب المسيرى، سالكا مسارات كثيرة يتحرى فيها الهدى، ليبتعد بالإنسان عن الضلال وينتشله من بين براثن تلك الأوهام المضللة.

ومن بين هذه المسارات.. مساره فى كتابه (التجانس اليهودى والشخصية اليهودية) الذى حاول فيه أن يجرد بعض الخرافات اليهودية مما كساها الصهيونيون به من ثياب الحقيقة، حتى تبدو للعيان عارية من الزيف، خالصة من التضليل.

أما المؤلف فغنى عن التعريف به، فقدعرفه (كتاب الشهر) أكثر من مرة مع أكثر من كتاب حول الصهيونية وأما الكتاب فهو واحد من سلسلة كتبه التى صارت تكون موسوعة علمية ضافية حول اليهود واليهودية وإسرائيل والصهيونية، قدمته سلسلة (كتاب الهلال) مع مبتدأ شهر نوفمبر سنة ٢٠٠٤، فى سبع وأربعين وثلاثمائة صفحة من القطع الصغير، يضم تقديما وستة فصول.

القومية اليهودية.. وهم جسمه الصهيونيون

فى الفصل الأول (خرافة القومية اليهودية) بدأ الدكتور المسيرى مناقشة الزعم الصهيونى: أن الصهيونية هى القومية اليهودية وأنها - بالتالى - حركة لتحرير العالم ملتزما أن يقوم حواره على استعراض هذا الزعم فى ضوء الواقع الحق لليهود لذلك انطلق إلى الدين اليهودى ذاته ليبحث فيه عن البعد القومى، فلاحظ - بالتأمل فيه - أن الدين اليهودى يمتاز من بين الديانات السماوية - بأنه يمزج بين فكرة الشعب المتميز عرقيا عن سائر الشعوب وبين فكرة الأمة ذات الخصوصية الدينية، مما حصر القومية اليهودية فى نطاق الإمكانية الفكرية التى لا واقع لها خارج الفكر إلا فى النطاق الروحى العاطفى الذى يجعلها لا تتجاوز الصلوات والدعوات باللقاء العام القادم فى (أورشليم) مثل التعبير الروحى العاطفى من المسلم عن رغبته فى زيارة قبر الرسول ﷺ.

وقد ظلت هذه الفكرة كامنة لأن الممارسات اليومية لليهود كانت تقنعهم بأنهم جماعات يهودية متناثرة فى شتى أرجاء العالم تعيش منفصلة عن الأغلبية السائدة فى كل مجتمع مع أنها جزء لا يتجزأ من هذا المجتمع مثلهم - فى هذا - مثل الأقليات الدينية فى كل دولة تتسم بانفصالها النسبى عن الأغلبية الدينية السائدة فى المجتمع وبممارساتها طقوسها الدينية الخاصة.

ولهذا.. لم يسجل تاريخ الجماعات اليهودية وجود أية حركات منظمة للعودة إلى أرض الميعاد، فى حين سجل تاريخ تلك الجماعات تحركهم الدائم بالهجرة من بلد إلى آخر، خصوصا فى العالم العربى، ولم يحدث قط أن هاجر اليهود فى جماعات يعتد بها إلى فلسطين التى يزعم الصهيونيون أنها وطنهم القومى.

ولم تكن عزلة اليهود فى المواطن المختلفة التى يقيمون بها ناشئة عن شعور قومى، ولكنها نشأت عن تحولهم إلى جماعات وظيفية، تحصر نفسها فى دائرة العمل بالتجارة والربا، مما جعلهم غرباء بين مواطنيهم، حتى أصبحوا يشعرون بتلك الغربة فى مجتمع الأغلبية، فلم يكن أمامهم إلا أن يُرجعوا هذه العزلة إلى الأصول العرقية الإثنينية، مع أنها ما نشأت إلا فى النطاق الوظيفى، كما يؤكده الواقع، حيث قامت المجتمعات الأوروبية على بناء أساسى - زراعى إقطاعى مسيحى - وبناء فرعى تجارى يهودى حتى إن الجيوب الإقطاعية حين انهارت أمام زحف الرأسمالية الحديثة بادرت الثورة الفرنسية لدى قيامها بمطالبة اليهود بأن يتخلوا عن أوهامهم القومية الإثنينية، وأن يقبلوا الانتماء القومى الحقيقى الوحيد - وهو الانتماء لفرنسا وللسوق القومية الموحدة - وأن يقصروا انتماءهم اليهودى على الانتماء الدينى فحسب.

وهكذا.. واكب علمنة الدولة وفصل الدين عنها.. علمنة مماثلة من جانب اليهود، انطلقت فى ظلها الحكومة القومية - بل والجماهير - تهدم حيطان (الجيتو) رمز الانعزال الاقتصادى، مما أتاح لليهود انعتاقا سياسيا، حيث منحوا حقوقهم السياسية والدينية، فأصبحوا مواطنين، لهم كل الحقوق، وعليهم كل الواجبات.

أما اليهود.. فقد استجابوا - فى بادئ الأمر - لهذا التحدى استجابة خلاقة، فظهرت حركة (الاستنارة اليهودية) وحركة (اليهودية الإصلاحية) اللتان كانتا تناديان ببعث اليهود، وتطويرهم اقتصاديا وحضاريا، كى يتمكنوا من التأقلم مع الاقتصاد الجديد، وما نجم عنه من أوضاع سياسية وحضارية، حتى إن اليهود الإصلاحيين قاموا بإلغاء الصلوات ذات الطابع القومى (اليهودى) من أجل تعميق ولاء اليهودى للوطن الذى يعيش فيه، وقصر انتمائه اليهودى على الدين وحده.

والصهيونيون.. دليل على أن قوميتهم وهم

والصهيونيون الذين اخترعوا القومية اليهودية، عملوا على تجسيمها بكل وسيلة، فوقف ممثلو العقلية الانعزالية (الجيتوية) منهم ضد هذا التيار الإصلاحى من جهة، وراحوا - فى الوقت نفسه - يحولون الإحساس بالانتماء لجماعة دينية واحدة والارتباط العاطفى بالأراضى المقدسة، فجعلوا من هذا وذاك شعارا قوميا، وبرنامجا سياسيا.

وعلى الرغم مما بذلوه فى هذا التحويل من جهد.. نجد أن تعريفهم للقومية اليهودية غير معروف على وجه الدقة، فمع إصرارهم المضلل على أن اليهود شعب ينتمى إلى قومية واحدة، وأنهم شعب شرد وحرم استقلاله ألفى عام، وعليه أن يعود إلى أرضه بالوسائل الإنسانية العادية، دون انتظار (الماشيح) المخلص.. مع إصرارهم على هذا، هم يصرون على أن الانتماء اليهودى القومى يختلف – فى أساسياته – عن الانتماء القومى العادى، وذلك لكى يتخلصوا من افتقار تلك القومية اليهودية المزعومة إلى أهم مقومات القومية - وهى اللغة المشتركة - فالأغلبية العظمى من يهود العالم لا تعرف (العبرية)، كما أن الصهيونيين لم يتفقوا - فيما بينهم - على تعريف للأساس القومى المشترك بين اليهود، لأن لكل مدرسة صهيونية تعريفها المستقل لهذا الأساس.

١ - فالصهيونيون المتدينون - وهم قلة قليلة - يؤكدون على الوحدة الدينية بين أعضاء الجماعات اليهودية. أما الصهيونيون غير المتدينين - وهم الأغلبية

العظيمى - فلا يقبلون الدين وحده أساسا للقومية اليهودية، حتى أن عددا كبيرا من الإسرائيليين - الشاملين للقيادات السياسية - ملحدون، لا يؤمنون باليهودية دينا، ولا قيما ملزمة أخلاقيا، ولكنهم يرونها تراثا ثقافيا شعبيا (فلكلوريا)، ويرون - فى الوقت نفسه - أن عدم إيمانهم بالدين اليهودى لا يسقط عنهم تلك القومية اليهودية المزعومة.

٢- وبعض الصهيونيين يرون أن منشأ الوعى القومى اليهودى ليس هو الدين اليهودى، ولكن (معاداة اليهود) هى التى خلقت هذا الوعى القومى، ويستدلون على ذلك: بأنه - فى مرحلةالاندماج اليهودى والانعتاق فى أوروبا - قد زادت الزيجات بين اليهود حتى وصلت فى بعض الأحيان إلى ٨٠٪ ولم يظهر ما يسمى (الوعى القومى) إلا بعد سنة ١٨٨١ عقب تصاعد موجات الاضطهاد ضد اليهود فى شرق أوروبا وعقب صدور قوانين مايو.

بل إن تفسير ظاهرة (معاداة اليهودية) يختلف من تيار صهيونى لآخر، فدعاة الصهيونية السياسية يرون أنها ظاهرة أزلية، لأن كره الأغيار لليهود مسألة لصيقة بطبيعتهم البشرية. أما الصهيونيون العماليون فيحاولون تفسيرها تفسيرا تاريخيا، حيث لا يشيرون إلى التطور الاقتصادى الشاذ لليهود، وتحولهم إلى جماعات هامشية غير منتجة ومنبوذة من المجتمع.

ومع هذا الاختلاف فى التفسير.. نرى الصهيونيين اتفقوا فى أن يعالجوا تلك الظاهرة (معاداة اليهود) بالهجرة إلى أرض الميعاد بدلا من التوجه لمحاربة العنصرية.

وهذا وذاك.. يعنى: أن الهجرة إلى فلسطين ليست هجرة قومية ولكنها هجرة دفع إليها البحث عن مكان - أو ملجأ - أفضل للاستثمار والحياة المستقرة، والفرص الاقتصادية، على ما أثبتته تواريخ الجماعات اليهودية فى العالم، كما كان فى اتجاه الغالبية العظمى من يهود العالم - فى القرنين التاسع عشر والعشرين - إلى الولايات المتحدة، وعدم اتجاههم إلى المكان القومى المزعوم (فلسطين)، حيث حققوا الربح الكبير والاستقرار النفسى العظيم.

الحقيقة... تدمغ الوهم

والدكتور المسيرى يرى - على ضوء ما تقدم - أن (القومية اليهودية) إنما هى إحساس لدى بعض أعضاء الجماعات اليهودية فى العالم بانتمائهم إلى دين وعرق واحد، وهو إحساس زائف نشأ تحت ضغط ظروف طارئة وليس له مقومات موضوعية تسانده، حتى إنه واجه خطر الزوال فى القرن التاسع عشر بسبب ظهور حركة الاستنارة، والرأسماليات المحلية

ولكن هجمات المعادين لليهود، والوضع الاقتصادى المتميز نوعا ما لليهود تسببا فى إثارة النعرة الدينية العرقية اليهودية.

فمقولة (الشعب اليهودى) و(القومية اليهودية) التى طرحها الصهيونيون - بما تتضمنه من تفرد اليهود وتميزهم - هذه المقولة إنما هى فى حقيقة الأمر مفهوم إصلاحى فاشى، أو هى رؤيةللمستقبل، وليست وصفا لما هو قائم بالفعل فهى مقولة مثالية يفصلها عن الواقع مسافة شاسعة.

يدل على ضخامة شسوعها: بقاء غالبية اليهود فى أنحاء العالم الذى يسميه الصهيونيون «المنفى»، فهذه المقولة - فى واقعها - ترفض بإصرار مفهوم العودة لأرض الوطن القومى.

وأوضح مثال على ابتعاد الرؤية الصهيونية عن الواقع: ما تكشف عنه المقارنة بين يهود الولايات المتحدة، ويهود الفلاشاة، فالاختلافات بينهما فى جميع المجالات عميقة وجذرية.

ويؤكد مجافاة الزعم بوجود قومية يهودية للواقع.. ما يمكن تسميته: التعريف الثنائى لليهود، على أساس من العقيدة والعرف، فاليهودى حسب الشريعة اليهودية هو من يؤمن باليهودية، ومن وُلد لأم يهودية.. الأمر الذى سمح بظهور ما يمكن أن نسميه الخاصية الجيولوجية لكل من العقائد اليهودية، والهويات اليهودية، التى تأخذ شكل تركيب جيولوجى، مكون من طبقات مختلفة مستقلة، ومتراكمة أو متجاورة، لكنها غير ملتحمة ولا متفاعلة، كما إنها لا تخضع لأى معيارية مركزية.

ومع هذه المجافاة الموضحة للحقيقة.. سميت هذه العقائد كافة «يهودية»، وأطلق على كل هؤلاء اسم «يهوداً»، وهو أمر لا يمكن قبوله أو السكوت عليه، مع ظهور دولة «الصهيونية»، وبداية المواجهة بين هذه العقائد وتلك الهويات، حيث تفجر فى ظل هذه الدولة البحث عمن هو اليهودى، وعن هذه القومية اليهودية.

والشعب اليهودى.. وهم

والدكتور المسيرى يستعرض محاولة الصهيونيين جعل أعضاء الجماعات اليهودية بانتماءاتهم المتباينة، وتواريخهم المختلفة.. يستعرض محاولة الصهيونيين جعل هذه الجماعات وحدة، مبيناً كيف أنهم بإلحاحهم على هذا استطاعوا ترسيخ مفهوم «الوحدة اليهودية» فى وجدان معظم الباحثين، حتى أصبحوا يتصورون أن مصطلح «يهودى» مصطلح محدد المعنى، على الرغم من أن كلمة «يهودى» من أكثر الكلمات إشكالية، رغم بساطتها، وذلك للأسباب الآتية:

١- لأن هذه الكلمة ذات مدلولات متباينة، إذ يمكن أن يعنى بها: «العبرانيون القدامى» بتقديرهم جماعة عرقية قومية، أو بتقديرهم جماعة دينية «شعب مختار»، ويمكن أن يقصد بها: «اليهود الحاخاميون، والقراءون، والسامريون، ويهود الصين، وإثيوبيا»، ويمكن أن يعنى بها: «الشعب المقدس فى الدينين المسيحى واليهودى»، كما يمكن أن يعبر بها عن: أولئك العلمانيين الذين أصبحوا شعباً يوصف بأنه «الشعب اليهودى»، ويمكن أن يعبر بتلك الكلمة عن «الانعزاليين الجيتويين». كما فى التعبير عنهم بالإنجليزية بكلمة جورى «jewry».

ومع كل هذا.. فإنه يشار بكلمة يهودى إلى «السفارد»، وإلى «الإشكناز»، وإلى «الصابرا»، وإلى يهود الولايات المتحدة.

ويزداد أمر هذه الكلمة تعقيداً مع التعبير بها عن «يهود العالم»، وعن «صهيونيى العالم»، وعن «المستوطنين الصهيونيين فى إسرائيل».

ولا ريب فى أن هذا الخلط والتضارب فى استعمال كلمة «يهودى» قد جعل الكلمة عديمة الفائدة، بسبب هذا التضارب الواسع، والتعارض المنتشر بين ما تشير إليه.

ويتأكد ذلك من النظر فى الحقل الدلالى لبعض المصطلحات السائدة التى يشار بها إلى اليهود.

أ- فكلمة «اليهودى» يعبر عنها بالإنجليزية «jewry» التى كانت يشار بها إلى «الجيتو»، أو الشارع، أو الحى الذى يسكنه اليهود، فهى تشير إلى اليهود من حيث هم كل متماسك، لا من حيث هم جماعات شتى، لكل منها انتماؤها العرقى القومى، أو الحضارى، وتضم أعضاء يهودا، لكل منهم طموحاته وتصوراته الخاصة به، ولكن هذه الكلمة - مع كل هذا التشتت - يفترض بها الصهيونيون أن هناك علاقات عضوية بين أعضاء الجماعات اليهودية فى العالم، وأنهم يخضعون للحركيات التاريخية نفسها التى تقطع الانتماءات المختلفة والتناقضات الكامنة والظاهرة.

ب- وكلمة «الشعب» تتواتر فى الأدبيات اليهودية والمسيحية، وفى الدراسات الدنيوية كذلك. ولكن معناها - فى السياق الدينى - يختلف عنه فى السياق الدنيوى والتاريخى، إذ هى فى السياق الدينى تعنى: جماعة دينية ترتبط بميثاق مع الإله، فإذا انعدم تنفيذها العهد انتفت عنها صفة الشعب، وهى فى السياق الدنيوى أكثر تركيبا، حيث تعنى: مجموعة القبائل العبرانية التى تسللت إلى كنعان، ثم اتحدت فى المملكة العبرانية المتحدة، ثم انفكت إلى مملكتين شمالية وجنوبية، ثم تحولوا إلى جماعات يهودية مختلفة منتشرة.

وفى العصر الحديث.. عاد الحديث بين

الصهيونيين عن الشعب اليهودى.. وهو مصطلح صهيونى جديد يشير إلى كل من الشعب الفلسطينى والشعب اليهودى، متضمناً شكلاً من أشكال الاعتراف بوجود شعب فلسطينى، ولكنه يؤكد - كذلك - وجود شعب يهودى، له حقوق فى فلسطين المحتلة قبل سنة ١٩٤٨، كما يتضمن شكلاً من أشكال التكافؤ بين الفلسطينيين والمستوطنين الصهيونيين، وشكلاً من أشكال المساواة فى الحقوق، وكأن الغزاة الصهيونيين لا يختلفون عن السكان الأصليين.

جـ- وكلمة «الجماعات اليهودية» مصطلح يقترحه الدكتور المسيرى بديلاً لمصطلح «اليهود»، لأنه يرى: إن العبرانيين كانوا يشكلون وحدة ثقافية وعرقية تتسم بقدر من التماسك والتجانس والوحدة، ولكن مع انتشار اليهود فى أرجاء العالم فى مجتمعات مختلفة، لكل منها تقاليدها الحضارية والدينية، وتواريخها.. تفاعل اليهود مع هذه التقاليد والتواريخ، وخضعوا لمؤثراتها، فتحول اليهود إلى جماعات مختلفة، متفرقة، غير متجانسة، لكل منها مشكلاتها المتنوعة النابعة من وجودها فى مجتمعات مختلفة، ذات مستويات مختلفة من التقدم و التخلف، مما يؤكد أن إطلاق «يهود» عليهم جميعا فيه تعسف، ولى عنق الواقع، وأن إيجاد «هوية يهودية واحدة» وهم اخترعه الصهيونيون، لا يلبث أن يتبخر مع النظر المتفحص، الذى يتضح به أن الصهيونيين يصدرون عن نموذج اختزالى، ينكر واقع الجماعات اليهودية الحضارى، الفسيفسائى، الجيولوجى، التراكمى، ويفرضون فكرة الهوية اليهودية الواحدة، إذ الدقة تقتضى استخدام مصطلح «الهويات اليهودية»، و«أعضاء الجماعات اليهودية».

وخصوصية الثقافة اليهودية.. وهم

والدكتور المسيرى يتوصل - من نظره المتأنى والمستقصى - إلى أن الصهيونيين اخترعوا مصطلح «الثقافة اليهودية»، مفترضين أن الجماعات اليهودية المتناثرة فى العالم لها حضارة مستقلة، وثقافة مستقلة، وتراث مستقل عن المجتمعات التى تضم تلك الجماعات، برغم تنوعها الحتمى.. داعمين بذلك مفهوم الإثنية اليهودية، ومعمقينه، حتى تغلغل تماما فى النسق الدينى اليهودى.

وهذا المفهوم يفترض وجود سمات وخصائص «ثقافية أو عرقية» ثابتة، مقصورة على أعضاء الجماعات اليهودية، تمنحهم خصوصيتهم، وتفردهم عن غيرهم، وتحدد سلوكهم أينما كانوا، وتشكل إطاراً حقيقياً لوجدانهم ولرؤيتهم للكون.

وقد ألح الصهيونيون على فرض هذه الفكرة، حتى أصبحت فكرة محورية فى كافة الأدبيات الصهيونية والمعادية لليهود،

وذلك لأن الصهيونيين وأعداء اليهود يرون أن ثمة طبيعية بشرية ـ أو هوية ثقافية ـ يهودية مستقلة، مع تباين أصل كل رؤية، فرؤية الصهيونيين ناشئة من تقديرهم أن هذه الطبيعة هى مصدر إبداعيتهم، وإنتاجيتهم، وحركيتهم. ورؤية أعداء اليهود ناشئة من تقديرهم أن هذه الطبيعة هى مصدر عدمية اليهود وتخريبيتهم، وإجرامهم.

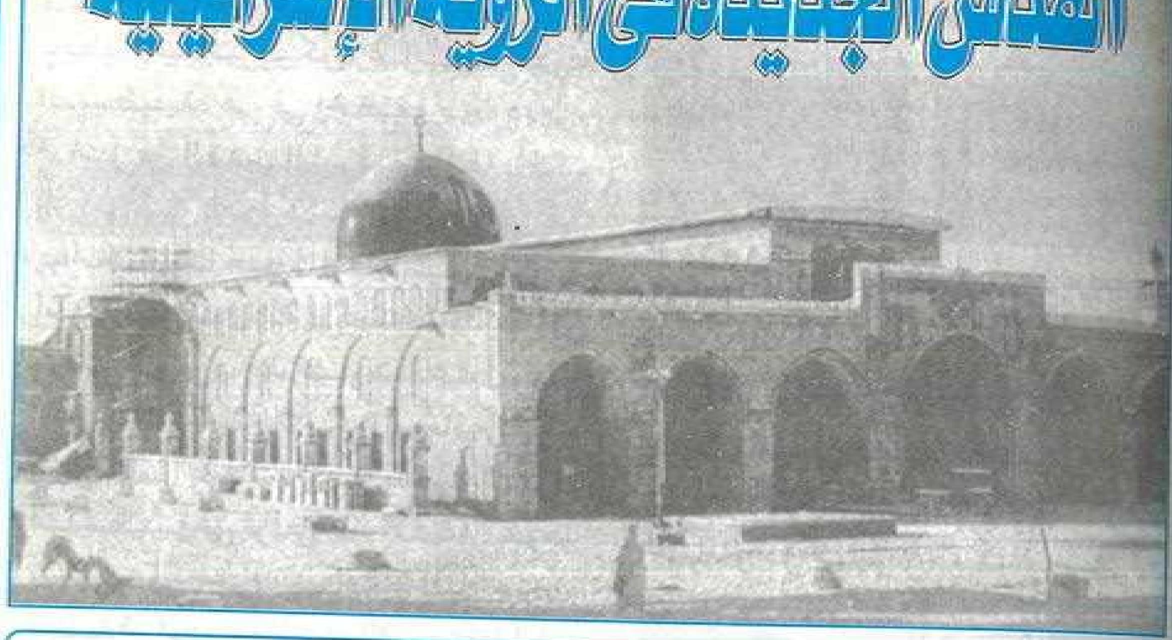
ولكن الواقع يؤكد أن استقلالية الثقافة اليهودية عما حولها محدودة، كما تقرره الثقافة العبرية القديمة، والثقافة العبرية الحديثة «الثقافة الإسرائيلية»، فالثقافة العبرية القديمة تمتعت بقدر محدود من الاستقلال داخل التشكيل الحضارى السامى فى الشرق الأوسط القديم. والثقافة العبرية الحديثة ـ مع استقلالها عن التشكيل الحضارى الغربى ـ لاتزال ثقافة جديدة لم تكتمل مفرداتها الحضارية بعد، كما إن الصراع الثقافى الحاد بين العشرات من الجماعات اليهودية التى انتقلت إلى إسرائيل ومعها تقاليدها.. يجعل من العسير بلورة مثل هذه الثقافة.

ويأتى فى مقدمة العوامل التى تسقط الاستقلال عن الخطاب الحضارى الإسرائيلى.. اعتماد المجتمع الإسرائيلى على الاستيطان، والدينونة بالولاء للولايات المتحدة الأمريكية والمعاناة من تبعية اقتصادية وعسكرية مذهلة ومذلة.. خصوصا: خلوص المجتمع الإسرائيلى للتوجه العلمانى الملتزم بقيم المنفعة واللذة، والإشباع المباشر، والنسبية الأخلاقية، والاستهلاكية، من كل ما يتعارض مع التراكم الحضارى.

وهكذا... يتضح أن اليهود ـ مثلهم كمثل كافة أعضاء الجماعات والأقليات الدينية والعرقية الأخرى ـ يتفاعلون مع ثقافة الأغلبية التى يعيشون فى كنفها، ويستوعبون قيمها، وثقافتها، ولغتها، فلن تجد طرازاً يهودياً معمارياً، أو فناً يهودياً مستقلاً، فقد كان هيكل سليمان يتبع الطراز الآشورى الفرعونى «المصرى»، وفى جنوب الولايات المتحدة كانت المعابد فى القرن التاسع عشر تبنى على الطراز «النيوكلاسيكى» السائد هناك آنذاك، والفنانون التشكيليون اليهود ـ فى العصر الحديث ـ ينتمون إلى تراث فنى غربى، ولا يمكن رؤيتهم فى إطار ثقافة يهودية مستقلة، وليس هناك تراث أدبى يهودى مستقل معروف، فالأدباء اليهود العرب فى الجاهلية والإسلام اتبعوا التقاليد الأدبية السائدة فى عصورهم، وكذلك حال الأدباء اليهود فى الولايات المتحدة وإنجلترا.

(يتبع)

القدس الجديدة فى الرؤية الإسرائيلية



للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

لم تكد إسرائيل تحتل القدس الشرقية، فى السابع من يونيو ١٩٦٧، حتى بادرت بإعلان ضمها إليها، وصدق الكنيست على هذا الضم بقراره الصادر عام ١٩٨٠، وقد أجمعت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، على الاتفاق على أن القدس الموحدة، ستبقى العاصمة الأبدية للدولة اليهودية، وستظل السيادة عليها إسرائيلية خالصة، مع منح الأحياء الفلسطينية صلاحيات إدارية لتسيير شئونها المحلية، وهو ما وصفه «يوسى بيلن» وزير العدل الإسرائيلى فى حكومة «إيهود باراك»، بأنه تسوية لا ترقى إلى مستوى بلدية..

وفى هذا الصدد، اقترح الرئيس الأمريكى السابق «بيل كلينتون»، فى مفاوضات كامب ديفيد عام ٢٠٠٠، منح الفلسطينيين فى الأحياء العربية المحيطة بالقدس السيادة عليها، وهو بذلك كان يعنى، كما يذكر الإسرائيليون، «قرية أبوديس» المجاورة للقدس لتكون عاصمة الدولة الفلسطينية الجديدة، فقد كانت «الحيلة اللغوية» الإسرائيلية تقضى بأن يُطلق على «أبوديس» اسم القدس، حتى لا يقع الرئيس الفلسطينى «عرفات» فى أى حرج أمام شعبه، الذى وعده، مرارا وتكرارا، بأن تكون القدس هى العاصمة لدولة فلسطين القادمة، بينما فى الجانب الآخر تصبح «يروشلايم» – وهى القدسة الموحدة – عاصمة الدولة اليهودية.

تفاهمات بيلين - أبومازن

ويمكن القول بأن «أبوديس» التى تخطط إسرائيل لتكون عاصمة الدولة الفلسطينية، هى فى الحقيقة مجرد جزء صغير من القدس الشرقية فى ظل الحكم الأردنى قبل الغزو الإسرائيلى لها، ولقد بدأ الحديث حول هذا الشأن برواية أمريكية تقول إنه فى جلسة سرية بين «يوسى بيلين» أحد كبار مساعدى رئيس الوزراء الإسرائيلى الأسبق «إسحاق رابين»، وبين «ياسر عرفات» رئيس منظمة التحرير الفلسطينية فى تونس عام ١٩٩٣، عرض «بيلين» على «عرفات» إقامة «قناة سرية» بهدف إنهاء النزاع الإسرائيلى - الفلسطينى، أطلق عليها اسم «قناة استوكهولم»، واختار الرئيس الفلسطينى «عرفات» محمود عباس ليكون ممثله فى المحادثات السرية، التى جرت ما بين القدس وقبرص وست مدن أوروبية على مدى ١٨ شهرا تحت اسم «مصنع السلام»، حيث توصل الطرفان إلى صياغة مسودة مشروع للسلام، عرف باسم «تفاهمات بيلين - أبومازن»، وتفيد هذه التفاهمات بأن تقوم فلسطين الجديدة على ٩٤٪ من أراضى الضفة الغربية، وهى نسبة تزيد على نسبة الـ ٩٠٪ التى تم تداولها، فى مفاوضات كامب ديفيد فى يوليو ٢٠٠٠، فى عهد «إيهود باراك» بالإضافة إلى الانسحاب الكامل من قطاع غزة، مع إبقاء ثلاث



أبو مازن



ياسر عرفات

كتائب إسرائيلية معززة بالسلاح فى الضفة الغربية، وثلاث محطات للإنذار المبكر، وثلاث وحدات للدفاع الجوى تظل فى الضفة الغربية اثنى عشر عاما، وحتى الخامس من مايو ٢٠٠٧، أو حتى يتم توقيع اتفاقيات سلام، أو ترتيبات أمنية ثنائية بين إسرائيل والعرب.

أبوديس.. وفلسطين الجديدة

وفى إطار هذه التفاهمات، ستعترف حكومة إسرائيل بدولة فلسطين المستقلة، ضمن حدود آمنة ومتفق عليها، وعاصمتها القدس «وهى هنا قرية أبوديس»، كما تعترف دولة فلسطين، بدولة إسرائيل، ضمن حدود آمنة ومتفق عليها، وعاصمتها «يروشلايم» «وهى تعنى القدس بشطريها الشرقى والغربى» وتعترف إسرائيل أيضا بالمعاناة المعنوية والمادية، التى لحقت بالشعب الفلسطينى بسبب حرب ١٩٤٧ - ١٩٤٩، وبحق اللاجئين الفلسطينيين فى العودة إلى «دولة فلسطين الجديدة»، وقبول إسرائيل لعدد رمزى من اللاجئين

الفلسطينيين إليها، أما البلدة القديمة، حيث توجد المقدسات الدينية، فلم يكن فى وسع الجانبين الاتفاق التام حول وضعها، فقد تعددت التصورات، والخيارات بشأنها، يأتى على رأسها منح البلدة القديمة وضعا أشبه بوضع السفارة، أى أن تكون تحت السيادة الإسرائيلية مع خضوعها، من الناحية الوظيفية، للسيطرة الفلسطينية، أو أن يُسمح بنقل جوانب من السيادة عليها إلى طرف ثالث مثل الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن، أو أن تكون السيادة فيها لله، كما يحلو للبعض اقتراحه.

السلام الضائع

واللافت للنظر أنه كان من المفروض تقديم وثيقة «تفاهمات بيلين - أبومازن» إلى رئيس الحكومة الإسرائيلية «إسحق رابين»، غير أن اغتياله على يد المتطرف «يجال عامير» فى نوفمبر ١٩٩٥، حال دون إتمام ذلك، ولذلك وصفها البعض باسم «مشروع السلام الضائع» والجدير بالذكر أنه سبق أن قدّم «دكتور يسرائيل كمجى» أحد الباحثين فى «معهد القدس للأبحاث الإسرائيلية» إلى «يوسى بيلين»، فكرة اجتزاء أحياء عربية من نطاق قضاء القدس الشرقية، وربطها ببلدات مثل «قرية أبوديس» العاصمة التى يريدها قادة إسرائيل أن تصبح عاصمة دولة فلسطين الجديدة، مقابل ضم المستوطنات اليهودية الكبرى الواقعة خارج القدس الشرقية، مثل معاليه أدوميم، وجفعات زئيف، للقدس اليهودية «يروشلايم»، وقد تبلورت هذه الفكرة، فيما عُرف فيما بعد تحت اسم «تفاهمات بيلين - أبومازن».

التوازن الديموجرافى

وفى هذا السياق فإن هذه التفاهمات فى مادتها السادسة تؤكد على أن القدس ستبقى مدينة مفتوحة، وغير مقسمة، مع منفذ حر، من دون إعاقة للناس من كل الديانات فى الوصول إليها، وأن إصلاح النظام البلدى الحالى للقدس، وحدوده سيتم فى موعد غايته الخامس من مايو ١٩٩٩، ولن يخضع لتغيير آخر إلا بموافقة متبادلة، وسيعمل الإصلاح على توسيع الحدود البلدية للقدس، لتشمل أبوديس، والعيزرية، والرام، والزعيم (وتشكل هذه القرى الأربعة ما يسمى بـ «منطقة أبوديس»، العاصمة الجديدة لدولة فلسطين، تحت اسم «القدس»)، ومستوطنات معاليه دوميم، وجفعات زئيف، وجيفون، وتعتبر جميعا جزءا من القدس اليهودية الموحدة تحت اسم «يروشلايم» عاصمة إسرائيل، وفى مدينة القدس تُعرف الأحياء التى يسكنها إسرائيليون بأنها «أحياء إسرائيلية»، والأحياء التى يسكنها الفلسطينيون، بأنها «أحياء فلسطينية» ويعكس عدد الأحياء الإسرائيلية، وعدد الأحياء الفلسطينية،

التوازن الديموجرافى بنسبة ٢ : ١، مع مراجعة هذه النسبة، وتدقيقها للحفاظ على ثباتها، حتى تظل الأغلبية لليهود، دائما فى القدس، والسؤال الذى يطرح نفسه فى هذا الصدد هو كيف تدار القدس الشرقية فى ظل هذا الوضع؟.

يمكن القول إن بلدية مدينة القدس يمثلها فى القمة، مجلس بلدى أعلى مشترك، يُختار أعضاؤه من ممثلى الأحياء الإسرائيلية والفلسطينية، وينتخب هؤلاء رئيس بلدية مدينة القدس، وهو غالبا ما يكون يهوديا، بحكم الأغلبية اليهودية فى المدينة المقدسة، ويتبع البلدية الأم فى القمة بلديتان فرعيتان، يمثل الأولى مجلس بلدى فرعى إسرائيلى، والثانية يمثلها مجلس بلدى فرعى فلسطينى، على أن تقوم «بلدية مدينة القدس» التى يمثلها المجلس البلدى الأعلى المشترك، بالإشراف على البلديتين الفرعيتين، وتفويض مجلسيهما الفرعيين سلطات، وصلاحيات محلية، بما فى ذلك نظام تعليمى مستقل، ونظام لجمع الضرائب، وتقديم الخدمات المحلية، بالإضافة إلى استقلال قضائى ودينى لكل من الإسرائيليين والفلسطينيين.

ومن جانب آخر، فإن حكومة فلسطين، ستعترف بـ«يروشلايم» حسب التعريف الوارد فى المادة السادسة من «تفاهمات بيلين - أبومازن»، باعتبارها العاصمة الموحدة ذات السيادة لدولة إسرائيل، وفى المقابل تعترف حكومة إسرائيل بـ«القدس» حسب التعريف الوارد أيضا فى هذه التفاهمات باعتبارها العاصمة الجديدة ذات السيادة لدولة فلسطين «والقدس العاصمة هنا هى قرية أبوديس، وليست القدس الشرقية المحتلة عام ١٩٦٧» واللافت للنظر أنه عشية قمة كامب ديفيد فى ٢١ يونيو ٢٠٠٠، طرح «يوسى بيلين» وزير العدل الإسرائيلى فى حكومة باراك، وثيقة «تفاهمات بيلين - أبومازن» فى جلسة رسمية لمجلس الوزراء الإسرائيلى، لمناقشتها، للإفادة منها، فى مفاوضات كامب ديفيد، ولقد أشارت مصادر إسرائيلية، أن مقترحات «إيهود باراك» بصفته رئيسا للحكومة الإسرائيلية، فى هذه المفاوضات، كانت تستند إلى هذه التفاهمات التى تم إنجازها فى ٣١ أكتوبر ١٩٩٥، والتى اعتبرها الرئيس الأمريكى «بيل كلينتون» الفكرة الجوهرية التى تقوم عليها مفاوضات كامب ديفيد.

وبالنسبة للقدس، فإن «باراك» فى محادثات كامب ديفيد، كان يزعم بأنه تحمل مخاطرة كبيرة بموافقته على «تقسيم القدس»، ولكن الحقيقة أنه لم يقم بتقسيم القدس، بل اكتفى باجتزاء قرية أبوديس، التى هى جزء منها فقط لتكون عاصمة دولة فلسطين الجديدة، بينما هو فى الواقع يحاول الاستئثار بالقدس بشطريها موحدة دون تقسيم.

الحيلة اللغوية

وفى هذا السياق يفند المحلل الإسرائيلى «تنيارينهارت» أسطورة تقسيم القدس التى زعمها «باراك» فيقول: «كانت هناك أسطورة ترددت كثيرا، مفادها أن باراك - الذى وعد فى حملته الانتخابية بأن «أورشليم» الموحدة ستظل عاصمة إسرائيل إلى الأبد - قد وافق، فى كامب ديفيد، على تقسيم القدس، لكن هذا الزعم لا ينطوى على ذرة من الحقيقة، إذ عندما نسمع تعبير تقسيم القدس، يتبادر إلى الذهن، لأول وهلة، أن القدس الشرقية، التى احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧، ستصبح، عاصمة الدولة الفلسطينية المرتقبة، فالحقيقة التى يعرفها الجميع أن الإسرائيليين لم يقترحوا، أن تقوم العاصمة الفلسطينية فى القدس الشرقية، حيث كانت الحدود الإدارية للقدس من الجهة الجنوبية الشرقية، أكثر اتساعا بكثير، من تلك الحدود التى حددتها إسرائيل، عندما قامت بضم القدس الشرقية، إذ إن هذه الحدود كانت تضم «قرية أبوديس» وقريتين مجاورتين «العيذرية والرام»، وكانت قرية أبوديس هى التى من المقرر أن تصبح عاصمة الدولة الفلسطينية القادمة، وفقا لوثيقة «تفاهمات بيلين - أبومازن» وكانت «الحيلة اللغوية» تقضى بأن يطلق على «قرية أبوديس»، اسم القدس، فى الوقت الذى لم يكن باستطاعة إسرائيل أن تزعم أنها اقترحت «تقسيم القدس» إلى جزء يهودى هو «أورشليم»، وجزء عربى، هو القدس، إلا باستخدام هذه الحيلة اللغوية.

ويواصل الكاتب الإسرائيلى «تنيارينهارت» حديثه كيف صارت هذه الخرافة حقيقة كاد الجميع أن يصدقها فيقول: «على أى حال، لم يكن التنازل التاريخى الكبير، من وراء استعداد باراك، تقسيم القدس، سوى تنفيذ التزام قديم بتسليم «أبوديس» للفلسطينيين، من خلال استخدام «حيلة لغوية» جاءت فى «تفاهمات بيلين - أبومازن»، وراح الإعلام الإسرائيلى يروج لهذه الانفراجة التاريخية، فقد اعتبر الاستعداد لإطلاق اسم القدس على أحياء تقع فيما وراء الحدود الشرقية للقدس «وهى هنا منطقة أبوديس» استعدادا لتقسيم القدس، وبذلك تحولت الخرافة إلى حقيقة».

ويكشف «جورج مالى» المساعد الخاص للرئيس الأمريكى السابق «بيل كلينتون» للشئون العربية والإسرائيلية، فى الفترة (١٩٩٨ - ٢٠٠٠)، حقيقة المقترحات الإسرائيلية، فى مفاوضات كامب ديفيد عام ٢٠٠٠ فيقول: «إنه من الناحية العملية، لم تكن هناك مقترحات إسرائيلية رسمية مكتوبة، بل كانت مجرد مقترحات شفوية، وهى لم تكن سوى مقترحات أمريكية، ولقد رفض «باراك»

عقد أى اتفاق مع الرئيس الفلسطينى «عرفات»، فى كامب ديفيد، خوفا من أن يحاول الرئيس الفلسطينى تسجيل هذه المقترحات على باراك».

أكاذيب السلام الإسرائيلى

ويتساءل المحلل الإسرائيلى «تنيارينهارت» ما الذى اقترحه «باراك» فى كامب ديفيد؟ فيقول: «إن مقترحات باراك فى كامب ديفيد، لم تكن سوى نسخة متشددة من وثيقة «تفاهمات بيلين - أبومازن»، وأن نقطة التحول الحاسمة، فى كامب ديفيد، هى مطالبة باراك للفلسطينيين التوقيع على «اتفاقية نهائية» تكون مضمونة بإعلان فلسطينى «بانتهاء النزاع»، ولو كان الفلسطينيون، وقعوا مثل هذا الإعلان، لفقدوا حقهم القانونى فى أى مطالب مستقبلية، تستند إلى قرارات الأمم المتحدة» ويستمر «تنيارينهارت» فى كشف أكاذيب السلام الإسرائيلى الذى كان يلوح به باراك للفلسطينيين فيقول: «لقد كان الأساس القانونى الذى قامت عليه مفاوضات كامب ديفيد هى قرارات الأمم المتحدة، خاصة القرار ٢٤٢ الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧، الذى يدعو إلى انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧، والقرار ١٩٤ الصادر فى ديسمبر ١٩٤٨ الذى يؤكد حق اللاجئين الفلسطينيين فى العودة إلى ديارهم فى فلسطين ٤٨، وإذا أعلن الفلسطينيون «انتهاء النزاع» من جانبهم، ووقعوا على «اتفاقية نهائية» كما يريد باراك، فإن هذه الاتفاقية الجديدة ستصبح الأساس الملزم الجديد فى المستقبل من الناحية الرسمية، ولن يكون هناك محل لتطبيق قرارات الأمم المتحدة التى تعتبر غير ملزمة، تبعا لذلك»، وفى هذا الإطار يتحدث «يوسى بيلين» مهندس هذه التفاهمات التى اشترك أبومازن معه فى صياغتها فى شكل وثيقة سرية فيقول: «قبل قمة كامب ديفيد، بنحو شهرين، أى فى مايو ٢٠٠٠، وصل إلى إسرائيل مستشار الرئيس الأمريكى السابق «بيل كلينتون»، لشئون الأمن القومى «ساندى برجر»، والتقى بى، وبأبى مازن، لبحث التفاهمات التى كنا قد توصلنا إليها عام ١٩٩٥، واستنادا إلى النتائج التى أحرزها «برجر» فقد قبل الرئيس «كلينتون» توصياته، وسعى إلى طرح هذه التفاهمات فى بداية انعقاد قمة كامب ديفيد، غير أن باراك رفض بشدة، وأصر على الحديث صراحة عن «نهاية النزاع»، ولم يكن باستطاعة الرئيس «عرفات» الموافقة على إعلان عن «نهاية النزاع»، أو إخفاء هذه الموافقة عن أبناء شعبه، واللافت للانتباه فى هذا الشأن أن «تفاهمات بيلين - أبومازن» لم تنص صراحة على، مطالبة الجانب الفلسطينى المفاوض بالإعلان من جانبه بالتوقيع على «إنهاء النزاع الإسرائيلى - الفلسطينى»، وهذا فى

اعتقادى سبب إصرار «باراك» على مطالبة الجانب الفلسطينى بالإعلان من جانبه، على «إنهاء النزاع» حتى يتخلص من عبء استحقاقات قرارات الأمم المتحدة، التى تدين إسرائيل، وتضعها موضع الخارج على القانون الدولى، ومن ثم كان سعيه الحثيث للتوصل إلى «اتفاقية نهائية» مع الفلسطينيين، تحل محل هذه القرارات، لتصبح أساسا جديدا، ملزما فى أية مفاوضات لاحقة، لترسيخ الاحتلال الإسرائيلى، وتأمين الوجود اليهودى فى القدس الشرقية، التى تريد إسرائيل ابتلاعها، وصبغها بالطابع اليهودى، وسلخها من واقعها العربى.

الخدعة الكبرى

لكن الرئيس «عرفات» أدرك بحنكته السياسية «الخدعة الكبرى» لباراك، لاغتصاب القدس الشرقية، والاكتفاء فقط بتسليم «أبوديس» للفلسطينيين، بديلا عن القدس الشرقية، ومن هنا جاء رفض الرئيس الفلسطينى لمقترحات باراك، فى كامب ديفيد، بأن تصبح «أبوديس» عاصمة بديلة لدولة فلسطين، تحت اسم القدس، ورفضه أيضا «خدعة انتهاء النزاع» بلا مقابل حقيقى تقدمه إسرائيل.

وفى الختام يمكن القول إنه إذا كان «باراك» وعد شفويا فى كامب ديفيد، برعاية أمريكية، بقيام دولة فلسطين الجديدة على ٩٠٪ من الضفة الغربية، والانسحاب من قطاع غزة بالكامل، على أن تكون «أبوديس» - التى هى قرية صغيرة تابعة للقدس الشرقية - هى العاصمة الجديدة للدولة الفلسطينية المقترحة، بدلا من القدس نفسها، فإن «شارون» بانسحابه من قطاع غزة - من جانب واحد، ودون الاتفاق مع الفلسطينيين، واحتفاظه بالضفة الغربية، باستثناء أربع مستوطنات شمالها، وتصريحه بأنه الانسحاب الأخير، الذى لا انسحاب بعده - يؤكد أمرين:

الأول: أنه لا سبيل - والحالة هذه - لقيام دولة فلسطينية إلا فى قطاع غزة الذى لايزال محاصرا.

والثانى: أن تكون مدينة غزة هى العاصمة الجديدة لدولة فلسطين المنتظرة، أما المحصلة النهائية فهى ابتلاع الضفة الغربية، بما فيها القدس الشرقية لتشكل مع القدس الغربية المحتلة عام ١٩٤٨ ما يسمى «يروشلايم» العاصمة الجديدة الموحدة للدولة اليهودية، ويبدو أن هذا ما يخطط له الإسرائيليون، فى الواقع، وإن كانوا لا يصرحون به كعادتهم، وفى ظل هذا المشهد يتساءل الجميع وماذا بعد؟ وأين العرب من ذلك كله؟ وماذا هم فاعلون؟ لعل العرب فى حاجة الآن، أكثر من أى وقت مضى، إلى انتفاضة جديدة توقظهم من سباتهم، قبل أن تضيع القدس العربية، بعد أن ضاعت فلسطين التاريخية.

طرائف .. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

سحر البيان يقضى الحاجات

● دخل كريز بن زفر بن الحارث على يزيد ابن المهلب فقال: أصلح الله الأمير! أنت أعظم من أن يستعان بك ويستعان عليك، ولست تفعل من الخير شيئا إلا ويصغر عنك وأنت أكبر منه، ولا العجب أن تفعل ولكن العجب أن لا تفعل.

قال له يزيد بن المهلب: سل حاجتك.

قال كريز: حملت عن عشيرتى عشر ديات.

قال يزيد: قد أمرت لك بها و شفعتها بمثلها.

● وأتى عبد قيس بن خُفاف البُرجُميُ حاتم الطائى فقال: إنها وقعت بينى وبين قوم ديات فاحتملتها فى مالى وأملى، فقدمت مالى وكنت أنت أملى، فإن تحملها عنى فرب هم قد فرجته، وغم كفيته، ودين قضيته. وإن حال دون ذلك حائل لم أذم يومك، ولم أيأس من غدك.

فحملها حاتم عنه.

«من ارتج عليه الكلام فأبدع»

أراد خالد بن عبدالله القسرى أن يخطب يوما فارتج عليه، فقال للناس:

● «إن هذا الكلام يجىء أحياناً، وربما كوبر فأبى، وعولج فنبا، والتأنى لمجيئه خير من التعاطى لأبيّه، وتركه عند تنكره، أفضل من طلبه عند تعذره، وقد يختلط من الجرىء جنانه، وينقطع من الذرب لسانه، وسأعود فأقول».

● نقول: لعل هذه العبارة على وجازتها خير من الخطبة التى كان يريد أن يدلى بها. ولو كان كل من ارتج عليه أتى فى اعتذاره بمثل هذا الإبداع الخطابى لتمنينا أن يرتج على كل من يتصدى للقول رجاء سماع مثل هذا الاعتذار.

تربية الولد

● روى أن عتبة بن أبى سفيان أوصى مؤدب ولده فقال:

«ليكن أول إصلاحك بنى إصلاحك لنفسك، فإن عيوبهم معقودة بعيبك، فالحسن عندهم ما فعلت، والقبيح ما تركت. وعلمهم كتاب الله، ولا تملهم فيتركوا، ولا تدعهم منه فيهجروا. ورووهم من الحديث أشرفه، ومن الشعر أعفه. ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام فى السمع، مضلة للفهم وهددهم بى. وأدبهم دونى. وكن لهم كالطبيب الرفيق الذى لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء. وامنعهم من محادثة النساء، واشغلهم بسير الحكماء. واستزدنى بآدابهم أزدك. ولا تتكلن على عذر منى فقد اتكلت على كفاية منك».

● وقال أعرابى لولده وقد سمعه يكذب:

يا بنى عجبت من الكذاب المشيد بكذبه. وإنما يدل على عيبه، ويتعرض للعقاب من ربه، فالآثام له عادة، والأخبار عنه متضادة، إن قال حقاً لم يصدق، وإن أراد خيراً لم يوفق. فهو الجانى على نفسه بفعاله، والدال على فضيحته بمقاله. فما صح من صدقه نسب إلى غيره، وما صح من كذب غيره نسب إليه، فهو كما قال الشاعر:

حسب الكذوب من المها
نة بعض ما يحكى عليه
فإذا سمعت بكذبة
من غيره نسبت إليه

وصف فطاحل الكتاب

● قال ابن المقفع: الملوك أحوج إلى الكتاب من الكتاب إلى الملوك.

● وقال شاعر:

قوم إذا أخذوا الأقلام عن غضب
ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وإن بعدوا
ما لا ينال بحد المشرفيات

● نقول: اغتر بعض الكتاب بمثل هذا الكلام فخيل إليهم أن منازلة أعاديهم تكون بقذفهم بحمم من هجر القول، وساقط السباب، وما دروا أن هذا السلاح يرتد إليهم فيرديهم، فإنه متى اشتهر أن كاتبا يتذرع لقمع خصومه بهذه الوسيلة الخسيسة، اعتبر هجاء مفحشاً، وسقطت الثقة به إلى الحضيض، وعد كلامه هراء يمده به طبع دنىء، ونفس شريرة. وإنما يحمد قراع الخصوم بالكتابة إن كانت تفنيداً لمذاهبهم بعلم، أو نقداً لآرائهم بحكمة، مع استشعار الرحمة بهم، والحدب عليهم، وجذبهم إلى ناحيته بالتى هى أحسن.

أوجع هجاء لي

قال عبدالملك بن مروان: ما هجاني أحد بأوجع من بيت هجاني به ابن الزبير وهو:

فإن تصبك من الأيام جائحة
لم نبك منك على دنيا ولا دين

بماذا أكتب على قبرك؟!

كان الزوج نافراً من زوجته بعد المشاجرة، فجلس بعيداً عنها مفكراً، فسألته الزوجة: بماذا تفكر؟

فأجابها حانقا: بماذا أكتب على قبرك عندما تموتين!

فضحكت الزوجة، وقالت: الأمر بسيط جداً أهذا الذي يضايقك؟ أكتب: «زوجة المرحوم أعلاه».

لجوج، حسود، حقود

قال عبدالملك بن مروان للحجاج بن يوسف الثقفي: إنه ليس من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه، فعب نفسك.

قال: أعفني يا أمير المؤمنين.

قال: لتفعلن.

قال: أنا لجوج، حسود، حقود.

فقال عبدالملك: ما في الشيطان شيء شر مما ذكرت.

أتأذن لي في تقبيل يدك؟

دخل رجل على المهدي وامتدحه فأمر له بخمسين ألف درهم، فسأله أن يأذن له في تقبيل يده فأذن له فقبّلها وخرج، فما انتهى إلى الباب حتى فرق المال بأسره، فعوتب على ذلك فاعتذر وأنشد يقول:

لَستُ بكَفّي كَفَّهُ أبتَغي الغنى
ولَم أدرِ أنَّ الجودَ مِن كَفِّهِ يُعدي
فَرُحتُ وَقد أَشبهتُ في الجود حاتَماً
فَضَيَّعتُ ما أعطى وأتلَفتُ ما عِندي

دعاء

اللهم اجعل الإشراق رفيقناً، والتوفيق طريقنا، وأطلع علي أرواحنا شموس الأنوار، وأفض علي نفوسنا عوارف الأسرار.

اللهم أنت قصدي في كل وجهة، وغوثي في كل شدة، وعوني في كل أمر، ورجائي في كل كرب.

***

الإيجابية في حياة المسلم

للدكتور/ حمدي فتوح والي

كثيراً ما يتردد على الألسنة في الأوساط الدعوية كلمات مثل «الإيجابية» و«الذاتية»، وغيرها. وهي كلمات فرضت نفسها على الساحة الدعوية نتيجة احتياج الميدان إليها، في ظل العمل الدءوب والصادق نحو التغيير. ولأن مصطلح الإيجابية جديد على الساحة نوعا ما، فإن الاطمئنان إلى تأصيله الشرعي واللغوي يصبح ضرورة، حتى لا يفاجأ الواحد منا بواحد من المتحذلقين يقف له في مجلس من المجالس أو مناسبة من المناسبات يطالبه بهذا التأصيل أو ينكر عليه استعمال هذه الكلمة بحجة غرابتها أو عدم صحتها في القاموس العربي.

فالإيجاب في اللغة هو الموافقة والقبول. وهو يقابل السلب والنفي. ومادة الفعل «وجب» ومضارعه «يجيب» ومنه قوله تعالى:

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ (النمل: ٦٢)

والأمر منه أجب، ومنه قوله تعالى:

﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ ﴾ (الأحقاف: ٣١)

ومنه اسم الله تعالى (المجيب). وجاوب الرجل أخاه إذا طاوعه ووافقه. ومصدر الفعل الإيجاب والمجاوبة. ويقول صاحب الألفية: لفاعل الفعال والمفاعلة.

وغير ما مر السماع عادله.

والإيجابية مصدر صناعي مثل الحضارية والصناعية والعلمية والدموية وغير ذلك من الألفاظ المستعملة حديثا.

أما عن الأصل الشرعي للإيجابية كمعنى، فإننا لا نبالغ إذا قلنا: إن الايجابية هي الحياة أو هي الدين كله. فالدين لم يقم في الأرض على السلبية والخمول والتقاعس والكسل. وإنما قام من أول لحظة على الإيجابية. منذ أن خاطب الله نبيه بقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾

(المدثر: ١-٢)

وخاطبه من قبل ذلك بقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(المزمل: ١-٢)

وأعلم نبيه كيف يدعو الناس إلى الله بقوله:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾

(سبأ: ٤٦)

وقد خاطب المصطفى ﷺ أمته بما يضمن صلاحها ويرفع عنها إصرها، بقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾

(الأنفال: ٢٤)

وقوله سبحانه:

﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴾

(الشورى: ٤٧)

ولو ذهبنا نستقصى ما ورد فى القرآن الكريم دالا على الإيجابية والمسارعة إلى الخيرات، لأعيانا الحصر، لأن هذا الأمر هو الأساس فى دعوة الرسل جميعا، وهذا يعنى أن الإيجابية ليست دعوة إلى شىء مفقود لنوجده، إنما هى دعوة إلى الموجود من أوامر الدين لنفعله ونعيشه ونحققه. وهى ما يعنى من جانب آخر أن هؤلاء المدعوين إلى الحركة ساكنون بغير داع إلى السكون. وخاملون بغير مبرر للخمول. وخامدون بينما الناس فى الدنيا كلهم يتحركون. وإذا كان النكوص والإحجام والخمول والكسل معان سلبية ترادف الجبن والموت أو الاقتراب منه، فإنها تصادم الحياة التى لا تعترف بغير الحركة والتقدم والنمو والاضطراد.

السلبية ليست من الإسلام

ولما كان الإسلام هو الدين الذى جاء ليغير واقع الناس الأشن الكريه إلى واقع نظيف سليم كريم، فإن هذا يعنى أن السلبية ليست من الإسلام فى شىء، وأن السلبيين المتقاعسين يخالفون قواعد الإسلام وثوابته ولا يقبل منهم ادعاؤهم الكاذب إلى الإسلام مهما أصروا على ذلك وأقسموا.

ومن هنا نستطيع أن نقول واثقين إن الدعوة إلى الإسلام لا يمكن أن تتحقق وتثمر ثمرتها الصحيحة الطيبة إلا بأناس يدركون حقيقة التغيير ويمارسون الدعوة إلى التغيير. وأن يكون التغيير حقيقة نابعة من قلوبهم فلا ينطلق منها إلى غيرها إلا بعد امتلائها بحقيقته وإدراكها لضرورته، وهذا هو ما نفهمه من قول ربنا سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

(الرعد: ١١)

وهذا الاستعداد للتغيير لا يتأتى إلا بعد وضوح الغاية التى ينشدها المغير. فلا يكفى فيه

مجرد الرغبة الملحة للتغيير، بل لابد أن يعى طبيعة المرحلة. وأن يكون مدركا للأهداف التى يسعى إليها. وهذا يعنى قدرته على الإجابة عن هذه الأسئلة الثلاثة: من أنا؟ ماذا أريد؟ وما وسيلتى لتحقيق ما أريد؟. فإن أمكنه الإجابة بوضوح ووعى واقتدار كان قادراً على أن يشارك فى عملية التفكير الإيجابى.

وحتى لا أتجاوز الحديث عن الإيجابية إلى ثمراتها المرجوة فأننى سأعود إلى رصد الحس الإيجابى لدى الأمة لتعرف مقدار وجوده أو غيابه ثم تحاول الوقوف على أسباب هذا الغياب إن وجد.

وحتى تظهر الصورة واضحة، فلابد أن نعقد مقارنة بين مجتمعين، أحدهما مارس الإيجابية كاملة، والآخر غاب عن حسه تلك الممارسة. ونرى كيف كانت النتيجة.

لا أحد يستطيع إنكار الإيجابية والشعور بالمشاركة والمبادرات الذاتية فى دولة الإسلام الأولى متمثلة فى نماذج من صحابة رسول الله ﷺ، فمنذ اللحظة الأولى تبادر أم المؤمنين خديجة بمشاركة رسول الله ﷺ دعوته فتستمع إليه وهو يقص عليها ما رآه فى غار حراء وتعيش بجوارحها كلها معه فتطمئنه وتهدىء من روعه وتبادر بالذهاب إلى من ترى لديه القدرة على التخفيف والوعى بالمشكلة وهو ورقة بن نوفل. وتعود لتبشره وتسعده. لينقلب خوفه أمنا. وفزعه اطمئنانا، وحزنه فرحة وسرورا.

وهذا هو أبوبكر يبادر بالاستماع إلى رسول الله ﷺ والإيمان بما جاء به ويبادر بوضع ماله كله تحت تصرف الدعوة ثم يكون أول من يبادر ليساعد الضعفاء ويفك أسر المأسورين ويحرر العبيد والمستضعفين.

مواجهة الموقف العصيب

وعند الهجرة يكون أول من يسارع لطلب الصحبة مع رسول الله ﷺ، وعند الإسراء والمعراج، وأمام هذا الحدث الذى أذهل الجميع ووجد المشركون فرصتهم فى التشكيك والفتنة، يكون موقف الصديق ثابتا كالجبل، مبادرا بقطع داء الفتنة «قائلا: إن كان قال فقد صدق».

وفى الموقف العصيب الذى أذهل العقلاء وحير الحكماء، وهو موت رسول الله ﷺ وقد وقع على قلوب الصحابة -رضى الله عنهم- أجمعين كالصاعقة، يقول الصديق فى ثبات واطمئنان: «من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت».

ومن قبل ذلك، موقفه فى غزوة بدر وفى غزوة أحد عندما شاع بين الناس أن رسول الله ﷺ قد قتل. كان جوابه: «موتوا على ما مات عليه رسول الله».

وفى حرب الردة يعلن موقفه التاريخى العظيم بإعلان الحرب على المرتدين، ويعقد بيده ألوية أحد عشر جيشا.

ولا تقل مواقف عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- عن مواقف الصديق -رضى الله عنه- إيجابية ومسارعة فى فعل الخيرات. فى إسلامه، وفى هجرته، وفى جهره بدعوته، وفى تحديه

قريشا، وفى عبقريته السياسية بتنظيم الدولة وإنشاء الدواوين وتوزيع الخراج وإقرار سياسة الدولة الاقتصادية وتنظيم بيت المال. وموقفه يوم السقيفة عندما بادر فقطع دابر الفتنة بأن أخذ بيد الصديق وقال: ابسط يدك نبايعك.

وليس أمر الإيجابية والشعور بالمسئولية وقفا على أسماء معينة من مشاهير الصحابة. فقد كان كل صحابى يدرك أن الإسلام هو مسئوليته، وأن دولة الإسلام دولته، وأنه شريك فى إقامة دولة الإسلام وحمايتها.

وإلا فمن كان يعرف من هو عمير بن الحمام قبل مبادرته الإيمانية إلى قتال المشركين حتى عد انتظاره ليأكل الثمرات وقتا طويلا.

ومن كان يعرف الحباب بن المنذر قبل أن يتقدم بمبادرته إلى رسول الله ﷺ وهو جندى مغمور من غمار الناس، لكنه رؤيته ونفاذ بصيرته كانت سببا فى نصر المسلمين والتخفيف عنهم.

وهذا سلمان الفارسى يبادر برأيه الذى كان سببا فى إعزاز الإسلام ونصر المسلمين فى الخندق.

ولو ذهبنا نعد مواقف الإيجابية لأعيانا الحصر، لأن حياة القوم كلها إيجابية، ومواقفهم هى الإيجابية بعينها، ولهذا قامت دولة الإسلام وعزت وملكت ما بين الخافقين شرقا وغربا فى أقل من خمسين عاما. طاوية تحت جناحها أضخم ما عرفه التاريخ من إمبراطوريات فى حينه (فارس والروم).

إنك تستطيع أن تقول وأنت صادق «إن كل فرد من هذه الأمة كان يشعر شعورا عميقا بأنه يبنى دولته، ويصون عقيدته، ويحافظ على كيانه وعزته».

عصور الامتداد والفتح

ولك أن تختار أية فترة تاريخية من حياة الأمة كانت فيها عزيزة كريمة مهيبة، فإنك لابد واجد إن السمة الأولى التى ميزت تلك الفترات هى الإيجابية فى أبنائها. والسماحة والرجولة والاعتدال فى أمرائها والصدق والإخلاص والربانية فى علمائها. والعفة والحياء والفضيلة فى بناتها ونسائها.

ولن تجد فترة من التاريخ أصيبت الأمة فيها بأعدائها إلا ستجد سبب ذلك هو الاستبداد من حكامها. والتملق والضعف من علمائها والعجز والاستسلام والخنوع من أبنائها. وتلك كلها صفات سلبية لاتقوم بها دولة ولا تسعد بها أمة ولا يعز بها كيان.

وتاريخنا الإسلامى يشهد أن عصور الامتداد والفتح كانت هى عصور الاعتدال والرجولة والشجاعة واليقين من قبل الحكام، وكانت هى عصور الربانية والزهد والإخلاص والتقوى من العلماء. واستعادة هذين الصنفين من الأمة يضمن استقامة النساء وإيجابية الأبناء. مصداقا لقول نبينا ﷺ: «صنفان من أمتى إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس: العلماء والأمراء».

وربما مرت على الأمة فترات ابتليت بأعدائها، فأهينت كرامتها وانتقصت أرضها، وابتليت بالخوف والجوع ونقص من الأموال

والأنفس والثمرات. نتيجة خلل وقع فى الحكام، عندما تنافسوا على الدنيا. وورثوا الحكم وعدوه مغنما. ووجدوا فيه حظ أنفسهم من الأبهة والصولجان. والخدم والحشم. واستباحة الأموال والأعراض وظلم الناس. فكانت تلك الضربات بمثابة التنبيه على ما أصاب كيان الأمة من خلل وما طرأ عليها من انحراف وشرود، فكانت تلك الابتلاءات بمثابة المصل أو المثير الذى يهيىء الأمة للمواجهة وإعداد العدة.

المنقذ الوحيد

وقد أدركت الأمة على مدى تاريخها أن المنقذ الوحيد الذى يفيئون إليه عند انعدام كل شىء هو الإسلام ممثلا فى طاعة العلماء الربانيين والأئمة المخلصين، وبعض الرجال العاملين. فيقفون لانحرافات الحكام فيفضحونها ويواجهون الطغيان فى رجولة وثبات. ويحركون الهامد من جسم الأمة وينفخون فى روح الأمة من روح الله.

إن الله تبارك وتعالى قد وعد المؤمنين النصر، ووعد هذه الأمة السيادة والخيرية ووراثة الكتاب إلى أن تقوم الساعة. وأعلم أهل هذه الأمة بأنه سيتولى تمحيصها وتهذيبها بما يضمن بعثها من مواتها، وعودتها إلى ربها، واستئناف رسالتها، وخاطبهم بقوله:

﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾

(المائدة: ٥٤)

وأعلمهم بطريق النجاة الحقيقى الذى يتحقق به الولاء الصحيح بقوله:

﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾

(المائدة: ٥٥ - ٥٦)

وأعلمنا سبحانه أن فى الطريق عقبات وأن طريق إحياء الأمة يحتاج إلى رجال من صفاتهم:

﴿ يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾

(المائدة: ٥٤)

وهذه الصفات التى اشترطها الله لجنده هى شروط الإيجابية للذين يهزون الأمة هزا عنيفا لكى تفيق من نومها العميق الذى طال حتى حير العقول وأدهش الألباب.

ولقد سجل لنا التاريخ أن تجارب الإحياء لابد أن تكون باسم الله وعلى دين الله. ومنهج رسول الله ﷺ.

وهذا ما سنعالجه فى حياة نماذج الإصلاح فى الأمثلة القادمة إن شاء الله.

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾

(الأحزاب / ٢٣)

الإمام أبو الحسن الأشعرى

للأستاذ / عادل خفاجة

يقول العرباض بن سارية:

«وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب. فقلنا يا رسول الله ﷺ إن هذه لموعظة مودع. فما تعهد إلينا؟ قال (قد تركتكم على البيضاء. ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك. من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً. فعليكم بما عرفتم من سنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين. عضوا عليها بالنواجذ)» (سنن ابن ماجة جا ص١٦)

إن الآذان التى سمعت موعظة رسول الله كانت تعى ما يقوله ﷺ، وإن العيون التى ذرفت الدموع لموعظته ﷺ كانت لأناس أولى ألباب، تلقوا مقالة رسول الله فوعتها قلوبهم والتزموا المحجة البيضاء فكانوا عباداً لله وكانوا إخواناً.

وكرت الأيام والسنون حتى كانت آخر خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه

«حيث حميت المناقشات السياسية واتخذها مرضى القلوب أمثال عبدالله بن سبأ ذريعة إلى فتنة يكيدون بها للإسلام ففتحوا بابها بقتل الخليفة، ونشأت خلافة على كرم الله وجهه وغبار الفتنة ثائر، فتولدت تحت مثاره آراء سياسية، ثم جعلت تلك الآراء تتحول إلى مذاهب دينية ودبَّ فى النفوس مرض الاختلاف، ومن هذا الاختلاف ما يرجع إلى أصول العقائد فيحل عروة الإيمان، ومنه ما يرجع إلى فروعها فلا يزيد على أن يسمى انحرافا عن الصواب»[1]

بمقتل الخليفة حدث الاختلاف الذى أشار إليه الرسول الكريم وكثرت الآراء وتشعبت وتحولت مع مرور الوقت إلى مذاهب دينية وفرق متعددة فكان منها[2]:

● السَّبَئية.. أشد المغالين فى التشيع للإمام على كرم الله وجهه.. وهم أتباع عبدالله بن سبأ حيث ادعى للإمام على كرم الله وجهه وصف الألوهية.

● الخوارج: وهم فرقة خرجت على الإمام على كرم الله وجهه عقب التحكيم.

● الجبرية: وهم فرقة لا يثبتون للعبد قدرة على الفعل لا مؤثرة ولا كاسبة.

● المُشَبِّهة: وهم يشبهون الله ببعض مخلوقاته.

● الباطنية: وهم يؤولون القرآن والسنة على غير مايراد منها صرفاً للناس عن الهداية إلى غير تلك الفرق.

الفارس المنتظر

فى ظل هذا الهجوم الفكرى الذى لا يحكمه إلا الهوى وحب الظهور، والبعد عن صحيح الدين الناتج عن إخراج النصوص الدينية بالتأويل المتعسف عما أراده الله لها.

ومع وجود أئمة فى الفقه كان جل همهم أن يشرحوا للناس أمور دينهم بعيداً عن الجدل.

كان ظهور أبى الحسن الأشعرى هو ظهور الفارس المنتظر المنوط به دحض هذه المفتريات وإزالة تلك الثرثرة.

ولم يكن فقهاء ذلك العصر تنقصهم الأدلة للتصدى لهؤلاء المبتدعين بل كان لهم فى عدم الرد مصلحة عدم انتشار تلك الآراء الفاسدة.. فقد كان الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه يكره التصدى لمجادلة المبتدعين، فقد حكى عنه الغزالى فى كتاب المنقذ أنه أنكر على الحارث المحاسبى تصنيفه فى الرد على المعتزلة، فقال

(١) الشيخ محمد الخضر حسين.. صفحة من حياة أبى الحسن الأشعرى مجلة الأزهر.. المجلد الثالث ١٣٥١هـ ص٣٠٢.

(٢) المرجع السابق.

الحارث: الرد على البدعة فرض، فقال أحمد: نعم، ولكن حكيت شبهتهم أولاً، ثم أجبت عنها، فلا يؤمن أن يطالع الشبهة من تعلق بفهمه، ولا يلتفت إلى الجواب، أو ينظر إلى الجواب، ولا يفهم كنهه. قال الغزالى: وما ذكره أحمد حق، ولكن فى شبهة لم تنتشر ولم تشتهر، أما إذا انتشرت، فالجواب عنها واجب، ولا يمكن الجواب إلا بعد الحكاية(٣).

وإذا كان لكل زمن رجاله.. فأبوالحسن الأشعرى هو رجل زمانه إذن، فقد أعده الله لمجابهة تلك الفرق ذات الأفكار المتطرفة الضالة التى انتشرت فى زمانه.. ويكفى أنه تتلمذ على يد الشيخ على الجبائى وكان رفيقاً لابنه أبى هاشم اللذين كانا رئيسى فرقتين من فرق المعتزلة، فكان من الطبيعى أن ينشأ معتزليا، وهذا هو الذى حدث: فاعتنق آراء أستاذه، وظل يؤمن بها ويناضل عنها فى حماس حتى بلغ الأربعين من عمره. وكان أستاذه ينيبه عنه كثيراً فى المحاورات العلنية حتى حاز بين معاصريه شهرة فائقة.

وفى هذه الآونة لا يدرى إلا الله ما الذى كان يدور بخلده ويحول مجرى تفكيره بطريقة غامضة خفية، إذ لم يلبث الناس أن شاهدوا عليه تغييراً فجائياً حيث اعتكف فى منزله بضعة أيام لا يرى أحداً، ثم خرج على أثر ذلك فصعد المنبر فى وسط جموع حاشدة من الناس وطلب إليهم أن يصغوا إليه، فلما فعلوا نزع عباءته ومزقها ثم قال: إنى كما خرجت من هذه العباءة أعلن براءتى من كل أخطائى السابقة، وأصرح بأن جميع آرائى الماضية باطلة(٤).

لم تكن الفترة التى انقطع فيها أبوالحسن الأشعرى إلا فترة تأمل اعتكف فيها بعيداً عن التأثر بأفكار غيره إعمالاً لقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾

سبأ/ ٤٦

وهو منهج التفكير السليم «قال القرطبى فى شرح الآية: مناظراً مع غيره ومفكراً فى نفسه»(٥) أى للوصول إلى الحق.

هكذا وصل الرجل إلى الحق فكانت الصحوة.. وما كانت العباءة التى مزقها إلا رمزاً للأفكار الخاطئة التى كانت تحيط به، ورمزاً للسجن الذى حطمه فخرج للدنيا فارساً يكافح وينافح عن الحق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) د. محمد غلاب.. المدرسة الأشعرية – مجلة الأزهر السنة العاشرة ص٧٠.

(٥) راجع تفسير الإمام القرطبى.

فمن هو أبوالحسن الأشعرى؟!

نسبه

«هو على بن اسماعيل بن اسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبدالله بن موسى ابن بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى صاحب رسول الله - ﷺ -، والأشعرى نسبة إلى أشعر أبى قبيلة باليمن، فنسبه عربى صريح(٦).

نشأته

فى بلاد الرافدين بالعراق وفى البصرة وقت أن كانت مدينة العلم الزاهرة بالعلوم الدينية والعربية وفن الكلام، ولد أبوالحسن من أسرة يمنية نبيلة معروفة بالشرف والاستقامة منذ عهد بعيد ويكفيه شرفاً أن كان جده أحد الصحابة الأجلاء.

حسن نظره وقوة أسلوبه فى المناظرة

«تمرن الأشعرى على المناظرات منذ كان على مذهب الاعتزال، حتى إن أستاذه أبا على الجبائى كان إذا حضرت مناظرة، قال له: نب عنى»(٧).

وتدور الأيام دورتها ويقف التلميذ ليناظر أستاذه ومعلمه!! لا لكى ينتصر عليه، ولكن لينصر الحق، لأن الحق مقصود لذاته وفى هذه المناظرة - كما قال ابن خلكان -

سأل أبوالحسن أستاذه أبا علي الجبائى عن ثلاثة إخوة كان أحدهم مؤمناً براً تقياً والثانى كان كافراً فاسقاً شقياً والثالث كان صغيراً فماتوا فكيف حالهم فقال الجبائى أما الزاهد ففى الدرجات وأما الكافر ففى الدركات وأما الصغير فمن أهل السلامة.

فقال الأشعرى: إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد هل يؤذن له فقال الجبائى لا. لأنه يقال له: أخوك إنما وصل إلى هذه الدرجات بسبب طاعته الكثيرة وليس لك تلك الطاعات فقال الأشعرى: فإن قال ذلك التقصير ليس منى فإنك ما أبقيتنى ولا أقدرتنى على الطاعة، فقال الجبائى يقول البارى جل وعلا: كنت أعلم لو بقيت لعصيت وصرت مستحقاً للعذاب الأليم فراعيت مصلحتك فقال الأشعرى: فلو قال الأخ الأكبر يا إله العالمين كما علمت حاله فقد علمت حالى فلم راعيت مصلحته دونى فانقطع الجبائى(٨).

لقد انقطع الجبائى.. لأن الحق أبلج، لا

(٦) هداية العارفين ج١/٢٦١. وانظر تاريخ بغداد ٣٤٦/١١. والمرجع السابق للشيخ الخضر حسين.

(٧) الشيخ محمد الخضر حسين.. صفحة من حياة أبى الحسن الأشعرى.. مجلة الأزهر – المجلد الثالث السنة ١٣٥١هـ.

(٨) شذرات الذهب ج١/٣٠٣.

ينقصه سوى من ينشط لكشف الزيغ ودفع الشبهة، وهكذا فعل أبوالحسن الأشعرى فكان الحق فى جانبه، وإذا كان قول الجبائى وأتباعه: أنه يجب على الله تعالى مراعاة الأصلح والأنفع للعبد، فإن هذا القول يتراجع لأن الله تعالى «إنما يراعى الأوفق فى الحكمة والتدبير، لأن الحكمة لا تتبع جلب المنفعة أو درء المفسدة، وإنما تقوم على ما يقتضيه حسن النظام العام للخليقة»[٩].

منزلته العلمية

كان ابراهيم بن محمد الاسفرايني الفقيه الصولى يقول: «كنت فى جنب الشيخ أبى الحسن الباهلى كقطرة فى جنب البحر وسمعت الشيخ أبا الحسن الباهلى قال كنت أنا فى جنب الشيخ الأشعرى كقطرة فى جنب البحر[١٠]

إن هذه الشهادة التى صدرت عن تواضع أبى الحسن الباهلى، لا تخلو من إيماء إلى عظم منزلة أبى الحسن الأشعرى فى العلم غير أن هناك شهادة أخرى يسجلها أبوبكر الصيرفى حيث قال: «كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله - تعالى - الأشعرى فجحرهم فى أقماع السمسم»[١١].

إنتاجه العلمى

إن الفترة التى درس فيها الأشعرى علم الكلام على مذهب المعتزلة قبل إعلانه التوبة جعلته يتتبع أفكارهم بالنقض أينما كانت فكان له العديد من الكتب فى الرد على المعتزلة وغيرهم من الفرق منها:

- نقض كتاب الأصول للجبائى.
- نقض كتاب على ابن الراوندى.
- نقض كتاب الثلجى الذى أصلح غلط ابن الراوندى.
- نقض كتاب الخالدى فى الصفات والقرآن.
- نقض كتاب داود فى مسألة الاعتقاد.
- نقض كتاب عباد بن سليم فى دقائق الكلام.
- نقض كتاب على بن عيسى.
- نقض الكتاب المعروف باللطيف على الإسكافى.
- النوادر فى دقائق الكلام.
- تفسير القرآن والرد على من خالف البيان من أهل الإفك والبهتان.
- دلائل النبوة.

(٩) الشيخ محمد الخضر حسين.. صفحة من حياة أبى حسن الأشعرى مجلة الأزهر ص ٣١١.

(١٠) ابن عساكر.. تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبى الحسن الأشعرى ص١٢٥ دار الكتاب العربى - بيروت

(١١) تاريخ بغداد ج١١/٣٤٦.

- رسالة فى الحث على البحث فى الإيمان..... وغيرها كثير[١٢]

قال ابن حزم الأندلسى «له خمس وخمسون تصنيفاً»[١٣] وقيل: إنها تزيد على مائتى مصنف.

الفارق بين المذهب الأشعرى والمعتزلة

لقد كان للمناظرات التى أقامها والكتب التى ألفها الإمام أبو الحسن أثر كبير فى إبراز مذهبه الذى يمتاز عن مذهب المعتزلة بميزات هامة، منها أن الأول يتجه نحو الشريعة ويجعلها غايته المقصود، على حين يتلاعب الثانى بألفاظها، ويتلهى بتأويل عباراتها إلى ما يؤيده فى غرضه ويحقق له هواه. ومنها أن الأول مؤسس على إخضاع العقل للسمعيات على عكس ما يرى الثانى من منح العقل أقصى درجات الحرية فى التفكير. ومنها كذلك أن الأول خاضع للمبادىء الأخلاقية التى نص عليها الإسلام، على حين يكل الثانى الأمر إلى حكم العقل فى تحديد هذه المبادىء وفى الإذعان لها. ومنها أن الأول كان يريد أن يؤسس حديثه على قديم السلف الصالح من أعلام الأمة الإسلامية، أما الثانى فكان يود التخلص من هذا السلف والتحرر نهائياً من كل قديم[١٤].

خاتمة المطاف

توفى أبوالحسن رحمه الله تعالى، فى بغداد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، قال أبوعلى زاهر بن أحمد السرخسى: لما قرب أجل أبى الحسن الأشعرى دعانى فأتيته، فقال: اشهد على أنى لا أكفر أحداً من أهل هذه القبلة، لأن الكل يشيرون إلى معبود واحد، وإنما هذا كله اختلاف عبارات. ومات فى حجر أبى على هذا، وكانوا يصفونه عند النداء لجنازته بناصر الدين، ودفن فى تربة بين الكرخ وباب البصرة، قال أبوالحسن القابسى: لقد مات الأشعرى يوم مات وأهل السنة باكون عليه، وأهل البدع مستريحون منه[١٥].

رحم الله أبا الحسن الأشعرى.. فكأنما لخص كل ما كتبه وألفه طيلة حياته فى هذه العبارة الموجزة حيث «أشهد على أنه لا يكفر أحداً من أهل القبلة»، لأن الكل يشيرون إلى رب معبود واحد وأن الهدف الرئيسى هو الاعتصام بحبل الله، وإنما هذا كله اختلاف عبارات».

ونحن معك نشهد يا أبا الحسن أننا لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، وإن كنا مازلنا من أقصانا إلى أقصانا فى اختلاف العبارات مشتجرين وعن كتاب الله الذى يدعونا للاتحاد منشغلين!!

***

(١٢) هداية العارفين ١/٢٦١.

(١٣) راجع تاريخ بغداد ١١/٣٤٦، البداية والنهاية ج١١/١٨٧.

(١٤) الدكتور محمد غلاب: المدرسة الأشعرية مجلة الأزهر المجلد العاشر سنة ١٣٥٨ ص٧١.

(١٥) محمد الخضر حسين.. صفحة من حياة أبى الحسن الأشعرى.

فى مؤتمر بجامعة المنيا

دراسات وبحوث مستفيضة لوضع معايير الجودة فى الدراسات الإسلامية

متابعة وعرض الأستاذ/ عاطف مصطفى

استضافت جامعة المنيا فى يومى ١٢ و١٣ نوفمبر ٢٠٠٥ حلقة نقاشية أقامتها رابطة الجامعات الإسلامية بعنوان «معايير الجودة فى مجال الدراسات الإسلامية»، وحضر هذا اللقاء المهم نخبة من العلماء والمتخصصين من عدة جامعات إسلامية، فى مقدمتهم الدكتور مصرى الحشر بدين عميد كلية الدراسات الإسلامية بجامعة شريف هداية الله الحكومية بجاكرتا - إندونيسيا، والأستاذ الدكتور محمود فهمى حجازى رئيس جامعة نورمبارك بكازاخستان، والأستاذ الدكتور محمد الزيادى عميد كلية الدعوة الإسلامية بليبيا.

وقد عرض كل من الدكتور جعفر عبدالسلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية والدكتور نبيل السمالوطى القضايا الخاصة بالتأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية، فى موضوع وثيق الصلة بالدراسات الإسلامية.

كما عرضت تجارب الجامعات المشاركة من خلال رؤسائها سواء كلية الدراسات الإسلامية بجاكرتا، أو جامعة نورمبارك بكازاخستان، أو كلية الدعوة الإسلامية بليبيا، وكذلك ورقة علمية حول معايير الجودة والاعتماد للدكتور عبدالمنعم البسيونى رئيس جامعة المنيا، وورقة عمل مقدمة من الدكتور محمد كمال إمام بعنوان: «فى تكوين المجتهد وفق مواصفات الجودة».

فى حفل الافتتاح أكد الدكتور عبدالمنعم البسيونى أن مستوى خريج الجامعات الإسلامية يلعب دوراً حيوياً، فى ظل التطورات الدولية التى يشهدها العالم الآن، وخاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر، فيتعاظم دوره فى التعايش مع الآخر، بل إنه يتعين عليه أن يترجم معتقداته الدينية ودراساته الإسلامية، إلى لغة يستطيع أن يستوعبها الآخر، إذا أراد مناقشة حججهم فى الساحة العامة.

الأزهر



د. جعفر عبدالسلام



د. نبيل السمالوطى

وبيّن البسيونى فى كلمته أننا بحاجة ماسة لوضع توصيف لبرنامج الدراسات الإسلامية، يعتمد على معايير مرجعية للجودة، تصل بنا إلى الخريج الذى يمكنه التعامل مع مجتمع المعرفة بسهولة، مؤكداً أن للدراسات الإسلامية دوراً حيوياً، خاصة أنه تم وضع معايير للدراسات الدينية فى الدول الأوروبية، تنظر لجميع الأديان، نظرة واحدة، مما يحتاج منا مضاعفة الجهد للتعامل مع الآخر بشكل عصرى.

أما الدكتور جعفر عبدالسلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية فقد أشار فى كلمته إلى أن معالجة مشكلات العصر يجب أن تكون أحد الأهداف التى تسعى المناهج الإسلامية إلى إيجاد سبل لحلها مبيناً أن مناهج الفقه وأصوله وغيرها من العلوم الإنسانية، ينبغى أن تنظر إلى المستجدات الحالية وتعالجها بشكل عصرى، ومحافظ على الأصول الثابتة.

وأشار إلى أن الوضع الحالى لمناهجنا العربية والإسلامية جعل جامعاتنا العربية والإسلامية، تفشل فى الحصول على أى مركز متقدم بين الجامعات الدولية فى الحصول على معايير الجودة، التى تعد علامة على تقدم المناهج، لذا بدأت رابطة الجامعات الإسلامية مع جامعة المنيا، وتفعيلاً للوثائق السابقة والتوصيات الأخيرة فى بيروت وعمان والمنيا، فى وضع إطار مرجعى لجودة الدراسات الإسلامية، بواسطة نخبة من العلماء المتخصصين فى جميع المجالات، ومخاطبة

جميع الجامعات الأعضاء فى الرابطة للمشاركة، وبذل الجهد للوصول إلى مستوى جيد.

فضلاً عن أن مشكلاتنا مع الغرب يبدأ حلها من الدراسات الإسلامية، وخاصة أن الغرب يفتقد المراجع الإسلامية المكتوبة بلغة سهلة مبسطة.

وقال الدكتور مصرى المحشر بدين: إن الفهم الصحيح للإسلام يجب أن يتم بطريقة صحيحة من قنواته الشرعية السليمة، فيجب أن يستمد من المصدر الرئيسى وهو القرآن الكريم، والسنة النبوية، بل إن عدم الاعتماد على هذا المصدر سينجم عنه الفهم الخاطىء للإسلام والتعصب لرأى معين.

إعلان المنيا

وبعد عرض الأوراق المقدمة من رؤساء الجامعات والأساتذة المتخصصين المشاركين فى أعمال الحلقة النقاشية (ورشة العمل) صدر إعلان المنيا والذى تناول ما جاء فى أوراق المتحدثين وركز على الآتى:

- أن مصر بصدد إنشاء الهيئة القومية المستقلة لضمان الجودة والاعتماد، والتى ستقوم بمراجعة البرامج الدراسية المختلفة للجامعات، بعد التحقق من مسايرتها للمعايير الدولية الخاصة بجودة التعليم العالى، اعتباراً من عام ٢٠٠٧م.
- يستند الاعتماد على تقارير التقويم الذاتى للبرامج المختلفة، التى تتطلب التوصيف الدقيق للمقررات والبرامج الدراسية.
- المهمة المطلوبة الآن من الجامعات والكليات الإسلامية، أو التى تدرس مقررات إسلامية، هى وضع هذه المواصفات، التى سيعتمد عليها تقويم البرامج.
- قامت رابطة الجامعات الإسلامية بجهود عديدة منذ عام ١٩٩٥ فى هذا المجال، شاركت فيها معظم الجامعات، الأمر الذى يجعلها تمثل رصيداً ومرجعية، يجب أخذها فى الاعتبار عند التعرض لمعايير الجودة والاعتماد فى تدريس المقررات الإسلامية.

وألمح البيان إلى أنه نظراً لما تواجهه جامعاتنا الإسلامية من حملات شرسة لها أهدافها، فقد طرحت فى الحلقة النقاشية قضايا الجودة والاعتماد، وتم مناقشة الأوراق المقدمة.. وانتهت الحلقة إلى توصيات من بينها:

أولاً: التأكيد على أهمية العناية بوضع معايير الجودة والاعتماد للدراسات الإسلامية. حتى تدخل هذه الدراسات فى منظومة تطوير التعليم الجامعى، ولتزويد الجامعات والكليات الإسلامية فى بلادنا الإسلامية بالمناهج والمقررات التى تستجيب لمقتضيات الجودة والاعتماد بشكل يتفق مع الثوابت الإسلامية من

جهة، ومتغيرات العصر من جهة أخرى.

ثانياً: توصى بإنشاء لجنة للدراسات الإسلامية تحت اسم قطاع الدراسات الإسلامية بالمجلس الأعلى للجامعات، على أن تضم عدداً من اللجان الفرعية للقرآن وعلومه، والسنة وعلومها، والفقه وأصوله، والدعوة والعقيدة، على أن يُمثل فى هذه اللجان متخصصون من الجامعات المصرية وجامعة الأزهر ورابطة الجامعات الإسلامية، بحيث تكون مهام هذه اللجان، الوصول إلى معايير الجودة والاعتماد، فى مجال تدريس العلوم والدراسات الإسلامية، وتتولى مختلف الأعمال التى تنهض بها لجان القطاع فى المجلس الأعلى للجامعات.

ثالثاً: تكلف الحلقة النقاشية رابطة الجامعات الإسلامية باعتبارها منظمة دولية، تمثل أكثر من مائة جامعة إسلامية بإحالة أوراق هذه الحلقة وتوصياتها مع دراساتها حول التحديات التى تواجه الأمة الإسلامية فى القرن الحادى والعشرين، ومن بينها التحديات العلمية والتربوية والاجتماعية والتكنولوجية، إلى الجامعات الإسلامية الأعضاء، لمعرفة رؤيتهم بصددها، والاستفادة بما تقدمه هذه الجامعات من آراء.

رابعاً: كما توصى الحلقة بضرورة النهوض باللغة العربية، وجعلها لغة الحضارة والعلوم والتدريس بالجامعات، مع الاستفادة من تجارب الجامعات المختلفة فى الكليات العلمية، مثل كلية الطب بسوريا، والعمل على تيسير النمو وإعداد ما يلزم لهذا من مؤلفات بشكل مشوق وجذاب.

خامساً: وحرصا على التعمق فى دراسات معايير الجودة تم التركيز فى التوصيات على مجموعة من الأبعاد الأساسية من بينها: إعمال معايير الجودة فى سياسات القبول والتسجيل فى المرحلة الجامعية الأولى والثانية، وأيضاً إعادة النظر فى نظم الامتحانات والتقويم المستمر للطلاب، كما تفترض معايير الجودة وضوح الرؤية الأكاديمية والمجتمعية، ووضوح الرسالة، أو المهمة التى تنتظر الخريجين بعد المرحلة الجامعية.

كما يتم استطلاع رأى الجامعات، وفى مقدمتها جامعة الأزهر، فيما يتصل بالتقسيمات حول الدراسات الإسلامية إلى مواد أساسية، ومواد مساعدة تطبيقية مع اعتماد ما يكون فيه متطلباً للجامعة أو الكلية، أو الأقسام المتخصصة.

وأخيراً توصى الحلقة النقاشية التى عقدت بجامعة المنيا باعتبار مادة الحضارة الإسلامية، وفقاً للمنهج المطور الذى أعده علماء من الجامعات الإسلامية، وقدمته رابطة الجامعات الإسلامية، ونشرته كمرجع إرشادى وكإحدى المراجع الخاصة للجامعات الإسلامية وتدريسها لكافة طلابها.

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقى الدين

من الظلمات إلى النور

حسانى فهمى حسانى كان محور معجزة إلهية تتحدث عنها مدينة الأقصر... إنه رجل كف بصره منذ تسعة عشر عاما وعلى وجه التحديد أصيبت عينه اليسرى منذ ١٩ عاما بالعمى ثم تلتها العين اليمنى التى أصيبت بالعمى منذ ثمان سنوات.

تقول القصة التى نشرتها جريدة الأخبار المصرية فى عدديها الصادران فى ٢٩، ٣٠ من رمضان سنة ١٤٢٦هـ الموافق ١، ٢/ ١١/ ٢٠٠٥ ان الأطباء أجمعوا على استحالة علاج «حسانى» وأنه لن يسترد بصره بعد أن أصيبت عيناه بضمور فى العصب البصرى بما لا يمكن إعادته إلى طبيعته الحيوية طبقا لما قرره العلم.

خرج لأداء الصلاة فى المسجد واستمع لآيات القرآن الكريم وكان القارىء يتلو قول الله -عز وجل- فى سورة يوسف:

﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾

(يوسف/ ٩٣)

يقول الأستاذ حسانى واصفا ما حدث:

«كانت الروحانيات عالية، أحسست بأن جسدى يهتز من الداخل مع كل آية من آيات القرآن المجيد، وأثناء سجودى أحسست بطاقة نور تخرج من عينى لتنير الظلام الذى طمسها لسنوات وأحسست أن أشياء كثيرة تحدث ولا أدرى لها تفسيرا، وأثناء دعاء القنوت أحسست أن نظرى يعود ولكن لم أصدق نفسى وأغمضت عينى مخافة أن تكون أوهاما وفجأة أحسست برعشة شديدة وانخفاض فى درجة الحرارة وشاهدت كأن أحدا يشق عينى لأشاهد صفين لأناس كثيرين على امتداد البصر يقفون مثل طابور المدرسة ولكن ليس له نهاية وخرجت من المسجد وأنا أحس أن هناك شيئا ما يحدث ولكن لم أجد له تفسيرا» وعاد الرجل إلى بيته ليحتضن أبناءه الذين لم يكن قد رآهم منذ ولادتهم.

تلك هى القصة كما نشرتها جريدة الأخبار على لسان حسانى فهمى حسانى.

إنها باختصار قصة رجل أخلص العبادة لله، وتدبر معانى آية كريمة فى كتاب الله -عز وجل- هزت وجدانه ودعا الله فى خشوع فى لحظة سجوده، لحظة يكون العبد فيها أقرب ما يكون إلى ربه فكان الجزاء من جنس العمل:

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾

(الرحمن/ ٦٠)

إنها رسالة من المولى -عز وجل- إلى الأمة لتعود إلى ربها بعد رحلة طويلة فى خضم متلاطم من بحر الظلمات الذى أغرقنا فيه أنفسنا بأنفسنا وبإرادتنا.

حسانى فهمى حسانى استرد بصره لمجرد أنه أخلص لله، ترى ماذا يكون حالنا لو أننا أخلصنا لله فى كل أوجه العبادة بل وفى كل أوجه حياتنا؟!

منحنا الله خمسة فروض نتقرب بها إليه: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.

حسانى هزته لحظة خشوع وتدبر فى الصلاة فرد الله عليه بصره.. قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها» رواه مسلم.

فمتى تخشع الأمة لتبزغ شمسها من جديد بعد طول غروب؟!

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾

(البينة/ ٥)

جموع الحجاج انطلقت لتؤدى الفريضة التى أوجبها الله فهل تصدق الله فى الدعاء، أم تكتفى بترديد كلمات يرددونها دون تدبر وتبصر؟!

والله لو صدقت هذه الجموع فى دعائها إلى الله بأن يخرج الأمة من الظلمات إلى النور لتبدل حالنا كما بدل الله حال صاحبنا غفر الله لنا وله.

أحمد تقى الدين

وإلى رسائل القراء

أمية الرسول ﷺ

على الرغم من أن أمية الرسول ﷺ هى إحدى ثوابت العقيدة الإسلامية إلا أنه وُجد مؤخرا من يجادل بالباطل فى هذه المسألة التى لا تحتمل أى خلاف ليزعم أن الرسول ﷺ لم يكن أمياً، وأنه كان يجيد القراءة والكتابة باللغة العربية وبغيرها من اللغات..!! حول هذه المسألة جاءت رسالة القارىء طاهر محمد الأقرع -شبين القناطر- القليوبية قال:

نشرت إحدى الصحف مقالين ينفيان أمية الرسول -ﷺ- وقد اعتمد الأول على العقل فى نفى الأمية، كما دعى إلى أن تبقى المسألة خلافية. وكأن الاختلاف غاية فى حد ذاته، وليس عرضاً يعرض فى حالة استشكال النصوص، وتطرق التأويل والاحتمال إليها، أما الثانى فقد نفى أن يكون هناك إجماع أو حتى شبه إجماع على أميته -ﷺ- والحقيقة أنه إن لم يكن فى المسألة إجماع مطلق، فثمة شبه إجماع بين أهل السنة على أميته ﷺ ولكن قبل أن نوضح ذلك نحب أن نشير إلى أن أى خلاف يتعلق بالنبى -ﷺ- معظمه لا يكون الداعى إليه اختلاف العقول فى تفهم نصوص محتملة الدلالة أو مشكلة المعنى، وإنما هوى قلبى نابع من محبته -ﷺ- فالكل محب له على اختلاف درجاتهم فى المحبة، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «حبك الشىء يعمى ويصم» (أخرجه أحمد فى مسنده).. فمن أسرته العاطفة عمى عن رؤية الدليل وصم عن صوت الحق، وظن أن الفضيلة فى حقه ﷺ رذيلة، والرذيلة فى حقه فضيلة. ومن ثم فلا شأن لنا بمن سماهم كاتب أحد المقالين بمدرسة آل البيت، الذين أجمعوا على نفى أمية النبى ﷺ لأنهم قد غالوا فى محبتهم لآل البيت فعموا وصموا، والدليل على ذلك الرواية المتهافتة التى ذكرها أحد الكاتبين والمنسوبة إلى محمد بن على الرضا ونصها بتصرف. «والله لقد كان رسول الله يقرأ ويكتب باثنين وسبعين لسانا»!!

لقد اتفق جمهور العلماء على أمية النبى ولم يشذ عنهم إلا قلة من العلماء منهم أبوالوليد الباجى وشيخه أبو ذر الهروى بناء على رواية ذكرها البخارى سيأتى ذكرها عما قريب. وحتى هؤلاء لم ينفوا الأمية نفياً مطلقاً بل أقر الباجى بأميته ﷺ قبل بعثته أما بعدها، فقد قرأ وكتب من غير تعليم من باب الإعجاز. إذاً فالنفى المطلق للأمية النبوية بدعاً من القول لم يقل به السلف.

ولنشرع فى سرد الأدلة المثبتة للأمية:

● أولاً القرآن. تنقسم آيات القرآن فى هذا الشأن إلى نوعين: النوع الأول فيه إشارة وتلميح إلى الأمية مثل قوله تعالى:

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾

[القيامة ١٦- ١٧]

فكان -ﷺ- يتعجل قراءة القرآن قبل فراغ جبريل منها مخافة أن ينسى لأميته إذ لو كان كاتباً لسجله فى صحيفة يعود إليها إذا دهمه النسيان.

أما النوع الثانى فقد صرح بالأمية فقال تعالى:

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾

[العنكبوت/ ٤٨]

ولاحظ عدم تعريف كتاب ليفيد عموم الكتب السماوية والوضعية.

● ثانياً السنة: لم يرد فى السنة نص صريح صحيح ينفى أمية النبى ﷺ بل تظاهرت النصوص على إثباتها فلو كان ﷺ قارئاً وكاتباً لتواتر ذلك عنه، ولما اتخذ كتبة للوحى، ولوصلتنا رسائل بخطه لحرص المسلمين على التبرك بآثاره، إذ لا يستقيم فى الفهم أن يحتفظوا بشعرات من رأسه ويهملوا نصاً خطه بيراعه.

وروى البخارى عن عائشة أن النبى عندما سأله جبريل أن يقرأ فى الغار. قال: «ما أنا بقارىء» ثلاثاً، و«ما» هنا نافية إذ لو كانت استفهامية لم يصلح دخول الباء.

لا يفت فى عضد هذا الرأى ما رواه البخارى فى باب عمرة القضاء أن المشركين لم يقروا قوله ﷺ: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله» فأمر النبى علياً بمحوها وكتابة عبدالله بدلاً من رسول الله، فلم يرض «على» بذلك غيرة وحمية، فأخذ النبى الكتاب -وليس يحسن الكتابة كما فى الرواية- وكتب: «هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله ...». وذلك لأنها رواية واحدة من جملة روايات ومن قواعد فقه الحديث جمع الروايات الواردة فى الحديث الواحد، وطبقا لهذه القاعدة نجد فى روايات أخرى أن علياً هو الذى كتب وأن النبى اقتصر فعله على المحو فقط فتحمل هذه الرواية على تلك لوجود القرائن الصريحة على أميته -ﷺ- ثم أن هذه الرواية أقرت بأنه ﷺ لا يحسن الكتابة، فإذا ما كتب اسمه لا يكتبه إلا رسماً كشأن كثير من الأميين هذا إذا أخذنا بظاهر هذه الرواية. يقول تعالى:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾

[الأعراف ١٥٧]

فالنبى بنص القرآن موصوف عند أهل الكتاب بالأمى.

حُبٌ فى الله

تحت هذا العنوان جاءت الكلمة التى كتبها الأستاذ أحمد عبدالمحسن على- ناظر بمدرسة الأورمان النموذجية بالدقى، قال:

عندما يشعر المرء بوجود الله فى كل شىء ويتابع نعمه التى عمت الآفاق ويرى آثار عظمته فى الأرض والسماء فهو مُحب لله.

●● إن الناس تُقارب بينهم أو تُباعد أسباب متعددة منها المادى ومنها الأدبى. ومنازلهم عند الله بقدر حبهم فيه.

● عن أبى هريرة عن النبى -ﷺ- «أن رجلا زار أخاً له فى قرية أخرى، فأرصد الله له مدرجته -فى طريقه- مَلَكا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟

قال: أريد أخاً لى فى هذه القرية.

قال: هل لك عليه من نعمة تربُّها-تنميها-؟

قال: لا. غير أننى أحببته فى الله تعالى.

قال له الملك: فإننى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه. (أخرجه مسلم فى صحيحه).

● وعن أبى إدريس الخولانى -رحمه الله- قال: دخلت مسجد دمشق فإذا فتى براق الثنايا وإذا الناس معه -فكأنه تساءل عنه- فقيل هذا معاذ بن جبل -رضى الله عنه- فسلمت عليه ثم قلت: والله إنى لأحبك لله. فقال: الله؟ فقلت: الله، فقال مرة أخرى: الله؟ فقلت: الله -يريد أن يستيقن أن الله -سبحانه- محور هذه العاطفة- قال أبوإدريس: فأخذنى بحبوة ردائى فجذبنى إليه فقال: أبشر فإننى سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: قال الله تعالى: «وجبت محبتى للمتحابين فىَّ والمتجالسين فىَّ والمتزاورين فىَّ والمتباذلين فىَّ»(أخرجه أحمد فى مسنده)..

● والله -سبحانه وتعالى- لا يمنح محبته إلا لأناس عرفوه حق معرفته وآثروه على كل منفعة وتعاونوا على إعلاء كلمته وإعزاز دينه.

● إن الإنسان الذى يتملق آخر لدنيا يصيبها، أو يبتسم له لمصلحة يرجوها، فهذه صداقات رخيصة لا قيمة لها ولا وزن.

أما الذين يفرحون لرؤية مؤمن مجاهد إذا حاول النفعيون النيل منه فهم المؤمنون حقا، الجديرون بحب الله ولذلك قال ﷺ فى وصف الأنصار: «لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»(أخرجه مسلم فى صحيحه)..

وجاء فى الحديث القدسى، قال الله -عز وجل-: «المتحابون فى جلالى، لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء».

● والحق أن الإسلام قام على هذه العاطفة الشريفة ولم تعرف الأرض أخوة أوثق ولا أعرق مما قام بتوثيقها رسول الله -ﷺ- بين الأنصار والمهاجرين.

وتأمل فى قول رسول الله -ﷺ-: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله

منه كما يكره أن يقذف فى النار»(أخرجه مسلم فى صحيحه)..

● والطريف أن النبى -ﷺ- كان ينمى عاطفة الحب فى الله ويصل بين أطرافها لترسخ وتبقى؛ فعن أنس أن رجلا كان عند النبى ﷺ فمرّ به رجل فقال: يا رسول الله، إنى لأحب هذا، فقال له النبى: أأعلمته؟ قال: لا، قال: أعلمه، قال: فلحقه، فقال إنى أحبك فى الله، فقال: أحبك الذى أحببتنى له»(أبو داود فى السنن).

وعندما يكون حب الله والحب فيه أساس السلوك، فلن تخذل فضيلة أو تهدم عقيدة، قال تعالى:

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾

[التوبة/ ٢٤]

النصر دائما للمؤمنين

وكتب القارىء الدكتور/ محمد محمود العطار -كفرالشيخ- رسالة تحدث فيها عن حال الأمة وسبل الخلاص مما هى فيه، قال:

يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان، ويرفع الدرجات؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: تحلم على من جهل عليك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطى من حرمك، وتصل من قَطعك» [رواه الطبرانى].

إن الخصومة والقطيعة بين الأمم والأفراد، تهدم أمن المجتمع وتزلزل أركانه، وتجعله مسرحاً للفتن والأحقاد.

﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾

[سورة الأنفال- الآية ٤٦]

إن الاستعمار الذى بليت به بلاد المسلمين فى هذا العصر، أكبر طعنة وجهت إلى كيانهم، فهو لم يتم إلا بعد أن أهمل المسلمون اتخاذ العدة، والتزود بالقوة.

ونحن أبناء الأمة الإسلامية على يقين أن الله -سبحانه وتعالى- لن يخذل دينه، ولن يخفض رايته، ولن يذل أتباعه، فإن النصر دائماً للمؤمنين:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾

[سورة غافر- الآية ٥١]

ولن تتم للمسلمين عزتهم ولن يصح إسلامهم إلا إذا طهروا كل ديارهم من ذل الاستعمار فإن ذلك مقتضى الإيمان، وثمرة العزة التى يهبها للمؤمنين.

ويتطلب هذا التعاون بين المسلمين، لأن من أعان أخاه المسلم أعانه الله، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته وجزاء من يفرج كربة عن أخيه أن يفرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة.

الحضارة الإسلامية تواصل بلا فواصل

وتحت هذا العنوان جاءت رسالة القارئ: السيد حسين العزازى -وكيل وزارة الكهرباء والطاقة سابقاً، قال:

● حظى الشرق باستقبال الأديان السماوية التى شكلت منهجاً عاماً للسلام بما رسخته من مفاهيم قوامها أن الله واحد والبشر سواء أباهم آدم وأمهم حواء ولا فضل لجنس على آخر إلا بالتقوى وعلى الرغم من ذلك ثارت نعرات الاستعلاء من قبل بعض الشعوب والأجناس والطبقات وظنوا أنهم الأسمى والأعلى منكرين على غيرهم دورهم وإسهامهم الحضارى وجحدوا تراث السابقين. والبعض استخف بالحضارات الشرقية والإسلامية منها بخاصة، واعتبرها متعارضها مع حضارة الغرب القائمة، ومن هؤلاء صموائيل هينجتون فى كتابه صدام الحضارات ناسياً أو متناسياً أن تقدم أمريكا مصدره أوروبا فى المقام الأول وحضارة أوروبا ما هى إلا إفراز للحضارة العربية والإسلامية ويعترف بذلك أكثر من كاتب منصف أو مفكر محايد أمثال: جورج سارتون، ورينود، وول ديوراند، وبول ماسون، وبما يقطع بأنه لا وطن للعلم فهو ملك لكل العالم وفى ذلك يقول جورج سارتون: «إن الثقافة العربية لاتزال إلى حد ما الجسر الرئيسى الذى يربط الشرق بالغرب فبينما كان الثقافة اللاتينية غربية والثقافة الصينية شرقية كانت الثقافة العربية شرقية وغربية فى آن واحد حيث أخذت من مسيحية الغرب وبوذية الشرق ومست كل منهما».

- وإذا كان السيد المسيح قد قال: «ما جئت لأنقض الناموس إنما جئت لأتمم»، فإن النبى ﷺ قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». (البيهقى فى السنن الكبرى) وبما يعنى التسلسل والتواصل، والمنطق يؤكد أن حلقات الزمن أمس واليوم وغدا ومكونات الوجود من أرض وماء وفضاء وأحياء ومن مجمل التفاعل بين مكونات الزمان والمكان تكون الحياة ولا يتسنى لعناصر الحياة أن تكون متناغمة مالم تتلاقح وتتماسك بلا عزلة أو انفراد وما يدعيه هينجتون يجسد التعصب والانحياز لفترة قصيرة فى عمر الزمن ومنطقة محدودة على صعيد العالم وقصر للتاريخ على بضعة سطور من مجمل سجل البشرية بكل عمقها الحضارى الذى يعود لآلاف السنين قبل اكتشاف أمريكا التى لا يعرف من أمثال هينجتون سواها شأنه كالذى ينكر الشمس أو لا يرى فى النهار.

● وخلاصة القول إن الإنسان المعاصر هو نتاج تواصل مع سلفه وعليه أن يؤدى دوره حيال خلفه ليشكل منظومة حضارية تشهد بأن الإنسان يتفاعل مع الزمن ويعترف بفضل من سبقوه ويجتهد فى أن يقدم وسعه من الخير للأبناء والأحفاد اقتداء بما قدمه الآباء والأجداد.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يستقبل وزير ثقافة أزربيجان

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى الأستاذ بولاد أوغلو وزير الثقافة بجمهورية أزربيجان يرافقه سعادة السفير فائق بالمروف سفير أزربيجان بالقاهرة والوفد المرافق، وتأتى هذه الزيارة بمناسبة إقامة الأيام الثقافية الأزربيجانية بالقاهرة والإسكندرية، وقد رحب فضيلته بالضيف والوفد المرافق فى مصر وأزهرها الشريف ملقياً الضوء على الأزهر الشريف ومكانته العالمية، مؤكداً على اهتمام الأزهر بحفظ القرآن الكريم وتدريس العلوم العربية والشرعية بتوسع، وتمتاز الدراسة به بالوسطية والاعتدال بعيداً عن التعصب الأعمى والعصبية البلهاء، كما أوضح فضيلته أن الأزهر الشريف يستقبل أبناء المسلمين من أنحاء العالم على منح دراسية، ويوفر كافة الاحتياجات من إقامة كاملة ورعاية صحية، وأن أكثر من ٢٠٠ طالب وطالبة يدرسون بالأزهر الشريف وجامعته من دولة أزربيجان وقد خصص هذا العام ٢٥ منحة دراسية، كما يوجد علماء من الأزهر الشريف يعلمون أبناء دولة أزربيجان، وقد أعرب معالى الوزير عن بالغ سعادته بتواجده فى الأزهر الشريف واستقبال فضيلة شيخ الأزهر ملقياً الضوء على العلاقات الثنائية الطيبة التى تربط بين الشعبين، مثنياً على دور الأزهر الشريف المنارة العلمية الكبيرة التى تقوم على توضيح صحيح الإسلام بوسطيته واعتداله.

ويستقبل وزير التعليم العالى للنيجر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى الدكتور عثمان غلاديما وزير التعليم العالى بدولة النيجر وسعادة السفير الحسينى الملول والوفد المرافق، وقد رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف مشيداً بالصلة القديمة بين الأزهر الشريف ودولة النيجر

موضحًا أن لأبناء النيجر فى الأزهر وجامعته حوالى ٤٢٧ طالبًا وطالبة، وقد خصص هذا العام ٣٥ منحة دراسية أخرى، ويوجد علماء من الأزهر فى النيجر مُعارون على نفقة الأزهر - ٤٢ عالمًا - يعلمون أبناء النيجر، وينشرون الثقافة الإسلامية ويدرسون العلوم العربية والشرعية لهم فى معاهد النيجر، مؤكدًا على أن الدراسة بالأزهر تمتاز بالسماحة واليسر والاعتدال.

ومن جانبه شكر الضيف على حُسن الاستقبال وعلى ما يقدمه الأزهر الشريف لأبناء النيجر من منح دراسية ومن إرسال علماء لمساعدة أبنائهم فى التعليم، حيث إن تعداد السكان يبلغ ١٢ مليون نسمة، ونسبة المسلمين ٩٩٪ وهم يتطلعون دائمًا إلى الأزهر الشريف لما له من مكانة عالمية وخاصة فى قلوب أبناء النيجر رئيسًا وحكومة وشعبًا وقال: نحن نسعى دائمًا إلى فهم مبادئ الدين الإسلامى الصحيح وتعلم اللغة العربية.

الإمام الأكبر يؤكد:
الإسلام لا يفرق بين سنى وشيعى وكردى

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى الدكتور إبراهيم الجعفرى رئيس وزراء دولة العراق يرافقه السيد/ صفاء الدين الصافى وزير شئون الجمعية الوطنية، والسيد/ فالح الفياض المستشار السياسى لرئيس الوزراء والوفد المرافق، وقد رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف داعيًا المولى - عز وجل - أن ينعم على الشعب العراقى بالأمن والأمان، وأن يجنبه الفتن ما ظهر منها وما بطن، مؤكدًا على أن شعب العراق هم أشقاء لنا وما يصيب العراق يؤلمنا فى مصر، ونحن نقول إن كل مَن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فهو مسلم، وأن الإسلام دين لجميع الأنبياء يهدف إلى إخلاص العبادة لله، فالإسلام لا يفرق بين سُنِّى وشيعى أو كردى أو غيره، والذى يحاسب على العقائد هو الله - عز وجل - وأكد على أن من يفجر نفسه فى مسجد أو فى أطفال أو غيرهم من الآمنين، مَنْ يفعل ذلك ليس بإنسان، والإنسان إذا لم يستخدم العلم استخدامًا صحيحًا، ينحرف بعلمه إلى طريق الشر، وبذلك يكون الشيطان تلميذًا له، ونسأل الله - سبحانه وتعالى - الهداية وندعو الله أن يصلح النفوس لما فيه الخير للجميع.

ومن جانبه أكد معالى رئيس الوزراء على أن الأزهر الشريف هو المرجعية فى تحديث آليات الفكر وتفعيلها حتى نجابه ثقافة المسخ التى تريد أن تلبس الحق بالباطل، والأزهر دائمًا يخفف علينا بالإدانات الصريحة للإرهاب، وهو بذلك مكسب لنا فنحن والأزهر نلتقى بالفكر قبل الأبدان، كما أشاد معاليه بمواقف مصر الإيجابية برئاسة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك تجاه شعب العراق.

حضر اللقاء فضيلة الدكتور محمود إمبابى وكيل الأزهر الشريف.

شيخ الأزهر:
نرفض العدوان وقتل الآمنين

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد/ ميخائيل مارجيلوف رئيس لجنة الشئون الدولية بمجلس الاتحاد - غرفة البرلمان العليا لروسيا الاتحادية - وسعادة السفير ميخائيل بجدانوف السفير المفوض فوق العادة لروسيا الاتحادية لدى جمهورية مصر العربية والوفد المرافق، وقد رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف موضحًا أن الطلاب والطالبات الروس الذين يدرسون بالأزهر الشريف على منح دراسية ٣١٨ طالبًا وطالبة، وقد خصص هذا العام ٣٠ منحة دراسية، وأكد على أن الدراسة فى الأزهر الشريف تمتاز بالسماحة والاعتدال والوضوح، والأزهر الشريف يسعده دائمًا التعاون وتبادل الحوار رغم اختلاف عقائدنا لأن الناس جميعًا خُلقوا من أب واحد وأم واحدة، ونحن نؤمن بتعاون الحضارات ولا نقول بتصادم الحضارات، ونؤيد حوار الحوارات، ونقول دائمًا إن لكل دولة حضارتها ويجب أن تستفيد كل دولة من حضارة غيرها، ونحن نتعاون من أجل تبادل المنافع التى أحلها الله - عز وجل - وهى سمة العقلاء، والعقول الإنسانية السليمة والأديان السماوية كلها تدعو إلى نشر المحبة والإخاء والتعاون، وفى نفس الوقت نحارب الإرهاب لأنه ضد الإنسانية وضد الأديان، وقد ثبت أن الخلافات لا تحل بالحروب، وإنما تحل بالحوار الذى هو أفضل وأقصر طريق للإصلاح، وفى الأزهر لجنة للحوار، ونحن لا نتدخل فى شئون أى دولة، وإنما نرفض العدوان والاعتداء على الغير وقتل الآمنين ونرفض التخريب وهدم المنازل وتفجير المدارس وقتل الأبرياء، ونحن نصدر البيانات التى تبين أن الإسلام ضد العدوان على الأبرياء الآمنين.

ومن جانبه أكد رئيس الوفد على اعتزازه بإتاحة هذه الفرصة لهذا اللقاء وقال إنه قرأ وسمع الكثير عن مؤسسة الأزهر الفريدة من نوعها، وأن كثيرًا من الطلبة الروس يدرسون بالأزهر بالمعاهد والكليات، وأن علماء الأزهر المحترمين قد أعطوا الفكرة التى تبين أن الإسلام دين المحبة والتسامح، وقال إنه جاء بهدف بحث سبل التعاون مع الأزهر، كما أنه يأمل زيارة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لروسيا فى الوقت الذى يراه فضيلته مناسبًا.

وأوضح سعادة السفير أنهم دائمًا يستمعون ويقرأون ويعتمدون على صوت فضيلة شيخ الأزهر وحكمته التى لها صدى مسموع فى كل مكان فى روسيا والقوقاز، وقال إننا فى بلادنا نقدر ونحترم مناهج الأزهر الشريف.

وزير الأوقاف اليمنى:
نتطلع إلى مزيد من التعاون والاستفادة من مناهج وعلوم الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى الأستاذ/ حمود محمد عباد وزير الأوقاف والإرشاد اليمنى وسعادة السفير الدكتور/ عبدالولى الشميرى سفير اليمن بالقاهرة والسيد المستشار الثقافى بسفارة اليمن. وقد رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف.

وقال الوزير إنه جاء يحمل تحيات السيد الرئيس على عبدالله صالح رئيس دولة اليمن لفضيلة الإمام الأكبر والسادة أصحاب الفضيلة علماء الأزهر الشريف، وللتأكيد على أهمية الأزهر الشريف كمنارة علمية لجميع البلدان فى شتى بقاع العالم، وقال: إن اليمن تتطلع إلى مزيد من التعاون والدعم العلمى، والاستفادة من مناهج وعلوم الأزهر الشريف كمؤسسة عالمية، وذلك لتأهيل الشباب اليمنى للعمل بالكلية الشرعية التى ستلحق على المسجد الصالح أكبر مساجد اليمن، للعمل فى مجال الدعوة طبقًا للتعليم بالأزهر الذى يمتاز بالاعتدال والتوسط واليسر والبعد عن التطرف.

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف أن الأزهر لا يدخر وسعًا فى تقديم العون والمساعدة لأبناء المسلمين فى شتى أنحاء العالم، وبخاصة أبناء اليمن الشقيق، وهذه رسالتنا وواجب الأزهر تجاه الأمة الإسلامية والمسلمين فى كل مكان.

الإمام الأكبر يستقبل وفد ممثلى الكنائس الإنجيلية

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد ممثلى الكنائس الإنجيلية.

وقد رحب فضيلته بالوفد مُلقيًا الضوء على الأزهر الشريف كمؤسسة دينية تعليمية تقوم الدراسة فيه على الاعتدال والسماحة واليسر والوسطية والبعد عن العصبية والعنصرية، موضحًا أن الناس جميعًا من أب واحد وأم واحدة، وقد أوجد الله - عز وجل - الناس مختلفين فى طبائعهم وأشكالهم وأحوالهم وعقائدهم، وأن لكل إنسان عقيدته، والذى يحاسب على العقائد هو الله - عز وجل.

وقال: إننا يجب أن يتعلم بعضنا من بعض، ويستفيد كلٌّ منّا من الآخر، ونحن نقول بتعاون الحضارات، والحضارات عند العقلاء تتعاون وتتكاتف وتتآزر، ولا نقول بتصادم الحضارات، ونحن فى مصر مسلمين ومسيحيين نتساوى فى الحقوق والواجبات، ويشارك بعضنا البعض فى التجارة وفى الزراعة وفى السكن وفى العمل وفى كافة مجالات الحياة، ونتعاون فى كل ما يعود

علينا كأفراد وعلى وطننا بالخير، والأديان كلها تتفق على أن المخطئ يُحاسَب على خطئه، وكل إنسان يُحاسَب على تصرفه وعمله، أما الذى يُحاسِب على العقائد فهو الله - سبحانه وتعالى - ودائمًا أقول لا حوار فى الأديان والعقائد لأنه لايؤدى إلى فائدة وهو حوار عقيم، وإنما نتحاور ونتعاون من أجل نشر المودة والمحبة والسلام ونشر الأمان.

الإمام الأكبر:
الإسلام مع تنظيم النسل بما لا يتعارض مع الشرع الحنيف

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف مجموعة من المتخصصين فى مجال السكان وتنظيم الأسرة بدول نيجيريا، أثيوبيا وباكستان، وذلك من خلال الدورات التدريبية التى يعقدها معهد التدريب والبحوث بالإسكندرية التابع للجمعية المصرية للصحة الإنجابية وتنظيم الأسرة، وذلك بالتعاون مع برنامج الصحة الدولى بسانتا كروز بالولايات المتحدة الأمريكية، يرافق الوفد الأستاذ عبدالفتاح عبده نائب المدير التنفيذى للجمعية المصرية، والأستاذة نجوى سعد الدباح مديرة البرامج بالمعهد.

وقد رحب فضيلته بالضيوف فى الأزهر الشريف موضحًا أن الأديان السماوية أنزلها الله - تعالى - لسعادة البشر ولهدايتهم إلى الطريق المستقيم ولغرس المعانى والقيم الفاضلة فى نفوسهم موضحًا أن الأولاد أمانة، ويجب على الآباء أن يرعوها وأن يحسنوا تربيتهم دينيًا وجسميًا وعلميًا وخلقيًا، وأكد فضيلته على أهمية التوعية بالفروق الشرعية بين المصطلحات التى تتعلق بالإنجاب كتنظيم النسل أو تحديده، أو اللجوء للتعقيم والإجهاض، والإسلام مع تنظيم النسل المقصود به إيجاد فترات متباعدة فى الحمل أو تأجيله لمدة معينة باللجوء للطرق المباحة ورغبة الزوجين وإرادتهما، وهذا أمر لا يتعارض مع الشرع الحنيف وذلك للحفاظ على صحة الأم وحمايتها من الضعف أو المرض، والرغبة فى الإنجاب تختلف من مجتمع لآخر ومن دولة لأخرى حسب ظروفها الاجتماعية والاقتصادية، فهناك دول تستطيع أن تجعل من كثرتها العددية قوة منتجة وفعالة ويكثر من ورائها الخير، وهناك كثرة ضعيفة وهزيلة ومريضة لا تنتج، بل وتعتمد على الغير لاستكمال ضرورات الحياة.

وأوضح فضيلته أن هناك أمورًا لا تقبل النقاش لكونها مستقرة شرعًا بإجماع الفقهاء كتحريم الإجهاض إلا فى حالة تأكيد الطبيب الثقة أن فى بقاء الجنين هلاكًا للأم متيقنًا.

وفى نهاية اللقاء شكر الوفد فضيلته على حسن اللقاء وعلى المعلومات التى سمعوها والآراء الدينية والتى استفادوا منها.

acquired concepts on one hand, and political democracy and its related rights and freedoms on the other hand.

The Factors Leading to the Emergence of Globalism

Basically, 'Globalism' is an economical phenomenon that appeared in the middle of the 1980s. At that time, the old world system was still existent, and the Soviet Union was still there, not to mention the cold war. Then, such a phenomenon began to prosper after the fall of the Soviet Union, the disunion of the Eastern Block and the end of the cold war, for nothing remained in the arena except one leader, namely the United States of America and its allies from among the Western capitalistic countries. At that time, some of the American thinkers started attacking the other civilizations, especially the Islamic and Chinese, to the degree that some of those thinkers deemed them as enemies taking the place of the Soviet Union that collapsed. As a result, there appeared series of articles and books talking about the conflict of cultures and end of history, and that Islam would be their new enemy that should be fought and eliminated from existence.

Hereupon, "Globalism is not a theory, rather it is a phenomenon that expresses a new fact formed in the past decade, represented in establishing the international enterprises, preparing the economy of the country to enter competition, opening the borders before individuals, technologies and capitals, founding the World Trade Organization (WTO) and putting its conditions that must be followed by the countries wishing to enter the international market, witnessing the communication revolution, the Internet and the satellite channels, and finally the predominance of only one major power, the United States."

Globalism and Universalism

Some thinkers confuse between globalism and universalism, for the presence of some similarity between them

in the meaning, content as well as the cultural dimension borne by each of them.

On the one hand, the cultural universalism of a certain nation means that this culture has developed, grown and advanced to reach the universal level, yet it maintains its intrinsic qualities and special identity. Hence, the world praises it and values its particularity, and thus it becomes a universal culture.

On the other hand, the cultural globalism refers to a view that emerged strongly and determinedly after the fall of the Soviet Union in the early 1990s, when the United States began to assume military, economical and informational sovereignty. Originally, such a view would call for unifying the cultures of nations in the melting pot of Universalism, so as it would represent the ideal model that all the various cultures would aspire to deal with and take as an example.

In fact, there are three main reasons that have pushed Globalism towards achieving the Western sovereignty, especially that of the United States:

1- The fall of the Soviet Union and its communist allies against the Western Capitalism.
2- The rapid, successive technological changes which enabled the United States to dominate over the international technology and information market.
3- The dominancy of the US economy throughout the world via the giant multi-national companies. This enabled it to form a new world system in economy, trade and world banks, which helped spreading the American capitalistic values all over the world.

To conclude, Globalism is an attitude that attacks any kind of values, whether the religious, national or religious-human. It is an economical concept in the first place that expresses denying "the Other."

makes the South worry: The articles saturated with submissive dependence to the Western traditions contradictory to the manners of Islam are countless; the rebellion against virtues and morals finds supporters; and the regional sectarianism finds a fertile environment to divide the Islamic nations under the slogans of nationalism and racism aiming at nothing but to weaken the relations and ties within the one nation.

All this had to be confronted by a counter-attack at the hands of a group of the believers who would confute the false ideas and claims. For this reason, the Muslim Youth Organization undertook the role of spreading awareness through delivering weekly lectures to expose the methods of disintegration. Ajaj heard about the activities of the organization and what it could do to Palestine, so he promised to establish branches for it throughout Palestine. Few weeks later, the Grand Mufti of Palestine, Muhammad Amin Al-Husayny, responded to the request of Ajaj, so they managed to found several branches of that rising organization all over Palestine. Fortunately, many of the various lectures delivered at those branches were published at "*Al-Fath*" magazine. In case such words were collected, they would represent a living piece of history.

The overall view encompassing all the Islamic world was perceived by that struggler. It is of Allah's Grace and Favor towards the Muslim Nation that He sends people who suffer the agony of every evil event befalling this nation. This is because they know that Islam is one nation and the political barriers are man-made, for Allah's religion clearly states:

{Surely the believers are only brothers}(Al-Mujurate' (The Apartments):10

*Globalism from the Islamic Point of View
By: Dr. Muhammad Ibrahim Al-Fayoumy

After the withdrawal of the crusaders from the Islamic countries in 1291 A.D., the minds of the Europeans grew wide open to know about numerous problems widespread in their countries and communities and nonexistent in the Islamic countries they tried to invade. Among such problems were the negative aspects and acts practiced by the European Church and its men as well as the extensive power she enjoyed. Moreover, the theological ideas began to collide with the scientific discoveries that appeared later. The Church began to be severely criticized by the philosophers, writers, and thinkers. Furthermore, many writings began to attack the clerks and bishops, and the European Church as well as the Sacred Book accusing it of contradicting reason, and proving the deviation of the European Church.

After the fall of the Christian culture, the new materialism and the Western secular culture appeared to existence. This was accompanied by the appearance of the liberal thinking with its two main aspects, the political and the economical, then Martin Luther undertook the religious reformation movement.

Naturally, skepticism and atheism appeared when the role of the Church retreated and the flag of religious reformation flew. Consequently, there was nothing sacred, and the mind had to search anew for the truth. In that era, the phase of skepticism and atheism appeared, and the religion was isolated from the country affairs, which led to non-adherence to the religious beliefs.

In this connection, two newborns were raised in the lap of Capitalism, which represented the most valuable achievements of the human community for the sake of advancement: modernity and its intellectual, scientific, and technological

---

*An Article Published (In Arabic) At Al-Azhar Magazine.

Ajaj Nuwayhid
The Tongue of the Arab Case
By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

Among those who shall be shaded by Allah on the day when there will be no shade but His is the one who grows up while worshipping Allah. Mistakenly, some people believe that worship is confined to only prayer and fasting and what is related to them of remembrance and glorification, but they do not know that the true worship is the serious work of correcting the Muslims, calling towards aware attentiveness, urging the Muslims to adhere to their rights and guard their dignity as well as exhorting them to guarantee the independence of their country.

The energetic young man, Ajaj Nuwayhid, was provided with this true concept of worship. Since he finished his education in Lebanon at the age of nineteen, he dedicated his effort to wake the Arabs in particular, and all the Muslims in general. At that time, he joined work at the Syrian newspaper "*Al-Qalam*" (The Pen) to write on the imperialistic political dilemmas. His writings were coming from a critical mind that perceived schemes plotted to eliminate Arabs and Islam. Such plots would entrap some of the Muslims and Arabs not knowing of the traps they might blindly walk to. I wish they could know the reality behind such malicious schemes, but unfortunately, the temptation of prestigious position and wealth would drive them to walk gladly in the procession of the enemy.

For two years and half a year, that young man kept fighting at "*Al-Qalam*" newspaper until the collapse of the Faysali rule in Syria. Therefore, Ajaj Nuwayhid preferred to leave Syria heading for Palestine away from the predominance of the French. However, Palestine at

that time, began to suffer the first flames of the malicious Zionism supported by the British Commissioner, so the Muslims, under the leadership of Hajj Muhammad Amin Al-Husayny, stood to fight such an aggression as much as they could.

Here, Ajaj Nuwayhid started to exert his utmost in fighting the Zionistic invasion. His continuous reading of the Western newspapers and the writings of the Western politicians would convince him that those people were plotting to usurp the whole of Palestine. He realized that his positive role should be directed towards warning the deceived of such falsified facts. Thus, he began to travel from a town to town warning the people. Then, he realized that the case was too big to be confined to a sermon being preached at mosques or a word being said to students at schools; rather, specific halls and meeting rooms should be prepared at the major cities and towns of Palestine, such as Nabulus, Ram Allah, Jericho, Jerusalem, etc. to warn people of what awaited them of disasters. But how such halls and meeting rooms could be prepared in a condition that would not annoy the British Commissioner so that he might not get the opportunity of arresting many of the innocent!

Ajaj came to know that an Islamic organization was recently founded in Egypt under the name "The Muslim Youth Organization" and that it would cooperate with those who adopted its ideas and views all over the Islamic countries. Upon knowing that, he hurried to Egypt and sought to meet its founder, the great Islamic caller Muhibud-Din Al-Khatib, the owner of "*Al-Fath*" (The Opening) newspaper. In Egypt, Ajaj listened to the message of the organization conveyed by Muhibud-Din Al-Khatib who said, "In Egypt, the political parties fight about the issue of imperialism and just call for achieving independence. However, this is not enough to face an imminent danger, for the missionary works spread what

martyrs who fell as victims of this painful event, they are in the Paradise of their Lord:

> {Those are with the ones whom Allah has favored, of the Prophets and the ones constantly sincere and the martyr-witnesses and the righteous; and the fairest escorts those are!} (Al-Nisa' (Women): 69)

Two weeks after the earthquake, the rescue men still search for thousands of survivors throughout the rugged hills north to Pakistan. It is expected that the area is going to witness much worse weather with the beginning of the icefall season. There is disappointment to the hopes of establishing a huge airlift to carry the survivors, including the injured waiting to receive medical care, to safe places. In this respect, the United Nations demanded the NATO to participate in rescuing those besieged in the mountains by means of establishing an airlift, like the Berlin operation that took place between 1948 and 1949 for the rescue of the people of West Berlin besieged by the Soviet Union at that time. This demand by the United Nations was released by its senior official in charge of the aids. He appealed to the NATO to set up an airlift to rescue the survivors after expressing his resentment against what he described as an insufficient response to the appeal of the Pakistani President Pervez Musharraf to the world community to help his country, facing the most difficult rescue operation ever witnessed by the world.

The response given to the United Nations by the NATO was a total unexpected disappointment. The NATO secretary general, Hoop Scheffer, stated that the NATO was not a humanitarian organization, and that it had a certain framework to play its role just within it. On the other hand, President Pervez Musharraf expressed his deep sorrow as the world nations

disavowed their commitments and shunned from providing such urgent aids, particularly, the Western nations and their organizations.

In a speech to the BBC, President Pervez Musharraf said, "In order to face the current human catastrophe, my country needs 5 billion dollars at least, where we have received just 620 million dollars up till now, which is an insufficient amount at all." Finding no other means, the Pakistani army had to use beasts of burden to carry food, coverings and tents to the besieged areas, with the hope to provide shelter for those afflicted before the coming of the bitter winter of the Himalaya.

The UN secretary general Kufi Anan urged to hurry offering the needed aids because, according to what he said, tardiness would cause the isolated area to be mass tombs. Further, the UN rescue co-coordinator Gusber Fond stated, "The aids presented up till now represent but a drop in the ocean."

The rescue workers who reached the isolated area said that many of the injured died. If they had been offered immediate treatment, they would have been rescued. It is worth mentioning that the Turkey Prime Minister Recep Tayyip Erdogan paid a visit recently to the afflicted area at the region of Kashmir. He declared that his country will offer 150 million dollars as a contribution to the rescue works. Accordingly, Turkey is considered the country offering the largest aid to those afflicted by the earthquake in

geological point of view, such depth is considered near the surface. Thus, its effect was felt on a wide scale. A series of vehement aftershocks were recorded following the initial earthquake, which came to increase terror among the inhabitants of large cities in Pakistan.

The Pakistani Minister of the Interior declared that the earthquake obliterated several villages as a result of the earth collapse, some buildings collapsed within various cities, the telephone and mobile networks were damaged, the transport movement stopped at the north of the country due to the earth collapses, and the bad weather conditions. All that led to delaying the rescue actions.

A senior official in the Pakistani army declared that the earthquake wiped off the map a whole generation, as children were the age category most affected by the earthquake. Pakistani President, Pervez Musharraf rushed to visit the afflicted areas. He declared that the earthquake should be considered a trial for the Pakistani nation. He expressed his confidence in the ability to face its aftermath.

Major General Shawkat Sultan, the spokesman on behalf of the Pakistani President, declared that there was a great number of casualties but the exact number could not be determined up till now. He added that the areas most affected were Manasarah and Muzaffârabâd as well as their surroundings. These two areas are mountainous and lie to the north of the country. The aid and rescue operations began immediately, and the military helicopters were assigned to carry the wounded.

Among the catastrophes caused by the earthquake was the destruction of two schools in the northwest region, whereupon 400 children died. Moreover, at the capital Islamabad as well as other Pakistani cities, numerous inhabited buildings collapsed, which resulted

in the fall of several casualties as well as the besieging of dozens beneath the debris.

The countries of the world, including the Arab Republic of Egypt, upon the instructions of President Mubarak, rushed to help Pakistan. They offered aids included coverings, tents, foods, medicine, medical missions, and rescue and help divisions. The Pakistani rescue divisions rushed in an attempt to pick up the alive from underneath the debris of the collapsed buildings. There is no doubt that the catastrophe had an immense impact, as whole cities and entire villages were devastated, including Muzaffârabâd, the capital of the Pakistani moiety of Kashmir. The Pakistani minister of Kashmir affairs declared that half the area of Kashmir belonging to Pakistan was badly afflicted. He stated that half the population of the area, 2.4 million persons, were harmed by the earthquake.

A week after the earthquake took place, there were reports stating that the number of those died reached about 54,000, and that the number of the injured reached more than 80,000.

Despite all that, that trial drew the two neighbors, Pakistan and India, nearer. India declared that it prepared three camps to receive those afflicted by the earthquake at Pakistan. On the other side, Pakistan accepted the Indian initiative which reflected humanitarian sympathy. We hope that this may have its effect in the future to bring back rapport between the two nations, especially when we know that the afflicted region divided between the two nations is the bone of conflict between them since a very long time, as they have not reached a solution accepted by both parties yet.

Here we can but say to our brothers in Pakistan that their misfortune is ours. We are so depressed for them that we need to be consoled as them. As for the

AL-AZHAR MAGAZINE

Dhul-Qaedah, 1426 A. H.

ENGLISH SECTION

December. 2005

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

We Believe in the Devine Decree: the Good as well as the Bad....!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

While the blood of Muslims is being shed heavily due to the foreign interference in Iraq, Afghanistan, and Palestine, the Muslims stand helpless against preventing such a blood bath. They even have no means to bandage their wounds, not to mention the plots schemed against Iran, Syria, Lebanon and other Muslim countries, with the aim of entrapping them and causing them to fall in blood bathes.

While the Islamic world is experiencing such an intricate tragedy, there is a Muslim country being afflicted with events much more depressive. We mean Pakistan whose northern area has been afflicted with a ruinous earthquake. It has extended to afflict both India and Afghanistan but with a lesser degree. The degree of that disastrous earthquake reached 7.6 on the Richter scale. You can just imagine what the results are! It has resulted in extreme damage both on the human level as well as the material one, as whole villages have been vanished due to the earth collapse resulting from the earthquake. In addition, there have been thousands of casualties.

The meteorological agency in Pakistan announced that the earthquake, which took about one minute, took place at 3:50 a.m. according to GMT, corresponding to 5:50 a.m. in Cairo. It happened on Saturday 5th of Ramadan 1426 A.H. (8/10/2005 A.D.). The earthquake has struck the area of Kashmir lying north to Pakistan, 95 kilometers northeast to Islamabad, the capital.

The international meteorological agencies declared that the center of the earthquake was at dozens of kilometers from the surface of the Earth. From the

الفهـــــرس

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

المشرف العام

الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

رئيس التحرير

أ. د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

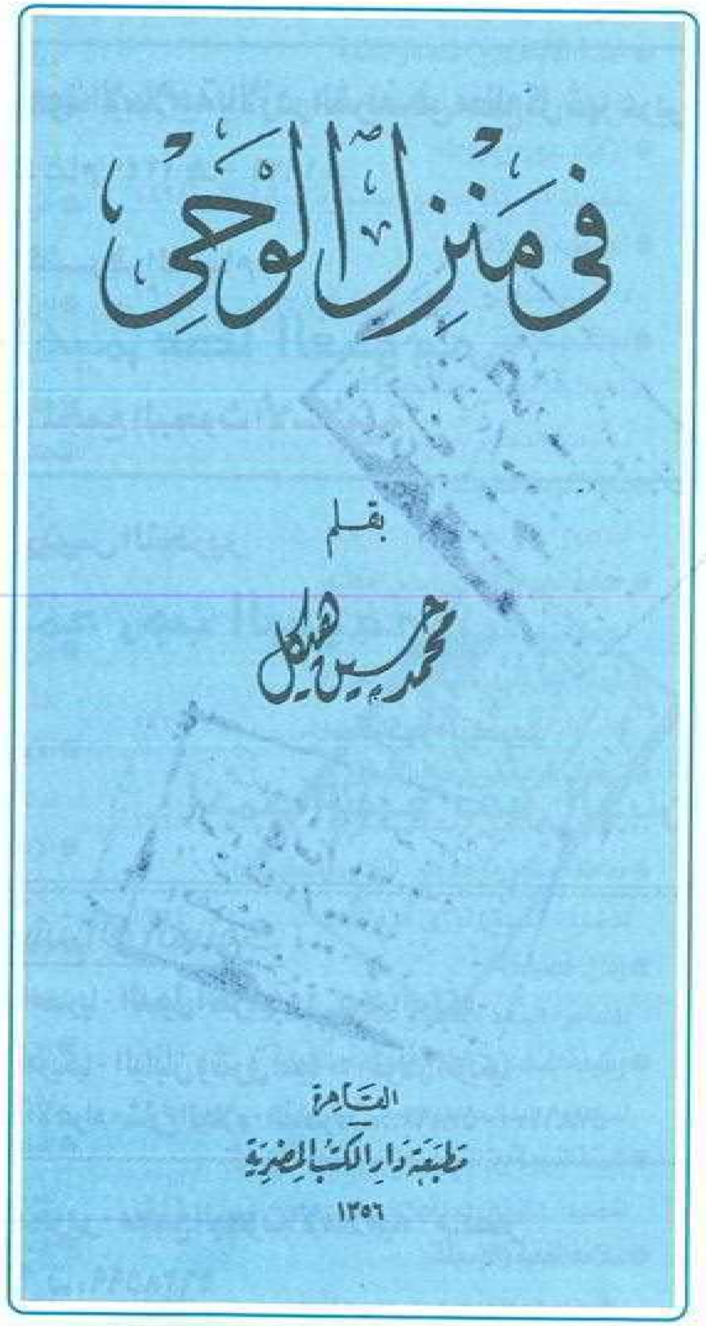
المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩٠

ذى الحجة ١٤٢٦هـ - يناير ٢٠٠٦م - الجزء الثانى عشر - السنة الثامنة والسبعون

افتتاحية العدد

قراءة فى كتاب:



أما وصفُ مشاهد الحج، ومشاعرُ الحجاج نحو بيت الله، وقوافلهم من المشاة والرُكبان، وهُتافهم بالتكبير مُحْرِمين، فمما لا يندرج تحت وصف، وذلك كله وحىُ قلب صادق اليقين، وحىٌ يجب أن نستعيده كما نستعيد الشعر الرائع، وليت شعرى ماذا ينقصه عن الشعر غير القافية والوزن، وهما لا يحجبان - إذا غابا فى دنيا النثر - ما يتأجج من مشاعر حساسة نابضة بأسمى المعانى !. لماذا لا يتخذ من أمثال هذه الصحف الخوالد نماذجُ نثرية لطلاب المدارس فى مختلف السنوات ؟. لماذا لا يكون للأدب الدينىّ المرتفع بعاطفته وصدق اتقاده مكانه جوار صحائف الفخر والغزل والهجاء، إنّ الطالب الناشئ لو قرأ بهداية الأستاذ الواعى نماذج من هذه الصفحات، فسيرتفع مستواه روحًا وتعبيرًا، وسينسى لوقت طويل ما ابْتُلى به من قصص التبذُل والإسفاف.


محمد حسين هيكل

وتسألنى عن هذا الوهج المشتعل فى كتاب يتحدث عن رحلة قام بها ملايين الناس منذ فرض الحج فى شريعة الإسلام، فأقول: إن الذى يرقُب اتجاه الدكتور هيكل الفكرى منذ امتشق القلم يراهُ صادقًا فيما بينه وبين نفسه، حيث درس الثقافتين الفرنسية والإنجليزية فى عهده الأول، وعرف من شئون الغرب أكثر مما يعرف من شئون الشرق، وفرنسا وانجلترا بالذات كانتا تستوليان على العقول المصرية فى مطلع هذا القرن لأن البعثات التعليمية الحكومية تتجه وجهتيهما دون العواصم الأخرى فى أوروبا، وقد عاد هيكل يحملُ درجة الدكتوراة فى القانون، ولكنه فى الوقت نفسه قد تضلع بالأدب الفرنسى تضلعًا كبيراً، وكتب رسالة عن المفكر الفرنسى «جان جاك روسو»، متشبعًا بآرائه التربوية والاجتماعية، وقد أراد أن يتجه وجهة الإصلاح فى مصر جاعلاً النمط الأوروبى نموذجه المختار، فأخذت كتاباته فى عهد الشباب تُمجد كل ما هو غربىّ، وتنعى على تأخر البلاد الشرقية بعامةً، ومصر بخاصةً، ثم رأى الغربيين يفتخرون بتراثهم الحديث !. ولا شىء لمصر من مثل هذا التراث، فعزّ عليه أن يبقى بلده عاطلاً دون مجد، فاتجه إلى التراث الفرعونى إذْ به ما يشبع عاطفته الوطنية حين كانت مصر مهد الحضارة، فأخذ يكتب عن الفرعونية، وكأنها وسيلة للبعث الحيوى، وتابعه فى ذلك نفرٌ ممّن يتجهون وجهته، ولكنّ الصدى المتجاوب لهذه الدعوة كان من الضآلة بحيث لم يستجب له أحدٌ، فعرف أن الأمد البعيد بيننا وبين مصر القديمة قد قطع ما يرجو من اتصال، ثم نظر جهةً أخرى فوجد البلاد الأوروبية العريقة التى تتغنى باسم الحرية والإخاء والمساواة كاذبةً فى ادعائها، فهى تُقصر هذه المبادئ على الأوروبيين وحدهم، أما بلاد الشرق فهى ميدان الاستعمار والابتزاز وسلب الثروات بَغْيًا دون حق، وزاد الأمرُ تعقيدًا فى رأيه أنّ عصابات التبشير بالمسيحية أخذت تجوب الديار المصرية لتسيطر على المسلمين؛ أين مبادئ الحرية وحُرمة الأديان وخرافة الإخاء والمساواة؟!. هنا راجع الرجل خُطّته، وعرف أن الهيام بالفرعونية وهمٌ، وأن ما تسمى بالحضارة المدنية فى أوروبا حديث خداع وتغرير، وهنا انبثق النور أمام عينيه، فرأى أنّ مصر وأخواتها لا اعتزاز لهم إلا بالعروبة والإسلام، فأعلن رأيه الذى اهتدى إليه فى شجاعة، ونَدَّد به خصمان مختلفان، خصمٌ يراه قد نزع رداء الغرب وهو موضع رجائهم الكاذب، وخصمٌ يراه يتمحك بالتاريخ الإسلامى تَشَيعًا للجماهير العريضة دون

اعتقاد، وكلا الخصمين مخطئ ويعلمُ خطأه ولكنه يُصر!!.. إن الرجوع إلى الحق من أسمى الفضائل يا قوم، فَلِمَ تُنكرون على الرجل اهتداءه بمصباح اليقين؟!.

يقول الدكتور هيكل فى «منزل الوحى» ما نصه[1]:

«لقد حاولت أن أنقل لأبناء لغتى ثقافة الغرب المعنوية وحياته الروحية لنتخذهما جميعًا هُدًى ونبراسًا، ولكنى أدركت بعد لأىٍ أننى أضعُ البذر فى غير موضعه، فإذا الأرض تهضمه ثم لا تتمخض عنه، ولا تبعث الحياة فيه، وانقلبتُ ألتمس تاريخنا البعيد فى عهد الفراعين موئلاً لوحى هذا العصر ينشئ فيه نشأة جديدة، فإذا الزمن، وإذا الركود العقلى قد قطعا ما بيننا وبين ذلك العهد من أسباب قد تصلح بذراً لنهضة جديدة، ورَوَّيت فرأيت أن تاريخنا الإسلامى هو وحده البذرُ الذى يُنْبتُ ويُثْمر، ففيه حياة تحرك النفوس، وتجعلها تهتز وتربو، ولأبناء هذا الجيل فى الشرق نفوسٌ قوية خصبة تنمو فيها الفكرة الصالحة لتؤتى ثمرها بعد حين».

هذا ما أعلنه الدكتور فى مقدمة كتابه «فى منزل الوحى» لم يعلنه فى كتابه السابق «حياة محمد» إذ كانت شواغل التفكير فى المستقبل الإنسانى للبشرية تتجاذبه دون أن يقف على صخرة صلبة، وقد واصل التفكير ولم يفتر حتى اهتدى إلى الحل الإسلامى فأعلنه فى كتابه الكبير.

والبحوث التاريخية التى تتخلل «فى منزل الوحى» لم يسُقها الدكتور لأدنى مناسبة. ولكنه بعد أن أفاض فى تفصيلها فى كتابه «حياة محمد» رأى أن يلتمس المناسبة فى زيارة البيت الأمين، ليكرر ما قال بأسلوب جديد، لأن المكان والزمان قد تلاقيا معًا أمامه فى مكة والمدينة، وللمكان عبقٌ عاطر يملأ رئتيه فينقله سريعًا إلى الزمان المجيد، على أن هدفه الأمثل فى هذا الاتجاه هو إيقاظ الإنسانية جميعًا لا المسلمين وحدهم بصوت الإسلام، إذ فى كل وقفة من وقفات نبيه ﷺ ما ينقذ البشرية جمعاء من السقوط، ومن ثمّ فلا مانع من أن يتكرر تصوير بعض هذه الوقفات فى كتاب «فى منزل الوحى» إذ الهدف الإنسانى منها أبعدُ وأقصى من أن ينحصر فى حيز خاص، أو فى المسلمين وحدهم، دون السعى إلى إعلام مَنْ لا يعرفون مبادئ الإسلام، أو يعرفونها مُزيفة مُدلَّسة بأيدى المبشرين والمستشرقين.

---

(1) فى منزل الوحى ص ٢٣.

يقول الدكتور هيكل:[2]

«من أجل هذا [هداية الإنسانية جمعاء] كان جديراً بكل من يتصدى للبحث فى مثل هذا الموضوع [حياة الرسول وأمجاده] أن يتوجه به إلى الإنسانية كلها، لا إلى المسلمين وحدهم، فليست الغاية الصحيحة منه دينية محضة، كما قد يظن بعضهم – بل الغاية الصحيحة، أن تعرف الإنسانية كيف تسلك سبيلها إلى الكمال الذى دلَّها عليه محمد ﷺ – وإدراك هذه الطريقة غير ميسور، إذا لم يهتد الإنسان إلى هذا السبيل بمنطق عقله، ونور قلبه، راضى النفس بهذا المنطق، منشرح الصدر إلى هذا النور لأن مصدرهما المعرفة الصحيحة والعلم الصحيح».

لم أسُق هذا النص الواضح استطراداً، بل لهدف معين، هو أن يعرف بعض الذين أنكروا على الدكتور هيكل فى كتابيه الجليلين إغفال بعض المعجزات الحسيَّة، أنه لا ينكر هذه الحسيَّات، ولكنه يُخاطب الإنسانية جمعاء، (وفيها خصوم الإسلام) بما لا يُصادف فى أذهانهم أىّ اعتراض!. فالذين تابعوا شيخ الإسلام الجليل العلامة الشيخ مصطفى صبرى – رحمه الله فى حملته على الدكتور هيكل لأنه تجاهل بعض المعجزات، عليهم أن يعلموا أن إغفال هذه المعجزات الحسيَّة لا يعنى إنكارها، ولكنه استدراجٌ لنفوسٍ تتلمس كلّ شك فى أمور الإسلام، ليقطع عليها هذا الشك!. ومتى فُهِم ذلك على وجهه، فلا داعى للصخب المفتعل، وادعاء الغيرة على سيرة الرسول ﷺ فى وجه مَنْ؟. فى وجهِ مَنْ قدَّم أنصع الصُحُف الخالدة فى هذا العصر عن حياة الرسول!.

وفى ختام كتاب «فى منزل الوحى» فصلٌ رائع تحت عنوان «بين الحياتين المادية والروحية» ألمح فيه الكاتب إلى ما أصاب المسلمين من تأخُرٍ فى عُصور الجمود، حين أوصِدَ بابُ الاجتهاد، وكثُرت الخلافات فى الفرعيات، على حين ازدهر العلمُ الأوروبى بفتوحاته التى مهدت له سبيل التقدم الحضارى، منتقلاً إلى ما توهمه بعض العلماء من أنّ مقررات العلم هى كل شىء، وأنّ ما وراء المحسوس شىء لا وجود له، وهو توهُّمٌ عصف بالمعانى الإنسانية الرفيعة، وجعل الناس يعيشون فى غابة ذات افتراس، حيث يأكُل القوى الضعيف، ولعلاج هذا الداء الوبيل لابد ألا يكون العلمُ المادىّ وحده فى الميدان، بل لابد من المددِ الروحى عن

---

(2) حياة محمد ص ٥٩ ط ٢.

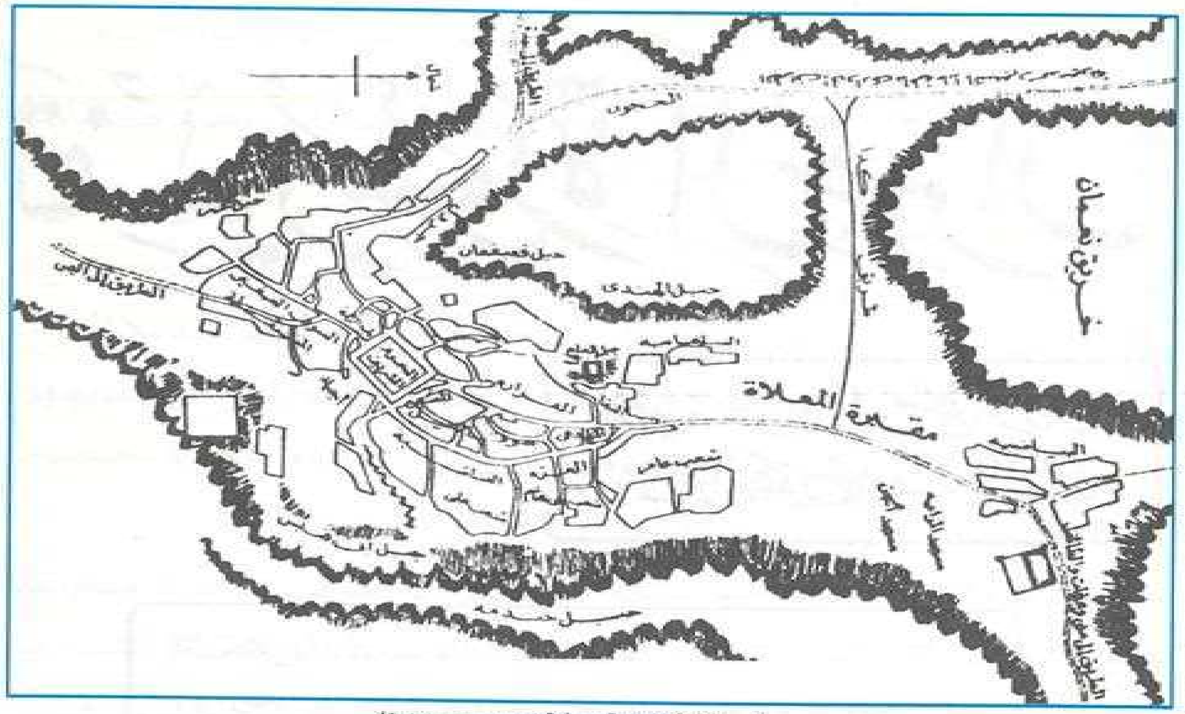
طريق الإلهام، وبالإلهام البصير، وبالتجارب العلمية الواعية يعيش العالم فى انسجام مع نفسه، حين يضمن ثمرات العلم المادية، ومعها إنسانية الروح ذات المغزى الخلقى فى رعاية آداب السلوك الإنسانى. وإذن فلم يبق مَفَرّ ـ كما يقول الدكتور هيكل(٣) «من تضافر مقررات العلم ومقررات الإلهام لتنظيم شئون الحياة، ولا مفرّ من الإحاطة عن طريق العلم والإلهام جميعًا بحياة الكون إلى غاية ما ندركه من مدى الزمان والمكان.... فضياءُ العلم يهدينا إلى التجارب العملية ذات النتائج الحاسمة فى الكشف العلمى، وضياءُ الروح يهدينا إلى وحدة الكون، ووحدة الحياة فيه، مع أنّ الناس يستجيبون بطبيعتهم إلى الدعوة الروحية لأنهم يبتغون الحق بفطرتهم، ولولا ما يَمُدّ لهم دعاة المادة من أسباب الضلال إذ يغرونهم بمتع الحياة، لآمن كلّ إنسان بأن واجبه الأول أن يهدى غيره طريق الحق، ولتقاربت الأمم بدل أن تتباعد، ولكانت خُطى الإنسانية فى سبيل الكمال أهدى سبيلاً».

هذا مُصاصُ ما يهدى إليه كتاب «فى منزل الوحى» من اقتداء بسيرة الرسول، وبعثٍ لتعاليم الإسلام، وتمسكٍ بالروحية جوار المادية، ونشرِ مبادئ الإسلام الهادية إلى أقوم طريق..

وأقول للذين أكثروا من النقل عن شيخ الإسلام مصطفى صبرى ـ رحمه الله ـ بشأن كُتُب الدكتور هيكل، إنّ لكُلٍ وجهةٌ هو موليها، وإنّ هناك مَنْ لا يقلُّ مكانةً عنه، هو الأستاذ الإمام محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر الأسبق قد قدّم كتابُ «حياة محمد» تقديمًا علميًا سديدًا، كما كتب عن كتاب «فى منزل الوحى» مقالةً بليغة بمجلة الإسلام الصادرة فى ٤/٣/١٩٣٨، كانت على إيجازها بالنسبة لما كتبه عن «حياة محمد» مفصحة عن تقدير كبير لكتاب «فى منزل الوحى»، ولعلّ الإمام الأكبر لم يُطِل فى حديثه عن هذا الكتاب كما أطال فى حديثه عن «حياة محمد»، لأنه فى «حياة محمد» كان يكتب مقدمة، أما فى حديثه عن «فى منزل الوحى» فكان يكتب انطباعاته الخاصة بعد أن طُبِعَ الكتاب، وتلقفته أيدى القراء، وقد قال بعد مقدمة حافلة أشارت إلى كثير من موضوعات الكتاب الهامة:

«وقد نجح فى محاولاته العلمية الموجهة لتمحيص ما نسج حول الآثار والمناسك من الأساطير كبناء الملائكة للبيت، وعقيدة العامة فى رمى الجمرات، فقد تلطف فى علاجها حتى توصل إلى الحض على التماس العبرة والثورة على طوائف المسلمين لبعدهم عن الأخذ بما

(٣) فى منزل الوحى ص ٦٣٤.



خريطة لمكة المكرمة بريشة محمد حسين هيكل

توحيه هذه المواقف الدينية من الأسوة الحسنة، ومثل ذلك ما تفرق فى تصانيف الكتاب من الفصول المطولة فى الأدب والأخلاق والاجتماع، وحسن العرض لهذه الموازنات بين الشعوب الإسلامية فى عجزها عن النهوض إلى مساماة غيرها من الأمم الراقية فى تلك الآداب، والاستطراد من ذلك إلى ما يراه علاجًا شافيًا لهذه الأمراض الاجتماعية حتى يعود للإسلام ما كان له من عظمة ومجد، وللمسلمين ما كان لهم من مهابة وعزة.

إلى أن قال الإمام الأكبر: وذلك عدا ما انتظمته فصول الكتاب من الجهارة الصريحة فى إعلان الرأى، وإنارة السبيل إلى العمل، بتوزيع المذاهب المختلفة، على ابتغاء الأمثلة العليا فى الحياة مع الشروح الكاشفة، والتصوير الدقيق لتلك الآثار التاريخية، ليرجع إلى ذلك كله الرحالون من أهل التنقيب، وطلاب الفائدة من أهل العلم، لضرورة النظر فيما استودعه من جهد أدبى، ودراسة بالغة إلى التقدير، ومستوجبة لجميل الذكر والإطراء».

وما أظن الذين يتمحلون الأسباب لنقد بعض الآراء أشدّ غيرة على الحقائق العلمية من إمام كبير كالأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغى ـ رضى الله عنه ـ وأكرم مثواه.

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى:

﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

الآيات: ٨٦ : ٨٩

روى المفسرون روايات فى سبب نزول هذه الآيات الكريمة منها ما أخرجه النسائى عن ابن عباس قال: إن رجلاً من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم ندم؛ فأرسل إلى قومه: سلوا لى رسول الله - ﷺ - هل لى من توبة؟ فجاء قومه إلى رسول الله - ﷺ - فقالوا. هل له من توبة؟ فنزلت هذه الآيات، فأرسل إليه قومه فأسلم.

وعن مجاهد قال: جاء الحارث بن

سويد فأسلم مع النبى - ﷺ - ثم كفر الحارث فرجع إلى قومه فأنزل الله هذه الآيات. قال: فحملها إليه رجل من قومه فقرأها عليه. فقال الحارث: إنك والله - ما علمت - لصدوق، وإن رسول الله - ﷺ - لأصدق منك، وإن الله - عز وجل - لأصدق الثلاثة، قال: فرجع الحارث فأسلم فحسن إسلامه وعن الحسن البصرى أنه قال: إنهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، رأوا نعت النبى - ﷺ - فى كتابهم وأقروا به، وشهدوا أنه حق، فلما بعث من غيرهم حسدوا العرب على ذلك فأنكروه وكفروا بعد إقرارهم حسداً للعرب حين بعث من غيرهم[1].

هذه بعض الروايات التى وردت فى سبب نزول هذه الآيات، ويبدو لنا أن أقربها إلى سياق الآيات هى الرواية التى جاءت عن الحسن البصرى بأن المقصود بالآيات أهل الكتاب، وذلك لأن الحديث معهم من أول السورة ولأن القرآن قد ذكر فى غير موضع أن أهل الكتاب كانوا يعرفون صدق النبى - ﷺ - كما يعرفون أبناءهم، وأنهم كانوا يستفتحون به ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ (البقرة: ٨٩)

ومع هذا فليس هناك ما يمنع من أن يكون حكم هذه الآيات شاملاً لكل من ذكرتهم الروايات ولكل من يشابههم، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قال ابن جرير - بعد أن ساق هذه الروايات - ما ملخصه: وأشبه هذه الأقوال بظاهر التنزيل ما قاله الحسن: من أن هذه الآيات معنى بها أهل الكتاب على ما قال، وجائز أن يكون الله - تعالى - أنزل هذه الآيات بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا ارتدوا عن الإسلام، فجمع قصتهم وقصة من كان سبيله سبيلهم فى ارتداده عن الإيمان بمحمد - ﷺ - فى هذه الآيات، ثم عرف عباده سنته فيهم فيكون داخلاً فى ذلك كل من كان مؤمناً بمحمد - ﷺ - قبل أن يبعث ثم كفر به بعد أن بعث، وكل من كان كافراً ثم أسلم على عهده - ﷺ -

(١) تفسير ابن جرير جـ ٣ ص ٤٠ وتفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٧٩.

ثم ارتد وهو حى عن إسلامه، فيكون معنياً بالآيات جميع هذين الصنفين وغيرهما ممن كان بمثل معناهما، بل ذلك كذلك إن شاء الله(٢).

والاستفهام فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾

للنفى ولاستبعاد هدايتهم إلى الصراط المستقيم وهم على هذا الحال من الارتكاس فى الكفر والضلال، مع علمهم بالحق، وإيمانهم به لفترة من الوقت.

والمعنى: أن الله ـ تعالى ـ جرت سنته فى خلقه ألا يهدى إلى الصراط المستقيم، قوماً

﴿ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾

أى ارتدوا إلى الكفر بعد أن آمنوا، وبعد أن

﴿ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ ﴾

وهو محمد ـ ﷺ ـ ﴿ حَقٌّ ﴾ وأنه صادق فيما يبلغه عن ربه، وبعد أن

﴿ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾

أى البراهين والحجج الناطقة بحقيقة ما يدعيه، من قرآن كريم عجز البشر عن الإتيان بسورة من مثله، ومن معجزات باهرة دالة على صدقه ـ ﷺ ـ.

فأنت ترى أن حالهم التى أوجبت هذا النفى والاستبعاد تتمثل فى أنهم كانوا مؤمنين، وكانوا يشهدون بأن الرسول حق، وجاءتهم البينات اليقينية الملزمة التى تؤيد إيمانهم وشهادتهم، ومع كل ذلك استحبوا العمى على الهدى، واختاروا الكفر على الإيمان، واستولى عليهم التعصب بالباطل فأرداهم وحرمهم من هداية الله حتى يغيروا بأنفسهم ويتوبوا عن غيهم، ويصلحوا ما أفسدوه، ويخلصوا وينيبوا إلى خالقهم وبارئهم.

قال صاحب الكشاف: قوله

﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا ﴾

أى كيف يلطف بهم وليسوا من أهل اللطف، لما علم الله من تصميمهم على كفرهم، ودل على تصميمهم بأنهم كفروا بعد إيمانهم، وبعد ما شهدوا بأن الرسول حق وبعد ما جاءتهم الشواهد

(٢) تفسير ابن جرير جـ ٣ ص ٤١.

من القرآن وسائر المعجزات التى تثبت بمثلها النبوة ـ وهم اليهود ـ كفروا بالنبى ـ ﷺ ـ بعد أن كانوا مؤمنين به، وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة إيمانهم من البينات.

فإن قلت: علام عطف قوله ﴿ وَشَهِدُوٓا۟ ﴾؟ قلت: فيه وجهان: أن يعطف على ما فى إيمانهم من معنى الفعل، لأن معناه بعد أن آمنوا. ويجوز أن تكون الواو للحال بإضمار «قد». بمعنى كفروا وقد شهدوا أن الرسول حق»(٣).

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

جملة حالية أو معترضة.

والمعنى: أنه ـ سبحانه ـ قد مضت سنته فى خلقه أنه لا يهدى إلى الحق أولئك الذين آثروا الكفر على الإيمان، عن تعمد وإصرار، ووضعوا الشىء فى غير موضعه مع علمهم بسوء صنيعهم.

وفى تذييل الآية الكريمة بهذه الجملة مع إطلاق لفظ الظلم، إشعار بأنهم قد ظلموا أنفسهم بإيقاعها فى مهاوى الردى والعذاب وظلموا الرسول الذى شهدوا له بأن ما جاء به هو الحق ثم كفروا به، وظلموا الحقائق والبراهين التى نطقت بأحقية الإيمان وبطلان الكفر ثم تركوا هذه الحقائق والبراهين وانقادوا لأهوائهم وشهواتهم ومطامعهم.

وإن الظلم متى سيطر على النفوس أفقدها رشدها وإدراكها للأمور إدراكاً سليماً، وصدق رسول الله ـ ﷺ ـ حيث يقول: «اتقوا الظلم فإنها ظلمات يوم القيامة»(٤).

ثم بين ـ سبحانه ـ عاقبة هؤلاء الظالمين فقال:

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾

قال الراغب: اللعن: الطرد والإبعاد على سبيل السخط، وذلك من الله ـ تعالى ـ فى الآخرة عقوبة وفى الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه، ومن الإنسان دعاء على غيره(٥).

(٣) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٣٨١.

(٤) مسند الإمام أحمد ٢/ ١٣٦.

(٥) مفردات القرآن ص ٤٥١ للراغب الأصفهانى.

والمعنى: أولئك المتصفون بتلك الصفات القبيحة

﴿ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ ﴾

أى جزاؤهم أن عليهم غضب الله وسخطه بسبب استحبابهم الكفر على الإيمان

﴿ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾

أى وعليهم كذلك سخط الملائكة والناس أجمعين وغضبهم، ودعاؤهم عليهم باللعنة والطرد من رحمة الله.

وقوله ﴿ أُولَئِكَ ﴾ مبتدأ. وقوله ﴿ جَزَآؤُهُمْ ﴾ مبتدأ ثان، وقوله

﴿ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ ﴾

إلخ.. خبر المبتدأ الثانى، وهو وخبره خبر المبتدأ الأول.

والآية الكريمة قد بينت أن اللعنة على هؤلاء القوم، صادرة من الله وهى أشد ألوان اللعن، وصادرة من الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وصادرة من الناس أجمعين، أى أن الفطر الإنسانية تلعنهم لنبذهم الحق بعد أن عرفوه وشهدوا به، وقامت بين أيديهم الأدلة على أنه حق.

قال الفخر الرازى ما ملخصه: فإن قيل: لم عم جميع الناس من أن من وافقهم فى كفرهم لا يلعنهم؟ قلنا فيه وجوه: منها أنهم فى الآخرة يلعن بعضهم بعضاً كما قال - تعالى -

﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾

(الأعراف: ٣٨)

فعلى هذا التقدير يكون اللعن قد حصل للكفار من الكفار. ومنها كأن الناس هم المؤمنون، والكفار ليسوا من الناس، ثم لما ذكر لعن الثلاث قال ﴿ أَجْمَعِينَ ﴾. ومنها وهو الأصح عندى: أن جميع الخلق يلعنون المبطل والكافر، ولكنه يعتقد فى نفسه أنه ليس بمبطل ولا كافر، فإذا لعن الكافر وكان هو فى علم الله كافرا فقد لعن نفسه وإن كان لا يعلم ذلك»(٦).

ثم أكد - سبحانه - تلك العقوبة بعقوبة أخرى لازمة لها ما داموا على تلك الحالة الشنيعة فقال - تعالى -

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ ﴾

بسبب إصرارهم على الكفر فى الدنيا، وانغماسهم فيما يغضب الله

(٦) تفسير الفخر الرازى جـ ٨ ص ١٢٧.

﴿ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾

أى ولا هم يمهلون ولا يؤخر عنهم العذاب بل عذابهم عاجل لا يقبل الإمهال أو التأخير بسبب ما ارتكبوه فى الدنيا من شرور وآثام.

ولكن القرآن - مع هذا - يفتح باب التوبة لمن أراد أن يتوب، وينهى الناس عن أن يقنطوا من رحمة الله متى تابوا وأنابوا وأصلحوا فيقول - بعد تلك الحملة المرعبة التى شنها على الكفر والكافرين: -

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

أى: أن اللعنة مستمرة على هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم، وهم خالدون فى العذاب يوم القيامة بدون إمهال أو تأخير، إلا الذين تابوا منهم عن الكفر الذى ارتكبوه، وعن الظلم الذى اقترفوه، وأصلحوا ما أفسدوه بأن قالوا ربنا الله ثم استقاموا على طريق الحق، وحافظوا على أداء الأعمال الصالحة «فإن الله - تعالى - غفور رحيم» أى فإنه سبحانه يغفر لهم ما سلف منهم من كفر وظلم.

ففى هذه الآية الكريمة إغراء للكافرين بأن يقلعوا عن كفرهم وللمذنبين بأن يثوبوا إلى رشدهم وبأن يتوبوا إلى ربهم، فإنه - سبحانه - يغفر الذنوب جميعاً لمن يتوب ويحسن التوبة، فهو القائل:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾

(الزمر: ٥٣، ٥٤)

أما الذين لا يتوبوا ولا يستغفرون ولا يثوبون إلى رشدهم. بل يصرون على الكفر فيزدادون كفراً. والذين يرتكسون فى كفرهم وضلالهم حتى تفلت منهم الفرصة، وينتهى أمد الاختبار، ويأتى دور الجزاء، فهؤلاء لا توبة لهم ولا نجاة.

***

السنة

أحسن الجهاد وأجمله الحج المبرور

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

روى الإمام البخارى فى صحيحه قال: عن عائشة أم المؤمنين «رضى الله عنها» قالت: قلت: يا رسول الله، ألا نغزو ونجاهد معكم؟ فقال: «لكن أحسن الجهاد وأجمله الحج، حج مبرور». قالت عائشة: فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله «صلى الله عليه وسلم».

التعريف بالراوى

السيدة عائشة بنت أبى بكر الصديق، الصديقة بنت الصديق، أم المؤمنين، زوج النبى «ﷺ» وأشهر نسائه، وأمها أم رومان، تزوجها النبى «ﷺ» وهى بكر، وبنى بها وهى بنت تسع سنين بالمدينة.

روت عن النبى «ﷺ» كثيراً، وروى عنها عمر بن الخطاب «رضى الله عنه»، وكثير من الصحابة، ومن التابعين ما لايحصى، توفى عنها النبى «ﷺ» وعمرها ثمانى عشرة سنة، وتوفيت سنة سبع وخمسين، أو ثمان وخمسين، ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، وأوصت أن تدفن بالبقيع ليلاً، فدفنت بعد أن صلى عليها أبوهريرة «رضى الله عنه» ورضى الله عنها وأرضاها.

اللغويات

نغزو ونجاهد معكم: الغزو: القصد إلى القتال، والجهاد: بذل النفس فى القتال.

لكن أحسن الجهاد: أفضل الجهاد .. الحج حج مبرور: مقبول.

الشرح والبيان

إنه -لحكمة جليلة أرادها الذى خلق الأرض وما عليها من قرى ومدن وأقطار- اختار فيها بقعة طاهرة تشرئب إليها الأعناق، وتشخص إليها الأبصار، وتهفو إليها الأفئدة، وتتعلق بها الآمال، وهى مكة، أم القرى، التى بارك الله فيها، وبارك حولها، وأشاد بها فى كتابه الكريم، فقال -وهو أصدق القائلين-:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾

[الشورى/ ٧]

وقال:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

[البقرة/ ١٢٦]

وقال:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾

[إبراهيم/ ٣٥]

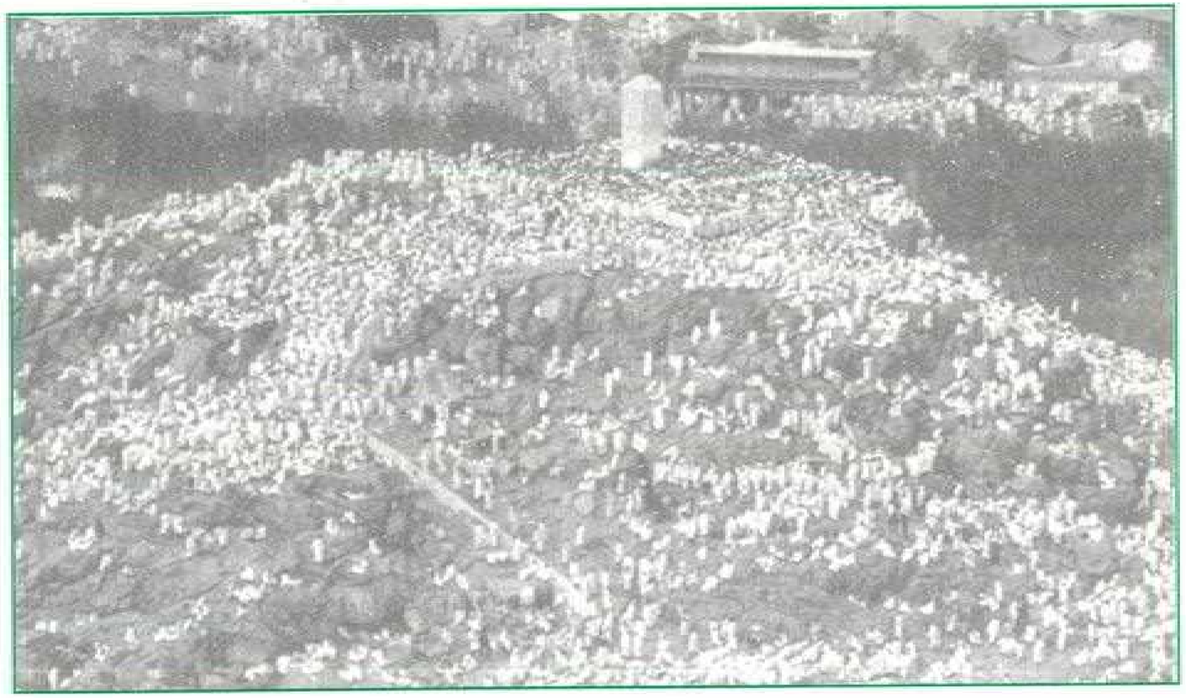
هذا ولما كانت المساجد بيوت الله فى الأرض، يذكر فيها اسمه، ويعلو فيها ذكره، وتنشر من خلالها دعوته- اختار لها مسجداً جامعًا يكون لسائر المساجد إماماً، تشدّ إليه الرّحال، وتشخص إليه الأبصار، رغبة فى أن تكحَل الأعين برؤيته، وتمتعًا بتقليب النظر فى جنبات أقدم مسجد أقيم لله على هذه الأرض، فى المسجد الحرام الذى قال الله فيه:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾

[آل عمران/ ٩٦، ٩٧]

فعلى كل مسلم -ذكر أو أنثى- عاقل حرّ مستطيع عالم بوجوب هذه الفريضة- أن يؤديها مرّة فى العمر، أما الزيادة على حجة الإسلام فتطوع، فعن أبى هريرة «رضى الله عنه»، قال: قال رسول الله -ﷺ-: «يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا». فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت -ﷺ- حتى قالها ثلاثاً، فقال ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم» ثم قال: «ذرونى ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه»(1).

(1) رواه مسلم والترمذى والنسائى.



هذا وقد قرن الله بهذا البيت الأمن والخير، واليمن والبركة، قال تعالى:

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾

قريش / ٣، ٤

وقال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾

العنكبوت / ٦٧

وقد توعد الله (عزّ وجل)، من يريد ظلماً فى هذا البيت بالعذاب الشديد، والعقاب الأليم، قال تعالى:

﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

الحج / ٢٥

وحسب هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً أن الله -عزّ وجل- أضافه إلى نفسه، قال «عزّ من قائل»:

﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾

[البقرة/ ١٢٥]

فالبيت بيت الله «عز وجل»، والحجاج وفده وضيوفه، فعن جابر بن عبدالله «رضى الله عنهما» -كما فى شعب الإيمان- قال: «وفد الله ثلاثة: الحاج، والمعتمر، والغازى، أولئك الذين يسألون الله فيعطيهم سؤالهم.

هذا وقد جعل الله البيت العتيق الكريم

قبلة للمسلمين فى كل مكان يعيش فيه مسلم على ظهر الأرض، وهذه القبلة رمز الوحدة، ومنارة التوحيد، قال تعالى:

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾

[البقرة/ ١٥٠]

فالحج ركن عظيم من أركان الإسلام، وهو من أفضل الأعمال التى يقدمها المرء طاعة لربه، وزلفى لخالقه، فقد روى الإمام البخارى عن أم المؤمنين عائشة «عليها الرضوان» أنها قالت: يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: «لا، ولكن أفضل الجهاد حج مبرور»، وذلك لما يترتب عليه من التزام لمنهج الله، وكيف لا؟ والحج رمز لاستسلام الإنسان لخالقه ومولاه إذ بلغه أمر الله بواسطة رسوله الكريم «ﷺ»، كما أنه رمز على ارتباط هذه الأمة بأبيها إبراهيم «عليه السلام»، حيث تحيى شعائره، وتطوف بالبيت الذى بناه، كما أنه رمز على وحدة الأمة الإسلامية، بصرف النظر عن اختلاف الأجناس والألوان والأقطار، لأن وحدة المسلمين نابعة من عقيدتهم ودينهم وشريعتهم، كما أن الحج مظهر عملىّ للمساواة بين الشعوب إذا دخلت فى الإسلام.

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

[الحجرات/ ١٣]

وعن جابر بن عبدالله «رضى الله عنهما» قال: خطبنا رسول الله «ﷺ» فى أواسط أيام التشريق خطبة الوداع، فقال: «يا أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربى على عجمى، ولا لعجمى على عربى، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت؟ قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: «فليبلغ الشاهد الغائب» [رواه البيهقى، وذكره الشيخ الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب، وفى السلسلة الصحيحة].

هذا وأعمال الحج كلها تشير إلى أهداف إسلامية إنسانية رفيعة، فالإحرام -بما فيه من التجرد من المخيط والمحيط- يلغى الفوارق بين الناس، فلا تفاوت فى الأنساب، ولا تفاوت فى الأقدار، ولا تمايز إلا بالتقوى والعمل الصالح، فالإسلام يسوّى بين أتباعه، ويحطّم العصبيات المريضة، وهذه المساواة تذكّر بيوم البعث والحساب، قال تعالى:

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾

[المؤمنون/ ١٠١]

تباركت يا رب الحجيج جمعتهم
لبيت طهور الساح والعرصات
أرى الناس أفواجاً ومن كل بقعة
إليك انتهوا من غربة وشتات

تساووا فلا الأنساب فيها تفاوت
لديك، ولا الأقدار مختلفات!

والطواف حول البيت عبادة جليلة لها مغزاها ومعناها، فالطائفون حين يبدأون طوافهم من ركن واحد، الركن الذى به الحجر الأسود، يعلنون عن وحدة الكلمة فى الإسلام، وفى هذا جمع لشتات المسلمين، وانتظام لصفوفهم، وتوحيد لأهدافهم، إذ كل جانب من جوانب هذا البيت قبلة لعدد من الطائفين، يستقبلونه فى البعد، ويطوفون حوله فى القرب، وليس أدعى للنظام، ووحدة الصف من هذا العمل المهيب الجليل.

روى الطبرانى فى الكبير، قال عبدالله بن عمرو بن العاص «رضى الله عنهما»: «طوفوا بهذا البيت، واستلموا هذا الحجر، فإنهما كانا حجرين أهبطا من الجنة، فرفع أحدهما، وسيرفع الآخر، فإن لم يكن كما قلت فمن مرّ بقبرى فليقل: هذا قبر عبدالله بن عمرو الكذاب».

ورفع الصوت بالتلبية من شعائر الحج: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك». وما أروعه من شعار! وما أجمله من هتاف! يردده الحجاج، فيتجاوب الكون كله معهم مردداً هذا النشيد العلوى، فعن سهل بن سعد «رضى الله عنه» - عن رسول الله ﷺ قال: «ما من ملبّ يلبّى إلا لبّى ما عن يمينه وشماله من حجر وشجر أو مدر - أى: حصى - حتى تنقطع الأرض من ها هنا عن يمينه وشماله» [رواه الترمذى وابن ماجه].

والسعى بين الصفا والمروة تخليد لذلك الحدث العظيم حين هبط إبراهيم «عليه السلام» وزوجه هاجر، وابنهما إسماعيل - مكة، ذلك الوادى القفر الموحش الخالى من معالم الحياة وقت ذاك، وعمد الخليل إبراهيم «عليه السلام» فأنزلهما فيه وانصرف، فقالت هاجر: «يا إبراهيم، آلله أمرك بهذا؟ فأومأ إليها برأسه «نعم»، قالت: إذن لا يضيعنا»، حتى إذا كان عند الثنية من حيث لا يريانه استقبل بوجهه موضع البيت، ورفع يديه إلى السماء، وناجى خالقه ومولاه قائلاً:

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾

[إبراهيم/ ٣٧]

ويكاد إسماعيل «عليه السلام» يموت من شدة العطش، فتسعى أمّه هاجر بين الصفا والمروة باحثة عن الماء حتى كادت تيأس، لولا أن تداركتهما رحمة الله «عز وجل» الذى أراد للوليد وأمه الحياة، وللمنطقة الأمن والعمار، رأت هاجر ماء زمزم يتفجر تحت قدم ابنها، فشرب إسماعيل، وشربت هاجر، وحمدا الله «عز وجل»، حينئذ قال لها الملك الذى فجر العين: «لا تخافى الضيعة، فإن ها هنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإنّ الله لا يضيّع أهله».

ولما بلغ إسماعيل سن الشباب والقوة، وأذن الله لبيته أن يقوم، وترتفع قواعده - أرشد الله خليله إبراهيم «عليه السلام» إلى مكانه، وأرسل إليه الرياح، فكشفت عن أساسه، وصدق رب العالمين إذ يقول:

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾

[الحج/ ٢٦]

عند ذلك أمر الله خليله بإعادة البناء. قال تعالى:

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

[البقرة/ ١٢٧]

ولما فرغ إبراهيم «عليه السلام» من بناء البيت قال: يارب، قد فرغت. فأمره الله «تعالى» أن يؤذن فى الناس بالحجّ، فعن مجاهد - رحمه الله - قال: «لما فرغ إبراهيم (عليه السلام) من بناء البيت، فقيل له: ناد فى الناس بالحج - قال: كيف أقول يا رب؟ قال: قل: «يأيها الناس، استجيبوا لربكم»، فقالها، فوقرت فى قلب كل مؤمن» - رواه البيهقى فى شعب الإيمان.

وقد ورد أن إبراهيم «عليه السلام» قال: «يارب، وما يبلغ صوتى»؟! فقال: «إنما عليك الأذان، وعلينا البلاغ»، فصعد إبراهيم «عليه السلام» فوق جبل أبى قبيس، ونادى بأعلى صوته: «يا أيها الناس حجّوا قبل ألا تحجّوا»، فخفضت له الجبال رؤوسها، ورُفعت له القرى، فأجابه من الأصلاب والأرحام كلّ من قُدّر له الحج، بـ«لبيك اللهم لبيك»: فما من حاج يحج من يومئذ إلى أن تقوم الساعة - إلا قد أجاب دعوة إبراهيم».

هذا واجتماع المسلمين فى يوم عرفة، ووقوفهم على جبل الرحمة فى هذا المؤتمر الإسلامى العظيم الذى يجمع المسلمين من كل فج عميق، وما من بلد، أوقرية، أو حىّ، أو قطر، إلا ومنها مندوب - على الأقل - يمثلها فى هذا المؤتمر الجامع، ليشهدوا منافع دينية ودنيوية لهم، فيتعارفوا ويتعاونوا على البر والتقوى، ويلتمسون حلولاً للمشاكل التى تعترضهم، وضوابط للأمور التى تشغلهم، ومن ثم جاء فى أهل عرفة الحديث النبوى الشريف: «إن الله تعالى يباهى بأهل عرفات أهل السماء، فيقول: «يا ملائكتى، انظروا إلى عبادى جاءونى شعثاً غبراً ضاحين - أى: بارزين للشمس، غير مستترين منها - من كل فجّ عميق، أشهدكم أنّى قد غفرت لهم»(٢).

ونحر الهدى فى يوم النحر، وأيام التشريق من بعده - تعبير عن شكر الله (عز

---

(٢) الحاكم فى المستدرك ١/ ٤٦٥.

وجل) على توفيقه إياهم لأداء هذه الفريضة، لأن الهدى من شعائر الحج، قال تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾

[الحج/ ٣٢، ٣٣]

ورمى الجمرات فى يوم الأضحى، وأيام التشريق- رمز لقهر الشيطان، وزجره- كلما أراد أن يضل الشيطان الناس، ويقطع صلتهم بخالقهم، ومن هنا يقول الإمام الغزالى: «واعلم أنك فى الظاهر ترمى الحصى، وفى الحقيقة ترمي به وجه الشيطان، وتقصم ظهره».. فالحج إذاً عبادة العمر، قال الغزالى «رحمه الله»: «إن الحج – من بين أركان الإسلام ومبانيه– عبادة العمر، وختام الأمر، وتمام الإسلام، وكمال الدين».

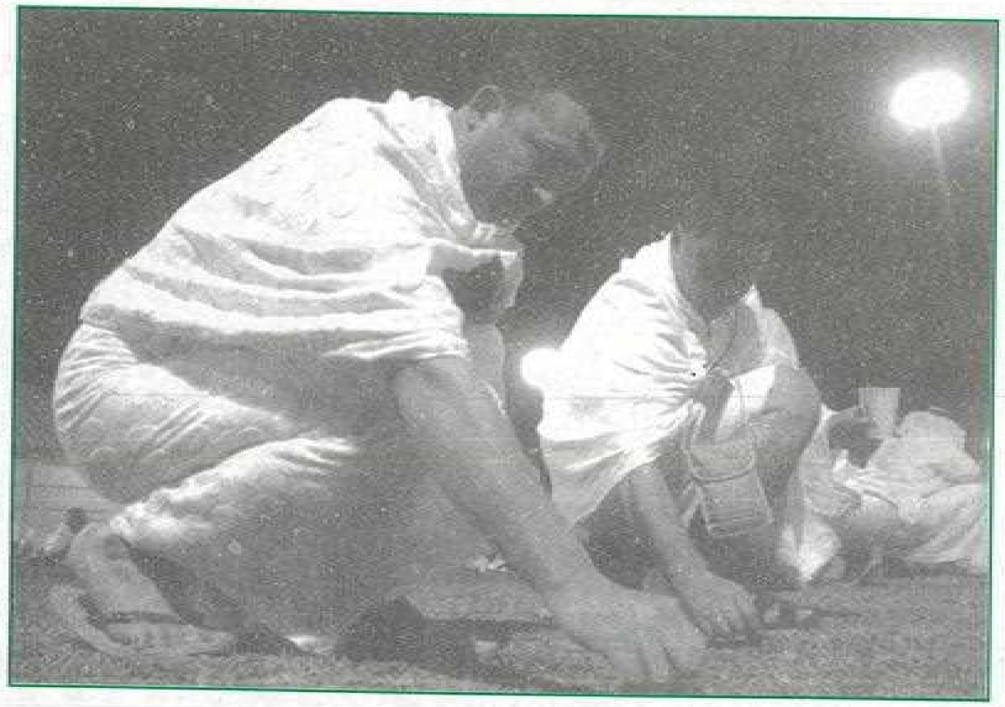
ومن فوائده الفوز بالجنة، والنجاة من النار، روى الإمام البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة «رضى الله عنه» قال: سمعت النبى «ﷺ» يقول: «من حج لله فلم يرفث، ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»، فالحج يطهِّر النفس والبدن من أوزار الذنوب والآثام، وفيه إعلان العبودية لله وحده، ولذلك كان النبى «ﷺ» يقول فى الحج – دون غيره من العبادات-: «لبيك بحجة حقاً، تعبداً ورقاً» وفيه التجرد والتحرر من شهوات النفس وملذاتها»

﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾

[البقرة/ ١٩٧]

كما أنه ينمّى روح التعاون والمحبة بين المسلمين، وفيه إشعار بالمساواة بين الناس، وأنه لا تفضيل إلا بالتقوى، كما أنه يعلّم المسلمين البذل والفداء، فهو جهاد بالنفس، وجهاد بالمال، كما أنه يدعو للوحدة الشاملة، وهو -بعد هذا وذاك- إذلال للشيطان، ومرضاة للرحمن، وباختصار: الحجّ رحلة إلهية قدسية، هدفها تقوى الله، وأن تجد الروح غذاءها من البر وعمل الخير، لا كما يفعل البعض، حيث يمضون أوقاتهم فى جمع الهدايا، والانشغال عن العبادة والطاعة، مع أن العبادة فى هذه الأماكن المقدسة يضاعف فيها الأجر، والثواب، فينبغى أن يشتد حرص الحجاج على العبادة، فقد روى ابن ماجة -فى سننه، وصححه الألبانى- عن جابر بن عبدالله «رضى الله عنهما» أن رسول الله «ﷺ» قال: «صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه».. وروى البيهقى فى شعب الإيمان عن عطاء قال: «النظر إلى البيت عبادة».

فإذا كان هذا هو الحج، وذلك شأنه، وتلك أهدافه وغاياته، فعلى كل مستطيع أن يبادر إلى أداء هذا الركن العظيم قبل أن تفلت منه الفرصة، فإن الإنسان لا



يدرى ما يعرض له، وما يخبئه له القدر، ففى حديث رواه أبوداود: «من أراد الحج فليتعجل»، وزاد أحمد فى رواية له: «فإنه يمرض الصحيح، وتضل الراحلة، وتعرض الحاجة».. فمن أهمل أو تكاسل حتى وافته المنيّة فهو المحروم، لما رواه الترمذى وأحمد: «من ملك زادا أو راحلة تبلغه إلى بيت الله، ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً، وذلك لقوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

[آل عمران ٩٧]

ولقد روى الحسن البصرى أن عمر بن الخطاب قال: «لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار، فينظروا من كان له جِدَةٌ- أى مالاً- وهو قادر على الحج، فيضربوا عليه الجزية، ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين»..

ومن هنا تتجلى حكمة النبى الكريم، والرسول العظيم «ﷺ» حين علّم أم المؤمنين عائشة «رضى الله عنها» أن الحجّ إلى بيت الله الحرام من أفضل أنواع الجهاد، حيث يجاهد الحاج فيه نفسه، وشيطانه، وشهوته، ويبذل ماله رخيصاً فى سبيل طاعة الله، وتحصيل مرضاته، والفوز بالجنة، والنجاة من النار..

وفق الله جميع المسلمين لحجّ بيت الله الحرام، وأداء الفريضة التى هى فريضة العمر، وختام الأمر، وتمام الإسلام، وكمال الدين، والله ولىّ ذلك والقادر عليه.



رمى الجمرات

نطيع الله فيمن عصاه فينا

للأستاذ الدكتور / محمود محمد عمارة

يقول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾

(المائدة / ٢)

إذا كان العدل أن تعدل فى الحكم بين المتخاصمين.. فإن الإنصاف هو ذلك العدل.. بفارق واحد هو أنك فى حال الإنصاف تكون طرفا فى القضية المعروضة.. ثم تنصف غريمك من نفسك، متجاهلا مصلحتك الشخصية، مما يجعل قيمة الإنصاف أكثر من قيمة العدل، وفى كل خير.

تأملات فى الآية الكريمة

وهذا الإجمال الذى ذكرنا آنفا.. يحتاج إلى تفصيل، هو موضوع هذه الآية الكريمة، ولنبدأ القصة من أولها:

ففى أول السورة يطالب الله -تعالى- الذين آمنوا بالوفاء بالعهود، العهود التى هى عقود محكمة موثقة..

ومن الوفاء بالعهود:

- ألا تحلوا شعائر الله أى: معالم الحج.. حج بيت الله الأعظم.
- وأن تحافظوا على حرمة الأشهر الحرم..
- ولا تحلوا التعرض لناس قاصدين البيت الحرام لأن من قصد بيت الملك كان محترما باحترام ما قصده.

والقصة هنا أن مسلسل العدوان على المسلمين كان شديد الوطأة وكان مستمرا على المستوى الفردى والجماعى.. على سواء.

أما على المستوى الفردى، فقد كان «الحطم بن هند البكرى» قد أغار على سرح المدينة ثم اعتمر فى العام التالى، فأراد بعض الصحابة منعه.

وعلى المستوى الجماعى: فقد منع المسلمون - عام الحديبية - أن يطوفوا بالبيت من قبل المشركين الذين أخذتهم العزة بالإثم فحالوا بين المسلمين وبين أداء حقهم الشرعى.

وقد نزلت هذه الآية الكريمة تذكرة المسلمين ألا يعاملوا أعداءهم بمثل ما يعاملونهم به.

وأن الإنسان لم يعاقب من عصى الله فيه.. بأنكى من أن يطيع الله فيه.. ومن طاعة الله تعالى هنا.. ألا تصدوهم عن البيت إلا مشركا ليس له أمان ولا عهد. وإلا من قصده ملحدا عابثا.. احتراما للبيت نفسه

﴿ إِذَا حَلَلْتُمْ ﴾: إذا فرغتم من إحرامكم.. فقد أبيح لكم ما كان من قبل محرما.. وفى طليعته: الصيد.

وإذ تصطدم هذه التوجيهات بمشاعركم.. وإذا كانت الرغبة فى الثأر تسوغ لكم المعاملة بالمثل.. فإن مصلحة الدعوة ينبغى أن تكون فوق كل اعتبار. ومن مصلحة الدعوة هنا: أن تجاربكم المرة مع هؤلاء المعتدين.. إذا سولت لكم أن تذيقوهم نفس الكأس.. فإن ذلك قد يحقق مصلحة للأعداء ومن حيث لا تحتسبون.

فالمعارك الجانبية والمناوشات المستمرة من شأنها أن تعقد فى السماء سحبا ربما يختفى معها وجه الحق.. وهو مايريده المعتدون. فاضبطوا أعصابكم حتى لو كانت كراهيتكم لهم بالغة حد الشنآن.. فاستمسكوا بالعدل.. بل بالإنصاف حتى فى أحلك الظروف.

ولاحظ من دلائل الإنصاف ما يلى:

قوله عز وجل:

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾

أ- فقد أضاف تعالى مادة الإجرام إلى

أصحاب الحق.. بمعنى: لا تحملكم شدة بغضهم على التحرش بهم:

ب- فإن المسلم: من لم يزده تعدى عدوه فيه حدود الشرع إلا وقوفا عند حدوده.

حـ- وإذا كان التوجيه هنا شديدا على النفس - وذلك عندما تؤمر بالإحسان إلى من أساء إليك - فإن الحق سبحانه يطامن من هول التكليف بما يردع النفس الأمارة وذلك قوله عز وجل:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

أما بعد فلأن التعاون على البر والتقوى أمر خطير.. لما كان كذلك.. صرح عز وجل بقوله تعالى - بعد الأمر به - فقال تعالى:

﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

فكأنه عز وجل يأمر بالتعاون على البر مرتين: لا مرة واحدة: مرة.. بالأمر به.. وثانية بالنهي عن نقيضه.

والآية الكريم بهذا المعنى: توجيه كريم بالحرص على طاقات الأمة المرصودة أساسا للبناء والتعمير.. وليس للتخريب والتدمير.. وأن استمرار المعركة.. وبقاء الأعصاب مشدودة.. مظهر من مظاهر الضعف.. مخصوم من حسابنا مضاف إلى حساب أعدائنا.

ولا يعني ذلك التخاذل أو التنازل عن حق من حقوقنا.. وإنما هي الحكمة القاضية بتدبير الأمور طبق ما تتطلبه مصلحة الدعوة أولا وأخيرا.

وأحيانا تفرض هذه الحكمة تنحية مشاعرنا.. التي لو تركناها على سجيتها لأوتينا من قبلها..

فإذا فرضت علينا المواجهة المسلحة.. كنا رجالا!!

من بركات البيت

يقول عز وجل:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(آل عمران/ ٩٦)

مما أدرك الناس من حكمة الحكماء «أن تقول.. وأن تجد من يسمعك: تلك أعظم آمال البشرية».

ولقد قال إبراهيم عليه السلام.

لقد أذن في الناس بالحج.. كما أمره ربه.. فاستمع الخلق إليه كما وعده سبحانه.. استمع إليه حتى النطف التي لم تخلق.. وهاهم أولاء يأتون رجالا.

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾

(الحج/ ٢٧)

ولقد كان من رحمة الله تعالى أن يكلف.. ثم يعين بلطفه تعالى ذلك المكلف على إنجاز ما أمر به.. وذلك عن طريق صور من

المحرضات على الوفاء بالمأمور به على غاية ما يكون الوفاء..

ومن هذه المشجعات أن هذه الدعوة ليست إلى رحلة سياحية يتحرر فيها السائحون من ضوابط الأخلاق..

وإنما هي: قصد البيت.. بل قصد أول بيت.. أول بيت وضعه الله عز وجل قلعة للتوحيد.. وإذا كان هذا البيت أول متعبد لنا، فمن حقه علينا أن نزوره مجددين بالزيارة قيم التوحيد في قلوبنا، وفي نفس الوقت، من حقنا أن نزور المكان الذي ولدنا فيه.. وكنا من قبله نسيا منسيا!

إنه أول بيت وضعه الله -تعالى- للناس..

كل الناس: وإذا كانت كلمة «الناس» من «النوس» وهو التشرذم والتفرق والضياع..

فمن معاني ذلك: أن هذا البيت.. ما وضعه الله سبحانه إلا ليجمع قطيع البشرية الشارد.. في رحاب هذا البيت ليتذوقوا معنى الوحدة.. بعدما كان بينهم من فرقة وشتات.

وقد تكون الأشواق أكبر من الأرزاق!

وإذن فلا حج إلا على المستطيع، المستطيع ماليا.. وبدنيا.. ونفسيا، فإن لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع..

ومما يستطيعه المسلم: أن يكون عونا لأخيه العاجز هنا.. أن يناله قبس من بركة هذا البيت وأن يكون هدى للناس.. ومن يستشعر حكمة الحج البعيدة يدرك ذلك: فالله عز وجل يقول:

﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾

(الحج/ ٣٧)

فالله عز وجل لا يلحقه بعبادتكم نفع ولا ضير.. والمهم هو التقوى.. والتي هي حركة مباركة نخفف بها من آلام البشر.

والنية الخالصة خير من الأعمال الموظفة، فإذا نالته سبحانه النية قبل العمل نتلقى اللقمة.. فرباها كما يربي أحدكم فلوه - المهر يفصل عن أمه - حتى تكون مثل الجبل.

● إن البيت الذي وضعه الله تعالى للناس هو بيت من خصائصه: أنه مبارك.. وأنه هدى.. وهدى للناس جميعا.. فهو رحمة مهداة ونعمة مسادة تفرض على المسلم أن يكون كذلك: بركة وهدى ورحمة.. وإن كان في بيته هنا..

إن المسلم إنسان.. وهو عند الله -تعالى- أعظم من البنيان، والشوق إلى بيته العتيق يمكن أن يترجم إلى عمل صالح.. تصلح به مرافق الأمة.

فإن الذين حبسهم العذر.. هم بأرواحهم هناك!

وذلك قول أحدهم:

يا راحلين إلى البيت العتيق

لقد سرتم جسوما وسرنا نحن أرواحا

من أسرار الحج

يقولون: لا تعدم الخرقاء علة.

والخرقاء هنا هي تلك المرأة التي لا تجيد

الطعام.. وتفسد بسوء تصرفها ماصلح من مرافق البيت.

يخرج الخبز من بين يديها.. محترقا

والطعام.. ملحا أجاجا..

ومع أنها عاجزة عن كل ذلك.. إلا أنها لا تعجز عن اختلاق علة.. تدافع بها عن نفسها.. فى محاولة لتغطية فشلها.. ولكن لسان الحال يكون أحيانا أبلغ من لسان المقال.

ولكن الخرقاء هنا هم ثلة من المستشرقين.. الذين ما يفتأون يكيدون للإسلام كيدا.

ومن صور كيدهم زعمهم أن الإسلام دين أوهام.. متخذين من شعائر الحج مثالا على ذلك.

غير أن الفاقهين من علمائنا الأقدمين والمحدثين.. حاولوا أن يفسروا مشاعر الحج تفسيرا معقولا.. يفر بنا من كلمة راعشة أو نظرة طائشة واصلين بنا إلى مرفأ اليقين:

حتى إذا ظن هؤلاء الماكرون أنهم على شىء تبين لهم أن النار التى حاولوا أن يوقدوها.. وإن أضاءت ما حولهم يوما.. فإن الله عز وجل يذهب بنورهم ويتركهم فى ظلمات لا يبصرون.

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾

(البقرة ١٨ / ١٩)

ألا وإن هذا الغموض من وراء مشاعر الحج له معنى: هو إجمالا: عودة بالعقل البشرى إلى حجمه الطبيعى:

أن يقف على أعتاب عالم فسيح.. ثم لا يتخطى هذه الأعتاب.. وعليه فقط أن يتلقى هذه الإشارات الإلهية.. الآتية إليه من هذا العالم المجهول.. عالم الروح.. العالم الأسنى ليوقن أنه عاجز وحده عن إدراك هذه الإشارات.. التى لا يستقل العقل.. بإدراكها وإنما هو القلب الشاعر الحساس.. والذى ينفعل بها.. ثم يهديها إلى العقل.. ليدرك ما لم يكن يدرك.. ويعلم ما لم يكن يعلم..

وهو نفس ما وعاه أرباب البصائر والذين تعاملوا مع هذه المشاعر بالقلب الذكى وليس بالعقل الذكى؟! فقالوا:

تأمل.. وأنت ترمى الجمرات.. فماذا ترى؟!

ترى: جمرة صغيرة.. ومع ذلك فقد ساخ منها الشيطان.. وإذن.. فما أضعف الشيطان.. شيطان الإنس والجن معا!

والحقيقة التى تفرض نفسها هى أن العبرة فى مواجهة الأعداء ليست بقوة السلاح.. وإنما العبرة باليد التى تحمل هذا السلاح.. وما وراء هذه اليد من قلب معمور بالإيمان.. الإيمان بالله عزوجل. ثم بعدالة القضية التى تدافع عنها..

فالقضية ليست فى فعالية السلاح وإنما هى راجعة بالدرجة الأولى إلى فعالية العزيمة،

ألم تر إلى داود: الفتى؟؟ كيف قتل جالوت.. بالمقلاع والحجر؟!

ولا ننسى كيف استهان «الفاروق» بالسيف.. فقال له صاحبه: إن معك السيف ولكن.. ليست معك اليد التى تحمله!

وحتى لو كان قصيراً لتقدمت به خطوة إلى الأمام فإذا هو الموت الزؤام!

وهكذا الجمرة التى نرمى بها الشيطان!

إننا نرفض بها مكره السئ.. بل هو العهد على أن نحبط كيده.. وعلى ألا نسلس قيادنا لوساوس النفس..

ثم يأتى الطواف حول الكعبة المشرفة.. فإذا الأمر على ما يقول البصراء.

والكعبة المشرفة وهى أول بيت أقيم فى الأرض لعبادة -الله تعالى- ليست ذلك البناء الذى يمكن بناؤه، وأستارها السوداء ليست نسيجا مطرزاً بخيوط الذهب ينتجها مصنع كسوة الكعبة المشرفة فى المكرمة مكة، وتزينها أيدى عمال التزيين المختصين، بل هى بيت الله العظيم، حفرت معانيها فى الذاكرة ووشمت على القلب، تستريح تحت الأهداب، فمنها ترتقى الروح إلى بارئها لتغيب فى عظمته وجلاله، مستجيبة لأوامره منتهية عن نواهيه، فما يكاد يصل ضيف الرحمن إلى الكعبة المشرفة حتى يرسم بجسده حدوداً بين مرحلتين، فقد جلب أوزاره معه ليتركها بجوار الباب، وليطوى صفحة الأمس مستشعراً أن ملخص حياته هو تلك الخطوات، وكيف أن تكون على ضوء منهج عقدى ارتضاه الله ورسوله.

والطواف حول الكعبة المشرفة ليس ترديد كلمات خالية من الحس والشعور، كما أنها لا تعنى هذه الحركة الجسمانية التى يزاحم بها الحاج أخاه، لكنها تعنى التفاف القلوب ودورانها حول قدسية الله بكلمات وأدعية علمنا إياها معلم الإنسانية الخير - ﷺ - تبثها من أعماق روحك، تظهر فيها خضوعك، راجياً فيها حاجتك من خالقك الذى لا يستطيع قضاءها سواه سبحانه، وأن لا تجعل بينك وبينه حاجزاً وفاصلاً فهو وحده القريب السميع المجيب.

والسعى بين الصفا والمروة، لا يعنى مجرد الهرولة بين الميلين الأخضرين، وقطع هذه المسافة ماشياً، وإنما التردد بين علمى الرحمة استمطاراً لها، والتماساً للمغفرة والرضوان.

والسعى تأكيد وتوكيد بأن -الله تعالى- أقرب إلينا من حبل الوريد، وأن الإنسان عليه قبل أن يرجو عونه تبارك وتعالى، أن يتأكد من صحة مسعاه ويؤكده مرة أخرى، ليصيب مسعاه بعون الله مما هو فى حاجة إليه.

وبهذا المعنى تصير مشاعر الحج على ما قيل:

اتحادا للقلوب، وتفريجاً للكروب.. وحطاً للذنوب.

وكما يعيش المرء لجسده عشرات السنين.. يجب عليه أن يعيش لروحه أياماً..

والله عز وجل كفيل أن يمسح فى هذه الأيام القلال أوضار تلك السنين..

ألا إنها ساعات ربانية: تلك التى يشرف المسلم فيها بروحه على الجنة.. حتى لكأنه يرى أطيافها.. ويرتدى أفوافها. ويسرح ببصيرته فى جنباتها الواسعة.

من وحى الأيام العشر من ذى الحجة

مفهوم العمل الصالح

للدكتور/ حمدى فتوح والى

لكل زمان رجاله الذين يحسنون العيش فيه ويعرفون فقه المرحلة التى يمرون بها. وطبيعة التحديات التى يواجهونها، وهؤلاء الرجال قليلون فى أمتهم. أما الكثرة الكاثرة من أفراد الأمة فلن تجدهم إلا مشغولين بهمومهم الذاتية ومشاكلهم الشخصية، وكل واحد منهم لا يستشعر إثما أو يجد فى نفسه حرجا تجاه ما يقع لأمته، ثقة منه بأنه غير معنى بتلك الهموم العامة والمشاغل الكبرى، والإحساس بأن لهذه الأمور من يتصدى لها ويحسن التعامل معها وأمثال هؤلاء هم الذين صنعوا الهزائم وورثوا الأمة الذل والهوان.

والداعية الذى ننشده هو رجل يدرك أنه المسئول عن الإصلاح وحده وأن كل أذى يصيب الإسلام يصيبه وكل ألم ينزل بمسلم إنما ينزل به هو.

إنه يشعر أنه يعيش للإسلام وبالإسلام إذا كان أهل الأرض يعيشون لأهوائهم وشهواتهم. وكثيرا ما نرى شبابا من الخطباء الصادقين والدعاة المخلصين لا يتهمون فى خلق ولا دين ولا يؤتون من قلة العلم أو ضعف اليقين. وإنما آفتهم تأتى من مقدار الفهم للدور الحضارى الذى ينبغى أن يؤدوه. وفقه المرحلة الذى ينبغى أن يفقهوه.

جلست أنا ومجموعة من الشباب ممن يشغلهم أمر الإسلام وهموم المسلمين. ورأيتهم يجتمعون ليتشاوروا فى كيفية استثمار مناسبة الأيام العشر الأول من ذى الحجة وكيف يمكن أن يوظفوا طاقات الناس للعمل الصالح.

فطلبت منهم أولا أن نتعارف لأعرف ثقافة كل واحد منهم ووظيفته فرأيت منهم المدرس والمهندس والطبيب والصيدلى والمحاسب. ومن يشتغلون مهنا أخرى تجعلهم فى قرب شديد من الناس. وارتحت كثيرا لما لمسته فى هؤلاء الشباب من حيوية وما رأيته من تنوع فى الثقافة وتباين فى الوظائف وغيرة شديدة على دين الله.

وانتهى التعارف وأخذ الأخ المضيف يعلن عن غرضه فى ضرورة تفعيل مناسبة هذه الأيام المباركة. ثم عرفت أننى الضيف المعنى بالكلام. لأن الاتجاه منعقد على أن يستمع الجميع إلىّ لأعرفهم بفضائل هذه الأيام وجزاء العمل الصالح فيها.

وأصارحكم القول لقد شعرت تجاه الموضوع بنوع من الحرج الشديد، ليس لمفاجأتى بالموضوع لكن لثقتى أن الموضوع معلوم لدى السامعين جميعا وأننى مهما أحطت بجوانبه كلها فلن أزيد على ما يعلمه السامعون كثيرا. وهكذا يمضى الوقت فى كلام معلوم مملول يضيع به الوقت، وتسقط به المنزلة، ولا أقدم للحاضرين جديدا. فقلت: وماذا علىّ لو بدأت بهم فاستوضحت ما عندهم من ألوان العمل الصالح كما فهموه، ثم أضفت إليهم ما عندى إن وجد من الكلام شىء لم يقولوه، واستمعت إلى الجميع فرأيت إجماعا على أن المقصود بالعمل الصالح هو ما يعنيه الناس جميعا من صيام هذه الأيام والاجتهاد فى الذكر والدعاء وقراءة القرآن وقيام الليل وكثرة الاستغفار والصدقة والإكثار من السنن والنوافل من صلاة الضحى والليل والتسابيح وغير ذلك من ألوان العبادات والقربات.

قصور التصور وضيق الأفق

ونظرت فى وجوه الحاضرين جميعا فرأيتهم دون الثلاثين، وحاولت أن أقنع نفسى بأن أرجى عمل يعمله هؤلاء هو هذه الطاعات، ثم قلت أهذه غاية ما يأملون من جهد وما يفعلونه من طاعة هو أن يحاولوا الوصول إلى مستوى ما تقوم به جدتى العجوز على مصلاها وهى تمسك بمسبحتها وتقوم الليل وتصوم النهار. وتذكر الله كثيرا وتسبحه كثيرا مستغفرة بالغدو والآصال. وتخيلت شباب الأمة وقد وجهوا همتهم إلى التسابق فى هذه الطاعات مكثرين من الأعمال الصالحة فى هذا الأيام.

وأدهشنى أن يكون غاية فهم هؤلاء الشباب للعمل الصالح هو هذا الفهم. وقلت: إن جاز أن تكون هذه السنن والنوافل والعبادات والشعائر هى غاية ما يمكن أن يفعل العجائز والشيوخ فهل يليق بشبابنا أن تقف همتهم عن حدود هذه الطاعات.

وهل لو تخيلنا شبابنا على مساحة أمتنا الإسلامية تتجه همتهم فى الأعمال الصالحة إلى الزيادة من هذه العبادات لتكون هى غاية همتهم ومبلغ قوتهم، هل تقوم على هذه المشاعر وحدها أمور الناس لتستقيم حياتهم؟

إن هذه الأعمال هى بمثابة الشحن المعنوى والروحى لنفوس الناس، فهل أصبح شحن النفوس غاية؟ أم أن الشحن وسيلة لتقوية النفوس على العمل وبذل الطاقة؟ فإن كان الشحن هو العمل فأين العمل إذا؟

وأليست هذه القوى المذخورة لدى الشباب، معطلة نتيجة سوء الفهم وقصور التصور. وضيق الأفق؟!

إن العمل الصالح يتطلب إدراكا واعيا ودقيقا لأمرين:

● أولهما: ما تتطلبه طبيعة المرحلة من أعمال هى الأولى بالتحقيق والتنفيذ، مما هو منوط بالتخصيص والعمر والمواهب والقدرات.

● ثانيهما: الفقه بعبادة الوقت، وحاجة الأمة إلى هذا العمل دون ذاك فالعمل الصالح بمفهومه الحقيقى، ينبغى أن يكون تفعيلا حقيقيا لمواهب الإنسان وميوله واستثمارا منتجا لطاقاته وذكائه وقدراته.

وهذا يقتضى أن يبذل كل إنسان جهده فى مجال عمله وفى دوائر تأثيره مدفوعا بغيرة صادقة على شعائر الإسلام وشرائعه وأحكامه، وعندما يؤدى كل منا عمله صالحا ودقيقا سيحصل الخير كله.

وهذا يتطلب وعيا بالأهداف المطلوب تحقيقها من كل عمل بعد أن يكون قد اختار العمل الأجدى والأنفع والأكثر تأثيرا.

مفهوم التقوى

فالطاعات والعبادات والإكثار منها شىء مطلوب كوسيلة لكى ننطلق منها إلى العمل التغييرى. فإذا اعتبرنا هذه الطاعات بمثابة الشحن للبطارية فإن وظائف البطارية التى تؤديها بعد الشحن هو ما يوازى فى حياة الإنسان العمل الصالح.

وإذا كان الوقود فى السيارة ضروريا لكى تعمل السيارة وتتحرك. فإن الطاعات والعبادات والإكثار منها بمثابة هذا الوقود الذى يهيىء الإنسان إلى الحركة. أما الحركة التى تأتى من هذا الوقود، فهى ما يوازى حركة الفرد فى أمور حياته المختلفة، عندما يكون صحيحا فى عقيدته، سليما فى عبادته، نافعا لغيره، مفيدا لإخوانه، مهموما بدعوته، شاعرا بالمسئولية عن كيان أمته، باذلا جهده، مضاعفا عطاءه، لصد أعدائها والذود عن حياضها.

وكما لا يمكن أن يكون الوقود فى السيارة هو حركتها فكذلك لا يمكن أن تسمى التقوى فى الإنسان هى عمله.

وإن أعمال الطاعات وكثرة العبادات بمثابة الوقود الذى يحفز للعمل ويدفع للحركة أما الحركة نفسها فهى انطلاق فى آفاق الدنيا وغدو ورواح ليعتق الإنسان نفسه من النار أو يوبقها فى جهنم

﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾

(البقرة: ١٩٧)

والتقوى بجانب كونها زاد المؤمن ووقوده هى المعيار الصادق والحارس اليقظ الذى لا يسمح للنفس أن تضل، ولا يسمح للغير أن يغفل، ولا يرضى للحس الإيمانى أن ينطفىء أو يخبو.

إنه شعور إيمانى قوى، يقول للعقل استقم، ويقول للنفس اهدئى، ويقول للضمير أفق، ويقول للجوارح تطهرى، ويقول للروح انطلقى، ويقول للكيان الإنسانى كله:

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾

(الشورى: ١٥)

أما عمل الكيان الإنسانى فسعى فى الأرض وضرب فى مناكبها من أجل عمارتها.

إن العمل الصالح كما يحدده العلماء هو ما وافق الشرع وكان لله خالصا.

لكننا نزيد الأمر وضوحا بأن العمل الصالح بعد استكماله لهذين الضابطين الإخلاص وموافقة الشرع يتفاوت قوة وضعفا. بحسب الزمان والمكان وطبيعة التحديات المفروضة. وما يجب فعله أمام هذه التحديات وما يترك.

العمل الصالح

إن الوعظ والدعوة والخطابة والكتابة ترتفع إلى مستوى فرض العين على كل داعية خطيب تخصص فى هذا الأمر وفرغ نفسه له، وأنفقت الأمة عليه من مالها، حتى استكمل تلك الأدوات. لكن هذا الواجب ليس كذلك فى حق الطبيب والصيدلى والمهندس والمدرس والمحاسب والحرفى. وإنما الواجب عليهم بعد استكمال جوانب التأسيس المتفق عليها من العبادات والطاعات التى هى الفرائض والنوافل أن يحسن الطبيب طبه فذلك عمله الصالح، وأن يفرج عن المريض كربه، ويخفف عنه ألمه. ويحسن التعامل معه ويبذل أقصى جهد له، ويؤدى الواجب الذى عليه سواء جاء الأجر من الدولة على قدر الجهد أو كان أقل من ذلك، كما ينبغى عليه ألا يبخل بطبه وجهده على مريض فى أى وقت من ليل أو نهار. مادام قد رضى أن يقوم بهذا العمل على هذه الصورة التى اختارها ويرضاها. كما يكون من قبيل العمل الصالح. أن يكون أمينا مع ربه فى كل ما يوكل إليه من أعمال فنية أو إدارية أو مالية. وأن يكون قويا فى الحق مراقبا لله فى كل ما يسند إليه من أعمال قيادية أو سياسية. وأن يملك القوة التى تجعله يوحد الجهة التى يتلقى منها. ويتوجه إليها بعمله هذا ويطلب منها الثواب والجزاء.

وأقول مثل ذلك للوزير فى وزارته والمدير فى إدارته والمهندس فى مصنعه والتاجر والعامل والصانع والزارع وكل فى مجال عمله ودائرة تخصصه. كما أقول هذا القول للمدرس فى مدرسته وبين طلابه.

بل إنى أقول لولى الأمر فى ولايته وللوالد فى بيته وللمرأة فى بيت زوجها وبين أولادها.

وللخادم فيما يوكل إليه من عمل وما اؤتمن عليه من أسرار وليكن رائدنا فى ذلك كله قول نبينا ﷺ: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع»[1].

وقوله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع فى بيته ومسئول عن رعيته، والمرأة فى بيت زوجها راعية ومسئولة عن رعيتها، والخادم فى مال سيده راع ومسئول عن رعيته»[2].

ويتفاوت العمل الصالح بحسب همة صاحبه وقوة شخصيته كما تتفاوت الهمم بحسب طبيعة الفهم ومقدار الثقافة. فالجاهل همته لا تعدو البحث عما يملأ بطنه ويشبع فرجه. والعاقل تمتد همته للتفنن فيما ينفع أهله وعشيرته. والمثقف الذكى تتسع مداركه ليفكر فى مصير وطنه وأمته هذا ما أدركه حكماؤنا من الشعراء عندما قال قائلهم:

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله
وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

وزادها وضوحا حيث قال:

وإذا كانت النفوس كبارا
تعبت فى مرادها الأجسام

التدين يؤدى إلى التفوق

ومن هنا كان طلب العلم من أفضل القربات وأجل الطاعات. ولا يقبل من طالب أن تراه عجوزا فى سن الثامنة عشرة همه تقصير ثوبه وإطالة لحيته. والمشاحنة الدائمة مع من حوله حول رفع بعض السنن إلى درجة الفرائض. وتسفيه أفعال الناس إلى درجة التكفير والغمز واللمز لعباد الله المتدينين ممن يخالفونهم الرأى، بينما لا ترى لهم تدينا فيما هو من لب تخصصه وصميم حياته. إنه نوع من الفهم الخاطىء، والتصور الأعوج ولو أنه بلغ رسالته لجميع من حوله بأن أثبت للجميع أن التدين رجولة وتقدير للمسئولية، وإحسان للمهمة، وتميز وتقدم على من حوله جميعا. لأحب الناس التدين. وقدروا أصحاب هذا الاتجاه الناجح ولسارع أولياء الأمور يخطبون ود هؤلاء المتفوقين ويطلبون من أبنائهم محاولة القرب منهم والتشبه بهم.

(1) صحيح الترمذى ٥/١٧٠.

(2) أخرجه البخارى ٢/ ٢١٧.

ولو يعلم الشاب أنه بتفوقه وإتقانه لوظيفته وأدائه لرسالته. يقوى الأمة، ويرفع شأنها ويسد بتفوقه ثغرة لو لم يسدها هو لسدها عابث لاهٍ أو مستهتر عربيد فتشقى به العباد. وتضيع به البلاد. لو علم ذلك جيدا ما ضيع وقته فيما لا يعنيه.

إن التدين الذى لا يثمر تفوقا وتفردا فى مجالات الحياة المختلفة تدين زائف ليس من الإسلام فى شيء فالإسلام يدعو إلى الإتقان وجميل الأداء وبلوغ الإحسان.

وهذا حديث رسولنا ﷺ يذكرنا قائلا: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»[3] والحكمة العربية تختصر حياة المسلم فى جملة رائعة بقولهم: «قيمة كل امرىء ما يحسنه» وإن ألمى يعظم وحسرتى تشتد، عندما أنظر إلى مفردات الحياة من حولى فأراها كلها تنتمى إلى غير بلاد المسلمين، وأخشى إن قلت لكل شيء من حولى أن يعود من حيث أتى أن أمشى عاريا حافيا جائعا.

ادعاء كاذب

إن ادعاء الإسلام دينا، والعروبة أصالة وتراثا. بينما الإسلام معطلة أحكامه، منكسة أعلامه والأمة ممتهنة عزتها ضائعة كرامتها، هو ادعاء كاذب ينقصه الدليل.

إن أبناء الأمة اليوم مدعوون جميعا إلى موقف إيجابى يحسنون به دينهم وشمولية هذا الدين لجميع مناحى الحياة.

وأن يدركوا أن بداية الخروج إلى الناس من جديد مهمة تتطلب الإحساس بالتميز والشعور بالثقة المطلقة فى قدرتنا على قيادة الأرض بمنهج الله. لكن هذا الإحساس وحده لا يكفى وتلك الثقة المطلقة لا تجدى، إلا بأن نحقق فى أنفسنا مصداقية هذا التميز وثمرات تلك الثقة بأن نقدم للدنيا نموذجاً يحسن توظيف مفردات الوجود لخدمة دينه وإسعاد أهله ثم يمتد بتلك السعادة إلى أهل الأرض جميعا عندها نكون قد طبقنا رسالتنا وأدينا أمانتنا.

ولا أظن الأمة قادرة على ذلك وهى مدينة لأعدائها عاجزة عن توفير رغيفها تمد يدها تطلب القروض وتتلقى المعونات، إننى على يقين من صحة المقولة المشهورة «من لا يملك قوته لا يملك قراره».

***

(3) مجمع الزائد ٤/ ٩٨.

الإفتاء

دوره وشروطه

(٢)

بقلم فضيلة الأستاذ الدكتور
محمود إمبابى أمين

هناك عشرات الشروط والمواصفات الواجب توافرها فى العالم ليقوم بالإفتاء منها: حسن النية وإخلاصها لله وحده فينوى تعليم المسلمين وإعلاء كلمة الدين وتصريح وبيان الحق محتسبا أجره على الله - تعالى - ومنها حسن الخلق بأن يتحلى المفتى برحابة الصدر والحلم والرفق والتواضع، ومنها أن يكون من أهل الوسطية فلا إفراط ولا تفريط ولا تعصب مذموم ولا تقوقع ولا جحود ولا انحلال، ومنها أن يكون عدلاً ضابطاً واعياً فالفاسق لا يوثق به، وأن يكون صاحب ملكة (موهبة) فقهية لأن العلم كما يقول الإمام مالك - رضى الله عنه:

ليس العلم بكثرة الرواية وإنما هو نور يقذفه الله فى القلوب، وقال الإمام الشافعى - رضى الله عنه:

«إن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاص».

ومن شرط المفتى الإلمام بالعديد من العلوم، مثل العلوم، الشرعية المختلفة (قرآن - أصول - سنة - فقه.. ألخ) مع معرفة علوم اللغة لأن الكتاب والسنة بلسان عربى مبين وهذا أصل الدين ومصدر التشريع الحنيف.

ومن شروط المفتى العلم بمعاملات الناس المختلفة وأعرافهم فيها وما يصحبها من تطورات ويلزمه معرفة أحوال الناس وعاداتهم وتقاليدهم فإن الحرب والسلم والأمن والخوف والمجاعة والبحبوحة وغيرها من الظروف كلها تؤثر فى الفتوى، ومن شروطها أن يكون للمفتى حصافة ونباهة وفراسة بحيث يتعرف على شخصية السائل.

فالمفتى ليس مجرد حامل للعلم الشرعى فقط، فهو عالم ومرشد ومعلم وطبيب ومرب وناصح أمين يعطيك من صحيح الدين ما هو مناسب لك ولأحوالك ولظروفك ولشخصيتك ومن هنا ندرك أنه ليس كل من أجاب عن سؤال دينى فهو فقيه أو مفت لأن الفتوى ليست مجرد معلومة دينية جامدة فى قالب واحد تعطيها لكل الناس على حد السواء وفى كل وقت أو ظرف أو حالة بل الفتوى نتاج تفاعل كامل بين الإيمان وتقوى الله والعمل والأخلاق مع مراعاة أحوال العباد وظروفهم والسعى لتعليمهم والنصيحة لهم بكل رفق ويسر واعتدال.

كما أن المفتى يجب أن يصلح السؤال الخاطئ ويوجهه توجيهاً صحيحاً فقد سئل النبى ﷺ «متى الساعة؟ فقال: ما أعددت لها» (١) أى ينبغى لك أيها السائل إن كنت تريد المهم أن تسأل عن استعدادك للساعة فهذا هو مربط الفرس أما موعدها فهو من اختصاص الله ولا يضرك متى تقوم الساعة ما دمت من المستعدين لها، فانظر كم فائدة فى إجابة النبى الكريم عليه الصلاة والسلام.

ومن تمام فقه المفتى أن يشتمل جوابه عن مزيد من الفائدة فيجيب عن السؤال ويضيف إليه الفوائد اللازمة للسائل فقد سئل النبى ﷺ هل ماء البحر طاهر؟ فقال: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته». (٢)

كما أن المفتى لا يجيب على كل سؤال يأتيه، فقد وصف الصحابى الجليل عبدالله بن مسعود رضى الله عنه - من يفعل ذلك بالمجنون فالتثبت والتوقف والتفكير يحتاج إلى وقت وليست المسألة مجرد جواب نحفظه ثم نردده بسرعة، ومن تمام فقه المفتى أن يتسلح بقول: لا أدرى. لا أعلم - أمهلونى حتى أتأكد أو أبحث، ونحو ذلك فهذا يدل على الصدق والأمانة والسيطرة على النفس.

وعلى المفتى أن لا ينفرد فى إصدار الأحكام بل يراجع العلماء ويشاورهم بل يراجع أرباب الصنائع وأهل الخبرة فقد كان عمر أمير المؤمنين - رضى الله عنه - كثيرا ما يجمع الصحابة للمشاورة والمراجعة، لأن العالم مهما بلغ لابد أن تفوته أشياء.

---

(١) البخارى ٨/ ٤٨ ، ٤٩.

(٢) سنن ابن ماجه ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨.

قل لمن يدعى فى العلم معرفة
علمت شيئاً وغابت عنك أشياء

وإذا رأى المفتى المصلحة أن يفتى العامى بما فيه تغليظ وتشديد وهو مما لا يعتقد ظاهره، وله فيه تأويل – جاز ذلك زجراً وتهديدا فى مواضع الحاجة، حيث لا يترتب عليه مفسدة، كما روى عن ابن عباس – رضى الله عنه – أنه سأله رجل عن توبة القاتل، فقال: «لا توبة له» وسأله آخر: فقال: «له توبة» ثم قال: «أما الأول فرأيت فى عينه إرادة القتل فمنعته، وأما الثانى فجاء مسكينا قد قتل فلم أقنطه» لكن يجب عليه التورية فى ذلك، فيقول: «لا توبة له» أى فى حالة إصراره على الذنب أو وهو يريد القتل ونحو ذلك.

آداب يتحلى بها السائل

السائل إن أراد سؤال أهل الذكر ومعرفة الأحكام الصحيحة عليه أن يتحلى ببعض الخصال: منها أن ينوى معرفة حكم الشريعة ليعمل به قدراستطاعته أو ليبلغه لمن يستفيد منه وليتجنب أن يتخذ سؤال أهل العلم لمجرد الكلام واللغو أو استعراض العضلات العلمية أو إحراج الفقيه. وعليه أن يوضح سؤاله وأن لا يسأل إلا سؤالا واقعيا يحتاج للمعرفة فيه وأن يتجنب الأسئلة الخيالية، وأن يشكر ويدعو للمفتى مثل جزاك الله خيراً زادك الله علماً، ونحو ذلك، أن لا ينقل كلام المفتى، إلى غيره إلا إذا كان واثقاً من قدرته على النقل الصحيح، لأن آفة الأخبار رواتها، وقد يتسبب زيادة أو نقصان كلمة فى انقلاب الموازيين.

وعليه أن يكنى ولا يصرح إذا كان فى سؤاله إحراج فيقول مثلاً: ماحكم الشريعة فى مسلم فعل كذا وكذا وكانت ظروفه كذا وكذا، فلا يذكر الأسماء إلا عند الحاجة فقط.

ومن حصر نفسه فى مذهب فعليه أن يعلم أين اتفق العلماء وأين اختلفوا ولماذا اختلفوا ليتمكن من تقديم العذر للأقوال المخالفة لمذهبه حتى لا يقع فريسة سهلة للتعقب المذموم ولا يتعب نفسه وغيره فى فرض اختياراته المذهبية على غيره من الناس.

وليس فى خلق العلماء أن يقدم ويشتم من خالفهم فى الاجتهاد والتهجم عليهم والتهكم منهم فهذا ممنوع من العامى فكيف بأهل العلم من طلبة أو أساتذة؟

وعلى المفتى والمستفتى تقوى الله وعدم اتخاذها ذريعة لمصلحة شخصية على حساب الدين فقد يسأل السائل ويعيد السؤال على أكثر من عالم وينتهى بالحصول على قول ولو ضعيف يجيز له ما يريده وما علم صاحبنا أن هذا من الخسران وليس من الفوز، وكذلك المفتى إن تساهل أو داهن أو كتم من أجل مصلحته الشخصية فقد خان الله ورسوله والإسلام والمسلمين.

الفتوى فيما اتفق عليه العلماء

المسائل المتفق عليها بين العلماء يجوز لكل مسلم أن ينقلها وأحياناً يتوجب ذلك عليه أما المسائل المختلف فيها بين العلماء، يرجع فيها المسلم إلى أهل العلم ليشرحوها له وليختاروا له منها ما يناسبه ويناسب أحواله، مادام لذلك الحكم مستند شرعى صحيح.

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥ ﴾

من التصوير الفنى فى القرآن الكريم

صورة حمالة الحطب

للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفنى

من أبرز جوانب البلاغة فى القرآن الكريم التصوير، والتصوير البيانى هو نقل المعنى المجرد إلى صورة يمكن تخيلها محددة مجسدة، وهذا التصوير من أهم ماتتفاضل به الأساليب، فحين يقال مثلاً هذا رجل شجاع، فهذا أسلوب حقيقة لأن الشجاعة فيه سيقت فى تعبير مجرد عن المجاز أو التأويل، ولكن يمكن نقل هذا التعبير المجرد إلى صورة مجسدة فيقال مثلاً رأيت أسداً يمطر الأعداء بسلاحه، فهذا ليس أسلوب حقيقة لأنك لم تر أسداً حقيقياً أى حيواناً مفترساً، وإنما رأيت رجلاً شجاعاً فنقلت الشجاعة من معناها المجرد إلى صورة مجسدة للأسد، لأن الشجاعة فى حقيقتها المجردة تتفاوت تفاوتاً كبيراً، فحين يوصف شخص بالشجاعة لايستطيع الذهن أن يحدد درجة هذه الشجاعة، ولكن حينما يشبه بالأسد فكأنه يقال إنه فى قمة الشجاعة، وكذلك فى الفرق بين وصف وجه بالجمال، وبين التعبير بأنه بدر، وهكذا، وعلماء البلاغة يصفون المعنى المجرد بأنه أسلوب حقيقة لأنه المعنى الأصلى، ويصفون النقل إلى

الصورة بأنه أسلوب مجاز، أى ليس هو المعنى الأصلى، بل فيه تجوز كما سبقت الإشارة إلى الفرق بين معنى الشجاعة المجرد، وبين نقله إلى صورة الأسد، لأن الشجاع فيها ليس أسداً حقيقياً، وإنما قبلناه فى صورة الأسد تجوزاً لأسباب معينة، وعلماء البلاغة والنقد الأدبى لايختلفون فى أن أسلوب المجاز أبلغ وأعلى درجة أو درجات من أسلوب الحقيقة، لعدة أسباب، منها أن المعنى المجرد لا يحتاج إلى أية عملية عقلية زيادة عن الفهم السطحى، أما أسلوب المجاز فإنه يحتاج إلى نقل المعنى المجرد إلى صورة، أو صياغته فى صورة، ثم يترتب على هذا تثبيت هذه الصورة فى الذهن بخلاف المعنى المجرد الذى غالباً مايضيع فى زحام المعانى الأخرى.

ثم يترتب على هذا أيضاً تحديد درجة الوصف الذى صيغت فيه الصورة، كما سبقت الإشارة إلى فهم درجة الشجاعة حين تنقل إلى صورة الأسد.

ومن هنا نصل إلى صورة حمالة الحطب، التى صاغها أسلوب القرآن فى كلمات بالغة الإيجاز، ولكنها معبرة كل التعبير عما يهدف إليه القرآن، فى قوله تعالى:

﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾

(المسد ٤، ٥)

فالكلمات قريبة المأخذ، الحطب هو الأعواد اليابسة التى تجمع ليوقدوا بها النار، والجيد العنق، والمسد هو ليف النخل الذى تصنع منه الحبال.

السياق

وسياق الصورة أن امرأة أبى لهب عم النبى ﷺ، وهى أم جميل بنت حرب بن أمية، وأخوها أبو سفيان، كانت من أشد الناس بغضاً للإسلام ولصاحب دعوته وهو النبى، وكانت جارة ملاصقة لبيت النبى ﷺ، ومع أن كثيرات من النساء كن يحملن للنبى عداوة وغيظاً حيث يرينه سبباً فى مصرع أعزاء عليهن، كما كانت هند بنت عتبة، ولكنهن جميعاً التزمن حدود العداوة الكريمة مهما اشتد أوارها، ولم يرد أن إحداهن واجهت النبى ببذاءة فى القول، أو إسفاف فى الأذى كما فعلت أم جميل التى انفردت دون النساء بأن تقذف إلى النبى كل حين بكل ماتستطيع من بذىء القول، وقبيح الفعل، والنبى ﷺ بوصفه بشراً لابد أن يضيق صدره وأن تألم نفسه لكل هذا، ومهما يكن حلمه فإن الحلم ليس معناه عدم الألم، بل هو كظم الغيظ، والقرآن يؤكد هذا فى مثل قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾

(الحجر/ ٩٧)

الصورة

وليعين الله رسوله على احتمال مايلقى من أذى أم جميل أنزل إليه فيما أنزل من القرآن:

﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾

(المسد ٤، ٥)

فما إن سمعت أم جميل هذا حتى امتلأت غضباً وثورة، قائلة «لقد هجانى محمد» ويروى حينئذ أنها أخذت حجراً، وقالت: «لأحطمن بهذا الحجر رأسه» وذهبت إليه وهو جالس فى الحرم، فأعمى الله بصيرتها وبصرها عنه، فخرجت من الحرم دون أن تراه، ومما لا يخلو من غرابة أن المفسرين لم يتفقوا على رأى فى هذه الصورة الساخرة، بل الأغرب من ذلك أنهم لم يتركوا لنا رأياً تطمئن إليه النفس، ومن ذلك أن كل آرائهم تدور حول أنها كانت فعلاً تحمل الحطب، واختلافهم إنما هو حول نوع الحطب، وهذا مما لا يقره التاريخ، فبعيداً عن روايات التفسير لم ترد رواية ذات قيمة تاريخية أن أم جميل كانت تحمل الحطب، وهى من ذروة الذرى فى قريش، فأخوها أبو سفيان كان دون شك من أبرز سادات العرب، وأبوها حرب بن أمية ابن عم عبدالمطلب بن هاشم سيد من أكبر سادات قريش، وزوجها عبدالعزى بن عبدالمطلب من وجوه قريش وذوى النفوذ فيها، وفوق ذلك يسجل القرآن أن زوجها من الأغنياء، فى:

﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ ﴾

(المسد ٢)

وامرأة يحيط بها المجد والثراء من كل جانب، وبمالها من العبيد والخدم لا تستسيغ العقول أن تكون حمالة حطب، كما أن بعض المفسرين يريد أن يخرج لفظ المسد من دلالته اللغوية والعرفية فيقول إن المراد به حبل من حديد، مع أن أى عربى لا يلتوى عليه فهم المسد وهو أنه ليف النخل، والقرآن إنما نزل:

﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾

(الشعراء ١٩٥)

ولو كان المراد به حبل من حديد لكان القرآن هو الأولى أن يقول إنه حبل أو سلسلة من حديد، كما أن بعض المفسرين يريد أن ينزع به إلى عقاب الآخرة، ولو كان الأمر كذلك مافزعت أم جميل أدنى فزع، ولا غضبت أيسر غضب، لأنها لا تؤمن أساساً بالآخرة ومافيها، والوعيد بالآخرة ومافيها مهما تكن صورته لا يعد من الهجاء.

ومن هذا كله أيقنت أم جميل كل اليقين أن ماواجهه القرآن إليها إنما هو من الدنيا كما قالت: «إنه هجانى» وليس من وعيد الآخرة، فهذه الصورة التى رسمتها سخرية القرآن لأم جميل لا تعدو أن تكون

صورة من واقع البيئة ومما يزاوله الناس فى حياتهم اليومية، وهذه البيئة من لوازمها اليومية إشعال النار سواء للخبز أو الطبخ أو التدفئة، وإشعال النار لابد له من وقود وهو عندهم الحطب، فهم يلتمسونه من أعشاب الصحراء ومانبت من أشجارها، وهو فى العادة يحتاج إلى دابة يحمل عليها، وأغلب مايناسب هذه المهمة هى الحمير والبغال، لخفة حركتها وسهولة الحمل عليها، ومن المألوف فى كل الدواب التى يحمل عليها أن يكون لها مقود تقاد به كالرسن، والرسن هو الحبل الذى تقاد به الدابة، فمن المناظر المألوفة فى البيئة أن ترى الدواب وعليها أحمال من الحطب، وفى أعناقها حبال تقاد بها.

فإذا نظرنا إلى تصوير القرآن من خلال الهدف والملابسات نجد صورة أم جميل فى غاية الوضوح واليسر، وهى صورة دابة تحمل الحطب، وفى عنقها حبل تقاد به، وكل مافى الصورة من ألفاظ إنما هو تأكيد لإلباس أم جميل صورة الدابة الحقيقية التى تحمل الحطب وتقاد بحبل من ليف، مثل لفظ (حمالة) المسد ٤ أى من طبيعتها تكرار حملها الحطب، وهو صفة الدابة، بخلاف لفظ تحمل أو حاملة، وكذلك لفظ:

﴿ مَّسَدِۭ ﴾ (المسد ٥)

لتأكيد أن المربوط حول عنقها حبل من ليف النخل، وهو أيضاً من صفة الدابة العجماء، بخلاف ما لو كان الوصف فى سياق الحديث عن امرأة:

﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ ﴾

(المسد ٥)

بدون لفظ ﴿ مَّسَدِۭ ﴾ المسد ٥ فقد ينصرف بعض التأويل أن هذه المرأة تلف حول جيدها شىء من نسيج أو حرير كما تفعل بعض المتأنقات، فالمراد من هذه الصورة الساخرة إلباس أم جميل صورة الدابة العجماء الحقيقية، كما يقال فى التعبير البلاغى رأيت فى الحرب أسداً يفترس الأعداء افتراساً، فهو ليس حيواناً أعجم، بل هو إنسان ولكن يراد إلباسه صورة الحيوان المفترس ليكون التعبير أبلغ فى الدلالة، فهذا أسلوب مجاز، ولا خلاف بين البلاغيين فى أن أسلوب المجاز أبلغ بكثير من أسلوب الحقيقة.

على أن إكساب الآدميين صفة الحيوانات العجماء لا غرابة فيه من الناحية الدينية، فإن القرآن يؤكد هذا فى مثل قوله تعالى عن المشركين الذين ألغوا عقولهم نحو الدين:

﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾

(الفرقان ٤٤)

فأم جميل استحقت وصف الدابة حتى بدون إيذائها شخص الرسول، أى استحقته بشركها، ولكن إيذاءها إياه

جعلها تستحق فوق ذلك هذه الصورة الساخرة التى يمكن لرسام أن يرسمها فى لوحة مما يسمى (الكاريكاتور) مصوراً مثلاً بغلة أو أتاناً (حمارة) وفى عنقها حبل معقود به، وعلى ظهرها حمل حطب، ولا يحدث فى هذه الصورة تغيير لصورة البغلة أو الأتان إلا فى شىء واحد، هو وضع وجه أم جميل مكان رأس الأتان أو البغلة، ويكتب على جبهتها (أم جميل) ثم لنا أن نتصورحينئذ مدى سخرية هذه الصورة من أم جميل، ومدى إيلامها النفسى إياها، إن الموت أهون من هذه الصورة عند مثل أم جميل سيدة السيدات فى المجتمع.

الأثر النفسى

وهذه الصورة الساخرة تتضمن فيما تتضمن ثلاث رسائل غير خافية الهدف، هى:

أولاً: رسالة إلى أم جميل ومن تشبهها بأنها إذا كانت تستغل جاهها ونفوذها، وتستعجل حلم الرسول وصبره فتقول ماتقول، وتفعل ماتفعل مما يؤذى رسول الله، فإن الله يفتح عليها باب العقاب ليمنع عن رسوله أذاها، فيوجه إليها هذا السهم القاتل، ليريها أن إيذاء الله أشد من أذاها، وأنها إن لم تكف فعند الله بطبيعة الحال المزيد والأشد، ولذلك جن جنونها حين سمعت هذه السخرية، فعمدت إلى ماتذكره الروايات من أنها أخذت حجراً تريد أن تحطم به رأس رسول الله ﷺ، ظانة أنه هجاها بهذه الصورة الساخرة، لأنها لاتؤمن بأنه كلام الله فى القرآن الكريم.

ثانياً: هى رسالة إلى النبى تتضمن مواساة له، وتقوية لعزمه واحتماله الأذى والألم النفسى، وكأن الله ـ سبحانه ـ يقول له، لا ينبغى أن يشغلك أمر هذه المرأة، ولا أن تضيق بما يصدر منها فأنها فى عقليتها وجوهرها الحقيقى لا تختلف عن أية دابة تحمل الحطب، وفى جيدها حبل مفتول فتلا قوياً ليكبح جماحها وعتوها، وإذا كان المعنى كذلك فلعلها إشارة من الله إلى نبيه بأن يطمئن إلى أن الله سيكبح جموحها وجموح الشرك كله، وقد كان النبى أولى الناس بأن يفهم عن ربه هذه الرسائل والإشارات، ولذلك فإنه منذ بدء الإسلام والمسلمون قلة مستضعفة كان يؤكد لهم ويحلف بأن الله سينصر هذا الدين ويتمه حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه.

ثالثاً: هى رسالة إلى التوابع من النساء اللاتى ينقدن لأم جميل أو يتأسين بها أو بمثلها، إما خضوعاً لمنزلتها، وإما إعجاباً بشخصيتها ومكانتها، ومضمون الرسالة دعوة إلى التفكير فى جوهر هذه المرأة وحقيقتها، وكأن هذه الصورة الساخرة فى القرآن توجه إليهن سؤالاً مضمونه: ما الفارق بين هذه المرأة من حيث العقل والجوهر وأية دابة تحمل حطباً وتقاد بمقود؟

إن أعظم ما يقف عليه المسلم فى القرآن: حديث القرآن عن نفسه، وما أروع حديث القرآن عن نفسه، إنه حديث الصدق فى أسمى درجاته، وحديث الطهر فى أنقى صوره لأنه مصون من كل المؤثرات محفوظ من التبديل والتغيير.

حديث القرآن عن نفسه

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

[الحجر/ ٩]

ولقد أقسم الله ـ تعالى ـ على ذلك فقال:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

[الواقعة/ ٧٥ : ٨٠]

وقد ضرب الله الأمثلة على عظمة القرآن، وأنه لو أنزل على جبل لخشع وتصدع من خشية الله قال سبحانه:

﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[الحشر/ ٢١]

هذا وإن القرآن الكريم لهو أجل النعم الإلهية وأولها. ولذا صدر القرآن حديثه عن القرآن فى صدد تعداد النعم الوافرة فذكره قبل نعمة النطق وغيرها من النعم والآلاء فقال:

﴿ الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾

[الرحمن/ ١ : ٧]

وحين سمع الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ رسول الله ﷺ يقول: «ستكون فتن..» سأله عن المخرج من الفتن؟ فأجابه الرسول ﷺ قائلا: «كتاب الله تبارك وتعالى، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تتشعب معه الآراء ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا:

﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾

من علم به سبق ومن قال به صدق ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم» وإذا يتبين لنا مما سبق عظمة القرآن ومنزلته التى تمثلت:

أولا: فى الهداية ليتدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب. قال تعالى:

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾

[النحل/ ٤٤]

وقال:

﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾

[النحل/ ٦٤]

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾

[الإسراء/ ٩]

كما بين القرآن نتيجة من أعرض عن القرآن فى قوله:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾

[طه/ ١٢٤ : ١٢٦]

ثانياً: فى الإعجاز وما تمثل فى القرآن من كونه معجزة دالة على صدق الرسول ﷺ جاء به فى وقت اكتملت فيه كل ملامح القوى البلاغية ووسط قوم ملكوا زمام الفصاحة والبيان فجاءهم بمعجزة ومن نوع ما برعوا فيه فعجزوا عن الإتيان بمثله قال تعالى:

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

[البقرة/ ٢٣]

بل إن التحدى كان للإنس والجن من الإتيان بمثله واضحا. قال تعالى:

﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾

[الإسراء/ ٨٨]

الأزهر

وفيما روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال: قال النبى ﷺ: «ما من الأنبياء نبى إلا أعطى من الآيات ما مثله امن عليه من البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلىّ فأرجو أن يكون أكثرهم تابعا يوم القيامة».

وقد حفظ الله كتابه فى القديم وفى الحديث من بين يديه ومن خلفه

﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ (٤١) لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾

[فصلت/ ٤١ : ٤٢]

وقد حاول بعض المعاندين أن يثيروا حول القرآن الكريم بعض الشبه وأن يقولوا تنزلت به الشياطين، فرد الله تعالى عليهم بقوله:

﴿ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ (٢١١) إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴾

[الشعراء/ ٢١٠ : ٢١٢]

أما تنزل الشياطين فلا يكون إلا على أهل الإفك والكذب والزور:

﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴾

[الشعراء/ ٢٢١، ٢٢٢]

ولما كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصرانى يقال له جبر فزعم أعداء الدين أن جبراً هذا هو الذى يعلم الرسول أغلب ما يأتى به وحاولوا ترويج تلك الفرية فنزل قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴾

[النحل/ ١٠٣]

بل إنهم تخبطوا فى ضلالات كثيرة وأثاروا حول القرآن شبها عديدة لا يثبتون على حال ولا يهدأ لهم بال شأن كل ملحد فمرة يقولون عنه، إنه خلط من أخلاط الأحلام وأخرى يقولون إنه افتراه وأخرى: بل هو شاعر:

﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴾

[الأنبياء/ ٥]

وعندما فكر الرسول ﷺ فى الالتقاء بوفود العرب والقبائل فى موسم الحج يدعوهم إلى الله. اجتمع بعض المعاندين من قريش إلى الوليد بن المغيرة يتشاورون وقالوا: ماذا عسى أن يقال فى شأن محمد للعرب القادمين إلى موسم الحج حتى لا يختلف بعضهم على بعض ويكذب بعضهم بعضا واقترح بعضهم أن يقولوا

إن محمدا كاهن، فرد الوليد هذا الرأى أن ليس فيما يقول محمد بزمزمة الكاهن ـ أى الكلام الخفى ولا يسجعه، واقترح آخرون أن يزعموا أن محمداً مجنون، فرد الوليد هذا الرأى بأنه لايبدو عليه لهذا الزعم ظاهرة، اقترح غيرهم أن يتهموا محمدا بالسحر، فرد الوليد بأن محمدا لا ينفث فى العقد ولا يأتى من عمل السحرة شيئا، وبعد حوار اقترح الوليد عليهم أن يقولوا للحجاج من العرب إن هذا الرجل ساحر البيان وأن ما يقوله سحر يفرق به بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته.

وفى صدد بيان تلك الفرى التى افتراها أعداء الإسلام يتحدث القرآن الكريم عنها، ويفندها ويبددها فى قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٌ (٧) أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَلَا تَمۡلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۚ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

[الأحقاف/ ٧، ٨]

جاءت هذه الآيات الكريمة لتقرر قضية الوحى الإلهى فى أجل صورها وأسماها وهى آيات الله البينات التى اشتمل عليها القرآن الكريم وقد عالجت هذه الآيات ذلك الموضوع الهام المتعلق بأمر الوحى، بعد أن تصدت الآيات السابقة لها من صدر سورة الأحقاف التى تقرر عقيدة التوحيد عن طريق بيان ما أنزل الله من كتاب. وما خلق من السموات والأرض وما بينهما، وكتاب الكون المفتوح بما فيه من شواهد العظمة الإلهية والقدرة القوية شاهد على صدق الكتاب المنزل الذى يهدى للتى هى أقوم وكلاهما يتضافران فى بيان أوضح الأدلة على وحدانية الله ـ تعالى ـ ومن عجب بعد كل هذا الوضوح أن يعرض الذين كفروا تلك الحقيقة الواضحة التى لا لبس فيها ولا غموض

﴿ حمٓ (١) تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ (٢) مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ﴾

[الأحقاف/ ١، ٣]

بعد ذلك تطرح تساؤلاتها القوية والحجج الملحة وتتحدى من يعبدون أحدا غير الله وتبين عجز الجميع أن يخلقوا شيئا

﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾

[فاطر/ ٤٠]

أن نهايتهم ونهاية ما عبدوا فى الدنيا عجز ومهانة.

وأما نهايتهم فى الآخرة فهى وقوع العداوة بينهم وبين معبوديهم وتبرؤهم منهم وكفرهم بهم وإذا حشر الناس كانوا

لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين، وهكذا أبطلت الآيات السابقة عقيدة الشرك وأثبتت قضية التوحيد فى جلاء ووضوح.

بعد هذا أخذت الآيات فى إثبات قضية الوحى الإلهى كيف جاء القرآن وحيا جليا وآيات بينات ومع هذا فإنهم لا يملكون أمام إعجاز القرآن إلا أن يقولوا:

﴿ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾

[النمل/ ١٣]

ثم بينت ما آل إليه أمرهم من التخبط والتضارب فيقولون: ﴿ افْتَرَاهُ ﴾ وهنا يبرز القرآن هذه الفرية الأخرى فى صورة الخبر بل على صورة الاستفهام لأن هذا لا ينبغى أن يقول به عاقل ومن المستبعد أن ينطلق به إنسان ومعه عقله:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾

وهنا تأتى الإجابة أمرا من عند الله تعالى يتضمن استبعاد تلك الفرية على طريق التدرج معهم حتى يأتى عليها من القواعد فعلى فرض ما ادعيتم فهل يكون مفترى من أجل أن تؤمنوا وماذا يجدى إيمانكم لو أخذنى ربى

﴿ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾

[الأحقاف/ ٨]

ولكن الحقيقة واضحة ويعلم الله ما يندفعون فيه من طعون زائفة وكفى شهيدا على صدق ما جئت به وعلى افتراء ما تطاولتم به هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بينى وبينكم.

وفى وسط هذا الجو الخانق لديهم ومع هذا الحوار الشديد يكشف القرآن عن أسرار الرحمة الإلهية ويشعرهم بحكم الله عليهم رغم تلك الجرائم والافتراءات فيقول:

﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

[يونس/ ١٠٧]

فقد تتداركهم هداية الله فيهديهم وقد يثوبون إلى رشدهم فيرحمهم وبعد مناقشة المشركين فى ضوء تلك الآيات البينات وبيان أنها حق أخذت فى مناقشتهم عن طريق من أنزل عليه القرآن وهو الرسول ﷺ فهو لا يختص نفعه بشىء ولا يصدر فى أمر إلا عن وحى الله «إن قلبه واثق من ربه فلا يعد عينيه إلى سر ما من الأسرار وأنه ليس أول رسول جاء برسالة ربه فقد سبقه من قبل الرسل».

﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

[الأحقاف/ ٩]

أما ما أشارت إليه الآية:

﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾

فالمراد به ما لم يكن عليه من طائف النبوة كالحوادث والوقائع الدنيوية أما ما يحدث فى الآخرة من ثواب وعقاب أو غير ذلك فإن علم مثل هذا من شئون النبوة ووظائفها ولذا اختتمت الآية الكريمة بما بين إنذار الرسول ﷺ بعقاب الله تعالى:

﴿ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

[الأحقاف/ ٩]

كما أخذت الآيات بعد ذلك فى إثبات صدق القرآن عن طريق أحد بنى إسرائيل كواحد من جنس المعاندين. أنه استدل على صدق الآيات من نفس القرآن ثم استدل على صدقها أيضا عن طريق واحد من نوع المعاندين وجنسهم وهو «عبدالله بن سلام».

لما سمع عبدالله بن سلام بمقدم رسول الله ﷺ أتاه فنظر إلى وجهه الكريم فعلم أنه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق أنه النبى المنتظر فقال له: إنى اسألك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى ما أول شرائط الساعة، وما أول طعام يأكله أهل الجنة، والولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه، فقال ﷺ «أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأول طعام أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الولد فإن سبق ماء الرجل نزعه وإن سبق ماء المرأة نزعته». فقال: أشهد أنك رسول الله حقا فقام، ثم قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت فإن علموا إسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم: «أى رجل عبد الله فيكم؟» فقالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال «أرأيتم أن أسلم عبدالله؟» قالوا أعاذه الله من ذلك، فخرج إليهم عبدالله فقال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقالوا: شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر»(١) قال سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشى على الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام وفيه نزل:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

[الأحقاف/ ١٠]

هذا هو حديث القرآن الكريم عن نفسه يحمل دليل إعجازه وفصاحته ويحمل نور الله وهدى الله إنه الدستور الخالد الذى نظم شئون الحياة ووثق علاقة الخلق بخالقهم وهدى الناس من ضلالة وعلمهم من جهالة، فما أحوجنا إلى التمسك به والسير على هديه، وتلاوته وتعلمه وتعليمه، فمن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم.

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٥٢٨.

معاملة المسلمين مع غيرهم... المبادئ والتطبيق

٥

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف
رئيس اللجنة الدائمة للحوار بين الأديان السماوية بالأزهر الشريف

حرمة الاعتداء على النفس والوطن والمال

لقد احترم الإسلام النفس البشرية، وجعلها موضع إجلال وتقديس، واعتبرها هى الحياة، ونظر إليها نظرة عامة شاملة، وحرَّم الاعتداء عليها إلا بالحق، واعتبر أن مَنْ قتلها فكأنما قتل الناس جميعًا، وأنَّ مَنْ أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا، قال ـ تعالى ـ:

﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾

المائدة/ ٣٢

وتنكير كلمة النفس فى الآية الكريمة تفيد العموم الذى يجاوز حد العصبية القبلية والقومية، والعقائد الدينية، إلى نظرة عامة شمولية، أى: أى نفس لا فرق بين جنس وجنس، ولا بين لون ولون، ولا بين رجل وامرأة، ولا بين دين ودين...

ونهى الإسلام عن الاعتداء على النفس، قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

الأنعام/ ١٥١

وشدد العقوبة على من يرتكب هذه الجريمة فقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾

النساء/ ٩٣

وسوى الإسلام فى القصاص بين الجميع فقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

المائدة/ ٤٥

وقال أكثر الفقهاء: إن نفس الذمِّى مساوية لنفس المسلم، فكما يُقْتص من المسلم إذا قتل مسلمًا، كذلك يُقْتص من المسلم إذا قتل ذميًا، واستدلوا على ذلك بما رُوِى عن رسول الله ﷺ أنه قتل مسلمًا

بذمِّى، وقال: «أنا أحق مَنْ وفَّى بذمته»(١).

وصان الإسلام المال الخاص بالفرد وعرْضه، ونهى عن الاعتداء عليهما، يقول رسول الله ﷺ: «كُل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله»(٢). ويقول ﷺ فى حديث آخر: «لا تحاسدوا ولا تنجاشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله، التقوى ههُنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلمْ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»(٣).

ويقول رسول الله ﷺ: «لا يبع الرجل على بَيْع أخيه»(٤)، «لا يَخْطب الرجل على خطْبة أخيه»، وقد قال الفقهاء فى شرح الحديث: إنَّ البيع على بيع غير المسلم من أهل الدمة كالبيع على المسلم تمامًا، لأن له حُرمة المسلم، كما أن النهى عن الخطبة يَنْدرج تمامًا على الذمىّ فلا يجوز أن يخطب عليه، لأن الإسلام أحلّ نكاح الكتابيات، فإذا خطب ذمىٌّ فتاة فلا يجوز لمسلم أن يخطبها بعد إعلان خطبتها للذمى، رعاية لعهده، وتوثيقًا لعرى المودة والأخوة والصلة بين أهل الوطن المشترك للجميع...

وبلغ من حرص الإسلام على سلامة الذمى، وعدم الاعتداء عليه فى نفسه أو عرضه أو ماله أن رسول الله ﷺ جعل نفسه خصمًا ضد مَن يعتدى على الذمى، فيقول ﷺ: «من آذى ذميا كنت خصيمه يوم القيامة»(٥)، ويروى أبو داود قوله ﷺ: «مَن ظلم معاهدًا أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة»(٦).

ويكفل المجتمع الإسلامى غير المسلمين عند عجزهم عن العمل والكسب ـ كما يكفل

---

١) مصنف عبدالرزاق ١٠/١٠١ رقم ١٨٥٦٤.
٣) مسلم.
٥) سنن ابن ماجه ١/٦٠٠ حديث رقم ١٨٦٧.
٢) الترمذى وابن ماجة وأبو داود وأحمد.
٤) سنن ابن ماجه ٢/٧٣٤ حديث رقم ٢١٧٢.

المسلمين تمامًا ـ (وهو ما يسمى اليوم بالضمان الاجتماعى)، ففى خلافة أبى بكر الصديق كتب إلى خالد بن الوليد فى عقد الذمة لأهل الحيرة بالعراق ـ وكانوا نصارى ـ: «وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيًا فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته، وعِيلَ من بيت مال المسلمين هو وعياله».

ولتأكيد حقوق أهل الكتاب فى ديار الإسلام أن رسول الله ﷺ قال: «جار الدار أحق بشفعة الدار»[٦] ومعنى ذلك أن الجار إذا بيعت دارٌ ملاصقة لداره، وكان البيع لشخص آخر، فللجار حق الشفعة فى هذه الدار، ويطلب تمليكها لنفسه بالثمن الذى بيعت به، وقد قال الفقهاء: إن حقَّ الشفعة كما يثبت للجار المسلم يثبت أيضًا للجار الذمى لأنهما سواء فى سبيل الاستحقاق وسواء أيضًا فى حاجة كل منهما إلى دفع الضرر عن نفسه...

ونكتفى هنا بكلمات نيِّرة للفقيه الأصولى المحقق/ شهاب الدين القرافى. شارحًا بها معنى البر الذى أمر الله به المسلمين فى شأنهم. فذكر من ذلك:

«الرفق بضعيفهم، وسد خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وكساء عاريهم، ولين القول لهم ـ على سبيل اللطف لهم والرحمة على سبيل الخوف والذلة ـ والدعاء لهم بالهداية، ونصيحتهم فى جميع أمورهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم، وإيصالهم إلى جميع حقوقهم... إلخ».

الأقليات من غير أهل الكتاب

إن روح الإخوة الإنسانية التى سنَّها الإسلام مع أهل الكتاب المقيمين فى ديار الإسلام، والتى كفلت لهم جميع الحقوق التى للمسلمين دون نقص أو حيف، وألزمتهم بجميع الواجبات التى على المسلمين قبل الدولة دون زيادة أو إرهاق، تطبيقًا لقول الرسول ﷺ: «لهم ما لنا، وعليهم ما علينا»... هذه الروح الإنسانية التى سنَّها الإسلام لا تقتصر على أهل الكتاب وحدهم، بل تمتد إلى الناس جميعًا ولو لم يكونوا أهل دين سماوى...

فهؤلاء يقف الإسلام منهم موقف الأخوة الإنسانية الصادقة، ويدعو المسلمين إلى البر بهم والإحسان إليهم، وإلى إقامة العدل معهم، ما داموا مسالمين غير معتدين، ولا يتآمرون على المسلمين، ولا يخونون الدولة التى ترعاهم ويعيشون فى كنفها... وفى ذلك يقول الله ـ جل وعلا ـ:

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

الممتحنة/ ٨، ٩

٦) الطبرانى فى المعجم الكبير ٧/ ٢٣٧.

هاتان الآيتان الكريمتان ترسمان للمسلمين المنهج الذى يجب أن يسيروا عليه مع غيرهم من غير المسلمين... وهو أن من لم يقاتل المسلمين من غير المسلمين، ولم يعمل أو يساعد على إلحاق الأذى والضرر بالمسلمين، فلا بأس من برِّهم وصلتهم، والإحسان فى معاملتهم وتكريمهم، والقضاء إليهم بالعدل، ومعاملتهم بمثل معاملتهم، وعدم الجور عليهم فى حكم من الأحكام، إنَّ الله يحب العادلين فى أقوالهم وأفعالهم وأحكامهم الذين ينصفون الناس، ويعطونهم العدل من أنفسهم، ويحسنون إلى من أحسن إليهم...

أما من قاتلوا المسلمين، وحاولوا إيذاءهم، وعاونوا غيرهم على إخراج المسلمين من ديارهم، فعلى المسلمين أن يقطعوا صلتهم بهم، وأن يتخذوا كافة الوسائل لردعهم وتأديبهم، حتى لا يتجاوزوا حدودهم مع المسلمين، ومن يبر من المسلمين هؤلاء ويتعاون معهم، ويحسن معاملتهم ويكرمهم، فقد ظلم نفسه ظلمًا شديدًا يستحق بسببه العقاب الذى لا يعلمه إلا الله...

فالآية الأولى قد رخَّصت للمسلمين البر والصلة ـ قولاً وعملاً ـ لغير المسلمين الذين لم يقاتلونا لأجل ديننا، ولم يحاولوا الإساءة إلينا... بينما الآية الثانية قد نهتنا عن البر أو الصلة لأولئك الكافرين الذين قاتلونا من أجل مخالفتنا لهم فى العقيدة، وحاولوا إخراج المسلمين من ديارهم، وعاونوا غيرهم على إنزال الأذى بالمسلمين...

وقد رُوِىَ أنَّ أسماء بنت أبى بكر الصديق قالت: «أتتنى أمى راغبة ـ أى فى عطائى ـ وهى مشركة فى عهد قريش... فسألت رسول الله ﷺ: أأصلها؟. فأنزل الله ـ تعالى ـ:

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

فقال رسول الله ﷺ: «نعم صلى أمك»[٧].

فالمشرك الذى لا يؤمن بالله وله أبناء مسلمون، يطلب الإسلام من أبنائه المسلمين أن يبروه، وأن يقدموا له المال والغذاء والكساء والرعاية مادام مسالمًا، لأنه إنسان قبل كل شىء، والإنسانية رحمة يجب أن تراعى بين الناس جميعًا، وعلى الأبناء أن يطيعوه إلا فى حالة دعوة أبنائه إلى الشرك بالله، فلا طاعة له... يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

لقمان/ ١٤، ١٥

٧) البخارى ٣/ ٢١٥.

موقف اللادينيين من الإسلام

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

مما لا يتطرق إليه شك لدى كافة البشر، أن التقدم العلمي الذي أحرزه الإنسان في العقود القليلة الأخيرة، فاق كل تصور؛ حتى وصل إلى ما يمكن أن تسلكه في باب الإعجاز، الذي لم يكن أحد من الناس يتوقع حدوثه، أو حتى مجرد التفكير فيه.. ومن أبرز مظاهر هذا التقدم العلمي المذهل، أن أصبحت الأرض كلها في يده كرة صغيرة يرى بعينيه كل مايدور بين أركانها في نفس اللحظة، ويستطيع أن يشارك في تسيير دفة الحياة فيها، وأنى شاء مشاركة فعالة ومباشرة.. بل وأكثر من ذلك فهو الآن يرى عبر مخترعاته العلمية العجيبة مايدور فوق سطح بعض الكواكب الأخرى؛ حتى وصل بطموحاته التي لاتقف عند حد، إلى أن أصبح ينبش هذه الكواكب، ليتعرف على مكوناتها وما تحمله فيها من أسرار..!! تقدم علمي مذهل ولا شك، وبكل المعايير.. وهو يحمل في باطنه كثيراً من المفاجآت، التي نتوقع حدوثها في القريب العاجل، ولانظن أن تتوقف هذه المفاجآت مطلقاً..!!

وهذا كله شيء طيب حقاً، يؤكد على أن العقل البشري، هو أعجب ما في هذا الوجود.. لكن الشيء المؤلم، الذي يدعو إلى الدهشة، تلك الانتكاسة العقائدية، التي أصيب بها الإنسان في علاقته بخالقه سبحانه؛ حتى بات يتعالى بنفسه عن تلك الروابط التي توثق علاقته بالله - عز وجل - وتذكره إياه، وتربط كل هذا التقدم بمصدره الأول حتى لايضل؛ وحتى لايدمر نفسه بنفسه..!!

«فقد اعتبر العلماء الطبيعيون ثبوت علو مكانة الإنسان فوزاً كبيراً لهم على الأديان؛ حتى زعموا أنها تحقِّر من شأنه، وتحط به إلى مالايتناسب ومواهبه السامية، وتعمل على إذلاله بضروب من التكاليف الشاقة، تحت اسم العبادات، وتحاول الاستيلاء على ضميره بما تصوره له من الثواب والعقاب في دار بعد هذه الدار»(1).

فلو رجع الإنسان إلى كتاب الله، وقلب في صفحاته المشرقة، التي لاتزال تحمل هذه المحاورة الجليلة والفريدة بين الله - عز وجل - وملائكته، لأدرك مصدر هذا التقدم العلمي المذهل، وسره الخالد، ولربطه دائماً بمرضاة واهبه، الذي وهبه إياه لا لمصلحة واهبه، أو لمنفعته - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - وإنما لضمان استقرار حياته هو، وسلامته هو، وهو يقطع رحلته في هذه الحياة، اقرأ معي هذه المحاورة العجيبة، التي تُعلي من شأن الإنسان، وتضع النقاط فوق الحروف وإلى الأبد في تحديد علاقة الإنسان بربه - تبارك وتعالى - وتقوى الروابط بينه وبين المفهوم الصحيح لخلافته في الأرض.

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾

[البقرة ٣٠ : ٣٤]

استخلاف الإنسان

إن من يقرأ مثل هذه الآيات المباركات - حتى قبل أن يقرأ شيئاً من أقوال المفسرين القدامى والمحدثين حولها - ليستوحي ولأول وهلة عدة حقائق مؤكدة منها:

أولاً: إن اختيار الله للإنسان دون الملائكة ليجعله خليفة له في أرضه، هي أولى علامات التكريم له؛ حيث جعله سيد هذه الأرض، التي أوكلت إليه مهمة الخلافة فيها، بما يعنيه ذلك من عمارتها، واستنباط خيراتها، واكتشاف ما في باطنها مما لا يعلم حدوده إلا الله خالقها، واستغلال ذلك كله في تقدمه، وتوفير حاجاته؛ بما يكفل له الأمن والسلامة في يومه وغده.

ثانياً: أن تعليم الله آدم أسماء الكائنات كلها، بعد أن حجبها عن ملائكته، بما يعنيه ذلك من غرسه - سبحانه - في طبيعة ذلك الإنسان القدرة على التكيف مع هذه المسميات والتعرف على أسرارها، والسيطرة التامة عليها، وتسخيرها لمنفعته عاجلاً وآجلاً. لهو أكبر دليل على أن مكانة الإنسان أرفع من أن يكون محتقراً ممن خلقه وصوره بيده، ووهبه هذه القدرات العجيبة التي لاتزال تبرز إلى الوجود واحدة تلو الأخرى، كلما دعت الحاجة إلى ذلك، وعلى امتداد الزمان.

ثالثاً: أن إسجاد الله ملائكته لهذا الإنسان بعد أن صوره بيديه لهو برهان ساطع على أنه محل تكريم ممن خلقه، مع علمه سبحانه وتعالى بما سيصدر عنه، في رحلته التي خلقه الله من أجلها، حيث سيكون هناك إفساد بجانب الإصلاح، وسيقع منه الشر ملازماً للخير، وستكون منه المعصية مع الطاعة.

ويتأكد هذا التكريم عندما نقرأ قوله - تبارك وتعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

[الإسراء ٧٠]

إن رسالة الإسلام - وهي خاتمة الرسالات وذروة سنامها - لتؤكد على أن الإنسان خُلق في

(1) محمد فريد وجدي، مجلة الأزهر، المجلد السابع ص٥١٧، سلسلة مقالات تحت عنوان «الروح الإسلامية ومدى تأثيرها في النفس البشرية».

هذا الكون ليكون سيده، وليكمن فيه سر هذا الوجود. ولقد أحسن الشاعر حين قال:

أتزعم أنك جسم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر!!

فلقد زوده الله بالروح، وجعلها أكبر سر في حياته، كما اختص نفسه - تعالى - بمعرفة حقيقتها وكيف تعمل في جسمه، وجعلها الجوهر العلوي الذي يصل الإنسان بربه، وبه ينأى عن الصغائر التي تشين فيه إنسانيته، قال تعالى:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

[الإسراء ٨٥]

وإذا كان الله - عز وجل - خلق الإنسان من عنصرين اثنين: هما قبضة من الطين، ونفخة من الروح، فإن مشيئته تعالى جعلت القيادة والسيادة لثانيهما، فبقدر سيطرة الروح، وامتلاكها لزمام القيادة فيه، يكون ارتفاع قيمته في نظر هذا الدين، وارتقاء مواهبه في هذه الأرض.. وإذا ما تغلب فيه عنصر الطين، كان انحطاطه وتسفُّله، وانغماسه في أوحال المادة الرخيصة؛ حتى يهلك مع الهالكين، إن لم تتداركه عناية الله ورحمته.. فكيف يقوى عنصر الروح، وكيف يضمن الإنسان لنفسه أن يترقَّى في سلَّم الكمالات..؟؟ إنه الاتصال المستمر بمصدر هذه الروح الذي يمدها بالزاد، ويدفع به إلى باطنها، لتعمل على هدى من نوره العلوي الطهور، ولن يكون ذلك إلا بالعبادة؛ لأنها وحدها هي الطريق الممهودة التي توصل إلى الارتقاء بهذه الروح. وتضمن لها السلامة والقوة حتى لاتضل أو تضعف؛ فيتغلب عليها عنصر الطين.

مفهوم العبادة في الإسلام

إن مفهوم العبادة في الإسلام، ليبدأ بتنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية، من حرص على الطهارة، وإقامة للصلاة، وإيتاء للزكاة وصوم وحج.. وأمر بمعروف ونهي عن منكر إلى آخر هذه الأركان التشريعية.. ثم تنداح دائرته؛ حتى تشمل كل أمور الحياة: سواء فيما يصل الإنسان بربه - عز وجل - أو ما يخص علاقته بأخيه الإنسان، أو ما يخص مادة الكون وأشياءه، حتى اللقمة التي يضعها الرجل في فم زوجه تصل إلى حد العبادة. وحتى مباشرته إياها، إذا قُصد به إعفاف كل منهما الآخر، وابتغاء الولد الصالح الذي يعبد الله حق عبادته، كل هذا عبادة لله، قال عليه الصلاة والسلام: «وفي بُضع أحدكم صدقة» قال الصحابة: يارسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟! قال: نعم. أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ قالوا: نعم. قال - عليه الصلاة والسلام: «كذلكم إذا وضعها في حلال كان له فيها أجر..!!»[٢].

هكذا. فالإسلام حينما يدعو الناس لعبادة الله عز وجل، لم يكن يهدف إلى إذلاله، وتحميله فوق ما يطيق، كما يرى الطبيعيون، ولم يكن يهدف

(٢) مسلم، كتاب الزكاة، ص٥٣.

إلى إضاعة وقته، الذي يجب عليه أن يوجهه إلى الإنتاج كما يرى الاقتصاديون. وإنما كان يهدف إلى أن يرتفع بشأنه، وإلى أن تظل شعلة الإيمان بالله - تعالى - متقدة بين جوانحه، تضيء له الطريق، فلا يسقط في أوحال المادة الرخيصة، وليعيش حياته في رضا وسعادة، حتى يلقى الله في خاتمة هذه الحياة راضياً مرضياً.

ويجدر بنا هنا، أن نتعرف على مفهوم العبادة في نظر الإسلام، وعلاقتها بالغاية التي وجد الإنسان في الكون من أجلها. يقول الحق - تبارك وتعالى - في محكم التنزيل:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾

[الذاريات ٥٦ : ٥٨]

إذن فعبادة الله - عز وجل - هي غاية الغايات من وجود الإنسان في هذه الحياة. ولقد كتب الإمام الجليل، والعالم العلامة الشيخ محمد عبده - رحمه الله رحمة واسعة - في معنى العبادة كلاماً طيباً وهو يناقش مادة [عَبَدَ] من حيث مدلولها اللغوي نذكر منه ما يلي: «إننا إذا تتبعنا آي القرآن وأساليب اللغة واستعمال العرب لـ «عَبَدَ» وما يماثلها، ويقاربها في المعنى - كخضع وأطاع وذلّ - وجدنا أنه لا شيء من هذه الألفاظ يضاهي «عَبَدَ» ويحلّ محلّها، ويقع موقعها، ولذلك قالوا: إن لفظ «العباد» مأخوذ من العبادة، فكثر إضافته إلى الله - تعالى..» إلى أن يقول: «يغلو العاشق في تعظيم معشوقه والخضوع له غُلُواً كبيراً. حتى يفنى هواه في هواه، وتذوب إرادته في إرادته، ومع ذلك لايسمَّى خضوعه هذا عبادة بالحقيقة، ويبالغ كثير من الناس في تعظيم الرؤساء والملوك والأمراء، فترى من خضوعهم لهم وتحريهم مرضاتهم ما لا تراه من المتحنثين القانتين فضلاً عن سائر العابدين، ولم يكن العرب يسمون شيئاً من هذا الخضوع عبادة، فما هي العبادة إذن؟» ويستمر الإمام الشيخ محمد عبده في تحليله هذا ليجيب قائلاً:

«تدلُّ الأساليب الصحيحة، والاستعمال العربي الصُّراح على أن العبادة، ضرب من الخضوع البالغ حد النهاية، ناشئ عن استشعار القلب عظمة للمعبود لا يعرف منشأها، واعتقاده بسلطة له لا يُدرك كُنهها وماهيتها، وقصارى مايعرفه منها أنها محيطة به ولكنها فوق إدراكه»[٣].

رحم الله الإمام الجليل، وكأنه كان يرى بنور الله، ويرد على أولئك الطبيعيين الذين يرون في مباشرة الإنسان لصور العبادة مذلة وانكساراً، لا يليقان بالإنسان الذي تحققت على يديه كل هذه الانتصارات العلمية الباهرة. وهم في نفس الوقت لا يفرقون بين الخضوع لغير الله، والذلة والانكسار للرؤساء والأمراء؛ مما يحط من كرامة الإنسان ويزري بمكانته.. وبين العبادة الحقيقية بما فيها من إبداء الخضوع لرب الأرباب والامتثال لأوامره تعالى، الذي يعز به العابد، وترتفع به كرامته. ويعلو شأنه بين جميع الكائنات..!!

«يتبع»

(٣) تفسير فاتحة الكتاب للإمام محمد عبده ص٣١، ٣٢ جـ١ كتاب التحرير.

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا ﴾

شهادات غربية فى إنصاف الإسلام

٧

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

وفى البوسنة

● «احتفظ البوسنيون المسلمون بقوميتهم، وظل السواد الأعظم منهم يحملون أسماء صربية ولا يتكلمون إلا بلغتهم الوطنية، وفى الوقت نفسه كانوا يبرهنون دائما على غيرة متدفقة على دينهم الجديد، وسرعان ما تبوأ أشراف البوسنة، بفضل شجاعتهم العسكرية وتقديسهم للإسلام وما كان لهم من نفوذ قوى، مكانة سامية فى القسطنطينية، وأصبح كثير منهم موضع ثقة فى مناصب الحكومة الهامة، مثال ذلك أن تسعة من رجال السياسة الذين ينتمون إلى أصل بوسنى شغلوا منصب كبير الوزراء فى الفترة التى تقع بين سنتى سنة ١٥٤٤م وسنة ١٦١١م[(١)]».

●●●

وفى كريت

● «كان مسلمو «إقريطش» يكثرون من اتخاذ البنات المسيحيات زوجات لهن، وكن من بنات أصدقائهم المسيحيين وقد زاد فى توثيق الارتباط الاجتماعى بين هاتين الجماعتين الزى المشترك بينهما، فقد كان أهالى إقريطش من المسلمين والنصارى على سواء متشابهين فى الزى، لقد كان من العسير على المقيمين بينهم فترة طويلة، أو على اليونان

(١) الدعوة إلى الإسلام. ص٢٢٩.

من أهالى الجزر المجاورة، أن يميزوا بين الفريقين فى كثير من الأحيان[(٢)]».

●●●

وفى أوروبا الشرقية

● وفى أوروبا الشرقية: «.. وحتى المسلم الأسير، يغتنم الفرصة فى المناسبات لدعوة أسرية أو إخوانه فى الأسر إلى دينه..

وقد تسرب الإسلام إلى أوروبا الشرقية أول الأمر بفضل ما قام به فقيه مسلم، سيق أسيراً، ربما فى إحدى الحروب التى نشبت بين الدولة البيزنطية وجيرانها المسلمين، وجىء به إلى بلاد بتشنج pechenegs [فى منطقة الدانوب الأدنى] فى مستهل القرن الحادى عشر. ولقد بسط [هذا الفقيه الأسير] بين يدى كثير منهم تعاليم الإسلام، فاعتقدوه فى إخلاص، حتى إنه أخذ فى الانتشار بين هذا الشعب.

أما سائر «البتشنج» الذين لم يكونون قد قبلوا دين الإسلام، فقد ارتابوا من تصرف مواطنيهم وانتهى بهم الأمر إلى نشوب القتال بينهم، وقاوم المسلمون، وكان عددهم يبلغ نحوا من اثنى عشر ألفا، هجمات الكفار فى نجاح، مع أن هؤلاء كانوا أكثر منهم عددا بما يزيد على الضعفين. ودخلت فلول المهزومين فى دين المنتصرين.. ولم تأت نهاية القرن الحادى عشر حتى كان الشعب بأسره قد اعتقد الإسلام، وكان من بينهم مسلمون تعلموا الفقه والتوحيد[(٣)]».

●●●

وفى إسبانيا

● «.. ولما قدم المسلمون أول الأمر إلى إسبانيا حاملين دينهم، وجدوا المذهب الكاثوليكى قد استقر فى هذه البلاد بعد انتصاره على المذهب الآرى. وقد أصدر المجمع السادس فى طليطلة قرارا يقضى بأن يقسم كل الملوك بأن لا يسمحوا بانتشار أى مذهب آخر غير المذهب الكاثوليكى، وأن ينفذ القانون بالقوة على الخارجين عليه وقد تلا هذا القانون قانون آخر يحرم كل شخص أن يتطرق إلى ذهنه أى شك فى الكنيسة الكاثوليكية المقدسة وفى النظم الإنجيلية وتفاسير الآباء الروحيين والمراسيم الكنسية والقرابين المقدسة إذا ما صودرت أملاكه أو حكم عليه بالسجن المؤبد.. وقد كسب رجال الدين لطائفتهم نفوذا راجحا فى شئون الدولة، وجلس الأساقفة وكبار رجال الدين فى المجالس الوطنية التى كانت تجتمع لإقرار الشئون الهامة فى الدولة والمصادقة على انتخاب الملك، وادعت لنفسها الحق فى عزله إذا أبى الإذعان لقراراتهم.

واتخذ القسس من وراء هذه القوة التى وصلوا إليها سبيلاً لاضطهاد اليهود، الذين

(٢) المصدر السابق. ص٢٣٣، ٢٣٤.

(٣) المصدر السابق. ص٤٥٣، ٤٥٤.

كانوا طائفة كبيرة العدد فى إسبانيا، وصدرت الأوامر المشددة ضد كل من امتنع عن الدخول فى المسيحية.

وكان من أثر هذه الاضطهادات أن رحب اليهود بالعرب الغزاة وعدوهم مخلصين لهم مما حل بهم من المظالم، فساعدوهم على فتح أبواب المدن، كما استعان بهم الفاتحون فى حماية المدن التى وقعت بأيديهم.

كذلك رحب بالمسلمين هؤلاء الأرقاء الذين حل بهم البؤس والشقاء فى عهد المسيحيين الكاثوليك الذين كانت معرفتهم بأصول المسيحية سطحية، إذا ما ووزنت بذلك التسامح الدينى وهذه المزايا الكثيرة التى حصلوا عليها بإلقاء زمامهم للمسلمين.

وكان هؤلاء الأرقاء الذين وصلوا إلى الحضيض أول من تدين بالإسلام فى إسبانيا، ولا يبعد أن يكون عدد كبير من هؤلاء الأهلين الذين كانوا لايزالون على الوثنية، والذين ورد ذكرهم فى سنة ١٦٩٣م، قد ساروا على منهاج هؤلاء الأرقاء.

كما اعتنق هذا الدين الجديد كثير من أشراف المسيحيين عن عقيدة راسخة، أو عن بواعث أخرى، يضاف إلى ذلك عدد كبير من أهالى الطبقات الدنيا والوسطى تدينوا بالإسلام عن إيمان ثابت، متحولين إليه من ديانتهم القديمة، التى أهمل رجالها مصالحهم، ولم يحفلوا بتلقينهم أصولها، وانصرفوا إلى مطامع الدنيا، فساموهم الخسف ونهبوا أملاكهم.. فأخذ هؤلاء المسيحيون يبحثون عن بيئة أكثر ملاءمة لحياتهم الدينية والدنيوية، بدخولهم فى حظيرة الإسلام.

إن سياسة التسامح الدينى التى أظهرها هؤلاء الفاتحون المسلمون نحو الديانة المسيحية كان لها أكبر الأثر فى تسهيل استيلائهم على هذه البلاد.

ولقد كان المسيحيون المدنيون، فى القرن التاسع الميلادى على الأقل، يلبسون نفس ملابس العرب، كما سمح لهم فى وقت من الأوقات أن يبنوا كنائس جديدة. كذلك نقرأ عن بناء عدة أديار جديدة بالإضافة إلى الأديار الكثيرة المزدهرة التى أقام بها الرهبان والراهبات الذين عاشوا فى أمن وطمأنينة لا يتعرض لهم حكام المسلمين بسوء، وكان الرهبان يستطيعون الظهور على ملأ الناس فى وشاحهم الصوفى وفق نظامهم الكنسى، ولم يكن ثمة ما يدعو القسيس إلى إخفاء شارته الدينية. وفى الوقت نفسه لم تحل المناصب الدينية، دون تقلد المسيحيين المناصب العالية فى البلاط أو اندماجهم فى سلك الرهبنة أو انتظامهم فى جيش المسلمين.

إن سياسة التسامح الدينى، التى سارت عليها الحكومة الإسلامية نحو رعاياها المسيحيين فى إسبانيا، وحرية الاختلاط بين

المتدينين قد أدت إلى شىء من التجانس والتماثل بين الجماعتين، وقد كثر التصاهر بينهم.. هذا إلى أن كثيرين من المسيحيين قد تسموا بأسماء عربية، وقلدوا جيرانهم المسلمين فى إقامة بعض النظم الدينية، فاختتن كثير منهم، وساروا وفق رسوم غير المعمدين [أى المسلمين] فى أمور الطعام والشراب.

الإسبان يجهلون لغتهم وينظمون الشعر بالعربية

وإن إطلاق لفظ «مستعربين» muzamabes على الإسبان المسيحيين الذين عاشوا فى ظل حكم العرب، ليدل دلالة ظاهرة على مدى الميول والاتجاهات التى كانت تعمل بنشاط وهمة فى هذا السبيل، فسرعان ما أخذت دراسة اللغة العربية تحل محل دراسة اللغة اللاتينية فى جميع أرجاء البلاد، حتى إن لغة الدين المسيحى قد تطرق إليها الإهمال والنسيان شيئاً فشيئاً.. ففى سنة ١٨٥٤م نرى أحد كتاب الإسبان يعلن هذه الشكوى ضد مواطنيه المسيحيين فيقول: «... وا أسفاه! لقد جهل المسيحيون نظم شريعتهم، وأصبحت الأمم اللاتينية لا تعير لغتها اهتماماً، حتى لا تكاد تجد جماعة المسيحيين كافة رجلاً من كل ألف رجل يستطيع أن يستفسر عن صحة صديق بعبارات واضحة جلية، وأنت واجد بين جمهرة السوقة، والعامة أشخاصاً لا يحصى عددهم، يحيطون إحاطة تامة بالعبارات الفصيحة التى خلفتها اللغة العربية فى عصورها الذهبية، حتى لقد استطاعوا أن ينظموا القصائد المقفاة، تلك القصائد التى يتجلى فيها أسمى مراتب الجمال، بل لقد كان بعضهم أمهر من العرب أنفسهم فى قرض الشعر..».

ونجد بين المسيحيين مثل «الفار» ALVAR الذي عرف بتعصبه علي الإسلام يقرر أن القرآن قد صيغ في مثل هذا الأسلوب البليغ الجميل، حتي إن المسيحيين لا يسعهم إلا قراءته والإعجاب به وقد بلغ من تأثير الإسلام فى نفوس معظم الذين تحولوا إليه من مسيحيى إسبانيا مبلغاً عظيماً، حتى سحرهم بهذه المدنية الباهرة، واستهوى أفئدتهم بشعره وفلسفته، وفنه الذى استولى على عقولهم وبهر خيالهم، كما وجدوا فى الفروسية العربية الرفيعة مجالاً فسيحاً لإظهار بأسهم، وما تكشفت عنه هذه الفروسية من قصد نبيل وخلق كريم.

إن تاريخ إسبانيا فى ظل الحكم الإسلامى يمتاز ببعده بعداً تاماً عن الاضطهاد الدينى.. ولكن، فى عهد دولة المرابطين، التى تولت حكم بلاد الأندلس، انفجر بركان التعصب الدينى، فى أوائل القرن الثانى عشر الميلادى، من جانب المتحمسين من رجال الدين الإسلامى، وقاسى من جراء ذلك المسيحيون واليهود وطائفة الأحرار

المسلمين الذين نادوا بحرية الفكر، كالفلاسفة والشعراء ورجال الأدب، ولكن هذه الحوادث لم تكن إلا استثناء للتسامح الدينى الذى اتسم بذلك الطابع الذى عرف به أمراء المسلمين فى إسبانيا نحو رعاياهم من المسيحيين(٤)».

•••

فرسان الصليبيين يعتنقون الإسلام

وفى الصليبيين: «إن علماء اللاهوت المسيحى، حين أدى اختلاطهم بالمسلمين اختلاطاً شخصياً إلى تكوين رأى أكثر إنصافاً عن ديانة المسلمين، وزعزع الارتباطُ بأساليب التفكير الحديثة أفكار الناس، وأثار ألوان الزندقة، لم يكن بالغريب أن ينجذب كثيرون إلى حظيرة الإسلام.

وكان عدد المرتدين [عن المسيحية] فى القرن الثانى عشر الميلادى كثيراً كثرة نلاحظها فى سجلات الصليبيين القانونية التى يطلق عليها «مجالس قضاء بيت المقدس» Assisesdf jerusalem والتى لم تقبل بموجبها كفالتهم فى حالات معينة.

ويظهر أن أخلاق صلاح الدين الأيوبى [٥٣٢ - ٥٨٩هـ ١١٣٧ - ١١٩٣م] وحياته التى انطوت على البطولة، قد أحدثت فى أذهان المسيحيين فى عصره تأثيراً سحرياً خاصاً، حتى أن نفراً من الفرسان المسيحيين قد بلغ من قوة انجذابهم إليه أن هجروا ديانتهم المسيحية، وهجروا قومهم وانضموا إلى المسلمين.

وكان خطر الدخول فى الإسلام - وهو ما كان يستهدف له حجاج الأراضى المقدسة - قد شاع أمره فى ذلك العصر بصورة واضحة، حتى إن «أمورى دى لاروش Amaury de la roche رئيس فرسان المعبد The Knights templan التمس من البابا ونوابه فى فرنسا وصقلية، فى «مذكرة» دونها حوالى سنة ١٢٦٦م، أن يمنعوا الفقراء والشيوخ والعاجزين عن حمل السلاح من عبور البحر إلى فلسطين، لأن أمثال هؤلاء الأشخاص كانوا يتعرضون إما إلى القتل، أو الأسر، أو لأن يفتنهم العرب عن دينهم.

وفى الصراع مع السلاجقة، تخلى الإغريق الصليبيون عن إخوانهم فى الدين.. وكتب المؤرخ القديم: «لقد جفوا إخوانهم فى الدين الذين كانوا قساة عليهم، ووجدوا الأمان بين الكفار.. [يقصد المسلمين السلاجقة] الذين كانوا رحماء عليهم ولقد بلغنا أن ما يربوا على ثلاثة آلاف قد انضموا بعد أن تقهقروا إلى صفوف الأتراك. آه! إنها الرحمة أقسى من الغدر! لقد منحوهم الخبز، ولكنهم سلبوهم عقيدتهم. ولو أنه من المؤكد أنهم لم نكرهوا أحدا من بينهم على نبذ دينه، وإنما اكتفوا بما قدموا لهم من خدمات(٥)».

(٤) المصدر السابق. ص١٥٤ - ١٦٢، ١٦٧.

(٥) المصدر السابق. ص١١٠ - ١١٢، ١٠٩.

بمناسبة ذكرى وفاة الإمام

وقفة على دار الامام محمد عبده بعين شمس

للشاعر الكبير الأستاذ/ محمد الهراوى

أظلاماً وأنت فى عين شمس ... وعبوساً من بعد صفو وأنس؟

كيف أصبحتِ يا مثابة غاد؟ ... كيف أمسيت يا منارة مُمسى؟

كُنتِ والعهد منك غير بعيد ... بيت مَلك بغير تاج وكرسى

كنتِ للفضل والمكارم والنبـ ... ـل جميعاً، للناس من كل جنس

كنت للعلم، والمعلم، والطا ... لب، مجلى نهى، ومعهد درس

عطلت هذه الدروس وكانت ... ملء أهل الزمان فى كل حس

وانطوت ثم لايزال صداها ... بين صدر يرن فيه وطرس

فانظر الدار وهى قفر خلاء ... بعد أهل، فهل ترى من محس؟

واسأل الرسم إن أصبت جواباً ... فى كلام أو فى إشارة خرس

هيه يا دار بعد أنس أجيبى ... كيف أوحشت بين يوم وأمس؟

لا تراكِ العيون من دمعها المسـ   ـبل حزناً، إلا بنظرة خلس

نظرات تعيد ذكرى إمام   كاد ينسى، وصنعه غير منسى

حسدت مجدك الليالى فمالت   بعد لين عليك ميلة بأس

أقفرت هذه الربوع وأقوت   واستحالت إلى معالم درس

لا يكاد البناء يقوى على الأر   ض ولا يثبت الجدار بلمس

ما بناك الذى بناك ليزهى   بالذى شاد من قباب وأس

وهو لو شاء شاد عرشاً وفرشاً   من لجين ومن حرير الدمقس

إنما آثر التواضع حكماً   للذى فيه من تواضع نفس

ليس يعنى بزخرف العيش حُرٌ   قطع العيش بين نفى وحبس

فأقام البناء من لبنات   خشنات أطرافها غير مُلس

لا يبالى وكل شىء سيبلى   أن يطوف البلى عليه بطمس

أنكر النفس ثم باع هواها   فى سبيل الأوطان بيعة بخس

ومضى يحمل الكريهة فرداً   مستهيناً بكل بأس وبؤس

مستعيناً بالله والحزم والعز   م ووحى الحجى وتدبير رأس

نفس حر تجملت بخلال   يتجافين عن صغار ورجس

خصه الله بالمواهب والرأ   ى بعيد المرام صلب المجس

رجل كان حين يقطع أمرا   يتقاضاه من مخالب يأس

ليس يثنيه عن أياديه قوم   يصبغون الجميل صبغة ورس

فلقد عاش (عبده) فى زمان   جل من فيه أهل كيد ودسّ

حسدوا فيه نعمة الله فيهم   ورموه بكل منكر حدس

الأزهر

فإذا مات أيقنوا أى ركن   هدمته يد الضلال بفأس

قل لشعب حظ النوابغ منه   حظ سقراط حين أودى بكأس

تقتلون النبوغ حياً وتمضو   ن بُكيا عليه فى بطن رمس

أيها الناس، ههنا قام بيت   فوق آثار خفرع وكيوبس

لم يكن من صروح هامان فرعو   ن ولا كان من حصون الفرس

فإذا ذل فالذى قد بناه   ليس من طينة الذليل الأخس

آه لو كان شكسبير بناه   أو بناه أخوه «هيجو» الفرنسى

لرأى الناس أى دار تجلت   واستحالت إلى حظيرة قدس

أثر النابغين فى كل شعب   هو ميراث كل جيل وحرس

أيها الناس ههنا سر مجد   قبست منه نورها عين شمس

وهنا ههنا أشعة ذكرى   تستضىء العقول منها بقبس

فأقيموا البناء من قبل أن يأ   تى يوم يحول فيه للبس

واجمعوا فيه ما تشتت منه   بيد الدهر من متاع ولبس

واجعلوه للعلم داراً وللد   ين مناراً، أو مرجعاً للتأسى

ينبرى للوفود منه خطيب   صامت القول فى بلاغة قُسّ

يوعظ العقل للحياة ويمضى   يفتح العين من عماء ونعس

ذاك من جانب الوفاء إلى الشعـ   ـب نداء لصاحب غير نكس

***

بمناسبة مرور مائة عام على رحيله

حول رؤية الإمام محمد عبده لعلاقة الدين بالعلم

٢

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

حالة العلم وفلسفته فى عصر الإمام محمد عبده

كان للنتائج العلمية التى توصل إليها أقطاب العلماء حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى فى مجالات : الرياضيات والفيزياء والكيمياء والكوزمولوجيا (علم الكونيات) والبيولوجيا (علوم الأحياء) وعلم النفس وغيرها أكبر الأثر فى بلورة فلسفات علمية ذات نزعة مادية مناهضة للدين.

فالمادة - كما يصورها العلم آنذاك - مكونة من ذرات دقيقة متحركة غير قابلة للانقسام إلى أجزاء أصغر منها، وطبيعة هذه الذرات وخواصها ثابتة إلى الأبد. وتقتصر التغيرات التى تطرأ على الأشياء المادية على مختلف عمليات انفصال هذه الذرات واتصالها أو اتحادها. والقوانين الطبيعية هى التى تنظم حركة المادة فى إطار الزمان والمكان المطلقين اللذين لا يتغيران ولا ينتهيان. ويصف اسحق نيوتن (١٦٤٢-١٧٢٧) [١] الهدف المثالى لهذا النظام بأنه يمثل خطوة كبيرة فى ميدان الفلسفة استناداً إلى استنتاج المبادئ العامة للحركة من الظواهر الطبيعية، ثم إظهار كيفية انبثاق خواص ونشاط جميع الأشياء المادية من هذه المبادئ، وليس للباحث العلمى من دور فى هذا النظام يتجاوز دور المشاهد الحيادى.

ومن الجدير بالذكر أن نيوتن نفسه لم يكن من المؤمنين بالمذهب المادى، إذ لم يكن يأمل أن يشرح عن طريق نظريته فى الميكانيكا جميع الأشياء على إطلاقها، بل "جميع الأشياء المادية فقط"، لكن نجاح نظريته فى العديد من المجالات، ولا سيما فى مجالى الفيزياء والكيمياء، هو الذى ولَّد فى نفوس بعض الفلاسفة رغبة فى تعميم النظام بحيث يشمل جميع حقول المعرفة، بما فيها علوم الأحياء والنفس والتاريخ والاقتصاد. واعتقد العلماء والفلاسفة الطبيعيون على نحو يشبه الإجماع أن لا شئ فى الوجود سوى المادة، وأن قضايا الكون جميعاً قابلة للتفسير بلغة المادة فحسب، وأن لا سبيل إلى العثور على حكمة وراء الأشياء الطبيعية. وتطلع هؤلاء العلماء والفلاسفة إلى تأكيد نظرتهم المادية بإظهار كيفية انبثاق «العقل» من المادة، اعتقاداً منهم بأن العقل البشرى لا يستطيع أن يختار بحرية لأن المادة لا تتصرف إلا بضرورة ميكانيكية، ومن ثم فإن آلية الدماغ والأعصاب هى المسئولة عن الوحدة التى نحس بها فى جميع أفعالنا وأفكارنا وأحاسيسنا وعواطفنا، وتصرفات الإنسان لا يمكن تفسيرها إلا بلغة الغريزة والفسيولوجيا والكيمياء والفيزياء.



محمد عبده

وبشر سدنة هذه النزعة المادية بزعامة «توماس هكسلى» (١٨٢٥ - ١٨٩٥) [٢]، فيما يتعلق بإنبثاق العقل من المادة، بأن البحث على النسق الفيزيائى أو الكيميائى يمكن أن يقدم صورة كاملة للعمليات النفسية والروحية والفكرية [٣].

وبصورة عامة، كان لظهور الفلسفات العلمية المادية فى إطار المجتمع الليبرالى الغربى مواقف سلبية متفاوتة من العقيدة، وكانت أهمية هذه الفلسفات نابعة من سيطرتها بدرجة كبيرة على كافة أوجه الحياة والفكر فى

(١) اسحق نيوتن رياضى وفيزيائى انجليزى معروف باكتشافه لقوانين الحركة والجاذبية، ووضع علم التفاضل والتكامل، وتفسيره لحركة الكواكب وتوابعها، وظاهرتى المد والجزر، وانتشار جسيمات الضوء فى خطوط مستقيمة، وغيرها.

(٢) توماس هكسلى عالم الأحياء الإنجليزى المعروف بتحمسه لنظرية دارون فى النشوء والارتقاء، وهو جدّ «جوليان هكسلى» صاحب كتاب «الإنسان يقوم وحده» Man Stands Alone الذى يدعو فيه إلى الإلحاد مستنداً إلى ادلة يحسبها علمية، فانبرى له «كريسى موريسون» بكتاب « الإنسان لا يقوم وحده» Man dose not stand alone الذى ترجمه محمود صالح الفلكى بعنوان « العلم يدعو للإيمان»، كذلك قام وحيد الدين خان بالرد عليه فى كتابه المعروف «الإسلام يتحدى».

(٣) روبرت م. اغروس وجورج ن. ستانسيو، العلم فى منظوره الجديد، الترجمة العربية، عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٩.

الدول الرأسمالية الغربية، وهى بالتالى تتبادل التأثير مع التوجيهات الأيديولوجية وأنماط السلوك والسياسات الداخلية والخارجية لتلك الدول. ورغم ذلك قد نصادف إيمانا دينيا عميقا فى المناطق الريفية فى تلك الدول أو لدى بعض الأفراد والزعماء، لكن ذلك يظل استثناء لا يمكن القياس عليه.

ويكفى هنا - على سبيل المثال - أن نشير إلى إحدى هذه الفلسفات الأكثر انتشاراً وهى «الفلسفة الوضعية» Positivism التى أسسها المفكر الفرنسى «أوجست كونت» August Conte (١٧٩٨ - ١٨٥٧) استناداً إلى فكرة أساسية هى ما يسمى «بقانون الحالات الثلاث» الذى افترض فيه كونت أن البشرية مرت بمراحل ثلاث هى: اللاهوتية والميتافيزيقية والوضعية: الأولى هى نقطة الانطلاق الضرورية للفهم البشرى، والثانية مجرد مرحلة انتقالية للحالة الثالثة التى يصبح الفهم البشرى عندها نهائيا وثابتا. وقصد كونت بالمرحلة الثالثة، وهى «الوضعية»، ذلك المنهج الذى يقدم تفسيرا علميا لجميع الظواهر الطبيعية والإنسانية مع استبعاد الفروض الخيالية والميتافيزيقية والإرادات العليا، واستبدالها بقوانين دقيقة ثابتة يتم التوصل إليها عن طريق أسلوب الملاحظة الحية والوصف والقياس والتفسير وصياغة الفروض، أى أن العقل فى هذه المرحلة الأخيرة يتخلى عن بحثه عن المفاهيم المطلقة وعن أصل الكون ومسيرة الظواهر وعللها، وينهمك بدلاً من ذلك فى دراسة قوانين تلك الظواهر بمعنى استقصاء علاقاتها الثابتة فى التعاقب والتماثل.

ويدعى كونت أن هذه الحالة الأخيرة تمهد لوضع فلسفة علمية يمكن أن تتخذ أساساً للدين والأخلاق. ذلك أنه كان يعتبر أن الوضعية هى خلاصة الحقائق التى تتوصل إليها العلوم، ومن ثم فإنه ظن إمكان اتخاذها كأساس لمذهب جديد يملأ الفراغ الروحى، واعتقد أن الانسجام الفكرى التام لن يتحقق إلا بتطبيق المنهج الوضعى (ويسميه العلمى) فى جميع العلوم الطبيعية والاجتماعية. عندئذ يمكنه- من وجهة نظره - وضع فلسفة علمية تستبعد الفكر اللاهوتى والميتافيزيقى. ويمكن إيجاز معنى «الوضعية» عند أوجست كونت بأنها المذهب الذى يرى أن الفكر الإنسانى لا يدرك سوى الظواهر الواقعية والمحسوسة وما بينها من علاقات أو قوانين، وأن العلوم التجريبية هى المثل الأعلى لليقين، وعلى ذلك لا محلّ للبحث عن طبائع الأشياء ولا عن عللها الغائبة.

وعلى نفس المنوال تقريبا سار جون ستيوارت ميل (١٨٠٦ - ١٨٧٣) فى انجلترا. وأرنست لاس (١٨٣٧-١٨٨٥) ويودل (١٨٤٨ - ١٩١٤) فى ألمانيا. وقد رأى هؤلاء جميعاً أن الفلسفة ليست إلا تجميعاً لنتائج العلم بالمعنى الميكانيكى (٤).

(٤) - د. عبد المنعم حفنى، الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق.

- د. محمد محمود ربيع، الإسلام فى مواجهة الأيديولوجيات والفلسفات المعاصرة، مجلة مصر المعاصرة، العدد ٣٨٦ (١٩٨١)، ص ص ٥-٤٤ =

وواكب ذيوع هذه الفلسفات المادية آنذاك، وأيدها تأييداً عظيماً، وساعد على امتداد آثارها غرباً وشرقاً. ما قال به تشارلز دارون (١٨٠٩ - ١٨٨٢) فيما يتعلق بتطور الأجناس الحية نتيجة عملية انتقاء طبيعى لصالح الأجناس الأكثر أهلية للبقاء، وذلك بعد انتشار أشهر أعماله «فى أصل الأنواع» الذى صدر فى عام ١٨٥٩م (٥). واستقبلت الأوساط العلمية هذه النظرية الداروينية باهتمام بالغ، ودار حولها جدل عنيف، بين مؤيد ومعارض(٦).

وظهرت عقب ظهور كتاب "أصل الأنواع" كتب ومقالات عديدة عن نظرية التطور وعلاقتها بالدين، حيث كان الاهتمام بالعلم وفلسفته قد بدأ يطغى على كل ماعداه، وكان يظهر للناس وقتذاك أن الاتجاه التطورى والمادى الميكانيكى سوف تكون له الغلبة فى السيادة على الأفكار الفلسفية فى الغرب.

والسؤال الذى يفرض نفسه الآن هو: هل كان لهذه الإنجازات العلمية والفلسفية صديما فى العالم الإسلامى؟. والجواب نعم. فلقد توجه العديد من المثقفين لتبنى هذه الآراء الفلسفية، وخاصة مذهب الفيلسوف الفرنسى "كونت" الذى كان يتوجه لهدم النظام اللاهوتى الذى يردّ فيه العقل الإنسانى الظواهر إلى علة أو علل مفارقة للأشياء.

وبالنسبة لنظرية التطور وفلسفة "الداروينية" فإن استقبالها جاء مبكراً فى الملف التاريخى الموثق لمجلة المقتطف الدورية الشهرية التى أنشأها الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر فى بيروت عام ١٨٧٦ م، ثم انتقلت إلى القاهرة عام ١٨٨٥ م حيث دأبت على الظهور المنتظم حتى عام ١٩٥٠ م، ثم ظهر فى عام ١٨٧٩ كتاب عنوانه: "تنوير الأذهان فى

= - المعجم الفلسفى، مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٩٨٣م.

- أ. م. بوشنسكى، الفلسفة المعاصرة فى أوروبا، الترجمة العربية، عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٢.

(٥) تذكر بعض المراجع أن الفيلسوف الإنجليزى هربرت سبنسر H. Spencer (١٨٢٠ - ١٩٠٣م) هو الذى صكّ عبارة "البقاء للأصلح" التى تبناها داروين فى الطبعة الخامسة من كتابه "أصل الأنواع" ثم جلبت إلى الدروينية متاعب جمة. بل إن سبنسر هو الذى أشاع كلمة "التطور" Evolution نفسها للتعبير عن نظرية داروين عن "الانحدار مع التحول" De-cent with modification ودرج الناس على اعتبار "الداروينية" مرادفاً للتطور مع أن الداروينية تشير إلى نظرية بعينها أعلنها تشارلز داروين والفرد رسل ولاس عام ١٨٥٨م تحدد "الانتخاب الطبيعى" آلية لحدوث التطور. وقد حاول سبنسر وضع نظرية فلسفية كاملة أو "فلسفة تركيبية" كما كان يسميها تشرح كل العلوم المعروفة فى ضوء التطور، فانبرى يؤلف سلسلة من الكتب فى علوم البيولوجيا والاجتماع والأخلاق التربوية وغيرها بين عامى ١٨٦٠، ١٨٩٦م.

(٦) نشرت أعمال وتعليقات عديدة لمناقشة المجادلات الداروينية بدأها آرثر شيلزنجر Arthur M. Schleisinger أستاذ التاريخ بجامعة هارفارد فى عام ١٩٣٢ بمقاله الشهير بعنوان "فترة حرجة فى الدين الأمريكى بين عامى ١٨٧٥، ١٩٠٠" وأشار فيه إلى أن الداروينية تعتبر واحدة من ثلاثة أشياء تهدد الدين فى الربع الأخير للقرن التاسع عشر.

علم حياة الحيوان والإنسان ، وتفاوت الأمم فى المدنية والعمران " للدكتور بشارة زلزل (يقع الكتاب فى ٣٦٨ صفحة ، طبع فى الإسكندرية ، وسجل فى نظارة المعارف الجليلة فى الآستانة العليّة) ، وقد أهدى المؤلف الكتاب إلى السلطان عبد الحميد، وحياه بستة آبيات ، استهلها بالبيت الآتى :

مليكٌ تسامى فى الملوك بمجده

وأشرف فى العلياء كوكبُ سعده

وهذا الكتاب متن مدرسى قدم له المؤلف بقوله: " ولما كانت المدارس عماد الوطن فقد آثرتها بوضع هذا الكتاب على طريقة تسهّل تدريسه فيها، مقتصراً على توضيح الأصول فى موضوعات مباحثه المختلفة لتكون عونا للتلميذ على التوسع فى ما يؤمه منها متى انفسح له مجال الطلب" . وتجدر الإشارة إلى أن عام نشر هذا الكتاب فى ١٨٧٩ جاء بعد عشرين سنة فقط من نشر " أصل الأنواع" لداروين . وهذا رقم قياسى لوصول نظرية علمية جديدة إلى كتاب مدرسى .. ناهيك بنظرية ثار حولها جدل عنيف، وقامت حولها شُبَه دينية مرهوبة . وعلينا أن نذكر أيضاً أن عام ١٨٧٩ تقدم ستاً وثلاثين سنه تاريخ ٢٠ يوليو ١٩١٥ الذى عقدت فيه "المحاكمة القردية" المشهورة فى "ديتون" بتنيسى لمحاكمة جون توماس سكوبس ، المدرس الشاب بالمدارس الثانوية ، وذلك لاتهامه بتدريس التطور لتلاميذه (٧) .

وكل من يطلع على الكتب والرسائل والمقالات التى تركها لنا الإمام محمد عبده ، بالاضافة إلى سيرته الذاتية، سوف يدرك تمام الإدراك أنه كان مستوعبا لثقافة عصره ومشاركا فى صنعها . ويظهر هذا واضحاً من مناظراته الفكرية وردوده على «مسيو هانوتو» و "فرح أنطون" و"رينان" وغيرهم. ورأى محمد عبده توجه العديد من المثقفين لتبنى آراء فيلسوف الوضعية الفرنسى «أوجست كونت» التى كانت تتوجه لهدم «النظام اللاهوتى» فواجه هذا الاقتحام التحديثى الأوروبى الذى انتشر فى كل مكان: فى المدارس العصرية ، وفى الصحافة والفنون ووضع المرأة. . . الخ بتحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف ، والرجوع فى كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى ، واعتباره ضمن موازين العقل البشرى التى وضعها الله لترد من شططه(٨) . كذلك كان الإمام على دراية بالجدل الذى دار حول الفلسفة التطورية من خلال ترجمته لكتاب « الرد على الدهريين» الذى ألفه أستاذه جمال الدين الأفغانى حول عام ١٨٩٠ ونشر فى القاهرة عام ١٩٢٥ . وفى هذا الكتاب يقول الأفغانى ، "وعلى زعم داروين هذا يمكن أن يصير البرغوث فيلا بمرور القرون وكرّ الدهور، وأن ينقلب الفيل برغوثا

(٧) د. عبد الحافظ حلمى محمد ، الاستقبال المبكر للداروينية فى بعض البلاد الإسلامية ، محاضرة ألقيت فى المركز الثقافى الفرنسى بالقاهرة فى ١٥ / ١١ / ١٩٩٤ .

(٨) د. على جمعه، الإمام محمد عبده مفتيا، مجلة الأزهر ، الجزء (٨) ، السنة (٧٨): شعبان ١٤٢٦ هـ سبتمبر ٢٠٠٥ م .

كذلك" . وذكر «منكوف» فى كتابه عن التطور أن الأفغانى « شجب الاستعمار البريطانى والفلسفة المادية وانحدار الإنسان من القردة، شجبها جميعاً فى نفس واحد»(٩) .

لكن الإمام محمد عبده يعبر عن رأيه فى الفكر التطورى ويؤصل له من خلال شهادة لأحد الحكماء الغربيين - على حدّ تعبير الإمام - يقول فيها: "تأخذنا الدهشة أحيانا عندما ننظر فى كتب العرب فنجد آراءً كنا نعتقد أنها لم تولد إلا فى زماننا ، كالرأى الجديد فى ترقى الكائنات العضوية وتدرجها فى كمال أنواعها ، فإن هذا الرأى كان مما يعلمه العرب فى مدارسهم، وكانوا يذهبون به إلى أبعد مما ذهبنا ، فكان عندهم عامًّا يشمل الكائنات غير العضوية والمعادن. والأصل الذى بنيت عليه الكيمياء عندهم هو ترقى المعادن فى أشكالها . قال الخازنى: إذا سمع الشعب الجاهل ما يقال بين العلماء: إن الذهب قد تقلب فى الأشكال المختلفة حتى صار ذهبا ظن من هذا أنه مرّ فى صور معادن أخرى، فكان رصاصاً ثم قصديراً ثم صفرا ثم فضة، ثم صار بعد ذلك ذهبا، ولا يعلم أن الفلاسفة إذا قالوا ذلك فإنما يقصدون منه ما أرادوه من قولهم فى الإنسان أنه وصل إلى حالته الحاضرة بالتدرج، ومن طريق الترقى وهم لم يعنوا بقولهم هذا أنه تقلب فى صور الأنواع المختلفة كأن كان ثوراً ثم حمارا ثم فرساً ثم قرداً ثم صار بعد ذلك إنساناً(١٠) .

ومن الجدير بالذكر أن التطور العلمى نفسه تولى دحض الأسس التى قامت عليها الفلسفة الوضعية الحتمية بعد أن علق أنصارها من علماء القرن التاسع عشر آمالهم عليها فى اكتمال بناء هذه النظرية خلال القرن العشرين على أساس افتراض وجود المادة كحقيقة وحيدة. فجاء القرن العشرون بما يخيب هذه الآمال عندما ظهرت بشائر نظام جديد على أيدى "بلانك" و"أينشتين" و"هيزنبرج" وغيرهم، حيث أطاحت نظرية النسبية بفكرة الزمان والمكان المطلقين، واستعادت ميكانيكا الكمّ Quantum Mechanics دور الباحث المراقب ليصبح "مشاركا" بعقله وخبرته. كذلك جاء القرن العشرون بكشوف علمية رائعة تؤكد أن العقل والإرادة ملكتان غير ماديتين، وأن العقل، لا آلية الدماغ والأعصاب، هو المسئول عن الوحدة التى نحس بها فى جميع أفعالنا وأفكارنا وأحاسيسنا وعواطفنا، ويؤكد هذه النظرة الجديدة للخواص الذهنية والعقلية ما توصل إليه علماء فسيولوجيا وجراحة الأعصاب المعاصرون من أن البحث على النسق الفيزيائى أو الكيميائى لا يمكن أبداً أن يقدم صورة كاملة للعمليات النفسية والروحية والفكرية، وأن ما بشّر به سدنة النظام القديم بزعامة "توماس هكسلي" فيما يتعلق بإنبثاق العقل من المادة لم يعد أمراً واردا فى المستقبل(١١) .

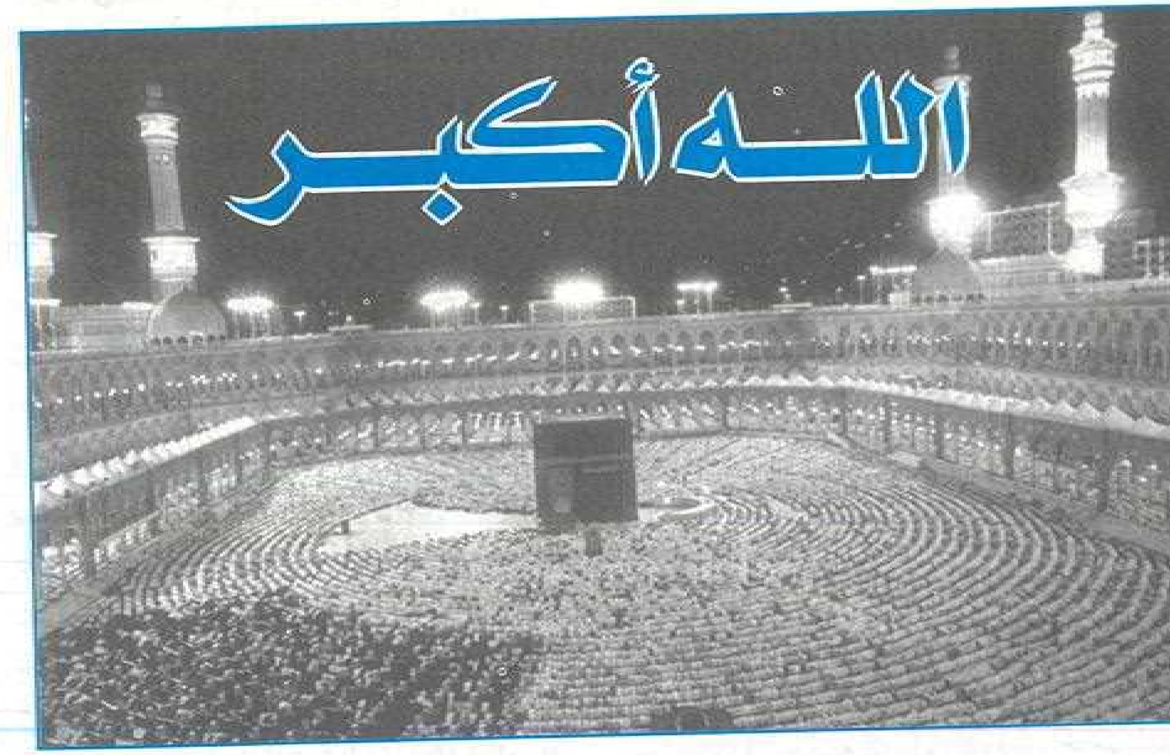
(٩) د. عبد الحافظ حلمى محمد ، مرجع سابق.

جمال الدين الافغانى، الردّ على الدهريين. ترجمه عن الفرنسية الشيخ محمد عبده، المطبعة الرحمانية، القاهرة ١٩٢٥.

(١٠) الشيخ الإمام محمد عبده، الإسلام دين العلم والمدنية، مرجع سابق.

(١١) روبرت أغروس وجورج ستانسيو، مرجع سابق.

خطبة الجمعة :



لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصى

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

الحمد لله عز وجل، هو :

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾

[الرعد : ١٠]

سبحانه :

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

[الحشر : ٢٣]

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، أدى الأمانة وبلغ الرسالة، فحذر وأنذر، وعظم ربه وكبر، فعليه

صلوات الله وسلامه، وعلى من آمن به من آله، واستجاب له من صحابته ورجاله، واهتدى بأعماله وأقواله :

﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾

[الإسراء : ١٩]

أسبوع التكبير

يا أتباع محمد ﷺ . . .

نستطيع أن نسمى هذا الأسبوع الماضى بأسبوع التكبير، إذ ظل المسلمون فيه خمسة أيام يكبرون الله على ما هداهم لعلهم يشكرون، فمن سنة الإسلام أن يكبر أبناؤه فى مختلف الأوقات وبخاصة عقب الصلوات من صبح يوم عرفات إلى عصر اليوم الرابع من أيام العيد، ورأس التكبير وعماده هو كلمة «الله أكبر»، وبعض الكلمات الجليلة قد تفقد معناها وتأثيرها فى نفوس الناس وإن كثر تكرارها، وذلك لقلة التدبر فيها أو التأمل لمعناها أو الاستجابة لمغزاها، فهذه مثلا كلمة «الله أكبر» وهى رمز التكبير الذى كان أول ما كلف الله به رسوله حين أمره بإنذار الناس فقال له :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾

[المدثر : ٣]

والذى يعلم الله رسوله أن يكثر منه بعد تقرير ألوهيته ووحدانيته.

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾

[الإسراء : ١١١]

(حقوق الله)

والمسلمون يكررون هذه الكلمة كل يوم عشرات المرات على الأقل فى الصلوات، ولو ذهبنا نبحث عن أثرها فى نفوسهم وتصرفاتهم لوجدناه قليلا ضئيلا، مع أن الله - تبارك وتعالى -قد شرع تكرار هذا الهتاف الإلهى فى الأذان والصلاة وسواهما ليكون أشبه بدقات الساعة التى تتردد بين الفينة والفينة، منبهة لعباد الله، مذكرة بحقوق الله، منادية بالرجوع إلى الله، ليستيقظ الغافل، ويهتدى الضال، ويرتدع المسىء، ويزداد المحسن إحسانا، وكلما سمع أبناء القرآن هذا التكبير فى ذكر أو أذان قابلوه بمثله فيتعلمون الاستجابة للحق، والمسارعة إلى الخير، والتلاقى على الذكر، والتعاون على البر والتقوى، والمجاهدة للأثم والعدوان ! . .

«الله أكبر» نداء السماء المنزل من حمى القدس ليتردد بين أهل الأرض مذكرا إياهم بجلال الله وعظمته، وسلطانه وقدرته، فتقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله، فترى المؤمنين يرددون كلمة «الله أكبر» فى صدق وعزيمة، وكأن لصوتها هديراً كهدير البحر المتلاطم أو أشد وقعاً، لأن معناها القوى البليغ قد أخذ يهدر فى قلوبهم ويتلاطم فى صدورهم، فكأن هذا من ذاك . . وتتردد فى الآفاق كلمة «الله أكبر» فإذا هى نسمات السماء الطاهرة التى تحيى موات الأرض الهامدة، وإذا هى فيض الملأ الأعلى الذى يغسل أدران الحياة وأقدار البشر، فهى تدوى فى أذن السارق الناهب فترجف يده ويهتز كيانه، ويتذكر إن كان من أهل الذكرى

ـ أن هناك إلهاً أقوى منه وأكبر من حيلته واستخفائه، ومن مكره وخديعته، وأخذه وأقوى من القانون والمحكمة والسجن والأشغال الشاقة المؤبدة!!... وهى تدوى فى أذن من يهم بإثم أو معصية، فيقشعر ويرتدع، ويتذكر أن لله عيناً لاتنام، وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، وأنه يعلم سرهم ونجواهم، وهو معكم أينما كنتم:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

الملك/ ١٤

«الله أكبر» كلمة يرددها الغنى الكثير المال الواسع الثروة، فيتذكر عندها أن الله أغنى الأغنياء، وأنه مصدر النعم والآلاء، وأنه هو الذى يعطى ويمنع، ويخفض ويرفع، فلا يزدهى الغنى غناه، ولا يبطره ماله وثراؤه، بل يتدبر قول ربه:

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾

[الكهف: ٤٦]

ويرددها الفقير المحتاج المجهود، فلا يذله الفقر ولا يهينه، ولا يزلزله أو يبلبله، بل يذكر أن الله العلى الكبير أقوى وأغنى، وأنه القادر بكبريائه ونعمائه أن يقهر هذا الفقر اللعين، فلا ينال شيئاً من دين المؤمن الفقير فى ماله:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

[التوبة: ٢٨]

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾

[الضحى: ٦: ٨]

أهل الرجاء معقد الأمل

«الله أكبر» يرددها الصحيح السليم المعافى القوى المفتول البدن، فلا يغتر معها بصحته، ولا ينخدع بقوته، فإن الله الأكبر الذى وهب الصحة هو الذى يستطيع أن يسلبها ويضع مكانها العلة والمرض؛ والذى أعطى القوة قادراً على أن يحيلها ضعفاً؛ وليست صحة الأبدان أو قوة العضلات وحدها مفخرة لصاحبها، فكم من حيوانات وبهائم توافرت لها قوى الأجسام، ولم ترزق قوة العقل والجنان، بل لعل أشد البهائم بأساً فى جسمها هى أقلها فى التعقل والتمييز، والمهم هو قوة العقل وثبات القلب، لا شدة الجسم ولا صلابة العقل:

«ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب».. ويرددها الضعيف المريض السقيم فإذا هى بلسم ودواء، وإذا هى تذكرة بأن الله الرحمن الرحيم هو أهل الرجاء ومعقد الأمل:

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾

[الشعراء: ٨٠]

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝٨٣ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ۝٨٤ ﴾

[الأنبياء: ٨٣، ٨٤]

الله أكبر على من طغى وتكبر

«الله أكبر» يقولها الكبير المسيطر الذى يهم بطغيان أو بهتان، فيعلم ويتذكر أن هناك من هو أقوى منه وأكبر وأعظم هو الله الأكبر، وأنه ذو البطش الشديد، فيرهبه ويتواضع له ويتأدب أمامه، ولا يبغى أو يطغى على أحد من عباده، وإلا فالمنتقم جبار:

﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾

[الرحمن: ٤١]

والعامة تقول وهى صادقة فى قولها: الله أكبر على من طغى وتجبر، وهذا فرعون قد طغى وبغى

﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ۝٢٤ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ۝٢٥ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴾

[النازعات: ٢٤: ٢٦]

وهذا هو نداء الله لمن حاول أن يقاسمه رداء كبريائه:

﴿ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾

[غافر: ٧٦]

ويردد المظلوم المهضوم المستضعف كلمة «الله أكبر» فيتذكر أن هنا إلهاً عادلا منصفاً لا يرضى الظلم بحال، فيقوى ذلك المظلوم، ويجاهد الضيم بكل ما استطاع، مستعيناً بحال الله القوى العزيز:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾

[الشورى: ٣٩]

يا أتباع محمد ﷺ...

يا أبناء الإسلام... يا أبناء العزة التى كتبها الله لنفسه ولرسوله وللمؤمنين...

تدبر وتأثير

فلتعاهدوا ربكم أن نقول كلمة «الله أكبر» بفهم وعزم، وتدبر وتأثير، حتى تثمر لنا ثمرتها التى أرادها الله منا... إن أرادنا متكبر على أن نذل لغير الله قلنا: الله أعلى وأكبر؛ وإن خادعنا الشيطان ليصرفنا عن ديننا مغرياً بالمتاع والشهوات، قلنا: الله أكبر، وإن ألمت بنا غمرات أو أزمات تماسكنا وصبرنا وقلنا الله أكبر، وإن جاءتنا خيرات ومسرات لا نغتر ولانتجبر، بل قلنا: الله أكبر... وليكن من دعائنا لربنا: «اللهم جملنا بالتواضع لعظمتك والذلة أمام عزتك، والاعتزاز أمام غيرك، واحفظنا من التكبر والتجبر، ولا تجعلنا من المفسدين فى الأرض؛ اللهم انصر المؤمنين المتواضعين لك، انصرهم بجاهك وسلطانك، واقصم المتجبرين الطاغين بصولتك وجبروتك، فإنك عزيز ذو انتقام، وإنك سبحانك أعلى وأكبر».

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾

[المائدة: ٨٨]

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾

[النحل: ١٢٨]

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم، سلوا ربكم التوفيق يستجب لكم.

﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلي يوم الدين).

اطلعنا على الطلب المقدم من/ مجلة الأزهر - المقيد برقم ١٨٦٧ لسنة ٢٠٠٥م المتضمن لبعض الأسئلة الآتية:

الأجر المتغير

السؤال: ورد من السيد/ أ. م. ع:

● يقول فى سؤال: أعمل فى إحدى شركات القطاع العام، وقد أخذت إجازة من العمل بدون مرتب لمدة عام للعمل فى إحدى شركات القطاع الخاص لتحسين دخلى، وطلبوا منى فى القطاع العام أن أسدد قيمة التأمينات عن تلك السنة وهى على سبيل المثال ألف جنيه، وأخبرونى أن أحضر ورقة تثبت أن قيمة الأجر المتغير أقل من ألف جنيه حتى أدفع نفس المبلغ السابق عن السنة الماضية، وعندما ذهبت لشركة القطاع الخاص أطلب منهم تلك الورقة رفضوا وقالوا ليس لى عندهم متغير ولن يعطونى أى ورقة، ولما ذهبت إلى عملى الأصلى بالقطاع العام قالوا إن لم تحضر ورقة المتغير هذه فسوف تدفع تأمينات مضاعفة عن السنة السابقة. ودلنى أحد الزملاء بأنه يوجد من يعطينى تلك الورقة مقابل خمسين جنيها، وفعلت ذلك وأخذت الورقة وقدمتها لشركة القطاع العام وقبلوها، وبالفعل دفعت تأمينات مثل ما سبق فى العام الماضى، فما الحكم؟

وللعلم سألت هل دفعى لزيادة التأمينات المضاعفة يعود علىَّ بالمعاش

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علـى جمعـة

مفتى جمهورية مصر العربية

فقالوا لا ولكنه مجرد روتين وإجراءات فقط.

●● الجواب: معلوم من الدين بالضرورة حرمة الرشوة بكل صورها وبجميع مراتبها إذا اكتملت شروط تحريمها وتحققت أركان جريمتها، ولا يحتاج ذلك إلى كثرة استدلال أو كبير بيان.

قال تعالى:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة ١٨٨)

وقال رسول الله ﷺ: «لعن الله الراشى والمرتشى» - رواه أحمد وأبو داود والترمذى - وقال: حسن صحيح، وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه، وفى رواية بزيادة: «والرائش»، أى الساعى بينهما، واللعن من الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وآله وسلم معناه أن ذلك كبيرة من الكبائر.

والمرتشى يحرم نفسه من نعمة استجابة الدعاء فالنبى ﷺ يقول فيما رواه الطبرانى فى الصغير: «أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة».

ويقبول المرتشى للرشوة فإنه يدخل فى جوفه وجوف من يعول السحت والمال الحرام، والحديث يقول: «لا يدخل الجنة من نبت لحمه من سحت» رواه أحمد.

وقد جاءت الشريعة الغراء فحرمت هذا الفعل سواءاً صدر من موظف حكومى أم غير حكومى، وسواء أكان عمومياً أم خاصاً، وعدت الرشوة ضرباً من ضروب الفساد، مما يستوجب على

المسئولين فى مواقعهم الضرب بيد من حديد بلا تهاون على يد أولئك المفسدين.

ولقد توسع الفقهاء أيضاً فى معنى الرشوة حتى أدخلوا فيها من دفع شيئاً لغيره ليستخلص به حقه أو يدافع به عن نفسه أو عرضه أو حتى عن الآخرين، فهذه تسمى رشوة أيضاً. ولكن الفقهاء قصروا الحرمة حينئذ على الآخذ دون المعطى بشروط وقيود مشددة، فعليه أولاً أن يستنجد ويستنصر ويستغيث بكل من يظن فيه أن يوصل له حقه أو يمنع عنه الظلم، فإذا ضاقت به السبل ولم يجد المعين أو المجير أو المغيث فإنه يكون فى حكم المضطر والذى يرتكب أخف الضررين ويدفع أشد المفسدتين حين يقدم شيئاً للحفاظ على حقه أو حق غيره، وهذا متفق عليه بين المذاهب الأربعة. ويخرج من إثم التحريم الدافع والمعطى وحده، ويبقى الإثم والفسق والكبيرة تحيط بالآخذ والقابض وحده واقعاً تحت الوعيد، مُجرَماً بعار وخزى هذه الكبيرة، فيقول السيوطى الشافعى فى كتاب الأشباه والنظائر فى قواعد فقه الإمام الشافعى - رحمه الله - تعالى:

القاعدة السابعة والعشرون: «ما حرم أخذه حرم إعطاؤه».. ويستثنى صور منها: الرشوة للحاكم ليصل إلى حقه. اهـ. وهو نص كلام ابن نُجيم الحنفى، ويؤيده ابن عابدين فى حاشيته على الأشباه، وفى كلام العلامة عبدالغنى النابلسى فى كتابه الموسوم بـ «تحقيق القضية في الفرق بين الرشوة والهدية» ما يوافق ذلك؛ وهذا الاتفاق من أصحاب المذاهب الأربعة لأنه يحقق قاعدة: «ارتكاب أخف الضررين واجب».

وهذا التكييف لا يدعو القائمين على الأمر إلى التهاون فى الضرب على أيدى المفسدين، بل على العكس من ذلك تماماً يجب أن ينذر بأهمية الضرب على أيدى العابثين المفسدين الفاسقين، ويشحن الهمم ضدهم. ومن ناحية أخرى على ولى الأمر أن يغيث كل من طلب منه الغوث للقضاء على هذا الفساد العريض، ويجب على الراشين والمرتشين أن يتوبوا إلي الله تعالى من هذا الإثم حتى يبارك الله سبحانه فى أموالهم وأولادهم.

والله سبحانه وتعالى أعلم

من غشنا فليس منا

السؤال: من السيد/ أ. ح:

● أعمل فى مجال تجارة واستيراد الأجهزة الطبية، وعندما أذهب للاشتراك فى أى مناقصة عامة لتوريد هذه الأجهزة أجد من شروط توريد الأجهزة أن يكون بلد المنشأ انجلترا أو أمريكا أو ألمانيا فقط، مع العلم بأن هذه الأجهزة تصنع فى الصين وبنفس الجودة وبسعر أقل بكثير من هذه الدول إلا أن شروط المناقصة تستبعد هذه الأجهزة؛ لعدم تصنيعها فى هذه الدول، فدلنى أحد الأصدقاء من العاملين فى هذا المجال بأن أقوم باستيراد هذه الأجهزة من الصين وإدخالها إلى إحدى هذه الدول المنصوص عليها فى شروط المناقصات ومن ثم أقوم باستيرادها مرة أخرى من هذه الدولة وإدخالها إلى هنا وبذلك تحصل الأجهزة على ختم هذه الدولة وفى هذه الحالة لا تكون هناك مشكلة فى دخول المناقصات العامة والاستفادة من عطاءاتها، مع العلم أنى أبيعها بسعر أقل بكثير من سعر الأجهزة المصنوعة بالفعل فى الدول المنصوص عليها فى شروط المناقصة. فما حكم الشرع فيما أقوم به؟

●● الجواب: لقد حرم الإسلام الغش والخداع، وجعل ذلك خروجاً عن أخلاق المسلمين؛ فقال ﷺ: «لا غش بين المسلمين، من غشنا فليس منا» - رواه الدارمى وأصله فى الصحيحين.

وأمر الإسلام المسلمين بالصدق وأن يكونوا مع الصادقين؛ فقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

(التوبة ١١٩)

وقال سبحانه أيضا:

﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

(الأحزاب ٢٤)

وإذا اشترك إنسان فى أى مناقصة عامة لتوريد أجهزة واشترطت عليه شروط فيجب عليه أن يلتزم بتلك الشروط ولا يتحايل عليها، فقد قال ﷺ: «المسلمون عند شروطهم إلا شرطا حرم حلالاً أو أحل حراماً» رواه الدارقطنى.

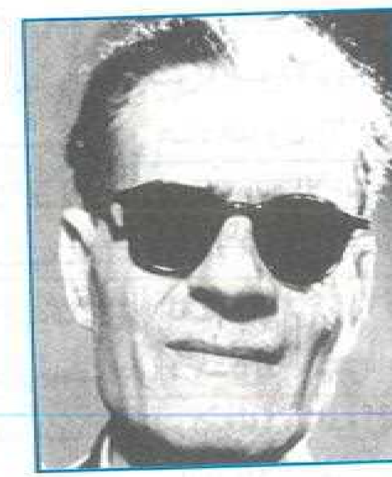
وعليه وفى واقعة السؤال فإن ما يقوم به السائل حرام شرعاً وهو غش يحرم عليه الإقدام عليه.

والله سبحانه وتعالى أعلم

***

قصة العدد

الإغـــراء



للأستاذ الدكتور/ طه حسين

أقبل أبناء عبدالمطلب فهيَّئوا لأبيهم مجلسه فى المسجد غير بعيد من بئره التى كشفت له. وأقبل الشيخ بعد قليل مشرق الوجه باسم الثغر، فأسرع إليه أبناؤه يلقونه بالتحية ويقرءون عليه السلام. وأقبل عليهم يحييهم ويدعو لهم، حتى إذا أخذ مكانه أشار إليهم فجلسوا من حوله، ثم تلفت يتفقد أبناءه بنظرة حانية، لا تخلو من تساؤل، قال قائل منهم وعلى ثغره ابتسامة فيها حب وفيها دعابة، وفيها غيرة لا تكاد تبين: لم يأت بعد، وما علمناه منذ حين إلا نؤوم الضحى. قال الشيخ وابتسم كالمغضب: حسبك! فكلكم قد أدركه الضحى ولما يرفع رأسه عن الوساد. ثم أخذوا فى حديث القافلة التى كانت تهيأ للرحلة إلى الشام، وأخذ أبناء الشيخ يتحدثون إلى أبيهم بما أعد أغنياء قريش من عُروض التجارة لتحمل إلى بصرى وما يليها من بلاد الروم.

وهم فى الحديث وإذا الفتى يقبل وسيماً قسيماً مستقيم القد مُعتدل القامة، قريب الخُطا شاخصاً بصره إلى السماء، حتى إذا دنا من أبيه أقبل عليه فحياه، وتلقاه الشيخ رفيقاً به عطوفاً عليه، ثم أذن له بالجلوس وأدنى مكانه منه، وأعرض عنه حيناً كأنه يسمع لحديث

أبنائه عن القافلة كيف تُهيأ، وممن تكون، ومتى تفصل. ثم التفت إلى ابنه الشاب وقال له وهو يبتسم: ما أرى يابُنى إلا أنك قد أحببت النعمة وآثرت لين العيش! وكلنا قد أحب النعمة كما تحبها، وكلنا آثر اللين كما تؤثره، وكلنا قد لزم أهله حتى كاد ينسى كل شىء، ولكن الأيام تنبه الغافل، وتوقظ النائم، وتذكر الناسى، وإنى لأحب أن أنبهك قبل ان تنبهك الأيام، وأن أوقظك قبل أن توقظك الأحداث، وأن أذود عنك النسيان قبل أن تذوده عنك الخطوب، وخير لك يابنى أن تترك النعمة الآن لتعود إليها بعد حين من أن تظل فيها مغرقاً وعليها حريصاً ولها لازماً، حتى تضيق بك وتنفر منك، وتنصرف عنك إلى غير رجعة. وفى الرحلة يابنى مع بنى عمك الأدنين رياضة لك يسيرة على احتمال الصعاب واقتحام العقاب، وتسلية لك هينة عن هذه اللذة المتصلة والنعيم المقيم.

وما أشك فى أنك ستترك أهلك كارهاً لذلك ضيقاً به، ولكنك ستستعذب الفراق وتستلذ النوى، وتجد من ذكر أهلك على نزوح الدار وبعد المزار، مثل ما تجد من حب أهلك والدار قريبة والمزار يسير. فهىء نفسك للرحيل مع العير، واحرص على ألا تعود أقل ثراء من أمثالك الذين سيرحلون إلى الشام من شباب قريش. وقد أجمعت وأجمع إخوتك أن نكل إليك ما عندنا من هذه العروض التى تجمعت لنا منذ أشهر لتحملها لنا إلى بلاد الروم، فتتاجر لنا فيها، وتقاسمنا ما تغل علينا من ربح والرأى أن تسعى فى أصهارك بنى زُهرة بمثل ذلك، فتحمل عنهم عروضهم وتقضى لهم حاجاتهم. وما أظن أنك صفر اليد، فقد تستطيع أن تتخذ لك حظاً من تجارة تقصرها على نفسك، حتى إذا رجعت إلينا كنت موفور الحظ من المال بما يجتمع لك من ربح هذه التجارة كلها. كلنا يابنى قد رحل إلى الشام حيناً وإلى اليمن حيناً وإلى العراق حيناً آخر، ومنا من أمعن فى الرحلة حتى بلغ مصر. ومنا من أغذ[1] السير حتى عبر البحر إلى بلاد الحبشة. ومنا من أبعد السفر حتى انتهى إلى أعماق فارس. ولكنى أرى لك أن تُمعن فى غير إسراف، وأن تبعد دون أن تنقطع عن جماعة من قومك. والأيام خليقة أن تغريك بالأسفار البعيدة والرحلة المتصلة. فقم يابنى فأصلح من شأنك، وهىء أهلك لهذا

(١) أغذ السير وفى السير: أسرع.

الفراق، فما أظن أن آمنة سترضاه أو تستريح إليه.

قال ذلك فى لهجة ملؤها الحنان المقنع، والجدّ الذى لا يحتمل الجدال ولا يبيح رجع الجواب. وكان الفتى يسمع له راضياً، تظهر على وجهه آثار الطاعة والثقة. حتى إذا فرغ من حديثه أطرق الفتى غير طويل، ثم رفع رأسه وهم أن يتكلم فلم يجد ما يقول، فنهض مسرعاً حتى خرج من المسجد ومضى أمامه لا يلوى على شيء. وكانت شمس الضحى قد ارتفعت حتى قاربت أن تستوى فى كبد السماء، وكانت أشعتها الحارة المحرقة قد أخذت تلح على الأرض والناس، حتى قهرتها وقهرتهم أو كادت. والفتى ماض فى طريقه كأنه السهم لا يلتفت يمنة ولا يسرة، ولا يكاد ينظر إلى أبعد من مواقع قدميه. وإنه لفى ذلك وإذا صوت عذب يأتيه من قريب بهذا البيت:

يامسرعاً والناس من حوله
يسعون لم يأن لغاد رواح

فهم أن يقف، ولا يكاد يفعل حتى يأخذه صوت آخر ليس أقل عذوبة ولا حسن وقع فى النفس من ذلك الصوت الأول:

يامطرقاً والأرض من حوله
يزينها حسن الوجوه الصباح

هنالك يقف الفتى ويلتفت صوب الصوت، ولكنه لا يكاد يفعل حتى يمسه صوت آخر فيه نعومة الحرير، وعذوبة الماء النمير:

عرج علينا فأقم ساعةً
فعندنا إن شئت روحٌ وراح

هنالك وقف الفتى والتفت وهو يقول: ما رأيت كاليوم دعاء ولا إغراء! وقد اتصل طرفه بوجوه ثلاثة حسان، تشرق بها كوى ثلاث فى دار فاطمة بنت مر الخثعمية. قال الفتى. ما خطبكن؟

قالت إحدى الفتيات: ما خطبك أنت؟ فيم إرقالك على هذا النحو ولما يئن لشباب قريش أن يروحوا إلى أهلهم؟ وفيم تركت أباك وإخوانك وأترابك فى المسجد؟ هلا بقيت كما بقوا وانتظرت كما ينتظرون!

قال الفتى فى صوت فيه دعابة الطامع ويأس المضطر إلى الإسراع: ما أنت وذاك؟ إن أدعهم فلأمر ما.

قالت فتاة أخرى: إن تدعهم فلتخل إلينا فتحدثنا وتسمع منا ساعة من نهار.

قالت ثالثة: هلم يافتى أقبل، فما هذه ساعة حديث يلقى من الكوى! إن الشمس لمحرقة وإن القيظ لشديد، وإنى لأوثر ما كنت فيه من الإرقال آنفاً على ما أنت فيه من الوقوف الآن.

قالت إحداهن وكأنها تتغنى:

عرج علينا فأقم ساعة
فعندنا إن شئت روح وراح

وهم الفتى أن يأبى، ولكنهن ألححن عليه، ومضين يدعونه ويغرينه حتى استجاب لهن.

وما هى إلا أن دخل الدار وأغلق من دونه بابها، وأقبل الفتيات عليه مبتهجات له رفيقات به: هذه تمسح رأسه، وهذه تمس وجهه، وهذه تأخذ بطرف ردائه، وهو يحاول أن يتقيهن وأن يمتنع عليهن، فلا يجد إلى شيء من هذا سبيلاً.

وكانت فاطمة الخثعمية أطول هؤلاء الفتيات قامة، وأوسمهن وجهاً، وأعذبهن حديثاً، وكانت على جمالها الرائع وحسنها البارع ذكية القلب، نافذة البصيرة، ضخمة الثروة، تعيش فى مكة مترفة ناعمة، من حولها عدد غير قليل من الموالى والأحلاف والرقيق على اختلاف أجناسه وتباين حظوظه من المهارة فى الفنون المختلفة التى كان يحسنها الرقيق بمكة فى تلك الأيام.

وكانت فاطمة الخثعمية بَرْزَةً [٢] متبدية فى مكة بعض الشيء، لا تكره أن تظهر للرجال وتأخذ معهم فى ألوان الحديث.

وكان شباب قريش يحبون منها ذلك ويكلفون به، ويختلفون إليها إذا كان المساء، فيقولون لها ويسمعون منها حتى يتقدم الليل، وربما أديرت عليهم فى الشتاء أقداح من خمر بيسان، وفى الصيف أقداح من زبيب الطائف. ولم يكن عبدالله من هؤلاء الفتيان الذين يألفونها ويختلفون إلى مجلسها. وأين هو من ذلك وإنه لمن قوم حظهم من اللهو ونصيبهم من الاستمتاع بالحياة الفارغة الناعمة ضئيل! وكان عبدالله حديث مكة فى هذه الأيام منذ همّ أبوه أن يتقرب به إلى الآلهة وفاء بنذره القديم، فأنقذه الفداء من هذا الموت المنكر، كان حديث مكة وحديث نسائها خاصة، يذكرون شبابه الغض الذى كاد يذويه الموت، ويذكرون جماله الفاتن الذى كاد يحتويه القبر، ويذكرون هذا الخفر الجاد الصارم الذى لم يكن يعرف فى فتيان قريش، ويذكرون هذه الفتاة السعيدة التى قُدّر لها أن تكون له زوجاً. وكانت فاطمة الخثعمية أكثرهن حديثاً عنه، وأعظمهن إعجاباً به، وأشدهن شوقاً إلى لقائه. رأته يوم الفداء جلداً صبوراً مبتسماً للموت، لا يظهر على وجهه أثر من آثار الجزع حين

(٢) البرزة من النساء: التى تبرز للقوم يجلسون إليها ويتحدثون معها، أو الموثوق برأيها وعفافها. والبرزة أيضاً: بارزة المحاسن.

كان أبوه يقرع من دونه بالإبل، فكانت القداح تأبى أن تخرج إلا عليه. ورأته بعد أن تم الفداء ورفع عنه نذير الموت، فعاد بين أمه وإخوته مبتسماً للحياة كما كان يبتسم للموت فى هدوء واطمئنان، لا يزدهيه فرح ولا يستخفه طرب، ولا يخرجه عن طوره أمل فى الحياة السعيدة والنعيم المقيم.

من ذلك اليوم وقع الفتى من نفس فاطمة موقع قطرة الندى من الزهرة الغضة عند إشراق الصبح، فأحبته وتمنته، وكلفت به وحرصت عليه، وقضت أياماً لا تتحدث إلا عنه، وليالى لا تفكر إلا فيه، وقد تحدث إليها الناس من مساء ذلك اليوم بأن آمنة بنت وهب قد خطبت له وستزف إليه عما قريب، فرأى الناس على وجهها جزعاً بادياً وحزناً عميقاً، وكانت كثيراً ما تتحدث إلى أترابها بما تجد من حب وما تحتمل من ألم. ولست أنا الذى شبه موقع الفتى من نفسها موقع قطرة الندى من الزهرة، إنما هى صاحبة هذا التشبيه. فقد كانت تقول لصاحبتها عاتكة بنت سهم: أتعرفين كيف تنعم الزهرة حين يمسها الندى إذا أسفر الصبح؟! فكذلك نعمت حين مسنى حب هذا الفتى يوم الفداء. وكانت تقول لها: أتعرفين كيف تشتاق الزهرة إلى قطرة الندى إذا ارتفع الضحى واشتد عليها حر الشمس كلما تقدم النهار؟! فكذلك أشتاق أنا إلى هذا الفتى كلما بعد العهد بينى وبينه، وكانت تقول لها: أتعرفين كيف تهيم الزهرة بقطرة الندى إذا أظلها المساء وأقبل الليل، وأحست برد السحر وعرفت أن سقوط الندى قريب؟! فكذلك أنا أهيم بهذا الفتى إذا أشرق الصبح وقرب غدو قريش إلى مجالسها فى المسجد، أو إذا اعتدل النهار وآن لقريش أن يروحوا إلى أهلهم. وكانت عاتكة بنت سهم ترثى لها وتشفق عليها، وربما بلغ منها الرثاء والإشفاق أن تسخر منها بعض الشىء، فكانت تقول: ويحك يافاطمة! إنك لمن قوم بداة جفاة فيهم خشونة وغلظة، وما أعرف أن تجار قريش يخافون على أنفسهم وأموالهم فى رحلة الشتاء أحداً كما يخافون هذا الحى من خثعم ولولا خوفهم من هذا الحى، وإكبارهم لبأسه وبطشه، لما أيسر أبوك، ولما كان له هذا المال الضخم، وهذا العدد الكثير من الرقيق والأحلاف، ولما اتخذ لك هذه الدار الأنيقة الواسعة فى مكة تقيمين فيها كما يقيم أغنى بنات قريش فكيف نبتت هذه الزهرة الرقيقة الأنيقة فى تلك القبيلة التى لا تشتاق إلا إلى الدماء! وكانت فاطمة إذا سمعت هذا

الحديث ابتسمت عن نفس حزينة وقالت: ما أشد جهلكم ياأهل المدر بما يظل الوبر من نفوس حية وقلوب رقيقة وأكباد يعبث بها الحب ويعصف بها الغرام.

فلما طال على الفتاة أمر هذا الحب وثقل عليها، رقت لها عاتكة بنت سهم، ورقت لها سلمى بنت خزيم، وقالت لها: أقلى عليك الخطب وهوّنى عليك الأمر، فليس هذا الفتى إلا غلاماً من قريش له رقة قلوبهم وفيه حبهم للحياة وكلفهم بلين العيش. وقد أصهر اليوم إلى بنى زهرة، وما أيسر أن يصهر غداً إلى خثعم. وما نحسب أنك تكرهين أن تكونى زوجته الثانية. وما نحسب أنك تخافين أن تغلبك آمنة على قلبه، فقد يكون لآمنة جمالها ومكانها من قريش، ولكن لك جمالك، ومالك، ومكانتك من خثعم. فالرأى أن نجمع بينك وبين الفتى، وأن يحس منك حباً له وميلا إليه، فلعل ذلك أن يغريه بالخطبة. وأى شىء أحب إلى أبيه وإخوته من أن يصهروا إلى عظيم خثعم فيأمنوا شياطينها وشياطين مراد، وهذه الأحياء التى تأخذ عليهم طريقهم إلى بلاد اليمن!! وكذلك دبر الفتيات أمرهن وجعلن يرصدن للفتى إذا غدا ويرصدن له إذا راح، حتى ظفرن به فى هذا اليوم.

فلما أغلق من دونه ومن دونهن الباب لم يلبثن إلا قليلاً حتى نظر الفتى فإذا فاطمة وحدها قائمة أمامه، ترسل إليه من عينيها الحادتين ناراً محرقة عذبة، فيها حب لا حد له، ورغبةٌ لا حد لها، وحنانٌ لا حد له أيضاً قال: ياهذه غُضىَ جفونك عنى، فإنى أجد للحظك مساً لاذعاً.

قالت: وأنت، فامدد إلىَّ عينيك، فإنى أجد فيهما شفاء لما يعذبنى من سقم، ورياً لما يحرق فؤادى من صدى.

قال: ما لهذا أقبلت، فأين صاحبتاك؟.

قالت: ما أنت وصاحبتاى! إنما كانتا صديقتين أعانتا على أمر، ثم مضت كل واحدة منهما إلى وجهها. أقم معى ساعة أو بعض ساعة، فقد طالما تمنيت هذا اللقاء، واشتقت إلى هذه الخلوة، وسمت نفسى إلى أن يتصل بينك وبينى الحديث.

قال: ياهذه، ما أحب هذا إلىَّ وآثره عندى! إنَّ فى وجهك لإشراقاً حلواً، وإن فى طرفك لسحراً فاتناً، وإن فى صوتك لعذوبة تخلب العقول وتستهوى الألباب، ولكنى عن هذا كله عجلٌ. قالت: فما يعجلك عنه، وإلى أين كنت تريد؟

قال: يعجلنى عنه شغل شاغل وهم طارىء. ولقد كنت أريد إلى أبى قُبيس حيث يقيم أهلى.

(يتبع)

أيام فى ربوع الهاشمية عمّان

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى
أمين عام اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر

كان النبى ﷺ يتفاءل بالإسم الحسن. لكنه ﷺ لم يكن يتطير ونهى عن الطيرة (الطيرة هى التشاؤم) وكان ﷺ كثيرا ما يُغير أسماء بعض صحابته خصوصا إذا كانت اسماؤهم فيها معنى من معانى الجمود والغلظة أو كانت منفرة ويختار لهم ﷺ من الأسماء ما هو حسن ويروى مشهور عنه أنه قال «خير الأسماء ما عُبِّد وحُمِّد»(١) وتروى كتب السنَّة والسيرة أنه ﷺ فى هجرته إلى المدينة لما أراد لها أن تَشْرُف بمقامه فيها بعد رحلة شاقة مضنية استمرت خمسة عشرة يوما حتى إذا ما كان على مشارف المدينة لقيهم رجل فسأل النبى ﷺ عن اسم الرجل فعرف النبى أن اسمه سالم فقال ﷺ لسيدنا أبى بكر رضى الله عنه مستبشرا بهذا الاسم - وكأنى أراه موليا وجههُ الشريف نحو أبى بكر ووجهه مشرق رافعا يديه إلى السماء قائلا: سلم أمرنا وبرد.

ما أن هبطنا مطار الملكة علياء الدولى - الذى يبعد عن العاصمة عمّان حوالى ثلاثين كيلو متراً - حتى قابلتنا الوجوه الباسمة بعيون حانية لرجال قدموا لنا المساعدة فى الاتصال - متطوعين - بوزارة الأوقاف لإعلامهم بوصولنا وعلى الفور أفاد مندوبها بأن السيارة ستصل فورا لتقلنا إلى الفندق الذى سوف نقيم فيه، والحق أن حرارة استقبال المواطنين المتواجدين بالمطار وروحهم التطوعية المتمتعة بالشهامة العربية، كل ذلك أنسانا عدم وصول مندوب لاستقبالنا فى الوقت المناسب.

وما أن ركبنا السيارة حتى بادرت السائق بالسؤال عن اسمه بغية التعرف عليه حتى أناديه باسمه - تأدبا بأدب النبى ﷺ الذى كان ينادى أصحابه بأحب الأسماء إليهم - فأجابنى قائلا: اسمى فالح. فاستبشرت بالاسم وصليت على الحبيب ﷺ وقلت حليفنا الفلاح ان شاء الله وقد كان ولله الحمد.

الفندق الذى أقمنا فيه كان قريبا من مسجد الملك عبدالله بعيدا عن وسط العاصمة.. وهو مسجد كبير ذو بناء فخم وهو عبارة عن قبَّة كبيرة بلا أعمدة زرقاء بلون السماء يزيد من بهائه أنه يقع على ربوة مرتفعة عن مستوى الشارع كما يزيد من جماله وحسن استخدامه لأغراض متعددة تصميمه المعمارى المتميز حيث يقع تحت المسجد مكتبة ومبان إدارية وتحت هذه المكتبة توجد القاعة الملكية التى يعقد فيها المجلس الهاشمى عقب صلاة الجمعة وهو ندوة يتناول فيها رجال الفكر موضوعا معينا ويدير الندوة عميد كلية الحقوق ويشارك فيها علماء من كافة الدول الإسلامية من مصر والسودان والسعودية وسوريا والعراق ويحضرها جمهور كبير من مختلف المستويات الثقافية والاجتماعية وكلهم مهتم بالثقافة والفكر الدينى ومهموم بما يجتاح الأمة العربية والإسلامية فى هذا الوقت بالذات وفى نهاية الجلسة تقدم أسئلة يجيب عنها السادة المشاركون فى الندوة التى تستمر حتى صلاة العصر، ويحضر هذا اللقاء كل من المندوب عن الملك ومعالى وزير الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية.

كما يضم المسجد قاعة ملكية أخرى لعقد اجتماعات محدودة، ولقد اجتمعنا فيها مع السيد/ نائب مدير عام الدعوة استعرضنا فيه برنامج الزيارة وخطة العمل خلال مدة إقامتنا.

وكنا نخرج فى نهار رمضان للقيام بمهمة الدعوة وإلقاء الدروس الدينية فى المساجد المختلفة عقب صلاتى الظهر والعصر وأحيانا تكون الكلمات بين صلاة التراويح، وكنا نتوزع على مجموعات - تضم المجموعة الواحدة عالما وقارئا للقرآن الكريم - برغم أن الرحلة كانت فى بعض الأحيان تستغرق النهار كله ونقطع فيها ما يقرب من مائتى كيلو متر تقريبا أثناء النهار من الصباح حتى قبيل المغرب فى صعود إلى جبال مرتفعة وهبوط إلى ما تحت مستوى البحر، إلا أنه والحق يقال أن الطرق كانت معبدة والشوارع نظيفة والقرى بمنازلها البيضاء الجميلة تتناثر من قمم الجبال إلى سفوحها، لم نر طوال الرحلة ما يخدش العين أو عشوائيات تعكر صفو البهاء، فما كنا يوما نحس بعناء السفر والتنقل نظرا لمتعة العمل ودماثة خلق الرفاق.

قلت لصاحبى: أحسب أنك الآن تريد أن تعرف عن الأردن التاريخ والجغرافيا؟ أما عن التاريخ فإن الأردن قديم فى التاريخ موغل فى القدم إلى ما قبل ميلاد المسيح -عليه السلام -لكننى لن أجهدك فى هذه المراحل الموغلة فى القدم ولن أشغل القراء الكرام بشىء من هذا، لكننى لا أستطيع أن أتجاوز آثار أقدام ومراقد لرجال عظام فى تاريخنا الإسلامى لابد أن نذكرهم ونُذكِّر الأجيال بهم حتى نصحح مسار التاريخ المعوج ونقوم همجية الهيمنة الظالمة.

(١) كشف الخفا ١/ ٩٥، ٤٦٨.

ويذكر للأردن أنه اعتنى بهذه الآثار عناية فائقة وأولاها اهتماما عظيما، أو قل إن شئت أحيا التاريخ العظيم وبث الحياة فى مراقد العظماء وسوف نتناولها بإذن الله تعالى مرقدا مرقدا وأثرا أثرا.

أما عن الجغرافيا فمجمل القول أنها بلاد جبلية تتسلقها البيوت والمنازل كأنها عُقْبان وهكذا يتحقق قوله تعالى

﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴾

(الشعراء/ ١٤٩)

وهكذا ترى البيوت كأنها منحوتة فى الجبال أو هى منحوتة فعلا، وأكبر مثال على هذا مدينة عمَّان العاصمة حيث تقع بين تسعة عشر جبلا وعلى سفوح هذه الجبال وتلالها تتربع المدينة الهاشمية البيضاء وكأن الجبال جميعا تحتضنها فى حنان.

من قديم بناها العمونيون عاصمة لهم، وازدهرت أيام اليونان والرومان. وتتميز بميزة عجيبة فأنت فيها وقبل أن تلتقى بأهلها تحس بود أخوى تلقاك به، وتلك مزية عمَّان وهذه طبيعتها وشخصيتها ولا عجب فإنها كانت أيام الرومان تحمل اسم فيلادلفيا (أى مدينة الحب الأخوى) ويغلب على مبانيها اللون الأبيض نظرا لأنها مبنية من الحجر الأبيض وكذلك الأردن كله وليست العاصمة فقط، وبه شبكة مواصلات جيدة وطرق ممهدة نظيفة وانضباط مرورى متميز خطط له أناس على درجة عالية من الكفاءة، ونفذه أناس فى هدوء ودعة بلا ضجيج أو صخب. فأنت فى طريقك لا تفاجأ بسيارة مجنونة تأتى من أقصى اليمين لتمرق فى شارع أقصى اليسار ولا أخرى تأتى من أقصى اليسار لتمرق دون هوادة إلى أقصى اليمين.. إنما هناك مسارات محددة بخطوط بيضاء قبل الانعطاف يمينا وشمالا بحوالى ٥٠٠ متر تسير فيه السيارات التى ترغب فى الانعطاف يمينا أو يسارا، فأنت تمشى فى هدوء واطمئنان وأدب واحترام لك وللآخرين، نجد هذا سواء على الطرق السريعة أو داخل المدينة، وهذا أكسب الناس احتراما وللمرور مهابة حتى فى بعض الأماكن الجبلية الضيقة التى لا تتسع لتعدد المسارات. ساعتها لابد وأنت ترى هذا الهدوء والنظام لابد أن تتذكر مدينتك - القاهرة - وما تراه من مشاهد بهلوانية لسائقى السيارات تعجز القردة عن محاكاتها.

لم أشاهد فى المدينة الجميلة سيارة تنفث سمومها فى صدور الناس... حقيقة إن الأردن لا يتجاوز سكانه ٥ أو ٦ ملايين نسمة على الأكثر... أكثرهم من أصل فلسطينى.. لكنها وللحق بلد جميل نظيف.. لقد تحدانا أحد الرفاق فى دعابة مؤلمة قائلا: من يعثر أو يشاهد عشش يعيش فيها آدميون!!!؟؟؟؟

يوجد بالأردن أكثر بقاع العالم انخفاضا عن سطح البحر وهو البحر الميت وتقع عليه مدينة الكرك فى الجنوب الغربى على بعد حوالى ٥٥ كيلو مترا من العاصمة عمَّان، وصدق الله العظيم حيث يقول سبحانه

وتعالى فى كتابه الكريم

﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾

(الروم/ ٢، ٣)

وكما أن أدنى يمكن أن تكون بمعنى أقرب كذلك هى بمعنى أخفض وقد تبين أن منطقة البحر الميت أكثر بقاع الأرض انخفاضا هكذا قال علماء الجيولوجيا[٢]. ويبلغ مستوى انخفاض البحر الميت حوالى ٢٠٠ متر تحت سطح البحر.

فى الماضى كان يطلق على مصر قبل أن تشرق وتضىء بدخول الإسلام بقيادة الفاتح العظيم عمرو بن العاص - أيام حكم الرومان أنها سلة الغذاء للدولة الرومانية.

ويمكن أن نقول على الأردن أنه روضة الأنبياء والشهداء من أصحاب رسول الله ﷺ حيث يوجد بها أكثر الأنبياء المعروفين وثلة عظيمة من صحابة الرسول ﷺ - فهل تعرف الأجيال المعاصرة مراقد هؤلاء الأنبياء التى تعطر أجواء الأردن ويضمها ثراه الطيب المبارك وهل يدرك أبناء الأمة الإسلامية ما حواه هذا البلد الكريم بين جنباته وضلوعه من شهداء وأصحاب - لرسول الله ﷺ - عطروا مسيرة التاريخ وألهموا العالم والإنسانية رشدها بعد أن كانت تئن تحت جهالة وضلالة وأوثان وشرك وتقبع فى مذلة وهوان تحت ألوانٍ من القهر والظلم والاستبداد. وعلى مدار التاريخ الإنسانى كانت دعوة الأنبياء جميعا ورسله إلى البشر هى دعوة إلى الفطرة السوية التى عبر عنها القرآن الكريم حيث قال -سبحانه وتعالى:

﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾

(الروم/ ٣٠)

فكان الإسلام هو قمة النضج الإنسانى وعصارة الطهر وخلاصة العفاف والورع والنقاء.. ذلك الذى عبر عنه رسول الله ﷺ فى بيان معجز وتعبير صادق دقيق شفاف حيث قال يصور الفطرة النقية وتشويه الاستبداد لها انحرافا بها تبعا لهوى الأباليس وغرور النفس وجموح الظلم والاستبداد... حيث يقول ﷺ «إن الله خلق الناس حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن الفطرة»[٣].. وكما يقول ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه. كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء».. الحديث[٤]. إن هذه المعانى النبوية

---

(٢) راجع مقالات د. زغلول النجار بجريدة الأهرام تحت عنوان: «الإعجاز العلمي في القرآن» عام ٢٠٠٥

(٣) رواه مسلم.

(٤) صحيح البخارى ٢/ ١٢٥.

ومحتويات الكلمات الشريفة ومضامينها دقيقة صادقة رهيبة والفطرة ليست كلمة مبهمة ولا معنى غامضا ملتويا إنما هى فيما نحسب - عقلا سويا وقلبا نقيا.. عقلا يضع الأمور والناس والأشياء فى حجمها الطبيعى لا تجاوز فيه ولا شطط يدرك أن العلم نور وأن الجهل معرة وأن العدل حسن وأن الظلم قبيح.. وقلبا نقيا يأبى الدنس ويجنح إلى الفضيلة يرفض أن يحتقر الناس فلا فضل بينهم إلا بالعمل الصالح فلا تفاضل بلون أو جنس.. وهى - أى الفطرة - تقاوم كل شذوذ وانحراف مهما كانت المغريات ويحكى القرآن الكريم قصة فتية آمنوا بربهم فزادهم هدى، رفضوا عبادة غير الله وأبوا إلا توحيده خالصا وافرده بالعبادة:

﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾

(الزمر / ٣)

وقاوموا الظلم وعلى الرغم من قسوة الاستبداد وشراسة المستبد الظالم فإنهم لم يستسلموا وفى نبل وعفة وإخلاص وتجرد هاجروا بدينهم وعقيدتهم فارين من قهر الإنسان وجبروت الظلمة وعبث الشياطين بالعقيدة فآواهم الله إلى كهف وجعلهم آية فألقى عليهم النوم وحفظ أجسامهم فى مرقدهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا، وكما حفظ الله أجسام هؤلاء الفتية فقاومت البلى خلال هذه المدة فقد حفظ سبحانه وتعالى مرقدهم حتى يومنا هذا .

فعلى مقربة من العاصمة عمّان وعلى مسافة عشرة كيلو مترات شرقى العاصمة وفى قرية تسمى قرية الرقيم يبقى الكهف شاهدا على هذه الآية العظيمة ويبقى للأردن فضل الاهتمام والجهدُ المشكور على العناية بهذا الأثر، فمهد الطريق للوصول إليه، وعلى مقربة منه بنى مسجد يعمر المكان بالمصلين ويرفع فيه الأذان الله أكبر الله أكبر.. أشهد أن لا إله إلا الله.. فكأنما هذه الكلمات تشهد بضرورة تبدد ظلام الجهل والشرك وبقاء كلمة التوحيد.

أما عن الكهف فهو معجزة فى وضعه الفريد الذى عبر عنه القرآن الكريم فى إعجاز دقيق ودقة معجزة فقال سبحانه

﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾

(الكهف / ١٧)

ثم يقول:

﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾

(الكهف / ١٨)

فتأمل معى كلمة ﴿ تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ﴾ فلو أنك حاولت أن تستبدل كلمة «تزاور» بكلمة أخرى مرادفة لها أو شارحة أو مبينة فلن تستطيع أن تصل إلى المعنى الدقيق العميق وأنت تشاهد تلك الفجوة التى تزاور فيها الشمس إذا طلعت وصدق الله حيث يقول ملخصا هدف المعجزة والجو

كله حيث يقول سبحانه

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾

(الكهف / ٢١)

من الذين يعلمون الفتية؟؟ أم الحاكم وبطانته؟ أم نحن والناس جميعا إلى يوم القيامة؟ - إن وعد الله حق وهكذا تتجلى بعض أوجه الإعجاز القرآنى على ثرى الأردن الطيب المبارك. وإلى الجنوب من العاصمة عمّان تقع قرية - مادبا - وتسمى مدينة الفسيفساء، وعلى مقربة منها يقع جبل نبو الذى يقال إن النبى موسى عليه السلام دفن به وإن لم يكن له ضريح.

وفى قرية «مكاور» التى تقع فى الجنوب الغربى من عمّان وعلى مسافة ٣٢ كيلو متراً من قرية مادبا يوجد مرقد النبى يحيى -عليه السلام- وفى مدينة الكرك يوجد مقام النبى نوح، كما يوجد فى بلدة صرفا قرب الكرك مزار النبى سليمان، وقرب البحر الميت يوجد كهف النبى لوط -عليه السلام- الذى آوى إليه هو وبناته.. قال الله تعالى

﴿ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾

(هود / ٨٠)

وفى مدينة تسمى - السلط - بشمال غرب عمّان يوجد مقام النبى شعيب فى واد يعرف باسم وادى شعيب، وإلى الغرب من مدينة السلط يوجد مقام النبى يوشع وإلى الجنوب الغربى منها يوجد مقام النبى أيوب وفى الشمال قريب من الحدود السورية وفى مدينة - إربد - يوجد مقام النبى داود عليه السلام - هذا وأعتقد أن أكثر شبابنا اليوم لا يعرف عن الأردن وما فيها من مقامات الأنبياء أو مراقدهم شيئا.. ولقد ألمحت إلى شىء يسير مما ذكرتهم وأعتقد أن قصص حياة الأنبياء ليس هذا مكانه فراجعه فى مكانه إن شئت..

ثم قلت لصاحبى أعتقد أنك رغم تشوقك واستماعك وإنصاتك لما حكيت لك ترى أن نرجىء الحديث عن صحابة رسول الله ﷺ وما يضمه ثرى الأردن من جدثهم الطيب.

قال: نعم فأنا أحب أن أعرف عن أماكنهم وعن حياتهم الشىء الكثير وأعتقد أننا فى حاجة إلى مجلس آخر وأرجو أن تعدنى بالحديث عنهم إن شاء الله..

قلت: سوف أحدثك بإذن الله عنهم وعن بطولاتهم وعن مجهودات الأردن فى الاهتمام بمراقد صحابة رسول الله ﷺ..

ثم أضفت قائلا هل تعلم أن صلاح الدين العظيم كانت له جولات هناك وأن أحد قواده العظام بنى قلعة هناك سجلت عظمة هذا الفاتح النبيل واندحار الصليبية بل ربما حدثتك عن بعض آثار مماليك مصر فى الأردن، ولنترك كل ذلك إلى حديث آخر إن شاء الله.

كلية الدعوة الإسلامية بليبيا تنظم:

ندوة علمية لبحث أفضل السبل حول القراءة الغربية للقرآن الكريم

الدعوة لإقامة هيئة إسلامية عالمية متخصصة فى ترجمة معانى القرآن

عقدت كلية الدعوة الإسلامية بليبيا بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية ندوة علمية حول القراءة الغربية للقرآن الكريم فى الفترة من ٣ - ٤ ديسمبر ٢٠٠٥..

وتجىء هذه الندوة فى الوقت الذى تضاعفت فيه الحملات والكتابات حول الإسلام، بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١.. ولعله لم يظفر أى مصدر فى الدوائر الغربية بالاهتمام، بالقدر الذى بلغه القرآن الكريم، وقد تراوحت الأحكام فى تلك الدراسات والتحليلات بين الاعتدال والتطرف.

وقد ركزت الندوة على ستة محاور:

- فالمحور الأول ركز على القراءة الغربية للقرآن الكريم من خلال رؤية تاريخية، وركز المحور الثانى على التعامل مع القرآن الكريم من خلال رؤية واقعية،
- أما المحور الثالث فركز على منهجية التعامل الغربى مع القرآن الكريم.

وناقش أعضاء الندوة وهم من خيرة علماء المسلمين فى المحور الرابع ما هو دينى، وما هو سياسى فى التعامل الغربى مع القرآن الكريم.

- أما المحور الخامس فقد عالج آثار التعامل الغربى مع القرآن الكريم على علاقة المسلمين بالغرب.
- وأخيراً ركز المحور السادس على دور الجامعات الإسلامية في تصحيح المفهوم الغربى عن القرآن الكريم.

والمشاركون فى تلك الندوة يمثلون خمس عشرة جامعة ومؤسسة إسلامية، حيث شاركت كل من كلية الدعوة الإسلامية بليبيا، ورابطة الجامعات الإسلامية من القاهرة، وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وجامعة الفاتح بطرابلس، وجامعة قاريونس ببنى غازى، وجامعة السابع من إبريل بالزاوية من

للأستاذ/ عاطف مصطفى



ليبيا، وجامعة الأزهر من مصر، والمجلس الإسلامى بتونس، وجامعة الدار البيضاء بالمغرب، ومركز الدراسات الإسلامية بجامعة لندن، وجامعة جنيف بسويسرا، والمؤتمر الإسلامى الأوروبى، ولجنة الحوار الإسلامى - المسيحى بلبنان، وجامعة تمبل بكندا.

العناية بالنص القرآنى

وفى كلمته فى الجلسة الافتتاحية تحدث الدكتور محمد فتح الله الزيادى عميد كلية الدعوة الإسلامية بليبيا، وهى المنظمة للمؤتمر، بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية حول العناية الفائقة



فى أوروبا بدراسة النص القرآنى، من مختلف التخصصات، وبمعظم اللغات، ترجمة ودراسة وتحليلاً، وإعجاباً وقدحاً ونقداً، مشيراً إلى العناية التى استندت إلى دعم كنسى، والذى يأتى فى إطار الرد على الانتشار السريع للإسلام فى العالم، مما يعوق توسيع المشروع الإستعمارى للعالم الشرقى.

وقال الزيادى: لقد حاول الغربيون تقديم تفسيرات للنص القرآنى، يعتمد على التشويه والتضليل المتعمدين، ثم جاءت المرحلة الجديدة التى نعيشها الآن، والتى بدأت بشكل جنونى بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر والتى شارك فيها مجموعة من علماء الدين والسياسة والاقتصاد والإعلام، والتى جعلت القرآن الكريم الهدف الأول للحملة المعاصرة، وذلك يتم فى اتجاهات متعددة أبرزها ثلاثة:

- العمل على إزالة القرآن الكريم كلياً من حياة المسلمين باستخدام ما أسموه بالفرقان الحق، بديلاً عن القرآن الكريم.
- الضغط باتجاه حذف آيات محددة من النص القرآنى، وخاصة تلك التى تدعو المسلمين إلى مقاومة العدوان، والانتصار للحق، ورفع الظلم عن المستضعفين فى الأرض.
- تسريب تفسيرات غربية لنصوص القرآن الكريم، لا تستند إلى منطق علمى من أجل تشويه القرآن الكريم من خارج

نصه وقد كانت المرحلة الأولى للصدام المسيحى - الإسلامى تتوجه نحو احتلال المقدسات، وجاءت المرحلة الثانية لتتوجه نحو السيطرة على المسلمين، أرضاً وشعوباً وثروات، وها نحن نعيش فى المرحلة الثالثة، التى تستهدف الإسلام ديناً وثقافة وحضارة، وهذا هو الهدف الرئيسى من إقامة هذه الندوة، وهو دق ناقوس الخطر، لأن الإنسان لا يمكن أن يحيا بدون عقيدة.

وقال د. الزيادى: ومع كل ما فى هذه الحملة من شراسة وعدوانية، وكل ما فيها من أخلاق مستهجنة فى كل الديانات، فإننا لا نرغب فى أن نستدرج إلى رد الفعل، لأن فى ذلك منطق غير علمى.

ويجب علينا مناقشة الأمور بعلمية مطلقة، بعيداً عن العواطف والتشنجات، وبروح تلتزم بحرية الرأى، والرأى الآخر.

مواجهة التحديات

وفى حديثه فى بداية الندوة أشار الدكتور جعفر عبدالسلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية إلى أهمية ودقة توقيت عقد هذه الندوة، وأهمية الموضوع الذى تتناوله، مؤكداً على ضرورة اتحاد المؤسسات الأكاديمية والبحثية، والهيئات الدعوية والثقافية الإسلامية لمواجهة هذه التحديات التى تواجه المسلمين فى عالمنا المعاصر، والتى يجب أن تهتم أولاً بإنتاج خطاب إسلامى معاصر يوجه إلى الآخر بلغته، وبما يتناسب مع ثقافته، لقطع خط الرجعة على كل المحاولات لتشويه الإسلام، أو الاستخفاف بالقرآن الكريم.

القرآن مصدر الثوابت

وفى كلمته المهمة أمام الندوة أشار الدكتور محمد أحمد الشريف أمين عام جمعية الدعوة الإسلامية العالمية إلى أهمية القرآن الكريم، وإلى أهمية شخصية الرسول ﷺ، باعتبار أن القرآن الكريم مصدر الثوابت فى الإسلام، وأن شخصية الرسول الكريم، هى الأساس الثانى للثوابت، وأن وفاته عليه الصلاة والسلام هى الفيصل بين الدين والتراث، وأن غض النظر عن الثوابت، يوقعنا فى محاذير كثيرة.

وقال الدكتور الشريف: لعل التطرف الذى عانينا ونعانى منه الآن، قد أدى إلى نتائج خطيرة، بسبب الاعتماد على رؤى ضيقة، بعيدة عن الفهم الحقيقى للإسلام.

وأشار إلى أن دراسة الآخرين للقرآن الكريم قديمة جداً، وتتصف إجمالاً بالعدائية الشديدة للقرآن الكريم ولشخصية الرسول ﷺ، وهو أمر وثقته دراسات المستشرقين وغيرهم دينياً وسياسياً وعسكرياً، وفى مقابل ذلك برزت دراسات غربية جادة وإيجابية

ومعتدلة، لكن المزعج أنه بعد سقوط المعسكر الشرقى، أصبح الإسلام هو العدو المعلن غربياً ورسمياً عند كل المسئولين السياسيين، ومتخذى القرار فى الغرب، وهو العداء المتحكم فى العقل الأوروبى، وتمثل فى مراحل ثلاث:

- الحروب الصليبية.
- الاستعمار الحديث للعالم الإسلامى.
- ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وهى مرحلة العداء الصريح المعلن للإسلام.

وهذا التطرف فى العدائية الغربية للقرآن وللمسلمين، يؤدى حتماً إلى ميلاد تطرف أشد وأعنف لدى كافة المسلمين المعتدلين، الذين لا يرضون، ولا يمكن أن يسكتوا على التطاول على كتابهم المقدس، أو على نبيهم الكريم.

بحوث متنوعة وهادفة

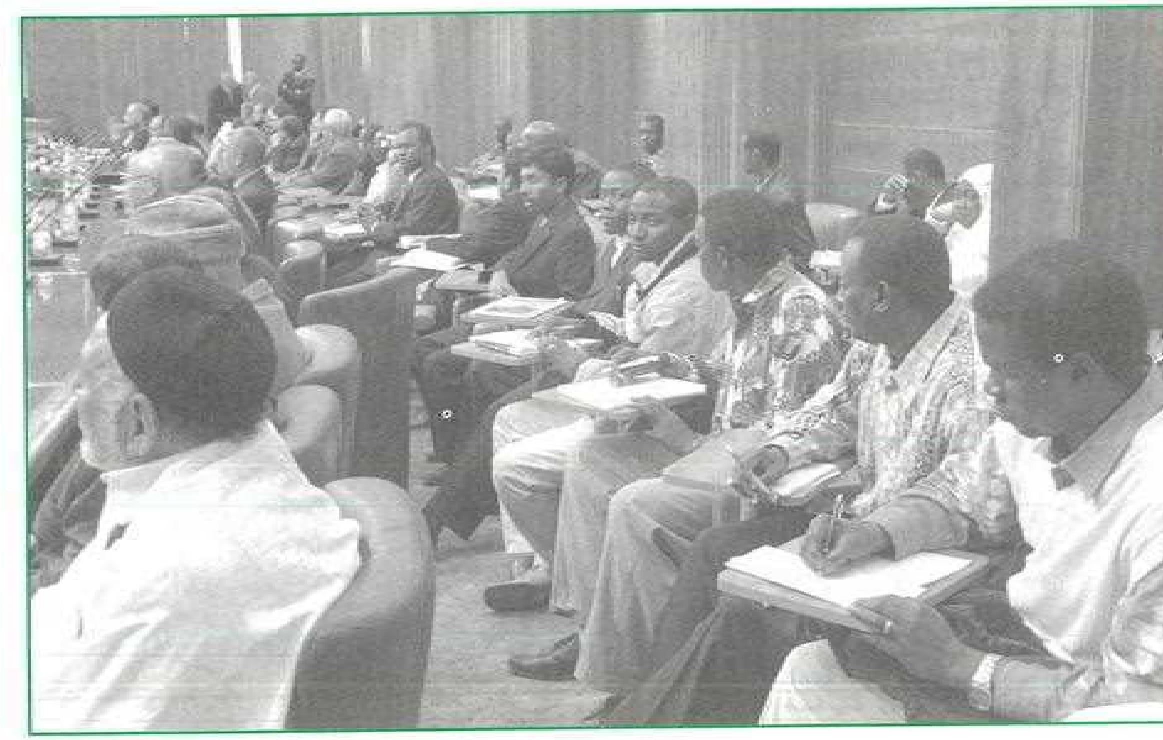
وقد شارك فى الندوة العلمية حول القراءة الغربية للقرآن الكريم والتى استمرت فعالياتها على مدى يومين، شخصيات مهمة من الغرب، ومن العالم العربى.

- فمن الغرب، قدم الدكتور محمد البشارى الأمين العام للمؤتمر الإسلامى الأوروبى ورئيس الفيدرالية العامة لمسلمى فرنسا، ونائب رئيس المجلس للديانة الإسلامية ورقة علمية بعنوان «نحو إعادة قراءة النص القرآنى» العالم الإسلامى وتحديات المرحلة، وتحدث فيه عن إشكالية الظرفية الزمنية وإشكالية الأرضية المرجعية والفرق بين التجديد والتحديث الدينى، والمحاولات المختلفة لاعادة قراءة النص القرآنى.
- وتحدثت الدكتورة فوزية العشماوى أستاذة اللغة العربية والحضارة الإسلامية بجامعة جنيف بسويسرا عن «الرؤى التاريخية لمنهجية التعاون الغربى مع القرآن الكريم».
- وتحدث الأستاذ محمد عبدالسلام من المؤتمر الإسلامى الأوروبى بباريس عن القراءة الغربية للقرآن الكريم، وأهمية الحفاظ على الثوابت الإسلامية.
- ومن لبنان قدم المفكر الإسلامى الدكتور محمد السماك وهو باحث فى القضايا الإسلامية، وعضو لجنة الحوار الإسلامى - المسيحى فى لبنان ورقة بعنوان «منهجية التعاون الغربى مع الإسلام والقرآن».
- ومن تونس قدم الدكتور محمد صلاح المسناوى رئيس المجلس الإسلامى فى تونس ورقة بعنوان «القراءة الجديدة للقرآن الكريم.. عرض للإصدارات والأطروحات».
- ومن مصر قدم د. جعفر عبدالسلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية عرضاً لدراسة نقدية لكتاب جورج بوش الجد «حياة محمد مؤسس دين الإسلام والإمبراطورية الإسلامية» وقدم من مصر أيضاً الدكتور نبيل السمالوطى أستاذ علم الاجتماع بجامعة الأزهر الشريف دراسة بعنوان
- «الإسلام والغرب.. قراءة فى موقف بعض علماء الاجتماع وبعض المقررات الدراسية فى الغرب من الإسلام والقرآن الكريم».
- وتقدمت للندوة أيضاً الدكتورة زينب عبدالعزيز أستاذ الحضارة الفرنسية بورقة بحثية بعنوان «الدينى والسياسى فى التعامل الغربى مع القرآن.. رؤية شاملة».
- كما تقدم الدكتور عمر القاضى من جامعة الأزهر بورقة بعنوان «تعامل الغرب مع القرآن.. رؤية واقعية».



وتمت مناقشة الأبحاث على مدى ست جلسات، وانتهت إلى إصدار بيان ختامى وتوصيات من أهمها:

- الدعوة إلى التوسع فى دعم برامج حفظ القرآن الكريم وتقرير أجزاء مناسبة منه، يتم تدريسها وتحفيظها للناشئة فى مختلف مراحل الدراسة، مع إحياء دور المؤسسات التى كانت تهتم بتحفيظ القرآن، مثل الكتاتيب فى مختلف الدول الإسلامية.
- دعوة الجامعات الإسلامية إلى التعاون من أجل إقامة هيئة إسلامية عالمية متخصصة فى ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغات العالمية، ويكون من مهامها



مراجعة الترجمات الموجودة حالياً.

● إنشاء مرصد إسلامى عالمى لكافة الأبحاث والدراسات التى تظهر على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) والتى تتناول القرآن الكريم خاصة والإسلام عامة، وتبويبها وتحديد اتجاهاتها والرد عليها رداً علمياً هادفاً، وإظهار الدراسات الغربية الإيجابية للقرآن والإسلام، وذلك باللغات العربية.

● إعداد برامج إعلامية جادة (مرئية ومسموعة) تثبت فى العقل المسلم القرآن الكريم، وتوضح علومه وأسس تفسيره.

● متابعة وكشف الدراسات التى تظهر فى العالم الإسلامى، والتى تدعو إلى قراءة جديدة للقرآن الكريم بغير ضوابط، الأمر الذى يؤدى إلى تفريغ المحتوى الإيمانى للقرآن الكريم، وجعله نصاً تراثياً يمكن التحكم فى فهمه وتأويله، والعمل على تنبيه المؤسسات البحثية والأكاديمية إلى خطورة تأثيراتها.

● دعم برامج تعليم اللغة العربية، وتعميق الفهم باللسان العربى لتأصيل الفهم السليم للقرآن الكريم.

كما تضمنت توصيات الندوة أيضاً توجيه الباحثين والدارسين وخاصة فى

أقسام الدراسات العليا فى الجامعات الإسلامية إلى الاهتمام بنقد ودراسة كافة الأبحاث التى تصدر عن المستشرقين والمتغربين على السواء والتى تحاول التشكيك بالقرآن والإسلام أو تشويههما.

● وأيضاً دعوة المؤسسات الأكاديمية إلى التواصل مع الفضائيات فى كافة أنحاء العالم لعرض الأخطار والمحاذير التى يحملها كتاب (الفرقان الحق) وغيره من الأبحاث التى تتناغم معه.

والدعوة إلى عقد ندوة لمراكز طباعة القرآن الكريم فى العالم لبحث حصانة خاصة بالقرآن الكريم على الشبكة الدولية، حتى يمكن التمييز فيها بين المصاحف السليمة، والمصاحف التى تحمل الأخطاء أو التحريفات.

● كذلك تضمنت توصيات الندوة اقتراح بإنشاء جائزة دولية للباحثين الغربيين المنصفين تجاه الإسلام والقرآن الكريم والتأكيد على دعم التواصل بين الجامعات الإسلامية من أجل توحيد الرؤى والمواقف والجهود، للوقوف أمام كل خطر يهدد الإسلام، ويمس ثوابته.

● كما أكدت التوصيات على ضرورة إنشاء مؤسسة ترجمة ونشر، تعمل على الترجمة الدقيقة للكتب الجيدة التى تعرف بالإسلام وثقافته قديماً وحديثاً باللغات الأوروبية الكبرى.

وأخيراً أوصت الندوة بفتح تخصص الإعلام وإنشاء مراكز تدريب إعلامى عملى فى الكليات الشرعية الأكاديمية، وذلك لجميع التخصصات الإعلامية.

● ونحن فى هذه الآونة فإن العلماء مدعوون اليوم قبل غيرهم أن يجندوا أقلامهم لنقد ما صدر ويصدر من كتابات وتقويمها، وإبداء الرأى العلمى بكل تجرد وموضوعية فى كل ذلك، والرد على الكتابات التى تخطت المقاييس العقلية والخلقية، وبخاصة تلك الاستنتاجات الخاطئة التى وصفت الإسلام بالإرهاب والتطرف، وهو دين المحبة والتواصل الإنسانى مع جميع الشعوب.

ومن هذه الندوة ومن خلال بحوثها يمكن القول بأنها فرصة مواتية للأقلام الحرة النزيهة أن تكشف عن أساليب تعامل الغرب مع القرآن الكريم فترفع من قدر من أحسن، وتقوم فكر من أخطأ، دون مساس بشخصه عملاً بالحكمة القائلة: «من قرر الحق استغنى عن تهجين أهل الباطل».

***

ملامح المنهج التحليلى فى عبقريات العقاد

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب



العقاد

من الطبيعى فى حركة فكرية تملك عافيتها تماما أن لا تستحيل بعض ظواهرها الصحيحة إلى تكرير لبعض الظواهر الصحيحة الأخرى، وأن تندفع تياراتها فى اتجاهات متباينة وأنحاء متعددة حتى لا يكون صوت صدى لصوت، ولا وجه هو صورة من وجه !!

وقد استطاعت حركة الفكر العربى الحديث على مستوى الإبداع فى مجال التراجم مثلاً أن تختار هذه القيمة، وأن تملك هذه الناصية، وأن يكون اتجاه منها إلى حركة التراجم التحليلية - كما نرى عند العقاد فى عبقرياته - واتجاه إلى حركة التراجم الروائية - كما نرى عند طه حسين فى على هامش السيرة - واتجاه إلى حركة التراجم التاريخية - كما نرى عند محمد حسين هيكل فى حياة محمد - واتجاه إلى حركة التراجم المسرحية، كما نرى عند توفيق الحكيم فى مسرحية محمد - وأن يكون هذا المد قادراً بذاته على التراحب والانداح والتمدد فى جهود أغيار كثيرين حتى قبل أن ينزل الستار على حيوات رواده الرائعين، مما يؤكد أن اتجاهاتهم الفكرية والفنية كانت تعبيراً عن روح مرحلة بكاملها، ولم تكن مجرد ارتعاش بالكلمة على سفوح الورق.

إن قيمة أولئك الرواد تنبثق من وضعيتهم كمبدعين كما تنبثق من وضعيتهم كمقعدين وليست هذه الوضعية الثنائية بهينة فى موازين الحكم، وليست بضامرة فى مجال المقارنات والموازنات..

لقد مضى العقاد بالمنهج التحليلى إبداعاً وتقعيداً.. ومضى بالمنهج الروائى والقصصى طه حسين، ومضى بالمنهج المسرحى توفيق الحكيم.. ومضى بالمنهج التاريخى هيكل وأحمد أمين.. والجدير بالتقدير فى أمر أولئك الرواد أنهم

بقدر ما أفادوا من الروافد الثقافية الوافدة بقدر ما استعصوا على الذوبان فى هذه الروافد مع ما صاحب قدومها من بريق وضجيج، والعجيب أن أولئك الكبار بحق لم ينغضوا رءوسهم إلى تراثنا الفكرى والحضارى وإنما ظلوا على صلة واشجة به يستوحونه ويبدعون فيه ويحاولون بكل ما أفادوا أن يطوروا مضامينه وأشكاله، وقد أتيح لهم من ذلك أمد ليس بالضامر ولا بالهزيل، فإذا أضفنا إلى ذلك قيمة أن هذه التراجم الغيرية التى أبدعها هؤلاء الرواد على اختلافها نوعياً تمثل كثيراً من القيم الحضارية التى كانت سائدة فى مراحل إبداعها الزمنية هالنا بالفعل ما قام به هؤلاء، وإن كان هذا الفتون أو قل هذا الاعتراف بدورهم الريادى في هذا الصدد لا يصرف أياً من الأقلام الناقدة ولاينبغى أن يصرف أياً من الأقلام الناقدة عن التصدى الراصد هكذا وجهاً لوجه لكثير من المآخذ التى يمكن أن تؤخذ على هذه الأعمال !!

وقد يبدو هذا الإجمال غير منطقى فى دراسة تتصدى لرصد ملامح منهج بكامله وقد تلوح هنا ضرورة التفصيل والتأصيل والتعميق، فإذا عرفنا أن الاستجابة الفكرية لهذه الضرورة ليست هوى ذاتياً بقدر ما هى حتمية موضوعية يفرضها المسار الطبيعى لحركة الفكر فى هذا المجال، كانت ضرورة الاستجابة لهذه الضرورة أعمق أبعاداً وأبعد أعماقاً بلا حدود !!

والكاتب العربى الكبير عباس محمود العقاد يقف على رأس المنهج التحليلى فى كتابة التراجم الغيرية، فإذا خصصنا الحديث هنا عن عبقرياته فليس لأنها هى المستوى الوحيد القادر على إبراز



توفيق الحكيم



أحمد أمين

قسماته فى هذا الصدد، بقدر ما هى المستوى «النوعى» المتكامل الذى يعطى المثل ويتحرك فى نفس المجال، أعنى أن العظمة الكامنة فى محمد هى العظمة السارية إلى أبى بكر.. وعمر.. وعثمان، وعلى.. أولئك الذين كتب عنهم العقاد عبقرياته الشامخة التى ماتزال حتى اليوم رافداً يتدفق بالضوء والعطر والجلال الفكرى والتى مانزال نحن فى حاجة إلى من يكتب عن عظماء تاريخنا من مثل منظورها الجاد الذى يرفض أن يجرى على مسلمات لاكتها أقلام بلا حصر، ولكنها أبداً لم تعكس نبضة صدق واحدة، ولا نبضة وعى تضيف إلى ملامح وجودنا الفكرى فى عالم لاغط بملايين الإضافات !!

ولقد نعرف أن منهج العقاد التحليلى فى كتابة التراجم الغيرية قد هوجم بلا هوادة، وعيب عليه بلا تحفظ، وأخذ كما تؤخذ الثغرة فى جدار يقتحم منها الواغلون والدخلاء والمنطوون على حفائظ باهظة، وضغن غبى، ولكن كاهل العقاد كان دائماً أقوى !!

لا ننفى أن فى كتابات العقاد ما يمكن أن يؤخذ عليه وأن يدار مع فكره فيه حوار ما ولكن ليس

معنى ذلك أبداً أن العقاد لم يفهم طبيعة منهجه ولا طبيعة كتابة التراجم الغيرية، أو أن العقاد قد اعتسف طريقه إلى هذه الكتابة اعتسافاً، فالعقاد - بشهادة التاريخ لا بشهاداتنا نحن - واحد من قلائل مثقفينا على الإطلاق وواحد من أنبغ مبدعينا فى حركة الفكر العربى قديمه وحديثه..

تقف عبقريات العقاد على مستوى الندية لكثير مما كتب فى تاريخ التراجم الغيرية من كتابات، خاصة على المستوى العربى، ربما لأنها تنطلق من موقف استقلال بحت حين اتجهت إلى هذا اللون من ألوان التراجم التحليلية غير مبالية بما يمكن أن يكون فى طريقها إليه من صخور ومعوقات.. والواقع أننا فى ظلمات جمودنا الراهن أحوج ما نكون إلى هذه الفرادة وهذا التميز، فقد غشيت نفوسنا من طول ملامسة السطوح وتفيؤ البديهات!!

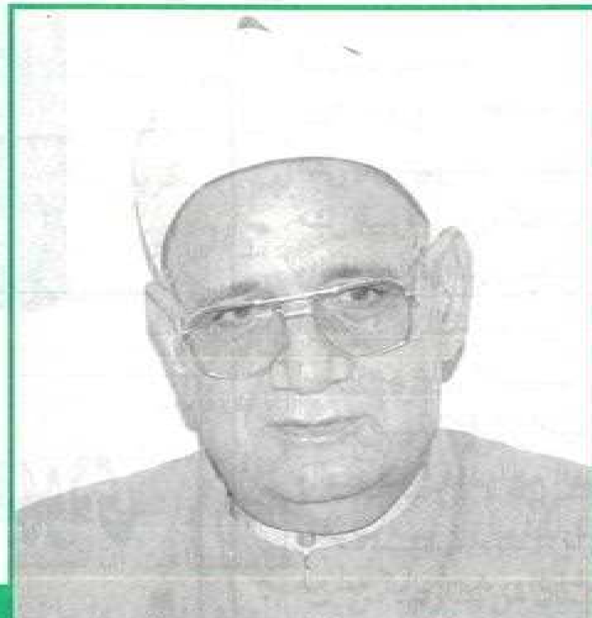
وإذا كان لتكوين العقاد - فكرياً ونفسياً - أثر فى اتجاهه هذا الاتجاه، فإن ذلك لا يغض من القيمة الحقيقية للتحول بكتابة التراجم من نسقها التاريخى السردى إلى هذا النسق المتأمل المقارن الطموح، إن قيمة الكاتب الفكرية لا تشيد على فرضيات أو مجرد أمانى، إن قيمة الحقيقة ثاوية وقافزة معاً فى كل ما أنجز من فعل فكرى، وفى كل ما أبدع - بذهنية مستقلة - من مقولات.. لا يهم أن يكون تكوينه الفكرى والنفسى هو الذى قاده إلى هذا السلوك أو يكون هو الذى قاد تكوينه الفكرى والنفسى إلى هذا السلوك حتى ولو لم يكونا أساساً متجهين به ومعه فى هذا الاتجاه!!!

وبدءاً.. لا نريد أن نخوض فى شىء قبل أن نغامر باقتحام عالم العقاد، كيف ترجم للنبى؟ كيف ترجم لعمر؟ كيف ترجم لعثمان؟ كيف ترجم لعلى؟ كيف ترجم لأولئك الرائعين جميعاً من خلال منظوره القائم على حركة الاستبصار والتحليل معاً.. فإن هذا المنحى النقدى إذا شئنا أن نسميه، هو وحده القادر على اقتحام عالم العقاد بكل ما فيه من خصوبة، وفرادة، واستقلال منهج وذات!!

ولكن لنا كلمات فى مطالع هذه الرحلة: ليست هذه الدراسة كلمة أخيرة - حتى بالنسبة لكاتبها تقال فى هذا المجال، وإنما هى محاولة إغراء حقيقى بالدخول إلى هذا العالم الفاتن، عالم التراجم الغيرية، عالم أن تقول كلمتك فيمن قال كلمته عن قائل كلمات بلا حدود.. عالم أن ترى من الداخل كيف تحاصر العظمة أو تقدر أو يضائل من أقدارها التافهون.. عالم أن تضرب بالسيف وتكون الضحية هو أنت.. وأن تقول الكلمة ويكون الفارس هو أنت.. وأنت تقف حتى ذاهلاً ويكون الهائل بكل أحجامه هو أنت!!

ستكون الرحلة مع عبقريات العقاد.. عن منهجه فى إبداعها.. وعن منظوره من خلالها وعن قناعاته الفكرية التى يمكن أن نرصدها.. وعن حركة التوافق والتخالف جميعاً فى حركة الفكر المبدع الذى تحرك بهذه العبقريات ومعها من زمن التأمل والاجتياز والطرح.. إلى زمن المعاناة والمخاض والتحقق إلى زمن استحالة كل أولئك إلى بنية صحيحة فى جسد الوجود!!!

«يتبع»



تهنئة ودعاء

أصدر السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية القرار رقم (٤١٤) لسنة ٢٠٠٥م بتعيين فضيلة الشيخ/ عمر الديب محمد محمود وكيلا للأزهر اعتبارا من ٢٠٠٥/١٢/٢٤م وحتى تاريخ بلوغه السن القانونية المقررة لانتهاء الخدمة.

وبهذه المناسبة تتقدم أسرة مجلة الأزهر بخالص التهانى لفضيلة الشيخ عمر الديب سائلين المولى - عز وجل - لفضيلته التوفيق والسداد.

كتاب الشهر

التجانس اليهودى والشخصية اليهودية

للدكتور
عبدالوهاب المسيرى

عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

٢


د. عبدالوهاب المسيرى

أوضح الدكتور المسيرى: أن اليهود ليس لهم ثقافة خاصة، وإنما هم يتفاعلون مع ثقافة الأغلبية التى يعيشون فى كنفها، مثل غيرهم من الجماعات والأقليات الدينية.. ثم أوضح: أن الصهيونيين- فى إصرارهم على التزييف- يحرصون على أن يبرزوا خصوصية الثقافة اليهودية بكل وسائل التزييف والتضليل: فالمراجع الصهيونية- مثلا- تصنف يعقوب صنوع (أبونظارة) فى ضمن المثقفين اليهود مع أنه كان أحد رواد الحركة القومية فى مصر، الذين وجهوا سهام نقدهم للإنجليز الذين يحتلون مصر، كما أن الإذاعة الإسرائيلية تعد داود حسنى موسيقارا يهوديا، مع إنه ملحن وموسيقى مصرى يهودى، يقرن اسمه بأسماء معاصريه من المصريين، مثل: سيد درويش وكامل الخلعى.. حتى إن كثيرين من المتخصصين الذين درسوا موسيقاه يدهشون حين يعرفون أنه يهودى.

ولقد تنبه إلى عدم وجود ثقافة يهودية واحدة.. كثير من المفكرين اليهود، مثل المؤلف الإنجليزى اليهودى (آرثر كوستلر) الذى يقول: «إن ما يعرف بالتراث اليهودى، أو الثقافة اليهودية أمر ليس من السهل تعريفه، لأن كل ما يصدر عن أعضاء الجماعات اليهودية فى العالم ليس يهوديا بالمعنى المحدد، وليس جزءا من تراث يهودى قائم، فالإنجازات الفلسفية، والعلمية والفنية لليهود تتوقف على معطيات ثقافة الشعوب الأخرى وحضاراتها.

ويستدرك الدكتور المسيرى، مقررا: أن وهمية وجود ثقافة يهودية مستقلة، ووهمية وجود مثقف يهودى خاص.. لا يعنى إنكار وجود مكون يهوى، أو عناصر يهودية مستقلة، وإنما يعنى: أن مثل هذه العناصر- إن وجدت- ليس لها مركزية تفسيرية، فلكى نفسر بنية فكر فيلسوف أو مفكر يهودى يتعين علينا أن نرجع إلى نماذج تفسيرية مشتقة من الحضارة التى ينتمى إليها هذا المفكر أو الأديب اليهودى، بدلا من الرجوع إلى التوراة، أو التلمود، أو تاريخ العبرانيين والكنعانيين.. حتى إنه لا يوجد نمط واحد لتناول المثقفين أو الأدباء اليهود للموضوعات اليهودية، فهناك من يتناولها من منظور يهودى، مثل الروائى الأمريكى (ماكيرلفين) وهناك من يتناولها من منظور معاد لليهود، مثل الروائى الأمريكى (ناثانيل وست)، وهناك من يتجاهل الموضوع اليهودى تماما فى كل كتاباته - أو فى معظمها- مثل الناقد الأمريكى (ليونيل ترلنج)، وهناك من يتناولها فى سياق إنسانى عام، ويرى: أن غربة اليهودى الحادة إن هى إلا تعبير عن أزمة الإنسان العلمانى الحديث، كما يفعل المخرج السينمائى الأمريكى (وودى ألين)، والروائى الروسى (إيزاك بابل)، مما يجعل من العسير إطلاق (مثقف يهودى) على كل هؤلاء.

الغاية من اصطناع الهوية اليهودية

والدكتور المسيرى يرى: أن الصهيونيين لما اكتشفوا اندفاع الدول الغربية إلى الاستعمار فى القرن التاسع عشر واكتشفوا تعاون تلك الدول مع كل من يتبنى الحل الداروينى الاستعمارى.. لما اكتشفوا هذا وذاك حرصوا على أن يجعلوا من أنفسهم قاعدة للاستعمار الغربى، تدافع عن أمنه ومصالحه، فضمنوا بذلك الدعم الغربى الدائم لهم، عسكريا وسياسيا واقتصاديا.

وعلى الرغم من أن الفكرة الصهيونية التى يسعون لتحقيقها هى فكرة (داروينية) خالصة، لا تؤمن إلا بقيم الصراع، والبقاء المادى للأقوى.. على الرغم من هذا.. نجحت فى إخفاء تلك المادية الجارفة وراء ديباجات دينية، واشتراكية، وديمقراطية متنوعة، فاستطاعت أن تستهوى بذلك جماهير اليهود، فلم يروا ما تنزع إليه من فكر وسلوك فاشى، بحيث تقيم برنامجها الإصلاحى على الاستيلاء على الأرض الفلسطينية، وتجميع أعضاء الشعب اليهودى من كل أنحاء العالم، وتأسيس دولة يهودية خالصة، مغفلة اتساع المسافة التى تفصل كلمة الإصلاح عن الواقع الحقيقى اتساعا شاسعا، لخصوه فى عبارة (أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض)، فالإصلاح المنشود- وهو تجميع اليهود- بما فيه من خداع جذاب، لا يلتقى بأى حال مع الواقع الفلسطينى الماثل الذى وقف مانعا- وسوف يظل مانعا- من تحقيق ما ينشدون.

ومع قيام هذا البرنامج الإصلاحى على التزييف الواضح.. ارتطم كذلك- منذ فرضته القوة الفاشية- بالواقع غير المتجانس ليهود العالم، حتى اضطروا إلى إصدار قانون (العودة) الإسرائيلى مغفلين عدم تحدد الهوية

اليهودية، وتعريف (من هو اليهودى).

وبسبب عدم تجانس اليهود المهاجرين إلى إسرائيل طرح برنامج (آتون الصهر) أو (مزج الجاليات) على أمل أن يتخلى اليهود داخل إسرائيل عن هوياتهم القديمة التى اكتسبوها فى المنفى، ويتم صهرهم جميعاً فى بوتقة واحدة، وهى (الهوية الإسرائيلية).

ولكن .. مع مرور الوقت بدأت أسطورة (آتون الصهر) تتآكل، واضطر علم الاجتماع الإسرائيلى إلى الاعتراف بأن هناك أمتين: غربية (إشكنازية)، وشرقية (سفاردية)، ثم بدأ الانقسام الدينى العلمانى فى التبلور، وعادت الأحزاب العرقية إلى الظهور.

وإلى هاتين العقبتين اللتين ارتطم بهما البرنامج الصهيونى.. واجهتهم كذلك مشكلة العمال الوافدين التى اضطروا إليها بعد (انتفاضة الأقصى)، وسعيهم إلى الاستغناء عن العمال الفلسطينيين، إذ لم يكن لهم بدمن فتح الأبواب للعمال من الفلبين وتركيا، ومن شرق أوروبا، حتى بلغ عددهم حوالى ٣٠٠ ألف، فأصبحوا كتلة بشرية كبيرة تقيم بشكل دائم داخل التجمع الصهيونى بما ينشأ عنها من تهديد للأمن الاجتماعى، حيث بدأوا فى الزواج من الإسرائيليات، وأعلن كثير منهم استعداده للتهود، والحصول على الجنسية الإسرائيلية، مثل المهاجرين من السوفيت من غير اليهود الذين لا يجدون مانعا من التهود للحصول على مستوى معيشى أفضل.

بل إن الانتماء العرقى الروسى يعد واحدا من عشرات الانتماءات التى تبين كذب مقولة (الشعب اليهودى الواحد) وتقوض أسطورة (آتون الصهر) التى صورها الوهم الصهيونى بأنها ستجعل كل مهاجر يهودى جديد، يقفز فيها ليخرج بعد قليل مواطنا إسرائيليا، لا علاقة له بتراثه الحضارى، ولا بتاريخه الاجتماعى، ولا بهويته العرقية التى حملها من وطنه الأصلى.. من كل ما أدى إلى فشل الزعم الصهيونى القائل: (إن الصهيونية ستنهى حالة النفى، وستقوم بتطبيع اليهود) فاليهودى لم يعرف بطريقة ترضى كل الأطراف، وهو يرفض العودة لما يزعم أنه الوطن القومى.

وهكذا.. فرض الواقع نفسه على الأوهام الصهيونية، حيث قاد الصهيونية إلى الانصراف عن القيم الصهيونية المبنية على التقشف، وتأجيل الإشباع، واستسلموا للسعار الاستهلاكى، والنزوع نحو الأمركة والعولمة والخصخصة.

حتى الدولة التى اصطنعوها.. تبحث عن هوية

والدكتور المسيرى يرصد رؤية الجماعات اليهودية فى العالم للدولة التى اصطنعها الصهيونيون فى أرض فلسطين.. فيجد أن اليهود المتدينين يستنكرون أن تنتسب إلى اليهودية دولة من أكثر الدول إباحية فى العالم، ولا يقيم سكانها الشعائر الدينية اليهودية. ويجد أن اليهود المهتمين بأعراقهم وموروثهم يستنكرون أن تنتسب إلى

اليهودية دولة تتزايد فيها معدلات الأمركة والعولمة بخطى متسارعة، حتى صار شعار (ماك إسرائيل)- أى ماكدونالد- بدلا من (صهيون الجديدة) ويجد أن اليهود ذوى الاتجاهات الثورية يستنكرون أن تنتسب إلى اليهودية دولة تقوم بالتجسس لحساب الولايات المتحدة، وتزود النظم الفاشية فى أمريكا اللاتينية بالأسلحة وتتعاون مع نظام التفرقة العنصرية (الآبار تهايد) فى جنوب أفريقيا، ولا تزال تنكر على الفلسطينيين الذين تستعمر أرضهم حق تقرير المصير، وتحاول قمع الانتفاضة الفلسطينية بكل أنواع الإرهاب المتاحة.

ويرصد.. كذلك- تفكير أعضاء الجماعات اليهودية فى داخل إسرائيل حول توسعهم فى الاستيطان، وما يستلزمه من مادة بشرية – تمكن من التنمية والدفاع- غير ميسورة. الأمر الذى فرض نشوب توجهين متعارضين، أحدهما (الصهيونية الديموجرافية) أى الصهيونية السكانية، والثانى هو (صهيونية الأراضى)

أما الاتجاه الديموجرافى فيرى: أن الاحتفاظ بالأراضى المأهولة بالسكان العرب ليس من الحكمة فى شئ؛ لأن العرب بتكاثرهم سيفوقون الصهيونيين عددا، ويهددون الطابع اليهودى للدولة الصهيونية، كما يرون صعوبة أن تضم دولة ديمقراطية أقلية كبيرة – قد تصبح أغلبية – وتنكر عليها حق الاشتراك فى صنع القرار؛ لذلك..... فهم يطالبون بتسليم المناطق المأهولة بالعرب للعرب.

وأما اتجاه (صهيونية الأراضى) فيرى: أنه لايمكن الانسحاب من أى أرض احتلها الصهيونيون؛ لأنها أرض الميعاد المقدسة.

ويرى: أنه بالقمع المستمر للعرب سوف يمكن الاحتفاظ بتلك الأرض بمن عليها من السكان، دون الاضطرار إلى التخلى عن الطابع اليهودى للدولة.

ويخلص الدكتور المسيرى من ذلك إلى: أن إسرائيل يصح أن تسمى (دولة اليهود)، ولا يصح أن تسمى (الدولة اليهودية)، كما تطلق عليها كثير من الكتابات العربية، احتذاء بالكتاب الغربيين، والكتاب الصهيونيين؛ فلو أن الكتاب العرب تخلصوا من متابعة الغربيين دون مراجعة أو تأمل فى الأسباب التى دعت الغربيين إلى ذلك، ودون نظر إلى تلك التناقضات الكامنة فى التصنيف الصهيونى الغربى للدولة الصهيونية.. إذن لما شاركوا فى هذا التزييف البين.

إن جعلها دولة يهودية ينبه إلى مشروعية طرد الفلسطينيين، واغتصاب أرضهم؛ لأنهم بذلك يحررون وطنهم القومى من يد الفلسطينيين الغاصبين، وبالتالى: يصبح الاستمرار فى قتل الفلسطينيين وتشريدهم.. عملا مشروعا. ودفاعا عن النفس. ولا يعارضهم فى ذلك إلا إرهابى.

فالخطأ فى التصنيف متعمد، قصد به الصهيونيون والغربيون قلب الحقائق.

وتزييف الواقع... ويكفى أن نذكر أن مؤسس الحركة الصهيونية (تيودورهرتزل) لم يكن يكترث باليهودية، بل كان يتعمد خرق تعاليمها. كما كان ذلك شأن معظم الزعماء الصهيونيين الأوائل. وكان عنوان كتابه الذى عرض فيه رؤيته لحل المسألة اليهودية هو: (دولة اليهود) وليس (الدولة اليهودية).

من هنا.. يقرر الدكتور المسيرى أن إصرار الصهيونيين على تجسيم تلك الأوهام. وفرضهم هذه التزييفات على الواقع الغربى والعربى.. يقرر: أن هذا وذاك راجع إلى أن الحركة الصهيونية حركة تجارية، تعتمد فى كل شئونها على أسلوب التجارة القائم على المساومة، وليست حركة قومية تقر بالتضحية والمقاومة للذود عن الأرض المغتصبة، أيا كانت وسائل الأغتصاب.

والدكتور - فى تقريره هذا - لا يكتفى بما عرضه من أنشطة صهيونية تجارية.. ولكنه يدعم ذلك بطائفة من تصورات القادة الصهيونيين وآرائهم. وعلى رأسهم (تيودورهرتزل) كتصوره - مثلا - : أن الحركة الصهيونية ممثلة الشعب اليهودى ستقوم بشراء العريش، أو أوغندا، أو فلسطين من أصحابها، وكمحاولته شراء أرض فلسطين من السلطان عبدالحميد، وكمحاولة (البارون روتشيلد) شراء الحد المجاور لحائط المبكى كى يخليه من السكان، وكقيام البنك (الأنجلوفلسطينى) بمحاولة شراء الحائط بعد فشل (روتشيلد).

ومن هذا التصور الصهيونى.. يرى الصهيونيون: أن المقاومة الفلسطينية، ورفض الاستيطان الصهيونى مسألة لا عقلانية؛ إذ كيف ينتفضون ويقاومون حتى بعد هدم بيوتهم، وتجريف الأرض بالبلدوزرات؟! فالمفروض أن العربى تاجر مثلهم، والتاجر لايقاوم، ولكنه يساوم فحسب.

ووحدة الشعب... افتراء مفضوح

والدكتور المسيرى فى الفصل الثانى (خرافة التجانس اليهودى) يفضح تزييف علم الاجتماع الإسرائيلى، الذى يذهب إلى أن التجمع الصهيونى يضم مجموعتين أساسيتين، هما: (الاشكناز)، و(السفارد)، مجموعات صغيرة أخرى... حيث يوهم بذلك أن كلا من (الأشكناز والسفارد) كيان متجانس.

ويغفل: أن مجموعة (الاشكناز) تضم يهودا من شرق أوروبا، ويهودا من وسط أوروبا، ويهودا من غربها بالإضافة إلى يهود من الولايات المتحدة، وكندا، واستراليا، وأمريكا اللاتينية، وأن كلا من تلك الجماعات تضم أقليات مختلفة؛ فجماعة يهود غرب أوروبا تضم يهودا من فرنسا، يختلفون عن يهود هولندا، ويهود إيطاليا، ويهود إنجلترا.

ويغفل - كذلك - أن اصطلاح (سفارد) اصطلاح دينى وثنى ويشير إلى اليهود الذين

يتبعون التقاليد السفاردية فى العبادة، ومن بينهم يهود هولنديون، وإيطاليون، وإنجليز، كما يشير إلى اليهود الذين جاءوا من شبه جزيرة أيبيريا.

وكذلك.. يغفل ما بين المجموعات الصغيرة الأخرى من تباين.

فيهود الهند مثلا - على قلتهم - متباينون؛ فمنهم: (يهود كوشين)، و(بنو إسرائيل)، و(اليهود البغدادية)، ومع هذا.. فإن المؤسسة الحاخامية لم تعترف بهم يهودا؛ لأنهم فقدوا صلتهم باليهودية الحاخامية، وأدخلوا على عبادتهم كثيرا من الشعائر الهندوكية.

ويهود جورجيا - وقد هاجروا إلى إسرائيل فى أوائل السبعينيات - يعانون أيضا من التفرقة العنصرية؛ لعدم التزامهم بقوانين الطعام الشرعية. ولجهلهم بكثير من الشعائر اليهودية، حتى أصبحوا من أهم أعمدة الجريمة المنظمة فى الدولة الصهيونية، والمتخصصين فى تزييف النقود.

واليهود القراءون.. تلك الفرقة التى تأسست فى العراق فى القرن الثامن الميلادى، متأثرة بالفكر الإسلامى، مختلفة عن اليهودية الحاخامية فى الإيمان بأن تشتت اليهود فى العالم يطهرهم من ذنوبهم، فليست العودة إلى أرض الميعاد ضرورية.

واليهود الفلاشا - وهم يهود أثيوبيا - الذين يصنفون ضمن اليهود تجوزا، حتى إن بعض علماء (الأنثروبولوجيا) الغربيين يصنفونهم مسيحيين، دخلت عليهم عناصر يهودية؛ فالكتاب المقدس عندهم أسفار موسى الخمسة، وبعض أجزاء من العهد الجديد، ويتعبدون بلغة الكنيسة الأثيوبية، ورجال الدين عندهم قساوسة، وليسوا حاخامات. ومعبدهم يسمى مسجدا، ويخلعون النعال حين يدخلون للصلاة؛ فهم فى داخل إسرائيل مرفوضون من اليهود الأمريكان والأوروبيين لسواد بشرتهم مرفوضون من الحاخامات، حتى لقد رفضت السلطات فى مدينة إيلات تزويدهم بالماء والكهرباء، بل رفض فى بعض المدن الأخرى مجرد توطينهم.

والعبرانيون السود - وهم الأمريكيون السود، المؤمنون باليهودية - ويطبقون الشريعة اليهودية بتشدد يفوق تشدد اليهود البيض. مع اختلاف رؤيتهم عن الرؤية الصهيونية تماما؛ إذ يرون أنهم وحدهم سلالة اليهود القدامى، وأن أنبياء اليهود كانوا من السود، وأن إسرائيل القديمة كانت سوداء، وأن قناة السويس ثغرة صنعها الإنسان الأبيض ليفصل إسرائيل عن أفريقيا السوداء، وقد دخلوا إسرائيل بتأشيرات سياحية، ثم استقروا بها، ولكن المؤسسة الصهيونية رفضت أى بطاقات رسمية لهم، ووسائل الإعلام تشكك فى يهوديتهم. وكثير من المدن الإسرائيلية ترفض توطينهم فيها. حتى وطنوا أخيرا فى أكشاك مؤقتة فى (ديمونة).

والعمال الوافدون – بعد اندلاع الانتفاضة لاستبدالهم بالعمال الفلسطينيين – من شرق أوروبا ومن تركيا، والفلبين.. أصبحوا كتلة بشرية مقيمة داخل التجمع الصهيونى.. ولأن أغلبها من الذكور بدأوا فى الزواج من الإسرائيليات، وأعلن كثير منهم استعدادهم للتهود، والحصول على الجنسية الإسرائيلية.

فأى وحدة تلك التى يمكن أن تقوم بين هذه الأشتات المتباينات؟! وأى رابطة يمكن أن تقوم بين جميع طوائف اليهود – على تباينها – وبين الفلاشاه الذين يحتفظون بهويتهم المتميزة القائمة على الإثنية الإفريقية المستمدة من بيئتهم، حتى إن وصولهم إلى إسرائيل قد أعاد تفجير مشكلة (من هو اليهودى؟)، بل أى وحدة تلك التى يمكن أن تقوم بين يهودي أمريكى أشقر من أصحاب المذهب الإصلاحى – أو العلمانيين، أو الملحدين – وبين يهودى من الفلاشاه، أسود البشرة، يرقص في معبده اليهودى فى الأعياد؟!

إن تفاقم الأزمات داخل الكيان الصهيونى – خصوصا الأزمة السكانية مع نضوب مصادر الهجرة التقليدية – دفع بهم إلى تهجير (الفلاشاه مورا) من أثيوبيا، فتضاعفت الأزمات، حتى أثار مخاوف الأشكناز، من أن يصبحوا أقلية فى الدولة الصهيونية، مع تزايد عدد السود الشرقيين بشكل عام.

ووحدة اللغة.. افتراء كذلك

والدكتور المسيرى – فى رصده أسباب التناقض بين الجماعات الإسرائيلية – يضيف إلى التباين العقدى، والاختلاف العرقى والقومى.. التباين اللغوى الذى يفرض علينا أن نتجاوز اصطلاح (اللغات اليهودية) الذى تستخدمه بعض المراجع الصهيونية، ونستخدم بدله مصطلح (اللغات واللهجات)، والرطانات التى يتحدث بها أعضاء الجماعات اليهودية في العالم، فاليهود لم يتحدثوا اللغة المعروفة بالعبرية إلا لمدة قصيرة للغاية؛ لأن لغة الآباء – إبراهيم، واسحاق، ويعقوب – كانت لهجة سامية قريبة من العربية أو الآرامية. أما (العبرية) فكانت لهجة من اللهجات الكنعانية، ولم يتخذها اليهود لسانا لهم إلا بعد إقامتهم فى كنعان سنة ١٢٠٥ ق.م.

أما اللغات التى كان يستخدمها أعضاء الجماعات اليهودية – في تعاملهم مع الآخرين بعد انتشارهم فى العالم – فكانت في معظم الأحيان لغة الوطن الذى استقروا فيه، أوإحدي اللغات الدولية السائدة، مثل الآرامية فى بابل، وفلسطين، ومثل اليونانية فى الإسكندرية، واللاتينية فى الإمبراطورية الغربية وإفريقيا، واللغة الفارسية فى إيران. واللغة العربية فى البلاد العربية، ومثل الرطانات المكونة من عدة لغات، كرطانة (اللادينو) فى

إسبانيا، و(اليديشية) فى شرق أوروبا؛ وذلك لأن كثيرا من الجماعات اليهودية شكلت جماعات وظيفية وسيطة، تضطلع بالتجارة والربا، وما أشبه ذلك، فكانت تتخذ تلك الرطانة الخاصة لإخفاء نشاطها، على الرغم من أنها خلقت مسافة بينها وبين المجتمع الذى تعيش فيه، فزادت غربتها.

فاللغة عندهم ليس لها دور قومى، وإنما هي مجرد وسيلة نفعية، حتي قيل: إن تعدد لغاتهم فى شرق أوروبا كان سببا فى أزمة الهوية التى واجهوها؛ إذ كانت العبرية لغتهم المقدسة، والآرامية هى لغتهم القانونية (لغة التلمود)، و(اليديشية) هى لغة الحديث، والألمانية أو البولندية أو الروسية هى لغة المثل الأعلي الاندماجى.

ومع بدايات العصر الحديث وخروجهم من (الجيتو) بدأت تختفى تلك الرطانات، استجابة لطلب الدولة القومية الحديثة أن يكون انتماء أعضاء الأقليات القومى لأوطانهم كاملا.

ومع هذا وذاك.. لن يجد المتأمل أي مظهر حضارى ينم عن وجود توحد لهم؛ فعاداتهم وتقاليدهم متباينة؛ حتي إنه لا يمكن الحديث عن زى يهودى؛ لأنها أزياء متعددة بتعدد تلك الجماعات، وثياب مختلفة باختلاف مجتمعاتهم التي يعيشون فى كنفها؛ إذ الأزياء – شأنها شأن اللغة – رموز اجتماعية لا يبتدعها المرء، وإنما يتلقاها من المجتمع؛ فالعبرانيون فى مصر يرتدون أزياء المصريين القدماء، كما ارتدوا أزياء البابليين فى بابل، وأزياء الفرس فى فارس، وأزياء اليونان والرومان إبان حكم الإمبراطوريات الهلينية والرومانية، وأزياء العرب فى الجزيرة العربية، وأزياء العثمانيين فى ظل الدولة العثمانية، والأزياء الهندية فى الهند، وأزياء الصينيين فى الصين.

فأزياء الجماعات اليهودية كانت تشبه – فى تباينها – اللهجات التى يتحدثون بها، فكلما كانت كل جماعة تضيف إلى لغة مواطنيها بعض العبارات العبرية.. كانت كل جماعة تضيف إلى زى الوطن الأصلى لها عناصر تتطلبها الظروف البيئية.

أما في الوقت الحاضر.. فإن الغالبية العظمى من أعضاء الجماعات اليهودية في العالم يرتدون الأزياء السائدة في مجتمعاتهم، بل إنه لا يلاحظ ظهور زى إسرائيلى أو يهودى خاص بمن يعيشون فى الدولة الصهيونية.

بل إن الحاخامات ليس لهم زى خاص موحد؛ ففى فرنسا يرتدون زى الوعاظ (الهيجونوت)، وفى انجلترا يرتدى بعضهم زى قساوسة الكنيسة الأنجليكانية، وفى الولايات المتحدة يرتدون الزي الغربى العادى، وفى الدولة العثمانية كانوا يرتدون زى الشيوخ (جبة وقفطانا وعمامة).

يتبع

العلاقات الباكستانية ـ الإسرائيلية

للأستاذ / صلاح عبدالرحيم محمد

شهد الأول من سبتمبر ٢٠٠٥، أول لقاء تاريخي علني فى مدينة اسطنبول التركية بين «سيلفان شالوم» وزير خارجية إسرائيل، ونظيره الباكستانى «خورشيد قصورى»، بمبادرة من الرئيس الباكستانى «برويز مشرف»، طلب فيها من رئيس الوزراء التركى «رجب طيب أردوغان» ترتيب هذا اللقاء، وفى أعقاب هذا اللقاء، وجه «شالوم» شكر بلاده للرئيس الباكستانى، وأعرب عن أمله فى أن يسهم دفء العلاقات مع باكستان فى مسيرة السلام مع الجانب الفلسطينى، وقال: «إن هذا اللقاء سيكون خطوة لفتح قنوات جديدة من الحوار بين إسرائيل والعالم الإسلامى». وفى حديث مع وكالة «أسوشيتدبرس» أكد الرئيس الباكستانى، معلقاً على هذا اللقاء بقوله: «إن موقفنا واضح، فنحن نريد أن يكون هناك تقدم فى حل القضية الفلسطينية، وعندما يحدث ذلك، فإن باكستان ستعيد النظر فى خطواتها الدبلوماسية».

وقد أعلن الجانبان موافقتهما على عقد لقاء قمة بين الرئيس الباكستانى «برويز مشرف»، ورئيس الوزراء الإسرائيلى «أرئيل شارون» فى نيويورك على هامش اجتماعات الدورة الستين للجمعية العامة للأمم المتحدة فى الرابع عشر من سبتمبر ٢٠٠٥.

مخاوف باكستانية

واللافت للنظر أن هذا اللقاء أثار ردود فعل غاضبة داخل باكستان فخرجت الأحزاب الإسلامية فى مظاهرات، احتجاجاً على لقاء أسطنبول، وأطلقوا عليه اسم «اليوم الأسود» فى تاريخ باكستان، ويرى الكثير من المحللين السياسيين أن لقاء أسطنبول بين وزيرى خارجية البلدين، تكمن وراءه عدد من العوامل الدافعة، أهمها:

● أولاً: مخاوف القيادة الباكستانية من تقارير الكونجرس المحذرة من الاعتماد الأمريكى المتزايد على باكستان المسلمة ـ التى لوحت يوماً «بالقنبلة النووية الإسلامية» ـ والمطالبة بوقف المساعدات الأمريكية إليها، وتعزيز التعاون مع جارتها الهند.

● وثانيا: رغبة الرئيس الباكستانى فى نيل المزيد من الرضا الأمريكى، بترسيخ فكرة «أنه رجل واشنطن» فى منطقة جنوب شرق آسيا، فى محاولة لتحسين صورة الحكم الباكستانى لدى الإدارة الأمريكية، والحد من حملة الانتقادات الموجهة من عدد من أعضاء الكونجرس الأمريكى حول عدم ديمقراطية الحكم فى باكستان.

● وثالثا: تقديم باكستان بوصفها «دولة إسلامية معتدلة»، ومتعاونة مع الولايات المتحدة الأمريكية فى حربها ضد الإرهاب، فى محاولة من جانب الرئيس الباكستانى لرفع أسهمه لدى واشنطن.

● ورابعا: تنامى التحالف الهندى الإسرائيلى، والسعى إلى التخفيف من تأثيره، إذ أن تطوير العلاقات بين الهند وإسرائيل لا يخدم الأهداف الاستراتيجية لإسلام أباد لافتقاد التوازن الدبلوماسى المماثل، ويكفى مؤشراً على متانة العلاقات الهندية ـ الإسرائيلية وقوتها أن حجم التبادل التجارى بين البلدين، يبلغ حاليا ثلاثة مليارات دولار سنوياً، ومن المتوقع أن يصل إلى ستة مليارات، حسب ما تشير إليه الإحصاءات. ويذهب البعض إلى القول أن اتجاه باكستان لإقامة «علاقات دبلوماسية» مع إسرائيل ليس له أية صلة بالقضية الفلسطينية، بقدر ارتباطه بمسألة توازن القوى، والسباق النووى بين الهند وباكستان، فقد أدركت إسلام أباد مدى التقدم الذى أحرزته الهند ـ خلال العشرين



برويز مشرف



رجب طيب أردوجان

عاماً الأخيرة ـ فى مجال تكنولوجيا المعلومات والبرمجيات، خاصة منذ استئنافها لعلاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل عام ١٩٩٢. ومن ناحية أخرى تزايدت الرغبة لدى إسرائيل ـ عقب الانفجارات النووية الباكستانية ـ لمناقشة علاقاتها مع الجمهورية الإسلامية الباكستانية، فقد اعتبرتها أنها المسئول الرئيسى عن رفض الهند «إقامة علاقات دبلوماسية» معها، منذ فترة طويلة، فقد أشار البعض ـ فى الخمسينيات من القرن العشرين ـ إلى خشية رئيس الوزراء الهندى «جواهر لال نهرو» من أن يؤدى إقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل إلى وقوع البلاد العربية فى أحضان باكستان المسلمة. واللافت للنظر أن إسرائيل من جانبها ترددت كثيراً فى مناقشة علاقاتها مع البلاد التى لا ترتبط معها بعلاقات رسمية، فقد أملى «الانعزال السياسى» على إسرائيل «تطوير فن السرية» أو «قنوات الدبلوماسية الخلفية»، فلم يمنع غياب العلاقات الرسمية، من وجود

اتصالات سرية بين الجانبين الإسرائيلى والباكستانى. وترجع هذه الاتصالات السرية إلى أواخر الأربعينيات، عندما كانت القيادة الباكستانية لا تخفى عداءها لفكرة «الدولة اليهودية» ولم تكن هذه الروابط غير الرسمية، مجرد «لياقة دبلوماسية» أو «حوارات مهذبة»، لكنها غالباً ما تضمنت، درجة من درجات، التقارب بين مصالح الطرفين.

مراحل التقارب

ويذكر فى هذا السياق أن اللقاءات بين الباكستانيين والإسرائيليين، كثيراً ما كانت تتم فى واشنطن، ولندن، ومقرات الأمم المتحدة، وأن التشدد الباكستانى، والصمت المشبوه لإسرائيل لم يكن سوى ستار، لإخفاء حقيقة العلاقات بين البلدين، فلقد حافظ كل منهما على «علاقات سياسية» واتصالات منتظمة على مدار فترة طويلة من الزمن، إلا أن البعد الإسلامى، وطبيعة العلاقات مع دول الشرق الأوسط أمليا على باكستان الاحتفاظ بهذه العلاقات طى الكتمان، وهذا ما أكدته مصادر إسرائيلية، تشير إلى أن قضية العلاقة مع إسرائيل ظلت أحد الإشكاليات فى السياسة الخارجية الباكستانية، فقد حرصت هذه السياسة على التمييز بين الاعتراف الإسرائيلى، ووجود اتصالات، وأشكال معينة من التعاون السرى معها، فيذكر أنه فى فترة حكومة «على خان» ١٩٤٨-١٩٥١، جرت عدة لقاءات بين الجانبين للتأثير فى الموقف الباكستانى من قرار تقسيم فلسطين الرافض له، كما توالت هذه اللقاءات السرية، فى أوائل الخمسينيات، فى ظل حكومة «خوجة نظام الدين» «١٩٥١-١٩٥٣»، وكان أبرزها، اللقاء الذى جرى بين المندوب الدائم لإسرائيل فى الأمم المتحدة، ونظيره الباكستانى فى السابع من أبريل ١٩٥٢، واللقاء بين المندوب الإسرائيلى الدائم فى الأمم المتحدة ووزير خارجية باكستان «ظفر الله خان» فى نيويورك فى ١٤ يناير ١٩٥٣، حيث ناقشا خلاله إمكانية اعتراف باكستان بإسرائيل، ولقد ظهرت بوادر التقارب الباكستانى مع إسرائيل، فى خلال، الزيارة التى قام بها «ظفر الله خان» للقاهرة فى فبراير ١٩٥٢، حينما صرح بقوله: «إن إسرائيل تعد عضواً فى جسد منطقة الشرق الأوسط».

ومن هنا فإن إسرائيل اعتبرت هذا التصريح، أحد المؤشرات على رغبة باكستان للتقارب معها. والجدير بالذكر أنه ـ خلال الوجود الروسى فى أفغانستان ـ أشارت بعض المصادر فى تقاريرها إلى قيام أجهزة الأمن الإسرائيلية بتدريب المجاهدين الأفغان بالتنسيق مع المخابرات الباكستانية، واجتماع عدد من قادة المخابرات فى البلدين، معاً، على هامش بعض المؤتمرات الأمنية التى عقدت فى فبراير عام ١٩٩٦ فى الفلبين للتعرف على وجهة النظر الباكستانية فيما

يتعلق باستراتيجية مواجهة الإرهاب. وقد نوقشت مسألة الاعتراف بإسرائيل فى العديد من المناسبات، كان أهمها عام ١٩٩٤ عندما أعلنت وزارة الخارجية الباكستانية فى ٢٤ من أغسطس من نفس العام، عزم رئيسة الوزراء «بنظير بوتو» زيارة قطاع غزة فى الرابع من سبتمبر ١٩٩٤ قبل أن تتوجه إلى القاهرة لحضور «مؤتمر السكان والتنمية»، غير أن إسرائيل تحفظت على هذه الزيارة، حيث أعلنت فى حينه، أنها الوحيدة صاحبة القرار فى قبول زيارة «بنظير بوتو» أو رفضها، بينما أصرت باكستان على رفض الحصول على تصريح مسبق من إسرائيل، حتى لا يعتقد أحد أن ذلك اعتراف ضمنى من باكستان بها.

نواز الشريف لا يرى ضرراً من الاعتراف بإسرائيل

ومن ثم رفضت السلطات الإسرائيلية السماح للوفد الباكستانى الممهد لهذه الزيارة بالدخول إلى قطاع غزة، بعد وصوله إلى حدود رفح فى ٢٨ أغسطس ١٩٩٤، وبذلك انتهت هذه الأزمة السياسية بإلغاء «بنظير بوتو» هذه الزيارة، إلا أنها أثارت الكثير من الجدل فى الداخل الباكستانى حول جدوى عدم اعتراف باكستان بإسرائيل، ويرى عدد من رجال الأعمال، وبعض الدبلوماسيين، وعدد من رجال الدين فى باكستان أن مسألة عدم اعتراف باكستان بإسرائيل، مع استمرار تمسكها بذلك، فقد أهميتها بفعل عدد من المتغيرات والتطورات فى منطقة الشرق الأوسط، أهمها اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل عام 1979، واتفاقية وادى عربة بين الأردن وإسرائيل عام ١٩٩٤، وبدء تحريك عملية التسوية السلمية بين الإسرائيليين والفلسطينيين.

ومن هذا المنطلق، فإن تأخر تطبيع العلاقات بين الجانبين الباكستانى والإسرائيلى، من شأنه إبعاد باكستان عن نطاق التطورات الجديدة التى تحدث فى منطقة الشرق الأوسط، ناهيك عن تطور العلاقات الهندية ـ الإسرائيلية، ونموها على حساب المصالح الباكستانية. ومن هنا كان قيام عدد من رجال الأعمال الباكستانيين بزيارة إسرائيل عام ١٩٩٢ لبحث إمكانية الاستثمار والتجارة بين البلدين، كما قام وفد من القيادات الدينية الباكستانية عام ١٩٩٧، بزيارة المقدسات الإسلامية فى القدس، وإعلانهم عقب هذه الزيارة، تشجيع السياحة الدينية إلى المدينة المقدسة، وفى هذا السياق صرح «ميرزا إسلام بيج» رئيس «حزب عوامى قيادات» فى أغسطس ١٩٩٧ «أنه لا توجد أية خلافات جوهرية بين باكستان وإسرائيل، يمكن أن تحول دون تطبيع العلاقات مع إسرائيل». ومن جانب آخر أعلن «صديق الفاروق» السكرتير الصحفى للرئيس «نواز شريف» والمتحدث باسم «حزب الرابطة الإسلامية»، فى سبتمبر ١٩٩٧، أنه لا يرى ضرراً فى اعتراف باكستان بإسرائيل.

مصالح وتوازنات ومكاسب

ويذهب البعض إلى القول: إنه على الرغم من تردد باكستان فى إقامة علاقات دبلوماسية رسمية ومباشرة مع إسرائيل، إلا أن التطبيع معها لم يعد من المحرمات، إذ حينما تقرر إسلام أباد إقامة روابط دبلوماسية مع تل أبيب، فإنها لن تكون الدولة الأولى، فقد سبقتها أربع دول إسلامية، هى تركيا، ومصر، والأردن، وموريتانيا، فى هذا الشأن. ويرى الكثير من المحللين السياسيين أن التقارب الباكستانى مع إسرائيل، يحقق لإسلام أباد مكاسب عديدة، أهمها:

- أولا: تعزيز مكانة باكستان الإقليمية والدولية خاصة فى منطقة جنوب شرق آسيا، وإيجاد دور لها فى حل أزمة الشرق الأوسط..
- وثانياً: تطوير أوجه التعاون مع إسرائيل، اقتصادياً وتكنولوجياً وعسكرياً أسوة بالهند الجار، والخصم اللدود لها.
- وثالثاً: تحييد التحالف الهندى ـ الإسرائيلى، وعدم انفراد الهند بإسرائيل الحليف المخلص للولايات المتحدة الأمريكية.
- ورابعاً: تعزيز مكانة باكستان لدى الولايات المتحدة الأمريكية القطب الأوحد فى عالم اليوم، خاصة أن إسلام أباد تأمل أن تستكمل الولايات المتحدة الإجراءات اللازمة من أجل تسليمها ٧٥ طائرة من طراز «إف-١٦» متعددة المهام فى أسرع وقت.

وقد أشارت مصادر صحفية باكستانية أن الرئيس الباكستانى «برويز مشرف» تلقى وعداً من الرئيس الأمريكى «بوش»، منذ يونيو ٢٠٠٣ بمساعدات قيمتها ٣ مليارات دولار، على خمس سنوات، بواقع ٦٠٠ مليون دولار سنوياً، مقابل اعتراف باكستان بإسرائيل.

- وخامساً: تفادى قيام إسرائيل باستهداف القدرات النووية الباكستانية، بوصفها الدولة الإسلامية النووية الوحيدة، ومن ثم فإن باكستان، تسعى إلى حماية قدراتها النووية من خلال الارتباط بعلاقات دبلوماسية مع إسرائيل، التى لا تخفى مخاوفها من البرنامج النووى الباكستانى.

ومن جهة أخرى، يتساءل الكثيرون، ماذا تجنى إسرائيل من إقامة علاقات دبلوماسية مع باكستان، برغم البعد الجغرافى عنها؟

لا شك أنه فى حالة نجاحها فى ذلك، فإن إسرائيل يمكنها أن تحصد العديد من المكاسب، أهمها:

- أولاً: تحقيق مزيد من الاعتراف الدولى، خاصة أن تطوير العلاقة مع باكستان يشجع دولاً إسلامية أخرى على الاعتراف بإسرائيل.
- وثانياً: إحكام الرقابة على النشاط النووى الباكستانى، حتى تتفادى نقل خبرات باكستان النووية إلى دول عربية أو إسلامية أخرى.

- وثالثاً: دور العلاقات مع باكستان فى تفتيت المعارضة الإسلامية لإسرائيل.
- ورابعاً: دور باكستان فى تعزيز المصالح الإسرائيلية بما تمثله من «منفذ» لإسرائيل للعديد من الدول العربية.
- وخامساً: ما تحظى به باكستان من تأثير مهم فى المنتديات الإسلامية المختلفة، خاصة منظمة المؤتمر الإسلامى.

وسادساً: عضوية باكستان فى الأحلاف المدعومة عسكرياً من الغرب، ودورها الحيوى بوصفها إحدى الدول التابعة للمنظومة الغربية.. وتؤكد المصادر الإسرائيلية أن عدم وجود علاقات دبلوماسية رسمية بين باكستان وإسرائيل، لم يقلل من أهمية باكستان لتل أبيب، فقد أدى الثقل الدولى لباكستان كدولة إسلامية كبيرة إلى حفز الاهتمام الإسرائيلى بها، خاصة أنها ثانى أكبر دولة على الصعيد الإسلامى بعد أندونيسيا، وقد ضاعفت التجارب النووية الباكستانية فى مايو ١٩٩٨ من أهميتها لإسرائيل. ويذكر فى هذا السياق أنه فى أبريل ١٩٩٨، عقب قيام باكستان بالتجربة النووية الأولى للصاروخ «جورى» الذى يبلغ مداه ١٥٠٠ كيلو متر، أعلن الرئيس «رفيق ترار» أن بلاده لا تقوم بتصدير أية تكنولوجيات حديثة لأية دولة، كما صرح وزير الخارجية الباكستانية آنذاك «جوهر أيوب خان» أن باكستان لا تريد التورط بقنبلتها النووية فى العالم الإسلامى، وأكد على النوايا السلمية لبلاده.

القنبلة النووية الإسلامية

وفى تعليقه على تعبير «القنبلة النووية الإسلامية»، أكد «نواز شريف» رئيس الوزراء الباكستانى أنه لا توجد «أديان للقنابل» وأنه من الظلم الكبير أن ينظر إلى البرنامج النووى الباكستانى بمفاهيم دينية، ومن ناحية أخرى يعتقد البعض أن ثمة ثلاث عقبات تواجه تطبيع العلاقات الباكستانية ـ الإسرائيلية، الأولى: وتتمثل فى طبيعة الدولة الباكستانية المستندة إلى الدين الإسلامى كأساس للقومية الباكستانية، فهى تشكل أحد محددات السياسة الخارجية، إذ أن رفض باكستان للكيان الصهيونى يمثل أحد العناصر الأساسية للحفاظ على التوجه الإسلامى للسياسة الخارجية الباكستانية.

والثانية: تتصل بطبيعة النظام السياسى الباكستانى الذى يتبنى خطاباً مسانداً للقضية الفلسطينية واتجاهاً متشدداً ضد إسرائيل، خاصة أن قضية العلاقة مع إسرائيل إحدى القضايا الخلافية ذات الحساسية فى الداخل الباكستانى.

والثالثة: تتصل بسقف المكاسب التى يمكن أن يجنيها الطرفان من تطبيع العلاقات بينهما، ففى ضوء التحالف الهندى ـ الإسرائيلى، والتطورات التى شهدتها عملية تطبيع العلاقات الباكستانية ـ الهندية، خلال العامين

الأخيرين، وسعى الجانبين للتوصل لتسوية مرضية بشأن مشكلة كشمير، قد يعرقل تطور التعاون الباكستانى - الإسرائيلى.

تطبيع العلاقات.. كيف

ويذهب بعض المحللين الإسرائيليين أنه من أجل تطبيع العلاقات مع إسرائيل، فإن باكستان عليها أن تختار أحد النماذج التالية:

- النموذج التركى: حيث يمكن لباكستان أن تعترف بإسرائيل، بدون إقامة علاقات دبلوماسية فورية.
- النموذج الإيرانى: حيث يمكن لباكستان محاكاة «السابقة الإيرانية» إبان عهد الشاه، فتعترف بإسرائيل، مع الاحتفاظ بعلاقاتها فى سرية تامة.
- النموذج الأردنى: حيث يمكن لباكستان محاكاة «النموذج الأردنى»، فتقيم علاقات سياسية وعسكرية مع إسرائيل، دون الإقرار بها رسمياً، مثلما حدث قبل اتفاقية وادى عربة بين الأردن وإسرائيل عام ١٩٩٤.
- النموذج الصينى: حيث يتم التركيز على التعاون العسكرى، كمدخل لتطوير العلاقات السياسية.

وفى الختام يمكن القول: إن غياب العلاقات الدبلوماسية المباشرة بين باكستان وإسرائيل، لم يحل دون تبادل اللقاءات، والزيارات التى يقوم بها بعض رجال الأعمال، وبعض رجال الدين، والعسكريين القدامى، والسياسيين الباكستانيين إلى إسرائيل، والقدس الشريف، ولم يمنع أيضاً من وجود تفاهمات حول موضوعات أمنية مشتركة على درجة كبيرة من الحساسية، مثل المسألة النووية، وقضية الحرب ضد الإرهاب. ولعل لقاء الرئيس الباكستانى «برويز مشرف» مع رئيس الوزراء الإسرائيلى «شارون» فى نيويورك فى ١٤ من سبتمبر الماضى، على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة فى دورتها الستين، يرمز إلى دفء العلاقات بين البلدين، وإن كان من السابق لأوانه الحديث الآن عن إقامة علاقات دبلوماسية بين الجانبين، وهو ما أكده «سيلفان شالوم» وزير الخارجية الإسرائيلى، حينما قال فى أسطنبول فى الأول من سبتمبر الماضى: «إن فتح سفارة فى إسلام أباد، مازال أملاً بعيد المنال حالياً».

ومن هنا باتت عملية استئناف العلاقات الدبلوماسية المباشرة بين باكستان وإسرائيل هى مسألة وقت فقط، والسؤال الذى يطرح نفسه هو: متى يتم ذلك؟

***

ماء زمزم

للأستاذ / عبد السلام إبراهيم ناصيف

ماء زمزم نعمة عظمى، وآية كبرى من آيات الله البينات فى بيت الله وحرمه. ومن أعظم منافعه المشهودة، وهو أول ثمرة منحها الله لنبيه وخليله إبراهيم - عليه السلام- منذ أغاث الله به ولده اسماعيل - عليه السلام- فهو سيد المياه وخيرها وأشرفها وأجلها وفى هذا يقول رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه: «ماء زمزم لما شرب له»[1] وقد خص الله هذا الماء المبارك بخصائص فريدة وبركات كبيرة عظيمة.

ولقد سنّ رسول الله ﷺ شربه والوضوء منه وقد كُتبت فيه كتبا ومؤلفات عدة قديماً وحديثاً.. أهمها ما كتبه الإمام البخارى -رضى الله عنه- فى كتابه الصحيح:

إن إبراهيم -عليه السلام- ترك ولده اسماعيل -عليه السلام- مع أمه هاجر - رضى الله عنهما- عند دوحة فى أعلى المسجد الحرام ولم يكن به ولا بمكة كلها أحد وترك معها جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء، امتثالاً لأمر الله وامتثلت الأم والزوجة لأمر الله بعدما أيقنت أن الله لن يضيعها. ثم نفذت الذخيرة الضئيلة، وعندما عطش الوليد الصغير وضرب الأرض برجليه الواهنتين ابتعدت الأم عند جبل الصفا علّها تعثر على أى مصدر للماء لكنها لم

(١) ابن ماجه ٣٠٦٢.

تجد شيئاً فاتجهت إلى جبل المروة لكنه كان كالصفا، فتنقلت من الصفا إلى المروة سبع مرات، فإذا بجبريل -عليه السلام- يضرب برجله الأرض فيظهر الماء فجعلت هاجر -عليها السلام- تغترف منه وهو يفور فشربت منه ودرّ لبنها للوليد، ثم جعلت تزمه حتى لا يضيع فى الصحراء القاحلة.. ومن هنا جاء اسم كلمة «زم زم» وتجمع الخلق بعد أن علموا بأمر هذا النبع الجديد وكان فى مقدمتهم آل جُرهُم فعمرت بهم مكة التى كرمها الله بزمزم استعداداً لاستقبال سيد الدنيا وخير العالمين. وزمزم إن كانت قد ردمت بعد أن كثرت جهالة القوم وظلمهم وطغيانهم إلا أن عبدالمطلب جد الحبيب المصطفى قد أمر بإعادة حفرها لرؤيا رآها فى منامه تحدد موضع البئر فأمر بحفرها وعادت كما كانت خيِّرة فياضة كأنها تستعد بخيرها لاستقبال مولد النبى ﷺ.

وهى مازالت خيرة تفيض إرواء وإشباعاً سقياً وطعما وشفاء منذ هذا الزمن البعيد.

وتقع فتحتها الأصلية تحت المطاف بعمق نحو ٣٠ متراً تغذيها ثلاث عيون تجاه الحجر الأسود وجبل أبى قبيس وتجاه المروة كلها تغذى البئر الأصلية ـ وقد أطلق عليها عدة أسماء لكنها مازالت تعرف بزمزم أغلى وأحلى الأسماء وأقربها للنفوس. ولها خصائص وبركات لا تحصى ولا تعد فهى إحدى عيون الجنة وليس لها مثيل فى هذه الدنيا لا تفنى ولا تنقطع وهى أول ثمرة أعطاها الله ـ سبحانه وتعالى ـ لخليله إبراهيم -عليه السلام- بعد دعوته

﴿ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ ﴾

سورة إبراهيم ٣٧

وفى ماء زمزم حياة لأهل مكة وسبب عمارتها وهى من أعظم النعم والمنافع المشهودة عند البيت الحرام فكم من مبتلى عوفى بعد الشرب منها أو الاغتسال منها، فالكثير يكرمهم ربهم بالشفاء ببركتها بعدما يعجز الطب عن شفائهم.

وقد ورد أنه قد غسل به قلب النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه ليلة أسرى به وذكر ابن حجر فى فتح البارى إنه غسل بماء زمزم أربع مرات الأولى وهو فى الرابعة من عمره، والثانية وهو ابن عشر، والثالثة عندما نزل عليه الوحى فى غار حراء، والرابعة والأخيرة ليلة الإسراء والمعراج.

ولقد استشفى به الإمام أحمد بن حنبل الذى حدث ابنه عبدالله عن ذلك قال: رأيته يشرب من ماء زمزم يستشفى به ويمسح به يديه ووجهه (سير أعلام النبلاء للذهبى ١١ / ٢١٢). وقيل إن مريضاً بالفالج قد حج مع جماعة فإذا هو يشفى بعدما شرب من ماء زمزم كما يروى ابن قتيبة فى كتابه الزمزمى لوحة ٥١٨.

وذكر الإمام تقى الدين الفاسى أن أحد

عمال المسجد الحرام قد شفى من عمى أصابه بعدما شرب منه (شفاء الغرام ١ / ٢٥٥).

وقال الزمزمى فى نشر الآس ان أحدهم أصيب بماء فى عينيه فما لبث أن زال العرض حين شرب من ماء زمزم. (لوحة ١٨).

يقول الإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ فى موطئه جـ٢ ص٣٩١: ما من داع يدعو إلا كان من إحدى ثلاث: إما استجابة، وإما أن يدخر له، وإما أن يكفر عنه.

ويقول الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده ـ رضى الله عنه ـ جـ٢ ص٤٨٨: إلا أعطاها إياه وإلا أن يعجلها له أو يدخرها له.

وقد يحاول أعداء الدين صرف المسلمين عن ماء زمزم قديما بحفر بئر خارج مكة لجذب الناس إليها، أما في العصر الحديث، وقد عرف الناس تحليل المياه والتعرف علي كل مكوناتها فقد ظهر تقرير مفاده أن ماء زمزم مليء بالجراثيم الضارة إلا أن الله قيد لها السلطان العثمانى عبدالحميد الثانى الذى نهض للرد على التقرير رداً علميا مؤداه أن الرجل الذى أتاهم بالعينة التى تم تحليلها لم تكن من ماء زمزم وإنما كانت من مياه الصرف الصحى بمكة لغرض فى نفس ذلك الرجل ولقد أثبت علماء الخليفة العثمانى وأطباؤه نظافة الماء الكريم.

ومن السنة شرب ماء زمزم بعد الطواف، وعند الانتهاء من النسك ففى حديث جابر ـ رضى الله عنه ـ فى صحيح الإمام مسلم جـ٢ ص٨٩٢ قال: انزعوا بنى عبدالمطلب فلولا أن يغلبكم الناس علي سقايتكم لنزعت معكم، فناولوه دلواً فشرب منه.

كما يسنّ شرب ماء زمزم عند توديع البيت.

وللشرب من ماء زمزم آداب:

١ـ أن يستقبل شاربها القبلة.

٢ـ أن يشربها على ثلاث أنفاس.

٣ـ أن يسمى الله عند ابتداء الشرب.

٤ـ أن يحمد الله عند الشبع.

٥ـ أن يستخدم اليمنى أثناء شربه.

٦ـ أن يدعو لنفسه وللمؤمنين.

ويسن الوضوء منها تبركاً وطلباً للصحة والعافية ـ ولقد ذهب الحنفية إلى أنه لا يجوز غسل النجاسة منها والاستنجاء بها، وبه قال بعض المالكية وبعض الشافعية فهم يرون أنه ماء طهور مبارك مترفع عما سواه، ويجب أن يحفظ شأنه مترفعاً عن كل ما هو نجس.

وماء زمام يهدى ولا يباع، ولا يجوز التيمم فى وجوده وقد كثر فيه الشعر والقول مدحاً ووصفاً وإطراءاً ـ ففضائل ماء زمزم لا تعد ولا تحصى.

اللهم ارو ظمأ كل متعطش إلى شربها وحقق له حج بيتك الحرام والشرب من ماء زمزم إنك نعم المولى ونعم النصير، وانت على كل شيء قدير وللدعاء مجيب.

بين الصحف و المجلات

إعداد
أ/ محمود الفشنى
أ/ عبدالموجود أمين

تطاول السفهاء على أشرف الأنبياء

وعن ظاهرة الهجوم والاجتراء على الإسلام كتب الأستاذ عبدالمعطى عمران فى جريدة «اللواء الإسلامى» الصادرة فى ٢٠٠٥/١٢/١٥ قال:

الحملة الضارية التى يتعرض لها رسول الله ﷺ فى وسائل الإعلام الغربية منذ فترة خاصة فى الدانمارك ليست الأولى ولن تكون الأخيرة، فمنذ صدع سيدنا محمد بالدعوة إلى الله فى مكة قبل ما يزيد على أربعة عشر قرنًا من الزمان وهو يتعرض لكل أنواع التشويه والمحاربة والتشكيك من شتى فلول الشرك والضلال والإفك على مر العصور بدءاً بأبى جهل وغيره من كُفار قريش، وانتهاء بسلمان رشدى ومن هم على شاكلته من أذناب الشرك والعمالة لأعداء الإسلام فى كل زمان ومكان.

وعلى الرغم من أن قائمة المتطاولين على رسول الإنسانية ومعلمها الأعظم محمد ﷺ لا يمكن حصرها، إلا أن المؤكد والثابت أنهم جميعًا ذهبوا مع أفكارهم إلى مزبلة التاريخ وبقى صاحب الرسالة ﷺ شامخًا عزيزًا كريمًا مبرءًا من كل عيب وظل ذكره يتردد كأعظم إنسان عرفته البشرية طوال تاريخها، فهو النموذج والقدوة والمنقذ والملاذ لكل المعذبين فى الأرض الباحثين عن الحق والعدل والرحمة والمحبة والسلام. وبقى دينه «الإسلام» رغم حملات التشويه والتشكيك والحروب التى تعرض لها أوسع الأديان انتشارًا وأكثرها جاذبية وإبهارًا وإقناعًا لكل عاقل درسه أو تأمل مبادئه بإنصاف وموضوعية، وهو ما جعل كبار مفكرى الغرب والعالم يشهدون للإسلام ونبيه ﷺ بأنه الدين المنقذ للبشرية من كل ما تعانى منه من مخاطر وأزمات ومشكلات، وكل ما تكابده من قلق وحروب وصراعات تهدد بفنائها وهلاكها حتى ألف أحدهم وهو «مايكل هارت» كتابه الشهير بعنوان: «العظماء مائة أعظمهم محمد ﷺ». فهل بعد هذا كله ورغم انتشار الإسلام فى كل قارات الدنيا وازدياد أتباعه كل يوم ومنهم علماء ومفكرون لهم وزنهم ومكانتهم يمكن أن يقبل أحد هذا التطاول الوقح وهذه البذاءة الممقوتة من بعض المارقين والسفهاء الخارجين على كل القيم والأعراف والأخلاق والتقاليد المرعية فى العالم كله؟!.. إن هذه الجريمة التى ارتكبتها صحيفة «بولاند بوسطن» الدانماركية بنشرها «صورًا كاريكاتورية» تسىء إلى رسول الإسلام سيدنا محمد ﷺ يجب ألا تمر دون حساب، وقد أحسنت المؤسسات الإسلامية صنعًا وعلى رأسها الأزهر الشريف الذى أصدر بيانًا شديد اللهجة يدين فيه هذه الإساءة البالغة لنبى الإسلام ويحذر من مغبة التمادى فيها وما يمكن أن يترتب عليها من توتر للعلاقات بين الشعوب الإسلامية وشعب الدانمارك الذى يزيد عدد المسلمين فيه على مائتى ألف نسمة، وبقى على الدول العربية والإسلامية أن تغضب مرة لدينها وتبلغ سفراء الدانمارك لديها استنكارها لهذه الجريمة المتعمدة، وأن تسعى لدى الأمم المتحدة والمنظمات الدولية لإصدار تشريع دولى يحمى كل الأنبياء من التطاول والتشويه والإساءة والامتهان.

ضوء أحمر

تحت هذا العنوان نقلت جريدة «الأهرام» الصادرة فى ٢٠٠٥/١٢/١١ عن صحيفة «الإندبندنت» البريطانية كلمة للكاتب «ريمون وايتيكر»:

أفصح مسئولو المخابرات الأمريكية «سى.آى.إيه» عن السماح لهم باستخدام ست وسائل للاستجواب مع كبار المعتقلين من تنظيم القاعدة، كل واحدة أشد قسوة من الأخرى. وعلى رؤسائهم أن يصرحوا لكل سجين على حدة بوسيلة معينة، ويقال إن كل هذه الوسائل مشروعة، وهى:

- شد الانتباه: ويقوم فيه المسئول عن الاستجواب بنزع قميص السجين من الأمام وهزه بشدة. وكانت إسرائيل الدولة الديمقراطية الوحيدة التى ناقشت استخدام العنف ضد السجناء، وقد أعلنت مشروعيته فى عام ١٩٨٧، ولكن المحكمة العليا رفضته فى عام ١٩٩٩.
- الصفع للتنبيه: يقوم المسئول عن الاستجواب بصفع السجين بيده مسببًا الألم وتخويفه.
- الضرب على البطن: والغرض منه إحداث الألم، على ألا يتسبب فى إصابة من الداخل. وقد نصح الأطباء بعدم توجيه ضربة بقبضة اليد إلى البطن والتى قد تتسبب فى إصابة داخلية.

• الوقوف لساعات: ويعتبر هذا الأسلوب من بين أكثر الوسائل تأثيراً. فيرغم السجناء على الوقوف، مكبلى الأيدى مع تقييد القدمين فى حلقة مثبتة فى الأرض لأكثر من أربعين ساعة متواصلة. ويعتبر الحرمان من النوم والإرهاق من طول مدة الوقوف وسيلة فعالة لانتزاع الاعترافات من السجناء.

• استخدام الماء البارد: يترك السجين واقفاً عارياً فى زنزانة فى درجة حرارة نحو ١٠ مئوية، ويغطس باستمرار فى ماء بارد. نتيجة لسوء استخدام هذه الوسيلة مات أحد المعتقلين فى كابول.

• الإغراق بالماء: يربط السجين فى لوح خشبى، ورأسه تحت أقدامه، ويوضع بلاستيك على وجهه ويصب عليه الماء، أو توضع رأسه فى مغطس. وبطريقة تلقائية يتقيأ السجين، والقليل منهم الذى يتحمل لثوان قليلة قبل أن يحدث له ذلك.

«إذن.. كيف تكون المؤامرة؟!..»

.. وعن الأزمة السورية ـ اللبنانية جاءت كلمة الأستاذ/ كمال حافظ.. المنشورة فى جريدة «الأسبوع» الصادرة فى ٢٠٠٥/١٢/١٩، قال:

انفجارات جديدة تهز عاصمة لبنان الجميل، وعدد من القتلى والجرحى واتهامات لسوريا بأنها وحدها تحتل الشارع اللبنانى، برغم الإعلان عن انسحابها منذ شهور. ومع الانفجارات تظهر لجنة ميليس من جديد لتؤدى دوراً مرسوماً لها بدقة، فتتهم سوريا بالضغط على الشاهد «هام» لتغيير أقواله، والزعم بأن الرجل خضع لتأثير سورى لعدوله عن شهادته.. ومن أجل تثبيت دعائم الاتهام والقضاء عليه يقال: إن السائق السورى قد أدلى لأحد معارفه بما يشبه شهادته أمام اللجنة الموقرة (!!)، ومطلب جديد باللجوء إلى تحقيق دولى نعرف مقدماً أنه سيوجه أصابع الاتهام كلها إلى دمشق، وهو المطلوب الآن لبنانياً وأمريكياً وإسرائيلياً وفرنسياً ودرزياً.

حزب الله وحركة أمل الشيعية تنسحبان من مجلس الوزراء احتجاجاً على طريق نعرف أوله، ولا شك نعرف آخره، ولا مجال فيه لاستخدام أى قدر من الذكاء. أمريكا تعلن مسئولية سوريا عن الانفجارات دون تردد ودون انتظار لأى تحقيق محلى أو دولى، وفرنسا تجد الفرصة سانحة للحاق بالذيل الأمريكى فى شرقنا العربى الغارق فى سباته العميق.. أما وليد جنبلاط فقد أسرع يسابق الريح باتهام سوريا كأنه شرف له أن يسوق الإدانات لشركاء الدم وإخوة الرحم قبل أن يبرد دم الضحايا.

ولك أن تتصور بعد كل هذا أن الأمور تُساق فى بلادنا بالصدفة البحتة، وأن عقدة المؤامرة هى وحدها التى تقود حكمنا على الأمور. أى مصادفة تحتمل كل هذا الذى يحدث لسوريا؟. ومتى تكتمل الدائرة لتصبح مؤامرة كاملة؟. متى ننتبه؟.

حماس.. لا

وعن التعنت الإسرائيلى تجاه الشعب الفلسطينى جاءت كلمة الأستاذ أحمد بهجت المنشورة فى زاوية «صندوق الدنيا» تحت عنوان «حماس.. لا»:

قال خافيير سولانا منسق السياسات الخارجية فى الاتحاد الأوروبى: إن الاتحاد الذى يقدم أكبر قدر من المعونة للسلطة الفلسطينية قد يوقف المعونة، إذا فازت حركة حماس فى انتخابات المجلس التشريعى الفلسطينى فى الشهر المقبل.

هذا هو الخبر، وهذه هى ديمقراطية الاتحاد الأوروبى.. وهى فرع فى غصن شجرة الديمقراطية الأمريكية.

وهنا يبرز السؤال: لماذا يعامل الاتحاد حركة حماس هذه المعاملة؟.

إن الجواب يسير: إن حركة حماس حركة إسلامية، وهذا يعنى أنها حركة إرهابية، ومن هنا يجب معاملتها على هذا الأساس.

وهذا هو رأى مجلس النواب الأمريكى الذى أقنعته به إسرائيل.

باختصار تقف إسرائيل وراء هذا الحصار المضروب على حماس، وحقيقة الأمر أن حماس حركة مقاومة لإسرائيل.. وهذه كل جريمتها التى استحقت بها هذه المعاملة.. أن تموت جوعاً أو تموت برصاصة فى الظهر.

وتتحدث أمريكا عن تحسين صورتها فى العالم العربى والإسلامى.

هل هذا الظلم البالغ والانحياز المطلق للاحتلال الإسرائيلى، وهذه النظرية العنصرية.. هل هذا كله جزء من خطة تحسين الصورة الأمريكية؟. هل الأمر يكون بهذه السذاجة؟.

هل يتصورون أن تدخلهم السافر فى الشئون الداخلية للشعوب والدول يؤدى إلى تحسين صورتهم؟.

نقل راديو «سوا» الأمريكى أن إسرائيل تعمل على إقناع الرأى العام العالمى بأن فوز حماس سيقضى على أى أمل للتوصل إلى سلام مع الجانب الفلسطينى، وسيعيد المنطقة إلى دائرة العنف.

ويتجاهل هذا البيان ما تقوم به إسرائيل من عنف يؤدى إلى اغتيال الفلسطينيين بحجة أنهم من الناشطين فى المقاومة.

ومازالت الذئاب هى التى تحاكم الحملان وتتهمهم بالعنف!.

أين مجلس الأمن من إسرائيل الدولة المارقة؟

تحت هذا العنوان جاءت الكلمة المنشورة بجريدة الجمهورية الصادرة فى ٢٠٠٥/١٢/١٦ فى زاوية «الجمهورية تقول»:

أدانت مصر - على لسان وزير

خارجيتها أحمد أبوالغيط - استئناف إسرائيل لسياسة الاغتيالات ضد كوادر الشعب الفلسطينى، بوصفها سياسة لا تساعد على بناء الثقة المفترضة كأساس لنجاح المساعى المبذولة التى تشارك فيها مصر من أجل تحقيق تسوية سلمية عادلة.

لقد قدم الشعب الفلسطينى - ممثلا فى سلطته الوطنية وفى فصائل المقاومة جميعها - الدليل تلو الدليل على قبوله أية تسوية سلمية على أساس المقررات الدولية التى تستجيب للحقوق الفلسطينية المشروعة وفى مقدمتها إقامة دولة مستقلة عاصمتها القدس على الأراضى التى احتلتها إسرائيل فى عدوان ٥ يونيو ٦٧.

ولكن - إسرائيل التى قبلت كرها خارطة الطريق أمريكية الصنع دولية الرعاية - تضع العراقيل أمام التسوية، ولم تتوقف يوما عن شن الاعتداءات على الفلسطينيين وفى مدنهم وقراهم وكان آخرها العدوان الإجرامى الذى وقع شرقى غزة عندما قصفت الطائرات الإسرائيلية سيارة مدنية بـ ٣ صواريخ راح ضحيتها ٤ قتلى من كوادر ألوية صلاح الدين التابعة للجنة المقاومة الشعبية و١٥ جريحا من المدنيين العزل.

إن هذا العدوان البربرى وما سبقه من اعتداءات واستفزازات، يؤكد تعمد إسرائيل تعطيل تنفيذ خارطة الطريق وغيرها من القرارات الدولية الخاصة بالقضية الفلسطينية ويجعل من الواجب إحالتها إلى مجلس الأمن الدولى بوصفها دولة مارقة تهدد السلام والأمن الدوليين إلا إذا كان للولايات المتحدة الأمريكية رأى آخر!!

الإسلام لا يعادى الغرب!!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ مرعى يونس في جريدة الجمهورية الصادرة في ٢٠٠٥/١٢/٢٧ قال:

نخطىء كثيرا - نحن المسلمين - إذا وضعنا الإسلام كعقيدة فى مواجهة مع الغرب ونخطىء أيضا إذا تصورنا أن اللوم يقع على الغرب وحده فيما آل إليه الحال بيننا وبين الغرب. المسلمون أيضا يخطئون. وأبرز أخطائهم أنهم مازالوا أسرى ميراث الأندلس والحروب الصليبية التى استمرت قرنين من الزمان دون أن يدركوا الحقائق الجديدة التى طرأت على علاقاتهم بالغرب ويستفيدوا منها. كان القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) أخطر فترة فى تاريخ الإسلام إذ تعرض فى وقت واحد لهجمات شرسة من الصليبيين وجحافل التتار بقيادة هولاكو بينما كان الوجود الإسلامى فى أسبانيا يتجه نحو النهاية.. بعد نهاية النضال ضد الصليبيين دخلت المنطقة العربية فى منحنى التدهور

والأفول ومنذ ذلك الحين وحتى الآن لم يستطع العرب وضع نهاية لتوقفهم الحضارى الذى أدى بدوره إلى الاستعمار والتبعية.. وهذا خطأ آخر.

منذ منتصف القرن الماضى، انشغل العرب بالحروب مع إسرائيل وردد العرب كثيرا أن الغرب زرع إسرائيل فى المنطقة ليمزقها ويعوق تقدمها بعد الاستقلال وأن من لا يملك أعطى من لا يستحق.. ولاشك أن ذلك صحيح لكن فى ظل هذا الانشغال لم يستفد العرب من الحقائق الجديدة فى علاقاتهم بالغرب وأهمها:

- نمو الإسلام فى الغرب فقد سمحت الدول الأوروبية للمسلمين بالهجرة والإقامة والعمل والتجنس.. وهو مالم يحدث بين الدول العربية والإسلامية حتى داخل الإقليم الواحد. تحول المسلمون فى الغرب وأمريكا إلى قوة مؤثرة لها مساجدها وتجمعاتها التى يسمح لها بالدعوة - رغم أنف الحاقدين - وقد رأيت ذلك بنفسى داخل أمريكا. وهناك قضية مشهورة يعرفها بعض المسلمين حينما أصدرت إحدى المحاكم الفيدرالية بولاية ميتشجن الأمريكية حكما بالغاء دعوى ضد أذان الفجر بحجة أنه يقلق بعض النائمين.
- نسى المسلمون ذلك التفاعل الإنسانى الحى بين شبابهم وأبناء الغرب.. وطبقا لإحصاءات رسمية صدرت منذ أيام فإن إيطاليا وحدها شهدت خلال العام الماضى فقط ١٩ ألف زيجة بين شبان مسلمين وفتيات إيطاليات.
- نسى المسلمون أن لهم علماء بارزين فى الغرب وأن مفكرين غربيين كبارا يتجهون للإسلام.
- اعتذرت الكنيسة الكاثوليكية فى عهد البابا يوحنا بولس الثانى عن الحروب الصليبية وثمة حوار قائم بين الأديان.

وبدلا من أن يتجه المسلمون إلى الإفادة من هذه الحقائق ودعم المسلمين وتشجيعهم على الاعتدال والاندماج فى مجتمعات الغرب فإنهم راحوا فرادى وجماعات يشجعون نظام طالبان القبلى المتخلف فى أفغانستان ويدعمونه بطرق خفية وحتى بعد أحداث ١١ سبتمبر، أظهر بعض العرب شماتة رغم أن الإسلام لا يقر قتل المدنيين الأبرياء.

إن الحضارة الأوروبية التى تنطلق على عكاز واحد بحاجة إلى الإسلام مثلما هى بحاجة إلى المسيحية كذلك فإن الإسلام بحاجة لأن يجد لنفسه مكانا على هذه الأرض وبين هذه الشعوب.. إذن علينا أن ندرك أن الصراع الحالى بين الغرب وبعض الدول الإسلامية وراءه مصالح دنيوية وسياسية واستعمارية ولا ينبغى أن يتأثر به الإسلام فى أوروبا وأمريكا.

طرائف .. ومواقف

للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الرحمة للمتقين

اعتاد رجل أن يعتذر عن ارتكابه المعاصى بأن رحمة الله وسعت كل شىء، فاعترضه الحسن البصرى، وقال له: هذا من تلبيس إبليس عليك، إنما الرحمة للمتقين، ألم تقرأ قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾

(الأعراف / ١٥٦)

إيثار فى مجال الشهادة

يُروى أنّ عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ رأى أخاه «زيد» فى غزوة بدر لا يلبس درعًا فخلع عمر درعه وقال لأخيه: أقسمت عليكَ إلا لبستَ درعى، فأخذها «زيد» ولبسها ثم نزعها، فقال له عمر: ما بالك؟. فقال «زيد»: إنّى أريد بنفسى ما تريد بنفسك!!..

كلمات فى المدائح الخلقية

مدح أعرابى رجلاً فقال: كان والله تَعِبًا فى المكارم، غير ضال فى طرقها، ولا متشاغل بغيرها عنها.

وقال آخر: فُلان لو وجد الكرم فى يد غيره لعلم أنه ضالة له.

ومدح بدوى رجلاً فقال: كان والله صحيح النسب، محكم الأدب، من أى أقطاره أتيته انثنى إليك بكرم فعال، وحسن مقال.

ومدح غيره رجلاً فقال: كأنّ الألسن والقلوب رِيضَت له فلا تنعقد إلا على وده، ولا تنطق إلا بثنائه وحمده.

وقال بليغ: فُلان من شجر لا يختلف ثمره، ومن ماء لا يأتلف كدره.

وسأل الوزير يحيى بن خالد البرمكى عن ابنه الفضل، فقال له المسئول وكان بليغًا: تركته وماء الحياء يتحدر من أسارير وجهه، وسيول الجود سائلة من فروج أنامله، ولآلئ العلم منشرة من مسارب منطقه.

ومن هذا الباب ما مدح به إبراهيم بن الصابى الوزير المهلبى فقال:

له يد برعت جوداً بنائلها
ومنطق دره فى الطرس منتثر
فحاتم كامن فى بطن راحته
وفى أناملها سحبان مستتر

وقال ابن أبى مروان يمدح آل معن:

هُم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا
أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
ولا يستطيع الفاعلون فِعالَهم
ولو أحسنوا فى النائبات وأجملوا

العقل .. والعلم

اختلف العقل والعلم، فقال العقل: أنا أفضل لأنّ الله عَرَّف بى، وقال العلم: أنا أفضل لأنّ الله اتصف بى فى الكتاب، فوافقه العقل واعترف له بالفضل، ونظم بعضهم ذلك فقال:

علم العليم وعقل العاقل اختلفا
مَنْ ذا الذى منهما قد أحرز الشرفا
فالعلم قال أنا أحرزت غايته
والعقل قال أنا الرحمن بى عُرِفا
فأفصح العلم إفصاحًا وقال له
بأيِّنا الله فى فرقانه اتصفا
فبان للعقل أن العلم سيده
فَقَبَّلَ العقل رأس العلمِ وانصرفا

عفوت عن جماعتها لحُسْن كلامها

قيل لامرأة أسر الحجاج زوجها وابنها وأخاها: اختارى واحداً منهم، فقالت: «الزوج موجود، والإبن مولود، والأخ مفقود.. أختار الأخ».

فقال الحجاج : «عفوت عن جماعتها لحُسْنِ كلامها» ! .

مَن هذا؟!

سمع أبو الدرداء رجلاً فى جنازة يقول : مَن هذا ؟ .

فقال له : أنت ، فإن كرهت فأنا .

بدأت أفقد ثقتى

دخل لص إلى بيت ، وما كاد يصل أمام الخزانة حتى وجد عليها لافتة صغيرة كُتِبَ عليها : لا حاجة بك إلى استخدام الديناميت ، فالخزانة مفتوحة ، فمد يده وأمسك باب الخزانة ، فإذا به يُفْتَح بسهولة ، لكنه ما كاد ينفتح حتى امتلأت الغرفة بالأنوار ، ودقت الأجراس فى المنزل ، وسرعان ما حضر الخدم وألقوا القبض عليه ، ونظر الرجل إلى مَنْ حوله بغيظ قائلاً : لقد بدأت أفقد ثقتى فى أمانة الناس !! . .

حقا

وليس الرزق يأتى بالتمنى
ولكن ألق دلوك فى الدلاء
تجئك بملئها يومًا ويومًا
تجئك بحمأة وقليل ماء

دعاء

يا رب ما قيمة ذنوب عبادك فى جانب عفوك وغُفْرانك ، يا واهبًا لكل ضمير نوراً ، إذا لم تمنحنا نورك فأين نجد النور؟ . يا خالق الكون والزمان والمكان ، ما أعمى بصيرة مَنْ لم يدرك أنك معه أينما كان ، وإلا فأين المكان الذى ليس فيه أمرك وقهرك ، وأين الزمان الذى ليس فيه حمدك وشكرك ؟ .

لحظات طيبات مع الإمام الشافعى

للأستاذ / عادل خفاجة

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ : «ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[١] قال الإمام أحمد بن حنبل : «فنظرنا ، فإذا فى رأس المائة عمر بن عبد العزيز ، وفى رأس المائتين الشافعى»[٢]

وعن الإمام أحمد أيضا أنه قال : ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعى في رقبته منة.

وكان يقول : ستة أدعو لهم سحرا ، أحدهم الشافعى.

ولم يكن هذا فعل الإمام أحمد وحده بل كان ذلك دأب كثير من الصالحين يدعون لإخوانهم فى الدين ممن يشعرون ان لهم فضلا على المسلمين طلبا لمرضاة الله تعالى لقول النبى ﷺ : «دعوة المرء مستجابة لأخيه بظهر الغيب ، عند رأسه ملك يؤمن على دعائه ، كلما دعا له بخير قال آمين ولك بمثله»[٣] لذلك نجد عبد الرحمن بن مهدى يقول : ما أصلى صلاة إلا وأنا أدعو للشافعى فيها.

والإمام الشافعى أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه نسبة الشافعية كافة.

نسبه: هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم ابن المطلب بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب ، الإمام ، ناصر الحديث ، فقيه الملة أبو عبدالله القرشى ثم المطلبى الشافعى المكى ، الغزى المولد ، نسيب رسول الله ﷺ وابن عمه ، فالمطلب هو أخو هاشم والد عبدالمطلب .[٤]

أما أمه فهى يمانية من الازد وقيل من قبيلة الأسد وهى قبيلة عربية لكنها ليست قرشية ، يقول الرسول ﷺ «نعم الحى الأسد والأشعريون لايفرون فى القتال ولايغلون وهم منى وأنا منهم»[٥] قيل ان ولادة الشافعى كانت فى عسقلان وقيل بمنى لكن الأصح ان ولادته كانت فى غزة عام ١٥٠ هجرية وهو نفس العام الذى توفى فيه الإمام أبو حنيفة .

نشأته: نشأ محمد يتيما فى حجر أمه فخافت عليه الضيعة فتحولت به إلى محتدة وهو ابن عامين فنشأ بمكة وأقبل على الرمى حتى فاق فيه الأقران ، ثم أقبل على العربية والشعر ، فبرع فى ذلك وتقدم فيه ثم

---

(١) سنن أبى داود حـ٢/٥١٢
(٢) سير أعلام النبلاء
(٣) سنن ابن ماجة حـ٢/٩٦٦
(٤) سير أعلام النبلاء
(٥) أخرجه أحمد والترمذى

حبب إليه الفقه.

وقد روى الحميدى ذلك عن الشافعى حيث قال: سمعت الشافعى يقول: كنت يتيما فى حجر أمى، ولم يكن لها ما تعطينى للمعلم، وكان المعلم قد رضى منى أن أقوم على الصبيان إذا غاب، وأخفف عنه(٦).

وقد كان لدى الشافعى ملكة شعرية وفطرة لغوية ساهم فى نقائها وجوده فى مقتبل حياته بالبادية، فقد لزم هذيلا وتعلم كلامها ـ وكانت من أفصح العرب فكان لها أثر واضح فى بلاغته وفصاحته.

لقد بلغ الإمام الشافعى مرتبة عالية فى اللغة حتى كان يؤذيه اللحن، يقول المزنى: قرأ رجل على الشافعى فلحن، فقال الشافعى: «أضرستنى»(٧) ولم يكن هذا شأن الشافعى فحسب بل كان شأن غالب من يتمتع بذوق عربى سليم وحسن لغوى مرهف ونسمع مثل هذا من عمر بن عبدالعزيز حين لحن محمد بن سعد بن أبى وقاص فقال له: «انى لأجد حرارتها فى حلقى(٨) إن ما يحدثه الحصرم(*) من أثر لآكله، هو ما كان يحسه الإمام الشافعى عندما يقع من يحدثه فى خطأ لغوى.

لقد بلغ الشافعى فى البلاغة قمة شاهقة حتى صار حجة فى اللغة العربية وهو ما يشهد له قول الأصمعى: «صححت أشعار هذيل على فتى من قريش يقال له محمد بن إدريس».

حبه للعلم: لقد كانت لدى الشافعى منذ أيامه الأولى ـ ذاكرة واعية وهمة عالية وحرص على تحصيل العلم.. يقول: «حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين وحفظت «الموطأ» وأنا ابن عشر» وأغلب السلف الصالح كان حريصا على حفظ القرآن ودفع الأبناء إلى حفظه.. أما حفظه للموطأ فكان لينال رضا الإمام مالك، ليقبله تلميذا عنده ولكنه خشى أن يرده الإمام مالك، برغم حفظه المبكر للموطأ ـ فاحتاط للأمر.

«واستطاع الوصول إلى مالك بوصية من والى مكة ـ فلما قدم عليه ورآه مالك ـ وكانت له فراسة ـ أعجب به، واتخذه تلميذا مقربا له(٩).

والإمام الشافعى فى وصف الإعداد لهذه الرحلة العلمية عندما وصل إليه الخبر بأن مالك بن أنس إمام المسلمين وسيدهم يقول: «فوقع فى قلبى أن أذهب إليه، فاستعرت كتاب الموطأ من رجل بمكة، فحفظته، ولعل هذا الحفظ كان مراجعة لما حفظ من قبل فى مقتبل عمره لأنه حين رحل للقاء الإمام مالك كان قد بلغ نحو ثلاثة وعشرين عاما.. يقول:

«ثم دخلت على والى مكة، فأخذت كتابه إلى والى المدينة وبه توصية إلى مالك بن أنس، وقدمت المدينة وأبلغت الكتاب، فقال والى المدينة: يافتى لو كلفتنى المشى من جوف مكة إلى جوف المدينة راجلا حافيا كان أهون على من المشى إلى باب مالك.(١٠)

لم يكن الشافعى يعلم ما عليه الإمام مالك من صلابة وقوة الشخصية لكن ذلك كان معلوما لوالى المدينة الذى قال للشافعى: «ليتنا إذا ركبنا ووقفنا على بابه يفتح لنا الباب»!!

ويصور الشافعى هذا اللقاء بما ينم عن فراسة الإمام مالك فيقول: «فتقدمت إليه فقلت: أصلحك الله، إنى رجل مطلبى من حالى ومن قصتى كذا وكذا..

(٦) سير أعلام النبلاء
(٧) تاريخ دمشق ٥١/٣٧٤
(*) العنب عند بداية تكونه ويغلب عليه الطعم الحامضى.
(٨) الباقلانى ـ أبوالبركات الانبارى ص٣٢٦
(٩) د.محمد ابراهيم الفيومى.. الإمام الشافعى نشأته ورحلاته طلبا للعلم مجلة الأزهر المجلد ٧٨ ص١٧٨٧ ومابعدها.
(١٠) المرجع السابق

فلما سمع كلامى نظر إلى ساعة ـ وكان لمالك فراسة ـ فقال لى: ما اسمك؟ قلت: محمد، قال: يا محمد اتق الله واجتنب المعاصى فسيكون لك شأن من الشأن، فقلت: نعم وكرامة.

فقال: ان الله ـ تعالى ـ قد ألقى على قلبك نورا فلا تطفئه بالمعصية، ثم قال: غدا تجىء بمن يقرأ لك الموطأ.(١١) فإذا تأملنا هذا الكلام فإن الشق الأول من كلام الإمام مالك وهو يوصى الشافعى بتقوى الله ثم تبشيره بما سيكون له من شأن، يمكننا أن ندخله فى باب «من جد وجد»، أما قوله فى الشق الثانى «ان الله تعالى قد ألقى على قلبك نورا فلا تطفئه بالمعصية» يحتاج إلى وقفة تأمل تصل بنا ـ فعلا ـ إلى ما كان عليه الإمام مالك من فراسة.

ويصور لنا ذلك اللقاءُ ـ أيضا ـ ثبات الشافعى وثقته بنفسه وثقته بما حفظ يقول: قلت: انى أقرؤه من الحفظ، فرجعت إليه من الغد وابتدأت بالقراءة، وأردت قطع القراءة خوفا من ملالته، فأعجبه حسن قراءتى فكان يقول: يا فتى زد، حتى قرأته فى أيام يسيرة ثم أقمت بالمدينة إلى أن توفى مالك رحمه الله».

ويعلق الأستاذ الدكتور محمد ابراهيم الفيومى على ذلك اللقاء فيقول: «ان شغف الإمام الشافعى بزيارة الإمام مالك لم ينسه الإعداد الكامل لهذه الزيارة إعدادا يتناسب مع رجل العلم وإمامه وينم عن صورة النزعة العقلية التى اتصف بها الشافعى منذ يفاعته والتى كان التأمل عمادها الأول، وهذا الاعداد الذى ينم عن نزعته العقلية هو:

ـ البحث عن سند مالك الفكرى الذى شاع به علمه، فوجده فى كتابه الموطأ.

ـ محاولة البحث عن الكتاب حتى وجده، ثم استعاره من رجل بمكة.

ـ محاولة درسه واستظهار رواياته.

بذلك أصبح الشافعى على علم بالشخصية التى حركت خاطره لزيارتها، ولرغبته الجامحة استكتب والى مكة لوالى المدينة حتى ييسر له هذه الزيارة.. وهذا الإعداد الذى ينم عن عقلية منظمة من جهة الشافعى يدل على عظمة الإمام مالك، وأنه كان موقرا من قبل رجل السياسة فضلا عن أهل العلم».

ثم يشير الأستاذ الدكتور الفيومى إلى الموطن الذى اهتم به الاستاذ وهو حسن قراءة الشافعى وليس مجرد استظهاره للموطأ، إذ فى حسن القراءة سبيل الفهم.

رافق الإمام الشافعى الإمام مالك مايقرب من ستة عشر سنة ينهل من علمه حتى توفى الإمام مالك.

ظهور مذهب الشافعى

وعقب وفاة الإمام مالك سنة ١٧٩هجرية توجه الشافعى إلى اليمن يلتمس المزيد من العلم فدرس شيئا من كتب الفراسة والفلك والطب.

قال الشافعى: خرجت إلى اليمن فى طلب كتب الفراسة حتى كتبتها وجمعتها.

وعن الربيع قال: مر أخى فرآه الشافعى، فقال: هذا أخوك؟ ولم يكن رآه قلت: نعم(١٢)

ثم قدم الشافعى بغداد وأقام بها سنتين ثم عاد إلى مكة ثم قدم بغداد مرة أخرى سنة ١٩٨هـ ثم خرج منها إلى مصر سنة ١٩٩هـ وظل بها إلى أن مات سنة ٢٠٤هـ.

(١١) المرجع السابق
(١٢) سير أعلام النبلاء

ظهرت عبقرية الإمام الشافعى الفقهية فى التوفيق بين مدرستين أساسيتين هما مدرسة الرأى ومدرسة الحديث فأما الأولى فكانت فى العراق امتدادا لفقه عبدالله بن مسعود وتقوم على البحث عن علل الأحكام إذا لم يتوفر نص من الكتاب أو السنة.

أما المدرسة الأخرى فهى مدرسة الحديث وقد نشأت بالحجاز وكانت امتدادا لعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وعائشة رضوان الله عليهم أجمعين.

يقول الأستاذ عبدالحميد سامى بيومى: «لما ذهب الشافعى إلى العراق أول مرة استرعى نظره تحامل أهل الرأى على أستاذه مالك وعلى مذهبه، وكان أهل الرأى أقوى سندا وأعظم جاها بما لهم من المكانة عند الخلفاء، وبتوليهم شئون القضاء، ذلك بالإضافة إلى أنهم أوسع حيلة فى الجدل من أهل الحديث وأنفذ بيانا، ويمثل حال الفريقين ماروى عن إمامى أهل الرأى وأهل الحديث: أبى حنيفة، ومالك.

لهذا كان طبيعيا أن يجادل الشافعى عن أستاذه وعن مذهبه، وقد رويت لنا نماذج من دفاع الشافعى عن مالك ومذهبه.

وقد روى أبوعبدالله الصنعانى يحدث عن يحيى ابن أكثم قال: «كنا عند محمد بن الحسن فى المناظرة، وكان الشافعى رجلا قرشى العقل صافى الذهن سريع الإصابة، ولو كان أكثر سماع الحديث لاستغنت أمة محمد به عن غيره من العلماء»(١٣).

ولما انتهى الشافعى إلى مصر وضع مذهبه الجديد وسئل أحمد بن حنبل: ماترى فى كتب الشافعى التى عند العراقيين: أهى أحب إليك أم التى بمصر؟ قال: عليك بالكتب التى وضعها بمصر، فإنه وضع هذه الكتب بالعراق ولم يحكمها ثم رجع إلى مصر فأحكم تلك، كما يرويه الذهبى فى تاريخه الكبير(١٤).

موقف الشافعى من القياس

اختار الشافعى موقفا وسطا فلم يتشدد فيه تشدد الإمام مالك ولم يتوسع فيه توسع الإمام أبى حنيفة.

فعبقرية الإمام الشافعى انه الرجل الذى لبى احتياج عصره ووقف بين مدرستين كبيرتين لتضلعه من علمهما جميعا فكان أعرف أهل المدرستين بحاجة الناس.

يقول الإمام الشافعى فيما يفصح عن موقفه من القياس:

«إن جهة العلم الكتاب والسنة والاجماع والآثار ثم القياس عليها، ولايقيس إلا من جمع الآلة التى له القياس بها، وهى العلم بأحكام كتاب الله عز وجل فرضه وأدبه، وناسخه ومنسوخه، وعامه وخاصه، ولايجوز لأحد أن يقيس حتى يكون عالما بما مضى قبله من السنن وأقاويل السلف، وإجماع الناس واختلافهم، ولسان العرب ولايكون له أن يقيس حتى يكون صحيح العقل، وحتى يفرق بين المشتبه ولايعمل بالقول به دون التثبت، ولايمتنع من الاستماع ممن خالفه لأنه قد يتنبه بالاستماع لترك الغفلة ويزداد به تثبتا فيما اعتقد من الصواب وعليه فى ذلك بلوغ غاية جهده والانصاف من نفسه حتى يعرف من أين قال ما يقول وترك ما يترك»(١٥).

لقد استطاع الإمام الشافعى من خلال رحلاته

(١٣) الإمام الشافعي للاستاذ/ عبدالحميد سامى بيومى - مجلة الأزهر - المجلد العاشر ص١٤٣

(١٤) المرجع السابق

(١٥) المرجع السابق

العديدة إلى المدينة واليمن ومكة والعراق ومصر أن يعدد مصادر ثقافته دون التحيز لأى من هذه البلدان مما كان له عظيم الأثر فى تحول العديد من فقهاء المذهبين إلى المذهب الجديد.

الشافعى واضع علم الأصول

يقول ابن خلدون فى مقدمته: «كان أول من كتب علم أصول الفقه الشافعى رضى الله عنه، أملى فيه رسالته المشهورة تكلم فيها فى الأوامر والنواهى والبيان والخبر والنسخ وحكم العلة المنصوصة من القياس»(١٦).

ولكتابة الشافعى للرسالة قصة فعندما نزل الشافعى مدينة السلام قيل لأبى ثور: قد قدم مدينة السلام رجل قرشى من ولد عبد مناف، ينصر مذهب أهل المدينة فقلت: ولأهل المدينة مذهب ينصر؟ قوموا بنا إليه نسمع ما يقول، فقمت مع أصحابى فنظرت إليه فإذا هو شاب، وإذا له لسان لدَّاغ فسمعته يقول: «قال الله عز وجل فى خبر خاص يريد به عاما.. وقال فى خبر عام يريد به خاصا..» قلت: رحمك الله وما الخاص الذى يريد به العام؟ وما العام الذى يريد به الخاص؟ «وكلنا لا نعرف الخاص من العام، ولا العام من الخاص» فقال ببيانه قوله تعالى:

﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾

(آل عمران/ ١٧٣)

إنما أراد به أبا سفيان.

وقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾

(الطلاق/ ١)

فهذا خاص يريد به العام.

وربما كان خوض الشافعى فى مثل تلك المسائل الأصولية سببا مقنعا «لعبدالرحمن بن مهدى» لأن يكتب للشافعى أن يضع له كتابا فيه معانى القرآن ويجمع قبول الأخبار فيه وحجة الإجماع وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة فوضع له كتاب «الرسالة»(١٧).

الإمام الشافعى شاعرا

لم يكن الشافعى تنقصه أدوات الشعر فقد كان فصيحا وعلى دراية واسعة بعلوم اللغة العربية حتى قال عنه الإمام أحمد بن حنبل «كان الشافعى من أفصح الناس».

وكان الشافعى قد حفظ من الشعر الكثير حتى صحح الأصمعى أشعار هذيل عليه، فأكسبه حفظه للشعر هذه الملكة الشعرية فكان يقرض الشعر.. وله ديوان يضم الكثير من القصائد الشعرية وان كان يغلب عليها القصر؛ لأنه كان يميل إلى ضغط التعبير للوصول إلى فكرة ألقاها إليه نظرُه المتأمل.

وجُل أشعار الشافعى تكتنفها الحكمة وجرى بها المثل فمنها:

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فرجت وكنت أظنها لاتفرج

ما طار طير وارتفع
إلا كما طار وقع

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا

(١٦) المرجع السابق

(١٧) أ.د محمد ابراهيم الفيومى.. مرجع سابق

ما حك جلدك مثل ظفرك
فتول أنت جميع أمرك

ويقول فى الزهد:

عليك بتقوى الله إن كنت غافلا
يأتيك بالأرزاق من حيث لاتدرى
فكيف تخاف الفقر والله رازقا
فقد رزق الطير والحوت فى البحر
ومن ظن أن الرزق يأتى بقوة
ما أكل العصفور من النسر

ويقول:

يريد المرء أن يعطى مناه
ويأبى الله إلا ما أراد
يقول المرء فائدتى ومالى
وتقوى الله أفضل ما استفاد

ويدعو إلى التزام الصبر عند الضيق فيقول:

ولرُبَّ نازلة يضيق لها الفتى
ذرعا وعند الله منها المخرجُ

ويشير إلى واحد من أهم هذه المخارج فيقول:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه
وما تدرى بما صنع الدعاءُ
سهام الليل لا تخطى ولكن
لها أمد وللأمد انقضاء

ثم يقف الإمام الشافعى يرجو عفو ربه ولعله قال هذه الأبيات فى أخريات حياته يقول:

ولما قسى قلبى وضاقت مذاهبى
جعلت الرجا منى لعفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته
بعفوك ربى كان عفوك أعظما
فمازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل
تجود وتعفو منة وتكرما

ورحم الله الإمام الشافعى حيث قال:

لقد أصبحت نفسى تتوق إلى مصر
ومن دونها أرض المهامة والقفر
فوالله لا أدرى ألفوز والغنى
أساق إليها أم أساق إلى القبر

فكأنه سطر فى هذا البيت ما سيكون له، فقد ساقه الله -تعالى- إلى الفوز والغنى بفضله وإلى قبر يعرف أهل مصر جميعا فضل ساكنه.

يرحم الله الإمام الشافعى فقد كان فى الفقه إماما وفى اللغة والشعر فردا فذا لايبارى وظل يلقى دروسه حتى لقى ربه فى آخر شهر رجب من عام ٢٠٤هـ.

ورحم الله محمد بن الحسن بن دريد الأزدى (٢٢٣هـ/ ٣٢١هـ) الذى رثاه قائلاً:

ويخمل ذكر المرء ذى المال بعده
ولكن جمع العلم للمرء نافع
ألم تر آثار ابن إدريس بعده
دلائلها فى المشكلات لوامع
معالم يفنى الدهر وهى خوالد
وتنخفض الأعلام وهى فوارع

إلى أن يقول:

لرأى ابن ادريس ابن عم محمد
ضياء إذا ما أظلم الخطب ساطع
إذا المعضلات المشكلات تشابهت
سما منه نور فى دجاهن لامع
أبى الله إلا رفعه وعلوه
وليس لما يعليه ذو العرش واضع

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقى الدين

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾

لغة القرآن

موقف شديد الغرابة تتعرض له اللغة العربية فى شمال العراق وتحديداً فى القطاع الكردى من العراق.

نبرة شديدة العداء بدأت تطل برأسها ضد اللغة العربية لغة القرآن:

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾

يوسف/ ٢

وهناك الآن تليفزيون وإذاعة وصحف تتحدث باللغة الكردية، علماً بأن اللغة الكردية مازالت حتى وقتنا هذا تُكتب بأحرف عربية.

ويبدو أن البعض قد ساءه أن تكون هناك علاقة من أى نوع بين اللغة الكردية واللغة العربية، حيث ظهرت دعوة جديدة تطالب باستبدال الأحرف العربية المستخدمة فى اللغة الكردية بأخرى لاتينية على نحو ما فعل حزب الاتحاد والترقى بزعامة مصطفى كمال أتاتورك فى تركيا.

ما يحدث فى العراق الآن يكاد يكون تنفيذاً لمخطط استعمارى قديم، تبناه قديماً الاستعمار الفرنسى فى المغرب العربى عندما عمد إلى إحياء النعرات العرقية وشن حرباً شعواء ضد اللغة العربية، ولكن ثوار المغرب العربى قاوموا هذا الاتجاه، وقدمت الجزائر مليون شهيد دفاعاً عن عروبتها وحريتها واستقلالها.

ويبدو أن زبانية واشنطن نجحوا فى إقناع البعض من أبناء الأكراد بأن اللغة العربية هى لغة عدوهم اللدود «صدام حسين» وأعوانه الذين أذاقوهم الهوان، وأنه لكى يكمل لديهم الإحساس بالحرية فلابد لهم من الخلاص من آثار عهد «صدام حسين» بما فيها اللغة العربية، واللغة العربية هى لغة القرآن:

﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾

فصلت/ ٣

والقرآن الكريم لم يكن كتاباً لأمة العرب وحدها، وإنما كان وسيظل كتابا منزلا للبشرية جمعاء، وبالتالى صارت اللغة العربية ركنا من أركان

العقيدة الإسلامية، فبغيرها لا يمكن لمسلم أن يؤدى فريضة الصلاة بخشوع وتدبر، والصلاة كما نعلم هى عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين.

وهذه الحقيقة - حقيقة اللغة العربية - أدركها من قبل رجال أفذاذ كان لهم قدم السبق فى حفظ ركن ركين من أركان التشريع الإسلامى ألا وهو «السنة النبوية» فرأينا رجالاً مثل: البخارى، والنسائى، وابن ماجة، والطبرانى، والبيهقى، وغيرهم كثير يحفظون لأمة الإسلام سنة النبى الكريم صلى الله عليه وسلم، ليس بلغاتهم وإنما بلغة القرآن الكريم.

المتأمل لما خلفه هؤلاء الأفذاذ من تراث حفظ للأمة أركان شريعتها وعقيدتها يذهل من قوة وسلامة اللغة فيما دونه هؤلاء العظام بشكل لا نملك معه إلا أن نصفهم بأنهم هم العرب الذين قصدهم القرآن الكريم.

العروبة الحقة ليست هى عروبة الجنس فالعروبة بهذا المفهوم تكون عروبة عنصرية.. العروبة الحقة هى عروبة الحس والوجدان والشعور، وبغير حس ووجدان وشعور لا يمكن فهم كتاب الله.

وبغير حس ووجدان وشعور لا يوجد إسلام لأن الإسلام دين الفطرة:

﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾

الروم/ ٣٠

العربى الحق ليس هو من ولد من أبوين عربيين.. بل هو من استشعر قيمة العروبة ومعناها، فلم يكن السلطان «قطز» عربيا بالمعنى العنصرى فهو لم يولد فى أرض العرب وإنما أدرك معنى العروبة، وهذا الإدراك هو ما جعله يصيح بأفصح لسان «وا إسلاماه» صيحة ردت الحياة لقلوب رجاله وبث الشجاعة فى نفوس جنود كانوا إلى الهرب أقرب من الثبات أمام العدو فى عين جالوت، وبهذه الصيحة التى خرجت من أعماق الوجدان انتصرت مصر، وانتصر العرب على التتار.

يا معشر الأكراد، يا أحفاد البطل صلاح الدين الأيوبى.. تذكروا أن مصر سبق وأن قبلت عن ترحيب وحب شديد أن يحكمها واحد من أجدادكم: صلاح الدين الأيوبى، بل هو بطل من أبطال الأمة خلدت كتب التاريخ سيرته وهو البطل الذى استشعر فيه أبناء مصر القدرة على سياسة الأمة وحراسة المِلّة فى وجه طوفان من الشر، ألا وهو الغزو الصليبى، فبايعته، ولم ينظروا أبداً إلى أنه لم يكن مصرياً ولا حتى عربياً، إنما كان مسلماً منافحاً عن الإسلام، وعن العروبة.. أجل.. عن الإسلام وعن العروبة أيضاً.. فصلاح الدين وإن كان كُرْدِىّ المولد، فقد كان عربىّ اللسان والحس والشعور، ولهذا استشعر عظمة البيان القرآنى العربى ومست آياته شغاف قلبه، وكذلك الأمر فى سُنّة رسول الله ﷺ التى كانت نبراس حياته، وهو أمر يدركه من يدرس حياة هذا البطل دراسة متأنية.. وإلا فخبرونى: أين كنا نجد صلاح الدين الأيوبى الكردى لو لم يكن مسلماً يتلو القرآن ويتدبر آياته؟!.

يا معشر الأكراد.. إن كون صدام حسين عربياً، فإن ذلك لا يسوغ لكم أبداً أن تشنوا الحرب على اللغة العربية، فكتاب الله - عز وجل - نزل:

﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾

الشعراء/ ١٩٥

وتذكروا أنه كان فى العرب يوما ما «أبوجهل» و«أمية بن خلف» وغيرهما ممّن حاربوا الله ورسوله ﷺ ولكن المولى - عز وجل - لم يغير لغة كتابه الكريم نكاية فيهما. فالله الله فى لغة القرآن.

أحمد تقى الدين

الألغام الفرنسية

يعلق القارئ أحمد إبراهيم - كفر الشيخ - على خبر قرأه فى إحدى الصحف يقول:

«رفض مسئولون فرنسيون تسليم الجزائر خرائط الألغام التى خلفتها قوات الاستعمار الفرنسية فى الجزائر منذ ما يقرب من أربعة عقود مضت. الألغام الفرنسية تسببت فى مصرع المئات من أبناء الشعب الجزائرى.. فى حين برر مسئولون فرنسيون رفض تسليم خرائط الألغام بأنه من الممكن استخدام هذه الألغام ضد فرنسا»!!..

يبدو أن الفرنسيين يضعون احتمال إعادة احتلالهم للجزائر نصب أعينهم، وبالتالى ستكون هذه الألغام المزروعة فى الأراضى الجزائرية مصدر فائدة لهم.. ومن هنا فليس من المستغرب أن يرفضوا تسليم خرائط الألغام للحكومة الجزائرية، ومن ثم لم يكن صعباً على الفرنسيين أن يتحججوا باحتمال استخدام ما تحويه هذه الألغام من متفجرات فى شن أعمال إرهابية ضد فرنسا، ناسين أو متناسين أن الإرهاب صُنع أول ما صُنع فى أوروبا التى استباحت لنفسها احتلال أراضى الغير والتنكيل بالشعوب المطالبة بالحرية، وكانت مثل هذه الألغام التى تملأ الأراضى الجزائرية وسيلة من وسائل إرهاب شعب الجزائر لإثنائه عن المطالبة بالحرية.. ترى من الذى ينبغى أن يوصف بـ الإرهابى.. فرنسا التى زرعت الموت فى أرض الجزائر أم الجزائر الباحث عن حقه فى أن يعيش أبنائه بمأمن من الألغام الفرنسية؟!!..

النوم

ومن القارئ: دكتور يحيى سنبل - أخصائى تشريح ووظائف أعضاء - دماص - ميت غمر - دقهلية.. كانت تلك الرسالة:

طالعت باهتمام مقال الأستاذ الدكتور/ محمود عمارة تحت عنوان: «مَنْ نام قليلاً.. أكل كثيراً!!».. فى عدد شوال ١٤٢٦هـ، والموضوع طريف وشيق.. وأحب أن أضيف ما يلى:

(١) أجرت جمعية السرطان الأمريكية فى سنتى ١٩٥٩ - ١٩٦٠ دراسة مسحية لأكثر من مليون شخص من الراشدين الكبار ممن تجاوزت أعمارهم الثلاثين تضمنت أسئلة عن طول فترة النوم، وعن استخدام أقراص النوم، وعن اضطرابات النوم المحتملة. وبعد مرور ست سنوات من إجراء هذا المسح أجريت دراسة ثانية لتحديد أعداد الناس ممن شملهم المسح الذين ماتوا، وأسباب موتهم. وقد تم الكشف عن علاقة مذهلة بين طول فترة النوم ومعدل الوفيات. كان أدنى معدل للوفيات ينتشر بين الناس الذين تقع فترة نومهم بين سبع ساعات وثمانى ساعات كل ليلة، ثم إن هذا المعدل كان يزداد ويرتفع ارتفاعاً ذا دلالة عند من تزيد أو تنقص ساعات نومهم عن ذلك. (كتاب: «أسرار النوم» تأليف: ألكسندر بوربلى.. ترجمة د. أحمد عبدالعزيز سلامة).

(٢) الغدة الصنوبرية توجد بالمخ وتفرز هرمون الميلاتونين، وهذا الهرمون يمنع البلوغ قبل السن

المعروف عن طريق تثبيط الغدد التناسلية، ويزداد إفرازه ليلاً وله علاقة بالنوم، كما أن له علاقة بالتنظيم الزمنى لأنشطة الجسم (كتاب «الفسيولوجيا الطبية» للأستاذ الدكتور/ وليام جانونج).

(٣) النوم يختلف تبعاً لمراحل العمر، فالطفل الرضيع يقضى ثلثى الوقت نائماً خلال الأيام الأولى القلائل من بعد الولادة، فهو يفيق على فترات تتراوح بين ساعتين وست ساعات، ليشرب لبنه وليعود من بعد ذلك إلى النوم. وتتناقص مدة النوم مع تقدم العمر تدريجياً، حيث نجد أن كبار السن ينامون فترات أقل من الشباب.

وأخيراً أقول: إن موضوع النوم ملىء بالعجائب والأسرار ويحتاج إلى مزيد من الاهتمام من العلماء فى مختلف التخصصات.

من علماء التربية والتعليم فى الإسلام

ابن جماعة

من القارئ الأستاذ الأديب فرج مجاهد عبدالوهاب - شربين - دقهلية - كانت تلك الرسالة والتى تحدث فيها عن «ابن جماعة» قال:

هو أبوعبدالله محمد بن إبراهيم بن جماعة ولد عام ٦٩٣هـ وتوفى عام ٧٣٣هـ، وهو أحد العلماء المسلمين الذين اهتموا بالتربية والتعليم وبالأخص بالعلاقة بين المعلم والطالب وألف فى ذلك موسوعة «مذكرة السامع والمتكلم فى آداب العالم والمتعلم» ويعد هذا الإسهام العلمى الرائد نموذجاً يحتذى به فى تحديد ثقافة المتعلم ودوره الإرشادى الموجه لطلابه.

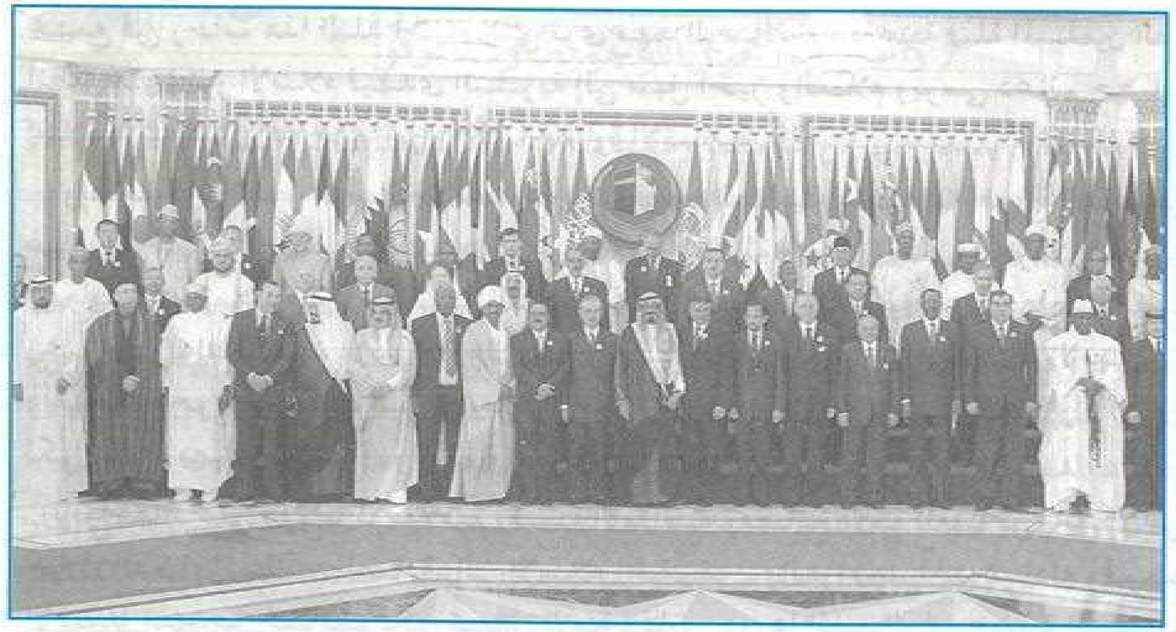
ويؤكد هذا العالم المسلم على أن العلماء هم أصحاب الفضيلة وهم الأبرار المتقون الذين يقصدون بالقلم وجه الله الكريم، وفى ذلك يحدد ابن جماعة آداب رجل العلم على الوجه التالى:

● أن يداوم على مراقبة الله فى السر والعلن والمحافظة على خوفه فى جميع حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله، فإن المعلم أمين على ما أودع من علوم.

● وأن يصون العلم ويقوم له بما حمله الله - تعالى - من العزة والشرف فلا يذله بالذهاب به إلى غير أهله من أبناء الدنيا فى غير الضرورة، وأن يتخلق بالزهد فى الدنيا، وأن ينزه علمه عن جعله سلماً يتوصل به إلى الأغراض الدنيوية من جاه أو مال أو شهرة أو تقدم على أقرانه، وأن يتجنب مواضع التهم وإن بعدت، وأن يحافظ على القيام بشعائر الدين والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأن ينتفع بعلمه فينعكس على تصرفه وسلوكه.

● وعلى المعلم أن يعامل الناس بمكارم الأخلاق من طلاقة الوجه وإلقاء السلام وإطعام الطعام وكظم الغيظ وكف الأذى عن الناس.

● وأخيراً أن يهتم فى إعداده الثقافى بما يعم نفعه وتكثر الحاجة إليه وأن يتحرى الدقة والموضوعية ويبتعد عن التطويل الممل والإيجاز المخل وأن يراجع عمله قبل إخراجه.



أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى

بلاغ مكة المكرمة

أكد قادة وزعماء الأمة الإسلامية فى «بلاغ مكة المكرمة» الذى أصدرته القمة الإسلامية فى ختام أعمالها ضرورة الحفاظ على الهوية والقيم الإسلامية ومصالح الأمة العليا من خلال الانتماء الصادق للإسلام الحقيقى.. والتعامل مع التحديات والتهديدات من خلال رؤية استراتيجية تواكب المتغيرات الدولية وتطوراتها.. والوقوف وقفة صادقة وحازمة مع النفس لإصلاح شأن الأمة.. وفيما يلى نص «بلاغ مكة المكرمة»:

نحن ملوك ورؤساء وأمراء الدول والحكومات الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى إذ نجتمع فى الدورة الاستثنائية الثالثة للمؤتمر الإسلامى المنعقد فى مكة المكرمة بين ٥ - ٦ من ذى القعدة ١٤٢٦هـ الموافق ٧ - ٨ من كانون الأول «ديسمبر» ٢٠٠٥.

نرفع آيات الحمد لله - عز وجل - إذ منّ علينا بأن

نجتمع فى رحاب هذا البلد الحرام على ثرى مهد الرسالة الإسلامية قبلة المسلمين التى انطلق منها نور الإسلام ليهدى البشرية إلى سبل الخير والسلام ويرسى دعائم حضارة إسلامية شكلت رافدا مهماً من روافد الحضارة الإنسانية .

وإذا ما كان ظهور الرسالة الإسلامية بمضامينها السامية استهدف إخراج العالم من غياهب الجهل والظلام والاستبداد إلى نور الحق والعدالة وطريق العلم والمعرفة ومبادىء التعايش السلمى فإننا نجد أنفسنا اليوم فى عهد اختلفت فيه المفاهيم واختلطت القيم وعم الجهل واستشرت الأمراض والأوبئة وتفشى الظلم وتدهورت فيه بيئة الإنسان .. وأضحينا أحوج ما نكون فيه إلى منظور جديد للخروج بالأمة ـ كما شاءت إرادة الله ـ لكى تكون مصدرا للإشراق والعلم والمعرفة والأخلاق ومنارا للإنسانية .

إن الحفاظ على هويتنا الإسلامية وقيمنا الأساسية ومصالح الأمة العليا لن يأتى إلا من خلال انتماء المسلمين الصادق إلى الإسلام الحقيقى ، والتزامهم الحق بمبادئه وقيمه الأصيلة منهجا لحياتهم لكى تنهض الأمة وتمارس دورها الفعال فى خدمة البشرية والحضارة الإنسانية .

إننا نستشعر ضمير الأمة الذى عبر عنه علماؤها ومفكروها ـ جزاهم الله عنا خير الجزاء ـ فى لقائهم الذى سبق اجتماع القمة مدركين للتحديات التى أشاروا إليها على الصعد السياسية والتنموية والاجتماعية والثقافية والعلمية كافة وما تتعرض له الأمة من تهديدات داخلية وخارجية أسهمت فى تعميق المأزق الحالى الذى تعيشه وتنعكس على مستقبلها بل ومستقبل البشرية والحضارة الإنسانية .

ولابد من التعامل مع هذه التحديات من خلال رؤية استراتيجية تخطط لمستقبل الأمة وتواكب المتغيرات الدولية وتطوراتها من أجل بلورة رؤية تستشرف آفاق المستقبل بما يمكن العالم الإسلامى من التعامل مع تحديات القرن الـ ٢١ بالاستناد إلى إرادة جماعية وعمل إسلامى مشترك .

وفى هذا الإطار فإنه ينبغى علينا الوقوف وقفة صادقة حازمة مع النفس حول إصلاح شأن الأمة الذى يبدأ من إصلاح الذات بالاتفاق على كلمة سواء .. ركيزتها كتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتصدى بكل حزم لدعاة الفتنة والانحراف والضلالة التى تستهدف تحريف مبادىء الإسلام السامية الداعية إلى المحبة والسلام والوئام والحضارة إلى أفكار منحرفة تقوم على الجهل والانغلاق والكراهية وسفك الدماء .

إن أمتنا الإسلامية مطالبة اليوم .. بالاجتماع على الخير مصداقا لقوله عز وجل :

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾

الأمر الذى يستوجب من علمائنا وفقهائنا توحيد كلمتهم فى فضح انحراف هذه الفئة الضالة وبطلان مزاعمها واتخاذ موقف حازم ضدها .

وإذ نؤكد فى هذا الصدد على أن الإرهاب ظاهرة عالمية لا تقتصر على أى دين أو جنس أو لون أو بلد وعلى عدم وجود أى مبرر أو مسوغ للإرهاب بجميع أشكاله وأنواعه ومصادره فإننا عازمون ـ بحول الله تعالى ـ على تطوير أنظمتنا وقوانيننا الوطنية لتجريم كل ممارسات الإرهاب وتمويلها والتحريض عليها ، مطالبين فى الوقت نفسه بمضاعفة الجهود الدولية وتنسيقها لمواجهة الإرهاب وفقا لما أقره مؤتمر الرياض لمكافحة الارهاب .

إن أولوية الإصلاح والتطوير تشكل قناعة تجمع عليها الأمم حكومات وشعوبا فى إطار نابع من داخل مجتمعاتنا الإسلامية ومتوائم مع مكتسبات الحضارة الإنسانية ومستلهم لمبادىء الشورى والعدل والمساواة فى تحقيق الحكم الرشيد وتوسيع المشاركة السياسية وتكريس سيادة القانون وصيانة حقوق الإنسان وبسط العدالة الاجتماعية والشفافية والمساءلة ومحاربة الفساد وبناء مؤسسات المجتمع .

والحضارة الإسلامية هى جزء لا يتجزأ من الحضارة الإنسانية تقوم على قيم الحوار والوسطية والعدل والبر والتسامح باعتبارها قيما إنسانية راقية فى مقابل التعصب والانغلاق والاستبداد والاقصاء لذلك فإنه من المهم تعميق هذه القيم السامية فى خطابنا الإسلامى داخل مجتمعاتنا وخارجها .

وإذ نؤكد نبذنا للتطرف والغلو والعنف فإننا نبدى استياءنا وقلقنا من تنامى ظاهرة كراهية ومعاداة الإسلام فى العالم باعتبارها شكلا من أشكال العنصرية والتمييز وكما نؤكد العزم على العمل الجاد للتصدى لها بالوسائل المتاحة كافة ولما يشكله التعاون الاقتصادى والتكافل الاجتماعى بين الدول الإسلامية من أهمية تعزيز تضامنها وتعظيم استفادتنا من مزايا العولمة وتفادى سلبياتها فإننا نعتبر أهداف محو الأمية واستئصال الأمراض والأوبئة ومكافحة الفقر فى الدول الإسلامية أهدافا استراتيجية ملحة تتطلب حشد الموارد اللازمة كافة لتحقيقها .

أن تحقيق الأهداف المتوخاة لن يتأتى إلا من خلال الالتزام بالجدية والمصداقية فى العمل الإسلامى المشترك وللانطلاق من رؤية جديدة للعالم الإسلامى تتعامل مع التحديات الدولية ومتغيراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بما يحفظ الأمة ومصالحها فقد تم اعتماد وإقرار خطة العمل العشرية لمواجهة تحديات الأمة الإسلامية فى القرن الـ ٢١ .

وإننا لندعو ربنا أن يهيء لنا من أمرنا رشداً وفى مسعانا توفيقا وفى حياتنا خيرا.

يقول تعالى:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

صدق الله العظيم

البرنامج العشرى لمنظمة المؤتمر الإسلامى

هذا وقد وافق ملوك ورؤساء الدول والحكومات الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى فى ختام قمة مكة على برنامج العمل العشرى فى الجوانب السياسية والعمل المشترك ومكافحة الإرهاب ومحاربة ظاهرة كراهية الإسلام وحل القضية الفلسطينية ومنع نشوب النزاعات بين الدول الأعضاء وإصلاح المنظمة.

يقضى البرنامج بالعمل على نشر الأفكار الصحيحة عن الإسلام وإدانة التطرف بكل صوره وأشكاله ومعالجة جذوره السياسية والاقتصادية والاجتماعية عبر التنمية وتأكيد حوار الحضارات المبنى على الاحترام والفهم المتبادلين وتدريس فقه وأدب الاختلاف وتعميق الحوار بين المذاهب الإسلامية وصحة إسلام أتباعها وعدم جواز تكفيرهم والتنديد بالجرأة على الفتوى ممن ليس أهلا لها والتنسيق بين جهات الفتوي فى العالم الإسلامى ومواجهة التعصب المذهبى وتأكيد إدانة الإرهاب بجميع أشكاله ورفض أى مبرر أو مسوغ له وأنه ظاهرة عالمية لاترتبط بأى دين او جنس أو لون أو بلد والتمييز بينه وبين المقاومة المشروعة للاحتلال الأجنبى وضرورة وضع مدونة سلوك دولية لمكافحة الإرهاب.

كما يقضى البرنامج بإنشاء مرصد للمتابعة المستمرة لجميع أوجه هذه الظاهرة واستصدار قرار دولى من الأمم المتحدة للتصدى لظاهرة كراهية الإسلام وإنشاء هيئة مستقلة دائمة لتعزيز حقوق الإنسان فى الدول الاعضاء.

أكد البرنامج ضرورة بذل الجهود لإنهاء الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية التى

احتلت عام ١٩٦٧ والمحافظة على موقف موحد من الحل الشامل للقضية الفلسطينية وإعطاء منظمة المؤتمر الإسلامى دورا أكبر فى جهود تحقيق السلام.

وتبنى البرنامج إصلاح منظمة المؤتمر الإسلامى عبر إعادة هيكلتها وتغيير اسمها ومراجعة ميثاقها وإنشاء آلية لتنفيذ القرارات وإنشاء منطقة للتبادل التجارى الحر بين الدول الأعضاء وتحقيق المزيد من التكامل الاقتصادى وإنشاء صندوق خاص بهدف المساهمة فى معالجة مشكلات الفقر والبطالة وإقرار استراتيجية واضحة للعمل الإنمائى الإسلامى.

كما قرر البرنامج تكليف الأمانة العامة للمنظمة بدراسة إنشاء جائزة منظمة المؤتمر الإسلامى للإنجازات العلمية وتشجيع برامج البحث والتطوير وتعزيز القوانين الرامية للنهوض بالمرأة والطفل فى المجتمع المسلم.

البيان الختامى لقمة مكة

وكانت القمة الاستثنائية لمنظمةالمؤتمر الاسلامى المنعقدة في مكة المكرمة في الفترة من ٥-٦ من ذى القعدة ١٤٢٦ الموافق ٧-٨ من ديسمبر ٢٠٠٥ قد اختتمت أعمالها بتبنى بلاغ مكة وبرنامج العمل العشرى وأصدرت بيانا من ٣ محاور فكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية.

فى المجال الفكرى

- أكد المؤتمر أن الإسلام هو دين الوسطية ويرفض الغلو والتطرف والانغلاق، وأكد فى هذا الصدد أهمية التصدى للفكر المنحرف بكافة الوسائل المتاحة، إلى جانب تطوير المناهج الدراسية بما يرسخ القيم الإسلامية فى مجالات التفاهم والتسامح والحوار والتعددية.
- أكد المؤتمر على أن حوار الحضارات المبنى على الاحترام والفهم المتبادلين والمساواة بين الشعوب أمر ضرورى لبناء عالم يسوده التسامح والتعاون والسلام والثقة بين الأمم.
- دعا المؤتمر إلى مكافحة التطرف المتستر بالدين والمذهب، وعدم تكفير أتباع المذاهب الاسلامية، وأكد تعميق الحوار بينها وتعزيز الاعتدال والوسطية والتسامح، وندد بالجرأة على الفتوى ممن ليس أهلا لها.
- أكد المؤتمر على أهمية إصلاح مجمع الفقه الإسلامى ليكون مرجعية فقهية للأمة الاسلامية.

وفى المجال السياسى

- أكد المؤتمر أهمية قضية فلسطين، باعتبارها القضية المركزية للأمة الإسلامية، وعليه فلابد من إنهاء الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية والفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٦٧م بما فيها القدس الشرقية والجولان السورى واستكمال الانسحاب الإسرائيلى من باقى الأراضى اللبنانية.

- وبالنسبة للوضع فى العراق أعربت القمة عن ترحيبها بالمبادرة العربية للوفاق الوطنى بين الفئات العراقية، وعن أملها فى أن تؤدى الانتخابات التشريعية القادمة إلى قيام الحكومة العراقية الدستورية، بما يحفظ وحدة العراق وسلامة أراضيه ويحقق أمنه واستقراره ويمكن العراق من القيام بدوره الحضارى فى الساحة العربية والإسلامية والدولية، وأعربت القمة عن إدانتها للإرهاب الذى يتعرض له الشعب العراقى، وعن دعمها للعملية السياسية واستكمال المؤسسات الدستورية ودعم عملية الإعمار.

- أكد المؤتمر دعمه لحقوق وتطلعات شعب جامو وكشمير فى تقرير المصير كما وافق المؤتمر على توفير الدعم السياسى والدبلوماسى للممثلين الحقيقيين للشعب الكشميرى فى نضالهم ضد الاحتلال الأجنبى.

- كما أكد المؤتمر وقوفه إلى جانب الحكومة الصومالية فى سعيها لاستعادة الأمن وإعادة الاعمار.

- جدد المؤتمر إدانته للعدوان المستمر لجمهورية أرمينيا على سيادة جمهورية أذربيجان وسلامة أراضيها ودعا إلى الانسحاب الكامل وغير المشروط للقوات الأرمينية من جميع الأراضى الأذربيجانية المحتلة.

- وأعرب المؤتمر عن التضامن مع الشعب القبرصى التركى المسلم وحقه المشروع.

- جدد المؤتمر ترحيبه باتفاق السلام الشامل فى السودان والقرار الصادر عن القمة العاشرة بإنشاء صندوق لإعادة إعمار المناطق المتأثرة بالحرب فى السودان، وحث الدول الأعضاء على المساهمة الفعالة فى الصندوق.

- شدد المؤتمر على إدانة الإرهاب بجميع أشكاله وصوره ورفض أى مبرر أو مسوغ له، وأعلن عن تضامنه مع الدول الأعضاء فى المنظمة التى تعرضت وتتعرض للعمليات الإرهابية. كما شدد على ضرورة تجريم كافة الممارسات الإرهابية وجميع أشكال دعمها وتمويلها والتحريض عليها، معتبراً الارهاب ظاهرة عالمية لا ترتبط بأى دين أو جنس أو لون أو بلد.



- أكد المؤتمر ضرورة العمل الجماعى على إبراز حقيقة الإسلام وقيمه السامية، والتصدى لظاهرة كراهية الإسلام وتشويه صورته وقيمه، وتدنيس الأماكن الإسلامية، والعمل الفعال مع الدول والمؤسسات والمنظمات الإقليمية والدولية وحثها على تجريم هذه الظاهرة، باعتبارها شكلا من أشكال العنصرية.

- أعرب المؤتمر عن قلقه إزاء تنامى الكراهية ضد الإسلام والمسلمين فى العالم وندد بالإساءة إلى صورة نبى الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم فى وسائل إعلام بعض البلدان، وأكد مسئولية جميع الحكومات عن ضمان الاحترام الكامل لجميع الأديان والرموز الدينية وعدم جواز استغلال حرية التعبير ذريعة للإساءة إلى الأديان.

- دعا المؤتمر لدراسة إمكانية إنشاء هيئة مستقلة دائمة لتعزيز حقوق الإنسان فى الدول الأعضاء وكذلك دراسة إمكانية إعداد ميثاق إسلامى لحقوق الإنسان وفقا لما نص عليه إعلان القاهرة لحقوق الإنسان فى الإسلام. كما دعا إلى التفاعل فى هذا المجال مع الأمم المتحدة والمنظمات الأخرى ذات الصلة وأكد أهمية تعزيز حقوق المرأة وتعليمها ورحب بعرض تركيا استضافة المؤتمر الأول لمنظمة المؤتمر الإسلامي حول المرأة.

- أكد المؤتمر ضرورة قيام وسائل الإعلام فى العالم الإسلامى بعرض الوجه الحقيقى المشرق لعقيدتنا الإسلامية والتعامل مع الإعلام الدولى بكيفية فعالة تحقق هذاالهدف. وأكد أهمية دعم صندوق التضامن الرقمى لتنمية المعلومات فى البلدان الإسلامية.

فى المجال الاقتصادى والاجتماعى:

• أكد المؤتمر أهمية الاستخدام الأمثل للموارد البشرية والطبيعية والاقتصادية المتوفرة فى العالم الإسلامي والاستفادة منها فى تعزيز التعاون بين دوله، والعمل على تنفيذ خطة العمل الرامية إلى تطوير هذاالتعاون، ودراسة إمكانية إنشاء منطقة للتجارة الحرة بين الدول الأعضاء.

• أكد المؤتمر ضرورة تحقيق زيادة كبيرة فى التجارة البينية بين الدول الأعضاء، ورحب بإنشاء المؤسسة الإسلامية الدولية لتمويل التجارة كما دعا إلى زيادة رأس مال البنك الإسلامي للتنمية لتمكينه من تلبية احتياجات الدول الأعضاء، وجدد المؤتمر التأكيد على حيوية دور القطاع الخاص فى التنمية.

• أكد المؤتمر أهمية التعاون فى مجال بناء القدرات، ومكافحة الفقر والبطالة، ومحو الأمية واستئصال الأمراض، والسعى لحشد الموارد اللازمة لذلك من خلال تأسيس صندوق خاص فى البنك الإسلامى للتنمية وتكليف مجلس محافظى البنك بتنفيذ ذلك.

• دعا المؤتمر إلى دعم التنمية فى أفريقيا ومبادرة «النيباد» وقرر وضع برنامج خاص لذلك، وأكد من جديد الالتزام بتحقيق أهداف الألفية التنموية من خلال اتخاذ التدابير الملائمة للتخفيف من وطأة الفقر في الدول الأعضاء، ودعا الدول والمؤسسات الدولية التى تستطيع تقليص أو إلغاء ديونها المترتبة على الدول الأعضاء أن تدرس إمكانية القيام بذلك، حتى تتمكن الدول المدينة من تحقيق التنمية الاقتصادية والتخفيف من وطأة الفقر.

• قرر المؤتمر تبنى خطوات واضحة للتنمية العلمية والتكنولوجية، خاصة ما ينتج من اكتفائها الذاتى كالاستخدام السلمى لتقنية التكنولوجيا فى إطار الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

***

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

فى جلسة طارئة لمجمع البحوث الإسلامية:
الأزهر يدين اجتراء الصحف الدانماركية على الإسلام

عقد مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف جلسة طارئة ظهر يوم الخميس السادس من ذى القعدة ١٤٢٦هـ الموافق الثامن من ديسمبر عام ٢٠٠٥م لمناقشة ما تعرض له الإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام من حملة سباب وإهانة وازدراء من جانب بعض الصحف فى الدانمارك وما سببته تلك الحملة غير المسبوقة فى هبوطها واجترائها على مقدسات أكثر من ألف مليون من البشر ينتمون إلى دين يدعو للسلام والتعاون على الخير والبر وإلى ثقافة من أعرق وأكبر الثقافات القديمة والمعاصرة من تداعيات مؤسفة تمثلت فى رفض حكومة الدانمارك مطالبة تلك الصحف بالتوقف عن هذه الحملة والاعتذار لمسلمى العالم عما لحق بهم من أذى وإهانة احتجاجا بأن الدانمارك تعتبر ما صدر من تلك الصحف لونا من ألوان التعبير عن الرأى الذى يكفل القانون والقضاء فى الدانمارك حمايته وعدم التعرض له وذلك رغم قيام السيدة سفيرة مصر فى الدانمارك بتوضيح مايترتب على استمرار هذه الحملة من آثار سلبية ضارة على العلاقات العربية الإسلامية مع الدانمارك وبعد أن استمع أعضاء مجمع البحوث إلى بيان مفسر عن تلك الحملة قدمه وفد من مسلمى الدانمارك وبعد أن اطلع المجلس على نص ما جرى نشره من مقالات وشعارات وصور كاريكاتورية قرر إصدار البيان التالى متوجها به إلى شعب الدانمارك وحكومته وإلى جميع المسلمين فى العالم وإلى كل الحريصين على نشر ثقافة السلام والتواصل بين الشعوب على أساس من الفهم المتبادل والاحترام الواجب لثقافات الآخرين وقيمهم ومقدساتهم.

البيـــــــــان

صدمت مشاعر المسلمين فى مصر وعلى امتداد العالم الإسلامى من استمرار الحملة الهابطة التى تعرض لها الإسلام ونبيه عليه وعلى جميع الرسل والأنبياء صلاة الله وسلامه وهى حملة تجاوزت تماما كل حدود النقد المباح وأدب الحوار الجائز عند الاختلاف لتنقلب سبابا خالصا وازدراء مقصودا لدين يتبعه ويتدين به أكثر من ألف مليون من البشر ومنهم جالية من أبناء الدانمارك وحاملى جنسيتها هالهم بدورهم ما جرى فسعوا لاحتواء آثار هذه الأزمة فى مهدها واتصلوا لهذا الغرض بالسلطات المختصة فى الدانمارك ورفعوا دعاوى أمام القضاء الدانماركى لاتزال منظورة أمامه ولكن سعيهم لم يؤت ثمرته وبقيت حملة السباب والإهانة مستمرة لا توقفها جهود العقلاء المخلصين ولايردع القائمين بها رادع من دين أو قانون أو حرص على مشاعر مئات الملايين من مواطنى دول عربية وإسلامية تقوم بينها وبين شعب الدانمارك وحكومته وكافة شعوب وحكومات دول الاتحاد الأوروبى علاقات مودة وتواصل مصالح اقتصادية تحتاج إلى من يحرسها ويزكيها لا من يهدمها ويرديها.

والمجمع لاينطلق فى إدانته لهذه الحملة واستنفاره علماء المسلمين لمواجهتها من منطلق دينى إسلامى فحسب وإنما ينطلق فوق ذلك ومعه من إدراك لجسامة وخطورة الآثار السلبية التى لابد أن تترتب على هذه الممارسة غير المسئولة لأمانة الكلمة التى هى أول طريق الخير والإصلاح حين تكون كلمة طيبة كما تكون أول طريق الشر والإفساد حين تكون كلمة خبيثة.

والمجمع وهو يدين هذه الحملة ويدعو جميع المؤمنين والحكماء إلى مواجهتها لاتغيب عنه أبدا قيمة (حرية التعبير) وضرورة حمايتها بنصوص الدساتير والقوانين وحراسة القضاء والرأى العام فى الدول المختلفة.. ولكن المجمع لايغيب عنه كذلك ما استقر لدى علماء القانون الدولى والقوانين الداخلية من أن حرية التعبير شأنها شأن سائر الحريات المقررة فى الدساتير والقوانين إنما تمارس فى مجتمع منظم.. وأن هذا التنظيم يقتضى التوفيق بين ممارستها وبين حريات وحقوق أخرى فى مقدمتها الحق فى صيانة الكرامة الشخصية وحرمة الأعراض والمقدسات الفردية والجماعية.. كما لاتغيب عن المجمع فى عصر العولمة وسقوط الحواجز بين الشعوب والثقافات أهمية إشاعة روح السلام والاحترام المتبادل والحرص على التواصل والتعارف بين أصحاب الثقافات المختلفة حتى لايتحول الأمر إلى «صدام الحضارات والثقافات» الذى حذر منه حكماء العالم ورواد الفكر الإنسانى فى كل مكان.

لهذا كله يجد مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف من واجبه نحو دينه وعقيدته ونحو الشعوب الإسلامية كلها ونحو الإنسانية التى تحتاج اليوم أشد الحاجة إلى نشر ثقافة السلام وشعارات المحبة ودعوات التعاون على مواجهة أخطار مشتركة جديدة تتعرض لها شعوب الأرض على اختلاف عقائدها وثقافاتها ونظمها السياسية، وأداء لهذا الواجب على امتداد ساحاته المتعددة يتوقع المجمع أن

تعيد حكومة الدانمارك مراجعة موقفها قبل أن تتصاعد تداعيات هذه الحملة المؤسفة تصاعدا يمس مصالح الدانمارك وشعبها كما يمس روح المودة والرغبة فى التعاون بين شعب الدانمارك وبين الشعوب العربية والإسلامية وهى الروح التى كانت إلى عهد قريب تتنامى وتنتفع بثمارها شعوب الجانبين.

كما يهيب المجمع بعلماء المسلمين وحكوماتهم فى كل مكان أن يشاركونا هذا النداء الذى نتوجه به إلى شعب الدانمارك وحكومته والذى ينوى الأزهر الشريف أن يتوجه به إلى اللجان المختصة بالأمم المتحدة وإلى منظمات حقوق الإنسان فى كل مكان دفاعا عن حقوق الأفراد والشعوب وحماية للتعددية الثقافية وما تتطلبه من احترام ثقافة الآخرين والامتناع عن الترويج لثقافة الكراهية والازدراء بأولئك الآخرين.

ولسنا نشك لحظة واحدة فى أن العقلاء والحكماء فى الدانمارك وفى كل مكان سوف يقاومون معنا هذا التجاوز المعيب الذى يخرج الكلمة وغيرها من وسائل التعبير عن حدود حرية التعبير ليدخل بها ساحة القذف والسب وازدراء الأنبياء والعقائد والأديان والثقافات، وكلها جرائم يعاقب عليها بصور مختلفة، القانون الدولى، وقوانين سائر الدول المتحضرة الحريصة على احترام الإنسان والأديان ونشر ثقافة السلام والدعوة إلى التواصل بين جميع الشعوب.

شيخ الأزهر

رئيس مجمع البحوث الإسلامية

أ.د. محمد سيد طنطاوى

٢٠٠٥/١٢/١٠

● كان فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف قد استقبل وفد ممثلى الجمعيات الإسلامية بالدانمرك برئاسة السيد محمد الخالد محمد على وهو من أصل عراقى ويحمل الجنسية الدانمركية يرافقه السيد أحمد حربى من أصل مصرى ويحمل الجنسية الدانمركية والسيد زكى كوشر من أصل تركى ويحمل الجنسية الدانمركية، والسيد نورالدين محيى الدين من أصل عراقى ويحمل الجنسية الدانمركية والسيد سرور شودارى من أصل باكستانى ويحمل الجنسية الدانمركية حيث رحب فضيلته بالوفد داعيا لهم بالتوفيق من أجل خدمة دينهم. ومن جانبه شكر أعضاء الوفد فضيلته على حسن اللقاء وإتاحة الفرصة لهم ليعبروا عن استيائهم لما حدث فى الدانمرك حيث قدموا مستندا يحمل صورا ورسومات تسىء للرسول -صلى الله عليه وسلم- مؤكدين على أن هناك دلالات تحرك الحقد الدفين فى قلوب الذين يسيئون للإسلام ولرسوله الكريم. وقالوا: نحن من منطلق الحفاظ على صورة الإسلام اعتصمنا بالصبر وتصرفنا بحكمة فى دولة تعداد سكانها ٥ ملايين نسمة وعدد المسلمين بها حوالى ٢٠٠ ألف مسلم فقط ونظرا لتكرار عرض هذه الصور فى الجرائد الدانمركية وعرضها وبثها للعالم عن طريق شبكات الإنترنت قمنا بالتحرك المنضبط بعيدا عن الاستفزازات التى نتعرض لها فى هذا الأمر، وقد لجأنا لفضيلتكم لأنكم من أهل الاختصاص والخبرة من أجل سماع نصيحتكم الكريمة وطلب

العون من الأزهر الشريف المسموعة كلمته فى العالم وكلمته لها صدى كبير فى العالم وطمعا فى الدعم المعنوى لأننا نطالب باحترام الأديان واحترام الرسل جميعا فنحن نحترم الأديان السماوية ونحترم الرسل جميعا وننتهج نهج الإسلام بالتعامل بالحكمة مع الآخرين فلماذا هم يسيئون إلينا وإلى الإسلام وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!

وقال فضيلة الإمام الأكبر نحن لانقبل الإساءة إلى الأديان وإلى الرسل وندعوا إلى احترام الأديان والرسل وعدم المساس بالمقدسات.

الإمام الأكبر يستقبل وفد الجامعات الماليزية

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف وفدا من نواب رؤساء الجامعات الماليزية برئاسة الأستاذ الدكتور جمال الدين محى الدين نائب رئيس جامعة العلوم الماليزية والأستاذ الدكتور محمد حسين مدير عام الشئون الطلابية بوزارة التعليم العالى الماليزية نائبا عن معالى وزير التعليم العالى، حيث رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف وقال إن أبناء ماليزيا يتعلمون فى الأزهر الشريف وعددهم يزيد على ٧٥٠٠ طالب وطالبة يدرسون فى المعاهد الأزهرية وفى جامعة الأزهر وقد خصص لماليزيا هذا العام ٢٢ منحة دراسية كما توجد بعثة من علماء الأزهر يقومون بالمشاركة فى التدريس فى ماليزيا بجانب علماء وأساتذة ماليزيا كما أن الأزهر يستقبل أئمة ووعاظ ماليزيا لحضور والدورات التدريبية التى ينظمها الأزهر كل ثلاثة أشهر ويحضر هذه الدورات علماء من مختلف دول العالم الإسلامى وقدم فضيلته شرحا مبسطا لنظام التعليم فى المراحل المختلفة فى الأزهر وفى الجامعة العريقة مؤكدا على أن الدراسة فى الأزهر تمتاز بالوسطية والاعتدال حيث يحفظ الطالب أو الطالبة القرآن الكريم كاملا قبل الالتحاق بالجامعة كما يدرس العلوم الشرعية والعربية بتوسع إلى جانب تدريس المواد اللغوية والثقافية، وأوضح أن الطلاب يقيمون بمدن البعوث الإسلامية وينالون الرعاية التعليمية والثقافية والطبية، وقد أعرب رئيس الوفد والسادة الحضور عن بالغ سعادتهم بهذا اللقاء ولإتاحة الفرصة للقاء شيخ الأزهر وللتعرف على نظام التعليم فى الأزهر فى مراحله المختلفة. وتقدموا بخالص الشكر والتقدير للأزهر شيخه وعلمائه على ما يقوم به الأزهر الشريف وما يقدمه لتعليم أبناء ماليزيا فى الأزهر ومايرسله من علماء لدولة ماليزيا ومايتلقونه من علم نافع مفيد وهذا له تأثير كبير على المسلمين فى ماليزيا حيث إن المسلمين يمثلون ٦٣٪ من عدد السكان فى ماليزيا. ونقل الدكتور محمد حسين تحيات وزير التعليم العالى لفضيلة شيخ الأزهر الشريف.

ويستقبل وفدا من تايلند

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفدا من أعضاء مكتب صندوق البحث فى تايلاند برئاسة الدكتور جاران بالوليم رئيس الباحثين بمكتب صندوق البحث يرافق الوفد الأستاذ عبدالحميد الرافعى من الخارجية المصرية، حيث رحب فضيلته بالوفد فى مصر وأزهرها الشريف مشيدا بعمق العلاقات والروابط الأخوية بين البلدين، وقال: إن الأزهر الشريف يستقبل أبناء تايلاند للدراسة به وعددهم ٢٥٥٠ طالباً وطالبة يدرسون بالمعاهد الأزهرية وبجامعة الأزهر وقد خصص لهذا العام ٦٣ منحة لطلاب تايلاند وتوجد بعثة من علماء الأزهر الشريف فى تايلاند يقومون بالتدريس لأبناء تايلاند حيث يدرسون لهم القرآن الكريم والمواد الشرعية والعربية بمعهد نهضة العلوم بجالا والمعهد الدينى ومدرسة إسلام سرى رانا، وشرح فضيلته نظام الدراسة فى معاهد الأزهر وكلياته، وأوضح سماحة الدين الإسلامى بنبذ العنف والإرهاب بكل صوره وأشكاله لأنه دين يدعو للمحبة وللتسامح وللتعاون وللتعارف والعدل والإنصاف والوقوف إلى جانب المظلوم.

وأجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات الوفد حول دور مصر الريادى الهام فى المنطقة ورأى الأزهر فيما يسمى بصراع الحضارات، حيث أوضح فضيلته أن علماء الأزهر الشريف يحضرون المؤتمرات فى كثير من الدول ولهم دور بارز فى هذا المضمار، حيث يوضحون ويبينون سماحة الإسلام وأن الأزهر مع تلاقى الحضارات وانتفاع كل دولة بحضارة الدولة الأخرى وليس مع صراع الحضارات، لأن لكل دولة حضارتها وأن الحضارات عند العقلاء تتعاون ولاتتصارع ولاتتصادم لأنه لاتوجد دولة فى هذا العالم تستطيع أن تعيش بمفردها وأن تعيش منعزلة عن العالم فتبادل المنافع هو نوع من تعاون الحضارات.

وبين فضيلته أن الأزهر الشريف يقوم بعمل دورات تدريبية للسادة العلماء بين دول العالم المختلفة للتدريب على الفتوى ويقوم الأزهر بعقد مؤتمرات عالمية يدعو إليها من شتى أنحاء العالم وكان آخرها مؤتمر «هذا هو الإسلام» الذى حضر إليه نخبة من العلماء والمفكرين من جميع أنحاء العالم بهدف توضيح المفاهيم الإسلامية السمحة الصحيحة التى تبين أن الإسلام دين الوسطية والاعتدال وأنه دين ينبذ العنف والتعصب الأعمى والعنصرية البغيضة، وهو دين يدعو إلى التعاون والسلام بين بنى البشر جميعا وأن الاختلاف فى العقائد لايمنع من التعاون والتعارف والمودة ومن جانبه شكر الوفد فضيلته على هذا اللقاء المثمر وإتاحة هذه الفرصة وأنهم قد استفادوا من هذه المعلومات مؤكدين على أن للأزهر الشريف فضل عظيم على أبناء تايلاند الذين يتعلمون فى الأزهر الآن

وعددهم كبير وأيضا الذين تخرجوا فى الأزهر الشريف هم الآن فى مراكز عالية بمجلس الشيوخ التايلاندى وفى أماكن كثيرة فى الدولة وعدد سكان تايلاند ٦٥ مليون نسمة منهم ٧,٥ مليون مسلم يعيش أغلبهم بجنوب تايلاند حيث يمثل المسلمون هناك نسبة ٨٥٪ من سكان الجنوب.

الفلبين تبحث تدريس مناهج الأزهر الشريف

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد فرانكلين ايبدالين نائب وزير الخارجية الفلبينية ومدير إدارة الشرق الأوسط يرافقهم سفيرة الفلبين بالقاهرة وأعضاء السفارة والسكرتير الأول السيد أحمد حارس من الخارجية المصرية حيث رحب فضيلته بالسادة الضيوف مشيرا إلى أن أبناء الفلبين يدرسون فى الأزهر الشريف وجامعته وهم بذلك سفراء لمصر ولأزهرها الشريف حينما يعودون إلى بلادهم لينقلوا ما تعلموه للمسلمين فى الفلبين، والأزهر لايدخر وسعا لخدمة أبناء المسلمين فى شتى أنحاء العالم وعدد الدارسين الفلبينيين فى الأزهر ٣٩٨ طالباً وطالبة يدرسون بمعاهد الأزهر وجامعته العريقة، وقد خصص لهذا العام ١٥ منحة وتوجد بعثة من علماء الأزهر الشريف قوامها ٣٩ عالما يقومون بالمشاركة فى تدريس القرآن الكريم والعلوم الشرعية والعربية لأبناء الفلبين، بجانب أساتذة وعلماء الفلبين، وشرح فضيلته نظام الدراسة فى الأزهر الشريف والذى يقوم على التوسط والاعتدال مبينا أن الدين الإسلامى دين يدعو للسلام وينبذ العصبية المقيتة ويدعو إلى العدل والإنصاف.

ومن جانبه شكر الوفد فضيلته على حسن اللقاء مشيدا بدور الأزهر الشريف وعلمائه وقال إنهم فى الفلبين فى حاجة إلى قيادات إسلامية يسترشدون بعلمها وأنهم بصدد دراسة الاقتراح الخاص بإنشاء معاهد بالفلبين تقوم بتدريس مناهج الأزهر الشريف وتحت إشرافه مما يجعل الطالب يعيش مع الأحداث ببلده حيث إن المسافة بين مصر والفلبين بعيدة جدا ورغم ذلك يفضل أبناء المسلمين فى الفلبين أن يتعلموا فى الأزهر الشريف لما يمتاز به من الدراسات الشرعية والعربية وعدد السكان ٨٠ مليونا ونسبة المسلمين ١٠٪ فقط. وأكد الوفد على أن الأزهر الشريف هو صرح عظيم قوى لإرساء السلام فى العالم حيث يفد إليه طلاب من معظم دول العالم يتعلمون الدين الإسلامى بسماحته ووسطيته واعتداله ثم يعودون لبلادهم ويتبوأون المراكز العليا ومنهم رؤساء الدول ومنهم الوزراء والسفراء.

Hajj in the Prophetic Sunnah

Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) says:

"Whoever of you wishes to perform Hajj, then he should hurry (to perform it)."

When the Prophet was asked which the best of deeds was, he replied, *"To believe in Allah and His Messenger."* He was asked, *"Then what?"* He replied, *"To fight in the Cause of Allah."* Then, he was asked, *"Then what?"* The Messenger replied, *"To perform pilgrimage which is accepted by Allah."*

Upon Whom Hajj Is Obligated

Hajj is ordained upon the free, sane, adult Muslim who can afford it. With regard to women, they have to be accompanied by a *mahram* (i.e., the husband or any of their unmarriageable relatives). The incapacitated person is not among those obligated to perform *Hajj* and so is the person afflicted with paralysis and serious illnesses.

A Summary of the Rituals of Hajj

They are ten:

1- *Ihram* from *Miqat*
2- Circumambulating the Ka`bah for seven times
3- *Sa`i* between As-Safa and Al-Marwa for seven times
4- Standing on Arafah Mount
5- Spending the night of sacrifice at Muzdalifah
6- Spending the night at Mina
7- Throwing the stones
8- Running-forth *Tawaf* (i.e., Circumambulation)
9- Sacrifice for those obligated to offer sacrifices
10- Getting out from the state of *Ihram* whether through cutting or shortening one's hair.

*Hajj...!

By: Sheikh Muhammad Hafiz Sulayman

Allah, Exalted be He, says:

{And it is (a duty) upon mankind towards Allah (to come) to the House on Pilgrimage, for whomsoever is able to make a way to it.}

[Al-Imran (The Household of Imran): 97]

Hajj is a divine journey, religious obligation and obedience to Allah's Command. It also involves submission, refinement to the soul, sensitivity to the feelings, and immunity against inclinations and Satan's temptations; this is through showing humbleness to Allah.

Moreover, *Hajj* is a chance to repent sincerely and faithfully to Allah so that the Muslim pilgrim may return from his/her blessed journey while filled with spiritual glow that makes him/her well-reputed, self-purified, pure-sighted, more determined and truthful in both word and action. This is in order for the pilgrim to get the best provision (i.e., piety) after a deep training before Allah's Sacred House on how to love Allah and His Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him). The pilgrim's soul will be charged with the power of guidance which Allah grants to the close righteous from among His devoted bondsmen. Allah, Exalted be He, says:

{And whosoever firmly adheres to Allah, (then) he is already guided to a straight path.}

[Al-Imran (The Household of Imran): 97]

---

* An Article Published (In Arabic) At Al-Azhar Magazine .

Undoubtedly, piety provides the pious with away out of every distress, because Allah always supports the pious. Allah, Glorified be He, says:

{And whosoever is pious to Allah, He will make for him (a way) of going out, and He will provide for him from where he does not (expectedly) reckon.}

[At-Talaq (Divorce): 2-3]

Allah, the Almighty, also says:

{And whosoever is pious to Allah, He will make for him, of His Command easiness.}

[At-Talaq (Divorce): 4]

For everyone, there is a record reserved with Allah containing all that one did and will do in his/her life. Not only that, there are angels assigned with writing our deeds in a special book. In this respect, Allah, the Almighty, says:

{And surely there are indeed over you preservers, honorable writers, (who) know whatever you perform.}

[Al-Infitaar (The Rending): 10-12]

Nevertheless, one may forget that there are angels always accompanying us; they write what is evil as evil and what is good as good. Allah, Ever-Majestic be he, says:

{So whosoever does an atom's weight of charity shall see it, and whosoever does an atom's weight of evil shall see it.}

[Az-Zalzalah (The Earthquaking):7-8]

Hajj in the Ever-Glorious Qur'an

Allah, Exalted be He, says:

{And perfect the Pilgrimage and the Visitation (to Makkah) to Allah.}

[Al-Baqarah (The Cow): 196]

Moreover, Allah says:

{And announce to mankind the Pilgrimage.}

[Al-Hajj (The Pilgrimage): 27]

the exact opposite is the truth. This is due to the fact that the people, during the Roman and Greek times, were being sold as goods. Can any of those studying the international law bring a Western law similar to what came in the Qur'anic verse that reads:

> *{O you mankind, surely We created you of a male and a female, and We have made you races and tribes that you may get mutually acquainted. Surely the most honorable among you in the Providence of Allah are the most pious.}*
>
> [Al-Hujuraat (The Apartments): 13]

The slaves, in the Greek empire, represented the majority and their view was not considered in any aspect. Ironically, the Platonic Republic divided people into classes: The first class enjoyed freedom while the second one suffered slavery and submission. All this was before Islam! Moreover, the papacy did not only maintain the classes system but it also began to sell peoples' destinies in the Hereafter; it would admit whomsoever it wished to Paradise and deprive whomsoever it wished of such a blessing. Furthermore, the papacy made the feudatories class – the landlords – as the nobles, and the emirs as a second class over the commons. As for the supreme class, the mediator between people and God, it was the class of the monks and priests. Therefore, the world's affairs suffered confusion and disorder and the balance was disturbed. That was the case until the coming of Islam which declared that the most honorable among people is the pious.

Embracing Islam, the Muslims got out from the Arab Peninsula fearing nothing and targeting but to disseminate the word of monotheism *"There is no deity worthy to be worshipped but Allah."* Witnessing this, the Church felt that the indulgences trade would not be

beneficial anymore, so it used every means to fight Islam and attribute falsehoods and lies to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) to the degree that one of the falsifiers claimed that Prophet Muhammad was a Christian priest then he was renounced by the Church, and, afterwards, he innovated what he called "Islam." In addition, the crusades were not launched except to defend the Church and enslave the East. However, Islam's immunity defeated the aggressors.

When the Europeans, in the nineteenth century, discovered the power of stream, the industrial capitalism came into existence. Its aim was to exploit the wealth of the East in order to feed its factories. Consequently, the Arab and non-Arab Islamic countries would become markets for selling the production exceeding the local consumption of the West. Rather, the local consumption in the West was not considered the high-priority goal, as the true target was to usurp the wealth of the East. To achieve their materialistic goal, they decided to invade the Islamic world through the usurers' campaigns and entrap kings and sultans with what they called "The Western Modernity." Therefore, they gave loans against aggressive interests so they could practice the Western influence to protect the interests of the usurers. Soon after, such an influence could be followed by armed forces to occupy the Muslim countries. We suffered that as witnessed in the British occupation to Egypt after it drowned in the debts of Khedive Ishmael. That was the way according to which Egypt as well as many other countries fell into what was called "The Western Modernity."

In addition to all these contributions, King Fahd was a great ruler who made various achievements on the political, economic, social and educational levels. He contributed to the prosperity of the Kingdom of Saudi Arabia and ruled it wisely and courageously in a period characterized with massive international and regional changes and turnovers.

On the international level, King Fahd paid interest to the issues of the Arab and Islamic countries, and he offered the financial and moral support to many of the Arab and Islamic nations. Further, he contributed to building many mosques, religious institutions and Islamic centers in the Islamic countries whose mosques and schools were destroyed as a result of the civil wars, especially in Bosnia and Herzegovina.

On the national level, the Kingdom witnessed great civilizational and developmental renaissance during King Fahd's rule. Through the strong relations blessed and recommended by King Fahd between Egypt and Syria, the three countries were able to undertake a pioneering role in the area on the political and strategic levels, and influence the international events and decisions. That is why the international pressures and the regional crises did not force these three countries to stop supporting the Arab and Islamic issues.

May Allah have mercy upon King Fahd and reward him and admit him into Paradise *"with the ones whom Allah has favored, of the Prophets and the ones constantly sincere and the martyr-witnesses and the righteous; and the fairest escorts those are!"* [An-Nisa' (Women): 69]

A Great Scholar Refutes a Common Falsehood...!

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

It was not proper for one of the Egyptian thinkers leading the educational renaissance in Egypt to repeat the words of the Orientalists and those bearing grudge against Islam and the Arabs. By this we mean Professor Ahmed Zaki, the former head of the Cairo university, who said that Egypt was a dependant on the West in both its past and present. The aim behind that was nothing but running after an idea calling for subordination to the West. This was as if he was belittling the minds of the hearers to the degree that he caused a suppressed revolution in their hearts and minds. However, the great Professor Mostafa Al-Hifnawy (may Allah reward him) commented on this through a wonderful lecture in which he defended the truth with the truth.

Al-Hifnawy, after a meaningful introduction, said, "Professor Ahmed Zaki said, 'We are Westerners and the East has taken from the West all that benefits it in both science and politics. We depend on the West in everything whether in the past or the present. The civilization of the Greek was the source of the Arab civilization and had it not been for the Greek, there would have been no favor for the Arabs.' " Al-Hifnawy went on saying, "I wish Professor Ahmed Zaki could tell us about such books of the Greeks, which were read by Umar Ibnul-Khattab, the Commander of the Faithful, and which helped him establish a great nation of perfect administrative and political systems! I wish he could tell us about the historical basis on which he stated that human rights in the Islamic Shari`ah, Qur'an and Prophetic Hadith were derived from the law of the Greeks! I can assure you that

mentioned in other positions in the Qur'an and *Sunnah*. Allah, Exalted be He, says:

> *{And it is (a duty) upon mankind towards Allah (to come) to the House on Pilgrimage, for whomsoever is able to make a way to it.}*
>
> [Al-Imran (The Household of Imran): 97]

He also says:

> *{And announce to mankind the Pilgrimage.}*
>
> [Al-Hajj (The Pilgrimage): 27]

In addition, the *hadiths* that numerate the pillars of Islam do not give mention to *Umrah*, for they just state, *"To perform Hajj by whoever can afford it."*

It is known that standing on Arafah Mount is considered the most important ritual of *Hajj* for the Messenger said, *"Hajj is Arafah (i.e., the most important pillar of Hajj is standing on Arafah)."* Standing on Arafah reminds people of their standing on the Day of Resurrection while fearing Allah's punishment and seeking His reward and mercy. On that Day, no one can boast of one's power or race.

May Allah have mercy on King Fahd due to his efforts and contributions as regards expanding the Two Inviolable Mosques in order to be wide enough to contain the increasing number of pilgrims! The total area of the expansion reached 76,000 square meters so the total area of the Inviolable Mosque amounted to 328,000 square meters. Not only that, he also paid much importance to facilitating movement inside and outside the Mosque. As for the total area of expanding the Prophet's Mosque, it reached 82,000 square meters in addition to making use of the area surrounding the Mosque. These areas were equipped with all the necessary facilities needed by the pilgrims.

Moreover, King Fahd expanded the Mosque of Qibaa until it reached 7,465 square meters after it was 1,352 square meters only.

The rule of the late king, who gave up the title "His Majesty" and replaced it with "The Servant of the Two Inviolable Mosques", was distinguished by offering numerous services to the pilgrims and providing them with all that they would need. Furthermore, King Fahd abundantly planted trees, especially in the yard of Arafat in order for the pilgrims to be shaded by them. That would facilitate performing the rituals of *Hajj* and protect the pilgrims from what might befall them, such as sunstrokes, and threaten their lives.

King Fahd died on Jumadal-Akharah 26, 1426 A.H. (August 1, 2005 A.D.) and his death had a painful effect on all the Muslims (may Allah reward him greatly for what he offered to Islam and Muslims). It is worth-mentioning that King Fahd, in addition to his sacred services to the Two Inviolable Mosques, paid great attention to regulating and supervising the printing as well as publishing the Book of the Noble Qur'an. For this, he selected a unique team of the prominent scholars and established the biggest foundation for printing the Noble Book. He established King Fahd Qur'an Printing Complex at Jeddah. This project is considered a step forward in regulating the printing of the Noble Book. The fruitage of that project was the production of more than two hundred million copies of the Noble Qur'an which were distributed all over the world. Additionally, King Fahd directed attention to the translation of the Noble Book into more than thirty languages. Amazingly, the production capacity of the Complex reaches about ten million copies annually of which one million are dedicated to the translated copies of the Qur'an.

The Rituals of Hajj and the Remarkable Deeds of King Fahd...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Hajj is a practical course to consolidate the creed, correct the concepts, review commitment and reinforce trust. In *Hajj*, the Muslim feels that he/she is a member of a community that has its weight on the international level. Its number exceeds one billion peoples scattered all over the world. This stresses the universality of Islam and its validity for all times and places. That is because the Muslim comes from the remotest places to the land of Revelation and remembers the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) and his Companions, recalling their lives and *Jihad* (i.e., fighting in the Cause of Allah) in order to consolidate the pillars of Islam so that its creed and commitment become stronger.

The pilgrim also meets other Muslims coming from different places, races and colors and speaking different languages. They meet under the roof of Islam and share the performance of prayers, and their relations and ties become stronger. Moreover, their dealings become based on the principles of Islam. In such a sacred place of *Hajj*, the desired acquaintance is realized and the benefits are mutually exchanged. The Muslims hurry to perform the rituals of *Hajj* through a well-arranged gathering at a specified time. When they complete the rituals of *Hajj*, they go back to their homes as sincere examples of the committed, faithful Muslims. Other peoples will perceive that these pilgrims have been totally changed in both their word and deed as if they have been reborn anew.

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) ordered us to hurry to perform *Hajj* in case one

can afford it. Ibn Abbas (may Allah be pleased with them) narrated that the Messenger said, *"Hurry to perform (the obligation) of Hajj because one does not know what one may face."* In another *hadith*, the Messenger said, *"Whoever wants to perform Hajj should hurry to do it, for the healthy may get ill, the mount (he means the means of transport) may lose its way, and one may face need."* That is why the schools of Abu Hanifah, Malik, Ahmed Ibn Hanbal, and some of the followers of the school of Ash-Shafi`i are of the opinion that *Hajj* is obligated immediately. However, Ash-Shafi`i views that *Hajj* is obligated but at any time. He substantiates his view on the fact that the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) delayed performing the *Hajj* until the tenth year when he performed the Farewell *Hajj* though *Hajj* was ordained in the ninth year. Nevertheless, Ash-Shafi`i views the desirability of performing *Hajj* at the first chance one can get. Similarly, Ash-Shafi`i and Ahmed Ibn Hanbal view that *Umrah* (i.e., Lesser Pilgrimage) is obligatory the same as *Hajj*. They base their opinion on Allah's verse in which He says:

> *{And perfect the Pilgrimage and the Visitation (to Makkah) to Allah.}* [Al-Baqarah (The Cow): 196]

The verse is regarded as strong evidence that *Umrah* and *Hajj* share the same ruling.

As came in the *hadith* related by Imam Muslim, Jabir narrated that the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him), at the Farewell *Hajj*, said, *"Umrah has been incorporated in Hajj until the Day of Resurrection."* As for the followers of Abu Hanifah and Malik, they view that *Umrah* is an act of *Sunnah*, for the proofs of *Hajj* are

AL-AZHAR MAGAZINE

Dhul-Hijjah, 1426 A. H.

ENGLISH SECTION

January. 2006

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

الفهرس السنوى لسنة ١٤٢٦هـ

المحرم ١٤٢٦هـ

صفر ١٤٢٦هـ

ربيع الأول ١٤٢٦هـ

ربيع الآخر ١٤٢٦هـ

جمادى الأولى ١٤٢٦هـ

جمادى الآخر ١٤٢٦هـ

رجب ١٤٢٦هـ

شعبان ١٤٢٦هـ

رمضان ١٤٢٦هـ

شوال ١٤٢٦هـ

ذو القعدة ١٤٢٦هـ

ذو الحجة ١٤٢٦هـ